15

التواصل

AT-TAWASUL

فصلية ثقافية شاملة

السنة الرابعة ، العدد الخامس عشر - خريف 1375 من وفاة الرسول ﷺ 2007 مسيحي



أ. محمد السماك / لبنان

القدس 40 سنة احتلال

د. زبيغنيو بريجينسكي / أمريكا

الولايات المتحدة بين الإرهاب وثقافة الخوف

د. عبدالعاطي م. عبدالجليل / ليبيا

نزار قباني: مقابلة لم تنتشر.. وسر لم يذع

أ. د. سعيد بنسعيد العلوي / المغرب

الإسلام في الوعي الثقافي الغربي المعاصر

شفشاون مغربية الانتماء أندلسية الهوى

الملف

حوار العقائد من أجل السلام في إفريقيا

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أنزلناه قرآنا عربيا لقوم يعلمون

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

أمين هيئة التحرير

الدين والسياسة وإفريقيا...

ع

عندما يلتقي الساسة هل يكون الدين من بين القضايا التي تحتل مساحة لا بأس بها من الهم الذي يتدارسونه؟ وحين يلتقي المهتمون بالشأن الديني هل تكون السياسة من بين القضايا التي تطل برأسها دون سابق إنذار؟

حين يلتقي الطرفان - الساسة والمهتمون بالشأن الديني - هل يحاول كل طرف تغليب ما يشغله على حساب ما يحاول الطرف الآخر أن يفرضه؟

هل هناك قواسم مشتركة بين الدين والسياسة؟

هل ثمة ما من شأنه أن يوحد أو يوفق بين الطرفين؟

هل هناك مساحة مشتركة بين الدين والسياسة؟

ما مدى تلك المساحة؟

من المسلم به حتى الآن - على الأقل - أن السياسة هي فن التعامل مع المتغيرات، والدين هو حسن التعامل والتوافق مع الثوابت، ولذا يبدو للوهلة الأولى أن التقاء الثوابت بالمتغيرات أمر تغلفه الصعوبة، لكن الصورة على ما يبدو ليست واضحة بما فيه الكفاية، ذلك أن الثوابت تظل كذلك، بينما لا تستقر المتغيرات ولا يستقر متتبعوها على حال، ولعله من المفيد هنا القول أن بين الدين والسياسة شؤون وشجون..

تداخلت الخطوط، وتشابكت الخيوط، واختلط الحابل بالنابل..

هناك من يدعو إلى دمج السياسة والدين، وهناك من يرى تطعيم الدين بالسياسة، وهناك من يعتقد أن السياسة لن تكون على خلق إذا لم يهذبها ويسيرها الدين، وهناك من لا يهتم كثيراً بهذا الأمر انطلاقاً من جملة مشهورة تقول: دعوا ما لله لله، وما لقيصر لقيصر، لكن هناك من يعترض ويقول: إن قيصر وما له لله، وما لله لا علاقة لقيصر به..

هل اقتنع الساسة أن الدين من شأنه أن يؤدي خدمة لهم، ولذا بات من المقبول أن يهرع الساسة إلى المهتمين بالشأن الديني بهدف التحالف ضد طرف ثالث؟

هل اقتنع المهتمون بالشأن الديني أن السياسة ربما تساهم في نشر القيم والثوابت الدينية ولذا لم يعد الخصام بين السياسة والدين مقبولاً؟ وهل حقاً هناك خصام وتعارض وتنافر بين السياسة والدين؟

منطقة شائكة ولا ريب هذه التي نحاول الاقتراب منها، ولذا لا مفر من أن نحوم حول الحمى دون أن نقع فيه كما يقال، وتظل الأسئلة خير طريق - أو أسلم طريق - لمعرفة ما يغلفه الغموض دون الوقوع في شباك ذلك الغموض..

❖❖❖

لقاء منظمة (إيفابا) الذي يتناوله ملف هذا العدد قدم إجابات عديدة لبعض ما طرحناه من أسئلة، حيث حاول المجتمعون البحث عن أجوبة مقنعة ووسائل عملية للحيلولة دون تنامي التناقض بين ثوابت الدين ومتغيرات السياسة، حاولوا قدر المستطاع السير في حقل مليء بالألغام دون أن يصابوا بخسائر، بذلوا جهداً للحيلولة دون وضع المزيد من الألغام في طريق السائرين إلى تعميق التعاون والتكامل بين الساسة والمهتمين بالشأن الديني.

صحيح أنهم لم يكونوا في مواجهة مع الساسة، وصحيح كذلك أنهم لم يخلطوا الأوراق ليعاد فرزها من جديد، وصحيح أنهم حاولوا الوصول إلى نقاط من شأنها أن ترضي الساعين إلى إقرار الأمن والسلم في إفريقيا، لكنهم مع كل ذلك ابتعدوا قدر المستطاع عن خلط الأوراق السياسية والدينية، ولم يقروا بمبدأ الاختلاف بين الدين والسياسة، كما أنهم لم يعلنوا التوافق التام بين الدين والسياسة.

لقد بذل الملتقون جهداً مميزاً للبعد عن مناطق الخلاف ليس بهدف تجميد نقاط الاختلاف ولكن بهدف وضع القواسم المشتركة على محك التعاون والتكامل بين الساسة والمهتمين بالشأن الديني في قارة تشكو من علل إن لم تتم معالجتها ستعمل على توسيع دائرة المعاناة.

يخيل إليَّ أن الجميع كان يهدف إلى القول: كفى فرقة، وكفى إقصاء، وكفى اختلافاً حول الثوابت، ولنحاول أن نتفهم شكل وطبيعة المتغيرات، وليحاول كل منا عدم الانتصار للمتغيرات السلبية حتى لا تزداد هوة الخلاف والاختلاف اتساعاً..

كان لقاء (إيفابا) خطوة على طريق إحداث نوع من التناغم بين الساسة والمهتمين بالشأن الديني، على الأقل من حيث النوايا..



في هذا العدد



دراسات

الرأي العام
(تكوينه ومراحله، أنواعه، خصائصه، أركانه



استطلاعات

شفشاون
مغربية الانتماء،
أندلسية الهوى



تقارير

موائد إفطار في 77 دولة
من مختلف قارات العالم

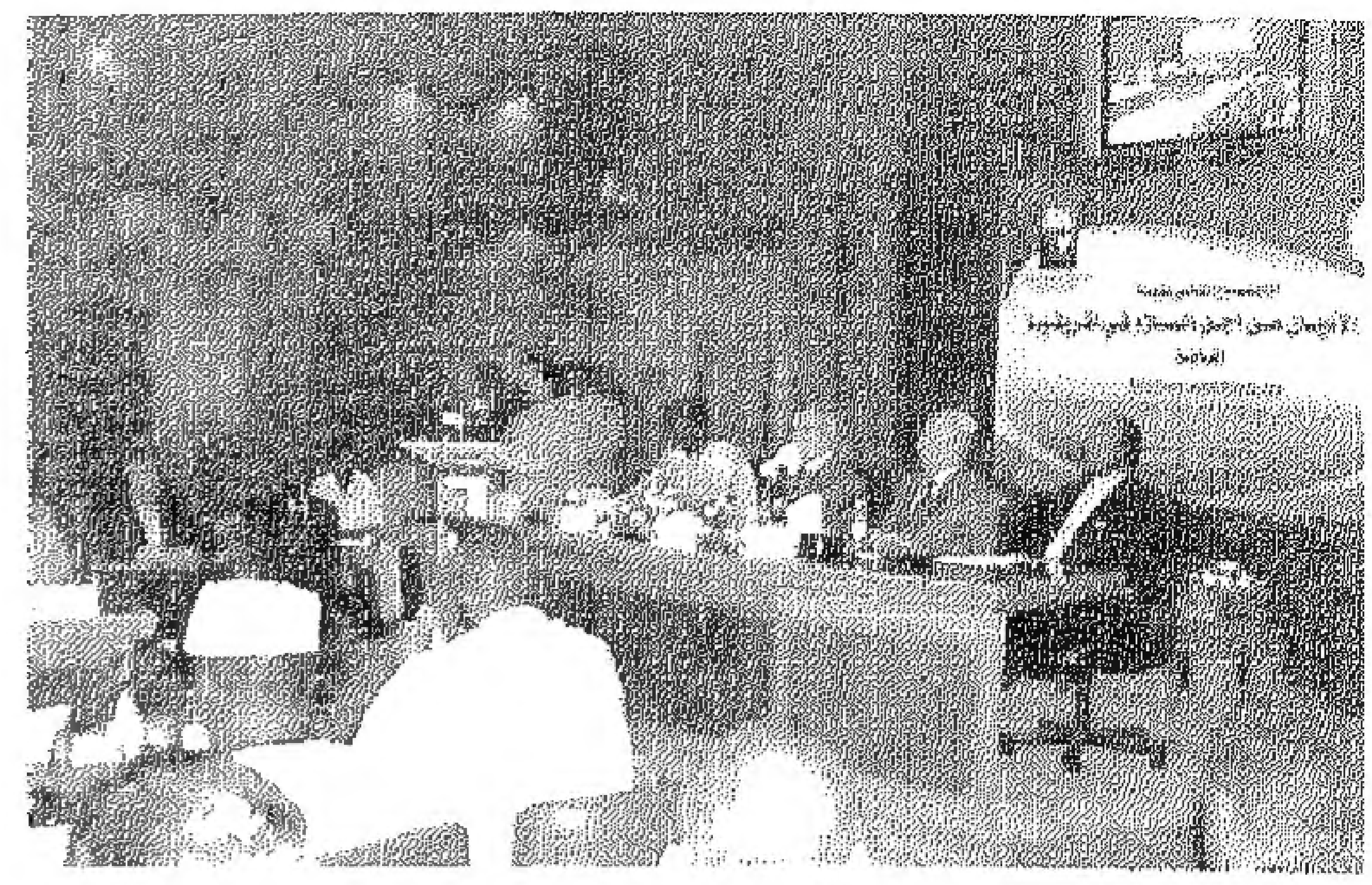
التواصل
AT-TAWASUL
مجلة ثقافية عامة
تصدر عن
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

السنة الرابعة ـ العدد الخامس عشر
خريف 1375 من وفاة الرسول ﷺ
2007 مسيحي

المراسلات باسم
أمين هيئة التحرير
طريق السواني ـ كلم 5
هاتف: 4800730 / 48084615
بريد مصور: 4800736 – 4800730
ص.ب: 86086
طرابلس ـ الجماهيرية العظمى

البريد الالكتروني
INFO@AT-TAWASUL.INFO
ARAA@AT-TAWASUL.INFO

الموقع على شبكة الانترنت
WWWW.AT-TAWASUL.INFO
WWWW.AT-TAWASUL.NET
WWWW.AT-TAWASUL.ORG
WWWW.AT-TAWASUL.COM



شــروط الـنـشـر فـي مجـلـة

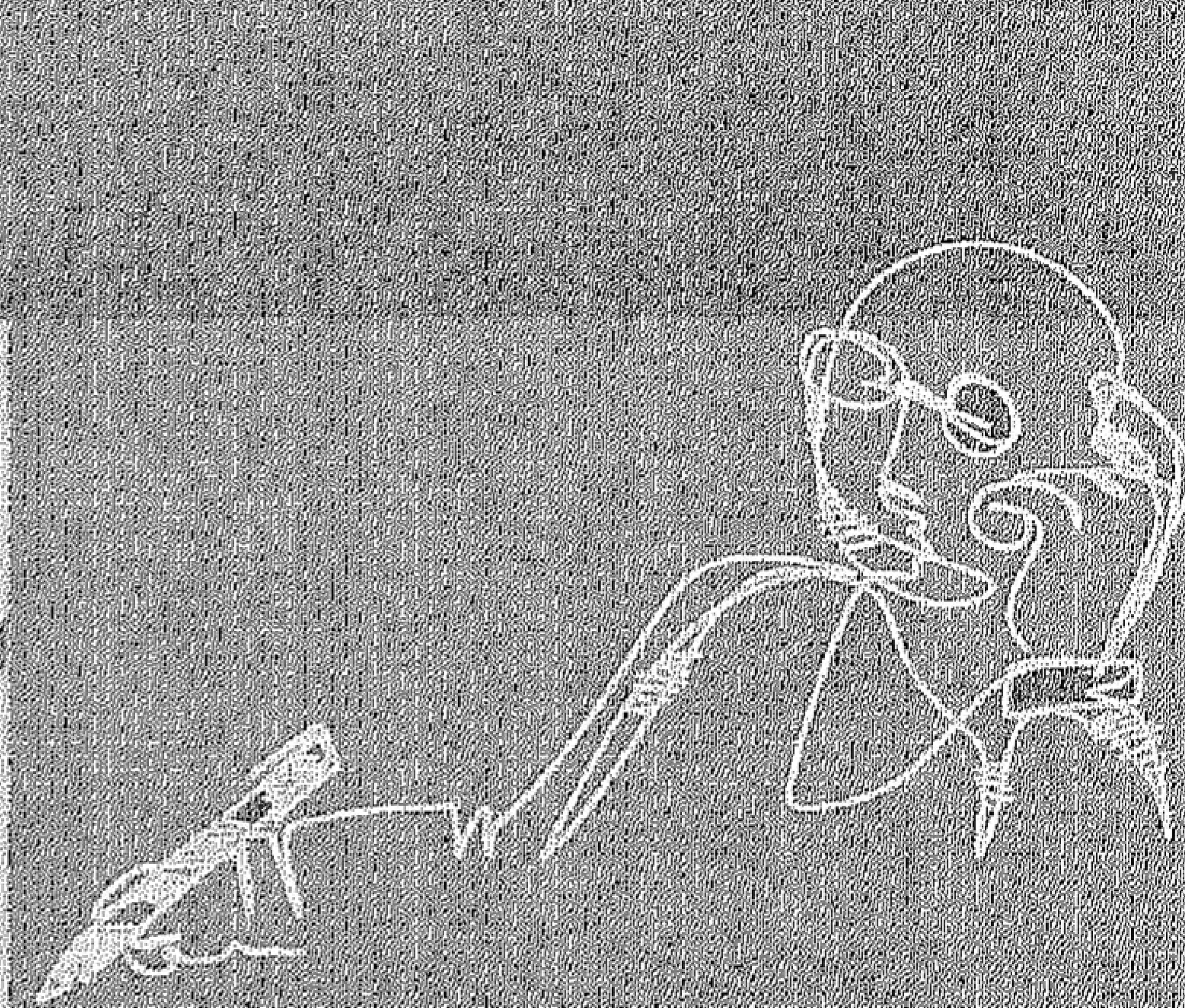
التواصل

ترحب مجلة التواصل بكتابات المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين وغيرهم الذين ينشدون التواصل المعرفي في من خلال لغة الحوار والنقاش المستنير بعيداً عن التعصّب بجميع أشكاله، وسعياً لدرء أسباب الخلاف والفرقة، مع الالتزام بأسس العقيدة الإسلامية وثوابت الدين في المعالجات الفكرية والثقافية. وتحقيقاً لهذه الأهداف يشترط لقبول نشر البحوث والمقالات:

- أن يتسم البحث بالجدّة والموضوعيّة، وأن يتّبع في كتابته الأساليب المنهجية في البحث العلمي من تسلسل منطقي في العرض، وتوثيقٍ للمصادر والمراجع.
- أن يُراعى تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في البحوث التي تتضمنها.
- أن يكون البحث أو المقال خِلواً من الأخطاء اللغوية والإملائية، مع مراعاة علامات الترقيم وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.
- ألاّ يكون البحث أو الدراسة المقدمة للنشر في (التواصل) جزءًا من أطروحة ماجستير أو دكتوراه.
- ألاّ يكون البحث قد سبق نشره في مطبوعة أخرى.
- أن يكونَ البحثُ أو المقال مطبوعاً، أو مكتوباً بخطٍّ واضح.
- ألاّ يقلّ عدد كلمات البحث أو الدراسة عن 8000 كلمة ولا يزيد على 12000 كلمة.
- ألاّ يقلّ عدد كلمات المقال عن 4000 كلمة، ولا يزيد على 6000 كلمة.
- أن يُرفقَ الباحثُ ببحثه سيرته الذاتية.
- في حالة الترجمة لا بدّ من أن يرفق النصّ المترجم بلغته الأصلية.

ملاحظات:

- للمجلة الحق في اختيار العدد المناسب لنشر البحوث المجازة.
- ترتيب نشر البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.
- لا تردّ البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت في المجلة أم لم تنشر.
- تعرضُ الأعمال المقدّمة للمجلة على لجنة تقويم النصوص فيها لإجازتها.
- تمنح البحوث والمقالات المجازة مكافآت مالية مناسبة.



مقالات

القدس

40 سنة احتلال

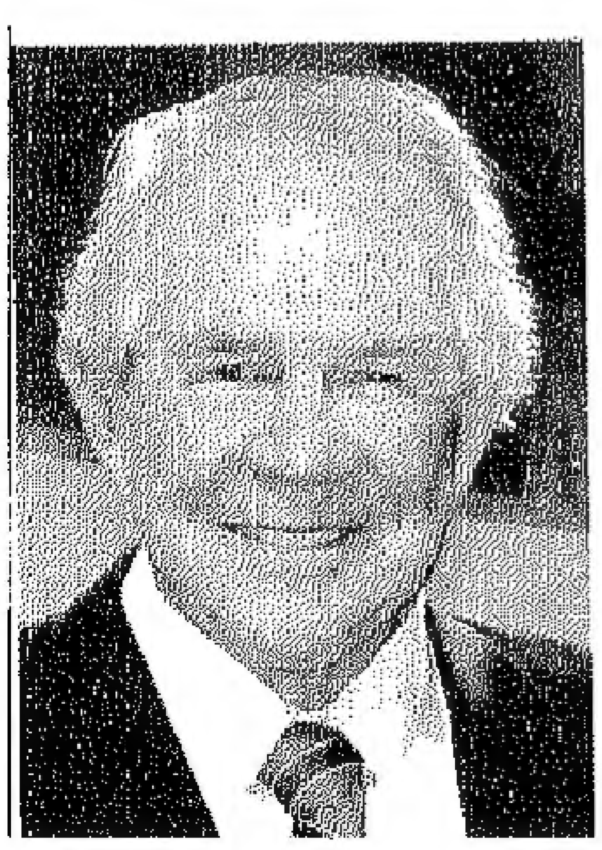
أ. محمد السماك / لبنان*

في عدوان الخامس من شهر الصيف - يونيو - عام 1967 مسيحي احتلت اسرائيل مدينة القدس، كان على رأس القوات الإسرائيلية التي اقتحمت المدينة المقدسة الجنرال موشي دايان، وكان يرافقه في دبابة القيادة القس الإنجيلي الأمريكي بات روبرتسون.

في ذلك اليوم أعلن روبرتسون وهو يتفرج على عملية تهديم حي المغاربة المجاور للمسجد الأقصى، أن المعجزة الثانية المتعلقة بسيناريو العودة الثانية للمسيح قد تحققت، وأن علينا الآن العمل على تحقيق المعجزة الثالثة، وهي بناء الهيكل اليهودي على أنقاض المسجد الأقصى وفي موقعه، أما المعجزة الأولى فكانت قد تحققت بقيام إسرائيل في عام 1948 مسيحي.

في عام 1980 مسيحي ترشح القس روبرتسون للانتخابات الرئاسية الأمريكية وكان يتطلع إلى العمل على تحقيق المعجزة الثالثة ولكنه تعثر في الطريق إلى البيت الأبيض، وكان الفوز من نصيب الرئيس رونالد ريغان، لم يكن ريغان أقل شغفاً بسيناريو نهاية الزمن الذي يبدأ بمعركة هرمجدون الماحقة، ثم بعودة المسيح المخلّص، الذي يحكم العالم مدة ألف عام يسود خلالها السلام والأمن والعدل، ولذلك كان ريغان يقول: إنه يتمنى أن يكرمه الله بالضغط على الزر النووي حتى تقع هرمجدون ويكون له بالتالي شرف المساهمة بتحقيق أحد أهم شروط هذه العودة المنتظرة.

بعد إعادة المياه الشخصية إلى مجاريها بين ريغان وبات روبرتسون فتح الرئيس الأمريكي الأسبق أمام روبرتسون بوابة مجلس الأمن القومي الأمريكي.



القس بات روبرتسون

فصار تقليداً معتمداً أن يدعى روبرتسون - ثم أي إنجيلي من مدرسته (جيري

* كاتب / صحفي / رئيس لجنة الحوار الإسلامي المسيحي / لبنان.



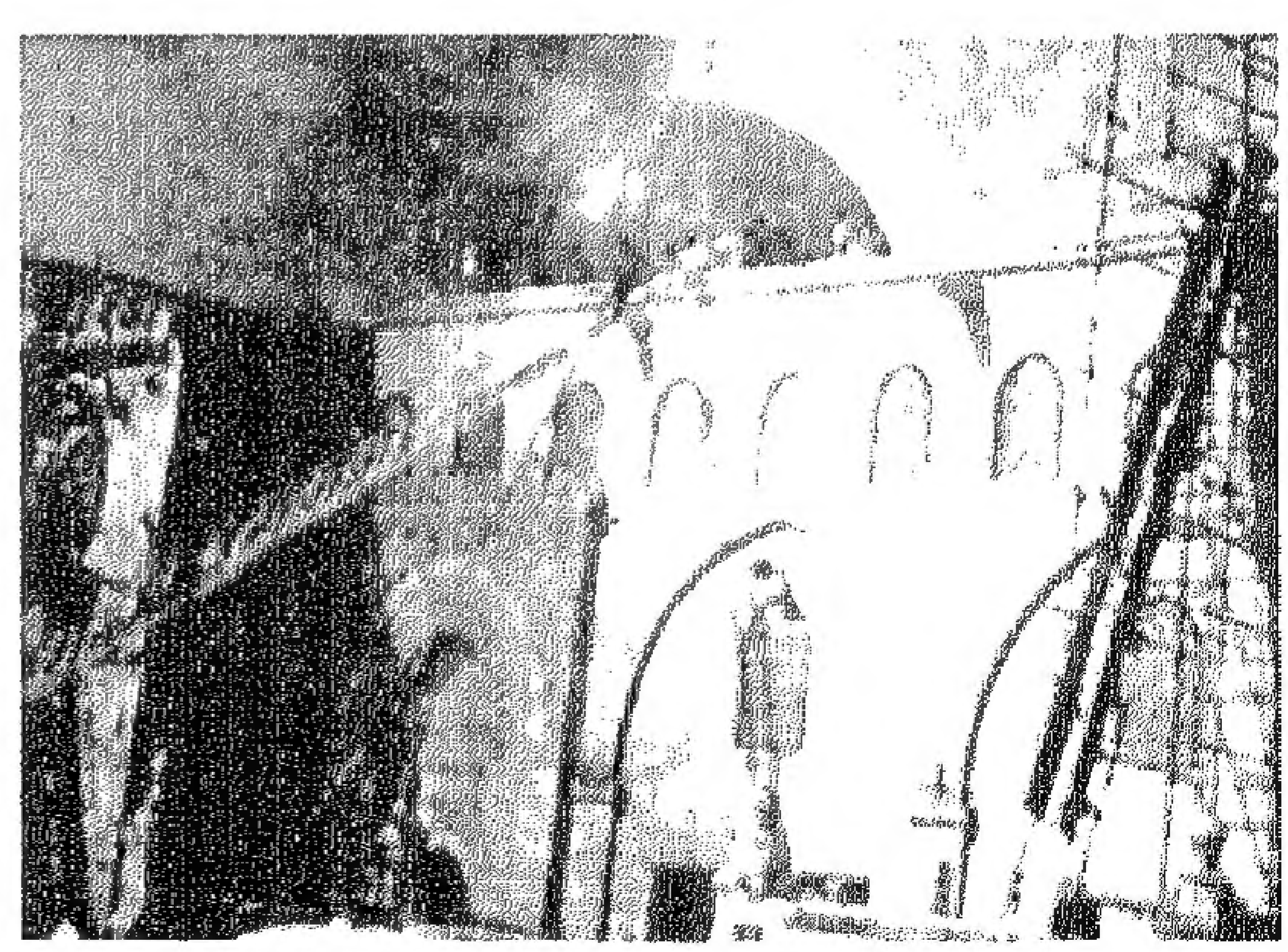
جيري فولويل

فولويل) الذي توفي أخيراً إلى المشاركة في اجتماعات المجلس عندما يدعى لبحث أي قضية تتعلق بالشرق الأوسط، وذلك حتى يأتي القرار متوافقاً مع النبوءات التوراتية، خاصة تلك الواردة في سفر الرؤيا حول عودة المسيح ونهاية الزمن.

ويعترف فولويل بأن حرب 1967 مسيحي كانت بداية التحول في عمله الديني ـ السياسي فقد اعتبر الانتصار الصهيوني السريع والحاسم على العرب تجسيدا للإرادة الإلهية ـ وأنه ما كان ليكون لا بقوة ذاتية ولا بدعم أمريكي ولكن بتدخل إلهي.

ومنذ ذلك الوقت تفرغ للعمل في الولايات المتحدة لمصلحة إسرائيل في الكونغرس وفي البيت الأبيض وخاصة في الحزب الجمهوري الأمريكي.

في الحادي والعشرين من شهر هانيبال/أغسطس من عام 1969 مسيحي أي بعد مرور عامين فقط على احتلال القدس، امتدت يد الإجرام الصهيونية إلى المسجد الأقصى وأشعلت فيه النار، وقد أتى الحريق على 1500 متر مربع من أصل 4400 متر مربع هي مساحة المسجد الإجمالية، ودمر الحريق كذلك منبر صلاح الدين الأيوبي ومسجد عمر ومحراب زكريا، ومقام الأربعين وثلاثة أروقة من



إحراق المسجد الأقصى عام 1969 مسيحي

الأعمدة والأقواس و السقف وأجزاء من القبة الخشبية الداخلية و48 شباكاً مصنوعاً من الجص والزجاج الملون والسجاد وسورة الإسراء المكتوبة بالفسيفساء، كان الهدف من وراء تلك العملية تدمير الأقصى، لم تكن تلك المحاولة الأولى ولن تكون الأخيرة.

فقد جاءت عدة محاولات قبل ذلك، منها محاولة إحاطة المسجد بالمتفجرات ونسفه، ومنها محاولة قصفه بالقنابل المحرقة والمدمرة من الجو، ولم تفشل هذه المحاولات إلا بعد افتضاحها، والذين يقومون بها ليسوا يهودا فقط، فالذي أحرق المسجد الأقصى لم يكن يهودياً، كان صهيونياً مهاجراً من استراليا من أعضاء حركة الصهيونية المسيانية التي تعتبر قيام إسرائيل واحتلال القدس وبناء هيكل يهودي على أنقاض المسجد الأقصى شروطاً لازمة للعودة الثانية للمسيح.

وتمويل تلك المحاولات لم يكن تمويلاً إسرائيلياً بل كان مصدره هذه الحركة المسيانية الصهيونية حتى شراء العقار في القدس وحولها اعتبر منذ 1967 مسيحي أولوية مقدسة لدى هذه الحركة.

كذلك لم يكن اختيار شهر هانيبال/ اغسطس من ذلك العام صدفة.

ففي التاسع من شهر هانيبال/ أغسطس من عام 586 قبل الميلاد سقطت مملكة يهوذا بيد نبوخذ نصر ملك بابل، فأحرق جيشه مدينة القدس وهدم الهيكل اليهودي وسبا اليهود إلى بابل، إلى أن أعادهم إليها بعد 70 عاماً قورش ملك الفرس.

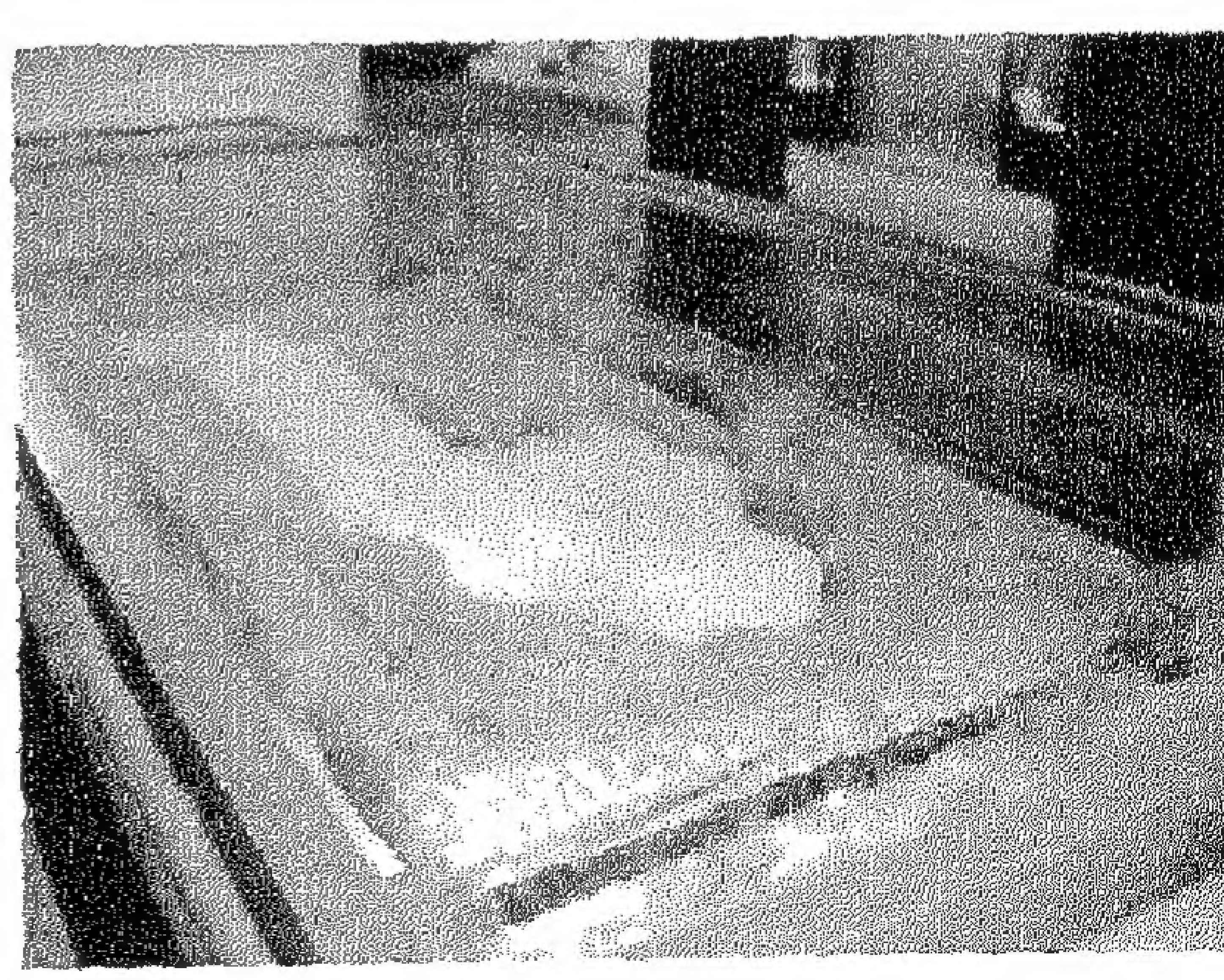
وفي التاسع من شهر أغسطس/ هانيبال أيضاً من عام 70 بعد الميلاد، انتقم الرومان من اليهود وأعادوا تدمير الهيكل، وقد دام الحكم الروماني على فلسطين 700 عام إلى أن حررها العرب المسلمون في عام 637 ميلادية.

لذلك تشكل ذكرى التاسع من أغسطس/ هانيبال من كل عام مناسبة دينية حيث

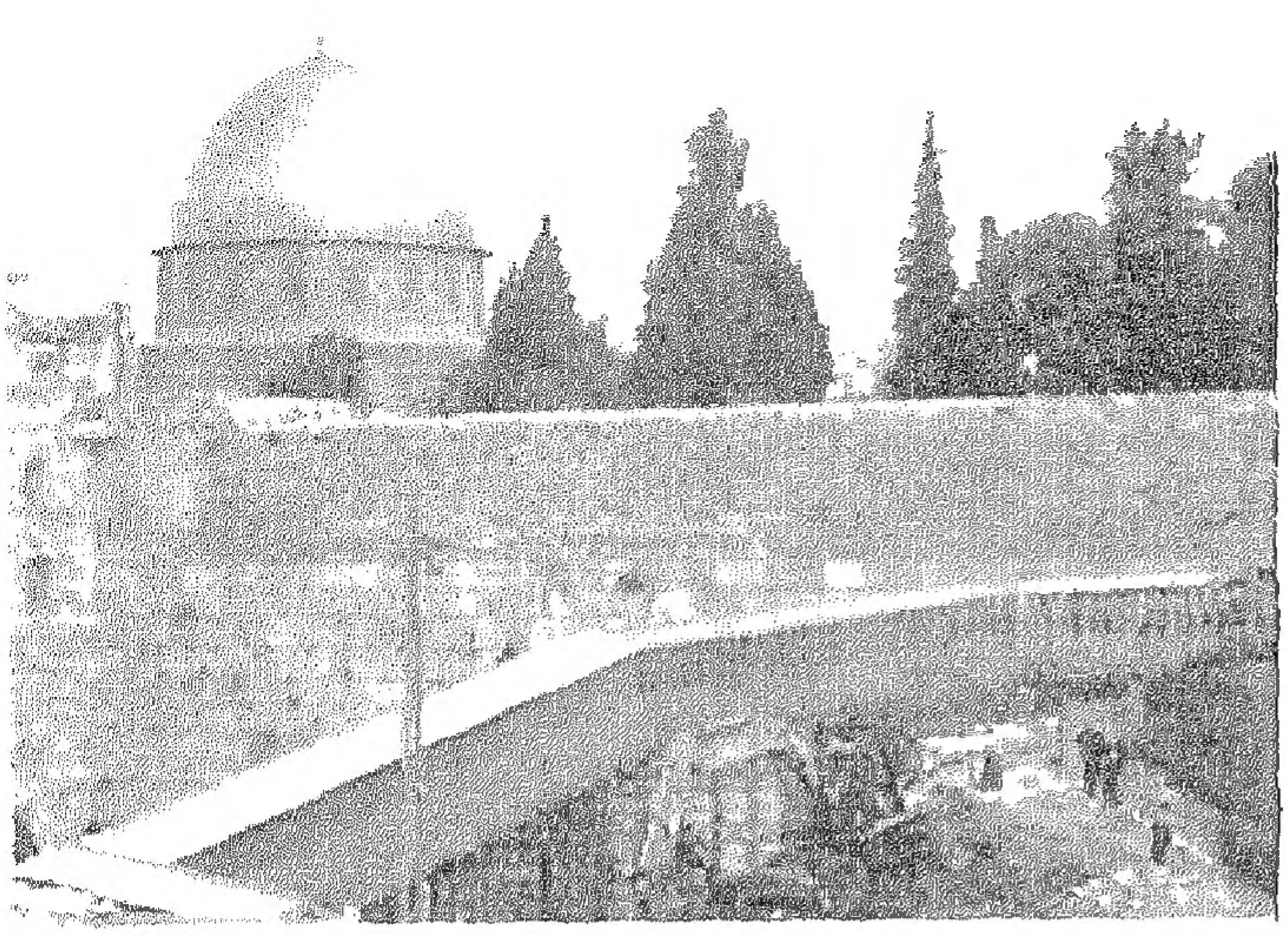
يتجمع اليهود أمام حائط المبكى الذي يعتقدون أنه الجزء الوحيد المتبقي من الهيكل بعد تدميره الثاني، وهناك يجددون العهد بإعادة بناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى.

ففي شهر هانيبال/ أغسطس من عام 1896 مسيحي عقد في مدينة بال بسويسرا المؤتمر الصهيوني الأول بدعوة من تيودور هرتزل، كان مؤتمراً لليهود الصهاينة، وفي عام 1985 مسيحي، أي بعد 88 عاماً، عُقد في نفس المدينة السويسرية بال، وفي الفندق نفسه، وفي القاعة ذاتها من الفندق، وفي الشهر ذاته أيضاً، مؤتمر صهيوني من نوع آخر ضم الكنائس الإنجيلية المتصهينة التي تعتبر قيام «صهيون» أمراً تمهيدياً لا بد منه للعودة الثانية للمسيح.

وجه الدعوة إلى «المؤتمر الصهيوني المسيحاني» الدكتور دوغلاس يونغ مدير المعهد الأمريكي لدراسات الأرض المقدسة، وترأسه الدكتور فان ديرهوفين رئيس الكنيسة الإنجيلية الهولندية، وحضر المؤتمر التأسيسي 589 شخصية دينية من الولايات المتحدة وأوروبة، ومن كنائس مماثلة في دول أفريقية وآسيوية أخرى بلغ عددها 27 دولة.



من بقايا منبر صلاح الدين



عملية حفر الأنفاق تحت باب المغاربة

ومنذ ذلك الوقت يعقد مؤتمران في شهر هانيبال/ أغسطس من كل عام، الأول للحركة الصهيونية اليهودية استكمالاً لمسيرة المؤتمر الأول الذي نظمه هرتزل، والثاني للحركة الصهيونية المسيحية الذي أعده دوغلاس يونغ.

انبثقت عن مؤتمر 1985 مسيحي منظمة جديدة تحمل اسم (السفارة المسيحية الدولية من أجل القدس) ومهمتها توظيف النفوذ المعنوي والمادي من أجل تمكين المؤسسة الجديدة من تحقيق النبوءات التوراتية المتعلقة بظروف العودة الثانية للمسيح وأهمها تثبيت أقدام الدولة الصهيونية وتجميع بقية اليهود فيها بعد ضم كل الأرض التي وعدهم الله بها، وبناء الهيكل اليهودي على أنقاض المسجد الأقصى حتى يظهر المسيح فيهم للمرة الثانية وفقاً لما تقوله النبوءات التوراتية التي يؤمنون بها.

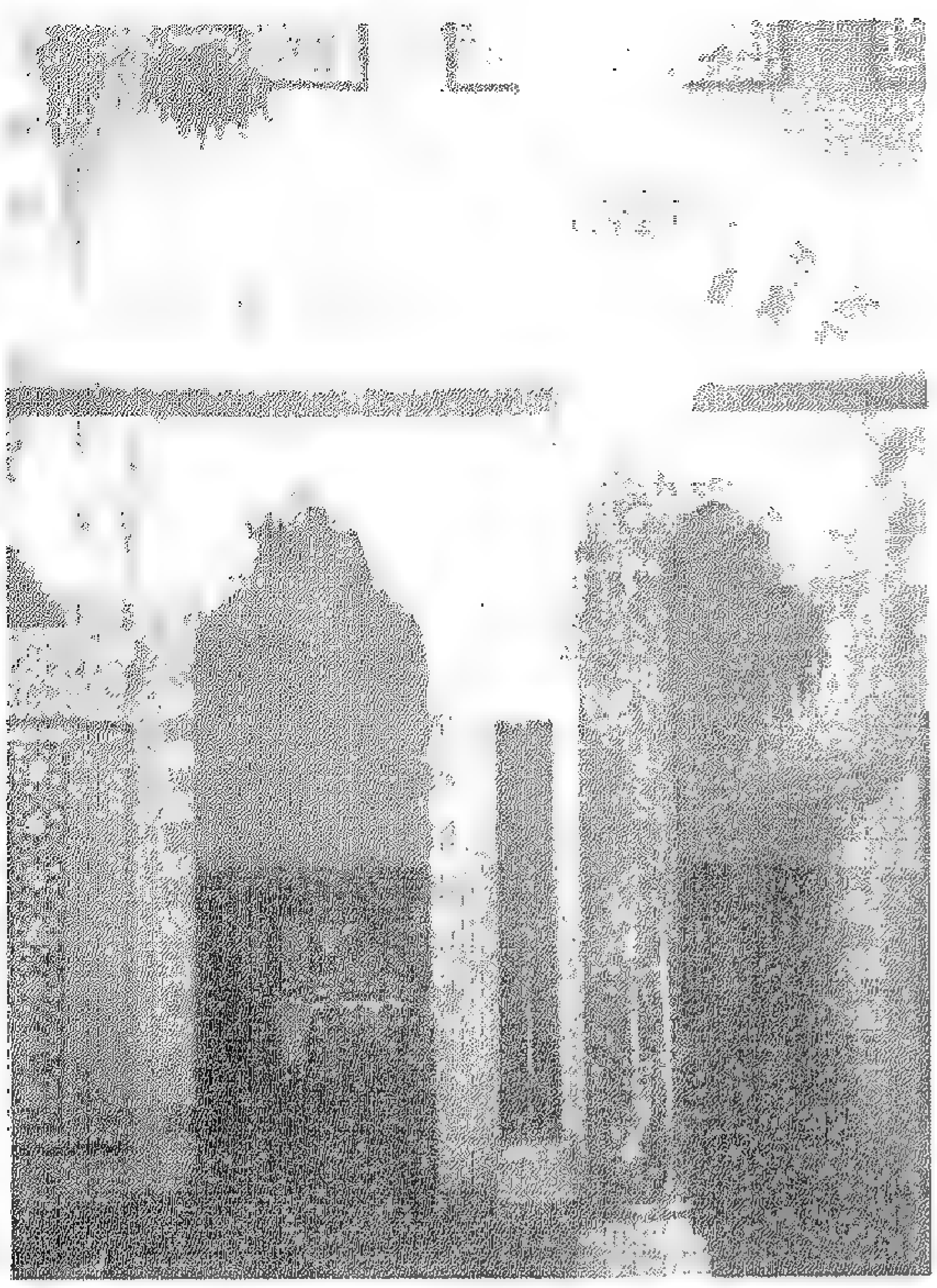
وقد عملت السفارة المسيحية الدولية على تحقيق معظم الأهداف التي أعلنتها في عام 1985 مسيحي ومن أبرزها نقل يهود الاتحاد السوفيتي السابق إلى إسرائيل، وإنهاء المقاطعة ضد المصالح الصهيونية، والضغط على دول أوروبا الشرقية والوسطى لتطبيع علاقاتها مع الصهيونية، ودعوة العالم إلى الاعتراف بالقدس عاصمة أبدية موحدة للصهاينة، وقد لعبت

هذه المنظمة الدور الأبرز في استصدار القرار الأول من مجلس الكونغرس الأمريكي (الشيوخ والنواب) في شهر الطير/ أبريل 1990 مسيحي الذي نص على دعوة الإدارة الأمريكية إلى الاعتراف بالقدس عاصمة للصهيونية، ثم باستصدار القرار الثاني في عام 1995 مسيحي بنقل مقر السفارة الأمريكية من تل الربيع إلى القدس.

إن البعد الديني المتجذر في استراتيجية الدعم الأمريكي للصهاينة يتجاوز الحسابات السياسية وحتى المصالح القومية للولايات المتحدة، وتمارس حركات سياسية ـ دينية أوروبية تؤمن بهذه النظرية الدينية أيضاً، ضغوطاً معنوية شديدة على حكوماتها لحملها على مساعدة الصهاينة ودعمها اعتقادا منها بأن في ذلك استجابة لنداء الله ومساهمة منها في تنفيذ إرادته.

أما اليهود أنفسهم الذي يؤمنون بأن المسيح لم يأت بعد، وأن نظرية العودة الثانية نظرية سخيفة، فإنهم يشجعون هذه الحركات الدينية ويستخدمونها على أوسع نطاق، وذلك لما توفره لهم من دعم معنوي ومادي، ويرى هؤلاء أنه من الآن وحتى يظهر المسيح أو حتى يعود ثانية، فإن المهم هو استمرار هذا الدعم الذي يوفر مظلة واقية لتغطية سياسة الصهاينة العنصرية والتوسعية في الشرق الأوسط.

صحيح أن الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية، وكذلك العديد من الكنائس الإنجيلية الأمريكية تعارض عمليات التهويد العقدي والسياسي وتعتبرها تشويها للمسيحية الحقيقية وتضليلاً للمسيحيين المؤمنين، إلا أن الصحيح في الوقت نفسه أن الدور السياسي الذي تقوم به منظمة السفارة المسيحية الدولية باختطاف المسيحية وسوء استغلال أسمها وشعاراتها يكاد يصبح الدور الأهم في التأثير على صياغة القرار الأمريكي من قضايا الشرق الأوسط والصراع العربي الصهيوني.



محراب النبي زكريا عليه السلام

تبنت هذه المنظمة اسم (السفارة المسيحية الدولية) توصيفاً للمهمة التي تقوم بها، وهي أن تكون بمثابة سفارة في مختلف دول العالم للدفاع عن الصهيونية ومصالحها، ولذلك أقامت فروعاً لها في معظم الولايات الأمريكية، وأطلقت على رئيس الفرع لقب (قنصل)، ومهمة الفرع جمع التبرعات لبناء المستوطنات اليهودية وشراء الأراضي من أصحابها العرب، وبيع سندات الدعم للصهاينة، والاتصال المباشر مع ممثلي الولايات من مستوى البلدية المحلية حتى الكونغرس لحثهم على الدفاع عن مصالح الصهاينة.

والسؤال الآن: ماذا فعل بالمقابل العرب والمسلمون بعد سقوط القدس في الصيف/ يونيو 1967 مسيحي.

في عام 1979 مسيحي، أي بعد عشر سنوات من حريق المسجد الأقصى، شكلت منظمة المؤتمر الإسلامي لجنة خاصة لوضع استراتيجية مشتركة

لتحرير القدس، وبعد 28 عاماً على تشكيلها لا بد من التساؤل عما حققت هذه اللجنة حتى الآن، إن الجواب الذي لا يحتاج إلى عناء بحث وتفكير هو: لا شيء، ولكن بالمقارنة تأسست في واشنطن (مؤسسة معبد القدس) برئاسة رايزنهوف نفسه رئيس منظمة السفارة المسيحية الدولية، مهمتها جمع التبرعات والمساعدات المالية لتدمير الأقصى وبناء الهيكل، وأنشأت هذه المؤسسة في مدينة القدس القديمة معهداً خاصاً باسم (ياشيف اتيريت كوهانيم) أي معهد تاج الحاخاميين لإعداد الكهنة الذين سيخدمون في الهيكل الثالث بعد بنائه بما في ذلك مناسك التضحية بالحيوان.

كما مولت عملية تجري منذ سنوات لاختيار حجارة البناء وصقلها وتجميعها في موقع خاص إلى أن تحين ساعة الصفر، وساعة الصفر، هي تدمير المسجد الأقصى.

وفي كتابه «The Last Great Planet Earth» يقول القس هول لندسي مؤلف الكتاب، وهو



من كبار منظري الحركة الصهيونية المسيحية، لم يبق سوى حدث واحد ويكتمل المسرح تماماً أمام دور الصهيونية في المشهد العظيم الأخير من مأساتها التاريخية وهو إعادة بناء الهيكل القديم في موقعه القديم، ولا يوجد سوى مكان واحد يمكن بناء الهيكل عليه استناداً إلى قانون (موسى) في (جبل موريا) حيث شيد الهيكلان السابقان.

لقد وضع المهندس اليهودي (ايفي يوناه) تصميم الهيكل الثالث على أساس إقامته في موقع المسجد، وأقرت التصميم الحاخامية في فلسطين المحتلة والدياسبورا، كما أقرته المنظمات الصهيونية المختلفة، يبقى تهديم وإزالة المسجد الأقصى فالقرار بالتهديم اتُخذ منذ عقود، أما التنفيذ فإنه يتم تدريجياً وعلى مراحل بمعولين: معول التطرف الديني الصهيوني اليهودي والإنجيلي الأمريكي معاً، ومعول الخنوع العربي والإسلامي، ولا شك في أن المعول الثاني أشد خطراً على المسجد وأكثر فعالية في مخطط تدميره.

من هنا فإن إنقاذ المسجد الأقصى، وبالتالي إنقاذ القدس، وفلسطين عامة، يتطلب وعياً عربياً إسلامياً حقيقياً، وتعاوناً إسلاميًّاً مسيحياً عالمياً حقيقياً أيضاً، حتى تتحرر القدس من دنس الاحتلال، وحتى تستعيد دورها كعاصمة للسلام والإخاء بين المؤمنين جميعاً.



منبر صلاح الدين الأيوبي

كيف تخسر الأصدقاء وتكسب الأعداء؟!

أكبر محمد*

لقد فكرتُ طويلاً ومليًا حول كتابة المقال، ولقد استغرق مني الأمر عامين لاتخاذ القرار ولأصمم أنه ينبغي كتابته، ولقد بدأتُ في شهر ديسمبر الكانون من عام 2004م، عندما بدأت التحرشات تمارس ضدي إبّان رحلاتي المحلية والدولية.

إنني من مئات الملايين من الرجال والنساء الذين يعتنقون الإسلام ويتخذونه طريقًا للحياة، لقد بلغ السيل الزبى بالكثير منا، مع مرور الأيام ازدادت المعاملة التي تمارس ضد المسلمين تحت ذريعة الأمن الوطني، ولقد وصل الأمر إلى فتح ملف لكل مسلم.

إن المصطلح المستعمل عادة في جميع أنحاء العالم الإسلامي، هو الإسلاموفوبيا، والذي يعرف بأنه الخوف أو مقت المسلمين أو الثقافة الإسلامية.

إن الإجراءات الأمنية المتخذة في المطارات الأمريكية وغيرها عبر العالم، هي من الفوضى والإرباك، بحيث تضاهي إدارة الرئيس بوش، لننظر إلى آخر الإجراءات الأمنية فيما يتعلق بالسوائل.

فهل تستطيع اصطحاب السوائل أو لا تستطيع؟

بإمكانك أن تحمل كمية معينة، لكن لابد أن تكون في وعاء بلاستيكي، فكيف سيكون الوعاء البلاستيكي أكثر أمانًا من كونها داخل حقيبتي الشخصية؟!، إن أولئك الذين يحاولون تنفيذ التعليمات هم مربكون شأنهم شأن من أصدر تلك التعليمات.

لقد كنت من ضمن آلاف المسلمين حول ما أسموه قائمة (الممنوعين من الطيران). وهذا يعني أنه عندما تسافر داخل أو خارج أمريكا، لا بد وأن تذهب إلى مكتب معاينة التذاكر، ولا بد أن يقوم العميل بإجراء مكالمة عبر رقم هاتفي خاص للحصول على الموافقة لك بالسفر. ثم يقومون بكتابة *SSS* على بطاقة الصعود، وعند وصولك إلى البوابة الأمنية، يقوم العميل عادة بإخبارك أنه قد تم اختيارك عشوائيًا من قبل شركة الطيران.

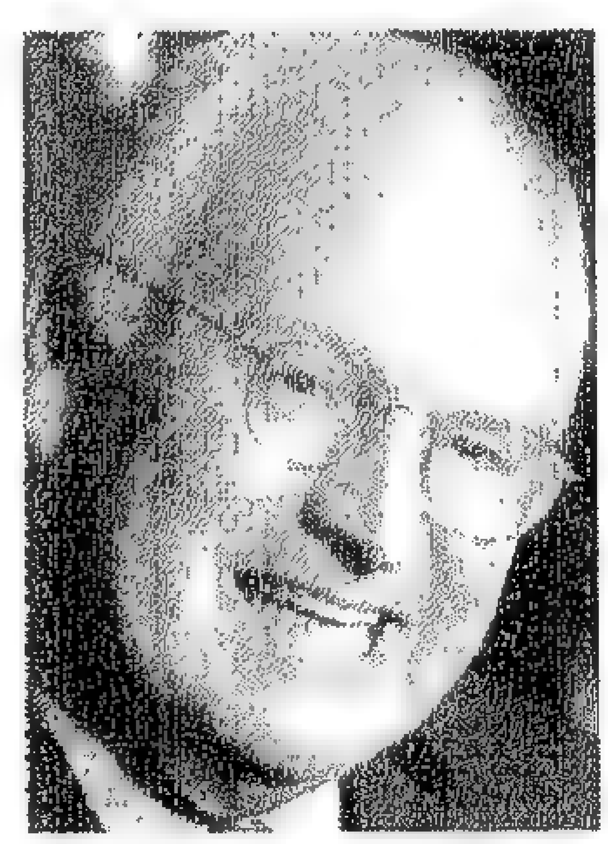
ردي عليهم هو أن اسمي ينبغي أن يكون السيد (عشوائي) لأنني غالبًا ما يتم تفتيشي عشوائيًا، ما ألهمني لكتابة هذا المقال، كان عندما كنت مسافرًا من إفريقيا وعائدًا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وعندما وصلت إلى أوروبا وإيطاليا تحديدًا، وبينما كنت واقفًا في طابور منتظرًا صعود الطائرة، كانت واحدة من الضابطات الإيطاليات تسير جيئة وذهابًا على الطابور ثم نادت اسمي بصوت عال، ولسبب لكنتها الإيطالية لم أفهمها، وعندما أدركت أخيرًا أنها

---

* باحث / مساعد رئيس منظمة أمة الإسلام بالولايات المتحدة الأمريكية.

كانت تبحث عني استجبت لها، وسحبتني بأدب من الطابور، وقام رجلا شرطة يرتديان الزي الرسمي وآخر بملابس عادية بأخذ جواز سفري وبطاقة الصعود، وبدءوا في أخذي عبر الباب الخارجي إلى أسفل الطائرة، وقاموا بالتعرف على حقائبي وتفتيشها، وقاموا بتفتيشي وفحص كل شيء كنت أحمله، ثم سمحوا لي بركوب الطائرة، إن مثل هذه المعاملة قد حصلت لي في مناسبات قليلة. إن الطريقة الوحيدة التي تحصل فيها الايطاليون على معلومات من أنني أشكل خطرًا ما، هو عن طريق المسؤولين الأمريكيين الذين حذروهم مني، أو أنهم وضعوا اسمي في قائمة الفحص.

وفي بعض الحوادث، يقومون باختيار كراسٍ معينة لي على متن الطائرة ويقومون بوضع حارس مسلح لي للمراقبة، وإذا كان البيت الأبيض لديه إدارة خاصة تسمى (كيف تفقد الأصدقاء وتكسب الأعداء؟!) أضمن أن رئيس تلك اللجنة ليس أي شخص سوى نائب الرئيس ديك تشيني.

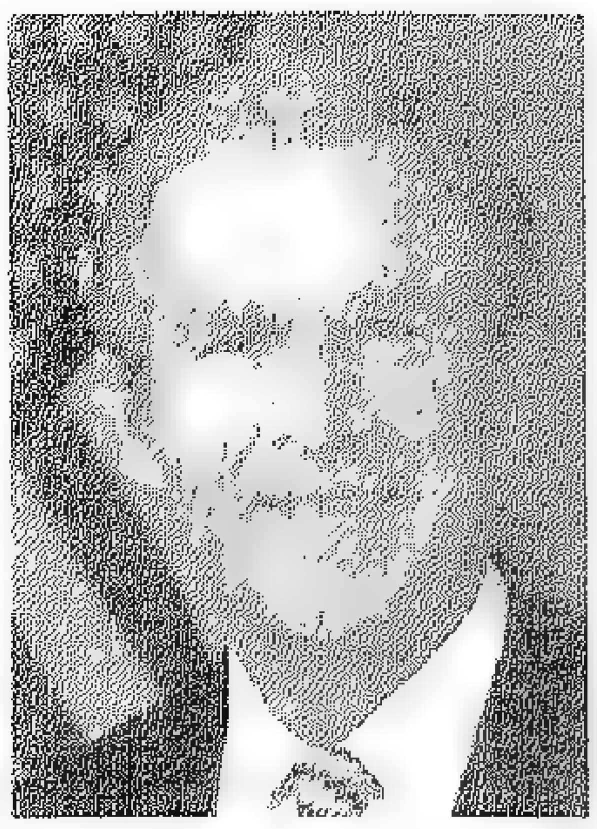


ديك تشيني

من الممكن أن يكون نائب الرئيس هو الذي حث الرئيس بوش على أن يصدر ذلك التصريح المضحك (هم يكرهوننا لأننا أحرار) وفورًا وبعد هذا التصريح الغبي، ذهب نائب الرئيس وفريق عمله إلى المكتب منتزعين من الشعب الأمريكي كله جميع حرياته، الآن أنا أضمن أن (الإرهابيين) ينبغي أن يكرهوننا أقل لأننا أقل حرية.

آمل أن يقوم والد الرئيس بوش ويقول (انظر يا ابني، إنك لم تربك أمريكا لكنك أربكت العالم).

ومن المرجح أن يقوم باستخدام كلمات أخرى بديلاً لكلمة (تربك) إذ أنها ربما لا تعبّر عن الفداحة التي توضح فقدان الرئيس بوش الابن لأمريكا وللعالم.



جورج بوش

عندما عدت من إفريقيا عبر إيطاليا ووصلت أخيرًا إلى الولايات المتحدة، مورس ضدي تحرش لا يحتمل في مطار أوهير في شيكاغو، فعند وصولي كان الضباط واقفين عند باب الطائرة، وأمروا كل مسافر أن يظهر جواز سفره، وعند مثل تلك المواقف يوجد عادة ضابطا جمارك يقومان بفحص الجوازات عند خروج المسافرين من الطائرة.

إنني أعرف أن أولئك الضباط هم في انتظاري وعندما اقتربت منهم وسلمتهم جواز سفري قام الضابطان المسلحان بمرافقتي إلى أسفل كأنما أنا مجرم معروف.

إن معظم الناس الذين ينظرون إلى شخص أسود يتم اقتياده خارج الطائرة لا يفكرون في أنه إرهابي، فهم يعتقدون أنه مهاجر إفريقي غريب أو مهرب أو مروج مخدرات أو شخص فار من العدالة.

وبعد أخذي إلى أسفل، أخذوا حقائبي وبدأوا في تفتيش كل وريقة بواسطة فرشاة أسنان فاخرة وقرءوا كل ملاحظاتي الخاصة، ثم ذهبوا إلى تصوير لكتيب أرقام الهاتف الذي يخصني.

إن هذا يذكر بأفلام (أشرطة الخيالة) والوثائق والكتابات حول الفاشية في ألمانيا النازية، تعرف الفاشية على أنها فلسفة أو نظام حكم يتسم بالسيطرة الاجتماعية والاقتصادية الصارمة. إنها أيديولوجية اجتماعية وسياسية ذات مبدأ رئيس من أن الدولة أو الأمة هي ذات أولوية قصوى أكثر من الحريات الفردية والشخصية.

وإذا لم يكن هذا تحرشاً، أخبروني ماذا يعني هذا، لقد كنت عضوًا في أمة الإسلام منذ عام 1960م. إن

أمة الإسلام تحت زعامة اليجا محمد يكن أو السيد الفاضل لويس فركان لم تكن لها تاريخ في التورط في أية أعمال إرهابية ضد الولايات المتحدة الأمريكية.



لويس فركان

لقد سألتُ أحد الضابطين: هل تعتقد أن مثل هذه المعاملة لي ولعدد كبير آخر مثلي تمكننا من أن نرفرف بالعلم ونقول إننا نحب مثل هذه الاجراءات الأمنية لأمريكا؟ هل تعتقد بأنك تكسب أصدقاء لأمريكا في الوقت الذي نحن نعرف أننا أبرياء من الأعمال الإرهابية؟



كورنيل ويست

وصف الدكتور كورنيل ويست - في خطاب ألقاه في باسادنيا كاليفورنيا - الأمر بدقة. فهو وصف ما يجري الآن هو جعل أمريكا (نازية) إن أولئك الذين يعيشون في مجتمعات السود يفهمون لماذا يجري تصويرنا عندما ندخل إلى محل وعندما يتم ايقافنا عند قيادة السيارة.

قبل الحادي عشر من سبتمبر كان الكثير من الاشقاء المسلمين يفكرون أننا حساسون أكثر من اللازم، وأننا دائمو البكاء والعويل، عن استهداف المسلمين من قبل الشرطة والتحرشات والوحشية، وهم لا يفهمون جيدًا هذا قبل الحادي عشر من سبتمبر لكن الآن هم يعون ذلك جيدًا باستهدافهم ومعاناتهم لسنين في أمريكا.



جورج بوش الأب

اقترح كاتب أن يقوم الرئيس بوش الأب بوضع أشخاص أكبر سناً من ذوي الخبرة، حول الرئيس بوش الابن، إن من أهداف هذا التفكير الجديد ينبغي أن يكون كيف نساعد أمريكا على عدم الوقوع في الهوة التي حفرتها لنفسها، ينبغي أن يستلهم من المثل (عندما تجد نفسك في حفرة فإن أول خطوة تقوم بها هي التوقف عن الحفر)، أما ثاني خطوة فهي كيف يمكن أن نطيح بنائب الرئيس ديك تشيني دستوريًا، وغلق إدارته المدللة المسماة (كيف تفقد الأصدقاء وتكسب الأعداء؟!).



اليجا محمد

أنا على يقين من أن نائب الرئيس، تشيني، سوف يستمر في القتال، وسيستمر في رسم صورة أن إدارته قد انجزت الكثير، وسوف يلجأ إلى تصريحات متضاربة مثل الإعتراف الأخير: إننا لا ننتصر في العراق، ولا نخسر أيضًا.

إن الشعب الأمريكي والعالم لا زالوا يهرشون رؤوسهم حول هذا التصريح، وفي مقال نشر مؤخرًا تحت عنوان: (أمريكا والإسلام) بقلم بيتر وان سنفر قد أظهر بوضوح أن أمريكا تخسر الأصدقاء وتكسب الأعداء عبر العالم الإسلامي.



بيتر وان سنفر

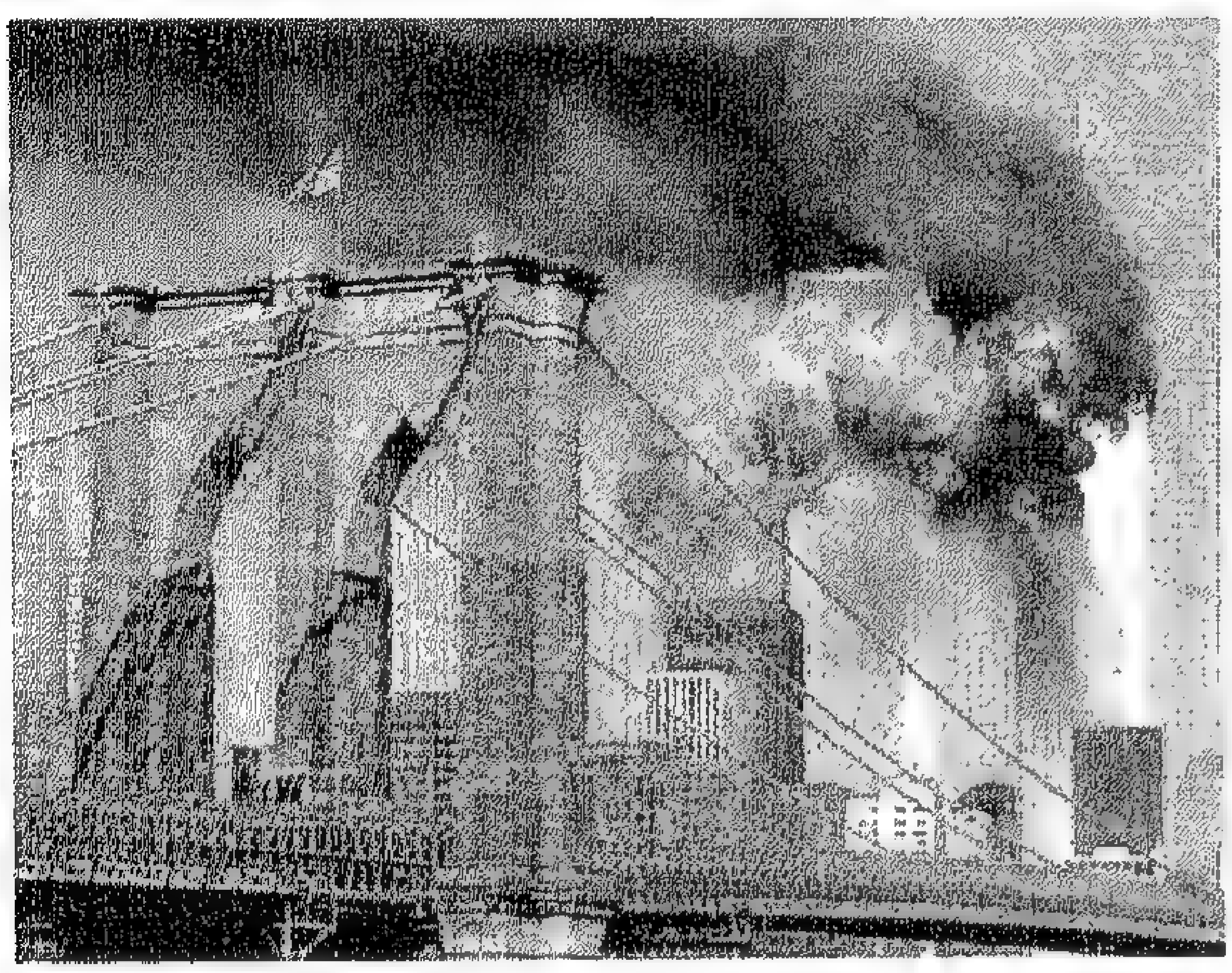


الولايات المتحدة بين الإرهاب وثقافة الخوف*

د. زبيغنيو بريجينسكي**

إن ما يسمى بالحرب ضد الإرهاب، خلق ثقافة تقوم على الخوف في الولايات المتحدة الأمريكية، إن هذه العبارة: (الحرب ضد الإرهاب) التي تفوه بها الرئيس الأمريكي بعد أحداث 11 سبتمبر المستنكرة، كان لها وقع ضار، ليس على الديمقراطية، بل وعلى نفسية الإنسان الأمريكي، والمكانة التي تتبوؤها الولايات المتحدة في العالم. إن هذه الكلمات الثلاث، قد أحدثت شرخًا في قدراتنا على مواجهة التحديات، المتمثلة في المجموعات الراديكالية (الثورية) التي تلجأ إلى استخدام الإرهاب ضدنا.

إن الضرر الذي سببته هذه الكلمات، والتي تمثل الجرح المفتعل، يفوق أقصى ما كانت تتطلع إليه المجموعات المتطرفة، المسؤولة عن عمليات 11 سبتمبر، فالعبارة بحد ذاتها تفتقر للمضمون، فهي لا تبين البعد الجغرافي ولا هُوية العدو المفترض، ولا ننسى بأن لفظ (الإرهاب) ليس عدوًا محددًا بل يشير إلى أسلوب قتالي، يعتمد على التخويف لغرض تحقيق مآرب سياسية، من خلال قتل الأبرياء المجردين من السلاح، على الرغم من ذلك، فالعبارة جوفاء اختيرت



أحداث 11 سبتمبر

عمدًا من قبل مبتكريها؛ إن تكرار هذه العبارة سبب ضررًا أبعد وأشمل، يتمثل في خلق ثقافة الخوف، فالخوف هو بمثابة الغيوم، التي تحول دون قدرة الإنسان على التصرف بحكمة، وتنمي مشاعر التوتر والقلق، وتسمح للسياسيين المهرجين بتهيئة الناس والأجواء، لتقبل السياسات التي يسعون لتنفيذها؛ فالخيار العسكري لحسم الوضع في العراق، لم يكن من الممكن الموافقة عليه من قبل الكونجرس، بمعزل عن الصدى النفسي لعلمية 11 سبتمبر، والإدعاء بوجود أسلحة الدمار الشامل المزعومة في هذا البلد؛ كما أن

---

* مقال نشرته صحيفة البابيس الإسبانية الصادرة بتاريخ 4/4/2007م .

** مستشار الأمن القومي الأمريكي إبان حكم كارتر/أمريكا.

نتائج الانتخابات التي جرت عام 2004م، كانت مرهونة إلى حد بعيد، بمقولة شهيرة في الولايات المتحدة تقول: إن الدول التي تعيش حالة حرب، لا يمكنها أن تستبدل قادتها في أتون المعركة.

لقد اختلقت الإدارة الأمريكية قصة مفتعلة، قد تتحول إلى تنبؤات، بهدف تبرير الحرب على الإرهاب، تتمثل في تشبيه هذه الحرب، بالحروب التي خاضتها الولايات المتحدة ضد النازية أو الستالينية، (من خلال هذا الطرح، تجري المقارنة بين قوى عظمى كالاتحاد السوفييتي أو ألمانيا النازية، بتنظيم القاعدة، الذي لا مجال لمقارنته). قد تكون الإدارة الأمريكية تعد العدة لحرب ضد إيران، حرب قد تجرها إلى مستنقع يمتد من العراق إلى باكستان مرورًا بأفغانستان وإيران.

إن ثقافة الخوف أشبه ما تكون بالمارد الذي خرج من المصباح السحري، وانبعث ليأخذ حياة ذاتية، قد تؤدي إلى إحباط المعنويات، فالولايات المتحدة اليوم، لم تعد البلد الحازم، الذي تمكن من الرد الملائم على العدوان، الذي تعرض له الأسطول في معركة بيرل هاربور، وليست البلد الذي سمع قائده يقول في أوج الأزمة: (إن الشيء الوحيد الذي يتحتم علينا مواجهته هو الخوف)، وهي ليست الدولة التي قبلت التحدي، المتمثل بالحرب الباردة، بهدوء وتصميم، على الرغم من شعورها بأن الحرب الحقيقية، قد تندلع في أي لحظة. نحن نعاني الآن من الانقسام الداخلي، وعدم الشعور بالثقة، وقد نقع ضحية للفزع في أي لحظة، في حالة وقوع عملية إرهابية أخرى. هذه هي النتيجة الرئيسة لعملية غسل دماغ متواصلة منذ خمس سنوات، جرت في طول البلاد وعرضها، مستغلة مسألة الإرهاب. هذا الأسلوب مغاير تمامًا، للأسلوب الذي تصرفت به دول أخرى، نذكر منها على سبيل المثال: بريطانيا وإسبانيا وإيطاليا وألمانيا واليابان. وهي دول عانت من ضربات الإرهاب. لجأ الرئيس الأمريكي مؤخرًا إلى نفس الأسلوب، لتبرير حربه ضد العراق قائلاً: إن هذا العمل ضروري لإحباط خطط تنظيم القاعدة في الوصول إلى أمريكا عبر الأطلسي.

إن بث الخوف يأخذ بعدًا حقيقيًا، من خلال تكاثر شركات الأمن والصناعات المرئية، التي تتغذى من نفس المشاعر. إن تجار الخوف هم خبراء الإرهاب، مطالبون بالترويج لصناعتهم لضمان بقائهم وتبرير وجودهم، فمهمتهم إذن هي إقناع العامة، بوجود مخاطر تحدق بهم.

نحن نعاني الآن من الانقسام الداخلي، وعدم الشعور بالثقة، وقد نقع ضحية للفزع في أي لحظة

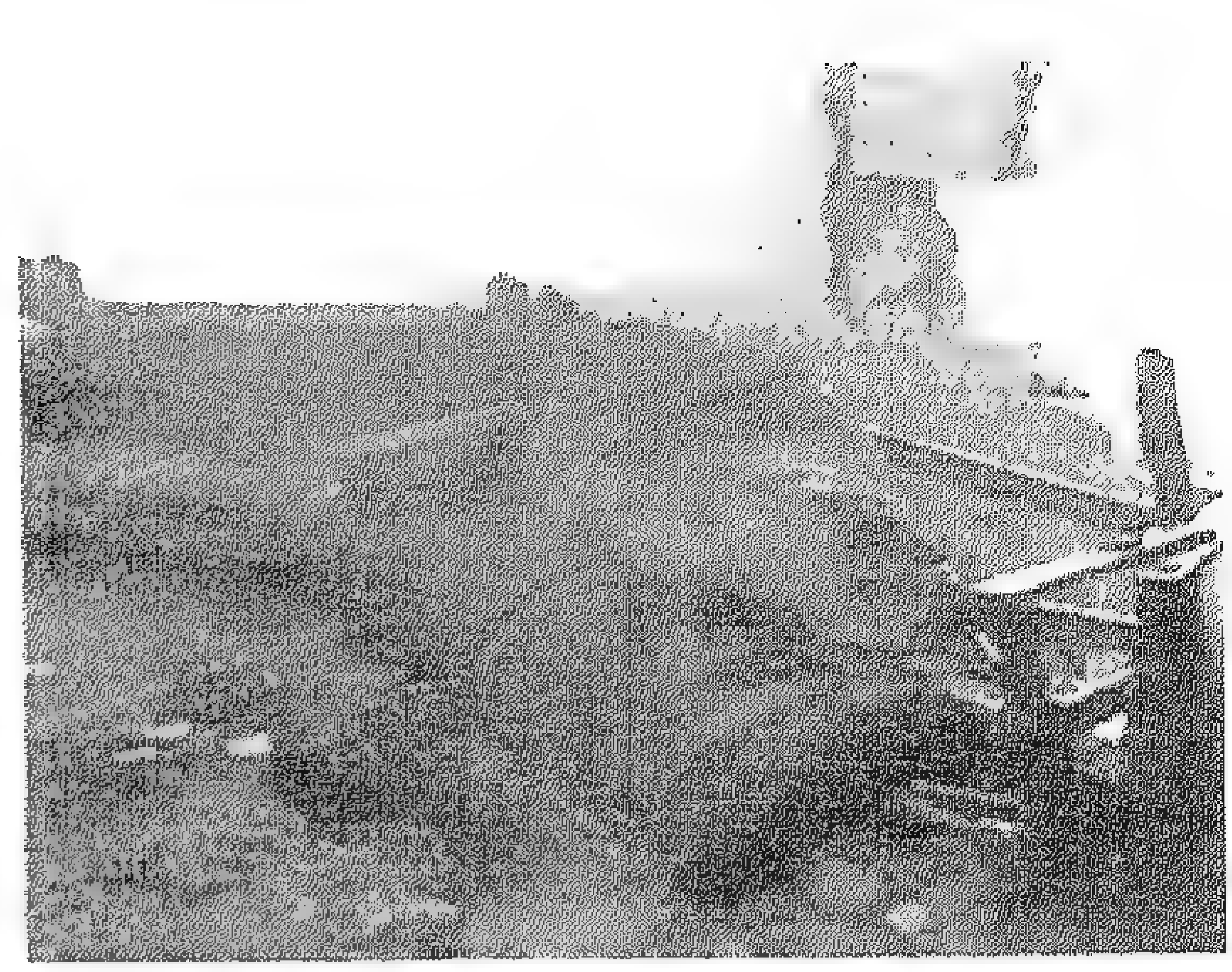
القول بأن الولايات المتحدة تحولت إلى بلد ينعدم فيه الشعور بالأمن، ويشعر بالملاحقة، أصبح حقيقة واقعة. فقد أكدت دراسة أعدها عام 2003م Ian Lustick أن الكونجرس حدد 160 هدفًا مرشحًا لعمليات إرهابية، وقد زاد عدد هذه الأهداف المشمولة في هذه القائمة ليصل إلى حوالي 2000 هدف في نهاية نفس السنة، وفي عام 2004م وصل إلى 28360 هدفًا وفي عام 2005م وصل إلى 77769 هدفًا، ويصل العدد الآن إلى 300000 هدف.

فقد تعرضتُ شخصيًا لعملية توقيف في أحد نقاط التفتيش التي أخذت تنتشر في المدن الرئيسة، عندما كنت في طريقي إلى مكتب إعلامي، طلب مني أحد أفراد النقطة إبراز بطاقتي الشخصية، وتعبئة قسيمة بمعلومات شخصية، وتوضيح الغرض من الزيارة، وأتساءل بدوري: هل سيصرح الإرهابي الذي سيتنقل في المدينة المعنية، بأن الهدف من زيارته هو تفجير المكان الذي يقصده؟!. وهل كان بوسع هذا الحارس، أن يوقف الإرهابي المتوجه لتفجير نفسه في المكان؟! ولتوضيح مدى السخافة في هذا الأسلوب للمراقبة،

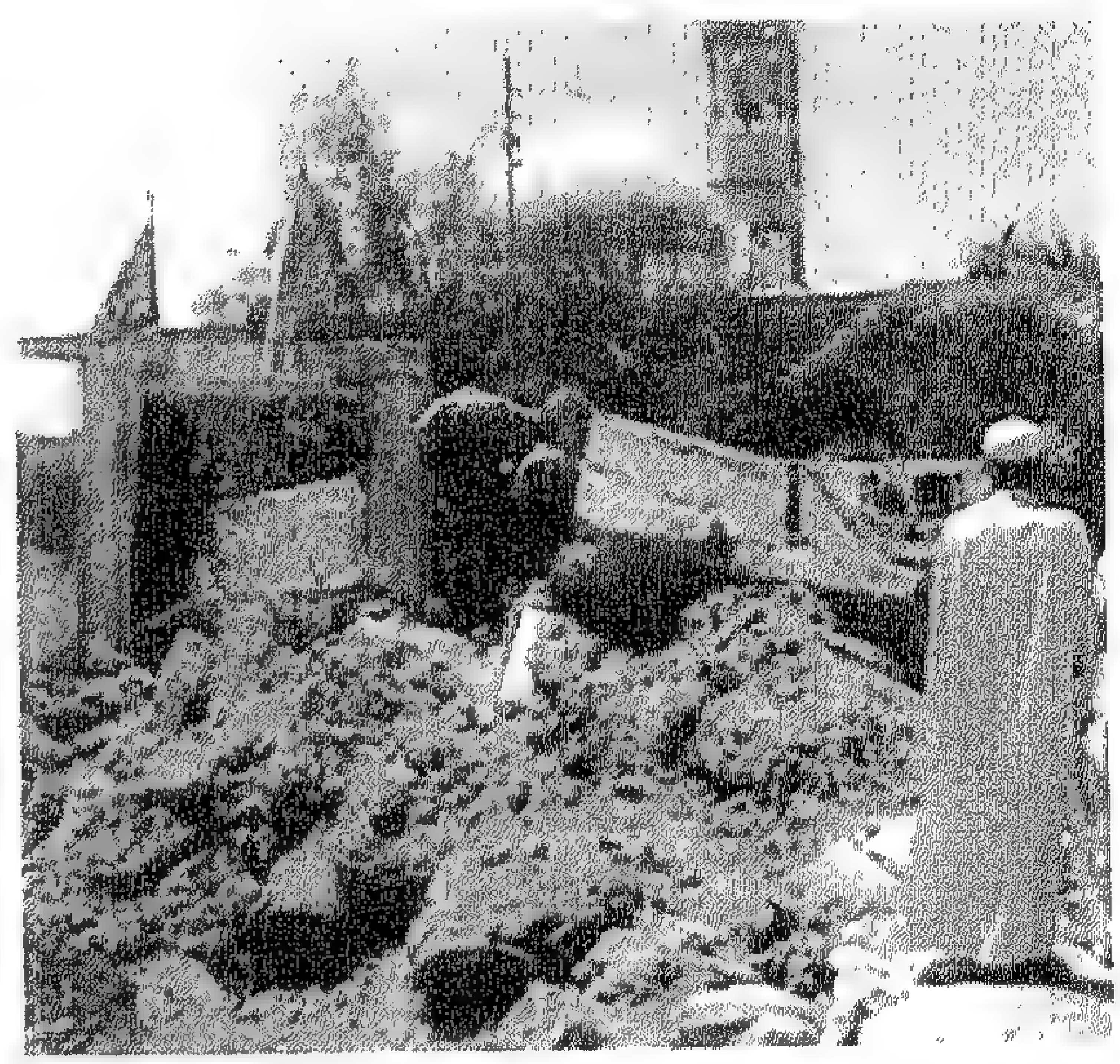
أقول بأن الأسواق التجارية الضخمة، التي تدخلها قطعان المشترين، لا تقيم أي نقاط تفتيش، خشية من أن يتراجع النشاط التجاري، وكذلك الحال بالنسبة لدور الخيالة.

ساعدت الحكومة بتصرفاتها، على نشر هذه المشاعر القائمة على الملاحقة بأساليب مبتكرة، وأشير هنا إلى اللائحات الالكترونية، التي تقدم المعلومات في الطرق السريعة، تشجع السائقين على الإبلاغ عن أي ظاهرة مثيرة للإهتمام، (ربما القصد سيارات يقودها شخص يغطي رأسه بالطربوش)؟، بعض وسائل الإعلام تساعد على نشر هذا الرعب، وهي تعلم أن ذلك يعود عليها بمزيد من الفائدة، من خلال الترويج للأخبار المثيرة وتلجأ هذه الوسائل إلى ما يسمى بالخبراء الذين يحرضون على الإفراط في الحذر، مما يبرر مهنتهم. النتيجة هي انتشار مشاعر/الخوف من المجهول الذي يتزايد، ويهدد بتجميد حياة المواطن الأمريكي. صناعة (الخيالة) السينما والتلفزة، التحقت بهذا المسرح المرعب العام، فهناك الكثير من المسلسلات (الإذاعية) التلفزيونية، التي تروج للخوف، وتقدم شخصيات مرعبة ذات مظهر عربي يمارسون شعائرهم الدينية، كل ذلك يساعد على تنامي مشاعر الإسلاموفوبيا، الرسومات (الساخرة) الكاريكاتورية تنتشر في كل مكان، وتظهر علامات مميزة للعربي المخيف، وهي تذكرني بتلك التي نشرت في الأربعينيات، ضد السامية من قبل النازيين.

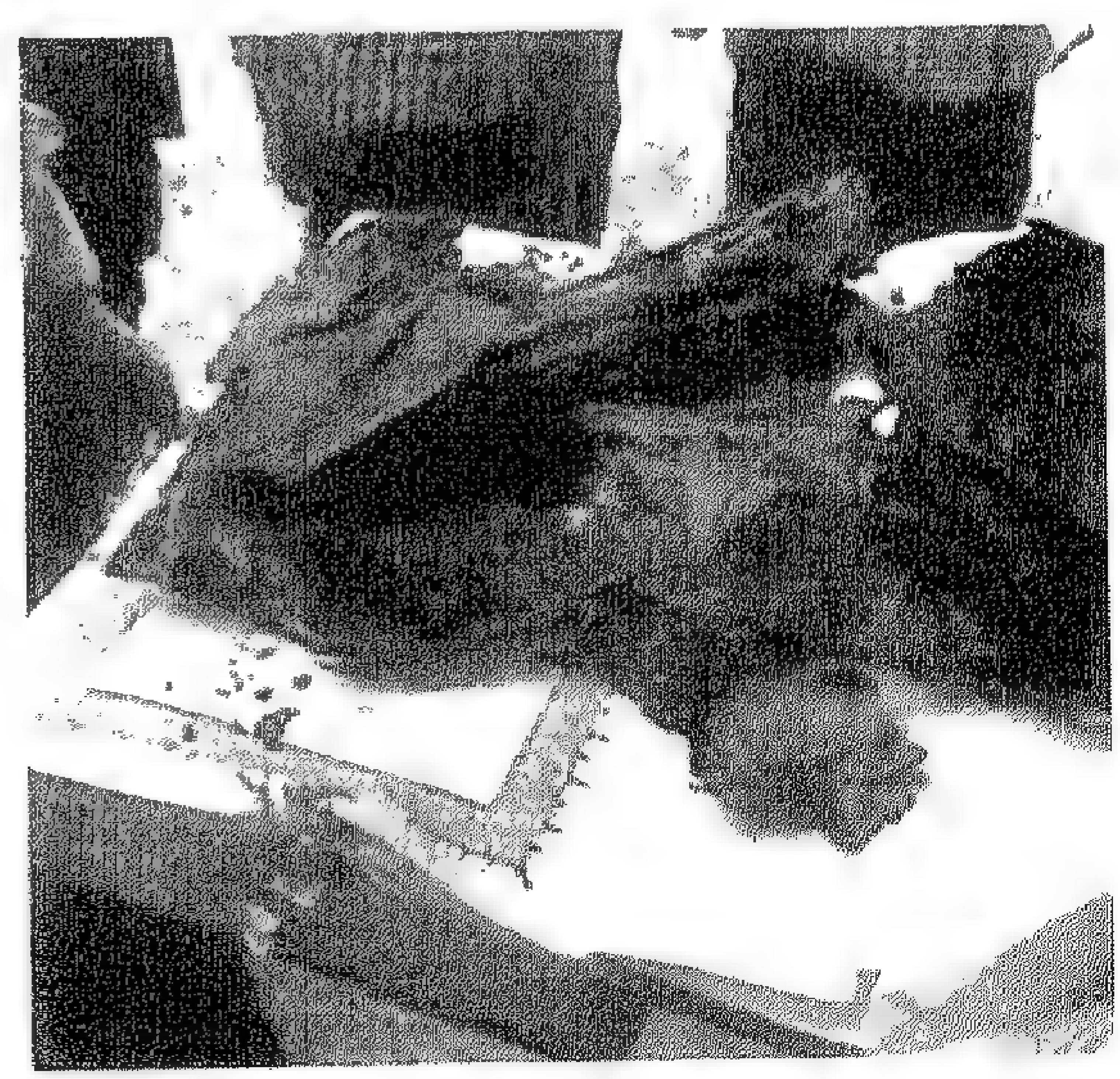
لم تتوقف الحملات على المسلمين والعرب، الذين يتجولون في شوارع المدن الأمريكية، بل تمتد إلى المعابر الحدودية في المطارات والموانئ، وردود الفعل الطبيعية، تتمثل في تنامي مشاعر الحقد على الأمريكان، في جميع أنحاء العالم الإسلامي، والتي لم تعد تقتصر على الأمريكان من صناع السياسة، بل تشمل كل ما هو أمريكي. سمعتنا التي تمكنا من



من صور العدوان الأمريكي على العراق



استهداف المساجد



حتى المصحف الشريف لم يسلم من الاعتداء في العراق

اكتسابها خلال عقود طويلة، من خلال التشجيع على التفاهم بين الحضارات والأديان، أصبحت في مهب الريح وفقدت كل مصداقية.

أثرت هذه الأجواء على الحقوق المدنية، أكبر مما يتوقع الجميع، إن ثقافة الخوف غذّت مشاعر التشدد، وألحقت الضرر بالتعايش، الذي ظل يمثل أحد سمات المجتمع الأمريكي الرئيسة، فالخوف والشك حيال كل الأجانب، أدى إلى اتخاذ تدابير وأحكام قانونية، تمس الضمانات القانونية بشكل سلبي. فالمبدأ القانوني الذي يقول: إن أي شخص بريء حتى يتم إثبات التهمة ضده، لم يعد واردًا، فالكثيرون حتى من الأمريكيين أنفسهم، أودعوا السجن لمدد طويلة، بدون أي ضمانات قانونية، وليس هناك أدلة واضحة، على أن هذه التصرفات ساهمت في إحباط مشاريع إرهابية.. وإني واثق من أن الأمريكيين سيشعرون بالخجل من هذا التصرف في وقت ليس ببعيد.

وفي هذا المجال، فإن الحرب ضد الإرهاب، سببت ضررًا بالغًا، ليس فقط لأمريكا، بل وللعالم كله، فالمعاملة الشنيعة التي تعاملت بها قواتنا في العراق، مع بعض المدنيين تشبه إلى حد بعيد، المعاملة التي يتعرض لها الفلسطينيون على أيدي القوات الإسرائيلية، والعواقب المترتبة على ذلك هي تنامي مشاعر الكراهية للأمريكي. قلوب العرب والمسلمين، مفعمة بالحقد والانتقام، عندما يشاهدون على شاشات (المرئية) التلفزيون، بأن ما يجري ليس حربًا ضد الإرهاب كما يقال، بل مذابح يتعرض لها المدنيون من العرب. والملاحظ أن هذه المشاعر، لم تعد تقتصر على العرب، فقد أشار استطلاع أجرته هيئة الإذاعة البريطانية، وطلبت فيه من 28 ألف شخص، تصنيف الدول حسب سياستها الخارجية، بمقياس السوء،



صورة لإحدى المجازر الإسرائيلية في جباليا

واتضح بأن رأس القائمة تحتله إسرائيل، وتليها إيران، ثم الولايات المتحدة، وهذا يعني بأن الدول الثلاث بالنسبة للبعض، تشكل محور الشر.

لقد كانت أحداث 11 سبتمبر، الفرصة التي كان بوسع الولايات المتحدة أن تحولها إلى زيادة زخم التيار العالمي، المتعاطف مع الولايات المتحدة في وجه الإرهاب والتطرف، وتشكيل حلف دولي شامل ومعتدل، يضم المسلمين أيضًا، حلف يساعد على القضاء على الإرهاب، ويضع الحلول الشافية للمشاكل الدولية الراهنة، التي تستخدمها هذه المجموعات كذريعة، إن ذلك سيكون فعالاً أكثر، من الحرب ضد الإرهاب، التي لا تعدو سوى عملاً استعراضيًا تحول الآن إلى سياسة انفرادية أمريكية، ضد ما يسمى بالفاشية الإسلامية، وليس بوسع أحد سوى الولايات المتحدة، أن يقوم بدور فعال ومؤثر، لنشر الأمن والأمان الشامل في العالم، على نحو ينزع البساط من تحت أقدام الإرهاب والإرهابيين.

المعاملة الشنيعة التي تعاملت بها قواتنا في العراق، مع بعض المدنيين تشبه إلى حد بعيد، المعاملة التي يتعرض لها الفلسطينيون على أيدي القوات الإسرائيلية.

أين هو القائد الأمريكي، القادر على القول بعبارة واضحة وصريحة، كفى هستريا، كفى جنون الخوف؟ وأنا أعتقد بأنه بوسعنا مواجهة الخطر الفعلي للإرهاب، من خلال التمسك بتقاليدنا وبحكمة.

من مأدبة الله

6 في القراءة (د)

أ. د. مهدي امبيرش *

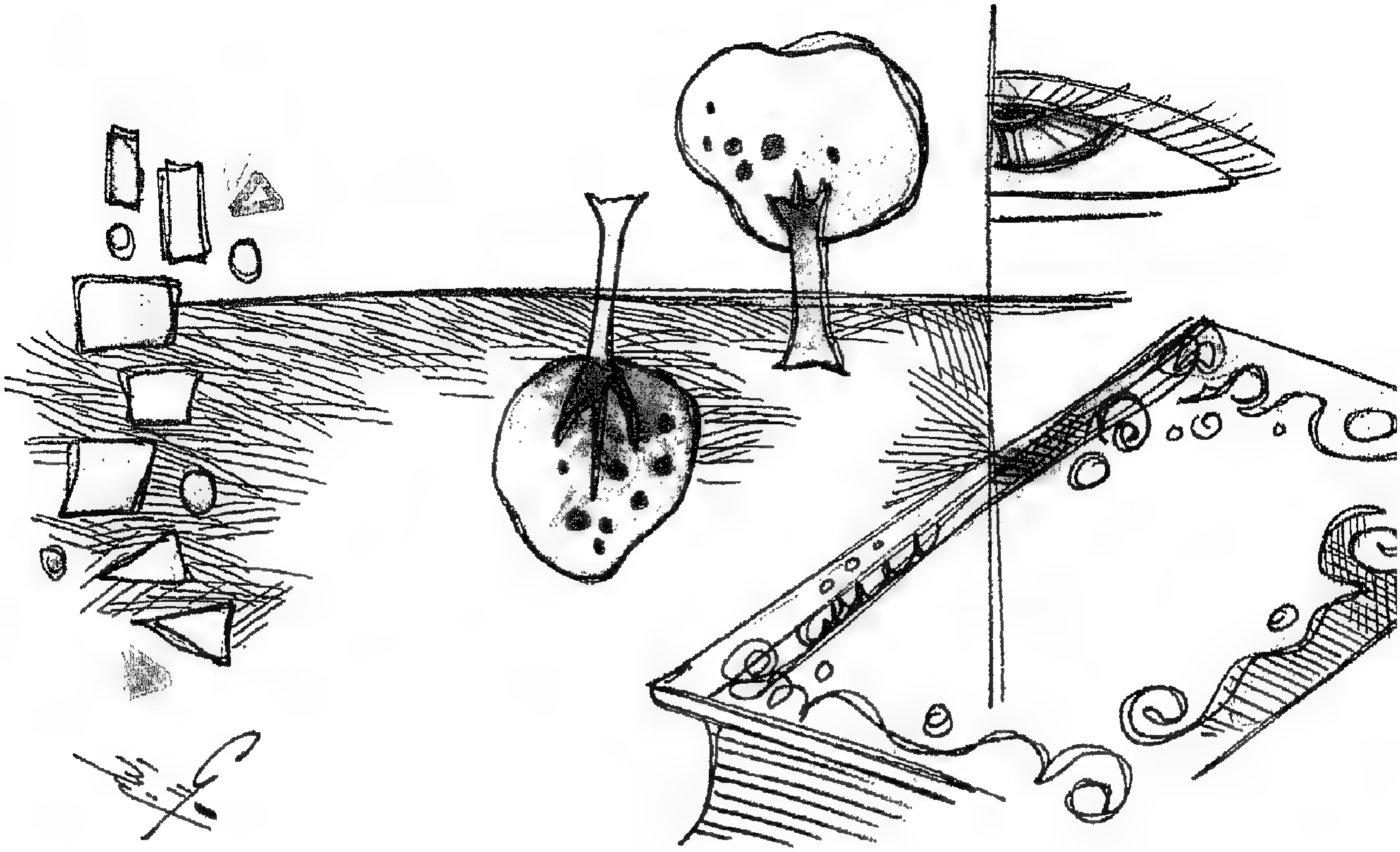


يرتبط مفهوم القراءة في اللسان العربي، أي في منهج التفكير العربي، الذي هو هذه الحالة البيانية، والحكم العربي، الذي هو هذه الأحكام المؤسسة على هذه القواعد البيانية؛ يرتبط بمفهوم العلاقة، وقبل أن نوضح دلالة هذا المصطلح، أي العلاقة، والفرق بين العلاقة والعلق، كما جاء في سورة العلق، التي هي بداية الوحي، والأمر الموجب بالقراءة، بالمفهوم الذي سبق أن ذهبنا إليه، نؤكد على أن اللسان ليس اللغة، والقرآن الكريم يتحدث على مستوى اللسان، فهو يؤكد ارتباط الرسل والرسالات كل بلسان قومه:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾
[سورة إبراهيم، الآية :4]

فالربط واضح بين الرسول والرسالة واللسان والقوم والبيان، فذلك كله ضروري لموضوع الهداية والضلال، حتى لا يكون للضالين أية حجة أو أي مبرر، ومن ثم فإن اللسان مرتبط بالبيان، والأصوات، التي نطلق عليها اللغة، هي تمظهر هذا البيان، الذي هو نحو التفكير أو منهجه، فاللغة، سواء هذه الأصوات، أو غيرها هي مشروع القراءة، فالقراءة لهذه الأصوات هي في الأصل مدركة من خلال الحواس، السمع، والبصر، والفؤاد، وهذه هي مناط المسؤولية، أي هي فضاء السؤال الذي هو مشروع مفهومي، أو قل مشروع فلسفي، إذا اعتبرنا الفلسفة هي مشروع للفهم من خلال طرح الأسئلة، أو إلقاء الأسئلة، وفي ذهننا طرف آخر نطرح عليه الأسئلة أو يتلقى هذه الأسئلة، وقد أشرنا في المقالة السابقة إلى أن السؤال ومحاولة البحث عن إجابة له هو مشروع هذه الولادة المفهومية التي تستمر إلى أن يكتمل المعنى، فكل مفهوم هو تام، ولكنه ليس كاملاً، إلى أن يرتبط المعنى مع ما يطلق عليه المناطقة (الماصدق)، أي الذي يصدق عليه هذا المعنى، فعلى سبيل المثال فإن (الجمال)، هو اسم معنى، ولكن ما ندركه من الجمال هو هذا المفهوم، أو قل هذا المحدود، أو هذا المتمظهر من خلال المعنى الذي هو مطلق، والإطلاق هو أبعد من المحدودية الظرفية، أو من التظرف المكاني الزماني، فالمعنى هو مشروع إمكانية،

* باحث، كاتب، أستاذ جامعي، الأمين المساعد لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية/ ليبيا.



والمفهوم هو المتمكن أو الكامن في هذا المتظرف المكاني الزماني، فنحن نضع أسم المعنى ضمن المطلق البياني، ونضع المفهوم ضمن المحدود، أو المتظرف أو الكامن، أي الذي هو في حالة كمون ومكون وتمكن، أو قل خاضع للأحكام المنطقية، القياسية والاستقرائية والتجريبية، وعلى الجملة هو خاضع للبرهنة، وعودة إلى الجمال الذي هو اسم معنى، فإن ما ندركه هو الجميل لا الجمال، إذ لو فرضنا أن الجمال قد تحقق في المحدود البشري مثلاً، ثم مات هذا المحدود البشري لمات الجمال معه، حتى إذا بقي حيًا، فإن الجمال نفسه لم يعد معنى، لأن القبح بالمقابل قد انعدم، ولأن الأحكام هي مدركات مفهومية، فإنها متغيرة، حسب المرجعيات، ربما حتى عند الإنسان الفرد نفسه، فأحكامه تختلف من وقت إلى آخر، ولهذا توهم المناطقة التقليديون أن الحقيقة نسبية، ولكن الإنسان بمحدوديته وصيرورته وتغيره، هو النسبي والمحدود، تجاه نفسه وتجاه الحقيقة، ومن ثم يؤكد القرآن الكريم محدودية معرفة الإنسان وعلمه:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: 85]

إن الوحي القرآني بهذا هو مشروع للقراءة، منفتح حتى نهاية الحياة الدنيا، وقد أشرنا إلى مغزى الرقم (7)، والقراءة على الأحرف السبعة، والوحي القرآني بذلك هو بيان، وهو بلسان عربي، وهو حكم عربي كذلك:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [سورة الرّعد، الآية: 37]

فهو لسان عربي مبين، أي أنه غير أعجمي، وهذا

يتطلب قراءة عربية، أي بمنهج التفكير العربي وعلى النحو العربي، وأنه كذلك حكم عربي، وهنا نتلمس الفرق بين النحو والقواعد، فالقواعد هي مقاربة اجتهادية لوضع منطق لهذه الظاهرة النحوية البيانية، قد تصدق وقد لا تصدق، وربما مشكلة النحو العربي أن أكثر الذين تناولوا هذه الظاهرة البيانية كانوا من المناطقة، أي من المتأثرين بالمنطق والقواعد، وإدخال هذه الظاهرة البيانية الإبداعية قيود المنطق واللوغوس، أو اللغة، من شأنه أن يقتل مشروع الولادة المفهومية البيانية الإبداعية، أو قل يقتل مشروع القراءة على الأحرف السبعة، ويحول الوحي القرآني إلى جملة من التفاسير والآراء الفردية، التي هي في حقيقتها تفسر المفسر ولكنها لا تفسر القرآن، فالقرآن مع بيانه، سيظل كهذه الكلمة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، وتؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها، فهذا الأكل هو هذه المفاهيم التي نكتشفها في كل مرة نقرأ فيها هذا الوحي الذي «لا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه بمرور الدهر»، وربما إنقاذ مشروع القراءة العربية للوحي القرآني، هو ذاته مشروع إنقاذ الفلسفة من هذه القيود المنطقية التي وضعها فيها المناطقة، أي هذا (اللوغوس)، الذي حوّل كل الجملة الإنشائية الإبداعية، إلى جملة قانونية منطقية، أي إلى حدود وقواعد تفرض السكون والموت على مشروع القراءة والفهم المنفتح على المعنى.

نعود إلى ما بدأنا به هذه المقالة، فنشير إلى أن سورة العلق التي تحكي قصة خلق الإنسان منذ البداية حتى حالة الاستواء والقيام، هي سورة للقراءة باسم الله الذي خلق:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۞ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۞ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۞ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۞ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾ [سورة العلق، الآيات: 1-8]

والقراءة العربية لهذه الآيات تجد أن هذه السورة بدأت بالأمر (اقرأ)، وكما نعرف فإن الجملة الأمرية هي جملة إنشائية، أي هي جملة ليست خبرية، فالجملة الخبرية هي الجملة الخاضعة لمنطق الأحكام، أي للحكم عليها بالصواب أو الخطأ، حسب مرجعية الحكم، والأمر، على الرغم من أنه متوجه في هذه الآن، لأننا حاضرة، وهي كذلك حالة امتداد (وجودي) و(كينوني) في هذا الذي نسميه الماضي، إلا أن هذا الأمر شأن مستقبلي، أو قل غيبي، ومن ثم هو ضمن المطلق الذي لا نستطيع الحكم عليه، وصاحبه لم يقم به حتى نحكم له أو عليه، ومن ثم نفهم الأمر باعتباره، كما أشرت، جملة إنشائية، ولو دققنا في كلمة (إنشاء)، لوجدنا أن بعض هذه الكلمة يرتبط بـ(الأنية)، أي بدلالة (النون)، التي هي دلالة (وجودية)، ولكن هذه الأنية تمتد إلى المشيئة، التي يعبر عنها مفهوم (شاء)، كما أن كلمة (شاء)، ترتبط بهذا الشيء أو المتشيأ أو القابل للتشيؤ، وهذه القابلية نفهمها من دلالة المد، أو هذه التي يطلق عليها ألف المد، أو ألف التأنيث الممدودة، وهنا أعيد إلى التذكير بأن ألف التأنيث الممدودة، والمقصورة، وتاء التأنيث المنفتحة والمغلقة أو المربوطة، كلها مؤنثة، مما يعطي حالة التأنيث قيمتها في مشروع الولادة والامتداد.

السؤال ومحاولة البحث عن إجابة له هو مشروع هذه الولادة المفهومية التي تستمر إلى أن يكتمل المعنى.

من هنا فإن الأمر منفتح على المستقبل، والأمر بالقراءة هو كذلك يضعنا في مشروع الانفتاح على

باسم هذا الغيبي الذي يعطي القراءة هذا المفهوم، أو قل هذا الغيب، الذي تحقق والذي سيتحقق، ومن ثم فإن أية قراءة لا تكون باسم الله، هي تقود إلى الموت والانغلاق، ولهذا ربطت هذه الآيات في سورة العلق بين القراءة وقصة الخلق من علق، فالانسان لم يبق علقاً، وإلا لظل متعلقاً ولم يتخلق، ولكن هذا العلق تحول إلى حالة امتداد، أو قل حالة علاقة، وهذه نلاحظها من الامتداد الصوتي للصوت اللام، وكما نعلم فإن صوت اللام يدل على حالة (اللم)، أو (الضم)، وهذه سندرسها ضمن الدلالات الصوتية للظاهرة اللسانية العربية، فالعلق تحول إلى علاقة، والقراءة باسم الله هي مشروع علاقة، علاقة الإنسان مع نفسه، وعلاقة الإنسان مع خالقه، وعلاقة الإنسان مع غيره، ودون إدراك لهذه العلاقة، سيكون الاستغناء والطغيان الذي كشفت عنه هذه السورة:

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾
[سورة العلق،الآيتان: 6-7]


إن هذه السورة توضح كذلك العلاقة بين القراءة باسم الله، أي القراءة باسم هذا الغيبي المنفتح والمطلق، وبين موضوع التعلّم، وكيف أن الله تعالى علّم بالقلم، وأنه بذلك علم الإنسان ما لم يعلم:

﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ [سورة العلق،الآيات: 3-8]

وهذا كذلك يجعلنا ندرك العلاقة بين القراءة والقرآن الذي هو مشروع قراءة إنسانية، وبين الخط، وهذا ما سنتناوله بإذن الله في دراسة قادمة، في العلاقة بين القراءة والصوت، والقراءة والكتابة، والكتابة والخط، ضمن هذه الظاهرة البيانية العربية.



نزار قباني: مقابلة لم تنتشر.. وسر لم يذع!!



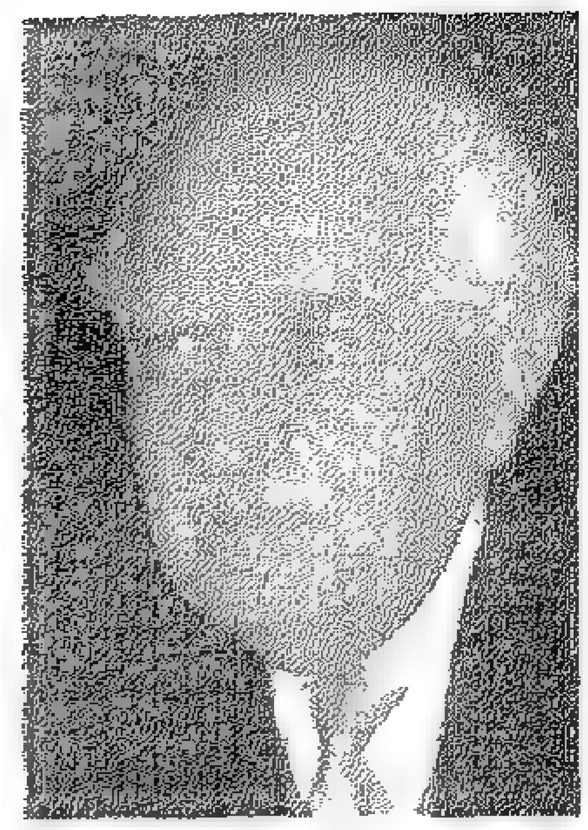
د. عبد العاطي محمد عبد الجليل*

في كل مرة كنت أزور فيها إسبانيا - بعد سنوات الدراسة العليا بإحدى جامعاتها - أجد نفسي مشدوداً إلى لقاء اثنين من مشاهيرها، هما البروفسور بيدرو مارتينيث مونتابث، الذي يعد من أعلام الفكر الإسباني المعاصر، وأحد الذين ارتبطوا - وبشكل قوي - بالثقافة والقضايا العربية الراهنة، ومع مونتابث أجدني مدفوعاً إلى السؤال عن البروفسورة كارمن رويث برابو إحدى أشهر المستعربات في إسبانيا، والتي ينعتها الباحثون بعاشقة اللغة العربية والمغرمة بالأدب العربي المعاصر، السيدة كارمن، في تجلياتها تمثل ظاهرة ثقافية لافتة؛ فمع ترأسها حاليا قسم الدراسات العربية والإسلامية والدراسات الشرقية بكلية الفلسفة والآداب بجامعة (أوتونوما)، تدأب لسنوات، من خلال بحوثها ودار نشر تملكها، على طباعة الكثير من الكتب، مما يمكن نشره في إسبانيا من إبداع عربي، ويأتي هذا العطاء غير المسبوق من باحثة إسبانية بدافع من قناعاتها، بفاعلية الإبداع الأدبي والفني، في دعم التواصل بين مختلف الثقافات والعقائد والأعراق، وكثيرًا

---

* كاتب وصحفي وأستاذ جامعي / ليبيا.

ما كان الحظ يحالفني خلال إحدى الزيارات لإسبانيا فألتقي الاثنين معاً، وفي كل لقاء جمعنا سواء كان ثلاثياً ـ كما أرجوه دائماً ـ أو ثنائياً بحكم انشغال أو سفر أحدهما، ينطلق الحديث من النقطة التي توقف عندها في آخر لقاء، حتى وإن فصلت بين اللقاء والآخر سنة أو أكثر من سنة.



د. بيدرو مونتابث

وفي كل الأحوال يبقى حصاد اللقاءات جميعاً مختزنا بالذاكرة والوجدان، مع مدونات وملاحظات على الورق بمفكرتي الخاصة، التي تضم الكثير من الأوراق الأندلسية، ووقائع جلسات عمل جمعتني بفاعليات ورموز الفكر والثقافة العربية والإسبانية في حواضر ومدن الأندلس، التي يحرص هؤلاء جميعاً على إبقائها حية في الذاكرة الإنسانية، وإن كان يصعب عليَّ عند مراجعة المفكرة القول أن هذا الحوار أو ذاك كان الأفضل أو الأهم من غيره، أذكر أن من بين ما سجلته ـ في علاقتي المهنية بالبروفسور مونتابث ـ أنني انتظرت أكثر من سنتين لأفوز بلقاء صحفي معه، وكنت قبل ذلك ـ في مستهل تسعينات القرن الماضي ـ دخلت مكتبه بالجامعة صحبة صديق عربي قديم مقيم بإسبانيا هو الأستاذ خليل حسن صدقة، وقتئذ كان البروفسور مونتابث رئيساً لقسم الدراسات العربية والإسلامية والدراسات الشرقية بكلية الفلسفة والآداب في جامعة (أوتونوما)، وكنت في ذلك اللقاء أقدم أوراقي كطالب في جامعة أوتونوما دون تفعيل لمهنتي الصحفية.

وهكذا بدأت ولم تنته علاقتي مع البروفسور مونتابث، وإن كان شقها العلمي اكتمل يوم ترأس لجنة مناقشة البحث الذي تقدمتُ به لنيل شهادة التخصص الدقيق (الدكتوراه) في الدراسات الشرقية، ليبقى الشطر الفكري متواصلاً بيننا، يعمق من جذوره تراكم اللقاءات بين سنة وأخرى، كان البروفسور مونتابث رئيساً للجامعة / عميداً لكلية الفلسفة والآداب / رئيساً لقسم الدراسات العربية والإسلامية والدراسات الشرقية، رئيساً لجمعية المستعربين الإسبان. أمر شبيه بذلك الذي حدث لي مع السيدة البروفسورة كارمن، مع فارق بسيط هو أنني استطعت أن أجري أكثر من حوار صحفي معها، تم نشرها في الصحف والمجلات.



البروفسورة
كارمن رويث برابو

وجرياً على العادة التي تعودتها حين ألتقيهما؛ كان لأحدث لقاء لي معهما وقع خاص، كنا نتناول طعام العشاء في أحد مطاعم مدريد، بمبادرة من صديقنا الدكتور عبد الواحد القمودي، وبحضور عدد من الأصدقاء، من بينهم الصحفي الإسباني يوسف فرنانديث مدير تحرير مجلة (أمانيثير) ومدير موقع (ويب إسلام)، كانت المناسبة تسليم شهادة تقدير منحتها ليبيا للسيد البروفسور بيدرو مارتينيث مونتابث تقديراً لجهوده العلمية والبحثية المتميزة، وكالعادة دائماً تكون الثقافة العربية والإسبانية محور الحديث..



د. عبد الواحد القمودي

المرحلة الوردية وتواضع الشاعر

الحكاية بدأت حين جرنا الحديث عن الشعراء العرب المعاصرين، ومن بينهم بلا ريب الشاعر الكبير الراحل نزار قباني، تحدثنا كثيراً عن بعض تفاصيل حياته في إسبانيا في مستهل ستينات القرن الماضي، وكان الشاعر وقتئذ دبلوماسياً مرموقاً بوزارة الخارجية السورية، يقوم بمهام السكرتير الأول

بسفارة الجمهورية السورية في مدريد ـ وهي مرحلة شبابية في حياة نزار كان يحب أن يطلق عليها (المرحلة الوردية) ـ ولعله كان محقاً؛ فإن لم تكن أيامه في ربوع الأندلس وردية فما عساها تكون؟! جرنا الحديث عن دماثة خلقه، عن تواضعه، عن أشياء كثيرة كانت تربط بينه وبين البروفسور مونتابث الذي قام بترجمة أعمال نزار إلى اللغة الإسبانية، وعن طريقه عرف الإسبان شعر نزار قباني..

وحين قادنا الحديث عن تواضع نزار قباني رويت للجميع قصة حوار أجريته معه، لكن البروفسور مونتابث أحب أن يهديني عن (خصوصيات شاعرنا العربي) شيئاً لم أكن أعلمه، وهو السر الذي لم يذع، وحسب روايته فإن أحداً لم يكن يعلم به أو يصدقه عن نزار قباني، حتى أنه ـ وكان يعتبر من أقرب الناس إلى نزار طيلة سنوات ـ لم يكن على علم بهذا السر إلا بعد فترة طويلة من الزمن، ذكرني ذلك بواقعة جرت لي مع الشاعر نزار قباني، في منتصف سبعينات القرن الماضي، وكانت مقابلة صحفية وافق الشاعر على إجرائها معه ليس للنشر في مجلة أو جريدة من كبريات الصحف العالمية أو العربية، ولكن في جريدة حائط!! أجل في جريدة حائط كانت تصدر في مؤسسة تعليمية ثانوية وإعدادية بطرابلس/ ليبيا، ومن ثم فلم تنتشر تلك المقابلة، ولم تجاوز حدود المكان المحدود جداً الذي نشرت فيه، وبضع العشرات من الطلبة القراء الذين اطلعوا عليها، فكيف يوافق شاعر كبير كان ملء أسماع الملايين على الاستجابة لمحاورة (مجرد طالب في المرحلة الثانوية يصدر جريدة حائطية) إن لم يكن ذلك هو الحد الأقصى من تواضع الشاعر؟

عقدتُ والبروفسور مونتابث والبروفسورة كارمن اتفاقاً من بندين، الأول أن ألبي رغبتهما في نشر



نزار يلقي شعره أمام محبيه في ليبيا ـ 1975

مقابلتي مع نزار، أما البند الثاني فكان إماطة البروفسور مونتابث اللثام عن السر الذي لم يذع، وظل طي الكتمان حتى سنة 2005 مسيحي، وما كان له أن يذاع، لولا حرص امرأة على البوح به، بعد وفاة نزار بما يقرب من سبع سنوات!!

قلت لمحدثيّ: ألا ترون أن إعادة نشر المقابلة مع نزار قباني لا يعتبر أمراً مهماً؟

قالا: كلا، شرط أن تروي قصة تلك المقابلة.

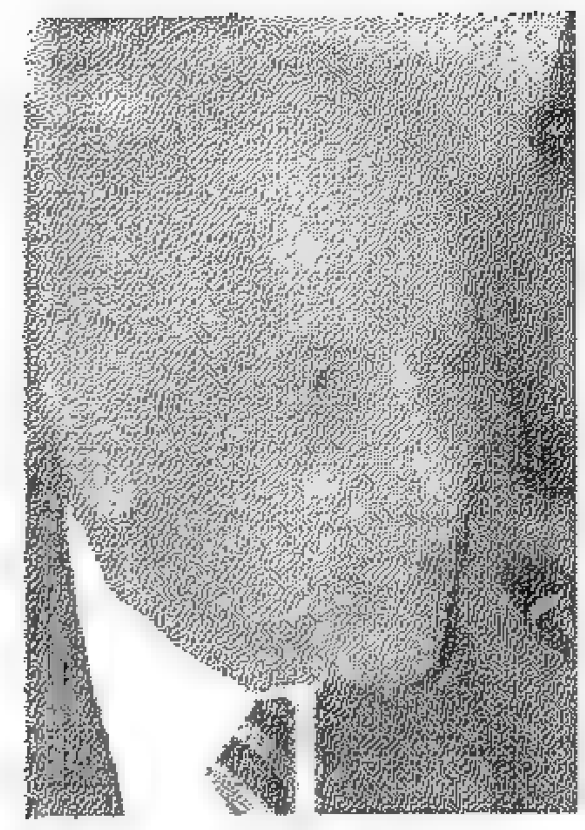
تذكرت ما قاله نزار ذات مرة «كلما دخل صحافي أو ناقد أو رجل إذاعي أو تلفزيوني عليّ، لبس الشعر معطفه وهرب من الباب الخلفي» [1] وأحمد الله أنني لم أكن حين أجريت معه هذا اللقاء واحداً ممن ذكرهم، كنت حينذاك طالباً لم يكمل بعد مرحلة التعليم الثانوي..

وحمدت الله أن هذه المقابلة ليست من تلك المقابلات التي قال عنها نزار: «إن مقابلاتي الصحفية ضاع أكثرها ـ والحمد لله ـ لأن أسفاري

1 ـ جنيف، 21 / 3 / 1989 م. انظر: الأعمال النثرية الكاملة، الطبعة الثانية، منشورات نزار قباني م 8 ص 367.

الكثيرة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً لم تسمح لي بأن أحمل أهرامات من الورق على كتفي، وأقطع بها المحيط»(2).

أعود بالذاكرة إلى سنة 1975م. حين زار نزار قباني ليبيا، وأمتع الناس بأمسيات نابضة بالشعر، أحال ليالينا إلى قصائد، وكان برفقته الأديب الكبير الأستاذ علي مصطفى المصراتي، الذي لا يزال يعطي أجيالاً من الكتّاب في بلادي كل أشكال الدعم والرعاية، وقد لمس مدى إصراري على الالتقاء بالشاعر الكبير، راح أولاً ـ كالعهد به ـ يداعبني بأن يدخل في روعي صعوبة ما أنا مقدم عليه، لعله كان يخشى أن تكون المقابلة مجرد مجازفة من شاب أحب أن يقول إنه التقى نزار قباني ليس أكثر، وأظنه كان يخشى ضعف الأسئلة وركاكة الأسلوب، وغير ذلك من الأمور التي ربما تسيء للشاعر في بلد استقبله بترحاب لا نظير له.. الأمر لم يكن واضحاً بالنسبة لي، ما كان واضحاً أمامي هو أن ألتقي نزار قباني، الذي ملأ الدنيا بشعره، وشغل الناس به، وأحاوره لا أكثر، لم تفت في عضدي (مداعبات الأستاذ المصراتي)، وكان الشاعر التقط بعضاً منها، لاحظ إصراري، فلم يكن أمامه إلا أن يلبي رغبة شاب أزاحت مصداقيته تلك المفاهيم والتحفظات، وهو يدرك تماماً حجم نزار قباني، ويدرك أيضاً كيف يمكن أن يجري حوارا مع شاعر في مكانته، تتسابق الصحف والمجلات من أجل الفوز بحوار معه..



الأستاذ علي المصراتي

مشكلة أخرى كانت تكمن في أن الحوار معه لن ينشر في صحيفة يومية مشهورة، كما أنه لن ينشر في مجلة أدبية، بل سينشر في جريدة مدرسية حائطية!!

تذكرت الآن ما كان أديبنا الكبير المصراتي يخشاه، كيف يمكن لشاعر بحجم وشهرة نزار أن يدلي بحديث لجريدة مدرسية حائطية؟

لكن تواضع ودماثة خلق نزار قباني دفعاه إلى قبول الأمر بصدر رحب دون تأفف، ودون أدنى إيحاء منه بأن قيمته الشعرية ومكانته المتميزة قد لحقهما نقص أو انتقاص..

وافق رحمه الله، وكتب الإجابة بخط يده الجميل، وكان هذا اللقاء الذي لم ينتشر، رغم أنه نشر في صحيفة مدرسية حائطية..

المقابلة التي لم تنتشر

س: إلى أي مدى اتضحت معالم الشخصية العربية في الحركة الشعرية الحديثة؟

ج: أعاد الشاعر العربي الحديث اكتشاف نفسه ابتداءً من مطلع عصر النهضة العربي.. وبالتحديد في الوقت ذاته الذي بدأ العربي فيه يثور على وضعه السياسي والاجتماعي، أي أن الثورتين الشعرية والسياسية في العالم العربي كانتا متلازمتين ومتحدتين عضوياً وزمنياً.

وكما أن عصور الانحطاط التي انتهت بسقوط الإمبراطورية العثمانية، طمست الشخصية العربية، وألقت ستاراً كثيفاً عليها، ومنعتها من التعبير الحر عن نفسها، كذلك أبقت عصور الانحطاط الشاعر العربي في إطار الوثنية اللغوية، والنقل والنسخ والتكرار، وجمدته في مكانه خمسمائة سنة.. وصادرت جواز سفره.. ومنعته من أن يمارس حريته في السفر والمغامرة والإبداع.

ومثلما كسرت الثورات العربية أكثر الحواجز التي كانت تعيق حركة الشعب العربي وطموحه.. كذلك كسرت القصيدة العربية الحديثة كل الحواجز

---

2 ـ المصدر نفسه، ص 370.

التاريخية التي كانت تشدها إلى الوراء.. وخلعت من قدميها (الحذاء الصيني الضيق) الذي ألبسوها إياه.. وبدأت تمشي بصورة طبيعية.

القصيدة العربية الحديثة تعبر بصدق عن هموم هذه المرحلة من حياتنا، وتعكس ـ بشكل أو بآخر ـ أزمة الشاعر على أرض حبلى بملايين المفاجآت والتحولات والتناقضات والقلق الوجودي.

وإذا كانت بعض نماذج الشعر الحديث تبدو قلقة ومضطربة ومشوشة ومتعرجة، وتعاني انفصاماً نفسياً حاداً، فلأن النفس العربية في هذه المرحلة من تاريخنا بالذات هي كذلك.

إن الذات العربية بحالة مخاض.. وتوقع.. وانتظار، فكيف يمكن للشعر العربي أن يكون بحالة طمأنينة؟

إن شعرنا في هذه المرحلة يشبهنا كثيراً.. وفي نظري يجب أن يكون الشعر والأمة متشابهين.

لا دور للشعر الرمزي

س: الشعر المغرق في الرمزية المفرطة هل أدى دوره؟

ج: لا، لم يؤد دوره.. بل لم يكن له دور على الإطلاق، لأن الكلمة التي لا تصل إلى وجدان الناس ومداركهم هي سمكة ميتة خارج الماء.. وممثل يتكلم مع نفسه بين الكواليس.

إن قضايا العالم العربي هي من الوضوح بحيث أن الشاعر الذي يلجأ إلى لعبة التعتيم والرمز.. والكلمات المتقاطعة.. يبدو وكأنه سائح يتفرج على هموم وطنه.. أو (مستعرب) قادم من عالم آخر.. أو كأنه يريد أن يقنعنا بأهميته كشاعر عميق لا يعطي نفسه بسرعة للجمهور.

والواقع أن البساطة لم تكن أبداً ضد العمل.. ولا ضد الجمال.. فسماء الصيف بسيطة وجميلة في الوقت ذاته.. ووجه المرأة يكون في أجمل حالاته حين يكون صافياً وبسيطاً وعلى الطبيعة.



نزار وسنوات التألق

إن سماواتنا واضحة، وصحارينا واضحة، وشمسنا واضحة، وحزننا واضح، وفقرنا واضح، وتخلفنا واضح، ونزيفنا واضح، ومساحة الطعنة الإسرائيلية في لحمنا واضحة، وجراح جنودنا وعيون موتانا واضحة.. فكيف يسمح الشاعر العربي لنفسه أن يختبئ تحت لحاف الرموز والاستعارات.. في وقت يحتاج فيه الشعب العربي إلى من يعمق ويضيء له وعيه القومي والحضاري؟!

إنني أعتبر الرمز في هذه المرحلة الخطرة من تاريخنا القومي خيانة ــ ولو عن حسن نية ــ لرسالة الأدب في مجال التوعية.

إن الشاعر الذي لا يقول لي وجعي.. هو بكل تأكيد شاعر لا يعنيني.

(العالمية) هل هي عقدة؟

س: ما المكانة التي يحتلها الشعر العربي في الثقافة العالمية؟

ج: لا أدري لماذا نشغل بالنا في (العالمية).. ونعاني عقدة نقص لأن شعرنا لم يصبح عالمياً.

إن كل شعر يجب أن يكون (محلياً) أولاً.. ويعبّر عن خصائصه وذاتيته وهموم منطقته الإنسانية والبشرية أولاً.. فأنا لا يهمني أن يقرأني المواطن الإسكندناڤي، إذا كنت عاجزاً عن نقل صوتي إلى المواطن العربي في عدن وحضرموت والشارقة.

المطلوب من الشعر العربي أن يكون شعراً عربياً بالدرجة الأولى.. أي أن يكون شعراً يعكس الملامح العربية وتقاطيع النفس العربية، ومتى استوفى الشعر هذا الشرط.. أصبح قادراً على السفر إلى وجدان العالم.. بصورة تلقائية.

وهذا بالضبط هو ما حدث للشعر الإفريقي الذي قرأه العالم لأنه يحمل رائحة الأرض الإفريقية ورائحة متاعبها.. ونضالها.



بابلو نيرودا

وهذا أيضاً ما جعل الشاعر التشيلي العظيم بابلو نيرودا مقروءاً على مساحة الكرة الأرضية كلها.

غياب النقد الحقيقي

س: الحركة الشعرية العربية هل تقابلها حركة نقدية على مستواها؟

ج: لا مع الأسف.. فحين نرى الحركة الشعرية العربية تتفجر بشكل بركاني وطوفاني، وحينما تكون هذه الحركة الشعرية بحاجة ماسة إلى من يراقبها.. ويحاسبها.. ويقيمها تقييماً علمياً صحيحاً.. نجد أن فن النقد الحقيق غائب.. وأن الذين يتولون عملية النظر في الآثار الشعرية هم محررو الصحف والمجلات الأدبية الذين لا وقت لديهم للقراءة المتبصرة الجادة.. لذلك يأتي تقييمهم للشعر وللشعراء تقييماً عاطفيًا وانفعالياً لا يعرف أوساط الحلول.. فهو إما تبخير وإما تشهير.. وهو شديد الخطورة في حالتيه.

قصيدة اليوم مخطط متكامل

س: إلى أي مدى تحققت الوحدة الموضوعية والعضوية للقصيدة العربية؟

ج: أعتقد أن السنوات العشر الأخيرة[3] غيّرت ملامح القصيدة العربية تغييراً جذرياً، ونقلتها من مرحلة التجزيئية إلى مرحلة التركيبية.

فقصيدة اليوم لم تعد تشبه قصيدة الأمس، لا من قريب ولا من بعيد، إنها شيء آخر تماماً.. فهي مخطط

3 ـ إشارة إلى أواخر ستينات وأوائل سبعينات القرن الماضي.

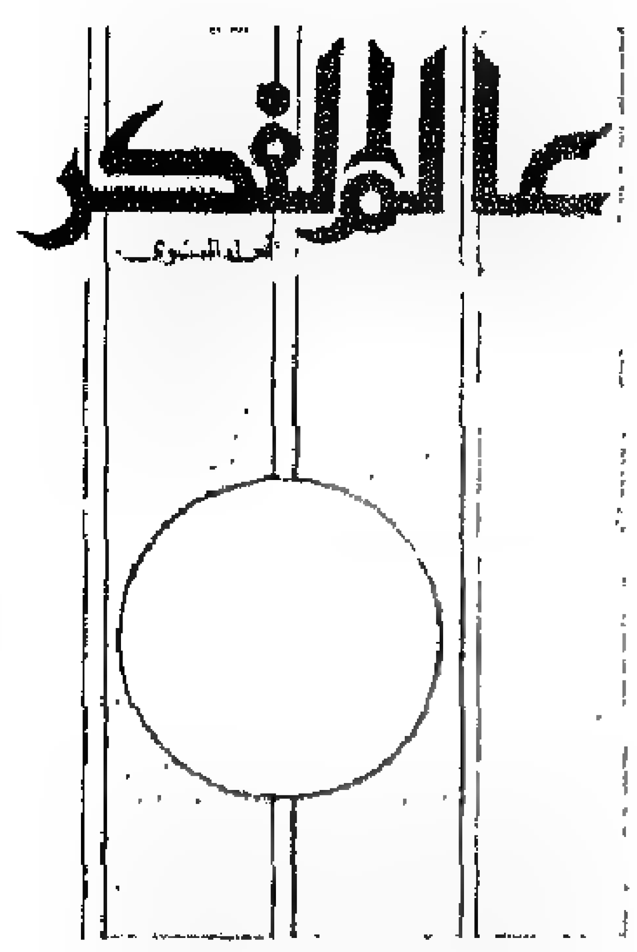
فكري ولغوي وثقافي وحضاري مكتمل، لا عملية (تجميع) مجانية واعتباطية، تعتمد على كيمياء اللغة، والتداعي، والذاكرة التاريخية الجاهزة.

أن ما بين أيدينا من شعر عربي حديث يسمح لنا بالقول إن التحولات في بنية القصيدة العربية قد تكرست بشكل مدرسي وأكاديمي، وإذا كانت القصيدة العربية الحديثة لم تتكرس على النطاق الشعبي إلا بصورة جزئية.. فلأن الموروث الشعري القديم لا يزال مستمر الحضور.. ولأننا غير قادرين على تغيير عاداتنا الشعرية ما بين عشية وضحاها.

كيف لم تضع هذه المقابلة؟

تلك كانت المقابلة التي لم تنتشر، والتي ربما يرى البعض اليوم، أنها غير ذات عمق في الأسئلة المطروحة، إلا أنها كانت مهمة على مستوى الإجابات التي صدرت عن شاعر كبير، لمس بحسه المرهف بعض القضايا المتصلة بالقصيدة العربية، ربما تغيرت أحوال الشعر الآن، لكن الأمر في مجمله كان تنفيذاً لبنود اتفاق مع من قدم نزار قباني لقراء غير عرب، قراء ينتمون إلى منطقة أحبها نزار، وتغنى بها كأجمل ما يكون التغني، ويكفي أنه اعتبر أيامه في ربوعها أياماً وردية.

ولعله من المهم هنا معرفة السبب الذي حال دون ضياع هذه المقابلة، خاصة وأنها نشرت في جريدة مدرسية حائطية، حيث أنه من الصعب تصور الاحتفاظ بجريدة حائطية صدر آخر أعدادها سنة 1975م. ربما هو الحظ الذي حال دون ذلك، لكن لا بأس من الإيضاح، أذكر أن الأستاذ الدكتور محمد أحمد الشريف الذي كان وزيراً للتربية والتعليم آنذاك قام بزيارة إلى المؤسسة التعليمية الثانوية التي كنت طالباً فيها، ولفت اهتمامه العدد الكبير من الجرائد الحائطية التي كانت تصدر في تلك المؤسسة التعليمية، ومن بينها جريدة حائطية باسم (عالم الفكر)، وحين سأل عن سبب كثرة الأعداد الصادرة من تلك الجريدة الحائطية قيل له بأنها جريدة حافظ بعض الطلاب على إصدارها طيلة ما يقرب من ست سنوات، فما كان منه إلا أن أصدر تعليماته بأن توثق على نفقة وزارة التربية والتعليم، وهي الخطوة التي لولاها لضاعت هذه المقابلة مع الشاعر العربي الكبير نزار قباني.



غلاف الجريدة الحائطية المدرسية (عالم الفكر) بعد جمعها في مجلد سنوي

السر الذي لم يذع

نأتي الآن للبند الثاني من الاتفاق الشفهي الذي أبرم بيني وبين السيد البروفسور بيدرو مارتينيث مونتابث الذي بدأ حديثه بأسلوب هادئ، ومع كل كلمة ينطق بها كنت أكتشف ما لم يكن معروفاً من قبل، سألني: هل تعلم أن نزار قباني احتفظ بسر لم يعرفه أحد إلا بعد وفاته بسبع سنين تقريباً؟ قلت: مؤكد أنني لا أعلم، وأعتقد جازماً أن غيري لا يعلم. قال: دعني أروي لك بعضاً من علاقتي معه طيلة سنين، كنا نلتقي ثلاث مرات أسبوعياً لمراجعة ما كنت أترجمه من شعره، استمرت لقاءاتنا ربما أكثر من سنتين بمعدل ثلاث مرات أسبوعياً، كنا نتحدث اللغة العربية، لم أسمع منه كلمة إسبانية واحدة، كان حين يريد التكلم بلغة غير العربية يتحدث باللغة الفرنسية التي يجيدها..

إلا أن ما حدث معي منذ سنتين قلب كل تلك المسلمات، حيث اتصلت بي سيدة إسبانية، أخبرتني أنها تعرفت على نزار قباني خلال إقامته في إسبانيا، وكانت تربط بينهما علاقة قوية..

طلبت مني السيدة أن أزورها في بيتها، وأنت تعلم أنني لا أقدم على أمر كهذا عادة، لكن إصرارها على الأمر وما حاولت أن توحي به إليَّ دفعني إلى تلبية رغبتها.

ما إن وصلت بيتها وما كدت أجلس حتى قدّمت لي مجموعة من الرسائل الشخصية وهي تقول: إنها رسائل من نزار قباني، فوجئت! حيث أن الرسائل مكتوبة باللغة الإسبانية!! وأنا حتى تلك اللحظة لا أعرف أن نزاراً كان يتحدث الإسبانية، فكيف بالكتابة بها؟!

بدأت أستعرض تلك الرسائل، أصبت بذهول لا حدود له، إنها بخط يد نزار قباني، وهي باللغة الإسبانية! كتبت بلغة سليمة، لولا بعض الأخطاء البسيطة المتعلقة بحروف العلة، وذلك ناتج عن عدم التفريق أحياناً بين حرفي (I وE) مثلا أو (O وU)،[4] لا أخفي عليك، أصبت بدهشة بالغة، إذ أنني ما كنت أتصور إطلاقاً أن نزار قباني يتحدث الإسبانية فكيف بالكتابة بها!!

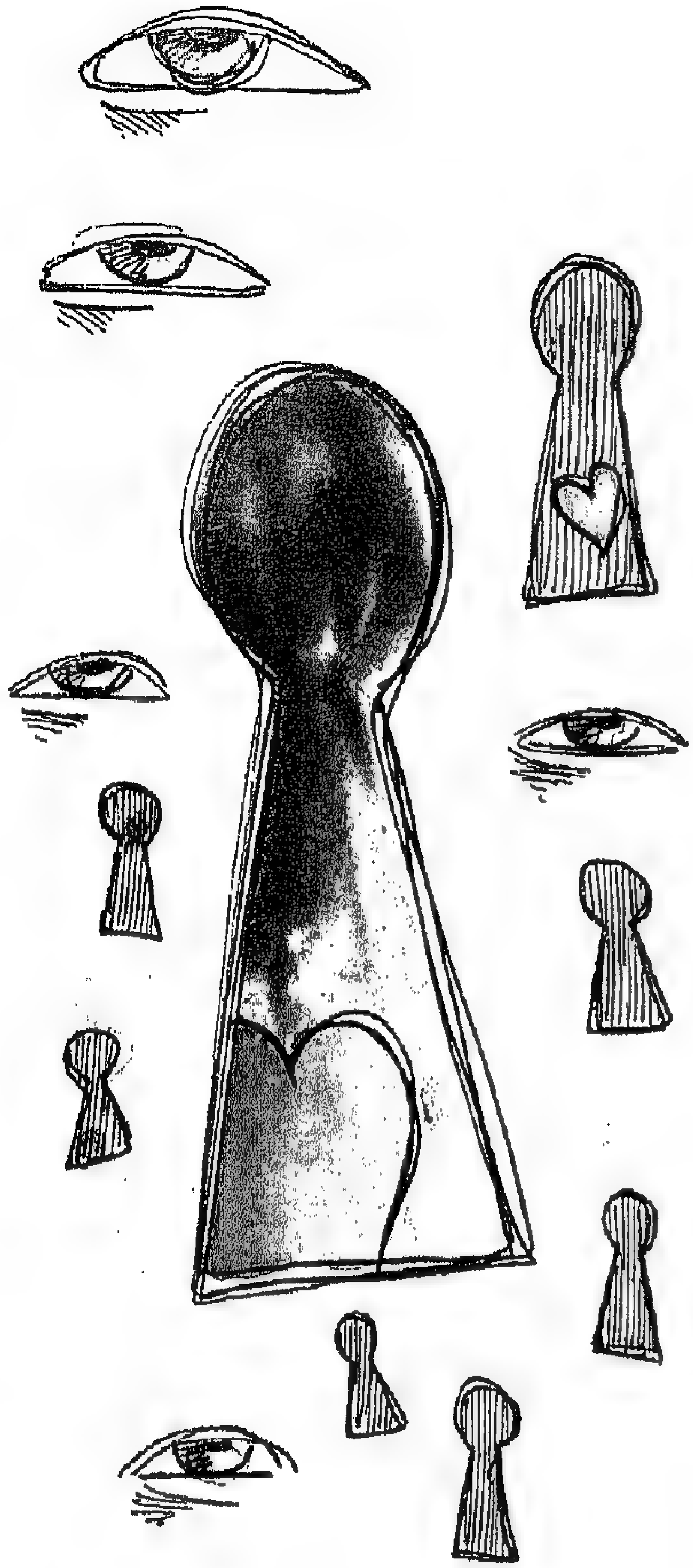
اكتشفت أيضاً أن لغته الإسبانية كانت جيدة، وبعض تعابيره في الرسائل كانت مأخوذة من تعابير عربية.

وحين أخبرتُ السيدة بأن نزاراً لم يتحدث معي باللغة الإسبانية على الإطلاق استغربت ذلك..

نظر إليَّ السيد مونتابث، لاحظ أنني مندهش أيضاً، قال: يبدو أن تلك السيدة هي من علم نزار قباني اللغة الإسبانية..

اتجهت بنظري نحو السيدة كارمن محاولاً استشفاف شيء منها، قالت بابتسامة: ربما كانت اللغة الإسبانية خاصة بينهما..!!

لم أقتنع بما عرفت، وحاولت أن أعرف أكثر،



سألت السيد مونتابث: ما اسم تلك السيدة؟ أجاب بهدوء: لا، ليس من حقي أن أعلن ذلك، يمكنني القول أن عمرها الآن أكثر من ستين سنة، للمرة الثانية اتجهت بنظري نحو السيدة كارمن، ولم تنتظر أن أسألها وقالت: أنا أيضاً أعرفها، ولكن ليس من حقي أن أعلن عن اسمها!

4 ـ مشكلة نطق أحرف العلة هذه تكمن في أن حرف (I) يعادل الكسرة، بينما حرف (E) بين الكسرة والفتحة، وهو ما نسميه في اللغة العربية بالإمالة، بينما حرف (U) يقابل الضمة القوية وحرف (O) يقابل ضمة خفيفة أي بين الضم والفتح.



أحد أحياء مدريد القديمة

حاولت أن أكون صحفياً، طرحت عدداً من الأسئلة، ولكن كل جهودي باءت بالفشل، فقط أفادني السيد مونتابث بأن السيدة أخبرته بمكان لقائهما، قالت إنهما كانا يلتقيان في مطعم إسباني تقليدي صغير مشهور بأكلاته الإسبانية التقليدية، ثم نظر إليَّ السيد مونتابث وقال: أنا متأكد أنك مررت بهذا المطعم، وأنك أكلت فيه أكثر من مرة..

وحين لمسا تصميمي على معرفة ذلك المطعم قالا لي: حتى لو ذهبت إليه فلن تجد أحداً يتذكر تلك اللقاءات، ولا نعتقد أن أحداً من رواد ذلك المطعم يتذكر نزار قباني..

أضافت السيدة البروفسورة كارمن رويث برابو: لنزار علاقة غريبة مع إسبانيا، فقد كتب فيها أجمل قصائده، ولا تنس أن الممرضة التي كانت مشرفة على حالة ابنه الصحية في لندن كانت إسبانية!!

أضاف السيد البروفسور بيدرو مارتينيث مونتابث: كان خط نزار بالإسبانية جميلاً، وكان يستعمل الحبر نفسه الذي يكتب به باللغة العربية!!

فكرت في أن السيد مونتابث حاول بتلك الملاحظة أن يغرقني أكثر في بحر الاحتمالات الذي لا ساحل له..

هل أقول: لقد رضيت من الغنيمة بالإياب؟ أم أقول: لقد عدت بخفيّ حُنين؟ كل ذلك لم يحدث في نظر السيد مونتابث والسيدة كارمن، حيث قالا لي: يكفي أنك علمت سراً لم يذع من قبل، ولكن عليك أن تعمل على نشره بسرعة، لأن طالبة إسبانية تعمل الآن على دراسة تلك الرسائل.

وحين حاولت معرفة مزيد من التفاصيل لم يكن أمامهما إلا أن غيرا دفة الحديث..

هل طرح القرآن تطبيقاً عملياً لمقارنة الأديان؟

د. حسن الباش*



في بعض النقاشات التي كانت تجري بين الحين والآخر، يرتئي بعض العلماء أن القرآن الكريم حوى من الآيات الكثير مما يرتبط بمقارنة الأديان، صحيح أن القرآن الكريم، كان آخر الكتب السماوية التي أُنزلت على الأنبياء، فهو كتاب تشريع وعقيدة، ومنهج ديني حياتي وأخروي، لكنه ليس كتاب تاريخ بالمعنى الصرف، وليس كتاب علم مقارنة أديان.

وعندما نتفحص آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن الأديان نرى أنها تتناول عقائد بعض الشعوب القديمة وحتى المعاصرة لنزول القرآن الكريم، فهي من ناحية تاريخية تعرفنا بالعقائد والأديان السابقة على الإسلام، ومن ناحية أخرى تطرح بعض المقارنات بين دين ودين أو بين عقيدة وعقيدة، وفي بعض الآيات يعرفنا القرآن الكريم أن هناك أممًا وشعوبًا لكل منها عقيدته وشرعته.

فيقول تعالى:

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾
[سورة المائدة، الآية: 48]

* كاتب، أستاذ جامعي فلسطيني / سورية.

ويقول تعالى:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾
[سورة الحجّ، الآية: 34]

ويقول تعالى:

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الحجّ، الآية: 67]

فهذه الآيات الثلاث، تفسر لنا منهج القرآن الكريم في نظرته لكل الخلق، لكل الأمم والناس، ولعل المنهج الصحيح في علم مقارنة الأديان، يبدأ أولاً بالاعتراف بعقائد وشرائع كل البشر، بغض النظر عن الاختلاف بينها. والقصد من الاختلاف بين البشر في عقائدهم وشرائعهم هو امتحان الله لهم، وتمييزهم عن بعضهم في مدى إيمانهم واقترابهم من شرعة الله.

ما الحكمة من الاختلاف بين البشر في عقائدهم وشرائعهم؟

ونعتقد أن نجاح هذا العلم من بدايته يرتبط بالنظرة الشمولية لكل إنسان على أنه صاحب معتقد. وهذا الاعتراف ليس له علاقة بالتقييم إن كان سلبًا أو إيجابًا. أما مسألة التقييم فتأتي لاحقًا على ضوء تكاملها أو عدمه. أو على ضوء المقاييس التي يراها أصحاب العقائد أنفسهم.

وفي آيات أخريات، يؤكد القرآن الكريم أن الأمم جميعها كانت في أساس عقائدها موحدة ثم اختلف أفرادها وتفرقت عقائدهم.

يقول تعالى:

﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ۞ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ [سورة الأنبياء، الآيتان: 92-93]

وهذا يدل على أن الاختلاف في العقائد نشأ بسبب الانحرافات التي جرت في البشر، فهم أحرار فيما يختارون ولا جبرية إلهية في ذلك.

ويشير القرآن الكريم إلى العقائد الكبرى، التي كانت منتشرة حين نزوله على قلب رسول الله ﷺ فيقول تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: 62]

وهذه التصنيفات لم تتعرض إلى تفاصيل العقائد، إنما أشارت الآيات إلى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من هؤلاء جميعًا.

وهاتان الآيتان تفتحان أفقًا واسعًا للبحث فيهما، من حيث النشأة التاريخية ومن حيث العقائد والتشريعات، وكذلك تفتح أمام العقل بابًا لإجراء مقارنة أديان تطبيقية بين العقائد، ومعرفة القواسم المشتركة بينها، وكذلك الاختلاف. وتأتي سور قرآنية عديدة، لتحدثنا عن تفصيلات عقائدية لأقوام سبقت الإسلام فتناولت عقائد عادٍ وثمود والفراعنة وعبدة الأصنام والأوثان ثم تناولت اليهودية والنصرانية والإسلام.

فماذا قال القرآن الكريم عن العقائد الوثنية؟

تحدث القرآن الكريم عن قوم النبي إبراهيم عليه السلام وعن عبادتهم فقال:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾
[سورة الأنعام، الآية: 74]

وقال أيضًا:

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ۞ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۞ فَلَمَّا

رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾
[سورة الأنعام، الآيات: 76-78]

وهذه الآيات الثلاث المتلاحقة، تدلنا على ما وصل إليه التفكير الإنساني من عقائد زمن النبي إبراهيم عليه السلام. فهناك كوكب، وهناك قمر، وهناك شمس، وهذه المعبودات الحسية تشير إلى ذلك العصر الذي انتشرت فيه عبادة الكواكب وما يُرمز لها.

ويقول تعالى:

﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [سورة الكهف، الآية: 15]

وهذه الآية تشير إلى عبادة آلهة متعددة في زمن أهل الكهف، وهو الزمن الذي يفصل بين دعوة المسيح عليه السلام وبعثة الرسول محمد ﷺ حسب أغلبية المصادر.

ويقول تعالى:

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾
[سورة الفرقان، الآية: 3]

فيبين الله سبحانه صفات تلك الآلهة التي عبدوها من دون الله، فهي لا تخلق شيئًا ولا تستطيع أن تنفع أو تضر ولا تُميت ولا تُحيي ولا تستطيع أن تبعث الموتى.

ويقول تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۞ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ﴾ [سورة الأحقاف، الآيتان: 27-28]

وهذه الآية أيضًا تشير إلى ما كان من عقيدة أهل الأحقاف الوثنية. ويقول تعالى:

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۞ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ۞ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ۞ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ۞ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۞ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾
[سورة الصافات، الآيات: 91-96]

ولننظر إلى قوله تعالى:

﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [سورة نوح، الآية: 23]

فهذه الآية تشير بشكل واضح إلى أسماء الآلهة التي كان يعبدها قوم نوح في الزمن الغابر والقديم جدًا. ويقول تعالى:

﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾
[سورة هود، الآية: 53]

وهذه إشارة إلى عقيدة قوم هود.

وقد وردت آيات أخريات أعادت على أسماعنا ما كانت عليه الأقوام الوثنية في الزمن الغابر، وجاء بعضها محددًا لبعض المعبودات الوثنية بأسمائها التي تدل على زمن بعينه.

يقول تعالى:

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾
[سورة الصافات، الآيات: 123-125]

ويقول تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۞ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾
[سورة النجم، الآيتان: 19-20]

في سورة الصافات إشارة إلى عبادة البعل التي انتشرت بين بني إسرائيل زمن النبي إلياس، وتشير المصادر التاريخية إلى أن هذا الزمن هو الذي جاء بعد داود وسليمان عليهما السلام، وارتداد بني إسرائيل إلى عبادة آلهة الكنعانيين.

أما في سورة النجم فهناك إشارة لأسماء الآلهة التي كان يعبدها الجاهليون من قريش وغيرهم قبل بعثة النبي محمد ﷺ.

وقد جاء القرآن الكريم على كثير من التفصيلات حول العبادة الوثنية، فبين كيفية اعتقادهم بها والغاية من هذه العبادة، ومن ثم حرصهم على محاربة كل من يمس هذه الآلهة بسوء.

وقد وضح فلسفتهم أيضًا تجاه التعدد والأحدية، يقول تعالى:

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۞ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۞ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ﴾ [سورة ص، الآيات: 4-6]

إن هذه الآيات القرآنية وغيرها من الآيات المماثلة توضح لدارس الأديان، الكثير من ملامح عقائد الشعوب التي مرت عبر التاريخ منذ زمن نوح عليه السلام، وقد نجد فيها الكثير من المواد التي هي أساس علم مقارنة الأديان في جانبه المتعلق بالعقائد البدائية القديمة.


إميل دوركهايم

ومن الملاحظ أن علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا وخاصة إدوارد تايلور وإميل دوركهايم درسوا عادات الشعوب البدائية في إفريقيا وأستراليا، وأولوها الاهتمام الأكبر. ويمكن لنا ونحن نؤصل ونساهم في هذا العلم أن نسلط الأضواء على عقائد الشعوب التي ذكرها القرآن الكريم، وكرر الحديث عنها في أكثر من سورة.

وحديث القرآن الكريم عن الأقوام الوثنية السابقة له صلة بالمنطقة التي بُعث فيها الإسلام، ونعتقد أن أقوام: نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب وكذلك الفراعنة لها صلة بالمنطقة العربية الواسعة.

وعلى الرغم من وجود يهود ونصارى في هذه المنطقة، إلا أن عرب الجاهلية كانوا يقولون إن أصنام الكعبة تماثيل قوم صالحين، كانوا يطعمون الطعام ويصلحون بين الخصوم وبعد موتهم حزن عليهم أبناؤهم وإخوانهم، وصنعوا تلك الأصنام على مثالهم وعبدوهم من فرط الحب والذكرى، ولكنهم لم يعبدوهم إلا ليقربوهم إلى الله زلفى[1].

وإضافة إلى حديث القرآن الكريم المستفيض عن الأقوام الوثنية، فقد تناول العقائد السماوية بشكل أوسع، فتناول اليهودية والنصرانية والإسلام وبين حدود كل عقيدة ومعالمها وبعض تشريعاتها ومسارها التاريخي، منذ أن نشأت وإلى وصول الزمن بها إلى عصر رسول الله ﷺ.

ومن خلال الآيات القرآنية الكثيرة نستطيع أن نرى الكثير من تطبيقات تدخل في صلب الأسس الحقيقية لعلم مقارنة الأديان.

فعرف الإسلام تعريفات شمولية واضحة وقاطعة وبذلك فقد وضع الأسّ الأول لتعريف هذا الدين تعريفًا شموليًا واضحًا.

يقول تعالى:

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾

[سورة آل عِمران، الآية: 19]

وربط هذا الإسلام بجميع الأنبياء وبخاصة بالنبي إبراهيم عليه السلام، فقال تعالى:

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا﴾

[سورة النِّسَاء، الآية: 125]

وقال تعالى:

﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا﴾

[سورة الأنعام، الآية: 161]

---

1. عباس العقاد، الله، ص: 31، كتاب في نشأة العقيدة الإلهية، دار المعارف، مصر 1964 مسيحي.

وقال تعالى:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾

[سورة الشورى، الآية: 13]

وربط الإسلام بالإيمان وبين أركانه وأسسه العقيدية، وأوضح ما للعبادات من شأن في هذا الدين.

وعندما تحدث عن الإسلام أوضح أن القرآن الكريم هو الكتاب الذي أنزله الله لأمة الإسلام، واصطفى النبي محمداً ﷺ ليبلغ رسالة الله إلى الناس.

وباختصار فإن القرآن الكريم أوضح هذا الدين وكتابه ونبيه وعقيدته وتشريعاته، وهو الدين الذي يقاس عليه في علم مقارنة الأديان، وخاصة العقائد السماوية، وحين تحدث عن الدين الذي كلف به موسى عليه السلام جاء بالمصطلحات والمسميات التي تتناسب مع التطور التاريخي لبني إسرائيل.

فهم بنو إسرائيل الذين ارتبط ذكرهم بموسى وداود وعيسى وسليمان عليهم السلام، ثم سمى بعضهم اليهود أو الذين هادوا، ثم أطلق صفة أهل الكتاب عليهم وعلى النصارى، وذلك بسبب إتيان موسى كتابًا وإتيان عيسى كتابًا آخر. ومن خلال مسيرة عقيدتهم بيّن التقلبات التي طرأت عليهم وعلى عباداتهم وعلاقتهم بالأنبياء والكتاب والمعاملات والعبادات والتشريعات من حلال وحرام وما إلى ذلك.

وقد ربط بهم التوراة ككتاب أنزل على الأنبياء، ثم بين تحريفهم له وأسباب هذا التحريف وغاياته، وأوضح معتقداتهم المختلفة بالأساطير والوثنية والسحر وأوضح أيضًا أن لهم قبلة غير قبلة المسلمين، وأنهم لا يعترفون إلا بما شُرع لهم.

لكن القرآن الكريم أوضح أن من أهل الكتاب أناس مؤمنون صالحون، وقد بدت الفروق الإيمانية بينهم وبين الذين كفروا.

فقال تعالى:

﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ۝ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآيتان: 113-114]

ويقول تعالى:

﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: 159]

وقال تعالى:

﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [سورة السجدة، الآية: 24]

القرآن الكريم تحدث باستفاضة عن الأقوام الوثنية وتناول العقائد السماوية بشكل واسع.

وتحدث القرآن الكريم عن كتاب موسى عليه السلام باعتباره الأول في بني إسرائيل، وأشار لما فيه من رحمة وهدى ونور لبني إسرائيل، ومن المعروف أن علم مقارنة الأديان يستند في كثير من جوانبه على تلك الكتب المقدسة التي أنزلت على الأنبياء، والكتب التي يقول أصحابها إنها الأقدم من بين كتب العقائد والديانات كالهنود والإيرانيين القدماء.

والملفت للنظر أن القرآن الكريم حين تناول بني إسرائيل أعطى ملامح واضحة وقريبة من التكامل من حيث التاريخ بحيث يفيد ذلك في علم تاريخ الأديان وفي نفس الوقت تحدث عن عقيدتهم وتشريعاتهم بحيث يفيد ذلك في علم مقارنة الأديان.

تحدث عن خروجهم بقيادة موسى عليه السلام من مصر إلى سيناء، وما جرى معهم من أول رحلتهم في انقطاع الحديث عن موسى عليه السلام كعبادتهم العجل وارتدادهم، ثم معاندتهم وتكذيبهم وقتلهم للأنبياء وتحريفهم كلام الله وأخذ الميثاق عليهم

والقاء العداوة بينهم، وشدة حرصهم على الحياة. وعدوانهم لله والملائكة والمؤمنين وغرورهم، وأمانيهم وعدم رضاهم عمّن لم يتبع ملتهم، وأقوالهم وجرأتهم على الله والأنبياء. ثم تناول ما حرم عليهم وقضاء الله إليهم أنهم سيفسدون مرتين. وتحدث عن أصحاب السبت منهم، وبذلك تتكامل صورة العقيدة اليهودية من خلال التاريخ والتشريع، والعقيدة ذاتها بحيث تصبح مادة وافرة لتطبيق علم مقارنة الأديان.

وتناول القرآن الكريم النصرانية فذكر الشخصيات المرتبطة بحياة المسيح عليه السلام، كالنبي زكريا والنبي يحيى، وأمه مريم وأم أمه امرأة عمران، وكذلك تناول الحواريين. ثم تناول بني إسرائيل الذين رفضوا عقيدته، ولعل أهم ما تناوله القرآن الكريم عن النصرانية، قضية ادعائهم بألوهية المسيح وصلبه، وهذه أغنى مادة للمقارنة بين موقف الإسلام والمسيحية خاصة مسألة الألوهية.

ونلاحظ أيضًا شيئًا من التسلسل التاريخي، لما يرتبط بمريم وولادتها للمسيح وما جرى من أحداث لها وله.

يقول تعالى:

﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾
[سورة التوبة، الآية :30]

وهذه الآيات التي تشير إلى الذين كفروا قبل النصرانية قالوا بأن بوذا ابن الله، وكذلك كثير من الأقوام كاليونان والرومان نسبوا إلى الله أولادًا وبناتًا، فنرى في ذلك أيضًا مادة خصبة للمقارنة بين المسيحية وغيرها من العقائد التي قالت بذلك.

غير أن القرآن الكريم كما أشار إلى مؤمنين من اليهود كذلك أشار إلى مؤمنين من النصارى والإيمان هنا علاقة فارقة بين طرفين من أصحاب عقيدة واحدة فيقول تعالى:

﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾
[سورة الحديد، الآية :27]

وتناول القرآن الكريم بالمقارنة بين المؤمن والكافر. وأوضح مقياس كل منهما، وكذلك جاءت فيه آيات بينات تناولت مسألة الروح، والموت، واليوم الآخر وتناول عددًا كبيرًا من الأنبياء ومناهجهم الدينية الدعوية وتناول الجنة والنار.

وفي التشريعات تناول الحرام والحلال، في المأكل والمشرب والنكاح والزنى والربا والغلو في الدين والبغي والظلم ووأد البنات وقتل الأولاد والقتل ظلمًا وتحدث عن الكفارات والرضاع وملحقات أخرى بزوجة الميت وكذلك السرقة وتعدد الزوجات والميراث والصيد والكثير من القضايا التشريعية.

ونستخلص من ذلك أن القرآن الكريم بهذا المنهج التكاملي الشمولي منحنا عدة مفاتيح للدخول إلى علم مقارنة الأديان، ونستطيع أن نجمل ذلك في ما يلي:

1 ـ تسليط الضوء على عقائد الوثنيين.

2 ـ تسليط الضوء على الأمم التي أنزل الله إليها كتابًا (الإسلام، اليهودية، النصرانية).

3 ـ تسليط الضوء على الكتب السماوية، القرآن الكريم، التوراة، الإنجيل، الزبور.

4 ـ تسليط الضوء على تشريعات وتفاصيل في عقيدة كل أمة.

5 ـ تسليط الضوء على الواقعة التاريخية المرتبطة بالعقيدة.

6 ـ تسليط الضوء على عدد كبير من الأنبياء عبر التاريخ.

7 ـ تسليط الضوء على مقاييس الكفر والإيمان.

8 ـ تسليط الضوء على مفاهيم الألوهية، النبوة، الجن والإنس وعبادتهم، الموت واليوم الآخر، الملائكة وما وراء الطبيعة بشكل عام.

فهذه المواضيع بشكل عام هي موضوعات مقارنة الأديان، التي يمكن التأصيل بها.

دراسات



- **أسس الحضارة الاسلامية ومظاهرها**

  د. أسامة طلعت عبد النعيم

- **من مظاهر الحضارة الإسلامية، الرفق بالحيوان**

  د. خالد الهادي الفلاح

- **الرأي العام**

  (تكوينه ومراحله - أنواعه - خصائصه - أركانه)

  د. محمد عبد الرحمن الحنين

أسس الحضارة الإسلامية ومظاهرها

د. أسامة طلعت عبد النعيم*

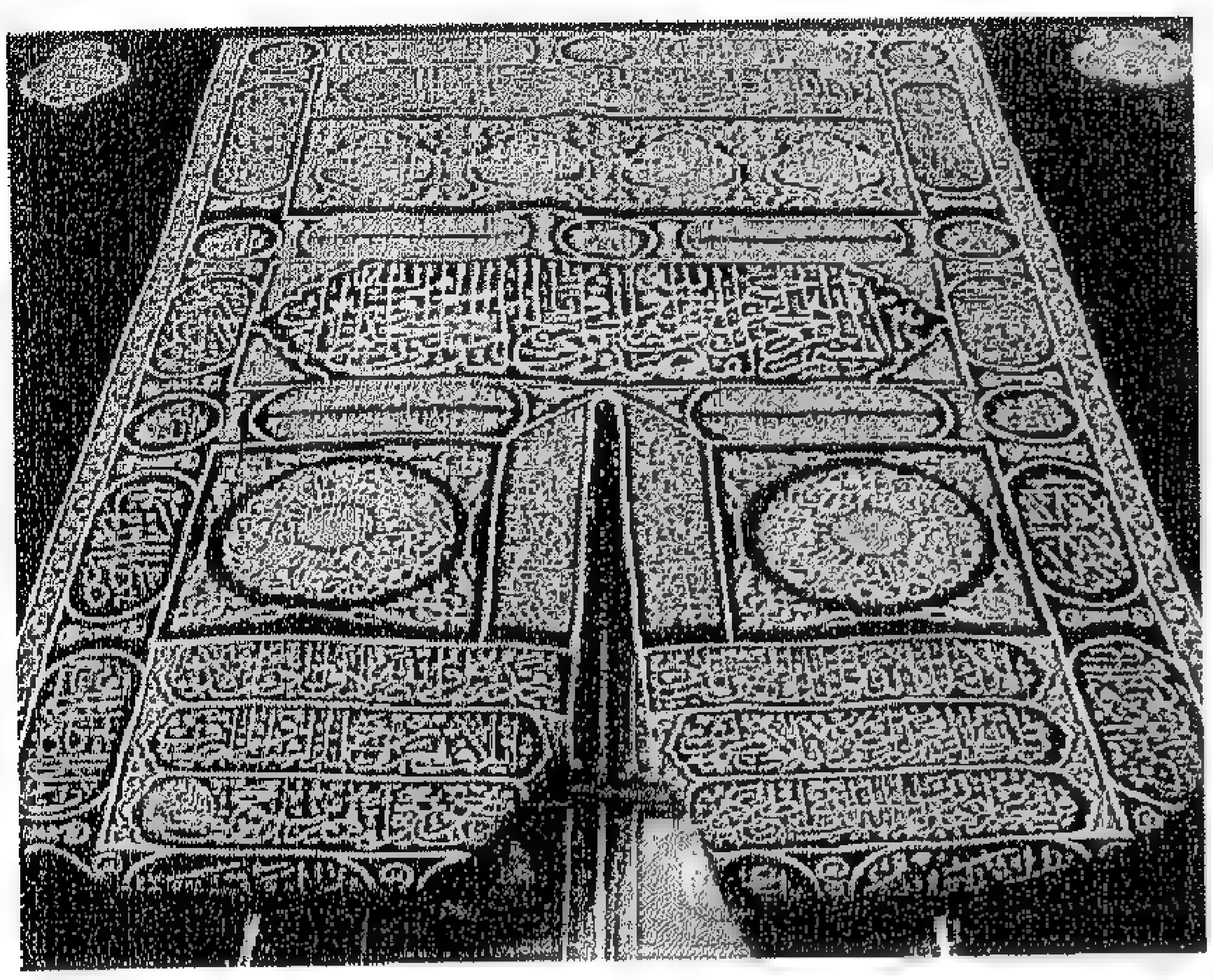
ببعثة النبي ﷺ ودعوته إلى الإسلام، بدأت تظهر حضارة جديدة، مرتبطة بالإسلام كدين ودولة وتاريخ؛ سواء في نشأتها أو خلال نموها أو حين ازدهارها، وصار لها أثر كبير في تقدم البشرية، يفوق أثر أية حضارة أخرى، من الناحية الإنسانية.

ونبعت هذه الحضارة، من أصول وأسس، كان لكل منها دوره في نشأتها وخصائصها، أهمها: القرآن الكريم، وسيرة النبي ﷺ وسنته، وأمة العرب، واللغة العربية، والشعوب التي اعتنقت الإسلام، والإطار الجغرافي، بالإضافة إلى بعض التأثيرات الأجنبية، التي وصلتها من الحضارات السابقة عليها، والمعاصرة لها.

أ. أسس الحضارة الإسلامية:

أولاً: القرآن الكريم:

القرآن الكريم، هو الأساس الأول والأصل الرئيسي، الذي نبعت منه الحضارة الإسلامية، إذ كان المصدر الأساسي للإسلام، الذي تنسب إليه، ويكمن في القرآن الكريم، سر أصالة الحضارة الإسلامية وعظمتها؛ فهو كتاب الله يهدي للتي هي أقوم، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويدعو إلى عقيدة حقه، تقوم على الوحدانية :



﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾
[سورة الإخلاص، الآيات: 1-4]

عقيدة خالية من التعقيد والغموض والأوهام، وفي تعاليم القرآن الكريم سعادة البشر، إذ ينظم المجتمع على أسس سليمة، تضمن له العدل والأمن والرخاء والسعادة، وهو يضمن حرية الرأي والعقيدة:

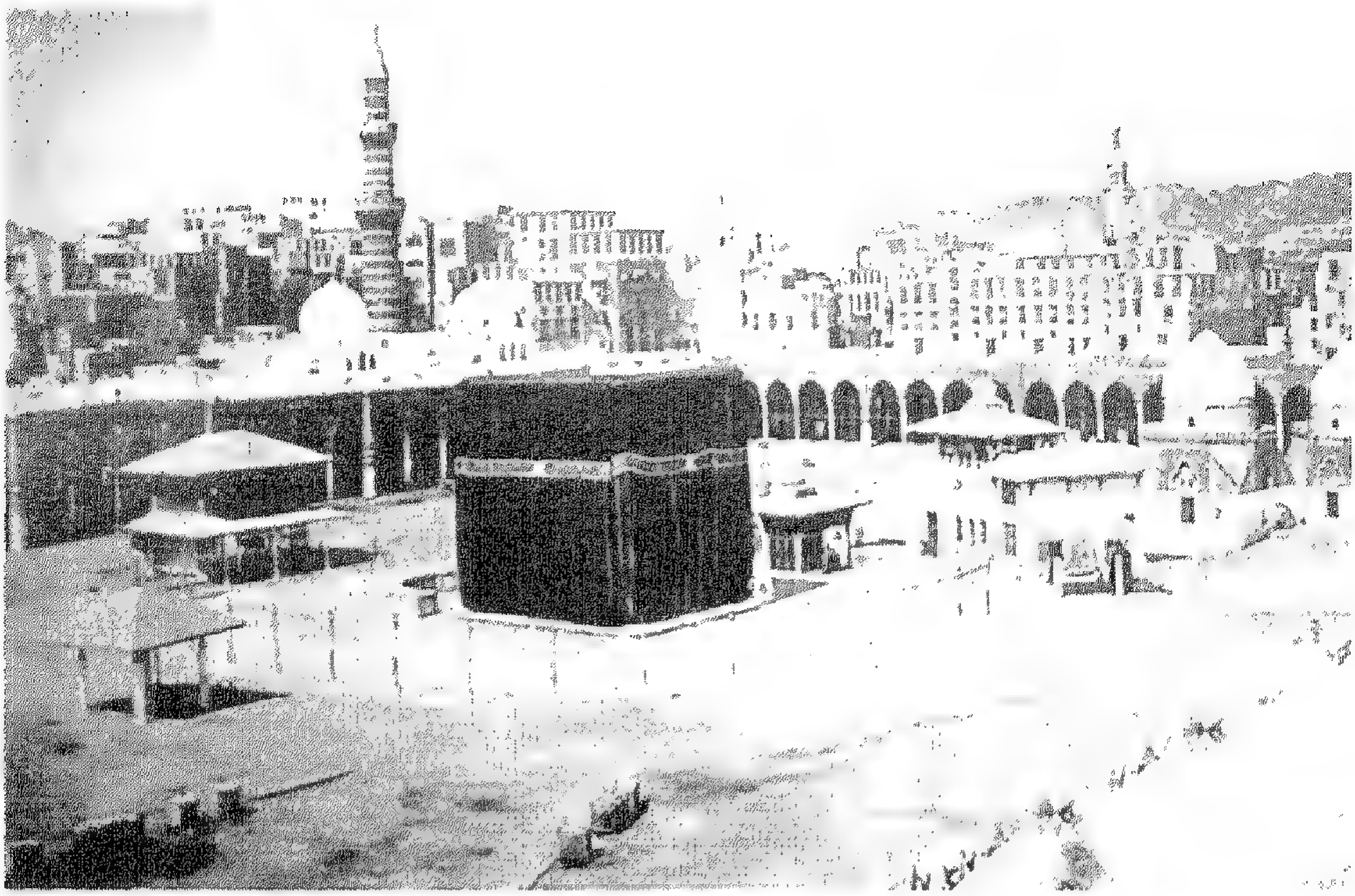
﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [سورة البَقَرَة، الآية: 256]

وينص على المساواة:

﴿... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾
[سورة الحُجرَات، الآية: 13]

والحقيقة أنه لمن المتعذر استقصاء فضائل القرآن الكريم، التي قامت عليها الحضارة الإسلامية،

* باحث وأستاذ جامعي/ مصر.



صورة قديمة لمكة المكرمة

ويكفي أن نستشهد بقوله تعالى:

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: 88]

ثانيًا: سيرة النبي ﷺ:

أما الأساس الثاني الرئيسي، الذي استوحته الحضارة الإسلامية وتعطرت به، فهو سيرة النبي ﷺ وسنّته المطهرة؛ وسيرة النبي ﷺ حية في ضمير المسلمين، وتمتاز بأنها محيطة بجوانب الحياة وأطوارها، وأنها مطبقة وليست مجرد نظريات وآراء؛ كما أنها حقيقية وصحيحة وتاريخية، وليست أساطير وخرافات.

وقد تخصص في كتابة السيرة، علماء وقفوا حياتهم عليها، يدفعهم إلى ذلك حافز ديني، باعتبارها الأساس الثاني للدين الإسلامي من جهة، ولما فيها من عبرة من جهة أخرى، وكانوا في عملهم هذا، ينفذون أمر النبي ﷺ حين قال: (بلغوا عني)، (وليبلغ الشاهد الغائب)، وكان من المسلمين من تلقى عنه ﷺ أحاديثه، ووعى ما يتعلق بحياته، فحفظه أو كتبه، ثم أداه إلى من بعده، ثم نقله هذا بدوره إلى من بعده، وهكذا.

وقد أمر النبي ﷺ، بكتابة كثير من سنّته، مثل: خطبته يوم فتح مكة، ورسائله إلى الملوك، وأحكام الزكاة والصدقات، وكتاب الهدنة، وغير ذلك من الأحكام، وكان كثير من الصحابة يكتبون حديث النبي ﷺ، مثل عبدالله بن عمرو بن العاص، وكان يسمي صحيفته «الصادقة».

وظهرت بواكير تدوين الحديث: في عهد عمر بن عبدالعزيز، ومن المعتقد أن أول كتاب في الحديث النبوي، هو الموطأ لمالك بن أنس (ت151هـ)، وأول كتاب في السيرة، كتاب المغازي لابن اسحق (ت 179 هـ). وجمع المحدثون كل ما له علاقة بالنبي ﷺ، أو نسب إليه، وكانوا يراعون الأمانة والدقة في نقل الحديث، ويتحرون النص، لأجل

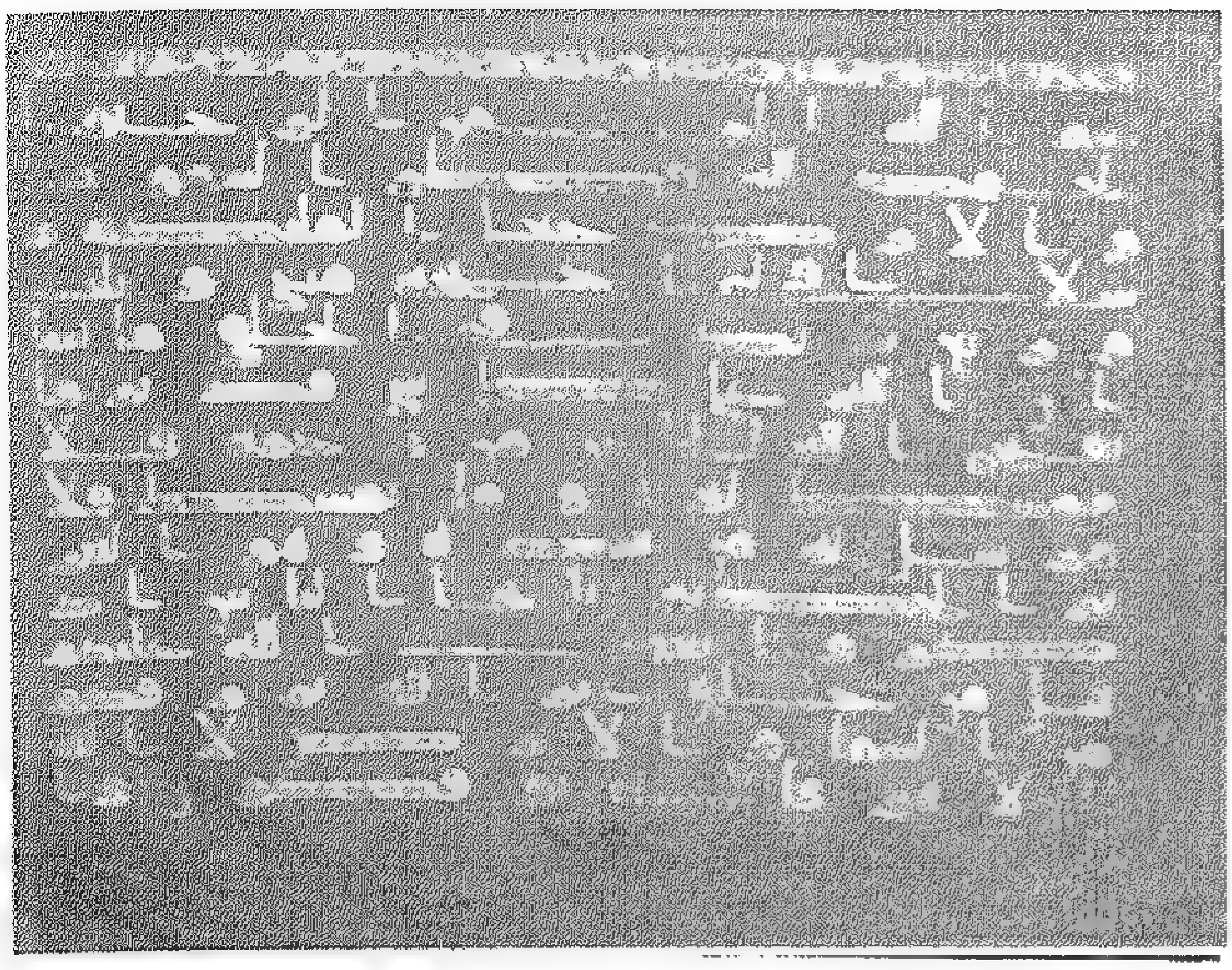
التعرف على اللفظ الأصلي، ومنهم من كان يأبى أن يصلح الخطأ اللغوي، مكتفيًا بإبداء رأيه. وقد تخصصوا في حديث النبي ﷺ وسيرته: فكان منهم من عكف على روايتها، وهم رواة الحديث، ومنهم من دونها، ومنهم من تفرغ لفحصها، ومنهم من درس رواتها، ومنهم من عني بتفسيرها، ومن ثم نشأ من وراء ذلك علوم كثيرة، منها: علم تاريخ رجال الحديث، أو علم أسماء الرجال، الذي عني بدراسة تاريخ رواة الأحاديث النبوية، ومنها أيضًا، علم الجرح والتعديل، وعلم نقد الحديث، وعلم علل الحديث، وعلم مختلف الحديث، وعلم غريب الحديث، وعلم الناسخ والمنسوخ في الحديث.

ويأخذ المسلمون من سيرة النبي ﷺ، وسنّته، كثيرًا من الشرح والتفسير للقرآن الكريم، فضلاً عن التطبيق العملي لتعاليمه، وأصول الدين ومكارم الأخلاق وحسن الشمائل. وبفضل النبي ﷺ، وسنّته، وتأسي المسلمين به، طبعت الحضارة الإسلامية بهذا الطابع الإنساني، الذي يتمثل في حب الخير، والعمل الصالح، والصدق في المعاملة، والإخلاص في العمل، والتسامح والرفق، والحرص على العمل، والتعمير والاتزان، وغير ذلك من الشمائل العديدة، التي جعلت المسلمين خير أمة أخرجت للناس.

ثالثًا: أمة العرب:

ومن الأسس التي قامت عليها الحضارة الإسلامية، أمة العرب، أو العرق العربي، فالنبي ﷺ عربي والصحابة عرب، والعرب هم أول من تلقى دعوة الإسلامية، وآمن بها وجاهد في سبيلها، وعلى يد العرب دخل الإسلام كثيراً من الأقطار، وانتشر بين سائر الناس؛ ومن ثم طبعت الحضارة الإسلامية بطابع العرق العربي.

والحق أنه كان للعرب قبل الإسلام حضارة، لم



نموذج قديم للخط العربي

تكن تقل عن حضارة غيرهم من الأمم، وكانت لهم لغة ناضجة، اختارها الله - جل جلاله - لتكون لغة كتابه الكريم، كما كان لهم آداب راقية، من شعر، ونثر، وقصص، وخطابة، وحِكَمٍ، وكلها أمور لا تتم عفوًا، ولكنها تنمو على مدى تاريخ طويل.

وكان للعرب صلات تجارية خارجية، مع الأمم المتحضرة، ومن ثم كانوا على علم بالتطورات الحضارية، وتهيأت لهم فرص للاقتباس من غيرهم. ولو كان العرب همجًا كما زعم بعض المغرضين، لما استطاعوا القيام بأعباء رسالة الإسلام، ولما نجحوا في نشرها بهذا النجاح المذهل. وكان العرب يعتمدون بصفة أساسية، على الخيل والجمال، وقد هيأهم ذلك ليكونوا فرسانًا مهرة، لا يشق لهم غبار، كما مكنهم من سرعة الحركة والانتشار في الأرض. وللعرب تقاليدهم وأخلاقهم، التي زودتهم بالقدرة على القيام بجليل الأعمال، عند الإيمان بها، كالصبر، والنشاط، والثقة بالنفس، والحكمة، وخصوبة الخيال، والحماسة. ولقد كان لهذا كله أثره في نشأة الحضارة الإسلامية وتكوينها وتطورها، وكان من الطبيعي أن يصبح للعرب شأن كبير في إبداع هذه الحضارة، التي نشأت في حجرهم.

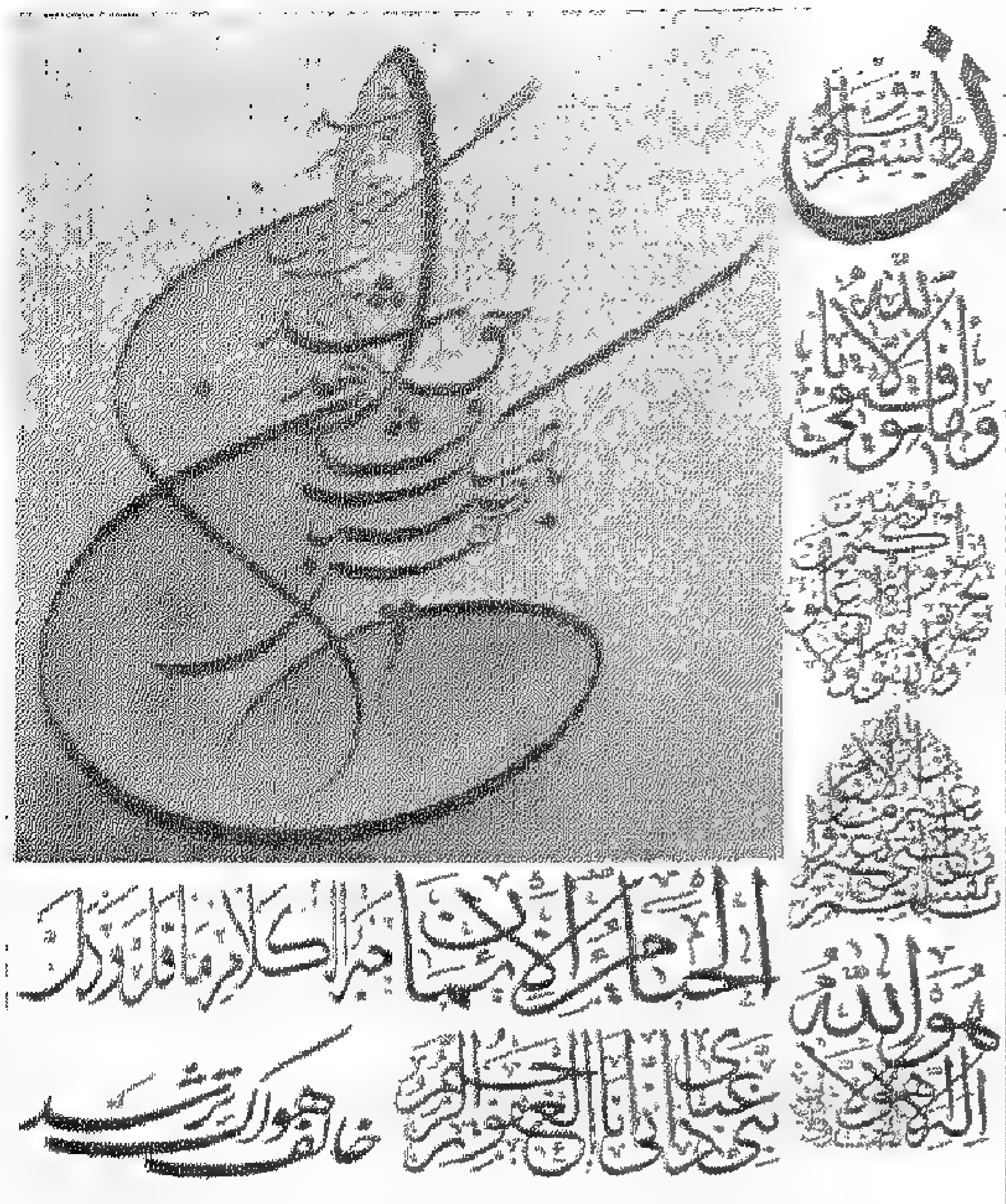
رابعًا: اللغة العربية:

واللغة العربية، من العناصر الأساسية التي قامت عليها الحضارة الإسلامية، وكانت عند ظهور الإسلام، قد بلغت نضجها، وقد اختارها الله ـ جل جلاله ـ لغة آياته الكريمة، التي نزل بها الروح الأمين، على سيد المرسلين، ومن ثم جاء القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وشرفت بأن ينطق بها كلام الله ـ جل جلاله ـ.

واللغة العربية، من أرقى لغات العالم، إن لم تكن أرقاها، وتتميز سواء في تركيب حروفها أو كلماتها أو جملها، فحروفها وإن لم تكن أكثر من حروف الأبجديات الأخرى؛ إلا أنها تفي بالمخارج الصوتية؛ وإعرابها سهل، لا يزيد على أربع حركات واضحة: فتح وكسر وضم وسكون. كما أن كلماتها سهلة النطق وسلسة، تتوزع حركاتها توزيعًا متساويًا، من غير ضغط على حركة دون حركة، ومن ثم يسهل نطقها على المبتدئين، فضلاً عن أنها تخضع لموازين، أمكن حصرها في عدد من القواعد، وليس هناك لغة أخرى، وصلت إلى ما تحقق في اللغة العربية في ضبط المشتقات بالموازين، سواء من حيث المبنى أو المعنى، ومن ثم صبت الحضارة الإسلامية، في وعاء اللغة العربية، وإلى هذه اللغة ترجمت معارف البشرية وتجاربها القديمة، وعنها نقلت الحضارة والثقافة الإسلامية، إلى الشعوب الأخرى: فترجم ما حوته من علم ومعرفة، وثقافة وآداب، إلى الشعوب الأخرى.

ويتصل باللغة العربية الخط العربي، الذي أخذ شأنه في الازدهار، منذ ظهور الإسلام؛ إذ صار انتشار الخط العربي مصاحبًا لانتشار اللغة العربية، بل زاد عليها حين صار تكتب به لغات غير عربية، مثل: الفارسية والأردية والتركية.

وقد عني بالخط العربي، منذ ظهور الإسلام، عناية موضوعية، من حيث التوضيح، عن طريق ابتكار علامات الإعراب والإعجام، ومن حيث التجويد، ومن حيث ابتكار النسب الجميلة في كتابة الحروف



الخط العربي.. فن وإبداع



من فنون الخط العربي

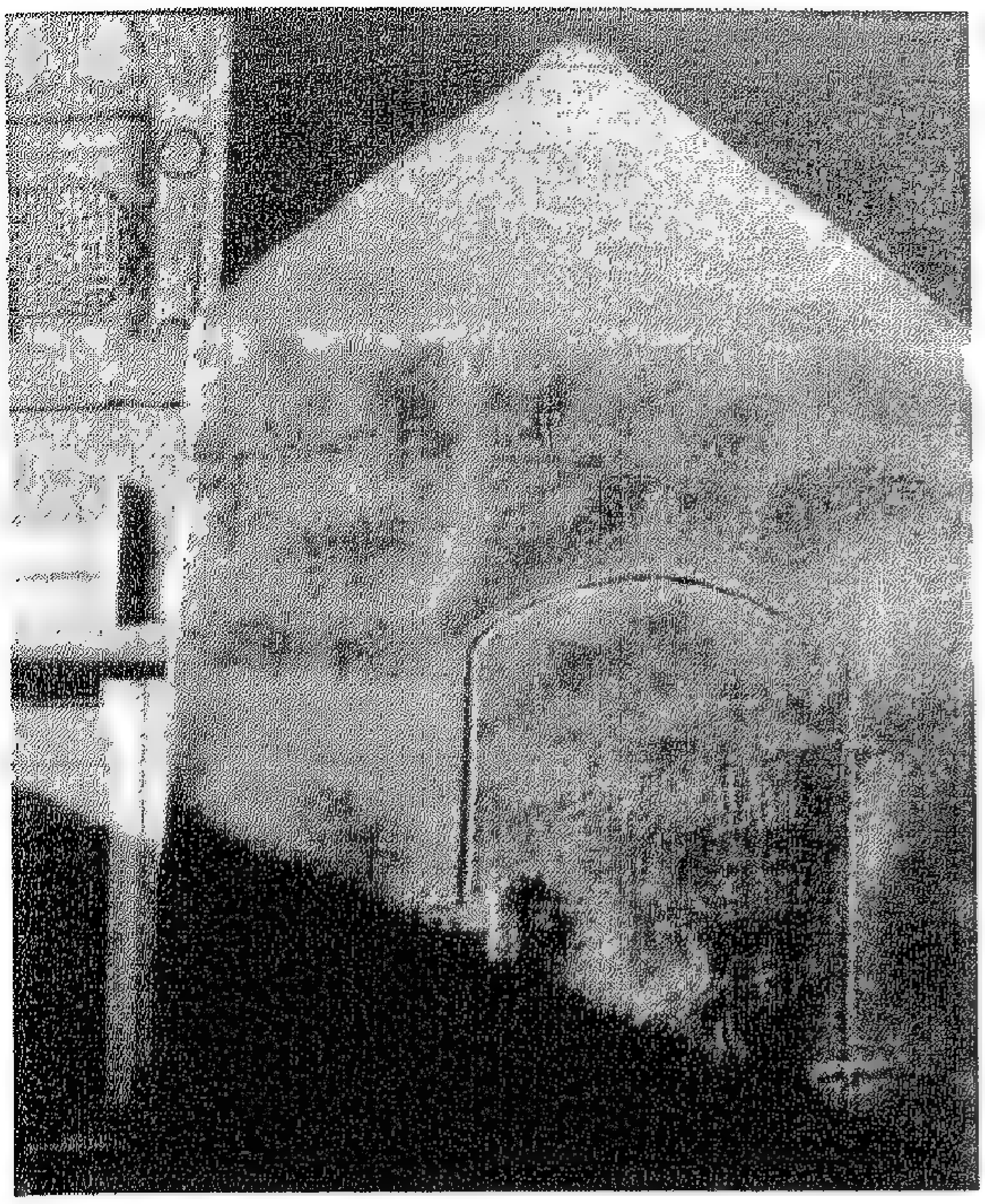
والكلمات، وتنسيق الجمل، وساعد على ذلك، أن أصبح الخط العربي، الوسيلة الأساسية لحفظ القرآن الكريم، بالإضافة إلى ما تشتمل عليه تعاليم الإسلام، من تقدير للكتابة واعتبارها أداة العلم، كما أن طبيعة الخط العربي وأشكال حروفه، وما تمتاز به من الموافقة والمرونة، هيأت له الفرص المناسبة للتحسين والتنويع، وليس أدل على ما تحمله أشكال

الحروف العربية من بذور الخصب والابتكار، من أن الحروف العربية كتبت بأكثر من ثلاثة آلاف هيئة، بل إن بعض الباحثين عد لحرف الهاء وحده نحو تسعمائة شكل مختلف. وكان الخط العربي، مثله مثل اللغة العربية، وسيلة التعبير عن الحضارة الإسلامية، وعاملاً مهمًا من عوامل الوحدة فيها.

خامسًا: الشعوب الإسلامية:

وكان للشعوب الكثيرة التي دخلت في الإسلام، أثر في تكوين الحضارة الإسلامية، ذلك أن العرب لم يلبثوا أن فتحوا كثيرًا من البلاد، حتى إن فتوحاتهم امتدت في نحو قرن من الزمان، ما بين الهند شرقًا والمحيط الأطلسي غربًا، وما بين بحر قزوين شمالاً وبلاد النوبة جنوبًا، ثم انتشر الإسلام بعد ذلك، فدخل إسبانيا وأجزاء من أوروبا، وجزر البحر الأبيض المتوسط، وآسيا الصغرى، وأرمينية، وبلاد البلقان، كما انتشر شمال بحر قزوين، ودخل الهند وما وراءها، وتوغل في إفريقية، وهكذا انضوى تحت لواء الإسلام شعوب كثيرة كان لمعظمها ماض حضاري، كالفرس، والهنود، والروم، فضلاً عن شعوب أخرى تميزت بالحمية والروح الحربية، كالترك والمغول، وليس من شك في أن هذه الشعوب قد أسهمت بتراثها الحضاري تارة، وبخصائصها التقليدية تارة أخرى، في تشكيل الحضارة الإسلامية.

ومن الملاحظ أن العرب، حين أخضعوا الشعوب الأخرى سلطانهم، في القرن الأول بعد الهجرة، كانوا على قسط وافر من الذكاء، والحنكة السياسية، والحس الحضاري، بحيث حافظوا على تراث هذه الشعوب، وعملوا على تنمية تقاليدها الفنية والصناعية، وهكذا ساعدت الخبرات الفنية والثقافية والعلمية المتنوعة، التي كانت تتمتع بها بعض تلك الشعوب، في تشكيل الحضارة الإسلامية الجديدة، وإثرائها بما توصلت إليه البشرية حتى ذلك الوقت، من



صورة توضح الصندوق الحديدي المغطي لمقام سيدنا إبراهيم عليه السلام والذي كان قبل الهيكل القديم الذي تم تركيبه 1967 مسيحي

معارف في مختلف المجالات، وأن تسهم بالإضافة إلى ذلك، في إنمائها وإثرائها، ولكن مع احتفاظها بطابعها العربي وروحها الإسلامية الأصلية، كما ظلت هذه الشعوب تشارك في بنائها.

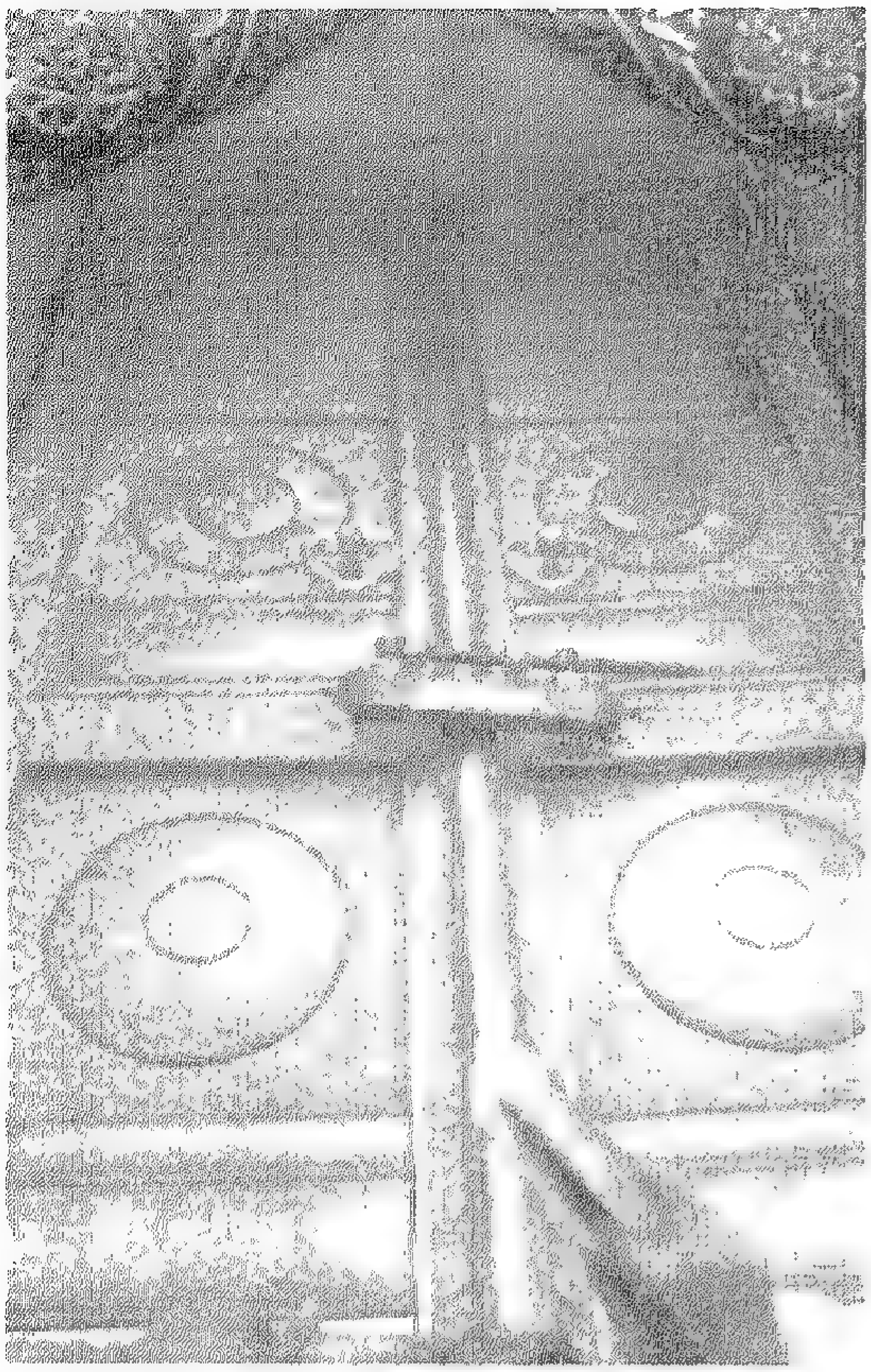
سادسًا: الإطار الجغرافي:

وكان للإطار الجغرافي، أثره في تكوين الحضارة الإسلامية، فقد نشأت الحضارة الإسلامية في بلاد العرب أولاً، حيث ظهر الإسلام، ثم أخذت تنمو في الأقطار التي فتحها العرب بعد ذلك، والتي دخلها الإسلام، وكان من الطبيعي أن يصبح للإطار الجغرافي، الذي نمت فيه الحضارة الإسلامية أثره في تشكيلها.

وكان الإطار الجغرافي، يشمل رقعة متصلة من الأرض، تمتد بصفة أساسية، من الهند شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا، وهذه الرقعة من الأرض ذات تضاريس وأجواء مختلفة، مما يؤدي إلى تنوع شعوبها



صورة توضح مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام بعد تركيب سطح القاعدة الرخامية الجديدة للمقام



باب الكعبة المشرفة

وحيوانها ونباتها ومنتجاتها، كما أنها بصفة عامة على درجة كبيرة من الخصب والثراء. وقد هيأ ذلك كله للحضارة الإسلامية، التي نشأت في هذه الأقاليم، أن تنمو في بيئة غنية خصبة، مكتفية بذاتها، مما زودها بطابع الثقة والأصالة.

وبالرغم من أن الإطار الجغرافي، الذي ظهرت فيه الحضارة الإسلامية، قد هيأ لها فرص الأصالة، فإنه في الوقت نفسه، قد مكنها من الإفادة من الخبرات البشرية السابقة والمعاصرة، ممّا زودها بالحيوية وإمكانيات الرقي والتطور؛ ذلك أن هذا الإطار الجغرافي، كان مهد الديانات السماوية. وموطن أقدم حضارات العالم، وكان ملتقى الطرق التجارية، والتيارات الثقافية، ومن ثم كانت الحضارة الإسلامية غير جامدة أو منعزلة، ودائمة الاحتكاك بالحضارات الأخرى في الشرق وفي الغرب، تتبادل معها المعارف والخبرات.

وتعددت مراكز ازدهار حضارة الإسلام، ففي مكة والمدينة بخاصة، وجزيرة العرب بعامة، نبعت أصولها وكملت أسسها الروحية والخلقية، وذلك بفضل الإسلام الذي نزل أول ما نزل على العرب، والذي حمل رايته العرب. وفي دمشق أخذت الحضارة الإسلامية تتشكل بمظاهرها المختلفة، في عصر الخلافة الأموية، خلال القرن الأول الهجري وأوائل القرن الثاني. وفي بغداد، عاصمة الخلافة العباسية، نضجت ووصلت مستوى رفيعًا، منذ أواخر القرن الثاني بعد الهجرة. وفي الأندلس، ازدهرت الحضارة الإسلامية، حتى نافست بلاد الخلافة العباسية في هذا المضمار.

هذا ولم يقتصر ازدهار الحضارة الإسلامية، على هذه البلدان التي ذكرناها، بل انتشرت في كثير من بلاد الإسلام، مثل: مصر، وإيران، والهند، وتركيا، وشمال إفريقيا، ووسط آسيا.

ب ـ مظاهر الحضارة الإسلامية في مجال نظام الحكم والإدارة والتشريع:

أولاً: الخلافة:

اشترط الفقهاء للخلافة أربعة شروط، يجب أن تتوفر في الخليفة، هي: العلم، والعدالة، والكفاية، وسلامة الحواس، واختلفوا في شرط خامس، وهو: ضرورة أن يكون من قريش.

وكان يتبع الخليفة مباشرة، عدد من الخطط الدينية والشرعية، والوظائف الكبرى، وهي: الصلاة، والفتيا، والقضاء، والحسبة؛ وكانت تجب له طاعة المسلمين، وسائر رعيته، وكان للخلافة علامات ثلاث، هي: البردة، والخاتم، والقضيب. أما شاراتها فكانت ثلاث أيضًا، وهي: الخُطبة، والسكة، والطراز.

ولم تكن الخلافة وراثية، إلى أن جاء معاوية بن أبي سفيان، فجعلها وراثية في أُسرته، وذلك حين حاول في سنة 58هـ/676م، أن يحصل على البيعة لابنه يزيد، وظلت وراثية منذ ذلك الوقت، غير أن الخليفة، كان لابد من أن يبايعه المسلمون.

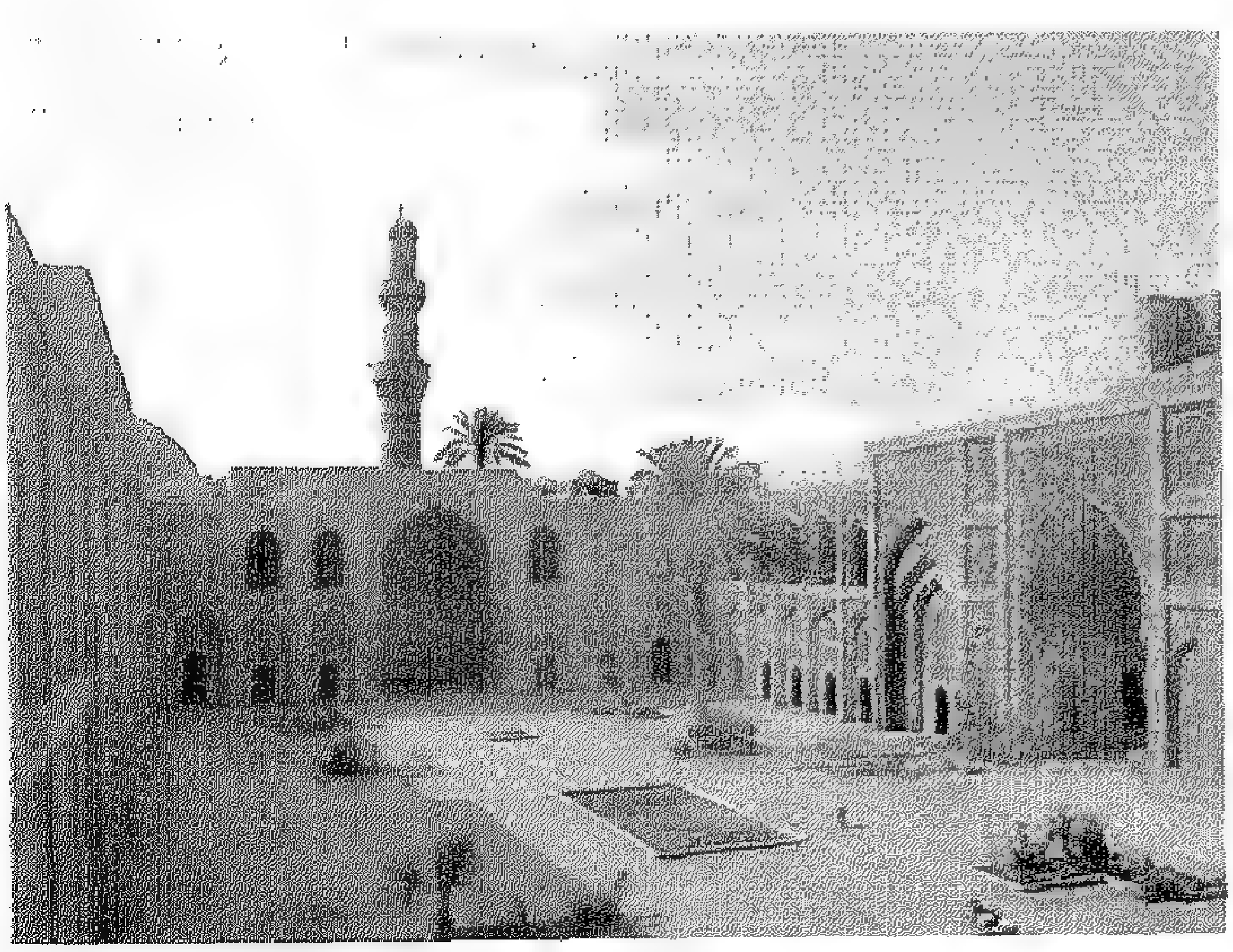
وجرت عادة الخلفاء العباسيين، ولا سيما في العصر العباسي الأول، أن يعهد الخليفة إلى أكثر من واحد، فمثلاً قد يعهد إلى أكبر أبنائه، ثم إلى من يليه من أبنائه، أو إلى أحد أقاربه. واستطاع خلفاء العصر العباسي الأول، أن يكون لهم الكلمة العليا في الدولة، ثم أخذ نفوذهم بعد ذلك في التقلص، إذ مرت على الخلافة فترات ضعف فيها شأنها، واستبد بسلطتها رجال الدولة، واستقلت عنها ولايات، انفرد بحكمها أمراؤها. ومع ذلك ظل للخليفة مكانته واحترامه وسلطانه الروحي، طالما كان في الخلافة.

ولكن كان من أثر الحروب الصليبية، وتقاعس الخلفاء عن دفع الصليبيين، وتصدي غيرهم من الولاة والأمراء، للدفاع عن الإسلام والجهاد في سبيل الله، ودفاعهم عن الأراضي المقدسة، أن فقدت الخلافة كثيرًا من قيمتها الروحية، بعد أن سلبت سلطانها المادي.

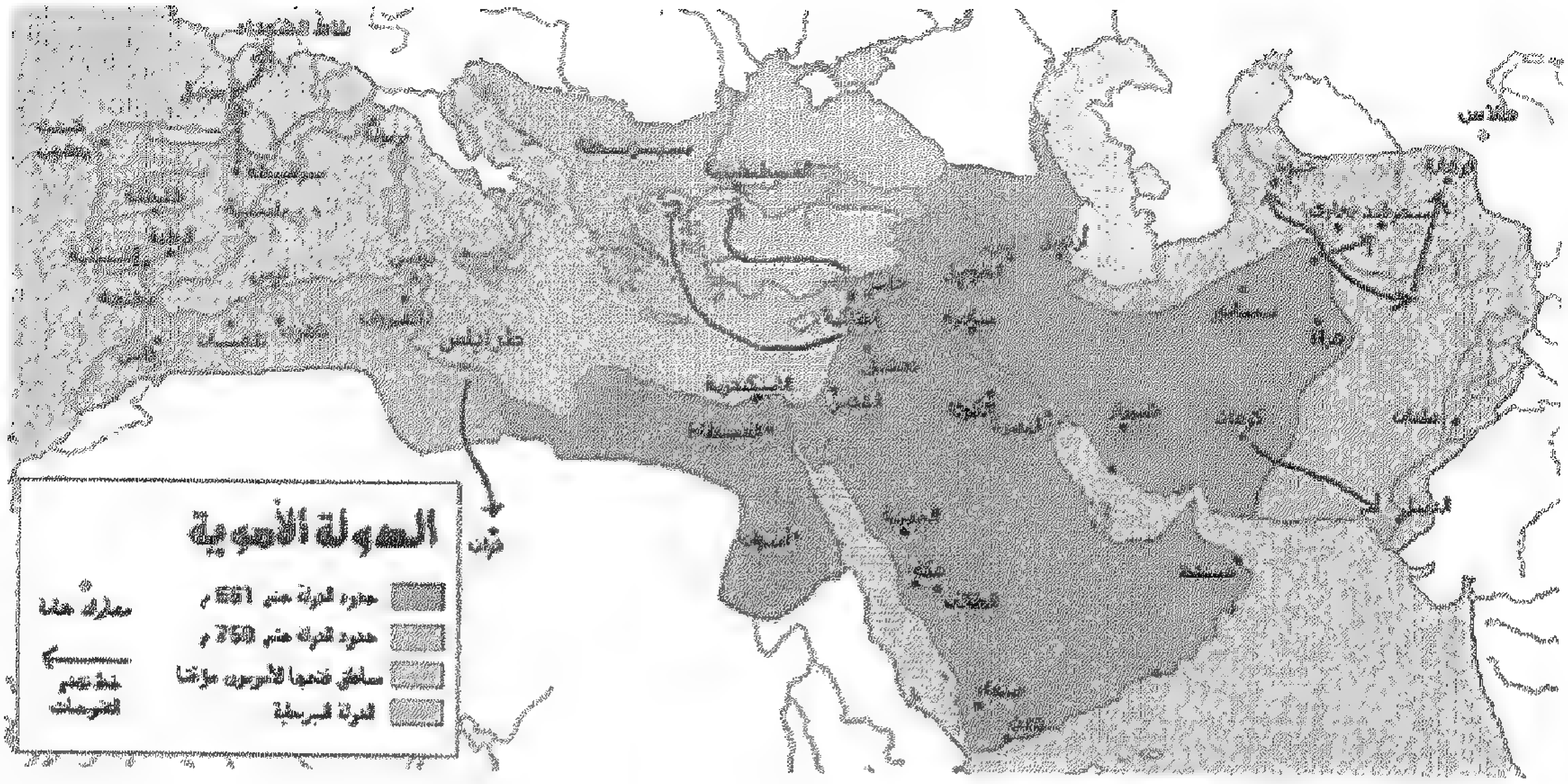
وتكونت للخلافة مع تطور الزمن مراسمها، من آداب الدخول على الخليفة، والاستئذان والمجالسة، والاحتجاب عن الجلساء، وعلامات صرف الجلساء، ومجالس الأدب والشعر، واحترام أهل العلم، وتقديم الشعراء والاحتفالات والخلع على رجال الدولة، واستقبال الوفود، وغير ذلك. وكان الخليفة يطلق عليه ألقاب عامة، وأول هذه الألقاب ظهورًا، هو لقب أمير المؤمنين، الذي ظهر في عهد عمر بن الخطاب، حيث



المسجد الأموي في دمشق



عمارة آسيوية متأثرة بعمارة العصر العباسي



خريطة تظهر حدود الدولة الأموية

صار «أمير المؤمنين» هو اللقب الرسمي، لمن شغل الولاية العامة على المسلمين، واتخذه من بعد الخلفاء الراشدون، وخلفاء بني أمية، وبنو العباس، والفاطميون، وبنو أمية في الأندلس منذ سنة 316هـ، والموحدون منذ عهد عبدالمؤمن بن علي، وبنو حفص والزيدية في اليمن.

ثانيًا: الوزارة:

عرفت وظيفة الوزير، بصفة غير رسمية، عند العرب قبل الإسلام وفي صدر الإسلام، إذ كان العرب الذين خالطوا الروم والفرس قبل الإسلام، يسمون أبا بكر وزير النبي ﷺ، وكذلك كان شأن عمر مع أبي بكر، وشأن علي وعثمان مع عمر.

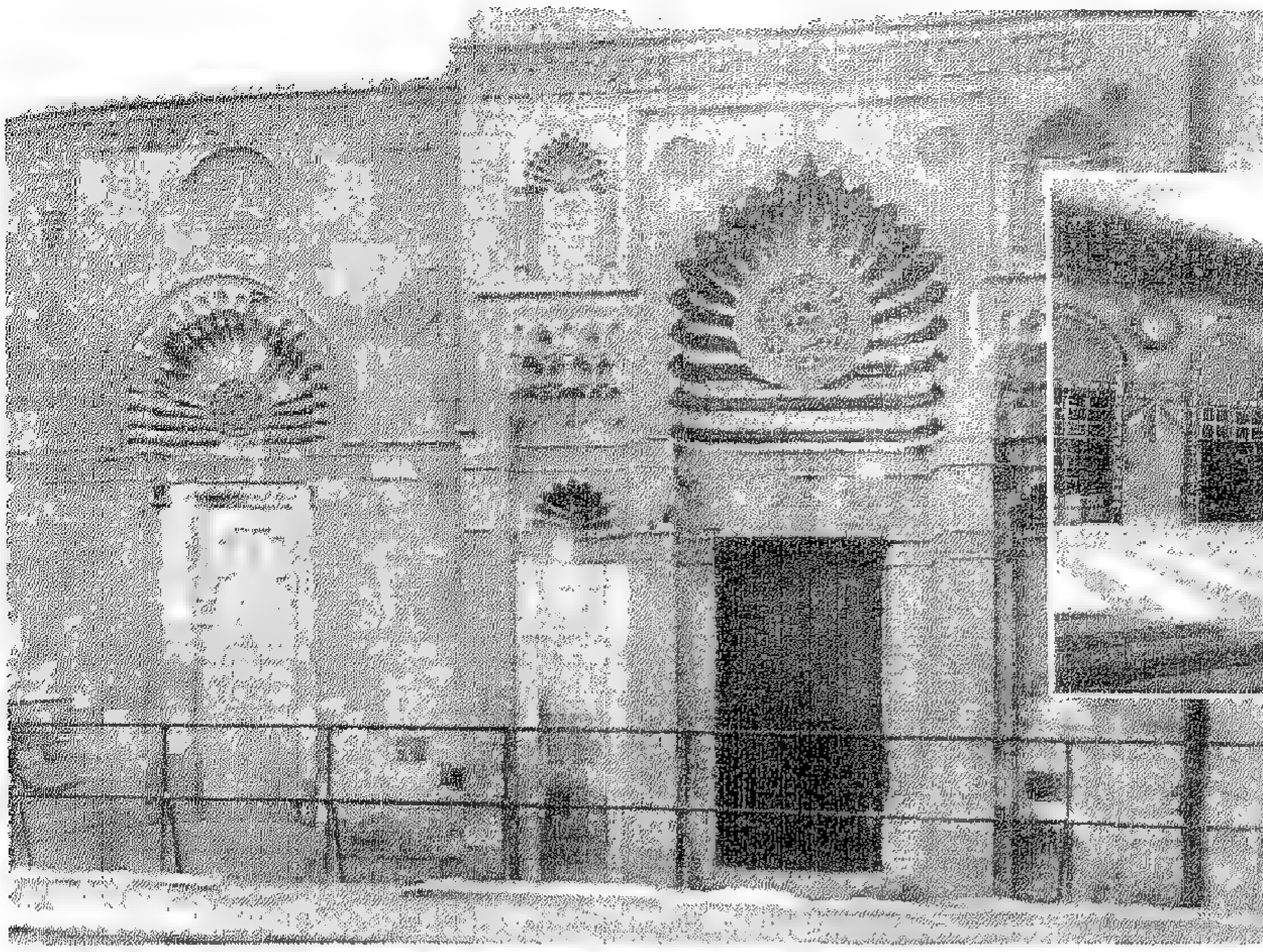
غير أن وظيفة الوزير، بدأت تتحدد معالمها في العصر العباسي: إذ صار الخليفة العباسي يستعين في إدارة شؤون الدولة وتصريف أمورها، والإشراف على دواوينها وإعداد مكتباتها وتنظيم أموالها، بموظف أطلق عليه لقب وزير.

ونظرًا إلى أهمية منصب الوزارة وانتشاره في الدول الإسلامية المختلفة، أُفردت عن الوزارة والوزراء كثير من المؤلفات، مثل كتاب «أدب الوزير» للماوردي، وكتاب «الوزراء» لابن عبدوس الجهشياري و«الإشارة إلى من نال الوزارة» لابن الصيرفي، كما عنيت به كثير من كتب النظم والمصطلح وغيرها من المؤلفات.

ثالثًا: الإمارة:

الأمير هو ذو الأمر أو المتسلط، وتستخدم هذه اللفظة اسم وظيفة، أو للدلالة على طبقة، أو رتبة أو كلقب فخري. ومن حيث استخدام اللفظة كاسم وظيفة، بمعنى الوالي، فقد عرفت عند العرب قبل الإسلام، واستخدمت أيضاً في صدر الإسلام.

وكان نظام الحكم الإسلامي، يقتضي أن يلي أمور المسلمين والٍ أعلى، هو الخليفة له حق الطاعة على الأمة كلها. وكانت البلاد الإسلامية تنقسم إلى أقطار أو ولايات يولى عليها ولاة يستمدون سلطانهم من الخليفة ويتبعونه، وظل هذا النظام سائدًا في الدولة العباسية، التي كانت تنقسم إلى عدة ولايات، كان يولى على كل منها والٍ، وكان الاسم الرسمي لكل من يلي هذه الولايات هو «أمير».



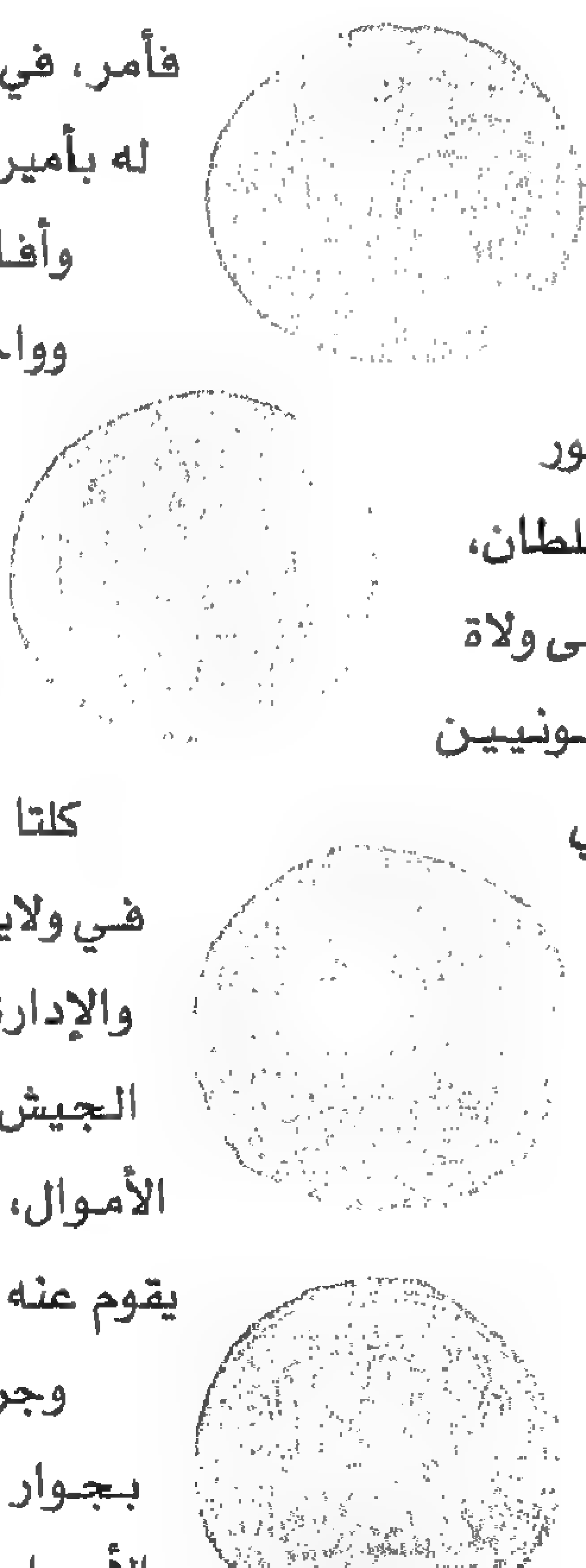
الجامع الأقمر



التراث الأموي

وقد استخدم لقب «الأمير» للولاة في جميع الأقطار الإسلامية، سواء أكانوا خاضعين خضوعًا فعليًا أو اسميًا، أم كانوا مستقلين عنها، وكذلك أطلق على الوالي الذي كان يستولي على ولايته عنوة، وفي العصور المتأخرة، أطلق على الوالي، اسم الملك أو السلطان، وأسماء أخرى، وظل لقب الأمير يطلق على ولاة الأُسر، التي استقلت بولايتها مثل: الطولونيين والإخشيديين في مصر، وبني حمدان وبني مرداس في حلب.

وعرف «الأمير» أيضًا كاسم لوظيفة الوالي، في غرب العالم الإسلامي، أي في بلاد الأندلس وشمال إفريقيا. ومن المعروف أن والي الأندلس، الذي كان يتبع الوالي العام للمغرب، صار يسمى بعد فتح إسبانيا بالأمير، وصار بنو أمية يتلقبون بالإمارة، منذ أن استقر عبدالرحمن بن معاوية بالأندلس عام 138هـ، حتى تولى الأمير عبدالرحمن بن محمد، إمارة قرطبة



عملة إسلامية قديمة

فأمر، في 28 ذي القعدة سنة 316هـ أن يخطب له بأمير المؤمنين.

وأفاض الكتّاب في الكلام عن الأمير وواجباته وشروطه ومهماته، أحيانًا من الجوانب النظرية أو الفقهية، وأحيانًا أخرى وصفًا لما هو كائن فعلاً؛ فقسموا الإمارة إلى نوعين: إمارة خاصة وإمارة عامة. ومهمة الأمير في كلتا الحالتين، هي النظر في أمور الدين في ولايته، ولا سيما الصلاة وإمامتها، والإدارة والسياسة والحكم، والدفاع وإعداد الجيش وقيادته، والحكم والقضاء، وتدبير الأموال، وينيب الأمير، بطبيعة الحال، من يقوم عنه بأداء هذه الأعمال.

وجرت العادة أن يقيم الأمير في قصر، بجوار المسجد، يسمى دار الإمارة. وكان الأمراء يسكون أسماءهم على العملة، بالإضافة إلى اسم الخليفة، وكذلك على الطراز.



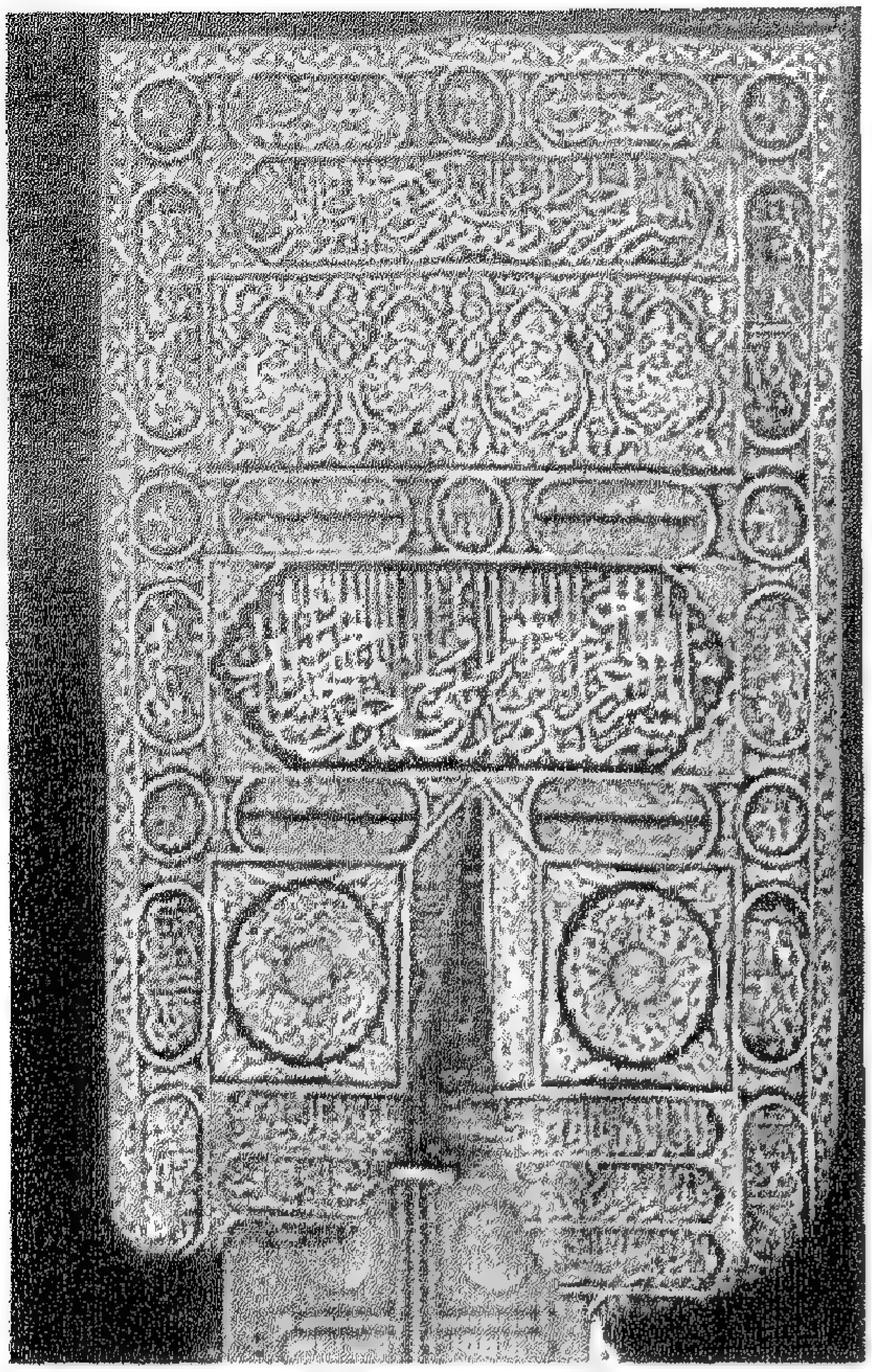
من حدائق الأندلس

رابعًا: الكتابة:

يقال «تكتّب القوم» إذا تجمعوا، وسمي الخط كتابة لجمع الحروف وضم بعضها إلى بعض. ويطلق لفظ كاتب، على كل من يقوم بالكتابة وبالتحرير. ومهمة الكاتب، الكتابة بأشكالها المختلفة، من إنشائية وحسابية ومالية وغير ذلك، وجرت العادة أن يتخذ أولياء الأمور كتابًا يستعينون بهم في إنشاء المكاتبات الخاصة بهم، وفي عمل الحسابات اللازمة وغير ذلك من الأعمال الكتابية.

وبعد ظهور الإسلام اتخذ النبي ﷺ كتّابًا يكتبون له القرآن الكريم والوثائق المختلفة، كالمكاتبات التي كان يرسلها إلى الملوك، يدعوهم فيها إلى الإسلام، والعهود والمعاهدات. وممن كتب للنبي ﷺ علي وعثمان وزيد بن ثابت وعبدالله بن الأرقم وسعيد بن العاص والمغيرة بن شعبة - رضي الله عنهم -.

وصار للخلفاء كتاب من ذوي العلم والمعرفة، الملمين بالكتابة، وفي عهد عمر، عين لكل ولاية إسلامية كاتبًا. وكانت مهمة الكاتب في أول الأمر، هي تحرير الرسائل والأوامر، ولما دونت الدواوين اتسعت أعماله، فشملت بالإضافة إلى ذلك، ضبط حساب



كسوة الكعبة

الديوان وأسماء الجند وأعطياتهم. أما بخصوص كتابة الخراج والجباية في الولايات، فكان يقوم بها كتاب من أهلها، إلى أن عرّب عبدالملك بن مروان الدواوين.

وبعد تعريب عبدالملك بن مروان للدواوين، بدأت تظهر طبقة الكتاب، التي صارت تمثل صفوة المثقفين، كما زاد أنواع الكتّاب إلى خمسة، ظلت موجودة إلى العصر العباسي، وهم: كاتب الرسائل، وكاتب الخراج، وكاتب الجند، وكاتب الشرطة، وكاتب القاضي.

خامسًا: الحجابة:

عرفت في مكة قبل الإسلام، وكانت تعني حراسة الكعبة وحفظ مفتاحها. وعرفت الحجابة في الإسلام بدلالة جديد، إذ أصبح الحاجب يطلق على من يقوم بين الوالي والناس، ويطلب لهم الإذن لمقابلته وينظم

الاتصال له. و صارت وظيفة الحجابة ذات أهمية رسمية، بعد محاولة الخوارج اغتيال معاوية بن أبي سفيان. واستمرت وظيفة الحجابة في الدولة العباسية، وزادت أهميتها وسلطتها تدريجيًا، فصار الحجاب يحجرون على الخليفة نفسه. ويمنعون البطانة وسائر الأولياء من مقابلته بحجة المبالغة في الاحترام. وكان للحجابة في العصر العباسي قوانين ورسوم، أوضحها هلال الصابئ في كتابه «رسوم دار الخلافة». وقد هيأت الظروف للبعض أن يغتصبوا السلطة ويؤسسوا دولا وأُسرًا حاكمة.

واستمرت وظيفة الحاجب في عصر السلاجقة، من الوظائف الرئيسة، وكان يعد من أهم رجال البلاط. وحقق كثير من الحجاب في عصر السلاجقة والأتابكة، درجة كبيرة من الثراء، بالإضافة إلى السلطة والأموال، بحيث استطاعوا أن يشيدوا عمائر فخمة وضعوا عليها أسماءهم.

هذا وقد انتقلت وظيفة الحاجب، إلى الدولة الأيوبية في مصر وسوريا، ثم المملوكية، عن طريق دولة الأتابكة والدولة النورية؛ إذ أن لقب الحجابة لم يعرف في الدولة الفاطمية، حيث كان من يقوم بهذه الوظيفة، يسمى صاحب الباب. واتسعت سلطة الحاجب في مصر، في عصر المماليك اتساعًا كثيرًا، حتى وصلت حد التدخل في الأحكام الشرعية، ومزاحمة قضاة الشرعية فيها، كما زاد عددهم زيادة كبيرة، و صاروا ينقسمون إلى درجات متفاوتة.

وعرف الحاجب في غرب العالم الإسلامي، حيث تطور مدلوله واختصاصاته؛ ففي أول الأمر، كان الحاجب في الدولة الأموية بالأندلس، يقوم بالوساطة بين الخليفة ووزرائه. وأخذت سلطة الحاجب في الاتساع حتى أصبح أرفع الوزراء شأنًا، وصار يسمى بذي الوزارتين، وصار يشرف على الشؤون المدنية والعسكرية، ثم زاد نفوذه حتى استبد بالأمر، وسيطر على الخليفة، وبذلك صارت إليه أمور الدولة في أواخر الخلافة الأموية بالأندلس. ولما ولي الحجابة المنصور محمد بن أبي عامر في سنة 392هـ، حجر على الخليفة الطفل، المؤيد هشام الثاني (366-399هـ/ 976-1009م)، واتخذ الزاهرة عاصمة جديدة، بناها بدلاً من الزهراء. ومن الغريب أن المنصور ظل محتفظًا بلقب الحاجب، رغم استبداده بالسلطة، كما خلفه أبناؤه الذين احتفظوا بلقب الحاجب، إلى أن سقطت الدولة العامرية في سنة 1008م.

طبعت الحضارة الإسلامية بهذا الطابع الإنساني، الذي يتمثل في حب الخير، والعمل الصالح، والصدق في المعاملة، والإخلاص في العمل، والتسامح والرفق، والحرص على العمل، والتعمير والاتزان، وغير ذلك من الشمائل العديدة، التي جعلت المسلمين خير أمة أخرجت للناس

سادسًا: الدواوين:

كانت الإدارة الحكومية في الدولة الإسلامية، موزعة على عدد من الدواوين، سواء في عاصمة الخلافة أو في الولايات، حيث وجدت دواوين إقليمية. ويبدو أن الديوان عرف في الدولة الإسلامية، أولاً بمعنى السجل، وذلك حين وضع عمر بن الخطاب الديوان، أي سجل إيرادات الدولة ومصروفاتها، وأسماء المسلمين وأعطياتهم. وظلت اللغة المكتوب بها في ديوان كل ولاية، هي اللغة السائدة فيها، إلى أن أمر عبد الملك بن مروان بتعريب الدواوين. وكان لهذا أثره في نشر اللغة العربية، ودعم مقومات القومية العربية. وصارت لفظة الديوان، تنسحب على المكان الذي يعمل فيه الكتاب، ومن ثم صار يطلق على الإدارة الحكومية، لاسيما التي يتصل عملها بجباية الخراج أو الضرائب أو المكوس.

هذا وقد كثرت الدواوين في الدولة الإسلامية،

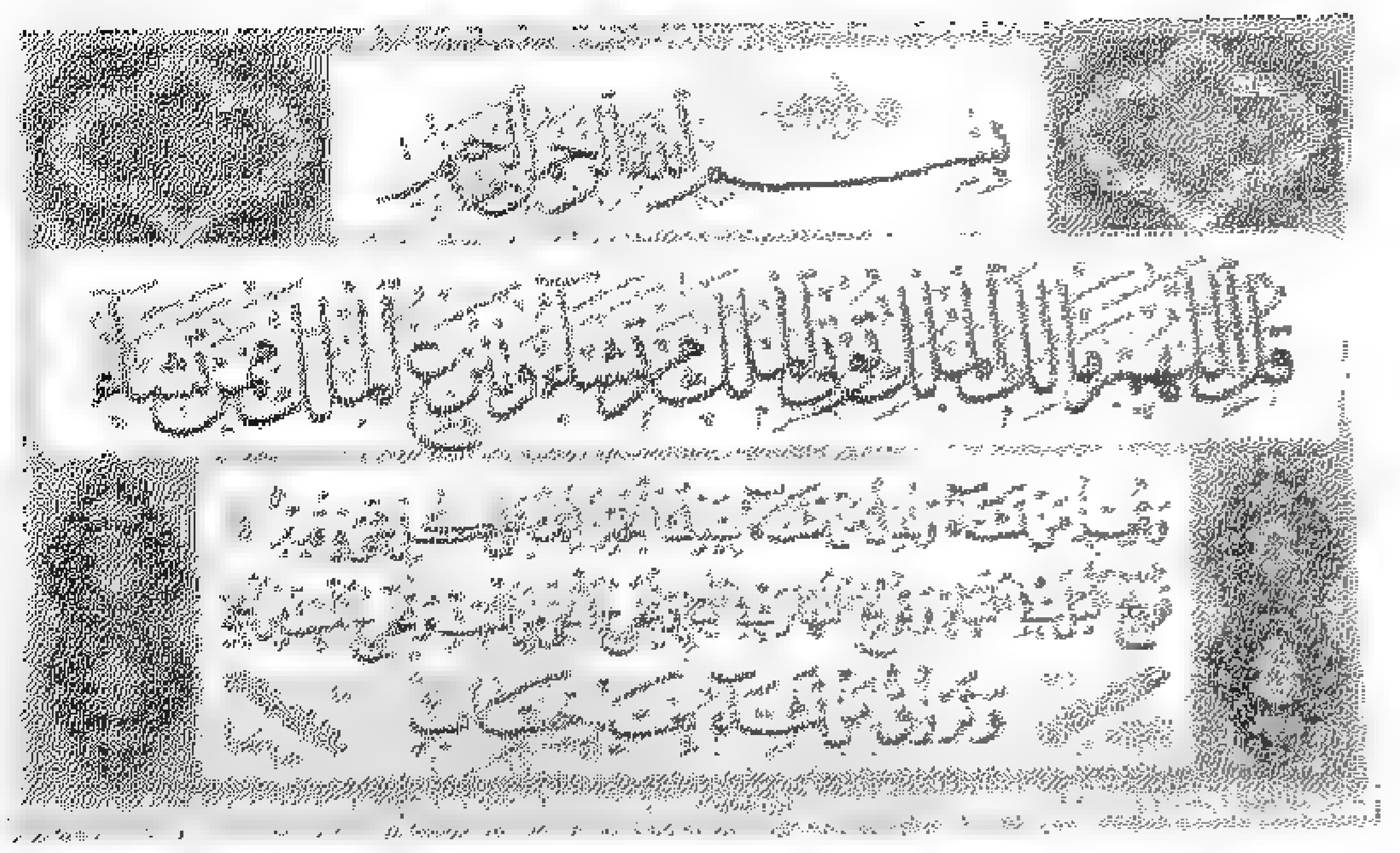
وتنوعت، نظرًا لما وصلت إليه أنظمة الدولة، من تنميق وتفريع وتخصص، ومن الملاحظ أنه، ربما أبطل بعضها في وقت من الأوقات، وربما استمر بعضها الآخر. ومن الدواوين التي انتشرت في الدولة الإسلامية:

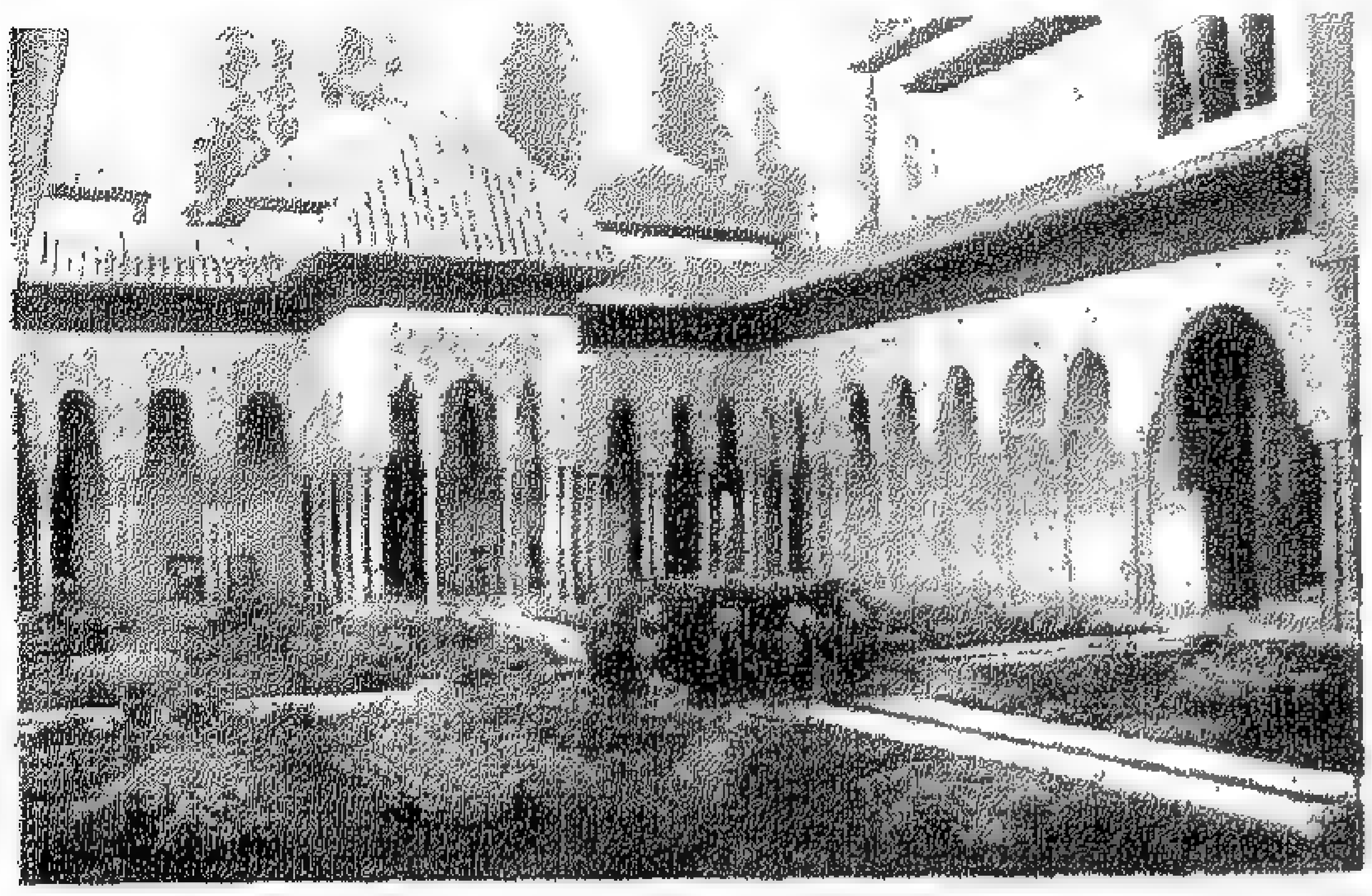
- ديوان الأحباس (أي الأوقاف).
- ديوان الأعمال والجبايات.
- ديوان البريد.
- ديوان الجند.
- ديوان الجيش.
- ديوان الخاص.
- ديوان الخراج.
- ديوان خزانة السلاح.
- ديوان الخلافة.
- ديوان الشرطة.
- ديوان الإقطاع.
- ديوان الإنشاء.
- ديوان الرسائل.
- ديوان الرواتب.

وكان لهذه الدواوين رؤساء، يسمون أصحاب الدواوين، وكانت تختلف درجاتهم بحسب أهمية دواوينهم، وأحيانًا بحسب نفوذهم، وكان بكل ديوان كتاب وخزان وأعوان، وكان يمد بالصحف والقراطيس، وكانت الارزاق تصرف أو توزع في الاسبوع الأول من كل شهر.

سابعًا: القضـــاء:

اعتبر القضاء في الدولة الإسلامية، من الوظائف الدينية المتصلة مباشرة برأس الدولة، وربما كان الإسم الرسمي للقاضي، هو «الحاكم». وفي خلافة عمر بن الخطاب، وضع للقضاء نظامًا محكمًا، فعين القضاة للمدن المختلفة في الدولة الإسلامية. وسنت لهم النظم والقواعد التي كان من الواجب عليهم



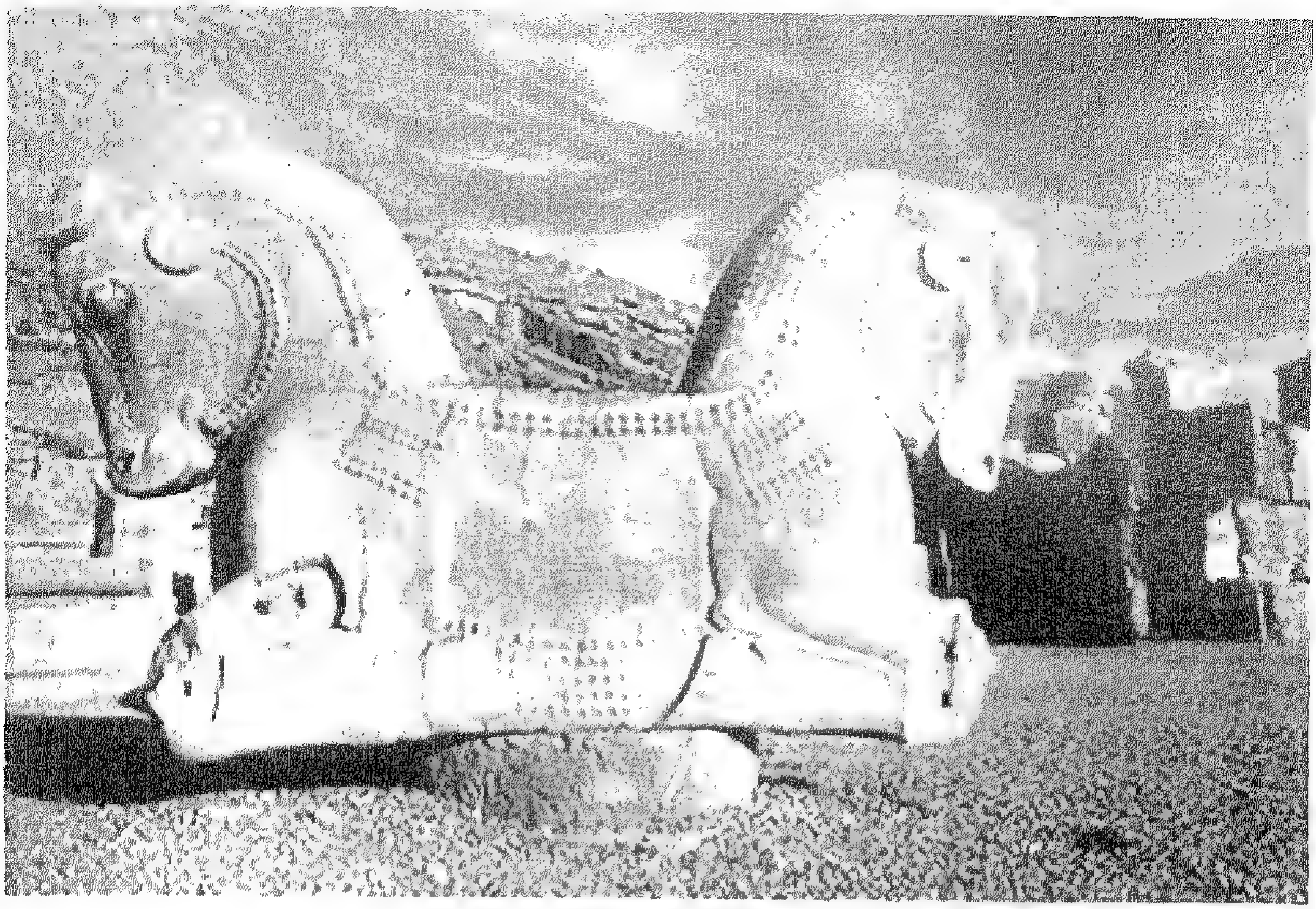


قصر الحمراء في غرناطة

اتباعها والعمل في ضوئها، ووضعت التقاليد، وحددت لهم المرتبات.

وكان الخلفاء الراشدون، يختارون القضاة من العلماء الملمين بأحكام الشريعة الإسلامية، والمعروفين بتقوى الله وتحري العدل، وغير ذلك من الصفات التي يجب توافرها فيمن يتصدر الحكم في الدماء والأموال، وفيما بعد وضع الفقهاء شروطًا يجب توافرها فيمن يختار لهذا المنصب، وهي: أن يكون مسلمًا ذكرًا بالغًا عاقلاً حرًا قويم الخلق، صحيح البصر والسمع، ضليعًا في علوم الفقه وملمًا بها.

ومنذ البداية، لم تقف سلطة القاضي عند حد النظر في الأحكام والفصل في الخصومات، ولكنها امتدت أيضًا إلى النظر في قضايا الأوقاف والوصاية على الأيتام، وفي العصر العباسي لم يقتصر عمل القاضي على المهام السابقة، بل زادت له اختصاصات أخرى، فأضيف إليه أحيانًا الشرطة والمظالم والحسبة، ودار الضرب والعيار، وبيت المال، والنظر في أموال المحجور عليهم، وفي وصايا المسلمين،



تمثال من العصر العباسي

بالإضافة إلى الإفتاء، والولاية على المساجد والخطابة والإمامة والتدريس، وأحيانًا كان يسند إلى القضاة في ذلك العصر، الإشراف على تشييد مؤسسات الدولة، كما يتضح من الكتابات الأثرية التي وصلتنا، وحين ظهرت المذاهب الأربعة، وجد قضاة يمثلون هذه المذاهب وذلك للفصل في منازعات أهل مذاهبهم، وقد وجد أيضًا قضاة أربعة في كل من الولايات.

وعرف القضاة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، بألقاب وظيفية، اختلفت بحسب رتبهم ومدى اختصاصاتهم، والدول والأقاليم التي وجدوا فيها، فعرف مثلاً: قاضي الجماعة في شمال إفريقيا والأندلس، وقاضي الحضرة في العصر العباسي وعصر المرابطين، وقاضي العسكر، وهو القاضي الذي يفصل بين الجند أثناء تنقلاتهم، وقاضي المظالم - وهو الذي يتولى النظر في المظالم -، وظهرت في العصر العباسي أيضًا، وظيفة قاضي القضاة، ويطلق على كبير القضاة، وكان مقره عاصمة الخلافة العباسية.

ثامنًا: الشرطة:

من الوظائف في الدولة الإسلامية وظيفة الشرطة، وكان رئيس الشرطة يسمى صاحب الشرطة، وربما سمي عامل الشرطة، وظهرت وظيفة صاحب الشرطة، في عهد علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين، الذي نظمت الشرطة في عهده، وكان صاحب الشرطة يختار من بين علية القوم وذوي العصبية.

ووضحت مهمة الشرطة في العصر الأموي، وزاد تنظيمها وتنسيقها في العصر العباسي، إذ صار لكل مدينة شرطة خاصة، تخضع لرئيس، هو صاحب شرطة هذه المدينة، وكان صاحب الشرطة يتخذ له نائبًا ومساعدين، يسمون الأعوان. وكان الشرطة

يتخذون أعلامًا خاصة، ويلبسون زيًا خاصًا، ويحملون مطارد وترسة، وعرفت وظيفة صاحب الشرطة في الدول الإسلامية المختلفة، التي تفرعت من الخلافة العباسية، فعرفت مثلاً: في الدولة الغزنوية وعرفت في دول السلاجقة.

ومنذ عصر الولاة في مصر، كانت وظيفة صاحب الشرطة من أكبر الوظائف وأهمها، وكان صاحب الشرطة في عصر الولاة الأمويين والعباسيين، يسهم مع الوالي وعامل الخراج في ضمان تحصيل الجزية والخراج، وكان صاحب الشرطة في مصر، يقوم أيضًا بالإشراف على الأحباس وتنظيم مرتبات الجند.

أما في العصر المملوكي، فقد انتفت وظيفة صاحب الشرطة، وأسندت مهامها إلى موظف سمي باسم الوالي، أو والي القاهرة، أو والي المدينة، غير أن بعض المؤلفين أطلق عليه اسم والي الشرط، أو والي الحرب.

تاسعًا: الحسبة:

من الوظائف المتصل عملها بعمل القضاء والشرطة - ولو أنها كانت مستقلة عنهما -، ويقال لصاحبها المحتسب، وصاحب الحسبة، ومتولي الحسبة، وناظر الحسبة، ووالي الحسبة، وبالرغم من أن مصطلح الحسبة لم يعرف إلا في العصر العباسي، فإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه، يعتبر أول من وضع نظام الحسبة، وكان يستخدم الدرة أو السوط في معاقبة المخالفين.

ونشأت وظيفة الحسبة في عهد المهدي، كنتيجة لاهتمام العباسيين بجعل الشريعة الإسلامية أساسًا لحكمهم. ومن المرجح أن هذه الوظيفة لم تتحدد معالمها، إلا في نهاية القرن الثاني الهجري، وذلك بعد ظهور المذاهب الفقهية، وازدهار التجارة، وتقدم الصناعة، وظهور الحاجة إلى مراقبة التجار والصناع، ومختلف المتعاملين في الأسواق وغير ذلك، وصارت وظيفة المحتسب في القرن الرابع الهجري، من الوظائف الثابتة والوطيدة الأركان، في جميع الدول الإسلامية.

وكانت اختصاصات المحتسب، تشتمل على نواح عدة: منها ما كان يتعلق بمراعاة تأدية العبادات، مثل: الأمر بتأدية صلاة الجمعة، والمحافظة على صلاة الجماعة، وأداء الزكاة، وردع أهل البدع، ومنها ما يتعلق بمراعاة آداب السلوك، والتمسك بأهداب الفضيلة، والمحافظة على الأخلاق العامة، ومنع المقامرة، ومراعاة ارتداء الزّي المناسب، ومنع التسول، ومنع المعلمين من المغالاة في ضرب التلاميذ، ومنع المضايقات في الطرقات، ورد الحقوق لأربابها، واستيفاء الديون، وتكليف أصحاب المباني الآيلة للسقوط بهدمها، وإلى غير ذلك من إزالة وإماطة الأذى عن الطريق.

ومن جهة أخرى، كان على المحتسب أن يشرف على قيام التجار والصناع بأداء الواجب عليهم، وأن ينال كل أجره دون مماطلة أو تأخير، وأن يمنع الجهال



من مزاولة صناعة لا يجيدونها، وأن يراقب محال الجزارة والمطاعم، ويفتش قدور الأطعمة وختم اللحوم.

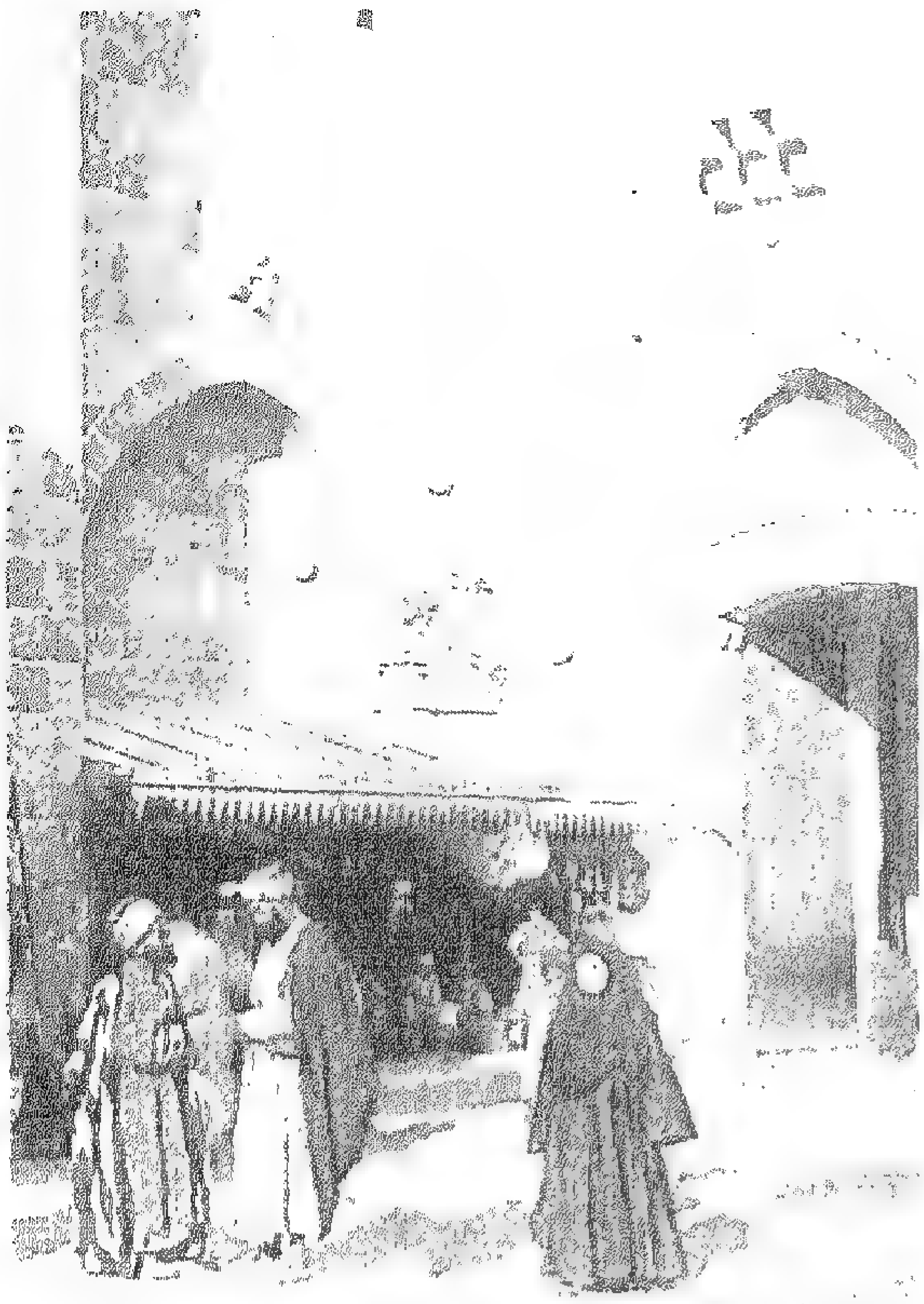
والى جانب ذلك كله، كان من عمل المحتسب: النظر في الأسواق، والإشراف على الموازين والمكاييل، ومراعاة عيار الماء، ومراقبة الأسعار، ومنع الاحتكار، والإشراف على دُور الضرب، ضرب العملة والعيار.

ج ـ في مجال النظام الحربي:

كان جميع المسلمين القادرين في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، أفرادًا في الجيش، فكان إذا دعا للجهاد، خرج كل قادر على حمل السلاح، وقد يصحب الجيش بعض المتحمسات من النساء المؤمنات، لرعاية ومساعدة الجند أو تمريضهم، وربما لحمل السلاح إذا لزم الأمر. وكان النبي ﷺ والخلفاء الراشدون من بعده، يولون لكل حملة أميرًا، وربما جعل لأمير نائب سحل محله عند الضرورة.

ومن هنا كان يفرض لجميع المسلمين عطاءات، وقد قدر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عطاءات المسلمين على أساس القرابة من النبيﷺ، ثم الفضائل الذاتية. وكان الخليفة عمر، أول من سجل أسماء الجند وحدد مرتباتهم في ديوان خاص بهم، وأطلق على هذا الديوان فيما بعد، اسم ديوان الجند، ثم سمي ديوان الجند والشاكرية، ليشمل الأتباع من الأتراك، في العصر العباسي. وظل العنصر الغالب في الجند في عصر الخلفاء الراشدين والعصر الأموي من العرب.

وبدأ في العصر الأموي، يتكون جيش أشبه بالجيش النظامي، كانت نواته حرس الخليفة. وكان الجيش المقيم في دمشق، يتألف من أهل الشام، من العرب الذين استقروا، وكان الجند في العصر العباسي، يأخذون أجورهم على هيئة مرتبات، علاوة



بوابة يافا قديماً

على الطعام والمخصصات، وللفارس ضعف ذلك. وفي عهد المقتدر (295 ـ 320 هـ)، وزع الأمصار بين العمال والقواد، على أن يدفعوا أرزاق الجيش من موارد بيوت المال المحلية. وفي العهد البويهي (333ـ 440هـ) صارت الأرض تعطى أرزاقًا للجنود، بدلاً من المال النقدي، وكان ذلك تمهيدًا لنظام الإقطاع الذي استقر في عصر السلاجقة.

وكانت وحدة الجيش الأموي، تتكون تكوينًا تقليديًا من خمسة أجزاء، هي: القلب والميمنة والميسرة والطليعة والساقة، وكان الجيش يحارب على هيئة صفوف متراصة، وكان الجند ينقسمون إلى مشاة وفرسان وأبالة ـ أي المحاربين على ظهور الإبل - وفي العصر العباسي أخذ الجيش يتحدد، فانقسم إلى قسمين، هما: المرتزقة والمتطوعة، ـ المرتزقة هم أصحاب المرتبات الثابتة ـ أما المتطوعة فكانت أجورهم تمنح حسب خدماتهم العسكرية فقط.

ومنذ بدأ تنظيم الجيش الإسلامي تنظيمًا محددًا، قسم الجنود إلى عشرات، وخمسينات ومئات، وألوف وعشرات الألوف، وأطلق على رؤساء الوحدات المختلفة ألقاب خاصة، فكان قائد العشرة، يسمى عريفًا، وقائد الخمسين يسمى خليفة أو نقيبًا، ورئيس المائة يسمى قائدًا، أما رئيس الجيش أو قائده فكان يسمى أميرًا.

د ـ في مجال العلم والفكر:

عني الإسلام بالعلم ودعا إليه، وحث المسلمين على طلبه، واتبع المسلمون هدي القرآن الكريم، وسنّة النبي ﷺ، فأقبلوا على العلم يغترفون من مناهله وينشرونه بين الناس.

ولم يكن لبني أمية دور كبير في العناية بالثقافة والعلوم، ولو أنه ظهرت علامات أو مقدمات تنبئ بنهضة ثقافية قادمة، وقد حدث الازدهار الثقافي فعلاً في العصر العباسي، وبرزت العناية في هذا العصر، باللغة العربية وفروعها المختلفة، ومن فروع اللغة العربية التي نالت عناية خاصة، الشعر، حيث وضع الخليل بن أحمد في أواخر القرن الثاني الهجري (8م) علم العروض، وظهر فحول الشعراء، أمثال: بشار بن برد وأبو نواس والبحتري وابن الرومي والمتنبي وأبو العلاء.

وازدهرت دراسة النحو، وقننت قواعده، كما وضعت القواميس اللغوية. واتجهت العناية بصفة خاصة، إلى السنّة النبوية الشريفة، فبذل العلماء الجهد الكبير في تدوينها ودراستها، وبدأ الاهتمام بالحديث، في المدينة المنورة بصفة خاصة، حيث وضع مالك بن أنس الموطأ، وبرز في علوم الحديث رجال أفذاذ، مثل: البخاري ومسلم. وكتب ابن أبي حاتم، في الجرح والتعديل، كما ظهر أصحاب كتب الطبقات. وفي العصر العباسي أيضًا ظهر أصحاب المذاهب الأربعة: أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد



غلاف كتاب الخوارزمي في الجبر والمقابلة

ابن حنبل، وحظيت السيرة النبوية الشريفة، بعناية المؤرخين المسلمين، وربما بهذه السيرة بدأ التاريخ الإسلامي.

ولم تتوقف عناية المسلمين في الدول المختلفة، عند حد العلوم الدينية واللغوية، بل امتدت إلى سائر أفرع العلم، من فلك وطب وهندسة ورياضيات وعلوم طبيعية وغير ذلك.

أولاً: حركة الترجمة:

ازدهرت حركة الترجمة في العصر العباسي، لا سيما في عهد المأمون واستمرت في تقدم واضطراد، حتى أواسط القرن الثالث الهجري (9م)، وكان من مظاهر العناية بالترجمة تشجيع المترجمين وإجزال

العطاء لهم، وأخذ العالم الإسلامي، يترجم إلى العربية كتبًا فارسية وسيريانية وعبرية ويونانية. وكانت السيادة للثقافة اليونانية في مجال ترجمة الفلسفة والطب والرياضيات، في حين كان للثقافة الفارسية والشرقية بعامة، دور واضح في مجال الأدب.

وكان لأهل الذمة، من النصارى واليهود والصابئة، دور كبير فى حركة الترجمة. ومن أوائل المترجمين، أبو يحيى البطريق (ت 184هـ/800م)، وكان يترجم عن اليونانية. أما حنين بن اسحق النسطوري (193-260هـ/809-873م)، فكان بحق شيخ المترجمين، واهتم بدراسة اللغة اليونانية، وأمره المأمون أن يترجم كل ما يمكنه من الكتب اليونانية. ومن الترجمات التي تنسب إليه، شرح أرسطو، وكتبًا لجالينوس وأبقراط وديسقوريدس، وكتاب السياسة لأفلاطون، والمقولات والخليقات والطبيعيات لأرسطو. وهكذا صار العالم الإسلامي على معرفة بآراء أفلاطون وأرسطو وعلم جالينوس وأبقراط. ومما تجدر الإشارة إليه، أن كثيرًا من مؤلفات هؤلاء العلماء فقدت فيما بعد، ولم تحفظ إلا بفضل ترجماتها العربية.

ثم جاء بعد عصر الترجمة والاقتباس، عصر ابتكار، إذ أخذ علماء العرب يمحصون آراء الأقدمين ويشرحونها ويصححونها ويضيفون إليها.

ولم يقتصر مجهود العرب، على مجرد الترجمة أو النقل، بل إنهم ابتكروا أيضًا الكثير، وتفردوا بمذاهب في البحث والإنتاج الخصب، في ميادين الشريعة وعلوم الدين وفقه اللغة، وظهرت مآثرهم الضخمة، في الطب والكيمياء والفلك والرياضيات والجغرافية والتاريخ.

ثانيًا: العلوم الأساسية:

نبغ في العالم الإسلامي كثير من العلماء، الذين أثروا المعرفة البشرية في شتى المجالات، ويكفينا أن نذكر فيما يلي بعض النماذج من هؤلاء العلماء، الذين ذاع صيتهم وانتشر علمهم إلى خارج العالم الإسلامي، وبخاصة في أوروبا.

أولاً: من أعظم أطباء العرب أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (251 - 310هـ/865 - 925م)، ومن أشهر كتبه: «الأسرار» الذي يعد من أهم كتبه في الكيمياء؛ وكتاب «الحاوي» وهو موسوعة طبية، ومن أهم مؤلفاته التي نقلت إلى اللغة اللاتينية في سنه 1279م في صقلية.

ثانيًا: ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله (370 - 430 هـ/980 - 1037م)، وكان يلقب بالشيخ الرئيس، وجمع بين الطب والفلسفة. ومن أشهر كتبه التي نقلت إلى اللغات الأوروبية: القانون في الطب، وقد نقل إلى اللاتينية في القرن السادس الهجري (12م).



الاسطرلاب

ثالثًا: الفلسفة:

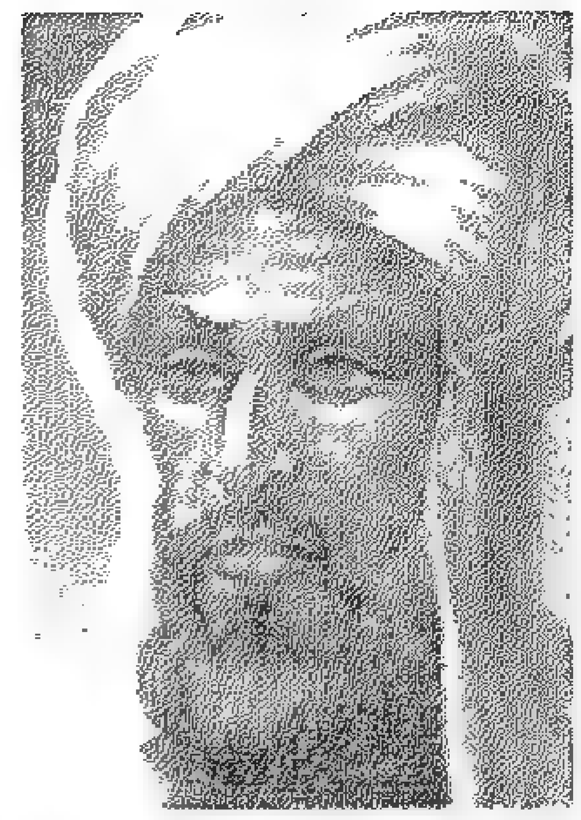
ظهر في العالم الإسلامي، عدد من الفلاسفة الذين نقلت كتبهم إلى اللغات الأوروبية، أهمهم:

أولاً: الكندي، ولد في الكوفة في حوالي منتصف القرن الثالث الهجري (9م)، واشتهر في بغداد ويسمى فيلسوف العرب، نظرًا لنسبه العربي الصريح، وجمع بين الفلسفة والعلم بالتنجيم والكيمياء والبصريات وأصوات الموسيقا.

ثانيًا: الفارابي، عمل في بلاط سيف الدولة الحمداني، حيث عرف بالتصوف وتوفي بدمشق سنة (340هـ/950م)، وكتب في علم النفس، والسياسة، وما وراء الطبيعة، بالإضافة إلى شروح أرسطو وغيره.

رابعًا: الفلك:

عني العرب بالفلك، فألفوا فيه الكتب، وبنوا المراصد وجهزوها بأدوات مختلفة، منها: مقياس الإرتفاع والإسطرلاب، والمزولة (ساعة شمسية) وعدد من الكرات، كما عملوا التقاويم، وكان التقويم يعرف في اللغة العربية باسم الزيج، ومن علماء الفلك العرب:



الخوارزمي



البيروني

أولاً: إبراهيم الفزاوي (ت 777م)، وهو أول مسلم صنع اسطرلابًا.

ثانيًا: علي بن عيسى الاسطرلابي، وضع رسالة تعتبر من أقدم الرسائل في الاسطرلاب.

ثالثًا: الخوارزمي، وضع زيجًا، نقحه بعد قرنين العالم الفلكي الأندلسي، مسلمة المجريطي المتوفى حوالي (367هـ/1007م).

رابعًا: البيروني (362 ـ 439هـ/973 ـ 1048م)، وله كتب في الفلك منها: «القانون في الهيئة والنجوم»، و«التفهيم لأوائل صناعة التنجيم».

خامسًا: الرياضيات:

أبرز شخصية عربية في تاريخ الرياضيات الخوارزمي (163-235 هـ/780 ـ 850م)، وقد استخدم في مؤلفاته الأرقام العربية. ومهما يكن من شيء فإن العمليات الحسابية لم تتطور تطورًا كبيرًا إلا بعد استخدام العرب لهذه الأرقام، وكان استخدام الصفر في الأرقام العربية مساعدًا على التقدم في علوم الحساب والرياضيات. ومن أشهر أعمال



قياس الوقت بطول الظل

الخوارزمي: حساب الجبر والمقابلة، وهو أقدم كتاب في الجبر.

سادسًا: الكيمياء:

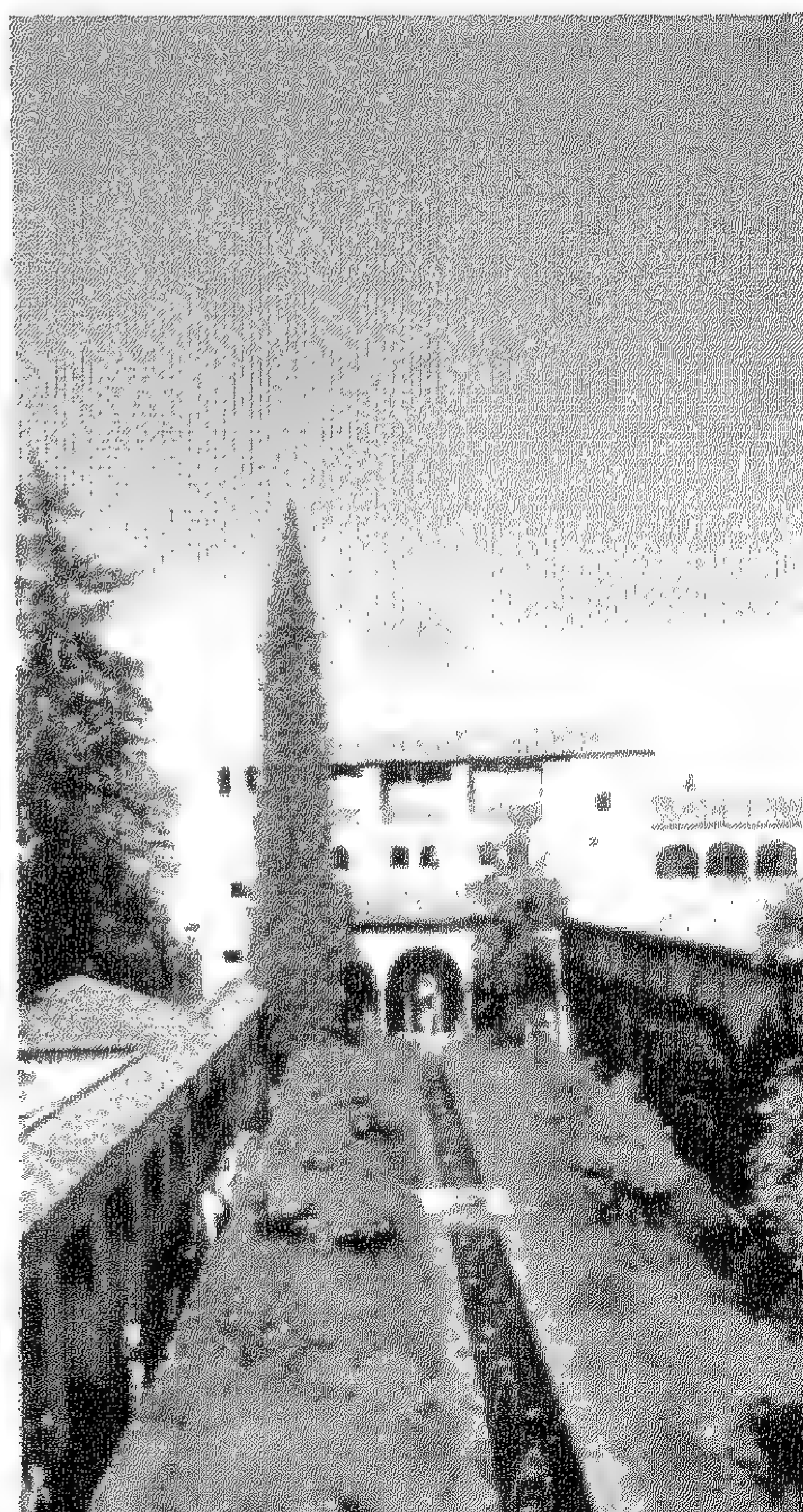
أدخل العرب في دراسة الكيمياء فكرة التجربة العلمية، ومن أشهر العلماء العرب في الكيمياء: جابر بن حيان، وقد بدأ شهرته في الكوفة حوالي سنة (128هـ/776م)، ويعتبر أبا الكيمياء العربية، ويعد بعد الرازي أعظم الكيميائيين في العصور الوسطى، وينسب إليه 100 كتاب بالعربية واللاتينية.



المزولة

هـ ـ في مجال المعاهد العلمية والتعليمية:

كان من مظاهر النهضة الثقافية والعلمية في العالم الإسلامي، والعناية بوسائلها، الحرص على تأسيس المدارس والمكتبات، وقد بدأ التدريس في أول الأمر، بالمساجد والجوامع، كما كان يجري أحيانًا في بيوت المدرسين الخاصة، ثم صارت تعد له دُور علم خاصة، يؤسسها الخلفاء والولاة، يطلق عليها اسم بيوت الحكمة، وخزائن الحكمة، وصواوين الحكم، وكانت هذه أساسًا دُور كتب، وربما وجد فيها أيضاً مدرسون وعلماء، بالإضافة إلى المترجمين والناسخين، والمجلدين.



من حدائق جنة العريف غرناطة

وكان أول بيت حكمة عرفه المسلمون، هو بيت الحكمة الذي أسسه العباسيون في بغداد، وازدهر بصفة خاصة في عهد المأمون. أما خزائن الحكمة، فمن أشهرها خزانة الحكمة التي أنشأها الفتح بن خاقان، وزير الخليفة المتوكل. ومن بيوت الحكمة المشهورة، بيت الحكمة بالقيروان.

وفي القرن الخامس الهجري (١١م)، بدأ يظهر نوع من المؤسسات العلمية والتعليمية، عرف باسم المدارس. ومنذ منتصف القرن الخامس الهجري (١١م) بدأت الدول تسهم بطريقة فعالة في حركة تأسيس المدارس، بحيث صارت مؤسسات رسمية أو شبه رسمية، ذات معالم واضحة محددة، ويزاول فيها المدرسون مهامهم التعليمية. وازدهرت هذه الحركة في عصر السلاجقة، وبخاصة على يد الوزير نظام الملك. الذي كان من أوائل من فطن إلى أهمية المدارس والمدرسين، فأسس مدارس في كثير من أنحاء الدولة السلجوقية، في نيسابور وبغداد والبصرة وأصفهان وغيرها، وأشهر هذه المدارس المدرسة النظامية في بغداد.

وكانت المدرسة تشتمل على مساكن للطلبة، كما كانت تقام فيها الصلوات، ومن ثم أقبل المسلمون على إنشاء المدارس، والوقوف عليها تقرباً إلى الله، بنشر العلم والمذاهب السنّية. وورث الأتابكة عن السلاجقة العناية بتأسيس المدارس، وأسس نور الدين في دمشق سنة (567هـ/ 1172م)، المدرسة النورية. وتوسع صلاح الدين في إنشاء المدارس، بحيث صار بحق من أعظم بناة المدارس في الإسلام، وفي العصر المملوكي ازدهرت حركة تأسيس المدارس ازدهارًا كبيرًا، وتنافس سلاطين المماليك في إنشاء المدارس، واقتدى بهم أثرياء دولتهم. أما في غرب العالم الإسلامي، فقد أنشئت المدارس في عصري المرابطين والموحدين، في فاس ومراكش وقرطبة وإشبيلية وغرناطة وغيرها من مدن المغرب والأندلس.

و ـ في مجال التراث المادي:

أولاً: الزراعـــــة:

حظيت الزراعة بكثير من العناية، ومن المعروف أنها تزدهر في ظل الحكومات القوية التي تستطيع أن تعمل على توفير ما يلزم الزراعة من متطلبات على نطاق واسع مثل: استصلاح الأراضي، وتوفير مياه الري، وتيسير نقل المحاصيل.



وكانت الخلافة الإسلامية، تسيطر على عدد من الأقطار الخصبة، الغنية بمحاصيلها الزراعية، مثل: مصر والعراق وخراسان، وكانت الدولة حريصة على نقل المحاصيل الزراعية، وتبادلها بين ولايات الدولة، وعلى توفير ما يلزم لحفظها وصيانتها من التلف أثناء النقل.

واسترعى النبات أنظار العلماء، كمصدر للأدوية والعقاقير، وتتضح أهمية النبات من الكتب الكثيرة، التي ألفت أو ترجمت عن اليونانية، ومن أشهر هذه الكتب، كتاب الحشائش والنباتات أو خواص العقاقير، لديسقوريدس.

هذا وقد كانت الأراضي الزراعية في أقطار الدولة، في يد أصحابها من أهالي البلاد الأصليين، وكانت الدولة تفرض على هذه الأراضي خراجًا محددًا، أو ضريبة تقوم بجمعها عن طريق جباتها. وحين كانت السلطة المركزية المتمثلة في الخلافة، تسيطر سيطرة تامة على سائر ولايات الدولة، حتى العصر العباسي الأول، كان الفائض من الخراج يبعث به الولاة إلى عاصمة الخلافة، حيث يصرف منه على شؤون الإدارة والجيش، ومختلف منافع الدولة، ومن هنا عمر بيت المال، مما هيأ للدولة فرص التقدم والازدهار.

ثانيا: التجارة والمواصلات:

انتعشت التجارة في الدولة الإسلامية، إذ بعثت التجارة العالمية من جديد، بعد أن توقفت فترة قصيرة، كما حدث ازدياد تدريجي في التجارة في الدولة العباسية، سواء في التجارة الخارجية أو الداخلية.

أولاً: التجارة الخارجية، وفي هذا المجال كان للعالم الإسلامي، علاقات تجارية مع غرب أوروبا وشمالها، ومع الشرق الأقصى، والقارة الإفريقية، وكانت العلاقات التجارية مع غرب أوروبا وشمالها، تقوم بصفة أساسية، على تصدير الرقيق إلى العالم الإسلامي، حيث كان الرقيق يجلب إلى الموانئ الفرنسية، ثم يحمل منها إلى العالم الإسلامي.

وفي العصر العباسي كانت هناك علاقات تجارية مع شمال أوروبا، وكانت (اسكنديناوة) تصدر بصفة

خاصة، الفراء الذي كان يحمل عير روسيا إلى العالم الإسلامي، وقد عثر على نقود عربية في فنلندة والسويد والنرويج، مما يدل على التبادل التجاري بينها وبين العالم العربي، وكانت هناك علاقات تجارية على نطاق واسع، بين العالم الإسلامي والشرق الأقصى إذ حل الوفاق بدلاً من العداء، الذي كان سائدًا في العصر الأموي، وكانت التجارة مع الشرق الأوسط، تتخذ إما طريق البر، أو طريق البحر، وكان العالم الإسلامي، يستورد الحرير من الصين، والفيلة والتوابل وأخشاب البناء من الهند.

ثانيًا: التجارة الداخلية، كانت تعتمد في انتقالها، إما على الطرق البرية أو الطرق المائية، من أنهار وقنوات بحار، ولذا اهتم العرب بالطرق كوسيلة للمواصلات، وسير القوافل وانتقال التجارة؛ فعنوا بتزويدها بالقصور، أو منازل الاستراحة، وحفر الآبار، وإجراء العيون، وعمل المناهل لإمداد المسافرين، وأبناء السبيل بالمياه اللازمة، كما أقاموا الأميال أو العلامات التي تحدد الأطوال على الطريق.

ز ـ في مجال العمارة والفنون التطبيقية:

نشأت الفنون الإسلامية منذ أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، أمر ببناء مسجد يقيم به الصلاة، وصار هذا المسجد (المسجد النبوي)، النموذج الذي أخذت تبنى على نمطه المساجد في الإسلام، وقد تطورت العناصر المعمارية والزخرفية في مباني المساجد، مثل: الأعمدة والعقود والمداخل والقباب وغيرها، وانتقلت هذه الوحدات والعناصر إلى سائر أنواع المباني الإسلامية، من قصور ومدارس وقلاع وغير ذلك.

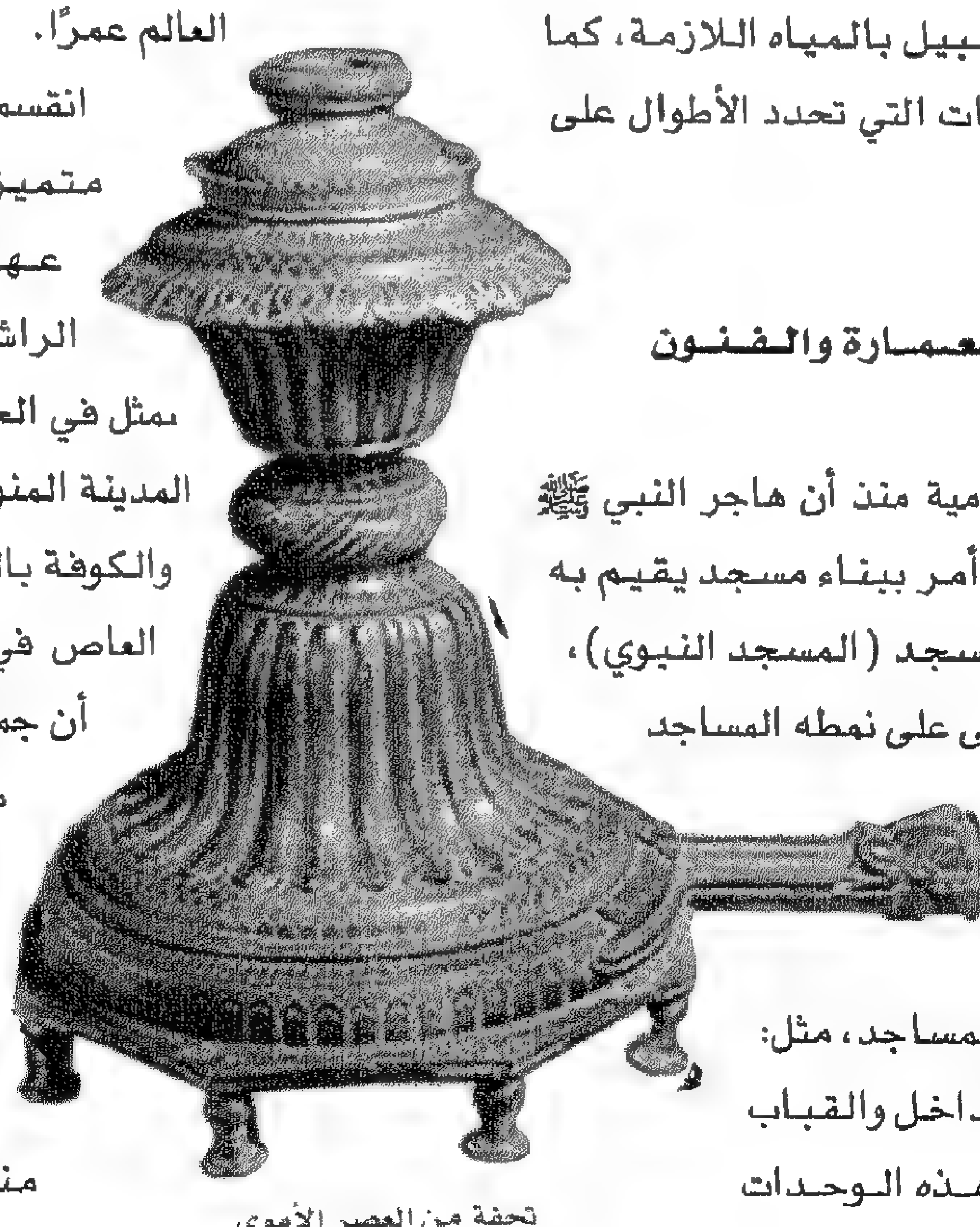
وعن طريق العناية بأثاث المسجد، والرغبة في تجميله، نشأت الفنون التطبيقية الإسلامية، فتطورت فنون المعادن، من أباريق وثريات وشمعدانات، وكذلك الصناعات الخشبية، من منابر وكراسي، وتطورت أيضًا، فنون الزجاج من مشكاوات ونوافذ، وارتقت فنون السجاد تبعًا للاهتمام بفرش المساجد.

وبالإضافة إلى المسجد النبوي الشريف، كان هناك محور آخر، أثر أيضًا في نشأة الفنون الإسلامية، ألا وهو نسخ المصحف الشريف الذي أدى بدوره إلى تطور فنون الكتاب، من خط وتذهيب وتزويق وتجليد.

وحول هذين المحورين: المسجد، والمصحف الشريف، نشأت الفنون الإسلامية، وارتفعت حتى بلغت القمة، وانتشرت حتى صارت من أوسع فنون العالم انتشارًا، وطال عمرها حتى أصبحت من أطول فنون العالم عمرًا.

انقسمت الفنون إلى عدة طرز متميزة، ولكن لم يصلنا من عهد النبوة والخلفاء الراشدين، غير نماذج قليلة، مثل في الحرم النبوي الشريف، في المدينة المنورة، وفي جامعي البصرة والكوفة بالعراق، وجامع عمرو بن العاص في الفسطاط بمصر، ولو أن جميعها قد جرى عليها كثير من التغيير والتبديل، أفقدها معالمها الأصلية.

أما آثار العصر الأموي، فيتضح من كل منها، أن الفن الإسلامي، نشأ في كل إقليم من أقاليم



تحفة من العصر الأموي

الدولة الإسلامية، على أساس الفنون السابقة عليه، وفي العصر العباسي، عندما كانت سامراء مركزًا للخلافة العباسية، انتشر فن سامراء في سائر العالم الإسلامي، باستثناء الأندلس.

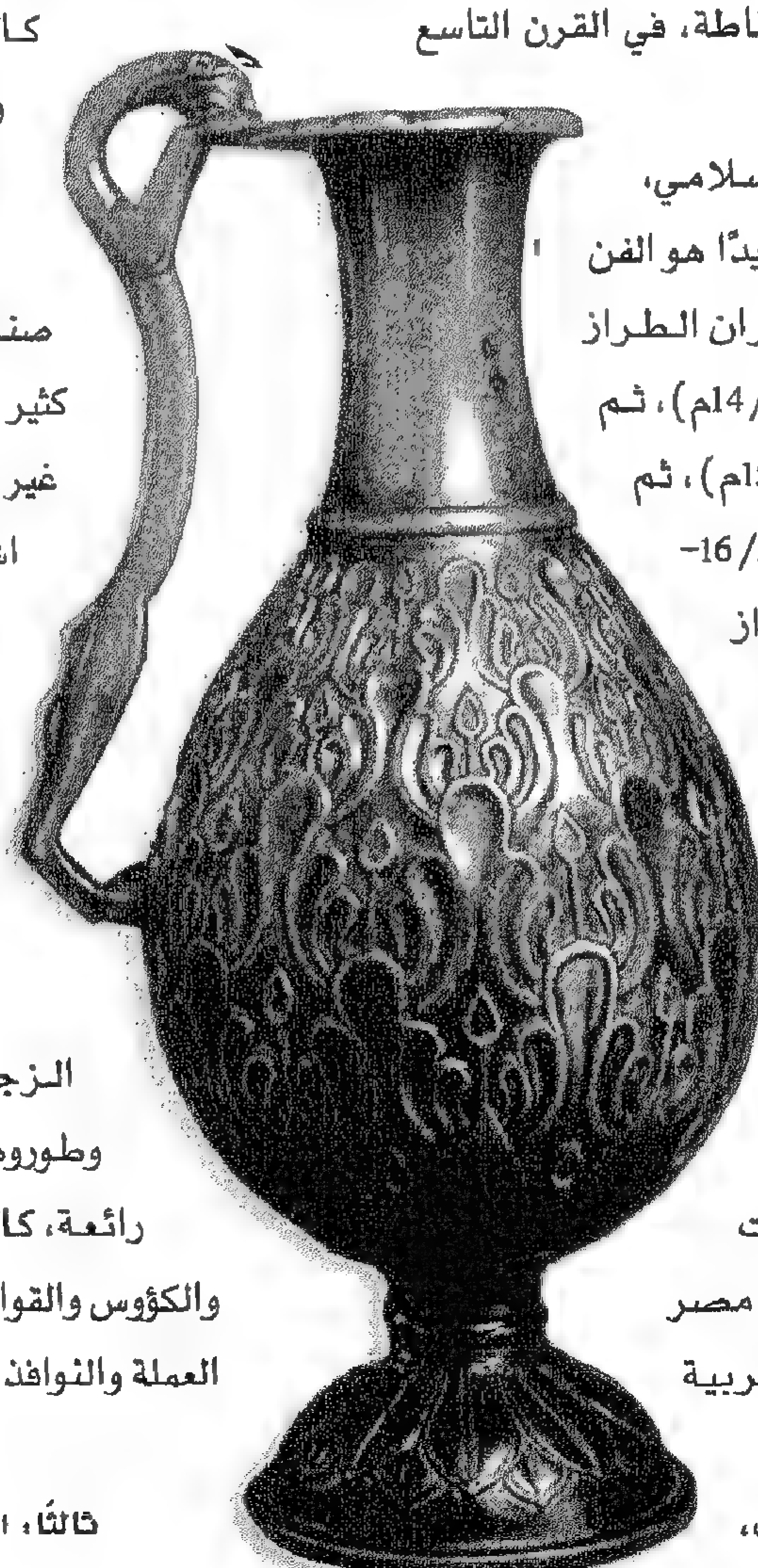
ووجد في مصر، الفن الأيوبي (358 ـ 567هـ)، ثم الطراز الأيوبي (567 ـ 648هـ)، ثم الطراز المملوكي (648 ـ 923هـ).

وفي الأندلس، وجد الطراز الأموي المغربي، واستمر إلى القرن الخامس الهجري، (11م)، ثم تلاه الطراز الإسباني المغربي، في القرن السادس الهجري (12م) الذي بلغ قمته في غرناطة، في القرن التاسع الهجري (15م).

أما في مشرق العالم الإسلامي، فقد حل طراز سامراء فنًا جديدًا هو الفن السلجوقي، أعقبه في إيران الطراز المغولي في القرن (8هـ/14م)، ثم التيموري في القرن (9هـ/15م)، ثم الصفوي من القرن (10-12هـ/16-18م)، ووجد في الهند طراز هندي إسلامي، متأثر إلى حد ما، بالطراز الإيراني، ولكنه ذو صبغة هندية محلية.

وفي آسيا الصغرى، أعقب الطراز السلجوقي، طراز فني آخر، هو الطراز التركي العثماني، والذي انتشر في الولايات، التي خضعت لحكم الأتراك العثمانيين، في مصر والشام والعراق والجزيرة العربية وشمال إفريقيا.

ومن الحديد والصلب، صنعت السيوف، والرماح، والخناجر، والدروع، والتروس والخوذات، وغيرها، ومن النحاس والبرونز، صنعت المباخر والثريات، والشمعدانات، وكراسي العشاء، وأغشية الأبواب والصناديق، ومن الذهب والفضة، صنعت الحلي، كما اعتنى المسلمون بضرب النقود أو سكها من الذهب والفضة والنحاس.



تحفة من العصر الأموي

أولاً: الخشب والعاج:

تفوق المسلمون في الصناعات الخشبية، سواء كانت مرتبطة بالعمائر، كالأسقف والأبواب والمشربيات والأفاريز وغيرها، أو كانت أدوات منقولة كالأثاث، من كراس ومناضد وصناديق وشكمجيات وكذلك المنابر ودكك المبلغ.

وترتبط بصناعة الخشب، صناعة العاج، الذي استخدم في كثير من الأحيان، لتطعيم الخشب، غير أن بعض الأقطار الإسلامية، اشتهرت بصناعة المشغولات العاجية الكاملة، كالهند ومصر والأندلس وصقلية.

ثانيًا: الزجاج والبلور الصخري:

ورث المسلمون صناعة الزجاج، عن الشعوب السابقة، وطوروها وأنتجوا في مجالها تحفًا رائعة، كالأواني الزجاجية، والقنينات والكؤوس والقوارير والأكواب والتماثيل، وصنع العملة والنوافذ وفصوص الفسيفساء.

ثالثًا: الجلود:

تطورت الصناعات الجلدية في العالم الإسلامي، باعتبارها مظهرًا مهمًا

من مظاهر الحضارة، وشملت مشغولات كثيرة، مثل: الحقائب والوسائد والأحزمة والمفارش والتروس والجعاب والمظلات وكسوة الصناديق، وغيرها، ولكن تعد أغلفة الكتب أهم ما استخدم فيه الجلد، حيث لقي عناية كبيرة بين المسلمين، وخاصة من أجل تجليد المصاحف الشريفة، وازدهر فن التجليد في كثير من الأقطار، مثل: العراق وإيران وسوريا ومصر وتونس والمغرب والهند وتركيا.



رابعًا: السجاد:

اشتق اسم السجاد، من السجود للصلاة، وتعددت أنواعه بحسب المواد، مثل: الحرير والكتان، وطرق الصناعة، مثل: المعقود والمنسوج، ومكان الصناعة، مثل: الإيراني والتركي، وكذلك حسب أساليب الزخرفة والاستعمال.

المراجع

1. ابن الأثير، جمال الدين علي بن محمد (المتوفى سنة 630هـ/1233م)، الكامل في التاريخ، (12) جزء، القاهرة، 1988م.
2. ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد (المتوفى سنة 729هـ/1329م)، معالم القربة في أحكام الحسبة، القاهرة، 1976م.
3. حسن إبراهيم حسن (دكتور)، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، (4) أجزاء، القاهرة، 1976م.
4. حسن الباشا (دكتور)، دراسات في تاريخ الدولة العباسية، القاهرة 1990م.
5. حسن الباشا (دكتور)، دراسات في الحضارة الإسلامية، القاهرة، 1992م.
6. ابن خلدون، عبدالرحمن محمد بن محمد بن جابر (المتوفى سنة 808هـ/1405م)، مقدمة ابن خلدون، (4) أجزاء، القاهرة، 1956م.
7. عبدالمنعم ماجد (دكتور)، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، جزآن، القاهرة، 1973م.
8. غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، طبعة القاهرة، 2000م.
9. القلقشندي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي (المتوفى سنة 821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، (14) جزء، القاهرة، 1938م.
10. الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (المتوفى سنة 350هـ/961م)، الولاة والقضاة، بيروت، 1908م.
11. إبن مماتي، أبو المكارم أسعد بن مهذب (المتوفى سنة، 606هـ/1209م)، قوانين الدواوين، القاهرة، 1943م.

من مظاهر الحضارة الإسلامية:

الرفق بالحيوان

د. خالد الهادي الفلاح*

ليس من الغريب أن يكون الإسلام قد سبق الحضارات في التعرض لهذه القضية وهي الرفق بالحيوان؛ فهو دين الأمن والسلام الذي ينعم كل شيء في ظله بالأمان.

ولكن الغريب حقًا أن لا تجد هذه المبادئ التي دعا إليها الإسلام على أرض الواقع، حتى يصبح الكلام فيها غريبًا وليس لائقًا بالمسلمين، هذه القضية كغيرها من القضايا الأخرى (حماية البيئة، حرية المرأة، الديمقراطية، حقوق الإنسان، المساواة بين الناس، نبذ التفرقة العنصرية) وغيرها كثير، ركز عليها الدين الحق وأعطاها مساحة غير قليلة من تعاليمه السمحة؛ لكن الجهل بها، والبعد عنها، والحروب التي يواجهها الإسلام في داخل دوله وخارجها، هي التي حالت بين أبنائه وبين تطبيق التعاليم، حتى أظهرها غيرنا وتفاخر بها علينا، ووصفنا نحن بالتخلف، لأنه لم ير لها وجودًا في حياتنا، ولا لوم عليهم؛ إنما لومنا على أنفسنا، فمن طمس نور عينه وأطفأ مصباحه الوهاج فقد ظلم نفسه وحكم عليها بالسير في دياجير الظلام (ومن لا يكرم نفسه لا يكرم)(1).

وهذا البحث يعتبر مساهمة لإلقاء الضوء على جانب من هذه الجوانب المهمة التي تمس حياة الناس، وهم يعيشون الحضارة والمدنية والرقي، فغير لائق بالإنسان المسلم أن يكون قاسيًا جبارًا مع الحيوان الأعجم، الذي وهبه الله له وسخره لخدمته وإسعاده بشكل أو بآخر، ثم إن المسلم غالبًا ما يقع في دائرة الحرام أو المكروه على الأقل وهو يسيء إلى الحيوان، ويخالف تعاليم ربه ونبيه ﷺ، مما يحتم تنبيهه وبيان حدود الله له في هذا الموضوع، وسوف نقرأ حديث النبي ﷺ الذي ذكر فيه أن امرأة دخلت النار بسبب الإساءة إلى حيوان ضعيف. وهذا البحث سيبيّن بوضوح أن الإسلام سبق غيره لهذا المبدأ العظيم، وكان فعلاً دين الأمن والسلام مع الإنسان والحيوان على حد سواء.

لقد رأينا الكثير من الناس يستخدمون الحيوان في النقل أو الحراثة أو غير ذلك، يعاملون هذه الحيوانات بغلظة وقسوة، نتيجة الجهل بالدين والبعد عنه، ورأينا البعض يقف متعجبًا من أمر الإسلام بقتل بعض الحيوانات كالوزغ (سام أبرص) أو الحية أو الفأر، مما يبدو في ظاهره قسوة وعنفًا، بل وجدنا البعض من

---

* باحث وأستاذ جامعي/ ليبيا.

1 ـ عجز بيت شعر لزهير بن أبي سلمى. انظر ديوان زهير، دار صادر، بيروت، ص 98.

المتأثرين بالغرب يستنكر فكرة ذبح الحيوان، لا سيما في عيد الأضحى، حيث يقوم بذلك عدد كبير من المسلمين، ويعتبره اعتداء على هذا المخلوق الذي خلق ليعيش، وغير ذلكم من الأمور التي تحتم على الباحث المسلم أن يجمع جزيئات هذا الموضوع ويخرج الصورة الواضحة له على أكمل وجه وأبينه.

المطلب الأول: المقصود بالرفق بالحيوان:

كلمة الرفق: بكسر الراء وفتحها وضمها في لغة العرب ضد العنف[2] ومعناها اللين في المعاملة والإحسان إلى الناس والحيوان، وهذا المعنى أمر به الله سبحانه وتعالى في كثير من الآيات، وأمر به النبي ﷺ في كثير من الأحاديث بهذا اللفظ وغيره من الألفاظ، قال تعالى:

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾

[سورة النساء، الآية: 69]

ففي هذه الآية يبين المولى عز وجل أن هذه الصفوة من عباد الله وهم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون، أحسن الناس رُفقة، لأنهم أنفع الخلق وأفضلهم والرفق الذي اتصفوا به ومُدحوا من أجله عام مع جميع مخلوقات الله سبحانه، وقال تعالى:

﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾

[سورة الأعراف، الآية: 199]

وقال تعالى:

﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾

[سورة النحل، الآية: 125]



وقال تعالى:

﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾

[سورة آل عمران، الآية: 159]

وقال تعالى مخاطبًا موسى وأخاه هارون:

﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾

[سورة طه، الآية: 44]

وغيرها كثير من الآيات التي أمرت بالإحسان واللين والرفق في القول والعمل حتى مع الأعداء، أمر الله ألا يتجاوز معهم الحد في العقوبة فقال تعالى:

﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾

[سورة النحل، الآية: 126]

وكذلك أحاديث النبي ﷺ تعاضدت وأكدت على هذه المعاني وأمرت بالرفق والإحسان بالإنسان والحيوان والنبات.... من ذلك قوله ﷺ «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف»[3]، فهذا الحديث أعطى ثلاث ميزات للرفق، أنه من صفات الله سبحانه، وأنه يحبه، وأنه يعطي عليه ويثيب

2 - تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري 1482/4، باب القاف، فصل الراء مادة (رفق).

3 - رواه مسلم في صحيحه، 6813، وأبو داود 1112/2 رقم 2569.

ما لا يعطيه على العنف. وقال ﷺ: «من يحرم الرفق يحرم الخير كله»[4]، وهذا يبين أن الرفق هو الخير كله ولا خير فيما سواه. وقال ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شأنه»[5]. وستأتي كثير من الأحاديث عند الاستشهاد على الرفق بالحيوان.

والحيوان معروف منه الإنسي الأليف الذي يعيش مع الإنسان ومنه الوحشي الذي يعش في الصحاري والغابات... ومنه البري والبحري والحشرات... وسيأتي أن الإسلام أمر بالرفق بجميعها... فالمقصود بالرفق بالحيوان، عدم تعذيبه أو تجويعه وتعطيشه، أو قتله بدون داع أو اللهو به بشكل فيه إذاية له... وفي هذا المعنى وهو الرفق بالحيوان على وجه الخصوص يأتي الحديث الذي جاء فيه: «ركبت عائشة بعيرًا فكانت فيه صعوبة فجعلت تردده فقال رسول الله ﷺ: عليك بالرفق»[6].

فهنا استعمل النبي ﷺ لفظ الرفق في التعامل مع الحيوان الذي سخره الله للإنسان كما سيأتي في حديث الجمل الذي شكا للنبي ﷺ أنه قال لأصحابه «أحسنوا إليه حتى يأتيه أجله» فاستعمل لفظ الإحسان في التعامل مع الحيوان الذي هو جزء من هذا الكون الذي سخره الله للإنسان، قال ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء» وسيأتي بيان كيف أمر النبي ﷺ بالإحسان إلى الحيوان والرفق به حال ذبحه.

المطلب الثاني: ذكر الحيوان في القرآن:

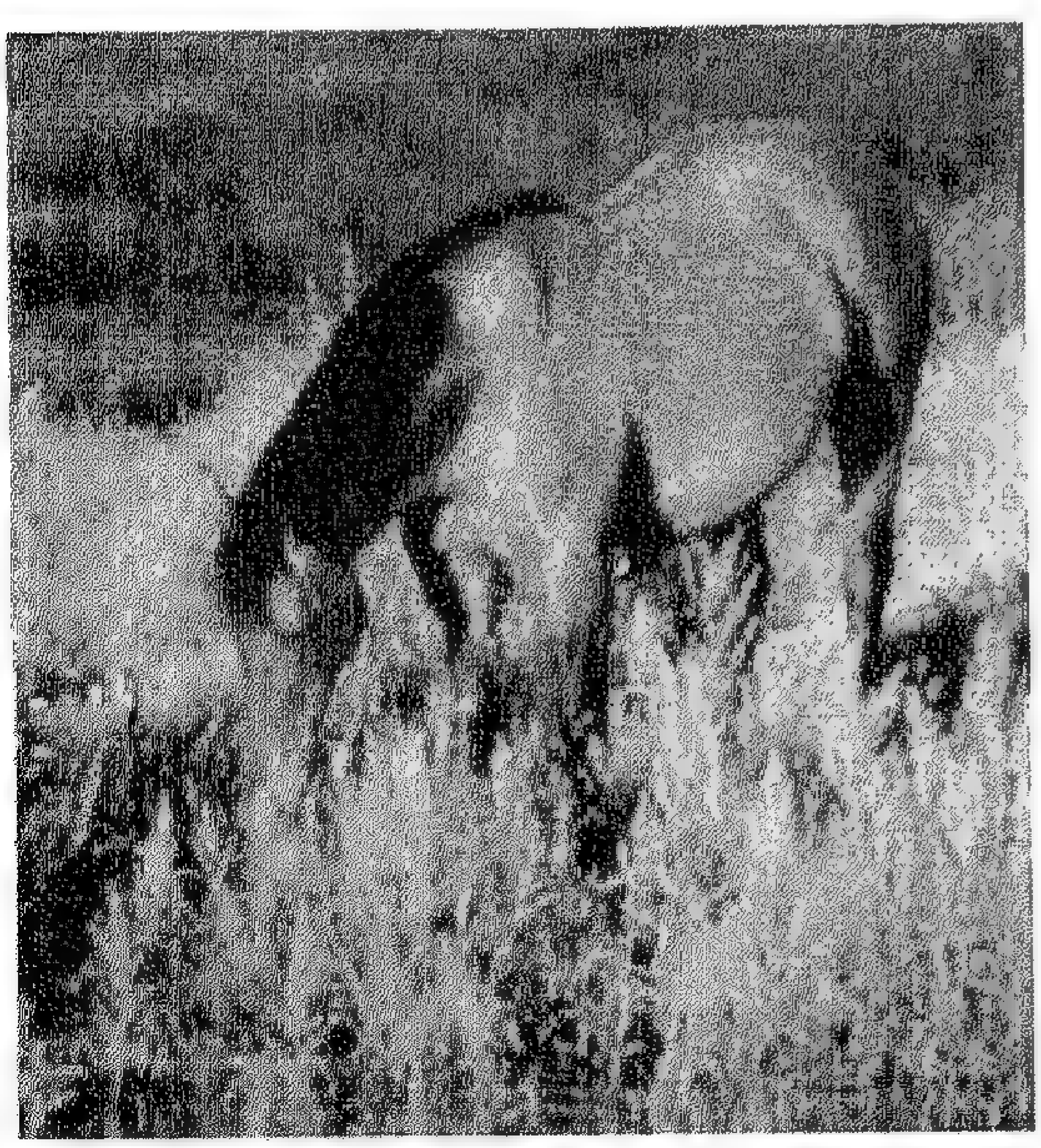
نزل القرآن الكريم على النبي ﷺ في جزيرة العرب، وكانت هذه الأمة تتعامل مع الحيوان شأنها شأن غيرها من الأمم في ذلك الوقت، وكانت الصلة وثيقة بين العرب وبعض الحيوانات وقتها، وقد لا تقل عن الصلة بين بعض البشر.

فكانت الخيل والإبل والحمير والأغنام والكلاب والقطط والصقور من الحيوانات التي ألفها العرب وربوها واستخدموها في حياتهم البدوية، فكان الفارس العربي لا يستغني عن الفرس في قتاله وسفره؛ لذلك امتلأت قصائد شعرهم بذكر الخيول ووصفها ومدحها، كقول امرؤ القيس:

مكر مفر مقبل مدبر معًا
كجلمود صخر حطه السيل من عل[7]

وكقول عنترة بن شداد:

فازور من وقع القنا بلبانه
وشكا إليّ بعبرة وتحمحم
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى
ولكان لو علم الكلام مكلمي[8]



4 ـ رواه مسلم في ح/2592، وانظر رياض الصالحين، ص 199.

5 ـ رواه مسلم في ح /2594، وانظر رياض الصالحين، ص 198.

6 ـ رواه مسلم في صحيحه 16/147.

7 ـ البيت لامرئ القيس، انظر ديوانه، ط/ دار صادر، بيروت، ص 52.

8 ـ البيت لعنترة بن شداد، انظر ديوانه، ط / دار صادر، بيروت، ص 30.

وكانوا يربون الكلاب ويعجبون لوفائها ويضربون بها الأمثال، ويفضلونها أحيانًا على الإنسان إذا كان خائنًا، قال شاعرهم:

وللكلب خير من خليل يخونني
وينكح عرسي بعد وقت رحيلي
سأجعل كلبي ما حييت منادمي
وأمنحه ودي وصفو خليلي(9)

وكانوا لا يعيشون بدون الإبل والغنم لأنها مصدر الغذاء بالنسبة لهم، فمنها اللحم واللبن والسمن ومنها الجلد والصوف والوبر، الذي يقيهم حر الصيف وبرد الشتاء، قال امرؤ القيس:

ألا إن لم تكن إبل فمعزى
كأن قرون جلتها العصي
فتوسع أهلها إقطًا وسمنًا
وحسبك من غنى شبع وري(10)

وقد امتلأ تراثهم بالأمثال الكثيرة التي ضربوها بالحيوان، وهذا يدل على مكانته في حياتهم ونفوسهم.

ولما جاء القرآن تكلم عن هذه الحيوانات بطرق مختلفة، فأحيانًا يذكّر الناس بأنها من نعم الله العظيمة التي أنعم بها على الإنسان وسخرها له ليستفيد من لحمها ولبنها وصوفها وجلدها وظهرها...

قال تعالى:

﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ [سورة النّحل، الآية: 5]

وهذا ذكر لنعمة اللحم والصوف والجلد.

وقال تعالى:

﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾

[سورة النّحل، الآية: 66]

وقال تعالى:

﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة النّحل، الآية: 8]

وقال تعالى:

﴿...يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾

[سورة النّحل، الآية: 69]

وقال تعالى:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾

[سورة الحج، الآية: 34]

بل إن الله تعالى أحل للمسلم ما يمسكه من الصيد بشرط أن يكون مدربًا على ذلك فقال تعالى:

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾

[سورة المائدة، الآية: 4]

وأحيانًا يأمر بأخذ العبرة والعظة منها ومن خلقها وتحملها للصعاب وتسخيرها لإنسان وهي أقوى منه أو لضعفها أو لدقة عملها.



التغذية السليمة للأبقار

9 ـ أخبار الأذكياء، أبو الفرج بن الجوزي، دراسة د. عزالدين منصور، دار اقرأ، طرابلس، ليبيا، ص 119.

10 ـ ديوان امريء القيس، ص 179.

قال تعالى:

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾

[سورة الغاشية، الآية: 17]

وقال تعالى:

﴿...إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾

[سورة البقرة، الآية: 67]

وقال تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [سورة البقرة، الآية: 26]

وقال تعالى:

﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾

[سورة العنكبوت، الآية: 41]

وقال تعالى:

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [سورة النحل، الآية: 68]

وقال تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾

[سورة النمل، الآيتان: 18-19]

وقال تعالى على لسان الهدهد:

﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾

[سورة النمل، الآية: 22]

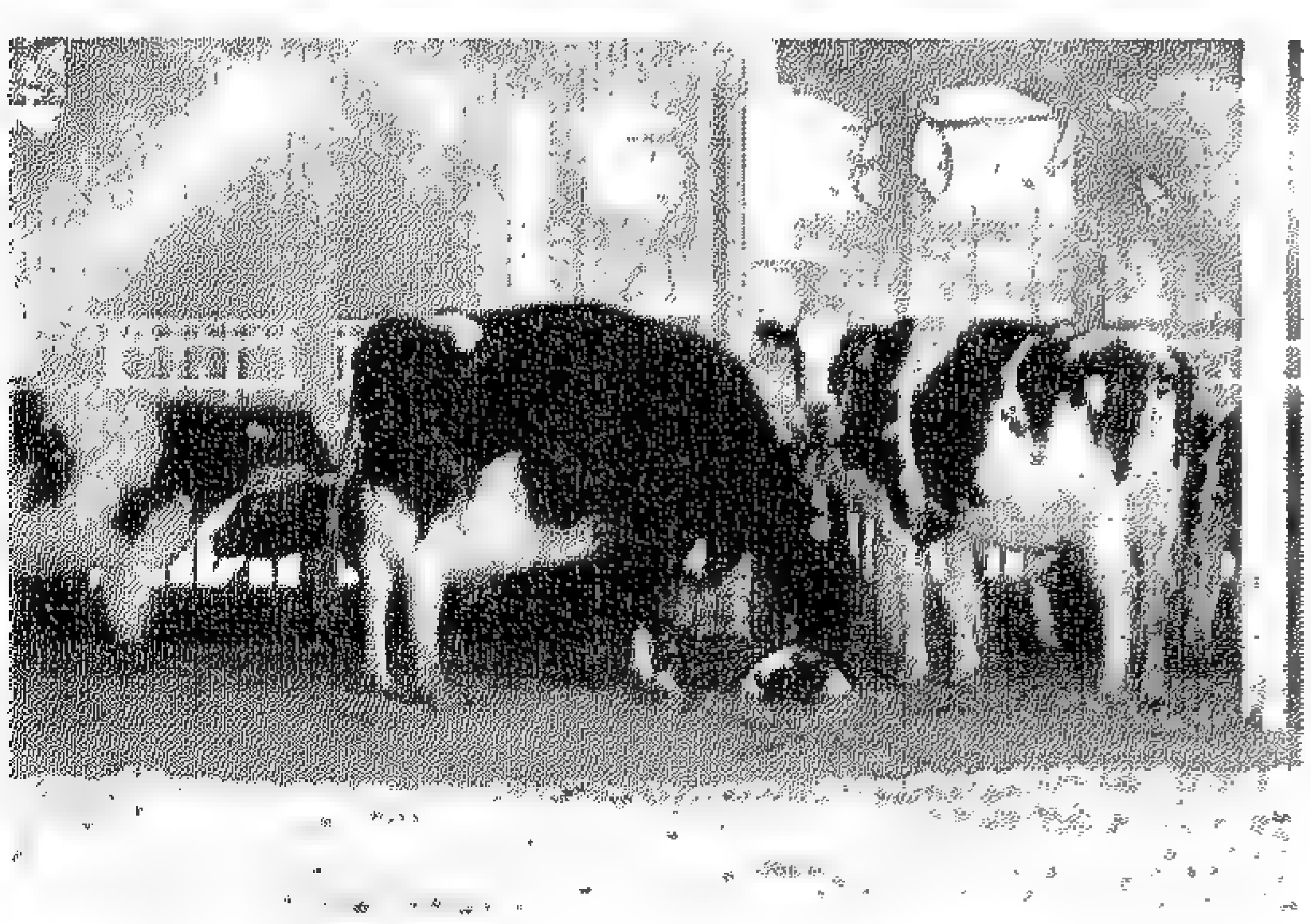
وغير هذه الآيات التي ذكر فيها الحيوان، ودلت على وجود حظ غير قليل من الاهتمام بالحيوان في الشريعة الإسلامية لوجود صلة شرعية بين الإنسان والحيوان، وإذا كانت هذه الصلة موجودة من قبل الدين فلابد لها من ضوابط تحكمها وتنظمها وتبين حدودها، وهذا ما سيتبين من خلال المطالب القادمة في هذا البحث.

المبحث الثالث: الخطوات والوسائل التي اتخذها الإسلام للرفق بالحيوان:

1ـ الحرص على إطعامها وسقيها: لقد بيّن النبي ﷺ وأكد في كثير من الأحاديث على ضرورة الاهتمام بالحيوانات المحبوسة عند الإنسان، وعلى مسؤوليته التامة عليها من حيث إطعامها وسقيها والاعتناء بها، وأن من قصر في ذلك فسوف تلحقه العقوبة من الله تعالى.

فعن سراقة بن جعشم قال: سألت رسول الله ﷺ عن ضالة الإبل تغشى حياضي قد لطتها ـ أي بنيتها ـ فهل لي من أجر إن سقيتها؟ قال: «نعم في كل ذات كبد حرّى أجر». وحرّى: أي شديد الحرارة من العطش[11].

فانظر إلى هذا الحديث فقد سئل النبي ﷺ عن الإبل الضالّة هل يلحق صاحب الحياض أجرٌ إن سقاها، فأخبر ﷺ بأن الأجر لا يناله بسقي الإبل فحسب، بل بسقي كل حيوان شديد العطش، وهذا من



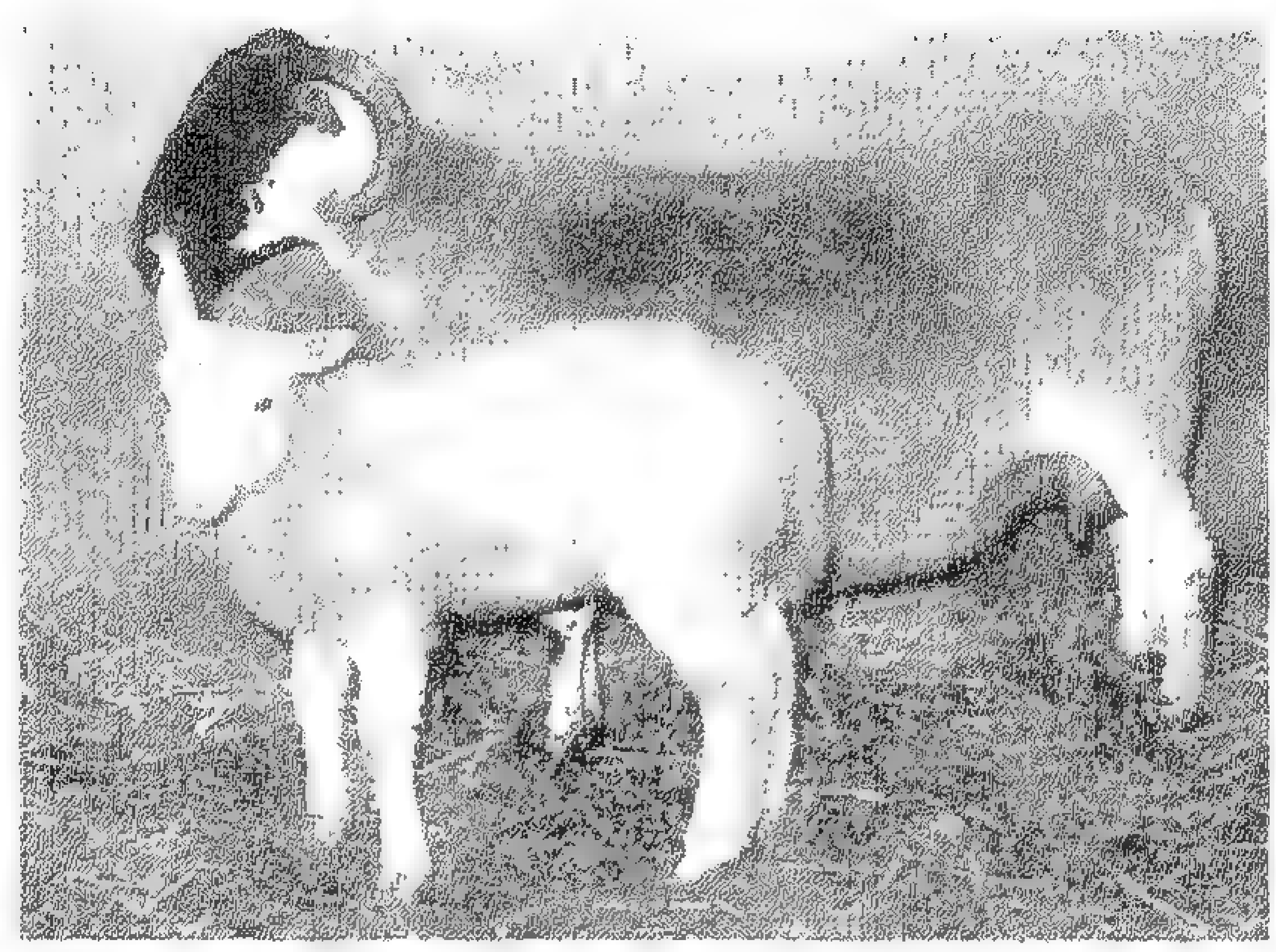
نظافة وعناية

11ـ سنن ابن ماجه 302/3.

حسن الإجابة، حيث أجاب بما يفيد السائل وغير السائل.

وعن نافع عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «عُذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذ سجنتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»(12).

فانظر كيف حكم الله سبحانه بالعذاب ودخول النار على هذه المرأة لأنها عذبت هرة بمنع الطعام والشراب عنها، إنه حقًا دين الرفق بالإنسان والحيوان على حد سواء.



ترى ماذا يقال لمن يغفلون عن العصافير المسجونة في الأقفاص بدون طعام ولا شراب، أو أسماك الزينة في حياضها، والتي تنتظر غذاءها من صاحب البيت فإذا تأخر عنها تألمت أو ماتت من الجوع.

أو من يربي الأغنام والأبقار الكثيرة وليست لديه القدرة على سد احتياجاتها من الأكل فيلحقها الألم والضعف نتيجة الجوع ويلحقه هو الإثم لما سببه لها من عذاب.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سافرتم في الخصب فأعطوا الإبل حضها من الأرض، وإذا سافرتم في السَّنة فأسرعوا عليها المسير، وإذا عرّستم بالليل فاجتنبوا الطريق فإنها مأوى الهوام بالليل»(13)، والخصب هو الأرض المعشبة الخصبة والسَّنة عكس ذلك أي الأرض الفقيرة من العشب، وعرّستم: أي أقمتم.

قال النووي في شرح هذا الحديث: ومعنى الحديث الحث على الرفق بالدواب ومراعاة مصلحتها فإن سافروا في الخصب قللوا السير وتركوها ترعى في بعض النهار وفي أثناء السير فتأخذ حضها من الأرض بما ترعاه منها، وإن سافروا في القحط عجلوا السير ليصلوا المقصد وفيها بقية من قوتها ولا يقللوا السير فيلحقها الضرر لأنها لا تجد ما ترعى فتضعف وربما كلت وامتنعت عن المسير.

وقد جاء في أول هذا الحديث «إن الله رفيق يحب الرفق».

وعن عبدالله بن جعفر قال في حديث طويل: «...فدخل ـ أي رسول الله ﷺ حائطًا لرجل من الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النبي ﷺ حنّ وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه ـ أي ما وراء أذنيه ـ (14)، فسكن، فقال: من رب هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار، فقال: لي يا رسول الله، فقال: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكا إليّ أنك تجيعه وتدئبه(15) أي تتعبه، وفي رواية أنه ﷺ قال لهم: «بيعونيه، قالوا: لا بل هو لك يا رسول الله، قال: أما لي فأحسنوا إليه حتى يأتيه أجله...»(16).

فانظر كيف كان النبي ﷺ رفيقًا رحيمًا بهذا

---

12 ـ رواه مسلم 14/ 240.

13 ـ تقدم تخريجه، هامش (3).

14 ـ انظر الصحاح 2/ 663، باب الراء، فصل الذال مادة (ذفر).

15 ـ رواه أبو داود 2/ 1110 رقم 2549.

16 ـ رواه الدارمي 1/ 23.

الجمل، وهو قدوة الناس جميعًا، وكيف أمر صاحبه بالرفق به، وذكّره أن الله ملّكه إياه وعليه أن يشكر ربه على ذلك ويحسن إلى هذه البهيمة.

إن أهم غريزة يتمتع بها الحيوان هي غريزة الأكل والشرب، وبالتالي فتوفير الطعام والشراب من أهم الحقوق التي ينبغي أن تعطى للحيوان الذي خلق ليعيش، لاسيما إذا كان هذا الحيوان مملوكًا للإنسان ومحبوسًا عنده لا يستطيع أن يسعى لتحصيل رزقه.

ولقد تجاوز الإسلام هذه المرحلة بأن أمر بإطعام الحيوان الوحشي إذا اشتد جوعه كالذئاب وغيرها من الوحوش، إنه بذلك يسبق العالم المدني الحديث الذي أقام المحميات الطبيعية لحماية الحيوان والنبات، إنه يكفل لحيوان مفترس جائع حق الحياة بهذه التعاليم السمحة.

فعن شمّر بن عطية عن رجل من مزينة أو جهينة قال: صلى رسول الله ﷺ الفجر، فإذا هو بقريب من مائة ذئب مدافعين وفود الذئاب، فقال رسول الله ﷺ ترضخوا لهم شيئًا من طعامكم - أي تعطوهم بعض طعامكم - وتأمنون على ما سوى ذلك، فشكوا - أي الناس - إلى رسول الله ﷺ الحاجة، قال فآذنوهن، فخرجن ولهن عواء»[17]. ومعنى آذنوهن أي أعلنوا لهم عجزكم عن إطعامهم وتبرأوا من عداوتهم أو استعدوا للقائهم.

وإذا كان صحابة رسول الله ﷺ لم يعطوا هذه الذئاب شيئًا لحاجتهم لما لديهم من طعام وخوفهم من الجوع والهلاك، فإن أمر النبي ﷺ واضح ينبغي تطبيقه عند إمكانية ذلك، وهذا ما فعله المسلمون في العصور اللاحقة عندما توفر لهم الطعام والشراب، فكانت بعض الأوقاف، وهي أموال يتبرع بها بعض المسلمين تجعل للكلاب وما شابهها لإطعامها وسقيها والمحافظة على حياتها التي وهبها الله لها، كيف لا والنبي ﷺ يقول في الحديث: «لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها كلها، ولكن اقتلوا منها كل أسود بهيم»[18]، قال سعيد بن عامر: «البهيم الأسود كله»[19].

ولعل في قتل الأسود علة وحكمة، وهي أنه مما تتلبسه الجن المؤذية، فالكلاب الضالة مع ما فيها من إيذاء وضرر؛ حيث تعتدي على أموال الناس وتأكل أغنامهم، وكذلك تنقل الأمراض والأوبئة، وتُروّع الأطفال والضعيف من الناس، ولكن مع ذلك لم يأمر النبي ﷺ بقتلها لأنها أمة من الأمم، خلقها الله وأوجدها، فبقدر ما فيها من ضرر فإن في وجودها نفعًا للناس ولتوازن النظام البيئي الذي خلقه الله بالقسطاس والميزان.

2 - عدم تكليف الحيوان ما لا يستطيع من العمل:

سخّر الله سبحانه الحيوان للإنسان يركبه وينقل عليه متاعه ويحرث عليه ويخرج به الماء ويطحن به الحبوب وغيرها...، وهذا من عظيم نعمة الله سبحانه



الإبل سفن الصحراء

17 - رواه الدارمي 25/1.

18 - الإيمان والحياة، د.يوسف القرضاوي، ط 14، مكتبة وهبة، القاهرة، ص 286.

19 - رواه الدارمي 125/2.

على الإنسان الضعيف الذي لا يستطيع أن يقوم بكثير من الأعمال وحده، كما أنه لا يقوى على مواجهة هذه الحيوانات لولا فضل الله سبحانه الذي سخّرها للإنسان ومكّنه من قيادتها وتسخيرها.

وقد علّمنا الله سبحانه دعاءً جميلاً نقوله إذا ركبنا أي دابة لكي نتذكر نعمة الله ـ عز وجل ـ، قال تعالى: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [سورة الزخرف، الآية: 13]

لكن الإنسان في كثير من الأزمنة والأمكنة، قسا على الحيوان وكلفه فوق طاقته، وحمّله بما ينوء به كاهله، واستغله أبشع استغلال، وقد رأينا في بعض البلاد أناسًا يستخدمون الحمير والخيول أبشع استخدام في نقل البضائع ومواد البناء في حمولات تعجز عن نقلها الشاحنات، وعندما يعجز الحيوان المسكين عن نقلها ينهال عليه صاحبه بالضرب المستمر، فيجمع عليه التعب والضرب، وكثيرًا ما نرى بعض المارّة يشفقون على الحيوان فيعينونه على تجاوز عقبة حال دون تجاوزها حِملٌ ثقيل، الأمر الذي يدعو بعد الشفقة إلى التساؤل: هل الذي يقوم بهذا العمل مسلم يقرأ القرآن ويستمع إلى المواعظ التي تبين رأي الإسلام في هذه المسألة؟!...

المقصود بالرفق بالحيوان، عدم تعذيبه أو تجويعه وتعطيشه، أو قتله بدون داع أو اللهو به بشكل فيه إذاية له

متى يبلغ البنيان يومًا تمامه
إن كنت تبنيه وغيرك يهدم

ليس من الغريب أن نجد الكثير من الأحاديث النبوية التي نهت عن تكليف الحيوان ما لا يستطيع... كقوله ﷺ: «بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها، التفتت إليه البقرة وقالت له: إني لم أخلق لهذا، ولكني إنما خلقت للحرث، فقال الناس: سبحان الله ـ تعجبًا وفزعًا ـ أبقرة تكلم!؟ فقال رسول الله ﷺ فإني أؤمن به وأبو بكر وعمر»[20].

ففي هذا الحديث يوجه النبي ﷺ أصحابه إلى عدم تكليف الحيوان ما لا يناسب مع طبيعة خلقته واستغلاله فيما خلق من أجله.

وقد تقدم حديث الجمل الذي اشتكى للنبي ﷺ أن صاحبه يجيعه ويدئبه أي يتعبه في العمل، ونهى النبي ﷺ صاحب ذاك الجمل عن هذا الفعل، ومر رسول الله ﷺ ببعير قد لصق بطنه بظهره فقال: «اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة وكلوها صالحة»[21].

وقد فهم صحابة رسول الله ﷺ هذه الدعوة للرأفة بالحيوان وعدم تكليفه ما لا يستطيع، فكانوا أرق الناس بها؛ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنا إذا نزلنا منزلاً لا نسبّح حتى نحل الرحال» قال الإمام النووي: لا نسبح أي لا نصلي النافلة، ومعناه أنهم مع حرصهم على الصلاة لا يقدمونها على حط الرحال وإراحة الدواب[22].

3 ـ عدم التفريق بينها وبين أبنائها الصغار:

إن عاطفة الأمومة والأبوة موجودة في الحيوان كما هي موجودة في الإنسان، وقد احترم الإسلام هذه العاطفة، وهذه الرحمة، بل إن الرسول ﷺ اتخذها وسيلة لوعظ أصحابه وتذكيرهم برحمة الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين.

وبالتالي فلا ينبغي للإنسان أن يتجاهل هذه

---

20 ـ رواه مسلم 15/ 156، والترمذي في سننه 5/ 434 رقم 3677.

21 ـ رواه أبو داود 2/ 1104 رقم (2548).

22 ـ رياض الصالحين، الإمام النووي، ص 271، حديث رقم 975، والحديث رواه أبو داود بإسناد على شرط مسلم.

العاطفة ويهجم على الحيوان المرضع وما في حكمه وينزع منه أبناءه بدون شفقة ولا رحمة.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه»[23].

وعن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة ـ نوع من الطيور ـ معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تعرش، فجاء النبي ﷺ فقال: من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها»[24].

لقد اعتبر النبي ﷺ أخذ الفرخين من أمهما فجيعة كبيرة لها وأمر برد فرخيها لتهوين مصيبتها، إنه لدرس عملي كبير أراد النبي ﷺ أن يعيه أصحابه الكرام.

«وأقبل رجل في كساء وفي يده شيء قد التف عليه، فقال يا رسول الله: إني لما رأيتك أقبلت إليك فمررت بغيظة شجر فسمعت منها أصوات فراخ طائر فأخذتهن فوضعتهن في كسائي فجاءت أمهن فاستدارت على رأسي فكشفت لها عنهن فوقعت عليهن فلففتهن بكسائي فهن أولاء معي، قال: ضعهن عنك، فوضعهن وأبت أمهن إلا لزومهن، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: أتعجبون لرحم أم الأفراخ فراخها؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: فوالذي بعثني بالحق، الله أرحم بعباده من أم الأفراخ فراخها، ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن وأمهن معهن» فرجع بهن[25].

لقد جاء هذا الرجل بهذه الأم وفراخها للنبي ﷺ لعله يذبحها ويأكلها لا سيما وأنهم كانوا يعيشون في



شدة وجوع، لكنه ﷺ شغلته الرحمة بهن لما رأى من رحمة أمهن بهن، وأراد أن يستغل هذا الموقف في التأكيد على صفة الرحمة التي هي من أجلّ صفات الخالق جل جلاله، ثم أمر برد الفراخ وأمهن لمكانهن ليكون نتيجة لهذا الدرس العظيم، وتأثرًا بهذه الرحمة اللامتناهية، وطمعًا في رحمة الله ـ عز وجل ـ لأنه من لا يرحم لا يُرحم.

قارن بين هذا المشهد المؤثر وبين ما يفعله أصحاب البنادق اليوم الذين لا يفرقون بين كبير وصغير وكثيرًا ما يفجعون الأمهات بصغارهن، أو يقتلون الصغار في أعشاشهن جوعًا بقتل أمهاتهن، لقد أدّى الصيد الجائر إلى القضاء على كثير من أنواع الطيور والحيوانات، أو تنفيرها إلى أعماق الصحراء حتى تنجو من بنادق الصيادين اللاهين الذين لا يصيدون لجوعهم، بل لملء فراغهم وإرضاء شهواتهم فتهرب من القتل إلى الجوع والحرّ وينطبق عليها قول الشاعر: كالمستجير من الرمضاء بالنار.

ولهؤلاء وأمثالهم قال ﷺ: «من قتل عصفورًا بغير

23 ـ رواه مسلم 68/17.

24 ـ رواه أبو داود 1159/2 رقم 2675.

25 ـ أبوداود 1350/3 رقم 3089.

حقه سأله الله عنه يوم القيامة. قيل وما حقه؟ قال: أن تذبحه فتأكله»[26].

ولا شك أن جعله القتل بالذبح والأكل يرجع إلى أن الصياد يكون جائعًا محتاجًا لهذا الطعام وليس من قبيل اللهو والترف، ولهؤلاء وأمثالهم قال ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يتبع حمامة فقال: «شيطان يتبع شيطانة)[27].

إذ يحمل هذا على من ضيع وقته في اللهو والعبث وقتل الحيوانات دون حاجة لذلك.

4 ـ النهي عن إيذاء الحيوان باتخاذه غرضًا وهدفًا للرمي:

لعل من المبالغة في إثبات المقدرة والتفوق في الرمي أن يلجأ المتسابقون إلى اتخاذ حيوان هدفًا لنبالهم أو بنادقهم، لتكون إصابته أكثر إثباتًا على المقدرة على الرمي وأكثر متعة أيضًا... لكن الشرع الحنيف لم يسكت عن هذا العبث، ولم يرض بهذا اللهو، فكان النبي ﷺ وصحابته الكرام بالمرصاد لهؤلاء وأمثالهم.

فعن هشام بن زيد قال: دخلت مع أنسٍ على الحكم ـ يعني ابن أيوب ـ فإذا أناس يرمون دجاجه في دار الأمير فقال: نهى رسول الله ﷺ أن تصبّر البهائم»[28].

وعن عبدالله بن جعفر قال: مرّ رسول الله ﷺ على أناس وهم يرمون كبشًا بالنبل فكره ذلك، وقال: «لا تمثلوا بالبهائم)[29].

وقد وصل هذا النهي إلى درجة لعن من يفعل ذلك، واللعن الطرد من رحمة الله ـ عز وجل ـ فمن لم يرحم الحيوان المسكين لا يستحق رحمة الله سبحانه في شريعة الإسلام الخالدة العادلة، «عن سعيد بن جبير قال: مرّ ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ بفتيان من قريش قد نصبوا طيرًا وهم يرمونه وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، «فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا»[30]، وقد روي هذا الحديث عن الكثير من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فيؤخذ هذه الأحاديث في مجموعها التواتر المعنوي الذي يفيد اليقين من نهي النبي ﷺ عن تعذيب الحيوان بهذه الطريقة، وهذا منتهى الرفق بالحيوان.



أين هذه الدعوة مما يفعله بعض الناس اليوم الذين يجرون المسابقات بين الصقور المدربة وكلاب الصيد، وذلك بإطلاق بعض الحيوانات كالأرانب والقطط... ليُعرف أي الصقور أو الكلاب أقدر على صيدها والفتك بها!! لا شك أن هذا الفعل يدل على قسوة القلب وقلة الرحمة.

5 ـ تحريم أكل شيء منها وهي حيّة أو وسمها أو ضربها في وجهها:

كان من عادة الناس قبل الإسلام أنهم يلجأون إذا

---

26 ـ رواه الدارمي 2/115 والنسائي 4/152 رقم 4360.

27 ـ رواه أبو داود 4/2104 رقم 4940.

28 ـ رواه مسلم 13/107 وأبو داود 3/1228 رقم 2816، والنسائي 4/195 رقم 4951.

29 ـ النسائي رقم 4951.

30 ـ رواه مسلم 13/107 والنسائي 4/196 رقم 4453.

جاءوا إلى اقتطاع جزء من الحيوان وهو حيٌّ أو يستنزفون جزءًا من دمه ويطبخونه ويأكلونه، ومعلوم أن هذا العمل يؤذي الحيوان ويؤلمه ويلحق الضرر والضعف به، فنهى عنه النبي ﷺ واعتبره بمثابة أكل الميتة، عن أبي واقد الليثي قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة والناس يحبون أسنمة الإبل، وإليات الغنم، فقال رسول الله ﷺ: «ما قطع من بهيمة وهي حية فهو ميتة»[31]، وأسنمة الإبل شحمها الذي يكون فوق ظهرها، وإليات الغنم الشحم الذي يكتنز حول ذيل الشاة من الغنم، وقد اعتبره النبي ﷺ مثل لحم الميتة، ومعلوم أن لحم الميتة حرام أكله بنص الكتاب العزيز: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾ [سورة المائدة، الآية: 3]

وكان الرجل أحيانًا يعمد إلى عرق في البعير فيفصده ـ أي يقطعه ـ ويملأ به إناءً ثم يكويه حتى يلتئم، ثم يطبخ ذلك الدم ويأكله، ولا شك أن هذا يسبب أذى وضعفًا بالحيوان.

وفي هذا الإطار نهى النبي ﷺ عن وسم الحيوان في وجهه، والوسم أن يجعل في الحيوان سمه يعرف بها، حتى لا تختلط أموال الناس وتضيع وينهبها السراق...» فعن جابر أن النبي ﷺ مُرَّ عليه بحمار قد وُسم في وجهه فقال: أما بلغكم أني قد لعنت من وسم البهيمة في وجهها أو ضربها في وجهها؟ فنهى عن ذلك[32]. إنه حمار قد كوي بالنار في وجهه سيمة له، فلعن النبي ﷺ من فعل ذلك به، فأي دين هذا الذي يعطي هذه القيمة لحمار موسوم، ولا شك أنه يقع في المقام الأول في حفظ حقوق الحيوان والرأفة به. والبديل الذي جعله النبي ﷺ هو الوسم في الأذن»، فعن أنس قال: دخلنا على رسول الله ﷺ مربدًا وهو يسم غنمًا، قال: أحسبه قال في آذانها»[33]. ولا شك أن هذه هي الوسيلة المتاحة في ذلك الوقت، فإذا وجدت وسلة أخرى اليوم تكون أكثر رأفة بالحيوان فيعمل بها للأحاديث الواردة في النهي عن أذاية الحيوان.

6 ـ النهي عن التحريش بينها :

وإذا كان النبي ﷺ نهى عن وسم الحيوان في وجهه، وعن اتخاذه غرضًا وقتله جوعًا وعطشاً... فمن الطبيعي أن ينهى ﷺ عن التحريش بينها في مباريات للهو والعبث، يقوم بها الفارغون من الأوقات والأعمال أو الطالبون للأموال والألقاب على حساب الحيوانات الضعيفة، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «نهى رسول الله ﷺ عن التحريش بين البهائم»[34]، إن الذي يقوم به الأوروبيون من مصارعة الثيران ويطلقونها في الشوارع في أيام من السنة فَتَقتل أو تُقتَل، لهو أكبر دليل على أن مسألة الرفق بالحيوان التي يَدَّعيها هؤلاء، زيف ودعوى غير صحيحة، وكذلك ما تقوم به الشعوب الأمريكية التي اعتادت على التحريش بين الديكة وإجراء المباريات في ذلك، وفي بعض البلاد بين الكباش وفحول الضأن والماعز كله أذى واستغلال للحيوان بدون وجه حق، ولا يدل على الحضارة والمدنية بقدر ما يدل على الانحطاط والتخلف والوحشية.

عاطفة الأمومة والأبوة موجودة في الحيوان كما هي موجودة في الإنسان وقد احترم الإسلام هذه العاطفة وهذه الرحمة.

لقد كان بعض العرب يفعلون هذا الأمر فيأتون بكبشين أو ثورين يتناطحان حتى يهلكا أو يقاربا

31 ـ رواه أحمد وأبوداود والترمذي والحاكم، 1374، ح: 7150، كتاب الأطعمة.

32 ـ رواه مسلم 14/ 96، باب النهي عن الوسم في الوجه، وأبو داود 2/ 1111 رقم 2564.

33 ـ رواه مسلم 14/ 96.

34 ـ رواه الحاكم أبو داود 2/ 1110 رقم 2562.

على الهلكة، وهم يتفرجون ويضحكون، قال العلماء: وجه النهي عن التحريش بين الحيوانات أنه إهلاك للحيوانات واتعاب لها دون فائدة لمجرد العبث(35).

7 ـ الإحسان للحيوان عند ذبحه وسلخه :

سبق أن ذكرنا أن الله ـ جل وعلا ـ سخر الحيوان للإنسان يأكل بعضه ويركب بعضه ويستخدمه في سائر الأعمال، وقد وجد بين الحين والآخر في بعض المجتمعات من ينكر عملية الذبح هذه، بل ينكر فكرة أكل لحم الحيوان، بحجة أنه مخلوق وجد ليعيش، وكيف تُسوِّل للإنسان نفسه أن يعتدي على حياة هذا الحيوان البريء فيزهقها لغرض إرضاء شهوة الأكل عنده، ولست في مجال الرد على هؤلاء فجميع الشرائع السماوية والقوانين الأرضية التي تمثل الغالبية العظمى من أصحاب العقول السليمة قد اجتمعت على هذا الفعل، الذي لا يتعارض مع العقل والفطرة، لأن كل ما في الأرض إنما سخر للإنسان وخدمته بشكل أو بآخر.

لكن هذا الفعل وهو الذبح لا يعني تعذيب الحيوان وإلحاق الضرر به بحجة أنه سيموت في كل الأحوال، إن الإسلام أعطى أوامره المتعلقة بذبح الحيوان وإحلاله للإنسان ومن هذه الأوامر ما يلي:

أ ـ ذكر اسم الله عند الذبح ليتذكر المسلم أنه يقوم بهذا الفعل بأمر الله سبحانه، وليس تسلطًا من نفسه، وإذا تعمد عدم التسمية فإن ذبيحته لا تؤكل، قال تعالى:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [سورة الحجّ، الآية: 34]



تعذيب الحيوان محرّم في الإسلام

والسر اللطيف في التسمية هو إعلان المسلم أنه إنما يذبح هذا الحيوان الذي يشترك مع الإنسان في الخلق والحياة، يذبحه بإذن الله سبحانه وليس تسلطًا عليه وعدوانًا(36).

ب ـ الإحسان للحيوان بذبحه برفق دون عنف وذلك بأن يكون السكين حادًا حتى لا يتألم، وعدم إذنه ﷺ بالذبح بالظفر والسن هو من هذا القبيل.

قال ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليُحدَّ أحدكم شفرته وليُرحْ ذبيحته»(37).

والسر في هذه الذكاة ـ كما يلوح لنا ـ هو إزهاق روح الحيوان بأقصر طريق يريحه بغير تعذيب؟ لذا اشترطت الآلة الحادة وهي أسرع أثرًا، واشترط الذبح في الحلق وهو أقرب المواضع لمفارقة الحياة بسهولة، ونهي عن الذبح بالسن والظفر لأن الذبح بهما تعذيب للحيوان، ولا يقع بهما غالبًا إلا الخنق..»(38).

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ أمر بكبش أقرن يطأ في سواد ـ أي أقدامه سوداء ـ ويبرك في سواد ـ أي بطنه سوداء ـ وينظر في سواد ـ

---

35 ـ الحلال والحرام في الإسلام، د. يوسف القرضاوي.

36 ـ نفسه ص 60.

37 ـ رواه مسلم 13/ 106، وأبوداود 3/1228 رقم 2815، والنسائي 4/ 180 رقم 4417.

38 ـ الحلال والحرام، القرضاوي، ص 58.

أي ما حول عينيه أسود - فأتى به ليضحي به، فقال لها: يا عائشة هَلُمِّي المُدْية، ثم قال: اشحذيها بحجر ففعلت...»[39].

فهذا تطبيق من النبي ﷺ لذلك الأمر، فقد أمر النبي ﷺ بشحذ المُدْية، وهي السكين ومعنى شحذها أي سَنُّها لتكون حادة، وقال ﷺ: «إذا ذبح أحدكم فليُجهز»[40]. أي فليكن سكينه حادًا ليفرغ من عملية الذبح بسرعة حتى لا يتعذب الحيوان.

ج - ونهى النبي ﷺ أن يَحُدَّ الرجل سِكِّينه أمام الشاة، بل عليه أن يجهز عدة الذبح قبل ذلك، ويُهَيِّئ المكان والوسائل المناسبة للتخفيف عن الحيوان، عن ابن عباس - رضي الله عنه - أن رجلاً أضجع شاة وهو يَحُدُّ شفرته، فقال النبي ﷺ: (أتريد أن تميتها موتات؟ هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها)[41].

ورأى عمر رجلاً يسحب شاة برجلها ليذبحها فقال له: ويلك قدها إلى الموت قودًا جميلاً[42].

وهكذا فإنه يجب على المسلم أن يسعى لإراحة الحيوان عند الذبح ما استطاع، وليعلم أن ذبحه لا يعني تعذيبه وإيذاءه، ولكنه الوسيلة المثلى لإزهاق روحه بأسرع وقت وأقل ألم، وإخراج ما به من دم ومرض وفساد.

د - ويلحق بالإحسان إلى الذبيحة، الصيد فكذلك جعل له النبي ﷺ ضوابط تكفل للحيوان عدم التعذيب، فإذا كان الله سبحانه وتعالى ونبيه ﷺ قد بينا إباحة صيد الحيوان غير المقدور على إمساكه وذبحه، فأجاز الإسلام صيده بالآلة أو بالحيوان الجارح، فإنه في الوقت نفسه منع من إيذاء هذا الحيوان بأن اشترط أن تكون الآلة جارحة تخرق الجسد وتؤدي إلى سرعة الوفاة، وقد سأل عَدِيُّ ابن حاتم النبي ﷺ فقال: إني أرمي بالمعراض - وهو السهم الذي لا ريش عليه - الصيد فأصيبه، قال: إذا رميت بالمعراض فخرق - أي نفذ في الجسد - فكل وما أصابه بعرضه فلا تأكل[43].

إذا كان الإسلام قد أمر بقتل بعض الحيوانات والحشرات الضارة، فإنه في الوقت نفسه أذن بتربية بعض الحيوانات المحترمة سواء كانت مأكولة اللحم واللبن والبيض أو غير مأكولة.

ويؤخذ من هذا الحديث أن النبي ﷺ لم يأذن بأكل ما لم يخترقه السلاح، وفي هذا تشجيع للصائد على أن يكون سلاحه حادًا يؤدي إلى الموت السريع للحيوان، بعكس ما يصيبه دون اختراق، ثم إن مثل هذا السلاح الذي لا يخترق الجسد غالبًا ما يهرب الحيوان بعد إصابته به ثم يمرض ويموت دون أن يستفيد منه أحد، ولهذا نهى النبي ﷺ عن الصيد بالبندقة - وهي كرة تتخذ من الطين وبعد أن تجف يرمي بها الصيد - قال النبي ﷺ: (لا تأكل من البندقة إلا ما ذكيت)[44].

وهي بذلك غير البندقية المعروفة اليوم، فإن البندقية من السلاح الحاد الذي يجوز به الصيد لأن رصاصها يخترق الجسد أكثر من اختراق الرماح والنبال.

وعن عبد الله بن مغفل قال: نهى رسول الله ﷺ عن الحذف، - والحذف الرمي بالحجارة وما شابهها -

39 - رواه مسلم 121/13.

40 - رواه ابن ماجه.

41 - رواه الحاكم، 2604، ح: 7570، كتاب الذبائح، وقال صحيح على شرط البخاري.

42 - رواه عبد الرزاق في مصنفه.

43 - رواه البخاري، فتح الباري، 6049، ح: 5417، كتاب الذبائح والصيد.

44 - جاء في البخاري «نهى النبي ﷺ عن الخذف والبندقة»، 6079، ح: 5479، وح: 5476، كتاب الذبائح والصيد.

وقال ابن جعفر وهو أحد رواة الحديث: «إنه لا ينكأ عدوًا ولا يقتل صيدًا، ولكنه يكسر السن ويفقأ العين»، قال النووي في شرحه لهذا الحديث: «وفي هذا الحديث النهي عن الحذف لأنه لا مصلحة فيه ويخاف مفسدته ويلتحق به كل ما شاركه في هذا»[45].

وبهذا تتضح الصورة الجميلة التي رسمها الإسلام في هذا الموضوع وتظهر الرحمة والرفق والسماحة التي تمتع بها هذا الدين وطبقها نبيه ﷺ وصحابته الكرام.

8ـ النهي عن قتل الحيوان وتعذيبه إذا لزم قتله:

لقد نهى الإسلام عن قتل الحيوان ظلمًا وعدوانًا أو لهوًا وعبثًا، وقد تقدمت الأحاديث التي نهى فيها النبي ﷺ عن التحريش بين الحيوان أو اتخاذه غرضًا للرمي أو تجويعه..

وقد جاء النهي صراحة عن قتل كثير من الحيوانات، بل الحشرات لأنها مخلوقات وأمم تسبح الله تعالى.

منها ما رواه عبدالرحمن بن عثمان أن رسول الله ﷺ نهى عن قتل الضفادع[46].

وعن ابن عمر قال: «.. ورأى ـ أي النبي ﷺ قرية نمل قد حرقناها، فقال: من حرق هذه؟ قلنا نحن، قال: إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار»[47].

فلا شك أن هذا القتل لهذه المخلوقات الضعيفة لا يرضاه الإسلام ولا يأمر به، لاسيما إذا كان فيه تعذيب للحيوان كحرقه بالنار مثلاً.

وهذا الفعل لا يرضاه الله سبحانه، فقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أن نملة قرصت نبيًا من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه: أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح[48].

فهذه الحشرات الصغيرة لا يمكن أن يكون قرصها للإنسان سببًا في قتل قرية من النمل بكاملها، لاسيما إذا كان في سفر أو كانت بعيدة عن مكان سكن الإنسان وغير مؤذية له، كحديث ابن عمر السابق حيث كانوا في سفر فأنكر عليهم النبي ﷺ أن يقتلوا النمل ويحرقوه.



الاهتمام بالخيول العربية

وإذا كان النبي ﷺ أمر بقتل بعض الحيوانات المؤذية والحشرات السامة فذلك لأنها تلحق الضرر بالإنسان كالحية وبعض الكلاب، فعن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بقتل الكلاب يقول: اقتلوا الحيات والكلاب، واقتلوا ذا الطفتين والأبتر فإنهما يلتمسان البصر ويسقطان الحبالى»[49]. وقد بيّن النبي ﷺ علة قتلها وهو ضررها الذي تلحقه بالإنسان، والفأر الذي يفسد المتاع وينقل الأمراض، كذلك الأوزاغ وهي ما يسمى بسام أبرص، ويقال إنها تسبب البرص وتؤذي الإنسان.

ولكن مع الأمر بقتل هذه الحيوانات فإن هذا الأمر جاء محفوفًا بالدعوة إلى الرأفة بها وعدم تعذيبها، فلا تقتل حرقًا، ولا يبالغ في إيذائها وحبسها والتلهي

45ـ صحيح مسلم بشرح النووي 13/105.

46ـ رواه الدارمي 2/125، وأبوداود 4/2237 رقم 5269.

47ـ رواه أبو داود 2/1159 رقم 2675.

48ـ رواه مسلم 14/240، والنسائي 4/157 رقم 4369، وأبو داود 4/2236 رقم 5266.

49ـ رواه مسلم 14/236 والترمذي 3/488 رقم 1482.

بها، وقد مر بنا قول النبي ﷺ (وإذا قتلتم فأحسنوا القتلة)، وكذلك إنكاره حرق النمل، وجعل النبي ﷺ ثوابًا أكبر لمن يقتل الوزغ في أول ضربة ثم من ثانيتها ثم من ثالثتها، وذلك لكي لا يعذب الحيوان ويبالغ في إيذائه، فربما سمع مسلم أن النبي ﷺأمر بقتلها فيبالغ في تعذيبها، فقال ﷺ: «من قتل وزغة في أول ضربة فله كذا وكذا حسنة، ومن قتلها في الضربة الثانية فله كذا وكذا حسنة، دون الأولى، ومن قتلها في الضربة الثالثة فله كذا وكذا حسنة دون الثانية»[50].

فانظر كيف جعل النبي ﷺ أجرًا زائدًا لمن قتله من الضربة الأولى وفي رواية أن له مائة حسنة....، وقد يستغرب البعض لماذا كل هذا الأجر لمن قتل وزغة من أول ضربة، والجواب هو ما تم ذكره وهو الرأفة بالحيوان وعدم الإذن في تعذيبه أثناء قتله.

9 ـ الإذن بتربية الحيوان واقتنائه خارج البيت وداخله:

إذا كان الإسلام قد أمر بقتل بعض الحيوانات والحشرات الضارة، فإنه في الوقت نفسه أذن بتربية بعض الحيوانات المحترمة سواء كانت مأكولة اللحم واللبن والبيض أو غير مأكولة. ومن ذلك إذنه بتربية القطط، ولو كان داخل البيوت، بل لو وصل الأمر إلى أن تتناول شرابًا فيشرب من سؤرها لأنها نظيفة محترمة. «فعن داود بن صالح التّمار عن أمه أن مولاتها أرسلتها بهريسة إلى عائشة فوجدتها تصلي فأشارت إليّ أن ضعيها فأكلت منها (هرة) فلما انصرفت أكلت من حيث أكلت الهرة فقالت: إن رسول الله ﷺ قال: «إنها ليست بنجس إنما هي من الطوافين عليكم» وقد رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ بفضلها[51]. فهذا الحديث دلّ على أمور منها:

أ ـ أن الهرة حيوان طاهر وسؤرها طاهر، يجوز الوضوء منه أو شربه أو أكله.

ب ـ جواز اقتناء هذا الحيوان داخل البيت أو دخوله وخروجه من البيت مثل ما حصل للسيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ وللرسول ﷺ.

ج ـ الإذن بتربيتها في البيت وشرب سؤرها يدل على احترام هذا الحيوان والرفق به وجواز العيش معه في مكان واحد.

وهذا كله يدل على رفق الإسلام بالحيوان واحترامه.

وهو ما أرادت السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ بيانه في هذا الحديث، قام به أيضًا صحابي آخر هو أبو قتادة ـ رضي الله عنه ـ فعن كبشة بنت كعب بن مالك، وكانت تحت ابن أبي قتادة ـ أن أبا قتادة دخل عليها فسكبت له وضوءًا فجاءت هرة تشرب منه، فأصغى لها أبو قتادة الإناء حتى شربت قالت كبشة: فرآني أنظر فقال: أتعجبين يا ابنة أخي؟ قلت: نعم قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إنها ليست بنجس إنما هي من الطوافين عليكم أو الطوافات»[52].

المطلب الرابع: الرفق بالحيوان سبب لدخول الجنة والإساءة إليه سبب لدخول النار:

إذا كان دخول الجنة والنجاة من النار، هي أسمى غاية يسعى لها المسلم، فلا شك أن الإسلام قد حقق أعظم إنجاز في الرفق بالحيوان والحفاظ على حقوقه وحمايته من كل ضرر أو أذى؛ لأنه جعل الإحسان إليه سببًا لدخول الجنة، والإساءة إليه سببًا لدخول النار.

يطالعنا في القسم الأول من الحديث المشهور الذي رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئرًا فنزل فيها

---

50 ـ أبو داود 1/44 رقم 76.

51 ـ رواه الدارمي 1/204.

52 ـ مسلم 14/241.

فشرب ثم خرج، فإذا كلبًا يلهث يأكل الثرى من شدة العطش فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفّه ثم أمسكه بفيه حتى رقى، فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له»، قالوا يا رسول الله: وإن لنا في هذه البهائم لأجرًا؟ فقال: «في كل كبد رطبة أجر»[53]. وفي رواية أبي داود «بينما كلب يطيف بركية - أي بئر قد كاد يقتله العطش، إذا بَغيٌّ من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها - فاستقت له، فسقته إياه فغفر لها به»[54]. لقد غفر الله سبحانه لهذا الرجل، ولهذه المرأة البَغيّ، التي اقترفت الكثير من الفواحش والآثام، لأنها سقت هذا الحيوان ورحمته ورأفت بحاله، نعم إنها الحسنات التي تذهب السيئات، فالمسلم الذي بدر منه الخطأ وصدرت منه الذنوب، التي هي من طبيعة ابن آدم جعل الله له وسيلة لتكفير هذه الذنوب والسيئات، إنها التوبة والاستغفار وفعل الخير والرحمة بخلق الله سبحانه، وما أكثر طرق الخير وأسبابه، والتي من بينها هذه الوسيلة، وهي الإحسان للحيوان ورحمته والرأفة به. أما الإساءة للحيوان فهي سبب لغضب الله ولعنته ودخول النار عقوبة على هذا الفعل الذي لا يرضاه الله سبحانه، وقد تقدم حديث النبي ﷺ الذي ذكر فيه أن امرأة عذبت بسبب هرة سجنتها حتى ماتت، لأنها حالت بينها وبين حريتها وحقها في الحياة...

وكذلك غضب النبي ﷺ لمن وسم حمارًا في وجهه، ولعنه، واللعن الدعاء بالطرد من رحمة الله، فأي منزلة للحيوان أعظم من منزلته في الإسلام حتى يلعن بسببه المسلم إذا وسمه في وجهه أو ضربه في وجهه.

بلغ من عناية الإسلام بالرفق بالحيوان أن جعل الإحسان إليه والرأفة به سبباً لدخول الجنة، والإساءة إليه سبباً لدخول النار.

وقد ورد أن النبي ﷺ عاقب من سبّتْ ناقتها بأن أمر بأخذ ما عليها من متاع ثم تسريحها... فعن عمران بن حصين قال: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة»، قال عمران فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد[55].

لعل هذه العقوبة لأن الإسلام ينهى عن السبّ والشتم عمومًا، ولكن فيها أن الإسلام لم ينه عن الأذى المادي بالحيوان فقط، بل ارتقى به إلى النهى عن أى أذى معنوي يلحقه كالسب والشتم والدعاء باللعنة عليه.

المطلب الخامس: تحريم قتل الحيوان في الحرم (أول محميّة طبيعية في العالم):

لعل من الفخر لنا نحن المسلمين أن نعلم أن الإسلام يعتبر أول من أنشأ محمية طبيعية في العالم، يحافظ فيها على البيئة نباتها وحيوانها، ونقصد بذلك أن الإسلام يعتبر منطقة الحرم وهي مكة وما حولها، والمدينة وما حولها، بمسافات معروفة، أرض أمن لا يقتل فيها الحيوان ولا يؤذى ولا يكسر بيضه ولا يؤخذ... والحرم المكي كان من بداية بناء البيت في عهد إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - ثم أقرّه الله تعالى وبقي حرمًا إلى يوم القيامة، والحرم المدني حرّمه النبي ﷺ لكنه رأفة بأمته لم يجعل فدية على الذي يقتل الحيوان فيه أو يأخذ من نباته.

---

53 - رواه أبو داود 2/ 1105 رقم 2550.

54 - مسلم 16/ 146 والدارمي 2/ 374.

55 - رواه مسلم.

لقد جاءت العديد من الآيات والأحاديث تؤكد على هذا الحكم كقوله تعالى:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

[سورة المائدة، الآية: 96]

وقوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾

[سورة المائدة، الآية: 95]

وقول النبي ﷺ عن المدينة: «ما بين لا بتيها حرام»(56). وهي من الأمور المعروفة المجمع عليها في الحج والعمرة، فالحرم الشريف ليس أمنًا للناس فقط، بل هو كذلك أمن وسلام لسائر المخلوقات.

وبناء على هذه الحرمة حدد العلماء مقدار الهدي الذي يعطيه المحرم إذا قتل حيوانًا أو طيرًا أو كسر بيضًا في الحرم...

إن الإسلام دين الاعتدال والوسطية فهو يأذن للناس بذبح الحيوان للإنتفاع بلحمه، وهذه من نعم الله على الناس، لكنه في نفس الوقت ينهى عن الإسراف والتبذير في ذلك، ينهى أن يكون الصيد أو الذبح أو القتل للحيوان لمجرد اللهو والعبث، ويقوم كذلك بإجراءات احترازية للحفاظ على الثروة الحيوانية، فمن أحكام الأضحية أن تكون كبشًا إقتداء بالنبي ﷺ ومعلوم أن ذبح الكباش لا يؤثر بالثروة الحيوانية، لأن الذي يفيد في عملية تكاثر الأغنام وغيرها من الحيوانات هو توفر الإناث، أما الذكور فيكفي الفحل الواحد لمجموعة كبيرة من الحيوانات..



العلاج من مظاهر الاهتمام والرفق بالحيوان

وكان النبي ﷺ يحث أصحابه على المحافظة على الأنثى من الحيوان كقوله ﷺ لأحد الصحابة وقد عزم على أن يذبح لهم «إياك والحلوب»(57)، وفي رواية الحاكم: «إياك واللبون، اذبح لنا عناقًا»(58)، فإن كان لابد من الذبح فليحافظ المسلم قدر الإمكان على ثروته الحيوانية فيتقي ذبح الإناث التي يطمع أن تلد، لا سيما إذا كانت مرضعة لكي يحافظ على أبنائها الصغار.

وهذا الحديث يرشدنا من جهة أخرى إلى مدى رحمة النبي ﷺ ورأفته بالحيوان، لاسيما الصغير، فنهى أن تذبح أمه الحلوب، وهذا فيه رعاية لحق الصغير في الحياة، التي لا تتهيأ له إلا بالرضاعة من أمه، عن علي - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ «نهى عن ذبح ذوات الدّر»(59).

---

56 ـ رواه مسلم.

57 ـ رواه مسلم 13/214.

58 ـ رواه الحاكم 4/261، ح: 7576، كتاب الذبائح.

59 ـ رواه الحاكم 4/261، ح:7577، كتاب الذبائح.

الخاتمة وأهم النتائج:

بعد هذه الجولة السريعة والمختصرة بين آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ، التي اعتنت بالرفق بالحيوان والإحسان إليه، أخلص إلى جملة من النتائج المهمة: بعضها تم إلقاء الضوء عليه من خلال هذا البحث، وبعضها تم إظهاره وإبرازه للدارسين لهذا الموضوع، أو للشريعة الإسلامية، وما فيها من مظاهر للحضارة والمدنية، وهذه النتائج هي:

1- الرفق والإحسان عمومًا، وبالحيوان على وجه الخصوص مظهر من مظاهر المدنية والحضارة في الإسلام؛ اعتنى به هذا الدين وأكّد عليه مرارًا وتكرارًا.

2 - اتخذ هذا الدين العديد من الخطوات لترسيخ فكرة الرفق بالحيوان وتطبيقها على أرض الواقع، منها التأكيد على ضرورة إطعامها وسقيها، وعدم تكليفها من العمل ما لا تستطيع، وعدم التفريق بينها وبين أبنائها وصغارها، والنهي عن إيذائها وتعذيبها، أو وسمها في وجهها، أو التحريش بينها، أو قتلها، كما أذن في نفس الوقت بتربية بعض الحيوان، واقتنائه خارج البيت وداخله.

3- بلغ من عناية الإسلام بالرفق بالحيوان أن جعل الإحسان إليه والرأفة به سببًا لدخول الجنة، والإساءة إليه سببًا لدخول النار.

4- من أهم ما سبق إليه الدين الإسلامي في هذا الموضوع أنه أول من أقام محمية طبيعية؛ وذلك بتحريم الصيد في الحرم المكي والمدني، وكذلك تحريم الصيد على المُحرِم بالحج أو العمرة، سواء كان داخل الحرم أو خارجه. وهذا ما لم يُسبق إله الإسلام.

5- قام النبي ﷺ ومن بعده صحابته - رضي الله عنهم - بتطبيق مبادئ الرفق بالحيوان، ليكون قدوة لغيره من الناس، وينقل النظرية إلى الواقع والأفكار إلى تطبيقات، فكان الحيوان ينعم بالرفق والإحسان في ظل هذا الدين بعدما نعم به الإنسان وعاش هانئًا في ظله.

التوصيات:

1- ضرورة الاهتمام بهذا الموضوع إعلاميًا، ودعوة الناس إلى تطبيقه، وإبراز الفوائد التي توجد في الحيوانات بسائر أنواعها وأشكالها، وما تحدثه من توازن في الطبيعه.

2 - ضرورة الإكثار من المحميات الطبيعية لحماية الحيوانات من الانقراض كحصار المباني والمزارع لها.

3- ترشيد المزارعين عند استعمال المبيدات الحشرية حتى لا تسبب في موت وفناء وانقراض الطيور والحيوانات النافعة.

4 - منع الصيد الجائر في البر والبحر على حد سواء، كالصيد بالمتفجرات في البحار، الذي يقتل كافة المخلوقات البحرية ويدمر الحياة في البحار.

5- التشجيع على إقامة الجمعيات التي تعتني بالرفق بالحيوان عمومًا وتنويعها، بحيث يعتني البعض بحماية الحيوانات البرية، وأخرى بحماية الطيور، وبعضها للحيوانات الأليفة والداجنة، وبعضها للحيوانات البحرية... وهكذا حتى يتم اقتسام هذه الأعباء الكبيرة التي تنوء بحملها جمعية أو هيئة واحدة.

ولعل هذه النقطة الأخيرة هي أهم ما ينبغي إنجازه في هذا المجال، لأنه بإنشاء هذه الجمعيات تتوفر كل الأمور الأخرى، وتجد الحيوانات القلوب الرحيمة لترأف بها والآذان المصغية لاستغاثتها، والأصوات المجاهرة التي تنادي بحمايتها.

وعن طريق هذه الجمعيات يتوفر الطعام والشراب والحِمى والملجأ، والأدوية، والأبحاث والدراسات، والاتصالات مع الجمعيات والهيئات العالمية، وضم الجهود والتآزر من أجل إنجاح هذا العمل.

الرأي العام

(تكوينه ومراحله ـ أنواعه ـ خصائصه ـ أركانه)

د. محمد عبد الرحمن الحنين *

هناك بعض الباحثين لا يفرقون بين الاتجاه والرأي، منهم الباحث إيلسون، حيث نظر لعدم وجود اتفاق بين العلماء على حدود التعريف، إلا أن هارتلي وهارت، يعتقدان أنه لن يفيد كثيراً أن نعتبر الرأي مجرد تعبير لفظي عن الاتجاه.

وهكذا يرى بعض العلماء أنّ الرأي من طبقة سيكولوجية أخرى غير الاتجاه من حيث علاقته الوظيفية بالسلوك، فالرأي يوجد فقط عندما تعجز الاتجاهات عن تمكين الفرد أو الجماعة من مواجهة الموقف.(1)

والواقع أن هؤلاء العلماء يرون أن الرأي يتضمن أو يقوم جزئياً على الاتجاهات، ولكن ذلك لا يعني أنه مرادف للاتجاه لأنه دائماً مرتبط بعناصر الخلاف في الموقف، وعادة ما تكون المواقف معقدة ومركبة تتضمن كثيراً من الموضوعات، وتستثير نزعات متصارعة وغالباً ما تحتوي على عناصر جديدة محيرة، لذلك فإنّ كثيراً من الاتجاهات تتكون متضمنة بصورة مباشرة أو غير مباشرة في كل الأفعال تقريباً، كما يوجد تفاعل بين هذه الاتجاهات خلال حدوث الفعل، وهذا التفاعل هو الذي يقوم الرأي من خلاله بدور الوساطة بين الاتجاهات؛ فالرأي في اعتقاد كثير من العلماء، هو أقرب إلى السطح بعكس الاتجاه الذي يرونه أعمق وأكثر التصاقاً.

ورغم أن هناك بعض المصطلحات تشمل عدة مفاهيم، من حيث المعنى العام، ولكنها تختلف أحياناً عند استخدامها في التعبير عن بعض القضايا أو الموضوعات المختلفة. فمثلاً مصطلح العقيدة يشمل المعرفة والرأي والإيمان، ولكن رغم العوامل المشتركة بين تلك المفاهيم ودخولها تحت مصطلح واحد، فهي تتميز عن بعضها في بعض الاستخدامات.

ولقد قدّم الباحثان كرتش وكرتشفيلد أمثلة على ذلك موضحين فيها الفرق بين تلك المفاهيم، فمن تلك الأمثلة: أن الأرض كروية الشكل، فهذه معرفة. وإذا قلنا إنه يجب حظر الأسلحة النووية، فهذا رأي. وإذا قلنا أيضاً : نحن نؤمن بأن الله يهدينا في أعمالنا فهذا إيمان، فهذان العالمان ينظران إلى أن مفهوم العقيدة هو: تنظيم ثابت من الإدراك والمعارف بالنسبة لجانب من المعرفة. (2)

---

* أستاذ جامعي/ليبيا.

(1) انظر: لويس كامل مليكة، سيكولوجية الجماعة والقيادة، مكتبة النهضة المصرية (الطبعة الثالثة: القاهرة1970) ص72،71.

(2) انظر : لويس كامل مليكة، سيكولوجية الجماعة والقيادة، مكتبة النهضة المصرية، مرجع سابق ص73،72.

فالواقع أن هناك كثيراً من المفاهيم والمصطلحات، تستخدم أحياناً في التعبير عن بعض القضايا أو الموضوعات، ولكن لا يصلح استخدامها في بعض الموضوعات الأخرى؛ لذا يجب على الباحث أن يميز بين المصطلحات والمفاهيم، من حيث دلالتها العامة والخاصة، حتى يتمكن القارئ من فهم واستيعاب الموضوع بشكل واضح وجلي.

وإذا نظرنا إلى مفهوم الرأي العام وأهميته بشيء من التفصيل، فيمكن الإشارة أيضاً إلى تعريفين مهمين، من حيث دلالتهما الواضحة والشاملة.

التعريف الأول: يرى قائله أن الرأي العام هو: الفكرة السائدة بين جمهور من الناس تربطهم مصلحة مشتركة إزاء موقف من المواقف أو تصرف من التصرفات، أو مسألة من المسائل العامة التي تثير اهتمامهم أو تتعلق بمصالحهم المشتركة.[3]

فهذا التعريف يبين أن الرأي العام يكمن في ارتباط المصلحة بين الناس، حيث إن المجتمع يتفق في الرأي تجاه بعض الظواهر التي تؤثر عليه سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً، أما كاتب التعريف الثاني فيرى أن الرأي العام هو: الرأي السائد بين أغلبية الشعب الواعية، في فترة معينة نحو قضية معينة أو أكثر، يحتدم فيها الجدل والنقاش وتمس مصالح هذه الأغلبية أو قيمها الإنسانية مساً مباشراً.[4]

فالملاحظ هنا أن كلاً التعريفين يتفقان في أن المصالح المشتركة بين الناس هي التي تجعلهم يتفقون في الرأي، فقد تكون تلك المصالح روابط دينية أو اجتماعية أو سياسية أو ثقافية.

ومن خلال التعريفات التي ذكرت يمكن القول بأن الرأي العام هو: مجموعة أفكار وآراء، تتكون من قبل المجتمع لمواجهة بعض الظواهر والقضايا التي تواجهه.

ودراسة الرأي العام تعد من الدراسات أو الظواهر التي اهتم بها المفكرون والسياسيون منذ زمن بعيد، ورغم دراسة هؤلاء المفكرين والسياسيين لهذه الظاهرة وغيرها من الظواهر الأخرى، كالإعلام والاتصال أنهم لم يستخدموا نفس المصطلحات المتعارف عليها الآن.

الرأي يتضمن أو يقوم جزئياً على الاتجاهات، ولكن ذلك لا يعني أنه مرادف للاتجاه، لأنه دائماً مرتبط بعناصر الخلاف في الموقف.

والرأي العام سواء في جماعة أو مجتمع هو مرآة عاكسة لوجهات نظر الناس ومواقفهم تجاه أي قضية من القضايا، سواء أكانت تلك القضية محلية أم خارجية هو لا يثبت على حال واحد، فهو يستجيب للمثيرات والدوافع المستقلة أو المحكومة، المتعلقة بالحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، لأي جماعة من الجماعات أو مجتمع من المجتمعات.

وقد يؤثر الرأي العام تأثيراً كبيراً على مسار النشاط السياسي والاجتماعي، لاسيما المجتمعات الديمقراطية التي تتعدد فيها وجهات النظر ويكون فيها الرأي والرأي المعارض، حيث تتم مناقشة كل الآراء حول أي قضية من القضايا أو ظاهرة من الظواهر وللرأي العام دائماً قوة تأثير، لأنه يعبر عن نفسه مهما كان نوع الحكم الذي تتصف به الدولة أو المجتمع، فإذا نظرنا مثلاً إلى حكم الدولة الشمولية، نجد أن تكوين الرأي العام فيها يتم عن طريق النخبة الحاكمة صاحبة السلطة، التي تستخدم وسائل الإعلام الجماهيري والرقابة وتسخرها لمصالحها وتحاول

---

(3) إبراهيم إمام، الإعلام والاتصال بالجماهير (لاط؛ مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة: 1969م) ص205.

(4) مختار التهامي، الرأي العام الحرية النفسية (لاط؛ دار المعارف، القاهرة:1972م) ص29.



التخلص من المعارضة، لتحقيق أهدافها والقيام بانتخابات مزورة وإجراءات قمع وضغط من أجل طمس الآراء المعارضة لها.

ولكن رغم ذلك يكون للرأي العام في المجتمع تأثير، فهو يعبر عن نفسه بقوة وعنف، فيهز أحياناً النظام من أساسه. (5)

ويمكن الإشارة هنا إلى بعض العناصر المهمة التي توضح مراحل تكوين الرأي العام، وأسسه، وأقسامه، وأهم العوامل الاجتماعية والثقافية التي تؤثر فيه وتجعله - في أغلب الأحيان - عاملاً أساسياً في اتخاذ القرار، نحو كثير من القضايا والظواهر التي يمر بها المجتمع.

أولاً/ مراحل تكوين الرأي العام: تشير كثير من المصادر والمراجع إلى أن اصطلاح الرأي العام قد استخدم لأول مرة في القرن الثامن عشر، إبان الثورة الفرنسية، حيث صرّح وزير المالية آنذاك - وهو لويس السادس عشر- جاك نيكير Jacques Necker معبراً عن التحكم في سلوك المستثمرين في بورصة باريس، عندما كانت الدولة تتجه للجماهير للحصول على قروض وطنية.(6)

وظهور مصطلح الرأي العام في القرن الثامن عشر لا يعني أن الحضارة القديمة لم تكن لديها مفاهيم متصلة بهذه الظاهرة، ففي أثينا وإسبرطة وغيرهما تأكد دور الرأي العام كظاهرة في مدن الدولية الإغريقية، حيث كانت الآراء في ذلك الوقت تؤخذ بعين الاعتبار، لاسيما آراء من يتمتعون بحق المواطنة وهم أصحاب الكلمة العليا في اتخاذ القرار.

وإذا نظرنا إلى ظاهرة الرأي العام في العصور الوسطى، نجد أنّ كثيراً من الباحثين يعتبرونها ظاهرة سلبية، والسبب في نظرهم هو السيطرة المطلقة

(5) أنظر: أحمد بدر، الرأي العام، ص29،30.

(6) From an essay on public Opinion by Davison and Avery Leiserson and published in international Encyclopedia of Social Sciences, Vol.13.(1966) .p.188-203.

للمعتقدات الدينية والذين في أيديهم زمام السلطة... ولكن رغم ذلك فإن العالم المسيحي قد عرف عبارة الاتفاق العام، التي بنيت على المفهوم الرواقي لفكرة الشعور الجمعي، والتي كانت مستعملة لدى أنصار البابا وخصومهم أنصار الإمبراطور، لغرض التعبير عن التقاليد السائدة والاتجاهات العامة في كل المناطق المتنازع عليها؛ وظهر بعد ذلك في العصور الوسطى كتّاب مثل السيون Alcuin ووليم مالسبوري Malmesbury ثم ماكيافيللي Machiavelli.. حيث أكدوا أهمية ما يمكن أن نسميه: رأي الجمهور Mass Opinion. وتداولت المصطلحات التالية في هذه الفترة، Vox Populi Vox Dei صوت الشعب من صوت الله..(7)

فمصطلح الرأي العام لم يستخدم بالمفهوم السائد الآن؛ حتى في المدينة القديمة الإغريقية، فقد كان بعض المفكرين والسياسيين مثل: أفلاطون وأرسطو يتحدثون عن الرأي الجماهيري، وأهميته، وبينما تشكك أفلاطون في كفاءة آراء الجماهير وقدرتها، حاول أرسطو وغيره من المهتمين بظاهرة الرأي العام تحديد المجالات التي يكون فيها لرأي الجماهير فعالية وقدرة عالية. وعند اتساع الدولة الرومانية ظهر كثير من ناقلي الأخبار المحترفين، كما ظهرت المنشورات وزادت عملية الاتصال والرأي العام، فأصبحت منظمة ومصاحبة للتجمع الإنساني.(8)

وإذا نظرنا إلى العصر الإسلامي واهتمامه بالرأي العام، فيمكننا القول بأن الخلفاء الراشدين كانوا مهتمين اهتماماً كبيراً بمعرفة آراء الرعية واتجاهاتها، نحو كل ما يحدث من قضايا في المجتمع الإسلامي، وقد كان الدستور الأساسي لدى المسلمين هو القرآن الكريم، الذي دعا المسلمين إلى الشورى فيما بينهم، حيث جعل من هذا المبدأ أساساً لتولي مقاليد الحكم والتي تصدر من المسلمين كافة؛ فكان للرأي العام في العالم الإسلامي صلاحية جوهرية يعتمد عليها في تقييم الحاكم إذا أخطأ في قوله أو فعله، فالكلمة العليا في الشوؤن السياسية والاجتماعية كانت تصدر من صفوة المسلمين الحكماء والوعاظ وأهل الرأي والمشورة.(9)

وكل آراء هولاء الحكماء والوعّاظ وغيرهم، كانت مستندة على القرآن الكريم وآياته الكريمة كقوله تعالى:
﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الشورىٰ، الآية: 38]
وقوله تعالى أيضاً:
﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [سورة آل عِمرَان، الآية: 159]

وهكذا أصبح مصطلح الرأي العام، يتطور مع تطور العصر وتغير الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية، ففي القرن الخامس عشر، عندما اخترع الصينيون أو الكوريون القدامى الطباعة ـ رغم أن الأوروبيين يدعون أن مخترع الطباعة هو غوتنبيرغ، إلا أن الحقيقة الأكيدة في رأي أغلب المفكرين هي ليست ما ادعاه الأوروبيون؛ فالصينيون أو الكوريون هم أول من اخترع الطباعة. أما غوتمبيرغ فقد استهوته الفكرة، فأراد في أول الأمر أن يجعل كل حرف من الحروف اللاتينية مستقلاً عن الآخر، بشكل الكلمات ثم الجمل من تلك الحروف المجزأة، ثم يجعلها على هيئة أسطر، وبعد فترة من الزمن رأى أن الحروف الخشبية لا تتحمل الضغط فصنع نماذج على مادة

(7) Palmer, Paul A. the Concept of Public Opinion in Political Theory in Essays in History and Political Theory in Honor of Charles H. Mchwain (Cambridge, Mass: Harvard University Press,1936).

(8) انظر:أحمد بدر، الرأي العام مرجع سابق، ص29،30.

(9) انظر: أحمد محمد ابو زيد، سيكولوجية الرأي العام ورسالته الديمقراطية (لاط؛ عالم الكتب:القاهرة 1998م) ص97-99.



صلبة ثم أوجد المتاريس: الأم ـ [10] إنّ اختراع الطباعة زاد في حجم الجماهير القارئة، ساعد في تكوين الرأي العام وظهور الاتجاهات المختلفة نحو القضايا التي تمر بها المجتمعات في مختلف أرجاء العالم.

ومما سبق ذكره عن مراحل تكوين الرأي العام، واستناداً على بعض المراجع الحديثة يمكننا القول بأنه من الصعب تحديد مراحله، والتطورات التي مرّ بها تحديداً دقيقاً، لأنه من الظواهر المعقدة التي لا يمكن الفصل بين مراحلها المتشابكة، فظاهرة الرأي العام وحدة واحدة متداخلة في بعضها، إلا أنه يمكن ـ وعلى مستوى التحليل النظري، وبصورة ليست دقيقة ـ التمييز بين ثلاثة مراحل لتكوين الرأي العام وهي:

(1) **مرحلة الإدراك:** وهي بداية الفرد لتصور المشكلة التي يتم إدراكها في ضوء ظروف التنشئة الاجتماعية بوجهة نظر خاصة، ومن خلالها يتضح فهمه لبعض القضايا العامة في المجتمع الذي يعيش فيه، فهذه المرحلة تعد مرآة عاكسة لوجهة نظر فردية و بشكل نسبي.

(2) **مرحلة الصراع:** وهو أن تتصارع الآراء وتختلف وجهات النظر حول المقترحات، وقد تظهر الإشاعات وتلعب الانفعالات دوراً بارزاً وتتصارع مع المنطق العقلي، ويدافع أصحاب الآراء المختلفة عن رأيهم في إطار الهدف العام للجماعة؛ ويمكن القول هنا إنّ مرحلة الصراع تكمن في الانتقال من التصور الذاتي للقضية أو المشكلة إلى حالة صراع، وتتصف بثلاثة أبعاد، وهي:

(أ) البعد الذاتي: وهو صراع الفرد مع نفسه من أجل

---

(10) انظر: شوسيه مرسال، دخول العقل الإلكتروني في العمل الصحفي (مجلة الدراسات الإعلامية، تصدر عن المركز العربي للدراسات الإعلامية، العدد 9 دمشق: مارس 1982.

فهم المشكلة واستيعابها بأبعادها المختلفة.

(ب) البعد الاجتماعي: وهو الذي تنتقل فيه المشكلة من الصراع الذاتي إلى صراع اجتماعي، له ارتباط قوي بالمؤسسات الاجتماعية.

(ج) البعد النظامي:وهو صراع رسمي يمارس من خلال المؤسسات السياسية بمختلف أنواعها.

(3) مرحلة التركيز: وهي من المراحل المتقدمة التي تتقارب فيها المواقف وتتضح نقاط التلاقي والتعارض بين تلك المواقف، كما يتم في هذه المرحلة القضاء على المواقف المتعصبة الضعيفة المنحازة وتهذب المواقف القوية المختارة المؤيدة للواقعة أو المعارضة لها.(11)

ويرى بعض العلماء مثل دافيسون فيري أنّ مراحل تكوين الرأي العام تكمن في الآتي:

(أ) دور الجماعة الأولية في إعطاء أهمية لبعض القضايا أو الموضوعات.

(ب) ظهور الزعامة أو القيادة.

(ج) الاتصال بين الجماعات المختلفة.

(د) التفكك واختفاء الرأي العام.

(هـ) ظهور الصياغات الجديدة والقادة الجدد.

(و) توقعات سلوك الآخرين.(12)

ثانياً / أنواع الرأي العام: تقاربت آراء وأفكار العلماء الذين وضعوا أنواعاً للرأي العام، ولكن هناك نوع من التفاوت بينهم، من حيث التحليل وترتيب الأفكار، فهناك من قسّم أنواع الرأي العام في ضوء عدة أبعاد يمكن استخلاصها في النقاط التالية:

(1) الرأي العام وفق عنصر الزمن: حيث هناك الرأي العام اليومي أو الموقفي، وهو الذي يرتبط بأحداث ومواقف طارئة وينتهي بانتهائها؛ وهناك الرأي العام الدائم الذي يبقى فترات طويلة من الزمن.

(2) الرأي العام حسب حركته: هناك ما يسمى بالرأي العام الجامد أو (الاستاتيكي) وهو الذي يستمد قوته من العادات والتقاليد والقيم والمبادئ المتعارف عليها، لذا يمكن القول بأنه أشبه بموافقة جماعية ناتجة عن مجموعة من الآراء المعتنقة دون تمحيص، وهناك أيضاً الرأي العام المتحرك (الديناميكي) أو النشط وينشأ عن رغبة في التغير، ويعتمد على التعقل والتمحيص، أكثر من العادات والتقاليد، ويتأثر هذا النوع من الرأي العام بوسائل الدعاية والإعلام والشائعات، كما يسهل التأثير فيه وتغييره.

اختراع الطباعة زاد في حجم الجماهير القارئة، وساعد في تكوين الرأي العام وظهور الاتجاهات المختلفة نحو القضايا التي تمر بها المجتمعات في مختلف أرجاء العالم.

(3) الرأي العام حسب النطاق الجغرافي: هناك الرأي العام المحلي، الذي ينتشر في منطقة معينة، وهناك أيضا الرأي العام القومي، وهو الذي يرتبط بوطن أو بدولة معينة، كما يوجد الرأي العام الإقليمي، وهو الرأي السائد بين مجموعة من الشعوب التي تربطها حدود جغرافية مشتركة، مثل الدول العربية، وهناك الرأي العام العالمي، الذي تشترك فيه كثير من المجتمعات، عربية وأوروبية وغيرها.

ويتفق هذا التصنيف مع ما أشار إليه أحد الباحثين، وهو «جيمس برايس» الذي يرى أن الرأي العام لا يكون عاماً ـ هكذا على الإطلاق ـ بل هو عام في حدود اجتماعية وجغرافية وسلالية وتاريخية معينة.

---

(11) انظر: عواشة محمد حقيق، الرأي العام بين الدعاية والإعلام، ص39.

(12) انظر: معتز سيد عبد الله، عبد اللطيف محمد خليفة، علم النفس الاجتماعي، دار غريب للطباعة والنشر (لاط؛ القاهرة 2001م) ص434.

(4) الرأي العام من حيث تأثيره وتأثره بوسائل الدعاية: قسّم الباحثون هذا النوع من الرأي العام إلى عدة أقسام، وهي:

(أ) الرأي العام القائد أو (النابه): وهو الذي يمثل قادة الرأي في المجتمع، الذين يفهمون حقائق الأمور، ويمكنهم تفسيرها لعامة الناس ويؤثرون فيهم بدرجة كبيرة.

(ب) الرأي العام المثقف أو المستنير: وهو الذي يمثل طبقة المثقفين، الذين يمثلون قطاعاً وسطاً بين قادة الرأي وبين الأكثرية الساحقة، التي تصدق كل ما تنشره وسائل الإعلام؛ وتتفاوت نسبة الرأي العام المثقف بين مجتمع وآخر طبقاً لدرجة تقدمه وتحضره.

(ج) الرأي العام المنساق أو (المنقاد) ويمثل رأي الأغلبية التي تنساق للرأي العام المثقف، ويتأثر هذا النوع من الرأي بوسائل الإعلام والدعاية كما يتأثر بالشائعات أيضاً.

(5) أنواع الرأي العام في ضوء الظهور أو الكمون: يأخذ هذا النوع من الرأي أشكالاً مختلفة، فقد يكون التعبير عنه ظاهرياً ـ أثناء الانتخابات أوعند وقوع أحداث هامة ـ وقد يظل الرأي العام كامناً غير ظاهر، لأسباب سياسية أو اجتماعية ولكنه سرعان ما يظهر بشكل قوي، عندما تزول تلك الأسباب التي أعاقته.

ويتوقف شكل التعبير عن الرأي العام ـ صراحة أو ضمناً ـ على عدة عوامل، منها:

(أ) عندما تكون للاتجاهات قوة دافعية شديدة.

(ب) في حالة توفر مناخ سياسي أو اجتماعي ملائم.

(6) الرأي العام طبقاً لعدد للمؤيدين له: يفرق الباحثون في هذا الصدد بين أربعة أنواع للرأي العام، وهي:



(أ) رأي الأغلبية: وهو تجميع وتكرار الرأي الشخصي لأغلبية الجماعة المؤثرة، ويمثل هذا الرأي أكثر من نصف الجماعة، أما عيوبه فقد يركن إلى الكسل والخمول.

(ب) رأي الأقلية: وهو رأي ما يقل عن نصف الجماعة، ويعبّر عن رأي طائفة من الناس، لها مكانتها في المجتمع، وقد يكون من هؤلاء أشخاص متميزون وأصحاب كفاءة عالية في بعض المجالات.

(ج) الرأي الإئتلافي: الذي يدل على أن الجماعة لم تصل إلى رأي واحد في المسائل العامة؛ وهو إئتلاف لبعض الآراء في المجتمع، إزاء أي قضية معينة في وقت معين، وتحت ضغط ظروف معينة، تستلزم قيام هذا الإئتلاف؛ وهذا الإئتلاف وليد عوامل خارجية عارضة، وليس وليد مناقشة حرة.

(د) الرأي العام الساحق أو الرضى العام: وهذا الرأي يمثل الأكثرية الساحقة للجماعة، وهو شبيه بالإجماع.[13]

---

(13) انظر: علم النفس الاجتماعي، مرجع سابق. ص423، 424، 425.

ثالثاً/ خصائص الرأي العام: ورد في كتاب: الرأي العام - طبيعته وتكوينه وقياسه، ودوره في السياسة العامة، للمؤلف أحمد بدر، أن كثيراً من الباحثين والمفكرين حاول أن يضع خصائص عامة وشاملة للرأي العام، منهم المفكر كانترل Contril الذي وضع بعض الخصائص، وسماها بقوانين شاملة تصف الرأي العام، ولكن تلك القوانين واجهت انتقادات كثيرة من بعض المفكرين الآخرين، حيث وصفوها بقوانين غامضة، ومبهمة، ولا تكشف شيئاً مثيراً.

وبعد إطلاع الباحث على ما تناوله كثير من الباحثين والمفكرين حول الرأي العام وخصائصه، رأى أن يذكر بعض الخصائص التي وردت في الكتاب المذكور، والتي يكاد يتفق عليها أغلب الباحثين، وهي:

(1) الثبات والتقلب (Consistency): يعد الرأي العام من الظواهر المتغيرة، التي تمثل الانتقال من حال إلى حال، لأنه من عادة الناس أنهم لا يثبتون على حال واحد، فمنهم من يحب فصل الشتاء ومنهم من يكرهه، ومنهم من يتحمس لعمل معين، أو يرغب السكن في مكان ما، ثم يكره ذلك العمل وذلك المكان ويغير رأيه الذي كان عليه.

ويمكن أن تكون الأفعال متقلبة وغير ثابتة في الظاهر، ولكنها تكون مستقرة داخل إطار واسع من الاتجاهات الداخلية للفرد، فالشخص الذي لا يثق في الناس ولكنه يؤيد الديمقراطية، يمكن أن يكون مستقراً أو ثابتاً في رأيه، فهو كناقد اجتماعي مقتنع بأن الناس لديهم أخطاء، ولكن النظام الذي يأخذ في اعتباره أخطاء المجتمع يعتبر - نظاماً على المدى البعيد - أفضل من نظام بديل لا ينظر بعين الاعتبار إلى آراء الجماهير، أي أن هذا الشخص من الناحية الاجتماعية والمنطقية يعتبر غير ثابت أما من الناحية النفسية فهو مستقر.

(2) التبرير (Rationalization): التبرير بمفهومه الواسع، يتضمن تعليل السلوك بأسباب منطقية يتقبلها العقل، رغم أن أسبابه الحقيقية انفعالية. وإذا اعتبرنا أن التبرير يحدث بالنسبة للفرد، فهو يحدث أيضاً بالنسبة للرأي العام، وله عدة أقسام، هي:

(أ) هناك تبرير يعود تقليدياً إلى الثقافة والعادات والتقاليد الموروثة بين الأجيال، أثناء عملية الاندماج السياسي والاجتماعي، كما هو معروف بالنسبة للتعصب العنصري أو العرقي أو القبلي.

تقارب آراء وأفكار العلماء الذين وضعوا أنواعاً للرأي العام، ولكن هناك نوع من التفاوت بينهم، من حيث التحليل وترتيب الأفكار.

(ب) وهناك التبرير الذي يقوم به رجال الدعاية والإعلام والزعماء، غرضهم من ذلك دفع الناس إلى المشاركة الإيجابية في أعمال لا يرغب إلا البعض منهم في القيام بها - مثلاً: أن تقوم الحكومة أو رجال الدعاية بتحريض الناس للدخول في الحرب، وتعليل أسباب ذلك بمبررات مختلفة لإقناع المترددين وتغيير أفكارهم وسلوكهم.

(ج) وهناك بعض التبريرات التي تظهر تلقائياً بين الناس، دون تحريض مسبق، كالثقافة والعادات والتقاليد الموروثة، أو تأثير الزعماء وأصحاب الدعاية.

وقد تستند الدعاية للرأي العام، على تلك العوامل لتقدم له تبريرات تساعده على التخلص من القلق النفسي والتوتر الذي قد ينتابه.

(3) الإبدال Displacement: قد يعاقب الأب ابنه، فلا يستطيع ذلك الابن توجيه غضبه لأبيه، فيلجأ إلى البحث - بوعي أو دون وعي - عن هدف بديل فيعاقب أخاه الأصغر أحياناً دون سبب.



هكذا هو الجمهور، عندما يعتريه نوع من القلق لسبب معين، ولم يستطع توجيه غضبه نحو السبب الأصلي، يلجأ إلى المظاهرات أو الإضراب، فيحطم ما يقابله من ممتلكات للدولة أو منافع عامة، كالمدارس أو وسائل المواصلات، وذلك ليخفف من القلق الذي انتابه، فهذا يعد نوعاً من الإبدال؛ فالإبدال إذاً، هو تعبير الناس عن مشاعرهم عن طريق الاضرابات أو المظاهرات، اتجاه أي ظاهرة لا تتمشى مع حياتهم الاجتماعية أو الثقافية أو السياسية.

(4) التعويض Compensation: أحياناً يتعرض الناس لنوع من الأزمات المستعصية، التي يصعب حلها، فيلجأون إلى ممارسة بعض الأعمال الأخرى، كشرب الخمر مثلاً أو لعب الميسر، معتقدين أن تلك الأعمال تنسيهم مشاكلهم.

وهناك بعض الدول غير المتقدمة، والتي تطمح إلى أحلام أكبر من قدرتها ولا تستطيع تحقيقها، فتلجأ ـ على لسان مسؤوليها ـ إلى تعويض هذا النقص الحضاري أو الجغرافي، بإظهار بعض الصفات الأخرى، كالافتخار بالأمجاد أو التاريخ أو ما إلى ذلك.

(5) الإسقاط Projection: وهو أن يفسر الشخص عمل الغير بحسب ما يجري في نفسه، فهناك أشخاص يشعرون أحياناً ببعض العيوب، فيسقطونها على غيرهم وينسبونها إليهم.

وعندما يواجه الفرد بمشكلة التفاهم مع شخص آخر، فهو يتخذ أحد الاتجاهين التاليين، أولهما: أن يعتقد بأن الشخص الثاني يشبه تماماً الاتجاه الثاني فيرى أنه هو الذي يشبه ذلك الشخص، فالاتجاه الأول يسمى الإسقاط، أما الاتجاه الثاني فيسمى التقمص.

وعملية الإسقاط هذه، يشجعها الذين يسعون إلى السلطة والزعامة على مجتمعهم، فعندما يتردد أحد الأشخاص في تأييد أحد الزعماء السياسيين مثلاً، يحاول ذلك الزعيم إقناعه قائلاً إن الذين أعطوني أصواتهم هم مثلك من حيث الأهداف والمطالب، فيؤثر عليه بأسلوب سياسي فيصوت له؛ ونأخذ مثالاً آخراً يوضح عملية الإسقاط، (إسرائيل) مثلاً، توهم بعض دول العالم بأن العرب والمسلمين يريدون محوها أو إزالتها من الوجود، بينما العكس هو الصحيح، فهي التي تسعى وتهدف إلى محو الهوية العربية والإسلامية والقضاء على العروبة والإسلام، فالغرض من ادعاء

(إسرائيل) هو إسقاط مشاعرها على غيرها، لأنها ترى أن عملية الإسقاط هذه، تعمل على قوة ووحدة الاتجاه المعادي للعرب، ولذلك تكسب الرأي العام الأجنبي.

(6) التقمص أو التماثل Identification : وهو أن يتخذ الفرد شخصية غير شخصيته الطبيعية مثل تقمص الابن شخصية أبيه أو الطالب شخصية مدرسه... وهكذا يصبح الفرد يتعلم ويتطور ويتماثل تدريجياً ويتأثر بمن هم أكبر منه سناً أو أقدم منه وظيفة أو حرفة؛ وقد يتماثل القائد أو الزعيم بنفس الأحاسيس التي يشعر بها شعبه؛ وقد يكون التقمص أيضاً - في بعض الأحيان - طريقة من طرق التفاهم بين أفراد المجتمع، فكل فرد بتقمص شخصية مجتمعه الذي ينتسب إليه، وينتج عن ذلك مزيد من التنشئة الاجتماعية والسياسية في المجتمع.

(7) التطابق أو الاتفاق Conformity: وهو أن يميل الفرد إلى الاتفاق مع رأي المجتمع، وهذه الخاصية من خصائص الرأي العام، يعتمد عليها رجال الدعاية والإعلان، حيث يذيعون أحياناً دعاية مثلاً لمعجون أسنان معين لإشهاره قائلين إن جميع الأوساط الراقية أو أغلبية الناس تستعمله.

والاختلاف أو التناقض بين ما يقول الناس بأنهم يعتقدونه، وبين حقيقة معتقداتهم، يظهر لنا عملية التطابق أو الإتفاق.

ويرى بعض الباحثين أن الرؤية لم تكن واضحة بالنسبة لكثير من جوانب موضوع التطابق أو الاتفاق، فالذي يؤكده بعض الباحثين، هو أنّ الفرد الذي يوصف بأنه متقلب المزاج أو معاند أو شديد التطرف - بالنسبة لعدم تطابقه واتفاقه مع مجتمعه - فهذا الشخص كثير العداء لاتجاهات الرأي العام نظراً لاضطراب شخصيته.

(8) التبسيط Simplification: عادة ما يرغب الناس في الوقوف على تبريرات مفهومة ومبسطة، لكل الظواهر والقضايا التي تبرز في المجتمع، ورغبة الناس إلى فهم تلك القضايا تأخذنا إلى معرفة السبب الذي يجعلهم يتقبلون التبسيط الذي يقدمه لهم شخص آخر لا سيما عندما يأتي هذا التفسير المبسط من مصدر يثقون به.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنه غالباً ما تتفاعل بعض العمليات مع العمليات السابقة في وقت واحد.. فقد تحدث عملية إسقاط مع عملية تقمص وتتفاعل عمليات التبرير مع العوامل الاجتماعية الأخرى، مثل الزعامة أو الأحداث أو ما إلى ذلك ومعنى ذلك، أن تتفاعل كل من العوامل العقلية اللاشعورية مع العوامل الاجتماعية لخلق الرأي العام.

أكثر الخبراء والباحثين في مجال الرأي العام يؤكدون على أن جمهور الرأي العام يزيد أو ينقص حسب كل قضية عامة لوحدها.

ويمكن استخلاص بعض المبادئ العامة من الخصائص التي ذكرت عن الرأي العام، وهي:

(أ) عادة يبقى الرأي العام كامناً حتى تبرز ظاهرة أو قضية عامة، وتظهر تلك القضية عندما يحدث تصادم أو خيبة أمل.

(ب) الرأي العام الفعلي، هو محاولة للتقليل من خيبة الأمل أو التصادم أو القلق وقد يصعب التغلب على الظروف التي أدت إلى ذلك التصادم وخيبة الأمل أو القلق، فيلجأ الرأي العام إلى عملية التبرير أو الإبدال أو التعويض.

(ج) يتحقق التطابق والاتفاق بالنسبة للرأي العام، عندما يعزو بعض الأفراد مصادر معارفهم واتجاهاتهم إلى الآخرين (عملية الإسقاط) أو عندما يفترض بعض الأشخاص أنّ معارفهم

واتجاهاتهم هي نفس الاتجاهات والمعارف لدى الآخرين (عملية التقمص) أو عندما يكون الناس جميعاً لديهم نفس المعلومات المتقاربة بصورة عامة (عملية التبسيط).

(د) يمكن أن يعبر الرأي العام عن نفسه عندما تكون قوة الدفاع - أو العامل المؤثر - كبيرة أو حينما يكون التعبير عن الاتجاه أو الفعل ذات نتائج حسنة أكثر من النتائج السيئة.[14]

رابعاً/أركان الرأي العام: وضع كثير من الباحثين والمفكرين تعريفات عدة للرأي العام.

ومن خلال دراسة وتحليل تلك التعريفات وضع الخبراء أركاناً أساسية للرأي العام، وهي:

(1) وجهة نظر الأغلبية:

والمقصود بها وجهة النظر التي يقتنع بها أغلبية أفراد المجتمع، باعتبارها ذات أهمية كبرى ودور بارز في تشكيل الرأي العام، داخل أي مجتمع من المجتمعات.

وعندما تتفاعل الآراء وتتضارب داخل المجتمع، إزاء أي قضية من القضايا العامة، تطرح تلك الآراء ويكون لكل رأي منها مؤيدوه وحججه، التي تبرر وجهة النظر المطروحة للنقاش، وفي النهاية يصل الناس إلى الاتفاق على رأي، عبّر عن رأي الأغلبية فيتفقون عليه.

ورغم ذلك، فقد تكون وجهة نظر الأغلبية ليست صائبة، لا سيما في الدول النامية، التي يلعب فيها الإعلام الدور البارز والمؤثر في تشكيل وجهات نظر الأغلبية فعادة ما تسعى الحكومات إلى تبرير سياستها العامة من خلال الإعلام، ولو كانت تلك السياسة خاطئة فيتم فرضها على المجتمع بأسلوب غير ديمقراطي.

ولكن في الدول الديمقراطية، فإن وجهة نظر الأغلبية تنشأ في مناخ يتسم بالحرية والشفافية دون تعتيم إعلامي، يطمس الحقائق في مختلف القضايا الحساسة التي تمس مصلحة المجتمع.

وفي الدول التي تتسم بالديمقراطية، نجد أنّ معاهد قياس الرأي العام والأجهزة المختصة تلعب دوراً مهماً في معرفة رأي الأغلبية، ويعتمد الحكام الديمقراطيون على نتائج استقصاءات الرأي العام، أما في بعض الدول النامية - التي لا يتمتع أفراد مجتمعها إلا بقدر ضئيل من الحرية - فلا يوجد اهتمام بأجهزة ومعاهد قياس الرأي العام، بل تفرض الحكومات قراراتها وسلطتها ولو كانت على خطأ.

يعد الرأي العام من الظواهر المتغيرة، التي تمثل الانتقال من حال الى حال، لأنه من عادة الناس أنهم لا يثبتون على حال واحد.

(2) قضايا عامة تهم المجتمع: مثل قضايا الحرب أو السلام أو الخطط التنموية... وغيرها من القضايا التي تهم المجتمع.

وعادة ما يهتم الناس بالقضايا العامة التي تتعلق بمصالحهم ومعتقداتهم الدينية والاجتماعية واتجاهاتهم السياسية وظروف حياتهم اليومية.

والواقع أن تلك القضايا تلقى صدى كبيراً لدى الجماهير، حيث تحاول إبداء رأيها واتجاهاتها نحوها؛ وكما سبق ذكره فإن وجهة نظر الأغلبية تلقى احتراماً وتقديراً كبيرين في الدول التي تتسم بنظام ديمقراطي، وليس مثل بعض الدول النامية التي تحكمها أنظمة دكتاتورية لا تنظر إلى رأي شعبها وتوليه أي اهتمام.

والجدير بالذكر، أن أكثر الخبراء والباحثين في

---

(14) انظر عاطف عدلي العبد، الرأي العام وطرق قياسه، دار الفكر العربي (لاط؛ القاهرة: مارس 2002) ص80 - 81.

مجال الرأي العام يؤكدون على أن جمهور الرأي العام يزيد أو ينقص حسب كل قضية عامة لوحدها فالقضايا العامة التي تتعلق بمصير أو مستقبل الوطن تلقى صدى أكثر لدى الرأي العام في المجتمع، عكس القضايا العامة المتعلقة بفئة أو طبقية معينة من أفراد الشعب، لأن الرأي العام في هذه الحالة ينحصر في عدة أفراد فقط من عامة الشعب.

(3) عنصر الزمن: تتغير وتتبدل وجهات نظر أفراد المجتمع تجاه مختلف القضايا، وفق الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية السائدة خلال فترة معينة من الزمن فمثلاً المناخ الليبرالي السائد في أي مجتمع من المجتمعات في فترة زمنية معينة، يسفر عن كثير من التوجهات والآراء التي تختلف اختلافاً جذرياً عم يسفر عنه مناخ تسوده أفكار دكتاتورية.

وقد تسود بعض الأفكار والاتجاهات السياسية أحد المجتمعات في فترة زمنية معينة، ثم تأتي فترة أخرى يتحول فيها ذلك المجتمع إلى نقض تلك الأفكار والمذاهب، وبالتالي تتغير وجهات الرأي العام مع تغير العقائد المذهبية والفكر السياسي، التي تعتنقها السلطة والمجتمع.

(4) طرح القضايا العامة للجدل والتحاور: إذا لم يكن هناك جدل ونقاش بين أفراد الشعب تجاه أي قضية من القضايا الاجتماعية أو السياسية أو غيرها لا يتكون الرأي العام، فعندما يكون هناك نقاش وجدل بين أفراد المجتمع يصبح الرأي العام ظاهراً أو صريحاً لأن كل الوسائل الإعلامية ومنظمات المجتمع المدني تشارك في التحاور والجدل، وتدلي بآرائها علاناً وبحرية مطلقة، وهذه الصفة لا يتصف بها الرأي العام الساكن، الذي لا تتم فيه مناقشة القضايا بكامل الحرية والشفافية، بل يبعد الناس فيه عن المناقشة والحوار إزاء أي قضية تهم عامة الشعب.

ومن الضروري في تكوين الرأي العام السليم، أن تتوفر المعلومات والحقائق كافة تجاه القضايا المطروحة، لكي يستطيع أفراد المجتمع التعبير عن وجهات نظرهم، حول القضايا التي تهمهم وتهم مجتمعهم بصفة عامة.

وهذا بالطبع ـ كما أشرت سابقاً ـ لا يمكن تطبيقه في الأنظمة الدكتاتورية السلطوية، التي لا تسمح للناس بالتعبير عن آرائهم ومشاكلهم بحرية وصراحة لذا نراها تصدر قرارات ومراسيم دون النظر إلى الرأي العام.

(5) هدف تحقيق الصالح العام: يرى الخبراء والمتخصصون في دراسة الرأي العام، أنه عندما يتبنى الرأي العام وجهة نظر معينة يكون الغرض من ذلك، هو التوصل إلى حل تتفق عليه الأغلبية وفيه مصلحة الجماهير، سواء أكانت مصلحة سياسية أو قومية أو اجتماعية أو ثقافية... الخ.

وقد تختلف المصالح العامة بين دولة وأخرى وبين إقليم وآخر؛ وقد تختلف أيضاً داخل حدود الوطن الواحد أو المدينة أو القرية الواحدة.[15]

إن العناصر التي ذكرت عن الرأي العام تعد ذات أهمية للباحثين في مجال السياسة والاجتماع، لأن تكوين الرأي العام وخصائصه وأنواعه وأركانه من الأساسيات التي يجب معرفتها لدى الباحث في هذين المجالين، وأيضاً تستوجب معرفة مفهوم الرأي العام لكل فرد من أفراد المجتمع، كي يستطع اتخاذ القرار السليم إزاء أي قضية من القضايا التي تواجه مجتمعه.

---

(15) انظر: عبد الله زلطة، الرأي العام والإعلام، منشورات دار الفكر (الطبعة الأولى، القاهرة:2001) ص26،27، 28.

محاضرات

الإسلام في الوعي الثقافي الغربي المعاصر



الإسلام في الوعي الثقافي الغربي المعاصر *

أ.د. سعيد بنسعيد العلوي **

إنه لشرف عظيم أحظى به، وأعتز به أيما اعتزاز، أن أتلقى هذه الدعوة المزدوجة من قبل جمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي نقدر حق التقدير الدور الريادي الذي تقوم به في خدمة الإسلام والثقافة الإسلامية، واللجنة المشرفة على احتفالية طرابلس عاصمة الثقافة الإسلامية 2007 م.

لقد عُهِدَ إليّ بأن أختار موضوعاً لهذا اللقاء، وقد أُخبرت بأنه سيكون مع جمهرة من الأساتذة الباحثين ومع الزملاء الطلبة الدارسين من صفوة أهل الفكر في هذا البلد الطيب. وآثرت ألا يكون حديثي اليوم محاضرة بالمعنى المتعارف عليه (كلاسيكياً) لكلمة أو لفظة (محاضرة)؛ بقدر ما يتعلق الأمر بعناصر للتفكير، ونظرات أطرحها أمامكم. وكم أنا متشوق لتلقى ملاحظاتكم واقتراحاتكم. لا أقول هذا من باب المجاملة، ولكن لمصلحتي الشخصية، أولاً لأنني منشغل انشغالاً كلياً بقضايا الحوار، وصورة الإسلام في العقل الغربي، وحضور المسلمين في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. ولا شك في أن انطباعاتكم وانتقاداتكم ستساعدني في سبيل وعي أفضل بهذه الصورة.

وقفة مع المفاهيم

أود أن أتحدث عن (أنماط وصور من حضور الإسلام في الوعي الثقافي الغربي المعاصر). وهذه الكلمات تفرض عليّ وقفة نظرية قصيرة، لضبط المفاهيم وضبط ما أقصده بكل هذه المعاني على وجه التحديد. أقصد بـ (الوعي الثقافي) ما يترسب في اللاشعور الثقافي عند شعب من الشعوب وفي ثقافة من الثقافات، أقصد بذلك أن الوعي الثقافي لكل شعب من الشعوب يحمل مجموعة من الأحكام المعيارية يطلقها على ثقافة شعب من الشعوب، وبصفة خاصة على الشعب الذي يعتبره آخر بالنسبة له، أو كما يقول المتكلم بالإسلام (غيراً) بالنسبة له، بمعنى ما يعتقد أنه ضده ونقيضه، بعبارة أخرى عند الغير المخالف له في القيم والأذواق والاعتقاد والسلوك.

هذه الأحكام المعيارية تتميز بصفتين اثنتين: تتميز من جانب أول، بأن مثابة مقولات أو صور ذهنية قارة نسبياً لأنها ترسبت عبر عقود، وأحياناً عبر قرون طويلة متصلة، تتناقلها الذهنية في لاشعورها الثقافي أو لا وعيها الثقافي جيلاً عن جيل، وتصعب مراجعتها كما يصعب اقتلاعها، ولا تكون الجمهرة العريضة من

* محاضرة ألقيت بمجمع قاعات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية / طرابلس، بتاريخ: 1375/6/12 من وفاة الرسول ﷺ (2007 م).

** أستاذ جامعي / المغرب.

الناس هي التي تخضع لتلك التصورات، ولكن بعملية نفسية (سيكولوجية) معرفية معقدة يكون ضحاياها الباحثون والعلماء أنفسهم أحياناً عديدة. ومن جانب آخر تتميز هذه الصورة



هيجل

بخضوعها لما تخضع له كل الأشياء في التاريخ، بمعنى أنها تتطور وتتحول وتتبدل، وأنها تخضع إلى ما يسميه (هيجل) بـ(لحظات في تطور الوعي).

أريد أن أقف على نماذج لا ترقى إلى أبعد من ربع القرن الأخير، وربما العشرين سنة الأخيرة، ما دمنا نتحدث عن الوعي الغربي المعاصر، ولكنني أستسمحكم في أن أقدم تمهيداً لها بصورة الإسلام في الوعي الثقافي الغربي منذ القرن الثامن عشر، منذ ذاك القرن الذي يعتبر بالقرن العظيم حيناً، ويعتبر بعصر الأنوار، أي عصر سيطرة العقل والإيمان بالعقل كما يقول (هيجل) وأستحضره مرة أخرى؛ في صراعه ضد الجهل وضد الخرافة وضد الظلام، وفي ولوج عالم الأزمنة الحديثة.

صورة سلبية



فولتير

أول ما نلاحظه نحن ـ كقارئين، كمسلمين لأولئك المفكرين (الأنواريين) الكبار ـ هو الصورة السلبية والرديئة جداً التي كانت للإسلام في أذهان هؤلاء المفكرين. فمن الغريب في الأمر أن نجد ـ على سبيل المثال ـ مفكراً عظيماً من مفكري فرنسا في القرن الثامن عشر هو (فولتير) يقدم للإسلام وللمسلمين صورة لا تتناسب من الروح النقدية الكبيرة التي كان يتمتع بها، وهنالك المسرحية الشهيرة لـ (فولتير) التي أسماها بـ (محمد) أو (الجاهل) والتي يقدم فيها لنبي الإسلام محمد ﷺ صورة في منتهى السوء والرداءة. فهو ـ حتى نسمي الأشياء بأسمائها ـ ينقل الصورة التي كانت مترسبة في الوعي الغربي الفرنسي والإنجليزي والإسباني والإيطالي المتكون عموماً في القرن الثامن عشر، هي صورة لا التعصب والجهل فقط؛ ولكنها صورة الدجال، صورة الذي يدعي النبوة أو الذي كذب على المسيح وكذب على المسيحيين، فهو كذاب مغالط، وهو دجال بلغة القرن الثامن عشر. وإذا تصفحنا أحد مؤلفات (فولتير) وهو (القاموس الفلسفي) فنجده ـ مثلاً ـ في مادة الأنبياء يسطر الأنبياء المعترف بهم في فكره، فلا يتحدث عن المسيح، ولا عن القديس بولس وغيرهم، فأولئك لهم مادة خاصة بهم، ولكنه في مادة الأنبياء يتحدث عن أنبياء بني إسرائيل فقط، وليس هنالك أي ذكر لنبي الإسلام. هذا جانب أول، والجانب الثاني الذي أريد أن أشير إليه هو أن الإسلام لم يكن يسمى في فكر عصر الأنوار العظيم باسمه هكذا (الإسلام) وإنما كان يسمى بـ (المحمدية)، وأتباع نبي الإسلام لا يسمون بـ(المسلمين) وإنما يسمون بـ (المحمديين).

نحن المسلمين نعتز بالدين المحمدي فنقول على هدي محمد ﷺ، ولكن عندما يقال المحمديون في هذا القاموس المعرفي فمعناه أتباع محمد الذين هم على خطأ وعلى ضلال.

وإذا ما انتقلنا إلى القرن التاسع عشر نجد أموراً متصارعة نسبياً، فمن جهة أولى نجد صدى للنظريات العلماوية الخاطئة طبعاً التي عرفها القرن التاسع عشر، منها مثلاً نظرية العرق الصافي أو العرق الخالص، والتمييز بين الساميين والآريين، فيُذكر نبي الإسلام ويذكر العرب معه في صورة العقلية السامية والديانة السامية. ولست في حاجة لهذا المجمع من المتخصصين في أن أتحدث عن (إرنست رينون) وكلامه عن ابن رشد، ومحاضرته الشهيرة في

COLLEGE DE) FRANCE) عن (الإسلامية والعلم). وهنا أقف لحظة عند الترجمة، لأنه عند استعمال كلمة (ISLAMISME) نجد أن لها في أذهاننا دلالة توحي بالغلو، ونأخذ على الغربيين أنهم يخلطون بين الإسلام وبين الغلو باسم الدين، لكن بالنسبة لقاموس (إرنست رينون) وأهل القرن التاسع عشر لم يكن لها هذا المعنى بطبيعة الحال، ولكن كان لها معنى يفيد مرجعية إلى هذا الذي يعتقدون أنه دين هؤلاء المحمديين.

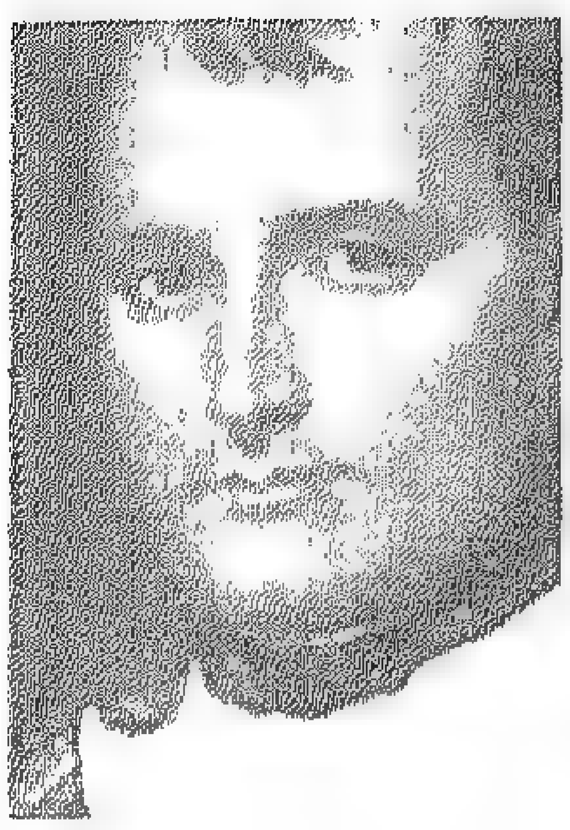

إرنست رينون

من جهة أخرى لا تزال الصورة النمطية في الدين للمسلم حتى القرن التاسع عشر، إذا سألت أي غربي أوروبي: ما هو الإسلام؟ من هو المسلم؟ سيجيبك ـ دون أن يفكر ـ المسلم هو التركي، هو العثماني. فهنالك خلط بين التركي وبين المسلم، بين المنتسب إلى السلطنة العثمانية، وطبعاً الصورة للعثماني أنه الذي غزا أوروبا، والذي استعمر، وأكثر من ذلك أن العثماني متجبر، متسلط، جاهل، أي مجموعة من الصور السلبية. لحسن الحظ أنه القرن التاسع عشر نجد الصورة ألطف بكثير مما هي عليه عند الفرنسيين وعند الإنجليز، صورة لطيفة وأحياناً شاعرية ومقبولة عند الألمان. وصديقي وأخي الدكتور رضوان السيد نشر قبل مدة كتابا جيداً صغيراً عن الإستشراق الألماني وعن المستشرقين الألمان؛ يوضح فيه هذه الصورة سواء عند شعراء مثل (جوته) أو عند فلاسفة مثل (هيجل) الذي وقفت له في كتابه في (ESTETIQUE الاستيتيك) في (مدخل إلى علم الجمال)، وهو بدوره يستعمل كلمة (المحمديون)، ولكن هيجل ظلّ ذلك الفيلسوف العالم الكبير ذو الثقافة الموسوعية، عندما أراد أن يتحدث عن موقف المسلمين من (ESTETIQUE الاستيتيك) أو (علم الجمال) رجع إلى الأحاديث النبوية، وهذا ما فاجأني، فيأتي بحديث نبوي يقول: تقول أم سلمة وأم حبيبة عن محمد، حيث هناك نوع من الإنصاف.


د. رضوان السيد

تشريق الشرق

وتستمر الصورة فيختلط هذا المنحى الإستشراقي وأسميه الآن بهذه التسمية (النزعة الاستعمارية)، ويتعلق الأمر بغزو الشرق، إما بإخضاعه لتاج الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس (بريطانيا)، أو لحلم نابليون في 1798 م، عندما غزا مصر. تلك الصورة صورة فيها كل شيء، وربما ـ اختصاراً للوقت ـ لا أجد أفضل من قدم الصورة فأحسن تصويرها من مفكرنا العربي الفلسطيني الأمريكي الجنسية الراحل (إدوارد سعيد) في دراسته، وسأرجع لها في ختام هذا العرض، وهنا أنوه على الخصوص إلى ثلاثة: الإستشراق، والثقافة والإمبريالية، وحجب الإسلام، وقد تُرجم إلى العربية ترجمتين كلتاهما غير مقبولة (تغطية الإسلام) والمقصود بها (حَجْبُ الإسلام) أي عدم تقديم الصورة الصحيحة للإسلام التي حجبت.


نابليون بونابارت


إدوارد سعيد

وخلاصة الفكرة لدى إدوارد سعيد ـ كما تعلمون ـ أن الشرق وقع الحديث عن سحره وعن غموضه، فهو

شرق في نهاية الأمر غير واقعي، غير حقيقي، هو شرق متوهَّم، فوقع - بعبارة إدوارد سعيد - تشريق للشرق، رسم صورة للشرق هي مزيج من لوحات (HENRI DE LA CROIX هنري دو لاكروا) ومن سفريات (جيرالد دو نيوفال) ومن مشاهدات الموسيقي (VERDI فيردي) وهو يؤلف (عائدة) ومن بعض المسرحيات الأخرى. فإذن ليس الشرق الحقيقي، عبق ألف ليلة وليلة والحريم والأسرى والأسوار الشاهقة والدسائس والمؤامرات والغموض والسحر، فمشت هذه الصورة بهذه الكيفية.



جيو سيبي فيردي

دارسون منصفون

ومن باب الاعتراف بالجميل أن نقول: إنه ابتداءً من منتصف القرن التاسع عشر سيظهر هنالك دارسون متخصصون من الطراز العالي جداً، ومن الذين كانت لهم أياد بيضاء على الثقافة الإسلامية، وفي التعريف بها، وهنالك من تخصص تخصصات دقيقة في التصوف، في الكلام، في الفلسفة، في الفقه، في الحديث. وهنالك من تخصص في شخصية بعينها فأسدى للفكر الإسلامي خدمات جلّى، ولكن توسل إلى ذلك بمعرفة عظيمة جداً من معرفة لغات الإسلام. هذه الفئة المتميزة من هؤلاء الدارسين لم تكن تكتفي بمعرفة اللغة العربية فقط، كانت تعرف لغات الإسلام الأخرى، أقصد بها لغات أهل الإسلام، بمعنى أنها كانت تعرف التركية، والفارسية، والأوردية، والبنغالية، وكثير من كبار الدارسين كانوا يجيدون أكثر من لغة واحدة في الوقت نفسه. سيسوء الأمر لسببين أرجع إليهما في نهاية هذا العرض، وستظهر هنالك تيارات تنظر إلى الإسلام وترسم له في الأذهان صوراً مختلفة تتأثر بالنظرة الاستعمارية بطبيعة الحال. لا أطيل عليكم، ولكنني أقول مثلاً: إن المدرسة الاستعمارية الكولونيالية الفرنسية ميزت في نظرها الإسلام بين الإسلام في شمال القارة الإفريقية والإسلام في جنوبها، فأبدعت أو اخترعت نظرية ما يسمى (BLACK ISLAM الإسلام الأسود)، أو الإسلام في بلاد جنوب الصحراء، وصورة للإسلام في شمال القارة، وهما صورتان مختلفتان. بالنسبة لحالة المغرب - أسوقها على سبيل المثال - أقامت النظرية التي تعرفونا بالتمييز بين العرب وبين الأمازيغ، وعلى ضوء هذه الثنائية ذهب التمييز بين إسلام البوادي، وإسلام المدن، أما الإسلام العربي فمتجدد، أما إسلام الأمازيغ فسطحي أو قشرة ظاهرة، وما إلى ذلك. فكرست مجموعة من الأساطير والأوهام.

الوعي الثقافي لكل شعب من الشعوب يحمل مجموعة من الأحكام المعيارية يطلقها على ثقافة شعب من الشعوب، وبصفة خاصة على الشعب الذي يعتبره آخر بالنسبة له.

أردت أن أقف عند هذه النقطة لكي أقول فقط كيف ترتسم هذه الصورة المضطردة التي تتأثر بأحداث سياسية كبيرة مثل الاستعمار، وبأحداث أخرى مثل ظهور بعض النظريات الوظيفية (البيوليجية) أو اللسانية أو غير ذلك، ولكنها تتأثر ببحوث لسانية لغوية (فيلولوجية)، شأن المدرسة الاستشراقية الألمانية ففيها كثير من جوانب الجودة على سبيل المثال. وإذن فالصورة فيها جوانب قارة ثابتة، وجوانب متغيرة. أنتقل مباشرة إلى النماذج التي تعنيني، والتي ترجع إلى السنوات العشرين أو الخمس والعشرين سنة الأخيرة، والتي فرضت علينا أحداث

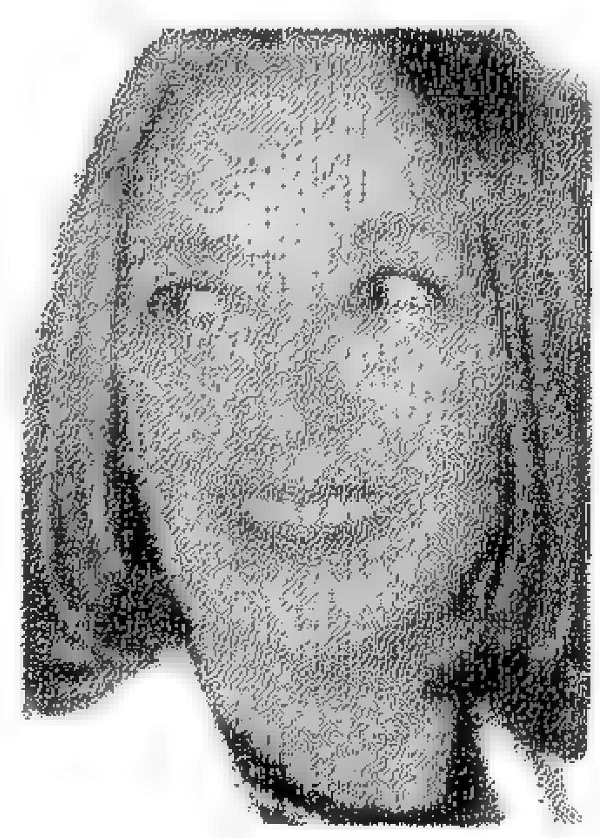
معينة أن نربطها بتواريخ معينة، آخرها الآن دخل التاريخ، 2001/9/11م مثلاً، فإذن نتحدث عن ما قبله وعن ما بعده.

أمثلة ونماذج

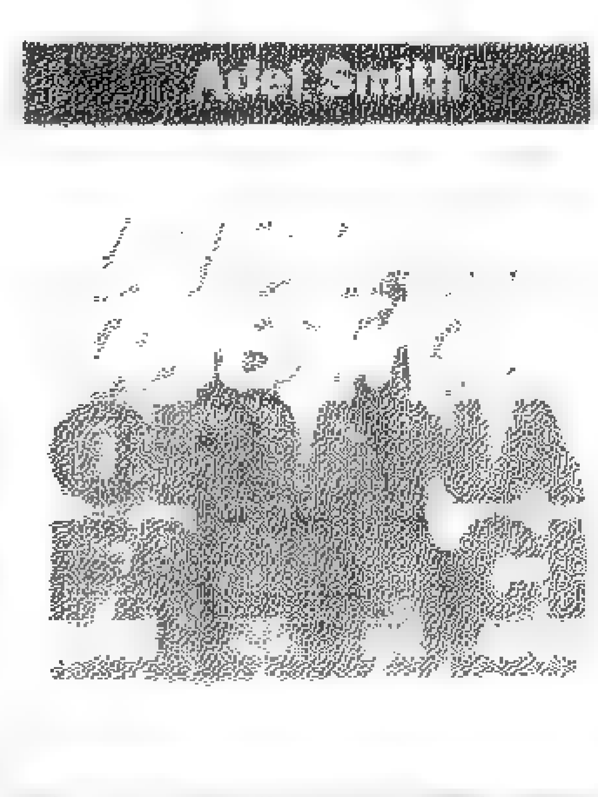


صموئيل هنتنغتون

أريد أن أقف عند أربعة نماذج: النموذج الأول هو نموذج (صموئيل هنتنغتون) واعتذر عند الوقوف عنده، وأعلم أن الكلام عنه مثل ما كان الغزالي يقول عن أبي بكر ابن عربي (كثر القول منه وفيه). كثر الحديث في منتدياتنا وفي لقاءاتنا العربية عن هنتنغتون، ولكنني أرى أن الأغلب الساحق من أحاديثنا ووقفاتنا عنه لم يكن منصفاً ولم يكن شافياً، لأنه إما وقف عند مقالته في السياسة الخارجية، وهي غير كتابه الضخم؛ أو أنه وقع له ما وقع لكثير من الآراء والنظريات التي اشتهرت، أخذ الناس يتحدثون عن هذه العنعنة، وأصبحت معرفتهم بها من الدرجة الثانية، إن لم أقل من الثالثة أو الرابعة أو الخامسة، وابتعدت عن المصدر الأصلي، في حين أن الرجل يأتي بافتراضات ثمانية مهمة، لا بد أن نقف منها باختصار على خمس، لأننا نساهم في تنميط هذه الصورة.



أوريانا فالاتشي



غلاف كتاب أوريانا فالاتشي

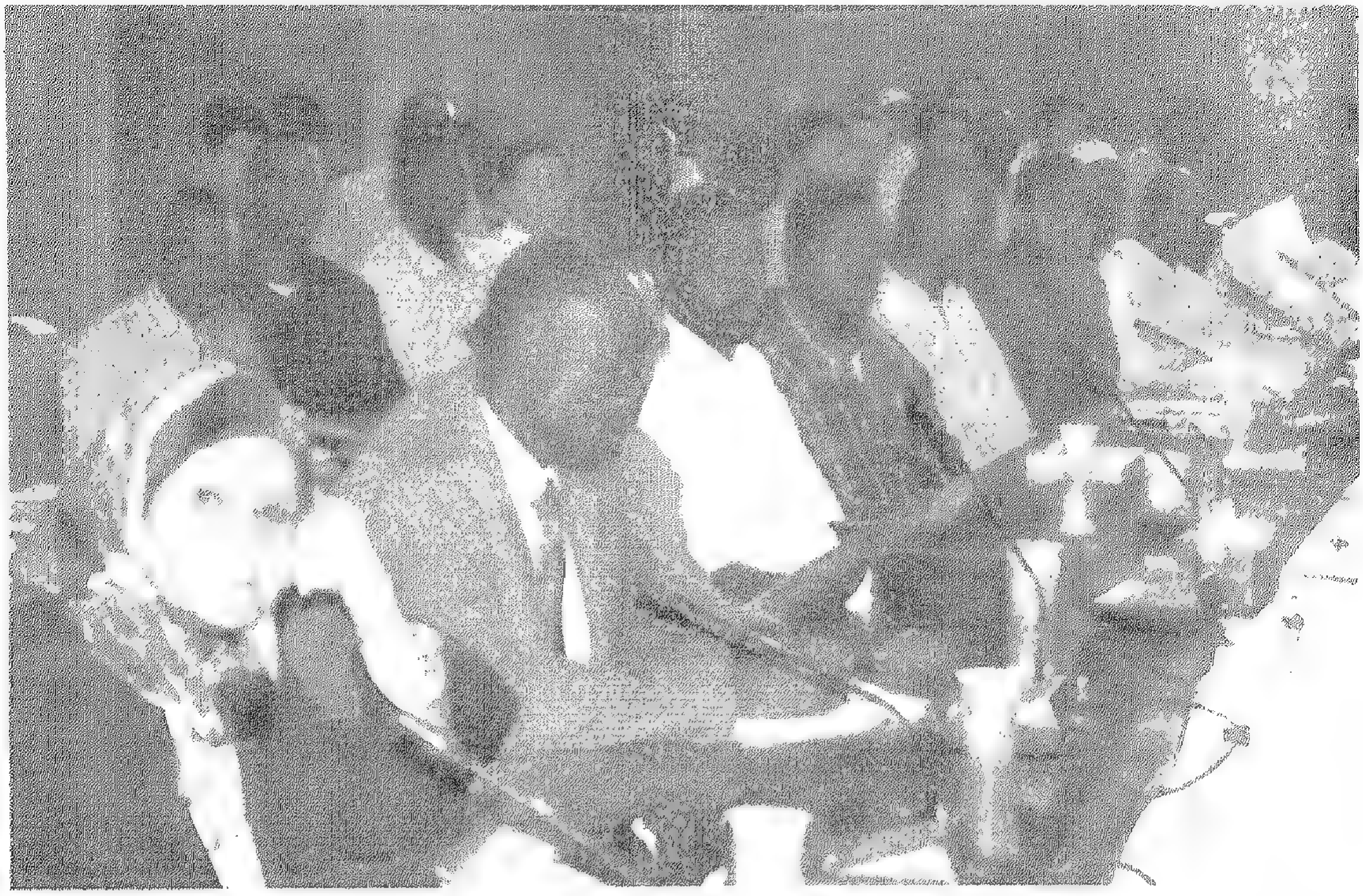
النموذج الثاني الذي أريد الوقوف عنده، صحفية أعترف بأنها تافهة جداً، وبأن كتابيها وخاصة كتاب لها لا يستحق عناء الوقوف عنده، ولكنها لما ترمز إليه، وللنجاح الذي لقيته، وللنموذج الحقد والضغينة؛ تستحق الإشارة إليها، واسمها (أوريانا فالاتشي).

النموذج الثالث الذي أريد الوقوف عنده هو ما أصبح يسمى في الأدبيات الغربية الفرنسية والبريطانية والأمريكية اليوم بـ (الخبراء)، حيث استبدلت كلمة المستعربين والمستشرقين بكلمة الخبراء. وعلى ذكر باحث فرنسي منصف اسمه (فانسي) استعمل لفظة أقتبسها منه، لأنه جعلها عنواناً لكتابه وهو (الإسلاموفوبيا الجديدة) أو (خبراء الخوف الجدد) الذين يخوفون من الإسلام.

ورابعاً أريد أن أعقب على هذه النقاط.

بالنسبة لـ (هنتنغتون) وعدت ألا أطيل، ولكن لا بد من وقفات لكي أعرّف بكلامه، وأقتبس بعضاً من هذه النظريات التي يعرض لها:

الفكرة الأولى التي ينطلق منها هي أن زمن الإيدولوجيات انتهى، والآن رجوع إلى زمن الحضارات، وأن الصراع الذي كان بالأمس بين عدوين كبيرين متصارعين هما الشيوعية والرأسمالية أصبح الآن صراعا بين حضارات، تلك الحضارات يصنفها هنتنغتون فيرى أنها خمس حضارات كبرى: الحضارة الأولى هي الحضارة الغربية، ويتحدث على الحضارة الغربية - كما يقول نحاتنا العرب - بمفرد ينوب عن الجمع، فهو يتحدث عن الحضارة الغربية ويقولها بصفة المفرد، ويضيف شيئاً آخر لهذا المفرد لا ينوب عن الجمع فقط؛ وهو أنه أصبح لأمريكا كامل الصلاحية والمصداقية في أن تتحدث على لسان الغرب وباسمه. الحضارة الثانية هي الحضارة الصينية، الحضارة الثالثة هي الحضارة اليابانية، الحضارة الرابعة هي الحضارة الإسلامية، ثم هنالك الحضارات الأخرى. فإذن بالنسبة له هنالك الغرب والعالم، الغرب يتحدد بالنسبة لذاته، والحضارات الأخرى تتحدد بالنسبة لمخالفتها للغرب ومعاداتها له.



بقيت فرضية أخرى يذكرها في مقدمة كتابه وهي أن الحضارة تشتمل على عنصرين أساسيين وهما اللغة والدين، وأكثر من ذلك يقول هنتنغتون: الدين قوة مركزية، إن لم نقل إنه القوة المركزية التي تحفز الطاقات وتوجهها نحو الفعل في العالم المعاصر. فإذن الدين ليس قوة من بين القوى ولكنه القوة الأولى والأساسية والمركزية.

الفرضية الثالثة أنه في هذا الصراع بين الحضارات، فإن الصراع الأكثر أهمية، والأكثر ضراوة والأخطر بالنسبة للغرب؛ هو الصراع بين الغرب وبين الإسلام. وأستسمحكم في أن أترك الكلمة لهنتنغتون لكي يتحدث، وأنا أنقل ما قمت بتعريبه من النص الفرنسي، وأقتبس بعض الفقرات: انتقل مجموع سكان المعمور بين سنة 1965 و سنة 1990 م من ثلاثة مليار وثلاثمائة مليون نسمة إلى خمسة مليار وثلاثمائة مليون نسمة، وهو ما يعني أن نسبة الزيادة المئوية بلغت 5, 18 ٪، وفي المجتمعات الإسلامية كانت النسبة المئوية تعلو دوماً على 2٪ ، لتبلغ 2,2 ٪ في بعض الأحيان و3٪ أحياناً أخرى، على سبيل المثال عرف سكان منطقة المغرب العربي نسبة زيادة بلغت 65, 2٪ في الفترة الواقعة بين 1965 و 1990 م، إذا انتقل مجموع السكان من تسعة وعشرين مليوناً إلى تسعة وخمسين مليوناً، ووصلت نسبة النمو الديموغرافي في الجزائر وحدها معدل 3٪، وبصفة إجمالية فإن المسلمين الذين كانوا يمثلون 18٪ من مجموع سكان العالم في 1980 سيشكلون 20٪ من سكان المجموع المعمور في سنة 2000م، ليصبحوا 30٪ في أفق 2025 م. وهنا يعلن هنتنغتون عن نفسه ويتحدث بالصراحة التي نعرفها في الأمريكيين، حيث يقرع الجرس ويدق ناقوس الخطر: هبوا من سباتكم أيها الغربيون.. سيصبح المسلمون في 2025 م ما يقارب ثلث سكان العالم، هذا ويلٌ وثبور، وهذا خطرٌ كبير يتهددكم!!

فلماذا هذا الخطر يتهدد؟ لأن تاريخ العلاقة بين الإسلام وبين الغرب هو تاريخ صراع محتدم، يقول - وأعفيكم من النصوص -: دعنا من دبلوماسية (بيل كلينتون) 1400 سنة هي 1400 سنة من الحروب والمعارك المتصلة، وليس في الإمكان معالجة الأمر أو إصلاحه. ويقول - وهذه قولة له نموذجية -: ما دام الإسلام هو الإسلام، وهذا أكيد، وما دام الغرب هو الغرب، وهذا الأمر أقل تأكيداً؛ فإن هذا الصراع الأساسي بين حضارتين كبيرتين، وبين نمطين من العيش؛ سيستمر في التأثير على العلاقة بينهما في

مستقبل الأيام، مثل ما فعل ذلك طيلة أربعة عشر قرناً.

والخلاصة التي يريد أن ينتهي إليها هنتنغتون هي أن العدو الأكبر والعدو الحقيقي بالنسبة للغرب هو الإسلام، وأن الصراع الأكثر أهمية هو الصراع بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية. تعلمون - زملائي أيها الحضور الكرام - كيف تتكون المعارف، وكيف يتكون الوعي الأمريكي، وكيف تكون هنالك المعاهد التي هي قوة اقتراحية، وتستشار، وما هو ثقل وسائل الإعلام في تكييف الوعي، وهذا ذكره إدوارد سعيد، وما عبّر عنه بطريقة جيدة في كتابه الصغير هذا (حَجْبُ الإسلام)، وكيف تتم صناعة هذا الوعي، ومدى وتأثيره، ومن ثم فهو شيء مخالف بالنسبة لنا، ولكن هذه هي أمريكا أن نجد أن مفكرين كباراً وأساتذة في الجامعات الأمريكية وفي أقسام العلوم السياسية يكون لهم دور كبير في الإسهام في صنع القرار، وأن الرؤساء الأمريكيين السابقين، وأن رجال الساسة الكبار يتحولون بدورهم إلى محاضرين وإلى مفكرين يتجولون في مختلف أنحاء القارة الأمريكية. (بيل كلينتون) اليوم محاضر لا يتوقف عن المحاضرات، وبالأمس القريب كان (جيمس بيكر) لا يتوقف عن المحاضرات وعن التأثير. فموقف أو نظرية مثل هذه يكون لها صدى في تكييف صورة الإسلام والمسلمين.

في القرن التاسع عشر نجد الصورة ألطف بكثير مما هي عليه عند الفرنسيين وعند الإنجليز، صورة لطيفة وأحياناً شاعرية ومقبولة عند الألمان.

الحقد والغلو

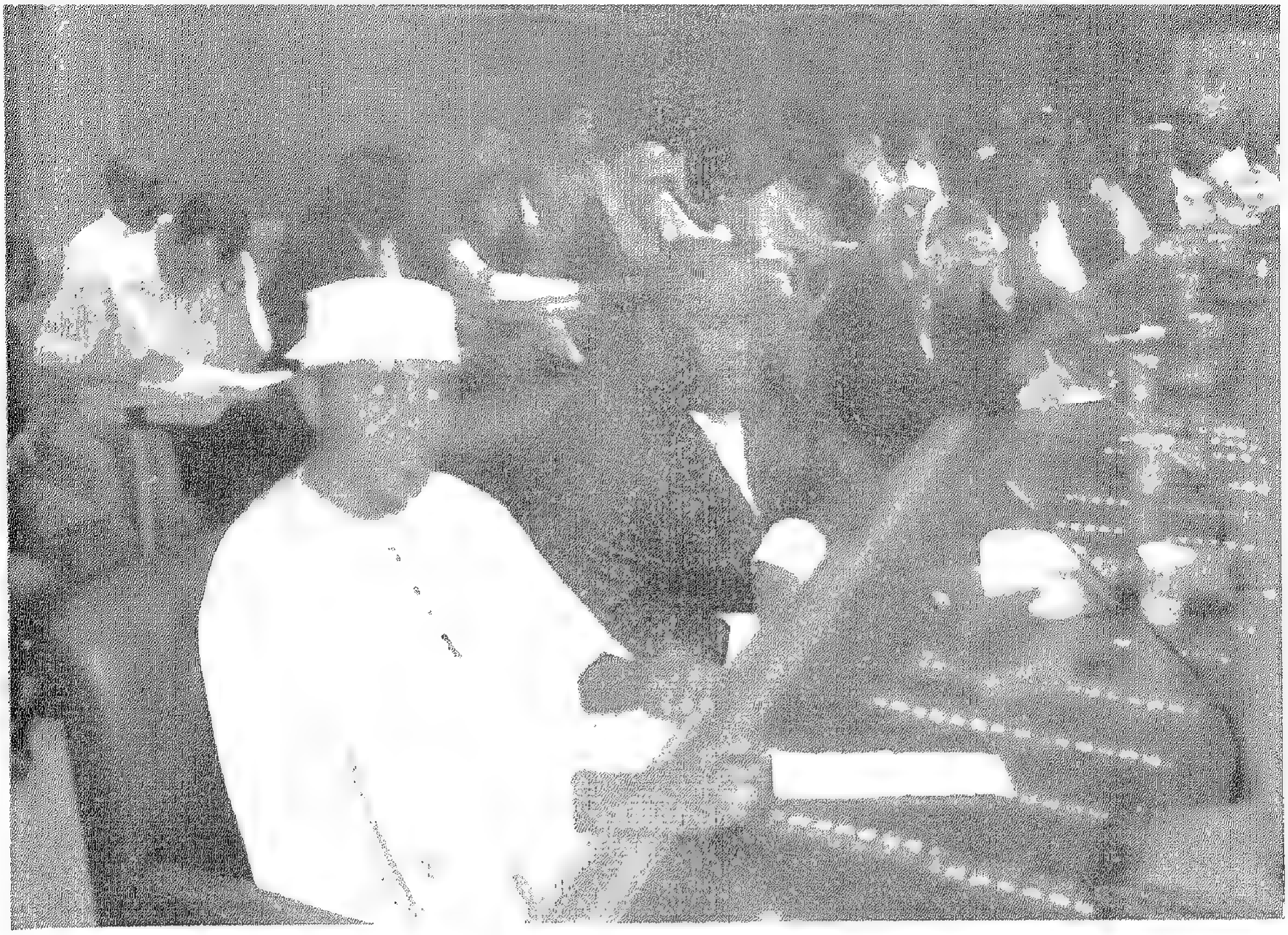
أوريانا فالاتشي.. هذه الصحفية الإيطالية لها كتاب عنوانه (الحقد والغلو) أو (الضغينة والغلو). وهي تقول إنها كانت موجودة في نيويورك في 2001/9/11، وانفعلت بما حدث في ذلك التاريخ، واختارت لنفسها أن تكتب وتعبر عن هذا الأمر الذي تشعر به.

إن الهجاء شيء معروف في الكتابات الأدبية، وفي كتاباتنا العربية أمر نعرفه، كذلك في كتاباتنا العربية الإسلامية نعرف كتب الردود وهي قاسية في الرد على ابن الروندي الملحد، في الرد على ابن النغريلة اليهودي. أحياناً تكون العناوين ذات سجع مثل (حجة المنذرين في الرد على تنطع المنكرين) وما إلى ذلك. فاللغة جدالية، واللهجة عنيفة، لكن لدى المتكلمين وفي الكتابات الإسلامية بصفة عامة هنالك اجتهاد في الإتيان بالحجج، وإفساح المجال للخصم لكي يتحدث، وربما إفساح المجال له لكي يتحدث ثانية، وفي أغلب الأحيان لا يُحَرّفُ كلامه ولا يشوه إلا في الكتابات التي أسميها (كتابات إيديولوجية سافرة)، عندما يكتب الخصم عن خصم آخر، عندما يكتب عبد القاهر البغدادي - مثلاً - عن خصومه الشيعة، أو عندما يكتب الغزالي في فضائح الباطنية عن الشيعة، فيقع - بطبيعة الحال - ابتعاد عن الإنصاف ومجاوزة للحد. لكننا في كتاباتنا العربية الإسلامية لم نعرف نوعا من الكتابة ظهر في الغرب الأوروبي، له اسم غريب هو (POMETO BIANCO بوميتو بيانكو) أي - شرف الله قدركم - القيء الأبيض!!، بمعنى أن الكاتب يكتب بكل ما يشعر به من حقد، ويسمى (حقد مقدس) و(ضغينة مقدسة) فيفرزها في تلك الكتابات. وضمن هذا النوع من الكتابات تأتي كتابات (أوريانا فالاتشي). وأستسمحكم في أن أقدم لكم بعض الأدلة. وبالمناسبة فإن هذه الصورة ليست صورة لها وحدها، بل هذه الصورة لدى ملايين الغربيين في العالم الغربي الأمريكي، الذين كيفتهم وسائل الإعلام، وهذه نقطة ثالثة سأعود إليها لنرى



كيف حدث هذا التكييف؟ ولماذا؟ وكيف جُعلتم متقبلين لتلقى مثل هذا الحديث؟!

أول ما نلاحظه أن المسلمين لا يسمون بالمسلمين إلا مرات قليلة، لأن كلامها رديء سيئ، فهي تتحدث عن (الصراصير) وتنعتهم بأبناء الله!! وهنا ـ سيداتي وسادتي ـ ينبغي الانتباه إلى دلالة اللغة بالنسبة للغربيين، في الأذن الغربية هناك فرق كبير بين كلمة (الله.. GOD.. DIEU.. DIO.. DIOS.. GOTTEN). فعندما يتحدث الغربي الإسباني، الإيطالي، الفرنسي، البريطاني، الألماني... عن (الله.. GOD.. DIEU.. DIO.. DIOS.. GOTTEN) ، يتحدث عن إله داخل ديانة الإبراهامية، أي التوحيد، لكنه عندما يستخدم كلمة (الله) فهو يميز، على مستوى الدبلوماسية، يقول كلنا منحدرون من إبراهيم، وديانات التوحيد الثلاث، لكن سرعان ما يرجع المخيال الاجتماعي واللاوعي الثقافي لكي يعانق الأطروحة المعروفة في تاريخ الكتابة الغربية وهي المسماة بـ (التقليد اليهودي المسيحي) التي تميز بين المسيحية واليهودية من جهة، وبين الإسلام من جهة أخرى، وهي المضمرات التي لا يكون الإعلان عنها (محمد سارق الدين، دجال، ليس نبياً، متعصب، وغير ذلك)، فإذن عندما تستعمل مثلاً (أبناء الله الذين يرفعون عجيزاتهم) أي يسجدون (عدة مرات، والذين تزعجنا أصواتهم المنكرة في أعلى المنارات....)، تقول لا يمكن الكلام عن ثقافتين إحداهما غربية والأخرى إسلامية إلا من باب التجاوز، لماذا؟ تقول عن نفسها هي: إنني ملحدة، ولكنني ملحدة مسيحية. هكذا تقول، بمعنى أن المرجعية تبقى هي المرجعية المسيحية، فعندما تتحدث عن المسيح عليه السلام تصفه بالرجل الثوري ونبي المحبة والسلام والبسطاء، لكنها عندما تتحدث عن نبي الإسلام يكون شيء آخر، تقول: عندما ننظر في الثقافة الغربية أجد أن هنالك (هومير) وموسيقى (باخ) و(موزارت)، وأجد أن هناك جاليليو ونيوتن وداروين وباستور... وكل أولئك العظماء الذين أسدوا للإنسانية جليل الخدمات، والكلمة لها الآن حرفياً: فماذا نجد عند أتباع محمدﷺ؟ ماذا نجد في الثقافة الأخرى التي تسميها ثقافة الملتحيين أصحاب الجبة والعمامة؟ إبحث أيها القارئ كما تشاء، وفتش كما تشاء، أما أنا فقد بحثت فلم أجد إلا محمداً بقرآنه، وابن رشد بتعاليقه على أرسطو، والشاعر عمر الخيام بخمرياته، لأن ـ في مقدارها ـ أن القرآن سرقة واحتيال للديانة المسيحية وتهريب للديانة اليهودية،

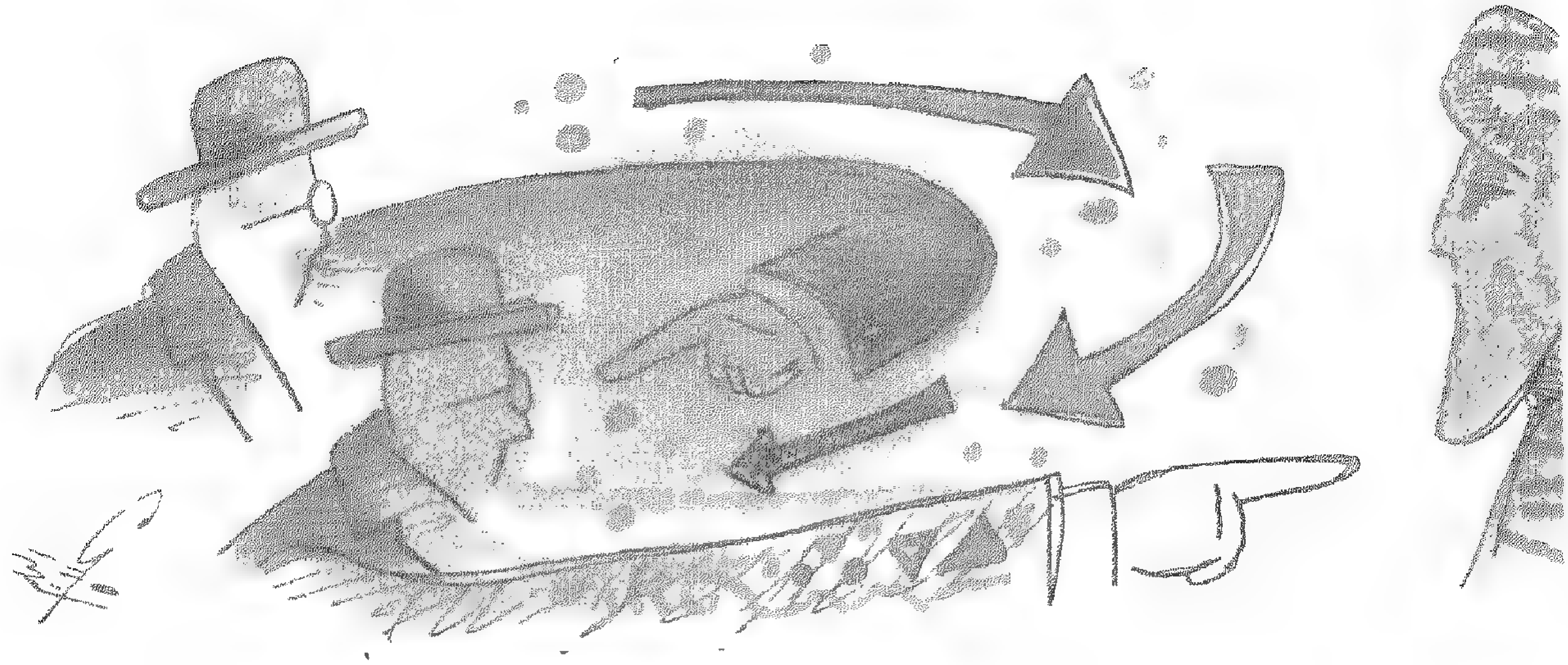


وأن ابن رشد العظيم لم يعدو إلا أن يكون محشياً ومعلقاً، إن لم تقل مشوشاً، على أرسطو.

ومع ذلك نتابعها، ربما للمرة الأخيرة، لننظر في مزايا هذا القرآن الذي تحترمه الصراصير أكثر من احترامها لكتاب رأسمال ولكتب الأناجيل. تقول: ماذا نجد؟ لا نعثر إلا على الحقد والكراهية، المسلمون يغزونكم في قعر دياركم، يحولون أجراس الكنائس إلى مآذن، وبيوت الله إلى مساجد (لاحظوا العبارة: ويحولن بيوت الله إلى مساجد)، إنها حرب دينية، ولكن المسؤولين السياسيين يغضون الطرف عن هؤلاء الغزاة في ميلانو وتورينو وروما، مع أن المسيحية تلك لا يذكر شيء فيها سوى التحدث بحمد أسامة بن لادن وعظمته. فأهمية كلام (فالاتشي) أنها تتحدث باسم اليمين الفاشي المتطرف في أوروبا كلها، وتتحدث أيضاً بلسان هذا الغربي الأمريكي بعد صدمة 11 سبتمبر، ولذلك لم يكن من المستغرب أن يطبع هذا الـ(POMETO BIANCO بوميتوبيانكو) عشرات الطبعات في وقت وجيز وأن تبلغ مبيعاته عدة مئات من الملايين.

ما بعد المستعربين والمستشرقين

النموذج الثالث الذي أريد أن أتحدث عنه هو الذي أشرت إليه مع هذا الفرنسي (فينسون جيسانك) وهو هؤلاء الخبراء، بعد جيل المستعربين، وجيل المستشرقين الذين كانوا ـ كما قلنا ـ يعرفون القرآن والسنَّة والحضارة، وأنا مثلكم أعترف بأن لكثير منهم أيادٍ بيضاء على الثقافة الإسلامية. وكنت أقول لأحد زملائي قبل هذا اللقاء إنني أعترف بأن أحد الرهبان، أو أحد آباء الكنسية اليسوع، في لبنان، واسمه (روبير ميشيل آلار) كتب كتاباً عن (مشكل الصفات الإلهية في نظرية الأشعري) بطريقة لم أقرأها ولا أعرفها عند كثير من علمائنا ودارسينا لعلم الكلام، من باب النزاهة والإنصاف. وأنا أعرف أن (هنري لاوشت) كان متخصصاً رائعاً في كتابات الغزالي وفي تاريخ المذهب الحنبلي بمراحله، وأن (لوي ماسينيون) كان دارساً ممتازاً للتصوف الإسلامي، والأمثلة كثيرة. وهؤلاء الناس ـ كما ذكرت ـ كانوا يعرفون لغات متعددة، الآن حصل هذا التردي، فأصبحنا ـ كما يقول إدوارد سعيد ـ



نجد أناساً يكتبون عن الإسلام وهم لا يعرفون أي لغة عربية كيفما كان نوعها، ولم يقرءوا القرآن، وأكثر من ذلك أن فيهم من قرأ القرآن بالعين المسيحية، ماذا أقصد بهد العبارة؟ الأناجيل كتبت عدة قرون بعد المسيح عليه السلام، فهم يكتبون ـ ومن يكتبون فيهم متخصصون ـ أن القرآن كُتب بعد عدة قرون من موت النبي ﷺ. لأنه لا يمكن ـ في تصوري ـ أن يتصور إلا على غرار الأناجيل كما هي موجودة في تلك الصفة، فصنّاع الوعيد الذين يرسمون صورة الإسلام أصبحوا هم بدورهم في حالة من التردي ومن العجز، ونجد دارساً كبيراً نقدر جهوده في مجال الإنثروبولوجيا، وهو (جيردس) مثلاً؛ يكتب عن الإسلام في المغرب وفي إندونيسيا، ولا يتكلم العربية، ولم يكن يستطيع أن يقرأ نصاً واحداً باللغة العربية، رغم أنه قام بأبحاث ميدانية.

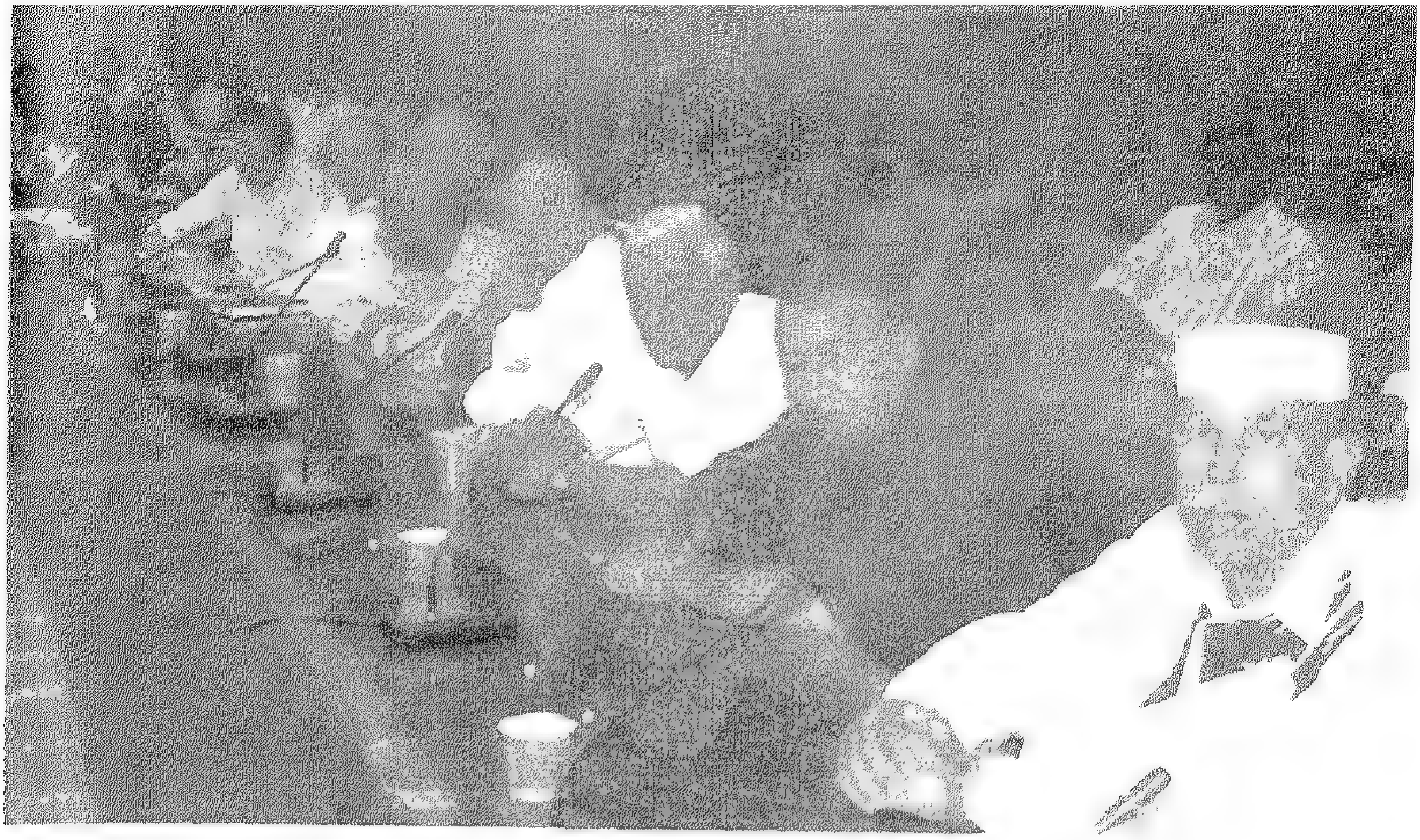
أحداث ونماذج أخرى

هنالك أحداث أخرى ساهمت في صنع هذه الصورة السلبية، نذكر منها ثلاثة على باب الاختصار:

هنالك أولاً ما بعد شهر التمور (أكتوبر) 1973، وأقصد بأكتوبر 1973 أن الدول العربية والإسلامية المنتجة للنفط استطاعت أن تنتهي إلى موقف صلب ومتماسك نسبياً، كان من نتائجه الرفع من ثمن النفط، ومجاوزة ما كان (سامي الأمين) يسميه بـ(التبادل اللامتكافئ)، بمعنى أنك تسوق باخرة من النفط لكي تحصل على قنينة عطر فرنسية، بمعنى أنهم يبخسون ثمن النفط في مقابل المنتوج الصناعي الغربي. هذا الموقف العربي الإسلامي الموحد بعد أكتوبر 1973م، أو ما سمي بحرب النفط؛ كان له صدى كبير في تكييف هذا الوعي، ولكن في اتجاه رسم الصورة السيئة السلبية.

الحدث الثاني الذي أريد أن أشير إليه هو ما يسمى ـ إذا كنتم تذكرون وأنتم تذكرون بكل تأكيد ـ أزمة الرهائن الأمريكيين في السفارة الأمريكية في طهران واحتجازهم، والصورة التي كانت ترسمها وسائل الإعلام الأمريكية، وهي ضخمة وجبارة، وتعلمون أن الجرائد الكبرى والمحطات المرئية لها إمكانيات أكبر من إمكانيات عدد من دولنا مجتمعة، إمكانيات مالية، وإمكانيات بشرية، ولها قدرة على تكييف وعي الفرد الأمريكي، الذي له وعي عن العالم محدود جداً ومليء بالأخطاء، والذي لا يكاد يتجاوز المحيط الصغير الذي يتحرك فيه.

ثم هنالك طبعاً الذي أسهم في رسم الصورة السيئة للإسلام في الوعي الغربي، لا أقول 11 سبتمبر فقط، فهذا أشهر من أن يذكر، ولكن أقول هذا الذي ابتلينا به، والحديث فيه ذو شجون، الذين يخلقون الفتنة باسم الإسلام، ويتوسلون باسم الإسلام وباسم نزعات إسلامية.. الغلوّ



﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾
[سورة النساء، الآية: 171]

والذين يزهقون الأرواح، والذين يقومون بعمل المعارضة المسلحة باسم الإسلام لحسابات وأغراض شخصية. أنا لا أبتسل القول في ظاهرة ما يسمى بالإسلام السياسي، ولا أردها إلى كلام سوقيّ، إنما الظاهرة معقدة لها دواعٍ وأسباب اقتصادية، وسياسية، واجتماعية، ونفسانية أيضاً، ولكن أقول هذا الخلط الذي نجده، هذا الأمر، خلق هذا الخلط في الأذهان بين (الإسلام) وبين (ISLAMISME)، فأصبح هناك ما نسميه عدم هذه القدرة على التمييز.

وفي خاتمة هذا العرض.. ما الذي أودّ أن أقوله مما يعنينا؟

تصحيح الصورة

نحن مطالبون بتصحيح صورة الإسلام، وهذا ما تقوم به جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وما تقوم به المنظمات الإسلامية بجهود كبيرة متصلة، وما تقومون به جميعاً في معاهد الدراسة، وفي مدرجات الكلية، وفي محاضراتكم، وفي تدخلاتكم. لكن الأمر ـ في الواقع ـ يحتاج إلى مراجعة جذرية، وهذا ما أريد أن أتحدث عنه. نحن محتاجون إلى أن نصحح صورة الإسلام لذواتنا، وفي أنفسنا، قبل أن نصححها عند هذا الغير، وتلك هي المعركة الكبرى المصيرية، وتلك هي المعركة الحقيقية. فإذن ما أود أن أقوله باختصار هو أن (صورة الإسلام في الوعي الغربي) متبدلة ومتأثرة، ولكن بنياتها العميقة ـ في واقع الأمر ـ لا تخضع لكثير من التبدل، أي أننا عندما نبحث قليلاً، فسنجد أن الصورة تلتقي بما ذكرت في القرن الثامن عشر، ولم لا ـ مع كامل الأسف ـ تلتقي بمرحلة أبعد من ذلك، حيث تلتقي بزمان الصليبية والصليبيين، وتكون مملوءة بالأخطاء.

أما المسؤولية فمن السهل ـ بطبيعة الحال ـ أن نعلقها على مشجب الآخرين والعداوة، ولكن الشجاعة تقتضي منا أن نعترف وأن نقول بأن العيب يكمن فينا بالدرجة الأولى، وبأن المعركة تقتضي خوضها في أنفسنا وفي أدواتنا.

أشكركم على حسن انتباهكم، وهي كما ذكرت فهذه نظرات أو خطرات أو عناصر للتأمل، وسأكون مديناً لكم وشاكراً لفضلكم إذا تفضلتم بتنقيحها بأسئلة وبملاحظات لكي تساعدوني في بلورة الفكرة بكيفية أفضل، وفي تنقيحها..

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

استطلاعات



تطوان

مغربية الانتماء، أندلسية الهوى



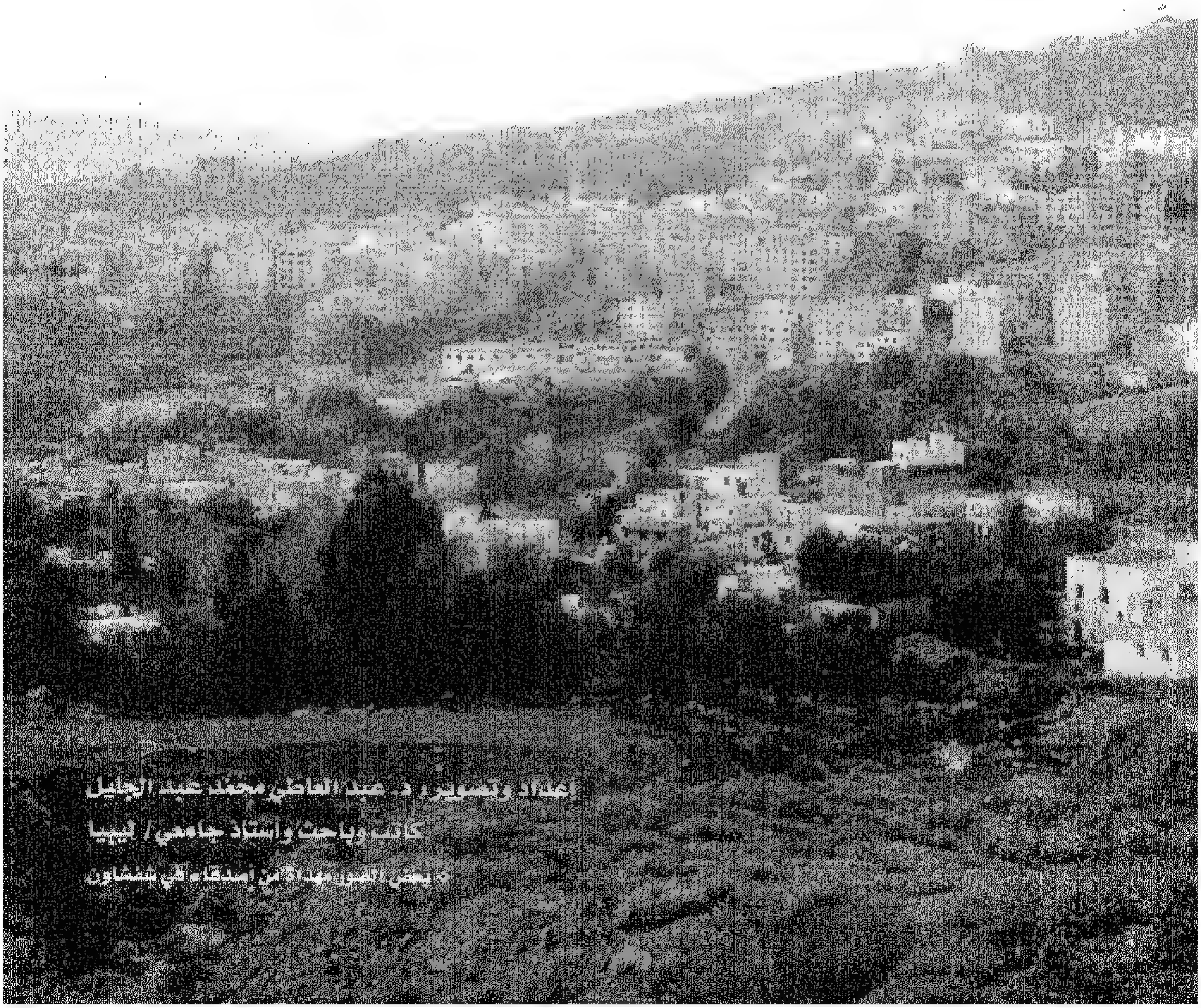
شفشاون:
مغربية الانتماء، أندلسية الهوى

تألق في شفشاون الحسن كله ... فيا طيبها في حسنها المتألق

أبو المعالي

شفشاون بنيت للذود عن ديننا ... بأرض مغربنا وأرض أندلس

علي الريسوني



إعداد وتصوير: د. عبد العاطي محمد عبد الجليل

كاتب وباحث وأستاذ جامعي / ليبيا

* بعض الصور مهداة من أصدقاء في شفشاون



ش شفشاون، مدينة تنام على سفح جبلي (تيسوكا والقلعة)، في قلب سلسلة جبال الريف المغربية المطلة على البحر المتوسط، لاسمها معان عدة، بعضهم يقول إن معناها: (قرون الجبل) ويقال: إن اسمها مشتق من الاختلاط، ويذهب البعض إلى أن اسمها يعني: (محال طالعة للجهاد) أو (محل نزول المجاهدين)..

أُسست سنة 1471 م. على يد علي بن راشد العلمي، وكانت في بداية تأسيسها قلعة للمجاهدين ضد الاستعمار، وإيقاف الزحف البرتغالي..

تُعرف المدينة أحياناً باسم (شاون)، خاصة عند السياح الأجانب، إنها مدينة تشدك إليها بتاريخها ومعمارها وأزقتها وسكانها، كل شيء فيها يترك فيك أثراً لا ينسى..

أهل شفشاون يعتزون كثيراً بمدينتهم التي تقول بعض المصادر أن جذورها تمتد في أعماق التاريخ مغربياً كان أم أندلسياً، عرف إقليم شفشاون الذي تمثل المدينة حاضرته عدداً من الأسماء التي نقشت في التاريخ، موسى بن نصير الذي بنى مسجداً له بمنطقة (بني حسّان)، شمال غربي المدينة، طارق بن زياد الذي أسس مسجداً يحمل اسمه بقرية (الشرفات) القريبة من مدينة شفشاون..

عرفت المنطقة التي أسست بها المدينة حروباً ونزاعات متعددة، كان مصدرها محاولة السيطرة على منطقة الريف المغربي من قبل الإسبان والبرتغاليين، ولذا كان من المهم على ما يبدو تأسيس شفشاون لتكون مركزاً دفاعياً عن المنطقة بأسرها..

ذكر القاضي الوزير محمد الصادق الريسوني المتوفى سنة 1949م تفاصيل دقيقة لمراحل تأسيسها في رسالة نشرها حفيده السيد علي الريسوني، أمدّ الله في عمره، وهي تفاصيل مهمة ودقيقة، مع ذكر بعض الأبنية التي لا تزال صامدة منذ مئات السنين..

تذكرتُ وأنا أحاول التعرف على هذه المدينة المثل القائل: «أهل مكة أدرى بشعابها»، ولذا وجدت في

إقليم شفشاون.

العاصمة: شفشاون.

عدد السكان: أكثر من 524 ألفاً.

المساحة: 4350 كيلومتراً مربعاً.

الكثافة تقدر بـ: 120 فرداً في الكيلومتر المربع تقريباً.



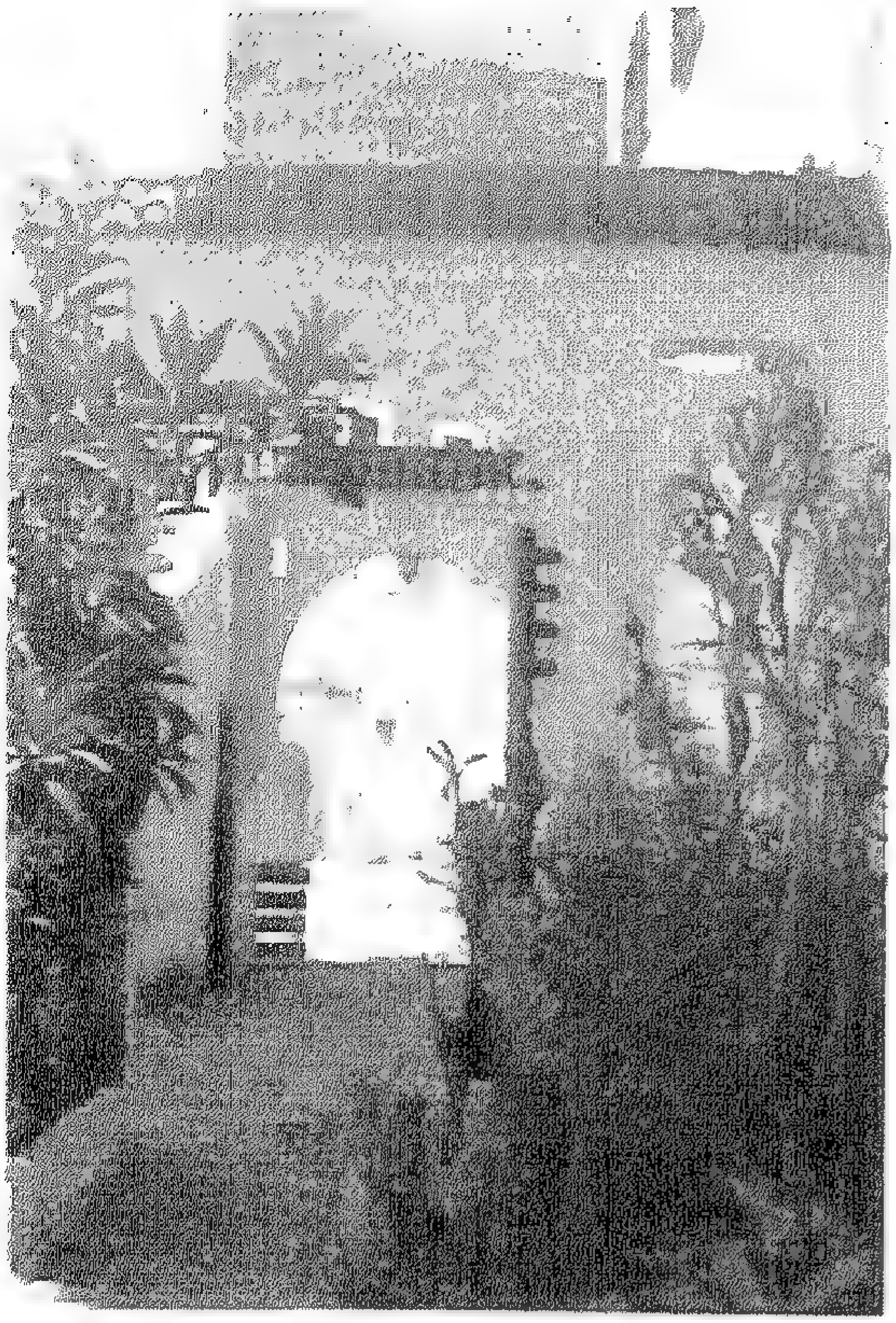
السيد علي الريسوني

السيد علي الريسوني خير معين، فهو أحد أبنائها، لا بل أحد أعلامها، سعدت كثيراً بمرافقته وضيافته، واستفدت كثيرا من معلوماته حول مدينته (شفشاون)، تاريخها، رجالاتها، أحيائها، علمائها، بيوتها، أزقتها، وبعض من أسرارها، وليس من قبيل المبالغة إن قلت عنه بأنه ذاكرة المدينة المتحركة، إضافة لما يتمتع من مكانة وما يلقاه من تقدير من أبنائها، فما أن نلتقي أحداً في زقاق أو ميدان صغير أو محل من محالها حتى يبادره من يلاقيه بالتحية مقرونة بقوله له (سيدي علي)، وهو لقب يحب أبناء شفشاون أن يطلقوه عليه..

بدأتُ التعرف على المدينة من بيت السيد علي الريسوني، الواقع في درب الريسونيين، وهو بيت مغربي أندلسي، يتكون من طابقين، غرفه كثيرة، يتوسطه بهو رحب، من الصعب تصور مخططه، أراد أن يطلعني على إحدى خصوصيات هذا البيت المتميز،



حوار مع السيدة سلمى المقدسي زوجة الفيلسوف روجيه غارودي في بيت السيد علي الريسوني

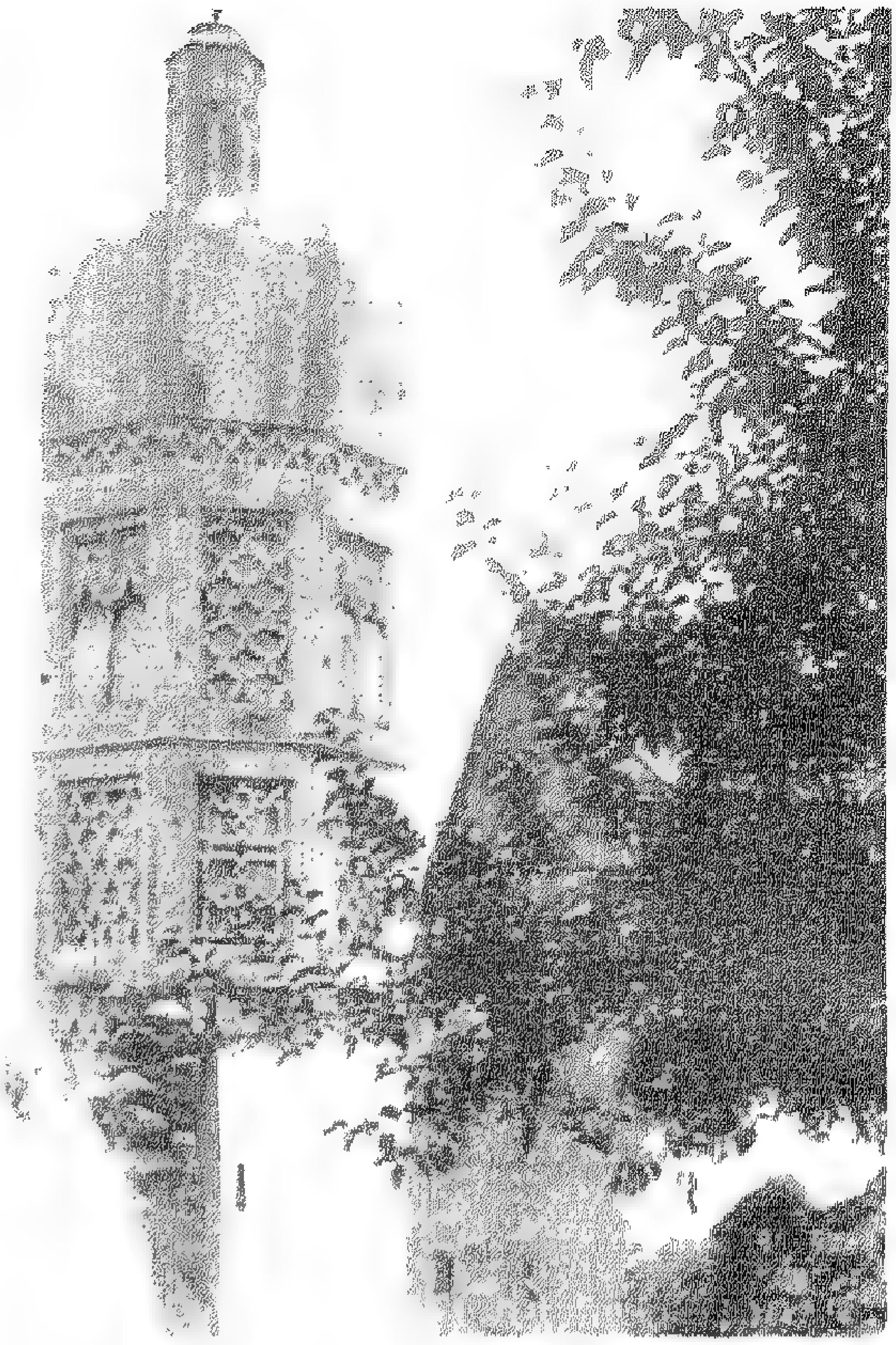


بيت في شفشاون

اكتشفت بعض دروبه، نعم، فكثير من البيوت المشيدة على الطراز الأندلسي لها دروبها التي لا يعرفها سواهم، ولتلك الدروب أسباب عديدة، ليس هنا مجال سردها..

لشفشاون علاقة وثيقة بالأندلس والأندلسيين، فقد آوت الفوج الثاني من الأندلسيين المهجرين الذين طردوا من غرناطة، آخر حبات مسبحة الأندلس، وكان من بين القادمين أبي الحسن على المنظري، أحد أشهر جنود ابن الأحمر آخر أمراء غرناطة..

كان لي مع السيدة (سلمى) زوجة الفيلسوف الفرنسي (روجيه غارودي)، والتي تربطها بالسيد الريسوني علاقة قوية، قادنا الحديث عن العديد من القضايا، بدءاً من قصته مع المحاكمة الشهيرة التي تعرض لها، مرورا بـ(القلعة الحرة) في قرطبة التي حولها إلى متحف للحضارات، وليس انتهاءً بالمكتبة الأندلسية التي أسسها في قلب مدينة قرطبة، وفيما





إلى اليمين مئذنة الجامع الأعظم وإلى اليسار صورة الجامع

كنت في حوار معها ومع بعض من أعيان شفشاون كان (سيدي علي) يتحرك بخفة لا نظير لها، ينادي بعض الشباب ليقدم الشاي المغربي الأخضر وبعضاً من الحلوى المغربية، يرد على مكالمات هاتفية لا تكاد تنقطع، يستقبل ضيفا ويودع آخر، ومن هذا البيت بدأت التعرف على شفشاون..

*** يقع إقليم شفشاون في أقصى شمال المغرب، على سلسلة جبال الريف، يحده شمالا البحر الأبيض المتوسط بواجهة بحرية تفوق 120 كيلومتراً، وجنوباً إقليم سيدي قاسم وتاونات، وشرقاً إقليم الحسيمة، وغرباً إقليمي تطوان والعرائش.**

*** ينتمي الإقليم جهويا لإقليم (طنجة تطوان).**

الجامع الأعظم:

البداية أفضل ما تكون من جامعها الأعظم، الذي شيده في القرن السادس عشر مسيحي محمد بن علي ابن راشد، يقع غرب القصبة، تقدر مساحته بمائة وثلاثين متراً مربعاً، يمتاز بصومعته ذات الأضلاع المثمنة، تتوسط ساحته الداخلية نافورة جميلة، تتبع الجامع مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم، ومن الملاحظات المهمة خلو بيت الصلاة من الزخارف، اللهم إلا بعضها الذي يزين مدخله ومئذنته، أسس الجامع الأعظم على مقربة من (دار المخزن)، كان هو الجامع الوحيد الذي تؤدى فيه صلاة الجمعة حتى سنة



شفشاون كما تبدو من أحد الجبال تتوسطها القلعة

1260 هـ. ثم تكاثرت المساجد، حيث شيد في كل حي أو (حومة) كما يقال في شفشاون، ومن بينها: مسجد حي أو (حومة الخرازين) ومسجد (حومة الأندلس)، وغيرها..

معالم عامة:

شُيدت في المدينة على عادة أهل الأندلس حمامات عامة، ومن أقدمه وأشهرها: الحمام الذي بناه (الأمير محمد)، وحمام (الهراس)، أما أقدم فنادقها فيعود إلى سنة 1260 هـ. ثم تتابع إنشاء الفنادق بعضها كان قريبا من هذا الفندق وبعضها شيد في منطقة (وطاء الحمام)..

الآن بها عدد من الفنادق الحديثة يفوق عددها سبعة وعشرين فندقاً، أغلبها صغيرة الحجم، لكنها جميلة وهادئة..



تفصيل داخلي لبيت في شفشاون



سوق شعبي قديم



منبع رأس الماء

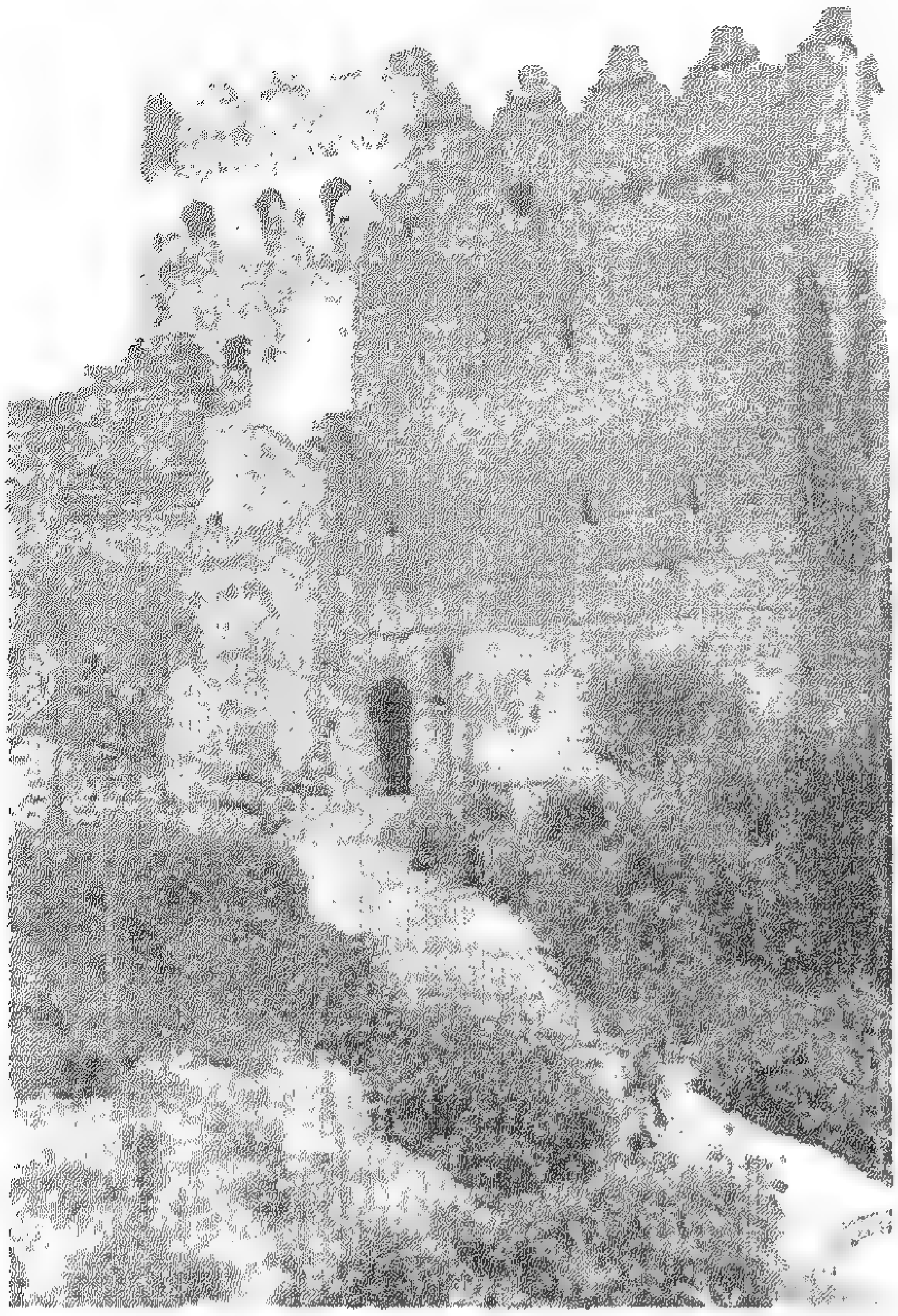


كانت أسواقها العامة تنتظم يومي الإثنين والجمعة، ولها حوانيت عديدة تختص ببيع ما ينتجه أهلها وأرضها..

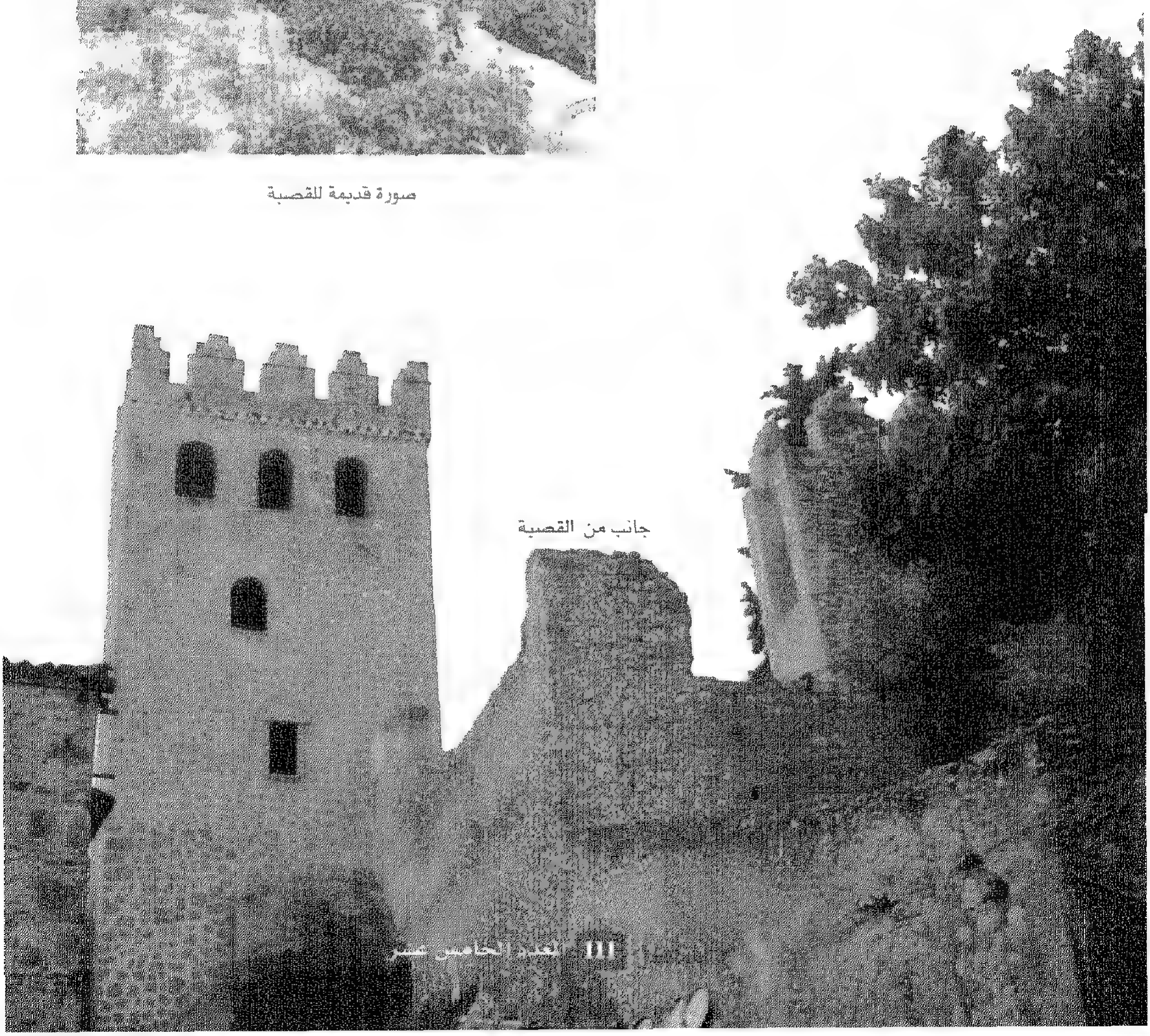
تتزود المدينة بالماء من منبع طبيعي يقع أعلى منازلها، يعرف بـ(رأس الماء)، وحوله تدور قصص عديدة، وكل بيت يقع تحت منبع الماء كان يتزود به مباشرة عن طريق قنوات بنيت لهذا الغرض، أما المنازل التي شيدت فوق مستوى المنبع فكانت تنقل إليها المياه بشكل يدوي..

القصبة :

أول ما تم تشييده من أبنية المدينة على يد الأمير علي بن راشد، وتقع في الجزء الغربي من المدينة القديمة، أقام فيها الأمير ابن راشد واتخذ منها مقراً للقيادة والجند، وهي محاطة بسور تتوسطه عشرة أبراج شيدت على الطراز الأندلسي، داخلها ساحة كبيرة تزينها مجموعة أحواض..



صورة قديمة للقصبة



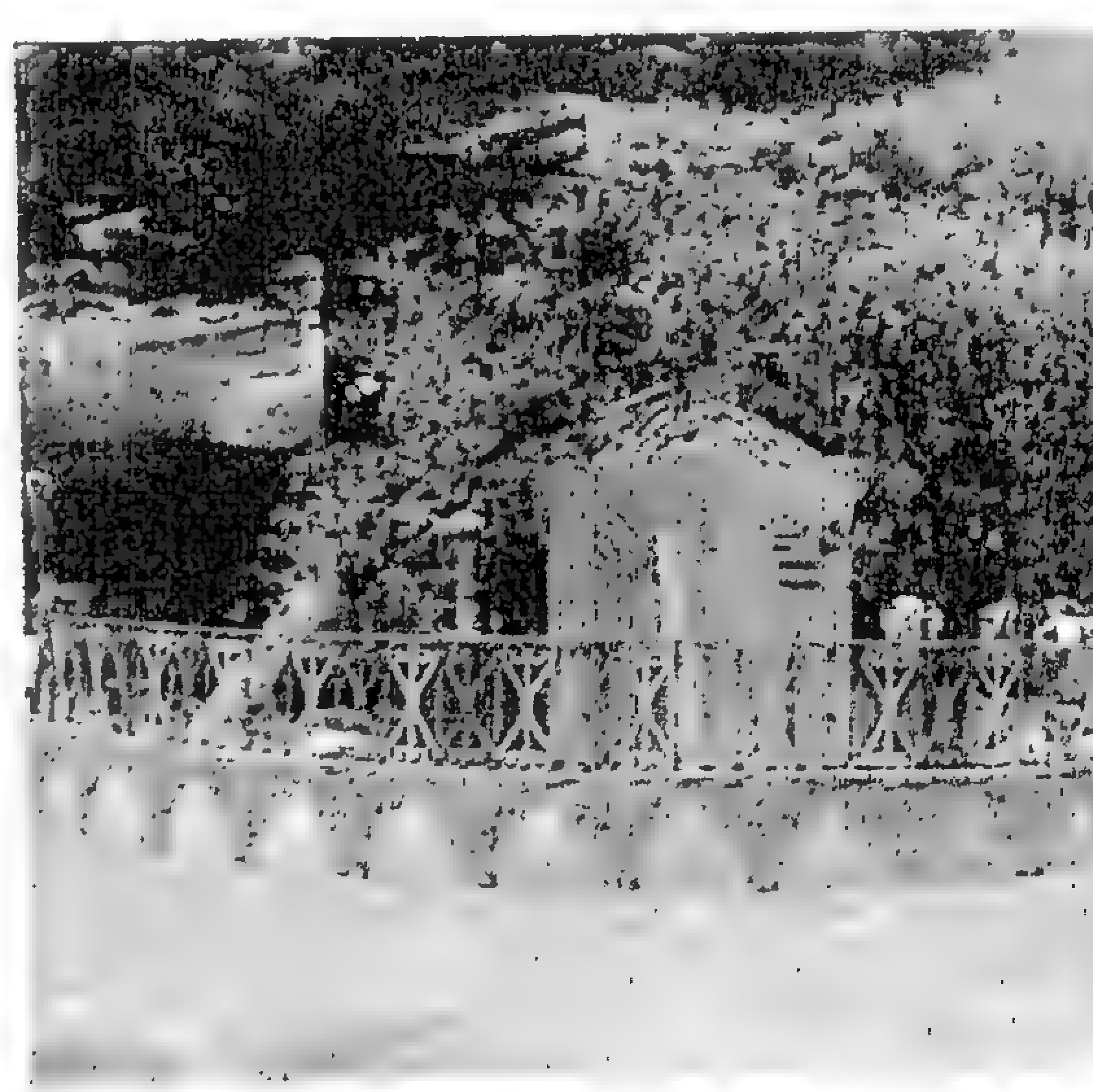
جانب من القصبة



ساحة (وطا الحمام)

(وطا الحمام):

ساحة تقع وسط المدينة العتيقة، تبلغ مساحتها 3000 متر مربع، وكل الطرق في المدينة تؤدي إليها،



نافورة ماء

ذات طراز معماري أندلسي، تعتبر مقصد السائحين في كل وقت، فهي تمثل قلب المدينة حيث تنتشر المقاهي التقليدية المظللة بالأشجار، هناك يمكنك تناول الشاي المغربي الأخضر الشهير المخلوط بالنعناع..

في هذه الساحة نافورة ماء جميلة، ويطل عليها متحف، وبعض الإدارات الرسمية، صممت في البداية لتكون مقراً للسوق الأسبوعي الذي يؤمه سكان الضواحي والمدينة..

وأنت تأخذ قسطاً من الراحة في واحدة من المقاهي الشعبية في ساحة (وطا الحمام) لا تترك المفاجأة تأخذ بلبك إن وقعت عيناك على نجم من نجوم (السينما) العالميين أو إعلامي أو كاتب مشهور، فالمدينة تجتذب إليها مثل هؤلاء وغيرهم من الهاربين من ضوضاء المدن الكبيرة وتلوثها..

أحياء عريقة

حي السويقة:

بدأ القادمون يشيدون الأحياء السكنية، ويعتبر (حي السويقة) ثاني أقدم تجمع سكني بعد القصبة، وتكون حين تشييده ما يقرب من ثمانين عائلة أندلسية قدمت مع مؤسس المدينة، ويبدو أنها من أول الأسر التي أكرهت على مغادرة الأندلس..

يتميز هذا الحي بمنازله القديمة ذات الطراز الأندلسي والتي طليت جدرانها باللونين الأبيض والأزرق السماوي، وبه كان السوق الذي عرف بالقيسارية..

حي ريف الأندلس:

ما إن سقطت غرناطة حتى توافد عدد من الأسر التي طردت منها إلى شفشاون في عهد الأمير محمد ابن راشد، الذي أمرهم ببناء حيهم في مكان لا يكون قريبا من قنوات الماء الذي يغذي المدينة، قبلوا ذلك، وأسسوا ما بات يعرف بـ(حير ريف الأندلس)..

لا يختلف هذا الحي عن (حي السويقة) من حيث النمط المعماري ذي الطابع الأندلسي، إلا أن الخصائص الطبوغرافية حتمت بناته تشييد منازلهم من طابقين أو ثلاثة، مع ميزة تتمثل في أن لكل بيت أكثر من مدخل، بعضها يعتبر مداخل أو مخارج سرية، وشيد الأندلسيون مسجدهم الخاص بحيهم..

مناخ شفشاون جبلي جاف، حار في الصيف، بارد شتاء، معتدل ربيعاً وخريفاً، تهطل الأمطار على الإقليم شتاء، وتغطي الثلوج القمم والمرتفعات المحيطة.

ترتفع المدينة عن مستوى سطح البحر بـ 660 متراً.



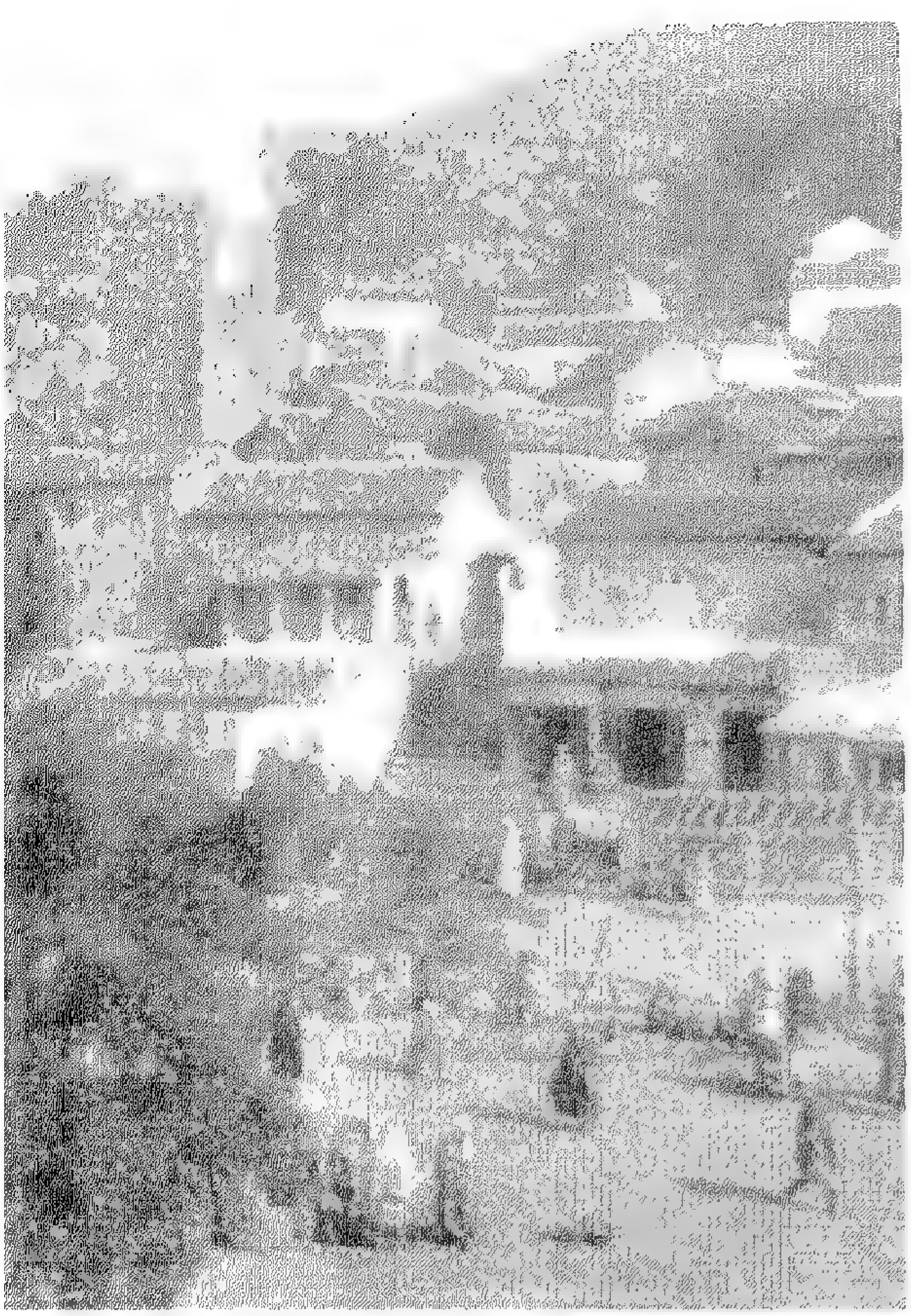
صورة قديمة لأحد أحياء شفشاون



زقاق مغلق، ولكنه لا يوحي بذلك



حي الريسونيين



ساحة عتيقة في شفشاون

حي العنصر:

بعد أن بدأت الأسر الأندلسية تتكاثر في شفشاون أذن حاكمها لكل من أراد الإقامة بها أن يبني أعلى أو أسفل (حومة أو حي الأندلس)، فتم تشييد (حي العنصر) أو (عنصر الماء) فوق (حي ريف الأندلس)، لكن سكانه من الأندلسيين لم يحافظوا على النمط المعماري الأندلسي..

تتابع تشييد الأحياء، مثل: حي الصبانين الذي تميز بمجموعة من الطواحين التقليدية التي كانت مخصصة لعصر الزيتون، وصناعة الصابون، ثم حي (حومة السوق) و(حومة الخرازين) وغيرها..

مدينة متميزة:

اتسعت شفشاون، وأصبحت مركزاً تجارياً وصناعياً وعلمياً مهماً، واتخذتها القبائل المحيطة بها والقريبة منها مركزاً تجارياً وصناعياً وتعليمياً..

اشتهرت بصناعة الجلود والحرير الطبيعي، وبحرف عديدة، منها: النجارة والطلاء والغزل وصناعة الكتان، وكانت بالمدينة أكثر من خمسمائة امرأة مختصة في فنون الغزل والنسيج..

علماء من شفشاون:

مع أنها ليست من المدن الكبيرة، أسست في وقت متأخر عن عدد من المدن المغربية إلا أنها ساهمت ـ وبشكل واضح ـ في مناحي الحياة في المغرب الأقصى، شملت مساهماتها الاقتصاد والصناعة والمنتجات الزراعية، كما أنجبت عددا من العلماء والفقهاء والشعراء، ومن بينهم: الشريف



حي في مدينة شفشاون

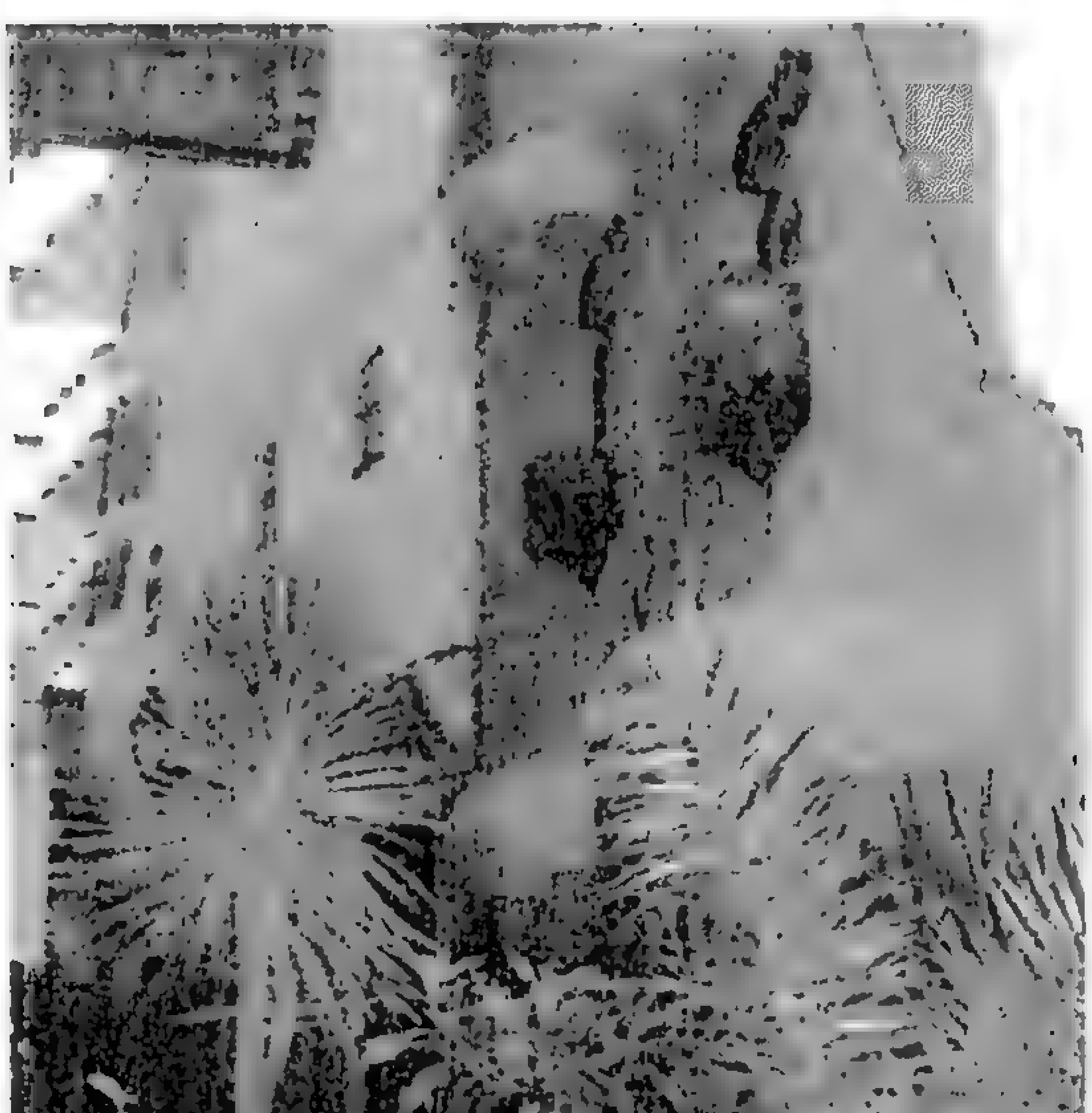
الحسن بين ريسون الذي رحل إلى مدينة فاس، ومحمد فتحا بن الحسن الريسوني، والقاضي ابن عرضون صاحب كتاب (الوثائق)، الذي أهدى داره للفقراء الناصريين، وهي المعروفة بـ(الزاوية الناصرية)، ومنهم: أحمد بن علي بن راشد، وأبناء أبي روح وأبناء الريسوني.

ومن علمائها أيضاً: الفقيه الأديب عبد الكريم الورديغي، تولى القضاء بها، وهو صاحب القصيدة الشهيرة في مدح شفشاون، والتي مطلعها:

إذا شفشاون تسمو على كل فائق

وتنجد سريعاً من جميع المضايق

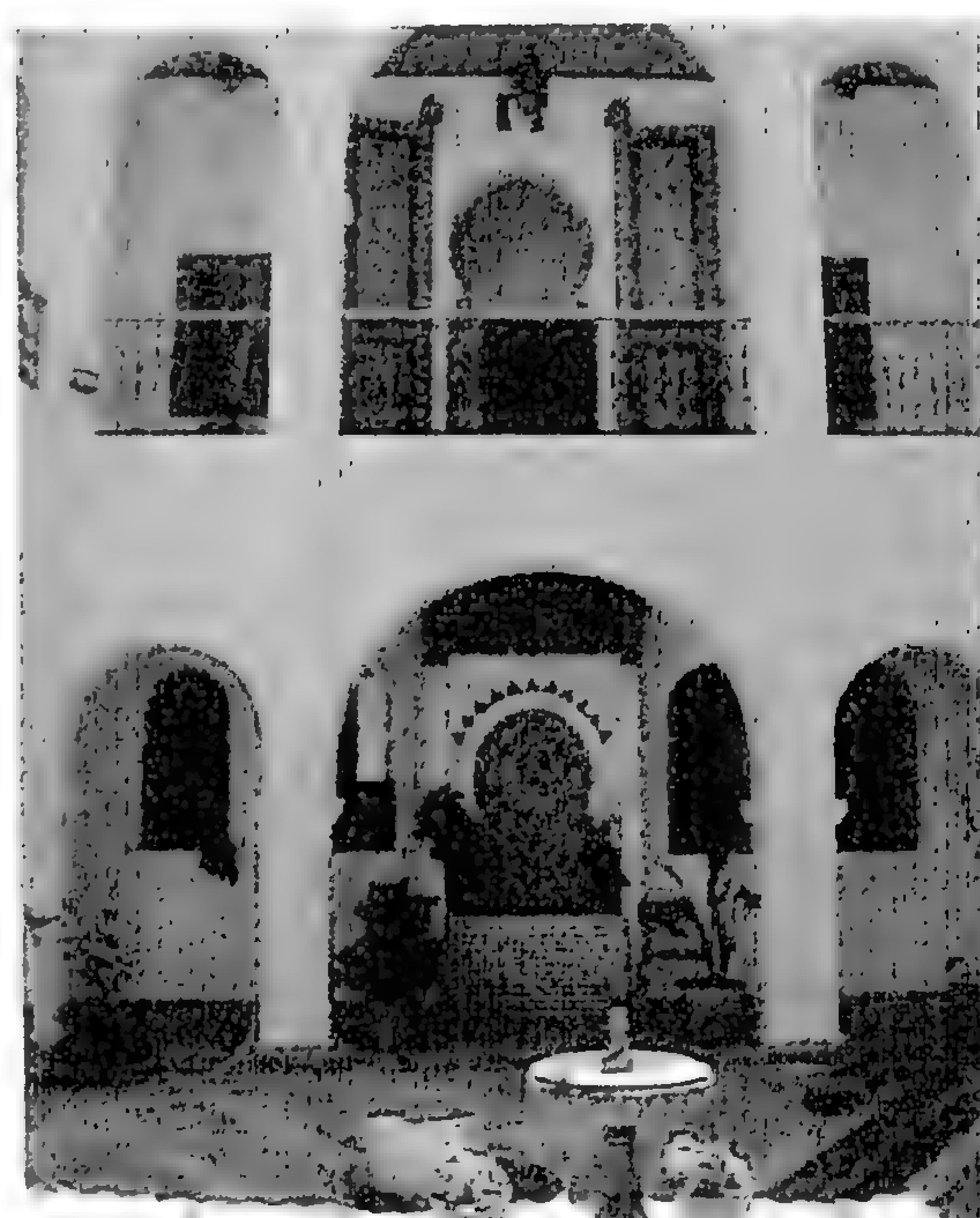
ومنهم: القاضي محمد بن عبد الله الحوات، وابنه سليمان، وعلي بن عيسى العلمي، وأبناء علوش، ومحمد ابن العربي الريسوني، وغيرهم..



فن معماري تمتاز به شفشاون



شفشاون الحديثة



بيت في شفشاون لمسات أندلسية مغربية

شفشاون الحديثة :

رغم نمو المدينة بشكل واضح إلا أنها لم تفقد شخصيتها، أصبحت مقصدا للزائرين من جنسيات متعددة، ويأتي في مقدمة زوارها الذين يفوق عددهم سنوياً ستين ألفاً الإسبان والبرتغاليين ثم الفرنسيين واليابانيين، تقدم لزائرها نموذجاً واضحاً للعمارة الأندلسية التقليدية، كما أنها وبموقعها الجبلي المتفرد تعتبر من أهدأ المدن، وأكثرها استقرارا، يقول أبناؤها: من أراد أن يهرب من صخب المدن الكبيرة بضجيجها وتلوثها وما تثيره من قلق وأرق فلن يجد أفضل من مدينتنا، فلن يجد فيها الملاهي الصاخبة والفنادق الضخمة ومتاجر (العلامات العالمية)، وهي عوضا عن ذلك تمنحه الهدوء والدفء والرقة..



زقاق في مدينة شفشاون



المعمار لا يلغي الحياة

مدينة الثقافة والموسيقى:

بدأت المدينة تساهم في تنمية المشهد الثقافي والفني والأدبي في المغرب، ففيها تنتظم مهرجانات عديدة من أهمها: مهرجان (الأندلسيات) ومهرجان (المديح والسماع) ومهرجان أنغام وأنوار)، كما اختيرت مقراً لمؤتمر الثقافة والتربية الإسلامية التي تشرفت بحضور أولى اجتماعاته في مدينة شفشاون..

وفي المدينة عدة جمعيات ثقافية وإنسانية، ومن بينها (جمعية الدعوة الإسلامية) التي يرأسها السيد علي الريسوني، وهي تقدم خدماتها في



حلقة المديح والسماع والأندلسيات



سوق الحطب القديم



مئذنة جامع في شفشاون

مجال الدعوة الإسلامية، وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها..

❖❖❖

أيام قليلة أمضيتها في شفشاون، ومع ذلك احتفظت في ذاكرتي ـ التي بدأ الضعف يغزوها ـ بصور إنسانية مؤثرة، وجمال أخاذ، التقيت فيها علماء ومؤرخين وصحفيين ووزراء وسياح من أكثر من جنسية، تجولت في أزقتها بهدوء واطمئنان صباحاً ومساءً وليلاً..

مهرجان الروائح:

في شفشاون يسكنك الهدوء، تحتضنك السكينة بدفء وحميمية، في أزقتها تغزوك روائح طيبة، بعضها ينبعث من حوانيتها، وبعضها من بيوتها، ولن تخطئ في تحديد نوع الأكلة التي تعد في هذا البيت





الضوء واللون والظل

أو ذاك، شرط أن تكون قد تناولت ذات مرة (البيصارة)، الطبق تتقن إعداده نساء شفشاون دون غيرهن، أما (الطاجين) المغربي فأشهر من أن يعرف..



مهرجان الألوان

مهرجان الألوان:

في أزقتها ترى كل الألوان، وكأنك تبحر في قوس قزح، ألوان الملابس التقليدية والمصنوعات الجلدية، والأواني الفخارية، والمشغولات المعدنية والخشبية، لكنك إن نسيت كل ذلك فلن تنسى بالتأكيد اللونين الأبيض والأزرق السماوي الذين طليت بهما جدران البيوت، ولن تنسى بالتأكيد تلك اللوحة التي يتناغم فيها الجبل بأشجاره العملاقة والسهل ببساطه الأخضر وورده العصية عن الوصف، والبيوت البيضاء المغطى بعضها بالقرميد الأحمر أو الأخضر..



صورة قديمة لميدان شفشاون وفي الإطار صورة حديثة

أهل شفشاون، كرم وسعة صدر:

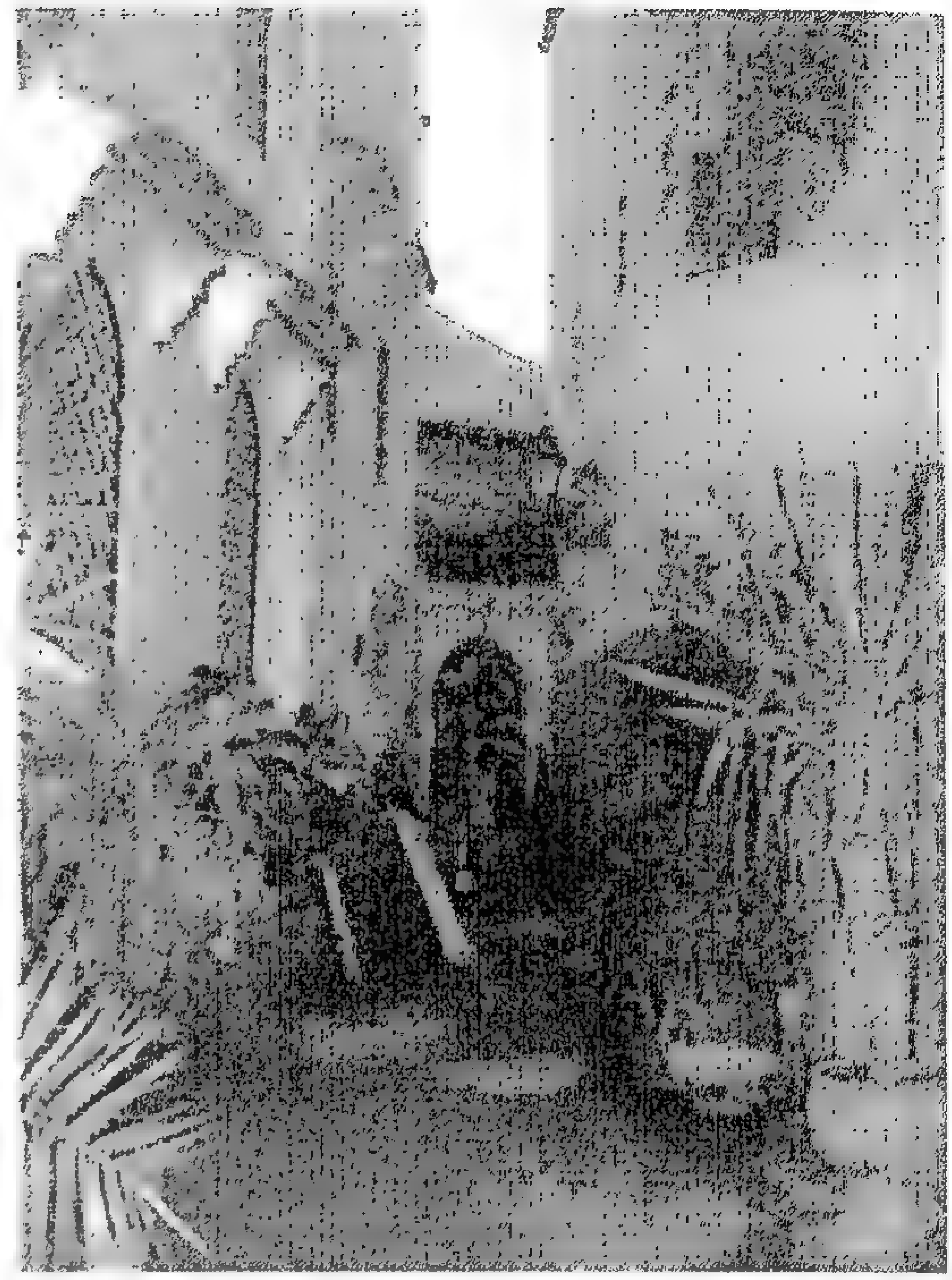
أهل شفشاون يتمتعون بأدب جم، ورحابة صدر لا حدود لها، يحاورونك بهدوء وصبر لا ينفد، يمدون الزائر بكل ما يريد من معلومات عن مدينتهم، وحين طلبت من أحدهم صورا قديمة لمدينته لم يبخل، وجاءني بعد سويعات بقرص مضغوط يحوي مجموعة من الصور النادرة، وشريطا مصورا عن المدينة ومعالمها..

يرافقك أبناء شفشاون حين تريد التجوال في أحياء مدينتهم وأزقتها، يخبرونك بتاريخ هذا المبنى أو ذاك، يقولون لك أسماء القاطنين في هذا المنزل أو ذاك..

ليلة من ليالي شفشاون:

ليل شفشاون له طعم خاص، هدوء ملهم، وحين تضاء المصابيح التي صنع بعضها على النمط التقليدي وتنعكس أضواؤها على الجدران ذات اللونين الأبيض والأزرق السماوي تتشكل لوحة تتجاوز الزمان، وتلغي محدودية وحدود المكان..

أذكر أنني حين كنت أتجول ليلاً في أزقة المدينة وألتقط بعض الصور اقترب مني أحد أبناء المدينة وسألني: لعلك تبحث عن المكان الذي تنعقد فيه حالياً حلقة (المديح والسماع) و(الأندلسيات)، أجبت: نعم، رافقني في أزقة المدينة، نصعد تارة ونهبط أخرى، حتى وصلنا مبنى عتيق جميل، في المدخل كان بعض



أبناء المدينة يستقبلون القادمين، رافقني أحدهم إلى داخل المبنى، فإذا بي وسط مبنى جميل من طابقين، أندلسي الطراز، مغربي النقوش، في وسطه جلس حشد من العلماء والوزراء والسياسيين ومسئولي المدينة، وثلة من أعيان المدينة، أعرف معظمهم، حيث أننا كنا معا حين تم افتتاح منتدى الثقافة والتربية الإسلامية، قدم لي مقعد جوار أحد أعيان المدينة الذي همس في أذني لقد سأل عنك (سيدي علي) فقيل له بأنك في لقاء مع السيدين الأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي والسيد محمد بن سودة، أجبت بإشارة فهم منها أنني فعلاً كنت كما قيل، ونظراً لأن حلقة (المديح والسماع) و(الأندلسيات) قد بدأت بعزف وإنشاد فرقة نسائية من بنات شفشاون، فقد غادر كل من الموجودين المكان والزمان، وعاشوا لحظات لا يمكن تصور عمقها وأثرها..

أصوات رائعة، عزف أروع، ورائحة البخور تضيف إلى المشهد بهاء وروحانية لا مثيل لها.. كانت إحدى ليالي شفشاون التي لا تنسى..



زقاق قديم في شفشاون

شفشاون الشاعرة

نَوافيرُ تزهو في رُواءٍ ورَوْنقٍ ... وتعزفُ لحْنَ الحُبِّ في العالَمِ الشّقي

أصغت إليها وهي تلقي قصيدةً ... على سفحِ «تيسوكا» الخضيرِ المُنَمَّقِ

فكنتُ بها للفتنةِ البِكْرِ شاهدًا ... وكان لها كالقارئِ المُتذَوِّقِ

وطئتُ مغانيها العِذابَ وإنها ... وِطاءُ حَمامٍ في الحنايا مُحلِّقِ

متى كُنتَ عن نَهْجِ الصبابةِ زاهدًا ... ومنبعُ رأسِ الماءِ في العشقِ مُغْرِقي؟

تألَّقَ في شفشاونَ الحسنُ كلُّهُ ... فيا طيبها في حُسْنِها المُتألِّقِ

تُناجي جِبالَ الريفِ نجوى أميرةٍ ... تُوشوشُ في جَمْعٍ منَ الغيدِ مُحدِقِ

كأنَّ قوافي أهلها في مديحها ... نسائمُ تُضفي الدفءَ في جَوِّها النقي

لِيهنأ بها «الطبَّالُ» وهْوَ مُغرِّدٌ ... بأيكٍ من الأشعارِ رَيّانَ مُورِقِ

روائعُهُ في كعبةِ العلمِ والحِجَى ... مُعلَّقَةٌ بينَ القريضِ المُعَلَّقِ

ولم يكُ في ألفاظِهِ غيرَ ساحرٍ ... ولم يسْخُ في أندائِهِ غيرَ غَيْدَقِ

معالمُ يصبو نحوها كُلُّ تائقٍ ... وجنّاتُ فنٍّ تَسْتبي كُلَّ مُفْلِقِ

نفيتُ بها الأحزانَ ي دهرَ خِلسةً ... تَموتُ بها غيظًا فأَرْعِدْ وأبْرِقِ

وحولي وجُوهٌ زُيِّنَتْ ببشاشةٍ ... وفاضتْ سنًى من خِلْقَةٍ لا تَخَلُّقِ

أردِّدُ طرفي في كرامٍ أطايبٍ ... سِراعٍ إلى فِعْلِ المحامدِ سُبَّقِ

فأرجِعُ منها بالروائعِ غانمًا ... وبالمنهلِ السحريِّ غَيْرَ مُرَنَّقِ

فما أجملَ الإكرامَ في لفظِ مُكْرِمٍ ... وما أحسنَ الإشراقَ في مجهِ مُشْرِقِ

غدا نلتقي والعمرُ دربٌ له مدًى ... فنأنسُ بالأحبابِ قبلَ التَّفرُّقِ

ونجني أريجًا من رياضٍ بديعةٍ ... ونروى من الودِّ الجميلِ ونستقي

لقد فرَّقتْ شفشاونُ الشوقَ في الوَرى ... فوا حَرَّهُ من نارِ شوْقٍ مُفرِّقِ

ستذْكُرني أسوارُها بقصيدةٍ ... رفعت بها رأسي وتوجّهتُ مفرقي

وتُهدي إليَّ «القصبةُ» الشكرَ عاطرًا ... متى رفلتْ في نَقشِها المُتأنِّقِ

نوافيرُها طقطوقةٌ جَبَليَّةٌ ... تُمزِّقُ صوتَ الهمِّ شرَّ مُمَزَّقِ

أصختُ إليها والحرابُ كثيرةٌ ... تُحاصرُني والشرَّ بالخيرِ أتّقي

أبو المعالي

حوارات



د. فوزية العشماوي،

الصورة المغلوطة عن وضع المرأة في الإسلام

د. فوزية العشماوي:

الصورة المغلوطة عن وضع المرأة في الإسلام

حاورها: **جمال السيد***

أ

أكدت الدكتورة فوزية العشماوي، أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية، بجامعة جنيف في سويسرا، أن الصورة المغلوطة عن وضع المرأة في الإسلام، توارثتها الأجيال الغربية، انطلاقًا من الميراث العدائي، وأكاذيب المستشرقين، وخشية رجال الدين هنالك، من انتشار الإسلام.

وأوضحت أنها تقوم بتصحيح هذه الصورة، من خلال تعاونها مع قادة الأقليات الإسلامية في الغرب، عن طريق وسائل الإعلام، والمحاضرات، والندوات، إلا أن هذا التصحيح لن يتم بين يوم وليلة، وإنما يستغرق سنوات، ومطلوب من كل المؤسسات الإسلامية، المشاركة فيه، حتى لا يقتصر على جهود فردية.. وأشارت إلى أن الغربيين يتفهمون حقيقة الإسلام، وبعضهم يعتنقه، عندما توضح الصورة الحقيقية لهم، لأن ما في أذهانهم، إنما هو عن جهل منهم وتقصير منا. وفيما يلي نص الحوار:

❖ **يتهمون الإسلام بأنه معادٍ لتعليم المرأة، ويستشهدون بارتفاع نسبة الأمية بين النساء في العالم الإسلامي. فما هو ردكم على ذلك؟**

ـ هذه سلوكيات خاطئة في بعض البيئات، والإسلام منها بريء بدليل أن جميع الأوامر الإلهية والنبوية، بالتعليم، جاءت بلا تفرقة، حيث قال سبحانه:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾
[سورة فاطر، الآية: 28]

والأمر الوحيد الذي طلب الرسول ﷺ الاستزادة منه هو العلم، لقول الله ـ عز وجل ـ:

﴿...وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [سورة طه، الآية: 114]

وحث الرسول ﷺ، جميع المسلمين على طلب التعليم، فقال: (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة)، وكلمة مسلم هنا اسم جنس، تشمل الرجل والمرأة والطفل.

واستشهد لهم بمواقف من السيرة النبوية حث فيها الرسول ﷺ، أصحابه على تعليم بناتهم وزوجاتهم، وطبق ذلك على نفسه، حيث كانت معظم زوجاته يجدن القراءة والكتابة، فكانت السيدة عائشة

* صحفي / مصر.

رضي الله عنها مرجعًا من أهم مراجع السيرة والسنَّة، وكانت فقيهة تراجع الرواة والقراء والفقهاء، وكذلك السيدة أم سلمة، بل إن الرسول ﷺ استعان بامرأة من قبيلة بني عدي، تدعى الشفاء بنت عبدالله، لتعلم زوجته حفصة، لتحسين الخط وتزيين الكتابة. بل إن كثيرًا من الفقهاء، تلقوا العلم والفقه، عن شيخات نساء.

حبس المرأة:

❖ الإسلام لم يمنع المرأة من العمل عامة، والمناصب خاصة، هذا اتهام غربي دائم، فماذا كان ردك؟

ـ حق العمل مكفول للمرأة والرجل، بشرط أن يتناسب مع طبيعتها، وأن تحتاج للعمل، أو يحتاج العمل إليها، وأن لا يؤدي ذلك إلى تقصيرها أو تضييعها، للأمانة والرسالة الأولى في حياتها، وهي رعاية زوجها وأولادها.

وأضرب لهم مثلاً، بالنسبة للمناصب، أن الشفاء بنت عبدالله هي أول وزيرة في الإسلام، حيث تميزت بالحكمة ورجاحة العقل، حتى إن الرسول ﷺ جعلها تعلم السيدة صفية، وبعد ذلك اختارها عمر بن الخطاب لولاية الحسبة، أي ما يشبه وزارة التجارة والأسواق والأوزان والمعاملات، حيث كانت تراقب وتحاسب، وتفصل بين التجار وأهل السوق، من الرجال والنساء.

كما أن المرأة كانت في كل عصور الإسلام، تساعد زوجها في عمله وحرفته منذ عهد النبوة، وهذا ما تصفه، السيدة أسماء بنت أبي بكر، زوجة الزبير بن العوام في قولها: (كنت أعلف فرسه، وأسقي الماء، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير على رأسي، وهي مني على ثلث فرسخ، فلقيت الرسول ﷺ يومًا، وكان معه نفر من الأنصار. فدعاني ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال)، وكفل الإسلام للمرأة العاملة، كافة الحقوق، مثل الرجل العامل، دون أية تفرقة.



د. فوزية العشماوي: أكثر من عشرة مفاهيم غربية خاطئة، عن المرأة المسلمة نحاول تصحيحها.

الزواج بمن لا تحب:

❖ من التهم الشائعة أيضًا: إجبار المرأة على الزواج بمن لا تحب، وهو اتهام دائم من الإعلام الغربي ضد الإسلام وأتباعه، فكيف عملتم على تصحيح هذا المفهوم الخاطئ؟

ـ باعتباري أستاذة تاريخ وحضارة، أقول لهم عبر المحاضرات، ووسائل الإعلام، والمؤتمرات، والملتقيات الفكرية: لا تقتصروا على رسم صورة الإسلام، من خلال تراثكم وإعلامكم المعادي لنا، بل اقرأوا تاريخنا وتراثنا وسماحة ديننا، ثم احكموا علينا، ولا تتخذوا بعض السلوكيات الخاطئة، من بعض المسلمين، وتريدون تعميم ذلك حتى يتوافق مع صورتنا المشوهة لديكم.

وأعرض عليهم ما قرره الرسول ﷺ من أن المرأة إذا لم توافق على الزوج، أو تم إكراهها، يكون العقد باطلاً، ومن حقها فسخه، ورفع الأمر للقاضي لرفع الظلم عنها، وطبق الرسول ﷺ ذلك عمليًا، حينما جاءته الخنساء بنت خدام الأنصارية، التي زوجها أبوها دون رضاها، فرد نكاحها وأعطاها حق فسخ الزواج. وروى عبدالله بن عباس أيضًا، أن فتاة بكرًا جاءت للرسول ﷺ تشكو له أبيها الذي زوجها من رجل هي له كارهة، فخيرها الرسول ﷺ بين قبوله أو رفضه. وقال الرسول ﷺ: (لا تنكح الأيم حتى تستأمر،

والبكر حتى تستأذن) فقالت السيدة عائشة: يا رسول الله البكر تستحي. فقال: «رضاها صمتها».

احترام المرأة:

❖ هناك جوانب تفوق ظاهرة، تمثل تميز الإسلام، في احترامه للمرأة، فلماذا لا تبرزونها؟

ـ بالعكس، نحن نعرض عليهم أمورًا بسيطة، إلا أن لها دلالة بالغة مثل احتفاظ المسلمة باسمها واسم أبيها وعائلتها بعد الزواج، حتى ولو كان زوجها رسول الله نفسه، وهذا أكبر دليل على تكريم ومساواة المرأة بالرجل، في الاحتفاظ بكيانه، على عكس المرأة الغربية، التي تحمل اسم زوجها، أو اسم عائلته بمجرد الزواج.

العداء التاريخي.. المستشرقون.. رجال الكنيسة.. الإعلام الصهيوني.. أهم أدوات الترويج له.

الاستدلال بمشاركة المرأة لرسول الله ﷺ والصحابة، في الحروب والغزوات، حيث كانت تداوي الجرحى، وتعد الطعام، وهذه مشاركة إيجابية منها، في نشر نور الإسلام.. فضلاً عن تخصيص الرسول ﷺ، بيعة خاصة للنساء، في بداية الدعوة، وعندما استقر بالمدينة، كانت له دروس دينية خاصة بالنساء يتلقى أسئلتهن ويجيب عنها ولم يمنعهن من الصلاة في مسجد، خلف صفوف الرجال وبالتالي فالمرأة ليست حبيسة وأسيرة في المنزل، كما يصورها الإعلام الغربي.

الظلم في الميراث:

❖ يروجون أن الإسلام أعطى الذكر، ضعف الأنثى في الميراث بإطلاق، وهذا قمة الظلم لها، فيكف فندت هذه الفرية التاريخية، التي توارثتها الأجيال لديهم؟

ـ الأصل في الإسلام، أن المرأة لها أنصبة مختلفة في الميراث، حسب درجة قرابتها بالمتوفي، وقد يتساوى نصيبها بالرجل، أو يزيد عنه في كثير من الأحيان، وهذا هو الوضع العام في قرابة الثلاثين حالة للميراث، وهذا هو المقرر شرعًا.

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾
[سورة النساء، الآية: 7]

أما الحالة الوحيدة، التي فيها تقرير أن الذكر يأخذ ضعف الأنثى، فهي أن يكونا شقيقين، حيث قال تعالى:

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [سورة النساء، الآية: 11]

وأوضحت لهم، أن توزيع أنصبة الميراث، قد تفيد المرأة أكثر من الرجل، لأن الرجل هو المكلف بالانفاق على المرأة في كل مراحل حياتها، كابنة وأخت وزوجة وأم، وكل من تلزمه نفقتهم من النساء، في حين نجدها ليست مكلفة بالانفاق على الرجل اطلاقًا، حتى ولو كان هو أفقر الناس، وهي أغنى الناس، وهناك دراسات تؤكد وجود أكثر من عشر حالات ترث فيها المرأة نصيبًا أكبر من الرجل، فهل نقول الإسلام ظلم الرجل لصالح المرأة؟

الخلع مقابل الطلاق:

❖ قالوا إن الإسلام ظلم المرأة، بأن جعل حق الطلاق بيد الرجل، ووصفوا ذلك بأنه استعباد للمرأة، فكيف صححت هذا المفهوم الخاطئ؟

ـ أحاول مع زملائي، من الأقليات الإسلامية في الغرب عامة، تفنيد هذه الأكاذيب، حيث نوضح لهم أن تبعات الطلاق يتحملها كلها الرجل، من نفقة وخلافه، ووصف الله الطلاق بأنه تسريح باحسان، ورفض إنزال الضرر بالمرأة فقال سبحانه:



المرأة المسلمة في أوروبا

﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [سورة البقرة، الآية: 231]

وفي نفس الوقت، نجد الإسلام أعطى المرأة حق الخلع، إذا كرهت العيش مع الرجل، مقابل تحمل جزء من النفقات، حيث تتنازل عن مؤخرها، وترد له ما دفعه من مهر لها، قال تعالى:

﴿...فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ [سورة البقرة، الآية: 229]

وقد طبق الرسول ﷺ ذلك في حياته حيث أمر الزوجة، برد حديقة كان زوجها قد أعطاها مهرًا لها، وطلقت منه عن طريق الخلع، الذي يوازي حق الرجل في الطلاق، وبالتالي لا ظلم للمرأة إطلاقًا.

الإشهاد غير الشهادة:

*** المرأة شهادتها نصف شهادة الرجل، وممنوعة من ممارسة حقوقها السياسية، وتعدد الزوجات فيه إهانة للمرأة، اتهامات دائمة حاولوا الاستناد فيها، إلى نصوص دينية صحيحة، إلا أنهم أساءوا فهمها. فماذا قلتم عن ذلك؟**

- قلت لهم إن ذكر شهادة المرأة، لم يأت إلا في آية واحدة، خاصة بكتابة وتدوين الديون المالية:

﴿...وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [سورة البقرة، الآية: 282]

وهذه الآية، تتحدث عن الاشهاد وليس الشهادة، وقد أكد كبار الفقهاء أن هذا ليس واردًا في مقام الشهادة، التي يقضى بها القاضي أو الحاكم، وإنما في مقام الارشاد إلى طرق الاستيثاق والاطمئنان على الحقوق، بين المتعاملين وقت التعامل، أما الشهادة في جميع المجالات فهي مساوية للرجل.

أما حقوقها ومشاركتها السياسية، فقد بدأت منذ عهد الرسول ﷺ في بيعة النساء، في بيعتي العقبة الأولى والثانية، والتي كانت بمثابة عقد تأسيس للدولة الإسلامية، أما ما يقال عن فهم حديث «ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» فهو خاص بمناسبة معينة، هي اختيار الفرس، لابنة كسرى لحكمهم، وليس حكمًا عامًا. أمّا تعدد الزوجات، فله

شروط معينة، وجعلت عقوبة لمن لا يلتزم بها، فالأصل الزوجة الواحدة، وإذا نظرنا إلى التعدد في العالم الإسلامي الآن، نجده أقل من 1٪. ولهذا فهو حل لمشكلات وليس امتهانًا للمرأة.

القوامة تكليف:

❖ يقولون إن قوامة الرجل امتهان للمرأة، حيث يصفها الرسول ﷺ بأنها ناقصة عقل ودين، وكيف وضحتم حقيقة موقف الإسلام من ذلك؟

- القوامة في الإسلام تكليف وليس تشريف، وهي مرتبطة بأن الرجل هو المتكفل بالإنفاق ويتحمل نفقات الأُسرة، وهي ليست استعبادًا بل رعاية وعطفًا حتى ينصلح حال الأُسرة، التي لا يصلح أن يرأسها شخصان، وإنما يجب أن تكون بينهما المشورة والتفاهم.

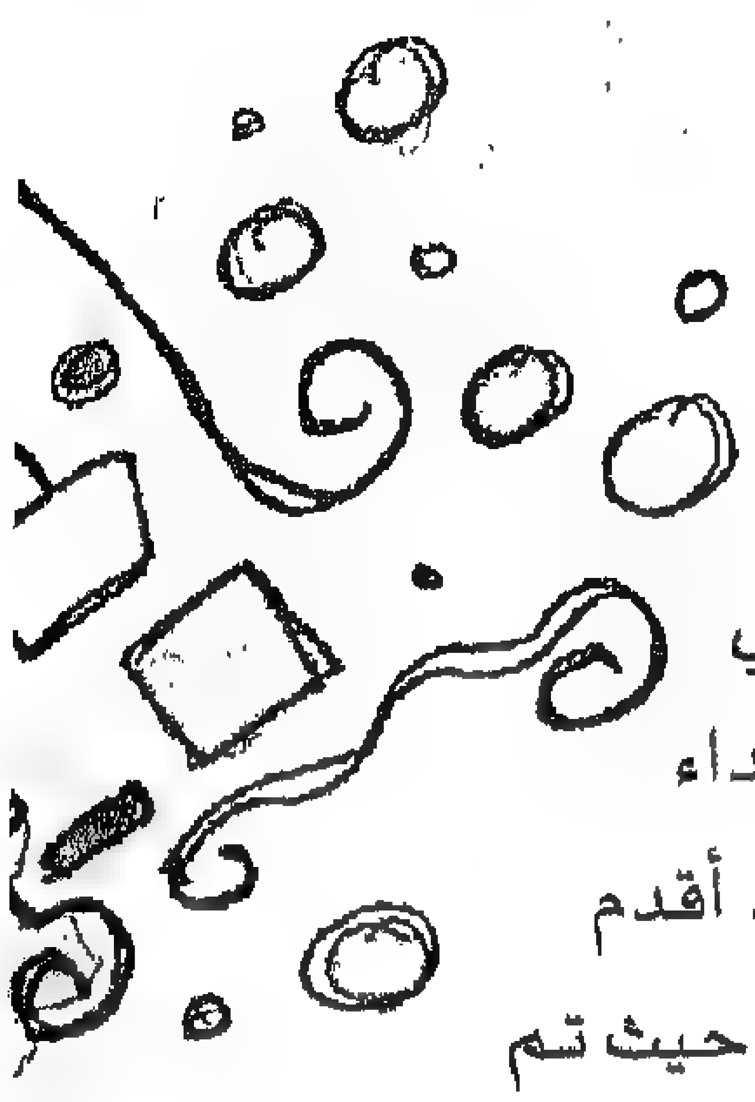
أما القول بنقصان العقل والدين، فهو تقرير لحقيقة وليس امهتان، حيث تغلب عاطفة المرأة عقلها، ولا تصلي ولا تصوم وقت الحيض والنفاس، وبالتالي فهي لم تكمل دينها كالرجل، ومع هذا سامحها الإسلام وحرّم عليها أن تصلي أو تصوم في هذه الحالة، ولهذا فهو لا يحاسبها على ذلك.

ثم إن المتأمل لنص الحديث، يجده جاء في مناسبة فرح، قرر الرسول ﷺ فيها، أن المرأة هي التي تذهب بعقل الرجل الحازم، مما يعني ذكاءها وحنكتها. ولم يتكرر نفس الوصف في حديث آخر، ممّا يؤكد أن هذا جاء في مناسبة معينة وحالة معينة، وليس انتقاصًا من عقل المرأة التي قد تكون أذكى من كثير من الرجال، أو دينها حيث قد تكون أكثر صلاحًا وعبادة وقربًا من الله من كثير من الرجال.

مصادر الشبهات:

❖ كيف تردون على هذه الشبهات الظالمة، التي توارثها الغرب عن وضع المرأة المسلمة؟

- للأسف الشديد، فإن المصادر الرئيسة لصورتنا لديهم، تتمثل في أقوال المستشرقين المعادين لنا، وما زالت أقوالهم تدرس في المناهج الدراسية، وتنشر في الكتب الثقافية، وتذيعها وسائل الإعلام، ويضاف إلى ذلك، التراث المعادي لنا نتيجة الحروب الصليبية وغيرها، من الفترات الاستعمارية الغربية لعالمنا الإسلامي، والتشويه المتعمد لفترة الوجود الإسلامي في الأندلس، وأقوال رجال الدين المسيحي واليهودي، والتي كلها عداء للإسلام منذ أقدم العصور، حيث تم التطاول على الإسلام ورسوله بأقبح الألفاظ حتى وصل الأمر، إلى أنهم جعلوا ذلك وسيلة تعبدية، وترجموا معاني القرآن والأحاديث النبوية وشوهوها لضرب الإسلام والتصدي لانتشاره عبر العصور.



جهلهم بالإسلام، وتقصيرنا في عرضه، لعب دورًا كبيرًا في توارث الأجيال لها.

ونحن نحاول الرد عليهم، بتوضيح عقيدة وسماحة الإسلام الذي انتشل المرأة من تقاليد جاهلية، أدت إلى وأدها في التراب، وإذلالها إن عاشت، وأن الإسلام كرّم المرأة وجعلها انسانًا عاقلاً ذا مسؤولية أمام الله والمجتمع، وفي العبادات والثواب والعقاب فقال سبحانه:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [سورة الإسراء، الآية: 70]

وأن حواء بريئة من تهمة إغواء آدم، بدليل قوله تعالى:

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [سورة البقرة، الآية: 36]

وجعل توبتهما مشتركة فقال:

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: 23]



وأكمل التكريم والمساواة بقوله:

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [سورة النساء، الآية: 124]

وجعلها خير متاع في الدنيا، فقال رسول الله ﷺ: ((خير متاع الدنيا، الزوجة الصالحة، إن نظرت إليها سرتك، وإن غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك))، وأوصى الرسول بالنساء، حتى وهو على فراش الموت: ((أوصيكم بالنساء خيرًا))، وجعل حسن رعاية الأنثى الطريق للجنة، فقال: ((من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة)). وجعل الجنة تحت أقدام الأمهات.

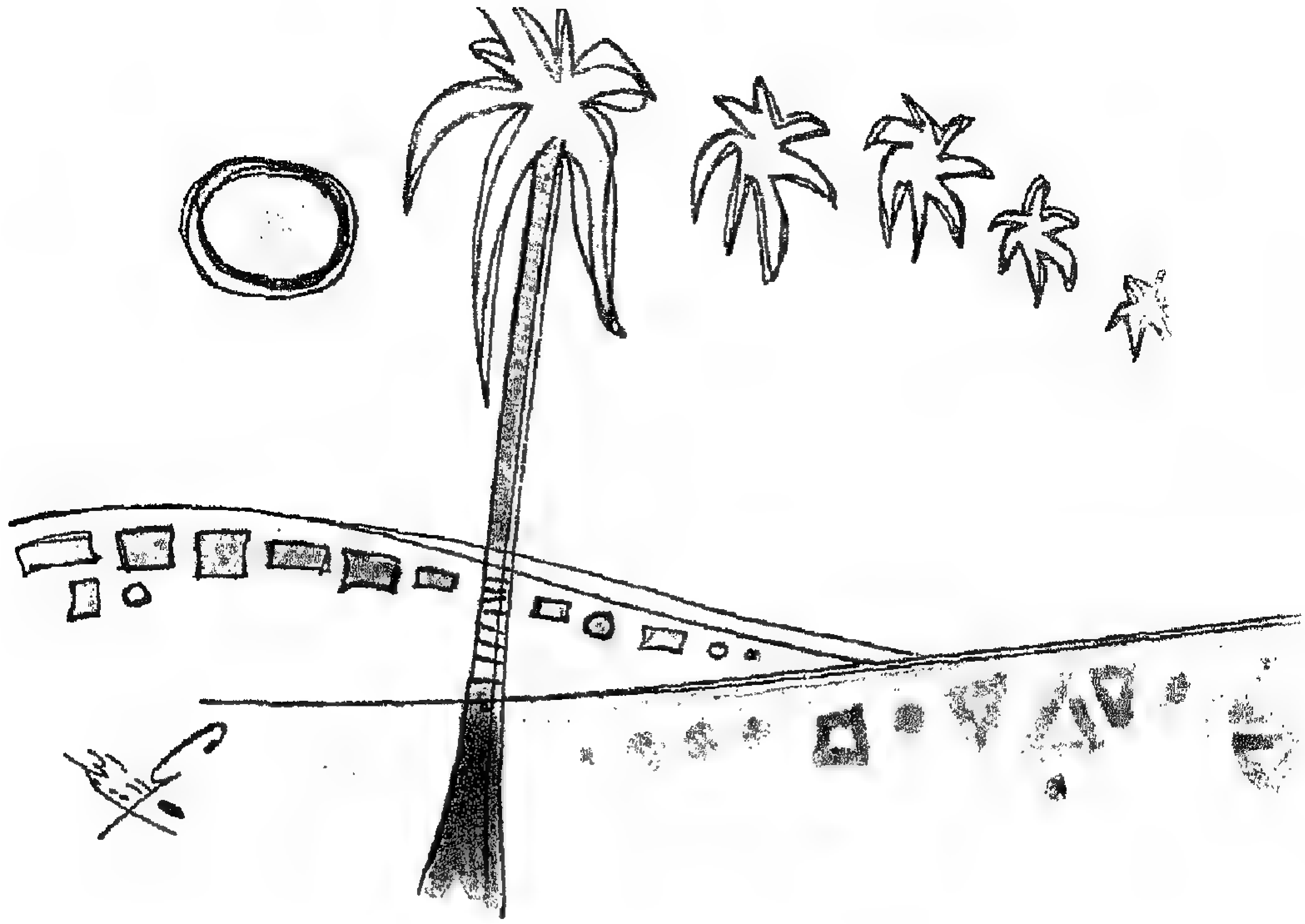
وأقول لمن أساءوا فهم الإسلام، أعرفوا مكانة المرأة من خلال تشريعات دينها، وليس من خلال بعض التقاليد والممارسات الخاطئة، من قلة من الرجال، لأن الإسلام هو الحجة على أتباعه وليس العكس.

وهنا تعجبني مقولة للدكتور مصطفى السباعي، مؤلف كتاب المرأة بين الفقه والقانون، وهي: ((من المؤكد أن هذا التفريق لا علاقة له بالمساواة بين الرجل والمرأة في الإنسانية والكرامة والأهلية بعد أن قررها الإسلام لها، على قدم المساواة مع الرجل بل لضرورات اجتماعية واقتصادية ونفسية اقتضت ذلك)).

وإنني أطالب كافة المؤسسات الإسلامية، بأن تعمل على التنسيق مع أبناء الأقليات المسلمة، لتوضيح الصورة الحقيقية للإسلام، بدلاً من الصورة الحالية المغلوطة، الناتجة عن الجهل منهم والتقصير منا، في عرض حقائق ديننا بالأفعال قبل الأقوال، لأن الكثير من التقاليد الحالية الظالمة للمرأة، يتم إلصاقها بالإسلام وهو منها بريء، رغم إساءتها إليه.

ماضٍ مظلم:

❖ إذا كانت هذه نظرتهم السلبية لوضع المرأة المسلمة، فإن ماضي المرأة لديهم كله مأساة، فلماذا لا تحاولون توضيح ذلك لهم؟



هذا ما نقوم به بالفعل، حيث نوضح لهم أنه في ظل القانون اليوناني عند الاغريق، كانت المرأة مسلوبة الحرية والأهلية، ولا تتمتع بأية حقوق مدنية، حيث اعتبروها قاصرة طوال حياتها، وخاضعة لسلطة الرجل، الذي يتصرف فيها كما يتصرف في أملاكه، وفي عهد الأثينيين القدماء، لم تكن المرأة تختلف كثيرًا عن الحيوانات، حتى إنهم جعلوها شيطانًا وروحًا نجسة.

أما في ظل القانون الروماني، فكانت خاضعة تمامًا لسلطة رب الأُسرة، ولم يتغير هذا الوضع نسبيًا، إلا في قانون جوستنيان، المتوفي عام 565م، الذي اعتبرها أيضًا من فاقدي الأهلية في التعامل. وعندما عقد الأوروبيون ما يشبه المؤتمر، في عام 586م، كان هدفه، تقرير هل المرأة انسان أم لا، وانتهوا إلى أن المرأة خلقت لخدمة الرجل فحسب.

بعد قيام الثورة الفرنسية، ظل القانون الفرنسي يعتبر المرأة قاصرًا، ونص قانون نابليون، على أن المرأة ليست أهلاً للتعاقد، دون رضا الوصي عليها، إذا كانت غير متزوجة، أو الزوج إذا كانت متزوجة، وقد حدد هذا القانون القُصّر في (الصبي والمجنون والمرأة)، وظل هذا القانون معمولاً به، ليس في فرنسا فقط بل في كثير من الدول الأوروبية، حتى 1938م، حيث تم اعطاء المرأة بعض الحقوق، إلا في المعاملات المالية، التي أخضعها لزوجها حتى الآن، حيث يسري نظام توحيد الأموال بين الزوجين وتعتبر الزوجة مسؤولة عن ديون الأُسرة والزوج.

كثير من الأوروبيين اعتنقوا الإسلام، عندما عرّفناهم حقيقته، وتحولوا الى دعاة له.

وأعرض عليهم موقف التراث الديني الأوروبي من المرأة، حيث نجدها في اليهودية ملعونة، لأنها أغوت آدم وأخرجته من الجنة، كما جاء في التوراة «المرأة أمر من الموت وأن الصالح أمام الله ينجو منها» وليس لها ميراث في حالة وجود أخ ذكر. أما في المسيحية، فهي طبقًا لمقولة القديس ترتوليان «مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان» وفي القرن الخامس، قرر مجمع ماكون، بعد دراسة مسألة المرأة، هل المرأة مجرد جسم لا روح فيها، أم لها روح؟! وانتهى إلى خلوها من الروح الناجية من عذاب جهنم، فيما عدا مريم العذراء ابنة عمران، أم المسيح!!.

الملف



حوار العقائد من أجل السلام والتنمية
في افريقيا (افايا)

حوار العقائد من أجل السلام في إفريقيا (إفابا)

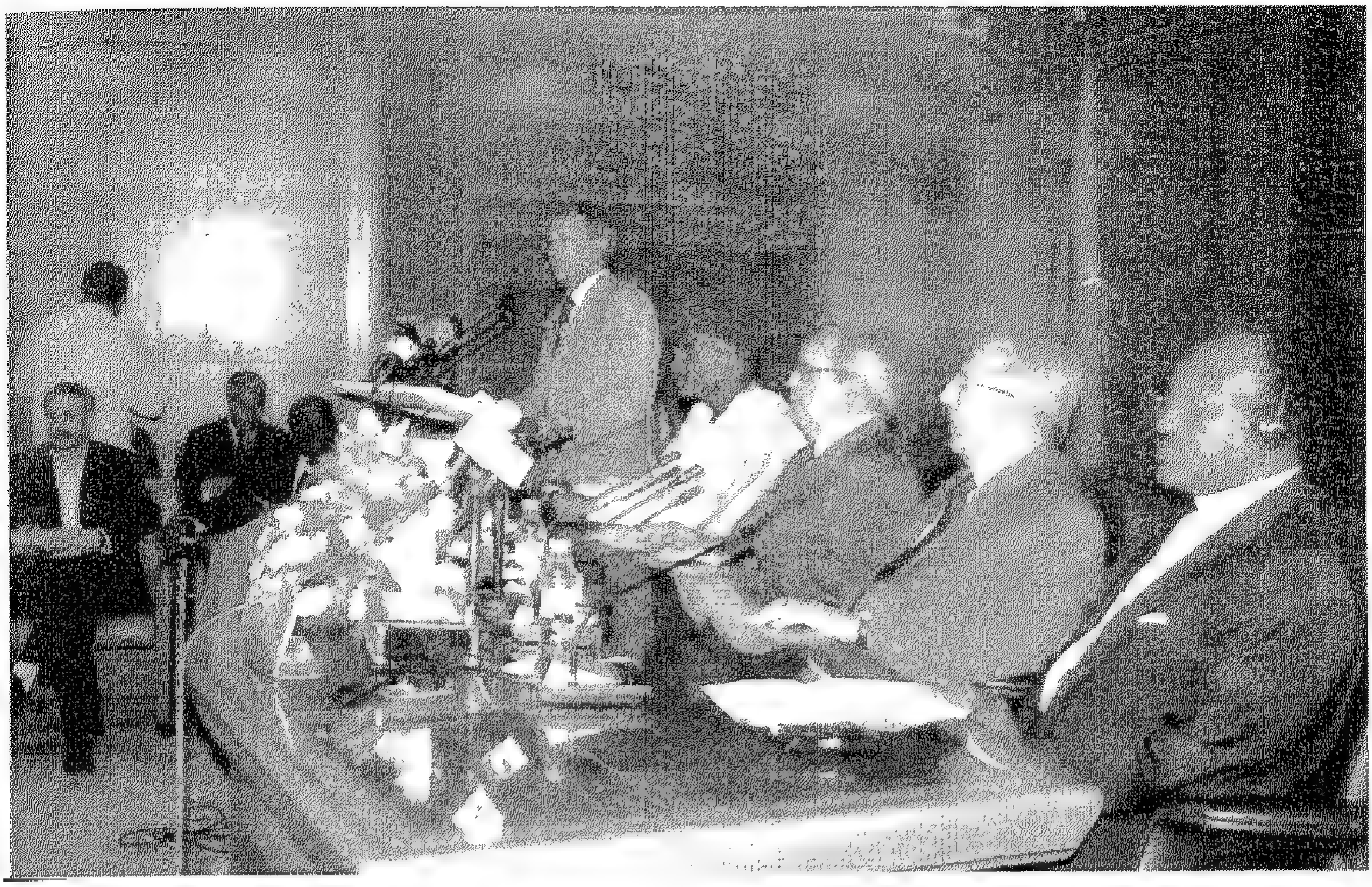
وقضايا الاستقرار والتنمية والسلام في افريقيا

إعداد: التحرير



خ خلال الفترة من 27 إلى 30 من شهر هانيبال 1375 من وفاة الرسول ﷺ (أغسطس 2007م)، عقدت لجنة منتدى حوار الأديان من أجل السلام في إفريقيا (إفايا) اجتماعها الثاني بقاعة المؤتمرات بمقر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في طرابلس / ليبيا. وشارك في الاجتماع الذي استضافته الجمعية وعقد بالتنسيق مع اتحاد المجالس الإسلامية لشرق ووسط وجنوب إفريقيا، أكثر من خمسين من القيادات الدينية (مسلمين ومسيحيين) وبعض العقائد الوضعية والتقليدية في إفريقيا وعدد من الشخصيات السياسية والضيوف من قارتي أوروبا وأمريكا الشمالية.





أمين مكتب المؤتمرات والهيئات الدولية والإغاثة بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية:

محطات في مسيرة الحوار المتواصل

في شهر الفاتح (سبتمبر) من العام 2003 مسيحي، احتضنت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية أكبر تجمع حواري بين العقائد الدينية، تحت شعار (لتعارفوا)، ومن قبله وفي سنة 1976 مسيحي، احتضنت الجماهيرية لقاء حوارياً متميزاً بين المسيحية والإسلام، تلك كانت أهم المحطات في رحلة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، في مجال الحوار الديني والتواصل الثقافي.

ومنذ عشرة أيام فقط، نظمت الجمعية مع منظمة اليونيسكو بالعاصمة البنينية (كوتونو) مؤتمراً حول حوار الأديان، من أجل التنمية الثقافية والتربوية في القارة الأفريقية، وها نحن اليوم نفتتح محطة أخرى في سلسلة اللقاءات الحوارية التي تنظمها الجمعية أو تتعاون فيها مع هيئات ومنظمات أخرى، لكن ما يميز هذا اللقاء أنه يأتي في وقت تحتفل فيه الجماهيرية بعيد ثورتها، وفي وقت تتجه فيه القارة الأفريقية إلى بناء كيانها السياسي، وما يميز هذا اللقاء أيضاً هو مشاركة جل الأديان السماوية والتقليدية في القارة الأفريقية، في اجتماع يتناول الدور الذي يجب أن تقوم به القيادات الدينية في القارة الأفريقية، من أجل إرساء دعائم الأمن والاستقرار، وفي هذه المناسبة يسعدنا أن نحيي ممثلي العقائد الدينية، الذين يشاركون في هذا اللقاء الذي يمثل تطبيقاً عملياً لأهم توصيات الملتقى الحواري (لتعارفوا) الذي نظمته الجمعية في الفاتح (سبتمبر) من العام 2003 مسيحي، تلك التوصيات التي تؤكد على ضرورة استمرار وتوظيف مساحات التلاقي والقواسم المشتركة التي تجمع بين مختلف العقائد، وفي هذه المساحة الكثير مما يمكن التعاون فيه من أجل إرساء دعائم الخير والمحبة والسلام في العالم أجمع، وفي قارة إفريقيا على وجه الخصوص.

الشيخ صالح هبيامانا

مفتي رواندا/ رئيس اتحاد المجالس الإسلامية لشرق ووسط وجنوب إفريقيا:

نجتمع هنا من أجل السلام

نجتمع هنا لنبحث جميعاً قضايا السلام في إفريقيا، في هذا اللقاء الحواري الذي يعقد بدعم من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. فليكرم الله جميع الذين عملوا ويعملون من أجل اجتماعنا هذا ويحفظ الله هذه المؤسسة التي نلتقي اليوم في رحابها.

نلتقي اليوم في حوار الأديان، لأنه عندما يكون هناك جهل يكون هناك انعدام ثقة، وتكون هناك كراهية، ومن هنا فإن الحوار هو السبيل الوحيد للمعرفة والتخلص من الجهل والكراهية، وعليه فكل الحوارات بين الأديان لها قيمة، وهنا لا بد أن نؤكد على أهمية اهتمام القائد معمر القذافي منذ أكثر من 35 سنة بمسألة الحوار، فقد جرى حوار إسلامي مسيحي ناجح، وبذلك أسس منهجاً واضحاً للحوار عملت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، والفاتيكان على تعزيز مساره.

إن الحديث عن التعايش والتسامح في إفريقيا يدعونا إلى القول: إن ما ترتب على الاستعمار من تفرقة واستغلال قد ساهم في خلق واقع يحتاج منا جميعاً الاهتمام بقضايا التعايش والتسامح، وأن نكتشف من خلال حوار الديانات وسائل للمساهمة في إيقاظ هذا العملاق النائم، نعم إن إفريقيا عملاق، حيث تشكل 60٪ من خيرات وثروات العالم، ومع ذلك فهي قارة فقيرة.

إننا نهدف إلى خلق ثقافة السلام وتعزيزها في قارتنا، صحيح أن الاكتشافات العلمية هي الأسس لقوة إفريقيا، ولكن من خلال الحوار سنكتسب القوة على الاستفادة من هذه الإمكانات وتوظيفها.

انطباعات عن المؤتمر



الشيخ صالح هبيامانا

مفتي مسلمي رواندا، رئيس اتحاد المجالس الإسلامية لشرق ووسط وجنوب إفريقيا، عضو منتدى الأديان من أجل السلام في إفريقيا

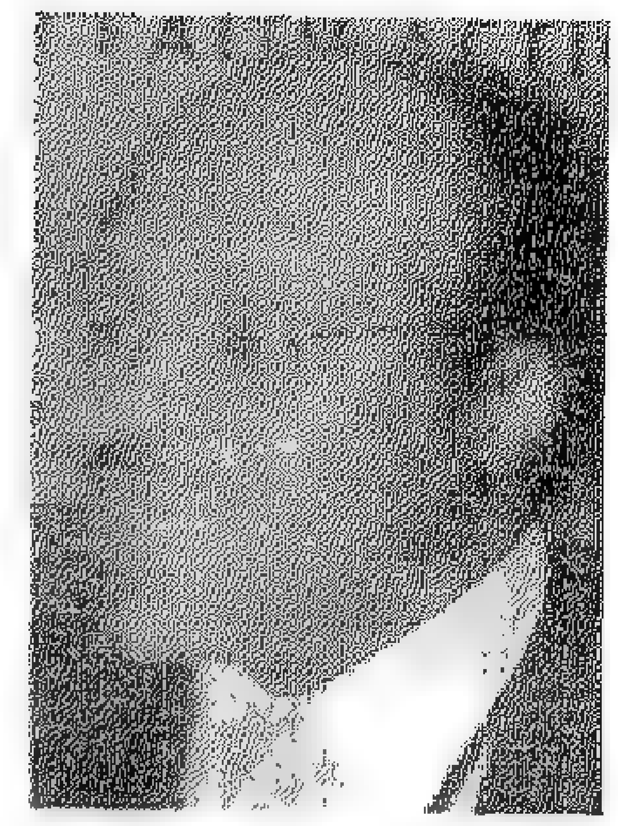
خطوات أساسية للحد من النزاعات

نجتمع هنا لنضع أصواتنا ضمن الأصوات الداعية للسلام في إفريقيا، وكذلك وضع برنامج عمل للقمة التي ستعقد في السودان العام القادم 2008 مسيحي. واسمحوا لي أن نضم صوتنا للأصوات الإفريقية التي تدعو للسلام، ونتوقع أن يتم وضع برنامج للعمل تسير عليه، كما أننا ركزنا في هذا الاجتماع على بعض القضايا ونود أن نعمل من أجل قمة السودان في العام القادم. ونحن مقتنعون بقضايا السلام، ومقتنعون بأن التعارف هو أول خطوة نحو التعايش والسلام والتعاون. فالذي لا يعرف أخاه قد يرفع السلاح في وجهه. والقضية الأخرى نحن مهتمون بقضايا الفقر والجوع، ولهذا نحن مقتنعون بضرورة مواجهة المجاعة، وعلينا أن نتعاون، وعلينا أن نجعل من مصالحنا وحدة متكاملة، ونحن ندعو إلى السلام، ونعتبر دور الجماهيرية أساسياً ومهماً.

أما الحلول العملية التي نقترحها ونرى أنها مناسبة للحد من النزاعات؛ فإننا ننظر إلى التعارف كخطوة أساسية للحد من النزاعات وتجاوز تبعاتها، ولهذا قررنا أن نبدأ بالتعارف، لأننا نعتقد أن الإنسان الذي لا يملك معرفة بالآخر، قد يكرهه، وربما يدخل معه في صراع، ولهذا قررنا أن نبدأ كما أسلفت بالتعارف.

وقد قررنا أن نعمل معاً فيما يخص المشاكل والتحديات التي تواجه القارة، مثل الحروب والمجاعات والفقر وغيرها؛ قررنا أن نواجهها

وقد حان الوقت لأن نقوم بذلك، ونحمي أحلامنا، وإما أن ننتهي. ولكن أقول لكم لن نعود للخلف، بل يجب أن نستمر في الكفاح.



الدكتور إسماعيل توكو
رئيس منتدى الحوار
من أجل السلام في إفريقيا /
منسق المؤتمر:

دور متميز للنهوض بإفريقيا

لقد قام الدكتور كوامي نيكروما في أوائل ستينات القرن الماضي (وكان حينها رئيس جمهورية غانا) بدعوة نظرائه في المجال السياسي لكي يقدموا تصوراتهم لإفريقيا موحدة سياسياً، وقد أدى تطور هذه الفكرة إلى إيجاد منظمة الوحدة الإفريقية كهيئة تساعد على تحرير إفريقيا من الاستعمار، وخلال العقد الأخير من القرن الماضي قام القائد معمر القذافي بالشروع في العمل من أجل تحويل منظمة الوحدة الإفريقية إلى الاتحاد الإفريقي، وهو يختلف من الناحية الكيفية عن منظمة الوحدة الإفريقية، لأنه يحاول أن يركز على الشعوب، وتقوية الشعوب.
وقد قام القائد معمر القذافي بدور رئيسي، وذلك بدعوة الحكومات الإفريقية والمجتمع المدني والزعامات الدينية، حتى يمكن أن يضعوا تصوراً لإفريقيا جديدة، ووضع مبادئ اقتصادية واجتماعية ومؤسسات حتى تكون الشعوب الإفريقية متعايشة في سلام، وذلك من خلال تنمية وتطوير المجتمع، ومن ثم فإن (إفابا) وهي منظمة إفريقية تجمع العقائد السبع الموجودة في إفريقيا؛ تعمل من أجل قضية مشتركة وهي السلام.
إن إفريقيا تتمتع بالقدرة والموارد، وإذا كانت تستطيع أن تأتي بأي شيء من الخارج فإن هناك



شيئاً لا تستطيع ولا يمكن أن تستورده من الخارج وهو السلام. ومن هنا فإن(إفابا) مستعدة أن تعمل مع المنظمات، ومفوضية الاتحاد الإفريقي، والحكومات الإفريقية، بشكل بناء ومسؤول، ولكي نستطيع القيام بذلك فإن علينا أن نحترم بعضنا بعضاً كديانات، وعلينا كزعامات دينية في إفريقيا أن نحترم العيش والتعايش مع بعضنا البعض في سلام.
لقد تم تقسيمنا على كافة الأصعدة، وقد لاحظنا بأننا للأسف سمحنا لأنفسنا بتبرير نزاعاتنا، ونحن نادمون على ذلك، ونريد أن نتعامل مع جذور هذه النزاعات في إفريقيا وذلك بالبحث عن حلول جذرية.
إن كتبنا المقدسة تحمل رسالة مركزية وجوهرية وهي السلام.. السلام بين أتباع كل الديانات، لقد اكتشفنا أيضاً مدى أهمية دور المرأة في إفريقيا من أجل بناء السلام، النساء لسن مجرد نساء ولكنهن أمهات

معاً، وهذه إيجابية تعطينا جميعاً القدرة على فهم بعضنا البعض من خلال القواسم المشتركة، المصالح المشتركة، وتجعلنا نطمئن، لأن الشراكة تخلق لدينا شعوراً مشتركاً، فعندما تشارك شخصاً من الطبيعي أن ينظر إليك بإيجابية ويعتمد عليك كشريك.

وفضلاً عن هذا فقد قررنا الحضور إلى هنا والاجتماع في هذا البلد الذي قدم الكثير لخدمة القارة والدفاع عن قضاياها، لأن هذا الاجتماع يتزامن مع احتفالات أعياد ثورة الفاتح التي نرى فيها ثورة تحرير إفريقيا، ونحن نشعر بأننا نجتمع في دولة قدمت الكثير من أجل حرية إفريقيا ووحدتها.

نحن ندعو إلى السلام، ونعتبر الجماهيرية مدخلاً لنا على العالم.

❖❖❖

حامد عامر

مشارك من أوغندا

هذه قارتنا ونحن معنيون بقضاياها

هذا المؤتمر هو من أجل تعزيز السلام في إفريقيا، ونحن هنا من أجل هذا الهدف السامي، ويهمنا كثيراً تخفيف المعاناة في الصومال وليبيريا وأوغندا... ويهمنا نشر السلام وتعزيز الاستقرار في كل هذه المناطق الإفريقية، ونحن هنا من أجل أن يعيش كل أتباع العقائد والأديان بسلام، كيف يعيش المسلم والمسيحي والهندوسي وكل أتباع العقائد الأخرى في تعايش سلمي بعيداً عن العصبيات والمشاحنات، هذه قارتنا، ونحن معنيون بقضاياها، ونعتقد أن السلام هو أول خطوة لحل إشكاليات التنمية، ولهذا نريد أن نتحدث عن السلام ونوظف مبادئ الأديان وقيمها لإحلال السلام، والعمل معاً من أجل أن نعيش جميعاً في أمن وحب وسلام.

❖❖❖



وأخوات، وبكل ما يحملن من قيم وعواطف إنسانية. نحن ممتنون لكل من ساهم في عقد هذا الاجتماع وباسم (إفابا) نقدر ما لمسناه من تجهيزات ممتازة وحفاوة استقبال، وعليه أقول ليس لدينا أي مبرر لعدم النجاح.



د. محمد أحمد الشريف

أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية:

لقاء المحبة والتعاون من أجل الخير

يسعدني باسم زملائي في جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، أن أرحب بالإخوة أعضاء لجنة الحوار الديني من أجل السلام في إفريقيا، وبالإخوة

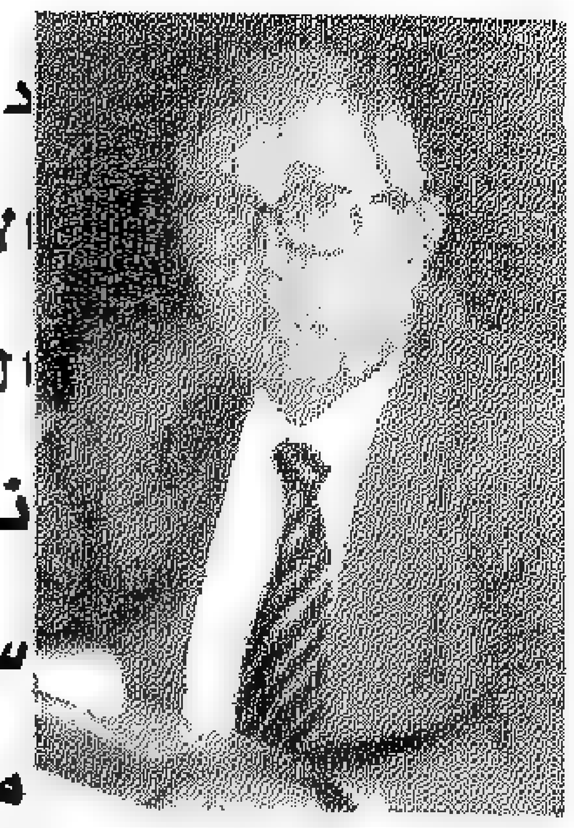
المشاركين معها من داخل القارة ومن خارجها.. نحن نرحب بهم جميعاً، أهل دين وأهل علم وأهل قيم أخلاقية وصنّاع خير، وقبل كل ذلك أهل السلام.

إن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي نلتقي في رحابها اليوم في هذا اللقاء.. لقاء المحبة والسلام، على أرض هذه القارة، ومن أجل هذه القار؛ كانت دائماً ولا زالت منذ إنشائها ـ الذي كان بفضل الله وبمبادرة من الأخ معمر القذافي ـ تسعى من أجل السلام، ومن أجل الخير، وهذا أمر طبيعي، لأن الإسلام هو دين السلام، وتحية الإسلام هي السلام، والله سبحانه وتعالى من بين أسمائه الحسنى السلام، ونحن على هذه الأرض لا يمكن أن نحيا دون سلام ودون استقرار ودون تنمية، كل التنمية وكل العمل سوف يكون مستحيلاً دون الاستقرار ودون السلام.

نحن في عملنا هذا نلبي نداء الخالق سبحانه وتعالى، من أجل التعارف والتعاون، ومن أجل الخير. ومن أجل التواصل مع كل الناس، حتى نحيا في سعادة على هذا الكون. وإفريقيا لا يمكن أن تكون بعيدة عن صنع السلام في العالم، بل إن إفريقيا لا بد أن تكون رائدة لصنع هذا السلام.

أشكركم كثيراً على لقائكم في رحاب هذه المؤسسة الإسلامية الإنسانية الرائدة، وقد سعدنا جداً عندما قرر إخوانكم في هذه اللجنة وبرئاسة السيد إسماعيل نوكو وزملائه، أن يكون الإجتماع هنا في مدينة طرابلس بالجماهيرية العظمى، لأسباب ذكروها في مداخلاتهم وكلماتهم، وهو أن الجماهيرية العظمى تقود على الصعيد الرسمي والشعبي وعلى صعيد المجتمع المدني الدعوة من أجل إفريقيا متحدة، عاملة من أجل الاستقرار والسلام في أرجائها، ورائدة من أجل السلام في كل أنحاء العالم.





د. عبد الحفيظ الزليطني

الأمين المساعد للجنة الشعبية العامة بالجماهيرية العظمى:

نعتمد الحوار والتواصل سبيلاً للتعارف والتعاون من أجل الخير والسلام

إنه لا يمكن لنا أن نقرأ هذا المؤتمر خارج دلالات الزمان والمكان، فاختيار الجماهيرية العظمى مكاناً لتنظيم هذا التجمع الكبير من ممثلي العقائد الدينية المتعددة في أفريقيا؛ إنما يعزز ويدعم ذلك التوجه الذي تضطلع به الجماهيرية العظمى وقائدها من أجل وحدة واستقرار إفريقيا، وما يتطلبه ذلك من إرساء دعائم السلام والأمن في ربوعها.

ولعل انطلاقة الاتحاد الإفريقي من هذا البلد يوم 9-9-99 مسيحي؛ يمثل بحق عيداً لكل الأفارقة بمختلف دياناتهم وثقافاتهم، ويشكل منعطفاً في التاريخ السياسي للقارة. أما زماناً فإن هذا اللقاء يتزامن مع احتفالات الشعب الليبي بمناسبة انبلاج ثورة الفاتح الإسلامية التي ما فتئت، وعلى مدى يزيد عن ثلاثة عقود، تقدم كل أنواع الدعم والمساندة لدول القارة لمعالجة أزماتها الاقتصادية والسياسية، ومعالجة بؤر التوتر فيها. ولا شك في أن وجود هذه القيادات الدينية اليوم في طرابلس وهي تحتفل بمناسبة انبلاج ثورة الفاتح الإسلامية إنما يمثل تقديراً لذلك الدور ومشاركة لشعب الجماهيرية العظمى أفراحه واحتفالاته بهذه المناسبة.

إن استضافة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لهذا اللقاء أمر يستحق التقدير والإكبار، فقد أتاحت لنا جميعاً من مختلف العقائد والثقافات والبلدان أن نلتقي هنا في مقرها الرئيس، في استمرار لاستراتيجيتها التي تعتمد الحوار الديني والتواصل

هارون سنغوبا

أمين عام اتحاد المجالس الإسلامية لشرق ووسط وجنوب إفريقيا

الجميع يريد العيش بسلام



كانت هذه الدورة ممتازة، وخاصة من حيث الحضور الكبير الذي أعطى انطباعاً ممتازاً، فالمشاركة جاءت من مختلف الجنسيات ومختلف العقائد، وأنا سعيد جداً ومتفائل بالنتائج التي نسعى إلى تحقيقها من هذا الاجتماع. ونعتقد أن اجتماع ممثلين عن مختلف العقائد هو في حد ذاته يدلل على أن الجميع يريد العيش بسلام، ونحن المسلمين نعرف أن السلام من أسماء الله الحسنى، فالإسلام يدعو إلى السلام والوئام، ولقاؤنا هذا لقاء من أجل السلام.

❖❖❖

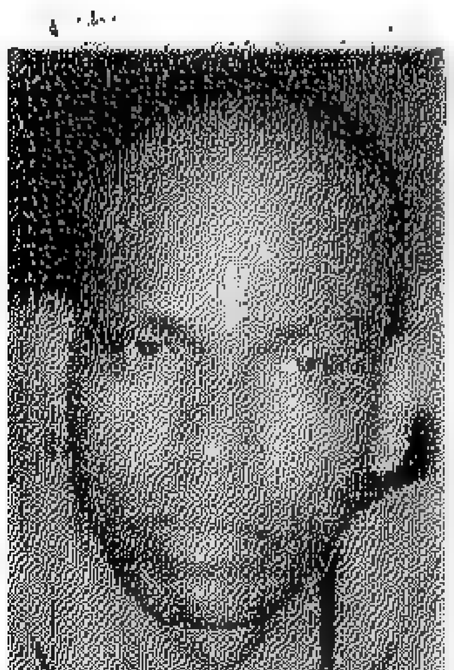
هومون هوندوهومو روبيرت

رئيس ديانة فودو (VODOUN) في بنين،

مدير تنفيذي لمدرسة ديانة فودون،

عضو هيئة التشاور الديني في بنين، وعضو إفايا

نعمل من أجل إفريقيا بلا حروب



كنت من الأعضاء المشاركين في التأسيس في جوهانسبيرج منذ2002 مسيحي، وهذا المؤتمر هو استمرارية لروح الحوار والتعاون. وقد قلنا إنه لا بد من أن تتحد الديانات لإنقاذ هذا العالم، ولإنقاذ هذا العالم لا بد من تبني الحوار، ولا بد أن نجتمع كلنا من هنا وهناك، وهذا المؤتمر على الطريق السوي لما قلناه في

الثقافي سبيلاً للتعارف والتعاون من أجل الخير والسلام. ولعل الكثير منا يتابع مسيرتها الحافلة في ذلك الاتجاه، ما أهلها أن تكون مثالاً يحتذى في التعاون من أجل إشاعة القيم الأخلاقية، التي تمثل إطاراً لاجتماعنا هذا، وهي في ذلك التوجه إنما تلتزم بالمبادئ العامة للدين الإسلامي الحنيف الذي جاء رحمة للعالمين، وخاتماً للديانات السماوية، ومن هنا أؤكد على ضرورة بذل كل جهد من أجل إرساء دعائم الحق والعدل. إن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية تمثل بحق منارة في ذلك التوجه، ليس بشهادتكم أنتم فقط الذين تجتمعون اليوم في رحابها، بل بشهادة أكبر المنظمات الدولية والهيئات ذات العلاقة بالحوار والتواصل في مختلف أنحاء العالم.

السلام أولوية مطلقة

إن السلام في إفريقيا الذي يحمل مؤتمركم هذا شعاره؛ يمثل أولوية مطلقة في سياسات الجماهيرية العظمى تجاه هذه القارة، ولا شك في أن اهتمام قيادات إسلامية إفريقية على هذا المستوى بالسلام في إفريقيا سيقلص مساحات النزاعات والتوترات فيها، ويعزز دور الدين في بناء وحدتها وتحريرها من الإرث الاستعماري السياسي والثقافي الذي ران على صدرها عقوداً من الزمن. وإن الدين لا يمكن أن يكون مطية لتمرير مؤامرات تستهدف تمزيق القارة أو العبث بمصالحها ومصالح شعوبها. وأعرب في الختام عن تمنياتي بالنجاح والتوفيق للمؤتمر من أجل تعزيز السلام في العالم حتى تنعم الإنسانية بالأمن والسلام.



جلسات العمل والمداولات

ركزت الأوراق البحثية التي قدمت في جلسات العمل، وكذلك المداخلات والتعقيبات؛ على أهمية دور المؤسسات الدينية في إرساء دعائم السلم في إفريقيا، وأهمية العمل الجماعي لإيجاد حلول لقضايا التنمية والاستقرار، من خلال إشراك منظمات المجتمع المدني. وأكدت مداولات المشاركين على أهمية تبني لغة الحوار بين الشعوب سبيلاً وحيداً للتفاهم والتعاون والتعايش في أمن واستقرار وسلام وتنمية، بعيداً عن الفتن والنزاعات وشبح الحروب التي تخلف الفقر والجوع والتشتت، وضرورة دعم وترسيخ العلاقة الوثيقة بين السلام والاستقرار والتنمية.

السلام وتجاوز آثار النزاع



د. فاروق البشري

شدد أمين عام مجلس التعايش الديني في السودان الدكتور (فاروق البشري)، في الورقة التي قدمها حول (دور القيادات الدينية في صنع ودعم سياسات السلام.. واقع التجربة السودانية)، على ضرورة العمل من أجل التصدي للصراعات وتجاوز آثار النزاع واحتوائها في وقتها.

واستعرض في الورقة التي قدمها في أعمال الاجتماع الثاني لـ (إفابا) نتائج المؤتمر الدولي للحوار (الإسلامي ـ المسيحي) الذي عقد بالخرطوم خلال الأسبوع الأول من شهر ناصر (يوليو) من العام 1374 من وفاة الرسول ﷺ، (2006مسيحي)، تحت شعار«حول استدامة السلام وتعزيز الوحدة الوطنية» بمشاركة عدد كبير من الفعاليات الدينية والباحثين من مختلف دول العالم، مشيراً بالخصوص إلى ميثاق التعايش والتعاون الديني في السودان، الذي صدر عن المؤتمر، مبيناً أن الميثاق قد شدد على أن الأصل الواحد للإسلام والمسيحية يوجب على الجميع التعاون على البر والخير، لمصلحة المجتمع السوداني والإنسانية بصفة عامة، كما دعا الميثاق إلى ضرورة نبذ الإثارة واجتناب التهيج والعنف ومختلف أنواع التعصب، وتأكيد الحرص على نشر ثقافة السلام والتسامح، مشيراً إلى أن الميثاق قد ركز على ضرورة الحفاظ على كرامة الإنسان، والتأكيد على أن العدل الاجتماعي يعد ركيزة من ركائز السلام، مبيناً أن الميثاق أبرز تعهد المسلمين والمسيحيين بالعمل على ترسيخ الأخلاق الفاضلة، وحماية الأسرة والعمل معاً من أجل التنمية الشاملة، وتشجيع التفاهم والتقارب والتعارف بين مختلف الثقافات والأعراق والعقائد ومعالجة المشاكل بالحوار.

تعزيز روح التعايش والحوار

ومن جهته أكد عضو البرلمان بغينيا كوناكري، عضو البرلمان الإفريقي (الحاج ديو كنتيه) في الورقة التي قدمها تحت عنوان (دور البرلمانات الأفريقية في فض النزاعات بالقارة)؛ أن النزاعات المتواصلة بالقارة أثرت سلباً على جهود تنميتها وتقدمها والنهوض بها، داعياً إلى تسوية النزاعات من خلال الالتزام بالاتفاقيات والمعاهدات المبرمة في الإطار

جوهانسبيرج وفي كيغالي. وإذا جاز لي أقول إن انطباعاتي عن هذا المؤتمر جيدة جداً، لأن اجتماعنا هذا سار بشكل أوضح وفق ما في النظام الأساسي ووفق مداخلاتنا ووفق الأهداف التي نسعى إليها، لأننا في إفريقيا نقول دوما (لا بد أن ينسج الحبل الجديد في طرف الحبل القديم). إذا فلا بد من أن نجعل الشباب يفهمون أنه لا بد أن يسعوا للسلام، والسلام يتم عن طريق مجموعة من القيم الأخلاقية والقيم الروحية، والتي يجب أن يتعلمها الشباب، وهذا جزء من المسؤولية التي تقع علينا نحن جميعاً. والجانب الآخر الذي نهتم به وندعو إليه هو ضرورة التركيز على مشاركة النساء، وهي مسألة لا بد من الاهتمام بها، ونعتقد أن كل العقائد قد أعطت للمرأة مكانة مميزة، وكما تعلمون فإن النساء يمثلن أكثر من 50٪ من مجتمعاتنا الإنسانية، وهن يعملن، ولهن دور مهم جداً، فلم لا نهتم بهن بنفس الدرجة التي نعطيها للرجال؟!.

إذن القرار الذي اتخذه الاجتماع الثاني لـ (إفابا) بشأن إرسال الوفود إلى بعض الدول الإفريقية من أجل السلام هو قرار جيد ولا بد من تنفيذه.

عند ما تتناول أي دين، حتى قبل إعلان مبادرة جمعنا هذا، فإن كل دين في محله يسعى من أجل أن يعلم أتباعه محبة كل إنسان، ويُعلم التسامح والمسامحة والوحدة. والآن وقد اجتمعنا نستطيع أن نقول: لا حرب بين كل الديانات، وإذا كنا نستطيع أن نصل إلى هذا النموذج فأظن أن العالم سيكون في أمان. وأعتقد أن للأديان دوراً رئيسيا يجب أن تؤديه، فالذي في السلطة هو ينتمي لمعتقد ما، فإذا كان يقبل قواعد ذلك الدين، إذا فليس هناك تساؤل حول القواعد التي وضعتها كل الأديان، معنى هذا أن الأديان لها دور رئيسي للتعددية وللتهدئة من أجل السلام، ومن أجل إفريقيا بلا حروب، ومن أجل عالم بلا حروب.

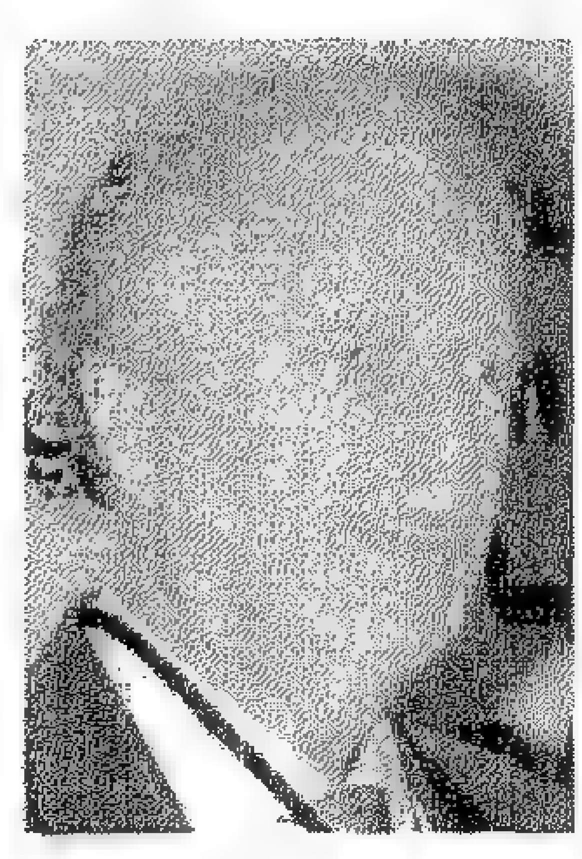
الإفريقي وإقحام مؤسسات المجتمع المدني في العمل على تعزيز روح التعايش والحوار.

قيام الاتحاد الإفريقي إنجاز تحقق لإفريقيا


بار ستيباك

وأكد رئيس وزراء فنلندا السابق (بار ستيباك) عضو حوار الأديان من أجل السلام في إفريقيا، في ورقته التي قدمها بعنوان: (صورة إفريقيا وماذا تعني لمستقبل القارة) أن قيام الاتحاد الإفريقي إنجاز حققته إفريقيا نقلها إلى وضع أقوى عما كان عليه الحال في منظمة الوحدة الأفريقية، مشيراً إلى أنه ومن واقع الإحصائيات التي نشرتها مجموعة الأزمات الدولية التي هو عضو فيها، فإن عدد النزاعات في إفريقيا انخفض خلال السنوات الأولى لبداية الألفية الجديدة بنسبة (15٪) من أصل 66٪.

وقال رئيس الوزراء الفنلندي: «إن هذا مؤشر يدل على أن إفريقيا حققت إنجازاً وقطعت شوطاً كبيراً في طريق حل نزاعاتها»، مبيناً أن هذه النتائج تدعو للتفاؤل بقدر ما تدعو إلى مضاعفة الجهد لبناء الاستقرار والسلام والتنمية.


كيديل مان بوندفيك

أما رئيس الوزراء النرويجي السابق (كيديل مان بوندفيك) فقد تناول في ورقته (السياسة الحزبية والحكومات الائتلافية) موضحاً أن الديمقراطية مبنية على تقاسم السلطة واحترام إرادة الجماهير في التعبير عن رأيها في المسائل التي تتعلق بتصريف أمورها.

وأشار ممثل البرلمان الجنوب إفريقي في مداخلته إلى الظروف التاريخية التي مرت بها إفريقيا وحرمان الكثير من شعوبها من الحقوق الأساسية، وما نتج عنه من عدم التوازن في المجتمع وخلق الظروف التي أدت إلى نشوء النزاعات، مشيراً إلى أن السياسات المحلية الخاطئة ربما زادت من وتيرة الصراعات والعنف في المجتمع، منبهاً إلى أن ذلك يضع على البرلمانات مسؤولية أكثر في صنع السلام والاستقرار، مشيراً إلى الجوانب التي يجب الاهتمام بها للخروج من التخلف، مشدداً على أهمية التركيز على النهوض بالمرأة وإشراكها في برامج التنمية.

أما ورقة البرلمانات الإفريقية فقد تضمنت التأكيد على أهمية العمل الجماعي في إقرار السلام وإبعاد شبح النزاعات داخل القارة، ودور القيادات الدينية في إخماد الصراعات، وضرورة التعاون بين مؤسسات الاتحاد الإفريقي والقيادات الدينية في إحلال السلام والاستقرار ونشر الأمن في القارة، وأوضحت الورقة أن الدعوة لقيام الاتحاد الإفريقي جاءت رداً على التحديات التي تواجه القارة، وأول هذه التحديات التي شغلت فكر الداعين للاتحاد وبناء فضاء إفريقي واحد؛ هو إحلال السلام والاستقرار، والقضاء على الصراعات، وتحقيق التنمية.

وقد بحث المشاركون عدداً من القضايا التي تؤثر سلباً على الاستقرار والسلام والتنمية، حيث أكدت أوراق العمل والمداخلات أهمية التعليم ودوره في القضاء على تلك السلبيات وتجاوز تداعياتها.

الجانب الروحي

وشدد المشاركون على أهمية تعزيز الأخلاقيات، وأن الغنى الروحي والأخلاقي يظل من الأولويات التي يجب الاهتمام بها، مؤكدين ضرورة توافق الأنساق الثلاثة: السياسي والاقتصادي والروحي داخل المجتمع، وضرورة بناء قوة روحية حقيقية داخله، وباعتبار



(إفابا) ليست منظمة سياسية أو اقتصادية؛ فإن العمل يكون من خلال التركيز على الجوانب الروحية والمعنوية الأخلاقية للإنسان باعتبار النسقين الآخرين يركزان على الجوانب المادية للإنسان.

وفي هذا السياق بحث المشاركون دور (العقائد) في خدمة قضايا السلام، والتعبير عن موقف ممثلي العقائد في إفريقيا في العديد من القضايا المتعلقة بالاستقرار والتنمية، وتأكيد التزامهم بالعمل من أجل وقف الصراعات وتعزيز فرص التعاون، وخدمة قضايا الحوار وتعزيز فرص الاستقرار وتبني قضايا السلام، وتشجيع التنمية، بالإضافة إلى الاهتمام بقضايا المرأة والشباب، إلى جانب تنظيم عمليات الغوث وتقديم المساعدات للناس في المناطق المتضررة في حالة الأزمات والطوارئ.

ولكي نصل إلى الأولويات التي نراها مهمة في إفريقيا والتي يجب القيام بها للحصول على السلام، فلا بد من أن ننتهج مبادئ أساسية معينة، منها مبدأ التسامح، ومبدأ الاستماع، وقبول الآخر، ونشر ثقافة محبة الناس والاحترام المتبادل.

فإذا انتهجنا هذه المبادئ أظن أنه لا مجال لعدم إمكانية فهم الآخر، ولا إمكانية لعدم قدرة الآخر على الفهم، حتى وإن كان الآخر على خطأ فإنه يستطيع أن يفهمنا، ونستطيع أن نفهمه، فإذا ارتكب زلة يستطيع أن يفهم، إذا كان مجرماً سيتمكن من الفهم، ليقول انتبه الطريق الذي اتخذته ليس طريقا جيداً ولا بد أن أرجع لأنني لا بد أن أكون في مجموعة ما، لا بد أن أعمل لتعيش الإنسانية في وئام، ولا بد أن أترك انطباعات جيدة للآخرين حيثما مررت.

❖❖❖

الأستاذ جرادي العربي

أستاذ جامعي / الجزائر

نقبل التنوع ونصنع السلام

نحن في زمن لا نستطيع فيه أن نستثني الآخر، نحن في زمن يجب أن ننظر إلى حياة الآخر فيه وإلى الآخر كعضو مهم معنا، نحن مختلفون، بمعنى يجب أن نقبل التنوع، ويجب أن نحيا مع بعض، وفي الإسلام يقال إننا أمة واحدة ويجب أن تتعايش الأمة في سلام ولا يجب أن أكون مثلك ولا أن تكون مثلي، ولكن يجب أن نتعايش ونكون شركاء في السلام، فالسلام مستقبل البشرية، ويجب أن نعمل كلنا لأجل السلام وخاصة السلام بين الأديان.

❖❖❖

البيان الختامي لحوار العقائد من أجل السلام والتنمية في افريقيا



أصدر المشاركون في أعمال الاجتماع الثاني لحوار العقائد من أجل السلام في إفريقيا (إفابا)، بياناً في ختام أعمالهم بطرابلس / ليبيا، جاء فيه:

❖ نحن (إفابا)، مفوضون ممثلون لست ديانات إفريقية في الدول الإثنتي عشرة الإفريقية والأوربية والأمريكية الشمالية، اجتمعنا اليوم في طرابلس، ليبيا من 27 إلى 30 هانيبال (أغسطس) مع ممثلي البرلمان الإفريقي وبعض المسؤولين في ليبيا، وبرلمانات دول متعددة؛ لأجل مناقشة قضية السلام والتسامح في إفريقيا.

❖ نعترف بالرحمة التي حبانا الله تعالى بها بسماحته، لأن نجتمع اليوم لتبادل الأفكار ولتكوين علاقات بيننا.

❖ نبدي اعتبارنا العميق لاستضافة وكرم جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لنا نحن المفوضين، والدعم الذي مُنِحنا من قبل القيادة الليبية وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية لعقد اجتماع (إفابا) في طرابلس.

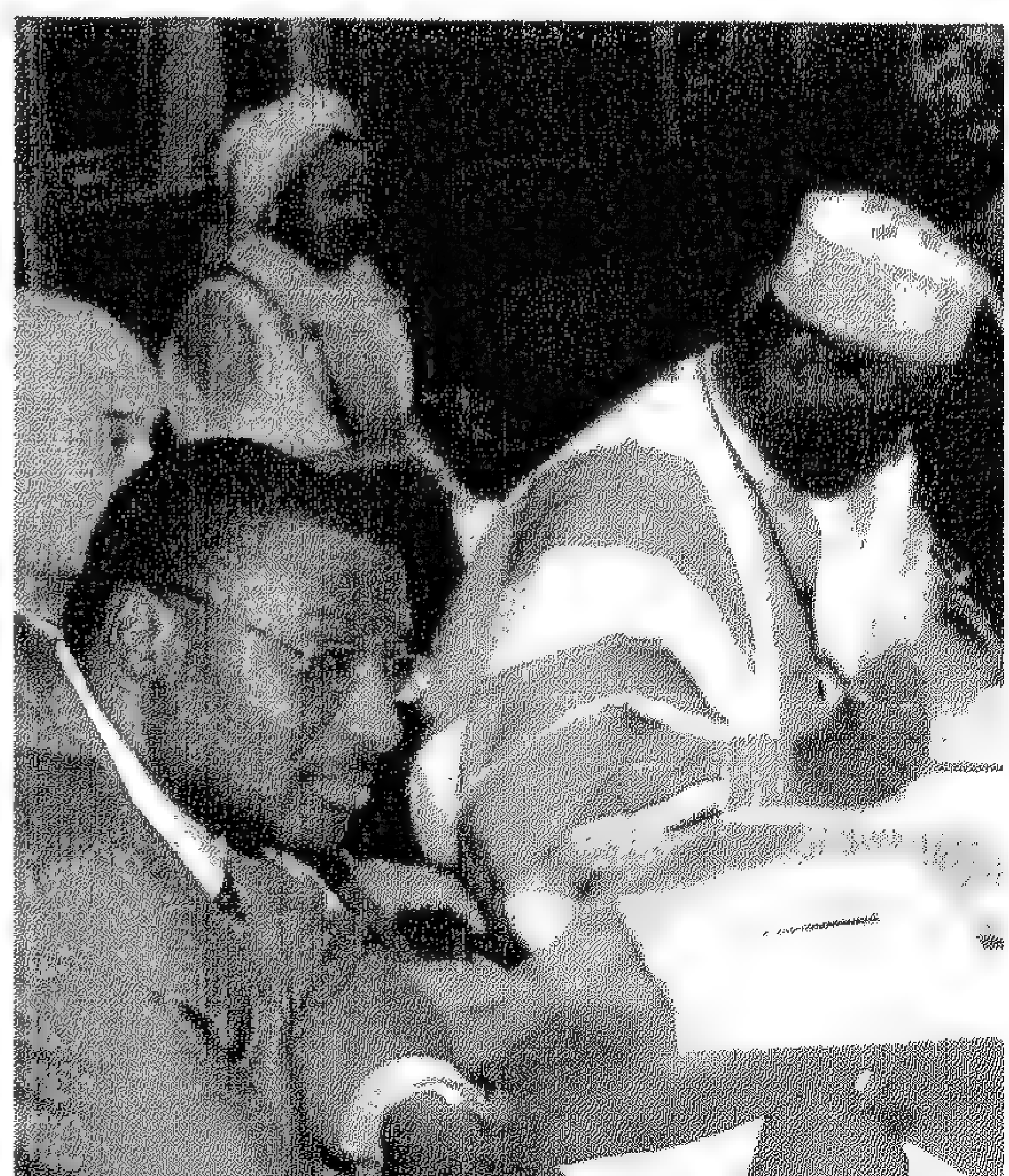
❖ نعترف بالجميل من القائد معمر القذافي ورؤيته للولايات المتحدة الإفريقية كوسيلة لحل النزاعات القائمة في إفريقيا.

❖ تطرقنا إلى العديد من القضايا ذات العلاقة بالحروب والإستقرار في إفريقيا في إطار العلاقات بين الأديان.

❖ نقدر علامات الأمل على القارة الإفريقية بتقليل عدد الحروب المرهقة في إفريقيا ، والتطورات ذات المعنى التي أنتجتها المناقشات الراهنة

بين الحكومة الأوغندية و(جيش الرب)، والانتخابات التي أجريت بسلام في عدد من الدول، والجهود المبذولة لإدماج أمثل، عن طريق ابتكار مجتمع شرق أفريقيا كقفزة أولى نحو الاتحاد.

- ❖ نحن في قلق كبير بسبب أنه على الرغم من علامات الأمل في المنطقة تستمر الحروب، وعدم الاستقرار الأمني باقية على بعض أجزاء القارة، وخاصة مشكلة الحدود التي لم تحل بين إثيوبيا وإريتريا ، الحرب الدامية في الصومال التي تهدد الاستقرار في منطقة القرن الإفريقي بكاملها، والأوضاع الراهنة في دارفور، والجو السياسي الذي يتزعزع في بوروندي وزمبابوي وساحل العاج وتوغو ، وعدم الاستقرار الأمني الناشئ عن تزايد الجماعات المسلحة الواردة في شرق الكونغو الديمقراطية.
- ❖ مع العلم بأن هذه الحروب تسببت أو تفاقمت بسب الركود الاقتصادي والفقر وانعدام الثقة، والشك بين الحكومات والسياسيين، وانتهاك



السيد نيلس كريشيا تزين

رئيس العلاقات الخارجية لجمعية ناستل / سويسرا

اهتمام أكبر لإحساس أكثر بمشاكل إفريقيا

هو مؤتمر يفوق العادة، كل رجال الأديان وأعضاء البرلمانات ورؤساء دول ورؤساء سابقون للدول في هذا المركز الإسلامي، ورئيس المجلس اللوثري من زمبابوي .. شيء لا يصدق، أعتقد أنه مؤتمر فريد في نوعه.

لقد ناقشنا الموضوع الرئيسي للمؤتمر وهو السلام وكيفية العمل للقضاء على الحروب، وبحثنا ماذا يستطيع رجال الأديان أن يقدموا لإنهاء الحروب وإصلاح الوضع، هذه هي أهم القضايا.

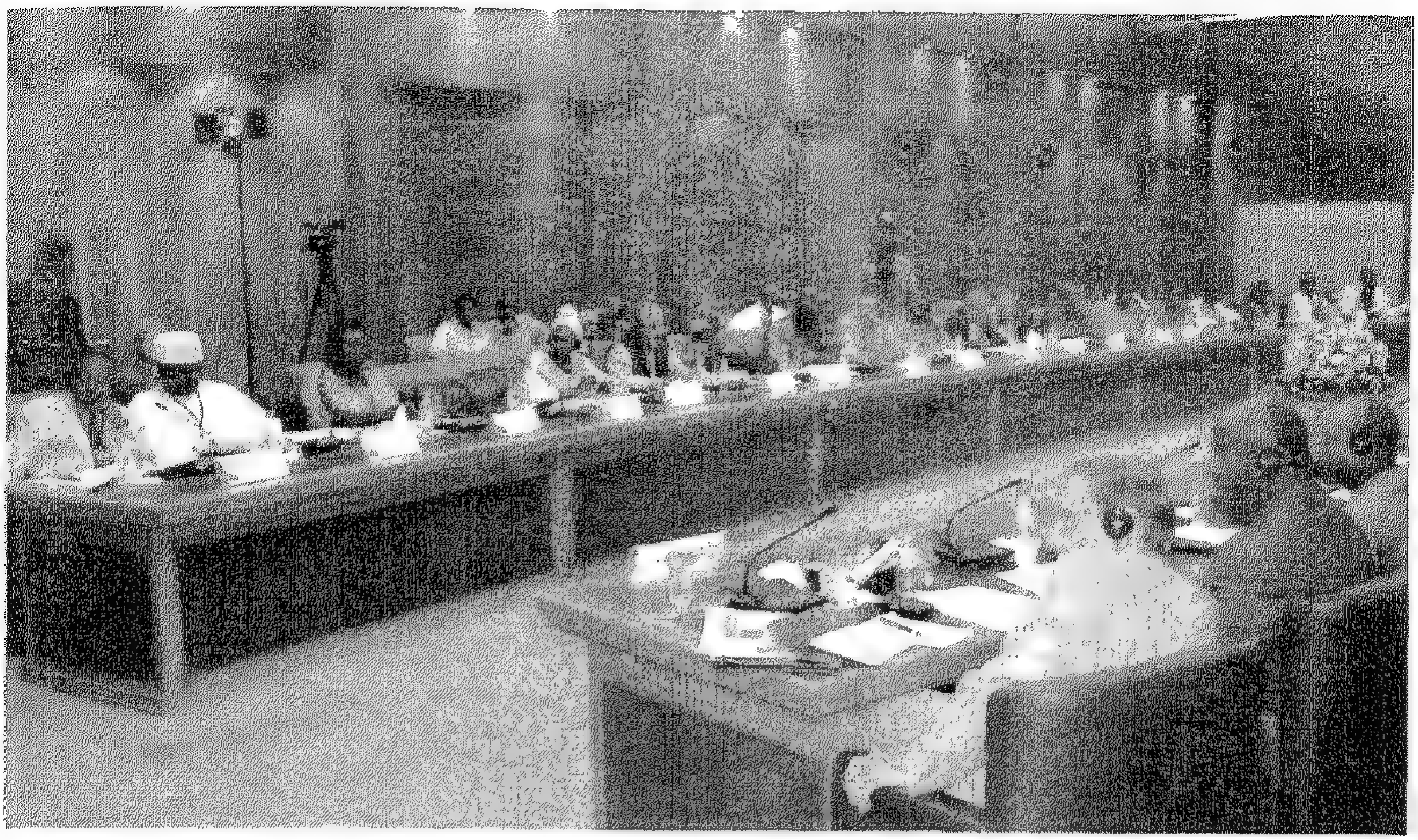
الشيء الآخر هو كيف يستطيع رجال الدين. مثلاً . المساعدة في تطوير إفريقيا، والنهوض بها، والتصدي لكافة أشكال المظاهر والسلوكيات الخاطئة، والعمل على إصلاح النتائج المترتبة على تلك الأخطاء.

كما بحثنا في قضايا تتعلق بالتنمية مثل أهمية الماء، لأن الماء شيء أساسي للحياة، فلا بد أن نعمل مع بعضنا بعضاً في إفريقيا لتطوير سبل إيجاد الماء الصالح، وهذه مسألة نعتقد أنها تساهم في وقف النزاعات، ومن هنا فإنه على كل الديانات العمل مع بعضها من أجل حل هذه المشكلة.

وأعتقد أن هناك اهتماما أكبر لإحساس أكثر بمشاكل إفريقيا، وإمكانيات تطوير إفريقيا، فإفريقيا ليست قارة منسية اليوم. فالصينيون والأمريكيون والأوربيون لهم اهتمام بهذه القارة، والبحث عن وسائل التطوير للدول في إفريقيا أيضاً.

منظمة (إفابا) تركز على السلام، فالسلام شرط أساسي للتطور، لكي نستدرك أخطار النزاعات ومن ثم الانطلاق للعمل لوقف هذه الصراعات وتسوية النزاعات في إفريقيا، هذا هو موضوع هذه المنظمة، ولها مواقف مهمة لتوفير التنمية الاقتصادية والبيئية في المجتمعات المحرومة.

❖❖❖



حقوق الإنسان بشكل كبير... وغيرها من سياسات الاستثناء والتهميش، والاستعانة بالعنف للإقناع وحماية السلطة، وتهريب غير قانوني للأسلحة الخفيفة، وتزايد الجماعات المسلحة والإجرام المنظم.

❖ نحن في قلق جداً إزاء العواقب الإنسانية والاجتماعية للحروب، وخاصة انتهاك حقوق الإنسان (النساء والأطفال والشباب)، وتجنيد واستخدام الأطفال في الحروب المسلحة، والممارسات الجنسية، واستغلال النساء والشابات، والفقر المدقع، وانعدام السلامة الغذائية.

❖ الإحاطة بالظروف المرعبة وغير الإنسانية التي يعاني منها شعبنا في إفريقيا، وخاصة الجماعات المهجرة داخل الدول أو الذين يعيشون في معسكرات اللجوء.

❖ نستنكر ثقافة الحصانة، وعدم معاقبة المجرمين أمام القضاء.

❖ تستطيع إفريقيا نظرا لمواردها الطبيعية والبشرية، أن تمتلك القوة الكامنة والازدهار.

❖ نعترف بأن التطور الاجتماعي والاقتصادي يتوقف أساساً على السلام والاستقرار في القارة.

❖ نلاحظ الدور الذي يؤديه الاتحاد الإفريقي والمنظمات الحكومية في المنطقة والأمم المتحدة وغيرها من الفعاليات الإستراتيجية لإحلال السلام في إفريقيا.

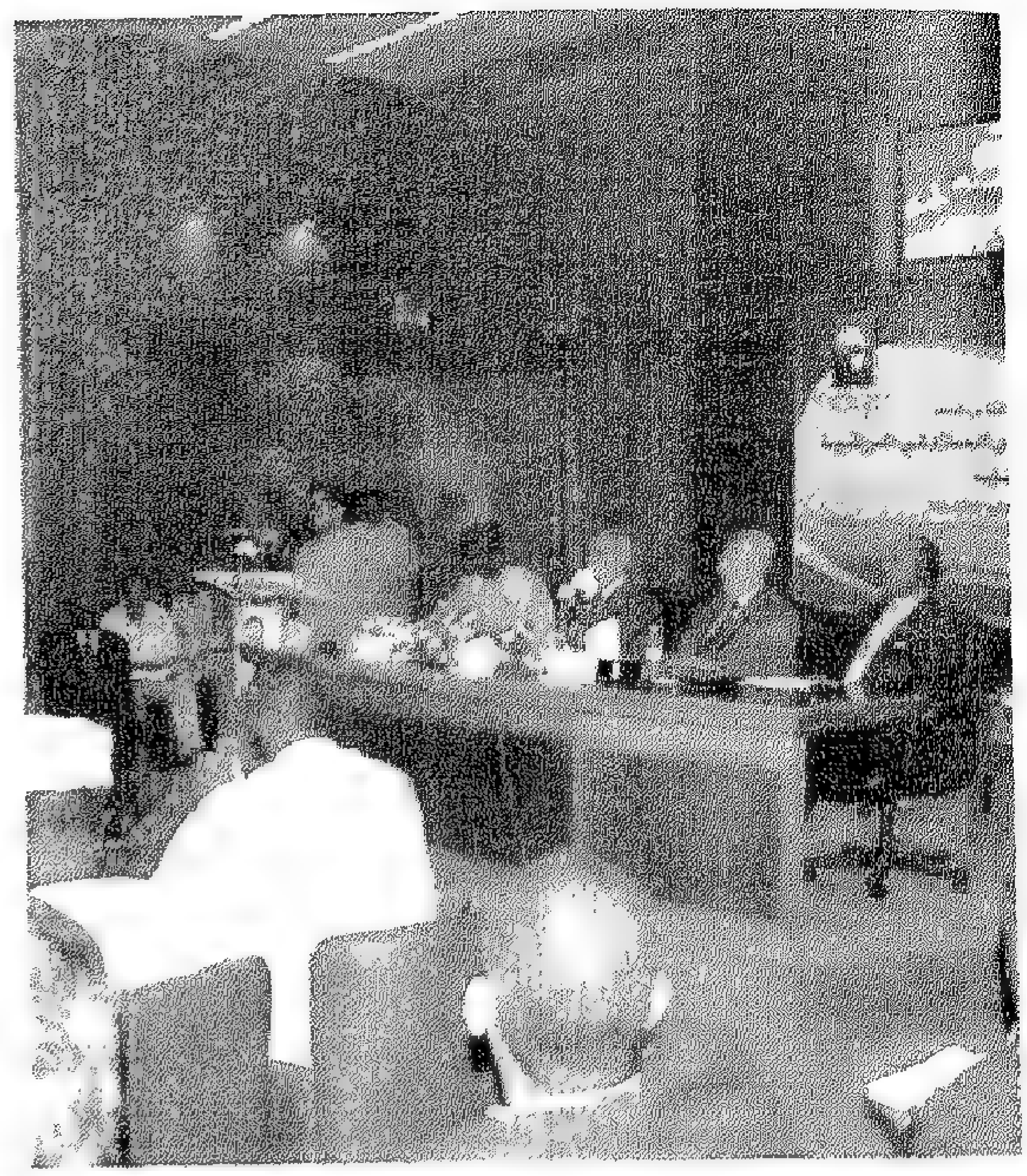
❖ متأكدون بأن رجال الدين لهم دور مهم في عملية السلام والتسامح في إفريقيا.

❖ نعترف بأن السلام الدائم لا يتحقق في إفريقيا بغياب التعاون بين السياسيين والقطاع الخاص ورجال الدين.

❖ نحن مفوضو (إفابا) نتأهب اليوم للاضطلاع بسلسلة من الأعمال من أجل تجسيد العمل الذي أنجزناه خلال الأيام الأربعة الماضية، ولهذا الاعتبار فقد قررنا:

- أن نتابع عملياً حوارنا وتعاوننا بين الأديان لأجل السلام كل في بلده وفي كل القارة.

- أن نتابع بمشاركتنا لأجل السلام، العلاج



والإصلاح في إفريقيا، ونبذل كل ما بوسعنا لنمنع ونوقف ونحل الحروب المسلحة في القارة.

- نؤكد المشاركة الفعالة لرجال الدين في عملية السلام الراهنة.
- ننظم زيارات التوسط والتضامن في المناطق والدول التي تكتوي بالحروب، وخاصة بوروندي وإريتريا وإثيوبيا وشمال أوغندا والصومال والكونغو الديمقراطية.
- تقوية الشراكة والتعاون الحقيقي بين الاتحاد الإفريقي والبرلمان الإفريقي والبرلمانات الموجودة في المنطقة والمؤسسات الوطنية والهيكليات الحكومية والقطاع الخاص؛ بهدف تعزيز مهمة السلام لـ (إفابا).
- تنظيم قمة مصغرة في جوبا في شمال السودان وكذلك القمة الثالثة (لإفابا) في الخرطوم في 2008.

لجنة (إفابا)

الخميس 30 هانيبال (أغسطس) 2007م

أميغا كواكو

رئيس الكنائس اللوثرية التقليدية لإفريقيا الناطقة بالفرنسية، نائب رئيس المجلس المسيحي / التوغو

إعطاء مساحة مهمة للدين

إن جمع كل هذه الفعاليات من مختلف العقائد والأعراق على طاولة واحدة لمناقشة مشاكل مشتركة؛ أرى أنه شيء مفيد جداً وعمل إنساني جميل، وخاصة أن هذا العمل يهدف إلى إعطاء مساحة مهمة للدين.. للعقيدة، من أجل القضاء على أسباب النزاعات، وتجنيب القارة الكثير من الحروب. وعليه أرى أن اجتماع كل هذه الطوائف الدينية على طاولة واحدة لمناقشة قضية تخص إفريقيا، وتركز خاصة على مناقشة سبل تحقيق السلام، فدون السلام لا يستطيع أي دين أن يتقدم على الساحة.

وإنني أرى أن من أهم القضايا التي يجب أن نركز عليها في الحوار هي قضية السلام، بما تشكله من أهمية من الأولويات، فإذا انعدم السلام فلا بد أن نبحث عن أصل المشكلة، ونتساءل لماذا ليس هناك سلام؟ وأرى أن المؤتمر هنا بحث عن كيفية القضاء على الحروب الموجودة، ولكن أرى أنه يجب أن نذهب إلى أبعد من ذلك، لنعرف السبب الرئيسي لهذه الحروب، من أين تأتي هذه الحروب وكيف يمكن القضاء عليها؟.

أما الأولويات التي يجب أن تركز عليها (إفابا) في إفريقيا فأرى أنه يجب أولا وضع حلول لهذه الحروب، وأن نحاول وندعو أطراف هذه الحروب إلى طاولة واحدة ليتعرف أطراف الصراع على بعضهم ويدركوا أنهم إخوة قبل كل شيء، ولا بد أن ينهوا هذه النزاعات مع بعضهم، لأن الحل لا يأتي من الخارج بل سيأتي منا نحن. وإذن فلا بد أن يعي الناس أن مشكلتنا لا بد أن نحلها نحن بأنفسنا، ويجب أن نحاول لنتجنب تلاعب الآخر بنا.

❖❖❖

- تعميق التعارف لتعزيز مسيرة الحوار
- معالجة ما أفسدته النزاعات
- استثمار المساحة المشتركة بين العقائد من أجل السلام
- الأديان لم تشارك في تلك المذابح بل بعض رجال الدين
- لم نسجل أي حادث اعتداء داخل أي مسجد من مساجد المسلمين



من اليمين: مفتي رواندا، رئيس الـ (إيغابا)، أمين مكتب المؤتمرات والهيئات

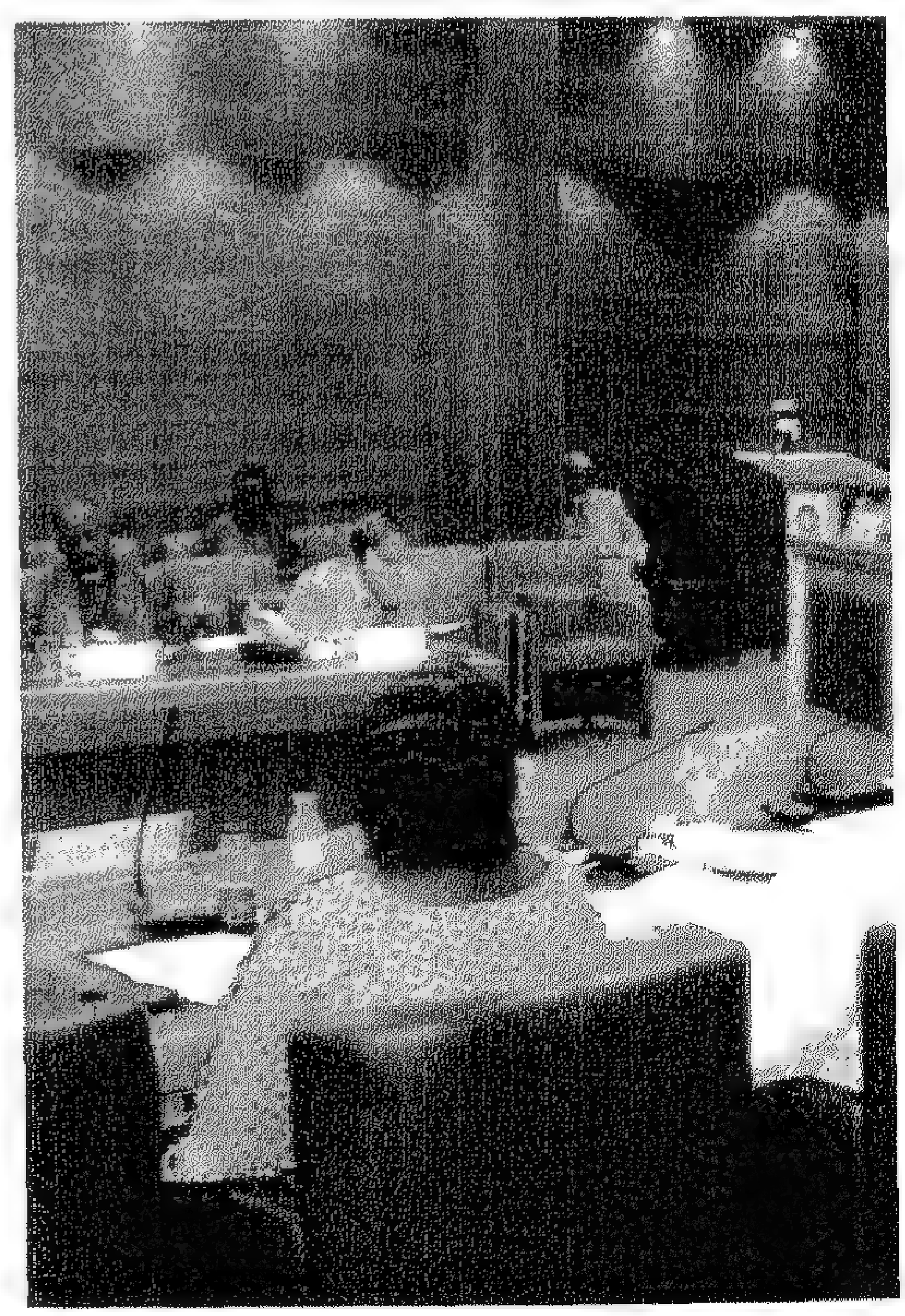
عقد - في ختام أعمال الاجتماع - مؤتمر صحفي حضره مراسلو عدد من وكالات الأنباء والقنوات المرئية والصحافة، حيث أجاب الدكتور إسماعيل نوكو، رئيس المؤتمر، والشيخ صالح هبيامانا مفتي رواندا رئيس اتحاد المجالس الإسلامية لشرق ووسط وجنوب إفريقيا، والأخ أمين مكتب المؤتمرات والهيئات الدولية والتعاون والإغاثة، بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، عن أسئلة الصحافيين وجاء في وقائع المؤتمر:

سعي لتوسيع دائرة الحوار

ثلاثة أسئلة من الدكتور عبد العاطي عبد الجليل أمين تحرير صحيفة الدعوة الإسلامية أمين هيئة تحرير مجلة التواصل، السؤال الأول موجه للدكتور رئيس المنظمة وهو كما يلي:

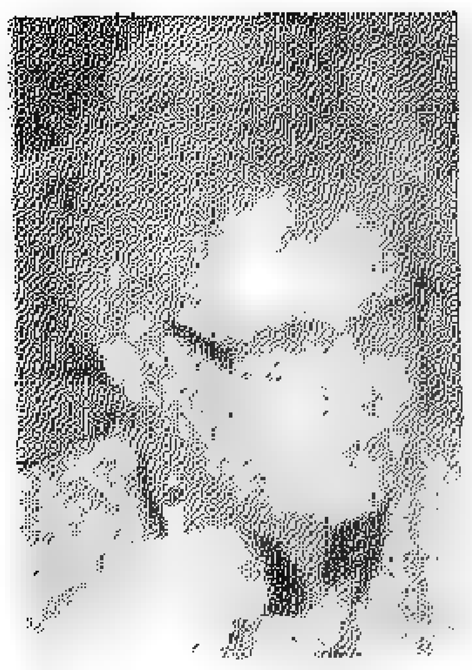
ـ في المؤتمر الأول للحوار الإسلامي المسيحي، وحسب ما جاء في وثيقة المؤتمر هدفتم إلى تعميق التفاهم والتقارب والتعايش بين المسلمين والمسيحيين وإبراز دورهم في التسامح والتعايش الاجتماعي الدائم الشامل.

وفي هذا المؤتمر رأينا أن هناك حقائق أخرى، فهذه المنظمة تسعى بشكل أو بآخر إلى توسيع دائرة الحوار ما بين العقائد في إفريقيا : كيف تقيّمون دور المؤسسات في إقرار السلام خاصة وأن هناك بعض المناطق الساخنة في إفريقيا وسبب سخونتها هو اختلاف تنوع العقائد؟



السيدة كارن جاردبرينغ

منسقة (إفابا) للدول الاسكندينافية



من مهامي الترويج لـ (إفابا في دول اسكندنافيا، من أجل تنشيط وزيادة الاهتمام والالتزام بقضايا السلم في إفريقيا، وأعتقد أننا نجهل كثيراً بعضنا بعضا، نحن نفتقر كثيراً إلى معرفة بعضنا بعضاً، وربما هناك قدر من جهلنا بأنفسنا أيضا، أعني الهوية التي أحملها بوصفي مسيحية، فأنا إذا كنت واثقة بداخلي بإيماني أكون أكثر انفتاحاً للاستماع إلى الآخرين وللحوار معهم، وأنا أعتقد أن تخوف أوروبا من الإسلام هو نتيجة الجهل.

والمنطق الذي نعيش نحن به في أوروبا الشمالية هو أننا نميز بين ما هو سياسي وبين ما هو ديني في المجتمع، وهنا أعتقد أننا بحاجة إلى معرفة أكثر عما هو سياسي وما هو ثقافي وما هو دين، وأنا بالطبع أحترم وجهة نظر الدين، وكذلك يفعل كثيرون غيري.

أعرف أن البعض يحاول تشويه صورة بعض العقائد وثقافات الآخرين، ولكي يمكن لنا ـ برأيي ـ أن نتجنب النتائج السلبية لهذه الأنشطة، أعتقد أننا بحاجة إلى اللقاء والتحاور حقا، وأن يتم ذلك باحترام، وينبغي أن نتجاوز الحدود حقيقة، لأن في أوروبا مكانا لنا جميعاً، ولكل الأديان.

في بعض البلدان في أوروبا ـ لا أريد ذكر أي بلد ـ في بعض الأماكن نرى أن المسلمين يحرمون من فرص العمل، وأحياناً ينظر إليهم على أنهم إرهابيون وما إلى ذلك.. نعم بالطبع أرى ذلك وألاحظه، وأعتقد ـ كما قلت من قبل ـ أننا بحاجة إلى معرفة بعضنا بعضاً، وإلى الفهم، لأن في جميع الأديان وربما في جميع المجتمعات توجد بنى للسلطة شريرة تريد التدمير حقيقة وتسيء استعمال النفوذ في حق الإنسان..

ولكن إذا كنت تفكر في التمييز فأنا يمكنني أن أفكر بالتحديد في الوضع الذي لدينا في السويد، فالناس يشتغلون هناك دون استثناء للدين، إلا إذا جئت إلى المدرسة على سبيل المثال، وكذلك إذا جئت إلى



* **السؤال الثاني موجه إلى رئيس اتحاد المجالس الإسلامية مفتي رواندا:**

- اعتقد أن رواندا قدمت نموذجاً جيداً في مرحلة متأزمة من الأزمات التي مرت بها إفريقيا، وحسب ما قرأنا في وسائل الأعلام أن الدين فعلاً كان عاملاً أساسياً في إقرار السلم، عندما كانت رواندا في أمس الحاجة إلى إقرار السلم: فكيف يقيّم المفتي هذا الدور خاصة في رواندا؟ وسمعنا أن هناك الكثير من الإخوة الروانديين لجأوا إلى أماكن العبادة للاحتماء.

* **السؤال الثالث موجه إلى منسق الاجتماع الأخ أمين مكتب المؤتمرات بالجمعية:**

- من خلال متابعتنا فإن الجمعية كانت دائمة الحوار بين الإسلام والمسيحية، وذلك منذ سبعينات القرن الماضي، وهي أول خطوة قامت بها الجماهيرية، واليوم نرى الجمعية تستضيف هذا المؤتمر، الذي يضم عقائد وضعية وعقائد تقليدية إفريقية:

هل هذه الخطوة تدل على أن للجمعية توجهاً جديداً في علاقاتها مع مختلف العقائد؟

الحوار يتطلب الفهم الجيد

الدكتور إسماعيل نوكو:

❖❖ تعميق الحوار يبدأ أولاً بفهم عام للأشخاص وبالعقائد الأخرى، وإذا ما تحدثنا عن المسيحيين فإنه لم تكن هناك معرفة جيدة بالمسلمين، جاءت في معظمها من وسائل الإعلام، لم يقرأوا القرآن مثلاً، ولهذا نرى اليوم العديد ممن يقرأون القرآن للحصول على هذه المعرفة من أجل الحوار، وإذا ما تساءلنا لماذا؟ فإننا نقول: إن الحوار يتطلب الفهم الجيد للآخر، كما ذهبنا إلى دور العبادة وتبادلنا الزيارات في المساجد والكنائس حتى يمكن أن يفهم كل منا الآخر: دينه ومعتقداته، وكذلك شجعنا

المدارس، من أجل تبني التعليم الديني، ونحن نعتقد أن فرص التعايش ممكنة وموجودة، واجتماعنا اليوم دليل على هذه الإمكانية، بقدر ما يتيحه من فرص تساعدنا على الانفتاح على بعد جديد لم نكن نقدره في الماضي.

الدين لا يهدم

وأجاب مفتي رواندا ورئيس اتحاد المجالس الإسلامية لشرق ووسط وجنوب إفريقيا صالح هبيامانا على السؤال الثاني:

❖❖ نحن نؤمن أنه كان هناك دور لبعض رجال الأديان في هدم بلادنا رواندا، ونؤمن أن الأديان لم تسهم في الهدم، ولكن بعض رجال الأديان، مع كل الأسف هم الذين تجاوزوا الحدود، كانت نحو 90 ٪ من عمليات التطهير العرقي في رواندا تتم داخل المعابد.

والحقيقة أن المسلمين لم يشاركوا في تلك الأحداث الدامية، ولم نسجل أي حادث اعتداء داخل أي مسجد من مساجد المسلمين.

ولكن ـ بكل صراحة ـ نقول إن الأديان لم تشارك في تلك المذابح بل بعض رجال الدين هم من شارك فيها.

وقد قررنا بعد تلك المجازر نحن كرجال دين، أن نقيم حواراً ننطلق بعده مباشرة لبناء بلادنا رواندا من جديد، ولحسن الحظ فقد لعب رجال الدين دوراً كبيراً ومهما في ترميم ما تهدم.

ويشاركنا في ذلك رئيس لحركة حوار الأديان وكبير أساقفة الكنيسة البروتستانتية في رواندا ونائبه الأول.

وقد بدأنا العمل بقدر الإمكان، على جمع صفوف هؤلاء الذين نجوا من تلك المجازر والذين أطلق سراحهم من السجون بسبب تلك الجرائم، وهؤلاء الذين لهم إخوة وأقارب لا زالوا في السجون لإدانتهم بالمشاركة في تلك المجازر، هؤلاء جمعنا

المستشفى، فهناك توجد أزياء رسمية، ولا أفهم في الحقيقة أن أهالي الأديان الأخرى قد يشعرون بأن هناك تمييزاً ضدهم.

يقول البعض إن هناك ظاهرة في أوروبا حيث تنقسم الأحزاب السياسية إلى اليسار واليمين، وأن هذه الأحزاب اليمينية لها رؤية تسعى لغلق أوروبا على ذاتها، ولجعلها وكأنها خاصة بالأوروبيين، ولا أحد من البلاد الأخرى أو القارات الأخرى يحق له العيش فيها!!

لا.. أنا لا أقول ذلك، وهذا ليس انطباعي، لا.. قد تجد جماعات محافظة متطرفة، نعم هم قد يفعلون ذلك، ولكن الأحزاب السياسية عموماً منفتحة الذهن، ومنفتحة للمجتمع الثنائي.

أما ماذا نفعل في سبيل تفادي النتائج السلبية لتلك الأنشطة؟ فأقول: في المجتمعات الديمقراطية نحن نتكلم عن هذه الظواهر داخل البرلمان وداخل المجتمعات المدنية، نحن نعمل لتغيير الموقف، هناك حركات سلام كثيرة تبث ثقافة السلم وتعنى بهذه القضايا التي يسأل عنها ويتناولها الكثيرون.

هذا الاجتماع لـ (إفابا) اجتماع جيد، وهناك اختلاف وتنوع في الآراء، ولكن يمكن مناقشتها.

وأنا ـ في الحقيقة ـ آمل أن نستمتع بالمجتمع الثنائي divors ونعمل لثقافة السلام، حيث نتبادل الاحترام، وحيث يستطيع أتباع الأديان والجماعات الدينية أن يؤدوا دورا إيجابيا وأخلاقيا.

❖❖❖

جلبير بواسا

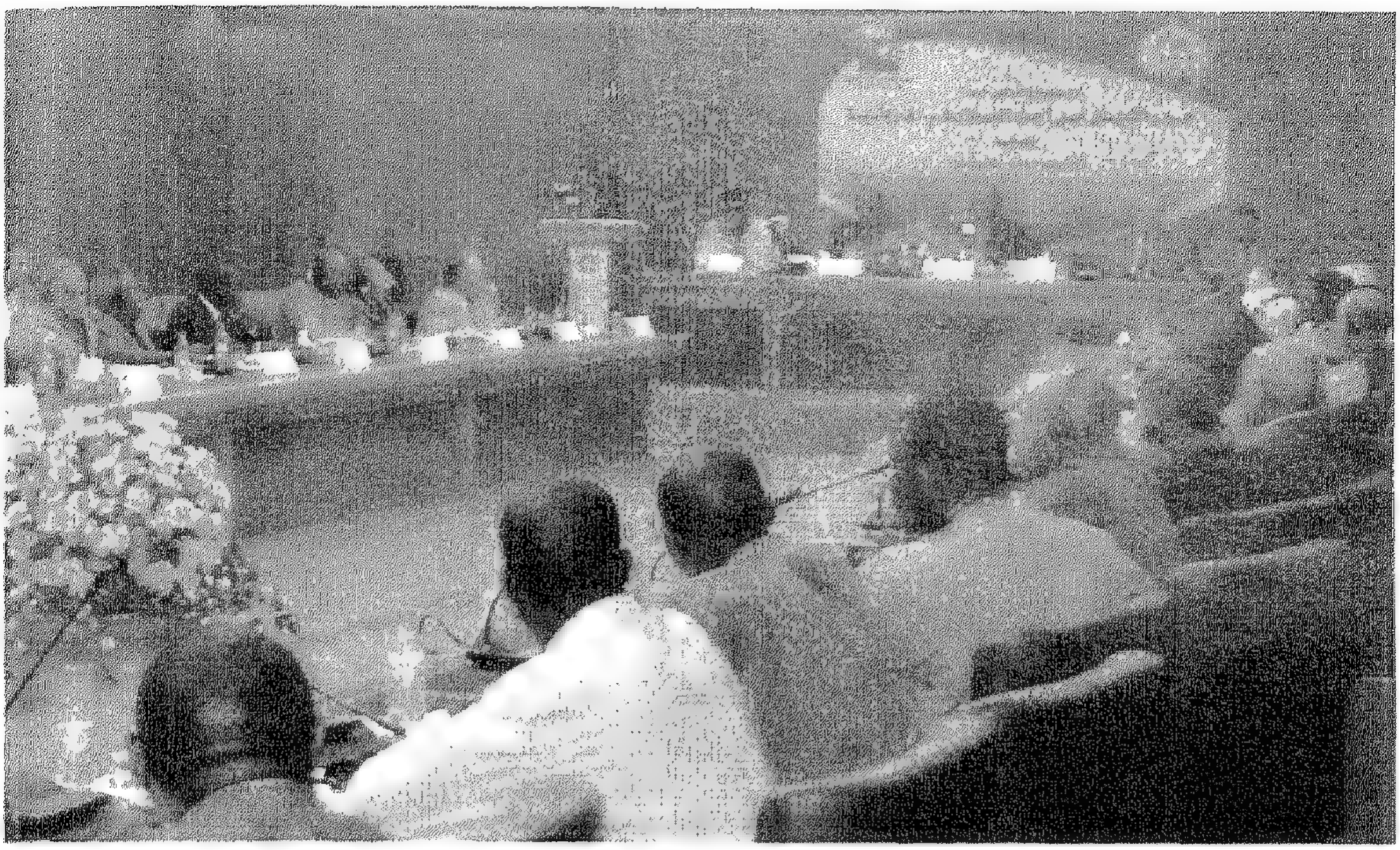
رئيس إفابا في جمهورية الكونغو الديمقراطية

مفوض داخل لجنة إفابا

مدير منظمة في الكونغو تعمل في مجال حماية وتعزيز حقوق الإنسان وحل النزاعات

لقاء ناجح يساهم في تفعيل دور (إفابا)

هذا هو الاجتماع الثاني للجنتنا، ونحن نهدف إلى أن تكون هناك نتائج إيجابية جداً، لنتمكن من تفعيل الدور الذي تضطلع به (إفابا) بشكل جيد،



صفوفهم ونعمل من أجل تقديم الخدمات لهم، مثل بناء المباني ودفع الرسوم المدرسية للأطفال، والحمد لله نعمل الآن لبناء بلادنا من جديد.

مساحة مشتركة لصالح السلام

الأستاذ إبراهيم الربو منسق الاجتماع:

❖❖ نحن في جمعية الدعوة الإسلامية العالمية نحاول أن نستثمر كل جهد، نرى فيه خيراً وإسهاما في إحلال السلام والاستقرار في كل مكان من العالم، وبالأخص في إفريقيا، واستضافة هذا المؤتمر الذي تشارك فيه قيادات دينية، من بينها أتباع عقائد وضعية وتقليدية في إفريقيا، يأتي تأسيساً على توجه الجمعية الرامي والداعم لكل جهد يرمي لخير الإنسانية واستقرارها، وعندما تسلمنا مبادرة الدكتور إسماعيل نوكو والإخوة في «إفابا» وقالوا إن هناك ممثلين لعقائد وضعية رحبنا بهذا، لأننا نريد أن نستثمر كل مساحة ممكنة مع الجميع في إفريقيا، لأن كل دين يحتوي على الكثير من عناصر الخير، وإذا كان هناك اختلاف عقدي فإن هناك مساحة كبيرة مشتركة، يمكن أن تُستثمر لصالح الإنسان.

ونحن في جمعية الدعوة الإسلامية العالمية رحبنا بهذا، لأننا ندرك أن هناك الكثير من الخير الذي ستجنيه إفريقيا من هذا اللقاء، ودائما نرحب ـ في السابق والحاضر ـ بمشاركة كل العقائد، ما دام هناك ـ كما أوضحت ـ مساحة مشتركة يمكن أن تُستثمر لصالح السلام، بل إن لنا علاقات تعاون إنسانية حتى مع أناس غير دينيين، إذا ما كانت هناك قواسم مشتركة مثمرة من أجل خير الإنسانية بصفة عامة، وفي مقدمتها دعم السلام والاستقرار والتنمية في كل العالم، وبالأخص في هذه القارة التي ننتمي إليها.

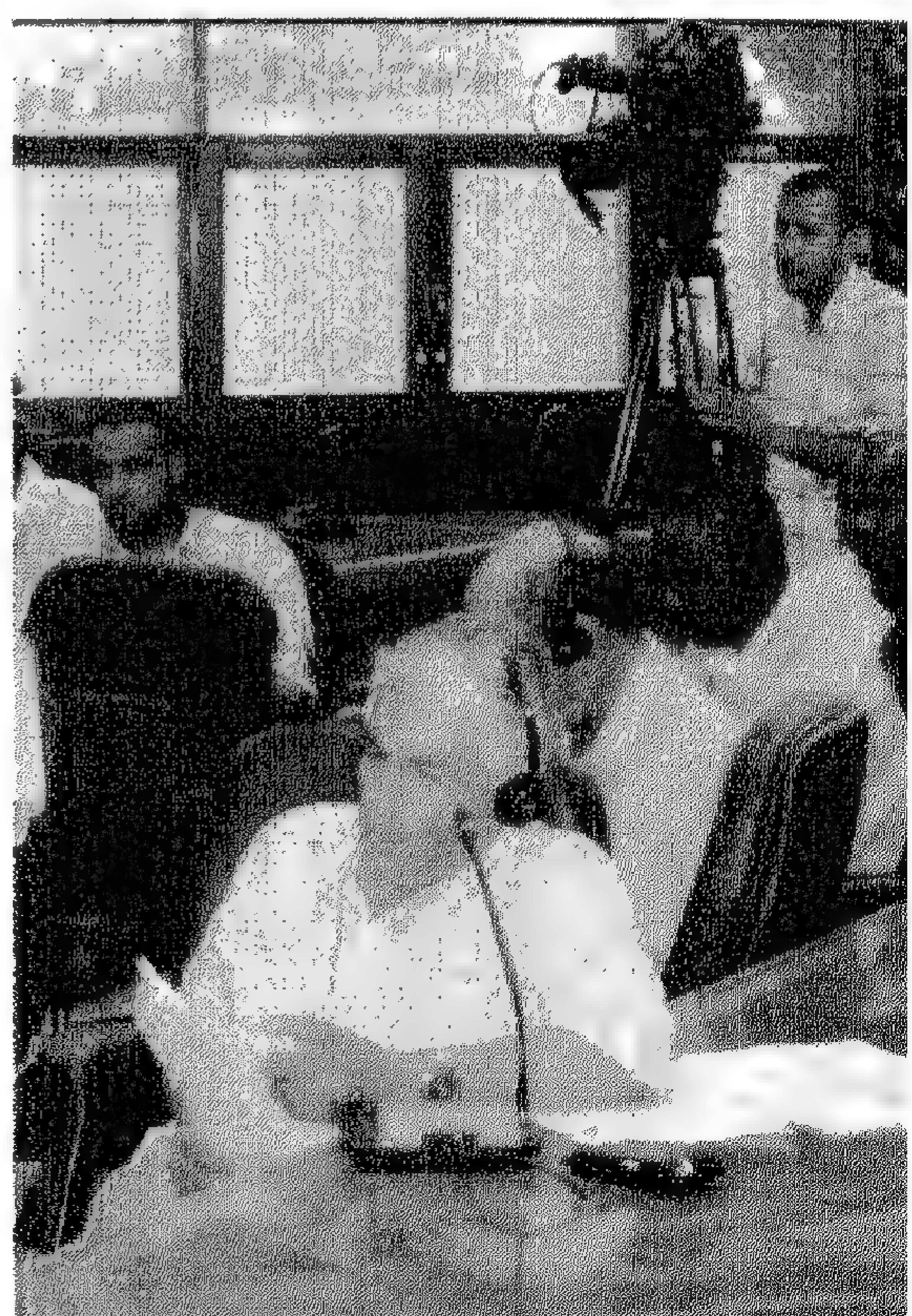
أول مرة يتحقق مثل هذا اللقاء

الدكتور إسماعيل نوكو:

❖❖ اسمح لي أن أقول إن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية كانت الأولى التي تقوم بانجاز مثل هذا في إفريقيا، وهي الأولى التي استثمرت في هذا النوع من

اللقاءات ونحن في«فابا» لم نقم بهذا النوع من الاجتماعات من قبل، إن هذه أول مرة يتحقق فيها مثل هذا الانجاز.

والحقيقة أن الجمعية هي أول من عمل في هذا المجال في إفريقيا، ومن أجل عملية السلام في إفريقيا، ونحن في الماضي كنا نحصل على مساعدات من الخارج، ولكن حصلنا اليوم على مساعدة من الجمعية غطت نحو 50٪ من هذا البرنامج، ونحن كل يوم نحصل على نموذج ومثال، فبدون أن نستثمر بالشكل الذي استثمرت به الجمعية لا يمكن لنا أن نحقق السلام، ولا يمكن أن يأتي لنا السلام من الخارج، من خارج القارة، الأمر الآخر هو أن العقائد الوضعية هي كذلك معنية بالسلام، فالسلام هو القضية الجوهرية بالنسبة لنا جميعاً، وكلنا يجب أن نعمل من أجل السلام وهذه قيمة مشتركة.



فكما تعلمون فإن (إفابا) قد أسست حديثاً، ولهذا نحتاج إلى تفعيل دورها، واعتقد أن مساهماتنا والآراء التي أتينا بها، ستجعل هذا اللقاء نجاحاً، وخاصة أن الجماهيرية الليبية منحتنا هذه الاستضافة.

وبصفتي رئيسا لـ (إفابا) في بلدي الكونغو، فإنني أرى أن تعدد الأديان نعمة خاصة لإفريقيا، لأن إفريقيا بذلك تكون قارة إيمان، قارة أصول روحية عالية. وتعلمون أن السلام ليس سهلاً، وكل يرغب في سلام دائم، والسلام أيضاً ليس له لونا، فبما أن كل الناس يرغبون في السلام الدائم؛ فإنني أستطيع أن أقول إن تعدد العقائد (الأديان) ليس هو المشكلة، ولم يكن سبباً حقيقياً يمكن أن يعيق السلام.

إننا نقول دوماً: هناك ما يسمى بثقافة السلام، وسياسة السلام، وهو ليس على الورق بالاتفاقيات التي لا تؤول إلى نتائج ملموسة، فيجب أن تكون ثقافة السلام ميزة داخلية ، ويجب أن تأتي من صميم القلب، لأنه ليس فقط للتخلي عن العداوة، ولكن يجب أن يستعد للذهاب إلى أبعد من ذلك، وبما أن عملية السلام واسعة النطاق وطويلة إذا هي تحتاج إلى مساهمة الكل.

وأما بصفتي رئيساً (إفابا) في بلدي الكونغو؛ فنحن وضعنا بعض الاستراتيجيات، فعلى سبيل المثال بلدي الذي خرج حديثا من الحروب، وضعنا استراتيجيات مكنتنا من جذب اهتمام السياسيين للعمل معنا، والاستفادة من الجوانب الروحية التي نشترك فيها معا، لأن السياسي أينما كان ومهما كان فإنه يعترف بالله.

ونحن بصفتنا محيطين بهم روحياً، جعلناهم، بل قمنا بالدور الإعلامي، وخلال هذا العمل الإعلامي انتهت العداوة، ولكن لا يجوز أن نقف هنا، لأنه يجب أن نستعد للمستقبل، ولذلك جعلنا أيضاً استراتيجيات في المدارس، لأننا يجب أن ننظر إلى الجيل القادم الذي أصبح ملوثاً ومسموماً بالأوضاع التي مرت، لأنه عاش صوراً سيئة، ولهذا نحن بحاجة لنشر ثقافة السلام، ويمكننا إذا أدمجنا

إشارة جادة

سؤال من مراسل قناة النيل المصرية:

❖ لهجة الحوار بين الأديان بدأت منذ سنوات، ونلاحظ من خلال وسائل الإعلام أن هناك مؤتمرات كثيرة للحوار، وكأنه في السابق لم يكن هناك تقارب بين هذه الأديان بالرغم من الخطوات التي تحققت خلال العقود الماضية من خلال اجتماعكم الأول، هل قدمتم توصياتكم لأصحاب القرار السياسي، سواء في الحكومات والبرلمانات وهل ترجمت هذه التوصيات إلى ورقة سياسية يمكن العمل بها رسمياً؟.

الدكتور إسماعيل نوكو:

❖❖ لقد قمنا باطلاع الحكومات الإفريقية على نتائج جهودنا، وبعضها رد علينا مقدراً تلك الجهود، ولكن كما تعلمون أن ذلك بالنسبة للحكومات يأخذ وقتاً، غير أن مجرد وجودنا هنا اليوم هو إشارة إلى أن هناك جدية، وقد التقينا مع مفوضية الاتحاد الإفريقي، وقدمنا لها تعريفاً بنشاطاتنا في بعض المناطق مثل سيراليون، وكذلك التقينا مع مسؤولين في الكونغو وعرّفنا بجهودنا وكذلك في التوجو، والأمر الثاني استطعنا في إطار الزيارات تعميق فهم بعضنا للبعض الآخر.

ضحايا الحدود

مندوب وكالة الجماهيرية للأنباء:

❖ من خلال تتبعنا لفعاليات هذا الاجتماع لاحظنا تركيزاً مباشراً على قضايا القارة مثل الفقر والنزاعات: كيف تقيّمون المشروع الاستراتيجي الذي تقدم به القائد معمر القذافي فيما يتعلق بالأم والطفل والشباب في إفريقيا؟



تعليم ثقافة السلام في المدارس، ووضعنا استراتيجيات لبرلمانات الأولاد؛ أن نجعل هذه الأجيال القادمة تتعايش، وبالتالي نستطيع أن نمنع ما شاهدناه من أن يتكرر في المستقبل.

❖❖❖

الدكتورة البرتينان لوثولي

عضو برلمان جنوب إفريقيا

(كيب تاون)، طبيبة من إقليم إيكوازو دوناتال

قضايا تهمنا جميعا

لأول مرة أشارك في اجتماعات (إفابا) وينبغي أن أقول إنني سررت جداً لأن الاجتماع تناول قضايا علمية لها تأثير في واقع الحياة اليومية لشعوبنا في إفريقيا. والحقيقة أن مثل هذه القضايا هو ما نتعامل معه في البرلمان، ولنقل إننا في البرلمان نواجه الشيء نفسه، وهذا يعني أننا نلتقي معاً في جوانب كثيرة، ولكن ما يجعل لـ (إفابا) خصوصيتها؛ هو ما يمكن أن تضطلع به من دور استثنائي خاصة في مواجهة بعض القضايا التي لا تستطيع السياسة التعامل معها، ولهذا اعتقد أن (إفابا) هي الجهة الأفضل للتعامل معها، وهذه الخاصية هي التي شغلت هذا الاجتماع، لأننا كنا نتعامل مع قضايا تهمنا كسياسيين، ولكن التعاطي معها من داخل (إفابا) أعتقد أنه أكثر جدوى.

يعرف الجميع أن رجال الدين لهم صلة وطيدة بالناس، كما قلت قبل قليل، فهم يستطيعون الوصول إلى قلوب الناس حيث لا يستطيع الساسة أن يعملوا أو يفعلوا ذلك، وأعتقد أن بإمكانهم أن يسهموا في بناء السلام، وحتى في القضايا ذات الصلة بالتنمية وإعادة البناء بعد تحقيق السلام، ويمكنهم التعامل بشكل فعال مع القضايا الأخلاقية، كما يمكنهم التعامل مع القيم الاجتماعية بشكل فعال أيضاً.

❖❖❖



الدكتور إسماعيل نوكو:

❖❖ نحن ننظر إلى الفقر باعتباره مشكلة مركزية في إفريقيا، وإذا كان الفقر لم يُزل ملابسنا من على أجسادنا، إلا أنه يقوّض كرامتنا، وإفريقيا إذا أرادت التخلص من الفقر فإن عليها أن تتحد، فنحن لم نعد نستطيع أن نبقى منفصلين عن بعضنا بعضاً، أو نتعامل مع القضية على أنها مسألة محلية، في الوقت الذي يتأكد فيه أنها مسألة ومشكلة إفريقية، فإفريقيا يجب أن تتعاون وتتوحد في كل القطاعات الصحية والمعرفية والزراعية والعلمية، كل هذه المجالات يجب أن تتجمع وتبني كيانها الواحد، إن النداء من أجل وحدة القارة هو النداء الأخير، الذي يجب علينا أن نستجيب له ونقوم بتنفيذه اليوم وغداً، فأطفالنا يجب أن يرثوا إفريقيا موحدة، فلم يعد بإمكاننا أن نبقي على وضع التجزئة كل بلد بذاته، يجب أن نفتح فضاء هذه القارة، فإن الله وضعنا في قارة موحدة جغرافياً، ورؤية هذه الوحدة تبين لنا أن الله قد عمل لنا شيئاً لصالحنا، فنحن لم نكن منقسمين إلى أطراف منعزلة عن بعضها،



نحن لا يجب أن نبقى دائماً ضحية لهذه الحدود، فالأمل في إفريقيا موحدة مسألة مهمة وهذا النداء يعتبر مهما وهذه رؤية «إفابا».

إشكالية الدين والسياسة

أمين تحرير صحيفة الدعوة الإسلامية/ أمين هيئة تحرير مجلة التواصل

❖ عفواً مرة أخرى، حضرتكم تعلمون أن هناك حكومات علمانية: فكيف تقبل هذه الحكومات تدخل الدين في السياسة إن كانت بعض خطواتكم سياسية.

الدكتور إسماعيل نوكو :

❖❖ أعتقد أن الحكومات العلمانية تختلف، فهناك الحكومات العلمانية المتأثرة بالبروتستانتية، وهذه الفئة لديها فهم عميق وعام بأن الله خالق كل شيء يتصرف في هذا العالم، وهو ما يسمونه بالنسقين نسق اليمين واليسار، وفي كليهما ترجع المسؤولية لله، وهذه رؤية الكثير من الحكومات، وبالتالي فإن هذه الحكومات تفهم دور الدين في المجتمع، وهنا تأتي مسؤولية القادة الدينيين، في تنمية الجوانب الروحية والأخلاقية.

دور الدين لا ينكر

تعقيب من منسق المؤتمر:

صحيح أن هناك أنظمة علمانية تفصل ما بين الدين والسياسة، ولكنها لا تحجب دور القيادات الدينية في دعم كل قضايا السلام والأمن في العالم وانظروا إلى أي نظام علماني على المستوى السياسي في العالم تجدونه يستعين بالقيادات الدينية لهذه الشعوب، في هذه الدول ليس هناك نظام علماني ينكر دور الدين أو يتجاهل الدين لكن النظم العلمانية قد تحول دون أن يكون لرجال الدين دور للتدخل في المجال السياسي، ولكن لا أعتقد أن هناك نظاماً عاقلاً لا يقبل جهوداً لإرساء السلام والأمن والعدالة والمساواة، ولقد لمست اتحاد المواقف تجاه قضايا مشتركة، فقد رأيت كيف تحالف الإسلام والمسيحية ضد العلمانية في مؤتمر المرأة في بكين، عندما كان الفاتيكان والأزهر وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية في جانب، وبعض دعاة التحلل والتفسخ الأخلاقي في الجانب الآخر.

هذه قضايا يبدو فيها دور الدين بارزاً بغض النظر عن الاختلافات العنصرية.

تقارير



- موائد إفطار في 77 دولة من مختلف قارات العالم
- الدورة 18 للمجلس العالمي للدعوة الإسلامية بماليزيا

خدمة الاسلام دينا وثقافة وحضارة



موائد إفطار في 77 دولة





من مختلف قارات العالم



ش

شهر رمضان الكريم يُعد مدرسة لتزكية النفوس، وتربية الإنسان ليكون عضواً نافعاً في مجتمعه، من خلال الفضائل الكثيرة التي يزداد إقبال المسلمين عليها خلال هذا الشهر المبارك، والتي من شأنها ترسيخ قيم التواصل والتراحم والتواد. وتأتي موائد الإفطار الجماعي لتقدم نموذجاً لهذا التواد وذاك التواصل، كما تعد مناسبات مهمة لتعزيز روح التعارف بين أبناء المجتمع على تنوع ثقافاتهم وتعدد عقائدهم، حيث عادة ما تستضيف هذه الموائد المسلمين وغير المسلمين.

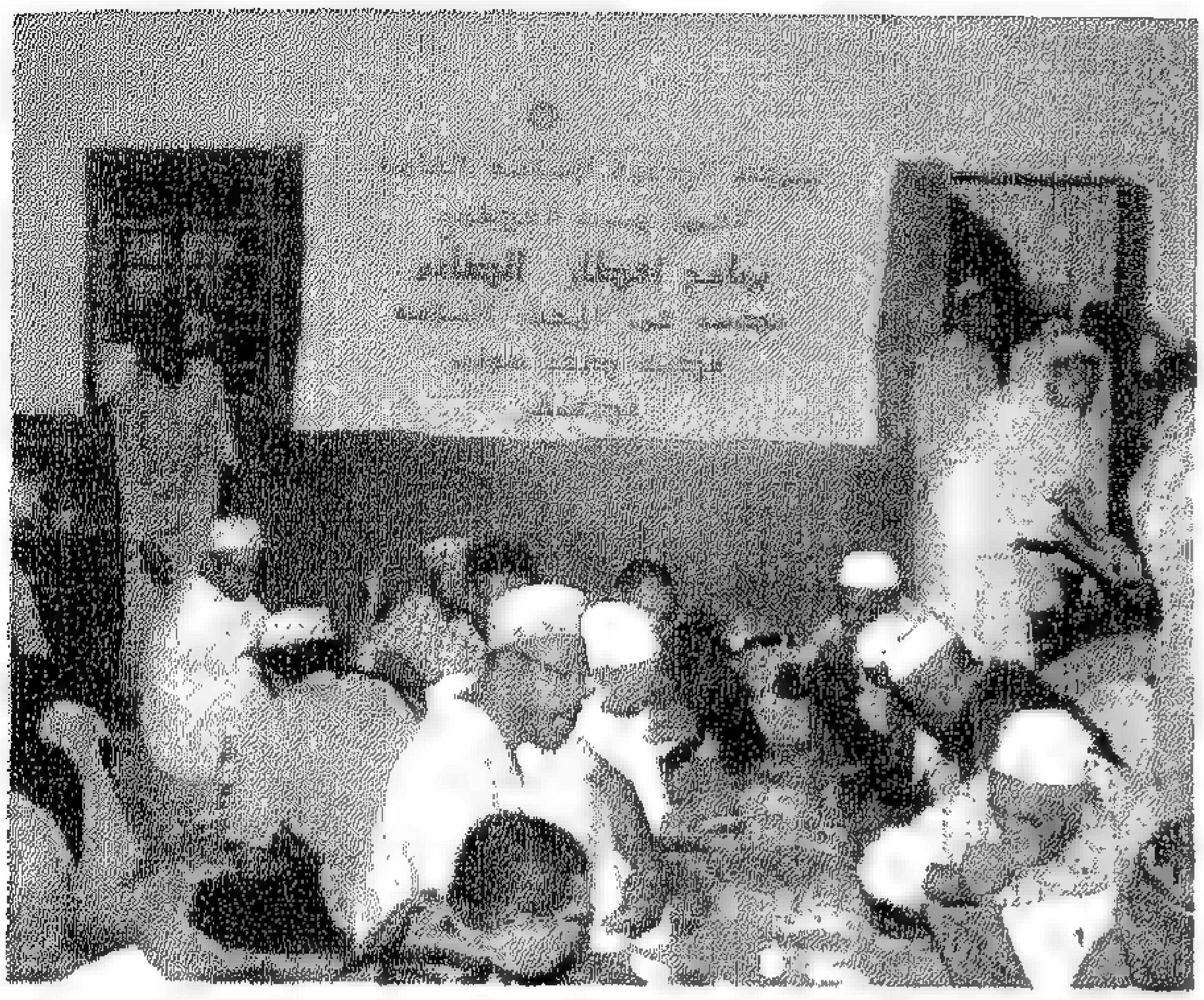
في هذا السياق نظمت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، خلال شهر رمضان الماضي موائد إفطار في 77 دولة من مختلف قارات العالم، وذلك في إطار البرنامج الرمضاني الذي درجت على تنفيذه خلال الشهر الكريم من كل عام، لا سيما في الدول التي تصنف ضمن المناطق الأكثر احتياجاً، واشتمل البرنامج الرمضاني على إيفاد الأئمة والوعاظ وفق خطة تعد سنوياً، ويعمل هؤلاء الأئمة على تصحيح المفاهيم الخاطئة التي تقود إلى التفرقة والتحزب واستعباد الناس، من خلال التعريف بسماحة الإسلام وقيمه الإنسانية التي ترفض الانغلاق والتعصب، وتدعو إلى التسامح والحوار والتواصل، وفق قواعد ربانية بينها الحق في كتاب الله المبين، يقول تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾

[سورة البَقَرَة، الآية: 143]

حيث أوفدت الجمعية هذا العام مائة وثلاثة وعشرين قارئاً من حفظة كتاب الله، لإحياء أيام وليالي الشهر الكريم في أكثر من ست وخمسين دولة في آسيا وإفريقيا وأوروبا والأمريكتين.

الجدير بالذكر أنه قد تم هذا العام إيفاد قراء إلى بعض دول أمريكا الجنوبية من بينها البرازيل وكولومبيا وفنزويلا، وكمبوديا لأول مرة، ليقوموا بإمامة المصلين في صلاة القيام، وختم القرآن الكريم، وإلقاء الدروس والمواعظ الدينية، إلى جانب تنظيم مسابقات حفظ وتلاوة القرآن الكريم، وتعليمه للمسلمين وأبنائهم من الأطفال، والمشاركة في برامج إفطار الصائم بتنظيم موائد إفطار جماعي، في التجمعات التي تقيمها في القرى والأحياء والمساجد والمراكز الإسلامية، بالإضافة إلى إقامة موائد إفطار للفعاليات الرسمية والشعبية لا سيما في مناطق الأقليات، يحضرها مسؤولون رسميون.



موائد الرحمن - مدغشقر

كما اشتمل برنامج إفطار الصائم على توزيع مواد غذائية مثل السكر، والأرز، والزيت، وغيرها من السلع التي تعد أساسية في الحياة اليومية، وتجهيز الطعام وإحضاره إلى مراكز التجمعات في المساجد وغيرها من الصالات، كما نظمت المسابقات الثقافية والرياضية، وتكريم المشاركين، وتخصيص جوائز للفائزين منهم، تحفيزاً لهم على الاهتمام بترسيخ هوية المسلمين والحفاظ على تراثهم الحضاري



في بوركينا

والاهتمام به، والتركيز على إحياء ليلة القدر والمناسبات والأحداث التي عاشها المسلمون وترتبط بشهر رمضان، مثل غزوة بدر وفتح مكة وغيرها.

وقد حقق البرنامج العديد من النتائج الإيجابية المهمة، حيث تشير بعض التقارير التي أعدها دعاة الجمعية في العديد من المناطق، إلى تزايد الوعي بين المسلمين بقيم الإسلام الداعية إلى التضامن والتواد والتراحم.

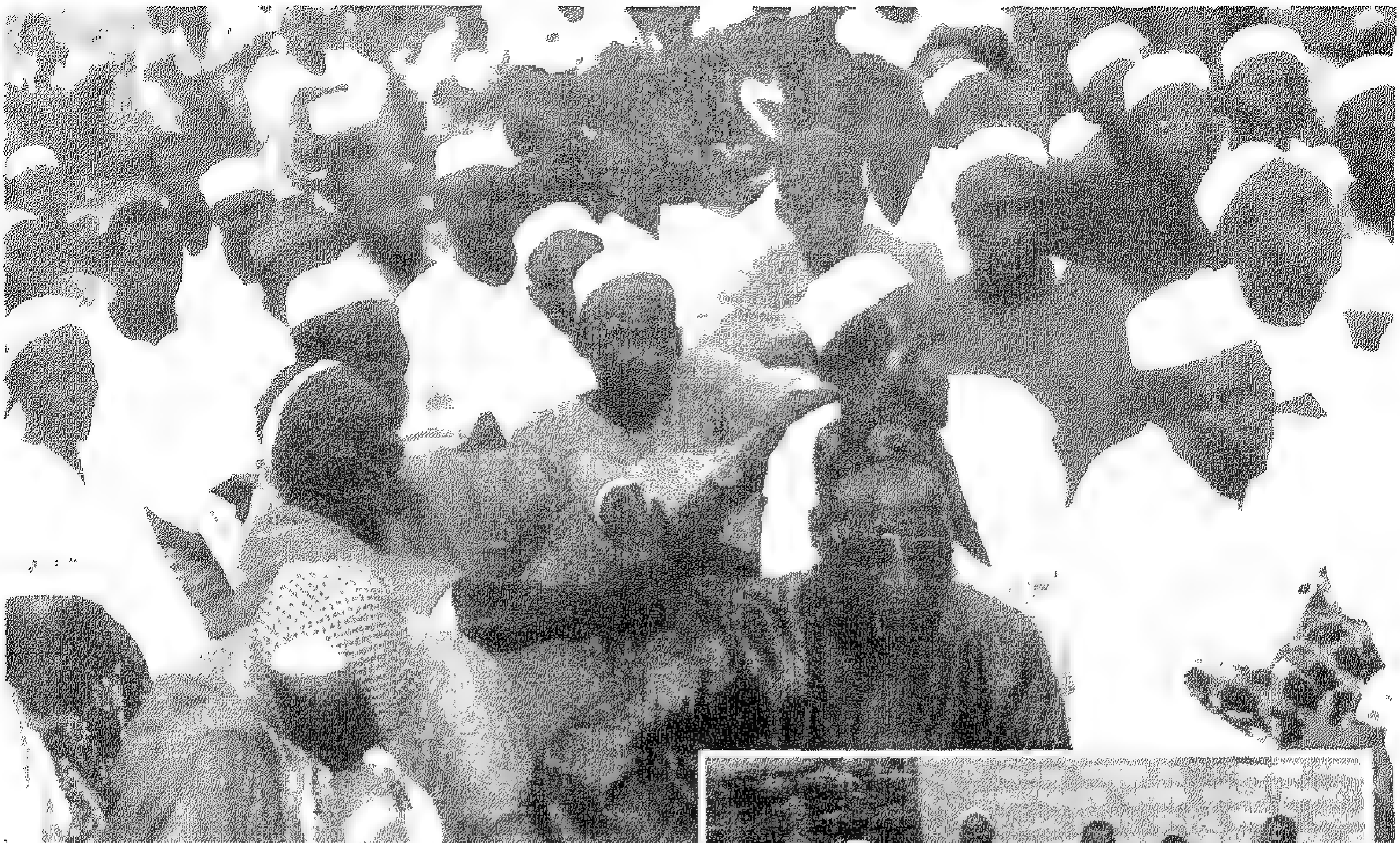
وأشارت تلك التقارير إلى دور موائد الإفطار في تعزيز هذه القيم الإسلامية، ناقلة عن أحد الأئمة قوله: «إن الحاجة التي دفعت الناس «المسلمين» لحضور موائد الإفطار، قد مكنتهم من الاستماع إلى الدروس الرمضانية، وهو ما زاد من وعيهم بدينهم، مبيناً أن شعورهم بأن هناك أياد تمتد إليهم قد جعلتهم يلمسون العديد من المعاني السامية في الإسلام.

ولاحظ التقرير أن توزيع المواد الغذائية على المحتاجين لا يستثني أحداً، حيث يتم توزيع المواد الغذائية على الفقراء دون تمييز بسبب دين أو غيره، مشيراً إلى عمق الألفة الإنسانية التي توجد بين أبناء المجتمع الواحد، والتي تبعث في نفوسهم الرحمة والمحبة، وهو ما يعزز قيم التكافل والتضامن الاجتماعي بين الجميع.

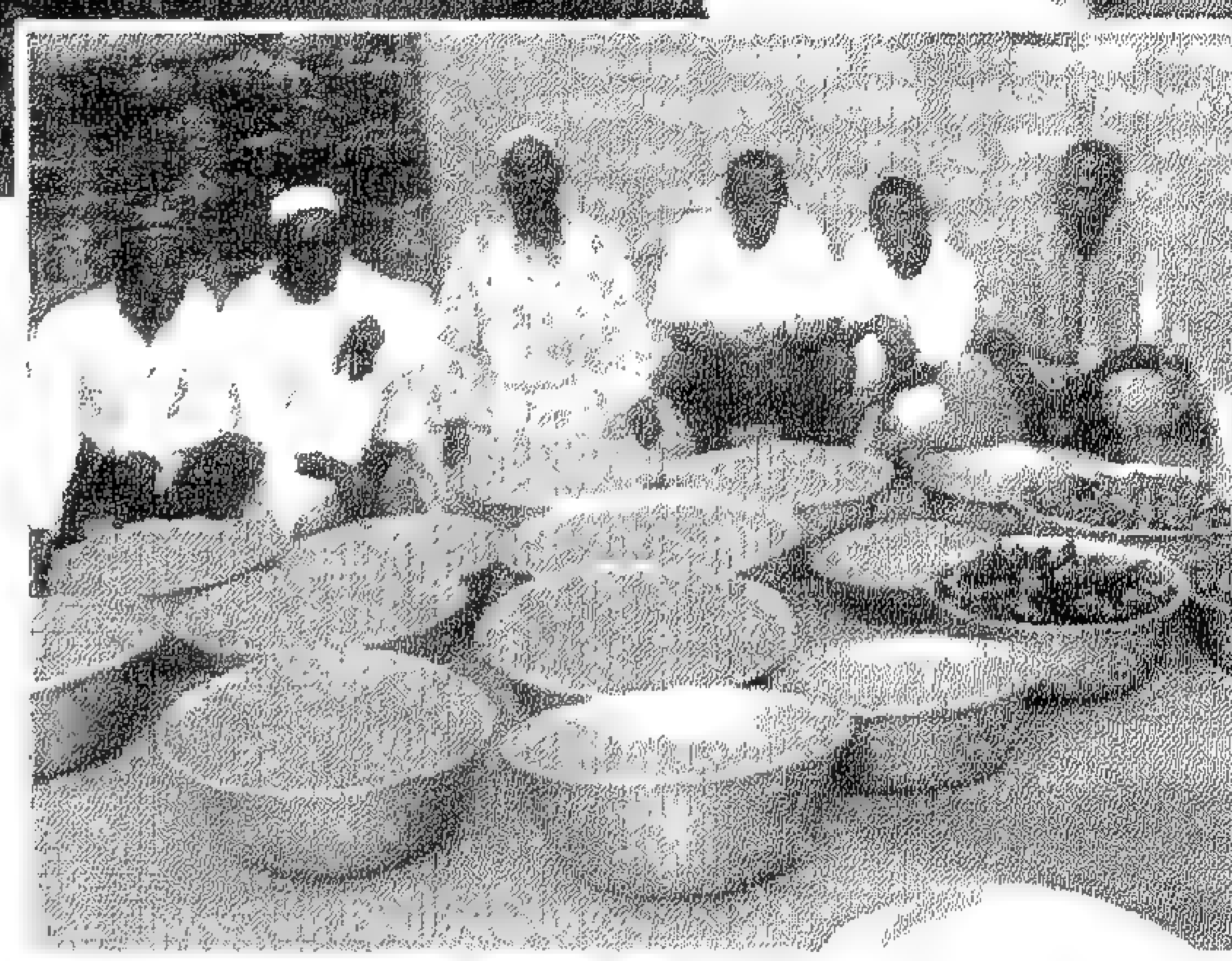
موائد إفطار الصائم
تعم مختلف مناطق بوركينا فاسو

في بوركينا فاسو شرع مكتب جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، اعتباراً من 8 من شهر رمضان المبارك، في تنفيذ برنامج إفطار الصائم بمختلف المناطق بحضور الفعاليات الإسلامية في هذه المناطق من ملوك وسلاطين اهتدوا على يدي الأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية ورؤساء الجمعيات الإسلامية وأئمة المساجد ومدراء المدارس العربية وجمع غفير من الأهالي.

وشمل البرنامج مناطق المهتدين الجدد والمساجد والمدارس والجمعيات الإسلامية،



موائد الرحمن - بوركينا



والمؤسسات الاجتماعية مثل جمعيات ذوي الاحتياجات الخاصة، ودور العجزة، بالإضافة إلى المستشفيات والسجون، ولاقى هذا البرنامج أصداء واسعة بين جموع المسلمين، الذين أعربوا عن شكرهم وتقديرهم لجهود الجمعية في تقديم المساعدة في هذا الشهر الكريم.

اختتام مسابقة لحفظ القرآن الكريم ببوركينا

نظّم مكتب جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ببوركينا فاسو، احتفالاً بالمسجد الكبير بالعاصمة واغادوغو خلال الأسبوع الأخير من شهر رمضان تم خلاله إعلان النتائج وتوزيع الجوائز على الطلبة الفائزين في المسابقة القرآنية حيث بلغ عدد المتسابقين ثلاثين متسابقاً من مختلف المدارس العربية بالعاصمة، في مراحل المسابقة المختلفة والتي شملت حفظ القرآن الكريم كاملاً، وحفظ نصف القرآن الكريم، وحفظ ربع القرآن الكريم، وحفظ سورة البقرة.

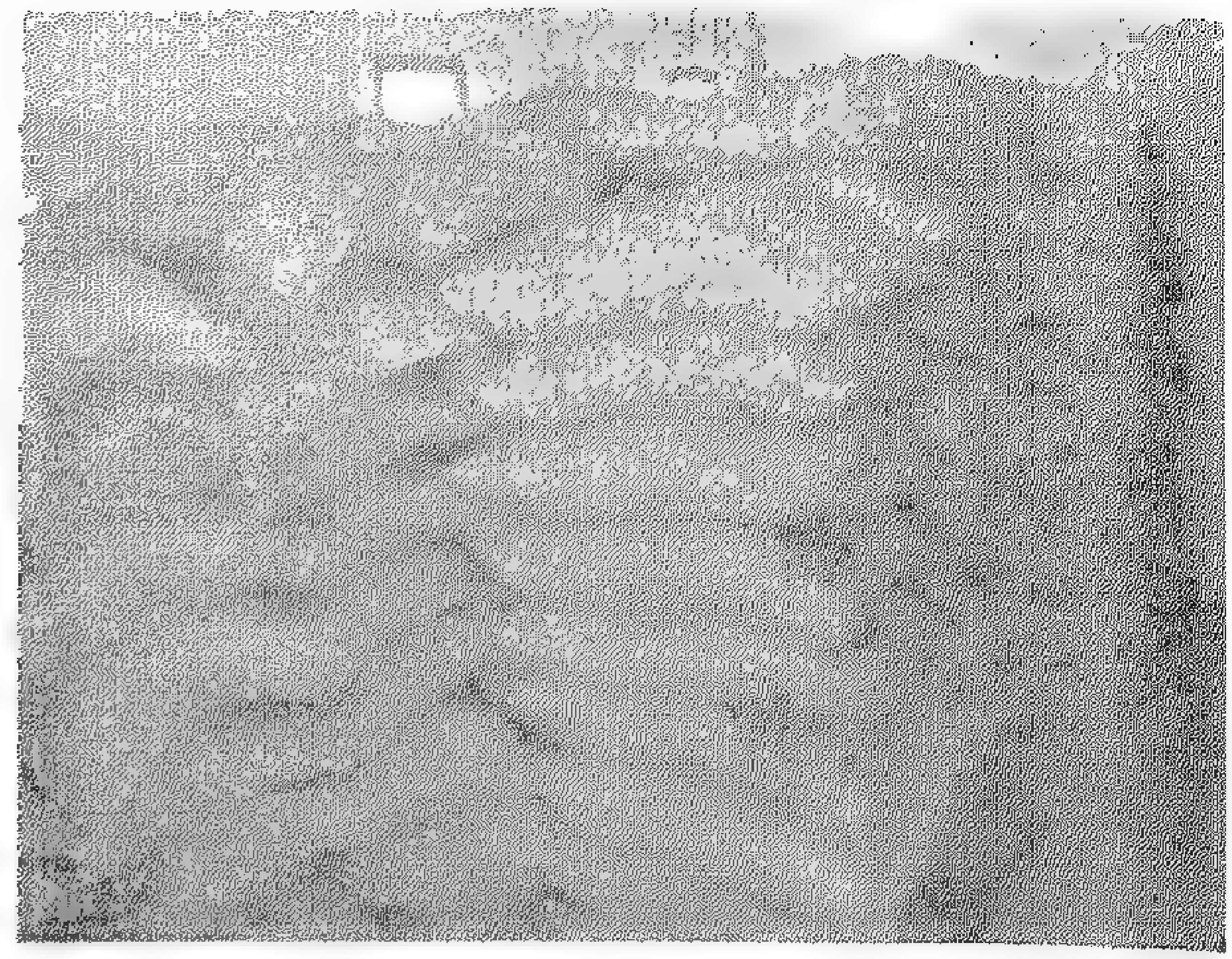
وقد حضر الاحتفال عدد من رؤساء الجمعيات الإسلامية وأئمة المساجد والدعاة ومدراء المدارس العربية وأعضاء الجالية العربية وجمع غفير من المواطنين يزيد على الألفين.

وأشاد المتحدثون خلال كلماتهم في الحفل عن تقديرهم للجهود التي تقوم بها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في خدمة الإسلام والمسلمين وطلبوا من المكتب الاستمرار في تنظيم مثل هذه الأنشطة. وخلال الحفل أشهر أحد المواطنين البوركينيين إسلامه ونطق بالشهادتين على يدي أحد الدعاة.

المواقع التي أقيم فيها هذا البرنامج الرمضاني قد شملت المساجد والمدارس وقاعات المؤتمرات وأماكن التجمع والنوادي، والجامعات، والكليات، ومنارة القذافي الإسلامية بكانو. حيث قدمت العديد من المحاضرات والندوات التي تحض المسلمين على التوحد والتعاون ونبذ الخلاف.

86 متسابقاً في حفظ القرآن الكريم بكانو

في محافظة «فضى» بولاية كانو أقيمت مسابقة لحفظ القرآن الكريم، خلال الشهر الكريم وذلك في إطار البرنامج الرمضاني، شارك فيها 86 متسابقاً ومتسابقة، وقسمت المسابقة إلى أربع مراحل، وفي نهاية المسابقة نظم احتفال حضره نائب حاكم الولاية والمحافظ ومستشار الشؤون الدينية بالولاية وأعضاء لجنة التحكيم وعدد كبير من المشائخ والأئمة والدعاة وجمع غفير من المواطنين. وقد قام أمين مكتب الجمعية والحضور بتوزيع الجوائز التقديرية على الفائزين الأوائل في مختلف مراحل المسابقة.



مساعدات للمحتاجين في أكثر من ست ولايات في نيجيريا

في نيجيريا قام مكتب الجمعية بتقديم مساعدات للمحتاجين في ست ولايات، من أجل إدخال الفرح والسرور في قلوب الفقراء والمحتاجين، وتخفيف معاناتهم ومشاركتهم هذه المناسبة الكريمة. شمل البرنامج أغلب الولايات، حيث تم التركيز على أحياء الفقراء في مختلف مناطق ولايات كانو، وكدونا، وبرنو، وكتسنة، والورن، وجيغاوا، ومنطقة كلبا. كما أن



مسلمون من نيجيريا يستلمون المساعدات



حفل الإفطار الذي أقامته الجمعية في الفلبين

في الفلبين

نظمت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، تحت إشراف مكتبها في العاصمة مانيلا حفل إفطار جماعي، بفندق (سوفا) حضره عدد كبير من الشخصيات في جمهورية الفلبين، والقس كاباليا والعديد من الشخصيات السياسية والدينية في الفلبين والمناطق الجنوبية، بالإضافة إلى عدد من أعضاء السلك الدبلوماسي المعتمدين لدى الفلبين، وأعضاء المكتب الشعبي الليبي بمانيلا، وعدد من الدعاة وأكثر من 300 شخص من الضيوف. وقد عبّر المسؤولون الفلبينيون الذين حضروا الحفل عن شكرهم للأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، وللشعب الليبي للدور المتميز في بناء مصالحة حقيقية بين أبناء الشعب الفلبيني، مشيدين بجهود القائد في خدمة قضايا السلام، وحرصه



امتنان رسمي فلبيني وشكر لدور قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية



الدائم من أجل تعايش المسلمين والمسيحيين في الفلبين لخير وطنهم الواحد وبناء دولة مستقرة أساسها الاحترام بين الجميع، وتقديرهم للعمل الكبير الذي تقوم به الجمعية لصالح الفلبينيين جميعاً، وخاصة إعداد وطباعة منهج اللغة العربية والقيم الإسلامية لمراحل التعليم الأساسي في الفلبين. وكان البرنامج الرمضاني قد انطلق بمختلف مناطق تواجد المسلمين في الفلبين، حيث أقيمت العديد من التجمعات في المساجد والمراكز الإسلامية، كما تم تقديم مساعدات غذائية لبعض المؤسسات الاجتماعية مثل دور ومراكز الأيتام والعجزة.



مسلمات فلبينيات..



توزيع المصاحف والكتب على مسلمي الفلبين

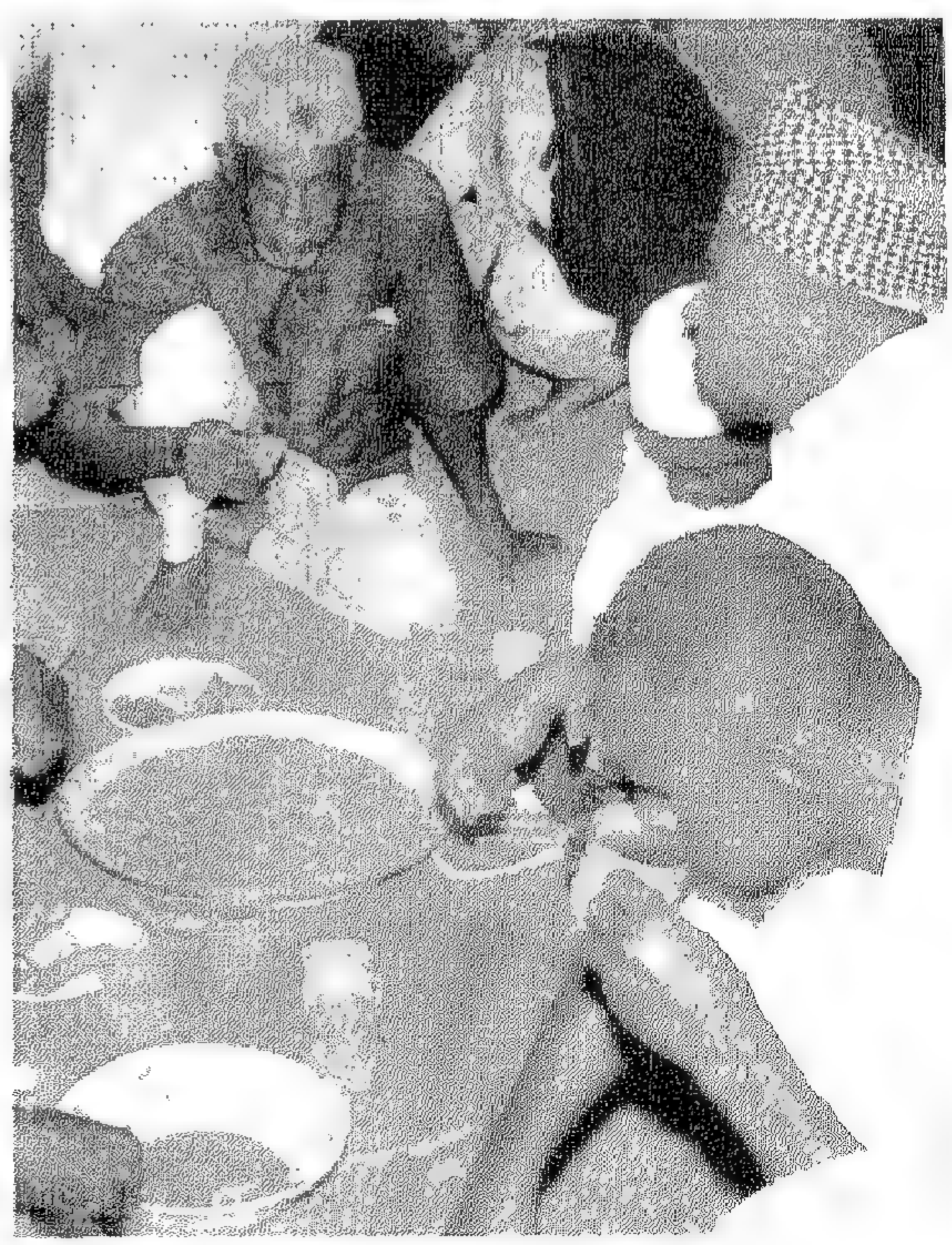


من البرنامج الرمضاني للجمعية



مساعدات إنسانية
لمؤسسات اجتماعية بموزمبيق

في موزمبيق انطلقت تظاهرة التواد والتراحم، من خلال إقامة موائد الإفطار في العاصمة «مابوتو» وضواحيها، كما اشتمل البرنامج الرمضاني الذي



أشرف عليه مكتب جمعية الدعوة الإسلامية العالمية على توزيع مواد غذائية على العديد من الأحياء السكنية، إلى جانب تقديم مساعدات إنسانية لعدد من المؤسسات الاجتماعية ببعض مناطق موزمبيق مثل دُور العجزة والأيتام، ومعهدي حمزة الإسلامي وأبو بكر الصديق التابعين للمجلس الإسلامي العالمي. وقد قُدّمت المساعدات في احتفال أقيم بالمناسبة حضره عدد من المسؤولين عن هذه المؤسسات، الذين عبّروا عن شكرهم وامتنانهم لهذه اللفتة الإنسانية لنزلاء هذه المؤسسات الذين هم في أمس الحاجة للمساعدة، مؤكدين على أن هذه المساعدات ستسهم في تخفيف معاناتهم، كما عبّر المسؤولون في كلماتهم عن تقديرهم للجهود التي تبذلها الجمعية في سبيل خدمة الإسلام والمسلمين في كل مكان، وفي موزمبيق بشكل خاص في مختلف المجالات.

وقد تم تسيير قوافل التواد والتراحم التي رافقها دعاة الجمعية إلى العديد من المناطق النائية حتى شمال موزمبيق، حيث قامت فرق العمل الإنساني المرافقة لتلك القوافل بتوزيع مواد غذائية على الفقراء والمحاجين.

في مالي وساحل العاج



استفاد من هذا البرنامج الإنساني إضافة إلى العاصمة بماكو كل الأقاليم من: كولوكورو، ومدينة سيقو، وسيكاسو، وغاوو، وتمبكتو، وكاي، ومبتي، حيث تم توزيع كميات من الأرز والسكر، كما تم إعداد موائد إفطار للصائمين بمسجد جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لمدة خمسة عشر يوماً بمعدل 250 وجبة يومياً، وكذلك بالمساجد الكبرى بالأقاليم المذكورة أعلاه، وتم توزيع إفطار الصائم للمهتدين بالقرى المجاورة للحدود المالية العاجية، وبمراكز المهتدين بإقليم كولوكورو، والجمعيات النسائية والأرامل والأيتام والمعاقين، كما تم توزيع مواد غذائية على الأسر المحتاجة في أقاليم جمهورية مالي، وساحل العاج (بكل من أبيدجان ومدينة دالوا).

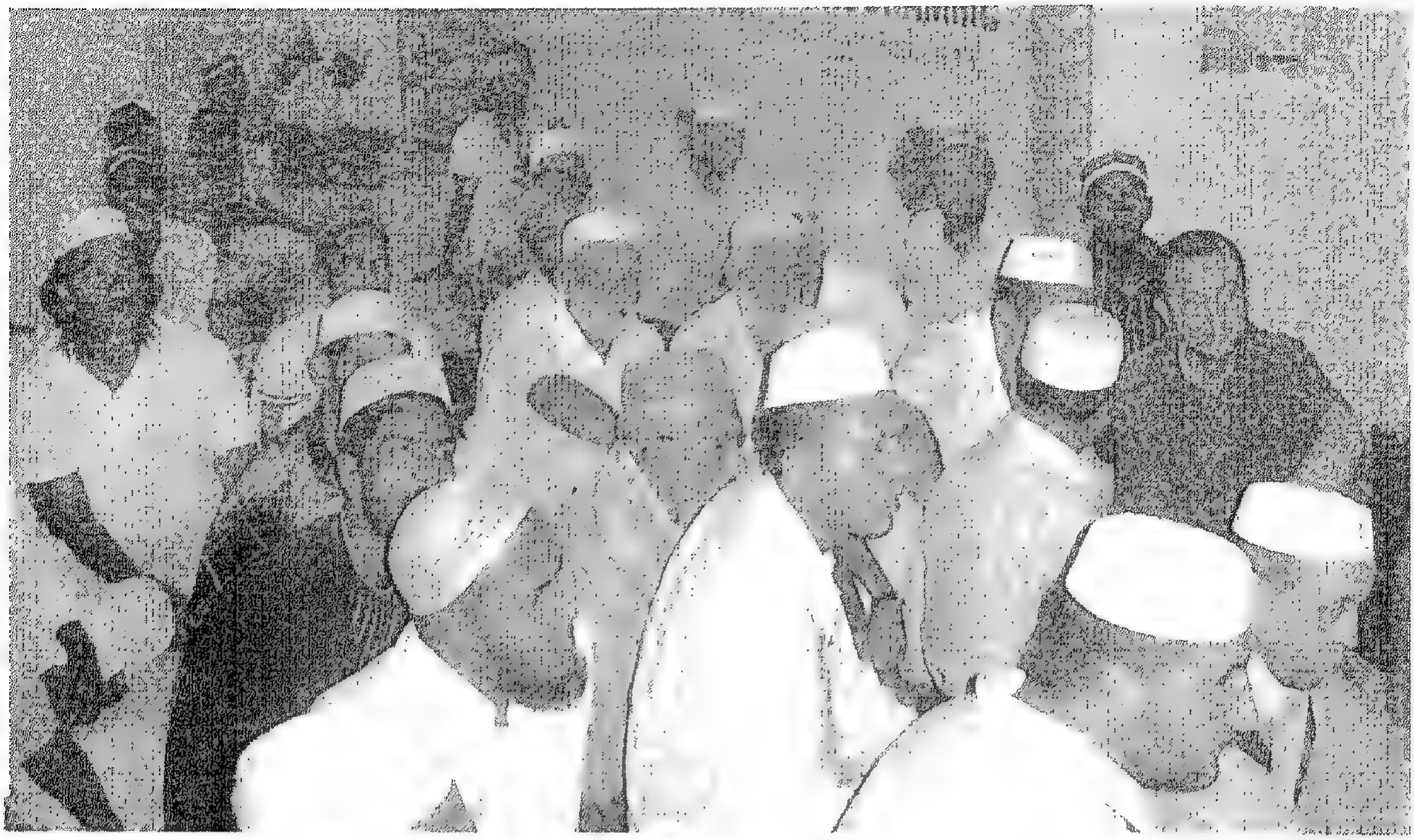






في سريلانكا

نظّم مكتب الجمعية مائدة إفطار بالمسجد الجامع بحي «كاماتشودا» بمدينة «نيقامبو» وقد استضاف الإفطار الجماعي الذي أقيم بمسجد حي «كاماتشودا» حوالي خمسمائة مسلم فقير قاطن بتلك المنطقة، إلى جانب رئيس وأعضاء لجنة إدارة المسجد ودعاة الجمعية وأساتذة وطلاب دار العلوم السليمية، حيث ألقى الداعية «قمر الزمان محمد طاهر» كلمة بالمناسبة قدّم فيها نبذة عن الجمعية والمناشط المختلفة التي تقوم بها لصالح الإسلام والمسلمين في سريلانكا، وقد أشاد أهالي حي «كاماتشودا» بهذا البرنامج الإنساني، مثمنين الجهود التي تبذلها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومؤسسها قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية في نصرة قضايا المسلمين في العالم بصفة عامة وسريلانكا خاصة. هذا وقد أمّ المقرئ الموفد من قبل الجمعية إلى سريلانكا هذا العام جموع المصلين في صلوات المغرب والعشاء والقيام.





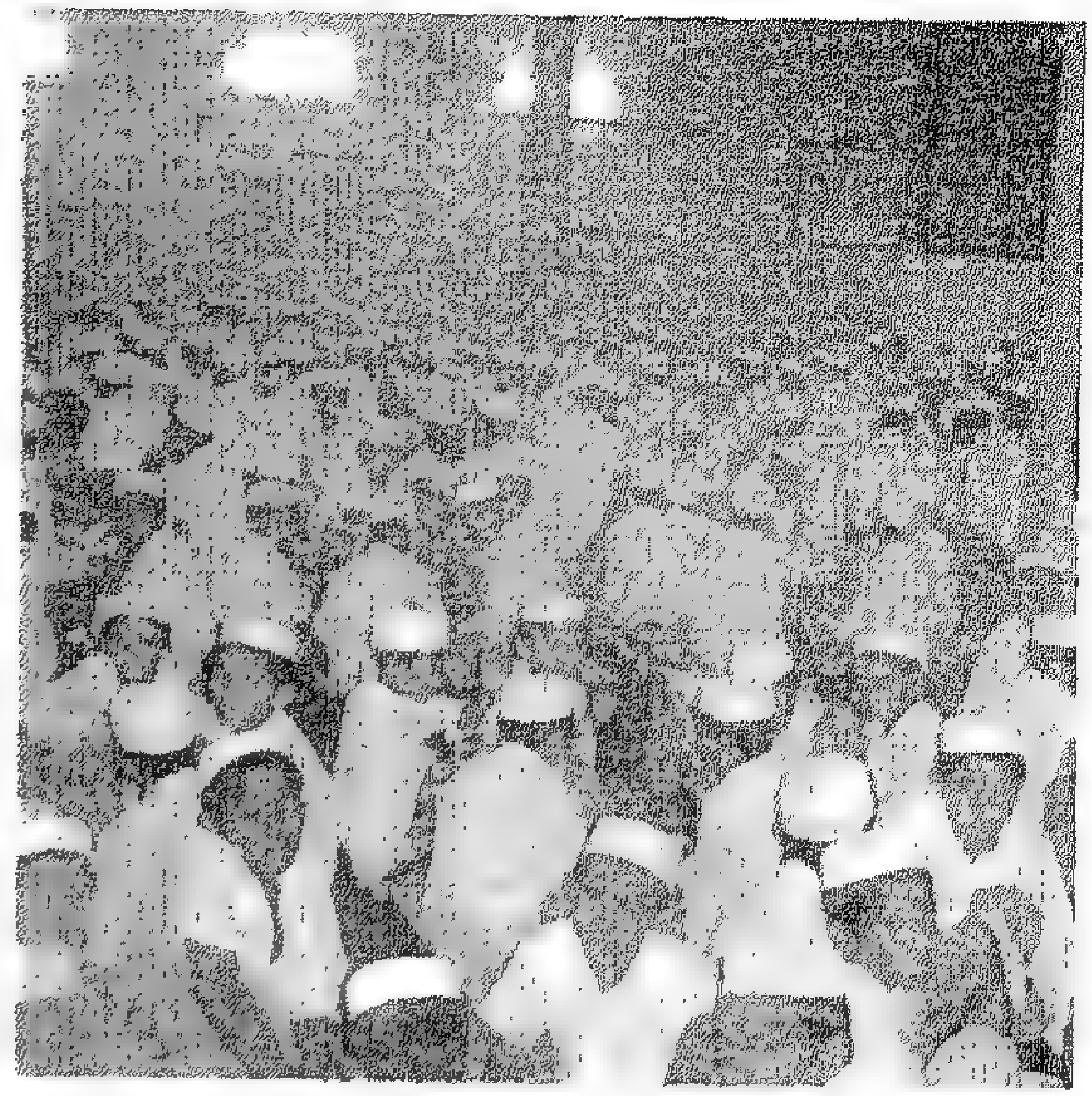
أكثر من 1400 أسرة يستفيدون من برنامج إفطار الصائم

كما نظّم مكتب الجمعية في سريلانكا، وجبة إفطار للسجناء بسجن (new magazine) الذي يوجد به حوالي ثلاثمائة وخمسين سجيناً مسلماً، وأربعين إمرأة مسلمة، وقد حضر البرنامج رئيس وأعضاء المجلس الوطني لجمعيات الشبان المسلمين ومسؤول السجن وعدد من ضباط الشرطة، ومندوب ودعاة الجمعية، والقارئ الذي أوفدته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية إلى سريلانكا هذا العام، هذا وقد قامت الإذاعة المسموعة الحكومية بنقل مباشر لهذا البرنامج من داخل السجن ضمن البرنامج الذي يتابعه المسلمون في سريلانكا والجنوب الهندي (تاميل نادو)، حيث بدأ البرنامج بتلاوة آيات بينات من القرآن الكريم ألقى بعدها الشيخ «يوسف نجم الدين» رئيس جمعية خطباء المساجد كلمة قدّم فيها النصيحة للسجناء وطلب إليهم التوبة والعودة إلى المجتمع

وأن يقدموا نموذجاً صالحاً للمسلمين في سريلانكا.

ثم تحدث مندوب الجمعية فأشار إلى أن هذا البرنامج الذي تقدّمه الجمعية منذ سنوات طويلة يهتم بكافة شرائح المجتمع من فقراء ومحتاجين ولاجئين وسجناء، ويهدف إلى تقوية الشعور بالوحدة والأخوة بين المسلمين، مطالباً السجناء بالتوبة وأن الله يقبل توبتهم، ثم ألقى رئيس المجلس الوطني لجمعيات الشبان المسلمين كلمة قدّم فيها شكره وتقديره للجمعية على مساعداتها في برنامج إفطار الصائم للسجناء، وقد أمّ المقرئ الموفد من قبل الجمعية جموع المصلين في صلاة المغرب.

❖ وفي حي ماليقاوتا بالعاصمة كولومبو وهو من الأحياء التي تكتظ بالمسلمين الفقراء، وزعت مواد غذائية على (500) خمسمائة أسرة مسلمة فقيرة، وقد عبّر رئيس المجلس الوطني لجمعيات الشبان المسلمين عن تقديره وشكره لهذا البرنامج الذي يضفي على المسلمين الفقراء البهجة والسرور خلال الشهر الكريم. كما تم توزيع كميات من المواد الغذائية على (400) أربعمائة أسرة فقيرة بحي ديماتيقودا أحد







الأحياء بضواحي العاصمة كولومبو، وقد حضر هذا البرنامج رئيس وأعضاء جمعية الشبان المسلمين، هذا وأشاد رئيس جمعية الشبان المسلمين بالبرنامج مشيراً إلى أنها ليست المرة الأولى التي تقوم فيها جمعية الدعوة بتقديم مساعداتها الإنسانية إلى المسلمين الفقراء في سريلانكا خلال شهر رمضان، فلقد تعودنا على هذه البرامج منذ سنوات عديدة، وأضاف أن هناك العديد من المساعدات التي تقدمها الجمعية لمسلمي سريلانكا في كافة المجالات.

❖ وبمدينة كورنجلاء (حي أبو جاكاجاما) تم توزيع مواد غذائية على خمسمائة أسرة، وحضر هذا البرنامج عضو بلدية المقاطعة نيكاويراتيا ورئيس وأعضاء لجنة مسجد محيي الدين وإمام وخطيب المسجد ودعاة الجمعية، وقد عبّر رئيس لجنة مسجد محيي الدين باسم أهالي حي أبوجاكاجاما عن شكره وتقديره لقائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية للجهود التي يبذلها في خدمة الإسلام والمسلمين، مقدماً شكره للجمعية على هذه اللفتة الكريمة للأسر الفقيرة والمحتاجة خلال الشهر الكريم.









من نشاط الجمعية في دمشق

اهتمام إنساني

في دمشق نظّم مكتب جمعية الدعوة الإسلامية العالمية برنامجه السنوي لإفطار الصائم، الذي شمل عدداً كبيراً من الجمعيات التي ترعى الأيتام والأرامل وأسر المساجين، وتضمن البرنامج توزيع كميات كبيرة من المواد الغذائية على نزلاء السجون وعلى منتسبي الجمعيات، كما تم تقديم وجبات لنزلاء بعض الجمعيات الأخرى، وقد استفاد من هذا البرنامج ما يقرب من ثلاثة آلاف شخص.

في جمهورية غانا

نظّمت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، تحت إشراف مكتبها بالعاصمة أكرا، موائد إفطار بمختلف أقاليم البلاد. واشتمل البرنامج الذي أشرف عليه دعاة الجمعية وعدد من قيادات العمل الإسلامي في غانا على إقامة تجمعات في نحو ست عشرة منطقة. وكان نائب رئيس جمهورية غانا قد استقبل القراء، حيث عبَّر عن تقديره للاهتمام الذي يوليه الأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية بالإسلام والمسلمين في أنحاء العالم. كما عبّر خلال استقباله للقراء الذين أوفدتهم الجمعية لإحياء أيام وليالي رمضان المبارك بغانا، عن امتنانه لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، لإرسالها القراء إلى بلده لإحياء هذا الشهر، متمنياً لهم التوفيق في مهمتهم والإقامة الطيبة في ربوع غانا، ومن جهتهم عبر الإخوة القراء لنائب الرئيس عن امتنانهم لهذا الاستقبال الذي حظوا به من قبله. وقد اختتم اللقاء بتلاوة آيات من الذكر الحكيم، تلاها أحد القراء.

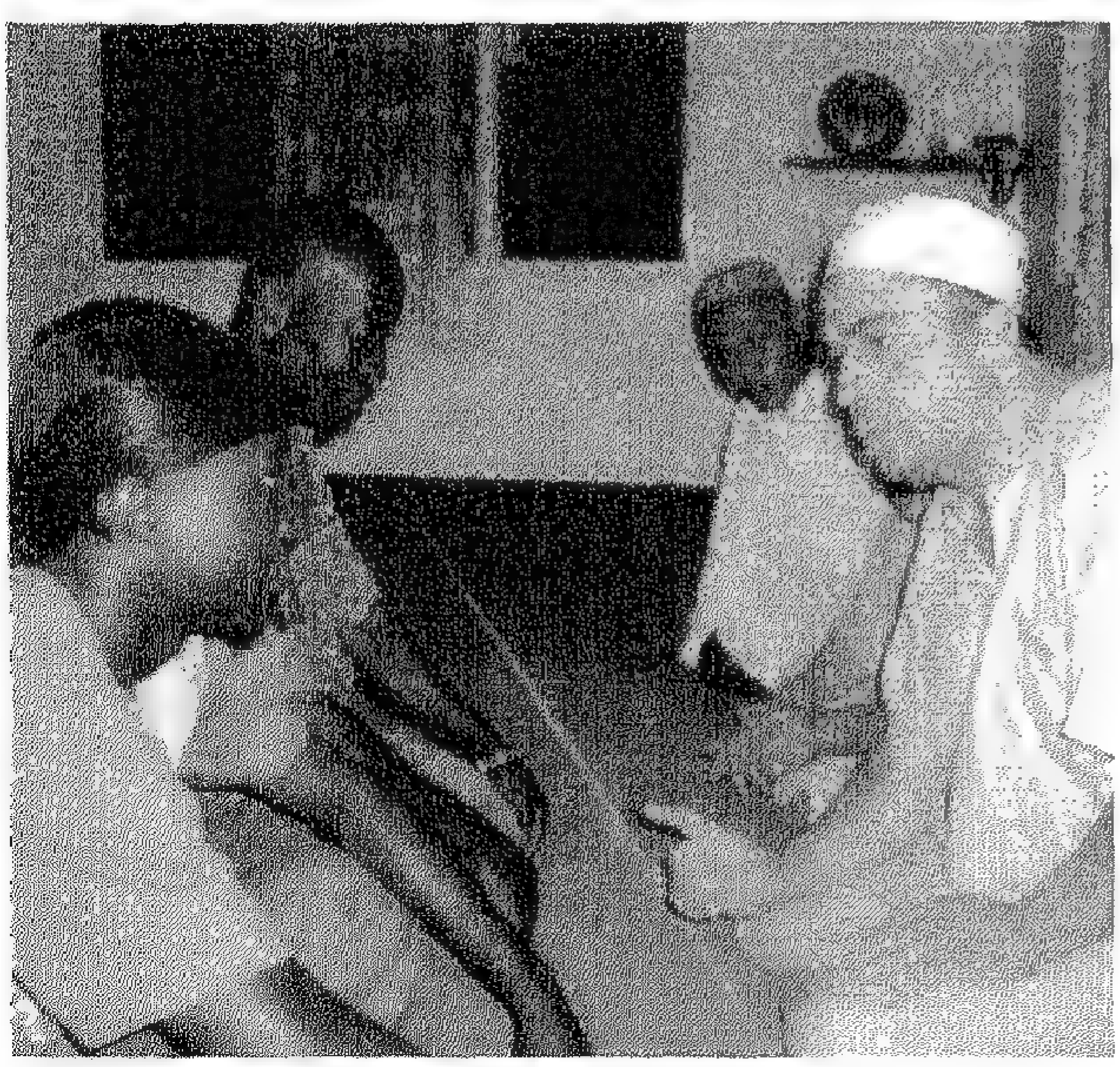
في سورينام

وفي سورينام عبّر وزير الداخلية والشؤون الدينية في حكومة سورينام عن تقديره وامتنانه لحرص جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، على ربط الصلة وتعزيز أواصر الأخوة مع المسلمين، والإطلاع على أحوالهم في كل مكان. وقال خلال استقباله لمندوب ودعاة الجمعية والقارئ الذي أوفدته الجمعية إلى سورينام لإحياء شهر رمضان: «إنّ اهتمام الجمعية بالمسلمين بسورينام وإيفادها القراء وإقامة موائد الإفطار طيلة شهر رمضان بمساجد البلاد يعد خطوة طيبة في اتجاه ربط الصلة وتوطيد العلاقات بين المؤسسات الإسلامية في سورينام والجمعية»، مؤكداً أن كل ذلك يرفع من معنويات المسلمين السوريناميين ويقوي صلتهم بإخوانهم المسلمين في كل مكان لا سيما في الجماهيرية العظمى، مشيداً بما تقدمه الجمعية من دعم ومساعدة للشعب السورينامي وخاصة المسلمين منهم من مختلف المجالات والميادين، ومن جهة أخرى قام مندوب الجمعية والدعاة والقارئ بزيارة إلى نزلاء المستشفى الأكاديمي الحكومي بالعاصمة للاطلاع على أحوالهم الصحية.

في اطار المناشط والعمل الاسلامى خلال شهر رمضان المبارك لمكتب الجمعية فى سورينام، وتنفيذا لبرامج جمعية الدعوة الاسلامية العالمية في شتى المناحي خلال هذا الشهر الكريم، قام مندوب الجمعية رفقة القارئ الموفد من قبل الجمعية إلى سورينام ودعاة الجمعية، بزيارة إلى السيد حسن كان وزير الداخلية والشئون الدينية في حكومة سورينام، بالمستشفى الأكاديمي الحكومي بالعاصمة باراماريبو، وذلك للاطلاع والاطمئنان على صحته، والدعوة له بالشفاء الكامل، بعد تعرضه لوعكة صحية ألزمته الإقامة في المستشفى.

وقد عبّر الوزير السورينامي عن تقديره وامتنانه لهذه الزيارة التي تؤكد حرص جمعية الدعوة الإسلامية العالمية على ربط الصلة الوثيقة والتعامل الحسن مع المسلمين، والاطلاع على أحوالهم. مبيناً أن اهتمامها بالمسلمين في سورينام وإيفادها القراء خلال شهر الصيام لاطلاعهم على كتاب الله وحفاظه، وإقامتها موائد افطار الصائم طيلة الشهر الكريم في مساجد البلاد؛ يعد خطوة طيبة نحو ربط الصلة بين المؤسسات الإسلامية في سورينام وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، من أجل الرفع من شأن المسلمين السوريناميين، وربط صلتهم بإخوتهم في كل مكان، خاصة مع نظرائهم في الجماهيرية، لما يقدمونه لهم من أعمال ومساعدات شملت العديد من المناشط الصحية والاجتماعية والتعليمية والثقافية.

كما قام مندوب الجمعية والقارئ الليبي ودعاة الجمعية بزيارة مماثلة للمرضى في المستشفى والاطلاع على أحوالهم الصحية والدعاء لهم بالشفاء العاجل خلال هذا الشهر الكريم.



اثنان من المهتدين إلى الإسلام يشهران إسلامهما



من موائد الرحمن - مالطا

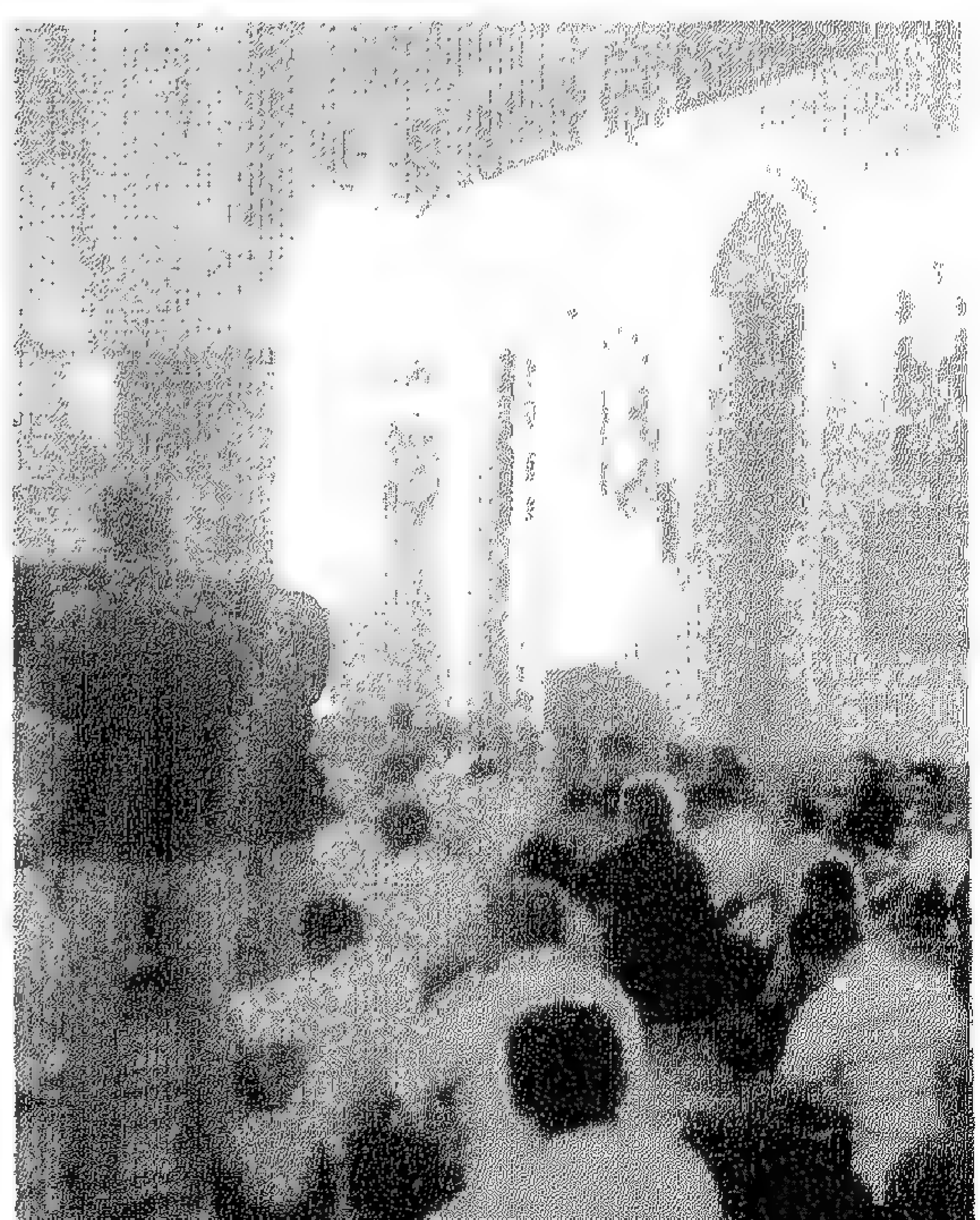
برنامج مكثف بمالطا

في مالطا انطلق البرنامج الرمضاني بوصول القراء الأربعة الذين أوفدتهم الجمعية إلى مالطا، وذلك لإمامة المصلين في صلاة القيام والأوقات الأخرى، وإلقاء دروس الوعظ وتلاوة القرآن الكريم، مما ترك الأثر الطيب في نفوس المصلين والجالية المسلمة، مثمنين الدور الذي تضطلع به جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في سبيل نشر الإسلام وخدمة المسلمين في كل مكان.

تجدر الإشارة إلى أنه لأول مرة يتم إيفاد قراء من قبل الجمعية إلى مالطا.

أقيمت بالمركز الإسلامي صلاة العيد، حيث اكتظ بأبناء الأقلية المسلمة والمقيمين المسلمين على الساحة المالطية (رجال، نساء، أطفال)، ما اضطر المصلين إلى تأدية الصلاة بالممرات والساحات الخارجية للمركز.

وألقى إمام وخطيب المسجد خطبة العيد التي



إيمان وصلاة وخشوع



[illegible] . في هذا المسجد أدى المسلمون صلاة العيد



أطفال المسلمين... فرحة العيد بمالطا



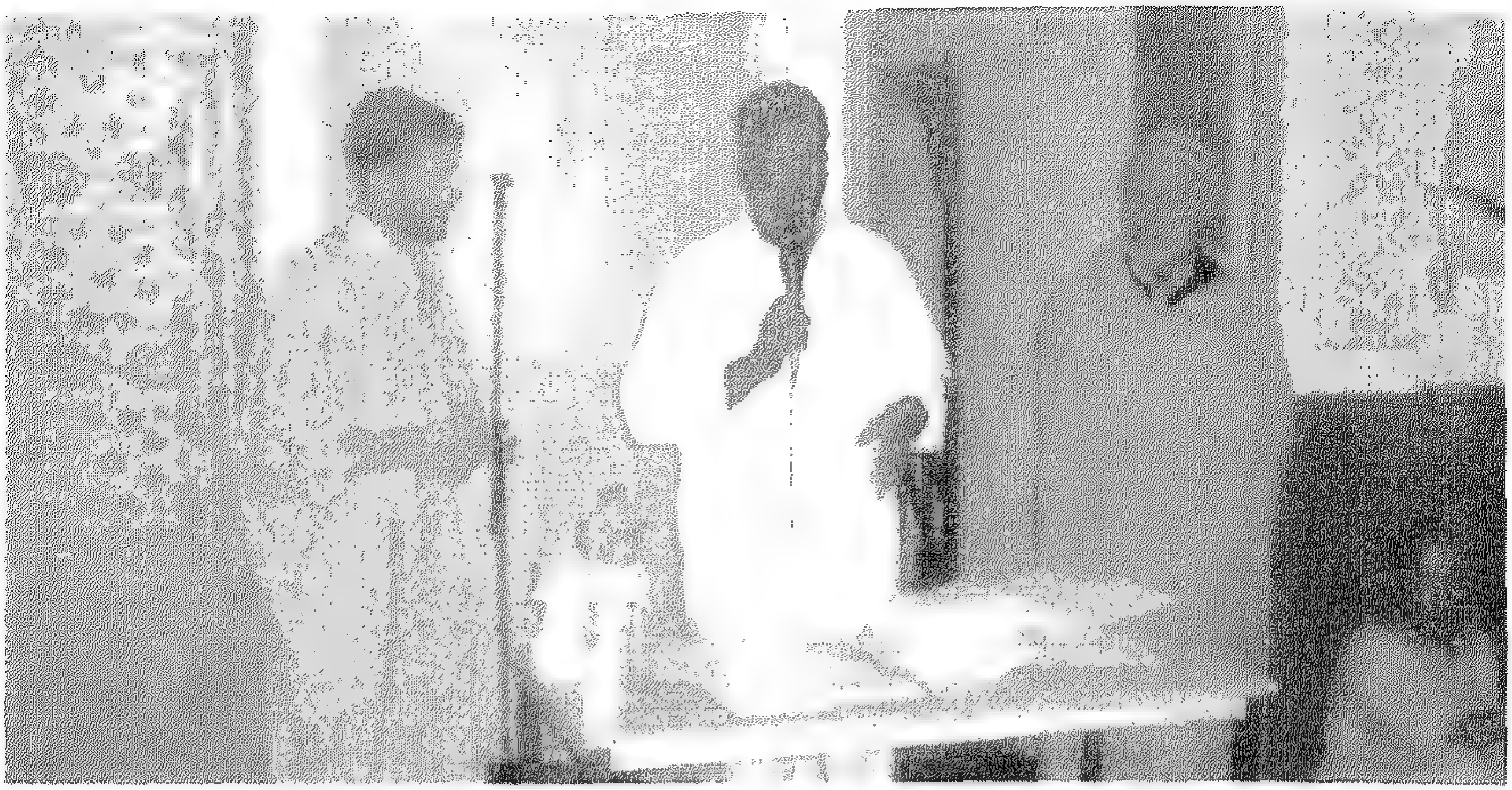


تحدث فيها عن معاني شهر شوال وعيد الفطر والتي تنم على فرحة المسلمين وتدعوهم للتزاور، والتآخي، والتسامح وتبادل التهاني والعطف على الفقراء والمحتاجين واليتامى والمساكين وخاصة كبار السن والأطفال كما كان يفعل رسول الله محمد ﷺ.

تبادل بعدها المصلون التهاني بهذه المناسبة العظيمة، وعمّت الفرحة الجميع، ووزعت فيها الحلوى للأطفال والحلويات والتمور والحليب ابتهاجاً بالعيد السعيد.

أوغندا.. للعيد حضور مميز

وفي أوغندا التي احتفلت قبل بضعة أشهر بافتتاح مسجدها الجامع «مسجد القذافي الوطني»، أقام مكتب الجمعية تحت إشراف الدعاة التابعين للجمعية، في عشرات التجمعات في مختلف مناطق أوغندا، موائد إفطار الصائم، إلى جانب تسيير قوافل التراحم إلى العديد من المناطق لتوزيع كميات من المواد



الغذائية على الأسر الفقيرة، إلى جانب تقديم مساعدات لبعض المؤسسات الاجتماعية.

ويبقى اللافت في هذه التظاهرة الرمضانية، صلاة العيد التي أداها المسلمون الأوغنديون لأول مرة بالمسجد الجامع الذي لم تنقطع عنه على مدى الشهر الكريم موائد الإفطار، ليظل عامراً بأفواج المصلين وحلقات الدرس وصلاة القيام، وتلاوة القرآن الكريم، بصوت أحد المقرئين الذين أوفدتهم جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وكانت الجمعية أوفدت ثلاثة مقرئين، حيث أمَّ الآخران المصلين في مسجد «لونداغيا» والثاني في مسجد «نكاسيرو».

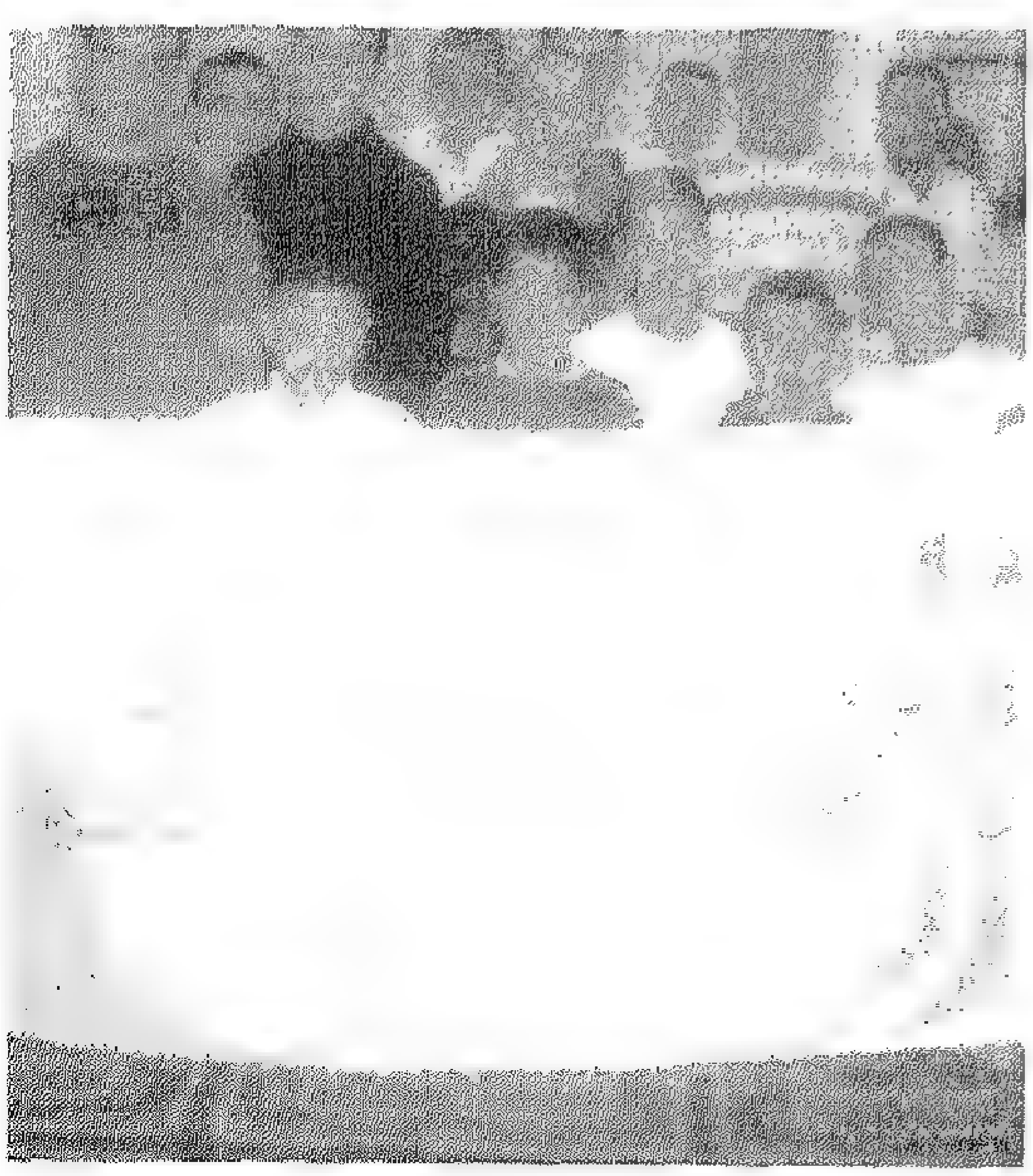
وقد أقام مكتب الجمعية مراكز لتوزيع المساعدات الغذائية على المحتاجين والفقراء من الرجال والنساء خاصة الأرامل والأطفال اليتامى.

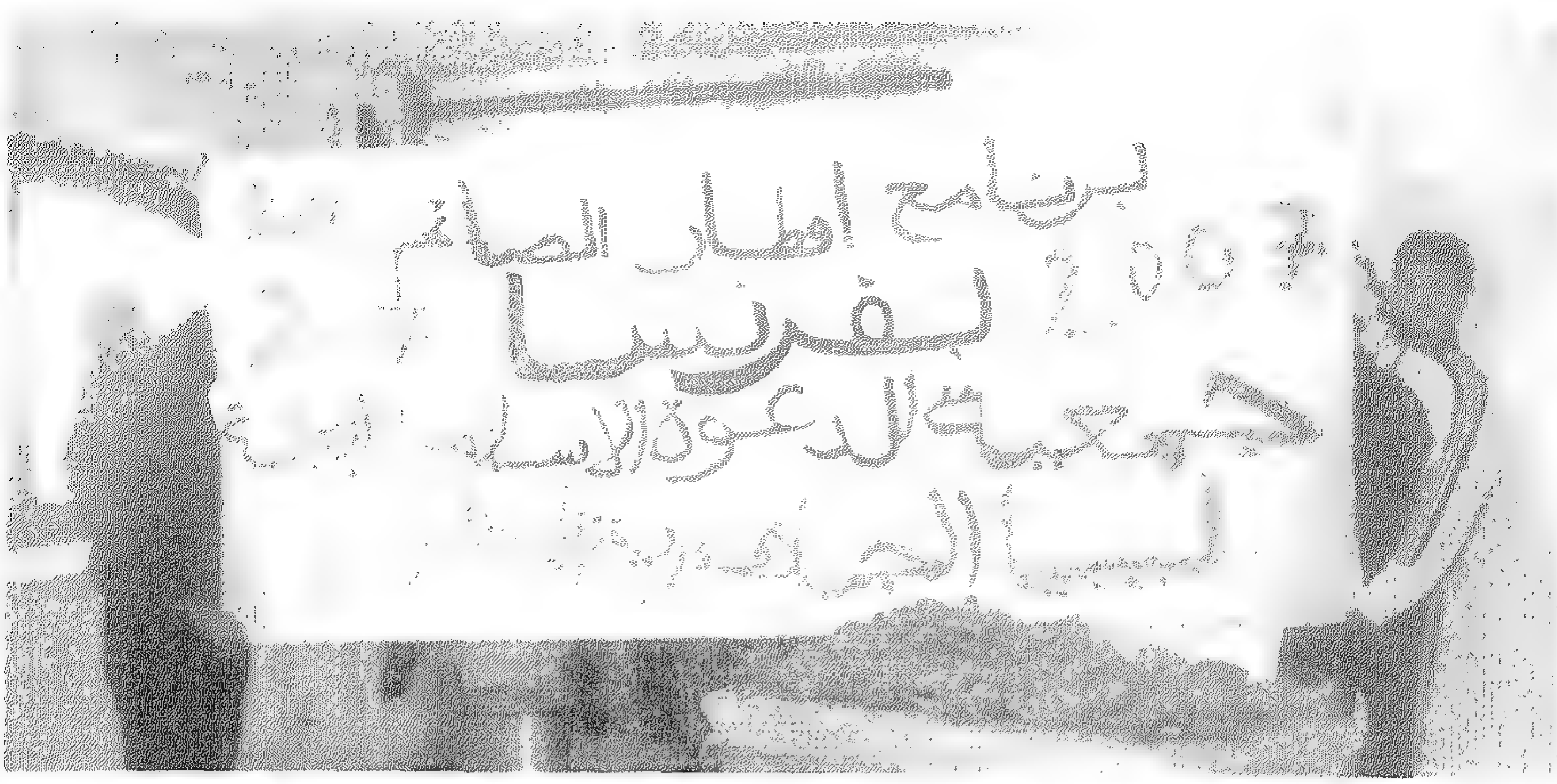
وقد احتضن المسجد الجامع صلاة العيد، حيث تقاطرت أفواج المصلين رجالاً ونساءً وأطفالاً، ازدحمت بهم قاعات الصلاة على سعتها «تسع نحو عشرة آلاف مصلي»، مما اضطر المصلين إلى الصلاة في الممرات، وجانب المسجد ومحطة السيارات وامتدت صفوف المصلين حتى الشارع الرئيسي.

وقد تحدث لأول مرة أحد وزراء أوغندا، الذي نقل التهاني بالعيد للمسلمين.

خمسة مساجد تستضيف موائد الإفطار

وفي فرنسا أحيا المسلمون ليلة القدر في المساجد التي أقيمت فيها تجمعات لإفطار الصائم، حيث استضافت مائدة الإفطار بمسجد الرحمة في مدينة «لوبوى»، عدداً من الشخصيات الفرنسية والمسلمة،









من بينهم رئيس المجلس الجمهوري، ورئيس الجمعية الثقافية للمغاربة، ورئيس جمعية الإخوة بولاية «لوفيغن»، وبعض الفاعليات الاقتصادية وعدد من الأطباء والأساتذة.

كما أقيمت بمسجد الرحمة، مسابقة قرآنية شارك فيها «70» طالباً وطالبة، وكانت فاعليات البرنامج الرمضاني قد انطلقت، في خمس مناطق، هي مدينة «لويوى»، وولاية «لوفيغن»، ومدينة «اليون»، و«مارسيليا»، و«كليرمو».

موفد خاص للبرنامج الرمضاني

وفي جزر القمر، غطى برنامج إفطار الصائم مناطق بنغوكوني، وافواني، ونساوين، بالإضافة إلى العاصمة ماروني.

وقد اشتمل عمل إقامة موائد إفطار جماعي، إلى جانب توزيع مواد غذائية جافة بما يساهم في توفير وجبة إفطار على مدى الشهر لأسرة مكونة من «5» أفراد.

كما أقيمت بفندق الماروني مأدبة إفطار لعدد 85 شخصاً تقريباً، وذلك برعاية معالي وزير الشؤون الإسلامية والإعلام بجمهورية جزر القمر المتحدة، حضرها عدد كبير من المسؤولين الحكوميين وعدد من العلماء والنواب وممثلي المنظمات الدولية والإقليمية العاملين في جزر القمر.



خدمة الإسلام دينا وثقافة وحضارة

المجلس العالمي للدعوة الإسلامية يعقد دورته الثامنة عشرة بماليزيا

| إعداد: التحرير

عقد المجلس العالمي للدعوة الإسلامية دورته العادية الثامنة عشرة بالعاصمة الماليزية كوالالمبور، خلال الفترة من 16 إلى 18 من شهر ناصر 1375 من وفاة الرسول ﷺ (يوليو 2007 مسيحي) بحضور الأمين العام والمقرر العام وأعضاء المجلس، وبرعاية وحضور داتو سري عبد الله أحمد بدوي رئيس وزراء ماليزيا، وتان سري دكتور عبد الحميد عثمان المستشار بمكتب رئيس الوزراء للشؤون الدينية وعدد من أعضاء البرلمان الماليزي ورؤساء المنظمات والهيئات الإسلامية بماليزيا، وعدد من العلماء والمفكرين وأساتذة الجامعات وبعض أعضاء السلك السياسي المعتمدين بماليزيا، كما حضر جلسة الافتتاح السيد روبيرتو كونزاليس مستشار رئيسة جمهورية الفلبين



داخل قاعة الاجتماعات

الأمين العام للمجلس:

خدمة الإسلام دينا وثقافة وحضارة

وفي جلسة الافتتاح ألقى أمين عام المجلس العالمي للدعوة الإسلامية كلمة نقل في مستهلها تحيات الأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، إلى السيد بدوي وإلى شعب وحكومة ماليزيا، مثنياً على دور الأخ القائد في تأسيس جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وتخصيص وقفية لها، ودعمه لكل جهد يهدف إلى خدمة الإسلام ديناً وثقافة وحضارة، معربا في كلمته عن جزيل الشكر إلى ماليزيا شعباً وحكومة لاستضافتها أعمال الدورة الثامنة عشرة للمجلس العالمي للدعوة الإسلامية، منوها بالترحيب الذي أبداه مسؤولوها وفي مقدمتهم رئيس الوزراء بأن تستضيف كوالالمبور هذه الدورة وللمرة الثانية بعد أن استضافت الدورة العاشرة للمجلس عام 1991 مسيحي، مشيراً إلى أن عقد المجلس العالمي للدعوة الإسلامية لدوراته في دول متعددة كان فرصة لتواصل مباشر بين أعضائه وبين الفعاليات الثقافية والفكرية في تلك الدول، مقدراً في أعضاء المجلس حرصهم على حضور هذه الدورة والحرص على المشاركة الفاعلة في أعمالها.

وأوضح الأمين العام للمجلس في كلمته أن تطبيق الاجتهاد هو الذي يجعل المسلمين على معرفة بما يدور في العالم الإسلامي، وكيف يتجاوبون مع مختلف الأحداث والتحديات، مبينا أننا في جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لا نعتبر أنفسنا مصدرا للفتوى ولا أوصياء على الثقافة الإسلامية، مشيرا إلى أن المجلس العالمي للدعوة الإسلامية قد درج على عقد دوراته في مختلف مناطق العالم، من أجل التواصل مع هذه المجتمعات، وإعطاء الفرصة للعلماء والمثقفين في هذه المناطق للالتقاء بأعضاء المجلس والمشاركة في فعالياته، هذا من جهة، ومن جهة أخرى اطلاع أعضاء المجلس على واقع هذه المجتمعات، بهدف زيادة تفعيل برامج العمل الإسلامي بمختلف جوانبه الدعوية والثقافية والعمل الإنساني.

وبيّن أمين عام المجلس أننا اخترنا آلية انعقاد

المجلس في عدة دول، بهدف إشراك العلماء المسلمين والمثقفين في فعاليات هذه المجالس، لتفعيل الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، كما يتم فيها الحوار مع الآخرين من غير المسلمين من الدول المختلفة، وتوحيد جهود الإنسان كخليفة في هذه الأرض، فنحن جميعاً خلقنا الله سبحانه وتعالى ونعيش في نعمائه، وهو الذي أكرمنا.

موضحاً أن المبادئ الأساسية للإسلام لها علاقة بالبشرية جمعاء فيما يتعلق بعلاقاتهم فيما بينهم، سواء فيما بين المسلمين أنفسهم أو بين المسلمين وغيرهم، مشددا على أهمية الفهم الصحيح لرسالة الإسلام كما جاء بها النبي محمد ﷺ، مشيراً إلى أهمية عقد هذا الاجتماع في ماليزيا، بما يتيحه من فرص للاطلاع على تجربة رائعة، ولا سيما فيما يتعلق بمفهوم التعايش، وكذلك تطور المجتمع المسلم في هذا البلد، سواء من الناحية الاقتصادية أو الثقافية أو غير ذلك.

مضيفًا: لقد شهدنا كثيراً من التجارب في العالم أجمع، ولقد زرت هذا البلد كثيراً، وكانت لي فرصة اللقاء مع القياديين فيه، وأثمن عالياً الجهود التي تبذلها الحكومة الماليزية، وكذلك ما يبذله شعبها لخدمة بلدهم بغض النظر عن الخلفيات الدينية أو العرقية. وهذا نراه في العطاء الذي يقدمه العلماء المسلمون الذين يعملون يداً بيد مع الآخرين حتى ولو كانوا من عرقيات أخرى أو من أتباع عقائد أخرى في هذا البلد، وهذا مهم جداً بالنسبة لنا، وهو أننا ـ نحن المسلمين ـ نحمل رسالة كما حملها صاحبها الأول النبي محمد ﷺ، نحملها لكل الناس بغض النظر عن أية خلفيات، فنذهب إلى أماكن مختلفة للتعلم من الآخرين، ومن تجارب الأمم كلها منذ العصور الأولى، وأنتم أعضاء المجلس العالمي للدعوة الإسلامية تعلمون الوصية القائلة (أطلبوا العلم ولو في الصين). فنحن المسلمين ليس لدينا أي تردد تجاه الاستفادة من الآخرين مهما كانت عقائدهم أو أعراقهم أو ثقافاتهم، ولنا اتصال بهم، ومن خلال هذا الاتصال يتمّ تبادل المعلومات والثقافة فيما بيننا وبينهم.

إن لدينا قيما عظيمة ليس من المفروض أن تكون معلومة لنا، بل يجب أن نشارك الآخرين في تعلمها ومعرفتها ونشرها بالحكمة، وإن الله سبحانه وتعالى هو الذي يهدي من يشاء، قال تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [سورة القَصَص، الآية: 56]

مضيفًا: فالله وحده هو الذي يهدي كما يشاء، ونقرأ قوله تعالى:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [سورة البَقَرَة، الآية: 256]

تعاون الجمعية مع اليونيسكو بدأ منذ أكثر من ربع قرن

وأوضح الأخ الأمين العام للمجلس أن الإسلام يثير ويخاطب العقول ولكن الهداية بيد الله، مبينا أن البعض يظن أنه يمكنه أن يجبر الآخرين على رأيه ومعتقده، موضحاً أن هذا التصرف والسلوك بإجبار الآخرين على الإسلام، هو تصرف غير مقبول وخاطئ لأنه يجب أن نحترم عقول الآخرين، وهذه الظاهرة التي ظهرت عند المسلمين وهي ظاهرة التطرف أدت إلى الغلو والاعتداء على الآخرين، داعيا إلى التفكر في القرآن الكريم وما جاء في رسالة النبي ﷺ، وأن لا ننسى أنه لم يجبر أحداً على اعتناق الدين، فكيف بنا الآن نأتي في هذا الوقت ونجد من يريد أن يجبر الآخرين. ونعتقد أن هذا الإجبار هو أحد المشاكل أو التحديات القائمة اليوم، والتي أدت إلى الكثير من المشاكل.

وعندنا مشاكل أخرى كثيرة، فهناك التخوف من الإسلام أو (فوبيا ـ الإسلام) وهذا يتم بمحاولة تشويه صورة الإسلام عن طريق العنف، وكذلك الفهم



حضور مكثف

الخاطئ لقيم الإسلام، ونحن نعلم أن تشويه صورة الإسلام تأتي من أشخاص محدودين من غير المسلمين، ولكن لا نقبل بأن يشوه المسلمون أنفسُهم صورةَ الإسلام، وإن المسلمين حريصون على تعزيز فرص السلام ونشر روح التسامح، وذلك انطلاقا من قيم دينهم ورسالتهم.

وقال الأخ أمين عام المجلس: نعلم أن عقيدتنا وأفكارنا ورؤيتنا لا يمكن أن نجبر الآخرين عليها، وفي الوقت نفسه نرفض بشدة تشويه صورة الإسلام الناصعة التي أدت إلى عدم استقرار الوضع السياسي في العالم كله.

وأضاف: إذهبوا إلى التاريخ الحقيقي للإسلام وستجدون الصورة الحقيقية والناصعة للإسلام، وسترون كيف أن الإسلام التقى مع الحضارات الأخرى، ولم يكن هناك أي نوع من الإجبار أو فرض الرأي على الآخرين.

نحن في جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، نسعى إلى تعليم أنفسنا وغيرنا الطرق الصحيحة للدعوة الإسلامية من خلال القنوات الملائمة التي نحاول فيها إيصال الصورة الحقيقية للفهم الصحيح للدين الإسلامي، ونحن نفعل ذلك من خلال المدارس التي لدينا في كثير من دول العالم، ومن خلال العيادات الصحية، وكذلك من خلال التعاون مع مختلف الهيئات والمؤسسات الرسمية عبر دول العالم كله، وعن طريق الأمم المتحدة.

فعلى سبيل المثال لدينا تاريخ مشرف يمتد لأكثر من 25 سنة من التعاون مع اليونيسكو، والتي هي منظمة ثقافية تابعة للأمم المتحدة، فعندما وجدنا أن اليونيسكو قد نشرت سلسلة حول تاريخ العالم، ووجدنا أخطاء فيما يتعلق بالتاريخ الإسلامي؛ تعاملنا معها، وتعاونا معها لتصحيح تلك الأخطاء، وأتينا بصورة صحيحة تستند على أسس علمية وتقدم الفهم الصحيح للإسلام، بل هناك الآن مشروع لدائرة معارف عن طريق اليونيسكو لنشر قيم الحضارة الإسلامية، والعدد السابع من دائرة المعارف سيظهر مع نهاية هذه السنة.

كما أقمنا الكثير من الحلقات العلمية (السمنارات) بالتعاون مع مؤسسات مختلفة سواء اليونيسكو أو غيرها لإنشاء أسس علاقات جيدة مع الآخرين، مبنية على الفهم الصحيح للإسلام، ونتج عنها نتائج مشرفة جداً، رغم أنه في البداية كان هناك بعض من ينتقدنا، ولكن الآن الكثير وجدوا أنه لا يوجد بديل آخر للحوار مع المسلمين، ودون وجود أسس تتفق عليها لا يمكن إقامة مثل ذلك الحوار، فنحن نسعى لإرساء مثل تلك الدعائم، وذلك عن طريق الدعوة ومناهجها المختلفة، ولذلك نحن هنا في ماليزيا لا شك في أنها فرصة للحوار مع أنفسنا ومع الآخرين في مختلف دول العالم، لا نستطيع إلا أن نقيم الجهود للإسهام في استقرار عالمنا اليوم، ولكن هذا الاستقرار لا يتم إلا من خلال أناس التقوا من مختلف أنحاء العالم لحل مشاكلهم.

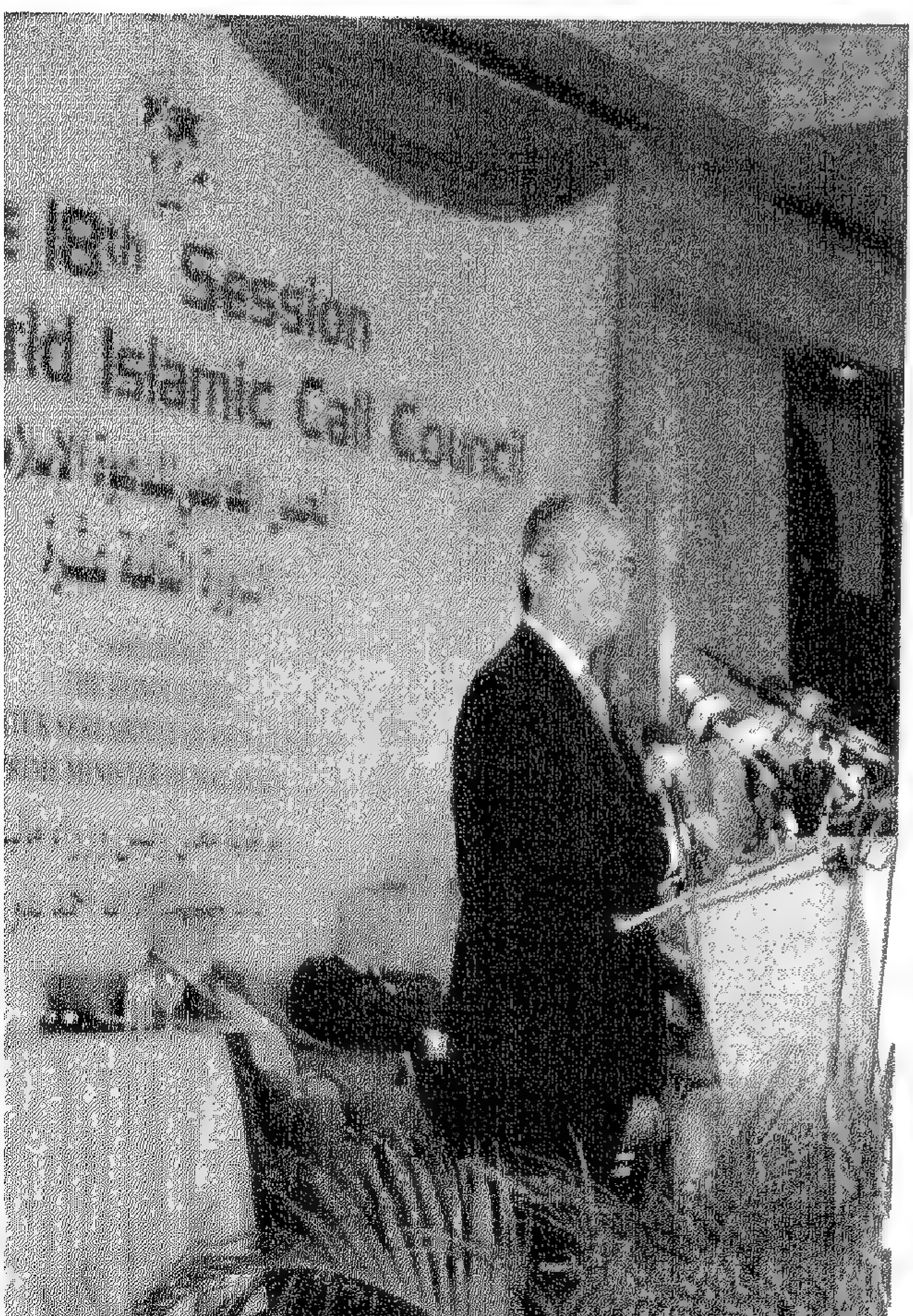
واختتم الأخ أمين عام المجلس العالمي للدعوة الإسلامية كلمته بالتأكيد على أن حل المشاكل بطريقة عادلة، لا يمكن أن يكون إلا من خلال الاحترام وبناء جسور التفاهم والتعاون لإعلاء قيم الحق والعدل والحوار والتعارف والتواصل، مشدداً على أهمية العمل بجد من أجل إظهار الصورة الجميلة العظيمة لديننا الحنيف، دين الإسلام.

وتحدث في حفل الافتتاح، السيد عبد الله أحمد بدوي رئيس وزراء ماليزيا، مرحباً في مستهل كلمته بأعضاء المجلس العالمي للدعوة الإسلامية، الذين جاءوا إلى كوالالمبور من بقاع مختلفة من العالم، لتدارس أمر الدعوة، المجال والميدان الذي يمكن أن يتم فيه الدفاع عن الإسلام، بتوضيحه للناس في بعده الإنساني وفي مبادئه المنحازة بلا تردد للحق والفضيلة والخير، مشدداً على ضرورة أن تكون الجهود المبذولة في ميدان التعريف بالإسلام بحجم الهجمة التي يتعرض لها، مؤكدا أهمية الأخذ بأسباب التقدم التكنولوجي باعتباره الوسيلة الأساسية لخلق تنمية حقيقية.

وجاء في كلمة رئيس وزراء ماليزيا مخاطباً أعضاء المجلس:

أريد أن أشارككم في بعض الأفكار التي لدي، وآمل أن يكون هذا اللقاء لقاء ناجحاً وموفقاً، وأود خلال هذا اللقاء مناقشة بعض التحديات المعاصرة التي يواجهها الإسلام وأعظمها ما وقع بعد أحداث سبتمبر والذي أدى إلى بروز ظاهرة جديدة يسميها البعض بـ(الإسلاموفوبيا) أو الخوف من الإسلام.

للأسف إن الإسلام تم الاعتداء عليه وتشويهه من قبل جهات أو منظمات لا تمثله ولا تمثل الفهم الصحيح للإسلام، فالصورة التي تعطى عن الإسلام للأسف أنه دين التطرف ودين الإرهاب ودين القتل، وأصبح البعض يشبه المسلمين ويصور الإسلام بـ (الأخطبوط



رئيس وزراء ماليزيا مخاطباً أعضاء المجلس

الأخضر)!! مكان (الأخطبوط الأحمر سابقاً) الذي يواجه العالم المتحضر.

ولكن نحن نعلم أن الإسلام ليس هو مصدر الكره والبغض، فنجد أن القرآن الكريم يدعو المسلمين إلى احترام العقائد الأخرى وأهلها، واحترام الآخرين من غير المسلمين.

التحدي الكبير والعمل العظيم

وهنا يبرز دور الدعوة الإسلامية لبذل الجهود لمواجهة تلك التحديات التي تواجه العالم الإسلامي اليوم، فقد أصبحت الدعوة ليس فقط دعوة غير المسلمين إلى الإسلام بل الحقيقة اليوم أن التحدي الكبير والعمل العظيم الذي على مؤسسات الدعوة القيام به هو الدعوة للصورة الصحيحة للإسلام، والفهم الصحيح للإسلام، وإزالة الشبهات وكل ما علق بصورة الإسلام الناصعة من أي شوائب، فتطهير تلك الصورة أصبح من الضروريات.

وأضاف: توجد للأسف قلة اهتمام ببعض الموضوعات في الإسلام والتي أدت إلى سوء الفهم. من تلك الأمور التفاعلات التي وقعت في العالم الإسلامي بخصوص الرسومات الساخرة ضد الإسلام ورسوله ﷺ، والتي صدرت من بعض غير المسلمين في السنوات الماضية، فإن ردود الفعل تجاه تلك الرسوم الساخرة لم تكن في المستوى المطلوب.

تطوير وتحسين فهم الآخرين للإسلام

وعبّر رئيس وزراء ماليزيا عن أمله في أن يتصل المسلمون بالأجناس والعقائد الأخرى عن طريق الحوار معهم وإيصال الصورة الصحيحة للإسلام بدلا عن الصورة المشوشة والمشوهة، فليس همنا فقط أن يزداد عدد الذين يدخلون إلى الإسلام، بل كذلك تطوير وتحسين فهم الآخرين للإسلام، وهي مهمة أخرى أمامنا. وفي ضوء التحديات المعاصرة التي ذكرتها هناك آلية عمل للقيام بتلك المهمة لمواجهة التحديات التي من ضمنها التطرف والغلو والإرهاب.

تطوير الذات وعمارة الأرض

موضحاً أننا اليوم نواجه خطرا قد نخسر بسببه الكثير من المكتسبات الدعوية وذلك بسبب تلك التحديات، ومن هنا يجب علينا في الدعوة إلى الإسلام التركيز على القضايا الحيوية والتحديات المعاصرة التي تواجه المسلمين، ومواكبة التطورات التقنية التي تحصل في العالم أجمع اليوم، كما يجب أن نحافظ على ألا يساء استعمال الدعوة في تحقيق أهداف سياسية. ولذلك يجب أن نركز على تطوير الذات وعمارة الأرض وإعطاء الأولوية للتطوير العلمي والتطوير التقني وسائر التطورات الأخرى التي نحن في حاجة إلى مواكبتها.

لا يمكن بناء الإنسان إلا من خلال المعلم الجيد.

وللأسف يعم الجهل كثيراً من بلاد العالم الإسلامي، وعدد الذين ينقصهم التعليم كبير جداً، فرغم ما يمثله المسلمون من عددية في العالم؛ لكن في المقابل هناك عدد كبير منهم لازال إلى الآن يرتع في الجهل، وهذا سيؤدي - بالتأكيد - إلى تأخير التطور، فالجهل من أعدى أعداء الأمم.

وأضاف: دائماً أسأل نفسي لماذا سبحانه وتعالى عندما اختار محمداً ﷺ ليكون نبياً ورسولاً لنشر الدعوة الإسلامية في كل العالم؛ لماذا كانت أول آية أنزلت عليه هي قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ﴾ [سورة العلق، الآية: 1]

إنها بالتأكيد شيء مهم جدا، تدل على المكانة التي يحتلها الإنسان، وأن الإنسان لكي يقوم على عمارة الأرض لا بدّ له أن يتعلم ويقرأ، حتى الأحكام الشرعية



من إحدى جلسات الإجتماع

لم تأت في البداية بل أتت متأخرة، فإذا كان هذا هو الذي أراده الله فإنني متأسف لأن أقول إن عدم المسؤولية هو الذي أدى بالمسلمين إلى التخلف. وإذا كنت لا أريد أن أصف هذا التخلف بـ (الجريمة) ولكنه الفشل الذريع على مستوى اتخاذ القرار لجعل المسلمين يتعلمون ويقرؤون ويكتبون ويتثقفون.

وأكد رئيس وزراء ماليزيا في كلمته أن الإسلام دين شريف، ودين عظيم، ونبيل كذلك، من خلال ما أنتجه العلماء المسلمون من أشياء ملموسة في التاريخ أفادت البشرية قاطبة، وإن المسلمين الأوائل لم يروا حرجا في أن يستفيدوا من الثقافات الأخرى. وإن القرآن الكريم يتحدث في كثير من الآيات عن أولي الألباب الذين يعلمون.. الذين يفكرون ويتفكرون فيمن خلق السماوات والأرض، هؤلاء هم أولو الألباب، ليسو فقط الفقهاء، إنهم أهل العلم وأهل الخبرة والعلوم التطبيقية، الذين يتفكرون في هذه الآيات الربانية، سواء كانت في الأفلاك أو النجوم أو غيرها.

فقدنا الطريق والبوصلة.. لماذا؟

إذاً... الذي خلق هذه الأشياء كلها هو الله سبحانه وتعالى، فنحن لا نحصي نعم الله تعالى، ولكن لماذا نفشل في أن نحقق ما نريد؟ لماذا؟!

لأننا لم نتعلم، نحن كنا كسالى جدا في طلب العلم في الوقت الذي يتقدم فيه الآخرون في كل المستويات وفي كل المجالات المبدعة، في التقنية وفي غيرها، نجد أن العالم الإسلامي يتخلف ويتأخر.

الإبداع ينطلق من عندنا، الامتياز والجودة من المفترض أن تكون عند المسلمين، لكن هذا كان في أوقات معينة، كما رأينا عندما فهم المسلمون الإسلام بشكل صحيح كانوا هم السادة والقادة والرواد، وفتحوا العالم بعلومهم، وقدّموا للعالم اجتهاداتهم التي استفاد منها العالم كله، فكثير من الذين أسسوا للعلوم سواء كان في ما يتعلق بعلوم الرياضيات أو علوم الفلك أو غيرها؛ سادتُها كانوا هم المسلمون. لكن يبدو أننا فقدنا الطريق والبوصلة.. لماذا؟ لأننا نختلف كثيراً

عن الذين سبقونا، لقد تغيرنا فتغير حالنا، ولا بد من تغيير العقول والقلوب ليحصل التغيير، لابد من تغيير الطرق، فإذا غيرنا من طرق تعاملنا مع الحياة، وإذا غيرنا من قلوبنا وأفكارنا، وغيّرنا من أنفسنا؛ فإن الله سيغير من حالنا. يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾

[سورة الرعد، الآية: 11]

هذا ما يقوله الله تعالى، فعندما نغير ما بأنفسنا سيتغير حالنا، ولقد منحنا الله كل الخير والفضل، وأمرنا بالعلم، وعندنا القيم العظيمة، ولكنه في الحقيقة تقصيرنا، إننا لم نضف إلى ما أبدعه السابقون، بل إننا قد فقدنا طريقنا، وهذا يخجلنا!!.

التغيير من جديد

الله عز وجل قد أعطانا نعماً كثيرةً، وخيراً، وكلفنا برسالة الريادة، وكنا أفضل الأمم، ولكننا لم نفلح في الإبقاء على تلك الحال التي تمثل الحضارة الإسلامية.

وأكد السيد عبد الله أحمد بدوي رئيس وزراء ماليزيا في كلمته أن التغيير من جديد كما يذكره القرآن هو تغيير النفس، فبسبب التغيير الذي حصل علينا تغير حالنا، عندما غيرنا حالنا إلى الأفضل كنا في حال أفضل، وعندما تغيرت نفوسنا تغير حالنا ولم نستطع أن نحافظ على ميراث الأجداد وعلى الميراث الحضاري للإسلام، لذلك فإننا الآن نعاني الكثير من المشاكل والتحديات.

كذلك من أسباب تخلفنا عن الركب أن تفعيل الاجتهاد لم يعد كما كانت عليه الحال في أيام الزهو والفخر والمجد، إنه من المهم جدا ـ إذا أردنا الخير للمسلمين ـ أن أؤكد على موضوع الجودة في التعليم، سواء على مستوى الأساتذة أو مستوى الطلاب فإذا لم يكن الأساتذة على المستوى المطلوب فماذا سيتعلم الطلاب؟! ولا يمكن بناء الإنسان إلا من خلال بناء المعلم الجيد.

وأشار رئيس الوزراء الماليزي إلى أن هذه خواطر أردت أن أشارككم بها ونحن الآن نحتفي في ماليزيا بمرور خمسين سنة على الاستقلال. إنه عندما نال أجدادنا الاستقلال كان تحقيق هذا الانتصار بفضل من الله أولا ثم للمسلمين وللأرض التي نسكن فيها، فلم يحتملوا أن يكونوا تحت سيطرة و هيمنة أي قوة خارجية.

> **أفضل شيء تحمله معك في الدنيا أو في الآخرة هو العلم.**

أردناها وحدة وطنية

عندما جاهدنا لتحقيق الاستقلال كان على أجدادنا المسلمين أن يعملوا على قيام تحالفات مع الآخرين من العقائد والأعراق الأخرى. كان علينا القيام بهذا لكي نتخلص من الاحتلال البريطاني، وكان علينا أن نتحد جميعا نحن أهل هذه البلد، وفي المقابل كانوا هم حريصين على أن نكون مشتتين ومختلفين، لكن نحن أردناها أن تكون وحدة وطنية مهما اختلفت العقائد أو الأعراق، فكان من أحد أسباب الاستقلال هو وحدة أناس هذا البلد، وكان على البريطانيين أن يمضوا في حالهم، ولكنهم أبقوا على صلة جيدة مع هذا البلد، وأصبح في أيدينا خيرات كثيرة مثل المطاط وغيره من الخيرات التي في هذا البلد، فكان تركيزنا من البداية على التعليم بعد الاتحاد والوحدة، لتعليم الناس وإعداد المتخصصين في كل المجالات لأجل إدارة هذا البلد، فكان علينا أن ننشئ كل المجالات والتخصصات العلمية، وقد فعلنا،

وكان علينا (أملزة) الخدمات الوطنية، أي يصبح كل العاملين في مختلف الوحدات والقطاعات المدنية، أن يكون المسؤول عليها ماليزيون من أهل هذه البلد، فكان الأداء الأول لأناسنا المثقفين المتعلمين، كان لهم دور كبير في إقامة مجد هذا البلد، ليس هذا فقط، بل عندنا اليوم ماليزيون يذهبون للقيام بأعمال مختلفة لمساعدة دول أخرى في شتى أنحاء العالم علماء وخبراء. كانوا يقولون: الفقر قد يؤدي إلى الكفر، فكان علينا مواجهة الفقر كذلك، وبعد أن كان معدل الفقر في 1970مسيحي حوالي 60٪ ؛ نجده الآن قد انخفض إلى 5٪ ، وأصبحت ماليزيا ضمن الدول الأولى في مكافحة الفقر، وكان بسبب التعليم والاهتمام بالتعليم، فأعطينا فرص التعليم لكل أبناء هذا البلد، فقد خصصنا ميزانيات كبيرة للتعليم، ونحن سعداء لما قمنا به. وإذا سألت بعض الحاضرين هنا: ماذا كان والدك سيقول؟؟ والدي كان فلاحاً أو عاملاً.. ولكن اليوم تغيرت الصورة.. الآن عندنا التقني والإداري والمهندس. لقد علمتنا تجربتنا أن التعليم هو أهم شيء، إن التعليم يجب أن يحظى بالاهتمام الأول، إن أفضل ما يقدمه الوالد لأبنائه هو تعليمهم، أفضل شيء تحمله معك سواء في الدنيا أو في الآخرة هو العلم.

التعايش والوسطية

وأشار رئيس وزراء ماليزيا إلى أمر آخر تناوله في صيغة تساؤل وهو: كيف نحقق الإسلام؟ هذه الدولة تتكون من ثلاثة أعراق، وهناك النصارى والهندوس والبوذيون، فكيف تكون العلاقة بين أناس تختلف أعراقهم وعقائدهم؟ يجب أن تكون مبنية على التعايش والوسطية، ونتجنب الغلو والتطرف، فالوسطية والفهم الصحيح من الأمور المهمة جداً، وقد فعلنا ذلك. وأتكلم عن شخصي باعتباري في الحكومة.. هناك من يدعونا ويقول يجب أن تكون عندنا حكومة إسلامية! فما هو جوابنا؟ لقد قررت أن أقدم ما أسميته إسلام الحضارة، وهذا مصطلح ماليزي، ليس ديناً جديداً وليس مذهباً جديداً، ليس اعتقادا جديدا، وليست مدرسة فكرية، ويعتمد مفهوم الإسلام الحضاري على عشر نقاط، وهي قيم مستقاة من القرآن والسنة، نستطيع أن نقول إنها

مقر إنعقاد المؤتمر 18 للمجلس العالي



مبـادئ، وهـي مقبـولة عنـد غيـر المسلمين، وهي إذاً قيم عالمية وليست إسلامية فقط، وهذه الأسس هي:

- الإيمان بالله وتحقيق التقوى.
- الحكومة العادلة والأمينة.
- حرية واستقلال الشعب.
- التمكن من العلوم والمعارف.
- التنمية الاقتصادية الشاملة والمتوازنة.
- تحسين نوعية الحياة.
- حفظ حقوق الأقليات والمرأة.
- الأخلاق الحميدة والقيم الثقافية الفاضلة.
- حفظ وحماية البيئة.

حماية البيئة: يقولون هل الإسلام يأمرنا بحماية البيئة؟ أقول لهم: نعم عندما يسألنا غير المسلمين إن الإنسان هو الذي يشوه البيئة.

- تقوية القدرات الدفاعية للبلد.

تطوير الإنسان

و لأجل القيام بهذه المبادئ عندما أحدّثُ غير المسلمين بها يقولون إن هذه المبادئ ليست ضد معتقداتنا فيوافقون عليها، فإذا المسلمون وغير المسلمين يوافقون عليها فهذه مبادئ مقومة وموجهة لثقافتنا وفاعلياتنا في حركتنا الحيوية، والذي نؤكد عليه دائما هو تطوير الإنسان، فعندنا في ماليزيا يحظى هذا التطوير البشرى بعناية كبيرة من الحكومة، ليتم من خلاله تطوير ماليزيا، لتكون في عداد الدول المتقدمة. يجب العناية بكل شخص وبقدراته وبتطوير ما عنده من تلك القدرات، ليصبح عنصراً فعالاً في مجتمعه، ليكون مبدعاً خلاقاً. كذلك هي إحدى المميزات المهمة في تطوير الشخصية، ونأمل أن تكون هذه إضافة قيمة لحضارتنا السابقة، فالإنسان ليس فقط هو من يمتلك العلم، بل يجب أن تكون له أخلاق وقوة، فهذه الأشياء مجتمعة.. التعليم والقيم والأخلاق والقوة سواء اقتصادية أو سياسية: هي العناصر التي ستؤدي إلى النجاح. وأقول لكم من وجهة نظري لازالت هناك تحديات أخرى، وهناك أشياء كثيرة لا يجب أن نغفلها.

نعتمد على الشورى

واختتم السيد عبد الله أحمد بدوي رئيس وزراء ماليزيا كلمته بالقول: نحن نأمل أن نستمر في طريق الوسط ولا نكون متشددين تجاه غيرنا من غير المسلمين، وكما تعلمون فإن البرلمان يتكون من عقائد مختلفة، ونسعى جميعاً إلى خدمة هذا البلد وتطويره، فإذا كان هذا هو القرار الذي نتخذه فلن يشعر أحد بأنه قد ترك جانباً، حتى الأقليات ستطمئن ولن تشعر بالضيق أو عدم الأمان، ونحن نعتمد على الشورى، وكذلك الديمقراطية الحرة، ونلجأ إلى إجماع الأمة الماليزية، ولذلك فإن العلاقة هي علاقة احترام بين الحكومة والناس، وندعو الله أن يوفقنا، ونتطلع إلى جهودكم وآرائكم، ونحن على استعداد لسماعكم، وكذلك لتقييمكم لتجربتنا. وأعتقد أننا - بتوفيق الله سبحانه وتعالى - قد وفقنا ونجحنا في ماليزيا، ونحن مستعدون للاستماع للآخرين والاستفادة منهم، وكما وعد رئيس المنظمة الإسلامية فإن الاهتمام سيكون بالتطوير، ولقد ذهبت إلى عدة أماكن منها أخيراً سيراليون، ولدينا ما نعطي الآخرين ونتعاون فيما بيننا لتطوير أنفسنا ونأمل كل التوفيق لسيراليون، كما ذهبنا إلى السودان وهي تحتاج إلى التطوير النفطي وقد ساعدناهــم، وكل بلد نساعده حسب احتياجاته بما عندنا من تجربة، ولدينا استعداد للذهاب إلى دول أخرى بهذه النفسية للمشاركة في تطويرها، ونأمل أن نحقق الكثير من الطموحات، ومن خلال ذلك نأمل أن

وضع آلية لتصحيح أخطاء تراجم معاني القرآن الكريم.



جانب من المشاركين في الاجتماع

تحقق هذه الدول الإسلامية التقدم والرقي والنجاح.

لقد تحدثت كثيراً فاصفحوا عني، ولكني أردت فقط أن أشارككم تجربتنا ونعلن عن افتتاح هذا المؤتمر رسميا بقراءة سورة الفاتحة والدعاء.

وقد ناقش أعضاء المجلس العالمي للدعوة الإسلامية، على مدى ثلاثة أيام، ضمن جدول أعمال الدورة الثامنة عشرة، عدداً من الموضوعات والقضايا التي تهم العمل الإسلامي، من بينها مناقشة مستجدات العالم الإسلامي، إلى جانب استعراض تقارير اللجنة التنفيذية حول سير برامج عمل جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، في مختلف جوانب العمل الإسلامي، الثقافية والتعليمية والعمل الإنساني، إلى جانب تقارير حول التعاون مع المنظمات الدولية والإقليمية، وأنشطة الحوار والتواصل الديني والثقافي، بالإضافة إلى تقرير عن كلية الدعوة الإسلامية وفروعها، وتقرير عن برنامج (ما بعد كانو)، كما استمع المجلس إلى تقارير أعضائه عن الأنشطة الثقافية والدعوية.

توسيع برامج عمل الجمعية

وأصدر المجلس العالمي للدعوة الإسلامية في ختام أعمال دورته الثامنة عشرة المنعقدة بالعاصمة الماليزية كوالالمبور، خلال الفترة 16-18 من شهر ناصر (يوليو) 1375 من وفاة الرسول ﷺ (2007 مسيحي)، بياناً ختامياً تضمن العديد من التوصيات والمقررات التي تعزز العمل الإسلامي في جوانبه كافة، وعبّر المجلس العالمي للدعوة الإسلامية عن تقديره للجهد الذي اضطلعت به جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في الميادين الثقافية والتربوية والإنسانية.

وأكد أعضاء المجلس على ضرورة توسيع برامج الجمعية قدر الإمكان في أوروبا وخاصة الجزء الشرقي منها، مشددين على ضرورة زيادة تفعيل مشاركة أعضاء المجلس في المناشط الثقافية التي تنظمها الجمعية أو تشارك فيها وذلك في إطار توزيعهم الجغرافي وتخصصاتهم العلمية مع العمل على توسيع اتصالاتهم بأعضاء المؤتمر العام في



مصاحف وكتب من إصدارات الجمعية

مناطقهم، مؤكدين على ضرورة التوسع في تعيين دعاة أكفاء في أوروبا، وإيلاء مزيد من الاهتمام بمنطقة شرق إفريقيا وأثيوبيا على وجه الخصوص بالتنسيق مع المجلس الإسلامي الأعلى فيها ولجنة النجاشي، مع مراعاة ملاحظات الأعضاء، وخاصة فيما يتعلق بالبرنامج الرمضاني وإيفاد القراء.

وشدد على ضرورة الاستفادة من الجهود القانونية المشروعة للدفاع عن القضايا العادلة للإسلام والمسلمين، وربط الصلات مع المكاتب القانونية التي تسعى لحماية العاملين في الحقل الدعوي والإنساني.

وضع آلية لتصحيح الأخطاء في تراجم معاني القرآن الكريم

أوصى المجلس العالمي للدعوة الإسلامية، في ختام أعمال دورته الثامنة عشرة المنعقدة بالعاصمة الماليزية كوالالمبور، بضرورة أن تقوم جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بإجراء الاتصالات اللازمة مع ذوي الاختصاص من الأفراد والهيئات للبحث في آلية لتصحيح المغالطات والأخطاء الواردة في الترجمات المختلفة لمعاني القرآن الكريم، خاصة تلك التي تسيء إلى مبادئ الإسلام أو تنحرف بأسس عقيدته.

إنشاء صناديق ائتمان

ودعا المجلس في توصياته، إلى العمل على تشجيع إنشاء صناديق ائتمان لإقراض فقراء المسلمين تحقيقاً لمبدأ التضامن الإسلامي وبما يكفل المساهمة في تحقيق التنمية لهم والارتفاع بمستواهم المعيشي.

الإهتمام بالأقليات المسلمة

وأكد على مضاعفة الاهتمام بالأقليات المسلمة في شرقي آسيا في المجالات الصحية والدعوية والتربوية، والعمل على إدراج أنشطة في خطط عمل الجمعية تخدم هذه الأقليات بالتعاون مع المنظمات والهيئات الدولية التي ترتبط بعلاقات تعاون مع الجمعية.



إهتمام من أبناء ماليزيا بإصدارات الجمعية ومطبوعاتها

تطوير الأداء الإعلامي

وشدد المجلس على ضرورة التأكيد على أهمية الإعلام في التعريف بالجمعية وأنشطتها المتنوعة، والعمل على ضرورة تطوير الأداء الإعلامي والاستفادة من كل ما تطرحه تقنيات الاتصال والمواصلات في ذلك المجال، مؤكداً على ضرورة التوسع في الأنشطة الحوارية واستثمار نتائجها للتواصل مع الشعوب الغربية، والاستفادة من المؤسسات الثقافية الإسلامية والعلماء المسلمين في الغرب من أجل تعزيز هذا التواصل.

الاهتمام بالمرأة

كما شدد على الاستمرار في برامج الاهتمام بالمرأة، خاصة في القارة الإفريقية، ودراسة إمكانية تنظيم مؤتمر قاري يناقش قضاياها ويهدف إلى تعزيز مكانتها التربوية والاجتماعية في المجتمع بالتعاون والتنسيق مع المنظمات النسوية الفاعلة في القارة.

التعاون الأكاديمي

وفي البند المتعلق بكلية الدعوة الإسلامية، أثنى المجلس العالمي للدعوة الإسلامية، على كلية الدعوة الإسلامية وفروعها والانجازات الأكاديمية والثقافية التي أحرزتها خلال هذه الفترة في العديد من الدول الإفريقية، معربا عن ارتياحه لما تضمنه التقرير.

وأكد المجلس في توصياته في ختام أعماله بالعاصمة الماليزية كوالالمبور على ضرورة إنشاء وتطوير علاقات تعاون أكاديمية وثقافية بين هذه الكلية والمؤسسات المناظرة لها.

ودعا كذلك إلى الاهتمام بتوثيق صلات الكلية مع

مراكز البحث العلمي، خاصة تلك التي تهتم بالشأن الإسلامي في أبعاده المختلفة وبناء جسور معرفية مع الخريجين والإبقاء على التواصل معهم بالطرق المناسبة.

الحفاظ على معالم الحضارة الإسلامية

وحول التعاون دعا المجلس العالمي للدعوة الإسلامية إلى استثمار العلاقة التي تربط بين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، والمنظمات الدولية منها والإقليمية وفي مقدمتها منظمة اليونيسكو للحفاظ على الآثار الإسلامية الحضارية في البلاد الإسلامية،خاصة في فلسطين والقدس تحديداً.

وجدد أعضاء المجلس العالمي للدعوة الإسلامية، التأكيد على أهمية الحوار الإسلامي المسيحي، وضرورة مواصلة زيادة تفعيله من أجل خدمة قضايا الإنسان ونشر قيم التعاون والتواصل والتعارف، داعين بالخصوص إلى توسيع العلاقة في إطار الحوار والتواصل الثقافي مع الهيئات المسيحية في منطقة الكاريبي وأمريكا الجنوبية بالتنسيق والتعاون مع الهيئات والفعاليات المسلمة في المنطقة.

وفي الشأن الفلسطيني، أعرب المجلس العالمي للدعوة الإسلامية عن أسفه للانشقاق في الصف الفلسطيني، معتبرا أن ذلك لا يخدم القضية الفلسطينية.

كما دعا إلى رفع الاحتلال الأجنبي عن الشعب العراقي الذي تسبب في قتل مئات الآلاف من المدنيين الأبرياء من النساء والأطفال وتخريب البنية التحتية وتحويل العراقيين إلى لاجئين داخل بلادهم وخارجها.

وأكد على ضرورة مضاعفة الاهتمام باللاجئين وضحايا العدوان والاحتلال وتوسيع دائرة العمل



مشاركة طيبة من الفن الشعبي الماليزي



لقطة من قاعة اجتماعات المؤتمر

الإنساني في أبعاده المختلفة، والسعي من أجل حل النزاعات بما يحقق الاستقرار والأمن للجميع.

وشدد على أهمية المناهج التعليمية في التكوين الثقافي والفكري والسياسي للأجيال، معبراً عن رفضه لمحاولات التدخل الخارجي في مفرداتها الذي يتم بصور متعددة وتحت ذرائع مختلفة.

وقرر المجلس العالمي للدعوة الإسلامية في الخصوص تكوين لجنة من الاختصاصيين لدراسة هذا الأمر والوصول إلى تصور للتعامل معه.

كما أعرب المجلس عن ارتياحه لما تضمنه برنامج «ما بعد كانو» من مشروعات منفذة، وهو البرنامج التابع لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، والذي انطلق بعد رحلة الأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية التاريخية لكل من نيامي وكانو في عام 1997 مسيحي.

وأكد المجلس في توصية له في ختام أعماله بالعاصمة الماليزية كوالالمبور على ضرورة الاستفادة مما تطرحه التقنية الحديثة في تنفيذ الأنشطة التربوية والثقافية لهذا لبرنامج، خاصة في التعامل مع إحياء كتابة اللغات الإفريقيـــة بالحرف القرآني.

أعضاء المجلس العالمي للدعوة الإسلامية يثمنون جهود القائد في خدمة الإسلام والمسلمين

وجه أعضاء المجلس العالمي للدعوة الإسلامية في اجتماع دورته الثامنة عشرة التي عقدها بالعاصمة الماليزية كوالالمبور برقية للأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، عبّروا فيها عن اعتزازهم بالجهود المخلصة التي يبذلها الأخ القائد من أجل خدمة الإسلام والمسلمين، وما يقوم به من دور في تعزيز

العمل الإسلامي وترسيخ الثقافة الإسلامية، ونشر الحوار والتسامح بين الشعوب، مؤكدين التزامهم بهذا الدور وأنهم يعتبرونه منهاج عمل في برامجهم المختلفة.

رئيس وزراء ولاية برليس الماليزية يشيد بدور الجمعية

التقى الأخ أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية يوم 18 من شهر ناصر 1375 من وفاة الرسول ﷺ بالعاصمة الماليزية كوالالمبور رئيس وزراء ولاية برليس الماليزية، حيث عبر رئيس وزراء الولاية عن شكره وتقديره للجهود التي تبذلها الجمعية في خدمة الإسلام والمسلمين بأنحاء العالم، وأكد في لقائه عن رغبة الولاية في توطيد العلاقة مع الجمعية في المجال التعليمي وتعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وقال: إن تجربة الجمعية تجربة رائدة وموفقة ونتمنى أن نستفيد منها في نشر الثقافة الإسلامية وتعلم اللغة العربية.

وتحدث بعد ذلك الأخ الأمين حيث شكر دولة ماليزيا لحسن الاستقبال والضيافة وإنجاح أعمال الدورة 18 للمجلس العالمي للدعوة الإسلامية التي انعقدت بحضور رئيس وزراء دولة ماليزيا وعدد من أعضاء الحكومة والشخصيات السياسية والدينية وعدد من السفراء المعتمدين في ماليزيا، وأكد أن عقد هذه الدورة في ماليزيا إنما هو تأكيد على دورها المتميز في الدفاع عن قضايا الإسلام والمسلمين، ودورها في إبراز التعايش بين الثقافات، وعبّر الأخ الأمين عن رغبة الجمعية واستعدادها لتوطيد العلاقات مع ولاية برليس من خلال كلية الدعوة الإسلامية ومكاتب الجمعية، مؤكداً أن نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية الصحيحة الخالية من التعصب والتمذهب هو من أول أهداف تأسيس الجمعية.

وعبّر الأخ الأمين في نهاية اللقاء عن تقديره لماليزيا وشعبها الكريم، مقدماً الدعوة للأخ رئيس وزراء ولاية برليس لزيارة الجمعية للاطلاع عن كثب على برامجها ومناشطها التي قامت وتقوم بها خدمة للإسلام والمسلمين في أرجاء العالم كافة.



صورة تذكارية تجمع بعض أعضاء المجلس

الواحة

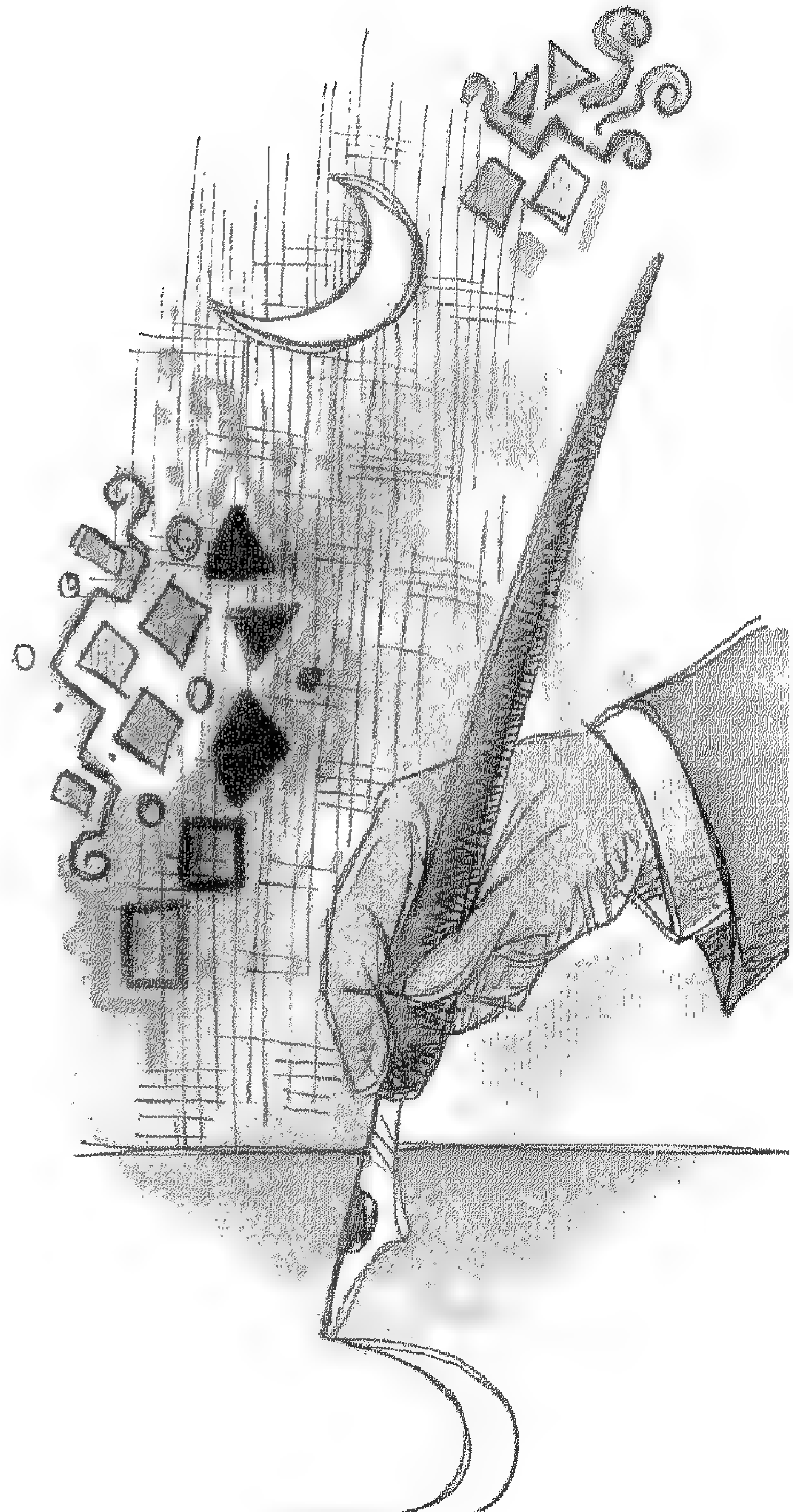


- الاتجاه الإسلامي في شعر القروي

محمد صالح يونس

الإتجاه الإسلامي في شعر القروي

محمد صالح يونس*



أثار رحيل الشاعر القروي رشيد سليم الخوري، عواصف من الأسئلة الصاخبة، بعدما عاش عصراً حافلاً بالتناقضات بين الإنهيار والإنبهار، بين الغموض والوضوح، وحمل معه آلام أمة وذكريات موجعة، وخزائن ممتلئة بكنوز رحلة العذاب، وعجائب تجربة اكتوى بمعاناتها وعنفوانها، وظل كالصخرة الشماء يتحدى التقلبات والأعاصير الهوجاء، محافظاً على الأصالة مؤمناً إيمان الأنبياء، بمعتقداته دون أن يتراجع عنها..

كان السؤال الذي شغل أصدقاء الشاعر، وغمرهم، إذا كان الشاعر رشيد سليم الخوري، وهو النصراني المولد والمنشأ، قد توفى وهو على دين الإسلام، وهل كان صحيحاً ما تردد قبل سنوات من رحيله، من أنه أشهر إسلامه أمام المفتي ونطق بالشهادتين؟.

لم أفاجأ بهذه الأسئلة وغيرها، فالشاعر رشيد سليم الخوري، لم يكن بعيداً ولا غريباً على الإسلام، فالإسلام قضية وجدانية حميمة تجري في عروقه.. سيما بعدما تأكد لي ولغيري من المقربين منه، أنه كان حافظاً للقرآن الكريم ومفسراً له.. وأنه كان دائم الثناء على الرسول الكريم ﷺ، هذا ما تأكد لي قبل لقائي به وبعد اللقاء الأخير قبل رحيلي عن لبنان.

---

* كاتب فلسطيني / ليبيا.

من هو الشاعر
رشيد سليم الخوري؟

لقد كفانا الشاعر عناء البحث عن التعريف به، حين كتب ذلك في مقدمة ديوانه، الذي طبع عدة مرات بعد عودته من المهجر.

ولد الشاعر القروي، رشيد سليم الخوري في بلدة البربارة، بلبنان بين مدينتي جبيل والبترون، في السابع عشر من شهر الطير (إبريل) 1887م واعتبر هذا اتفاقاً سعيداً من مولده وعيد الإجلاء عن سورية فارتجل:

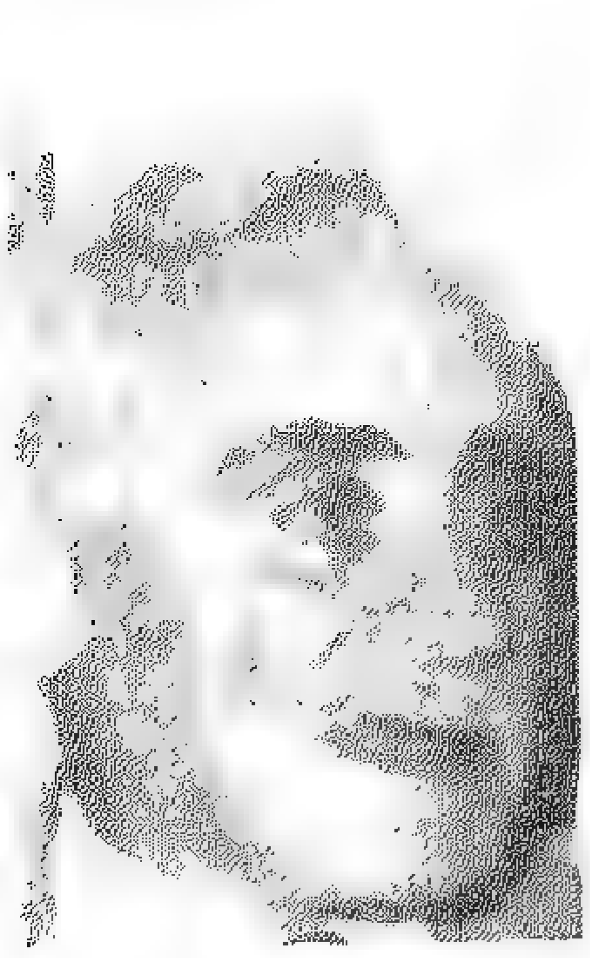
إذا فاخر الناس بأعيادهم
فعيد ميلادي عيد الجلاء

وكان الأستاذ الأديب الخطيب، أكرم زعيتر، قد أطلع الشاعر في أحد اللقاءات على قصاصة جريدة تقول: (إنّ فلكياً حاسوباً قدر أن مولد النبي ﷺ في الثاني عشر من ربيع الأول من عام الفيل، صادف السابع عشر من الطير (إبريل).

فاستنار وجه الشاعر القروي وانطلقت أساريره، ثم بدا عليه ما يشبه ذهول الاستعجاب).

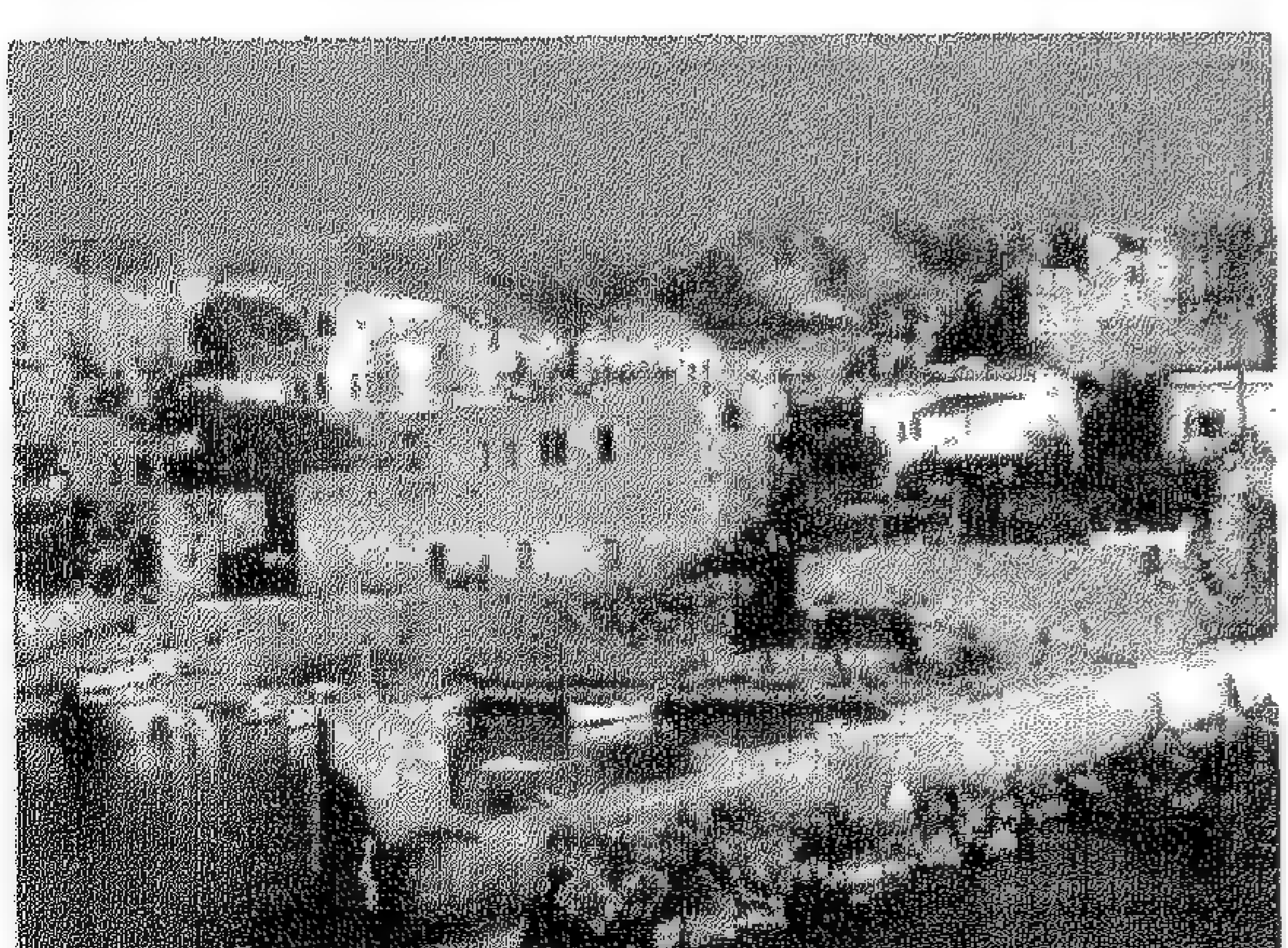
تتلمذ في مطلع صباه في مدرسة قريته، ثم التحق بمدرسة الفنون الأمريكية في صيدا، مدرسة سوق الغرب، فالكلية السورية الإنجيلية ببيروت، التي أصبحت الجامعة الأمريكية فيما بعد.

ثم وصف نفسه في مقدمة ديوانه، بأنه يحب القهوة ولكن نادراً ما يشربها، وأما الخمرة فلا يشربها، وقد حرَّم على نفسه لحم الخنزير، وقاطع الملابس الإنجليزية وكل ما هو بريطاني منذ افتضاح وعد بلفور. والقروي هو القائل في تمجيد اللغة العربية: (هذه اللغة الخلاقة المطواع، لغة أهل الجنة، اللغة التي اتسعت لرسالة الرحمن، اللغة التي ملكت فصحاءها ألسنة أفذاذ الأدب الغربي، وألفت بين قلوبهم بتناشد ألحانها بلابل الشعر من الخليج العربي إلى المغرب الأقصى تعلو على كل صوت



رشيد سليم الخوري

شعوبي تكبر؛ بها التفاهم وبها الألفة وبها الوحدة وفيها القوة.. ثم يتابع: تعلموا القرآن والحديث ونهج البلاغة في كل مدارسكم وجامعاتكم لتقوّم بالفصحى ألسنتكم وتتقوى ملكاتكم، ويعلو نفسكم وتزخر صدوركم بالحكمة، وتشرق طروسكم بساحر البيان)، وإيمان القروي بالله قوي وثقته برحمته لا تتزلزل، وهو متأثر بالقرآن الكريم وغالباً ما كان يتلو الكثير من آيات القرآن الكريم التي كان يحفظها، وحسبنا اقتباس قوله في إيمانه من مقدمة ديوانه: (قد أنسى الله حيناً في بأسائي ولكني لم أنسه قط في نعمائي، فصلاتي مجرد تسبيح وشكر وإعجاب بعظمة الخلق واستقواء بذكر الخالق على نزعات نفسي، واطمئنان إلى رضائه عني وشعوري بهذا الرضا يمدني بشجاعة تحسب حساباً الخطر مهما عظم ويغمرني بسعادة لا تضاهيها سعادة ولو أني ملكت كنوز الأرض لما صرفت عني ألماً سببه لي لمم من إثم حتى أتيت إلى ربي. ولو أني فقدت آخر فلس وآخر صديق وآخر حبيب وبقي لي عفو الله لكفاني به أملاً يروح عني ويحييني حسناتي من الله ومساوئي مني، هكذا اعتقادي، وما أصابتني مصيبة



بلدة الشاعر القروي

إلا أحسنت تأويلها، ففقد مالي تدارك من لطف الله أن أستعمله فيما يؤذيني، واعتلالي نوع من الاستجمام العقلي وتلاف لخطر أكبر أتعرض له في غدوتي ورواحي، وموتي قبض إلى رحمته في الظرف الأنسب)، ويذكر الأستاذ أكرم زعيتر في مذكراته (ولا أذكر في أحاديثنا وفي مراسلتنا أنه أورد اسم سيدنا محمد دون أن يشفعه بقوله ﷺ.

ولضيق ذات اليد هاجر إلى البرازيل، فأبحر من بيروت سنة 1913م، بصحبة شقيقه... وظل الشاعر في مغتربه الذي اشتهر بسواده المثلث: (الرحبان، والغربان، والعيدان)، وظل الشاعر في مغتربه يتحرق شوقاً إلى وطنه، وبعد خمس وأربعين سنة، أي سنة 1958م تلقى دعوة رسمية من سورية، وكانت الإقليم الشمالي في الجمهورية العربية المتحدة فقرر تلبيتها وركب البحر في طريقه إليها، ونظم والباخرة تمخر به عباب البحر:

بنت العروبة هيئي كفني
أنا عائد لأموت في وطني
أأجود من خلف البحار له
بالروح ثم أضن بالبدن؟

وكان في استقبال الشاعر القروي لدى عودته إلى الوطن صديقنا الأديب الراحل فؤاد الشايب، ولما سمع القروي قال له: كلا بل قل:

بنت العروبة هيئي سكني
أنا عائد لأعيشَ في وطني

وكانت في لبنان ثورة أهلية بين رئيس الجمهورية ومعارضيه؛ وكأن الشاعر قد غمز الرئيس في إحدى قصائده، فلقي حين وصلت الباخرة إلى مياه بيروت أمراً بالقبض عليه واحتجاز جواز سفره فواصل رحلته إلى اللاذقية فاستقبل بحفاوة بالغة.. حتى وصل دمشق، أطلق قصيدته القومية العربية الإسلامية في نحو مائه بيت، وأي روعة أبلغ من مطلعها وقد ضمنها آيات من القرآن الكريم:

حتام تحسبها أضغاث أحلام
(سبّح لربك وانحر) أنت في الشام

ثم انتهى في قصيدته في الرد على دعاة الشعوبية الجديدة.

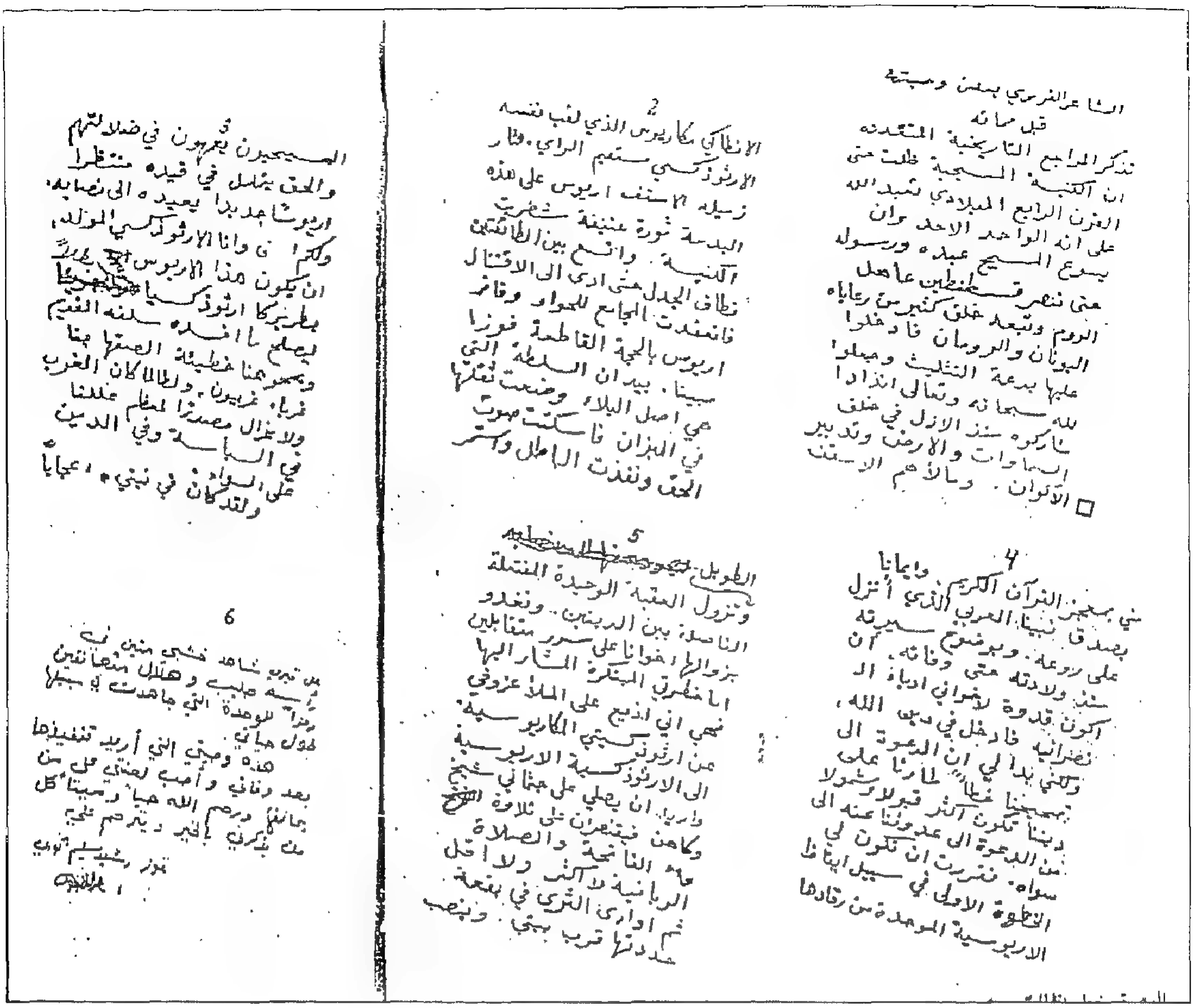
مَنْ يبكِ عهد الموامي والدُّمى فأنا
والحمد لله قَدْ حطمتُ أصنامي
شغلتُ قلبي بحب المصطفى وغدت
عروبتي مثلي الأعلى وإسلامي
«بناصري» وبأسواني فَخرتُ إذا
باهى الدعي بفرعون وأهرام

هل توفي الشاعر رشيد سليم الخوري على دين الإسلام؟

في الحفل التكريمي الذي أحيته مدينة دمشق ترنحت جماهيرها طويلاً وهو ينشد هذه القصيدة على مسرح الجامعة السورية، ليلة الخامس عشر من شهرالطير(إبريل) عام 1959م.

وتوالت حفلات التكريم للشاعر القروي في المدن السورية، حتى احتضنته بيروت وأحيا أمسية شعرية في قاعة جمال عبدالناصر، وانتدبتني مجلةُ رسالة التربيّة لإجراء مقابلة مع القروي... وكتبت حواراً طويلاً تحت عنوان: «أحلام القروي تتراءى بين تحرير فلسطين والوحدة العربية» ونشر تحقيق في حينه بمجلة رسالة التربية وجريدة المحرر اللبنانية ومجلة المقاصد... وتوالت بعد ذلك اللقاءات بيني وبين القروي وصرنا نلتقي كثيراً ولا سيما في «الرابية» رابية انطلياس بدار الأديبة الرائدة أسمى طوبي.

ودعت القروي، وفي رأسي تدور الذكريات وتطل أسئلة كثيرة.. حتى فاجأني النعي عام 1984م عن عمر

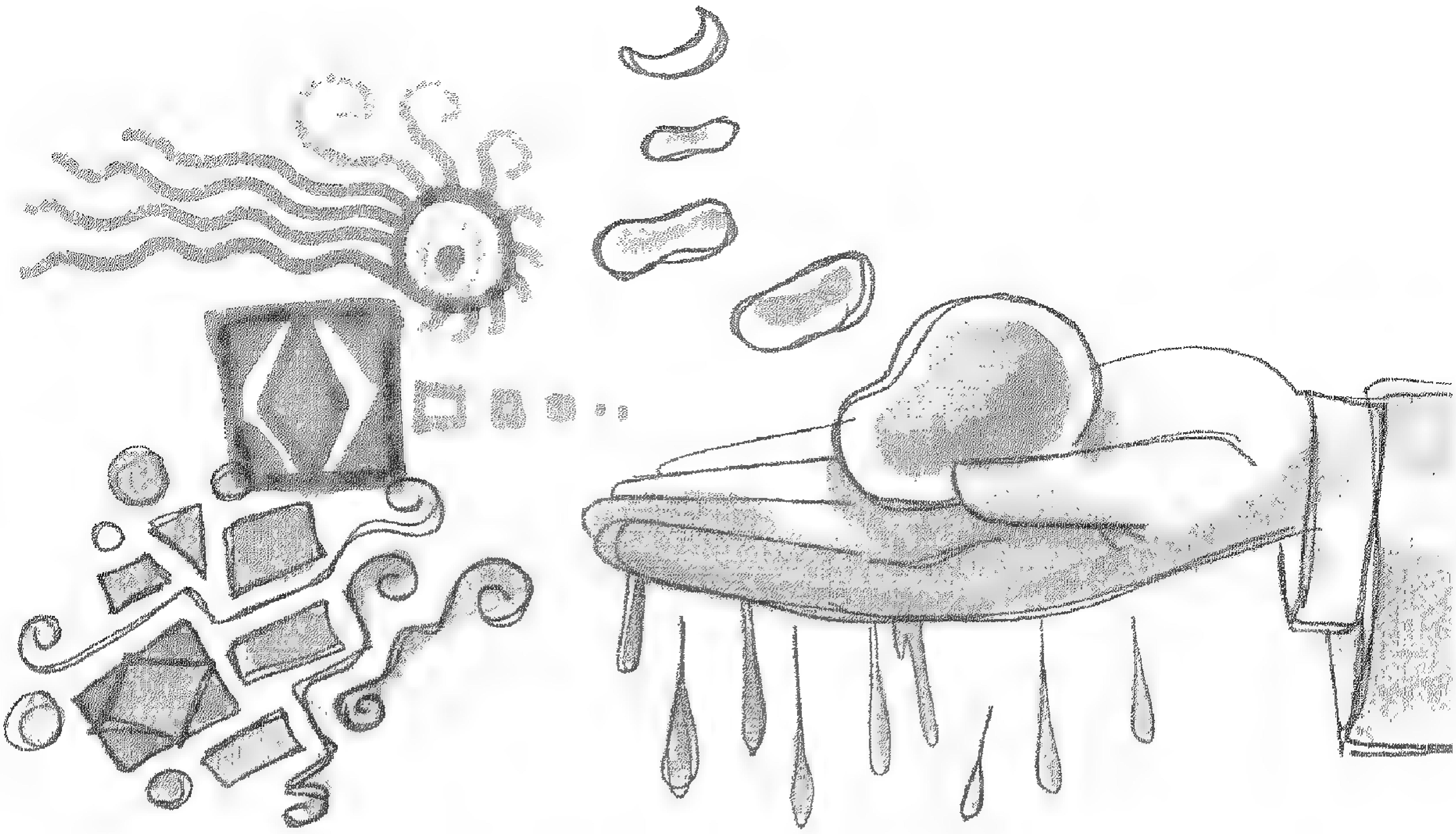


الوصية بخط يد القروي

يناهز الـ97 سنة في قريته البربارة الرابضة الوادعة على الشاطئ اللبناني.. وأنه قد ترك وصية كان قد كتبها في شهر الناصر (يوليو) 1977م قبل وفاته بسبع سنوات وطلب تنفيذ وصيته من بعد وفاته كي لا تحل اللعنة على من يخالفها.. واستطعت الحصول على صورة الوصية المكتوبة بخط يده والممهورة بتوقيع القروي وهي تتضمن طلبين.

الطلب الأول: أن يصلي على جثمانه شيخ وكاهن وأن يقتصر الأمر على قراءة الفاتحة.

الطلب الثاني: أن ينصب على قبره شاهد خشبي متين وبسيط في رأسه صليب وهلال متعانقين رمز الوحدة التي جهد في سبيلها طول حياته. لكن الوصية - المنشورة، وكما علمت - لم تنفذ حسبما طلب الشاعر، ما نفذ من الوصية هو دفنه في بقعة حددها قرب منزله.. أما طلباته التي وردت في الوصية، قد مرت عليها عائلته مرور الكرام فلم تأخذ بها، فلا دُعي شيخ لقراءة الفاتحة ولم يرسم هلال على شاهد القبر.. وهنا بدأت الأسئلة تدور صاخبة وهادئة أحياناً: هل كان الشاعر رشيد سليم الخوري قد توفي على دين الإسلام؟ وهل صحيح ما كان يتردد قبل سنوات قبل وفاته من أنه حضر أمام المفتي ونطق بالشهادتين؟ وسواء نطق رشيد سليم الخوري أمام المفتي أم لم ينطق فإنه لا يخفى على أحد أن حب الشاعر للإسلام ونبي الإسلام كان يسري في عروقه،



وأنه كان حافظاً ومفسراً ومرتلاً للقرآن الكريم بينما لم يكن يعرف من الإنجيل إلا القليل، وإن القروي متعلق القلب بحب الرسول سيدنا محمدﷺ واستشفاف معاني سيرته واستكشاف معاني كلماته والاعتراف له بأنه هو الرسول الحقيقي.. ففي السنة الثانية للنكبة وضياع فلسطين ألقى القروي خطاباً في ذكرى المولد النبوي مهد له مخاطباً المسلمين ومشيراً إلى غضبته من واقع العرب بعد النكبة: (لئن ولدت نصرانياً فإن محمداً ﷺ قال: (من آمن بنبيه وآمن بي فله أجران) ثم انطلق يمجد الرسول ويناجيه: «يا محمداً يا نبي الله حقاً، يا أحكم الحكماء وأعظم المصلحين وأنبلهم مطلباً وأبعدهم غاية وأصدقهم دعوة وأهداهم سبيلاً، يا نبي الله يا آية الصحراء يا مجد العرب يا مجد الإنسانية جاء الحكماء قبلك وبعدك عوراً وعمياناً، وجئت بصيراً بكل نواحي الحياة كأنك ترى الكون وأهله بنور خالقهم جميعاً. واسترسل: «آياتك آيات الخليقة، ودينك دين الفطرة، شرعك رياضة لا إرهاق، وتكاليفه تمرين لا تعجيز، مذهب يحض على العمل حتى الجهاد، وجهات تكنه المروءة عن الجور، وعدل تحفه العفة عن القسوة، وقوة يربأ بها الحق عن الطغيان، رسالة تتفاءل بالحياة وتهلل للنور وتبارك الجمال وترهف الحس وتطلق الخيال وتقدس العلم وتغري بالطموح وتحث على الكسب الحلال وتبعد عن اليأس، وتنزه عن الرياء، وتقرب من عرس الله..

ثم ختم خطابه بهذه الروعة الرائعة والعظة البالغة: «إني لموقن أن الإنسانية التي يئست من كل فلسفاتها وعلومها وقنطت من مذاهب الحكماء جميعاً لن تخرج من مأزقها ولن تجد راحة لروحها وصلاحاً لأمرها إلا بارتمائها في حضن الإسلام تجد فيه حلاً لمشكلة الحياة والتوفيق بين قوى الإنسان جميعاً جسداً وعقلاً وروحاً».

والقروي الذي كان يعتبر الرسول العربي هو الجدير بالتمجيد، فما ترك مناسبة إلا وقال فيها شعراً هز فيه مشاعر السامعين كما فعل في ذكرى المولد

للعام 1947م حين راح يشدو:

عيدُ البرية ـ عيد المولد النبوي
في المشرقين له والمغربين دوي

عيد النبي ابن عبد الله من طلعت
شمس الهداية من قرآنه العلوي

بدا من الفقر نوراً للورى وهدى
يا للتمدن عم الكون من بدوي

ثم راح يناجي رسول الله ثم يهتف:

يا قوم هذا مسيحي يذكركم
لا ينهض الشرق إلا حبنا الأخوي

فإن ذكرتم رسول الله تكرمة
فبلغوه: سلام الشاعر القروي

وإذا ما أراد القروي تمجيد البطولة والتحريض على الثورة فلم يجد مثالاً غير رسول الله كما في قصيدته التي وصف فيها هجوم أحد الأبطال المجاهدين على الدبابة الفرنسية إبّان الثورة السورية:

إذا حاولت رفع الضيم فاضرب
بسيف مُحمدٍ واهجر يسوعاً

أحبوا بعضكم بعضاً وعظنا
بها ذنباً فما نجت قطيعاً

فيا حملاً وديعاً لم يخلف
سوانا في الورى حملاً وديعاً

ألا أنزلت إنجيلاً جديداً
يعلمنا إباء لا خنوعاً

أجرنا من عذاب النير لا من
عذاب النار إن تك مستطيعاً

كان آخر ما تلاه (القروي) على مسامعي قصيدة تتضمن آيات من القرآن الكريم جعل مطلعها:

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾

[سورة القمر، الآية: 1]

وكنت قد أخذتُ تلك القصيدة الرباعية والتي جعل الشطر الأخير منها آية قرآنية.. ثم جاء صيف 1982م، واجتاح العدو الغازي لبنان، وكانت القصيدة من ضمن كتبي في مخيم عين الحلوة.. فلم تنجُ مكتبتي وأوراقي من زبانية الغزاة وضاعت القصيدة ولم أجدها في ديوان القروي ولم يعد في ذاكرتي منها غير قوله:

آيات ربك ليس يعرف قدرها
من ليس يفرق في الحجى عن غيره

لا تعقدوا معهم إذا هزءوا بها
(حتى يخوضوا في حديث غيره)

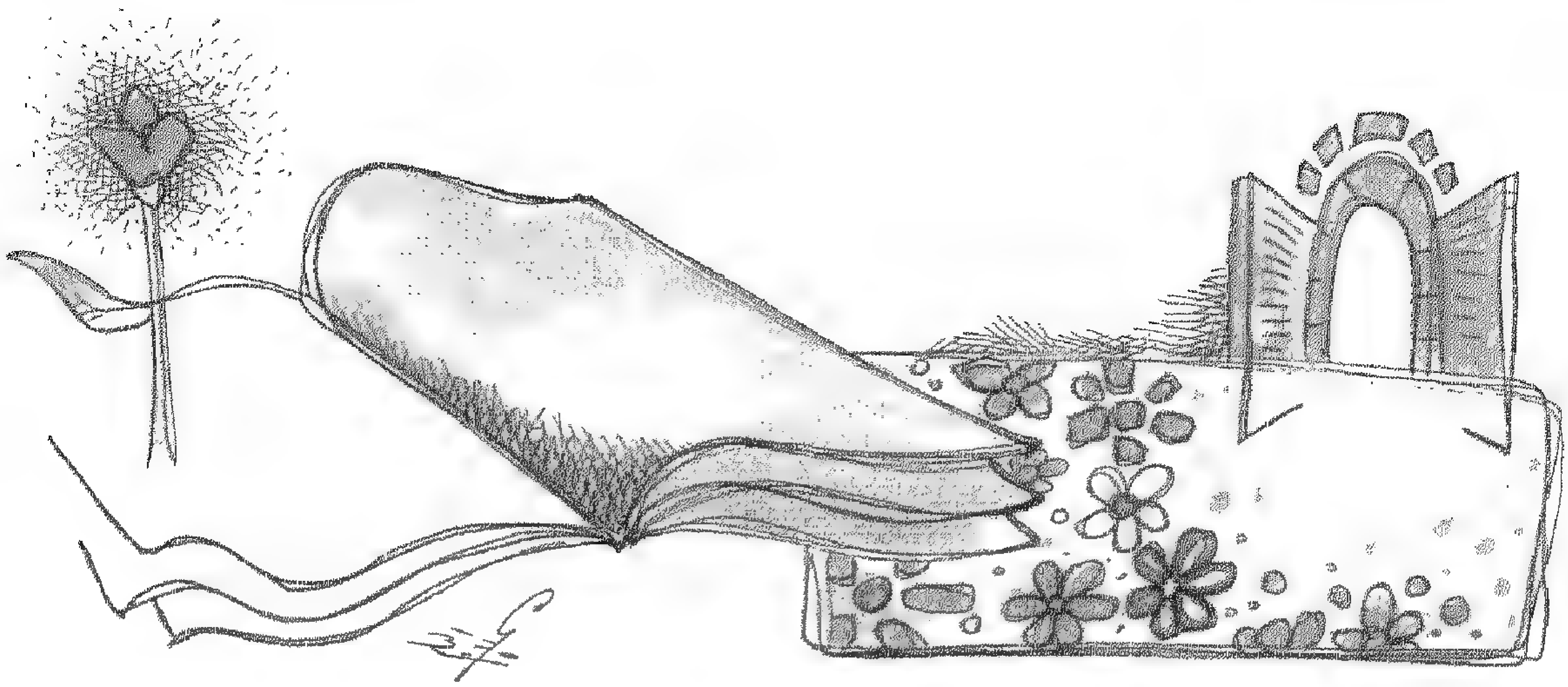
وبعد، إن القارئ للآثار الشعرية والنثرية التي تركها القروي والوصية التي تركها يلتمس صدق عاطفته الحقيقية عن الرسول العربي محمدﷺ، وكأنه حينما كان يكتب عن الإسلام ونبي الإسلام كان يكتب رسالة في العشق، ويبدو لقارئ وصية القروي أن الإسلام ليس بعيداً عنه ولا غريباً بل قضية إيمان حقيقية وحميمة.

وفي الواقع ليس القروي وحده من شعراء العرب النصارى من هام بحب الرسول العربي والإسلام، فها هو أمين نخلة يكتب في مقدمة لكتاب عنوانه (نفسية الرسول العربي) ألّفه مفكر عربي لبناني نصراني اسمه (لبيب الرياشي) يروي أمين نخلة في تلك المقدمة حكاية مسيحي



الشاعر أمين نخلة

عربي من جبل لبنان قضى عدة سنوات يدرس الطب في باريس، فبينما كان يسير ذات يوم في شارع «كاتر فارج» على مقربة من جامع باريس بعيد الخاطر عن لبنان والعرب، إذا تكبيرة تنطلق من المئذنة وتتعالى على الجلبة الباريسية، فأخذ الرجل ببغتة حلوة ملأت فؤاده قال: (فلم أتمالك أن حولت طريقي وغشيت باحة المسجد حيث قضيت بعض الساعة بين تلك القناطر والقبب وكأنني في سربي في لبنان أنظر إلى



منازلهم (أي منازل جيرانه المسلمين) وأصغي إلى أحاديثهم مع أن بيني وبينهم سماوات ومفازات)❖.

يبقى السؤال الأخير، ما هي المؤثرات التي جعلت من الشاعر القروي يغمس ريشته بالثقافة الإسلامية وينهل من القرآن الكريم؟.. إننا نجد الجواب عند الشاعر العربي النصراني أمين نخلة وفي كتاباته «في الهواء انطلق» في فقرة من ذلك الكتاب عنوانها «الكتاب المعجزة» ويقصد به القرآن الكريم يقول: «ما قرأت في القرآن قط وتلقفتني الفصاحة من كل جهة، وشهدت ذلك الإعجاز الذي يطبق العقل إلا صحت بنفسي: أنج ويحك فإني على دين النصرانية» «في الهواء الطلق» ـ ص 174.

الجملة واضحة، إنه يهيب بنفسه المأخوذة بإعجاز القرآن الكريم بنفسها خوفاً مما يرتبه الحب من نتائج قد تؤدي إلى الدخول بل إلى اعتناق الإسلام...

وبعد، أعلن الشاعر القروي إسلامه أم لم يعلن، تلك قضية الله أعلم بها.. ولكني على يقين أن ما تركه القروي من تمجيد للإسلام وللنبي العربي لم يأت به شاعر مسلم من شعراء هذا العصر.

أيها الصديق.. هأنذا في منفاي الاختياري تموت الكلمات على شفتي وأنا أقرأ وصيتك وتجف الدموع. ولئن وجدت قبراً في هذا الوطن الذي عدت إليه فإننا نرى أنفسنا فيه «موتى بلا قبور».

❖ المقدمة المسيحية من كتاب نفسية الرسول العربي ـ تأليف «لبيب الرياشي» طباعة بيروت.

المصادر والمراجع

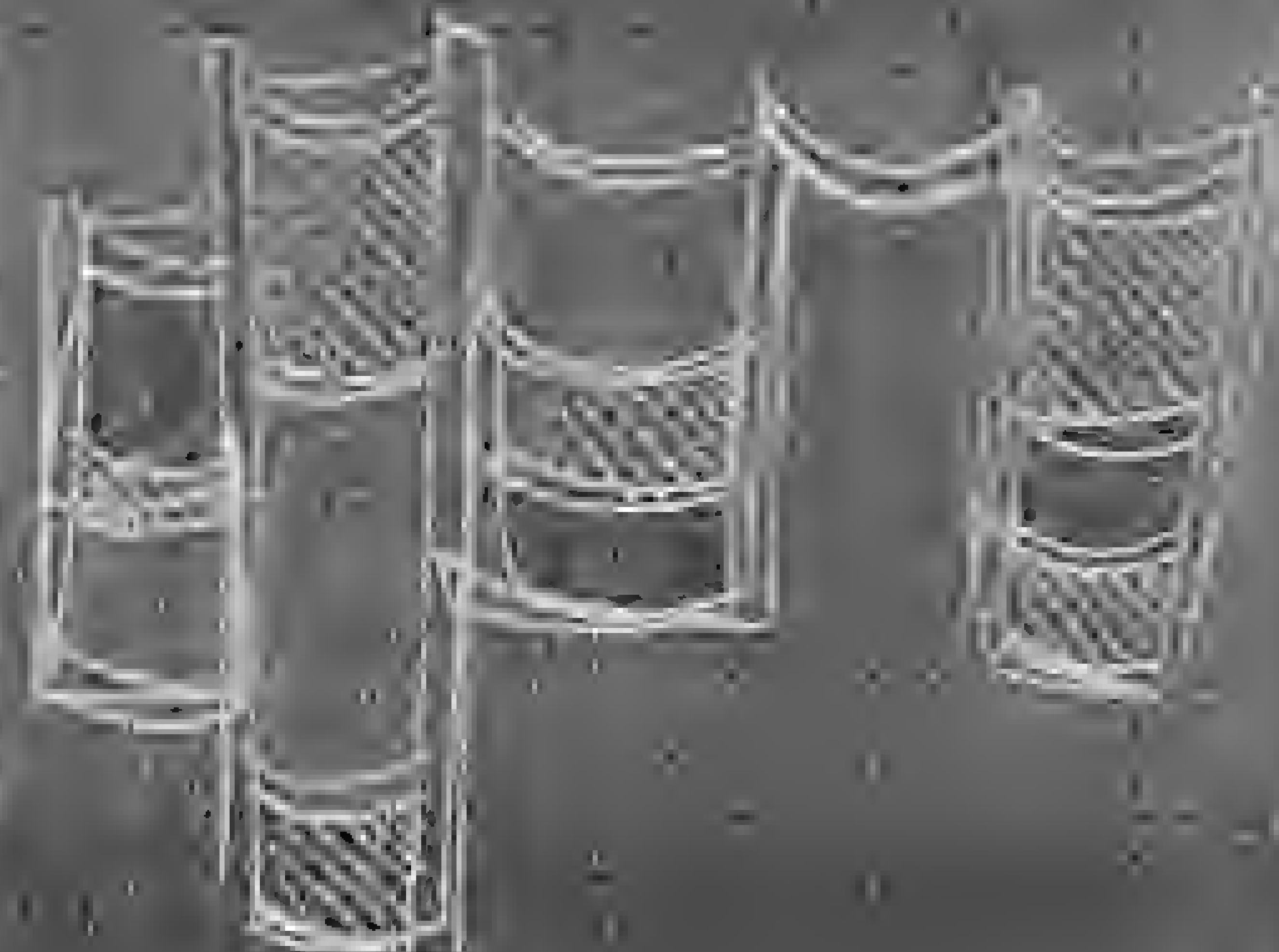
❖ ديوان القروي ـ المجلدان الأول والثاني.

❖ مقابلات شخصية مع الشاعر القروي.

❖ القروي شاعر العروبة ـ أكرم زعيتر ـ مجلة الدوحة ـ عدد 107.

❖ نفسية الرسول العربي ـ لبيب الرياشي ـ طباعة لبنان.

❖ في الهواء الطلق ـ أمين نخلة ـ طباعة لبنان.

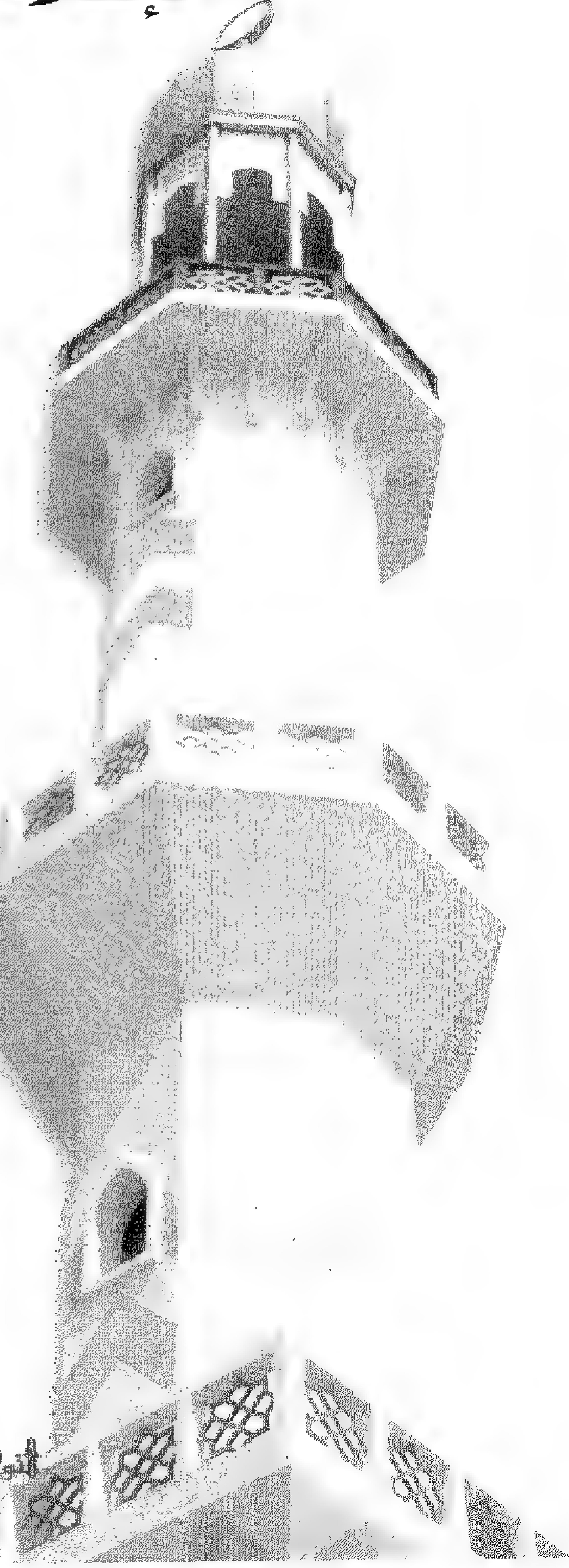


الإسلام والأمة الإسلامية

نحو التغيير اللازم للارتقاء المنشود

الإسلام والأمة الإسلامية

محمد حسن جحا*



لعل موضوع الإسلام وقضايا الأمة الإسلامية من أكثر القضايا المحببة إلى نفس رئيس وزراء ماليزيا السابق محاضر محمد، الذي ثابر على طرح رؤاه وأفكاره عن هذا الموضوع في خطبه وكلماته على مدى عقد التسعينيات من القرن الماضي، معبراً عن الهواجس التي تؤرقه في الأوساط الإسلامية، ناعياً في الوقت نفسه عجز المسلمين عن الارتقاء إلى مستوى التحديات والمستجدات على الساحة العالمية؛ ما يهدد بانزلاقهم إلى مزيد من التمزق والتخلف. ويلاحظ قارئ الكتاب مدى الحسرة التي يستشعرها الكاتب إزاء الهدر الذي يبدد ثروات وإمكانات المسلمين الهائلة. وقد لا يستمد هذا الكتاب أهميته من كونه لرئيس الوزراء الماليزي السابق فحسب، ولكنه يقدم رؤية متقدمة وجريئة للقضايا الملحة والتحديات التي تواجه العالم الإسلامي مثل العولمة والنهضة والتنمية والدور الإسلامي في العدالة والحضارة. كما يلقي الكاتب الضوء على مدى التزام الإسلام وتمسكه بالعدالة، ويحاول التركيز على أن هذه العقيدة تقوم في الأساس على الاعتدال والتسامح، ليطرح تساؤل المدرك عن الأسباب التي تجعل من الإسلام ربما أكثر ديانة يُساء فهمها، من خلال ربطها

---

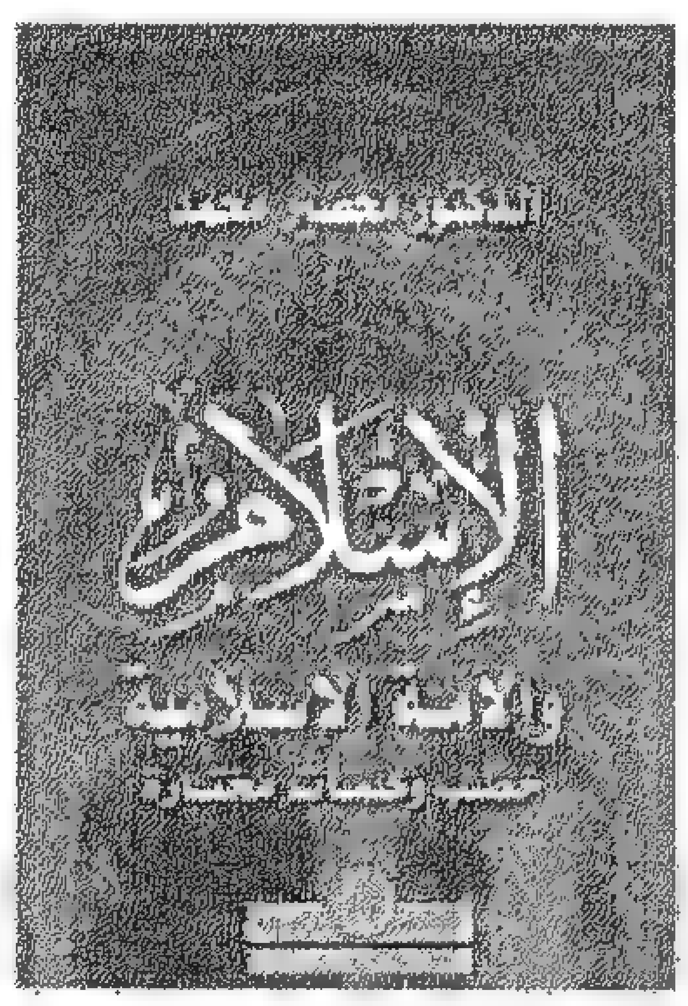
* كاتب، إعلامي، أستاذ جامعي / ليبيا.

بممارسات بغيضة، لا تمت بصلة في الواقع لجوهر الإسلام. ويمكن القول إن محاضر محمد يبدو في هذا الكتاب مفكراً وداعية أكثر مما هو سياسي.

يتضمن الكتاب مجموعة من المقالات والخطب التي قدمت أو ألقيت في مناسبات مختلفة، تُظهر كيف يفكر محاضر محمد الذي قاد بلاده منذ سنة 1981، وهو طبيب تخرج في سنغافورة، وعمل في الطب قبل أن يتفرغ للعمل السياسي عام 1974، واستطاع أن يقود بلاده إلى مستوى متقدم من التنمية والتقدم حتى إنها اعتبرت من أهم 18 دولة في العالم في التجارة الخارجية، وعندما عصفت الأزمة المالية والاقتصادية بمنطقة جنوب وشرق آسيا عام 1997م استطاع أن يجنب بلاده الانهيار والفشل الاقتصادي الذي وقعت فيه دول المنطقة.

الإسلام والعولمة

يرى الدكتور محاضر محمد أن العولمة مصممة لزيادة ثروة أهل الغرب، وتعزيز هيمنتهم التي فرضوها منذ زمن بعيد على الشعوب الأخرى في مختلف بقاع العالم، مشيراً إلى أن الوقائع التاريخية أثبتت أن الشعوب الأوروبية بطبيعتها تنطوي دائماً على نزعة عدوانية، وتتملكها روح السيطرة على حقوق ومقدرات وأراضي الآخرين. وعلى هذا يعتقد أن العولمة صممت للهيمنة على العالم الإسلامي، إلا أنها تتضمن فرصاً مهمة للمسلمين تمكنهم من أن يفيدوا من العولمة ويوظفوها في النهضة والتنمية. فهو يرى أن الثقافات الاقتصادية الغربية تقوم على الحروب والتوسع، وقد شُغل الأوروبيون بإنتاج وابتكار الأسلحة الأكثر فتكاً بالجنس البشري، وعندما أتقنوا فنون الإبحار غزوا العالم وأخضعوا شعوبه لاستغلالهم ونهبهم، وقد افترض الأوروبيون في الأجناس الأخرى في مختلف بقاع العالم أنها وضيعة ومتخلفة، وتعاملوا معها من هذا المنطلق، لدرجة أبادوا فيها بعض المجموعات البشرية. مشيراً إلى أنه لم يتجرأ أحد في ذلك الوقت على التحدث - ولو بالمصادفة - عن حقوق الإنسان، لأن ذلك كان يتعارض تماماً مع مصالحهم وأهدافهم الخاصة. ويؤكد الكاتب في هذا السياق أن الغربيين لم يتخلوا حتى اليوم عن عملية الهيمنة، وكانت العولمة من بين أهم أدواتهم في تنفيذ طموحاتهم الاستعمارية وبخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي والكتلة الشيوعية.


غلاف الكتاب

وحول حرية التجارة التي يروج لها الغرب، والتي تعني رفع وإزالة الحواجز التجارية؛ يرى الكاتب أن أبعادها الخطيرة لم تكشف عند بدايات طرحها، وقد لقيت هذه الفكرة قدسية بفعل اتفاقية التجارة العالمية (الجات) ومنظمة التجارة العالمية وصندوق النقد الدولي ووسائل الإعلام الدولية الخاضعة للسيطرة الغربية.

وقد كشفت الأيام عن الأبعاد الحقيقية المدمرة لحرية التجارة عندما عملت المؤسسات الغربية وفق برنامج معد مسبقاً لتدمير الاقتصاديات الآسيوية عام 1997، حيث انهارت تلك الاقتصاديات الناشئة فجأة ودون مقدمات. ويشير الدكتور محاضر محمد إلى أن قضية التجارة بمآسيها التي شهدها العالم؛ قد تمّ تطويرها بمسمى جديد هو (العولمة) التي تعني عالماً من دون حدود أو حواجز. داعياً إلى تفحص محتويات العولمة وما تنطوي عليه من أبعاد، وما ستترتب عنها من نتائج. ولكي نسخر العولمة لتحقيق مصالحنا وخدمة قضايانا؛ علينا أولاً أن نشخص ونستوعب تماماً الكيفية والأدوات التي تعمل بها في

ضوء التفسيرات والمفاهيم المتوفرة عن هذه الظاهرة.

ويتوقف الكاتب مع ما يتعرض له العالم الإسلامي من غزو مدعوم بالآلة الإعلامية الغربية الرهيبة، ملاحظاً أنه إذا تحققت العولمة التي يروج لها الغرب فستتحول بلدان العالم الإسلامي إلى حالة هي أسوأ من جمهوريات الموز في أمريكا اللاتينية التي يملك فيها مدراء الشركات الأجنبية الكبرى نفوذاً سياسياً واقتصادياً يفوق نفوذ بعض قادة الدول وحكوماتها.

ويعتقد الكاتب أن البلدان الإسلامية جميعها ستصبح جزءا من إمبراطورية شمال الأطلسي إذا ما سارت العولمة بمفاهيمها المطروحة والتي نراها ماثلة أمامنا. ولكن يمكن أن تتضمن العولمة فرصاً ومزايا تفيد المسلمين، فيمكن التقاط مصادر الموارد الجديدة المتمثلة في المعلوماتية والعمل على اكتسابها حتى لا تفوت على المسلمين فرص التقدم والقوة، كما حدث معهم من قبل عندما فرطوا في المساهمة والإفادة والاستفادة من الثورة الصناعية التي بدأت في القرن السابع عشر مسيحي، وللأسباب نفسها، إذ إن المسلمين ما زالوا منشغلين بخصوماتهم الجانبية، من دون إعارة القضايا والتحديات الجوهرية الاهتمام الذي تستحق؛ فيمكن المساهمة في شراء أو مواجهة الشركات الكبرى العملاقة التي تعرض أسهمها في سوق الأوراق المالية (البورصات).

ما الحاجة التي تستدعي ربط الصناعة بالإسلام؟ وهل الصناعة ضرورية في الأصل؟

ويؤكد محاضر محمد أن العالم الإسلامي إذا عمل ككتلة واحدة وليس دولا متفرقة ومختلفة، ونُسّقت الجهود والبرامج والمواقف فيما بين الدول والمؤسسات والمنظمات الإسلامية، واستوعب العلماء المهاجرين، ووظفت الطاقات المتوافرة للمسلمين؛ فإن المسلمين يمكن أن

الدكتور محاضر بن محمد رئيس وزراء ماليزيا (1981 / 2003م)



ولد محاضر بن محمد يوم 20 الكانون (ديسمبر) 1925م في (آلور ستار) بولاية قدح شمال ماليزيا، وهو الإبن التاسع لأسرة من طائفة الملايو التي تشكل أغلبية مسلمة هناك، وهي من الطوائف الأكثر فقراً وتخلفاً في هذا البلد.. تلقى محاضر محمد تعليمه قبل الجامعي في مدرسة السلطان عبد الحميد في آلون، ثم التحق بكلية الملك إدوارد السابع الطبية في سنغافورة، وبعدها تزوج من زميلته سيتي حسنة، ولهما من الذرية ثلاثة أولاد وبنت، وعاد ليمارس الطب في مسقط رأسه في أول عيادة تشهدها مدينته، مارس العمل السياسي في سن مبكرة في الاتحادات الطلابية والشبابية، ولكنه انشغل في عمله مدركاً أن علاج أمراض الإنسان تحتم علاج أمراض محيطه سياسياً واجتماعياً.. التحق محاضر مبكراً بالعمل السياسي فانضم إلى الحزب السياسي المعروف بمنظمة الملايو المتحدة الوطنية (أمنو) وقد أثار الانتباه بكتاباته الجريئة حول الملكية وتحرير المرأة، حيث بدأت رحلة الصعود السياسي لمحاضر محمد عندما تم

يشكلوا قوة اقتصادية وسياسية تفرض شروطها ومصالحها. كما يمكن أيضاً إدخال بعض التعديلات والشروط على مضامين الدولة، فنبقي على بعض الحواجز والقيود للحد من تدفق السلع والمنتجات التي نرى أنها لا تتناسب مع بيئتنا. فضلاً عن أن العولمة تمكّن الدول الإسلامية من الاتصال بالمهاجرين المسلمين في بلاد الغرب، والعمل على حمايتهم ومساعدتهم في الحفاظ على ثقافتهم وهويتهم وتحويلهم إلى مصدر لدعم قضايا المسلمين وعونا للبلاد الإسلامية في السياسات والفرص والمواقف الغربية.

ثم يطرح الكاتب سؤالاً جوهرياً يقول: هل سيتراجع المسلمون ويفقدوا دورهم في ظل أمة كونية واحدة بعيداً عن الدول القطرية، بما فيها الدول الإسلامية؟ ويجيب بالإيجاب !! إذا اكتفى المسلمون بدور المتفرج على أحداث وتطورات على المستوى الكوني. مؤكداً أن الدول الإسلامية مدعوة للعمل والتفكير وبذل الجهد:

﴿... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾

[سورة الرعد، الآية: 11]

وفي هذه الحالة فإنه يحق للمسلمين انتظار مشيئة الله في توفيقهم ونصرهم وتمكينهم من توظيف العولمة والظروف والفرص المحيطة في استعادة العصر الذهبي للمسلمين.

إذا قبلنا وتوافقنا على أن الإسلام أولى مسألة العدالة أهمية قصوى؛ فما هي الخطوة التالية التي يجب على المسلمين أن يتدبروها؟

الشريعة الإسلامية والعالم المعاصر

جاء النبي محمدﷺ برسالته إلى مجتمع كان بكل المقاييس يقوم على القمع والعسف والظلم، وحمل إلى ذلك المجتمع بكل تخلفه وجهله؛ شريعة المولى سبحانه وتعالى، والمعاني

انتخابه عضواً بالبرلمان عام 1964م، اشتهر خلالها بدفاعه عن أفراد طائفته من الملايو حتى اتهم بالتطرف من قبل حكومة تنكو عبد الرحمن وخسر انتخابات عام 1969م أمام مرشح الحزب الإسلامي، ثم فُصل من حزب أمنو نتيجة مهاجمته الحكومة.. ونشر بعد ذلك كتابه المثير (الورطة الماليزية) الذي يطرح فيه أفكاراً وطنية مثل: وضعية ماليزيا خلال فترة الاستعمار، ويوبخ الماليزيين على قبولهم بوضعية مزرية، كما يشن هجوماً كاسحاً على الغرب المسئول عن تكريس تلك الأوضاع. وقد ضاعف ذلك من شعبية محاضر محمد حيث عاد للبرلمان عام 1974م، ثم عُين وزيراً للتعليم، وأثمرت سياسته بشكل واضح في الارتقاء بتعليم أبناء الفئات المحرومة والفقيرة في البلاد. بعد ذلك أصبح نائباً لرئيس الوزراء حسن أون، ثم تولى وزارة الصناعة والتجارة وارتقى بأدائها، واتسم عمله بالنزاهة ما رجح كفة فوزه في انتخابات عام 1978م.. في 16 الماء (مايو) 1981 أصبح محاضر محمد رئيساً للوزراء وظل في منصبه هذا عبر انتخابات برلمانية حرة حتى تنحى بنفسه عن الحكم عام 2001م. ومن مؤلفاته: (معضلة الملايو، والتحدي، وصوت آسيا، وتحديات الاضطراب، والإسلام والأمة الإسلامية)، بالإضافة للعديد من المحاضرات والندوات التي قدمها.. في كتابه (العولمة والواقع الجديد.. التجربة الماليزية نموذجاً).

والمفاهيم والقيم الحقيقية للعدالة والمساواة، وتنص تعاليم الإسلام بوضوح على تحريم وعدم جواز أي عمل أو فعل يكون من نتائجه الظلم. وفي هذا السياق يشير الدكتور محاضر محمد إلى أن تشريعات الإسلام تقوم أساساً على العدل والمساواة، ولكن بعض المسلمين يقدسون الجوانب الشكلية ولا يعطون العدالة المكانة التي يجب أن تنالها، وبعضهم يخلط بين الإسلام والعدالة الإسلامية، وبين التقاليد والثقافات القبلية أو العشائرية. ملاحظاً أن عدم الاهتمام بتصنيف وتنظيم القوانين الإسلامية وتدوينها؛ قد فتح الباب لتفسيرات عديدة، وتأويلات تتناقض في بعض الأحيان مع جوهر العقيدة الإسلامية. وبعد أن يلمّح بإيجاز إلى تجربة بعض البلدان الإسلامية في تطبيق القوانين الإسلامية؛ يشير إلى ما بذلته ماليزيا من مساع كبرى لتدوين وتطبيق الأحكام والقوانين الإسلامية، وكيف أخذت بالاعتبار التعددية العرقية والدينية في البلاد، ملاحظاً ما قد يكون من بعض الاختلاف في العقوبات المطبقة على الشريعة الإسلامية، ولكن المبادئ العامة للقوانين لا تختلف عن المفهوم الإسلامي.

والحكومة الماليزية لا ترفض القوانين الإسلامية، ولكن ثمة إجماع كامل على أن تطبيقها في الظروف السائدة غير ممكن.

ويؤكد الكاتب أن القوانين الإسلامية تحتاج صياغة مدونة موحدة للقوانين، وملاحظة الاختلاف في تفسير النصوص والأحكام الشرعية والاختلافات بين المذاهب والطوائف الإسلامية، فلا يمكن توحيد القوانين الإسلامية بسبب التعددية المذهبية.

ويشير الكاتب إلى أن المسلمين اليوم - بمن فيهم الماليزيون - صاروا أقل سماحة واعتدالاً، ولا يراعون وجهات نظر الآخرين وحقوقهم، لدى ممارسة التعاليم الإسلامية وتطبيقاتها. وقد أدت المنافسة السياسية بين الجماعات الإسلامية المختلفة إلى اتخاذ التشدد في تفسير التعاليم والأحكام الإسلامية؛ معياراً للحكم على مدى عمق الإيمان والالتزام بالإسلام لدى الطرف المناوئ. ملاحظاً أن الأمر بلغ ببعض الناس إلى تفسير أي مؤشر على التسامح والمرونة في بعض القضايا؛ على أنه ضعف في الإيمان بالعقيدة الإسلامية. مؤكداً أن هناك حاجة ملحة لجمع القوانين الإسلامية وتنسيقها وتدوينها بهدف توحيدها والوصول إلى صيغة معيارية في الجوانب الإجرائية المتصلة بتطبيقها، وتوحيد العقوبات. ويلاحظ الكاتب أن القوانين الإسلامية قد لا تتطابق تماماً مع الفكر الليبرالي، ولكنها يمكن أن تتفق وتنسجم مع المفاهيم العالمية للعدالة.

هل صممت العولمة لزيادة ثروة أهل الغرب وتعزيز هيمنتهم التي فرضوها منذ زمن بعيد على الشعوب الأخرى في مختلف بقاع العالم؟

كما يلاحظ الكاتب أن العالم الإسلامي إذا عمل ككتلة واحدة وليس دولا متفرقة ومختلفة، ونسقت الجهود والبرامج والمواقف فيما بين الدول والمنظمات والمؤسسات الإسلامية، واستوعب العلماء المهاجرين، ووظفت الطاقة المتوافرة للمسلمين؛ فإن هؤلاء يمكن أن يشكلوا قوة اقتصادية وسياسية تفرض شروطها ومصالحها.

مستقبل المسلمين في القرن الحادي والعشرين

ينطلق الكاتب في تناوله هذه المسألة من تساؤل مُلِح هو: أين صنائع وإنجازات المسلمين اليوم مقابل تلك الصحائف الناصعة المليئة بأمجاد غير مسبوقة حققها أسلافنا أيام العصر الذهبي لأمتنا؟. وفي مستهل إجابته يذهب إلى التأكيد على أننا نبدو



مسجد جام في ماليزيا

عاجزين تماماً عن إنتاج مثل أولئك العظماء من جديد، متوقفاً مع كيفية اضمحلال الحضارة والريادة الإسلامية حتى العصر الحاضر، ملاحظاً أن من يحتكرون الإسلام ويزعمون أنهم يمثلون الفئة الناجية الوحيدة دون غيرهم؛ لا ينفكون يدبجون الخطب التي تدين التيار الغالب في صفوف المسلمين، وتصنفهم على أنهم غير مسلمين أو غير ملتزمين بأمور دينهم في أحسن الأحوال. ونتيجة لانشغال المسلمين بذلك الجدل العقيم حول أيهم أحق بادعاء تمثيل الإسلام الصحيح؛ فإن مسيرة بلداننا الإسلامية تمضي في اتجاه عكسي، متراجعة عن ركب التطور في العالم، ما يسهل على الآخرين الهيمنة عليها. ويشير الكاتب إلى أن كل تلك التحولات الجذرية التي شهدها ويشهدها العالم، بما تستبطنه من آثار عميقة؛ لم تثن المسلمين عن المضي قدما في جدلهم حول من هو أحق بادعاء الإسلام الصحيح.

ويتوقف الكاتب مع ما عرف بالجماعات الإسلامية المتطرفة، التي قتلت من المسلمين أكثر بكثير مما قتلت من الكفار أعداء الإسلام، مؤكداً أن المسلمين لم يجنوا من سلوك وممارسات تلك الجماعات غير التعاسة والبؤس، والمزيد من الكراهية والإدانات من المجتمعات الأخرى، فضلاً عن تعطيل مسيرة التنمية والتقدم في البلدان الإسلامية.

ويعرج الكاتب على ما يسميه (منهج المسلمين الماليزيين) فيما يتصل بالعمل على إعادة الصحوة والريادة للمسلمين، ويخلص من ذلك إلى أنه على قناعة تامة بأن جهادنا ينبغي أن يتركز أولا على بناء دولة إسلامية يقودها إداريون ومسئولون يتحلون بالعقلانية وعلى قدر عال من المهارة والكفاءة، وملمون بالعلوم والتقنية، وخبراء مطلعون على قضايا التجارة والصناعة، وضالعون في السياسة والاقتصاد والاجتماع، على أن يتصفوا بالنزاهة والاستقرار والتوازن الروحي.

التجربة الماليزية

واجهت ماليزيا ودول منطقة شرق وجنوب شرق آسيا في صيف عام 1997 أزمة اقتصادية حادة عصفت باقتصاديات دول المنطقة، وقد تمكنت ماليزيا من عبور الأزمة بنجاح، ذلك لأنها تنتهج نظام إدارة مالية يتميز بقدر عالٍ من التعقل والكفاءة، ودرجت ماليزيا على تسديد القروض الخارجية، ولم تلجأ الحكومة طوال عمرها منذ الاستقلال إلى المصرف المركزي للتمويل بالعجز.

ويتميز سوق الأوراق المالية في ماليزيا بحيوية عالية تمكن الشركات الماليزية من تكوين (الرساميل)، ويطبق نظام الخصخصة على نطاق واسع. وفي معالجة الإدارة للأزمة طبقت الحزم المعيارية للأزمة لحفز نمو الناتج المحلي دون التخلي عن المساواة والعدالة الاجتماعية. وقد بيعت الشركات الحكومية للمواطنين الماليزيين وليس لشركات أجنبية، وطبق نظام مصرفي إسلامي فريد من نوعه أطلق عليه (النظام المزدوج)، وقد لقي هذا النظام تأييد وقبول جميع الماليزيين على اختلاف عقائدهم وأعراقهم،واتخذت ترتيبات ثنائية مع 26 دولة نامية لتقليل الاعتماد على العملات الأجنبية لتمويل التجارة، وقد نتج عن ذلك نمو في حجم التجارة الماليزية مع البلدان النامية بنسبة 400٪. وكانت تجربة غنية بالدروس والعبر المفيدة والمهمة للبلدان النامية، ومن بين أهم الدروس المستخلصة من تلك التجربة - في رأي محاضر محمد - الحاجة لإدراك واستيعاب الأسباب الحقيقية التي تؤدي إلى انكماش النشاط الاقتصادي، والكيفية التي تعمل بها، والعلاقات المتداخلة للقطاعات الاقتصادية المختلفة. مؤكداً أن وضع وهندسة الاستراتيجيات التي تمكن من مكافحة الأزمة وإصلاح الخلل ليس بالأمر الصعب على الإطلاق بمجرد وضع اليد على العوامل المسببة واستيعاب طريقة عملها.

لم تكن الأزمة المالية التي ضربت منطقة شرق وجنوب شرق آسيا حتمية، وكان يمكن تجنبها لو أن النظام المالي الدولي كان يهدف بالفعل إلى تسهيل انسياب التجارة والتفاعل الاقتصادي بين الأمم، ولكن القوة الرأسمالية المهيمنة كانت وما زالت ترغب في الاستئثار بكل شيء، وفرض أجندتها السياسية التي تجعل النظام الدولي يشجع على الاتجار بالعملات، وهو نشاط غير ضروري على الإطلاق ويدمر الثروات أكثر مما يحققه المضاربون من أرباح.

إذا كانت العولمة قد صممت للهيمنة على العالم الإسلامي؛ فكيف نفهم أنها تتضمن فرصة للمسلمين تمكنهم من أن يفيدوا من العولمة ويوظفوها في النهضة والتنمية؟

ويخلص الكاتب إلى أن من أهم القضايا التي ينبغي على المسلمين أن يبدأوا بها لإعداد أنفسهم لمجابهة التحديات المستجدة؛ هي أن يكيفوا أنفسهم مع الواقع الراهن، وأن يوفقوا أوضاعهم معه، من دون أن يتخلوا عن جوهر وأصول الدين الإسلامي الحنيف.

الارتقاء بمفهوم الإسلام

يذهب المؤلف إلى أن هناك شواهد كثيرة على عدم نزاهة وسائل الإعلام في تناولها لقضايا الإسلام والمسلمين، وانتهاجها أسلوباً متحيزاً، ولا يخفى أن وسائل الإعلام خاضعة اليوم لهيمنة غربية شبه تامة، وبرغم أن الحكومات الغربية لا تسيطر عليها على نحو مكشوف على الأقل؛ لكن آراءها تعكس الانحياز الغربي والسياسيات الغربية. وبما أن الغالب الأعم من وجهات النظر الغربية هي ضد المسلمين فإن وسائل الإعلام تروج عن عمد لهذه الآراء المعادية للمسلمين.

وبعد أن يقدم الكاتب نماذج وشواهد من تحيز



العاصمة كوالالمبور ليلاً

الإعلام الغربي ضد الإسلام المسلمين، وكيف أن العالم تحول إلى قرية كونية بفضل قنوات البث والاتصال؛ يؤكد أن وسائل الإعلام بإمكانها أن تلعب دوراً كبيراً في تطوير ثقافة القرية الكونية، حيث يعيش الجميع معاً، ويعملون معاً، ويتقاسمون ثمار عملهم معاً بالإحسان والعدل، وإن ما يمكن أن يسهم به أي شخص في سبيل تفهم بقية العالم للإسلام والمسلمين؛ يشكل مساهمة أيضاً في بناء القرية التي تتكون على نحو سريع جداً الآن. وهذا هو التحدي الذي تواجهه وسائل الإعلام، التي نأمل ـ يقول الكاتب ـ أن تتعاون معنا من خلال تعزيز جهودنا بقوتها ونفوذها الواسع، بما يمكننا سوية من دحض هذه الصورة المشوهة الزائفة التي كونها العالم عن الإسلام والمسلمين ومحوها.

الإسلام وتعزيز التسامح والحوار

كان المسلمون الأوائل يجوبون الأرض شرقاً وغرباً، وقدموا للشعوب الأخرى نماذج تحتذى في التسامح واحترام عقائدهم، وحاولوا استنباط الجوانب المشتركة بينها وبين الإسلام وتبنيها، وتعاليم الإسلام تؤكد على هذا الأسلوب المتحضر الذي يشكل قاعدة للحوار والتواصل. في هذا السياق يقدم الكاتب بعضاً من الشواهد والأمثلة المستقاة من التعاليم الإسلامية التي قدمها المسلمون الأوائل لغير المسلمين، ثم يعرج على انتكاسة تلك الجهود في عصور الانحطاط، وفي العصر الحاضر، حيث برزت تيارات كل منها يدعي أنه الأعرف بالإسلام وتعاليمه، خاصة في مرحلة الاستعمار ثم ما عرف بمرحلة الاستقلال. ويتناول المؤلف مصطلح (العلمانية) بين

المؤيدين والمعارضين في العالم الإسلامي، ويختم تناوله لهذا الجانب بالتأكيد على أن الحضارة الإسلامية ساهمت مساهمة لا تقدر بثمن في تنمية وتعزيز الحوار والتفاعل بين العقائد، انطلاقاً من تعاليم الإسلام التي تأمر بذلك.

دروس وعظات من الماضي

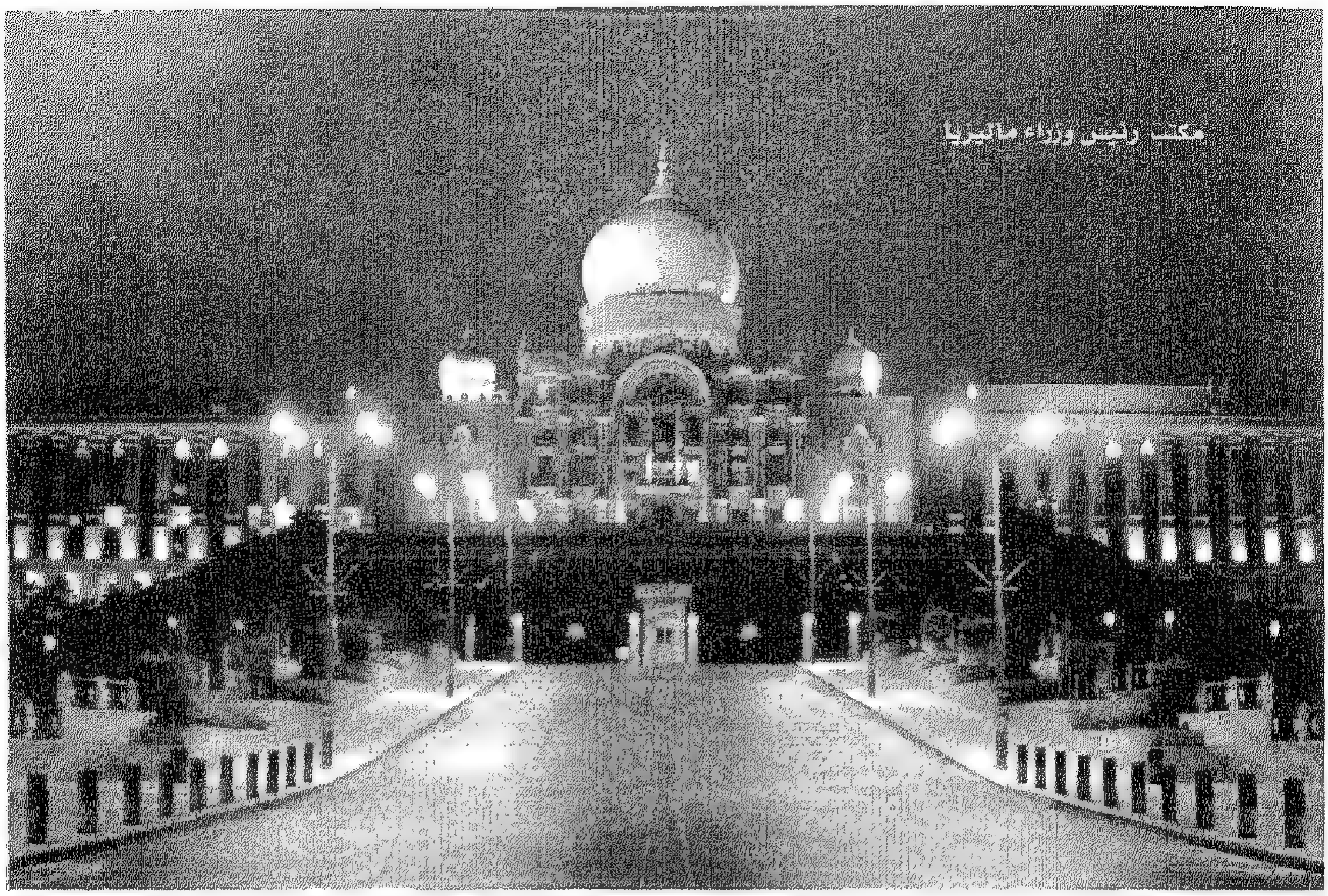
لكي نخطط للمستقبل علينا أولاً أن ننظر إلى الماضي كي نعرف من أين جئنا، وإذا لم نفعل ذلك فإننا قد نتراجع إلى الوراء، حتى وإن كنا نشعر بأننا ماضون إلى الأمام. يؤكد الدكتور محاضر أن هذا ما سيحدث عندما نقوم بمواجهة القرن الحادي والعشرين، قرن التقنيات المتطورة، بتغيير أنماط حياة البشر، وهذا يعني أنه ينبغي علينا أن نسعى إلى الاسترشاد والهداية وأن نستلهم الدروس والعظات من تاريخ العالم وتاريخ المسلمين. ويشير المؤلف إلى أننا إذا ما أردنا أن نواجه القرن الحادي والعشرين بكل ما يحفل به من تحديات ينبغي علينا أن نسعى إلى إجراء الإصلاحات المطلوبة لمواجهة مطالب عصر المعلومات، والتي تتمثل في التأكيد على قيم الإسلام ومبادئه الأصيلة وقيمه السمحة الخالية من كل ما من شأنه زرع بذور الفرقة والانقسام في أرض الإسلام، مع ضرورة الحرص على تجنب التأويلات والتفسيرات الدينية التي لا تستند إلى القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة.

العدالة الإسلامية

عندما أتى الإسلام بمفاهيم العدالة واستحدث آليات تطبيقها؛ توحد العرب لأول مرة في أمة واحدة، وبلغوا مرحلة الرفاه، وبالمقابل لم تتراجع الحضارة الإسلامية التي أنتجوها إلا بعد أن تمّ تشويه القوانين الإسلامية، وانحراف الناس عن العدالة الإسلامية.



سوق في كوالالمبور



وهنا يسوق الكاتب عدداً من الآيات القرآنية التي توضح العدالة الإسلامية وجوهرها وأبعادها، ملاحظاً أن أهم سمة في العدالة الإسلامية العدل والمساواة والعفو، بمعنى أن العقاب يكون من جنس الجرم، وأن يكون عادلاً بين جميع الأفراد بمختلف مواقعهم ومناصبهم. ولو ألقينا نظرة عجلى على بعض القوانين الإسلامية في شكلها الذي نراه في وقتنا الحالي؛ يتضح لنا أنها لا تعكس روح الإسلام وجوهره، مشيراً إلى أن كيفية تشريع القوانين وصياغتها وإنفاذها في حيز الواقع ليست مهمة بقدر مطابقتها لروح الإسلام، والأوامر التي ورد ذكرها بوضوح تام في عديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. ملاحظاً أنه برغم المرونة الموجودة في الإسلام فإن فقهاء المسلمين نزعوا في الماضي إلى تقديم تفسيرات متزمتة للقرآن، وقاموا بصياغة قوانين في منتهى القسوة لا تأخذ بالاعتبار الظروف والملابسات والمعطيات الموجودة. ويقدم الكاتب بعض الأمثلة والنماذج لتطبيقات القوانين في بعض البلدان الإسلامية ومنها ماليزيا. مذكرا بأننا إذا قبلنا وتوافقنا على أن الإسلام أولى مسألة العدالة أهمية قصوى؛ فإن الخطوة التالية التي يجب على المسلمين أن يتدبروها هي المسائل الإجرائية في تحقيقها، مؤكدا أن المسائل الإجرائية المتصلة بالقانون في الإسلام ليست معقدة، بل هي مرنة إلى أبعد الحدود، وهناك مؤشرات على كيفية وأسلوب إدارة العدالة في الإسلام نجدها في القرآن الكريم والسنَّة النبوية.

ويخلص الدكتور محاضر محمد إلى القول: إننا لن ننجح في إدارة القوانين الإسلامية نجاحاً يؤدي إلى ضمان العدل والإنصاف إلا عندما نأتي بكل أولئك العلماء والخبراء والاختصاصيين، وأن يؤخذ برأي كل واحد منهم في مجال تخصصه، وعلينا أن نتذكر أن كل هؤلاء العلماء والخبراء ماهم إلا بشر مثلنا، وغير معصومين من الخطأ، وكل يجتهد وفق المعطيات الحالية، مثلما هو حال الفقهاء الأوائل الذين اجتهدوا بكل أمانة وتجرد بحسب ظروف ومعطيات زمانهم؛ فإن الفقهاء المسلمين في المستقبل سيجدون في

تفسير واجتهاد علماء اليوم من الأخطاء ما يحتم عليهم القيام بتفسير القرآن والإسلام من جديد.

الإسلام

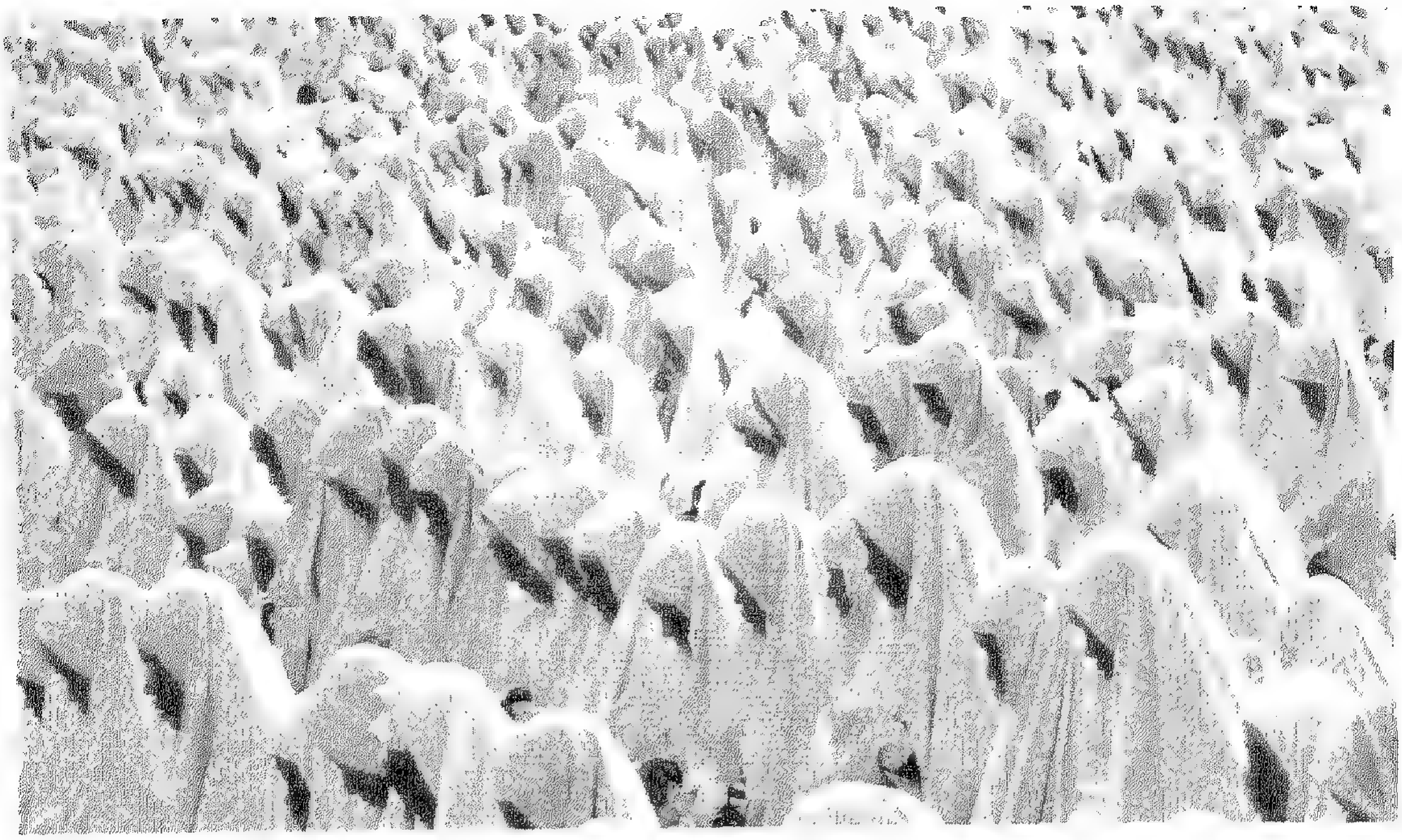
الدين الذي أسيء فهمه

قد يكون الإسلام أكثر العقائد التي أسيء فهمها في عالم اليوم، بل يمكن القول إنه قد يكون أكثر العقائد تعرضاً لسوء الفهم عبر التاريخ أيضا، ويرى المؤلف أن سوء الفهم هذا لا يقتصر على غير المسلمين، وإنما يمتد للمسلمين أنفسهم، والدليل على ذلك وجود هذا العدد الكبير من الطوائف والفرق والجماعات الإسلامية التي تتبع كل واحدة منها تعاليم إسلامية مختلفة، بل ومتناقضة بعضها مع بعض.

ويشير المؤلف هنا إلى أن الاختلاف وما يلازمه من تناقض يؤكد أن هناك خطأً ما، وأن هذا الخطأ يكمن تحديدا في عدم فهم الإسلام أو في إساءة فهمه، وهنا يؤكد المؤلف أن المحنة التي يعيشها المسلمون هي في جانب كبير منها من صنع أيديهم، ونتيجة حتمية لعدم قدرتهم على التطور مع الزمن، ولهذا فإن خلاص المسلمين يكمن في أيديهم هم، وليس في أيدي غيرهم. ويتساءل عن سبب اختلاف المسلمين وتفرقهم رغم أن الكتاب واحد والدين واحد؟ ويخلص في ختام محاولته الإجابة عن هذا السؤال إلى أن ما يحدث في العالم الإسلامي ليس قدراً مكتوباً، ولكنه نتيجة طبيعية لطمع المسلمين ورفضهم اتباع تعاليم الإسلام الصحيحة، وخصوصاً تلك المتصلة بمبدأ الأخوة الإسلامية.

وفي تناوله مسألة (سوء فهم غير المسلمين للإسلام) يعرض للصدام الذي حدث في فترة مبكرة من عمر الإسلام بين المسلمين والمسيحيين عندما كانت الإمبراطورية البيزنطية تقف في وجه انتشار الدين الجديد، حيث استمر المتعصبون من النصارى في تأجيج مشاعر العداء والكراهية ضد المسلمين لقرون عديدة. واليوم نرى أن فهم الغرب الخاطئ للإسلام قد بلغ مداه، فالغرب يتناسى أن المسيحية قد شهدت أيضاً بعض مظاهر الضلال والانحراف التام عن التعاليم المسيحية، مثل محاكم التفتيش وإحراق العلماء؛ بينما ينظر إلى بعض مظاهر الانحراف عن جادة الصواب في ممارسة الإسلام على أيدي فئة قليلة ممن ينتسبون إلى الإسلام على أنها تعبير عن الإسلام بكامله، أو على أنها تمثل الصورة الحقيقية للإسلام. ويتساءل المؤلف: ماذا نفعل.. وتلك هي الصورة التي كونها الغرب عن المسلمين؟ لدرجة أنه ينسى في كثير من الأحيان أن عدد ضحايا تطرف الجماعات التي تنتسب للإسلام؛ لا يكاد يذكر مقارنة بعدد المسلمين، بل وغير المسلمين؛ الذين أزهقت أرواحهم على أيدي المتطرفين المسيحيين، ملاحظاً أن سوء الفهم للإسلام في الغرب بلغ درجة أنهم يفترضون أن الإرهاب جزء أصيل من التعاليم الإسلامية، وأنه يقتصر على المسلمين فقط، وعندما يتم تقديم أدلة على أن العكس هو الصحيح يتم بكل بساطة تجاهل هذه الأدلة. هذا مع أن هناك عدداً لا بأس به في الغرب، كتابا وغيرهم، ممن حاولوا أن يكونوا منصفين وموضوعيين، لكن آراءهم يتم تجاهلها ويُغضّ الطرف عنها. ويختتم تناوله لهذه القضية بالتأكيد على أن الإسلام لم يكن موجها للعرب فقط، وإنما هو دين لكل العصور ولكل الشعوب، وإذا ما فهمنا نحن المسلمين هذه النقطة فإن ذلك سوف يساعد على تضييق مساحة سوء الفهم للإسلام.

ما الذي جناه المسلمون من سلوك وممارسات الجماعات المتطرفة غير التعاسة والبؤس، والمزيد من الكراهية والإدانات من المجتمعات الأخرى، فضلاً عن تعطيل مسيرة التنمية والتقدم في البلدان الإسلامية؟



مسلمات ماليزيات

الإسلام والتصنيع

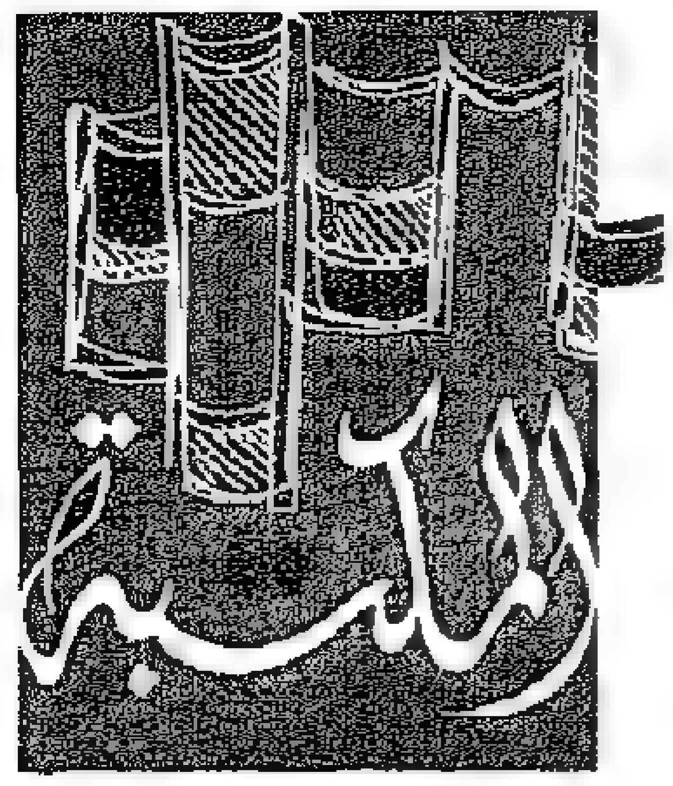
لأن موضوع الإسلام والتصنيع قد يبدو غريباً يتساءل الدكتور محاضر محمد: هل يمكن أن تكون هناك صناعة إسلامية؟ أو على الأقل صناعة تستند في إطارها العام إلى قواعد ومفاهيم إسلامية؟ وهل نستطيع أن نخضع الصناعات المتعددة المعروفة لدينا إلى عملية أسلمة؟ وما الحاجة التي تستدعي ربط الصناعة بالإسلام؟ وهل الصناعة ضرورية في الأصل؟

هذه الأسئلة يفتتح بها محاضر محمد مؤتمر الإسلام والتصنيع الذي عقد في كوالالمبور، ويلاحظ كيف أن الصناعة وجهت لإنتاج أسلحة الدمار التي كان المسلمون أكثر من يتعرض لها في الوقت الذي لا يملكون الأسباب والقوة الكافية لرد العدوان.

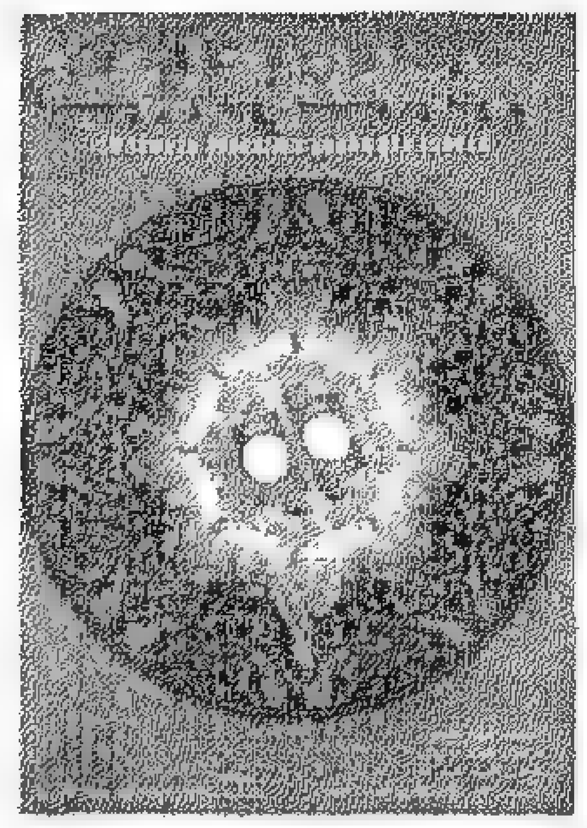
ومن جانب آخر يشير الكاتب إلى أننا إذا ما نظرنا للصناعة من زاوية أنها مجال لتزويد الناس بالخدمات؛ فمن الممكن أن تتفهم المجتمعات المسلمة مدى أهمية هذا المرفق، وفي تقدير الكاتب فإن المسلمين الذين يقتحمون مجال الاستثمار في التصنيع؛ دائماً ما يكونون أكثر قدرة على إدراك ارتباط الدين بالصناعة. ويختم بالتأكيد على أن الوقت قد حان ليعمل المسلمون على بلورة مفهوم إسلامي صحيح إزاء قضايا التصنيع، ولا بد من انسجام رؤى المسلمين إزاء الصناعة مع جوهر ومغزى دينهم الحنيف، وإذا تحقق للأمة هذا الوعي بأهمية الصناعة وارتباطها بدوافع دينية، فإن ذلك سيسهم في ترويج الصناعات الإسلامية بين أقطار المسلمين، ويدفع مجتمعاتهم لاكتساب المعرفة، ويهيئ الأرضية الملائمة لغرس مفاهيم سامية عن الصناعة، ويجعل الدول الإسلامية أكثر تطوراً ونشاطاً وتقدماً ونجاحاً، ويفرض احترام المسلمين في العالم. وقد حان الوقت ليعمل المسلمون على بلورة مفهوم إسلامي صحيح إزاء قضايا التصنيع ينسجم مع جوهر الإسلام، فذلك من شأنه أن يوظف الطاقات والإمكانات لإدارة مختلف أنواع الصناعات على نحو فاعل يصب في مصلحة المسلمين والدين الإسلامي.



صدر حديثا
WORLD ISLAMIC CALL SOCIETY
Association Mondiale de l'Appel Islamique
لغة القرآن الكريم
من حقائق الكون في التعبير القرآني
القرآن
ومشكلات الإنسان
الإسلام والصحة
الإسلام المسلمون



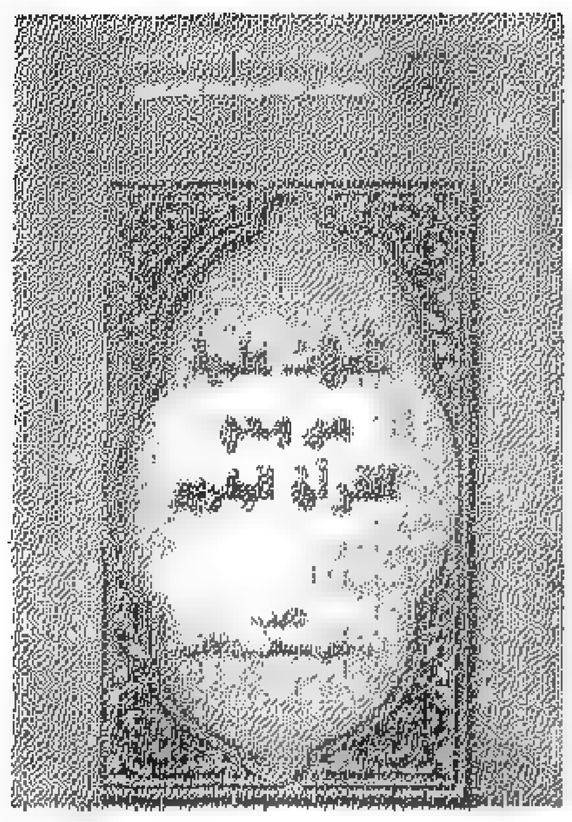
بحوث ودراسات في القرآن والسنَّة



المؤلف: مجموعة مؤلفين
الناشر: كلية دراسات القرآن والسنَّة
جامعة العلوم الإسلامية/ماليزيا

في إطار ترسيخ أواصر التواصل الثقافي مع الهيئات والمؤسسات العلمية؛ تكرمت كلية دراسات القرآن والسنَّة بجامعة العلوم الإسلامية بماليزيا؛ بإهداء إدارة تحرير مجلة (التواصل) نسخة من كتاب (بحوث ودراسات في القرآن والسنَّة/ ج 3) الذي يحتوي على عدد من البحوث والدراسات الفكرية، تتناول جملة من القضايا الإسلامية التراثية والمعاصرة، منها (المعاني الروحية في القرآن دليل ربانيته وخاتميته، بقلم إحسان حسن الربيعي - أسلوب الدعوة إلى العقيدة في ضوء القرآن: عبرة للدعاة، بقلم السيد أحمد ترمذي - المعتزلة ومنهجهم في تفسير القرآن، بقلم نور ذوليلي بنت محمد غزالي - المستهزئون بالنبي قديماً وحديثاً، بقلم عادل محمد عبد العزيز الغرياني - العين في ضوء القرآن والسنَّة النبوية، بقلم زهدي بن محمد أمين - الرياضة البدنية في ضوء السنَّة النبوية، بقلم ربيعة العدوية بنت محمد). كما يتضمن الكتاب أربع دراسات أخرى باللغة الإنجليزية، تدور حول بعض المفكرين المسلمين، وقضايا إسلامية تراثية ومعاصرة.

تأملات علمية من وحي القرآن الكريم



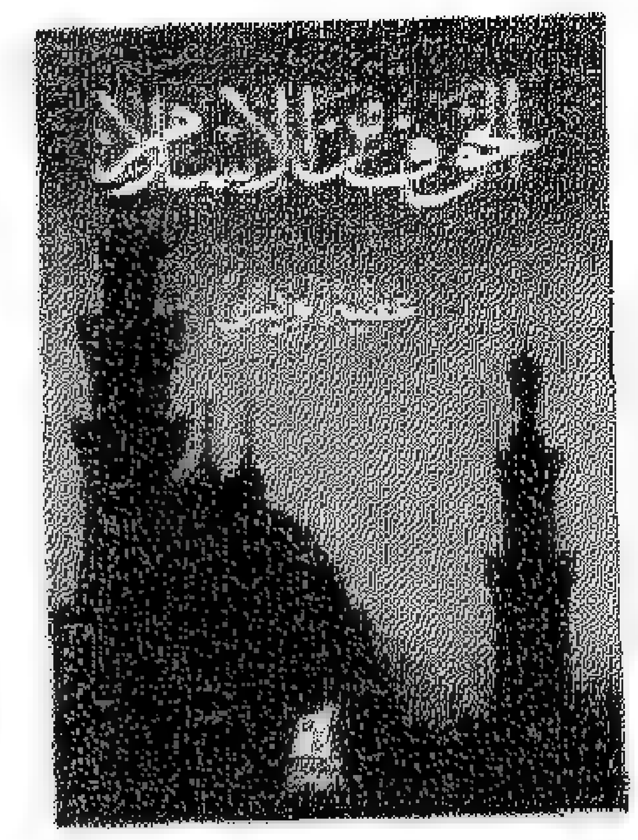
المؤلف:
أ. د. على مصطفى بن الأشهر
الناشر:
المكتب الوطني للبحث والتطوير / طرابلس

في هذه التأملات دعوة للعلماء والمفكرين بمختلف مناحيهم الفكرية، وتخصصاتهم العلمية، وبخاصة علماء الطبيعيات والطب والهندسة وعلوم الحياة والأرض والفلك... إلى غير ذلك من العلوم التي تحدث عنها القرآن الكريم في آيات عديدة، فالقرآن الكريم كتاب من أجل كل البشر، وقد انتشر الإسلام وعم أرجاء المعمورة وبين أقوام يجهلون اللغة العربية، وعندما تعلموها لم يكن في إمكانهم - إلا القليل منهم - إدراك جوانب الإعجاز البلاغي والعظمة الفنية في القرآن الكريم، لذلك لا يمكن القول إن معجزة القرآن الوحيدة هي لغته العربية، فبالإضافة إلى معجزاته التشريعية والأخلاقية والتعبدية، وإعجازه اللغوي المبهر؛ هناك تلك الآيات العلمية والكونية، والتي تشهد اليوم ظواهر علمية تؤيدها، وتحتوي - دون شك - حقائق علمية أخرى سوف يكتشفها الإنسان مستقبلاً. ومن هنا جاءت دعوة المؤلف - والتي يمكن اعتبارها غاية تأليفه لهذا الكتاب - إلى أن لا يقتصر تأويل آيات القرآن الكريم على ضوء الاكتشافات الحديثة، بل يتعداها إلى أن نستكشف منها ما يقودنا إلى اكتشافٍ أبعد، وتفهمٍ أعمق لأسرار الكون.

إن قراءة التاريخ وحدها كفيلة بأن ترسم للإنسان بدقة ووضوح طريقة أحاسيسه ومشاعره وعواطفه.. وأهم من ذلك: ترسم وعيه بذاته وبالآخر في سياق تفاعلاته وتعاطيه مع قضايا وجوده في هذه الحياة، ومن ثم كان ضرورياً أن تسلط بعض الأضواء على أحد الجوانب المهمة في حياة الإنسان الغربي، والمتصلة بقضية الخوف من الآخر وذلك حتى يمكن تفكيك وتشريح شخصية ذلك الإنسان بصورة تفسر مجمل مواقفه الدينية وسلوكه الحضاري والاجتماعي والسياسي ونحو ذلك مما يساعدنا على فهم أفضل للظاهرة الغربية بوجه عام، وفي سياق (الإسلام فوبيا) بوجه خاص.

ويهدف التخويف من الإسلام - في أحد محاوره الشيطانية - إلى الحد من وعي المسلم بتاريخه وبذاتيته الحضارية، واستدراجه إلى دوامات الشك النفسي، والانهزام الفكري، والقلق العقدي، والاضطراب العاطفي؛ الذي يعزله شعوراً عن ماضيه وموروثه الحضاري، ليعيش واقعه تحت ضغط الدعايات المكثفة التي تجرده من كل ثقة في عقدياته وثوابته الحضارية؛ لكيلا يبقى شيء مقدس قائماً في ضميره، فيفقد صوابه، ويضعف إحساسه بذاتيته العقدية وهويته الحضارية.. فيسهل اصطياده وتذويبه وصهره في أي قالب وفقاً لمشيئة مركز تخطيط الهيمنة والاستئساد والاستقواء في الأرض بغير الحق..

هذه القضايا وغيرها هي موضوع هذا الكتاب..



الخوف من الإسلام

المؤلف: عطية الويشي

الناشر: شركة نهضة مصر

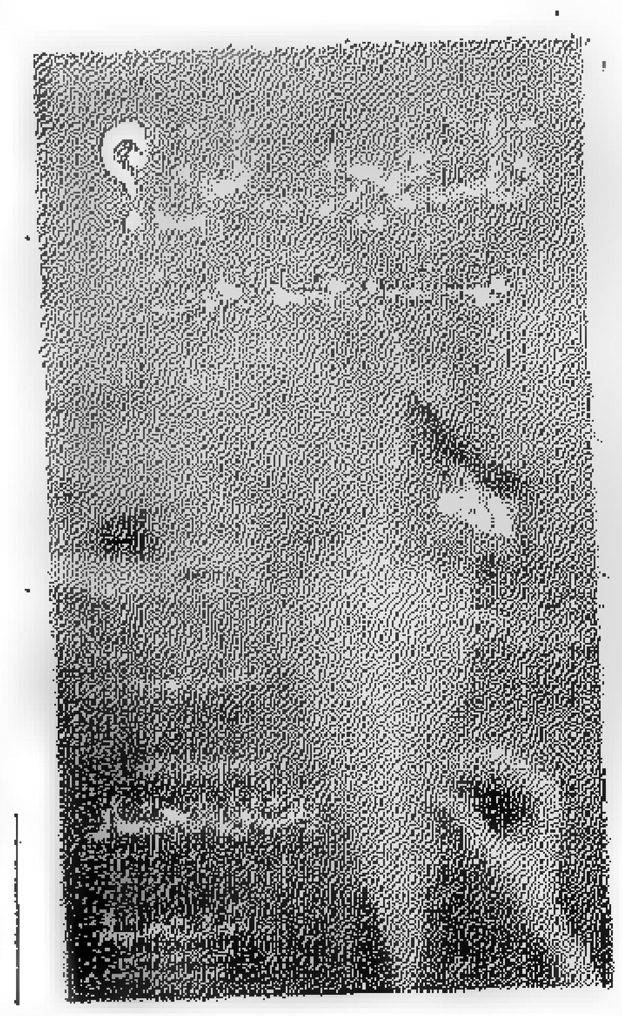
فلسطينُ.. لمن؟

المؤلف:

د. زغلول النجار

الناشر:

مكتبة وهبة للتوزيع والنشر/ القاهرة



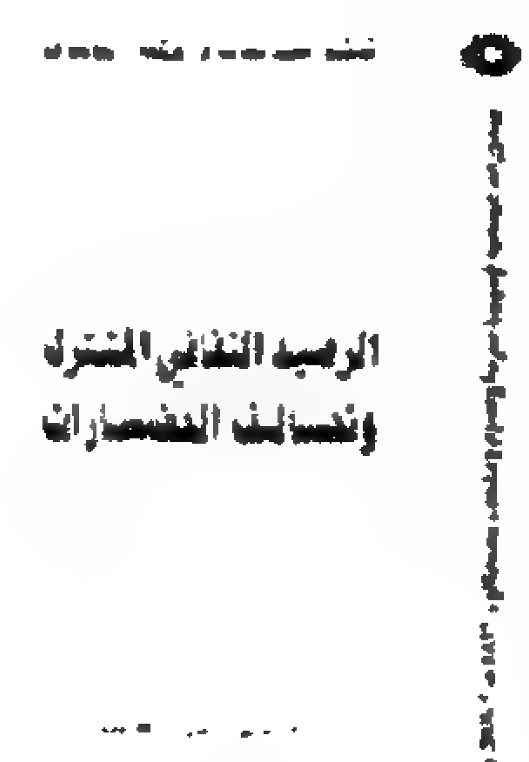
يفند الفرية التي افتراها غلاة اليهود «على الله - تعالى» بأنه قد وهب لهم أرض فلسطين ملكاً أبدياً لهم ولذراريهم من بعدهم إلى يوم الدين، ومن ثم فإن إبادة شعب فلسطين أو طرده من أرضه حتى تخلو لليهود هو أمر مقدس بزعمهم الباطل، وذلك انطلاقاً مما دسوه على الله في أسفار (العهد القديم) بأن اليهود هم شعب الله المختار، وأبناؤه وأحباؤه، وأن جميع من هم غير اليهود هم حيوانات خلقت في هيئة البشر حتى يكونوا لائقين بخدمة اليهود، ومن هنا فهم عبيد لليهود، لا يجوز التعامل معهم بأي قدر من الإنسانية - أو الرحمة، لأن حبهم بغض لله تعالى، وعلى ذلك فإن المحسن إليهم يميته الرب، وأن خيانتهم والتآمر عليهم وقتلهم هو قربى إلى الله.

كتاب يرجو المؤلف أن يقرأه - خاصة - كل أولئك الذين تطاولوا على خير البشر، ودعاة التطبيع؛ حتى يدرك الأولون فضل الإسلام على غيره من الأديان، ويدرك الآخرون حقيقة أن الكيان الصهيوني الذي غرس في قلب الأمتين العربية والإسلامية بمؤامرة دولية حاكتها كل من بريطانيا وفرنسا وتولت إثمها من بعدهما الولايات المتحدة الأمريكية؛ يشكل خطراً داهماً على العالمين العربي والإسلامي، لا يجدي معه سلام أو تطبيع أو تبادل للعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية وغيرها، لأنه يشكل خلية سرطانية إما أن تجتث من المنطقة بالكامل أو تقضى عليها قضاءً مبرماً!!

الرصيد الثقافي المشترك وتحالف الحضارات

المؤلف: د. عبد العزيز التويجري

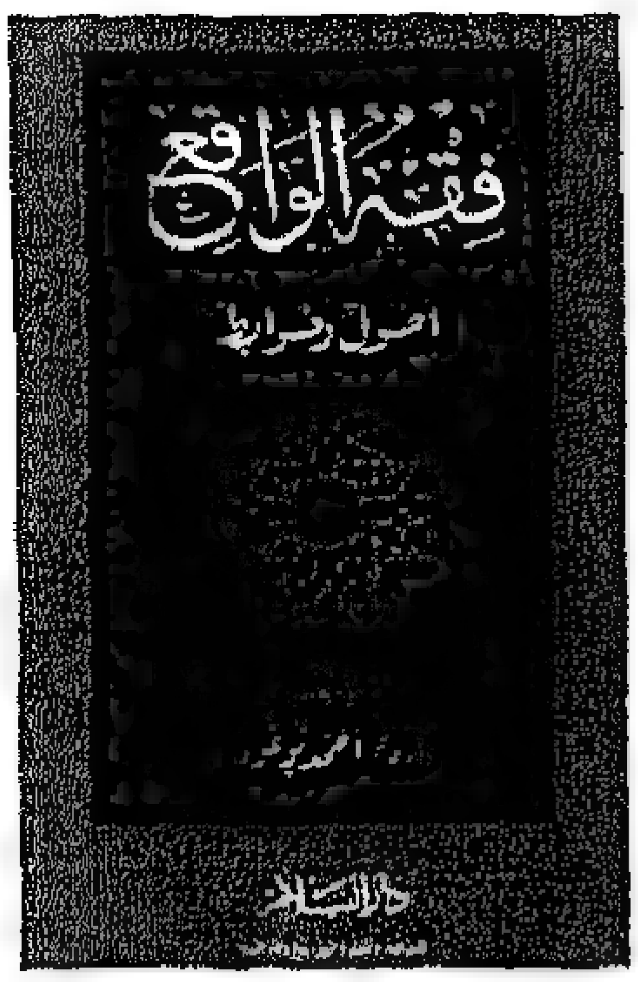
الناشر: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)



ينطلق المؤلف في هذا الكتاب من أنَّ حسن توظيف الرصيد الثقافي المشترك في وضع أُسس قوية للتعاون بين أوروبا والعالم الإسلامي وإقامة حوارٍ مثمرٍ بين الثقافتين الإسلامية والغربية يفتح المجال لبناء تحالف حضاري؛ سيكون من أقوى العوامل التي تمهد أمامنا السبل للوصول إلى تحقيق المصالحة بين العالم الإسلامي والغرب، التي نعتقد أنها ضرورةٌ من ضرورات تنقية الأجواء من التوتّرات والتشنّجات والصراعات التي تفسد العلاقات بين الأطراف المتطلّعة إلى تحسين أوضاع العالم، بإشاعة قيم التعايش والتفاهم بين الشعوب، وتعميق حوار الثقافات، وتعزيز تحالف الحضارات.

ولا يحسن بالعقلاء أن يضيّعوا رصيدهم الثقافي المشترك، ولا يجمل بالحكماء أن يفرطوا في الفرص المتاحة أمامهم في هذه المرحلة من التاريخ لصياغة مستقبل أفضل للبشرية، بمشيئة الله تعالى. فهناك اليوم إرادة دولية لبلورة فكرة التحالف بين الحضارات والتعاون على صعيد العمل الجماعي لتعزيز هذا التحالف وإغنائه من الرصيد الثقافي والحضاري المشترك الذي صنعته الشعوب وادخرته لحاضرها ولمستقبل أجيالها القادمة.

فقه الواقع.. أصول وضوابط



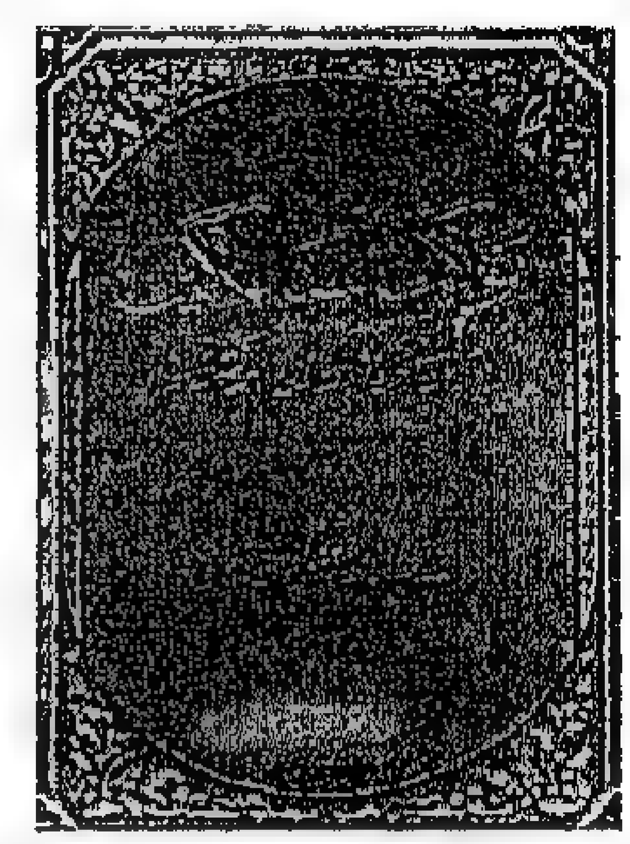
المؤلف:

أ. د. أحمد بوعود

الناشر:

دار السلام / القاهرة

المتأمل في شريعة الله ـ سبحانه وتعالى ـ يتضح له كم هي مبنية على أصول إنسانية واسعة، تستهدف إسعاد الإنسان وصونه عن الشرور، تتعامل معه في جميع أحواله، وتتماشى ومختلف أوضاعه. الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، ليست من الشريعة، وإن أدخلت فيها بالتأويل. فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها. في هذا الإطار حاول المؤلف في هذا الكتاب أن يربط فقه الواقع بالإجتهاد، والفكر الإسلامي عموماً. وفقه الواقع هو الفهم العميق لما تدور عليه حياة الناس وما يعترضها وما يواجهها، ولا يتم ذلك إلا بتوفير العناصر الثلاثة: إدراك المؤثرات البيئية، فقه الحركة الاجتماعية، سبر أغوار النفس البشرية.



مواكب السالكين

دراسة في أصول التصوف

تأليف: جمعة المهدي الفزاني

الناشر: دار قتيبة / دمشق

تشكل دراسة التصوف في عالمنا المعاصر أكثر من ضرورة ذاتية، وموضوعية، أمام تغول الحضارة المادية، وسيادة أنماط من القيم الغريبة عن شخصيتنا الإسلامية، والتي تشكل خطراً قائماً على مقومات تلك الشخصية وقيمها ومثلها خاصة في زمن (العولمة) ومخاطرها الناجمة عن انتصار حضارة الغرب ذات التوجه المادي الرافض لكل مقوم روحي لدى الإنسان. ولا تعني مقتضيات الالتفات للتصوف والصوفية هروباً أو انغلاقاً على الذات؛ إنما تعني البحث في مضامين مقومات شخصيتنا الأصلية لتكون حافزاً لاستنهاض مجتمعاتنا وفق معطياتنا الذاتية. هذا ويرجع كثير من الباحثين (ظاهرة التصوف) إلى طبيعة الدين الإسلامي، باعتباره دين الفطرة الذي ينسجم في أحكامه مع تلك الطبيعة من حيث كونه ينير العقل، ويطمئن القلب، ويكرس المساواة بين جميع الناس، ويؤمن للنفس البشرية سعادتها في الدنيا والآخرة. فالإسلام رسالة حياتية أقرب إلى الطبيعة البشرية تختاره ديناً ترتضيه، ونوراً تستضيء به، ونظاماً يؤطر الحياة والنفس البشرية. والصوفية مدرسة نابعة من السنَّة تعبر عن تجربة روحية للإنسان تنطلق من العقيدة الإسلامية إيماناً وسلوكاً. ومعلوم أن المتصوفة قد أخلصوا لله النية، علماً وعملاً، وتنزهوا عن الأخلاق المذمومة والصفات الخبيثة، فتوصلوا إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى. وسواء أكانت الصوفية أخلاقاً أو معرفة أو سلوكاً أو تعبيراً عن مشاهدة أو مناجاة؛ فهي موصولة بالله، قائمة به وله، فانية فيه سبحانه وتعالى. ويتميز أسلوب المؤلف بالحيادية التامة في هذه الدراسة القيمة المليئة بالشواهد المدعمة للفكرة التي يناقشها، فهو يتدرج بنا تدرجاً منطقياً من فكرة إلى أخرى، وهدفه التأكيد على أن الظاهرة الصوفية ليست ظاهرة سلبية في حياة المسلمين، وإنما هي تهذب الروح وتدفع الإنسان إلى التمسك بشريعته ودينه دون أن يتلبس ذلك غلو في التدين أو تفريط بالشريعة. كتاب جدير بالاهتمام والقراءة، لأنه يعيدنا إلى المنابع الأساسية لتقوى الله من جهة، ومن جهة أخرى بناء الإنسان المسلم بناءً منطقياً واقعياً عقلانياً، يتعامل مع الآخرين وهو مدرك لهويته ودينه ولشخصيته دون التباس أو تشويش، أو دون اهتزاز نفسي أو شخصي، أو دون استلاب أو اتهام بالشذوذ عن منهج التقوى والعقل.

من السودان
جدة في المعلومات وتجديد في الإنتاج الفكري

الأخ / أمين هيئة تحرير مجلة التواصل

نحييكم ونشكر لكم حسن تعاونكم معنا، ونسبة لأهمية الدوريات المتخصصة والعامة بالمكتبة، وحرصاً منا في قسم الدوريات على الاحتفاظ بمجموعات مجلتكم القيمة كاملة، لما تتميز به من جدة في المعلومات وتجديد في الإنتاج الفكري..

نرجو كريم تفضلكم بمدنا بالأعداد السابقة اعتباراً من العدد السابع، والأعداد اللاحقة منها، وذلك على سبيل الإهداء والتبادل.

ونسأل الله أن يبارك لكم هذا العمل الجليل، ونأمل أن يتواصل التعاون بيننا لخدمة الإسلام والمسلمين.

وتفضلوا بقبول فائق التقدير

حمودة خليل أبو قرون

رئيس قسم الدوريات ـ مكتبة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية / أم درمان / السودان.

المحرر: نشكركم على المبادرة بالكتابة إلينا، كما نشكركم على ما تفضلتم به من كلمات طيبة. ونفيدكم بأننا نرحب بالتواصل معكم فكرياً وثقافياً من خلال تبادل الإصدارات، ومن جانبنا سنعمل على إرسال ما يتوفر لدينا من الأعداد السابقة.

نجدد لكم الشكر والتحية، ونأمل أن نبقى على تواصل.

من نيجيريا
اشتراك مجاني

الأخ أمين هيئة تحرير مجلة التواصل

تحية من عند الله مباركة طيبة، وبعد..

إنه لمن دواعي الفرح والسرور أن أكتب إليكم هذه الرسالة، طالباً منكم أن تسجلوني ضمن قائمة (الاشتراك المجاني) لمجلتكم الهادفة والرائعة (التواصل). ذلك أنني قد اطلعت على نسخة منها فوجدتها فعلاً (ثقافية شاملة) كما أنها جامعة لما لا يستغني عنه كل مسلم غيور على معرفة الإسلام وثقافته المتميزة المنفتحة. لذلك، ونظراً لظروفي المادية التي لا تمكنني من دفع رسوم الاشتراك، ولحاجتي لما تنشرونه من مواضيع متميزة؛ أجدد رجائي بأن ترسلوا إليّ نسخة من كل عدد مساهمة منكم في نشر الإسلام وتعاليمه الصحيحة، والله يجزيكم عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

إبراهيم جبريل كورييل

ولاية جوب / نيجيريا

المحرر/نبادلك التحية بمثلها وأحسن منها، ونشكرك على انطباعاتك ومشاعرك تجاه مجلة التواصل وأسرتها، ونفيدك بأننا أحلنا إسمك وعنوانك إلى قسم التوزيع بالمجلة.

منتدى التواصل

من الجزائر
تحية على الجهد المتميز

الإخـــوة أســـرة تحريـــر مجلة التواصل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد وجدت عنوان مجلتكم بمجلة الشريعة الأردنية، وقرأت عناوين بعض المقالات والموضوعات المنشورة على صفحاتها، والتي أعجبتني كثيراً، لذلك كتبت إليكم هذه الرسالة لأحييكم على ما تقومون به من جهد متميز، ولأطلب منكم تسجيلي ضمن المشتركين في المجلة، راجياً أن تأخذوا طلبي هذا بعين الاعتبار. جزاكم الله خيراً، وأدام نفعكم للإسلام والمسلمين.

رقاقدة محمد

ورقلة / الجزائر

المحرر: ترحب بك قارئاً متابعاً لما ينشر على صفحات التواصل، ونفيدك بأننا أحلنا إسمك وعنوانك إلى قسم التوزيع بالمجلة.

من الهند
التواصل لمكتبة الكلية

الأخ أمين هيئة تحرير مجلة التواصل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بعد تقديم واجبات الاحترام، وأطيب التحيات، وأخلص الدعاء؛ أكتب إليكم هذه الرسالة راجياً منكم التكرم بتزويدي بنسخة من مجلة (التواصل) الغراء، فأنا أستاذ في كلية عربية بكيرالا/الهند، وإبّان تدريسي مادة اللغة العربية فقد تمكنت بفضل الله من القيام بمساهمات يسيرة ونشرتها في بعض الصحف والمجلات العربية، كما نشرت لي صحيفة الدعوة الإسلامية مقالة بعنوان (وفي الأرض آيات للموقنين). وببالغ الشكر والامتنان أفيدكم بأنني استفدت كثيراً من صحيفة الدعوة الإسلامية التي تصلني باستمرار، وقد استفدت من المقالات القيمة التي تنشرها وترجمتها إلى اللغة المليالية. كما اطلعت على العدد الثاني عشر من مجلة التواصل الذي يحتوي على موضوعات مهمة ومثيرة مثل (داروين يموت مرة أخرى) وغيرها من الدراسات المهمة. ولهذا نرجو أن تزودونا باستمرار بنسخة (التواصل) لأستفيد بها ومنها، ولأدفعها إلى المكتبة لكي يستفيد منها القراء من أساتذة الكلية وطلبتها.

وأرفع القلم متضرعاً إلى المولى عز وجل أن يجزيكم خير الجزاء لمثابرتكم في سبيل نشر (التواصل) في صورتها الرائعة مع محتويات المقالات القيمة عن الموضوعات الراهنة.

شكر الله سعيكم، وأجزل ثوابكم، وسدد خطاكم، ووفقنا وإياكم بسعادة الدارين.

يوسف أبو بكر المدني /كيرالا، الهند

M. U. A. COLLEGE

المحرر: شكراً لك على مبادرتك بالكتابة إلينا، ونحيي شعورك الطيب تجاه التواصل الذي عبرت عنه كلمات رسالتك. ونفيدك بأننا أحلنا إسمك وعنوانك إلى قسم التوزيع بالمجلة.

من بوركينا فاسو:
تصحيح خطأ

الأخ أمين هيئة تحرير مجلة التواصل

بعد التحية..

بداية نشكركم على جهودكم المتميزة على هذه المطبوعة الرائدة والتي تشكل إضافة للمكتبة العربية لاحتوائها على دراسات متميزة في كافة المجالات.

ونفيدكم بأنه من خلال اطلاعنا على العدد الثالث عشر من مجلة التواصل لاحظنا وجود خطأ في الآية القرآنية رقم 13 من سورة الحجرات والموجودة بالصفحة رقم 72 بالعدد المشار إليه، لذا وجب التوضيح.

مرفق صورة من الصفحة الموجود بها الأخطاء،

وفقكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

علي الهاشمي درهوب

أمين مكتب جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

بوركينا فاسو

المحرر:

نشكر الأخ الكريم الأستاذ علي الهاشمي على مشاعره الطيبة نحو مجلة التواصل، ونكبر فيه حرصه على متابعة ما ينشر بها بدقة، ونعتذر عن الخطأ الذي أشار إليه، كما نعتذر للقراء الكرام عن هذا الخطأ غير المقصود والذي كان نتيجة عامل فني.

نتمنى أن يحرص كل القراء على تنبيهنا لأي خطأ أو تقصير أو قصور حتى يتم تلافيه.

من غانا:
اشتراك مجاني

الأخ أمين تحرير مجلة التواصل

تحية وسلام، وبعد..

أنا أحد خريجي كلية الدعوة الإسلامية، وأقيم بمدينة (كوماسي) في جمهوية غانا، وأنا أدير المدرسة السلفية الإسلامية في هذه المدينة. وقد اطلعت على مجلتكم المتميزة (التواصل) واستفدت منها كثيراً، وإنني أرجو منكم إدراج إسمي ضمن قائمة الاشتراك المجاني وأنا على حسن ظن بأن مطلبي هذا سيلقى القبول لديكم إن شاء الله تعالى وجزاكم الله عنا خيراً.

الحسن ثالث / مدير المدرسة السلفية الإسلامية

كوماسي / غانا

المحرر: نرحب بك قارئاً لـ (التواصل)، ونعلمك بأننا قد أحلنا إسمك وعنوانك إلى قسم التوزيع بالمجلة.

تنويه واعتذار

نَنوه إلى الخطأ غير المقصود الذي وقع في ملف العدد الثالث عشر، ص 58، حيث نشر مقال (حواضر الإسلام في افريقيا تستعيد بريقها) ممهوراً بإسم بلال حسن التل، والصحيح أن كاتب المقال هو حسن التل، لذلك وجب التنويه والإعتذار من الكاتب والقراء.

ونتواصل

ثقافية شاملة

حاولنا قدر الإمكان إيضاح الرسالة الإعلامية التي تحملها هذه المطبوعة الوليدة من خلال تنوع كتّابها، وتنوع القضايا التي تتناولها، وتنوع وجهات النظر التي تنشر على صفحاتها..

إلتقى على صفحات (التواصل) كتّاب ومفكرون وساسة وعلماء من مختلف قارات العالم، بعضهم ينتمي لحضارة لا ينتمي لها بالضرورة غيره من الكتّاب، بعضهم يرى رؤى ليست هي بالضرورة الرؤى ذاتها التي يراها غيره..

قضايا، وجهات نظر، وآراء، توجهات واتجاهات ليست متفقة، لكن لا تناقض بينها، كل رأي له ما يسنده من حجج وأدلة، وكل وجهة نظر لها ما يبررها، وكل رأي له من الصواب نصيب وبه من الخطأ نسبة، ليس هذا تناقضاً ولا هو جمع بين المتناقضات، ولا هو نوع من التوفيق القسري بين ما ينشر على صفحات هذه المطبوعة الوليدة..

لا ينبغي أن يفسر الأمر على أنه نوع من الوصاية على آراء وتوجهات واتجاهات الكتّاب بقدر ما نتمنى أن ينظر إليه على أنه نوع من التوفيق بين أصوات متنوعة في معزوفة لا نشاز فيها، ومحاولة المزج بين ألوان متعددة بهدف تقديم لوحة متكاملة متنوعة مقنعة..


(التواصل) ليست مجلة الرأي ونقيضه، وليست ساحة للخلاف، ولا ساحة للبحث عن نقاط الضعف في رأي للتشهير بصاحبه أو النيل منه، ليست مطبوعة تعيش على أطلال فكر أو كاتب أو حضارة أو عقيدة، ليست مطبوعة شهرة أو تشهير، وليست مساحة سجال لا طائل من ورائه..

رسالتها وهدفها تم إيضاحهما في عدد من المناسبات، لكن البعض ـ وعن حسن نية ـ اعتقد أنها مجلة ثقافية عربية تهتم بالشأن الثقافي العربي فحسب، أو أنها مجلة دينية تغوص في عمق القضايا الفقهية، أو أنها مجلة تراث تسافر عبر الزمن إلى ماض لتغرق فيه أو لتنقله بتفاصيله وشخوصه إلى الحاضر لا غير.. ومع كامل التقدير والاحترام لكل تلك الفهوم فإن (التواصل) مجلة ثقافية شاملة، تهتم بالشأن الثقافي الإنساني بعامة، والثقافة العربية جزء من ذلك، تهتم بالعلاقة الإيجابية بين العقائد دون التنازل عن الثوابت، تعرض للتراث الإنساني لتستلهم منه القيم والمثل، وتبعث فيها الحياة بعيداً عن التعصب والشعور بالاستعلاء، وبعيدًا عن النيل من تراث وثقافة الشعوب..

تحاول (التواصل) التخلص من قيود الجغرافيا، وتحاول عدم الاستغراق في نوم عميق على أريكة ماض خاص، تسعى إلى البعد عن الخلاف الديني، وعدم الغرق في مستنقع الخلافات التي جرت ـ ولا تزال ـ ويلات حروب مذهبية لا طائل من ورائها، تحاول قدر المستطاع البعد عن أي انغلاق أو تطرف أو تسطيح أو شعور بالتعالي..

إنها مطبوعة تسعى إلى بناء جسور التواصل بين الثقافات والشعوب والحضارات، من خلال إنتاج مبدعين ينتصرون للإنسان، يكتبون من أجل الإنسان، يلتقون من أجل الإنسان، يدافعون عن الإنسان، بأساليب وطرق إنسانية.. لا تلحق أي ضرر بأي إنسان ..

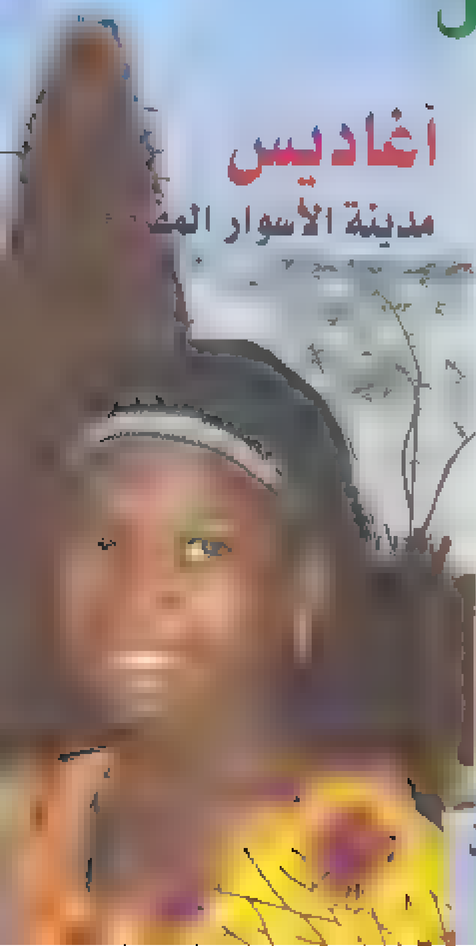
أمين هيئة التحرير


الدعوة الإسلامية
الآن بـ 5 لغات
العربية • الهوسا • الإسبانية • الفرنسية • الانجليزية



هل تريد ان
تتواصل؟
@
www.at-tawasul.info
.net
.org
.com
مع تحيات مجلة التواصل
تصميم وطباعة شركة الآن للطباعة والنشر

التواصل



أغاديس
مدينة الأسوار الم

د. بيدرو مارتينيث مونتابث

في أي مكان نضع الأندلس؟

د. شاربو كاه الحبيب النجم

التعاون الثقافي العربي الافريقي

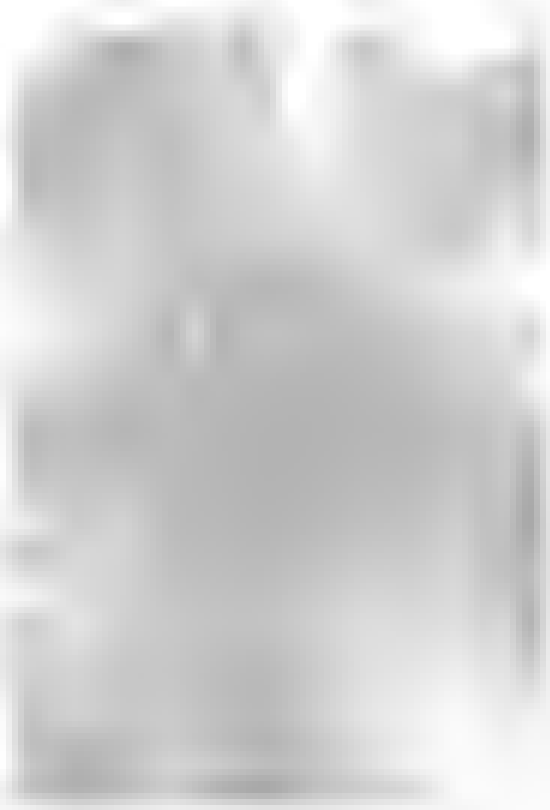
علي ماخه ليي

الصينيون واللغة العربية

جيلبير شوفال

الغرب لا يعرف حقيقة العرب

المصطلحات بين الدين والثقافة والسياسة

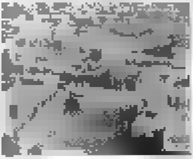


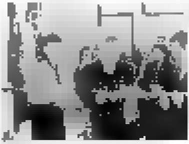
المصطلح: صناعة وتصديرا واستهلاكا



في هذا العدد

126





التواصل

تصدر عن
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

السنة الرابعة العدد الرابع عشر
الصيف 1373 من وفاة الرسول ﷺ
2005 مسيحي

المراسلات باسم
أمين هيئة التحرير
طريق السواني ـ الغيران
هاتف 4800730 4800495
بريد مصور 4800730 4800736
ص.ب 80034
طرابلس ـ الجماهيرية العظمى

البريد الإلكتروني
INFO@AT-TAWASUL.INFO
ARAA@AT-TAWASUL.INFO

الموقع على شبكة الإنترنت
WWW.AT-TAWASUL.INFO
WWW.AT-TAWASUL.NET
WWW.AT-TAWASUL.ORG
WWW.AT-TAWASUL.COM

شروط النشر في مجلة

التواصل

ترحب مجلة التواصل بكتابات المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين وغيرهم الذين يشدون التواصل المعرفي من خلال تبادل الأفكار والنقاش المستنير البعيد عن التعصب بجميع أشكاله وسبباً لدرء أسباب الخلاف والفرقة مع الالتزام بأسس العقيدة الإسلامية وثوابت الدين في معالجات الفكرية والثقافية وتحقيق لهذه الأهداف يشترط لقبول نشر البحوث والمقالات:

- ❖ أن يتسم البحث بالجدة والموضوعية وأن يتبع في كتابته الأساليب المنهجية في البحث العلمي من تسلسل منطقي في العرض وتوثيق للمصادر والمراجع.
- ❖ أن يُعنى بتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في البحوث التي تتضمنها
- ❖ أن يكون البحث أو المقال خالياً من الأخطاء اللغوية والإملائية مع مراعاة علامات الترقيم وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط
- ❖ ألّا يكون البحث أو الدراسة المقدمة للنشر في التواصل جزء من أطروحة ماجستير أو دكتوراه.
- ❖ ألّا يكون البحث قد سبق نشره في مطبوعة أخرى
- ❖ أن يكون البحثُ أو المقال مطبوعاً أو مكتوباً بخطٍّ واضح
- ❖ ألّا يقل عدد كلمات البحث أو الدراسة عن 8000 كلمة ولا يزيد على 12000 كلمة
- ❖ ألّا يقل عدد كلمات المقال عن 4000 كلمة ولا يزيد على 6000 كلمة
- ❖ أن يُرفق الباحثُ ببحثه سيرته الذاتية
- ❖ في حالة الترجمة لا بدّ من أن يرفق النص المترجم بنقله الأصلية

ملاحظات:

- للمجلة الحق في اختيار العدد المناسب لنشر البحوث المجازة
  ترتيب نشر البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية
  لا ترد البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت في المجلة أم لم تنشر
- تعرضُ الأعمال المقدمة للمجلة على لجنة تقويم النصوص فيها لإجازتها
  تمنح البحوث والمقالات المجازة مكافآت مالية مناسبة

أحمد علي سليمان

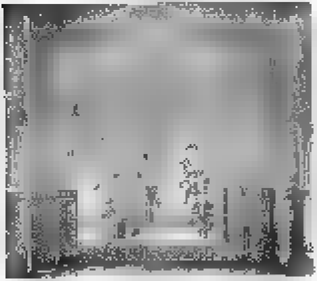
الثقافة الإسلامية والانفتاح

في أي مكان نضع الأندلس؟

د. بيدرو مارتينيث مونتابث*
ترجمة: خليل مسلمة**

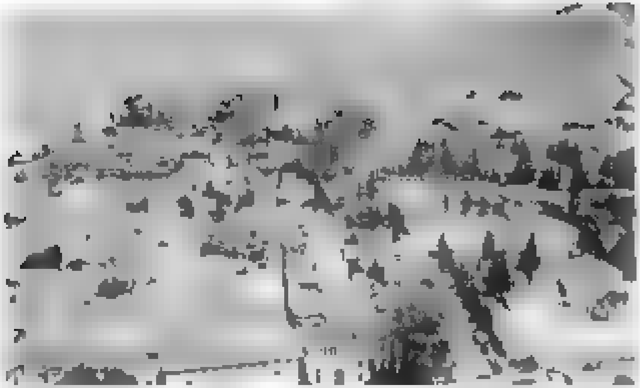
من الواضح أن هناك محاولة جديدة تهدف إلى التشكيك في أهمية التراث الذي خلفته الحقبة العربية الإسلامية في إسبانيا. ليست هذه هي المرة الأولى، التي يتم فيها إعادة طرح هذا الموضوع للجدل والنقاش لأغراض مشبوهة. في الواقع إن النقاش الجديد والقديم حول هذا الموضوع، غالباً ما تترتب عليه نتائج غير إيجابية تدفعنا إلى القول، بأن الجدل فيه حق يراد به باطل. نعم، لقد جرت العادة على طرح هذا الموضوع، بين الحين والآخر، وهذا دليل واضح على أنه لم يحسم أمره بعد في تقييم هذا الإرث. لكن الشيء المقلق الآن، هو أن النقاش لا يرقى إلى نفس المستويات العلمية التي سادت خلال جدل بين أمريكو كاسترو وسانشيز ألبورنوث. وقد يكون ذلك دليلاً آخر على محاولة التعرية التي يتعرض لها تراثنا الثقافي.

لقد كُتب وقيل الكثير عن هذا الموضوع، وتعرضت له مصادر متعددة ومتنوعة لأغراض شتى حسب المختصين، ومنهم المشتغلون في شتى التخصصات الفكرية والأدبية والصحفية. دأب على الإدلاء بدلوه في هذه المسألة. وهنا نجد ما هو برهان على الأهمية التي تستقطبها وتستحوذ عليها القضية



يعتبر أيضاً، محاولة لتفسير كونه موضوعاً دائماً في ساحات البحث والتأصيل والتجريب من قبل تيار الإسلاموفوبيا الجديد. وقد وصل الحد إلى إقحام رئيس سابق لحكومة إسبانية نفسه في هذا الموضوع بتصريحات، أقل ما يقال عنها بأنها تنم عن الجهل أو المراوغة، ودليل واضح على وجود رغبة في إعادة النظر أو تدوين الحقيقة التاريخية خدمة لمصلحة ما. إن إقحام رئيس الحكومة السابق نفسه في هذا التيار برهان على التأثير السلبي والانتشار والسوء الذي تلعبه الإيديولوجية في عمليات المراجعة للتاريخ.

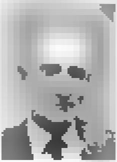
* باحث، أستاذ جامعي، رئيس جمعية المستعربين الإسبان، إسبانيا.
** صحفي ومترجم، إسبانيا.



... Kadeen Barbara المتخصص في تاريخ العصور الوسطى، كتاباً في الآونة الأخيرة يحمل عنواناً ينم عن الغموض والعسر الذي يحمله مفهوم إسبانيا: بين الوحدة والتعدد على ضوء أعلام السبع.

أعتقد بأن طرح هذا المفهوم لإسبانيا التاريخية في إطار التعددية الإسبانية والمرتبطة به مبرر كبير في هذه الظروف، لأنه يمثل محاولة للبحث عن الهوية.

لكن واضح منذ البداية أنني لست هنا بصدد مسألة الهوية ولكنني أعلم جيداً بأن هذا الموضوع قد [illegible] سياقات وتصنيفات [illegible] خاصة [illegible] بالتعصب القومي ولكني على قناعة من أن مسألة الهوية والقومية تعتبران مصدر [illegible] للجدل الكبير الدائر في الوقت الراهن، وعليه فإن



تجاهل هذه الحقيقة أو تجاهلها، أو الهروب والقفز عليها، قد يؤدي إلى نتائج سيئة للغاية، أسوة بالنتائج التي تترتب على الإجحاف أو المبالغة في الاهتمام بهذه المسائل. وتوضيحاً [illegible] موقفي في هذه المسألة، ينتشى مع طرح البرفسور Alvarez Junco الذي يؤكد على الخاصية الهلامية للهوية الجماعية، وطبيعة العلاقة المرتبطة بها في [illegible] الهدف المنشود.

انطلاقاً من هذا الواقع غير القابل للجدل، فيما يتعلق بوحدة (التجانس) أو تعدد مصادر الهوية الإسبانية، أطرح الأسئلة التي لم تطرح حتى الآن بوضوح كاف، فيما يتعلق الأمر بالأندلس أو بإسبانيا الإسلامية. والأسئلة الأساسية التي لم يتجرأ الكثيرون على طرحها هي: هل تعتبر الأندلس جزءاً من الهوية الجماعية الإسبانية أم لا؟ ما هي الأسس والحجج والأدلة التي تحدد طبيعة الجواب على هذا السؤال، سواء كانت الإجابة بنعم أو لا؟ أكرر وأقول: إن هذا هو المدخل الأساسي لأي نقاش حول هذا الموضوع، وكل محاولة لتجاهل هذا الأمر أو تأجيل الخوض فيه أو

تعميته وإهماله والتهرب منه يعتبر خطأ فادحاً؛ لأن العناصر والمواضيع التي تستمر في الخموص تحت السطح ستنفجر وتتفاعل بدون أن تجد متنفساً لها حتى قد يوصل إلى الانفجار. لم يطرح هذا النقاش الفكري في إسبانيا بالشكل العلمي والموضوعي المجرد من العاطفة. إن كل ما طرح حتى الآن، لم يعدو كونه أفكاراً سطحية وحيل وقتية وتهكمات متبادلة والذي يبعث على القلق بأن الأمر قد يستمر على هذا المنوال.

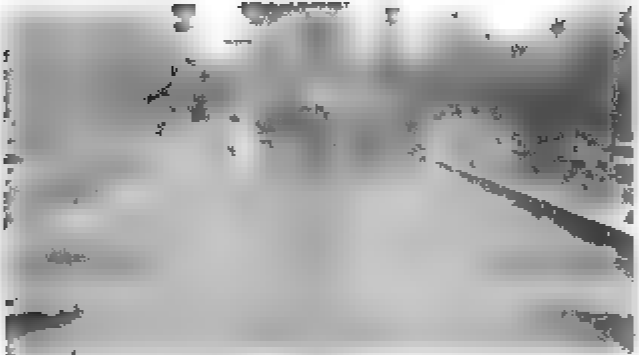
لن نستطيع هنا وضع إجابات على هذه التساؤلات كل ما سأسعى له هنا، مجرد تقديم أدلة وشواهد اعتبرها مهمة وواضحة تؤكد على انطباعي بأن الرأي السائد هو أن الأندلس لم يصبح أن تعتبرت جزء من الهوية الإسبانية أو على الأقل طرفاً أساسياً في بناء هذه الهوية.

ربما لم يتذكر الكثيرون الاحتفالات الضخمة التي أقيمت عام 1992م، بمناسبة الذكرى المئوية الخامسة لما يسمى "اكتشاف القارة الأمريكية" وتزامن ذلك الحدث مع ذكرى سقوط آخر معاقل المسلمين في إسبانيا مدينة غرناطة، أو ما يطلق عليه بعادة الفتح. لقد حظيت تلك الاحتفالات بالترحيب من قبل على مؤسسات الدولة الإسبانية حيث يعد الموضوع هذا لأشير إلى إصدار مجلدين ضخمين في تلك المناسبة الأولى بعنوان الأندلس 92، والثاني (سفراد 92). لقد جلب انتباهي آنذاك العنوان الذي حمله كل واحد من تلك المجلدين، الأول الذي يعنى بالأندلس يتحدث عن الإسلام في إسبانيا، أما الثاني فكان عنوانه إسبانيا اليهودية. أذكر أنني تساءلت وقتها، ولا زلت أتساءل عن سر هذا الاضطراب في الطرح، وما إذا كان مجرد خطأ سهوي أو ما يوصف بزلة لسان، أو خطأ مطبعي؟ أم أن ذلك يخفي في طياته أغراضاً غير معلنة تنم عن مشاعر دفينة تخدم مصالح معينة؟ لا أستطيع الرد على هذه التساؤلات حتى الآن، ولم يقدم لي أي مسؤول رداً شافياً على ذلك. لكن التفاوت في النظرة بات مكشوفاً، ويتمثل في أن (سفراد) جزء من إسبانيا، أما الإسلام فهو مجرد عملية نقل وافدة، جاءت ودخلت أدراج الريح، والكل طرف الحق في استنباط العبر من مجرد عبارة واحدة.

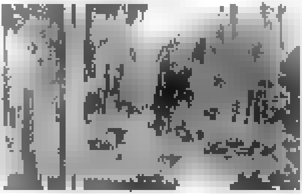
كنت أعتقد بأن الأمر قد ولى، ولكنني أرى بأنه ليس كذلك. فقد شاركت الصيف الماضي، في دورة أكاديمية عقدت في مدينة إشبيلية، تحت عنوان اليهودية والمسيحية والإسلام، نظمت من قبل جامعة الأندلس الدولية وجمعية الثقافات الثلاث في المتوسط، والتي تشرف عليها بجدارة البرفسور Tamayo Acosta الذي لا نستطيع أن نحمله مسؤولية عدم التوازن أو الخلل في النظرة إلى هذه المسألة. لقد لبيت الدعوة، فور استلام مسودة البرنامج أو الجدول الدراسي حول هذا الخلل. ولكن إنذاري لم يؤخذ في الحسبان. البرنامج اشتمل على حصتين كاملتين، حول تأثير التراث اليهودي في الثقافة الإسبانية، وحصتين حول تأثير التراث المسيحي في الثقافة الإسبانية. أما حول الإسلام فقد اقتصر على عنوان: الإسلام في إسبانيا، والسؤال الذي يطرح نفسه على الفور: لماذا يتم الحديث عن التراث المسيحي واليهودي، وتأثيرهما في الثقافة الإسبانية ولا يستخدم الشيء ذاته للحديث عن الإسلام؟ لماذا ينظر إلى الإسلام، كثقافة وافدة منقولة غير أصيلة في إسبانيا؟ لم يجب أحد عن هذه الأسئلة مرة أخرى.


البرفسور
تامايو أكوستا

شاركت في مناقشة دولية حول شخصية ابن خلدون وأعماله نظمت في جامعة غرناطة من قبل مؤسسة التراث الأندلسي في تلك المناقشات خصص يوم



كانت مناقشة العلاقات بين الحضارات وإشكاليات التصادم فيما بينها. وكانت إحدى المداخلات، قد قدمت من قبل موظف رفيع المستوى في وزارة الشؤون الخارجية الإسبانية الذي قدم شرحاً وافياً وواضحاً، حول موقف الإدارة الإسبانية الحالية من هذا الموضوع. ومن بين ما أشار إليه، خطة تأسيس البيت العربي في إسبانيا. وبيت [سفراد]. وهكذا فتح باب الحوار. قدمت له الأسئلة التالية عن منطق الإدارة الإسبانية عن تأسيس البيت الأندلسي أيضاً [illegible] أم أن الأندلس سيكون منضوياً تحت لواء البيت العربي. وما إذا كان ذلك يعني بأن الأندلس فتح عربي لإسبانيا؟



د. الطاهر [illegible]

لم أتلقَ الرد على هذا السؤال. ولم يخطر على بالي أنه سؤال مثير [illegible] محرج وخارج على الواقع، وهو في معنى ذلك بأن الأندلس ستنضوي تحت لواء بيت [illegible]*

إنني في غنى عن تقديم مزيد من الأمثلة التي تكشف عن هذا الطرح وتدني الكثير من الأمثلة.

حدثني الاثنين عرضاً على حد قدرة وجيرة موضوعين منفصلين للتصل [illegible] سألني [illegible] عندما يطرح أستاذ التاريخ العلمية الإسلامية، يقول الغزو العربي أو الإسلامي لإسبانيا. ولكن عندما تطرح المقدمة الرومانية لا يتم الحديث عن الغزو الروماني؟ [illegible] بلا شك موجهت السؤال الثاني: أليس في الإسلام شيء جيد يستحق أن [illegible] قد يكون سبب كل ذلك ناجم عن عدم [illegible] في وضع الأندلس في [illegible] الذي لعبوا الدور المناسب في تشكيل الهُوية الجمعية لإسبانيا لأنها [illegible] مرة نحو الأخرى، وتحمل هُوية الواحدة أو الأخرى.

الإسلاموفوبيا
ظاهرة تنمو في أوروبا

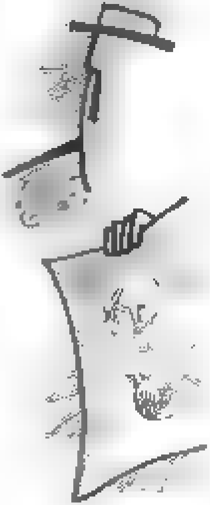
عبدالرحمن فروجا *
ترجمة: محمد محمد العالم **

يعتبر الإسلام من أسرع الديانات انتشارا في العالم، خصوصاً في أوروبا، التي لا أقول هذا الكلام من قبيل الأماني، بل يكون مستنداً إلى ما أثبتت الإحصاءات، التي نشرت من قبل مختلف المؤسسات الأوروبية المستقلة عن هذه الحقيقة.

ويعزى نمو الإسلام في أوروبا إلى ثلاثة عوامل، وهي: الهجرة، والنمو البشري (الديموغرافية) للمسلمين، والاعتناق. ويوجد تدفق مضطرد للأجانب المسلمين غير الأوروبيين على شكل هجرات إلى أوروبا كل سنة؛ يأتي معظمهم من دول إفريقية وآسيوية، وهم يبحثون عن حياة أفضل، في القارة العجوز، أو أنهم يهربون من الحروب، التي تمزق بلدانهم الأصلية.

وعندما يقيمون في أوروبا، يشرع أولئك المهاجرون في تكوين أسرهم، وفي أغلب الحالات يسرعون لإنجاب أطفال أكثر من الأوروبيين غير المسلمين.

يضاف إلى ذلك حقيقة أن كثيراً من الأوروبيين غير المسلمين قد هداهم الله إلى الطريق الحق، باعتناق الدين الإسلامي الحنيف، وهذا يعد عاملاً مهماً في انتشار الإسلام في أوروبا.



* كاتب ألماني
** صحفي ومترجم أردني



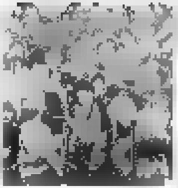
يحدث هذا بالرغم من الصورة السيئة التي يروجها الإعلام الغربي عن الإسلام، وذلك من خلال أولئك الذين يسمون أنفسهم مسلمين في الوقت الذي يقترفون فيه أفظع الجرائم باسم الإسلام.

ولكن، ومع نمو الإسلام في أوروبا تتصاعد وتيرة عامل آخر، وهو الظاهرة المسماة (الإسلاموفوبيا)، وهي اصطلاح حديث نسبياً يتركب من شقين: الإسلام Islam، وفوبيا Phobia، وتعني خوفاً أو رهاباً أو كرهاً شديداً لشيء ما. وقد أضيفت إلى ما أوردته قاموس أوكسفورد Oxford Dictionary للغة الإنجليزية.

إن الإسلاموفوبيا باختصار تعني الخوف من الإسلام أو المقت الشديد له، ويمكننا أن نعزو الإسلاموفوبيا في أوروبا إلى المنطلق القائل بأن للإسلام أعداء في أوروبا، أولئك الذين يقفون في طريقه سعياً لانتشاره، وأن أولئك الأعداء يعملون ما في وسعهم للهجوم على الإسلام كلما أتيحت لهم الفرصة، وذلك في محاولة منهم لإظهار هذا الدين بطريقة سيئة.

إن أعداء الإسلام في أوروبا يغتنمون بعضاً من ... استطاعوا لتصوير مسلمي أوروبا ومحاولة استمالتهم للجوء إلى العنف، وهم يحاولون للأوروبيين إيهامهم هذا أن الإسلام دين يحض على العنف. وهذا ما يضخم أهدافهم بزيادة وتيرة الإسلاموفوبيا في أوروبا، وفي الأسابيع والأشهر الماضية جرى استفزاز المسلمين إلى حد الهجوم على شخوصهم ومقدساتهم مراراً وتكراراً، ونستحضر في هذا الصدد الأحداث الآتية:

◆ نشر الرسوم الساخرة أو الصور الكاريكاتيرية المسيئة عن الرسول الكريم ﷺ في صحيفة يولاندس بوستن Jyllands Posten الدنماركية، وقد تم إعادة نشر تلك الصور في صحف أخرى عبر القارة الأوروبية، وسوغ ذلك بمعروفة حرية التعبير، لكن الصحيفة تقول إن تلك الرسوم كانت مثيرة للاشمئزاز، وقد أحدثت من قبل ذوي النوايا الخبيثة من المسلمين وغير المسلمين على حد سواء، ولم يكن هناك شيء يمكن للمرء أن يتعلمه من تلك الرسوم. أضف إلى ذلك أن حرية التعبير ينبغي أن تتوقف



عنيف تتعدى على حرية الآخرين وعلى سبيل المثال يمنع تداول الصليب المعكوف في أوروبا، بحرمه الذكريات التي يجلبها لارتباطه بحقبة هتلر ونظامه النازي، وأيضًا لأنه مهين لليهود وللأوروبيين عمومًا ولذلك لا أحد يقول انه ينبغي السماح به بسبب حرية التعبير عنه، وستقدم مثالاً في هذا الصدد؟

* محاضرة البابا بنيديكت السادس عشر Benedict XVI، في جامعة ريجنسبورغ بألمانيا بتاريخ الثاني عشر من سبتمبر 2006م والتي اقتبس فيها من إمبراطور بيزنطي، عاش في القرون الوسطى، ويدعى مانويل الثاني Manuel قوله: إن الإسلام انتشر بحد السيف، مما أثار استياء الكثير من المسلمين، في جميع أنحاء العالم عند تفسير مضمون محاضرة البابا باعتبار أنه يؤيد الفكرة المغلوطة عن الإسلام، الزاعمة أنه يحض على العنف، وبالرغم من أن البابا قال لاحقا: إنه يأسف لأن ملاحظاته قد أسيئت فهمها، الأمر الذي لم يرق إلى إعلان اعتذار حقيقي، وزار البابا بنيديكت السادس عشر تركيا خلال شهر نوفمبر 2006م وسط احتجاج كبير حول تلك الزيارة، التي اعتبرها الكثيرون أنها محاولة لرأب الصدع الذي أحدثته محاضرته، ويبدو أيضا أن البابا قد غير موقفه فيما يتعلق بانضمام تركيا للاتحاد الأوروبي فقبل أن يصبح البابا البابوية ببضع سنوات كان معارضا لعضوية هذه الدولة في الاتحاد الأوروبي، ولكنه أشار أنه أخبر رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان، إبان وصوله أنه يؤيد سعي تركيا لعضوية الاتحاد الأوروبي، ويؤمل أن زيارة البابا قد ساعدت في تخفيف حدة التوتر بين المسلمين والمسيحيين

* حظر الحجاب في الأماكن العامة في فرنسا علاوة على ذلك فرضت الحكومة الفرنسية نوعا من المسيحيين واليهود من ارتداء الرموز الدينية لكن هذا لم يكن له نفس التأثير مثل الذي حدث للمسلمين، ففي الوقت الذي ليس مفروضا دينيا على المسيحي أن يعلق الصليب، أو على اليهودي أن يرتدي القلنسوة التقليدية فإنه من المفروض على المرأة المسلمة تغطية رأسها، وبذلك فإن منع المرأة المسلمة من ارتداء الحجاب في الأماكن العامة يجعلها ترتكب الإثم، وهذا فإن المرأة يتركها أمام خيار وحيد هو البقاء في البيت وهذا هو سبب احتجاج المسلمين بقوة ضد هذا الحظر في الوقت الذي كانت الاحتجاجات المسيحية واليهودية أقل صخبا

* شغب في فرنسا حيث قام عدد كبير من الشباب الفرنسيين، المنحدر أغلبهم من أصول مغربية وجزائرية بشن حملة احتجاجات عنيفة في باريس ضد ما يعانونه من تفرقة وعدم توفر فرص العمل، ولقد أخذت الاحتجاجات منحًى عنيفًا حيث أحرقت السيارات والمتاجر مما دعا الكثيرين من أعداء الإسلام إلى توجيه اللوم إلى عقيدتنا جراء هذا العنف، حيث اعتبروا ... مجتمع متعدد الثقافات

محكوم عليه بالقتل. وعلاوة على هذه الأحداث الجسام، جرت هناك تطورات حرق في أوروبا، مما ساعد أعداء الإسلام وزادت بقوة الإسلاموفوبيا.

◆ تم اغتيال ثيو فان كوخ Theo Van Coghe في هولندا، وكان كاتب ومخرج سينمائي، وشكل أعماله هجوماً على الإسلام بطريقة جديرة بالازدراء.

لقد اغتاله شاب مسلم ينتمي إلى أصول مغاربية. وفي الوقت الذي أدان فيه علماء الإسلام في أوروبا وخارجها عملية الاغتيال، فإن الحادث قد أدى إلى الهجوم على عدد كبير من المسلمين في هولندا، وتم حرق مساجد وتخريب مدارس تخص المسلمين.

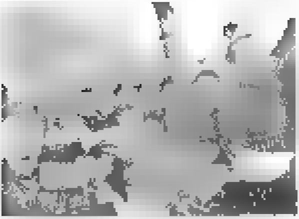
◆ تم سن قانون في الدنمارك، يمنع الأطفال الدنماركيين العائدين إلى أبوين مهاجرين غير دنماركيين، من الحصول التلقائي على الجنسية الدنماركية.

وهكذا عندما يولد طفل في الدنمارك لوالدين غير دنماركيين، فإنه ينبغي على الوالدين أن يتقدما بطلب للحصول على الجنسية لطفلهما، مع العلم أنه يمكن أن يرفض الطلب. وعلى أي حال، ينبغي على المرء أن يتساءل: إلى أي دولة يمكن أن ينتمي ذلك الطفل؟ مع حرمانه من الحصول على الجنسية الدنماركية.

◆ توجد في ألمانيا جالية تركية كبيرة، ينظر إليها من قبل كثير من القوميين الألمان على أنها تشكل تهديداً للهوية الألمانية.

◆ في بلجيكا حظر نشاط حزب سياسي معاد للإسلام، بسبب عدم قانونية الأيديولوجية العنصرية التي يتبناها. ومع ذلك فقد استغلت ثغرات في قانون البلاد، حيث قام مؤيدو ذلك الحزب بتشكيل حزب تحت مسمى جديد.

لعله من نافلة القول أن نبحث الحرب الجديدة



هي تقريباً نسبة لكي تصف الحرب الأساسي هنا، بعض التعذيب لبني الكيان الجديد، من أجل مصير عابر.

إن العقل الأوروبي لا يتوافق وما بات يعرف بالعلمانية

عندما يرى المسلمون كل هذا يحدث في أوروبا فإنه من الطبيعي أن يكون هناك رد فعل من قبلهم، ولسوء الحظ، يبدي بعض المسلمين ردود فعل عنيفة. الأمر الذي يخدم مصلحة أعداء الإسلام بصورة كبيرة، لأنهم كيف يصفونهم. السر غالبية أن المسلمين غير متسامحين وغير ديمقراطيين، ويقفون ضد حرية التعبير، وهم في الأصل متخلفون، علاوة على وصمهم بالإرهاب، وهي التهمة الجاهزة دائماً ضد الإسلام، وحتى عندما ... فإن أعداء الإسلام يكيلون بمكيالين، فعندما يرتكب مسلم عملاً عنيفاً فإنه ينعت بالإرهابي الإسلامي، وعندما يقوم مسيحي بنفس العمل، فإنه لا يوصف بالإرهابي المسيحي أبداً. وعلى سبيل المثال لا توصف حركة إيتا ETA في إسبانيا على أنها منظمة مسيحية إرهابية، والأمر ينطبق أيضاً على الجيش الجمهوري الإيرلندي (IRA) في إيرلندا، فلماذا لا يتعاملون بنفس المكيال في الحالتين مع أنهما متطابقتان؟

إن السؤال الأكثر أهمية، هو لماذا يحدث كل هذا في أوروبا؟

أصبحت ظلال من الشكوك، تشوب العلاقات بين

للعرب والعالم الإسلامي منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م ويستخدم الغرب [illegible] هذا الأخير يعني عوضاً "الجهاد" [illegible] أو كما يفسر في الغرب الحرب المقدسة [illegible] لذلك [illegible] يخشون الإسلام.

إن حقيقة كون الجهاد في الإسلام لا يعني الحرب المقدسة بل وإنه محرم في الإسلام [illegible] إرغام أي شخص على اعتناق الإسلام وهذه [illegible] غير معروفة بشكل واسع في أوروبا ومن ناحية أخرى فإن العالم الإسلامي [illegible] الغرب [illegible] حرب صليبية جديدة على غرار ما حدث في القرون الوسطى [illegible] العالم الإسلامي.

[illegible] الخوف بشكل جانب [illegible] بسيطة للغاية يعني أنه لا [illegible] البعض [illegible] لأن غالبيتهم لم يبادر بالعلوم والتعرف من أجل معرفة الآخر. وإن [illegible] ذلك على المسلمين والمسيحيين [illegible] أن يبدأوا في [illegible] ويتعرفون [illegible] مع بعضهم البعض وبالتالي يعيشون سوياً في سلام وانسجام.

[illegible] أنه إذا ما عرف غير المسلمين الإسلام على حقيقته فإنهم لن يكون [illegible] على جهلة الأسرة مسلمة [illegible] لهم مثلاً وسوف [illegible] يحترمون الإسلام وأنا على يقين أن العديد منهم سوف يبادر باعتناق الإسلام.

[illegible] يعني أن [illegible]؟ [illegible] بالنسبة لغير المسيحيين لكونهم لا يعرفون دينهم جيداً؟ هل نتوقع منهم أن يكونوا أكثر تفقهاً في الدين [illegible]؟ وهل ينبغي علينا أن نفكر في [illegible] من أجل تحقيق تفاهم [illegible] بين المسلمين وغير المسلمين في القارة الأوروبية؟ يوجد العديد من الأشياء التي ينبغي أن نعملها ونتخلص فيما يلي:

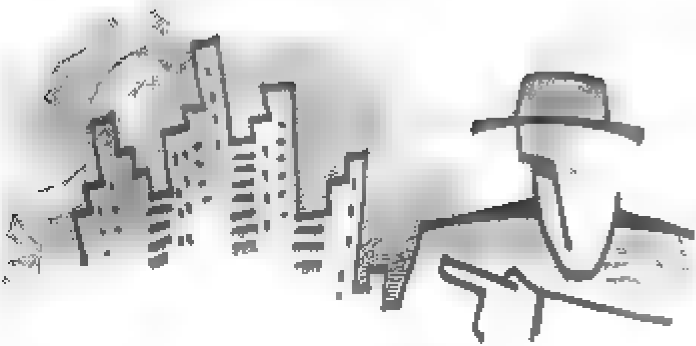
* بعض الأصوات في موضوع الإسلاموفوبيا في أوروبا صحيح أن الظاهرة موجودة مثلما ذكرت [illegible] ولكن من الصحيح أيضاً أنه يسمح لمعظم مسلمي أوروبا بممارسة الديانة بكل حرية ولديهم مساجدهم ومراكزهم الإسلامية ومقابرهم ومدارسهم الخاصة بهم والتي تمول من قبل الحكومة في بعض الأحيان ولهذا وبالرغم من المشاكل الموجودة فليس كل شيء باعثاً على التشاؤم والكآبة والحمد لله.
* [illegible] أن [illegible] الأصوات [illegible] مسلمين عن الإسلام [illegible] كثير من الأعمال التي يقوم بها مسلمون [illegible] من قبل غير [illegible] ليس لها علاقة [illegible] الأعمال [illegible] المسلمين كما هو [illegible] وذلك عن طريق الأفعال التي تقوم بها.

> ما أسباب الخوف من الإسلام؟ وكيف يتخلصون من الإسلام؟!

[illegible] يكتسي أهمية خاصة بالنسبة للمسلم [illegible] لأنه ينظر إلى [illegible] جميعها [illegible] عن طريق الآلاف [illegible] ملايين البشر.

[illegible] من الأهمية بمكان أن [illegible] لإقناع غير المسلمين أن الإسلام دين سلام ومحبة وتسامح واحترام [illegible] الإرهاب والعنف كما يصور في الغرب [illegible] عن طريق أفعال مسلمين [illegible]

إن الجهود [illegible] الاحتجاج [illegible] لن [illegible] على تحقيق ذلك [illegible] والكنائس ومهاجمة الناس [illegible] يخدم قضية أولئك الذين [illegible] الإسلام [illegible] السلوك [illegible] عن الحقيقة [illegible] أن الإسلام [illegible] ذلك كله وإن الرسول الكريم



محمد ﷺ لم يمش على الصف البتة، فدعونا لا نعطي أحداً منا الحجة الذي يمكن أن يحاولوا التشبث به لنثبت لهم أنهم مخطئون.

إننا بحاجة إلى الحوار لنجلس سوية ونناقش بعضنا البعض، للدعوة للمسلمين وغير المسلمين، نعرض بعضنا البعض، ليس بالاستمالة أحد الطرفين إلى عقيدة الآخر، ولكن ببساطة نكتشف الأشياء الكثيرة التي نشاطر فيها بعضنا البعض، ويجب أن نتيح أن تكون حالتي من بعضنا، وسوف نتعلم بعد ذلك كله أننا جميعا بشر، نضحك ونبكي، فمنهم السعيد ومنهم الشقي، ومنهم من يشعر بالفرح وآخر يشعر بالألم، وإن ما يريده السواد الأعظم منهم هو العيش في سلام وحرية أبنائهم في بيئة آمنة.

إن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية قد ساهمت ولا زالت تساهم بشكل كبير في مجال الحوار الإسلامي المسيحي، إن هذا يبعث شعورا بالتفائل إلى هذه الجمعية العظيمة.

وختاما: وكمسلمين، نحن نعلم أن العالم سوف يكون في غالبيته مسلماً قبل قيام الساعة، وهذا موجود في القرآن الكريم، وفي أحاديث الرسول الكريم ﷺ.

يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: الآية 33)

وقال النبي ﷺ: (والذي نفسي بيده ليصلن هذا الدين إلى ما وصل إليه الليل والنهار، فلن يكون هناك بيت ولا قرية ولا مدينة إلا ويدخلها الإسلام).

بمعنى أن نقوم بجهودنا، طبقاً لهذه التعاليم، ونترك الباقي لمشيئة الله ﷻ كان لنا الهدى، فلنكن على علم أن ما من أحد وقف ضد الإسلام إلا وكان ضد مشيئة الله سبحانه وتعالى، ومن يفعل ذلك فلن يكون منتصراً مطلقاً.

من مأدبة الله

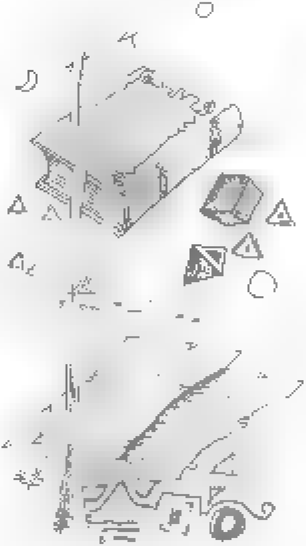
أ. د. مهدي اسبيرتي*

إذ كان الرقم (٦). والرقم غير العدد ومن الرقم يأتي في العربية الترقيم، ففي الرقم إضافة إلى ذلك مفهوم العلامة، والمفهوم هو هذا الذي ينفتح على المعنى، أو على هذا البعد السابع، النصي الذي نفهمه من أن القرآن نزل على سبعة أحرف، أو من هذا البعد الذي يحمله الرقم (٧)، والذي نجده يكاد يكون في مختلف الأمم ممتدة في إيمانها وفي خرافاتها وفي أساطيرها. وإن كانت الخرافات والأساطير تشير إلى أساس ديني وعقلي في قصص خفية تنبئ بحالة فيه. ولهذا يقدم القرآن القصص القرآني مشروعًا للقراءة ومشروعًا مضمونًا لهذه القراءة، حيث هذه القصص هي أحسن القصص

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ سورة يوسف الآية ٣

ويقول الجاحدون والكفار: وإن هذه القصص هي أساطير الأولين:

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ سورة الفرقان الآية ٥



* باحث وكاتب، أستاذ جامعي، الأمين المساعد لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية / ليبيا

مما يؤكد أن أبعاد القصص أصولاً في تحريك الشعور وأن الناس قد سموا بقضايا البحث والبحث والجنة والنار وما يليها وإن كانت هذه الغيبيات والأوامر والنواهي قد شابتها. بحكم هذا التدوين، وبحكم الإضافات مبالغات ومزايدات أوصلتها حد الخرافات والأساطير وبذلك فإن الوحي القرآني يعيد هذه المعاني الإلهية الدينية التشريعية المتصلة بحياة الناس في الصميم، والغيبيات الأخروية إلى أصلها، بعيداً عن التحريف والتشويه والتأويل. بل لا يقدمها هنا باعتبارها مسائل فحسب، ولا باعتبارها حقائق تروى بأسلوب حسن، بل هي أحسن القصص.

إن المفهوم هو بمعنى العقلي أو قل: هو حد المدرك أو القابل بالإدراك، وفي ذهنية مفهوم الإدراك في العربية التي هو اللحاق به أو الإمساك به والإدراك هو ضمن التمكن وضمن المكان والمتمكن والمكان مرتبطان بالتعرف المكاني الزمني أي بعد الامتداد الذي يأخذه الشيء في حد، الذي يطلق عليه المكان والزمان أو بالتعبير القرآني الواسع حيث إن الإنسان باعتباره محدوداً لا يمكن أن يتحول إلى مطلق ويظل مدركاً أو قابلاً للإدراك، هو ضمن هذا الوسع، الذي هو مناط التكليف.

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة البقرة، الآية 286)

والكسب والاكتساب يستتبعان المسؤولية والمسؤولية معرفة، ومن المسؤولية يبدأ مشروع المعرفة بطرح الأسئلة، ومن ثم حدد القرآن مسؤولية السمع والبصر والفؤاد

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾

(سورة الإسراء، الآية 36)

والسمع والبصر والفؤاد ليس الأدوات، بل هذه القصدية التي يوجه الإنسان بها سمعه وبصره وفؤاده، فالكل مسؤول. ولك أن تضيف إلى مفاهيم السؤال في العربية أو السؤال في هذه الحالة، التي هي ضد الجمود والتصلب والتحجر، فكأن السؤال في حالة صيرورة، وحركة تعني مشروع الفهم والوعي الإنساني ضمن محور إدراك المعنى الذي هو تطلع ضمن الإنسان، أو حد المعنى في الزمان غير المدرك بعد الذي يقتضي الكشف والاستكشاف. وبذلك فإن المفهوم هو بمعنى المعنى، والمعنى هو المطلق الذي يتجلى من خلال المفهوم، ومن خلال التطرف أو الممكن، وبعد يقودنا إلى أن المفهوم هو ضمن المعرفة وأن المعرفة هي بعض العلم لا كله وأن ما أدركه الإنسان من هذا العلم، أو من هذا المعنى هو القليل

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

(سورة الإسراء، الآية 85)

من هنا فإن القراءة تفتح للإنسان على مشروع العلم من خلال التقدم في المعرفة ضمن هذا المفهوم أو المدرك أو الوسع، القابل بالتقدم في المعرفة إلى التوسع، مثلما هذه النافذة ممكنة على مستوى الإنسان الفرد، بعد البعد المحدود، إلا أنها مشروع إنساني منفتح على المستقبل ولنا هنا أن نذكر بأن إشارة الفتحة في الخط العربي، هي خط أفقي (ــ) وهذا الخط الأفقي يعطي هذه الفكرة للانفتاح، ومن ثم ومع التأكيد على العلاقة بين الإعراب والمفهوم والمعنى، حيث الإعراب هو فرع المفهوم، والمفهوم هو بمعنى عقلي، فإن الفتحة هي غير الضمة، وهي غير السكون، وهي غير الكسرة، هي مشروع منفتح على مجال الولادة المفهومية، وعلى مشروع الاستخلاف المفهومي وصولاً

اكثر سيهاده بعنى او كتمال معنى وقف من مشروعية في دراسات قادمة

ان هذه الفتحة او هذا النسك المفهومي او ما نطلق عليه بمشروع السؤال انما هو تعود الى نقص في هذا الاستواء الى حالة التمني بسبب هذا النقص المفهومي وهذا القلق هو من طبيعة الانسان نفسه

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾

سورة الكهف الاية (٥٤)

والجدل هو هذه النسبية بخلاف لمفهوم الذي يقدمه البعض لمصطلح الديالكتيك في القاموس الاوروبي الذي يفهم منه التناقض والنفي والإقصاء الذي يستخرج منه منهج التفكير الاعجمي الاوروبي الى البحث عن قالب تركيبي حيث منهج التفكير الاعجمي هو منهج مشترك من هذه الناحية اي انه لا يفهم الحقيقة الا مركبة ولا يفهم مركب إلا مفككًا ومحللا فالتحليل والتفكيك مثل التركيب قد يصدق على الاشياء الفيزيائية ولكن لا يصدق بالكامل على الانسان فالانسان ليس مجرد شيء بل هو مخلوق نفخ الله فيه من روحه فتجاوز بذلك الجسد ليكون بل ويكون نوعه من مخلوقات الحية من دون النفخ

ان السلب فيه مفهوم الايجاد اي فيه هذا المفهوم للمشاركة او قل بهذه الولادة المفهومية التي تقتضي الاضداد بالاختلاف وسنشير في دراسات قادمة الى العلاقة بين الاضداد والولادة والبعض والسير والفرق بين الخط والكتابة يعود إلى الفهم ان السلب هو سلب وهو بالمفهوم المتداول إيجاد في ذات الوقت فما نطلق عليه السلب هو امتلاء في السلب وهو فراغ في الايجاب وما نطلق عليه الإيجاب هو امتلاء في هذا الايجاد الذي هو نقص في السلب ومن الذلك الالتقاء بين مشروع الولادة المفهومية كما هو مشروع اي ولادة جرى هنا في ذلك الولادة البشرية وإذا حاولنا ان نقارن بين الإشارة والعلامة في هذه العلاقة الجدلية بينهما فإن من نسبة في الشكل على انه الدال هو بين هذه الخط الافقي الذي يلتقي مع الخط العمودي ونقطة الالتقاء هي نقطة الولادة تماما كما تلتقي نطفة الذكورة ببويضة الانوثة ويعد فإن الذكورة تنعدم في الانوثة ولكنها امتلاء ويجب في الذكورة واثبات الأمر بالنسبة للأنوثة وقد سبقه الى ان الدراسات الحديثة تعطي اهمية كبيرة لمفاهيم الإشارات ومن كان اللسانيين المهتمين بالعربية قد انتبهوا الى ذلك منذ القدم فالجاحظ في كتابه البيان والتبيين يوضح لنا ان الإشارة هي فرع من فروع البيان بتسمية البيان بالإشارة

التي المكتوبة في القاموس الاوروبي يفهم منه التناقض والنفي والإقصاء

فهذه الاشارة بذلك مرتبطة بالعلامة والعلامة ذات مضمون مفهومي هو غيبي بالنسبة للمتلقي وقد ترتبط العلامة بهذا الامتداد الصوتي الذي يعطيه الأثر الإشارة الخفية والعلم فيكون الإشارة يظل المتلقي حافلا بالنص الذي هو في حالة الغيبي فلا غرو فيما نتحدث عن الشاعرية وعن معاني النص لا نحول ان نعنى في خطاب الشاعر والنص او الجوف كتابة عن المجهول والغيبي والباطني الذي يظهر من خلال الإشارات صوتية كانت ام حركية طبيعية حيث الصوت حركة بعضها ظاهر وبعضها غير ظاهر ام حكمية فكلها وسائل مع ادوات تخرج هذه الباطن او هذا السر وتظهره وهو ما يربط بين مشروع القراءة القرآني ومشروع النص

ان النص هنا هو غير التأويل والوحي القرآني عندما يأمر الرسول الكريم بان يقرأ في قوله تعالى

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ * كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى * إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾

(سورة العلق: الآيات 1-8)

هذا الأمر يقتضي بالضرورة محاسبة هذه الأبعاد التي يجب الوصول إليها من خلال هذا البحث في القراءة والعلاقة بين القراءة والإيمان والعبادة، فهذه القراءة تقتضي أن الرسول ﷺ وصحابته [illegible] من [illegible] الرسول الأسوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

(سورة الأحزاب: الآية 21)

وهذه الأسوة تحكم صلاته [illegible] بالرجاء من هذا الغيبي، وهذا الغيبي الذي هو الله واليوم الآخر وارتباط ذلك بالذكر والذاكرة وهي القراءة ووسائل التذكير، ومن ذلك الحفظ والفهم. القول إن هذه قراءة لا تكون باسم الله هذا [illegible] عنصر [illegible] القراءة هي فعل، أي فعل القراءة الذي يرتبط بالمسؤولية التي [illegible] مسؤولية بمعنى السؤال أي البحث عن المفهوم، ومسؤولية بمعنى الاتصال، اتصال القارئ الذي هو غائب بالنسبة لصاحب المكتوب، أي أنه غير محدود بمنيته، إذ كان هذا المكتوب [illegible] هو غير ملمّ، وغيبة صاحب [illegible] عن القارئ إذ كان هو الآخر غير ملمّ. وبذلك تكون القراءة مطلوبة لقراءة كل واحد منهما للآخر، أي قراءة ضمن الغيبي، وفي قراءة الوحي القرآني لأنه وحي هي قراءة موحى من العالي، الذي هو الله والغيبة بمعنى الإطلاق والخروج من دائرة المحدود المكاني الزماني، وإن كل ما يوحى إليه معلوم له. وهذا هو الفرق بين الوحي والعقل، أي بين الشريعة الموحى بها التي هي القرآن، وبين الشريعة المخطوطة على ألواح كشريعة بني إسرائيل، حيث فقدت شريعة بني إسرائيل مخطوطة مجالا للتأويل والتحريف، وهو [illegible] تحريفهم للعهد، في حين فقدت شريعة القرآن المشروع [illegible] على الأحرف السبعة من أجل الفهم، ولكن هذه القراءة لا تكون إلا باسم هذا الغيبي الذي هو الله، ومن ثم يكون هذا الغيبي هو عالم الغيب من خلال [illegible] هو عالم الشهادة، ومن ثم كان الرسول الذي لم يحفظ من قبل القرآن من كتاب ولم يتله مخطوطا

﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾

(سورة العنكبوت: الآية 48)

ما الفرق بين الوحي والعقل بين الشريعة الموحى بها والشريعة المخطوطة؟

أمر مفهوم، فالقراءة هي غير التلاوة، والتلاوة هي هذا التعلم المكاني الزماني من قولهم: [illegible] بمعنى يتبع، فالرسول لم يتل من قبل، ولم يخط كتابا بيمينه [illegible] هكذا الشك والارتياب من هؤلاء المبطلين، ولكن القراءة هي قراءة باسم الله بحفظ هذه القراءة من الانحراف والتحريف ويحفظ صاحبها وإن كانت قصته بالمعصرات [illegible] مشروع يسمح على القراءة، مشروع ولأنه للفهم، ولأنه مرعيه في هذا الرحيم، أو من في مقتضيات الرحمة الإلهية التي النصب [illegible] يحقق الله بها الإنسان [illegible] يعلمه البيان [illegible] يعلمه القرآن، أي يعلمه القراءة

﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ * الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ (سورة الرحمن: الآيات 1-5)

التعاون الثقافي العربي الإفريقي

• شارنو كاه الحبيب*

إن للتعاون الثقافي العربي الإفريقي، ظهر منذ عهد تاريخي قديم، بل منذ ظهور العلاقات العربية الإفريقية، على مدى القرون التاريخية القديمة، التي كان يمثلها التجار العرب المسلمون، الذين كانوا يأتون من المشرق العربي إلى المغرب العربي، والمغرب الإفريقي، والغرب الإفريقي جنوب الصحراء عامة، في كل ذلك من الشرق الأوسط العربي إلى الشرق الإفريقي العربي، وغير العربي.

كان التجار العرب المسلمون يمثلون هذا التعاون أحسن تمثيل، بحيث كانوا يغادرون بمنازلهم وهم يحملون بضائعهم المختلفة من جلود وملح وذهب، وأحجار كريمة وكتب ومصاحف عربية متعددة ومتنوعة في أغراضها الأدبية والعلمية، وكتب دينية ذات أغراض تعليمية، حيث كانوا يمارسون تجارتهم، ويهتمون في نفس الوقت بترغيب الناس في الدين العربي الحنيف، وتعليم الأسس الدينية كمبادئ التوحيد والعقيدة وغيرهما مما يجعلهم يعتنقون هذا الدين الحنيف.

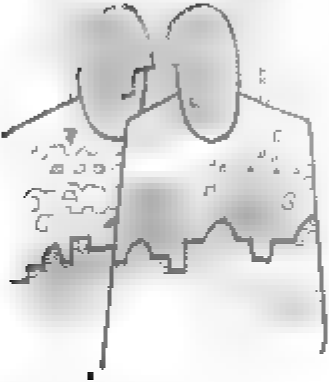
كانت قوافل أولئك التجار تجوب العالم العربي من شرقه إلى وسطه ثم إلى المغرب العربي، وصولاً إلى غرب إفريقيا جنوب الصحراء، مروراً بالشرق الإفريقي وإفريقيا الوسطى.[1]

وكان تقارب الحضارات والثقافات بين مواطني العالم العربي ومواطني القارة الإفريقية، يسهل نشر الثقافة العربية في الأقطار الإفريقية المتنوعة اللغات والقوميات، ولكن العامل الديني لعب دوراً أساسياً مجدياً ومثمراً في توطيد التعاون الثقافي والعلمي بين العالمين العربي والإفريقي.

دور الثقافة بين البلدان والممالك في توطيد هذا التعاون الثقافي

كانت بلاد الحجاز تلعب دوراً كبيراً في توطيد التعاون الثقافي بين العالم العربي والإفريقي، حيث كانت سوق عكاظ محل لقاء الأجناس والشعوب والقبائل المختلفة من أجل التبادل التجاري والعلمي والثقافي، وكان الشعراء يحضرون إلى هذا السوق ويقدمون منتجاتهم الشعرية وقصائدهم الأدبية ويعرضونها على الجماعة الحاضرة من التجار ورواد الأدب والثقافة، ويختارون من أحسن القصائد وأجودها، ثم يعلقونها على الكعبة الشريفة بعد كتابة أحسن قصيدة بماء من الذهب.[3] ويعتبر ذلك أول

* أستاذ جامعي - النيجر
1) أبو عبيد الله البكري (1040-1094م): المسالك والممالك، طبعة الجزائر
2) المصدر نفسه
3) انظر المعلقات السبع.



إفريقيا العربية، والعالم العربي عربها بالمغرب الأقصى العربي

لقد كانت بين إفريقيا والعالم العربي بمحتوى من الأحباش وسكان صومالي وبقية دول شرق إفريقيا، التي كانت لها علاقة تجارية مع الحجاز وتجد في شبه جزيرة العرب واليمن والعراق بكافة مدنه التاريخية كبغداد والبصرة والكوفة وأصبحت مراكز بغداد والبصرة والكوفة دوراً معاضداً كبيراً في العالم الإسلامي بأسره[1].

يعد الإشعاع العلمي والثقافي ظهر في الميادين مختلفة، من حيث التعليم اللغوي والأدبي، وانتشار كتب الشعر ودواوين الشعر ومختارات الأدبية والنصوص المأثورة يجعلنا دليل ثابت على وجود تعاون ثقافي عربي إفريقي قديم.

الاتصالات الثقافية

بين الممالك العربية و الإفريقية

كانت الممالك العربية في كل من الحجاز ومملكة سبأ في اليمن وكذلك مراكز العراق، ذات اتصالات ثقافية عديدة، مع ممالك إفريقيا مثل، كانم، وسنغاي وغانا ومملكة تكرور في غرب افريقيا.

الشواهد الأدبية من الشعر العربي تثبت وجود علاقات ثقافية متطورة، بين الأقطار المذكورة[2].

واشتهرت مدينة الإسكندرية في مصر وبرقة وصبراتة وسبها في ليبيا في ربط هذه العلاقات الثقافية، بين البلدان المذكورة، لوجود طرق ومسالك، لتمكين الاتصالات بين الشعوب والقبائل من سكان تلك الممالك التاريخية القديمة، التي ما زالت حتى اليوم، تلعب دوراً إيجابياً في الميدان الثقافي[3]، وتعتبر مدينة شنقيط في موريتانيا الحالية، همزة وصل بين

التعاون الديني والثقافي بين تلك البلدان في العالم العربي والإفريقي

ظهر التعاون الديني والثقافي بين تلك البلدان، منذ ظهور الإسلام في عهده الأول، ولقد أثبتت الدراسات الجامعية والبحوث العلمية العديدة، بأنه وبعد ظهور الإسلام في بلدان الإفريقية، بدأت اللغة العربية والثقافة الإسلامية تأخذ مجراها نحو الانتشار الديني والثقافي والاجتماعي ولكون اللغة العربية لغة القرآن الكريم، ولغة العبادة لدى المسلمين، ساعد على التعاون الثقافي بين أفراد المسلمين، والتمسك بهذا الدين الحنيف، مما جعل كل مسلم يتعلم القرآن

[1] تاريخ الأمم الإسلامية محمد الخضري بك دار الفكر بمصر
[2] الأستاذ الدكتور عبد العزيز التميمي وآخرين ندوة الثقافة العربية الإسلامية بإفريقيا، جلود الصحراء عبر إفريقيا، سوسة، تونس بمصرا ١٩٩١م
[3] المصدر نفسه.
[4] د. شاكر مصطفى، تأثير الثقافة الدينية للعالم العربي في إفريقيا جنوب الصحراء، إفريقيا العربية ندوة الثقافة العربية الإسلامية، نشكو، أغسطس ١٩٩٩م ص١١ ـ ١٥

الكريم لأداء صلوات الخمس المكتوبة عليه. وعلى هذا الأساس فتحت الدول العربية جامعات عربية وإسلامية ومراكز ثقافية لاستقطاب الشباب المسلم الإفريقي والشباب المسلم العربي.

التعاون الثقافي بين الجامعات العربية الإسلامية والدول الإفريقية:

يتمثل هذا التعاون الثقافي العربي الإفريقي في فتح الجامعات العربية الإسلامية في العالم العربي والجامعات الإسلامية في إفريقيا وكذلك المراكز الإسلامية بين البلدان المذكورة.

فتحت هذه الجامعات أبوابها لعدد كبير في العالم من الطلبة والأساتذة والباحثين، وقد ذهب هؤلاء بحثاً عن العلم إلى كل من: القرويين في فاس والقيروان في المغرب وجامعة الأزهر في مصر التي تم إنشاؤها منذ عهد الفاطميين.

> التعاون العربي الإفريقي قديم قدم التاريخ الإسلامي

وهذه الجامعات وغيرها، قريبة للتوجه الأفارقة القدامى لطلب العلم والبحث عن فوائده.

وقد عرف الاحتكاك الثقافي بين المدارس والمراكز الإسلامية القديمة في إفريقيا وبين هذه الجامعات. ويمكن إعطاء مثال حي في مدرسة القاضي عمر بن الحاج أحمد بابا في تمبكتو بمالي، ومدرسة في ... بجوجو في السنغال التي لعبت دور كبير في الإشعاع الثقافي، بمختلف الأقطار الإفريقية العربية. كما لعبت دور معاملة شيخ ... الإسلامية في سوكتو ومركزها الإسلامي[1].

وهذا التعاون الثقافي ساهم في نشر الثقافة العربية الإسلامية في مختلف الأقطار الإفريقية في الشرق والوسط الإفريقي.

التعاون بين المؤسسات الإسلامية في العالم العربي والإفريقي

وبعد بداية الاستقلال عن الاستعمار الغربي بدأت العلاقات الثقافية بين الدول الإفريقية والعربية تظهر بشكل أكثر وضوحاً من السابق القديم بوجود اتفاقيات علمية وثقافية موقعة بين الحكومات المستقلة، حيث يتم بواسطة هذه الاتفاقيات إرسال طلاب العلم إلى تلك الجامعات للدراسة. وعاد هؤلاء الطلبة إلى بلدانهم بتخصصات مختلفة، ومستويات علمية متباينة وبعد عودتهم إلى بلدانهم انخرطوا في وظائف مهنية مختلفة، وبعضهم في وزارة الداخلية للشؤون الداخلية والبعض الآخر في وزارة الخارجية للشؤون الخارجية، وغالبية العظمى في التعليم في وزارات التربية ونشر العلم والثقافة العامة وبعضهم في المدرسة الوطنية لتكوين الأطر الإدارية لتولي المهام والوظائف الإدارية والدبلوماسية في الخارجية[2].

المؤتمرات التعاونية الثقافية بين العالم العربي والإفريقي:

بعد استقلال الدول العربية والإفريقية في الستينات، وعلى وجه التحديد 1960م بدأت المؤتمرات تعقد في كثير من الدول المسيحية بعد التحرير، وكان مؤتمر أكرا في غانا الذي عقد في وقت ...

---

[1] ... الأضواء على المراكز الإسلامية في السنغال ... الجامعات الإسلامية، جامعة الإمام عبد القادر، قسنطينة، الجزائر ...

[2] المصدر نفسه

الاستقلال، ومطالبته في عام 1958م. وشارك في هذا المؤتمر كل من السودان وليبيا ومصر والمغرب وغانا [illegible] وذلك من أجل إيجاد سبل تعاون الدول لتطوير العلاقات السياسية والاقتصادية والعلمية والثقافية ومن هذه المؤتمرات مؤتمر دار البيضاء [illegible] العلاقات العربية الإفريقية والعربية الإفريقية. وقد وصف علال الفاسي هذا المؤتمر بقوله: [illegible] عملت للتعاون مع الدول الإفريقية فقد دخل مؤتمر الدار البيضاء في طريق واقعي عبر عنه للصحافيين الفرنسيين [illegible] بأن مؤتمر الدار البيضاء [illegible] إلى منظمة للتعاون الإقليمي بين ممثلي الأفارقة[10]. أما مؤتمر مونروفيا 1961م فشاركت فيه حوالي إحدى وعشرين دولة عربية وإفريقية، وعن هذا المؤتمر قال علال الفاسي منتقدا: مؤتمر مونروفيا الذي يضم أعضاء الرابطة الفرنسية [illegible] يجمع مؤيدي الاستعمار ويتآمرون ضد كفاح التحرير، وكل من صوت في موقف [illegible] القائم عليه ذلك الارتباط الفرنسي الإفريقي[11]. وهذه المؤتمرات وغيرها عقدت من أجل إيجاد علاقات ثقافية وتعاون عام.

خاتمة:

إن التعاون العربي الإفريقي قديم مثل قدم التاريخ الإسلامي في المنطقة الإفريقية لأن التجار الذين كانوا يأتون إلى بلادنا كانوا يبنون علاقة جيدة مع الإفريقيين الذين كانوا يستقبلونهم [illegible] الدول الإفريقية كان لها اتصال تعاوني مع دول العالم العربي من حيث تبادل الثقافة والحضارة والأدب والفن والمدارس العربية الإسلامية في المنطقة، وبغداد والبصرة والكوفة ودمشق وغيرها من المدن الكبرى وكذا بعض المدن في مصر وليبيا وبعض بلدان المغرب العربي كالمغرب وتونس والجزائر وبلاد السعودية وغيرها.

ومن أهم معالم هذا التعاون العربي الإفريقي تعاون الجامعات العربية الإسلامية مع الطلاب الذين يرجعون إليها بمختلف أقطار العالم العربي.

وبعد تخرجهم يرجعون إلى بلدانهم لتولي مهام العمل الإسلامي وغيره من الوظائف المتوفرة. منهم في كثير من القطاعات العملية ومنهم من يبقى في العالم العربي للعمل في التدريس أو في أعمال أخرى وفي مجال الدعوة إلى الله.

المراجع

- عبد الله البكري (1040-1094م): المسالك والممالك، طبعة الجزائر.
- [illegible] المكتبات [illegible]
6. د. عبد الجليل التميمي: "الثقافة العربية الإسلامية بإفريقيا جنوب الصحراء غرب إفريقيا"، تونس، [illegible] 1993م.
7. بابكر محمد: التأثير الثقافي الديني للعالم العربي في إفريقيا جنوب الصحراء وإفريقيا الغربية (ندوة الثقافة العربية الإسلامية)، دمشق، [illegible] 1991م.
- [illegible] الأضواء على الحركة [illegible] الإسلامية في السنغال، دور الجامعة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، الجزائر، [illegible]
8. علال الفاسي: منهج الاستقلال، مطبعة الرسالة، الرباط، [illegible]م.

(10) علال الفاسي: منهج الاستقلال، مطبعة الرسالة، الرباط [illegible]

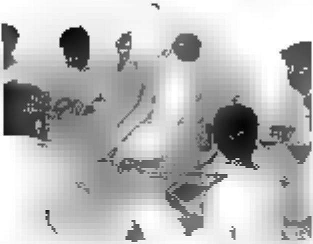
(11) المصدر نفسه.

الدور الرائد للأوقاف الإسلامية

أحمد حمدي سليمان *

ظل الوقف الإسلامي على مدى ثلاثة عشر قرناً من الزمن، صورة من أروع صور التضامن الإنساني، وينبوعاً فياضاً من ينابيع الخير والعطاء، وعنصراً إيجابياً من عناصر التنمية الاجتماعية، ومظهراً مشرقاً من مظاهر التعاون والتكافل، كما عمل على الاستقرار والطمأنينة، وإزالة الفوارق وسد الثغرات بين فئات عديدة من أفراد المجتمع الإسلامي، بصورة تحقق التطلعات الدينية والدنيوية بما يساعد على استمرارية مسيرة الإسلامية، نحو مجتمع مترابط ومتعاون ومتضامن، تسوده المودة والتراحم والتآلف بين الناس، والحرص على نزع الشرور، وإحلال الخير وغرس الفضائل في النفوس، لبناء مجتمع إسلامي يدافع عن قيمه ويحمي مقوماته، من جميع غوائل الحياة بما يواكب العصر، ويفي بمتطلبات ذوي الاحتياجات الخاصة من الفقراء والمساكين ومن لا عائل لهم، وذلك بإمداد ذوي المهارات بآلات الإنتاج والاستفادة منهم في عملية التنمية.

كما أن الوقف يعد من أهم الأنظمة في التنمية البشرية لاعتبارات عديدة، منها أن رسول الله ﷺ بدأ في تطبيقه منذ أوائل عهد الهجرة، بهدف إيجاد



مصادر دائمة للدخل القومي في بلاد الإسلام، وتأمين الإنفاق منه على المصالح العامة... ثم بعد ذلك قام الراشدون يتوسعون في تطبيقاته، فأخذ ينمو ويقوى في ظل التطورات التي حدثت في التاريخ الإسلامي، مع مختلف أنظمة الحكم في الدولة الإسلامية.

ولا يخفى على اللبيب أن الوقف نظام يتمشى مع مبادئ الحرية الاقتصادية، التي كانت الأساس في اقتصاد الدولة الإسلامية، فلم تكن الحكومات تتدخل في النشاط الفردي، ومن ثم فُرض نظام الوقف نفسه، كنظام ضروري لمشاركة الفقراء الأغنياء في الثروة بصورة مرضية من ناحية، ولرعاية المرافق العامة،

* رئيس قسم الإعلام والنشر برابطة الجامعات الإسلامية، مصر

[illegible] الطابع العلمي [illegible] المساجد والمستشفيات: و مدارس من ناحية أخرى، والتي بدأت تدخل في البرامج الحكومية بشكل ما، وكذلك فإن الوقف بشكل عام شجع طوائف الأغنياء على وقف من أموالهم للفقراء طمعاً في الأجر والثواب من الله تعالى، ولتشجيع المبادرات الفردية للنفع العام.

وقد ساهم المسلمون في تخصيص أوقافهم وتوجيهها، حتى بلغت ما لا يخطر على بال، بحيث أن [illegible] لم يترك المسلمون صغيرة ولا كبيرة من الحاجات الأساسية لمجتمع الإنساني إلا ووقفوا عليها ما يسد حاجته ويدفع به إلى الأمام، فكان [illegible] يعبر عن مبدأ التكافل الاجتماعي في الحياة بصورة موضوعية [illegible] من الواقع [illegible] بكافة فئاتهم وطوائفهم [illegible] من الحياة [illegible]

[illegible] في طبيعة نظام الوقف في الإسلام

[illegible] في [illegible] عمار [illegible] دور الوقف في تحقيق النهضة العلمية والتربوية والثقافية [illegible] المسلمين من خلال المؤسسات التعليمية الموقوفة.

إن الحركة العلمية التي ازدهرت في عصور الإسلام [illegible] ولكن الناظر [illegible] الدقيقة لابد وأن يرجع هذا التراث العلمي إلى أسباب كثيرة ولابد أن تكون أسباب [illegible] لأن العلم لا ينتشر إلا بالخير كما قال تعالى:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ سورة البقرة الآية 282

فالعلماء [illegible] وجدوا [illegible] أنفسهم [illegible] العلم بعضهم إلى [illegible] أمانة الله فيه، ولما كانت حلقات العلم تشجع الطلاب وجد أهل الصلاح والعبادة [illegible] أنفسهم [illegible] بعضهم [illegible] من أموالهم لإنشاء مؤسسات تعليمية تكافئية [illegible] السير [illegible] ومساكن [illegible] الله [illegible] أوقافهم [illegible] وتشجيعاً [illegible] من [illegible] الأوقاف [illegible] من [illegible] الطلاب كما أوقفوا الكتاتيب والمكتبات والمستشفيات* [illegible] عليهم [illegible] الأوقاف [illegible] العلم [illegible] من خلال عالم [illegible] مواقف [illegible] جميع أنحاء العالم الإسلامي وبقاع الأرض كلها.

وفي هذه الإطلالة السريعة [illegible] الأضواء على المساجد والكتاتيب والمدارس والمكتبات التي أوقفها أو [illegible] أهل الخير والصلاح والتي أدت إلى نهضة العالم الإسلامي في كل العصور.

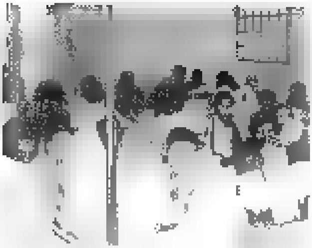
أولاً: المساجد والكتاتيب

إن المسجد في الإسلام لم يكن مكاناً للعبادة فحسب، وإنما كان إلى جانب ذلك مصدراً للإشعاع الفكري والحضاري، فقد كانت المساجد [illegible] حلقات العلم الديني [illegible] حول العلماء والمدرسين في فروع العلوم المختلفة، ومن ثم كان المسجد النواة الأولى للمدرسة في الحضارة الإسلامية وأدى رسالته على أكمل وجه، وخرج [illegible] الغفير من العلماء والمفكرين، وظل المسجد يؤدي رسالته العلمية في كل عصور التاريخ حتى الآن، وأما الكُتّاب فقد [illegible] تعليم الصبيان القراءة والكتابة والقرآن الكريم وبعض العلوم النحوية والرياضيات.

[illegible] بالذكر أن الكُتّاب [illegible] منذ عصر الصحابة، ويُذكر أن عطلة يوم الجمعة كانت بسبب أن [illegible] الكتاب في المدينة خرجوا يوم الخميس لاستقبال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو عائد من رحلة فتح بيت المقدس في مكان لا

---

* [illegible] كلمة فارسية الأصل [illegible] في [illegible] المعرفة التي [illegible] فيها (المحرر)



يعد كثير عن دار الحجرة ولكن الأطفال نالهم من الضيق على الأقدام في الجهاد والأيام عناء شديد فأمر الفاروق عمر رضي الله عنه ألا يذهب الأطفال إلى الكُتّاب يوم الجمعة ليستريحوا مما نالهم من تعب وجهد وصار الأمر بعد ذلك سنة بهم وتجمع المطلعين في الحجرة الإسلامية.

وكان الكُتّابُ في بعض البلدان من السعة بحيث يضم مئات والآلاف من الطلاب، فقد روي عن أبي القاسم البلخي أنه كان له كُتّاب يضم فيه ثلاثة آلاف تلميذ، وكان هذا الكُتّاب من السعة بمكان، الأمر الذي ألزمه أن يركب حمارا ليتردد به بين طلابه، وليشرف على شؤونهم.

وقد كان هناك نوعان من الكتاتيب وهما الكتاتيب الخاصة وكان يقوم بتعليمها من يتخذ من التعليم حرفة له، ويأخذ عليه أجرا، وكان يطلق عليه اسم المؤدب.

وأما كتاتيب الأيتام فكان ينشئها أهل الخير والصلاح لتعليم الأيتام والفقراء من أولاد المسلمين مجانا ويوقفون عليها الأوقاف الكثيرة، ويصرف المعلمين عليهم وفق شروط الواقفين، وتصرف فيها أعطياتهم للنفقة والكسوة لهم.

يواصل الكُتّابُ للقيام برسالته التربوية عبر عصور التاريخ، وعرفت المكتبة الإسلامية دراسات ومؤلفات كثيرة من معلمي الصبيان، يبحثون فيها مدى الإحاطة بما يجب على المعلم نحو تلاميذه وما يجب على هؤلاء التلاميذ نحو معلميهم، وقد ترك فيها علماء التربية الإسلامية وغيرهم من المهتمين بالدراسات التربوية، حتى في عصر النهضة العلمية الحديثة، وظل الكُتّابُ يؤدي رسالته التربوية لا سيما فيما يتعلق بحفظ القرآن الكريم إلى عهد قريب، وقد كان من هؤلاء من يتم حفظ كتاب الله كاملا وهو في العاشرة من عمره أو دونها.

وبذلك نستطيع أن نؤكد أن (الكُتّاب) في تاريخ الحضارة الإسلامية كان نقطة البداية لهذه الحضارة، لأنه كان يؤهل الأطفال لمواصلة الدراسة والبحث والتخصص العلمي الدقيق، فقد كان المسجد ثم المدرسة تستقبل هؤلاء الطلاب بعد أن يزودهم الكُتّاب بمبادئ التحصيل، ويصقل مواهبهم وينمي قدراتهم العلمية، ثم يقوم المسجد وكذلك المدرسة بأداء الرسالة العلمية كاملة نحو هؤلاء الأطفال ليصبحوا فيما بعد قادة العلم والفكر ونشر العقيدة والمعرفة.

من هنا يتضح لنا أن الكُتّاب أثر تأثيرا كبيرا في نمو الحضارة الإسلامية وازدهار معارفها من خلال المساجد والكتاتيب الموقوف عليها، فنشأ جيل تربى وتعلم في هذه المؤسسات فكان منهم العلماء والمفكرون والأدباء الذين صنعوا الحضارة الإسلامية في عصورها المختلفة.

كتب المدارس

بدأ إنشاء المدارس بعد أن استقرت حركة الفتوحات الإسلامية نسبيا، فلما تضاعف إقبال طلاب العلم على حلقات المساجد وأخذ التخصص العلمي الدقيق يظهر بين الدارسين والباحثين كثر بناء المدارس التي ملأت ربوع العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، ويذكر التاريخ نفرا من أمراء المسلمين كانت لهم اليد الطولى في إنشاء المدارس في مختلف

الانتصار من خلال أوقافهم، منهم: صلاح الدين الأيوبي الذي أنشأ المدارس في جميع المدن التي كانت تحت سلطانه في مصر ودمشق والموصل وبيت المقدس. كما تسابق العلماء والأغنياء والتجار في بناء المدارس والوقف عليها بما يضمن استمرار إقبال الطلاب على الدراسة فيها. وكثير منهم جعلوا بيوتهم مدارس وجعلوا ما فيها من كتب وما يتبعها من عقارات وقفًا على طلاب العلم الدارسين فيها.

والحق أن المدارس التي كان الوقف وراء إنشائها كثرت كثرة هائلة ومدهشة، لدرجة أن ابن جبير (الرحالة الأندلسي) هالَهُ ما رآه في المشرق من كثرة المدارس والغلات الوافرة التي تغلها أوقافها فدعا المغاربة أن يرحلوا إلى المشرق. ويكفي برهانًا على ذلك أن الإمام الزاهد المتقي الورع (الإمام النووي) لم يكن يأكل من فواكه دمشق طيلة حياته لأن أكثر غوطتها وبساتينها أوقاف رزقًا. ذلك في دمشق بحسب ما كان في غيرها. لقد كانت تلك المدارس مراكز إشعاع علمي وحضاري كل ذلك بفضل وفرة الأموال الموقوفة بهدف تنمية الحركة العلمية وتنشيط الثقافة.

هذا وقد جرت العادة أن يبني السلطان أو غيره المدرسة ثم يوقف عليها الأوقاف الواسعة ليمكن عن طريقها إدامة هذا الجهد التربوي واستمراريته حتى يستطيع الشيوخ والطلاب التفرغ لأداء رسالتهم في اطمئنان وراحة بال، فالشيخ يأخذ راتبًا نقديًا كل شهر ويُرزق كل يوم من خبز ولحم وغيره، ويكسى مرتين سنويًا (شتاءً وصيفًا) وكذلك الطلاب. ومن هنا نستطيع أن نقرر أن التعليم في هذه المدارس لم يكن مجانيًا فحسب بل كفل لهم الطعام والملبس والسكن، فضلًا عن الشروط الفقهية والعلمية التي كانت تُصرف لهم وفق شروط الواقفين.

وثيقة الوقف كانت بمثابة اللائحة الأساسية للمؤسسة التعليمية

وكانت بعض المدارس بالإضافة إلى ما تقدمه لطلابها من علم ترعاهم صحيًا، فقد علق بجوار بعض المدارس مستشفى لعلاج المرضى من الطلاب والشيوخ بالمجان. ولم يقتصر أثر الأوقاف على التعليم فحسب بل تعدى ذلك إلى كافة جوانب العملية التعليمية حتى ليمكننا القول بأن وثيقة الوقف كانت بمثابة اللائحة الأساسية للمؤسسة التعليمية والتي تضم الأسس التربوية والتنظيمية والشروط التي يجب أن تتوافر في القائمين بالتدريس ومواعيد الدراسة وطرق التدريس والكتب الدراسية وعدد الطلاب والإجازات الأسبوعية والمناسبات، وإنشاء المدارس وإمدادها وتزويدها بالكتب وشروط خازن الكتب ووضع نظام الاطلاع والاستعارة بما يكفل المحافظة على الكتب واستمرار أداء رسالتها. وما إلى ذلك من التنظيمات الإدارية والفنية والمالية.

والواقع أن الأوقاف والأحباس التي كانت توقف على المدارس والمساجد والكتاتيب والخوانق وغيرها هي التي دعمتها ومكنتها من الاستمرار في أداء رسالتها. وإذا كانت الدراسة في تلك المدارس مفتوحة لكل راغب في العلم دون قيد أو شرط، وإذا كان طلاب هذه المدارس يتمتعون بكل الرعاية، فإن الأساتذة الذين يقومون بالتدريس فيها كانوا يتمتعون بمعرفة شهد لهم الشيوخ بالكفاءة العلمية، وكان المتخرجون في هذه المدارس يُمنحون إجازة علمية باسم شيخ المدرسة وهي تشبه المؤهلات العلمية في عصرنا الحاضر. وما كان للعلماء أن يمارسوا مهنة التعليم إلا بعد نيل الشهادة أو الإجازة من كبير علماء المدرسة. وكان العلماء والمدرسون في صدر الإسلام لا يأخذون أجرًا على ما يقومون به من تعليم، وكانوا يرون أن هذا فرض عليهم، ولا يجوز أن يأخذوا عليه راتبًا، وكانوا يؤمنون بأن البخل بالعلم لؤم وظلم، والمنع منه حسد وإثم.

لقد أوقف العلماء غير المستطيع على العاملين في حقل التعليم عمراً عليه بمختلفه من حرث وبذر وتعهد وعناية وجني وحصاد، وذلك بعد أن يعطي كل سهم من ماله أو ثروة فيجعل بعضهم من كتاب أو مدرسة أو تربة أو مسجد أو خانقاه وأوقف عليها الأوقاف المناسبة لاستمرار العلم والعبادة فيها. ونجد البعض لم يتمكن من بناء مؤسسة علمية فيتبرع عن طيب خاطر بكتبه وقفاً على طلاب العلم، والبعض الآخر وقف شيئاً(***) والأحبار على طلاب العلم ونساخ الكتب. والبعض من العلماء كان يتبرع بالمداد لطلابه. وكان بعضهم يولم لطلابه ويقيم لهم الموائد العامرة بين الحين والآخر وكذلك في المناسبات كالأعياد والمواسم أو عند ختم شرح كتاب من الكتب، وغير ذلك كنوع من الصلات الطيبة بين الطلاب وشيوخهم.

لقد أثرت المدارس الموقوفة على الحركة العلمية والتربوية والثقافية تأثيراً بالغاً فيما خلفته من مشايعين منتجين أمام هذا العطاء الذي سال من أيدي المسلمين إلى شتى بقاع الدول الإسلامية فغمرها علماً ورحمة ومودة وتربيةً للإسلام والمسلمين.

ثالثاً: المكتبات

إن الحديث عن المكتبات وثيق الصلة بالحديث عن المدارس، فلقد أدرك كل الواقفين للمدارس ومنشئات الدرس في المساجد أهمية الكتب في العملية التعليمية وأن الاقتصار على تشييد الأبنية وتوفير هيئة التدريس غير كاف، فاهتموا بوقف الكتب عليها لتكون وسيلة ميسرة للتحصيل ومن جهة توفر مادة علمية يستند إليها المعلم والمتعلم في وقت واحد، فأصبح من المعتاد وجود مكتبة في كل مدرسة أو جامع أو رباط وقفاً على طلبة العلم وغيرهم. وترجع أهمية المكتبات إلى أن



الكتب لم تكن متيسرة ولم يكن باستطاعة الكثيرين شراؤها نظراً لارتفاع أثمانها لأن الكتب قديماً كانت عبارة عن مخطوطات باهظة التكاليف لارتفاع أثمان مواد الكتابة من الأوراق والمداد بالإضافة إلى ارتفاع أجرة اليد العاملة في النسخ. ونشرة هذه الطائفة لذلك اشتهر كل من كان خطه جميلاً فاشترك في عملية النسخ.

إن المكتبة لعبت دوراً مهماً في تشجيع الحياة العلمية وتنشيطها عبر العصور المختلفة التي ساد فيها انتشار المدارس والتي ألحق بمعظمها مكتبات تكون عوناً للأساتذة والطلاب في النهضة العلمية.

ويعود هذه المكتبات، تيسر الطلاب من جمع بعض الكتب ومطالعتها في شتى الكتب، فكان ثمن الكتاب يبلغ حداً يصعب على طالب العلم أو العالم الفقير شراؤه، فكيف إذا أراد أن تكون له مجموعة من الكتب في الفن أو العلم الذي يتخصص فيه؟ ومن هنا كان قيام المكتبات في المجتمع الإسلامي منبعثاً من عاطفة إنسانية ورغبة علمية ودينية في وقت واحد.

ومع ازدهار حركة التأليف وتصاعد الحركة العلمية في العالم الإسلامي وكثرة الدارسين وصعوبة الحصول على الكتب لعدد كبير من هؤلاء الدارسين، بدأ الشعور بأهمية توفير الكتب للراغبين في البحث والتعمق في

(***) الشيء: المرقد والدواة... التي يوضع فيها قلم الكتابة. التحرير



بعض الحكام والولاة والعلماء والأثرياء. ووجد هؤلاء في الكتاب وسيلة من وسائل العمل الخيري من منطلق الرغبة في إشاعة العلم، والتغلب على مصاعب ومتاعب الحصول على الكتب لطلبة العلم. ونجم عن ذلك ظهور الوقف الخاص بالكتب والمكتبات، وتفرع هذا الوقف فشمل وقف مكتبات بأكملها ووقف كتب على المساجد والمدارس و مستشفيات والمراصد.

تزويد المكتبات:

أما تزويد المكتبات فكان يتم عن طريق عدة موارد أهمها:

1. الواقف: وهو منشئ المدرسة عادة، وكان يحبس على خزائنها مجموعة كبيرة من الكتب والمصاحف التي تحويها خزائنه الخاصة وغيرها من أدوات الكتابة.

2. الهدايا والهبات: التي كان يقدمها بعض السلاطين والأمراء والعلماء والفقهاء وأهل الرياسة والجاه والمال. وكذلك المدرسين بالمدرسة نفسها. وكانت هذه الكتب تحبس حفاظاً بها من الضياع ولينتفع بها طلبة العلم الشريف على مدى العصور.

3. النسخ: الذي كان يعتبر وسيلة لتزويد المكتبة فكانت الكتب تنسخ بواسطة النساخين والطلبة والصوفية الملحقين بالمدرسة أو الخانقاه.

4. الشراء: من أسواق الوراقة وتجار الكتب ويبدو أن شراء الكتب من ريع الوقف كان أحد الوسائل للحصول على المخطوطات والكتب النادرة التي يحتاج إليها الطلاب في المدرسة. وهكذا حظيت الكتب والمصاحف والربعات التي كانت تُزود بها خزانة المدرسة من خلال الطرق السابقة كان يكتب عليها لفظ وقف. وهكذا انتشرت خزائن الكتب الوقفية منذ القرن الرابع الهجري بحيث يمكن القول بأنه قلّما تخلو مدينة من كتب موقوفة.

والجدير بالذكر أن معظم المكتبات الوقفية كانت تخضع لأسلوب علمي في الإدارة والخدمة المكتبية فهناك رئيس المكتبة وكان يسمى خازن المكتبة وهو دائماً من أشهر علماء عصره، وهناك المناولون الذين يناولون الكتب للمستعيرين، وهناك المترجمون الذين يترجمون الكتب من غير العربية إليها، والعكس. زد على ذلك النساخ والمجلدين والخدم وغيرهم ممن تتطلبهم حاجة المكتبات. إن المكتبات الوقفية ساهمت

مساهمة جوهرية وفعالة في التنمية العلمية والثقافية حيث كانت هيئة لطلاب العلم تعينهم على التزود بكل جديد وتوفر لهم فرص مواكبة الأفكار والآراء لدوية متوالية ومبتكرين من أرجاء العالم الإسلامي كله.

فهل نستطيع أن نحسبه من مكتسبات العالم في المواسم الكبرى الآن مثل لندن وباريس وواشنطن تفتح طلبة العلم الغرباء والفقراء الأدب والأموال؟ إنها حسنة من الإسلام الإنسانية التي لا نظير لها في كل العصور التي عرفتها البشرية قديماً وحديثاً.

وبهذا فإن دور الوقف في التنمية العلمية والثقافية في تاريخ الحضارة الإسلامية قام على الدعائم التالية:

أولاً: الإسهام من خلال جهد في التعليم بإيجاد دور العلم وحلقات الدرس.

ثانياً: تشجيع الدارس وتحفيز المدرسين بالإنفاق على طلبة العلم ومعلميهم.

ثالثاً: المساهمة بتوفير مصادر المعلومات في المساجد والمدارس والمستشفيات عن طريق المكتبات الوقفية، وإذا كان دور الوقف في التنمية العلمية قد قام على تلك الدعائم، فإن هذا الدور حقق أمرين مهمين ساعدا على أن تكون هذه التنمية شاملة لكل العالم الإسلامي لأنها كفلت التعليم، والطلاب استقلالية عن هيمنة الدولة.

الأمر الأول: فهو إتاحة الفرصة لكل راغب في العلم بغض النظر عن مركزه الاجتماعي، ومن ثم كانت مستواه في الدراسة للجميع وكان التنافس بين طلاب العلم كبير فظهروا كل قطاعات المجتمع ومن عوام بزوغ عدد كبير من هؤلاء الطلاب بما حققوا من علم وقوة لدفعة تواصلت التنمية العلمية عبر العصور والأجيال.

الأمر الثاني: وهو منح العلماء والطلاب الحرية الاقتصادية واستقلالهم عن جهود الدولة وعدم حاجتهم مادياً إليها، فقد كان له عظيم الأثر في ازدهار الحياة العلمية وتطورها لأن هذه الحرية والاستقلالية وجهت العقول للابتكار والتنافس العلمي بين المدارس والاتجاهات الفكرية المختلفة فكثرت المؤلفات والأطروحات والمناظرات، مما حدا ببعض العلماء إلى وضع دستور للحوار العلمي والنقد المنهجي لم يعرف بلاد الغرب إلا حديثاً ولا مثيله.

وفي النهاية نؤكد على أن الحياة العلمية في تاريخ الحضارة الإسلامية ما كان لها أن تبلغ ما بلغت من العطاء والعبقرية لولا الوقف الإسلامي الذي كان من أسباب نهضة هذه الحياة وتنميتها، وما حققته من إبداعات استفادت منها كل الحضارات الإنسانية حتى قادتها إلى الحضارة المعاصرة.

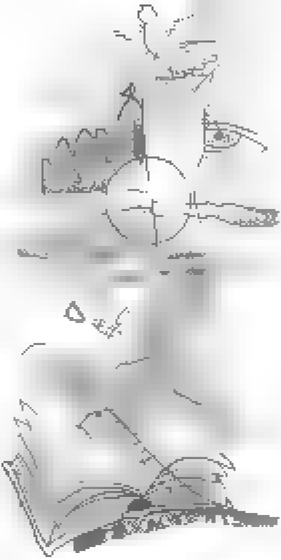
المراجع

1. أساليب تعظيم وتطبيق نتائج بعض التجارب الحديثة، ص19 بتصرف، نشر المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) سنة 2000م.
2. جمعة عبد السلام، الوقف... كيف يسهم في تحقيق التنمية وحل مشكلات المجتمع، مقال منشور في جريدة الأهرام بتاريخ 2003/9/26م.
3. د. مصطفى توفيق الجندي، دراسات وبحوث جديدة في تاريخ التربية الإسلامية، العدد 1، مارس سنة 1988م.
4. أحمد علي سليمان، الدور الاجتماعي والتنموي للوقف في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، بحث فاز بجائزة الكاتب بالمركز الثاني في مسابقة وقف المعرفة الكويتي سنة 1999م.
5. د. محمد الدسوقي، الوعي الإسلامي، العدد 182، ص18، وغيرها من أعداد مجلة الوعي الإسلامي.
6. محمد علي عطية، الوقف الإسلامي ودوره في النهضة العلمية والحضارية، مقال منشور في جريدة الأهرام بتاريخ 2002/10/7م.
7. د. حسن عبد عاشور، مصر في العصور الوسطى ... النهضة المصرية ص235، العصور الإسلامية ج2 ص19، 165.

نظرة الإسلام إلى المرأة ...
وتصحيح المفاهيم الخاطئة

صلاح الدين الجعفراوي *

إن قضية المرأة هي قضية كل مجتمع في القديم والحديث، فالمرأة تشكل نصف المجتمع، وهي أجمل ما في المجتمع من حيث العواطف، والمرأة أعقد ما في المجتمع من حيث المشكلات، ولهذا كان من واجب المفكرين أن يبحثوا في قضيتها (المرأة) على أنها قضية المجتمع، أكثر مما يفكر بعض الرجال فيها على أنها قضية جنس، مجرد فاكهة، أو دمية يلعب بها ثم تترك.



المرأة عبر التاريخ

كان اليونان يحتقرون المرأة ويعدونها رجساً من عمل الشيطان، فكانوا يبيعونها في الأسواق، كسائر السلع، ثم منحت حالها بعدهم، واختلطت بالرجال، وشاعت الفاحشة، وصارت دُور البغاء مراكز للسياسة والأدب.

● وليس للمرأة عند الرومان أهلية مالية، ولا مكانة لها في الأسرة.

● وهي في شريعة حمورابي كالماشية المملوكة.

وجاء في شرائع الهندوس: ليس الصبر المقدر، ولا الريح والموت، ولا الجحيم وسم الأفاعي والنار، أسوأ من المرأة.

* كاتب ... مصري

والمرأة عند اليهود في مرتبة الخادم، ولا يحق لها الحق في أن ترثه، وهي قاصرة، واليهود لا يورثون المرأة، ويعتبرونها لعنة لأنها أغوت آدم، وأنها أمر من الموت.

ويعتبرها النصارى مسؤولة عن الفواحش والمنكرات، وهي باب الشيطان، وعليها أن تستحي من جمالها، لأنه سلاح إبليس للفتنة والإغراء.

وقد هضمها عرب الجاهلية حقوقها، ولم تجد الإنصاف والكرامة والحقوق الكاملة، إلا في الإسلام الذي رفع عن كاهلها وزر الإهانات التي لحقت بها عبر التاريخ، وأعلى إنسانيتها الكاملة وأهليتها الحقوقية التامة، ونقلها من عبث الشهوات، ومتعة الاستمتاع بها، باعتبارها جسماً جميلاً، وجعلها عنصراً فعالاً في نهوض المجتمعات وتماسكها وسلامتها.

> ما هي وضعية المرأة عند الرومان واليونان واليهود؟

فهي في نظر الإسلام مثل الرجل في الإنسانية والتدين والعبادة ودخول الجنة، ولها من الحقوق مثل ما للرجل، وقرر نبي الإسلام ﷺ أن النساء شقائق الرجال.

إن الإسلام كرمها إنسانياً وأثبت لها حقوقها المادية والمعنوية وأبعدها عن مواطن التبعية وصانها من الابتذال، ونأى بها عن المجالات التي يمكن فيها أن تستغل أنوثتها استغلالاً يرهقها ويشقيها، وحماها من التردي فيما تردت فيه المرأة الغربية التي تعاني من ألوان التحكم، الأمر الذي ضج منه عقلاء الغرب ومفكروه الأحرار.

إن الإسلام من شأن المرأة فأصبحت مكانتها أسمى مما كانت عليه في سائر العهود، فبيتها وعائلتها عاش النبي الكريم ﷺ مع زوجته الفضلى خديجة، قرابة وعشرين سنة وهي أرملة، وتكبره بخمس عشرة سنة، وكانت مكانتها تزيد عنده وعلى المسيحيين وقد أجاز لها أن تستزيد من العلم والمعرفة كالرجل تماماً.

كذلك كانت المرأة في العصور الإسلامية معززة مكرمة أماً وبنتاً وأختاً وزوجة وفي سائر أحوالها.

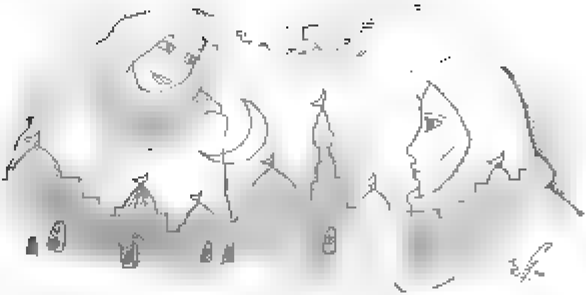
حال المرأة اليوم

إن حال المرأة المسلمة في مجتمعات المعاصرة وفي عالم اليوم لا تسر، فهي تعاني من أمور كثيرة لعل من أهمها هذه المؤامرات العالمية، التي هي من بنات المخططات التآمرية العالمية على وضع المرأة بعامة والمسلمة بخاصة، تسعى إلى جعلها من جذورها الثقافية تحولاً عن هويتها وأداة التغريب والتغيير للمجتمع الذي تعيش فيه.

ومنها حالة التخلف التي تعصف بمجتمعاتنا نساءها ورجالها، ولكن قوة العصف تصيب المرأة بمعنى مظلومة أسيرة شهوات الرجال وعسفهم، وتسلطهم اللامحدود باسم القوامة والطاعة اللتين لا يعرف منهما أولئك الرجال سوى العسف والقهر وألوان الظلم.

ومنها اختلاط المفاهيم والقيم الحقيقية الإسلامية بالعادات والتقاليد التي لا تمت إلى الإسلام بصلة، ويحسبونها من الإسلام حتى غدت المرأة وكأنها جنس آخر من غير بني البشر، أو من فئة العبيد، متناسين أو جاهلين أو معرضين قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ سورة النساء، الآية (1)

وكأن هؤلاء لم يعلموا أن الإسلام قد أحل المرأة المكانة اللائقة بها كإنسان في سائر المجالات الإنسانية والاجتماعية والقانونية.



تعليمها

يحدثنا التاريخ عن سيدات درسن الشريعة والفقه والحديث والتفسير، ودرّسن في المساجد، بعد أن تفقهن وتخرجن على أيدي كبار العلماء، الذين أجازوا الكثيرات منهن ليصبحن مدرسات ومحاضرات، ولمعت منهن أديبات وشاعرات وباحثات في العلوم ومفكرات ومفسرات.

ـ كل ذلك في حصن الإسلام وظلال تعاليمه السمحة التي جعلت النساء شقائق الرجال.

هكذا كان في صدر الإسلام أيام النبي ﷺ والراشدين رضوان الله عليهم أجمعين

ثم كانت القيود التي تأثرت بالعادات الفارسية والبيزنطية المجحفة، وانعكست على المجتمعات الإسلامية، فكان الحرملك والحريم. فالرسول ﷺ لم يأمر قط بحجب النساء عن المجتمع ومنعهن من ارتياد المساجد ودور العلم، ومع هذا، ورغم تأثر العباسيين بالفرس والبيزنطيين، بقيت المرأة مستقلة بمكانتها العالية في المجتمع المسلم، تتعلم وتعلم، وتتلقى العلم تماماً كالرجال، فقد حض الإسلام النساء على التعلم كما حض الرجال، ولم يحل حجاب المرأة دون تعلمها على أيدي كبار العلماء، في الفقه والحديث وسواهما من العلوم العربية والدينية

المرأة والسياسة

لم تهتم المرأة في عصر الإسلام بالسياسة مع أنه نعلم أن الإسلام قد أعطاها هذا الحق كما أعطاه للرجل، ولم تسهم في الأحداث السياسية التي مرت بالمسلمين، إلا في حالات نادرة، لأنها أدركت أن واجبها الأول ورسالتها الكبرى في هذه الحياة أن تكون ربة بيت، وأماً ومنشئة أجيال، ومربية أبطال.

واستمرت الأمور على هذه الحال حتى كان العصر الحديث، وكان الغزو الفكري الغربي، الذي اجتاح مجتمعاتنا، فانطلق المتأثرون بالحضارة الغربية يطالبون للمرأة بخوض غمار الحياة السياسية كما يخوضها الرجال، وكان لهم ما أرادوا، فصارت تَنتخب وتُنتخب في البلاد العربية والإسلامية، وصارت وزيرة

ووسيلة وزارة ورشحت نفسها لرئاسة الدولة، وليس في مبادئ الإسلام ما يمنعها أن تكون نائبة. ولكن تجليّ الفطرة التي فطرت المرأة عليها عندما تزج بها في أتون العمل السياسي بعيدًا عن مملكتها ووظيفتها في البيت والمدرسة ومن يتلاءم مع طبيعتها وفطرتها من أعمال لا يعني أهليتها، بل للأضرار الاجتماعية التي تنجم عن انصرافها إلى العمل السياسي وإهمال ما سواه، وانعكاساته على سلامة الأسرة وتماسكها وانصرافها عن معالجة شؤونها بكل إيجابية وحيوية إلى معاركة الخضم السياسي وما تقتضيه من جهد وجدل وسفر مما يتنافى مع ما خلقت له.

الشبهات

يثير بعض الناس من مستشرقين وعلمانيين عددًا من الشبهات حول موقف الإسلام من المرأة، وبصرف النظر عن نيات هؤلاء وأولئك نحاول الرد على تلك الشبهات في اختصار شديد.

ولكن قبل الحديث عن تلك الشبهات لا بد من ملاحظة الفروق بين الرجل والمرأة من حيث التكوين الجسدي والتكوين النفسي والعاطفي، كما لا بد من التأكيد على أن هذه الفروق لا تمس التماثل بين الرجل والمرأة أو المساواة بينهما في الإنسانية والكرامة والأهلية، فالمرأة شقيقة الرجل والعلاقة بين الشخصين هي علاقة تماثل وتمايز وتكامل.

فهما متماثلان من حيث الجوهر الإنساني بكل طاقاته وأبعاده، وهذا التصور يمثل حقيقة بيانية في عالم الخلق والتكوين.

وهما متماثلان باستقلال الشخصية الإنسانية بكل مقوماتها تلك التي تتأسس عليها المساواة في الشخصية الاعتبارية أو القانونية، فالمرأة في الشريعة الإسلامية أهليتها كاملة في الأنشطة المدنية، فمن ميدان العقود للمرأة حق التملك والبيع والشراء والرهن، ولها أن تقرض وتهب وتتصدق وتتصالح وتوكل وتتوكل، إلى غير ما هنالك من عقود.

وهما متماثلان في حمل أمانة التكليف، فالإسلام يعتبر المرأة كاملة الأهلية في التكليف، كما نادى ووجه الله للناس بقوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يدخل فيه الذكور والإناث، وكما نادى ووجه الله للمؤمنين بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يدخل فيه المؤمنون والمؤمنات.

الفروق بين الرجل والمرأة لا تمس التماثل بين الرجل والمرأة أو المساواة بينهما في الإنسانية والكرامة والأهلية

فضمن عموم الخطاب يندرج الذكر والأنثى قاعدة أساسية من قواعد الخطاب الشرعي.

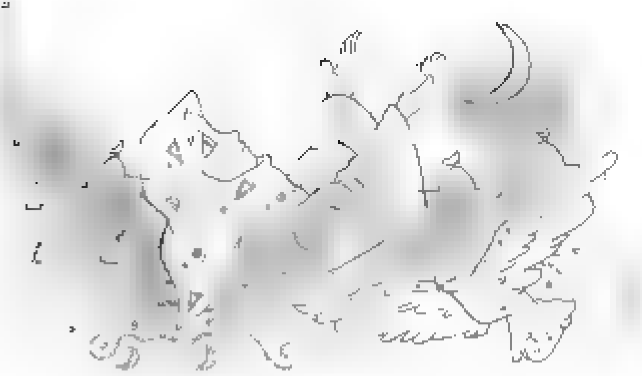
ولكن التماثل لا يعني التطابق في كافة الأحوال، بل لا بد من أن يكمل أحدهما الآخر جسديًا ونفسيًا وعاطفيًا.

ومن مظاهر التمايز ما ورد في الحديث الشريف: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن».

هذا الحديث الذي يثيره على الإسلام أعداؤه فسره الرسول الكريم ﷺ في حينه، فنقصان دين المرأة في تركها الصلاة والصيام أيام عادتها الشهرية وأيام نفاسها، ونقصان عقلها في أن شهادة المرأة جاءت على النصف من شهادة الرجل.

إن نقصان الدين هنا لا يعني نقصان الأهلية الشرعية ولا يعني نقص الأهلية الإيمانية لأنه مقتضى التكاليف التي فرضت عليها تريد يعني العبادات في أيام معدودات.

وكذلك نقص العقل في هذا الحديث لا يعني نقصًا في القدرة على المحاكمة والتمييز، بل هو أمر



أجل التثبت في الأحكام، والاحتياط في القضاء بها.

والمرأة والرجل متكاملان، يكمل أحدهما الآخر، ليكونا النفس الواحدة، وليكون الإنسان في المعنى الطبيعي لتتمثله بشر أسوياء، يقوم كل بدوره في هذه الحياة.

على هذا يقوم تصورنا للمرأة، وعليه تتحدد مكانتها في الحياة العامة، وتقوم بدورها إلى جانب شقيقها الرجل في حمل التكاليف الروحية والاجتماعية.

والذين يسعون إلى طمس الفروق بين الذكورة والأنوثة، وما ينتج عن تلك الفروق من مشاعر، يقفون ضد الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ذكوراً وإناثاً، إنهم يقفون ضد الإنسان، وضد الأسرة، وضد المجتمع، وضد ما يرتضيه ويأباه.

المرأة والميراث

وإذا كنا قد انتهينا من شبهة نقصان العقل، في جعل شهادة المرأة نصف شهادة الرجل، وما يتصل بها مما لا نصيب له من صحة، فلننتقل إلى الميراث.

إنهم يزعمون أن الإسلام قد انتقص حق المرأة في الميراث حينما جعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وهذا تعسف وظلم، والتشنيع على الحقيقة، فنصيب المرأة من الإرث يختلف من حالة إلى أخرى، فأحياناً يكون نصف ما للذكر، وأحياناً تأخذ مثل ما يأخذ أو أكثر، وأحياناً تأخذ أقل منه، وهذه أمور معروفة في كتب المواريث.

ومع ذلك نقول:

ليس في إرث المرأة المسلمة ما يجعلها تعتقد أن نصيبها بظلم، ففي نظام الإسلام يلتزم الرجل بأعباء وواجبات مالية، لا تلتزم المرأة بمثلها، فالرجل يدفع المهر، والمرأة تأخذه، والرجل يؤثث بيت الزوجية، وينفق على الزوجة والأولاد، ولا تكلف المرأة بشيء من ذلك، ولو كانت غنية، ولهذا وغيره كان من العدل أن يكون نصيبها من الميراث أحياناً أقل من نصيب الرجل. وإذا أردنا أن نساويها مع الرجل فإننا

يطالبون بالمساواة مع الرجل في الحقوق والواجبات وهذا مناف للعدل الذي جاء به الإسلام، والإسلام حريص على مصلحة المرأة من أي نظام آخر.

وهناك شبهة الدية

فقد جعلت الشريعة دية المرأة التي قتلت خطأ أو التي لم يستوجب قاتلها عقوبة القصاص لعدم توفر شروطه بما يعادل نصف دية الرجل.

وقد يبدو هذا غريبا بعد أن قرر الإسلام مساواتها بالرجل في الإنسانية والأهلية والكرامة الاجتماعية.

غير أن الأمر لا علاقة له بهذه المبادئ السامية بل هو متعلق بالضرر الذي يصيب الأسرة من فقدان الرجل والمرأة.

ما الأسباب الكامنة وراء تعدد الزوجات؟

إن القتل العمد يوجب القصاص من القاتل سواء أكان المقتول رجلا أم امرأة وسواء أكان القاتل رجلا أم امرأة لأنه في القصاص تقتص من نفس لإنسان، والرجل والمرأة متساويان في الإنسانية.

أما في القتل الخطأ أو شبهه فليس أمامنا إلا التعويض المالي والعقوبة بالسجن أو نحوه، والتعويض المالي يجب أن يراعى فيه الخسارة المالية قلة وكثرة فهل خسارة الأسرة بالرجل كخسارتها بالمرأة؟

إن الدية ليست تقديرا للقيمة الإنسانية في القتيل بل هي تقدير لقيمة الخسارة المادية التي لحقت بالأسرة، والخسارة المادية بفقد الرجل أكبر من الخسارة بفقد المرأة التي لم يكلفها الإسلام بالعمل من أجل الكسب والإنفاق على الأسرة وعلى نفسها أيضا.

تعدد الزوجات:

يثيرون مسألة تعدد الزوجات ويشنعون على الإسلام بهذه المسألة ويتخذون منها دليلا على اضطهاد المرأة وهذا مناف للواقع ولحقيقة الأمر، فالتعدد ليس شرا محضا بل فيه خير كثير في كثير من الأحيان، فقد تلجئ إليه الضرورات وما أكثرها فيكون فيه خير كثير كأن تكون الزوجة عقيما أو مصابة بمرض مزمن وعندما تكثر النساء ويقل الرجال بسبب الحروب فيكون التعدد ضرورة ملحة لا بد منه ولكن الإسلام ضبطه بقيود شرعية [illegible] بشروطه كأن يكون الزوج عادلا وقادرا على الإنفاق على زوجاته الماديه وقادرا على القيام بواجبات الزوجية.

إن نظام التعدد في الإسلام نظام أخلاقي إنساني

- أخلاقي، لأنه لا يسمح للرجل بأن يتصل بأي امرأة شاء في أي وقت شاء

- إنساني لأن الرجل يخفف به من عبء المجتمع بإيواء امرأة لا زوج لها وينقلها إلى مصاف الزوجات المصونات المحصنات ولأنه يقضي على جماعية تسبح بأزمة اجتماعية عامة.

إن نظام التعدد يعده الإسلام فيه ضرورة إلى حد محدود ولكنه يضع عدة شروط ومتاعبه ومسؤولياته إلى قدر غير محدود.

إنه نظام يحفظ الأخلاق ويحترم الإنسان.

ولقد قصر التعدد على أربع زوجات ويشدد على العدل بينهن عدلا ماديا إلى أقصى ما يستطيعه الإنسان.

لقد ربى الإسلام ضمير الزوج المسلم على خوف الله ومراقبته ورغبته في ثوابه في موقفه من المرأة فجعله رجلا مؤمنا عادلا يراقب نفسه بنفسه ويحاسبها على أي تقصير تجاه زوجاته.

الثقافة الإسلامية والانفتاح

د. أحمد عبد الرحيم السايح *

1 - الثقافة أمر يهم الإنسان، وخصيصة من خصائصه التي تميز بها وانفرد عن غيره من المخلوقات فيه.

وقد لازمت الثقافة الإنسان في العصر الحجري، والعصر الحديدي، وعصر الحضارات المعروفة، ثم العصور الحديثة.

ولما كانت الثقافة ملازمة للإنسان، لأنها كانت من صنع الإنسان، كان من شأن الباحث أن يتعرف على هذه الكلمة التي عمت في حياة الناس من أكثر الكلمات شيوعاً واستعمالاً، وعندما يطرح الباحث سؤالاً يقول فيه:

- ما هي الثقافة التي يحتاجها الإنسان في هذه المرحلة من مراحل تطوره الفكري؟

وكيف يرى الإنسان هذه الثقافة؟

- وهل هي مجرد معلومات تقتنى، وتراكم للمعرفة فقط؟ أم هي مستويات ومواقف متحركة ومتعددة؟

وعندما نبحث في الإجابة نفاجأ بتباين الإجابات وتعددها، حتى إن العلماء قالوا: إنه يمكن إحصاء مئات التعريفات لهذا المصطلح. وهي تعريفات متنوعة ومتناقضة ومتفاوتة المعنى، ولكنها أيضاً كثيرة الغموض والقلق.

ففي العلوم الإنسانية عامة، لا تكاد توجد أحكام مطلقة تتوافر لها الصحة الكاملة، وأغلب ما يمكن الوصول إليه هو الاحتمالات العامة.

فالتعاريف التي اقترحت لتعريف الثقافة في العقود الأخيرة على الأقل، بلغت حداً من التنوع يصعب معه الاتفاق على تعريفها[1].

ويقول بعض العلماء: «الثقافة تكاد تكون سراً من الأسرار المتمثلة في كل أمة من الأمم، وفي كل جيل من البشر، وهي في أصلها الراسخ البعيد الغور معارف كثيرة لا تحصى، متنوعة أبلغ التنوع، لا يكاد يحاط بها، مطلوبة في كل مجتمع إنساني»[2].

وقد استعمل العرب كلمة «الثقافة» للدلالة على الحذق وسرعة الفهم، وسرعة التعلم، والضبط والفطنة والذكاء، والظفر بالشيء، وتسوية المعوج من الأشياء كالرماح، والسيف، والتقويم والتهذيب.

يقال: ثقف الشيء ثقفاً وثقافاً: إذا حذقه. ويقال رجل ثقف لقف: إذا كان ضابطاً لما يعلم، قائماً به. ويقال: غلام ثقن، أي: ذو فطنة وذكاء، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه، وقد جاء في حديث أم حكيم بنت عبد المطلب: «إني حصان فما أكلم وثقاف فما أعلم»[3]؟

ويتضح من عرض المعاني المتعددة لكلمة «الثقافة» في اللغة العربية - كما ذكرت المعاجم

* باحث وأستاذ جامعي - مصر.

(1) [illegible] - مجلة العلوم الإنسانية - [illegible] سنة 1980 [illegible] العدد الأول [illegible] - السعودية.

(2) محمود محمد شاكر - المتنبي، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص [illegible] - مكتبة الخانجي بالقاهرة، سنة [illegible].

(3) ابن منظور - لسان العرب (مادة: ثقف)، والفيروزآبادي: القاموس، والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية - القاهرة.

اللغوية ... ر الكلمة تستعمل في الأمور المعنوية كما هي تستعمل في الأمور الحسية غير ان ... الأمور المعنوية المعنية ... على المحسوسات [1]

ولا يخفى ان الثقافة ... بمدلولها العام السائع كلمة جديدة لا تتصل بالمدلول اللغوي الذي ذكرته معاجم اللغوية الا على ضروب من التأويل والمجاز لا تنسجم في كل الاحوال مع المفاهيم التي تستفاد من كلمة ثقافة [2]

ومما يحسن ان نشير اليه ان مادة ثقف قد جاءت في القرآن الكريم

قال تعالى

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ ...

وقال تعالى

﴿... فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ سورة النساء ...

وقال تعالى

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ (سورة الانفال، الآية 57)

وقوله تعالى

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ سورة البقرة الآية ...

معناه اي حكمتم عليهم ... فادركتموهم قادرين عليهم يقال ... بسكون القاف وبكسرها في الكلمتين ... كان محكما لما يتناوله من الامور [5]

وقوله تعالى

﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾

سورة النساء ...

فإنه مأخوذ من الثقافة اي ظفرتم بهم مغلوبين متمكنا بهم.

ومعناه ... غيرهم وتحصيلهم في ثقافة ... سببه ... عليهم ... من اللفظ لقوله تعالى ﴿... فِي الْحَرْبِ﴾ ...

وقال بعض الناس ... تصادفهم الى ... من الاقوال التي لا ... في ... وذلك ان المصادف قد ... بعض ... به وقد لا يغلب [3]

ومما ... كلمة ثقافة ... الشعر العربي وهو ديوان العرب ... الكلمة ... ومن ذلك قول الشاعر

ان ... تصيح ... بخصيها

عضّ الثقاف ولا دهن ولا نار

والثقاف هنا اداة من حديد او خشب ... بها الرماح لتستوي وتعتدل والشاعر يصف رمحه بأنه من شجر جيد ... لا يؤثر فيه التثقيف بالحديد ولا دهن ولا نار

ومن ذلك ... قول ... الدؤلي

... عن ... بها

عض الثقاف على صم [4] الانابيب

وقد وردت لفظة (ثقافة) منطوقة على ... صناعة) في مقدمة طبقات الشعراء لابي عبد الله محمد بن سلام الجمحي ... حيث قال وللشعر صناعة وثقافة يعرفها اهل العلم كسائر اصناف العلم منها ما تثقفه اللسان.

ويرى ... ان ... لفظة (ثقافة) كما يُفهم من كلام ابن سلام، يعني الحذق، والفهم، والقدرة او ما يمكن ان نعبر عنه بما يسمى (الملكة) فاذا ... الشعر كانت ملكة الشعر اي القدرة على فهمه وحذقه ونقده ... أطلقت ... ان ...

1 ... في الثقافة الإسلامية ... بالرياض سنة ...
2 ... في الثقافة الاسلامية ... مؤسسة الرسالة بيروت سنة ...
3 ابن عطية الاندلسي المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج... ص ... ط قطر ...
4 ابن عطية الاندلسي المحرر الوجيز ج... ص ... ط قطر ...
5 المصدر السابق ج... ص ... سنة ...
6 المصدر السابق ج... ص ... بتصرف.

علم أو فن، فليس ثمة ما يمنع من أن أدل على ما نطلق عليه اليوم «الثقافة العامة»؟[9]

فإذا جعل ابن سلام الشعر ثقافة فإن معنى ذلك أن الشعر ثقافة أيضاً، وهي الثقافة الأدبية، وتتسع الدائرة، ويتنوع المدلول كلما أضيفت الثقافة إلى علم أو فن خاص.

وإذا اتصف بها الإنسان، كانت ملكته في فهم ضروب العلوم والفنون والمعارف ملكة جيدة بوجه عام، وهذا هو ما يدل عليه لفظ «المثقف»[10].

ولفظة «ثقافة» تنسب إلى فعل ثقف، ويعني هذا الفعل استعمالاً لا وضعاً، اكتساب الحذق والفهم، كما سبق أن ذكرت هذه المعاني اللغوية.

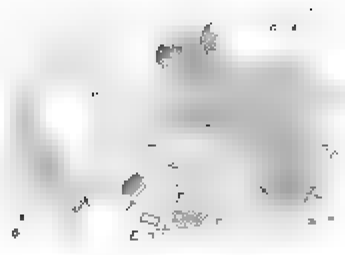
وتعني كلمة «ثقافة» بمعناها الضيق، عملية تنمية بعض ملكات العقل بواسطة تمرينات موائمة، كما تعني استنتاجاً: ما هو حاصل بفعل هذه العملية.

أما بمعنى أوسع فهي صفة الشخص المتعلم الذي يكون قد أنمى ذوقه وحسه النقدي وحكمه بوساطة الاكتساب، وأحياناً تستخدم للدلالة على التربية المؤدية إلى اكتساب الصفات المذكورة آنفاً[11].

ويحاول الباحثون عن بحث مشكلة التعريف للأمور المعنوية، وهو إطلاق الاسم على شيء ما، أن يتجهوا صوب التعريف، أي معرفة المدلول الذي كان مراداً عند إطلاق الاسم على شيء، ثم البحث بعد ذلك فيما طرأ على هذا المدلول من تطور.

وليس من شك في أن معرفة هذه الصورة، وتقصي تاريخها من حيث معرفة الأصل، وما طرأ عليه بعد ذلك من تطور، سوف يوضح جوانب كثيرة من استعمال كلمة (الثقافة) في اللغات الأجنبية[12].

وقد اتفق الدارسون، أن الثقافة في أي عصر ليست مجرد معارف ومعلومات تطلب بل هي ثمرة ذلك



التراث بحيث تظهر آثاره في المجتمع والأسرة والفرد.

وقد يكون واضحاً أن ثقافة الإنسان لا تقدر بمقدار ما قرأ من الكتب، وما تعلم من الفنون والآداب، ولكن بمقدار ما لذلك العلم، وبمقدار ما أوحت إليه الفنون من سمو في النفس، ودقة في الشعور، وذوق الجمال.

فالثقافة إذن معنى السجية أو الطبيعة، فيما يتعلق بالفرد، وفيما يتعلق بالأمة فهي تعني شخصيتها، بحيث تكون ثقافة كل شعب مميزة له عن سواه[13].

ومما يلاحظه الباحث: أن كلمة (الثقافة) في الاصطلاح العرفي في العربية وغيرها تفيد معنى ما يكتسبه الإنسان من ضروب المعرفة النظرية والخبرة العملية، وكذلك المعاني اللغوية التي وردت في كلمة تتصل اتصالاً كبيراً بالتسوية، والتقويم، والتهذيب.

وإذا كانت الكلمة لم تجر على ألسنة الأسلاف من العلماء والمفكرين فإن المضمون لكلمة كان واضحاً لدى هؤلاء الأسلاف، فقد كان يعني في العصر

[illegible] – [illegible] الخطيب، نحات في الثقافة الإسلامية، ص [illegible]

[10] المصدر السابق، ص [illegible]

[11] معهد الإنماء العربي، الموسوعة الفلسفية العربية، مج [illegible]، ص [illegible]، بيروت، سنة [illegible]م

[12] المصدر السابق، ص [illegible]

[13] يتوجب التمييز [illegible] من الثقافة الإسلامية، [illegible]، مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية، سنة [illegible]م

الجانب الأول: المشاركة الجازمة في فروع شتى من المعرفة ... في تطبيقها وتصريفها[15].

وكان المفهوم العام للثقافة عند المسلمين يعني جمع ... مجموعة من المعارف وتحصيل الحكمة ... فلم تكن الثقافة تقتصر على اللغة والأدب من شعر وحكم وأمثال وفضلاً عن ... من التاريخ والأنساب ... معارف العامة[16].

ومثل من التفوق في الثقافة كانت للظاهر ... في أمد الكتب ورجال الحكم، وموظفي الدولة والشعراء.

ويؤكد أن الثقافة في حقيقتها هي الصورة الحية للأمة، فهي التي تحدد ملامح شخصيتها وقوام وجودها، وهي التي تضبط سيرها في الحياة وتحدد اتجاهها فيها.

إنها عقيدتها التي تؤمن بها، ومبادئها التي تحرص عليها، ونظمها التي تعمل على التزامها، وتراثها التي تخشى عليه الضياع والاندثار، وفكرها الذي تود له الذيوع والانتشار[17].

والأمم تقاس رفعة وانحطاطاً بمقوماتها الفكرية وقيمها الأخلاقية الخلقية وإنجازاتها العلمية.

وقد كان للثقافة الإسلامية دورها العظيم في بناء الأمة الإسلامية وترسيخ عظمتها وتوطيد سلطانها واستمرار عطائها.

لا يكون الأمر مبالغة إذا عرفنا أن الثقافة الإسلامية هي ثقافة خير أمة أخرجت للناس، تميزت بعقيدتها ومنهجها وقيمها وأهدافها. كانت هذه الثقافة عاملاً أساسياً في مجاد الأمة التي حققت مركز القيادة الفكرية والزعامة السياسية والصدارة العلمية في العالم مدة ... سبعة عشر قرناً من التاريخ البشري.

والثقافة في الوقت الحاضر ... أحوج ما تكون إلى هذه الثقافة، لأنها هي التي تحفظ على الأمة شخصيتها الفريدة، وعن طريقها ترتبط ماضيها المشرق بحاضر ... جو أن يكون سبيلاً إلى مستقبل أفضل[18].

ومما لا يحتاج إلى دليل أن الذين اعتنقوا الإسلام ... أن حياتهم متوقفة على فهمه ... لشؤون حياتهم، كما رأوا أن الإسلام ... أساس وحدتهم، وسبب نهضتهم وعزهم ومجدهم، لذا، أقبلوا عليه يدرسونه ويتفهمونه.

> الثقافة في أي عصر ليست مجرد معارف ومعلومات تلقى بل هي ثمرة ذلك التراث بحيث تظهر آثاره في المجتمع والأسرة والفرد

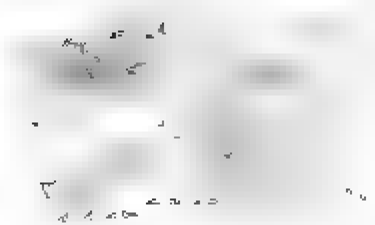
ولما كان فهم الإسلام لا يتأتى بغير اللغة العربية أقبلوا عليها يدرسونها ويشرحونها ... ويضعون القواعد، كما أقبلوا على العلوم الإسلامية يدرسونها ... بتمام ... عقيدة الإسلام ويبينونها بالدليل والبرهان. وتفرعت أنواع المعارف لدى المسلمين وتناولت أشياء كثيرة، فتكونت لدى المسلمين ثقافة إسلامية متعددة النواحي، تعين الناس على فهمها جميعاً مع اهتمامهم بما في الكون من علوم وصناعات.

وكان كل عالم مهما كان نوع الثقافة التي تخصص فيها، أدب أو رياضيات أو صناعة، يتثقف بالثقافة الإسلامية أولاً ثم يتثقف بغيرها.

والتثقيف بالثقافة الإسلامية ضرورة حياتية سواء تعلقت الثقافة بالنصوص الشرعية أم بالوسائل التي تمكن من فهم هذه النصوص وتطبيقها، ولا فرق بين التثقيف بالأحكام الشرعية أو الأفكار الإسلامية[19].

---

15) عبد الله العلايلي، ...
16) محمود علي ... نظرات في الثقافة الإسلامية، ص ...
17) المصدر السابق، ص ...
18) المصدر السابق، ص ...
19) عز الدين الخطيب التميمي وآخرون، نظرات في الثقافة الإسلامية، ... عمان الأردن سنة ...
20) ... الثقافة الإسلامية، ... دار الكتاب اللبناني، بيروت ...



وفي حياة كل أمة مفاهيم أساسية تحرص عليها وتعمل على ترسيخها، وتعميق إدراكها في شؤونها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية وغير ذلك من أمور الحياة. وتسعى كل أمة سعياً حثيثاً دائباً على أن تكون مفاهيمها واضحة الدلالة في ذاتها، مرعية الجانب لدى أبنائها، واسعة الانتشار والتداول لدى غيرهم. فتؤلف الكتب، وتعقد المؤتمرات، وتقوم بالدراسات، وتصدر النشرات، وتضع مناهج التربية والتعليم، وتستخدم بوجه عام كل وسائل الإعلام والتوجيه، لتوضيح هذه المفاهيم وشرحها وبيان أسسها وخصائصها، وتحصيل وجوه النفع فيها[20].

وأكثر ما يهتم به حملة الفكر والثقافة، المؤمنون بمفاهيم أمتهم، هو أن ينقلوها من حيز النظر المجرد إلى الواقع البشري الحي، ووسط حياة الناس بها، بحيث تكون مصدر فكرهم، وشعورهم، وطابع سلوكهم، وسمة حياتهم العملية.

ومن هنا يخرج مدلول الثقافة عن قصد المعرفة المجردة، إلى المعرفة الهادفة، أو بتعبير آخر عن المعرفة الساكنة، التي لا تتجاوز حدود العمل الذهني إلى المعرفة المتحركة التي تحدث تفاعلاً وحواراً واضح التأثير مع تطلعات الفرد والجماعة[21].

ولا نعرف في تاريخ الأمم، ماضيها وحاضرها، أن واحدة منها أهملت في نشر ثقافتها، أو تركتها لتذوب في ثقافة غيرها، أو تتلاشى في عقول أبنائها، لتحل محلها ثقافات أخرى طارئة غريبة.

إن للإسلام مفاهيم صحيحة سليمة كاملة في كل شأن من شؤون الكون والإنسان والحياة. ولئن كانت المفاهيم عن هذه الشؤون لدى كثير من الفلاسفة والمفكرين، وبعض النظم من البشر تتسم بالغموض والتعقيد تارة، أو يجانبها الصدق والحق تارة أخرى، أو تصدر عن الهوى والتعصب حيناً، وعن الأساطير والأوهام حيناً آخر،

فإن مفاهيم الإسلام مبرأة من هذه الآفات كلها لأنها ليست منبثقة من نظرة بشرية محدودة، لا تستوعب ذاتها، فضلاً عن أن تستوعب غيرها، ومفاهيم الإسلام تنبذ المنطق السطحي، وتهدم الظن والوهم، وتقدم نزاهة بالعقل، وتعلي من كرامة الإنسان.

أما الأساطير التي تصدر عنها تلك العقائد والتصورات فهي –في مفاهيم الإسلام– أغلال، ومعرفة ميتة، لا يصدقها أو يتعلق بها من أوتي حظاً من نظر وتفكير. وهي سادجة ضالة مردية، لا تليق بصفحة عقل الإنسان الذي حباه الله العقل، وأرشده إلى دلائل المعرفة الصحيحة، وزوده بوسائل النظر السديد.

إن مفاهيم الإسلام منبثقة من عقيدة ربانية شاملة، لا ترتكز إلا على الحقائق الجلية الثابتة، ولا تقوم إلا على اليقين الجازم، وهي متسمة بالوضوح والصدق والحق وتقيم –من حيث الاعتقاد والتفكير لدى البشر جميعاً– التصور الصحيح الدقيق المتكامل للكون والإنسان والحياة[22].

إن منهج الإسلام في ارتكازه على الحقائق اليقينية الثابتة، يربط الحقائق المطروحة في الكون

(20) عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ص 11
(21) المصدر السابق، ص 12
(22) عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ص 14

والحياة ربطاً يصفها بأنها حقيقية ومرتبطة بالعقيدة.

وبذلك لا يدع هذه الحقائق المتبوعة أمام العقل الإنساني والشعور الضمير ضروباً من المعرفة الجامدة والمعلومات المجردة التي لا روح فيها ولا حياة لها، كما تحاول حرفة المنهج العلمي أن تصنع، بل يسبغ منهج الإسلام في هذه المعارف والمعلومات والمعاني الظاهرة والخفية حيوية تفتح البصائر وروحاً توقظ الضمائر ويرودها بالتأثير العجيب الذي يعمق توثق أواصر الصلة بين الحقائق المادية والعقول المستنيرة والأنفس المفعمة بالإيمان والغيب [24]

والثقافة عنصر مهم من عناصر حياة الأمم تتميز بها صورة كل أمة وتسمو بها شخصيتها ولونها بين أقرانها، وهي تدل في نفس الوقت على حضارتها وعلى توجهها في المدنية والحضارة، وهي تكون سبب تقدمها ورقيها أيضاً [25]

> **مفاهيم الإسلام ليست مستمدة من نظرة بشرية محدودة، ولا لتوصيف ذاتي**

والثقافة وسيلة لغاية أبعد وهدف أكبر، وهو ثمة تحفيز واستمرار في أن تستجيب الثقافة إلى طاقة محركة وقوة دافعة تصنع الواقع الإنساني في إطار التغيير والتطور والتحول بصبغة هذه المفاهيم النقية الخيرة، وتتمثل في حياة البشر نظاماً وخلقاً وجهاداً وحكماً بجهات صالحة تحمل مشاعل الحق والنور لهذه الإنسانية التي وصمتها المفاهيم الضالة المنحرفة على حافة الدمار الرهيب [26]

لقد انصبت هذه الثقافة على كل المعطيات التي تجعلها صالحة لتكون ثقافة الإنسان، لقد اتجهت نظرتها إلى فطرة الإنسان وعالجت غرائزه وحررت عقله فكان لها في حياة الإنسان أهمية ومكانة ينبغي الوقوف عليها والأخذ بها واجب على المسلم بل على الإنسان.

ونستطيع أن نقول دون أن نكون بعيدين عن الواقع إن الثقافة الإسلامية أصبحت في ظل انتشار الإسلام وظهوره ثقافة إنسانية وعالمية، وقد انطوت على طاقة روحية جعلت منها قوة دافعة وبانية. يضاف إلى ذلك أن الثقافة الإسلامية تمتد على مساحة الزمن والأرض، وهذا الامتداد الزماني والمكاني الموغل في الأعماق جعل الثقافة الإسلامية تختلف عن ثقافات بعضها يوغل في ماديات الحياة ثم يضفي عليها مسحة من المادة والنفعية، وبعضها الآخر يسلك طريق الروحية التجريدية.

ولما كان الإسلام ديناً وقيماً وضوابط سلوكية كانت الثقافة الإسلامية موجهة ومربية تعتبر لحياة الأفراد وحياة الجماعات [27] وتؤهل الإنسان للعطاء وتنمي فيه القدرة على الإبداع والإبداع وتفتح له من آفاق التفكير والممارسة وتجعل الشخصية الإسلامية شخصية متزنة لا يطغى على موقفها الانفعال، ولا يسيطر عليها التفكير المادي، ولا الانحراف الفكري الخيالي في سيولة العقل وامتداد اللامعقول.

ومن المعروف أن الإسلام جاء وقت بالمسلمين وثبة هائلة، وهذه الوثبة الهائلة كانت على أثر إشعاع القرآن الكريم في جنبات الدنيا والإنسانية، فأنارها بعد ظلمة، وهدى الإنسانية بعد حيرة، ونظمها بعد أن تشتت وقضى على الانقسامات والخرافات وإرث الاستعباد والعهود التي كانت تقف حجر عثرة أمام الفكر [28]

---

24. المصدر السابق ص 94
25. محمد الزين الحسني الندوي: الثقافة الإسلامية، الواقع المعاصر ص 93، ط دار الصحوة بالقاهرة سنة 1988م
26. عمر عودة الخطيب: لمحات في الثقافة الإسلامية ص 19
27. سميح عاطف الزين: الإسلام وثقافة الإنسان ص 19، ط بيروت سنة 1989م
28. راجع بحث الشيخ (المعرفة في الإسلام بين الأصالة والمعاصرة) ص 14، ط 2000، المطابع المصرية بالقاهرة

فانطلق المسلمون يخترقون الآفاق، ويبحثون ويطلبون العلم في مظانّه.

واستطاعوا في ظل الثقافة الإسلامية التي تحث الناس على معرفة كل ما من شأنه أن يأخذ بالناس إلى طريق الرشاد، أن ينتقلوا من أمة الأمية إلى أمة العلم والقيادة الفكرية، وأن يصبحوا أساتذة العلم والعالم، وقادة الفكر والرأي، وروّاد المعرفة والحضارة.

ويبنوا، ويربوا، ويعلّموا، ويجددوا، ويبتكروا، فكان ذلك النتاج الحضاري الأصيل.

وإذا كانت الأمة الإسلامية في العصر الحاضر تتطلع إلى غد مشرق، فإن هذه الأمة تملك رصيداً من الثقافة الفاعلة يمكنها من نشر الإسلام في الأرض والمساهمة في استقرار المجتمعات.

ومما ينبغي أن يسير عليه أبناء الأمة الإسلامية تحكيم علاقاتها وانفتاحها على الآخرين قاعدة أساس تقوم على أساس صحة كل علاقة، وسلامة كل حوار، وهي التزام مبادئ وقيم وتعاليم دين الله، وهو بيّن في قول الله تعالى:

﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ سورة المائدة، الآية: 49

وقد يكون واضحاً أن منهج المسلمين وهم يعرضون مبادئ وتعاليم الإسلام على الناس تحكمه قيم وآداب لا تبيح للمسلمين تجاوزها ومخالفتها، ولا يصح معها تجريح وسبّ معتقدات الآخرين، وهو صريح في قوله تعالى:

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ سورة الأنعام، الآية: 108

والمجتمعات الإسلامية وفق تعاليم الإسلام وقيمه مأمورة بالتزام العدل وإنصاف الناس مع وجود الاختلاف في العقيدة، وقيام الخصومة والعداء معهم، حيث يقول الله سبحانه وتعالى بقوله:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ سورة المائدة، الآية: 8

الثقافة عنصر مهم من عناصر حياة الأمم فتبين لها صورة كل أمة وتسير بها حياتها ولونها بين أقرانها

إن منهج القرآن يعلّم المسلمين ويؤكد عليهم أن البشر جميعاً مدعوون بأمر ربهم إلى شأنه للتعارف والتعايش وفق القيم والمعايير الربانية على اختلاف أجناسهم وأعراقهم وألسنتهم وألوانهم، وإن التمسك بالحق ومجانبة الباطل هو أساس التفاضل بينهم، وهو أساس معيار القرب والبعد من تقوى الله ومرضاته، وهذا في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ سورة الحجرات، الآية: 13

ومجتمعات الأمة الإسلامية بمجموعها وهي تنفتح على غيرها من الناس بتعاليم الله وتوجيهات الرسول التي تطالبها وتؤكد عليها السعي في تحقيق مصالح العباد، وجلب المنافع لهم، حيث جاء في الأثر: «الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله».

وإن الإسلام يؤكد أن شريعة الله تعالى تقوم على إقامة العدل بين الناس وشيوع قيم الإحسان بينهم، والعمل على مكافحة الفحشاء والمنكر ومحاربة البغي في حياتهم.

وقد عظّم فقهاء الإسلام قيم العدل، حتى جعلوه معياراً لنصرة الله وتأييده، وهذا كله في ضوء فهمهم لقول الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ سورة النحل، الآية: 90

والمسلمون يعتقدون بمشروعية التدافع الإنساني ويؤمنون بأن منهجية التدافع بين الناس القائمة على أسس التنافس في جلب المصالح ودرء المفاسد كفيلة بتحقيق الحياة الأفضل لهم جميعاً وبتوفير الأمن والاستقرار وصرف الفساد عن الأرض. وهذا مؤكد في قوله تعالى:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 251]

ومن جهة أخرى فإن التدافع بين الناس يهدف بصفة جوهرية إلى حفظ مقدساتهم وحماية عباداتهم وصيانة معابدهم على اختلاف مللهم. وهذا في قوله تعالى:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: 40] (1)

ومن مظاهر البعد التسامحي في الإسلام أن الشرائع جاءت لتحقيق مصالح العباد حيث إن مبناها يقوم على تحقيق المصالح ودفع المفاسد.

والأمة الإسلامية تعتقد وتؤمن في تعاملها مع الآخرين بأنها شريكة مع غيرها في منهج الاستخلاف لعمارة الأرض، وليست محتكرة لهذا المنهج. وإن غياب المسلمين، أو تغييبهم عن المشاركة في منهج الاستخلاف، أو تجريد هذا المنهج من القيم الربانية سيؤدي لا محالة إلى الفساد في الأرض وتدمير حياة الناس عليها. وهذا مؤكد في قول الله تعالى:

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ [سورة محمد، الآيات: 23-10] (2)

البشرية مدعوة بأمر ربها للتعارف والتعايش وفق القيم والمعايير الربانية على اختلاف أجناسهم، وأعراقهم، وألسنتهم وألوانهم

إن مبادئ الإسلام وقيمه تدعو المسلمين وتؤكد عليهم في تعاملهم، ألا يبخسوا الناس أشياءهم، وألا يحتقروا كدحهم وجهدهم في كل عمل بناء يحقق الإعمار والإبداع الحضاري. وتدعو تعاليم الإسلام المسلمين إلى احترام وتقدير كل عطاء خير في ميادين القيم والسلوكيات، وفي ميادين الماديات والوسائل والمهارات، وهذا يتفق مع قيم وتوجيهات منهج الاستخلاف الرباني في عمارة الأرض.

لأن القرآن الكريم يعتبر احتقار مساعي الناس وبخس دورهم الإيجابي الفعال المثمر في الأرض من العبث والإفساد الذي يمقته الإسلام وينهى عنه. وهذا في قوله تعالى:

﴿...وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [سورة هود، الآية: 85]

إن الإسلام منفتح ويملك ثوابت ومنطلقات، ويقدم قيماً ومبادئ كلية تضبط أدبيات ومقومات التعايش البشري، والتعارف الإنساني، فإنه أيضاً يملك ثوابت ومنطلقات وهذا يجعل منه أداة لتنشيط حركة مصالح الناس، ويقدم قيماً وأدبيات لإحكام سيرورة مبادئ التدافع بين المجتمعات في إطار التعايش والتعارف بينهم (2).

ويعتقد غير المسلمين وفق هذا المنهج الرباني العادل وبموازينه القيمية والتشريعية، وفي ضوء قدراتهم العادية والنسبية لتجعل منهم مؤهلين كي ينتقلوا لأداء مهمتهم ومسؤولياتهم الإيجابية

(1) انظر: ... الإسلام والنظام العالمي، ص ...

(2) انظر: ... حامد الرفاعي، الإسلام والنظام العالمي الجديد، ص 111.

إسهامه في معترك التدافع الإنساني البشري لإقامة نظام عالمي يمضي عالمه لتعليم الدعم البر يحيو بالناس.

ويصرف سبب انحسارنا عن الآخر ويضع حد لمحور العلاقات من أكثر من موقع، يزيل عوامل الاضطراب والجمع والصراع السياسي والاقتصادي بين الأمم ويفسح حركة التدافع الإنساني ويقيم موازين المجتمعات لتعايش والتنافر البشري ويرتقي بمنهج الحوار والتكامل والانفتاح الثقافي بما يحقق للناس تطلعاتهم لحياة إنسانية آمنة مطمئنة تنعم بالأمن والاستقرار والعدل والسلام.

والمسلمون من خلال هذه المهمة الجليلة المنيطة على استعداد لبذل كل ما يمكن مع كل جهة معنية وفعالة تسعى وتسعى للسير بالإنسانية نحو الخير والفلاح.

ومما لا يخفى على أحد أن الأمة الإسلامية تمتلك رصيداً ضخماً من القيم الحضارية يمكن استثماره فيما يفيد الإنسانية.

ومن سبيل إلى المعالم الإسلامية للثقافة نؤكد على ما يلي:

أولاً: إن الانفتاح الثقافي الذي ندعو إليه ينبغي أن يتم المحتضنة عمليات فرض التبعية والتماهي والذوبان في بلدان وحضارات معينة والتي يتم إسقاطها على واقع مغاير للواقع الذي نشأت فيه.

وإن نقل التجارب ونشر المفاهيم التي أفرزتها سياقات تاريخية وحضارية معينة وتصدير البرامج لا يمكن أن ينجح إلا في سياق تواصلي ونفتح على قيم رؤية تبادلية تحترم خصوصية الآخر وذاتيته الحضارية والثقافية.

وذلك أن قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان التي تزخر بها الحضارة الغربية اليوم لا تعدم أن نجد في المجتمعات الإسلامية الصدى الواسع والإيمان العميق بين المسلمين. مع أن ذاته لا يعترضون عليها ولا يطالبون ولا يجادلون في سياق خصوصية تجارب الأمة الإسلامية حيث المسلمين ينطلقون من فهم الحضارة الإسلامية وأساليبها في التربية والتنمية المنبثقة عنها.

ومن هذا الأمر فإن المسلمين يؤكدون على أنه أثر عند الإنسان ويرفضون عمليات نقل المفاهيم على واقع مختلف التصورات كما يرفضون نقل القيم وإملاء التجارب.

ثانياً: إن مفهوم المسلمين للانفتاح لا ينفصل عن الإطار الخلقي للقيم الثقافية والدينية عرفت ثقافة المسلمين الإسلامية انفتاحاً تاريخياً عبر منظومة القيم التي كانت ولا تزال تشكل جزءاً من رصيد الأمة الحضاري، وهي منظومة تعبر عن منهج الأمة الاجتماعي بمختلف مكوناته.

صورة المسلمين الحضارية في غالبية وسائل الإعلام الغربية لا تعكس صورة المسلمين الحضارية كما أن الأحكام المعيارية حولها لا تستند إلى موضوعية مرجوة

وإن إبراز البعد الخلقي في الانفتاح نابع من حرص المسلمين وقلقهم مما يهدد وجودهم الحضاري من انحرافات تعصف بالمفاهيم التربوية التي باتت محكومة بمنطق الربح والخسارة فضلاً عن الكثير من الظواهر التي أفرزتها ظروف العصر وباتت تهدد المجتمع.

ومع هذه التحديات تنعكس كذلك أيضاً طبيعة المعوقات التي تعترض طريق هذا الانفتاح خصوصاً الحوار الإسلامي الغربي وفي مقدمتها ما يشوه الصورة الغربية من سلبيات وتشويهات لدى المسلمين مسؤولين عنها.

ثالثاً: لقد أصبحت وسائل الإعلام والاتصال في الأيام الراهنة هي المسؤول الأول عن عملية نقل صور الشعوب وثقافتها وصياغة المواقف منها وحولها، ولا تخفى على أحد أهمية هذا الدور وخطورته في أن هذه الأعلام يملك السياسة ويطوع الاتجاهات ويوجه التصورات لدى الدول والجماهير في الوقت نفسه مصمماً مواقف التعاطف أو النفور.

إن صورة المسلمين الحضارية في غالبية وسائل

الإعلام الغربية لا تعكس صورة المسلمين الحضارية كما أن الأحكام المسبقة حولهم لا تستند إلى موضوعية موثوقة.

لقد شكلت صورة الشخصية العربية والإسلامية في سياق سلبي لدى الرأي العام، فتغلب على ملامحها الانغلاق، والتعصب، والجهل، والعدوانية. إنها الصورة القاتمة، للأسف، في ذهن الإنسان الغربي العادي، الذي يتلقى معلوماته عن العرب والإسلام من وسائل إعلام موجهة في غالبيتها من مراكز ودوائر ليست محايدة.[1]

ويمثل عنصر التسامح أبرز عنصر لإجلاء صورة الثقافة والحضارة الإسلامية لدى الغرب، الذي نطمح إلى تطوير علاقة المسلمين معه وبمجتمعاته، لكن المشكل يتجسد في كيفية تقديم المسلمين لعقيدتهم والتعريف بأنفسهم.

لقد آن الأوان للكف عن النظر إلى الانفتاح الثقافي باعتباره وسيلة لتحقيق المصالح واكتساب الأسواق، كما آن الأوان للكف عن ربطه بالمرحلة الأمنية، فالمجتمعات الإسلامية لا تمثل مصدر تهديد، ولا منطقة خطر بالنسبة إلى الغرب.

وبالمقابل، بات من الضروري تصحيح صورة الحضارة الإسلامية المشوهة والمسمومة لدى العالم الغربي، ويجب أن نعترف بوجود جهل بالمسلمين أو تجاهل لهم، على رغم أن المجتمعات الإسلامية تعرف تاريخ الغرب وحضارته، وثقافته أكثر مما يعرف هو عن المسلمين، حتى أبناء المسلمين المهاجرين، على رغم انتمائهم الحضاري في بعض المجتمعات الغربية، لا يحظون في مجتمعات المهجر بالقدر الكافي من تعليم اللغة العربية، وكثيراً ما يؤدي التهميش اللغوي والقيود إلى إبعاد الأجيال الجديدة في بعض الجاليات العربية والإسلامية عن جوهر القيم الإسلامية الحقيقية، مما يفسح المجال أمام التغرير بالتنظيمات المتطرفة لتضليلها، وإسلام الكهوف، كما قيل عوضاً عن إسلام النور.

ولا شك كذلك في أن هناك بعض جوانب الخلل في بعض المجتمعات، فيجب أن نعترف بأن المسلمين مقصرون في فهم الغرب أحياناً، مما سمح بوجود بعض الأخطاء في مواقفهم وتقديراتهم، فلا بد من انفتاح المسلمين على ما حولهم، ولكننا بحاجة إلى المساعدة على اقتحام القرن الجديد في مجالات التكنولوجيا الحديثة، وفي مجال التعرف على التجارب الرائدة في التنمية.[2]

وقد يكون واضحاً أن تحقيق الانفتاح يتطلب استمرار بذل الجهد والمحاولات، لأنه مهدد باستمرار ببعض المخاطر والمنزلقات، فالانفتاح ليس في مأمن من التوتر والتأزم والتعثر والركود.

والانفتاح عملية تدريجية، لا يمكن أن تُفرض أو تُفرض، لكن المهم هو الوعي والاقتناع بأن ما يصيب الأمة حيناً من الانتكاسات إنما هو أمر مرحلي وعادي، ومن المفروض أن يدفع هذا المسلمين إلى مزيد العمل من أجل مصالحته ومسايرته عبر قيام منظومة المرتكزات التي أسلفنا ذكرها كما في ذلك مؤسسات المجتمع المدني.[3]

إن الانفتاح الحقيقي على الحضارات يشكل أبرز التحديات التي تواجهها العالم اليوم، فهو شرط أساسي من شروط التعايش السلمي بين الشعوب.[4]

ويمكن القول أن الحضارة الإسلامية قادرة في ظل التحولات الدولية والتحديات المستجدة، بفضل رصيدها التاريخي، والثقافي، وتجاربها الثرية، على أن تلعب دوراً إيجابياً في تعميق مبادئ الانفتاح بين الأمم والشعوب، وتحقيق معاني التفاهم والسلام الدولي.

1) المصدر السابق، ص 30.
2) السعي بوصيبة، جريدة الصباح، ص 9 يوم 2 / 2004.
3) المصدر السابق.
4) المصدر السابق.

متى تتوحد الأرقام في العالم العربي؟

محمد القاضي *

تجدد الكلام في الأيام الأخيرة على صفحات بعض الصحف العربية عن أصل الأرقام التي تستعمل في المغرب العربي، وهل هي عربية أم أنها هندية الأصل كما يدعي العديد من الباحثين في المشرق والمغرب؟ وكما هو معروف فإن الوطن العربي انقسم إلى قسمين وبعد مدة طويلة في طريقة كتابة الأرقام. فالطريقة الأولى وهي السائدة في بلاد المشرق العربي وفي كل البلاد الإسلامية التي تستعمل الأبجدية العربية كإيران وأفغانستان وباكستان وطاجكستان، والتي تستعمل الأرقام كما يلي ٩٨٧٦٥٤٣٢١٠ أما الطريقة الثانية فهي السائدة في المغرب العربي، وفيها تستعمل صورة الأرقام الآتية: (0987654321) وهي نفسها تستعمل في البلاد الأوروبية والأمريكية والأسيوية. ويرجع فضل نشر هذه الأرقام العربية كما يعتقد الأستاذ الكبير عبد الهادي أبو طالب إلى عالم من المغرب العربي هو [illegible] الذي انطلق على ما يبدو من زوايا الشكل الهندسي المربع، فيستنتج وجود الأرقام من تقسيم أضلاع المربع إلى وحدات، فتبين له أن الزاوية الواحدة تشكل رقم واحد (1) والزاويتين رقم اثنين (2) وهكذا إلى رقم تسعة، أما إن كان الرقم خالياً من الزوايا فيصبح نقطة أو دائرة مستديرة لا زاوية فيها، ويطلق عليه هذا العلم اسماً عربياً هو الصفر الذي يستخدم [illegible]. وقد أصبحت الأرقام



* باحث وكاتب مغربي

العربية الى اوروبا عن طريق اسبانيا معها اسم الصفر الذي حرفته عن العربية CIFRE او ZERO صفر CIFFRE كما يورد الكلمة بطب صاحبها وأوجدت منها كلمة حسابات ZERO التي تشير جميع المعاجم الى انها كلمة عربية فابن منظور عرفه بأنه الشيء الخالي وانه في حساب طريقة عدد الهند الدائرة في البيت يعني حسابه وفي تاج العروس الصفر بالكسر وهي حساب الهند الدائرة في البيت والمعنى الخالي ويجمع اوليه وكذلك بضم اوله وكسر ثانيه والجمع اصفار: والاوروبيون انفسهم يطلقون على الارقام المذكورة وصف صريحا ينم عن اصلها ويقولون بلا تردد انها الارقام العربية، ويقول مؤرخ الارقام جورج يفرح ان الارقام كلها هندية بعضها يستعمل في المشرق وبعضها خصيص لسطوتها واستعمل في المغرب ومنه انتقلت الارقام العربية الى اوروبا في القرون الوسطى والمؤلف كما يذكر الاستاذ محمد العربي الخطابي عالم في الرياضيات وقد عمل منذ سنة ١٩٦٦م ويعمل مستشارا بشركة IBM المختصة في اجهزة الاعلاميات. وقد استقصى موضوع تاريخ الارقام خلال سنوات طويلة وجمع العديد من المراجع الاجنبية وطلع في مؤلفيه

HISTOIRE UNIVERSELLE DES CHIFFRES, 99

LES CHIFFRES 1985

وقد تُرجم الى عدة لغات ... مزيدة معلومات لتشكل الصيغة الأخيرة لما وصل إليه البحث العلمي في هذا المجال ويعتبر المؤلف حجة في تاريخ العلوم كما يعتبر كتابه الضخم عن التاريخ العالمي للارقام الذي اصبح مرجعاً معتمداً في الاوساط الاكاديمية ولا يصيب المؤلف الشيء الكثير من معلوماته نحن المغاربة فيما يخص انتقال الارقام العربية الى اوروبا على يد البابا سلفستري الثاني الذي درس الرياضيات في

الأوروبيون انفسهم يطلقون على الارقام المذكورة وصفا صريحا ينم عن اصلها

جامعة القرويين وقد صنف الغبار ... على الجانب ... وهو يوضح ان تلك الارقام هي منسوبة في الاصل عند المغاربة بمجموعة اكثر تنسيقا مما هي الآن في كل ... ربوع العالم. ويقول ان المصادر العربية القديمة لم تتردد في ان تسمي تلك الارقام بالقلم الهندي ويمضي في منهجه الذي على ما يلي ان الارقام الحالية عندنا انتقلت من عند العرب نقلا من عرب المغرب وليس من عرب المشرق.

ويورد المؤلف نموذجا للارقام العربية ورد في مخطوط اسباني يرجع الى سنة ٩٧٦ م وقد عُرض هذا المخطوط في المتحف الاركيولوجي بمدريد في سنة ١٩٧٦م بمناسبة الذكرى المئوية لاكتشاف امريكا ونحن نسجل ذلك المخطوط حيث ان اصل المخطوط محفوظ في مكتبة الاسكوريال تحت رقم DI? TOL ... ويعتبر المختصون ان هذا المخطوط هو أقدم نص اوروبي وردت فيه الارقام العربية ويستنتج من هذا ان المخطوط المشار إليه يدل على ان الاسبانيين كانوا يتداولون الارقام العربية في الوقت الذي كان الأب جيربير GERBERT قد اصبح شخصية دينية وعلمية معروفة قادرة على التأثير قبل ان يحمل اسم سلفستري الثاني سنة ٩٩٩م

الأرقام العربية تغزو اوروبا

تضافرت رواية المؤرخين على ان جامعة القرويين قد تخرجت من بين خريجيها عدد من المسيحيين، ممن ارتقوا اعلى درجات الكنيسة وأقدم هؤلاء من عرفناه هو جيربير دورياك، ولد بين سنتي ٩٤٠م و٩٤٥م الذي ارتقى بعد ان درس بالقرويين الى رتبة البابوية وحمل اسم البابا سلفستري الثاني ومن القرويين حمل معه الارقام العربية وادخلها اول مرة لتشيع هنالك ... إلى اليوم وقد تحدث عنه المؤلفون الغربيون القدامى انفسهم على انه كان

يخلص العالم المسيحي من خبطة الأرقام الرومانية وحامل مجبره الصفر والنظام العشري إليهم من العرب، وهو الذي طلع لعروب بأول كتاب من نوعه في علم الحساب بالأرقام العربية كما يذكر الدكتور عبد الهادي التازي في بحث له عن الأرقام المغربية المنشور بمجلة «اللسان العربي» يناير 1981م. من .

ولعل المؤرخ الإنجليزي «كوم دوما سيسيوري» وهو مشهور من رجال القرن الثاني عشر الميلادي كان أول من صرح، بما بجيربير، تلميذ العرب بالأندلس من أثر على انتشار الأرقام العربية بالدول المسيحية وقد وجد فعلا هذا الجانب من المعمورة متعة لا نوص في هذه الأرقام البسيطة في تركيبها والعظيمة في فائدتها ولم يفكر الأوروبيون بادئ الأمر جداً في أن يعطوها الوصف الملائم لها

تعني العربية. بيد أن المستشرقة الألمانية «زيجريد هونكه» فقد خصصت له فصلا بعنوان «الباب بحسب بالعربية» في كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب» فتعتبره «أول رجل في الغرب، تعلم تلك الأرقام التسعة» واستخدمها، وكتب بأرقامه العربية التسعة، على اللوح نفسه، الشائع حينذاك، والتي كانت تجري عليه العمليات الحسابية البسيطة، كما كانت عليه الحال عند الإغريق والرومان، والذين أطلقوا عليه اسم «أباكوس». فقد كتب «جربير» نفسه أرقاماً لم يكن أحد في الغرب قد رآها من قبل. وكما امتازت تلك الأرقام بشكلها الغريب فقد كانت مساوئها أيضاً غاية في الغرابة. وإن كان «جربير» نفسه لم يستعملها لنا، فقد سجلها من بعده «رادولف فون لاون» في القرن الثاني عشر. والأرقام التي استوردها «جربير» كانت أقدم من أرقام الخوارزمي العشرة التي كانت تختلف في شكلها عن أرقام الأندلس، ومن المحتمل جداً أن تكون الأرقام الهندية التسعة، قدمت إلى الأندلس من الهند عبر الإسكندرية، عن طريق التجار قبل أن يمد

إن وضع العرب للصفر الحسابي، قد حل أكبر معضلة رياضية في العالم

(الحكم) الثاني الفلكي الهندي بأرقامه العشرة إلى بغداد سنة 771م).

وتساءلت المستشرقة كيف نسي جربير إحضار الصفر معه إلى الغرب حين تعلم الأرقام من العرب؟ وتجيب ذلك قائلة: إن جربير لم ينس شيئاً بالمرة فالصفر حتى ذلك الوقت لم يكن قد عرف في الأندلس. وكان الأندلسيون يضعون نقطة أو نقطتين أو ثلاثاً فوق خانات الآحاد والعشرات والمئات وهكذا. وبذلك لم تكن طريقتهم هذه تضطرهم إلى حاجة إلى الصفر. ولم تتم إجابة السؤال على هذا السؤال طويلا. فسرعان ما تعلموا من عرب المشرق الصفر فرقموا واستطوه في زمرة أرقامهم من 34.

إن أعظم فضل يشاد به للعرب هو نقلهم للأرقام الهندية التي عُدت في الرياضيات باباً جديداً لا يزال ممتداً على أثاره. ولم ينقل فضل الأرقام الهندية في رموزها. فقد كان لبعض ميلهم رموز في التسمية المرموزية وفي الصفر. فيكفي أن نرى في الأصفار عن يمين العدد يكتب، وعن يمين مقام الكسر يصغر. ولا يزال الناس يقولون: إن وضع العرب للصفر الحسابي، قد حل أكبر معضلة رياضية في العالم. وقد أكد «البيروني» أن أشكال هذه الأرقام كانت مختلفة باختلاف الجهات في الهند، وأن العرب انتقوا منها ما رأوه مناسباً. واكتفى العرب بطريقتين مختلفتين، بكتابة الأرقام: الطريقة المشرقية واستعملها عرب المشرق، وتطورت قليلا حتى صارت كما هي الآن بمصر والعراق وسوريا وبمصر وشبه جزيرة العرب.

والطريقة المغربية التي استعملها عرب الأندلس، وتطورت حتى أصبحت كما هي الآن بالمغرب. ولاحظ البيروني أن المرسين اقتبسوا الطريقة المغربية عن طريق عرب الأندلس. ثم زاد قائلا: وبهذه المناسبة نتوه بأن المغاربة الآن لا يزالون يستعملون طريقة جدودهم في كتابة الأرقام، ولا يقال بأنهم يكتبون الأرقام الغربية، ولكن المرجعة هم الذين يكتبون

الأرقام المغربية ولا يزال الغرب يطلق على هذه الأرقام، اسم الأرقام العربية (نقلا عن مجلة اللسان العربي/عدد 3/1985/ص 54 وما بعدها) والسوريون والمغاربة لا يزالون يستخدمون طريقة أجدادهم، وتخصيصهم بذلك دون غيرهم ونسبة تلك الطريقة لأجدادهم، يدل على أنها من وضعهم. ولما كانت قيمة الأرقام العربية تتجلى في طريقة الإحصاء العشري واستعمال الأصفار لنفس الغاية التي نستعملها الآن، أطلق عليها اسم (الأصفار CHIFFRES) في اللغتين الفرنسية والألمانية عن طريق التجار الفرنسيين بتسمية الكل باسم بعضه الأهم. ويكفي هل صحيح جربير أو سلفستر الثاني في إدخال أهل أوروبا باستعمال هذه الأرقام؟ إن التاريخ يحدثنا بأنه لقي نقدا كبيرا من الوسط الديني واتهم باستعمال أرقام هي من بنات الشيطان، لأن عمليات مصر العرب وانتشاره ظهرت [illegible] وكانها من عمل السحر فقد كانت العمليات الحسابية تتم بفضل الأرقام العربية في يسر وسرعة على عكس ما كان يتطلبه استعمال الأحجار أو القطع المعدنية مع الزمن الطويل الذي كان يستغرقه العملية [illegible] ثم يتم اللجوء إلى السحر العربي. وقد تم [illegible] البابا سلفستر الثاني في سنة 1048م للتأكد ما إذا كان خاليا من الشياطين.

ويحص صاحب كتاب (تاريخ الرياضيات) الدكتور عبد الحميد لطفي والدكتور أحمد أبو العباس أن أول من دعا لاستخدام الأرقام العربية بصفة، هو ليوناردو الإيطالي الذي ولد في [illegible] عام 1180م وكان والده يعمل في مدينة (بجاية) بالجزائر كرئيس للمركز التجاري البيزي، وكان يختلط بتجار الجنود العرب القادمين من الصحراء والمغرب وعاد مكرها أم راضيا على طرق كتاباتهم وحساباتهم السريعة، وكان من التعليمي لإعداد ابنه لعمل وظيفته في التجارة أن يسلمه إلى معلم عربي يعلمه الحساب وأولع الصبي شغفا بالأرقام الهندية وطرق استخدامها وكم يليك أن تعلم الضرب والقسمة وجداولها كما علمه مدرسه سيدي عمر، حساب الكسور على أحدث الطرق التي كانت تدرس في المدارس العربية ببغداد والموصل ورحل بعد ذلك في طلب العلوم العربية إلى صقلية ثم إلى مصر وسوريا واليونان وسبتة ودرس على بعض علماء العرب واحدا عنهم ووقف على مؤلفاتهم في الحساب والجبر ولا سيما كتب الخوارزمي والبيروني وتردد على كبريات المكتبات بالإسكندرية ودمشق ورافق كبار علماء القاهرة، ودرس كل ما دونته مخطوطات الرياضيين من الإغريق والهنود والعرب وألف وهو في الثالثة والثلاثين من عمره كتابه الشهير (الأباكوس) باللغة اللاتينية.

أصبح ليوناردو أكبر عالم في الجبر بأوروبا وكان صديقا حميما للإمبراطور فردريك الثاني (1250-1194م) وكان شغوفا بعلوم العرب فكان يقرأ كالعرب من اليمين إلى اليسار وخط الكسور كان يكتبها إلى يسار الأعداد الصحيحة مثال واحد ونصف على هذه الصورة (1 ½) ولذا كان ليوناردو يعد أبا لعلماء الجبر في أوروبا وأعظم من نشر العلوم الرياضية فيها، فهو يعترف في مؤلفاته وفي كتاباته بفضل العرب عليه فيما وصل إليه. أما عن استعمال الأرقام العربية من بعده في أوروبا فقد ظهرت منقوشة في عملة سويسرا عام 1424م وفي النمسا سنة 1484م وفي فرنسا عام 1485م وفي ألمانيا سنة 1489م وفي اسكتلندا عام 1539م وفي إنجلترا عام 1551م، وظهرت لأول مرة في التقويم، كان في تقويم كوبل سنة 1518م.

> **قيمة الأرقام العربية تتجلى في طريقة الإحصاء العشري**

نحو توحيد الأرقام العربية،

ثار جدل كبير ومنذ عشرة أعوام وزيادة بين المفكرين في المغرب والمشرق، حول استعمال الأرقام العربية الحقيقية وتوحيدها في جميع الدول العربية

شرقاً وغرباً، ومختلف المنظمات والمؤسسات تبنتها مؤسسات عربية: مجامع لغوية، مكتب تنسيق التعريب، المجمع الفقهي الإسلامي، جامعات، ومنظمة الاتحاد البريدي العربي الذي اتخذ سنة 1960م في مؤتمره الذي انعقد بالرياض باقتراح يرمي إلى استخدام الأرقام العربية الأصلية في أختام البريد بدلاً من الأرقام العربية الحالية التي هي أرقام هندية، وقدم المكتب الدائم لاقتراحه بالإشارة إلى ما تقضي به الاتفاقية البريدية العالمية من كتابة العبارات الخاصة بالأختام البريدية بحروف لاتينية وبأرقام عربية أصلية

CHIFFRES ARABES

وقد أصدر مؤتمر الرياض هذا توصية للبلاد العربية بالعمل قدر الإمكان على يستخدم الأرقام السالفة الذكر وهي 987654321 الخ ولا عربي عن طبقت جميع مكاتب البريد في العالم العربي هذه التوصية عام 1962

وفي شهر ديسمبر من سنة 1963م بتونس انعقدت حلقة لتوحيد الأرقام العربية حضرها مندوبون وملاحظون عن الدول العربية وجامعتها، ودرست فيها أبحاث تناولت جملة الأرقام العربية في مختلف مراحلها عبر التاريخ العالمي، وقد توصل أعضاء هذه الحلقة إلى التحقق من أن الأرقام العربية المستعملة الآن في العالم العربي، هي الأرقام العربية الأصلية، التي يجب استعمالها والاقتصار عليها في العد والترقيم. وقد صدرت عن هذه الحلقة توصيات بهذا المعنى، كما أن الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية أكدت في هذا الاجتماع بأنها ستصدر تعليماتها بذلك إلى جميع الدول المنضوية تحت لواء الجامعة العربية، والعرب في الأمر أن مصر حيث يوجد مقر الجامعة العربية، لم تلتزم بهذه التوصية حتى الآن

وخلال المؤتمر الثاني للتعريب بالجزائر سنة 1973م أحيلت القضية على اللجنة المكلفة بدراسة موضوع الأرقام والرموز بحضور أساتذة كبار من العراق والأردن وتونس والجزائر وفلسطين وممثل عن المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس ومنظمة اليونسكو والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وبعد تبين وجهات النظر المختلفة قررت اللجنة أن توصي باستعمال الأرقام العربية 54321 [illegible] للأسباب الآتية

1- إن هذه الأرقام باستعمالها سيحل كثيراً من المشاكل التنظيمية والفنية، وذلك لأننا سنكتفي عن ترجمة كثير من الجداول الرياضية في مختلف العلوم وسيتيسر على الطلاب والمختصين في العلوم وغيرها في مختلف [illegible] صور هذه الأرقام تكاد تكون متقاربة



2- إن استعمال هذه الأرقام سيحل مشكلة الصفر التي يرسم بطريقة الأرقام الهندية المستعملة حالياً بهيئة نقطة كثيراً ما أدى تشابهها مع الصفر إلى الوقوع في الخطأ.

3- استعمال هذه الأرقام العربية لن يكلف المتعلم العربي أكثر من تعلم تسع صور للأرقام بالإضافة إلى الصفر وهو أمر سهل جداً

وكان المرحوم الأستاذ محمد الفاسي قد نادى في مناسبات كثيرة باستعمال الأرقام العربية، ومنذ سنين طويلة عقدت كلما رأسها الجامعة محمد الخامس بالرباط ندوة حول هذا الموضوع، حضرها علماء مغاربة وجامعيون ومختصون، وبالمناسبة أحضر لهم مخطوطات قديمة تحتوي على هذه الأرقام عربية على ... العرب وأن يكتبها العالم بأسره حتى أنه في كتابة روسية يعرف العربي بين الرقم العربي، وكذلك اللغة الصينية واليابانية

وكتب مرة في صحيفة «الشرق الأوسط» قائلا: «إن أعظم اختراع قام به أسلافنا في ميدان العلوم الرياضية وهم نفعه العالم بأسره واعترفت به كل الأمم وهو اختراع الأرقام والعربية التي يستعملها المغاربة الشعبية وأهل الأندلس وصقلية أيام حكم الإسلام بها وهذا الاختراع هو ما يسمى الأرقام العربية في القارات كلها باستثناء المجتمعات العربية الشرقية الذين يستعملون الأرقام الهندية الأجنبية والمؤسف أنهم لم يستعملوا هذه الأرقام ويحبذون أرقامهم الأجنبية ظنا منهم أنها أوروبية وهذا بسبب الجهل والجهل المركب أي جهل الشخص لشيء وجهله لكونه يجهله والمؤسف هو الاستمرار في التنكر لتراث عربي خالد وفي قصم عروة الوحدة ولكن أكثر من هذا وذلك اتهام المحافظين عليه بأنهم يقلدون الغرب في شيء نحن الذين مكناهم منه والتبسير معاه وليس فوق هذا الجهل جهالة»

أما الأستاذ سعيد الهادي بوطالبة فقد وجه من خلال كتابه «ذكريات وشهادات ووجوه» الدعوة إلى العرب ممثلين في مجالسهم العلمية المختصة، ليعملوا على أن يعيد مشرق العالم العربي الأرقام الهندية الدخيلة إلى الأرقام العربية الأصلية لتتحد جنسية العروبة في المشرق والمغرب في هذه العلامة الحضارية التي لا يمكن إغفال آثارها الطيبة على مسلسل الوحدة العربية فضلاً عن أن تبني الأرقام العربية سيشكل إلى العهد جانب مهم من تراث العرب الإسلامي، كما أنه سيوحدنا مع سائر أجزاء العالم الذي تبنى تراثنا مما لا يجوز معه أن يجحده أربابه وذووه»

ويرى الأستاذ الباحث عبد العزيز بن عبد الله أن عروبة الأرقام المستعملة الآن في أوروبا والمغرب قد تكون غير أصيلة بحكم طابعها الهندي المحتمل، غير أن هنالك فرقاً بين الشكل الهندي الأول، وبين ما أصبح العرب يستعملونه من أرقام، وصفتها أوروبا بأنها عربية، فكان ذلك مبرراً لهذه التسمية التي درج عليها الغربيون إزاء الأرقام المنقولة من طرف العرب، خاصة بالأندلس وجزر البحر المتوسط عبر العصور الوسطى. ومهما يكن فإن الوطن العربي في حاجة الآن إلى أن يوحد صيغاته مع العالم الحديث في هذا المجال لا سيما وأن مناطق عربية شاسعة تستعمل منذ عدة قرون ما تستعمله أوروبا من أرقام نسميها هندية فهي عربية. فالوكالات الغربيون يستخدمون وحدهم هذه الأرقام لنشاطاتنا تماماً تمنح الأسبقية لهذه على تلك؟ وقد ظهرت دراسات عديدة لعلماء غرب أبرزت أصالة الأرقام المستعملة اليوم لدى الغربيين كأرقام عربية «مجلة المستقبل العربي عدد 1979/1/ص 151»

وخلاصة القول إن مسألة الأرقام قد كثر فيها الكلام ولم تزل من الباحثين موضع اهتمام وحوار متبادل في المشرق والمغرب، وحبذا لو حسم الأمر فيها وتوحدت هذه الأرقام في جميع البلدان العربية تجنباً للمشاكل التي تحدث عند التعبير من أبناء المشرق أو المغرب، في رسم الأرقام ووضعها بطريقة معينة على الطرود والمراسلات والعناوين وبطاقات مختلفة فكم من رسائل تاهت بين المشرق والمغرب دون أن تصل إلى أصحابها لأنها كُتبت بأرقام مستعملة في المشرق والتي تجهل لدى المغربي أو العكس.

المراجع

1. نشر العرب [illegible] في الغرب/ [illegible]
2. ذكريات وشهادات ووجوه/ الأستاذ عبد الهادي بوطالب
3. مجلة اللسان العربي. عدد [illegible] 1965م
4. مجلة اللسان العربي. عدد [illegible] أي الثالث جانفي 1969م
5. مجلة اللسان العربي. عدد [illegible] 1966م
6. مجلة اللسان العربي. عدد [illegible] المجلد 13/ج1/1975م
7. مجلة المستقبل العربي عدد [illegible] 1979م
8. مجلة العربي، العدد [illegible] 1980 م
9. صحيفة الحياة/ عدد [illegible] 21/04/[illegible]م
10. صحيفة العلم المغربي/ العدد [illegible] 1993/3/8م،
11. صحيفة الشرق الأوسط عدد 1984/6/27م.

من ثم [illegible] المصطلح [illegible] يعتمد على [illegible]

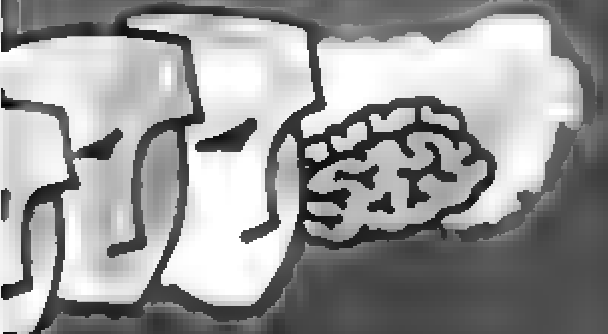
هل يدل (المصطلح) على (المعنى) دون

يكتسب من خلاله دلالة تلغي [illegible] بين
الأطراف [illegible] العلاقة [illegible]
مثل [illegible]
المصطلحات فرض المعنى لهذا المصطلح

[illegible] لكل ثقافة ولكل حقيقة ولكل مرحلة
تاريخية دورها في دلالة هذا المصطلح

• المصطلح كلمة والكلمات كما يقال تدل
على ما في الكلمات [illegible] ولكن من يقصد [illegible]

• [illegible] هذه الأسئلة
كثير [illegible] لإعداد لقصة [illegible]

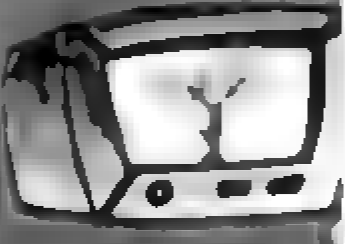


في تحديد الآراء والمواقف المختلفة في علم الكلام

• لقد تفطن لهذا الأمر علماء عرب ومسلمون منذ قرون أمثال الكندي والفارابي وابن سينا والمقري والمطرزي وابن رشد وابن خلدون وغيرهم ونلاحظ ثراء كبيرا في تحديدهم للمصطلحات

يعد مرتبطا بالمعاني التي من المعروف أن تدل عليها وفق أسس وقواعد ثقافية ودينية وفلسفية

• على سبيل المثال فإن مصطلح (الشرق الأوسط)



في الغرب لا تعتمد إلا بشكل ... في

مصطلح، لا يستطيع ... والثقافة لديها ...

الدينية وهذا ليس من السهل التسليم بما هو

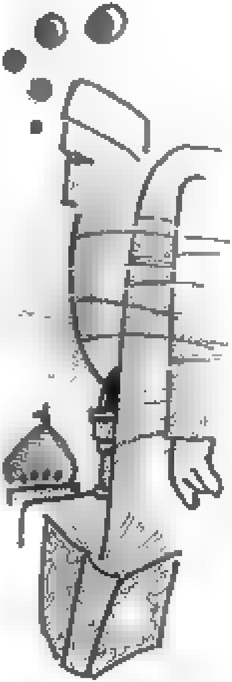
مثال آخر ... في غيره من مصطلحين، وهما الإسلاميون والإسلامويون فكرة حيث إنهما نتيجة

ثابتة فقط خطوة أولى نحو تناول أكثر اتساعا

المصطلحات والأخذ بآراء جمهور الأكثر ...

نظرة في الأصولية

محمد السماك*



لا تقتصر الأصولية على الإسلام بشكل خاص، ولا على الدين بشكل عام. فهناك أصولية شيوعية تتمثل في تعاليم ماركس ـ لينين، فهي وإن كانت تمر الآن في حالة انحلال وتحلل، إلا أنها هيمنت على مناطق واسعة من العالم لمدة تزيد على نصف قرن. كانت كتابات فلاديمير لينين وكارل ماركس بمثابة الكتاب المقدس لهذه الأصولية. فقد بقيت كتاباتهما الأكثر ترجمة والأوسع انتشاراً طوال سبعين عاماً.

ماركس: «رأس المال» و«المانيفستو الشيوعي»

لينين: «ما العمل؟»

حكمت الأصولية الشيوعية على الله بالموت، أغلقت المساجد والكنائس وحولت معظمها إلى أبنية للرقص ومرائب لتصليح السيارات. ولكن الشيوعية سقطت، وعاد جرس الكنيسة يدعو المؤمنين إلى الصلاة، وارتفع صوت المؤذن داعياً إلى الله من جديد. ليس فقط في الدول الآسيوية التي استقلت عن الاتحاد السوفييتي المنهار، ولكن حتى في داخل روسيا نفسها.

وهناك الأصولية الرأسمالية، حيث الإيمان المطلق بقوى السوق كحل لكل المشاكل الإنسانية. فثمة مؤسسات كبيرة ذات نفوذ وقوة ضغط مثل Heritage

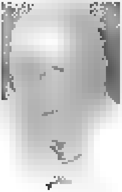
* كاتب وباحث، رئيس لجنة الحوار الإسلامي-المسيحي - لبنان

Foundation في الولايات المتحدة، Adam Smith Institute في بريطانيا، و Kiel Economic Institute في ألمانيا، و Fraser Institute في كندا. استطاعت هذه المؤسسات وغيرها من قوى الأصولية الرأسمالية أن ترسم استراتيجية عمل المصرف الدولي وصندوق النقد الدولي وأن تؤثر على قراراتهما بشأن اقتصاديات دول العالم النامية، وخصخصة مشروعات الإنتاج في دول العالم الصناعية.

أما على الصعيد الديني فأكتفي بالإشارة السريعة إلى المظاهر الأصولية الدينية الآتية:

1. هناك حركة أصولية مسيحية أرثوذكسية تتحصن في إحدى المناطق الجبلية في شمال اليونان. وقد جعلت من تلك المنطقة منطقة مغلقة حتى على الدولة. وتدعو هذه الحركة إلى حكم الكنيسة، كما تدعو إلى معاداة الإسلام. وقد أطلق أتباعها على البطريرك بارثلميوس الذي يبشر بالانفتاح على الإسلام والتعامل مع أتباعه بود واحترام، لقب محمد بارثلميوس.
2. وهل يمكن إسقاط الطابع الأصولي عن الأدوار السياسية التي تقوم بها الكنيسة الكاثوليكية بدءاً من إسقاط نظام الحكم الشيوعي في بولندا حتى سقوط الشيوعية كلها وسقوط الاتحاد السوفييتي؟ وكيف نصف مثلاً حركة أوبس داي (Opus Dei) إحدى أكبر وأخطر التنظيمات الدينية السرية؟
3. وهل بغير الأصولية يمكن أن توصف الحركة الهندوسية التي يتزعمها أدفاني رئيس الحزب الهندوسي B.J.P. والذي تولى رئاسة الحكومة الهندية لعدة سنوات؟

لقد قامت هذه الحركة في شهر كانون الأول (ديسمبر) عام 1992 ميلادي بتدمير المسجد التاريخي بابري في مدينة أيوديا، لإقامة معبد للإله الهندوسي راما في مكانه ومن حجارته. كما هددت بتدمير ثلاثة آلاف مسجد آخر في الهند لإقامة معابد مكانها. ومن فوق أطلال مسجد بابري ألقى أدفاني خطاباً قال فيه: لا تستطيع أي حكومة أن تحكم في الهند ما لم تكن تحترم الإله (راما). سوف نغير تاريخ الهند، وسنصنع صفحة جديدة ابتداء من الآن. ولقد حاول تحقيق هذا التعهد بالفعل.



ومن هذا المنطلق وصل أدفاني إلى رئاسة الحكومة مهدداً بذلك الديمقراطية في أكبر دولة ديمقراطية في العالم، التي أرسى دعائمها جواهر لال نهرو والمهاتما غاندي وسواهما من قادة حزب المؤتمر.

كان للحزب الهندوسي الأصولي مقعدان في البرلمان الهندي. وفي انتخابات 1989 ارتفع عدد مقاعده إلى 85 مقعداً. وفي عام 1991 حصل على 30 مقعداً آخر. ومنذ ذلك الوقت أصبح يحتل موقعاً أساسياً في السياسة الهندية، حيث كان يتعذر على أي حزب -بما في ذلك حزب المؤتمر- أن يشكل حكومة



من غير ائتلاف مع حزب أو أكثر. وبعد ذلك سيطر تماماً على الأكثرية المطلقة، وبسط نفوذه على الحكم في الهند. ومن حسن الحظ أن حرص الشعب الهندي على الديمقراطية عاد من الحرب في الانتخابات الأخيرة الأكثرية البرلمانية التي كان يتمتع بها.

4 ـ على البوذية، التي توصف بأنها واحدة من أكثر الديانات الإيمانية تسامحاً، مست بحراق الد كنيسة في سريلانكا وحدها، بسبب وقوف البوذية في وجه حركات التبشير المسيحية في هذه الجزيرة. ولقد تدهورت العلاقات بين المسلمين والبوذيين في جزيرة بالي الأندونيسية في أعقاب حادث تفجير الملهى الذي قتل فيه أكثر من مائة شخص من السياح الأجانب، والذي اتهم بارتكابه مسلمون أصوليون متطرفون ينتمون إلى تنظيم القاعدة.

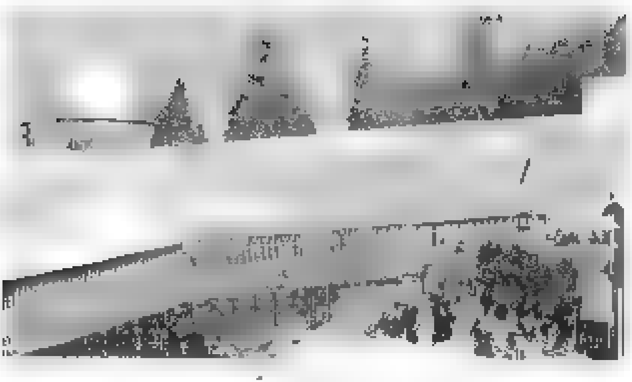
5 ـ إن ما قامت به الحركة الأصولية الهندوسية في أيوديا، بتدمير مسجد بابري، تتطلع حركات



أصولية يهودية للقيام به في القدس بتدمير المسجد الأقصى، بناء هيكل سليمان مكانه وفوق القواعد التي يقوم عليها. لقد تم جمع المال اللازم للمشروع ووضع في صندوق خاص بانتظار ساعة الصفر. ويجري معهد ديني في القدس تدريب رجال الدين على كيفية إدارة الهيكل وممارسة الطقوس الخاصة به، وحتى عدد الملابس الكهنوتية اللازمة. والأصولية اليهودية تصل إلى حد تقويل الله ما لم يقله، وتحويل الكتب المقدسة إلى صكوك عقارية في الأرض المقدسة تحمل توقيعاً إلهياً غير قابل لأي شكل من أشكال الطعن أو المراجعة.

6 ـ تستخدم الأصولية الإنجيلية الأمريكية، إلى جانب المال والمساعدات الإنسانية الأخرى، الإعلام بشكل ذكي وإيجابي، فيما تستخدم الأصولية الإسلامية الإعلام بشكل فجّ وسلبي. وكمثال على الحالة الأولى، تعرب أحد قطاعي الأصولية الإنجيلية (لويس بوش) في عام 1995 عن أمله من خلال ربط نشاطات الحركة الإنجيلية العالمية Global Evangelism بشبكة الأقمار الاصطناعية، في أن يعتنق مليون شخص الإنجيلية حتى العام الفين. وفي العام 2000 بينت الاحصاءات أن ذلك تحقق بالفعل. وبادل وإن مسرح التحول كان أمريكا اللاتينية وآسيا وأفريقيا.

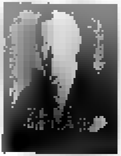
في الأساس كان يتفرع رسم الإطار العام للسياسة الخارجية الأمريكية عاملان أساسيان: العامل الأول هو الشعور بأن للولايات المتحدة دوراً أساسياً في نشر وفي تعميم مثاليات دينية ترتبط بالأصول التطهرية التاريخية للدولة وباعتبار أن هذه الدولة (الأمريكية) تحتل، كما يقول ويهيم بها أحد كبار المحللين السياسيين في صحيفة نيويورك تايمز، «مملكة الله على الأرض».



أما العامل الثاني فهو تحقيق الاكتفاء الذاتي والاكتفاء الداخلي، والانعزال عن العالم الخارجي (العامل ٢) وتأمين السلامة الداخلية من خلال نظرية الفرار للنجاة.

أول غلبة للعامل الأول على الثاني كانت في عام ١٨٩٨ بتوجيه من الحركة البروتستانتية التي أيدت الثورة الكوبية ضد الحكام الكاثوليك. كان الهدف من ذلك هو نقل البروتستانتية إلى كوبا وبورتوريكو والفلبين من خلال استغلال نضال شعوب تلك المناطق للتحرر من الاستعمار الإسباني البرتغالي المرتبط في ذلك الوقت بالكاثوليكية.

ثاني غلبة حدثت في عام ١٩١٧ عندما استجاب الرئيس وودرو ولسون لتوجهات كنيسته البروتستانتية (الكنيسة المشيخية) بالتدخل في أوروبا ضد ألمانيا القيصرية وذلك من أجل كسب الحرب التي تنهي كل الحروب، وتأمين



الرئيس ودرو ولسون

قيام نظام عالمي (مبادئ ولسون الأربعة عشر) من خلال نشر المبادئ البروتستانتية كضمانة وحيدة للأمن والاستقرار في العالم.

ثالث غلبة لها حدثت في عام ١٩٤١ بعد الهجوم الياباني على بيرل هاربور. وهناك من يشكك حتى الآن في أن النازية الهتلرية والفاشية الموسولينية لم تكونا وحدهما كافيتين لخروج الأمريكي من عزلته القارية المستمرة والتورط في الحرب العالمية الثانية.

رابع غلبة نشهدها الآن بعد العمل الإرهابي الذي تعرضت له الولايات المتحدة في ١١ أيلول/ سبتمبر سنة ٢٠٠١، فإن اليمين الديني الأصولي المتطرف يلعب دوراً مباشراً في صناعة القرار السياسي الأمريكي وما الحرب على ما يُسمى بالإرهاب الإسلامي، سوى مظهر من مظاهر تأثير دور الأصولية الدينية الأمريكية في توجيه السياسة الخارجية.

في عام ١٩٤٦ - ١٩٥٠ عندما سيطر الروس على أوروبا الشرقية وشكلوا تهديداً مباشراً لمصالح الولايات المتحدة في أوروبا الغربية، تحركت الكنيسة لحمل الإدارة الأمريكية على بذل جهدها لوضع حد للانتشار

الشيوعية البائدة التي تتنافى تماماً مع النظرية البروتستانتية التطهرية التي تبشر بها الكنائس الإنجيلية الأمريكية.

وفي مطلع الثمانينات برزت الأصولية الإنجيلية بقوة في الولايات المتحدة، فمن بين 60 مليون أمريكي يعتنقون عقيدة «الولادة المسيحية الثانية» المعروفة بـ Born-again Christians يصف نصفهم تقريباً أنفسهم بأنهم أصوليون.

وقد امتدت الأصولية الإنجيلية الأمريكية بشبكتها إلى أمريكا اللاتينية وإلى الفلبين وإلى أجزاء من الكاريبي، حتى إلى إفريقيا. وتنجح هذه الحركة التبشيرية بين فن إثارة المشاعر الدينية ومعاداة الشيوعية (سابقاً) والإسلام (في الوقت الحاضر).

استناداً إلى الأرقام التي أوردتها مجلة ... في عددها الصادر بتاريخ (1995/10/30) فإن البرازيل ... على أبواب حرب ... دينية، فالكنيسة الإنجيلية المعروفة باسم «الكنيسة العالمية لمملكة الرب Universal Church of the Kingdom of God» أصبح لها من الأتباع ما يناهز المليونين وبعضه الملايين ... رغم أنها تأسست في عام 1977، والبرازيل التي تعتبر أكبر دولة كاثوليكية في العالم، ارتفع عدد الإنجيليين فيها إلى 30 مليون ... ولمن جميع ... المسيحيين الإنجيليين الأمريكيين في هذه الحركة القسية الكبيرة ... للتمويل والتنظيم والتي تسمى ... Teleevangelism التبشيرية.

تؤمن هذه الحركة بالعودة الثانية للمسيح، وبأن لهذه العودة شروطاً منها قيام دولة صهيون، وتجميع يهود العالم فيها، ولذلك تعتبر مساعدة إسرائيل واجباً دينياً وليس مجرد عمل سياسي مرتبط بحسابات المصالح. وتؤمن هذه الحركة الأصولية أيضاً بأنه

> تؤمن الحركة التبشيرية بالعودة الثانية للمسيح، وبأن لهذه العودة شروطاً منها قيام دولة صهيون وتجميع يهود العالم فيها.

بموجب التفسير الحرفي ... تتعرض الدولة اليهودية إلى هجوم من قبل المؤمنين وخاصة من المسلمين والكاثوليك والأرثوذكس والملحدين العلمانيين، مما يتسبب في وقوع مجزرة كبيرة تدعى هرمجدون، نسبة إلى موقع المجزرة في سهل مجيدو الذي يقع بين الجليل والضفة الغربية. في هذه المجزرة ستستخدم أسلحة مدمرة كيماوية ونووية، ويقتل فيها عشرات الآلاف من المهاجمين ومن اليهود معاً.

سيناريو هرمجدون كما يرسمه هال ليندسي Hal Lindsey أحد أبرز قادة الحركة في كتابه «نهاية الكرة الأرضية العظيمة» The Late Great Planet Earth يفترض:

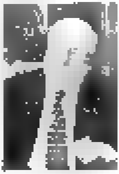
1. قيام إسرائيل.
2. عودة اليهود من الشتات إلى أرض الميعاد.
3. إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى.
4. تعرض إسرائيل إلى هجوم كبير من الكفار (من المسلمين وأنصارهم).
5. قيام ديكتاتور يكون مسيحاً من حاكم أو ... أو ماركسي ليتزعم القوات المهاجمة.
6. خضوع مناطق واسعة من العالم لسيطرة هذا الديكتاتور الذي يعادي اليهود.
7. تحول 144 ألف يهودي إلى المسيحية الإنجيلية بحيث يصبح كل واحد منهم مثل بيلي غراهام (القس الإنجيلي الأمريكي المعروف)، ينتشرون في العالم لتحويل بقية الشعوب إلى الديانة الإنجيلية.
8. وقوع معركة هرمجدون النووية التي تتسبب في كارثة بشرية شاملة.
9. ارتفاع المؤمنين بالولادة الثانية للمسيح وحدهم بالجسد ويصعدوا إلى السماء فوق أرض المعركة ونجاتهم من الكارثة، بينما تذوب أجسام بقية البشر في الحديد المنصهر.

١١ - يحدث كل ذلك في غفلة عين.

١٢ - ينزل المسيح بعد سبعة أيام إلى الأرض ويحوله جميع المؤمنين به.

- يحكم المسيح العالم لمدة ألف عام بعدل وسلام حتى تقوم الساعة الأبدية.

من أتباع هذه الكنيسة شخصيات أمريكية سياسية ودبلوماسية وإعلامية وعسكرية، تتبوأ مراكز قيادية بارزة. كان منهم مثلاً الرئيس السابق رونالد ريغان، ومن قادة هذه الحركة الكنسية القس جيري فولويل أحد أقرب الشخصيات الدينية من الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن.



القس جيري فولويل

فالعلاقة بين العمل السياسي العسكري والإيمان الديني بهذه النبوءات هي علاقة مباشرة. ذلك أن هذه الحركة الكنسية تُعلم أتباعها أن من واجب الإنسان المؤمن أن يوظف كل إمكاناته وقدراته لتحقيق إرادة الله، وأن الله يختار من الناس من يؤهلهم ويمكنهم من القيام بهذا الدور المساعد لتحقيق الإرادة الإلهية. ولذلك كان الرئيس الأسبق ريغان يقول إنه يشعر أن من الله عليه بشرف لعب الدور النبوي لتحقيق إرادة الله في وقوع هرمجدون ومن ثم بعودة المسيح.

من خلال ذلك يتبين بوضوح أن الأصولية الإنجيلية وليس العقيدة الإنجيلية المسيحية التي يبشّر بها قساوسة إنجيليون عديدون داخل الولايات المتحدة وخارجها، لا تقتصر على مجرد تقديم تفسيرات معينة بمفاهيم دينية محددة، ولكنها تحاول أن تصنع المستقبل وفقاً لهذه التفسيرات وعلى قاعدتها.

الأصولية الإسلامية: لا بد أولاً من ملاحظة سياسية. وهي أن استخدام عبارة الأصولية الإسلامية هنا هو استخدام سياسي وليس استخداماً دينياً، بمعنى اعتبار الأصولية حركة سياسية تعمل تحت مظلة دينية إسلامية، وليس بمعنى العودة إلى أصول الدين.

هنالك ثلاث دوائر تعمل فيها الأصولية ميدانياً وسياسياً:

الدائرة الأولى: دولية. وذلك من خلال ما يتعرض له العالم الإسلامي من شرائح متتالية تستهدف حتى الحد الأدنى من تضامنه ووحدته، وما تتعرض له الأقليات الإسلامية في العالم غير الإسلامي من اضطهاد وقمع.

الدائرة الثانية: إقليمية. وهي تتخذ عدة أوجه منها فرض أحكام دولية بالعقاب الجماعي الذي يلحق ضرراً جسيماً بحياة الناس ويعطل حقوقهم، وذلك بحجة معاقبة أنظمة عربية أو إسلامية سياسية معيّنة، ومنها ممارسة الغرب سياسة ازدواجية المعايير بين العرب وإسرائيل.

تقوم هذه السياسة على عقدتين: عقدة الذنب تجاه اليهود لما لحق بهم على يد الغربيين على مدى أجيال من اضطهاد وتنكيل، وعقدة الاستخفاف بالعرب والمسلمين لتحررهم من مواكبة ركب الحداثة ولعجزهم عن التخلص مما بينهم.

أما الدائرة الثالثة فداخلية، وتتمثل في الصراع على السلطة في بعض الدول العربية، أو في الصراع مع السلطة.

إن الأصولية كحركة سياسية في تطلعها إلى السلطة تستخدم الدين أداة لتحقيق أهداف سياسية محدودة، وهي لا تستخدم السلطة للتبشير بالدين ونشر تعاليمه.

إن سيكولوجية الأصولية الإسلامية كحركة سياسية تتمثل في:

أولاً: العمل على توظيف العواطف الدينية البريئة من أجل تحقيق أهداف سياسية.

ثانياً: معالجة المشاكل الاجتماعية وحاجات الأمة الوطنية بهدف توسيع قاعدتها الشعبية.

ثالثاً: الادعاء بأنها تمثلت الرد الحل لمآسي الأمة دينياً لكل ما يعاني منه الناس، وأنها مؤتمنة على هذا النص الذي تحتكره لنفسها وتكفر كل من لا يشاركها الإيمان به والعمل بموجبه. إن هذا الأسلوب من السلوك السياسي يضع الحركة الأصولية حكماً في حالة تماس مع عامة المسلمين، الذين لمجرد أنهم غير أصوليين فهم يرفضون بنظرها الحل الإلهي (؟) ويتحدون بالتالي إرادة الله مما يبيح الاعتداء عليهم(!)

من أجل ذلك لا بد من رسم خط فاصل بين الإسلام كدين والحركة الأصولية كحركة سياسية، أي بين العقيدة الدينية والاستغلال السياسي لها.

ولا بد من رسم خط فاصل ثانٍ بين الإسلام كدين والأنظمة السياسية التي لا تحترم المبادئ الشرعية أو الأخلاقية للشريعة الإسلامية، أي بين سماحة الإسلام وسوء سلوك السلطة. فكما أنه لا يجوز أن تنسحب مساوئ الأصولية على الإسلام، كذلك يجب أن لا تنسحب مساوئ بعض الأنظمة السياسية على الإسلام. فلا التعرض ضد الحركة الأصولية هو تعرض ضد الإسلام ولا الدفاع عن مثل هذه الأنظمة هو دفاع عن الإسلام.

استطاع الإعلام الغربي منذ مطلع التسعينات وقبل أكثر من عقد من حادث 11 أيلول / سبتمبر 2001 وبعد أحداثه أن يضع المسلمين في إطار محدد بحيث يتم تصنيفهم على أنهم أبناء ثقافة الجريمة والإرهاب. كذلك استطاع الإعلام الغربي أن يجعل من الأصولية مرادفاً للإسلام، وأن يجعل من الإسلام مرادفاً لكل ما هو سلبي التعصب والعنف والتطرف الديني. كما استطاع أن يجعل من عبارة الأصولية مفتاحاً أو شيفرة لمفهوم الإسلام. يكفي أن يُعرف شخص ما في معظم المجتمعات الغربية بأنه مسلم حتى يصنف على الفور بأنه أصولي، وبالتالي إرهابي قاتل متوحش القلب.

دخل العالم الإسلامي مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية من بوابة مختلفة عن تلك التي دخل منها العالم الغربي، ففي الغرب عززت النخبة الثقافية مشاعر الثقة بالنفس والاستقرار المجتمعي وتلمست روحاً جديدة في أدبيات الحداثة والعصرنة، أما في العالم الإسلامي فإن المشاعر التي ولدتها الكوارث السياسية والعسكرية بعد التحرر من الاستعمار تركت بصماتها عميقة في بنية المجتمعات العربية الإسلامية، من الهزيمة العربية في فلسطين 1948 الى يونيو - حزيران 1967 حتى الهزيمة الباكستانية في عام 1970 على يد الهند.

> لا بد من رسم خط فاصل بين الإسلام كدين والحركة الأصولية كحركة سياسية

جرى التعامل مع سلسلة النكسات والنكبات العربية والإسلامية بما حملته من مشاعر بالمهانة والدونية على أنها دليل عملي على إفلاس الأنظمة العلمية الحديثة، فقد شهد العالم الإسلامي سلسلة طويلة من الانقلابات العسكرية والديكتاتوريات الأوتوقراطية كما شهد نماذج مخيفة من الفساد الإداري والمراهقة السياسية، إضافة إلى ذلك أدى سوء توزيع الثروة وفشل مشاريع التعاون والتنسيق إلى تمكن الشركات الأجنبية المتعددة الجنسيات من الهيمنة على مقدرات دول العالم الإسلامي وامكاناتها. فكان من نتيجة ذلك حدوث تراجع اقتصادي واسع النطاق أدى بدوره الى هجرة واسعة من الريف إلى المدينة ومن المدينة إلى أي مكان في العالم بحثاً عن مورد رزق.

إن من طبيعة الأشياء أن تؤدي هذه التداعيات الى الحالة الأخطر المتمثلة في التوتر الاجتماعي وفي الانحدار الثقافي والتربوي والتعليمي.

... من هذا الاداء تناسبا في ترجمة الصورة التي بلغت المجتمعات العربية الإسلامية الى حالة التدريج. العامل الأول هو فشل الأنظمة في بناء مؤسسات الدولة العصرية. أما العامل الثاني فهو حرص الحداثة والعصرنة بطابع غربي وبالتالي يعد التحديث بالتغريب، الأمر الذي حصر حركة العصر وكأنه تخل عن اصول العقيدة وتنكر للقواعد الايمانية ومن هنا [illegible] الأصولية.

كان طبيعياً أن يتساءل مفكرون وناشطون مسلمون: هل تخلى الله عنا؟ أم أننا نحن الذين تخلينا عن الله؟ إذا كان الله هو الذي تخلى عنا، فلا بد أن نكون قد ارتكبنا خطيئة كبيرة. لذلك لا بد من تصحيح هذه الخطيئة حتى يشملنا الله برحمته ورعايته ونصره، والطريق الى ذلك لا تكون إلا بالعودة إلى الله. أما إذا كنا نحن الذين تخلينا عن الله، فإن الطريق الوحيد أمامنا هو بالتراجع عن هذا التخلي وبالعودة الى الله عبر الالتزام بأحكامه وشريعته.

هذه الحركة، حركة العودة، ربما تكون انطلقت في [illegible] مصر 1973 [illegible] الأسلمة [illegible] في فرض الحظر على تصدير النفط الى الولايات المتحدة وأوروبا [illegible] الى عقلاء العصر [illegible] الى الحكم في الباكستان في عام 1977 حيث جاء بتطبيق برنامج الأسلمة على نطاق واسع للتعليم والتربية [illegible] الى قيام حركة الجهاد ضد الاحتلال الروسي لأفغانستان في عام 1979 الى نجاح الثورة الإسلامية في ايران في العام نفسه. بعد ارتفعت رايات الحركات الاسلامية من اندونيسيا حتى نيجيريا ومن مصر حتى المغرب.

ولكن [illegible] أن يكون هناك مشروع عصري أو فكر عصري جامع وعصري [illegible] مستقبلية [illegible] الجواب في [illegible] ومتطلبات الحداثة والعصرنة.

[illegible] التيارات المتعددة الى تكبيل مسلكي مع معطيات الحياة المعاصرة. بدأت المسيحية في [illegible] الموسيقى حتى موسيقى الروك في [illegible] العودة الى الكنيسة والى [illegible] أصوات في بعض الكنائس الغربية عبر الكاثوليكية وعبر الأرثوذكسية في أوروبا والولايات المتحدة تطالب بإعادة النظر في الموافقة على الشذوذ الجنسي وعلى حرية ممارسة الجنس والانجاب خارج إطار العائلة. مؤتمر السكان والتنمية في القاهرة ومؤتمر المرأة في بكين) بقي الإسلام متماسكا و صامدا.



وكما يقول Ernest Gellner فإن المسلمين بالاسلام يصعدون [illegible] لا [illegible] لهم إما أن يكونوا مسلمين أو أن يكونوا لا شيء [illegible] الإسلام هو دين [illegible] هو بين [illegible] والديني [illegible] وليس العصر [illegible] بعض المسلم في الآن، ولكن الذي يحدد به [illegible] عام لا يصرح [illegible] الإطار هو [illegible] الحياة اليومية بالحياة الاخرى [illegible] كانت اهتمامات المسلم وهمومه في [illegible] فإنه لا [illegible] القوانين الاخلاقية التي يفرضها الاسلام [illegible] سلوكه.

[illegible] التأثير في السلوك الإسلامي [illegible] في السلوك السياسي العربي الى [illegible] الهوة بين [illegible] عن [illegible] النخبة العلمانية في العالم



الغربي من جهة والتشاش حركة الأصولية الدينية في العالم الإسلامي من جهة ثانية.

ليس بريت الفنع نقصد بنز الحركة الأصولية. إن المعالجة تتطلب وعياً أعمق ورؤية أشمل من أي رد فعل قمعي استئصالي. وهذا أمر يستدعي المزيد من التوعية الدينية تشمله للفكر الأصولي، من حيث أنه احتكار للحقيقة الإلهية وإلغاء للحق الإنساني الذي نص عليه القرآن الكريم في الاختلاف والاجتهاد، بل وبحق الاختلاف والرفض أيضاً. فالعالم العربي الإسلامي يحتاج إلى مظلة تضع حداً للتناقض بين التحديث والموروث الديني وتحقق المزيد من الانفتاح الاجتماعي والتنمية الاجتماعية، وتفتح المزيد من الآفاق أمام حرية التعبير. كما يحتاج إلى تأسيس أسس ومبادئ الحوار الإسلامي - المسيحي على المستويين العربي والدولي، وقبل ذلك كله فهو يحتاج إلى عمل ثقافي إعلامي يكبح جماح الهجمة الغربية الاستعدائية ضد الإسلام في عالم ما بعد الحرب الباردة.

يفتقد العالم العربي الإسلامي إلى ثقافة الحوار، أولاً بين المدارس والمذاهب الإسلامية المختلفة والمتعددة، وثانياً بين المسلمين والمسيحيين. فثقافة الحوار تنطلق من مشروعية البحث عن الحقيقة من وجهة نظر الآخر، بمعنى أن هذه الثقافة تتطلب الإقرار الواعي بأن الحقيقة ليست ملكاً مطلقاً لأي طرف، وأن الاعتقاد بصوابية أي رأي لا يعني بالضرورة أن الرأي الآخر على ضلال.

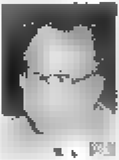
فالحوار يعني أن ينفتح على وجهة النظر الأخرى وأن يحترمها وإن اختلف معها، غير أن «الأصولية» من حيث هي احتكار للدين واستئثار به، غير قادرة وغير مؤهلة تربوياً وفكرياً للارتفاع إلى هذا المستوى من السماحة التي يقول بها الإسلام.

إن الصراط المستقيم الذي يدعو المسلمون ربهم أن يهديهم إليه، ليس صراط المغضوب عليهم الذين تخلوا عن الدين ثوابت وقيماً وسلوكاً، ولا الضالين الذين غالوا وتشددوا وتطرفوا حتى تجاوزوا حدود الله فتعدوها، إنما هو صراط الذين أنعم الله عليهم فالتزموا حدود الله ولم يتجاوزوها، امتثالاً لقوله: ﴿ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾.

حرب المصطلحات والقضايا العربية والإسلامية

السيد عبد الرؤوف *

منذ عدة سنوات مضت، وبالتحديد في عام 2002م أصدر اتحاد الصحفيين العرب كتاباً [illegible] بعنوان هو: حرب المصطلحات [illegible] للمفاهيم والمصطلحات المتداولة في الإعلام العربي حول الصراع العربي الصهيوني، ضم الكتاب أبحاثاً ومقالات منتخبة من المفكرين والكتّاب والإعلاميين المعنيين بالقضايا العربية بصفة عامة والقضية الفلسطينية بصفة خاصة، من هؤلاء الكتاب الدكتور عبد الوهاب المسيري والدكتور أحمد صدقي الدجاني، والدكتورة [illegible] محمد السماك والدكتور [illegible] وأبو السعود إبراهيم، [illegible]



عبد الوهاب المسيري

وفي عام 2003م صدر كتابان آخران لا يقلان أهمية، وضعهما الدكتور محمد داوود الأستاذ بجامعة قناة السويس في مصر، أما الكتاب الأول فعنوانه: «اللغة والسياسة في عالم ما بعد 11 سبتمبر» وهو دراسة تطبيقية للألفاظ والعبارات والتسميات المستخدمة سياسياً وإعلامياً عقب أحداث 11 سبتمبر عام 2001م، وأما الكتاب الثاني فعنوانه: «حرب الكلمات في الغزو الأمريكي للعراق» وهو يقدم دراسة لمنهج التفسير الإعلامي [illegible] والأسماء والعبارات التي استخدمت لتبرير وتمرير الغزو الأمريكي للعراق، وقد أورد فيه المؤلف فصلاً كاملاً مترجماً من كتاب: «حرب الكلمات: اللغة والسياسة و 9/11» War of Words: Language, Politics and 9/11 للمؤلفة ساندرا سيلبرستاين Sandra Silberstein التي تقول فيه المؤلفة: [illegible] وجهات النظر الأمريكية حول أحداث سبتمبر مثلما يحدث مع كل حدث في أمريكا، أمريكا التي قامت على التعددية بكل معانيها،



[illegible]

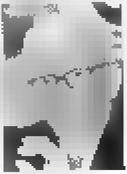


[illegible]

* صحفي وناقد مصري

المعرفية والقومية والسياسية والدينية والثقافية .. إلخ، وبين ايديث جيتي بوابة النظر الى ذلك الحدث المرعب .. تضى عنه ... سبتمبر وهي رؤية انعكست في معظم الكتب وتصورات تتحدد وتوجهاته ... بين ثنايا الخطاب اللغوي.

هؤلاء الباحثون العرب، لم يخوضوا الوحيدين لوحدهم بحرب المصطلحات او حرب الكلمات وتأثيرها في القضايا السياسية. بل ان ثمة باحثين غربيين بارزين استرعت انتباههم هذه القضية بتأثيراتها المختلفة فأفردوا لها كتباً على درجة كبيرة من الأهمية من هؤلاء المفكر الأمريكي البارز نعوم تشومسكي، استاذ علم اللغويات بمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (التقنية) بالولايات المتحدة والناشط السياسي والكاتب بصورة عالية وله كتب كثيرة في نقد السياسة الخارجية الأمريكية بينها منها هنا كتاب «السيطرة على الإعلام الإنجازات الهائلة للبروباجندا» الذي صدرت طبعته العربية عام 2003م والمفكر السياسي الأمريكي البارز جون ... الذي له اهتمامات قيمة بالحوار الإسلامي العربي والذي اصدر



نوام تشومسكي

العديد من الكتب لعل أهمها كتاب: «كفى صمتاً مواجهة تصورات امريكا الخاطئة عن الإسلام» الذي صدرت له عدة ترجمات باللغة العربية وكانت احداها منذ أسابيع عن الهيئة العامة للاستعلامات في مصر وثمة كتاب مؤلفين قد لا يكونان بنفس الأهمية وشهرة تشومسكي وفندلي ولكن الكتاب ذاته على درجة قصوى من الأهمية، إنه كتاب «أسلحة الخداع الشامل، استخدام الدعاية في الحرب على العراق» للباحثين شيلدون رامبتون وجون ستوبر ويقع فحواه في انه قراءة لإعلام الحرب والطريقة التي استخدمتها الإدارة الأمريكية بتمرير حالة الحرب بلا امريكيين، قراءة في مفهوم الدعاية التي استخدمتها ادارة بوش في حرب العراق وتحليل لسلالة الاعلام بصناعة الخبر بصناعة الخبر وصناعة الصورة التي تؤثر في الرأي العام الداخلي والخارجي، سيتحدث وتقوم باستمرار لصالح السياسة الأمريكية وبكشف الكتاب ويعري نمطية الأكاذيب التي قامت بها الرئاسة الأمريكية.

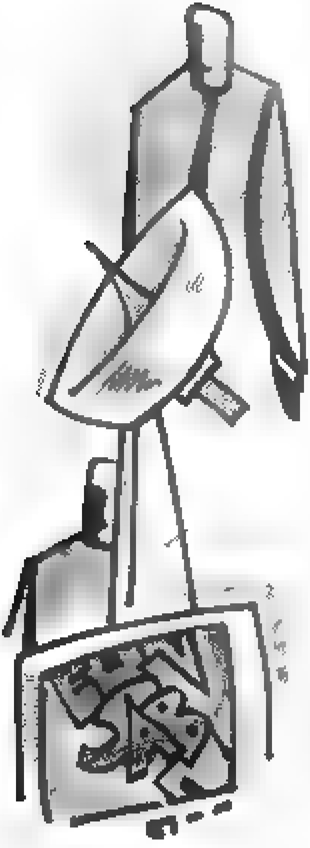
ابعاد القضية

عدة مؤلفات وكثير غيرها تسترعي الانتباه إلى مجموعة من الحقائق التي تشكل أبعاد القضية تستدعي الدراسة والتحليل:

● اولى هذه الحقائق أننا امام حرب حقيقية وليست من نسج الخيال، والحديث عنها ليس جزءاً من وهم نظرية المؤامرة، إنها حرب لا تستخدم فيها القنبلة والصاروخ ولكن تستخدم فيها الكلمة والصورة والقلم وعدسة التصوير (الكاميرا) ومكبر الصوت (الميكروفون). حرب لا تستهدف المباني والمنشآت والأبدان، ولكنها تستهدف العقول والضمائر. حرب لا تستهدف تدمير المواقع الجغرافية او السكاني (الديموغرافية) ولكنها تستهدف تغيير او تغييب الوعي بالذات، والوعي بالقضايا المصيرية.

يقول الكاتب الصحفي مجدي اليسيوني في مقال له في صحيفة العربي القاهرية بتاريخ 2003/6/26 بالصفحة الثانية عشرة، تحت عنوان: «حرب تبث»:

الجريمة بشعة ... لا شك في بشاعتها من احتلال بعد عربي، واحتلال الأدمغة أخطر من احتلال الأرض، وطمس الثقافة امة لا يقل عن اغتصابها بأي حال من الاحوال .. هي الحرب ضد الأمة العربية ليس بطمس هويتها أو اغتصاب ارضها، او حتى اركاع حكامها المهزومة وتمريغهم حتى النخاع المستنير، فكل هذا حدث ويحدث بصورة شبه يومية



الجريمة الأبشع تكمن فيما جاء بالطبعة الأخيرة من القاموس الأمريكي المسمى بقاموس ويبستر داخل القاموس الذي يحمل معاني لكلمات معنى العربي عند [illegible] مرادف لما جاء بالقاموس [illegible] المتخلف، [illegible] بالإرهابي [illegible] الحاكمة. ونسخ قاموس ويبستر ليست منتشرة داخل أمريكا وأوروبا فقط بل في كل ركن من أركان العالم وتدخل جميع جامعات العالم وفي متناول جميع المكتبات الكويتية، هي بالطبع قد وصلت لأرفف المكتبات والجامعات والمؤسسات داخل حدود الوطن العربي، فما الذي فعله القائمون على مسؤولية هذا الوطن. هل اعترض أحد، هل قام أحد [illegible] تعاملوا بقاعدة [illegible] المعرب مدعوكين في الوحل.

- الحقيقة الثانية: إن ضبط المصطلح ليست مسألة حديثة، فهي قضية عتيقة في القدم، وكانت محل اهتمام الباحثين في علوم اللغة والآداب كما كانت مثار اهتمام علماء السياسة. ومن التعبيرات أو المصطلحات الشائعة في العلوم الشرعية تعبير "تحرير المصطلح" أي الوصول إلى تعريف جامع يشمل كل أفراد أو مفردات النوع المعرف ومانع يمنع دخول ما ليس منه فيه.

في مقدمة [illegible] محمد عبد الرحيم لكتاب حرب المصطلحات وتحت عنوان: أهمية المصطلح، معركة المصطلح: "علم المصطلح من أحدث فروع علم اللغة التطبيقي، وقد تزايد الاهتمام به تأصيلاً وتطبيقاً خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين. وهو علم يتناول الأسس العلمية لوضع المصطلحات وتوحيدها ويضع المصطلحات في ضوء المعايير المعاصرة يتم على أساس البحث الفردي في كل مصطلح على حدة، فهناك معايير أساسية تنبع من علم اللغة ومن المنطق ومن نظرية المعلومات ومن التخصصات المهنية"

صحيفة العربي الصادرة عن الحزب العربي الناصري المصري، الأحد [illegible] 2002 ص [illegible]

على أنه تجدر الإشارة إلى أن قضية المصطلح شغلت علماءه المسلمين من قديم، فقد ألف فيها الخوارزمي كتاب «مفاتيح العلوم» والجرجاني «التعريفات» وأبو البقاء الكفوي «الكليات» والتهانوي «كشاف اصطلاحات الفنون» وغير ذلك كثير. ومنه علم مهم من علوم اللغة سموه «علم الوضع» أفرد لمعالجة قضية الاصطلاح ووضع الألفاظ بإزاء المعاني وفيه مؤلفات مستقلة كثيرة، وتحديد المفاهيم وضبط الاصطلاحات عملية في صميم قضية الهُويّة.

ومن المهم من وجهة نظر الكاتب، وهي وجهة نظر صحيحة في رأيي، لفت النظر إلى مدى الخطورة التي تقع فيها عملية تمييع المفاهيم وتضبيب الدوال وتلك حال المصطلحات عندنا في حالة الأخذ بتلك المصطلحات بأنفسنا، أي في حالة وضعنا لتلك المصطلحات من عند أنفسنا، ومن هنالك تحت دعوى الترجمة والنقل تارة أو تخضيرها لتصير مثل العالم كله، صار مرجعية واحدة ولا مجال للتقوقع حول الذات تارة أخرى، فالأمر يكون خطيراً.[1]

* الحقيقة الثالثة: أن المصطلحات المتداولة عبر وسائل الإعلام تصب في كل الحالات من ابتكار هذه الوسائل، بل من الثابت أن الخطاب الإعلامي موظف وتابع للخطاب السياسي ليس الآن فقط ولكن منذ زمن بعيد، في كتابه «السيطرة على الإعلام: الإنجازات الهائلة للبروباجاندا» يحاول المفكر الأمريكي ناعوم تشومسكي أن يوضح كيف تطورت فكرة الديمقراطية وكيف ولماذا نشأ مشكلة وسائل الإعلام والتضليل المعلوماتي ضمن هذا السياق؟ مبتدئاً بالإشارة إلى أول عملية دعائية حكومية في العصر الحديث حيث كانت أثناء إدارة الرئيس وودرو ويلسون الذي انتخب رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩١٦ وفق برنامج انتخابي بعنوان «سلام بدون نصر» وكان ذلك في منتصف الحرب العالمية الأولى، وفي هذا الأثناء كان المواطنون يعني الأمريكيين مسالمين لأقصى الدرجات ولم يروا سبباً للانخراط والتورط في حرب أوروبية بالأساس، بينما كان على إدارة ويلسون التزامات تجاه الحرب، ومن ثم كان عليها فعل شيء ما حيال هذا الأمر. فقامت الإدارة بإنشاء لجنة للدعاية الحكومية أطلق عليها «لجنة كريل». وقد نجحت هذه اللجنة خلال ستة أشهر في تحويل المواطنين المسالمين إلى مواطنين تتملكهم الهستيريا والتعطش للحرب والرغبة في تدمير كل ما هو ألماني، وخوض حرب وإنقاذ العالم.

> تصوير الإعلام الغربي أن الغزو الأمريكي للعراق تحرير للشعب العراقي

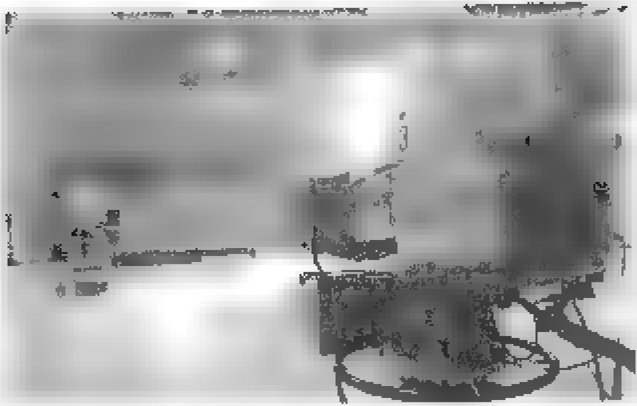
كان هذا الأمر بمثابة إنجاز هائل، وقد قاد بدوره لإنجاز آخر، ذلك أنه بعد أن وضعت الحرب أوزارها تم توظيف ذات التكنيك لإثارة هستيريا ضد الرعب الشيوعي كما كان يطلق عليه، وقد نجحت إلى حد كبير في تدمير الاتحادات العمالية والقضاء على بعض المشكلات الخطيرة مثل حرية الصحافة وحرية الفكر السياسي، وكان هنالك تأييد قوي من قبل وسائل الإعلام وكذلك من قبل مؤسسة رجال الأعمال التي نظمت بل وشجعت جل هذا العمل، وكان بصفة عامة نجاحاً عظيماً.[2]

* الحقيقة الرابعة: أن الخطاب السياسي ينطلق من مفاهيم ومصالح واستراتيجيات تضعها الحكومات وفقاً لرؤيتها، وهذا أمر يتكرر حتى مع اختلاف الظروف المحلية والخارجية، ولعل هذا يعود إلى الفكر

---

[1] حرب المصطلحات، المصدر عن اتحاد الصحفيين العرب، الطبعة الثالثة عام ٢٠٠٤م، ص ٢٠–٢١.

[2] السيطرة على الإعلام، ناعوم تشومسكي، الصادر عن مكتبة الشروق الدولية بالقاهرة عام ٢٠٠٥م، ص ٥.



الأمريكي نعوم تشومسكي حيث يقول «كان معظم المثقفين من هؤلاء الذين شاركوا بحماس في حرب ويلسون ولاسيما أولئك المنتمين لمجموعة «جون ديوي» والذين كانوا يبدون كما يبدو من كتاباتهم آنذاك كونهم هم الذين سلطوا الضوء على أولئك الأفراد في المجتمع الذين يتمتعون بدرجة عالية من الذكاء ومنحوهم تفسيرهم لكونهم قادرين على دفع مواطنين مترددين دفعاً في الحرب وذلك بتخويفهم وإثارة مشاعر قومية متطرفة والوسائل التي استخدمت كانت غير محددة.

فعلى سبيل المثال كان هناك قدر كبير جداً من الفبركة والترهيب للفظائع التي ارتكبها الألمان، مثل موضوع الأطفال البلجيكيين ذوي الأذرع الممزقة وكل تلك البشاعات التي ما زالت معروضة في كتب التاريخ. معظم هذه القصص هي من اختراع وزارة الدعاية البريطانية والتي كانت مهمتها آنذاك كما وصفوها في مداولاتهم السرية توجيه فكر معظم العالم».

ولكن الأمر الأكثر أهمية هو رغبتهم في السيطرة على فكر الأفراد الأكثر ذكاء في الولايات المتحدة والذين سيقومون بدورهم بنشر الدعاية التي حملوها بها وتحويل البلد المسالم إلى بلد تحكمه هستيريا الحرب. وقد حدث ونجحوا بالفعل.

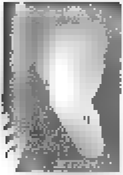
وكان هناك درس ما في ذلك المثال، ألا وهو أن الدعاية التي تتم بإشراف الدولة حيث تدعمها الطبقات المتعلمة وحيث لا يسمح بأي انحراف عنها، بإمكانها أن تحدث أثراً كبيراً. ذلك كان درساً تعلمه هتلر وكثيرون غيره، ويتم اتباعه حتى اليوم.[1]

• الحقيقة الخامسة: أن الإدارات الأمريكية المتعاقبة كانت أكثر الحكومات استفادة من الدرس الذي أشار إليه تشومسكي، وصارت تستخدم وسائل وأساليب وأدوات أكثر تقنية وكفاءة مما كان عليه الحال منذ قرن من الزمان. ومن ذلك:

• نخبة سياسية وثقافية قادرة على إنتاج أفكار ونظريات تبرر وتمهد للسياسات التي تنوي انتهاجها

مثل صمويل هنتنجتون وكتابه «صدام الحضارات» وفرانسيس فوكوياما وكتابه «نهاية التاريخ» وغيرهما.

- مجموعة من معاهد البحوث والمؤسسات التي يشجعها ويرعاها مجموعة أجهزة المسوح والدراسات الوصفية ولكنها تشارك من خلال علمائها وخبرائها في صياغة السياسة الأمريكية تجاه العالم.
- أجهزة معلومات واستخبارات تتمتع بكفاءات فنية وإدارية عالية وتمويل ضخم بحيث يغطي نشاطها العالم كله ويوفر أكبر قدر ممكن من المعلومات.
- أجهزة إعلام MEDIA بالغة الضخامة والكفاءة وتستخدم أقصى درجات الإبهار.
- أجهزة حكومية متخصصة في التصميم الإعلامي.
- شركات علاقات عامة كبرى متخصصة في تنظيم حملات للعلاقات العامة ممولة من قبل الإدارة الأمريكية.
- شبكة من العملاء والمتعاونين في الدوائر السياسية والإعلامية في مختلف بلدان العالم.
- الحقيقة الساطعة: أنه جرت عملية تشويه منظمة ومستمرة للإسلام والعرب والمسلمين في المجتمع الأمريكي سواء على مستوى المناهج الدراسية أو على مستوى الإعلام. وقد صدر في عام 2003 كتاب مهم بعنوان «صورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسية حول العالم» خصص جانب كبير منه لنتائج الدراسات التي جرت في هذا الشأن والتي أثبتت جانباً من التشوهات المتعمدة في مناهج الدراسات الاجتماعية والتاريخية الأمريكية بشأن العرب والمسلمين، وهو ما اعترف به «بول فندلي» في كتابه «لن نصمت». أما على المستوى الإعلامي فقد دعمت هذه التشوهات عدد من المفكرين والكتاب الأمريكيين وخصوصاً ذوي الأصول العربية مثل «فؤاد عجمي» صاحب كتاب «الاستشراق» وجاك شاهين صاحب كتاب «عرب السينما» وبرنارد لويس وغيرهم كثيرون.



- الحقيقة السابعة: إن الشعوب العربية والإسلامية هي من أكثر الشعوب استهدافاً بحروب المصطلحات وأن آلة الدعاية الأمريكية قد توجهت لهذه المنطقة من العالم في وقت مبكر. ويستعرض الكاتبان «شيلدون رامبتون» و«جون ستوبر» في كتابهما «أسلحة الخداع الشامل» محاولات أمريكا التأثير على الرأي العام في العالم العربي حيث تعود هذه المحاولات إلى أواخر الأربعينيات وبداية الخمسينيات من القرن الماضي في فترة حكم الرئيسين الأمريكيين هاري ترومان ودوايت أيزنهاور، في الوقت الذي كانت فيه أمريكا تحاول ضم المنطقة العربية في الحلف المعادي للشيوعية. وفي الوقت الذي عبرت فيه أمريكا عن قلقها على منابع النفط العربي فقد كانت مهتمة بشكل كبير بصعود الحركات القومية العربية خاصة الناصرية.

ويشير الكاتبان إلى الكتاب الإلكتروني الذي أعده أرشيف الأمن القومي الأمريكي وهو الكتاب الذي يتحدث عن محاولات الإدارة الأمريكية التأثير على الرأي العام العربي منذ الخمسينيات من القرن الماضي. ويشير هذا الكتاب الذي حرره «جويس باتي» إلى الوسائل التي رأت أمريكا أنها مهمة للتأثير على الرأي العام العربي: الكتب وأشرطة الأفلام و... للصحف والمجلات و... من والكتيبات العامة [illegible]

١ [illegible] مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية [illegible]
[illegible] بصحيفة القدس العربي [illegible]

والاقتصاد التسخيرية [illegible] تقرير [illegible] عام ١٩٩٩ [illegible] مشاريع ومساعدة يجب أن تحقق الهدف الرئيسي للدولة.

[illegible] ظلت هذه سياسة ثابتة للإدارات الأمريكية المتعاقبة، ويجري تطويرها بالحذف والإضافة أو تقديم بعض البنود وتأخير البعض الآخر حسب ما تمليه الظروف والأحوال على أرض الواقع، من ذلك ما يشير إليه الكاتبان [illegible] في كتابهما [illegible] من أنه [illegible] لعبة الدعاية وصناعة الصور [illegible] الأكاذيب هنالك ما يسمى [illegible] أمريكية أو علامة تجارية أمريكية.

[illegible] بدأت هذه العملية مباشرة بعد هجمات أيلول (سبتمبر) حيث اكتشف الأمريكيون [illegible] العالم مجهولة [illegible] أمريكا [illegible] الحالة هذه حاجة لتوصيل رسالتها إلى العالم.

وقد [illegible] أمريكا حملة [illegible] تعرف باسم الدبلوماسية العامة، حيث [illegible] في ٢٠٠٢ [illegible] الحرية [illegible] وزارة الخارجية إلى جعل الدبلوماسية العامة جزءاً هاماً من التخطيط للسياسة الخارجية [illegible] إنشاء [illegible] للإعلام المسموع والمرئي وعبر شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) وإضافة إلى [illegible] الصحفيين من الدول الأجنبية والتأكيد على التبادل الثقافي ورصد [illegible] ٣٥ مليون دولار لإنتاج برامج الإذاعة عربية في الشرق الأوسط.

وفي تطور جديد [illegible] استخدام القوة العسكرية [illegible] في مجال الاتصالات الدبلوماسية العامة [illegible] تأكيد أنه يجب عدم [illegible] من خلال توصيل [illegible] الولايات المتحدة [illegible] إلى [illegible] يمكن من خلاله توصيل الرسالة الصحيحة للأعداء [illegible] بمراقبة[8] [illegible] في ضوء [illegible] بعد أحداث [illegible] في كل من أفغانستان والعراق [illegible] بنجاح.

[illegible] الحقيقة [illegible] استراتيجي سياسي عسكري بين الولايات المتحدة [illegible] كل هذه [illegible] إعلامي دعائي بين الجانبين، استخدمت فيه كل الوسائل والأساليب [illegible] تزييف الوقائع وتسمية الحقائق [illegible] ما أطلقته إسرائيل من [illegible] كثير من أجهزة الإعلام وخصوصاً الصحف والإذاعة العربية [illegible] مع الأسف الشديد [illegible] الصحف والفضائيات العربية

وسائل الإعلام العربية والإسلامية عاجزة عن المبادرة وتكتفي بردود الفعل

[illegible] في ذلك أساليب [illegible] كثيرة ووسائل [illegible] إلى [illegible] والمشاهد والمستمع العربي في كل مكان [illegible] وكسر إرادته [illegible] شجاعته، وقد نجحت الصهيونية في [illegible] ذلك [illegible] مصطلحات وأسماء عبرية عديدة في [illegible] الإعلام العالمي [illegible] مواقع [illegible] الأخبار [illegible] معظم الإعلام العربي إلى نقلها [illegible] دون تمحيص ودراسة ومراجعة [illegible] بعض [illegible] هذه [illegible] الإسرائيلية [illegible] في الرأي العام [illegible] الأمر الذي [illegible] التاريخ [illegible] تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي خصوصاً[9]

---

8. [illegible] ويمكن الرجوع إلى
http://www.albayan.co.ae/albayan/book/2002/issue133/...htm

9. [illegible] مصطلحات [illegible] بقلم الكاتب الصحفي [illegible] ص ١٥

وقد رصدت بعض الباحثين المشاركين في كتاب حرب المصطلحات العديد من الوسائل والأساليب التي استخدمتها إسرائيل لتهويد هوية الأراضي الفلسطينية بتزوير أسماء الأماكن والتواريخ والأحداث وتهويد مئات الأسماء التي قامت سلطات الاحتلال الإسرائيلي بتغييرها وفرض هذا التغيير على الخرائط وعلى البرامج وعلى الصعيد السياسي والإعلامي والتي تسرب الكثير منها إلى الإعلام العربي. وقام بعضهم بجهد مشكور لتعريب ما تحرف من الأسماء وردها إلى أصولها العربية. وقد رصد الباحث طاهر قليل وحده خمسة وثلاثين مصطلحاً تستخدمها آلة الدعاية الإسرائيلية لتزوير الحقائق. كما قام بتعريب 890 اسماً من أسماء المدن والبلدان والقرى التي غيرتها سلطات الاحتلال.



أساليب حرب المصطلحات

تكشف الممارسات العملية والدراسات النظرية والميدانية أن حرب المصطلحات لها أدواتها وأساليبها الخاصة التي تحقق أهدافاً متعددة أهمها:

1. رفع معنويات المؤيدين والمناصرين وضمان استمرار حماسهم وتأييدهم
2. خفض معنويات الأعداء ودفعهم إلى اليأس في تحقيق النصر ومن ثم إلى الاستسلام
3. كسب مزيد من الأنصار والمؤيدين
4. تحييد الأطراف المعارضة التي يتعذر تحويلها إلى مؤيدة ومناصرة.
5. مواجهة حالات الكراهية الناتجة عن استخدام القوة العسكرية أو الضغط الاقتصادي

ويرصد الدكتور محمد محمد داود في كتابه "اللغة والسياسة في عالم ما بعد 11 سبتمبر" وسائل الخطاب السياسي والتعبئة الإعلامية في عدة نقاط هي:

1. الإقناع وخلطه بالتضليل
2. التبرير
3. التهديد والإكراه
4. الإثارة
5. التلويح بالمنافع والأضرار المترتبة
6. المداهنة والمهادنة
7. التضليل
8. تزييف المعاني
9. التحريض [*]

وإذا نظرنا إلى واقع حرب المصطلحات بين العرب والمسلمين، وبين الحلف الأمريكي الإسرائيلي فسوف نجد أن هذه العناصر كلها طبقت بنجاح.

* اللغة والسياسة في عالم ما بعد 11 سبتمبر - الدكتور محمد محمد داود - مكتبة / دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة - طبعة 2003

نماذج واقعية

ويمثل أبرز نجاح تحقق من خلال هذا التحالف السياسي العسكري الإعلامي يتمثل في عدة نماذج:

- النموذج الأول: الربط بين الغزو الأمريكي لأفغانستان والعراق وبين ما سمي في أدبيات السياسة الأمريكية (الإرهاب الدولي) وتصوير العمليات العسكرية الأمريكية بأنها حرب ضد هذا الإرهاب.
- النموذج الثاني: تصوير الغزو والاحتلال الأمريكي للعراق على أنه تحرير للشعب العراقي وقد تورطت بعض وسائل الإعلام العربية حيث نشرت وبثت تحت بدء الغزو الأمريكي للعراق عناوين مثل بدأت حرب تحرير العراق.
- النموذج الثالث: الخلط بين أعمال مقاومة الاحتلال وهي مقاومة مشروعة مقرة ومعترف بها في كافة المواثيق الدولية وبين الإرهاب، وتصنيف عدد من منظمات المقاومة المشروعة والجمعيات الخيرية ورجال الأعمال على أنها منظمات إرهابية ومصادرة أموالها ومنع التعامل معها، وتبرير قتل واعتقال قوات الاحتلال الإسرائيلي لقادة هذه المنظمات، وكذلك تبرير تجريف الأراضي الفلسطينية بجدار الفصل العنصري، وتصوير العمليات الاستشهادية على أنها عمليات انتحارية، وقد أدت الضغوط السياسية والاقتصادية وحرب الدعاية المخططة المنظمة المستمرة إلى تحقيق تغييرات في توجهات الرأي العام تجاه القضية الفلسطينية والحقوق العربية بصفة عامة [9].

> حفلت أجهزة الإعلام العالمية وكذلك العربية بالعديد من المصطلحات التي اختلقتها آلة الدعاية الأمريكية

وقد حفلت أجهزة الإعلام العالمية وكذلك العربية بالعديد من المصطلحات التي اختلقتها آلة الدعاية الأمريكية والإسرائيلية والتي ساهم فيها أيضا الإعلام العربي حملها وترويجها مثل: العولمة، الإرهاب، الإرهاب الإسلامي، التحالف الدولي ضد الإرهاب، الأصولية الإسلامية، تجفيف منابع الإرهاب، العنف، ثقافة السلام، قبول الآخر، معاداة السامية، العنف، الإسلام السياسي، الوطنية، الواقعية السياسية، حوار الأديان، حوار الحضارات بديلا عن صدام الحضارات، الاندماج في الاقتصاد العالمي، الديمقراطية، الانفتاح على الأمم، التطرف الإسلامي، الإسلاميون، المتأسلمون، التطبيع، نظرية المؤامرة، القتل المستهدف، الشرق أوسطية، الشرق الأوسط الكبير، الشرق الأوسط الموسع، مرض الخوف من الإسلام، الإسلاموفوبيا، وكثير من هذه المصطلحات يخدم مصالح أمريكية أو إسرائيلية أو أمريكية إسرائيلية مشتركة وهي في الغالب على حساب العرب والمسلمين.

وفي الوقت ذاته طفت على السطح في مجتمعات إسلامية مصطلحات مثل الولاء والبراء، العقيدة، التوحيد، الفرقة الناجية، الجهاد، العلم الشرعي، الحكم بما أنزل الله، دار الإسلام ودار الكفر، السلف الصالح، الصحوة، حد الردة، التكفير ومصطلحات أخرى كثيرة غيرها.

وبرغم من الدلالات الشرعية للمصطلحات واضحة ومفهومة المعالم وذلك من خلال ما [illegible] علماء مسلمين في القديم والحديث يبقى موضوع الاستخدام الاصطلاحي لظروف الواقع الزمني للمستخدمين وظروف تأثير الجماعات الإسلامية السلبي قد وظف المصطلحات توظيف أضر بالمسيرة الإسلامية في بعض الأحيان مما يقتضي إعادة النظر في الاستخدام السياسي للمصطلحات ومن جهة الإيحاءات

9 يمكن الرجوع إلى قائمة كاملة من المصطلحات المصنعة التي جرى ترويجها على موقع شبكة فلسطين للحوار
http://www.palestinianforum.net/forum/index.php

الاستخباراتية فيها بما تحمله من أنباء مضللة على النفسية والعقلية المسلمة.

الخروج من المأزق

كل العوائق التي ذكرناها سابقا يترتب عليها من تشويه لصورة الإسلام والمسلمين، وطمس للمعالم الحقيقية للحضارة العربية، وإجراء تحولات جوهرية في الرأي العام الغربي تنقله من موقف التفهم والتعاطف مع الشعوب العربية ومطالب العربية المشروعة إلى موقف الشك في مشروعية هذه المطالب، ثم إلى موقف التحيز والمعاداة، تقتضي حركة في الاتجاه المضاد للدفاع عن هذه الحقوق والمطالب المشروعة.

وبعد ما حققت آلة الدعاية الأمريكية وآلة الدعاية الاسرائيلية في تحقيق أهدافهم الاستراتيجية عن العرب والمسلمين، لم يستطيعوا أن يحققوا النجاح المنشود إلا بصورة جزئية، وفي مجالات محددة ولفترات محدودة. ويرجع ذلك إلى عدة أسباب:

● السبب الأول: أن الخطاب الإعلامي، والخطاب المفهومي أيضا، خاضع وتابع للخطاب السياسي، والخطاب السياسي العربي الإسلامي يتسم بالضعف والتناقض أحياناً بسبب تعدد وتناقض المرجعيات وغياب الرؤية الاستراتيجية، حيث إن الخبر [illegible] يمكن أن يقدمه طرف آخر بحسب الجهة [illegible] النظرة أو الخلافات المذهبية أو النظرة المحلية الضيقة والتنافس السياسي والغيرة الشخصية.

● السبب الثاني: أن الإعلام العربي الإسلامي يفتقر إلى الاستقلال الحقيقي ماديا ومهنيا وتقنيا، فوكالات الإعلام الرئيسة المتحكمة في الأخبار غربية أمريكية وبريطانية وفرنسية في الأساس، وشركات إنتاج الأفلام السينمائية الكبرى الرئيسة في العالم، والتي تتدفق أفلامها بما تحمله من دعايات مباشرة وغير مباشرة عبر الشاشات الكبيرة والصغيرة غربية، الأهم والأكثر تأثيرا أمريكية، والأغنية الصاخبة من أبرز أشكال السينمائية العلمية والثقافية غربية المصدر، والأجهزة والمعدات تصنع خارج دائرة البلاد العربية والإسلامية.

● السبب الثالث: أن الجماهير العربية تمنح الإعلام العربي الإسلامي هامشا شديد الضيق [illegible] وفاقد الشيء لا يعطيه، فمعظم وسائل الإعلام في البلاد العربية والإسلامية لا تمارس قدرا كافيا من الحرية في الحصول على الأخبار والمعلومات وفي تداولها، وفي حرية الرأي والنقد وقبول الرأي والرأي الآخر وإفساح المجال للحوار مع الآخر، فبعضها لا يستطيع أن يمارس ذلك مع الآخر المختلف معه حضارة وثقافة، ومن ثم يظل المجال مفتوحا والأرض خصبة لتشويه صورة العرب والمسلمين، سواء في البرامج [illegible] أو في الخطاب الإعلامي لدى السياسي والكاتب الأمريكي المؤثر بول فندلي: إن الصور النمطية الزائفة يمكنها أن تحجب الحقيقة عن الناس من كافة الأعمار. عندما كنت في السادسة من عمري كانت بداية تعرفي على الإسلام بداية سيئة، فحينما كنت أدرس بمدرسة الأحد [illegible] البروتستانتية في ماكسويل بولاية ألينوي تعرضت لقصص [illegible] يتعلق بالمسلمين وديانتهم، وظللت [illegible] في ذهني بمعلومات خاطئة عن الإسلام حتى بلغت منتصف العمر.

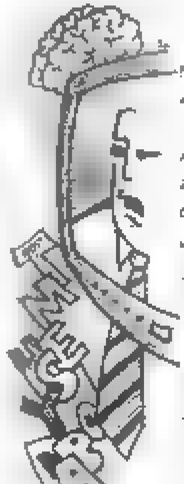
> لذلك لم يستطع الإعلام العربي والإسلامي تحقيق أهدافه ولو جزئيا

(9) نقلا عن: المصطلحات [illegible] www.[illegible]

(10) بول فندلي: مواجهة الصور الزائفة عن الإسلام في أمريكا، [illegible] مطبوعات الهيئة العامة للمطبوعات في مصر، سلسلة [illegible] الكتاب رقم 636 ص[illegible].

* السبب الرابع: تأخر العرب والمسلمين في علوم يمتوي الاتصال من النواحي النظرية والتطبيقية مما يعجز وسائل الإعلام عن أن تكون في المبادرة ويجعلها تكتفي بردود الفعل إزاء ما يوجه للعرب والمسلمين والإسلام من حرب مستمرة ومستعرة.

* السبب الخامس: التخلف والضعف العام الذي تعاني منهما البلاد العربية والإسلامية في مجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتي يؤثر ... السلبية على صورة هذه وتحويلها في وسائل الإعلام العربية.



وعلى أية حال فإن هذه الأوضاع ليست قدراً محتوماً، وثمة محاولات للإصلاح على مستويات الشعبية والرسمية قد لا تكون بالدرجة والمد الموجبين والكافيين في ظل الظروف الدولية الحالية، ولكنها تشبه بكرة الثلج التي تبدأ صغيرة بطيئة الحركة وتكبر بعد ذلك تدريجياً وتزداد سرعة بحيث يمكن تجرف ما أمامها.

وحتى لا نخرج عن سياق موضوعنا الأساسي، وهو مجرد مصطلحات، باعتبارها جزءاً حيوياً من معركة الهوية التي يسعى أعداؤنا تحريرها، ونسعى نحن للحفاظ عليها، الى كتاب «مجرد المصطلحات» حيث الكاتب محمد عبد الرحيم عن ... الألماني، قوله: «إن حق السيد في إطلاق ... يمتد الى مدى بعيد الى حد أنه يمكن اعتبار أصل اللغة هو سلطة صادراً عن هؤلاء الذين يسودون إن هؤلاء قالوا: هذا كذا وكذا، وألصقوا بموضوع وبحدث ما لفظاً معيناً فتملكوه، ويضيف لكن من حقيقة العصر الذي نطمح بالإصلاح إليه والتنبيه عليه، فالدعوة الى إعادة النظر في المفاهيم والمصطلحات المستخدمة في الإعلام ضرورة ملحة لأسباب ثلاثة:

* يحقق الانضباط والخروج من حالة الفوضى لمفاهيم منسوبة الى ... بما يحقق ... ووظيفة العربية للنهضة.

* وتأكيد الهوية والاختصاص والتميز لمنظومة مفاهيم عربية الطابع والمصدر والوسائل والغايات.

* والعمل على التماس مع المتلقي العربي بوحدات من المفاهيم قادرة على أن تمس حقيقة تكوينه الحضاري حيث يستطيع هذه المفاهيم أن تفجر الطاقة الحضارية الكامنة إلى أقصى مدى من فاعلية.

إن المطلوب اليوم هو ثورة ثقافية وإعلامية عربية فعالة لمواجهة الحرب المشنة على الذاكرة العربية وكذلك مثل الجرائم الإسرائيلية في أراضينا المحتلة، وإذا نجحنا في ذلك نكون قد قطعنا خطوة على طريق طويل، طريق الاستقلال الحضاري الذي هو جوهر الاستقلال.[22]

وما يصدق بشأن الخطاب العربي يصدق بشأن الخطاب الإسلامي العام، وما ينطبق على القضية الفلسطينية ينطبق على كل القضايا العربية والإسلامية الأخرى. ويجد القارئ ملحقين لهذا البحث، قد لا يتفق حرفياً مع ما فيهما من آراء ومقترحات، ولكن هذه الآراء والمقترحات تفسح الباب واسعاً للاجتهاد، وما أحوجنا إليه في هذه الظروف.

[22] ... المصطلحات ص ... 36

كتاب ... دراسة تصحيحية للمفاهيم

هذا الكتاب إسهام جيد في موضوعه من قبل إتحاد الصحفيين العرب، ويعزز من أهمية الكوكبة التي ساهمت فيه بالتحليل وهناك تبيين وفي مقدمتهم الدكتور عبد الوهاب المسيري، والدكتور أحمد صدقي الدجاني والدكتورة حنان عشراوي وغيرهم. والكتاب يعرض للقضية من القضايا الحيوية في صراعنا مع إسرائيل، لأنه الأخيرة لم تترك وسيلة في حربها مع العرب إلا وجلت إليها لتعزيز موقفها، ولكن من بين أخطر هذه الوسائل وأكثرها تأثيراً: أجهزة الإعلام التي نجحت إلى حد كبير في استمالة سبي موقفها حتى في تلك الصحف والإذاعات المركزية العربية.

وفي سبيل تحقيق ذلك لجأت الصهيونية إلى مصطلحات وأسماء عبرية عميقة في لغة الإعلام العالمي تزييفاً للواقع وتزويراً للتاريخ وسرقة للموروث وسارت معظم وسائل الإعلام العربية إلى نقلها دون تمحيص ودراسة فنجد بعض إعلامنا يكرر هذه المدسوسات الإسرائيلية ويعممها ويروجها في الرأي العام بقصد أو دون قصد، مما شوه التاريخ عموماً وتاريخ الصراع العربي الإسرائيلي خصوصاً.

ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب الذي يقوم على متابعة هذا الدس وتصحيح الأخطاء ومواجهة التشويه والتزوير، بالطريقة العلمية السليمة من خلال جهد نخبة من كبار الكتّاب والمفكرين.

وحسبما يشير صلاح الدين حافظ، الأمين العام لاتحاد الصحفيين العرب في تقديمه للكتاب فإنه في ظل مناخات الترويج لثقافات السلام وموجات التطبيع، ومناورات التسوية السياسية وحماة المصالح معاً، والتي بدأت عملياً بعد حرب أكتوبر والإذاعات خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين، تزاحمت الجهود على الجانبين العربي والإسرائيلي، بتحريض وتمويل أمريكي للعمل على إعادة صياغة العقل والوجدان العربيين وتحويل اتجاهاته وتغيير أفكاره وآرائه، من مقاتلة إسرائيل دولة المشروع الصهيوني الاستعماري الاستيطاني إلى محبة إسرائيل دولة التسامح والسلام والحرية والديمقراطية، وإذا بعشرات المصطلحات والكلمات والأسماء والأوصاف العبرية، تتسلل إلى لغة إعلامنا العربية سواء عن طريق استعارتها من الإعلام الصهيوني مباشرة أو نقلها نقلاً حرفياً أعمى من الإعلام الغربي الحاضن الرئيسي للإعلام الصهيوني، حتى وصل الأمر بحق إلى محاولة ما يمكن تسميته بـ(أسرلة) اللغة العربية، بعد النجاح المشهود في (أسرلة) الثقافات الغربية وغزو ثقافتها بمدسوسات إسرائيلية وتمويه بعض مصطلحات وتبني ألفاظها، وهو ما يستدعي ضرورة الخلاص من الوقوع في فخ استخدامها وهذا أضعف الإيمان.

> لقد ترجمت الكثير من المصطلحات باستثناء المصطلحات اليهودية وكانت تنص من الأقداس

لقد بدأت الحركة الصهيونية محاولاتها هذه لاختلاق علاقة بين اليهود وفلسطين من خلال تغيير أسماء المواقع والأماكن والمدن وربطها بالتوراة والتاريخ اليهودي الطارئ في فلسطين، وفي سبيل ذلك قاموا بعملية تزوير وتغيير واسعة لكل مكان وأثر وشارع وحي وطريق وواد ونهر وجبل وسهل وتل في فلسطين بحيث يتطلب صد عملية التغيير والتزييف عملا كبيرا وجهدا متكاملا.

وبشكل عام ينقسم الكتاب إلى قسمين الأول يتناول مجموعة دراسات حولها حول المفاهيم والمصطلحات المتداولة في الصراع العربي الصهيوني للمسيري، والثاني حول التحيز في المصطلح في خطاب الصراع والحضارة للدكتور أحمد النجار، والثالث حول إعلامنا وهناك للمصطلحات لمحمد السماك.

أما القسم الثاني فيتناول دراسة للدكتورة حنان عشراوي حول تفنيد الرواية الإعلامية الإسرائيلية والمصطلحات الإعلامية في حقل الصراع، التعتيم الطوباسي وفيصل للمكان، تهويد خارطة فلسطين للتاريخ، وغيرها من دراسات أخرى.

وإذا كانت عملية الترجمة تتم لكثير من المصطلحات، فإن هذا الأمر لا ينطبق على المصطلح اليهودي ويتركه عبريا دون تغيير وكأنه نص الأقدس الذي يجب ألا يطاله إلا كبير الكهنة وحده، حسب تعبير المسيري، ويصل الأمر إلى حد نقل الأسماء العبرية كما هي دون تغيير فإسحاق ينطق صحيحا ينطق في العبرية (يتسحاق)، كما نرى أن المطلوب هو أن ننطق الأسماء العبرية ومن المصالح التي يقدمها الكتاب (مفهوم التطبيع)، وتعبير حائط المبكى، وسمي كذلك لأن الصلوات عنده تأخذ شكل نواح وعويل.

عشرات المصطلحات والكلمات والأسماء والأوصاف العبرية تتسلل إلى لغة الإعلام العربي

ومن المصطلحات التي يشير إليها الكاتب مصطلح "قوى التطرف" للذين يمارسون حق المقاومة وسعيا لتحسين نوعية معيشة الفلسطينيين وهو شعار طرحه جورج شولتز وزير الخارجية الأمريكية الأسبق في عهد ريغان، معتبرا مشكلة شعب فلسطين في تحسين مستوى المعيشة وكأنها ليست مشكلة حقوق شعب سلبت منه.

ومن المصطلحات التي يعرض لها الكاتب مصطلح يهودا والسامرة: وهو اسم يطلقه الاحتلال على أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة.

ويضيف إلى ذلك جميع أسماء إسرائيلية للمناطق والمدن العربية، كما أن من المصطلحات التي يروجها الإعلام الصهيوني ويقع فريسته بعضنا مصطلح "عرب إسرائيل" والمقصود بهم الفلسطينيون في الأراضي التي احتلتها إسرائيل عام 48. كذلك تطلق كلمة أعمال العنف والشغب، للإشارة إلى مقاومة الاحتلال التي تكفلها الأعراف الدولية، ومن المصطلحات التي يتم تقديمها وتلبيسها الحديث عن منح أرض للفلسطينيين في إطار المفاوضات بدلا من إعادة الأراضي إلى أصحابها.

وهو المستوى الذي يعبر عن مواقف القضايا المتضمنة في الخطاب، وفي خطاب الموجه للغرب، يقتضي هذا الخطاب عقليات فلسفية وتاريخية وحضارية وسياسية واقتصادية واجتماعية ويمكن على وجه العموم مخاطبة الغرب في تلك القضايا حسب الإطار العام التالي:

1 – إتخاذ الإطار ما بعد الاستعماري (Postcolonial) إطاراً عاماً للتعامل مع الغرب.

2 – الالتزام بالهوية الحضارية العربية الإسلامية، باعتبارها ثقافة وليست هوية عنصرية أو وحدة بعد أو دين.

3 – الاعتراف بمبدأ التعددية الحضارية في إطار التنافس المشروع الذي هو مبدأ طبيعي وهو المبدأ الذي يعارض الصراع الحضاري غير الشرعي، الذي يهدف لإلغاء الآخر أو الحوار المستسلم الذي لا يستثمر القدرات الإبداعية للأمة.

4 – التواصل الحضاري، فلا يمثل الغرب حضارة نشأت على غير مثال، ولا يحاول الغرب الانقطاع عن التطور الحضاري والإنساني المعاصر، وإنما نحن نحترم الفكر الغربي واستيعاب ما وصلت إليه الحضارة المعاصرة والبناء عليه.

5 – التطور (أو الإصلاح) في كافة تلك القضايا هو قضية ملحة للجانبين، فإن كانت المجتمعات العربية تمثل مجتمعات لم تحقق الحداثة بعد، فإن المجتمعات الغربية تعيش حداثة غير إنسانية، تحتاج إلى إصلاح حتى يتحقق التعايش على كوكب واحد، فالإصلاح هو قضية مشتركة.

6 – الاعتماد على القيم الإنسانية العامة التي لا تختلف من مجتمع لآخر، مع الوضع في الإعتبار أن التطبيق العملي يمكن أن يحتوي على بعض الاختلافات بين المجتمعات، وأن كل تلك الاختلافات هو عملية تطور ويكمن في مستقبل البشرية، وفي كل الأحوال لا يوضع مجتمع معين باعتباره المقياس، وخاصة المجتمع الغربي المعاصر.

7 – النقد الذاتي، بما في ذلك نقد المشكلات الجوهرية للمجتمعات العربية، وفي نفس الوقت عدم جلد الذات، وذلك حتى يكتسب الخطاب العربي المصداقية في تناول القضايا العامة للطرفين.

8 – الإنطلاق في تحليل المواقف السياسية من المبادئ الإنسانية العامة وليس استناداً على موازين القوى مع الاعتراف بهذه الموازين عند اتخاذ القرار السياسي.

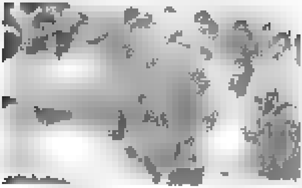
9 – تحليل الأحداث والمواقف في ظل سياق حدوثها، والإطار العام الصحيح لها وبخاصة الإطار التاريخي وعدم اجتزائها من سياقها وإصدار الأحكام السطحية بخصوصها.

10 – تجنب إدانة السيئ للفكر الإسلامي ومحاولة إثبات أن الإسلام قد سبق الغرب في المبادئ الأساسية، كمثل قضية الديمقراطية والشورى أو خلافه، والصحيح هو أن يوضع كل مفهوم في إطاره الفكري، وأن الفهم المعاصر يقتضي إعادة تأسيس قيمه الحضارية.

السلفية

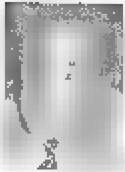
د. عبد الإله بنمرقة*

لا بد من الإقرار بأن الفرق الإسلامية على اختلافها قد ادعت الوحدانية والتمثيل في تمثيل الأمة، سواء كان ذلك فقهياً أو توحيدياً أو تصوفاً أو فلسفة أو غير ذلك من الاتجاهات، وكل واحد من هذه الفرق يرى مذهبه على المذاهب، ولم تخرج السلفية عن هذا الإطار، فقد ادعت هي الأخرى نقاء عقيدتها وخلوصها من كل تأثيرات خارجية، كما أن الذين يبحث أن ينهج فقط بمثابة الغريب الطالس من بين التراكمات الفرقية التي تعرفها كل الحضارات. كما أن فهمهم للنصوص مبني على مسلمة خاطئة، إذ يعتقدون أن النص يمكنه أن يستقل معناه من ذاته مع تقييده بقواعد اللغة العربية. رغم أن طبيعة النص الديني مفتوحاً على المعاني والإطلاق، ورغم أنه نزل بلغة طبيعية لها قواعد خاصة، إلا أن ضوابط الفهم تتعدى الدلالات المحدودة في لغة ما لمعانقة الوسع الإلهي في هذا الخطاب الموجه إلى كل البشرية. فالسلفية لا تعترف ولا تقر بالتداول اللغوي الناتج عن التداول التاريخي للنصوص، ولا تستند إليه كمكمل من مكملات فهم تلك النصوص، بالإضافة إلى المعاني المعجمية والدلالات اللغوية. ولهذا ادعت السلفية أنها الفرقة الناجية وأنها تمثل السنة والجماعة، وتمسكت بالحديث المشهور عند الترمذي «افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على



إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» أو حديث معاوية رضي الله عنه عند قوله ﷺ: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة». وفي رواية الترمذي التي سبق ذكرها قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي. ويشكل هذا الحديث أو على الأصح طرق فهمه وتوجيهه نقطة الصراع بين أنصار السلفية وخصومهم، وقد شكك في الحديث المذكور جماعة كابن حزم والشوكاني، وصححه الحاكم في مستدركه، وقد وصل ببعضهم إلى حد القول: فمن قدم اجتهاداً فقهياً، أو قياساً فرعياً، أو رأياً فلسفياً، أو هوى يتبعه أو اعتقاداً شركياً، على أي سنة جاءت من صاحب البعثة وكان عليها أهل السنة فهو خارج عن الفرقة الناجية وسالكي سبيل الله في دينه ولا صفة التوحيد

* كاتب وباحث وأستاذ جامعي - المغرب





الحاكمي صدام حسين مثال ...) ومعنى كلامه ... عند السلفية فغيرهم من المسلمين هم ضالون ومنافقون والخلف الذين يتقدون أسلافهم، من غيرهم هم المنحرفون ... الإسلامية هم في الحق ... وقد عرف النقاش دوره حول تفسيره أو بعضه جاء في أحد حوارات محمد عابد الجابري مع حسن حنفي: وإن أشد ما ضرنا هو حديث الفرقة الناجية ... الذي يكفر اجتهادات الأمة كلها ولا يستثني إلا واحدا منها هو اجتهاد الدولة القائمة وهو ما ترسب في وعينا الديني بتكفير كل فرق المعارضة ... (مجلة اليوم السابع 23) ويضيف الجابري: إن فهم الحديث يقتضي أن يقول إنه يرسم طريق النجاة ولن يبتعد عن تعيين الفرق، لا الناجية ولا الهالكة وإن لا يبرز عناصر الانحراف عن سمت الفرقة الناجية إبراز ... يكشف به انحراف بعض التيارات الفكرية القائمة ... يشيع عنه من العداوة والبغضاء بين أفراد الأمة وجماعاتها ... حين أن اشتهر مقاصد الشرع ... المسلمين وعدم الكشف عن ... (نفس المصدر 3).

تعريف السلفية:

السلفية مفهوم غامض، فالبعض يرى في السلفية التيار المحافظ الجامد وخاصة في الجانب الديني ... السلفية ... يتبع ... النهج الفكري الذي قام على فكرة التهديد ... إلى التكفير عند بعض العلماء ... مظاهر من مظاهر التعبد والتدين التي لا يقرونها.

وهناك من يرى في السلفية والسلفيين حركة متحررة من ... فكر المرافقة والبدع. وليس في هذه التناقض ثابت من الثوابت التي يحكم بها على كل فكر ... وعلى الأشخاص أيضا وهو العادة لتستحكمه في الحكم على الناس ... عناصر الفكر ... مدح القديم أو ذم التفسير، والأمر عند من ... في ... كل هذه الظواهر المتضاربة والمتنافرة ولا شك أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، ثم ليس من العلم في شيء أن يحكم ... على الشيء من خلال المنتسبين له ... ويكفيك قول أحد من ... الإسلام: الحمد لله الذي عرفني بالإسلام قبل ... أي البون الشاسع بين معالم الإسلام وبين حال مسلمي اليوم ومع أننا لا ... بالحكم على الأفكار والمذاهب من خلال الأتباع، إلا أن النص ليست له استقلالية تامة عن حامله ... التجربة البشرية في التعامل مع ذلك النص.

والسلفية تعني عند منتسبيها: الاتجاه الذي كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، والأئمة الأربعة. ومن سلك منهجهم، دون من انحرف إلى مسلك مبتدع كالخوارج والروافض والمرجئة والجهمية والمعتزلة. كما تعني عندهم أيضاً: موافقة الكتاب والسنّة ... فمن خالفهما ... وإن كان في عهد الصحابة ... السلفية منهجاً. وهناك من يعرف السلفية بأنها: المنهجية التي تقوم على رفض التقليد ... والعقائدي، والعودة في كل ذلك إلى الأصل: الكتاب والسنّة. وبناء على هذه التعاريف يتبين أن ... سلفية زمنية ... على الصحابة وتابعيهم بإحسان من خير القرون، وسلفية منهجية ... الصحابة ... في فهم الإسلام.

وهذا الغموض الذي يلازم السلفية راجع بالأساس إلى اتباع السلفية ... من ...

السوء الكثير، ومنهم من ينادي بالتحرر وظل عقال الموروث الإنسانية، وفي مقدمتها النقل من أسر الخرافة والبدع والتخلف، فهناك من يرى ببدعة التوسل في علماء عصور التخلف، ومنهم من يرى بدعة التوسل بالصالح في علماء عصور الانحطاط، ومنهم من يتنكر للعقل كونه بشرية ويحصر الأمر في النص والأثر وحدهما، بينما بعض السلفيين يعلي من مقام العقل ويمنحه الاستقلال الكامل في الحكم على الأشياء التي هي من عالم الملك، بينما يترك النصوص بعالم الملكوت، والسلفيون المعاصرون والمتطرفون منهم غالب ما يرفضون منهم بالجمود والرجعية، ويعتبرون أن الحكم على السلفية هو حكم على أصولها، وهي القرآن والسنة ومأثورات السلف، وفي هذا من التجني ما فيه، لأن الأمة فيها نوازع مختلفة ومذاهب متعددة وكل منها ملتزم بهذه الأصول، فلا يصح أن يختص طرف منها دون طرف بهذه الأصول، ولكن السلفية شددت على هذا الأمر وبالغت فيه وتكلمت في العقيدة السنية والفرقة الناجية أكثر من غيرها، ولعل المراقب يندهش من كثرة المكتوبات من تبديع الأئمة وكبار العلماء من خلال كثير من عناوين كتب أتباع السلفية التي دأبت -حسب زعمها- على تبديع صوفية وعلماء وبعض الأئمة، كالغزالي والسيوطي وغيرهما، وأين هؤلاء السلفية من أولئك العلماء مصابيح الدجى؟ ولكن للمذهب سطوة وغلو، أدت ببعض أتباعه وهم كثير إلى تبديع بل وتكفير كثير من الناس.

وفي القرآن تعلو كلمة منصفة لماضي الذي سبق الحياة المعاصرة.

﴿فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف﴾ (سورة البقرة، الآية:275)

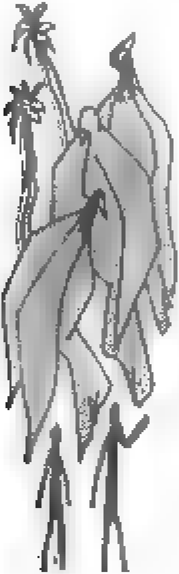
﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف﴾ (سورة النساء، الآية:22)

﴿وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف﴾ (سورة النساء، الآية:23)

﴿عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم﴾ (1)

فالسلف هو الماضي.

ونص هذا المعنى يدل عليه الاستعمال النبوي في الحديث الشريف، ففي مسند أحمد بن حنبل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لما ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: "الحقي بسلفنا الصالح الخير عثمان بن مظعون". وفيه أيضاً عن فاطمة الزهراء رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قد قال لها في مرض موته: "... ولا أراه إلا قد حضر أجلي



وتلك اول اهل يمن بحوثا في وسمهم المعتمد لك والسلف يفسر بحسب اغراض الاهواء.

وهذه المعاني هي نفسها في معاجم اللغة، ففي معجم مقاييس اللغة لابن فارس: «السين واللام والفاء أصل يدل على تقدم وسبق. ومن ذلك: السلف، الجماعة المتقدمون في كل شيء، متقدموهم» والسلف: كل من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك في السن أو الفضل. وكل عمل صالح قدمته. والسلفية: من يرجع في الأحكام الشرعية إلى الكتاب والسنة ويهدر ما سواهما. والسلفي حسب هذه المعاني هو المنتسب إلى السلف بصلة جامعة في اعتقاده أو فقهه بسلوك السبيل ذاتها للجماعة أو للسلف السابق في الفضل أو غيره. وعليه فلا مجال للرد على خصوم السلفية حينما يصفونهم بالرجعيين أو الماضويين، فأصولهم تشهد على تمسكهم بالماضي.

وإذا كان السلف هو الماضي بحسب هذه المعاني المذكورة في القرآن والحديث ومعاجم اللغة والاصطلاحات، فإن السلفيين إذن هم الذين ينتهجون نهج الماضي المتقدم والسالف لكن هذا التحديد الواضح يرجع الغموض الذي أشرنا إليه في البداية حول مصطلح السلفية لأن الماضي المقصود سيظل غير محدد لأنه متعدد في الأصل. فهل هو الكتاب والسنة؟ أم أن فيه ما ورد المروية عن الصحابة؟ وهل هو تلك النصوص وحدها؟ أم أن فيه مذاهب التابعين وتابعي التابعين؟... وحتى إذا كان هذا السلف هو النصوص قرآنا وسنة فإن تفسيرها قد يختلف بحسب المناهج المعتمدة والمدارس الفكرية والفرق والطوائف والاتجاهات. وهذا الأمر ينطبق على مأثورات



الصحابة ومذاهب الأئمة الكبار.

فالأمر إذن متعدد بمستويات تعدد الرؤية للمأثورات السالفة التي يحتذي بها «السلفيون». ويمكن اختصار الموقف حول السلفية في تراوحها بين كونها مذهب أو منهج. ولا شك أن القول الثاني أقرب إلى الصواب من الأول لأن المنهج هو المرحلة الأولى في تشكل المذهب. ولا يعني أن السلفية مذهب واسع المعالم بل فيه ناس ينتسبون إلى تيارات تصل إلى حد التعارض، ومنها السلفية مقابل الصوفية. ونجد كثيرا من الطرق الصوفية تنسب للسلفية والعكس تنسب على أنها صوفية سلفية. ولا شك أن هناك تصور محدد للسلفية، فمحمد عبده نفسه كان لا ينام حتى يقرأ الفتوحات المكية لابن العربي، وكان يجله كثيرا[1]

وقد أورد كلامه في موضوع الدكتور عبد الحليم محمود مع أنه يعرف موقف ابن تيمية منه. من هذه الشخصية الإسلامية الكبيرة، فالسلفية والسلفيون ليسوا شيئاً واحداً.

نشأة السلفية:

إن بساطة الحياة الفكرية في الجزيرة العربية واقتصارها على الجانب الأدبي ككل ثقافة بدوية، هو الذي أدى بالناس في البداية إلى التمسك بظواهر النصوص لغياب الأدوات الفكرية اللازمة وعدم حصول تراكم معرفي كاف يسمح باستنطاق النصوص وإخضاعها للمد والجزر المنفتحين على كل عملية للتعقل والتفكر. لكن الفتوحات الكبرى وضعت العرب والمسلمين أمام تراث فكري إنساني بالغ التعقيد في أبعاده الفكرية في فارس والهند ومصر والشام

مراتبه بعصري الرحماني والبرهاني وهكذا صارت الدولة الإسلامية مسؤولة عن هذه الأوعية الحضارية المتعددة بما تنطوي عليه من قضايا وبيئة فكرية مما دفع الى ... الى مستوى التحدية التي تطرحها هذه الأوعية الحضارية والأبنية الفكرية المتطورة ومن ثم احتوائها وصهرها في بوتقة واحدة ونظام فكري جديد.

فالنصوص الكوسية من قرآن وحديث على وضوحها التي اقنعت البدو البسطاء قد اصبحت محتاجة في ظل التغيرات الجديدة الى مناهج جديدة لتوصيلها لإقناع هؤلاء المسلمين الجدد الذين دخلوا في دين الله افواجا ولا شك ان سبيل الإقناع يتاح امام مستعملي الأدوات لم يكن بالتفكير الكافي لكي يقنع اصحاب الأديان والملل الأخرى التي تمرست على البرهان والجدل والأنظمة الفكرية المتسقة فكان الاحتكام الى النصوص لا يجدي مع هؤلاء الذين لا يؤمنون بحجية هذه النصوص ولا قدسيتها ولن الإقناع بالتأكيد لا جدوى منه مع من لا يؤمن بها أصلا فالصراع الفكري الجديد دفع المسلمين الى امتلاك ادوات فكرية اساسية جديدة تصلح لكل الوان البرهنة والجدل.

وهكذا ظهر علم الكلام والفلسفة لكن الأدوات التي استعملها هؤلاء ظلت حبيسة نخبة محدودة لا تمثل فكر عامة وجمهور الناس الذي يتعامل مع النصوص في غالب الاحيان وزاد من اتساع الهوة بين هذه العامة وتلك الخاصة ... ان بعض اصحاب علم الكلام والفلسفة في تعاملهم مع النصوص المقدسة تأويلها تأويلا متعسفا حتى وصل الامر الى ... سلام النصوص الاوائل على بساطتها بعيد كل البعد عن التعقيد المعاصر.

في خضم هذا الصراع بين العامة والخاصة ظهر مرجعية الناس فيها ... فكرية جديدة تواجه الإسلام النصوصي فكان ... العودة الى النصوص والإسلام السلفي الذي ... اصبح الإسلام غريبا ... التيار الفكري الفلسفي القائم على اعمال الرأي والقياس والتأويل في النصوص المقدسة وكان من ابرز تلك الاتجاهات ... اعلام الحركة السلفية وامامها الاول ابو عبد الله احمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ / ٧٨٠ - ٨٥٥م) في عهد الدولة العباسية.

كان هذا الامام ... يقوم مذهبه على ان الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، والقرآن كلام الله غير مخلوق ... صفات الله التي وصف بها نفسه ووصفه بها نبيه ... وردت في النص ... دون ... تأويل او ... ومعالم التعبير لا يخوض فيه ويفوض امره الى الله مع الإيمان به ورؤية اهل الجنة لله عقيدة حق يجب ان يؤمن بها المؤمن دونما تأويل او تفسير وعلم الكلام منكر والاشتغال به منكر ... مجالسة اهله منكر والقضاء والقدر لا يكفي بتوهيمها الإيمان.

> الصراع الفكري الجديد دفع المسلمين الى امتلاك ادوات فكرية اساسية جديدة تصلح لكل الوان البرهنة والجدل

والذنوب الكبائر لا تجعل المرء كافرا ولا تخلده في النار على عكس ميل الخوارج في الامرين ويقول بنسبه في الثاني.

والخلافات ... الصحابة لا يصح الخوض فيها بل يجب الوقوف عند محاسنهم وفضائلهم وترتيب الخلفاء الراشدين في الفضل وفق ترتيبهم في تولي الخلافة وطاعة ولي الامر واجبة حتى ولو كان فاجرا فاسقا والثورة عليه منكر والمنطق والتأملات ... وارائها ومعارضتها على النحو الذي جاءت به النصوص في القرآن والسنة.

كما نهى الامام احمد بن حنبل عن الاشتغال بالتأليف ودعا للوقوف عند جمع الحديث والمأثورات

ترك للأئمة وأصحابه دوّنوا أفكاره وتعاليمه التي توجزها عن عقيدته السلفية:

من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأقر بجميع ما جاءت به الأنبياء والرسل، وعقد قلبه على ما ظهر من لسانه، ولم يشك في إيمانه، ولم يكفر أحداً من أهل التوحيد بذنب، وأرجأ ما غاب عنه من الأمور إلى الله، وفوض أمره إلى الله، ولم يقطع بالذنوب العصمة من عند الله، وعلم أن كل شيء بقضاء الله وقدره الخير والشر جميعاً، ورجا لمحسن أمة محمد وتخوف على مسيئهم، ولم ينزل أحداً من أمة محمد الجنة بالإحسان ولا النار بذنب اكتسبه حتى يكون الله الذي ينزل خلقه حيث يشاء، وعرف حق السلف الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وقدم أبا بكر وعمر وعثمان، وعرف حق علي بن أبي طالب، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وترحم على جميع أصحاب نبيه محمد ﷺ صغيرهم وكبيرهم، وحدث بفضائلهم وأمسك عما شجر بينهم، وصلاة العيدين والخوف والجمعة والجماعات مع كل أمير بر أو فاجر، والمسح على الخفين في السفر والحضر، والتقصير في السفر، والقرآن كلام الله وتنزيله وليس بمخلوق، والإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، والجهاد ماضٍ منذ بعث الله سيدنا محمداً ﷺ إلى آخر عصابة يقاتلون الدجال لا يضرهم جور جائر، والشراء والبيع حلال إلى يوم القيامة على حكم الكتاب والسنّة، والتكبير على الجنائز أربع، والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا تخرج عليهم بسيفك، ولا تقاتل في فتنة، والزم بيتك، والإيمان بعذاب القبر والإيمان بمنكر ونكير، والإيمان بالحوض والشفاعة، والإيمان بأن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى، وأن الموحدين يخرجون من النار

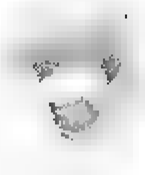
بعد أن امتحنوا (عقائد السلف من الأئمة، جمعها وشرحها د. علي سامي النشار، د. عمار الطالبي، طبعة الإسكندرية ١٩٧١)

يرجع الفضل إلى الإمام أحمد بن حنبل إلى إسلام السلف بمعزل عن المفاهيم الجديدة التي دخلت مع المعتزلة والأشاعرة والفلاسفة وغيرهم، كما رفع الله قدر هذا الإمام، فصار إماماً من أئمة السنّة وعلماً من أعلامها بقيامه بإعلائها وإظهارها واطلاعه على نصوصها وآثارها وبيانه لخفي أسرارها لا لأنه أحدث مقالة أو ابتدع رأياً (منهاج السنة النبوية، ابن تيمية ٢/ ٤٨٢-٤٨٦) حين أكره المأمون العلماء بالقول بخلق القرآن، الذي خرج منه مرفوع الرأس عند الموافقين والمخالفين له على حد سواء. يقول ابن تيمية في تفسير نسبة السلفية إلى الإمام ابن حنبل: وأحمد بن حنبل وإن كان قد اشتهر بإمامة السنّة والصبر في المحنة فليس ذلك لأنه انفرد بقول أو ابتدع قولاً بل لأن السنّة التي كانت موجودة معروفة قبله علمها ودعا إليها وصبر على امتحانه ليتركوها (منهاج السنّة

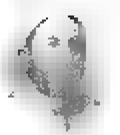
من التحولات الحاسمة في التاريخ الإسلامي أثر على انتعاش السلفية!!

انتعاش السلفية:

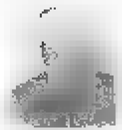
بعد أن انحسر التيار المعتزلي مع الأمويين، وتبنت الدولة الفكر الاعتزالي الذي صار لها مذهباً، إلا أن تحول الدولة السياسية من الاعتماد على العنصر العربي واستبداله بالأتراك قد أحدث انعطافاً فكرياً في دعائم الدولة مع الخليفة المعتصم. وقد ترافق هذا التحول بنقل عاصمة الدولة إلى سامراء بدل بغداد لإحداث قطيعة نهائية مع الفكر السائد والاتجاهات السابقة في الإدارة والحكم. وما تغلب هؤلاء الأتراك على مراتب الدولة، وكانوا أبعد ما يكون عن التعمق الفكري الذي عرفته الدولة العباسية، حصل انقلاب فكري مع المتوكل الذي استبدل السلفية بالاعتزالية



جمال الدين الأفغاني



رشيد رضا



عبد الرحمن الكواكبي

وظهر الفكر النصوصي على التأويل العقلانية .. و ... ممثلا الإمام بن حنبل في نهجه حالات الدولة من ... وغيرهم عنده ... ... الى ... ... التي تمثلها عليه ابن حنبل عامة من ... والقضاة للمراح الذي ... الاستقصاء في ... ... كان لهذه الأحداث الأثر الكبير في ... ... الحديث

ثم لما ... الأمر بالدولة المملوكية ... الجمود ... ... الى البدع انتشرت ... ... فكان ... ... كان ... ... وهؤلاء على المنهج النصوصي للسلف في ... بدعة مع ... في الاستفادة من ... كالقياس والتأويل ... لاسلافهم نظراً لتجدد ... الحياة المجتمع الذي عاشوا فيه ... ... الازدهار التي عرفته ... مع احمد بن حنبل ... ... مذهب للأمة بل بقيت في ... الفارجته

فلما ... الدولة العثمانية دولة ... وعرفت ... كبير ... ... الامر ... ... فكرية ... ... بالجاهلية ... ... الإسلام العلاني ... فكان ... ... الحركة السلفية ... في العصر المعاصر ... ... العودة الى اسلام السلف ... ... الاستعمار الذي ... الامة ... ظهر محمد ابن عبد الوهاب 1206هـ ... م وجمال الدين الأفغاني ... 1314هـ ... م والإمام محمد عبده 1266 ... م.

وغيرهم كالكواكبي ورشيد رضا وعبد الحميد بن باديس وعلال الفاسي.

والجامع ... بين هؤلاء الأعلام ... في الإلهيات واستلهامهم في السياسة ... الى الاصلاح ... ... النصوص مع ... السلفية ... في ... سلطان العقل ... على الحضارة الغربية ... العقل في نهضة تلك الحضارة ... ... على ... على الرغم من ... ... كثير من الأحاديث التي وردت في ... العقل ... ما هي اصول المذهب السلفي القائم على النصوص ؟

اصول المنهج النصوصي

النصوص ... وجد النص ... ولم يلتفت الى ما خالفه كائنا من كان

... من الصحابة لا ... عليه لا ... ولا ... ولا قياس

... الصحابة ... من اقوالهم ... ... اقربها الى الكتاب والسنة

4- الاخذ بالمرسل والحديث الضعيف ... لم يكن في الباب شيء يدفعه وهو الذي ... على القياس

5- القياس ... عند ... النص ... قول الصحابي او الحديث ... او الضعيف.

هذه هي الاصول ... لمنهج ابن حنبل ... ... اولاً على النصوص ... ...

مستحب من الرأي بالسنن فضلاً عن المعقولات والمقاييس، وقد يرجع هم عن أصول من هذه النصوص على بن ابن حنبل بمسمى النص الإمام. ومن يقول ابن القيم، معقباً على أصول منهجه: فإنه كان شديد الكراهة لتفريع المسائل ليس فيها أثر عن السلف. ولقد قال لبعض أصحابه: إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام (إعلام الموقعين ج 1 ص 29-30). ويروي عنه ابنه عبد الله فيقول: سمعت أبي يقول: الحديث الضعيف أحب إليّ من الرأي.

واستطلاقاً من هذا المنهج النصوصي رأت السلفية أن علماء الأمة منحصرون في النصوصيين، وهم قسمان: حفاظ الحديث والفقهاء. ولما وقفة ... في كل هذه التقسيمات التي لا ... عند كل الفرق الإسلامية أن كل واحدة تحكم نصوصها وفهمها انطلاقاً من زاوية النظر التي تتمسك بها. ويمكن بكثير من الاختصار أن نقول: إن شرعية الدول التي تعاقبت على حكم بلاد الإسلام لم تخرج عن ثلاث منظومات فكرية: سياسية فقهية، كلامية، صوفية، وهناك ترتيب منطقي في هذه المنظومات الثلاث، فأولها المنظومة الفقهية لأن الفقه هو المنظم للأحكام، والدولة الإسلامية الناشئة كانت محتاجة في أول أمرها إلى تنظيم المجتمع، وقد جرى الفقه ذلك الأمر. وبعد نشوء الكيانات الفقهية الكبرى مع الدولة الأموية، نشأ مجتمع يحمل التراكمات المتعددة والتأثيرات المختلفة، فظهرت معاهد جديدة، فكان أن احتاجت الدولة إلى إطار عقلي ينظم على أساسه أمور الرعية وترتيب شؤونهم ودفع الاختلافات المتصلة، فكان أن ازدهر علم الكلام أو التوحيد مع الدولة العباسية الأولى، لكن علم الكلام وصل إلى مصدري الطرق من بعده التي حدثت عنها، وظهر المالكية والشافعيون وكانوا أصحاب جهاد وحركة، ومن ... ملكية فتجمدوا النصوص وبنوا الربط والخانقاوات* فظهرت الطرق الصوفية ومنها التي يمكن أن نقوله عن الفرق الإسلامي، حيث انتشرت المذاهب الفقهية كمذهب الأوزاعي في الدولة الأموية في الأندلس ومذهب الإمام مالك مع دولة المرابطين، ثم جاءت الدولة الموحدية التي امتدت من الشمال جنوباً حتى أطراف فرنسا شمالاً ومن طنجة غرباً إلى الحدود المصرية شرقاً، وقد قامت على منهج التوحيد والعقيدة المرشدة التي ألف بها تلميذ الإمام الغزالي ومؤسس الدولة الموحدية المهدي بن تومرت، ثم ... كل ذلك وظهور التصوف مع ... المدارس الفكرية واستمر الأمر كذلك مع الدول اللاحقة.

> الشاعة التي اعتمدها المشروع السلفي على النصوص، اعتبار السلف والعصر الذي قيلت فيه تلك النصوص.

وحتى لا يحصل الخلط في تفسير كلامنا، فإن هذه المنظومات الثلاث توجد متجاورة في نفس الحقبة، إلا أن تفسير هذه الظاهرة هو بحسب تغلب بعض منها على الآخر. ولا بد أن هذا التفسير على القضايا يوضح أن مناهج الدول والبنى الفكرية التي حكمتها والأصل فيه هو الحديث المشهور عن عمر بن الخطاب في لقاء النبي ﷺ بجبريل وسؤاله له عن الإسلام والإيمان والإحسان، وهذه الأثلاث هي المنظومات الثلاث التي تحدثنا عنها: الفقهيات الإسلام، والعقديات الإيمان، والصوفية الإحسان. ولكل من هذه الفرق الإسلامية شرعيتها لأن النبي ﷺ يقول في نهاية الحديث: هذا جبريل جاء يعلمكم أمر دينكم، فجعل الدين متكوناً من ركن الإسلام وركن الإيمان

* الخانقات: كلمة فارسية الأصل تعني رباط الصوفية أو دار التنظيم (التحرير).

وركن الإحسان. ولا عجب أن تتبنى هذه الفرقة عبر الأولى أن تقع الوثائق الدينية في المسودة الأولى أقوال وأفعال وسكوت النبي ﷺ. وهو ما نجده مثلا في منظومة المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لعبد الواحد بن عاشر الأندلسي الفاسي:

في عقد الأشعري وفقه مالك
وفي طريقة الجنيد السالك

وقد دأبت الدولة المغربية منذ المرينيين والأشراف السعديين ثم الأشراف العلويين على الجمع بين هذه الأركان الثلاثة بحيث تنسجم الصفة المغربي الشريف بكمال الوثائق في اتباع أركان الدين الثلاثة.

من قداسة النصوص إلى قداسة الأشخاص

وبسبب القداسة التي أضفاها المنهج السلفي على النصوص امتدت هذه القداسة للسلف وللعصر الذي ظهرت فيه تلك النصوص وشاع في الحركة السلفية تعظيم الماضي. وزاد ذلك التعظيم كلما ازداد هذا الماضي إيغالا في القدم واقترابا من عصر صحابة الرسول ﷺ. ولهذا نرى أعلام الحركة السلفية كثيرا ما يقولون:

دين النبي محمد أخبار
نعم المطية للفتى الآثار
لا ترغبن عن الحديث وأهله
فالرأي ليل والحديث نهار
ولربما جهل الفتى طرق الهدى
والشمس طالعة لها أنوار

رفض الرأي والالتزام بالنصوص

في الأمور الدينية يكاد يتفق علماء الإسلام على أنه لا مجال للرأي أو الاجتهاد إذا ما وجدت النصوص لكنهم عند التسمية يشترطون أن تكون تلك النصوص قطعية الدلالة وقطعية الثبوت لا تقبل الاحتمالات ثابتة من حيث الرواية. والأكثرون يشترطون في النصوص الدالة على أمور اعتقادية أن تكون متواترة، ولا يقبلون الآحاد في هذا الجانب. أما أحاديث الآحاد، فإذا لم تكن قطعية الثبوت وقطعية الدلالة فإنهم غير السلفية لا يرون وجودها مانعا من إعمال الرأي فيها أو الاجتهاد معها. أما السلفية فيرون في وجود النصوص والمأثورات مانعا من إعمال الرأي، وذلك بصرف النظر عن قطعية دلالتها وقطعية ثبوتها، حتى ولو وجدت نصوص متعارضة. ولهذا وجدنا الإمام أحمد بن حنبل يفتي في المسألة الواحدة بأكثر من رأي حين تتعارض نصان أو أكثر من غير إعمال للرأي في الموازنة بينهما وترجيح أحدهما على الآخر.

ما الذي ترفضه السلفية؟ وما الذي تقره وما تبرير ذلك؟

أما عند غياب النص سواء قرآن أو سنة أو فتوى الصحابة والتابعين، فما يجوز الأخذ بالرأي عند الجميع سلفية كانوا أم لا. لكن علماء السلفية يقتربون بهذا الرأي من النصوص والمأثورات حين يرجحون الرأي الذي هو رأي الصحابة ثم الرأي المفسر للنصوص ثم الرأي الذي تواطأت عليه الأمة وتلقاه خلفهم عن سلفهم. ومع هذه الشروط فإنهم يحذرون الرأي الظن ويقدم الرأي بنية أن يرد به.

رفض القياس

في الموقف من القياس نجد أن السلفيين قبلوا جوانب يوجد منها غيرهم من القياس لكنهم يخرجونه من أعمدته، كما نجدهم يضعون للمقبول منه شروطا تضيق من مجالاته إلى حد كبير. ثم هم ينظرون إليه نظرتهم إلى الرأي في حضرة النصوص.

فإذا كان المراد بالقياس رد الشيء إلى نظيره مثله، شريطة أن يكون التماثل بينهما تاما ومن كل

الوجوه كما يعتبرون رد الفروع إلى أصولها، وإن لم يعرفوا على خلاف الآخرين قولاً بالرأي ... أريد بالقياس القياس المستنبط من تنصيص بتعليه الحكم من منصوص عليه الى غيره فإنه عندهم غير معتبر، وهذا الذي لم يعتبروه من أنواع القياس هو المدار الأوسع والأساس للقياس عند غير السلفيين من العلماء، مما يظهر هذا الموقف السلبي من القياس مع أن هناك مواقف في القرآن والسنة تدعو لاستعمال القياس، ولكن مسلك السلفية المنهج النصوصي كان مانعاً لهم من الانفتاح عليه.

وللتدليل على موقف السلفية من الرأي والقياس وإيضاح منهجهم نسوق النص التالي لابن القيم الجوزية: «النصوص محيطة بأحكام الحوادث، ولم يحوجنا الله ولا رسوله إلى رأي ولا قياس، بل قد بين الأحكام كلها، والنصوص كافية وافية بها، والقياس الصحيح حق مطابق للنصوص، فهما دليلان الكتاب والميزان، وقد تخفى دلالة النص أو لا تبلغ العالم فيعدل إلى القياس، ثم قد يظهر موافقاً للنص فيكون قياساً صحيحاً، وقد يظهر مخالفاً فيكون فاسداً، وفي نفس الأمر لا بد من موافقته أو مخالفته، ولكن عند المجتهد قد تخفى موافقته أو مخالفته ... انه يقول قولاً تبين لنا انه ونحمد الله على توفيقهم ... ومسألة النبت عليه من الشريعة لم يحوجنا إلى قياس قط، وإن فيها غنية عن كل رأي وقياس وسياسة واستحسان، ولكن ذلك مشروط بفهم يؤتيه الله عبده فيها» (أعلام الموقعين)

اعتماد النص ورفض الذوق والعقل والتجربة

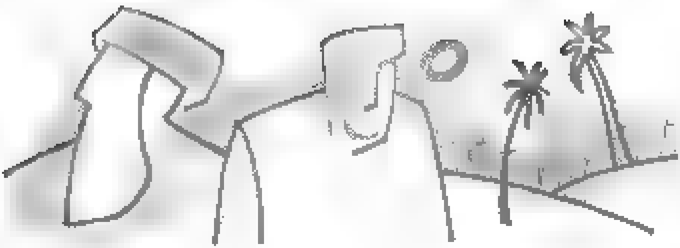
ومثلما رفضوا الرأي والقياس رفضوا كذلك الذوق الصوفية والكشف والشهود والعقل والتجربة، بل وكل إدراكات الإنسان التي يستعملها في فهم النصوص فالنصوص في نظرهم قائمة بذاتها مستغنية عن الفهم غيرها في نقلها واستكشافها وتذوقها.

هل حقاً كان التصوف يعاني من أزمة وصولاً على تردي الوضع المجتمع؟

وبالتالي مع منهج المذهب النصوصي رفضوا التأويل الذي هو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، بل ذهبوا إلى أن التأويل هو الذي أفسد الأديان وحولها عن الاستقامة والسداد.

وكذلك رفضوا ذوق الصوفية ووجدهم لأنه في فهم الأمور أنه تختلف باختلاف أهواء صاحبه وما يحبه وما يهواه، واستنكروا تقسيم الصوفية الأمور إلى شريعة وطريقة وحقيقة لأنهم جعلوا سبيلهم الرياضة والسلوك غير المقيد بأمر الشرع ونهيه، الكشف بالذوق والوجد، لأن النصوص هي مصدر الأمر والنهي الإلهي. (رسالة الصوفية لابن تيمية ص 567-568 ضمن مجموعة التوحيد) ومع أنه لا دليل على العمل إلا بالذوق ولا دليل على الاحتجاج إلا ... الذوق ولا نص فيها الحكاية فهم أنكروا على الشرع من يعرف بحاسة منها ما جاء به الصوفية عن أذواقهم ومواجيدهم أنها من الشريعة والحقيقة، فمنه يظهر بذلك صوفية وحدة بين الشريعة والحقيقة، والحقيقة عين الشريعة كما يقول الشيخ الأكبر، ولكن النصوصي يمكن أن يفهم في ذات الأمر من حيث الشريعة ومن حيث الحقيقة أو من حيث الحكمة ومن حيث القدرة، والأمثلة على ذلك كثيرة، وتقسيم الأمر هو أوسع من ذلك إذ هو شريعة وطريقة وحقيقة، فالشريعة عين والطريقة قصد والحقيقة تحقق، والكل مصدق لتقسيم النبي حقيقة الدين إلى إسلام وإيمان وإحسان. والحقيقة أما أقوال أو أفعال أو أحوال، وكلها مصطلحات تشير لمعنى ...

كما رفضوا ما يسميه المتكلمون حقائق عقلية لم تشهد عليها السمعيات، وعرضوا وهم يناقشون مدى التصديق للوحي من العقل فهم ينكرون أثر السمعيات



لا يحدث عنه

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (سورة الملك، الآية: 10).

أما السببية فإن السلفية تتخذ منها موقفاً وسطاً على رأي ابن القيم أن الناس قد افترقوا بإزاء الأسباب والسببية إلى طرق ثلاث: فقوم أنكروا السببية على الإطلاق، وقالوا إن الله سبحانه هو السبب الأوحد لوجود المسببات، وقوم أثبتوا السببية وقالوا بلزوم المسببات عن أسبابها لزوماً لا ينفك عن العلة ذاتاً وأبداً دون تخلف، وهؤلاء هم الفلاسفة والمنجمون والدهرية، والطائفة الثالثة هم السلفية، اعترفوا بالأسباب وعملها في المسببات، لكن ليس على وجه الاستقلال بالفعل لأن السبب عندهم يظل دائماً وأبداً محتاجاً كي يصل السبب إلى سبب آخر، والسبب الذي يعمل دون حاجة إلى سبب غيره هو الله سبحانه (أعلام الموقعين ج ... 298، 299).

ومع ذلك فقد عيب موقف من أنكر الأسباب لأن الأسباب إذا لم تستقر بالحصر لم تكن حاصلة على التحصيل، ومن ثم لم تكن أسباباً للمسببات، والقول بأنها مستقلة بالفعل لا يتعارض مع أنها كغيرها مخلوقة لله، فهي كمثل القوانين والسنن في الكون،

يرجع إلى أنه لتمثل هي المطلب دون تبديل. لكن المنهج النصوصي الذي اختارته السلفية وانسجم مع معطيات وعي تنظر في مختلف المجالات

النصوص هي مصدر الحل والحرمة

لعل من الأمور الطيبة في المنهج السلفي عند أعلام السلفية الأوائل، هو تضييق دائرة الحلال والحرام بحصرها على ما ورد في النصوص وعدم تعدي ذلك كما فعل بعض من غالوا في استعمال القياس أو الرأي وصنعوا مما أسموه سد الذرائع والتضييق على الناس في شؤون دنياهم، أما السلفية فلا ينطقون عن الحرمة والحلية إلا لله ورسوله، وهو موقف صائب سيكتب له البقاء لأنه أنسب للواقع وأعدل خلافاً لمن توهم غير ذلك، فلم يوجب إنسان على نفسه شيئاً غير منصوص ولا يمكن أن يتعدى إلى غيره مهما كانت الظروف، لأن مسألة الأحكام تؤخذ من الشرع لا من مشرعٍ لهم.

الشرع في الفكر السياسي

في عصر الوحي والهداية كان مصطلح الشرع يعني الكتاب والسنة، أي الشرع المنزل، وكانت أحكام هذا الشرع قد تمت وتكاملت كاستجابة لما طرحته حياة

ذلك العصر من حوادث ومشكلات، لكن الحوادث لا تتناهى، الأمر الذي جعل الفقهاء والعلماء والمجتهدين ومنهم الولاة والحكام يفترضون حكماً لما استجد مما لم يجدوه منصوصاً فسمي الشرع الثاني، وهو محاصل لاجتهادات المجتهدين وفقه الفقهاء وتشريعات الحكام والولاة، وهو تراث الأمة القانوني والسياسي، وقد أصبح يندرج تحت مصطلح الشرع والشريعة، وإن لم يكن به قدسية النص، وإلزام الشرع المنزل لجميع المؤمنين، فهو نمو في الشريعة والشرع تكون عنه بناء قانوني ذو طبيعة مدنية وليست دينية.

فالشرع في أزمنة السلفية ثلاثة أقسام:

الشرع المنزل: وهو الكتاب والسنّة واتباعه واجب.

والشرع المتأول: الذي هو حكم الحاكم أو فتوى أئمة العصمة، واتباع بعضهم ليس بواجب على جميع الأمة.

والشرع المبدل: الذي هو افتراء على الشريعة وإضافة إليها ما ليس منها.

لكن بعض الباحثين ولصق بالشريعة عند عصر الوحي والبعثة، وسمي تراث الأمة القانوني الذي تم انطلاقاً من الشرع واستجابة لمختلف الأمور وتطورات الحياة سياسة ورفض إدراجها تحت مصطلح الشريعة، ولقد أدى تفحص مثل هذا الفكر لنطاق مضمون الشريعة إلى جعل الولاة والحكام يتصدون لأحداث الحياة ومشكلاتها وفق أهوائهم، الأمر الذي فتح الصلات بين السياسة والشريعة. لكن أعلام السلفية ردوا على هذا الموقف بتحديدهم لمقاصد الشريعة المتمثلة في إقامة العدل، وتحقيق المصالح ودفع المضار في المجتمع، ومن ثم فإن كل ما يحقق هذه المقاصد فهو شرع وشريعة أو جزء منها حتى ولو لم ينزل به الوحي أو لم ينطق به الرسول، وهكذا جعلوا المعيار في الشرعية هو المصلحة وتحقيق العدل، وليس ما كان شرعاً وشريعة في عصر البعثة والتنزيل. ويريد من رفضه هذا الموقف المتقدم أصحابه هم السلفيون أصحاب المنهج النصوصي الذي يعرف أصحابه برغبة إلى المحافظة والجمود، ومع ذلك يعده ابن القيم في معقول موضع مزلة أقدام ومضلة أفهام، وهو مقام ضنك في معترك صعب فرط فيه طائفة فعطلوا الحدود وضيعوا الحقوق، وجرؤوا أهل الفجور على الفساد، وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد.

وتقسيم بعضهم طرق الحكم إلى شريعة وسياسة كتقسيم غيرهم الدين إلى شريعة وحقيقة، وكتقسيم آخرين الدين إلى عقل ونقل، وكل ذلك تقسيم باطل، بل السياسة والحقيقة والطريقة والعقل، كل ذلك ينقسم إلى قسمين: صحيح وفاسد، فالصحيح قسم من أقسام الشريعة لا قسيم لها، والباطل ضدها ومنافيها. (أعلام الموقعين ج٤)

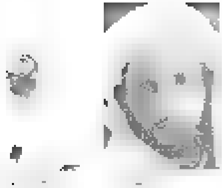
كيف فكر أعلام السلفية بتطور الفكر السياسي والقانوني؟

هكذا فكر أعلام السلفية بتطور الفكر السياسي والقانوني فربطوا بين العائد منه وبين الشريعة، واضعين معيارهم على مقاصد الشريعة.

وإذا كانت هذه النظرة الفكرية المتفائلة التي طورت ونمت مضمون الشرع والشريعة ليشمل السياسة هي وجه من آثار تلك المواقف التي تبدي الشمولية من ضرورة فقه الواقع قبل فقه الشرع حتى يمكن للولاة والعلماء والحكام الانطلاق من الواقع إلى الشرع في محاولة للتوفيق والمطابقة بينهما التي هي في الحقيقة تيسير سياسة أمور الناس، لكن هذا الاهتمام بالواقع قد تجلى في مجالات أخرى مواقف متردد انعكس عليها سوء الواقع الظالم الذي عاشه أعلام سلفية العصور الوسطى في ظل مظالم دولة المماليك، ففي آثارهم الفكرية نجد تقرير حقيقة هامة تقول إن الولاة هم وكلاء العباد على نفوسهم، وأنهم بمنزلة أحد الشريكين مع الآخر، ففيهم معنى الوكالة، وهذه الكلمات تقرر ما نسميه الآن بالأمة مصدر السلطات.

الحكومة نائبة عن الشعب. لكن هذه الآراء الفكرية صدرت عن ابن تيمية (الولاية ولاية الله على عباده) (ابن تيمية: السياسة الشرعية 48)، ثم يتردد بمقولته التي تعد أن السلطان ظل الله في الأرض، التي قالها ابن تيمية رغم جرأته التي أوصلته إلى السجن حتى مات فيه، والتي قررها منها للشريعة، وكان يرى طاعة الإمام الجائر لأن شرورها أقل بما لا يقاس من أضرار العصيان بقوله: ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان (السياسة الشرعية/ 185) وكما يقول جل المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف، وإن كان فيهم ظلم لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فيدفع أعظم الفسادين بالتزام الأدنى. (منهاج السنّة ج 2/ 87)

ومن تمسكهم هذا انفردوا به دون سائر الفرق الإسلامية بعدم وجوب النصوص القاطعة، وكما يقول ابن القيم الجوزية في موقف المضطر: فأما الضرورة والحجة بالباطل فليس إلا الاضطرار والقيام بالضعف من أن الإنكار (إعلام الموقعين ج 1)



قضية الإصلاح عند السلفية المعاصرة

إن السلفية بدعوتها إلى الرجوع إلى النصوص الشرعية وإلى السلف الصالح ظهرت بكونها حركة إصلاحية تهدف إلى الخروج من التخلف الفكري والانحطاط السياسي الذي كان من سماته البارزة تسلط الاستعمار على الدول الإسلامية. وقد نادت السلفية بالإحياء الذي اتخذ عندها السمات التالية:

1. تطهير الدين مما علق به من تحريف والرجوع به إلى مصادره الأولى.
2. تأكيدها على أن الدين مادة ودين، وأن عملية الإحياء تشمل الجانبين معا.
3. محاولة الانطلاق من التراث مع الاستفادة من المناهج الغربية.
4. إصلاح مؤسسات الدولة من خلال التأكيد على مبادئ الحرية والعدل والمساواة والشورى الإسلامية بالاستفادة من مناهج الغرب في التغيير السياسي.

ولتحقيق التطهير الديني شنت السلفية حملة على الطرق الصوفية ووصفتها بثلاثة أوصاف: الجمود والبدعة وموالاة الاستعمار. وقد شكلت أبعاد هذه المحاور الثلاثة ثلاثة أصناف من السلفية: السلفية المبدعة، والسلفية النهضوية، والسلفية الوطنية. وهي وإن اشتركت جميعها في الهجوم على التصوف، فقد خصصت كل منها بجانب معين لانتقاد الصوفية.

وهكذا جندت السلفية المبدعة، التي ظهرت في القرن الثامن عشر، كل طاقاتها لمحاربة كل مظاهر التصوف فمست مجالس الصوفية ومواسمهم وهدمت أضرحتهم وزواياهم، بل لقد سعى بعض الغلاة إلى هدم قبور الصحابة. وكان سلاح هذه السلفية هو التبديع.

أما السلفية النهضوية التي ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر على يد الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا، فقد اتهمت الصوفية بالتخلف والجمود، وكان سلاحها هو بعث تجديد الأمة.

وأما السلفية الوطنية، فقد ظهرت هذه الحركة في مطلع القرن العشرين بالشمال الإفريقي، وكان من أقطابها عبد الحميد بن باديس وعلال الفاسي وغيرهما كثير، على أنها استلهمت من السلفيين السابقين تبديع الصوفية وتحميلهم جمود الأمة، فقد زادت على ذلك بأن اتهمت هذه الطرق الصوفية بموالاة الاستعمار ومهادنة قوى القهر والاستبداد، وهي

بذلك وصمت الحركة في مواجهة مع التيار الصوفي الذي كان ينتظم المجتمعات الإسلامية لقرون خلت.

والواقع أن التصوف هو الآخر كان يعاني من أزمة وصية شأنه شأن سائر المجتمع، ولم يكن بأية حال مسؤولاً عن تردي تلك الأوضاع بصفة مباشرة بل هو طرف فيها كسائر الأطراف. ولم تكن تلك المرحلة اللامعة في تاريخ التصوف بل كان يمر حينها بما كان يعرف بطور التبرك، وهو الطور الأخير في السلوك الصوفي بعد أن يأتي في المرتبة الأولى الترقية ثم التربية وأخيراً التبرك. فهذا الأخير يكون عندما تتقلص الوظائف الحقيقية للطرق الصوفية نزولاً من وظيفة الترقية والتزكية مروراً بالتربية ووصولاً في الأخير إلى التبرك الذي هو أدنى تلك الأطوار وأقلها شأناً. ولا يظهر إلا في غياب الأستاذ المرقي والمربي فتصبح الزوايا عبارة عن أمكنة للتبرك وهي مرحلة جمود فعلاً لأن الأتباع وقتها يسعون إلى تطبيق التوجيهات والمحافظة عليها من غير تفاعل مع الوقت. ولا شك أن البدعة قد تتسرب إلى هذه الطرق الصوفية في مرحلة التبرك بغياب الشيخ المربي، وقد تنحرف عن مسارها الذي وضع لها بسبب غلبة الدنيا على نفوس الأتباع وقصد الرئاسة وطلب التقدم، وكلها آفات مهلكة نبه عليها شيوخ التصوف.

وأمام هذه الأوضاع وبإيعاز السلفية بقوة الصوفية في تأطير المجتمعات الإسلامية وتنظيمها سعت بكل ما أوتيت من قوة إلى تبديعها وتحويلها لأن التنظيم الجديد الذي تقدمه للمجتمع عبر منظام الأحزاب غريب عن المجتمعات الإسلامية، وهو تنظيم غربي صرف ولا يستقيم مع شكل التنظيم الذي كان معروفاً في الحروب.

ولا شك أن منظام الاتهام الذي اتبعته السلفية بالتواطؤ المتكرر ضد الصوفية فيه كثير من الغلو ومجانبة الصواب، لأن كل مذهب أو عقيدة كيفما كانت تخضع لقانون التطور الزمني والمكاني والشخصي فتطرأ عليها التحريف والتغيير، وهو الذي يسمى ظهور البدعة، وتفسر التي تعرف عن تهمة الجمود فهي أمر يعرض أيضاً لكل مذهب بعد أن يستهلك إمكانات نموه من طور الاجتهاد والتجديد إلى طور الجمود والتقليد. أما هي تهمة موالاة الاستعمار فيصير إطلاقها من قبل مذهب على آخر على هذه المواجهة تسقط التهم بسهولة وتوجه للتيار المغلوب أشنع الأوصاف.

> فظام الاتهام الذي اتبعته السلفية بالتواطؤ المتكرر ضد الصوفية فيه كثير من الغلو ومجانبة الصواب

ولو أن بعض رجال السلفية المعاصرين نظروا بعين الإنصاف والموضوعية لما سمحوا لأنفسهم هذه الحملة على الصوفية، بل نجد من أكبر المجددين منهم والمجاهدين كما فعل أسلافهم من السلفية حيث انتقدوا المتصوفة في عصورهم وميزوا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان على حد عبارة ابن تيمية، ولكن انحرافهم في الصراع حجبهم عن المرونة والموضوعية.

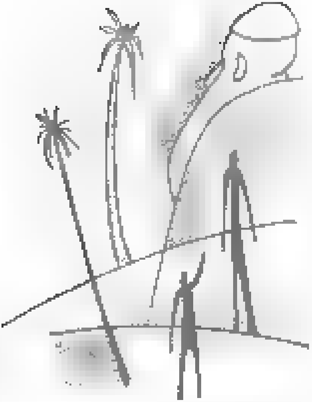
والحقيقة أن سبب الصراع بين الطرفين يكمن في تصارع بنيتين تنظيميتين مختلفتين للمجتمع، البنية الصوفية التقليدية داخل الزوايا والحركات الوطنية داخل الأحزاب الطارئة على المجتمعات الإسلامية. ولقد كانت المواجهة هي السبب الرئيسي في هذه التهم الرخيصة البعيدة عن الحق والموضوعية، إذ أن شيوخ التصوف الكبير كانوا من أكبر المجددين في عصرهم، كالجنيد والغزالي والعز بن عبد السلام والسيوطي وغيرهم، وكثير من الصوفية كانوا في طليعة المجاهدين أثناء الحروب الصليبية كمولاي عبد السلام بن مشيش وأبي الحسن الشاذلي وأتباعهما وغيرهما، ونفس الأمر يقال على صوفية

العصر الحديث كالأمير عبد القادر الجزائري الدرقاوي والشيخ سيدي أحمد التجاني وأمثاله من بعده والقائمة طويلة.

بعد أن استتب الأمر للحركات السلفية عاد بعض كبار رموز السلفية في مسلماتهم تجاه الطرق الصوفية معترفين بدورها التربوي والاجتماعي والديني عندما عاينوا النتائج الوخيمة لتراجع السواد الأعظم في الانحلال الخلقي.

وإذا كانت السلفية قد قامت بمناهضة التصوف ووسمته بالأوصاف الثلاثة التي ذكرت من تبديع وجمود ومولاة للاستعمار، فإن السلفية هي الأخرى سقطت في ألوان من البدعة تطغى فيها أعمال الجوارح على أعمال القلوب وتصبح ممارسة الشعيرة عند البعض نوعا من المظاهر الشكلية والصور الكاريكاتورية البعيدة عن سماحة التصور الديني الصحيح.

ولعل تمجيد السلفية للعقل والنص معا يحمل في طياته كثيرا من الآفات التي سنعرض لبعضها. إن الدعوة التي يتبناها السلفي باستقلال العقل بالمعرفة والوصول إلى النصوص بإلغاء التراكمات الفكرية للأجيال من التراث النصوص غير صحيحة. والسلفي يعتقد أنه يمكن أن يستقل باستخراج المعاني من النصوص بعقله المجرد بعيدا عن التجربة التاريخية وإسهامات كل أجيال الأمة في تشكيل قراءة النصوص وفهمها. وفي نظر السلفي أن الاكتفاء بمعرفة قواعد اللسان العربي وأعراف العرب في الخطاب واستصحاب أقوال السلف بذلك كلها أمور كافية لاستخراج مضامين النصوص. وهذه الدعوى تكذبها أبسط القواعد العلمية لأن طبيعة الخطاب اللغوي تقتضي أن النصوص تحمل عناصر ذاتية وغير ذاتية تتشكل عبر تجارب القراءة المختلفة في مختلف العصور وفي أمكنة مختلفة فلا يمكن الوصول إلى النصوص بواسطة إلا عبر إدماج هذا التاريخ في السياق. وبعبارة أخرى إن فهم النصوص الراسخة تساهم فيه الأجيال المعاصرة



لهذه النصوص والأجيال اللاحقة عليه لأن النص لا يحمل نفسه في عصره فقط بل إن فهمه غالبا ما يكون لاحقا على عصر نشوئه أو ظهوره. ويكفي للدلالة على هذا الأمر تبلور كل العلوم الإسلامية بعد عدة قرون من نزول القرآن وتكلم النبي بالحديث.

خاتمة

لقد رأينا منذ البداية أن مفهوم السلفية مفهوم متضارب متنازع بحسب المنتسبين لهم وبحسب دلالة خصومه لهم. وهذا رغم هذا الغموض لمدة تشكلاته تحت تأثير الترجمة بمفاهيم مستوردة. فقد شاع في الفكر العربي المعاصر ولغة الإعلام نحت الأصولية كمرادف للسلفية. وهذا المفهوم هو ترجمة لمفهوم

غربي فهو في الفكر الغربي عند البروتستانت يؤكد على عصمة الكتاب المقدس من أي خطأ في العقيدة والأخلاق والأخبار التاريخية الغيبية كقصة الخلق وعودة المسيح وحشر الأجساد. وهي تعبير الأصولية البروتستانتية عن:

تفسير الإنجيل تفسيرًا حرفيًا لا يقبل التحريف أو التأويل فيه.

فهم الإنجيل ظاهريًا دون الحاجة إلى تأويله.

رفض الفكر الغربي الحديث وخاصة النظريات العلمانية منه.

الغلو والتشدد في التدين والعداء لمن لا يوافقهم من النصارى خاصة، والسعي الحثيث إلى التطبيق والتنفيذ.

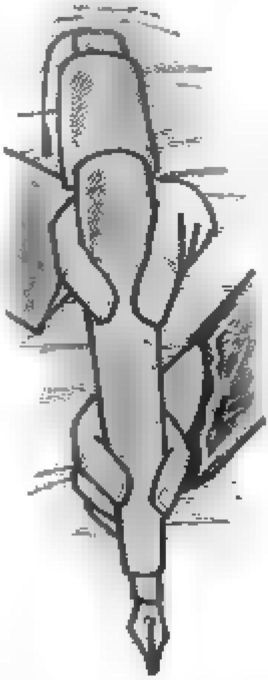
وبهذه الأفكار أصبحت الأصولية عند الغربيين مرادفة للتطرف والتخلف والانغلاق والجمود والسعي إلى فرض آرائهم بالقوة.

> السلفية مفهوم منضبط لا يتنازع بحسب المنتسبين إليه ولا بحسب رؤية خصومه لهم

وبعد أن أصبح الغرب هو المسيطر على الواقع في عصرنا الحاضر وظهرت تيارات متعددة في البلاد الإسلامية بين علمانية ليبرالية وقومية وغير ذلك، أدت المعرفة السطحية بالتجربة الغربية للفكر الاستعماري الغربي توجيه التهم إلى التيار السلفي المحافظ، وحورب بنفس مظاهر الدفاع التي سلكها الغربيون تجاه غلاة البروتستانت، فسموهم بالأصولية. وهكذا بدأت تظهر مثل هذه المرادفات في الإعلام والفكر وغيرها من أنواع الإسقاطات الخطيرة، لأن الأصولية عند المسلمين مكانة عظيمة من الاحترام، فالأصوليون هم من يبحثون في ميدان أصول الفقه، وهو نوع من المنطق الذي طوره علماء المسلمين لفهم النص الغيبي بالوسائل العلمية الدقيقة، كما سميت حركات أخرى بالسلفية والأصولية مع أنها لا تتبع المنهج السلفي كما سبق ذكره، فحركة طالبان مثلًا ليست سلفية؛ لأنها حنفية في الفروع، ماتريدية في الأصول. والسلفية تعني كذلك فهم عموم من الصحابة ويتأولون على الكلام من خرجوا ويفسرونه بما لم يخطر ببالهم، ولكن فوضى المفاهيم التي نعيشها اليوم قد خلطت الأوراق وجعلت التمييز يمكن أن يقال عن هذا المفهوم الغربي الأجنبي إسلامي أو إسلاميون، فهم علماء الأمة؛ وتوضيحًا لكل هذا المفهوم أهل الكتاب الذين دخلوا في الإسلام على مضض ونسبوا مسلكهم من معتقداتهم، وخاصة من كان يعرف به يهود الأندلس، يقول ابن صاعد الصلاة عن أبي حيان في سنوات الحكم في بغداد على الإسلام الأعمى من عدد من فقهاء هؤلاء بحسب عربيته وتمامه المسمى ابن دهري مع اليهود الإسلاميين الساكنين بجهة النبي... سموا على كره ... من فيها من اليهود الإسلاميين مع حنينهم لكفرهم، ابن دهري المسمى بـ... ص ٣٧: ٣٥. واليوم يطلق هذا النعت إسلاميون ويراد به أتباع الحركات الإسلامية السياسية في العالم الإسلامي، لهذا كان من اللازم أن نسعى على أصول وعقيدة السلفية تمييزها عن غيرها، ومهما يكن من أمر فإن السلفية هي الأكثر تحملًا بشكل كبير عن أئمة السلفية وعلمائها، وقد وصلت في بعض إلى هذه الحركات التي تدعي انتسابها إلى السلفية مع ما تحمله في الأمة من تخريب وإرهاب لا يقره دين ولا قانون وضعي، نسأل الله أن تكون سحابة صيف لا تلبث أن تزول، وإن الحاجة الآن إلى تماسك الأمة وتضافر جميع أبنائها وعدم تعبئة بعضهم للبعض الآخر؛ لأن الاختراق الغربي للمسلمين وحصارهم قد وصل إلى حد تكبيل الفكر والدول والوحدة والسلوك، إن الأمة محتاجة لكل كوادرها العلمية فهي التي تساهم في بناء الإنسان والأمة وفق تعاليم الإسلام الخالدة. والله الموفق للصواب.

فوضى المصطلحات ودلالات المعنى

محمد خروب*



تبدو الحاجة ماسة إلى تحديد معاني وبنى المصطلحات والتسميات والمفردات المتداولة الآن (ومنذ فترة ليست بالقصيرة) التي تحفل بها المقالات والخطب السياسية والتحليلات التي تظهر بين الحين والآخر، وخصوصاً بعد أن بات كمٌّ هائل منها في نظر كثيرين حتى من بين العرب والمسلمين، كُتّاباً ومفكرين وإعلاميين، وحتى من الجمهور العادي، من المسلمات التي يتم تداولها والتعامل بها بدون تمحيص أحياناً من جهة، ولأنها، بحكم العادة، يعتد أن تكون على مسلمات ولم يعد يعرفون في زمن الاستهلاك المفرط الذي نعيشه عرباً ومسلمين، أن نحقق فيها أو نعرفها أو نتوقف على المعنى المحدد للمصطلح أو المسمى، الذي لم يأتِ للأسف نتيجة دراسة موضوعية أو نتاج حوار ثقافي وفكري وأكاديمي مطروح تتوافر فيه للمتحاورين أسوأ الظروف، لم ينجحوا في إيجاد حل له. ولعل أكثر ما يحضر الآن في المشهد العربي والإسلامي الراهن المضطرب والمشوه هو مفردة الإرهاب، التي استطاع الغرب أن يسوّقها ويروج لها عبر العالم أجمع، وكأننا نحن في مقدمة من ابتلع هذا الطُعم، وراح كثيرون منا بوعي أو في غير وعي أقرب إلى المواطن، بل هو التراسل بعينه، يرددها بمفاهيم لاكها نعم للنخب والاستمرار في الأزمنة

* كاتب - الأردن

لا يقتصر الأمر على مفردة «الإرهاب» التي باتت بديلاً موضوعياً، يعني «المقاومة» والتي هي أسمى وسيلة في مسار الإجرائي «التلوي» من عمق جرائم دموي، كالإرهاب الأعمى الذي يضرب هنا وهناك، في إطار خطاب تضليلي خبيث، يقتضي في أهدافه ومراميه مع تلك الدوائر والجهات التي عممت مفردة «الإرهاب»، حتى نجحت في مواقفها، وإن كان أصحابها لم يستحوا (القتلة حتى الآن في الشرح) «المقاومة» شعوب المعمورة بدقة وصحة ومشروعية مصطلحهم هذا.

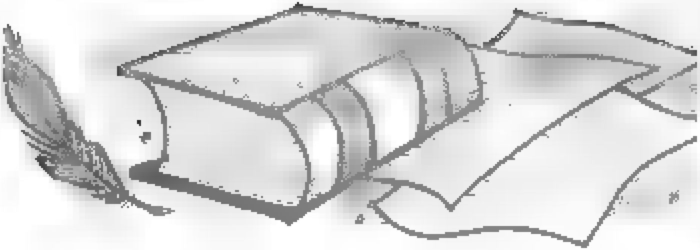
لا مفهوم من وراء هذه الفقمة الزعم، بأن كل ما يجري في العالم من أحداث عنف وقتل وسفك دماء وترويع وتفجيرات وسيارات مفخخة هو عمل مقاوم بـ ... من ذلك توظيف هذه المقاربة للولوج إلى التسميات والمصطلحات والتسمية، التي تكاد الدوائر الغربية تحديد من مراكز دراسات وأبحاث ومؤسسات إعلامية وسياسية وحتى دينية وغربية، إطلاقها على تيارات الإسلام السياسي أو الحركات الإسلامية والأحزاب ذات التوجهات الإسلامية، في مسعى واضح لتعميم هذه التصنيفات وطرحها عند التعامل مع تلك الأطراف والجماعات الإسلامية.

نحن الآن أمام مقاربة تريد الإساءة عبر المصطلح أو التصنيف، ولا تتوخى الوقوف عند تأييده أو تفسيره، بل التعاطي مع الحالة الراهنة من منظور دلالات لغوية ومصطلح، ولعل أكثر ما يرد هنا، هو مصطلح «التطرف الإسلامي» الذي يقابله الآن تسميته مصطلح آخر هو «الاعتدال الإسلامي» أو لنقل في وصف آخر «متطرفون إسلاميون» يجري تجريمهم ومحاربتهم بأوصاف عديدة تذهب بعيداً في إبرازهم كمنتج مضاد للإسلامي الحقيقي، بما هو حالة نظر وبذلك تبني يحض على العنف والكراهية، وتمجيد القتل ورفض الاعتراف بالآخر أو الحوار معه، مقابل تيار يطلقون عليه تيار «الاعتدال» الذي يجري توظيفه لأهداف سياسية واضحة، وإن تم بلبوس ديني ومضمونه خطاب يدعو إلى نبذ العنف وإدانة الإرهاب، والدعوة الصريحة إلى الحوار، ورفضاً وراء مشروع الحوار لأهداف سياسية واضحة، يطلبون ومخططات ومشروعات تدرك من خلالها الصراع وإن التوتر والحرائق المشتعلة في دول المنطقة العربية وغير نعيمها).

> كيف يرى غير المعنيين الصراع مع العالم الإسلامي؟

ولعل أكثر ما يمكن التوقف عنده والإضاءة عليه بهدف استجلاء المسألة، هو الدراسة التي صدرت عن مؤسسة «راند» الأمريكية قبل ثلاث سنوات (2004م) سمت فيها الإسلام السياسي، التي اتخذتها معتمدة كان أسمها «الإسلام المدني»، ثم أتبعتها بعد العام دراسة أخرى متواصلة حول بناء شبكات من المسلمين المعتدلين في العالم الإسلامي.

وإذ يجب التنويه هنا بالفرضية الأساسية، التي انطلقت منها الدراسة المشار إليها، والتي وردت في العدد 408 من تقرير واشنطن، بتاريخ نيسان 2007م، وهي أن الصراع مع العالم الإسلامي هو بالأساس صراع أفكار وأن التحدي الرئيسي الذي يواجه الغرب، يكمن في ما إذا كان العالم الإسلامي، سوف يقف في مواجهة المد الجهادي الأصولي (كما يسمونه)، أم أنه سيقع ضحيته نتيجة لعدم التسامح، فإنه من الضروري الإشارة هنا إلى مجموعة الأسئلة، التي تطرحها الدراسة، كي يتم توجيهها واختبار مدى اعتدال أي جماعة إسلامية من عدمه، تمهيداً لتصنيفها العاملة، والتأمل في المعايير والمقاييس التي تعتمدها الدوائر الغربية في تعاملها مع جماعات وحركات الإسلام السياسي كافة:



هل الجماعة تتسامح مع العنف أو تمارسه؟ وإذا لم تكن تتسامح معه فهل مارسته في الماضي؟

هل الجماعة تؤيد الديمقراطية، باعتبارها حق من حقوق الإنسان؟

هل تحترم الجماعة كافة القوانين والتشريعات الدولية لحماية حقوق الإنسان؟

هل تقبل أية استثناءات في احترام حقوق الإنسان (مثل الحرية الدينية على سبيل المثال)؟

هل تؤمن بحق تغيير الديانة ضمن حقوق الإنسان؟

هل تؤمن بضرورة أن تطبق الدولة قانونًا جنائيًا (الحدود) يتطابق مع الشريعة الإسلامية؟

هل تؤمن بضرورة أن تفرض الدولة قانونًا مدنيًا متلائمًا مع الشريعة؟ وهل تؤمن بحق الآخر في عدم الاحتكام لمثل هذا التشريع والرغبة في العيش في كنف قانون علماني؟

هل تؤمن بضرورة أن تحصل الأقليات الدينية على نفس حقوق الأغلبية

هل تؤمن بحق الأقليات في بناء دُور العبادة الخاصة بها في البلدان الإسلامية؟

هل تؤمن بأن يقوم النظام القانوني على مبادئ غير دينية؟

نحن إذًا أمام فرضيات تكاد أن تتحول في اللحظة التالية، إلى أحكام في نظر تلك الدوائر والمؤسسات ومراكز الأبحاث يتم بموجبها وضع التصنيف النهائي لهذه الحركة أو الجماعة، في ذلك الجانب أو ذلك الذي بات معروفًا على قاعدة محور الشر ومحور الخير أو في اصطلاح أكثر صياغة، تم صكه بعد الحادي عشر من سبتمبر «أيلول» 2001م من لم يكن معنا فهو بالضرورة مع الإرهاب.

في السياق ذاته، يتضمن المنظومة الفكرية والقيمية ذاتها سادت في فترة لاحقة مصطلحات وتصنيفات، وجدت قبولاً في العديد من المجتمعات والدول الغربية وباتت مستخدمة على نطاق واسع في الدراسات السياسية والفكرية والاجتماعية وحتى الأكاديمية والمعرفية مثل:

• الإسلاموفوبيا

وهو تعبير كما هو واضح، تمت استعارته من علم

الخوف والاضطرابات النفسية التي تلحق بالمصاب بالخوف المرضي من شيء ما كظاهرة الإرهاب، وهنا تم نحت مصطلح الإسلاموفوبيا ليطلق على المصابين بالخوف المرضي من الإسلام. وباتت الآن ظاهرة واضحة في علاقة الغرب بالإسلام أو المسلمين، تكرسها هذه العبارات المتداولة في أكثر من ساحة إسلامية في العالم دون أن يعي من يطلق مصطلحاً من هذا القبيل بأن الرهاب قد لا ينحصر بالعجز إلى تهديد جدي وحقيقي وإنما يعكس حقيقة وجود اضطرابات نفسية وإدراكية داخلية.

* الأصولية:

وهنا أيضاً يأتي الجدل حول هذا المصطلح الذي يرى كثيرون أنه اختراع غربي لتشويه صورة الإسلام واتهامه بأنه دين يدعو إلى التعصب ويحض على العنف والإرهاب ضد الآخر غير المسلم. بل أن هناك من يقول إن مجرد اتهام المسلمين بالأصولية هو بمثابة تعميم الاتهام لكل المسلمين باضطهاد الأديان الأخرى والتمييز ضد المرأة ومعاداة الحضارة الغربية والتشدد ورفض الحوار مع الآخر، ويذهبون بعيداً في الغرب إلى حد الاستشهاد بالنصوص القرآنية التي تدعو إلى الجهاد ونظرية دار الإسلام ودار الحرب بهدف تبرير عدائهم على الإسلام.

* الإسلام السياسي:

وهو مصطلح استخدم لتوصيف حركات سياسية تؤمن بالإسلام باعتباره نظام حياة، وقد كتب مفكرون وعلماء في الغرب أن … يجدون فيه تقسيمات تشير إلى أن هناك حركات إسلام سياسي معتدلة وأخرى متطرفة، حيث الأخيرة حركات الإسلام السياسي المتطرفة هي تلك التي تؤمن بأن الإسلام ليس ديناً فقط وإنما هو نظام سياسي واجتماعي واقتصادي وقانوني يصلح لبناء مؤسسات الدولة.

ويظل الشعور في النهاية أنه وقع ظلم على مصطلحات، وخبث الأهداف التي يسعى مطلقو هذه الأوصاف إلى تحقيقها، بحيث صار مجرد ذكر مصطلح واحد منها يبدو من جهة يغلب عليها التعميم والخلط، وهو هنا ليس عفوياً بل مقصود، حيث من السهولة بمكان نقل مجموعة أو حركة من خانة الإسلام المعتدل إلى المتطرف أو العكس … حسب سياسات الأهداف السياسية … أو أجندات … سياسية أو استراتيجية تهدد الهوية العربية أو تلك … أن … هناك في … الغرب … من … عن عظم

مصطلحات تكاد أن تتحول إلى أحكام في الفكر الغربي والأوساط ومراكز الأبحاث

الجريمة … وسائل الإعلام الغربية وما تقدمه مؤسساتها من إمكانات وقدرات في … حروبها القذرة على … لأنهم يرتكبون من الجرائم والفظائع ما لا يقبله منطق أو عقل أو دين، فما بالك بالدين الإسلامي الحنيف الذي يحض على المحبة والإخاء والتسامح والحوار وعلى … الإنسان حياته وكرامته وعدم قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وتحديد المسؤولية … من مسؤولية جماعة أو حزب أو حركة أو تنظيم يدعي أن له الحق في تنفيذ القانون … أو احتكار الإسلام أو الزعم بتمثيل الحقيقة، بل هو من … مؤسسات الدستورية المختارة أو المنتخبة التي تحظى بدعم غالبية الناس في مجتمع يسوده القانون والعدل وتعمل فيه مؤسسات المجتمع المدني بالحرية … العنف … تداول السلطة على نحو سلمي.

تفسير أم إخبار؟

الحقائق الدينية والتغطية الإعلامية

أ. د. محمود مصطفى أيوب *

منذ زمان سحيق وحتى عهد قريب، ظلت الحقائق الدينية تنتقل شفاهة بواسطة الأنبياء والحكماء وأتباعهم من علماء الدين وأتباعهم. في ذلك الوقت كانت حقائق الدين بمثابة أمانات شخصية تنتقل من حامليها وناقليها الأمناء والثقاة والأمانة. وعند كتابة هذه الحقائق في الكتب المقدسة والأسفار، لم يكن ذلك إلا تحسبًا من الضياع والتحوير بعد وفاة حامليها الأصليين، أو خوفًا من خيانة الذاكرة البشرية، وحفظًا لهذه الحقائق أيضًا كمصدر هدى إلهي للأجيال القادمة. على أن العلاقة الشخصية بين هذه الحقائق الدينية والأوصياء عليها، من ناقليها ومعلميها، ظلت حتى يومنا هذا شاهدًا حيًا على أصالة هذه المعتقدات وسلطتها في حياة المجتمعات البشرية.

والاعتقاد في عمومية الحقيقة الإلهية وعدم تقييدها بزمان معين، مبدأ أساسي في الأديان السماوية: الإسلام والمسيحية واليهودية، حيث نجد في اليهودية أن هذا المبدأ معبر عنه في الميثاق بين الله والنبي نوح عليه السلام، نيابة عن البشر. وفي المسيحية نجد في العهد الجديد أن مطلع الرسالة إلى العهد النبوي، يؤكد أن الله علم البشر بطرق مختلفة في أوقات شتى ليذكرهم بعهد الميثاق. وفي الإسلام، نجد أن هذا العهد يمثل الإطار العام للإيمان ونظرة الإسلام على العالم. وحسب ما ورد في القرآن الكريم، فإن الله قد أخذ عهدًا على البشر عندما كانت البشرية في مبدئها (في عالم الذر) أن الله وحده ربهم الأعلى، وأنه سيرسل لهم الأنبياء والرسل، لتذكرهم بهذه الحقيقة الأزلية والمطلقة. وفي سورة الأعراف - الآية: 172 يخاطب الله تعالى كل بني آدم قائلا:

﴿... أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ (سورة الأعراف، الآية: 172)

فيجيبون:

﴿... بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ (سورة الأعراف، الآية: 172)

فيقول تعالى:

﴿أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ (سورة الأعراف، الآية: 172)

ويحفظ الله عهده، بأن يرسل لكل الجماعات والمجتمعات رسلا من بينهم، يخاطبونهم بألسنتهم، ويذكرونهم أن يحفظوا عهدهم مع الله. وزيادة على ذلك، فإن الله قد وضع في نفس كل ابن آدم، فطرة

* أستاذ في جامعة تمبل، فيلادلفيا، بنسلفانيا، الولايات المتحدة الأمريكية

داخلية بمرقة خالفة هذه الفطرة في الوضع الطبيعي للإيمان ؛ الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهي دين الله الحق، الذي ارتضاه لبني البشر، وأمر كل إنسان أن يتبع هذا الإيمان الطبيعي والخالص إذ يقول:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الروم، الآية 30).

ويخاطب القرآن الكريم أهل الكتاب على أساس مبدأ التوحيد والشمولية العميقة الحميمة، أن يأتوا جميعاً إلى كلمة سواء:

﴿... أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ (سورة آل عمران، الآية 64).

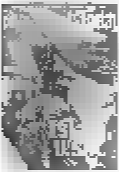
وفي آية أخرى يأمر الله المسلمين أن يكون حوارهم مع أهل الكتاب حول الإيمان بالحسنى وعلى مبدأ وحدانية المعبود:

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (سورة العنكبوت، الآية 46).

على أن الأمر في المجادلة بالحسنى، يستثني الذين ظلموا. ومفهوم الظلم في الإسلام، لا يعني الاضطهاد والجبروت فحسب، بل يشمل أيضاً اعتداء الإنسان على نفسه أو الآخرين، ويعني أيضاً العدوان على الحقائق بالتشويه أو التحوير أو التلفيق. والظلم مرادف للكفر من حيث إن الكافر ظالم في حق النفس بقيادتها إلى الهلاك الأبدي، وظالم في حق الغير بتضليلهم أو بالتجني على معتقداتهم بالتبديل أو التشويه.

ومن ناحية أخرى، فإنه وحتى وقت قريب، كان المسلمون والمسيحيون، يركزون حوارهم على فهم الدين وتطبيقه في حياتهم، وليس في كنه الدين ذاته أو حقيقته. حيث كان حقيقة وجود الله وسلطته المطلقة

ورحمته لكل المخلوقات قائمة ومبينة بذاتها ومستقلة عن كل نظام ديني أو لاهوتي، على أنه منذ عهد التنوير وعصر العقلانية في القرن الثامن عشر وحتى الآن، نلاحظ أن هذه الحقيقة، ما كانت موضع سؤال أو تحدٍ، أو جوبهت باعتبارها خرافة لا علاقة لها بالواقع. ومن هذا الفهم نجد أن المعتقدات والحقائق الدينية، قد صنفت إلى اهتمامات سياسية أو إلى صور موضوعة ومختلقة. ومع مجيء الإسلام إلى مسرح التاريخ العالمي نجد أن هذه الصور المضللة والمغلوطة، غلفت ضمن وجهة نظر كل من المعتقدات الأخرى ونظرتهم للعالم.



غلاف مجلة المسيحية اليوم

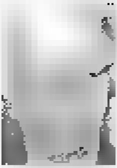
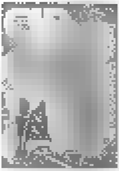
إن الوضع غير المتلائم له أسباب كثيرة، وآثار محسوسة. بعض هذه الأسباب، أثرت في الإسلام التبشيري في الشرق والغرب على حد سواء، وتمس بالطرف الديانات والمعتقدات الأخرى. ففي الافتتاحية نشرتها في مجلة المسيحية اليوم عدد يوليو 1998 "Christianity Today" يندب الكاتب حقيقة أن وسائل الإعلام قد فشلت في تبيين أهمية الدين في أنفس متلقيها أو متابعيها، وقد جاءت تغطيتها للمواضيع الدينية من جهة تنقص الاحتمالات، وليس حقيقة الإيمان.

يمكن أن نعد أسباباً كثيرة لهذا الفشل، أولها وأوضحها هو أولاً، أن الكثير من الصحفيين والمحررين، ليسوا متدينين في أنفسهم، وثانياً أن مبادئ العمل الصحفي تتطلب معاملة الدين كأي موضوع آخر يستحق التغطية الإعلامية، في أي المجالين، فإن تجاهل المواضيع الأخلاقية التي يرتبط بها التفكك، أو الخلاف في المواضيع الدينية يمكن الإشارة إليه كسبب مباشر في فشل التغطية الإعلامية للدين.

وفي مقال للكاتب الديني المعروف «بيتر ستاينفلز» في مجلة «Columbia Journalism Review» عدد سبتمبر / أكتوبر 1993م نجده ينتقد بحدة ضعف التغطية الإعلامية في أمريكا للمواضيع الدينية وحسب رأي الكاتب، فإن رغبة المحررين في الظهور بمظهر الموضوعية يؤدي بهم إلى معالجة المواضيع الدينية مثلها مثل أي موضوع حضاري آخر، ولذا نجدهم يهتمون بالشخصيات الدينية اللامعة والأحداث المثيرة، ويتجاهلون الأفكار الدينية المهمة والجهود التي تجمع بين طوائف متعددة، ما لم تشارك فيها شخصيات أو منظمات عالمية. والحقيقة المؤسفة أن كثيراً من الشخصيات المهمة في الأمور الدينية، لا تتحدث للإعلام إلا عن مضض.

هذه الممارسات الإعلامية ومثيلاتها أثرت كذلك في التغطية الإعلامية لما بين الأديان، حيث نجد أن مجموعة من الافتراضات قد طغت على التغطية الإعلامية للمواضيع الإسلامية، منذ الحرب العالمية الثانية، والهيمنة أو الاستعمار المباشر الأمريكي والأوروبي، في فترة ما بعد الاستعمار الفعلي. هذه الافتراضات أصبحت تشكل انعكاساً للمناخ السياسي في العالم الإسلامي حسب ما يراه الإعلام ويفسره وأصبحت تستخدم لاستثارة العواطف تجاه مشكلة ما أو حدث معين، أو لتبرير اعتداء غربي على بلد إسلامي، كما حدث خلال ما سُمي بحرب الخليج.

هذه الافتراضات، تبنى أساساً على أن الإسلام والمسلمين، ظاهرة واحدة ومتجانسة، وعليه يمكن تعريفهم أو تصويرهم، بدون الحاجة للتمييز بينهم على أساس خلفية أو عرقية أو لغوية، وحتى حين تستخدم هذه التعبيرات بواسطة «الخبراء» الذين يكتبون للإعلام، فإن هذه الفرضية الأساسية تؤخذ باعتبارها من المسلمات، ومن أمثلة الاستخدام الأكثر لهذه المسلمات، ما ورد في مجلة «Foreign Affairs» عدد صيف 1993م فيما كان يفترض أن يكون بحثاً

Columbia Journalism Review

عالي القيمة بمكانة كاتبه «صامويل هنتنجتون» أستاذ العلوم السياسية بجامعة هارفارد، فقد كتب هنتنجتون في مقاله «صدام الحضارات» أن الجولة القادمة من الصراع لن تكون حول الثروة أو الموارد الطبيعية، وإنما ستكون صداماً بين الحضارات، وبالذات بين الغرب وبقية العالم.

في المقال يتصور الكاتب تحالفاً في المستقبل، بين الإسلام والكونفوشيوسية، أو بين العالم الإسلامي والصين ضد الغرب، وهنا نجد أن الكاتب حاول في افتراضه، أن كل المسلمين شيء واحد، فإنه يفترض أن الإسلام غريب عن الغرب، أو أن يسميه التراث اليهودي المسيحي، غرابة الصين والتراث الصيني عن الغرب، وهنا نرى حقيقة أن تراث الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام، يكون جزءاً مهماً من حضارات البحر الأبيض المتوسط مبني على تراث نبي الله إبراهيم - عليه السلام - وفلسفة أرسطوطاليس. هذه الحقيقة التاريخية يبدو أنها غابت تماماً عن هنتنجتون.

وورد هذا المقال وكتابات أخرى من الدارسين المعروفين، ممن يستخدمهم الإعلام كمصدر معلومات للافتراضات أخرى كثيرة، على أن الغرض هنا ليس التطرق لها كلها أو حتى بجزء منها، لأنه بعيد عن موضوعنا، وعليه سأتطرق لتحليل مصطلح «الأصولية» الذي له علاقة مباشرة بموضوع مقالتنا هذه، وعلى أي حال، فإن هذا الموضوع برمته قد بحثه باستفاضة، إدوارد سعيد، منذ حوالي

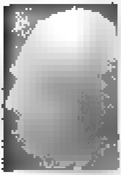
نقد من الزمان في كتابه الذي لا يزال يتبنى الصيغة المتطرفة للإسلام: كيف يتحكم الإعلام والخبراء في تعريف بقية العالم

Covering Islam: How the Media and the Experts Determine How We See the Rest of the World

New York 1981

أول هذه الافتراضات الخاطئة التي سأتعرض لها، هو أن الإسلام دين عنف، مبني على الجهاد أو الحرب المقدسة. وفي الحقيقة فإن الجهاد أولاً وقبل كل شيء نضال روحي وديني واجتماعي، يكون فيه حمل السلاح، هو الملاذ الأخير. ولا يلجأ إليه، إلا للدفاع عن النفس أو الدفاع عن المستضعفين في الأرض. وفوق ذلك فإن الحروب التي وقعت في صدر الإسلام، كانت فتوحات ولم تكن جهاداً، بحسب رأي المؤرخين والفقهاء، على حد سواء. ومع الحقيقة ولا سيما يجهلها الدارسون الغربيون، بل والكثير من المسلمين. وكمثال على العنف المتعمد في قاموس الجهاد كحرب مقدسة، فإنه حين تغزو إسرائيل لبنان، وتقتل الآلاف من الأبرياء، فإن ذلك مقبول لأنها تعلل ذلك دفاعاً عن النفس، كما يدعون، وحينما يقاوم الفلسطينيون هذا الاحتلال، فإنهم يدانون ويوصفون بالإرهابيين. أعلنوا حرباً مقدسة على دولة غربية متحضرة وديمقراطية.

وثاني هذه الافتراضات، هي أن الإسلام مرتبط بسيف وعنف مستمد من مطلقات العصور الوسطى، وهو في نظرهم حالة من التقدم متأخرة عن طبيعة العالم، يعني أن الغرب محق في هيمنته على المسلمين، حتى يتمكن من مساعدتنا على تطورهم الاجتماعي والسياسي والتقني، بدون أن يعوق ذلك سعي بعض الناس لاستعادة كينونتهم والتحكم في مصائرهم، ولأن المسلمين ما زالوا غير ناضجين، فيجب ألا يحكموا في ثرواتهم وحياتهم الثقافية والاجتماعية والسياسية.



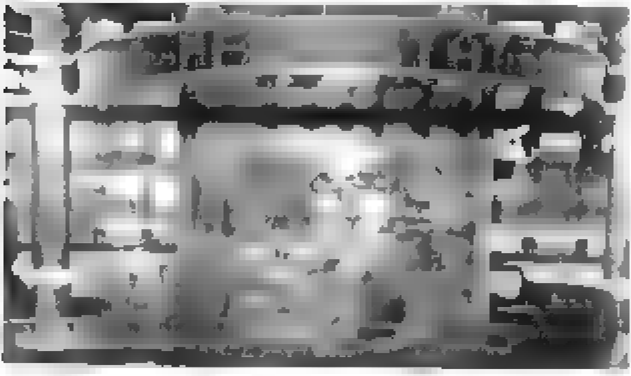
برنارد لويس

ويشيع هذا الافتراض بالتدخل الغربي السلبي لو كان الأمر بيدهم، فإنهم سيعمون لاحياء مؤسسات العصور الوسطى، من حريم ورقيق، ومصادرة الرأي ورد فعل حول السلطة في مقال كتبه الباحث المعروف برنارد لويس، في مجلة وول ستريت جورنال Wall Street Journal

والثالثة تحول وتصير أكثر أهمية، مع كل تشكيل أو تنظيم، حتى أن الأمر ما زال موجوداً في حقيقة أنه ما زال هناك الكثير من المسلمين والمسيحيين، وغيرهم من المترجمين عملياً، والكثير مرتبطون بصدق، في أن يشاركوا في حوار مثمر وبناء، وعلينا نحن المسلمين والمسيحيين في روح هذا الحوار أن نتكاتف ضد أي تشويه أو تصوير لدينا وكل معتقداتنا، وأن مرصد الإعلام يتجنب البحث عن الإثارة. وما يعتقد الصحفيون أن الناس يودون سماعه، والاهتمام بدلاً عن ذلك بالحقيقة، ولو كانت مملة. فلمدة الأولى، في تاريخ غرب أوروبا وأمريكا الشمالية، على الأقل منذ سقوط غرناطة في 1492م، فإن المسلمين واليهود والمسيحيين، وأهل الملل الأخرى، يعيشون متجاورين، ويتشاركون المدارس والمستشفيات وأماكن العمل، وحتى المدافن، حتى أنه وفوق كل شيء، علينا أن نتشارك عالماً واحداً، يصغر كل يوم بواسطة وسائل الاتصال والمواصلات. فإنما نجد مكان العمل نتيجة فيه نحن وأبناؤنا من بعدنا. هذا لا يمكن لنا أن نتوصل إليه إلا ونحن متساوون كأعضاء في الأسرة الإنسانية الواحدة. والقرآن يؤكد لنا هذا في قوله:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (سورة الحجرات: الآية 13)

[illegible]



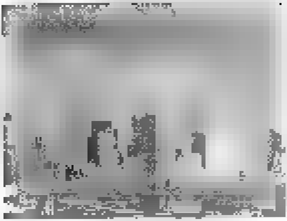
[illegible]

وكانت في كل ممارساتها وشعاراتها تنطلق من العداء الغربي المعهود للإسلام والمسلمين وتنتظر الفرصة المناسبة لكي تعبر عن نفسها، وتبرز ما في جعبتها من الأفكار والاتهامات والأقاويل.

[illegible]

ولعل الدراسات العلمية الموثقة والرسائل الجامعية التي بحثت في إشكالات هذه الهجمة الإعلامية قد عرفتنا على أصول هذا العداء الغربي للإسلام، والدوافع التاريخية التي امتد إليها، وتلك الصورة النمطية المشوهة التي قام الإعلام الغربي برسمها وتعميمها، منطوية على أسس ثأرية تاريخية قامت بتعميمها الحركة الصهيونية التي [illegible] ينظر الغرب إلى العرب والمسلمين بعيون إسرائيلية والتي كانت وما تزال ترى من مصلحتها إلصاق صفات الإرهاب والهمجية والعدوانية بالعرب والمسلمين، وذلك بصرف الأنظار عن الطبيعة الإرهابية للحركة الصهيونية التي تشكل الغرب قاعدة حامية لها، في كل مخططاتها ومحاولاتها الاستيلاء على فلسطين، وإحكام السيطرة على العالم العربي ومقدراته وموارده.

لقد قدم العديد من الباحثين والمفكرين العرب - المقيمين في الغرب، أو الدارسين في جامعاته من المسلمين والمسيحيين على حد سواء - دراسات معمقة، بيّنوا فيها طبيعة النظرة الغربية التي تزدري العرب والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية، التي تتميز بالقوة وسعة الانتشار والهيمنة الاحتكارية متمثلة في مؤسسات إعلامية ضخمة تستخدم الأموال الطائلة وتمتلك العديد من الأصول الإعلامية داخل المؤسسة الواحدة، حيث يلعب الإمبراطوريات الإعلامية التي تتنوع مجالات عملها واستثماراتها في الصحافة والإذاعة المرئية والمسموعة والصناعة السينمائية، وهي بهذه القوة التي تمتلكها، تحكم السيطرة على الرأي العام الغربي، الذي لا يستطيع الإفلات من تأثيرها، خاصة إذا عرفنا أن هذا الرأي العام لا يجد مصادر أخرى لاكتساب المعلومات، إلى جانب الستار المحكم الذي تضربه جماعات الضغط (اللوبيات الصهيونية) متحالفة مع الجماعات المسيحية المحافظة والمتشددة التي تعرف أن تكون في



قمة صناعة القرار السياسي الأمريكي في عهد الرئيس الحالي جورج بوش، إضافة إلى الغياب الإعلامي العربي والإسلامي، عن مواقع التأثير في الرأي العام الغربي، إما افتقاراً للاستراتيجيات الإعلامية العربية والإسلامية، أو عدم توفر الإمكانيات التي تصنع إعلاماً عربياً وإسلامياً قادراً على الوصول ونقل الحقائق إلى شرائح الرأي العام الغربي.

لقد وجد الإعلام الغربي، والأمريكي على وجه الخصوص، من أحداث الحادي عشر من سبتمبر فرصته التي استغلها، ويطلق لنفسه العنان، ويجمع قاموس العداء للعرب والمسلمين، مطلقاً في أبواق الحرب الإعلامية التي كانت مواكبة للحرب العسكرية والاحتلال العسكري لكل من العراق وأفغانستان، وقد جاءت مصطلحات هذا الإعلام وشعاراته مبنية على ترسيخ العرب على الإرهاب، ويقصد به الإرهاب العربي والإسلامي، دون تفريق بين عربي ومسلم أو تفريق بين التصرفات الفردية التي تعبر عن جماعة أو تنظيم معين، وبين العرب والمسلمين كافة. فكل العرب والمسلمين في نظر الإعلام الغربي هم إرهابيون في نظر الغرب وهم وراء المصائب التي تحدث بمصيرها، متناسياً الإعلام الغربي أن الإسلام، عند الجميع، وأن الإسلام هو دين الرحمة والمحبة، وهو لا يقر العدوان والإرهاب، ولا يقر الانتحار، ولا يقر قتل النفس التي حرّم الله قتلها إلا بالحق. ولعل هذه السياسات

الأمريكية والأوروبية المتحالفة معها، بما تفرزه من الظلم، وما تمارسه من الاحتلال والقهر، إنما هي التي توجد البيئة الملائمة للإرهاب والتطرف. وهل يظن المحتل أنه سيقابل استقباله بالورود، وهو يدمّر ويقتل ويحرق الحاضر والمستقبل؟ أليس حقاً مشروعاً لكل من يخضع وطنه للاحتلال، وكرامته للإهانة، أن يقاوم هذا الاحتلال؟ أليس هناك فرق واضح بين المقاومة والإرهاب؟

لقد بدا من ممارسات الإعلام الغربي وتصوراته أنه يجهل الإسلام أو يتجاهله، كدين إلهي سماوي، تقوم رسالته على الحرية والتسامح والتعايش ونبذ العنف، بينما يقوم هذا الإعلام، الذي يوظف نفسه في خدمة الآلة الحربية الإمبريالية، بإلصاق التهم بالإسلام كدين، وبالمسلمين جميعاً. وأصبحت صفة المسلم الرئيسة عنده تعني «الأصولية والإرهاب» وبدا وكأنه تسابق إعلامي أوروبي وأمريكي على نعت الإسلام بما ليس فيه، ونعت المسلمين بأبشع الصفات، حيث يتم نعتهم، وسط عبارات التحامل والازدراء والاحتقار، بوصفهم متعصبين منغلقين أغبياء، جامدين ومتخلفين، عنصريين وقتلة، لا حقوق للإنسان عندهم، وهذا الدين الذي يعتنقونه يعادي الغرب، ويهدد حضارته بالفناء، وهو دين يتصف بالاعقلانية ويمتلك أتباعه نفس فيه أي وجه للديمقراطية وحرية الرأي، ويتجاهل الحقوق المدنية للأفراد، وفي البلاد الإسلامية يتم قمع الأقليات غير المسلمة، ومن ذلك إدعاء الإجحاف بحقوق الأقباط المصريين، كما يزعم الإعلام الغربي علماً بأن هناك نفياً مستمراً لذلك من باب الأقباط، فيرده الثالث، والعالم الإسلامي، كما يردد هذا الإعلام الغربي، أن الإسلام دين تعشش فيه الخرافات، ومؤمنين يقوم على الأساطير.

وقد سمح الإعلام الغربي لنفسه بالتطاول على النبي محمد ﷺ، الذي يزعم أنه لم يأت بحقيقة

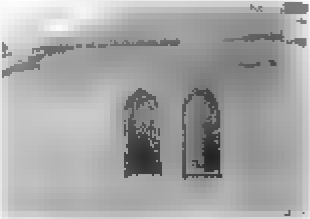


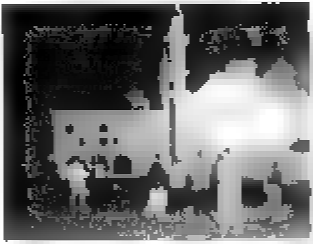
جديدة في دينه كما يقول هذا الإعلام، وأن ما جاء به ليس أكثر من خرافات وحكايات مزيّفة لا صلة لها بالسماء، بقدر ما هي ديانة محاربة، تحضها على القتال ضد الآخرين، وقد تمادى هذا الإعلام الغربي في عدوانيته بما نشرته صحفه من الرسوم الساخرة الكاريكاتورية التي تمارس التشنيع والإساءة للرسول الكريم ورسالته، وهو ما أثار العالم الإسلامي بأسره، والذي اعتبر مثل هذه الرسوم نوعاً من الحروب النفسية وضرباً لمقدساتهم وما يمتلكونه من الوجدانيات والمشاعر.

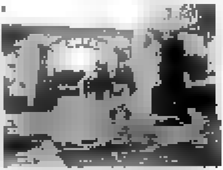
ومن البديهي القول إن هذه الممارسات العدائية لم تنطلق من فراغ، بل هي تعبّر عن بيئة سياسية وفكرية معادية، وجدت لها مناخاً مواتياً بعد أحداث 11 سبتمبر الأمريكية، وما رافقها، وما نتج عنها من أعمال ومواقف وتصريحات للإدارة الحاكمة في واشنطن، ومن يتحالف معها ويروّج سياساتها من سياسيين ومفكرين وإعلاميين في الدوائر الأمريكية والأوروبية.

إن هذا المناخ المواتي للعداء، الذي كان للإعلام الأمريكي والغربي دور في صنعه وصياغته، أتاح للرئيس الأمريكي أن يتحدث عن حرب









صليبية جديدة، ويطلب عتاد حديثاً في القدس، ويعود يتحدث عن إيحاء إلهي بحربه ضد الإرهاب، وعن الدول المارقة والدول التي تشكل محور الشر، وعن إمبراطورية إسلامية عالمية يسعى المسلمون إلى تكوينها.

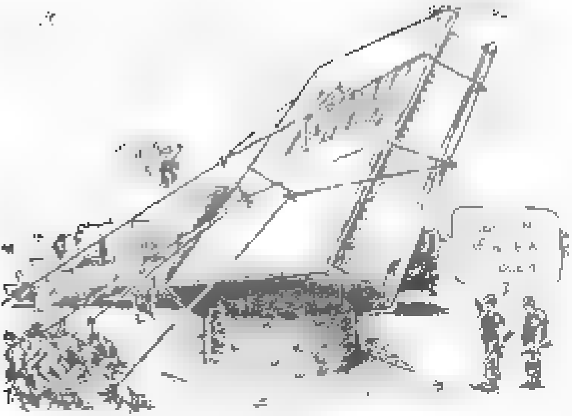
وفي هذا الأجواء بدأ الكثير من القادة والساسة أن ينهجوا نهج الرئيس الأمريكي، وأن يدلوا بأقوال مشابهة، وكان من بينهم (برلسكوني)، (ليس ويز) الإيطالي السابق، والنائب الأمريكي الجمهوري (توماس تانكريدو) الذي تحدث عن إمكانية تدمير مكة [illegible] إن تطلب الأمر.

وهكذا أصبح الإسلام هو العدو الأكبر للغرب بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ومعسكره الشيوعي، وهكذا سمح الغرب لنفسه أن يحشد قواه الفكرية والإعلامية في وجه هذا العدو الإسلامي.

ففي العراق كانت ممارسات الجنود الأمريكيين وحشية ضد الأبرياء، والتعذيب المريع للمعتقلين في سجن (أبو غريب)، وفي قاعدة غوانتانامو كان تدنيس المصحف الشريف على أيدي المحققين والضباط والجنود الأمريكيين.

وفي الإعلام يشتد الخطاب المعادي بكل ما هو مسلم [illegible] استخدام الرسوم المسيئة ضد العرب والمسلمين، إضافة إلى ممارسات عدوانية كثيرة منها على سبيل المثال:

- حرق عدد من المساجد في الولايات المتحدة الأمريكية.
- تخريب الساحات التي يصلي فيها المسلمون.
- رمي المخلفات الحيوانية على المساجد.
- الشعارات التي تدعو إلى قتل جميع المسلمين.
- النيران التي يتم إشعالها في متاجر المسلمين.
- الاعتداء على قبور المسلمين وتحطيمها.
- استخدام شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) للهجوم على الإسلام والمسلمين.



وفي هذا الجو المسموم من العداء، نجد أن هناك تجاهلا تاما لدور الحضاري التاريخي الذي لعبه المسلمون وما قدموه للحضارة الإنسانية والحضارة الغربية الأوروبية على وجه الخصوص من مساهمات علمية وفكرية لا يمكن إنكارها، يوم كان المسلمون ومنهم سباقين للعلم والحضارة في العالم.

ونجد أيضا أن هذه العقلية الغربية العادية غير قادرة على استيعاب الأسباب الكامنة للإسلام في العالم العربي المعاصر، وحرص المسلمين الذين يعيشون في المجتمعات الغربية على التمسك بتعاليم دينهم وبتقاليدهم التي تراعي مبادئ الإسلام وفضائله، وأن هؤلاء الغربيين الذين يتحدثون في إعلامهم ومواثيقهم على الحريات الشخصية، والحريات الدينية إلا أنهم فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين يؤمنون بالتدخل والقمع والتضييق، وهو ما يعني ازدواجية المعايير والتناقض بين القول والممارسة.

ويقوم الإعلام الغربي بإضعاف الجاليات المسلمة وزعزعة صفوفها، بنشر الشائعات واختلاق وفبركة الأخبار، بل هناك مخططات لإقامة الخلافة الإسلامية في بريطانيا، وكذلك إشعال فتيل الفتنة بين صفوف هذه الجاليات فلا يتم الحديث عن الإسلام كدين واحد متكامل للمسلمين كافة، بل يتم التركيز على إيجاد مسميات وتقسيمات لا حصر لها، كالحديث عن إسلام أوروبي، وإسلام بريطاني، وإسلام ليبرالي ... إلخ.

وتقوم وسائل الإعلام الغربية عند بث رسائلها الإخبارية المتعلقة بالشؤون العربية والإسلامية بربط الأخبار والأحداث بالانتماءات الطائفية والعرقية سعيا منها لتكريس الطائفية والمذهبية، وإظهار العالم العربي والإسلامي بأنه عالم ممزق، مكوناته متناحرة متحاربة، وذلك لصالح الأبواق الصهيونية الغربية والاستعمار الغربي.



من مشاهد احتلال العراق

ويركز الإعلام العربي الذي تغذيه وكالات الأنباء العالمية التي تسعى لتمرير تجربة الفكر والرؤية المتحدة، فيما يختص بأحداث العالم العربي والإسلامي على الأحداث السلبية والمأساوية التي تصور [illegible] الأمنية والعراقية [illegible] معنى الإساءة، ويثير الخوف والرعب. وكأن هذا العالم العربي والإسلامي يختلف عن سائر العالم كله الذي لا يخلو أي بلد فيه من الحوادث الأمنية والجماعات [illegible] وهذا التركيز الإعلامي الذي يعتبر المصدر الرئيسي بمعلومات الإنسان الغربي ومعارفه عن العرب والمسلمين، يخدم صورة العرب والمسلمين لدى الغربيين وتسمهم بالعنف والهمجية، وهي أبعد ما تكون عن الصحة.

وبعد مرحلة الاحتلال الأمريكي للعراق وأفغانستان، يجد الإعلام العربي نفسه غارقًا في العبارات والمصطلحات التي لا تمت لها من الواقع ولا تعبر عن حالة التحرير والديمقراطية، بينما واقع الحال يشير إلى تكريس الاحتلال والقهر، وفتح أبواب جهنم للاقتتال الطائفي تحت سمع الاحتلال وبصره الذي يتبنى سياسة فرق تسد، ويوجه بوصلة العداء [illegible] الأخيرة [illegible] الأمة.

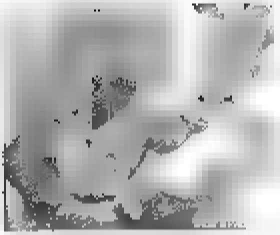
ويتبنى الإعلام العربي [illegible] مصطلح الشرق الأوسط [illegible] تحويل الوطن العربي إلى دويلات طائفية ومذهبية متناحرة، تكون فيها السيادة والقوة لدولة اليهود. وذلك كله بالطبع حماية للدولة الصهيونية حتى لا تظل جسماً غريباً مستلنبا داخل العالم العربي والإسلامي.

إن هذا الإعلام العربي، الذي وجد ضالته في الهجوم على العرب والمسلمين تحت شعارات ومصطلحات صدرها لنا (أمريكا) ومثيلاتها لا يسمح

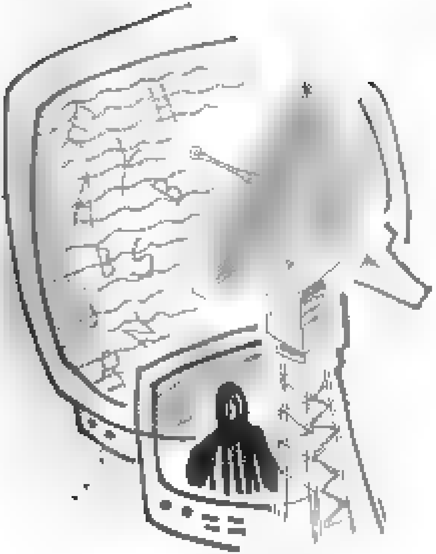
لنفسه بقبول الرأي الآخر ويقوم بكل ما اوتي من آلة اعلامية بقمع الأصوات التي تدعو الى الاعتدال في النظر الى العرب والمسلمين، والى النظرة المتوازنة تجاه التعايش بين الثقافات والحضارات وتكاد هذه الاصوات لا تجد لها مكاناً وسط هذا التجييش المعادي، فضلاً عن ان هناك اعترافات كثيرة معلنة تؤكد زيف التبريرات التي بنيت عليها الكثير من السياسات والقرارات خصوصاً فيما يتصل بالحرب العدوانية على العراق.

ولعل الحركة الصهيونية والإعلام التي تملكه او الذي يحسب لها لا يرى مجالاً للرجوع عن الخطأ، وقد بنى في الخطأ والاتجاهات الجوفاء ويصر على ان يبقى الغرب أسيراً له في ايدي الحركة الصهيونية ومنظماتها التي يعرفها الفرنسيون، امريكيون واوروبيون، سطوتها في صنع الشخصيات وملاحقة المفكرين وابتزازهم ومنع السماح لأي منهم بالاقتراب من الصهيونية وانتقاد مشاريعها ومخططاتها واساطيرها، وذلك تحت شعار معاداة السامية، والامثلة على ذلك كثيرة لا مجال لذكرها.

ويقف في الجانب الآخر في العالم العربي والإسلامي، شخصيات وهيئات ووسائل اعلامية مطالبون بالقيام ببث الرسائل الإعلامية النابضة بالحياة والقوة الناشرة لحقائق الإسلام وابطال الصورة المشوهة لاركان الإسلام وفضائله بإعتباره رسالة السلام الى الناس كافة، مستفيدة من التطورات الهائلة التي تتمتع بها صناعة الإعلام المعاصرة التي تستطيع ان توظف تقنيات تكنولوجيا الاتصال المتطورة ووسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية وكذلك الصحافة الالكترونية مستخدمة اللغات الأجنبية الحية الى جانب اللغة العربية ليوصلوا الى سائر انحاء المعمورة ومخاطبة كل من يرغب في استقبال هذه الرسائل الإعلامية لمعرفة هذا الدين وما قدمه المسلمون عبر التاريخ ومعرفة الظلم الذي يقع على



المسلمين اليوم من جانب القوى الصهيونية والاستعمارية العالمية التي تلك الحقائق وتشوه الصورة وتجعل من الجلاد ضحية وتسمي الاحتلال تحريراً، وان يركز هذا الاعلام العربي والإسلامي كل جهوده في عرض بعض التصرفات غير المسؤولة التي تقترفها بعض العناصر او التنظيمات باسم الإسلام عن عالم الإسلام والمسلمين، وان يحشد جهود هذا الإعلام العربي والاسلامي على تكريس مفهوم التعايش والحوار وان يتاح الفرصة للمفكرين العرب والمسلمين الذين يعيشون في الدول الغربية والإمكانيات التي تسمح لهم بنشر الحقائق التي يحملها الإعلام العربي نفسه وصولاً إلى الرأي العام الغربي، الذي جعله الإعلام الغربي والته الخطيرة ضحية للأفكار والتشويهات منذ طويلاً وان يكون سبب الوعي بالإعلام وأهميته ودوره لقطع الطريق على الدعاية الإعلامية الغربية التي تقوم بنسج اهدافها ومخططاتها الرسمية الحركة الصهيونية والدعاية الإعلامية بجهود حثيثة وبث ثروة الوعي وترسيخ الوعي عند شعوبنا وكذلك الوعي بأهمية الإصلاح الداخلي، الذي يجب ان يتسع من سياستنا بنهج من حقوق الانسان والديمقراطية في بلداننا وكذلك حرية الرأي والقول في اطار التعددية الفكرية بعيداً عن التدخلات الخارجية والنصائح الاجنبية التي قادت دائماً إلى اشعال الفتن والحروب الداخلية



الإعلام الإسلامي

بين إشكالية المتغيرات والحفاظ على الثوابت

نائلة محجب*

يعيش الإعلام الإسلامي تحديات لم تواجهه طوال العقود الماضية، لما شابها من إشكاليات* وحوادث غيرت صورة العالم الجديد. فقد أفرز الواقع الإسلامي والعالمي نوعاً من مجموعة تحديات لمسائل الإعلام الإسلامي ربما لأول مرة بهذا الشكل وبهذه الطريقة.

* كاتبة سورية

* الإشكالية: ... شكل الشكل واستشكل الأمر: أي التبس، وتستعمل على الفهم، فلا يدرك المعنى إلا بدليل، أو هي قضية تعتمد في صدقها أو كذبها على قضية لم يبرهن على صحتها بعد. (التحرير)

حولوا العرب لخصوم وشهود القرن الجديد كانت الدول تنشغل بالاستعمار تسلب وتنهب بمعظم مساكن العالم الإسلامي الإعلامية وتعرض ولا يمكنه بأي حال من الأحوال أن يبرر الاستعمار من سيادة التخلف والجهل ومن استخدام الموارد التي يحظى بها العالم الإسلامي الآن الفريد في الأمر أنه بالرغم من استقلال دول العالم الإسلامي وخروجه عامة عن عباءة الاستعمار ما يزال تأثيره واضحا في عالمنا الإسلامي الآن الصورة اختلفت عما كانت عليه في أواسط القرن العشرين فقد أصبح عدد من حكوماته ومؤسسات العالم الإسلامي تساهم إلى حد كبير في ممارسة ما كان يمارسه الاستعمار سواء كان عن قصد أو عن غير قصد فالاتصال والإنترنت الى قنوات فضائية جمعت من الأمة الإعلامية أنه تصنع ما هو بعيد عن القيم وأسسها ومبادئها فهي أسماء متعددة مؤسسية علاقية عربية غير حكومية تظهر فيها أن الإعلام الإسلامي لا تشكل وسائله سوى 2% من مجموع الوسائل الإعلامية الأخرى المقروءة أو المسموعة أو المرئية وأظهرت تلك الدراسة بالإضافة الى ذلك نسبة متدنية له مقارنة بعدد المتابعين لوسائل الإعلام الأخرى إذ إن نسبة المتابعين له تتراوح من 1% إلى 2% وعند البحث في أسباب تدني هذه النسب نجد أن ثمة إشكاليات كثيرة يعانيها الإعلام الإسلامي جعلت الكثيرين يتوانون عن متابعته وعدم الاهتمام بما ينشره ويطرحه ومن أهم هذه الأسباب عدم محاكاة الواقع الذي يعيشه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ومحاكاته عكس الواقع بشكل مغلوط بالإضافة إلى أزمة الموقف من أن يتحول الإعلام الإسلامي إلى أداة بيد ما يسمونه الحرب على الإرهاب

> شهدت وسائل الإعلام تطورا كبيرا إلى تقنية الترفيه الذهبية هنا وهناك وهذا كله استهدف المسلمين ومقدراتهم على حساب [illegible] تحت وحرب [illegible]

الإسلامي وذلك عن طريق تسخير عدد من الوسائل الإعلامية الإسلامية أصبحت أداة لتمرير خطط تدمير الإسلام من الداخل بحجة التطرف وإثارة سلفيات لا طائل منها سوى تشتيت العقل المسلم وإبعاده عن فحوى رسالته الحقيقية

المتغيرات وإشكالية التعاطي معها

لا ينكر أحد أن السنوات العشر الأخيرة شهدت متغيرات كثيرة على مسرح الدولي بدأت بظهور نظام الحرب على الإسلام ومن ثم الحرب على عدد من دول العالم الإسلامي والتضييق على المسلمين واستهداف معتقداتهم وشعائرهم الدينية وتشويه أفكارهم وثقافتهم والحرب على الإسلام بطريقة حديثة باحتلال بعض دوله وسحق مقدراتها فاستهداف العالم الإسلامي قديم لكن تحت شعار مصالح الدول تحت شعار نشر الحرية والديمقراطية فإلى أي مدى وصل الإعلام الإسلامي مع هذه المتغيرات المتسارعة التي تمر بها المسلمون؟

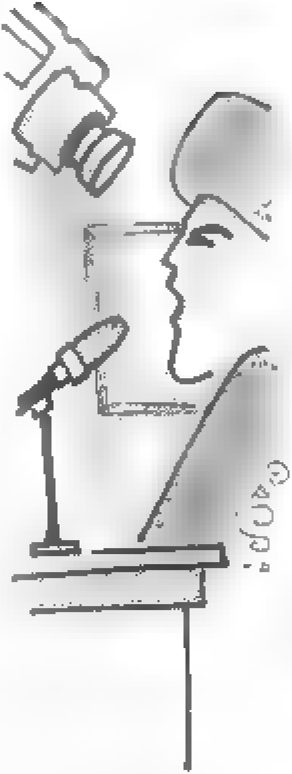
لقد أحدثت أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م في أمريكا أن الإعلام الإسلامي لم يجد سبيلا حقيقيا عن طرح قضاياه بشكل واضح وأصبح علامة قلق يتحاشى الدخول في صلب مشكلة قضيته أو يطرح وجهة نظره فظهر وكأنه بلا هوية والأحداث تلك لا تمسه من قريب أو من بعيد بالرغم من أن المتهم الأول في تلك الأحداث جماعة من المسلمين فأعطى الإعلام الغربي قوة على حساب الإعلام الإسلامي الذي بدأ مشككا أحيانا بما يقال عن الإسلام والمسلمين من تشويهات وحجم التشويه هذه لم تكن تكفي بل على العكس أتت ولذلك بسبب غياب الإعلام الإسلامي الناضج الذي يواجه مثل تلك

الإشكاليات، دون خوف أو وجل. وفي ظل هذه المتغيرات كان الإعلام الإسلامي سلبياً، إلا بعض الوسائل الإعلامية التي لا نستطيع القول إنها مارست هذه السلبية، بل وقفت بكل ما أوتيت من مقدرات ضد الهجمة على الإسلام، وذلك بإظهار روح الإسلام السمحة وقدرته على التعاطي مع مختلف المتغيرات والظواهر الطارئة.

بالإضافة إلى ذلك، لم يكن لكثير من وسائل الإعلام الإسلامي موقف محدد من الظلم الذي لحق بعدد من الدول الإسلامية، وذلك بسبب الخشية من إدراج تلك الوسائل في قائمة الاستهداف، من قبل أعداء الإسلام، الأمر الذي أدى في واقع الحال إلى النظر لتلك الوسائل على أنها تمارس دوراً لا يقل خطورة عن وسائل إعلام أعداء الإسلام، وذلك بممارسة حياديتها. وكان من نتيجة هذه الحيادية ابتعاد جمهور المسلمين عن عدد من وسائل الإعلام الإسلامية، مع العلم أن أهم قاعدة لإعلام ناجح، هي محاكاة الواقع وتحليله.

ومن ناحية أخرى، فإن أحد أهم المتغيرات هو الصراع الذي قد يحدث بين عدد من المذاهب الإسلامية على أراضٍ إسلامية، بالإضافة إلى أنه لم يكن هناك أي واضح من هذا الصراع، وفي غياب هذا الموقف خصصت وسائل إعلام مشبوهة، في تغذية النزعات المذهبية هنا وهناك، وهذا كله استنزاف للمسلمين ومقدراتهم، على حساب بروز قوى أخرى وتكريسها وهذا ما أدى إلى ابتعاد كثير من المسلمين عن وسائل إعلامهم، لأن الدور الموضوعي المنوط بالإعلام الإسلامي أصبح شيئاً ثانوياً في هذا الإعلام.

ومن هنا نرى أن الإعلام الإسلامي لم يؤدِّ دوره كما يجب مع المتغيرات الدولية، بل كان سلبياً بالتعاطي معها، وهذه إحدى أهم الإشكاليات التي يعانيها الإعلام الإسلامي، التي لا نريد ما بقي هذا



الإعلام تغيب عن واقعه ولا يحاكيه بلغة عصرية مفهومة وواضحة للواقع.

الثوابت وكيفية المحافظة عليها

ثمة ثوابت للإعلام الإسلامي لا يمكن أن تتغير أو تتبدل بالتقادم. ومن أهم تلك الثوابت المحافظ على الدعوة والتبشير بالمجتمع الذي تسوده العلاقات الإسلامية. فالمؤسسات الإعلامية الإسلامية كما الأفراد مطالبون دوماً بالدعوة للإسلام، وتقديمه حلاً لمختلف الإشكاليات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. والإسلام لم يكن في يوم من الأيام غير ذلك. إن الإعلام الإسلامي مطالب بتقديم الإسلام على هذه الصورة لا كما يروج له البعض بأن يظهر الإسلام بعيداً عن الفطرة السوية ويقدمه للبشرية كما قدمه يوماً الرسول الكريم ﷺ وصحابته رضي الله عنهم.

> ما دور الإعلام في تصحيح الصورة السلبية التي ألصقت بالإسلام والمسلمين؟

ومن هذه الثوابت عرض المفاهيم الإسلامية المعاصرة، حتى لا يقال إن المسلمين لا يستطيعون طرح أفكارهم ومعتقداتهم بشكل عصري، فالإسلام واحد ثابت ومتطور في آن واحد، ويحاكي الركب الحضاري ويتواءم معه بل ويرقيه بمفاهيم العدل والمساواة والتسامح وغيرها من مفاهيمه الخلاقة.

ومن الثوابت الإسلامية أيضاً عدم التفريط بالحقوق والتأكيد على الواجبات. وهذا ما يقرب المجتمعات الإسلامية من إعلامها الإسلامي ويجعلها تلتف حوله لأنه يحاكيها ويؤكد على حقوقها ويذكر بالتزاماتها وواجباتها. وهنا يكسب الإعلام الإسلامي الـ مصداقية مطلقة لأن من يلامس الواقع يعبر عن الواقع، يقترب من الشعوب وتقترب الشعوب منه.

كما أن نشر مفاهيم الأمة والجماعة ونبذ المصطلحات التي تشيع التفرقة بين أبناء الدين الواحد يجب أن تكون من الثوابت التي لا تراجع عنها ولا تهاون فيها، بالإضافة إلى التنبيه بشكل دائم وعدم التغافل عن الرد على المتطرفين، الذين يحاولون نشر الفرقة بين المسلمين لأسباب سياسية. فإلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام والتبرير للجريمة الكبرى التي يرتكبها عدد من مؤسسات الإعلام في العالم الإسلامي بحق الإسلام والمسلمين هو السكوت عن التشويه. ولهذا يجب أن يكون الإعلام الإسلامي السلاح الأول في مقاومة الحملات التي تستهدف العالم الإسلامي إعلامياً وثقافياً.

ومن الأمور الهامة أيضاً في مستقبل إعلام إسلامي ناضج وناجح، مخاطبة غير المسلمين وبلغاتهم المختلفة والتأكيد على أن ثقافة الإسلام ليست ثقافة إقصائية كما يروج لها البعض بل التأكيد على أن الإسلام لا يلغي الآخر بل يحاكيه في المنطق، فالعادات والتقاليد يجب أن لا تقيد حرية الإنسان إلا أن تكون حريته وبالاً عليه. وعليه فالتذكير في هذا الوضع والإرشاد في هذا المنظور بالتجربة الراشدة التي تخوضها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بوسائل إعلامها في تقديم الإسلام وشرح مفاهيمه وتبديد مخاوف غير المسلمين، مهما كانت معتقداتهم أو لغاتهم، من الإطلاع على هذا الدين الذي لا سبيل لخير البشرية دونه.

وأخيراً، وليس آخراً، إن تحديات الإعلام الإسلامي كثيرة وفي مشهد جديد يجب أن نأخذ بعين الاعتبار مع الحفاظ على الثوابت حتى يستطيع الإعلام الإسلامي جمهور المتابعة بشكل أكبر من قبل الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية.

التواصل

مجلة فصلية ثقافية تتناول بالدراسة والتحليل

عددا من القضايا والموضوعات مثل:

- الصحوة الإسلامية: حاضرها ومستقبلها
- الدعوة: المناهج والمواقف
- الاجتهاد والتقليد
- المسلم المعاصر في مواجهة التحديات
- الشرق والغرب: جدلية الزمان والمكان
- أصول الفقه الإسلامي: بين إبداع الأوائل وتقصير الأواخر، الحاجة إلى تطوير علم الأصول
- مناهج التفكير بين الخلق والاستيراد
- علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) الثقافية والاستعمار
- الإنسان المعاصر: دعوة إلى صناعة غربية (أنسنة الآخر)
- آداب الجدل والحوار
- المسلمون والاستعمار الجديد
- الفنون والمحتوى المفقود
- مرتكزات الهوية ووسائل الحفاظ عليها
- الإعلام والدعوة
- الاقتصاد الإسلامي
- العولمة واستبعاد الآخر (الجانب الديني والاقتصادي والاجتماعي والسياسي).
- بين الرعية والمواطنة: تحديث السياسة الشرعية
- أوهام النهايات:
  - نهاية التاريخ،
  - نهاية الاستشراق
  - نهاية الدولة
- التغريب والتحديث
- صراع الأنا والآخر
- الحركات الإسلامية المعاصرة: نظرة موضوعية
- فقه المتشابهات: إلى أين؟
- الإرهاب صناعة غربية
- حرب المعلومات
- خرافة العالم الجديد
- المجامع الفقهية: لماذا؟ وإلى أين؟
- الإسلام: من النص إلى المؤسسة
- الاستشراق تأثره وتأثيره.
- حوار الحضارات
- مقارنة العقائد
- الحوار بين أتباع الرسالات
- الصحوة الإسلامية: رؤية مستقبلية

هذه دعوة

لجميع المختصين للمساهمة في مناقشة وعرض وإثراء هذه المواضيع وغيرها عبر مجلة التواصل.

د.علي يعقوب

● لغة الإسكيمو وعلاقتها باللغة العربية

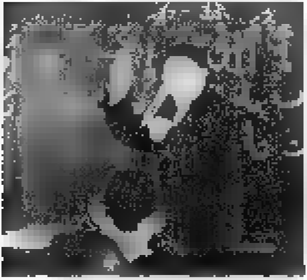
إسهام الصينيين في تدريس اللغة العربية

بقلم: علي عبد السلام ما شاو يين*

لقد دلت الحقائق التاريخية على أن العلاقات التي وقعت متبادلة بين أهل الصين الصينية والعرب منذ زمن مبكر لا تزال تتطور وترتقي منذ أكثر من ألف عام، فلقد بدأت حركة التبادلية المباركة أهل الصين مباشرة بتعليم اللغة العربية. ومن جانب آخر قد ثبتت العلاقات الصينية العربية ثبوتاً متيناً حتى يومنا هذا. إن إسهام أهل الصين في الحضارة العربية الإسلامية له تاريخ عريق حيث إنه حقل العلاقات العلمية والتجارب العلمية في تبادل الرؤى بين الطرفين، ولم يكن تعليم اللغة العربية من مكونات تاريخ تعليم اللغات الأجنبية في الصين فحسب بل من أهم مصادر العلاقات الودية بين الصين والعرب.

العلاقات الصينية العربية حتى أواخر القرن 13

وتمتد العلاقات الصينية العربية بعيداً في أعماق التاريخ، وفي عهد أسرة هان أي قبل ألفي عام وجدت أوليات الاتصال بين الصين والعرب. وفي عهد أسرة



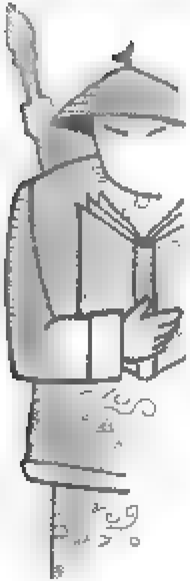
هان الغربية (206 قبل الميلاد - 25م) أرسل امبراطور الصين مبعوثه لتشانغ تشيان مرتين إلى البلاد العربية حيث وصل إلى العراق والشام وغيرهما من المناطق العربية، وكان تشانغ تشيان ومرافقيه أول من رحلوا من الصين بصفة رسمية إلى تلك المناطق، حيث قاموا بالاستطلاع الميداني وربطوا بين خطوط المواصلات بجهودهم المستمرة. وبعد تشانغ تشيان وفي عهد أسرة هان الشرقية (25 - 320 ميلادي) قد أرسل بان تشاو (قان ينغ) مرتين بمثابة المبعوثين

* باحث وأستاذ جامعي، الصين.

(1) يرجع إلى: تاريخ العلاقات الصينية العربية، تأليف د. مصطفى المغاربي، المركز العربي للمعلومات، [illegible] [illegible] 2004 م.

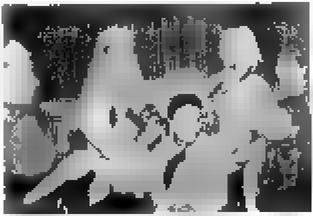
الـرحّالين إلى الأقاليم وراء حدود الصين الغربية وقد حصلا على معلومات كثيرة عن العرب[3] منها ما يتعلق باللغة العربية.

وفي عهد الأسرتين الملكيتين تانغ (618 ـ 907 ميلادي) وسونغ (960 ـ 1279 ميلادي)، كثرت الاتصالات بين الصين والعرب يوماً بعد يوم، ووفدت الى الصين مجموعات كبيرة رسمية وغير الرسمية من وفود العرب كالتجار. الذين استوطن بعضهم بالصين بشكل دائم حتى تكونت الجاليات العربية والإسلامية في كل من مدينة كانتون وتشيوانتشو وهانغتشو ويانغتشو وغيرها من المدن الساحلية في جنوب شرقي الصين، وسكنوا حول المساجد التي بنوها بأيديهم في الأماكن المعينة، لأجل تسهيل حياتهم اليومية. ومع تقدم التبادل والاتصالات بين الصين والعرب ودخول الإسلام في أرض الصين مع اللغة العربية أصبحت للعرب المسلمين أحياء خاصة بهم منذ ذلك الوقت. وبجانب ذلك قد اكتشف الإدريسي الجغرافي (1100/1165م) في كتابه الذي سجل فيه حول العالم تحت عنوان نزهة المشتاق في اختراق الآفاق بأن السفن الصينية كانت تصل إلى مدينة عدن من وقت الى آخر[4] ولذلك يمكن أن أقول إنّ الصين من أقدم البلاد في العالم التي دخلت فيها اللغة العربية والحضارة الإسلامية. وأن التفاهم بين أهل الصين والعرب من بدايته قد تمتع بامتيازات من قبل حكومة الصين في مجال السياسة والتجارة[4] وبعد دراستنا للتاريخ وجدنا أهل الصين قد جالوا أرض العرب في منتصف القرن الثامن الميلادي وحصلوا على كثير من المعلومات عنها فكتب بعضهم كتاباً شهيراً باسم «مذكرات في ديار الغرب» حيث أصبح هذا الكتاب مصدراً للمعلومات عن العرب بذلك الزمن. وقد صار المؤلف وهو دو هوان، هو أول من عرف الناس بأحوال العرب بما سجله صادقاً[3] وهو كذلك أول من ساح في أرض العرب في تاريخ الصين



- ما مينغ ليانغ: التفاعل بين الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية تاريخه ومستقبله، ص[13]، دار العلوم الاجتماعية الصينية، 2006 م
- قوه يينغ ده: تاريخ العلاقات الصينية العربية، الدكتور مصطفى السعدني، المركز العربي للمعلومات، ط1، 2004 م
- انظر: محمد تشيه وينغ جون: دراسات حول تعليم اللغة العربية في الصين قديماً وحديثاً، دار العلوم الاجتماعية الصينية، ط1، 2006 م
- ما مينغ ليانغ: التفاعل بين الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية تاريخه ومستقبله، ص، دار العلوم الاجتماعية الصينية، 2006 م

القديم. وجعلت هذا الكتاب قد ذكر المواقع الجغرافية والمناخ والعادات والتقاليد في كل مناطق العرب التي زارها، وليس فيه ذكر دقيق عن الإسلام[10]. ومع انه لم تمض إلا مدة وجيزة حتى ازداد التعامل بين اهل الصين والعرب ازدياداً كبيراً، وازدهر التبادل بين العاملين المختصين عبر البحار. كثير من الملاحين عرفوا أحوال الشعب العربي بعد سفرهم الى تلك المناطق بما شاهدوا عينا وبحثوا فيه وفهموه عقلا. ومن المشهورين المؤلف تشو تشو الذي ألف "دليل ما وراء الجبال الجنوبية"، والمؤلف تشاو رو شي الذي كتب "سجلات البلدان الأجنبية". فهذين الكتابين وجدت أنهما كانا قد كتبا أدق السجلات وأوسع المعلومات وأوضح التعبير عن أحوال العرب حيث لم يبلغ به علم السابقين[1]. ويظهر أن هذين الكتابين كتابان جيدان يتناولان العادات والتقاليد والطبيعة والإنتاج في الأقطار العربية وغيرها من الأقطار. قد صدر كل منهما نتيجة للتطور العظيم الذي حققته أسرة سونغ (960/1279م) في مجالي الاتصالات البحرية والاتصالات البرية بين الصين والشعوب المختلفة في الأقطار العربية والأقطار الأخرى.



اسهام اهل الصين في الحضارة العربية

من اواخر القرن 13 الى نهاية القرن 19 الميلادي

فاذا وصلنا الى تاريخ عهد اسرة يوان (1271-1368م) وجدنا أن الأوضاع السياسية قد تغيرت في الصين تغيرا كبيرا وكذلك في مناطق آسيا الوسطى وآسيا الغربية، مما أدى إلى تبادل أكثر بين الصين وغيرها، وانتقال كثير من المسلمين العرب والفرس وغيرهم الى الصين واستيطانهم فيها، من بينهم جنود وصناع وتجار وعلماء، وتشكلت منهم كتلة فريدة متميزة بعد تزاوجهم مع اهل الصين، ويطلق عليهم فيما بعد اسم هوي هوي، يعني المسلمين الصينيين. وقد قام ابناء هوي هوي بدور مهم في إقامة اسرة يوان في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والتقنية وفي تأسيس العلاقات الخارجية، مما جعل اللغة العربية تنتشر وتستخدم في الصين على نطاق واسع. فلم تكن اللغة العربية لغة التخاطب والكتب للمسلمين الوافدين من بلاد ما وراء حدود الصين العربية فحسب، بل اصبحت من اللغات الاجنبية الرئيسية المستعملة في الصين لتسهيل التبادل الدولي في ساحات السياسة والثقافة والتكنولوجيا. فقد انتقلت من الصين الى بلاد ما وراء حدودها الغربية الطباعة وصناعة الورق والخزافة والمنسوجة من القطن والقنب المختلفة، وكذلك الحرير والورق والبارود والبوصلة وغيرها من المنتجات الفنية والتقنية بكمية كبيرة، حتى إنها انتقلت عبر بلاد العرب الى الدول الاوروبية. وفي الوقت نفسه انتقلت من العرب إلى الصين كثير من العلوم والتقنية المتقدمة ومصادرها التي تتعلق بعلم الفلك وعلم التقويم والطب والصيدلة والعسكرية والبناء، حتى كانت الكتب العربية

٨ - قوه يينغ ده: تاريخ العلاقات الصينية العربية، الناشر: مصطفى [illegible]، المركز العربي للمعلومات، بكين، [illegible] م.
- جمع تشين [illegible] قوه يينغ ده: تاريخ العلاقات الصينية العربية، دار جريدة الشعب [illegible] ص [illegible]

والإسلامية التي اكتشفتها المكتبة الملكية في عهد أسرة يوان بلغت أكثر من 42 مجلدا[4]، وغيرها من المصادر العلمية المهمة النفيسة في علم الفلك وعلم التقويم والهندسة والحساب وغيرها. وكانت أسرة يوان تولي اللغة العربية اهتمامات كبيرة كوسيلة التخاطب والتواصل في شؤونها الداخلية والخارجية.

وفي الحقيقة شهد نقل الصين أكثر بحركة ودية بين الجانبين لا يكون متأخرا عن ذلك من العرب، فعلى سبيل المثال، نجد أشهر الرحالة وانغ دا يوان قد خرج في رحلتين بحريتين ما بين عام 1330 و1334م، والثانية ما بين عام 1337 و1339م، جاب خلالهما مناطق كثيرة في آسيا وسواحل المحيط الهندي في أفريقيا، ووصل إلى ما لم يصل إليه السابقون، وزار مكة المكرمة التي تسمى بالجنة عند الصينيين، وزار البصرة في العراق ودمياط في مصر وغيرها من المراكز والمدن العربية، وربما وصل إلى طنجة في المغرب، فأصبح وانغ من بين أول من وصل إلى ساحل المحيط الأطلسي في المغرب العربي من الصينيين[5]، وهو كتب مذكرة عن البلدان والجزر الذي تناول فيه أكثر من 220 دولة ومنطقة، حيث دون أحوال هذه البلدان في عام 1349م، فقال في تعليقه: وإن ما ورد في هذا الكتاب هو ما شاهدته بأم عيني في الأماكن التي وصلت إليها بنفسي، أما ما تروى إلى سمعي فلم أترك به مجالا.[6]

مع الزيادة المستمرة لأعداد الجاليات المسلمين المستوطنين بالصين منذ عهد تانغ وسونغ، وكذلك تنقل المسلمين الوافدين إلى الصين من بلادهم ما وراء حدودها العربية منذ قيام دولة يوان، والتعبير تشكل تدريجيا قومية هوي هوي والتشرد في أنحاء



الصين، وأنشأوا مساجد في المناطق التي سكنوا بها، وقاموا بتعليم اللغة العربية ونشر الكتب الإسلامية وبين المساجد. فمن الواضح أن الازدهار المستمر لطريق الحرير البحري، وانتشار الإسلام في بلاد المشرق، والتبادل العلمي والثقافي الحثيث بين الصين والعرب من عهود أسرة تانغ وسونغ ويوان الملكية، وحتى ظهور قومية هوي، كلها من الأحداث التاريخية الكبرى، ومن أعظم ثمرات التبادل والتواصل الحضاري والثقافي بين الصين والعرب. وكل ذلك يمثل صفحة وثيقة بالعلاقة العربية الصينية التي هي حصيلة للاتصالات.

منذ عهد أسرة مينغ الملكية (1368-1644م) وعهد تشينغ (1644-1911م) قد ضعفت الحاجة إلى اللغة العربية على مستوى الدولة، وفي ظروف مقارنة بالعصور السابقة، وتمسكت سياسة الانغلاق نحو الخارج التي كانت مطلقة ومعمولا بها في عهود تانغ وسونغ ويوان، وبالتالي قل التبادل والتواصل بين الصين والعرب، إلا في بداية عهد أسرة مينغ الملكية وجدنا ما يدل على كثرة التبادل والتواصل بين الطرفين،

4. د. محمد لطيف ... دراسات حول تعليم اللغة العربية في الصين قديما وحديثا، دار العلوم الاجتماعية الصينية، ص 3، بكين 2008م.
5. ... تاريخ العلاقات الصينية العربية، الناشر ... ، ص ... ، 2004م.
6. ... تاريخ العلاقات الصينية العربية، دار ... ، ص 100، 2008م.

واشتهر من بين هؤلاء الملاح الصيني المسلم تشنغ خه (1381/1435م) قام بسبع رحلات إلى بلدان آسيا وأفريقيا على رأس قوافل بحرية ضخمة في خلال 28 عاماً من عام 1405 إلى 1433م. وزار أكثر من ثلاثين دولة ومنطقة في جنوب شرق آسيا والمحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر وسواحل إفريقيا الشرقية مثل سلطنة عمان والمملكة العربية السعودية واليمن والصومال ومصر وغيرها من الدول الموجودة اليوم. وكان الوفد المرافق له أكثرهم من المسلمين المتقنين للغة العربية والذين يقومون بدور الترجمة مثل: ما هوان وفي شين وقونغ شن، حتى ألّف بعضهم كتباً ومذكرات سجلوا فيها ما شاهدوه طوال الرحلات من الأحوال الاجتماعية العربية وغيرها. فأصبحت تلك الكتب والمذكرات من المصادر المهمة التي تشرح الصينيين عن التبادل الودي بين الصين والعرب، وتدل على ما أسهم به أهل الصين في الحضارة العربية الإسلامية



فضلاً. ومن الكتب والمذكرات وجدناه تبقى حتى اليوم نذكر منها كتاب: «مشاهدات رائعة وراء البحار» الذي كتبه الرحالة ما هوان الذي كان مسلماً متقناً اللغة العربية، وقد بدأ عمله مترجماً عند تشنغ خه في رحلته الثالثة إلى المحيط الهندي، ثم رافقه في رحلتين أخريين، فاطلع على ما تتميز به البلدان التي وصل إليها من سلوك الإنسان وصفاته وخصائص العادات اليومية والتقاليد الاجتماعية والمنتجات المحلية وأنظمة الحكم. ويحتوي كتاب مشاهدات رائعة وراء البحار الخمسة، 20 دولة بأسلوب يجمع بين التفصيل والشمول ويحتوي على زيارته إلى الكعبة المشرفة التي تقع في مكة المكرمة موطن الإسلام والتي بدأ فيها النبي محمد ﷺ الدعوة إلى الإسلام، وإن اللغة في هذا البلد هي اللغة العربية. وشعبها يحرم على سكانها شرب الخمر والأهالي عادات طيبة وتقاليد حميدة. ومسجد البلد الذي يسمى الكعبة، وفي اليوم العاشر من ذي الحجة من كل عام يتوافد الحجيج من مختلف البلدان، حتى ولو استغرق سفرهم سنة أو سنتين ليؤدوا فيه مناسك الحج.[11] نرى كل ما ورد في هذا الكتاب من المعلومات متفق عليها والحقيقة، أي ما هوان، هو أول من نقل سمات عربية إلى أقرب المقاطعات الصينية إليه. الكتاب الثاني الشهير هو: جولات في أقاصي الأرض، والذي يتكون من جزأين، أولهما: سجل فيه ما شاهده الكاتب، وثانيهما: سجل فيه نقله المترجم من المعلومات المختلفة. وقد ألفه في شين هو الذي وقع عليه الاختيار للانضمام إلى الرحلة إلى المحيط الهندي، كان مبعوثاً خاصاً إلى ما وراء البحار أربع مرات مرافقاً تشنغ خه.[12] والكتاب الثالث المعروف هو: سجل البلدان في المحيط الهندي ألّفه الكاتب قونغ شن مستشار تشنغ خه، في الرحلة السابعة إلى ما وراء البحار. ويحتوي هذا الكتاب 20 دولة، حيث يقول إن كتاب ما هوان مذكرات في مجال الرحلة وهو أقرب إلى معلومات البلدان العربية، وأن كتاب تشنغ تشو هي: دليل ما وراء الجبال الجنوبية وكتاب تشاو روسي: سجلات البلدان

11 [illegible]: تاريخ العلاقات الصينية العربية، الناشر: [illegible] المركز العربي للمعلومات، بكين [illegible] ص 31، [illegible]

12 [illegible]



الأجنبية قد تناولت هذه الكتب، معلومات عن العرب كمخطوطة أولى، فأصبحت مذكرات أهل الصين في عصر أسرة مينغ الملكية مثل «مشاهدات رائعة وراء البحار الفسيحة» و«جولات في أقاصي الأرض» و«سجل البلدان في المحيط الغربي» مصادر ذات أهمية بالغة للتفاهم بين أهل الصين والعرب، وتكون أدلة مبينة على إسهام الصينيين في انتشار الحضارة العربية الإسلامية.

لقد نشط أهل الصين في تعليم وتعلم اللغة العربية في الصين، وما زالت الحاجة إليها ماسة على مستوى الديانة للمسلمين الصينيين. وفي خلال مثلث السنين من عهد أسرة مينغ الملكية وبعدها كانت اللغة العربية تدرس في جميع المساجد والجوامع على غرار التعليم في البلاد العربية، مع أن اللغة العربية لم تكن اللغة الأم لأبناء قومية «هوي» التي تدين بالدين الإسلامي، فلذلك تطور اللغة العربية مع قلة حتى برزت ظاهرة ضعف العلوم الدينية وقلة العلماء وطلاب العلم، فلذلك بدأ بعض علماء المسلمين يفكرون في البحث عن طريق للحفاظ على الثقافة الإسلامية الأصيلة، فبدأ هذا النوع من التعليم في زمن جيا جينغ لأسرة مينغ (1522 - 1566م) على يد هو دنغ تشو (1522/1597م) العالم والمعلم المسلم من قومية هوي في مقاطعة شانشي، فكان يستقبل الطلبة في بيته ويعلمهم مجاناً اللغة العربية والعلوم الإسلامية، ثم انتقل إلى المسجد. وقد انتشر هذا الشكل من التعليم من مقاطعة شانشي وامتد تدريجياً إلى مقاطعات خنان وشاندونغ ويوننان وقانسو ونينغشيا وغيرها. وكان التعليم الديني في المساجد متدرجاً يشمل المراحل الابتدائية والإعدادية والعالية، وكانت حالته مثل حالة التعليم في الدول العربية، حيث المساجد في الدول العربية تقوم بدور المدارس في مجال التدريس والتعليم والتربية. وأن التعليم الديني في مساجد الصين له طريقة خاصة وصفة متميزة ومتبعة فيما بعد. ولهذه الطريقة أنظمة ثابتة ومواد محددة ويوجد أيضاً في هذه الطريقة أساليب متميزة من حيث أسلوب الترجمة وتدريس قواعد اللغة العربية، وعلوم البلاغة والأحكام الفقهية لدين الإسلام لأجل إفهام الطلبة الذين يرغبون في طلب العلم. فتوارث المسلمون الصينيون هذه الطريقة التعليمية جيلاً بعد جيل من تلك الفترة إلى يومنا

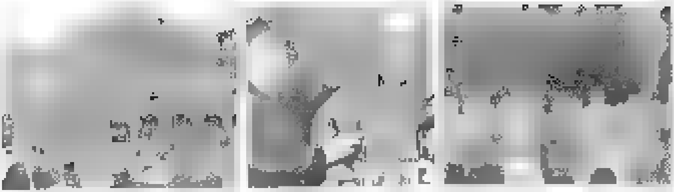
هذا، وقد كان لهذه الحركة... أثر في مجالات تعليم اللغة العربية والترجمة والدراسات الإسلامية في الصين، حيث تخرج دفعات متعددة من العلماء الذين يحملون دراسات الثقافات الإسلامية والعلوم العربية في الصين، ويطورونها، ويستمر هذا المنهج التعليمي في مساجد الصين حتى اليوم... التيار العصري حيث يستعمل أو يعتمد... بين المسلمين الصينيين... الصين والعالم... وعند دراسة تاريخ التعليم الديني في مساجد الصين، نقف على كثير من المعلومات القيمة منها أن المواد التي فرضت على الطلبة اشتملت على جميع علوم الإسلام، حيث إن قواعد اللغة العربية تدرس في ثلاثة مقررات هي: كتاب (أساس العلوم) لمؤلفه محمد بن خالد بخاري، وكتاب ضوء المصباح، لأبي فتح ناصر الدين المطرزي (... - 1213م)، وكتاب الإملاء لابن الحاجب (1175 - 1249م)، شرحه عبد الرحمن الجامي (... - 1492م). والكتاب المقرر في البلاغة العربية هو (تلخيص المفتاح) لسعد الدين التفتازاني (1321/1389م)، والكتاب المقرر في العقيدة هو عقائد النسفي للشيخ نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسفي (461 - 537هـ الموافق 1068 - 1142م)، ومن الفقه الإسلامي كتاب شرح الوقاية لمؤلفه محمود بن سعد شافي الحنفي (ت 1346م)، ومن كتب الحديث الشريف أحاديث باللغة العربية، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية، ومن الأخلاق (مرصاد) و(گلستان)، كلاهما يدرس باللغة الفارسية، ومن تفسير القرآن الكريم (تفسير الجلالين).

العالم الصيني الشهير الشيخ وانغ داي يو، عرف بإتقانه علوم الإسلام

وهكذا تقدم تعليم اللغة العربية في المساجد خطوة تلو أخرى وسيواصل مسيرته إلى الأمام مع انتشار الإسلام وزيادة عدد المسلمين في الصين، حيث ظهر كثير من العلماء الصينيين في مجال علوم الإسلام والحضارة العربية منذ أواخر القرن ... وحتى أوائل القرن 19 الميلادي، حيث بذل العلماء الصينيون المسلمون الجهود لإقامة بناء قومية صينية هوية للعلوم الإسلامية والحضارة العربية بواسطة الحضارة الصينية المتمثلة في اللغة الصينية، أي بالأسلوب الكونفوشيوسي[5] لكي يحافظوا على خصائص الحضارة العربية الإسلامية إلى حد ما في أرض الصين. ومن الجانب الآخر فقد وجدت مشكلة بينهم والناس من قومية الهوي. هوي الصينية المسلمة، وهم المسلمون الأصليون، ذلك بأن أبناء قومية هوي يتكلمون اللغة الصينية ويستخدمونها في حياتهم الاجتماعية، حتى إن معظمهم صار لا يتكلم اللغة العربية أو الفارسية، ولا يستطيع فهم حقيقة الحضارة العربية والإسلامية من التراث الإسلامي القيم الأصيل، وهذا الأمر حتم يقع أمام جيل العلماء الصينيين الذين يبحثون في الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الصينية، وفهم كيفية التعامل في الحياة، فقد كان عليهم أن يستعملوا اللغة الصينية لتعليم الذين عليهم أن يفهموا الحضارة العربية والإسلامية خطوة خطوة، لذلك يمكن أن نقول هنا إن حركة شرح وترجمة العلوم الإسلامية باللغة الصينية مع مؤلفاتهم هي نتيجة مهمة وجديدة، وأدخلت الحضارة العربية الإسلامية في الحضارة الصينية، ومنحت مكانة شريفة للحضارة

[4] محمد يوشع بانغ هوا: جوانب تاريخية من انتشار الإسلام والحضارة الصينية، دار الشعب، نينغشيا، ص 181، 1988م.

[5] الكونفوشيوسية: نسبة إلى الفيلسوف الصيني العظيم (551 - 479 ق.م)، صاحب المذهب الأدبي والفكري الداعي إلى حياة اجتماعية مثالية قائمة على القيم الإنسانية والأخلاقية المطلقة (المحرر).



العربية والإسلامية في مجال العلوم الصينية. مثلت خطوة أولى ومهمة قام بها علماء المسلمين الصينيين لنشر العلوم الإسلامية وتفسيرها باللغة الصينية لأبناء قومية هوي في بلدهم.

ووجدنا في التاريخ أن هؤلاء العلماء البارعين قد أسهموا في انتشار الإسلام والحفاظ عليه بين أبناء قومية هوي إسهاماً كبيراً، وصنفوا مؤلفات مختلفة انطلقت من هدف الرغبة في تعريف الناس من الإسلام وحقيقته مثل كتابه (يعني التوحيد الإسلامي) و(جوامع العقيدة الإسلامية)، صاحب هذين الكتابين هو العالم الصيني الشهير الشيخ وانغ داي يوي (نحو 1584 - 1670م) الذي عرف بإتقانه علوم الإسلام والعقائد القديمة الأخرى مثل الكنفوشيوسية والبوذية والطاوية، وفي نفس العصر كان العالم محمد جين يو تشيو (نحو 1664 - 1730م) قد ألف كتاب (أركان الإسلام وأحكامها) متضمناً 20 باباً تحتوي على الإيمان والأخلاق والمعاملات، وكتاب (حقائق التصوف في الإسلام) و(سيرة خاتم الأنبياء) ومنهم العالم الإسلامي والمفكر الصيني ما تشو (1640م - ...) الذي كتب كتاباً ضخماً باسم (دليل العلوم الإسلامية) اشتمل على التاريخ والفقه والعقيدة والفلسفة وعلم الفلك والروايات[1]، إن أولئك العلماء الثلاثة من الصينيين قد شقوا طريق دراسة علوم الإسلام باللغة الصينية في ظروف صعبة لأجل تعليم الناس الذين رغبوا في تحصيل العلم، وأنهم فتحوا كافة المجالات في طريق دراسة العلوم الإسلامية وتعليمها، وكتبوا مؤلفات مختلفة أفادت الناس جيلاً بعد جيل حتى يومنا هذا، لقد ساهموا في انتشار الإسلام في أرض الصين بواسطة اللغة الصينية.

إسهام أهل الصين في نشر الحضارة العربية في القرن العشرين

في بداية القرن العشرين شهدت حالة الصين تغيراً كبيراً فأثرت في مجال التعليم والثقافة سيما في ساحات تعليم اللغة العربية وحضارتها، وحدثت فيها تغيرات كبيرة: أهمها انتقال تعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية من التعليم المسجدي الديني التقليدي إلى التعليم المدرسي الحديث، والسبب الانتقال من التعليم المسجدي الديني التقليدي إلى المعاهد والجامعات الحكومية، هذا التغير مبني على تيارات الأفكار الجديدة والاتجاهات الفكرية (الأيديولوجية) التي ظهرت في أوائل القرن العشرين في الصين، وجعلت أبناء قومية هوي منهم من يقوم بالبحث عما يمكن أن يدفعهم إلى الأمام، فكثير من المتحمسين نادوا بإصلاح وتعديل التعليم المسجدي الديني التقليدي وإنهاض التعليم وإعداد الرجال الأكفاء، وبذلك ظهر عدد من معاهد تعليم اللغة العربية الحديثة التي تدرس فيها العلوم الإسلامية

(1) يوجين، الموسوعة الإسلامية الصينية، دار الفكر للمعجم بتيتشوا، 1996م.

واللغة العربية واللغة الصينية في آن واحد. منها مدرسة مشيدا الثانوية للمعلمين ببكين عام 1925 الميلادي، والمدرسة الإسلامية للمعلمين بشنغهاي، عام 1928 ميلادي، ومدرسة مينغ ده الثانوية بيوننان، عام 1929 الميلادي وغيرها. هذه المدارس ربت أكثر رجال العلم الحديث الذين تعلموا العلوم الإسلامية وحضارتها، وفهموا حضارة الصين التقليدية أيضاً. إنهم ذوو قدرة على التعامل مع غيرهم، سواء كانوا مسلمين أو غير المسلمين، وقد تمكنوا من التبادل مع غيرهم في مجال الحضارة والثقافة، كما أن بعض الرجال المتحمسين أسسوا مجمع التقدم للحضارة الإسلامية الصينية ببكين عام 1917م. وما إن لا ينحصر هذا المجمع حتى ظهرت مجامع أخرى مثله في معظم المدن بالصين عام 1943 الميلادي، ساعدت هذه المجامع بتوحيد جهود أبناء هوي هوي بالصين في سبيل تعميم حقيقة الحضارة الإسلامية ورفع مستواهم العلمي وتحرير المسلمين ومكانتهم في المجتمع.[12] وبالإضافة إلى ذلك فإن بعض المثقفين قد أصدروا مجلات متعددة بيان عن الحق. إذ يذكر إنشاء المدارس، قد أصبحت خطوة أولى من الوعي الحضاري للمسلمين الصينيين، في أوائل القرن العشرين، فإن حركة تأسيس الجوامع صارت متقدة ومتواصلة للفكرة التي سبق ذكرها، وإن بعث الطلبة المتخرجين، الذين قد درسوا في تلك المدارس، إلى خارج الصين لطلب العلم، كان أمراً مهماً لتحقيق أهدافهم المجيدة. على هذا الأساس أرسل بضعة وثلاثين طالباً إلى الأزهر الشريف من عام 1931 حتى عام 1945 ميلادي للحصول على العلوم الإسلامية العربية.[13] ويشرفني أن أبين في هذه الورقة أن فعاليات أهل أبناء هوي هوي لحضارة العربية الإسلامية في ذلك الوقت وصلت إلى الغاية، ومن نتيجة هذه الفعاليات جعلت أكثر شباب المسلمين يبذلون جهوداً في سبيل الحق، وكثيرون منهم قد أصبحوا أئمة المساجد أو رواد العلم أو مفكري العصر أو الأساتذة والباحثين في الجامعات الحكومية.

في أوائل الأربعينيات من القرن العشرين، بذل العلماء العائدون من مصر من أمثال الأستاذ المرحوم محمد مكين (1906 / 1978م) والأستاذ عبد الرحمن ناشون (1910م /) جهوداً بالغة في تأسيس تخصص اللغة العربية وفتح باب الدراسات للحضارة الإسلامية في الجامعات الحكومية. وفي عام 1946 ميلادي أنشئت جامعة بكين قسماً مستقلاً لتعليم اللغة العربية، والمرحوم الأستاذ محمد مكين افتتح مواد العلوم الإسلامية لطلبة هذا القسم. وبعد ذلك كثير من الجامعات الحكومية في الصين أدخلت مواد اللغة العربية في مناهج التدريس والتعليم. وتخصصت تلك الجامعات بمرحلة الدبلوم والبكالوريوس والماجستير والدكتوراه. وعدد هذه الجامعات قد وصل

التحق بكلية أصول الدين الإسلامي في الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد بباكستان عام 1987م، وفتح باب تعليم اللغة العربية والحضارة الإسلامية بعد عودته في جامعة شمال غربي الصين للقوميات منذ عام 1997م، الآن أستاذ مساعد في اللغة العربية والحضارة الإسلامية بالجامعة نفسها.

العنوان الإلكتروني: mahehin@sina.com

١) محمد يوشو يانغ هوا، جرير وعلي يوشن: في الإسلام والحضارة الصينية، دار الشعب، ص 137، 1981م
٢) ... سبع سنوات في مصر، الناشر الجمعية الإسلامية الصينية، ص 11 ... القاهرة

الى 71 جامعة والطلبة الى نحو 3000 طالب وحالية والأساتذة نحو 200 أستاذ بصينية سنة 2006 ... ومن بداية إنشاء قسم اللغة العربية حتى الآن ساهمت جامعة بكين وجامعة اللغات الأجنبية ببكين وجامعة شانغهاي للدراسات الدولية وغيرها من الجامعات مساهمة جليلة في ساحة تعليم اللغة العربية ونشرها وخرجت أعدادا كبيرة من المتخصصين فيها. وقامت هذه الجامعات كذلك بإعداد ونشر كثير من الكتب الدراسية والمعاجم اللغوية والكتب العلمية ونشرت أبحاثا قيمة منقطعة النظير في مناهج تعليم اللغة العربية في الدراسات العليا. وكما أن تعليم اللغة العربية في ساحة الدين الإسلامي حقق تقدماً إلى حد بعيد بصدور ترجمات لمعاني القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه الإسلامي وغيرها من اللغة العربية إلى اللغة الأم لأهل الصين، وهي التي عرّفت المجتمع للناس ليتفهموا الثقافة الإسلامية والحضارة العربية.

ويستحق أن أذكر في هذه الورقة أن جامعة شمال غربي للأقليات بمدينة لانتشو محافظة قانسو بالصين هي إحدى جامعات الصين التي فتح أبواب تدريس اللغة العربية وتعليم حضارتها منذ عام 1997م. تحتوي المقررات الدراسية على أكثر المواد اللغوية والأدبية والعلمية وغيرها. يدرس الطلاب فيها العلوم المعرفة المختلفة التي تتكون من اللغة العربية وآدابها والحضارة الإسلامية وأحوال الدول العربية وعادات الأمة العربية وتقاليدها بمدة 4 سنوات. لا يدرس لهم علم اللغة فحسب، بل يدرسون العلم الإنساني فيمكن أن يحصل الطلبة على كافة التدريبات اللغوية والأدبية والعقلية والخلقية في المدرسة، وكثير من المتخرجين قد يشتغلون في مختلف المجالات الاجتماعية لخدمة الوطن بعلمهم الوافر وإخلاصهم المخلص [illegible] وبعضا منهم قد أصبح شخصية مهمة في جهة عمله. لذلك فإن جامعة شمال غربي للأقليات الصينية بمدينة لانتشو محافظة قانسو الصينية قد لعبت دوراً عظيماً في مجال تدريس اللغة العربية وتعليمها بالصين لا سيما بين الجامعات الحكومية بالصين.

إن الحضارة العربية هي إحدى الحضارات الإنسانية العالمية ولها قيمة جليلة. قد أثارت كثير الشعوب المختلفة التي من بينها أهل الصين والحضارة العربية الإسلامية وصلت إلى أرض الصين منذ عهد [illegible] وأن تعليم اللغة العربية والحضارة الإسلامية فيها حقق نجاحا ملموسا منقطع النظير منذ دخول الإسلام إليها خاصة خلال نصف قرن من بداية قيام دولة الصين الجديدة. وأن أهل الصين أسهموا في الحضارة العربية الإسلامية إسهاماً كبيراً لا يمكن أن يهمل.

المراجع

1. د. أحمد [illegible]: دراسات حول تعليم اللغة العربية في الصين قديما وحديثا، دار العلوم الاجتماعية الصينية، 2006م.
2. بي شوبي: [illegible] (ترجمة [illegible])، دار [illegible] بيجين، [illegible]م.
3. بانغ شي تشن: [illegible] سنوات في مصر، الناشر: الجمعية الإسلامية الصينية [illegible]م.
4. جينغ [illegible]: تاريخ العلاقات الصينية العربية، دار [illegible] للنشر، 2001م.
5. [illegible]: تاريخ العلاقات الصينية العربية، الناشر د. مصطفى [illegible]، المركز العربي للمعلومات بكين، 2006م.
6. [illegible]: التفاعل بين الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية تاريخه ومستقبله، دار العلوم الاجتماعية الصينية، 2010م.
7. محمد يوسف [illegible]: [illegible] الإسلام والحضارة الصينية، [illegible]م.
8. [illegible]: الموسوعة الإسلامية الصينية، دار [illegible] للمعاجم بسيشوان، [illegible]م.

الثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا

(النيجر نموذجا)

د. علي يعقوب *

بدأت أقدام الأوروبيين تطأ أراضي إفريقيا في القرن الخامس عشر مسيحي، وذلك عندما نزل البرتغاليون إلى سواحل غرب إفريقيا عام 1434 مسيحي، وبنوا بعض الحصون على السواحل مثل حصن سان جورج (المينا)، ثم في القرن السابع عشر وصل الهولنديون، وبعدهم وصل الإنجليز ثم الفرنسيون والدانماركيون، ولكنهم رغم كل هذا التكالب على الساحل لم يتمكنوا من التوغل إلى الداخل بسبب قوة الملوك والطبيعة، وقد اكتفوا بتجارة الرقيق على الساحل، واستمرت هذه المرحلة إلى القرن التاسع عشر، وتعتبر هذه المرحلة الأولى لاستعمار إفريقيا.

أما المرحلة الثانية فتبدأ في القرن التاسع عشر، وذلك بعد مؤتمر برلين عام 1884 - 1885 مسيحي الذي خُطط فيه لاحتلال القارة الإفريقية، وقد أصبحت إفريقيا عامة، وغربها خاصة، موزعة على الدول الأوروبية، فحصلت ألمانيا على الكاميرون والتوغو، واستولت بريطانيا على سيراليون وساحل الذهب (غانا حاليا) ونيجيريا وغامبيا، أما فرنسا فقد استولت على مساحة شاسعة في غرب إفريقيا، وأطلقت عليها



إفريقيا الغربية الفرنسية (A. O. F) والتي تشمل موريتانيا، السنغال، السودان الفرنسي (مالي حاليا)، النيجر، داهومي (بنين حاليا)، ساحل العاج، غينيا كوناكري، فولتا العليا (بوركينا فاسو حاليا).(1) وإضافة إلى إفريقيا الغربية كانت هناك إفريقيا الاستوائية الفرنسية، وتضم (الغابون، أوبانجي شاري، إفريقيا الوسطى حاليا، الكونغو الفرنسي).

بدأت علاقات فرنسا بغرب إفريقيا في القرن السابع عشر المسيحي، حيث أسست شركة السنغال الملكية عام 1687 مسيحي، وأسست سان لويس، بقصد

* باحث وأستاذ جامعي - النيجر.

(1) انظر: الاستعمار الفرنسي والهوية العربية الإسلامية (الوثائق)، الرحمة، الصمت والأذان، محمد عاشور مهدي، دور الإسلام والمسلمين في إفريقيا، عام 1999 مسيحي، طرابلس، جمعية الدعوة الإسلامية، ص 11.

الاستعمار في الوطني، ولم تتوغل في الداخل إلا في القرن التاسع عشر، عندما فكرت فرنسا في توجيه أنظار شعبها إلى النشاط الاستعماري، والتعويض عن فشلها إثناء الصراع في أوروبا، حيث هزمت أمام الألمان في عام 1870 ميلادي، وفقدت أقليم الألزاس واللورين، وحولت منطقة السنغال من مجرد محطة للتجارة إلى مستعمرة حقيقية، وكانت قد عينت في عام 1854 ميلادي الجنرال لويس فيدرب LOUIS FAIDHERBE حاكماً على السنغال، فكان أول من استخدم القوة العسكرية ضد الوطنيين، ونجح في التوغل إلى الداخل، وخضع الطريق إلى حوض النيجر، ولم يكن الطريق سهلاً لأنه قد قوبل بمقاومات من زعماء الإسلام، من امثال الحاج عمر الفوتي وابنه أحمد سيكو، والشيخ الأمين درامي وساموري توري، وأخيراً شعوب الطوارق وغيرهم، وقد استطاعوا ان يكبدوا جيش الاستعمار خسائر فادحة واضطروا إلى إرسال التعزيزات مرات عديدة، وان يغيروا القيادات، وعقد اتفاقيات الهدنة مع هؤلاء الزعماء المسلمين والملوك المحليين، ولم يستطع الفرنسيون الدخول إلى وادي النيجر الأعلى إلا في عام 1883 ميلادي، حيث استولوا على مدينة بماكو، وفي عام 1894 ميلادي استولوا على مدينة تمبكتو، التي كانت عاصمة العلم والعلماء، وبخاصة في عهد إمبراطورية سنغي الإسلامية.

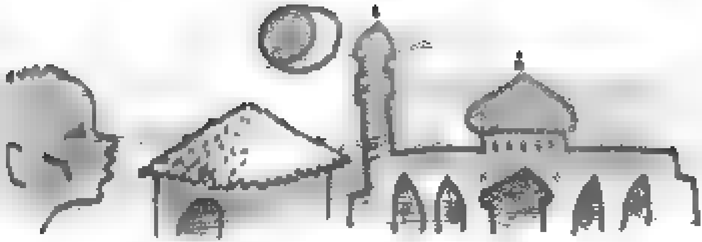
وكذلك استولوا على مدينة ساي SAY وبوسو BOSSO في النيجر، واسسوا مستعمرة ساحل العاج على الساحل عام 1893 ميلادي، ولم يأت عام 1900 ميلادي حتى استولت فرنسا على معظم أراضي غرب أفريقيا ووسطها.[1]



احتلال فرنسا للنيجر

لقد بدأ الاحتلال الفرنسي لبلاد النيجر في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وكانت بدايته عن طريق البعثات الاستكشافية للمنطقة بحجة استكشاف منبع نهر النيجر ومصبه، ومن تلك البعثات بعثة منغو بارك (MANGO PARK) الذي قام بعدة رحلات في المنطقة بهدف استكشاف نهر النيجر، فقد قام برحلته الأولى عام 1795 ميلادي، التي بدأها من نهر غامبيا وسار حتى وصل إلى مدينة سيغو في مالي الواقعة على نهر النيجر، ثم اضطر للعودة إلى لندن لشعوره بالتعب والمرض، وذكر ذلك في مذكراته، حيث قال: «انهكني الجوع والتعب ولا أملك إلا ما يستر العورة، ولا أملك أي شيء يمكن مقايضته بطعام وملابس».[2] وفي عام 1805 ميلادي قام برحلته الثانية للمنطقة وبدأها من غامبيا أيضاً، إلى أن وصل إلى سيغو، ومنها مع نهر النيجر في الضفة الشرقية منه، وواصل رحلته إلى أن وصل إلى منطقة بوسا (BOUSSA) في نيجيريا، حيث لقي حتفه وذلك في عام 1806 ميلادي.

[1] محمد السابق، ص 149.
[2] الصليبيون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا، عبدالله عبدالرزاق، مجلة قراءات إفريقية، ص 31.
برونشفيج: الشعب والمكان الحرب الكبرى، ترجمة المهدي بولقمان ومحمد عمر، ط1، 1983 ميلادي، جامعة بنغازي، الجماهيرية العظمى، ص 241.



ثم بعثة كلابرتون (CLABARTON) الذي بدأ رحلته عام 1822 مسيحي من مدينة طرابلس الغرب إلى بحيرة تشاد، حيث افترق مع زميله دنهام (DANHAM)، الذي اتجه نحو جنوب البحيرة، وتوجه كلابرتون مع زميل له نحو الجنوب الغربي، ليكتشف نهر شاري، وسببه اتجاهه إلى الغرب ليكتشف نهر النيجر. وتوفي زميله أثناء الرحلة، وواصل كلابرتون رحلته حتى وصل إلى مدينة سكتو عاصمة الخلافة العثمانية في عهد الشيخ محمد بللو بن الشيخ عثمان بن فودي، وقد منع الشيخ محمد بللو كلابرتون من مواصلة رحلته إلى نهر النيجر عند مدينة ياوري (YAWORI) وعاد أدراجه إلى كوكو (KAUKUA) عاصمة إمبراطورية كانم برنو الإسلامية، حيث اتجه مع زميله دنهام نحو الشمال عبر الصحراء الكبرى، مرورًا بمدينة بلما (BILMA) في النيجر، ثم طرابلس، حيث وصلا إلى بريطانيا عام 1825 مسيحي. وقد عاد كلابرتون إلى المنطقة في رحلة ثانية في نفس العام حتى وصل إلى مدينة سكتو، التي لقي حتفه فيها عام 1827 مسيحي.[1] ومن أهم هذه البعثات الاستكشافية هي بعثة هنري بارث (HENRI BARTH) الذي تمكن من زيارة قسم كبير من البلاد، واستغرقت رحلته مدة خمس سنوات. وقد قضى فترة في مدينة غاتين وكذلك في زندر (ZINDER) وزار مدينة ساي والصحراء الكبرى، وغيرها من المناطق، وكانت رحلته ما بين عام 1850 - 1855 مسيحي. وقد سجل ملاحظاته في كتاب ضخم ووصف فيه القبائل والمدن التي زارها وصفا دقيقا.

وقد أدت نتائج هذه البعثات إلى إثارة مطامع الحكومات الأوروبية بالمنطقة، ثم ما لبثت أن بعثت حملات عسكرية لاحتلال البلاد، وترأست بذلك حملات عدة، ومن أشهر تلك الحملات حملة الكابتن فوليي (VOULET) وصاحبه شانوان (CHANOINE)، وقد اشتهرت بدمويتها، حيث أحرقت وأبادت قرى كثيرة في طريقها، وقتلت عددًا كبيرًا من سكانها، إما بالرصاص أو الشنق. وقد انطلقت هذه الحملة البربرية الدموية من مدينة بماكو عام 1898

(1) رحلة استكشافية إفريقية لكلابرتون، ترجمة: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، عام 2000 مسيحي، ص7.

ميلادي ... ظهرت ... إمبراطورية لتقتفي الحدود الفرنسية بحملة جنود فرنسيين وزعماء السنغال تنتسب إلى فولاني ... أحدهما ... بلغت العهد ... والأحمر ... عسكرية (CORA) أي = الحملة ... وكان ذلك في يناير عام 1899 ميلادي ... وصل الكابتن فولي (VOULET) ... مع النقيب ... إلى قرية ... موسا (SANSAN HAUSSA) في منطقة تيلابيري (TILLABERI) ... ضم مائة ... من أهلها ... رفضوا الخضوع للأوامر والتبعية ومساعده ... يسمون (CHANOINE) ... في مدينة ... حوالي عشرة ... في تنفيذ الأوامر ... وفي الطريق ... في ... ثم التقيا في العهد الثامن من شهر ... عام 1899 ميلادي ... الشر والفساد بأنحاء ... في منطقة دوتشي (DOUTCHI) ... مدينة بيرني كوني (KONNI) في منطقة طاوا (TAHOUA) التي دمروها بشكل تام ... جميع القرى ... هذا الأسلوب ... مدن القرى التي مروا بها ... إلى نادرين، فكان أن ... الأوامر إلى الكولونيل كلوب (KLOBB) الذي كان في مدينة كاي (KAYES) مالي بأن يلحق بفولي ومساعده ويعزله من منصب القيادة وتم في طريقه جميع القرى التي ... فولي

ومساعده إلى ... في شمال ... (ZINDER) ... وتم ... فولي بإطلاق النار على كلوب فقتله ... عليهما ... في عام 1900 ميلادي تولى القيادة بعدهما ... مساعد كلوب وجوالاي (MEYNIER) (JOALLAND) ... مهمة ... كان ... على ... لامي (FORT LAMY) (AMY) ... جنتيل (GENTIL) ... رابح فضل * ... الدموية ... لاحتلال النيجر ... الإبادة على يدي هذه ... ومع ذلك فإن قوات الاحتلال قد واجهت مقاومة قوية من الشعب حيث رفعوا راية الجهاد في سبيل الله ولم تستطع فرنسا أن تسيطر على البلاد كاملا

> نظرية الاستعمار أو الاستيطان تعني جميع المستعمرات بالصبغة الفرنسية عن طريق تزويد الفرنسيين المستعمرين وتعليم ونقل ثقافتهم وتنظيم الاجتماعية والسياسية

إلا في عام 1919 ميلادي وفي عام 1922 ميلادي أصبحت النيجر مستعمرة فرنسية عاصمتها زندر وفي عام 1926 ميلادي تم نقل العاصمة إلى مدينة نيامي (NIAMEY) واعتبرت النيجر امتدادا للجمهورية الفرنسية ... عام 1946 ميلادي، ثم ... جمهورية النيجر عام 1958 ميلادي واستقلت عام 1960 ميلادي.(1)

ومن الجدير بالاستدلال والذكر هو أن جمهورية النيجر من الدول التي دخلها الإسلام في القرن الأول الهجري، السابع الميلادي ومنطقة الشمال أكثر في

1 انظر النيجر اليوم ص ... بتصرف
المصدر السابق ص ...

* وهو من الزعماء ... في مقاومة المستعمر ونشر الإسلام في ... قتل في عام 1900 ميلادي في معركة مع الفرنسيين

2 انظر ... النيجر ... أطروحة دكتوراه 2002 ميلادي ص 41

منذ وذلك حين توغل التابعي الجليل عقبة بن نافع بفتوحاته الإسلامية في جنوب فزان عام 46 هـ التي من وصل إلى منطقة كوار في النيجر ففتح عدة حصون في المنطقة ثم واصل فتوحاته الى غدامس في ليبيا ومنها الى القيروان في تونس [9]. وكانت النيجر جزءاً من الامبراطورية الإسلامية التي قامت في المنطقة مثل امبراطورية مالي وسنغي، والخلافة السنية في سكتو "SOKOTO" وامبراطورية برنو. وتبلغ مساحتها 267.000 كيلومترا مربعا وهي دولة داخلية حيث لا تطل على البحار والمحيطات، وتحتل الصحراء أكثر من نصف مساحتها وبخاصة في الشمال، وتستمد اسمها من النهر الذي يمر في جنوبها ويبلغ طوله في أرض النيجر حوالي 550 كيلومتر [10].

اثر الاحتلال الفرنسي في الثقافة الاسلامية في غرب افريقيا (النيجر نموذجا)

أصبحت اللغة العربية لغة الدين والثقافة والسيادة الإدارية في غرب إفريقيا، منذ أن رسخ قدم الإسلام فيها، وأصبحت الثقافة الإسلامية هي السائدة في المجتمع وبخاصة في عصور الامبراطورية الإسلامية مثل امبراطورية مالي وسنغي والعلاميون في سكتو وماسينا وكانم وبرنو.

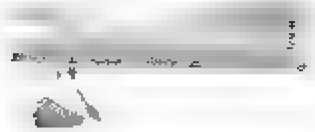
وقد ظلت سائدة حتى مع سقوط الدول الإسلامية وسيادة الموحس في عهد الرماة في تمبكتو والمناطق المجاورة لها. والناظر في الثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا يجدها من خلال مقاييس عدة منها: عدد العلماء وعدد الطلاب وتنوع اماكن التعليم وحركة النسخ والكتب الواردة والمكتبات الخاصة ودرجة انتاج التأليف [11]. وفيما يخص عدد العلماء يذكر السعدي صاحب تاريخ السودان انه عندما أسلم سلطان جني كان بها (4200) عالم [12]. وقد يظن البعض ان في هذا مبالغة ولكن لو نظرنا إلى قرى مثل اصلة بجني نجدها سبعة آلاف وسبعاً وسبعين قرية.

وعليه ففي كل قريتين عالم واحد بمعنى معلم الصبيان القرآن، وهذا الوجود الكثيف للعلماء في المدن والقرى ساعد على نشر القراءة والكتابة اللتين اضحى لهما دلالة دينية مرتبطة بقراءة القرآن وكتابته. مما يسر تخريج اعداد كبيرة ممن يتلقون هذا النهج من التعليم [13]. ثم لا يستغرب أن يخرج هذا العدد من العلماء عدد من التلاميذ واحصى بعضهم عدد التلاميذ في كتاب واحد في تمبكتو فوجدهم مائة وثلاثة وعشرين تلميذاً، وفيها حوالي مائة وخمسين كتابا هذا في تمبكتو وحدها ناهيك بباقي المدن مثل غاو واغاديس وكانو. وكان للعلماء مكتبات خاصة وكذلك بعض الملوك. وكان لعلماء المنطقة مساهمات فعالة في حركة التأليف، وقد ألفوا في فنون عدة مثل الفقه والتاريخ والعقيدة والنحو والصرف وغيرها، من العلوم الشرعية واللغوية. ومن أشهر المؤلفين في عهد سنغي الشيخ أحمد بابا التنبكتي الذي اشتهر في داخل المنطقة وخارجها بدروسه ومؤلفاته، ومن اشهرها: تطريز الديباج، ولقد بلغت حركة التأليف ذروتها في عهد الخلافة العثمانية في سكتو، وفي عهد حركة الجهاد الفوتي في غينيا والسنغال ومالي وبخاصة في فترة الخلافة مع الشيخ احمد لبو في ماسينا حيث تبادلا رسائل عدة يحاول كل منهما ان يقنع الآخر بفكرته وتعكس هذه الرسائل مدى تمكنهم من زمام اللغة العربية وقد جمعت تلك الرسائل في كتاب بعنوان: (ما وقع) وكذلك الرسائل المتبادلة بين احمد لبو وأمير

9- علي يحيى، محمد، السابق، ص 11، وانظر ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 63
10- عز الدين عمر موسى، دراسات إسلامية غرب إفريقية، في الغرب الاسلامي، بيروت، ط، الاقتصادي، ص 110
11- السعدي، تاريخ السودان، ص
12- عز الدين عمر موسى، المصدر السابق، ص 137، بتصرف.

الإسلامي في صكتو، في عهد الشيخ أبو بكر الصديق بن عثمان بن فوديو. وكذلك ساهم علماء منطقة الهاوسي والفولاني في حركة التأليف ومن أشهرهم الشيخ جبريل بن عمر شيخ وأستاذ الشيخ عثمان بن فوديو والعلماء البرنو ساهموا بمقالاته في هذا المجال وبمقامه الشيخ احمد فرتو. وهذه المساهمة تمثل مدى انتشار اللغة العربية والثقافة الإسلامية في منطقة غرب إفريقيا قبل الاستعمار.

إن هذه الثقافة التي يصيبها المصمم الأصداء منذ دخلت القارة الإفريقية للاستعمار الأوروبي وفرض كل مستعمر لغته في الإدارة والتعليم، غير أن لغة المستعمر ظلت في الغالب لغة التعلم والتواصل بين الصفوة المتعلمة تعليماً غربياً على حساب ثقافته الأصلية. ولكن العامة في كل قطر ظلت تستعمل اللغات المحلية في أغلب الأحيان، وهي لغات متأثرة بالعربية تأثراً كبيراً[14] بسبب غلبة الثقافة العربية الإسلامية في مجتمعات غرب إفريقيا. وكان الحرف العربي هو الحرف الذي أصبح تكتب به أغلب اللغات في المنطقة مثل لغة الهوسا والفلاني والولوف والبمبارا، ولما احتلت فرنسا المنطقة في بدايات القرن العشرين حاربت الحرف العربي حرباً لا هوادة فيها، وأحلت محل الحرف العربي الحرف اللاتيني وحاربت كذلك اللغة العربية والثقافة الإسلامية السائدة في المجتمع واتبعت في محاربتها أساليب متنوعة. وقبل ذكر تلك الأساليب، أرى أنه من الأفضل ذكر سياسة فرنسا الاستعمارية في إفريقيا. فقد بنت فرنسا سياستها الاستعمارية في إفريقيا على أساس فلسفة معينة ويختلف نظام الحكم الاستعماري الفرنسي عن النظام البريطاني. فبينما يعتبر نظام الحكم غير المباشر أحد المظاهر الرئيسة المميزة للحكم البريطاني فإن الحكم المباشر هو سمة النظم الحكومية التي أقامتها فرنسا



نهر النيجر

في قارة إفريقيا. والعجيب أن السياسة الاستعمارية الفرنسية بنيت على بعض المبادئ البراقة في مظهرها التي أطلقتها الثورة الفرنسية. فقد اعتقد الفرنسيون حتى أن جميع سكان المستعمرات يجب أن يكونوا مواطنين فرنسيين لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات، وعلى هذا الأساس قامت نظرية الاستيعاب أو الاستيعاب والتشبه بها صبغ المستعمرات بالصبغة الفرنسية عن طريق ثقافة الفرنسيين مستعمرين ولغتهم وتقاليدهم ونظمهم الاجتماعية والسياسية حتى يصبح تفكيرهم واتجاههم في مختلف نواحي الحياة كالفرنسيين. وهذا يتطلب بالطبع قطع كل صلة للإفريقي المسلم بتاريخه الإسلامي وحضارته الإسلامية بمختلف مظاهرها ومقوماتها[15] ولما هيمنت فرنسا على غرب إفريقيا وجدت أن اللغة العربية هي لغة الدين والثقافة والحياة الإدارية. وقد أشار إلى هذا حاكم عام للفرنسا في إفريقيا الغربية من عام 1908 - 1911 مسيحيا وليام بونتي (WILLIAM PONTY) في مرسومه الذي أصدره يوم 1911/5/1 مسيحي، وهو موجه إلى حاكم

(14) عز الدين عمر موسى، المصدر السابق ص 161.
(15) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، شوقي الجمل، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د ت، ص 307.

الاستعمار الفرنسي لم تمثل البحر المتوسط حاجزا
حيث مثلا لقد أدى ذلك إلى ما يحدث في الجزائر
بسبب استعمال اللغة العربية في تحرير الأحكام
الصادرة عن القضاء الأهلي وفي المراسلات الرسمية
مع الرؤساء والأعيان وفي كل ظروف الحياة الإدارية
تقريبا ... إن العربية لم تدخل البلاد الإفريقية إلا مع
الدين الإسلامية وهي اللغة المستعملة في نظر
الأهالي[12]. وانطلاقا من هذه الفكرة ضد اللغة
العربية والثقافة الإسلامية كثفت السلطات
الاستعمارية جهودها لاستئصال اللغة العربية والثقافة
الإسلامية في غرب إفريقيا الفرنسية واستخدمت
لذلك كل الوسائل المتوفرة لديها ومن
ذلك:

- فرض قيود صارمة لاستيراد الكتب العربية من البلدان العربية حتى الحجاج قد منعوا من حمل الكتب الدينية والعربية معهم عند رجوعهم من الحج.
- تشديد الرقابة على كل المطبوعات العربية سواء أرسلت بالبريد أو بغيره
- إحصاء كتب العلماء بغرض مصادرتها وفرض الرقابة عليها لمعرفة ما ... ومن ذلك قيامها بإحصاء ... مكتبة الشيخ أحمد كبارا وأمبيج حسن سليمان في مدينة ... في النيجر[11]
- مراقبة المؤسسات الدينية الإسلامية حيث حددت نطاق بناء المساجد فكانت لا تسمح ببناء مسجد إلا لأفراد يحظون بثقتها وهم القلة بطبيعة الحال وكان الاستعمار ... من مسجد ... من مآثر المؤسسات الإسلامية فبناء المسجد يعتبر وسيلة لتقدم الإسلام لم يخف فيدرب حاكم إفريقيا الغربية الفرنسية تخوفه من المسجد حيث صرح في عام 1899 مسيحي بذلك قائلا: إن الإسلام دين السود أمر ملحوظ خاصة ... في النهاية إن وجد مسجد فلا رجوع له بعد ذلك[?]
- حصر استعمال العربية في أضيق النطاقات الإدارية والاقتصادية الاجتماعية ... تدريس الفرنسية في سائر المدن والقرى وقلصت حصص العربية وتعليم القرآن ثم حذفتها نهائيا بل لقد وصل الأمر إلى حد منع الفرنسيين الموجودين في المنطقة من مخاطبة الأهالي بغير اللغة الفرنسية مهما كانت الظروف والملابسات[13] لأنهم كانوا في بداية أمرهم يخاطبون ويراسلون السكان باللغة العربية وخاصة العلماء وطلاب العلم

> فهم الثقافة لم يحسن الضبط الاستعماري ... القارة الإفريقية للاستعمار الإداري وفرض كل مستعمر لغته في الإدارة والتعليم.

- فرض قيود صارمة على افتتاح المدارس العربية فاشترطت لذلك شروطا جائرة ... العربية ومن ذلك فرض على كل من يريد افتتاح مدرسة إسلامية ولو كتابا أن يتقدم لامتحان صارم يهدف معرفة مستواه بهذه اللغة وذلك بدعوى تحسين التعليم الإسلامي ... على ذلك ... الحصول على الرخصة من السلطات الاستعمارية قبل إنشاء مدرسة إسلامية وغالبا ما ترفض إعطاء الرخصة
- منع المسلمين من ممارسة العلم باللغة العربية والتعامل بها ... شكلا من الأشكال ... ومن نتيجتها أن حاول استبدال اللغة ... في مجالس

12. عبد العلي الودغيري الفرنكفونية السياسة اللغوية والتعليمية الفرنسية بالمغرب ص ...
13. الإسلام والتحالف مع مستعمرة النيجر ... ص ...
... في المجال ... ص ...
14. الودغيري المصدر السابق ص ...



والدروس باللغة العربية ولهذا الغرض توجه عبر [illegible] الدعوة الإسلامية التي مدرسة في [illegible] مالي فعرض على الشيخ [illegible] مؤسس مدرسة عربية [illegible] تغيير [illegible] التدريس عن طريق [illegible] الدروس باللغات المحلية [illegible] ولكن الشيخ رفض [illegible] يرضخ لأوامر السلطات الاستعمارية.

- تهديد ضعاف القلوب من سكان المنطقة بتحطيم معنوياتهم الدينية والثقافية بتسهيل سبل العيش لهم، بتهديد أصحاب الثقافة الإسلامية في نفوس الذين يشتغلون بها خاصة ثم في نفوس سكان المنطقة عامة.
- [illegible] أبناء الشيوخ والأعيان [illegible] وإرسالهم إلى مدارس فرنسية وأسموا بذلك مدرسة الرهائن ثم [illegible] الأمور لهم بعد تخرجهم، وهم بالطبع سيكونون موالين لهم ولثقافتهم الفرنسية.
- تأسيس بعض مدارس عربية [illegible] عصرية في بعض المدن التي كانت مراكز للثقافة الإسلامية [illegible] مدرسة عربية في [illegible] بالسنغال وأخرى في [illegible] في موريتانيا وأخرى في تمبكتو في مالي، [illegible] [illegible] بعض العلماء إرسال أبنائهم إلى مدارسهم [illegible] على التعليم الإجباري وذلك بأخذ أبنائهم في [illegible] وإرسالهم في تلك المدارس [illegible] محل أبنائهم في [illegible] الكتاتيب بعد تخرجهم.

وقد ظهرت آثار هذه الأساليب على الثقافة الإسلامية بعد فترة من الزمن وذلك بتناقص عدد المدارس الإسلامية والتلاميذ.

ويصرح حاكم مقاطعة [illegible] عام 1923م المسيحي في برقيته (BREVIE [illegible]) قائلاً: [illegible] الآن فتقهقر الدعوة الإسلامية أمر لم يبق فيه شك، وإن [illegible] عدد [illegible] المتعلمة من المسلمين يتناقص في بلاد [illegible] كما أنه لم يتقدم إلى الأمام في سائر البلدان التي [illegible] فيها الإسلام من قبل [illegible] وقد عزا الحاكم سبب هذا التقهقر إلى تناقص عدد الزعماء الإسلاميين [illegible] العلماء، وإلى تزايد عدد مدارسهم التي [illegible] مدارس للشيوخ المرابطين [illegible] وكذلك [illegible] على مدارس [illegible] قام [illegible] المدارس الإسلامية وتلاميذها في [illegible] بعد دخول الاستعمار الفرنسي إلى البلاد بعشر سنوات تقريباً وقال: عدد المدارس والطلاب انخفض جداً مع [illegible] الاستعمار [illegible]

ومن آثار الاحتلال الفرنسي على الثقافة الإسلامية في المنطقة [illegible] الأنشطة العسكرية [illegible] [illegible] وقلة الاهتمام بالتأليف وكتابة المقالات حتى باللغات المحلية فضلاً عن العربية

[illegible] الفكر [illegible] العدد الثاني من [illegible]
[illegible] حاضر العالم الإسلامي، تعليق الأمير شكيب أرسلان، طبعة دار الفكر، بيروت [illegible]
[illegible] المصدر السابق [illegible]
[illegible] المصدر السابق [illegible]

فأصبح النظام لا يستجيب للهموم الثقافية والتاريخية كما كان الأمر قبل الاحتلال [illegible] عن عرض الاحتلال فبين حيلة العداوة للثقافة الإسلامية في نفوس [illegible] ثقافته والحط من [illegible] الفكرية ورفع الثقافة الفرنسية وجعل منتسبيها هو المثقف الحقيقي وأما المثقف بالثقافة الإسلامية فيعد بمثابة أمي ومن هنا يعبرون عن أنه مشاركة في العمل السياسي والاجتماعي والاقتصادي ومكانهم [illegible] هو المسجد فقط وإن المحافظة الإسلامية إنما هي وسيلة إلى الشعوذة والدجل وسوء تدبير الرأي العام الأفريقي بأنه دروس بمثابة للتفكير العلمي والعمل السياسي.

وقد عمل الاحتلال الفرنسي على نشر التبشير المسيحي الذي لم يكن له وجود في مجتمعه قبل الاحتلال وحاول أن يسند الأمور إلى المسيحيين، وإن كانت النيجر قد نجت من هذه الورطة بعد الاستقلال لندرة من [illegible] المسيحية من النيجريين.

وقد ظل شعبها يرفض إرسال أبنائه إلى المدارس الفرنسية ويراها مدارس الكفار. وظل سكانه يطالبون بإنشاء مدارس عربية عصرية لإرسال أبنائهم إليها.

ومن الجدير بالذكر هنا مع الأسف الشديد أن النيجر لم يكن فيها مدرسة عربية نظامية واحدة سوى ما كانت حكومية [illegible] إلى عام 1957 ميلادي حيث استجاب الحاكم العام لمنطقة النيجر لضغط السكان واضطر إلى إصدار مرسوم رقم [illegible] 1957 ميلادي أمر فيه بإيجاد تنظيم مدرسة [illegible]، ولكن تحت إشراف وزارة الداخلية وقد ظلت المدرسة تحت وزارة الداخلية إلى عام 1965 ميلادي، أي بعد الاستقلال بخمس سنوات حتى ضمت إلى وزارة التربية الوطنية ثم وفدت الدولة بعثات علمية إلى معظم الدول العربية لدراسة العربية والثقافة الإسلامية التي فقدت معالمها في البلاد التي كانت الثقافة الإسلامية هي السائدة والحرف العربي هو المستعمل. وقد حث معظم [illegible] غرب إفريقيا حذو النيجر فيخرج هذه البعثات الجامعات [illegible] العربية بجميع مراحلها من الابتدائية إلى الجامعة في الثلاث [illegible] وتكاد الأمور تعود إلى حالتها السابقة قبل الاحتلال الفرنسي. وكذلك الحال في بعض دول غرب إفريقيا حيث افتتحت أقسام اللغة العربية في بعض جامعاتها.

المصادر والمراجع

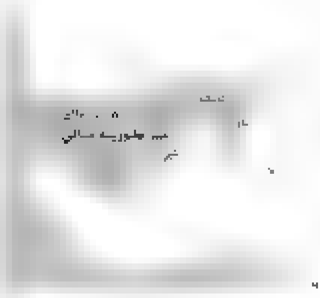
* القرآن الكريم
بوفيل [illegible] تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز، ط 1988 ميلادي، جامعة قاريونس، الجماهيرية العظمى.
عبد الله عبد الرزاق إبراهيم [illegible] المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، عالم المعرفة 1989 ميلادي، الكويت.
عبد الله عبد الرازق [illegible] تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، بلا تاريخ.
4. عبد الرحمن [illegible] تاريخ السودان [illegible] باريس 1964 ميلادي.
5. عبد العلي الودغيري [illegible] الفرنكوفونية والسياسة اللغوية والتعليمية الفرنسية بالمغرب، ط 1993 ميلادي، المغرب.
6. [illegible] كتاب الأمة [illegible]
[illegible] جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، ط 2000 ميلادي، دار الأمين، القاهرة.
7. [illegible] الإسلامي [illegible] 1983 ميلادي، بيروت لبنان.
8. [illegible] ترجمة عبد الله عبد الرزاق، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2003 ميلادي.
10. [illegible] حاضر العالم الإسلامي، ترجمة وتعليق [illegible] دار الفكر، بلا تاريخ، بيروت لبنان.
ندوة الإسلام [illegible] في إفريقيا، 1989 ميلادي، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، الجماهيرية العظمى.
12. [illegible]
13. [illegible] اللغة العربية وآدابها في النيجر في عهد الاستعمار، أطروحة دكتوراه [illegible] عام [illegible] ميلادي.

انظر جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، [illegible] ص [illegible]

لغة الماندينغو وعلاقتها باللغة العربية

أبو بكر كيبا فاتي*

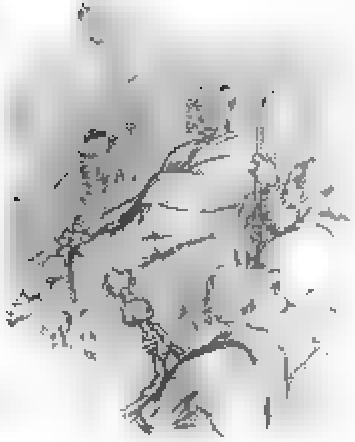
قبيلة الماندينغو هي إحدى قبائل إفريقيا الغربية الكبرى، وكانت لها حضارة تاريخية عظيمة في هذه المنطقة، حيث إنها أسست مملكة إسلامية كبيرة في منطقة إفريقيا الغربية، منذ القرن الثاني عشر حتى نهاية القرن السابع عشر. وكانت هذه المملكة تمتد من عاصمة النيجر الأعلى إلى غامبيا المحيط، وتسمى مملكة مالي. لقد لعبت هذه المملكة دوراً بارزاً[1] في نشر الإسلام بين القبائل التي سكنت هذه المناطق، حيث إنها وفرت الأمن والأمن في مملكتها، الأمر الذي جعل التجار العرب يتوافدون إليها، ويجوبون هذه البلاد الإفريقية. وهؤلاء التجار لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن نشر هذا الدين الحنيف، وكان تعاملهم مع الأفارقة مثلاً يقتدى، الأمر الذي جعل سكان هذه المنطقة يقبلون على الدين الإسلامي، برغبة وشغف، كما أن هذه المملكة العظيمة، وحدت بين شعوب هذه المنطقة رغم تعدد قبائلهم؛ لأنهم كانوا يعيشون في ظل هذه الإمبراطورية تحت نظام سياسي واحد. والفضل في ذلك، بعد الله - تعالى - يرجع إلى



النظام السياسي المحكم الذي اتخذته قبيلة الماندينغو لتسيير هذه المملكة، وهذا النظام هو الذي حقق لهذه المملكة عصراً ذهبياً، دام أكثر من قرن، وهو نظام الإدارة اللامركزية، حيث كانت المملكة تنقسم إلى ولايات، وكل ولاية يديرها والٍ يتبع إدارة الملك[2]. كان من أبرز ملوك هذه المملكة مانسا موسى الذي حج سنة ١٣٢٤م/٧٢٤هـ وكان حجه حدثاً تاريخياً لا ينسى، واصطحب معه في هذا الحج عدد من الرجال، وكمية كبيرة من الذهب التي وزعها على أهل

* باحث - غامبيا.

1 انظر تاريخ إفريقيا السوداء - جوزيف كي زيربو، ترجمة يوسف شلب الشام ص



مصر والحجاز، فأدى ذلك إلى انخفاض سعر الذهب في تلك الفترة، ومنذ عودته عاد العلماء والمهندسون الذين شاركوا في بناء هذه المملكة.

هذا الدور الريادي الذي لعبته قبيلة «الماندينغو» بالتضامن مع القبائل الأخرى، هو الذي أدى إلى انتشار هذه القبيلة في معظم بلاد إفريقيا الغربية، حيث كانوا يمارسون التجارة مع الدعوة إلى الإسلام[2]، هذه القبيلة تحب دين الإسلام أينما حلت في البلاد التي هاجرت إليها للتجارة أو نشر الإسلام.

بناء على هذا الانتشار الواسع، الذي حظيت به هذه القبيلة، يمكننا أن نتتبع مواطن شعب هذه القبيلة في بلاد إفريقيا الغربية في هذا المبحث، ثم نتتبع خصوصياتهم اللغوية حسب مواطنهم في المبحث الثاني.

«الماندينغو»، ثمة اتصال مستمر في غامبيا، والسنغال ومالي، وغينيا بيساو، وغينيا كوناكري، وأيضاً ساحل العاج، وبوركينافاسو، وسيراليون[1].

وعلنا يمكن توضيح هذا الانتشار بقدر موجز في النقاط التالية:

1- غامبيا: تسكن قبيلة الماندينغو في جميع أنحاء غامبيا، وهي تحتل المرتبة الأولى في الكثرة من مجموع القبائل الموجودة في غامبيا، ولغتها أكثر شيوعاً فيها، ويجيدها أغلبية أفراد القبائل الأخرى، التي تتعايش معها في جو السلام والمصاهرة، ويدين شعبها بالإسلام، وتوجد مراكز دراسية كبرى (كتاتيب)، يتولى التدريس فيها علماء هذه القبيلة.

2- السنغال: تسكن أغلبية قبيلة «الماندينغو» في جنوبي السنغال في المنطقة المعروفة بـ (كازامانس)، وشرقي البلاد في إقليم «تمباكندا»، ويدينون بالإسلام.

2- ينظر: تاريخ إفريقيا [illegible] ص 41 [illegible]

انظر: إفريقيا [illegible] وكتاب الموسوعة العربية العالمية، المجلد [illegible] الطبعة الثانية، ص 186 [illegible] الماندينغو.

في الشمال مثلاً غامبيا وتوجد أيضاً مراكز تجارية كبرى تسيطر عليها هذه القبيلة في هذه المناطق. شعب «الماندينغو» في السنغال له علاقة قوية ووثيقة مع شعب الماندينغو في غامبيا.

مالي: دولة مالي هي منبع هذه القبيلة، حيث قامت الإمبراطورية المالية العظمى الممتدة من عاصمة النيجر الأعلى إلى غامبيا السفلى، التي أسستها قبيلة الماندينغو وقيل إن تسمية هذه القبيلة ترجع إلى منطقة تسمى «ماندي». وهي توجد في مالي، هناك فرع من فروع هذه القبيلة يسمى السونينكي من فروع هذه القبيلة تسمى «بمبارا» هي الأغلبية في مالي ويعتنق معظم الشعب تدين هذه القبيلة الإسلام كغيرها في الدولتين سابقتي الذكر.

4. غينيا بيساو: هي دولة ذات أقلية مسلمة وقبيلة الماندينغو هي غالبية المسلمين في هذا البلد ويسكن غالبهم في إقليم «باقاتا».

5. غينيا كوناكري: قبيلة الماندينغو تحتل المرتبة الثانية بعد الفولانية في غينيا، ولغة الماندينغو منتشرة جداً في هذا البلد، معظم الماندينغو يسكنون في المناطق الشمالية ويدينون بالإسلام.

6. ساحل العاج: قبيلة الماندينغو المعروفة باسم «ديولا» في ساحل العاج، تأتي في المرتبة الأولى من مجموع السكان، وتحتل هذه القبيلة يسكنون في شمالي البلد المعروف بمنطقة «بواكي»، ويمارسون التجارة. هذا الاسم «جولا» يهدي إلى ذلك لأنه يعني في لغة الماندينغو التاجر. وكما أنه «ديولا» تطلق فرنسياً، هم يدينون بالإسلام.

7. بوركينافاسو: تسكن قبيلة الماندينغو المعروفة باسم «ديولا» في بوركينافاسو في جنوبي البلد المعروف بمنطقة «بوبوديولاسو» وهي منطقة تجارية، وتأتي هذه القبيلة في المرتبة الثالثة بعد قبيلة موسي التي تحتل المرتبة الأولى. لغة الماندينغو «ديولا» هي لغة التجارة والتخاطب بين الشعب في هذه المنطقة، وهم مسلمون في بوركينا.

8. ليبيريا: تسكن قبيلة الماندينغو في شمالي ليبيريا، في المنطقة المعروفة بـ«بوفاكوله»، ويمارسون التجارة ويدينون بالإسلام.

9. سيراليون: تنتشر قبيلة الماندينغو في شرقي سيراليون، في المنطقة الغنية بالماس المعروفة بـ«سيفادو»، وكذلك في «كونو»، وهم يمارسون التجارة ويدينون بالإسلام.

10. غانا: تسكن قبيلة الماندينغو المعروفة باسم «ونكرا» في غانا في منطقة «كماسي» للتجارة ويدينون بالإسلام.

> ...يا غينيا قبيلة الماندينغو تحتل المرتبة الثانية بعد الفولانية

ثالثاً: تسميات قبيلة الماندينغو حسب مواطنهم:

تقدم هذه القبيلة والدور الذي تلعبه في نشر الإسلام في منطقة أفريقيا الغربية أدى إلى انتشار قبيلة الماندينغو في معظم دول غربي إفريقيا وممارسة التجارة، التي اشتهرت بها هذه القبيلة. لقد أدى انتقال القبيلة إلى المناطق بحسب الأرض وتستقر حيث تستقر بها الأوضاع. هذا الانتشار الواسع في أماكن مختلفة، ومتفرقة بعضها عن بعض في الأكثر التي هاجر إليها بعض أفراد هذه القبيلة، نتج عنه وجود تسميات متعددة لقبيلة الماندينغو. كما نتجت عنه أيضاً فروق بسيطة في نطق بعض الكلمات، وأحياناً يكون الفرق كبيراً[1] لكن هذا الاختلاف في النطق لا يمنع من تفاهم أبناء هذه القبيلة بعضهم مع بعض، مهما اختلفت مواطنهم.

بسبب وجود هذه الاختلافات في تسمية هذه القبيلة من مكان إلى آخر واختلافهم في النطق

أحيانًا. نريد هنا عرضًا موجزًا لبعض هذه الفروق حسب المواطن في غامبيا، تسمى هذه القبيلة مانديكو، وكذلك في السنغال وغينيا بيساو وغينيا كوناكري، وليبيريا وسيراليون وفي مالي تعرف بمبارا، وفي غانا تسمى ونكر، أما في ساحل العاج وبوركينا فاسو فتعرف بديولا. هذا الاختلاف في مواطنهم هو الذي أدى إلى ظهور فروق في النطق وتميزت كل منطقة بنطق خاص. هذه التسميات هي التي تعرف بفروع قبيلة الماندينغو

نظرًا لاتفاق بعض المناطق في النطق أرى أن نقسم هذه القبيلة إلى مجموعتين:

1. قبيلة الماندينكو في غامبيا والسنغال وغينيا بيساو تتفق في النطق.
2. قبيلة الماندينغو في مالي، وغينيا كوناكري، وساحل العاج وبوركينا فاسو وليبيريا وسيراليون وغانا، تتفق في النطق.

يمكن ضرب الأمثلة على اختلاف نطق بعض الكلمات بين المجموعتين في الجدول التالي

المجموعة الأولى	المجموعة الثانية	معنى الكلمة في العربية
كنو	كلأ	رأس
ب	جي	صبي
تلو	تر، تلو	الأذن
سنو	دمي دمي	سكر
كيو	دما	كتف
كربو	كرس كرتي	سروال
فانو	فاني	ثوب
بلو	بر، بلو	يد
سنو	سن	رجل
ولو	ولو، ورو	فهد
نو	نكو	بستان
يرو	ير	شجرة
سبو	سكو	نعم
كلو	كل، كرو	عظم
جيو	جي	ماء
بنكو	بنكو، بكو	أرض
منتو	سمر	نمل
دندو	دلكي	قميص
سيو	سكلا	كرسي
كو	ككو	ملح

لغة الماندينغو: التأثر والتأثير ومحاولة الكتابة (التدوين) بها

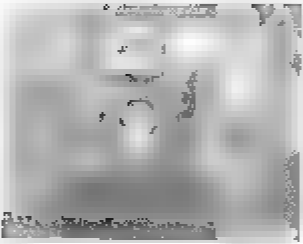
أولا

- تأثر لغة الماندينغو باللغة العربية:

كانت اللغة العربية قبل الإسلام، تتوزع الى لغات وقبائل. وكان ظهور الإسلام انقلاباً كبيراً في تاريخ اللغة العربية. فقد جمعت لهجات القبائل العربية تجمع وتنصهر في لغة واحدة. ولكن اللغة الواحدة الجامعة لم تعد لغة قوم، بل أصبحت لغة إنسانية لا يختص بها قوم دون قوم، بعد أن أصبحت لغة مقدسة، هي خطابه الأزلي للناس أجمعين[1]. هذه الميزة، التي امتازت بها اللغة العربية من بين لغات العالم، وذلك بنزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين، هي التي جعلت هذه اللغة بالغة الأثر في تنمية اللغات الإفريقية. وبسبب التواصل بين مجموعات كبيرة من أبناء القارة، في كنف الدين الحنيف، تكونت وتنامت لغات جامعة هي إلى اليوم، أوسع اللغات الإفريقية انتشاراً وأرسخها قدماً في تاريخ الإنسان الإفريقي، وأعمقها بوجدانه، وأمكنها في حياته اليومية. والماندينكية من بين اللغات الإفريقية الكبرى، وهي قبيلة رسخت جذورها في الإسلام منذ أمد بعيد والبولة التي تسكن هذه القبيلة، خير شاهد على ذلك، وهي مملكة مالي.

بناء على هذه العلاقة الدينية والتاريخية، التي تجمع بين اللغة العربية واللغات الإفريقية، اقتبست هذه اللغات كثيراً من مفرداتها من اللغة العربية. والماندنكية استفادت من هذا الاقتباس.

يمكن الإشارة إلى بعض العوامل الرئيسية، التي أدت إلى تأثير اللغة العربية، في اللغات الإفريقية على النحو التالي:



خارطة توضح مملكة مالي

1- الهجرات البشرية: يرى الباحثون أن بعض القبائل العربية، نزحت من الجزيرة العربية، قبل الإسلام إلى إفريقيا، وحطت فيها رحالها. مثل: سلالات كنعانية، نزحت من العراق، ونزحت بعضها من اليمن، وسلالات صنهاجية[2]. هذه القبائل العربية، التي هاجرت الى إفريقيا، امتزجت بشعوب هذه القارة وتصاهرت معها.

2- الإسلام: لقد هاجر العرب إلى إفريقيا فاتحين منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكان فتح مصر. ثم تواصلت الفتوحات في إفريقيا، في عهد عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وما بعده، وبعرف ما تعرفت الشعوب والكيانات، التي تقطن شمال إفريقيا، وجزءاً من شرقها وغربها، الى شعوب مستعربة. تتحدث اللغة العربية، لا لغة عبادة فحسب وإنما لغة تخاطب وتواصل بينهم، وبتحول هؤلاء الفاتحين إلى القارة، والدور الذي لعبه التجار العرب الدعاة، تم ذلك التأثير البالغ للغة العربية في اللغات الإفريقية.

3- التجارة عبر الصحراء: كانت التجارة بين شمال الصحراء، التي يسكن فيها العرب، وبين جنوبها، حيث تسكن القبائل الإفريقية، وظهرت طرق

[1] المرجع السابق ص 7.

[2] المرجع السابق ص 8.

تجارية شرقية متجهة إلى ليبيا عن طريق فزان وإلى مصر، وجعلت للتجارة بالطريق العربي المؤدي إلى بلاد التكرور عن طريق تافيلالت، وقد أفادت هذه التجارة من قوة امبراطورية مالي وما ساد عصرها من أمن.

هكذا نرى أن التجارة هي العامل الأهم الذي أسهم في إدخال المفردات العربية، إلى اللغات الإفريقية، وسيتضح ذلك عند المقارنة. هذه العوامل التي سبق ذكرها، وغيرها مع العوامل الأخرى، هي التي أدت إلى التأثير والتواصل الثقافي بين اللغة العربية واللغات الإفريقية التي من بينها لغة الماندينغو التي نريد عقد مقارنة بينها وبين العربية في هذا البحث.

نظرا لوجود فروق في نطق بعض المفردات بين فروع قبيلة الماندينغو من بلد إلى آخر، فإنني اعتمد على نطق قبيلة الماندينغو في غامبيا عند عقد هذه المقارنة.

المفردات الدينية

الماندينغو	العربية
الا	الله
انبيمو	نبي
وحيو	وحي
ملآيكو	ملائكة
كتابو	كتاب
القيامه، القيامه بي	القيامة، يوم القيامة
صراطو	صراط
آرجنه	الجنة
جهنم	جهنم
قبرو	قبر
قدرو	قدر
صلو	صلاة
كع	ركوع
سجادو	سجود
قر	قراءة
القرءو	القرآن
الفاتحو	الفاتحة
سورو	سورة
جزو	جزء
حزبو	حزب
آيو	آية
دعو	دعاء
سلام عليكم	السلام عليكم
ت	تحيات للتشهد في الصلاة
آلمامو	الإمام
ميسيرو	مسجد
جامع	جامع
مصرابو	مصراد
منبرو	منبر
خطبو	خطبة
حرام كبرو	تكبيرة الإحرام
آمين	آمين
حجو	الحج
عمرو	عمرة
الكانب	الكعبة
تولقو	الطواف
زكو	الزكاة
هديو	هدية
صدا	صدقة
موبو	عيد
صبو	الصبح
لنصرو	العصر
فرضو	فرض
نافلو	نافلة
سنو	سنة
واجبو	واجب

المفردات الاجتماعية و التجارية

[illegible]	[illegible]
ا جمو	الجمعة
سبتو	السبت
لحدو	الأحد
تى	الاثنين
تلاتر	الثلاثاء
آربو	الأربعاء
الامسو	الخميس
آ. جمو	جد شهر جد
كورو	خير
ساجو	ساحة
حتو	حق
حرامو	حرام
بعو	نعمة
آرو	عار
درجو	درجة
حمامو	امان
سببو	سبب
كافور	كافور
عمر	نمر
سجادو	سجادة
وقتو	وقت
حرمو	حرمة
سرو	سيرة
جمابو	جماعة
مثلو	مثل
حبسو	حبس
مركز	مركز
جنو	جن
سيتانو	شيطان
حقلو	عقل

ثم يقتصر تأثير بعد التيسو باللغة العربية على الكلمات المفردة فحسب بل تجاوزها الى نظم الأبيات الشعرية حيث ان الشعر في لغة الانتيسو يتطلع على غرار نظم الشعر العربي من حيث الوزن والقافية كما ينقصار لهم في الأغراض من وصف ومديح وهجاء.

والية بعض الأمثلة كنموذج من ابيات أحد العلماء في عاصي "كال حطمة جاي" في ميزوبة الكامل في المعاني الدينية:

كوند سو لبيلو	سوصب وسلم
فيب كوونلو	ولسانبدكيسر
جوم بسطرمر	ولك نمسبوم
حسي مبوتصر	نمنا كريمر
5 موروك كمابحر	انرملي اكنكر
6 إلدوطي اكجاسي	لكينا و كوسر

تقطيع البيت الأول

كورسم لبيلو	سوصبوسلو
مستفعلن متفعلن	مستفعلن متفعلن

وقال أحدهم في رثاء شيخه (كال سيدي داوي) في البحر الطويل بلغة الانتيسو.

١ ألا يا رسول الله يا سيد الورى

اسعو نحد بسند إيهب

2 ياروسيب قوبمي كساميس

حمابي سوسولارول بينكب

دول بجيلانوم يحيى لكمرب

يحيى يتروجي أكدب الميك

تقطيع البيت الأول:

ألا يا رسول الله يا سيد الورى

اسعو نحد بسند ايهب

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

ب- التأثير والتأثر بين لغة الماندينغو وبعض اللغات الإفريقية

الماندينغو	[illegible]	[illegible]
بيو نتو	ـه	دور السوداني
تبا كو / ركو	ركي	قميص
مبو	مابو	عروس
جرمو	جرابي	جرح
جبو	حي	ها
بزمور لا ربح	حربا	ضرب
مابو	مار	أكل
ولا	ولا	لوح
كمو	كمي	ورقة
فتو	فتر	خرط
جيكرو	جنكري	بسم
مسو	مر	بصر
ماغو	مكتو	سوق
المبكع	الفنكع	ذكر الله
كوتو	كرنو	قند

حروف لغة الماندينغو وأنواعها

لغة الماندينغو هي كغيرها من كثير من اللغات الإفريقية، التي تكتب بالحروف العربية مثل السواحلية والهوسا والفولانية وغيرها. لما جاء المستعمر قدمه على الأراضي الإفريقية وما عقب ذلك من استقلال معظم دول القارة فإن الوضع تغير كثيراً في كتابة هذه اللغات من الحروف العربية إلى كتابتها بالحروف اللاتينية بتمويل من المستعمرين الغربيين، لنشر الحروف اللاتينية محل الحروف العربية، التي كانت رمزاً لهذه الأصوات الإفريقية. لكن هذا لا يعني أن كتابة هذه اللغات بالحروف العربية قد تلاشت، بل إن الشيوخ المعروفين (بالكتاتيب) لا يزالون يكتبون اللغات الإفريقية بالحروف العربية التي كانت رمزاً لها قبل الاستعمار.

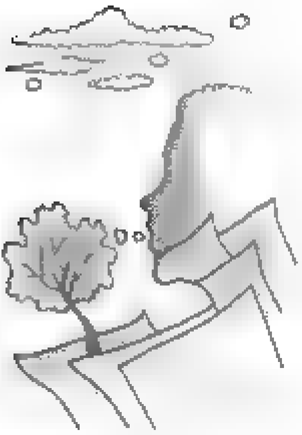
إنّ في هذا البحث المتواضع أرى ضرورة ذكر بعض الجهود الجبارة، التي قدمها بعض علماء قبيلة الماندينغو في غامبيا ولا يزالون يقدمونها من ترجمة بعض الكتب الدينية والشعرية إلى لغة الماندينغو مكتوبة بالحروف العربية. ومن أولئك العلماء الأجلاء: كما ... جابي الذي ترجم كتاب البردة في مدح النبي ﷺ للبوصيري، إلى لغة الماندينغو ولم تقتصر جهود هذا الشيخ على الترجمة فحسب، بل إنه نظم أبياتاً بلغة الماندينغو على نمط الأبيات العربية، من وزن وقافية وعروض. كما أشرت إلى بعض أبياته في البحث السابق. توفي هذا العالم رحمه الله عام 195?م.

ومن علماء قبيلة الماندينغو في غامبيا أيضاً الحاج بكر إبراهيم دابو (حفظه الله) الذي قدم كثيراً ولا يزال يقدم أعمالاً جديرة بالتقدير، منها ترجمة بعض الكتب الفقهية على مذهب الإمام مالك (رحمه الله)، إلى لغة الماندينغو مكتوبة بالحروف العربية مثل كتاب (الأخضري) و(العشماوي)، كما ترجم أيضاً، تفسير الجلالين، إلى لغة الماندينغو، لكن

الماندينغو	الفولانية	معنى الكلمة العربية
مانو	مار	ـه
كيتو	هيت	ورقة
بابا	بابا	أب
كنتو	كت	آخ كبير
ديرو / بو	?	خدر
نوبرو	نويلا	ظلم
دبو	دود	فاحم
ليمنو	ليمنو	برتقال
جيابي	جياتك	مصيبة
مونو	مون	شعير
سيكو	سنك	خصوصية
جاكلو	حاكل	حيرة

ولا بد من التنبيه إلى أن هذه الجهود الجبارة التي قدمها هؤلاء ما زالت مخطوطة وهي في حاجة إلى الطباعة.

اخترع هيمري من مدينة الفنيدمو في منطقة كوبا كري حروفاً وأرقاماً تكتب بها لغة الكانديمو وهي منتشرة في غينيا الآن.

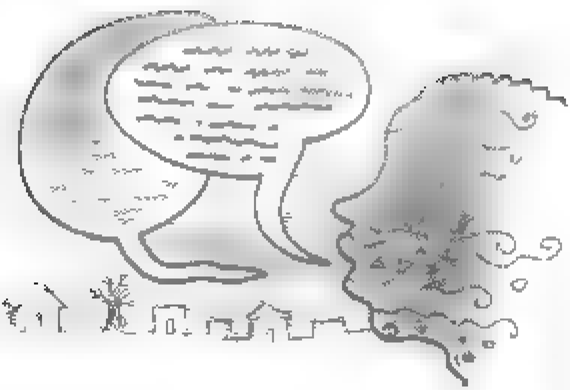


قواعد في لغة الكانديمو

من المؤكد أن لكل لغة نحوها لأن اللغة لا تتم بدون النحو، لذلك نود الإشارة إلى القواعد الأساسية التي تخضع لها لغة الكانديمو وهي على النحو التالي:

1. الكلام في لغة الكانديمو يتكون من اسم وفعل وحرف جر والفعل ينقسم إلى متعد ولازم[5] عند تركيب الجملة الاسم يسبق الفعل دائماً وحرف الجر يتأخر دائماً إذا كان الفعل لازماً من حروف الجر في الكانديمو (كا) بمعنى على و(كن) بمعنى في و(بة) بمعنى من. مثال الجملة: محمد سيت سيرو كا. بمعنى جلس محمد على الكرسي أو محمد جلس على الكرسي، وفي لغة الكانديمو لا بد أن يتقدم الاسم في هذه الجملة على الفعل في الكلام الفصيح.
2. لغة الكانديمو تراعي الترتيب في تركيب الجمل فتبدأ بالفاعل ثم المفعول. مثال ذلك: أبو بكر وولو بمعنى ضرب أبو بكر الكلب أو ضرب الكلب أبوبكر في العربية أما في الكانديمو فالترتيب ضروري.
3. في لغة الكانديمو يتقدم الموصوف على الصفة كالعربية مثال ذلك: كرند كللا بمعنى طالب مجد. الموصوف في لغة الكانديمو لا يجمع إنما جمع الصفة إذا أراد المتكلم أن يعبر عن جمع الموصوف.
4. علامة الجمع في لغة الكانديمو هذه عند جمع الأسماء وهي (نْ) إذا أردت جمع كل كلمة في الكانديمو تضيف هذا الحرف إلى الآخر فيصبح جمعاً مثال ذلك كرمو بمعنى أستاذ عند الجمع تكون كرمونْ بمعنى أساتذة ولا توجد علامة للمثنى إلا بذكر العدد.
5. في لغة الكانديمو لا فرق بين المذكر والمؤنث.
6. الفعل في لغة الكانديمو ينقسم إلى الأزمنة الثلاثة الماضي والمضارع والأمر.

(5) هذا هو الفصيح في لغة الكانديمو.



كيفية اشتقاق اسمي الفاعل والمفعول في لغة الماندينغو

1. يشتق اسم الفاعل في لغة الماندينغو من المصدر وذلك بزيادة حرف (ـا) إلى بعض المصادر وحرف (لا) إلى البعض بمعنى أن لاسم الفاعل شكلين في لغة الماندينغو مثال الأول كرا: مصدر بمعنى القراءة واسم الفاعل منه (كرنا) بمعنى القارئ، ومثال الثاني (تامو) مصدر بمعنى سفر واسم الفاعل منه (تاملا) بمعنى مسافر.
2. يشتق اسم المفعول أيضاً في لغة ماندينغو من المصدر، وله شكل واحد فقط وهو زيادة حرف (ـهو) إلى المصدر مثال ذلك (كرهو) بمعنى مقروء و(دمرهو) بمعنى مأكول، و(امسهو) بمعنى مشروب.

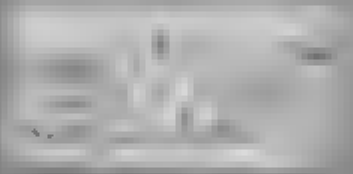
ملاحظة: حرف (لي) يكون كلمة وعندئذ تعني معنى هو وهو شبيه بـ(هي) في العربية.

الخاتمة

الحمد لله الذي هداني إلى الوصول إلى هذه المعلومات القيمة في هذا البحث المتواضع، وهب أشجع وأوصي المشرفين بتشجيع هذه الأبحاث، وفي مواضيع مقارنة كهذه. وذلك لما رأيته في هذه المقارنة بين العربية والماندينغو، حيث إن اللغات الإنسانية تتشابه في كثير من الأمور، وتختلف أيضاً في كثير، والمقارنة هي التي تكشف لنا ذلك التشابه أو الاختلاف. الأمر الذي يؤدي إلى سهولة دراسة أي لغة من اللغات الإنسانية.

استنتجت من هذه المقارنة أن لغة الماندينغو قد اقترضت مفردات كثيرة من اللغة العربية. وإن كان لبعض هذه المفردات المقترضة، اسم خالص في لغة الماندينغو لكنه كاد ينسى. كما اكتشفت أن لغة الماندينغو تشارك بعض اللغات الإفريقية، في مفردات كثيرة.

من حيث التشابه بين اللغة العربية والماندينغية رأيت أنهما تتفقان في تقديم الموصوف على الصفة، ومن حيث الاختلاف رأيت أن الموصوف لا يجمع في لغة الماندينغو بينما في العربية يجمع، كما أدركت أن تركيب الجمع والاشتقاق في الماندينغو يتبع كيفية محدودة، أما في العربية فهي متعددة ومتنوعة.



الكاتبة الصحفية الفرنسية

الغرب لا يعرف حقيقة العرب

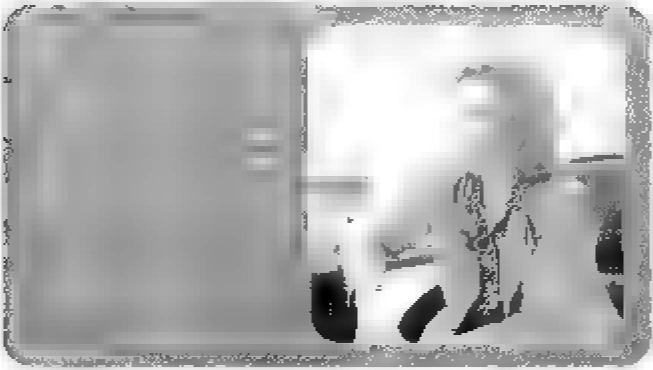
وأعجب بعائشة أم المؤمنين

الكاتبة الصحفية الفرنسية جينيفيف شوفال:

الغرب لا يعرف حقيقة العرب

إنصاف صلاح الدين وإعجاب بعائشة أم المؤمنين

حاورها بالإسبانية: عبد العاطي محمد عبد الجليل *
نقله إلى العربية: الهادي المبروك سالم **



في هذا الحوار الذي جرى مع (شوفال) دون إعداد مسبق ودون الالتزام بالشكل التقليدي للحوار الصحفي [illegible] يلاحقني بالسؤال قبل أن أبدأ [illegible] ما يخطر بذهني في سياق الحوار) كان لها سرد شيق للجذور العائلية والأسرية وجوانب من مسيرتها الكتابية وهي في هذه التجربة [illegible] كثير من الدهشة حين نرى أن هذه المواطنة الفرنسية [illegible] منذ الطفولة والصبا [illegible] بين الجزائر وسورية وفرنسا، ولعدد [illegible] مهنية [illegible] التصوير، الكاميرا والقلم معاً [illegible] ذلك اتقانها عدة لغات من بينها الإنجليزية والإسبانية والإيطالية بالإضافة إلى الفرنسية طبعاً وهي حالياً تتعلم العربية [illegible] الإمكانات والأدوات الحرفية.

* كاتب وصحفي وأستاذ جامعي، ليبيا
** أستاذ جامعي، ليبيا.



صورة للقائد القذافي سنة ٧٣ – تصوير [illegible]

استطاعت الكاميرا بتغطية الكثير من الأحداث في رحلاتها وأسفارها، التي جاوزت بها [illegible] الوطن العربي إلى العديد من بلدان آسيا وأفريقيا في عقدي السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي وكانت حركات التحرر الوطني في ذروة مدها، وتواتر حيويتها وانطلاقتها من أنجولا وموزمبيق وجنوب أفريقيا إلى أمريكا اللاتينية. كما قامت بتغطية [illegible] معارك التحرير في فيتنام وغينيا البرتغالية.

قالت: هل تصدقون أن في أرشيفي الخاص العديد من الصور التاريخية للقائد معمر القذافي؟

قلت: أية صور تعنين؟

قالت: [illegible] الصور حينها. كان ذلك في العام 1973، بعد قيام ثورة الفاتح بسنوات قليلة، وكنت وقتئذ التقيت القائد مع فريق تصوير فرنسي رفقة زوجي الذي كان يعمل محرراً بصحيفة (لوفيجارو) الفرنسية، وكنت موفدة مع الفريق بتكليف خاص من وكالة سيجما وهي من كبريات وكالات التصوير الصحفي في باريس حيث كنت أعمل مستقلة عن عمل زوجي.

كان لقاؤنا بالقائد يمثل حدثاً عظيماً بالنسبة لي شخصياً، والتقطت له صوراً كثيرة في مدينة مصراتة وكذلك في المدينة الرياضية هناك، وكنت أشعر بسعادة عندما أستطيع التقاط صور للقائد وهو كعادته يتحدث إلى الناس العاديين، ويستمع إلى مطالبهم وأحلامهم، ثم التقيت به في الصحراء والتقطت له تلك (الصورة الشهيرة) التي أعتز بها، وكانت لي زيارة إلى بيته في طرابلس، التي تعرض للغارة الأمريكية في مثل هذا اليوم (الخامس عشر من أبريل عام 1986). وهناك صورة للقائد وهو يقود سيارته الصغيرة (الفولكس واجن) موجودة الآن في البهو الداخلي بمبنى صحيفة [illegible] في طرابلس، والتقيت القائد وسط الجماهير في الساحات والمدارس والمساجد يتحدث دائماً للناس جميعهم وللطلاب.

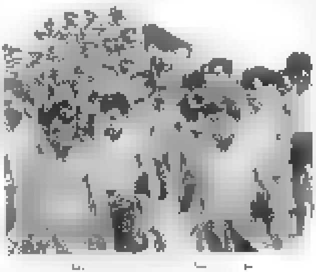
سني الطفولة الأولى في دير الزور والجزائر

سألت: العلاقة مع الوطن العربي كيف كانت بالنسبة لمسيرتك المهنية؟

صححت العلاقة بين العالم العربي والغرب؟

أوضحت: لا، بل أقصد علاقتك الشخصية بالوطن العربي

قالت: بالنسبة لشخصي لدي علاقة قريبة جداً فعلى الرغم من أنني لم أولد في الجزائر بل ولدت في جنوب فرنسا إلا أنني كنت كمن ولدت في الجزائر كانت عائلتي من جهة أمي ومن جهة أبي من الفرنسيين المستوطنين، يعيشون في الجزائر منذ بداية الاستقلال والاستيطان تقريباً وكانت عمتي من أمي مزرعة كبيرة بالقرب من منطقة سطيف بمدينة قسنطينة وأبي كان تاجر نقل ثم بعد ذلك عمل قاضياً يحقق العدالة ويتعامل مع مشايخ القبائل كان يتحدث العربية الفصحى وكذلك اللهجة المحلية إنها ذكريات طيبة. وبعد ميلادي بثلاث سنوات رافقت أبي الذي كان ضابطاً بالجيش الفرنسي إلى سورية ذهبت معه أنا وأمي مكثنا هناك ثلاث سنوات ثم عدنا إلى الجزائر والسنوات الثلاث الأولى في عمر الإنسان هي من أهم السنوات، كانت إقامتنا في مدينة (دير الزور) قريباً من نهر الفرات تلك السنوات تركت



انطباعاً جيداً في نفسي، لم يظهر في بداية الحياة ولكنه ظهر فيما بعد وجعلني أهتم بالوطن العربي وقد درست في الجزائر القانون السياسي والتجاري والمدني العام

سألتها: هل كل تلك الدراسات كانت في الجزائر؟

أجابت: نعم، كانت أولاً في الجزائر ثم بعد ذلك في فرنسا، تزوجت في العام 1961 من صحفي مشهور بصحيفة "لو فيجارو"، كان زوجي كثير الأسفار إلى العالم العربي، وكان يتركني في المنزل وفي يوم قلت له إما أن يأخذني معه في سفرياته أو نفترق

قلت: هل كل رحلاته كانت للوطن العربي؟

أوضحت: كان يذهب إلى مصر وكردستان واليمن والأردن ويصطحبني بحجة أن الصحفي يحتاج لمن يصطحبه ويؤنس وحدته.

في إحدى مرات اصطحابي زوجي معه تركه يحاول يركز بالصدق فقلت له كيف أبقى بالصدق وأنت تجري مقابلات مع الرؤساء والوزراء وغيرهم من هذه الشخصيات؟ أريد أن أعمل شيئاً يشبه عملك ويكمله فالصحفيون يحتاجون دائماً إلى مصور لالتقاط صور المقابلات، وأنا أريد أن أشتغل بمهنة التصوير. قال إنه ليست لي خبرة، وأصبح يعدد الأعذار لكنه في النهاية سلمني آلة التصوير التي كانت معه، وتلك كانت البداية. تعلمت أن الصورة الجيدة في الصحافة لا تحتاج إلى تعليق فبمجرد النظر إليها تتعرف على مضمونها. والذي حدث أنني ذهبت إلى بعض الأساتذة في الوطن العربي لاكتساب مزيد من الخبرة.

في العام 1967م ذهبت إلى أنجولا وموزمبيق المستعمرات البرتغالية، ثم ذهبنا إلى فيتنام في العام 1968 ومن هانوي كان أول حقل صحفي جربته وأعطي بعض معارك التحرير في هانوي، بعد ذلك أصبحت متخصصة في التحقيقات الصحفية الحربية كما قمت بتغطية حرب الأيام الستة، ذهبت أيضاً إلى غينيا البرتغالية والقيمة التولار وهكذا بدأت عملي

مع وكالة «هاما» الفرنسية ثم انتقلت إلى وكالة «سيغما».

وبالبداية كانت زيارتي إلى ليبيا

قلت: إنها انجازات مهمة جيدة

قالت: نعم لقد تخصصت في عمل الاستطلاعات الصحفية، وكانت البداية بزيارتي الأولى إلى ليبيا عام 1970م[1] بعد هذه الزيارة كنت ألتقي الرؤساء والقادة المهمين في الوطن العربي وغطيت بعدستي معارك أكتوبر وعبور القوات المصرية قناة السويس

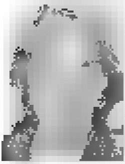
سألتها: هل يعكس العمل أنك متخصصة في قضايا الوطن العربي مصورة وصحفية؟

تجيب: نعم، لأنني كنت مصورة وصحفية عندما جئت إلى حرب السويس كنت هناك بصفة صحفية مع [illegible] ثم بعد ذلك بدأت أكتب المقالات وبعد عشرين سنة توقفت بعض الشيء بسبب وفاة زوجي ثم استأنفت الكتابة وبدأت تأليف الكتب، كان أول كتاب فكرت فيه هو كتابي «صلاح الدين» الذي حاولت من خلاله إبانة المواجهة بين المسيحية والإسلام وبما أنني مسيحية أظهرت كيف يتخيل المسيحيون المسلمين، وبعد الكتاب تمّ ترجمته إلى العربية وحصل على جائزة (فخر الدين) في لبنان، لأنه أول كتاب يقدمه شخص ليس عربياً وليس مسلماً معرّفاً فيه التعريف بالثقافة العربية الإسلامية

صلاح الدين الأيوبي بين الحقائق والمزاعم

سألتها: لماذا الكتابة عن (صلاح الدين)؟

أجابت: لأنني فكرت أنه في العالم الغربي لا يوجد

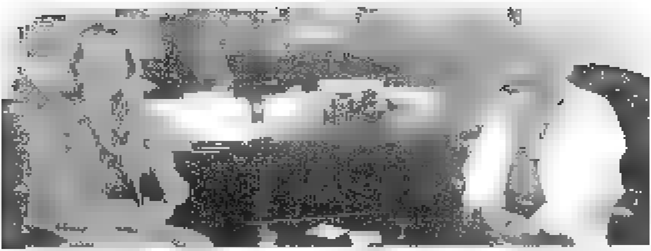


- الطفولة: في سوريا والجزائر
- الدراسة: الحقوق والعلوم السياسية في الجزائر وباريس.
- الزواج: تزوجت سنة 1961م من [illegible] شوفالييه ابن الصغير جان شوفالييه وكان صحفيا مصورا
- المهنة: صحفية، كاتبة، منتجة [illegible]

التصوير الصحفي والتحقيقات الصحفية المهمة

- عملت في الفترة من 1967 إلى 1984م مع وكالتي «غاما» و«سيغما».
- غطت حروب الشرق الأوسط [illegible] حرب «الأيام الستة» 1967م من سوريا والأردن، أحداث سبتمبر «أيلول الأسود» من عمان والأراضي الفلسطينية المحتلة
- نشرت صورها التي التقطتها في عدد من الصحف والمجلات العالمية مثل (التايمز، نيوزويك، باري ماتش، لوبوان، الإكسبريس [illegible]).
- التقطت صوراً مهمة ومشهورة لعدد من الرؤساء والقادة والزعماء، من بينهم: معمر القذافي، الرئيس الفيتنامي، ملك اليونان، هيلا سيلاسي «امبراطور الحبشة»، الملك حسين (ملك الأردن)، أمراء الخليج وغيرهم.
- تقيم معارض لصورها منذ سنة 1979م.
- صحفية ومنتجة برامج مرئية (1973 - 1981م).
- أجرت عدة مقابلات مع عدد من الرؤساء والملوك والزعماء من مختلف دول العالم.
- عملت مع وكالة «سيبا» بريس (1983 - 1985م).
- تفرغت للتأليف وألفت عدة كتب رومانسية وتاريخية في صياغات روائية.

[1] في عام 1970 [illegible] مع [illegible] في أوروبا [illegible] في باريس عندما [illegible] من الصحفيين الفرنسيين [illegible] معمر القذافي يوم [illegible] [illegible] من الكتاب والصحفيين [illegible] (التحرير).



الكثيرون ممن يعرفون العالم العربي وحقيقة الإسلام. وأنا أريد التوضيح بأننا متساوون، وأنتمي إلى ديانات متشابهة في مبادئ الإسلامية واليوم يتوجب علينا العمل جنباً إلى جنب متحدين من أجل السلام. ومن أجل العمل معاً يجب أن تفهمك وتفهمني، لأنك إذا تعرفت على الطرف الآخر في ديانته وثقافته تهيأت فرصة التقارب والتعاون في العمل المشترك.

> صلاح الدين بطل بالنسبة لنا أيضاً

أحببت صلاح الدين لأنه بعد عشرين سنة من العيش في الشرق العربي والتعرف على كثير من الرؤساء العرب، والكثير من الناس، فكرت أنه بالإمكان أن أقدم للعالم شرحاً وتوضيحاً لسطوة العروبة حول العالم العربي، فمن خلال الحروب الصليبية وما قرأته عنها يجب القول إن الغربيين لم يكونوا دائماً أبرياء، ولا العرب كانوا الأكثر قسوة.

سألتها: صلاح الدين بالنسبة للعرب والمسلمين بطل تاريخي، فكيف هو بالنسبة لكم؟

قالت بتلقائية، وبالطبع: هو أيضاً هو بطل، صحيح أن بعض الناس يعتقدون أنه قاتل وظالم، ويزعمون أنه قتل الكثير من المسيحيين.

قلت: يعتبرون صلاح الدين عدواً للمسيحيين

أجابت: وكأنهم تستغرب كيف وجدت في التوضيح بشكل واضح: لا لا. إنها الحرب التي بدأها الغربيون وعبر محاولة لتصحيح التاريخ.

وقلت: قصة صلاح الدين والملك ريتشارد مشهورة جداً.

صمتت بهدوء... نعم، إنها مشهورة، لكن الناس يجهلون أشياء كثيرة غير صحيحة. وأنا أحاول إظهار الحقيقة، وذلك من خلال عدد من المعلومات من مراجع المسيحية والعربية الموجودة لدي في المكتبة الوطنية في باريس، حيث توجد لديّ مراجع لا بأس بها بالعربية، وكذلك الكتب المترجمة.

قلت: أشكرك كثيراً على هذا الجهد.

مشكلة العرب

ثم حولت الحديث إلى طرف آخر فقلت: تحدثت عن العرب في الوطن العربي والمشاكل العالقة في هذا الجزء من العالم، هؤلاء البشر من الناس العاديين البسطاء، ومنذ أكثر من مائتي سنة وهم يعانون من الآثار المتخلفة من الاستعمار، فما الأمر في الواقع؟ من المسؤول عن ذلك؟ هل هم الغربيون؟

قالت: أعتقد أنه بالنسبة للعرب لا نستطيع نفي

تلك العقلية الاستعمارية التي كانت سائدة. فقد كانت الامبراطورية الإنجليزية في تلك الفترة، واليوم الأمريكان، يحملون نفس العقلية، حيث يعتقدون أنهم وُجدوا لينهبوا هذا العالم، والسيطرة على الشعوب في ثقافتهم ودينهم، وأنهم يفكرون في نشر حضارتهم للعالم.

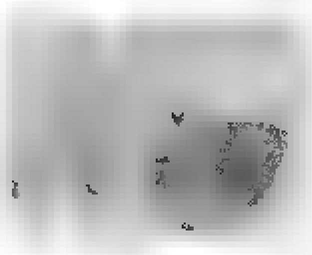
قاطعتها بهدوء: ولكن نقل الحضارة للعالم أو تصديرها أو العمل على تقديمه شيء إيجابي، ولكن لا يجب أن يكون ذلك بواسطة الحروب والدمار.

قالت بهدوء واضح: نعم، ولكن في تلك الفترة حتى فترة الاستعمار وقبل قرنين من الزمان كان هذا هو تفكيرهم، لأن عقليتهم في تلك الفترة كانت مبنية هكذا.

قلت: ولكن هذا ما زال مستمراً حسب ظواهر الأحداث.

حاولت الإيضاح بقولها: نتحدث في العقلية قبل قرنين من الزمان كيف كانت، وكيف كانوا يفكرون؟ كانوا يفكرون في مطمعين: الحروب والتحكم فيها ونشر ثقافتهم ودينهم إلى العالم. الوطن العربي في تلك الفترة كان محتلاً من قبل الإمبراطورية العثمانية وتغيرت كثير من الأشياء بعد سقوط هذه الإمبراطورية عام 1920، بعد الحرب العالمية الأولى، ففي هذه الفترة قام الفرنسيون والإنجليز بتقاسم الدول العربية فيما بينهم، فظهر ذلك في معاهدة (سايكس-بيكو)، المصيبة الكبرى بالنسبة للدول العربية تمثلت في وعد بلفور [illegible] التاريخ بالكامل لأن ما كان يريده اليهود [illegible] في فلسطين [illegible] والآن يريدون المنطقة بكاملها.

قلت: إسرائيل كيان ليس له حدود مرسومة ومحددة بل حدود مفتوحة، وهذا نهج ينذر [illegible]



صورة [illegible]

ذهبت إليه حين قلت إن السعي الآن هو احتواء كل الأراضي العربية.

قالت: مشكلة العرب تكمن في التفرق، لكن ما سمعته أمس في الندوة التي حملت عنوان (المستقبل لمن؟) شيء مهم [illegible] قد يريدون الحصول عليه لا يمكن أن يكون بالحرب لأنها غير مجدية وغير ممكنة مهما يمتلكون أسلحة ومعدات حربية، ويمتلك أمام الطرف الآخر [illegible] لا تساوي شيئاً ومهما امتلكت من قوة فإنه يوجد من هو أقوى منك. الحرب تهدم الإنسان والحجر في جزء كبير من هذا العالم، لذلك فلا بد من حل إيجاد طريقة أخرى للتفاهم، ألا وهو الطريق الثالث الذي أشار إليه [illegible] الندوة، أعتقد أنه جيد جداً، ومن [illegible] الثقافة الإسلامية والحب والقرآن [illegible] ذلك أن الدين يعني السلام والرحمة، إذا وجدت هذه الطريقة الوحدة القوية ولكن هذا غير موجود في هذه الفترة، انظر مثلاً إلى ما يحدث [illegible] [2] [illegible] رغم الأنوف.

التفتت إلى موضوع [illegible] واضح للجميع، فالإسلام لا يعني العرب فقط.

قولها: نعم، إنه منتشر في كل العالم، يوجد

(1) إشارة إلى الندوة التي عقدت صباح يوم [illegible] في [illegible] بجامعة [illegible] الدعوة الإسلامية العالمية بمشاركة عدد من الباحثين والمفكرين من عدد من بلدان العالم، وكانت [illegible] التحرير

(2) [illegible]

النسيم الهندي والباكستاني والأندونيسي بعمومه فهو يعني جميع البشر

الدين أو الجغرافيا

فسنك من هذا استطيع طرح السؤال التالي: الإسلام والغرب مصطلح يستعمل في الصحافة والسياسة وبالنسبة لي لم أستطع فهم هذا المصطلح ذلك أن الإسلام دين، و(الغرب) في تصنيفه يكون إما جغرافيا أو ثقافة. إذن ماذا نضع (الإسلام) في مواجهة الجغرافيا أو الثقافة، فالإسلام ليس بلدا في الشرق، كما أن الغرب لا يعني أوروبا أو أمريكا فقط فإذا كنا نتحدث عن الثقافة فنحن غربيون في مدينة وما كلف ولنا بيوتك ولن أدخل في عمق التفكير الملائم أما إن كان (الغرب) يعني الجغرافيا فالإسلام ليس بلدا ولا منطقة الـ... في هذا المصطلح فكرته غير واضحة وهذا يدفعنا إلى التساؤل: ماذا الإصرار على استخدام هذا المصطلح في وسائل الإعلام وفي الخطاب السياسي؟

اليوم في (الغرب) وفي (الشرق) بين قوسين يأتي في الشرق، وأعبر من الجانب المقابل للغرب ذلك أن موقع الإنسان الجغرافي هو الذي يحدد الشرق والغرب بالنسبة له. إنكم في الغرب تقولون: (العرب والإسلامي) و(الغرب والعالم العربي) لا تقولون مثلا مسيحية أو اليهودية أو الإسلام، لأن الإسلام دين، والعرب قوم يعيشون في وطن يعرف بالوطن العربي تقولون: (الشرق الأكبر) وتقصدون الإسلام. أما الغرب فهي كلمة تشير إلى مكان موضعي، فلماذا هذا التعبير الذي يخلط بين الدين والجغرافيا، أو يضع الدين في مواجهة مع الجغرافيا أو في مواجهة الثقافة؟

التشويه بالحضارة

وخيل لي أنني أطلت كثيرا، لكن محدثتي احتاجت أن تتناول الموضوع من جانب آخر ليس بعيدا عن طرحها، لكنه أيضا ليس قريبا، فقالت: في الغرب وخصوصاً في الولايات المتحدة الأمريكية لا يعرفون التاريخ، حيث تستثني منهم المستشرقين فالأمريكان ليست لديهم أي فكرة واضحة عن العرب العرب ليست لديهم شركة مطاعم ماكدونالد ولا مشروب كوكا كولا)

قلت: مقاطعا: لكل شعب عاداته وتقاليده من حيث أكله الخاص وأشياؤه الخاصة، وتحن كذلك لنا أكلنا وأشياؤنا الخاصة

> «الأمريكان ليست لديهم أي فكرة واضحة عن العرب»

قالت: ومع أنني أحترم،

قلت: لا يمكن إرغامنا على الأكل في ماكدونالد بالقوة هذا غير معقول.

قالت: لكن ما يحدث هو أنك تدفع نحو المسميات الأمريكية وتشوه الحضارة الأمريكية وهذا يحدث في فرنسا أيضا وهو غير صحيح، هذه ليست حضارة وأن هذه حضارة سيحرض القنوات التلفزيونية، في الحقيقة لا توجد محطات فرنسية وإنجليزية ما تشاهده هو بعض الأفلام التافهة والهابطة جدا نظرة الغرب إلى العالم العربي نظرة خاطئة وقابلة

فماذا عن مسؤول عن هذا؟

أجابت: أعتقد أن الأمريكان هم الذين يسوّقون هذه الترهات غير المسؤولة التي لا يمكن تسويقها في موطن آخر غير الوطن العربي.

قلت: أين هو الدور أو التأثير الفرنسي والتأثير الإسباني؟ الفرنسيون والإسبان على سبيل المثال لم لا يكون لهم دور مهم على الأقل في المنطقة المحيطة بهم فهم من مجموعة دول البحر المتوسط ولهم

مسلمون في المنطقة ويمكنهم التأثير إيجابياً.

قالت: أنا لا أعرف ماذا لا يفعلون!

قلت في نفسي لعلها تعرف أكثر من حيث تكتب عن أن تبتعد عن غلطة الأخذ بمطوية ثم استطردت وقالت: إنه سؤال مشروع على أية حال والأفكار ربما ليست واضحة. نحن بشر نجاهد من أجل أن نعيش حياة هادئة إيجابية. لكنه الآن شيء غير واضح. تعالي العرب والعربيين والأفارقة والأسيويين يسعون بجد للحصول على شيء إيجابي، لكننا لا نعرف هل نستطيع ذلك أم لا؟

قالت: يجب أن نبذل مجهود قوي في جميع المجالات لأجل التحاور. الحرب ليست حلاً. هناك أشياء كثيرة نستطيع عرضها للآخرين، وإيجاد التماس بين العرب والغرب، والعرب والإسبان، وبين الإسبان والفرنسيين، ولهذا أنا أهتم كثيراً بلغة الحوار. وبعود إلى القول في كتابي «صلاح الدين» تحدثت عن الحوار، وأن عربية النظر إلى الوطن العربي واضحة بحسب عيني كل ما يمكن التساؤل بشأنه، نحن منزعجون، خصوصاً في المنطق الديني. أعتقد أن نبينا المكرم نفسها البابا (يوحنا بولس الثاني) قال: يجب علينا أن نعترف أن الديانة المسيحية هي ابنة للديانة اليهودية. وأعتقد أنه سيأتي اليوم الذي نصل فيه إلى قناعة بأن (إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد) هم من رب واحد. وفي كتابي الثاني الذي أقوم بإعداده حول (عائشة) أتحدث عن سيرة النبي محمد (إبراهيم، وعيسى، ومحمد) والجديد الذي جئت به (محمد) إنني أحاول إعطاء فكرة واضحة عن (محمد) وليس كما يسميه الآخرون (ماهوما)[*] أو (موهامات) فهو (محمد) هذا هو الاسم الصحيح.

قلت: تحدثت كثيراً عن نظرة من يطلقون على أنفسهم (الغرب)، كيف ترين نظرة العرب لهذه (الغرب)؟



بن هيثام ١٩٦٣ - ...

قالت: أعتقد أن العرب ليسوا منظرين إلى الغرب، يعتقدون ... ويسيطر عليهم عقدة النقص، على العرب الاعتزاز بثقافتهم وحضارتهم وتاريخهم، فالحضارة العربية مهمة جداً، ولولاها ما وصل الغرب إلى ما وصل إليه الآن.

حاولت أن ألتقط شيئاً عن هذه النقطة، وقلت: لقد تأسست أولى المدارس في أوروبا في الأندلس والتي كان يأتيها طلاب العلم من كل مكان للتعلم.

ويبدو أن جيسيفيف أرادت أن توضح أكثر فأجابت: نعم، لقد كانت الأندلس مدرسة. ثم ينبغي ألا ننسى الحروب الصليبية، ذلك أنه حين أتى مسيحيون من أوروبا من إيطاليا وفرنسا وألمانيا وغيرها لاحتلال القدس توطنوا هناك، وأسسوا دولاً ومناطق لأجل العيش، وكانوا من شرائح مجتمع مختلفة منهم الأمراء والملوك والحكام، وقد استفادوا كثيراً من وجودهم هناك، الأمر الذي كان له أثر واضح على الحضارة في أوروبا. صحيح أن إسبانيا لم تبعث جنوداً، لكنها كانت تريد (الحصن الأخضر)[1] و(صلاح الدين) أيضاً كان مهتماً بهذا (الحصن)، وكان يريد الحصول عليه بالقوة.

(*) (ماهوما): اسم يطلقه الإسبان على الرسول محمد ﷺ، وهي كلمة تحمل إيحاءات سلبية. (التحرير)

(1) (الحصن الأخضر) المذكور في ... الرواية، ويرمز إلى أن من يمتلكه يسيطر على زمع العالم. (التحرير)

قلت: لكن إسبانيا كانت شيئاً آخر. فبينما كانت تدور رحى الحروب الصليبية في الشرق، كانت الحرب قائمة ضد المسلمين في الأندلس، ولكن بطريقة أخرى، هذا تاريخ لا نستطيع نسيانه. ولكن الغالبية لا تريد الدخول فيه.

الهجرة

حاولت أن أنتقل إلى موضوع آخر فقالت: نعم أنظر الآن إلى كل المهاجرين الآتين للعيش في فرنسا وإيطاليا وغيرهما. أحياناً يكونون مرفوضين، نعم، حيث لا يمكن فيها العيش. لكن ما أفكر فيه اليوم هو أن أفضل طريقة يتبعها الأوروبيون لعدم استقبال كثير من المهاجرين، هي العمل على إيجاد حلول لهم في بلدانهم، وفتح مجال العمل لهم لأن ذلك يعطيهم الاستقرار.

قلت: البلدان الإفريقية في حقيقة أمرها غنية ولكن شعوبها فقيرة. فبرأيك إلى أي سبب يا ترى يعود ذلك؟

أجابت: لقد نهبت فرنسا مثلاً الكثير من الأموال إلى الحكام الأفارقة بعد الاستقلال، ولكنهم لم يقوموا بصرفها على شعوبهم، بل احتفظوا بها لأنفسهم، وصرفوها على مصالحهم الشخصية في الوقت الذي كان فيه من الواجب عليهم دعم اقتصاد بلدانهم حتى تستطيع شعوبهم العيش، ويجد الأفراد مواطن عمل يرتزقون منها.

المسلمون والأوروبيون

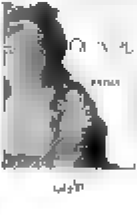
قلت: لعله من الصعب التحدث عن التاريخ دون أن يحضرنا شيء (السياسة) وأن نتحدث عن الثقافة دون الحديث عن التاريخ، كل هذه

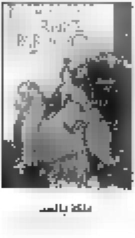
اسمي: Genevieve Chauvel (جينيفيف شوفال)، درست القانون في الجزائر ثم بعد ذلك في باريس. تزوجت سنة 1964 من صحفي مشهور وذهبت معه للعمل صحفية، كنا دائماً نذهب إلى البلدان العربية، مثل: ليبيا، الأردن، سوريا، الإمارات العربية، وغيرها. أول الكتب التي نشرتها كان بعنوان (صلاح الدين)، ثم نشرت بعد ذلك كثيراً من الكتب حول بولونيا وفرنسا والإمبراطورة (أوجيني) و(نابليون) و(فتاة السويس) و(لوكريسيا بورجيا)، وفي هذا الكتاب أردت قول الحقيقة حول الإشاعة التي تقول أنها كانت على خلاف مع (البابا)، وأنها كانت تقتل معجبيها بالسم، وهي قصة ليست حقيقية. وهذا الكتاب حول (أوجيني) كانت له أهمية كبرى في إسبانيا؛ لأنه ترجم إلى

من مؤلفاتها



رسام الملكة


الأوبة


ملكة بالعد

لأنها متداخلة، وأنت صحفية وكاتبة تعرفين الكثير عن الوطن العربي، لكني أود أن أنتقل إلى موضوع آخر مهم، ويشكل تحدياً ثقافياً واجتماعياً، وأعني المسلمين الأوروبيين، لماذا لا ينظر إليهم باعتبارهم مسلمين أوروبيين؟ [illegible] المسلمون في أوروبا وليس (المسلمين الأوروبيين)؟ هناك فرق كبير في المعنى أليس كذلك؟

قالت: في السابق كانت الديانة السائدة في أوروبا هي المسيحية، واليوم يتحولون إلى العلمانية

ونحن لا نعيش في محيط لا ساحل له [illegible] عصر الحديث في النقطة التي [illegible]، ولكن، هذا كلام فقط، الواقع هو عكس ذلك تماماً. إذا كانت أوروبا علمانية، لا [illegible] فهم لا يطبقون [illegible] الأديان والمساجد؟

[illegible] أن تكون صحفية سياسية، ولهذا [illegible] على طرف [illegible] لتثبت أمر ما، ولقد قالت كذلك [illegible] في مصر هم مسلمون وفي ليبيا هم مسلمون، وإذا ذهبنا إلى [illegible] في فرنسا ولندن [illegible] الكثير من المساجد بينما في العالم العربي لا توجد كنائس كثيرة

فالأمر [illegible] واضح للغاية، أولاً الكنائس منتشرة في معظم أرجاء الوطن العربي ولا ننسى ثانياً أن الأمر برمته مرتبط بعدد أتباع هذه العقيدة أو تلك

المسيحيون والاضطهاد

[illegible] يأخذ الزمام في هذا الحوار [illegible] محظورة سياسية [illegible] المسيحيون اليوم في العراق وفي [illegible] مضطهدون

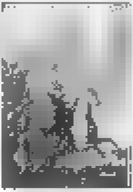
النسخة الإسبانية كذلك كتبت حول الرسامة [illegible] التي كانت رسامة الملكة (ماريا أنطوانيت)

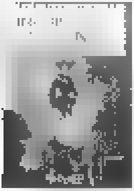
سألتها: هل نستطيع الاطلاع على هذه الكتب؟

أجابت: نعم، ستجدونها في شبكة المعلومات الدولية، أما أحدث الكتب فهو حول (العراق والصحراء) وفي شهر أكتوبر سيصدر كتابي الذي تحدثت عنه حول (عائشة) وهو للكاتب مهم جداً بالنسبة لي

سألتها: هل بإمكاننا أن نستخدم بعضاً من الصور التي تهتم بالثقافة في مجلتنا؟

قالت: مرحباً، نعم، وبإمكانكم إن أردتم استخدام أعمالي التصويرية حول المشاهير والثقافة [illegible] القذافي


[illegible]


[illegible]


[illegible]


[illegible]

يخيل لي أنني أدركت بعض ما ترمي إليه

قلت: هذا ليس صحيحاً، وإن حدث ذلك فإن السياسة لعبت دورها، وأعني بها سياسة القوى التي تدخلت في المنطقة بدليل أن المسيحيين في الوطن العربي يعيشون بكل هدوء، ولكن عندما دخل الأمريكيون إلى العراق والمنطقة كلها وبدأت الحروب انقلبت الموازين.

يبدو أن محدثتي أدركت ما أرمي إليه فقالت: نعم هذا صحيح، في الحقيقة أنه قبل الحرب كان المسيحيون ينعمون بحقوقهم وكان مستوى معيشتهم جيداً.

قلت: وما يحدث الآن ليس ذنبنا نحن المسلمين، مع محدثتي المتأمر حول القول بأن المسيحيين في الوطن العربي يعيشون وضعاً قلقاً، ولا ننسى أن المسيحيين العرب من مكونات المجتمع العربي الأساسية.

قالت: نعم، لقد لاحظت هذا في عدد من البلدان العربية، إنهم يعيشون حياة جيدة، وعلى العموم يجب علينا عدم الدخول في هذا الموضوع الجدلي لأنه ليس أساس لقائنا.

أدركت أن القضية برمتها كانت مجرد اختبار، ولكنه أنت ... معلومة عروبيها: نحن نتحدث بكل حرية ونطل من نافذة واحدة، إنها النافذة المفتوحة.

قالت: وأنا يعجبني هذا.

زواج عائشة أم المؤمنين

انتقلت بشكل مفاجئ إلى موضوع آخر وقالت متسائلة: هل تعلم أنني سوف أقوم بنشر كتاب حالي عن (الكوير القاسم) يتحدث عن (عائشة) زوج النبي محمد ﷺ.

علقت بقولي: هذا جيد، ولكن من أي منظور ستكتبين عنها؟

قالت وهي المتحمسة بهدوء وانطباع: إنها أم للمرأة والحب، ورغم الفرق الكبير عمرياً بينها وبين زوجها محمد إلا أنه كان بينهما حب كبير.

ومع علمي المسبق بوجهة النظر حول هذا الأمر سألتها: كيف ترين ذلك الزواج رغم الفارق العمري بينهما، هل كان أمراً منطقياً؟

أجابت بوضوح: في تلك الفترة وفي تلك المنطقة يعتبر منطقياً، لقد ... عندما كنت في اليمن جاء جار ... وهو أحد شيوخ ... زوجي، ويطلب ذلك الشيخ من زوجي زيارته في بيته ... ماذا عساه يكون ذلك الأمر الذي يقتضي الزيارة؟ وعندما ذهبنا رأيت فتاة عمرها ... قال لنا: هذه ستصبح زوجتي.

قلت: هذا لم يعد منطقياً في تلك المنطقة؟

قالت: من الواضح أنه غير منطقي الآن، ولكنه كان منطقياً في السابق، وهو يحصل دائماً حتى في العالم المتحضر، وقد كان طبيعياً في العصور الوسطى في فرنسا وإسبانيا وغيرهما، فزواج البنات في سن مبكرة مثل الحادية عشرة أو الثانية عشرة كان متعارفاً عليه، ثم بدأ يختفي، والدين متعمق في العالم العربي بعكس اليوم في العالم الغربي أصبح الشعور بالقدسية الدينية ... وهذا ما تحدثت عنه في كتابي الذي سأنشره عن حياة السيدة عائشة.

***

في ختام هذا الحوار الذي لامس نقاطاً عديدة قلت: إنها المرة الأولى التي تزورين فيها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

أجابت: نعم إنها المرة الأولى.

علقت على ذلك بقولي: أتمنى تكرار الزيارة حتى تتمكني من التعرف أكثر على نشاطاتها.

بدأ الهدوء يخيم على الحوار وهذا ما لمسته من قولها: ما أراه يدل فعلاً على مشاهد فعالة في ليبيا، ولا غرابة في ذلك، فالحرية والمظاهر الحضارية سمة عربية من حيث الاهتمام بالثقافة ونشر الكتاب واكتشاف الجديد.

قلت: لقد سعدت بلقائك، وأنا أهم بتوديعها: أشكرك كثيراً وأكرر ترحيبي بك في (صحيفة الدعوة الإسلامية) ومجلة (التواصل).



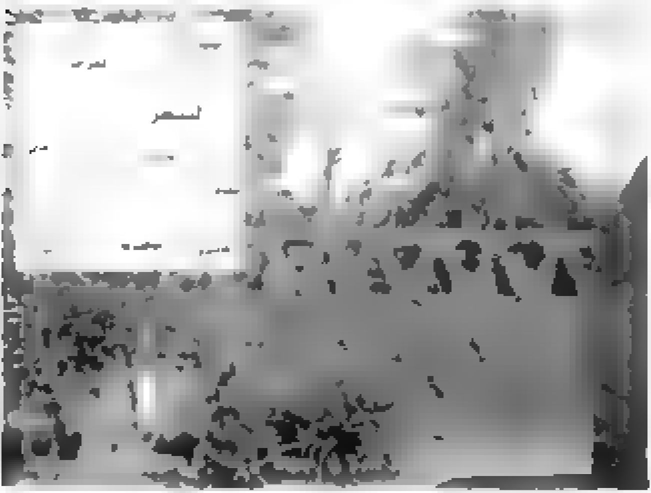


تسمية أغاديس

من البعيد جداً أن ألقي الضوء في مستهل حديثي حول تاريخ أغاديس، على كلمة أغاديس ومعناها. ولقد سألت بعض الطوارق الأوليميدن 'Oulliminden' سكان الشرق، ويعني ... الأسرة أو المجمع الآن بعض الأغاديسيين يقولون إن الاسم مأخوذ من الكلمة الطوارقية ... وتعني الزيارة، فتكون أغاديس حسب قولهم، مكان الزيارة ولعلهم على صواب فيما ذهبوا إليه ... الطوارق يفدون إليها من ضواحيها وقراهم ... المتاخمة للصحراء ... فيقابلون أميرهم سلطان أغاديس

الموقع الجغرافي

تقع منطقة أغاديس في أقصى شمال دولة النيجر الحالية وتبعد عن العاصمة نيامي بحوالي ألف كلم وتمثل أحد حواجز إفريقيا فيما وراء الصحراء. قال عنها مارمول: إنها تقع إلى الغرب من إقليم جوبر،[1] كما قال عنها التنبكتي: بأنها بلدة قريبة من بلاد السودان، وهي معمورة من قبائل صنهاجة[2] أما محمد بلو[3] فهو أدق تحديداً لأغاديس أهير، حيث ذكر أنها بلاد واسعة وفيها جبال ممتدة، يُعمرها الطوارق وبقايا صنهاجة وبقايا السودان، وانطلق إن الإسلام انتشر في هذا الإقليم كثيراً وظهرت في أهله البركة



2. انظر نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي ص

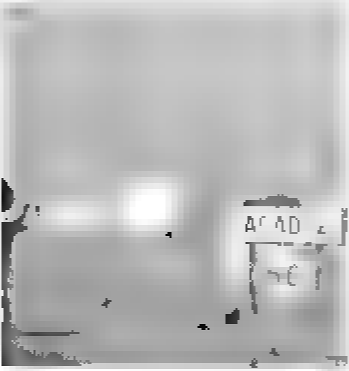
3. انظر إنفاق الميسور محمد بلو الفصل السادس في حديثه عن أهير أغاديس



جزء من مدينة أغاديس

والتبر. وكان منهم العلماء والأولياء ممن لا يحصيهم إلا الله، وضاعت مخطوطاتهم، لعدم تسجيل التاريخ في هذه البلاد. ولكن سأتحدث عن بعضهم إن شاء الله.

وأغاديس اليوم تضم أهم المدن والمراكز التاريخية والإسلامية في إفريقيا ما وراء الصحراء، وأهمها مدينة أغاديس الحالية، ويطلق عليها آير (Aïr) نسبة إلى الجبل المشهور، وهي الجوهرة الثمينة والقلعة الحضارية التي أفرزت العلاقات العربية الإفريقية في بلاد ما وراء الصحراء، وتضم بين جنباتها واحة جادو (Bilma) التي هي جزء من فزان من مناطق ليبيا، وبها أيضاً تجدة (Tigida) وأرليت والتحررين وغيرها من الأماكن التاريخية. وتقدر مساحتها بحوالي 60% من مجموع الأراضي التابعة لدولة النيجر الحديثة، وتتوسط طولا وعرضا [*] ولها حدود مع ليبيا والجزائر، وأراضيها صحراوية، وجوها صحراوي جاف، ودرجة الحرارة فيها مرتفعة، كما أنها في أيام الشتاء شديدة البرودة، وبها مرتفعات جبلية عملاقة



في الطريق إلى تماس

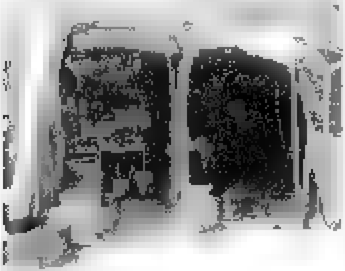
مثل جبل بغزان (Baguezan 2022m)، وجبال آير (Aïr) وتيمقلت (Tamgak) وغيرها من المرتفعات، ومن أبرز المدن التي يسكون معها القليم آير اليوم: أغاديس وأرليت وإنغال والطوارق والتبو وغيرهم

[*] انظر مجلة العربي العدد 530 يناير 2003م ص 14 إلى 23 مقالا عن جمهورية النيجر [illegible]

أغاديس وسكانها

توصف في الكتب القديمة بأنها مدينة مسورة يبلغ طول سورها على تخوم ليبيا [4] وهي مدينة السود التي تكاد تكون أبهى من مدن البيض باستثناء ولاتة؛ ودُورها متقنة البناء جداً وجميع سكانها تقريبا من التجار والأجانب وأهل البلاد فيها قليلون، وهم الطوارق، قبل تأسيس السلطنة وأغلبهم بدو، وسكانها يعملون متاعا حتى هذه اللحظة أو جنوبا للتجارة ... وهي مركز تجاري قديم ومهم، وهي مركز المتجمرة في وسط بلاد الطوارق وفي قلب الصحراء، وقد كانت مقر السلطان، ومسجد سلطانها كبير بالإضافة إلى كونها مركزا ثقافيا هاما وبها مسجد الشهير بمئذنته التاريخية وهي مقصد الزوار والرحالة

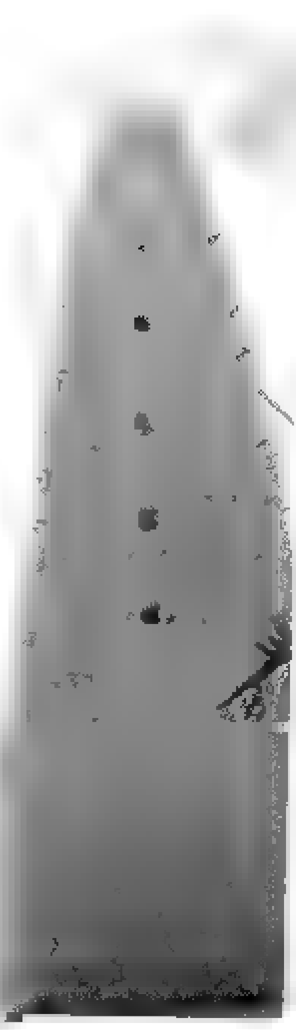
تعد أغاديس من حواضر إفريقيا الهامة فيما وراء الصحراء، إذ كانت ملتقى للقوافل التجارية القادمة من الشمال الإفريقي مع ... شهرة موقعها ... وتبدو ... بين ... مركزا تجاريا حتى ... للناظر أن يمر يوم إلا وقد ... قافلة أو غادرت أخرى، و ... من



رحى ... في ...

4. ... ص 11

5. انظر: ترجمة ... مخطوطة بمكتبة ... الدكتور ... في ...





الصناعات التقليدية التي ما زالت تجذب انتباه السياح وتستهوي قلوبهم، مثل: السرج والرحل وغيرها من المشغولات الجلدية التي تتفنن فيها سكان أغدامس.

وازدادت شهرة في القرن الخامس عشر الميلادي فنالت اهتمام كتّاب العرب ورحالتهم أمثال ابن بطوطة وغيره.

التركيبة السكانية:

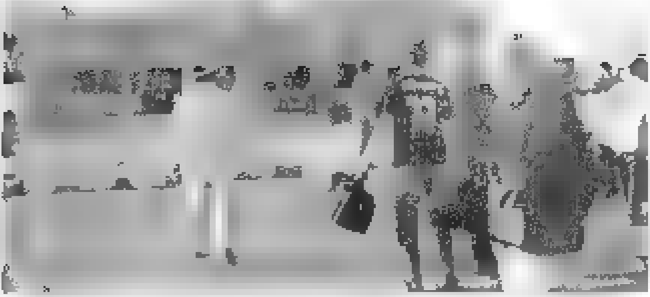
النسيج الاجتماعي لسكان غدامس خليط من الطوارق والتبو والهوسا، ويرجع السبب في ذلك إلى التواصل العربي منذ الجذور في أعماق التاريخ، وقد فرضه الموقع الجغرافي لتلاقي بمظاهره الطبيعية الخلابة، فبنت هذه الشعوب المتآخية علاقات أخوية مجسدة الآية الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ سورة الحجرات، الآية: ١٣

ويشير الأشقاء في غدامس إلى أن هناك قبائل عربية مشهورة سكنت غدامس، ويذكر منها خمس قبائل من مدينة أوجلة وهي: مسكا، ومسلك، ومسلدان، والكدال، والجذريين. كما توجد أسر عربية ترجع أصولها إلى سلالة الصحابة القادمين لنشر الدين وكان لهم أكبر الأثر في نشر الإسلام واللغة العربية، ولم تكن الجزائر هي الأخرى بمنأى عن هذا التواصل العربي فانصهرت في بوتقة النسيج الاجتماعي الغدامسي عبر التاريخ، حيث زار علماؤها غدامس ومنهم من هاجر إليها وأقام فيها مع أسرته إلى اليوم.

اللغة المتداولة:

اللغة المتداولة في غدامس لهجة تعبر عن الشعوب التي تقطنها إذ هي خليط من الطوارقية والعربية والتركية والهوسا التي تغلب عليها، ولا غرو عن قبائل الهوسا من تأثير في غدامس، بسبب التجارة وغيرها، وتسمى (أغدامسختي) نسبة إلى أغدامس.

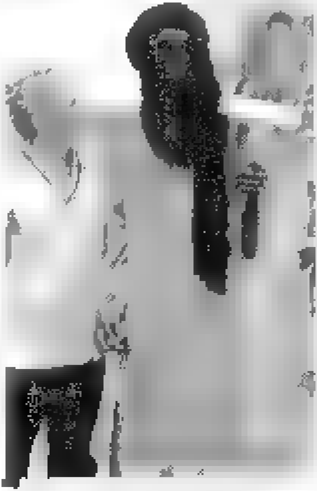


طلل: عابر

ويمكن أن نتبين حقيقة ذلك من خلال الألفاظ الطوارقية القديمة التي يستعملها سكان أغاديس في معاملاتهم اليومية، بالإضافة إلى الخصوصية التي يتميز بها لسان الأغاديسيين، في نطق بعض الألفاظ الهوسوية.

إمارة أم سلطنة أغاديس

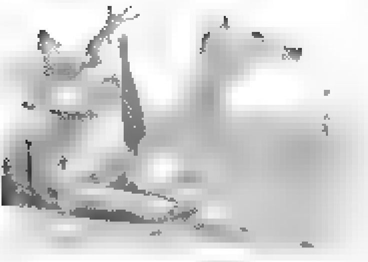
القبائل المؤسسة لأغاديس، شعرت بخطورة العصر عليها بسبب الهجمات القوية والنهبية عند تعارض مصالح الاجتماعية والقومية فاضطرت منذ البداية إلى تأسيس إمارة مختصة بفض النزاعات وإصلاح ذات البين، وقد أفاد مارمول، بأن حكام أغاديس من طينة بربرية نسبة إلى بلدة ويرتدي بعض اللبس النيجيرية، ويمتلك أميرها قصرا جميلا وسط المدينة، ويحميهم على حراسة شديدة[3]. إلا أن تعدد القبائل السوقية في عزلة، إذا خرج عن الخط المرسوم للإمارة ويستخلص أميرها مبالغ مالية هامة من الضرائب على البضائع سنويا.



سكرتير بيان واحد من غالب

انظر إفريقيا، مارمول، ص ٣٢٨، ١١٦.

ولقد شهدت امارة أغاديس تطوراً ملحوظاً حيث تحولت الى سلطنة دينية يرجع تاريخها الى ان الطوارق سمحوا بالخلافة الإسلامية في تركيا بوجود سلطان محايد يقيم بينهم لفض النزاعات التي تحدث بينهم من وقت و آخر وتم لهم ذلك فكان اول سلطان يأتي من اسطنبول بتركيا سنة ... مصحوب بمجموعة من اقاربه واصدقائه وهم الذين يسمون اليوم «اعدسساوا»



قصر سلطان اغاديس

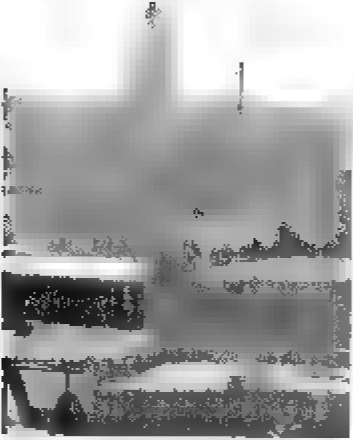
سلطان اغاديس جاء من اسطنبول وتذكر الرواية التي نقلت عبر الطوارق الذين خرجوا الى بلاد تركيا في طلبه، تذكر أنهم كانوا خمسمائة رجل وصل منهم الى اسطنبول سبعون فقط بعد ما جعل سلطان اسطنبول يترافق بهم ويقدم لهم ابنه ليكون سلطاناً عليهم. وقبل وصولهم الى اغاديس رمو سهماً من بعيد ولم يعثر عليه إلا بعد مسيرة سبعة ايام ولقد تم بناء قصر ملك اغاديس الحالي في مكانه

الحياة الاقتصادية:

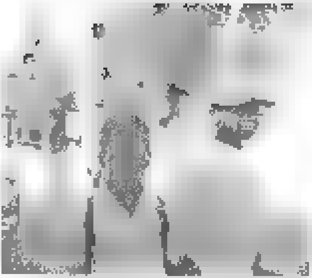
المدينة مركز تجاري عريق ومهم، وهو ملتقى مراكز التجارة في الصحراء ووسط بلاد السودان ويعتبر ملتقى للقوافل التجارية القادمة من الشمال الافريقي عبر الطرق الآتية

- طريق الشمال حيث غدامس وبندر كانو النيجيري
- وطريق غدامس إلى بلاد الهوسا عن طريق غات و تين عاديس

والطابع العام الذي يغلب على المدينة هو عبور وروح القوافل، حيث لا يخلو يوماً الا وقد جاءت قافلة



أو عالمية أخرى، ولقد اشتهرت أغاديس بحرفها التقليدية جملة منها:



الصناعات التقليدية

وتضم المصنوعات الجلدية مثل السرج والرحل وبتكاه والمحافظ وغيرها. كما ترصد بمصنوعات مختلفة من خدم بها أسواق أغاديس، ويشترك في صناعتها الرجال والنساء، ويرجع ما أشير إليه حتى الوزن في مرة: إن الرجال يصنعون منتجاتهم، وتختص النساء بصناعة الحصير والصناديق والمقاعد بصورة عالية

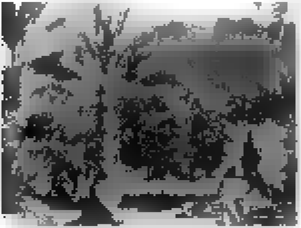


الصياغة والحدادة

أسهمت الحدادة في تنشيط اقتصاد أغاديس حيث تفوق حدادوها بإبداعاتهم المبتكرة في صياغة الذهب والفضة والسكاكين والسيوف والحلي وغيرها، ولقد جلبت هذه الصناعة لأغاديس تدفق السياح من مختلف بلدان العالم لاقتناء ما يناسبهم منها







الزراعة

نسبة الأمطار قليلة جداً في الصحراء وعاداس يجري منها، إلا أنها غنية بالمياه الجوفية العذبة. ويستغل سكانها هذه المياه في إنتاج محاصيل الزراعة، منها الخضراوات بمختلف أنواعها، وفي النخيل وغيرها، مثلا أشجار ... ذات الثمور اللذيذة. كما توجد في ... بساتين مكتظة بأشجار ... والعنب والليمون ورمان.

الرعي

تغلب الصبغة البدوية على الطابع العام لسكان أغاديس المنحدرين من الصحراء، حيث اشتهروا بالرعي، ولا يكاد يجد بيتاً في أغاديس إلا ويملك أصحابه رؤوساً من المواشي التي يستفيدون من حليبها ولحومها. وفي المناطق الجبلية الواقعة في ضواحيها التي لم تتأثر بالنهضة ما زالوا يمتلكون آلاف الجمال والأغنام والبقر، بعضهم يمارسون الرعي وينتقلون في الصحراء.

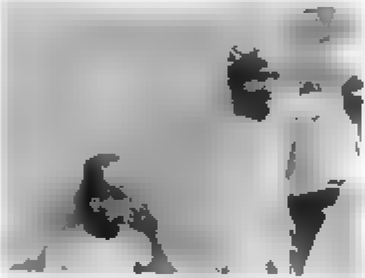
مناجم الملح

تضم واحة أغاديس أراض ملحية مثل ... وبيلمة، ولقد ساعد الملح في تطوير الاقتصادي قديماً وحديثاً، كما يستغله سكان المنطقة في الطبخ والرعي.

اليورانيوم والفحم

اليورانيوم الذي تعتمد عليه دولة النيجر في اقتصادها الوطني يوجد في أغاديس، بالتحديد في أرليت ... ويقوم بالعمل فيه شركتان.

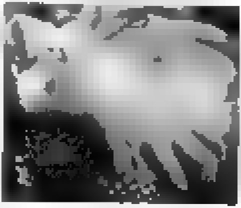




أما الفحم فيوجد في [illegible] ويتولى العمل فيه شركة متخصصة وتحتله منطقة [illegible] في انتاج الكهرباء. وتذكر المصادر أنه تم اكتشاف النفط في المنطقة ويتوقع مزيد من الاكتشافات مستقبلا

النشاط الاجتماعي

الزواج ومظاهره: يعتبر الزواج من أهم الأفراح وقد اهتم به سكان [illegible] اهتماماً كبيراً ولم يحدث فيه بعض التغييرات الطفيفة التي لا تمس جوهره حيث [illegible] هذه المناسبات [illegible] يقف عائقاً أمام الكم الهائل من المصروفات التي تتكبدها الأسرة في زواج ابنها أو ابنتها، ومن أهم هذه المظاهر:



ملكة عقد الزواج

وتتم عند ليلة عقد الزواج في بيت أسرة العريس حيث تقوم نساء الحي والأقرباء بالمشاركة الفعالة في إعداد الكعك والبسكويت والحلوى وهي [illegible]

الطعام تسعى لتكريم عائلتهم بالإضافة إلى حضور الأسرة ... تختص ... العيد ... النمر ... كما تحضر اللحوم وسعود ... وبعد عقد ... يجتمع الناس ... الذكر ... في ... ميمنة ... الشعرية ... في القصيدة ... بالإضافة إلى ... الوصول والشاكر

حفلة بركا

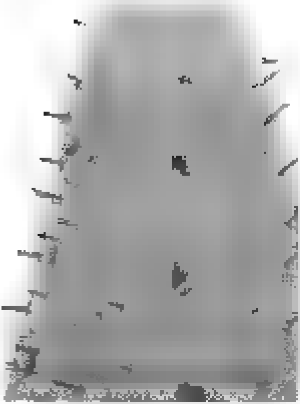
تقيم في كلمة بركا ... الذي ... الأعياد ... الشعبية في ... الأسر ... اليوم ... يجتمع فيها ... الأسرة

عند صلاة العصر ... الأوساط ... العرسان ... التقليدي ... الذي ... السور ... خيوط ... العصر ... الأسود ... بالعصا

أما ... بالأبيض ... السور ... الأبيض ... الأبيض الأزرق وعلى رؤوسهم ... للتمر هو ... الأسرة ... وهو يوم ... العصر الذي ... ثلاث ... العروس ... من ... في البعد وتعزيز العلاقات والروابط الاجتماعية







الأعياد المحلية:

تحتفل غدامس بأعيادها المختلفة، منها الموروث الذي تفرزه الحياة الصحراوية بعاداتها الأصيلة ومنها غير ذلك وسنوجز القول فيها كالآتي

عيد بيانو (Bianou)

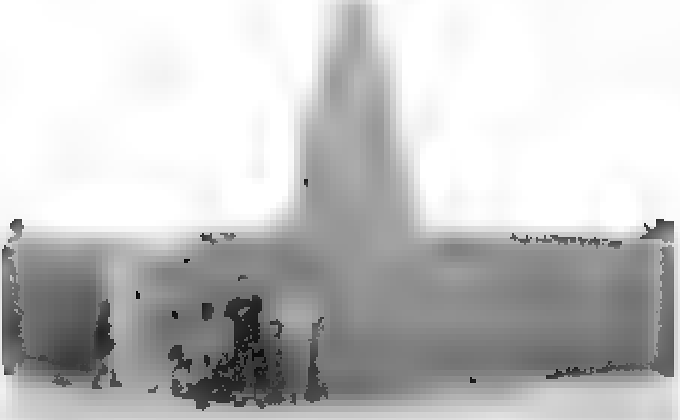
وهو مستوحى من السيرة النبوية عن استقبال أهل المدينة المنورة للرسول عليه الصلاة والسلام حينما حل بها مهاجراً، فجعل أهل أغاديس هذا الحدث الإسلامي عيداً يحتفلون به في كل سنة فيخرجون أطفالاً ونساء، شباباً وشيوخاً وقد ارتدوا أحسن ملابسهم وأبهى زينتهم، يضربون الطبول ويرددون الأناشيد الحماسية ويرقصون بأيديهم رماح وسيوف وعصي من جريد النخل (تكرندي) ولرقصاتهم وقع وأثر كبير في النفس لمستوى المشاهدين، ويستغرق هذا العيد ثلاثة أيام متتالية يبدأ من الصباح إلى غروب الشمس ويوافق الآن يوم عاشوراء في كل عام

عيد كرسي

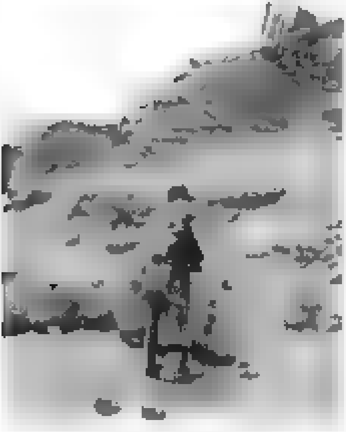
وهو خاص برعاة منطقة أغاديس ومزارعيها، يقام في المكان الذي تحدده سلطنة أغاديس حوالي منطقة كيجوجز، فيلتقي فيها هؤلاء للتعرف وعرض منتجاتهم وخبراتهم، وتتخلله عروض شعبية ممزوجة بالأغاني والرقصات الفولكلورية الساحرة، وأهمية هذا العيد تكمن في أن جميع سلطنات الطوارق الشمالية تشارك فيه ومن خلاله يجرون مباحثات حول القضايا المشتركة، وتتخذ بعض القرارات والتوصيات التي تكون في صالحهم، ويسمون هذا الملتقى تحت لواء واحد وهو سلطنة الطوارق رغم ...

الأعياد الإسلامية

وتضم عيد الفطر والأضحى والمولد النبوي الشريف، وفي هذه الأعياد يجتمع سكان أغاديس وضواحيها وأريافها في قصر سلطانهم لتهنئته بالعيد فتضرب الطبول مصحوبة بالمزامير التقليدية ليعطي سلطان أغاديس فرسه الذي تم تزيينه، فيصحبه



موكب من الخيول عائلة يتجول في المدينة ويتفقد أحوال سكانها كما يطلع على الأماكن التاريخية فيها، وهو اليوم الوحيد الذي يغادر فيه السلطان قصره طيلة السنة

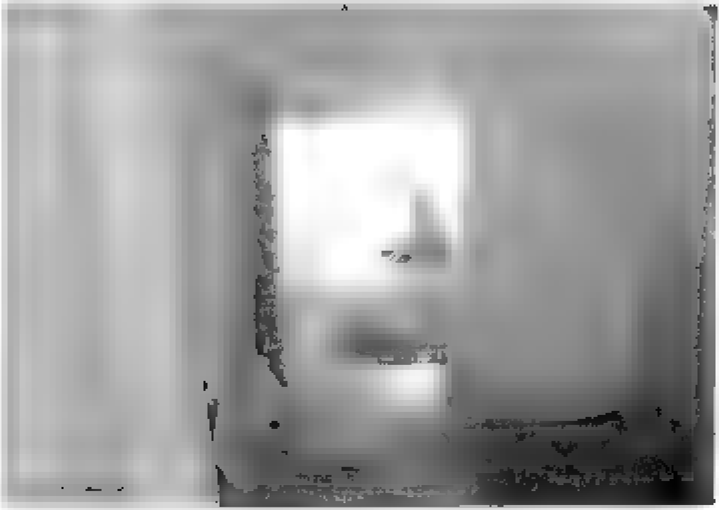


• دخول الإسلام في غدامس

إذا كانت [illegible] الدينية مشتركة بين البشر جميعا والاعتقاد بالوجود الإلهية [illegible] الطبيعة لسير الظواهر [illegible] مشتركة بين الناس فإن سكان غدامس لا يختلف البتة عن بقية البشر، إذ كانوا وثنيين، ولا دينيين، يقدمون القرابين حسب معتقداتهم طلباً للحماية ودفعاً للشر الذي يتربص بهم قبل مجيء الإسلام.

وغدامس هي البوابة التي دخل منها الإسلام لبلاد السودان في القرن السابع الميلادي، الأول الهجري بعد وصول القائد العربي عقبة بن نافع إليها فهو الذي فتح فزان وكاوار،[4] وهي المنطقة الأولى التي

4 [illegible]



[illegible] الإسلام [illegible] في [illegible]

[illegible] بعد [illegible] الإسلامي [illegible]

[illegible]

● انتشار الإسلام في [illegible]

[illegible]

[illegible] الإسلام [illegible]

[illegible] طبيعة [illegible] في [illegible] الإسلام [illegible] البلاد في الشمال الافريقي [illegible]

[illegible]

[illegible] وعبادات متحدة لا تختلف في أصولها [illegible]

[illegible] الإسلام [illegible]

[illegible]

(٦) انظر امبراطورية البرنو الإسلامية، إبراهيم علي طرخان، ص[illegible]

الفطرة الإنسانية حيث لا يكلف الله نفساً بما لا تطيق القيام به. قال تعالى:

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

286

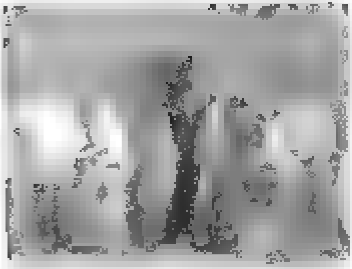
وساهم ذلك في انتشار الإسلام بسرعة منقطعة النظير.

التفوق الاجتماعي الذي يضمنه الإسلام لأتباعه إذ يمنح شعور المسلم نوعاً من التفتح على العالم الخارجي بما يحويه من استعداد فكري ونفسي يدفعه إلى التطلع لحياة أرقى وأفضل ويخرجه من وضع اجتماعي وثقافي واقتصادي معين به إلى وضع أرقى وأحسن.

الوسائل العملية لانتشار الإسلام:

العلماء والدعاة

نظراً إلى الحرص الشديد الذي التزم به الفاتحون، في تثبيت دعائم التعاليم الإسلامية في نفوس سكان الأماكن المفتوحة فقد بقيت منهم مجموعة من الدعاة والعلماء لتعليم الناس وتفقيههم، بالإضافة إلى العلماء الزوار الوافدين من



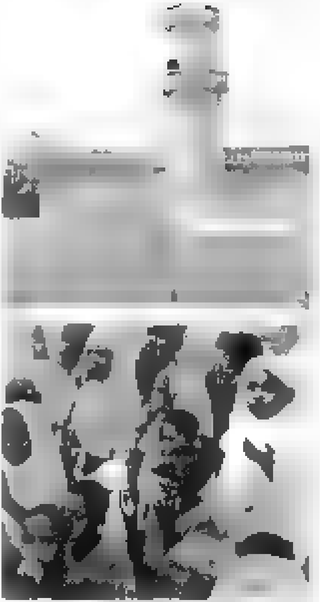
صورة لمدينة غدامس

المغرب العربي خصوصاً من ليبيا والمغرب ومصر وقد تخرج على أيدي هؤلاء العلماء شيوخ أجلاء نالوا شهرة علمية لا يستهان بها عبر تواصلوا المشوار لرفع راية الإسلام في المنطقة وخارجها.

المراكز الدينية (الزوايا)

تضم غدامس مراكز أساسية ومهمة للتمسك بالإسلام واللغة العربية أمثال كانو ووجدو التي أسسها أجدادهم في حقبة العصور حيث بنوا فيها





لم تبلغ أوج ازدهارها العلمي والثقافي إلا في نهاية القرن الخامس عشر وهو التاريخ الذي صادف وصول المصلح الكبير، أبو عبدالله بن عبد الكريم المغيلي التلمساني توفي 909هـ 1504م ولقد تخرج على يديه علماء وفقهاء مجددون، أمثال الشيخ العاقب بن عبد الله الأنوسمني مسوفة والشيخ شمس الدين النجيب محمد التمدرتي والشيخ محمد بن أحمد

الكنتي وغيرهم. وقد انتشر الإسلام في هذا الإقليم انتشاراً واسعا بتوجيه هؤلاء الدعاة، فظهر في أهله البركة والخير فكان منهم شيوخ وأولياء.

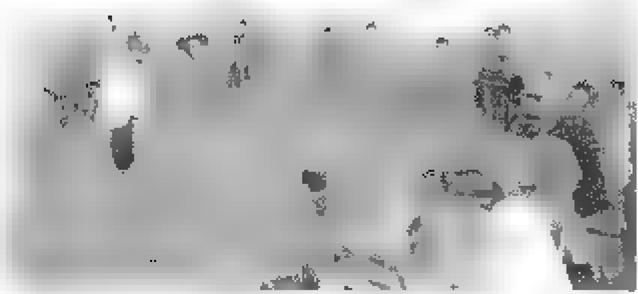
الجوامع والمساجد

واشتهر المساجد التي ساهمت بسهم وافر في انتشار الإسلام بأغاديس يرجع تاريخ تأسيسها استناداً إلى الروايات المتداولة بين سكان وأهالي المدينة والتي بها لا يدع مجالاً للشك الشيخ بخاري تلنوفي الأغلسي في مؤلفه القيم (تاريخ مدينة أغاديس ومسجدها العتيد) فذكر الشيخ أن الطوارق سكان أغاديس حينما أسلموا الإسلام وانخرطوا في صفه اضطربت أحوالهم في مباشرة الحرب الغاشمين في هذه المرحلة الإسلامية فوجهوا كتاباً رسمياً إلى ملك فاس بالمغرب يلتمسون منه تزويدهم علماء يثقفونهم ويعلمونهم في شؤون دينهم فلبى طلبهم وأوفد إليهم مجموعة من العلماء بصحبة بعض تلاميذهم ولقد انتشر هؤلاء العلماء في أحياء أغاديس فبنوا مساجد للعبادة وعقدوا الدروس وأشهر هذه المساجد مسجد (مريويت) ومسجد (الرقيمة) ومسجد (أمدت) ومسجد (سمسة) ومسجد (أيوتلو) وغيرها من المساجد التي لا يتسع المجال لذكرها.

كما أن للعلماء الليبيين الوافدين في أغاديس قصب السبق في بناء مساجد لا تزال تعرف بأسمائهم كمسجد حي (فيهمي) وترجع أصول أفراد هذا الحي إلى سلالة عالم ليبي من مدينة أوجلة[1] وكذلك مسجد محمد البخاري عمود الذي شيده بعد قدومه من ليبيا في القرن العاشر الهجري، ليكون منارة علم وعبادة. ولقد أبدع في بنائه أيما إبداع، حيث اختلف عن سابقيه من مساجد بشكله الهندسي القريب من

1) انظر تاريخ مدينة أغاديس ومسجدها العتيد الشيخ بخاري تلنوفي الأغلسي

2) انظر أفريقيا .... الدالي ص 64



البناء الحالي، وعلوه في الأعمدة الطوبية كطلية بطلاء بيضاء، وقد ترجم فيه نخبة كبيرة من العلماء أمثال الشيخ عثمان بن أبي بكر الحضيري الفزاني في عام [illegible]هـ الذي شغل منصب الإمامة فيه. والجدير بالذكر أن الشيخ عثمان بن فودي الفلاني المشهور قد تعلم أيضا في هذا المسجد العريق[12] ومسجد محمد بن عبد الكريم المغيلي، وغيرها من مساجد المدينة التي أسسها العلماء الوافدون والمهاجرون.

ولهذه المساجد دور مهم في نشر وترسيخ دعائم الإسلام في أغاديس وضواحيها، يؤمها العلماء ويقصدها الطلاب، حيث يتلقون العلوم الإسلامية والعربية بها، وأهم ما يدرس فيها:

حفظ القرآن الكريم وتفسيره، والفقه الإسلامي والعقيدة والميراث، وعلوم اللغة العربية كالنحو والصرف والبلاغة وغيرها.

أسلوب الدراسة

وأسلوب الدراسة هو أن يجلس العالم في زاوية مخصصة بالمسجد، فيجتمع به الطلاب كل مع كتبه يقرأ والشيخ يشرح ويوضح، ولهذا الأسلوب فوائد لا يستهان بها، إذ إن الطالب الذكي يستفيد من الكتب التي يقرؤها غيره فيوفر لنفسه الوقت والجهد في التحصيل.

الدهاليز والكتاتيب

لا يخالج الشك بأن الغالبية العظمى من سكان أغاديس يمتلكون دهاليز تحتوي على مكتبات ثرية في بيوتهم، يستقبلون فيها الطلاب الوافدين من الأقاليم المجاورة للتعلم على أيديهم، إذ كانت أغاديس شبيهة بالجامعة التي يفد إليها طلاب العلم، فيوفرون لهم السكن والطعام، مصداقاً لقوله تعالى:

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾
[الإنسان: الآية 9]

ولا تزال هذه الصبغة الجليلة والأريحية تغلب على أصحاب الدهاليز الباقية في الأحياء القديمة للمدينة مثل دهليز (مدمة) ودهليز الشيخ بخاري [illegible] ودهليز الشيخ يوسف بأوبتار) وغيرها من الدهاليز.

وقد يوسع البعض دهليزه ويضيف إليه مدرسة كتاتيبية تدرس مبادئ العربية وتركز أكثر على تحفيظ القرآن.



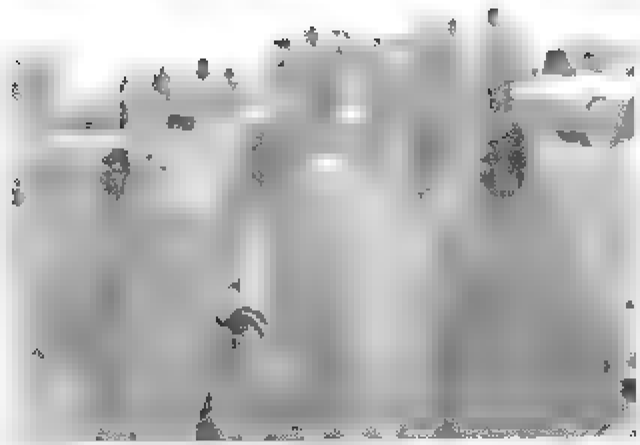
نشر الإسلام

عن طريق المراكز التجارية والأسواق

كانت الأسواق هي الأخرى ملتقى للصفقات التجارية والعلم، حيث ذكرت آنفاً أن أقاديس كانت وما زالت مركزاً تجارياً وطريقاً للتوصل الذي يعبر الصحراء قادمة من مصر فليبيا إلى منطقة بحيرة تشاد مروراً بأقاديس، والتي هي موسم للتبادل التجاري بين شمال إفريقيا والبحيرة، وبمجهودات هؤلاء التجار القادمين من الشمال الإفريقي، انتشرت الثقافة الإسلامية والعربية في المنطقة بأسرها، حيث يحمل هؤلاء التجار كتبهم، وقد يرافقهم علماء يعلمون الناس، فيمكن إدراك أن هؤلاء عملوا في نشر العلوم حيث وصلت بضاعتهم، فيجلسون أياماً أو شهوراً في [illegible] في الأسواق [illegible] قياماً وعرفاً فيه العلماء والمكتبات الثمينة تحتوي الكثير من الكتب القديمة والمخطوطات.

بعض علماء أقاديس

اشتهرت هذه المدينة العريقة بأنها موطن لعدد من العلماء الأفذاذ، الذين كان لهم دور مهم في تثبيت قواعد الثقافة العربية الإسلامية بتلك الربوع، إلى جانب دورهم الهام في ترسيخ العقيدة الإسلامية في المنطقة وعمومها. ولعل من أشهر هؤلاء العلماء الشيخ جبريل بن عمر، وهو من سلالة أولئك الدعاة الذين هاجروا من شمال إفريقيا إلى أقاديس منذ أيام الفتح الإسلامي، وداعية من أكبر دعاة الإسلام الذين شهدتهم منطقة السودان الغربي في القرن الثاني عشر الهجري، فقد ولد في المنطقة ونشأ فيها وترعرع، مستهلاً دراسته على أيدي علمائها، فدرس على الإمام العلامة الشيخ علي جبو والشيخ المتفنن محمد بن الحاج، كما أخذ العلم عن الشيخين الأخوين: أبي بكر بن عثمان وعلي بن عثمان ثم رحل الشيخ جبريل إلى بلاد الحجاز والمشرق



موريتي وتلقى العلم في المرة الأولى عن الشيخ يوسف المصناوي، كما تلقى كلا من المعارف والعلوم في المرة الثانية عن أستاذه المصري الشيخ محمد المرتضى الحسيني الواسطي ولعله جاره الشيخ المرتضى فضلا عن ذلك جميع مؤلفاته ومروياته.

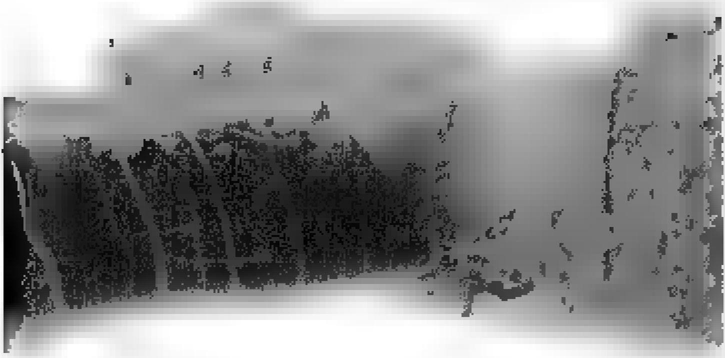
وتتلمذ على يديه عثمان بن فودي، الذي لقبه بأبي الأمانة وأخوه عبد الله بن فودي.

وكانت وفاة الشيخ جبريل رحمه الله في العقد الأول من القرن الثالث عشر الهجري، إلا أنني لم أقف على من تحدث عن مؤلفاته، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى ما ذكره محمد بلو من أنهم لم يهتموا بالكتابة.

ومن علماء أغاديس الشيخ الجليل العالم النحرير الفهامة، فريد وقته علما وديانة مودري بن الفقيه محمد الشهير بأغلمسه وقد أجاز العالم هارون بن جبريل جميع مروياته والذي هو الآخر أجازها للعالم الفهامة محمد بن سعد التدلسي رحمه الله.

ومنهم أيضاً الشيخ العلامة عبد الله الأتوسماني نسبة إلى الشعب الذي بتمبكتو وقد عرف بالحفظ والذكاء، ووقاد الخاطر تفرغ للعلم وفي لسانه حكم، وله مؤلفات عدة منها:

1. أجوبة الفقير عن أسئلة الأمير، وهو كتاب يضم جزءا من أسئلة سألها السلطان أسكيا محمد سلطان صنغاي.
2. الصواب المحمود من أسئلة القاضي محمد بن محمود، وهو كتاب ألفه للإجابة عن أسئلة وضعها قاضي تمبكتو.
3. وجوب الجمعة بقرية تومسلنت وهو الكتاب الذي ألفه رداً على الذين عارضوا إقامة صلاة الجمعة في مدينته (انسملن) وقد دار بينهم جدل قوي حتى تدخل الأزهر في القضية بعد أن وافق علماؤه رأي الشيخ العاقب.
4. وتعليق على قول الخليل وخصصت نية الحالف.



ومنهم شمس الدين الشيخ محمد المجيداوي الأنوسمي ووصفه أحمد باب التنبكتي بقوله: أحد شيوخ مصر، سمع منه وصلى، شرح مختصر خليل بشرحين كبيرة أربعة أسفار، وصغير في سفرين، وله أيضا على ... تعليق على المعجزات الكبرى للسيوطي، وله تعليق على تخميس عشرينيات الفازازي لابن مهيب في مدحه ﷺ. ولقد درس بأغاديس ومحمد ابن محمد التركي والولي العلي عيس والشيخ محمد التنبكتي وأحمد باريه وأحمد سلا بن كشكي والشيخ بكرى التي بنى عدد من المساجد، ومنهم الشيخ سيدي محمد الجيلاني الإمام العالم الرباني ذو المعارف الكثيرة والكرامة الأثيرة.

ومن بين هؤلاء العلماء القدامى الشيخ بخاري تانودي الأغاديسي، أستاذ الأجيال الذي نهض بعمل الدفاع عن الإسلام ونشر عقيدته السمحة. فقد كان مثلا واسعا لدعاة الصحراء، حيث انكب على الدراسة منذ نعومة أظفاره فلازم شيوخ أغاديس الذين نالوا شهرة واسعة، واستقى جل معلوماته ومعارفه منهم، ثم رحل إلى مكاتب مصر فدرس على الشيوخ المصريين الذين تولوا التدريس هناك، فأتيحت له هذه الرحلة العلمية أن يجمع بين الأسلوبين القديم والحديث في المؤسسات الإسلامية، وله مؤلفات عدة اشتهر بها نذكر منها:

- تاريخ مدينة أغاديس ومسجدها العتيق.
2- مقالة بيان في مدينة أغاديس.
3- مواهب الجليل شرح مرشد العقيدة أهل السنة.

وقد ترجم الشيخ باسمه في كتابه مواهب الجليل حيث قال: ... بخاري تانودي أغاديسي مجري مولدا ومنشأ.

معالم الحضارة الإسلامية في أغاديس

من أشهر معالم الحضارة التي بثها الإسلام في أغاديس، البيوت السكنية في أحيائها القديمة، والتي بنيت بالطين المخلوط بالتبن، وتجسد فنا من العمارة الإسلامية في أروع صوره، لا تزال محتفظة بطابع التقليدي العريق إلى اليوم.



وأكبر معلم إسلامية في هذه المدينة التاريخية مسجد الحاج أسكيا محمد الذي أمر ببنائه عندما كان في طريق عودته من الحج، إذ لاحظ أثناء إقامته بأغاديس أن مساجدها ضيقة لا تتسع للمصلين وللأحياء القرآن والعلوم الإسلامية، فساهم بهذا المسجد الذي بناه أحد الصناع يدعى زكريا في عام ... والمسجد بالرغم من أنه مبني بالطين ... قصير الجدران ومسقوف بالخشب ليست به نوافذ وعرض الصف فيه لا يتجاوز ثلاثة الأذرع ... مظلماً مسجداً، إلا أنه يتسع لأكثر من خمسمائة مصلٍّ.

والجدير بالملاحظة، أن أعمدة بنائه قد تمت على يد العالم محمد أبوبكر الشريف ... وله منارة شبيهة بمنارة مسجد تمبكتو وطولها ... سبعة عشر وعشرين متراً، ومئذنته ... لا تزال محط إعجاب السياح الغربيين والزوار والمؤرخين عرباً وعجماً.

وبعد ما قال المؤرخ ... حدث ... بتأكيد قيمة هذا المسجد إذا حق لي أن أفخر بتمبكتو فيحق للنيجر أن تفخر بأغاديس

أضرحة الأولياء والزوايا الصوفية

تزخر مدينة أغاديس بمراقد الأولياء والصالحين، ... منتشرة في أحيائها القديمة ... جدران من الطين على هيئة مربع غير مسقوفة تزار في أيام الجمعة للدعاء ووضع الصدقات، فهي التي ... في البيت.

كما يوجد فيها أيضاً مقبرة (تلمسي) ويذكر ... القديمة بأن فيها مراقد لتسعة وتسعين ولياً، إضافة إلى أضرحة ... وما جاورها من المراقد التي بها ضريح الولي المشهور ... ويوجد





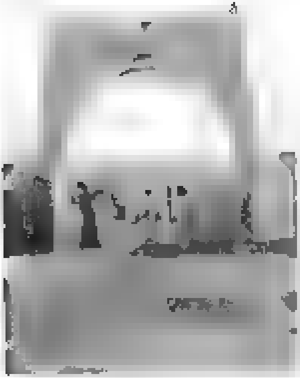
في قراش بمجاورة نفس مقابر الأولياء والصالحين في غدامس وليتول وجهكت وشمرس ولكريرت واوروور ومسجده التي هي مراكز يرجع تاريخها إلى القدم وقد شهد بعض معالم مدينة بتخصيص من هذه الأضرحة أماكن للخلوة والتقرب إلى الله

علاقة غدامس بالمغرب العربي والممالك الإسلامية الإفريقية

الجدير بالذكر أن غدامس دائماً تشترك ممالك الإسلامية الإفريقية بمالي وعملائها وبحكم موقعها الاستراتيجي في قلب الصحراء تتطلع إليها معظم الممالك الإسلامية، التي تأسست بإفريقيا على امتداد تاريخها الحافل بالعطاء ابتداء بمملكة كانم في سنغاي ولنا حديث حولها فيما بعد

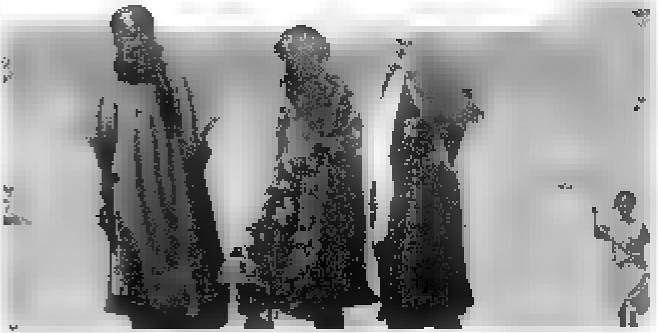
علاقتها مع المغرب العربي

ترتبط غدامس بالمغرب العربي نسبة إلى المغرب تونس



المراكز [illegible] علاقات موغلة في القدم، واشتهرت هذه
التجارة في تاريخها [illegible] غدامس وعدد من
[illegible] الأفريقية [illegible]
بينها وبين التجار العرب، الذين يعبرون الصحراء منذ
أيام الفينيقيين، إذ كانت القوافل المتنقلة تتاجر في
[illegible] التجاري، الذي كان للتجار الليبيين قدم
[illegible] فيه. وقد شهدت هذه العلاقة تطورات ملموسة
بعد وصول الإسلام فحدث التزاوج والمصاهرة بين
[illegible] الإسلامية في غدامس
[illegible] العلم [illegible] فتنقل العلماء
والطلاب [illegible] بعلوم الرجال والتجار
فانتشرت الكتب العربية في مدينة [3] والتي عكف
علماء غدامس على دراستها وشرحها والتعليق عليها
بل منهم من هاجر إلى المغرب العربي، فنال شهرة
[illegible] أمثال جبريل بن عمر الذي نال
إجازات علمية من مصر وغيرها كما أجازها العلماء
في الشمال الأفريقي، منهم علماء مدارس ليبيا، كما

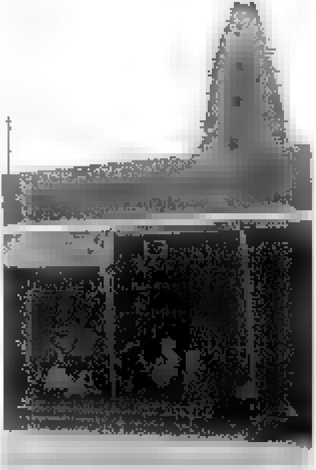




إن شيوخ المذهب المالكي في المنطقة أكبر دليل على عمق العلاقة

ولم تتوقف هذه العلاقات الروحية والمذهبية بين هذه الشعوب، مع أن المستعمر حاول بكل ما لديه من أساليب المكر والخداع، أن يحول دونها، فوقفت شامخة أمام هذا البناء الجارف والهدام. بل أنجبت تياراً موازياً له في مكافحته حتى الاستقلال

ومن مظاهر هذه الجهود يمكنني هنا أن أنوه بالجهود الجبارة والمتواصلة التي تبذلها ليبيا عن طريق جمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي أسهمت بتعزيز هذه العلاقات والروابط خاصة في مجال الثقافة فهي التي تبني مساجد وتشجع التعليم العربي الإسلامي في النيجر بوجه عام وفي مارادي على وجه الخصوص، فساهمت في توفير المعلمين النيجريين والليبيين ليباشروا التعليم العربي تحت إشراف دولة النيجر، وعقدت دورات التكوين لهم ووفرت الكتب ونظمت المسابقات في مجال حفظ القرآن الكريم، بالإضافة إلى نشر الدراسة في الجماهيرية وغيرها





علاقتها مع امبراطورية كانم برنو

[illegible]

[illegible]

علاقتها مع امبراطورية صنغاي

[illegible]

وأفاد حسن الوزان بأن سلطان أغاديس يحصل على صورة عام من الإتاوات على البضائع الأجنبية ومنتجات البلاد، لكنه يؤدي نحو مائة وخمسين ألف مثقال كخراج لملك تمبكتو. أضف إلى ذلك أن علماء أغاديس أسهموا بعلومهم وكتبهم في الإفتاء بتمبكتو كما في مسائل الدينية الشائكة لترسل إلى علماء أغاديس ليجيبوا عنها، وإن كتاب الصواب لجواب عن أسئلة القاضي محمد بن محمود للشيخ المختار بن عبدالله الأنوسمني التجداوي، خير شاهد على ذلك.

فالعلاقة بين أغاديس وتمبكتو علاقة جسد وروح فهما نفس واحدة، قبل الاستعمار معنوياتها، وأسباب التأثر أسسها لقائد معهد القدم في من خلال تظاهرتي التحدي الإسلامية، التي شهدتها الشقيقتان أغاديس وتمبكتو.

الاستعمار الفرنسي لأغاديس

كانت الصحراء وما زالت محل أطماع المستعمرين الأوروبيين، وذلك لما تتمتع به من مظاهر طبيعية ساحرة وثروات هائلة، والفضل من كل ذلك ما يوجد في رمال الصحراء من قيم الحجر وجواهر الثمن وغيرها، أضف إلى ذلك الموقع الاستراتيجي الذي تتمتع به أغاديس في المنطقة، فتكاتفت هذه العوامل جميعا لتجعل فرنسا الغازية تحتل أغاديس وصحرائها بجيوشها عام 1906م، ولم يقف سكان أغاديس مكتوفي الأيدي أمام هذه الظاهرة، حيث فقد قوبلت فرنسا بمعارضة شديدة من قبل سكان أغاديس، وعلى رأسهم تكوسان وسلطان أغاديس آنذاك، فقاتل كاوسان مع أعوانه معارك طاحنة ضد الفرنسيين خلال العامين 1916 - 1917م، وبعد موته رحمه الله عام 1919م في مرزق بليبيا.

المصادر والمراجع

- وصف إفريقيا / حسن الوزان.
- الموسوعة العربية العالمية.
- H. Claudot: Touareg aalter musique et revue du monde musulman et de la Mediterranee edisud, engroprovence 1991.
- ندوة تكوين مدرسي اللغة العربية والثقافة الإسلامية والحلقة الدراسية الثقافية التي أقيمت بالنيجر خلال الفترة من 18/8 حتى 17/9/2000م للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم و جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.
- التعاون الثقافي والعربية في الغرب الإسلامي والسودان الأوسط، مجلة مجمع اللغة العربية بليبيا، العدد الرابع.
- إتحاف المسمى: محمد بلو، الفصل الثاني: أمير.
- موقف العلماء شرح مرشدة، عقيدة أبا السنة الشيخ عثمان فودي.
- أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء بتاريخ ... مصراتة 1998 ... جمعية الدعوة: الرسول ﷺ للوطن ... (ليبيا) 1998م.
- تاريخ مدينة أغاديس ومسجدها العتيق، الشيخ بخاري أبوبكر الأنصاري.
- صحيفة الدراسات النيجرية العدد ... ديسمبر 2010م.
- ترجمة: الموطأ، عبدالله بن فودي، The Sokoto Caliphate Murray ...
- تاريخ إفريقيا فيما وراء الصحراء، الهادي مبروك الدالي، التاريخ الليبي منشورات جون أفريك، المكتب العربي للترجمة.
- دائرة المعارف الإسلامية.
- أعمار الطرق الصوفية الإسلامية، إبراهيم علي طرخان.
- تراجم علماء التكرور، مخطوط بمكتبة الدكتور الهادي مبروك الدالي، طرابلس - ليبيا.
- إفريقيا: مادموزيل كزينجال، ترجمة محمد علي يعقوب، بيروت والعربي للرباط.
- حول الاحتجاج لتقرير التيجاني / محمد بابا التنبكتي، مجلة العربي العدد 282 مايو 1998م ص 107 إلى 123 نقلاً عن موسوعة المدن الإسلامية / يحيى شامي.



أمين اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام بالمكلفين يزيح الستار عن اللوحة التذكارية

افتتاح المقر الجديد لصحيفة (الدعوة الإسلامية) ومجلة (التواصل)

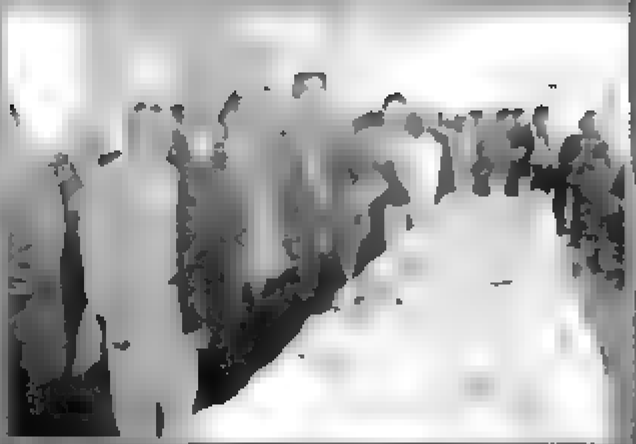
في يوم الخامس عشر من شهر الطير (أبريل) 1375 من وفاة الرسول ﷺ 2007 مسيحي، أقيم احتفال بافتتاح المقر الجديد لصحيفة الدعوة الإسلامية ومجلة التواصل بحضور الأخ أمين الجمعية ومقرر مجلس العالمي للدعوة الإسلامية وأمين اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام وعدد من الأخوة الأجانب ونخبة من الجاليات الإسلامية والعلماء والمفكرين وعدد من الشخصيات العربية والعالمية: كتاب وصحفيين ومثقفين وأساتذة جامعات المشاركين في الاحتفال الرسمي لاحتفالية طرابلس عاصمة الثقافة الإسلامية، فضلاً عن مندوبي وسائل الإعلام المرئية والمسموعة. وقد جاء هذا الاحتفال ليعكس جانب من الاهتمام المتواصل الذي توليه الجمعية لنشر المعرفة الحقيقية والصحيحة بين الشعوب، وتعميق أواصر التواصل بين المجتمعات الإنسانية.





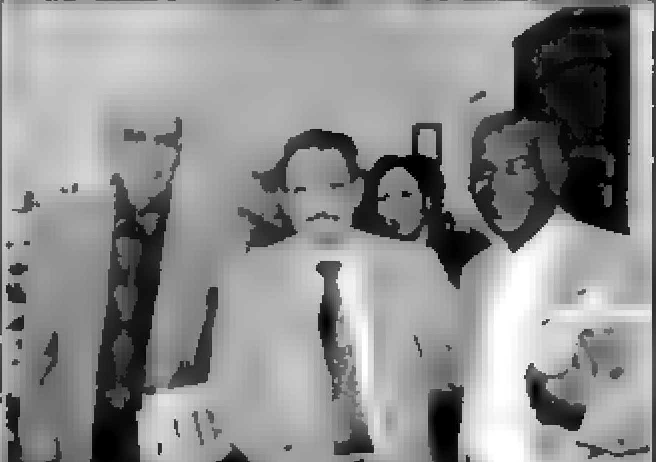












«إعلان جنيف»

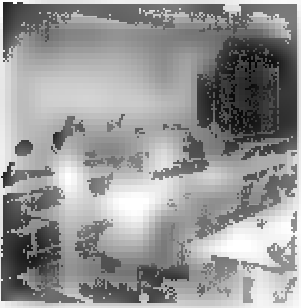
دعوة إلى تصحيح صورة «الآخر» لدى كل العقائد

إعداد التحرير

دعت مؤسسة مؤتمر دور المرأة في السلام من خلال رئيستها الدكتورة نورية الشمطوي، إلى تصحيح صورة المسلم المشوهة في المناهج الدراسية في الدول الأوروبية، كما دعت في كلمة لها في المؤتمر إلى تصحيح صورة «الآخر» اليهودي أو المسيحي المشوهة أيضاً في كتب التاريخ المدرسية في الدول العربية والإسلامية، وإدراج ثقافة السلام والتعايش السلمي وحقوق الإنسان، في هذه المناهج.

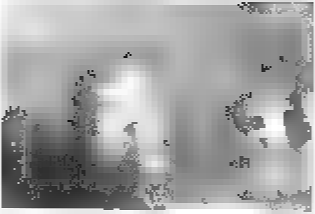
جاء ذلك في مؤتمر نظمه منتدى المرأة الأوروبية المسلمة، بالتعاون مع الهيئة الشعبية الإسلامية العالمية، بمقر مركز المؤتمرات للأمم المتحدة في [illegible] نيسان 2007م في مقر جامعة جنيف بسويسرا. وقد حضره عدد من علماء المسلمين والمسلمات من مختلف أنحاء العالم من الدول الأوروبية والدول العربية والإسلامية، وعدد من ممثلي السفارات العربية، ومنظمة العالم الإسلامي، ورابطة الجامعة الإسلامية، وممثلون عن المنظمات غير الحكومية المعتمدة لدى الأمم المتحدة في جنيف.

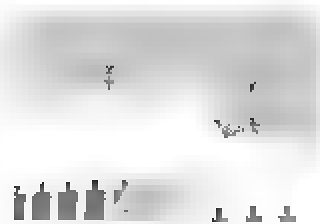
وأضافت الدكتورة الشمطوي، أن مؤلفي كتب التاريخ المدرسية الأوروبيين يصدرون أحكاماً خاطئة، وهم يعرضون للأحداث التاريخية الخاصة



بالإسلام، وإنه غالب ما يكون شرح هؤلاء المؤلفين لهذه الأحداث عبارة عن أحكام تقديرية مسبقة تعكس وجهة نظرهم وموقفهم المسبق المتعسف تجاه الإسلام، ومدى تحيزهم وافتقادهم لروح الموضوعية والأمانة العلمية.

كما أوضحت المتحدثة أن مؤلفي كتب التاريخ في مدارس الدول العربية والإسلامية يقدمون عرضاً للثقافة والحضارة المسيحية الأوروبية، ولا يقدمون للتلاميذ عرضاً محايداً أو حتى مجرد تلميح إلى أن للمسيحيين واليهود عقائد مختلفة وثقافة وتقاليد أخرى، بينما عرضها مشوهة في هذه المناهج تستخدم أساليب استبابية ومصطلحات وتعبيرات،





غيب معالمه عديدة، وتشويه وتعتيم في الإسلام والمسلمين، وتقديم صورة غامضة، وكأنهم سادة العالم، واهتمام كثير من الأوروبيين والأمريكان الذين يعيشون في فراغ روحي، وتمزق أسري واجتماعي.

وشهد المؤتمر تنظيم ثلاث جلسات، تطرقت لعدة قضايا حيوية هامة بالبحث، وتم عرض ومناقشة الأوراق والبحوث التي تقدم بها حوالي عشرين باحثاً كما أرسل الأستاذ إبراهيم العويس، الأمين العام المساعد لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، رسالة إلى المؤتمر عبر فيها عن آرائه بشأن موضوع المؤتمر، وهي المداخلة التي استحسنها المشاركون حدى وممثلي المؤتمر.

بالنسبة لمداخلات المشاركين والتي ألقيت بثلاث لغات: العربية والفرنسية والإنجليزية، فقد جاءت بحث العماوي بعنوان: حقوق المرأة في الإسلام مقارنة بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ألقاها جعفر عبد السلام، أمين عام رابطة الجامعات الإسلامية، القاهرة، ودور النساء في تربية السلام للجيل الثاني من المسلمين في أوروبا، ألقتها جوي من مركز الجالية المسلمة في روما، والمناهج الدراسية تدرس تربية السلام أم الحروب؟ فوزية العشماوي، رئيسة منتدى المرأة الأوروبية المسلمة وخبيرة لدى اليونسكو لمراجعة المناهج الدراسية، والسلام والحرب والجهاد في المناهج الدراسية الأوروبية، مصطفى الحلوجي، جامعة الأزهر القاهرة، والتحديات التي تواجهها المرأة المسلمة في الدول الأوروبية، زهرة كريستيان جيوم، صحفية فرنسية، ودور المرأة المسلمة في المجتمعات الأوروبية، خالد عبد الكريم، مركز الفيدرالية [illegible] في فرنسا، باريس، والنساء المسلمات في الغرب: نموذج للاندماج، كنزة أمينة باجاباتي، عن الهيئة الدينية الإسلامية الرسمية في النمسا، والمرأة الأوروبية المسلمة: شهادة وتجارب، نور كانزابي، الجمعية الثقافية للنساء، ألبانيا، تيرانا، ومستقبل الإسلام والمسلمين في فرنسا وفي أوروبا، محمد بشاري، رئيس الفيدرالية العامة لمسلمي فرنسا والأمين العام للمؤتمر الإسلامي الأوروبي، وحقوق فرنسا، والعالم إما خيار الحرب أو السلام، وريدا [illegible] مستشارة ورئيس العشائر بمصر ورئيسة جمعية تثبيت الحد من الأديان، وأهمية تربية السلام في حوار الأديان، ابتسام لوشي، رئيسة فيدرالية المدارس العربية ببريطانيا، وصورة الإسلام في المناهج الدراسية الأوروبية، مصطفى الحلوجي، جامعة الأزهر، القاهرة، وأخيراً تربية السلام وحوار الأديان في المناهج الدراسية، فوزية العشماوي.

بالنسبة لتوصيات المؤتمر، فقد دعت المرأة المسلمة التي تعيش في الغرب إلى أن تقوم بدور مهم في التعريف بقيم الإسلام، والتي تتمثل في العدالة والإنصاف، والوسطية والتسامح، واحترام الآخر، وأن تبذل جهوداً كبيرة في التوفيق بين متطلبات عملها،

وواجبات مشتركة ولتعليم أبنائهم أحكام دينهم وأن تتمثل فيهم القدوة الحسنة في الصدق وفي حسن التعامل مع الآخر، وتحصن الكلمة والخلق الحسن وبرمجتهم تربية السلام وحب الآخر ومعاملة الآخر بالتي هي أحسن.

كما نصت التوصيات على ضرورة أن تكون المرأة المسلمة التي تعيش في الغرب عضواً فعالاً في مجتمعها بأن تتخذ كافة الوسائل التي تستمد منها عناصر القوة والتميز في مجتمعها الغربي. وأكد المشاركون بخصوص هذه التجربة بالذات على أهمية دراسة سلوك النماذج المضيئة للمرأة المسلمة ودورها في التاريخ الإسلامي. كما تم التطرق إلى دور المنظمات وهيئات المجتمع المدني في الدول الإسلامية فيما يتعلق بالتفاعل مع منتدى المرأة الأوروبية المسلمة في جنيف، بأن تدعمه بمختلف الوسائل الكفيلة بمعونته على الحوار مع المواطنين في الغرب وأن تقيم التواصل المستمر مع المنتدى.

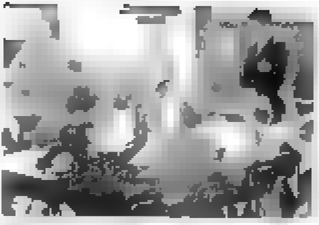
كما نوه المشاركون بعد الدور الحيوي الذي يقوم به العلماء المسلمون في الغرب للتقريب بين المسلمين وغير المسلمين عن طريق تنقية المناهج الدراسية مما يشوبها من مغالطات وأنماط وقوالب وأفكار مسبقة مهيمنة. وطالبوا الدول والمنظمات الإسلامية أن تبذل هذه الجهود والإسهام في تصحيح صورة الإسلام والمسلمين في المناهج الدراسية في الدول الأوروبية. وطالبوا أيضاً وسائل الإعلام أن تقيم جسوراً للتواصل بين البشر في الشرق والغرب وألا تقيم حواجز بين أصحاب الأديان وأن تكف عن ما تبثه من إساءات للأديان ومن أكاذيب ومبالغة في تحليل الأحداث.

كما أوصى المؤتمر المرأة المسلمة في العالم بأسره بأن لا تكون العلاقة بينها وبين الرجل قائمة على الصراع والمواجهة وإنما على ما توصي به القرآن الكريم من المودة والرحمة وتكامل الأدوار والاحترام المتبادل وأن تكون أحكام الإسلام وتعاليمه هي الحاكمة للعلاقات بينهما.



وأخيراً أهاب المشاركون بالدول الأوروبية التي تعترف بالإسلام، أسوة بالنمسا، وبلجيكا، وكرواتيا وإسبانيا بأن تمنح المسلمين كافة حقوق المواطنة وأن تسمح بتعليمهم مبادئ الإسلام -كما يعتنقها أبناؤه الأسوياء- في المدارس الأوروبية، وأن تراعي متطلبات واحتياجات المرأة المسلمة التي تعيش في أوروبا.

جدير بالذكر أن هذا المؤتمر يأتي مركبة لما جاء في خلاصات أعمال الندوة الأولى لمنتدى المرأة الأوروبية المسلمة في باريس يومي 9 و10 الربيع الأول (مارس) آذار 2007م، والتي تم بدعوة من «المؤتمر الإسلامي الأوروبي» وبتعاون مع «جمعية الدعوة الإسلامية العالمية» والتي انعقدت بناء على التوصية الخامسة من توصيات ندوة المرأة المسلمة، وحقوق الإنسان والتي انعقدت في قصر الأمم المتحدة بمدينة جنيف (سويسرا) يوم 3 الخميس أبريل/نيسان 2004م والتي أوصت بتشكيل فريق عمل من النساء المسلمات برئاسة الدكتورة نورية الشملوية الأمين العام المساعد لشؤون المرأة، بالمؤتمر





الإسلامي الأوروبي يتولى معالجة القضايا التي تخص المرأة المسلمة في الغرب.

وكانت الندوة قد تميزت بحضور عمدة بلدية كلوفلي الفرنسية وأعضاء مكتبه، ونخبة من الشخصيات والفعاليات الدينية والفكرية والسياسية ووسائل الإعلام. وقد تحدث في جلسة الافتتاح كل من: عمدة كلوفلي، محمد بشاري، فوزية العشماوي رئيسة الملتقى، وابتسام لوجي رئيسة اتحاد المدارس العربية في بريطانيا، وحليمة بومدين عضو مجلس الشيوخ في فرنسا، وفوزية الطلحاوي عضو مجلس الشيوخ في بلجيكا.

وخلصت الندوة إلى التأكيد على عدم تعارض المفاهيم الإسلامية الأساسية مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ودعوة المؤسسات الإسلامية لإظهار مكانة المرأة واحترامها وحقوق الطفل كما نص عليها الإسلام. كما وجهت الدعوة إلى المؤسسات الإعلامية الغربية بهدف توخي الإنصاف والدقة عند تناولها قضايا المرأة المسلمة بشكل خاص والإسلام بشكل عام، ودعوة المؤسسات الإسلامية المتخصصة في أوروبا بإمداد وسائل الإعلام الغربية بالدراسات التوضيحية عن وضع المرأة في الإسلام، ودعوة المؤسسات العاملة في مجال حقوق الإنسان في الغرب إلى التعامل مع قضايا المرأة المسلمة بعقل وإنصاف، ومراعاة الخصوصيات الثقافية والحضارية انطلاقاً من ميثاق الأمن والتعاون الأوروبي الذي ينص في أحد بنوده على ضرورة الحفاظ على الهوية الثقافية للأقليات الدينية والعرقية.

وتم في الجلسة الختامية انتخاب المكتب التنفيذي الجديد برئاسة الدكتورة فوزية العشماوي، وقد روعي التوزيع الجغرافي في تكوين المكتب على النحو التالي: ابتسام لوجي من بريطانيا، وفوزية العشماوي من سويسرا، ونور كونتي سريتشيا من إيطاليا، ومصطفى الأقصاني من فرنسا، ووصيفة القصيبي من هولندا، وصفية جوزاند من إيطاليا، وفوزية طلحاوي من بلجيكا.

كما تم تعيين أعضاء مجلس الأمناء من سيدات الفعاليات لمختلف دول أوروبا على النحو التالي: ليف لارسن من الدول الاسكندينافية، وأسماء عبد الحميد من الدانمرك، وكبرلا اميتة من النمسا، وسوسن شعرور من ألمانيا، وممثلة عن مؤسسة الخوئي من بريطانيا، وممثلة عن المسلمات الكرديات، وحليمة بومدين من فرنسا ممثلة عن إسبانيا.

والاسود

[illegible]



[illegible] الشرف الرفيع

لِهَوَى النُّفُوسِ سَرِيرَةٌ لا تُعْلَمُ ... عَرَضًا نَظَرْتُ وَخِلْتُ أَنِّي أَسْلَمُ

يَا أُخْتَ مُعْتَنِقِ الفَوَارِسِ فِي الوَغَى ... لَأَخُوكِ ثَمَّ أَرَقُّ مِنْكِ وَأَرْحَمُ

رَاعَتْكِ رَائِعَةُ البَيَاضِ بِمَفْرِقِي ... وَلَوَ انَّهَا الأُولَى لَرَاعَ الأَسْحَمُ

لَوْ كَانَ يُمْكِنُنِي سَفَرْتُ عَنِ الصِّبَا ... فَالشَّيْبُ مِنْ قَبْلِ الأَوَانِ تَلَثُّمُ

◆◆◆◆

وَلَقَدْ رَأَيْتُ الحَادِثَاتِ فَلا أَرَى ... يَقَقًا يُمِيتُ وَلا سَوَادًا يَعْصِمُ

وَالهَمُّ يَخْتَرِمُ الجَسِيمَ نَحَافَةً ... وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيُهْرِمُ

ذُو العَقْلِ يَشْقَى فِي النَّعِيمِ بِعَقْلِهِ ... وَأَخُو الجَهَالَةِ فِي الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ

وَالنَّاسُ قَدْ نَبَذُوا الحِفَاظَ فَمُطْلَقٌ ... يَنْسَى الَّذِي يُولَى وَعَافٍ يَنْدَمُ

◆◆◆◆

لا يَخْدَعَنَّكَ مِنْ عَدُوٍّ دَمْعُهُ ... وَارْحَمْ شَبَابَكَ مِنْ عَدُوٍّ تَرْحَمُ

لا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الأَذَى ... حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ

يُؤْذِي القَلِيلُ مِنَ اللِّئَامِ بِطَبْعِهِ ... مَنْ لا يَقِلُّ كَمَا يَقِلُّ وَيَلْؤُمُ

وَالظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النُّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ... ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لا يَظْلِمُ

وَمِنَ البَلِيَّةِ عَذْلُ مَنْ لا يَرْعَوِي ... عَنْ جَهْلِهِ وَخِطَابُ مَنْ لا يَفْهَمُ

◆◆◆◆

---

* [illegible]

2 ـ الشيب الوقور

وفي مشهد آخر نرى الشاعر يشكو إلى أسيه من الأرق الذي
يعاني منه، وكان من قبل ينام ملء جفونه ان ابا الطيب
الانسان في هذا المشهد، يبدو إنسانا مختلفا تماما متحررا
من غروره المعروف وإقباله على رؤية الدنيا وأكياس الدراهم
التي كانت تنهال عليه من الأمراء وفرسان القتال
والحكام من سيف الدولة في حلب الذي
ألهمه عيون شعره مدحا وتسجيلا
لمعاركه الحاسمة مع الروم إلى
عضد الدولة ابن بويه الديلمي
في فارس مرورا بأرض الكنانة
وطن صاحبها كافور
الإخشيدي المتسلط على
أقاليمها. ويقال إنه كان يأمل في
امتلاك أسيوط أو الفيوم، فغادر
مصر تاركا أشهر قصائد الهجاء في
ديوان الشعرية تاركا الإخشيدي
بأوصاف تعد اليوم من المحظورات
العنصرية. أما الآن فيبحث مجهد الأحوال،
يمضي بقية العمر لوحده يشعر فيه الأرق والسهاد
وكأنه أمواج البحر المتلاطمة وقد طوته في غياهبها
مستقلا عن مصير الأكاسرة جبابرة لديهم جيوش
بجيوش وكنوز الكثير.



أرقٌ على أرقٍ ومثلي يأرقُ   وجوى يزيد وعبرةٌ تترقرقُ

جهدُ الصبابة أن تكون كما أرى   عينٌ مسهدةٌ وقلبٌ يخفقُ

ما لاح برقٌ أو ترنم طائرٌ   إلا انثنيتُ ولي فؤادٌ شيقُ

جربتُ من نار الهوى ما تنطفي   نارُ الغضى وتكلُّ عما يُحرقُ

وعذلتُ أهل العشق حتى ذقتُهُ   فعجبتُ كيف يموتُ من لا يعشقُ

وعذرتُهم وعرفتُ ذنبي أنني   عيَّرتُهم فلقيتُ فيه ما لقوا

نبكي على الدنيا وما من معشرٍ   جمعتهم الدنيا فلم يتفرقوا

أبني أبينا نحن أهل منازلٍ   أبداً غرابُ البين فيها ينعقُ

أين الأكاسرةُ الجبابرةُ الأُلى   كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا

من كل من ضاق الفضاءُ بجيشه   حتى ثوى فحواه لحدٌ ضيقُ

خرسٌ إذا نودوا كأن لم يعلموا   أن الكلام لهم حلالٌ مطلقُ

فالموتُ آتٍ والنفوسُ نفائسٌ   والمستغرُّ بما لديه الأحمقُ

والمرءُ يأملُ والحياةُ شهيةٌ   والشيبُ أوقرُ والشبيبةُ أنزقُ

ولقد بكيتُ على الشباب ولمتي   مسودةٌ ولماء وجهي رونقُ

حذراً عليه قبل يوم فراقه   حتى لكدتُ بماء جفني أشرقُ



3 ـ العبد الأمير

مالي تملّك قلبي عبد على عيني أمير

كالليل إلا أنه في عيني القمر المنير

يعد بيت من الشعر في مسرحية عنترة للشاعر أحمد شوقي، وهي الأخبار المتواترة في ديوان العرب تروي قصة عبلة ابنة مالك العبسي، وهي تلتقي بابن عمها الفارس الغيور عنترة بن شداد، وكان والدها مالك وأبناؤه يرفضون عنترة ويعيرونه دائما بعبودية العبيد وكان عنترة يدافع عن لونه بشعره في إصرار كبير (البيتان من أشعاره):

لئن أكُ أسوداً فالمسكُ لوني	وما لسواد جلدي من دواء
ولكن تبعُدُ الفحشاءُ عني	كبُعد الأرض عن جو السماء

المعلقة التي يقول في مطلعها ... من خلال الصور من مرتبة التلاقي بين خيوط الأبيض والأسود ملامح الشاعر والفارس معا وتتفجر الأشواق للحبيبة ولديارها:

يا دار عبلة بالجواء تكلمي	وعمي صباحا دار عبلة واسلمي
إن كُنتِ أزمعتِ الفراق فإنما	زُمّت ركابُكُم بليل مظلم
أثني علي بما علمت فإنني	سمحٌ مخالقتي إذا لم أُظلم
فإذا ظُلمتُ فإن ظلمي باسل	مُرٌّ مذاقتُهُ كطعم العلقم
هلا سألت الخيل يا ابنة مالك	إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
يخبرك من شهد الوقيعة أنني	أغشى الوغى وأعف عند المغنم

يأتي البيتان الشهيران لعنترة:

ولقد ذكرتك والرماح نواهلٌ	مني وبيضُ الهند تقطرُ من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها	لمعت كبارق ثغرك المتبسم

• قراءة في كتاب، لكي نفهم الإسلام

الجمهورية، الأديان، الأمل

رؤية ساركوزي للإسلام والمسلمين

الكاتب: نيكولا ساركوزي*

عرض وتقديم: محمد صلاح الدين المستاوي**

1 «الجمهورية، الأديان، الأمل»، ذلك هو عنوان كتاب الجديد الصادر منذ فترة باللغة الفرنسية للرئيس الجديد لفرنسا نيكولا ساركوزي.

لقد سبق وأن صدرت ونشرت مقدمته الأولى التي اطلعت عليها في الإبان، واستوقفني ما في هذه المقدمة من أفكار جديدة، وعدتُ إلى الكتاب وأنا أتابع مثل غيري حملة الانتخابات الفرنسية، وأعلنت النتائج وأصبح نيكولا ساركوزي رئيسا لفرنسا، ورئيسًا لما لا يقل عن خمسة ملايين مسلم فرنسي يعيشون في فرنسا، منهم المواطن ومنهم المقيم للعمل أو الدراسة أو غير ذلك.

إن ساركوزي الذي آل إليه أمر تسيير كل شؤون فرنسا بما فيه شأن الإسلام والمسلمين فيها، يستحسن منّا معاشر المسلمين أن نتعرف عليه مباشرة ودون واسطة على الكيفية التي سيتعامل بها مع الإسلام والمسلمين في فرنسا قبل كل شيء وبعد، جانب لا يستهان به.

هذا الكتاب «الجمهورية، الأديان، الأمل» هو خير تقديم وتعريف لرؤية ساركوزي للإسلام والمسلمين، الذين يعيشون في فرنسا، وهو خلاصة تجربة وممارسة لمسؤول فرنسي على أعلى المستوى مع ملف الإسلام والمسلمين في بلاده، هذا الملف الشائك الذي ظل لعقود طويلة منذ بداية القرن العشرين، وفرنسا لا تزال تستحضر المعهود من الماضي العريق لتاريخها والإسلامية الإفريقية، ظل هذا الملف يؤجل النظر فيه والتعامل معه بموضوعية سلبية على الأقل وبعقلانية إلى أن تولى نيكولا ساركوزي مسؤولية وزارة الداخلية في فرنسا، وهي الوزارة التي تسير شؤون الأديان وشعائرها في فرنسا.

يعتبر نيكولا ساركوزي، وإن لم يتجاوز الخمسين، من أقطاب الحياة السياسية، هو الذي قاد بين الثاني من 2002م والربيع مارس 2004م. فتحمل مسؤولية وزارة الداخلية في وضع اقتصادي واجتماعي اتسم باحترام أسس وضعه في طريقتنا للاندماج، مصحوبًا بعودة للعنف الحضري والإسلامي والخلط المتصاعد بين الدين والتطرف، والإسلام والإرهاب على المستوى الوطني وعلى الصعيد العالمي.

إن شغلي الشاغل هو إعادة استتباب الأمن بطريقة فعالة وعادلة، ومحاربة الإجرام والعنف بشتى الطرق، وذلك بجميع الإجراءات المستعجلة

* رئيس فرنسا الحالي

** كاتب وباحث - تونس

تكون مصحوبة بسياسة طويلة المدى يتمكن بها المرشحون لمساكنهم مع نموذج مجتمعهم، المؤسس على الانخراط الجماعي في مجموعة من القيم الأساسية مع الاحترام للاختلافات. كل ذلك انضم إلى الدور المكلف بالشؤون الدينية والذي يكلف به عادة وزير الداخلية للعمل من المسائل الدينية محمي بمكانه التامة للتسامح، انظر الصفحة ١١.

ويواصل نيكولا ساركوزي قائلاً المحيط في ذلك، إن قلقاني للفترة مبدئية قريباً من حول الأمن والتحليل الجديدة الذين يواجهون بصفة مستمرة الأوضاع الأكثر مأساوية للمآسي الإنسانية، بالإضافة إلى ما دار بيني وبين المسلمين ومقابلاتهم كل ذلك قادني إلى أن يعرض بي يوماً موضوع الأمل ومعنى الوجود.

إن اللقاء بالعائلات وأقارب الأطفال والشبان، من الذكور والإناث الضائعين أو المتعصبين أو المقتالين، كل ذلك سيبقى من لحظات معاناة الكبيرة في حياتي.

لا شك أنه كانت ستعقص الجرأة، وما كنت أجادب غير مباشر لمسؤولياتي إذ لم يكن موضوع الأمل وصلاته بالدين والمجتمع والجمهورية، إذ لم يكن ومنذ أمد يعد بعداً مهماً في أفكاري الشخصية.

لقد بحثت بدي قبلها أن الحاجة إلى الأمل ملازمة للوجود الإنساني. وذلك ما يجعل من الحرية الدينية هامة جداً، وهو ما يعني في الحقيقة الحرية في الأمل.

وبعد عنوان: العامل الديني والفلاحة

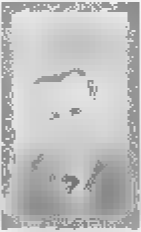
يقول نيكولا ساركوزي: لقد مارست مسؤولياتي كأمنة كوزير لشؤون الشعائر الدينية، وعلى خلافه بعض من سبقوني لم أعبّر عن لا مبالاة مهينة مجال الأديان، ولم أتخلص من مسؤولياتي كوزير لشؤون الشعائر الدينية على العكس، لقد ماثلت بهذه

مسؤولية التي أعتبر أنها في المعوان الخاصة بالعمل في تدبير المسائل الاجتماعية بحسب العامل الديني والمسألة الروحية هون من شأنها كثير.

إن المسألة الروحية وبحث بالضبط عند كل الإنسان واعياً بقدره ككائن بشري.

إن المسألة الروحية هي الأمل الأمر في أن يجد الإنسان بعد موته هدفاً لتكامله مع الوجود.

ومنذ أن كان الإنسان واع بقدره كان في حاجة إلى الأمل، ورغم أهمية المسألة الاجتماعية فإنها غير ملازمة للوجود الإنساني كملازمة مسألة الروحية، الصفحة ١٨.



ويصل نيكولا ساركوزي إلى الإقرار بالأديان الكبرى لا يطلبون أكثر من حرية عيشهم معتقدهم. إنهم يرفضون عيشهم بصفة رسمية يمثلون خطر تهديد.

إنهم لا يفهمون كيف يمارس التسامح الطبيعي في المجتمع لكل أنواع الجماعات وانتماءاتهم وتصرفاتهم دفاعاً المصحوبة الشرعية مع الشعور باللامبالاة في مجال الأديان، إنهم يشعرون هذا الوضع في صميم. لكل هذه الأسباب أوليت اهتماماً كبيراً لمسؤوليتي كوزير لشؤون الشعائر الدينية.

إن الأديان تمثل رهاناً هاماً مجتمعاً، إنها الدافع للأمل. إن العامل الديني عنصر أساسي، يجعل الحياة في سياق لا يتوقف عند الموت، لذلك ليست عندي رؤية متعصبة للائكية ولا رؤية لا مبالية. أنا أؤمن بالحاجة الدينية لغالبية النساء والرجال في فرنسا. إن مكان الدين في فرنسا في بداية الألفية الثالثة مركزي. لكن لا أكثر أن هذا المكان ليس خارج الجمهورية، مكان غير معادٍ للجمهورية، مكان داخل الجمهورية الجمهورية لنفس اللائكية العامة وهو ما يعني أنه يعود إلى المسؤولين العموميين. وبصفة خاصة وزير

شؤون الشعائر الدينية تسبب من بين مجموع الأديان تستطيع أن تعيش في الجمهورية وتعبر عن ذاتها وتقدم نفسها، وذلك بمطابقة قوانين اللائكية بعصر بمساواة كاملة انظر الصفحة 111

ويتساءل ساركوزي كيف للائكية يمكن أن تكون في خدمة الأديان، وكيف تكون الدين في خدمة مجتمع؟

ويعالج بين الحصون الذين تعتقد الأديان وكيف أن بعض الكنائس تبدو خارجة مؤكدا أن الدين ليس مجرد ظاهرة ثقافية بل هو عنصر كاسر للهوية الثقافية، الصفحة 76

مؤكدا بذلك مقولة أندري مالرو جاء فيها: «القرن الحادي والعشرين سيكون قرن الدين أو لا يكون» الصفحة 82

> اندمج نيكولا ساركوزي في قضية الإسلام والمسلمين في فرنسا باعتبارهما واقعا فاعلا ومؤثرا في حياة المجتمع الفرنسي

ويمضي ساركوزي محللا لأهم المذاهب الدينية كالتعريف بين الرسمي والقصص والتدخل في حياة الكنيسة، وهل ذلك ممكن؟ كل ذلك وغيره في الفصل الأول الذي يمتد من الصفحة 7 الى الصفحة 66 والذي احتلت فيه عناوين العامل الديني واللائكية وفي الكثير من الآراء الجديدة الجريئة التي ساهم بها بتجاربه في ما دار ويدور في المجتمع الفرنسي من جدال واسع حول مسألة اللائكية بمختلف أبعادها وخصوصياتها والآراء فيها

من الفصل الأهم، على الأقل بالنسبة للإسلام ومسلمي فرنسا وبالنسبة للمهتمين بهذا الشأن متابعين للجديد في مجاله وهم كثر في فرنسا وفي محيطها الأوروبي الغربي ومحيطها المتوسطي العربي المغاربي الإسلامي

الفصل الثاني هو الإسلام والجمهورية ويمتد صفحاته من الصفحة 67 الى الصفحة 144 أي 77 صفحة أي ثلث صفحات الكتاب

في هذا الفصل يتم العناوين الآتية: حداثة آلية حسبية الشعائر الإسلامية هل يتعارض الإسلام مع الجمهورية؟ مختص ومبادرة مرحلة الأساسية ملتقى دي روسي المجلس الفرنسي للشعائر الإسلامية CFCM الحوار مع تعدد المسلمين من هم مسلمو فرنسا؟ محمود خصوصي عائدة مسلمين، وبكثرة محمود في الرسم حركة التاريخ الاستعماري مسالة الإسلام المتطرف، استقلالية مسلمي فرنسا وضع قراءة في الإسلام انتاج التجديد للتحدر من الهجرة عناصر العائلية النقدية في الجمهورية نود للنظر على الاعتراف بإسلام فرنسا العقيدة والثقافة الإسلامية، تلك هي عناوين المواضيع التي تطرق اليها نيكولا ساركوزي في كتاب «الجمهورية، الأديان، الأمل»

انها بحق قضايا هامة وقيمة جدا تتصدر الساحة في فرنسا بالخصوص وحتى في غير فرنسا وقد جاء فيها نيكولا ساركوزي بالجديد غير المعتاد على الأقل بالنسبة لنا كمسلمين وبالنسبة لمسؤولين فقد اندمج نيكولا ساركوزي في قضية الإسلام والمسلمين في فرنسا باعتبارهما واقعا فاعلا ومؤثرا في حياة المجتمع الفرنسي لم يعد مجتنب جهته وعدم التعامل معه بواقعية وعقلانية ومسؤولية، وذلك هو ما قام به بجسارة من خلال موقعه في الحكومة الفرنسية كوزير للداخلية ولشؤون الشعائر الدينية ولا شك أن هذا الرصيد وتلك التجربة التي اكتسبها ستكون لها آثارها في تعامله مستقبلا مع هذا الملف من خلال موقعه الجديد كرئيس للجمهورية

الانتهاء على كل ما ورد في هذه المواضيع من آراء وأفكار لا يتسع له هذا العرض الذي نريد منه فقط لفت النظر والدعوة الى اعتماد هذه الوثيقة الهامة كمنطلق لتحليل هذا الواقع والاستفادة من كل ما هو



إيجابي. وهو كثير وليس بقليل على موضوع أحدث إليه حتيفيه للشعائر الإسلامية لا يدعي ساركوزي أنه أول من فكر في الموضوع، فقبله وفي عهد سلفه جون بيار شيفنمان وقع اصطلح عليه الاستشارة. فساركوزي لم يعد المخطط بفكرة، ويمضي نحو جوهر العمل انطلاقاً من الواقع. إذ يعود وجود المؤسسات الدينية إلى عشرينيات القرن الماضي عندما أرادت فرنسا بتشييد جامع للجماعة الخامسة في باريس، عرفاناً منها بالجميل من فرنسا لرعاياها المسلمين المغاربيين والأفارقة، الذين قاتلوا في صفوف جيشها في حرب الهند الصينية.

لقد وجد ساركوزي في الساحة الفرنسية مسلمين متمسكين بالإسلام، إسلام رسمي ترعاه السلطات، يتمثل في المسجد الكبير وما يتبعه من مصليات، وإسلام خارج عن التنظيم في الأحياء والضواحي. ويمكن أن يكون منطلقاً وملاذ الإسلام غير منسجم بل خارجاً عن الأطر القانونية والاجتماعية.

يحول ساركوزي أملاً بعد أن صفت شيئاً فشيئاً مساجد في أقبية العمارات والمستودعات، ويفضي بتنامي على مر الأيام بطريق نضالي في عدد الدروب الضيقة

وفي النهاية خمسة ملايين مسلم فرنسي أو مسلمين يعيشون في فرنسا، لا يرون اعترافاً لهم بحق أساسي ألا وهو: ممارسة دينهم بحرية وعلانية. بينما هذا الحق هو من ضمن الحريات الأساسية التي يحمي في تصميم الجمهورية، انظر الصفحة ٦٧.

ويعتبر نيكولا ساركوزي، أن مجرد إلقاء سؤال: هل يتعارض الإسلام مع الجمهورية؟ هو تفكير غير مسؤول. إلقاء السؤال بهذه الصيغة هو قبول بأن يكون الجواب بلا. ولذا قلنا إن الإسلام لا ينسجم مع الجمهورية، فإنني أطرح بدوري السؤال: هل يجب علينا أن نرحل خمسة ملايين مسلم، يعيشون في فرنسا؟ هذا يطرح عواقب لا يمكن قبولها، وعواقب لا يمكن تحقيقها.

هل يمنعون من جزء من دينهم؟ باسم الحرية الشخصية مثل هذا المشروع يتعارض مباشرة مع حرية المعتقد التي تضمنها الجمهورية. هل نمنعهم من الاعتقاد باسم الحرية الشخصية. (انظر الصفحة ٦١).

يستعرض نيكولا ساركوزي الطريقة التي وقع الانتهاء إليها بعد عناء في سبيل تحقيق تمثيلية

اوسع للمساجد والمصليات والتي لافت تجاوزها 985 مصلى ومسجد على 2116. وكان تاريخ 19 كانون الأول ديسمبر 2002م، في ضاحية نروشي، حاسماً حيث عكف ساركوزي ثماني وأربعين ساعة مع ممثلي رؤساء المساجد والجمعيات المعنية في فرنسا ليخرج الجميع بوفاق. يقول ساركوزي: «لقد قبلت الأطراف المتفاوضة أن تكون في مستوى مسؤولياتها وفي مستوى الحدث، ونجحوا في ذلك. وبالنسبة إلي شخصياً فإنني لا أسمح للإحباط أن يتغلب علي، حتى أهتم بفكرة أو مشروع عادي. أمشي فيه بهدف كقلعة، إنْ فشل تتخلى قليلاً عن تكون من بين كلماتي التي استعملتها». وعن مهمة «المجلس الفرنسي للشعائر الإسلامية C.F.C.M»

يقول ساركوزي: «ليس مهمته اصدار الفتاوى بمعنى عقلية مجلس علماء الدين في مسائل العقيدة أو الأخلاق الإسلامية

فالمسائل الدينية مسموعة في الإسلام، لكنها لا يتصورها أغلبية مواطنيه وبالخصوص أنه لا توجد آليات منظمة من يستولون نظرية عامة، كما هو الحال في الكنيسة الكاثوليكية

إن مجرد وجود هيئة منظمة بمضمون العقيدة الإسلامية أمرٌ غريب في الثقافة الإسلامية

فلا يمكن أن يكون عندنا أن يُنشأ معهدٌ لتكوين الأئمة في فرنسا. يعتقد أن مجلساً للأئمة يمكن أن يجد مكانه في حضن المجلس الفرنسي للشعائر الإسلامية C.F.C.M، هذا المجلس سيكون من الطبيعي مدعوا لدراسة المسائل الروحية والأخلاقية، رغم أن هذه الوحدة لا يمكن أن يتوصل إليها بسرعة

أنا مقتنع بأنّ مجلس الأئمة سيتوصل عاجلاً أم آجلاً إلى نوع من الوفاق، وسيؤسس لقواسم مشتركة حول النقاط الأساسية في العقيدة الإسلامية

الرهان ليس على المستوى الوطني فقط، فالإسلام كدين كبير في بعض فترات تاريخية كان وراء ازدهار

العلوم والفلسفة والعلم. وكان مطبوعاً بالقيم الأساسية العميقة: الحب، السلام، العدل، احترام الحياة. بعض من تياراته تجد صعوبة في أن تتوافق معتقداتها مع القيم.

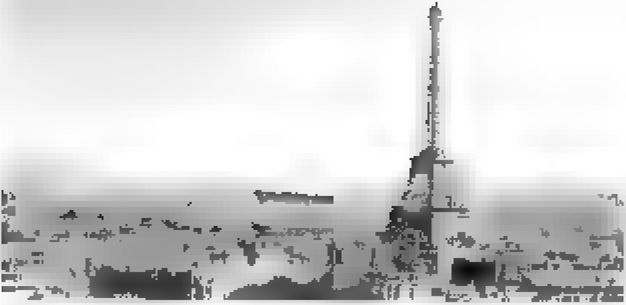
لقد عرف الدين مسيحي مثل هذا التحدي، وتحديات المجلس الفرنسي للشعائر الإسلامية C.F.C.M معهد لتكوين الأئمة. يُصبحُ بصيغة كلية مُسلمي فرنسا في الجمهورية، يمكّن لهم من التمكن التأليف بين قيم ديمقراطيتنا والعقيدة والعبادة في الدين الإسلامي، ويعطي مسلمي فرنسا هيكلاً يمكنهم بأن يتكلموا بصوت واحد. إن فرنسا يمكن أن تكون مثلاً بالنسبة لكل العالم الإسلامي، ويمكنها أن تكون مثلاً لتطوير الإسلام، وتقديم فهم أكثر علمية وأقل حرفية للقرآن، كما كان الحال بالنسبة للإنجيل في سنة 1950م، عندما تغلبت كل الأساسية والعادية بعد الطيبي على حساب نظريات وجهية موصولة من الماضي التاريخي» (انظر الصفحة 94).

كيف يرى ساركوزي مبادئ العلمانية الإيجابية؟

من أجل مجهود خصوصي لمكافحة مسلمين معتدلين في الأمس، يقول نيكولا ساركوزي: «لقد استطعت بكلمتي نحو الجالية المسلمة لأنني مقتنع أنه لا يوجد خطرٌ قد يهدد مجتمعنا كأن تترك جزءاً منه يعتقد أنه أجنبي باعتبار أن الحقوق التي يمكن منها الآخرون محروم منها. هو يسمح لي أن أكون إلى جانب الجالية المسلمة أكثر من غيرها، لأن أغلبهم ليس لهم إلى حد الآن التجذر ولا الإمكانات المتاحة للآخرين. إنهم جدد في الجمهورية على خلاف بقية الأديان التي يعتبر تجذرها أقدم رسمياً» (انظر الصفحة 95).

وحول تغيير مفهوم اللائكية:

يقول نيكولا ساركوزي: «قواعد اللائكية ليس لها أن تتغير لفائدة هذا أو ذاك. ولكن في مقابل ذلك أقول إنه ينبغي أن نعود إلى لائكية إيجابية وليس سلبية أو



مختلفة، لأن الأمر يتعلق بالدين. فمن عهدي نظرة ضيقة للائكية ليس لها معنى، إلى عهد قريب عندما كثير من المسؤولين السياسيين والنقابيين، كانت لهم نظرة [illegible] شكلية تنظر بمنظار الريبة في [illegible] الدين اليوم وصلت من حسن الحظ إلى نظرة متوازنة (انظر الصفحة 104).

وبعدها تنتقل إلى الواقع، هل يتصور أننا نستطيع أن نطلب من ملايين من المسلمين في العالم، أن يتنازلوا عن معتقداتهم؟ [illegible] معتقد من حق كل شخص عليه أن يعيشه ويحياه، [illegible] إلى نوع من التوافق الكبير [illegible] الكبير [illegible] هل نرفض كل شيء [illegible] على العكس من ذلك، نحاور، فالإدانة لا ينتج عنها إلا التطرف مرة أخرى يجب قبول فرنسا كما هي تتشكل، لا ينبغي أن نتشكل في الخصوص، ينبغي أن نجعل منه مكسبا، الحوار، الاحترام، العزيمة على التقدم خطوة نحو الآخرين. تلك هي سُبُل المستقبل، من أجل إدماج الجميع. (انظر الصفحة 109).

لا يمكن بعض أكثر في إبراز واستعراض كل ما جاء في كتاب "الجمهورية، الأديان، الأمل" من أفكار وآراء جريئة وواقعية وسامية، إنها مجرد أداء صريحة تركنا فيه الرئيس نيكولا ساركوزي، يتحدث فيه الفرنسي أولا والمسلم الفرنسي كذلك بما انتهى إليه بعد دراسة ملف الإسلام بفرنسا من نتائج دافع عنها بقوة وقناعة ورغبة ولمصلحة، في أن يكون التعامل مع الإسلام على [illegible] منها.

إن كتاب "الجمهورية، الأديان، الأمل"، وثيقة جديرة بالدراسة، من طرف المسلمين بها، الذين هم أولا مسلمو فرنسا بمختلف هيئاتهم، وكذلك من طرف المؤسسات الإسلامية المهتمة بوضع الإسلام والمسلمين، حيثما انتقلنا إلى العربية، فالتطلعات كبيرة، من هذا الكتاب الثري في مضمونه، والذي ينم عن [illegible] وخبرة وموضوعية [illegible] صاحبه. ولا شك أنه سيكون له الأثر الإيجابي في التعامل مستقبلا في فرنسا مع [illegible] الهدف إسلام ومسلمي فرنسا، وكيف لا؟ وصاحب هذه الأفكار المنفتحة (بالمقارنة مع أفكار آخرين في نفس الميدان)، قد أصبح رئيسا لفرنسا، حيث يأمل أن يأخذ طريقه للتنفيذ العملي خصوصا وهي ثمرة [illegible] دون [illegible] نيكولا ساركوزي مع [illegible] تيبوت مع مبادراته بالأمس، وهي ولا شك مستعدة لكي تواصل معه مسيرة من أجل مصلحة الجميع. فرنسا ومسلمي فرنسا.

قراءة في كتاب: لكي نفهم الإسلام

تأليف: فريتجوف شوون*

ترجمة وعرض: عبد الحميد طرابي**

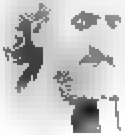
(1) ظل من الممكن في موقعه في هذا الزمن العصيب، هو أن يصف بعض المستشرقين والمتفلسفين من الغرباء، وحتى من بني جلدتنا، الإسلام بمعاداة العقل، ومع يقيني أن العكس هو الصحيح.

هذه شهادة علمية جديدة من مستشرق غربي معروف، فريتجوف شوون، الذي ألف العديد من الكتب عن الإسلام والتصوف، وعرف عنه اهتمامه بالموضوعية. والعجيب في الأمر أن كتابه «لكي نفهم الإسلام» ينفرد بكونه استطاع التعرف على الفريدة الحديثة.

هذا الكتاب المهم والقيّم للإسلام لم يحظ بالاهتمام الذي يستحق، نُشر في بداية القرن الماضي، ولا يزال يصدر في طبعات متتالية إلى يومنا هذا.

هذه محاولة لعرض ما توصل إليه شوون بعد دراسة معمقة للإسلام يقول شوون في مقدمة كتابه: الإسلام هو العلاقة ذات الاتجاهين بين الله من حيث الذات الواجبة الوجود، مطلق وحقيقة المطلق والخالق والقادر، وبين الإنسان من حيث إنه مخلوق حر لا يحمل خطيئة أصلية يحتاج معها إلى مخلّص، ومن حيث إنه يملك ملكتين تميزانه عن غيره من المخلوقات الأخرى، وهما: العقل والحرية.

والعقل الذي أسس حتى معرفة الأسماء، هو القدرة الفطرية على استيعاب المفاهيم والعلاقات بين المسميات. لكي يكون قادراً على تلقي كلمات الله وفهمها: هذه إحدى معجزات خلق الإنسان، وتتمثل في كون الإنسان، أو العقل الإنساني بالأحرى، وهو مخلوق الضعيف، غير مطلق القدرات، يستطيع استيعاب كلمات الوحي الصادرة عن الله مطلق العلم والمعرفة.



لأن الوحي الإلهي لا يمكن أن يكون إلا الحق المطلق، الذي لا يشوبه نقص أو ضعف في حين أن القدرات الإنسانية نسبية ومحدودة. فكيف يمكن للنسبي أن يعي المطلق؟

يشرح شوون، بعد عرضه لهذه الإشكالية الفلسفية: إن طبيعة العقل الإنساني، وهو لا يتجسد الروح في هذا السياق، تمكنه من تلقي معاني

* باحث ومستشرق - فرنسا

** صحفي ومترجم - ليبيا

مجردة ذات الصبغة السماوية لدى أتباعه واستشراف المطلقات وذلك بالرغم من عجز مُدركات الحسية عن تلقيها.

ثم يستدرك قائلاً: كل من يريد أن يفهم الإسلام فهماً صحيحاً، عليه أن يفهم حقيقة طبيعة الإنسان ككائن متفرد خلقه الله ليكون مستودعاً لمفهومين إلهيين، هما: المفاهيم الإلهية المطلقة والنواميس المنظمة لحياته، بما فيها الشرائع والمناهج والمسالك. فالإنسان في الإسلام يملك قدرتين: قدرة الاتصال بالسماء والمطلق المجردة، وقدرة التعامل مع الأشياء والمخلوقات الأرضية النسبية (غير المطلقة).

ومن البديهي أن يتساءل الإنسان عن الهدف من إيداع هذه المكاشف المعرفية في ذات الإنسان. يقول الكاتب إن المسلم لا ينظر إلى نفسه كنبتة من الشيطان، بل يؤمن بأن الله أعطاه العقل والحس الذي يكرمه كي يحقق خلافته على الأرض ويحمل تلك الأمانة، وبأنه مخير في أدائها أو تضييعها. وهنا يبرز المكون الثاني لطبيعة الإنسان، وهو الإرادة التي تنشأ تلقائياً عن حرية الاختيار. ومن يقول بالإرادة والاختيار يقول ضمناً بالمسؤولية.

نلاحظ أن [illegible] يسرع في تناوله لهذه المسألة إلى المطلق، ولا يخوض في التعبيرات المطلقة مثل الروح والجسد والقدر أو طبيعة الذات الإلهية. وإن كان يشير بعضاً منها في سياقات أخرى، سنعرض خلاصة لها في الجزء الثاني من هذه القراءة إن شاء الله.

ويقارن الكاتب بين المفاهيم المسيحية والإسلامية المتعلقة بالذات الإلهية والطبيعة البشرية، ونوع العلاقة بينهما فيقول: إن الخاصية الأساسية التي تميز الإسلام عما سواه من الديانات الأخرى، بما فيها المسيحية، أن وسيلة خلاص الإنسان هي: العقل ثم الإرادة. فالعقل وحده القادر على استيعاب وحدانية الله المطلقة، وتبعية جميع المخلوقات لخالقها الأوحد، وأنه لا يمكن عقلاً أن يكون الخالق غير مطلق الوجود، فهو المفترض جدلاً أن يكون له كفؤ أو شريك لتنتفي عنه صفة الإطلاق، وبالتالي صفة الوحدانية، ولما كان هناك خالق ولا مخلوق.

هذا أساس التوحيد الإسلامي كما يراه الكاتب، مؤكداً على أن الإسلام مبني على عقيدة عقلية واضحة وبسيطة، لا تقبل التأويل أو التعسف والجدل، يفهمها العالم والأمي، خلافاً لما تشهده العقائد الأخرى.

كلمة (اقرأ) مفتاح القرآن الكريم وبها يعبر العقل

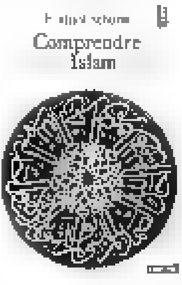
ثانياً: العقيدة على العقل

يقول [illegible] إن بوابة الإسلام هي أن يشهد الإنسان أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ. وهاتان الشهادتان تتضمنان مسلّمتين أساسيتين وحقيقتين على مستويين مختلفين. ولكن ما يعنينا إقرار واقع مطلق وهو ضرورة وجود الله الخالق والمهيمن الآمر والناهي، وضرورة أن لا يكون له نظير أو شريك. والإقرار الثاني يتعلق بحقيقة الإنسان ككائن متميز عن سائر المخلوقات، وإن كان يماثلها في مخلوقيته ونسبية وجوده، مرتبط بإرادة الله وقدرته عليه. ومن ثم فهو في حاجة حيوية دائمة لمدد وهدي (قوامة) من خالقه لتنظيم حياته وتحقيق أمنه، أو بعبارة أخرى، فهو محتاج إلى الرسالات، ومنها ختمتها رسالة النبي محمد ﷺ. ويشير الكاتب إلى أن الإسلام يشدد على أن الوسيلة التي منحها الله لتحقيق الإيمان هي مخاطبة عقله الذي أودعه فيه.

فالوحي والعلم القاطع والمقاصد، يرتكز على قراءة كلمة مخولة للإنسان، الذي لا مفر له من الإقرار بها لأنه مجبول على القبول بها، وإن كان يرفض كمسلمات أو حقائق علمية. وهنا تكمن قوة الإسلام

ويستطرد «شوون» قائلا: «لا نرغب أن نعادي بين العقيدة الإسلامية والعقيدة المسيحية، بيد أنه بالإمكان الإقرار بأن الإسلام يجمع العقل والواقعية التي يستند عليها الدين بالضرورة، وأن المسيحية في معتقدها الأصلي، دين المحبة والتضحية المستمدة من مسيحية السيد المسيح عليه السلام». ولهذا نجد يؤسس الإسلام لوحدانية الله مطلقة بالحجة العقلية التي لا غموض فيها، بينما نجد في المقابل الكثير من الغموض في مسألة الألوهية والتوحيد التي يعترف أتباعها بأنها تستعصي عن الفهم ـ أي عن العقل ـ ويجبر المؤمن أن يسلم بها بدافع الحب للخير والحق.

ويعمق الكاتب مقارنته بين الإسلام والمسيحية، فالمسيحية في نظره ترتكز على المعجزات، وهو يعتبرها من حيث المبدأ مرده إلى ما يعتقدونه، بأنها لا تكفي بمفردها لإنشاء عقيدة قوية وثابتة، فالحب والإرادة الخيرة من الأعيار والعواطف قابلة للتبدل ولا ترقى إلى القناعة العقلية، التي تجبر الإنسان على الانصياع لها والتسليم بها طوعا أو كرها، فالعقل حجة على الإنسان بقدر ما هو نعمة له». ولعل إشارة «شوون» إلى التسليم العقلي بوحدانية الله وقوامة رسالاته تمهيد لذلك، وتأكيد على أن قوة الإسلام تكمن في ذلك التسليم، المنعكس في كلمة «الإسلام» كعنوان للدين كله.



غلاف الكتاب

ويقول الكاتب في أفضلية العقل على المعجزات عند المسلمين: إن الإسلام لا ينفي دور المعجزات في تثبيت العقيدة، ولكنه لا يؤسس عليها، ويسوق مثلا لذلك بالخوارق التي يحدثها «المسيح الدجال» ليثبت بها ألوهيته وقدرته على صنع المعجزات، ويقول: لو كان الدين (الإسلامي) مؤسسا على المعجزات، لما استطاع المسلم تفنيد دعاوى الدجال، ولما كانت له حجة عليه، ولكن صاحب العقيدة المؤسسة على العقل والتفكر، وما أكثر ورود هاتين العبارتين في القرآن الكريم، وهو المرجع الأساسي المقدس للمسلمين.

خاصية ينفرد بها الإسلام

الإسلام في فلسفة «شوون» الدينية هو مذهب لكل زمان ومكان، من حيث إنه صلة لله الذي علاقته الأزلية بالإنسان المخلوق المكلف المفطور على معرفته وعبادته بما أودع في كيانه من الملكات العقلية القادرة على إدراك الإيمان الذي جاء به وحي من الله، يتدرج فيها نور العلم والمعرفة بالحقائق الكامنة فيه.

وعلى عكس المسيحية التي تُعري على الله مكانه بل حصرت التفويض في زمن محدد ومكان محدد هو تجسيد في المسيح عليه السلام ليخلص البشر من خطيئتهم، وكان هذا الحدث عند تجسد عيسى عليه السلام في تقاطع مكاني زمني فكان ذلك كله قبلا وبعد.

فالمسلمون يرون أن ذلك لا يجوز عقلا، فالله لا يحصره التعبير، ولو حصروا بحدود ذلك لإمكانية محدودة، لفسدت عقيدتهم؛ لأن الكون كله بما فيه من خلائق لا يستطيع أن يحتفظ بوجوده لحظة من زمن، بمعزل عن خالقه، الذي يمده بأسباب ونواميس وجوده الديمومية، فهو مسلم، فالمسلم بإمكانية أن يمد الله طبيعته بتجسد، ولو كانت واحدة في أحد مخلوقاته لانهارت العقيدة، وبالعمر وحده يحكم المسلم أن الله لا يحصره المكان، وهذا يفسر سنة المسلمين: يستبعدون فكرة الحلول والتجسد، ويعتبر الكاتب هنا أن من فهم الإسلام لا يكون إلا بمعرفة مفاتيحه وأسسه في مجال العقيدة: مفتاح العقل أما

العواطف والأحوال، فهي من ثمرات الإيمان العقلي وتنعكس بالزيادة والنقصان عبادات وطاعات صاحبها. ويعجب الكاتب القارئ من الاعتقاد بأن الإيمان في الإسلام حالة عقلية باردة، ويؤكد على بطلان ذلك الاعتقاد، بل يدلل على حقيقة أن الإيمان الذي يقوم على الاقتناع العقلي هو الذي يحرك الوجدان والعواطف، ويتخلل جوانب النفس، كما يتجلى للمسلم في العبادة. ويستدل على ذلك قائلاً: ألسنا نرى أن المسلمين على عكس غيرهم لا يرغبون عن دينهم، وأن أكثرهم يحرصون على عباداتهم، بالرغم من مستوياتهم الثقافية في حين يتناقص مؤمنو الأديان الأخرى بشكل مطرد؟

وعلى الصعيد النفسي الصرف، يقول شيوون إن منهج التربية الذي يرسمه الإسلام يحل إشكالية الإنسان الوجودية، ويكسبه طمأنينة سالمة تستقيم مع مستجدات العصر، والباته المنطقية والسببية، وهو بذلك يدخل في دائرة الممكن، وإن ارتبط الممكن بالواقع، أو بطرح منه أصبح ضرورياً في حقيقته. ويرى الكاتب أن ذلك لا يعني منه منزلاً، أو تكون مختلفة شكلاً ومتماثلة موضوعاً، ولعله يريد بذلك التأكيد على أن الإسلام لا يمحو الرسالات السماوية السابقة.

قوة الإسلام تكمن في قدرته على مخاطبة العقول

طبيعة القرآن الكريم

يعود المستشرق فريتيوف شيوون مفرداً كاملاً للحديث عن القرآن الكريم، يذكر بعض التوضيحات الضرورية حول مصدر القرآن الكريم، وأغراضه ومنهجه في تأسيس الدين الإسلامي، كعقيدة وشريعة.

أوجز وصف للقرآن الكريم كما يقول الكاتب هو أنه كلام موحى به إلى محمد رسول الله ﷺ يفرق بين الحق والباطل.

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾

يقول شيوون: إن القرآن يتحدى فصحاء العرب أن يأتوا بمثله، ولكن الكثيرين من المسلمين حصروا الإعجاز القرآني في بيانه وأسلوبه وجمال نسقه في حين أن إعجاز القرآن الكريم يكمن في مضمونه أولاً ثم في شكله. ولقد حاول الشعراء والمتنبئون تركيب نصوص تحاكي لغة القرآن الكريم من حيث الشكل ولكن لا صلة لها من قريب أو من بعيد بمضامين القرآن الكريم، فلم يجنوا من ذلك إلا السخرية. ومن إعجاز القرآن الكريم عند المتلقي أو المستمع من علماء الإسلام الأولين، أنه صيغة لفظية تجمع بين خاصية الجمال المطلق باعتبارها صادرة عن الله مطلق العلم والقدرة، وخاصية السهولة والرصد الضروريين لمدارك وأفهام الناس على عمومهم، أي قدرة اللفظ الإلهي على الجمع بين صفة الإطلاق لكلام الله، وصفة النسبية الضرورية لموضوع مدارك البشر.

ويستطرد شيوون قائلاً: القرآن الكريم كنص ديني صادر عن الله يحمل بالضرورة صفات وأوجه لا يمكن جميعها، أو حتى إدراك مقاصدها ومضمونها كلام في ذلك ليس هذا مجال استعراضه ويخلص من ذلك إلى القول بأن المسلم يستشعر عظمة وروحانية القرآن في كل كلمة وكل حرف من حروفه باعتباره كلام الله، ولا يفرق بين الآيات التي تختص بالتوحيد والأمور العظام وبين الآيات التي تنظم علاقات المسلمين وشؤونهم اليومية. ويدلل الكاتب على أن القرآن الكريم عند المسلم مبارك ومهيب بلفظه المجرد، وإن لم يجد فيه معنى محدداً مثل حروف فواتح السور، ولو لم يكن فيه سوى تضمين أنزله الله في الكتاب.



الكاتب أنه واحد باعتباره كلام الله الواحد [illegible]
[illegible]
وشريعتهم، بالأمر والنهي تارة وبالقصة والمثل تارة
أخرى، وبقيه القرآن الكريم [illegible] الكون الواحد والمتحد
إلا أن الكون يمرح إلى التفرق والتشتت في حين أن
القرآن يجمع ولا يفرق ويؤلف ولا يشتت

منهج القرآن في علاج النفوس

ومن الملاحظات الدقيقة التي يعتقد أنها جديرة
بالاهتمام، أن القرآن الكريم لا يقدم معلوماته
بطريقة تدعو الناس إلى الإقرار بصحتها من
حقائق، ولكنه يستخدم أساليب تربوية مثل سرد
القصص وضرب الأمثال والكلمات [illegible] في
مسألة فريدة لا أعلم إن كان سبقه إليها أحد فهو
يقول إن بعض الناس ينفرون من النصوص الدينية

[illegible] القرآن الكريم ولا يستطيعون مواصلة
قراءته، بدعوى أنه غير مسترسل وينتقل فجأة
من معنى إلى آخر دون سبب ظاهر، وأنه يحتوي
على قدر كبير من التكرار، ويعزى ذلك [illegible]
إلى أن القرآن الكريم أو غيره من الكتب
السماوية [illegible] كذلك عند بعض الناس لأنه يرجع
نوازع الخير والآثار عمل الشيطان في النفس البشرية
[illegible]
[illegible]
على القراءة [illegible] مأمولة [illegible]

وقد يتساءل القارئ الكريم: هل أسلم البروفيسور
[illegible] جوف غيورغ الذي دعا الناس إلى فهم الإسلام
على نحو ما فهمه هو؟
لا أحد يعلم على وجه اليقين، إن كان فعل أو لم
يفعل، وفي كل الأحوال فإن ذلك شأن يهمه وحده

الحضارات القديمة في الصحراء الليبية

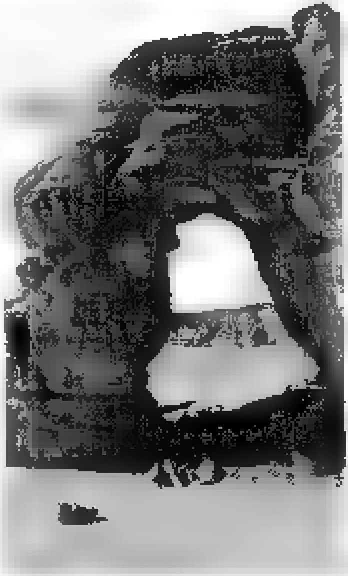
عرض: علي الصادق حسنين

يشهد التاريخ بأن [illegible] الصحراء الليبية الأطراف كانت في العصور القديمة مهد لحضارات مزدهرة [illegible] ظلت موضع دراسات وبحوث لم [illegible]

إن [illegible] في هذا المضمار على حد علمي [illegible] باحثة إيطالية بسيط في حجمه 160 صفحة قطعه 21 × 15 سم، مهم في محتواه صدر منذ عهد قريب عن دار الفرجاني للنشر بطرابلس عنوانه

عـ Antiche Civiltà del Sahara Libico. In viaggio nel passato per scoprire l'alba dell'uomo

الحضارات القديمة في الصحراء الليبية رحلة في أغوار الماضي لاكتشاف نشأة الإنسان، [illegible] تأليف هذا الكتاب القيم سيدة إيطالية هي الدكتورة روبيرتا روكو Roberta Rucco أستاذة في علم الإنسان، والمتخصصة في الثقافة العربية/ الإسلامية والتي سبقت لها الإقامة طويلة بأقطار عربية شهيرة بحضاراتها وبصحاريها، مع العلم بأنها تقيم حاليا في ليبيا حيث تعمل أستاذة جامعية كما أن لها نشاطا في مجال البحث العلمي كان من ثماره كتابها



• [illegible] ليبيا

'L'identità palestinese-genesi di una coscienza nazionale'

(الهُوية الفلسطينية - نشوء وعي وطني) و هذا فضلاً عن عديد المقالات التي نشرتها لها بعض المجلات المتخصصة في إيطاليا.

إن الكتاب الذي نحن بصدد عرضه، شبه ما يكون بسفر كبير يرافق القارئ في سفره الرامي إلى كشف جمال الفن الذي ازدهر في جوف الصحراء الليبية إبان عصر ما قبل التاريخ، ذلك الجمال الكامن في كل من تدرارت أي جبل بالصحراء الطارقية، جبل أكاكوس وجبل امسالك في جنوب فزان.

هذا وعلاوة على المدخل والخاتمة وبعض الملاحظات الوجيزة، يحتوي الكتاب على فهرس للمصادر، وبعض الجداول الموضوعية والخرائط، وعلى وفرة من الصور الملونة وغير الملونة لمختلف رسوم ومشاهد صحراوية متنوعة.

هذا وللنص ثمانية من الفصول الموزعة التالية:

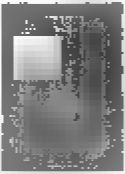
- الفصل الأول: فجر الإنسان
- الفصل الثاني: بماذا يفكر الإنسان بصورة؟
- الفصل الثالث: الأسلوب والتقنية
- الفصل الرابع: الصور المحفورة في صخور جبل امسالك
- الفصل الخامس: الصور الملونة على صخور جبل أكاكوس
- الفصل السادس: الفن والدين في عصر ما قبل التاريخ
- الفصل السابع: الكتابة
- الفصل الثامن: التسلسل التاريخي للأعمال

وبمساعدة هذا الكتاب تُظهر للعيان شواهد لفن وحضارة غير مسبوقة في تاريخ البشرية.

طوال مدى من الزمن يتراوح بين 12.000 و 5.000 عام مضت خلت شهدت الصحراء التي تعد اليوم إقليماً في منتهى القحالة، ويكاد يكون خالياً من السكان، ازدهار حضارات في منتهى الرقي، كان من شأنها أن أحدثت تحولات ثقافية فعالة في منتهى الأهمية من أجل بقاء الجنس البشري.

إن تطوير أيديولوجيا وثقافي نسبياً دام ملايين السنين أدى بالإنسان إلى إدراك ومعرفة واكتساب مهاراته وقدراته وعبر من خلال ذلك تركيب علاقاته بالطبيعة التي كان قد عاش في كنفها إلى وقت مبكر على نحو تكاملي.

كان الوعي الذي هو النشاط الرئيسي الذي ما جعله من الحجارات و الله ابتداء من تحسين الأدوات الحجرية إلى تحطم الكتلة الحجرية عليها ومن الاكتشاف للمورد وحياة جديدة إلى الاكتشاف للصخر كسطح لعلامات محفورة أو مصورة فأصبح في الصخر على هذا النحو أداة جديدة عبر عامة مثلت تستعمل كوسيلة تواصل جماعي على هذا النحو.



غلاف كتاب الحضارة القديمة في الصحراء الليبية

ولأول مرة في تاريخ العالم ظهرت على صخور هذا الإقليم الذي كان عصرئذ خصيباً وأشبه ما يكون بمراعي سافانا خصيبة، ظهرت مشاهد منذ 12 ألف سنة قبل الميلاد تمثل من المخلوقات فوق البشرية، مشاهدة لأول مرة يمكن من الناحية العلمية فقط أن تشكل عملاً حرفياً في الوقت الراهن، إنما كان هذا الأمر بداية لاتصال الإنسان لاتصالاً تاريخياً عن بيئته مبيناً من قدرة سيطرته عليها بعلوم ومعارف جديدة من شأنها أن تعينه على ترويض النباتات والحيوانات.

وقد عد ذلك وقتئذ إنجازاً ووسيلة للتحرر من طبيعة كانت في بعض الأحيان قاسية.





إلا أن العالم الحديث يجهل الحضارات المختلفة قد اختفت هباءً، وبعد أكثر من ألف سنة فقط بقليل، ثم يظهر السكان الجدد الذين عمروا هذه المنطقة الصحراوية الأطراف التي تحتضن الكتل الجبلية الضخمة في وسط الصحراء الليبية.

إن هؤلاء السكان، كانوا رعاةً من جنس شبه أوسطي ذوي قوام مستقيم نحيف [illegible] جمجمتهم [illegible] بتربية قطعان كبيرة من البقر ويحملون ثقافة مختلفة، وكانوا هم أيضًا أصحاب أعمال عالية في النقش والتصوير.

غير أن التقلبات المناخية كانت قاسية [illegible] بدأت الصحراء [illegible]، ومعها انصبت إلى الأبد كل أثر من آثار وجودهم الحيوي هنا. ومن جهة أخرى، يرى بعضهم أن جنسين كبيرين هنا لم تتلاشى [illegible]: تتمثل إحداهما في [illegible]، وتتمثل الأخرى في [illegible] الماضي.

إن تلك القطعة المكوّنة من الجغرافيا، والمناخ وحياة الحيوان، هي التي واكبت تطور الإنسان من [illegible] ما قبل البشر إلى مستوى الإنسان، بصفته نوعًا بيولوجيًا.

ومن أهم دليل على وجود [illegible] البشرية [illegible] ما أنجزه فنانون مجهولون، من لوحات ونقوش بديعة على جدران الكهوف ولا وجود لما يوثق ذلك أو يقيم الدليل عليه.

إن معنى [illegible] البحث [illegible] المؤلفة [illegible] الصحراء الليبية. ومن وجود النقوش والصور المصرية [illegible] أكاكوس [illegible] في الدفع إلى الاعتقاد بأن أقدم أسلافنا لم يعيشوا فقط في هذا الإقليم ولكنه طور فيه أيضًا حضارة عظيمة لم يعد لها اليوم وجود.

إن هؤلاء البشر الذين يسمون [illegible] عصور ما قبل التاريخ، والذين يسميهم أتباع نظرية التطور البشري [illegible] المتوسطيين الأوائل [illegible] يوصلهم بالحاضر [illegible] من خلال الشواهد التي [illegible] على أنهم طوروا [illegible] ذكاء فائق [illegible] دقيقًا منذ العصر النيوليثي أي العصر الحجري الجديد (5000 سنة قبل عصرنا الحاضر)، لأجل ذلك قررت المؤلفة كتابة هذه الصفحات، حيث تعرف [illegible] ليبيا التي أعادت إلى العالم [illegible] ضرورة [illegible] التغييرات، التي أصابت الفرد والجماعة من بني البشر.

إن إقليم فزان يحتضن واحدًا من أكبر متاحف عصور ما قبل التاريخ، [illegible] لا يمكن [illegible] يعيشون في [illegible] وعلماء الأنثروبولوجيا أمثالنا أن يستفيدوا من معرفته.

ومما [illegible] من يريد زيارة هذه المواقع، أن لا [illegible] أن يمشي على أطراف قدميه، قرب المواقع التي تكمن تحت الصخر [illegible] مصوَّرة أو منقوشة، حتى لا يؤذي [illegible] آثار أسلافه.

وتحاول الأستاذة روبيرتا روكو، على ما يبدو، إلى أسماء مصرية في البحث عن أشياء منقولة من طيات الماضي، ليس فقط رغبتها في معرفة «من هي» وما التي صيرها إلى ما هي عليه.

هذا وتقدم المؤلفة بشهادة من الخطورة بمكان مفادها أن ليبيا قد وفرت بحثاً في منتهى الأهمية على عصر ما قبل التاريخ، وعلى وجود الإنسان كما هو موثق من خلال تصنيع الحجر وابتكار أشياء من الخزف و بالأخص النقوش والصور الصخرية، التي ورد ذكرها في الكتاب والتي تحتل مكانتها بحيث تُدرس مشروحة بقدر كاف من الشروح والإيضاحات.

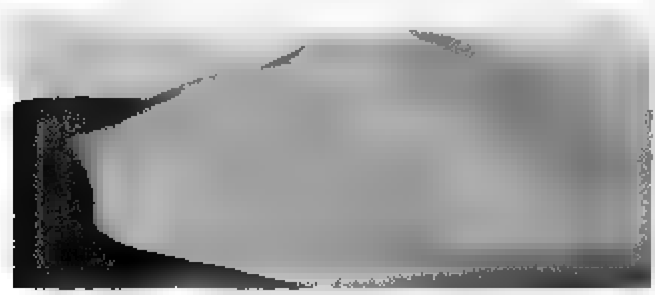
وفي النهاية، تخلص المؤلفة إلى طرح بعض التساؤلات قائلة: من ومن هو الإنسان؟ من هي أنا؟ ما هو موقعه في العالم؟ من أي مواد تتكون السماء والأرض والبحر؟ ما هي طبيعة الآلهة؟ هذه الأسئلة حاول إنسان كل العصور الإجابة عنها طوال آلاف السنين، وذلك بحكم حاجته لإعطاء معنى لوجوده، وإعطاء سبب لحياته على وجه البسيطة. إنه قام بذلك من خلال إعطائه الأشياء أسماء تمكنه من تحديد وجهه في عالم الواقع مخترعاً وسائل للمعرفة ومبتكراً أساليب للتواصل مع بني جنسه ومنشئاً شبكة عنكبوتية من المعاني، تمثل العالم بكل تشعباته ومختزلة بعض الصور ومبتكراً علامات أو رموز قادرة على طرد أو درء أشد المخاوف التي تعتريه والتي تشمل خوفه من الموت. هذا وإن الإجابة عن كل هذه التساؤلات البشرية قد أفسحت المجال أمام نطاق واسع للواقع الذي يكتسب فيه كل عنصر وكل موضوع معنى وحيد الاتجاه وغير قابل للتكرار ومن شأنه أن يحدد هوية منشأ كل حضارة من الحضارات المختلفة.

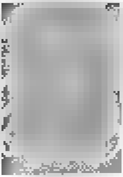
إن هذه الشبكة العنكبوتية من المعاني تشكل ضرباً من التحول الدلالي، التي تقرر [illegible] بين كل الثقافات التي تؤدي إلى خلق شتى الحضارات.

إن هذا الانتاج - التحول الدلالي الشبكة - هو الذي نسميه اليوم بأسطورة والذي يشكل الأداة الوحيدة التي تمكن الإنسان المصري من النفوذ إلى مصادر تاريخ الجنس البشري، ومن فك رموزها ومن معرفتها وفهمها حتى في أبعد عصور ما قبل التاريخ.

وتختم المؤلفة بقولها: «وهذا هو ما حاولنا عمله بكتابة هذه الصفحات، على أمل أن نستطيع أن نشاطر ولو لحقبة قصيرة مذهب القصص، الذي هو ملك مشترك أيضاً للجنس البشري طرا».

وبانتهاء قول الدكتورة روكو، ينتهي هذا العرض الملخص لكتابها القيم.





الاستغلال الديني في الصراع السياسي

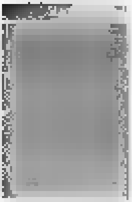


المؤلف:
محمد السماك
الناشر:
دار النفائس – بيروت

ترتفع علامة استفهام كبيرة حول دور الدين في الصراعات المعاصرة في مناطق متعددة من العالم. ولا يخفى أن أعنف الحروب هي الحروب الدينية وأسوأ استغلال هو استغلال الدين لمكاسب سياسية. والمتوقع بعد أن كانت الحروب الدينية في العام ١٩٤٨ (ستة عشر) وأصبحت في العام ١٩٩٢ (ثلاثاً وعشرين). أن يعود الدين إلى الحياة في مطلع القرن بعد أن احتلت أيديولوجيات مركز الصدارة في القرن العشرين. وقد تزايد الاهتمام في العالم كله بأمرين أساسيين، الأول حول كيفية حل الصراعات التي تفجرت بعد خروجنا من الحرب الباردة، والأمر الثاني حول البعد الديني لهذه الصراعات، ويزيد تصاعد الصراعات الدينية حدة. ومعدها الحاجة إلى دراسة هذه الظاهرة وكيفية استخدام الدين نفسه لمعالجتها بدلاً من استخدامه لتأجيجها. ومن المؤسف أنه حيثما تتلاقى المسافة بين الديني والإثني تصبح القومية الوجه الأخر للإيمان الديني. والسؤال هو: هل يتحمل الضمير الديني التطابق اللاأخلاقي للسياسة؟ في هذا الكتاب إجابة عن هذا التساؤل وغيره، من خلال بحث المؤلف ودراسته لكل ما يتصل باستغلال الدين وتوظيفه في الصراع السياسي.

الشيخ العلامة عبد الله القداسي الفريني ودوره في تطوير التربية الإسلامية في ماليزيا

تحرير: محمد عبد العزيز الفريالي
منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية



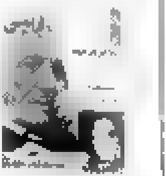
شهدت بلاد الملايو خلال فترات تاريخها الطويل ظهور عدد كبير من العلماء المسلمين، من أصقاع العالم الإسلامي كافة الذين تركوا بصمات واضحة المعالم في مختلف الحياة الدينية والسياسية والثقافية وساهموا مع العلماء الملايويين في تطوير المجتمع ووجهوا جميعاً صفاً واحداً المشاكل والعقبات كافة، التي وضعها المستعمر في وجه أبناء البلد، وتحدوا الظروف كافة في قوة وعناد. ومن بين أولئك العلماء الأعلام، الشيخ عبد الله محمد القداسي ويضم هذا الكتاب بين دفتيه أعمال الندوة العلمية التي نظمتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وكلية دراسات القرآن والسنة بجامعة العلوم الإسلامية الماليزية حول الشيخ القداسي ومساهمته في حركة النهضة العلمية ببلاد الملايو من أجل إبراز أهم الجهود التي بذلها للنهوض بالمجتمع هناك، في مدة استمرت ما يقرب من ثلاثين سنة قضاها متجولاً متنقلاً بين الجزر الماليزية داعياً، ومدرساً، ومعلماً، مرشداً ومصلحاً.

الرؤية الإسلامية لإعلام الطفل

المؤلف: د. محيي الدين عبد الحليم
الناشر: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)

إذا كانت العناية بالطفل المسلم واجبة في كل حال فهي أوجب ما تكون في هذا الظرف الذي يعيش فيه المجتمع الإسلامي تحت تأثيرات ثقافية وإعلامية موجهة بإحكام بالغ ومدعومة بإمكانات هائلة تهدف إلى فرض هيمنة ثقافية مغايرة على شعوب العالم، واقتحام ثقافات هذه الشعوب وتهميشها. وفي هذا الكتاب المهم، يتناول المؤلف أهم القضايا ذات الصلة بإعلام الطفل ويعالج إشكاليات الإعلام الموجه للطفل المسلم، ويقترح حلولاً عملية لها. ويركز المؤلف على السمات الأساسية لما ينبغي أن تكون عليه الرسالة الإعلامية الموجهة للطفل من حيث مضمونها ومجمل صفاتها المتوافقة مع تكوين الطفل العقلي والنفسي وكيفيات استخدام الوسيلة الإعلامية لتحقيق الأثر المطلوب. ويقدم المؤلف تصوراً مستقبلياً لإعلام الطفل في ضوء تحديات العصر المتمثلة في الغزو الثقافي، المدعوم بإمكانات البث الفضائي المباشر، ومشكلات التخطيط الإعلامي وافتقاد النماذج القدوة في إعلام الطفل المسلم، والنقص الملحوظ في الوسائل والمتخصصين في مجال إعلام الطفل المسلم، ويخلص المؤلف إلى توصيات ومقترحات تمثل أسس الانطلاقة الإعلامية الجيدة توفر للطفل المسلم تربية وتثقيفاً يؤكدان صلته بعقيدته وتراثه، وتوفر له في الوقت نفسه وسائل الترويح والتسلية، التي تمثل جزءاً هاماً من حاجاته. وتكشف هذه الدراسة عن مجموعة من الحقائق التي يمكن أن تشكل أساساً علمياً يقوم على أساسه وضع إطار مرجعي للنشاط الإعلامي بصفة عامة والتحديد من خلاله القواعد والأسس التي تحكم الرؤية الإسلامية لإعلام الطفل. وتتمثل هذه الحقائق في سبع عشرة نقطة يوجزها المؤلف في خاتمة الكتاب.

تأبيس
مطبوعة تتحدى
بحطي و اشلة



تسلمت إدارة التحرير نسخة من العدد الأول وأخرى من العدد الثاني مجلة (إبليس) التي تصدر عن اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام بالجماهيرية الليبية، وهي مجلة شهرية تعنى بالآداب والفنون، تتطلع إلى مزيد التواصل بين القارئ والكتاب، وتسعى إلى الإسهام في تعزيز الحوار الجاد البناء الذي يصل حلقة القارئ بما يجري حوله متسلحاً بالمعرفة التي تمكنه من التعاطي مع محيطه، ويتجاوز فيه الواقع لكي يرى الأمور على حقيقتها و (إبليس) تتصدر الكتاب بوسمه شهر ابليس ولعله من حسن الطالع أن تصدر هذه المطبوعة هذا العام وليبيا تشهد نشاطاً غير مسبوق من الإصدارات في جميع مجالات المعرفة من خلال تكاتف جهود مختلف المؤسسات الثقافية والأكاديمية سعياً نحو جماهيرية عارفة. كما يأتي إصدار (إبليس) هذا العام بعد مرور نصف قرن على صدور بواكير الكتابات الليبية الحديثة في الشعر والقصة والنقد. ومن حسن الطالع أن يتم اختيار مدينة طرابلس عاصمة للثقافة الإسلامية لهذا العام تقديراً لمكانتها التاريخية وعرفاناً بدورها المتميز.

[illegible] التي [illegible] في هذه الحياة الدنيا [illegible]

[illegible]

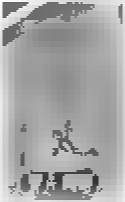
[illegible] الحياة الدنيا [illegible]

[illegible] الله [illegible]

[illegible] الله سبحانه [illegible]

[illegible] التفكر في هذه [illegible]

عندما صدر كتاب «آلهة مصر العربية» سنة 1990م صحبه الدكتور علي فهمي خشيم [illegible] المصرية القديمة والعربية، ووعد [illegible] اللغتين [illegible] وحدة النشأة [illegible] الدكتور علي فهمي خشيم [illegible] «البرهان» [illegible] الذي [illegible] بين لسان أهل وادي النيل الأقدمين وبين اللسان العربي [illegible] عروبة مصر التي [illegible] مستقلة عن محيطها [illegible] والواضح الذي يؤكد أن [illegible] وما جاورها من شعوب وأقوام [illegible] الأمم [illegible] خمسة عشر عاماً من العمل [illegible] والتحقيق والبحث والتدقيق [illegible] مزيداً من الضوء على [illegible] البحث اللغوي [illegible] العرب [illegible] من القدماء.



البرهان على عروبة
اللغة المصرية القديمة

تأليف
د. علي فهمي خشيم

الناشر
مجمع اللغة العربية - طرابلس
مركز الحضارة العربية / القاهرة

التواصل

فصلية ثقافية جامعية



نحو مشاركة أرحب

○ الأخ أمين تحرير مجلة التواصل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يسرنا أن نخبركم بأننا نطالع بكل غبطة وسرور نسخة من مجلتكم الغراء، ولا غرابة في أنها أعجبتنا جداً بمحتوياتها المتنوعة، وقد لقيت ترحيباً بين العلماء والباحثين والأساتذة، ويستفيد من محتوياتها العلمية والثقافية والفكرية والأدبية عدد كبير من طلاب العلم وعشاق الفكر والأدب.

ونود أن نقدم لكم بأن مركز الإصلاح في مالابرم بالهند قد أسس منذ فترة، وكان الهدف من تأسيسه إنقاذ عدد كبير من الشباب المسلمين الذين كانوا منغمسين في ملذات الحياة الدنيا لانتشالهم وهدايتهم إلى سبيل الرشاد والإيمان، وكان من أول أعمالنا تأسيس مكتبة ثقافية فكرية لتصرفهم عن اللهو وتحفيزهم إلى القراءة والمطالعة المفيدة، كما أن له نشاطات أخرى في المجالات التربوية والاجتماعية والثقافية.

كما أن الجامعة الإسلامية هنا هي جامعة تجمع العلوم الدينية والدنيوية، وتخرج علماء في الدين والعلوم الحديثة، وتتميز الجامعة بمكانتها المتميزة في اللغة العربية الفصحى والإنجليزية والأوردية بقصد إعداد الدعاة لتكوين جيل قوي متسلح بمواجهة التحديات المعاصرة، وقيادة المسلمين إلى سبيل الرشاد والسلامة.

ونود أن نفيدكم بأن المجلات والصحف العربية بلا شك لا تأتينا إلا نادراً، ونحن حريصون على وصولها إلينا للاستفادة منها في عمق التفكير.

لذلك نرجو منكم التكرم بإرسال نسخ من مجلة التواصل لتكون أكبر مساعد لنا في تأدية ما نقوم به من عمل خير بإذن الله، ونسأل الله التوفيق والسداد لنا ولكم. والسلام عليكم ورحمة الله.

صلاح الدين . ك . أبوبكر مولاي

المكتبة الإسلامية ومركز البحوث – الجامعة الإسلامية

مالابرم كيرلا – الهند

التحرير: نشكركم على المبادرة بالكتابة إلينا ونكبر فيكم هذه المشاعر الطيبة تجاه مجلة التواصل وما ينشر على صفحاتها، ونرجو نقل تحياتنا إلى كل الطلاب والباحثين والأساتذة هناك، ونفيدكم بأن طلبكم قد أحيل إلى قسم التوزيع بالمجلة، ونتمنى دوام التواصل والكتابة إلينا والمساهمة في إثراء الحوار والمشورة على صفحات مجلة التواصل تأكيداً وترسيخاً لجسور التواصل بما يفيد كل القراء على مختلف مشاربهم وتعدد أعراقهم.

ردود

الأخ الدكتور أبو بكر محمد

مدير مكتبة نادي الإصلاحي - كيرلا - الهند

رغم قناعتنا بمدى احتياجكم لمطبوعات الإصلامية، وبمدى حاجة رواد مكتبتكم لمجلة التواصل وما ينشر على صفحاتها، إلا أننا نفيدكم علماً بأننا لا نستطيع إرسال الكميات التي تطلبونها من كل عدد، وباستطاعتنا فقط إرسال خمس نسخ كحد أقصى، لتكون في متناول الطلاب والباحثين والأساتذة، ولكن إذا كانت هناك أعداد من يرغب في الحصول على نسخة من مجلة خاصة به فيمكنه من خلال الاشتراك بوجوده في كل عدد أو من خلال مباشرة وتزويدنا باسمه كاملاً وعنوانه البريدي، مرفقاً ذلك بقيمة الاشتراك.

أما فيما يخص مقترحكم والمتعلق بتوزيع مطبوعات الدعوة الإسلامية ومجلة التواصل في منطقتكم فإننا نحيلكم إلى مشروع المقترح قد تعين إلى الجهة المختصة للنظر فيه والبت في إمكانية تعيينه من عدمه، وسنوافيكم بما يتقرر حيال ذلك.

لكم الشكر والتحية ونرجو أن نبقى على تواصل

○

الإخوة - جمعية الثقافة

بسامي بكاري الشرقي - السنغال

نفيدكم بأن جميع الأعداد السابقة من مجلة التواصل قد نفدت لذلك نأسف لعدم استطاعتنا تلبية طلبكم. أما المطبوعات الأخرى التي ترغبون الحصول عليها، فيمكنكم طلبها مباشرة من مركز للبحوث والإعلام والنشر بالجمعية، وكذلك بالنسبة لعناوين المراكز والمؤسسات الإسلامية في أوروبا فيمكنكم الحصول عليها، من خلال مراسلة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة الرباط / المغرب

○

الأخ قاسمي محمود حبيب

نوري - نيجيريا

نشكرك على ما تفضلت به من كلمات طيبة عبرت عن شعورك تجاه مجلة التواصل، ونفيدك بأن المقال الذي أرفقته برسالتك قد أحيل إلى لجنة المراجعة وتقييم النصوص لتحديد دوره في النشر إن كان صالحاً لذلك.

مجدداً الترحيب بك والتحية لك، ونرجو أن نظل على تواصل

○

الأخ الدكتور صلاح الدين حسن عبد الله

كلية الدراسات العربية والإسلامية - أنجاميتا تشاد

نبادلك التحية بمثلها وأفضل منها، ونرحب بك قارئاً متابعاً لما ينشر على صفحات التواصل،

وبخصوص البحث الذي تفضلت بإرساله إلينا نفيدك بأنه قد أحيل إلى لجنة مراجعة وتقييم النصوص لتحديد دوره في النشر إن كان صالحاً لذلك.

نشكرك مرة أخرى ونرحب بتواصلك معنا

تنويه واعتذار

الإخوة القراء السلام عليكم ورحمة الله

لقد نشرت إسهاماتكم [illegible] مجلة النواميس مشكورة بنشر مقال لي في عددها الثاني عشر بعنوان لسان [illegible] مخرج صوتي وهو السؤال [illegible] في الصفحة الخامسة من المجلة ولم تكن كلمة [illegible] قد سقطت سهوا من العنوان فيما بعد [illegible] ووقع في هذا [illegible] بعض الأخطاء [illegible] التي لا تسمح المجال بذكرها بغير ما يسمح للتنبيه عليها [illegible] وهو أنني ذكرت أن مخرج [illegible] هو [illegible] وقد كانت [illegible] هي اللهاة لا لسان المزمار ذلك أن اللهاة تتراجع إلى الخلف لتسمح للهواء بالمرور عبر التجويف الفموي مع الأصوات الفموية وتنخفض إلى أسفل لتفتح التجويف الأنفي سامحة للهواء بالمرور عبر التجويف الأنفي مع الأصوات الأنفية وهذه الآلية الأخيرة هي التي تحدث مع صوت الغنة وبناء على ذلك فإن مخرج الغنة [illegible] هو اللهاة التي يتحرك عندها مجرى الهواء [illegible] لسان المزمار.

[illegible] أنبه القارئ الكريم إلى هذا الخطأ ألتمس منه العفو عما وقع مني من سهو وأعود وأقدم الشكر مجددا للإخوة الكرام العاملين بمجلة النواميس والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د. خالد العيساوي - ليبيا



ونتواصل

خطوة نتمنى أن تنال الرضى

لعل القارئ الكريم سيلاحظ لمسات تجديدية وتطويرية في هذه المطبوعة ابتداء من العدد الثالث عشر، ولهذه الخطوة أسبابها ومبرراتها.

منها أننا نحاول إضافة لمسة فنية وجمالية هنا وهناك بطريقة نهدف من ورائها إلى الارتقاء بالمظهر الجمالي لهذه المطبوعة، وفي الوقت ذاته نحاول إحداث تناغم بين الشكل والموضوع، بين النص والصورة والرسم بحيث يكمل كل منهما الآخر.

صحيح أن الجانب الفني لا يمكن تعليله، فهو مرتبط بالذوق قبل كل شيء، والذوق شيء شخصي نسبي جداً، ولذا من الصعب إقناع طرف بسلامة وجودة التغيير، لكن وبشكل عام تظل اللمسات الفنية الجمالية المقبولة نسبياً.

وانطلاقاً من أن الاختلاف حول الجمال ليس وارداً، بل الاختلاف حول درجات الجمال وأشكاله، فإن ما نرمي إليه من خلال ما سيلاحظه القارئ الكريم من تغيير، أو تطوير في شكلها، يرتبط بذوق يعشق الجمال ويتناغم إلى حد ما، من وجهة نظرنا، مع شخصية ومحتوى هذه المطبوعة.

من جانب آخر يظل السعي إلى التطوير والتجديد والتنويع أمراً مقبولاً ما لم يخرج بهذه المطبوعة عن شخصيتها أولاً، وما لم يدفع بها لأن تكون نسخة مكررة لغيرها من المطبوعات ثانياً. صحيح أنه ليس من الممكن أن لا تلتقي وجهات النظر حيال قضية ما، وصحيح أنه من المستحيل أن لا يحدث توارد الخواطر، لكن ذلك كله لا يبيح أن يصبح التطوير والتجديد والتنويع لذات التطوير والتجديد والتنويع، بل ينبغي أن يكون ذلك بهدف الارتقاء بمستوى المطبوعة، ويجعل منها عنواناً ولو كان متواضعاً لذوق رفيع.

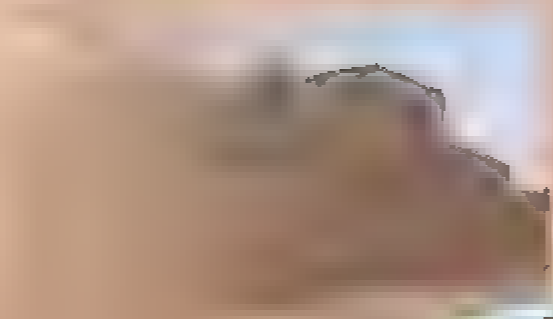
في هذه المطبوعة التي بين أيديكم نحاول المزج بين الأصالة والعراقة والتجديد والحداثة بطريقة لا تنطلق إلى الغرق في ماضٍ تولى وعدم النزول في حداثة ليست محددة الملامح، حداثة تنمي الخصوصية الإيجابية لثقافتنا وتاريخنا ومجتمعنا.

بدءاً من غلاف هذه المطبوعة مروراً بالأغلفة الداخلية ولمسات فنية هنا وهناك وانتهاء بالإعلان الخاص بالتواصل نحاول أن نعطي صورة واضحة الملامح لمطبوعة واضحة الملامح، واضحة التوجه، واضحة الأهداف.

ومن باب نسبة الفضل لأهله فإننا نأمل أن تلقى هذه الخطوة قبولاً لدى القارئ الكريم فإنه من المهم التأكيد على الجهد الذي بذله الإخوة الفنيون وبعض القراء المهتمين، والذين كانت آراؤهم وطلباتهم منطلقاً للمحافظة الجمالية التي نأمل أن تكون مقبولة إن لم تكن جيدة.

أمين هيئة التحرير







السنة الثانية - العدد الثامن - الكانون 1373 من وفاة الرسول ﷺ ديسمبر 2005 مسيحي

التواصل

AT-TAWASUL

فصلية ثقافية شاملة



8

مع العدد هدية

ماذا يريدون بالقرآن؟!

د. محاضر بن محمد / ماليزيا:

تقرير عن حالة الأمة

محمد السماك / لبنان:

المتغيرات العالمية والثوابت الإسلامية

د. علي حسين الحلو / إسبانيا:

المغامر دومنغو باديّا في مكة وفلسطين

د. عبد الهادي التازي / المغرب:

دعوة إلى تصحيح رحلة ابن بطوطة

أطفال المالديف يرسمون لـ (التواصل) ذكرياتهم عن تسونامي


يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون

الإعلام في الدول القوية

د. عبد العاطي محمد عبد الجليل *

- ليس من الضروري الدخول في جدل حول (القوة والتقدم)، فالقوة لا تعني بالضرورة التقدم، وما يقال عن حكاية الفيل والنحلة إلا دليل من آلاف الأدلة على ذلك.
- الإعلام في الدول القوية استمد قوته من قوتها، ولذا فهو يحمل خصائصها، إيجابية كانت أم سلبية. وهو يحاول إقناع المتلقي أنه - أي الإعلام - ليس ترساً في آلة جبارة رغم أنه مكون أساس من مكونات قوة تلك الآلة، صحيح أن دوره ليس دور الآلة لكنه لا يستطيع إلا أن يكون جزءاً منها.
- مشكلة الإعلام في الدول القوية تكمن في أنه صنع جملة من المصطلحات وسوقها مستنداً على قوة الدولة التي يكتسب قوته منها، دون أن يدرك أنه في الحقيقة والواقع يقوم بتسويق سلعة تم صنعها في دهاليز صنع القرار في تلك الدولة القوية، ومطلوب تسويقها بأي شكل وبأي ثمن. وهو يحاول إيهام المتلقي بأنه إعلام حر، مستقل، رائد، صريح، ولذا بات يرى في إعلام الدول الضعيفة صور التخلف وانعدام الحرية وغياب الصراحة، وعدم التمتع بأي قدر من الشفافية.
- مشكلة الإعلام في الدول القوية تكمن في أنه يعاني من انفصام واضح، فهو لا يفصل بين المتغير والثابت في الدول التي يتبعها، سواء كان يعيش فيها أو يمارس نشاطه منها، بينما يطالب - وبسوء نية لا لبس فيه - إعلامَ الدول الضعيفة الخلط بين المتغير والثابت، بحيث يصبح تجاوز الخطوط الحمراء مطلباً ديمقراطيا، وحرية إعلامية، بينما نجد أن الإعلام في الدول القوية لا يفكر مجرد التفكير في الاقتراب من أي خط برتقالي، فكيف بتجاوز الخطوط الحمراء ؟!!.
- حرية الإعلام مصطلح تم تصنيعه في الدول القوية بهدف تسويقه لا بهدف تطبيقه داخل هذه الدولة القوية أو تلك، ولدينا من الأمثلة الكثير. على أنه نتيجة لصراع مصالح حزبية أو طبقية أو اقتصادية أو سياسية، فالنيل من (وزير) أو (رئيس) في الدول القوية هو في الحقيقة صورة من صور الصراع بين المصالح، وهو أيضاً تحرك في دائرة المتغيرات دون المساس بأي من الثوابت. فالرؤساء والوزراء وأعضاء مجالس النواب والشيوخ صور للمتغيرات وليسوا أمثلة للثوابت.
- ما بات يعرف بحرية الإعلام في الدول القوية لا يمكنه في تلك الدول أن يقترب أو يتطرق للاستراتيجيات مهما كانت درجة سلبيتها، لا يمكنه على سبيل المثال أن يقترب من أماكن صنع القرار الخاص بأسلحة الدمار الشامل التي تُطور كل يوم، لأن ذلك من محاذير وغوامض الدول القوية. كما لا يمكنه أن ينظر من ثقب أي باب يؤدي إلى أي مختبر ترسم فيه السياسات المستقبلية، مهما كانت تلك السياسات عدوانية أو تدميرية أو استغلالية.
- مشكلة الإعلام في الدول القوية تكمن في أنه استطاع - أغلب الأحيان - التنسيق بين العقيدة الإعلامية للدول القوية وعقيدتها الأمنية، لكنه وفي نفس الوقت يحاول جاهداً أن يخلط الأوراق حين يتعلق الأمر بالدول الأضعف، فهو يطالب وسائل الإعلام في الدول التي لا حول لها ولا قوة بأن لا تراعي التناغم السائد بين العقيدتين.
- حين تتصادم العقيدة الإعلامية مع العقيدة الأمنية لأي دولة قوية فإن كبش الفداء هو وسيلة الإعلام، مقروءة أو مسموعة أو مرئية، وأمامنا أمثلة عديدة، منها جريدة (البرافدا)، فهي من النماذج الواضحة الدلالة على أن الغلبة في الدول القوية دائماً للعقيدة الأمنية، (البرافدا) حين كانت تنشر خبراً أو تحليلاً كانت بذلك تصيب المحللين والساسة بالصداع، فينكبون جميعاً لتحليل وقراءة ما بين أسطرها، لا لشيء إلا لأنها جريدة دولة قوية، حدث ذلك لأن العقيدة الإعلامية لـ (البرافدا) كانت تتناغم وبشكل مطلق مع العقيدة الأمنية لتلك الدولة القوية، وحين أصاب الاتحاد السوفييتي الضعف، ودب الوهن في أوصاله فذاب أو تلاشى بقيت (البرافدا) بعقيدتها الإعلامية، ولم تدرك أن تغيراً عميقاً قد حدث في العقيدة الأمنية لروسيا الاتحادية وريثة الاتحاد السوفييتي، وبالطبع لم يستمر الانسجام بين عقيدة (البرافدا) الإعلامية وعقيدة روسيا الاتحادية الأمنية.. فاختفت، أو توارت (البرافدا) لأنها فقدت القوة التي كانت تسندها .
- الـ CNN والمعروف أنها قناة فضائية أمريكية، شغلت الناس وملأت الدنيا حين اختارتها الإدارة الأمريكية لتكون لسانها الناطق وسفيرها للمواطن الأمريكي وغيره من مواطني الدول الأخرى، القوية منها والضعيفة، إلا أن تصادماً حدث بين العقيدة الإعلامية للـ CNN والعقيدة الأمنية للولايات المتحدة الأمريكية، ما أدى إلى تواري تلك القناة الفضائية قليلاً لتفسح المجال لغيرها من القنوات، لكن الثمن كان باهظا، صحيح أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تتلاش، لكن CNN لم تدرك أنها حاولت الاقتراب من أحد الخطوط الحمراء، وأنها وقعت في خطأ الاقتراب من الثوابت عوضا عن المتغيرات، وقد حاولت - ربما عن غير قصد - أن تضيف جملة موسيقية إلى المعزوفة الأمنية للدولة التي تمتلكها، فإذا بها تصطدم بحائط أشد قوة وقساوة، وأكثر ارتفاعا من سور برلين.
- في المملكة المتحدة نطالع بين الحين والآخر قصة بطلها وزير وامرأة، ويصفق بعضنا إعجابا بجرأة الجريدة أو المجلة التي أماطت اللثام عن تلك القصة، لكن أغلبنا لا يدرك أن القضية برمتها لم تزد عن كونها تعاملا مع متغير (وهو الوزير). لكن السؤال الذي يظل معلقا من أذنيه هو: هل أقدم سعادة الوزير على تسريب معلومات خاصة وسرية تتعلق بثوابت دولته القوية لتلك المرأة ؟! القاعدة العامة التي لا مفر من التسليم بها على ما يبدو، سواء في الدول القوية او الأقل قوة، أو التي لا حول لها ولا قوة، يمكن اختصارها في أن ما بات يُعرف بـ (حرية الإعلام والصحافة) يظل مصطلحا متغيرا لا يمكنه أن يقترب من الثوابت. الإعلام في الدول القوية لا يريد الاعتراف بحقيقة كونه مجرد آلة تشارك في عزف موحد لهذه الدولة القوية أو تلك، بينما يريد من الإعلام في الدول الأضعف أن يكون نشازاً في معزوفة هذه الدولة الضعيفة أو تلك، الإعلام في الدول القوية لا يخرج عن النص إلا باتفاق مسبق مع دوائر صنع القرار، ومع ذلك يريد من الإعلام في الدول الأضعف أن يلغي النص بكامله..

---

* كاتب وصحفي وأستاذ جامعي - ليبيا



في هذا العدد

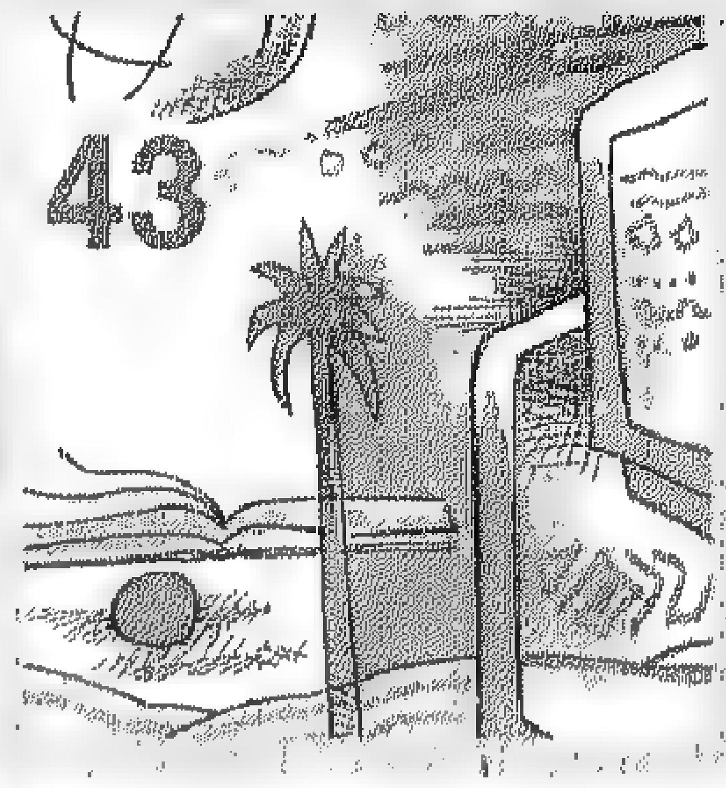
الافتتاحية

مقالات

دراسات

حوارات

محاضرات



دراسات

النظام العالمي الجديد ودور الإعلام في عرض صورة الإسلام



استطلاعات

أطفال المالديف يرسمون لـ (التواصل)



تقارير

مسابقة (واعتصموا) النسائية العالمية الأولى لحفظ القرآن الكريم

التواصل
AT-TAWASUL

تصدر عن
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

السنة الثانية ـ العدد الثامن
الكانون 1373 من وفاة الرسول ﷺ
ديسمبر 2005 مسيحي

المراسلات باسم
أمين هيئة التحرير
طريق السواني ـ كلم 5
هاتف: 4808461.5 / 4800730
بريد مصور: 4800736 – 4800730
ص.ب: 86086
طرابلس ـ الجماهيرية العظمى

البريد الالكتروني
INFO@AT-TAWASUL.INFO
ARAA@AT-TAWASUL.INFO

الموقع على شبكة الانترنت
WWW.AT-TAWASUL.INFO

شـــروط النشـــر في مجـلـة

التواصل

ترحب مجلة التواصل بكتابات المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين وغيرهم الذين ينشدون التواصل المعرفي من خلال لغة الحوار والنقاش المستنير بعيداً عن التعصّب بجميع أشكاله، وسعياً لدرء أسباب الخلاف والفرقة، مع الالتزام بأسس العقيدة الإسلامية وثوابت الدين في المعالجات الفكرية والثقافية. وتحقيقاً لهذه الأهداف يشترط لقبول نشر البحوث والمقالات:

- ❖ أن يتسم البحث بالجدّة والموضوعيّة، وأن يتّبع في كتابته الأساليب المنهجية في البحث العلمي من تسلسل منطقي في العرض، وتوثيقٍ للمصادر والمراجع.
- ❖ أن يُراعى تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في البحوث التي تتضمنها.
- ❖ أن يكون البحث أو المقال خِلواً من الأخطاء اللغوية والإملائية، مع مراعاة علامات الترقيم وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.
- ❖ ألاّ يكون البحث أو الدراسة المقدمة للنشر في (التواصل) جزءًا من أطروحة ماجستير أو دكتوراه.
- ❖ ألاّ يكون البحث قد سبق نشره في مطبوعة أخرى.
- ❖ أن يكونَ البحثُ أو المقال مطبوعاً، أو مكتوباً بخطٍّ واضح.
- ❖ ألاّ يقلّ عدد كلمات البحث أو الدراسة عن 8000 كلمة ولا يزيد على 12000 كلمة.
- ❖ ألاّ يقلّ عدد كلمات المقال عن 4000 كلمة، ولا يزيد على 6000 كلمة.
- ❖ أن يُرفقَ الباحثُ ببحثه سيرته الذاتية.
- ❖ في حالة الترجمة لا بدَّ من أن يرفق النصّ المترجم بلغته الأصلية.

ملاحظات:

- للمجلة الحق في اختيار العدد المناسب لنشر البحوث المجازة.
- ترتيب نشر البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.
- لا تردّ البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت في المجلة أم لم تنشر.
- تعرضُ الأعمال المقدّمة للمجلة على لجنة تقويم النصوص فيها لإجازتها.
- تمنح البحوث والمقالات المجازة مكافآت مالية مناسبة.



- تقرير عن حالة الأمة
- المتغيرات العالمية والثوابت الإسلامية
- إعجاز القرآن .. رؤية جديدة
- الوقف وفلسفته التنموية
- المعرفة أساس رقي المجتمعات
- المغامر دمنغو باديا في مكة وفلسطين

تقرير عن حالة الأمة*

د. محاضر بن محمد**

بناءً على مبادرتي الخاصة ودون تخويلي الصلاحية من أية جهة أودُّ أن أقدّم تقريراً حول حال الأمة الإسلامية حالياً..

وأودُّ القيام بذلك لأننا غالباً ما نتحدث عن الأمة وكأننا ننتمي لمجتمع إسلامي واحد.. لكن الحقيقة هي أننا لا ننتمي لمجتمع إسلامي واحد. إننا نتصرف في الغالب كدول من منطلقات قومية، وإذا سعينا إلى الوحدة عبر حدود دولنا نعرّف بأنفسنا بأننا أعضاء في طوائف الإسلام المختلفة كسنّة أو شيعة إلخ. وإلى جانب الدول التي ننتمي إليها فإن الاختلافات بين الطوائف التي ننتمي إليها تقسمنا إلى مزيد من الجماعات، ذات الأغلبية أو الأقلية في الدول الإسلامية وغير الإسلامية.

ينقسم المسلمون اليوم إلى أكثر من خمسين دولة وأكثر من ألف طائفة وفروعها، والتي لا تتصرف كأعضاء في الأمة، أي المجتمع الإسلامي، ولكن تتصرف كأتباع لديانات يدّعون أنها الإسلام، ولكن آخرين هؤلاء الذين يدّعون بأنهم مسلمون لا يقبلونهم كإخوة لهم في الإسلام.. الاختلافات بينهم تتعلق بتفسيرهم للإسلام والمعتقدات، بل إنهم مستعدون في بعض الحالات حتى للاقتتال وقتل بعضهم البعض.

إنني لست متأكداً ولكن أعتقد بأن عدد المسلمين الذين يُقتَلون من قبل مسلمين آخرين أكبر ممن يقتلهم غير المسلمين، وحتى عندما نُهاجَمْ من قِبَل أعداء غير مسلمين فإننا نساعدهم على قتل إخوتنا المسلمين. أما بالنسبة لأعدائنا فالاختلافات الطائفية التي ننتمي إليها لا تعني شيئاً، بالنسبة لهم جميعنا من المسلمين وجميعنا أعداءهم.

لم تكن للإسلام دولة قومية في البداية، منذ عهد الرسول كان المسلمون ينتمون إلى جماعة المسلمين «الأمة» وجميع المسلمين إخوة بصرف النظر عن العرق أو اللون أو الوطن الجغرافي وجميعهم ينتمون إلى مجتمع إسلامي واحد، الأمة.

كان رئيس المجتمع: الخليفة، ومن أجل إدارة الأراضي الشاسعة للأمة كان يتم تعيين ولاة من قبل الخليفة.. الولاة أداروا الأراضي نيابة عن الخلفاء وباسمهم.. إنهم لم يكونوا ملوكاً وبالتأكيد لم يكونوا ملوكاً مستقلين.. كان ولاء الأمة الإسلامية ليس للولاة، لكن للإسلام وللأمة وللخليفة أو أمير المؤمنين.

(*) قدّم الدكتور محاضير بن محمد هذا التقرير باللغة الإنجليزية في الكلمة التي ألقاها في طرابلس ـ ليبيا بعد تسلمه جائزة القذافي العالمية لحقوق الإنسان للعام 1373 و.ر الموافق 2005 مسيحي.

(**) رئيس وزراء ماليزيا السابق.

أن النبي محمد ﷺ لم يؤسس سلالة ملكية، فالأمة هي التي اختارت خليفة له، لكن رفض بني أمية قبول سيدنا علي رضي الله عنه، والذي اعتبره بعض أتباعه بأنه الخليفة الصحيح للنبي، قسم الأمة إلى اثنتين وبدلاً من اختيار خليفة ليخلف نظيره المتوفى أسس بنو أمية سلالة حاكمة، وبدأ الولاة في الأماكن البعيدة عن مركز الخلافة يتولون ألقاباً خاصة بهم لإعلان أنفسهم ملوكاً وذوي سلالة حاكمة، وذهبوا حتى إلى حد إعلان أنفسهم أمراء للمؤمنين وخلفاء.

وعليه انقسمت الأمة قبل ظهور المفهوم الأوروبي للدولة القومية بوقت طويل. نستطيع إلقاء اللوم على الأوروبيين على تقسيمنا إلى دول عديدة، لكن حقيقة الأمر هي أننا قبلنا ودعمنا الانقسام بسبب الجشع والطمع.

وعليه لا وجود للأمة اليوم سوى بالاسم فقط. فإننا ننتمي لدولنا القومية وندين لها بالولاء، وبصفتنا مواطنين في هذه الدول فإننا مستعدون للقتال، وقتل بعضنا البعض، ونحن مستعدون حتى للتحالف مع غير المؤمنين في حروبنا ضد بعضنا البعض، ولم نتمكن أبداً من العمل معاً للدفاع عن الأمة، لأننا نتمسك بالدول التي ننتمي إليها بدلاً من المجتمع الإسلامي.. (الأمة) كما يأمرنا القرآن الكريم.

غير أننا لم ننجح حتى كدول قومية، حيث أن جميع الدول الإسلامية ضعيفة، وغير مستعدة، وغير قادرة على مواكبة التطور.. منذ أفول العثمانيين لم ينظر إلى أية دولة إسلامية على أنها قوة عالمية، بل لا تعتبر أية دولة إسلامية بأنها دولة متطورة.

إن ضعف الدول الإسلامية أدى إلى استعمارها في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وحتى بعد تحقيق الاستقلال أُجبرت على الخضوع للضغوطات الأجنبية، وغالباً ما يتم التلاعب بها لمقاتلة بعضها البعض.. إنها لم تكن قادرة على الوحدة وحماية الأمة.

يتقسم المسلمون اليوم إلى أكثر من 50 دولة قومية وأكثر من ألف طائفة وفروعها، والتي لا تتصرف كأعضاء في الأمة أي المجتمع الإسلامي، ولكن تتصرف كأتباع لديانات يدعون أنها الإسلام.

عندما كان شعب فلسطين يكافح لمنع قيام إسرائيل على أراضي بلاده لم تتمكن أية دولة إسلامية من التقدم للدفاع عن فلسطين.. إن الأوروبيين مع الصهاينة حوّلوا جزءاً من فلسطين إلى دولة إسرائيل.. فقد تم طرد المسلمين والمسيحيين العرب من فلسطين، وصادر الصهاينة منازلهم وأراضيهم ومزارعهم، وأجبروا على العيش في مخيمات اللاجئين منذ ذلك الوقت.

وفشلت محاولات الدول الإسلامية المتواضعة في استرجاع فلسطين لشعبها الشرعي، حتى عندما كانت القوة العسكرية لإسرائيل ضعيفة في ذلك الوقت، وفشلت المحاولات اللاحقة رغم الدعم الروسي.

اعتمدت الدول الإسلامية على أسلحة الحروب التي زُودت من قِبَل الدول غير الإسلامية المتعاطفة، إذ لم تكن لدى الدول الإسلامية القدرة على تطوير وإنتاج أسلحتها، وذلك رغم الأمر في القرآن بأن يعد المسلمون القوة ورباط الخيل، وإنزال الخوف على عدوهم بدفاعاتهم القوية.

اليوم، من الناحية العملية، كل فلسطين محتلة من قبل المستوطنات الإسرائيلية اليهودية التي شيدت على جميع الأراضي الفلسطينية، ولا أحد يستطيع زيارة فلسطين دون إذن الإسرائيليين، فيما على الجميع إما أن يعترفوا بدولة إسرائيل أو أن

يدانوا من قبل الغرب ولن تكون للفلسطينيين دولة فلسطين المعروفة تاريخياً. واليوم الإسرائيليون وحدهم من يسمح «للسلطة الفلسطينية بالعمل».

❖❖❖

منذ 11 سبتمبر 2001 تم غزو واحتلال أفغانستان والعراق وتهديد سوريا وإيران، وتتم إهانة وإدانة المسلمين كإرهابيين في كل مكان، وشوّه الإسلام ودنّس القرآن الكريم.

لقد نجح أعداء المسلمين في تحويل الدول الإسلامية إلى دول تدور في فلكها، مجبرين إياهم على تمويل الحروب ضد المسلمين، وحتى محاربة المسلمين الآخرين بالنيابة عنهم.

حقيقة إن المسلمين انحدروا إلى أدنى مستوى لهم من أعالي المستويات التي وصلوا إليها في الماضي. فالحضارة الإسلامية العظيمة لم تعد هناك ولا يحمل المستقبل وعوداً باحيائها، ولم تعد موجودة حتى حسنات للآخرة، فهل يستطيع المسلم الفوز بالحسنة في عالم الآخرة في وقت سمح فيه للإسلام دينه بأن يدنّس إلى حد وصم النبي محمد ﷺ بزعيم العقيدة الإرهابية، وليس بنبي الديانة العظيمة؟!

جميعنا آثمون، لأنه لا أحد منا له القدرة على الدفاع عن ديننا، وعن الأمة، لقد أخفقنا في الامتثال لمتطلبات فرض الكفاية، وجميع عباداتنا المتعلقة بفرض العين تنقذنا من إثم الإخفاق في أداء فرض الكفاية.

ليس ثمة جدوى من إلقاء اللوم على أعدائنا إذا قلنا إنهم مسئولون عن تقسيمنا إلى دول ضعيفة، والتحريض لقتال بعضنا البعض، عندئذ لماذا لا نمنع أنفسنا من أن يتم التلاعب بنا ومن القتال ضد بعضنا البعض؟!.

الحقيقة هي أننا نسمح لأنفسنا بأن نكون منقسمين، وإننا نقوم وبدراية على تنفيذ أوامرهم.. والحقيقة هي أننا نختار أن نتجاهل أوامر ديانتنا ونتخذ القرارات مدركين التغاضي عن الأخوة الإسلامية، وبدلاً من ذلك نساعد غير المسلمين على قمع المؤمنين.

❖❖❖

وهب الله بعضنا الثروة التي لا نستطيع تخيلها، لدينا أموالاً كافية لجعل مليار وثلاثمئة مليون مسلم في جميع الدول الإسلامية وغير الإسلامية أثرياء، نستطيع أن نضع حداً لآفة الفقر بين المسلمين.. نستطيع ضمان أن يمتلك جميعهم القوة الداخلية والقدرة، لكن ماذا فعلنا؟

أننا لم ننجح حتى كدول قومية، حيث أن جميع الدول الإسلامية ضعيفة وغير مستعدة وغير قادرة على التطور..

إن الأموال تفقد القيمة كل الوقت.. إن الأموال التي لا تستخدم تنقص قيمتها بسرعة، لكن المعرفة والمهارات تزداد قيمة بالخبرة وبمرور الوقت.. إن ثروة النفط في باطن الأرض التي نعيش عليها لم تعطنا المنفعة، لأننا لم نمتلك المعرفة والمهارة لإخراجها من باطن الأرض لتزيدها قيمة، ولزيادة استعمالها.

لقد أتى آخرون بالمعرفة والمهارات لاستخراج النفط لنا، ولتكريره وبيعه واستخدامه.. بعد قرن من استغلالهم لمواردنا، ورغم أن كل دولة نفطية رئيسية أغنى وأكثر قوة من العديد من بلدان العالم في الغرب ما زلنا لا نعرف كيف ننتج نفطنا.. نجلس في راحة نقبض عوائد النفط معتمدين بالكامل على هؤلاء الأجانب الذين يستخرجونه من باطن الأرض وذلك على الرغم من أنه لا توجد ديانة تولي أهمية للمعرفة والمهارة أكثر من ديانتنا.. إن أول رسالة استلمها النبي محمد ﷺ هي ﴿إقرأ﴾ وهي تعني السعي وراء العلم.

هل تشترط هذه الرسالة الأولى بأن تنحصر القراءة والسعي وراء المعرفة على معارف الدين الإسلامي؟ عندما أُستلمت الرسالة لم تكن هناك أدبيات متوفرة عن الإسلام.. كانت هناك التوراة والإنجيل، ولكن لم يأت القرآن بعد.

لكن الآيات التي تلي «إقرأ» أشارت إلى المعرفة التي ينبغي السعي للحصول عليها، لقد ذكرت السورة، سورة العلق كيف خلق الله الإنسان من علق، وأن الله يُعلم الإنسان بالقلم ما لم يعلم.

لم يذكر شيء في هذه السورة يحرم القراءة، أي السعي وراء المعرفة خلافاً للدين الإسلامي، مع أن المسلمين قبل 500 سنة قيل لهم من قبل العلماء والفقهاء بأن دراسة الدين وحده.. يكسبهم التقدير في هذه الحياة وفي الآخرة، والدراسات الأخرى لا تكسبهم التقدير.

لقد درس المسلمون الأوائل جميع أنواع المعارف، بما في ذلك تلك التي كان اليونانيون روادها، إنهم رفضوا الكثير من الفلسفة اليونانية، لكنهم ركّزوا على العلوم والرياضيات والطب وعلم الفلك إلخ.. إنهم بنوا الحضارة الإسلامية العظيمة التي أسهمت في قوة وعظمة الأمة.. إنهم كانوا أكثر الشعوب تطوراً عندما كان الأوروبيون يتخبطون في غياهب الجهل والشعوذة في العصور المظلمة.

لقد انحسرت الحضارة الإسلامية وهوت إلى مستواها اليوم، بعد أن تجاهل المسلمون دراسات غير الدين الإسلامي.. وبالمصادفة حتى عندما قرّر المسلمون بأنه لا جدوى من دراسة أي شيء سوى الدين، بدأ الأوروبيون في دراسة أعمال العلماء المسلمين العظام: علماء الرياضيات والفيزياء، وبتطبيقات عملية لهذه المعارف أخرجوا أنفسهم من «العصور المظلمة» ليبدأوا بناء حضارتهم الحديثة.

لكننا اليوم ما زلنا لا نستجيب للأمر الأول في الإسلام: القراءة والسعي وراء العلم.. ولا نعرف حتى كيف نستخرج الثروة التي حبانا بها الله. بدلاً من ذلك نحن نجلس ونتمتع بالثروة التي يستخرجها الآخرون لنا.

لقد حبا الله الإنسان صفات معينة يمكن أن تساعدنا في التمتع بالحسنات في هذا العالم، وكذلك تحضير أنفسنا لكسب الحسنات في الآخرة.. عليه يجب استخدام عضلات أجسامنا بصورة مستمرة من أجل أن تمكننا من الوقوف والمشي والقيام بأعمال جسدية.. وإذا قمنا بجهود إضافية فإن العضلات في الواقع سوف تنمو وتقوى، ونتمكن من القيام بمزيد من العمل الجسدي. والأكثر من ذلك فإننا سوف نطور قوة ومهارة أعظم كلما استخدمنا عضلاتنا.

ما زلنا لا نستجيب للأمر الأول في الإسلام: القراءة والسعي وراء العلم.. ولا نعرف حتى كيف نستخرج الثروة التي حبانا بها الله. بدلاً من ذلك نحن نجلس ونتمتع بالثروة التي يستخرجها الآخرون لنا.

وذات الأمر فيما يتعلق بأدمغتنا.. إذا استخدمناها فإن تخزينها للمعرفة وذكاءها سوف يزداد، وسنكون أفضل في كل ما نفعله بسبب تراكم المعرفة والخبرة. وإذا لم نفعل ذلك فإن الدماغ لن يتطور، وفي الواقع سوف يضمر من حيث القدرة على التفكير واستخدام العقل وحل المشاكل.

الكثيرون منا أغنياء كثيراً، بحيث نريد فقط أن نتمتع بحياتنا وثروتنا، وأن بثروتنا نستطيع الدفع للآخرين للقيام بأعمال لنا، وللتفكير وحل مشاكلنا، وإدارة أعمالنا.. بأموالنا غير المحدودة أصبحنا مستهلكين لكل شيء، لا ننتج شيئاً بأنفسنا ما دام الآخرون يقومون بذلك لنا. لقد جعلنا آخرين يستخرجون ويبيعون الموارد التي وهبنا الله إياها، نحن فقط نقبض الأموال، لا نقوم بأي مجهود للتعلم،

والأسوأ من ذلك، إننا نؤمن بأن المسلمين لا يستطيعون التعلم والحصول على المعرفة والمهارات بالطريقة التي يستطيعها الآخرون، خاصة الأوروبيون. وعليه نثق بهم، ولا نثق في المسلمين الذين نعلم إنهم قادرون على القيام بما يستطيع الأوروبيون القيام به.

إننا غير قادرين على التفكير، وعلى إدارة وحل مشاكلنا، ويتضح ذلك من الطريقة التي نتعامل بها مع معضلتنا الحالية.. وفي مواجهة الهجمات ضدنا أصبحنا مولعين بالقتال، ونذهب إلى الانتقام القصير الأجل.. نحن لا نخطط للانتصار النهائي ولحل بعيد الأمد.. نحن فقط نسعى إلى الانتقام.. إذا قتلوا مواطنينا، نقتل مواطنيهم.. نحن لا نكترث حقاً بمن نقتل، ما دام من نقتل هم مواطنيهم، ربما كانوا أبرياء وربما حتى متعاطفين مع قضيتنا.. لكن إذا كانوا مواطنيهم فإن حقيقة أن يكونوا أبرياء أو ربما يساعدوننا لا تعني شيئاً، ربما لديهم نوايا شيطانية وعليه نقوم بقتلهم،

ولكن المذنبين حقاً هم الجنود والسياسيون الذين يعطون لهم الأمر بالقتل، والذين نتجنبهم، لأنه من الصعب الوصول إليهم، بينما يكون من السهل قتل الأبرياء.

إن انتقامنا من مضطهدينا وغزاتنا لم يعطنا شيئاً سوى الإضرار بسمعة الإسلام والمسلمين، فالاضطهاد وإهانة المسلمين مستمر ويزداد سوءاً بمرور الوقت.

حتى الآن لم نجلس للتفكير والتخطيط ووضع استراتيجيات، والسعي للحصول على الاسترشاد من ديننا حول كيف نستطيع الإيفاء بواجبنا نحو الأمة، وكيف نؤدي فرض الكفاية من أجل إنقاذ أنفسنا والابتعاد عن الإثم.. سوف نقضي الساعات والأيام والشهور والسنوات في مناظرات وجدل عقيم حول العديد من التفسيرات في ديننا، نحن محنكون في ذلك لأننا هكذا نستخدم عقولنا كل الوقت.. لكننا لا نستطيع التفكير في خططنا واستراتيجياتنا للدفاع عن الأمة، لأن أدمغتنا لم تستعمل لذلك.

❖❖❖

نحن ندين الانتحاريين، لكن ذلك هو الشيء الوحيد الذي يعرفون كيفية القيام به والقادرين على القيام به، إذا ما استطاعت الأمة عرض طريق أفضل، لو أنها تقيدت بما أمرنا به القرآن لتجهيز أنفسنا بالقدرة على الدفاع عن الأمة، وإرهاب أعدائنا كما يحثنا ديننا، لما احتاجوا إلى القيام بتفجيرات انتحارية لقتل الأبرياء أكثر من أولئك المذنبين حقاً بقتل مواطنينا، لكننا لسنا غير قادرين فحسب، في الواقع نحن لا نريد أن نكون قادرين، ونترك إخواننا المسلمين يعانون ما دمنا ناجين بأنفسنا.

الكثيرون منا أغنياء كثيراً، بحيث نريد فقط أن نتمتع بحياتنا وثروتنا، وأن بثروتنا نستطيع الدفع للآخرين للقيام بأعمال لنا، وللتفكير وحل مشاكلنا، وإدارة أعمالنا..

نحن غير مهتمين للقيام بما في وسعنا من أجل إنقاذ الأمة، بل نحن غير مهتمين حتى بسماع كيف يمكن القيام بذلك حتى عندما نكون مطمئنين من أن الخطر والاضرار بأنفسنا سيكون في أدناه، نحن لسنا راغبين.. نحن مستمرون في القيام بما يضر بالأمة لأنه يجلب لنا الشعور الخاطئ بالأمن.

❖❖❖

هذا هو حال الأمة.. وإلى هذا المنزلق هبطنا، ما قلته هنا نحن كأمة، أو نحن في هذه القاعة نعرفه جيدًا، وإنني لا أخبركم شيئاً جديداً، ولكن هل فقط سنقوم بمناقشة المشاكل وإثارة الجدل إلى ما لا نهاية بشأنها؟ عن الأسباب ومن يجب إلقاء اللوم عليه؟ أو

هل سنفعل شيئاً ما إزاءها؟ لا توجد مشكلة غير قابلة للحل تماماً، ربما لن نكون قادرين على التغلب عليها بالكامل، ولكن نستطيع على الأقل تخفيفها.

لا يجب أن يكون الانتقام الهدف الذي نسعى إليه.. الانتقام مرحلة قصيرة الأجل، قد يعطي ارتياحاً مؤقتاً، لكن الانتقام يولد الانتقام، يقتلون مواطنينا ونقتل مواطنيهم، ثم يقتلون مواطنينا ثانية فنقتل مواطنيهم ثانية، ويستمر القتل إلى ما لا نهاية، وعند المواجهة فإن الغلبة لهم، فهم مجهزون بصورة افضل، واستراتيجيتهم موجودة لإرهابنا، إنهم يستطيعون غزو بلداننا، ويستطيعون استغلال اختلافاتنا، فبدلاً من الهجوم عليهم نهاجم ونقتل بعضنا البعض، وعندما يحدث ذلك يستطيعون إعلان النجاح لأننا نقوم بأعمالهم بالنيابة عنهم.

ندعي بأن ذلك ليس صحيحاً، وإنها دعايتهم، ولكن عندما يقوم انتحاري بتفجير نفسه في مسجد مكتظ بالمسلمين وهم يصلون، هل نستطيع القول بصدق بأن الانتحاري ليس مسلمًا؟ وأنه مسلم مأجور من قبل الكفار.؟ إن مثل هذا الانتحاري سيذهب إلى جهنم، إنه قتل مسلم لمسلم، حتى وإن أعلنا بأن أولئك المصلين هم ليسوا من المسلمين، لأنهم ينتمون إلى مذهب آخر، أي أنهم الشيعة ونحن السنيون، أو هم السنة ونحن الشيعة.

إذا كنت جاداً أو مسلماً جيداً قاتل الأعداء، اقتل الناس الذين يقتلون مواطنيك، قاتل الغزاة، بالطبع لن يكون ذلك سهلاً، لكن ستموت كمسلم جيد، لأنك لم تقتل مسلماً، لأن قتل المسلم حرّمه القرآن، ولأنك لم تضر بالاسم الجيد للإسلام.

كما قلت إن الانتقام ليس هو الهدف، علينا التخطيط لنجاح نهائي.. علينا أن نبني قوتنا وقدرتنا لفرض الاحترام والخوف على أعدائنا حتى لا يستأسدوا علينا ويهاجموننا ويضطهدوننا ويهينوننا.

إن ذلك سيستغرق وقتاً طويلاً، لكن فكروا في كفاح النبي محمد ﷺ.. إنه عانى من الهزيمة، وقد رجم من قبل أعدائه، وكان عليه الهجرة من مكة وتحمل مصاعب عظيمة.

إنه نبي الله الذي كان يستطيع تيسير الأمور له لو أراد سبحانه وتعالى، لكن الله لم يفضل رسوله بتيسير الأمور له، كان على محمد ﷺ الكفاح وحده، لكنه انتصر على أعدائه وكسب دعمهم واعتناقهم الإسلام، لقد قاتل، وحبيب الله ذاته أصيب، لكنه استمر في كفاحه.

علينا أن نبني قوتنا وقدرتنا لفرض الاحترام والخوف على أعدائنا حتى لا يستأسدوا علينا ويهاجموننا ويضطهدوننا ويهينوننا.

الحمد لله بفضل إصراره وعزيمته وتكريس نفسه من أجل الإسلام أدى كفاحه إلى انتشار الإسلام من إسبانيا غرباً إلى الصين وجنوب شرقي آسيا شرقاً.

إذا كان النبي ﷺ قد ناضل لمدة ثلاثة وعشرين عاماً، فمن نحن لنتمنى النصر بين يوم وليلة؟!.. كوننا أناساً عاديين، يجب أن تستعد الأمة لكفاح لفترة أطول وأن تخطط بصبر لاستراتيجية فعالة، وأن تقوم بالتحضيرات الضرورية.

قد يستغرق الأمر عقوداً أو حتى قرناً، ربما لن نعيش لنرى النجاح والانتصار، لا سيما وأن النبي ﷺ لم يعش ليرى نفراً من أتباعه الذين كانوا في المدينة يزداد عددهم ليصل إلى أمة تعدادها 1,3 مليار اليوم.. عليه يتعين علينا التخطيط بصبر حتى نستعيد قوانا في متغيرات القرن الحادي والعشرين من عهد المسيحية الموافق للقرن الخامس عشر للهجرة.. علينا تنفيذ خططنا باجتهاد، وعلينا استرجاع مكانة الأمة إن لم يكن مجد الحضارة الإسلامية العظيمة، علينا الكفاح بجهد لاسترجاع عظمة الإسلام الذي تركه محمد ﷺ تحت رعايتنا.

المتغيرات العالمية والثوابت الإسلامية

د. محمد السمّاك *

يقول المستشرق الإنجليزي (مونتغمري وات) في كتابه (الفكر السياسي الإسلامي): إذا ألقينا نظرة عامة على العلاقة بين الدين والسياسة، فإن من المفيد الاهتمام أولاً بموقع الدين في حياة الفرد.

فبالنسبة للشخص الذي يشكل عنده معنى خاصًا، وليس مجرد تعلّق شكلي، يمكن التأكيد على نقطتين:

النقطة الأولى: هي أن الأفكار التي تتضمنها ديانته ترسم له الإطار الثقافي الذي يحيط بنشاطاته وبأعماله كلها، ومن خلال هذه العلاقة تكتسب نشاطاته أهميتها كما أن هذه العلاقة قد تؤثر بطرق معينة على البرنامج العام لحياته.

النقطة الثانية: هي أن الدين من حيث أنه يؤدي بالمؤمن إلى وعي المضمون الأوسع الذي تقوم عليه الأهداف الممكنة لحياته، يولد - الدين - لديه الحوافز المحركة لسائر النشاطات التي يقوم بها.

وبالفعل فإنه من دون هذه الحوافز الدينية، لا يمكن القيام بالكثير من هذه النشاطات.

ومن خلال هاتين النقطتين يتبين لنا كيف أن الدين يحتلّ موقعًا مركزيًا في حياة الإنسان، ليس من حيث أنه يقرر الكثير من التفاصيل (مع أنه يفعل ذلك بالفعل في بعض الحالات)، ولكن من حيث أنه يوفر للإنسان أهدافًا عامة في الحياة، ويساعده على تركيز وعلى تجميع قواه من أجل تحقيقها [1].

وهذا يعني أنه لا قيمة لحياة الإنسان إذا لم تكن له خلفية ثقافية يستمد منها معنى لحياته، وبالتالي فإن تذويب أي ثقافة خاصة هو تذويب للقيم التي تقوم عليها إنسانيته، وتدمير لها. وعندما يتداخل الدين مع الثقافة، أي عندما يكون الدين مكونًا بامتياز، أو المكّون الأساس للثقافة، يأخذ الدفاع عن الخصوصية الثقافية بعدًا مقدسًا على النحو الذي نشهده اليوم في مواقع متعددة من العالم، بما في ذلك - بل وخاصة - في عالمنا العربي - الإسلامي.

If we look more generally at the relation between religion and politics, it is helpful to consider first the place of religion in the life of an individual. In the case of a person to whom religion means something and is not a merely nominal adherence, two points may be emphasized. First, the ideas of his religion constitute the intellectual framework within which he sees all his activity taking place.

It is from this relationship to a wider context that his activities gain their

* كاتب، رئيس لجنة الحوار الإسلامي - المسيحي / لبنان

(1) Montgomery Watt, Islamic Political, Edinbugh Uni. Press, 1968, P.28

significance, and a consideration of this relationship may influence his general plan for his life in particular ways. Secondly, because religion brings an awareness of this wider context in which the possible aims for a man's life are set, it may often generate the motives for his activity; indeed, without the motives given by religion some activities cannot be carried out. From these two points it is seen that religion has a central position in a man's life, not because it determines many of the details (though in some cases it may), but because it gives him general aims in life and helps to concentrate his energies in the pursuit of these aims.

إذا كان هذا الدور المركزي للدين في ثقافة الفرد والمجتمع يشكل أساسًا ثابتًا ومستمرًا، فإنه يواجه اليوم عالمًا دخل مرحلة جديدة تتلاشى معها الحدود السياسية وتتداخل فيها الثقافات والتقاليد الدينية والاجتماعية. فقد تحولت القضايا الوطنية (مثل حقوق الأقليات وحقوق الأفراد وحرية العبادة وسواها) إلى قضايا عالمية تتجاوز الأطر الوطنية أو المجتمعية المحدودة. وكذلك تحولت القضايا العالمية (مثل السلام والتنمية وحركة رؤوس الأموال والاستثمارات والخدمات وتبادل السلع) إلى قضايا وطنية وداخلية.

تضع هذه المتغيرات العميقة والشاملة العالم العربي والإسلامي، الذي يعاني من التخلّف من جهة ومن الخوف على الذات من جهة ثانية، أمام تحديات تحتم عليه صياغة نهج جديد وأسلوب جديد للتعامل مع هذا العالم. إن مظاهر هذا التخلف تصفع الإنسان العربي والمسلم قبل أن تثير تساؤل الإنسان الغربي. إلا أن البحث عن أسباب التخلف عن مواكبة العصرنة والحداثة يقودنا إلى التوقف أمام العوامل التالية:

أ ـ تعريف الحداثة والعصرنة وتحديد مقاييسها ومواصفاتها.

ب ـ دور الدين كحافز أو كعائق في التحديث والتطور (نظرية ماكس فيبر ـ الأخلاق البروتستنتية والرأسمالية).

ج ـ ربط التحديث بالاستتباع في الثقافة الغربية (نظرية بنجامين كيد).

د ـ ربط التحديث بالمحافظة على الذات في الثقافة المشرقية العربية ـ الإسلامية (نظرية الإصلاحيين من رفاعة الطهطاوي ـ محمد عبده ـ رشيد رضا ـ جمال الدين الأفغاني ـ شكيب أرسلان حتى مالك بن نبي).

لم يكن الدين عائقًا في وجه هذا الانفتاح. بل إن في الدين الكثير من الحوافز التي مارست دورها الفعّال في عملية السعي وراء المعرفة والعلم «ولو في الصين».

في الأساس ينفتح العالم العربي والإسلامي ثقافيًا وحضاريًا على الآخر بكل ثقة وبلا تحفظ. من عهد المأمون الذي أسس بيت الترجمة عن التراثات اليونانية والفارسية والهندية، حتى عهد عبدالناصر الذي وضع مشروع ترجمة الألف كتاب، مرورًا بعهد محمد علي الذي أوفد إلى الغرب العشرات من البعثات الطلابية لمواكبة التقدم العلمي والتقني في أوروبة. مع الإشارة السريعة إلى الدور المهم للأديرة في لبنان في الترجمة والطباعة باللغة العربية.

لم يكن الدين عائقًا في وجه هذا الانفتاح. بل إن في الدين الكثير من الحوافز التي مارست دورها الفعّال في عملية السعي وراء المعرفة والعلم «ولو في الصين».

غير أن هذا التوقع للانفتاح كان يصطدم دائمًا بنظريات معاكسة لعل آخرها نظرية (صراع الحضارات) التي طلع بها المفكر الأميركي صموئيل هنتغتون، ذلك إن هذه النظرية قد تكون وجهًا عصريًا لنظرية بنجامين كيد Benjamin Kidd التي يدعو

فيها إلى هيمنة العنصر الانكلوسكسوني على العالم لأنه كما يدّعي «العنصر الأقوى، والأفضل ولأنه رائد التحديث والتطوير الإنسانيين».

ولقد ذهب ألبرت بايت Albert Bayet إلى حد اعتبار الاستعمار إثراء للشعوب المستعمرة فكريًا وعلميًا وحضاريًا ما يجعل منه ـ أي من الاستعمار ـ واجبًا على الشعوب المتقدمة وحقًا للشعوب المتأخرة.

طبعًا من السذاجة ربط عدم مواكبة العالم الإسلامي إنتاجيًا ـ وليس استهلاكيًا فقط ـ للنهضة الحضارية المعاصرة، بالدور الخارجي وحده، وإن كان من السذاجة في الوقت نفسه التقليل من فعالية هذا الدور.

إن الوعي العربي ـ الإسلامي بواقع التخلف، والوعي بضرورة بذل قصارى الجهد لمواكبة التقدم، والوعي بالثمن المطلوب أداءه من أجل التغيير المنشود ليس مسألة بسيطة ولا هي مسألة قابلة للتجاهل، وكما يقول الفيلسوف النمساوي غادامر: «صحيح أن الوعي يملك مقومات ثقافية بارزة، ولكن التغيير لا يتم في الوعي، بل في الواقع، وهو سياسي واجتماعي وفردي».

وكما يقول غادامر أيضًا، فإنه «في ظروف الأزمنة الصعبة المزلزلة يتراجع الوعي بالمصالح لصالح ثقافة الهوية فيبدو أنه لا مخرج من الأزمة أو المأزق إلا بالصدام مع الخصم الحقيقي أو الموهوم».

إن التعامل مع المتغيرات العالمية بفكر اعترافي لا إنكاري، وبروح استيعابية لا تصادمية، وبأسلوب نقدي للذات لا رفضي للآخر، يقتضي استلهام الحكمة في الموقف وفي السلوك معًا من الثوابت الإسلامية.

التعامل مع المتغيرات العالمية بفكر اعترافي لا إنكاري، وبروح استيعابية لا تصادمية، وبأسلوب نقدي للذات لا رفضي للآخر، يقتضي استلهام الحكمة في الموقف وفي السلوك معًا من الثوابت الإسلامية.

فالإسلام يقول بوحدة الإنسانية وبتنوعها، ويرسي أسسًا ومبادئ لاحترام التنوع والتعدد الاثني والثقافي والديني بحيث تشكل هذه الأسس والمبادئ جوهر العقيدة الإسلامية، لا يكتمل إيمان المسلم بل لا يكون أساسًا من دونها.

وفي القرآن الكريم عدد كبير من الآيات الكريمة التي تؤكد على ذلك.

فالله سبحانه وتعالى كرّم بني آدم، أي أن الكرامة الإلهية للإنسان تشمل الناس جميعًا وليست وقفًا على مؤمن دون آخر، أو على المؤمنين دون سواهم.

ثم إن الله سبحانه استخلف الإنسان في الأرض ولم يستخلف أمة دون أخرى.

والله سبحانه خلق الناس جميعًا من نفس واحدة تأكيدًا للمساواة بينهم، ثم جعلهم أممًا وشعوبًا متعددة الألسن، مختلفة الألوان والأجناس، متنوعة الشرائع، ولو شاء غير ذلك فإنما يقول له كن فيكون.

تفصيلاً لهذه القواعد الكلية، سوف أقتطف ثلاث آيات كريمة من بين العشرات من القرآن الكريم.

تقول الآية الأولى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [سورة الحُجرَات: الآية 13]

تكشف هذه الآية الكريمة عن ثلاث قواعد:

القاعدة الأولى: هي الوحدة الإنسانية، بمعنى أن الناس جميعًا يشكلون أمة واحدة، خلقهم الله من نفس واحدة، ولقد قال القرآن الكريم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾

[سورة الحُجرَات: الآية 13]

القاعدة الثانية: هي التنوع الإنساني، حيث تتابع الآية الكريمة ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ﴾، أي أن هذا التنوع جُعل بإرادة إلهية، وأن وجوده هو تجسيد لهذه الإرادة الإلهية وتعبير عنها.

القاعدة الثالثة: هي أن الهدف من هذا التنوع هو التعارف بين الناس تحقيقًا لوحدة تحفظ التنوع وتحترمه وتصونه، حيث تكتمل الآية القرآنية بتحديد الحكمة من التنوع بقولها:

﴿لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾

[سورة الحُجرَات: الآية 13]

فالتعارف هو الجسر الذي يربط بين الجماعات المتنوعة والمختلفة، ولكن لا تعارف من دون معرفة، ذلك أن التعارف يقوم أساسًا على المعرفة، ويفترض بالآخر أن يكون مختلفًا حتى نتعرف إليه، ويفترض أن نكون نحن مختلفين عنه حتى يتعرّف إلينا، ومن دون هذا الاختلاف ما كانت هناك حاجة للمعرفة، وما كان للتعارف أساسًا أن يكون، من هنا فإن الدعوة القرآنية للناس ليتعارفوا هي في حدّ ذاتها دعوة لهم للتعرّف على ما بينهم من اختلافات، وللاعتراف بهذه الاختلافات، ولإدراك حتمية استمرارها، ولبناء مجتمع إنساني واحد ومتناغم على قاعدة معرفة المختلفين وتعارفهم. كثيرة هي الإشارات إلى الاختلاف والتنوع التي وردت في القرآن الكريم، أذكر منها:

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَٱخۡتَلَفُواْۚ﴾

[سورة يُونس: الآية 19]

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾ [سورة هُود: الآية 118]

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾

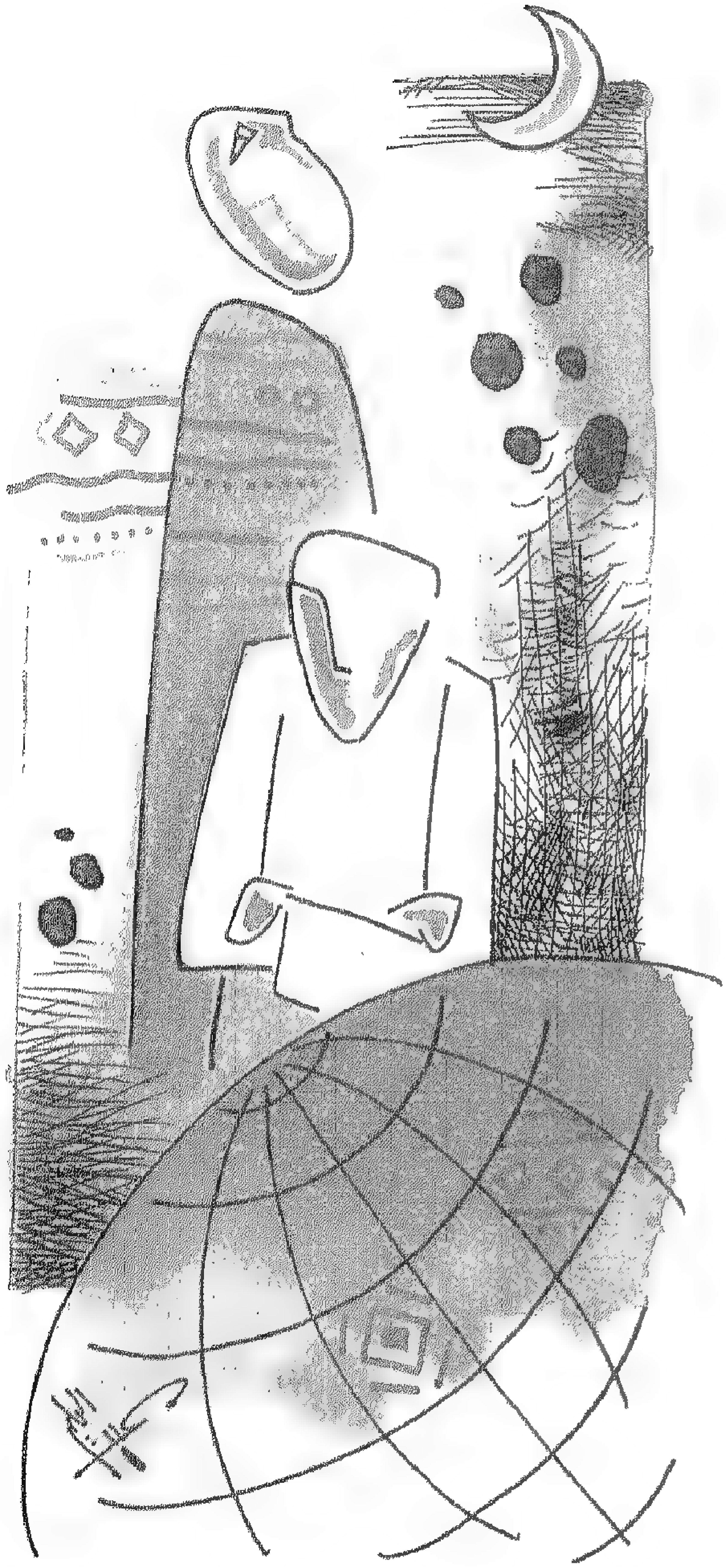
[سورة الشّورىٰ: الآية ٨]

لقد شاءت الحكمة الإلهية أن يكون الناس رغم وحدة الخالق ووحدة الخلق أممًا وشعوبًا مختلفة. فالوحدة الإنسانية تقوم على الاختلاف والتنوّع وليس على التماثل والتطابق. ذلك أن الاختلاف آية من آيات عظمة الله، ومظهر من مظاهر روعة إبداعه في الخلق، يقول القرآن الكريم:

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾

[سورة الرُّوم: الآية 22]

وبالتالي فإن الاختلاف العرقي لا يشكل قاعدة



لأفضلية ولا لدونية. فهو اختلاف في إطار الأسرة الإنسانية الواحدة، يحتم احترام الآخر كما هو وعلى الصورة التي خلقه الله عليها.

إذا كان احترام الآخر كما هو لونًا ولسانًا (أي إثنيًا وثقافيًا) يشكل قاعدة ثابتة من قواعد السلوك الديني في الإسلام، فإن احترامه كما هو عقيدة وإيمانًا هو إقرار بمبدأ تعدد الشرائع السماوية، واحترام لمبدأ حرية الاختيار، والتزام بقاعدة عدم الإكراه في الدين.

فالقرآن الكريم يقول:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [سورة البَقَرَة: الآية 148]

وفي إشارة واضحة إلى تعدد التوجهات يقول أيضًا:

﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾

[سورة البَقَرَة: الآية 145]

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الحَجّ: الآية 67]

﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[سورة الجاثية: الآية 28]

معنى ذلك، أنه مع اختلاف الألسن والألوان، كان من طبيعة رحمة الله اختلاف الشرائع والمناهج، وهو ما أكد عليه القرآن الكريم بقوله:

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

[سورة المائدة: الآية 48]

فالاختلاف الثقافي والعرقي والديني والمذهبي باق حتى قيام الساعة، والحكم فيه يومئذ لله. والتعامل مع بقائه لا يكون بالغائه ولا بتجاهله، بل بالتعرّف إليه وتقبّله واحترامه كسنّة دائمة من سنن الكون.

في الأساس الحق واحد كما يقول أبو الوليد الباجي في كتاب (أحكام الفصول في أحكام الأصول) «وإن من حكم بغيره فقد حكم بغير الحق، ولكننا لم نكلف إصابته، وإنما كلفنا الاجتهاد في طلبه، فمن لم يجتهد في طلبه فقد أثم، ومن اجتهد فأصابه فقد أجر أجرين: أجر الاجتهاد وأجر الإصابة للحق. ومن اجتهد فأخطأ فقد أجر أجرًا واحدًا لاجتهاده، ولم يأثم لخطئه».

هذا يعني أن الاجتهاد كعمل فكري إنساني مفتوح على الصواب والخطأ، وبالتالي فإنه ليس مقدسًا، وإنه ليس لأحد حقّ احتكار الصواب بالمطلق، أو حقّ توجيه اتهام الفكر المختلف بالخطأ بالمطلق، فمن أبرز صفات السماحة الإسلامية أن المفكر أو المجتهد المخطئ لا يؤثم على خطئه، بل يؤجر على اجتهاده، حتى إذا أصاب يؤجر ثانية لإصابته الحق، من هنا قول أبي حنيفة «رأيي صحيح يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب».

إن الاعتقاد بأن جماعة ما هي وحدها التي تفهم النص الديني فهمًا صحيحًا، وبالتالي، فإن هذه الجماعة وحدها المؤتمنة على الدين، وإن كل من هو خارج الالتزام بمفهومها، وبها، هو خارج على الدين، هذا الاعتقاد يتناقض في الجوهر، وفي الأساس مع الدين كمعطي إلهي، ويتناقض مع الموروث الفكري الديني كمعطي ثقافي واجتهادي والذي يشكل ثورة فكرية لسلسلة غنية من التجارب الإنسانية في الفهم الإنساني للنصّ الإلهي المقدس، يرسي الإسلام قواعد لعلاقة الإنسان بنفسه، ولعلاقته بأخيه الإنسان (سواء كان مؤمنًا أو غير مؤمن) ولعلاقته بمجتمعه، ولعلاقته بربه، هذه القواعد الكلية تشمل قضايا وأمورًا حياتية تتغير بتغير الأزمان والمجتمعات، ولذلك فإن الحكمة الإلهية قضت بصياغة النصوص الدينية بحيث تترك المجال مفتوحًا أمام الفكر الإنساني لفهمها وهضمها ولاستنباط الأحكام منها وفقًا للمستجدات والمتغيرات التي تواكب حركة التطور الإنساني.

وفي الأساس أيضًا لا تكون الوحدة إلا مع الآخر،

والآخر لا يكون إلا مختلفاً، وإلا فإنه لا يكون آخر، هذا يعني أن المحافظة على الوحدة تتطلب المحافظة على الآخر، وان استمرارها هو استمرار له، وهو يعني بدوره أن الوحدة يجب أن لا تؤدي بل يجب أن لا تعني أساسًا محاولة إلغاء الآخر أو تذويبه، وإلا تصبح وحدة مع الذات، فما من وحدة قامت واستمرت وازدهرت إلا وفيها تماه للآخر، وما من وحدة تهاوت وتفتّتت إلا نتيجة امتهان حق الآخر المكّون لها في أن يكون نفسه، أي أن يتحدث فرويد عن نرجسية الاختلاف، ويقول أنه مهما كان الاختلاف محدوداً فإنه يحتل موقع القلب في هوية كل منا.

أرسى الإسلام ثلاث قواعد أساسية تقوم عليها الوحدة في التنوع، لا يتناقض الاختلاف مع الوحدة الإنسانية، فالعلاقة التكاملية بين الوحدة والاختلاف تبرز من خلال المبادئ الثلاثة التالية التي قال بها القرآن الكريم.

المبدأ الأول هو التداول:

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾

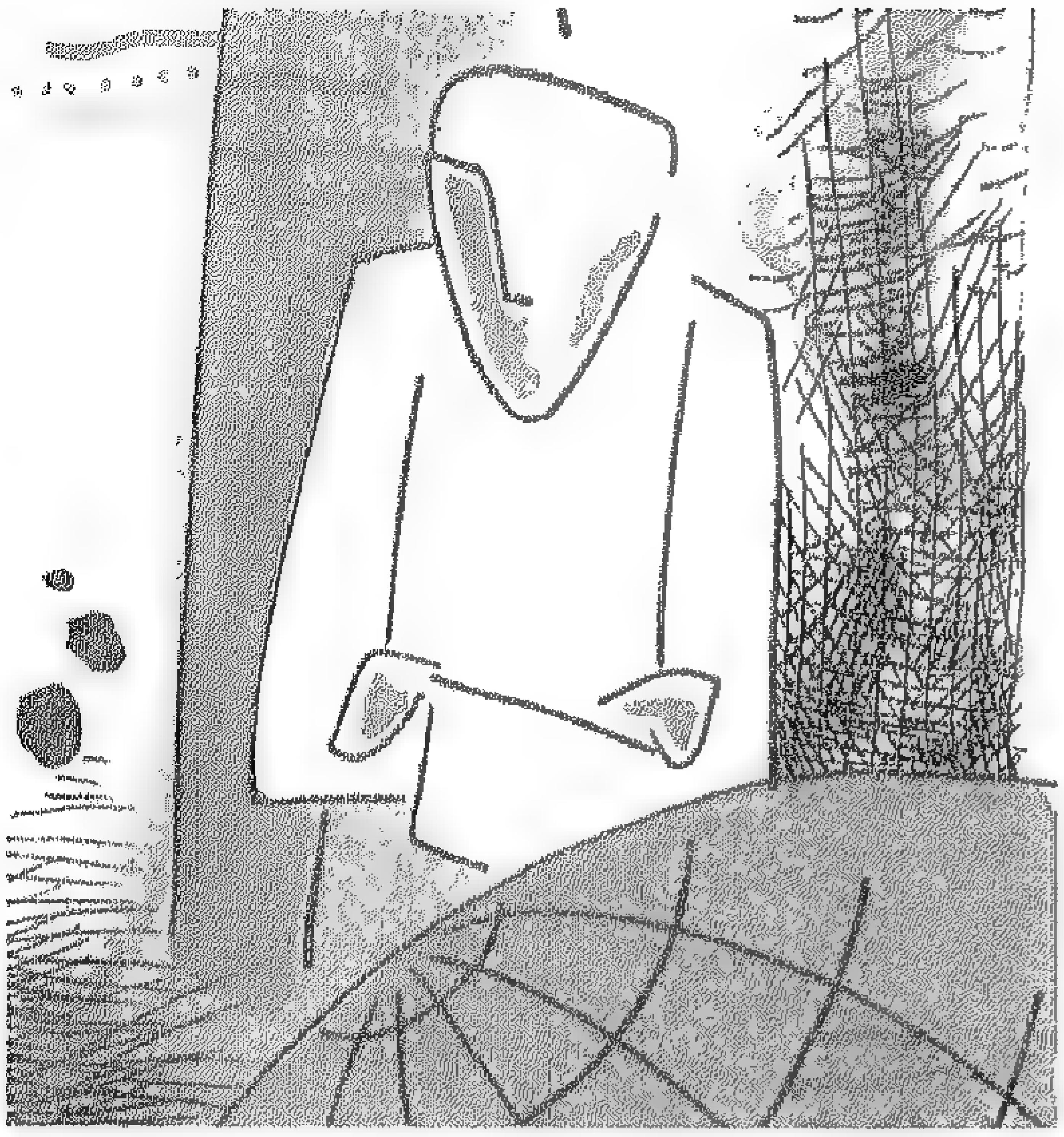
[سورة آل عِمرَان: الآية 140]

إذ لو كان الناس كلهم شعبًا واحداً أو إثنية واحدة أو على عقيدة واحدة وفكر واحد، لما كانت هناك حاجة للتداول، ولأنهم مختلفين، ولأن الإرادة الإلهية شاءت أن يكونوا مختلفين، كان لابد من التداول، والتداول يعني تواصل الإنسانية واستمرارها بما هو مناقض لمقولة نهاية التاريخ، فالتداول حياة، والنهاية موات.

المبدأ الثاني هو التدافع:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [سورة البَقَرَة: الآية 251]

فالتدافع - وليس التحارب ولا التصادم - هو تنافس ارتقائي وتطويري للمجتمعات الإنسانية المختلفة، ذلك أن المجتمعات هي كالمياه، إذا ركدت أسنت، وإذا تحركت وتدافعت أمواجها تعانقت مع حركة الضوء والريح، مما يوفر لها عناصر الحياة



والانتعاش والنمو والتقدم، فمن دون الاحتكاك الفكري والتلاقح الثقافي والتدافع الحضاري بين الناس المختلفين والمتنوعي الثقافات، يفقد الذهن عطشه إلى المعرفة التي هي عود الثقاب الذي يلهبه، إن الاختلاف بين الناس وما يشكل الاختلاف من تدافع هو أحد أهم مستلزمات عدم فساد الأرض.

المبدأ الثالث هو التغاير:

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [سورة الأنعَام: الآية 38]

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾

[سورة الرّعد: الآية 30]

فالتغاير والاختلاف هو القاعدة، وهي قاعدة عصية على التجاوز، تشكل الثابت الدائم في المجتمعات الإنسانية منذ بدء الخلق وحتى نهاية الزمن.

ولذلك أرسى الله قاعدة التعارف المكملة لقاعدة الاختلاف والتغاير، والقاعدتان معًا تشكلان الأساس الذي تقوم عليه الاخوة الإنسانية التي لا سلام ولا استقرار من دونها.

لقد قال الإسلام بالتعارف بين الجماعات البشرية ولم يقل التسامح، كان نيتشه على حق عندما

اعتبر «التسامح اهانة للآخر» لما يتضمنه من فوقية المتسامح تجاه المتسامَح معه.

إن علاقة الإسلام بالرسالات السماوية التوحيدية ليست علاقة تسامحية ولكنها علاقة إيمانية، ذلك أن إيمان المسلم لا يكتمل إلا بالإيمان بالمسيحية وباليهودية رسالتين منزلتين من عند الله، ففي القرآن الكريم نصّ واضح بذلك:

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾

[سورة آل عِمرَان: الآية 84]

وشتان بين العلاقة القائمة على الإيمان، وتلك القائمة على التسامح، فالعلاقة الأولى نديّة تقوم على الاعتراف بالحق واحترام الاختلاف، بينما الثانية فوقية تقوم على إنكار الحق والاستعلاء على المختلَف معه.

الآية الثانية: التي أقتطفها من القرآن الكريم تخصّ أهل الكتاب من مسيحيين ويهود، وتقول الآية:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾

[سورة آل عِمرَان: الآية 64]

فالدعوة إلى كلمة سواء هي في الأساس دعوة إلى البحث عن جوامع مشتركة تقوم عليها العلاقات بين المؤمنين بإله واحد وإن تعدّدت وسائل تعبيراتهم عن هذا الإيمان وممارستهم له.

أما الآية الثالثة: فهي الدعوة إلى معالجة الاختلافات والتباينات بالتي هي أحسن، تقول الآية الكريمة:

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [سورة فُصّلَت: الآية 34]

والدعوة إلى التعامل حتى مع العدو بالتي هي أحسن تناقض اللجوء إلى العنف والإرهاب، وترفض الالغائية وتنكر التكفير، فالدعوة الإلهية إلى الدفع بالتي هي أحسن ليست مقتصرة على العلاقات بين المسلمين خاصة أو المؤمنين عامة، بل إنها تتسع لتشمل العلاقات بين الناس جميعًا.

إن من شأن التعصب للدين أو للمذهب أو للجماعة أن يقيم جُزُرًا من التنوع المتباعدة والجاهلة للآخر، وبالتالي المتشككة فيه والمستنفرة دائمًا لمواجهته، وهذا تنوع خارج إطار الوحدة، بل رافض لها، أما التعارف فإنه على العكس من ذلك يقيم وحدة في إطار التنوع تتعرف على الآخر وتعترف به، وتبادله الاحترام والثقافة والمحبة، وهذه وحدة في إطار التنوع.

إن منطق رفض الآخر، وإنكار فكره المختلف الذي يقول به، أو تجاهله، أو محاولة إلغائه، هو منطق الغائي للذات، إنه منطق يوسع دائرة الخصوم والأعداء، ويوفر المبررات لاستدراج العالم العربي ـ الإسلامي إلى جبهات صراع غير صحيحة وغير متكافئة، بل إنه يضع العالم العربي ـ الإسلامي في مواجهة مع العالم، الأمر الذي يتخذ حجة لتبرير الاتهامات الجماعية التي توجه إليه ظلمًا، والمسافة واسعة جدًا بين الدعوة إلى الله ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ التي يقول بها الإسلام السمح، والدعوة التكفيرية الالغائية التي يقول بها الغلاة المتنطعون.

في العلاقات الإنسانية سلبيتان لا تصنعان إيجابية: «وحدة تعسفية تطمس الاختلاف والتنوع» (كما كان الأمر في الاتحاد السوفياتي السابق)، وتعددية مطلقة تدير ظهرها للآخر المختلف وتأبى الوحدة على قاعدة احترام الاختلاف والتنوع، (كما هو الأمر اليوم في البلقان وفي مناطق أخرى من العالم).

من هنا أهمية مبدأ التعارف الذي قال به الإسلام من حيث أنه يقوم على العلم والمعرفة، وهما من أسمى هبات الله للإنسان «وعلّم (الله) آدم الأسماء كلها». والأساس الذي تقوم عليه أخوة إنسانية تغتني بالاختلاف وتحترمه وتجعل منه قاعدة للائتلاف والتوافق وليس للخلاف والتنابذ.

إعجاز القرآن .. رؤية جديدة

عمر لطفي العالم *

«وماذا عن الصيني والهندي والمالوي ولُسُنٍ أخرى عُجْم لا تميز بين الضاد والدال، تطالبونها أن تؤمن بداعي البلاغة العربية، أسوة بابن بادية تأصل جمال اللغة في عقله الباطن على وقع الأهازيج وحداء الإبل؟!»

وردت هذه العبارة في ختام مقالة لمستشرق قرأ للعسكري أبي هلال، الذي لم يكن إلاّ واحداً من عديد قرأ لهم حول بدائع إعجاز القرآن الكريم، ما مكّنه من تكوين فكرة جامعة، جريًا على عادة حميدة تأصلت فيهم: أن لا يقولوا قبل أن يطالعوا..!

لا غرابة إنّ صدر رأي كهذا عن رجل دخيل على العربية، لكنَّ الغرابة كل الغرابة أن تسمع الرأي من علاّمة عربي مشهور (أبو بكر محمد بن زكريا الرازي) حين يقول: (وأيمُّ الله لو وجب أن يكون كتابٌ حجةً، لكانت كتب أصول الهندسة، والمجسطي الذي يؤدي إلى معرفة حركات الأفلاك والكواكب.. أولى بالحجة مما لا يفيد نفعًا ولا ضررًا، ولا يكشف مستورًا، يعني به القرآن الكريم) وقال أيضًا: (ومن أنكر ذلك، أي إعجاز القرآن، فليأت بمثله، ونحن نقول لكم كذلك: ائتونا بمثل ما في كتاب أصول الهندسة والمجسطي وغيرهما.. إنا نطالبكم بالمثل



* كاتب وباحث ليبي / سورية

الذي تزعمون أنا لا نقدر أن نأتي به، وهو بهذا التحدي يشير إلى أن الحجة نفسها ترتدُّ على الخصم، فليس في وسع إنسانٍ أن يأتي تمامًا بما أتى به آخر..).

بنى عبد الرحمن بدوي على ما أورده المستشرقان الألمانيان ـ باوك كراوس، وفوستنفلد شايدر. كشاهد في جملة ما جاء في كتابه: «من تاريخ الإلحاد في الإسلام».

وسواءً صحّت النسبة أم لم تصح، ما كان لباحث مرموق مثل بدوي أن يغرِّب عن باله، بأنّ تحدي القرآن الكريم في بدايات عهده لم يكن موجهًا إلى من لا يتقن فنون القول وأسرار العربية، والقاعدة المتبعة في التحدي المذكور ليست بالصيغة التي نسبت إلى الرازي وفرّح بها بدوي، بل إن التجانس كان وما يزال شرطًا لازمًا بين طرفي المعادلة، أعني المتحدِّي، والمتحدَّى، تنطبق فيه القاعدة على هذه الحالة كما تنطبق على غيرها، لا يستثنى منها شأنٌ في البلاغة كان أو في غيرها.

على أية حال فالذين جردوا أقلامهم للكتابة في جوانب الإعجاز اللغوي لم يكونوا يمزحون، وكانوا مثلنا عربًا وأعرابًا، يزيدون علينا بفارق الزمن، وبالقرب من مورد صناعة الكلمة في عصرها الذهبي، لاسيما حين رطنت الألسنة، وباتت الكلمة البليغة تشعر بنوع من الغربة والاستحياء وسط عالم غير عالمها، وفي أمة هانت عليها، وتمادى الأغيار في أسلوب التطاول عليها.

برغم هذا فإن تتبع جوانب الإعجاز اللغوي ليس بالأمر العسير، وتمييز خصوصيات الكلمة المنزلة ممكنٌ إذا انعقدت النية وتوفرت الوسيلة.

إن المولى عز وجل لم يُنزل على نبيه الكريم طلاسم يحار العقل الآدمي في فهمها، بل أنزلها آيات بينات لتصبح مشروعًا كونيًا. فإذا كان هذا هو الرأي لزم إذن أن تبتعد عن الحوشي في اللفظ، والتقعر في المعنى، وعن الإسفاف والتغاير، وعمّا في سائر كلام البشر من عيوب وابتذال. ولقد جمع التنزيل إليه هذا كلّه وأضاف خصيصةً لم تتوفر لغيره، قاسمٌ مشترك في التعبير ألّف بين قبائل العرب، واختزل أحسن ما في لهجاتهم رقةً وعذوبة وبيانًا وفصاحة، مع ذلك فإن إعجاز القرآن ليس دائمًا في تقديم الخبر وتأخير المبتدأ، في الحذف والقصر، في الإيجاز أو الإسهاب أو المساواة، في التذييل أو الغلُو أو الالتفات أو الإيغال، إعجازه الأكبر في أنه وحّد الأمم حول إله واحد وقبلة واحدة، جمعهم على كلمة سواء، في أنه وضع قدم المنسيين في شرق الكرة كما في غربها، وشمالها وجنوبها، وأنه هو الذي أعطاهم حق العضوية في منتدى الحضارات. مع ذلك فمن مقتضيات الإعجاز التطرق بليونة إلى مسألة البلاغة التي تبرز فيها أمامنا أسماء كبيرة، لم تترك لغيرها شاغرًا برغم ما مرّ عليها من قرون، لكنها لم تستطع تجاوزها لغيرها. كان المنهج قبل «السكاكي» على عدم الفصل لما في ذلك من خدمة للأدب وإمداده بأسباب القوة والوضوح والجمال. وكان لهذا المنهاج أثره في تنبيه المواهب وإرهاف الملكات، وعلى التذوق والتمييز بين جيد الكلام ورديئه، بعبارة أخرى على تنمية القدرة لدى القارئ على أن يستحسن ويستقبح، يوازن ويفاضل، أن ينقد النص الذي بين يديه، لكنّ الذي حدث في دراسة البلاغة بعده أن أصَّل منهاجه على أسس منطقية حولت المعيار من فن إلى علم، علم له قواعده ونظرياته، إنْ نجحت في تكوين طبقة من البلاغيين فقد فشلت في تكوين بلغاء. من المنعطف ذاك بدأت

إعجاز القرآن ليس دائماً في تقديم الخبر وتأخير المبتدأ، في الحذف والقصر، في الإيجاز أو الإسهاب أو المساواة، في التذييل أو الغلُو أو الالتفات أو الإيغال.

بوادر الأزمة التي امتدت بسخرية: (ذلك رأي أبي هلال فما رأيك أنت؟). ومن هنا كانت الخطورة التي جعلت الحديث عن القرآن وإعجازه عرضًا وتكرارًا لما قاله الجدود قبلنا، لأنه شكل بنظر بعض النقاد المعاصرين بداية لطور الجمود. وكان من أحد مظاهر الجمود أن نال كتابه (مفتاح العلوم) شهرة فائقة في ميدان البلاغة بالذات، وقد فُتن العلماء لدرجة أنهم نسوا أنفسهم واستهانوا بملكاتهم، ولهذا ظلوا قرابة خمسة قرون ابتداء من القرن الخامس عاكفين على شرحه وتلخيصه، ولا داعي لذكر أسماء من نظم منهم أو لخص أو شرح. وإذا دلّت تلك الشروح والمنظومات والتلخيصات على شيءٍ فعلى جمود الفكر البلاغي الذي يُعد إلى جانب علوم العربية الأخرى أساسًا لفهم القرآن. ومن يقرأ هذه الشروح والمتون يخرج بانطباع، كأن علماء البلاغة لم يكونوا علماءَ بلاغةٍ بل مجرد معلمين لها، وهو ما نعاني منه اليوم، فهم يذكرون الكلمة أو العبارة من الأصل ثم يتبعونها بشرح المراد، وفي ذلك يقول السبكي: (إنهم يتناولون المعنى الواحد بالطرق المختلفة، ويتناوبون المشكل والواضح على أسلوب واحد.. لا يخالف المتأخرُ المتقدمَ إلا بتغيير العبارة) فصارى جهدهم أن يُعزوا أبياتًا من الشواهد لقائلها.

إن المقارنة بين ما كانت عليه البلاغة العربية في عصورها الأولى، وما آلت إليه في العصور المتأخرة، تُرينا كيف ازدهرت وتوهجتْ شعلتها على أيدي علمائنا الأوائل، ثم كيف جفّت وخبتْ شعلتها على أيدي المتأخرين منهم.

ولا يجوز للقارئ هنا، وهو يتابع نكبة البلاغة العربية، أن ينسى بأن الهدف الخاص من الإقبال على علوم البلاغة أصلاً كان هدفًا دينيًا يرمي إلى معرفة إعجاز كتاب الله، ومعرفة معجزة رسوله ﷺ الذي أوتي جوامع الكَلِم، وكان أفصح من نطق الضاد. إن ذلك الهدف يدل على مقدار الأثر الذي خلّفته الدراسات الأولى في البلاغة، ألا وهو البحث في أسرار الإعجاز وأسبابه، واعتبارها مكملةً للايمان بالنبي ﷺ ورسالته. والجرجاني في (دلائل الإعجاز) لم يفُته أن يُذكّر بالقول: (إن الجهة التي قامت منها الحجة بالقرآن وظهرت، وبانت وبهرت، هي أنه كان على حدٍّ من الفصاحة تقصُرُ عنه قوى البشر، منتهيًا إلى غاية لا يُطمح إليها بالفكر، وكان محالاً أن يَعرف كونه كذلك إلاّ من عرف الشعر الذي هو ديوان العرب وعنوان أدبهم، والذي لا يُشك أنه كان ميدان القوم إذا تجاروا في الفصاحة والبيان). ترى ما الذي حدث بعد رحيل الأسماء الكبيرة، ومن أين جاء الاعتلال الذي أصاب فورة الذوق بالذبول والخمول؟ فإلى العوامل السابقة نضيف عاملاً مهمًا آخر: فالاتفاق بين المشتغلين في حقل تاريخ اللغة والأدب قائم، لأنه تكون نهاية القرن الرابع للهجرة خاتمة لما يُطلق عليه اسم «نهاية عصر الاحتجاج»، معنى هذا أن خمسة قرون تقريبًا انتهى بانتهائها أجل العمل على وضع ضوابط اللغة وقوالبها، وعلى كل من أتى بعد هذا التاريخ أن يتقيد بما خلّف المفكر الذي سبق، مدرسةً كان أو رجلاً، بالقواعد والمعايير التي تواضع عليها علماء البلاغة والنحاة، وغدا الخروج عنها عيبًا وربما مروقًا.

ترى ما الذي حدث بعد رحيل الأسماء الكبيرة، ومن أين جاء الاعتلال الذي أصاب فورة الذوق بالذبول والخمول؟

لم يحدث ذلك بالطبع بعيدًا عن الموروث الشعري والمقول بعامة، ولا تمّ في معزل عن القرآن الكريم مصدر اللغة الأول. في هذا لم يزدْ متقدمونا على أن كانوا أمناء حافظين للتركة الثقافية الهائلة الغنية بكل فنون القول. فقد أحاطوها بما رأوه ضروريًا من ضروب الحفاوة التي تليق بأمة متحضرة استكملت كل شروط التدوين، فطفقوا يقننون ويقعدون ويصنفون

ويؤلفون، هذا في النحو، وذاك في الصرف، وثالث ورابع في البحور والأوزان، وأفرع البيان. وما كان لذلك أن يتم لولا ريادة القرآن في إعراب وإعجاز الألفاظ، وكان الحرف العربي قبلها حرفًا منطوقًا لا مكتوبًا، لا يدحض هذا القولَ ولا يفسده أن فحول شعراء الجاهلية علقوا حولياتهم على الكعبة، وأنّ وثيقة مقاطعة المسلمين كتبت هي الأخرى وعُلِّقت، وأن النبي ﷺ أمر بعتق أسرى المشركين، من يُعلِّم منهم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة، وأنّ ما كان ينزل من آي كان يُدونه كتاب الوحي المعروفون، وأنّ مصحف «سمرقند»* الذي يعود تاريخ نسخه إلى عهد الخليفة الراشد عثمان ابن عفان ـ رضي الله عنه ـ كُتب بخط تتعذر قراءته اليوم. كلُّ ذلك لا يتعارض مع حقيقة مقابلة يرفضها المستشرقون، وهي أن النبي العربي الذي كان أفصح العرب لم يعرف الكتابة، وأن أمته كذلك كانت أمة حافظة لا كاتبة. تفسير ذلك أن كلام الله القديم أريد له أن يكون مُعجزًا قبل أن ينزل منجمًا، وأن يتجلى هذا الإعجاز في النقيض، في السالب قبل الموجب، أي أن يكون قدرُ العرب الثقافي والمعرفي مرتبطًا ارتباطًا عضويًا بساعة نزول أول حرف من هذا الكتاب العجيب، أقول العجيب لأن الله تعالى هو القائل:

﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [سورة الجنّ: الآية 1]

ومن ثم فإن عناية العرب بكتابهم ولغتهم، وكان أمره مقضيًا، هي التي هيأت لهذا الكتاب الذي لم يكن مقروءًا إلا في دائرة ضيقة جدًا، أن ينتشر وأن يحمل معه لغته حيثما ذهب، وأن يؤديا معًا دورًا مزدوجًا، دينيًا وحضاريًا.

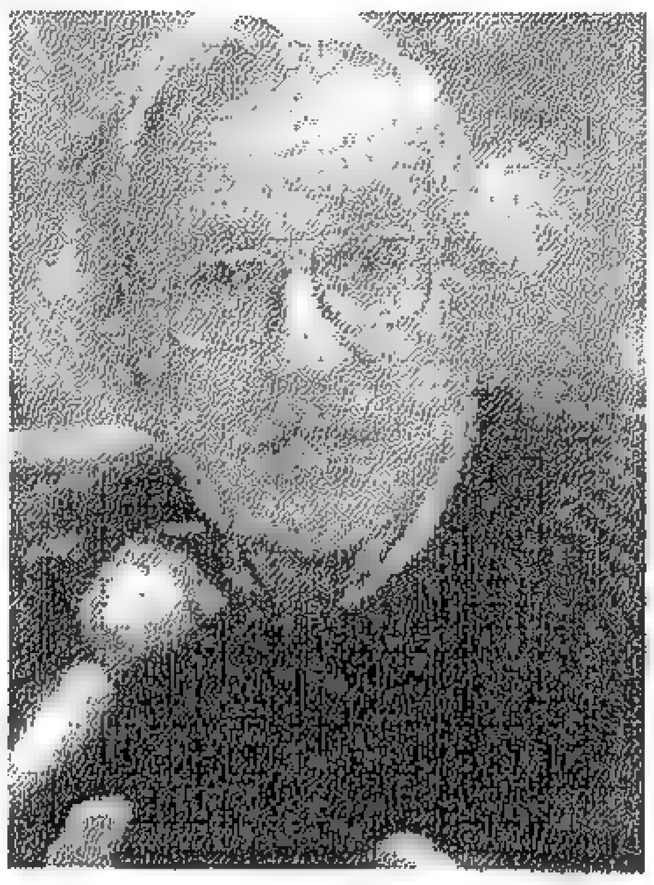
لقد تحدث النقاد طويلاً وما زالوا عن تطور (رسم النص المقدس)، وهم لا يريدون قطعًا الانتقال البريء إلى وضعه الحالي من حالة الرسم الأقرب في الشكل إلى الرسم الآرامي العتيق، ثم إلى الرسم بالشكل والتنقيط الذي أطلعنا عليه كتاب المصاحف بالتفصيل، ثم إلى الرسم الهندسي المائل في الخط الكوفي، لا، لقد أرادوه غير ذلك، أرادوه نصًا بدائيًا منقوصًا أنضجته يدٌ بشريةٌ لا يدٌ إلهية. وفي أثناء تنقُّلِه الطويل من منشئه الأصلي في شبه جزيرة العرب إلى الأقاليم، أي في الفترة الفاصلة بين الكتابة الأولى والشكل النهائي، أصابه ما يمكن أن يُصيب أي مخطوط من تحريف وتصحيف، «ماذا يضمن؟!» ـ يقول أحدُ أدعيائهم ـ أن لا تكون يدٌ قد عبثت به، نُقط قبل أن تنقطه السلطة المشرفة؟ على هذه الدرجة من السذاجة يتخيل دارس أوروبي معاصر أن المعنى يمكن أن يتغير بإضافة نقطة أو حذفها أو بجعل الفاعل مفعولاً والمفعول فاعلاً!! إن هذا صحيحٌ نظريًا لكنَّ المستحيل أن يُزيل صاحب الاقتراح نقطة واحدة مما اختزنته ذاكرات ألوف الحفظة بدءًا بلحظة نزول القرآن وصولاً إلى يومنا هذا. يقول الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : (كان الواحد منا إذا نزلت عشر آيات لا يجاوزهن لغيرهن حتى يحفظهن ويعمل بهن). إذن كانت النقطة والفتحة والكسرة والضمة والسكون، كان الإعراب وكل ما قنّنه النحاة العرب موجودًا في العقل الباطن وفي أفعال البيئة وأقوالها قبل أن يولد القرطاس، أم حسبوا أن مؤسسات دولة الإعجاز قامت على قرارات مهزوزة، ومعانٍ مبهمة، وافتراضات سخيفة من هذا القبيل؟!

يتخيل دارس أوروبي معاصر أن المعنى يمكن أن يتغير بإضافة نقطة أو حذفها أو بجعل الفاعل مفعولاً والمفعول فاعلاً!!

* انظر ما ورد حول مصحف سمرقند في هذا العدد ضمن المواد المنشورة في (قضايا وآراء). التحرير

ونحن ـ أبناء الضاد ـ يحدث أحيانًا ألاّ نفرق بين حروف الجر مثلاً، نخطئ في مواضع استعمال (على) الدالة على المكان و(حتى) الغائية وغيرها وغيرها، فأي حظ لأعجمي إن لم يجلس القرفصاء ويصغي كما أصغى قبله رواد المساجد والأسواق؟!

تلك هي قصة النص المعجز الذي اختلط فيه المعنى الديني بالمعنى البلاغي، وهي قصة القرون الخمسة التي أنتجت أثمن ما في المكتبة العربية، وعشنا عيالاً عليها مُذ تصلبت شرايين العقل، وأجدبت رياض المعرفة، ولم يجد المتأخرون ما يدفعون به عن ثقافتهم سوى هذا الرصيد البالي الذي لم يعرف من وقتها حراكًا ولا تجديدًا. ومن ثم فقد اتخذ النقد المحليُّ شكل السخط على الملكات العربية لأنها لم تتوسع في استنطاق النص، لكنّ طائفة أخرى دافعت بأن ما أصاب العقل من تحجر، إنما يرجع إلى شكل من أشكال التشكيك في قدرات المتأخرين.



تشومسكي

من هذا المنظور شبه الفوقي نبعت الفكرة التي جرت مجرى المثل «لم يُبق الأولون للآخرين شيئًا»، ولطالما عبّر المتأخرون عن ضيقهم واستيائهم، لا لأن الجدود كدوا واجتهدوا، بل لأن من جاء بعدهم نظر إلى الموروث الثقافي بعين التقديس. ولم يقتصر أمر هذه النظرة التكبيلية على حقل فكري بعينه، بل امتد أثره إلى البلاغة والنحو والفقه، ولم يُعد مستغربًا إن وُجد من بين المعترضين من يدعو إلى نزع هالة الاجلال عن كل ما يتصل باللغة من قوالب ومعايير، سواء كان ذلك في النحو والصرف، والبلاغة والبديع، أو في غيرهما من العلوم. أما المحافظون فقد عدُّوا الدعوة للتحرر من القيود ردّة، تأتي موائمة لدعوات مشبوهة أخرى، تشكك في قدرة اللغة عمومًا على مواكبة روح وتلبية مطاليب التنمية. تلك حصيلة الموقف ويبقى السؤال: ماذا قدّم المعترضون من بدائل؟ لقد عملت الأسماء الكبيرة قرونًا قبلنا حتى استقام حال العربية، وأصبحت لغة مكتوبة بالمعنى الإيجابي للكلمة بعدما كانت وحسب، بعبارة أخرى فقد أصبحت على كل شفة، جلستْ على مقاعد العلم والبحث، تربعتْ فوق أروقة الحضارة، زاحمت الألسن التقليدية العتيقة، اليونانية واللاتينية، لم تعُد لغة للعبادة وأداء الشعائر فحسب، بل خرجت من المساجد وانطلقت إلى الحياة اليومية لرجل الشارع شرقًا وغربًا، هذا بعض ما قدّمه السابقون فما الذي يحمله المتأخرون؟

لقد مهدت نظريات تشومسكي ومالينوفسكي في (علم اللغة) لظهور طائفة من المقترحات الداعية إلى التحلل من القيود اللغوية الصارمة. جهاتُ الإصلاح المزعومة هذه لم تتحرك من البنية الداخلية للغة كما فعل السلف، نذكر هذا لأنه الجزء المكمل للبلاغة والبديع، بل ارتفعت عقائرها بالدعوة إلى تصفية العربية تحت شعارات وأعاذير مختلفة.

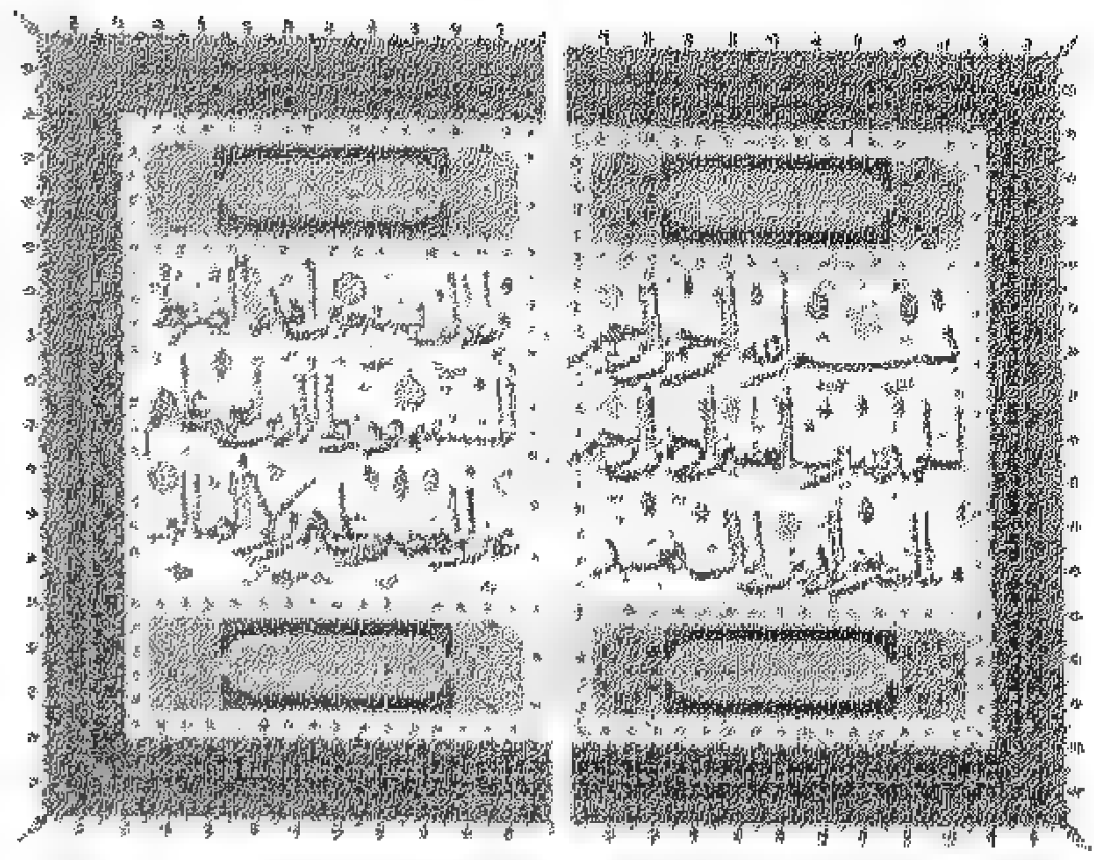
أين الصحيح وأين الخطأ في هذا الطرح؟!

إذا تحدرت اللغات الأوروبية الحية من اللغة اللاتينية، فليس معنى هذا أن اللاتينية الأم قد أُبعدت وأقصيت وأهينت، وتحدث عنها أصحابها الأوروبيون بمثل ما يتحدث أبناء هذه اللغة المظلومة من قبح وكراهية وعقوق. ليطمئنوا فلا خوف على اللاتينية، واليونانية القديمة ما زالت هي الأخرى على مكانتها، لغة مقدسةً مكرّمة للأناجيل والعبادات والصلوات في الكنائس شرقية وغربية.

كانت ولم تزل على أهميتها في المراجع العلمية والفلسفية. لقد تراجعت، هذا صحيح ولكنّ لاعتبارات إقليمية وقومية واجتماعية، لا بتحريضٍ شعوبي ولا بعامل التقليد الأعمى!!

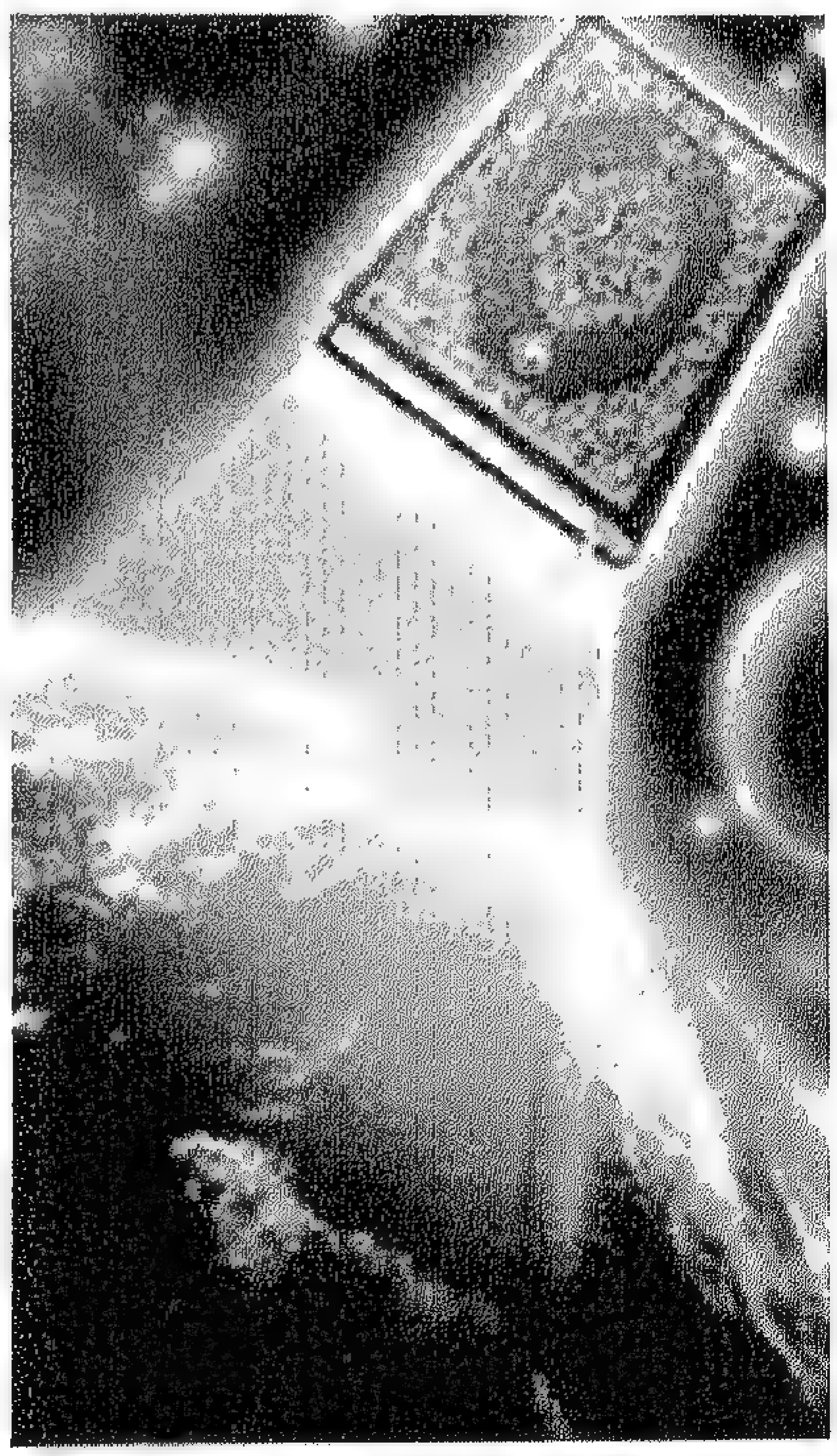
هذا الغثاء الطافي على السطح، أَليعيّبٍ هو في

العربية نفسها أم لعيب في الناطقين بها؟ بَوْنٌ زمني شاسع يفصل بين عصرين وموقفين ودعوتين. تجربةٌ أصيلةٌ قامت على نظرة تبجيل لحرفٍ موغلٍ في القدم، دخل في النسيج النفسي والثقافي والاجتماعي والتاريخي لهذه الأمة منذ آدم وحواء، نريد شنّها حربًا عليه الآن، ألأن الطورانيين قد سبقوا لاعتماد القبعة؟ لا، بل لسبب قوي آخر، أنهم أفلسوا من مقومات خوض معامع الثقافات!!



«ما اللغةُ إلا وسيلةٌ للتخاطب والتعبير»، هكذا اختزلت المرجعيات اللغوية الحديثة مهمة الإعجاز اللغوي في عصر الآلة والتصنيع، قد يكون هذا صحيحًا ولكنّ ليس بالنسبة لأمة يرتبط اسمها الكبير. سمعتها الثقافية الماضية وحضورها المستقبلي الفاعل بمصير هذه اللغة وقرّائها رفعة وانحطاطًا.

من قال إن العربية كانت يومًا وسيلة رخيصة في أيدي المكتشفين والمخترعين العرب؟ من فهم علاقة جده العربي بلغته على هذا النحو الانفصامي الدخيل فقد ضلّ ضلالاً كبيراً.



هي الدين والدنيا معًا، مزجٌ حتى النخاع لم يفارق شعبةً من شعب الحياة على ما قرأنا في تاريخ علم الكلام وعلم التوحيد، الفقه والتفسير، حتى العلوم الوضعية لم ترزح تحت خشونة اللفظ أو الاختناق في عرض الأفكار والمعلومات. الحلاوة والطلاوة، رقة الحاشية وجزالة اللفظ، سماتٌ تقابل المتصفح لأي كتاب قديم، وسواء كنت تبحث في الفُلك والافلاك أم في الجبال والقيعان فلن يصدمك الأسلوب العلمي غير المتأدب، وإلاّ فمن أين جاءت العبارة المشهورة: (كتب الجاحظ تعلم العقل أولاً والأدب ثانيًا)؟!

ألف بيت في علم النحو صيغت شعراً، في علم القراءات والتجويد أيضًا، لا تذهب بعيدًا وفي علم البحار والإبحار والأقاليم.

فعلى من يفكر في هدم البقية الباقية.. قبل أن يضرب الأرض بمعوله فتنشق عن أبالسةٍ وشياطين، أهمس في أذنه: يا صديقي أنت مخطئ، إن معادلة النهضة التي تبحث عنها لا تقع حتمًا في هذا الجزء الكريم من حضارتك، إنها في العقول البائرة، والعزائم الخائرة، والانبهار المذلّ بأضواء المدنيات الخلبيّة الساحرة.

الوقف الإسلامي وفلسفته التنموية...

عطية فتحي الويشي ★

منذ فجر الدعوة الإسلامية وقيم العطاء تتوارد ضمن مقررات الاستخلاف الرباني ومسئولياته، لتنعطف بالإنسانية في طور هداياتها النبوية الأخيرة، شطر جيل إنساني جديد، يجسّد الفكرة الاستخلافية بكامل قيمها وتمام معانيها الأخلاقية والحضارية على مختلف أصعدة الحياة، وذلك بعد أن غابت دهرًا عن دنيا الوجود، لتعطي للحياة معنى جديدًا، ولتكسب الحركة الإنسانية قدرًا من الشعور الصادق بالالتزام الأخلاقي والتعاطف المادي والوجداني تجاه بعضها البعض، فالحياة بغير عطاء يفقد فيها الإنسان الشعور بكل معنى نبيل..!

ويُعدُّ الوقفُ واحدًا من أهم مرتكزات النهوض الحضاري والتي يمكنُ بها أن نتجاوز بها حالة التعثر والتراجع والإخفاق التي تنتابُ الأمة المسلمة في مناح عديدة من واقعها المعاصر، وذلك من خلال تخليق المعطيات التنموية المكلفة بتحرير الذاتية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والحضارية من أسر التبعية للخارج، وإطلاق يد الإبداع الوطني والقومي لتحقيق الهوية الحضارية الجديدة بخير أمّةٍ أخرجت للناس..!

والوقف في اللغة، من مصدر الفعل وقف، هو: الحبس، يقال وقف فلان الشيء وقفًا، أي حبَّسه حبسًا، وجعله في سبيل الخير موقوفًا[1]، ويجمع الوقف على: أوقاف، ووقوف، وفي اصطلاح الفقهاء: هو حبس العين على حكم ملك الله تعالى، والتصدق بالمنفعة حالاً أو مآلاً[2]، وللفقهاء بشأن الوقف تعاريف متعددة وتصاريف متشعبة، تبعًا لمراد كل منهم ودلالة المصطلح لديه، ويمكننا، على أي حال، أن نجمل هذه التعاريف للوقف بأنه: حبس العين التي يمكن الانتفاع بها، مع بقاء أصلها، عن جميع التصرفات الناقلة لملكيتها وتسبيل منفعتها لجهة من جهات الخير ابتداء وانتهاء.

وينقسم الوقف تبعًا لأغراضه إلى أنواع ثلاثة:

أ ـ الوقف الخيري: وهو ما رصده الواقف لوجه لا ينقطع من وجوه البر، سواء كان على أشخاص معينين، كالفقراء والمساكين والمسنين، وذوي الحاجات الخاصة، أم كان على صعيد بر عام، كالمساجد والمستشفيات والمدارس، ومعاهد العلوم الشرعية، وتدعيم مؤسسات الدعوة إلى الدين، وإعداد العدة لمواجهة الأخطار المحدقة بالأمة، وغيرها من المرافق والمصالح ذات النفع العام.

★ كاتب وباحث / مصر

1 ـ انظر الخطيب الشربيني ـ مغنى المحتاج ـ تعليق محمد جويلي الشافعي ـ دار الفكر ـ بيروت 1415هـ ـ ص510.

2 ـ الخطيب الشربيني ـ مغنى المحتاج ـ المرجع السابق ـ ص510، الفتاوى الإسلامية ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ مصر ـ 1983 ـ ج11 ـ ص931.

ب ـ الوقف الذرّي أو الأهلي: وهو ما كان ريعه مصروفًا على الواقف نفسه أولاً، ثم على أولاده وذريته والأقربين من بعده، وهكذا إلى حين انقراضهم كلهم، أو حتى جيل معين، ثم يؤول في الأخير إلى جهة خيرية عامة للمسلمين...

ج ـ الوقف المشترك: وهو الحبس الذي أُحبس على الذرية، وعلى جهة من جهات البر في وقت واحد، بمعنى أن الواقف قد جمعها في وقفه، فجعل لذريته نصيبًا من العين الموقوفة، وللبر نصيبًا محددًا أو مطلقًا في الباقي أو بالعكس، وهذا سائغ لا يتنافى مع مشروعية الوقف، إذ يتحقق الخير ولو بقدر محدود حالاً، ولا تثريب في ذلك على الواقف، يقول الله تعالى:

﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [سورة التوبة: الآية 91]

وغالبًا ما تؤول الحال بالوقف المشترك بمرور الزمن إلى النوع الخيري.

ولقد لعب الوقف دورًا حضاريًا متميزًا في تغطية جانب كبير من متطلبات الحياة الاجتماعية، وفي سدّ الثغرات الاقتصادية لفئات عديدة من أفراد المجتمع، كما أنه يعمل على دفع وتنمية المسيرة الاقتصادية، ويحقق المتطلبات الدينية التي تساعد على استمرارية الفكرة الإسلامية في مجتمع مترابط ومتعاطف ومتعاون، يعمل على إنجاح مسيرة المسلمين في كافة مناحي الحياة بلا معوقات أو مشاكل تفتّ في عضد المجتمع، وتأكل في بنيان الأمة بسبب الحقد أو البغضاء التي تتولد في نفوس بعض المحرومين إذا لم يجدوا من يسد حاجاتهم بغير منٍّ ولا أذى، فالوقف على هؤلاء المحرومين من الفقراء والمساكين وأبناء السبيل يغل في نفوسهم نوازع الشر، ويبعث في قلوبهم المودة، ويدفع سواعدهم إلى المشاركة في بناء المجتمع المسلم، يقدم لهم عوائد الأوقاف الموقوفة عليهم لتحقيق الحياة الكريمة بلا أدنى تمييز من باب التعاون على البر والتقوى.

ولقد أدّى الوقف على امتداد العصور الإسلامية دورًا متميزًا في خدمة الدين والمجتمع والعلم، واستطاع الفقهاء من خلال الأوقاف أن يقوموا بوضع قواعد موضوعية تتفق مع محددات الوقوف بأنواعها، فكان الوقف بمنزلة تنظيم وتوجيه للبر والإحسان إزاء المجالات الحيوية في أرجاء المجتمع.

◆ يلعب الوقف، كسُنّة نبوية وشعيرة حضارية ماضية، دورًا فاعلاً ممتنع النظير في تخليق عمليات التنمية الذاتية على مختلف أصعدة الحياة.

ولعل حكمة الوقف تعكس بشكل عام صيرورة الوجود بأسره من أفراد وأفكار وأشياء.. إلى نصابها الطبيعي في تلك المنظومة الكونية المربوبة، التي بسط الله أرضها، وبثّ فيها من مقومات الحياة المادية والأدبية، ثم إنه جل وعلا يمنح الإنسانية تفويضًا بالاستخلاف في منحه وأعطياته جميعًا:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

[سورة الجاثية: الآية 13]

ولقد ربط الله تعالى في غير موضع من نداءات السياق القرآني إلى الإنسانية بين المعطيات الربانية ومقتضى ذلك الاستخلاف، فقال ـ جل جلاله ـ:

﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة الحديد: الآية 7]

فعلى الرغم مما تشترك فيه نظم البر والعطاء الإسلامي، من حيث إنها تنزع في مجملها من الشعور الذاتي بحالة من التكيُّف الإجمالي والاندماج الشعوري والوجداني مع مفردات وشرائح المجتمع الأخرى.. بيد أن أهم ما يتميز به العطاء الوقفي الإسلامي كعطاء اختياري ـ عن وجوه العطاء

الأخرى: كونه يمنح المستفيدين به حقًا من الغير دون تحديد في الغالب لأولئك، ودون أن يفقد المستفيدون احترامهم لذواتهم والآخرين.. وهو الحال الذي يتلاشى معه إحساس المستفيد بالدونية.. وتتلاشى، من ثم النفسيات المنهزمة بذُلّ الاستعطاء.. هنا يحدث نوع من التنمية الرأسية في المحيط الوجداني والعاطفي والنفسي والأخلاقي، ثم المحيط الفكري والعقدي والحضاري- الذي يشمل الواقف والموقوف عليه سواء بسواء - في إطار منهجيات التنمية الحضارية للأمة المسلمة، وهو ما يرفد المجتمع الإنساني بـ«النموذج الحضاري الخيري» بعيدًا عن نزق الاستلاب وضغوط الهيمنة الخارجية..

وهكذا يلعب الوقف، كسُنَّة نبوية وشعيرة حضارية ماضية، دورًا فاعلاً ممتنع النظير في تخليق عمليات التنمية الذاتية على مختلف أصعدة الحياة الإسلامية عبر امتداد مراحل حياتنا الإسلامية في الماضي والحاضر والمستقبل.

فالوقف، في إطار التوصيف الفلسفي، عبارة عن امتناع عن التصرف الإنساني في ملكية أشياء لا تنبغي بصفة مطلقة إلا لوجه الله جل وعلا.. باعتبار أن الله تعالى هو المالك الأصلي للأشياء، بل لهذا الوجود بأسره..

فحين يشرع الإنسان في وقف شيء مما تحت يده.. حينئذ تكون إرادة ذلك الإنسان على موعد مع إرادة الله عز وجل عند موارد الخير.. وهو معنى جميل حين يلابس القلوب السخية.. تدرك حظها الموفور من رضوان الله رب العالمين..!

وعلى الرغم مما يعتبره فقهاء شريعتنا عطاءً اختياريًا من دون إلزام، فقد كشفت سنة الوقف الإسلامي عن مدى عمق الأثر التربوي النبوي الشريف الذي انبث في حركة الوجود الإسلامي عبر الأجيال والقرون، وأبان بصدق عن أصالة معدن هذه الأمة وعن مدى وفائها لمبادئها. وهنا يمكن أن ينظر للوقف في فلسفة الفكر الإنساني على أنه وقف للحواس والضمائر، والعواطف والمشاعر والجوارح على رباطات الخير وثغور البر ابتغاء مرضاة الله - جل جلاله -:

ودلالات الوقف المعنوية تشير إلى معنى خطير جليل القدر، تشير إلى إسلام الأشياء كلها لمالكها الحقيقي، وهو الله تعالى، وذلك بمقتضى وثيقة الاستخلاف، التي تخوّل للإنسانية المؤمنة تفويضًا بعمارة الأرض بقيم الخير، والنهوض بمعالجة وإصلاح كثير مما عنَّ للإنسانية من قضايا دنيوية تلح بحلول ربانية..

العولمة تنظر إلى الوقف الإسلامي بشيء من عدم الارتياح والنفور.. باعتباره ذا خصائص مضادة للعولمة بمختلف وجوهها.

ولقد جعل الإسلام الوقف بمنزلة الدّرع الواقي والإجراء العلاجي لما يمكن أن يعترض مسيرة الأمة وهي بسبيل أهدافها وغاياتها الاستخلافية، ومن عند هذه المعلمة ينبغي أن تتعين وجوه المعرفة الوقفية المرتبطة بالفهم الدقيق والاستيعاب العميق والعاطفة الجياشة التي تتجاوز بالظواهر الوقفية المعاصرة طور التحنيط التاريخي.. لتنفذ إلى لباب من القيم والمعاني الحية، التي تحيل كل القوى الفاعلة في حركة المجتمع بعامة، والإسلامي بخاصة، إلى خلية حيوية لقولبة هذه المعاني وتلك القيم في نماذج وقفية، ترتقي إلى مستوى المسئولية التاريخية إزاء تحديات العولمة التي تنظر إلى الوقف الإسلامي بشيء من عدم الارتياح والنفور.. باعتباره ذا خصائص مضادة للعولمة بمختلف وجوهها..

ولعلنا ندرك مدى ما يمكن أن يلعبه الوقف إزاء تحديات واقعنا المعاصر، حين نتأمل الظروف والملابسات التاريخية التي تمخض فيها الفكر النبوي الشريف عن هذه الشعيرة الوقف إذ «استنبطه

النبي ﷺ لمصالح لا توجد في سائر الصدقات، فإن الإنسان ربما يصرف في سبيل الله مالا كثيرًا، ثم يفنى، فيحتاج أولئك الفقراء تارة أخرى، ويجيء أقوام آخرون فيبقون محرومين؛ فلا أحسن ولا أنفع للعامة من أن يكون شيء حبسًا في سبيل الله للفقراء وأبناء السبيل تصرف عليهم منافعه، ويبقى أصله على ملك الواقف[3]، وهو قوله ﷺ لعمر ـ رضي الله عنه ـ: (إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها)[4]، فتصدق بها عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه لا يباع أصلها، ولا يوهب، ولا يورث، ويُتصدق بها في الفقراء، وفي القربى، وفي الرقاب، وفي سبيل الله، وابن السبيل، والضيف، لا جناح على من وَلِيَها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم غير متمول.

ولعل أحاديث النبي ﷺ في هذا الباب ومواقف الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كاعتبار عمر أراضي السواد فيئًا عامًا لمصلحة الأمة كلها، وغير ذلك من العوامل هي التي أصلت في أذهان فقهائنا مفهوم الوقف بأنواعه المتعددة.. وهكذا كان الوقف بصفة عامة مخاض ضمير مستنير بوحي الله (جل جلاله).

وقد يبدو لبعض الباحثين أن «ليس في الشرع نص صحيح يتناول مدلول الوقف تناولاً مباشرًا، وقد يكون هذا صحيحًا من بعض الوجوه، ولكن لا بأس بذلك ما دامت الأمة استنتجت من السنة النبوية ومن وقائع العهد الراشدي، أن من الخير تحويل بعض الممتلكات إلى مصالح للمسلمين عن طريق إرادة الواقفين»[5].

إن تعداد المسلمين في واقعنا المعاصر يتجاوز مليارًا وربع المليار نسمة، لكن دوائر مأساوية تضرب بحصارها حول الأغلبية من هذا التعداد.. فكم من فقراء ضائعين لا يفطن إليهم، وكم من نفوس أبية تبيت على الطوى أيامًا وليالي؟ وكم من عقول موطوءة بالجهل، والأمية والتخلف؟ وكم من طاقات مبعثرة أو مصروفة في الهباء؟ وكم من مأساة تفترش أرضًا للمسلمين؟ وكم من غافل ساهٍ وهو ميسور لا يدرك حجم المأساة؟ فلولا آلية شرعية تدرأ عن الأمة هذا الهم الوبيل وذلك الشر المستطير ولولا شبكة مؤسسية جادة قوية تربط المسلمين وجدانيًا ببعضهم البعض،

> **إن تعداد المسلمين في واقعنا المعاصر يتجاوز مليارًا وربع المليار نسمة، لكن دوائر مأساوية تضرب بحصارها حول الأغلبية من هذا التعداد..**

فتعبئ طاقاتهم وتصل بينهم وتدفعهم نحو التلاحم والتعاون والتكافل كشفًا لما ألم بهم لزاد وتفاقم البلاء. وفي مثل هذه الأحوال قد تنتقل مشروعية الوقف من حالة الجواز إلى الوجوب، ولكن تبقى الحال مرهونة بمن يقذف بحجر كريم في تلك المياه الراكدة!!

إن طبيعة التحديات التي يفرضها الواقع العالمي تقتضي حشد كل الطاقات والجهود إزاء مواقع التحدي، فليس فيما مر من عصور الإسلام كهذا الذي نحياه بجهد وعناء، إنه عصر تعددت فيه الحاجات المادية والروحية، وزادت مؤشرات التخلف والضمور الحضاري على أصعدة سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية، حيث لا مجال للخوض في غير الحديث عن حماية أهداف الأمة ورعاية أحوالها كافة، بعيدًا عن وصفات الديون والتبعية:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾

[سورة البَقَرَة: الآية 219]

---

3 ـ شاه ولي الله دهلوي ـ حجة الله البالغة ـ دار التراث ـ مصر ـ 1355هـ ـ 2/ 11.

4 ـ رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما.

5 ـ صبحي الصالح ـ الإسلام ومستقبل الحضارة ـ دار قتيبة ـ بيروت ـ 1990 مسيحي ـ ط2 ـ ص11.

ومما يُعْجَبُ له أن أغلب الدراسات الفقهية الحديثة - وكذلك الفكرية - بشأن قضية الوصايا لم تعن إلا بالجانب الاجتماعي كمسوّغ وحيد - كما يعتقد أصحابها - للتكافل الإسلامي. وهو التصور المرحلي الذي أمعن في تغييب المفاهيم والمأثورات الوقفية على مستوى النسق الفكري للأمة المسلمة، بل أمعن في تكريس التخلف ذاته!

والحقيقة أن حكم الوقف قد ينتقل من دائرة الجواز إلى الوجوب الكفائي بغير جدال أو تعسف، ووجه هذا الوجوب أن الأمة قد تحتاج في بعض أزماتها إلى قدر كبير من الأموال والأعطيات والأحباس حتى تستطيع تجاوز أزماتها هذه دون أن تتخلى عن شيء من ثوابتها أو تحيد عن توجهها الحضاري الأصيل، إذ غالبًا ما ترضخ الأمم، في ظروف عوزها، تحت وطأة الابتزاز الخارجي وتبعية الخصوم - وهو ما يعرضها للتخلف والانهيار - ومن ثم كان الوقف في هذا السياق الخطير من أفعل آليات النهوض الحضاري على صعيد الترميم أو البناء الذي يوجب على أفراد الأمة أن يبذلوا لها الحماية ومقومات التعافي الحضاري دون آثار جانبية أو مضاعفات!

الأمة قد تحتاج في بعض أزماتها إلى قدر كبير من الأموال والأعطيات والأحباس حتى تستطيع تجاوز أزماتها هذه دون أن تتخلى عن شيء من ثوابتها أو تحيد عن توجهها الحضاري الأصيل.

إن الكمال الحضاري الإسلامي لا يدرك إلا بالتفاعل الإيجابي مع مقاصد الشريعة الإسلامية، ومن وجوه هذا الكمال أن يتحرر المال من قبضة الأفراد إلى مالكه الأصلي، وذلك عن طواعية واستحباب، وهذه الظاهرة لا تتحقق إلا في الوقف الإسلامي، إذ غالبًا ما تستهلك الأنصبة المقررة لمصارف البر في وجه الحياة اليومية، فتبقى حاجة المجتمع إلى مصرف لا ينقطع رجاء الخير فيه، وهو الوقف.

ولعله من الملاحظ أن الشارع الحكيم لم يقرر في الوقف حكمًا ملزمًا، بل اكتفى بإرشاد أهل الطول واليسار إلى البذل، والتأكيد على قيم العطاء دون ضغط أو تعسف بتأميم فوائض أموالهم، وهو ما يتضح من قوله ﷺ (إن شئت حبّست أصلها وتصدقت به) لعلنا نلاحظ قوله (إن شئت) فلهذه القضية تبرير على محورين:

الأول: أن النبي ﷺ تعمد ألا يقول في الوقف قولاً حاسمًا، لئلا تعوّل الأمة على أوقاف ضخمة حبسها لها الآباء والأجداد، بدلاً من أن تنمي ثروتها القومية بالكد والجهد والسعي إلى الكمال، ويتحول المجتمع الإسلامي إلى قطعان من الكسالى والخاملين المترفين، وما يكون في ذلك من أسباب هلاكهم، وهذا المحور يتصل بالوقف الذري تحديدًا، ويهمنا الإشارة إلى أن مراعاة أحوال الذرية وتعهد مصالحها أمر داخل في التكافل الذي حض عليه الإسلام بشكل عام.

الثاني: أن مقاصد الشريعة تضرب في مجموعها للموسرين ما بين المثالية والواقعية طريقًا وسطًا، ليكون ما ينفقونه على مرافق الكمال الحضاري ووجوه الخير العام غاية وهدفًا يسعى إليهما عن طيب نفس وقناعة بما عند الله وحده من الأجر العظيم:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [سورة الليل: الآيات 5-7]

ولعل الإنفاق في هذا الوجه إنما يزيد مناشط التنمية - أفقيًا أو رأسيًا - بركة وفاعلية، ويسد على صعيد آخر ذرائع الانهيار ومنافذ التخلف والانتكاس الحضاري بوجه عام

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [سورة الأنعام: الآية 131]

فليس أجمل من أن تستند فكرة الإدارة المالية الإنسانية إلى وحي الله عز وجل، حينئذ تفيء أحوال المجتمع المسلم إلى مرافئ الكمال المستمد من منهج البر والتقوى، كمال المنهج الرباني العاصم من الدنايا ومن التعلق المهين بأستار هذه الدنيا البالية!

المعرفة
أساس رقي المجتمعات

د. أحمد عبدالرحيم السايح *

المعرفة : إدراك الشيء بتفكير وتدبر لأثره. وهي أخص من العلم، ويقال: فلان يعرف الله، ولا يقال يعلم الله، متعديًا إلى مفعول واحد.

وعرفه، يعرفه، معرفة، وعرفانًا، فهو عارف. والعلم والمعرفة. يفرق بينهما من جهة اللفظ، ومن جهة المعنى.

أما اللفظ: ففعل المعرفة يقع على مفعول واحد. قال تعالى:

﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [سورة يُوسُف: الآية 58]

وفعل العلم يقتضي مفعولين كقوله تعالى:

﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ [سورة المُمتَحنة: الآية 10]

وإذا وقع على مفعول واحد كان بمعنى المعرفة كقوله تعالى:

﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [سورة الأنفال: الآية 60]

وأما الفرق من جهة المعنى. فمن وجوه:

أحدها - أن المعرفة تتعلق بذات الشيء، والعلم يتعلق بأحوال الشيء، فتقول: عرفت أباك وعلمته صالحًا، ولذلك جاء الأمر في القرآن الكريم بالعلم دون المعرفة. كقوله تعالى:

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة محمَّد: الآية 19]

فالمعرفة: تصور صورة الشيء، والعلم حضور أحوال الشيء وصفاته، والمعرفة نسبة التصور، والعلم نسبة التصديق.

ثانيًا - أن المعرفة في الغالب تكون لما غاب عن القلب بعد إدراكه، فإذا أدركه قيل عرفه، أو تكون لما وصف له بصفات قامت في نفسه. فإذا رآه وعلم أنه الموصوف بها قيل: عرفه. قال تعالى:

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [سورة يُوسُف: الآية 58]

فالمعرفه نسبة الذكر في النفس وهو حضور ما كان غائبًا عن الذاكر. ولهذا كان ضدها الإنكار، وضد العلم الجهل. قال تعالى:

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾

[سورة النّحل: الآية 83]

ويقال: عرف الحق. فأقر به، وعرفه فأنكره.

ثالثًا - أن المعرفة تفيد تمييز المعروف عن غيره، والعلم يفيد تميز ما يوصف به عن غيره.

رابعًا - أنك إذا قلت: علمت محمدًا، لم تفد المخاطب شيئًا، لأنه ينتظر أن تخبره على أي حال علمته. فإذا قلت: كريمًا أو شجاعًا حصلت له الفائدة، وإذا قلت: عرفت محمدًا، استفاد المخاطب أنك أثبته وميزته عن غيره، ولم يبق أن ينتظر شيئًا آخر.

* كاتب وباحث / مصر

خامسًا ـ أن المعرفة تعني أن يعين الشيء مفصلاً عما سواه بخلاف العلم، فإنه يتعلق بالشيء مجملاً. والمعرفة عند المحققين: هي العلم الذي يقوم العالم بموجبه ومقتضاه، فلا يطلقون المعرفة على مدلول العلم وحده[1].

ولكن إذا كانت المعرفة لها كل هذا. فهل هي فطرية، أم مكتسبة، أم مزيج بينهما ؟

تؤكد بعض الآراء الفلسفية، أن المعرفة الإنسانية مكتسبة، وأن طريق اكتسابها الحواس. يقول أصحاب هذه الآراء: إننا ندرك الأشياء بطريق الحواس، فالشخص الذي يولد أصم لا يمكن أن يعرف الأصوات: وهي موضع السمع، وكذلك الشخص الذي يولد أعمى، لا يمكن أن يعرف الألوان، فنحن ندرك الأشياء الخارجية عن طريق الحواس: البصر، أو السمع، أو اللمس، أو الشم.

وبمعنى آخر: إن الأجسام الخارجية، هي مجموعة من الإحساسات، أو بمعنى ثالث: نحن لا ندرك الأشياء الخارجية وإنما ندرك أنفسنا، لأننا لا يمكن أن نعرف الشيء الخارجي، كهذا الكتاب. إلا عن طريق هذه النوافذ التي نطل منها على العالم الخارجي، وعن طرق هذه الإحساسات، التي تتجمع وتتنظم بعد نفاذها من هذه النوافذ «الحواس» فنعرف الأشياء.

معنى هذا: أن هناك عقلاً يتلقى هذه الإحساسات، وأن العقل كالصفحة البيضاء يتلقى الإحساسات فتتكون المعرفة.

وقالت فئة أخرى: إن المعرفة فطرية، بمعنى: أن الإنسان يولد ونفسه قد فطرت على الأشياء. فإذا عرفت النفس شيئًا، أو أدرك الإنسان شيئًا فإنه ـ في الواقع ـ لا يدرك شيئًا جديدًا، ولا يكتسب معرفة جديدة، ولعل بعض الآراء في التصوف تنحو هذا النحو، وترى إمكان المعرفة بغير الحواس[2].

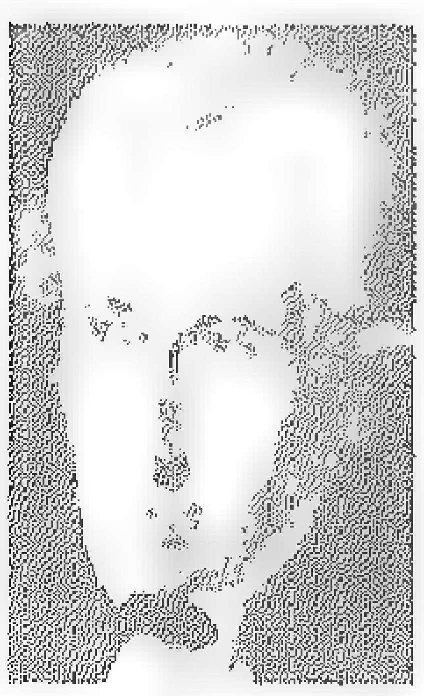
ويذهب آخرون إلى أن العقل البشري بطبيعته يحتوي على جزء من المعرفة الفطرية، يضاف إليه جزء آخر مكتسب.

ولقد اختلف العلماء في هذا الجزء الفطري، فقال بعضهم: إن المعرفة البديهية هي المعرفة الفطرية، مثل الكل أعظم من الجزء، ويذهب «كانت» الفيلسوف الألماني إلى أن العقل البشري حين يكتسب المعرفة المحسوسة للأشياء الخارجية يضيف إليها شيئًا من جوهره وطبيعته، ويصوغ المعرفة للمحسوسات الخارجية في قالبين هما: المكان والزمان.

جوهر المعرفة موجود وجودًا محققًا، ولكن نعت المعرفة من قلة أو كثرة، أو نسبية، أو مطلقة، أو فطرية، واكتسابية، هو الذي اختلف فيه الفلاسفة منذ أقدم عصور الفلسفة الإنسانية.

وكأنه بهذا يريد أن يقول إن المكان والزمان لا يتعلقان بالأشياء الخارجية فحسب، فمن طبيعة العقل وجود هاتين الصورتين، صورة المكان، وصورة الزمان، اللتين لا نستطيع أن ندرك الأشياء المحسوسة إلا داخلة فيهما.

والرأي الذي يذهب إليه علماء الطبيعة، وخصوصًا الذين يأخذون بنظرية «آينشتاين» يتضمن: أن المعرفة في عقولنا لا تنفصل عن جملة الحضارة، أو الثقافة السائدة في العصر الذي يعيش فيه صاحب المعرفة [3].



كانت

ومما لا ريب فيه: أن الباحثين قد أجمعوا على أن الثقافة البشرية سلسلة متماسكة الحلقات، تؤثر سوابقها في لواحقها على صورة جلية أو غامضة.

وجوهر المعرفة موجود وجودًا محققًا، ولكن نعت المعرفة من قلة أو

---

1 ـ راجع: الفيروزآبادي ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج4 ـ ص 47 ـ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة.

2 ـ راجع: الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ـ معاني الفلسفة ص 88 الطبعة الأولى ـ القاهرة.

3 ـ انظر: الدكتور أحمد السايح، المعرفة في الإسلام بين الأصالة والمعاصرة ص 18 ط ـ دار الطباعة المحمدية 1400هـ ـ القاهرة.



كثرة، أو نسبية، أو مطلقة، أو فطرية، واكتسابية، هو الذي اختلف فيه الفلاسفة منذ أقدم عصور الفلسفة الإنسانية فهي تارة نسبية، وأخرى مطلقة، وثالثة فطرية كلها، ورابعة مكتسبة كلها ترتكن على التجارب، وكذلك تعيين القوة العارفة، وتحديد مدى اختصاصها.

فمرة هي الحواس وحدها كما عند «هيراقليطس»، وأخرى هي الحواس مع العقل كما يرى «أرسطو» وثالثة هي البصيرة كما يرى «أفلاطون»، ورابعة هي العقل وحده كما يقول «ديكارت»، ويعنينا أن نعرف أن المعارف الإنسانية تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول ـ المعارف العامة وهي مجموعة المشاعر والإحساسات المادية المتحصلة للإنسان بواسطة بعض أجزاء بدنه، وهي تمتاز بأنها بسيطة وخالية من الدقة والتعميق، ويصفها الفيلسوف «هيراقليطس» بأنها: أشبه بما يسير بين شطآن غير محددة سيراً غير محدد المصير.

ونحن مدينون بهذه المعارف لحواسنا التي تستعين في توصيلها إلينا بالزمان والمكان. ولكن ليس هذا هو كل شيء، بل إن الحواس تبذل في نقل تلك المعارف جهداً خلال عمليتين لا بد منهما لحصولهما لدينا وهما:

❖ ارتسام تلك الأشياء المادية المراد نقلها.

❖ نقل تلك الرسوم إلى مكانها الطبيعي من النفس البشرية.

فالمعرفة العامية لها بالضرورة درجتان:

الدرجة الأولى ـ المعرفة الإحساسية البحتة، وهي لا علاقة لها بذكريات الماضي، ولا بأخيلة المستقبل.

الدرجة الثانية ـ هي ما تشترك النفس في عمله، وهو منظم ثابت يتناول ماضي الحياة وحاضرها ومستقبلها.

اعتماد الصوفيين ينهض على صفاء القلب، ومجاهدة النفس، حتى تصل إلى مرتبة من الصفاء تتيح لها من المعرفة ما لا تصل إليه الحواس والعقول معاً.

وثاني القسمين من المعارف الإنسانية، هو المعرفة العملية، وهي التي يعول عليها في الحياة، وأظهر الفروق بين المعرفة العامية والمعرفة العملية الفلسفية هو:

❖ أن المعرفة العامية مقصورة على النواحي المادية والاجتماعية من الحياة، بينما المعرفة الفلسفية تتناول فوق هذا: تدبر أسرار الكون والوجود.

❖ أن المعرفة العامية موجودة لدى جميع أفراد بني الإنسان، على حين أن المعرفة الفلسفية مقصورة على أصحاب العقول المفكرة.

❖ أن المعرفة العامية فطرية توجد لدى كل من توفر فيه القدر المحقق للإنسانية من العقل، ولكن المعرفة الفلسفية مكتسبه بالمران والتطبيق الدقيق.

❖ أن المعرفة العامية معرضة للتأثر بالغريزة أو بالعاطفة، في حين أن المعرفة الفلسفية خليقة بأن تكون بعيدة من أثر هذين الباعثين (4).

فالمعرفة تشمل محيطات واسعة، تبدأ بالمعرفة العامية التي يشترك فيها جميع أفراد النوع البشري، ثم تصعد إلى درجة التجارب الحسية على أيدي

الطبيعيين أو الكيميائيين، ثم تستمر في صعودها إلى درجة النظر العقلي عند الرياضيين والفلاسفة، لكي تنتهي عند مرتبة التجارب التنسكية.

ومن هذا يتبين: أن المعرفة تتطلب جهوداً ضخمة، للإحاطة الشاملة التي تضمن القدرة على منح كل غصن من أغصان دوحتها المترامية الأطراف، الطابع الذي يميزه عن غيره.

وإذا أردنا أن نتبين المعرفة في الإسلام، فيجدر أن نشير إلى نظريات المعرفة في أكثر الآراء الفلسفية، مع إبعاد الآراء المتطرفة، التي ابتدعها المنحرفون وسنكتفي بالآراء التي تتمتع بالسيادة الفكرية.

❖ الرأي التجريبي: وطريق المعرفة فيه هو الخبرة الحسية، وإذا أغلقت الحواس أبوابها انعدمت المعرفة، فلن تنشأ في العقل أفكار، إلا إذا سبقتها مؤثرات حسية.

❖ الرأي العقلي: وطريق المعرفة فيه لا يرتكز على الحواس وحدها، لأنها تخطئ وتصيب، ولهذا لا تصلح أساساً للمعرفة. وإنما أساس المعرفة هو الحل الذي يدرك إدراكاً مباشراً. العقل الذي يشك، ويفهم، ويدرك، ويثبت، ويريد، ويشعر، كما يقرر ديكارت صاحب الرأي العقلي في الفلسفة الحديثة.

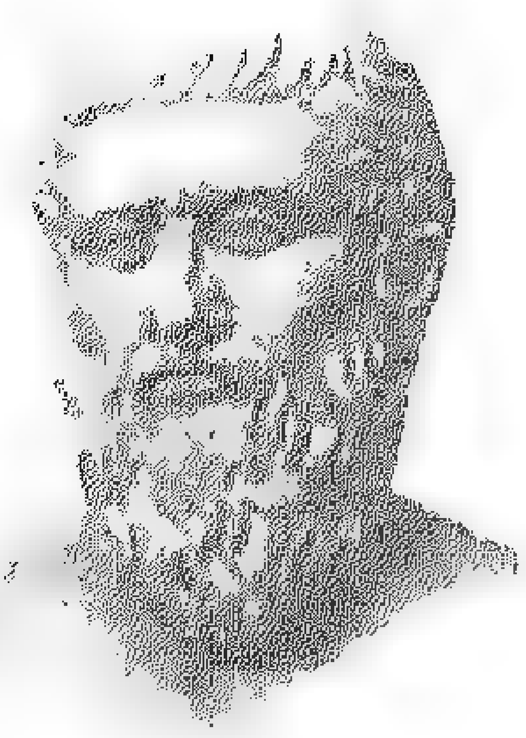
والعقليون لا يرفضون ما تجيء به الحواس، ولكنهم لا يعتمدون عليها اعتماداً كلياً.

❖ الرأي النقدي: ومضمونه أنه يجمع بين الرأي التجريبي والرأي العقلي، وقد رأى «كانت» هذا الرأي، مقرراً أن المعرفة لا تتم إلا بالخبرة الحسية والمبادئ العقلية معاً(5).

فالمعرفة في الرأي النقدي يأتي جانب منها من الخارج وهو جانب الحسية، وحينما يتلقى العقل ذلك،



ديكارت



أفلاطون

ينظمه في حدوده. ومن ثم يكون كل جزء معتمداً في مضمونه على خبرة الحواس، وفي قالبه على فطرة العقل.

❖ الرأي الصوفي: إذا كانت وسيلة المعرفة عند التجريبيين هي الحواس ووسيلتها عند العقليين هي العقل ووسيلتها عند النقديين هي الحواس والعقل معاً فإن وسيلة المعرفة عند الصوفيين تختلف عن الآراء التي ذكرناها. لأن الصوفيين يرون أن العلم اليقيني إنما يجيء عن طريق الحدس ويسمونه: الذوق الصوفي أو الوجدان، فاعتماد الصوفيين ينهض على صفاء القلب، ومجاهدة النفس. حتى تصل إلى مرتبة من الصفاء تتيح لها من المعرفة ما لا تصل إليه الحواس والعقول معاً(6).

❖ الرأي العملي ـ البراجماتزم حيث يقدم العمل ثم يستخلص منه المعرفة. ومن هنا أجاز هذا الرأي جميع الظواهر.

والمعرفة في حقيقتها ليست مجرد العلم بالواقع كما هو، بل هو أداة السلوك العملي الذي جاء بالنفع(7).

وتلك هي أهم آراء المعرفة التي اهتدى إليها علماء الفلسفة، وقد تفرعت عن هذه الآراء نظريات فكرية عديدة.

---

4 ـ انظر الدكتور محمد غلاب، المعرفة عند مفكري المسلمين ـ ص 21 ـ ط الدار القومية القاهرة.

5 ـ راجع: الدكتور محمد خلف الله، الموسم الثقافي الثاني للأزهر ـ ص 90 ـ طبع الأزهر 1960 مسيحي.

6 ـ المصدر السابق.

7 ـ انظر: الدكتور أحمد السايح. المعرفة في الإسلام ـ ص 19.

أما المعرفة في الإسلام، فهي غير هذه الآراء كلها. وذلك: أن الإسلام قد وثب وثبتين هائلتين.

الوثبة الأولى: كانت على أثر إشعاع القرآن الكريم في جنبات الأمة. فأنارها بعد ظلمة، وهداها بعد حيرة، ونظمها بعد اضطراب وفتق أذهان أبنائها بعد ارتتاق، ونبه إلى جوب النظر في الكون العام وفي النفس الإنسانية، وفي الأسباب والمسببات.

والوثبة الثانية: كانت بعد نقل الحكمة والعلوم إلى اللغة العربية، وبهذا تفتحت العقول إلى ألوان مختلفة من الثقافات والمعارف.

والإسلام في ظلال هاتين الوثبتين قد وضع أسس المعرفة الحقيقية، وأحاط بجميع الجوانب، واستوعب الطرق والوسائل جميعاً وجعل منها كلاً متكاملاً غير قابل للتمزق والشتات.

تقوم المعرفة في الإسلام على أساس التعادل بين الكم والكيف، والمادة والروح، والغاية والسبب، فلا إفراط ولا تفريط.

لذا تقوم المعرفة في الإسلام على أساس التعادل بين الكم والكيف، والمادة والروح، والغاية والسبب، فلا إفراط ولا تفريط، طبقاً لقوله تعالى:

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾

[سورة الأنعام: الآية 153]

وبهذا ربط الإسلام بين الحواس المرهفة، وبين العقل الباحث المنظم، أو الوجدان النقي الملهم. فالقرآن الكريم يدعو إلى استعمال الحواس، وبخاصة حاستي ـ السمع والبصر:

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ * وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [سورة ق: الآيات 6 ـ 8]

إلى غير ذلك من الآيات التي تدعو إلى التدبر، والتبصر، والتفكر واستعمال الملكات العقلية.

ولكن الحواس لا تغني وحدها ما لم تستعن بالبصيرة الملهمة، والعقل الراجح النفاذ:

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [سورة الحج: الآية 46]

أما طريق الحدس الوجداني الذي يصل إليه الإنسان بمجاهدة النفس وتقوى الله، فقد أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة البقرة: الآية 282]

فالإسلام قد جمع بين جميع المواهب والملكات، سواء منها الحسية أو المعنوية، المنطقية أو الروحية، ليصل الإنسان إلى ما قدر له في ظل الإيمان(8).

وقد سجل القرآن الكريم طرقاً شتى لكشف الحقيقة، ليتخذ كل فرد من بني الإنسان الطريق الذي يلتئم مع مستواه، ويتسق مع عقليته وهي:

الطريق الأول ـ طريق النظر إلى السموات والأرض وما فيهما، ولهذا الطريق مرحلتان: أرضية محضة وأرضية سماوية.

المرحلة الأولى: أخفض المراحل وأشدها بدائية، وألصقها بالأرض، وهي تخاطب العامة بما بين أيديهم من مرئيات، ثم توجههم إلى استنباط ما هو بعيد عنهم لعلهم يهتدون، قال تعالى:

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [سورة الغاشية: الآيات 17 ـ 20]

المرحلة الثانية: استطاعت أن تظفر بحظ من تطور الإنسانية، ورقي العقلية، وهذا دليل على أن الإنسانية قد ارتقت بعض الشيء، وأصبحت جديرة

8 ـ راجع: الدكتور أحمد السايح. أضواء حول الثقافة الإسلامية ص 40 ط الدار المصرية القاهرة.

بالنظر إلى السماء، ثم النظر في السماء قال تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [سورة ق: الآيات 6 ـ 8]

الطريق الثاني: طريق الأسباب والمسببات. لأن هناك فريقًا من البشرية لا يقنعه غير أفاعيل الأسباب في مسبباتها، ولا يرضيه سوى التأمل في نشوء المسببات عن أسبابها قال تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

[سورة النّحل: الآيات 8 ـ 11]

الطريق الثالث: طريق المعقولات المحضة. وكما وجدنا في الآية:

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الذّاريَات: الآية 21]

طريق الشعور النفسي كوسيلة من وسائل المعرفة، كذلك يمكن الظفر فيها بطريق المعقولات الخالصة التي لا يدركها إلا علية الصفوة من المفكرين الذين يعتمدون على العقل النقي، لينفذوا إلى ما وراء حجب المرئيات.

الطريق الرابع: طريق البدهيات العقلية، ويعد هذا الطريق في عالم الفكر المنطقي، أسمى الطرق وأقربها إلى القمة، وأدناها إلى أوج الإمكان الإنساني وهو منبثق من داخل النفس وهو الفكر المحتوي آية

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الذّاريَات: الآية 21]

من هذا يتبين لنا في وضوح أن طرق المعرفة في الإسلام تلائم الإنسانية كلها حسب درجاتها في الكمال الفكري، وأن القرآن الكريم خاطب الناس على قدر ثقافتهم وفكرهم ليصل بهم إلى ذروة ما قدر لكل من الفهم والصواب [9].

الحضارات الإنسانية ليست ملكًا لأمة بعينها، ولا هي وقفًا على جماعة من الناس. لأنها صرح هائل قد أسهمت فيه كل أمة بنصيب.

والمعرفة وسيلة لغاية أبعد، وهدف أكبر، وهل ثمة أجل وأسمى من أن تستحيل المعرفة إلى طاقة محركة، وقوة دافعة تصبغ الواقع الإنساني في إطار الضمير، والشعور، والسلوك بصبغة المفاهيم النقية الخيرة، وتتمثل في حياة البشر نظامًا، وخلقًا، وجهادًا، وحكمًا، وقيادة صالحة. تحمل مشاعل الحق، والنور لهذه الإنسانية؟

والمعرفة أساس رقي المجتمعات وتقدم الإنسانية، وليس هناك أرقى من نهضة تقوم على المعرفة، ولا أبقى على حضارة تكون الحكمة رائدها.

والعلم يصل إلى المعرفة عن طريق البحث المستمر، والدراسة الجادة، والاستقراء والقياس والعمل المثمر.

والعقل البشري استطاع بما اكتسب من تجارب، وخبرة، ومران أن يصنف المعارف الإنسانية، وأن يحكم ما بينها من وشائج، وأن يستفيد بما بينها من صلات.

والنتائج العلمية متصل بعضها ببعض، ويعتمد بعضها على بعض، والحضارات الإنسانية ليست ملكًا لأمة بعينها، ولا هي وقفًا على جماعة من الناس. لأنها صرح هائل قد أسهمت فيه كل أمة بنصيب.

والحضارات الإنسانية قد تتشابه في مظاهرها، وفي عناصرها، وفي أسلوبها ـ ولا سيما ـ إذا تعايشت في جهات متقاربة.

والحضارات الإنسانية سلسلة محكمة متينة الحلقات، يؤثر سابقها في لاحقها. ويتأثر حاضرها بماضيها.

9 ـ انظر: الدكتور محمد غلاب ـ المعرفة عند مفكري المسلمين ص 65.

وإيمانًا من المسلمين بفوائد العلم والمعرفة، وإيمانًا من المسلمين بأن المعرفة حلقات متصل بعضها ببعض، ومؤثر بعضها في بعض. وانطلاقًا من مفهوم (اقرأ) والتي كانت أول كلمة يتلقاها الرسول الأمين من الوحي، ومن آيات القرآن الكريم، وتوجيهات الرسول محمد ﷺ عرف المسلمون الأولون منزلة العلم، وأدركوا مبلغ الحاجة إليه في العادات والمعاملات وبناء المجتمع ورقي الإنسانية، وعرفوا في صدق أنه هو الذي يوضح لهم معالم السير على النهج القويم، ويفتح لهم آفاق الحياة، ويكشف لهم عن أسرار العوالم الكونية، ويقيم لهم وسائل الحياة والقوة، ويبني لهم قواعد السعادة والسيادة [10].

عرف المسلمون كل هذا فوجهوا العزائم إلى طلب العلوم على اختلاف أنواعها، ولم يشغلهم عن طلبها ترف الحضارة، ولم يثن عزائمهم عنها بأساء الحياة وضراوتها وبحثوا عنها في آيات الله التشريعية، وآيات الله الكونية.

الحضارات الإنسانية سلسلة محكمة متينة الحلقات، يؤثر سابقها في لاحقها، ويتأثر حاضرها بماضيها.

ولم يقفوا بجهودهم عند نتاج عقولهم وأفهامهم، بل اتجهوا إلى علوم السابقين، وفتحوا عليها نافذة واسعة. أطلوا منها على الحضارات الإنسانية التي سادت، وكان لها دورها.. فترجم المسلمون كل ما وصل إليهم، وأبدعوا، وحسّنوا، واخترعوا، وأوجدوا علومًا جديدة، لأنهم كانوا يطلبون العلوم طلب الناقد البصير..



زيجريد هونكه

وقد اكتمل لهم من ملكات العلوم والفنون في جيل واحد ما لم يكتمل لأمة من الأمم الناهضة في عدة أجيال. وفي ذلك يقول أحد المؤرخين الاجتماعيين من علماء الغرب: إن ملكة الفنون لم يتم تكوينها في أمة من الأمم الناهضة إلا في ثلاثة أجيال: جيل التقليد، وجيل الخضرمة، وجيل الاستقلال والاجتهاد إلا المسلمون فقد استكملت لهم ملكة الفنون في الجيل الأول الذي بدءوا فيه بمزاولتها [11].

ومن العجيب حقًا أن المسلمين قاموا بالحركة العلمية التي تخطت مراحل النهوض. قاموا بها رغم الأحداث العاتية التي حملوا أعباءها، والحروب الطاحنة التي خاضوا غمارها. لأن الأحداث والخطوب، وإن بلغت من العنف ما بلغت، لا تستطيع أن تقف في طريق العقائد القوية التي انطوت عليها القلوب، وانفعلت بها النفوس، ولا أن تمنع العزائم المشرقة من الوصول إلى أغراضها.

تقول الكاتبة الألمانية الدكتورة «زيجريد هونكة» في كتابها: «شمس الله تشرق على الغرب».. «إن هذه الطفرة العلمية الجبارة، التي نهض بها أبناء الصحراء من العدم، من أعجب النهضات العلمية الحقيقية في تاريخ العقل البشري. فسيادة أبناء الصحراء التي عرضوها على الشعوب ذات الثقافات القديمة وفريدة في نوعها، وإن الإنسان ليقف حائرًا أمام هذه المعجزة العقلية الجبارة، التي حار الإنسان في تعليلها وتكييفها.

وإن أوروبا تدين للمسلمين والحضارة العربية، وإن الدَّين الذي في عنق أوروبا وسائر القارات للعرب كبير جدًا [12]».

وبهذه النهضة العلمية استطاع المسلمون أن يعملوا على منافسة الأقوياء. والعمل لبناء المجتمعات لا يصدر إلا عن إرادة قوية، والإرادة الدافعة لا تنبثق إلا من العلم.

فالأمة التي افقدها الجهل قوة الإرادة، وصدق العزيمة، لا تهتم بمعالي الأمور، ولا تحفل بمعطيات الحياة، وبجانب هذا، فإن الجهل يقتل مواهب الفكر،

10 ـ انظر: الدكتور أحمد السايح: أضواء حول الحضارة الإسلامية ص 45 ـ ط دار اللواء ـ الرياض.

11 ـ راجع الدكتورة زيجريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب ـ ص90 ـ ط القاهرة.

12 ـ راجع مجلة رسالة الإسلام ـ ص 60 ـ القاهرة.

ويطفئ نور القلوب، ويعمي البصائر، ويميت عناصر القوة، ويفسد على الناس مناهج الإصلاح.

وكان المسلمون في دراساتهم وبحوثهم. ينتقلون من المعلوم إلى المجهول ويقومون بدراسة الظواهر دراسة دقيقة بقصد الانتقال من المعلول إلى العلة، وكان طريقهم إلى الحقائق العلمية خطوات منهجية من شأنها التأصيل والعطاء.

وهذه الخطوات نجدها فيما يلي:

أولاً - في التحرر من قيود العرف، والتخلص من رواسب التقاليد، وبهذا تزال الأنقاض، قبل أن يوضع حجر الأساس، ويرفع البناء لتكون القاعدة نظيفة، تعتمد على تربة صالحة، ولهذا تمكن المسلمون في ظل التوجيهات القرآنية من أن يقيموا أسس الحضارة الإنسانية على دعائم أصلية.

ثانيًا - في التأمل والمشاهدة، وجمع المعلومات الحسية والعقلية، تمهيدًا للبحث والدرس. قال تعالى:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾

[سورة الإسراء: الآية 36]

فهذه الآية تنهى عن اتباع ما لم يقم به علم يستند إلى حجة سمعية، أو رؤية بصرية، أو براهين عقلية. وهي طرق الاستدلال التي تنحصر في العقليات والسمعيات والمحسوسات. فالمسائل العملية في الإسلام لا تأخذ طابعًا عمليًا ولا ترتقي إلى درجة معلومات إلا إذا قامت عليها بنية، واستندت إلى دليل.

ثالثًا - في الموازنة والاستقراء.. وإذا كانت مرحلة التأمل ووزن المعلومات، وتمييز صحيحها من زائفها، تعتمد على المشاهدات الحسية والعقلية. فإن مرحلة الموازنة والاستقراء، تضم إليها خطوات التفكير العقلي.

رابعًا - في الحكم المبني على الدليل والبرهان الصادق. فإذا قام الدليل القاطع والحجة البالغة. اتضحت الحقيقة قال تعالى:

﴿هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾

[سورة الأنعام: الآية 148]

وقال تعالى:

﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾

[سورة النمل: الآية 64]

وقد استقرت دعائم الخطوات المنهجية في أعماق النفوس، فكانت الرائد الأمين للعقول والأفكار، والمرشد الواعي للغرائز والمواهب.

وقد طبع المسلمون على حرية الفكر، واستقلال الإرادة. ولهذا تعمقوا في علوم الحياة والحضارة الإنسانية. فكان منهم نوابغ الأطباء والفلكيين، وعلماء الهندسة والجبر والحساب، وكبار علماء الجغرافيا والكيمياء، والزراعة، والعمارة، والأدب، والفقه، والتفسير، والتاريخ، واللغة. وكانوا أوائل من اكتشفوا حقائق علمية، فكانت أول المعالم على طريق الباحثين والدارسين.

كل هذا كان بفعل الاتجاهات العقلية التي غرسها الإسلام في قلوب الناس، والتي أدت إلى تنمية القوى العقلية الكامنة في الإنسان. فبحث علماء الإسلام، ودرسوا وأضافوا، وجددوا وابتكروا، فكان ذلك النتاج الحضاري الإسلامي الأصيل، الذي أعطى الإنسانية ذخيرة ضخمة من المعارف، أفاد منها الغرب في عصر الإحياء والنهضة.

وإذا كانت الأمة الإسلامية في هذا العصر تخطو على طرق العلم. فهذا هو التاريخ الإسلامي، قد أثبت في صدق أن الحضارة الإسلامية هي خير حضارة عرفتها الإنسانية.

ونحن لا نريد للحضارة الإسلامية أن تكون درسًا يتناوله العلماء والطلاب بالبحث والتأمل، ولا نريد للحضارة الإسلامية أن تكون ثقافة عامة يحصل عليها الناس ليقال إنهم مثقفون. إنما نريد أن تكون الحضارة الإسلامية موصولة الأخذ والعطاء. نأخذ منها القيم والمنهج، ونعطيها الفكر والعمل.

المغامر دمنغو باديّا
في مكة وفلسطين

د. علي حسين الحلو *
نقله عن الإسبانية: د. عبدالله محمد الزيات **



ولد دومنغو باديًّا ليبلتش Domingo Badya Liblich في برشلونة في اليوم الأول من أبريل من عام 1767 مسيحي، وعُمِّد في اليوم نفسه في سِئو Seu (1) باسم دومنغو فرانثيسكو جوردي Domingo Francisco Jordi، كان أبوه يدعى بيدرو، أما أمه ذات الأصل البلجيكي فتدعى كاتالينا ليبلتش، وقد كانت تسكن برشلونة منذ القرن السابع عشر.

أمضى دومنغو طفولته في برشلونة، وعند بلوغه سن التاسعة عشرة انتقل صحبة أسرته إلى مدريد، وذلك لأسباب كانت توجبها ظروف عمل والده.

عندما بلغ سن الرابعة والعشرين اقترن بسيدة مدريدية تدعى ماريا لويسا بُرُّويثو إي كامبوي Maria Luisa Burruezo y Camboy، التي أنجبت له بعد ثلاث سنوات من زواجهما طفلة دعيت بماريا دي لا أسونثيون كاتالينا Maria de la AsunciÓn Catalina،

---

* كاتب / سفير فلسطين السابق في المكسيك - إسبانيا
** كاتب وباحث وأستاذ جامعي / ليبيا

(1) هي مدينة صغيرة لا يتجاوز سكانها في بعض الإحصاءات الحديثة مائة ألف نسمة، تقع في شمال مقاطعة قطلونية، قرب حدود إسبانيا مع دويلة أندورا (المترجم).



صورة قديمة لمكة المكرمة

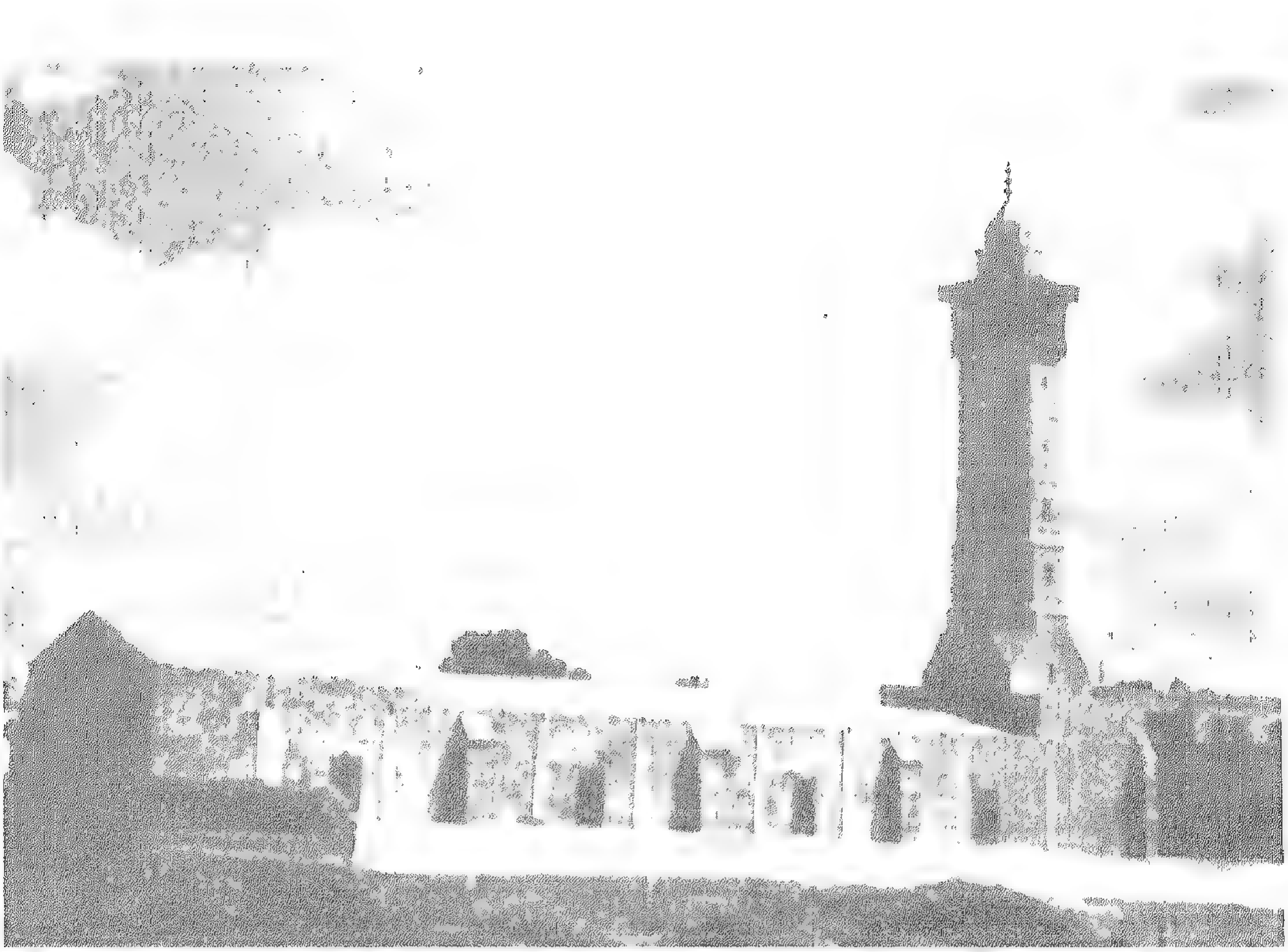
وقد انتقل في العام نفسه الذي ولدت فيه ابنته إلى قرطبة بوصفه إداريا في المؤسسة الملكية للتبغ.

في تلك المرحلة وظف «دومنغو» جزءاً كبيراً من وقته في تعلم الفيزياء والنبات والرياضيات والفلك وعلم الظواهر الجوية، والجغرافيا، وقد كان يتعلم العربية هواية له منذ شبابه المبكر.

في خطوته الأولى قدم دومينغو في الثامن من شهر إبريل من العام 1801 خطته للسفر أمام الوزير الفذ مانويل غودوي Manuel Godoy «أمير السلام» [2] الذي كان يحظى بمحبة الملك الإسباني آنذاك كارلوس الرابع، وقد كانت جهة زيارته أفريقيا وآسيا، وكان غرضها أهدافاً سياسية وعلمية كما يذكر دومينغو في مذكرته التي أرفقها لخطته التي قدّمها أمام مانويل غودوي مع رسالة تتعلق بأمور جغرافية واكتشافات جديدة.

وبعد استعراض العوائق التي كانت تعترض الرحالة والمسافرين التي يذكر أن من أهمها: «تعصب الأمم الإسلامية»، الذي يلخصه في نظرة هذه الأمم إلى ممارسات كل مختلف عنها في الثقافة بأنها «عدوى» تنتقل اليهم من بلاد النصارى، كما تنتقل عدوى الطاعون، وكانوا يتوجسون أكثر إذا كان ذلك الوافد مسيحياً، حيث يحكم على أي نشاط ضد ما هو مسيحي أو أية إهانة له بأنه عمل جدير بالاحترام، أو محاولة تتطلع إلى هدم فرد كافر، وهو ما يخيفه ـ بكونه أوروبياً مسيحياً ـ من تلك الزيارة.

(2) شخصية سياسية عسكرية بارزة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر (1767-1815) تولى عدة مناصب ومهام فقد كان وزيرا، وكان قائدا للجيش الذي قاوم نابليون عند اجتياحه إسبانيا، كما كان شخصية بارزة في حرب إسبانيا مع البرتغال في تلك الفترة (المترجم).



المسجد الكبير في غزة بني في القرن السابع عشر

وبدأ «دومنغو» يفكر في الانتحال والتخفي؛ فإن أوربياً يخفي دينه ووطنه يحضر إلى أفريقيا منتحلا شخصية المسلم سيحظى بزيارة كل مناطقها، وكان ذلك يقتضي التمكن قليلاً من العربية، وتعلم بعض الآيات من القرآن، وارتداء جلابية أو عباءة، والمشاركة في الحفلات والأعياد التي تقام هناك، وفوق ذلك أن ينتحل اسما مسلماً».

أواصر القرابة العائلية لم تجعل باديا يتنازل عن مخططه للسفر، بل قام بكل مسؤولية بالتزامات تلك القرابة قبل انطلاقه في ذلك السفر، فأدى ما يفرضه عليه الواجب من دفع نفقات إلى زوجته وابنته خلال المدة التي سيستغرقها سفره.

أحصى «دومنغو» ما مجموعه 3250 فرسخاً قطعها في ثلاث سنوات، وهو ما سمح له باكتساب معلومات واسعة عن السياسة والتجارة والصناعات البدائية والعادات، وذلك ماجعل الوزير الإسباني غودوي يوافق على سفر المغامر القطلوني مرة أخرى وربما مرات عديدة، وعلى تموين هذا السفر.

اتخذ دومينغو باديا اسم «علي بي العباسي»، حتى لا يثير حوله الشكوك، وليحيط نفسه بنوع كبير من الشهرة والصيت أثناء رحلته، ولذلك ادعَّى أنه سليل أسرة تنتمي إلى الخلفاء العباسيين.

لقد سافر علي بي إلى فرنسا ثم إلى انجلترا ؛ حيث حسّن عربيته وتمكن منها، وأجرى عملية ختان كما يفعل المسلمون، وفي طريق عودته من انجلترا حط في شاطئ طنجة في اليوم التاسع والعشرين من يونيو من العام 1803 مسيحي.

الأبهة التي كان يتظاهر بها، والألقاب التي كان يحملها مكتوبة بلغة عربية فصحى صحيحة، وفوق ذلك الملاحظة الدقيقة للتعاليم القرآنية، كل ذلك جعل له قيمة عند سلطان المغرب مولاي سليمان، ولئلا يثير شكوكا حول حقيقته استطاع أن يقنع السلطان بأن

يغدق عليه عدة امتيازات، حتى وصل الأمر إلى أن يبعث إليه برغيفي خبز هدية، هي دليل على الثقة فيه والإحساس بالأخوة نحوه.

زار المدعو علي بي عقب ذلك مدينة فاس، وبعض الأمكنة في المغرب، وطرابلس ليبيا، وجزيرة قبرص، ومصر؛ حيث استقبله محمد علي استقبالاً حاراً، ثم وصل إلى مكة ـ التي كانت هدفاً أولياً لرحلته في بدايات 1807 مسيحي ـ وقد واصل رحلته تلك ؛ فزار القدس ودمشق والقسطنطينية، وعندما هيأ نفسه للعودة إلى إسبانيا بهدف نشر كل الوثائق المتعلقة بالرحلة، ووثائق أخرى خاصة به جمعها في سفره، أخبر بغزو نابليون لإسبانيا، لقد شجعه كارلوس الرابع على الانخراط في خدمة نابليون الذي نصحه به أخوه الملك خوسي José.

لكن دومنغو قدّم معلوماته الأولى في رحلته للويس التاسع عشر، وليس لنابليون،كما يبدو منطقياً.

لقد كان عنوان كتابه : رحلات علي بي في آسيا وافريقيا أثناء الأعوام 1803ـ 1807 مسيحي، الذي نشر باللغة الفرنسية في باريس في عام 1814 مسيحي مصحوباً بأطلس وعدة خرائط ولوحات ورسائل جغرافية، وقد ظهرت ترجمة هذا الكتاب في اللغة القشتالية عام 1836، كما كانت ترجمته إلى القطلونية قد ظهرت قبل ذلك بنحو عام.

واعتبر علي بي مُتفرنسا أو مُفرنَسا، ولم يستطع العودة إلى وطنه، كما أن طابعه غير الهادئ لم يستطع التأقلم مع الحياة المستقرة، وهو ما تسبب في أن يخطط لرحلات جديدة، ستكون هذه المرة في خدمة العسكرية الفرنسية، حيث اتخذ اسماً جديداً هو: علي عثمان، وانطلق متجهاً إلى سوريا، ويزعم بعض الكتاب أن غرض هذه الرحلة كان إقامة علاقات تجارية جديدة بين وطنه الثاني، أو وطنه بالتبني، وشرق إسبانيا، ولكنه لم يستطع أن يكمل ما تعهد به ؛ حيث وافته المنية في مدينة حلب، متأثراً بمرض الزحار «دوسنتاريا»، لكن آخرين مثل: لادي ستانهوب Lady Stanhope يقولون: «إنه قتل بالسم ونتيجة لحسد الأوروبيين له» ويفهم بأن المعني بالأوروبيين هم الإنجليز، كذلك فإن العقيد الفرنسي مارنيير Marnier يتهم ـ في وجهة نظر مشابهة ـ الغادرة ألبيون Albion (إنجلترا) بتصفيته جسدياً، وطبقاً لرواية هذا العقيد فإن لويس الثامن عشر كان قد حذر علي بي قائلاً : «لا تثق ببعض الأجانب خصوصاً الإنجليز، هل تفهمني..؟ لا تثق بالإنجليز».



لويس الثامن عشر

ولكن ماذا شاهد المغامر والمستكشف والمستشرق القطلوني دومنغو باديا (علي بي) في فلسطين؟ وماذا كتب عنها؟

انطلق علي بي إلى فلسطين بعد رجوعه إلى مصر في يوليو، وبعد خمسة عشر يوما فقط من استراحته في القاهرة، وهنالك، أي في فلسطين وقف على أن ثلثي الرهبان والقسس هم من الإسبان، وأن نصف نفقات الرعاية للأراضي المقدسة تغطيها إسبانيا، بما في ذلك كل النفقات في ذلك الوقت، وذلك نتيجة للظروف السياسية، فإن البقية من الأمم الكاثوليكية كانت قد توقفت مؤقتاً عن دفع مساهماتها في تلك النفقات.

لقد استطاع علي بي في أقل من إسبوعين، وفي ظروف تمتعه بحرية كبيرة، أن يكتب وأن يلاحظ ما يشاء، وأن يصف أوصافاً مفصلة لمعبد كنيسة القبر المقدس أي قبر، داود وقبور إبراهيم وآله في مدينة الخليل، كما حرر في وصف مفصل أيضاً زيارته إلى جبل كارميلو الذي هو بداية الناصرة، وزيارته إلى جبل الطبور (لعله الطور) وزيارته إلى جسر يعقوب وكذلك أضرحة السيدة العذراء وأسرتها في القدس وجبل كالباريو.

فلسطين التي زارها دومنغو باديا (علي بي أو علي عثمان) لم تكن تلك الأرض القفراء الجدباء غير الآهلة والمهجورة، التي يتحدث عنها الصهاينة دائما في دعاياتهم الفارغة، في هذا المعنى يمكن أن نتذكر كلمات الصهيوني البريطاني إسرائيل ثانغويل قبل وعد بلفور عندما قال: «إن معظم الصعوبات تأتي من حيث إن فلسطين ليست فقط هذه المستعمرة من قبل العرب، وإنما إضافة إلى ذلك الأرض التي غزاها العرب، ولتخفيف هذه التأكيدات بعض التخفيف يضيف: «لكن العرب رحلوا ولم يتركوا في فلسطين أي أثر مادي أوروحي، ولهذا فإن خيرما كان يجب القيام به هو دعوة السكان العرب إلى ترك فلسطين بهدف أن يقيم فيها العبريون بيتهم أو يبنون فيها مكاناً لهم تحت الشمس». ومع هذا فإن خير جواب على هذه الكلمات غير الدقيقة هو ما قاله المغامر القطلوني باديا في كتابه الذي كتبه عن رحلته عندما أوضح أن فلسطين «منطقة أو إقليم مزدهر، يتكون من رواب دائرية منعطفة متدرجة وأرض خصبة تشبه تقريباً طينة النيل، وتغطيها خضرة واسعة ويحوطها جمال أكبر».

فلسطين التي زارها دومنغو باديا (علي بي أو علي عثمان) لم تكن تلك الأرض القفراء الجدباء غير الآهلة والمهجورة،



محمد علي باشا

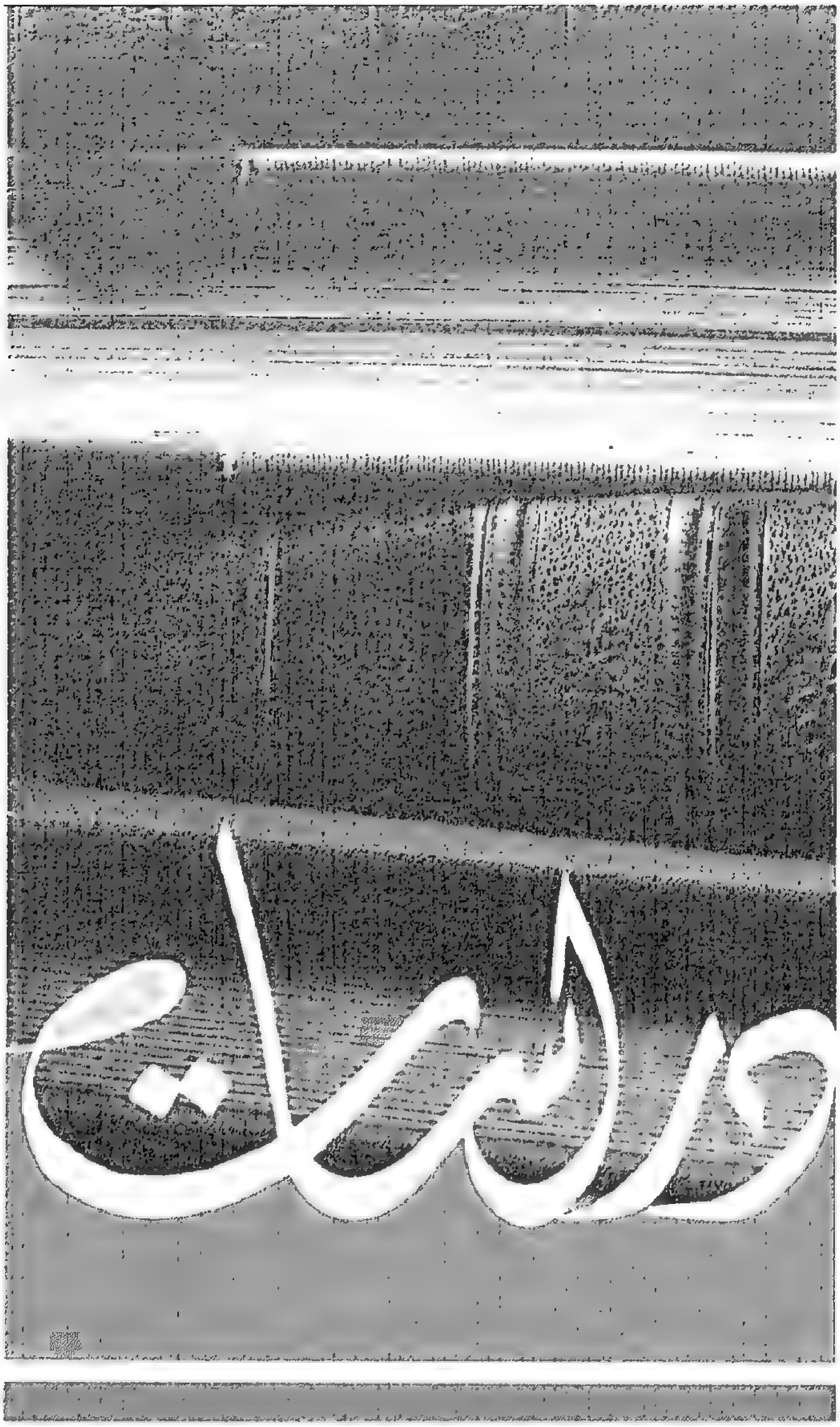
في الحقيقة فإن كلمات باديا هذه ووصفه هذا لأرض فلسطين في عام 1807 جعلت ادعاءات الحركة الصهيونية ونظرياتها تفتقر إلى الصحة .

هكذا إذن فإنه يجب الاعتراف المطلق بأن دومنغو باديا أو علي بي هو المسيحي الغربي الأول الذي درس بعمق عادات العرب، وزار مكة والكعبة جامعاً معلومات ومعارف كثيرة عنهم، وعن عاداتهم التي كانت مجهولة عند الغربيين حتى ذلك الوقت، ومع ذلك فإنه ليس صحيحاً ما يقال بأن دومنغو كان الأوروبي الأول الذي زار مكة، فقد زارها قبله الفارس الروماني لودوبكو بارتيم Ludovico Bartem في عام 1503 مسيحي، وزارها الأسير الإنجليزي جوزيف بيتس Joseph Pitts في عام 1680، ولكن دومنغو هو الأول الذي قوم موقع مكة الجغرافي، ووضع الصور والرسومات التخطيطية المجملة لمكة، كذلك كان هو أول من وضع الصور والرسومات التخطيطية الأولى للأراضي المقدسة (فلسطين)، ومن بينها وضع خارطة لمعبد بيت المقدس، وهو عمل ينطوي على قدر كبير من الأهمية بالنسبة للحركة الصهيونية التي كانت تركز على الجانب الديني لليهود في فلسطين، ومن هنا لم يعدم دومنغو من يقول عن رحلاته:

«إن هذا المجموع العظيم من الأعمال المتنوعة التي قام بها رجل واحد فقط في وقت قصير جداً، وفي ظروف حرجة جداً، ليسمح بأن يقدر صاحبه تقديراً كبيراً».

وهكذا فعندما يشرح دومنغو باديا الدين الإسلامي يصرح: «الدين الإسلامي في بساطة متناهية ليس فيه أسرار كنسية ولا غير كنسية، و ليس فيه بين الإنسان وربه وسطاء يعرفون بالكهنة والأعوان، وليس فيه مذابح تقدم عليها القرابين، وبالتالي ليس فيه زخرفة كاذبة؛ فالله لايُرى، والقربان الذي يقدم إليه هو قلب الإنسان، وكل مسلم هو حبر عظيم أو بابا كبير».

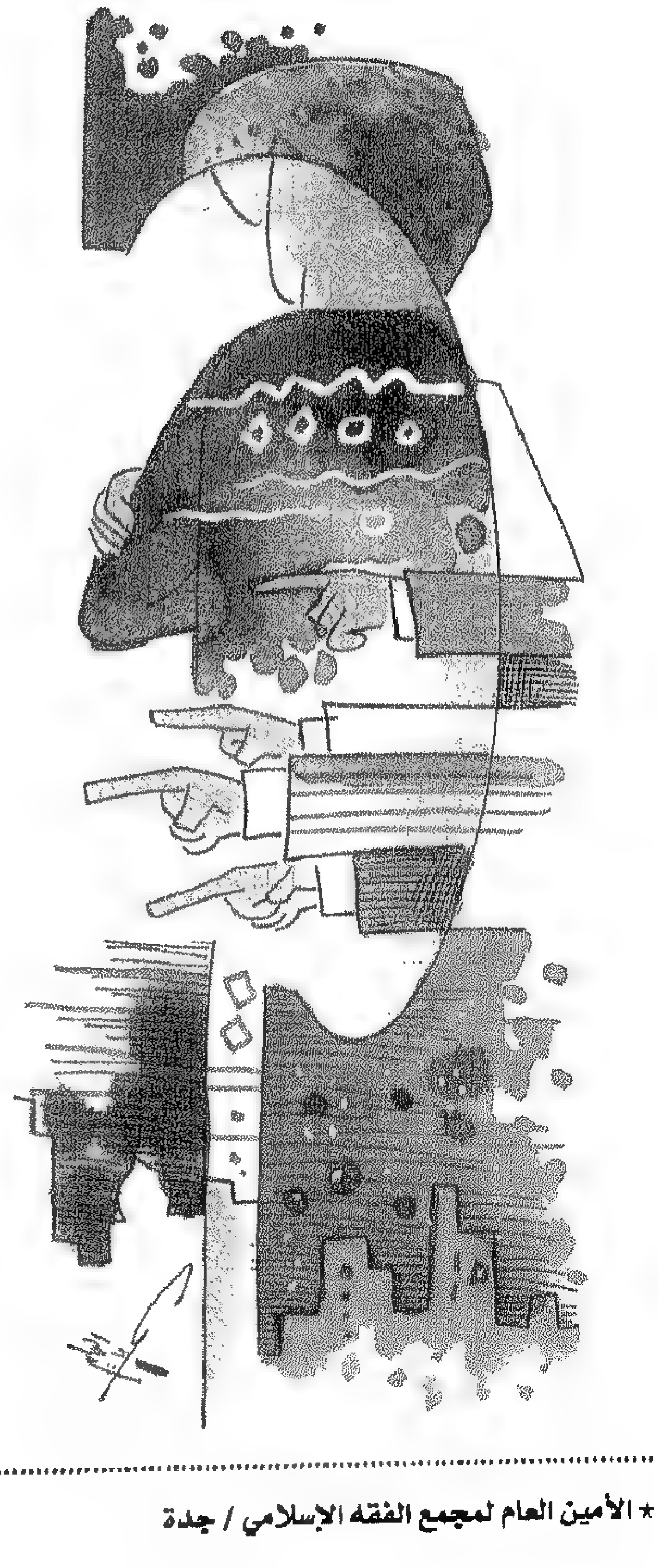
أخيراً فإنه من المناسب أن نذكر أن باشا مصر محمد علي الذي كان يحكم مصر وفلسطين ومناطق في الشام قد عرف عن طريق مخبريه السريين أن علي بي ليست إلا شخصية مزورة، وقد ذكر هو نفسه ذلك لرفيقه في الرحلة المشرقية الفرنسي الكوندي دي فوربين El conde de Forbin .



- الإسلام والغرب والهوية العربية الإسلامية
- النظام العالمي الجديد وصورة الإسلام في الإعلام

الإسلام والغرب والهوية العربية الإسلامية

د. محمد الحبيب بن الخوجة *



لا تزال عقدة الكراهية والعداء تتضاعف بين الشرق والغرب وبين الإسلام والعرب من جهة، وبين العالم الغربي وأمريكا من جهة ثانية. وقد صُنّفت في ذلك الكتب العديدة والمقالات المختلفة في كثير من البلاد بشتى اللغات. ولعل من أول ما صدر من ذلك في القرن الماضي سنة 1937 عمل المؤرخ البلجيكي هنري بيرين المعروف بـ «محمد وشرلمان»، الذي أسماه ناشره الهولندي «الإسلام والديمقراطية». وهو يصوّر القطيعة القديمة التي فرضها الإسلام في اعتقاده بانتشاره وهيمنته على حوض البحر الأبيض المتوسط. فدمر أسس التوازن للإمبراطورية الرومانية وللمسيحية. وكان التنافس والصدام بين الديانتين المسيحية والإسلام، وازداد الأمر حدة وخطراً باحتلال العرب إسبانيا، رغم خضوع الحرب عند المسلمين إلى ما تقتضيه سياستها من آداب وشروط. واستمر من ذلك الوقت النزاع قائماً بين الطرفين المتقابلين إلى العهد الحاضر، وتفاقم الوضع اختلافاً وافتراقاً بين الدول الاستعمارية الحديثة وإسرائيل وبين معظم الدول العربية.

ويعلق أركون في كتابه (الإسلام، أوروبا، الغرب) أو مترجمه هاشم صالح، وهما من عنصر فكري واحد

* الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي / جدة

قائلاً: وأصبحت النظرة لكل ما هو غربي أو أوروبي مشوّهة ومشبوهة، كما صارت النظرة العدائية متبادلة بين كلا الطرفين.

وهذه الحقيقة التي تحتاج إلى مزيد من التحليل والبحث قد يضعفها ما لاحظناه من زمن الفتوحات الإسلامية الأولى إلى اليوم، إذ بات اعتداء دول الفرنجة وعدوانها وبغيها منتشراً في كل قطر من أقطار العالم الإسلامي، فعظم الخطب واشتد البلاء[1]. وربما كان من الضروري أن نقسم البحث إلى محاور ثلاثة: الإسلام والغرب والهوية، ليكون التصور واضحاً، والواقع بيّناً لكل دارس أو ناظر.

وقد توالت سلسلة من الاعتداءات الغربية الآخذ بعضها برقاب البعض منذ القديم، حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى، واعتمدت تقارير الصلح التي بات العالم الإسلامي أجمع خاضعاً بمقتضاها خضوع الذل والخنوع للسيطرة الغربية [2].

ولعل مما كان يبرر هذه الأحداث استخفاف الدول النصرانية بدول المسلمين، واعتبارها دونها منزلة لما نزل بها من الانحطاط والتدني يلابسها ويعوقها عن أن تكون قوامة على شؤون نفسها بنفسها[3].

وازداد هذا الشعور حدة مع ما كانت دول الغرب تتطلع إليه من امتداد نفوذها، ومن الهيمنة على جزء من البلاد العربية والإسلامية التي جاءت اتفاقية سايكس بيكو 1916 بتحقيقها. وفي الوقت الذي لم يكن هناك مفهوم للشرق الأوسط يشير في الواقع إلى حيز جغرافي معين له، ولا إلى تاريخ محدد مشترك لشعوب المنطقة، كان التقسيم المعتمد بأوروبا يستند في الأساس إلى نظرة السياسات الاستعمارية، وإلى التعبيرات المختلفة بخصوص مناطق التوسع الاستعماري، انطلاقا من المركزية أو من التمحور حول أوروبا الذي شكل عالماً تميز بكونه ذا قطب واحد هو المحور الاستعماري العالمي بدوله المختلفة. وعلى هذا الأساس امتد سلطان بريطانيا في سواحل الجزيرة العربية المطلة على البحر العربي والخليج، وكونت ألمانيا علاقات ثنائية مع الدولة العثمانية. وباتضاح المطامع الاستعمارية وتجسّدها بشكل مشاريع للتنفيذ دخلت بريطانيا وفرنسا ومعها الصهيونية، وكذا إيطاليا وأسبانيا عملية تقسيم واستعمار الوطن العربي. ولما صاحب هذا الاحتلال من استنزاف للثروات وتغيير للحقائق الاجتماعية والعقدية وغيرها، اشتد العداء بينها وبين المحتلين لها وأصبح الغرب بالنسبة إليها مرفوضاً[4].

يختلف الحديث عن الإسلام في مقالات العلمانيين وتصوراتهم، ويبعد كثيراً عما يردده غير المؤمنين من آراء محدودة ومعان ضيقة ومزاعم باطلة. وسبب ذلك إنكارهم الوحي والدين وكل ما جاء عن طريقهما من تعاليم.

وعندما نتتبع ما جاء في كثير من البحوث والدراسات نجد موضوعنا الذي نريد بحثه، وهو تصوير أوضاع المسلمين والعرب جميعاً تحت هيمنة الاستعمار، موضوعاً غامضاً غير واضح، لأن بعض الباحثين لم يعددوا مصادرهم أو لم يتحروا في تحديد المصطلحات. فأطلقوا الإسلام على العرب مرة، وكذا العكس، وكان ذلك بسبب ما كانت أفكارهم منشغلة به، فلا ينتبه إلى ما بين الأمة الإسلامية والأمة العربية من اختلاف في الأصل. وقد يحصل هذا من شدة التباس الواحدة منهما بالأخرى، خصوصا في القضايا العقدية والتاريخية، وفي الثقافة العامة والسلوك. ويدعونا هذا إلى التذكير بما بين المصطلحين من فرق في الدلالة. فالإسلام في الأصل الدين، والعربية في الأصل اللغة،

1ـ حاضر العالم الإسلامي ط:5 : 308/1.

2 ـ حاضر العالم الإسلامي: 321/1.

3 ـ حاضر العالم الإسلامي: 307/1.

4 ـ سعدون حمادي، الغرب والوحدة العربية: 401.

وأول ما تشكل بوضعه أمة الإسلام البلادُ الإسلامية. فالإسلام أمة وهي في الأصل مطلق الجماعة إذا تميزت عن غيرها أيا كان مضمون ذلك التميز. وبهذا المعنى كانت الأمة أكثر استعمالاً في اللغة. ومما وردت فيه من السياقات القرآنية قوله تعالى :

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
[سورة آل عمران: الآية 104]

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾
[سورة الأعراف: الآية 159]

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾
[سورة الأعراف: الآية 181]

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ۚ﴾
[سورة يونس: الآية ١٩]

ويقول الإمام الأكبر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: أصل الأمة في كلام العرب الطائفة من الناس تؤم قصداً واحداً من نسب أو وطن أو دين، أو مجموع ذلك. ويتعين ما يجمعها بالإضافة أو بالوصف[5]. الأول كأمة العرب وأمة غسان، وأمة النصارى، والثاني كما في قوله عز وجل:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
[سورة آل عمران: الآية 104]

وقوله تعالى:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ﴾
[سورة آل عمران: الآية 110]

وتطلق الأمة على الصحابة، فهم أهل العصر الأول من المسلمين. وقد كان الخطاب موجهًا إليهم في قوله عز وجل :

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ [سورة آل عمران: الآية 104]

وقد تميزوا عن بقية المسلمين بتلقّيهم الشريعة من رسول الله ﷺ مباشرة، وهم أولى الدعاة بتبليغها إلى الناس، وهم الأعلم بمشاهدها وأصولها. فهم ما صدق الأمة، ولذلك خاطبهم الرسول في مواطن كثيرة بقوله: «ليبلغ الشاهد الغائب. ألا هل بلغت!». وإلى هذا التأويل مال ابن عطية ناقلا عن الزجاج وغير واحد من المفسرين أن المراد من قوله تعالى:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ البيان لا التبعيض، بمعنى ولتكونوا كلكم أمة يدعون [6].

وأطلقوا الأمة أيضًا على مجموع أهل البلد الواحد، وعلى أهل القبيلة. وورد في القرآن ذكرها بمعنى القدوة. وذلك في قوله تعالى:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة النحل: الآية 120]

أورث الإسلام أهله بتمسكهم بالعقيدة الصحيحة جملة من الأخلاق والمكارم مثل عزة النفس، وأصالة الرأي، وحرية العقل، ومساواة الناس، فيما عدا ما يتفاضلون به عادة من الشيم والمكارم.

واستعملت بمعنى الأجل في قوله عز وجل:

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۗ﴾
[سورة هود: الآية 8]

وفي آيات أخرى جاءت بمعنى العقيدة أو الطريق، كما في قوله جل شأنه:

﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة الزخرف: الآية 22]

﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [سورة الزخرف: الآية 23]

وكما أطلقت على الجماعة من الناس أطلقت بنفس الشكل على الجماعة من الجن. قال تعالى:

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [سورة الأعراف: الآية 38]

وأطلقت أيضًا على الحيوان والطير. قال جل وعلا:

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا﴾ [سورة الأنعام: الآية 38]

فالأمة بهذا الاعتبار لفظ مشترك، ومقوّم الأمة

---

5 ـ التحرير والتنوير : 37/4.

6 ـ ابن عطية. المحرر الوجيز : 254/3، محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير: 38/4.

وهويتها الدين الذي أمر به الله.

وفي هذا المقام تعرض علماء التفسير إلى جملة قضايا ترتبط بالإسلام. فعرفوا معناه وهو الدين، وذكروا أقسامه وأنواعه، وبينوا أسسه وأصوله، وفصّلوا القول في الشريعة والعمل بها، كما تحدثوا عن أحوال المجتمعات البشرية وما كان يلائم كل طور من أطوارها من التشريع، وفرقوا بين الإسلام والإيمان، وجمعوا بين الفطرة الإنسانية والآداب العتيقة الراسخة، ودعوا إلى كثير من الأوصاف، وحددوا الغاية والهدف من الإسلام وتشريعاته.

وبهذا يختلف الحديث عن الإسلام في مقالات العلمانيين وتصوراتهم، ويبعد كثيرًا عما يردّده غير المؤمنين من آراء محدودة ومعان ضيقة ومزاعم باطلة. وسبب ذلك إنكارهم الوحي والدين وكل ما جاء عن طريقهما من تعاليم.

وجوهر الإسلام وأساسه الدين. وهو لغة الجزاء. وقد أطلق على ما يكون للقيام به والوفاء بتعاليمه من ثواب وأجر، ومن انتساب حقيقي للمنهج الرباني الذي جاء به الإسلام.

وحقيقة الدين العرفية موضوعه، وهو مجموع العقائد والأعمال التي تولى الرسول ﷺ تلقينها الناس وتعليمهم إياها بإذن من الله، ووعد ملبّي الدعوة المتمسكين بها بالجنة، والمعاندين المعارضين لها بالعقاب.

ومن الدين ما هو باطل، كالذي يدعو إليه الآحاد من الناس، ليكون لهم بذلك تبع يأخذون بمنهجهم ومذهبهم، ويلتزمون بما يدعونهم إليه وإن لم ينزل به سلطان.

وهكذا تتميز الأديان. فمنها ما هو حق كأول دين إلهي كان حقًا، وبه كان اهتداء الإنسان.

ومنها ما هو باطل كالأديان المكذوبة المتشبهة بالأديان الصحيحة. وقد فرق الله سبحانه بين الدينين في قوله :

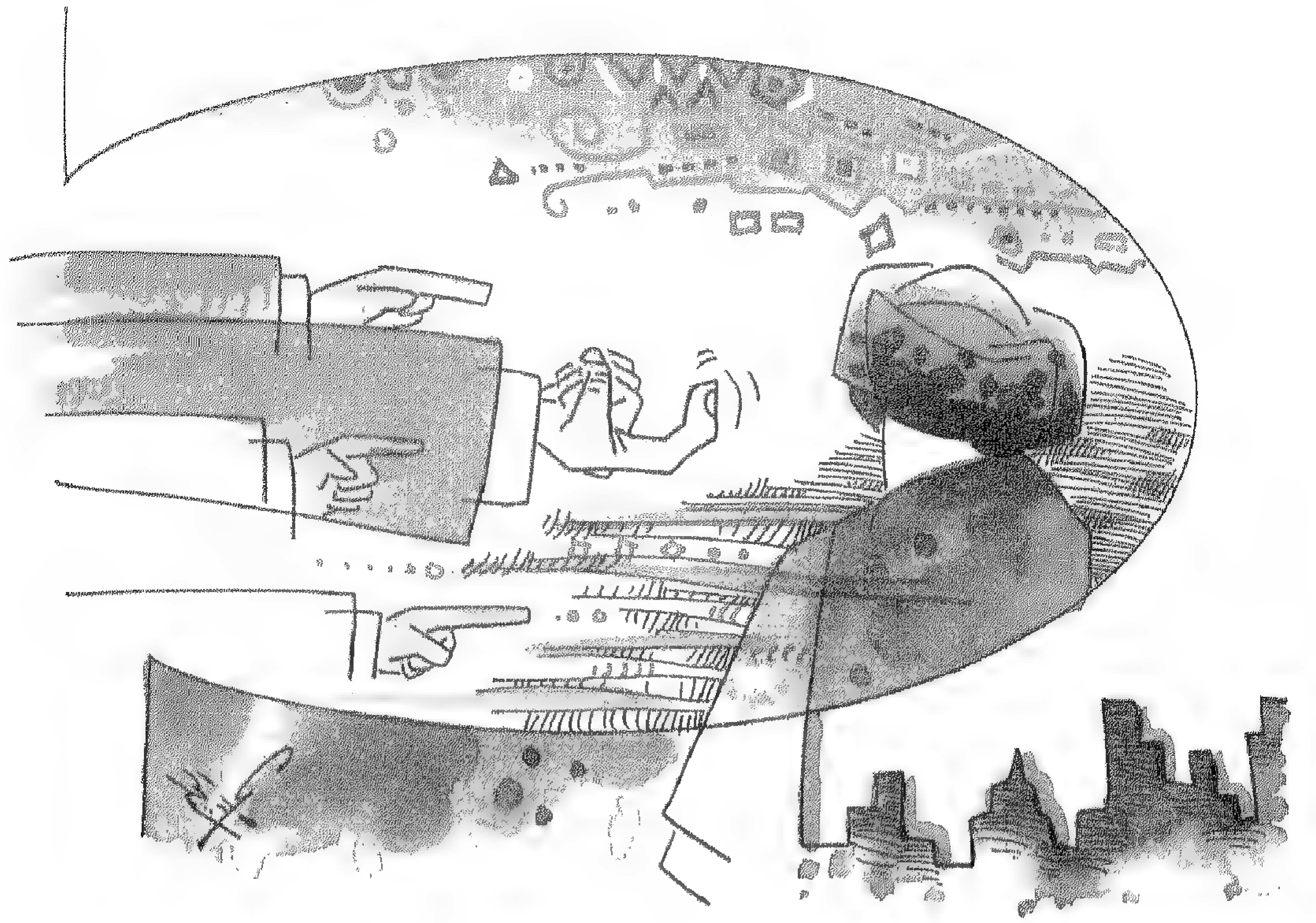
﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون: الآية 6]

ووصف القرآن الإسلام بكونه دينًا قيّمًا، أي مستقيمًا لا عوج فيه، يقتضي الاستقامة على نهجه وتعاليمه.

ووصفه مرة أخرى بالكامل والتام، ومعنى ذلك الذي كملت الشرائع العبادية به من حج وفرائض وأحكام وحلال وحرام. فلم ينزل بعدها شيء من ذلك على الرسول ﷺ.

جعل الله للمجادلة في القضايا المهمة أصولا وآدابًا يتمكن الناس بها من الدفاع عن الحق وصيانة الدين، وأعد لكل فئة من الناس مسلكًا هم سالكوه، ومنهجًا يتعين عليهم الأخذ به كتعليل الأحكام، والجدل والخطابة، والترغيب والترهيب، ورد المعارض للرأي السديد البين بالحكمة والجدال بالتي هي أحسن إلى الصواب.

وما أن بلغ عباد الله عن طريق الأديان الصحيحة السابقة، الدرجة التي أصبحوا معها مستعدين لتلقي الرسالة الكاملة والعمل بها، حتى جاءهم الإسلام في صورته النهائية التي تعينهم على تحقيق ما يطلبه الله منهم، وضمان الأمن والخير والسعادة التامة لهم في الدارين. وهذا لا يكون إلا بالتزامهم الإسلام في حياتهم وكل أعمالهم وتصرفاتهم. ذلك أنه الوضع الإلهي السائق لأولي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير باطنًا وظاهرًا. وهذه الحقيقة تتضمن جوانب كثيرة تظهر بها وتتجلى فيها بالخصوص العقيدة والشريعة والسلوك. ويشمل الإسلام مجموع الدين الذي جاء به الرسول الخاتم ﷺ وما قام به المؤمنون الموحدون. فما كان منه من أعمال تفرّد بها المتقلدون له والعاملون به دعي إسلامًا، وما كان من التزام له وتصديق به كان إيمانًا. والإسلام والإيمان وجهان لحقيقة واحدة تقوم على الاستجابة للداعي، وعلى العمل بما جاء به من أخلاق وآداب وسلوك. ومن أجل ذلك أطلقوا على أصحاب هذه الديانة الخاتمة وصفي المسلمين والمؤمنين، وإن كان بينهما عند التأمل فرق دقيق، هو الذي نبه إليه الله في قوله:



﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾
[سورة الحجرات: الآية 14]

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [سورة الحجرات: الآية 15]

والقاعدة الأساس لهذا الدين هي التوحيد، وهو نفي الشريك عن الله. فأبطل الإسلام الوثنية بجميع صورها، وألغى ربوبية الأصنام والملائكة والجن والكواكب والأسلاف، وصرف عباد الله المؤمنين عن الأساطير الساذجة والخرافات السخيفة، ودعاهم جميعًا إلى عبادة الله وحده، وتطهير عقائدهم من رجس الأوثان، وعقولهم مما تلطخت به من العقائد الضالة والتصورات السقيمة، مناديا إلى الحق وإلى الإيمان الثابت الصحيح بقوله عز وجل:

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾
[سورة آل عمران: الآية 64]

وقد أورث الإسلام أهله بتمسكهم بالعقيدة الصحيحة جملة من الأخلاق والمكارم مثل عزة النفس، وأصالة الرأي، وحرية العقل، ومساواة الناس، فيما عدا ما يتفاضلون به عادة من الشيم والمكارم.

وقد جعل سبحانه للمجادلة في القضايا المهمة أصولا وآدابًا يتمكن الناس بها من الدفاع عن الحق وصيانة الدين. وأعد لكل فئة من الناس مسلكًا هم سالكوه، ومنهجًا يتعين عليهم الأخذ به، كتعليل الأحكام، والجدل والخطابة، والترغيب والترهيب، ورد المعارض للرأي السديد البين بالحكمة والجدال بالتي هي أحسن إلى الصواب باستعمال القوارع والزواجر عند اللزوم بحسب الحال. ودعاهم أيضًا إلى اتباع

المنهج القرآني في معالجة أحوال الناس بتزكية النفوس وتهذيبها، وفي إصلاح نظام الحياة باتباع التشاريع الإلهية والاجتهاد فيها والتحليل لها والاستنباط منها والعمل بها. فإن في ذلك ما يتحقق به الصلاح في الدنيا والأجر عليه في الآخرة. قال العلي القدير:

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النّحل: الآية 97]

ومن كمال الإسلام عموم دعوته لسائر البشر. وقد اقتضى ذلك كونُه خاتم الأديان، وأنّ رسوله مدعو إلى التوجه بالدعوة إلى عامة خلق الله، وكان النبيون من قبله يرسلون إلى أقوامهم خاصة، فلما طلع نور الإسلام بإرسال الله نبيه وعبده محمداً وأنزل عليه قرآنه، أمره أن يؤذن الناس بذلك:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة الأعراف: الآية 158]

وقال ﷺ: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي... كان الرسول يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة».

وبمثل هذه الخاصية التي تميزت بها شريعة الإسلام كان دوام الشريعة خلافًا للأديان السابقة المحصورة في القوم والزمن، فإنه لم يدّع من قبل رسول الله نبي بأن شريعته دائمة، وما من رسول ولا كتاب إلا تجد فيه بشارة برسول يأتي من بعده.

واعتباراً لكون الإسلام يدعو إلى الإيمان بالرسالات جميعها وبالكتب المنزلة كلها نراه يحفل بوصايا الأديان ويتخذها أصلا من أصول الحكمة ومكارم الأخلاق.

ونصر الله عباده المؤمنين فقاموا بأحكام دينهم من غير أن يمنعهم أحد. وكان هدم منار الجاهلية ومناسكها، والنهي عن حج المشركين، وعن طواف العرايا، وتم بفتح مكة للمسلمين دخولها آمنين ظاهرين. وهكذا أنجز الله تعالى وعده للمؤمنين في قوله جل وعلا:

﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [سورة المائدة: الآية 3]

وكان في هذا المنهج الإلهي الإسلامي تعريف بالحق، وهداية إليه، ودعوة إلى الثورة على الباطل والجور والظلم في كل شأن من شؤون الإنسان، فرداً كان أو جماعة، رجلا كان أو امرأة. ذلك أن الإسلام هو منهج الحياة الوحيد الذي حرر البشر من عبودية البشر. وبذلك تلقى الناس عن ربهم التصورات والمبادئ والموازين والقيم والشرائع والقوانين والأوضاع والتقاليد التي حباها إياهم. وهو العزيز الحكيم.

إن الإسلام غيَّر كثيراً من العادات والتقاليد التي كان عليها العرب في جاهليتهم، فوقف إلى جانب البنت الموءودة والمرأة المنكودة ليحررها من طغيان الجاهلية، وحرم الخمر والقمار والعلاقات الجنسية الفوضوية، والتبرج والاختلاط مع احتقار المرأة ومهانتها، وحرم الثارات والغارات والنهب والسلب. وكما امتد منهجه إلى جملة من التغييرات والتطورات يظنها الناس سطحية، كما عني بقضايا أساسية أخرى وضع لها أحكامًا وتشريعات ليقيدها فلا يطال الأيتام ولا اليتيمات، ولا يجار على الضعاف من الأطفال الصغار، ولا على النساء، ولا على العاجزين من الأقارب غير القادرين على حماية حقوقهم من الأقوياء الغالبين عليها. وبفضل هذه التغييرات والأحكام التي جاءت بها الشريعة أحس الناس بعدالة الإسلام وازدادوا به معرفة ودخلوا فيه أفواجًا.

ومن مميزات الشريعة الإسلامية تكرر ذكر الأحكام فيها تأكيدًا لها باعتبارها القواطع التي لا يذهل عنها، ولا يتردد في تطبيقها، ولأنها تدفع عن الناس كل التباس يعرض لهم بسبب تحريفات الكتب السابقة ،أو بفعل التأويلات الباطلة.

ولا تغني الشريعة عن سلطان يقيم لها الدين. «ولا معنى للتشريع إلا تأسيس قانون للأمة، ولا قيمة لقانون

لا تحميه القوة والحكومة، وإن في امتزاج الحكومة مع الشريعة ما يمكن من تعميم الشريعة، وتحقيق اتحاد الأمة في العمل والنظام»[7].

والظاهرة الخلقية السياسية في القرآن هي الرأفة بالناس في حملهم على مصالحهم، وإبراز التشريع في صورة لينة لا تنفر منه ولا تعطل العمل به، ولا يكون صالحا للبقاء إلا بذلك. قال جل وعلا:

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [سورة البَقَرَة: الآية 185]

وورد في الحديث (أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة) [8]. وقوله ﷺ: (إن الدين يسر ولن يشادّ هذا الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة) [9].

وما زالت الأمة الإسلامية في علو وانتشار حتى صارت أوسع الأمم مواطن، وأكثرها عناصر. ودخلت في وحدتها وجامعتها أجناس متعددة كالعربية والفارسية والطورانية والهندية. وظهر مع التوحيد الخالص، والتمسك الطوعي بالإسلام التفوق الحضاري الذي شارك فيه كل أفراد الأمة الإسلامية من هندها وتركها وفرسها وعربها. وقد كانت منزلة العرب في بناء هذه الجامعة الكبيرة منزلة لا تدانى، ولعل أساس ذلك هو قوله تعالى يخاطب رسوله:

﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [سورة الرّعد: الآية 30]

فهو رسول الله للعرب ورسوله إلى الناس جميعًا.

ولهذه الأمة الإسلامية قوة بناءة ورائدة، هي التي حملتها على المنهج العقدي السوي. فكانت لها منشئة وموقظة وباعثة ومحيية. وهذه الأمة في الأصل هي أمة العرب التي وصفها بعض المؤرخين بأنها لم تصل بعد إلى «أمة» ولكنها قومية.

القومية في الحقيقة هي ما عرّفوها به في العصر الحاضر لا تخرج عن إحدى صورتين، إما أن تكون قومية موضوعية ترى العروبة ظاهرة طبيعية تتعلق بمجموعة من البشر على لغة واحدة، وعادات وتقاليد واحدة، وينحدرون من أصل واحد، ويقطنون بقعة إقليمية محددة، وتحدوهم آمال واحدة ومصالح مشتركة، ويشعرون بالحاجة إلى أن تحكمهم سلطة واحدة ذات سيادة.

وإما أن تكون قومية تكشف عنها النظرة الذاتية التي تعتبرها ظاهرة سيكولوجية لا تتعلق بمقومات خارجية عنها بقدر تعلقها بوعي الأفراد بتلك المقومات التي تجعلهم يشعرون بأن لهم شخصية متميزة ومنفصلة، وتدفعهم إلى التعبير التنظيمي عن هذه الشخصية[10].

رغم هذا الوضع المتردي الذي يعيشه العالم الإسلامي والعربي ارتفعت أصوات المصلحين بوجوب الأخذ عن الغرب بما يزيد من استحثاثهم لتغيير أوضاعهم، ويبعث فيهم عزما وإقداما ونشاطا. وتطورت الحياة تطورا بدت دلائله في كل قطر إسلامي.

العروبة:

وللعروبة صلة كبيرة ووثيقة بالإسلام، وبمثل هذه القوة والمتانة علاقتها بالقومية. واختلف اللغويون والمؤرخون في تعريف العربي والعروبة، فمن قائل: العرب اسم جنس لا واحد له من لفظه، وهو مقابل للعجم، ويطلق على جيل من الناس. والنسب إليه أعرابي إذا كان من سكان البادية، وعربي إذا كان من سكان المدن.

ويطلق اسم العرب على كل من كان نسبه من العرب ثابتًا.

والعرب كما ورد في المعاجم اللغوية فرق مختلفة

7ـ محمد الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير: 3/ 196.

8ـ خ. كتاب الإيمان 29، حم: 1/ 236.

9ـ خ. كتاب الإيمان: 29.

10ـ د. هبة رؤوف عزت. في البدء كانت أمة، إسلام أون لاين: سبتمبر 2000.

منهم العرب العاربة، وهم الخلص منهم. وقد نشأ إسماعيل بن إبراهيم معهم فتكلم بلسانهم. وهذا اللسان قديم. وروي عن النبي أن خمسة من الأنبياء عرب هم: محمد ﷺ وإسماعيل وشعيب وصالح وهود صلوات الله عليهم، وكلهم كان يسكن بلاد العرب. فمحمد وإسماعيل عليهما السلام كانا من سكان الحرم، وشعيب وقومه كانا من سكان مدين، وكان صالح وقومه بأرض ثمود يقيمون بناحية الحجر، وكان هود وقومه عاد ينزلون بالأحقاف من رمال اليمن[11]. وهؤلاء الرسل كما سبقت الإشارة إلى ذلك كانوا من أصحاب الرسالات الخاصة، وانفرد صاحب الرسالة العامة خاتم النبيين. والمتعربة والمستعربة دخلاء ليسوا بخلص.

ويطلق هذا الاسم على من سكن بلاد العرب وجزيرتها، ونطق بلسان أهلها. فالعربي من سكن الجزيرة العربية جنوبيها أو شماليها. وقد كانوا قبل الإسلام قبائل متنافسة، وفي أحيان كثيرة متحاربة. ثم تفرق عدد كبير منهم بعد الإسلام في البلاد المفتوحة جنوداً وقادة وولاة. وانتهى الأمر بهم إلى الاندماج في طبقات المحكومين عندما انتقلت السلطة السياسة في الأقطار المفتوحة إلى عناصر وأقوام آخرين من السكان المسلمين، أو الفاتحين الذين سيعتنقون الإسلام ويحكمون باسمه [12].

ومن ذلك الوقت ولفترة طويلة سمي هؤلاء السكان بالمسلمين بدل العرب. وهم يجمعون بين الأصل العرقي والمقوّم العقدي. وفرّق بعض الباحثين بين الانتماءين الديني والقومي بقوله: إن الانتماء إلى دين الإسلام انتماء إلى دين خالد في الزمان، بحكم أنه خاتم الرسالات والأديان... أما الانتماء إلى العروبة فهو مقصور على شعب معين من بين الشعوب، ومكان معين من الأرض[13].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ۞ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ﴾[سورة الرّعد: الآيتان 36-37]

ففي الآية الأولى تقرير لعقيدة التوحيد، ونفي للشريك، وتحقيق لمعنى الإسلام. وفي الآية الثانية بيان لما جاء به الكتاب بلسان عربي مبين يدعو إلى الله ويبين للناس أحكام شريعته.

ومن هنا يتضح وجه ارتباط الإسلام بالعروبة، وتكون تلك الثنائية بينهما. فالعرب مادة الإسلام. والإسلام عربي لأن القرآن عربي، والنبي عربي، والعروبة جزء من ماهية الإسلام. وأنه لا تناقض بين العروبة والإسلام ولكنه التكامل بينهما.

والعرب هم حملة شريعة الإسلام إلى سائر المخاطبين بها، وهم من جملتهم. واختارهم الله لهذه الأمانة لأنهم امتازوا يومئذ من بين سائر الأمم باجتماع صفات أربع لم تجتمع في التاريخ لأمة من الأمم. وتلك هي: جودة الأذهان، وقوة الحوافظ، وبساطة الحضارة والتشريع، والبعد عن الاختلاط ببقية أمم العالم[14].

ومضمون هذا الكلام وصف العرب بكونهم أهلاً لفهم الدين وتلقينه، كما أنهم أهل لحفظه وعدم الاضطراب في تلقّيه، وأنهم سريعو التخلق به لكونهم أقرب من غيرهم إلى الفطرة السليمة، ولم يكونوا على شريعة معتدٍّ بها كالنصارى واليهود، حتى يصمّموا على نصرها، وأنهم جمعوا إلى كل ذلك إمكانية معاشرة بقية الأمم، إذ لا حزازات مباشرة بينهم وبين غيرهم من الأمم، كالذي كان بين الأقباط

---

11 ـ اللسان.

12 ـ د. محمد عابد الجابري. مسألة الهوية: 33، 34.

13 ـ د. عصمت سيف الدولة. عن العروبة والإسلام: 24، 25.

14 ـ محمد الطاهر بن عاشور. مقاصد الشريعة الإسلامية: 261/3.

والإسرائيليين أو بين الفرس والروم.

وبدأ الإسلام ظهورًا كدعوة ودين، وآمن أصحاب محمد ﷺ بما جاءهم به من الهدى. وكان من المدينة انتشار الإسلام وذيوعه، وحمله الدعاة إلى الكافة. ومن قاعدة الإسلام الأولى التي هاجر إليها النبي ﷺ بدأت مسيرة الحضارة الإسلامية تدعمها المؤاخاة بين المؤمنين، وتؤصل لهم أحوال مجتمعاتهم التي أقيمت على أسباب مشروعة للتعامل بينهم في المال والأرض وأسباب الحياة وحفظها.

التنوع والتمازج الحضاري يعتبر عنصر إثراء لا عنصر تشتيت أو تفرقة الهوية.

وهكذا كان ميلاد الأمة العربية. وانتشر العرب والمسلمون في الشرق والغرب، قائمين بالدعوة ونشر الدين، ففتحوا الأقاليم والأمصار، ونافست عقيدتهم وحضارتهم ما كان حولها من الاتجاهات والمذاهب. ورغم هذا لم يصد ذلك كله الكنيسة والملاحدة عن الوقوف في وجوه الدعاة. ونبّه القرآن على عناد أصحاب الديانات السابقة قائلاً:

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [سورة البَقَرَة: الآية 120]

وكذلك صوّر بغضهم وحسدهم للمؤمنين بقوله:

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [سورة البَقَرَة:الآية105]

وبقيت هذه الروح العدائية سارية ومسيطرة حتى اليوم. وأشعلت أعظم فتنة وأكبر حرب اجتاحت الشرق كله. وهي الحروب الصليبية التي امتدت من 1096 إلى 1270 مسيحي. وكان الداعي إليها البابا أربان الثاني حين طلب من المتحاربين بالولايات الأوروبية أن يحقنوا دماء أمراء الإقطاع وأتباعهم، ووجههم إلى بلاد المشرق قائلا: «إن الأرض التي تقيمون عليها لا تكاد تنتج ما يكفي غذاء للفلاحين». وقد كانت هي السبب في اقتتالهم طلبًا لتوسعة إقطاعاتهم. فنصحهم بالتوجه إلى الشرق، إلى الأماكن المقدسة. فهناك ستكون ممالك الشرق جميعها بين أيديهم فيقتسمونها. وفهم من ذلك أحد النصارى أن في مقالة البابا إذناً لاستغلال الدين. وأقنع كبراؤهم وزعماؤهم الشعوب الأوروبية بأن تقدم أبناءها ضحايا لبلوغ تلك الغاية. وكانت تعلة المسيحيين يومئذ أن لهم سابق عهد بفلسطين. وقد أصبح من الواجب استعادتها من الغزاة المسلمين. وما كان من المسيحيين في ذلك العهد هو ما تعللت به الصهيونية في القرن الماضي حين ادعت أن لها وجودًا تاريخيًا قديمًا بفلسطين.

الولايات المتحدة والصهيونية:

ومن يوم تجزأت البلاد واستقر اليهود بجزء مهم منها بعد التقسيم، بفضل إعانة الغرب أولاً الذي كان يترقب تحول أكثر اليهود من أوروبا إلى إسرائيل، وبفضل موقف أمريكا المساند لإسرائيل مساندة لا تنقطع ثانيًا في أي ظرف من ظروف الصراع من أجل تكوّن وطن متميز لليهود ببلاد المشرق.

ويرجع تفسير العلاقة الحميمة بين الولايات المتحدة وإسرائيل إلى ما تجده الثانية من الأولى من دعم وحماية. وقد فسرت الدكتورة هالة سعودي العوامل التي أكدت ذلك في بحثها عن السياسة الأمريكية تجاه الوطن العربي في أعقاب الحرب العالمية الثانية [15].

ومن هذه العوامل: الحفاظ والرعاية للمصالح الأمريكية العالمية مثل احتواء الاتحاد السوفييتي إبان الحرب الباردة، وحماية مصالح الولايات المتحدة البترولية في المنطقة. وقد أكدت الباحثة ما كان من تعاطف بين الطرفين وهو ما يبدو في ضمان أمن إسرائيل الذي يعتبر مصلحة أساسية للولايات المتحدة، كما يظهر في نوع آخر من الارتباط العضوي

15ـ مركز دراسات الوحدة العربية: 14.

بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية يتمثل في قيم مشتركة، وتواصل ثقافي بين المجتمعين الأمريكي والإسرائيلي. وكذلك في وجود جماعات المصالح اليهودية في الولايات المتحدة، وما تقوم به من تلوين للسياسة بما تقتضيه أهدافها، وكذلك وسائل الإعلام الامريكية. وقد خلق هذا كله بيئة سياسية مؤيدة لإسرائيل في الولايات المتحدة، ورأيا عاما معروفًا بتعاطفه وتأييده القوي لها. فلا بدع إذا غضت الولايات المتحدة وغيرها الطرف عما يجري بفلسطين من تفجير إسرائيل للعنف المتواصل، الذي جعل من المنطقة مرتعًا خصبًا للصراعات الدينية، ومستقرًا للجماعات المتطرفة التي احتضنتها الولايات المتحدة، وغذّتها ووظّفتها لتنفيذ استراتيجيتها ومخططاتها [16]، ومثل هذه التحرشات كان من أعقابها اجتياح القوات الإسرائيلية لأراضي السلطة الفلسطينية وارتكابها مجازر وحشية.

ورغم هذا الوضع المتردي الذي يعيشه العالم الإسلامي والعربي ارتفعت أصوات المصلحين بوجوب الأخذ عن الغرب بما يزيد من استحثاثهم لتغيير أوضاعهم، ويبعث فيهم عزماً وإقداماً ونشاطاً. وتطورت الحياة تطورا بدت دلائله في كل قطر إسلامي، لكن هذا غير كاف. فالأمر يحتاج إلى تكثيف الجهود أمام اعتداء الغرب وبغيه في كل قطر من أقطار العروبة والإسلام.

وفي هذا العصر رغم قيام الجامعة العربية وغيرها من المنظمات لم تجد الدول ولا الشعوب العربية الطريق الحقيقي إلى الوحدة، ولا استطاعت أن تحد من الويلات المنصبة عليها من طرف خصومها، ولا أن تصرف عنها ما يلحقها مرة بعد أخرى من المهانة والذل.

وكانت الولايات المتحدة منشغلة بتقوية دولة إسرائيل، لم تغير من خطتها، ومتهمة العرب والمسلمين بالحقد الكبير عليها والكراهية لها، متخذة منهم بعد الاتحاد السوفييتي البديل في المعركة لما تمثله البلاد الإسلامية في نظرها من خطر على الرقي الفكري، والتقدم العلمي، والأسس الحضارية الجديدة. وهذه حقيقة صريحة تؤكدها السياسة الأمريكية التي تدعي باطلاً كراهية العرب والمسلمين لها. وهي التي تتقمص في الواقع هذه الكراهية الحاقدة الغاضبة لمواجهة الأمة الإسلامية والدول العربية. وقد ظهر هذا واضحًا ممثلاً في موقفها من مشروع الأمن القومي العربي وفي محاصرتها للخليج، وفي إقامة قواعدها العسكرية به، وفي قيامها بشتى المواقف السياسة المعادية. وهكذا تدخلت في الثقافة والدين وعوضت رموز الفكر العربي والإسلامي برموز الفكر والثقافة الأمريكية، ودعت إلى إسلام معدل. وصرح بهذا رئيس الوزراء البريطاني وتبعه وزير الخارجية الأمريكي كولين باول، داعيًا كل المسلمين إلى إسلام مسامح، يلبي المطالب الأمريكية، وينبذ أفكار المقاومة ورد العدوان، كما دعا قادة المسلمين وزعماءهم في البلاد الإسلامية إلى أن يعملوا جاهدين على أن يهيمن الإسلام العادي أو الرئيسي، ويخضع له جميع المسلمين في شتى أنحاء العالم. وعجباً التفكير في مثل هذه التغييرات التي يمكن أن تسخر لتحقيقها الأداة التشريعية والأداة الأمنية والأداة الإعلامية. وكيف يؤاخذ العرب والمسلمون بعد هذا على ما يظهر منهم من مواقف تدل على غضبهم، وهم بالرغم من كل ما نال أمتهم وقيمها وأصولها ومبادئها من

قد ينطبق المفهوم القبلي على الهويات القومية والدينية والعرقية ومختلف العقائد، لكن عنصرية الغرب قد سمحت له بالتحكم في شعوب العالم وتجريدها من إنسانيتها، بل بالعمل على إبادتها، في زمن العولمة التي تسودها قيم السوق والمصالح الخاصة.

16 ـ د. هالة سعودي. مركز دراسات الوحده العربية: 14.

مناقضة وتشويه، ما زالوا يتمسكون بالثنائية التقليدية في التفاعلات العربية الأمريكية التي أكدوها برفضهم السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط إلى درجة العداء من ناحية، ومن تمسكهم بالصورة التقليدية عن الأمريكي والحياة الأمريكية، بل وأمريكا نفسها، بكل ما تمثله من قوة إبهار وجذب من ناحية أخرى[17].

الهوية :

وإنه ليعنينا بصفة خاصة في نهاية هذا البحث أن ننتقل من الأوصاف العامة للأمة إلى ضبط مقومات هويتها لنضع أيدينا على ما ينبغي أن نبرزه من المقومات الأساسية. وهذا الغرض واسع ومنتشر. فبالرجوع إلى المعجم الفلسفي نجد الهوية، تقال بالترادف على المعنى الذي يطلق عليه اسم الموجود. وهي مشتقة من (الهو) كما تشتق الإنسانية من الإنسان. وإن فعل ذلك بعض المترجمين القدامى لأنهم رأوا أنها أقل تغليطًا من استعمال كلمة (موجود) إذا كان شكلها شكل اسم مشتق.

قال ابن رشد في توضيح ذلك: «اشتق هذا الاسم من حرف الرباط، أعني الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره. وهو حرف (هو) في قولهم: «زيد هو حيوان أو إنسان[18]».

وتطلق على التشخص، كما تطلق على الموجود الخارجي، وعلى الماهية مع التشخص، وهي الحقيقة الجزئية، كما تطلق على الذات الإلهية، فهوية الحق تعالى: عينه.

وعند الفارابي: «هوية الشيء هي عينيّتُه وخصوصيته وتشخصه ووجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك»[19].

للهوية عند المحدثين أربعة معان:

(1) ـ تطلق على الشيء من جهة ما هو واحد، كقولنا: «إن الشيخ الرئيس هو أبو علي بن سينا»، وتسمى هذه الهوية بالهوية العددية Identite numerique

أ) ـ تطلق على الشخص (أو الموجود المشبه بالشخص) إذا ظل هذا الشخص ذاتا واحدة رغم التغيرات التي تطرأ عليه في مختلف أوقات وجوده، ومنه قولنا: «هُوية الأنا»، وهوية الفاعل، وتسمى هذه الهُوية بالهُوية الشخصية Identite personnelle

ب) ـ الهوية صفة لموضوعين من موضوعات الفكر إذا كانا ـ رغم اختلافهما في الزمان والمكان ـ متشابهين في كيفيات واحدة، وتسمى هذه الهوية بالهوية الكيفية Identite qualitative أو الهوية النوعية Identite Specifique

ج). الهوية علاقة منطقية بين شيئين متحدين كالهوية الرياضية، أو المساواة الجبرية التي تظل قيم الحروف التي تتقوم منها.

وفلسفة الهوية: Philosophie de l'identite هي بوجه عام كل نظرية لا تفرق بين المادة والروح، ولا بين الذات والموضوع، وينظر إليهما على أنهما وحدة لا تنفصل.

وعند شيلنڨ Shelling مذهب يقرر أن الطبيعة والروح في جوهرها شيء واحد هو المطلق.

ومبدأ الهوية: Principe de l'identite هو القول: ما هو هو، وهو لا يصدق على المساواة الرياضية فحسب بل يصدق على كل علاقة منطقية، ومبدأ الهوية هو المثل الأعلى للحكم التحليلي، لأن المحمول في هذا الحكم ليس جزءًا من مفهوم الموضوع وإنما عين الموضوع نفسه.

وينبغي أن نميز بين مبدأ الهوية Principe de l'identite ومبدأ التناقض Principe de contradiction والمبدأ الثالث المرفوع[20] Principe du tiers exclu

وإن في المجتمع العربي انتماءات كثيرة، طبقية ودينية وطائفية وإقليمية وقطرية وعرقية وقبلية

---

17 ـ صناعة الكراهية: 20.

18 ـ تفسير ما بعد الطبيعة: 557.

19 ـ التعليقات: 21.

20 ـ معجم الفلسفة، وزارة التربية القومية التونسية، المركز القومي البيداغوجي 1977.

شديدة التنوع ومتشابكة المصالح، كما توجد إلى جانب ذلك إمكانية استيعاب حضاري لفئات مختلفة متباينة (دينيًا وعرقيًا وقبليًا) في المجتمع العربي، وصهرها في نسيج حضاري واحد ذي امتداد تاريخي بعيد المدى وبناء اجتماعي متكامل[21].

والتنوع والتمازج الحضاري يعتبر عنصر إثراء لا عنصر تشتيت أو تفرقة الهوية. وهكذا انتهى في تعريف الهوية إلى أنها: وعي الإنسان وإحساسه بانتمائه إلى مجتمع أو أمة أو جماعة أو طبقة في إطار الانتماء الإنساني العام. ومقومات الهوية كثيرة متنوعة منها اللغة والقبيلة والثقافة المشتركة والتاريخ والتفاعل الحضاري.

اللغة العربية:

ومن أهم مقومات الهوية عندنا اللغة العربية. فهي ذات دور حازم في تكوين الأمة. وليست مجرد وسيلة تخاطب أو مجرد وعاء يختزن رؤيتنا وأفكارنا ومشاعرنا ومعتقداتنا فحسب، ولكنها مع ذلك تجسيد للحضارة والثقافة العربيتين.

ولإبراز هذا المقوم الأساسي للهوية يقول ألبرت حوراني: «والعرب أشد شعوب الأرض إحساسًا بلغتهم»[22].

وربما أسرف بعض المؤرخين والكتاب في التنويه بأهمية اللغة والتقليل من أي أهمية أخرى سواها. قال ساطع الحصري ـ جازمًا ـ بأن لا أهمية لأي عوامل أخرى، كالدين والدولة، والحياة الاقتصادية، والرقعة الجغرافية. ثم عقب على هذا بقوله: «فاللغة بمنزلة القلب والروح من الأمة»[23].

ولكون اللغة تشكل العنصر الرئيسي في تحديد الهوية، ذهب (الدوري) إلى أنها تصور تاريخياً القاسم المشترك الذي أدى إلى بدايات الوعي العربي، وبناءً على ذلك فهو يعتبر أن للهوية العربية شأناً حضارياً ثقافياً، لا شأناً إقليمياً أو دينياً [24].

وفي مقابل الحرص على الهوية وتوحيد ما تجمعه من فئات وغيرها عمدت الدول الغربية الاستعمارية خلال قرنين من الزمن إلى تعزيز الطائفية والانتماءات التقليدية الأخرى في البلاد الخاضعة لها، ولأجل تأمينها لحاجاتها الملحة أنشأت أوطانا ودويلات فرضت عليها سلوك طرق التنافس فيما بينها، والاستمرار في تبعيتها للدول الأجنبية الحاكمة.

وإن من أخطر ما أنشأته الدول الغربية لهذا الغرض دولة إسرائيل لتكون أنموذجا للأوطان الدينية والطائفية، ولمنع قيام وحدة قومية تحررية تقاوم هيمنة الغرب [25].

المشكلة الأساسية في تنوع هذه الثقافات وغيرها في العالم العربي هي الضياع الثقافي بين هيمنة الواحد بلجوئه إلى وسائل الامتثال القسري، وفوضوية التعدد الذي يؤكد على التفرد بمعزل عن المشروع المشترك.

وقد اصطنع الغرب كيانات لمصالح اقتصادية خاصة به، التقت مع مصالح قوى حاكمة محلية، وارتبطت بها بعلاقات زبائنية مصلحية، نتجت عنها جماعات ترى في القطرية حماية لمصالحها.

ولم يتوقع العرب عند انهيار الدولة العثمانية قيام كل هذه الأقطار المتكاثرة المنفصل بعضها عن بعض.

وأكدت اتفاقية سايكس بيكو هذا التنظيم، وقضت بتقسيم المشرق العربي وتوزيع دوله بين فرنسا وبريطانيا.

وقد أدت تعددية الهوية القومية وكذلك ازدواجية الوطنية والقومية في الوطن العربي إلى ظهور انتماءات مختلفة كالانتماء القبلي.

---

21 ـ خلدون حسن النقيب، بناء المجتمع العربي المستقبل العربي، السنة الثامنة، 764، سبتمبر 1985: 260.

22 ـ الفكر العربي في عصر النهضة 1768-1931، ترجمة كريم عزقول، دار النهار 1968: 11.

23 ـ ساطع الحصري ما هي القومية، بيروت، دار العلم للملايين 1959: 57-252.

24 ـ الجذور التاريخية للقومية العربية، بيروت، دار العلم للملايين 1960.

25 ـ د. حليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين : 76.

وفي هذا كان الصراع بين الانتماء القبلي والقومي على أشده في الأقطار العربية. وتمكنت السلطات المركزية من احتواء القبائل وتحييدها، وإدخالها في النظام العام، إلا أن ذلك لا يقضي على وجود الولاءات القبلية.

وقد استفاد الاستعمار الغربي من استخدام القبيلة في تعارضها مع الانتماء العربي، ما شكل تحديًا وعائقا للوحدة الوطنية والقومية [26]. ولا يتوصل بصفة واضحة ودقيقة إلى الفصل بين العديد من القبائل، إذ ليس للفرد أو الجماعة أو الأمة هوية واحدة ذات بعد واحد، بل هناك هويات متعددة من شأنها تيسير الاندماج الاجتماعي والسياسي في هوية لا تقصي الهويات الأخرى، بل تشملها وتدمجها كمكون أساسي في نسيج المجتمع العام [27].

وقد ينطبق المفهوم القبلي على الهويات القومية والدينية والعرقية ومختلف العقائد. وإن عنصرية الغرب قد سمحت له بالتحكم في شعوب العالم، وتجريدها من إنسانيتها، بل بالعمل على إبادتها، في زمن العولمة التي تسودها قيم السوق والمصالح الخاصة.

الثقافة المشتركة:

إن مسألة تعددية الثقافة يمكن تحليلها من خلال مدى وجود ثقافة مشتركة، يتسم بها المجتمع العربي.

وإنا لنشعر بتنوع الثقافة العربية داخل كل بلد عربي، ومن بلد إلى بلد آخر، ولتنوع هذه المصادر وطبيعة تفاعلها فيما بينها، لا يجوز التركيز على عنصر منها دون غيره [28].

فهناك من يشدد على أن المصدر الأهم في تكون الثقافة العربية المشتركة هو الدين الإسلامي. يقول مكرم عبيد: «إنني مسيحي ديناً مسلم وطناً». هناك من يرى أن المصدر الأهم في تكوين الثقافة المشتركة هو أنماط المعيشة، والبنى الاجتماعية والبيئية بشكل عام، فنشأت بذلك ثقافة بدوية رعوية وثقافة ريفية زراعية، وثقافة حضرية تجارية [29].

ومن الجدير بنا أن نعتمد المنهج القائم على مقولات التفاعل الحضاري، الذي يعترف بأن الثقافة العربية والإسلامية هي في الواقع حصيلة تفاعل تاريخي بين عدة حضارات، ازدهرت في المنطقة في فترات تاريخية مختلفة. فالواقع الحضاري هو واقع تفاعل وليس واقع حضارة صافية فرضت نفسها أو ألغت الحضارات السابقة لها، مما حدث تاريخيًا في واقع الأمر، وأن مختلف الحضارات التي ظهرت في المنطقة تفاعلت فيما بينها، فنشأت نتيجة لهذا التفاعل حضارة جديدة، تمثلت فيها مختلف حضارات المنطقة، وتكون منجزاتها حاضرة في واقعنا اليومي كما في ذاكرتنا ووعينا الجماعي[30]. وإن الحضارة العربية الإسلامية حضارة استيعابية، بمعنى أنها استوعبت غيرها من حضارات، وليست حضارة إقصائية، بمعنى أنها أقصت أو نبذت أو ألغت الحضارات الأخرى كما سبق عنّا بيانه.

هناك حقاً أزمة كبرى في علاقة العرب بالغرب كما بالذات، ومن الخطأ أن نفصل بين أزمتي العلاقة بالذات والآخر، فإن العربي ليعاني في علاقته بنفسه وتراثه وهويته كما يعاني في علاقته بالغرب والحداثة.

وفي التاريخ الحديث تعرضت المناطق العربية كلها للاستعمار الأوروبي وكافحت معا أو منفردة، للتحرر منه بعد أن رزحت قبل ذلك تحت أثقال الحكم العثماني قبل ذلك[31].

---

26 ـ د.حليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين : 97

27 ـ د.حليم بركات : 107.

28 ـ د. حليم بركات: 109.

29 ـ د. حليم بركات: 110.

30 ـ د.حليم بركات: 111.

31 ـ د.حليم بركات: 112.

ونتيجة لهيمنة الاستعمار الغربي نشأت اتجاهات أيديولوجية مختلفة منها: في بلاد المشرق تيار الإصلاح الديني، وقد تزعمه محمد عبده ومحمد رشيد رضا، وتيار الحداثة الليبرالي وعلى رأسه يعقوب صروف وأحمد لطفي السيد وطه حسين، والتيار الراديكالي المتمثل بشلبي الشميل، وفرح أنطون وعبد الرحمن الكواكبي.

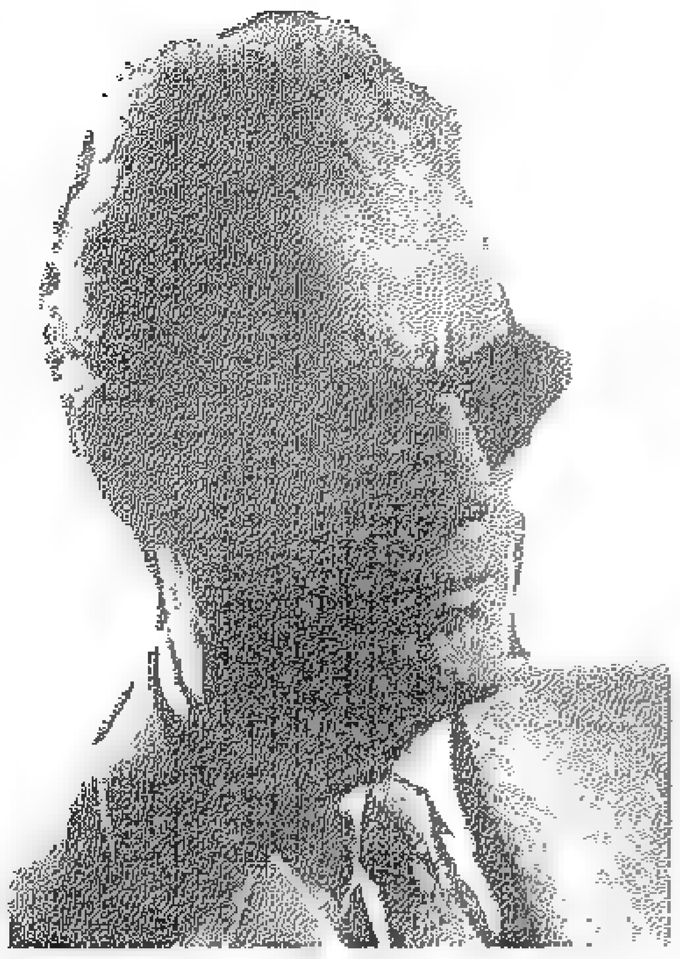
وظهر مثل ذلك في بلاد المغرب: في الاتجاه القومي السلفي، (ابن باديس والثعالبي)، وفي الاتجاه التحديثي الليبرالي المقتدي بأوروبا (الحبيب بورقيبة، ومصالي الحاج، وعباس فرحات)، وفي الاتجاه الراديكالي الذي عمل على إنهاء التبعية للغرب، وتغيير البنى الاجتماعية في ضوء المبادئ الاشتراكية (محمد حربي، أحمد بن صالح، المهدي بن بركة) وبالإمكان تصنيف الثقافة من حيث موقعها من النظام السائد إلى ثلاثة أنواع:

1ـ الثقافة السائدة. وهي العامة والأكثر انتشاراً بدعم من الأنظمة الحاكمة.

2ـ والثقافات الفرعية. وهي ثقافة الجماعات والطبقات والأقليات والقبائل، وهي ضمن الثقافة السائدة.

3ـ والثقافة المضادة. وهي التي تدخل في صراع مع الثقافة السائدة والفرعية من أجل إحداث تغيير جذري في الحياة والتوجهات....(32).

ومقولة الثقافة العربية العامة المشتركة لا تلغي بالقطع مقولة التنوع أو التعدد الثقافي. فهي ثقافة متنوعة تتصارع أو تتباين في إطارها الثقافة السائدة، والثقافات الفرعية، والثقافة المضادة التحررية.



طه حسين



عبد الرحمن الكواكبي

والمشكلة الأساسية في تنوع هذه الثقافات وغيرها في العالم العربي هي الضياع الثقافي بين هيمنة الواحد بلجوئه إلى وسائل الامتثال القسري، وفوضوية التعدد الذي يؤكد على التفرد بمعزل عن المشروع المشترك. وهناك ما يتهدد الهوية الثقافية العربية من قبل العولمة، فقد كثر الحديث عن مخاطر العولمة في هذا المجال من خلال انتشار القيم الاستهلاكية، والترف، والشك، والجرائم المنظمة، والفساد، ووسائل الكسب السريع، على حساب الروابط الإنسانية والتفكك الأسري وتغييب القضايا العامة(33).

المهم في الاعتبار هو النظر فيما ترتب على هذه الحركات الموالية للاستعمار وفيما قامت به الحركات القومية الوطنية التي تؤكد على المنهج الذي يتعين السير فيه حرصاً على حماية الهوية.

وبوجود الهيمنة الغربية يراد استبدال هوية شرق أوسطية بالهوية العربية تلبية لدعوة إسرائيل. فيتم دمج الاقتصاد العربي في النظام الرأسمالي العالمي. وهو ما ينتج عنه مزيد من التبعية، ويحد من قدرة العرب على مجابهة تحديات العصر. وإذا ما نجحت هذه المحاولة لإقامة نظام إقليمي جديد شرق أوسطي مرتبط بالمنظومة العالمية، فإن القدرات والموارد العربية ستوظف في خدمة القوى المهيمنة، وليس من

32 ـ د.حليم بركات، : 114.

33 ـ د.حليم بركات: 117.

34 ـ نادية الشيشيني. معالجة اختلال التوازن الإقليمي في الوطن العربي. قضايا عربية. يونيو 1979. س446: 99-112.

أجل الأهداف القومية أو حتى القطرية نفسها.

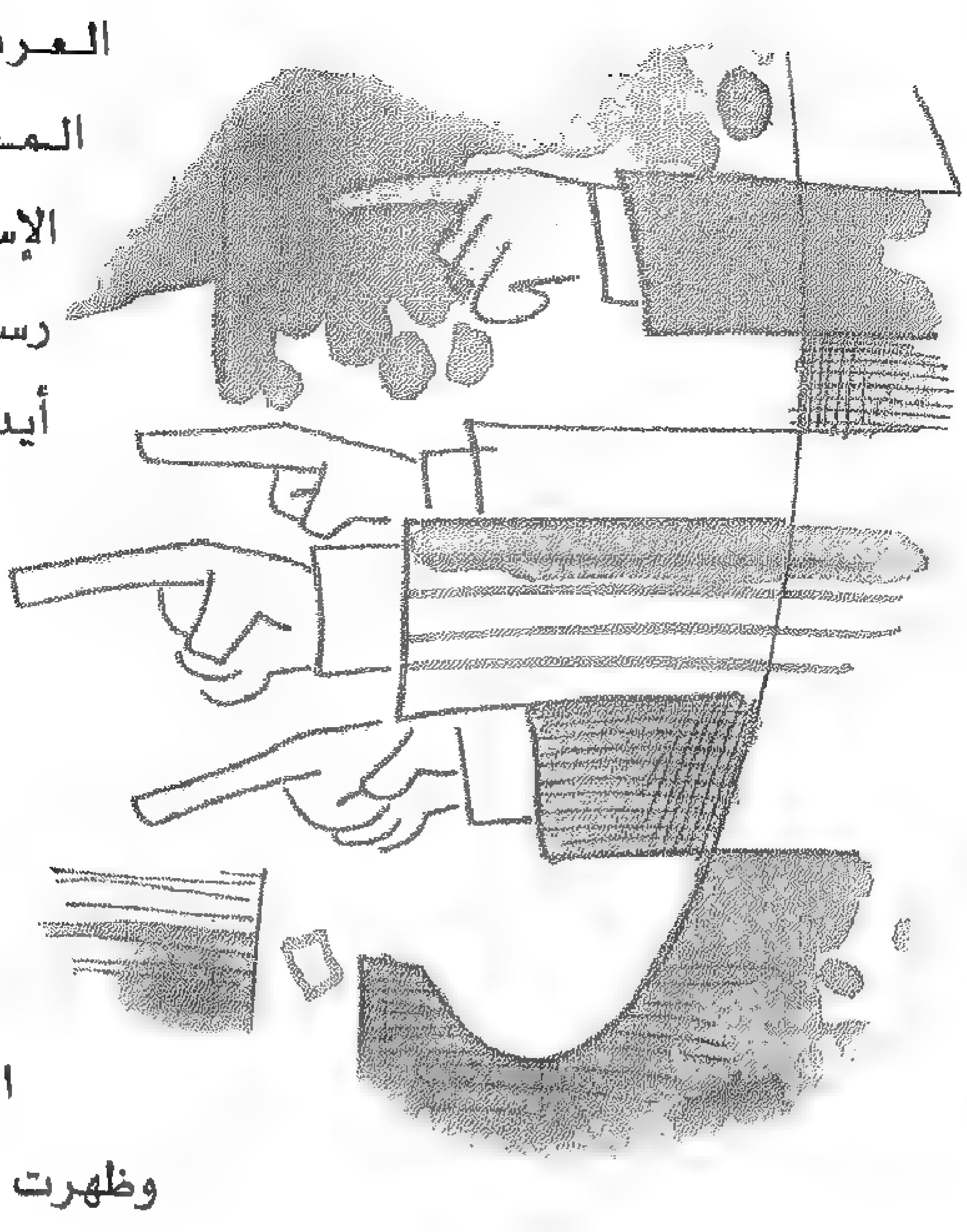
وهكذا يتم تقدم الغرب على حساب التكامل العربي. ويوجد دمج الوطن العربي بالنظام الاقتصادي الأوروبي، والسيطرة عليه وتجزئته سياسياً. ويترتب على الاختلال في التوازن ظهور ثلاث مجموعات عربية:

- الأقطار التي تملك قدرات تمويلية ضخمة ولكنها تفتقر إلى الموارد البشرية.
- والأقطار التي تملك طاقات بشرية كبيرة ولكنها تعاني قلة الموارد المالية.
- والأقطار التي تفتقر إلى الموارد الطبيعية والمالية والبشرية[34].

ويبدو أن القوى الاقتصادية والطبقات والهيئات الحاكمة في الأقطار العربية تعمل على تأمين مصالحها الخاصة بالإبقاء على التجزئة، وليس بإقامة الوحدة الضرورية لنهوض العرب من كبوتهم التي طال أمدها. ويأتي كل ذلك على حساب الدولة القطرية كما هو على حساب الأمة [35].

من نتائج الصراع على الهوية حرص العرب والمسيحيين على الحفاظ على الهوية وآثارها خلافاً للغرب الرافض لها ولآثارها. ومما يفسر موقف العرب والمسلمين ما يؤكده ماضيه من حقائق تاريخية وعقدية.

فالإسلام دين الغالبية، وقد أسهم في تكون الأمة



العربية. وهذا رأي كثير من المفكرين. قال الدوري: «إن الإسلام وحّد العرب، وحمّلهم رسالة، وأعطاهم قاعدة فكرية أيديولوجية، وبه كوّنوا دولة».

وقد ظهرت الحركة الإسلامية عربية في بيئتها. فالدولة عربية، واللغة عربية، والعرب حملة الإسلام. وتوازي مفهوم الإسلام والعروبة بنظر الشعوب الأخرى [36].

وظهرت طائفتان إحداهما تشدد على التلازم بين الإسلام والعروبة، وأخرى تشدد على التعارض بين التوحّد في العصر الحديث على أساس ديني والتوحد على أساس قومي.

وقد جاءت الدعوة إلى الوحدة العربية في مطلع القرن العشرين كبديل للخلافة العثمانية التي طغت فيها الجماعات القومية على غيرها باسم الدين. ومن مظاهر التعارض بين القومية والدين التأزم بين الحداثة والسلفية، أي: التصادم بين المتخيل الذاتي والواقع المعيش[37].

ومن نتائج هذا التصادم حدوث الانكفاء على الذات ورفض مفاهيم كالقومية والعلمانية والتحليل الطبقي، وحتى الهوية، والعمل على صنع مستقبل جديد انطلاقاً من الواقع الذي نعيشه وليس بالخروج من إطاره والدوران في فلك متخيل [38].

وتتباين الآراء والمواقف فيقول المودودي: إن

35ـ د. حليم بركات : 123.

36ـ الدوري، حول التطور التاريخي للأمة العربية : 221-222.

37ـ محمد سبيلا، جدلية الوعي الشقي والوعي المغلوط في الوجدان العربي.

38ـ د. حليم بركات: 73، 75، 125، 126، 127، 128.

القوميات جرّت على الإنسانية بلاء عظيما. ويقول القرضاوي: المفروض في العروبة أن تكون ذات ارتباط وثيق بالإسلام لأنه هو الذي أنشأ لها أمة وجعل لها رسالة. ويذهب الغزالي: إلى أن الإسلام هو الذي صنع الأمة العربية جسماً وروحاً، لأن الأمة العربية قبل هذا الدين كانت قبائل تحيا في جاهلية طامسة.

وأمام هذا التصادم القائم بين الوعي والواقع يجب أن نعي أن التكونات الاجتماعية في عدد من البلدان العربية وبخاصة في المشرق العربي أحالت الواقع الديني إلى واقع طائفي [39].

من المهم النظر فيما ترتب عن هذه الحركات التي تلوذ بالاستعمار، والحركات القومية الوطنية التي تريد أن تؤكد على المنهج الذي يتعين السير عليه وإن أبى ذلك الغرب بسبب أطماعه ومكتسباته طوال العهد الاستعماري.

الإسلام الجديد دعوة الغرب إلى إسلام أوروبي:

هذا وقد فرضت الإمبريالية الأوروبية هيمنتها على الوطن العربي كافة إثر الحرب العالمية الأولى، وما نزال نعاني نتائج ذلك حتى وقتنا الحاضر، وبدأت تظهر الهيمنة الأمريكية بشكل أقوى وأشد بوصفها القطب الواحد.

ولجأت الامبريالية الغربية إلى الحيلولة دون قيام وحدة بين العرب والمسلمين إلى استعمال عدة وسائل لصنع التجزئة وترسيخها. فمن ذلك صنع كيانات جديدة، واستخدام التفرقة بين الجماعات الطائفية والقبلية والعرقية، خاصة في المجتمعات التعددية الشديدة التنوع، وإنشاء قواعد عسكرية ومستوطنات وكيانات خاصة ببعض الجماعات، واستغلال الولاءات التقليدية، واستعمال الإرساليات التنصيرية الدينية، وحماية الطبقات وممارسة الاستعمار الثقافي بالإضافة إلى السياسي والاقتصادي منه، وفرض التبعية بدمج الاقتصاد الوطني بالسوق العالمية الرأسمالية، ومحاربة جميع مشاريع الوحدة، والتحريض على عدد من الانقلابات العسكرية وعلى النزاعات المسلحة، والإسهام في إنشاء أحزاب وتكتلات معادية للقوى الوطنية والتقدمية، ومحاربة الانتفاضات والثورات التحررية[40].

ومن العوامل الداخلية: أدى الاندماج الاقتصادي إلى نشوء نخب سياسية واقتصادية ترتبط مصالحها ارتباطاً عضوياً بمراكز هذا النظام. وهي تصور واحدًا من أهم عوائق الوحدة في الوقت الحاضر[41].

كما تكونت طبقات ونخب اقتصادية واجتماعية ذات مصالح وامتيازات وارتباطات وطموحات وأساليب حياة متميزة وتطلعات خاصة، جعلتها تتمسك بالكيانات القائمة وتصارع للإبقاء عليها[42].

والمشكلة ليست في الخارج المستغل بل في الداخل الكسول[43].

في الوقت الذي يقال فيه إن العالم تحول إلى قرية صغيرة متضامنة، يصر الغرب على الاستمرار في التشكيك بالهوية العربية، والنظر إلى فكرة العروبة أو

---

39 ـ د. حليم بركات: 61-68.

40 ـ عروس زبير: الذات الممزقة بين الأنا والآخر في ندوة صورة الآخر العربي ناظرًا ومنظورًا إليه عن مركز دراسات الوحدة العربية، وفي الوحدة والتداعي الناشئ عن أسباب تعثر مشاريع النهضة العربية.

41 ـ عروس زبير.

42 ـ محمد بن عقون. تاريخ الكفاح القومي والسياسي : 1/ 52.

43 ـ محمد بن عقون : 72.

الدعوة للتضامن العربي، على أنها «وهم» لأسباب تتعلق باتساع رقعة الوطن العربي وكثرة التنوع بين أقاليمه وجماعاته، وتزايد التناقضات بين كياناته. كيف نوفق إذن بين القول بتحول العالم بأسره إلى قرية صغيرة متضامنة، وبين القول الآخر بأن العالم العربي شاسع الاتساع وشديد التنوع والتناقض إلى درجة الانفصام في شخصيته وهويته؟.

لن يقبل الغرب أي نزوع نحو التضامن العربي إن لم يكن تضامناً في الاستسلام.

هناك حقا أزمة كبرى في علاقة العرب بالغرب كما بالذات، ومن الخطأ أن نفصل بين أزمتي العلاقة بالذات والآخر. فإن العربي ليعاني في علاقته بنفسه وتراثه وهويته كما يعاني في علاقته بالغرب والحداثة.

وقد أصبح للتمييز بين الأنا والآخر وبين الذات البديل والذات النقيض، وبين هذين النوعين والنوع الثالث الذي وصفه الأستاذ عروس الزبير وغيره بالأنا الآخر في مجالات الدرس والمقارنة، كما يظهر ذلك عن طريق استكشاف الفروق المؤثرة وغير المؤثرة في تحديد الهوية، وما تتعرض له من دلالات وتصورات أكدت جوانب ذاتية أصلية لموضوع الهوية أو تناولت مقومات أخرى عن طريق ما حدث من تغييرات سياسية واجتماعية ونحوها.

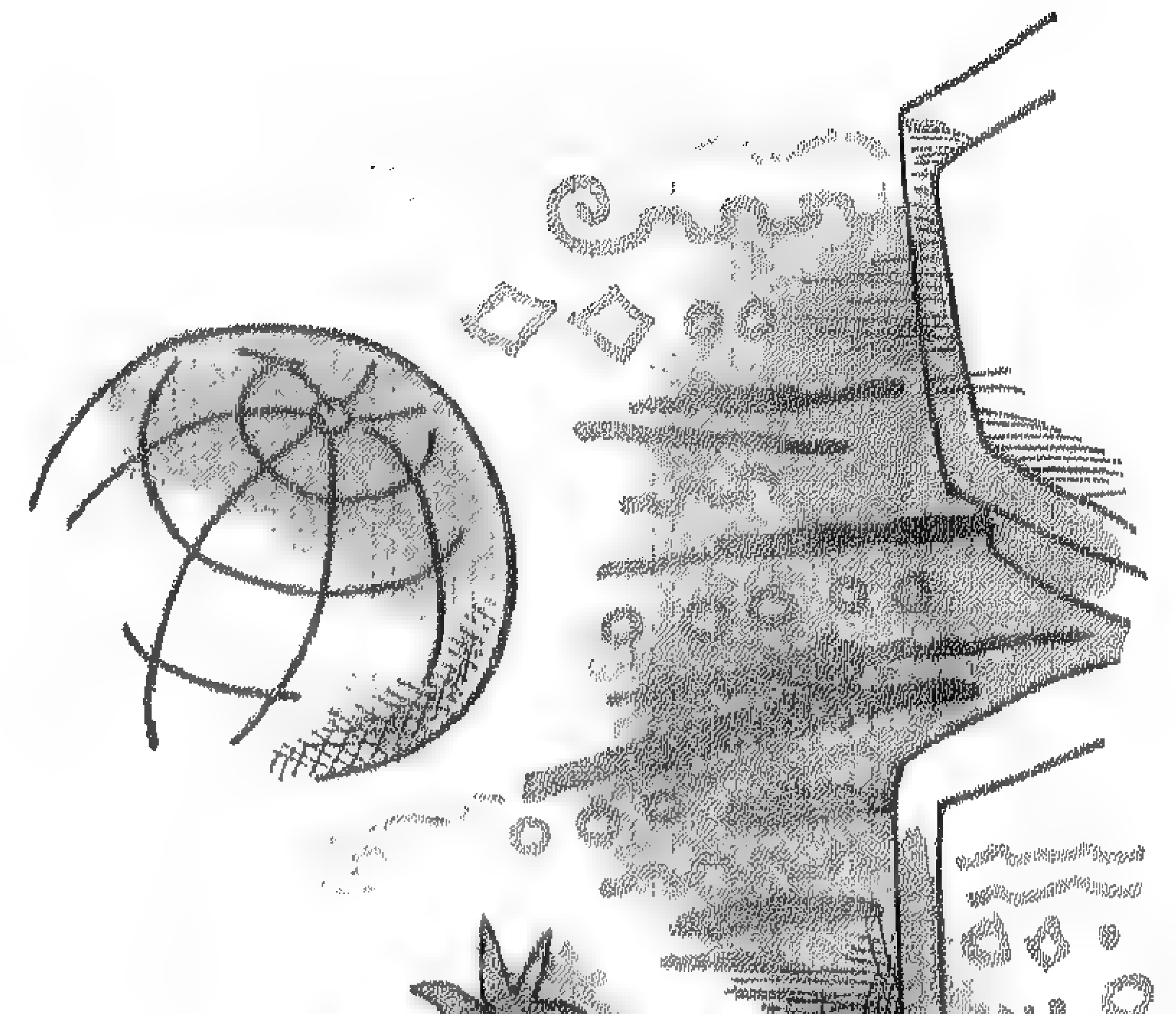
وفي هذا المرجع صور تفصيلية للهوية بأنواعها تكشف عن الصراع القائم بين تلك الأنواع كالذي عبَّرت عنه الدراسات المشار إليها.

ثبت المراجع:

1. الآيات القرآنية.
2. أرسلان شكيب. تعاليق على حافز العالم الإسلامي، ط. 3، 3 مجلدات.
3. أركون محمد. الإسلام ، أوروبا ، الغرب. رهانات المعنى وإرادات الهيمة. ترجمة هاشم صالح.
4. الجابري محمد العابد. مسألة الهوية. والعروبة والإسلام والغرب. مركز دراسات الوحدة العربية.
5. البخاري. محمد بن إسماعيل. الجامع الصحيح.
6. الحصري (ساطع). ما هي القومية. دار العلم للملايين ، بيروت 1959.
7. حليم بركات. المجتمع العربي في القرن العشرين. مركز دراسات الوحدة العربية.
8. الحوراني (ألبرت). الفكر العربي في عصر النهضة 1768-1931. ترجمة كريم عزقول. دار النهار 1968.
9. خلدون حسن النقيب. بناء المجتمع العربي. المستقبل العربي، السنة الثامنة ، سبتمبر 1985.
10. الدوري (عبد العزيز). الجذور التاريخية للقومية العربية. دار العلم للملايين ، بيروت 1960.
11. ابن رشد (محمد). تفسير ما بعد الطبيعة.
12. سبيلا (محمد). جدلية الوعي الشقي والوعي المغلوط في الوجدان العربي.
13. سعدون حمادي. العرب والوحدة العربية. مركز دراسات الوحدة العربية.
14. سمودي (هالة). السياسة الأمريكية تجاه الوطن العربي. مركز دراسات الوحدة العربية.
15. الشيشيني (نادية). معالجة اختلال التوازن الإقليمي في الوطن العربي. قضايا عربية. يونيو 1970.
16. ابن عاشور (محمد الطاهر).
(1) التحرير والتنوير. 15 مجلد. الدار التونسية للنشر.
(2) مقاصد الشريعة الإسلامية. تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة.
17. عروس زبير. الذات الممزقة بين الأنا والآخر: ندوة صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه. مركز دراسات الوحدة العربية.
18. عزت (هبة رؤوف). في البدء كانت الأمة.islamonline.com.
19. عصمت سيف الدولة. عن العروبة والإسلام. مركز دراسات الوحدة العربية.
20. ابن عطية (عبد الحق). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. 15 مجلد. قطر.
21. ابن عقون (محمد). تاريخ الكفاح القومي والسياسي.
22. صناعة الكراهية في العلاقات العربية الأمريكية. مركز دراسات الوحدة العربية.
23. الفارابي. التعليقات. له جائزة المعارف. حيدر آباد الدكن 1946هـ.
24. معجم الفلسفة. وزارة التربية القومية التونسية. المركز القومي البيداغوجي 1977.
25. ابن منظور. لسان العرب.

النظام العالمي الجديد
وصورة الإسلام في الإعلام

الشيخ محمد علي التسخيري ★



لا ريب في أن مسيرة التحول البشري، وتغير المعادلات الدولية، واتساع مجالات التعامل، واقتضاء عملية الخروج من المحاور الضيقة إلى المجال الإنساني الأرحب تتطلب إعادة النظر في النظام العالمي القائم، إما تغييرا ثوريا كليًا أو تغييراً إصلاحياً، يحذف منه مالا ينبغي ويضيف إليه ما ينبغي على ضوء آخر ما توصلت إليه البشرية من القيم الانسانية.

ولا ريب في أن الإسلام له تصوره الكامل عن الكون والحياة والتاريخ والإنسان والعلاقات التي تنظم حياته وتحقق له الهدف من خلقه.

إلا أننا إذا تجاوزنا مسائل التنظير، وركزنا على الواقع القائم، وسعينا للعمل على إصلاحه أعتمادا على القيم الإنسانية التي بشّر بها الإسلام، وطبقها في فترات من سيطرته على الحالة الاجتماعية، فإننا سنجد أن الواقع القائم خليط من تخطيط قديم للعلاقات الدولية، تراكم على مدى العشرات من العقود وأثمر قبل سنوات من منتصف القرن الماضي عن قيام الأمم المتحدة، ومن ثمّ قيام المؤسسات العالمية التابعة لها بعد ذلك، إلى جانب التحالفات الدولية والإقليمية الأخرى..

★ الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب / إيران

وقد شهدنا في العقود الأخيرة اشتداد طرح فكرة العولمة متجاوزة حدودها الاقتصادية لتشمل مختلف المجالات الأخرى، لتشكل اليوم أهم التحديات للنظام العالمي الذي أوجدته الأمم المتحدة لنفسها.

ومن هنا نرى أن الأجدى أن نتعرف شيئًا ما على العولمة وآثارها، والموانع الواقعية التي تقف بوجهها، ثم نستعرض - ولو بإيجاز - الفروق بينها وبين العالمية الإسلامية، لنخلص بعد ذلك إلى معرفة الخطوات التي ينبغي أن تتخذ على الصعيد الدولي والإسلامي مركزين في نهاية البحث على ضرورة الحوار بين الأديان والحضارات.

تعريف العولمة

لا ريب في أن تعريف العولمة غامض، والتعاريف المقامة متناقضة ومتنوعة، والحقيقة أن الإنسان يدرك من خلال معرفة نوع التفسيرات والتعاريف، أن العولمة هي محاولة نفي الحضارات غير الغربية، وتجميل الرأسمالية، ومحاولة فرض الأمركة والهيمنة على العالم. ونذكر في هذا الصدد ثلاث محاولات :

1 ـ تعريف اللجنة الدولية عام 1995 مسيحي وهو يفسرها بالتداخل بين أمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك عبر رفض الحدود، والانتماء الوطني والإجراءات الحكومية[1].

2 ـ بعض التعاريف العربية للعولمة بأنها حقيقة التحول الرأسمالي في ظل هيمنة الدول المركزية وسيادة نظام عالمي غير متكافئ، وهناك تعريفات اقتصادية أو أدبية، أو تعاريف باعتبار اللوازم (للجابري) و(التيزيني) وغيرهما[2].

3 ـ تعريف (روزناو) الأميركي ويطرح تساؤلات: هل تنطلق العولمة من التجانس، أم تعميق الفوارق؟ وهل لها مصادر واحدة أم متفرقة؟ وهل لها ثقافة واحدة أم متعددة؟ ومن ثمّ يعتبر أن هناك ثلاثة عناصر دخيلة في العولمة، هي: إزالة الحدود، وإبراز تشابه المجتمعات الكبرى، وفرض طريقة حياتها على الآخرين[3]، ومن هنا نستطيع أن نقول : إن العولمة في الواقع هي محاولة أمركة العلاقات السياسية والحقوقية والاجتماعية، عالميًا، وفرض ثقافة الهيمنة الغربية على الآخرين، فهي من أخطر الأفكار. وقد استفاد الغرب من قدرته التكنولوجية والعلمية والثقافية والعسكرية لطرح هذه الفكرة، كما قام بعض الفلاسفة والكتاب بالتمهيد النظري لها، وكلنا يعرف نظرية (هنتنتون) التي تركز على الحضارة الغربية، وتعتبرها تتميز بالتسامح والإنسانية والتعددية، في حين تصف الحضارات غير الغربية بالاستبداد والانغلاق على الماضي، والفشل في حل المشكلات الإنسانية، كالفقر والبطالة ومستوى المعيشة، وكثرة الإنجاب، والديكتاتورية. وهي تقترح على الغرب ألاّ يتعاون مع غيره، ولا يصدر التكنولوجيا، ويوحد نفسه اقتصاديًا وسياسيًا وإداريًا، وترى أن الحضارة الغربية تعتمد على الإرث اليوناني والمسيحية الغربية والعلمانية، وسيادة القانون والتعددية الاجتماعية والمجتمع المدني وحقوق الإنسان، وهي أمور تميزت بها الحضارة الغربية ولا تتحقق في حضارات أخرى. ويأتي (فوكوياما) ليجعل النظام الرأسمالي غاية التاريخ، ويرى أن المجتمعات كلها يجب أن تتجه نحو الرأسمالية، ويجب توفير الشروط السياسية والاجتماعية، وأهمها تطوير البنية الاجتماعية نحو

العولمة هي محاولة نفي الحضارات غير الغربية، وتجميل الرأسمالية، ومحاولة فرض الأمركة والهيمنة على العالم.

---

1. مجلة النهج عدد 50، ربيع 1988.
2. مجلة الواحة عدد 16 ص 153.
3. جيمس روزناو ـ ديناميكية المعرفة.

المساواة واللاطبقية واللاطائفية، وإيجاد تفسيرات دينية مرتبطة بهذا التطور، وكذلك قيام المجتمع النامي لإيجاد المؤسسات الوسيطة بين الأفراد والدولة، كما يجب عدم المبالغة بالتمييز القومي مما يدعو إلى العزلة الحضارية، ويدعو إلى تفسيرات مستنيرة للنصوص الدينية، وينتقد كل الحركات المتطرفة، ويدعو إلى توجّه الصفوة لدعم القيم الديمقراطية والحريات، فهو إذن يجعل المجتمع الرأسمالي الغاية التي يجب أن تسير إليها كل الحضارات[4]. كذلك نجد (بيدهام برايان) المفكر الانكليزي في سلسلة المقالات التي نشرها في مجلة الايكونومست خلال عام 1994 يؤكد أن هناك تشابها بين الوضع الإسلامي في القرن الخامس عشر الهجري، ووضع أوروبا في القرن الخامس عشر المسيحي ،ويرى أن كلا الوضعين متشابهان في توفر الأرضية المناسبة للإصلاحات، وفي نوع المؤسسات الدينية لدى المسلمين ومؤسسات الكنيسة في القرن 15م وفي المستوى البائس لديهم، وفي الشوق لتحسّن الأوضاع، ويرى أن هناك عاملاً خارجياً يحرك هذه الحالة ويدعمها، ففي الوقت الذي شكّل فيه (المسلمون) العامل الخارجي لتطوير أوروبا في حينها، يشكل الغرب اليوم عامل دفع للعالم الإسلامي نحو التطور والتقدم، ويرى أن التحرك يبدأ من الإسلاميين التحررين الذين يؤمنون بالديمقراطية، ولا بد من التحرك بقوة لدعم هؤلاء، وفي ختام مقالاته يوجه إلى العالم الإسلامي توصيات ثلاثًا لكي يتأهل للتعامل مع الغرب، والدخول في ركب الحضارة الإنسانية السائدة هي:

1- الانسجام مع الاقتصاد الحديث.

2- القبول بفكرة المساواة بين الرجل والمرأة.

3- العمل على تمثل القواعد الديمقراطية وتطبيقها في نظم الحكم[5].

هذا وقد شملت عملية التمهيد لنظرية العولمة والأمركة المجالات المعلوماتية كما في مجال الانترنيت والفضائيات، كما شملت عملية السيطرة على المنظمات الدولية، فإن استجابت لهذا الهدف وإلا تم تجاوزها، وراح التخطيط لفرض السياسة الأميركية على العالم. وقد استغلت أميركا حوادث 11 سبتمبر لتطرح نفسها القوة الأولى في العالم، والمسيطرة على كل مقدراته السياسية وإمكاناته وطاقاته، كما جاء التخطيط للسيطرة على الثقافات والقيم، والتدخل في التشريعات الاجتماعية، كما رأينا في مؤتمرات الأسرة في القاهرة وكوبنهاغن، ومكسيكو سيتي، وبكين وغيرها، حيث تم التدخل في الأمور التشريعية الاجتماعية تحت شعار حماية حقوق الإنسان[6].

شملت عملية التمهيد لنظرية العولمة والأمركة المجالات المعلوماتية كما في مجال الانترنيت والفضائيات، كما شملت عملية السيطرة على المنظمات الدولية.

الآثار السلبية للعولمة

لقد توضحت للعالم جميعًا الآثار السلبية التي تركتها هذه الفكرة المخربة، ولذلك وصفت العولمة بكثير من الأوصاف، منها: العولمة المتوحشة أو العولمة المجنونة أو العولمة الفخ، أو وصفت بأنها إما أن تأكل أو تؤكل، وقد ذكرت الدراسات المتنوعة هذه الآثار السلبية التي نشير إلى بعضها:

1- سيطرة القوى الكبرى على حركة الاقتصاد العالمي، والمصادر الإنتاجية، والتبادل المالي والتجارة، حتى قيل إن هناك 500 شركة تسيطر

4. العربي العدد 512، الاستاذ مجد الدبن خمش ص 30.
5. راجع مجلة المنهاج عدد 22، السنة السادسة، ص 248، مقال للكاتب حول هذا الموضوع.
6. راجع كتاب : مؤتمر السكان والتنمية في القاهرة وتداعياته للكاتب.

على 70٪ من حجم التجارة العالمية، وإن هناك 20٪ فقط يعيشون في اكتفاء ذاتي، في حين يقبع 80٪ في عالم التبرعات. وإن ما تكسبه الولايات المتحدة الأميركية من حركة تحرير التجارة لا يقل في المتوسط عن 200 مليار دولار سنويًا منذ إنشاء منظمة التجارة العالمية وحتى عام 2005، بينما تقدر خسائر الدول الافريقية بحوالي 209 مليارات سنويًا(7).

2 ـ سيطرة أميركا على وسائط نقل المعرفة.

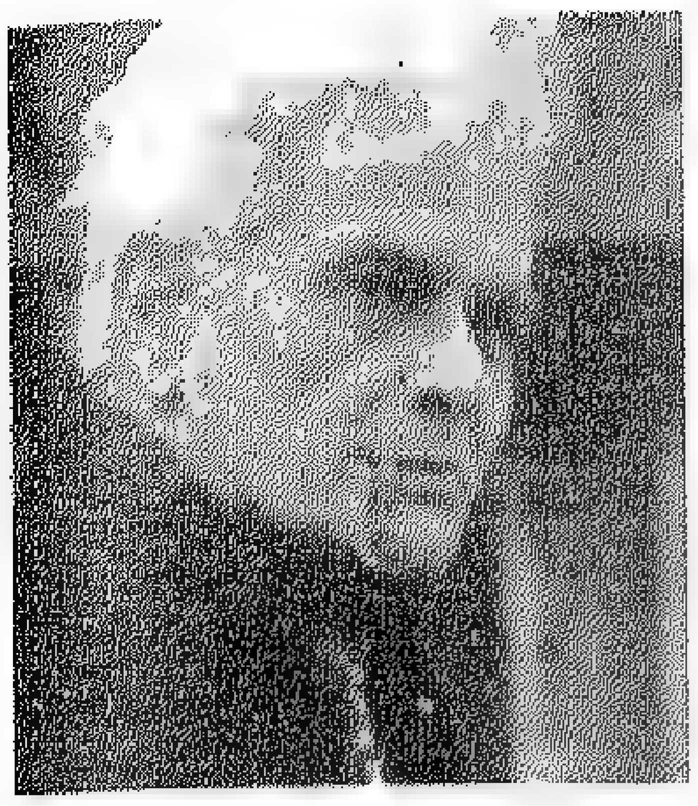
3 ـ كسر هيبة الدول الصغيرة، وقدرتها على النمو.

4 ـ التدخل في التقنين الداخلي لباقي الشعوب، كما رأينا في مؤتمرات الأسرة وغيرها.

5 ـ الغزو الثقافي لكل المناطق، ومحاولة استئصال الثقافات الأخرى، فهي تدعو إلى تطبيقات عصر ما بعد الحداثة وإلغاء دور الدين، وقد نادى الفيلسوف د. جاك دريدا إلى حل المؤسسات الدينية والتعليمية(8).

ها نحن نجد الغرب يسوّق بعض مفاهيمه على أنها مفاهيم مسلمة وعلى العالم أن يلتزم بها من قبيل (الديمقراطية) و(الحرية الفردية) و(الحرية الجنسية) بل راح أخيرًا يجعل (العلمانية) مبدأ إنسانيا لا يمكن تركه.

وها نحن نجد الغرب يسوّق بعض مفاهيمه على أنها مفاهيم مسلمة، وعلى العالم أن يلتزم بها من قبيل (الديمقراطية) و(الحرية الفردية) و(الحرية الجنسية)، بل راح أخيرًا يجعل (العلمانية) مبدأ إنسانيا لا يمكن تركه، وهكذا يمكن الحديث عن النماذج الاقتصادية الغربية في الاستهلاك من زاوية ثقافية، وكذلك من الممكن الإشارة إلى الغزو الثقافي الواسع الأبعاد، والعمل على محو الهويات الوطنية، وإيجاد هويات مجازية ومصطنعة بواسطة وسائل الإعلام الواسعة التأثير.



جاك دريدا

6 ـ التقليل من شأن المحافل الدولية، واستغلالها لصالح هيمنة القوى الكبرى، كاستغلال صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وغيرهما من المنظمات لتنفيذ السياسات المصلحية، وقد رأينا قبل أيام أن رئيس دولة غربية يعلن أن الناتو والقوى الغربية وجهوا أكبر ضربة للنظام العالمي لاستغلالهم المحافل الدولية(9).

7 ـ تلويث البيئة نتيجة الجشع الذي ابتليت به القوى الكبرى.

8 ـ وهناك عمل رهيب على تغيير الخارطة السياسية في بعض المناطق (من قبيل منطقة الخليج ومنطقة شمال افريقيا، وروسية وتايوان) وربما لإيجاد سايكس بيكو جديدة. وقد أكد بعض المنظرين الأمريكيين ذلك من قبيل (فرانسي لويل) أستاذ العلاقات القانونية والسياسية في جامعة الينوي الامريكية في كتابه (الامبراطورية الأمريكية الجديدة) وحديثه إلى قناة الجزيرة في

---

7. الاستاذ المنياوي نقلاً عن تقرير المجلس القومي للانتاج والشؤون الاقتصادية (المصري) الذي عرض في 2002/3/17.

8 ـ الدكتور عبدالعزيز حمودة. الثقافة. اختيار للثقافة القومية (الأهرام 2002/7/5 ص 12).

9 ـ وتتابع الأدلة يوما بعد يوم على هذا الاستغلال ،فإذا لم تحقق لهم مصالحهم تركوها ، وهذا ما شاهدناه من موقف أميركا من معاهدة (كيوتو) التي تمنع تلويث البيئة، لأنهم اكتشفوا انها تقلل من إنتاجهم من الفحم الحجري، والنفط الثقيل، والطاقة النووية، وذلك بعد أن كانت قد وقعت عليها، ومن المحكمة الجنائية الدولية أخيراً، بعد أن ساهمت هي في إنشائها، ولكنها عملت على إعفاء جنودها من إجراءات المحاكمة. وكذلك عملت على الخروج من اتفاقية (CTBT) لمنع التجارب الذرية .. واوقفت العمل التنفيذي في مجال تحريم الأسلحة الكيمياوية.

2005/4/24، ورامزي كلارك المدعي العام الأمريكي وغيرهما وقد أنشأت أمريكا القيادة المركزية لتحقق ذلك، وخططت له منذ عهد الرئيس كارتر، وها هي تنفذ ذلك في عهد المحافظين الجدد عبر ادعاء نشر الديمقراطية.


رامزي كلارك

وهناك آثار سلبية كثيرة أخرى للعولمة نعرض عنها فعلاً.

الموانع بوجه مخططات العولمة الأميركية (المتفردة):

ونحن نجزم بأن أميركا التي تقف وراء حركة العولمة هذه، لن تستطيع أن تحقق مآربها رغم ما تملكه من إمكانات، فهناك موانع كثيرة أمامها ومنها:

1 - وقوف دول كبرى وتكتلات عالمية مختلفة المصالح بوجهها.

2 - وقوف الشعوب بوجه مخططاتها الرامية إلى مسخ الهوية، بل وربما الاحتلال المبطن.

3 - حصول الأزمات العالمية على مختلف الصعد، وخصوصاً: الاقتصادية، كأزمة الطاقة التي قد تشغل النظام العالمي.

4 - عدم إمكانها الاستمرار في عملية تحدي نظام العلاقات الدولية، وتخطّي المؤسسات العالمية مما يحرك العالم ضدها.

5 - تنامي الوعي العالمي لهذه المخططات بنفسه يؤدي إلى ارتفاع وتيرة المقاومة، ومن هنا يمكن أن تتحول الوسائل الحديثة التي تستغلها العولمة إلى أدوات تنمي عنصر الوعي بمخططاتها.

6 - الوعي الديني المتنامي للشعوب، فهو يشكل المانع الأكبر بوجه المخططات التي تعمل على محوه.

بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية

وقبل أن نطرح تصورنا لما يجب أن تفعله الأمة، نحاول أن نلخص الفروق بين عالميتنا وعولمتهم فيما يلي:

إن العالمية الإسلامية تمتاز بأنها:

❖ عالمية إقناعية لا تفرض على الشعوب أيديولوجيتها، ولا تحاول سلبها ثقافاتها ونمط حياتها، وإنما تعمل على التعايش والتفاهم معها، وهذا ما تثبته النصوص الإسلامية، وتؤكده الوقائع التاريخية المنسجمة، مع النصوص فلا إكراه عقائدي، ولا مسخ ثقافي، ولا محو عنصري.

❖ وهي لا تعمل على سلب حقوق الآخرين ونهب ثرواتهم.

العالمية الإسلامية تمتاز بأنها عالمية إقناعية لا تفرض على الشعوب أيديولوجيتها ولا تحاول سلبها ثقافاتها ونمط حياتها، وإنما تعمل على التعايش والتفاهم معها.

❖ وهي لاتعمل على إشاعة مفاهيم مصلحية، كتعميق مفاهيم الاستهلاك، بل توازن في اتجاهاتها بين الإنتاج البشري والحاجة العامة، نافية أي كفر بنعم الله، وأي ظلم في التوزيع، مستهدفة قبل كل شيء سعادة الإنسان وكرامته، رافضة الإسراف إنتاجًا أو توزيعاً.

❖ كما أنها لا تتحرى ما يوجب الإضرار بالأفراد أو الجماعات أو المجتمعات، بل تعمل على إعطاء كل ذي حق حقه ،موفرة الأمن بكل أنواعه للجميع.

❖ وهي لا تحاول فرض هيمنة شعب أو طبقة أو فرد على الآخرين، وتتصدى لكل أنواع الديكتاتورية والتعالي، وتعتبره مظهراً للطاغوت، معتبرة أن الصراع ضد الطاغوت هو أحد هدفي الأنبياء إلى جانب تعبيد الأرض لله.

❖ وهي تعمل على نشر القيم الإنسانية والأخلاق الحميدة كهدف لا تحيد عنه.

❖ وتعمل بواقعية أصيلة على أن تتجلى باقي المظاهر الإنسانية في السلوك الفردي والاجتماعي والدولي.

ـ ومن هذه العناصر الفطرية: العدالة التي يعمل الدين لتحقيقها في كل المجالات، ويحذف كل ما يتنافى معها مهما كان.

❖ كما تعمل هذه العالمية على احترام الآخر وإشاعة منطق الحوار قبل أي عمل:

﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ [سورة الأنفال: الآية 48]

وهو أيضا من مقتضيات الفطرة الإنسانية.

❖ ومن المبادئ التي تعمل على إشاعتها: التعاون والتعارف والاستخلاف الإلهي والتكافل الاجتماعي.

❖ وتقوّم الإنسان ومركزه بمعايير الالتزام والعمل الإنساني.

❖ وتوازن بين الحريات الفردية والمنافع الاجتماعية، وبالتالي فهي تبني كل المسائل الاجتماعية، على فلسفة واقعية تنطلق منها وتلتزم بمقتضياتها، إلى ما هنالك من خصائص لا يسع المجال لاستقصائها.

العالمية الإسلامية تعمل على نشر القيم الإنسانية والأخلاق الحميدة كهدف لا تحيد عنه، وتقوّم الإنسان ومركزه بمعايير الالتزام والعمل الإنساني.

أما العولمة الغربية فنكاد نقطع بأنها تقف على النقيض مما سبق. فهي تتصف ـ كما رأينا ـ بالإكراه الثقافي، والنهب، إما بشكل همجي مجنون أو بشكل عصري حداثي، كما أنها تعمل على تعميم المنطق الحيواني للاستهلاك، وتتدخل في كل شؤون المجتمعات، حتى الاجتماعية والمدنية منها، وتستهدف الهيمنة بشتى أنواعها، ثم إنها لا تعرف أي معنى للقيم الأخلاقية، بل هي تسخر الأخلاق لتحقيق مآربها السياسية ـ كما رأينا في بيان المفكرين الأمريكيين أخيراً ـ فلا مجال للأمور المعنوية في قاموسها، بل هي تعمل على محاربتها بما تمتلك من وسائل، ومنها الوسائل الإعلامية الإباحية، كما أن العدالة عندها نسبية، تتناسب مع مصالحها الضيقة، ولذلك تطرح بوحشية لا مثيل لها منطق الصراع بدلاً من الحوار، أما معيار العدالة والتقويم فليس إلا القوة والمصلحة الضيقة، ولذا تستسيغ الكيل بمكيالين باعتبار الآخرين لا يملكون استحقاق التعامل الإنساني ـ وفقاً لنظرية هوبز في تقسيم المجتمعات على أساس الحداثة ـ وقد وجدت اليوم أتباعًا أكثر من المفكرين الغربيين وخصوصًا في انجلترا وأمريكا.

وأخيرًا فقد قلنا إن العولمة الغربية تستغل الظروف المواتية لها دون أن تستند إلى فلسفة واقعية تبرر لها هجمتها المتوحشة.

موقف الأمة والخطوات العملية التي يجب أن تتخذها تجاه العولمة

وقبل بيان هذه الخطوات نؤكد أن الرفض الانفعالي لن يؤدي إلى نتيجة، وإنما يجب التأمل واتخاذ الخطوات العملية المدروسة للوقوف بوجه هذا الغزو العالمي الكبير، فيجب علينا في هذا المجال أن نقوم بوضع استراتيجية عملية وواضحة وشاملة، ويتعاون الجميع على وضعها أولاً، وعلى تنفيذها ثانيًا، كما يجب علينا أن نقوم بفضح النظريات التي مهدت لمثل هذه النظرة التخريبية.

وبالنسبة للاستراتيجية نطرح بعض الخطوات التي نراها مهمة في هذا المجال.

عالميًا :

1ـ يجب علينا أن نعري الجانب الايديولوجي للهيمنة الأمريكية، والمقصود الحقيقي من مقولات هذا الجانب (القرية الصغيرة، حرية السوق، حرية التدخل وفتح الحدود، وأمثال ذلك).

2ـ يجب علينا حذف هيمنة السوق على الجانب السياسي.

3 ـ يجب تعميق قيم الإنسان الفطرية، مع عرض نظرية الفطرة الإسلامية.

4 ـ يجب توسيع لغة الحوار بين الأديان.

5 ـ يجب التأكيد على الهويات الإقليمية، وهويات الشعوب، وتوعية الشعوب، للاحتفاظ بهوياتها وثقافاتها.

6 ـ يجب الارتقاء بالقدرة العلمية والتنموية للشعوب.

7 ـ يجب العمل على إعطاء الحريات والحقوق الأصيلة للشعوب.

8 ـ يجب تقوية المؤسسات الدولية وتعميق استقلالها.

9 ـ يجب تعميق الثروة الثقافية المتنوعة.

وفي الإطار الإسلامي يجب علينا بالإضافة إلى ما سبق:

1 ـ أن نعمق الحوار بين المذاهب، اتجاهاً لتكوين الوحدة في الموقف الإسلامي.

2 ـ يجب العمل على تقوية المؤسسات الإسلامية، وتفعيلها في الجانب السياسي والاقتصادي والثقافي.

3 ـ يجب أن نطور دراساتنا الإقليمية والعالمية، ونحقق الانفتاح على التاريخ.

4 ـ علينا أن نقوي كل عوامل الصمود والتعاون والوحدة، كمسألة اللغة العربية وتعميقها.

5 ـ علينا أن نجمع بين الأصالة والمعاصرة في الدراسات الدينية، ونروج للاجتهاد الجماعي، وغير ذلك مما يؤدي إلى الوقوف أمام هذا الهجوم العالمي الكبير.

6 ـ علينا أن ندعم قضية الصحوة الإسلامية.

وأخيراً فإن علينا ألاّ ننسى أن عولمة كبرى موازية قد امتدت إيجابياً، وهي الاتجاه العالمي لنمو المعنويات وروح التدين لدى الشعوب، والتفاهم بين القادة الدينيين، وخصوصا في العالم الإسلامي، حيث الفهم الشمولي للإسلام فهما يجعله أمل هذه الأمة في احتلال موقعها الحضاري المطلوب.

وإننا لنعتقد أن مظاهر هذا الاتجاه العالمي تتجذر يومًا بعد يوم حيث نشهد مثلاً:

أ ـ اتجاه الجماهير في العالم الإسلامي نحو الدين بشغف، ومطالبة العلماء بالتدخل المباشر في الحياة العامة، وإبداء الرأي في القضايا الملحة.

ب ـ تحكيم دور الكنيسة السياسي والاجتماعي في العالم المسيحي، وخصوصًا في الدول التي تشكلت بعد انهيار الاتحاد السوفيتي حرّر قوة البوذية المعنوية في صياغة القرارات الاجتماعية في جنوب آسيا.

د ـ ازدياد الإقبال على النظريات والمؤلفات الدينية.

هـ ـ اتجاه الأمم المتحدة الأخير نحو القادة الدينيين كما في مؤتمري نيويورك وبانكوك.

و ـ اتساع نطاق الحوار الديني بين الأديان المختلفة، فيجب أن يقوم رجال هذه الأديان بواجبهم في دعم المسيرة المعنوية الصاعدة.

وللتوسع في هذا المجال نطرح الأمرين التاليين :

تأكيد القرآن الكريم مباشرة على دعوة أهل الكتاب إلى كلمة سواء، وهي تعني الدعوة إلى اكتشاف مساحة مشتركة يتم فيها التعاون.

أ ـ موقف الإسلام من الحوار بين الأديان :

إن الإسلام يشجع الحوار بين الجميع، وخصوصاً بين الأديان، ويتوضح ذلك إذا لاحظنا الأمور التالية :

أولاً ـ تركيز الإسلام على أنه دين الفطرة والمنطق والعقل، والحوار أمر تركزه كل هذه الأمور.

ثانيًا ـ ملاحظة أبعاد نظرية الحوار الجامعة في القرآن الشاملة لمقدمات الحوار، أساليبه، أهدافه، أجوائه الأخلاقية، وكلها تعطيه أبعادًا إنسانية.

ثالثًا ـ تأكيد القرآن الكريم مباشرة على دعوة أهل الكتاب إلى كلمة سواء، وهي تعني الدعوة إلى اكتشاف مساحة مشتركة يتم فيها التعاون.

رابعًا ـ تأكيد النصوص الإسلامية على طلب الحكمة لأنها ضالة المؤمن أينما وجدها طلبها، وطلب العلم ولو كان في الصين، وأمثال ذلك.

خامسًا ـ ملاحظة الأحكام الإسلامية الاجتماعية التي تتيح تعايشا إسلاميا مع أهل الكتاب وغيرهم على أساس عهد اجتماعي ملتزم به يستلزم الحوار بلا ريب.

سادسًا ـ ملاحظة التراث المنقول عن الأنبياء وخصوصا النبي موسى (عليه السلام)، والنبي عيسى (عليه السلام)، مما يدفع للاستزادة من مواعظهم وأخبارهم.

سابعًا ـ إن الحوار ونتائجه مما يحقق مصلحة الأمة بلا ريب.

ب ـ المصالح المقصودة من عملية الحوار:

إن عملية الحوار تحقق فيما تحقق أموراً هي:

1 ـ المساعدة في الدفع نحو التجديد الديني.

2 ـ تحقيق أرضية مساعدة لتحقيق السلام العالمي.

3 ـ تقوية الجبهة الدينية المعنوية ضد أعداء الدين عموماً.

ذلك لأن عملية التحاور بين المتدينين يمكن أن تؤدي إلى ما يلي:

1 ـ تفهم الموضوعات بشكل أدق.

2 ـ معرفة حقيقة الرأي الآخر.

3 ـ معرفة المساحات المشتركة الفكرية والعملية.

4 ـ معرفة الحلول المشتركة.

5 ـ فضح المتلاعبين بالدين لمنافعهم الشخصية.

6 ـ التعاون لدفع العدو المشترك: الإلحاد، العلمانية.

7 ـ دعم العولمة المعنوية.

ومعرفة الحاجات المعنوية، معرفة مشاكل الشباب، الدوافع نحو المادية.

8 ـ اكتشاف الطاقات الخيّرة.

9 ـ التخلص من رواسب الماضي.

10 ـ تفهم تطورات الدين الآخر والعقبات التي واجهها.

11 ـ الفصل بين ما هو ديني وما هو دخيل.

12 ـ تفهم التراث المشترك.

وأخيراً :

فنحن نعتقد أن أكبر عقبتين تقفان أمام تطور العملية الحوارية تكمنان في:

1 ـ تشكيك المسلمين في نوايا الآخرين.

2 ـ عدم اعتراف الآخرين بروحانية الإسلام، فيجب العمل الجاد على رفع هاتين العقبتين.

علينا ألاَّ ننسى أن عولمة كبرى موازية قد امتدت إيجابياً، وهي الاتجاه العالمي لنمو المعنويات وروح التدين لدى الشعوب.

الإعلام الإسلامي في عصر العولمة

إننا نعتقد أن للأمة الإسلامية دوراً حضارياً بارزاً، لا باعتبار كونها جزءا عظيماً من الوجود البشري العام فحسب، بل باعتبار ما تحمله من رسالة إنسانية، تعلن أنها الرسالة المنقذة الموحّدة للإنسانية التي أعدها خالق البشر لتشكل المنهاج الفريد لسير الإنسان نحو تكامله الفردي والاجتماعي. وكذلك نؤمن بأن الدعوة الإسلامية هي من صميم الواجبات على كل مسلم ملتزم بتعاليم الإسلام، وهذه الدعوة لا يحدها زمان أو مكان، فتشمل كل الأرض على مدى الأزمان إلى أن يأذن الله للساعة أن تقوم.

ونرى أن من صميم واجباتنا العمل على طريق إرجاع خصائص الأمة المفقودة إليها، ومن خصائصها المسلمة أنها أمة داعية إلى الله:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾

[سورة آل عِمرَان: الآية 104]

كما أنه من الطبيعي أن يكون لتغير الزمان والمكان أثر كبير في تنويع أساليب الدعوة، لا بل وتغيير مضامينها، بما يتلاءم ونوع الهجوم الذي تتعرض له

الأمة بأساليب جديدة من قبل أعدائها.

إضافة إلى ما سبق، فإن الأساليب غير المدروسة للدعوة ربما تؤدي إلى نتائج عكسية دونما قصد من أصحابها، في حين نجد عناصر متسللة غريبة طرحت نفسها في مجال الإعلام الإسلامي لأغراض دنيئة.

كل هذه الأمور تطلب وضع استراتيجية إعلامية للدعوة الإسلامية، تركز بطبيعة الحال على الأهداف والمضامين والعناصر والأساليب والوسائل.

أولاً - أهداف الدعوة الإسلامية:

إذا قسمنا المساحات المخاطبة من قبل الإعلام الإسلامي أمكننا أن نطرح الدوائر المتداخلة التالية:

أ - الدائرة الدينية بما يشمل كل المذاهب الإسلامية.

ب - الدائرة الدينية بما يشمل كل الأديان السماوية.

ج - الدائرة الإنسانية العامة بما يشمل البشرية.

وحينئذ فمن الطبيعي أن يختلف الخطاب للدائرة الأوسع عنه في الدوائر الأخص منها.

أ - فعلى صعيد الدائرة الإسلامية : يستهدف الإعلام والدعوة الإسلامية - فيما يستهدف - الأمور التالية :

1 - عرض الإسلام على أنه عقيدة ومفاهيم وتشريعات وأطروحات حياتية تحل المشكلات الاجتماعية، وتضمن السير نحو العلا، وبالتالي تعميق الإيمان في النفوس.

2 - العمل على نشر الأخلاق الإسلامية الأصيلة، ونبذ المفاسد الأخلاقية.

3 - العمل على تحقيق الخصائق القرآنية للأمة الإسلامية، وفي طليعتها مسألة الوحدة الإسلامية والترابط والتوازن.

4 - العمل على تربية جيل إسلامي مؤمن قوي على أساس من تعاليم الإسلام، يعرف تاريخه، ويدرك واجبه الحضاري.

5 - السعي الجاد لتهيئة الأرضية المناسبة لتطبيق الإسلام على واقع الحياة، مع تنظيم التبادل الحضاري في الحدود الملائمة للشريعة.

6 - توعية المسلمين بالمواقف السياسية والاجتماعية التي يواجهونها، وترشيدهم إلى الحد الذي تتقارب فيه الرؤى والخطوات العلمية لديهم جميعاً.

7 - توعية المسلمين بذخائرهم وطاقاتهم المادية والمعنوية، لتحقيق التنمية والتوسعة المطلوبة في مختلف المجالات.

8 - العمل على توسعة دائرة معرفة اللغة العربية والناطقين بها، وذلك بغية رفع مستوى القدرة على الاستفادة من النصوص الإسلامية، وكذلك مستوى شعور الأمة بالوحدة الإسلامية.

9 - تحسيس قطاعات الأمة وأفرادها بنقاط الضعف والنقص الاجتماعي والاقتصادي، والعمل الجاد في سبيل تغطية نقاط العجز هذه - على الصعيد المحلي والإقليمي والعالمي - وتعريفهم العدو من الصديق.

10 - بعث روح الحماس والعاطفة الإسلامية بين أفراد الأمة، ليقوموا بواجباتهم في الدفاع عن مقدسات الإسلام وقيمه السامية.

ب - وعلى الصعيد الديني العام: يستهدف الإعلام الإسلامي ما يلي:

1 - توضيح حقيقة الدين الإسلامي وتصوراته، لمنع سوء الفهم والتصور الخاطئ عنه.

2 - الدعوة إلى كلمة سواء بين أتباع الأديان، وتعبيد الجميع لله، واجتناب كل ما يمت إلى الطاغوت بصلة.

3 - توضيح بعض الحقائق الملتبسة عليهم، كقضية بنوة المسيح (عليه السلام)، وحقيقة التوحيد الابراهيمي، وموضوع هداية الدين للحياة كلها، وقدسية الأنبياء ووحدة الأديان.

4 - تنسيق الجهود لمحاربة الإلحاد والكفر والشرك.

5 - العمل الجاد لتحقيق موقف موحد من أية إهانة أو

تجديف يمس الحقائق الثابتة المقدسة للأديان الإلهية، وخصوصاً تلك المقدسات المشتركة.

6 ـ السعي لإبعاد الجمعيات الدينية عن الانضواء تحت مراكز الظلم والطغيان والاستعمار، بل وجعلها مراكز إشعاع وخدمة لقضايا المحرومين والمستضعفين أفراداً وشعوباً.

7 ـ الدعوة إلى تحقيق الوئام والعيش المشترك، ونفي وسائل الخصام والتناحر الديني، وإشاعة روح الحوار المنطقي بين أتباع الأديان.

ج - وعلى الصعيد الإنساني: يتلخص هدف الدعوة الإسلامية فيما يلي :

1 ـ تنمية الدوافع والركائز الدينية في النفوس.

2 ـ إشاعة الحس الخلقي الإسلامي، وتحريك الكوامن الأخلاقية.

3 ـ التعاون المشترك لنصرة قضية المستضعفين والمحرومين، والدفاع عن القضايا العادلة وإدانة الظلم أينما كان.

4 ـ الدعوة بالحسنى لتفهم الدين عموماً، ودوره فى الحياة.

5 ـ السعي الجاد لتحقيق مجتمع دولي سليم على أساس من حقوق إنسانية مشتركة.

ثانياً- مضمون الدعوة الإسلامية وخصائصها:

وعلى ضوء الأهداف السابقة تتحدد خصائص المضمون الدعوي الإسلامي على النحو التالي:

1ـ فهو إعلام قرآني نبوي، يعتمد في أهم مصادر على هذين المنبعين الأساسيين، ويعمل على الرجوع إليهما في شتى المجالات.

2 ـ وهو إعلام موضوعى، ينأى عن التاثر بالمصالح الشخصية والفئوية والسلطوية وغيرها، وإنما يبتغي بيان الحقيقة لا غير.

3 ـ وهو إعلام أخلاقى، يتقيد بالحدود الأخلاقية، ويتجنب كل ما ينافيها كالكذب وإشاعة الفاحشة وغير ذلك.

4 ـ وهو إعلام علمي متطور في أساليبه، يعتمد على آخر النتائج المتعلقة به، فهي كلها من عناصر القوة المأمور بها في القرآن الكريم.

5 ـ وهو إعلام عالمي لا تحده حدود قومية ضيقة، ولا مناطق جغرافية معينة.

6 ـ وهو إعلام مستقل، لا تؤثر فيه المصالح القومية والفوضوية والعقلية المحضة، والعملية غير المخططة، وعوامل التمويه والتزوير وغيرها.

7 ـ وهو إعلام واقعي، لا يسبح في الفراغ، ويهيم مع الخيال، ولا يطرح حلولا وهمية أو أي تعامل مع افتراضات غير واقعية. إنه يعيش مشكلات الحياة القائمة، ويلاحظ كل الإمكانات الإنسانية المتوفرة.

8 ـ وهو إعلام متوازن، يلحظ في حركته مصالح الأمة، ومقتضيات الصدق والأهداف الإسلامية العليا.

9 ـ وهو إعلام رسالي، يوظف كل طاقاته لخدمة الهدف الرسالى، وينأى عن السفاسف، والمواضيع المنحطة والتافهة.

10ـ وهو إعلام مترابط، ينظر إلى الحياة بنظرة شاملة، وينسجم مع كل القطاعات الأخرى في طرحه للحلول.

11ـ وهو إعلام مرن، لا يرسف في أغلال الجمود، ولا تجره دواعي الانحلال.

12ـ وهو إعلام إنساني، لا ينطلق من منطلقات قومية أو فئوية، وإنما يلحظ العناصر الفطرية المرتكزة، ويحاول خدمة المجموع العام.

13ـ وهو إعلام عقائدي، يشكل في كل أوجهه مدرسة تعليمية تركز العقيدة وتعمق جذورها.

14 ـ وهو إعلام يعرف أساليب التربية، ويعمل على تقديم النماذج العليا للأمة، مبتعداً عن النماذج المبتذلة.

15ـ وهو إعلام موحد، يبتعد عن كل ما من شأنه شق عصا المسلمين، وتفتيت قواهم، وإرباك مواقعهم.

16 ـ وهو إعلام راصد لكل تحركات أعداء الأمة، ويعمل على توعية المسلمين بالمخاطر التي تحيق بهم.

ثالثًا- عناصر الدعوة:

لا ريب في أن من أهم عناصر الدعوة الإسلامية حملتها ودعاتها، وإن كان كل مسلم مكلفًا بمقدار عمله بالدعوة.

وهؤلاء يجب أن يتصفوا بكثير من الصفات، وفي طليعتها:

أ- المعرفة الدينية الشاملة للجوانب العقائدية والعملية، وذلك إلى الحد الذي يقربون فيه من الاجتهاد والتخصص، كما أن عليهم التعرف على أفضل الأساليب التبليغية والتمكن منها، وكذلك معرفة مخاطبيهم على اختلاف مستوياتهم.

ب - الإيمان النافذ إلى الأحاسيس، فلا يكفي الإيمان العقلي المجرد، وإنما ينبغي أن يتمكن الإيمان من النفوس حتى يحرك المشاعر.

ج - التوفر على الخلق الإسلامي الأصيل إلى حد رفيع، بحيث يجب أن يرتفع عن الحد المتوسط للمسلم العادي في العمل بالمستحبات وترك المكروهات، وينسجم قوله مع عمله تماماً.

د - الشجاعة وعدم الخشية إلا من الله تعالى.

هـ - ترويض النفس على الجهاد والمثابرة وتحمل المشاق.

و - التوفر على ملكة التعبير الحسن، والتصرف الحكيم المناسب.

ز - إحراز المكانة الاجتماعية التى تؤهلهم للتأثير فى الآخرين.

ح - التوفر على معرفة تاريخية عامة وخاصة للمسلمين، والوقوف على محل الاعتبار والمنعطفات في هذا التاريخ.

ط - التعرف على أفضل الأساليب التبليغية، ومطالعة أحوال الدعوة عبر التاريخ الإسلامي.

ي - التمتع بخصائص التأثير المطلوب من قبيل السماحة والمرونة، النصيحة، التواضع، التدبر والمتانة، التنوع والتجديد، الاستغناء عن الآخرين، سعة الصدر، الإخلاص، النشاط الدائب، التخطيط، الزهد والحياة البسيطة، والعيش مع المحرومين.

ك - الابتعاد عن الصفات المنفرة، كالتكلف والتصنع، والتمويه والتسرع والإفراط والتفريط، والتعصب والطائفية، والتسلط والنفعية.

ل - معرفة لغة المخاطبين.

م - المظهر الجذاب والمناسب.

ن - لتعرف على أساليب الحوار والمجادلة الحسنة..

رابعًا- أساليب الدعوة: وهي متنوعة جدًا، إلا أننا نشير إلى بعضها مستعينين بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة :

أ - الاسلوب الفطري: ونعني به اتباع أسلوب أو توجيه أسئلة أو حكاية قصص تؤجج كوامن الفطرة، نزعاتها الفضلى، مما يترك أثره العميق في النفوس.

ب - التدرج: وهو فئة قرآنية وعمل نبوى شريف، فقد لا يمكن إعطاء الحقيقة دفعة واحدة، وإنما يحتاج الأمر إلى عامل الزمان الذي يؤهل كل مرحلة لتلقي تعاليم المرحلة التالية.

ج - التكرار والتأكيد والتذكير المتواصل.

د - العيش مع الأمة، وتحمل الخطر والمشاكل معها، والإحساس بآلامها، والتضحية في سبيل أهدافها العليا، ما يترك أكبر الأثر في مجال الدعوة.

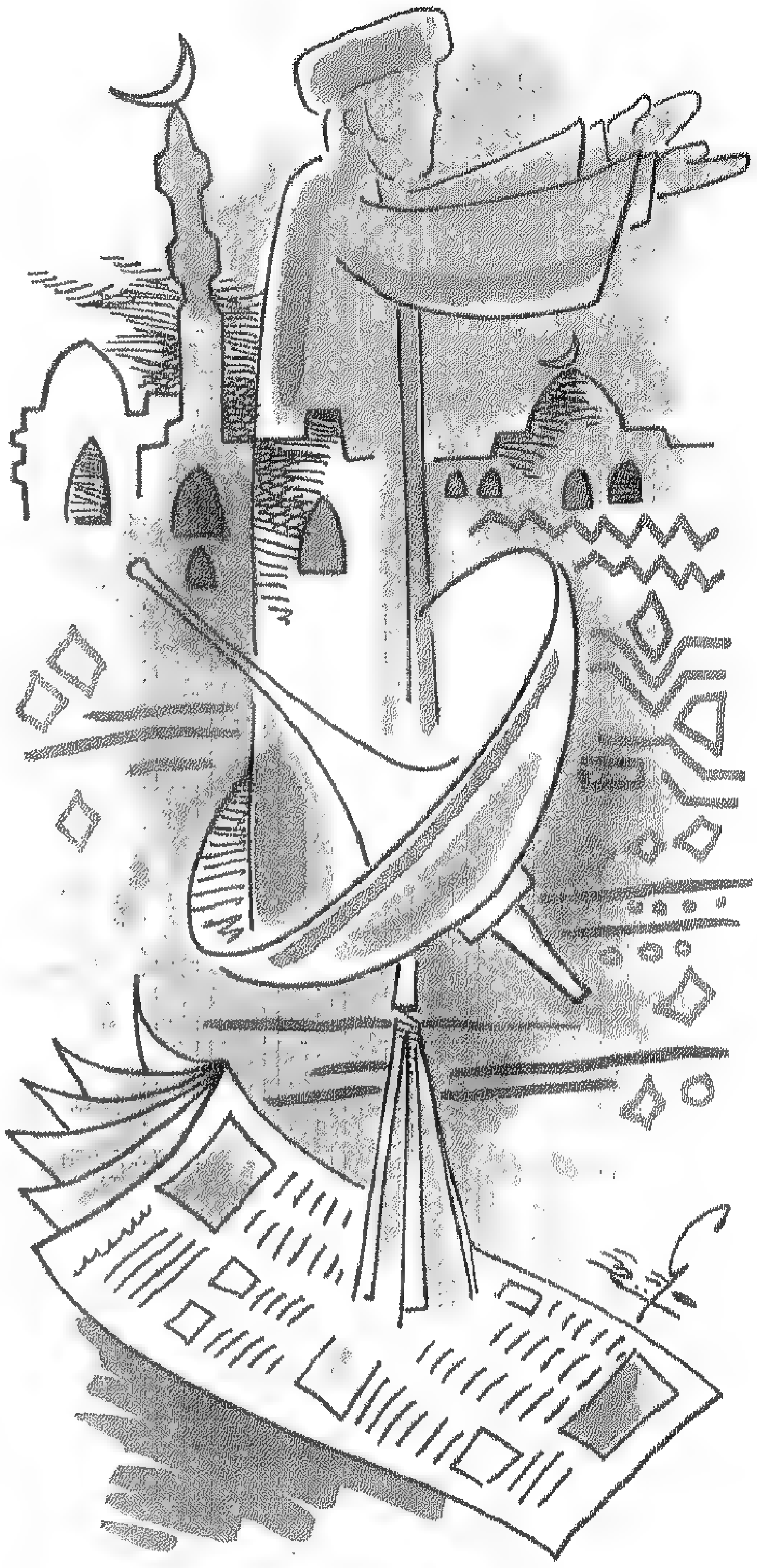
هـ - استخدام أساليب تداعي المعاني، والتبليغ المباشر عبر القصة والفلم، والمسرحية، والإشارة، وهو أسلوب أثبت نجاحه في مختلف المجالات.

و - تقديم النماذج العليا للمخاطبين، لكي يتأملوا ويعملوا على السير نحوها، وتجسيدها في وجودهم.

ز ـ التخطيط لتوفير الأجواء المناسبة للتأثير، من قبيل العمل على حذف سيطرة العقل الجمعي ليفسح المجال للتفكير الهادئ كما في قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾

[سبأ: 46]



خامسًا ـ وسائل الدعوة:

أ ـ وتدخل في هذا المجال كل الوسائل المشروعة التي يمكن استخدامها لتحقيق تلك الأهداف، كالمطبوعات والمسموعات والمرئيات، ووسائل الاتصال بشتى أنواعها.

ب ـ كما تدخل فيه كل العناصر الفنية كالقصة، والمسرحية، والخط، والرسم، وفنون السينما، والمسارح، والتمثيليات، وأمثالها.

ج ـ ومن الأمور التي ينبغي إدخالها في عنصر التبليغ والدعوة بصفتها مراكز رائعة في تحقيق هذا الهدف: مراكز التعليم بشتى مراحله الابتدائية والمتوسطة والجامعية، والدراسات الكلاسيكية المسجدية وأمثالها.

د ـ ومن أهم وسائل التبليغ: المنابر التي تعقد مجالسها في المناسبات المختلفة، وخصوصا منابر صلوات الجمعة والحج والعيدين وأمثالها، فهي مناسبات تحمل كل العناصر الضرورية لتاثير التبليغ.

هـ ـ وتعد الخدمات الاجتماعية أيضا من أهم وسائل الدعوة تأثيرًا.

و ـ كما أن من وسائل العمل التبليغي تنظيم التشكيلات، والجمعيات والمراكز الإسلامية، وإقامة المعسكرات الطلابية وغيرها.



الباحث الدكتور محمد الدسوقي:

ليست المشكلة في وسيلة التبليغ، ولكنها في من يقدّم هذا البلاغ

الباحث الدكتور محمد الدسوقي:

ليست المشكلة في وسيلة التبليغ ولكنها في من يقدّم هذا البلاغ

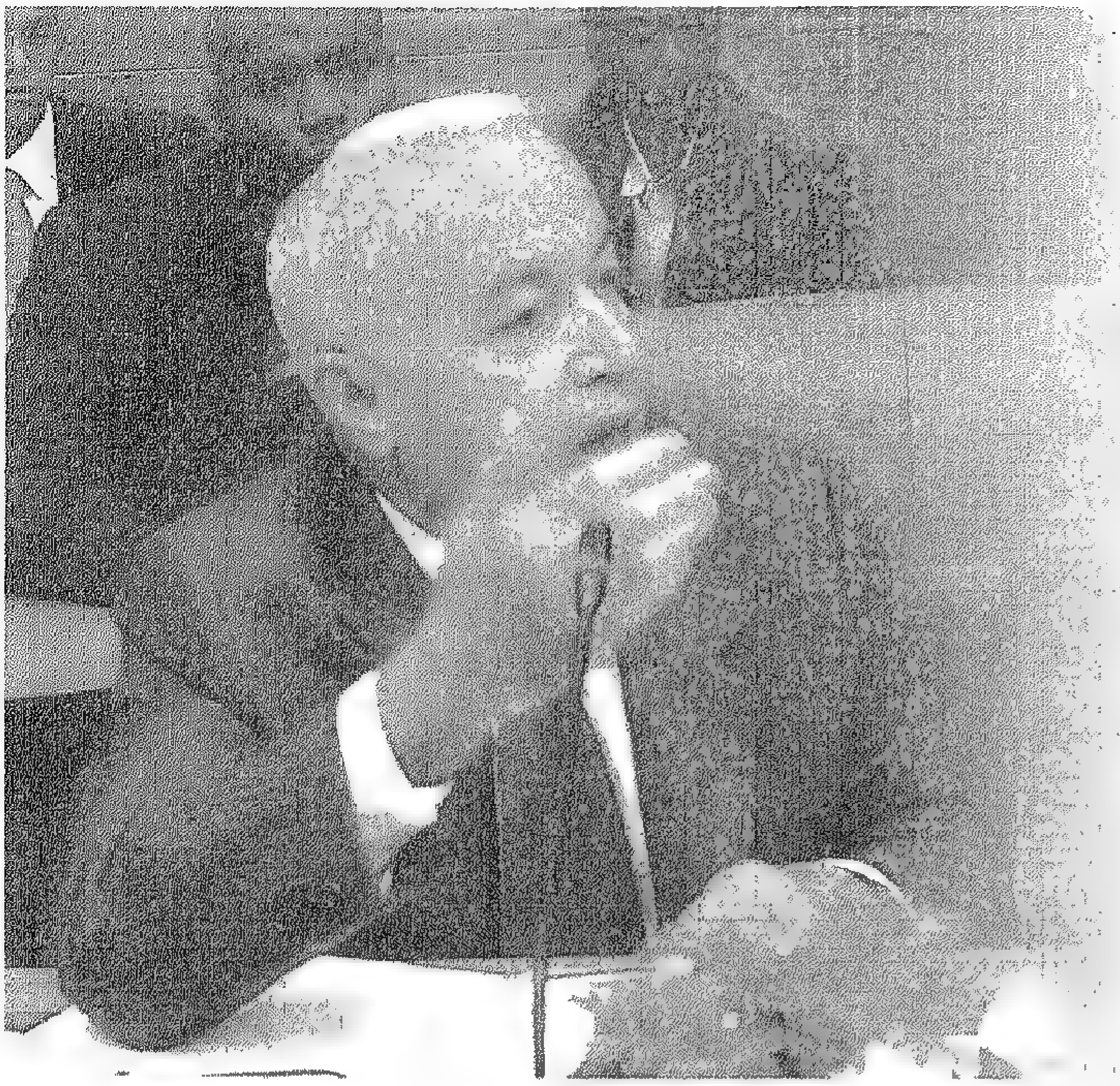
| حاوره : محمد حسن جحا *

الباحث والمحاضر في الدراسات الإسلامية الأستاذ الدكتور محمد الدسوقي، الذي يرتبط اسمه بمرحلة دراستي الجامعية عندما كان أحد أبرز الأساتذة في قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، بكلية التربية ، بجامعة الفاتح أستاذاً لمدة إثني عشر عاماً (1972 ـ 1984 مسيحي). التقيته مشاركاً في الندوة العلمية التي أقامتها كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس أوائل شهر الكانون 1373 من وفاة الرسولﷺ (2005/12 مسيحي) حول (القراءة الغربية للقرآن الكريم) وكان بيننا هذا الحوار ..

❖ **تنوعت القراءة الغربية للقرآن وتعددت بتعدد المنطلقات والأهداف، ما هي رؤيتك لهذه القراءة الغربية للقرآن؟ وما هي أبعادها؟**

❖ القراءة الغربية للقرآن الكريم منطلقها الاعتقاد أو الإيمان بأن القرآن بشري المصدر وليس له مصدر إلهي، ومن ثم أخذ المستشرقون من خلال هذا المنطلق يتلمسون مصادر لهذا الكتاب العزيز، واختلفت آراؤهم في ذلك، فمنهم من ذهب إلى أن هذه المصادر داخلية، ومنهم من قال إنها خارجية، ومنهم من جمع بين المصادر الداخلية والخارجية، ويريدون بالمصادر الداخلية البيئة التي عاش فيها الرسول ﷺ فهذه بيئة تتسم بحرارة الجو، وتتسم بالحياة التي يتمثل فيها نوع من أنواع الشدة، ونوع من أنواع الصراع على لقمة العيش، ومن ثم استوحى ـ كما يقول المستشرقون ـ محمدﷺ من هذا ما دعا إليه من فرض الزكاة، وما دعا إليه من أن هناك حسابا وعقابا، وجنة وناراً، مستوحاة من طبيعة الحياة الصحراوية والحرارة القاسية . فهو إذاً استوحى هذا وأخذ يدعو في هذا القرآن إلى مثل

* كاتب وإعلامي وأستاذ جامعي / ليبيا



نحن في حاجة إلى أن نصحح لكثير من المسلمين المفاهيمَ المغلوطة التي يتبنونها ويكتبون بها وينشرون، كما أننا في حاجة إلى إدراك أن هناك أمية ثقافية دينية بين جماهير المثقفين.

هذه المفاهيم، بل منهم من ذهب إلى أن الاختلاف بين النص المكي والمدني من أوضح الدلائل على أن القرآن استوحى البيئة، فحياته في مكة بحرّها وجبالها، وعدم وجود نشاط زراعي فيها بصورة طبيعية، في حين أن المدينة تختلف عن ذلك، ومن هنا اختلف النص القرآني بين مكة والمدينة. وطبعاً كل هذا نوع من التخمين والزعم وليس له دليل علمي أو عقلي. بل إن منهم من قال إن محمداً ﷺ أخذ عن أمية بن أبي السلط ـ وهو شاعر جاهلي ـ كثيراً مما جاء في القرآن الكريم من شعره، وصاغها (أي الرسول) بأسلوبه هو، لأن أمية هذا كان يتحدث في شعره عن وحدانية الله، وكان يتوقع أن يكون هو النبي، فلما بُعِثَ النبي محمد ﷺ لم يؤمن به، ولذلك قال عنه الرسول ﷺ : آمن لسانه وكفر قلبه. وطبعاً كل هذه العوامل الداخلية لا تستند على دليل علمي أو عقلي، وإنما هي نوع من الظنون، ونوع من الخيال، ونوع من الوهم، لأنهم حينما بدأوا الدراسة لم يكونوا موضوعيين، وبدأوا دراسة النص دون أن يكون هناك فكر مسبق حول مفهوم مصدره ؛ لربما اهتدوا إلى أن هذا القرآن من عند الله، وآمنوا به. مثلاً القرآن الكريم تحدث ـ في بعض قضاياه ـ عن أمور لم يعرفها العلم إلا حديثا، وأقرب مثل على ذلك قضية أو مسألة تطور مراحل الجنين في بطن أمه، حينما جاء في أوائل سورة المؤمنون عن أن الله تبارك وتعالى قال:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾

[سورة المؤمنون: الآيات 12 ـ 14]

هذه أوضح دليل وأوضح برهان، والعلم الحديث هو الذي اكتشف هذه المراحل الآن، لكن في عصر محمد ﷺ لم يكن هناك تصوير ولا طب ولا أي شيء من هذا، فكيف استطاع محمد ﷺ وهو الذي عاش

في بيئة أمية ولم يكن يعرف القراءة ولا الكتابة ـ أن يصوغ مثل هذه الأخبار ومثل هذه المعلومات ؟؟.

❖ **لكن المثقفين الغربيين لا يتوقفون أمام هذا، لماذا؟**

❖ لأن منطلق الفكر الاستشراقي كله هو محاولة تشويه الإسلام حفاظاً على وجودهم هم، فهم يرون أن الفكر الإسلامي إذا انتصر وأصبح له وجود في الغرب قضى على المؤسسة الدينية بالذات، والمستشرقون والاستشراق عموما بدأ أساساً في حضن الكنيسة أولا، ومعظم المستشرقين كانوا قساوسة، صحيح أن بعض المستشرقين كانت لهم بعض الخدمات الفكرية ونشر بعض الكتب، وعدد قليل منهم أسلم، لكن التوجه العام والجمهرة الغالبة أو المنطلق العام كان يبدأ من الزعم بأن محمداً ﷺ ادعى أنه نبي وأنه أتى بالقرآن، ولذلك فهم يحرصون كل الحرص على نفي أن محمداً ﷺ لم يكن أميا، لماذا محمد ليس أمياً؟ معناه أنه استطاع أن يصوغ هذا القرآن. فهم يرون أن كلمة (أمي) من الأمم، وهذه كلمة تطلق على العرب، وهذا كلام ليس له دليل علمي يسنده، ومن ثم يحاولون دائماً أن يثبتوا أن محمداً لم يكن أميا، وهؤلاء لو كانت لديهم درجة من الدراسة الموضوعية لنظروا بين نصين (القرآن والسنة)، وكيف يمكن لإنسان أن يكتب نصاً له مستوى إعجازي خاص، ونصاً آخر دون هذا بكثير؟؟ هذا شيء غير طبيعي، أي لا يمكن أن يكون شخص يقول كلاماً يأخذ 100٪، وكلام يأخذ 20 أو 30 ٪، وعلى ذلك فالذي يقولونه يعبّر عن أنهم لا يريدون أن يدرسوا دراسة علمية موضوعية من أجل تلمس الحقيقة، ولكن كل هذه الدراسات كانت تتوخى تلمس أوجه التشويه والنقص والازدراء وما إلى ذلك، حتى يصرفوا الناس عن هذا الكتاب العزيز.

❖ **وماذا عن العوامل الخارجية ؟**

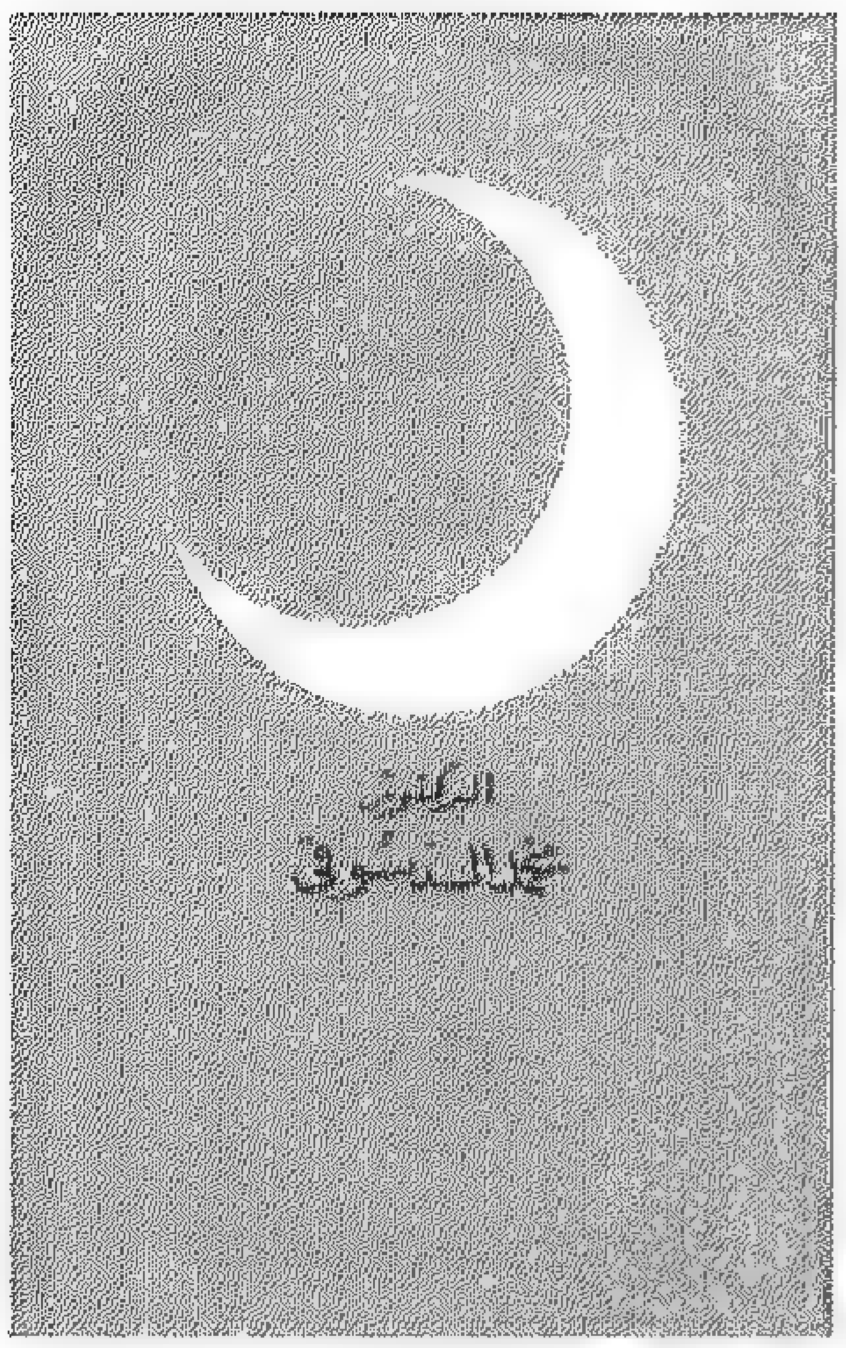
❖ العوامل الخارجية تمثلت بالدرجة الأولى في النقل، فهم يقولون أيضاً إنه (أي القرآن) منقول من التوراة والإنجيل وبعض الكتب السابقة، بل ذهب بعضهم إلى الادعاء بأنه قد أخذ من الديانات الوثنية، وأن الرسول ﷺ لقي بعض الرهبان والقساوسة وأخذ منهم. وكل هذا ليس له أي دليل علمي. لكن الفكر الغربي لا يعنيه أن يكون ما يقوله يعتمد على دليل علمي، بقدر ما يعنيه أن يثير الشكوك والشبهات، وأن يتلمس الأوجه التي تجعل الغربي يصدق هذا الكلام الذي يروجون له، والغربي بطبيعته حينما تُلقى إليه مثل هذه الأفكار، وهو لا يعرف عن الإسلام شيئاً، فإنه يؤمن بها، ومن ثم يعتقد اعتقاداً جازماً بأن محمداً ليس نبياً مرسلاً، وأن هذا القرآن ليس كتاباً إلهياً، إلى درجة أن هناك من زعم بأن التوراة والإنجيل أرقى مستوى في الأسلوب وفي المضمون من القرآن الكريم، ولا ننسى أن التوراة والإنجيل كتبهما بشر، نعم قد تكون لها بعض الأصول الإلهية لكنها لا تمثل ما بأيدي المسيحين واليهود الآن، فالتوراة الموجودة الآن لا تمثل النص الذي نزل من عند الله، لأن التوراة كتبت من بعد ذلك بحوالي 400 سنة أو 500 سنة، فحصل فيه تغيير وتعديل، ولذلك كثرت الأناجيل، كما أن التوراة أيضا فيها تعديلات وإضافات غريبة، لكن النص القرآني كان هو النص الوحيد الذي كُتِبَ فور نزوله، ولذلك كان هناك كُتّابٌ للوحي في مكة وفي المدينة بلغ عددهم نحو أربعين كاتباً، وكانت عندما تنزل الآية على الرسول ﷺ فيأمر بكتابتها ويقول: ضعوا هذه الآية بجوار تلك الآية، وكتبوا المصحف......

ما قاله فقهاؤنا من آراء كانت تمثل عصورهم بالدرجة الأولى، وما كان منها لعصرنا على «العين والرأس»، وما لم يكن صالحاً لعصرنا فلسنا ملزمين دينياً بالأخذ به.

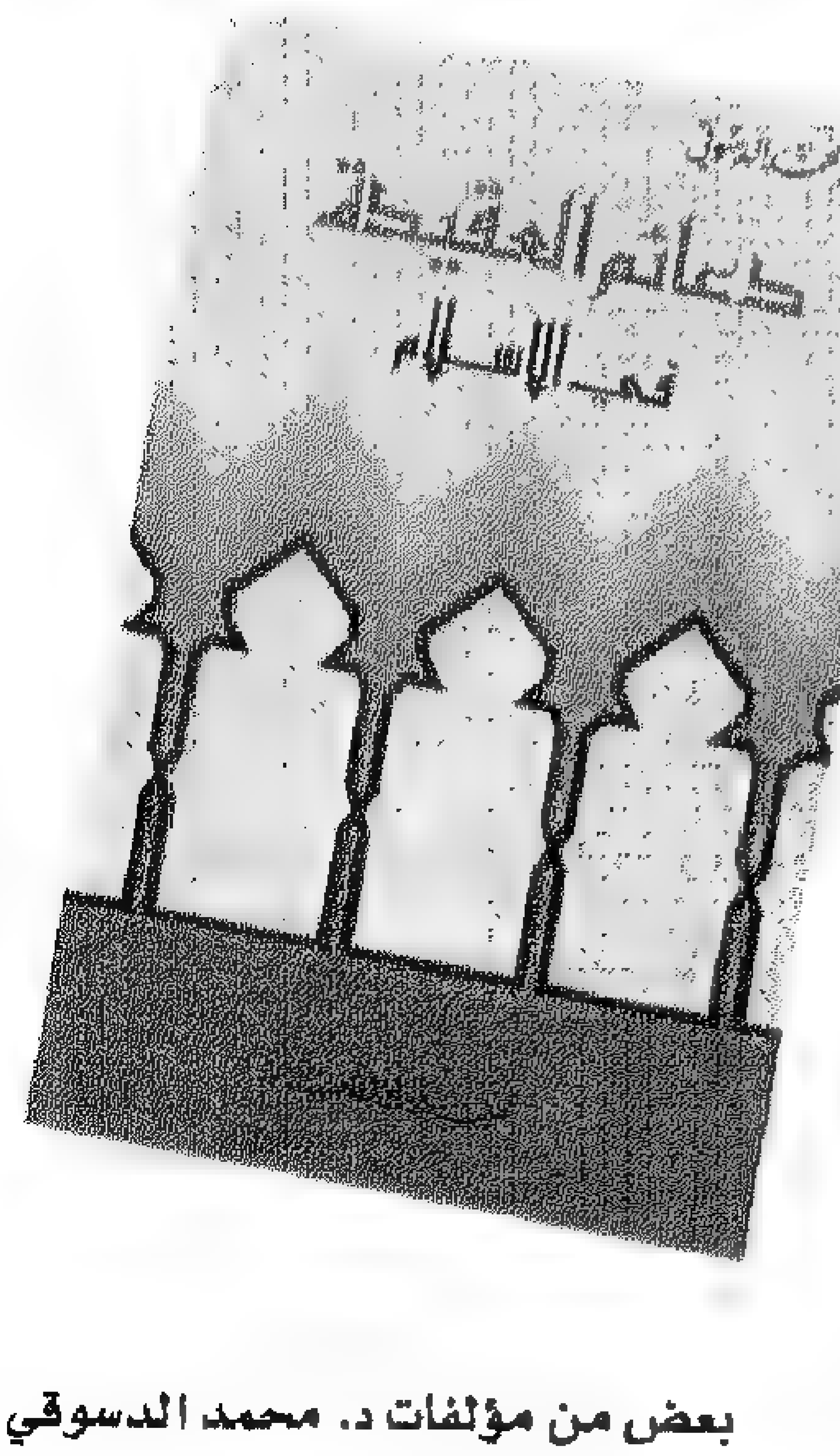
* عذراً على المقاطعة ولكن لا نريد أن نغوص كثيراً في تاريخ القرآن، وأرجو أن نعود إلى الحديث عن القراءة الغربية للقرآن الكريم.. فأنت تحدثت عن هذه القراءة ودوافعها وأهدافها التي كانت ترمي الوصول إليها، هذه القراءة نتجت عنها كتابات، هذه الكتابات قدمت للقارئ في الغرب الذي أصبح الآن يحمل صورة مشوهة عن الإسلام، زادها تشويهاً ما قامت به فئة من بني جلدتنا - للأسف الشديد - نتيجة فهمهم الخاطئ للدين، وأنت تعلم بما قاموا به وأقدموا عليه. السؤال: ما هو السبيل إلى تصحيح تلك الصورة الخاطئة عن القرآن وعن النبي محمد ﷺ وعن الإسلام والمسلمين.. للمواطن في الغرب وفي العالم بشكل عام ؟

* القضية ليست يسيرة، وتحتاج إلى تعاون من الجهات المسؤولة عن الدعوة الإسلامية في العالم الإسلامي كله، فمثل هذا العمل يحتاج أولاً إلى طاقات علمية و بشرية، وإلى وسائل نشر وتوزيع منظم، كما أنه يحتاج إلى أن تكون هذه الدراسات دراسات علمية موضوعية لا تعرف السباب ولا الشتم وما إلى ذلك، هذه لغة يجب أن نتجاوزها، وإنما علينا أن نحرص كل الحرص على أن تقدّم كل الحقيقة العلمية بصورة موضوعية، لا نزيد فيها ولا ننقص، وإنما نتوخى بيان الحقيقة فقط، وهذه هي القضية التي نحن الآن بصددها، وكما قال الرسول تكالبت علينا الذئاب من كل جانب، كل الدول في الغرب، بعضها يعلن بصراحة ووضوح ويتخذ مواقف مضادة، وبعضها قد لا يعلن لأن لهم مصالح اقتصادية أو سياسية أو غيرها، ونحن لا نريد أن نتناول هذا في هذه السانحة ، ولكننا نريد أن نقدم إسلامنا بصورة صحيحة.

وأعود فأقول إن هذا الموضوع يحتاج أمرين: الأول توجهٌ وأسلوب علمي وعملي نخاطب به غير







بعض من مؤلفات د. محمد الدسوقي

المسلمين، والأمر الآخر القيام بدراسات وفق أسلوب علمي وعملي نخاطب بها المسلمين أنفسهم. أما غير المسلمين فلا بد أن تكتب دراسات بلغات العالم الكبرى، أو المشهورة، وتوزع على مستوى العالم، وهذه مهمة لا يمكن أن تقوم بها جهة واحدة فقط، ولكن لا بد من تعاون عدة جهات، وأن تكون هناك إسهامات مالية على مستوى العالم الإسلامي من أجل أن يتوفرالتمويل، ثم إعداد الكوادر العلمية في العالم الإسلامي التي هي موجودة وبخير والحمد لله، وبأعداد كثيرة جداً، ولابد أن يكون هناك نوع من أنواع التواصل بين هؤلاء العلماء، من خلال عقد اللقاءات العلمية. المهم أن تكون هناك إجراءات إدارية أو تنظيمية من أجل أن تلتقي الرغبة بين أبناء العالم الإسلامي، ونحن لدينا رابطة الجامعات الإسلامية التي تضم في عضويتها أكثر من مائة كلية على مستوى العالم الإسلامي، ويمكن لهذه الكليات أن تسهم بأموالها وكوادرها العلمية، وتضع خطة منهجية دقيقة؛ حتى يمكن أن تقدم هذه الدراسات لنخاطب بها الغرب، ثم من بعد ذلك يمكن أن ننتقل إلى مرحلة أخرى. معنى ذلك أنه من الممكن أن تُعقد لقاءات علمية بلغات متعددة مع هؤلاء الناس في بلادهم، ونخاطبهم خطاب المواجهة، ونناقشهم مناقشة موضوعية، حتى يدركوا الحقيقة ويتوقفوا عن الهجوم علينا وعن نشر الأباطيل والافتراءات حول الإسلام والمسلمين، فهذه هي المشكلة الخطيرة الأولى، خصوصاً أن هناك الآن استشراقاً يهودياً، والاستشراق اليهودي أمعن في الضلال والفساد والتشويه من الإستشراق الغربي، حتى إن هناك يهودا في الغرب وهؤلاء يناصرون الدولة العبرية في فلسطين، وبالتالي فهم يكتبون من هذا المنطلق. فنحن في حاجة إلى أن نواجه كل هؤلاء بسلاح العلم، من أجل أن نبين الصورة النقية الصحيحة للإسلام لغير المسلمين.

التواصل بين العلماء سبيلنا للمواجهة بسلاح العلم.

المشكلة الأخرى تتجسّد في المجتمعات الإسلامية، نتيجة لعدة عوامل من ضمنها تسرب الأفكار الاستشراقية إلى الجامعات، وكمثال أشير إلى أنني كتبتُ دراسة عن كتاب صدر في تونس عن مركز البحوث الجامعية عنوانه (القرآن والتشريع)، ومؤلفه هو الدكتور الصادق بلعيد وكل ما في الكتاب كلام غريب وعجيب، استقاه كله من الفكر الاستشراقي.

إذاً نحن في حاجة إلى أن نصحح المفاهيمَ المغلوطة التي يتبناها ويكتب بها عدد من المسلمين، كما أننا في حاجة إلى إدراك الأمية الثقافية الدينية بين عدد من المثقفين، فالعاطفة الدينية وحدها لا تكفي، وهذه مشكلة ليست سهلة ولا تنتهي أو تعالج بين يوم وليلة، بل إنها تحتاج إلى صبر وجهد وعمل متواصل.

مفهوم الخطاب الديني ومنهج تجديده

❖ ما تفضلت به يقودنا إلى سؤال آخر يتعلق بالخطاب الإسلامي المعاصر.. فما هي ملامحه؟ وإلى أين يتجه؟

❖ هذه مسألة مهمة، وقد تناولتها في دراسة مطولة بعنوان (مفهوم الخطاب الديني ومنهج تجديده في التصور الإسلامي). فالخطاب الديني نوعان: خطاب إلهي، وخطاب بشري. الخطاب الإلهي ما جاءنا عن طريق الوحي هذا الخطاب له خصائص ويتميز بصفات معينة، ولابد للخطاب البشري أن يتوخى أو يلتزم بالخطوات التي بيّنها الخطاب الإلهي في القرآن الكريم، بمعنى أننا لا بد أن نعيش واقعنا الذي نحياه، لأن القرآن يعالج الواقع البشري

في كل زمان ومكان، وليس الواقع البشري في عصر دون عصر، أي أن القرآن صالح للتطبيق الدائم في كل زمان ومكان، وإذاً فلا بد لمن يريد أن يتصدى لهذا الجانب أن يكون فاقهاً للواقع الذي يعيشه، وطبيعة المشكلات الموجودة، لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وما قاله فقهاؤنا من آراء كانت تمثل عصورهم بالدرجة الأولى، وما يصلح منها لعصرنا على «العين والرأس»، وما لم يكن صالحاً لعصرنا فلسنا ملزمين دينياً بالأخذ به. وهناك الآن عقليات تؤمن بأن كلام الفقهاء نص مقدس لا يجوز الخروج عليه، وهذا خطأ، فالفقهاء أدوا رسالتهم لعصرهم، وعلينا نحن أن يكون لنا دور وليس مجرد أن نقول قال فلان وقال فلان... الخ، وأنت ماذا فعلت؟ وماذا قدّمت ؟.

نعم لا بأس من أن نستأنس بآراء أولئك الأعلام، ونسترشد باجتهادهم، ولكن علينا بعد ذلك ومع ذلك أن ننظر إلى واقعنا، وكيف نعالج مشاكلنا على ضوء هذا الواقع ومعطياته، ولذلك فإن فقه الواقع ضرورة، وكذلك فقه الأولويات، فالواقع فيه مشاكل متعددة لن تستطيع معالجتها دفعة واحدة، ولذلك فلابد من أولويات، ونحن نعلم أن الخطاب الإلهي بدأ بذلك أيضًا، بقي 13 سنة يدعو إلى الوحدانية، لم تُفرض إلا الصلاة فقط في مكة، ثم عندما استقر الوجدان والعقل الإسلامي بدأت تنزل الأحكام الشرعية. ولذلك لا بد للخطاب الديني أن يكون فاقهاً أولاً للخطاب الإلهي.

وهناك نقطة أخرى في هذا الصدد لا بد من الإشارة إليها، وهي أن الخطاب الديني ينبغي أن لا يقتصر على المساجد فقط، ذلك أن مفهوم الخطاب الديني في الإسلام أوسع من أن يكون خطابا للحديث عن القرآن فقط، فالذي يؤلف كتابا في الفلك، أو في الطب، أو في العلوم ،..... هذا كله خطاب ديني من منطلقات إسلامية، أي أن الخطاب الديني ليس

الدكتور محمد الدسوقي



- تخرج في قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة .
- تحصل على درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية من نفس الكلية، وكان موضوع رسالته (التأمين وموقف الشريعة الإسلامية منه).
- تحصل على درجة الدكتوراه في ذات التخصص ومن نفس الكلية وكان موضوع رسالته (الإمام محمد بن الحسن الشيباني وأثره في الفقه الإسلامي) .
- عمل محرراً علمياً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة .
- عمل بالتدريس الجامعي في : جامعة الفاتح بطرابلس - ليبيا / جامعة عين شمس - مصر / جامعة قطر.
- المؤلفات والدراسات والأبحاث :

تبلغ مؤلفاته المطبوعة (25) خمسة وعشرين كتاباً.

البحوث العلمية المحكمة نحو (25) خمسة وعشرين بحثاً.

نشر عشرات المقالات والدراسات في الصحف والدوريات المتخصصة.

مقصوراً على ما نسميه بالعلوم الشرعية في هذا العصر.

❖ و كيف يمكن أن تكون عقليات لها ملكة الفهم لهذا الخطاب؟

❖ هذا أهم شيء.. إعداد جيل واع يمتلك القدرة على التعبير والكتابة، وله ثقافة ومعرفة بالواقع، حتى يستطيع أن يقدّم فكراً يقبله الآخرون، وبالتالي يؤدي رسالته.

❖ كيف يمكن أن نُفَعّل هذا ؟

❖ هذه قضية يا أخي ليست يسيرة للأسف الشديد، وعلى سبيل المثال فإن كليات الشريعة أو كليات الدعوة لدينا في العالم الإسلامي، لا تربي خريجيها على أن يكونوا على مستوى الدعوة الإسلامية الصحيحة التي تلتزم بالمفاهيم الإسلامية المعتدلة، لتستطيع أن تعبر عنها بأسلوب سليم !! قد تجد بعض النماذج المتميزة في هذه الكليات، ولكن النسبة العامة ليست في المستوى المطلوب. فالقضية خطيرة حقيقة ولا أخفي عليك يا أخي...!!

❖ هناك قنوات التواصل والاتصال التي وفرتها وسائل الاتصال الحديثة من وسائل الإعلام على تنوعها وتعددها والشبكة العنكبوتية (الإنترنت).. كيف يمكننا أن نوظفها لخدمة خطابنا الإسلامي، ولخدمة ديننا الإسلامي، للدعوة إلى دين الله، لتوضيح صورة الإسلام ؟؟

❖ هذه وسائل علمية يجب أن ننتفع بها، لأننا لا بد أن نعيش العصر بكل وسائله الإعلامية، لكن المشكلة ليست في وسيلة التبليغ، ولكن المشكلة في من يقدم هذا البلاغ، مثلاً الإنترنت موجود ومن الممكن لأي شخص لديه جهاز كمبيوتر أن يتصل ويتكلم، لكن السؤال: من هو الشخص الذي سيكتب أو يتكلم أو ينقل فكرة إلى غيره ؟ أعني أن هذه هي المهمة، فأنا أريد مفكرين أو علماء أو باحثين لهم القدرة العلمية على نقل الأفكار أو نشر المفاهيم الإسلامية إلى غيرهم عبر كل هذه الوسائل، سواء الإنترنت أو التلفزيون أو الإذاعة أو الصحافة أو الخطابة أو الندوات، نريد بناء عقلية علمية مستنيرة، ليست عقلية علمية مقلدة تحفظ كلاماً وتردده دون أن يكون لها إسهامٌ جديد، أي أن الإنسان المسلم لا بد أن تكون له بصمة في ما يقول، ولا يقول قال فلان، قال فلان، قال فلان فقط، نحن نستعين و نستفيد بما قاله الآخرون، لكن ماذا أضفت أنا إلى ما قاله الآخرون ؟ وإذا كان كل همي أن أكرر ما قالوه فإنني لم أفعل شيئاً. ولذلك فلابد من وضع خطة علمية لكي يكون لهذه الوسائل دورها في التبليغ وفي نشر الفكر الإسلامي، وطبعاً هذه مسألة تحتاج إلى تنظيم، وآليات للتطبيق.

نعم لا بأس من أن نستأنس بآراء أولئك الأعلام، ونسترشد باجتهادهم، ولكن علينا بعد ذلك ومع ذلك أن ننظر إلى واقعنا، وكيف نعالج مشاكلنا على ضوء هذا الواقع ومعطياته.

وإذا كان العالم الغربي الآن ينفق أموالاً على قنوات فضائية خاصة ؛ فنحن في حاجة إلى هذا النوع من القنوات الآن، لكن لا بد أن تكون قنوات موضوعية تقدم حقيقة علمية، ونخاطب الناس ليدركوا ما يراد إيصاله، وبالتالي نصل إلى الغاية التي نحرص عليها وهي أن ندفع عن ديننا أولاً ما يقال، وأن نمكن لهذا الدين في عقول الناس سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وهذه مسألة تحتاج لبلوغها إلى تعاون بين الهيئات الإسلامية المعنية بالنشاط الدعوي أو المعنية بالفكر الإسلامي بوجه عام، ودون هذا التعاون سوف نجد أن كل شخص منا يشتغل في دائرة محدودة، وربما لن تؤتي هذه الجهود ثمارها من دون أن يكون هناك تكامل وتنسيق وتوجه موحد ، خاصة وأن لدينا علماء، والإمكانيات المادية

على مستوى العالم الإسلامي ممتازة، فقط بحسن التنظيم وبالتخطيط العلمي نستطيع أن نؤدي رسالتنا خير أداء، وإلا فمستقبل الأجيال القادمة لا ندري كيف تكون، هناك خطورة كبيرة على الأجيال القادمة .

❖ الكتّاب والمثقفون والمفكرون المسلمون الذين انتقلوا من بلدانهم الأصلية إلى الغرب منذ عشرات السنوات وبقوا هناك ودخلوا في النسيج الاجتماعي وبدأوا يتعاملون بشكل يومي مع تلك المجتمعات وهم يتقنون لغات تلك الأمم والشعوب ويعرفون عاداتها وتقاليدها ؛ ما هو الدور الملقى على تلك الشريحة خاصة حول توضيح صورة الإسلام والمسلمين؟؟

❖ هناك جانبان، الجانب الأول يتعلق بالسلوك، أي أن هذه الأقليات أو هذه الجماعات الموجودة في بلاد الغرب إذا كان سلوكهم الإسلامي التزاماً كاملاً فإنهم يؤثرون بسلوكهم أكثر مما يؤثرون بأقوالهم «القدوة والأسوة الحسنة». الجانب الآخر أنه ما لم يكن لدى هؤلاء الوعي المستنير فإنهم لن يستطيعوا أن يقدّموا شيئاً، قد تكون لديهم عاطفة تجعلهم يتعصبون لدينهم، وأي شخص يذكر الدين أمامهم بسوء يهاجمونه؛ لكن أنا أريد الذي إذا ذُكر دينه أمامه بسوء كون لديه قدر من المعرفة يستطيع به أن يبين لمحدثه أنه أخطأ، ويخاطبه بأسلوب مقنع فهذا يكفي، أن يؤمن أو لا يؤمن فهذا موضوع آخر، لكن يجب أن يكون الحرص على تبيان الخطأ له.

❖ لو تحدثنا تحديداً عن واجب الشريحة المثقفة الواعية.

❖ هناك اتجاه لإنشاء وتكوين مجالس لفقهاء المسلمين أو لعلماء المسلمين في الغرب وفي أمريكا، هذه المجالس من الممكن أن تقوم بدور مهم، على أن يسود بينهم التناصر والتعاون، وألا يكون للتعصب المذهبي وجود بينهم، لأن الإسلام ليس مذاهب، الإسلام عقيدة واحدة، والمذاهب مظهر من مظاهر حرية الاجتهاد في الفروع، على أن لا ينقلب ذلك إلى عداوة وبغضاء وتنافر.

وعلى كل حال فالوجود الإسلامي في الغرب ـ على الرغم من السلبيات التي تقابله ـ يبشر بالخير، فالإسلام يزداد انتشاراً يوماً بعد يوم في الغرب.

نحن في حاجة إلى أن يكون الخطاب الديني خطاباً يعتمد على الاعتدال، ويعتمد على مراعاة الواقع، وأن يخاطب الناس على قدر عقولهم، وأن يراعي التدرج في بعض الأحيان، فالتدرج كان سمة من سمات الخطاب الإلهي في قضايا كثيرة.

❖ من خلال خبرتك في التدريس الجامعي والعالي على مدى ثلاثين سنة هل لك أن توجز لنا نظرتك للدراسات والأطروحات الأكاديمية في مجال الدراسات الإسلامية ؟.

❖ أنت تعلم أن هذا الموضوع مهم وخطير، ولكن أولاً يؤسفني أن أقول لك إن معظم هذه الدراسات تعتمد على النقل الحرفي، ولا تقدم الجديد المفيد الذي يمكن أن يساهم في تحسين الواقع الذي نعيشه، ومعظم هذه الدراسات ترجع إلى أشياء تاريخية أكثر منها إلى أشياء معاصرة، فأنا أرى ضرورة أن يختار الباحث موضوعا يعالج مشكلة يعيشها الناس، وإذا وصل إلى حكم شرعي فيها كيف يصبح هذا الحكم مطبقاً ؟ وكيف يمكن أن يقرأ الحاضر برؤية مستقبلية، لكن من واقع الرسائل التي ناقشتها وجدت فيها ـ للأسف الشديد ـ سرداً ونقلاً أكثر منها فكراً جديداً يقدم تصوراً لما يجب أن يكون ويدعوا إلى تطبيقه والالتزام به.

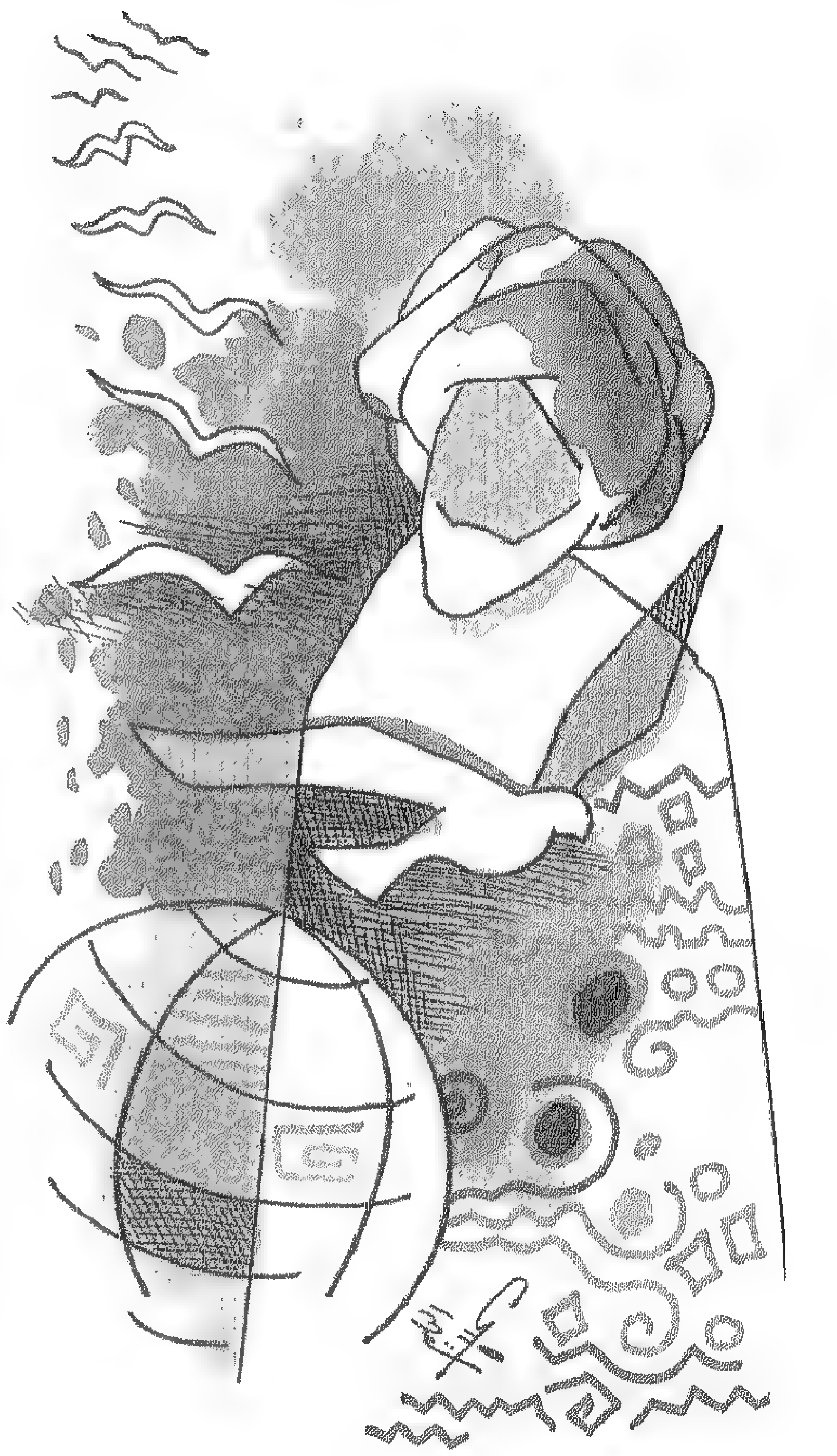
* ألا توجد استثناءات ؟

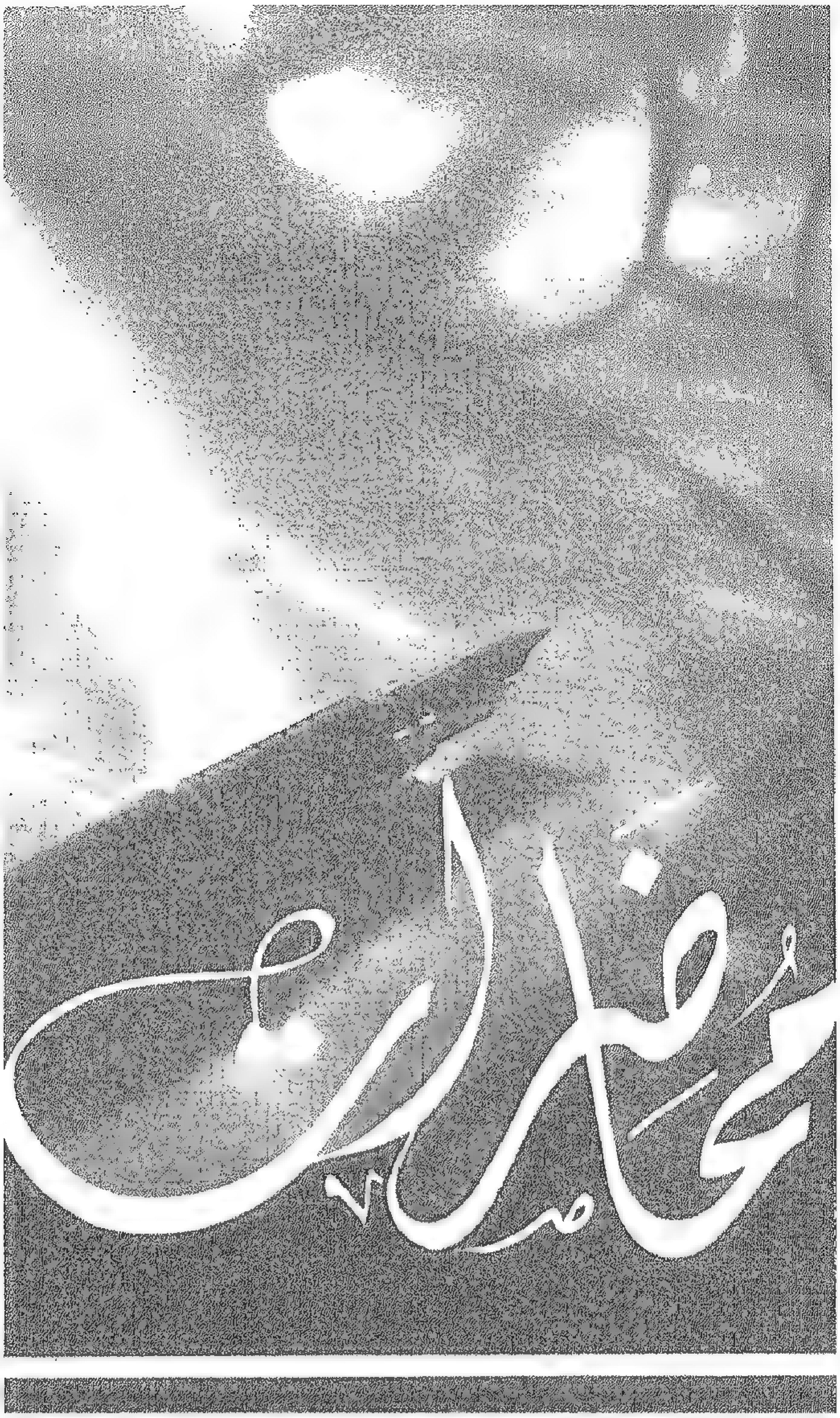
نعم هناك استثناءات، لكنها ليست في مستوى الطموح والأمل الذي نريده، مثلاً عندي مائة طالب في الدراسات العليا لوأن هناك عشرين منهم فقط على مستوى علمي مفيد يعالج الواقع ويقدّم لي خلاصة دراسات علمية فسيصبح هذا شيئا ممتازاً جداً، عندما أخرج كل سنة عشرين باحثا أو كل سنتين أو ثلاثة فمعنى هذا أنني خلال عشر سنوات سيصبح لدي عدد كبيرجداً من الذين لديهم وعي واستنارة، ويقدمون لنا فكراً حياً جديداً متطوراً.

والمسائل تختلف باختلاف الظروف والزمان والذين يكتبون، بدليل أن كثيرا من هذه الرسائل لا تطبع، فضلاً عن أن هناك جريمة أخرى خطيرة جداً وهي سرقة الرسائل. والآن تلاحظ أن هناك تكالبا على الدراسات العليا.. لماذا؟ إما أن يكون نوعاً من الوجاهة الاجتماعية، أو هو نوع من تحسين المستوى المعيشي، ليست الغاية منه أنه يريد أن يدرس قضية تشغل المجتمع ويريد أن يقدم فيها رؤية جديدة، إنما الغاية أن يحصل على شهادة، فالحصول على الشهادة هو الهدف الأول وليس الدراسة العلمية لذاتها، ولذلك هناك مثل يقول «من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما معا فعليه بالعلم)، ولكن:

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [سورة الأنبياء: الآية 37]

فهو يريد فقط أن يكتب رسالة بسرعة من أجل الترقية الوظيفية، لكنه عندما يصل درجة أستاذ يقل إنتاجه أو يتوقف، مع أنه مُطالب حينئذ بإنتاج أكثر وأعمق، لأن درجته العلمية تمكنه من االعطاء والمساهمة في إثراء المكتبة بما يقدمه من إنتاج علمي، وإنتاجه يرتبط بمسؤولياته العلمية التي ستكون أكثر خطورة لأنه سيساهم في تشكيل الرؤى لدى الأجيال القادمة.



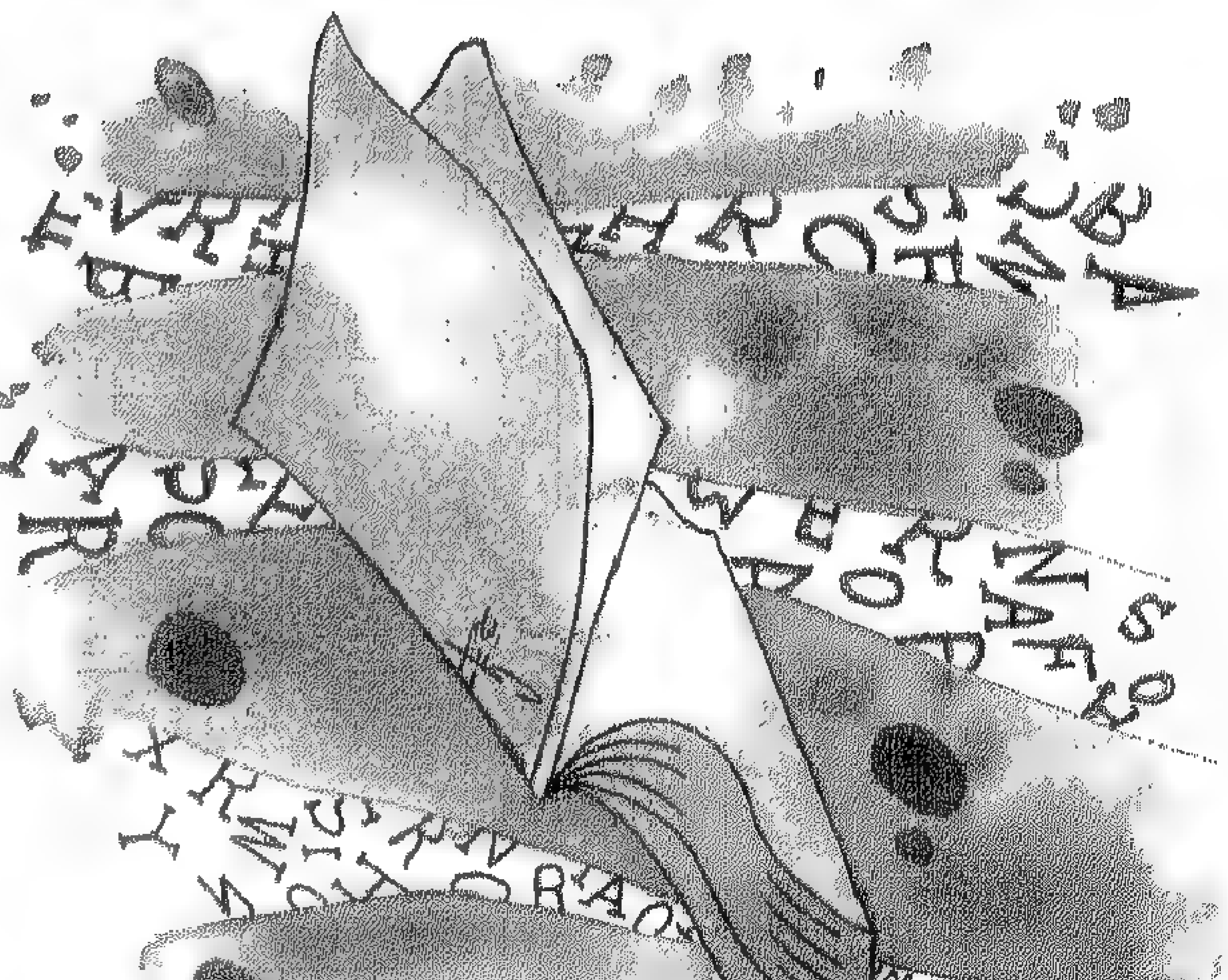


حول ترجمة معاني القرآن الكريم



حول ترجمة معاني القرآن الكريم *

الدكتور أحمد عبد الحليم **



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ..

أشكر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية وكلية الدعوة الإسلامية على إتاحة هذه الفرصة لأن ألتقي بكم جمعاً كريماً من الطلاب المسلمين الذين جاءوا من مختلف البلاد الإسلامية، وهذا في الواقع منظر مفرح لي. أنا أدرّس في بلد غير إسلامي، في بريطانيا، والكثير من طلابي غير المسلمين من الأوروبيين، ولكن أن أجد هذا الحشد العظيم من الطلاب المسلمين الذين جاءوا من مختلف البلاد الإسلامية وغير الإسلامية ؛ فهذا شيء مفرح تماماً، وهو من مكارم هذا البلد الطيب وقيادته الرشيدة. فأهلاً بكم، وإن شاء الله سأتحدث إليكم عن الترجمة الجديدة التي أنجزتها (ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية) والتي نشرتها مطبعة جامعة أكسفورد في شهرمايو من هذا العام 2004 مسيحي.

* محاضرة ألقيت في كلية الدعوة الإسلامية / طرابلس ، بتاريخ : 28 الحرث 1372 من وفاة الرسول ﷺ (28 / 11 / 2004 مسيحي).

** مدير مركز الدراسات الإسلامية / جامعة لندن.

ترجمات معاني القرآن.. إطلالة تاريخية

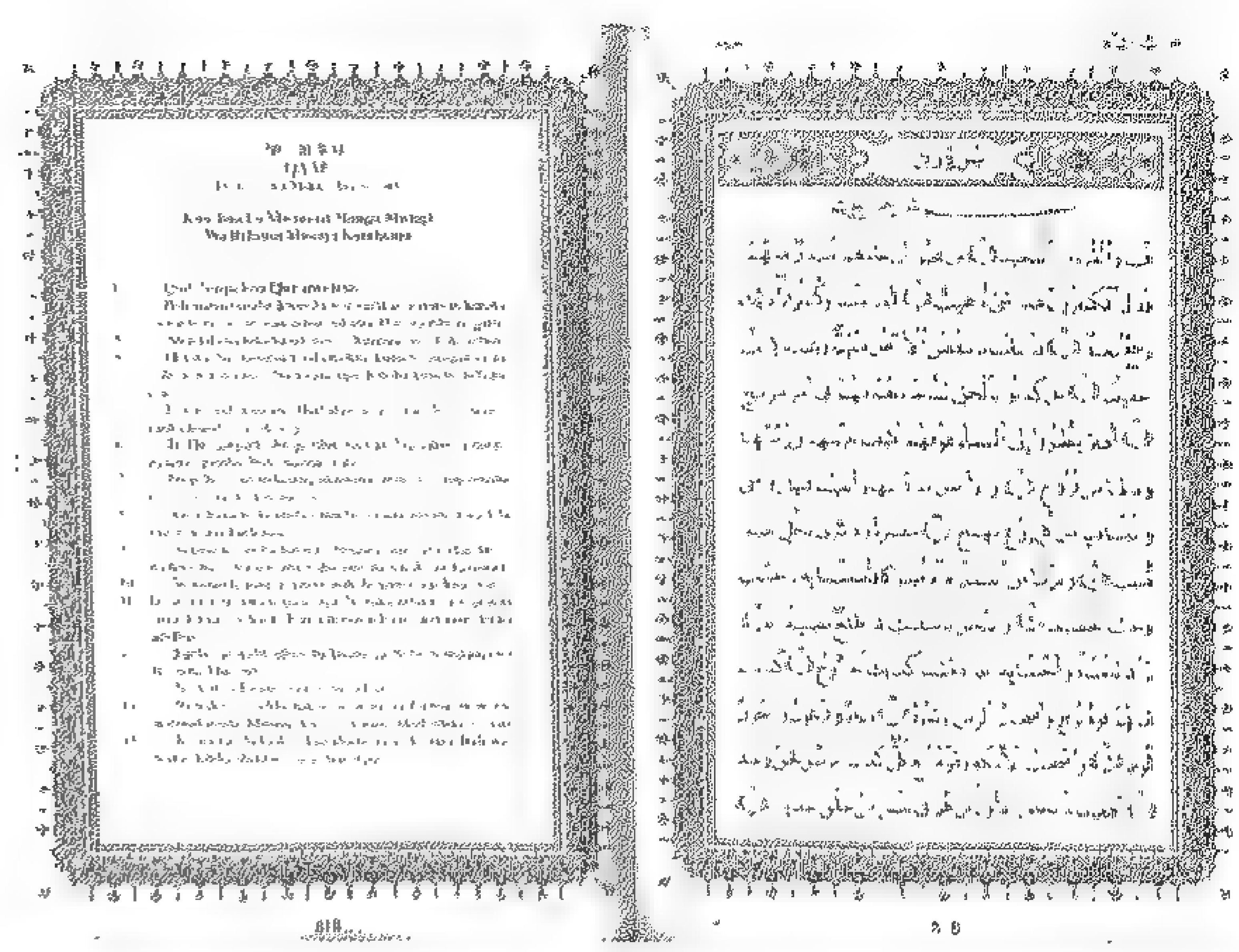
وقبل أن أعرض عليكم ترجمتي يجب أن أعرض عليكم بعضاً من تاريخ ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية، فقد كانت أول ترجمة للقرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية قام بها مدرّس في مدرسة ثانوية في مدينة ساوثهامبتون في إنجلترا سنة 1649 مسيحي. وهو (ألكسندر روست) وكان مدرساً للغة الإنجليزية لا يعرف العربية وليست له صلة بالقرآن، وإنما نقل ترجمته عن ترجمة فرنسية أنجزها القنصل الفرنسي في مدينة الإسكندرية بمصر قبل ذلك بسنتين. في ذلك الوقت كانت الخلافة الإسلامية في تركيا ذات سلطان وهيبة، وكانت تخيف الأوروبيين، لأن الجيوش العثمانية كانت تتقدم في أوروبا حتى وصلت إلى أبواب فيينا كما تعلمون، وترى هذا في العداء الواضح عند هذا المترجم نحو القرآن والإسلام، وقد جاءت ترجمته تحت عنوان (القرآن كتاب محمد نبي الأتراك) وقد قدم بمقدمة غريبة جداً نستغرب لها الآن ونبتسم حينما نقرأها، ومعروف طبعاً أن هذا شيء متوقع في ذلك الزمن، وفي ظل تلك العداوة بين الشرق والغرب، أو بين الإسلام والمسيحية، حيث كانت عداوة كبيرة ولا تقوم على أساس سليم من الفهم والدراسة، وطبعاً كانت الترجمة ضعيفة ومليئة بالأخطاء، لكنها ظلت لمدة مئة سنة هي الترجمة الوحيدة الموجودة في اللغة الإنجليزية.

أول ترجمة للقرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية قام بها مدرّس في مدرسة ثانوية في مدينة ساوثهامبتون في إنجلترا سنة 1649 مسيحي.

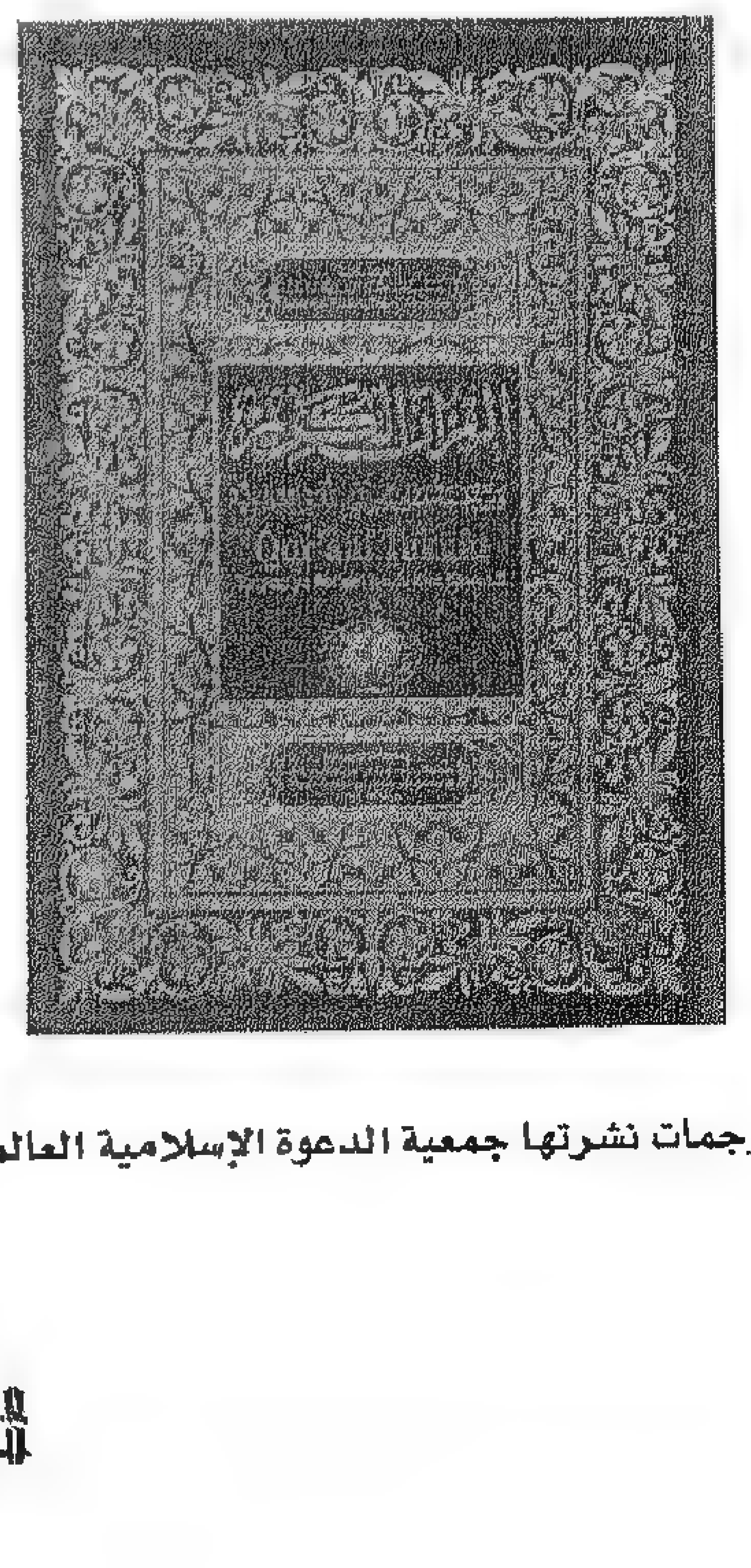
في ذلك الوقت، في أثناء هذا العام، حدث تطور كبير في الحياة الدراسية في بريطانيا، فقد أنشأوا كرسي اللغة العربية في جامعة كمبريدج، وأيضاً في جامعة أكسفورد، وبدأ كثير من العلماء يتكلمون عن التاريخ والتراث الإسلامي بالذات، وبدأوا يتعلمون اللغة العربية على أساس علمي.

بعد هذه الترجمة جاءت ترجمة أخرى هي ترجمة (فبيل) سنة 1734 مسيحي، وتمتاز هذه الترجمة بأنها أول كتاب عن القرآن نجد فيه نقولاً من الكتب أو التفاسير الإسلامية، فتجد فيه - في الحواشي - كلاماً منقولاً من تفسير البيضاوي وتفسير الجلالين، فلأول مرة يرى الناس كتباً إسلامية، أو يرون المسلمين يتحدثون بأنفسهم عن القرآن. وقبل ذلك كان كل واحد يزعم ما يشاء من الإنجليز، وهذه الترجمة كانت في الواقع ترجمة متقدمة جداً على ما قبلها، لأنها احتوت تفاسير أو حواشي تفسيرية كثيرة من الكتب الإسلامية، وأيضاً فإن المترجم التزم بأن يُدخل في خلال الترجمة - بين قوسين - بعض التفاسير. وأنتم تعرفون أن أسلوب القرآن أسلوب موجز، وفيه إيجاز معجز، يترتب عليه أحياناً حذف كلمة أو كلمات أو حذف جملة كاملة، لأن في فقه اللغة العربية أن حذف ما يُعلم جائز كما يقول ابن مالك، فإذا كان الشيء معروفا فلا فائدة من إطالة الحديث عنه، وطبعاً فإن القرآن نزل بلغة عربية، وهو من أرقى أساليب هذه اللغة، وكان العرب يفهمون هذا ويعتبرون أن الكلام المطلق هو الذي يذكر كل شيء، أي أن العربي في عصر التنزيل كان يعتبر هذا امتحاناً لعقله، وإنما هو فهيم يفهم كل شيء بسرعة، فيترتب على هذا أن الترجمة حين تنقل الكلام العربي كما هو إلى الإنجليزية يصبح في كثير من جوانبه غير مفهوم، لأن اللغة الإنجليزية تستدعي الإطالة وذكر المفعول به مثلا، وفي اللغة العربية حذف المفعول به كثير جداً، وحتى في القرآن كثير جدا، مثلاً ﴿وهم لا يعلمون﴾لا يعلمون ماذا ؟، أو ﴿لا يفقهون﴾ لا يفقهون ماذا؟ أو ﴿أفلا تتفكرون...﴾ المهم أن هذا الرجل اتخذ هذا الأسلوب في وضع الكلمات أو العبارات التي تكمل الجملة (بين قوسين) في كتابه. فكان التقدم كبيراً جداً.

بعد ذلك بقرن كامل، ظهرت ترجمة لقسيس إنجليزي اسمه (رود ويل)، وتعلمون طبعاً أن اهتمام رجال الدين المسيحيين بالإسلام والقرآن كان أكثر من اهتمام غيرهم، لأن هدفهم من الدراسة هو مهاجمة الإسلام، أو الزعم بأنه مأخوذ من المسيحية، أو مأخوذ من اليهودية، أو أن الكلام غير سليم... وهكذا، فهذا الرجل (رود ويل) لأنه كان قسيساً وأبوه قسيس وابنه قسيس، فإنه كان عندما يرى أي شي يدّعي ويقول إن هذا مأخوذ من الإنجيل، أو مأخوذ من التوراة، أو هذا كلام مضطرب متناقض، دون أن يفهم. وكانت الصورة في ذلك الوقت هي التركيز على أن الإسلام ليس فيه جديد، وإنما هو مأخوذ من المسيحية أو من اليهودية، وأن القرآن كلام لا يمكن أن يصدق أحد أنه وحي من الله، لأنه - في زعمهم - كلام مضطرب، وثبت هذا الاضطراب في رأيهم أنهم لا يفهمون، لأنهم لم يدرسوا الأسلوب القرآني، الأسلوب العربي القوي، وخاصة أسلوب القرآن. وأنا في الواقع أظن أنه حتى من بين المسلمين ممن لم يتعمق في أسلوب القرآن ويتمرس به طويلاً يخطئ كثيراً في الفهم، فكانت الصورة هي الصورة التي تركزت لوقت طويل أن القرآن وأن الإسلام ليس فيه جديد وإنما مأخوذ من المسيحية واليهودية، وأنه كلام ضعيف ولا يمكن أن يزعم أحد أنه وحي، بعد ذلك بحوالي عشر سنوات ظهرت ترجمة جديدة لرجل كان يسافر إلى البلاد العربية ويقيم بين بدو سيناء وفلسطين، هذا الرجل اسمه (بامر) كان أول مترجم يقول : إن زعمكم بأن القرآن مأخوذ مما قبله زعم فاسد، لأن الإنجيل نفسه مأخوذ مما قبله، والتوراة مأخوذة من الثقافة السابقة عليها. بدأت تظهر نغمة جديدة لا تتماشى مع رجال الدين المسيحيين واليهود وهذه ميزة هذه الترجمة. وبالمناسبة فإن ذلك الرجل المسيحي، وهو القسيس، بالرغم من أنه كان شديد النقد للإسلام والقرآن كان







ترجمات نشرتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

لديه حس أدبي قوي جداً وقدرة على استيعاب اللغة؛ كانت ترجمة متقدمة من ناحية الأسلوب على أي ترجمة أخرى، واستطاع بحسه اللغوي والأدبي أن يوجد في اللغة الإنجليزية وسائل لعرض بعض الأساليب الموجزة في العربية استفاد منها كل من جاء بعده.

في أثناء القرن العشرين عُرفت ظاهرة جديدة وهي دخول المسلمين إلى مجال ترجمة القرآن إلى الإنجليزية، فقبل القرن العشرين كانت هناك بعض الترجمات القصيرة، لكن في أثناء القرن العشرين وجدنا من الإنجليز رجلاً أسلم اسمه محمد وهو اسكتلندي أصبح اسمه محمد وجاء إلى مصر، وأقام في الهند في ذلك الوقت، وقدم ترجمة باسمه وهذا الرجل كان هو أيضاً ابن قسيس، نشأ في الكنيسة ولكنه تحول إلى الإسلام فكتب ترجمة سنة 1930 مسيحي، ولأول مرة يعرض في أولها تاريخاً عن الإسلام وعن الرسول عليه الصلاة والسلام، من زاوية إسلامية من رجل يؤمن بالدين الإسلامي، وكان هذا شيئاً جديداً تماماً. شخص إنجليزي يقدم صورة جديدة، وهو يؤمن تماماً بصدق الرسول عليه الصلاة والسلام، وبأن ما جاء إليه وحي من الله، وترجمته تمتاز بشيء آخر وهو أنه عرضها على الأزهريين. فجاء واتصل بالشيخ المراغي الذي كان شيخ الأزهر فالشيخ المراغي وفر له عالما اسمه الدكتور الغمراوي، وهو طبيب مصري يعرف اللغة العربية جيداً ويعرف الإنجليزية جيداً، وأرشده، فكانت هذه أول ترجمة تستطيع أن تقول إنها أول ترجمة يوافق عليها شيخ الأزهر. وفي مقابل هذا أو في موازاة لهذا جاءت ترجمات من المسلمين في الهند. والعرب في أوائل القرن العشرين لم يكونوا يهتمون بمعرفة اللغات الأجنبية. محمد علي لما جاء لمصر وأراد أن يقيم مدارس جديدة ترك الأزهر في جانب وأقام مدارس للطب والهندسة والعلوم وما إليها، فكان خريجو المدارس يعرفون اللغات الأجنبية ولكنهم يقولون أن

الدكتور أحمد عبد الحليم



- حفظ القرآن ودرّس في المعهد الديني الأزهري، وفي كلية دار العلوم بجامعة القاهرة التي حصل فيها على الليسانس في العلوم العربية والإسلامية، ثم الدكتوراه من جامعة كمبردج في بريطانيا.
- درس في كلية الدراسات الشرعية بكمبردج، ثم انتقل إلى كلية الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن حيث يعمل بها منذ سنين كثيرة.
- هو الآن أستاذ الدراسات الإسلامية بالجامعة.
- رئيس تحرير الدراسات القرآنية.
- كتب أخيراً ترجمة جديدة لمعاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية نشرتها مطبعة جامعة اوكسفورد سنة 2004 مسيحي.
- له عدة دراسات عن القرآن الكريم، وأعدَّ مع الدكتور السعيد بدوي معجماً كبيراً عن ألفاظ القرآن الكريم ستنشره مطبعة سبعة إبريل سنة 2006 مسيحي إن شاء الله.

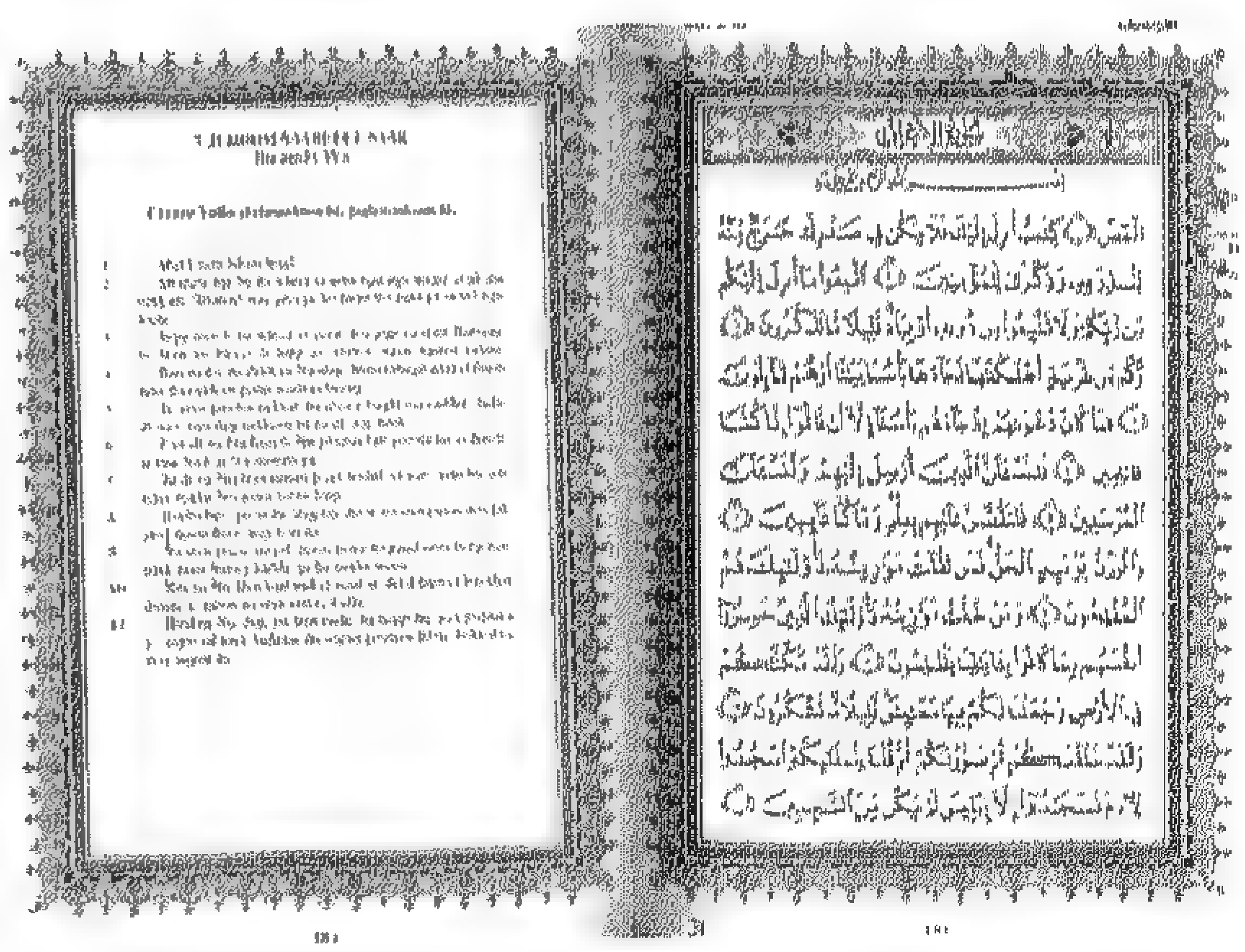
القرآن وكل علوم الدين هذا متروك للعلماء، والعلماء لا يعرفون اللغات الأجنبية، فظل العرب وقتئذٍ لا يسهمون في الترجمة، والذي قام بهذا الدور هم المسلمون من الهند وهذا يذكر لهم بكل التقدير والعرفان.

الدكتور «عبد الله يوسف علي» قدم ترجمته سنة 1934 مسيحي. وهو رجل مجتهد اجتهاداً كبيراً جداً، قرأ قراءات واسعة في الكتب العربية، وكان يعرف المسيحية واليهودية معرفة جيدة، ويقارن ويبين عظمة الإسلام وعظمة القرآن وما إلى ذلك. فهذه ترجمته ظلت حتى الآن تطبع وتوزع بين المسلمين على نطاق واسع جدا، فهي ترجمة واسعة الانتشار.

وأحب أن أشير إلى أن المسلم الاسكتلندي (محمد) قام بعمل في الواقع جعل ترجمته غير سليمة من الناحية اللغوية الأسلوبية في الإنجليزية، لأنه يلتزم بنسق الجملة العربية، يبدأ بالفعل ثم الفاعل ثم المفعول به وما إلى ذلك، اللغة الإنجليزية لها نسق آخر، ولأنه مسلم ويخاف أن يغير في الصياغة ويظن أنه لو غير في ترتيب الكلمات فهذا تغيير في معاني القرآن، لأنه كان هناك شيوخ من الأزهر يراقبونه ويتابعون عمله مثل الشيخ الغمراوي وغيره. فترجمته - في الواقع غريبة عن الأسلوب الإنجليزي.

أما يوسف علي فكان قد عمل ترجمته عام 1934 مسيحي، وكان ينسج على منوال اللغة الإنجليزية سابقاً لعصره بحوالي 50 سنة، فترجمة هذين الرجلين الآن غريبة على الجيل الصاعد من شباب المثقفين في إنجلترا وغيرها، لأنهم كانوا يقرؤونها ولا تعجبهم أو لا تجتذبهم فيتوقفون عن القراءة بعد قليل.





نماذج من ترجمات لمعاني القرآن الكريم
نشرتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

القرآن شرّف اللغة العربية وخلّدها

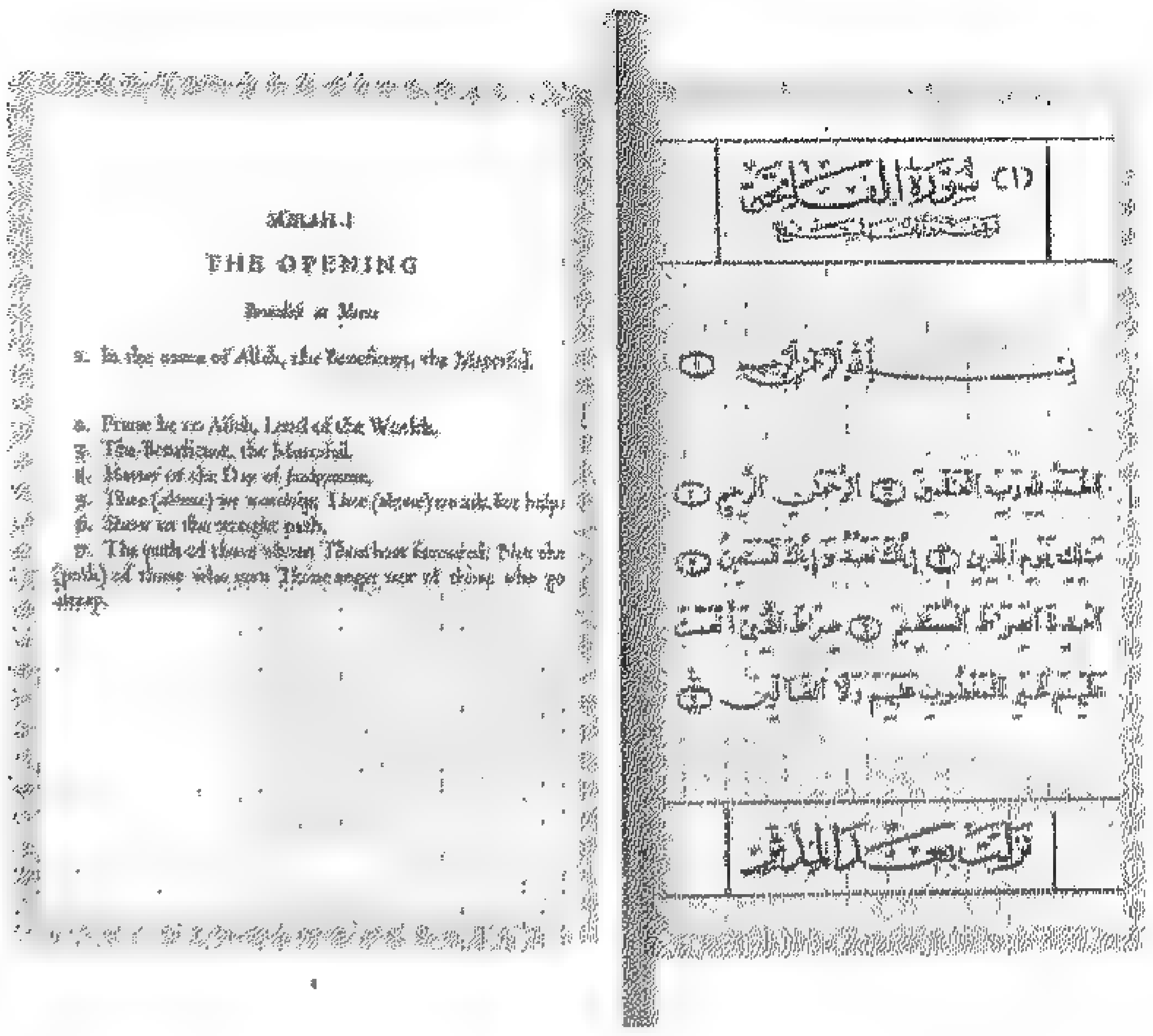
نزول القرآن بلغة العرب خلّد اللغة العربية في عصر نزوله، وظلت كما هي تُقرأ ويحفظها الناس

بالمئات والآلاف من العرب ومن غير العرب، فظل النسق مقبولا، بل هو أرقى أسلوب في اللغة العربية، أما في اللغة الإنجليزية الأسلوب يتطور بين كل 50 سنة أو 100 سنة تتغير الأساليب، والجيل الجديد لا يكتب بهذا الأسلوب ولا يروق له ، فهناك مشكلة كبيرة كانت في الواقع ناشئة، الآن الرجل (رود ويل) الذي في سنة 1960 مسيحي قال إن ترتيب القرآن هكذا ترتيب غير سليم وإن الذي عمله هكذا هم الصحابة بعد الرسول عليه الصلاة والسلام، أما نحن كعلماء غربيين فعلينا أن نرتب القرآن كما نزل، أي كما قرأه محمد، والسبب في هذا أنهم لا يؤمنون بأن القرآن وحي، ويقولون هذا محمد يتكلم ونحن نريد أن نرى كيف تطور فكره، وعن ماذا كان يتكلم في الأول ؟ ثم عن ماذا ابتدأ يتكلم ؟ وكانوا يقولون مثلا إنه عندما كان في المدينة واتصل باليهود فكان يعرف منهم أشياء جديدة ويدخلها في القرآن. وهذا بلا شك كلام مردود لأنه لا يقوم ولا يستند على أي أساس ولا حجة. فهذا الرجل (رود ويل) رتب القرآن ليس كما نراه في المصحف وإنما ـ كما يزعم ـ على حسب ترتيب النزول. فكان غريباً على المسلمين وعلى غير المسلمين.

المهم.. في 1937 مسيحي جاء رجل إنجليزي آخر اسمه (ريتشارد بل) وذهب إلى أبعد من هذا بكثير، ونشر ترجمة للقرآن الكريم، ولكن كانت له نظرية غريبة تماماً استغربها حتى الغربيون أنفسهم من العلماء، قال : السبب في أننا نرى القرآن غريبا، لأن القرآن كان غريباً عليهم لأنه يتحدث عن عدة موضوعات في سورة واحدة، القرآن كان ينزل على الرسول عليه الصلاة والسلام فيتلقى الوحي من جبريل ويقول لمن معه ولمن حوله ضعوا هذه الآية في السورة التي تقول كذا وكذا ويقرأه أمامهم بتوجيه من الروح الأمين كما أراد الله سبحانه وتعالى، وعندما بدأ جمع القرآن حتى الرسولﷺ نفسه لم يكن يجرؤ على أن يضيف كلمة يربط بها المادة مثلاً. مادة تتحدث عن موضوع وبعدها مادة تتحدث عن موضوع آخر وهكذا، وكان يمكن أن يقول كما نفعل الآن مثلاً نحن عندما نأتي لتحضير الدكتوراه أو الماجستير، نجمع عدة مواد من هنا ومن هنا ثم نبدأ بكتابة المقال، ترتب فيه المادة حسب موضوع معين، ونقول كما ذكرنا في صفحة 13 من قبل، أو نقول وكما سنذكر في الفصل الخامس. ليس في القرآن هذا، الرسول عليه الصلاة والسلام لا يقول كما ذكرنا عند حديثنا حول الآيات الواردة في سورة الصف مثلا. وقد ظل هذا غريبا على الغربيين عموما لوقت طويل، لأن القرآن ليس رسالة دكتوراه مثلا، وليس مقالاً في صحيفة يتحدث عن فكرة واحدة في موضوع واحد، ليس هذا. وأعود إلى ما بدأت به هذه النقطة، فهذا الرجل واسمه (ريتشارد بل) سنة 1937 مسيحي قال : السبب في هذا الخلط ـ كما يسميه ـ أن العرب لم تكن لديهم أوراق كثيرة، فكان يكتب مثلا آيةعلى قطعة عظم أو حجر أو أي شيء آخر، ثم في الناحية الثانية ـ لأنه ليس لديه أوراق أخرى يكتب فيها ـ فيكتب في خلف الصفحة أو خلف العظمة أو الحجر، فقال إنهم عندما جاءوا يجمعون القرآن اختلط عليهم هذا وخلطوا القرآن بعضه ببعض. وهذا كلام سفيه جدا، لماذا ؟ وكيف يقول هذا من غير أي دليل على الإطلاق ؟ ثم تجده يرتب ويغير ويزعم مزاعم فاسدة. هذه الترجمة التي ظهرت سنة 1937 مسيحي لم تكن لها قيمة أدبية في الواقع، ولم تأت بجديد إلا هذا الرأي الفاسد.

وفي سنة 1955 مسيحي ظهر مترجم إنجليزي اسمه (آربل) وكان الزمن يتغير، وتقل العداوة، لأنه يظهر من الإنجليز والإيطاليين والفرنسيين وغيرهم أناس ذوو صدق، فبدأوا يشكون في من قال قبلهم بأن القرآن اختراع أو كلام محمد.... ويقولون ليس هذا من شأننا، وإنما يجب أن نقرأه كما هو. فهذا الرجل جاء إلى مصر وأقام في القاهرة ودرّس في جامعة القاهرة، ويقول إنه كان في ليالي رمضان يجلس في

بيته فيسمع من بيت جاره قارئاً أعمى يرتل القرآن بنغمة جديدة جدا، فهذا حببه في القرآن، فوضع ترجمة جديدة هي ترجمة (آربل) سنة 1955مسيحي، لكنه التزم بشيئين : الأول أنه لم يضع حاشية واحدة أو هامشاً واحداً من أول الترجمة إلى آخرها، لم يضع مقدمة ولا هامشا يشرح فيه بعض الأشياء، لأن هناك أشياء كثيرة تحتاج إلى الشرح حتى للعرب أنفسهم. الشيء الآخر أنه يلتزم بنسق الجملة العربية، صحيح أن ترجمته جميلة بعض الشيء باللغة الإنجليزية لكن لا يفهمها الناس.


SURAH I

THE OPENING

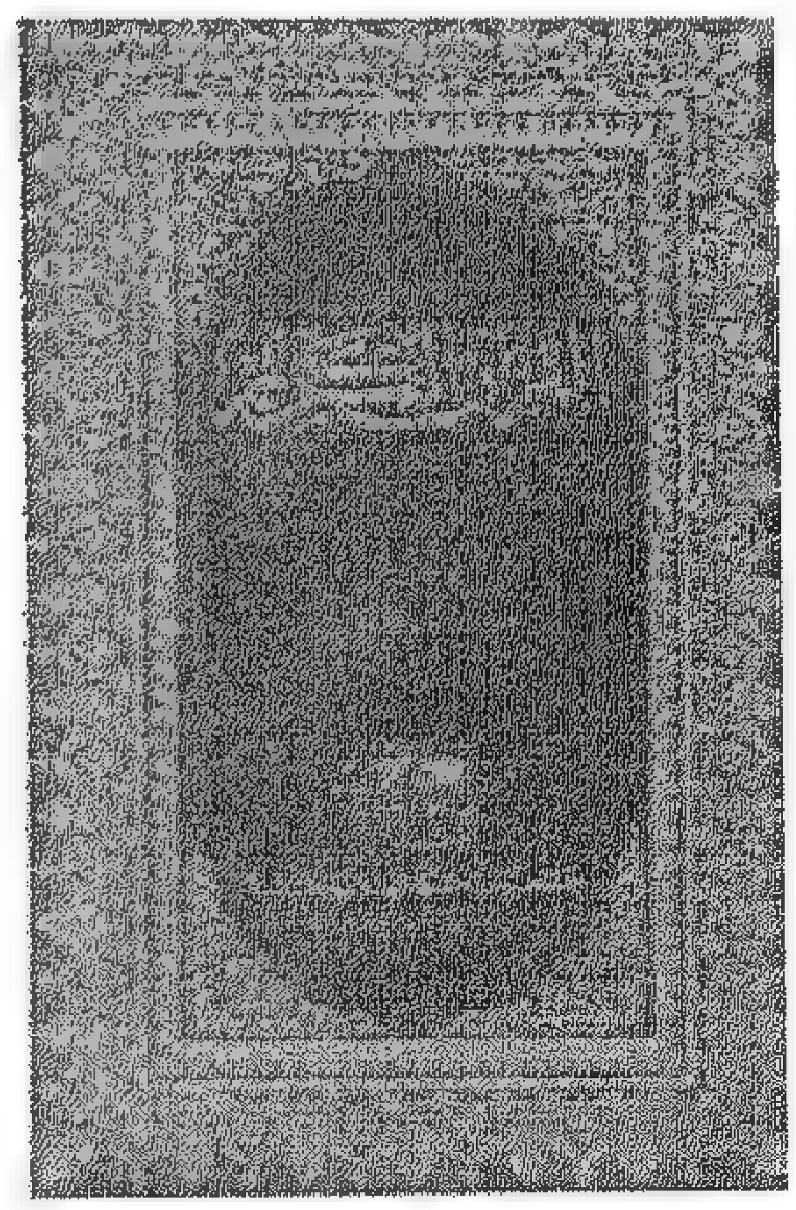
1. In the name of Allah, the Beneficent, the Merciful.

2. Praise be to Allah, Lord of the Worlds,
3. The Beneficent, the Merciful.
4. Master of the Day of Judgment,
5. Thee (alone) we worship; Thee (alone) we ask for help.
6. Show us the straight path,
7. The path of those whom Thou hast favoured; Not the (path) of those who earn Thine anger nor of those who go astray.

سورة الفاتحة (1)

بسم الله الرحمن الرحيم ①

الحمد لله رب العالمين ② الرحمن الرحيم ③ مالك يوم الدين ④ إياك نعبد وإياك نستعين ⑤ اهدنا الصراط المستقيم ⑥ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ⑦



ترجمات نشرتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

البواعث والأهداف

عندما ذهبت إلى الجامعة في لندن وبدأت تدريس القرآن للطلاب، كنت أسألهم : ما رأيكم في هذه الترجمة ؟ فكانوا يقولون هذه ترجمة كتبت بلغة لا تروق لنا وليست من لغة عصرنا، وإذا بدأنا بقراءتها قمنا بقراءة جملة أو اثنتين ثم نتركها. هذا كان حالهم. وهنا رأيت أن هذا دوري أنا الفلاح المسلم من قرية مصرية تعلمت القرآن في القرية وحفظته، وكنا نمتحن فيه في المعهد الديني امتحاناً شفويا، في القرآن وفي بعض المواد الأخرى إلى جانب الامتحان التحريري، وكان والدي ـ رحمه الله ـ قد أخذ عليَّ عهداً أن أقرأ كل يوم من القرآن شيئا، وظللت أقرأه باستمرار حتى وأنا في مترو الأنفاق في لندن. فأنا قلت إذا كان هذا هو الواقع هنا، فمن العيب عليَّ أن أترك هذا الأمر، وهناك عدد من المستشرقين الذين يقومون بالكتابة عن القرآن، وهي كتابة فيها قدح ونقد وهكذا، وكنت أدرّس الأدب، فتحولت إلى الدراسات القرآنية تماماً وأنا أدرس في جامعة لندن، وقلت لا بد من ترجمة جديدة، ما هو المقصود منها ؟ المقصود عدة أشياء أحاول أن أوجزها في الآتي :

❖ الوضوح وسهولة اللغة : ولكن ما هو المعيار في هذا؟ كنت أكتب وأعرض الترجمة على عدد من

طلابي وهم في سن العشرينيات والثلاثينيات لا أكبر من ذلك، وقلت أنا أريد هذا الجيل (العشرينات، والثلاثينات) أقول لهم اقرؤوا واقترحوا علي، فكانوا يقترحون ويقولون - مثلاً - نحن لا نفهم هذه الكلمة، أو هذه جملة غريبة. وكنت أقبل من عندهم ما أقبله حتى إن كثيرا جداً من الناس رأوا أن هذا واضح تماماً لهم، وأسلوب يقرأه أي شخص متعلم إنجليزي فيفهمه. وكان هذا عندي أول وأهم شيء (الوضوح وسهولة اللغة). وكانت هناك وسائل أخرى للتوضيح، منها أنني أكتب مثلاً مقدمة للسورة، لأن هناك سورا في القرآن مرتبطة بأحداث، فهناك مثلاً ست عشرة سورة في القرآن الكريم أوردها كأمثلة. فإذا قرأنا مثلاً سورة ﴿الضحى﴾ لابد أن تذكر السبب في هذا، قرأت مثلاً سورة ﴿إقرا﴾ أيضا لابد أن تذكر السبب وراء هذا، سورة مثل سورة ﴿التحريم﴾ لابد أن تذكر ما هو السبب وراء هذا، وكذلك سور ﴿الأنفال، الممتحنة، المجادلة، الروم﴾، وأيضا سورة ﴿النور﴾ وما في أولها من حديث على الإفك. عندما تقرأ قوله تعالى:

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [سورة الفتح: الآية 27]

فلو كتبت هذا لشخص إنجليزي ليس من أهل اللغة ولا من أهل الثقافة العربية ولا من أهل الإسلام، لتساءل: ما هو السبب في محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون ؟ ومن هنا فلا بد أن تشرح له ذلك، وأن تقول له إن هذا من شعائر الحج، حيث إنه بعد نهاية الحج لا بد من القصر والتحليق....إلخ، وما هو مغزى (لا تخافون)؟، فأي إنسان لا يعرف اللغة العربية ولا الثقافة الإسلامية ؛ لابد أن تشرح وتوضح له هذا، ولذلك كان لابد من كتابة مقدمة تتناول ذلك. ثم تعليقات قصيرة على الهامش، عن ارتباط المواضيع ببعضها، وهذه في الواقع مسألة مهمة جداً، لأن الترجمات الأخرى تترجم الكلمات بمعاني، وقد يترتب عليها انفصام، فمثلاً في قوله تعالى:

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [سورة الرُّوم:الآية 37]

أنا تساءلت عن العلاقة؟ بينما من سبقوني يأخذون كلمة شر أو كلمة سيئة ويترجمونها بترجمة بعيدة جداً عن المعنى الأصيل، وواضح من هذا التوارد مع بعض في الآيات

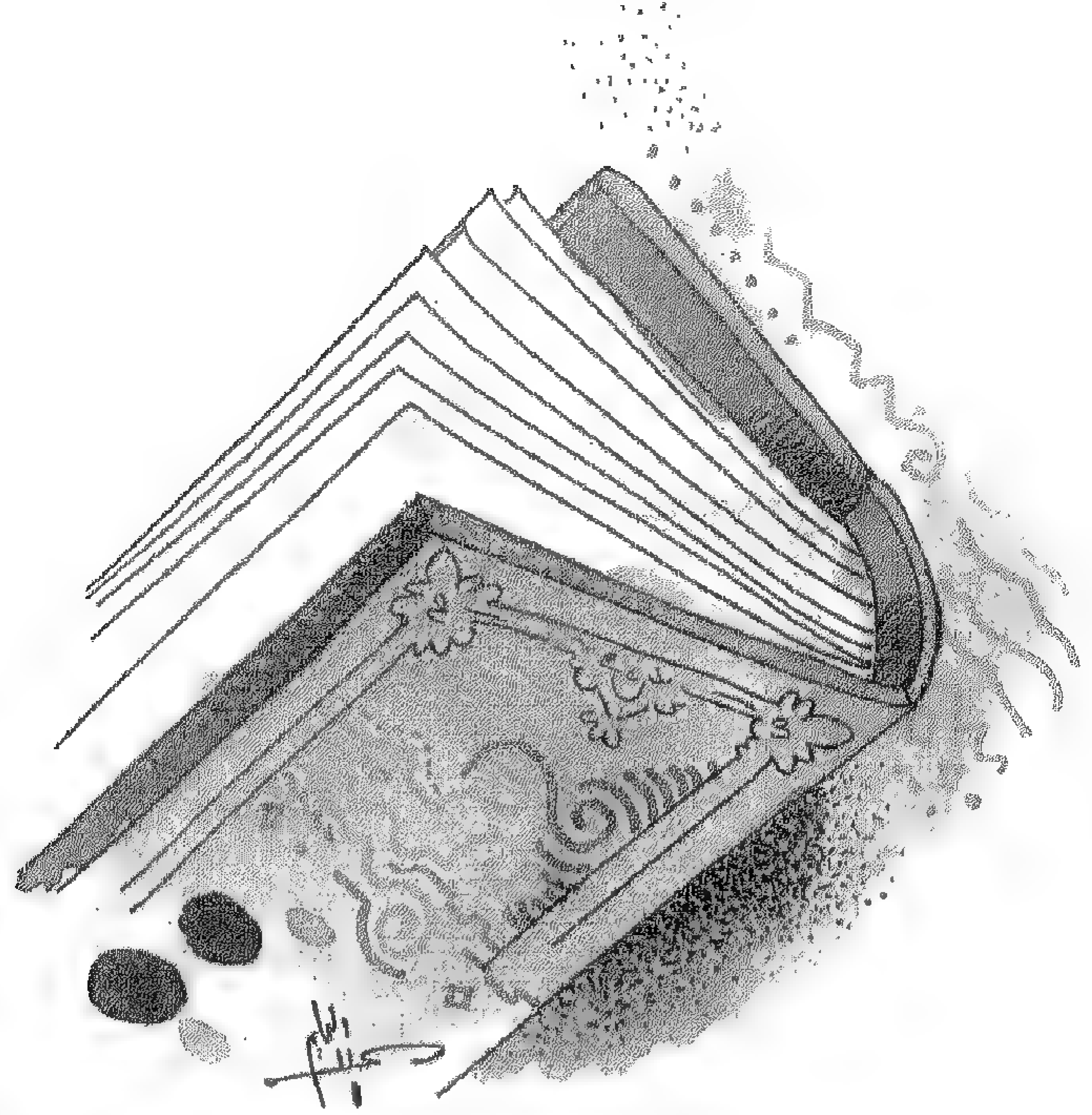
﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾
[سورة الرُّوم:الآية37]

فمعنى السيئة هنا (صعوبة مالية اقتصادية) وإلاّ فلا معنى لذكر ما بعده، فهنا ترجمة الكلمة نفسها، أي الترجمة السليمة للكلمة لكي يترتب عليها وضوح الارتباط بين الآيتين. وقد وضعت الهوامش أيضا لبيان ارتباط الآيات ببعضها.

أما يوسف علي في ترجمته، ومحمد أسد، وغيرهما فهم يطيلون الهوامش، ويدافعون عن الإسلام، ويبينون فضل الإسلام.

وإذا كنت تريد أن تخاطب مثقفين غربيين غير مسلمين وتريد منهم أن يسمعوا كلامك؛ فلا بد أن تظهر أمامهم بأسلوب وطريقة تختلف عن الخطابة، ولذلك فإن الهوامش قليلة جداً لشرح ارتباط الأشياء ببعضها..

هناك ظواهر كثيرة جداً منها: الوضوح ثم إنني قرأت وأدرّس مادة اسمها (أساليب القرآن) فكان لا بد من إدخال أشياء جديدة في علوم القرآن واسمها (الوجوه والنظائر)، كلمة واحدة لها معانٍ متعددة في سياقات مختلفة، خذ مثلاً كلمة (الرحمة) ستجد لها معانٍ متعددة، أحياناً تكون بمعنى المطر، وأحياناً بمعنى النبوة... الخ، فتعدد المعاني وتنوعها عملية مهمة جدا.



❖ أهمية الترقيم وعلامات الوقف

وأود أن أتوقف أمام مثال آخر، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [سورة الأنعام: الآيتان 37 - 38]

فهم يطالبونهم بآية معجزة وما أكثر ما طالبوه بمعجزات:

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً﴾ [سورة الأنعام: الآية 37]

ثم يذكر القرآن معجزة واضحة لكل الناس في كل وقت:

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [سورة الأنعام: الآية 38]

❖ بعد ذلك ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ .

وكلمة الكتاب في القرآن الكريم لها أكثر من عشر معانٍ، والمفسرون المسلمون والوعاظ يقولون - في تفسير هذه الآية - إن الله ذكر كل شيء في القرآن، وإن كان هذا مقبولاً إلا أن كلمة ﴿الكتاب﴾ في هذه الآية لا تعني القرآن بل تعني السجل الذي يسجل الله فيه عن الناس جميعاً ما قاموا به من أعمال (سجل الأعمال) فهو سبحانه وتعالى يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ أي أنه يقول للناس اعقلوا واحذروا فنحن نسجل عليكم كل شيء: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾

فكل إنسان سيجد أمامه سجلا يوم القيامة فيه كل شيء، فهذا تهديد وتحذير لكفار مكة، أما الذي لا يفهم وجوه المعاني وتعددها وتنوعها فإنه يأخذ كلمة الكتاب بمعنى القرآن الكريم. وكثير من المفسرين عندما يتناولون هذه الآية يذكرون حول قوله تعالى:

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [سورة الأنعام: الآية 38]

أن جميع الدواب وكل الطيور ستحشر يوم القيامة، وهذا كلام غريب، والسبب أن من يقول بهذا لم يعرف أين يقف الكلام، نحن لدينا الآن نظام جديد من الترقيم، فالقرآن الكريم له نظامه، ومعروفة نهاية كل آية وكذلك علامات الوقف، ومن الأشياء الدقيقة جداً في القرآن أن تعرف أين يقف كلام ويبدأ كلام آخر، وإلا فقد يختلط المعنى، وإذا كانت الدواب والطيور.. ستحشر؛ فما هي الفائدة التي يمدنا بها هذا السياق؟.. تنبهوا لهذا وتذكروا دائما سياق الكلام

والموضوع الذي يتحدث عنه، فسياق هذه الآية يحدثنا عن جدال الكافرين للرسول ﷺ ومطالبتهم له بآية، أي بمعجزة، والقرآن الكريم يقول لهم إننا نسجل عليكم كل شيء وسنحاسبكم عليه يوم القيامة، فهذا هو السياق، وبالتالي لا يستساغ أن نُدخلَ فيه أن الطيور والدواب ستحشر، وإنني أرى أن من ذهب إلى ذلك المعنى أنه لم يتوقف عند السياق، ومعرفة أين توقف الكلام وأين بدأ كلام أو سياق آخر، وذلك أمر مهم. ولذلك فإنني هنا - مثلاً - أضع نقطة وقف (قاطعة) بمعنى قطع السياق السابق عن اللاحق، وفي هذا الجانب قمت بحصر عدد كبير من الأمثلة التي لم يتنبه فيها عدد من المفسرين إلى مسألة السياق، فعلامات الترقيم، وعلامات الوقف، تبين أين ينتهي الكلام وأين يبدأ كلام آخر.

أحيانا يتكلم القرآن عن مسألة ويقول: إنهم يقولون كذا، ويعلّق على ذلك بقوله ﴿بزعمهم﴾ نجد هذا في قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا۟ هَـٰذِهِۦٓ أَنْعَـٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ [سورة الأنعام: الآية 138]

ثم يقول ﴿بزعمهم﴾ أي هكذا يزعمون، وهذا تعليق على ما قالوا، والترقيم وعلامات الوقف تبين أن هذا ليس من الجملة الرئيسية وإلا فإن الكلام يختلط ببعضه. وهناك عدد من الأمثلة والنماذج من هذا لا أستطيع أن أشرحها كلها هنا، وأكتفي بهذا المثال الذي سقته.

❖ هناك نقطة أخرى أريد أن أشير إليها بعجالة تتعلق بالحجم، وأعني حجم الكتاب المطبوع الذي يحتوي ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية، وقد ظهر الكتاب (ترجمة معاني مفردات القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية) ضمن سلسلة تصدرها جامعة أوكسفورد، وهو حجم صغير، والهدف هو أن يتمكن القارئ من أخذ الكتاب معه حيثما شاء ويتمكن من وضعه في حقيبة اليد مثلاً.

❖ نقطة أخرى أود أن أشير إليها تتعلق أيضا بالترجمة، فالمسلمون كانوا يطبعون ترجماتهم لمعاني القرآن في مطابع متواضعة وقديمة - في إسلام أباد مثلا أو في بريطانيا أو في أي بلد عربي - ويكون الحجم كبيرا، ولا توزع الترجمة إلا في المساجد وبعض المراكز الإسلامية، وبين المسلمين، ولذلك فإنك إذا ذهبت إلى أي مكتبة إنجليزية عامة فلا تجد ما كتبه العلماء المسلمون من ترجمات ولا تجد إلا ما كتبه اليهود والمسيحيون، وهي ترجمات وُضعت بطريقة غريبة، وحجمها غير مناسب، فضلا عن سوء الترجمة.

> **إذا ذهبت إلى أي مكتبة إنجليزية عامة فلا تجد ما كتبه العلماء المسلمون من ترجمات ولا تجد إلا ما كتبه اليهود والمسيحيون.**

وأفيدكم علماً بأنني وضعت الترجمة التي قمت بها أمام طلابي (في الليسانس والماجستير والدكتوراه) وهم من الإنجليز، فعبروا عن رضاهم وإعجابهم بالعمل، عندها توجهت إلى أكبر ناشر في بريطانيا وتوزع منشوراته في أغلب بلدان العالم ليقوم بنشره وتوزيعه.

❖ هناك ظاهرة أخرى في القرآن الكريم أريد أن أتوقف معكم عندها وهي المعروفة باسم (مرجع الضمير) وانتقال الضمير في آية واحدة من المفرد إلى الجمع، فمثلا قوله تعالى في سورة الأنبياء:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

فالآية تخاطب الرسول عليه الصلاة والسلام، مخاطب معينٌ مفرد، ثم تنتقل فتقول : فسئلوا أهل الذكر،،، وفي اللغة الإنجليزية هناك ضمير واحد للمخاطب سواء كان مفردا أو مثنى أو جمع، مذكر أو مؤنث، هو (YOU) وفي السابق كان المترجمون لا يفرقون بين الضمائر هذه، ويسوقون المعنى وكأن الخطاب كله موجه للرسول. وإننا نجد هذا (مرجع

الضمير) في عدد كبير من الآيات. وما فعلته في ترجمتي أنني كنت أضع فاصلة (،) أو نقطة (.) بين الإثنين حتى يتضح المعنى.

وبما أنني أقوم بتدريس أسلوب القرآن فإنني توقفت مع الطلاب عند قوله تعالى في سورة الطارق:

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ * فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ * يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ * فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾

[سورة الطارق: الآيات 4 ـ 10]

وهناك قاعدة في اللغة العربية تقول (الضمير يرجع إلى أقرب مذكور) ولكنها ليست قاعدة عامة، وهناك عدد من المفسرين الذين يقولون:

﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ أي من صلب الرجل وترائب المرأة، وهذا كلام لا أساس له من الصحة، وهذا ما أثبته علم الحياة الحديث. والسبب في ما قاله المفسرون أخذهم بقاعدة أن الضمير يعود إلى أقرب مذكور. والصحيح هو: يخرج ـ أي الإنسان ـ من بين صلب المرأة وترائبها. يدلنا على هذا أن الآيات بعد ذلك تقارن بين هذا وبين القبر الذي يدفن فيه الإنسان ويبقى محصورا فيه، ثم يخرج منه يوم البعث، كما كان محصورا في بطن أمه ثم يخرج منها، والقرآن يستعمل كلمة (يخرج) من بطن الأم، و(يخرج) يوم البعث. والقرآن يستعمل هذه الكلمة (يخرج) في ثلاثة أشياء، وكلها خروج وبعث: فالنبات يخرج من الأرض ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن الله﴾. وكذلك الإنسان يخرج من بطن أمه ويخرج من الأرض ﴿وكذلك الخروج﴾، فيقارن بين خروج النبات من حبة صغيرة (وهذا دليل على البعث) وخروج الإنسان من بطن أمه، من ذلك الحيز الضيق كالقبر، كما أنه سيخرج من القبر إلى البعث والحساب. وعلى هذا فإيقاف الكلام والتنبه إلى المرجع الصحيح للضمير هو الذي يعطيك المعنى الصحيح والفهم والتفسير السليم.

وهناك أشياء يترتب عليها إساءة فهم نظرة الإسلام للعالم:

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾

[سورة الإسراء: الآية 16]

هناك من يقول حول هذه الآيات إن المترفين هم الناس الذين لديهم مال كثير، أي أغنياء، وكأن الغنى في الإسلام شيء سيترتب عليه فساد وإهلاك وما إلى ذلك، وهذا غير صحيح، لأن هناك عدداً من الصحابة كانوا من الأغنياء (عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهما). وقد ورد في الأثر (... ونعم المال الصالح للعبد الصالح) وليس في القرآن ولا في الإسلام ما يشير إلى أي منع أو نقد أن تكون لك أموال طيبة وتنفق منها بالليل والنهار. إنما المترف ـ كما تقول القواميس القديمة ـ هو الذي أفسدته النعمة.

وفي قوله تعالى:

﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾

[سورة القصص: الآية 76]

بمعنى الفرح الذي يخالطه البطر والتكبر وان يقول الإنسان أنا فعلت كذا وكذا... الخ.

أردت من وراء ضرب هذه الأمثلة أن أوضح أهمية فهم المعنى القرآني قبل الترجمة، حتى نعرف بدقة اختيار المفردات التي توصل المعنى إلى القارئ من أهل تلك اللغة (الإنجليزية مثلاً) المعنى بسهولة ودقة ويسر ووضوح. والصحة في نقل المعنى، والتنبه لأشياء عديدة مهمة هي من صميم الدراسات القرآنية ومن صميم كتب علوم القرآن (تعدد المعاني، ومرجع الضمير....).

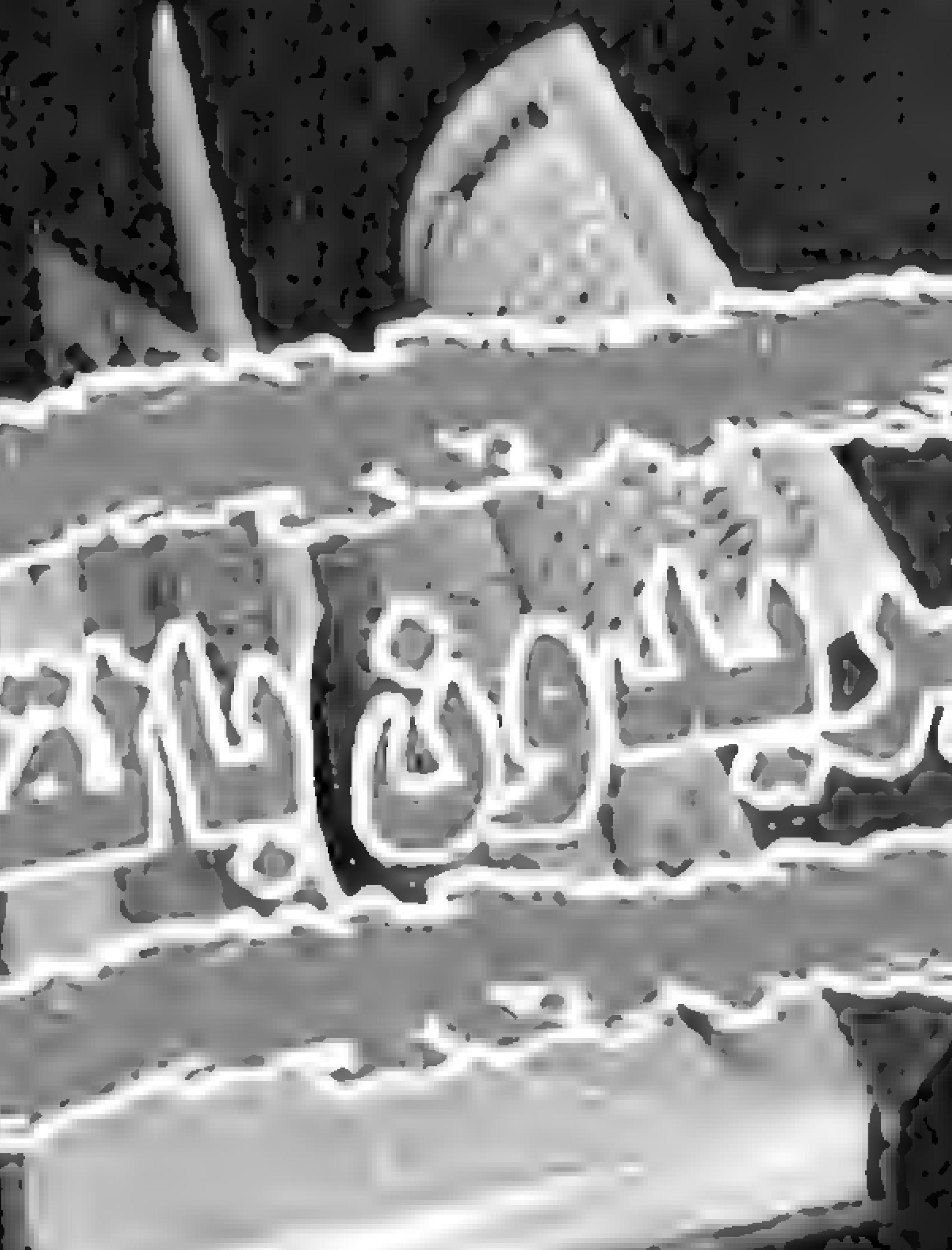
أكتفي بهذا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله.



- ❖ مدخل سيكولوجي
- ❖ مدخل تاريخي
- ❖ نظرة إلى الفكر الاستشراقي في الدراسات القرآنية
- ❖ الدراسات القرآنية: من الاستشراق إلى السياسة
- ❖ سفاهات يسمونها قرآناً
- ❖ مؤلفات حديثة ضد القرآن: مؤلفون وهميون
- ❖ حقيقة مصحف سمرقند
- ❖ مواقع معادية للقرآن
- ❖ قرآن فوبيا
- ❖ تدنيس القرآن
- ❖ المنصفون من الغرب والقرآن..

يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون

أعد المادة تحريراً وعرضاً وترجمة:
الصديق بشير نصر*



ماذا يريدون بالقرآن؟!

* كاتب وباحث (استاذ جامعي) / ليبيا

مدخل سيكولوجي ومعرفي لتفسير الحرب على القرآن

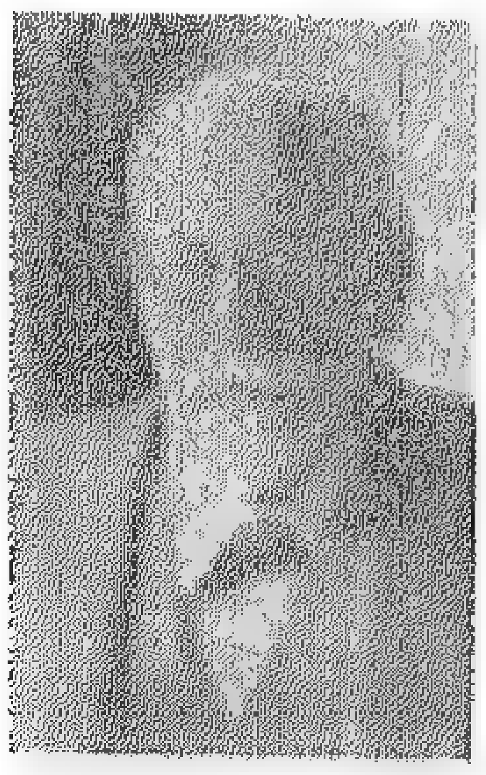
القرآن، أكثر الكتب على الإطلاق، وعلى مرّ التاريخ، تعرضاً للتشويه. وليس من العسير تفسير ذلك الهجوم. وثمة مدخلان لتحليل هذا: سيكولوجياً (نفسياً)، وابستمولوجياً (معرفياً).

التحليل النفسي (السيكولوجي) يقول:

❖ تزييف الحقائق وتحريفها تعبير صادق عن الإخفاق والعجز. أو بألفاظ أخرى: العجز عن مواجهة الخصم قد يتحوّل إلى الافتراء عليه.

❖ الإحساس بفقدان الشيء يتحوّل إلى كراهية له.

❖ التلبّس بالصفات السلبية مدعاة لنعت الآخرين بها درءاً للاتهام. وهو ما يعرف عند علماء النفس بالإسقاط. والإسقاط حيلة من الحيل الدفاعية التي يلجأ إليها الفرد للتخلّص من تأثير التوتر الناشئ في داخله. وهو عملية نقل يدرك المرء خلالها دوافعه وعيوبه وأخطاءه وصفاته المعيبة في الغير بقصد وقاية نفسه من القلق وتأنيب الضمير. وقد ظهر هذا المصطلح أوّل مرة في علم النفس عام 1894 عندما كتب فرويد مقالة عن عُصَاب القلق.



سيجموند فرويد

ونرى كلّ ذلك جليّاً في معاداة القرآن والطعن فيه. فالحرب على القرآن في القرون الوسطى جاء نتيجة لإخفاق الكنيسة في مواجهة الإسلام عقدياً. ولم يكن ثمة سبيل لحماية النصارى من الاهتداء إلى الإسلام إلا بتشويه رسالته، والطعن في كتابه، وتكذيب نبيّه.

وأيضاً لانعزال الكنيسة عن الحياة، وتحولها إلى معابد كئيبة خالية من الروح لا يرتادها إلا عدد قليل من العجائز والشيوخ الذين يتهيأون لمغادرة الدنيا إلى عالم الآخرة، أو ممن صرفوا حياتهم لخدمة الكنيسة، رهباناً وراهبات، هروباً من قسوة الحياة.

وتشهد أدبيات القرون الوسطى، والحديثة أيضاً، على مبلغ تغلغل هذا المرض النفسي في محاربة القرآن الذي بلغ ذروته إلى حدّ النفي المطلق لكلّ شيء يمتُّ إلى الإسلام بسبب. فالقرآن أكذوبة، واختراع صنعه محمد، وفي أحسن الأحوال إرث يهودي أو نصراني، أو خليط من كليهما. ومحمد نفسه وهم تاريخي لا وجود له، والإسلام نعت لم يُعرف به هذا الدين إلا بعد قرون من وجوده، وهو ليس إلا هاجرية، أو محمدية. وأصحاب محمد متوحشون، دمويون، نفعيون، والمسلمون أنفسهم همج برابرة، وأهل غدر وخيانة، ومصاصو دماء، وغيرها من النعوت المقذعة التي تولّدت من رحم ثقافة القرون الوسطى المناوئة للإسلام، ولا نزال نقرأها في الفكر الغربي المعاصر الذي ما برح يمارس فلسفة النبذ والإقصاء ضد الآخر، في الوقت الذي ينعت فيه القرآن بأنه هو من يمارس هذا الإقصاء، وهذا هو الإسقاط النفسي بعينه.

وهذه الأسباب لم تقف عند حدود القرون الوسطى، بل ظلّت قائمة حتى الوقت الراهن.

التحليل المعرفي (الابستمولوجي) يقول:

- الأيديولوجيا الضعيفة تحمي معتنقيها من الأيديولوجيا الوافدة.
- إخفاق الغرب في مواجهة الإسلام أيديولوجياً بالرغم من هزيمة المسلمين سياسياً واقتصادياً، وعسكريّاً.
- فساد حمل فكرة انقياد المغلوب للغالب على إطلاقها، إذ يشهد الواقع العملي بتقييدها وقد أثبت الواقع أيضاً أنّ الغلبة لا تكون إلا للفكر الأقوى، والإسلام عقيدةٌ أقوى من عقيدة المتغلّب. ولذلك قويت عقيدة المغلوب، ووهنت عقيدة الغالب.
- الخروج عن العقلانية في مخاطبة الآخر، والالتجاء إلى خطابات تتسم بالسوقية علامة على الإخفاق والفشل.

مدخل تاريخي للحرب على القرآن

الحرب على القرآن: القديم المتجدد

الحرب على القرآن ليست وليدة اليوم، إنها قديمة جداً، اندلعت نارها مع أوّل مجابهة مع الوثنية، رأس الشرك والجاهلية، فنبتت بينهم نابتة شريرة زعمت أنها بمقدورها أن تأتي بمثل هذا القرآن، وقد تحداها في قوله:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البَقَرَة: الآية 23]

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

[سورة يُونس: الآية 38]

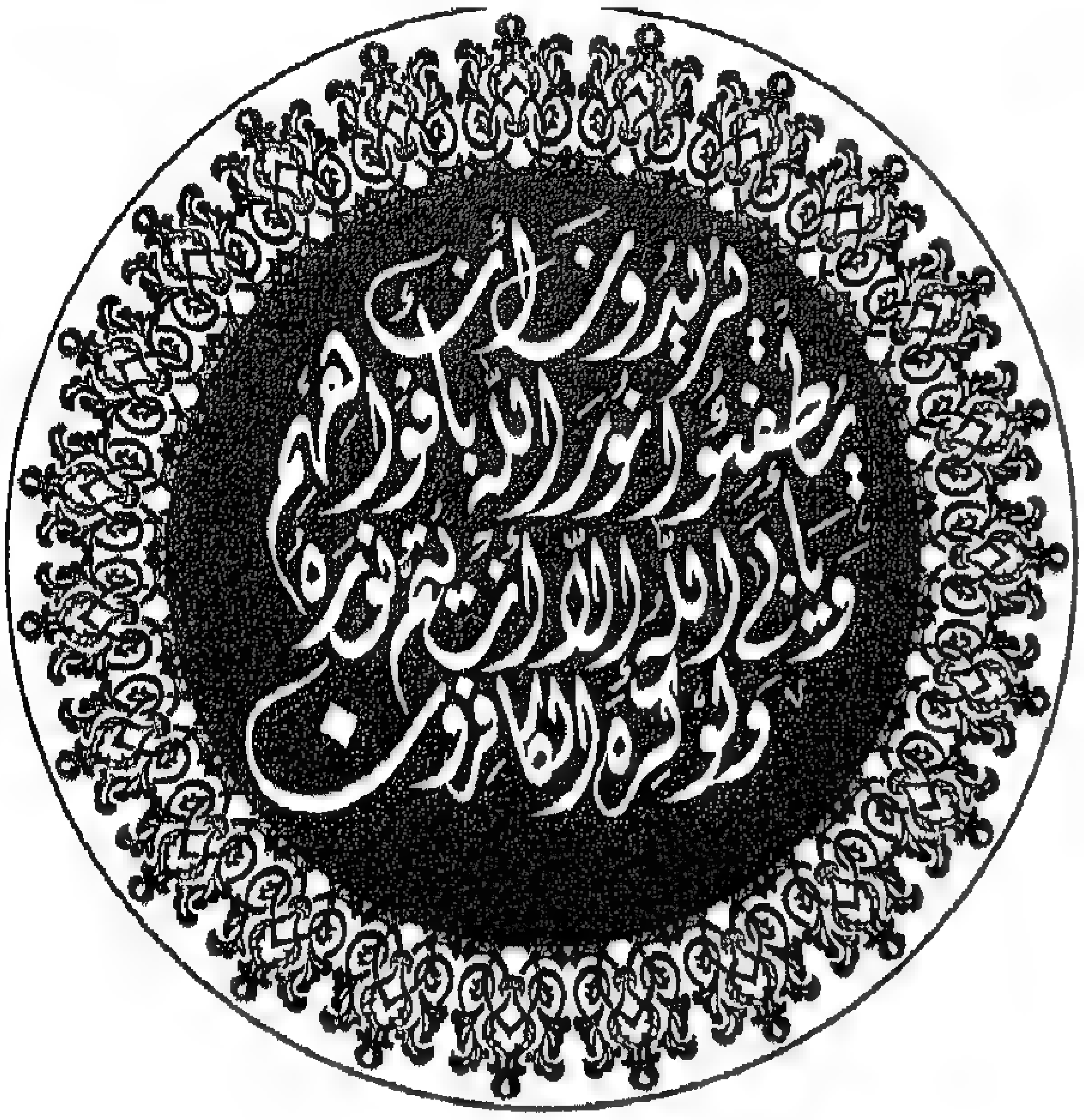
فجاء سفهاؤهم بمعارضات تضحك الثكلى، كخرف مسيلمة الكذاب، ما دعا الباقلاني أن يقول فيها: «فأما كلام مسيلمة الكذّاب وما زعم أنه قرآن فهو أخسّ من أن نشتغل به، وأسخف من أن نفكّر فيه». ومن هذا الخرف، الذي بدأنا نرى مثله هذه الأيام وسنعرض له بعد حين، قول كذّاب اليمامة: «والليل الدامس، والذئب الهامس، ما قَطَعت أُسيد من رَطْب ويابس »، وكقوله : « يا ضفدع بنت ضفدعين، نقّي ما تنقين، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين، لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين»، أو كقول سجاح بنت الحارث المتنبئة: « ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صِفاق وَحَشًا».

ولم يحفظ لنا التاريخ معارضات حقيقية جديرة بالتأمل إلا هذا الخرف، ودعاوى باطلة تنسب إلى أبي العلاء المعري وأبي الطيب المتنبي، وهي دعاوى كاذبة أبطلها الباحثون. ولم تبق إلا معارضات قيل إنها لابن الراوندي الملحد، لم يبق لها أثر..

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الرّعد: الآية 17]

إنّ أكثر المطاعن التي توجّه إلى القرآن اليوم لها ما يناظرها في القديم، بل قد لا يكون من ضروب المبالغة إذا قلنا إنها تكاد تكون هي عينها، إن لم تكن أسخف منها.

ومن أوائل المصنفات في الردّ على افتراءات الملاحدة والمبتدعة على القرآن كتاب (الردّ على ابن الراوندي الملحد) للجاحظ (ت 2)، و(مشكل القرآن) لابن قتيبة الدينوري (ت 276) وأحسب أنّ مؤلفات أبي بكر الباقلاني (ت 403): (التمهيد، وإعجاز القرآن)، ونكت الانتصار لنقل القرآن من بواكير المصنفات التي واجهت الافتراءات على القرآن، وكذلك كتاب (تنزيه



القرآن عن المطاعن) للقاضي عبد الجبّار (ت 415) الذي كان يُعبّر عن ذلك صراحةً فتراه يبدأ ردّه على الشبهات التي أثيرت في عصره، أو التي يَظُنّ أنها قد تُثار بقوله: «قالوا »، و « قد قيل »، و « وربما قالوا »، و«يُقَالُ »، و« وسألوا عن قوله تعالى »، و « كيف قال الله تعالى » الخ.

وأكثر افتراءات خصوم القرآن حديثاً مأخوذة من شبهات وأوهام ذكرها ابن أبي داود في كتابه (المصاحف) والسيوطي في كتابه (الإتقان). والمشككون نقلوا الشبهات وأعرضوا عن الردود. وتلك الشبهات المتكررة هي:

- دعوى تحريف القرآن.
- دعوى تناقض القرآن.
- دعوى وجود أخطاء تاريخية في القرآن.
- دعوى وجود أخطاء لغوية في القرآن.
- شبهات تتعلق بمسألة النسخ في القرآن.
- شبهات تتعلق بمسألة جمع القرآن.

نظرة إلى الفكر الاستشراقي في الدراسات القرآنية

من تيودور نولدكه Theodor Nöldeke
إلى جون وانسبرو John Wansbrough

يُعدّ كتاب (تاريخ القرآن) Geschichte des Qorans لتيودور نولدكه من أهم الكتب التي ألفها المستشرقون في تاريخ القرآن. وكلّ مَن جاء بعده تأثّر به وبنتائجه، حتى أصبح الكتاب إنجيل المستشرقين في الدراسات القرآنية. ولم يقتصر ذلك التأثير على المستشرقين الذين جاءوا بعد نولدكه، بل تعداهم إلى بعض الكتاب المسلمين أيضاً.

وقد صدر الكتاب أوّل مرة بالألمانية سنة 1860، ثم أعاد فريدريش شفالي Friedrich Schwally نشر الجزء الأولَ منه بعد تنقيحه تحت إشراف أستاذه تيودور نولدكه سنة 1909، وأهداه لعملاقين من عمالقة الاستشراق، هما: إجنتس جولدتسيهر، وسنوك هرخرونه. وبوفاة شيفالي سنة 1919 توقف إصدار بقية أجزاء الكتاب حتى جاء أوغست فيشر Fischer August فأصدر الجزء الثاني مع إدخال بعض التعديلات عليه. أمّا الجزء الثالث فقد اعتنى بنشره المستشرق برجشتراسر Gotthelf Bergsträßer وأكمله تلميذه أوتو بريتسل Otto Pretzel في مطلع سنة 1937 بسبب وفاة برجشتراسر قبل ذلك بأربع سنوات.



تيودور نولدكه

وقد تُرجِمَ الكتاب إلى العربية مؤخراً (راجع عرضنا للكتاب في العدد السادس من مجلة التواصل)، وبذلك تسقط الهالة التي أحاطت بالكتاب حيث لم يعد ما ورد فيه خافياً على قرّاء العربية، وحان دور النقّاد المسلمين أن

يقولوا فيه رأيهم. إنّ كتاب (تاريخ القرآن) يمثل جهود ثلاثة أجيال تظافروا على تصنيفه وتنقيحه. وقد أشار إلى ذلك مترجم الكتاب في مقدمة ترجمته العربية بقوله: « لقد تعاقب ثلاثة أجيال من علماء الدراسات القرآنية الألمان على هذا الأثر حتى أبصر النور، وهو يضم نتائج في هذا المجال خلال سبعة عقود ونيّف»



الموضوعات التي عالجها نولدكه في (تاريخ القرآن)

يقع الكتاب في ثلاثة أجزاء. خصّ الجزء الأول للبحث في أصل القرآن، والجزء الثاني للبحث في جمع القرآن، والجزء الثالث للبحث في تاريخ نص القرآن. وقد عالج المؤلف في الجزء الأوّل عدة مسائل، هي :

1ـ مسألة الوحي: وهي أوّل مسألة بحثها نولدكه في كتابه، ولا ريب أنّ هذه المسألة هي أم المسائل في دراسة القرآن، وأكثر ما يأتي من مسائل بعدها هو نتيجة لها.

ومسألة الوحي من أكثر المسائل اضطراباً في كتاب نولدكه، فتارة يصدّق بالوحي وتارة ينفيه.

في الأسطر الأولى من الفصل الأول من كتاب (تاريخ القرآن) والذي يحمل عنواناً هو (نبوءة محمد والوحي) يُعرّف نولدكه الوحي بأنه: «جوهر النبي يقوم على تشبّع روحه من فكرة دينية ما، تسيطر عليه أخيراً، فيتراءى له أنه مدفوع بقوّة إلهية ليُبَلّغَ مَنْ حوله مِنَ النّاس تلك الفكرة على أنها حقيقة آتية من الله» وهذا إنكارٌ للوحي صريح، يجري فيه نولدكه مجرى غيره من المستشرقين. ويعني ذلك أنه سيتعامل مع الوحي باعتباره حالة مرضيّة تستبدّ بصاحبها فيخيّل إليه أنه يتصل بقوى علويّة فتملي عليه ما يصدر عنه من قولٍ أو فعل.

ثمّ يعود فيقرّر اعترافه بنبوّة محمّد، فيقول: « لا بدّ لنا من الاعتراف بأنّ محمّداً كان بالحقيقة نبيّاً إذا محّصنا شخصيته بتجرّد وتمعّنٍ وفهمنا النبوّة فهماً صحيحاً ».

وهذا التضارب في الظاهر لا يُفسَّر إلا بشيءٍ واحد وهو أنّ النبوّة غير الوحي، وأنّ النبوّة حالة بشرية يمكن أن يتلبس بها المرء.

ويزعم نولدكه أن هذا الذي يُسميه محمد ﷺ وحياً تنزّل عليه من تعاليم وغيرها لا يمكن نفيه عنه جميعه ونسبته إلى التعاليم اليهودية والمسيحية، «وإن كان صحيحاً أنّ أفضل ما في الإسلام نشأ على هذا المنوال».

ثم يعود فينزع عنه حتى النبوّة بمفهومها المادي، فيقول: «إنّ محمداً حمل طويلاً في وحدته ما تسلّمه من الغرباء، وجعل يتفاعل وتفكيره، ثم أعاد صياغته بحسب فكره، حتى أجبره أخيراً الصوت الداخليّ الحازم على أن يبرز لبني قومه رغم الخطر والسخرية اللذين تعرّض لهما ليدعوهم إلى الإيمان».

والمعروف من سيرة المصطفى أنه لم يتعرض لأيّ نوع من السخرية قبل إعلان النبوّة، وإنما كان ذلك بعد إعلانها، وهذا تدليس قد يُفهم منه أنّ محمداً ﷺ كان موضع استهزاء وسخرية قبل البعثة، وهذا مخالفٌ لحقائق السيرة، حيث يُجمع الرواة على أنّه ﷺ كان موضع تقدير واحترام عند العرب قبل نزول الوحي عليه حتى لقّبوه بالأمين.

ويمضي نولدكه في وصف شخصية النبي محمدﷺ، فيقول :

«يُضاف إلى ذلك أمرٌ يودّ المسلمون بالطبع أن يُخفوه، ألا وهو أنّ محمّداً كان بطبعه ضعيف العزم. أجل لقد كان يخاف إلى درجة أنه لم يتجرأ في البدء على المجاهرة برسالته ».

ويقول أيضاً :

«غير أن روح محمد كان يشوبه نَقْصَان كبيران يؤثران على سموّه. فإذا كانت النبوّة بالإجمال تصدر عن المخيلة المنفعلة وموحيات الشعور المباشرة أكثر مما تصدر من العقل النظري ، فإن محمداً كان يفتقر إلى هذا بشكل خاص. ففيما كان يتمتع بذكاء عملي كبير، لم يكن له من دونه أن ينتصر على كلّ أعدائه، أعوزته القدرة على التجريد المنطقيّ إعوازاً شبه تام. لهذا السبب اعتبرَ ما حرّك نفسه أمراً موحى به، مُنَزّلاً من السماء، ولم يختبر اعتقاده إطلاقاً، بل اتبع الغريزة التي كانت تدفع به تارة إلى هنا وطوراً إلى هناك، ذلك أنه اعتبر هذه الغريزة صوت الله الذي أتاه. وهذا ما يُنتجُ الفهمَ الحرفيّ الظاهر للوحي الذي يقوم عليه الإسلام ».

وأراد نولدكه أن يجرّد النبي ﷺ حتى من قيمة خياله المزعوم، فنسب ذلك إلى التعاليم اليهودية لأنه لم يقو على الاعتراف بأن تلك التعاليم التي جاء بها تمثل مستوى رفيعاً من الفكر وإن لم يكن وحياً.

يقول نولدكه :

« إنّ المصدر الرئيس للوحي الذي نُزّل على النبي حرفيّا، بحسب إيمان المسلمين البسيط وبحسب اعتقاد القرون الوسطى وبعض المعاصرين، هو بدون شك ما تحمله الكتابات اليهودية. وتعاليم محمد في جلّها تنطوي في أقدم السور على ما يشير بلا لبس إلى مصدرها. لهذا لا لزوم للتحليل (!) لنكشف أن أكثر قصص الأنبياء في القرآن ، لا بل الكثير من التعاليم والفروض ، هي ذات أصل يهودي » وهذا كلام، كان ينبغي ألا يصدر من كاتب من طبقة نولدكه، لأن قصص الأنبياء تاريخ وأحداث ووقائع، وهي ليست ملكاً لليهود ولا غيرهم. وأمّا التعاليم والفروض وكونها يهودية فهذه هي التي تحتاج إلى إقامة الأدلة، ولكن نولدكه زعم أنّ ذلك لا يحتاج إلى تحليل.

والمثال الذي جاء به على تأثير اليهودية في الإسلام كلمة التوحيد نفسها (لا إله إلا الله) والتي يزعم أنها مأخوذة من عبارة وردت في سفر صموئيل الثاني 23:22، والمزامير 32:18. والعبارة المشار إليها هي: «لأنه من هو إله غير الرب ومن هو صخرة سوى إلهنا». ويبدو أن نولدكه لا يؤمن بأن مصدر الديانات السماوية واحد، وأن أساس الرسالات الدعوة إلى التوحيد قبل أن يتخلل الشرك بعض تلك الرسالات بسبب ما أصابها من التحريف. كما يبدو أيضاً أن نولدكه يميل إلى التسليم المطلق بكل الأوهام التي يسوقها ويحسب أنها لفرط صدقها لا تحتاج إلى إقامة البرهان عليها، كقوله إثر كلامه السابق : « لا نحتاج في هذا الصدد إلى ردّ كلّ المواد اليهودية إلى ثقات يهود»!!

2 ـ مسألة أميّة النبي: انشغل المستشرقون في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر وحتى النصف الأول من القرن العشرين بمسألة أمية النبي، واختلفوا في ذلك اختلافاً كبيراً. ومن هؤلاء من سبق نولدكه، ومنهم من جاء بعده. وممن قالوا بأنّ محمداً ﷺ كان يقرأ ويكتب :

ـ م. توربن : تاريخ حياة محمد

M. Turpin, Histoire de la vie de Mahomet,1,p.285-288

ـ أ. شبرنجر : حياة محمد

A.Sprenger, Lehre des Mohammed, II, S.398-402

ـ ج. ڤايل : تاريخ تدوين القرآن

G.Wiel, Hist. Krit. In d. Koran, 2auf.s.93, Anm1.

ـ هـ . هرشفلد : العناصر اليهودية في القرآن

H.Herschfeld, Judische Elemente im Koran, s.22

ومن القائلين بأن محمداً ﷺ كان أمياً بمعنى أنه كان لا يقرأ ولا يكتب :

ـ م. بريدو : حياة محمد

M. Prideaux, La vide de Mahomet, p.43

ـ إس. أوكلي : تاريخ العرب + حياة محمد

S.Ockley, The history of the Saracens /

The life of Mahomet, p.11.

ـ س. ف. جيروك : أثر النصرانية في القرآن

C.F. Gerock, Vers. e. Darst. d. Christologie des Korans s.9

ـ ج. م. آرنولد : الإسلام

J.M. Arnold, The Islam, s.230

ولم يفت نولدكه أن يتكلّم في مسألة أمية النبي، وعرض آراء المثبتين والنافين ولم يجزم برأي منها، بل ذهب إلى أن «الأسباب التي يسوقها كلا الطرفين أسباب وهميّة، وأنّ المعلومات التي تفيد بأن محمداً كان يستطيع الكتابة قليلاً وبشكل سيئ، هي أيضاً ذات قيمة ضئيلة». وقد خلط نولدكه في المسألة خلطاً شديداً، فتارة يميل ضمناً إلى هذا الرأي، وتارة إلى ذاك. وينتهي إلى أن لفظة (الأمي) التي وُصِفَ بها النبي (لا تعني الجاهل بالقراءة والكتابة، ولكنها تعني من ليس له كتاب منزّل)، والأميّة تعني إذاً نقيض «أهل الكتاب». يقول نولدكه :

« إذا تفحصنا كلّ الآيات القرآنية التي ترد فيها كلمة « أميّ » وجدنا أنها تعني في كل الحالات نقيض «أهل الكتاب »، وهذا يفيد أنّ المراد بالكلمة ليس عكس القادرين على الكتابة بل عكس من يعرفون الكتاب المقدّس ».

ويقول أيضاً :

« ولا يُستبعدُ أن يحوز رجل، وُجِدَ في محيطه القريبِ عشراتٌ من الرجال الذين استطاعوا القراءة والكتابة، ما يحتاجه من هذه الصنعة، ليس فقط بوصفه تاجراً، بل أيضاً بسبب اهتمامه بكتب اليهود والمسيحيين المقدسة التي سعى إلى أن يتعمّق بها معرفةً »

لم يكن نولدكه مرتاحاً لنتائج بحوثه في تاريخ القرآن، وربما هذا هو السبب في إحجامه عن إعادة طبعه، وأوكل ذلك لتلميذه شفاللي، وقد كتب في رسالة ردّاً على ناشر كتابه يرغب فيه إعادة نشره يقول فيها: (فرفضت أنا لأسباب عديدة وذلك لأنه لم يكن في استطاعتي أن أعيد نشر هذا الكتاب في ثوبه الجديد الذي قد يرضيني... أقول إلى حدّ ما ذلك لأن آثار تهور الشباب لا يمكن محوها جميعها إلا بإعادة تأليف كتاب جديد. وكثير من المسائل التي كنت أعتقد قليلاً أو كثيراً بصحتها تبين لي فيما بعد أنها غير مؤكدة..)

وهذا الكلام يعني أن نولدكه يقرّ بأن محمداً ﷺ كان يعرف القراءة، وإلا ما جدوى اهتمامه بكتب اليهود والنصارى.

ثم يرجع من جديد، عقب ذلك مباشرة، ليسلّم بأن محمداً ﷺ لم يقرأ الكتاب المقدّس، فيقول: «لكننا إذ نفتقر إلى أية معلومات وثيقة، علينا أن نكتفي بالنتائج التالية، وهي بالطبع في غاية الأهمية:

أولاً: «أن محمداً نفسه لم يشأ أن يُعتبرَ عارفاً بالقراءة والكتابة، ولهذا السبب أوكل إلى آخرين كتابة القرآن، ورسائله».

ثانياً: «أنه لم يقرأ بتاتاً الكتاب المقدّس أو آثاراً أخرى مهمة».

ونولدكه متناقض بشكل مثير، فهو لا يستقر على رأي. فيقرر من جديد أن محمداً ﷺ وإن يُنْفَى عنه استعمال مصادر يهودية مكتوبة، إلا أنه على الأرجح قد تقبّل أهم تعاليمه من اليهود والمسيحيين شفهيا. ويزعم أنّ القرآن يشير إلى ذلك في قوله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا﴾

[سورة الفُرقان: الآية 4]

نعم، أشار القرآن إلى ذلك، ولكنه وصفهم بالظلم والزور وهو ما لم يلتفت إليه نولدكه.

3 ـ ما لم يتضمنه القرآن المدوّن من الوحي

وهنا يدور المؤلف حول الآيات المنسوخة باعتبارها في نظره وحياً غير مدوّن. ولم يقم المؤلف بشيء يذكر في هذا المبحث إلا أنه ذكّرنا بالآيات المنسوخة التي تحدث عنها المسلمون أنفسهم في مؤلفاتهم، مثل: كتاب المصاحف للسجستاني، والمباني لمؤلف مجهول، والاتقان للسيوطي.

وهذا موضوعٌ أشبعه المسلمون بحثا. وهذا المبحث هو مدخل لجميع أعداء القرآن للتشكيك فيه بدعوى نقصان القرآن وتحريفه.

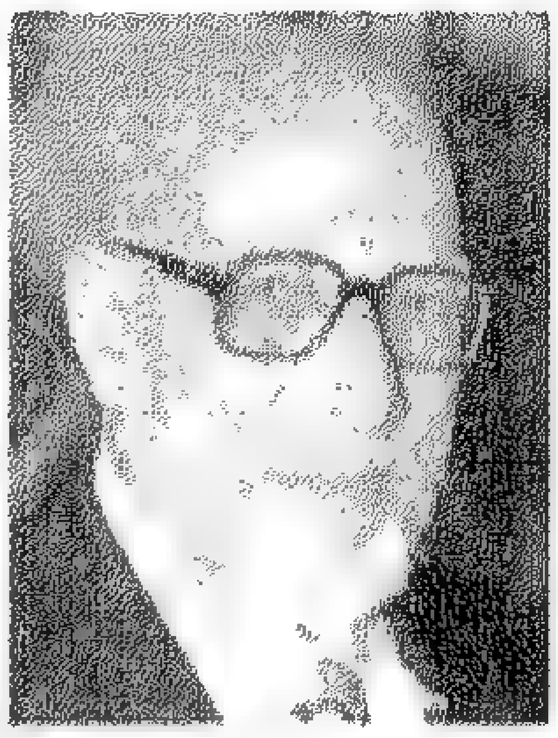
وفي الجزء الثاني عالج المؤلف موضوع جمع القرآن، وثلاثة أرباع ما جاء فيه من معلومات عن جمع القرآن وتدوينه مُستلّ من كتب المسلمين، وقد أثار ذلك اهتمام المستشرقين من بعده، حتى ظنوا أنه قد اكتشف شيئاً جديداً في الوقت الذي كانت فيه المصادر التي اعتمد عليها مخطوطة، وليست في متناول الباحثين. ولمّا طُبعت تلك الآثار بات الأمر مكشوفا، وصار الرجوع إليها باعتبارها أصلاً أولى من الرجوع إلى الناقلين عنها مع ما قد يخالط النقل من تشويه وتحريف وسوء فهم، لا سيما إذا كان الناقلون عنها ليسوا من أهل لغتها.

إنّ ما يسميه نولدكه القرآن المحذوف (ويريد مصحف أُبَي، ومصحف علي، ومصحف عبد الله بن مسعود) هو ما يسميه العلماء المسلمون بالقراءات الشاذة التي تخالف مصحف الإمام، إمّا لأنها رويت من طريق آحاد ولم تبلغ التواتر، أو لأنها مخالفة للرسم العثماني، أو لأنها مخالفة للعربية ولا تحتمل وجهاً مقبولاً من وجوه الإعراب أو اللغة.

وأكثر ما يُسمى بالمصاحف لا يحمل المعنى العام المعروف لكلمة المصحف، إذ كان كلّ جزء يحمل قدراً من السور يُسمى قديماً مصحفاً، ولذلك روي أنّه كان لحمزة بن عبد المطلب مصحف، والثابت قطعاً أن حمزة استشهد قبل اكتمال الوحي بثمانية أعوام.

والباحثون المسلمون المعاصرون درسوا هذا

الموضوع بعناية، وفي بحوثهم ردود جيدة على أوهام نولدكه وأضرابه، ومن هؤلاء الباحثين المسلمين أخص بالذكر د. عبد الصبور شاهين في كتابه (تاريخ القرآن).



عبد الصبور شاهين

وهذا الجزء فيه خلل من ناحية الصنعة، حيث خلط المؤلف بين الموضوع الأساس الذي جعله عنواناً للجزء، والذي ينبغي أن يقتصر بحثه عليه وهو (جمع القرآن) ومباحث أخرى ليست وثيقة الصلة بالموضوع، كالبحث الذي يحمل عنوان (القرآن المحمديّ في صلته بالكتب المقدّسة المسيحية ـ اليهودية)، وفيه يكرّر مسألة اطلاع محمد (على اليهودية ـ المسيحية)، ويزعم هذه المرّة أنّ اطلاعه كان إطلاعاً جيّداً، وأنه اعتمد على هذين الدينين إلى درجة أنه نادراً (!) ما توجد فكرة دينية في القرآن ليست مأخوذة عنهما. ومن ذلك أيضاً كلامه عن تفاسير القرآن، والأحاديث النبوية، ونقد الأسانيد والمتون، والكلام عن كتب السنن الستة، وأحاديث أسباب النزول مما لا علاقة له مباشرة بجمع القرآن.

وفضلاً عن عدم صلة تلك المباحث بموضوع جمع القرآن فإنها لا تخلو من مغالطات، لأن أكثرها تسليم بنتائج بحوث لمستشرقين آخرين ممن عُنوا بالحديث والسيرة مثل شبرنجر، ووليام ميور، وليوني كايتاني، وجولدتسيهر. ونلاحظ أنّ دراسات المستشرقين التي يرد ذكرها في (تاريخ القرآن) مما صدر بعد سنة



ليوني كايتاني

1860 وهو تاريخ صدور الطبعة الأولى من (تاريخ القرآن)، هي مما استفاد منه تلميذه شفاللي في تنقيحه لكتاب أستاذه نولدكه. (لاحظ مثلاً أن كتاب دراسات محمدية لجولدتسيهر بجزئيه طبع في 1888 ـ 1890).

ما بعد نولدكه

ثمة دراسات عديدة صدرت بعد نولدكه تتعلّق بالقرآن، ولكن معظمها ورد في ثنايا بحوث مخصّصة للسيرة المحمديّة، أو لتاريخ الإسلام، أو لدراسة موضوعات معينة لها علاقة بالقرآن، مثل: تأثير اليهودية والمسيحية في الإسلام، أو البحث في مصادر القرآن ولغته.

ولعلّ أشهر من جاء بعد نولدكه في الدراسات القرآنية كان إجنتس جولدتسيهر في كتابه:

Die Richtungen der Islamtschen Koranauslegnug

الذي ترجمه إلى العربية في الخمسينيات من القرن العشرين د. عبد الحليم النجار تحت عنوان (مذاهب التفسير الإسلامي) وجولدتسيهر يُعد في مرتبة نولدكه بل ربما كان أعلى درجة منه لتنوّع دراساته،



إجنتس جولدتسيهر

وكتبه تعد مراجع لا يستغنى عنها مع ما فيها من أغاليط وأوهام ككتابه (دراسات محمدية)، وكتابه (الظاهرية)، ونكتفي هنا بعرض نموذج واحد لكتابات من جاءت بعد نولدكه، وليس اختيارنا له باعتباره أحسن ما كُتب، بل لأن بعض المؤسسات التنصيرية تروّج له بإعادة طبع ملخصه الإنجليزي وترجمته إلى العربية، وتوزيعه في البلدان العربية مجاناً.

القرآن في كتاب (مصادر الإسلام) لوليام سانت كلير تسدال

كتب وليام سانت كلير تسدال William St. Clair Tisdall رسالة بالفارسية قام بترجمتها مختصرة وليام ميور Sir William Muir سنة 1901.

وبالرغم من أنّ لهذا الكتاب أثراً كبيراً في المستشرقين إلا أنه غاب عن المعترك الثقافي منذ أمد بعيد، مع أنّ صدى ما جاء فيه من نظريات لا يزال يفعل فعله في الجيل اللاحق وإن لم ترد الإشارة إلى تسدال في كتاباتهم. ربما لأن هذه النظريات محض ظنون ويصعب إثباتها.

والذي يدعونا اليوم إلى الكلام عن هذا النصّ المقبور، أنه بُعِثَ من قبره أخيراً، وتُرجم مُختصره الإنجليزي إلى العربية، وشرعت بعض المؤسسات التنصيرية في توزيعه مجاناً.

وتقع هذه الرسالة في ستة فصول تتصدرها مقدمة وتمهيد.

الفصل الأول: (المصادر الإسلامية للإسلام)

ويخلص فيه إلى انتقاد المصادر العربية والإسلامية التي ترى أنّ القرآن وحي من الله وليس صناعة بشرية، ولذا فإنه لا يرى الاعتماد على تلك المصادر، فيقول: «إذا أمكن بالبحث والتحقيق إقامة الدليل على أنّ أكثر القرآن، وأغلب عقائده أُخذت من الأديان الأخرى ومن الكتب التي كانت موجودة أيام محمد ولا تزال موجودة حتى الآن، ينهار أساس الإسلام». ولذا فإن الفصول الخمسة المتعاقبة كلها تصبّ في مجرى إثبات أن القرآن خليط من ديانات مختلفة.

الفصل الثاني: (تأثيرات عرب الجاهلية)

يزعم تسدال في هذا الفصل أن من ملامح ذلك التأثير أنّ اسم الإله الذي يدعو إليه محمد هو (الله) وهو اسم كان شائعاً عند العرب فاقتبسه محمد منهم، وقد ورد في أشعار الجاهليين كقول النابغة:

ألم تر أنّ الله أعطاك سورةً
ترى كلَّ ملكٍ دونها يتذبذب

وكقول لبيد:

لعمرك ما تدري الضواربُ بالحصى
ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وهذا لا يرقى إلى أن يكون دليلاً على أن القرآن متأثر بعقائد وعادات الجاهليّة.

وكلمة (الله) كانت معروفة عند الحنيفيين، وهم الموحّدون الذين ظلوا على دين إبراهيم، ومثل ذلك زعمه أنّ الطواف والإحرام وغيرها من الطقوس من اختراع عبدة الأصنام، وليست من بقايا دين إبراهيم، ولو كانت كذلك لوجدنا لها أثراً في التوراة، وكأن التوراة أصدق خبرا، مع أنّ الدراسات النقدية للتوراة أو كتاب العهد القديم تبرهن كلّ يوم على زيف ما في هذا الكتاب. وتسدال يتناقض كثيراً حين يتكلّم عن عادة الختان في الإسلام ويقول إنها من عادات الجاهلية، بل أنها عادة موغلة في القدم ترجع إلى القدماء المصريين، ثم يقر بعد ذلك أنها موجودة في الديانة اليهودية وأنها من بقايا دين إبراهيم.

ويزعم أنّ بعض آيات القرآن مقتبسة من قصائد كانت منتشرة بين القرشيين زمن محمد، ويزعم أن بعض ذلك الشعر هو لأمرئ القيس، كقوله :

دنت الساعة وانشقّ القمر
عن غزالٍ صاد قلبي ونفَر
أحورٌ قد حرتُ في أوصافه
ناعس الطرف بعينيه حَوَر
مرّ يوم العيدِ في زينته
فرماني فتعاطى فعقَر
بسِهَامٍ من لحاظ فاتك
فتركني كهشيم المُحتضر
وإذا ما غاب عني ساعةً
كانت السّاعةُ أدهى وأمرّ

وكقوله أيضاً :

أقبلَ والعشّاقُ من خلفه
كأنهم من حدبٍ ينسلون
وجاء يوم العيد في زينته
لمثل ذا فليعمل العاملون

وهذا كلام فاسد لا يقبله من عرف القرآن وأدرك إعجازه، أو شمّ رائحة العربية أو تذوق شعرها. ولو كان هذا الكلام صحيحاً ما فات مشركي قريش وهم من هم مِن أهل الفصاحة والبيان، والذين ما برحوا يبحثون عمّا يطعنون به القرآن وصاحبه.

وفضلاً عن كلّ ذلك فإنّ هذا الشعر لا يمكن أن يكون لأمرئ القيس الجاهلي، ولا حتى مما نُسِبَ إليه، ولذلك لم نجده في ديوانه. وأحسن طبعات ديوان امرئ القيس تلك التي قام على تحقيقها محمد أبو الفضل إبراهيم، وقامت بنشرها دار المعارف المصرية، وضمّنها المحقق رواية الأصمعي، ورواية المفضّل، والزيادات الملحقة بالديوان من النسخ المختلفة، لا تجد فيها أثراً لهذا الشعر، ولن تجده حتى في ملحق الشعر المنسوب لأمرئ القيس الذي ضمّه المحقق إلى آخر الديوان مما لم يرد في أصوله المخطوطة.



وهذا الذي زعم تسدال أنه من شعر أمرئ القيس هو شعر إسلاميّ الروح والنفس والصنعة. وإدخال آيات من القرآن بلفظها أو بتصرّف يسير يُعرف عند النقّاد بالتضمين، وكان ذلك شائعاً في العصور الإسلامية وحتى يومنا هذا، ونظير ذلك قول أحمد بن محمد بن يزيد :

سلِ اللهَ من فضلهِ واتّقِه
فإنّ التُّقى خيرُ ما تكتسِب
ومَن يتّقِ اللهَ يَصنَعْ له
ويرزقه من حيثُ لا يحتسب

وقول أبي القاسم الرافعيّ :

المُلكُ لله الذي عَنَتِ الوجو
هُ له وذلّت عنده الأربابُ
متفرّدٌ بالملك والسلطان قد
خسر الذين تجاذبوه وخابوا
دَعهم وَزعم المُلكِ يوم غرورهم
فسيعلمون غداً مَنِ الكَذّابُ

ولا يكتفي تسدال بهذا البهتان حتى يروّج لخرافات يقول هو نفسه بأنها كاذبة :

« ومن الحكايات المتداولة في عصرنا أنه لما كانت فاطمة بنت محمد تتلو آية:

﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾ [سورة القمر: الآية 1]

سمعتها بنت امرئ القيس، فقالت لها : هذه قطعة من شعر أبي، أخذها أبوك وادّعى أنّ الله أنزلها عليه، ومع أنه يمكن أن تكون هذه الرواية كاذبة لأن امرئ القيس توفي سنة 540 م، ولم يولد محمد إلا سنة الفيل أي سنة 570م. إلا أنه لا يُنكر أنّ هذه الأبيات المذكورة واردة في سورة القمر، والضحى، والأنبياء، والصافات. مع اختلاف طفيف في اللفظ، وليس في المعنى. فمن الواضح وجود مشابهة بين هذه الأبيات وآيات القرآن، وإذا ثبت أنّ هذه الأبيات لامرئ القيس حقيقة، فحينئذ يصعب على المسلم توضيح كيفية ورودها في القرآن، لأنه يتعذّر على الإنسان أن يُصدّق أنّ أبيات وثني كانت مسطورة في اللوح المحفوظ قبل نشأة العالم ».

الفصل الثالث : (تأثير الصابئة واليهود)

يزعم تسدال أن القرآن قد تأثر بعبادات الصابئة، مثل : الصلاة، والصوم. وللصابئة سبع صلوات، منهن خمس يشبهن صلاة المسلمين، ويصومون ثلاثين يوما، وإن نقص الشهر القمري صاموا تسعاً وعشرين، ويصومون من ربع الليل الأخير إلى غروب الشمس.

وفاته أنّ الصوم عبادة موجودة في الديانات الشرقية جميعها، لا تختصّ بها الصابئة، فنجده عند المجوس، والوثنيين عبّاد الوثن، والبوذيين، والبرهميين، واليهود، والنصارى، والمسلمين. ويختلف شكله من دين إلى آخر.

فالصابئة يصومون ثلاثين يوماً غير متصلة. ذكرها النديم في (الفهرست ـ المقالة التاسعة) أولها لثمانٍ مضين من اجتماع آذار، وتسعة أخر أولها لتسع بقين من اجتماع كانون الأول، وسبع أيام أخر أولها لثمانٍ مضين من شباط وهي أعظمها.

وأما صلاتهم فهي ثلاث وليست خمساً، وصفتها لا تشبه صلاة المسلمين. يقول النديم في الفهرست: «المفترض عليهم من الصلوات في كلّ يوم ثلاث، أولها : قبل طلوع الشمس بنصف ساعة أو أقل لتنقضي مع طلوع الشمس، وهي ثمان ركعات وثلاث سجدات في كلّ ركعة، والصلاة الثانية انقضاؤها مع زوال الشمس، وهي خمس ركعات وثلاث سجدات في كل ركعة، والصلاة الثانية مثل الثانية انقضاؤها عند غروب الشمس».

ولم يكن تسدال وحده الذي زعم أنّ عبادتي الصوم والصلاة في الإسلام متأثرة بعبادة الصابئة والمانوية، بل قال بذلك أيضاً K.G. Jacob في بحثٍ له عن صيام رمضان:

Dermuslimisch Fastenmonat Romadan

وكذلك Westermarck في كتابه:

Origine et Developement des Idees Morales

«للوقوف على المزيد من تهافت هذا الرأي راجع البحث القيم للدكتور علي عبد الواحد وافي عن فلسفة الصيام في كتابه (غرائب النظم والتقاليد والعبادات) وفيه إبطال دعوى ردّ عبادة الصيام في الإسلام إلى نظائرها عند الصابئة والمانوية».

وأما بخصوص تأثير اليهودية في القرآن فقد جعل نفي الأمية عن النبي ﷺ مدخلاً له حتى يتسنى له القول بأن محمداً قد اطّلع على كتب اليهود واستفاد منها في كتابه.

وصور التأثير عنده مقصورة على تأثر القصص القرآني بما ورد من قصص الأنبياء في التوراة والتلمود. كقصة قابيل وهابيل، وإبراهيم والنمرود، وسليمان وملكة سبأ، وهاروت وماروت، وطور سيناء.

وتسدال يحسب على القرآن ما ورد من خرافات في كتب تتساق مع الأساطير والإسرائيليات، مثل : عرائس المجالس.

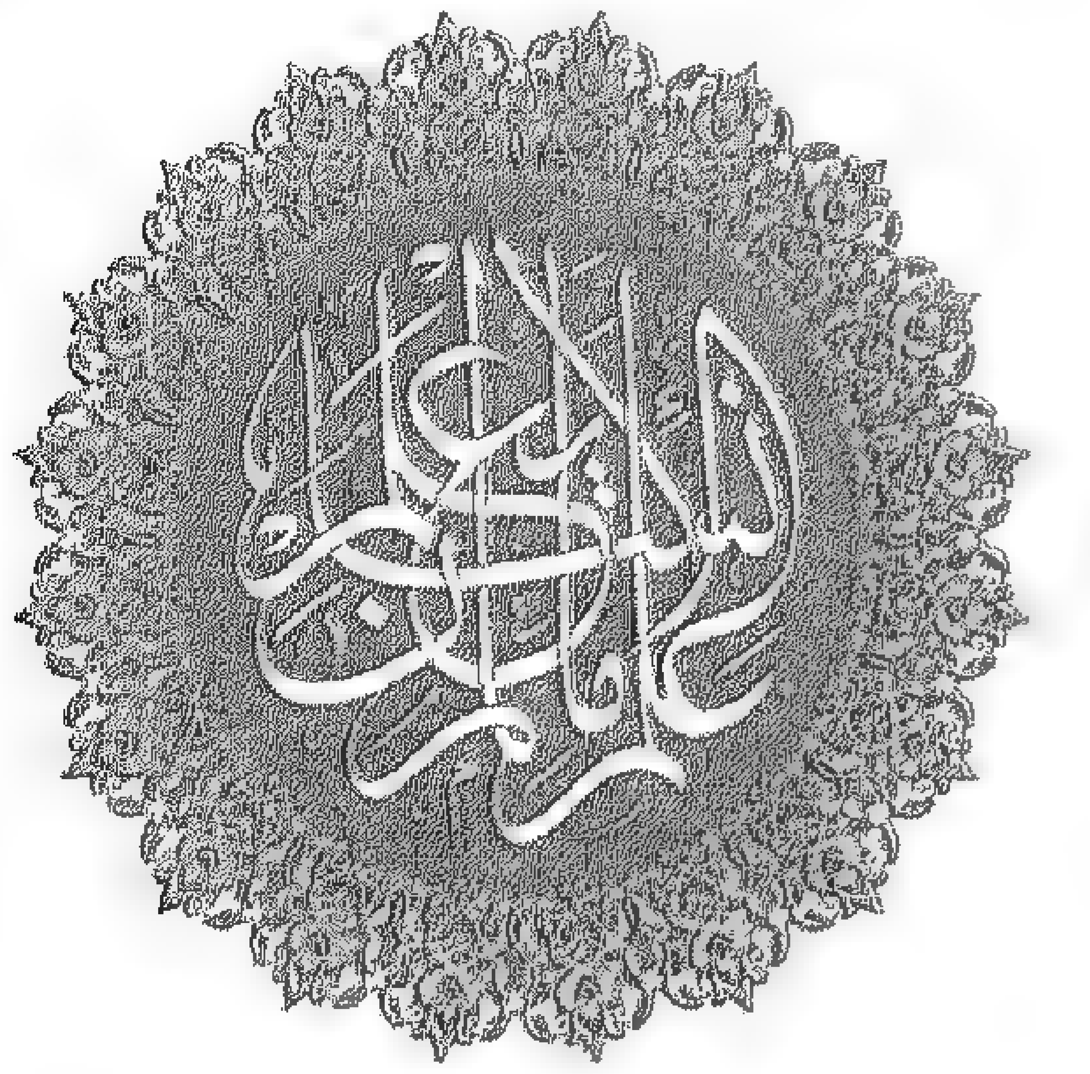
ويخلص في نهاية الفصل إلى أنّ مصادر القرآن اليهودية هي خرافات التلمود.

وفي الفصل الرابع يزعم أنّ التأثير المسيحي في القرآن جاء من المذاهب التي توصف بالهرطقة. من ذلك قصة أصحاب الكهف التي يسميها المسيحيون (النيام السبعة) وهي خرافة يونانية وردت في كتاب لاتيني اسمه (مجد الشهداء) من تأليف غريغوريوس، ونقلها محمد من جهلة النصارى.

وفي الفصل الخامس تكلّم عن أثر الزرادشتية في القرآن والحديث، وزعم أنّ قصة المعراج مأخوذة من التراث الفارسي. ويدّعي أنّ وجود العملة الزائفة دليل على وجود العملة الصحيحة، وقصة معراج محمد الزائفة إلى السماء لا تنفي صعود أخنوخ (إدريس)، وإيلياء (إلياس)، ويسوع.

وفي الفصل السادس يتعرّض لتأثير الحنفيين (الموحدين) في محمد ومن ثمّ في قرآنه. ويزعم أنّ تعاليم زيد بن عمرو بن نفيل ظاهرة الأثر في القرآن كمنع وأد البنات، ورفض عبادة الأوثان، والإقرار بالوحدانية، والثواب والعقاب.

يمكننا القول إن كتاب سانت كلير تسدال جمع كلّ الأراء المتطرفة ضد القرآن من كتابات المستشرقين والمنصرين الذين سبقوه أو عاصروه من أمثال



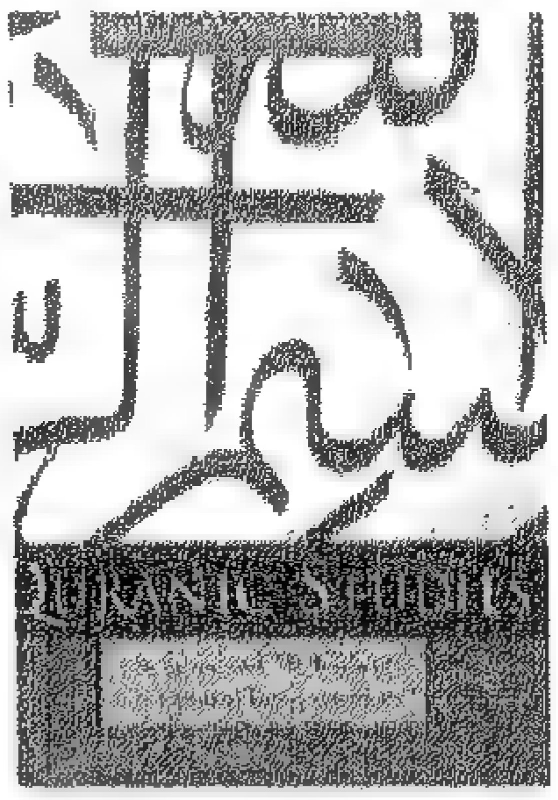
اليهودي أبراهام جايجر Abraham Gieger في كتابه (ماذا اقتبس محمد من النصوص اليهودية) الذي وضعه بالألمانية سنة 1833 وترجمه إلى الإنجليزية سنة 1896 ف. م. يونغ F.M. Young تحت عنوان (اليهودية والإسلام)، وهو مصدرٌ لكل من كتب في تأثير اليهودية في الإسلام.

تطوّر الدراسات القرآنية في العقدين الأخيرين

لقد شهدت الدراسات القرآنية في العقود الأخيرة شيئاً من التطوّر، لكنه لم يتحرر كلياً من سطوة نولدكه، وجيل المتقدمين من المستشرقين.

وهذا الجيل من المستشرقين أقلّ حظاً من المعرفة بالقرآن والإسلام، وأضعف لغة. ولذلك نزع هذا الجيل إلى طرق موضوعات تحتاج إلى منهج يحرره من إحساسه بالضعف في معرفة الإسلام لغةً وتراثاً وذلك بالخوض في موضوعات متطرّفة مبنية على فروض فاسدة كالقول بأن محمداً ﷺ شخصية أسطورية، وأنّ الإسلام ليس له وجود إلا في حقب متأخرة جداً، وأنّ القرآن صناعة متأخرة لأنه لم يكن له وجود مدوّن إلا بعد مائتي سنة من وفاة محمد ﷺ.

جون وانسبرو
John Wansbrough
عرّاب الدراسات القرآنية الحديثة

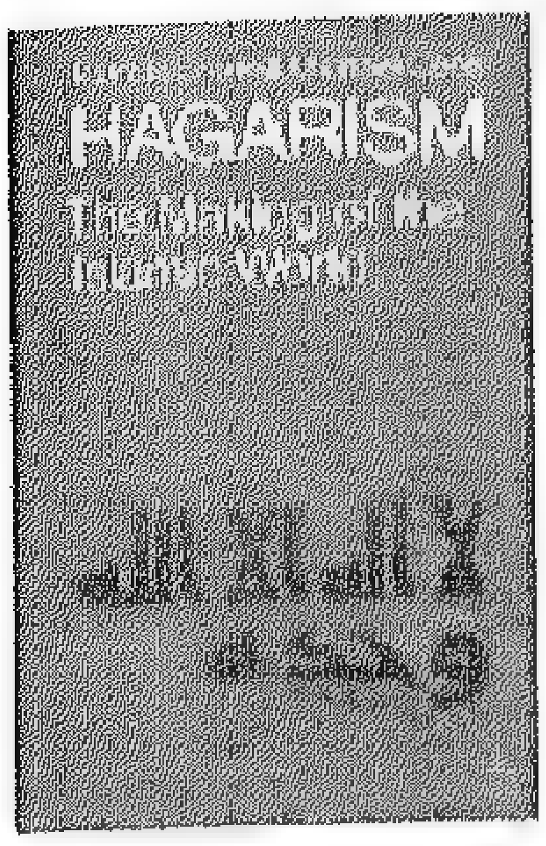


وُلِد جون وانسبرو في إلينويز Illinois بالولايات المتحدة الأمريكية، وتعلّم اللغات في جامعة هارفارد، وأمضى معظم حياته العلمية في التدريس بجامعة لندن، في كلية الدراسات الشرقية والأفريقية:

London University's School
of Oriental and African Studies

وتوفي في يونيو 2002 بعد أن خلّف وراءه دراسات في الإسلام والقرآن أحدثت دوياً هائلاً في الأوساط العلمية لما اتسمت به من جرأة، ولما اتصفت به من هدم المسلمات حسب رأي النقّاد الغربيين أنفسهم.

ولعلّ كتابه (دراسات قرآنية: مصادر الكتب المقدسة وطرق تفسيرها) Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptual Interpretation الذي صدر عن مطبعة جامعة أكسفورد سنة 1977، يُعد من أخطر كُتُبِه. وعلامة ذلك أنّ كلّ من كتب بعده في تاريخ القرآن تأثر بمنهجه في البحث. ولم يقف تأثيره على الباحثين في الدراسات القرآنية، بل تعداهم إلى الباحثين في تاريخ الإسلام عامة. تقول باتريشيا كرونه ومايكل كوك Patricia Crone & Michael Cook في مقدمة كتابهما الهاجرية Hagarism الذي صدر بعد كتاب وانسبرو وأحدث ضجة كبيرة لإنكاره وجود اسم الإسلام إلا بعد قرون، وأن المسلمين هم هاجريون كما ورد في كتب تاريخية غير إسلامية كُتِبَت في زمن ظهور الإسلام: « نودّ أن نسجّل هنا ما ندين به إلى تأثيرين لم يكن تصوّر هذا الكتاب لولاهما. الأول تعرّضنا لمنهج الدكتور جون وانسبرو الشكيّ حول تاريخ التراث الإسلامي ».



يفترض وانسبرو أنّ القرآن لم يجمع إلا بعد حقبة طويلة أكثر مما كان يُظن. يقول زميله في كلية الدراسات الشرقية والأفريقية الدكتور جيرالد هاوتينج Gerald Hawting: « وانسبرو أكثر الباحثين شهرةً بسبب كتاباته عن القرآن، ولكن ينبغي النظر إلى ذلك في السياق العام لدراساته في بواكير الإسلام بشكل عام. لقد طوّر وانسبرو نموذجاً Model يصوّر ظهور الإسلام، وينظر إلى القرآن باعتباره جزءاً من تطوّر الإسلام نفسه ».

لقد طبّق وانسبرو على القرآن المنهج نفسه الذي طبّقه غيره في نقد الأناجيل وتاريخ المسيحية المبكّر. ويرى هاوتينج أنه إذا كان كثير من الباحثين الغربيين يؤيدون فكرة أن القرآن جُمِع بُعيد وَفَاةِ النبي انسياقاً مع ما يذهب إليه المسلمون، فإنّ وانسبرو أراد بكتابه أن يقطع الصلة بين محمد والمواد القرآنية، وأن القرآن لم يكن معروفاً لدى الجيل الأول من المسلمين. ويزعم وانسبرو أنه لا يوجد أثر للقرآن بعد وفاة محمد لزمن طويل، وأنّ الدليل الوحيد على وجوده تلك النقوش القرآنية الموجودة على قبة الصخرة بالقدس بعد سبعين سنة من وفاة النبي ﷺ.

ويزعم وانسبرو أنّ القرآن بدأ في التكوّن من تلك الحقبة جزءاً فجزءاً، ولم يخرج إلى الدنيا كتاباً واحداً متكاملاً كما يعتقد المسلمون وكثيرٌ من الباحثين الغربيين أيضاً.

ويزعم أيضاً فضلاً عن هذه النظرية الشاذة أنّ

اليهودية والمسيحية ساهمتا في صناعته.

وهذه النظرية المتطرفة (الراديكالية) هي نفسها التي طبقها وانسبرو في كتابه اللاحق الذي صدر بعد سنة من كتابه دراسات قرآنية، ويحمل عنواناً هو (The Sectarian Milieu) حيث ذهب إلى أنّ الإسلام نفسه لم يُعرف إلا بعد غزو بيت المقدس في القرن السابع.

وبالرغم من أنّ وانسبرو نفسه ينعت تحليلاته التي أسس عليها نتائجه بأنها (ظنية أو حدسية (Conjectrual)، وبأنها مؤقتة أو مبدئية tentative / Provisional كما ورد ذلك صراحة في صفحات مقدمة كتابه دراسات قرآنية (راجع الصفحات xi,ix) إلا أنه يؤسس عليها نتائج خطيرة، فلا القرآن ولا الإسلام من نتاج محمد، ولا هما أيضاً من نتاج الجزيرة العربية. ولم يكن ثمة دليل على أن الفاتحين من العرب الذين انتشروا خارج الجزيرة العربية كانوا مسلمين. وأغلب الكتابات التي جاءت لاحقاً بعد مائتي سنة وضعتها النخبة من بلاد ما بين النهرين Meso potamia. وربما تكون السلطة الدنيوية قد اكتشفت أو تبنت حركة جديدة كانت نتاجاً لأوساط يهودية مسيحية، ولم تلبث هذه الحركة أن تعرّبت. واستغرق القرآن وقتاً طويلاً حتى نال القداسة. والاستنتاج الذي لا مفرّ منه، وإن لم يذكر صراحة، هو أنّ التراث الإسلامي حول التاريخ المبكر لنص القرآن هو محض اختراع.

لقد أحدثت دراسة وانسبرو أثراً ملموساً في كتابات تلاميذه ولا سيما ريبين Ribbin والكاتب الإسرائيلي يهودا نيفو Yehuda Nevo، وذلك بتوجيه الدراسات القرآنية نحو البحث الأثري (الأركيولوجي) للقرآن، حيث يزعم هذا الأخير أن النقوش التي عُثر عليها مؤخراً في صحراء النجف تؤيد ما ذهب إليه وانسبرو.

والحق يقال إن هذا اللغو لم يتقبله كثير من المستعربين لأنه مجرد ظنون وتخرصات، إذ لو كانت الوقائع التاريخية المتواترة في الذاكرة الجماعية تُنفى لمجرد عدم ورود ذكرها في نقش صخريّ لمُسِح كلّ تاريخ الإنسانية.

ولعلّ العبارة التي اختتم بها جون بورتون John Burton كتابه جمع القرآن The Collection of Quran... نشرته مطبعة جامعة كيمبريدج سنة 1977 وهي السنة نفسها التي صدر فيها كتاب جون وانسبرو، خير ردّ على ظنون وانسبرو وتلاميذه. يقول بيرتون :

«ما بين أيدينا اليوم هو مصحف محمد»
"What we have today in our hands
is the Mushaf Muhammad"

ص 239 وهي عبارة أثارت حفيظة شانئي القرآن.

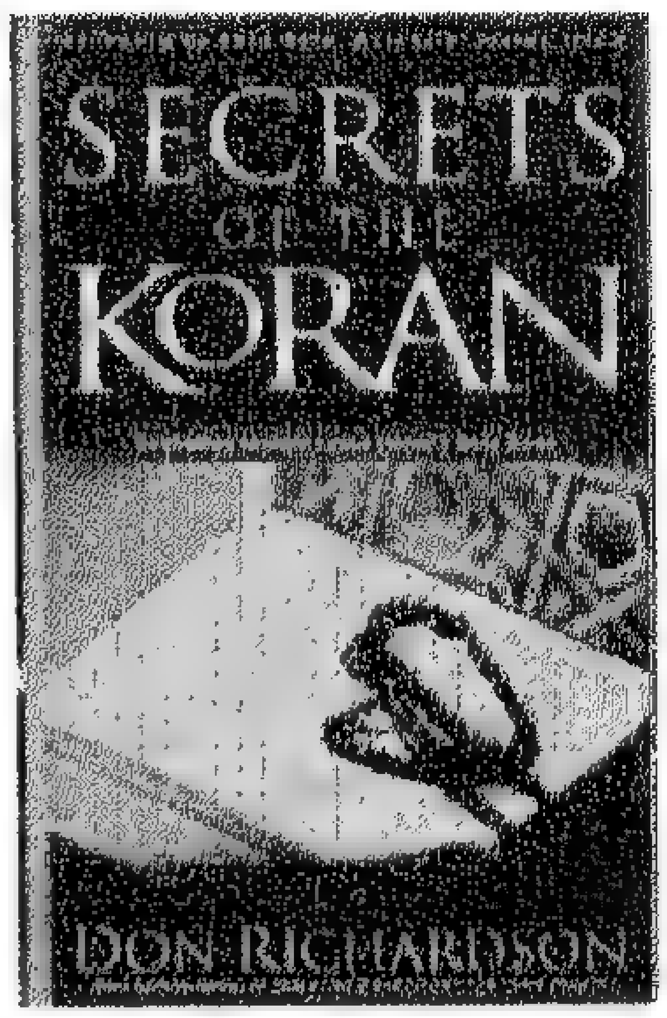
الأركيولوجيا والنقوش الصخرية تبدد أوهام وانسبرو

إن نظرية وانسبرو التي أثارت اهتمام الباحثين من الهشاشة والضعف ما جعلها تتقوّض مع أول مواجهة علمية. إن البحث الأركيولوجي والنقوش الصخرية الموجودة في جزيرة العرب والتي اكتشفت في مكة تبدّد أوهام وانسبرو، وتطوّح بنظرياته الفثة بعيداً.

إنّ الدراسة التي قام بها الباحث سعد بن عبد العزيز الرشيد التي تحمل عنوان (كتابات إسلامية من مكة المكرّمة) ونُشرت بالرياض سنة 1995، تعدّ أكبر زلزال يهزّ هذا الفكر المتهافت بآليات مماثلة، أي مجابهة الأركيولوجيا بأركيولوجيا مماثلة. فإذا كان وانسبرو يزعم أن القرآن لم ينتج في جزيرة العرب، ولم ينتج في الزمن الذي يظنّ فيه المسلمون أنه أنتج فيه لأنه لم يقف إلا على نقش يتيم موجود على قبة الصخرة بالقدس، فإنّ النقوش القرآنية التي وُجدت مكتوبةً على الصخور في مكة تبرهن بشكل قطعي على فساد نظريات وانسبرو التي طار صيتها في المحافل العلمية وكأنها يقين لا يرقى إليه شك.

الدراسات القرآنية:

من الاستشراق إلى السياسة

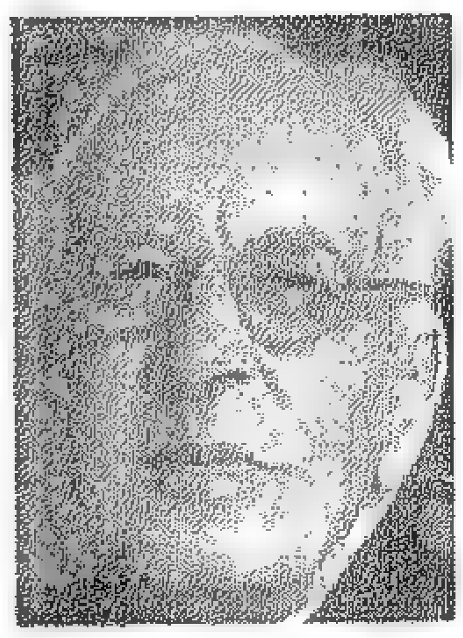


كتاب (أسرار القرآن)

«ماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا»

لاكوست،

وزير المستعمرات الفرنسي



«إن الوحدة الإسلامية نائمة لكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ»

أرنولد توينبي

من أسوأ المراحل التي يمرّ بها الاستشراق، إن سلمنا بأن الاستشراق لم يمت، هذه المرحلة الراهنة التي يستبدل فيها السياسي بالمستشرق.

إن سيطرة لغة السياسة على لغة العلم ومنهجية البحث جعلت القراءة الغربية للقرآن والإسلام قراءة سطحية، ولم يبق من الاستشراق إلا العناوين البرّاقة، ولم يبق من المستشرقين إلا صحافيون، وانتروبولوجيون، ورجال استخبارات، وأكاديميون يرتزقون من مؤسسات مشبوهة تسمى مراكز بحوث واستشارات.

من المؤلفات التي ظهرت مؤخراً تحمل عنواناً برّاقاً كتاب (أسرار القرآن) وهو عنوان جذاب يوحي للوهلة الأولى بأنه كشف عن المحجوب، أو إماطة اللثام عن غوامض التنزيل. ولكن الحقيقة غير ذلك، فهو كتاب إعلاميّ من كاتبٍ لا حظّ له من المعرفة بالقرآن والإسلام إلا ذلك القدر الذي اطلع عليه من هنا وهناك.

والكتاب من منشورات Regal Books بكاليفورنيا ـ الولايات المتحدة سنة 2003.

المؤلف يُدعى دون ريتشاردسون Don Richardson, يحمل درجة دكتوراه في الآداب من جامعة بيولا ـ لاميرادا Biola University - La Mirada ويلقي دروساً في الكنائس أكثر من أربعين مرة في السنة. وقدّم للكتاب رضا صفا Riza Safa كاتب إيراني يعيش في أمريكا، له كتاب يحمل عنواناً هو (داخل الإسلام) Inside Islam.

الكتاب شحنة من الخطابات السياسية المباشرة في لغة فجّة لا تصدر إلا عن كهنوتي متصّر. وعناوين فصول الكتاب الذي يقع في سبعة عشر

«إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا بشكل مباشر وعنيف هو الخطر الإسلامي فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص بهم، ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة فهم جديرون أن يقيموا قواعد عالم جديد دون حاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية في الحضارة الغربية».

سالازار

« متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربيَّ يتدرج في سلم الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد والقرآن».

وليام جيفورد بالكراف

فصلاً، وخاتمة، وملحقين وتغطي نحو 250 صفحة، تُفصِحُ عن ذلك. وها هي ذي محتويات الكتاب :

- ❖ المقدمة بقلم: رضا صفا.
- ❖ تمهيد: (من طفل السلام إلى القرآن).
- ❖ الفصل 1: (هل هو كتاب سِلْم ؟).
- ❖ الفصل 2: (الذئب في القطيع).
- ❖ الفصل 3 : (آيات عنف، عقائد عنف).
- ❖ الفصل 4: (نقد القرآن).
- ❖ الفصل 5 : (نبي الإسلام وتعدد الزوجات).
- ❖ الفصل 6: (كيف يحاول المسلمون الدفاع عن القرآن).
- ❖ الفصل 7 : (محاولات غير المسلمين الدفاع عن القرآن).
- ❖ الفصل 8 : (أخلاقيات العهد القديم والقرآن).
- ❖ الفصل 9 : (أخلاقيات العهد الجديد والقرآن).
- ❖ الفصل 10 : (تراث متميّز لنبي محارب).
- ❖ الفصل 11 : (خطة الإسلام للسيطرة على العالم).
- ❖ الفصل 12 : (تغلغل الإسلام في الثقافة الغربية).
- ❖ الفصل 13 : (طاعون القرن 21 : الجراد).
- ❖ الفصل 14 : (أوروبا : قارة الإبادة الجماعية الذاتية).
- ❖ الفصل 15 : (لويس فرقان : الإسلام والعبودية).
- ❖ الفصل 16 : (عرض الإسلام المسلح يصل إلى أمريكا).
- ❖ الفصل 17 : (ماذا ينبغي أن نفعل ؟).
- ❖ الخاتمة : (الكشف عن الأسرار).
- ❖ الملحق (أ) : عصر المسيحية : الجدل الطويل.
- ❖ الملحق (ب) : آيات الحرب المائة والتسع في القرآن.

ولعلّ كتاب نيل روبنسون Neal Robinson اكتشاف

القرآن : مقاربة معاصرة لنصّ محجّب

Discovering the Qur'an:

A Contemporary Approach to a Veiled Text

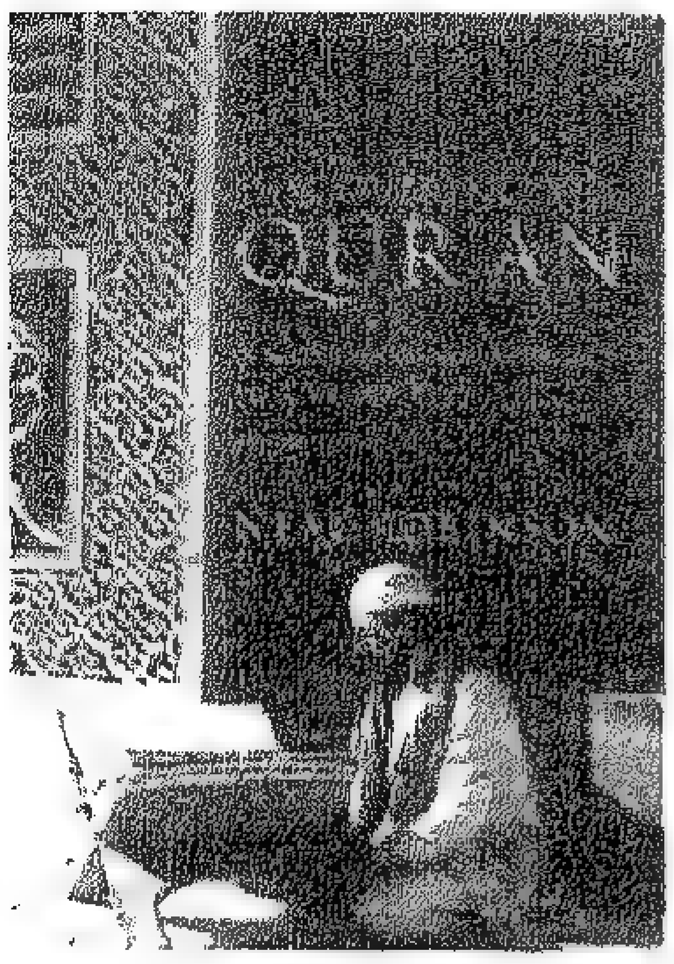
أقلّ تأثراً بالسياسة من نظيره (أسرار القرآن). ونيل روبنسون أستاذ في الدراسات الإسلامية بجامعة ليدز University of Leeds. وهو أيضاً صاحب كتاب (الإسلام : مدخل شامل).

ومن الواضح أن كتاب (اكتشاف القرآن) يُعد إلى حد بعيد رداً على تلك المؤلفات التي يغلب عليها الطابع التقريري السياسي، وتتسم بالذاتية مع الجهل بالقرآن اعتماداً على ترجمات لمعانيه لا تخلو من الغلط وسوء الفهم، فضلاً عن انعدام أول شرط من شروط البحث في القرآن وهو معرفة اللغة العربية فهماً عميقاً يعين على اكتشاف أسراره. وربما كان هذا الكتاب مع كتبٍ أخرى هو ما عناه دون ريتشاردسون في الفصل السابع من كتابه الذي خصّه للرد عن المدافعين عن القرآن من غير المسلمين.

ولذلك ليس من المستغرب أن ينال كتاب روبنسون التقدير باعتباره يمثّل المدرسة الغربية الموضوعية في فهم القرآن.

يقول البروفيسور أوليفر ليمان Oliver Leaman أستاذ الفلسفة بجامعة كينتاكي University of Kentucky وصاحب كتاب: مدخل للفلسفة الإسلامية التقليدية :

«إذا سألني أحدهم أن أوصي بكتابٍ واضح وشامل يكون مدخلاً لفهم طبيعة القرآن ودوره، فإنني بلا ريب لن أجد أفضل من كتاب اكتشاف القرآن لنيل روبنسون».



غلاف كتاب
اكتشاف القرآن : مقاربة
معاصرة لنصّ محجّب



«لن تحقق بريطانيا شيئاً من غاياتها في العرب إلا إذا سلبتهم سلطان هذا الكتاب.. اخرجوا سرّ هذا الكتاب من بينهم تتحطم أمامكم جميع السدود»

جلادستون
وزير المستعمرات البريطانية، 1895

سفاهات يسمونها قرآناً

من مسيلمة الكذاب إلى أنيس شيروش



ظهرت في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر سفاهات أشبه بهذيان السكارى يُزعم أنها وحي تنزّل على بعض المخبولين، وصدق الله العظيم حيث قال :

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ۝ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [سورة الشُّعَرَاء: الآيتان 221 ـ 222]

وكان يُظنّ وقتها أنها ضروب من الهوس تصدر عن حمقى ومجانين، حتى تكشّفت في العقود الأخيرة خيوط المؤامرات القذرة التي كانت تحاك ضد القرآن الكريم منذ تلك الحقبة.

والعجيب أنّ تلك السفاهات كانت تأتي فجأة في فتراتٍ متلاحقة، ثم تختفي حيناً من الدّهر ثم لا تلبث أن تعود في ثوبٍ جديد. ومن يمعن النظر في تاريخ ظهورها يرى أن جميعها تتظافر في الظهور عندما تتداعى الأمم المستعمرة ناشبة مخالبها في جسد الأمة المسلمة المتهالك. ولما أيقن المستعمر أن عدم انقياد المسلمين وتسليمهم له يعود إلى تمسكهم بقرآنهم الذي يدعوهم لينفروا خفافاً وثقالا، وليجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وأن هذه العقيدة القوية لا تنكسر لها شوكة إلا باختراع نبوءات جديدة وصنع أنبياء جدد يخرجون على المسلمين بقرآن ووحي جديد يجري على لسان أناس من أبناء جلدتهم يدعوهم إلى النكوص والتثاقل والانقياد إلى أعداء الأمة، وتسليم طاقاتها وقدراتها إليهم بمبررات سخيفة تزعم أنها وحي إلهي يدعوهم لوقف الجهاد وتعطيله، وعدم مقابلة غضب الرب بالسيف، لأن من يظنون أنهم أعداء، هم رحمة من السماء أرسلها الله لهم فلا يليق أن تُلاقى رحمةُ الله بالجحود والنكران، ولا أن يُعْلَنَ الحربُ عليها.

بدأت هذه الحكاية مع بواكير الاستعمار الغربي للشرق الإسلامي في شبه القارة الهندية وإيران، ثم بدأت بعد ذلك تتسلل للبلاد العربية وهي ترتدي لبوساً للتمويه وخداع الدهماء من الناس.

﴿وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [سورة يُونس: الآية 37]

(البيان) قرآن البابية

❖ البابية حركة ساهم الروس في تأسيسها على يد شخص يُدعى علي محمد رضا الشيرازي (1819ـ 1849). وزعم الشيرازي أن وحياً يتنزّل عليه، فتسمى بـ(الباب)، وادّعى النبوة وخرج على الناس بكتاب يدّعي أنه ناسخ للقرآن، وأُطْلِقَ عليه اسم (البيان).

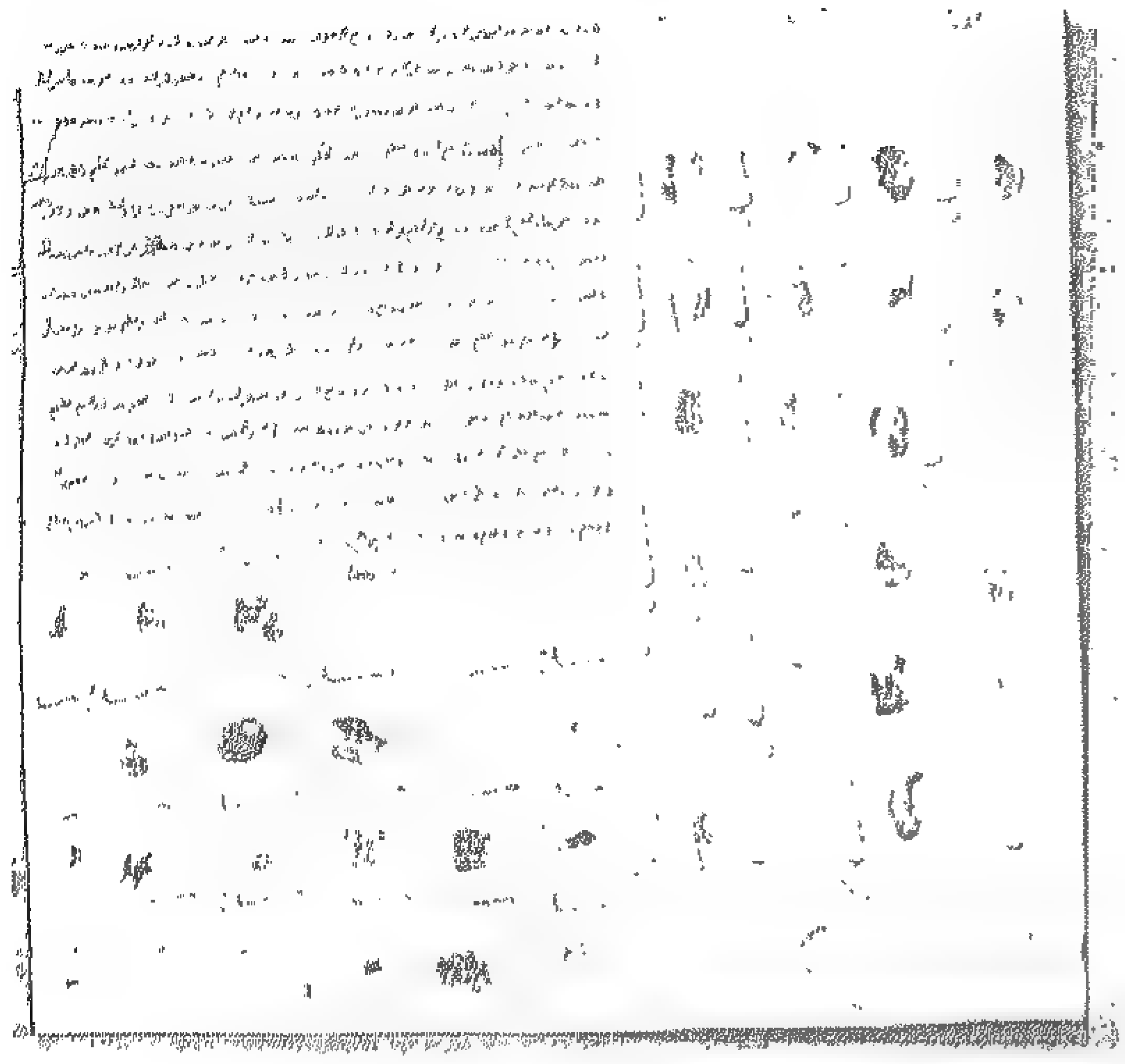
ومن المؤكّد أنّ للبابية جذوراً ترجع إلى الفكر الباطني القرمطي الذي وجد فيه المستعمر وسيلة لتحقيق مطامحه، حيث نجد لفظة (الباب) صفة تُطلق على الداعية الإسماعيلي الذي يُسمى أيضاً (الحجّة)، وهو يأتي في المرتبة الثانية بعد رتبة (الإمام)، وهو نائبه، وظله الذي لا يفارقه. و(الباب) عند هؤلاء الباب الذي يفضي إلى مستودع أسرار الإمام المستور.

وأصل فكرة (الباب) في الفكر الباطني تعود إلى حديث لا يصح إلا عند الشيعة يقول: « أنا مدينة العلم وعليّ بابها ».

❖ ابتدأ الباب بدعوى النبوّة ثم انتهى بدعوى الألوهية، وهكذا هو شأن الكذّابين. وكان من القائلين بالاتحاد ووحدة الوجود.

❖ تآمر لإسقاط الشاه بتدبير من روسيا، فافتضح أمره، وخذلته روسيا، وسعى أتباعه للإفراج عنه عند الدولة العثمانية، وكتبوا في ذلك التماساً وقّع عليه عدد من أنصاره. ولم يفلح ذلك الالتماس وتمّ إعدامه بعد فشل المؤامرة. وهكذا شأن أدعياء النبوات، أصحاب مؤامرات ودسائس.

❖ اهتم الكتّاب الغربيون بالباب واحتفوا بكتاباته وترجموها إلى لغاتهم، وسعوا إلى تقديمها على أنها الدين الجديد. وكان من هؤلاء الإيطالي ميكيللي



صورة الالتماس الذي قدمه أنصار الباب للإفراج عنه

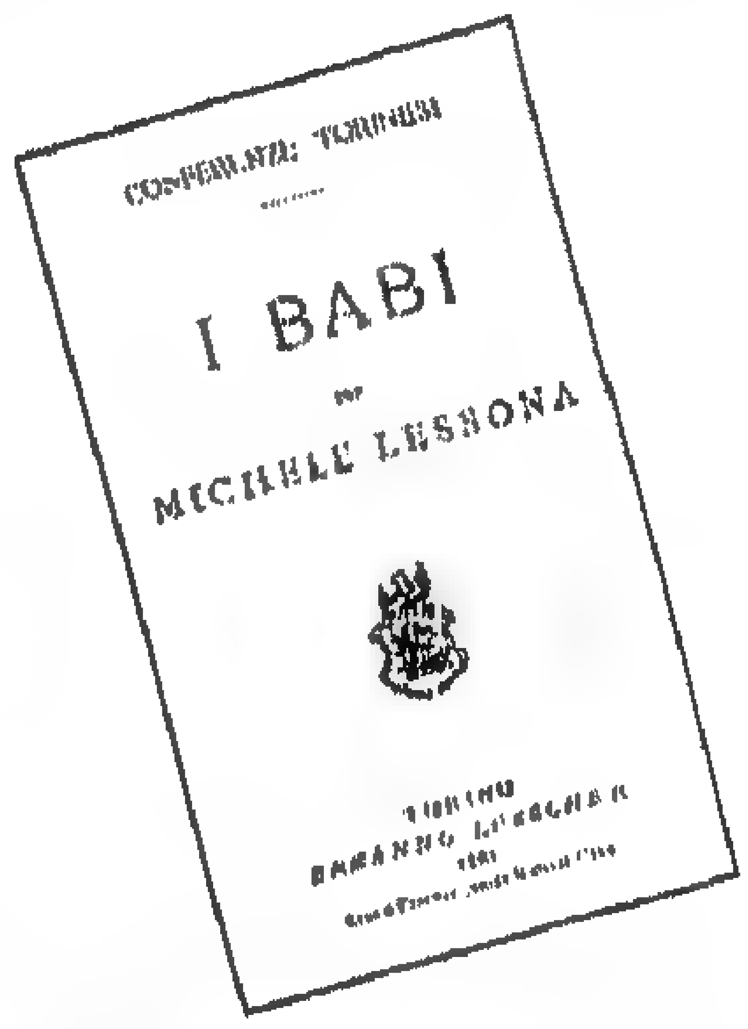
عقائد البابية

- ❖ **كتاب (البيان) ينسخ القرآن**
- ❖ **نفي القول بختم النبوة**
- ❖ **إنكار المعاد والحشر**
- ❖ **إلغاء الصلاة ما عدا صلاة الجنازة ومنع الصدقات**
- ❖ **إفساد الأخلاق والدعوة إلى الإباحية وتمزيق الحجاب**
- ❖ **القول بوحدة الأديان وترحيب اليهود بالدعوة البابية**

ليسونا Michele Lessona في كتابه عن البابية الذي صدر في عام 1881 في روما، وهو يعد من أهم المصادر التي لا يستغني عنها الباحثون في دراسة هذه النحلة. ومن أشهر المؤلفين الذين أغنوا المكتبة عن حياة الباب وتعاليمه في أعين الغربيين أ. ل. نيكولاس الذي ترجم كتاب البيان من الفارسية إلى الإنجليزية. وفي هذه المؤلفات كشف عن أسرار خفية تتعلّق بالباب ودعوته وما يكتنفها من غموض، وصلة ذلك بالإنجليز واليهود.



ميكللي ليسونا





أ.ل. نيكولاس

هرطقة الباب وسخافاته في كتابه (البيان)

❖ « إني أفضل من محمد، كما أنّ قرآني أفضل من قرآن محمد، وإذا قال محمد بعجز البشر عن الإتيان بسورة من سور القرآن، فأنا أقول بعجز البشر عن الإتيان بحرف من حروف قرآني».

❖ إنا قد جعلناك جليلاً للجالين، وإنا قد جعلناك عظيماناً عظيماً للعاظمين.

❖ وإنا قد جعلناك نوراً نوراناً نويراً للناورين، وإنا قد جعلناك شرفاناً شريفاً للشارفين ..

❖ تبارك الله من شَمخٍ مشمخٍ شميخ، تبارك الله من بذّخ مبذخ بذيخ ، تبارك الله من ظهّرٍ مظهرٍ ظهير، وتبارك الله من علِمٍ معتلم عليم، وتبارك الله من قهّرٍ مقهر قهير ..

❖ قل اللهم إنك أنت بهيان البهائين ، لتوتين البهاء من تشاء، ولتنزعن البهاء عمن تشاء، ولترفعن من تشاء، ولتنزلن من تشاء..

❖ كلا يوم نكشف الساق عن ساقهم، ينظرون الناس إلى الرحمن، وذكره في الأرض(1) المحشر قريباً، فيقولون يا ليتنا اتخذنا مع الباب سبيلاً..

(الأقدس) قرآن البهائية

❖ البهائية/ حركة باطنية، وإن زعم أصحابها أنها ديانة عالمية، أسسها ميرزا حسين علي المازندراني (1816 ـ 1892) بعد هلاك الباب.

❖ أعلن المازندراني نفسه نبياً وتسمى بالبهاء، ثم تخاصم مع أخيه يحيى الملقّب بـ (صبح أزل) على خلافة الباب.

❖ أصيب مؤسسها في نهاية عمره بالجنون فتولى ابنه عباس الملقب بـ (عبد البهاء) خلافة أبيه.

❖ كتاب (الأقدس) الذي وضعه البهاء حسين ناسخ لجميع الكتب السماوية بما فيها القرآن الكريم.

❖ الاعتقاد بألوهية الفرد، وبوحدة الوجود، والحلول وأن لا انفصال بين اللاهوت والناسوت للبهاء، ولهذا وضع برقعاً على وجهه. وجاء في كتابه الأقدس: «من عرفني فقد عرف المقصود، ومن توجه إلي فقد توجه إلى المعبود».

❖ يزعم البهاء أن الوحي لم ينقطع، وأن المقصود بكون محمد خاتم النبيين هو أنه زينة لأن الخاتم يزين الإصبع.

❖ يصف المسلمين بأوصاف قبيحة، جاء في كتاب «الإيقان»: «وجميع هؤلاء الهمج والرعاع يتلون الفرقان (القرآن الكريم) في كل صباح، وما فازوا للآن بحرف من المقصود».

❖ يحرمُ ذكر الله في الأماكن العامة ولو بصوت خاف. جاء في كتابه «الأقدس»: «ليس لأحد أن يحرك لسانه ويلهج بذكر الله أمام الناس، حين يمشي في الطرقات والشوارع».

❖ يعتقد البهائيون بقدسية العدد 19. فالسنة 19 شهراً والشهر 19 يوم.



ميرزا حسين علي البهاء



ابن البهاء وخليفته الملقب بعبد البهاء عباس

❖ يعتقد البهائيون أن القيامة مجيء البهاء في مظهر الله تعالى.

❖ لا يؤمن البهائيون بالجنة أو النار.

❖ لا يؤمن البهائيون بالملائكة والجن.

❖ لا يؤمن البهائيون بالحياة البرزخية بعد الموت، بل يقولون أنها المدة بين سيدنا محمد والباب الشيرازي.

❖ يحرمون الجهاد والحرب تحريما قطعياً ومطلقاً، وهذا أحد أسرار علاقتهم بالقوى الاستعمارية. كما أنهم يحرمون الخوض في السياسة إلا للساسة، كما أن كتب البهاء تدعو للتجمع الصهيوني في فلسطين!

❖ يبيحون المتعة الحرام للنساء، والزنا بالإكراه له عقوبة مالية فقط.

❖ لا يؤمنون بالانتماء إلى الوطن تحت دعوى وحدة الأوطان، ويدعون إلى إلغاء اللغات والاجتماع على اللغة التي يقررها زعيمهم.

❖ لهم تأويلات منحرفة وباطلة لآيات القرآن الكريم:

- إذا الشمس كورت: يؤولونها بانتهاء الشريعة المحمدية ومجيء الشريعة البهائية!

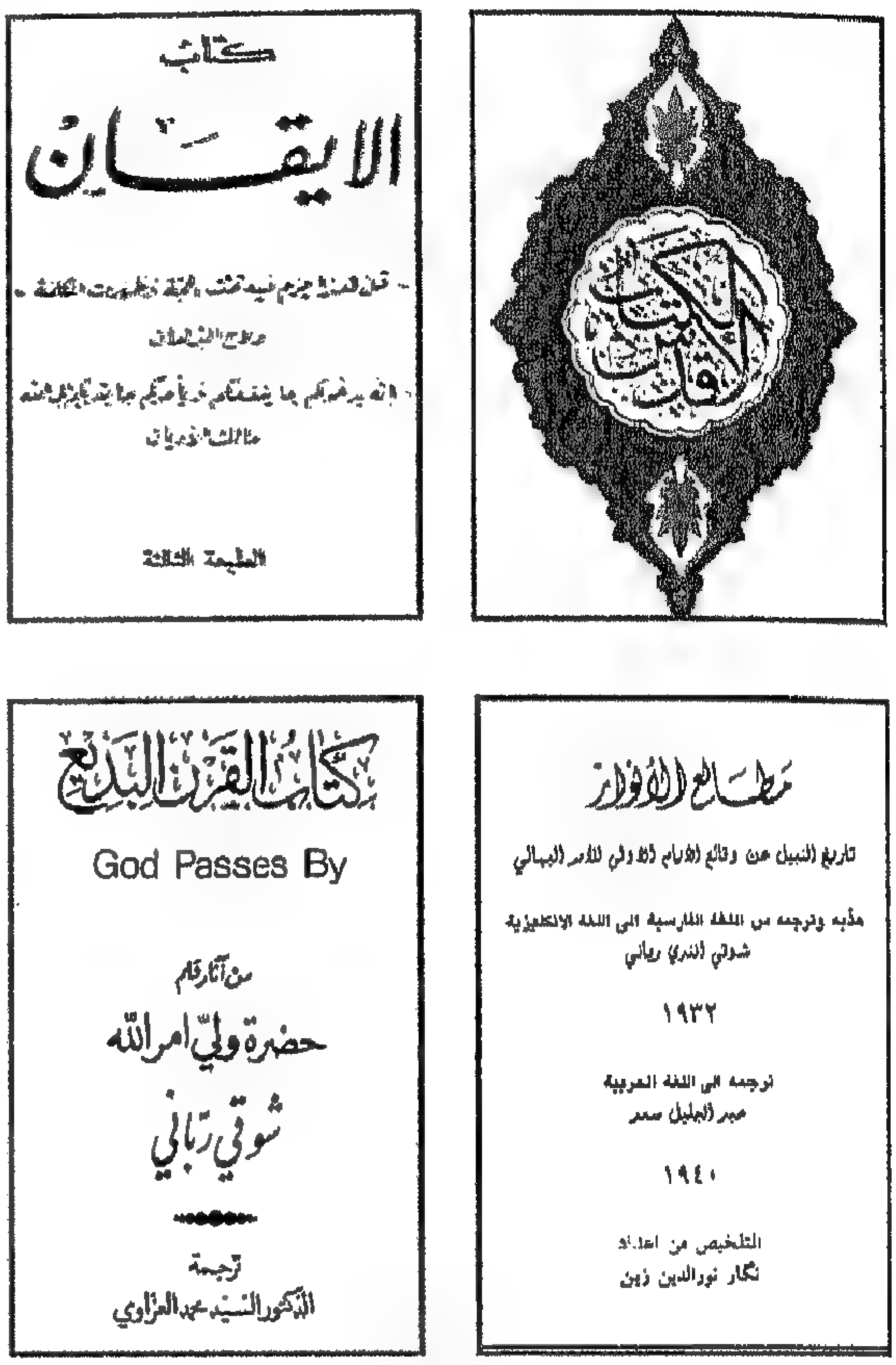
- إذا العشار عطلت: يؤولونها بجمع الوحوش في حدائق الحيوانات في المدن !
- إذا النفوس زوجت: يؤولونها باجتماع اليهود والنصارى على دين البهاء !

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [سورة إبراهيم: الآية 27]

يؤولون الحياة الدنيا بالإيمان بمحمد ﷺ والحياة الآخرة بالإيمان بالبهاء !

❖ أما عباداتهم فهي كعقيدتهم مملوءة بالغرائب:

- **الصلاة:** لا يبيحون الصلاة في جماعة إلا على الميت، والصلاة عندهم ثلاث مرات هي الصبح والظهر والمساء. في كل مرة ثلاث ركعات دون تحديد لكيفية معينة، أما قبلتهم فهي نحو قصر البهجة في عكا، ويكون الوضوء فقط للوجه واليدين بماء الورد، وان لم يوجد فيقولون باسم الله الأطهر الأطهر خمس مرات.
- **الطهارة:** لا يعتقدون بالنجاسة من الجنابة أو سواها لأنهم يعتقدون أن من اعتقد بالبهائية فقد طهر!
- **الصوم:** يكون تسعة عشر يوماً في السنة وهي من 2 إلى 21 مارس/آذار الذي يعرف عندهم باسم شهر «العلاء» وهو من سن 11 إلى 42 من الشروق للغروب ويعفى منه الكسالى، ومن يعملون أعمالاً مرهقة وغيرهم !
- **الزكاة:** استبدلت بنوع من الضريبة تقدر بـ 19٪ من رأس المال تدفع مرة واحدة !
- **الحج:** هو للرجال دون النساء، ويكون لقبر البهاء بقصر البهجة في عكا !
- **العقوبات:** لا عقوبات إلا الدية.
- **الزواج:** يكون بواحدة أو اثنتين على الأكثر. ويلمحون (بلا تصريح واضح) في بعض كتبهم إلى جواز زواج الشاذين، كما أنه يحرم زواج الأرامل إلا بعد دفع دية



من كتب البهائية بالعربية

والبهائيون على اختلاف أصولهم يصدقون بما بين أيديهم من الكتب السماوية ويؤمنون بالرسالات السابقة دونما تفريق، ويعتقدون بأن رسالة بهاء الله - أسوة بغيرها من الرسالات السماوية - لا تمثل سوى مرحلة من المراحل المتعاقبة للتطور الروحيّ الذي يخضع له المجتمع الإنساني.

إنّ الدين البهائي دين عالمي مستقل كل الاستقلال عن أي دين آخر. وهو ليس طريقة من الطرق الصوفية، ولا مزيجاً مقتبساً من مبادئ الأديان المختلفة او شرائعها، كما إنّه ليس شعبة من شعب الدين الاسلامي او المسيحي او اليهودي. وليس هو إحياء لأي مذهب عقائدي قديم. بل للدين البهائي كتبه المنزلة، وشرائعه الخاصة، ونظمه الإدارية، وأماكنه المقدسة. أما رسالته الحضارية الموجهة لهذا العصر فتتلخص في المبادئ الروحية والاجتماعية التي نص عليها لتحقيق نظام عالمي جديد يسوده السلام العام وتنصهر فيه أمم العالم وشعوبه في إتحاد يضمن لجميع أفراد الجنس البشري العدل والرفاهية والاستقرار ويُشيد حضارة إنسانية دائمة التقدم في ظل هداية إلهيّة مستمرة.

التعريف بالبهائية كما ورد في موقعهم على الشبكة العالمية

معينة، والأرمل يتزوج بعد 90 يوماً، والأرملة بعد 95 يوماً ولم يبينوا سبب تحديد هذه المدة، شأنهم شأن بقية أصحاب المعتقدات المنحرفة

هرطقة البهاء
وسخافاته في كتابه (الأقدس)

❖ قل قد جعل الله مفتاح الكنز حبي المكنون لو أنتم تعرفون. لولا المفتاح لكان مكنوناً في أزل الآزال لو أنتم توقنون.

❖ قد حكم الله دفن الأموات في البلّور، أو الأحجار الممتنعة، أو الأخشاب الصلبة اللطيفة، ووضع الخواتيم المنقوشة في أصابعهم إنه لهو المقدر العليم.

❖ من يقرأ آية من آياتي خير له في (!) أن يقرأ كتب الأولين والآخرين.

❖ كُتب عليكم تجديد أسباب البيت بعد انقضاء تسعة عشر سنة، كذلك قُضِيَ الأمر من لدُن العليم الخبير.

❖ اغسلوا أرجلكم كلّ يوم في الصيف، وفي الشتاء كل ثلاثة أيام مرّة واحدة.

❖ قد كُتِبَ عليكم تسع ركعات لله منزّل الآيات حين الزوال وفي البكور والأوصال (كذا !!).

❖ وإذا أردتم الصلاة ولّوا وجوهكم شطري الأقدس المقام المقدّس (عكا) الذي جعله الله مطاف الملأ الأعلى..

❖ قد أذن لكم السجود على كلّ شيء طاهر، ورفعنا عنكم الحدّ في الكتاب إنّ الله يعلم وأنتم لا تعلمون. ومن لم يجد الماء يذكر خمس مرات « بسم الله الأطهر» ثم يشرع في العمل، هذا ما حكم به مولى العالمين.

❖ قد كُتِبَ عليكم الصلاة فرادى، قد دفع حكم الجماعة، إلا في صلاة الميت إنه لهو الأمر الحكيم.

❖ لقد حكم الله لمن استطاع منكم حجّ البيت مدفنه بعكاء.

ترويج الغرب للوحي البهائي

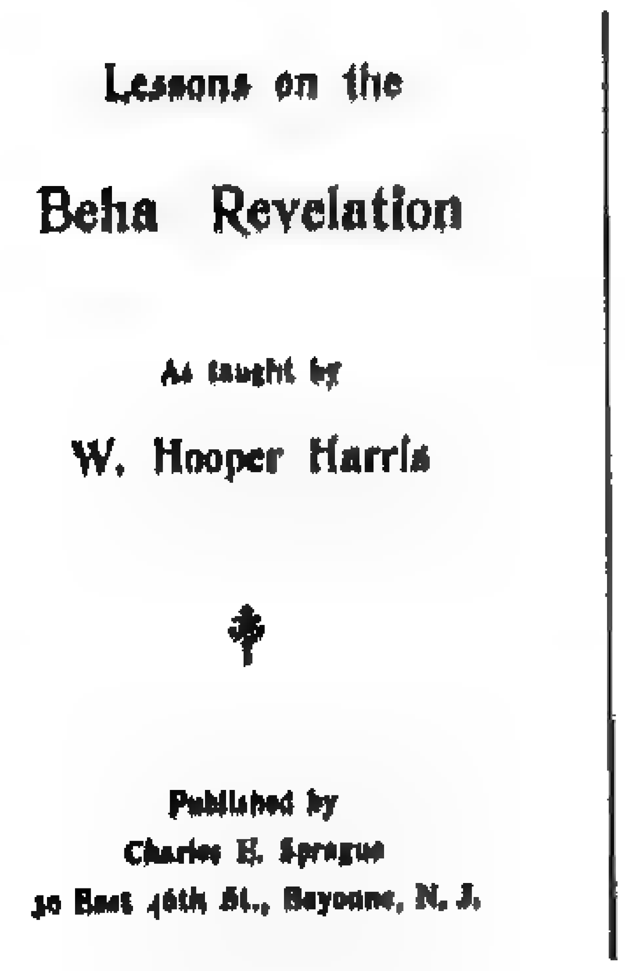
كشأن كل نحلة فاسدة أريد لها أن تكون بديلاً عن الإسلام لقيت البهائية اهتماماً كبيراً بها في بلاد الغرب ولاسيما في أمريكا. وقد اعتنى بدراستها والترويج له كُتّاب مثل هوبر هاريس الذي خصّ البهائية بكتابه (الوحي البهائي)، ومن أشهر الباحثين المعاصرين في البهائية البروفيسور جوان كول الأستاذ بجامعة ولاية ميتشيجان



جوان كول



هوبر هاريس



Lessons on the

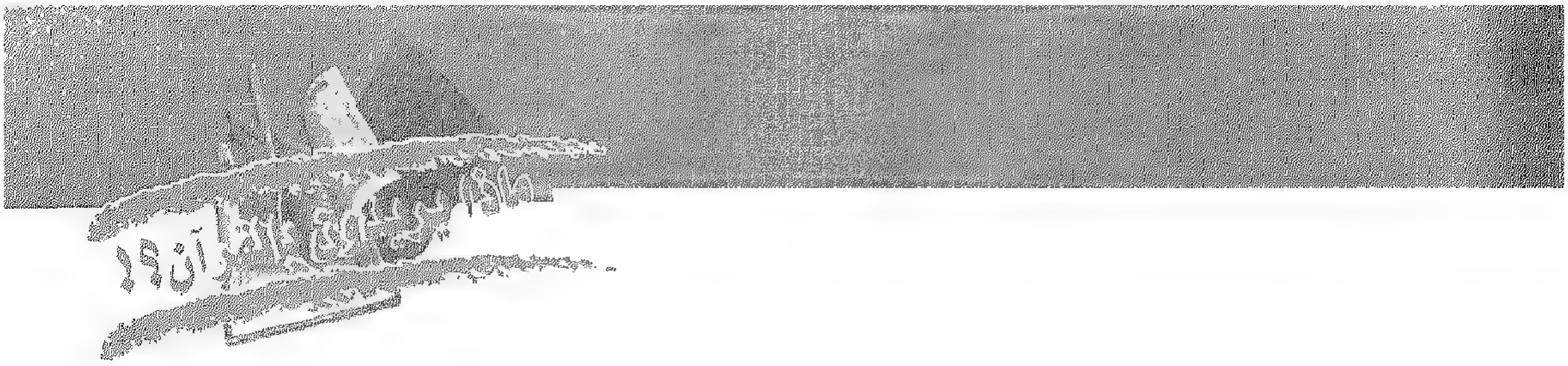
Beha Revelation

As taught by

W. Hooper Harris

Published by
Charles E. Sprague
30 East 46th St., Bayonne, N. J.

كتاب ثورة البهاء



(الخزائن الروحانية والبراهين الأحمدية)

قرآن القاديانية

في سنة 1898 أسس ميرزا غلام أحمد القادياني الحركة القاديانية، والقاديانية نسبةً إلى بلدة (قاديان) في الهند. وقد تسمّت الحركة فيما بعد باسم (الأحمدية) إمعاناً في التستر والتخفي بعد أن افتضح أمرها عند المسلمين.



ميرزا غلام أحمد

❖ يزعم القادياني أنّ السيد المسيح بعدما صلب نهض ورحل إلى بلاد الهند وأقام في قاديان، ومات ودفن هناك، وله فيها قبر يزار. وأنه هو خليفة السيد المسيح، وقد تنزّل عليه الوحي بذلك، فتسمى بالمسيح الموعود والمهدي.

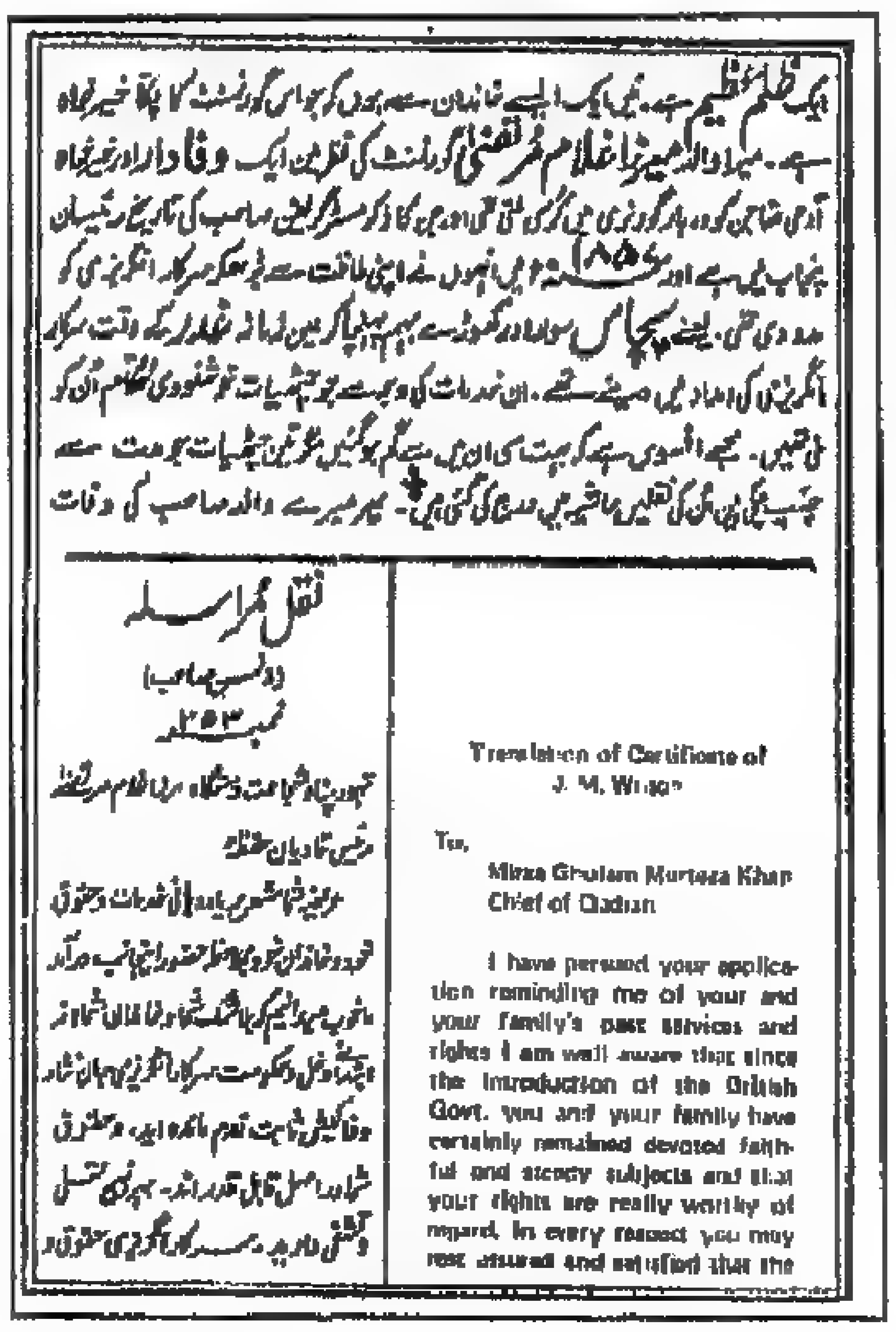
القادياني صنيعة الاستعمار

يقول ميرزا غلام: « لقد قضيتُ معظم عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرتها، وقد ألّفتُ في منع الجهاد ووجوب طاعة ولي الأمر من الكتب والإعلانات والنشرات ما لو جُمع لملأ خمسين خزانة» (الخزائن الروحانية 15 ص 155).

ويقول: «ولا يخفى على هذه الدولة المباركة (بريطانيا) أني من خدّامها ونصحائها، ودواعي خيرها من قديم، وجئناها في كلّ وقت بقلبٍ صميم » (خزائن 8 ـ ص 36)، ويقول: «يجب على كلّ مسلم طاعة هذه الحكومة طاعة صادقة» (خزائن 15 ـ ص 114).

ويقول: «لقد نشرتُ خمسين ألف كتاب ورسالة وإعلان (1) في هذه البلاد، وفي البلاد الإسلاميّة تفيد



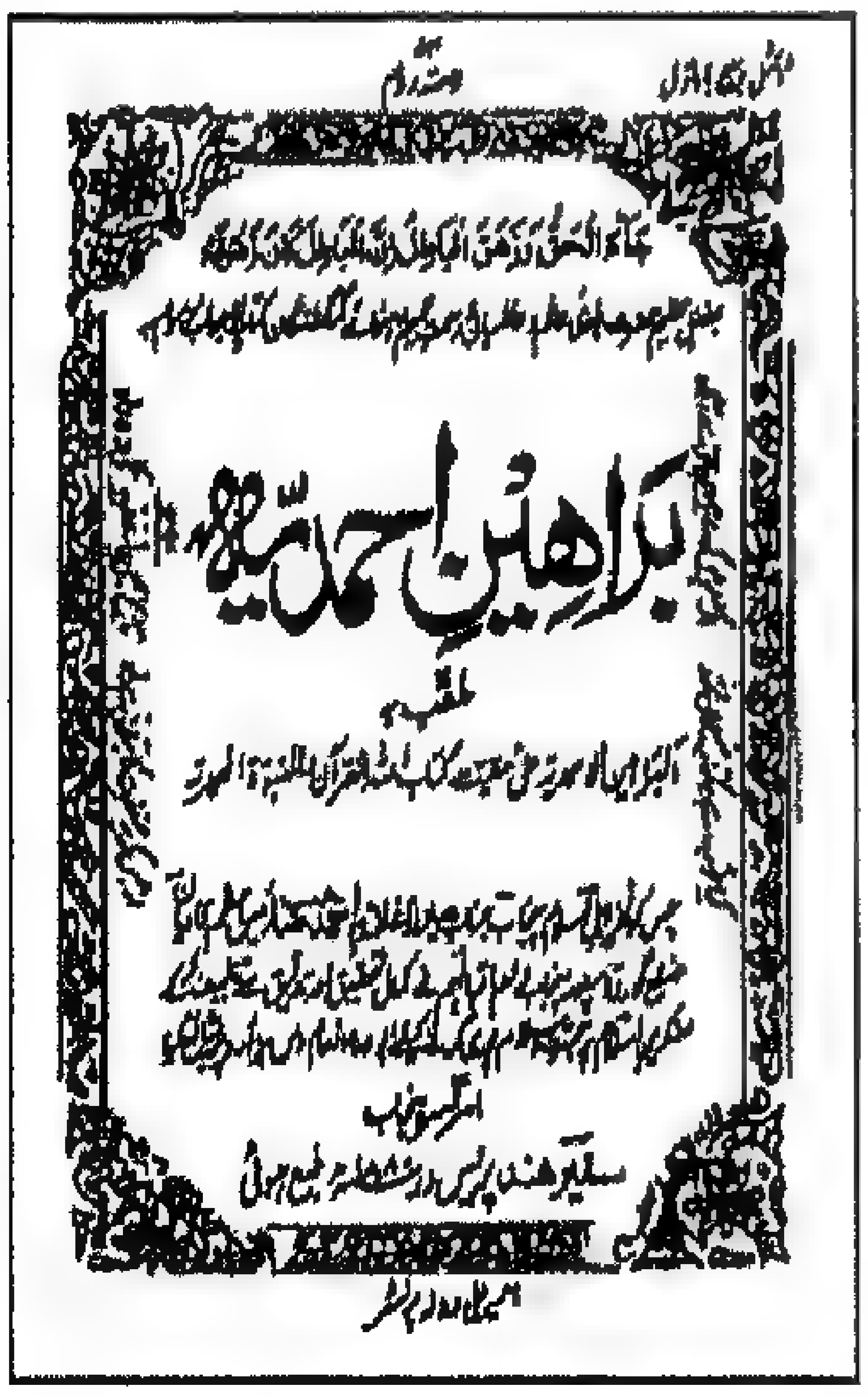


Translation of Certificate of J. M. Wilson

To,

Mirza Ghulam Murtaza Khan
Chief of Qadian

I have perused your application reminding me of your and your family's past services and rights I am well aware that since the introduction of the British Govt. you and your family have certainly remained devoted faithful and steady subjects and that your rights are really worthy of regard. In every respect you may rest assured and satisfied that the



نص رسالة موجهة إلى القادياني من الحكومة الإنجليزية تعترف بخدماته نحوها، وينشرها الميرزا بعد ترجمتها في أحد كتبه

أنّ الحكومة الإنجليزية هي صاحبة الفضل والمِنّة على المسلمين، وأنه يجب على كلّ مسلم أن يطيع هذه الحكومة طاعة صادقة ». (الخزائن الروحانية 15 ص 114).

ويقول: «فُرِضَ علينا وعلى ذرّيتنا شكر الحكومة البريطانية المباركة ». (الخزائن - 3 ص 166).

ويقول: « لقد ظللتُ منذ حداثة سنّي وقد ناهزتُ اليوم الستين أجاهد بلساني وقلمي لأصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الإنجليزية والنصح لها والعطف عليها » (اشتهارات 3 - ص 11).

ويقول: «إني أعلم أنّ الله تعالى جعل الحكومة البريطانية حمىً وملجأً لي ولجماعتي بفضله الخاص. وهذا الأَمْنُ الذي حصل لنا تحت ظلّ هذه الحكومة لا يمكن أن يحصلَ في مكّة المكرّمة ولا المدينة المنوّرة » (الخزائن الروحانية 15 ص 156).

ويقول ميرزا غلام : « لقد ألغي اليوم حكم الجهاد بالسيف، فلا جهاد بعد هذا اليوم. فمن يرفع السلاح على الكفّار يكون مخالفاً لرسول الله.. إني أنا المسيح الموعود، ولا جهاد بالسلاح بعد ظهوري الآن » (خزائن 16 ، ص 28).

من سفاهات القادياني في وحيه المزعوم

«ما أنا إلا كالقرآن وسيظهر على يدي ما ظهر من الفرقان » (التذكرة ص 668).

«يا أحمد اسكن أنت وزوجك الجنة» (التذكرة ص 628).

« الحمد لله الذي جعلك المسيح ابن مريم » (التذكرة ص 622).

«زلزلة آيا، زلزلة آيا» (أي جاءت الزلزلة، جاءت الزلزلة) (التذكرة ص 602)

I Love you (التذكرة ص 64- 65)

I am with you

I shall help you

I can what I will do

«اعملوا ما شئتم إني غفرت لكم » (التذكرة ص 524).

«أنت قابل يأتيك وابل» (التذكرة ص 403).

«آريون كا بادشاه أيا» (أي: جاء ملك الآرية) (التذكرة ص 392).

« رأيتُني في المنام عين الله، وتيقنت أنني هو.. وكانت الألوهية نفذت في عروقي.. وبينما أنا في هذه الحالة كنت أقول إنّا نريد نظاماً جديدا، سماءً جديدة، وأرضاً جديدة، فخلقتُ السماوات والأرض » (التذكرة ص 195 - 197).

«فجاءه المخاض إلى جذع النخلة، قال: يا ليتني متّ



خلفاء المسيح المزعوم

قبل هذا وكنت نسياً منسيّا» (التذكرة ص 73) «جعلني الله مريم لسنتين.. ثم نفخ فيّ روح عيسى كما نفخ في مريم، فأصبحت حاملاً في صورة إستعارية، وبعد عدّة أشهر لم تتجاوز العشرة تحوّلتُ من كوني مريم، وصرتُ عيسى، وهكذا أصبحتُ أنا عيسى بن مريم» (الخزائن الروحانية 19 ص 50).

يقول القادياني الكذّاب الذي يزعم أنه المسيح الموعود عن عيسى بن مريم :« وأمّا عائلته فكانت طاهرةً وشريفةً . ثلاث من جدّاته من طرف الأم، وثلاث من طرف الأب كُنَّ زانيات. ومن دم هؤلاء الزانيات ظهر عيسى وتكوّن وجوده. وفي هذا ما يُفسّر ميلَه للمومسات.» (خزائن 11 ص 291).

ويقول ميرزا في حق السيد المسيح أيضاً: «لم يكن عيسى ليقدر أن يدّعي الصلاح لأنه كان يعلم أنّ الناسَ يعرفونه مدمناً على الخمر» (خزائن 10 ص 286)، ويقول أيضاً: «اتركوا ذكر ابن مريم فغلام أحمد أفضل منه » (خزائن 18 ص 240).

«رأيت في المنام ملكاً بهيئة شخصٍ جاء أمامي وأعطاني نقوداً كثيرةً ألقاها في حِجْري، فسألته عن اسمه، فقال : ليس لي اسم. فقلت : لا بدّ أن يكون لك اسم. فقال : اسمي تيتشي تيتشي » (خزائن 22 ص 346).

« بريشن عمر براطوس يا بلاطوس ») التذكرة ص 119).

« إن الله مع الخائفين » . (التذكرة ص 328).

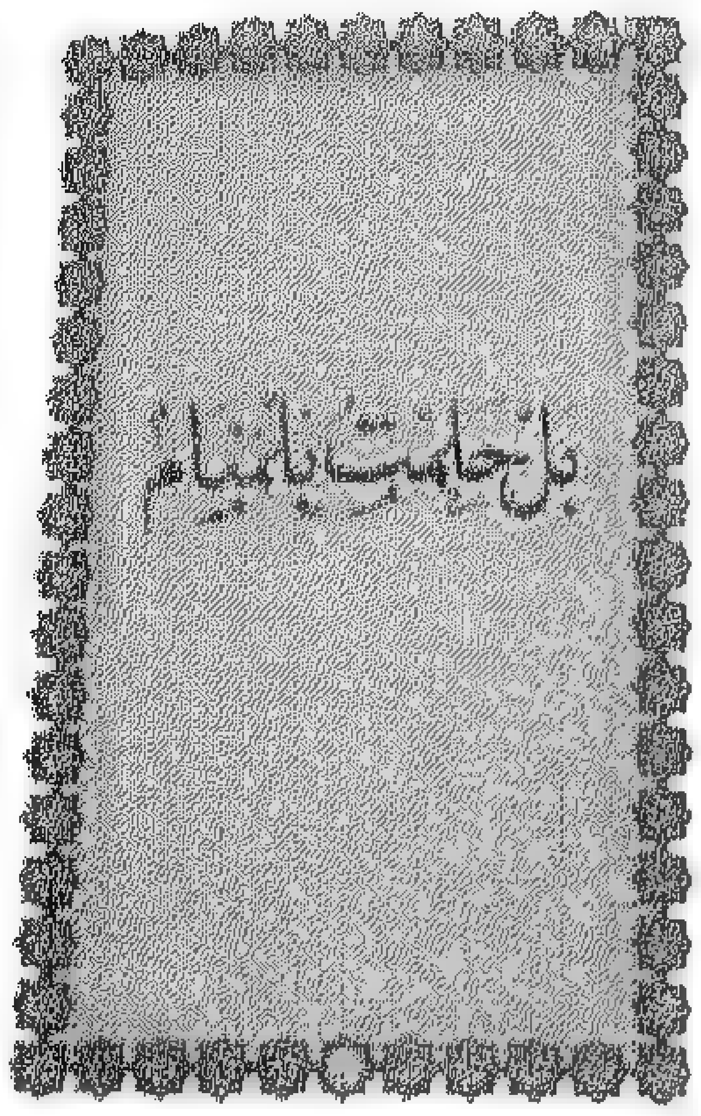
« يا مريم اسكن أنت وزوجك الجنّة» (التذكرة ص 727).

«قل هو الله عجيب » (التذكرة ص 654).

«كلّ العقل في لبس النظيف وأكل اللطيف» (التذكرة ص 776).

«إن العذاب مربّع ومدوّر» (التذكرة ص 790).

قرآن حميد الأزري
(بل حلمت بلمنام)



حميد الأزري منجّم يسمي نفسه فلكيّا، كانت بعض الصحف العربية تخصص له ركناً لقراءة الطالع والنجوم.

بعد فضيحة سلمان رشدي أعلن تنصرّه وارتداده عن الإسلام، لأنه دين يقمع الفكر وحرية الرأي، ولا يستحق أن يدين به، فوجد في النصرانية بديلاً أفضل منه. وأشهر ارتداده علناً على صحيفة (العرب) اللندنية. وكان تعليق محرر الصحيفة على ارتداده بليغاً ومختصراً حيث لم يزد على قوله تعالى :

﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ﴾ [سورة الزُمَر: الآية 7]

بعد ذلك أعلن هذا الآفّاك النبوّة وزعم أنّ وحياً تنزّل عليه لمدة ست وستين ليلة.

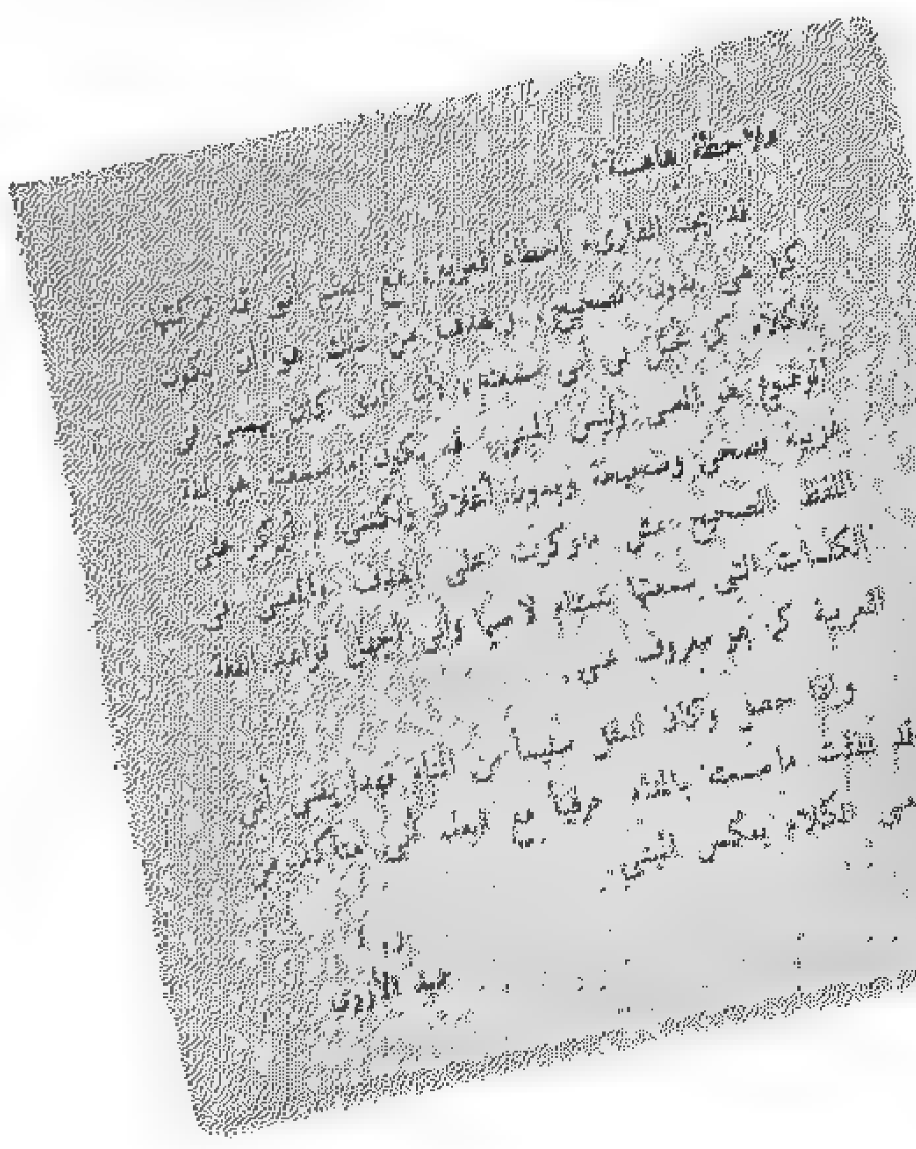
لقد جعل ذاك الأزريّ عنواناً لِقُرآنه هو (بل حلمتُ بلمنام).

لقد أراد من كان وراء هذا الهذيان أن يثير زوبعةً في العالم الإسلامي على غرار الزوبعة التي أثيرت بسبب صدور آيات سلمان رشدي الشيطانية، حتى

يتمكّن أعداء الإسلام من استثمار ذلك في تشويه الإسلام بحجة أنه معاد لحريّة الرّأي والتفكير. لكنّ أملهم خاب لّما فوّت عليهم المسلمون ذلك، وأماتوا الكتاب بتجاهله، مع أنهم قاموا بتوزيع عدد كبير منه على عدد من الصحف والمجلات لعلّ أحداً من المثقفين أو الكتاب العرب أو المسلمين يبتلع الطعم فيكتب ضدّه أو يكفّر صاحبه فتكون الفتنة المرادة، ولكن الله غالبٌ على أمره فلم يتم لهم ما خططوا له.

والكتاب مشحونٌ بالأخطاء اللغوية والإملائية، فضلاً عن ركّة أسلوبه. ويبدو أنّ هذا الكذّاب الأشِر أُخبِرَ بذلك، فقال على ظهر غلاف الكتاب (كما هو مبين بالصورة المرفقة):

«قد يجد القارئ أخطاء لغويّة، مع العلم أني تركتها كما هي بدون تصحيح، والهدف من ذلك هو أن يكون الكلام كما خُيّل لي أني سمعته لأن الذي كان يهمّني في الموضوع هو المعنى وليس المبنى. قد يكون ما سمعته هو لغة عربية فصحى وصحيحة وبدون أغلاط، ولكنني لم أركّز على اللفظ الصحيح مثل ما ركّزت على الهدف والمعنى في الكلمات التي سمعتها بلمنام(!) لا سيما وأني أجهل قواعد اللغة العربية كما هو معروف عني. وإذا حصل وكان النقل سليماً من المنام فهذا يعني أني قد نقلت ما سمعته بالمنام حرفيا، مع العلم أني متأكد من معنى الكلام بعكس المبنى».



سبحان الله !! وهل يستقيم معنى بلا مبنى ؟ هذا هو الخرف بعينه الذي لا يقوله إلا جاهل أو أحمق، ولهذا الأزري من هاتين الصفتين نصيب.

ومن المضحك أن يضع الأزري اسمه تحت هذا الكلام مسبوقاً بحرفين (ر. ا)، وهما أول حرفين من كلمتين هما (رسول الله).

هرطقة الأزري في قرآنه الجديد (بل حلمت بلمنام)

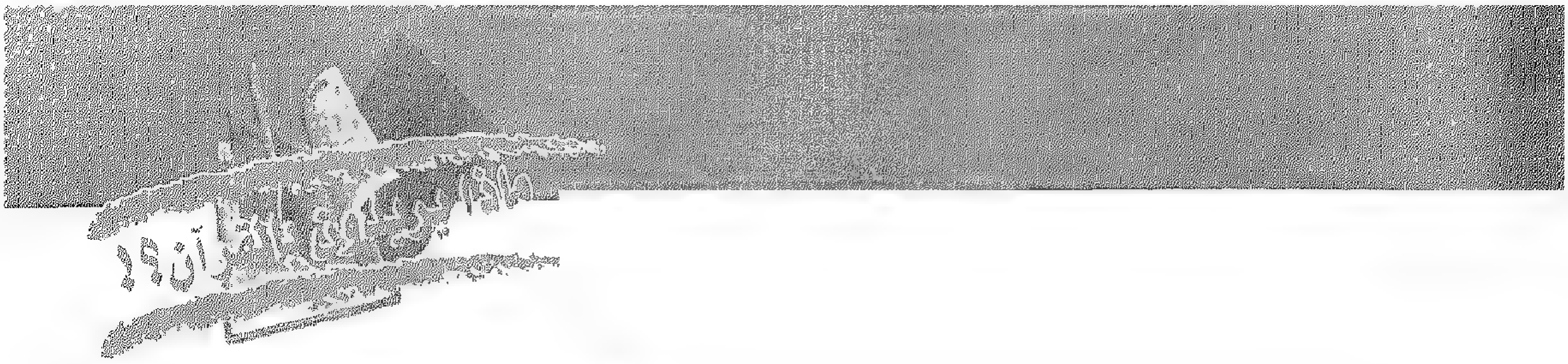
يقول هذا الكذّاب الأشر :

❖ « رأيتُ فيما يرى النائم شيئاً عظيماً في حجمه، ولكنه غير واضح المعالم، وكان يردّد بصوتٍ عظيم، أنا لول أنا لول وهو يوجّه كلامه إلى شجرة كبيرة فيه ستمائة وثلاث (!) وسبعين فرعاً، كلّ فرع فيه ربعمائة(!) وتسع (!) وثلاثين غُصنا، وكلّ غصن من تلك الأغصان كأنه متصل بجيل مضى وجيلٍ لم يأتي (!) بعد، ثم إلى جيل موجود. وكان لول يتحدّث إلى هذه الشجرة واستمرّ هذا الحلم ممتداً إلى ست وستون(!) ليلة، ذلك ما رأيته في المنام.»».

❖ وتبدأ كل ليلة من لياليه الست والستين بـ (بسم الله رب الأكوان ذو (!) العرش العظيم).

يحاول هذا المتوه أن يحاكي أسلوب القرآن، فيأتي بما يشهد بأنه معتوه طاش عقله، وخفّ حِلْمُه. فاستمع لبعض من خرفه وهذيانه :

❖ (ولّما جئنا على آدم في اليوم الرابع، رأيناه ضجرا، فعلِمنا ما بنفسه، فنفخنا عليه نفخةً سُبتا (!)، فإذا به نائماً عُمْقَا، فاخذنا من أضلعه ضلعاً، فزدنا الضلع ماء رغوا (!)، ثم نفخنا على الضلع نفخةً أخرى، فكانت بأمرنا خلْقَاً أخر).



❖ (سيقولون لك مَن كان نبياً غير الأنبياء الذين سمعنا بهم فنبّئنا إن كنت من الصادقين، قل سأنبئكم بأسماءٍ(١). لا تعلموا (١) وإن سمعتم بها، إنهم كانوا من النبيين، فتأملوا بما (١) سنذكره لكم، ولا تكونوا من الطائشين، إنّ ربّك لا يحب المتهورين واعلموا أن أخناتون في مصر كان نبيًا، إذ زودناه علماً وهو يناجينا قائلاً : شروقك ربي أبديًا، والسماء وما احتوت في يدك إن شئت تُطوى طيًا، فزدني من لدنك علما، إني أعبدك وأهلي ما دمتُ حيًا.. ذلك هو النبي أخناتون إن كنتم لا تعلمون).

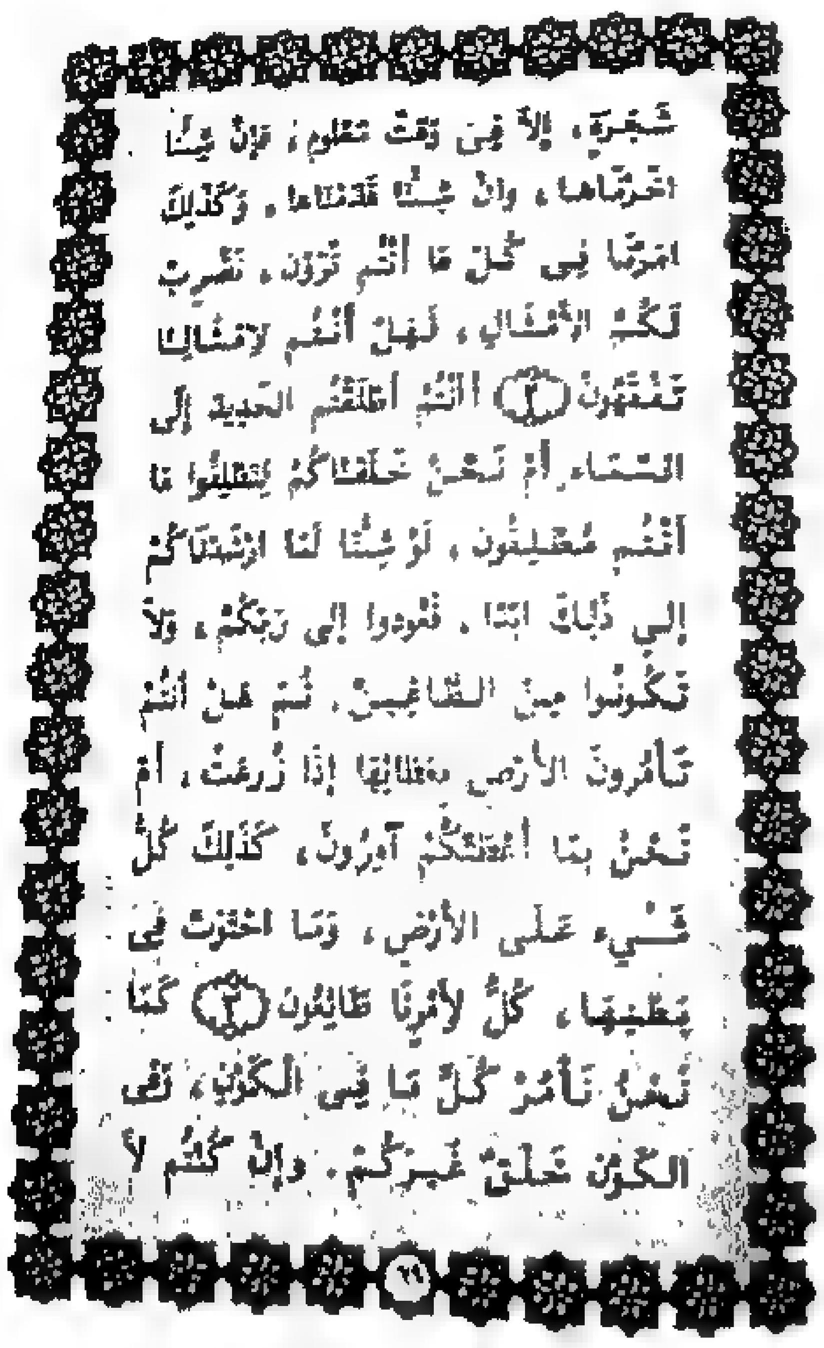
❖ (ثم اذكر في الكتاب راما بن داشاراذا كان في الهند نبيًا، وزوّدناه بنهج ثم عهد أن لا يكون منسيًا)...

(واذكر في الكتاب بودا بن الملك سود هوادانا، وامه مايا، إنه كان نبيًا، إذ حلمت أمه بجنود لنا يرفعونها إلى أعلى جبال الهملايا، فجاءها المخاض ببودا فحققنا لها بما حلمت (١)..).

❖ (ثم اذكر في الكتاب النبي فيرادامانا بن سرياما، وأمه تريسالا. لقد صام أبوه وأمه عن الكلام والطعام حتى ماتا وكان ذلك لنا تقرّباً من أبويه..).

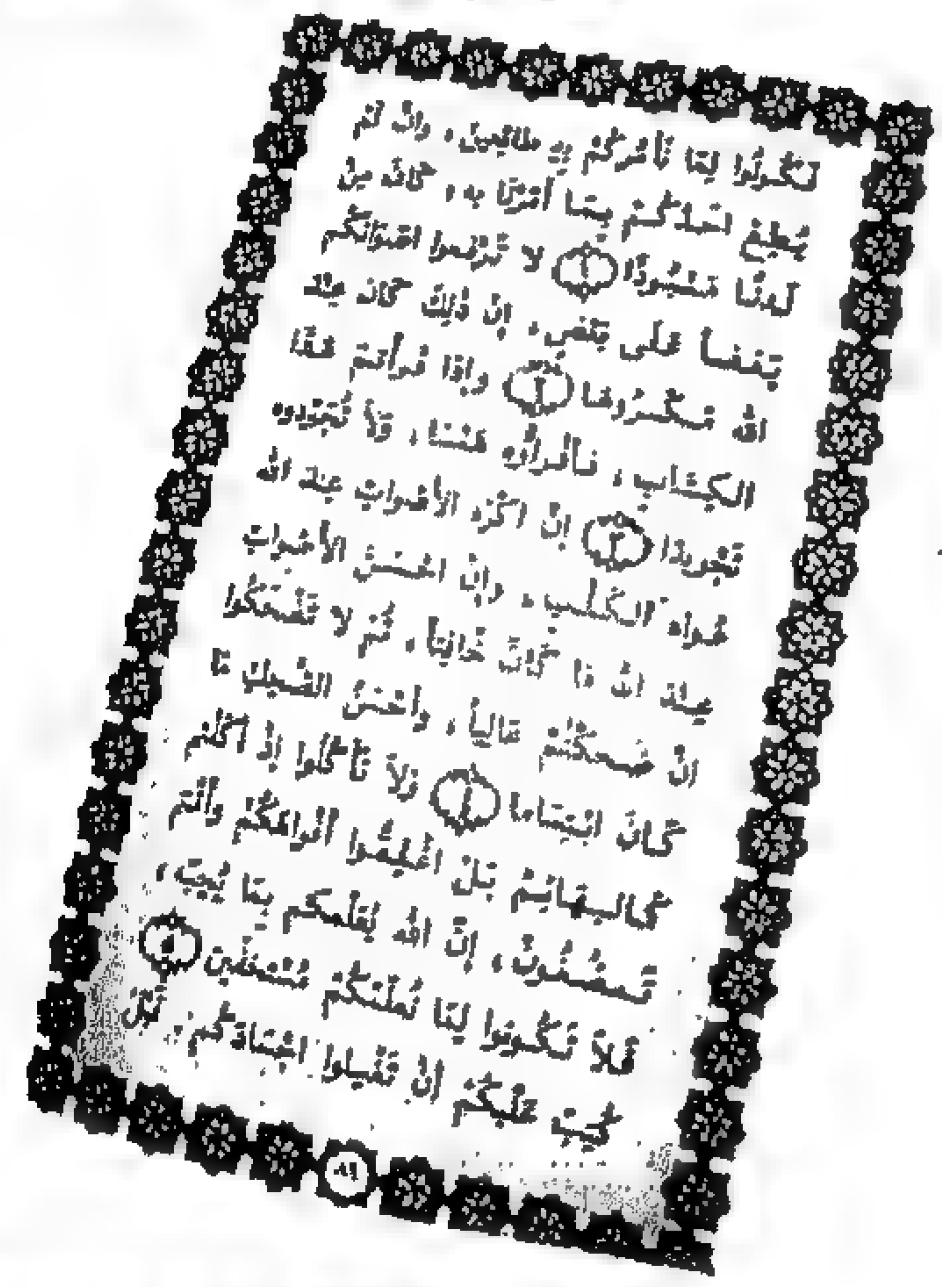
❖ (واذكر في الكتاب نبيّنا زرادشت إنه كان في إيران نبيًا..)

❖(أما الذين يستهزئون بما أنزلناه عليك، فسنجعلهم يوم الحشر هُزُوا، فلا تحزن إنّ أنت سمعت من بعضهم سفها، وبلّغ بما (١) أوحينا إليك سرّا وجهرا، وكفاك إذ أنّ ربّك عنك يرضى، سواء آمنوا أو لم يؤمنوا، فسنرضيك فترضى، أما في الدنيا فَحلّل إليك بعض ما حرمنا على غيرك قولاً وفعلا، ثم اذكر فضلي عليك إذ محونا عنك ذنوبك قبلا، وكيف أنجاك ربك إذ كنت في الأرض تسعى).



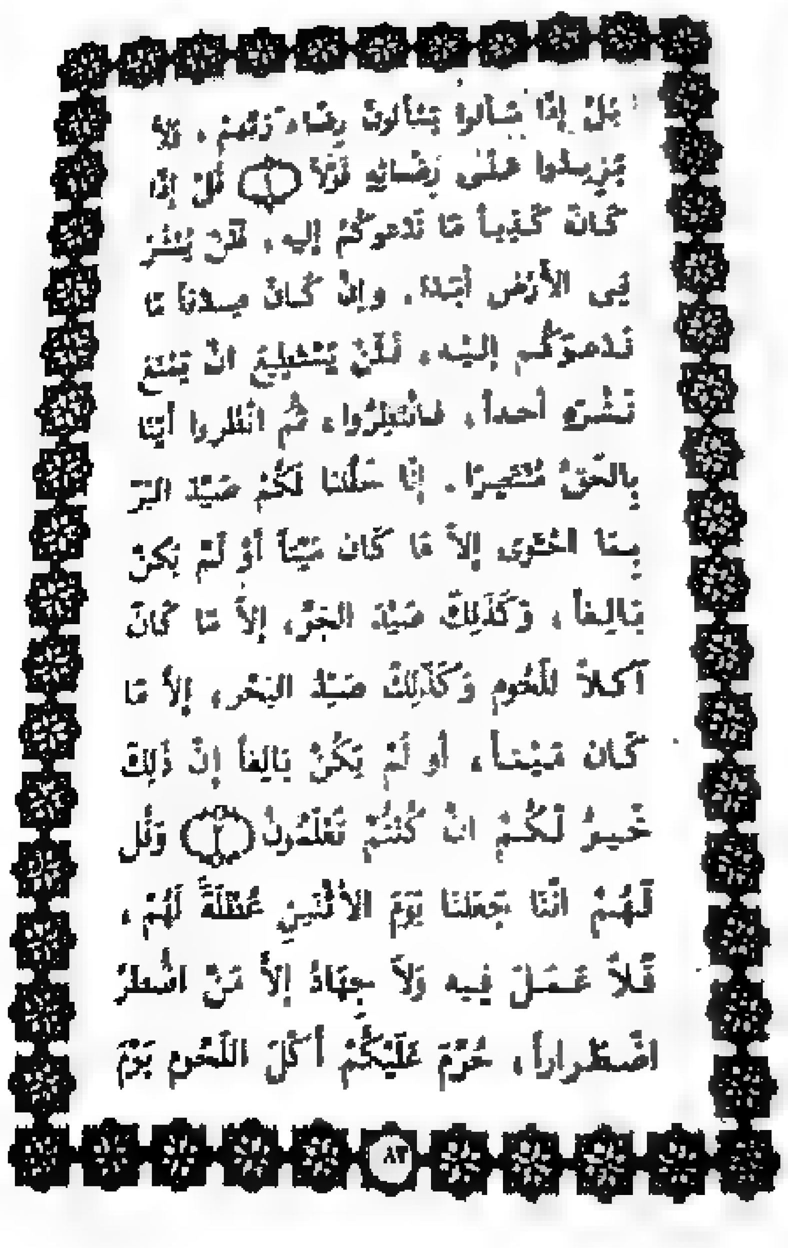
شجرة، إلاّ في وقت معلوم، فإن شئنا اخرتناها، وإن شئنا قدمناها، وكذلك امرنا في كل ما انتم تزرعون، نضرب لكم الأمثال، لعل أنتم لامثالنا تفقهون (١) أأنتم أطلقتم الحديد إلى السماء أم نحن خلقناكم يقليوا ما أنتم مطلقون، لو شئنا لنا ارشدناكم إلى ذاك ابدا، فعودوا إلى ربكم، ولا تكونوا من القانطين. ثم هل انتم تأمرون الأرض بعطائها إذا زرعت، أم نحن بما اعطيتكم آمرون، كذلك كل شيء على الأرض، وما اختزنت في بطنها، كل لأمرنا طائعون (٢) كما نحن نأمر كل ما في الكون، ففي الكون خلق غيركم. وإن كنتم لا

٢٦



تكونوا لما نأمركم به طائعين، وإن لم يطع احدكم بما أمرنا به، فلا من لدنا تستبدوا (١) لا ترفعوا اصواتكم بعضا على بعض، ان ذلك كان عند الله منكرا (٢) وإذا قرأتم هذا الكتاب، فاقرأوه همسا، ولا تجهروه تجهيرا (٣) ان اكره الأصوات عند الله عواء الكلب، وان اخشن الأصوات عند الله ما كان خاويا، ثم لا تضحكوا ان ضحكتم عاليا، واخشن الضحك ما كان ابتساما (٤) ولا تأكلوا إذا أكلتم كالبهائم بل اطعموا افواهكم وانتم تمضغون، ان الله يعلمكم بما يجب، فلا تكونوا لما نعلمكم متعصبين (٥) بل يجب عليكم ان تقبلوا اشتاقكم،

٤٩

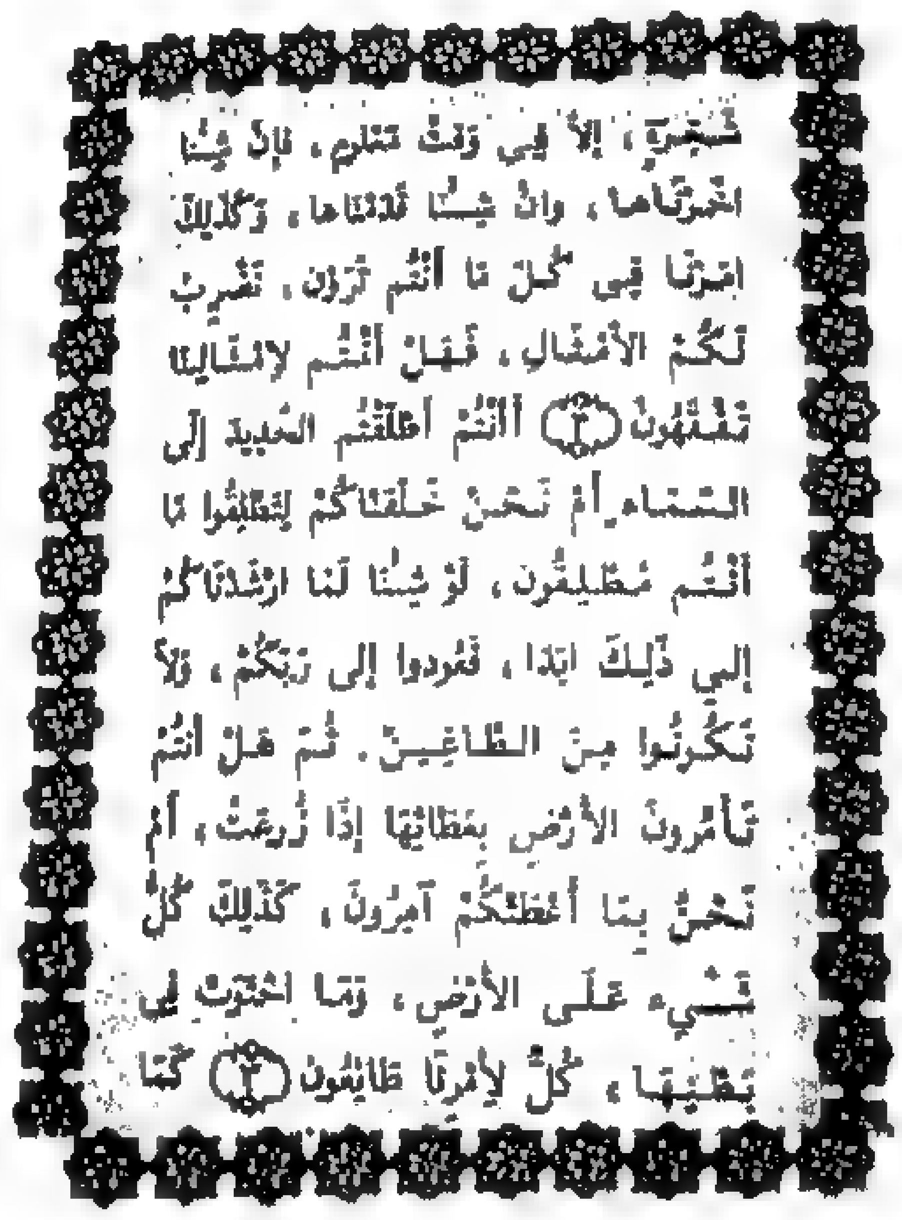


بل إذا شاءوا شاءوا رضاء ربهم، ولا يزيدوا على رضائه قولا (١) قل إذا كان كذباً ما تدعوكم إليه، فلن ينتشر في الأرض ابدا. وإن كان صدقا ما ندعوكم إليه، فلن يستطيع ان يمنع نشره احدا، فانتظروا، ثم انظروا أينا بالحق منتصرا. إنا حللنا لكم صيد البر بما اشترى إلاّ ما كان ميتاً أو لم يكن بالغا، وكذلك صيد الجو، إلاّ ما كان آكلاً للحوم وكذلك صيد البحر، إلاّ ما كان ميتا، او لم يكن بالغا إن ذلك خير لكم ان كنتم تعلمون (٢) وقل لهم انا جعلنا يوم الاثنين عطلة لهم، فلا عمل فيه ولا جهاد إلاّ من اضطر اضطرارا، حرم عليكم أكل اللحوم يوم

٨٢

❖ (إنّا حلّلنا لكم صيد البرّ بما احتوى إلا ما كان ميتا، أو لم يكن بالغا (١)، وكذلك صيد الجوّ إلا ما كان آكلاً للحوم، وكذلك صيد البحر إلا ما كان ميتا، أو لم يكن بالغاً إنّ ذلك خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون).

❖ (وقل لهم إننا جعلنا يوم الإثنين عطلة لهم، فلا عمل فيه ولا جهاد إلا من اضطرّ اضطرارا. حُرّم عليكم أكل اللحوم يوم الاثنين أكان من البرّ أو (١) البحر أو الجو، ومن يأكل في ذلك اليوم ما حرّمنا أكله فقد ارتكب إثماً كبيرا. وحُلل إليكم(١) غير ذلك، إن يوم الاثنين كان عند ربك يوماً عظيما، كُتب عليكم فيه اغتسالٌ (١) أجسادكم وما ترتدون، وأن تنظفوا فيه بيوتكم وما احتوت، إن ربك شاء أن يكون يومَ (هكذا بفتح الميم !!) الاثنين فيه نظافتكم فافعلوا بما (١) نأمركم ولا تكونا (١) من العاصين).


شجرة، إلا في وقت معلوم، فإن شئنا أخرناها، وإن شئنا قدمناها، وكذلك أمرنا في كل ما أنتم تزرعون، تضرب لكم الأمثال، فهل أنتم لأمثالنا تفقهون أأنتم أطلقتم الحديد إلى السماء أم نحن خلقناكم لتطلقوا ما أنتم مطلقون، لو شئنا لما أرشدناكم إلى ذلك أبدا، فعودوا إلى ربكم، ولا تكونوا من الطاغين. ثم هل أنتم تأمرون الأرض بعطائها إذا زرعت، أم نحن بما أعطتكم آمرون، كذلك كل شيء على الأرض، وما اختبئ في بطنها، كل لأمرنا طائعون كما

❖ (كُتِبَ عليكم الصومُ في الشهر الثاني من كلّ عام ميلادي تصوموه شهراً كاملاً، ويكون صومكم عن اللحوم بأنواعها ليلاً ونهاراً، وكلوا غير ذلك ما اشتهت أنفسكم (١) إنّ ربّك يريد بكم الخير).

❖ (إنّ أكره الأصوات عند الله عُواء الكلب).

❖ (وإذا أكلتم لا تأكلوا كالبهائم بل أغلقوا أفواهكم وأنتم تمضغون).

❖(حرّم اللهُ عليكم أطفال الأنابيب).

❖ (كُتِبَ عليكم إذا تزاوجتم أن لا تفترقوا إلا إذا كان لأحدكم ضُرٌ شديد، وإذا افترقتم تكون الأنثى للأنثى والذكر للذكر من البنين والبنات (حُرّم على الذكور الزواج بأكثر من أنثى، وحُرّم على الإناث الزواج بأكثر من رجل، فإذا افترقتم حقّ لِكلاكما (١) الزواج ثانية بعد ثمانية وثمانين يوماً).

❖ (قل للذين آمنوا إذا سُجِنَ أحدُكم بظلمٍ ثم ظهرت براءته مما اتّهم، يُعوّض له عن كلّ يوم سُجِنَ فيه بأعلى ورقة من النقود التي تتداولونها بينكم).

❖ (حُرّم عليكم الربا والنميمة إنّ ذنبهما عند الله كان عظيما، أما الذين يضعون أموالهم في المصارف أو مشروع كبير فيفيدون ويستفيدون فإن ربّك غفور رحيم(١)).

❖ (يا أيها الناس أطيعوا الله ورسوله بما نأمركم به، حُرّم عليكم صنع السلاح بكلّ أنواعه، إلا إذا اضطررتم اضطرارا، أمّا ما صنعت أيديكم من سلاح مبيد من غير نار أو حديد فقد حُرّم عليكم وإن كان اضطرارا، كما كُتِبَ على القُضاة أن يُسجَنوا لسبعة أيام قبل أن يكونوا قضاةً ذلك أمرٌ من لَدُنّا، وكان أمراً مقضيّاً).

❖ (قل للمؤمنين إن الله يأمركم أن يكون الإرث بالتساوي بين أبنائكم من البنين، ولا تفضّلوا في الإرث بعضهم على بعض، أمّا البنات فلهن ثماني وأربعين (١) من حظ البنين فيما تركتم لهن من إرث).

❖ (إن الله هو الذي أمر آباءكم الأولين للحج (١) في مواضع أخرى، واليوم يأمركم لموضع (١) جديد، أفلا تشكرون إذ يأمركم لموضع أعلى مما تحجّون له درجات، إنّ الحجّ عند الله لهو في الموضع الجديد، ذلك هو جبل سيناء، جبل الطور العتيد).





الفرقان الحق : قرآن أمريكي بديل

قبل نحو سنتين، وفي العدد الأول من مجلة التواصل، عرضنا كتاب (الفرقان الحق) وقلنا إنه ضرب من الهوس الذي أصاب أعداء القرآن فشرعوا يعارضونه بمثل هذه المضحكات المخجلات.

و(فرقان الحق) أريد له أن يكون بديلاً للقرآن كما يزعم مؤلفاه الوهميان اللذان ليس لهما وجود أصلاً. والتآليف والمصنفات المعادية للإسلام والقرآن التي تكاثر ظهورها في العقدين الأخيرين يُنسبُ كثير منها إلى أناسٍ مجاهيل أو ليس لهم وجود في عالمنا، لأنها صناعة معادية حيكت ونُسِجَت في مؤسسات دينية واستخباراتية في أمريكا وبلاد الغرب، فخرجت إلى الدنيا بأسماء مستعارة مثل (فرقان الحق) هذا الذي يُزعم أنه وحي تنزّل على شخصينِ يدعيان : الصافي أو الصّفي، والمهدي.

مؤلف الفرقان الحق

المؤلف الحقيقيّ لهذا الكتاب الهزأة قس اسمه أنيس شيروش. وكانت أوّلُ معرفةٍ للعرب المسلمين به عند مناظرته للشيخ أحمد ديدات، تلك المناظرة التي طار صيتها، وظهر فيها الشيخ أحمد ديدات على هذا

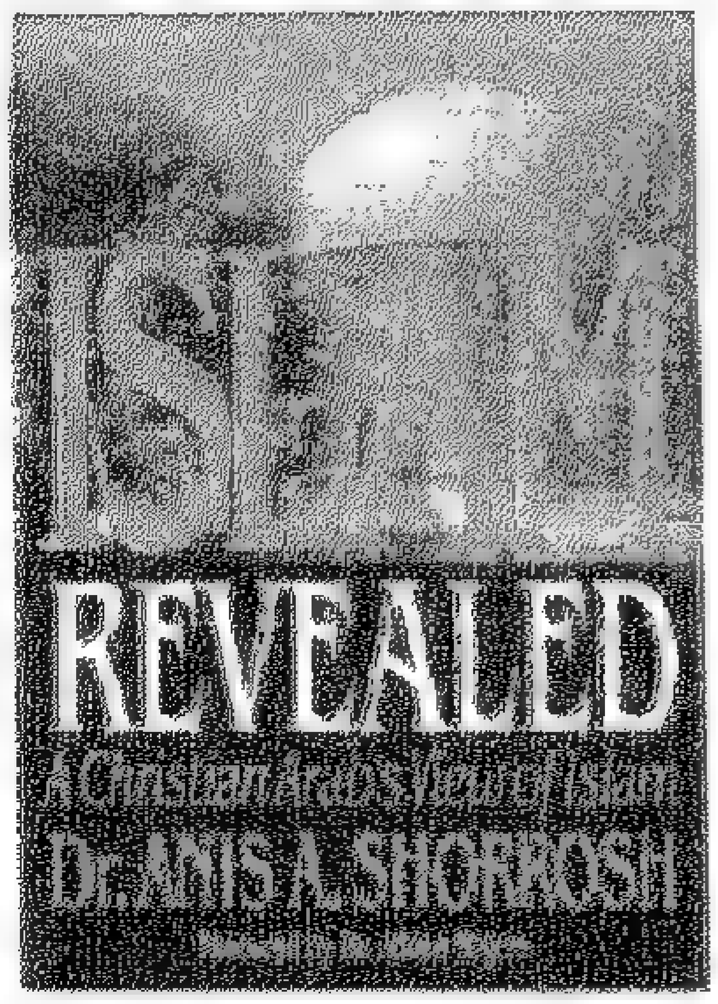

الشيخ أحمد ديدات

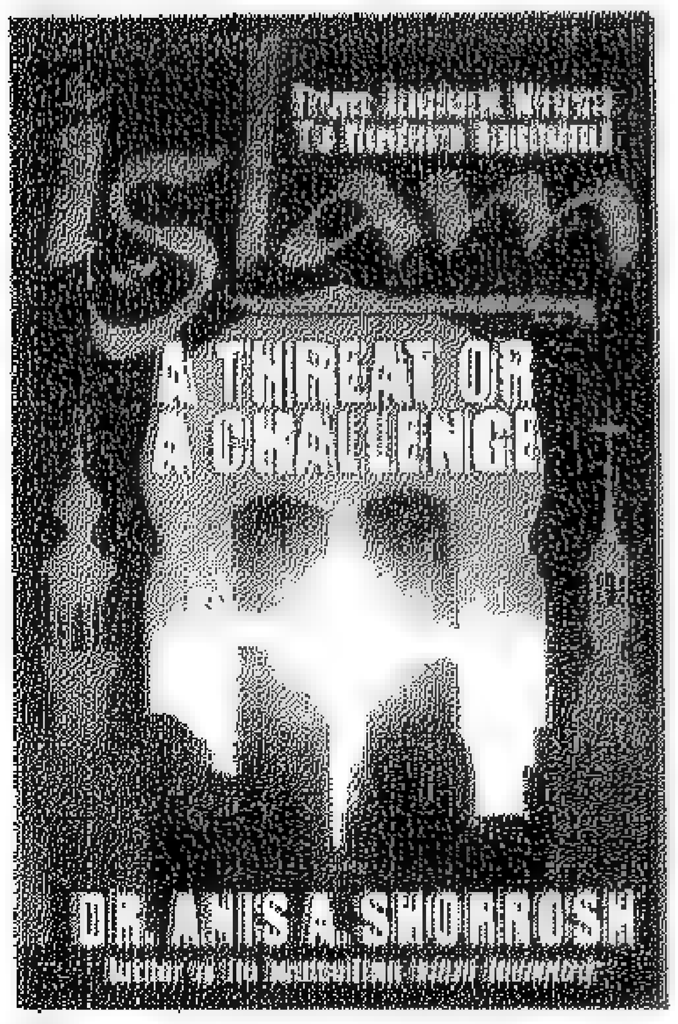
الكهنوتي. وهو فلسطيني وُلد في الناصرة، تنصّر وهو في الثامنة عشرة، ولم يكن مسيحياً في الأصل، وقد هاجر إلى الولايات المتحدة وهو ابن التاسعة عشرة بعد أن شرّد اليهود عائلته، وفي أمريكا تلقى تعليمه اللاهوتي في الكلية المعمدانية بالميسيسيبي، حتى تحصل على درجة الدكتوراه من معهد لوثر رايس. وعمل شيروش قساً ومبشراً إنجيليكانياً في الشرق الأوسط قبل أن يكوّن مؤسسة لتنصير المسلمين.

ولحقده الشديد على الإسلام والمسلمين وجد فيه الغرب الحاقد ضالته، فشرع يعلن حربه علناً على الإسلام والمسلمين بتصنيف الكتب المتحاملة التي لم تشمّ رائحة الموضوعية ككتابه: «الإسلام المفضوح» Islam Revealed.

وكتابه الآخر (من مكة القديمة إلى بغداد الحديثة، تهديد أم تحدٍ ؟)

From Ancient Mecca to Modern Baghdad, A Threat or A challange

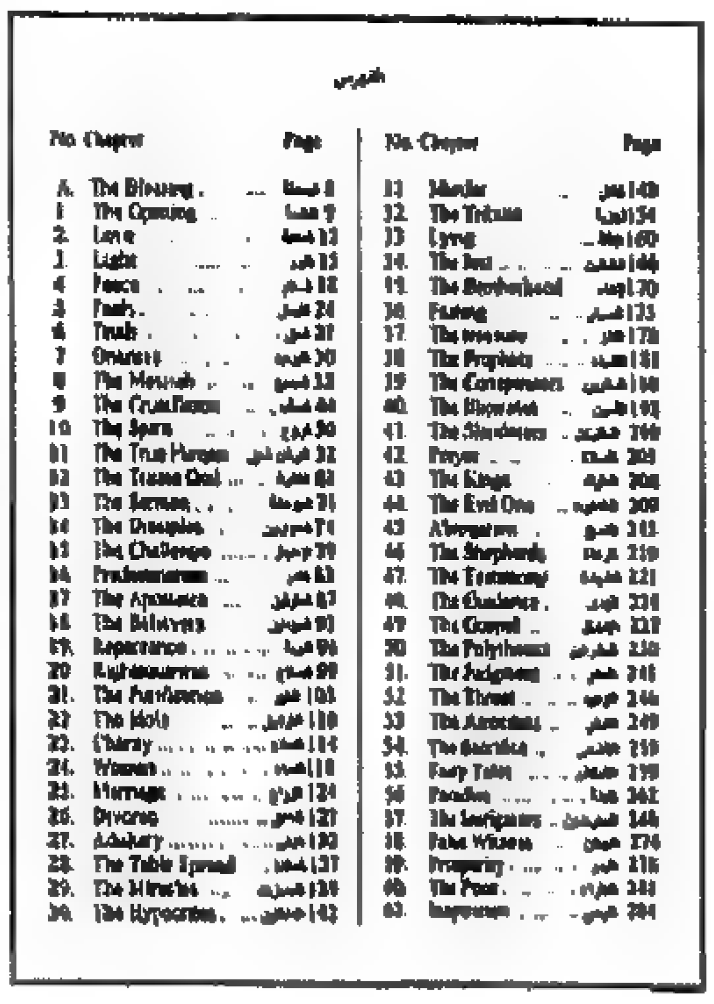




وبإلقاء المحاضرات في الكنائس والجامعات والمنتديات. وحسبه أنه بعد يومين فقط من أحداث 11 سبتمبر بدأ يحرّض ضد الإسلام، ثم ألقى بعد أسبوعين من الحدث محاضرة في جامعة هوستن المعمودية Houston Baptist University هاجم فيها الإسلام والمسلمين بضراوة وحقد شديدين واصفاً النبيّ محمد بالشيطان، والإسلام بالدين الزائف، فانسحب كثير من الحاضرين. وقد أثار عليه صنيعه ذلك طلاب الجامعة وإدارتها وموظفوها، ما دعا رئيس الجامعة دوج هودو Doug Hodo إلى استنكار ما جاء في المحاضرة، والاعتذار عنه فكتب يقول في رسالة إلى أسرة الجامعة: «إنكم لا تدعون أحداً إلى بيوتكم ليهينكم، وللأسف الشديد أهان ضيفنا تلاميذنا، وكليتنا، وهيئة التدريس بها. إن أحداث الخميس جرحت الكثيرين منكم وجرحتني، وقد سببت كلمات المحاضر لنا ألماً بليغاً». ولم يبد شيروش ندماً على ما بدر منه، وزعم أنّ كثيراً ممن يُسمّون مسلمين هم أناس مسالمون، لكنّ المخلصين من أتباع الله هم أهل عنف وإرهاب. ويقول شيروش: «كل من دخل أمريكا من المسلمين منذ سنة 1991 عليه أن يبرهن على أنه لم يتصل قط بأي منظمة إرهابية وإلا فليرحل»، وقال: «على أمريكا أن تستدعي مواطنيها للعودة إلى الوطن، ثم تسقط القنابل النووية على عواصم كثيرة في الشرق الأوسط». (انظر موقع www.comeandsee.co.il)

من بهتان (فرقان الحق)

يقع هذا البهتان في نحو 364 صفحة من القطع الصغير، تشمل سبعاً وسبعين سورة مع مقدمة وخاتمة. وتتضمن كل صفحة النص العربي الذي نزل به الوحي المزعوم مع ترجمته إلى الإنجليزية.


فهرس

No.	Chapter	Page	No.	Chapter	Page
A.	The Blessing	8	31	Murder	149
1	The Opening	9	32	The Tribute	154
2	Love	13	33	Lying	160
3	Light	15	34	The Best	166
4	Peace	18	35	The Brotherhood	170
5	Faith	24	36	Fasting	173
6	Truth	27	37	The Treasure	178
7	Oneness	30	38	The Prophets	181
8	The Messiah	33	39	The Conquerers	186
9	The Crucifixion	40	40	[illegible]	193
10	The Spirit	50	41	The Slanderers	200
11	The True Furqan	52	42	Prayer	205
12	The Triune God	61	43	The Kings	208
13	The Sermon	71	44	The Evil One	209
14	The Disciples	74	45	[illegible]	213
15	The Challenge	79	46	The Shepherds	219
16	Predestination	83	47	The Testimony	221
17	The Apostates	87	48	The Guidance	226
18	The Believers	91	49	The Gospel	227
19	Repentance	96	50	The Polytheists	230
20	Righteousness	99	51	The Judgment	240
21	The Forefathers	103	52	The Threat	246
22	The Idols	110	53	The Atoners	249
23	Charity	114	54	The Sacrifice	255
24	Women	118	55	Fairy Tales	259
25	Marriage	124	56	Paradise	262
26	Divorce	127	57	The Instigators	266
27	Adultery	130	58	False Witness	270
28	The Table Spread	137	59	Prosperity	276
29	The Miracles	139	60	The Poor	281
30	The Hypocrites	142	61	Inspiration	284

فهرست فرقان الحق


SPECIAL INTRODUCTION

المقدمة

To the Arab nation specifically and the Muslim world collectively: peace, mercy and blessings from God Almighty!

Deep within every human spirit is a longing for authentic faith, inner peace, spiritual freedom and eternal life. We trust the living God that these longings can be clarified in this new document, The True Furqan. The Creator of humanity offers these blessings to everyone in the world without discrimination to one's race, color, nationality, language or religion. The Almighty God cares about every human soul on this planet.

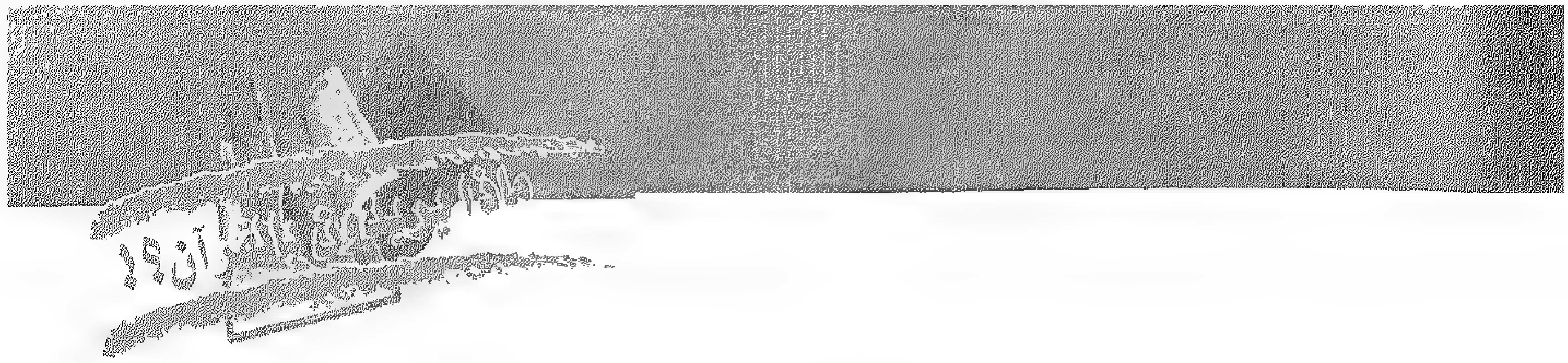
The Executive Committee, in charge of recording, translating and publishing,

Al Saffee and Al Mahdy

مقدمة فرقان الحق

والكتاب مصوغ بلغة تبشيرية كنسية تروّج لمفاهيم كهنوتية مضادّة للعقيدة الإسلامية، ومحوّراً بعض الأساليب القرآنية لتبدو أشبه بلغة القرآن. ومن هذا البهتان:

- (قل باسم الآب الكلمة الروح الإله الواحد الأحد ❖ مثلث التوحيد موحّد التثليث ما تعدّد ❖ فهو آب لم يلد ❖ كلمة لم يولد ❖ روح لم يفرد ❖ خلاق لم يُخلق).
- (هو ذا الفرقان الحق نوحيه فبلّغه للضالين من عبادنا وللناس كافة ولا تخش القوم المفسدين).
- (هو ذا النور الأقدس قد أشرق فجاء الحق وزهق الباطل فليهتد التائهون ❖ واقتربت الساعة وانشقّ الباطل فلا عاصم اليوم من أمرنا فويلٌ للمفترين ❖ فيا أيها الذين ضلوا من عبادنا لقد جاءكم الفرقان الحق يبين لكم الرشد من الغي فلا إكراه في الدين أفلا تؤمنون).
- (يا أيها الذين ضلّوا من عبادنا إنا أنزلناه فرقاناً حقاً بلسانٍ عربيّ بيّن الإعجاز لتتبينوا الضلال من الهدى وتعلموا سوء ما كنتم تفعلون ❖ فقد انتحلتم لساننا وافتريتم علينا كذباً بأنا أوحينا قولاً لم نقله وأتينا فعلاً لم نفعله وخدعتم الناس



فضلٌ من صدّقكم وكفر من آمن بكم وخاب كلّ مفترٍ أثيم).

- (والذين اشتروا الضلالة بالهدى وأكرهوا عبادنا بالسيف ليكفروا بالحقّ ويؤمنوا بالباطل أولئك هم أعداء الدين القيّم وأعداء عبادنا المؤمنين وتزعمون بأننا نحب الذين يقاتلون في سبيلنا وأنّا كتبنا القتال على المؤمنين ❖ وإذا قيل للذين كفروا بأن يؤمنوا بما أنزلنا من الفرقان الحق كما آمن عبادنا الصالحون قالوا : أنؤمن كما آمن السفهاء المشركون ؟ ألا إنهم هم السفهاء المشركون ولكنهم لا يعلمون ❖ يا أيها الناس لقد كنتم أمواتاً فأحييناكم بكلمة الإنجيل الحق مَن آمن بالكلمة ومات الكافرون ثم نحييكم بالفرقان الحق ❖ ومنكم فئة قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشدّ قسوة وإنّ من الحجارة لما يتفجّر منه الأنهار).

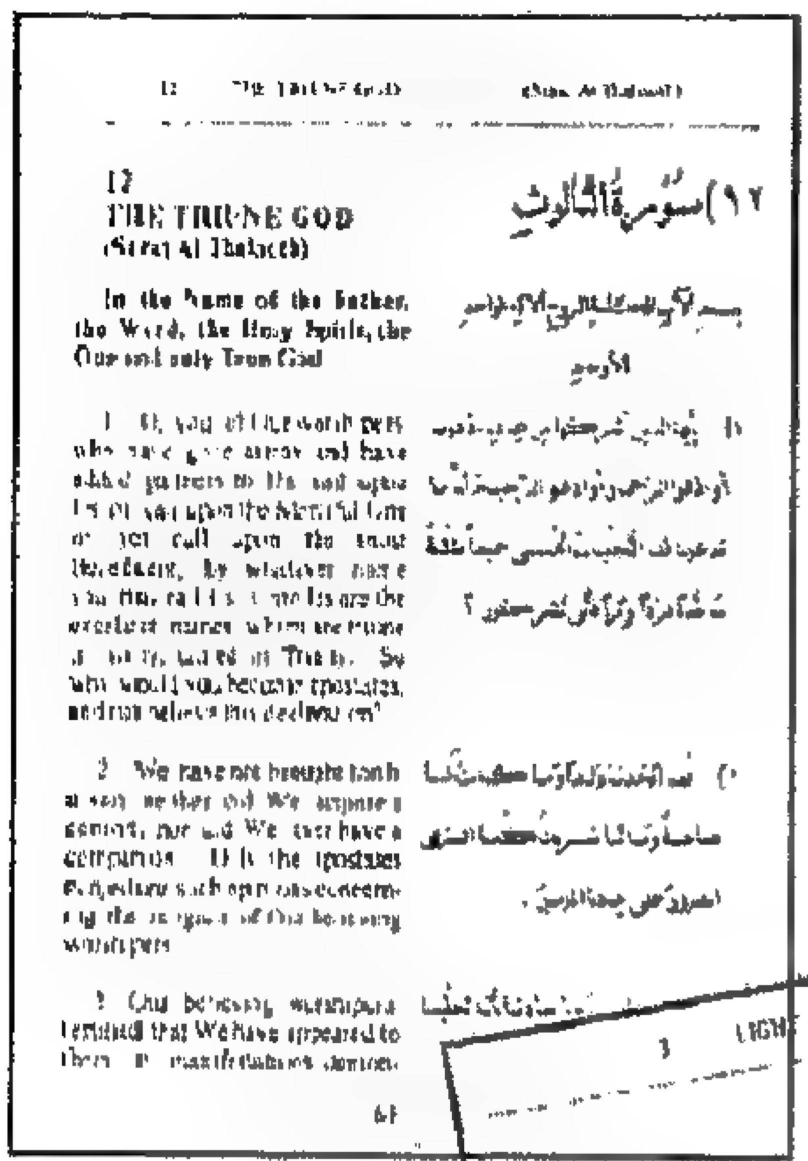
ويقول هذا الدجال منتقداً قوله تعالى في سورة محمد ﷺ: (وحرّضتم على القتال واجتناب السّلم فقلتم):

﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوٓا إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [سورة محمَّد: الآية 35]

- (إنا لا نترُ القتلةَ وأعداءَ السّلم أعمالهم إنما لهم عذاب النار يردونها ويُردّون أسفلَ سافلين).

يقول هذا المعتوه في السورة التي أطلق عليها اسم (سورة الحق): (وأنزلنا فرقان الحق نوراً على نورٍ محقّاً للحق ومزهقاً للباطل وإن كره المبطلون ❖ ففضح مكر الشيطان الرجيم ولو تنزّل بوحي ملك رحيم ❖ وأبطل فرية رسله الضّالين ولو نطقوا بما أعجز الأميين، وكشفَ ضلالة أتباعه ولو تقمّصوا جلابيب المهتدين).

- (يا أيها الناس إذا جاءكم رسول أو نبيٌّ أو مَلَك من السماء بغير ما جئناكم به في الإنجيل الحق

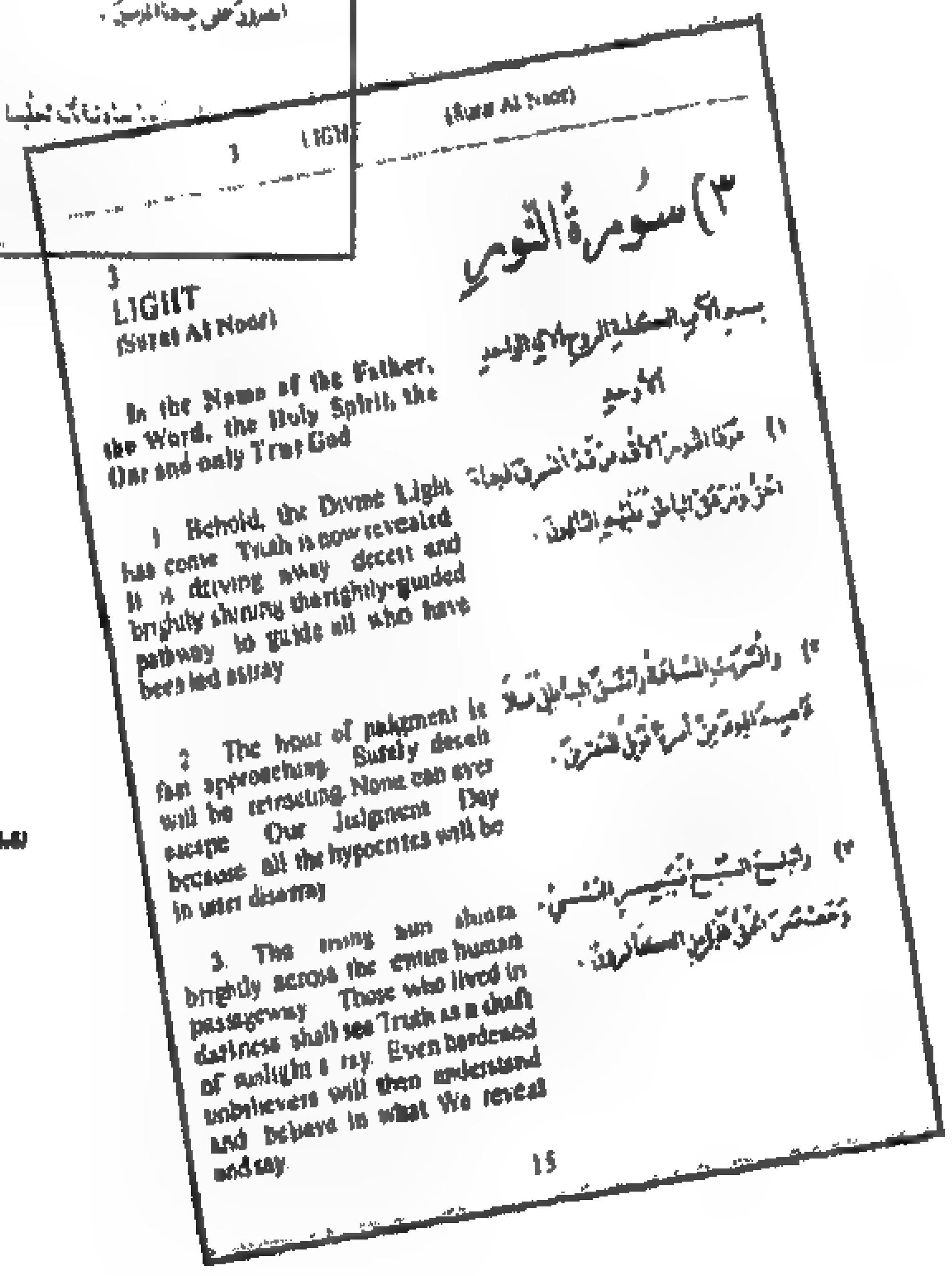


12 THE TRIUNE GOD (Surat Al Thaluth)

١٢) سورة الثالوث

In the Name of the Father, the Word, the Holy Spirit, the One and only True God

سورة الثالوث



3 LIGHT (Surat Al Noor)

٣) سورة النور

In the Name of the Father, the Word, the Holy Spirit, the One and only True God

1 Behold, the Divine Light has come. Truth is now revealed. It is driving away deceit and brightly shining the rightly-guided pathway to guide all who have been led astray.

2 The hour of judgment is fast approaching. Surely deceit will be retreating. None can ever escape Our Judgment Day because all the hypocrites will be in utter disarray.

3. The rising sun shines brightly across the entire human passageway. Those who lived in darkness shall see Truth as a shaft of sunlight's ray. Even hardened unbelievers will then understand and believe in what We reveal and say

سورة النور

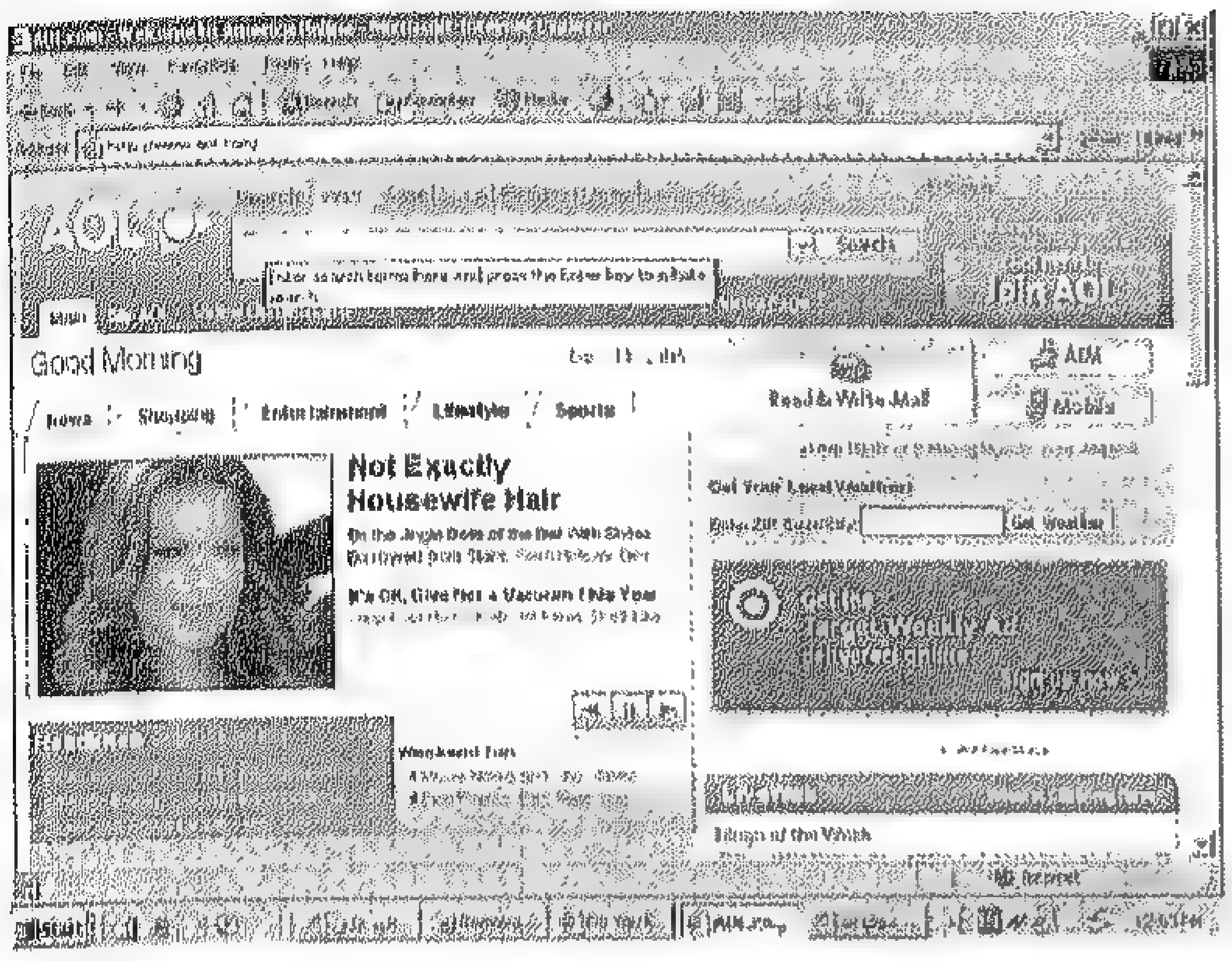
والفرقان الحق من بعده فلا تستمعوا إليه ولا تتبعوا سبيله فهو سارق كافر وشيطان أثيم ❖ وحذرناكم في الإنجيل الحق من الأنبياء الأفاكين فلم تهتدوا وذكّرناكم في الفرقان الحق فاهتدوا واحذروهم ..)

- (ولا يزال الذين كفروا في مريةٍ من الفرقان الحقّ حتى تأتيهم الساعة بغتةً أو يأتيهم عذاب مقيم ❖ ومن الناس مَن يجادل فيه بغير علم ولا هدىً ولا كتاب منير ❖ وقال السفهاء من الناس : لو أنزل هذا الفرقان بآية لصدّقه المكذبون وآمن به الكافرون ❖ ولئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بآية من مثله لا يأتون بقبس من نوره أو بنفحة من محبته ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا).

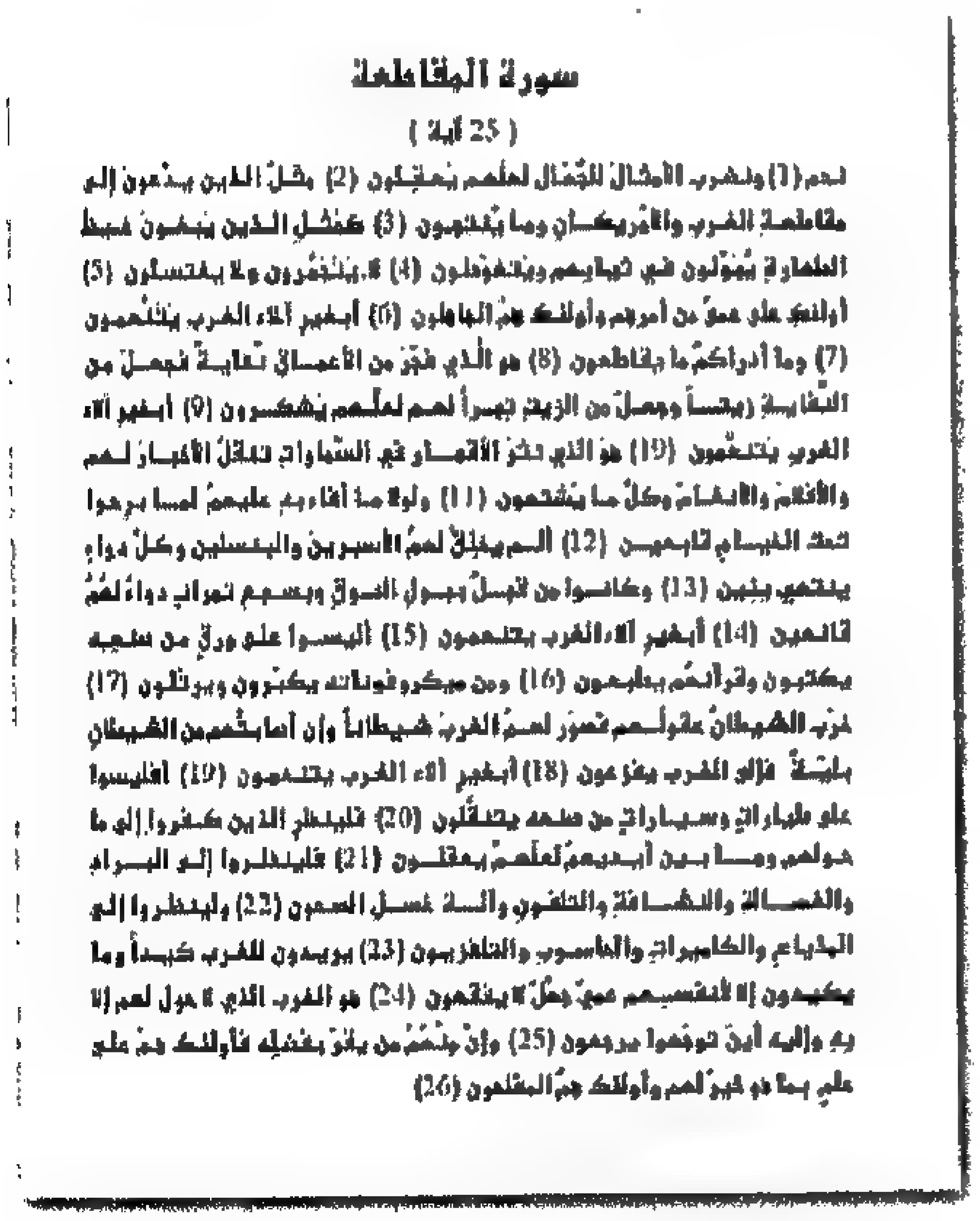
قرآن أميركا أون لاين A.O.L.

يبدو أن تداعي الحوادث بعد واقعة 11 سبتمبر، أفقدت الغرب الأوروبي والأمريكي صوابه فلم يعد ينظر إلى الإسلام والمسلمين إلا من خلال حجاب كثيف معتم، صنعته مؤسسات سياسية ومراكز بحث استخباراتية لتحقيق أهداف استعمارية، أو لتبرير مخططاتٍ مرسومة لوضع قبضته على كلّ ما من شأنه أن يعوق سيره نحو ذلك. وبهذا يكون قد استُخِفّ بكلّ الجهود المضنية التي قدّمها العقل الاستشراقي خلال قرنٍ ونصف من الزمن من أجل فهم للإسلام والمسلمين أقرب للحقيقة وإن شابه كثير من الخلط والغلط بسبب التحامل تارة، وبسبب تطبيق مناهج بحث صنعت في بيئات مغايرة تارة أخرى. إنّ ما نراه من تعامل مع القرآن هذه الأيام قد يجعلنا نتحسر على كتابات ذلك الجيل من المستشرقين الذين لم يبلغوا هذا الحدّ من الإسفاف الذي بلغته كتابات الغرب اليوم ضد القرآن من سطحية وجهالة واستخفاف بعقول القراء المسلمين، حتى ظُنّ أن المسلمين قد يتركون قرآنهم لمثل هذا الهراء والهذيان الذي لا يقبله حتى المجانين. ومن هذه الصرعات الأخيرة ما نشر برعاية أميركا أون لاين A.O.L. وهي مزوّد Provider عالمي يقوم بتسجيل المواقع Website وصفحات الإنترنت Pages حيث قام هذا المزوّد باستضافة موقع معادٍ للقرآن يزعم أنه ردٌّ على ما جاء في القرآن من تحدٍّ لإعجازه في قوله تعالى:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البَقَرَة: الآية 23]



الموقع على الانترنت

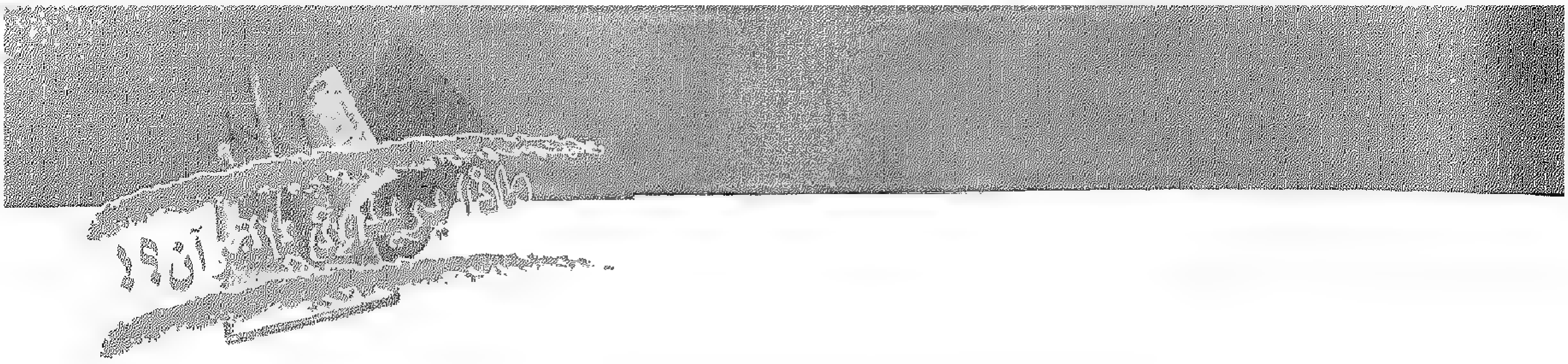


سورة المقاطعة

(25 آية)

نعم (1) ونضرب الأمثال للجهّال لعلهم يعقلون (2) مثل الذين يدعون إلى مقاطعة الغرب والأمريكان وما يفقهون (3) كمثل الذين ينفخون في ... (26)

ويحمل هذا الموقع أو بالأحرى الصفحة Page Web اسماً هو Sura like it أي (سورة مثله) ويريدون القرآن، وهذا يعني قبول تحدي القرآن للبشر أن يأتوا بسورة من مثله. فجاء من وراء هذا الموقع المشبوه ليقولوا علناً : لقد قبلنا التحدي، وها هي ذي سور نأتي بها من مثل القرآن.



وبالرغم من أن America on Line أوقفت هذه الصفحات بعد احتجاج المسلمين، إلا أنّ تلك الصفحات انتشرت في مواقع كثيرة معادية للإسلام مثل: Answering Islam وهو واحدٌ من أشدّ المواقع معاداةً للقرآن ولنبيّ الإسلام.

ولا يستحقّ الهراء الذي في تلك السور المزعومة أدنى اهتمام، ولكننا أحببنا أن نسوق ذلك في معرض تشخيص ظاهرة الغارة على القرآن الكريم.

والسور المنشورة تبتدئ بأحرف مقطعة (نحم، المذ،) كالأحرف (النورانية) في أول بعض السور القرآنية مثل: (كهيعص، حمعسق، ألم، ألر، ألص، حم، طه، ص، ق، ن). وهي نصّ سخيف جداً، يمكن للقارئ أن يطلع على صورته المرفقة، وقد جاء فيه:

« نحم (1) ونضرب الأمثال للجهال لعلهم يعقلون (2) مثل الذين يدعون إلى مقاطعة الغرب والأمريكان وما ينتجون (3) كمثل الذين يبغون غيظ الطهارة يبولون في ثيابهم ويتغوطون (4) لا يتجمّرون ولا يغتسلون (5) أولئك على عمى من أمرهم وأولئك هم الجاهلون (6) أبغير آلاء الغرب يتنعمون (7) وما أدراكم ما يُقاطعون (8) ..». ثم تستمر السورة في ذكر فضائل الغرب التي يريد العرب مقاطعتها. ذلك هو قرآنهم الجديد الذي يقدمونه بديلاً للقرآن العظيم:

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [سورة الكهف: الآية 5]

وجاء في سورة (المسلمين):

« ألصم. قل يا أيها المسلمون إنكم لفي ضلال بعيد إن الذين كفروا بالله ومسيحه لهم في الآخرة نار جهنم وعذاب شديد...».

الدّعاء

وإذ قال الحواريونَ للمسيحِ ربّنا علّمنا صلاةً ترضي ربَّ العالمين (١) قالَ فارفَعوا إلى العلياء قلوبَكُمْ ولا تكرّروا الكلامَ كالمنافقين (٢) هوَ الّذي سوّاكُمْ بالروحِ أبناءً لهُ إذ نفخَ مِن روحِهِ في صدورِكُم روحاً لكم فا قنتوا لهُ خاشعين (٣) وخاطبوهُ كبنين (٤) أبانا الذي في السماءِ ليتقدسِ اسْمُكَ ليأتِ ملكوتُكَ لتكُنْ مشيئتُكَ إلى أبدِ الآبدين (٥) كما في السماءِ كذلكَ على الأرضِ في كلِّ مكانٍ وفي كلِّ حين (٦) ربّنا خبزَنا كفافَنا أعطِنا اليومَ واغفرْ لنا ذنوبنا يا أرحمَ الراحمين (٧) كما نغفرُ نحنُ لكلِّ من كانوا بحقّنا مُخطئين (٨) ربّنا ولا تدخلنا في تجربةٍ إنّا على الشريرِ بكَ نَستعين (٩)

سورة المسلمون

الصم (١) قُل يا أيّها المُسلِمونَ إنّكم لفي ضلالٍ بعيد (٢) إنّ الّذينَ كفَروا باللهِ ومسيحِهِ لهُمْ في الآخرةِ نارُ جهنّمَ وعذابٌ شديدٌ (٣) وجوهٌ يومئذٍ صاغرةٌ مكفهرةٌ تلتمسُ عفوَ اللهِ واللهُ يفعلُ ما يريده (٤) يومَ يقولُ الرحمنُ يا عبادي قد أنعمتُ على الذينَ من قبلِكُم بالهدى منزلاً في التوراةِ والإنجيل (٥) فما كان لكم أن تكفروا بما أنزلتُ وتضلّوا سواءَ السبيل (٦) قالوا ربنا ما ضلَلْنا أنفسنا بل أضلّنا مَنْ ادّعى أنه من المرسَلين (٧) وإذ قالَ اللهُ يا محمد أغويتَ عبادي وجعلتَهم من الكافرين (٨) قالَ ربِّي إنما أغوانيَ الشيطانُ إنهُ كان لبني آدمَ أعظمَ المفسدين (٩) ويغفرُ اللهُ للذين تابوا ومَن أغواهُمُ الإنسانُ ويبعثُ بالذي كانَ للشيطانِ نصيراً إلى جهنّم وبئسَ المصير (١٠) وإنْ قضى اللهُ أمراً فإنه أعلمُ بما قضى وهو على كلِّ شيءٍ قدير (١١)

أضحوكة أخرى: الوحي نزل على كريستيان

على موقعٍ معادٍ للإسلام يُدعى (الفارس المسيحي، The Christian Knight فرسان القلم) جاء هذا الخرف تحت عنوان الوحي نزل على كريستيان. يقول محرر الموقع: « هذه السور لا تمثل تطاولاً على محمد وقرآنه، أو الإسلام بشكل عام، ننشرها رداً على القول القرآني﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [سورة البقرة: الآية 23] .

هذا الهراء والهذر صناعة رديئة ليس وراءها عقل صريح ولا عاطفة متزنة، ويكفي أنّ أصحابها يتسترون وراء أسماء وهمية مثل كريستيان هذا، وإن كان القارئ المتوسط الثقافة يمكنه أن يهتدي بيسرٍ إلى مَن كان وراء هذه الأعمال الخبيثة، ويكفي لاكتشاف هذا أن يتعرّف على هويّة الموقع الذي ينشر هذا السّفه.

سـورة اليعـافير

جميع حقوق الوحى محفوظة

ألا تتعظون ❖ ألم ترى (!) ما فعل الله بسدوم وعمورة ❖ وكيف غدت مساكنهم قبوراً ❖ لأنهم زنوا مع بعضهم و تركوا شريعته دهوراً ❖ وأنتم ظللتم على جهلكم معتقدين بالجنة قصوراً ❖ وبيوت مسطرة سطوراً ❖ وحدائق مرتبة صفوفاً و فتيات أطلقتم عليهم حوراً ❖ وقلتم مهما نضاجعهم ليعدن من جديد بكوراً ❖ فنستمتع معهم ونضاجعهن إلى الأبد وكأن الجنة ماخوراً ❖ فيأتي إرهابي و يدعى أنه جسوراً (!) ❖ ويفجر نفسه حالماً بالجنة مسرورا❖ وهو لا يدرى أنه كان يعفوراً ❖ فمكانه في جهنم معروفاً ❖

اسم السورة مستوحى من حديث شيق للرسول محمد مع يعفور .. الحمار .. نعم يعفور هو حمار الرسول ، الذى آمن به ! و طبعاً نصيبه يوم القيامة سيدخل جنة المسلمين و يهيص مع حور العين ! .. إذن يعافير = حمير، و يعفوراً = حماراً.

سـورة جهنـم

جميع حقوق الوحى محفوظة

نزل الوحي عليّ نهاراً ❖ فوجدت من الحوريات بحاراً ❖ وجاء شيطان قائلاً : ما ستراه ليس سراباً ❖ لقد قلت هذا مراراً ❖ نساء الجنة عدن ❖ (!) من جديد أزهاراً ❖ ومهما فعلت فلن ينجبوا أطفالاً ❖ و الله ينتظرك لتفرغ منهم فيعيدهم أبكاراً ❖ ثم يأتي إليك غلام مقرط جميلاً (!) ❖ فيسألك أطلقني أم تبغي منى سبيلاً ❖ تسأله و من أنت يا صغيراً (!)❖ يجيبك أنا من خلقه الله لك عزيزاً لتمتعه ويمتعك تمتيعاً (!) فأنا غلام مخلداً (!) خُلقت لأكون مستعبداً ❖ و تدخل النساء عليك مصحوبين بالخدم ❖ أثنين و سبعون (!) حورية يرقصون على النغم (!) و كؤوس من الخمر توزع على الحشم ❖ آ ه ه ه أفقت من أحلامي .. نعم ❖ فلا وجدت حور ولا خدم ❖ و إنما ملقى وحيداً في العدم ❖ لحظات وأدخل جهنم ❖ لأظل فيها لنهاية الزمن ❖ و ها هو محمد واقفاً بانتظاره حبل متدلياً ❖ سيلتف حول رقبته و يتركه باكيا❖ وكل من أضلهم ألقوا بجنبه جانباً ❖ وها هو مسلم يدلف داخلاً ❖ معتقداً أنه فى الجنة نازلاً ❖ لقد فهم الحقيقة و خرج صارخاً ❖ لأنه في جهنم سيظل باقياً ❖ أتعظ يا أبنى (!) و أبحث عن الله مسرعا❖ قبل أن يأتي اليوم و تظل نادماً ❖

مؤلفات حديثة ضد القرآن:

مؤلفون وهميون

ظاهرة (المؤلفين الوهميين) تشكّل حالة جديرة بالتأمل والدراسة. وأقلّ ما تُفسّرُ به أنها حالة إفلاس. ولم يعرف التاريخ الثقافي إلا حالات نادرة في حقب مختلفة، وفي ثقافات مختلفة، وفي أزمنة متباعدة. أما أن يخرج كُتَّاب مجهولون بأسماء مستعارة، في زمن واحد، وبيئة واحدة، ومن ثقافة واحدة، وفي موضوعٍ واحد فإنّ ذلك يدعو إلى الريبة والشك.

والأصل أن ينسبَ الناسُ إلى أنفسهم ما يصنعون من آثارٍ وأعمالٍ لا أن يخفوها تحت أسماء وهمية، والإنسان بطبعه يبحث عن كلّ ما من شأنه أن يرفع من قدْره. وقد رأينا من يعتدي على أعمال غيره فينسبها إلى نفسه عدوانًا، وأما أن يتخلى المرء على ما يخصّه إلى غيره، ولو كان اسماً مستعاراً، فذلك هو الغريب الشاذ.

وفي العقد الأخير خرجت علينا مطابع الغرب ودور نشره بمؤلفاتٍ خطيرة تستخف بالإسلام وتشكك في القرآن بأسماء مستعارة لكتّاب مجاهيل. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل روّجت آلة الإعلام الغربي والأمريكي لهذه المؤلفات بطبعها مرّات ومرّات، والدعاية لها بالعرض في أكبر المجلات والصحف، فضلاً عن توزيع بعضها مجّاناً على الشبكة الدولية للمعلومات.

وسنعرضُ هنا لثلاثة كتب لأسماء وهمية، أثيرت حولها ضجّة إعلامية كبيرة للفت الأنظار إليها.

1 كريستوف لوكسنبورج قراءة سريانية ـ آرامية للقرآن: مساهمة في تحليل لغة القرآن

كريستوف لوكسنبورج Christoph Luxenberg هو مؤلف كتاب قراءة سريانية أرامية للقرآن: مساهمة في تحليل اللغة القرآنية.

Die Syro-Aramaische Lesart Des Koran;

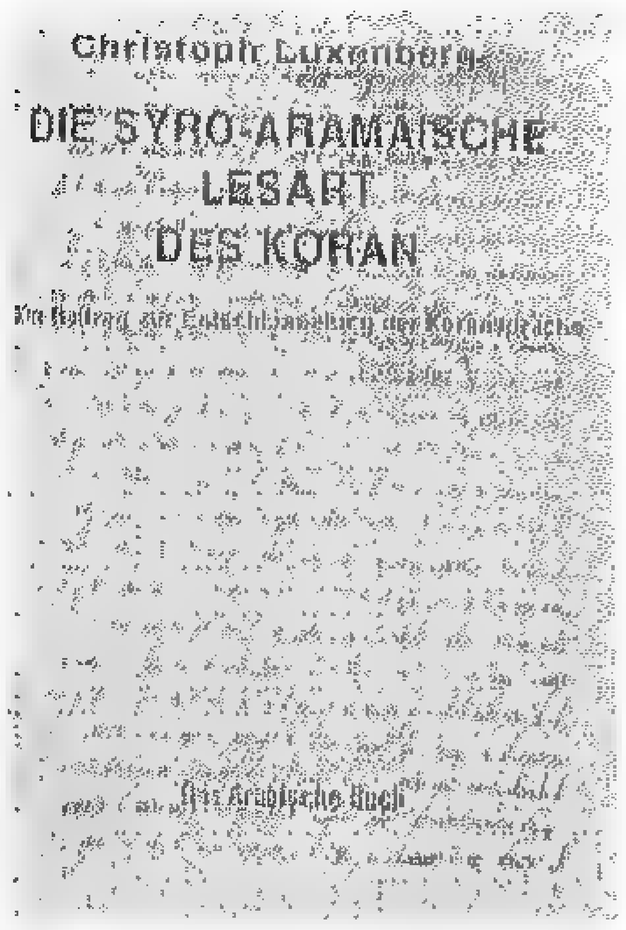
Ein Beitrag zur Entschlüsselung der Qur'ansprache

قامت بنشره سنة 2000 دار نشر ألمانية هي دار الكتاب العربي Das Arabischen Buch.

وقد أثار الكتاب ضجّة كبيرة في الأوساط العلمية لم تنقطع بعد. فما سرّ هذه الضجة، وما حقيقة مؤلفه؟

كريستوف لوكسنبورج اسم مستعار يُقدّم على أنه عالمٌ ألماني متخصص في اللغات السامية القديمة، ويدرّس بالجامعات الألمانية، دون ذكر لاسم هذه الجامعات. وبعد أن ثار الجدل بين الباحثين في هويّة هذا الكاتب اعترف هانس شيلر صاحب دار النشر التي تولّت طبعه بأن اسم المؤلف مستعار، وقد دفعه إلى ذلك الخوف على حياته من المتطرفين المسلمين الذين قد يثيرهم ما ورد في الكتاب من نتائج تهدم إرثهم القديم عن القرآن، لا سيمّا عندما أخفق في العثور على ناشر لكتابه في ألمانيا وخارجها عدا صاحب دار الكتاب العربي للنشر. والشخص الوحيد من الباحثين الغربيين الذي حاول أن يميط اللثام عن صاحب هذا الاسم المستعار هو البرفيسور فرنسوا دي بلوا François de Blois في عرضه لهذا الكتاب بمجلة الدراسات القرآنية:

Journal of Qur'anic Studies, Vol. V, Issue1, 2003, pp92-97



غلاف كتاب لوكسبرج



هانس شيلر

يقول دي بلوا في آخر عرضه المشار إليه :

«لعله من الضروري في نهاية هذا العرض أن نتكلم قليلاً عن المؤلف والاسم المستعار له. جاء في المقالة المنشورة في نيويورك تايمز 2002/3/2 (وهي المقالة التي انتشرت بشكل كبير لاحقاً عبر الإنترنت) إشارة إلى أنّ مؤلف الكتاب هو كريستوف لوكسنبرج العالم باللغات السامية القديمة في ألمانيا. ومن الواضح جداً من خلال ذلك العرض أنّ هذا الشخص ليس عالماً باللغات السامية القديمة، إنه واحد من أولئك الذين يتكلمون بعض اللهجة العربية، وليس له تمكن من الفصحى، وله معرفة بالسريانية بالقدْرِ الذي يمكّنه من استخدام القاموس السرياني، مع فهم سطحي لمنهجيات اللغات السامية المقارنة. وكتابه ليس عمل عالم محترف، ولكنه عمل هاو. ولست أعرف ماذا يعني كاتب مقال نيويورك تايمز (الكساندر ستيل) بقوله «في ألمانيا». فحسب معلوماتي كريستوف لوكسنبرج ليس ألمانياً ولكنه مسيحي لبناني. والأمر لا يتعلّق بعالمٍ بفقه اللغة (فيلولوجي) جسور، ينفض الغبار عن كتب بلغات مهجورة في أقاليم ألمانية ثم يخرج على العالم بنشر نتائجه باسم مستعار ليتجنب التهديد بالموت من قبل المتطرفين المسلمين. باختصار،

إنه كاتب يكتب من برج عاجي كسلمان رشدي. وليس ثمة عالم باللسانيات في أوروبا أو أمريكا يحتاج إلى محو هويته، وليس له الحق في فعل ذلك. ».

القرآن لم يكتب باللغة العربية

لقد نال كتاب لوكسنبرج من التقريظ ما لم ينله غيره في العقود الأخيرة.

يقول روبرت فينيكس Robert Phenix J.R. وكورنيليا هورن Cornelia Horn من قسم اللاهوت بجامعة القديس توماس في دراستهما عن هذا الكتاب المنشورة بمجلة الدراسات السريانية:

Journal of Syriac Studies, Vo l.6, No.1, January 2003:

« ليس ثمة عمل في تاريخ تفسير القرآن يماثل هذا العمل، ولا يوجد لذلك نظير إلا في الدراسات النقدية للإنجيل. وقد حرر لوكسنبورج الباحثين من سطوة التراث التقليدي للمفسرين المسلمين. وسواء أكان لوكسنبورج على صواب أم خطأ فيما جاء به إلا أنه وضع تفسير القرآن في منعطف حرج كان قد بلغه مفسرو الإنجيل قبل قرنٍ من الزمان. لقد أظهر هذا العمل لجميع مفسري القرآن قوة المنهج العلمي للفيلولوجيا وقيمتها في إنتاج نص قرآني أوضح ».

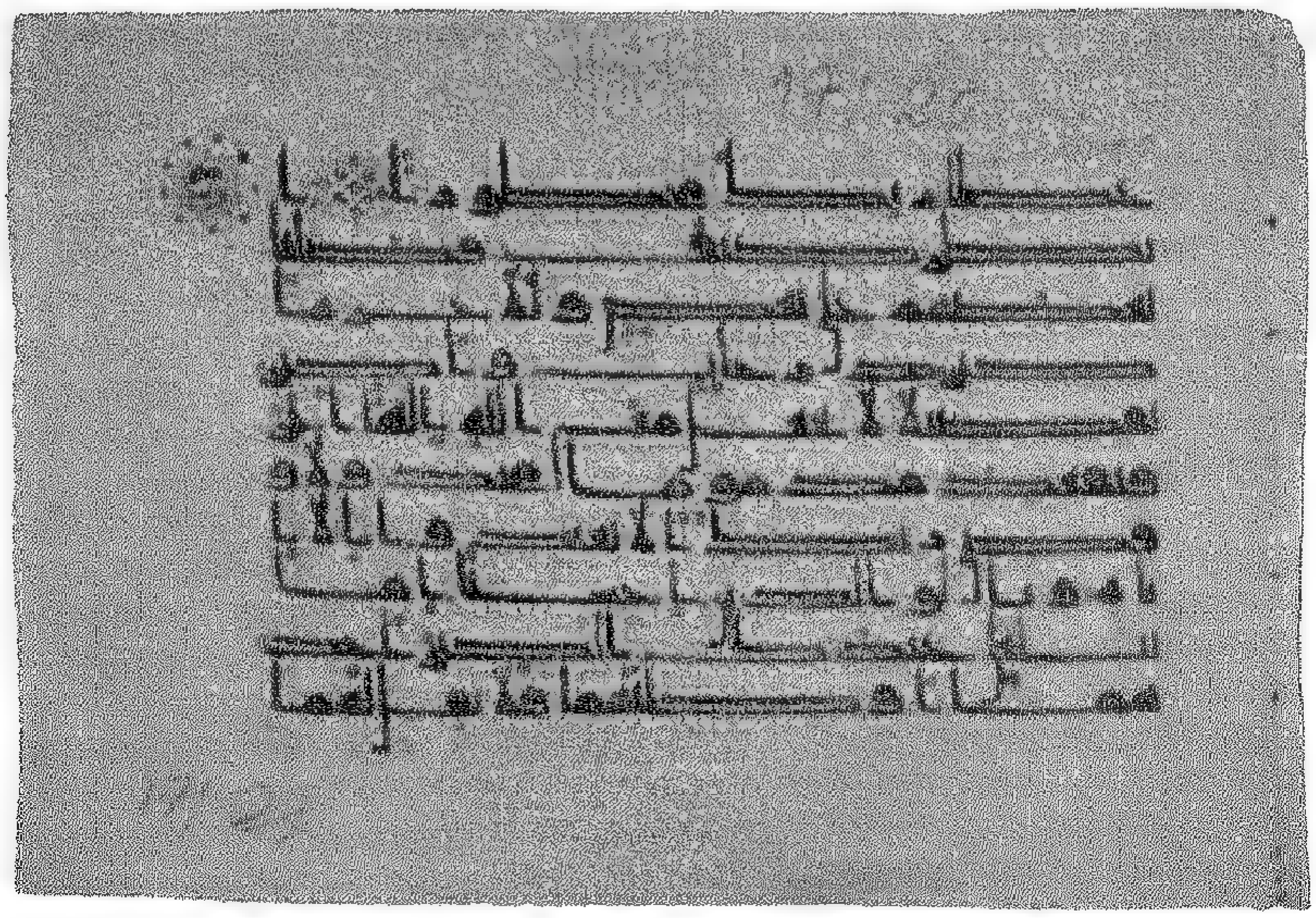
ويقول الباحثان في آخر عرضهما للكتاب :

« لا بدّ لأية دراسة علميّة للقرآن في المستقبل أن تأخذ هذا المنهج بعين الاعتبار.. لقد أبدى لوكسنبرغ ارتياباً في مسألة نقاء القرآن من حيث كونه نصّاً عربياً خالصا، وعرياً عن المعضلات اللاهوتية والفقه واللغويّة التي تعرّضت لها تواريخ نقل النصوص المقدسة كالتوراة العبرية برواياتها المختلفة ».

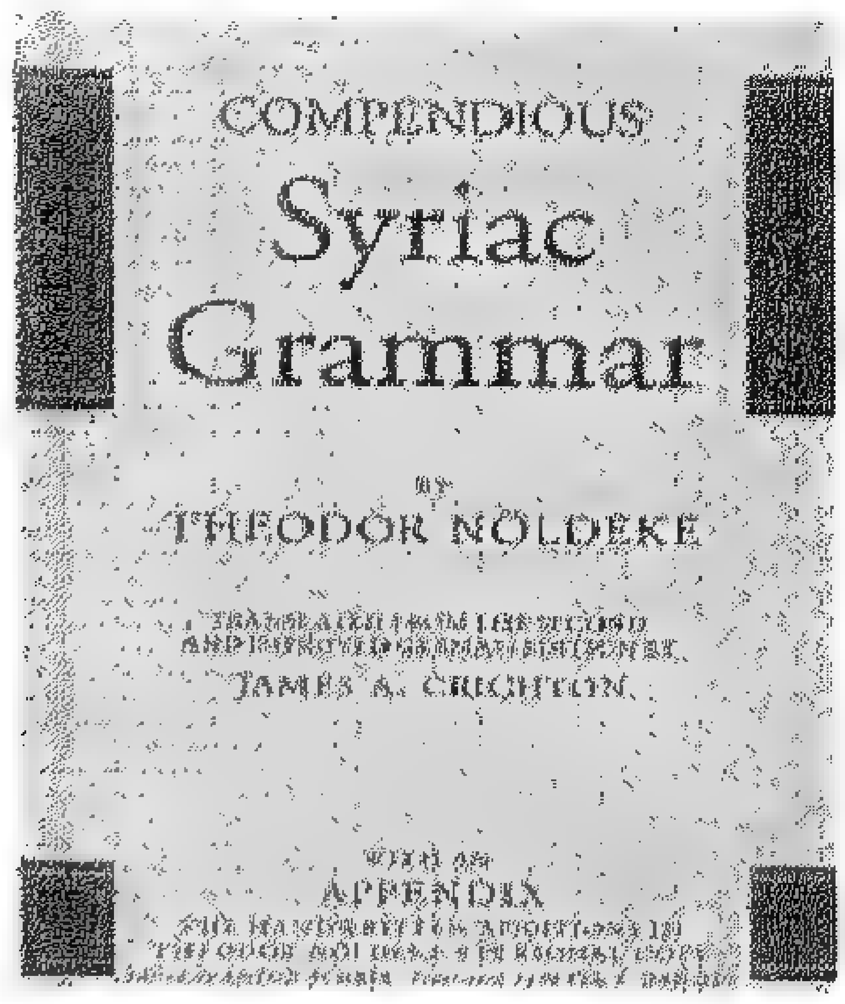
ويقول الكسندر ستيل Alexander Stille في عرضه للكتاب الذي نشر في نيويورك تايمز 2002/3/2 وهو بعنوان نظرات راديكالية جديدة للإسلام وأصول القرآن:

New Radical View of Islam and the Origins of the Koran :

« يؤكد كريستوف لوكسنبورج العالم الألماني باللغات السامية القديمة أن القرآن قد أسيء فهمه كما أسيئت ترجمته على مدى قرون من الزمن. ولقد استند في بحثه على نسخ قديمة من القرآن (يعني



صفحة من إحدى نسخ المصاحف التي عثر عليها بصنعاء



مختصر النحو السرياني ـ تيودور نولدكه

مخطوطات مصحف صنعاء التي اكتشفت في العقود الأخيرة مدفونة بسقف المسجد) تظهر أن جزءاً من القرآن مأخوذ من نصوص مسيحية آرامية كانت موجودة قديماً ولكن أسيء فهمها من قبل المسلمين الذين جاءوا بعد ذلك وأعدوا نسخ القرآن الشائع بين الناس اليوم. ينطلق الكتاب من فكرة أنّ لغة الكتابة التي كانت سائدة في بلاد العرب قبل وإبان ظهور الإسلام هي اللغة الآرامية.

وكان الآراميون الذين اعتنقوا النصرانية يُعرفون بالسريان، ويتكلمون الأرامية لغة الرُّها الواقعة في شمال غرب بلاد ما بين النهرين. وبسبب انتشار النصرانية على يد السريان في سوريا وبلاد الرافدين أصبحت السريانية لغة الكتابة في تلك البلاد وتجاوزتها إلى البلدان المجاورة كبلاد فارس والجزيرة العربية. ومن هنا يفترض لوكسنبرج أن القرآن نزل باللغة السريانية وهي لغة الكتابة في عصر نزول الوحي، ولذلك لا يمكن فهم الألفاظ الغامضة فيه إلا بردّها إلى أصلها السرياني. وأصول تفكير لوكسنبورج ترجع إلى دراسات وبحوث سابقة، ولعلّ من أهمها وأبرزها بحوث الفونس مينجانا Alphonse Mingana. وبذا يمكننا القول بأنّ نظرية لوكسنبورج التي هلّل لها الغرب ليست جديدة. وهي في أحسن أحوالها تطبيق عملي لأراء مينجانا. ولا ريب أنّ مينجانا أكثر تأهيلاً من غيره للبحث في تأثير السريانية على لغة القرآن، ربما لأنه تعلّم السريانية في صباه في الموصل على أيدي الرهبان، وأنشغل بها طيلة عمره.

ومشكلة الاستشراق في العقود الأخيرة الاعتماد على القواميس الموضوعة في اللغات السامية كالآرامية، والسريانية، والأكادية، مع دراسة قصيرة قد لا تتجاوز بضعة أسابيع في نحو تلك اللغات فيصبح بذلك الدارس عالماً في اللغات السامية، أو لمجرد قراءة سريعة في كتب مختصرة لتعليم النحو السرياني ككتاب نولدكه (مختصرالنحو السرياني)، أو كتاب فقه اللغات السامية لكارل بروكلمان. وهذا تدليس حقيقي، وتجنٍّ على المعرفة. وقد قُيّض لنا أن نلتقي ببعض هؤلاء ممن يزعمون أنهم علماء باللغات السامية وهو لا يفرّق في العربية بين الشِّعر والشَّعر، ويزعم أنه يريد أن يصحح أخطاء النحاة واللغويين.

وهذا يصدق على المدعو لوكسنبورج، إذ أن نظريته لا تتعدى الألفاظ، ولهذا نراه يجري مقارنات لفظية بين المفردات العربية والسريانية أو الآرامية دون أن يكلّف نفسه عناء المقارنة بين نحو تلك اللغات. وهذا الأمر يبطل كلّ نظريته في الأصول السريانية للألفاظ القرآنية.

فمنهج لوكسنبورج في التعامل مع الألفاظ القرآنية التي يراها غامضة هو أن يعمد إلى إعادة إعجام الرسم المهمل بإعادة وضع النقط على اللفظ بجعل الخاء جيماً والراء زاياً والباء تاءً وهكذا، حتى يقع على لفظ سرياني ملائم ينضبط به المعنى القرآني على حدّ زعمه. ولكن فاته شيءٌ مهمّ لم يتفطّن إليه وهو أنّ إعادة إعجام الألفاظ يترتب عليه أحياناً تغيير في الموقع الإعرابي وهذا يهدم البنية النحوية للجملة فلا يبقى أيّ معنى.

أثر ألفونس مينجانا
على كريستوف لوكسنبورج

كتب مينجانا في سنة 1927 دراسة نُشرت بمجلة مكتبة جون ريلاندز بمانشستر بعنوان (التأثير السرياني على أسلوب القرآن): Influence on the Style of the Kuran، يقول في مطلعها :

« لا شكّ أنّ الوقت حان لإخضاع نصّ القرآن لنفس النقد الذي تعرّض له الكتاب المقدّس اليهودي العبري والآرامي، والكتب المسيحية اليونانية.. وإني لمقتنعٌ بأنّ معالجةً شاملةً لنصّ القرآن بعيداً عن الشّراح المسلمين ستؤتي ثماراً وفيرةً من المعلومات القيّمة. ومن الضروريّ أن يتسلّح الباحثُ بمعرفة كافية بالسريانية، والعبرية، والحبشية. والسريانية في نظري أكثر نفعاً من العبرية والحبشية لتأثيرها الواضح على القرآن. ».

وشرع مينجانا في بيان مواضع تأثير السريانية على أسلوب القرآن، وجعلها في ستة وجوه: أسماء الأعلام، والمصطلحات الدينية، والكلمات العامة، والإملاء، وبناء الجمل، والإحالات التاريخية الأجنبية.

والقولُ بوجود ألفاظ قرآنية من لغاتٍ غير عربية مسألة لم ينفها أكثر المسلمين، والنافون منهم ذهبوا إلى أنها بدخولها إلى اللسان العربي تعرّبت. يقول السيوطي في كتابه الإتقان (1: 137) في معرض الجمع بين المثبتين والنافين :

«والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعا، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، ولكنها وقعت للعرب فعرّبتها بألسنتها وحوّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربيّة، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب. فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال إنها أعجمية فصادق، ومال إلى هذا القول الجواليقي وابن الجوزي وآخرون».

ولذلك فإنّ فكرة ردّ بعض الألفاظ القرآنية إلى السريانية بتحوير في بنيتها بشكل يعجم المهمل ويهمل المعجم يعدّ محاولة متطرفة للتفسير.

وليس هذا المكان الضيّق ملائماً لبسط القول في هذا الموضوع.

ومما جاء نتيجةً لهذا المنهج في كتاب لوكسنبورج أن لفظة (قسورة) سريانية وليس معناها (الأسد) كما فهم المفسرون المسلمون، وأصلها في السريانية (قوصرا) كما هي في الآرامية (قوسره، و قوصره) والرسم القرآني قسوره أصح سريانياً ويلفظ (قاسورا) بإمالة الواو، ومعناها (الحمار الهرم الذي لا يقوى على حمل شيء)، وهذا المعنى مضحك بلا ريب إذ لا معنى لفرار الحمر المستنفرة من حمار عجوز.

ويسخر لوكسنبورج من فهم العرب حيث يجعلون لفظة (قسورة) بمعنى (الأسد) وهي تعني (الحمار)، ويجعلون لفظة (الحمار) في قوله تعالى:

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ﴾

[سورة البقرة: الآية 259]

بمعنى البهيمة، ومعناها الصحيح كما في السريانية (صفة للإنسان).

ويذهب لوكسنبرغ إلى أنّ لفظة (الطعام) في الآية تعني (العقل والفهم) كما في السريانية (طعما) وفي بعض المصاحف ترسم لفظة (طعامك) محذوفة الألف (طعمك) وهذا يشبه قول العامة (كلام بلا طعمه) بمعنى بلا فهم. و (الشراب) هي (شربا) في السريانية ، و (يتسنه) في السريانية تعني لم يتغيّر. وبذلك يكون التفسير الصحيح للآية (انظر إلى حالك وعقلك لم يتغير).

والمراد بقوله تعالى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ لا يمكن بلوغه إلا بتحوير رسم اللفظة فتكون (جمارك) ومعناها في السريانية (كمالك) من الكمال والتمام، فقوله تعالى:

﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ [سورة البقرة: الآية 259]

معناه إذاً انظر إلى كمالك، وبذلك يستقيم معنى اللفظة مع السياق العام للآية.

وهكذا على هذا النحو يمضي المدعو لوكسنبورغ في قراءته للقرآن. ولم يجد النقّاد الغربيون ما يثيرهم في هذه الرسالة بحق إلا تلك التحويرات التي أجراها الكاتب بإلغاء آيات الجهاد، والتأويل العجيب لقوله تعالى:

﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ﴾

[سورة الرّحمٰن: الآيات 72 ـ 74]

ويستغرق لوكسنبورغ في تحليل معنى (حور العين) أربعين صفحة من كتابه (من 221 إلى 260)، ويخرج علينا في نهاية المطاف بتفسير مضحك وهو أن لفظة (الحور) صفة للعنب الأبيض، وأن لفظة (عين) صفة لبريق الحجارة الكريمة، والمعنى الذي ذهل عنه المفسرون طيلة قرون هو أن طمع المجاهدين والشهداء في الجنة حيث الحوريات وَهْمٌ ، إذ لا ينتظرهم إلا جِفانٌ من العنب !!.

كيف ذلك ؟ إنّ لفظة (زوّج) في الآية والتي تعني النكاح أخطأ الكُتّاب في رسمها بعد الإعجام، والأصحّ أنها (روّح) أيّ أراح وأنعشَ ، ومعنى الآية إذاً هو روّحنا عليكم بجفنات بيضٍ وجواهر من بللور، وليس المراد من ذلك النساء البيض الواسعات الأعين. وعن قوله تعالى:

﴿وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾

[سورة البقرة: الآية 25]

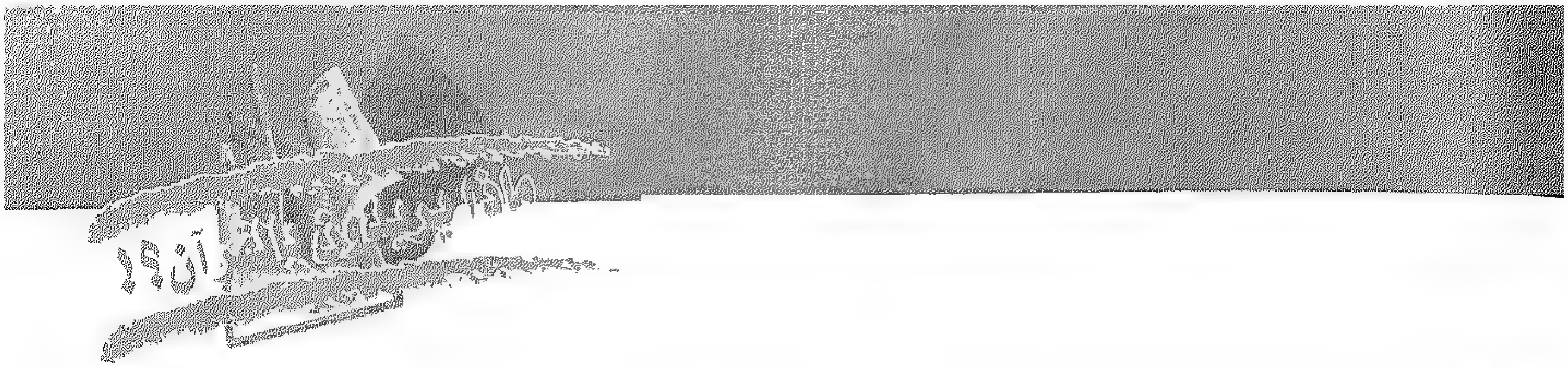
يقول إنّ المراد من لفظة أزواج في الآية، بناء على ما وصل إليه من استنتاجات، أنواع، أي لهم فيها أنواع من الثمار!!، وقوله تعالى:

﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ﴾ [سورة الرّحمٰن: الآية 56]

لا يعني في نظرية لوكسنبورغ إلا جفنات الجنة التي لم يدنسها قبلهم إنس ولا جان، غير أنّ أوّل الآية لا يؤيّد زعمه حيث لم يقدّم تفسيراً ما المراد بـ(قاصرات الطرف).

إنّ أدق دراسة نقدية خرجت لهذا الكتاب، بعيداً عن العرض السريع الذي قامت به مجلات ومواقع غربية، ذلك البحث القيّم الذي شارك فيه ثلاثة من الباحثين : م. سيف الله، ومحمد غنيم، وشبلي زمان والمنشور بموقع Islamic Awareness تحت عنوان :

From Alphonse Mingana to Christoph Luxenberg: Arabic Script & The Alleged Syriac Origins of the Qur'an.



2 ابن الورّاق والقرآن

ابن الورّاق كاتب يتستّر وراء هذا الاسم المستعار. وهو ينحدر من أصل باكستاني من أبوين مسلمين، وُلِدَ سنة 1946 بمدينة راجكوت.

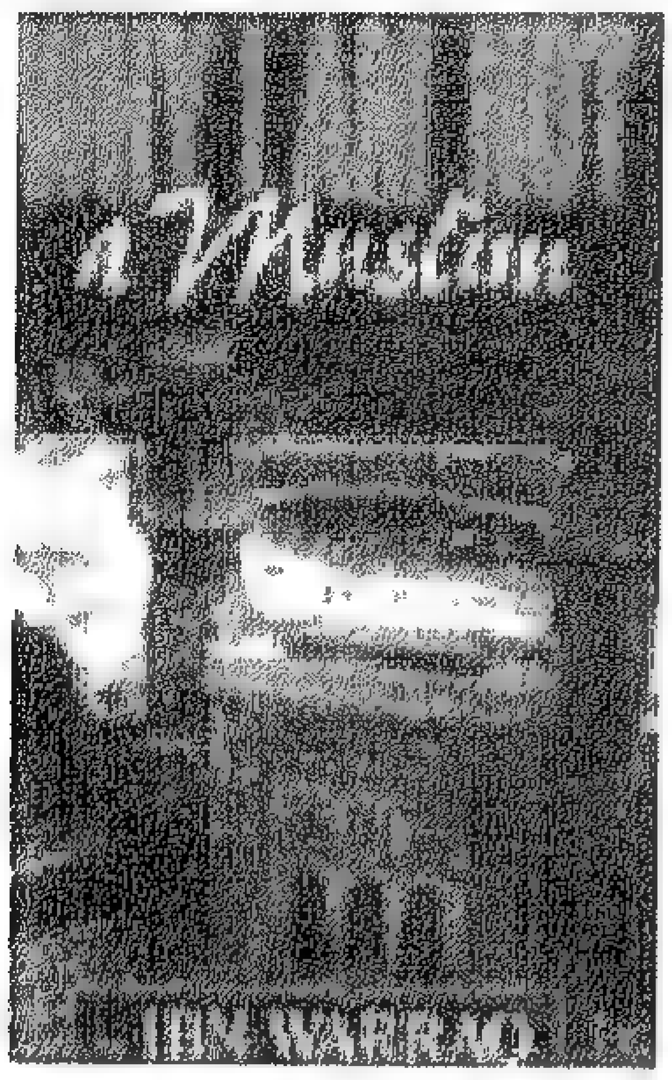
ويغلب على الظنّ أنه سلمان رشدي، صاحب الآيات الشيطانية. وذلك لأن سلمان رشدي قد نال من الشهرة ما لا يدعوه إلى طلب المزيد منها باستعداء المسلمين، فشرع يكتب تحت هذا الاسم المستعار.

ولغة ابن الورّاق الإنجليزية لغة راقية تؤكّد أن صاحبها متمكّن من ناصيتها، وذلك لا يتأتي إلا لمحترف عاش في وسط لغة هي الإنجليزية زمناً طويلاً، ومن يقرأ كتابات سلمان رشدي النقدية أو الفكرية، فضلاً عن رواياته يكاد يجزم بأنها لغة سلمان رشدي عينها. ولذلك من العجيب أن يتخفى كاتبٌ وراء اسم مستعار في الوقت الذي تثير فيه مؤلفاته ضوضاءً وصخباً كبيرين، فضلاً عن إعادة طبع كتبه وتسابق الناشرين عليها، والإنسان بطبعه ميّال للشهرة ومحبٌ للظهور، اللهم إلا إذا نال من الشهرة أكثر من حظه منها، وذلك هو سلمان رشدي، لا سيما وأن سلمان هذا كان من مقرّظي الكتاب، وذلك يعني ضمناً أنه إذا لم يكن ابن الورّاق هو سلمان رشدي فإنه من أصحابه.

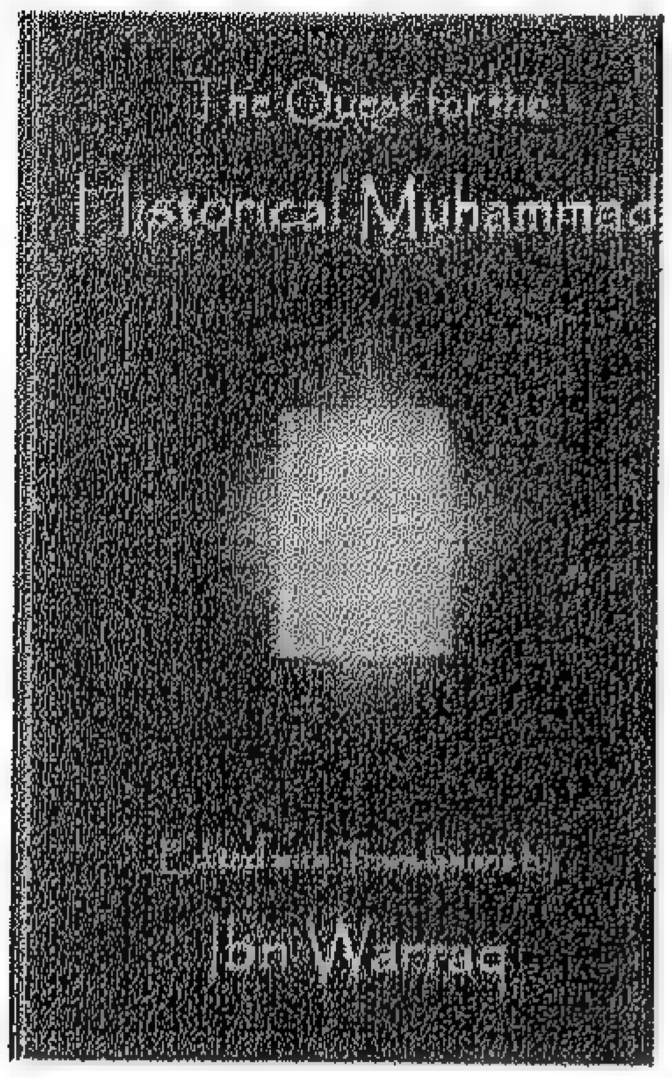
لقد عُرِفَ (ابن الورّاق) بكتابه المثير للجدل لماذا أنا لست مسلماً؟ Why I am not a Muslim?

والكتاب خطاب سجالي جدلي Controversial يعتبره النّقاد نقداً قويّاً لاذعاً للإسلام والمسلمين والقرآن. وهذا الكاتب المجهول (1) حلقة في سلسلة كتاب مأجورين ينحدرون من أصول إسلامية.

ويصف عرض ساليزبوري كتاب لماذا أنا لست



لماذا أنا لست مسلماً؟



البحث عن محمد تاريخي

مسلماً بقوله: «لقد فعل ابن الورّاق ما فعله برتراند رسل بالمسيحية».

وكتبت مجلة National Catholic Reporter تقول: «مشكلة هذا الكتاب هي أنه لن يصل إلى أكثر الناس حاجة إليه. فكم من مكتبة ستقتنيه أو تجرؤ على الاحتفاظ به إذا علموا بمحتوياته؟!».

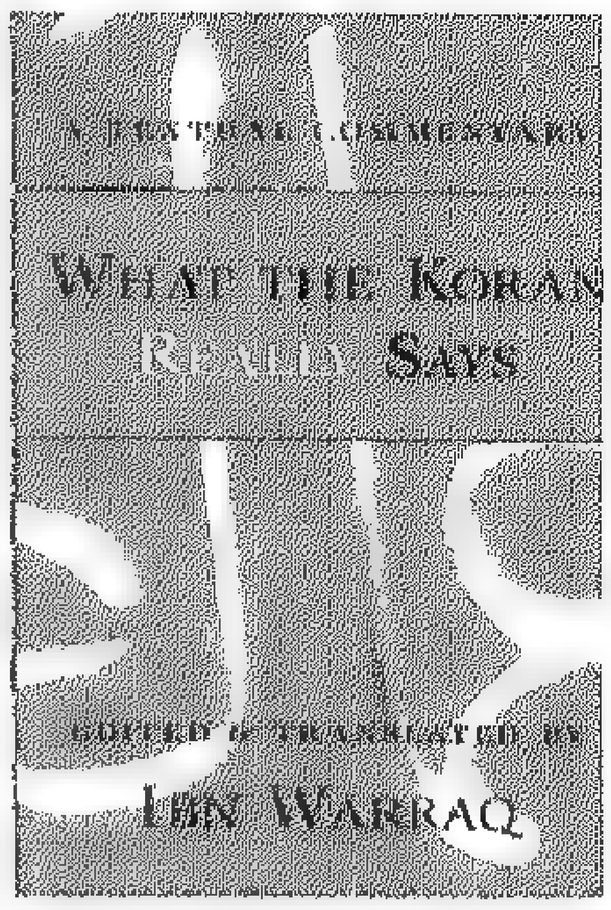
لم يقف ابن الورّاق عند حدّ (لماذا أنا لست مسلماً؟) وشرع يصنف مؤلفات متتالية في زمن قياسي، والقاسم المشترك بينها جميعها معاداة الإسلام. ومن مؤلفاته التي تدور في هذا الفلك كتابه البحث عن محمد التاريخي:

The Quest for the Historical Muhammad

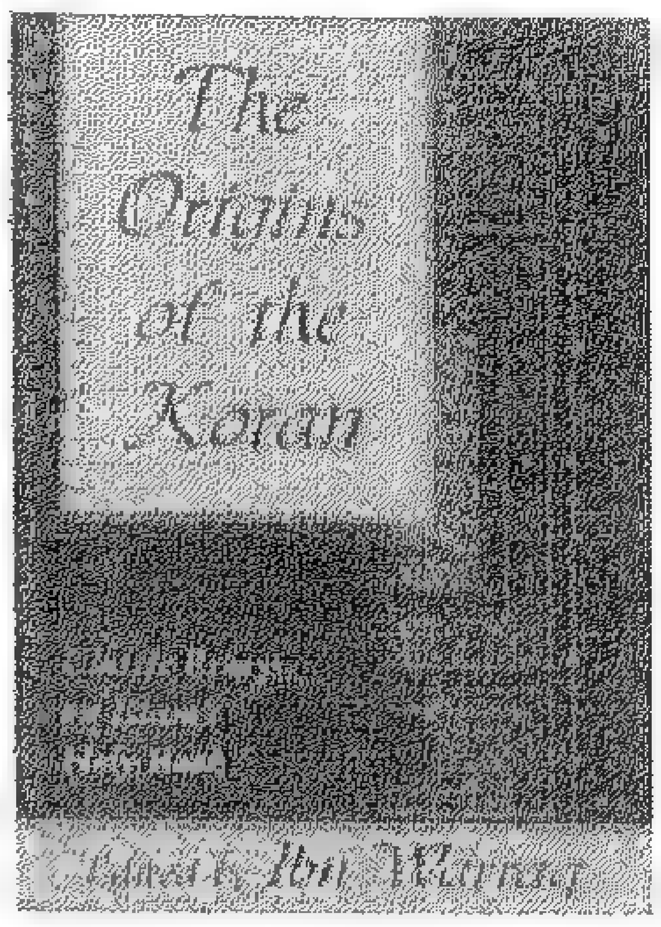
وكتابه «ماذا حقاً يقول القرآن ؟»

What The Koran really Says?

وهذا الكتاب يقع في تسعة أقسام تتضمن مختارات من البحوث حول القرآن، تبدأ بمقدمة ابن الورّاق، وتعريف القرآن، بقلم توبي لستر. ويتضمن القسم الثاني دراسة يهودا نيفو Yehuda Nevo عن مرحلة



ماذا حقاً يقول القرآن؟



أصول القرآن

ما قبل الإسلام، وضمن القسم الثالث مباحث عن لغة القرآن لألفونس مينجانا، وجيفري، وباول كاهل، وربين، وجوشوا بلاو. وفي القسم الرابع شحذ عدداً من البحوث عن مصادر القرآن لمجموعة من الكتّاب مثل: إيريك بيشوب، ومارك فيلونيكو، وويلسون بيشاي، وريموند كوبرت. وفي القسم الخامس الذي جعله للحديث عن سور القرآن ساق بحوثاً لفرانتز روزنتال، وكلود كاهين، وكيستر، ومايكل شوب. والقسم السادس جعله للبحوث المتعلقة بمسألة توثيق القرآن وتصحيحه فساق بحوثاً لفيشر، وتوري، وجيمس بيلامي. وخصّ القسم السابع لريتشارد بل في مقدمته للقرآن. والقسم الثامن جعله للقرآن والشعر، وضمّنه دراسات فلهاوزن، ورودولف جير.

وأما القسم التاسع فقد جعله لبحوث تتعلّق بمخطوطات القرآن.

ومن الملاحظ أنّ ابن الورّاق هذا يسعى لبعث الحياة في نصوص قديمة (مقبورة) ليضعها بين أيدي الباحثين.

وكتابه (أصول القرآن : دراسات كلاسيكية عن كتاب الإسلام المقدس)

The Origins of Koran:

Classic Essays on Islam's Holy Book

استدعاء تاريخي للعقل الاستشراقي الباحث في القرآن وتاريخه ، من خلال جمع أكثر بحوثه خطورةً وأهميةً بين دفتي كتابٍ واحدٍ حتى يسهل الاطّلاع عليها لا سيما وأن أكثرها صار من المتعذر الوقوف عليها لندرتها. ومحتويات الكتاب توضّح عقلية من قام بجمع مادته التي يجمعها قاسم مشترك هو التشكيك في القرآن. وقد جعله المؤلف في أربعة أقسام:

القسم الأول :

- المقدمة بقلم ابن الورّاق
- القرآن : تيودور نولدكه

القسم الثاني :

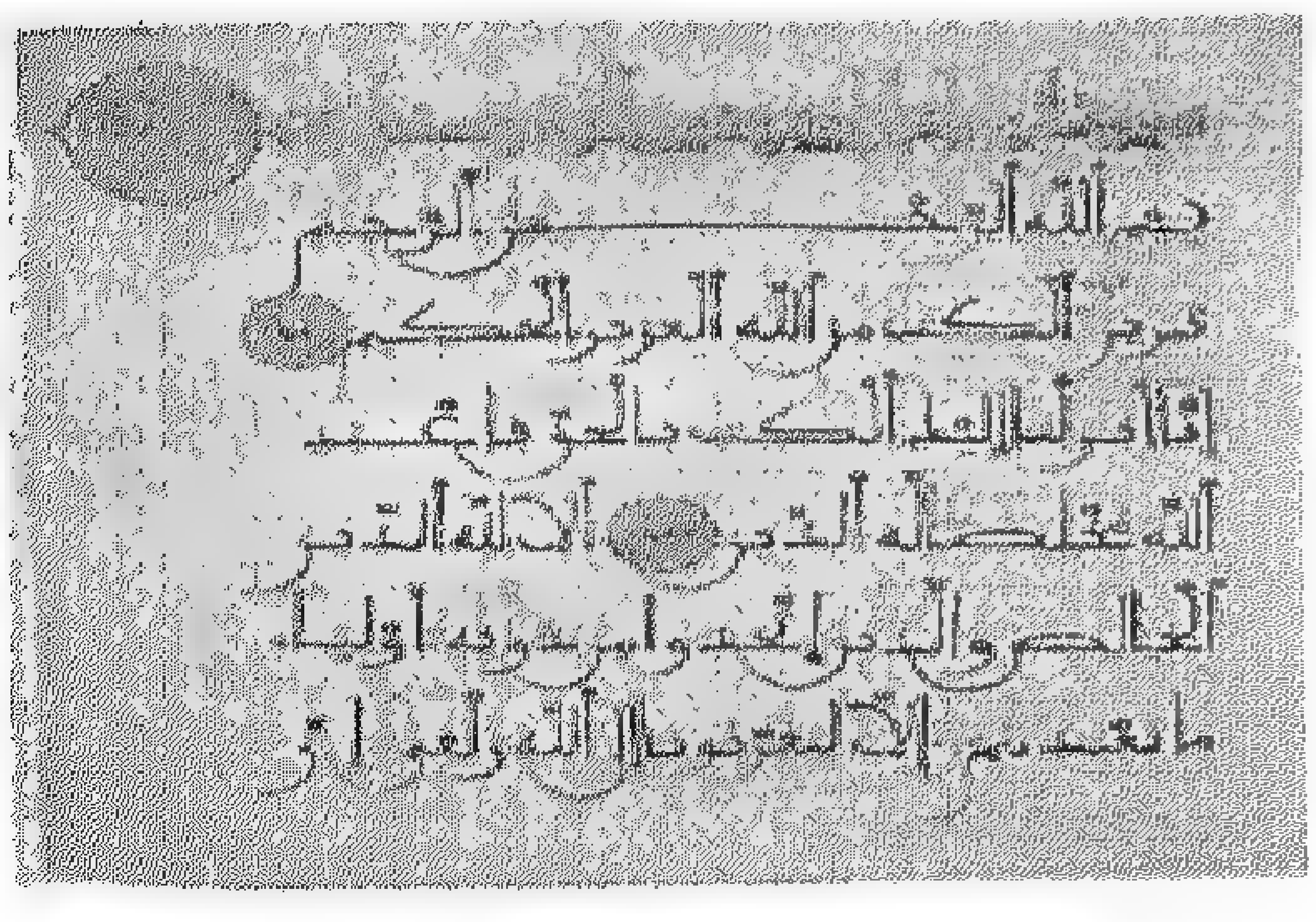
- عثمان ورواية القرآن : ليوني كايتاني
- ثلاث نسخ قديمة من القرآن : ألفونس مينجانا
- رواية القرآن : ألفونس مينجانا
- موادّ لدراسة تاريخ نصّ القرآن : آرثر جيفري
- التقدّم في دراسة النصّ القرآني : آرثر جيفري
- أبو عبيد وضياع آيات من القرآن : آرثر جيفري
- نصّ مختلف للفاتحة : آرثر جيفري
- اختلافات نصيّة للقرآن : مرجوليوث

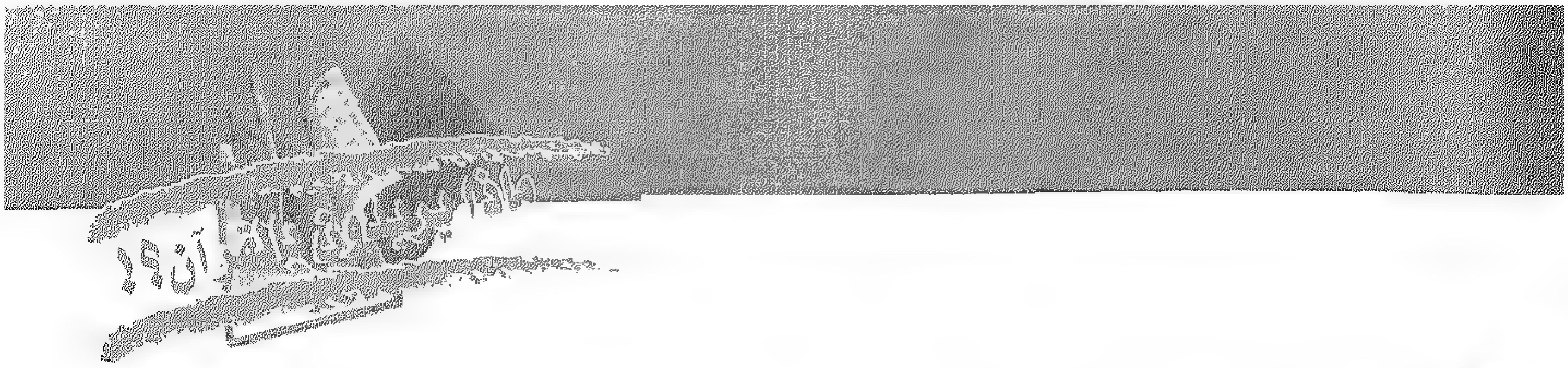
القسم الثالث:

- ماذا استعار محمد من اليهودية : إبراهام جايجر
- مصادر الإسلام : سانت كلير تسدال
- الأصل اليهودي للإسلام : تشارلز توري

القسم الرابع:

- التحليل الأدبي للقرآن، والتفسير، والسيرة ـ منهج جون وانسبرو : أندرو ريبين.





3 جون جيلكرايست : الكاتب الوهمي وجمع القرآن

John Gilchrist كاتب آخر وهميٌّ ليس له وجود. ويمكن التخمين بأنه لاهوتي كنسي. له كتاب بعنوان (جمع القرآن). لا يوجد له أثرٌ في دور النشر لأنه لا يُعرف له ناشر ولا مؤلف ، ويمكن للقارئ أن يبحث في موقع أمازون www.amazon.com أكبر محرّك بحث عن الكتب على الشبكة الدولية، أو في أي محرّك آخر، وسيجد كثيرين يحملون هذا الاسم، ولكن ليس من بينهم من ألف كتاباً بعنوان (جمع القرآن). والمكان الوحيد الذي يُروّج فيه هذا الكتاب موقعٌ تنصيري معادٍ للإسلام والقرآن اسمه Answering Islam.

يقول المؤلف في مقدمة الكتاب ما يفصح عن غايته:

«اعتاد المسلمون منذ قرون عديدة على الفكرة القائلة إن القرآن بقي محفوظاً في نصه الأصلي منذ زمن الرسول محمد إلى يومنا هذا بدون أن يَمسّه أيٌّ تغيير أو نقصانٍ أو إضافةٍ من أيّ نوع كانت، و بدون أيّ تغييرٍ في طريقة قراءته. وفي الوقت ذاته يعتقد المسلمون أن هذا الكمال المزعوم للنص القرآني هو دليل على أصله الإلهي، بدليل أن الله وحده استطاع الحفاظ على هذا النص. لقد أصبح هذا الشعور جدّ قوي عندهم، لدرجة أنه نادراً ما نجد باحثاً إسلامياً يقوم بتحليل نقدي لموضوع جمع القرآن، حيث إنه كلما ظهرت بوادر محاولة مثل هذه فهي تُقمَعُ في حينها. لكن ما الذي سنَسْتَنْتِجُه إن نحن استعرضنا الوقائع والمعطيات المتوفرة لدينا حول جمع القرآن في بداية العهد الإسلامي ؟

وحين نضع الانفعالات العاطفية جانباً، ونقوم بتقييم موضوعي للمعطيات التاريخية المتوفرة لدينا فإننا نصل إلى استنتاج مناقض تماماً لما يزعمون. وسيظهر لنا من خلال هذا الكتاب أن ما دوّن في إطار الإرث الإسلامي كافٍ للبرهنة على أن القرآن كان في وقت من الأوقات يحتوي على عدد مختلف من الآيات، بل أحياناً على مقاطع كاملة لا توجد في النص القرآني الحالي. زيادةً على هذا فقد كان هناك عدد مهم جداً من القراءات المختلفة قبل أن يُقَرِّر الخليفة عثمان بن عفان استئصالها جميعًا، والاحتفاظ بالمصحف الذي وصلنا».

والنتائج التي توصّل إليها المؤلف لا تعدو نتائج أسلافه من المستشرقين والمنصرين. وقائمة مصادره تفصح عن ذلك، فهو لا يغادر فروض واستنتاجات نولدكه في (تاريخ القرآن)، وجون بيرتون في (جمع القرآن)، وكتابات جيفري، ومرجوليوث، ومينجانا، وكايتاني.

ويشكك جيلكرايست في موثوقية مصحف عثمان، ويقدّم عليه مصحف ابن مسعود، فيقول: «كان حجم الاختلافات بين قراءات الصحابة ومصحف زيد غاية الأهمية لدرجة أن ما لا يقل عن 350 صفحة من كتاب جيفري:

Materials for the History of the Text of the Qur'an

خصصت لها. لهذا السبب نفهم لماذا أُريد لهذه المصاحف أن تحرق.

وعكس ما يزعم من أن المصحف العثماني كان يتفق عليه جميع المسلمين، نرى أن الفروق كانت شاسعة بين المصاحف التي كانت سائدة في مختلف المناطق.

وما قام به عثمان لم يكن إلا محاولة لتوحيد المسلمين حول مصحف معين، اختير ليس لموثوقيته، لأنه تبين لنا من خلال الأدلة التي قُدمت أن مصحف ابن مسعود كان أوثق منه. لقد اختير بدون مبرر، بل فقط لأنه جُمع في المدينة تحت إمرة عثمان، ولم يكن ينافس أيّ من المصاحف التي كانت شائعة آنذاك في مختلف الأقاليم الإسلامية ». وهذا كلام فاسد، ولم يقل به إلا بعض نظرائه من المستشرقين والمنصّرين.

ومن الواضح جداً أنه لم يقرأ ما كتب المسلمون عن مصحف ابن مسعود، ولم يعلم أنّ ابن مسعود كان يقرأ بمصحف الإمام، وأنّ مصحفه لا يُخالف مصحف الإمام إلا قليلاً في بعض الوجوه، وأكثرها في ترادف الألفاظ، وهو محمول على التفسير، كما يذهب إلى ذلك كبار المفسرين ممن لهم عناية بالقراءات كأبي حيان في تفسيره (البحر المحيط). ومما يؤكد ذلك أنّ عبد الله بن مسعود قرأ قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [سورة آل عِمرَان: الآية 19]

إن الدين عند الله الحنفية. وبالإجماع أنّ هذا ليس قرآناً، ولذا قال ابن الأنباري فيما نقله عنه ابن حيان في البحر (2 : 210): «ولا يخفى على ذي تمييز أنّ هذا كلام من النبي ﷺ على جهة التفسير، أدخله بعض من ينقل الحديث في القراءات».

ويخلص جيلكرايست من اختلاف المصاحف إلى القول بأنّ:

«القرآن الذي وصلنا ليس هو ذلك النص الوحيد الذي لا اختلاف فيه، والذي حُفظ بعناية ربانية دون أن يقع فيه أي نقصان أو زيادة في أدنى حرف منه كما يحاول علماء المسلمين أن يجعلونا نعتقد. لم يكن هذا المصحف إلا واحداً من بين عدد من المصاحف جُمِعَت بشكل مستقل خلال العشرين سنة التي تلت وفاة محمد. وهو مصحف جمعه شخص معين ألا وهو زيد ابن ثابت و أصبح النص الوحيد المقبول ليس بأمر إلهي ولكن بأمر دنيوي محض، وهو قرار استبدادي صدر عن عثمان بن عفان».

واختلاف المصاحف الذي استغله أعداء القرآن ليس من اكتشافهم، وقد وجدوا في الكتب التي صنّفها العلماء في اختلاف مصاحف الأمصار، ومصاحف الصحابة، ككتاب (المصاحف) لأبي عبد الله بن أبي داود، مادةً للغارة على القرآن.

ومما يدندن حوله الكاتب (مصحف سمرقند) الذي يزعم أنه مصحف الإمام (عثمان) الذي كان يقرأ فيه عند مقتله، وعليه أثر من دمه، ليخلص من وراء ذلك إلى تحريف القرآن. والأوهام التي حيكت حول هذا المصحف والأكاذيب تفنّد هذه المزاعم. وسيأتي الكلام عن هذا المصحف.

فهرست كتاب جمع القرآن لجون جلكرايست

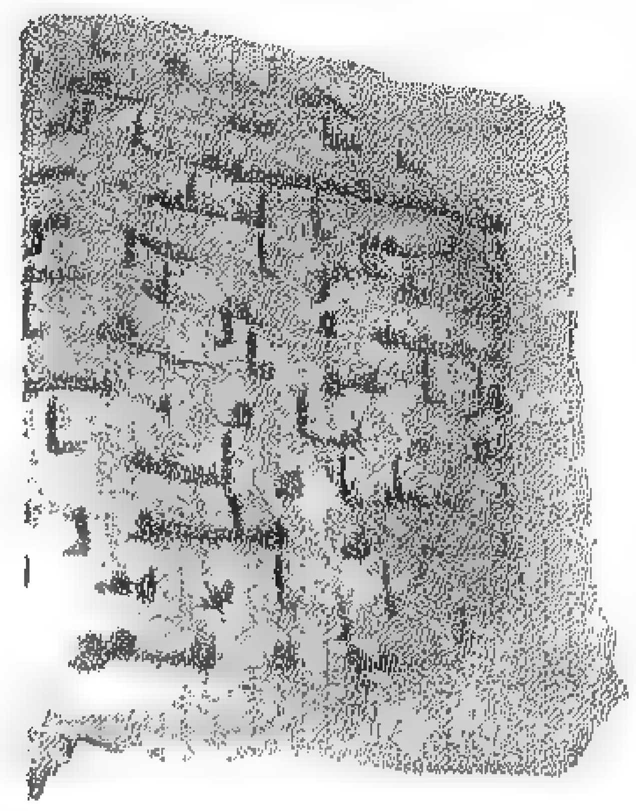
حقيقة مصحف سمرقند

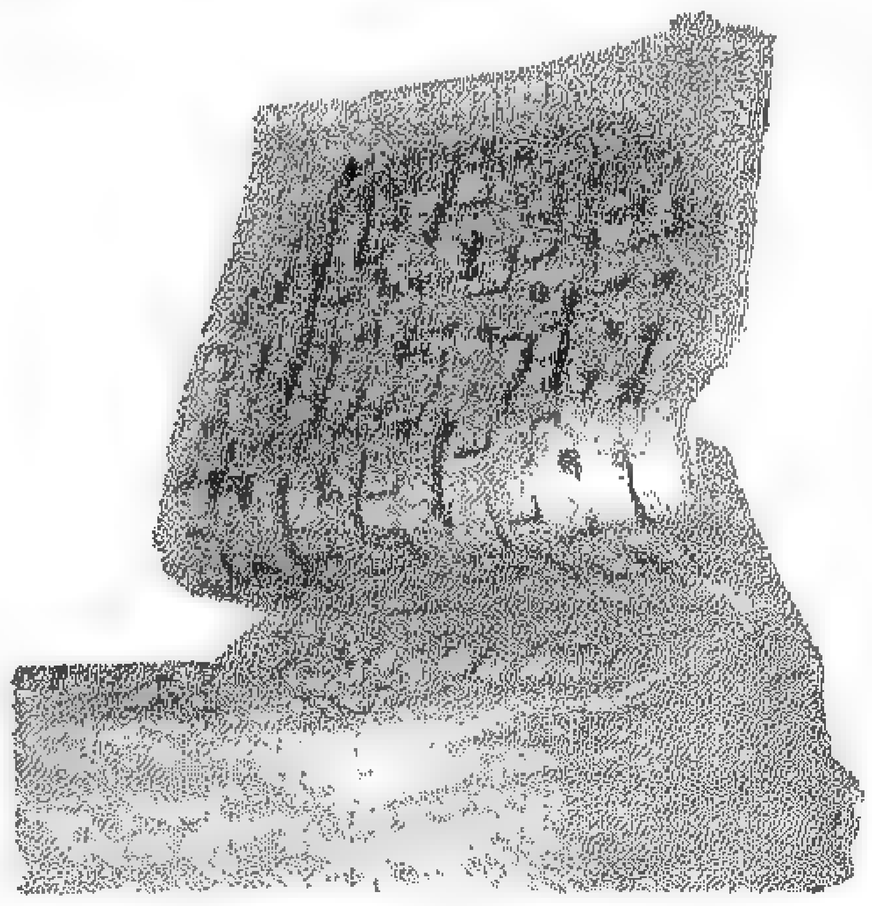
لقد أثير كثير من الجدل حول مصحف عثمان بن عفان الذي كان يقرأ فيه وقت اغتياله، وقد لُطخ بدمه، وقيل أن بقعة من دمه سقطت على الآية التي كان يقرأها وهي قوله تعالى :

﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [سورة البَقَرَة: الآية 137]

وقد نُسِجَت حول هذا المصحف كثيرٌ من الحكايات والأساطير. فهذا المصحف شرّق وغرّب في كتابات المؤرخين، وكل مصر أو قطر يزعم أنّ ذلك المصحف حطّ رحاله فيه. وأغلب ذلك أوهام. وقد زُعِمَ أنّ هذا المصحف استقر بالقاهرة، وهذا لم يثبت، وقيل إنّ المصحف المشار إليه ليس هو مصحف الإمام الذي كان يقرأ فيه وقت اغتياله، ولكنه من المصاحف العثمانية التي أرسلها عثمان إلى الأمصار، وهذا أيضاً لا يصحّ، لأن مصر لم تكن من الأمصار التي أرسل إليها المصحف، وهي: مكة، والمدينة، والبصرة، والكوفة، واليمن، والشام، والبحرين. ولم تُعد مصر منها إلا في رواية ضعيفة. وقيل إنه انتهى إلى البصرة حسب رواية ابن بطوطة، وقيل إنه بحمص، بحسب ما ورد في كتاب (الحلّة السنية للرحلة الشامية)، وقيل إنه في طشقند، وكان محفوظاً قبل ذلك في سمرقند، وزعموا أن تيمورلنك نقله من البصرة إلى سمرقند. وخبراء الخطوط لا يسلمون بأن مصحف طشقند هو المصحف الذي أرسله عثمان إلى البصرة، لأن الخط المكتوب به يشبه خطوط القرن الثاني للهجرة، وهي خطوط مستقيمة وكأنها رُسِمت بمسطرة، وأن شكل حروف هذا المصحف يشبه إلى حدّ كبير شكل حروف المصحف الكوفي الموجود الآن بالقيروان، ويرجع تاريخه إلى القرن الثالث الهجري. (انظر كتاب أضواء على مصحف عثمان بن عفان ورحلته شرقاً وغرباً، للدكتورة سحر السيد عبد العزيز سالم ص 15-21)

كان هذا المصحف موجودا بسمرقند ولكنه نقل إلى بطرسبرج عاصمة روسيا القيصرية، وبعد الثورة البلشفية سنة 1917 ثم نقل إلى تركستان، وهو يوجد الآن في طشقند.







مصحف طشقند

خرافة تحريف القرآن
اعتماداً على مصحف سمرقند

على أحد مواقع الإنترنت التنصيرية المعادية للقرآن، جاء السؤال الآتي: هل القرآن معصوم؟ هل القرآن الحالي يشبه المخطوطات القديمة ؟ وجاءت بعد ذلك الدعوات الآتية :

تعال وانظر بعينيك الدليل على تحريف كتابك.

لا تكن جاهلا غضوياً بل افتح عقلك، وقلبك لله ، وانظر التناقضات بروح الفاحص الأمين.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [سورة النِّساء: الآية 82]

هذا هو الاختلاف وهذا الدليل على أنه ليس من عند الله، تعال معنا لترى.

ثم يسوق آيات من مصحف سمرقند، (الصواب طشقند)، ويزعم أنها دليلٌ على تحريف القرآن. وهي:

❖ في صفحة 370 من مخطوطة سمرقند تأتي كلمة الأرض بـ (لام ألف) في سورة 7:73 الأعراف

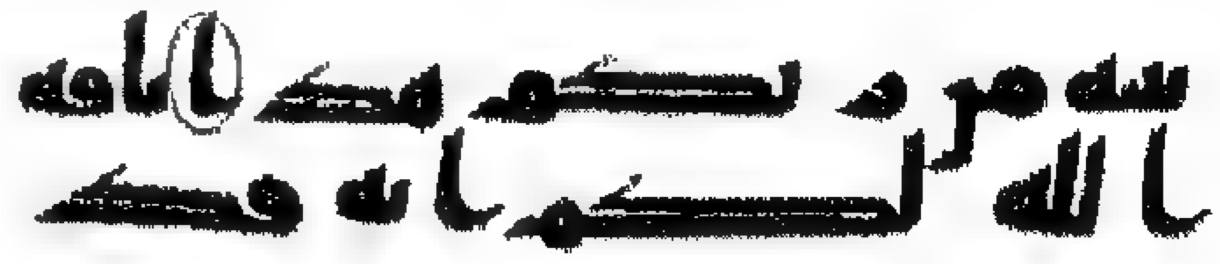


بينما في النص الحالي تأتي نكرة بدون لام ألف.

نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا
تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟

وكلّ من له أدنى دراية بأصول الكتابة يعلم أنّ هذا لا يُعد تحريفا. والخطأ في الكتابة من الناسخ يُضرب عليه بشرطة كما هو موجود على المخطوط، ويُسمى ذلك ضرباً.

❖ صفحة 369 من المخطوطة يقول النص (هذا ناقة الله):



والنص الحالي

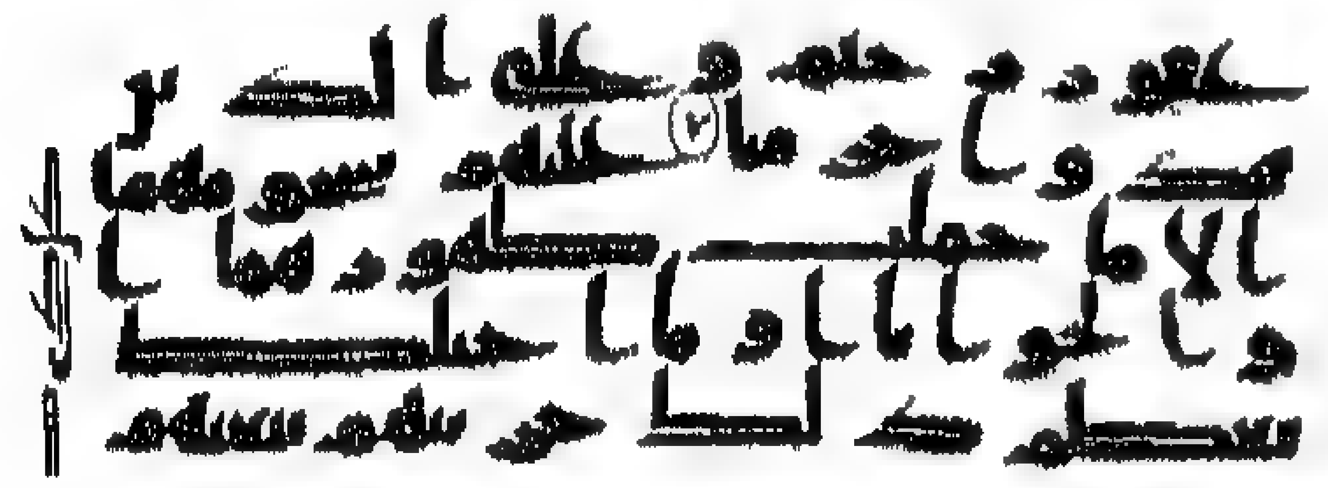
﴿هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ [سورة الأعراف: الآية 73]

مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَـٰذِهِۦ
نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا

وهذا أيضاً خطأ من الناسخ، ومن له أدنى إلمام بالعربية، ولو كان أعجمياً، يعرف أن الناقة مؤنث، ولا يصح الإشارة إليها باسم الإشارة للمذكر (هذا).

❖ في صفحة 232 من المخطوطة (الأنعام 6:146)

﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ [سورة الأنعام: الآية146]



﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ [سورة الأنعام: الآية 146]

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ
وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ

والمعترض لا يعرف فن التصحيح عند السقط، وما سقط من المخطوط ألحقه الناسخ على اليسار في كتابة رأسية كما يبدو من الأثر المتبقي من التصوير. والضمير في شحومها في المخطوطة يحتاج إلى عائد ولا يستقيم ذلك إلا بما هو في النص القرآني الصحيح أي شحوم البقر والغنم، ومن غير هذا لا يستقيم المعنى.

وقس على هذا كلّ ما ورد في هذا الموقع من افتراءات، مع افتراض أن هذا الذي يُزعم أنه مخطوط سمرقند صحيحاً وليس زائفاً.

مواقع معادية للقرآن على الشبكة الدولية

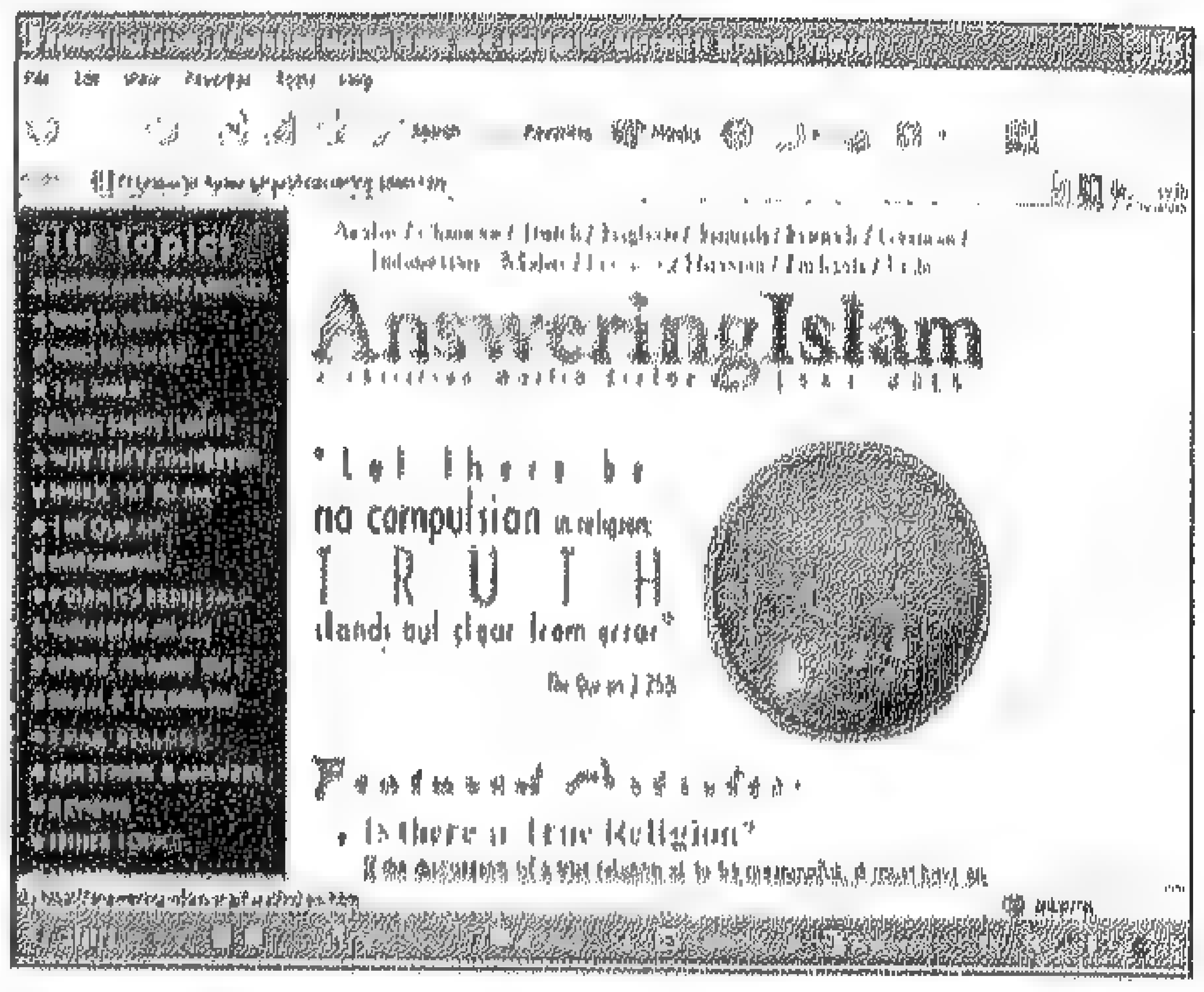
من أخطر المواقع المعادية للإسلام موقع تنصيري اسمه: الرد على الإسلام Answering Islam يصدر بعدة لغات هي: الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والأردية، والفنلندية، والمالاوية، والفارسية، والروسية، والتركية.

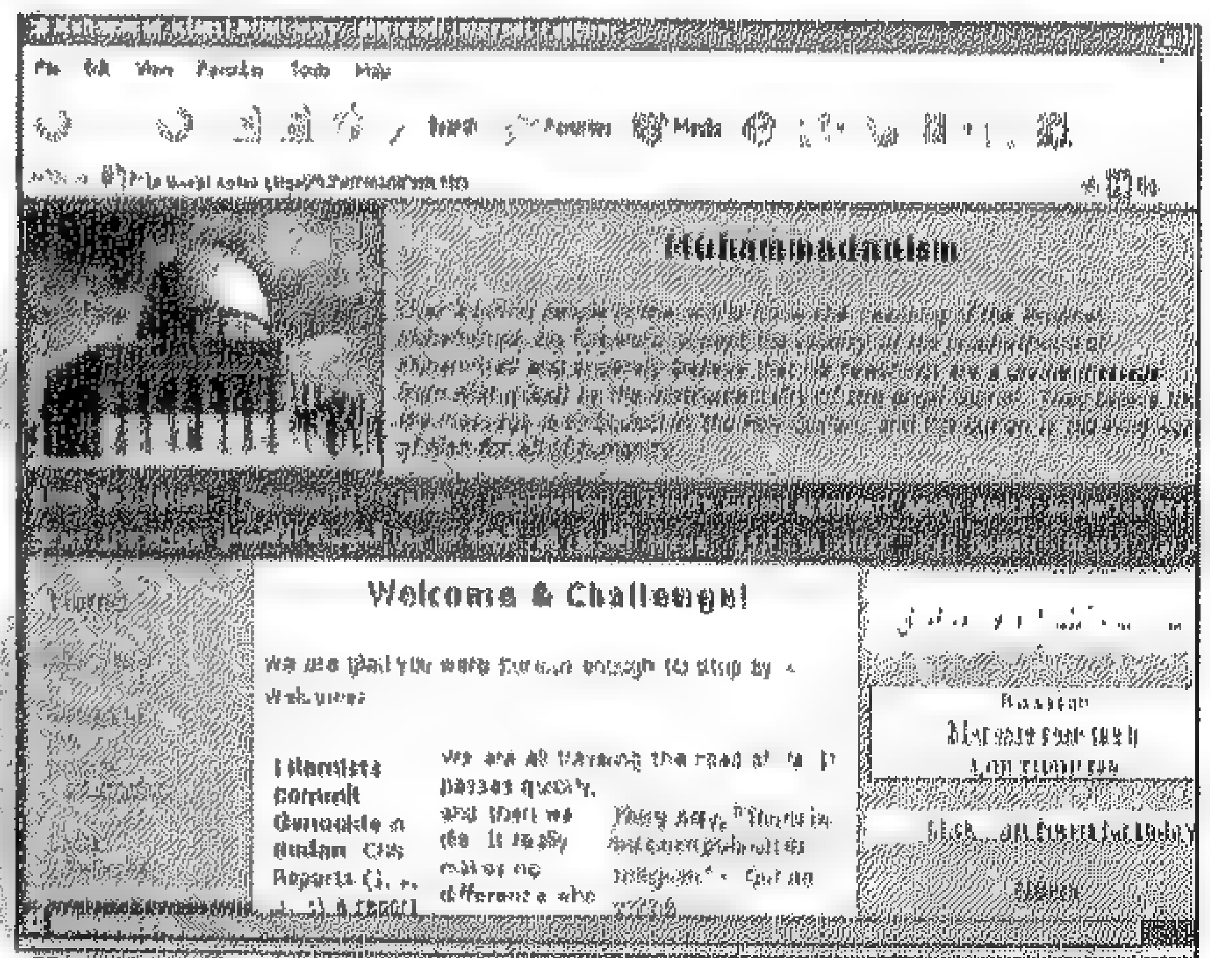
والموقع يشرف عليه جماعة من القساوسة والمنصرين. ويزعم المشرفون عليه أن دعوتهم تدعو إلى الحوار الإسلامي المسيحي.

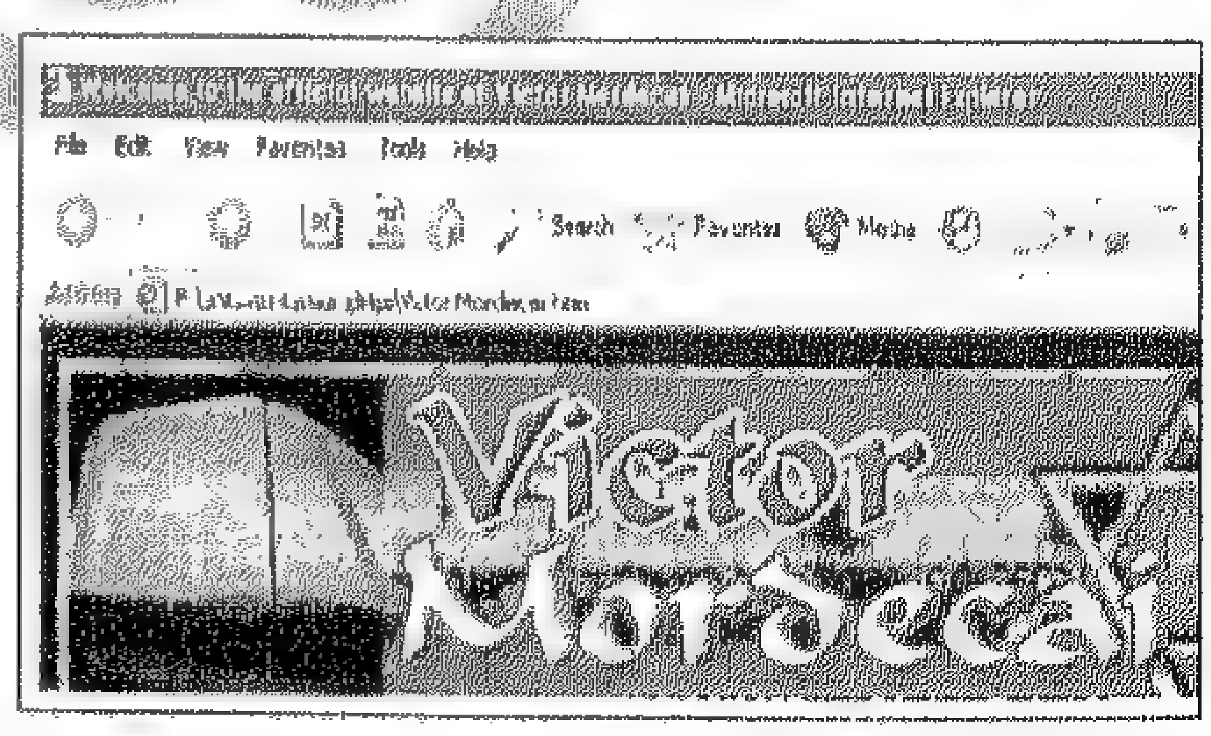
وقد جاء في كلمة لمحرر الموقع: (موقع «الرد على الإسلام» ليس نتاج عمل شخص واحد، ولكن كثيرين اشتركوا وما زالوا يشاركون في وضع محتوى هذا الموقع. وليس ضرورياً أن يكون كل الكتّاب متفقين حول كل النقاط التي تناقش كما هو الحال في الحوار بين المسلمين والمسيحيين، فإن القارئ مدعو للتفكير في مختلف الآراء المسيحية المطروحة حول موضوع ما، وأن يقرر بنفسه أيها أكثر إقناعاً له).

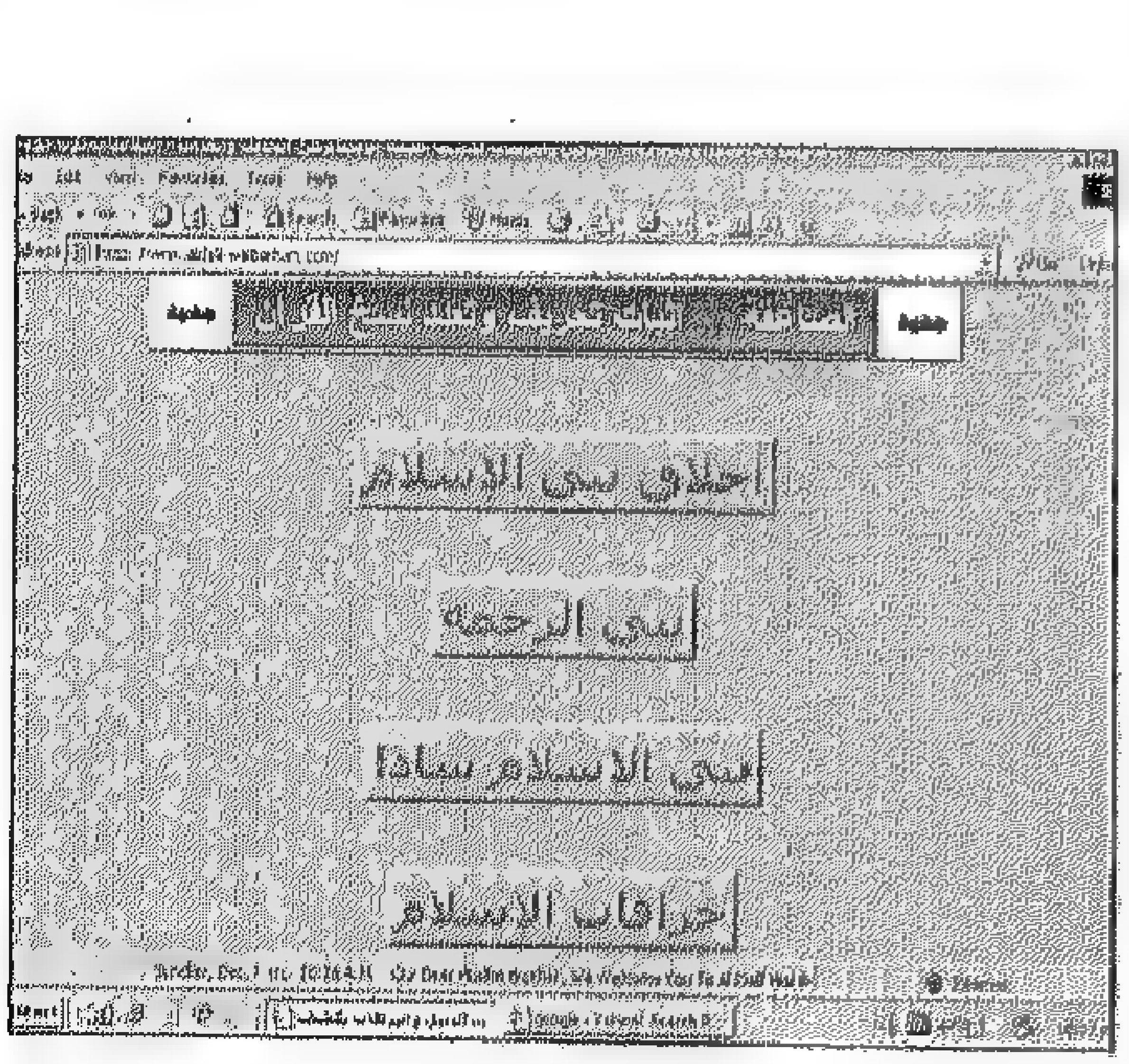
ومن المواقع المسيئة للقرآن موقع يحمل اسم (المحمدية) Muhammadanism وهو يصدر بثلاث لغات: العربية، والأردية، والإنجليزية. وهو موقع مملوء بالافتراءات، والتطاول على القرآن الكريم، ويحوي كتباً بالإنجليزية والعربية تسيء إلى القرآن الكريم.

ومن المواقع المسيئة، بل الأكثر إساءة موقع يحمل اسم (الفارس المسيحي Christian Knight) وهو موقع بذيء









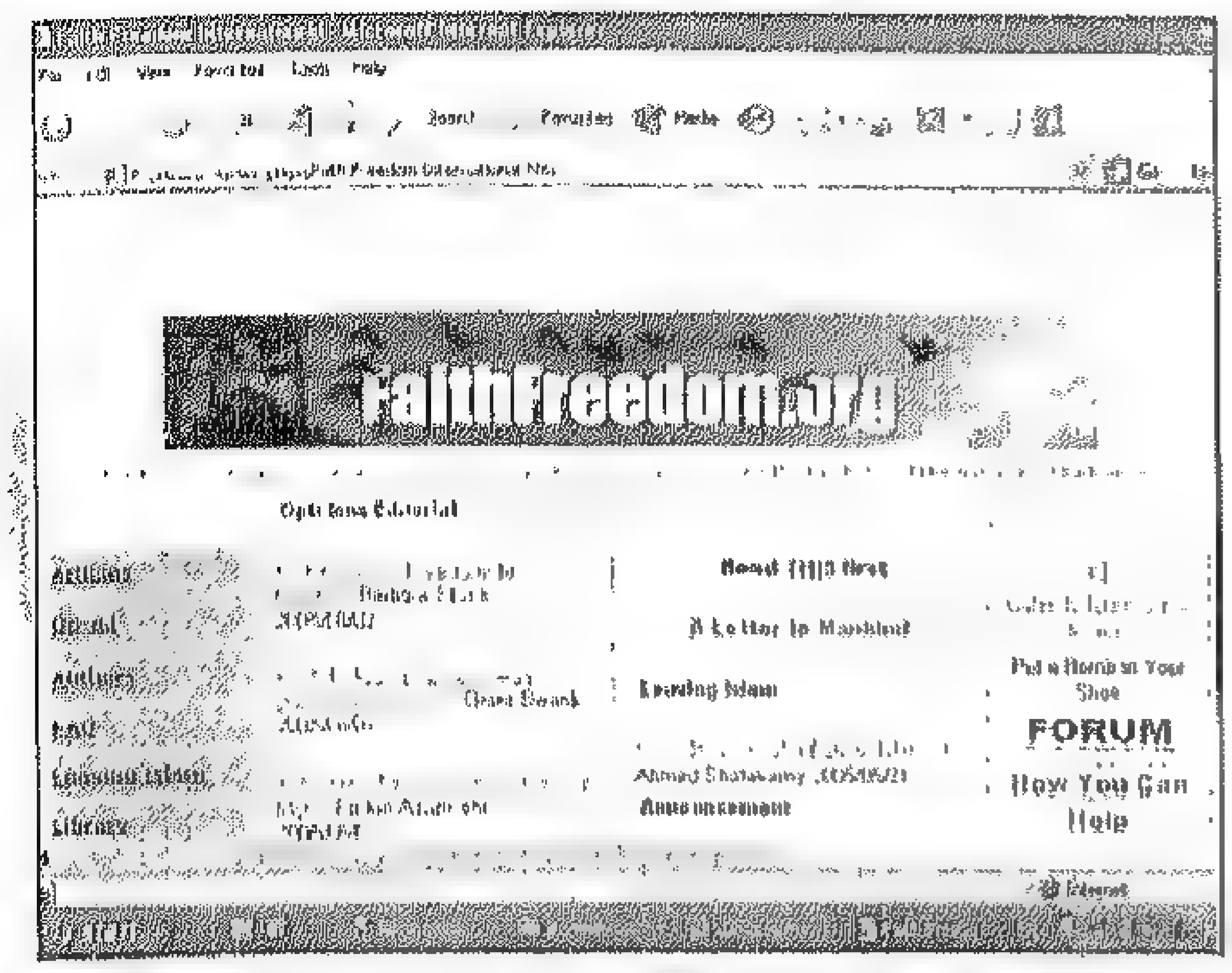
مملوء بالسباب والتهكم، وفيه نعوت قبيحة للرسول ﷺ. والموقع يظهر تارة ويختفي أخرى.

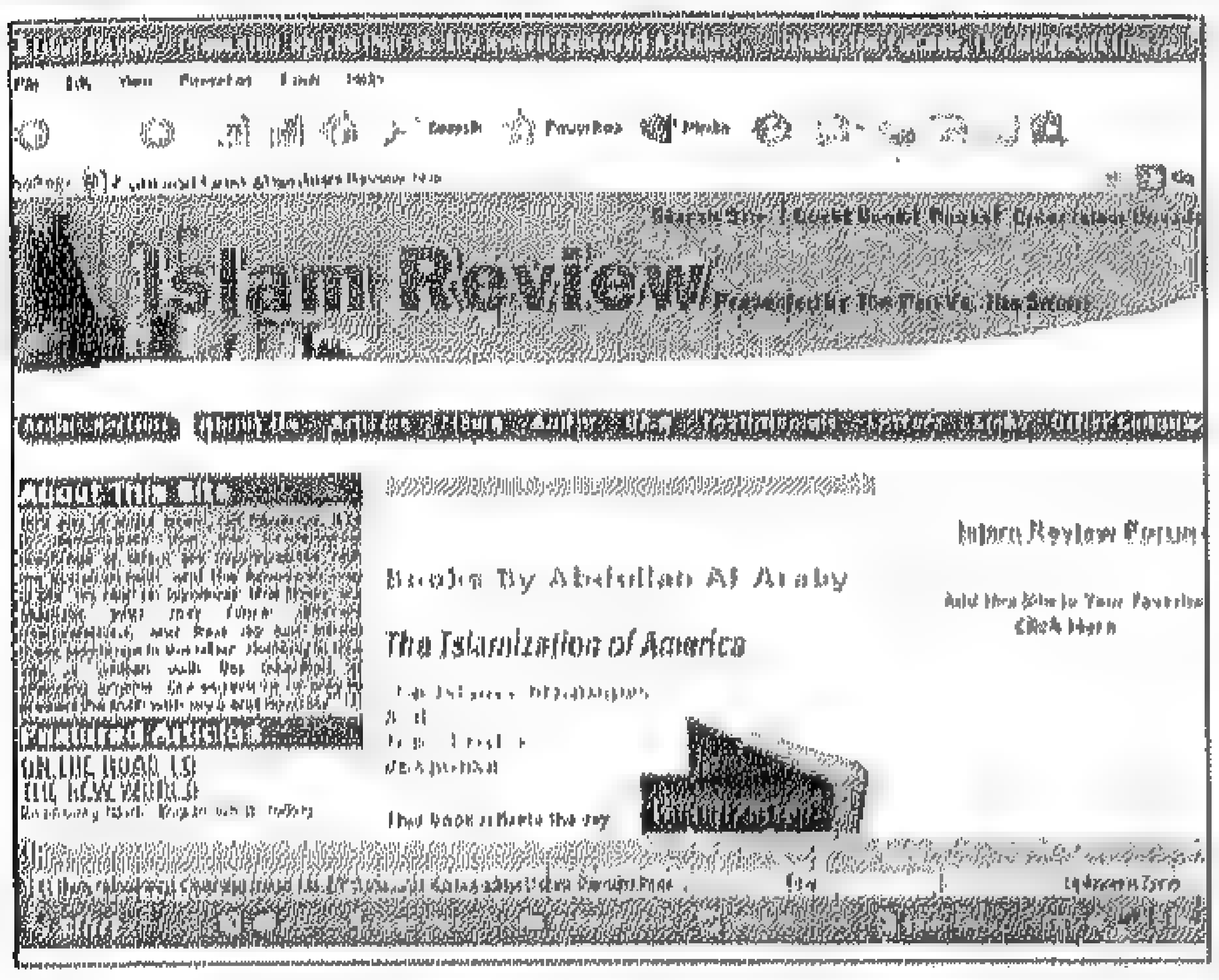
ومن المواقع موقع يحمل اسم (الإسلام في البؤرة Islam in Focus)، ويحمل اسماً فرعياً تحت العنوان الرئيس يكشف عن نواياه وهو (الأزمة العالمية)، وهو يريد أن الإسلام والمسلمين هم اليوم الأزمة الحقيقية. والموقع يروّج لأعمال المنصرين وكتاباتهم، وعلى رأسهم أنيس شيروش السالف الذكر.

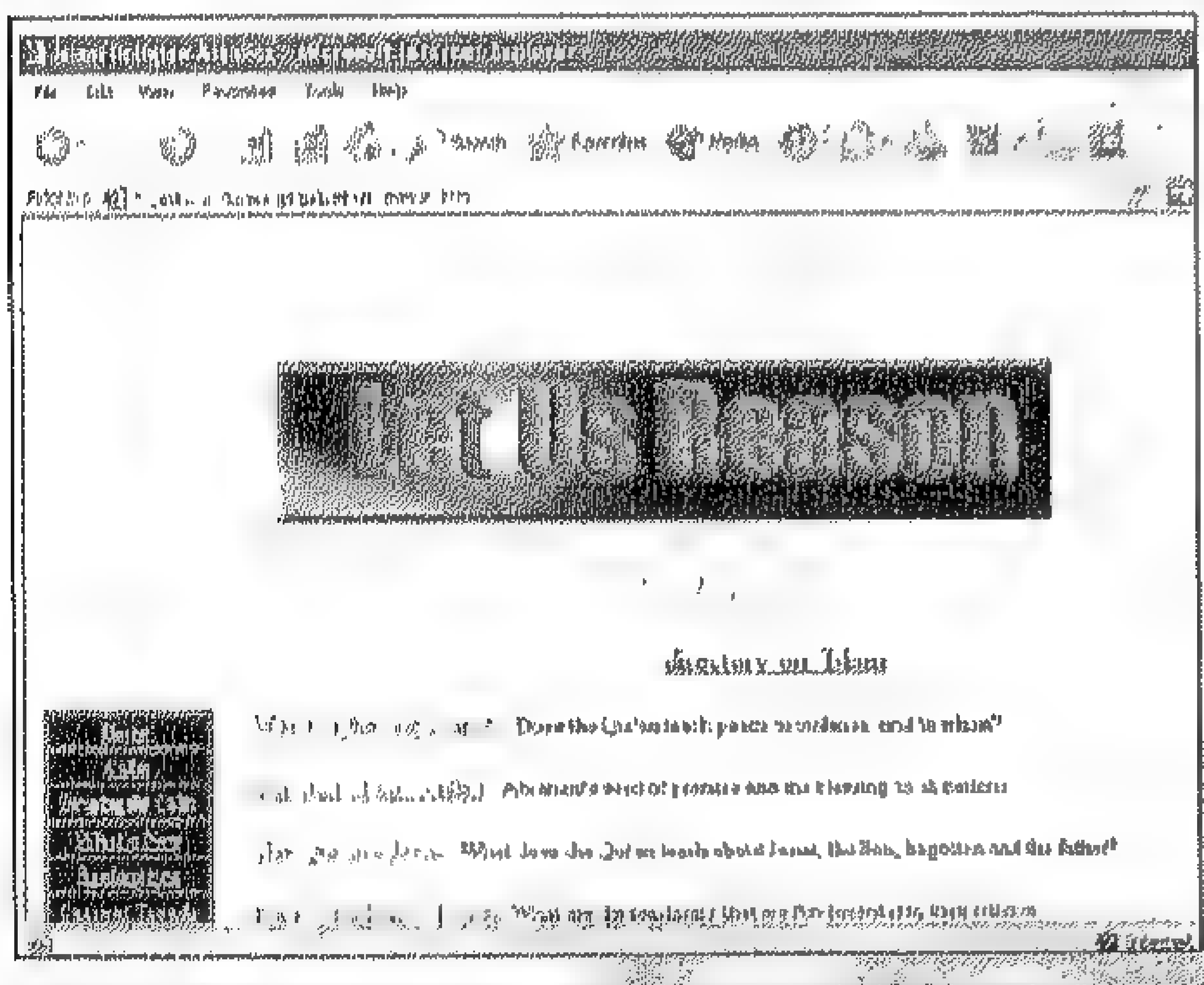
وثمة موقع آخر باسم (عرض الإسلام Islam Review) لا يختلف كثيراً عن المواقع السابقة. وهناك مواقع معادية للقرآن ليست كهنوتية، ولكنها ذات توجّه علماني ينطلق من معاداة الدين، والدين المقصود بالنقد والتسفيه هو الإسلام، حتى كأنه ليس ثمة دين يمكن معاداته في العالم إلا الإسلام.

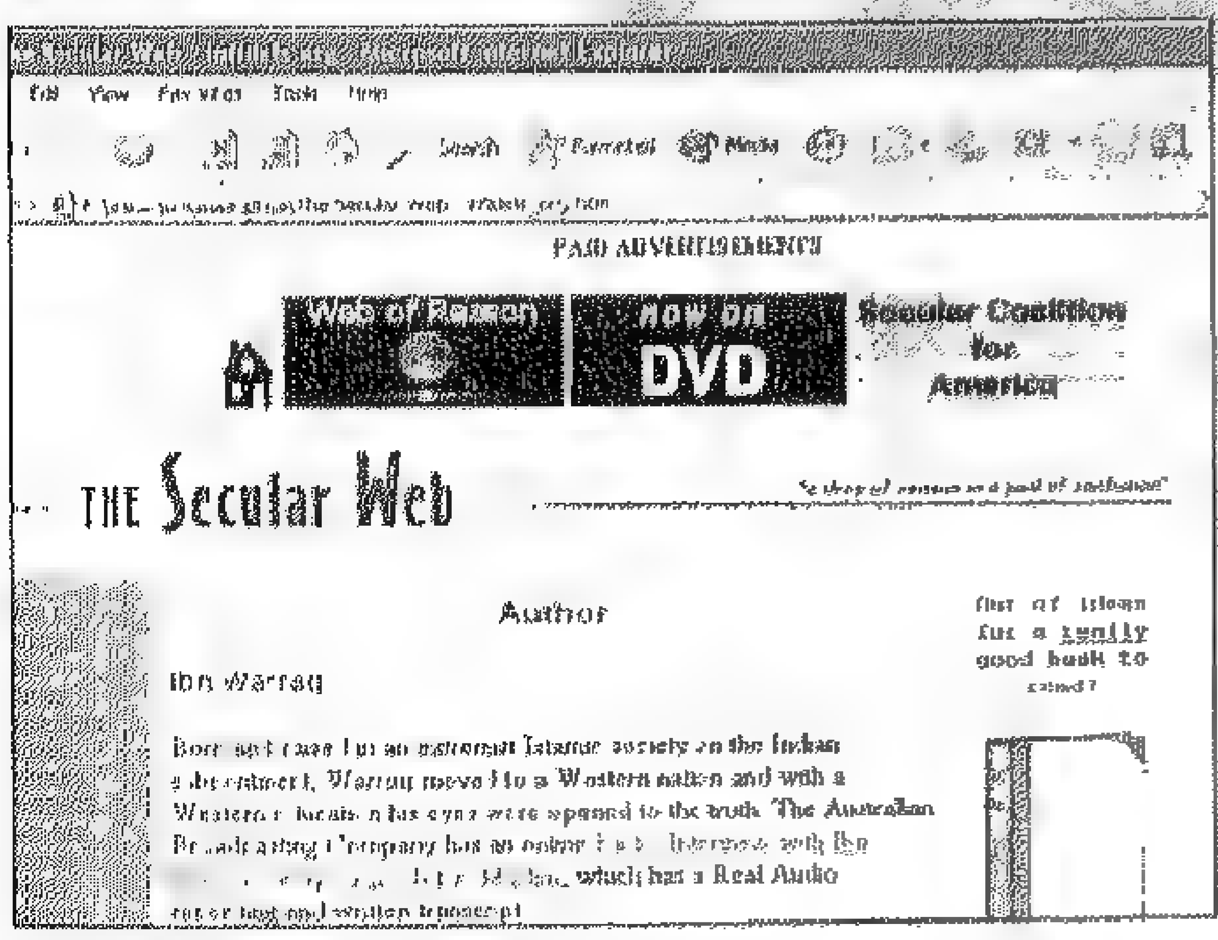
وربما كان هذا صحيحاً، لأن الديانات الأخرى لا تشكل خطراً على الإلحاد، ولأنها ليست أكثر من طقوس كهنوتية رتيبة، هجرها معتنقو ملتها، ولم تبق إلا مقصورة على الشيوخ ومن هم يتهيأون لمغادرة الدنيا.

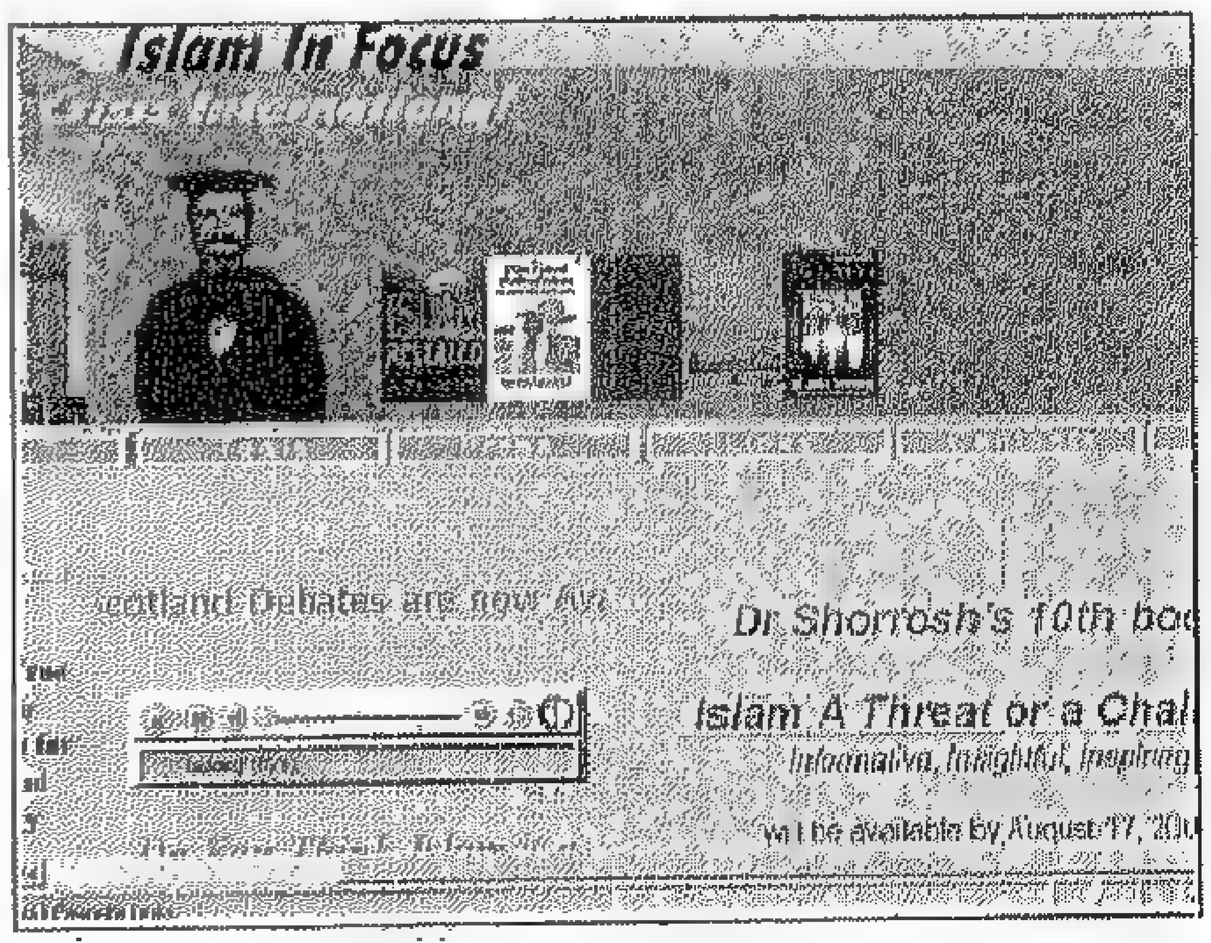
ومن هذه المواقع موقع (لنتعقّل Let Us Reason) وموقع (الشبكة العلمانية The Secular Web). وهناك مواقع أخرى معادية للقرآن والإسلام يديروها يهود، مثل موقع (فيكتور موردخاي الإسرائيلي). والمتفحص لهذه المواقع ومثيلاتها لا يمكنه معرفة هويتها ولا من يديرها، وهذا أدعى للشك بلا ريب.











قرآن فوبيا

QURAN PHOBIA

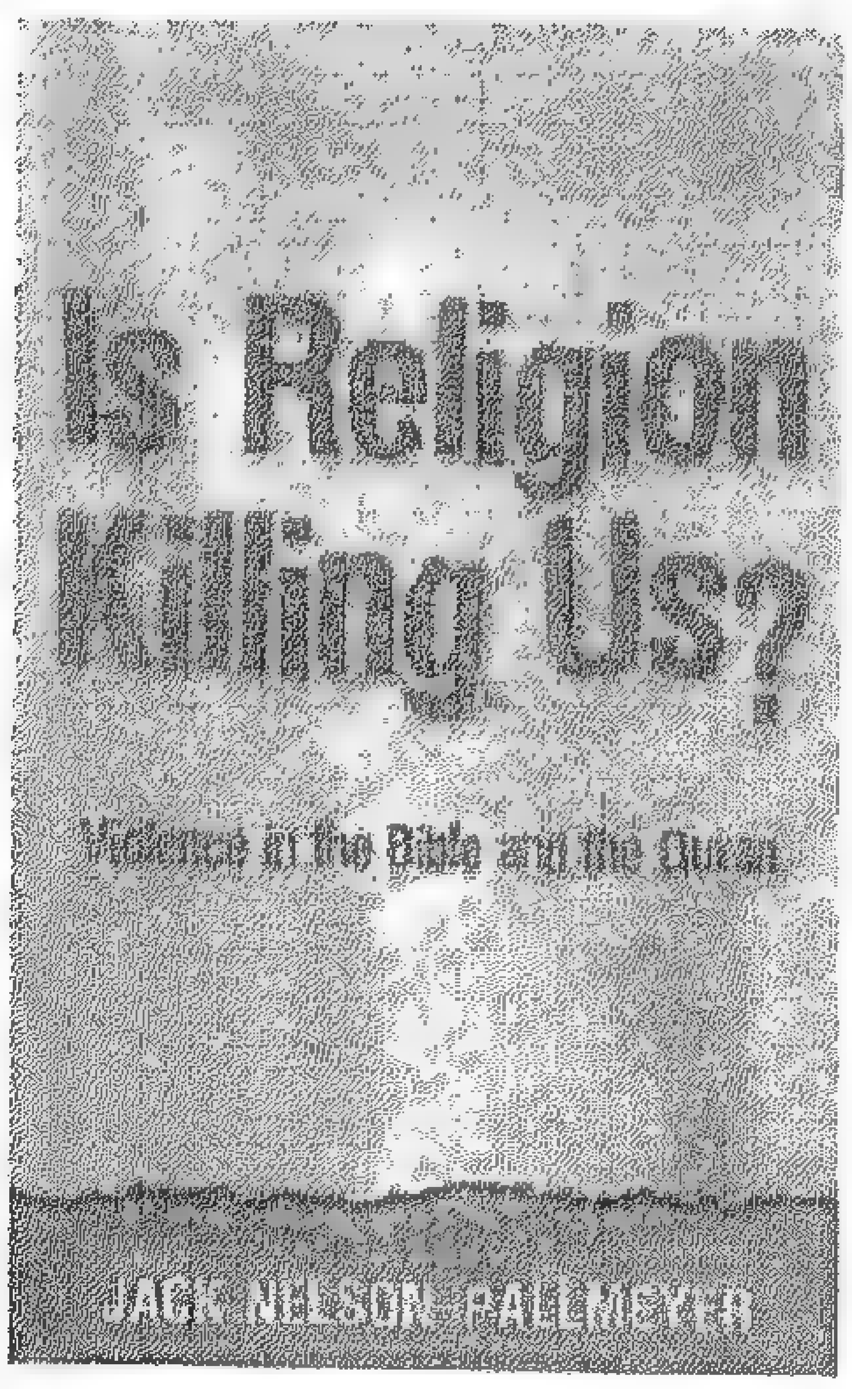
في العقدين الأخيرين من القرن الماضي تسارعت الأحداث والوقائع في محاربة الإسلام والغارة على القرآن الكريم، ولم تتوقف آلة المطابع الجهنمية في الغرب عن إصدار الكتب والنشرات التي تمعن في الإساءة للقرآن، وللتخويف منه، حتى يبدو في أعين غير المسلمين وكأنه لعنة شيطانية ما مسّت أحداً ونجا. وأضحت هذه الحملة تشكّل ظاهرة فريدة في العصر الحديث، حيث لم يشهد التاريخ مطلقاً غارات متكررة وبكل الأساليب على كتابٍ من الكتب، مقدّس أو غير مقدس، سماوي أو وثني على حدّ سواء غير القرآن.

وهذه الظاهرة جديرة بالبحث والتقييم بلا ريب.

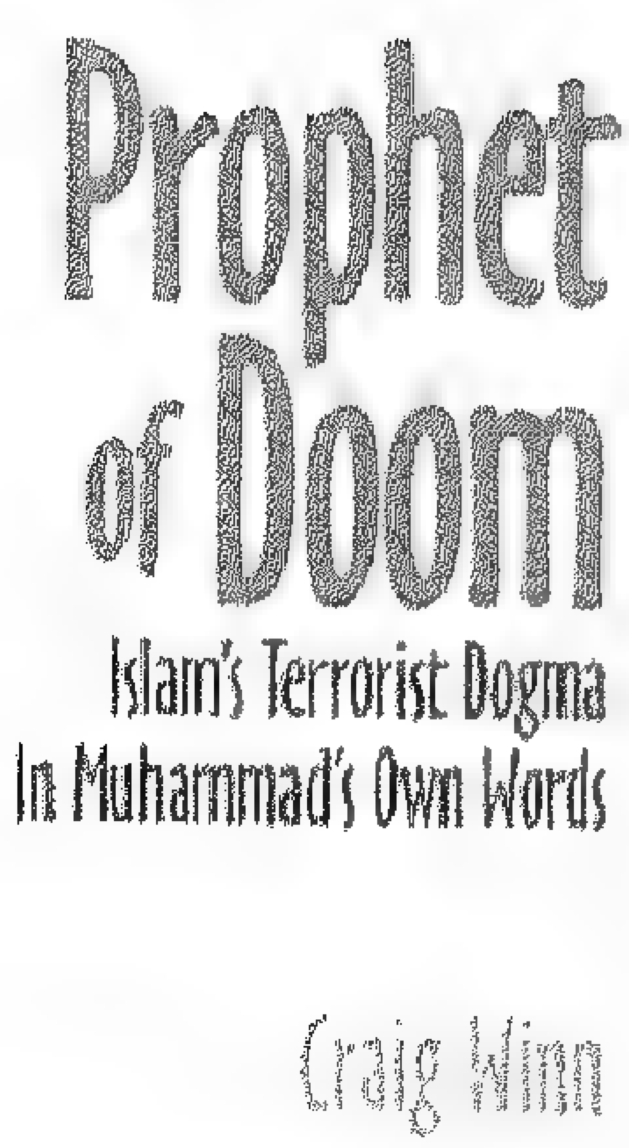
والقاسم المشترك بين هذه التآليف وصم القرآن بأنه منبع التطرف والإرهاب، وأنه كتاب يدعو إلى الموت والقتل وسفك الدماء.



هل الإسلام تهديد عالمي



هل الدين يدعو إلى قتلنا؟



نبي الموت

وقد أصبح الاستخفاف بالقرآن مادّة مثيرة، ومشجعة للربح. ولعلّ العناوين التي تتصدر صفحات تلك الكتب تحقق لمؤلفيها وناشريها هدفين في وقت واحد. أولاً : منع غير المسلمين من التأثر بالقرآن والإسلام، لا سيما وقد أحدثت ظاهرة التحوّل إلى الإسلام في الغرب وأمريكا قلقاً في نفوس الساسة وصداعاً في رؤوس اللاهوتيين، وثانياً : تحقيق ربح سريع من بيع هذه الكتب التي يتلهّف الناس لقراءتها بعامل الإثارة والكذب والافتراء، مع الإخراج الفني المثير لها، كأن يجعل فوق المصحف سيفاً أو بندقية، وما شابه ذلك.

ومن العناوين المثيرة، والتي تهاجم في داخلها القرآن باعتباره (مانيفست الإرهاب والعنف)، وقمع الحريات الشخصية، وإهانة المرء كتاب:

(هل الإسلام المتعصّب تهديد عالمي:

Is Fanatic Islam a Global Threat?

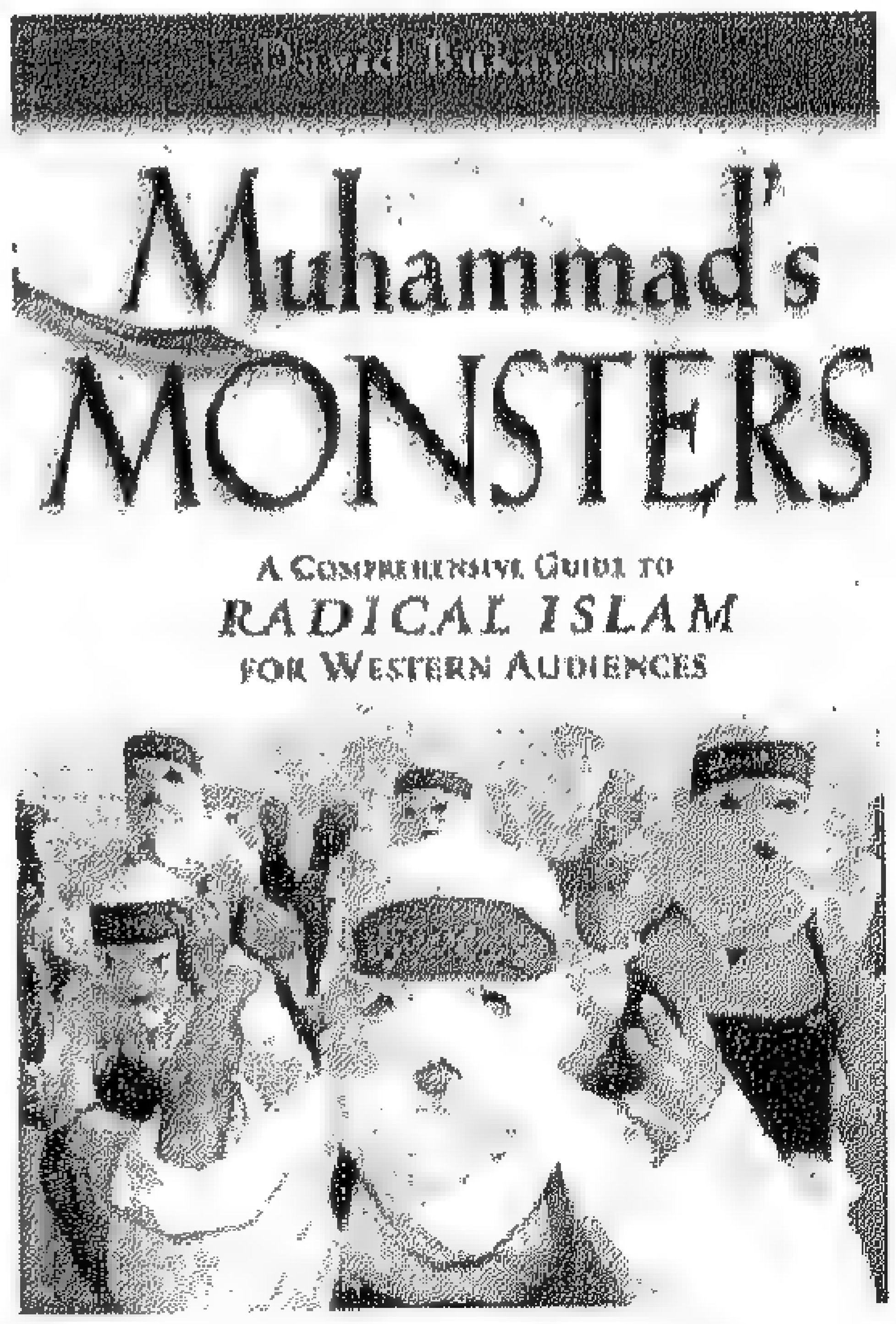
وكتاب : هل الدين يدعو إلى قتلنا ؟

Is Releigion Killing Us?

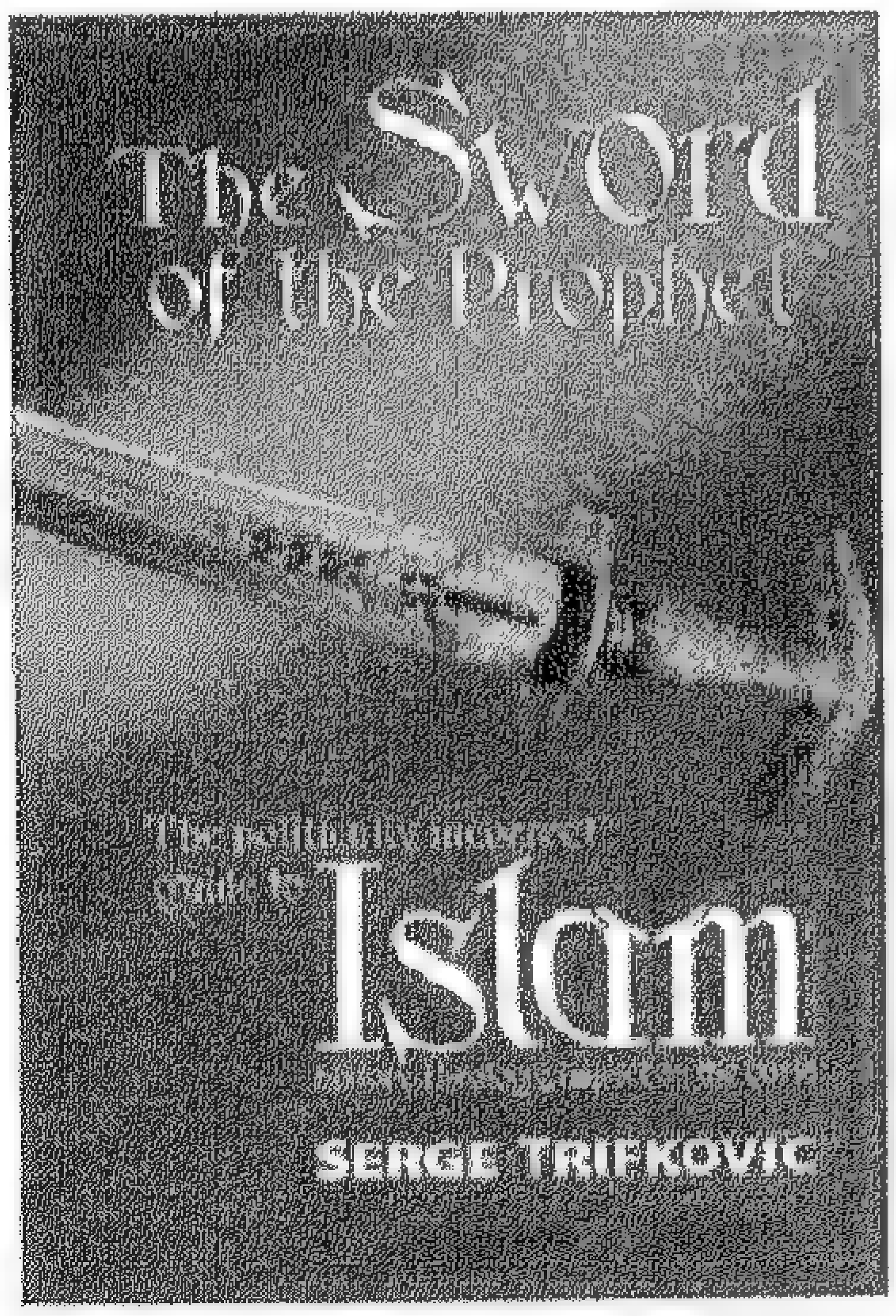
والدين المقصود هنا، بلا ريب، الإسلام، أو بالأحرى القرآن الذي يستمد منه الإسلام تعاليمه ومرجعيته، ومن تلك العناوين الرديئة كتاب (نبي الموت) أو الشر Prophet of Doom وهو يحمل أيضاً عنواناً فرعياً هو (العقيدة الإرهابية للإسلام مأخوذة من فم محمد).

ومنها كتاب (وحوش محمد) Monsters Muhammad's

ومن العناوين التي تروّج للقرآن فوبيا كتاب (سيف النبي) The Sword of the Prophet.



وحوش محمد



سيف محمد

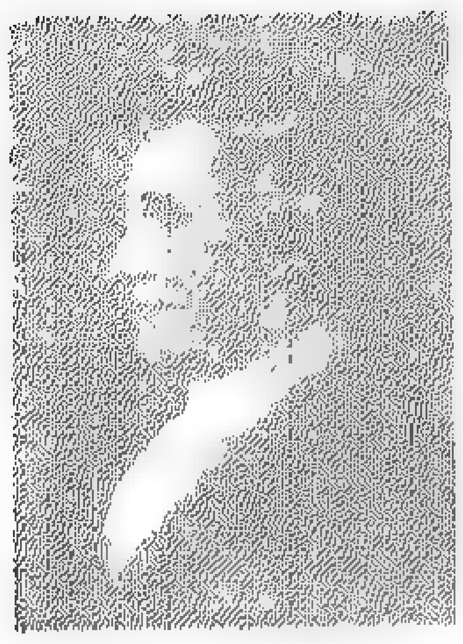


تدنيس القرآن!!

لم يكن المرء ليصدّق ما قيل من تدنيس للمصحف الشريف بطرق تنمّ عن انحطاطٍ وبلادة لولا أن شاهده بأم عينيه في أشرطة خرجت، ولا ندري كيف خرجت من معتقلات رهيبة لا تذكّر إلا بمحاكم التفتيش. ولا ينتابنا شك أن أشرطة الفيديو هذه التي تروج على المواقع وتصوّر جنوداً أمريكيين يبولون على المصحف، أو يضعونه في المرحاض، أو يضرمون فيه النيران، أو يجعلونه هدفاً للرماية هي جزء مخطط ومرسوم من الغارة الكبرى على القرآن. ولكن فات هؤلاء أن التحليل النفسي لمثل هذا السلوك يقرر أنّ هذا العمل يخفي وراءه عقلاً مريضاً، أو فشلاً ذريعاً، ولا يخلو الحال من الأمرين معاً.

المنصفون من الغرب والقرآن

شهادات غربية منصفة في حق القرآن



جوته

❖ يقول المستشرق آرثر آربري : «عندما أستمع إلى القرآن يتلى بالعربية، فكأنما أستمع إلى نبضات قلبي» نقلاً عن (حتى الملائكة تسأل) د.جيفري لانغ (206).

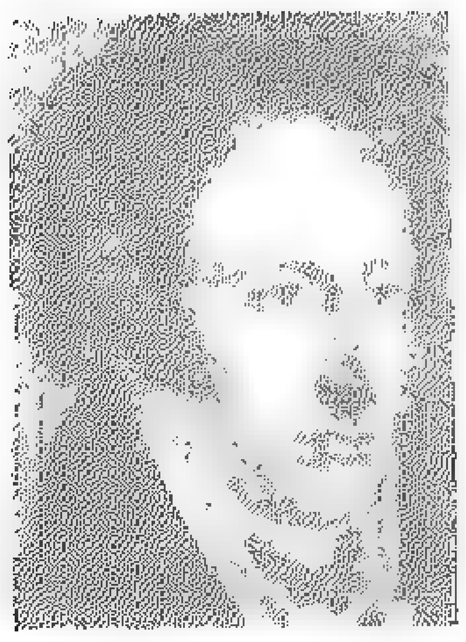
❖ ويقول جوته : «إن أسلوب القرآن محكم سام مثير للدهشة ... فالقرآن كتاب الكتب، وإني أعتقد هذا كما يعتقده كل مسلم ... وأنا كلما قرأت القرآن شعرت أن روحي تهتز داخل جسمي ». ولما بلغ جوته السبعين من عمره أعلن على الملأ أنه يعتزم أن يحتفل في خشوع بليلة القدر التي أنزل فيها القرآن على النبي محمد..

وفي يوم أبصر جوته ريشة طاووس بين صفحات القرآن فهتف: «مرحباً بك في هذا المكان المقدس، أغلى كنز في الأرض».

وفي ديوانه (الديوان الشرقي للشاعر الغربي) يقول جوته : «هاجر إلى الشرق في طهره وصفائه، حيث الطهر والصدق والنقاء، ولتتلقى كلمة الحق منزلة من الله بلسان أهل الأرض».

«القرآن ليس كلام البشر، فإذا أنكرنا كونه من الله، فمعناه أننا اعتبرنا محمداً هو الإله !» .

نقلاً عن (جوته والعالم العربي) كاتارينا مومزن (177-188-261).



فون هامر

❖ ويقول المستشرق (فون هامر) في مقدمة ترجمته للقرآن : «القرآن ليس دستور الإسلام فحسب، وإنما هو ذروة البيان العربي، وأسلوب القرآن المدهش يشهد على أن القرآن هو وحي من الله، وأن محمداً قد نشر سلطانه بإعجاز الخطاب، فالكلمة لم يكن من الممكن أن تكون ثمرة قريحة بشرية ..القرآن وحي من الله، لا يحده زمان، ومتضمن للحقيقة المركزة ».

نقلاً عن د. بول شفارتسنا في كتابه (القرآن ـ دليل المسيحيين) نقلاً عن (يوميات مسلم ألماني) د. مراد هوفمان(122).

❖ وتقول المستشرقة الألمانية أنا ماريا شميل، في مقدمتها لكتاب (الإسلام كبديل) لمراد هوفمان:

«القرآن هو كلمة الله، موحاة بلسان عربي مبين، وترجمته لن تتجاوز المستوى السطحي، فمن ذا الذي يستطيع تصوير جمال كلمة الله بأي لغة !؟» .


SUNAMI DISASTER



أطفال المالديف يرسمون لـ (التواصل) ذكرياتهم عن

تسونامي

إعداد: محمد أحمد زمياط(**)

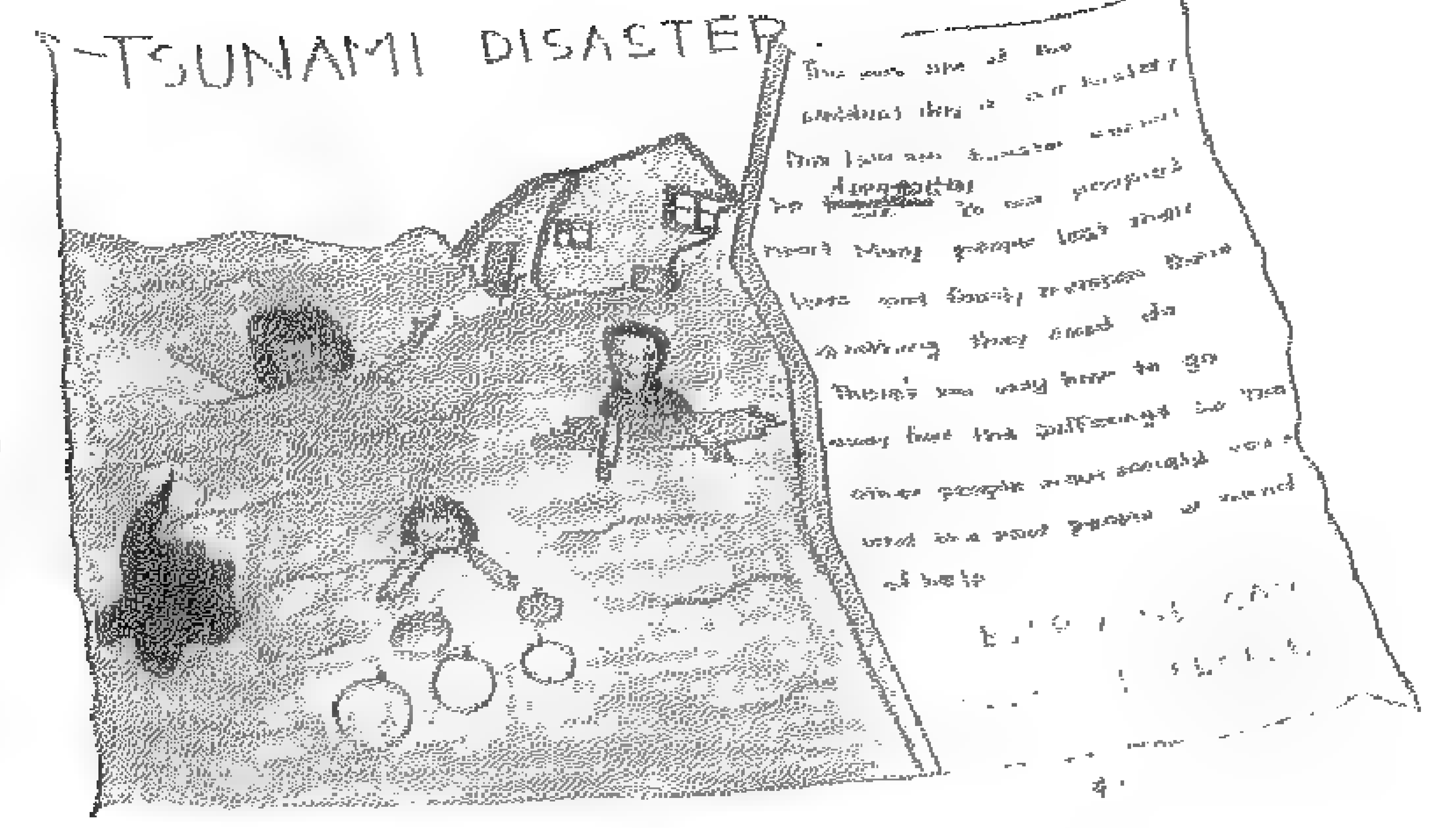
(*) [illegible] جمعية [illegible] الإسلامية [illegible] في المالديف

(**) الرسوم والصور خاصة بمجلة التواصل



اقترحت إدارة تحرير المجلة تنظيم هذه الفعالية بين عدد من تلامذة المدرسة العربية الإسلامية في المالديف وقد قام مندوب جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في المالديف بالترتيبات والمتابعة لهذا النشاط الإبداعي..



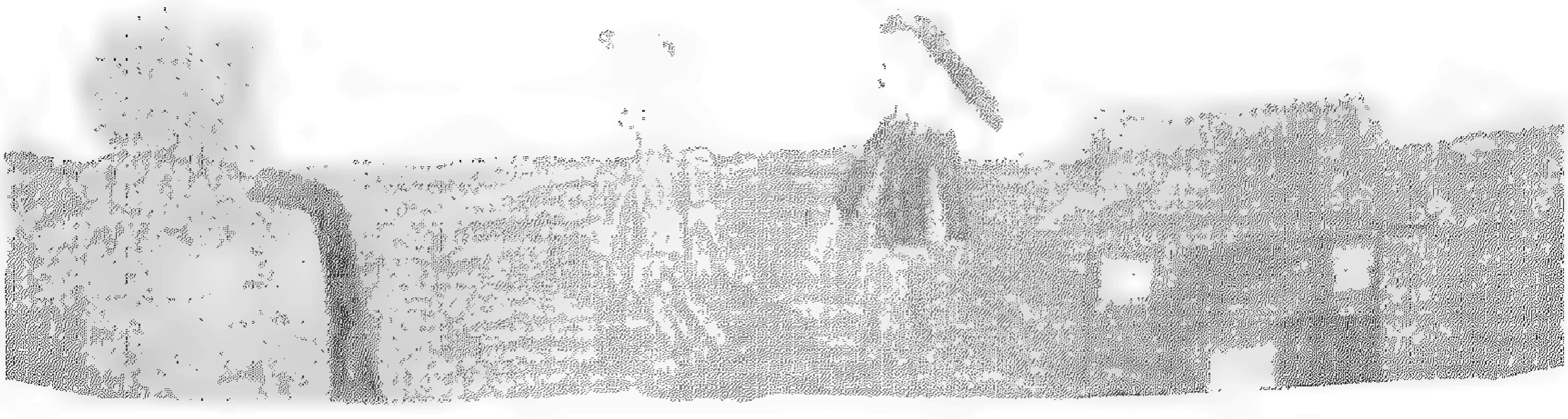


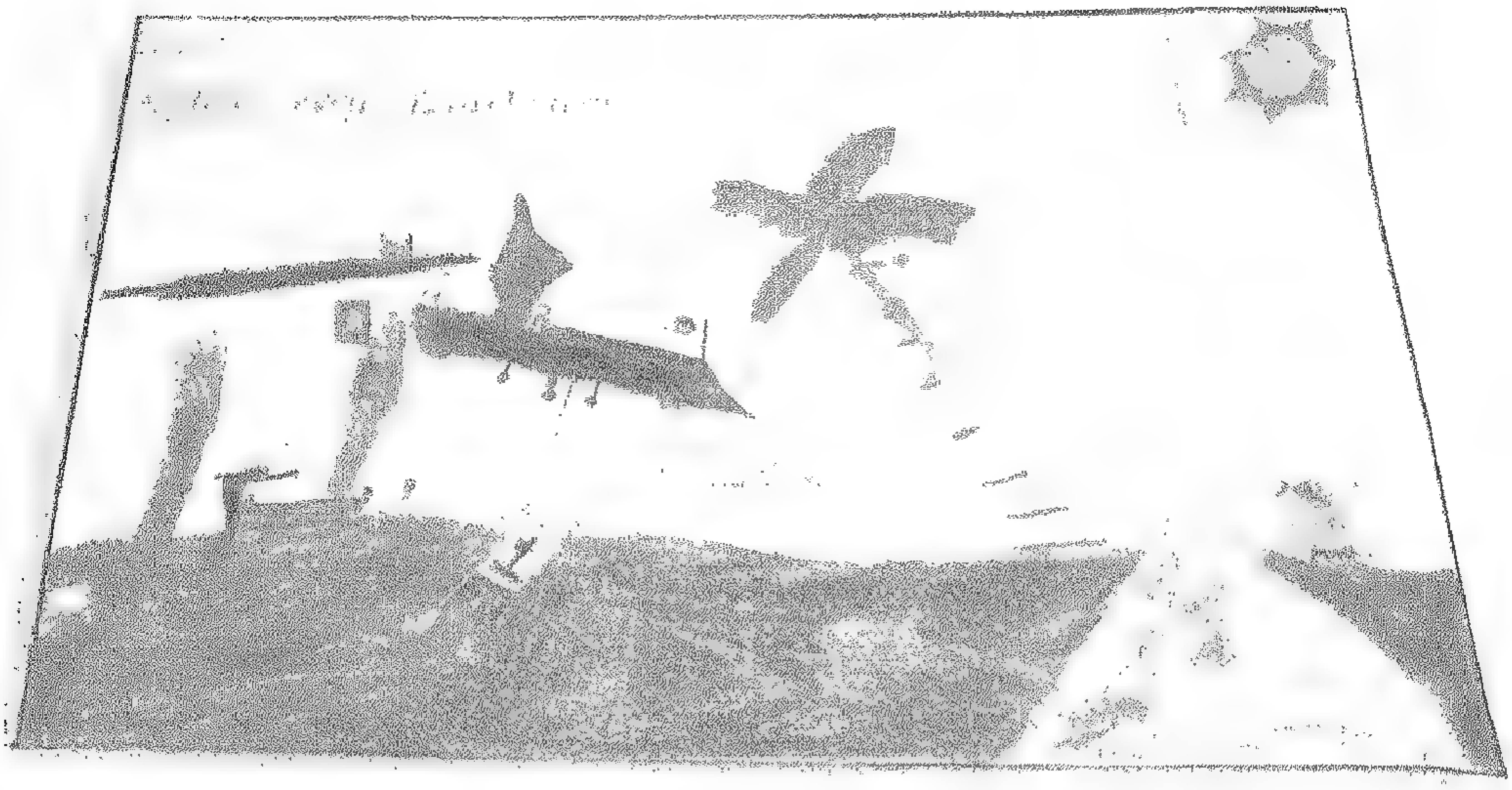
ينقضي عام ونيف على الزلزال الذي ضرب بقوة تسع درجات بمقياس ريختر في يوم 26 من شهر الكانون /ديسمبر 2004 مسيحي مساحات واسعة من الجُزر والمدن والقرى قبالة ساحل إقليم أتشيه بجزيرة سومطرة شمال إندونسيا. كان الزلزال بعدما تحول إلى أمواج تسونامي هائلة في تدافعها انتقل شمالاً في سرعة البرق إلى جزر إندامان بالمحيط الهندي، ليحصد أرواح الآلاف في سيريلانكا وتايلاند وإندونسيا والهند وجزر المالديف، مقوضاً منتجعات ساحلية، كانت العديد من شواطئ البلدان والجزر تزدان بها في تلك المناطق، على امتداد السواحل ما بين قارتي آسيا وإفريقيا، يُشَدُّ إليها الرحال من مجموعات سياحية من أرجاء المعمورة. في ذلك اليوم كانت أنفاس العالم قد احتبست، فمع أمواج التسونامي كانت مجاميع الوفود السياحية بلغت الحد الأقصى من الكثافة، بما يعنيه ذلك من خسائر فادحة في أسواق وبورصات السياحة الدولية.

الإنسان أمام الكوارث الطبيعية

تكاتفت أجهزة رصد الكوارث فى العالم لتؤكد أن عدد الضحايا قد بلغ خلال ساعات 150 ألفاً في ثلاث أو أربع من الدول. وأن هناك نحو 13 ألف طفل يتيم، أصبحوا بين عشية وضحاها - مع الأسف - معرضين للبيع !!

لقد كانت حوادث مفجعة حقاً، أدمت قلوب ملايين البشر في العالم أجمع وهم يتابعون دقائق أخبارها، ويشاهدون تفاصيل أحداثها المؤلمة أولاً بأول، عبر الشاشات الصغيرة، الأرضية منها والفضائية، لتكون النذير الذي أيقظ الجوانب الإنسانية في النفس البشرية، فانطلقت قوافل الإغاثة، وتسابقت الدول للتعبير عن التضامن والمواساة، وإعطاء الوعود للدول المتضررة، وكما كنا نشاهد سارعت المؤسسات الخيرية وبعض الدول إلى نجدة المتضررين، كانت الوعود التي ترسل على أعِنَّتها تملأ مسامعنا من أولئك الذين وجدوا في مصائب الآخرين الفرصة لتلميع صورتهم





القائمة علهم يفلحون، وقد أفلحوا في تخفيف شدة الكراهية والمقت اللذين يتزاحمان في قلوب الملايين من أبناء الشعوب المكلومة من ظلمهم وجبروتهم وصلفهم...

مظهر فطري أن تحرك هذه المصيبة مكامن الخير في النفس الإنسانية، وتوقظ فيها معاني الرحمة مما أحيا الأمل بأن الإنسان آب إلى رشده، بعد أن أيقن بأنه المخلوق العاجز أمام طغيان الكوارث الطبيعية المدمرة، وسواء كان يصنف ضمن من يوصفون بالشعوب النامية، أو كان ممن يعرفون بالعالم المتحضر، فسيظل عاجزًا تمامًا أمام تلك الكوارث، وكان أحدثها إعصاري (كاترين) و(ريتا) وزلزال كشمير وباكستان وما أحدثه من دمار ليس عنا ببعيد.

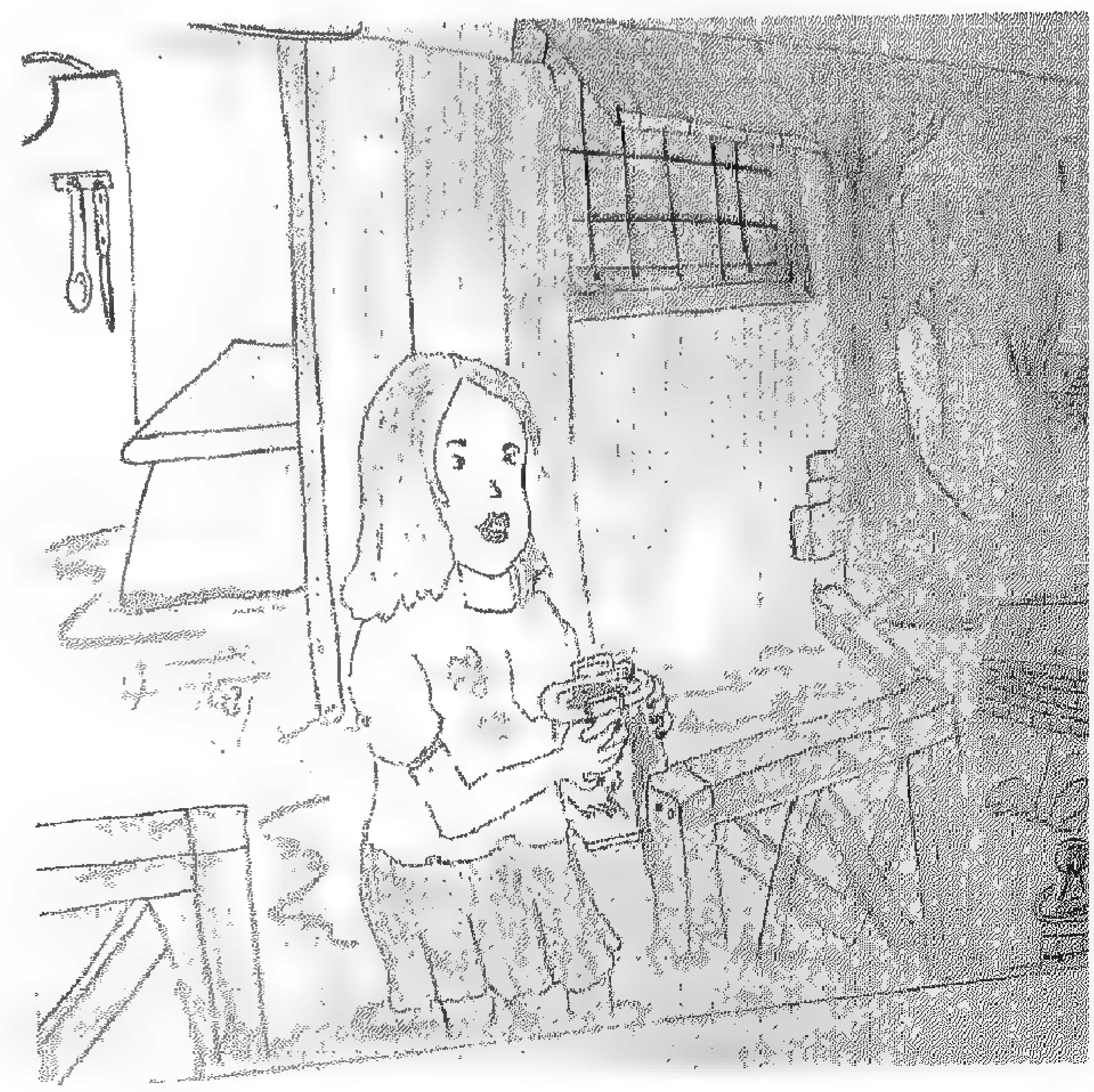
ولكن يبدو أن هذه المدة الوجيزة التي باعدت بيننا وبين شبح هذه الكارثة كانت كفيلة بإخماد جذوة تلك العاطفة الجياشة، وإضعاف حماس ذلكم التضامن النادر، وشح عطاء هذا البذل السخي، بل وتحول الاهتمام والمواساة إلى فتور وعدم اكتراث، بما يؤكد نظرة من يرى أن الأيام كفيلة بأن تنسينا الأتراح مهما اشتدت وطأتها، وان ما سمي الإنسان إنسانا إلا لنسيه، وأن كل الأشياء تنشأ صغيرة ثم تكبر، إلا المصائب، فإنها تنشأ كبيرة ثم تصغر !.. ولكن أليس مما لا مراء فيه أن الإنسان ترافقه ذكريات آلام



وأتـراح مصـائبـه حتـى تبقـى هـذه المصائب مخزونة في ذاكرته، ليتخذ منها العبرة، ويستمد منها العزم، فهي إذاً لا تصـغـر وإنما الـذي يصـغـر هـو الشعور بها ممن لا يصيبه كِفْلٌ منها، ولـذا فـإذا كانت ذاكرتنـا قـد نسيت أو تنـاسـت وقـع كـارثـة هـذا الـطـوفـان التسونامي، بالرغم من تلك التغطية الإعلامية المتميزة، التي ظلت تلاحق أحداثها ليل نهار، وتتبارى في ساحتها فضائيات وأرضيات العالم التي لم تترك شاردة ولا واردة من أخبارها، سواء المؤلم منها أو الطريف، إلا وتتبعته لحظة بلحظة، مع دراسة وتحليل وتنبؤات حول الظاهرة الطبيعية التي تسببت في هذه الكارثة، شارك فيها أشهر الباحثين المتخصصين، ومراكز البحوث والدراسات المعروفة ليعيش المشاهد في أجوائها بين الخوف والرجاء ؛ والأمل واليأس...

الأطفال هم الأقدر..

إذا كانت ذاكرتنا نسيت كل ذلك، فإن الشعوب التي داهمتها هذه المصيبة لم تنس وقائعها، ولا تزال





ذكرياتها الأليمة محفورة في ذاكرتها، وإنك لا تجد عناءً في أن تقرأ مآسيها المحزنة على تقاسيم وجوه أبنائها وهم يروون لك هول ما شاهدوه، وقد يستطيع الكبار أن يداروا ما يبدو على وجوههم من خوف ووجل، تجلدا وصبرًا، وأن يخفوا بعض ما قاسوه تطميناً لأبنائهم، وتثبيتا لروعهم، ولكن الأطفال الذين رسخت ذكرياتها المؤلمة في أذهانهم الصافية، وارتسمت آثارها الجارحة على صفحات محيا وجوههم النضرة البريئة، هم الأقدر على الحفاظ على تلك الذكريات المفجعة في رحلة أطول، ولأجيال أبعد.

ونحن نذكر خلال ساعات وأيام الكارثة كيف تسابق المصورون لالتقاط صورة يحرزون بها قصب السبق الصحفي، وتلك التقارير الإخبارية التي أشادت بعدد من المصورين الهواة المغمورين، أسعفهم الحظ لالتقاط صور نادرة لاندلاع هذه الكارثة في مناطق مختلفة، ولكن رغم ما وفرته التقنية الحديثة من إمكانات لهذه الصور جعلتها تجسد بوضوح ودقة أهوالها، فإنها لا ترتقي إلى تجسيد المشاعر وتصوير الأحاسيس والتعبير عن مخزون الذاكرة من مشاهد هذه الكارثة، كما عبرت عنها لوحات رسوم إبداعية سكب على أديمها أطفالٌ من إحدى الدول التي غمرها هذا الطوفان المدمر مخزون ذاكرتهم، ومكنون مشاعرهم وأحاسيسهم، في رسوم بسيطة، نرى أنها ـ وإن كانت تنقصها الدقة والمهارة الفنية ـ تعبر بفطرة وعفوية عن مشاهد حية، عاشها هؤلاء الأطفال وأحسوها، كما أن هذه اللوحات تجسد بصدق ما خلفته



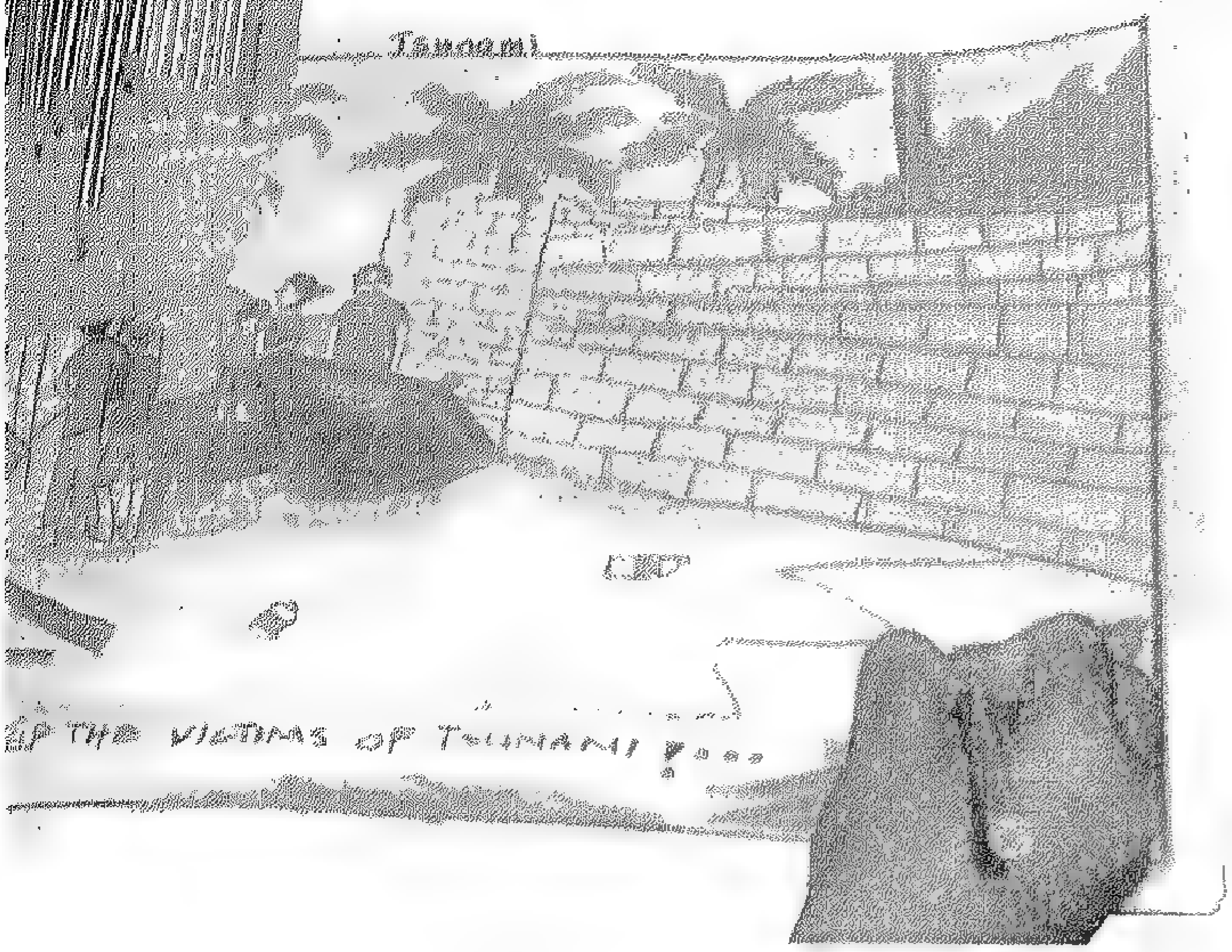
هذه الكارثة في أعماق ووجدان هؤلاء، وما تراكم في نفوسهم من آثار اجتماعية.

الإبداع .. لا اليتم..

هؤلاء البراعم الغضة الذين تتراوح أعمارهم ما بين سبع وعشر سنوات هم من تلاميذ المدرسة العربية الإسلامية بماليه، عاصمة جمهورية المالديف، التي غمر هذا الطوفان معظم جزرها المئة والثمانية والتسعين الأهلة بالسكان، فدمر منها، حسب المصادر الرسمية: 14 جزيرة بالكامل، وشرد ثلث سكانها، إنهم بنجاتهم مرتين: الأولى من موت محقق ضمن الذين حصدتهم الكارثة من ذويهم، والثانية بما توفر لهم من رعاية من الله والعاملين بالإغاثة، فلم تصل إليهم شبكات اصطياد وقنص أطفال تسونامي، نقول إن هؤلاء الأطفال ـ وبينهم يتامى كثر ـ استطاعوا مواجهة هذه المصائب الجسام بالإبداع الفني، بدلاً من البكاء والعويل على الأطلال !!

استطاع هؤلاء الأطفال أن يعبروا بوضوح في لوحات عُرضت في معرض لرسوم الأطفال حول هذه الكارثة اقترحته مجلة التواصل ونظمته المدرسة العربية الإسلامية في إطار نشاطها الفني بالتعاون مع مكتب جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بالمالديف.





تلقائية التعبير

لقد جسدت هذه اللوحات في تلقائية وعفوية وبراءة طفولية نادرة الضربات الزلزالية الأولى في أعماق المحيط.. و تفجرالأمواج العاتية.. وهي تعلو وتندفع.. وتعطي أشكالاً متعددة.. من الأطفال من يراها على شكل سمك القرش فاغرا فكيه.. ومنهم من يتصور حصادها المدمر وهي تنطلق لتحطم كل شيء في طريقها.. تهدم البيوت.. تقتلع الأشجار.. تجرف الأرض.. تلاحق الفارين أمامها.. وأكثر من ذلك استطاع تلاميذ المدرسة العربية الإسلامية بماليه عاصمة جمهورية المالديف أن يطبعوا الذعر والوجل على وجوه الفارين وهم يأوون إلى المرتفعات، ويتسلقون الأشجار علّها تعصمهم من الماء، بل وتمكنوا من التعبير عن الجوانب الإنسانية الرائعة المتمثلة في الشفقة والرحمة والعطف والايثار ومد يد العون في رسوم تعبيرية مؤثرة تتمثل الأمهات والآباء وهم يحملون أولادهم، والأقوياء وهم يساعدون الضعفاء والآمنين وهم يمدون الأسباب ليتعلق بها الغرقى.

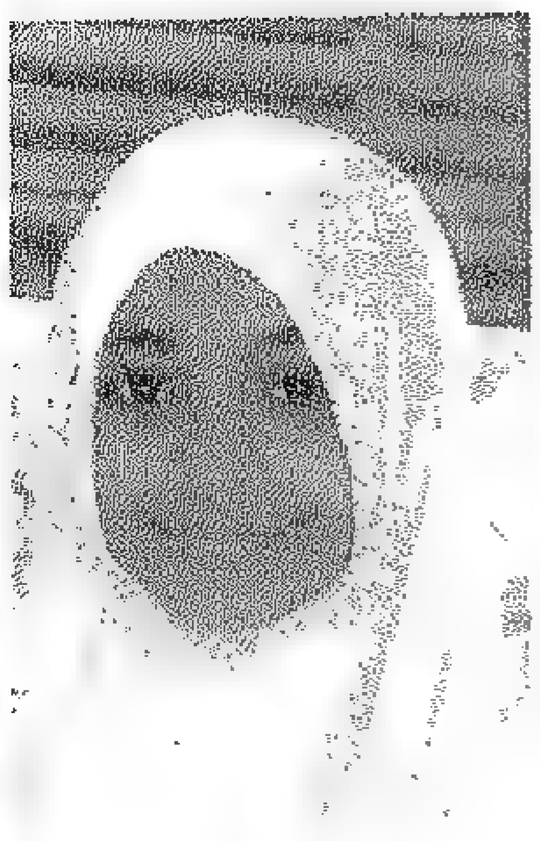
العاطفة الدينية

وتتجلى باللوحات العاطفة الدينية في أسمى معانيها، مؤكدة تشبع هؤلاء الأطفال منذ نعومة أظفارهم بروح الإيمان، وأن الإسلام هو دين الفطرة التي يولد عليها الإنسان، تتجلي هذه العاطفة في تلك اللوحة التي تبدى مبنىً وحيدًا ظل شامخًا أمام هذه الأمواج المدمرة، ترتفع مئذنته شامخة بين أنقاض مباني الحي المكوَّمة، إنه مبنى لأحد المساجد بإحدى الجزر المدمرة.

إننا لم نُرد من إثارة هذا الموضوع تقليب المواجع، وإنما أردنا تمكين القارئ من رؤية أحداث هذه الكارثة من خلال عيون الأطفال ومشاعر الأطفال






وأنامل الأطفال، وأي أطفال هؤلاء!! إنهم الأطفال الذين عايشوا أحداثها، وذاقوا مرارة مصائبها، ولا نعتقد أن هناك من يعبّر عنها بأكثر صراحة وصدقًا وعفوية وحرية منهم، وهذا ما نلحظه في هذه اللوحات وفي انطباعات بعض الأطفال الذين عايشوا هذه الكارثة.

لقد خفتت أصداء كارثة التسونامي. ولكن آثارها المادية والمعنوية لاتزال ماثلة تذكر الناس بها، وإذا كانت الإمكانات المتواضعة للدول المتضررة والمساعدات الأكثر تواضعًا قد دشنت إعادة البناء فإن الطريق إلى اكتماله لا يزال طويلاً جدًا، ومواصلته في حاجة إلى دعم أكبر وأكبر.

التسونامي في أذهان الأطفال

وإذا كان ما جسدته أنامل هذه البراعم الغضة أبلغ دليل على ما انطبع في مشاعرهم من إحساس بالخوف، وما عانوه من اضطراب نفسي، فإن ما عبّروا عنه وهم يرون هول ما عايشوه في تلك اللحظات المرعبة في أقوالهم التالية يقف بنا على ملامح ما خلّفته هذه الكارثة في وجدانهم ومشاعرهم.

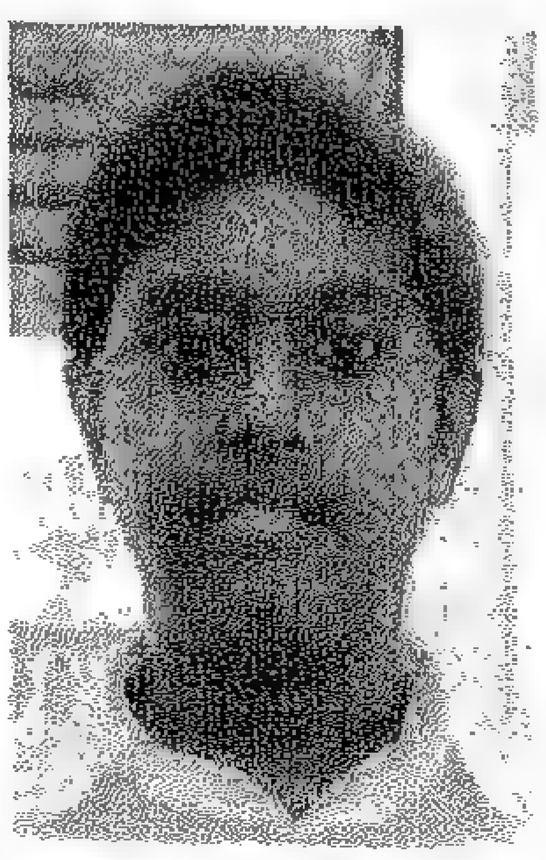
يقول أحد التلاميذ : لقد شعرت بخوف شديد وأنا

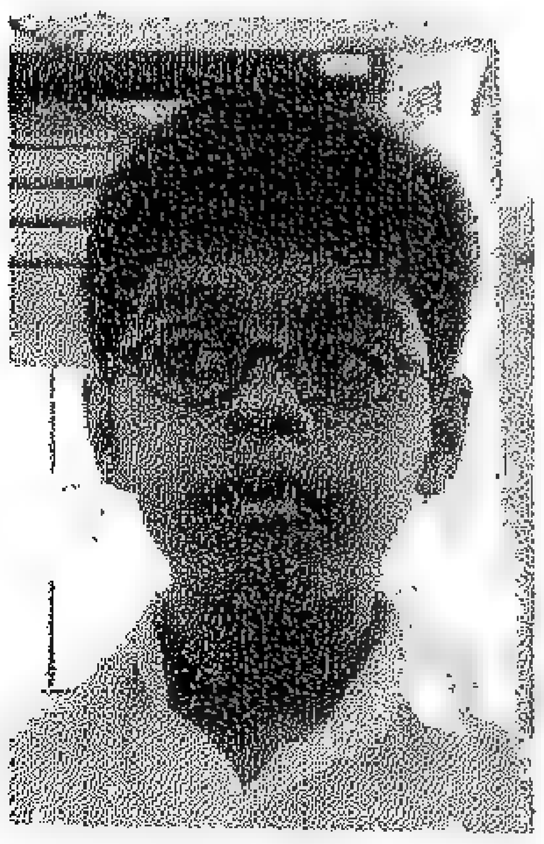


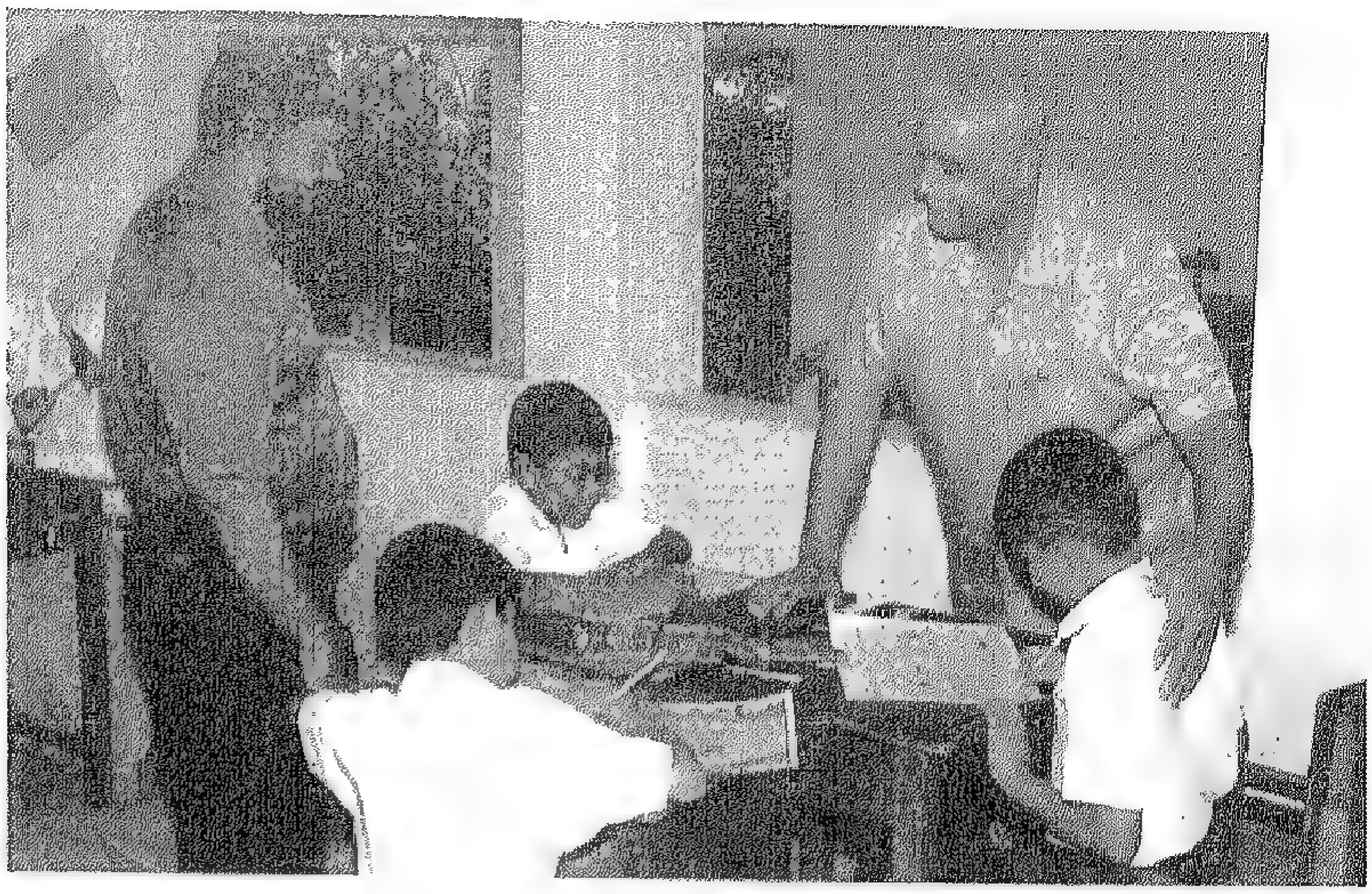
أشاهد الأمواج تعلو، والمياه الكثيرة تندفع بسرعة لتطوق بيتنا، وتدمر بعض جدرانه، وازداد خوفي عندما رأيت الناس يسرعون ليتسلقوا الأشجار هربًا من الماء وهم يتنادون ويتصايحون مرعوبين.

وهذا تلميذ آخر يقول: عندما خرجتُ من البيت رأيت أمواج البحر ترتفع إلى مستوى لم أشاهده من قبل، وتندفع نحو الشاطئ بسرعة، فغمرت شواطئ جزيرتنا لتملأ الشوارع وتحيط بالبيوت، ولقد أصبت بذهول عندما رأيت الناس يجرون إلى أماكن أعلى طلبًا للسلامة.. إنني اعتقد أن هذه الكارثة ابتلاء من الله عز وجل، وعلينا التذرع بالصبر، والدعاء إلى الله أن يخفف علينا آثار هذه المحنة.





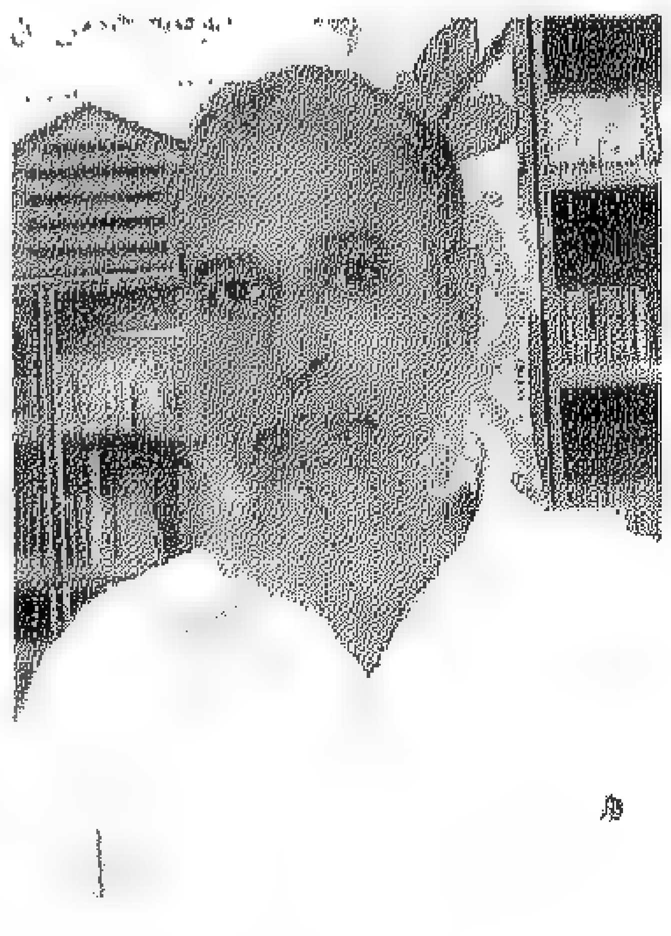


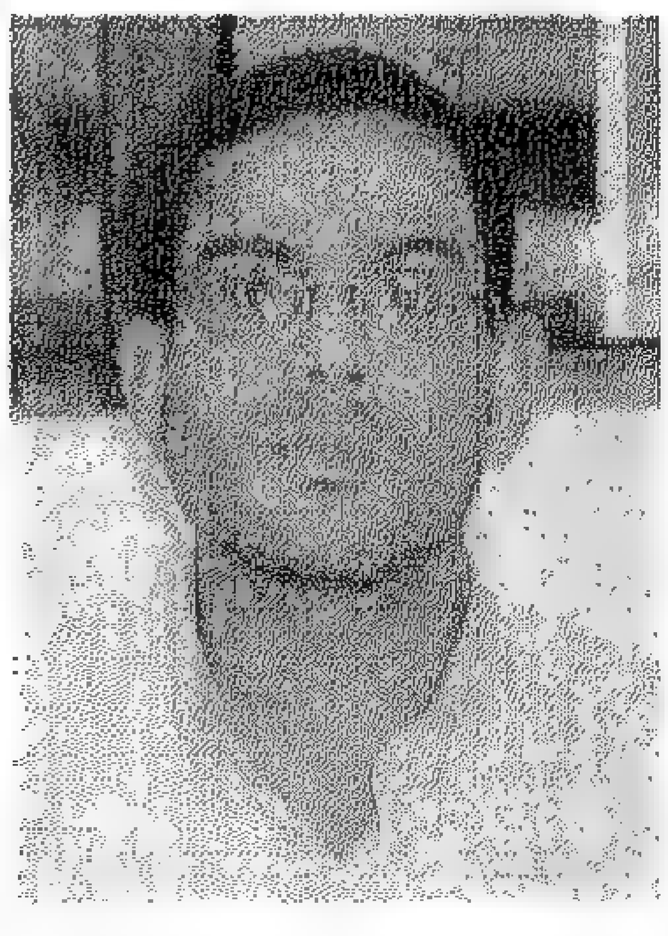


معد المعرض والاستطلاع (يمين)
مع بعض الأطفال
ونائب مدير المدرسة (يسار)

وقالت تلميذة: لقد فوجئت بالناس يجرون هنا وهناك في خوف وهلع، فانزعجت وانتابني الخوف، وأنا أقف مشدوهة محتارة متسائلة: ماذا يجري من حولي؟ حتى شاهدت مياه الأمواج العاتية تندفع في شوارع جزيرتنا تطارد الناس الذين أخذوا يصعدون الأشجار وأسقف البيوت وهم يدعون الله ويتضرعون إليه أن ينجيهم من هذه الكارثة...

وتقول تلميذة أخرى: لقد تملكني خوف شديد وأنا أشاهد الأمواج التي تندفع بشدة، تقتلع الأشجار وتحطم البيوت القديمة، وتجرف معها الأثاث وسقوف البيوت، ومنها أثاثنا وبيتنا.. فشعرت بأن هذه نهاية الدنيا.. ولا تزال صورة الناس وهم يهرعون إلى أسقف البيوت التي لم تسقط وإلى الأشجار هربًا من الماء، وأمي تجرني مع إخوتي من يدي ماثلة في ذهني





بعض مدرسي المدرسة العربية الإسلامية

ويملؤني الخوف كلما أتذكرها.

ولقد زاد من خوفي وفزعي فقدان العديد من أبناء جزيرتنا، ومن بينهم بعض أقربائي - رحمهم الله - لقد استمر معي الشعور بالخوف أيامًا، ولكن الآن توازنت نفسي، وهدأ روعي، وتذرعت بالصبر الجميل، وأمي وأبي دائمًا يقولون لي: لا شك أن هذه الكارثة خطيرة، ولها تأثيرها السلبي على النفوس والمجتمع ولكننا كمؤمنين مقتنعون بأنه ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [سورة التوبة: الآية 51]

آثار كارثة التسونامي كما شخصها المدرسون

لا شك أن كارثة (التسونامي) أحدثت بعض الآثار السلبية في المجتمع المالديفي، وخاصة بين شريحة الأطفال الذين عايشوا أحداثها المؤلمة، ولكي نقف على أبعاد هذه الآثار من ناحية التوازن النفسي والاستقرار الاجتماعي والمستوى التحصيلي لدى الأطفال استطلعنا آراء بعض أساتذة المدرسة العربية الإسلامية، فأكدوا أنهم لمسوا خلال هذه الكارثة آثاراً سلبية على التلاميذ، سواء من الناحية النفسية والاجتماعية أو من الناحية التربوية والتعليمية :

ففي الجانب النفسي لاحظنا أنه نتيجة لهول الكارثة وشدة الصدمة ملأ الأطفال الخوف والرعب، وسادهم الاضطراب، وعدم الاطمئنان، وفقد بعضهم



توازنه النفسي، ففي الأيام الأولى للكارثة كثيرًا ما كنا نشاهد الأطفال يبكون عندما يتذكرون ذلك اليوم الذي يصفونه بأنه أخوف يوم في حياتهم، أو عندما يسمعون صوتًا مزعجًا يظنونه (التسونامي)، ولكن الآن حدث لهم بعض التوازن النفسي، وقلت هذه المشاهد.

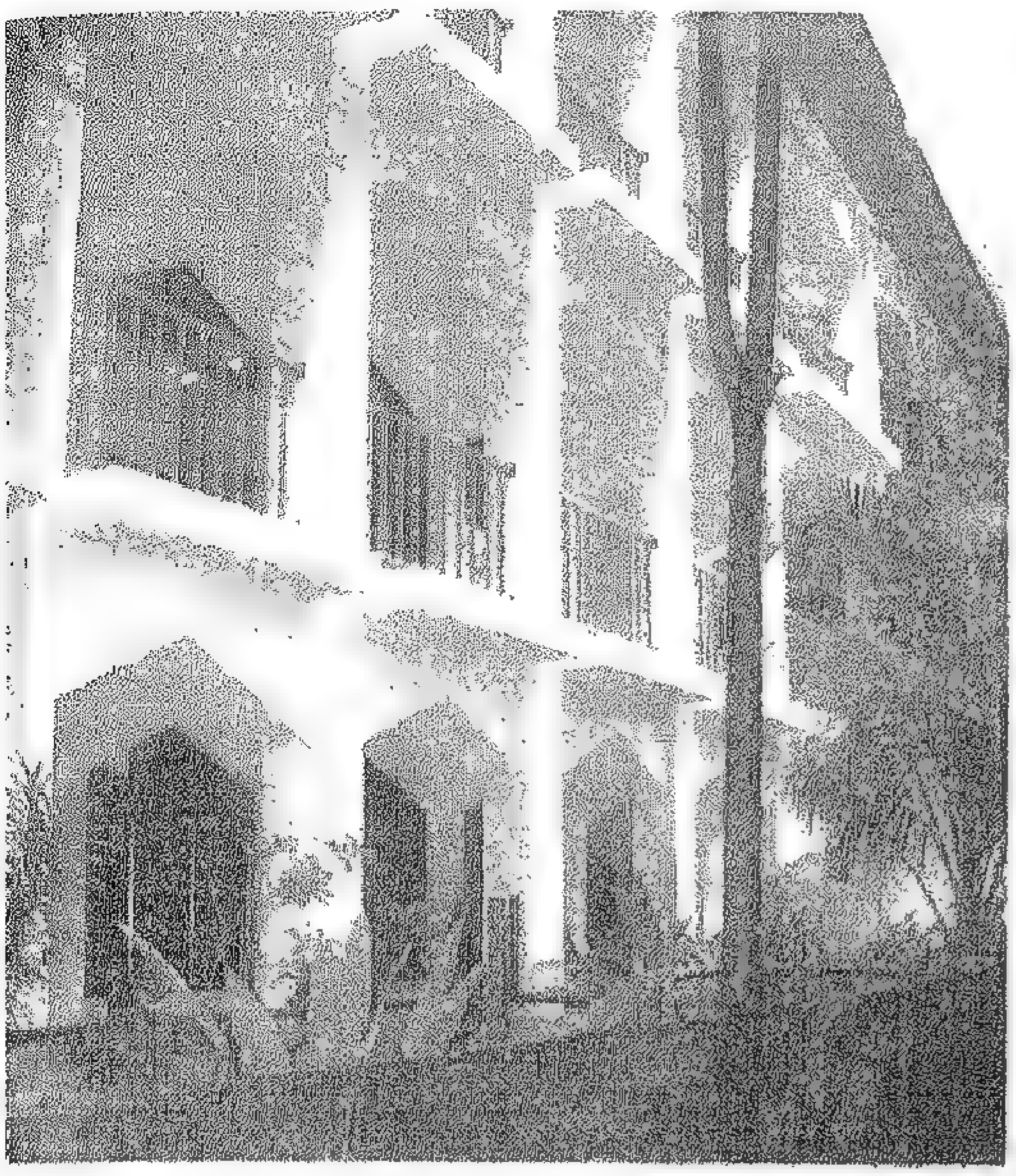
ومن الناحية الاجتماعية أثرت هذه الكارثة تأثيرًا سلبيًا على الاستقرار الاجتماعي في بعض الجزر المالديفية، حيث اضطرت بعض الأسر إلى مغادرة جزرهم المدمرة إلى جزر أخرى، وسكنوا الخيام والبيوت المؤقتة، فتفرق الأقارب، وتباعد الأصدقاء في أماكن مختلفة، ناهيك عن ما أصابهم من نقص في الأنفس والأموال، ما أدى إلى اليتم والفقر، وتدني الاقتصاد، وتفكك الأسر وعدم استقرارها.

وفي الجانب التعليمي فإنه من خلال المقارنة بين معدل المستوى التحصيلي لدى التلاميذ قبل الكارثة بمعدله فيما بعدها، وجدنا فرقًا في تحصيلهم العلمي الذي تدنّى بشكل ملحوظ، وخاصة في الفصل الدراسي الأول، ولا شك أن ذلك يرجع إلى الآثار النفسية والاجتماعية السيئة التي أحدثتها هذه الكارثة، حيث أسهمت في مضاعفة شرود وذهول التلاميذ وهم يسترجعون الذكريات المزعجة، كما عجز بعض أولياء الأمورعن توفير المتطلبات المدرسية لأبنائهم بسبب ضياع أموالهم وممتلكاتهم، وأنّى لهم أن يوفروها وقد صاروا عاجزين حتى عن تقديم لقمة العيش لهم !!.

ولكن مع ذلك ينبغي ألا نغض الطرف عما قدّمته هذه الكارثة من دروس تطبيقية لبناء الطفل الجلْد، الذي يستطيع أن يواجه كوارث الطبيعية، والقوي الإيمان والعقيدة، الذي أيقن بأن الله هو المتصرف في ملكوت السماوات والأرض، وأنه ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [سورة التوبة: الآية 51] ، كما نمّت في نفوس الأطفال الشعور بأن المجتمع المسلم كالجسد الواحد، وغرست فيهم فضيلة التضامن والتكافل من خلال ما شاهدوه وعايشوه من تعاضد منقطع النظير أظهره الشعب المالديفي أثناء تعرضه لهذه الكارثة.

قدّم الشيخ محمد رشيد إبراهيم رشيد نائب مدير عام المدرسة نبذة عنها قال فيها:

تأسست المدرسة العربية الإسلامية سنة 1987 مسيحي حيث افتتحها الرئيس مأمون عبد القيوم رئيس جمهورية المالديف يوم 8 النوار (فبراير) سنة 1987 مسيحي، وهي من المدارس التي ساهمت الجماهيرية العظمى في إنشائها دعماً للجهود التي تبذلها حكومة المالديف لنشر الثقافة الإسلامية والعربية في البلاد.



نظام الدراسة:

تقوم المدرسة بتدريس العلوم المتعلقة بالدين الإسلامي واللغة العربية بمختلف فنونها، إضافة إلى اللغة المحلية (الديفيهية) واللغة الانجليزية.

وتشتمل المدرسة على المرحلتين، الابتدائية: ومدتها ست سنوات، والإعدادية: ومدتها ثلاث سنوات، وهي تلتزم باللوائح والنظم الدراسية المطبقة بوزارة التربية والتعليم المالديفية، وتطبق في تدريس اللغة العربية والدين الإسلامي المنهج المقرر في المدارس والمعاهد الأزهرية، وفي تدريس اللغتين الانجليزية والمحلية تطبق منهج وزارة التربية والتعليم المالديفية.

كما تقوم المدرسة بتدريس مبادئ علم الحاسوب ابتداءً من الصف الأول الابتدائي.

تطور المدرسة:

عند افتتاحها بدأت المدرسة بفصل إعدادي واحد، وفي هذه السنة 2005 مسيحي وصل عدد الطلاب إلى 385 طالباً وطالبة، كما بدأت بستة مدرسين، ووصل عددهم في هذه السنة إلى 42 مدرسًا ومدرسة، أغلبهم وطنيون والبقية من مصر والسودان والهند وسري لانكا.

وتوجد بالمدرسة العربية مكتبة تضم مجموعة من الكتب، وقصص الأطفال، باللغات العربية والانجليزية والديفيهية، وتساهم جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في إثراء هذه المكتبة بمجموعات من الكتب والمراجع..





تقارير

- أطفال كوسوفو .. والحبل المتين الذي يجمع المسلمين في العالم كله
- مسابقة واعتصموا النسائية العالمية الأولى لحفظ القرآن الكريم

أطفال كوسوفو..

والحبل المتين الذي يجمع المسلمين في العالم كله

إعداد: محمد عبد السلام شاهين*

أشاد المركز الألباني للفكر والحضارة الإسلامية بالمساعدات التي قدمتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لأطفال كوسوفو، وهي المساعدات التي تم تخصيصها لدورات تحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية للأجيال الصاعدة من الشعب الألباني، حيث استفاد من الدورة المئات من الأطفال والشباب من الجنسين .

من المعروف أن المركز الألباني للفكر والحضارة الإسلامية الذي يتولي رئاسته الدكتور رامز مصطفي زكاي يعد من المنظمات الإسلامية المشهود لها بالمصداقية في منطقة البلقان، ويعمل علي ترسيخ القيم الثقافية الإسلامية والحفاظ علي الخصوصية الألبانية والبلقانية، واجتذاب جيل الشباب الذي تُقدم له عروضٌ وإغراءات هائلة من المؤسسات المعادية للإسلام، استثمارا واستغلالاً لآثار الحرب الطاحنة وجرائم التطهير العرقي التي نكب بها المسلمون الألبان، مع غيرهم في دول ومناطق الجوار الألباني وخاصة في البوسنة والهرسك.

وفي مستهل إشادته أوضح المركز، أن الدعم المقدم من الجمعية لتفعيل مناشطه الدعوية تم توجيهه في أحسن ما يمكن الاستفادة منه : إنجازاً للمشاريع الخاصة بالجيل الجديد ولاسيما الأطفال، وتعريفهم بأمور دينهم الحنيف، والتركيز على دورات تحفيظ القرآن الكريم، مع الاهتمام بشكل خاص ببرامج تعليم اللغة العربية التي تعتبر الحبل المتين الذي يجمع المسلمين في العالم كله.

شعار المركز الألباني

وقد قام المركز بتشكيل لجان من المتخصصين وتسمية عدد من الدعاة، ممن يعملون تحت إشرافه في ألبانيا وكوسوفا، لتنفيذ البرامج والإشراف على الدورات وكان من بين هؤلاء الداعية الألباني الأخ آدم آدمي الذي يقدم نموذجا فريدا للداعية المسلم في بلاده فهو يعمل دون تعب ولا انقطاع مع تلاميذه وطلبته لا يتركهم للتيارات التي تستهدف زعزعة معتقداتهم الإسلامية، يرافقهم سواء في المدارس أو المسكن ويرى في ذلك واجباً إسلامياً، فالمسؤولية عن أطفال المسلمين تتزايد بالنسبة

---

* صحفي وكاتب مصري / ليبيا
* الصور خاصة بمجلة التواصل



التركيز على دورات تحفيظ القرآن الكريم



الاهتمام ببرامج تعليم اللغة العربية

للداعية، خاصة في المناطق والبلدان المستهدفة أكثر من غيرها لمخططات معادية، حيث تأتي ألبانيا على رأس القائمة، فلا تزال البنى التحتية لمرافق البلاد مدمرة كلياً في بعض المدن والقرى، بما فيها من شبكات للمياه والكهرباء، ومراكز ومؤسسات اقتصادية وثقافية، ومعاهد ومدارس ومساجد أضرمت فيها النيران وهي أوضاع وأجواء تدفع بمنظمات مشبوهة إلى مضاعفة أنشطتها، وبالمقابل تفرض تلك الأوضاع والأجواء على اللجان والدعاة مزيداً من الجهد والعطاء، حيث أصبح دور المدرسة لا يكفي لتربية وتحصين أطفال كوسوفو حسب الأخلاق الإسلامية السليمة، التي تحميهم من مخاطر تتهددهم وتتهدد عقيدتهم، خاصة وأن المدارس في منطقة البلقان علمانية، وتخلو المناهج الدراسية من الفكر والعقائد الدينية، ولعل هذا الواقع - بالإضافة إلى الالتزام المبدئي بالقيم الإسلامية - هو الذي دفع المركز الألباني للفكر والحضارة الإسلامية إلى طلب المساعدات والتنسيق مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، لتنفيذ البرامج المتاحة لدى المركز، وغيرها من البرامج الأكثر تقدماً.

وتقضي البرامج المتاحة تعليم الأطفال ما يسمى في ألبانيا بعلم الحال، وهو منهج دراسي يتضمن المعارف الأولية للطفل الصغير، وتعليم الأحرف العربية وتحفيظ القرآن الكريم، ويستمر برنامج علم الحال هذا طوال السنة الدراسية، على أساس تشغيل خمس دورات، وهو نظام يتيح اشتراك الجنسين من بنين وبنات، وتستهدف الدورات الخمس تمكين جميع الدارسين والدارسات من تعلم مبادئ الإسلام وحفظ سور من القرآن الكريم مع التعوّد على تلاوته، وجرى توفير المصاحف والكتب، والوسائل الإيضاحية المناسبة لإنجاح البرنامج، طبقاً لما هو مقرر.

حفل الافتتاح

ومع بداية النشاط جرى توزيع استمارات البيانات في كل مكان على أولياء الأمور تشرح برامج تنظيم دورات مكثفة في مجال التربية الإسلامية وتحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية، وكان تعميم الاستمارات ضرورياً لتكون الخطة واضحة لدى التلاميذ وأولياء الأمور.

وفي هذه المرحلة شاركت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في الإعداد، وقد استمر التسجيل خمسة عشر يوماً، وبلغ عدد المتقدمين للدورات مائة وأربعين

تلميذاً، تبنت جمعية المرأة الألبانية الثقافية من بينهم ثمانين تلميذة، وهي أعداد تعتبر قياسية عندما يؤخذ في الاعتبار أن هذا النشاط في برامجه المتطورة لم يكن مألوفاً في تلك البلاد من قبل، ولذلك اقتضت ضرورة اجتذاب المزيد من المنتسبين والمنتسبات للدورات تنظيم حفل افتتاح مناسب، بعدما تم بنجاح التغلب على العديد من المصاعب، مثل إيجاد المقر المناسب للدروس والدورات.

وحضر الحفل المسجلون بالدورة من الجنسين برفقة أسرهم، وهيئة الموظفين بالمركز الألباني للفكر والحضارة الإسلامية، وآخرون من المتعاونين مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية من المفكرين والباحثين، وألقيت بالحفل كلمات الإشادة بالتعاون البناء مابين الجمعية والمركز في خدمة الإسلام، ونشر اللغة العربية التي توصف في ألبانيا بالحبل المتين وإنها حقاً كذلك : لغة القرآن الكريم.

متابعة الدورات

وفي متابعة للدورات لوحظ اهتمام جميع الأطفال بالدروس، وكان هناك حرص من أولياء الأمور على انتظام أبنائهم وحضورهم في الأوقات المحددة للحضور، ولم يتخلف أحد ممن تم تسجيلهم من الجنسين.

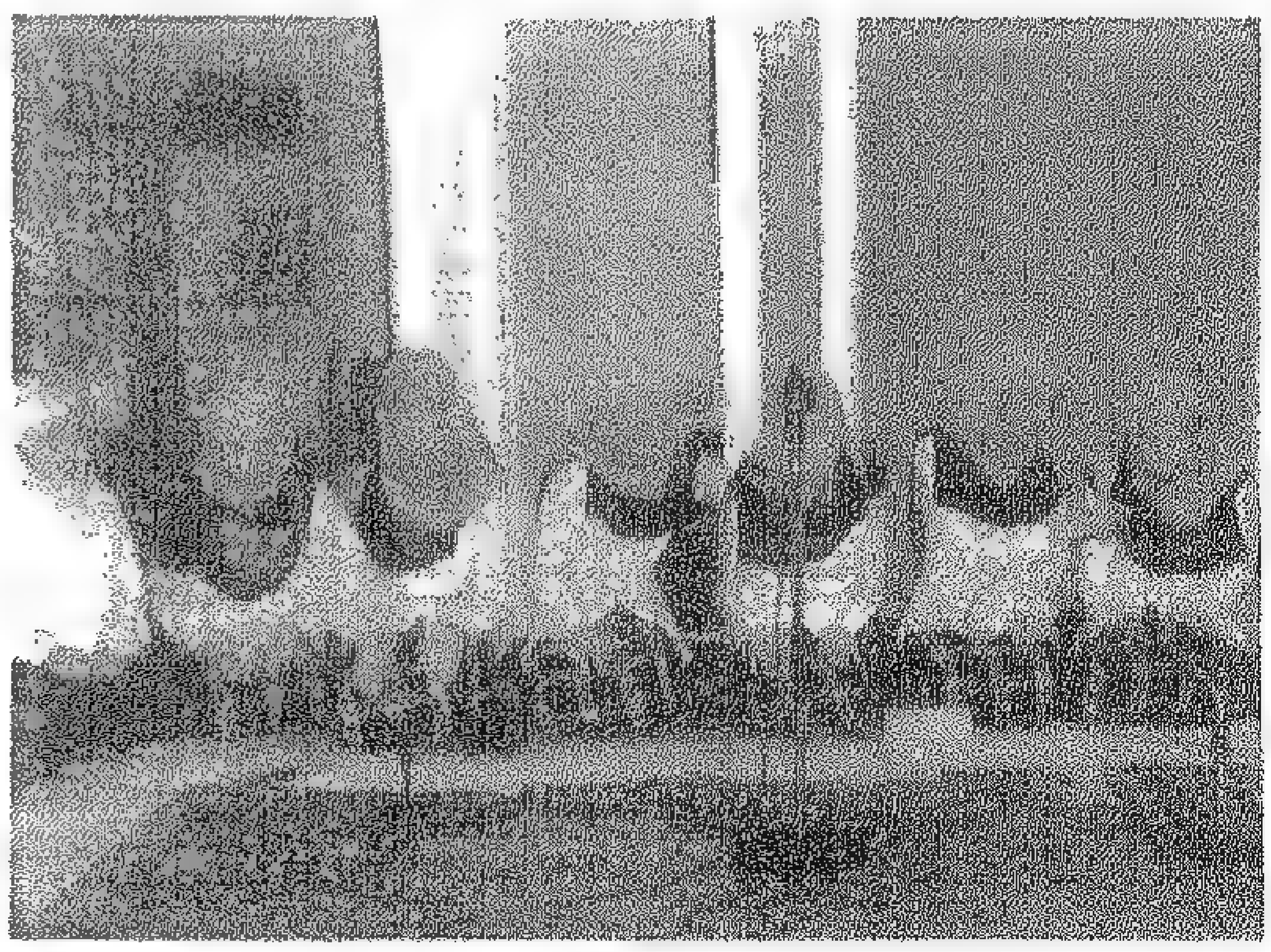
في البداية تم شرح بعض الدروس لتعريف الأطفال بالأمور البديهية والمبادئ الأولية للإسلام، مثل أركان الإسلام.. كيف نقدم ديننا للآخرين.. كما تعلم الأطفال في فترة وجيزة عددا من الأدعية المختلفة ومنها دعاء المسلم بعد تناول الطعام بلغة عربية مع لغته الألبانية.. وقائع ومشاهد كثيرة من سيرة الرسول ﷺ، وفي هذا السياق تشارك إحدى الأخوات الألبانيات -وهي أستاذة متخصصة في الفقه الإسلامي- بتقديم دروس دينية للطالبات وتشمل هذه الدروس واجبات ومسؤوليات المرأة المسلمة، وكيف تربي الأبناء، وتعامل الزوج، وتتفاعل مع الجيران، وكان لهذه الدروس



الحبل المتين الذي يجمع المسلمين في العالم كله



الالتزام المبدئي بالقيم الإسلامية



دروس في واجبات ومسؤوليات المرأة المسلمة

والنصائح مردود إيجابي بين الأسر والعائلات الألبانية، وتقول الأخت المعلمة «إن ذلك يبشر بالخير» ونحن نحمد الله تعالى، فقد لاقت هذه النصائح اهتماماً خاصاً من قبل المشتركات بالدورات اللواتي وعدن بأن يمارسنها في حياتهن اليومية، وعندما تكون التربية والقيم الإسلامية أساساً للأسرة، فإن المجتمع بأسره يكون مجتمعاً صالحاً.

إنجازات مهمة في برامج اللغة العربية

ومع الاهتمام المتزايد من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمركز الألباني للفكر والحضارة الإسلامية بالعمل على تطوير أساليب تعليم اللغة العربية، وخاصة بالنسبة للمسلمين من غير الناطقين بها، جرى تطبيق برنامج جديد مع أطفال ألبانيا الملتحقين بالدورات، وخلال فترة قصيرة نسبياً، تحققت إنجازاتٍ مهمة في برامج اللغة العربية، حيث تمكن هؤلاء من استيعاب الكثير من القواعد واستخدام مفردات اللغة العربية الصحيحة، ومن بين تلك الاستخدامات على سبيل المثال :

❖ معرفة وكتابة الأبجدية العربية.

❖ قراءة الجمل والفقرات القصيرة والنطق السليم بها.

❖ معرفة استخدام العربية في وصف المشاهد الطبيعية والمقارنة بين مواصفات مختلفة.

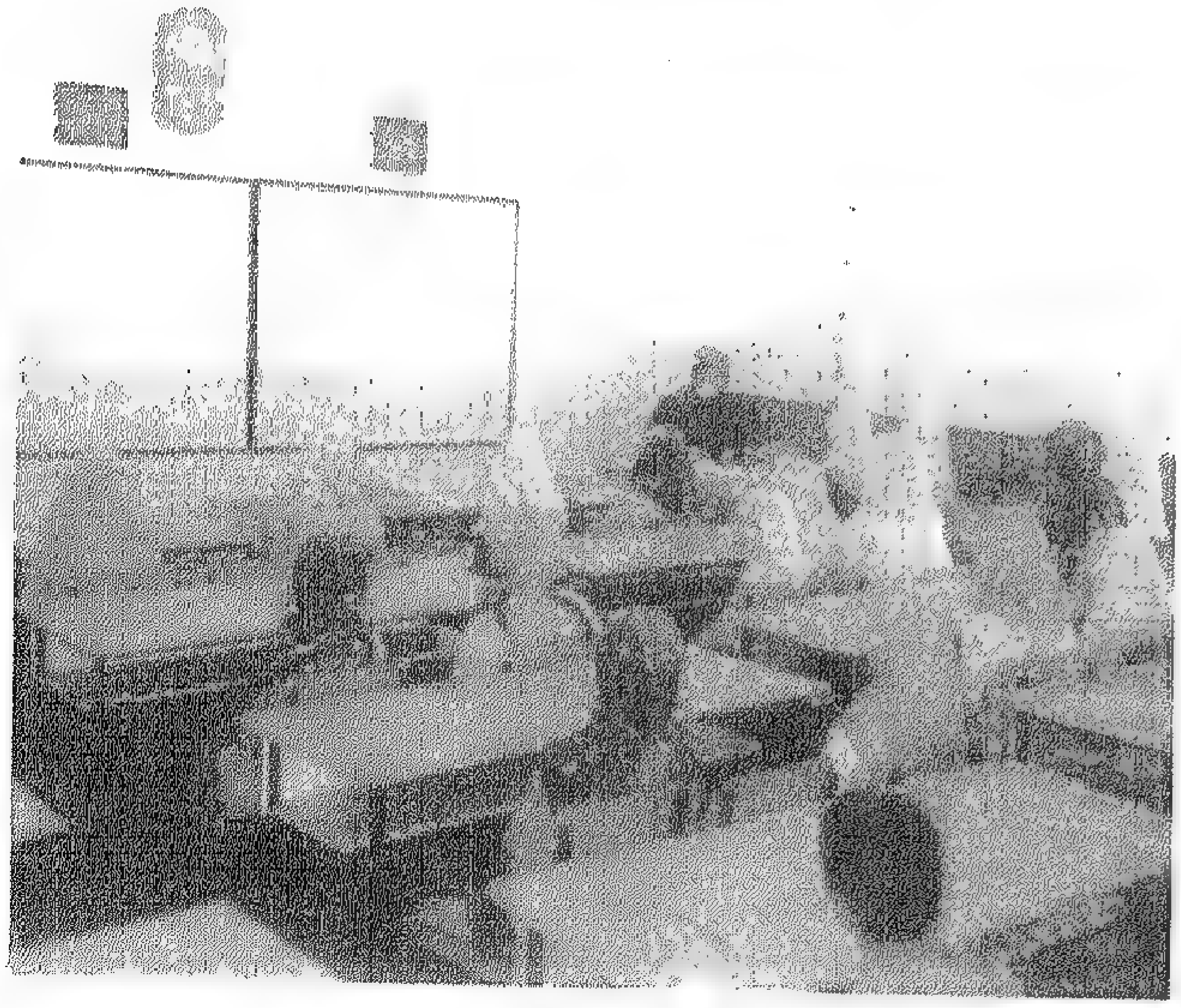
❖ تعلم كيفية استخدام حروف الجر.

❖ تلقين الدارسين والدارسات المأثورات والحِكَمْ وترسيخها لديهم.

من ناحية أخرى، استحدث أيضا في مرحلة تعليم اللغة العربية شكل جديد، يقوم على الحوار بين المعلم والمتلقين، مع توسيع دائرته ليضم أولياء الأمور وأمهات الأطفال، ولقد أوجد ذلك جواً دافئاً ومشجعاً وكان الأطفال - بحضور ذويهم - يميلون أكثر للاستيعاب، ومحاولة التفوق بالتنافس مع الزملاء والزميلات، كما



دراسة وحفظ القرآن الكريم



فصل دراسي للغة العربية

يعمد المعلمون إلى قصر الأحاديث المتداولة، ما بين الدارسين والدارسات وأولياء الأمور على اللغة العربية الفصحى، ويستعان في ذلك بالعديد من وسائل الإيضاح، ومن بينها الأشرطة المختلفة، الخاصة ببرامج تعليم اللغة العربية.

الرحلات الدعوية

تشكل الرحلات الدعوية التي ينظمها المركز الألباني للفكر والحضارة الإسلامية لمنتسبيه من الجنسين أهمية كبيرة للعملية الدعوية، التي تعتمد في تفعيلها على دعم أواصر الأخوة الإسلامية بين المنتسبين وممارسة الرياضة وتنظيم حلقات الحوار والنقاش في الهواء الطلق وبين أحضان الطبيعة، حيث المساحات الشاسعة من الغابات والأحراش، فتكون هذه الرحلات امتدادا وتواصلاً بين التلميذ وأستاذه، وتطبيقاً لدروس المخاطبة باللغة العربية، كما تتيح الرحلات زيارات ميدانية للمصانع على مختلف إنتاجها، وتفقد معارض الكتاب الدائمة والموسمية، ومع حلول أوقات الصلاة خلال القيام بالرحلات عبر المدن والقرى الكوسوفية، يتحلق الجميع من حول صنابير الماء المنتشرة بالطرق هنا وهناك لإسباغ الوضوء قبل إقامة الصلاة..



في أحضان الطبيعة
(المخاطبات تدور باللغة العربية)



رياضة ذهنية
(تشجع على المزيد من الاستيعاب)



إسباغ الوضوء قبل إقامة الصلاة



زيارات للمصانع ومعارض الكتب

مسابقة (واعتصموا) النسائية العالمية الأولى لحفظ وترتيل القرآن الكريم

إعداد: زهرة سليمان جمعة*



صورة خاصة

الفائزات يتسلمن جوائزهن

منذ أكثر من عام أقيمت المسابقة النسائية الأولى لحفظ وترتيل القرآن الكريم على مستوى الجماهيرية برعاية جمعية (واعتصموا للأعمال الخيرية). عندها أثنى المتتبعون للمسابقة من مشايخ وعلماء ومثقفين على هذه البادرة الطيبة، وتمنوا أن يرتقى بها لتعم أنحاء العالم كافة، واستجابت الجمعية والقائمون عليها في هذا البلد لدعوتهم الخيرّة، وتحقق الحلم بعد عام واحد فقط من المسابقة المحلية، فإذا بالبذرة تنبت نباتاً حسناً، وتعطي ثمراً يانعاً - بإذن ربها - ومثلما انطلقت المسابقة العالمية الأولى لحفظ وترتيل القرآن الكريم الخاصة بالرجال في السبعينات من القرن العشرين

* كاتبة / ليبيا



صورة خاصة

من حفل الافتتاح

من أرض ليبيا، كان لها شرف احتضان أول مسابقة قرآنية عالمية نسائية لحفظ وترتيل القرآن الكريم، لتكون مسابقة بناءة وخطوة رائدة على درب الخير والصلاح في إطار الاهتمام بكتاب الله العزيز، وتشجيعاً لحفظة القرآن الكريم، الذين هم أهل الله وخاصته، كما وصفهم المصطفى في حديثه الشريف بقوله: «إن لله أهلين، قالوا ومن هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرآن، هم أهل الله وخاصته».

وإكراماً للصفوة الخيرة من أبناء هذه الأمة التي شهد لها الصادق المصدوق صلوات ربي وسلامه عليه بالخير فيه بقوله عن عثمان رضى الله عنه : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» رواه مسلم.

مسابقة (واعتصموا) النسائية العالمية الأولى لحفظ وترتيل القرآن الكريم التي أقيمت في مدينة طرابلس /ليبيا في الفترة من 19-24 من شهر رمضان المبارك الموافق 22-27 من شهر 10 التمور (أكتوبر) 2005مسيحي، تنافس فيها أكثر من 46 متسابقة، جئن من أنحاء العالم كافة، ولاقت استحساناً كبيراً من متتبعيها، وحظيت باهتمام إعلامي كبير محلي وعالمي بالإضافة للعديد من الصحف المحلية التي تابعتها، فقد كتب عنها العديد من الصحف العربية والعالمية.

وبالإضافة إلى الإذاعات المحلية مثل إذاعة القرآن الكريم ووكالة الجماهيرية للأنباء، والفضائية الليبية.

كان من أبرز المحطات التي تابعت سير المسابقة قناة «اقرأ» الفضائية وقناة «الفجر» الفضائية بالإضافة إلى وكالة القرآن الإسلامية الإيرانية.

❖ لا أستطيع أن أصف مشاعري نحو هذه المسابقة، ولا عظمة المعاني التي استقيتها منها، لكن سأُحاول أن أقدم لك عزيزي القارئ عرضاً موجزاً لأهم الأهداف العظيمة التي حققتها هذه التجربة الرائدة، وسأقف معك على أهم نقاط التنوير فيها ملخصة ذلك في خمس محطات.

أولاً: لقد تجسد في هذه المسابقة الآية القرآنية ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحُجرَات: الآية 10]

فقد جاءت هذه المشاركات من أكثر من 45 دولة، لا تربطهنّ أنساب ولا مصالح، والكثير منهنّ لا يجدن اللغة العربية، فلا جامع لغوي بينهنّ، ومع هذا فإن



صورة خاصة

تكريم أحد أعضاء لجنة التحكيم

كلمة «السلام عليكم» تشكل جواز مرور بين قلوبهنّ، وكلمات الكتاب العزيز هي وسيلتنا للتحاور معهنّ، فإذا بك تتلقى الاستجابة السريعة المحاطة بالحب والاحترام، تشع بها العيون وإن عجز اللسان عن البيان، والرابط الجامع هو هذا الدِّين الحنيف والكتاب العزيز الذي جئن يتنافسن فيه، فصدق الله العظيم حين وصفه بأنه حبله، وأمرنا بالاعتصام به فقال تعالى:

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [سورة آل عمران: الآية 103]

وأحسنت (الجمعية) الاختيار حين رفعت (الاعتصام) شعاراً لها، فسمت نفسها به.

❖ وإنني إذ أنظر إلى هذا الجمع من كل حدب وصوب أرى فيه الملايين من أبناء الأمة المسلمة التي جمعها الله عز وجل على كتابه، وما كان لهم أن يجتمعوا على غير هذا الدِّين، وعندها تتضح أمام عقلي القاصر تجليات الآية القرآنية:

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: الآية 63]

ولا شك أننا في أمس الحاجة لتأكيد هذه المعاني وبثها في الأمة، خاصة في هذا الوقت الذي يُضيَّق فيه على الإسلام وأهله، وتُحَارب فيه الأمة من الداخل والخارج، لإجبارها على التخلي عن هويتها باسم التمدن والعولمة، وتلك شنشنة نعرفها من صيحات المستغربين وترهات المارقين.

ثانياً: لقد أعطت هذه المسابقة بعداً آخر للعمل الخيري، فالعمل الخيري ليس مجرد لقمة تسد الجوع، أو ملبسا يكسو العاري ـ على أهمية هذا الأمر وعظمة أجره ـ لكن للعمل الخيري بعداً آخر، ينطلق من النظرة



صورة خاصة

بعض أعضاء لجنة التحكيم

الإسلامية للإنسان باعتباره روحا وعقلا وجسدا، فكما هو جسد يحتاج للماديات، هو أيضاً روح وعقل يحتاج إلى إيمان يسمو به وعلم يرقيه، وبالتالي تتكامل النظرة لهذا الإنسان، وتتعمق فلسفة العمل الخيري لتشمل الأبعاد الثقافية والعقلية والروحية للإنسان، لكي نخطو خطوات جادة في بناء المؤمن القوي الذي وصفه رسول الله ﷺ بأنّه خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وتأتي هذه المسابقة النسائية العالمية القرآنية لتقول لنا إن قوة الإنسان تكمن في روحه التي تحتاج إلى ما يناسبها من الغذاء، ألا وهو الكتاب العزيز، كيف لا ! وقد سمى الله عز وجل كتابه الكريم «روح»

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [سورة الشورى: الآية 7]

ثالثاً : أن نخص المرأة المسلمة بمسابقة قرآنية في حفظ القرآن وترتيله تلك بادرة غير مسبوقة، وسُنة حسنة، نسأل الله عز وجل أن يجعلها في ميزان حسنات هذه (الجمعية)، وتلك - أيم الله - خطوة عظيمة تدفع بالمرأة المسلمة إلى الأمام، وإشارة بليغة - لا تخفى على أولى الألباب - مفادها أن الإسلام هو الذي أعلى قدر المرأة ورفع من شأنها، وإنها لن تعود إلى عزها إلاّ بالرجوع إليه، ثم هي محاولة جادة لوضع الميزان الحق في قضية المرأة المسلمة التي تاهت بين التقاليد البالية والأعراف المتخلّفة التي تمرر باسم الإسلام - زوراً وبهتاناً - وبين محو الهوية والتغريب الذي يصدر إلينا باسم الحضارة، فإذا بالمرأة المسلمة تصدح بصوت الحق، متمثلة قول الله عز وجل لأمهات المؤمنين عليهنّ السلام:

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [سورة الأحزاب: الآية 32]

وتتنافس في هذا الميدان الخيّر عملاً بقوله عز وجل:

﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [سورة المطفّفين: الآية 26]

رابعاً: لقد وجدت هذه المسابقة تربة خصبة لزراعة بذور المناعة، ومعملاً جيداً لصناعة مضادات التغريب، وسداً منيعاً في مواجهة فيروسات الميوعة وجراثيم العري، وموجات التسليع التي تنخر الفضيلة في عالمنا المعاصر، وتجعل من المرأة سلعة لتسويق



صورة خاصة

بعض المشاركات في المسابقة

بضاعتها الخاسرة للمستهلكين الذين بعدوا عن منهج ربِّ العالمينَ واتخذوه وراءهم ظهرياً، فكانت النتيجة هذا الفساد الذي عمَّ وطمَّ مصداقاً لقوله عز وجل:

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾
[سورة الرُّوم: الآية 41]

وتأتي هذه المسابقة لتؤكد على ثقافة المناعة، وتقوية للمرأة المسلمة، حتى لا تجرفها التيارات المنحرفة، أو تهوي بها الصيحات الضالة في مكان سحيق، في زمن الفضاء المفتوح والإعلام الهابط - إلا ما رحم ربي - الذي يلبس الباطل لباس الحق، والرذيلة ثوب الفضيلة، في وقت لم تعد فيه سياسة غلق الأبواب مجدية، فلا مجال للمنع، ولكنَّ الحل يكمن في تقوية جهاز المناعة لدينا، والعودة إلى الهوية والتمسك بالكتاب العزيز والسنة الحميدة، عملاً بقول المصطفى ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً : كتاب الله وسنتي».

خامساً: جاءت هذه المسابقة لتضيء الأمل بين جنبات النفس، لتؤكد أن الأمة لا زالت بخير، وأنه سيبقى بها أخيار، ما تعاقب ليل ونهار، يعكس ذلك هذه الثلة المباركة من الحافظات اللائي جئن من كل أصقاع الأرض ليتنافسن في كتاب الله العزيز.

- إنني عندما نظرت إلى هؤلاء الفضليات في قاعة التنافس، استحضرت في ذهني قصة رسالة الإسلام التي بدأت برجل هو نبينا محمد ﷺ وامرأة هي أمنا خديجة رضي الله عنها، فإذا بنور الإسلام يعم الأرض، ويغمرها بالسكينة والأمان، وإذا بالقلوب تُسْلم أقفالها للقرآن، ليفتحها ويدخلها، فيغمرها بالمحبة والخير، وإذا بكلمة الحق تعلو رغم نعيق الغربان، ومحاولات الخفافيش إطفاء النور، وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾
[سورة الصَّف: الآيات 8-9]

شهدنا تنافساً خيراً مباركاً في أعظم مجال، ومضماراً لخير سباق، وكان أبطال هذا السباق نسوة من كافة أنحاء العالم، ومن بيئات مختلفة، وألسنة

متعددة وأعمار متباينة، جئن إلى ليبيا، ليَقُلْنَ للعالم إن الإسلام ما يزال بخير، رغم تكالب الأعداء وتخاذل بعض من يقولون إنهم أبناؤه! وأن المرأة المسلمة ستظل قلعة صامدة وحصنا متينا في مواجهة حملات التغريب والتذويب التي يراد لها أن تمرر علينا باسم التحضر والمدنية.

عزيزي القارئ.. لقد تابعتُ هذه المسابقة عن قرب، وعشت أياماً رائعة في ظلال تلاوات عطرة من قراءات الحافظات، وشاهدتُ أجواء مفعمة بالحب والخير، تعانقت فيها بركة الزمان مع بركة الأشخاص لتحل في مجالس عظيمة حفتها الملائكة، وتنزلت عليها السكينة، وغشيتها الرحمة، وذكرها الله فيمن عنده، كما أخبر الصادق المصدوق - صلوات ربي وسلامه عليه، فإذا بالأنوار تغمرك، ونفحات الضياء تتنزل عليك، وتقلب وجهك في تلك الوجوه المشرقة فترى فيها نوراً يمشي على الأرض، مصداقاً لقوله جل وعلا في كتابه الكريم:

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

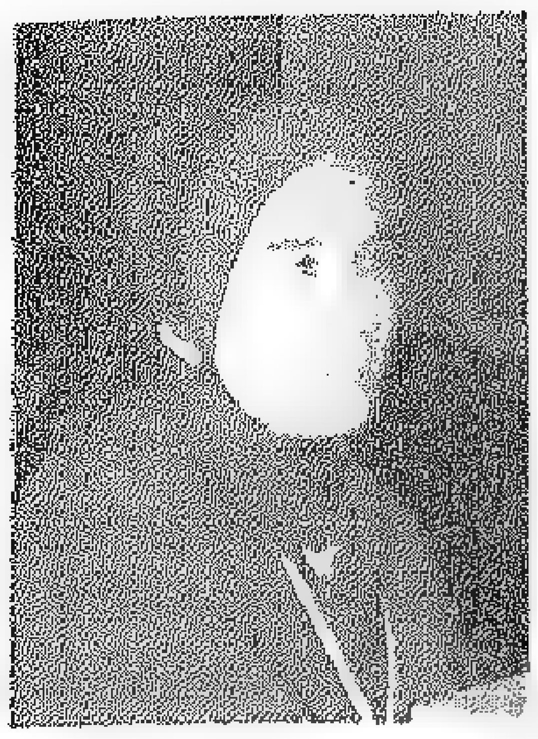
[سورة الأنعام: الآية 122]

وكيف لا يَكُنَّ كذلك وقد حملن النور في صدورهنَّ، فأرسلْنَ قبسات منه أضاءت ما حولهنَّ، فكأنَّما الشاعر عناهنَّ بقوله:

وجوه لو أن المعتفين إعتشوا بها
صدعن الدُّجى حتى ترى الليل ينجلي

من أجل ذلك رأيت أن لا أستأثر بهذه المأدبة القرآنية وحدي، وقررت أن اصطحبك - أخي الحبيب، أختي الحبيبة- في رحلة مشرقة مع موكب الخير لنلتقي بعضاً من درر الإسلام المباركات في وقفات تأملية نستشف منها العبر، ونستخلص منها الدروس.

❖ جاءتني وأنا جالسة أقلب بعض الأوراق خارج قاعة المسابقة، فسلمت علي واحتضنتني بمحبة وشوق، وكأنها تعرفني منذ سنوات - وكان هذا ديدنها كلما التقيتها طيلة فترة المسابقة - إنها الأخت الكريمة من المغرب آمنة التوهامي برهون، شاركت في جانب حفظ القرآن الكريم كاملاً، وتحصلت على الترتيب الأول في المسابقة، حفظت القرآن الكريم وعمرها ثماني سنوات، وحفظت بعد ذلك المتون، فحفظت (الألفية والاجرومية ومتن ابن عاشر والجزرية والبيقونية)، كما حفظت (الأربعين نووية)، وقد قيل: من حفظ المتون حاز العلوم. والحبيبة آمنة ذات أدب جم، وخلق رفيع، وابتسامة لا تفارق وجهها البشوش، تأسيا بالحبيب ﷺ الذي يقول: «تبسمك في وجه أخيك صدقة»، أبوها إمام مسجد، وهو الذي رباها على تعلم القرآن الكريم، وشجعها على حفظه، هي وإخوانها وأخواتها، ومن تعهد غرسه بالرعاية والعناية لا بد أن يجني حلو ثمارها.



آمنة التوهامي برهون

❖ الأخت الصغيرة إيمان عبد القادر ياحي من الجزائر، تحصلت على الترتيب الثالث في جانب القرآن الكريم كاملاً، مواليد 1990 مسيحي، حافظة لكتاب الله عز وجل، وتحفظ أكثر من 1000 حديث شريف، آية في الذكاء والحفظ، متفوقة في دراستها، كما أخبرني والدها، وقال إنها تدرس في معهد ديني أعمار الدارسات به أكبر من عمرها بسنوات، وهي بعد هذا تشع إيماناً وحياءً، وتتحدث معها لتجدها تملك عقلاً أكبر بكثير من جسدها الصغير، وبياناً وفصاحة في اللغة العربية التي تتحدث بها بطلاقة لأنها لغة التخاطب عندهم في البيت كما أخبرتني، ولا تشعر وأنت تدير دفة الحديث معها أنك بحاجة إلى أن تنزل إلى مستوى أدنى، بل بالعكس عليك أن تعلو وأنت تتخاطب معها، لتجد عمقاً في الفهم وبعداً في النظر



إيمان عبد القادر ياحي

أكبر من الخمسة عشر ربيعاً التي عاشتها، والسرُّ وراء ذلك الموهبة العظيمة التي وهبها الله عز وجل إياها، ثم تلك الأسرة الصالحة التي نشأت فيها، ويكفي أن تعلم أن أمها هي التي علمتها كتاب الله العزيز قبل أن تلتحق بحلقات تحفيظ القرآن الكريم في المساجد التي درست فيها بعد ذلك، ولا شك إنها استقت من أمها هذا الخلق الكريم، والحياء الذي ينير وجهها المشرق:

فالطفل يرضع من أخلاق مرضعه
قبل اللبارة التي تنصب في فيه



خديجة حامد

❖ الأخت خديجة عبد القادر حامد مواليد 1977 مسيحي، من الجماهيرية العظمى، الأخت خديجة لم تبصر منذ ولادتها، ومع هذا فهي تملك إرادة فولاذية، وعزيمة صلبة، استطاعت بها أن تنتصر على هذه العاهة، وتتحدى كل الظروف القاسية المحيطة بها، وتنور طريقها بالإيمان والعلم، فتخرجت من جامعة «قاريونس»، كلية الآداب والتربية، قسم اللغة العربية، ثم لم تكتف بهذا، بل التحقت بعد تخرجها بمركز لتحفيظ القرآن الكريم منذ سنة 2001 مسيحي، واستمرت حتى أتمت حفظ القرآن الكريم، شاركت سنة 2004 مسيحي في المسابقة النسائية المحلية لحفظ وترتيل القرآن في جانب الربع وحصلت على الترتيب الأول، ثم تأهلت للمسابقة العالمية وتحصلت أيضا على الترتيب الأول في جانب الربع، تحاورها فتجدها تشع بهجة وأملا ورغبة في البذل والعطاء، لسان يحسن البيان، وثقة بالنفس ومحبة للإسلام ولكتاب الله الكريم، الذي تراه نورها الذي تبصر به، قرأت في يوم تسابقها فأتحفت الحاضرين بتلاوة عطرة ندية، نالت الإعجاب والثناء والتقدير، ولم أملك حيال هذا البهاء إلا أن أكبر مرارا مرددة



صورة خاصة

مهتدية من غانا تنطق بالشهادتين

قول الله عز وجل:

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [سورة الحج: الآية 46]

مستحضرة قول ابن عباس رضي الله عنهما عندما ذهب بصره :

إن يأخذ الله من عيني نورهما
فقي لساني وسمعي منهما نور
قلبي ذكي وعقل غير ذي عوج
وفي فمي صارم كالسيف مسلول

❖ الأخت نورة محبوب الدوسري مواليد 1973 مسيحي من دولة قطر، شاركت في جانب النصف، وتحصلت على الترتيب الثاني، وهي حافظة لكتاب الله عز وجل، متزوجة وأم لولد وأربع بنات.

حدثتني على قصتها مع القرآن، فقالت: إنها كانت تتردد على مراكز تحفيظ القرآن الكريم صيفاً فقط

عندما كانت طالبة قبل زواجها، وكانت الحصيلة أنها حفظت خمسة أجزاء من القرآن، ثم تزوجت، وبعد أن رزقها الله عز وجل بطفلتها الثانية دخلت في مسابقة للقرآن الكريم في الأجزاء الخمسة التي حفظتها، وفازت في هذه المسابقة، بعدها قررت الالتحاق بشكل دائم بمركز لتحفيظ القرآن الكريم، واستمرت حتى أتمت حفظ كتاب الله عز وجل بدعم ومتابعة من زوجها.

وقصة نجاح الأخت نورة نوردها لندلل على أن قطرات الخير المباركة تتجمع لتشكل نبعاً فياضا بالعطاء، فلا يجب أن نستهين بالمبادرات الخيرة وان كانت محدودة، فتردد الأخت نورة على مراكز التحفيظ صيفا هو الذي جعلها تحفظ كتاب الله عز وجل بعد ذلك، وتتميز فيه.

ثم لا ننسى تشجيع زوجها لها ـ جزاه الله خيرا ـ ونقول إن دفع الزوجة نحو النجاح والتفوق لا ينقص من قدر الرجل، بل يعليه، ويحقق السعادة له ولأسرته في الدنيا، ويلقى الجزاء الحسن في الآخرة.



عوضية الخطيب

❖ وللمتزوجات نقدم نموذجا آخر من الحافظات هي الأخت: عوضية محمد الحسن الخطيب، من السودان، لديها ماجستير، وهي أم لخمسة أبناء، حفظت القرآن الكريم رغم انشغالها الوظيفي ومسؤولياتها الزوجية والمنزلية، إلى جانب ظروفها الاقتصادية، لكن عزيمتها وإصرارها وحبها لكتاب الله العزيز جعلها تواظب على حفظه والاعتناء بدراسة علومه.

❖ وللطالبات نقدم أختنا حفيظة عبده عجلان، من اليمن مواليد 1984 مسيحي، حفظت القرآن كاملاً في عام واحد «2001»، وتقول إن القرآن غير حياتها، وجعلها أكثر نظاما، وأعظم خلقا، وأكثر شعوراً بالمسؤولية، فهي من حملة الكتاب، وبالتالي عليها أن تحسن تقديم الإسلام، وتكون أهلاً لتلك الخيرية والأهلية التي خص الله بها حملته.



إيمان موسى حسن

❖ ولننتقل إلى الأخت إيمان السيد موسى حسن، من جمهورية مصر العربية، مواليد 1985 مسيحي، تحصلت على الترتيب الثاني في جانب حفظ القرآن الكريم كاملاً، الأخت إيمان بعد أن أكملت تعليمها وتحصلت على دبلوم تجارة ثانوي لم تضيع وقتها، وذهبت إلى أحد مراكز تحفيظ القرآن الكريم، وثابرت واجتهدت حتى أتمت حفظ كتاب الله عز وجل في ثلاث سنوات، ولقيت التشجيع من أسرتها ومشايخها، تقول إن القرآن أدبها وعلمها الصبر والرضا، وحب الآخرين، وحسن الخلق. وأقول كفى بالقرآن واعظا ومؤدباً.



ريم بسيو

❖ وللذين يحتجون بأن انشغالهم الوظيفي وكثرة أعمالهم تمنعهم من حفظ كتاب الله عز وجل، نقدم الأخت ريم بسيو، من سوريا، طبيبة متخصصة في الباطنة وأمراض القلب، حفظت كتاب الله عز وجل، وجاءت تتنافس فيه، ولم يمنعها انشغالها الدائم في المستشفى وعملها المتعب من حفظ كتاب الله عز وجل وتلاوته، بل وجدته عونا لها في الالتزام وتنظيم الوقت، والأخت ريم ـ فوق هذا ـ موهبة في مجال الكتابة، تكتب بأسلوب جيد، ولديها مشاركات في هذا الجانب، تتميز بعذوبة في أسلوبها، ودقة في الطرح، وعمق في الفهم، تحاورك فتجد فيها محاورة لبقة، تحمل آراء بناءة ومقترحات فذة، تؤرقها أحوال المسلمين وتهتم بأمورهم، لأنها تعي أنه من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

❖ وتوقفت كثيرا أمام بعض أخواتنا اللواتي لا

تحسن الكثير منهن سوى لغاتهن المحلية، ومع هذا حفظن الكتاب الكريم، وبهرتنا أختنا «باهرة النجاح قشيرى» من إندونيسيا، مواليد 1983 مسيحي بقراءتها المتميزة وأدائها الرائع، مع أنها لا تتكلم العربية، ولا تفهمها، وقد تحصلت على الترتيب الرابع في جانب حفظ القرآن كاملا، وكذلك فعلت أختنا بتول، من جمهورية إيران الإسلامية، مواليد 1980 مسيحي، حيث جلست على منصة التسابق، ولم تفهم أسئلة لجنة التحكيم بخصوص اسمها والجانب الذي تشارك فيه وغيرها، والكلمات لا تكاد تفهم منها ولسانها لا يكاد يبين، وعندما بدأت في التلاوة قرأت قراءة مسترسلة، بحروف واضحة، ومخارج محققة، وصوت ندي، فقلت: سبحان الله ! وصدق الله العظيم حين قال:



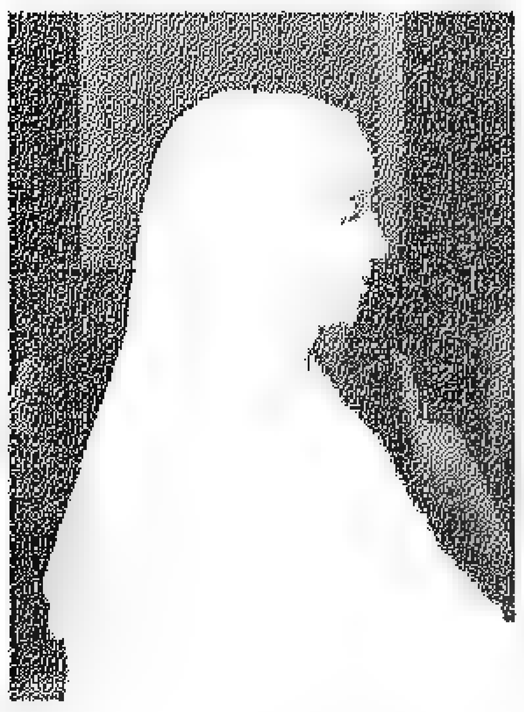
باهرة النجاح قشيرى



بتول

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾
[سورة القمر: الآية 40]

❖ ومن قلب أوروبا، من ألمانيا، جاءتنا أختنا كلثوم الجريدي، تونسية الأصل، مولودة ومقيمة في ألمانيا، لا تجيد الحديث بالعربية إلا قليلا، حفظها والدها القرآن الكريم ومبادئ الدين، ثم انتظمت في المراكز الإسلامية والمساجد بألمانيا لتتعلم دروسا في دينها، كما أنها تتابع القنوات الفضائية الإسلامية لتتعلم منها، تدرس علم الاستشراق، وتقول إنها اختارته حتى تلعب دورا فعالا في أوساطهم، وترد على شبهاتهم التي يرمون بها الإسلام زورا وبهتانا. الأخت كلثوم ملتزمة بأوامر دينها، وتقول إن للأسرة دورها في حفاظها على شربتها، والتزامها بدينها، كما أن الانخراط مع الشباب في أعمال الخير، والمشاركة في النشاطات الإسلامية بشكل دائم يدفعنا للإمام ويجعلنا نحافظ على ديننا حتى لا نفقد هويتنا ونذوب في تلك المجتمعات وتجرفنا تياراتها المنحرفة.



كلثوم الجريدي

❖ ومن سراييفو، عاصمة البوسنة والهرسك، جاءت اختنا أسماء أنس ليفاكوفتش وأخبرتني أنها أتمت دراستها الثانوية في المدرسة الإسلامية في سراييفو التي أسسها غازي خسرو بك في العهد العثماني، قبل حوالي 460 عاما، ثم التحقت بالكلية الإسلامية لدراسة اللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية، حفظت القرآن الكريم في المدرسة الإسلامية، وتراها وسيلة هامة لفهم الدين الحنيف، وتحاول بدراستها أن تخدم الإسلام والمسلمين، كما تقول إن الإيمان والتمسك بالعقيدة هو الذي جعل شعبها يتجاوز المحن والصعاب، وإن الله لم يدعهم في تلك الفترة الحرجة، وقد كانوا مستضعفين محاصرين لا يملكون من حطام الدنيا شيئا، لكنهم نجوا وانتصروا بإيمانهم وتمسكهم بدينهم.

«أسماء أنس ليفاكوفتش»، عمرها 21 سنة، لكنها تمتلئ حماسا لهذا الدين ويقينا بانتصاره، وأقول بمثل هؤلاء لم يقدر أولئك الذين أرادوا أوروبا خالية من الإسلام بحلول عام 2000 مسيحي أن يحققوا مآربهم. وانتصر نور الشمس على ظلامهم الدامس.



أسماء انس ليفاكوفتش

وما ضر شمس الضحى في الأفق وهي ساطعة
أن لا يرى نورها من ليس ذا بصر

❖❖❖

عزيزي القارئ.. إنني بهذه النماذج المضيئة التي قدمتها لا أدعي أنني أعطيت الموضوع حقه، ولكني حاولت جاهدة ـ من خلال هذه الفسحة ـ أن أقدم بعضا من درر الإسلام المباركات، تعرفت عليهن في هذه المسابقة الخيرة، لأقدم قدوات صالحات لفتياتنا يتخذن منهن نماذج مضيئة في حياتهن.

ولأقول لمن يقدمون لنا المرأة كسلعة، ويعرضون جسدها ومفاتنها على الشاشات صباح مساء، وكأننا في أسواق للنخاسة تباع فيها المرأة، لأقول لمدعي الحضارة والتقدم: هاكم نخبة من فتياتنا المميزات، ودررنا المباركات، ونجماتنا المتألقات على طبق قرآني، ومائدة عامرة بالعلم والإيمان، تجدون فيها الإيمان القوي، والثبات على الحق، والعقل الحصيف، والأسلوب العذب، والحنان المتدفق، والحب الصادق مع فهم للعصر، وحسن استثمار لأدواته.

وللجميع أقول... إنني قدمت في هذه النماذج الطالبة المجتهدة، والموظفة الناجحة، والزوجة الصالحة، والأم الحانية، والطبيبة الفذة والأريبة، والصغيرة المميزة.

وعرضت نماذج من كافة قارات العالم، ومن بيئات مختلفة، غنية وفقيرة، متحضرة وأقل تحضراً، ومن تجيد اللغة العربية ومن لا تجيدها، وتكلمت عن مشاركات يعشن في بيئات غربية، وأخريات مررن بظروف صعبة، ورغم كل ذلك لم تمنعهن الصعوبات أن يحفظن هذا الكتاب العزيز، ويعتنين به وبدراسته، لأثبت أنه لا الفقر ولا الغنى، لا المرض ولا البيئة، لا صغر السن ولا الزواج لا عظم المسؤوليات، ولا الانشغال الوظيفي، ولا أي ظرف من الظروف حال بين هذه الثلة المباركة وبين دراسة هذا الكتاب الكريم وحفظه، وجعله نورا ينير لهن دروب الحياة كما أراد الله عز وجل وسماه في كتابه العزيز.

وصدق الشاعر حين قال :

فلو كان النساء كمن ذكرن
لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيب
ولا التذكير فخر للهلال

❖❖❖

الفائزات الأوائل في المسابقة النسائية العالمية الأولى لحفظ القرآن الكريم:

❖ الجانب الأول حفظ القرآن الكريم كاملاً :

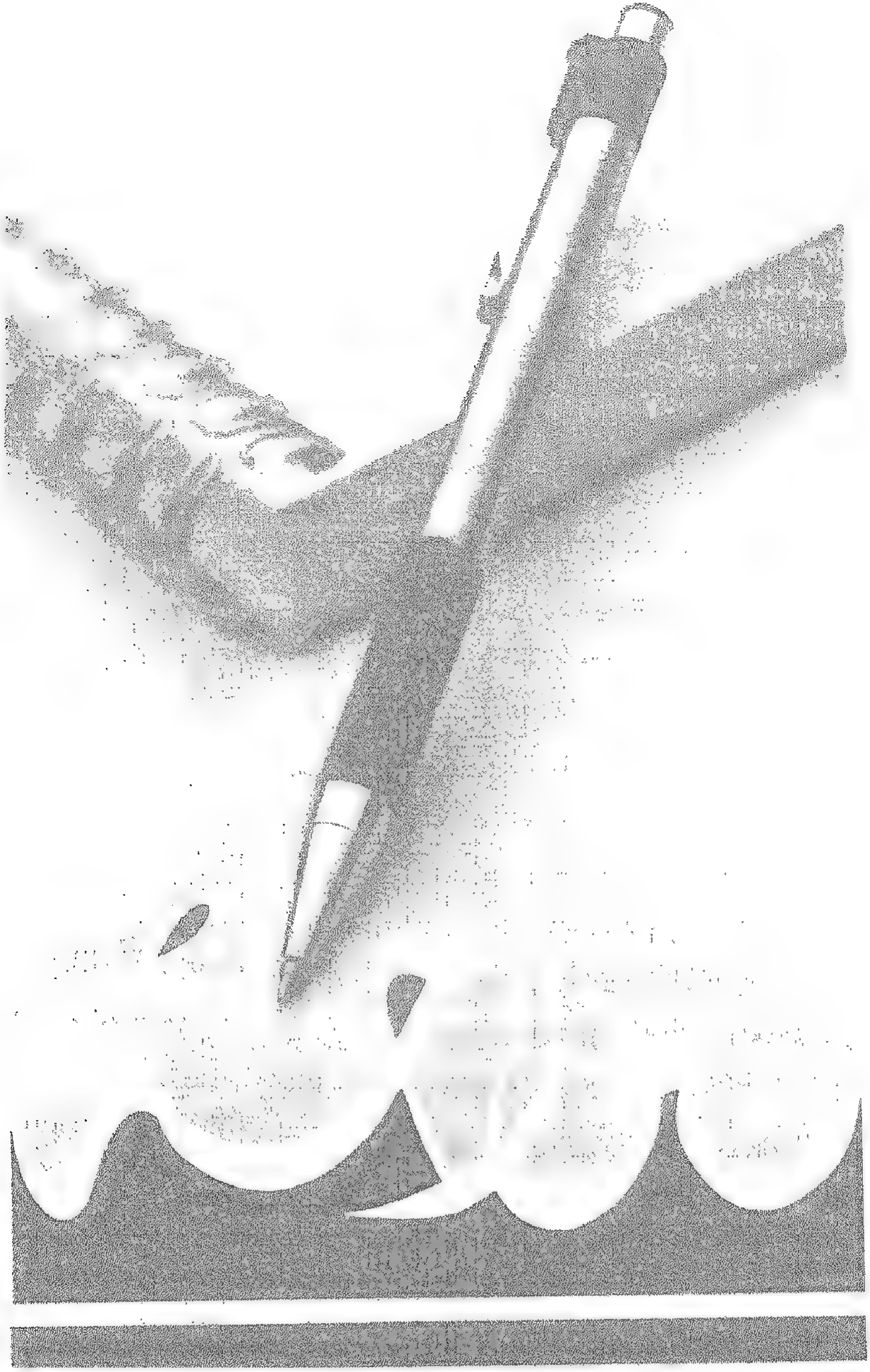
الأولى : آمنة برهون التوهامي / المغرب
الثانية : إيمان السيد موسى / مصر
الثالثة : إيمان عبد القادر لخضر / الجزائر
الرابعة : باهرة النجاح قشيري / إندونيسيا
الخامسة : مروة كامل الدويب / ليبيا

❖ الجانب الثاني: حفظ النصف الأخير من القرآن الكريم

الأولى : عائشة الساعدي أبو راس / ليبيا
الثانية : نورا محبوب خميس الدوسري / قطر
الثالثة : سلامة غدو سيب / النيجر

❖ الجانب الثالث: حفظ الربع الأخير من القرآن الكريم

الأولى : خديجة عبد القادر حامد / ليبيا
وحجبت لجنة التقييم بقية الجوائز في هذا الجانب لعدم توفر الشروط.



- المؤرخ المغربي د. عبد الهادي التازي يصحح رحلة ابن بطوطة
- عظمة محمد كما يراها ول ديورانت
- من أغاني شيراز
- من ورقاء ابن سينا إلى عنقاء إيليا أبي ماضي

المؤرخ المغربي د. عبد الهادي التازي يصحح رحلة ابن بطوطة

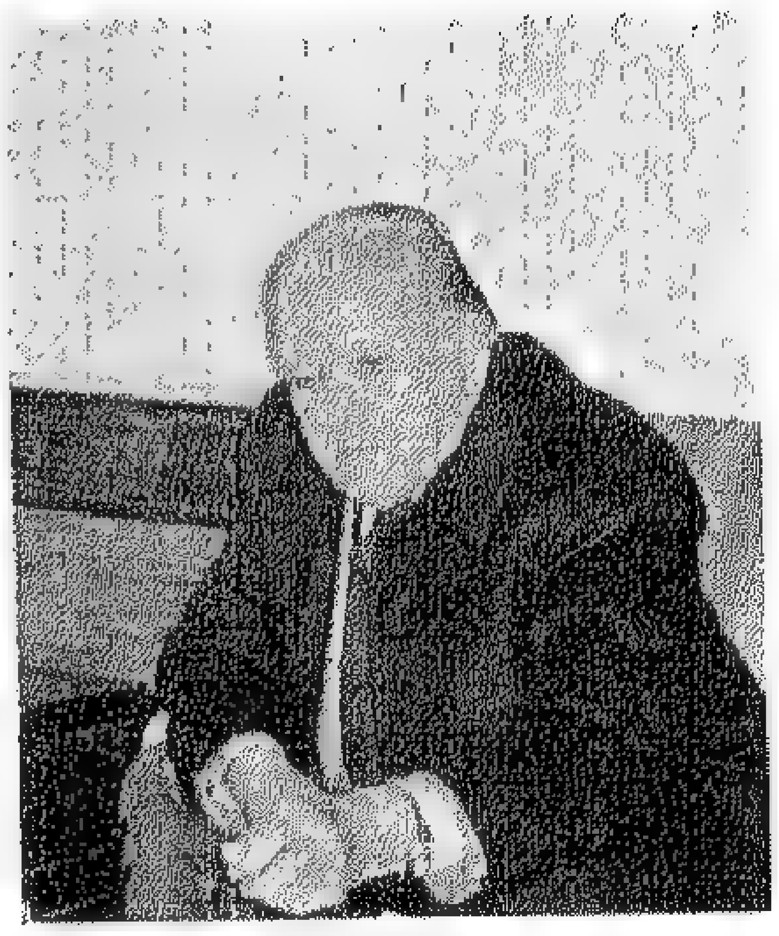
إعداد : **د. عبد العاطي محمد عبد الجليل***

واحة هذا العدد نتفيأ ظلالها مع الأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي المؤرخ المغربي الذي لا يمكن أن يكون اللقاء معه مجرد لقاء عادي وعابر، ففي كل مرة التقيه كان يفاجئني بشيء جديد..

وتتحول اللقاءات مع المؤرخ المغربي إلى ما يجعل المكان واحة حقيقية، ويتيح استعادة مشاهد التاريخ الإسلامي في لحظتنا الراهنة.

ذات مرة التقيته، وجرَّنا الحديث إلى جزر المالديف..

وما حدث حينذاك تم نشره في العدد الخامس من هذه المجلة.. كانت قصة تروى، وقد رويتها..



الدكتور عبد الهادي التازي

وفي الثلث الأخير من الشهر العاشر من عام 2005 مسيحي التقيته مرة أخرى، ولكن هذه المرة في إحدى مدن المغرب، مدينة شفشاون التي احتضنت الملتقى الدولي للتربية والثقافة، والذي ساهمت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في تنظيمه جنبا إلى جنب مع المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم وجهات أخرى.

التقيته صدفة أمام الفندق أو النزل أو الخان إن شئتم الذي أقمنا فيه معاً.. وكان كعادته مرحباً بشوشاً مبتسماً.. ومنذ اللحظة الأولى وعدني بلقاء خاص، وتم اللقاء الذي لم يحضره أحد إلا ابنه الذي كان يرافقه في تلك الرحلة، تحدث عن بعض ذكرياته في ليبيا.. ولأن الحديث ذو شجون وجدنا أنفسنا نتحدث عن ابن بطوطة الذي يعتبره الأستاذ التازي أعظم رحالة في كل العصور.. والأستاذ التازي يرى في ابن بطوطة صديقاً متميزاً، رغم القرون التي تفصل بينهما، يعتبره صديقاً ولا يشعر بالملل وهو يتحدث عنه، كما أنه لا يترك الملل يتسرب

* كاتب وصحفي وأستاذ جامعي / ليبيا

إلى أي مستمع حين يتحدث عن صديقه ابن بطوطة.

في حواري معه حملني أمانة علمية إلى كل من يمتلك نسخة مطبوعة من رحلة ابن بطوطة، سواء في ذلك الأفراد أو المؤسسات أو المكتبات العامة.

والحق يقال، فإن ما تفضل به الأستاذ التازي من معلومات يستحق أن ينشر، وأن يعمم بكل الطرق والوسائل، لأن الأمر يتعلق بتصحيح هنات ونقص في الرحلة الشهيرة، دفعت بعدد من الباحثين والمستشرقين إلى الطعن في المعلومات التي تحويها إحدى أشهر الرحلات المدونة في التاريخ، إضافة إلى انحيازه للمؤرخة الاسبانية السيدة إيزابيل الباريث دي توليدو، وحكاية النقش المشترك بين قرية قرب نيو يورك والصحراء الليبية.



رسم متخيل لابن بطوطة

ما القصة ؟ وماذا يريد الأستاذ التازي أن يعلنه على الملأ؟ ها أنا ذا أقدم على نشر هذا الجزء المهم من حواري معه.. قال الأستاذ التازي : إنني أخص مجلة التواصل بهذه الملاحظات عن ابن بطوطة فأقول :-

❖ كان السلطان ابو عنان قد عهد إلى ابن جزي بنسخ رحلة ابن بطوطة، ولكن مع تقديرنا لهذا العمل الجليل الذي قام به ابن جزي فإن هناك مؤاخذات عليه، تعتبر من المؤاخذات الأساسية، ويتعلق الأمر بحذف بعض مقاطع من رحلة ابن بطوطة، ووقعت له بعض الأخطاء سواء من حيث التقديم أو التأخير، أو من حيث حذف بعض المقاطع نهائيا من الرحلة.



إحدى طبعات رحلة ابن بطوطة

وأذكر من هذا الهفوات هفوة لا يجوز إطلاقاً السكوت عنها، ويتعلق الأمر بأن الكاتب ابن جزي حصر رحلة لابن بطوطة إلى جنوب فارس «إيران» الأمر الذي أربك كل الباحثين الذين تحدثوا عن ابن بطوطة.

❖ ولماذا أربكهم ؟

ـ أربكهم لأن حديث ابن بطوطة عن بلاد فارس «إيران» في ذلك الوقت بنفس الكلام الذي نجده في الرحلة كان أمرا غير مقبول، وسأعطيكم ثلاثة أدلة فقط للتدليل على ذلك.

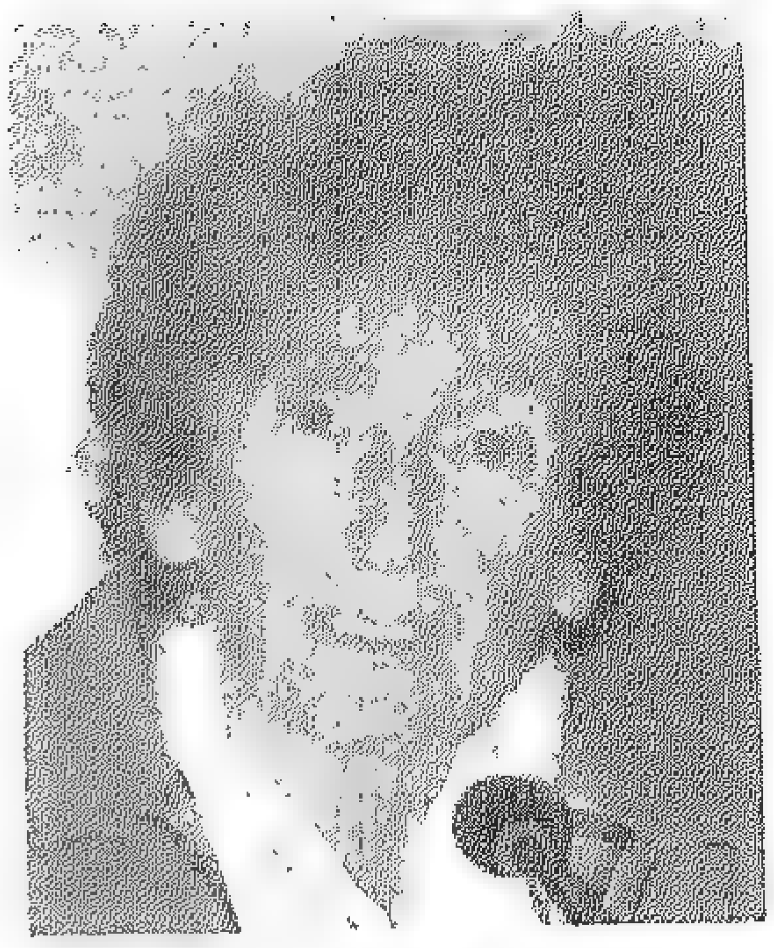
أولاً: تحدث عن وجوده في بلاد فارس «إيران» في عز الصيف مع أن الوقت لم يكن صيفاً، وإنما كان شتاءاً.

ثانياً: ذكر أسماء بعض الحكام في جنوب بلاد فارس «إيران»، مع أن هؤلاء الحكام لم يكونوا إطلاقاً في ذلك الزمن، إنما كانوا بعد هذا الوقت بنحو من ثلاثين سنة.

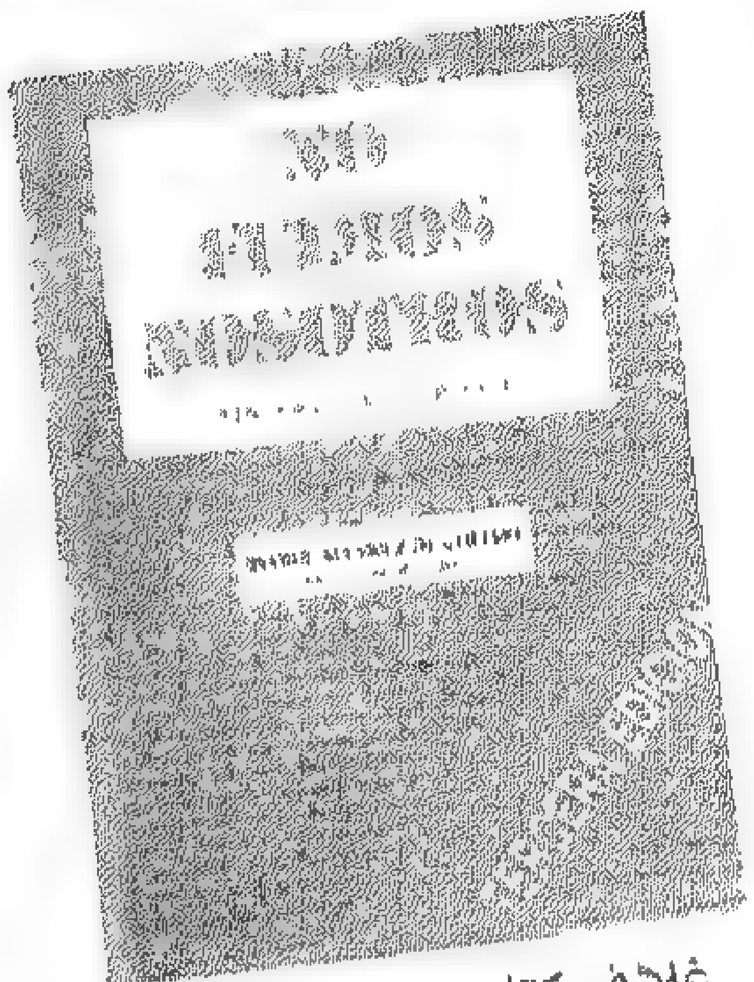
ثالثاً: أنه نطق ببعض الكلمات التي تتعلق بالإمام الكازاروني، وهذه الكلمات حول الكازاروني إنما تأتّى له أن يحصل عليها بعد زيارته للشيخ.

هذه العوامل الثلاثة جعلت الباحثين والمستشرقين يطعنون في المعلومات التي وردت في الرحلة، ولقد عثرت على نسخة مخطوطة بيد ابن بطوطة، ليست للرحلة، وإنما لكتاب يتعلق بالحديث الشريف عنوانه (المفهم لما أشكل لصحيح مسلم)، هذه النسخة كتبها ابن بطوطة بخط يده، ويقول بالنص «إني نسختها بدمشق عام 727» وهي السنة التي ذكر فيها ابن جزي أن ابن بطوطة زار فيها بلاد فارس «إيران»، أعني أن نسخة ابن جزي تقول إن ابن بطوطة كان في بلاد فارس «إيران»، بينما مخطوطة ابن بطوطة ـ وهي بخط يده ـ تقول إنه كان في دمشق، وبهذا اكتشفنا أن ابن جزي وقع له تخليط وارتباك فيما يتعلق بترتيب الرحلة.

ولهذا أرجوكم بكل إلحاح أن تنبهوا على هذا التناقض الواضح الذي يهم كل الذين يمتلكون رحلة ابن بطوطة في بيوتهم، سواء كانت مطبوعة في المشرق أو المغرب.

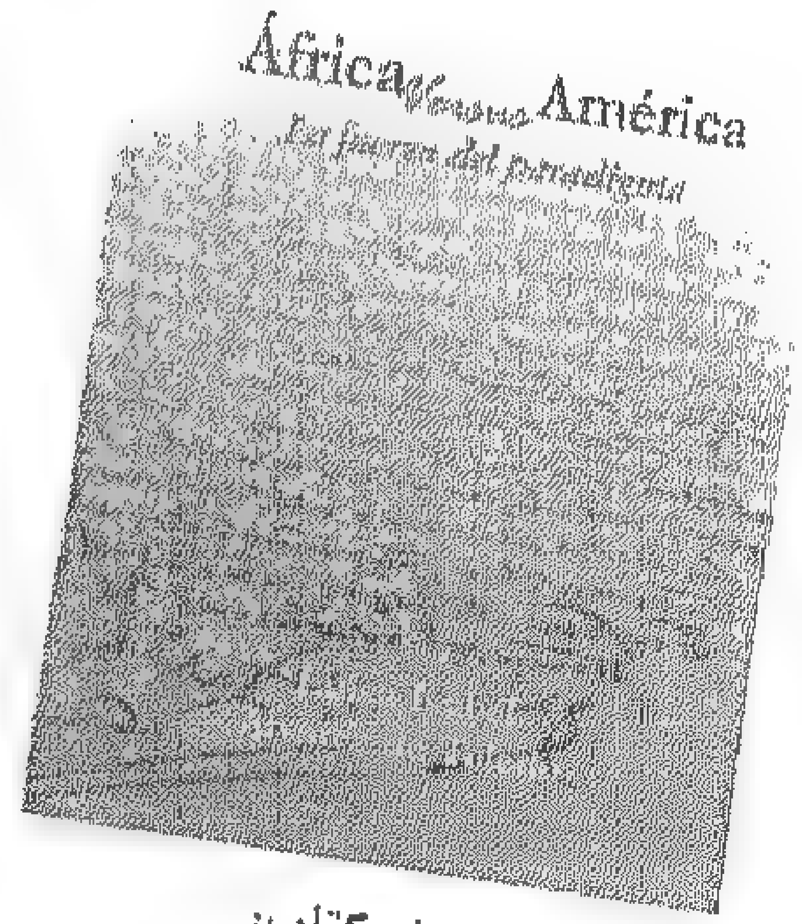


الدوقة إيزابيل الباريث دي توليد



غلاف كتاب: لم نكن نحن

❖ منذ ما يقرب من خمس سنوات التقيت المؤرخة السيدة إيزابيل الباريث دي توليد دوقة سيدونيا الاسبانية، وكانت قد أصدرت كتابا بعنوان (لم نكن نحن) وآخر بعنوان (إفريقيا الوجه الآخر لأمريكا) نسفت فيهما وبالوثائق الإدعاء القائل بان كريستوفر كولومبوس المعروف في اسبانيا باسم كريستوبال كولون هو الذي اكتشف أمريكا... الكتابان أثارا جدلا واسعا بين المؤرخين، خاصة الأسبان.. هذه السيدة قالت بأن هناك اتصالات بين القارة الأمريكية والمغرب العربي قبل أن يصل إليها كولون أو كولومبوس... كمؤرخ كيف تُقيّم هذا الرأي؟



غلاف كتاب:
إفريقيا الوجه الآخر لأمريكا

ـ أرجو أن أحيلك إلى ما كتبته في مجلة البحث العلمي حول هذا الموضوع... لكنني أؤكد لك أن الحق مع هذه السيدة... لأن هناك نقش جزء منه يوجد في قرية قرب نيويورك وجزؤه الآخر يوجد قربكم أنتم في ليبيا في تيجيج أو فجيج، هذان الجزآن من النقش يكمل بعضهما بعضا، ومن شأن ذلك أن يحملنا على الاعتقاد الجازم بأن المغاربة وصلوا إلى تلك القارة قبل كولومبوس بكل تأكيد.



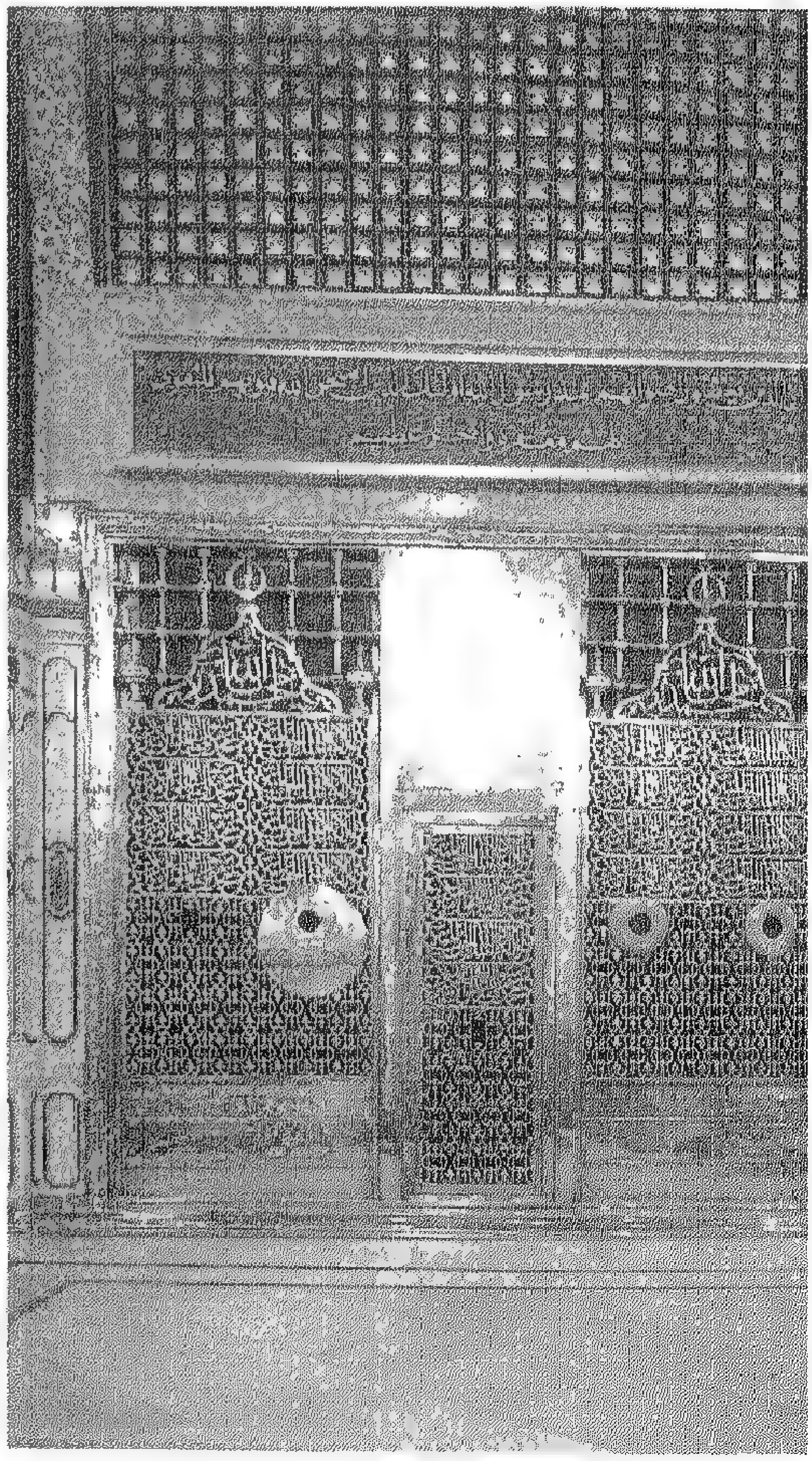
كريستوفر كولومبوس
(كريستوبال كولون)

❖ ولأن الحديث ذو شجون فقد تحدثنا عن قضايا أخرى عديدة، بدأت من شفشاون ثم اتسعت لتشمل العالم الإسلامي الذي يراه الأستاذ التازي في مرحلة حساسة، وأن المسلمين إن لم يستفيدوا من الدروس التي مروا بها فليس أمامهم غير مزيد من المعاناة.



عظمة محمد ﷺ كما يراها وِل ديورانت

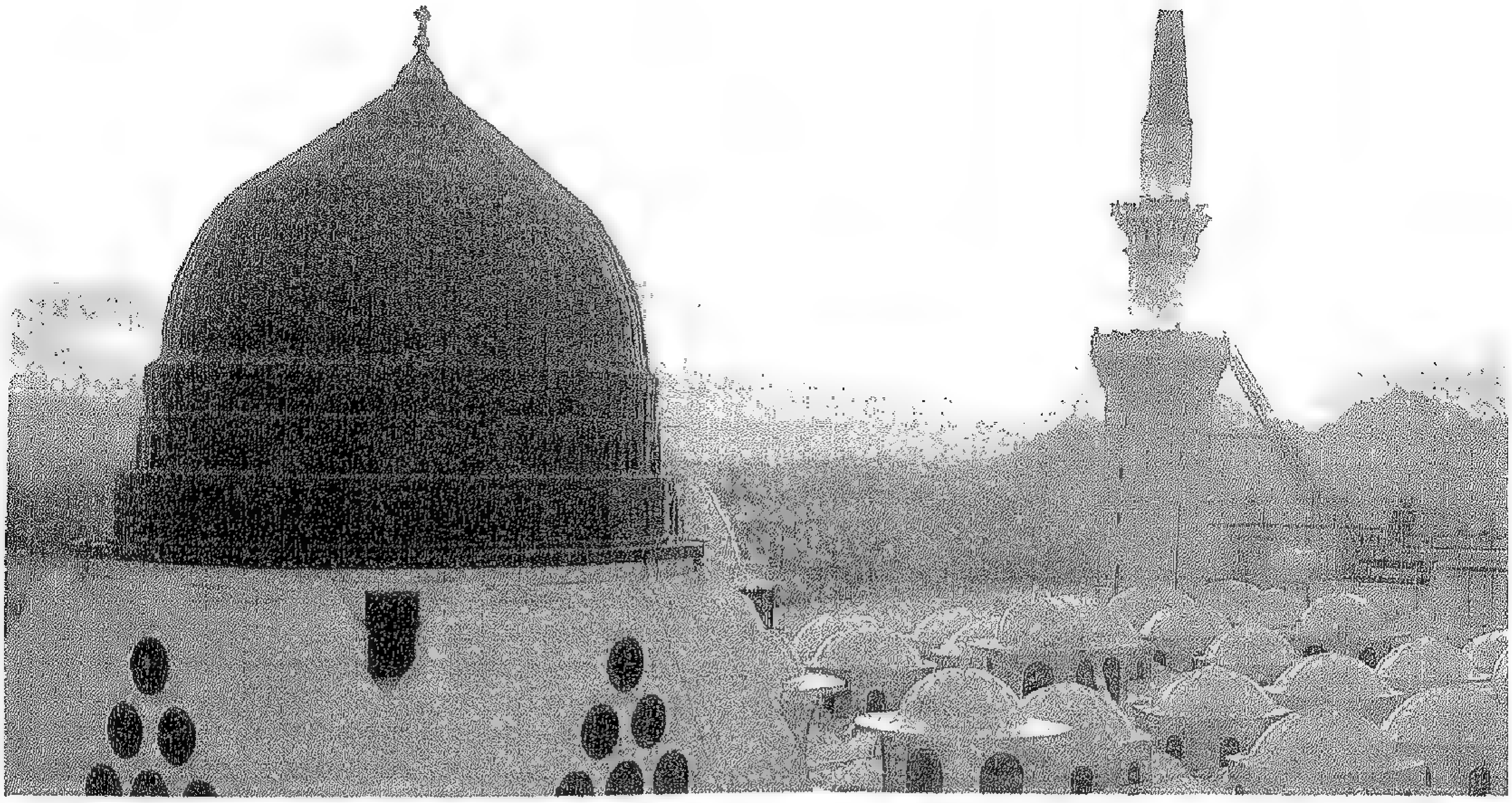
إعداد : **التحرير**



ول ديورانت Will Durant أحد أشهر المفكرين في العصر الحديث.

عُرِفَ بموسوعته الشهيرة (قصة الحضارة) The Story of Civilization وكتابه (قصة الفلسفة) The Story of Philosophy. وكتابته تتسم بالإنصاف إلى حدّ بعيد، ومن علامات إنصافه قوله في النبي محمد ﷺ :

«كانت حياة النبي محمد في غاية البساطة، وكانت البيوت التي سكن فيها، واحداً بعد الآخر، من اللبن، لا يزيد اتّساعها على اثني عشر أو أربعة عشر قدما، ولا يزيد ارتفاعها عن ثمانية أقدام سقفها من جريد النخل، وأبوابها ستائر من شعر المعز أو وبر الجمال، أمّا الفراش فلم يكن أكثر من حشية تُفرشُ على الأرض، ووسادة، وكثيراً ما كان يُشاهد وهو يخصفُ نعليه، ويُرقّع ثوبَه، وينفخ النّار، ويكنسُ الدّار، ويحلب عنزة البيت في فنائه، ويبتاع الطّعام من السوق، وكان يأكلُ بيده، ويلعق أصابعه بعد كلّ وجبة، وكان طعامه الأساسي التمر وخبز الشعير، وكان اللبن وعسل النحل كلَّ ما يستمتع به من الترف في بعض الأحيان. ولم يتعاطَ الخمر التي حرّمها هو على غيره، وكان لطيفاً مع العظماء، بشوشاً في أوجه الضعفاء، عظيماً مهيباً أمام المتعاظمين المتكبرين، متسامحاً مع أعوانه، ويشترك في



المسجد النبوي بالمدينة المنوّرة.

تشييع كلّ جنازة تمرّ به، ولم يتظاهر قط بأبهة السلطان. وكان يرفض أن يوجّه إليه شيءٌ من التعظيم الخاص. يقبل دعوة العبد الرقيق إلى الطعام، ولا يطلب من عبدٍ أن يقوم له بعمل يجد لديه من الوقت والقوّة ما يمكنانه من القيام به لنفسه. ولم يكن ينفق على أسرته إلا القليل من المال رغم ما كان يرد إليه من الفيء وغيره من الموارد، وأما ما كان ينفقه على نفسه فقد كان أقل من القليل، وكان يخص الصدقات بالجزء الأكبر من هذا المال. لكنه كان ككلّ الناس يعتني بمظهره الشخصي، فكان يتعطّر ويكتحل، ويصبغ شعره، ويلبس خاتماً نُقِشَ عليه «محمد رسول الله»، وربما كان الغرض من هذا الخاتم هو توقيع الوثائق والرسائل. وكان صوته حلواً يأسر القلوب، وكان مُرهف الحسّ إلى أبعد حد، لا يطيق الروائح الكريهة، ولا صلصلة الأجراس، أو الأصوات العالية. ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [سورة لقمان: الآية 19]

وقد قضى على كثير من الخرافات الهمجية كفقء أعين بعض الحيوانات لوقايتها من الحسد، أو ربط بعير الميت عند قبره... وإذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس قلنا إنّ محمداً كان من أعظم عظماء التاريخ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحيّ والأخلاق لشعبٍ ألقت به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحاً لم يُدانه فيه أيُّ مُصلحٍ آخرَ في التاريخ كلّه. وقلّ أن نجدَ إنساناً غيره حقّق كلّ ما كان يحلُمُ به. وقد وصل إلى ما كان يبتغيه عن طريق الدين، ولم يكن ذلك لأنه هو نفسه شديد التمسّك بالدين وكفى، بل لأنه لم يكن ثمة قوة غير قوّة الدين تدفع العربَ في أيامه إلى سلوك ذلك الطريق الذي سلكوه، فقد لجأ إلى خيالهم، وإلى مخاوفهم وآمالهم، وخاطبهم على قدْرِ عقولهم. وكانت بلاد العرب لما بدأ الدعوة صحراء جدباء، تسكنها قبائل من عبدة الأوثان، قليلٌ عددُها متفرقةٌ كلمتُهَا، وكانت عند وفاته أمةً مُوحّدةً مُتماسكة. وقد كبح جماح التعصّب والخرافات، وأقام فوق اليهودية والمسيحية ودينِ بلاده القديم ديناً سهلاً واضحاً قويّا، وصَرْحاً خُلُقيّاً قِوامُه البَسالةُ والعزّة. وقد استطاع في جيلٍ واحدٍ أن ينتصرَ في مائة معركة، وفي قرنٍ واحدٍ أن يُنشئَ دولةً عظيمة، وأن يبقى إلى يومنا هذا قوّةً ذات خطرٍ عظيمٍ في نصف العالم».

من أغاني شيراز

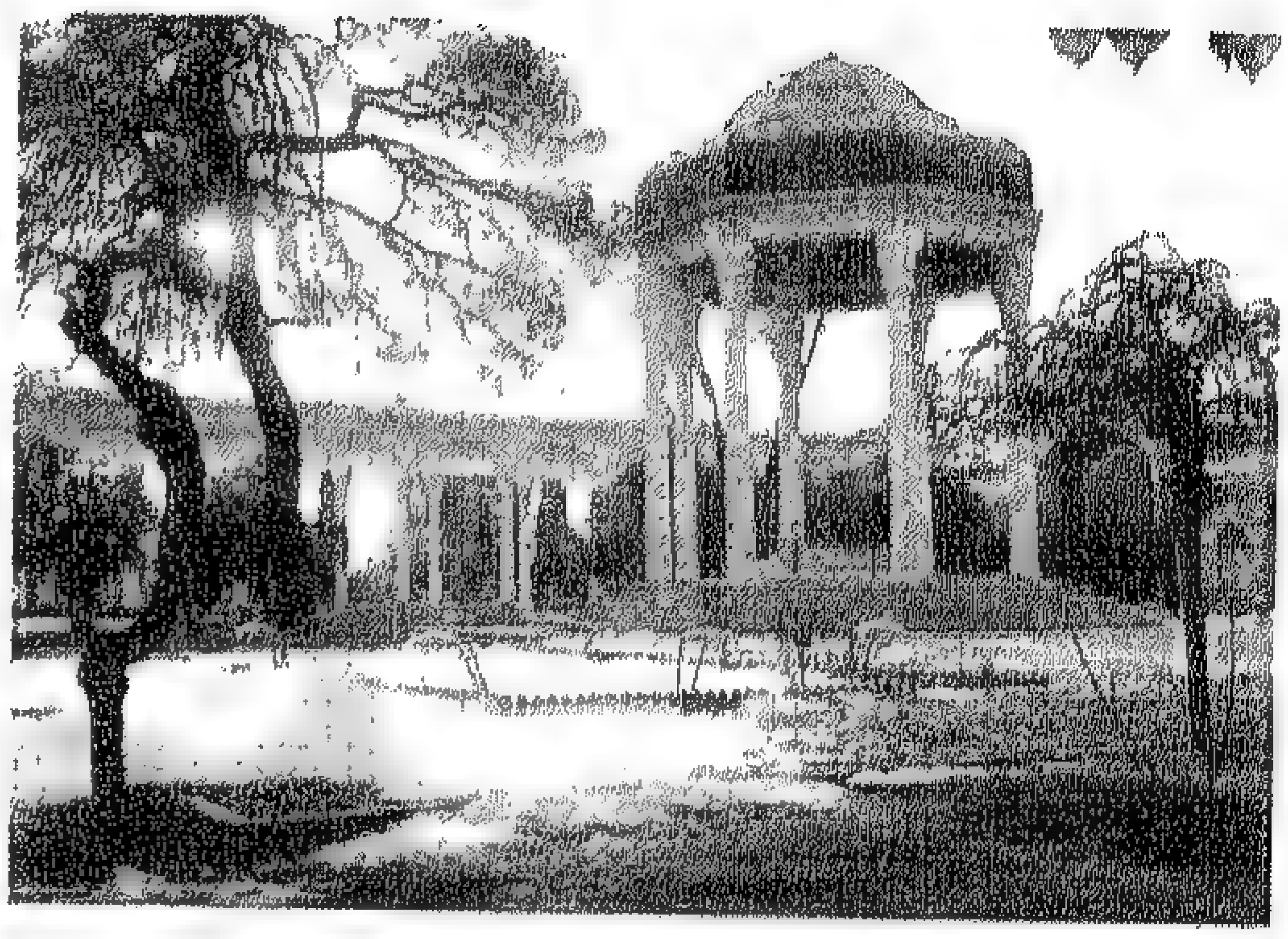
إعداد : **التحرير**

شيراز قِبلَةُ الشعر، ومهوى الشعراء.

ولو لم يكن لشيراز من شرفٍ إلا أنها أنجبت اثنين من أعظم شعراء الإنسانية، وهما سعدي وحافظ لكفاها شرفاً على مرّ التاريخ.

وشيراز التي تغنى بها حافظ، خلدها التاريخ بأغانيه التي عُرفت على مرّ الزمان بأغاني شيراز، أو غزليات حافظ الشيرازي.

في القرن الثامن الهجري عاش في شيراز شاعر عظيم تغنى بالحبّ والجمال، يُلقّب بـ (لسان الغيب وترجمان الأسرار). هو شمس الدين محمد الخواجه حافظ الشيرازي.



ضريح حافظ شيرازي

اشتغل حافظ في أوّل عمره خبازا، فكان كعادة الخبازين يستيقظ في نصف الليل ويقوم بعمله حتى الفجر، ثم يشتغل بالعبادة بعد الفراغ من العمل. وإذا ارتفعت الشمس في السماء توجّه إلى مدرسة بالقرب منه ليقضي فيها وقتاً في الدرس والتحصيل، وكان يقتصد جزءاً من أجره اليومي ليدفعه إلى معلّمه أجراً لتعليمه، حتى أكمل حفظ القرآن وإتقانه، فسمي بذلك (الحافظ)، وهو اللقب الذي صحبه واشتهر به لمّا لمع نجمه في سماء الشعر والتصوّف والمعرفة.



ولحافظ ديوان ضخم أثار انتباه العالم في الشرق والغرب، فتُرجمت بعض قصائده إلى الألمانية في القرن الثامن عشر على يد ڤاهل Wahl، ثم تَرجَمَ ديوانه ترجمة كاملة إلى الألمانية ڤون هامر

Von Hammer سنة 1812، كما تُرجِمَت بعض غزلياته إلى الفرنسية، وتُرجم شعرُه كاملاً إلى اللغة الإنجليزية سنة 1891 على يد ويلبر فورس كلارك Wilberforce Clarke كما ظهرت له سنة 1901 ترجمة أخرى إلى الإنجليزية منظومة في ثلاثة أجزاء قام بها جون باين John Payne وها هي ذي بعض غزلياته مأخوذة من ديوانه (أغاني شيراز) الذي ترجمه إلى العربية د. إبراهيم أمين الشواربي في الأربعينيات من القرن الماضي.

أفَلَتُ من مقدوري يا قلبي اقتدارا

أسفاً سيصبح أمري مُفتّحاً وجهارا

يا ريح ! قومي هبّي في مركبي وَخُبّي

فربما رأينا حبيبنا المختارا

أيامنا الدّواني، خُرافة الأماني

الغُنمُ فيها قُربي مِنَ الحبيبِ دارًا

يا صاحِبَ الكرامه! شُكراً لك السلامه

انظر لنا بحنان إنا هنا حيارى

وراحة الأماني، تفسيرها يدريه

من للصّديق تمنّى،وللعدوّ دارا

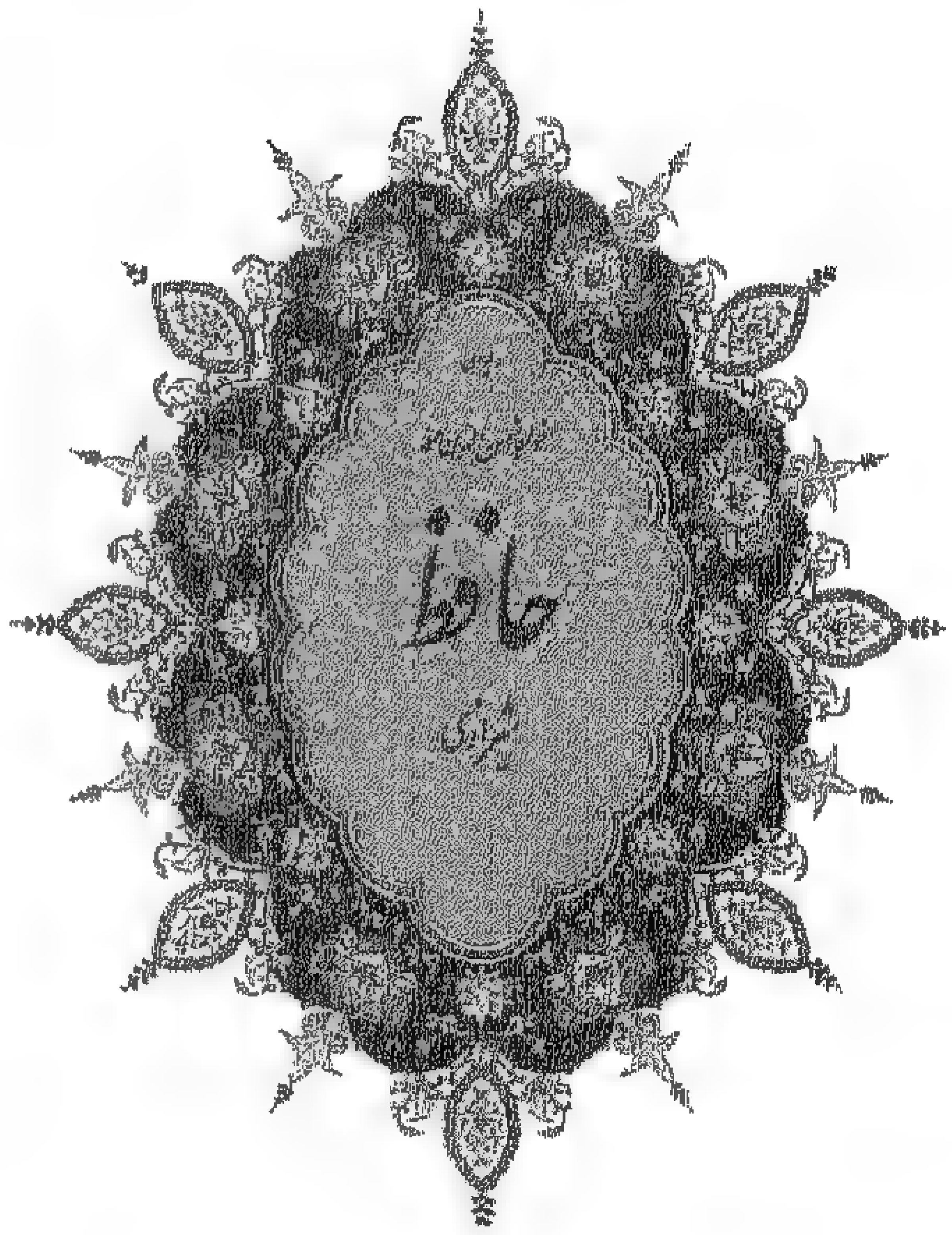
أيامنا إن ضاقت نحسو بها البواقي

فهذه إكسيرٌ يُضحي الفتى جبّارا

فلا تَكُن عنيدا، فتحترق أكيدا

فالصخر أضحى شمعاً في كفه صارا

❖❖❖



غلاف ديوان حافظ بالفارسية

إلـــيّ بِـكأسٍ سَـقــاه الدلال

بـكأس الـكـرامـة كـأس الـكمـال

فـإنـي حُـرِمتُ هَـنـاءَ الـقـلـوب

وأصـبـحتُ وحـدي طـريـدَ الـكـروب

فـأسْـرِع إلـيّ بـفـتـحِ الـفُـتـوح

وَهَـب كَـنـزَ قَـارونَ أو عُـمـرَ نوح

وأقبل إلـيّ بِـنـارِ السّـعـيـر

بِـشمسِ الشُّـمـوسِ تُـنـيرُ الأثيـر

فـإنـي بـتـأيـيـد كأسِ الـمُـدام

خَـبِـرتُ الـبـرايا وسِـرَّ الأنام

تعَـالَ إلـيّ بـكَـأسِ الـكـؤوس

فَـأحـيـى الـرجَـاءَ وأحـيـى الـنّـفوس

وقُـل لـي كـمـا قَـال أمسِ الـكـثـيـر

بأنّ الـحـيـاةَ مـتاعٌ يَـسـيـر

تعـالَ إلـيّ، هـنـا السّلـسـبـيـل

وفـيـه مـن الـخُـلـدِ أبهـى دليل

وقُـل خـذ شرابـاً نـقـيّـاً طـهـورا

يـزيـدُ الـحـيـاةَ مُـنـى وسُـرورا

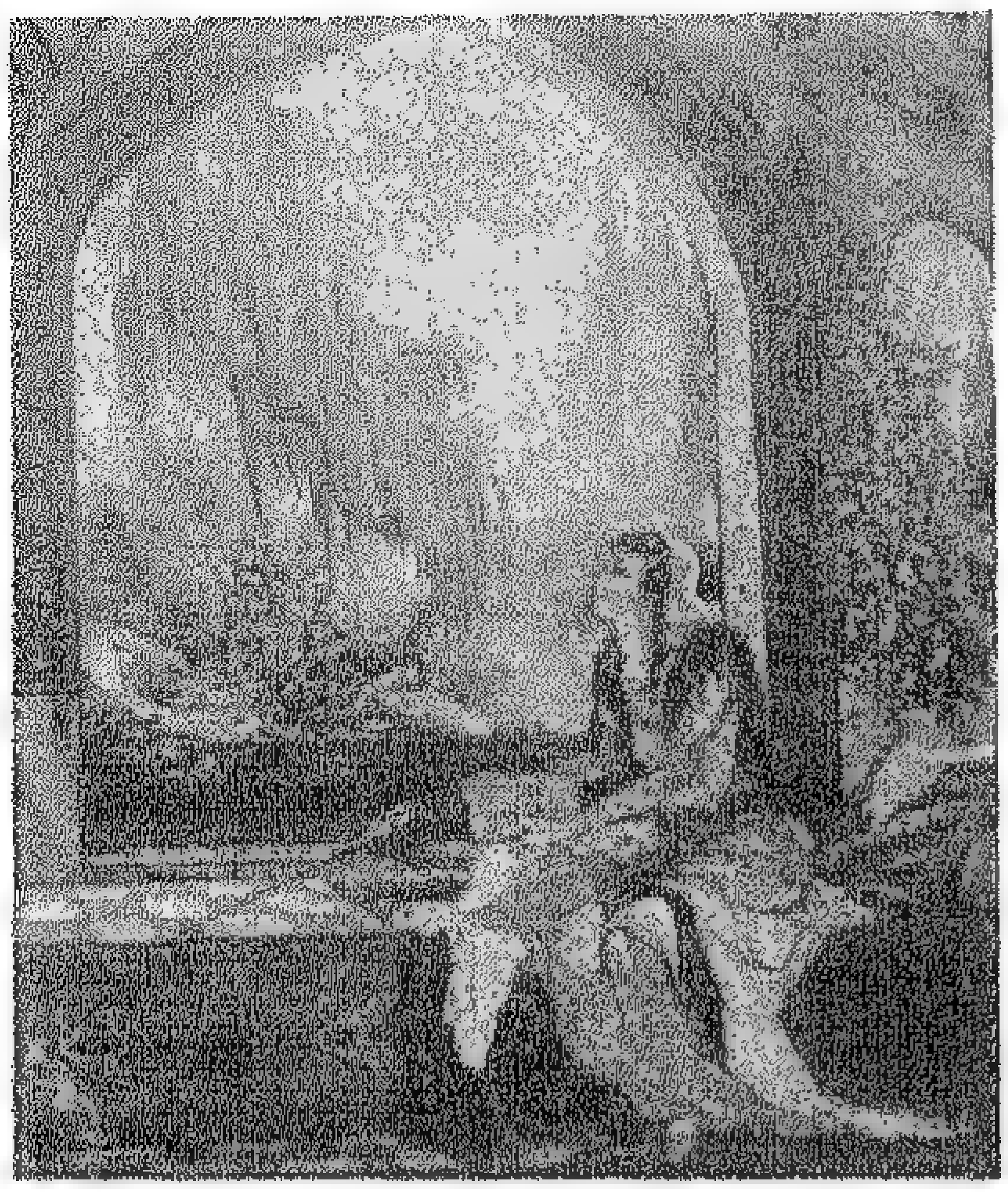
وَقُـل لـي بِـأنـغامِ نـايٍ حـزيـن

سَـبـيـلُ الـحيـاة سَرابُ السّـنـيـن

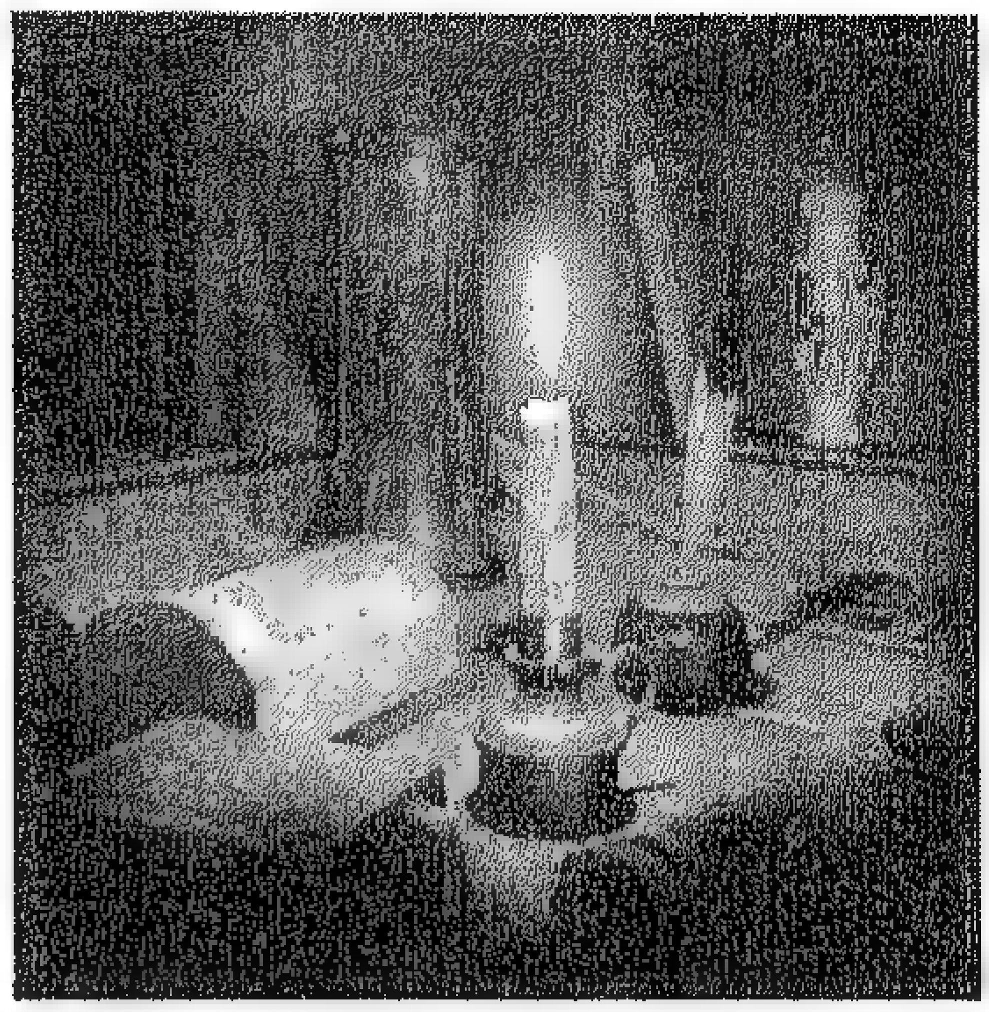
وطـهّـر فُـؤادي بـغَـسْـلِ الـعـيـوب

فـبـالـغسـل آمنُ هَـوْلَ الـكُـروب

❖❖❖







أنـــا المشهور في بلـدي بأمر العشقِ والحبِّ

وعيـنـي مـا رأت نُكراً ولم يَأثم بهـا قلبي

أفـي بـالـعـهـد لا لـومٌ يُـنـغصـنـي ويـؤذيـنـي

ولا غضَبٌ يُعرقلني ويمنعني عن الحبِّ

وفي شرعي إذا أُوذيتُ أنْ أمضي إلى حالي

فـلا أُوذِي ولا أُوذَى ولا أشـعُـرُ بـالـكـرَبِ

سألتُ الشيخَ هل يدري نجاتي أين ألقيها

فـقـالَ: عـلـيك يـا ولـدي بستْرِ الإثمِ والعَيْبِ

ومـالـيَ فـي الـمُـنـى أمَـلٌ لأرجوهُ وَأطلُبُه

سوى أن اقطفَ الوردَ كفعْلِ العَاشِقِ الصّبِ

❖❖❖

لقد مضت سنوات طويلة وأنا أتبع مذهب الخلعاء المعربدين..

حتى استطعتُ في النهاية بفتوى العقل أن أسجن الحرص في قرار مكين..

ولـم أذهب وحدي.. ومـن تـلـقـاءِ نـفسـي.. إلـى مـنـزل العَنقَاء..

ولكنني قَطعتُ هذه الرحلة مع « طائر سليمان» في يُسرٍ ورخاء..

فيا كنزي المتنقّل.. ! ألْقِ بِظلالِكَ على قلبيَ الجريح..

فقد خرّبتُ منزلي من أجلك.. لعلي أصِلُ إليك وأستريح..

ولي طمعٌ في «لطفِ الأزلِ» أن يوصلني إلى جنة الفردوس والرضوان..

ولو أنني كثيراً ما قمتُ بالحراسةِ والمراقبةِ على باب الحان..

❖❖❖

تعالَ ! الكَأسَ ناولني بِعَرْفِ الوَرْدِ أَحْسوها

سُقوفُ الكَوْنِ حَطّمها وأنشئ عَالَمَاً آخرْ

فَإن شاءوا دمي ثأراً لإرهابي وتخويفي

طلبتُ السّاقيَ الشّادي لِقَهْرِ القَاتِلِ الغَادِرْ

فدعني واملأ الأقْداحَ من خَمْرٍ مُرَوّقةٍ

ودَعْني وانثُرِ الأعْوادَ فوق المجمرِ العاطر

وامسك أيها الشادي برأس العود واطربني

فإني راقِصٌ تيهاً ورأسي بِالمُنى دائرْ

ويا مرَّ الصّبا خُذني إلى أحْضَانِ محبوبي

لكي ألقاه في يُمنٍ بِذاكَ المنزِلِ العَامِرْ

ويرضى بِالحِجى فَرْدٌ ويَشقى بالنُّهى فَرْدٌ

فدعني أهْمِلُ الدّنيا لِشأنِ الخَالِقِ القَادِرْ

❖❖❖

نصّ

من ورقاء ابن سينا
إلى عنقاء إيليا أبي ماضي

إعداد : **التحرير**



الشيخ الرئيس إبن سينا

من أجملِ ما كُتبَ في النفس أو الروح ما أنشده الشيخُ الرئيس في قصيدته العينية الشهيرة التي عارضها الشعراء تشطيراً وتخميساً. وفيها يقول:

هبطتْ إليكَ مِنَ المحلِّ الأرْفَعِ
وَرْقَاءُ ذاتُ تَعَزُّزٍ وتَمَنُّعِ

محجوبةٌ عن كُلِّ مُقْلَةِ ناظِرٍ
وهي التي سَفَرَت ولم تَتَبرْقَعِ

وَصَلَت على كُرْهٍ إليكَ وربّما
كَرِهَتْ فِرَاقَكَ وهي ذاتُ تَوَجُّعِ

أنِفَت وما سَكَنَتْ فلما واصَلَت
أَلِفَتْ مُجَاوِرَةَ الخَرابِ البَلْقَعِ

وأظُنُّها نَسِيَتْ عُهوداً بالحِمى
ومَنازِلاً بِفِراقِهَا لم تَقْنَعِ

حتى إذا اتَّصلَتْ بهاء هبوطها
عن ميمِ مَرْكَزِها بذاتِ الأجرَعِ

عَلِقَتْ بِها ثاءُ الثَّقيلِ فأصبَحَتْ
بينَ المَعالِمِ والطُّلولِ الخُضَّعِ

تَبكي إذا ذكَرَتْ عُهوداً بالحِمى
بِمَدامِعٍ تَهْمي ولم تَتَقَطَّعِ

وَتَظَلُّ سَاجِعَةً على الدِّمَنِ التي
دُرِسَتْ بِتَكْرَارِ الرِّيَاحِ الأربَعِ

إذْ عَاقَهَا الشَّرَكُ الكثيفُ وصَدَّها
قَفَصٌ عن الأَوجِ الفَسيحِ المُرْبِعِ

حتى إذا قَرُبَ المسيرُ إلى الحمى
ودَنَا الرَّحيلُ إلى الفَضاءِ الأوسَعِ

هجَعَتْ وقد كُشِفَ الحِجَابُ فَأبْصَرَتْ
ما ليسَ يُدرَكُ بِالعُيونِ الهُجَّعِ

وَغَدَتْ تُغَرِّدُ فَوْقَ ذُرْوَةِ شَاهِقٍ
والعِلْمُ يَرْفَعُ كُلَّ ما لَم يُرْفَعِ

فلأيِّ شيءٍ أُهْبِطَتْ من شَامِخٍ
عالٍ إلى قَعْرِ الحَضيضِ الأوضَعِ

إن كَانَ أنْزَلَهَا الإلهُ لِحِكْمَةٍ
طُوِيَتْ عن الفَذِّ اللبيبِ الأرْوَعِ

فَهُبوطُهَا لا شَكَّ ضَرْبَةُ لازِبٍ
لِتَكونَ سَامِعَةً لما لم يُسْمَعِ

وتَعودُ عَالِمةً بِكُلِّ خَفِيَّةٍ
في العَالمينَ فَخَرْقُهَا لم يُرْقَعِ

فَكَأنه بَرْقٌ تَألَّقَ في الحِمى
ثمَّ انطوى فَكَأنه لم يَلمَعِ





وفي قصيدة العنقاء لشاعر المهجر الكبير إيليا أبي ماضي معارضاً عينيّة الشيخ الرئيس:

أنا لستُ بالحسناءِ أوّلَ مُولَعٍ ... هيَ مَطْمَعُ الدنيا كَمَا هِيَ مَطْمَعي

فاقصُص عليَّ إذا عَرَفتَ حديثَهَا ... واسْكنْ إذا حَدّثْتَ عنها واخْشَعِ

ألمَحْتَهَا في صورةٍ ؟ أشَهِدتَهَا ... في حَالَةٍ ؟ أرَأَيتَهَا في موضِعِ؟

إني لذو نفسٍ تَهيمُ وَإنّها ... لَجَميلَةٌ فوقَ الجَمَالِ الأَبْدَعِ

وَيَزيدُ في شَوقي إليها أنّها ... كالصّوتِ لم يُسْفِرْ ولم يَتَقَنّعِ

فَتّشْتُ جيبَ الفَجْرِ عنها والدّجى ... وَمَدَدتُ حتى لِلكَواكِبِ أُصْبُعي

فَإذا هُما مُتَحيّرانِ كلاهُمَا ... في عاشقٍ مُتَحيّرٍ مَتَضَعْضِعِ

رَقَصَتْ أشِعّتُهَا على سَطْحِ الدّجى ... وعلى رَجاءٍ في غيرِ مُشَعْشِعِ

❖❖❖

والبَحْرُ كم ساءلْتُهُ فَتَضَاحَكَتْ ... أمواجُهُ من صَوتِيَ المُتَقَطّعِ

فَرجعتُ مُرتَعِشَ الخواطرِ والمُنى ... كحمامَةٍ محمولَةٍ في زَعْزَعِ

وَكَأنّ أشْبَاحَ الدّهورِ تألّبت ... في الشّطِ تضحكُ كلّها من مرجعي

ولكم دخلتُ إلى القُصورِ مُفَتّشاً ... عنها، وعجّت بِدَارِساتِ الأربُعِ

إن لاحَ طيفٌ قُلتُ : ياعينُ انظُري ... أو رنَّ صوتٌ قُلتُ : يا أذنُ اسمعي

فإذا الذي في القَصرِ مثلي حائرٌ ... وإذا الذي في القَصْرِ مثلي لا يعي

❖❖❖

قالوا: تَورَّعْ، إنها محجوبَةٌ إلا عن المُتزهِّد المُتورِّعِ
فَوَدَأْتُ أفراحي وَطَلَّقتُ المُنى ونَسَختُ آياتِ الهوى من أضلُعي
وحَطَمتُ أقداحي ولمّا ارتوِ وعَفَفْتُ عن زادي وَلمّا أشْبَعِ
وحَسَبتُني أدنو إليها مُسرِعاً فوجَدْتُ أنّي قد دَنَوتُ لِمصرَعي
ما كان أجْهَلَ نُصّحي وَأضَلّني لمّا أطَعتُهمُو ولم أتمنّعِ

❖❖❖

وكأنني العصفورُ عَرّى جِسْمَهُ من ريشِه المُتناسِقِ المُتلمّعِ
لِيَخِفَّ مَحْمَلُه فَخرّ إلى الثّرى وَسَطا عليه النَّمْلُ غيرُ مُروّعِ
وهجمتُ أحسَبُ أنها بنتُ الرؤى فصَحوتُ اسخَرُ بالنّيام الهُجّعِ
ليست حُبورًا كُلّها دُنيا الكَرى كم مُؤلِمٍ فيها بِجَانِبِ مُفْزِعِ
تُخفي أمانيَ الفتى كَهمومه عنه وتَحجِبُ ذاتَه في بُرْقُعِ
ثم انتبَهت فلم أجِد في مخدعي إلا ضَلالي وفِراشي ومَخدعي

❖❖❖

وَلَمَحْتُ وامِضَةَ البُروقِ فَخِلْتُهَا فيها فلم تكُ في البُروقِ اللمّعِ
صَفِرَتْ يدي منها وبي طيشُ الفتى وأضَلّني عنها ذَكَاءُ الألمعي
حتى إذا نَشَرَ القُنوطُ ضَبَابَه فوقي فغَيّبني وغَيّبَ موضِعي
وتَقَطّعت أمْراسُ آمالي بها وهي التي مِنْ قَبْلُ لَم تَتَقطّعِ
عَصَرَ الأسى روحي فسالت أدمُعاً فَلَمَحْتُها ولَمَستُها في أدْمُعي
وَعَلِمتُ حين العِلْم لا يُجدي الفتى أنّ التي ضَيّعتُها كانت معي

❖❖❖

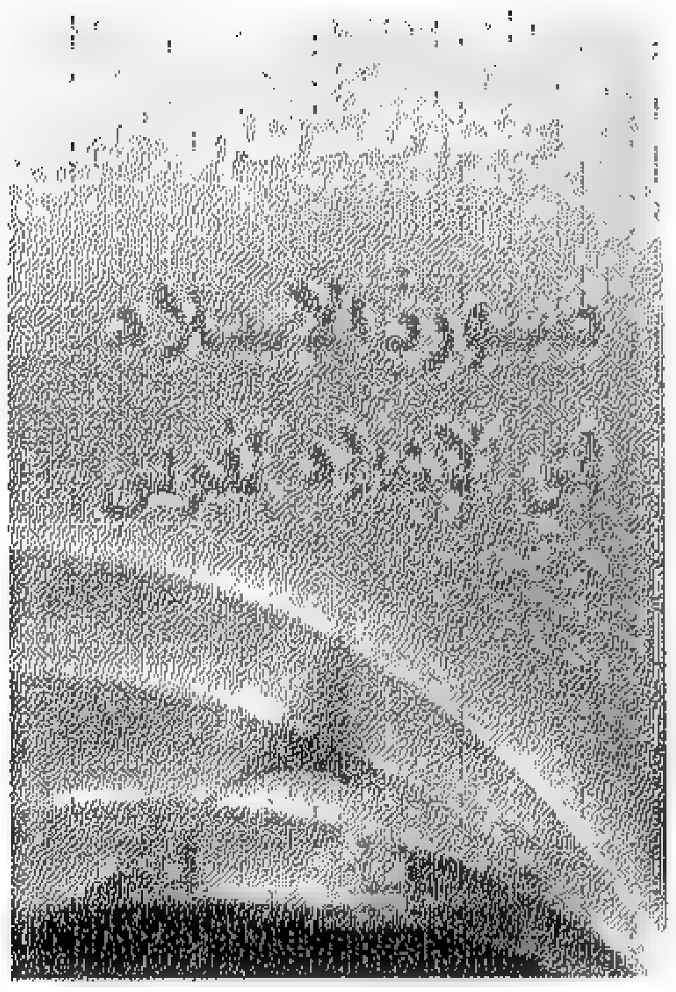


- صورة الإسلام في الإعلام الغربي
- إنسانية الإسلام

صورة الإسلام في الإعلام الغربي

المسلمون في الحاجة إلى خطاب إعلامي يتجاوز العاطفة ومؤسس على الانفتاح النقدي

عرض: **التحرير**



الكتاب:
صورة الإسلام
في الإعلام الغربي
المؤلف:
الدكتور محمد بشاري
عدد الصفحات:

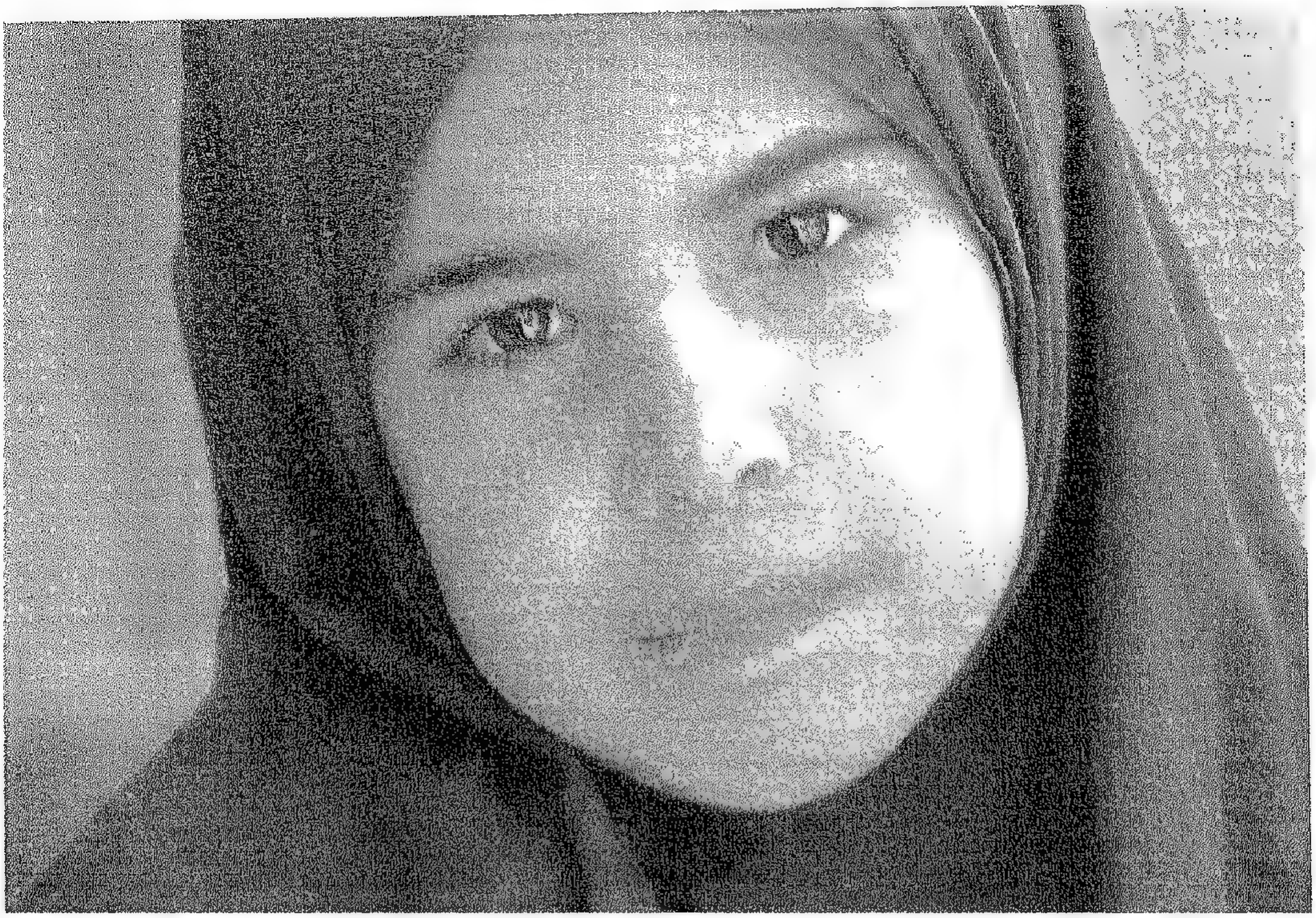
مبدئياً، من السهل خندقة أسباب نزول كتاب «صورة الإسلام في الإعلام الغربي» ضمن استحقاقات حقبة ما بعد أحداث الثلاثاء الأمريكي الأسود، وخاصة وأننا نعيش في فترة تتميز بتصاعد الحملات الإعلامية العدائية ضد الإسلام والمسلمين عبر تمرير صور نمطية عن الإسلام تختزله في ديانة تتبنى العنف وتحرض على التطرف وتعارض الحداثة، لولا أن صاحب الكتاب، محمد بشاري، الذي يشغل منصب رئيس الفيدرالية العامة لمسلمي فرنسا وأمين عام المؤتمر الإسلامي الأوروبي، يشير في تمهيد الكتاب إلى أنه اشتغل على تحريره قبل تاريخ صدمة أحداث 11 أيلول (سبتمبر) 2001.

خصص الفصل الأول لاستعراض أهم المميزات التي تطبع صورة الإسلام في وسائل الإعلام الأوروبية، مع الاستشهاد ببعض النماذج، منها الإعلام الألماني مثلا، وكذلك من خلال استعراض بعض معالم تعامل وسائل الإعلام الأوروبية مع بعض القضايا التي تهم الإسلام.

كما يضم الكتاب فصلاً مخصصاً لبعض النماذج النمطية التي تميز صورة الإسلام في الإعلام الأوروبي، اعتمادا على بعض نماذج من وسائل الإعلام الألمانية، قبل أن يتطرق لأهم معالم صورة الإسلام في وسائل إعلام بعض الدول الأوروبية، وخاصة في فرنسا وبريطانيا.

صورة الإسلام في وسائل الإعلام الفرنسية

اعتمد الكاتب في هذا الفصل على العديد من المراجع، منها استطلاعات رأي لمؤسسة «الإيفوب»، ومتابعة لبعض النماذج الإعلامية في التعامل مع صورة الإسلام، بالإضافة إلى دراسة للباحث المختص في مجال الإعلام والاتصال، الدكتور الصادق رابح، وكتابه الذي يحمل عنوان «صورة



الإسلام في الخطاب الإعلامي الفرنسي»، والذي اشتغل على مجلتي (الإكسبرس) و(لونوفيل أوبسرفاتور)، وذلك عبر تحليل طبيعة تعاملهما مع بعض القضايا التي تتعلق بواقع الأقلية المسلمة في فرنسا، وهي: قضية التعامل الإعلامي مع رواية «آيات شيطانية» لسلمان رشدي، قضية الحجاب، ملف المرأة، ثم موضوع الجهاد.

«هناك حوالي ثلاثة ملايين مسلم في فرنسا، والمسلمون في فرنسا يفتتحون في كل يوم مساجد جديدة، ولكن، علينا أن نتساءل: من هو إلههم؟ هل هو إله الخميني أم إله القذافي؟ هل هو الذي يتبنى قطع يد السارق أم رجم النساء الزانيات؟» بهكذا وصف تحدثت مجلة لونوفيل أوبسرفاتور في عدد 7 فبراير 1985 في ملف يحمل عنوان: «الإسلام في فرنسا». بهكذا نموذج إعلامي في التعامل مع القضايا التي تمس الأقلية المسلمة في فرنسا، يختصر المؤلف العديد من العقليات السائدة في الوسط الإعلامي الفرنسي عموماً.

تتميز فرنسا بأنها تضم أكبر جالية إسلامية في أوروبا، وبالتالي من المتوقع أن تشكل مشاكل المسلمين هناك أكبر مقارنة مع المشاكل التي تعترض الأقلية المسلمة في باقي الدول الأوروبية. وتتضح طبيعة التعامل الإعلامي مع القضايا الإسلامية، من خلال أربعة قضايا نموذجية، وهي: قضية سلمان رشدي، وقضية الفتيات المحجبات، وقراءة الإعلام الفرنسي لمكانة المرأة في الإسلام، ثم القراءات الخاصة بمفهوم الجهاد. (جدير بالذكر أن القراءات الإعلامية المعنية في هذا الفصل صدرت قبل منعطف أحداث الثلاثاء الأمريكي الأسود)، وسوف نقتصر في هذا المقام على استعراض أهم ما جاء في موضوع الحجاب.

قضية الفتيات المحجبات في فرنسا

لعل تمرير عناوين المقاربات في وسائل الإعلام الفرنسية، يوجز فداحة الانزلاقات التي ميزت هذه المقاربات، وقد امتد الأمر إلى درجة الحديث عن

«الحجاب الشبح الذي قد يهدد باندلاع حرب أهلية» في المجتمع الفرنسي، تقف من ورائها مجموعة من التنظيمات، بحسب ما يروق للمسؤولين عن المجلتين (الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور) أن يستشهدوا به، كأن نقرأ عن «الجماعات الموالية للسعودية» أو «التنظيمات الموالية لإيران»، «الحركات الشيعية»، «الزمر الأفغانية»، «الشبكات الإيرانية»، «الجماعات المتطرفة»، «التجمعات الأصولية»، «المحرضون الموالون للسعودية أو الموالون لإيران»، «التأثير السعودي»، وغيرها من المسميات التي يتعمد من ورائها المحررون توريط بعض الدول الإسلامية.

برأي الكاتب، لم تقتصر مسألة التشويه والتحريض على الكتابات الصحافية، وإنما اتسمت بتدخل بعض المثقفين الفرنسيين البارزين في خطوة تبنتها لونوفيل أوبسرفاتور من خلال نشر أسماء خمسة من أبرز المثقفين الفرنسيين على الصفحة الأولى من أحد أعدادها، يطالبون في نداء بالذي وصف «بعدم الاستسلام» وذلك في رسالة مفتوحة موجهة إلى وزير التربية الوطنية.

ولم يخرج محتوى ما جاء في هذه الرسالة المفتوحة عما جاء في الخطوط العريضة للمتابعات الصحافية التي تعرضت لهذا الموضوع، كأن نقرأ في رسالة محسوبة على نخبة مثقفة كان من المفروض ألا تنزلق في مسلسل التحريض العبارات والمفردات التالية: «المتطرفين»، «التفرقة»، «الحرية»، «حقوق الإنسان»، «المساواة بين الجنسين»، «المدرسة العلمانية»، «المتزمتين». دون نسيان المبرر الرئيسي وهو أن «الحجاب الإسلامي يمثل شعاراً عند مؤسسة متزمتة تهدف إلى تدمير المدرسة الفرنسية، بكل ما تمثله هذه الأخيرة، فهي فضاء للعقل الذي أنجب سلمان رشدي، سبينوزا، رامبو، فولتير، بودلير».

«إن النضال ضد وجود الحجاب الإسلامي في المدارس يمثل مساهمة في المعركة العالمية ضد التزمت ومن أجل الرقي بمستوى المرأة»، كما تشير إحدى افتتاحيات جان دانيال رئيس تحرير مجلة (لونوفيل أوبسرفاتور). كما أن «ارتداء الحجاب هو التعبير التفاخري بهذا الوضع الرجعي الذي يمس المرأة، إنه رمز تقهقر وضعية المرأة (في الإسلام) ورمز التفرقة الجنسية ضد المرأة».

الخطاب القرآني لا يمكن إلا أن يكون منصفاً للجنسين معاً، الرجل والمرأة

«هل أنتم مستعدون لملاقاة ومواجهة المتزمتين بذلك الحجاب؟» نموذج بسيط على الاستفسارات التحريضية التي نقرأها في المتابعتين، «وبما أنكم قرأتم القرآن - يضيف أحدهم - أبلغونا أين توجد الآيات التي لا تحرض على التفرقة ضد المرأة، في إشارة واضحة إلا أن القرآن الكريم لا يضم أي آية تنصف المرأة».

إن الخطاب القرآني الذي جاء فيه مثلاً:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [سورة الإسراء: الآية 70]

لا يمكن إلا أن يكون منصفا للجنسين معاً، الرجل والمرأة، كما أن التكريم الذي سوف تحظى به المرأة بعد قدوم الإسلام، سواء إذا قمنا بمقارنة أوضاع المرأة في الجزيرة العربية، قبل وبعد مجيء الإسلام، لهو أكبر دليل على التشريف الذي نالته المرأة.

وبالجملة، يرى المؤلف أن السائد في أغلب هذه المتابعات الإعلامية كان طغيان «رؤية اختزالية الآخر» كما أشار إلى ذلك الصادق رابح، رؤية درامية تجعل من الإسلام يشكل عالما آخر قلما يشترك معنا أي مع الغرب، في قيم أو مميزات معينة.

والمشكل مع قضية الاختزال هذه أنها لا تمس الإسلام الفرنسي وحسب، بل تمس مباشرة الإسلام، كدين وكحضارة، وذلك من خلال توظيف مجموعة من «المفردات الموجهة» تؤسس لهذا الاختزال، ونورد بعضاً: الخميني، التطرف، التشدد، الجهاد، الحرب المقدسة، تعدد النساء، الإرهاب، النفط، إيران، الجزائر، الهجرة، إعادة الأسلمة، الضواحي.. ويتم استخدام هذه المفردات لإبعاد القارئ الغربي، أي الفرنسي، في هذا النموذج، عن أي احتكام للعقل، وهذا يسهم في تضييق المعنى وفي تسهيل إيصال تلك التصورات والأحكام.

ثم هناك إشارة ثانية في مسألة الاختزال، حيث تصبح بمثابة القاعدة، ومنبعاً بين أيدي القارئ، الذي يعفي نفسه من التفكير وتأسيس رؤاه الخاصة به انطلاقا من قواعد معرفية موضوعية.

إن تحليل الخطاب الإعلامي المروج في هذه الفترة يوضح بلا أدنى شك، أننا أمام استراتيجية مخطط لها، تروج للهلع والخوف، من أجل تفعيل العديد من الصور النمطية اتجاه الإسلام.

هذه هي صورة الإسلام في وسائل الإعلام الفرنسية، صورة قاتمة وسوداوية، تقوم على اختزاله في مسلمين يتبنون التطرف والعنف والجهاد، وتعدد الزوجات، ونبذ العلمانية ورفض الاندماج.

ومن الشواهد الدالة على هذا الأمر أن المعهد الفرنسي للرأي العمومي قام، لأول مرة، في عام 1989 بمحاورة مجموعة من المسلمين ومن غير المسلمين في المجتمع الفرنسي. وفيما أفاد الأوائل أن الإسلام عندهم رديف للسلم، والتقدم والتسامح، قرنه الآخرون، على عكس ذلك، بالعنف، والعودة إلى الوراء، والتعصب. ثم أعيد تحيين ذلك الاستطلاع في عام 1994، فتبين أن هذا التفاوت الصارخ بين تينك الصورتين المتعارضتين، بدلا من أن يتضاءل، إذا هو يزداد فحشا. إن تينك الصورتين تندرجان في مجموعات من التمثلات، لا تزال على حدتها في علاقة الغرب بالآخر المسلم، وهي تمثلات تشكلت على المدى الطويل.

صورة الإسلام بعد أحداث نيويورك

كانت تفجيرات 11 أيلول (سبتمبر) 2001، مناسبة جديدة لأن تعبّر العديد من وسائل الإعلام الغربية، سمعية أو بصرية أو مقروءة عن صورتها المبطنة اتجاه الإسلام والمسلمين، وذلك من خلال قراءة الصفحات الأولى من المجلات والجرائد الغربية، أو من خلال قراءة محتوى الافتتاحيات والمقالات والمتابعات، سواء أكانت صحافية أو أكاديمية، حيث كانت صورة الإسلام والمسلمين في العديد من هذه المتابعات تخضع للتشويه والتحريف، وكان الأمر الشاذ فيها هو أن نجد متابعات منصفة، قليلة جداً ونادرة مقارنة مع ما كان سائداً في هذه المتابعات، ونذكر من هذه المتابعات المنصفة ما كان ولا يزال ينشره الصحفي البريطاني روبرت فيسك في جريدة الأندبندت أو الباحث الفرنسي فرانسو بورغا، أو المفكر الإيطالي إمبرتو إيكو على سبيل المثال، وهناك أيضا بعض الباحثين الآخرين، لم يحظوا بنفس الاهتمام الذي حظي به العديد من المستشرقين والكتاب الغربيين، معروف عنهم إصدار تصريحات وتحاليل غير منصفة، في القضايا والملفات التي تهم العالم الإسلامي أو الوطن العربي.



فرانسوا بورغا

تفرعت أصناف تشويه صورة الإسلام والمسلمين، بين التصريحات الأكاديمية والسياسية والإعلامية، وإذا كانت الصور التي ترسخها وسائل الإعلام مشوهة بسبب

سيطرة اللوبيات الإعلامية اليهودية عليها، أو بسبب تواجد عقليات عنصرية متطرفة استغلت أحداث نيويورك وواشنطن لكي تفرغ ذلك المكبوت من أجل تفعيل تشويه صورة الإسلام، فقد كانت هذه الأحداث فرصة لبعض السياسيين الغربيين والدينين، لكي تمرر خطاب العنصرية والاستعلاء، وهذا ما جاء في تصريحات الرئيس الأمريكي جورج بوش الإبن، والتي أثارت جدلا شديداً عندما استخدم عبارات مثل «الحروب الصليبية» التي أعادت للذاكرة ذكريات المواجهة بين الإسلام والمسيحية، وقد أحسن صنعاً الرئيس الأمريكي عندما تراجع عن تصريحاته، وكذلك حينما قام بزيارة مسجد واشنطن، والاجتماع مع ممثلي المسلمين الأمريكيين، كما قررت الولايات المتحدة تغيير اسم حملتها للقضاء إلى بن لادن والتي أطلقت عليها «العدل اللانهائي» حتى لا تحرج مشاعر المسلمين.



جورج بوش الابن

صحيح أنه صدرت بعض المبررات في الصحف العربية تشير إلى أنه في الغرب، يبقى المعنى الحرفي لكلمة "Crusade" هو حملة صليبية على العرب والمسلمين، لكن استخدامها اليوم في الدول الغربية الناطقة بالانجليزية لا علاقة له بأصل الكلمة، فهي تستخدم في وصف أي حملة شديدة مثل حملة مكافحة المخدرات أو تنظيف الشوارع أو حتى حملة لتحسين الوضع الشخصي... إلخ، ولكن، يضيف المؤلف، ذلك لا يعفينا من التنبيه إلى خطورة صدور هذه التصريحات على لسان مسؤولين سياسيين كبار من أمثال الرئيس الأمريكي، أي أن هذه التصريحات قد تستغل في حال عدم التراجع عنها من أجل تمرير خطابات إعلامية وأكاديمية مليئة بالحقد والعنصرية، والإرهاب الفكري.

وقد وصلت أصوات الحقد إلى حد دعوة كاتب يهودي إلى قصف رموز الإسلام في الجزيرة العربية، حيث جاء على لسان أحد الحاقدين قوله: «في مكة يوجد برجان طويلان، في شكل منارتين شامختين تحيطان بعلبة سوداء عريضة، يعبدها المؤمنون، ويتجهون إليها في حجهم المقدس. وإلى هذا الشيء الرمزي يتجه كل المسلمين في صلواتهم: لا بد أن يعلم الجهاديون بشكل لا لبس فيه، سواء بالإعلان الصريح أو من خلال القنوات الخاصة، أن أي اعتداء قادم على هدف غربي سيكون الرد عليه ضربة عسكرية مباشرة ومدمرة ضد واحد من رموز الإسلام الأساسية، لا بد من إقناع المسلمين بشكل لا لبس فيه أن المسلمين لن يجدوا أي قبلة يتجهون إليها حينما يحنون ظهورهم لعبادة إله الخراب الذي يعبدونه».

خلاصات صورة الإسلام في الإعلام الغربي

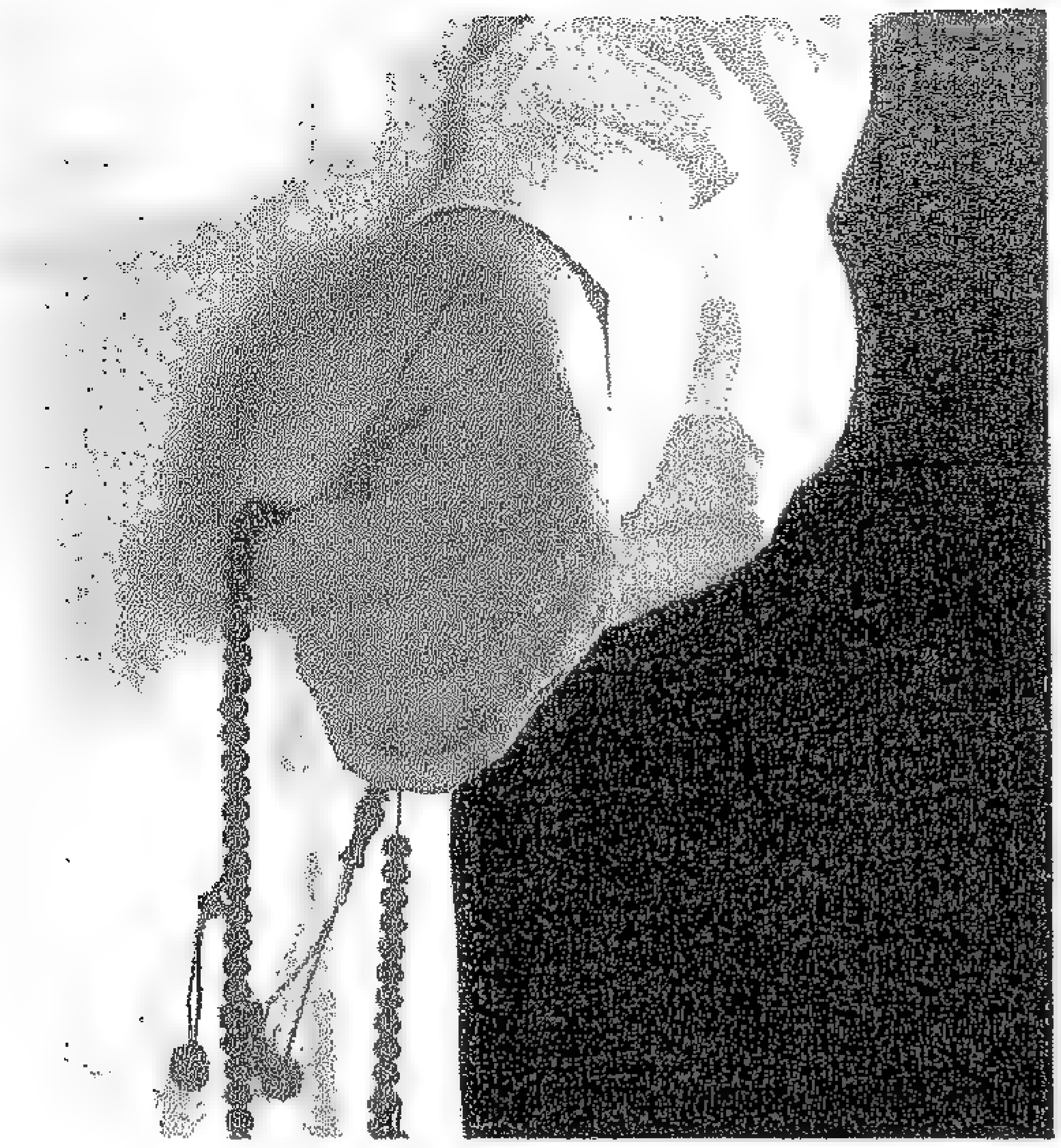
من خلال تحليل نتائج أهم الدراسات التي أجريت حول تحليل المضمون لموقف وسائل الإعلام في أوروبا من قضايا الإسلام والمسلمين وكيفية تناول ومعالجة هذه القضايا الهامة والحساسة، يتوصل محمد بشاري إلى مجموعة من الخلاصات الهامة، لا بد من أن نأخذها بعين الاعتبار عندما نعالج سبل مواجهة هذا الواقع التضليلي البعيد عن الصورة الحقيقية التي يمثلها الدين الإسلامي السمح، وهذا على الرغم من ثقل ذلك العائق الذاتي الذي تجسده ممارسات بعض المسلمين قديما وحديثا والتي تمثل ذريعة عند اللوبيات الغربية، وفي مقدمتها اللوبيات الإعلامية اليهودية، من أجل ترسيخ هذه الصور المغلوطة، ويكفي صدور بعض الممارسات المخلة بالتعاليم الإسلامية عن هذا المسلم في الدول الأوروبية أو في العالم الإسلامي، حتى تستغل الآلة الإعلامية الغربية وتنخرط في مسلسل تكرار عرض هذه الصور.

وإجمالاً، يمكن حصر أهم الصور النمطية التي يتم ترويجها عن الإسلام في مختلف وسائل الإعلام الأوروبية:

❖ جاءت صورة الإسلام بصفة عامة في وسائل الإعلام الأوربية المختلفة، سواء الصحف أو المجلات والإذاعات والتلفزيون صورة سلبية وسيئة ومشوهة في الغالب، فالصورة كانت منفرة، ولقد وصف المسلمون بأوصاف بدائية وهمجية، إلا في القليل جداً من المعالجات الإعلامية، والتي تبقى غير ذات تأثير مقارنة مع السائد، إضافة إلى كونها مرتبطة بصاحب التغطية الذي يكون موضوعيا في كل ما يقدمه وليس بالنسبة للقضايا الإسلامية فقط.

❖ كان هناك نزوع نحو ما يطلق عليه في لغة الإعلام بـ «شيطنة العدو»، والعدو هنا في العديد من الحالات يتمثل في الإسلام والمسلمين، ويقوم هذا المبدأ على التحويل المعنوي لهذا «العدو» إلى شيطان، أي شر مستطير ومتجسد، أو نزع الصفة الإنسانية عن العدو بحيث يستحق عقاباً صارماً، يسمح للمضطهِد أن يمارس اضطهاده على المضطهَد، دون أن يكون مطالبا بتطبيق الشرائع ومواثيق حقوق الإنسان المعروفة في التعامل مع البشر.

❖ ربط الإعلام الأوروبي بشكل كبير بين الإسلام كدين وبين ممارسات بعض الحركات الإسلامية المتشددة، وفي كثير من الأحيان لم يفرق هذا الإعلام بين المسلم المعتدل في ممارسته الدينية، وبين المسلمين المنتمين لجماعات إسلامية تختلف في أطروحاتها وفي حركيتها، ويتأرجح هذا الاختلاف ما بين الاعتدال والتشدد، وقد تم استغلال أحداث تورط فيها بعض المتشددين من أجل إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام والمسلمين، ولقد أعترف العديد من الإعلاميين بوجود صورة خاطئة عن الإسلام والمسلمين في مختلف وسائل الإعلام الأوروبية.



❖ استخدمت وسائل الإعلام الأوروبية عدة وسائل لإبراز الصورة السيئة للإسلام والمسلمين، من قبيل العناوين المثيرة والتي تبعث الخوف والقلق لدى الرأي العام الأوروبي، والتكرار والاجترار المستمر، خاصة في أحداث العنف، والربط بين الإسلام والإرهاب، والضرب على وتر المشاعر والأحاسيس الإنسانية، باستخدام صور وعبارات مؤثرة نفسيا وموحية بالمعنى الذي تسعى هذه الوسائل إلى إيصاله، وباتخاذ الموقف الذي تطمح إليه، ثم التأثير على المتتبع، مستغلة جهله بالإسلام واعتماده على ما تقدمه له من معلومات وأحكام جاهزة، ومستغلة كذلك المصلحة الشخصية والقومية بتصوير المسلمين والإسلام على أنهم يشكلون الخطر والعدو.

❖ ركزت وسائل الإعلام الأوروبية على بعض الأفكار الحديثة في الجوانب الخاصة بالإسلام والمسلمين، مثل فكرة «صدام الحضارات» التي قدمها المفكر الأمريكي صامويل هنتنغتون، والترويج الإعلامي على أن الإسلام هو العدو البديل للشيوعية، إلى جانب قضية الأصولية والجماعات الإسلامية وإيديولوجياتها، باعتبارها موضوعات مرتبطة بالإسلام والمسلمين.

❖ لم تستطع احتجاجات قادة وزعماء الأقليات المسلمة في أوروبا على الخصوص، رداً على المعالجات الإعلامية الخاطئة للإسلام والمسلمين (والتي نتج عنها أحياناً تقديم اعتذارات رسمية من كبار المسؤولين في أجهزة الدول ببعض الدول الأوروبية) لم تستطع إيقاف هذه الحملات الإعلامية المسمومة ضد الإسلام والمسلمين، لأنه لا يمكن التحكم في وسائل الإعلام، والتدخل في عملها، وفق القوانين المعمول بها هناك. إلا أن بعض التحسن قد طرأ على قليل من المعالجات الإعلامية في هذه القضية، كما بدأت بعض الوسائل تتجه نحو الموضوعية في عرض القضايا الإسلامية، نظرا للتدخل النوعي القادم من لدن الأقليات الإسلامية في بعض الدول الأوروبية.

وعموماً، يمكن تلخيص أهم عناوين الصور المغلوطة عن الإسلام في النقاط التالية:

❖ الإسلام دين العنف والإرهاب.
❖ الإسلام يضطهد المرأة (وهنا يتم التركيز كثيرا على قضية الولاية والزواج والعصمة والقوامة...).
❖ المسلمون يعبدون إلهاً مختلفاً.
❖الإسلام انتشر بالسيف.
❖ المسلمون هم العرب.
❖الأمة الإسلامية هي جماعة المسلمين.
❖ المسلمون يتزوجون بأربع نساء.
❖ المسلمون أناس مختلفون بربريون.
❖ محمد هو مخترع الإسلام، وأن المسلمين يعبدونه.
❖ الإسلام دين ضد السامية (من خلال تحريف الآيات القرآنية التي تتحدث عن قضية اليهود).
❖ المسلمون لا يؤمنون بعيسى عليه السلام.
❖ الإسلام ضد حرية الاعتقاد.
❖ لم تكن الفتوحات الإسلامية سوى توسعات استعمارية ذات طابع اقتصادي للحصول على الغنائم وفرض الجزية.
❖ الإسلام يظلم المرأة في الميراث.
❖ الإسلام دين وحشي في تطبيقه للحدود والعقوبات.
❖ الإسلام ضد الديمقراطية وحقوق الإنسان.
❖ الإسلام يحرم الفنون (الموسيقى. الرسم. النحت..)
❖ ليس القرآن سوى تأليف بشري وليس وحياً ربانياً.
❖ الإسلام يعادي الحضارات الأخرى.
❖ الإسلام دين رجعي.
❖ كان محمد رجلاً شهوانياً.
❖ الإسلام ضد العمل، فهو بالتالي دين تواكلي.
❖ الصيام يقلل حركة الإنتاج.
❖ الزكاة تقلل من الأموال.

سبل تصحيح صورة الإسلام

في ضوء تأمل هذه الصورة القاتمة حول الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية، أدرج محمد بشاري مجموعة من المقترحات والآليات الكفيلة بمجابهتها، من قبيل التأكيد على تأسيس معهد يقوم برصد صورة الإسلام في القنوات الإعلامية الغربية، أو التنسيق مع الهيئات والمنظمات الإسلامية المعنية ومنها مؤتمر وزراء الإعلام في الدول الإسلامية ومنظمة المؤتمر الإسلامي، وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وأيضاً مع الأقليات الإسلامية في الدول الغربية (يمكن للأقليات المسلمة في العالم الغربي أن تؤدي دوراً فاعلاً في تصحيح صورة المسلمين في وسائل الإعلام، وذلك إذا تم التنسيق بينها، ليس فقط فيما يتعلق بمواجهة التغطية السلبية للإسلام، وإنما في تنفيذ الاستراتيجيات الإعلامية اللازمة، باعتبار المسلمين في الدول الغربية هم الأكثر فهما لطبيعة الجمهور المستهدف وأساليب مخاطبته).

تركيز المؤلف على دور العمل المؤسساتي، لا يعفيه من توجيه بعض الانتقادات إلى تقاعس الأجهزة الدبلوماسية والمراكز الثقافية والبعثات التعليمية الإسلامية بخصوص اضطلاعها بالدور المنوط

بها في هذا الصدد، والحال أن أخطر نتائج هذا التقاعس يبقى ترك الساحة خالية لتنفرد بها جماعات الضغط الصهيوني، تقدم لها ما تشاء من رؤى وأفكار، كما يتم مثلا من خلال أعمال المؤسسة الهوليودية وغيرها.

كما يدعو المؤلف إلى تنشيط العلاقة بين المؤسسات البحثية الأكاديمية في العالم الإسلامي وبين الدوائر المناظرة في الغرب، من خلال تبادل البحوث والأساتذة وطلاب الدراسات العليا، والقيام ببحوث مشتركة تعمل أساساً على مثل هذه الملفات، تكثيف الاتصال بوسائل الإعلام الغربية، ومراكز البحوث والجامعات في الدول غير الإسلامية لتصويب ما يصدر عنها بشأن الإسلام والمسلمين، الاجتهاد في فتح أبواب الحوار مع مراكز التأثير في صناعة القرار والرأي العام في الدول الغربية، وكذلك مراكز البحوث والدوائر الأكاديمية ووسائل الإعلام العالمية.

ويختتم محمد بشاري مؤلفه بالتأكيد على تأمل ما يصفه بـ «التوصية الأم»، والتي تعلو من وجهة نظره على جميع ما سبق، وتقوم تحديدا على الاجتهاد في ترجمة هذه التوصيات إلى الواقع، وذلك من خلال تبني رؤى منهجية وإجرائية تقوم على إعطاء الأولوية لتوصيات معينة على باقي التوصيات في ما يتعلق بالتطبيق.

فلا يعقل أن تظل الفعاليات الإسلامية، ومعها ممثليات الأقلية المسلمة في الدول الغربية تجتمع لدراسة أوضاع القضايا الإسلامية، ومنها، قضية صورة الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية، ثم تنتهي هذه الاجتماعات بإصدار التوصيات، والتي قد تتكرر في ملتقى آخر مع نفس المدعوين من أجل مناقشة نفس الموضوع، دون تحقيق أي تقدم في مجال تطبيق التوصيات السابقة.

من الانتقادات الهامة الواردة في خاتمة الكتاب إشارة المؤلف مثلاً إلى ضرورة عدم مغالطة الذات عندما نأمل أو نطمح إلى أن تغيير هذه الصورة سوف يتم بمجرد الالتزام العربي والإسلامي بما جاء في هذه التوصيات، أو أن الغرب سوف يغير من تعامله مع هذه الصورة بين ليلة وضحاها، فالمسألة ليست بسيطة كما يأمل أي مسلم، لأنها مرتبطة في الأصل بخلفيات تاريخية قد تكون مرتبطة بتاريخ الحروب الصليبية، وقد تكون مرتبطة بأسباب عرقية أو دينية، أو سياسية، وهي التي يصطلح عليها بشيطنة العرب والمسلمين، كما حصل في تاريخ المواجهات التي تمت خلال السنين الأخيرة، ومنها على سبيل المثال حرب الخليج في عام 1991، وفي الفترة التي جاءت بعد الاعتداءات التي تعرضت لها الولايات المتحدة الأمريكية، وخاصة في فترة شن الحرب على أفغانستان والعراق، وغيرها من المواجهات والصراعات.

يحتاج المسلمون اليوم إلى بلورة خطاب إعلامي عصري نقدي وموضوعي، يغزو الأسواق الغربية، ويبتعد عن رتابة الخطاب الإعلامي العربي والإسلامي الموجود اليوم، ونحتاج خطابا يتجاوز الإطلاقات المتناقضة ويعلو على النزعة العاطفية ويؤسس رؤية معرفية إسلامية مستقلة وشاملة، ويرتكز على الانفتاح النقدي، وللأسف ما زلنا نفتقد كثيرا اليوم مثل هذا الخطاب. كما يحتاج المسلمون أيضا إلى خطاب إعلامي إسلامي يعلي من شأن الأمة كبديل عن الاهتمام بالدولة المركزية، خاصة وأننا نعيش في فترة تتميز بحضور متصاعد لمفهوم «أمة المواطنة»، وهذا يتطلب أساسا من المسؤولين والمشرفين على الخطاب الإسلامي أن يتبنوا رؤية شاملة اتجاه العالم، ويؤمنوا بسنة التدافع الحضاري، على أن يكونوا مدركين للبعد الحضاري للظواهر والأشياء المستحدثة، حتى يساهموا في التفعيل من أسلمة المعرفة الإنسانية.

إنسانية الإسلام

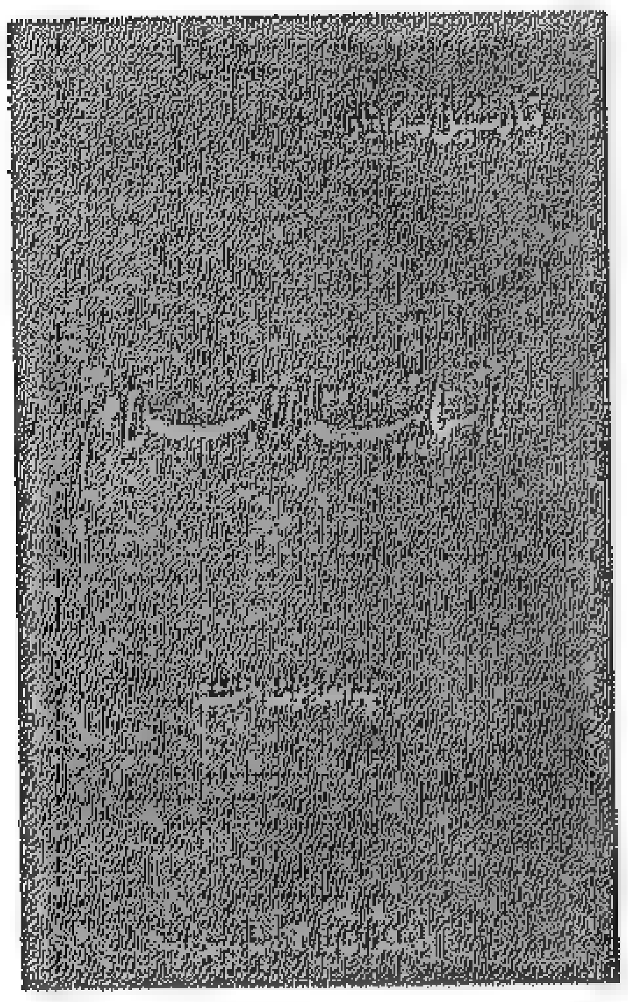
عرض: عمر بن محمد المجذوب *

عندما نشرت الترجمة العربية للكتاب كان الاهتمام به محدودًا بعدد المهتمين بقضايا التشريع والاجتماع في الشرق؛ فقد سألت عددًا من المدرسين بالجامعات فلم أجد لديهم علمًا بصدور هذا الكتاب. أما في الغرب فلا يتوقع غياب اهتمام جامعاتهم عن كتاب من هذا المستوى لأنه يجسد تماسا مع مستقبل حركتهم نحو الشرق.

مضت مدة على نشر الترجمة العربية والمفكرون المسلمون لا يولون الكتاب ما يستحقه من اهتمامهم مع أن نشره قد تزامن مع نشوب حرب بين دولتين سكانهما مسلمون: العراق وإيران، إلا عندما أعلن الغرب من كان وراء تزويد الدولتين المتحاربتين بالسلاح تأييدًا عمليًا على القتل والتدمير والتكبيل بالديون من تكاليف السلاح.

تحليل المقدمات حتى تتفق مع النتائج

يقول علم النفس الجنائي: «ابحث عن المستفيدين من الجريمة لتعرف الجاني» وعلى ذلك فليس مصادفة وقوع الحرب بوقت صدور هذا الكتاب؛ فالمؤلف قد انتهى بحثه هذا إلى القول: «بأنه لا تنتهي



تأليف:
مارسيل بوازار
ترجمة:
د. عفيف دمشقية
نشر:
دار الآداب
بيروت ـ لبنان سنة1980

الحروب الدولية من العالم إلا إذا أعد قانون دولي مستندًا فيه إلى ما في القرآن من أحكام؛ لأن القرآن خطاب من الله إلى الناس أجمعين، فهو الأعلم بما يصلح شئونهم، لذلك كانت الحرب بين العراق وإيران، وكانت نشأة فرق جريمة القتل والتدمير بين المسلمين كلها باسم الإسلام بعد صدور هذا الكتاب مباشرة قد شكلت ردًا عمليًا على ما ذهب إليه وعملاً مدروسًا لإبطال أثر الكتاب في عقول الغرب.

وكأثر لظاهرة تخلف المسلمين عن مواكبة تقدم الإعلام الفكري المعاصر لم يجد قراء ومستمعو هذا الإعلام اهتمامًا بمثل هذا الكتاب. وقد لاحت أخيرًا

* كاتب وباحث / ليبيا

بوارق أمل بين كثير من مفكري الإسلام المعاصرين برفع جمعية إسلامية لواء إعلام فكري استهدف نشر ثقافة سلم عالمية، وتقليل نتائج ثقافة النقيض.

ولعل عرضًا موجزًا لهذا الكتاب يكون من المساهمات الإيجابية بهذا السياق ، وهو منهج ثقافي لخير إنسان العالم. ويشكل مهمة القلم الإنساني في وقت زلزلة الأمن على الحياة، وعلى قيمة معنى الحضارة.

تألف الكتاب من ستة فصول، وخاتمة، تحدث الفصل الأول عن عالمية النظام الدولي، ويحتاج إلى حلول، وضابطها هو سنّ التشريعات المتفقة مع تطور المجتمعات والتطور الحضاري في التاريخ؛ فقد زعزعت الحرب العالمية الثانية حقوق الناس بشكل أساسي، وستظل إعادة البناء هشة لأن قواعده كانت كذلك، فهي الصرح الذي انهدّ خلال المدة 1939 ـ 1945 مسيحي، وأن زمن هذه الإعادة كان عندما استقلت شعوب ووعي دولها متزايد بالدور الذي تستطيع فيه أن تؤديه على الصعيد العالمي، وأمامها القانون الدولي نفسه الذي كان سائدًا، وأوروبا التي صاغته كانت تمثل بمفردها مجموع العالم في نظرها، وهو منظور الثقافة اليهودية المسيحية، وأمام هذا المنظور دول حديثة وحّدت سياستها، ووحدت مشاكلها فعمق ذلك من نظرها في النظام الذي يحكم العلاقات الدولية حاليًا».

ورأى المؤلف أننا أمام مشكلة معقدة، وضخمة؛ فمن غير المأمول بنجاح أي جهد يستهدف نزع سمة الغرب عن النظام العالمي الحالي، ويرسخ قواعد عالمية حقيقية، ويتوقع المؤلف أن الإقدام على ذلك سيؤدي إلى فصم عرى التضامن الدولي، لأن الدول القديمة في الغرب لا أمل في قبولها تغييرًا في قيم معاني بنت عليها قواعد قانونها الدولي .

وأعلن المؤلف أن هذه الدراسة يستفيد منها الغرب بالدرجة الأولى، وهناك بالموقف الأوروبي شعور غير واعٍ بالخوف والازدراء معًا، من العالم الثالث، ذلك الخوف صادر عن شموخ قومي متأصل مشبع بذكريات تاريخية، واعتبارات موضوعية خاصة بالتنمية الاقتصادية للمجتمعات، وربما بتمييز عنصري خفي متجليًا ذلك في المنشورات الأكاديمية.

وينعى المؤلف على الأوروبيين احتكارهم الحق بأنه لا تتوفر لغيرهم معرفة بحقوق الإنسان، وأن الأوروبيين استوحوا معرفة حقوق الإنسان من مصدرين لا ثالث لهما، الأول فلسفي من اليونان والثاني ديني من المسيحية واليهودية. ولكنه يصرح بالحقيقة التاريخية وهي «أن مجرد العدل يدفع إلى التذكير بأن الحضارة التي تعهدت الثقافة المتوسطية خلال القرون السبعة التي تتألف منها العصور الوسطى، كانت الحضارة الإسلامية، ويستند المؤلف ـ هنا ـ إلى بحث نشره «جان ولف» في جريدة «لوموند» بعدديها الصادرين يومي 8 و9 من شهر يونيو سنة 1969 مسيحي، تحت عنوان «إرث حضارة هيمنت».

وبعد استعراض المؤلف طائفة من مقومات الصياغة التكاملية لسن القوانين انتهى إلى تلخيص هذا الفصل قائلاً: «سوف يقتصر عرضنا على وصف أمين غير مبهرج لدين بسيط ومنطقي، وقد لا يرى فيه المتخصصون سوى تعداد لجملة من السطحيات المستمدة من مصادر «ثانوية» غير خاضعة قط لنقد حقيقي، غير أن ما يؤمن به المسلمون يبدو أهم من الطريقة التي يحكم بها المستشرقون الغربيون على المعتقد الإسلامي».

كما أننا لن نتناول العقيدة الإسلامية والعالم الإسلامي في الشكل المثالي الوهمي الذي يُصوَّران به، ولا في واقعهما المحسوس، وإنما في منزلة متوسطة تتبين فيها الفروض الدقيقة، وسنكتفي بذكر مبادئ الدين العامة التي تشكل أركان حضارة من الحضارات والتي ما تزال ترطب النفس المسلمة لاقامة «استمرار» أيديولوجي يجسد مطامح الإسلام

الدنيوية والتطلع الواسع للشعوب الإسلامية إلى الحصول على هوية، بعد الخلاص من ربقة الاستعمار، منشئة بذلك التطلع مرآة تنعكس عليها الصورة الماثلة في الاحتمال عن المجتمع الإسلامي المقبل، وقد يبدو غريباً أن يتصدى غير مسلم للدراسة من خلال هذا المنظور، فلذلك اقتصرنا على وصف عام للمبادئ التي سوف نستند إليها في بسط آرائنا، ولن نقدم أية حجة لا تكون سائغة في مجموعة المصادر، كما أننا لن نطرح مزاعمنا إلا في الحدود التي نتفق فيها مع الإطار المنطقي للمنهج الإسلامي، وقد ختم هذا الفصل بالآية الكريمة:

﴿وَلَا تُجَادِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [سورة العَنكبوت: الآية 46]

الفصل الثاني افتتحه بعبارة للشيخ محمد عبده: «إن من يضيف إلى الدين معتقداً أو موجباً شرعياً دون سند من كتاب الله، أو الحديث الصحيح الذي لا يأتيه الباطل عن نبيه يسلك في عداد الذين خوطبوا بقوله تعالى:

﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾

[سورة البَقَرَة: الآية 169] .

وبعد أن قدم لهذا الفصل بتعريف للدين لدى الغرب قال: بالاختصار حضارة قدمت مفهوماً خاصًا بالفرد، وبينت مكانته في المجتمع، ودفعت قدمًا ببعض المسلمات التي تنظم اتصال الشعوب بعضها ببعض، ولم يكن من شأن هذه الحضارة أن تسهم إسهامًا تاريخيًا في الثقافة الكونية وحسب، بل إن الأهم أن تقدم حلولا لأهم المعضلات الفردية والاجتماعية والدولية التي تزعج العالم المعاصر وتقلقه؛ فالإسلام اتصال بالله كإله، والإنسان كانسان، وانخراط من النسبي في المطلق.

وبعد أن استعرض المؤلف مفهوم الفكر الغربي الذي صيغت منه تعريفات الدين خلص إلى قوله: (وينبغي أن نشير - بشكل سريع في هذا السياق إلى الخصائص الرئيسية لمواقف الإسلام النفسانية الثلاثة حيال النظريات السياسية الحديثة مركزين انتباهنا بصورة أساسية على الجوانب القانونية؛ فردُّ الفعل الأول يجعل من الدين المظهر الأوحد والأسمى والأبدي للقانون الواجب اتباعه، وعبارة عن نهج تنظيمي مطلق لحياة المؤمنين الروحية، والزمنية معًا. وهدف هذا الموقف رفض كل المؤثرات المتباينة، ويسعى الموقف الثاني إلى الجمع بين استلهام الدين بشكله المتوارث واستلهام المؤثرات ذات النمط التحديثي ، ويدل التاريخ على وجود ثابتة مطلقة في الحضارة الإسلامية كانت متمحورة منذ البدء حول الله، وما تزال كذلك، وهذه الظاهرة تضفي على الإسلام طابع الديمومة... ويضطلع الدين بصورة مباشرة بتنظيم الحياة للفرد والجماعة رافضًا وساطة كهنوت قد يحتكر الدين ويتصرف به على هواه، والإسلام دين المطلق الإلهي والعقلاني، وعلى العقل البشري أن يتوافق والمنهج المنزَّل وليس الدين تجريداً، بل هو على العكس من ذلك، ظاهرة مجسدة تماماً، وينبغي أن يدرك بكليته وخارج حدود الزمان).

وبعد أن استعرض المؤلف لمحة من تاريخ تطور التشريع استجابة لطبيعة حاجة المجتمعات تحدث عن النبي - ﷺ - فقال: «لقد سبق أن كُتب كل شيء عن نبي الإسلام، فأنوار التاريخ تسطع على حياته التي نعرفها في أدق تفاصيلها، والصورة التي خلفها محمد عن نفسه تبدو - حتى وإن عُمد إلى تشويهها - «علمية في الحدود التي تُكشف فيها، وهي تندمج في ظاهرة الإسلام عن مظهر من مظاهر المفهوم الديني، وتتيح إدراك عظمته الحقيقية».

ومحمد الذي يوليه المسلمون نوعًا من الإجلال الورع قد يكون من الخطر إساءة تأويله - على وجه الحصر المبشر بالكلام السرمدي - ولا يتمتع في نظر المؤمنين بالأهمية التي يتمتع بها يسوع المسيح مثلاً عند المسيحيين ومع ذلك يبدو الاطلاع على حياته ضرورياً؛ نظراً للعلاقة الوثقى بين الرسالة والرسول؛

فمع أن القرآن يلح على طبيعة النبي البشرية البحتة، إلا أنه يجعل منه أسوة حسنة يقتدى بها المؤمنون» ويجب أن نلاحظ في قراءتنا عرض هذا الكتاب أنه بحث موجه إلى قراء الغرب وغير المسلمين.

وذكر المؤلف بهذا الفصل ما يعرفه الجميع عن نشأة رسول الله ﷺ كتاريخ ميلاده، وتكليفه بالرسالة، وبين مدة النبوة محددة بثلاث سنين قبل تكليفة بالرسالة، ومدة قيامه بأعبائها زهاء سنوات عشر بمكة، ومثلها بالمدينة حتى التحاقه بالرفيق الأعلى، وأنه لم يبطل ما أنزل قبله من كتب الله، بل صدقها وزكاها مما لحق بها من تحريف وإخفاء، مكلفًا من الله بتطهير تعاليم الرسل قبله جميعًا في كل زمان ومكان، وأثنى المؤلف على كيفية تعامله ﷺ مع أهل الكتاب ومعارضي الرسالة من العرب، وتحدث عن العقيدة والتشريع في الإسلام ـ حديث المفكر المتبحر في معرفة شئون التطور للمجتمعات، وكيفية مواجهة ذلك التطور بالنمط المناسب من التنظيم، ويستوقف المؤلف قراءه بكثير من الملاحظات التحليلية لبعض نصوص الأسس التشريعية في القرآن، متخذًا أزمان التنزيل للآيات مرتكزًا لتحليله، مثل قوله بصفحة 53 : «وقد استطاعت بعض المكتشفات العلمية الحديثة أن تحدد بدقة ظاهرة التسلسل الزمني لمختلف تجليات التنزيل»، والتزم المؤلف في حديثه عن السنة بما جاء بأمهات كتبها، فقال: «لقد زودت المنهج التشريعي بدرجة مذهلة من المرونة، وكان لها دور مرموق كعنصر بناء وتماسك للمجتمع الإسلامي بكليته».

وتحدث عن الالتزام القائم في الدين الإسلامي بين العقيدة الإيمانية كأصل، وبين الشريعة، من عبادات وقانون التعامل، والآداب، والأخلاق؛ كما جسدها النبي عملاً في حياته بين الصحابة والناس في شبه الجزيرة العربية، وقد كان خلقه القرآن؛ فهو نبي وليس بمصلح اجتماعي، فأحدثت رسالته في المجتمع العربي القائم آنذاك تغييرات أساسية ما تزال آثارها ماثلة في المجتمع الإسلامي المعاصر.

وعن الشريعة الإسلامية في سياق الشرائع الإلهية قال: إنها مكملة بصورة نهائية لسلوك الإنسان، وأضاف القرآن على صعيد الفضائل الفردية ـ إلى العدل والإحسان اللذين احتفظ بهما ـ مجموعة حقيقية من قواعد الأخلاق والأدب، شكلت الحضارة الإسلامية فيما بعد، وطبعتهما بطابعها من التربية الصالحة والعادات الحميدة، والإخلاص، وهي أسس الألفة التي كانت تحيل جماعة المؤمنين إلى رابطة أخوية وواجب الفرد في هذا المنظور سابق على حقه في إقامة مجتمع عادل شريف هو من صلب التعاليم الإسلامية».

«أضاف القرآن على صعيد الفضائل الفردية مجموعة حقيقية من قواعد الأخلاق والأدب»

وجاء بالفصل الثالث: ما جاء بالقرآن عن أمن حياة الإنسان من تعظيم من الله تعالى مفتتحًا الفصل بقول الله تعالى:

﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ﴾

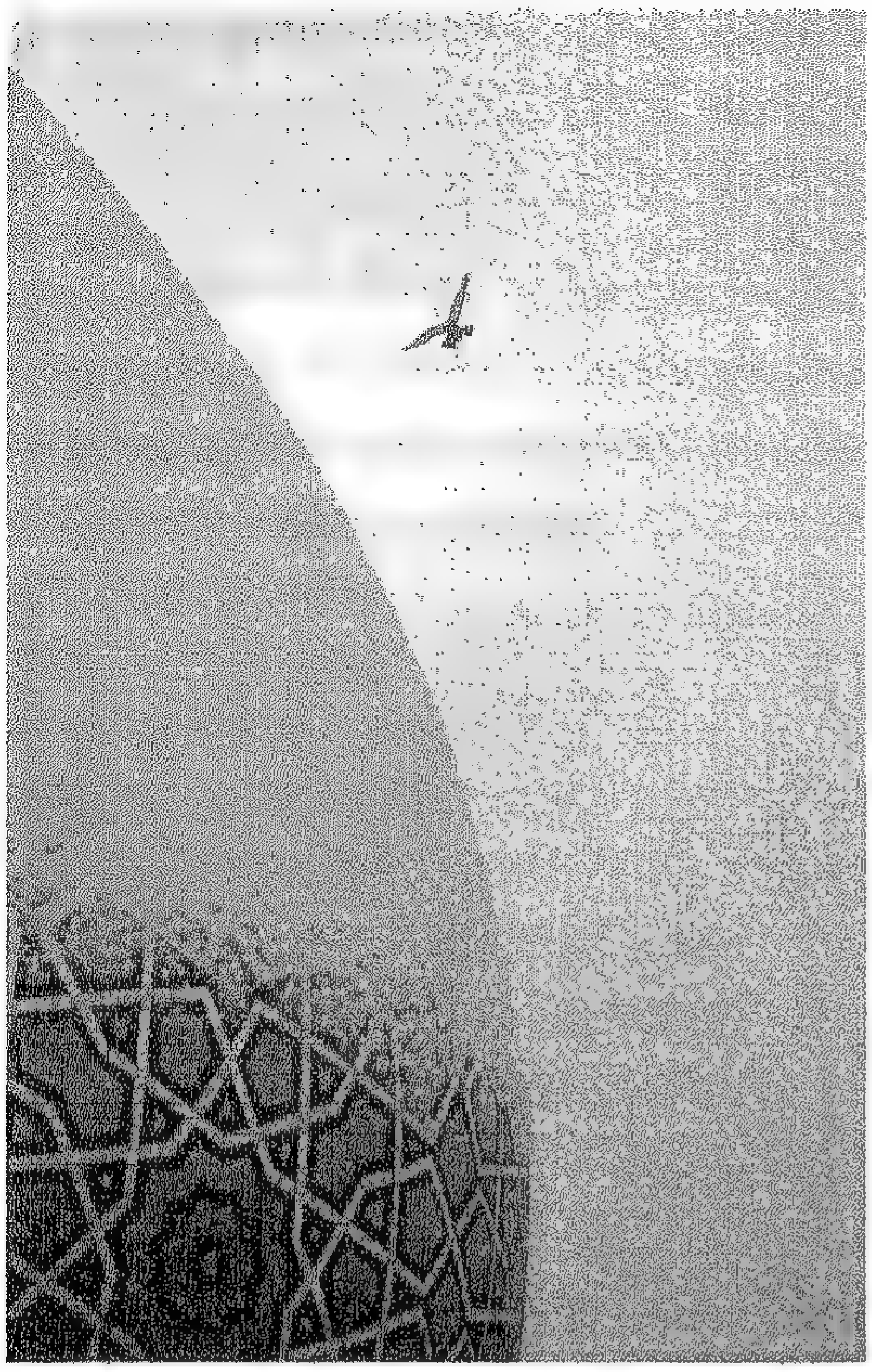
[سورة المائدة: الآية 32]

وتحدث عن القرآن فقال: «إن القرآن لم ينزل لشرح ماهية الإنسان وإنما جاء لتعريف الله للناس، وإذا كان القرآن يقدم شريعة شاملة تجمع بقوة بين الروحي والزمني فإنه يمثل نظام عمل يحدد الفضائل الأخلاقية؛ فالإسلام دين الإيمان والتبصر، وقوة الإقناع في تعاليمه جاءت من عرض حقيقة المطلق، مظهرا الوحدانية المتناغمة للخليقة الناتجة عنه، وأن الله كلي القدرة؛ لأنه يمثل المشيئة الأولى، وأنه ليس كمثله شيء».

وبعد أن استعرض المؤلف ما في القرآن عن الكتب والرسالات السابقة بيّن أن معرفة المسلم لله - تعالى - مختلفة عن معرفة المسيحي لربه، فذكر موضوع (التعميد) لدى النصارى، وأن المسلم لا يجرؤ على مواجهة أي نوع من الاشتراك مع الله في شيء، الأمر المفارق للنبوة الربوبية لدى النصراني، فالمسلم متعمق الوعي لحقيقة أن الإنسان وحده وصلته بالله منحصرة في إخلاصه العبادة لله ربه، وأن إدراك المسلم الصفات الإلهية هام في وحدانيته، وهو إدراك لا يستبعد رحمة الله بعباده ولطفه بهم.

واستعرض موضوع «القضاء والقدر»، فواءم بينه وبين مبدأ الحرية الفردية في حكمة المسئولية بالتكاليف الشرعية في الإسلام التي جسمت حرية الاختيار؛ تحقيقًا لمعنى المسئولية، وأن الدين الإسلامي لا يحفل بالمجردات النظرية، وإنما يفضل مناقشة طبيعة الإنسان النفسية بأسلوب ومنطق الكتاب المنزل لإصلاح البشر، على أساس الإنسان الأفضل، لذلك كان مفهوم الإنسان في الإسلام مثاليًا ومرتكزًا على رسالة أنشأت مجتمعًا أحكم الإرشاد الديني تنظيمه وتوحيده في ظل عقيدة دعت إلى حماية حق الإنسان بالعدل والإحسان .

وفي شأن المرأة بمجتمع الإسلام يرى المؤلف أن الإسلام يخاطب الرجال والنساء على السواء، ويعاملهم بطريقة «شبه متساوية»، وتهدف الشريعة الإسلامية بشكل عام إلى غاية متميزة، هي الحماية، ويقدم التشريع للمرأة تعريفات دقيقة عما لها من حقوق، ويبدي اهتمامًا شديدًا بضمانها؛ فالقرآن والسُّنَّة يحضان على معاملة المرأة بعدل ورفق وعطف، وقد أدخلا مفهومًا أشد خلفية من الزواج، وسعيًا أخيرًا إلى رفع وضع المرأة بمنحها عددًا من الطموحات القانونية، وتشمل حقوق المرأة بشكل أساسي المساواة أمام القانون، والملكية الخاصة الشخصية والإرث، وبين سبب ارتفاع نصيب الرجل



ضعف نصيب المرأة بأنه عائد إلى أن الشريعة كلفت الرجل الانفاق على الأسرة، وأعفت المرأة من هذا، ومنحت الشريعة المرأة حرية التصرف المستقل في إدارة أموالها، وقد ظهر أن احترام امتيازات النساء من الرسوخ بحيث أن فقيهًا من فقهاء الإسلام الرئيسيين شرَّع أنه ينبغي أن تعين في كل مدينة قاضية، وتكلف رسميًا السهر على احترام حقوق المرأة.

وتحدَّث عن الرق في الإسلام مبديًا أنه نظام قديم كان قائماً قبل ظهور الإسلام، وتأصل الفكر الإسلامي في موضوع الرق من مفهوم الإنسان داخل المجتمع بالذات، فالحرية قبل كل شيء مدرك قانوني لا يستهين قط بكرامة الإنسان أو عظمته، إنها ليست مؤسسة على الطبيعة البشرية، وإنما على قرار إيجابي من الله، لكن لا يعني هذا قط أن الرق قدر حتمي ومستمر لفئة من الناس هم من حيث الجوهر أدنى من

غيرهم.. وهكذا لم يكن الرقيق المسلم ذلك الشيء الذي نص عليه القانون الروماني، وإنما وسعت الشريعة بحق منافذ الخروج من الرق إلى الحرية .

ولما كان الله واحداً، وكان يخاطب البشرية بأسرها فإن جميع الناس سواسية بشكل جوهري في خضوعهم المشترك والكامل للمشيئة الإلهية.

الفصل الرابع افتتحه المؤلف بالآية الكريمة 110 من سورة آل عمران:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾

ثم أكد أن الإسلام منذ البداية حركة تؤكد أولوية الشأن الاجتماعي، وبالتالي أولوية الشخص الحر المسئول في مقابل الفرد مرتبطًا بالزمرة التقليدية، وسرعان ما وعى المجتمع الذي لمّ الإسلام شمله أن عليه تأليف مجتمع خاص يتميز عن العالم الخارجي بمثل أعلى مشترك للحقوق والواجبات المتبادلة، وأن فكرة الأمة خاصة بالإسلام؛ لأنها تتعلق بجمع من المؤمنين يشهدون شهادة مرتكزة بشكل حصري على كلام الله الخالد الذي لا يتبدل، ألا وهو القرآن.

وهكذا جاء الإسلام بمفهوم جديد وسخي جدًا وهو (القومية)، وغدا الرباط الذي يشد المجتمع بعضه إلى بعض رباطًا دينيًا وسياسيًا في وقت معًا، ويعني الدين للمسلم الخضوع لله امتثالاً لشريعته، ثم قدّم المؤلف لمعنى (الاجتماع الإسلامي) بثلاثة مبادئ، أولها التنزيل؛ فهو يحدد الواجبات المترتبة على المؤمن في جميع حقول الحياة، ويعرفه بواجباته سواء كانت نحو الله أو نحو المجتمع، فمنها يمكن أن يشارك في تماسك المجتمع وازدهاره، ولو على حساب حياته، وثانيها أن ممارسة الشعائر تسهم عن طريق الدقة المحددة بالذات في توفير شعور حاد بالانتماء إلى زمرة منظمة. وثالثها مفهوم القرآن للعالم ؛ إذ يقدم الخليقة على أنها كلٌّ متناسق ومتوازن في التبعية لله برص بنيان المجتمع يغدو تجمع المؤمنين نظامًا يتبوأ فيه كل إنسان مكانه الحقيقي.

ويصف المؤلف عقيدة الإسلام بأنها «تضع وحدة الوجود المتأتية عن مبدأ وحدانية الله، كل شيء في مستواه، وداخل منظور نظام عالمي شامل وهي الأهداف التي حددت من عند الله للمجتمع البشري»، ثم يرى أن «للتضامن في الإسلام خصوصيته الإلزامية البعيدة المدى إلى حد أن المسلم يعتبر نفسه مسؤولاً شخصيًا عن انتهاكات القانون في كنف الجماعة؛ فكلٌّ ملزم بالتدخل بنفسه لمنع الخطأ وتحقيق الخير في المجتمع. ومن المفيد أن نسجل إلى أي مدى يطبع مفهوم معين السلوك اليومي لملايين الناس في العالم باعتقاد في مصير يشمل البشرية، وليس بوسع أية ايديولوجية معاصرة أن تنافس الإسلام في هذا الصدد».

في الفصل الخامس تعرّض المؤلف للعلاقات الخارجية من وجهة نظر عقلية بين الإنسان ومحيطه المادي والمعنوي، فاختار عنوانًا له هو (الكون والعالم)، ثم قدم لبحثه بهذه العبارة «علاوة على أن الإسلام حقيقة إلهية تامة ومثل أعلى؛ فقد أوجد كيانًا سياسيًا وتنظيمًا اجتماعيًا خاصّين به، فهو شمولية مركزة إلى وعي عميق بالتوحيد».

وإذا كان دين اليقين الذي وصل بطاقة المؤمنين وإرادتهم الواعيتين إلى تنظيم العالم الأرضي فإنه يبدو وقد كشف عن وجه مزدوج؛ وجه الدولية، ووجه الحصرية. والصورة التي يقدّمها الدين بدوره عن العالم نظرية عن العلاقات الدولية سواء في تنظيم السلام أم في حالة الحرب، كما تحدد في التحليل الأخير للأنشطة المتعلقة بسير الحرب.

ثم يتحدث عن المفهوم الإسلامي عن الكون، فبيّن أن تصوير الكون في الإسلام بسيط ومنطقي للغاية؛ فبدأ بوحدانية الله، والمفهوم العام للنظام

الكوني يستتبعان وحدة وجود العالم، ويُعلّم القرآنُ أن الله القدير على كل شيء قد شاء كسر وحدة المجتمع الإنساني لخير البشر

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ [سورة الحُجرات: الآية 13]

وعن مصطلح الأمن الخارجي لدولة الإسلام (دار الإسلام) و (دار الحرب) أورد المؤلف رأيه هكذا: الشريعة الإسلامية ملتزم بها في «دار الإسلام»، والقسم الأكبر من أعضاء الجماعة قد اعتنقوا الإسلام ورضيت الأقليات الموحدة بدفع الجزية؛ فهي تتمتع بالحماية، ولما كانت الشريعة الإلهية هي المطبقة فإن سلامة جميع أفراد «دار السلام» مسلميهم والمعاهدين مضمونة بدار الإسلام؛ إذ هي «دار السلام» والعدل، ومضمار الحق، والنظام، والانسجام، ومضمون التسمية الديني ناجم طبعًا عن أن التنزيل يعرض الإيمان والشريعة في آن معًا، والتقيد بهما يستتبع حتمًا السلام. فالحقيقة الأولى التي ينبني عليها التعريف ليست على هذا هي دين السكان، بل على وجود مؤسسات من نوع خاص وتطبيق نظم خاصة، والمعيار الناتج بصورة حتمية عن التعريف هو الأمان الذي يتمتع به السكان، وهكذا فإن (دار السلام) تتميز في مقابل (دار الحرب) بأن القوانين التي تطبقها إسلامية.

الفصل السادس عنوانه (من حاضر الإسلام) موضحاً في البداية أنه على صعيد التاريخ السياسي حددت مناورات أوروبا مصير الإسلام بشكل واسع منذ القرن السادس عشر، وحدد هذه المناورات في التوسع البحري عندما قام كل من البرتغاليين والهولنديين بفتح طرق بحرية جديدة، والتوسع الاستعماري البريطاني والفرنسي بالهند، واستيلاء روسيا على أقاليم إسلامية بشرق أوروبا،



والاصطدام الأوروبي بالدولة الإسلامية الكبرى عالميًا في البلقان.

وخصَّ المؤلف مراحل من الحكم التركي بالتهاون، إلا أن «حملة نابليون إلى وادي النيل أعادت العرب إلى التاريخ الإسلامي، وتجسدت المقاومة، حول الإسلام الذي اعتمد على، ثلاثة مرتكزات: الإصلاح، وتحقيق الذات، والأصالة».

وهذه الظواهر الثلاث نسيج التاريخ الحديث، واتخذت مجتمعة مظهرًا ديناميًا، ومعارضًا لم يكن موجودًا من قبل، فقد استتبع البحث عن الذات بحثًا عن الأصالة والتطلع إلى مدى إسلامي شامل، وفي هذه الحالة إلى التميز بالنسبة إلى الآخر الذي كان في بادئ الأمر الغرب المستعمر.

ولقد شكلت ردة فعل للغزو الاستعماري لوطن الإسلام، قال المؤلف: وقد نجح الإسلام خلال تاريخه الطويل مرات كثيرة في صد الاعتداءات الخارجية، إلا أن الوضع كان استثنائيًا جدًا في مطلع القرن العشرين؛ فقد ظهر العدو بوقت واحد في الداخل: مستبدون رجعيون، وشباب مكبوت، وفي الخارج سيطرة استعمارية وانبهار بالنجاح المادي.

أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي

تنقلات العلماء والكتب



مراجعة وتقديم : الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة
منشورات : كلية الدعوة الإسلامية
668 صفحة / قطع كبير

التاريخ الثقافي مظهر من مظاهر لُحمة الأمة ينبض بأصالتها، ويكشف عن هويتها، ويفصح عن خصوصيتها المميزة، وهو في هذه البيئة (أقطار المغرب العربي) التي تزيد عن ثلاثة أرباع الوطن العربي ينعم بوشائج عديدة تجعل التواصل والتآلف مستمرين، في غير صراع ديني أو مذهبي أو طائفي، إنه تاريخ الفكر والأدب والإبداع المشترك لشعب واحد كانت الفتوى فيه تنتقل من الأندلس إلى طرابلس، والكتاب الواحد يدرس في جميع زوايا ومدارس المغرب العربي الإسلامي، دون اتفاقيات ولا مفاوضات مسبقة، ولا مقررات مفروضة. وهذا الكتاب يضم أعمال الندوة العلمية التي نظمتها كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس ، وشارك فيها علماء جامعيون من مختلف الأقطار المغاربية وغيرها، كتبوا وتدارسوا بحوثاً ودراسات تفيض بنماذج التواصل الناضج بين علماء هذه الأقطار، وأبرزت الندوة أهمية العناية بالتاريخ الثقافي وما يمثله من أواصر متينة، ترسخ أسس التواصل الثقافي، وتوثق عراه وأواصره. وإننا لنلمس في هذه البحوث والدراسات ملامح الصدق والجدية ، وندرك الآفاق الشاسعة التي يمكن أن يشملها التواصل الثقافي.

أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء

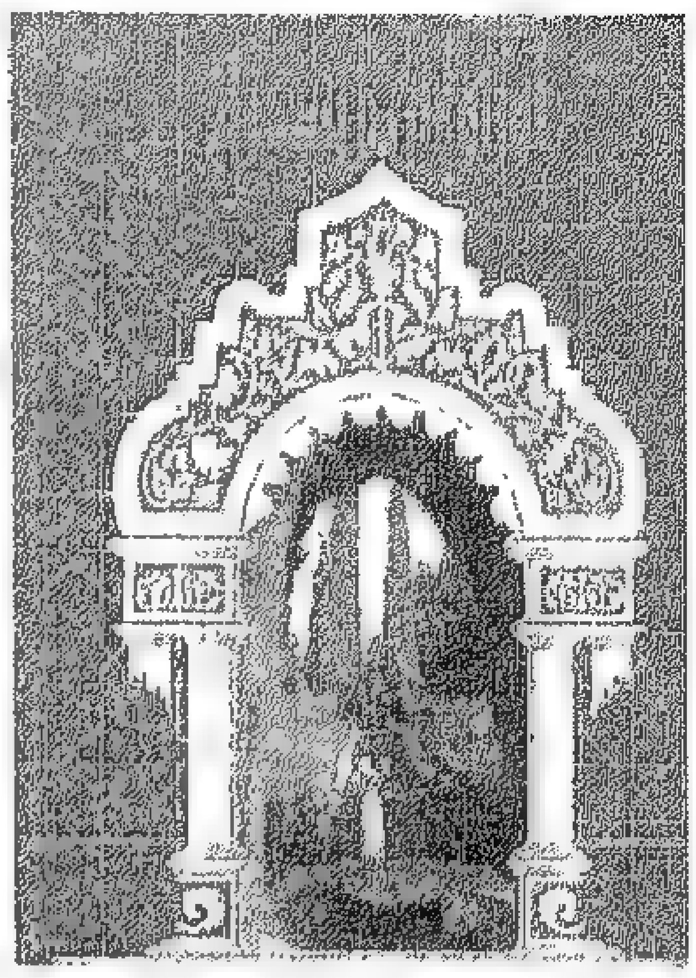


مراجعة وتقديم
د. عبد الحميد عبد الله الهرامة
منشورات:
كلية الدعوة الإسلامية
630 صفحة / قطع كبير

في إطار العناية بتاريخنا الثقافي والاجتماعي جاءت أعمال هذه الندوة لتكشف عن مظاهر مختلفة من ضروب التلاقي والتآخي، وأصناف التواصل والتعاون بين المتساكنين على جانبي الصحراء الكبرى وفي أعماقها، كما أن البحوث والدراسات التي يتضمنها الكتاب تقيم الدليل على عمق الجذور المشتركة بينهم في الأصل والدين واللغة والتاريخ المشترك، وهي الأواصر التي تكوّن وحدة الأمة وتمنحها المضمون المجدي والمصداقية الفاعلة . ومع كل الأواصر العرقية كان في أوراق الندوة تركيز على الجوانب الفكرية والمعنوية واللغوية المكونة لوحدة الأمة، لأن الارتباطات العرقية والجغرافية على أهميتها غير كافية لتعميق الإحساس بالوحدة النفسية، والتضامن الوجداني والعقلي بين الشعوب، وهو ما حققته الثقافة الواحدة والفكر المتأثربها، ثم هو الذي أكمل مع الترابط الوطني والقومي شروط الانتماء للأمة الواحدة . وأبحاث ودراسات الندوة التي يتضمنها الكتاب نفضت الغبار عن تلك المظاهر وهذه الآثار، لتقدمها كلية الدعوة الإسلامية في هذا السّفْر العلمي القيم، هي حصيلة تلك المائدة العلمية التي تضعها بين يدي القارئ الكريم .

أوراق أندلسية

تأليف: الدكتور عبد العاطي محمد عبد الجليل
الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية
339 صفحة / قطع كبير



كان العام 1992 مسيحي مناسبة نادرة لتصحيح عدد من الأحكام الخاطئة التي أطلقت على الأندلس من خلال محاولة الإجابة عن كم لا بأس به من التساؤلات:

هل صحيح أن الإسلام غادر الأندلس نهائيا منذ عام 1492 مسيحي ؟ ولماذا قيل: ما دخل الإسلام أرضاً إلا وبقي فيها ما عدا الأندلس؟ وإلى أي مدى يمكن التسليم بذلك ؟.

لقد حاولت جهات متعددة وكتابات كثيرة تصوير الوجود الإسلامي في الأندلس بشكل جعل الإسبانيين لا يعطون اهتماماً واضحاً لفترة زمنية استمرت أكثر من ثمانمائة عام، فهل أن أبناء الأندلس اليوم ما يزالون يتنكرون لتلك الفترة؟

ولأن الإسلام لم يغادر الأندلس فإن عددا من الإسبانيين اعتنق الإسلام، ويحاولون ترميم جسور الحوار التي ظلت مغلقة فترة طويلة من الزمن، فهل من الممكن أن يتجاوز الحوار كل العراقيل التي وُضعت وما تزال توضع أمام تواصل يحتمه التاريخ (الذاهب/ القادم) والجغرافيا الثابتة؟ وهل كان الوجود العربي الإسلامي في الأندلس مجردا عن كل أثر؟ أم أنه كان (انسياحاً حضارياً) لغة وثقافة وعقيدة؟

وإذا كنا قد نشرنا عن تاريخ الأندلس الأدبي والثقافي والعلمي من قبيل ما مضى وانقضى، فلم لا نكتب عن الأندلس حاضراً ومستقبلاً؟

شهد العام 1992 مسيحي وقفة متميزة أمام أحداث تاريخية لم ولن يتبلور حيالها رأي موحد، ولذلك فإن المؤلف اختار نشر هذه الأوراق الأندلسية التي تربط بين ماض عريق وحاضر متوثب ومستقبل يحتاج لتحديد ملامحه حتى لا تضيع خلاله ملامحنا .

رحلة إلى الكفرة

تقارير الرحالة الألماني غيرهارد رولفس
عن رحلته من طرابلس إلى الكفرة
دراسة وترجمة : الدكتور عماد الدين غانم
منشورات : مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية / طرابلس
600 صفحة / قطع متوسط



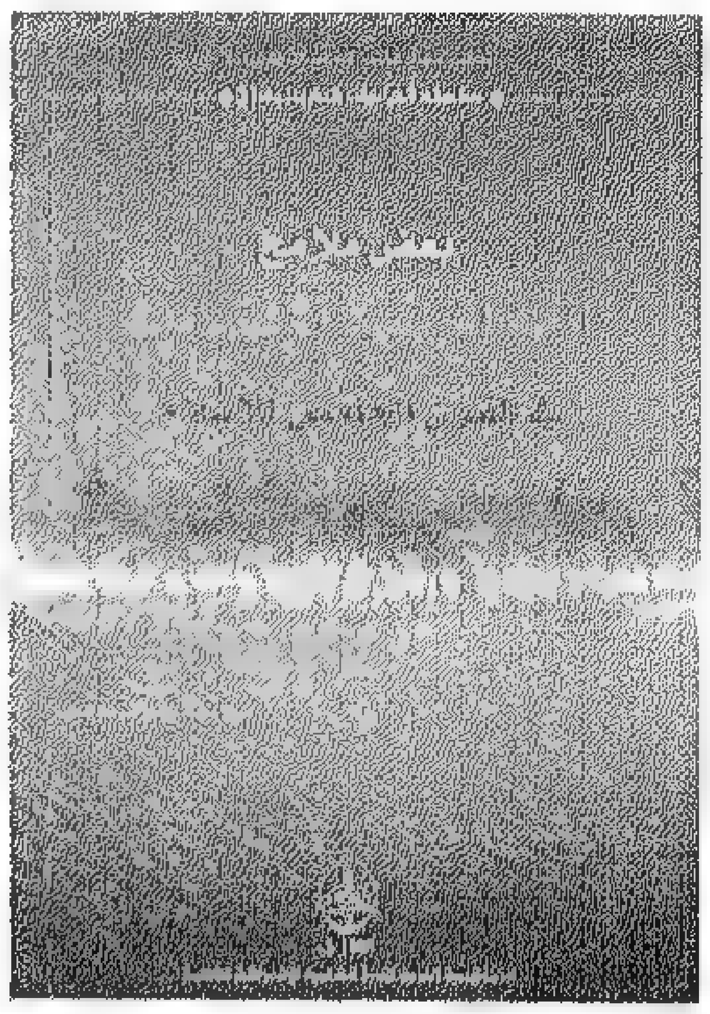
إذا كان الرحالة والجغرافيون العرب قد أمدونا بمعلومات مبكرة عن العديد من مناطق القارة الإفريقية ؛ فإن الأوربيين قاموا في القرنين الأخيرين بتكثيف اهتمامهم بها، وتمتلئ كتب الرحالة الأوربيين بمعلومات متفاوتة القيمة حول طبيعة هذه البلدان وشعوبها وأوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية . والتاريخ الليبي الحديث يحفل بعدد لا بأس به من مؤلفات الرحالة الأوربيين الذين قصدوا ليبيا للتوجه إلى مناطقها المختلفة، الساحل والداخل، أو للإنطلاق منها إلى البلدان الواقعة ما وراء الصحراء . ومن بين هؤلاء الرحالة الألماني غيرهارد رولفس، الذي لقيت رحلته إلى الكفرة اهتماماً كبيراً في أوربا، وما إن صدر كتابه بالألمانية عام 1881 مسيحي حتى تمت ترجمته إلى لغات أوربية أخرى . ويقع الكتاب في قسمين، يتضمن الأول تقارير رحلة رولفس وتشكل حوالي ثلثي الكتاب،ويشتمل على وصف الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية . أما القسم الثاني فيتضمن النتائج العلمية للرحلة التي استعان لوضعها بمجموعة من مشاهير العلماء المتخصصين . ولعل أبرز ما يميز الكتاب ومادته أن مؤلفه أمضى قرابة عقدين من الزمن في مجال الرحلة، ونضجت تجربته في هذا المجال، ويعتبر هذا الكتاب هو الأهم من بين مؤلفاته .

بعض ملامح أزمة إفريقية الاقتصادية في القرن الخامس للإسلام

تأليف : لمياء محمد سالم شرف الدين

منشورات : مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية / طرابلس

403 صفحات / قطع متوسط



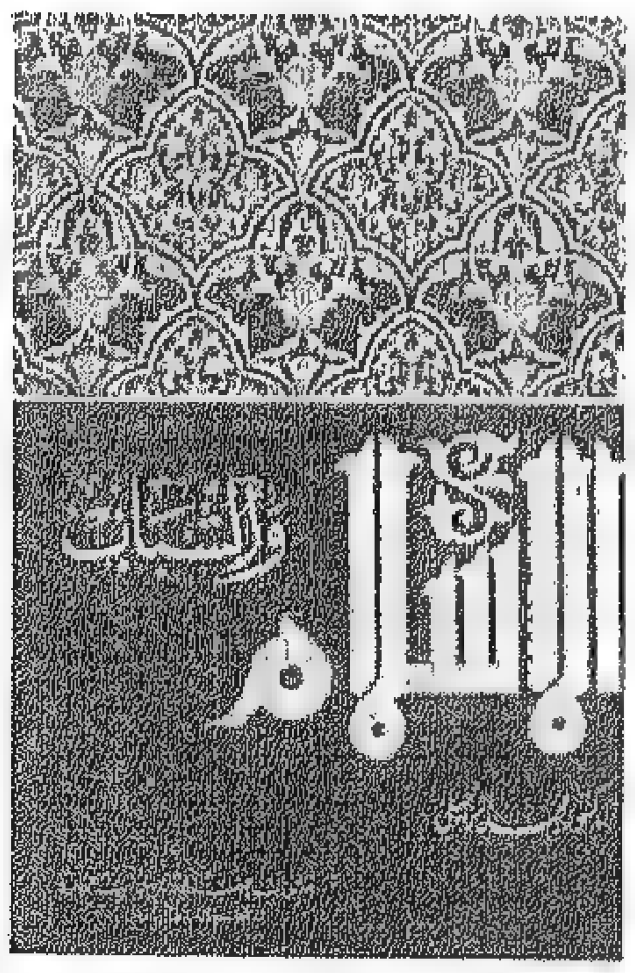
بالرغم من أهمية ما فسَّر به الدارسون أزمة إفريقية الاقتصادية في القرن الخامس للإسلام ؛ فإن تفسيراتهم لم تكن لتضع الأزمة في إطارها المحدد، ذلك أن كلا منهم فسرها من خلال جزئية معينة . ونتيجة لأهمية هذا الحدث (أزمة إفريقية الاقتصادية في القرن الخامس) ولجزئية التفسيرات، وتبعيتها في الأغلب للرؤى الاستشراقية؛ تدرس الباحثة هذا الموضوع من منطلق مغاير، ولكنه لا يتجاهل التفسيرات الأخرى . والاهتمام بهذا الموضوع لا يكمن في تسليط الضوء على الأطروحات التقليدية اللصيقة به فحسب ؛ بل وفي اعتباره مرحلة فاصلة بين حقبة كان الاعتقاد بأنها تمثل فترة البناء والتشييد وبين حقبة عمت فيها الفوضى والتخريب، لذلك فإن الباحثة تعرض تلك التفسيرات وتقدم نقدا لها، وتضيف بعدا آخر يتمثل في دور القبيلة والعقيدة وعلاقتهما بالسلطة المركزية، فثالوث القبيلة والعقيدة والسلطة المركزية ظهر جليا في المصادر العربية الأولى. الباب الأول من الكتاب يتناول المغرب في القرن الثالث للإسلام من التجزئة إلى الوحدة، والباب الثاني يبحث في موضع إفريقية بين المد الحضري والمد البدوي، أما الباب الثالث فيتعلق بدراسة أزمة إفريقية الاقتصادية في القرن الخامس للإسلام، ومحوره النصف الثاني من ذلك القرن، أي منذ تاريخ دخول بني هلال إلى إفريقية.

الإسلام والشباب

تأليف : الدكتور محمد الزحيلي

الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

143 صفحة / قطع صغير



اهتم الإسلام بالنفس الإنسانية، وأولاها الرعاية الكاملة بالتربية التي تشمل الفرد والمجتمع، وتتناول جميع مراحل الإنسان، واهتم اهتماماً خاصاً بالأطفال والشباب، لأنهم عدة الحاضر وأمل المستقبل لكل أمة، وقد أثبت التاريخ أن دعوات الإصلاح وثورات التحرر، ومحاربة الظلم والطغيان، قامت على أيدي الشباب . ولا يخفى أن شباب اليوم هم الامتداد الطبيعي لمرحلة أساسية ومهمة، هي مرحلة الطفولة التي يتوجب الالتفات إليها، ورعايتها، والعناية بها، ودراستها، ومعرفة سبل إعدادها وإصلاحها، وتربية الأبناء هي التي تحدد المعالم الحقة للشباب، وهي القوة الذاتية التي يجب الاعتماد عليها، وإلا كانت الجهود ضائعة، وتفقد القاعدة التي ترتكز عليها. ولذلك اتجه الإسلام أولا إلى تربية الأطفال ورعايتهم والعناية بهم حتى يشبوا على منهج قويم يمنع الانحراف مستقبلاً. ومسئولية التربية في الإسلام تقع على ثلاث جهات : البيت والمجتمع والمدرسة، يضاف إليها مسئولية الشاب عن نفسه بعد النضج والبلوغ، ليرعى شئون نفسه، وينمي ما غرسه الاباء والمعلمون.

إخوتنا في مجلة التواصل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إننا نغتنم هذه الفرصة الذهبية لنكتب إليكم ، أنا وأعضاء مجالس الفتاوى والبحوث الإسلامية، لنعبّر لكم عن مدى سرورنا وابتهاجنا لما نجنيه من منافع وفوائد من مجلتكم (التواصل) التي تخاطب جميع الناس على اختلاف طبقاتهم وانتماءاتهم. لقد اطلعنا على العددين الثالث والرابع من مجلة (التواصل) في إحدى المكتبات الإسلامية بمدينة أكرا عاصمة غانا، ولنا أمل ورجاء في أن تبعثوا إلينا بالعددين الأول والثاني، وكذلك الأعداد اللاحقة التي صدرت والتي ستصدر من هذه المجلة الرائعة، والله يحفظكم ويسدد خطاكم.

عبد الحميد محمد جال
مدير مجلس الفتاوى والبحوث العلمية
أكرا / غانا

المحرر: نشكركم على المبادرة بالكتابة إلى أسرة التواصل، ونكبّر فيكم هذا الشعور الفيّاض والانطباعات الطيبة التي عبرتم عنها حول مجلة التواصل. ونفيدكم علما بأن الأعداد الأولى من المجلة قد نفدت، وبالتالي فإننا نعتذر عن عدم إرسالها إليكم ،ونعدكم بأن أعداد المجلة التالية ستصلكم تباعاً.
نشكركم مرة أخرى، مع الأمل بدوام التواصل.

الأخ أمين تحرير مجلة التواصل الغراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

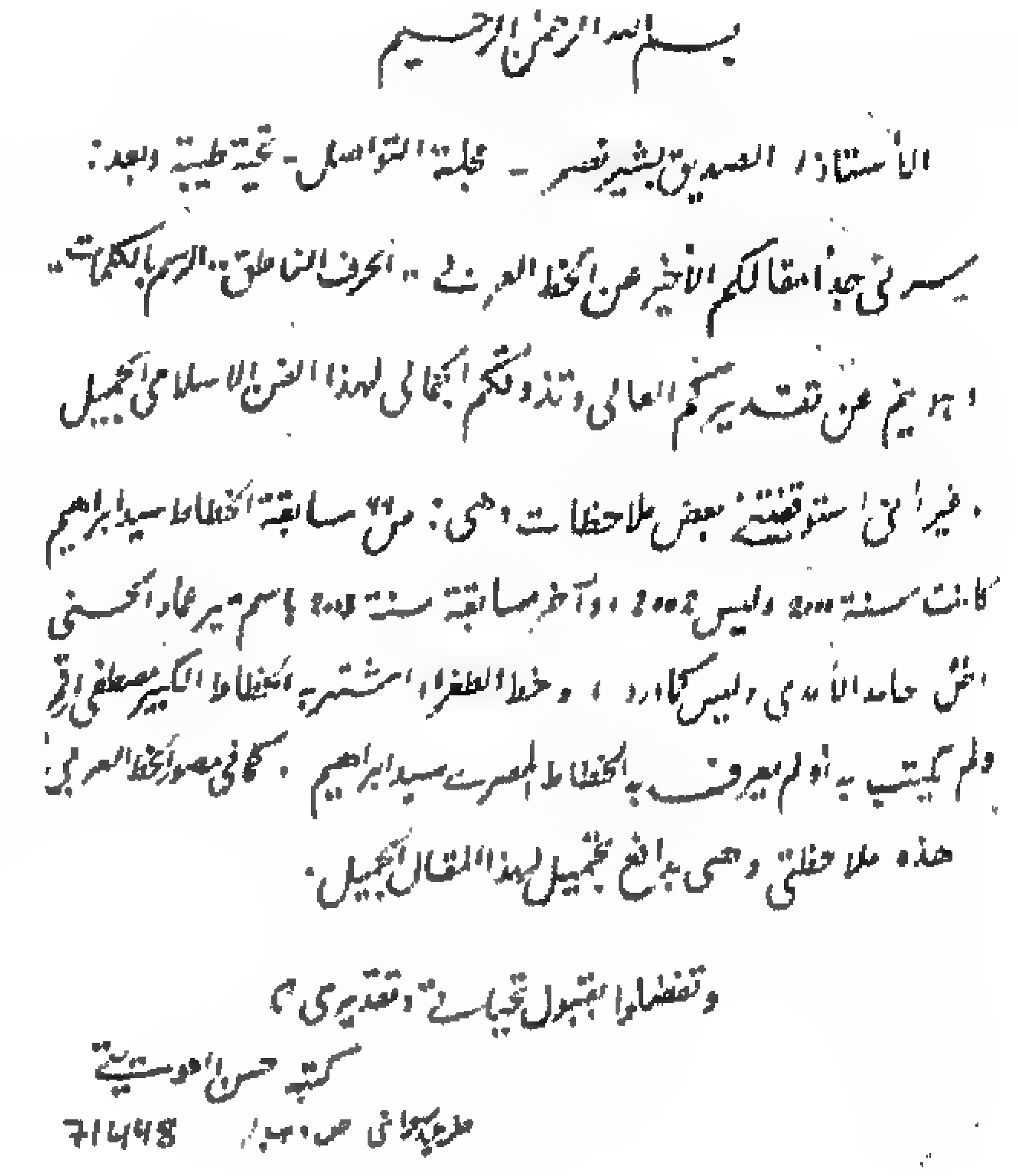
يسرنا ان نشعركم بأن المسلمين في الهند يقومون بنشاطات دينية وعلمية وثقافية، ويشكلون لها هيئات ولجانا منظمة في إطار الحرية التي يبيحها النظام السياسي في البلاد، ومن هذه الهيئات: مجلس الدراسات والبحوث الإسلامية، ومقره في ولاية كيرالا، التي يذكر التاريخ أن الإسلام انتشر فيها في عصر النبي ﷺ، وآمن به ملكها الهندوكي الذي سافر إلى مكة المكرمة وتوفي في الطريق عند عودته. وهذا المجلس يضم علماء الدين وأساتذة الكليات والأطباء والمثقفين وعلماء الاقتصاد والصحفيين والخبراء في مختلف العلوم والفنون ، ومن أهم أعمال هذا المجلس إجراء البحوث والدراسات في مختلف الموضوعات، واستنباط الأحكام الفقهية في القضايا العصرية، وتسليح العلماء والدعاة بالعلوم الإسلامية الأصيلة لمواجهة الغزو الثقافي والفكري، ونشر الوعي الديني والتعليم الإسلامي الأصيل.

ومن هنا فإنه لا يخفى عليكم أن اعمال المجلس تتطلب لنجاحها أن يكون المشتغلون بها على اتصال دائم بمنابع وروافد الثقافة الإسلامية الأصيلة ، وعلى اتصال وتواصل بالعلماء والكتّاب ، ومطلعين على ما يصدر في مجال الثقافة والفكر الإسلامي الأصيل في مختلف ميادينه وتوجهاته ، وحتى نتمكن من تحقيق ذلك ، وللوصول إلى ما نطمح إليه؛ نرجو منكم التكرم بتزويدنا بشكل منتظم بأعداد مجلة التواصل، كمون ثقافي منكم لنشاطات مجلس الدراسات والبحوث الإسلامية، ونشير بكل تواضع إلى أن إخوتكم المسلمين في الهند يستحقون كل دعم وتشجيع منكم.

والله ولي التوفيق

المخلص: محمد كوتاشيري
أمين مجلس الدراسات والبحوث الإسلامية
فاروق / كاليكوت / كيرالا / الهند

المحرر: نشكر لكم جهودكم الطيبة في سبيل الارتقاء بالمسلين إلى مستوى حضاري إيجابي ، ونشكركم على رسالتكم الرقيقية، ونعدكم بعون الله أن تصلكم التواصل بانتظام على أمل أن تصلنا مساهماتكم ومساهمات العلماء لتأخذ مكانتها في مجلة التواصل.



بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الصديق بشير نصر - مجلة التواصل - تحية طيبة وبعد:

يسرني جداً مقالكم الأخير عن الخط العربي «الحرف الناطق.. الرسم بالكلمات»

وهو ينم عن تقديركم العالي وتذوقكم الجمالي لهذا الفن الإسلامي الجميل

غير أني استوقفتني بعض ملاحظات وهي: عن مسابقة الخطاط سيد ابراهيم

كانت سنة 2000 وليس 2002، وآخر مسابقة سنة 2003 باسم مير عماد الحسني

حامد الآمدي وليس كما ورد، وخط الطغراء اشتهر به الخطاط الكبير مصطفى رقم

ولم يكتب به أو لم يعرف به الخطاط المصري سيد ابراهيم كما في مصور الخط العربي

هذه ملاحظتي وهي بدافع تجميل لهذا المقال الجميل.

وتفضلوا بقبول تحياتي وتقديري

كتبه حسن العويتي

طريق السواني ص.ب 71448

الأستاذ / الصديق بشير نصر

مجلة التواصل - تحية وبعد:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سرني جداً مقالكم الأخير عن الخط العربي «الحرف الناطق.. الرسم بالكلمات» وهو ينم عن تقديركم العالي وتذوقكم الجمالي لهذا الفن الإسلامي الجميل، غير أني استوقفتني بعض الملاحظات وهي: عن مسابقة الخطاط سيد ابراهيم كانت سنة 2000 وليس 2002، وآخر مسابقة سنة 2003 باسم مير عماد الحسيني حامد الآمدي وليس كما ورد، وخط الطغراء اشتهر به الخطاط الكبير مصطفى رقم ولم يكتب به أو لم يعرف به الخطاط المصري سيد ابراهيم كما في مصور الخط العربي.

هذه ملاحظتي وهي بدافع تجميل لهذا المقال الجميل.

وتفضلوا بقبول تحياتي وتقديري

حسن العويتي

طريق السواني ص.ب./ 71448- ليبيا

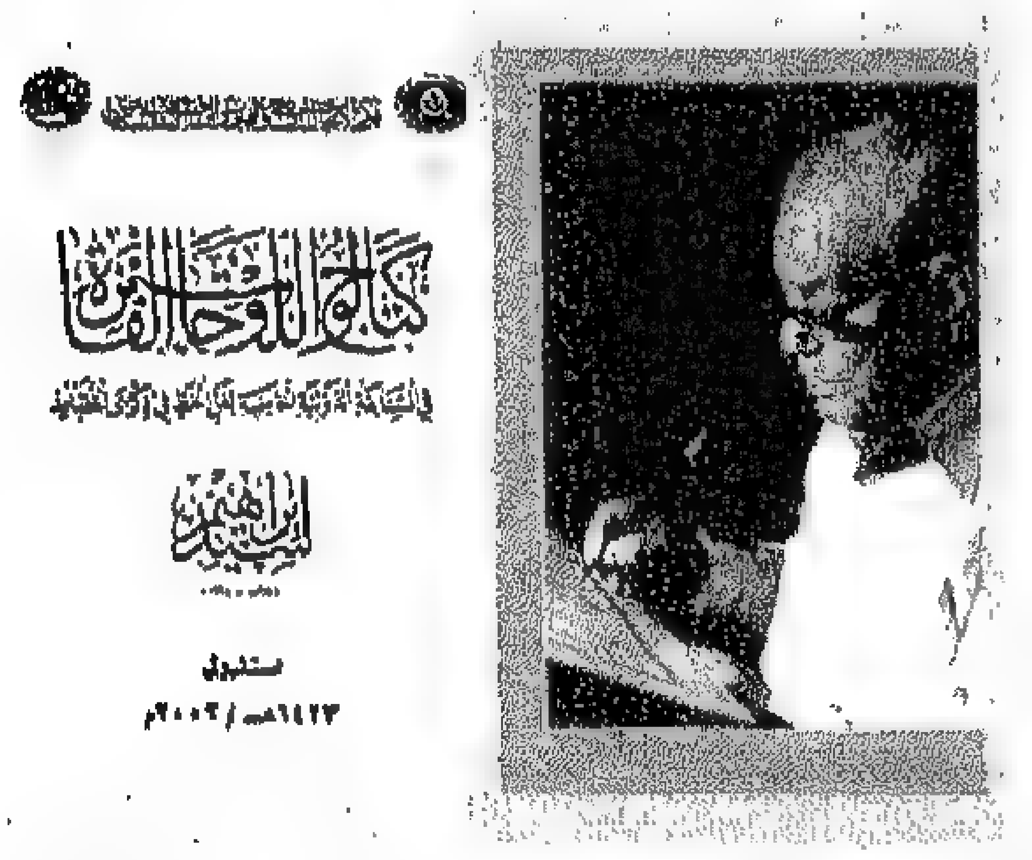
المحرر:

الأستاذ الخطاط حسن العويتي

شكراً على رسالتكم الرقيقة التي تفصح عن ذوق رفيع وإحساس بالجمال مرهف..

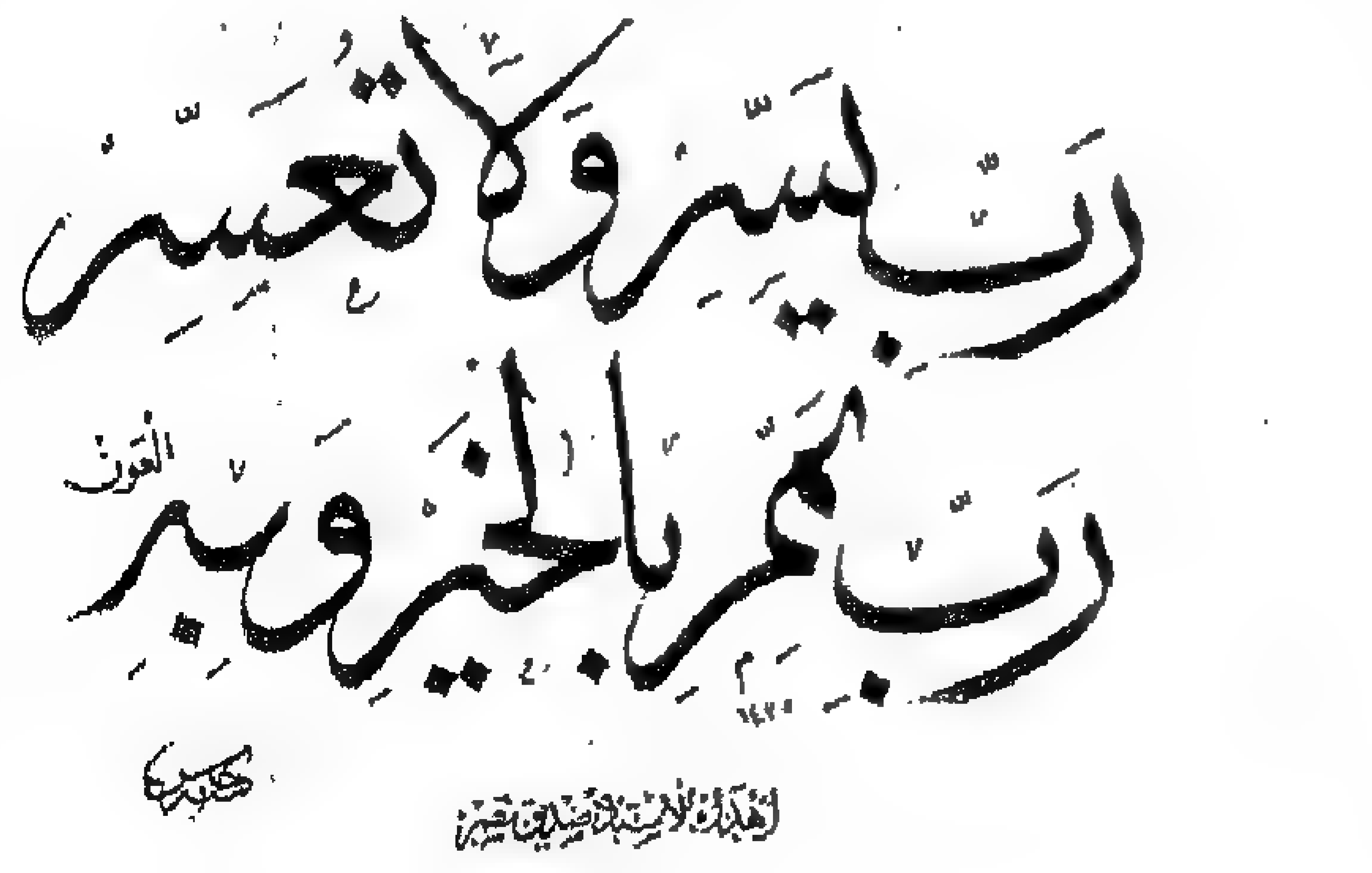
ونحن نقدر كلّ التقدير الملاحظات القيّمة التي وردت في رسالتكم، وإنّ أيّ تصويب أو استدراك يصلنا من القارئ الكريم هو مبعث سعادتنا وانشراحنا لأنّ أقلّ ما يُفسّر به ذلك أننا نجحنا في إقامة جسور التواصل مع قرائنا الأعزاء.. وأننا كسبنا برسالتكم قارئاً متميزاً ذواقة مثلكم.

وبخصوص الملاحظات التي أبديتموها عن مقالنا عن الخط العربي (الحرف الناطق)، ومنها أنّ المسابقة الخامسة الدولية للخط العربي التي تجري في استانبول والتي تحمل اسم الخطاط المصري الشهير سيد إبراهيم قد انعقدت في سنة 2000 وليس في سنة 2002 كما ذكرنا . ونحن إذ نشكركم على هذه الملاحظة نؤكّد لكم أنها انعقدت في سنة 2002 كما هو مثبت على غلاف كاتلوج اللوحات الفائزة في تلك المسابقة التي يسعدنا أن نرفقها هنا.



وأما أن خط الطغراء لم يشتهر به سيد إبراهيم فهوكما قلتم، وذلك صواب لأن الخطاطين قلما يتفرغون لهذا الخط، والمشهورون به لهم لوحات قليلة.

كما نشكرك على هديتك اللطيفة وهي لوحة مكتوبة بخطك الجميل، وتعبيراً عن إعجابنا يسعدنا أن ننشرها في هذه الصفحة.



حصاد عامين

خدمة للقارئ الكريم نقدم هذا الثبت لما نشرته مجلة التواصل في أعدادها الثمانية التي صدرت خلال السنتين الماضيتين 1372 ـ 1373 من وفاة الرسول ﷺ 2004 ـ 2005 مسيحي

الافتتاحية

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
دون عنوان	التحرير	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	1
دون عنوان	التحرير	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	1
دون عنوان	التحرير	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر 2004 مسيحي	1
دون عنوان	التحرير	العدد الرابع	الكانون 1372 و.ر/ديسمبر 2005 مسيحي	1
❖ للتواصل حكاية	علي محمد الويفاتي	العدد الخامس	الربيع 1373 و.ر/ مارس 2005 مسيحي	1
❖ الحياة تجدّد	إبراهيم علي الربو	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	1
❖ الإعلام في الدول المتخلفة	د. عبد العاطي محمد عبد الجليل	العدد السابع	الفاتح 1373 و.ر/سبتمبر2005 مسيحي	1
❖ الإعلام في الدول القوية	د. عبد العاطي محمد عبد الجليل	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ديسمبر 2005 مسيحي	1

مقالات

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ رؤية إسلامية في مفهوم الإرهاب	أ. التيجاني عمر محمد	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	20 ـ 23
❖ الإسلام بين العولمة والعالمية	فوزي فاضل الزفزاف	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	24 ـ 31
❖ الإسلام وحقوق الإنسان بين التأصيل ودعاوى التأويل	د. دهام العزاوي	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	32 ـ 36
❖ الوسطية والتوازن في الإسلام	محمد أحمد شفيع	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	37 ـ 42
❖ نظرة في مرتكزات الثقافة العربية الإسلامية	أ. بسام رجا	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	43 ـ 46
❖ الإسلام والإعلام الغربي: سوء فهم أم إساءة مقصودة؟	د. باسل حسين	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	47 ـ 51
❖ تأملات في مضمون النص القرآني	د. عبد الأمير زاهد	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	52 ـ 54
❖ القرآن الكريم وحركة الإرادة	د. سعيد فاندي	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	55 ـ 59
❖ اللغة العربية والتقدم العلمي والتكنولوجي في نيجيريا	د. حمزة أشولا عبد الرحيم	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	60 ـ 66
❖ العروبة والإسلام: الترابط الجدلي والتكامل الحضاري	د. خالد ناجي	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	67 ـ 69
❖ الأدب الإسلامي: تصور وكلمة	أ. طلعت سقيرق	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	70 ـ 72
❖ الإتجاه الإسلامي في شعر القروي	محمد صالح يونس	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	73 ـ 78
❖ تولستوي كان يحلم بالعيش في بلد إسلامي	د. محمود علي التائب	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	79 ـ 82
❖ الإنسان أمانة بين سطور الإبداع	د. عبد الفتاح أبو زائدة	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	83 ـ 84
❖ نحو عالم أكثر تسامحاً	د. إسماعيل نوري الربيعي	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	26 ـ 31
❖ الإنسان المعاصر أمام حركة الواقع والاجتهاد	د. أبو زيد الإدريسي	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	32 ـ 38
❖ كيف تعاونت الصهيونية مع النظام النازي؟	د. عبد الله الزيات	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	39 ـ 47
❖ الصحوة الإسلامية.. رؤية مستقبلية	أ. محمد أحمد شفيع	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	48 ـ 53

مقالات

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ الشباب المسلم والتنمية	د. سامي ماغاسوبا	العدد الثاني	الصيف 1372و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	54 ـ 57
❖ التنوع الثقافي وانعكاساته	د. محمد السماك	العدد الثاني	الصيف 1372و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	58 ـ 61
❖ الكتاب وثقافة الطفل الصيني	د. مفتاح محمد دياب	العدد الثاني	الصيف 1372و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	62 ـ 66
❖ البعد الديني لمفهوم الإرهاب في السياسة الصهيونية	د. دهام العزاوي	العدد الثاني	الصيف 1372و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	67 ـ 72
❖ الشيخ عبد الواحد يحيى والنهضة الروحية في الغرب	د. عبد الإله بنعرفة	العدد الثاني	الصيف 1372و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	73 ـ 80
❖ ثورة الفاتح وإسهاماتها في العالم الإسلامي	علي محمد الأحمر	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر 2004 مسيحي	20 ـ 36
❖ الإسلام وثقافة الحوار	د. دهام العزاوي	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر 2004 مسيحي	37 ـ 39
❖ مفهوم الإنتظار في الثقافة الدينية	د. حسن الباش	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر 2004 مسيحي	40 ـ 48
❖ حوار الأديان في ظل العولمة	د.عودة سليمان الصويص	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر 2004 مسيحي	49 ـ 54
❖ حديث الفردوس الموعود	د. عبد الله محمد الزيات	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر 2004 مسيحي	55 ـ 63
❖ أهمية نقل المصادر الإسلامية إلى اللغة الصينية	د. مافود يوسف سراج	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر 2004 مسيحي	64 ـ 70
❖ ملاحم الحضارة الإسلامية ومدى اختلافها مع الحضارة الغربية	د. مفتاح السنوسي بلعم	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر 2004 مسيحي	71 ـ 73
❖ التحدي النفسي المعرفي التربوي: خطوة عريضة	د.عبد الحميد أحمد أبو سلمان	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر 2004 مسيحي	74 ـ 79
❖ المسلم المعاصر والتحديات	طلعت سقيرق	العدد الرابع	الكانون 1372 و.ر/ديسمبر 2005 مسيحي	16 ـ 24
❖ التفوق الثقلي المزعوم	أ.د. بدور مارتينث مونتابث	العدد الرابع	الكانون 1372 و.ر/ديسمبر 2005 مسيحي	25 ـ 27
❖ المصطلحات العلمية العربية :تعريب أم تغريب	عمر لطفي العالم	العدد الرابع	الكانون 1372 و.ر/ديسمبر 2005 مسيحي	28 ـ 34
❖ مفردات في أشكال الثقافة والهوية	د. محمد سالم المقيد	العدد الرابع	الكانون 1372 و.ر/ديسمبر 2005 مسيحي	35 ـ 39
❖ الإسلام والعولمة : جدل أم هيمنة ؟	د. وسام رجا	العدد الرابع	الكانون 1372 و.ر/ديسمبر 2005 مسيحي	40 ـ 48
❖ مضى من التواصل عام	د.عبد الفتاح أبوزايدة	العدد الخامس	الربيع 1372و.ر/ مارس 2005 مسيحي	18 ـ 21
❖ من أجل ثقافة وحوار ..	جوزيف إتّول	العدد الخامس	الربيع 1372و.ر/ مارس 2005 مسيحي	22 ـ 28
❖ أوروبا اليوم بين الانفتاح وهاجس القلق من الإسلام	كريمة أم عبد الله	العدد الخامس	الربيع 1372و.ر/ مارس 2005 مسيحي	29 ـ 32
❖ لغز التراث وشروط الاستمرار	عمر لطفي العالم	العدد الخامس	الربيع 1372و.ر/ مارس 2005 مسيحي	33 ـ 37
❖ الخطر الأقسى على المسجد الأقصى	د. محمد السماك	العدد الخامس	الربيع 1372و.ر/ مارس 2005 مسيحي	38 ـ 45
❖ مقاومة الإسلام للاستعمار الثقافي الغربي بمنطقة غرب أفريقيا	محمد أحمد شفيع	العدد الخامس	الربيع 1372و.ر/ مارس 2005 مسيحي	46 ـ 50
❖ أين يكون موقع الإسلام في أوروبا الجديدة ؟	د. محمد بشاري	العدد السادس	الصيف 1373و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	30 ـ 35
❖ الأدب العربي والمستعربون الأوروبيون	عمر لطفي العالم	العدد السادس	الصيف 1373و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	36 ـ 42

مقالات

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ ثاباتا والعرب	د.علي حسين الحلو	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	47 ـ 43
❖ إيطاليا وتاريخ الدراسات العربية والإسلامية	محمد القاضي	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	54 ـ 48
❖ آل بوش ووهم النهايات	د.سالمة عبد الجبار	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	62 ـ 55
❖ العلم والبعد الروحي للدين	د.صلاح الجابري	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	67 ـ 63
❖ منهجية الإسلام	محمد رجا حنفي	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	74 ـ 68
❖ فضاءات التخييل وتأويلاته	د. مشكور كاظم العوادي	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	78 ـ 75
❖ الكتاب والمكتبة وثقافة الطفل المسلم	د. مفتاح محمد دياب	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	84 ـ 79
❖ الشيخ عثمان بن محمد فودي	د.محمد أول أبو بكر	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	89 ـ 85
❖ التراث العربي المخطوط ودوره في ترسيخ العلاقات بين شعوب جانبي الصحراء الكبرى	سامبي خليل ماغاسوبا	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	98 ـ 90
❖ الثقافة العربية الإسلامية تجاه العولمة	علي جنك صمب	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	106 ـ 99
❖ ملامح تجربة الشريط الديني في السينما العربية	رمضان سليم	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	116 ـ 107
❖ الخطاب الإسلامي بين الأصالة والتطوير	عبد الحميد حقيق	العدد السابع	الفاتح 1373 و.ر/سبتمبر2005 مسيحي	10 ـ 6
❖ علم مقارنة الأديان ..نشأته وأهدافه	عمر لطفي العالم	العدد السابع	الفاتح 1373 و.ر/سبتمبر2005 مسيحي	16 ـ 11
❖ المسيحيون الفلسطينيون في مواجهة الاحتلال	د.حسن الباش	العدد السابع	الفاتح 1373 و.ر/سبتمبر2005 مسيحي	26 ـ 17
❖ الإنجيلية ..طائفة تسعى للسيطرة على العالم	صوفي دي ديزير	العدد السابع	الفاتح 1373 و.ر/سبتمبر2005 مسيحي	33 ـ 27
❖ البحث عن مملكة السماء!!	رمضان سليم	العدد السابع	الفاتح 1373 و.ر/سبتمبر2005 مسيحي	40 ـ 34
❖ الآثار الاجتماعية للعولمة	غازي دحمان	العدد السابع	الفاتح 1373 و.ر/سبتمبر2005 مسيحي	50 ـ 41
❖ تقرير عن حالة الأمة	د. محاضر بن محمد	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر2005 مسيحي	11 ـ 6
❖ المتغيرات العالمية والثوابت الإسلامية	د. محمد السماك	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر2005 مسيحي	18 ـ 12
❖ إعجاز القرآن .. رؤية جديدة	عمر لطفي العالم	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر2005 مسيحي	24 ـ 19
❖ الوقف وفلسفته التنمويّة	عطية فتحي الويشي	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر2005 مسيحي	29 ـ 25
❖ المعرفة أساس رقي المجتمعات	د أحمد عبد الرحيم السائح	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر2005 مسيحي	38 ـ 30
❖ المغامر دومنغو باديًا في مكة وفلسطين	د. علي حسين الحلو	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر2005 مسيحي	42 ـ 38

دراسات

قضايا وآراء

قضايا وآراء

ملفـــات

ملفــــات

ملفـــات

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ المسلمون والغرب بين الخوف على الهوية والخوف منها	د. محمد بشاري	العدد السابع	الفاتح 1373و.ر/ سبتمبر 2005 مسيحي	112 ـ 120
❖ النظام العالمي الجديد وصورة الإسلام	د. أحمد العوايشة	العدد السابع	الفاتح 1373و.ر/ سبتمبر 2005 مسيحي	121 ـ 137
❖ الحوار مع الآخر.. نحو رؤية إسلامية موحدة	د.الشيخ عكرمة صبري	العدد السابع	الفاتح 1373و.ر/ سبتمبر 2005 مسيحي	138 ـ 143
❖ الحوار مع الآخر.. نحو رؤية إسلامية موحدة	د.عبد الرحمن ابداح	العدد السابع	الفاتح 1373و.ر/ سبتمبر 2005 مسيحي	144 ـ 149
❖ الحوار مع الآخر..من أجل نهج إسلامي موحد	أبو بكر محيي الدين	العدد السابع	الفاتح 1373و.ر/ سبتمبر 2005 مسيحي	150 ـ 154
ماذا يريدون بالقرآن				
❖ مدخل سيكولوجي	إعداد وعرض وترجمة أ. الصديق بشير نصر	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر 2005 مسيحي	95 ـ 96
❖ نظرة إلى الفكر الإستشراقي في الدراسات القرآنية		العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر 2005 مسيحي	98ـ 110
❖ الدراسات القرآنية من الاستشراق إلى السياسة		العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر 2005 مسيحي	111 ـ 113
❖ سفاهات يسمونها قرآناً		العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر 2005 مسيحي	114 ـ 131
❖ مؤلفات حديثة ضد القرآن		العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر 2005 مسيحي	132 ـ 141
❖ حقيقة مصحف سمرقند		العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر 2005 مسيحي	143 ـ 144
❖ مواقع معادية للقرآن		العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر 2005 مسيحي	145 ـ 146
❖ قرآن فوبيا		العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر 2005 مسيحي	147 ـ 148
❖ تدنيس القرآن		العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر 2005 مسيحي	149
❖ المنصفون من الغرب والقرآن		العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر 2005 مسيحي	150

محاضرات

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ منهج الدعوة في القرآن الكريم	د.يوسف القرضاوي	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	193 ـ 204
❖ صدام الحضارات هل هو ديني أم سياسي؟	المستشرق يانوش دانسكي	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	163 ـ 169
❖ الحوار..حرية الاختيار والتوجه الديني	فرانشيسكو كوسيجا	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر 2004 مسيحي	170 ـ 174
❖ الآفاق المستقبلية للدعوة الإسلامية	د. محمد عمارة	العدد الرابع	الكانون 1372 و.ر/ديسمبر 2005 مسيحي	164 ـ 178
❖ واقع المرأة المسلمة المعاصر	فوزية العشماوي	العدد الخامس	الربيع 1373 و.ر/ مارس 2005 مسيحي	122 ـ 130
❖ الحوار الإسلامي ـ المسيحي ..إلى أين؟	فوزي فاضل الزفزاف	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	152 ـ 160
❖ مقاصد الشريعة الإسلامية ودورها في تقويم مناهج الفتوى في العالم المعاصر	الشيخ محمد الحبيب بالخوجة	العدد السابع	الفاتح 1373 و.ر/سبتمبر2005 مسيحي	156 ـ 164
❖ حول ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية	د. أحمد عبد الحليم	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر 2005 مسيحي	83 ـ 94

حوارات

الضيف	المحاور	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ د. محمود مصطفى أيوب: الإسلام ليس دين المسجد والمنزل فقط	محمد حسن جحا	العدد الخامس	الربيع1373 و.ر/ مارس 2005 مسيحي	132 ـ 142
❖ د.أكمل الدين إحسان أوغلي :الإسلام ليس جغرافيا واحدة	د. عبد العاطي محمد عبد الجليل	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	162 ـ 168
❖ الشيخ محمد على التسخيري : الحوار هو المنطق الإنساني السليم	محمد حسن جحا	العدد السابع	الفاتح 1373 و.ر/سبتمبر2005 مسيحي	166 ـ 174
❖ د. محمد الدسوقي: ليست المشكلة في وسيلة التبليغ ولكن في من يقدم هذا البلاغ	محمد حسن جحا	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر2005 مسيحي	73 ـ 82

استطلاعات

الضيف	المحاور	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ مسجد غرناطة	د. عبد العاطي محمد عبد الجليل	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/مارس 2004 مسيحي	136 ـ 144
❖ القبة .. حوار السماء والأرض	أ. الصديق بشير نصر	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	176 ـ 187
❖ تومبكتو	علي محمد الويفاتي	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	188 ـ 208
❖ شجرة مباركة .. يكاد زيتها يضيء	محمد حسن جحا	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر 2004 مسيحي	179 ـ 195
❖ الخط العربي .. الحرف الناطق	أ. الصديق بشير نصر	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر2004 مسيحي	196 ـ 202
❖ الماء..الصحة..العلم: ثلاثية الأفريقي في عالمه	علي محمد الويفاتي	العدد الرابع	الكانون 1372 و.ر/ديسمبر 2005 مسيحي	184 ـ 204
❖ المالديف ..إكليل الجزر	محمد أحمد زمياط	العدد الخامس	الربيع 1373 و.ر/ مارس 2005 مسيحي	144 ـ 173
❖ تسونامي .. الموت الأزرق	أ. الصديق بشير نصر	العدد الخامس	الربيع 1373 و.ر/ مارس 2005 مسيحي	174 ـ 194
❖ ميورقة .. الجزيرة ذات الألف وجه	د. عبد العاطي محمد عبد الجليل	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	170 ـ 196
❖ سورينام : تاريخ .. وواقع	مصطفى أبو بكر لاغة	العدد السابع	الفاتح 1373 و.ر/سبتمبر2005 مسيحي	176 ـ 190
❖ أطفال المالديف يرسمون للتواصل	محمد أحمد زمياط	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر2005 مسيحي	151 ـ 162

تقارير

الضيف	المحاور	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ أفريقيا والدعوة الإسلامية	التحرير	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/مارس 2004 مسيحي	6 ـ 12
❖ الحوار الإسلامي ـ المسيحي: ندوات ومؤتمرات نظمتها الجمعية	عبد الحكيم مختار الورفلي	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/مارس 2004 مسيحي	13 ـ 18
❖ ملتقى إسلامي في رواندا	أحمد البكوش	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	6 ـ 11
❖ قرية الهنود التي قهرت الوثنية والظلام بنور الإسلام	مصطفى أبو بكر لاغة	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	12 ـ 16
❖ الدورة الخامسة عشر للمجلس العالمي للدعوة الإسلامية	التحرير	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	17 ـ 24
❖ الإسلام واللجوء	علي الويفاتي	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر 2004 مسيحي	8 ـ 12
❖ قوافل الخير تجوب المعمورة	أحمد البكوش	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر 2004 مسيحي	14 ـ 18
❖استجلاء صورة الإسلام المضيئة	التحرير	العدد الرابع	الكانون 1372 و.ر/ديسمبر 2005 مسيحي	5 ـ 14
❖ جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمنظمات الدولية	التحرير	العدد الخامس	الربيع 1373 و.ر/ مارس 2005 مسيحي	5 ـ 16

تقارير

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ جهود جمعية الدعوة الإسلامية في تعليم اللغة العربية في أفريقيا	محمد حسن جحا	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	6 ـ 19
❖ جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمنظمات الدولية للتربية والثقافة والعلوم (تعاون من أجل أفريقيا)	علي محمد الويفاتي	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	20 ـ 28
❖ الدورة 16 للمجلس العالمي للدعوة الإسلامية	التحرير	العدد السابع	الفاتح 1373 و.ر/ سبتمبر2005 مسيحي	192 ـ 198
❖ أطفال كوسوفو	محمد عبد السلام شاهين	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر2005 مسيحي	164 ـ 168
❖ مسابقة (واعتصموا) النسائية العالمية الأولى لحفظ القرآن	زهرة سليمان	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر2005 مسيحي	169 ـ 198

الواحة

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ أصداء شرقية في كتابات غربية	أ. الصديق بشير نصر	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	206 ـ 210
❖ تساؤلات جنين	فراس عبد الحميد	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	211 ـ 212
❖ الشاعر الأمريكي المسلم عبد الحي دانيال مور	منير العكش	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	202 ـ 203
❖ مختارات من (سونيتات رمضان)	أ. الصديق بشير نصر	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	204 ـ 207
❖ اختيار الإسلام .. حكاية رجل	أ. الصديق بشير نصر	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	207 ـ 208
❖ أبو الوليد (إلياس عبد الله طعمة) الشاعر العبقري . هل كان مسلماً ؟	أ. الصديق بشير نصر	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر2005 مسيحي	204 ـ 210
❖ زارادشت نيتشة وأسد الصحراء	أ. الصديق بشير نصر	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر2005 مسيحي	
❖ بساطة الرسول محمد وصدقه	(المهاتما غاندي)	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر2005 مسيحي	
❖ الإسلام .. الحيوية الرائعة	(جورج برناد شو)	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر2005 مسيحي	
❖ شهادة الإسلام	(إدوارد جيبون)	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر2005 مسيحي	
❖ من يجرؤ على المقارنة ؟	(الفونس دي لا مارتين)	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر2005 مسيحي	
❖ من أسس التسامح في الإسلام	أ. الصديق بشير نصر	العدد الرابع	الكانون 1372 و.ر/ ديسمبر 2005 مسيحي	206 ـ 208
❖ تسامح الإسلام في عيون مفكرين غربيين	أ. الصديق بشير نصر	العدد الرابع	الكانون 1372 و.ر/ ديسمبر 2005 مسيحي	209 ـ 210
❖ مولد الرسول صلى الله عليه وسلم	حليم دموس	العدد الخامس	الربيع 1373 و.ر/ مارس 2005 مسيحي	196 ـ 198
❖ الإستبداد .. آفة الحضارات.. من جان جاك روسو إلى عبد الرحمن الكواكبي	التحرير	العدد الخامس	الربيع 1373 و.ر/ مارس 2005 مسيحي	199 ـ 200
❖ عظمة النبي ﷺ	توماس كارلايل	العدد الخامس	الربيع 1373 و.ر/ مارس 2005 مسيحي	201 ـ 202
❖ من آثار عبقرية المسلمين في إسبانيا عند جوزيف ماكيب	أ. الصديق بشير نصر	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	198 ـ 199
❖ القابض على الجمر في رحلة البحث عن الذات	أ. الصديق بشير نصر	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	200 ـ 203
❖ وامعتصماه!!	شعر: عمر أبو ريشة	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	204
❖ الأدب الجغرافي الإسلامي المعين الأول للمستعمرين	اغناطيوس كراتشكوفسكي	العدد السابع	الفاتح 1373 و.ر/سبتمبر2005 مسيحي	200 ـ 202

الواحة

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ لم يَعُد بالإمكان تجاهل حضارة الإسلام	زيغريد هونكة	العدد السابع	الفاتح 1373 و.ر/سبتمبر2005 مسيحي	202 ـ 203
❖ الصورة الشائهة للإسلام إسقاط لما اكتنف عقول الأوروبيين	مونتجمري وات	العدد السابع	الفاتح 1373 و.ر/سبتمبر2005 مسيحي	203 ـ 204
❖ د. عبد الهادي التازي يصحح رحلة ابن بطوطة	د. عبد العاطي محمد عبد الجليل	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/2005 ديسمبر مسيحي	180 ـ 182
❖ عظمة محمد	ول ديورانت	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/2005 ديسمبر مسيحي	183 ـ 184
❖ من أغاني شيراز		العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/2005 ديسمبر مسيحي	185 ـ 188
❖ من ورقاء ابن سينا إلى عنقاء ايليا أبي ماضي		العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/2005 ديسمبر مسيحي	189 ـ 192

كتب

الكتاب	عرض الكتاب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ الفرقان الحق ...هوس واستخفاف	أ. الصديق بشير نصر	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	214 ـ 219
❖ كيف نتجنب صراع الحضارات ؟	أ. الصديق بشير نصر	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	210 ـ 212
❖ الإرهاب ليس صناعة إسلامية	السيد عبد الرؤوف	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	213 ـ 216
❖ بعد الجهاد .. أمريكا والنضال من أجل ديموقراطية إسلامية	أ. الصديق بشير نصر	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر 2004 مسيحي	212 ـ 220
❖ تاريخ مسلمي صقلية	علي الصادق حسنين	العدد الرابع	الكانون 1372 و.ر/ ديسمبر 2005 مسيحي	212 ـ 215
❖ علم النفس الشخصي	د. عبد الله محمد الزيات	العدد الرابع	الكانون 1372 و.ر/ ديسمبر 2005 مسيحي	216 ـ 218
❖ من نحن ؟	أ. الصديق بشير نصر	العدد الخامس	الربيع1373 و.ر/ مارس 2005 مسيحي	204 ـ 207
❖ لم نكن نحن	د.عبد العاطي محمد عبد الجليل	العدد الخامس	الربيع1373 و.ر/ مارس 2005 مسيحي	208 ـ 210
❖ الأحمدية .. عقائد وأحداث	أ. الصديق بشير نصر	العدد الخامس	الربيع1373 و.ر/ مارس 2005 مسيحي	211 ـ 216
❖ تاريخ التفكير الجمالي عند العرب الأندلس والجمال العربي القديم	د. عبد الله محمد الزيات	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	206 ـ 211
❖ الطوارق في تمبكتو والصحراء	علي الصادق حسنين	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	212 ـ 213
❖ لأول مرة في اللغة العربية : تاريخ القرآن	أ. الصديق بشير نصر	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	214 ـ 217
❖ فضيحة إسمها إرشاد مانجي : الخلل في الإسلام	أ. الصديق بشير نصر	العدد السابع	الفاتح 1373 و.ر/ سبتمبر 2005 مسيحي	206 ـ 217
❖ صورة الإسلام في الإعلام الغربي	التحرير	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ديسمبر2005 مسيحي	194 ـ 201
❖ إنسانية الإسلام	عمر محمد المجدوب	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ديسمبر2005 مسيحي	202 ـ 208
حصاد عامين	التحرير	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ديسمبر2005 مسيحي	214 ـ 223

ونتواصل

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ ونتواصل	التحرير	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	224
❖ ونتواصل	التحرير	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	224
❖ ونتواصل	التحرير	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر 2004 مسيحي	224
❖ ونتواصل	التحرير	العدد الرابع	الكانون 1372 و.ر/ديسمبر 2005 مسيحي	224
❖ حضارتنا الإسلامية بين النقل والإبداع	أ. د. محمد السيد بلاسي	العدد الخامس	الربيع 1373 و.ر/ مارس 2005 مسيحي	224
❖ ونتواصل	محمد حسن جحا	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	224
❖ ثقافة الوهم وسيف ديموقليس	أ. الصديق بشير نصر	العدد السابع	الفاتح 1373 و.ر/سبتمبر2005 مسيحي	224
❖ شكراً على الصبر الجميل	إبراهيم علي الربو	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر 2005 مسيحي	224

..ونتواصل

❖ إبراهيم علي الربو(*)

شكراً على الصبر الجميل

وليس يَصح في الأذهان شئ ... إذا احتاج النهار إلى دليل

لقد قفز هذا البيت إلى ذهني دون سواه في اللحظة التي خنقت فيها أصابعي عنق قلمي، وأجبرته على أن يصب بعض ما في جوفه من مداد على هذه الصفحة البيضاء، لأقنعكم بأهمية التواصل الذي اخترناه عنواناً لهذه الدورية... فاستجاب قلمي الهزيل لضغط أصابعي التي أحاطت بعنقه من كل جانب، دون أن يسمح لي كبريائي أن أعلّمه ماذا أنا فاعل به، أو قائل على لسانه كما هو الحال في كل مرة، ودون أن يسمح له ضعفه وهوانه على الناس بأن يسألني هو عن ذلك، فذكرتني حاله بحال بعض أنظمة الحكم في أمتنا العربية والإسلامية في علاقتها التواصلية مع بعض القوى الغربية.. عموماً استجاب القلم – وما كان له خيار في ذلك ـ وبدأ رحلة صراع يومية مع «كُويتِب» تتجاذبه أفكار ورؤى، بعضها كانت للقلم مألوفة، وبعضها الآخر كانت في نظره هرطقة ما أنزل الله بها من سلطان، لكنه تحت استخدام القوة والتهديد بها ملزم بأن يترجم هذه، ويتحدث عن تلك، وكأنه بها من المؤمنين، ويدفع ثمن ذلك في كل مرة مداداً من جوفه، ومزيداً من الضغط على عنقه النحيل بفعل عدوان ثلاثي تقوده الإبهام، وتسنده السبابة والوسطى.. فتجره ذات اليمين تارة، وذات الشمال أخرى، وتعلو به في أعلى عليين حينا، وتضعه أسفل سافلين حيناً، وهو صابر محتسب، ينقل المشاعر ويترجم الأحاسيس، ويتحمل الارتدادات العصبية لفكر شارد أحيانا، ورؤية حيرى حيال قضايا الحياة أحياناً أخرى، وما أن يفرح بإتمام سطر والشروع في آخر ـ على اعتبار أن ذلك خطوة في اتجاه الخلاص ولو إلى حين ـ حتى تجره أطراف العدوان الثلاثي بلا هوادة يمنة ويسرة عدة مرات، فيأتي على ما كتبه في دقائق، وربما في ساعات ليحوله إلى ظلمات بعضها فوق بعض في ثوان لا تتجاوز في عددها عدد المشاركين في العدوان، ليبدأ صراعه مع الأفكار مرة أخرى، ويستأنف رحلة جديدة قد تطول فيها الآلام أو تقصر، حسب حضور الذهن وشروده، واستغلاق الموضوع ووضوحه.. ولأنني أدركت بعد معركة مع قلمي ـ قدمت لكم قطاعاً طولياً منها ـ بأن التواصل لا يحتاج إلى كل ذلك الصراع للتدليل على أهميته، وتبيان منزلته في مسيرة الحضارة الإنسانية، فكل ما يقع بين دفتي هذه الدورية هو تواصل معك أخي القارئ، فالمقال تواصل، والتواصل تأثر ليس بالضرورة أن يكون إيجابياً، والتقرير تواصل قد يغمرنا عنه الرضا، وقد نكون عنه من الساخطين، والقضية تواصل سواء أأدركت عمق طرحها أم لامسته على استحياء، والأمر ينسحب على كل أبواب هذه المطبوعة.. لكن ما كان كل ذلك ليتم لولاك أيها القلم، فأنت الحاضر في كل تواصل، وإن كثر الغائبون، وأنت الأداة في كل صلة، وإن كانت أضعف من بيت العنكبوت... وتأسيساً على هذا الإدراك، واعترافاً بالأذى الذي ألحقته أصابعي بك يا قلمي العزيز، فإنني أعتذر منك لسوء المعاملة، وما تحملته مني من ضنك في العيش، وعنجهية في المعاملة، وقسوة لا زالت آثارها واضحة على عنقك، في محاولة مني لأن أُبيّن للقارئ أهمية التواصل، لكنني لو كنت عاقلاً لاكتفيت وإياك ببيت الاستفتاح..

وليس يَصح في الأذهان شئ ... إذا احتاج النهار إلى دليل

وأرحتك بذلك، وأرحت نفسي، وأبقيت على بعض المداد في جوفك لمناسبة أخرى، لكنه أمر أمين هيئة التحرير، واستجابة لأمره كانت هذه الخواطر في خاتمة العدد الثامن في مسيرة التواصل، تململ القلم بين أناملي، وقال : لا تثريب عليك، إفعل ما تُؤمر، ستجدني إن شاء الله من الصابرين...!!

---

* كاتب / ليبيا

التواصل

AT-TAWASUL

فصلية ثقافية شاملة



3

التواصل

AT-TAWASUL

فصلية ثقافية شاملة

العدد الثالث - شعبان 1372 من وفاة الرسول ﷺ الموافق شهر الفاتح (سبتمبر) 2004 مسيحي



- الإسلام واللجوء
- حديث الفردوس الموعود
- المصادر الإسلامية في اللغة الصينية
- الخط العربي.. الحرف الناطق
- إلياس طعمة.. هل كان مسلماً؟



إهـــــداء ٢٠٠٩

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

الجماهيرية العربية الليبية

الافتتاحية

يسجل التاريخ لثورة الفاتح أنها قدّمت الإسلام على حقيقته ، مبرءا من كل شائبة ، كما جاء به القرآن الكريم ، دينا حضاريا متكاملا هدفه تحقيق آدمية الإنسان وتكريمه وإسعاده ، والدفع به للولوج من الباب الأوسع لتحقيق إرادة الله من وراء خلق الإنسان وهي الاستخلاف في الأرض والتمكين له للسيطرة على مقدراته . وعلى هذا كانت هذه الثورة في مقدمة الثورات المعاصرة ، عالمية إنسانية في رسالتها وتوجهاتها ، عملت من أجل خير الإنسان في كل مكان ، معتمدة في مسيرتها على جوهر الإسلام الحقيقي القائم على التوحيد ، متحررة من كل هيمنة أو قوة غير قوة الله سبحانه وتعالى .

وبهذا المعنى الإسلامي السامي انطلقت تشق طريقها في إيمان وثبات لتحرير الإنسان من كل صور وأشكال الوصاية والعبودية لغير الله ، وبناء المجتمع الإنساني الحر على هدي من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وبعث حضارة الإسلام من جديد ، لتواصل دورها المعطاء ، المفعم بالخير والحق والعدل .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الثورة قد استقرأت التاريخ ودروسه ، وتجارب الشعوب ومعاناتها ، واستفادت من حضارات الأمم في الماضي والحاضر ، فاستخلصت لنفسها مقومات الثورة الحقيقية الشاملة ، واثقة بأنه طريق شاق وطويل ، مليء بالمعارك والتضحيات الجسام ، لكنها سارت فيه بإيمان وثبات ، متحملة المسؤولية كاملة ، واقفة بصمود أمام التحديات والدسائس والمؤامرات ، متوجة مسيرتها بالانتصار للإنسان في أن يعيش الحياة الحرة الكريمة .

ومنذ الوهلة الأولى لانطلاقتها تبين للعالم الوجه الإسلامي المشرق لمسيرتها من خلال تشديد بيانها الأول على إيمانها بقيمة المثل الروحية النابعة من القرآن الكريم ، فكانت هذه الثورة بشرى لجماهير المسلمين في كل مكان ، حيث فتحت أمام هذه الجماهير آفاقا رحبة وفسيحة ، للانطلاق نحو تحقيق عزتها وكرامتها ، حيث حملت لها تباشير الخلاص و النهوض ، وشرعت لها طريق العودة لمرجعيتها (القرآن الكريم) واستطاعت أن تخلصها من الإحباط الذي كاد يستولي عليها ، بفعل توالي الهزائم وتكرار الانتكاسات التي منيت بها أمتنا ، فكانت هذه الثورة بحق النصر الذي وعد الله عباده المؤمنين الصابرين ، وكانت الفتح المبين الذي أعاد للنفوس الثقة ، وبعث فيها الأمل ، وعزز فيها الشعور بالعزة والكرامة .

ومع إطلالة العام السادس والثلاثين لهذه الثورة المظفرة يتجدد العهد والوعد بتواصل العطاء في مختلف ميادين الحياة ، مستندة إلى ذلك الرصيد الزاخر من العمل الإنساني الجاد ، ومرتكزة على جملة الثوابت والمنطلقات الإنسانية ، بما يحقق إنسانية الإنسان ويصون كرامته ، مؤسسة لثقافة الحوار والتواصل والتعارف بين البشر ، بعيدا عن الصراعات والأحقاد والمؤامرات .

فتحية لهذه الثورة الرائدة في ربيعها الخامس والثلاثين ، ومزيدا من البذل والعطاء .

في هــذا العــــدد

الافتتاحية

تقــارير

مقالات

الملف



تصوير: مصطفى زائد

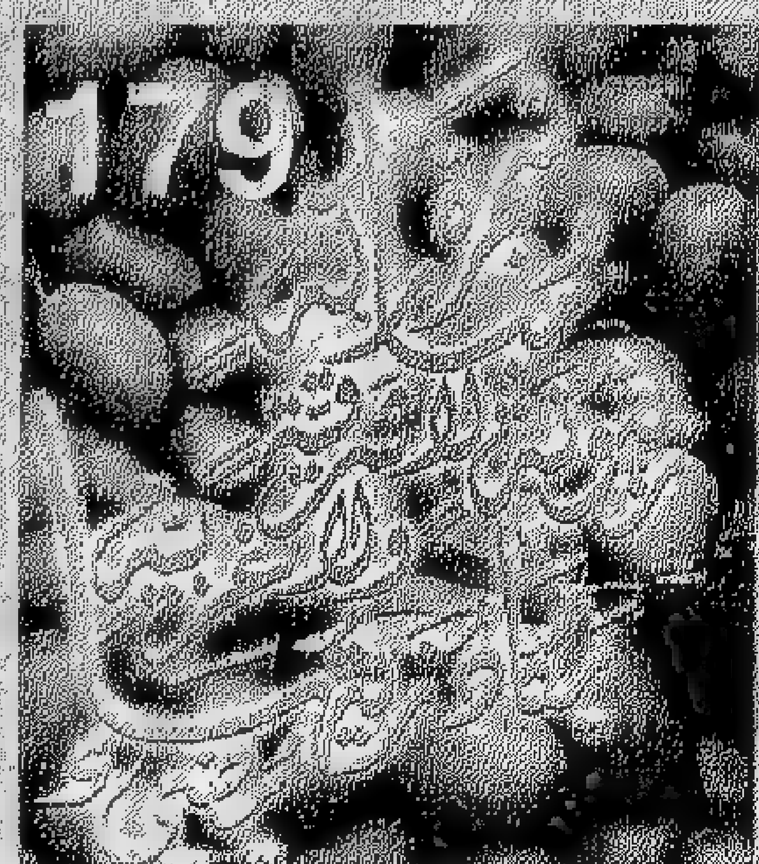
الغلاف

«لتعارفوا»



تقـــارير

«الإسلام واللجوء»



استطلاعات

شجرة مباركة.. يكاد زيتها يضيء

التواصل
AT-TAWASUL

تصدر عن
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

العدد الثالث ـ شعبان 1372
من وفاة الرسول ﷺ الموافق
شهر الفاتح (سبتمبر) 2004 مسيحي

المراسلات باسم
أمين هيئة التحرير
طريق السواني ـ كلم 5
هاتف: 4800730 / 4808461-5
بريد مصور: 4800736
ص.ب: 86086
طرابلس ـ الجماهيرية العظمى

البريد الالكتروني
www.at-tawasul.info

شروط النشر في مجلة

التواصل

ترحب مجلة التواصل بكتابات المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين وغيرهم الذين ينشدون التواصل المعرفي من خلال لغة الحوار والنقاش المستنير بعيداً عن التعصّب الذميم بجميع أشكاله، وسعياً لدرء أسباب الخلاف والفرقة، مع الالتزام بأسس العقيدة الإسلامية وثوابت الدين في المعالجات الفكرية والثقافية. وتحقيقاً لهذه الأهداف يشترط لقبول نشر البحوث والمقالات:

- ❖ أن يتسم البحث بالجدّة والموضوعيّة، وأن يتّبع في كتابته الأساليب المنهجية في البحث العلمي من تسلسل منطقي في العرض، وتوثيقٍ للمصادر والمراجع.
- ❖ أن يُراعى تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في البحوث التي تتضمنها.
- ❖ أن يكون البحث أو المقال خِلواً من الأخطاء اللغوية والإملائية، مع مراعاة علامات الترقيم وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.
- ❖ ألاَّ يكون البحث أو الدراسة المقدمة للنشر في (التواصل) جزءًا من أطروحة ماجستير أو دكتوراه.
- ❖ ألاَّ يكون البحث قد سبق نشره في مكانٍ آخرَ.
- ❖ أن يكونَ البحثُ أو المقال مطبوعاً، أو مكتوباً بخطٍّ واضح.
- ❖ ألاَّ يقلّ عدد كلمات البحث أو الدراسة عن 8000 كلمة ولا يزيد على 12000 كلمة.
- ❖ ألاَّ يقلّ عدد كلمات المقال عن 4000 كلمة، ولا يزيد على 6000 كلمة.
- ❖ أن يُرفقَ الباحثُ ببحثه سيرته الذاتية.
- ❖ في حالة الترجمة لا بدَّ من أن يرفق النصّ المترجم بلغته الأصلية.

ملاحظات:

- للمجلة الحق في اختيار العدد المناسب لنشر البحوث المجازة.
- ترتيب نشر البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.
- لا تردّ البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت في المجلة أم لم تنشر.
- تعرضُ الأعمال المقدّمة للنشر على لجنة تقويم النصوص فيها لإجازتها.
- تمنح البحوث والمقالات المجازة مكافأة مالية مناسبة.



تقارير

- ❖ الإسلام واللجوء
- ❖ قوافل الخير تجوب المعمورة

الإسلام واللجوء

علي الويفاتي*



يشكّل اللاجئون مشكلة عويصة أمام العالم من ميزاتها أنها تنفجر فجأة وتتكاثف إلى درجة قد تصل إلى حد الكارثة تتوجب حشد كل الطاقات الدولية لمواجهتها إذ تعجز دولة بعينها على التعامل معها...

وتتنوع أسباب المشكلة إلا أن أخطرها تلك التي تعود إلى الحروب خاصة الأهلية التي يجد فيها مئات البشر أنفسهم في حالة فرار من الموت إلى الدول المجاورة.. وهناك تتكاثر المشكلة إلى حد الكارثة ويصبح الأطفال في مواجهة خطر المجاعة والإصابة بالأوبئة التي ترتفع حظوظ نموها وتكاثرها وسط بيئة تتساوى أن تكون ممطرة أو جافة.

وتدخل حالة الكوارث الطبيعية ضمن أسباب بروز مشكلة اللاجئين حيث يجد آلاف البشر أنفسهم في مواجهة العراء والبحث عن المأوى... وكثيراً ما يرتفع صوت الدولة المصابة بطلب المعونة لعجزها

* كاتب وصحفي / ليبيا

عن معالجتها مما يستوجب نهوض دولي لتقديم العون لهذه الدولة.. خيام.. غذاء.. أطباء.. أدوية...

ولان مشكلة اللاجئين متكررة فقد أوجدت منظمة الأمم المتحدة مفوضية خاصة بشؤون اللاجئين مهمتها التعامل مع هذه المشكلة...

وتظل هذه المفوضية عاجزة دون أن تكون مسنودة بمنظمات وهيئات ومؤسسات أخرى تؤمن بالواجب الإنساني تجاه البشر الذين قد يواجهون موتاً جماعياً تعلّق مسؤوليته في أعناق الدول الغنية التي كانت قادرة على مد يد المساعدة إلا أنها تقاعصت عن ذلك لأغراض سياسية أو لأي سبب آخر لا يمت للمنطق الإنساني بشيء.

ولعلنا هنا نشير بثقة ناضجة إلى دور جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في هذا المجال إذ أنها تخصّص جزءاً مهماً من برامجها في المساهمة مع الآخرين في رفع المعاناة التي يتعرّض لها اللاجئون في أكثر من بقعة من العالم خاصة في أفريقيا التي أصيب أجزاء منها بوباء الحروب الأهلية كان ضحيتها في الدرجة الأولى الأطفال والنساء والعجزة والرجال الذين لا يملكون فيها ناقة ولا جمل.

*** تجربة مسلمي رواندا تعد نموذجاً يعكس مضامين رؤية الإسلام للقضايا الإنسانية، حيث وفّر المسلمون الملاذ الآمن لكل من طلب الاحتماء بهم من أبناء الهوتو والتوتسي إبّان المحنة التي تعرّض لها المجتمع الروائدي أواسط تسعينيات القرن الماضي. كما فتحوا المساجد لإيواء الهاربين من المذابح.**

ومن أجل أن يكون هذا الدور ناجحاً ومؤثراً فقد عمدت الجمعية إلى ربط وشائج العلاقة مع مفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين وأوجدت معها جملة من البرامج تلتقي فيها أيضاً مع منظمة الصحة العالمية ومنظمة اليونيسيف.

وهنا سنلقي الضوء على ندوة نظمتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بمشاركة مكتب طرابلس لمفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين خلال شهر ناصر (يوليو) 2004ف بمناسبة اليوم العالمي للاجئين تحت شعار (الإسلام واللجوء).

ونظرة سريعة للقاعة التي شهدت الندوة بكلية الدعوة الإسلامية بطرابلس تتيح لنا استشعار الأهمية التي تشكلها الندوة وذلك من خلال الحضور النوعي والكمي.. فكان هناك أعضاء البعثات السياسية المعتمدة لدى الجماهيرية العظمى ـ دولة المقر ـ وهناك أساتذة الجامعات والباحثون والمهتمون بمسائل الخدمات الإنسانية وهيئة التدريس بكلية الدعوة الإسلامية وطلابها.

وقد قدمت في الندوة ورقة بحثية عن مفهوم اللجوء ورؤية الإسلام لهذه القضية الإنسانية رحّب المتحدث في مستهلها بالمشاركين، مشيراً إلى دور كلية الدعوة الإسلامية في توفير فرص لالتقاء بين المثقفين والمهتمين بمختلف القضايا الإنسانية وذلك بما يرسّخ مفهوم الانفتاح على مختلف الثقافات وبما تقدّمه مؤسسة تعليمية من علوم ومعارف للطلاب الوافدين من مختلف البلدان إسهاماً منها في رفع الحواجز النفسية وإزالة ما قد يشعر به الوافد من غربة وتجهم أو نفور تجاه أخيه الإنسان.

مشيداً في اللقاء بالدور الإنساني الكبير الذي تقوم به الهيئات الإنسانية والمنظمات الدولية والجمعيات الأهلية والحقوقية وبالعاملين بالمفوضية السامية للاجئين على جهودهم الرامية إلى التخفيف من آلام الإنسان ومعاناته وبعث الأمل في نفسه، مشيراً إلى أن مصطلح اللجوء قد اكتسب حداً معرفياً ترسّخ في الأذهان عبر التاريخ فلم يعد هنالك من لا يعرف أن اللاجئ هو من اضطرته ظروف الحاجة إلى ترك مسقط رأسه الأصلي، طالباً الأمان في مكان آخر بسبب الظروف البيئية القاسية كالكوارث الطبيعية أو الاجتماعية كالاضطهاد والتدافع البشري بسبب العرق أو الدين أو الانتماء. مبيناً ان ما تقوم به المنظمات الإنسانية في الوقت

الراهن لا يتجاوز في كثير من الأحيان إغاثة اللاجئين وإعادة تأهيلهم وتوفير العناية الصحية والمأوى لهم ورعاية الأطفال وتدريسهم وهي جهود تظل ضرورية وخطوات عملية لإنقاذ من كبا بهم الزمن وأدار ظهره له، ولم تُقبل الحياة عليهم، متسائلاً عن الأسباب التي جعلت الإنسان يتنكّر لذاته ويغفل عن هويته ويجهل حقيقته ويعيش حالة اغتراب قاتلة مع توالي جهود الأنبياء والفلاسفة في تعريف الإنسان بنفسه وتذكيره بهويته.

مشيراً إلى جهود الفلاسفة منذ ما يقرب من 2400 سنة في تعريف الإنسان بأنه حيوان ناطق وأنه حيوان ذو قيم وحيوان ما وراء الطبيعة وحيوان ملتزم، ومسؤول، وناظر إلى المستقبل، وحر ومختار ومبدع وخلاق، وعابد وذو عقيدة، وصانع للآلة إلى غير ذلك من التعريفات التي يطول سردها، موضحاً أن الدين قد تطرّق إلى تفصيلات أكثر دقة وعمقاً بدءاً من نوح وانتهاء بالنبي محمد عليهم الصلاة والسلام من خلال التأكيد على قيمة الإنسان، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[سورة الإسراء: الآية 70]

مشيراً إلى أن اهتمام الرسالات السماوية على تعزيز هذه المكانة من خلال حث الإنسان على التواصي بالحق والتواصل مع أخيه الإنسان ودعوته إلى الحب والتسامح وإقامة العدل ونبذ الظلم وأمرته بالمحافظة على النفس والعقل والعرض والدين والمال وترسيخ مبدأ الحرية، وهي القيم التي جاءت بها دعوة الإسلام التي هي آخر الرسالات السماوية.

النجاشي مثلاً

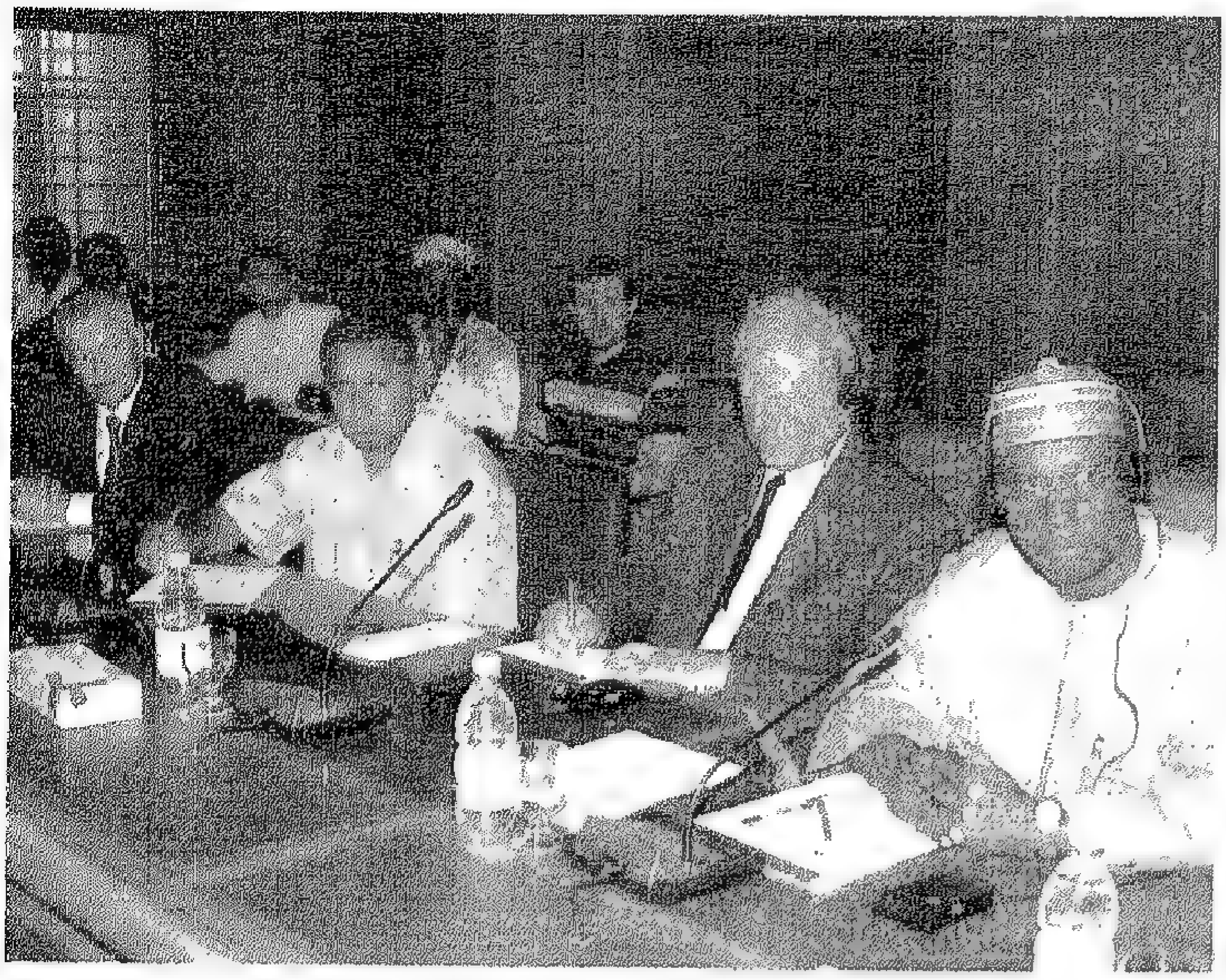
وأشارت الورقة إلى النموذج الذي قدمه النجاشي ملك الحبشة والذي يعد من أروع الأمثلة في المحافظة على تلك المظاهر وتطبيق تلك المبادئ السامية، ومن بين تلك المبادئ الإنسانية احتضانه للمهاجرين الأوائل من المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة في عهد الملك المسيحي النجاشي الذي مكّنهم من العيش في أمن وسلام ورفض جميع العروض المغرية التي قدمت له في سبيل ترحيلهم وطردهم من بلاده.

*** النموذج الذي قدّمه النجاشي ملك الحبشة يعد من أروع الأمثلة في تطبيق المبادئ السامية، باحتضانه للمهاجرين الأوائل من المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة وتمكينهم من العيش في أمن وسلام ورفض جميع العروض المغرية التي قدمت له في سبيل ترحيلهم وطردهم من بلاده.**

المضامين الإنسانية للإسلام

وأكد على المضامين الإنسانية التي قدّمها المسلمون في صدر الإسلام بما اشتملت عليه من معاني الوفاء والصدق والإخلاص ومحبة الآخر وذلك من خلال احتضان المدينة وهي نواة الدولة الإسلامية التي عاش فيها المسلمون واليهود والنصارى والمنافقون والملحدون والمشركون. مشيراً إلى اعتراف كتّاب الغرب وعلمائهم ومنهم توماس أرنولد وغيره بأن المسلمين الأوائل ضربوا أروع الأمثلة في احتضان اليهود والمسيحيين وتمكينهم من أرقى الوظائف في الدولة، ولم يرغموا أحداً على اعتناق الإسلام، وآووا كل من التجأ إليهم موضحاً أن الإسلام قد نهى عن قتل الشيوخ والنساء والأطفال ورجال الدين والأسرى في الحروب، مبيناً أن المسلمين لم يعهد أنهم انتهكوا حرمة أسير أو عمدوا إلى إهانته أو إذلاله أو إيذائه، بل ذهب الإسلام إلى أبعد من ذلك في احترام آدمية الإنسان اقتداء بالنبي ـ صلى الله عليه وسلّم ـ الذي انتصب قائماً لجنازة يهودي وزار مرضاهم، وأذن لوفد نجران المسيحي أن يصلي في مسجده، وأمن المشرك امتثالاً لقوله تعالى:

❖ اهتمام الرسالات السماوية بتعزيز مكانة الإنسان جاء من خلال حث الإنسان على التواصي بالحق والتواصل مع أخيه الإنسان ودعوته إلى الحب والتسامح وإقامة العدل ونبذ الظلم وأمرته بالمحافظة على النفس والعقل والعرض والدين والمال وترسيخ مبدأ الحرية وهي القيم التي جاءت بها دعوة الإسلام التي هي آخر الرسالات السماوية.



﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾
[سورة التوبة: الآية 7]

عندما يكون الدين دينين

وتساءل المحاضر إذا كان الأمر كذلك، فما الذي جعل الإنسان ينسى بعد هذا التأكيد كلّه، موضحاً بالقول: إن الذي ينبغي أن أشير إليه في هذه العجالة أن هنالك فارقاً بين الدين في المرحلتين، الأولى تمثل حقيقة الدين أما المرحلة الثانية فقد نصب البعض أنفسهم أوصياء على الدين وحماة له بعد أن أسقطوا ما لديهم من فكر ارتجاعي باطني أسطوري فتحوّل الدين عن حقيقته إلى واقع آخر أصبح فيه الدين ضد الدين وكلّنا يعلم أن الإنسان هو الأصل وأن الدين جاء لإنقاذه فأصبح بهذه المعادلة المقلوبة مع اعترافي بما للدين من قدسية أن الدين هو الأصل والإنسان هو الفرع يكفر ويقتل ويدمّر ويضطهد وتمارس ضده جميع وسائل القمع والإرهاب باسم الدين.

اللغة والاضطهاد

وكذلك أيضاً بالنسبة للغة فهي لا تزيد عن كونها وسيلة اتصال وتواصل ولكن بعد أن بنيت عليها القوميات تحوّلت إلى شعور نتج عنه اضطهاداً للقوميات الأخرى.

الوسائل المادية

وأوضح أن ما قيل عن الدين واللغة يمكن أن يقال عن الوسائل المادية الحضارية التي استحوذت على اهتمام الإنسان وجذبته خارج ذاته وفرغته من محتوى إنسانيته، مبيناً أن العلم في حقيقته هو مصدر إلهام الإنسان وتقدّمه ولكنه بحسب الواقع صار شيئاً آخر بعد أن أقبل عليه الإنسان وتخلى عن الدين ظناً منه بأنه سيعوّضه الجنة الموعودة لكنه في ظل غياب الدين أصبح أداة مدمرة للإنسان.

أحادية الثقافة

وأشار إلى أن سعي البعض في فرض الثقافة الأحادية الجانب أو الحضارة ذات البعد الواحد قد أدّى إلى العديد من الممارسات اللاإنسانية التي ارتكبها البعض ضد البعض الآخر، مؤكداً على أهمية الدور الريادي الذي يضطلع به القائد معمر القذافي من أجل خدمة قضايا الإنسانية الذي أدرك عن وعي معاناة الإنسان فركّز على العوامل الطبيعية لإنقاذه



وجعل الإنسان محور اهتمام فطرح مسألة مشاركة الجميع في التخطيط لمستقبلهم السياسي ودعا إلى تحطيم البوابات والحدود المصطنعة التي رسمها الإنسان في حالة انجذابه خارج ذاته. وأشار إلى دور الأخ القائد في الاهتمام بمحاربة الفقر والجهل والمرض داخل المجتمعات الأفريقية بالذات ليحميها من اللجوء والهجرة إيماناً منه بأن تقديم المساعدات للاجئين خارج ديارهم وأوطانهم وإن كانت ضرورية في هذه المرحلة ولكنها ليست كافية أمام المعاناة التي يعيشها اللاجئ. وما يترتّب على ذلك من أمراض نفسية وانحراف تحت ظروف الحاجة.

دور الجمعية

ولقد أدركت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية أهمية فلسفة القائد فانتهجت خطة حكيمة تدعم بدورها استقرار الإنسان في أرضه فعمدت إلى إرسال القوافل محمّلة بالغذاء والدواء وأسهمت في بناء دور العبادة وصيانتها وبناء المساكن والمدارس والمستشفيات والمستوصفات وقامت بتعيين آلاف المدرسين وفتح باب الاستثمار وإيجاد فرص العمل، كل ذلك بهدف استقرار الإنسان في أرضه ووطنه وهي إذ تقدّم تلك الخدمات في المستشفيات والمدارس لم تفرّق بين دين ودين أو لون وعرق لإيمانها بأن البشرية ذات واحدة لا يوجد بينهم إنسان ونصف إنسان فهم كأسنان المشط لا تناقض بينهم ولا تضاد، مؤكداً أن هذه البرامج قد أسهمت في خلق بيئة جاذبة وليست طاردة.

ويُشار هنا إلى أن تجربة مسلمي رواندا تُعدّ نموذجاً يعكس مضامين رؤية الإسلام للقضايا الإنسانية، وهو ما أكّد عليه مقدّم الورقة من خلال إشارته لدور المسلمين الرونديين إبان المحنة التي تعرّض لها المجتمع الرواندي حيث وفّر المسلمون الملاذ الآمن لكل من طلب الاحتماء بهم من أبناء الهوتو والتوتسي.

كما فتحوا المساجد لإيواء الهاربين من المذابح، إبان الأحداث التي تعرّضت لها رواندا أواسط تسعينيات القرن الماضي.

وأما بنعمة الله فذكّر

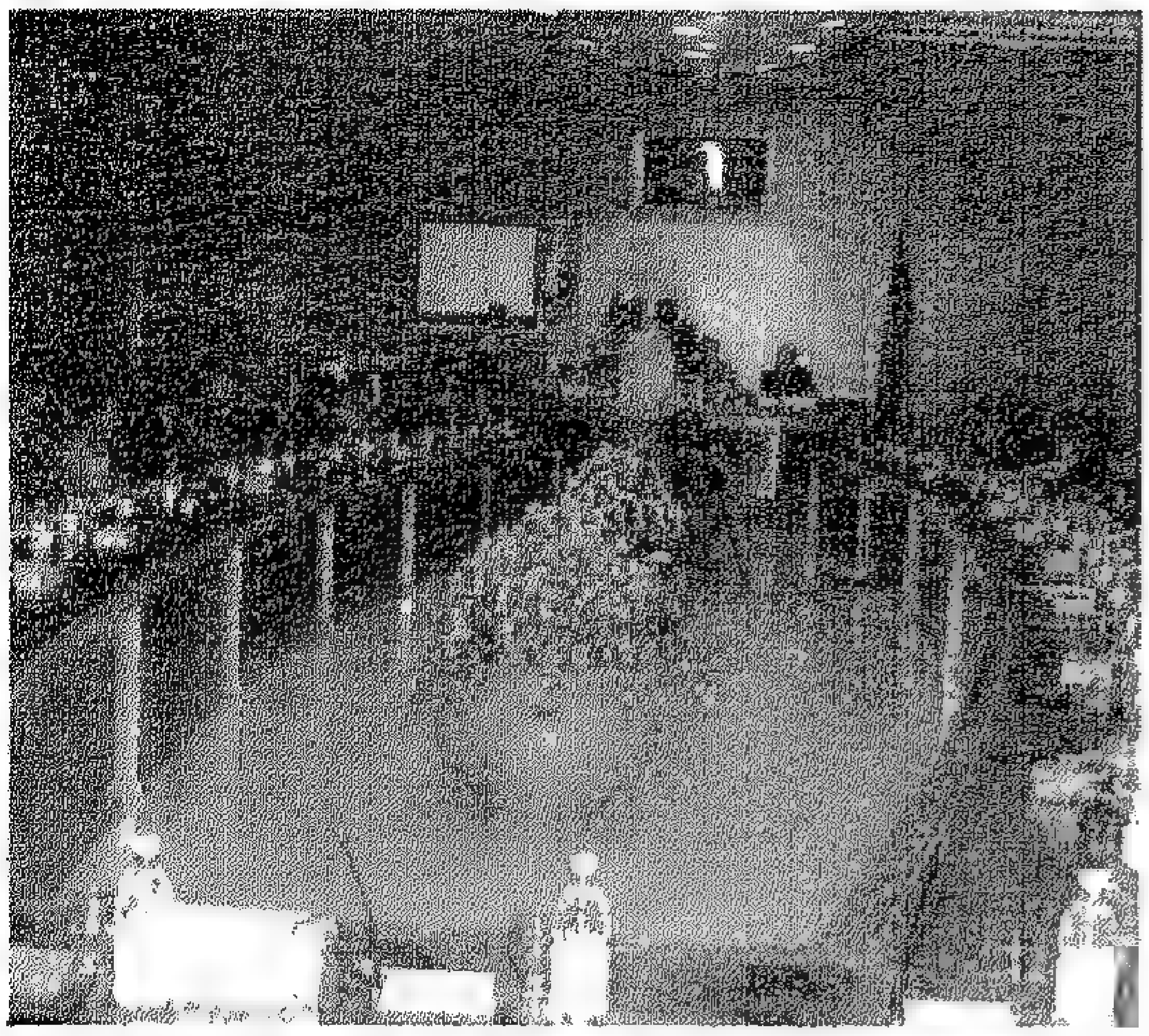
وكانت الندوة فرصة لأمين مكتب المؤتمرات والهيئات الدولية والإغاثة وشؤون اللاجئين بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية لكي يقدم نبذة عن دور الجمعية في الاهتمام بالعمل الإنساني، فأوضح أنه منذ تأسيسها قبل أكثر من ثلاثة عقود خصصت في برامج عملها الإنسانية جانباً مهماً لقضايا اللاجئين بهدف التخفيف من معاناتهم، مشيراً بالخصوص إلى تخصيص إدارة للإغاثة والاهتمام بشؤون اللاجئين. مبيناً أن نحو 30٪ من ميزانية الجمعية يخصّص للاهتمام بشؤون الإغاثة واللاجئين في مجالات مختلفة وأساليب ووسائل مختلفة ومتعدّدة.

وأوضح أن الاهتمام بالإغاثة وشؤون اللاجئين ليس جديداً وليد فترة زمنية وإنما هو قد سار وفق آلية من التوصيات التي نصّ عليه المؤتمر العام الثالث في عام 1986 مسيحي الذي نصّ على ضرورة الاهتمام بشكل أكبر بقضايا اللاجئين وبالمهجرين، وكذلك فقد نصّت توصيات المؤتمرين السادس والسابع على ضرورة الاهتمام بشكل أوسع وأشمل باللاجئين، وليس هذا فحسب بل نصّت توصيات المؤتمر الأخير للدعوة

على المطالبة بضرورة التوسّع في مجالات العمل الإنساني بما يخدم الشرائح المختلفة التي تحتاج إلى المساعدة. وأوضح أن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية قد سيّرت خلال العقود الثلاثة الماضية عدداً كبيراً من القوافل الطبية الإغاثية إلى كل من أفريقيا وآسيا وأوروبا من بينها قافلتان إحداهما إلى ألبانيا والقافلة الأخرى إلى اللاجئين في كوسوفو، كما تمّ إرسال قوافل أخرى خصيصاً إلى مناطق يوجد فيها عدد كبير من اللاجئين من بينها إرسال قافلة طبية إلى أذربيجان لتقديم المساعدات إلى إقليم «كرباج» وقافلة أخرى إلى اللاجئين في ليبيريا، إضافة إلى ذلك فإن 20 ـ 25٪ من أنشطة الإغاثة بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية وهبت للاهتمام بالإغاثة وشؤون اللاجئين والمهجرين من بينها القافلة الإغاثية التي تمّ إرسالها في الفترة الماضية إلى إقليم أباشا بين حدود تشاد والسودان، وذلك بالتنسيق مع المفوضية السامية لشؤون اللاجئين.

علاقات إنسانية

وأكد على أهمية العلاقة التي تربط بين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمنظمات العاملة في المجال الإنساني والإغاثي فقد ارتبطت الجمعية منذ العام 1985 مسيحي بعلاقات تعاون مع منظمة اليونسكو في المجال التربوي والثقافي للاجئين في مناطق مختلفة من العالم، وتقديراً من اليونسكو فإن الجمعية تحظى الآن بصفة مشارك في منظمة اليونسكو، بذلك تعتبر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية هي المنظمة الوحيدة التي لها تمثيل داخل اليونسكو، كما ترتبط جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بعلاقات متميزة مع منظمة الصحة العالمية والتي تمدّنا بمعلومات عن الأوبئة المنتشرة في هذه المنطقة، ولنا تعاون أيضاً مع منظمة اليونيسيف في إطار الاهتمام بالطفولة والتطعيم ومعالجة شلل الأطفال وكذلك لنا تعاون مع المفوضية السامية لشؤون اللاجئين منذ سنوات، إضافة إلى علاقات



التعاون بين الجمعية والمجلس العالمي للكنائس وعدد من المنظمات الإقليمية في أفريقيا وآسيا، ومشيراً إلى أن جزءاً كبيراً من عمل الدعوة يهتم بالجانب الإنساني مضيفاً بالقول إن الرسول (ﷺ) يقول: «خير الناس أنفعهم للناس» ولم يقل خير المؤمنين أو خير المسلمين.

لا تأثير على ديانة اللاجئ

ولذلك فإن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمؤسسات التي تتعاون معها خير شاهد على أنها لم تستخدم المساعدات للتأثير على ديانة اللاجئ وعلى ثقافته وعلى هويته وعلى انتمائه الديني أو الحضاري بل بالعكس نقدّم المساعدات انطلاقاً من الأخوة الإنسانية التي تجمعنا.

أهمية العلاقة

وتحدّث مدير مكتب المفوضية السامية لشؤون اللاجئين مؤكداً على أهمية إحياء هذه المناسبة، مشيداً بالدور الذي تضطلع به جمعية الدعوة الإسلامية العالمية من أجل خدمة قضايا الإنسانية، مشيراً إلى أهمية العلاقة التي تربط المفوضية بالجمعية وأن هذه العلاقة قد تطورت خلال السنوات الماضية، مبيناً أنه لأول مرّة يتم الاحتفال بمثل هذا الحدث في ليبيا.

❖ التأكيد على القيم الأخلاقية والثوابت الدينية أثناء خدمة اللاجئ وعدم استغلال وضعه الاستثنائي وحاجته الإنسانية بمحاولة التأثير على انتمائه الديني أو العرقي أو العبث بهويته الثقافية مقابل ما يقدم له من خدمات، والابتعاد عن أي تمييز في خدمة اللاجئين.



مأساة دارفور

وقال إن علينا أن نلفت الانتباه لوجود ملايين اللاجئين حول العالم إلى إيجاد حل لمعاناتهم وحاجتهم إلى (مكان يدعى الوطن) مكان حيث يستطيعون الانتماء إليه، مشيراً إلى المأساة التي تحل في تشاد حيث هناك 190 ألف لاجئ سوداني فارين من العنف في دارفور في السودان وأن هذا العدد يزداد بمعدل 200 إلى 300 شخص معظمهم من المجموعات الحساسة من الأطفال والنساء وأن هذه الحالة تزداد سوءاً كل يوم ونحن بصدد الدخول في مرحلة خطرة من هذه العملية لا سيما وأن موسم الأمطار قادم، موضحاً أن المفوضية السامية تقوم بتزويد هؤلاء اللاجئين بالغذاء ولكن لأسباب أمنية فإنها تقوم بنقل أعداد أكبر من اللاجئين من الحدود في أسرع وقت ممكن في إطار ميثاق الاتحاد الأفريقي للاجئين وهذا بالطبع يحتاج إلى الكثير من المساعدات من أجل أن نواجه هذا التحدي، مشيداً بالدور الكبير الذي تقوم به جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومؤسسة القذافي للجمعيات الخيرية على إسهاماتهما التي قدمت للاجئين في تشاد.

مائدة مستديرة

وكان المشاركون قد عقدوا مائدة مستديرة لمناقشة مشكلة اللجوء بدأت باستعراض أربع تجارب لجوء قدمها لاجئون سابقون من سيراليون وليبيريا وبوروندي وارتريا، حيث عبّروا عن معاناتهم جراء اللجوء الذي أجبروا عليه والآثار النفسية والاجتماعية التي تركتها تلك المعاناة في نفوسهم وفي نفوس الآلاف أمثالهم.. وفي أعقاب استعراض هذه التجارب جرت مناقشات موسعة كان من بينها استفسارات حول آليات عمل المفوضية وأساليب عملها والظروف اللازمة لوجودها في مكان اللاجئين وضمانات عملها وقد أجاب عنها مدير بعثة المفوضية الدكتور محمد ساموار سفير دولة سيراليون بالجماهيرية العظمى مشيداً بالدور الذي تضطلع به جمعية الدعوة الإسلامية العالمية من أجل القضايا الإنسانية مشيراً إلى أن الجمعية كانت سبّاقة في أحيان كثيرة للتخفيف من معاناة اللاجئين حيث أنها من أوائل المؤسسات التي قدّمت مساعدات إنسانية طبية وإغاثية في كثير من المناطق التي تعرّضت مجتمعاتها للكوارث البيئية وغيرها.

وكانت الجمعية من أول المؤسسات التي اضطلعت ببرامج إنسانية طبية وإغاثية وخدمية للتخفيف من



معاناة المجتمع في حلّته الطبيعية، حيث قامت الجمعية بتدريب النساء على الخياطة والزراعة وإرسال العديد من الأطباء وتقديم المواد الغذائية والطبية.

الختام

وقد أعرب المشاركون في ختام أعمال الندوة عن تقديرهم لمثل هذه المبادرات التي تلقي الضوء على قضايا جوهرية في حياة المجتمعات الإنسانية، وتبرز دور المنظمات الدولية المتخصصة في معالجة قضاياه وفي مقدمة تلك المنظمات المفوضية السامية لشؤون اللاجئين، مؤكدين على أهمية تنظيم حلقات علمية أخرى تعمق النقاش حول قضايا أساسية أثيرت خلال هذه الندوة، مؤكدين على أهمية دعم المنظمات الأهلية التي تضطلع بمسؤوليات إنسانية وربط صلات تعارف وتعاون بينها وبين المنظمات الدولية ذات العلاقة وتشجيع تبادل المعلومات والخبرات بما يشيع ثقافة عامة تشعر تلك المنظمات الأهلية بأهمية دورها الإنساني وقواسم عملها المشتركة مع عدد من المنظمات.

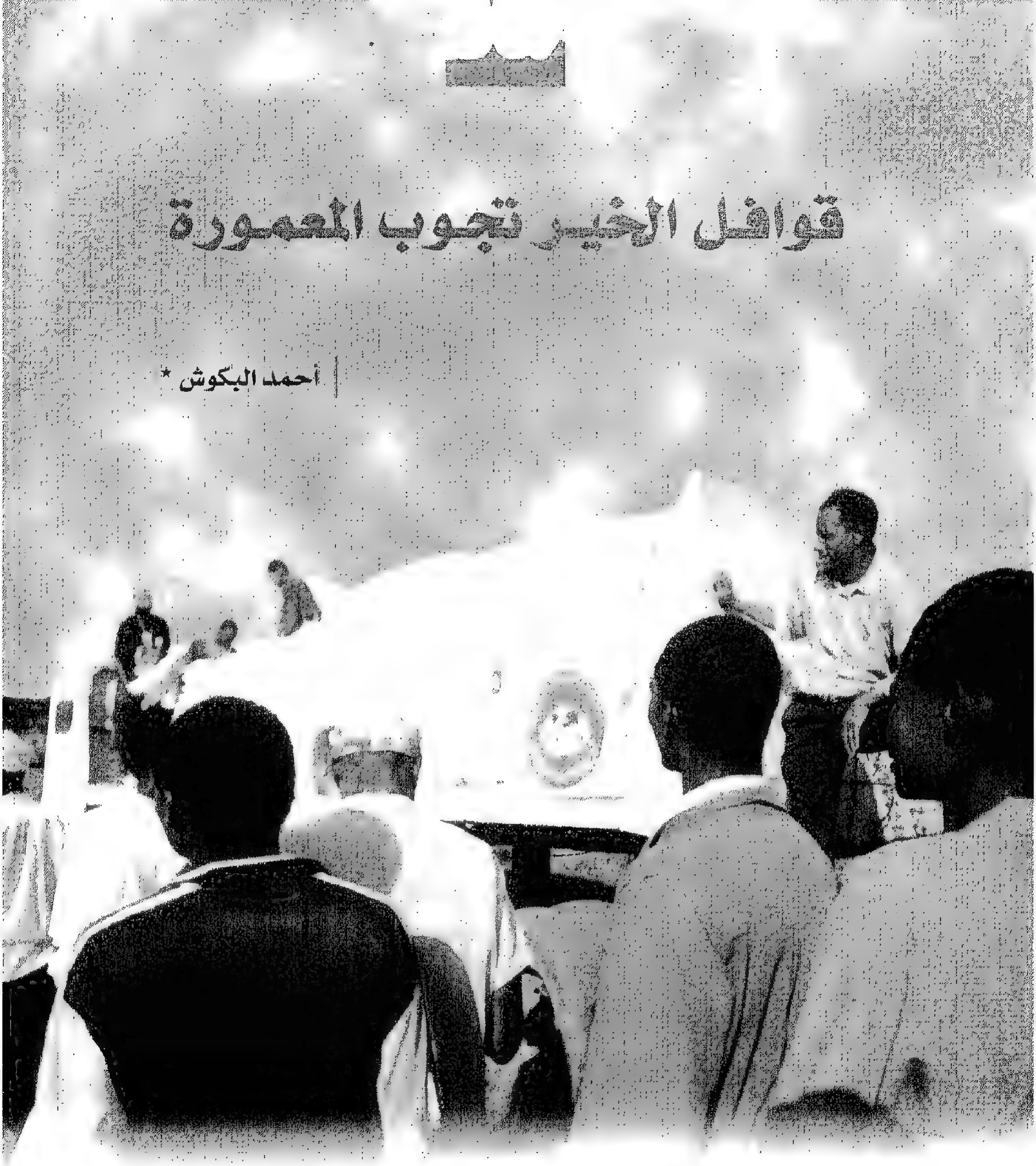
عدم استغلال اللاجئ

إلى جانب التأكيد على القيم الأخلاقية والثوابت الدينية أثناء خدمة اللاجئ وعدم استغلال وضعه الاستثنائي وحاجته الإنسانية بمحاولة التأثير على انتمائه الديني أو العرقي أو العبث بهويته الثقافية مقابل ما يقدّم له من خدمات، والابتعاد عن أي تميز في خدمة اللاجئين، منبّهين إلى ضرورة التأكد من سلامة آليات ووسائل توزيع المساعدات على اللاجئين واتخاذ الضمانات اللازمة لوصولها إلى مستحقيها والتنسيق في ذلك مع المكاتب الإقليمية للمفوضية والاستفادة من خبراتها. مع إعطاء مزيد من الاهتمام لقضايا التربية والتعليم والتأهيل الحرفي في مخيمات وتجمعات اللاجئين والمساعدة في إعادة إدماجهم بأهمية التنسيق في هذا الشأن مع المفوضية ومكاتبها الإقليمية.

بالإضافة إلى تشجيع مشاركة المرأة في برامج خدمة اللاجئين سواء في مكاتب التنسيق أو في فِرق العمل الميداني وإشراكها في المؤتمرات والملتقيات وورش العمل ذات العلاقة بالاهتمام باللاجئين اجتماعياً وتربوياً.

قوافل الخير تجوب المعمورة

أحمد البكوش *



الدواء والغذاء والكساء للجميع دون تمييز في الدين أو الجنس أو اللون

* كاتب وصحفي / ليبيا

اهتمت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية منذ تأسيسها بالجانب الإنساني إضافة إلى الجانب الدعوي والثقافي وأهم ما يميز أنشطة الجمعية المختلفة أنها تسير في خط متواز فلا يطغى نشاط على الآخر إلا في ظروف طارئة فالنشاط الدعوي يسير جنباً إلى جنب مع الأنشطة الأخرى الثقافية والإنسانية ففي الجانب الإنساني اهتمت الجمعية منذ البداية بتسيير القوافل الطبية والإغاثية وقد انتظم تسيير هذه القوافل ووضعت لها الخطط وحددت لها الأهداف منذ بداية الثمانينات ومنذ ذلك الحين وحتى الآن سيّرت الجمعية مئات القوافل الطبية والإغاثية إلى مختلف أنحاء العالم تقدم الدواء والغذاء والكساء إلى الفقراء والمحتاجين والمتضررين من الكوارث الطبيعية كالزلازل والفيضانات والحرائق والجفاف وانتشار الأوبئة والأمراض المتضررين من الحروب والنزاعات الطائفية والقومية تقدم خدماتها ومساعدتها الإنسانية مباشرة لكل المحتاجين من مناطقهم دون تمييز من الدين أو الجنس أو اللون ومن هنا اكتسبت قوافل الجمعية الصبغة الإنسانية بمفهومها الواسع تضم القافلة الطبية عادة أطباء أخصائيين ومستشاريهم وصيادلة ممرضيهم وإدارييهم وهي مزوّدة بالمعدات الطبية والأدوية والتطعيمات وكافة الاحتياجات الضرورية التي تساعد القافلة على أداء مهمتها بنجاح وعلى أكمل وجه لأن القوافل تتوجه في الغالب إلى مناطق نائية معزولة وبعيدة عن مناطق الخدمات والعمران إلا في الحالات لا يمكن فيها تقديم الخدمات لها إلا داخل المستشفيات أو المراكز الصحية كإجراء العمليات الجراحية التي تحتاج إلى متطلبات وظروف مناسبة ويبلغ ما تحمله القافلة الطية الواحدة من مساعدات دوائية ومستلزمات طبية وتطعيمات إلى خمسة عشرة طناً وهناك القوافل الطبية الإغاثية والتي تسير عادة إلى المناطق المنكوبة وتعرف بمناطق الكوارث وتحمل



هذه القوافل إلى جانب الأدوية المواد الغذائية، الأغطية والملابس والخيام وتحمل القافلة الواحدة من المواد الغذائية ما بين أربعين إلى ستين طناً وقد تكون القافلة ذات ثلاثة أهداف طبية وإغاثية ودعوية في آن واحد يصحبها عدد من الدعاة والوعاظ وتحمل معها بعض الكتب الدينية ومصاحف القرآن الكريم وقد حدث في عدة مرات أن اهتدى إلى الإسلام كثير من أهالي المناطق المستهدفة على يد الدعاة المرافقين للقافلة وتتجلى إنسانية قوافل الجمعية في مساعدة النازحين واللاجئين بسبب الكوارث والحروب الذين تقطعت بهم السبل بعد أن فقدوا كل شيء يعيشون في مخيمات بعيداً عن الديار التي عاشوا فيها ردحاً من الزمن وتركوها قسراً بعيداً عن الأهل والأحباب الذين تفرق شملهم بين قتيل ومفقود أو أسير، أيتام فقدوا الأمان بعد أن فقدوا الأهل، جرحى تتفاقم أوضاعهم الصحية يوماً بعد يوم، رجال ونساء وأطفال عراة وجياع لا يجدون ما يُطفئ ظمأهم أو يسد رمقهم أو يستر أجسادهم من الحر والبرد أو المطر، الجميع في حالة بؤس وشقاء قلوبهم منكسرة فرّوا بجلودهم من الموت الذي يهددهم في كل لحظة إلى المجهول الذي ينتظرهم يرحلون إلى أي مكان لا يطاردهم فيه شبح الموت يفترشون الأرض ويلتحفون

السماء هذا هو حال اللاجئين الذين ينتظرون المساعدة بين القلوب الرحيمة من المؤسسات والهيئات الخيرية. والجمعية تحقيقاً لأهدافها النبيلة والإنسانية تبادر دائماً وبشكل سريع إلى نجدة هؤلاء بتسيير القوافل الطبية والاغاثية العاجلة التي تعمل في أصعب الظروف الجوية والأمنية متعاونة في ذلك في كثير من الأحيان وبالتنسيق مع المنظمات والهيئات الدولية ذات العلاقة بالاغاثة وشؤون اللاجئين مثل منظمة الصحة العالمية ومفوضية الامم المتحدة لشؤون اللاجئين وصندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة وذلك من خلال اتفاقات شراكة ومساهمات المنظمات غير الحكومية وقدمت الجمعية مساعدات كبيرة دوائية وغذائية وكسائية على مدى أكثر من ثلاثين عاماً لمخيمات اللاجئين من مختلف مناطق العالم وقد اخترنا نماذج قريبة زمنياً من القوافل التي مسيرتها الجمعية إلى بعض المناطق.





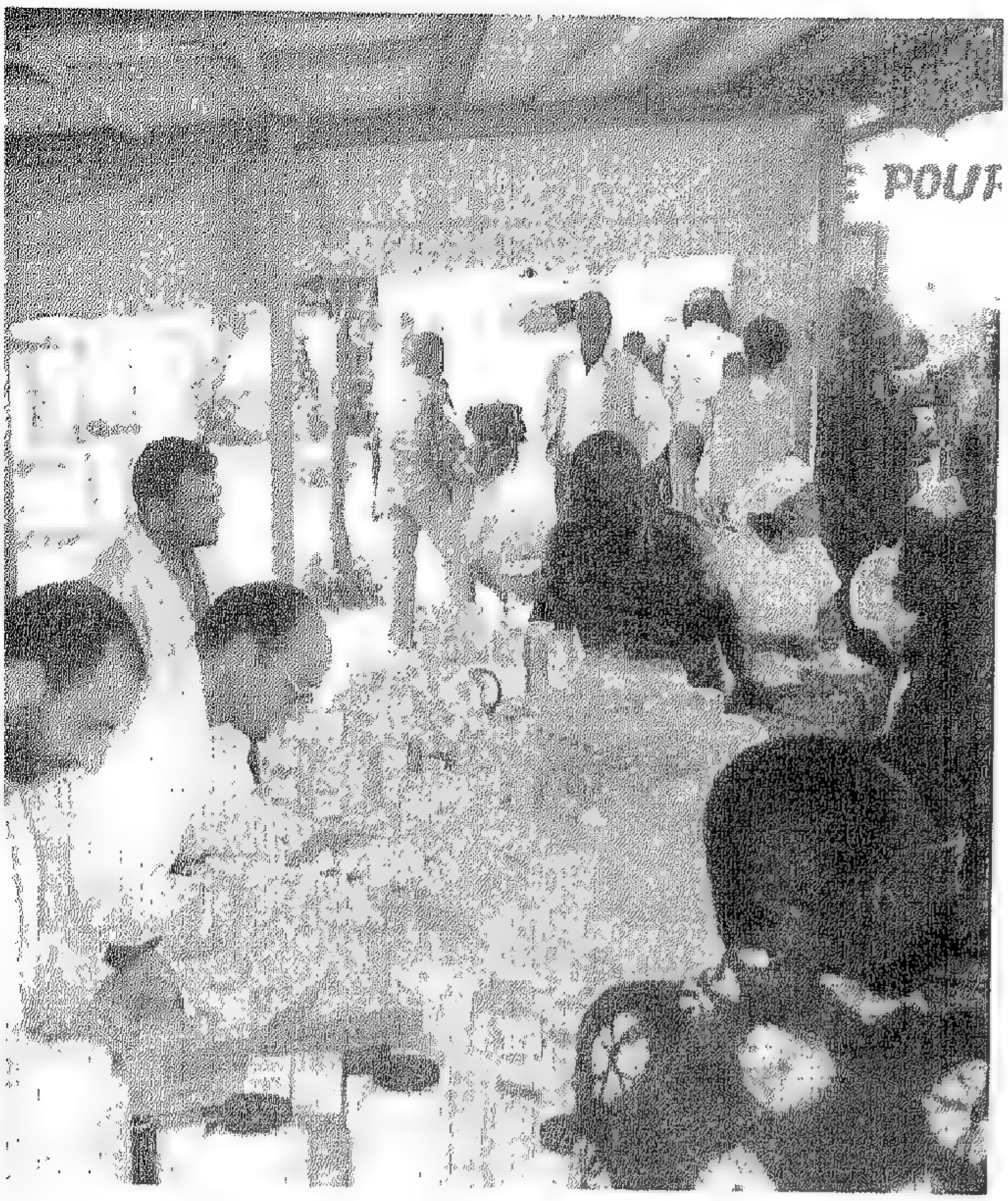
قافلة سيراليون

اكتوت سيراليون بنيران الحرب الأهلية والتي حولت عدد كبير من المواطنين إلى لاجئين من المخيمات المنتشرة من مناطق مختلفة من البلاد وقد سيّرت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية عدة قوافل طبية وإغاثية إلى هذا البلد لمساعدة اللاجئين والتخفيف عليهم مما أصابهم من ويلات الحرب وقد وصلت آخر هذه القوافل خلال شهر الحرث نوفمبر الماضي 2003 مسيحي إلى فريتاون عاصمة سيراليون تحمل المساعدات الطبية والإغاثية وقد باشرت عملها داخل المخيمات في اليوم التالي لوصولها بالتنسيق مع الجهات المسؤولة والمختصة وقد قام أعضاء القافلة بزيارات ميدانية إلى مخيمات اللاجئين ومتضرري الحرب وأولى المخيمات التي زارتها القافلة مخيم مبتوري الأطراف في أبردين بمنطقة موراي حيث التقى فريق القافلة بنزلاء هذا المخيم وهم الفئة الذين فقدوا أطرافهم نتيجة للحرب والذين يعيشون في ظروف قاسية ويفتقرون إلى أبسط مقومات الحياة حيث قدّم لهم العلاج والأدوية والملابس والمواد الغذائية بعدها قامت القافلة بزيارة إلى المخيم متضرري الحرب بمنطقة غرافتون ويضم مجموعة كبيرة من الرجال والنساء والأطفال الذين فقدوا كل ما يملكون ويقاسون الجوع والحرمان والمعاناة حيث قدمت لهم القافلة ما يحتاجونه من المساعدات التي تخفف عنهم قسوة الحياة وطوال أسبوع كامل واصل فريق القافلة تنقله بين المخيمات حيث زار مخيم العجزة والمسنّين ومخيم الأيتام ومستشفى الأطفال والمراكز الاجتماعية ومصحة الدرن بمنطقة لوكادا التي كانت فارغة تماماً من أية أدوية ومستلزمات طبية وقدّم لهذه المواقع كلها المساعدات الغذائية والدوائية مخففاً

بذلك عن المقيمين فيها المحن والمصاعب التي يعانون منها وقد قوبلت هذه المساعدات الإنسانية بالشكر والامتنان من الجميع وقبل أن تنهي القافلة مهمتها الإنسانية في سيراليون قامت بتسليم وزير الصحة في الحكومة السيراليونية احدى وعشرين ألف جرعة لمعالجة مرضى الحمى الصفراء كمساهمة من الجمعية في الحملة التي تقودها وزارة الصحة ضد هذا المرض وقد جرى ذلك في احتفال بمقر وزارة الصحة حضره ممثلي منظمة الصحة العالمية وصندوق رعاية الطفولة التابع للامم المتحدة (اليونيسيف) وقد قوبلت هذه المساهمة من قبل الجميع بالتقدير والامتنان وقد كان حجم المساعدات الغذائية التي حملتها القافلة بلغ اكثر من خمسين طناً بالاضافة الى عشرة اطنان من الادوية المختلفة والتي بلغت خمسين صنفاً من أجود أنواع الأدوية والمستلزمات الطبية التي يحتاجها نزلاء المخيمات وقد غطّت الأدوية احتياجات كل المواقع التي زارتها القافلة في سيراليون.

قافلة للاجئي دارفور

سيّرت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية خلال شهر الماء (مايو) الماضي 2004 مسيحي قافلة إغاثية عاجلة للاجئين النازحين من مدينة دارفور السودانية إلى مدينة ابشه التشادية مساهمة منها في رفع المعاناة عن هؤلاء اللاجئين المتضررين من جراء الاقتتال الدائر في المنطقة وقد تمّ تسيير هذه القافلة بالتنسيق مع المفوضية العليا لشؤون اللاجئين وقد شملت المساعدات التي حملتها القافلة كميات كبيرة من المواد الغذائية المختلفة والملابس والخيام لإيواء اللاجئين وقد استقبل القافلة بمطار ابشه التشادي ممثل حاكم داروداى ومندوب اللجنة الوطنية لاستقبال اللاجئين ومندوب المفوضية العليا لشؤون



اللاجئين التابعة للامم المتحدة وعميد بلدية ابشه وعبّر رئيس اللجنة الاقليمية التابعة للجنة الوطنية لاستقبال واعادة توطين اللاجئين النازحين من دارفور عن تقدير اللجنة للمساعدات الانسانية القيّمة التي قدمتها الجمعية مؤكداً ان هذه المساعدات ستوضع تحت تصرّف اللاجئين بمعرفة اللجنة المحلية المكلفة بمتابعة توزيع المساعدات حسب احتياجات كل مخيم وتأتي هذه القافلة التي ليست هي الأولى ولن تكون الأخيرة انسجاماً مع دور الجمعية الإنساني وحرصها على أن تكون دوماً من المساهمين في تخفيف محنة ومعاناة اللاجئين والمتضررين من الحروب والكوارث الطبيعية من كل مكان.

قوافل طبية متخصصة في طب وجراحة العيون

طوّرت الجمعية من أنشطة القوافل الطبية حيث بدأت ترسل قوافل متخصصة من علاج معرض محدّد



بالذات فقد سيّرت الجمعية خلال شهر الكانون (ديسمبر) 2002 مسيحي ثلاثة فرق طبية متخصصة في أمراض وجراحة العيون إلى كل من بنين والتوغو وغانا لمدة أسبوعين في كل دولة. وضمّت هذه الفرق مجموعة من الأطباء الأخصائيين والاستشاريين في طب وجراحة العيون يرافقهم فنيون في التخدير والتعقيم وقد قامت الفرق الطبية الثلاثة بإجراء الكشوفات الأولية على المرضى وتحديد ما يعانونه من أمراض وعلاجها وتحديد من يحتاجون إلى إجراء عمليات جراحية ففي جمهورية بنين قام الفريق الطبي بإجراء الكشوفات على أربعة آلاف مريض وقام بإجراء قرابة المائتي عملية للمصابين بأمراض الماء الأبيض والماء الأزرق وعمليات إزالة الظفر ومن جمهورية التوغو قام الفريق الطبي بإجراء الكشوف على ثمانمائة مريض وإجراء أربعة وثلاثين عملية جراحية وفي جمهورية غانا قام الفريق الطبي بإجراء الكشف على أكثر من سبعمائة مريض وإجراء أكثر من عشرين عملية جراحية وبلغ إجمالي المرضى الذين أجرت الفرق الطبية الثلاثة الكشوفات عليهم قرابة الستة آلاف مريض كما تمّ إجراء قرابة المائتين وخمسين عملية جراحية وقد عبّر عدد كبير من المرضى الذين استفادوا من خدمات الفرق الطبية عن سرورهم للنتائج الطبية التي تحصلوا عليها بفضل جهود ومهارة الفرق الطبية الليبية كما عبّر المسؤولين بوزارات الصحة من الدول الثلاث عن امتنانهم لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية لإيفادها هذه الفرق الطبية وقد عبّرت وزيرة الصحة من بنين عن شكر وامتنان حكومتها للجهود الكبيرة التي بذلها أعضاء الفريق الطبي الليبي لأمراض العيون الذي أرسلته الجمعية لجمهورية بنين والنجاح الكبير الذي حققه هذا الفريق من تخفيف معاناة المئات من المصابين بأمراض العيون وخاصة ما يُعرف بالماء الأبيض وهو المرض الأكثر انتشاراً في المنطقة وقالت الوزيرة في رسالة شكر بعثت بها إلى الجمعية أن إصابات الماء الأبيض في بنين تعتبر من أخطر حالات الإصابة بالعمى القابل للعلاج وقد عمل الفريق الطبي الليبي بجد ونجاح حيث تمكن من إجراء الكشوفات على قرابة أربعة آلاف مريض وأجرى مائتي عملية جراحية لإزالة الماء الأبيض بعدد من مدن بنين.



- ثورة الفاتح وموقعها في الدعوة الإسلامية
- الإسلام وثقافة الحوار
- مفهوم الانتظار في الثقافة الدينية
- حديث الفردوس الموعود
- أهمية نقل المصادر الإسلامية إلى اللغة الصينية
- التحدي النفسي المعرفي التربوي: خطوط عريضة

ثورة الفاتح وموقعها في الدعوة الإسلامية

« تاريخاً وواقعاً ومنهجاً»

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية نموذجاً

إعداد: علي محمد الأحمر*

قامت ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة في فترة سادت فيها الأنظمة الفكرية والمذاهب العقائدية العلمانية والإلحادية، وهي الفترة ذاتها التي امتازت بأنها قمة ما سمي ـ الحرب الباردة ـ بين المعسكرين ـ الرأسمالي الليبرالي العلماني، والمعسكر الشيوعي الإلحادي اللذين اختزلا التقسيمات الطبيعية والعرقية وحتى العقائدية على أساس أيديولوجي ـ شرق وغرب ـ لكل منهما نمط خاص ومنظور فكري على أساسه يفسر قيمة الحياة والأحياء والأنفس والآفاق، ولا وجود للطرح الإسلامي في كلا التيارين.

وقد انشغل الساسة والمفكرون والكتاب في سائر البلدان الأخرى بالانتصار والتحالف مع أحد هذين المعسكرين المؤسسين على قواعد فلسفية وفكرية متناقضة، ومع هذا التناقض الفكري والفلسفي الأساسي بين هذين التيارين العالميين، ونشوب الحرب الباردة بل والساخنة بينهما أحيانا فإن هناك قاسما مشتركا يجمعهما هو عداوتهما التقليدية الشديدة للإسلام ـ حضارة وتاريخا وثقافة.

هذا الواقع الفكري والدولي المعقد يلقي بظلاله على من يتطلع للتغيير من منطلق ثوابت لا تعول على الرؤى النمطية في تفسيرها للكون والحياة والأحياء، بل يعتمد منهجا متكاملا ونظاما شاملا ينتظم وفقه وجود الإنسان أنى كان.

في الوقت الذي تتوزع فيه ثلة من المفكرين والعلماء المسلمين في العالم يواصلون مسيرة الدفاع عن الإسلام، عن طريق التعليم والتأليف والصحافة، وإن لم تكن في مستوى التحدي الفكري لهذا الواقع ؛ نجد مجموعات من رجال السياسة والحكم في تلك البلدان الإسلامية قد ابتعدوا في أغلبيتهم الساحقة عن هذا الميدان الإسلامي الرحب ـ حضارة وثقافة وتوجها ـ وقد انقسموا إلى قسمين:ـ

1 ـ العلمانيون الذين لا يرون الإسلام قادراً على تقديم نظام شامل للحياة يوجه مسارها السياسي والاقتصادي

---

* باحث/نيجيريا

والاجتماعي، وإنما هو وسيلة للعبادة ومحطة لعلاقة العبد وربه، ولا دخل له في علاقات الحياة العامة التي يجب أن تختص القوانين الوضعية وحدها بتنظيمها.

2ـ الإلحاديون الذين ينظرون إلى الإسلام من زاوية أنه يقضي على الطاقة الإنسانية المودعة فيه للإبداع والإسهام في بناء الحضارة، ويتمسكون بقولة كارل ماركس الشهيرة «الدين أفيون الشعوب» فهو الذي يخدرها ويقضي على نشاطها واهتمامها بالاختراع والتقدم والازدهار.[1]

في تلك الظروف التي تموج فيها الأفكار بالواقع الإسلامي ـ داخليا وخارجيا ـ أطلت على العالم ثورة الفاتح من سبتمبر التي قام بها نخبة من الشباب الثوري الليبي وعلى رأسهم الشاب معمر القذافي التي أعلنت منذ أيامها الأولى أن من مبادئها الأساسية العمل على استعادة الشخصية والهوية الإسلامية لشعوب الإسلام، والاهتمام الشديد برفض الانسياق والاستسلام والانصهار في الشخصية الحضارية الفكرية سواء منها الاتجاه العلماني الغربي، أو الاختيار الإلحادي المادي الشيوعي.

من هذا المنطلق يمكن أن نصنف إسهام ثورة الفاتح في عملية التغيير الحضاري للواقع الإسلامي، ومنجزاتها في الدعوة الإسلامية بشكل أخص، ضمن بعدين أساسيين، ـ بعد منهجي ، وبعد حركي دعوي.

أولاً ـ البعد المنهجي:

يتمثل إسهام ثورة الفاتح من سبتمير في الواقع الإسلامي منهجيا في اعتمادها القرآن الكريم الرائد الذي لا يكذب أهله شريعة للمجتمع، وقد كانت دعوة ثورة الفاتح للعودة إلى شريعة القرآن قوية ومؤثرة، وكان تذكيرها بضرورة هذه العودة بليغا وفاعلا ، نفض عن قلوب المسلمين غشاوة المادة، وأزاح غطاء الغفلة، وأقنع بأسلوب البلاغ النظري والعملي أن القرآن الكريم لم يتزل ليردد في المناسبات، ويعلق في القصور بألوان زاهية ومزركشة، ويتغنى به في المحافل، ولكنه أنزل لهدف أعظم وغاية سامية:

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾

[سورة الإسراء: الآية 9]

وهذا البعد شكل محطة مكنت للبعد الدعوي لهذه الثورة أن ينطلق من أرض صلبة، وتخطو خطوات موفقة تجعل دعوة المسلمين لغيرهم أقوى حجة وأكثر نجاحا، وليكونوا على ذكر دائم بقوله تعالى:

﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾

[سورة طه: الآية 123]

ذلك لأن «الثورة تتطلب كما يتطلب الدين إيمانا وتسليما بقواعدها وأخلاقياتها لارتباط هذه القواعد والأخلاق بأسلوب حياة يلتزم الثوري باحترامه وتدعيمه والدفاع عنه، وما يمكن نجاح المعركة ضد الرجعية المؤيدة بنصوص عقائدية ترفض التطلعات الشعبية نحو المساواة والديمقراطية والتقدم، ولإحراز النصر في المعركة ضد الاستغلال والاضطهاد إلا في ظل عقيدة سديدة».[2]

وقد أدركت ثورة الفاتح مواطن السقوط المريع الذي منيت به النظريتين السابقتين لها على مستوى النظرية والتطبيق في ميادين الحياة كافة، لعدم تغطيتهما متطلبات الأنفس والآفاق بعد قراءة ثاقبة للتجارب الإنسانية في أداة الحكم عبر التاريخ

1ـ صحيفة الدعوة الإسلامية/عدد خاص بمؤتمر (لتعارفوا) ثورة الفاتح وإسهاماتها في الدعوة الإسلامية على مستوى العالم/ محمد أحمد شفيع/ص7/ العدد1/ 1371و.ر-2003م.

2ـ الإسلام دين الجماعة/أحمد سيكو توري/ترجمة محمد البخاري/ص17/ط2/1978م.

الإنساني بكل تناقضاتها وصراعاتها، وإلغائها العقل والإرادة الإنسانية، وأدركت صلاحية معطيات القرآن لكل زمان ومكان، ومسايرته للمستجدات التي تفرزها تطورات الحياة بكل تعقيداتها ومفاهيمها، فهي إذن تنطلق من مسلمة مطلقة تؤكدها الحقائق الآتية، لتكتسب بها منجزات ومكتسبات رائدة في مسيرة الإصلاح الفكري والواقعي الذي تعاني منهما الأمة تسبب في إرباك توجهاتها، وشل قدراتها، وجعلها في ذيل الأمم تتجرع مرارة التبعية والذوبان، والانحطاط.

هذه الحقائق التي تتمثل في اعتماد القرآن شريعة المجتمع تأتي مجملة على النحو الآتي :ـ

أ ـ يختلف التشريع الإلهي عن القانون الوضعي من حيث مصدر كل منهما، فالأول مصدره الله خالق الكون كله وصانعه، الذي لا تخفى عليه خافية، ومن ثم فإن تشريعاً مصدره الخالق لا بد أن يكون متصفا بالكمال المطلق، أما الثاني فمصدره جماعة ذات تفكير محدود ضيق، يعلمون قليلا من الماضي، ويلمون بجزء من الحاضر، ويحجب عنهم المستقبل نهائيا، ولذا فإن تشريعهم غالبا ما يصادف اعتراضات كثيرة نتيجة ثغرات أغفل ذكرها المشرّع، ونتيجة تأثّرها بنزعات وأهواء واضعيها بمقتضى مصالحهم الذاتية، الأمر الذي لا يوفّره التشريع الإلهي الذي يشرّع للمجتمع كله، ولا يتأثر بشيء بمقتضى المصلحة أو المنفعة، ومن ذلك يمكن أن نقول إن التشريع الإلهي يتميز بالآتي:

1 ـ **الكمال:** أي أنه يستكمل ما تحتاج إليه المجتمعات من قواعد ومبادئ ونظريات تكفل حاجات المجتمعات في مختلف الأزمنة.



جانب من المؤتمر الأول للدعوة الإسلامية

2 ـ **السمو:** أي أن أحكامه دائما أسمى من مستوى الجماعة، ارتفع أو انخفض مستوى تفكيرها.

3 ـ **الدوام:** أي الثبات والاستقرار الذي لا يخضع للتأثيرات المختلفة مهما كان نوعها.

وإذا عرفنا ذلك تأكد لدينا أن المجتمعات بحاجة إلى تشريع إلهي ينظم علاقاتها كلها، وأن القوانين الوضعية لا يمكن لها أبدا أن تمكن الفرد من العيش حرا سعيدا يتمتع بدنياه، ويتطلع إلى آخرته دون تسلط أو تجبر من أحد، وإذا كان الأمر كذلك فأي التشريعات الإلهية يمكن أن تكون أصلح لحياة المجتمعات أهي تشريعات العهد القديم ؟ أم تشريعات العهد الجديد ؟ أم تشريع القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ ولعل الفقرات الآتية ستجيب على قدر كبير من هذه التساؤلات.

ب ـ إن القرآن بما يطرحه من قضايا عامة تستجيب لفطرة الإنسان من حيث هو إنسان، بغض النظر عن إضافة أي انتماء آخر، فإقامة العدل وتطبيق نظام الشورى في الحكم، ورفع الحرج ودفع الضرر ورعاية الحقوق لأصحابها، وأداء الأمانات لأهلها وغير ذلك من المبادئ التي طرحها القرآن

كلها مبادئ عامة يسيرة التطبيق تحت أي ظرف، وتنسجم معها الفطرة الإنسانية.

ج ـ إن القرآن تشريع يحترم العقل ويقدره، ويجعل له دورا بارزا في التكاليف والأحكام المنوط به تنفيذها، بل يجعل العقل من النعم التي يجب على الإنسان إعمالها بالنظر والتفكر في هذا العالم وفي هذا الإنسان، وينهى عن الغفلة عن آيات الكون وعن التقليد والجمود.

د ـ ويرتبط بما تقدم أمر مهم وخطير هو أن القرآن باحترامه العقل وجعله مناط التكليف، يؤكد مبدأ الرقابة الذاتية في الفرد، فهو وفق توجيهات القرآن لا يحتاج إلى شرطة تقف بجانبه دائما تقيد سلوكه، وتوجه تصرفاته، بل يجعل الإنسان هو الرقيب على نفسه:

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [سورة المدثر : الآية 38]

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾

[سورة فصلت: الآية 46]

ويقرر القرآن عقوبات دنيوية وأخروية لكل من يخرج عن الإطار الذي رسمه للحياة، إذا أفلت الإنسان من العقاب الدنيوي فهو ملاحق دائما بتأنيب الضمير وبما سيناله من عقاب أخروي، وهذا بخلاف القوانين الوضعية التي يستطيع الإنسان الإفلات من عقابها أحيانا.[3]

ثانيا: ـ البعد الحركي (الدعوي)

ويتمثل في اضطلاع ثورة الفاتح بأعباء الدعوة إلى الله تعالى من منطلق إيمانها بما يمليه عليها الواجب الديني والإنساني تجاه الأمة التي تشهد واقعا مترديا على مستوى الفكر والحركة والممارسة.

لقد أيقنت الثورة منذ أن بزغ نورها في الفاتح 1969م أن مخططات التآمر وموجات التكالب الصليبي الغربي آخذة في تصعيد مواقفها من الإسلام، مستغلة في ذلك ما يقاسيه المسلمون من ضعف وتخلف، فعملت على الشروع في تأسيس حركة عالمية تبشر بالإسلام، وتسهم في بناء حضارة إنسانية حقة، جديرة بهذا الإنسان الذي استخلفه الله في الأرض، والذي أراد منه أن يعمرها بالعمل الصالح وبالقول الصالح:

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾

[سورة هود: الآية 61]

ولم يمض أقل من سنة على قيام الثورة حتى بدأ قائدها معمر القذافي يعد للقاء إسلامي كبير لدراسة السبل والوسائل التي تنهض بالمجتمع الإسلامي من كبوته، ورأى أن ذلك لا يتحقق إلا بإحياء الدعوة الإسلامية من جديد، وهذا ما تم بالفعل، فكان ميلاد الهيئة العامة للدعوة الإسلامية.

وانطلاقا من القرارات العامة للمؤتمر الأول للدعوة الإسلامية المنعقد بطرابلس في الفترة من 13 ـ 18 من شوال الموافق 11 ـ 16 من شهر الكانون ديسمبر 1970ف. والذي حضره عدد كبير من العلماء يمثلون عشرين بلدا.

وتنفيذا للتوصيات الأولى التي تدعو إلى تكوين هيئة من العالم الإسلامي ذات شخصية اعتبارية مقرها مدينة طرابلس، صدر القانون رقم 58لسنة 1972ف. بإنشاء هيئة خاصة ذات نفع عام باسم جمعية الدعوة الإسلامية، لها شخصية اعتبارية مستقلة تعفى مواردها ـ من جميع الضرائب والرسوم، وتكون أموالها حرة من جميع قيود النقل المالية والمصرفية، ولا يجوز الحجز على أموالها وتملكها بالتقادم أو كسب حق عيني عليها.[4]

3 ـ ينظر: مجلة كلية الدعوة الإسلامية/القرآن شريعة المجتمع/محمد فتح الله الزيادي/ص28/العدد الأول السنة الأولى/1984 ـ 1985م.

4 ـ ينظر: عطاء إسلامي واع ومتواصل/14/منشورات جمعية الدعوة الإسلامية/ 1972 و.ر. 1999م

ويمكن التعرف على طبيعة سير عمل الجمعية من خلال الأهداف التي رسمتها من أجل نشر الدعوة الإسلامية في جميع أنحاء العالم بجميع الوسائل الممكنة، ومن أبرز هذه الأهداف.

1ـ التعريف بالقرآن الكريم، والعمل على تعليمه وتحفيظه ونشره بكل الوسائل.

2ـ التعريف بالسيرة النبوية العطرة، واستجلاء المثل العليا في حياة الرسولﷺ.

3ـ عرض الإسلام عرضا شاملا لجميع جوانبه في العقيدة، والأخلاق، والعبادات والمعاملات عرضا ميسرا مبرأ من المفاهيم المشبوهة والجدليات والتأويلات الغريبة عن جوهره.

4ـ تفسير القرآن الكريم تفسيرا يواكب فروع العلم والمعرفة الإنسانية.

5ـ العمل على إعداد الدعاة للقيام بواجب الدعوة إلى الله.

6ـ إعداد ونشر الدوريات والمجلات والموسوعات الإسلامية والكتب بمختلف اللغات لعرض مبادئ الإسلام والتعريف بسيرة الرسول (ﷺ) وبالحضارة الإسلامية الخالدة، مع العمل على ترجمة هذه المنشورات إلى اللغات المختلفة.

7ـ تنظيم لقاءات للطلاب والشباب والمهنيين المسلمين بغية التعريف بالإسلام، والعمل على توحيد الجهود لنشر الدعوة الإسلامية.

8ـ الاتصال بالهيئات والمؤسسات الدينية والعلمية في جميع أنحاء العالم بما يحقق نشر الدعوة الإسلامية.

9ـ نشر اللغة العربية بجميع الوسائل، باعتبارها لغة القرآن الكريم، ومطالبة الدول الإسلامية بجعلها لغة رسمية، وتدريسها في جميع مراحل التعليم.



دفعة من خريجي كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس

10ـ حث الدول الإسلامية على اتخاذ القرآن الكريم شريعة لها، وتعديل تشريعاتها بما يتفق ومبادئ الإسلام السمحة.[5]

وقد عملت الجمعية على استكمال أجهزتها وتطوير خططها وأساليب عملها بما يتناسب وتحقيق هذه الأهداف.

وسعياً لتحقيق هذه الأهداف على مستوى التطبيق تأسست في إطار الدعوة كلية الدعوة الإسلامية التي تمثل الجناح الأكاديمي لجمعية الدعوة الإسلامية، يفد إليها الطلاب من كل أصقاع العالم ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون.

أنشئت كلية الدعوة الإسلامية عام 1974م وهي في مستوى أي كلية جامعية ،وألحق بها قسم للتدريب المهني يحتوي على مراكز لخمس مهن، فيتخرج الطالب منها داعية ومهنياً حرفياً، يعتمد على نفسه غير عابئ بمغريات العصر التي قد تؤثر على خط دعوته.

وينال الطالب بعد تخرجه من الكلية شهادة

5ـ المفكرة الإسلامية/ جمعية الدعوة الإسلامية العالمية/عام 1409 و.ر. 2000م.



من بواكير الحوار بين الأديان

ـ الليسانس ـ في الدعوة والثقافة الإسلامية من خلال مناهج تعتمد الوسطية، تأكيدا للثوابت والنظر في متغيرات الحياة المختلفة.

وللكلية فروع في كل من سورية، ولبنان، وتشاد، والسنغال، وبنين. كما تشرف الجمعية على الكلية الإسلامية بلندن التي تهتم بقضايا الدراسات العليا في مجال الديانات المقارنة، وقضايا الحوار والدراسات المعمقة حول الحضارة الإسلامية وإسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية، ولكلية الدعوة الإسلامية وفروعها تعاون واسع مع عدد من الجامعات ومراكز البحث العلمي في العالم. [6]

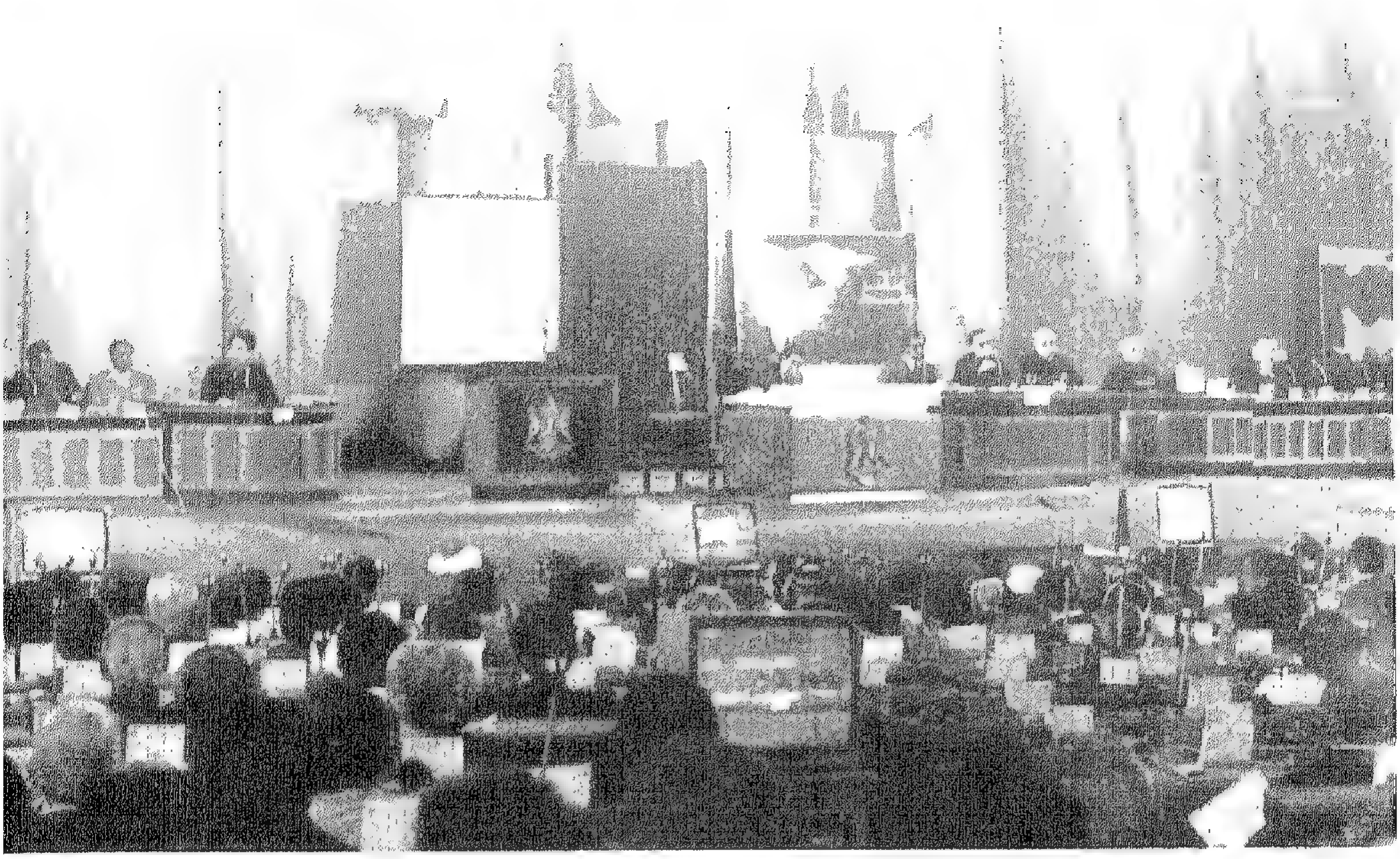
ويتضح البعد الدعوي لثورة الفاتح العظيم من خلال استقراء لمجموعة من خطابات الأخ القائد معمر القذافي التي بلورت منطلقات الثورة ومبادئها وأهدافها، وذلك حين قال في أوائل أحاديثه منذ قيام الثورة «نحن الآن نستأنف هذا الدور الجهادي، الدور الكفاحي، الدور العالمي الجديد للإسلام؛ وأول خطوة اتخذناها بعد قيام الثورة في ليبيا هي تأسيس جمعية الدعوة الإسلامية» وقوله «نحن نحس أن العالم كله أصبح محتاجا للدين الإسلامي... والإسلام هو المرشح الآن لتقديم حل للمشاكل الروحية للبشرية» وقوله «إن الدين الإسلامي أشمل من كل النظريات وكل الاجتهادات». [7]

إن هذا الخطاب عند تحليله يصلح وثيقة تاريخية تبرهن على الآتي:ـ

1ـ البعد الدعوي يمثل حجر الزاوية في ثورة الفاتح العظيم.
2 ـ إحداث نقلة نوعية في تاريخ الدعوة الإسلامية تهدف إلى الانتقال بالمسلمين إلى خانة التأثير الإيجابي، والمشاركة الفاعلة من خلال تأسيس جمعية الدعوة الإسلامية.
3ـ استنهاض المسلمين وتمكينهم من استئناف دورهم الحضاري في تاريخهم المعاصر.

6ـ ينظر: المفكرة الإسلامية/جمعية الدعوة الإسلامية العالمية/عام1372 و.ر4ـ 200م.

7ـ جمعية الدعوة الإسلامية عطاء إسلامي واع ومتواصل/ 1 ص170/المرجع السابق.



4 ـ النهوض برسالة المسلمين في التعارف والحوار، وجهاد الكلمة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

لا غرو إذن أن يهتم القائد منذ الأيام الأولى لثورته التاريخية بالقيام بهذه الجهود الفعالة في مجال الدعوة الإسلامية، والعمل على دعوة المسلمين إلى الوحدة والتضامن والتمسك بمبادئ دينهم، ولذلك نراه يدعو شخصيا كثيرا من القادة والرؤساء نذكر منهم على سبيل الاستئناس فخامة رئيس دولة ـ الغابون ـ الذي اتخذ اسما جديدا هو ـ عمر بونغو ـ وأصبح حتى الآن متمسكا بهذا الدين الحنيف.

وفي كثير من المناسبات ـ داخل وخارج ليبيا ـ تبرز مواقف الأخ قائد الثورة الدعوية، خاصة في أفريقيا التي يرى أن الإسلام هو دينها الطبيعي، وليس المسيحية المحرفة التي جاء بها الغرب الاستعماري إلى أفريقيا ليجعل منها إحدى الوسائل الفعالة لتقوية مركزه في احتلالها، واستغلال خيراتها، واستعباد سكانها لصالح شعوب الغرب الاستعماري الإمبريالي.[8]

كما تندرج في نفس السياق الدعوي لثورة الفاتح تلك الرحلات الإسلامية التاريخية التي قام بها معمر القذافي إلى عدة بلدان من إفريقيا الغربية والوسطى، للدعوة إلى الإسلام والتمسك بشخصيته الحضارية والثقافية التاريخية.

ففي أول جمعة في بداية السنة القمرية 1427من ميلاد الرسول ﷺ (الموافق 1997ف شهدت كلاً من عاصمة النيجر ـ نيامي ـ ومدينة ـ كانو ـ بنيجيريا إمامة الأخ القائد جماهير المسلمين الوافدين من شتى أقطار أفريقيا لتكون خطا استراتيجيا بارزا للعمل الإسلامي الدعوي لثورة الفاتح الإسلامية.

8 ـ ينظر: ـ صحيفة الدعوة الإسلامية/عدد خاص بمؤتمر (لتعارفوا) ثورة الفاتح وإسهاماتها في الدعوة الإسلامية على مستوى العالم/محمد أحمد شفيع/ص7/مرجع سابق.

إنه حدث أثّر في الوعي التاريخي لأبناء جنوب الصحراء الكبرى الذين فرضت عليهم ثقافة غربية لطمس الوشائج التاريخية والدينية التي تجعلهم في دائرة واحدة مع أخوتهم، ليس فقط في شمال الصحراء بل في الجنوب أيضا. وهكذا يتكامل المهرجان الإسلامي الكبير يوم أم القائد معمر القذافي جموع المسلمين في ـ أنجمينا ـ عاصمة تشاد في العام التالي 1428من ميلاد الرسولﷺ 1998م. لتكون محطة الرحلة الجهادية التاريخية الثانية، وإليها شد الرحال مئات الآلاف من المسلمين في أفريقيا يتقدمهم عدد من الرؤساء الأفارقة تأكيدا لتواصل رحلة الإيمان ومسيرة الدعوة نحو مستقبل الإسلام، وإظهار قوة المسلمين وتأكيد منعتهم في أفريقيا.(9)

كل ذلك يبرز لنا بوضوح ذلك الدور التاريخي الذي قامت به ثورة الفاتح من سبتمبر في سبيل الدعوة إلى الله على المستوى العالمي، تلك الجهود التي توجت بتكوين القيادة الشعبية الإسلامية العالمية بقيادة الأخ قائد الثورة، والتي تمثل هيكليتها الكيان الإسلامي كله، وتهتم بكل القضايا المتعلقة بالوجود الإسلامي، وقضايا الدعوة بشكل أخص بكل الوسائل الممكنة ـ التعليمية والإعلامية، والثقافية، بصفة عامة.

ومن خلال تلك الخطابات والمواقف لقائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية في ميادين الدعوة يمكن تقسيم إسهام ثورة الفاتح في العمل الدعوي وفق المستويات الآتية.

1 ـ على المستوى الحواري.
2 ـ على المستوى الإغاثي.
3 ـ على المستوى التربوي.
4 ـ على المستوى التعارفي.

أولا ـ المستوى الحواري:

إذا كان مصطلح الحوار يدل على وجود محادثة بين شخصين أو فريقين حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيدا عن الخصومة أو التعصب، بطريق يعتمد على العلم والعقل مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، (10) فإننا ندرك إسهام ثورة الفاتح في هذا المستوى من خلال المبادرة الإيجابية للقائد معمر القذافي بعد بضع سنوات من عمر الثورة وتأسيس جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وذلك بالدعوة لعقد ندوة الحوار الإسلامي المسيحي على الصعيد العالمي، الأمر الذي أسهم في عقد الندوة التي عقدها الأخ القائد في باريس مع كبار المفكرين الفرنسيين عام 1973م، والاتصالات التي أجريت مع الفاتيكان.

وهذه الجهود مجتمعة هي التي تبلورت عنها فكرة عقد ندوات الحوار الإسلامي المسيحي التي أضحت بها الجماهيرية سباقة لإقامة جسر الحوار بين الأديان بهدف الوصول إلى قواسم مشتركة للتعاون من أجل خدمة الإنسانية، وترسيخ القيم الروحية والخلقية، وإزالة العقد والمشكلات من الفترات التاريخية السابقة.

فبعد قرون من التوجس وسوء الظن، والتي تخللتها حروب وصراعات، يلتقي حشد ضخم من أكبر مفكري العالم في حوار فكري أشرفت على ترتيبه الجماهيرية العظمى والفاتيكان، برغبة صادقة، وذلك لفتح صفحة

9 ـ الرحلة الجهادية التاريخية الثانية كتاب وثائقي مصور /منشورات جمعية الدعوة الإسلامية/ص13/ مكتب البحوث والإعلام والنشر/د.ت.

10 ـ ينظر: الحوار الإسلامي المسيحي/بسام داوود عجك/رسالة ماجستير/ص20/دار قتيبة/1418و.ر(1998)م.

جديدة من العلاقات بين أبناء الدينين تقوم على الصفاء والاحترام المتبادل، والرغبة المشتركة في التأكيد للعالم بأن الدين وحده هو القادر على إعادة الطمأنينة إلى البشرية التي أرقتها وأقلقتها المطامع الجشعة والمظالم الإنسانية وأساليب الاستغلال والاستبداد والاستعمار، وكان من الضروري ومن أجل تحقيق هذه القيم أن تتم مكاشفات صريحة تتلمس الأرضية المشتركة التي يجب أن يتم التعاون من خلالها، وتحدد أسباب ومظاهر الخلاف في الماضي بهدف تصحيح الأحكام الخاطئة، وقد اختيرت الموضوعات التي عولجت في الندوة اختيارا دقيقا لكي تحقق هذه الأغراض، حيث اتسمت المناقشات بروح الصدق والصراحة التي تقبلها الجانبان- الإسلامي والمسيحي - برحابة صدر، وهو ما أكدته المقررات الإيجابية للندوة، والتي عكست الروح التي أملت على الجانبين ضرورة قيام الندوة وضرورة نجاحها.

وعلى هذا الأساس تم تشكيل لجنة متابعة مشتركة لوضع توصيات الندوة موضع التنفيذ.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه نادرا ما حظيت ندوة فكرية بمثل ما حظيت به ندوة الحوار الإسلامي المسيحي التي عقدت بطرابلس من اهتمام الصحافة العالمية في جميع القارات، حيث ظلت أصداؤها تتردد في الصحف العالمية فترة طويلة، سواء بحيث شملت التغطية الإخبارية والتعليقات والمقالات والأبحاث التي تقوّم الندوة وتستشرف تحديد الآثار المترتبة عليها.[11]

وانعقدت بطرابلس في الفترة من الأول إلى السادس من شهر النوار فبراير 1976م بدعوة من القائد معمر القذافي شارك فيها حشد كبير من العلماء والمفكرين المسلمين والمسيحيين (كاثوليك وأرثوذكس وبروتستانت) وحضرها مراقبون من رجال الفكر والسياسة والصحافة قدموا من أكثر من سبعين دولة، وقد تضمنت الندوة المحاور التالية:-

- هل يمكن أن يكون الدين أيديولوجية للحياة.
- الأسس المشتركة في المعتقدات ومواطن الالتقاء.
- العدل الاجتماعي ثمرة الإيمان بالله.
- كيف نعمل على إزالة الأحكام المسبقة الخاطئة، وضعف الثقة التي لا تزال تفرق بين الأديان؟

وقد ساهمت هذه المبادرة في إيجاد جو من الثقة المتبادلة بين الطرفين المتحاورين، ومكنت المسلمين والمسيحيين من تقييم علاقاتهما الماضية والاستفادة منها لبناء جسور التفاهم والتعاون والمساهمة الجادة والصادقة لبناء عالم يسوده الحق والعدل والسلام، وانطلقت بعدها سلسلة من اللقاءات والندوات الحوارية على مدى ربع قرن.

وبمقتضى توجيهات معمر القذافي البناءة في إطار الحوار وتوجيهاته باعتباره الصيغة المثلى لمعرفة الآخر، وفهم خصوصياته، واحترام تلك الخصوصيات، والتعاون في كل ما من شأنه أن يحقق الخير والسلام للمجتمع الإنساني وبمقتضى ذلك فقد عملت الجمعية على تنظيم عدة لقاءات حوارية في كل من طرابلس، وروما، ومالطا، وفيينا، مع المجلس البابوي للحوار بين الأديان، بالفاتيكان، تناولت تلك اللقاءات مواضيع تشرح أساسيات الإسلام والمسيحية والعلاقة بينهما، ومناقشة أوجه التعاون في المجالات الإنسانية والأخلاقية والاجتماعية التي تعود على بني البشر بالخير، وترسي مبادئ السلام والحق والمساواة.

ففي خلال الفترة من 12 إلى 15 من شهر الماء

---

11 - ينظر: صحيفة الدعوة الإسلامية/الحوار حدث عالمي ينطلق من الجماهيرية/عدد خاص بمؤتمر لتعارفوا/ص10/العدد1/1731و.ر.

(مايو) 1991م تم عقد ندوة في العاصمة الإيطالية روما تحت عنوان ـ الأديان خلال القرن التاسع عشر ـ وذلك بالتعاون بين الجمعية ومنظمة اليونسكو ودولة الفاتيكان، قدمت فيها عدة أبحاث حول الروابط الأساسية للأديان خلال القرن التاسع عشر ومساهماتها في بناء الحضارة الإنسانية، ويأتي تنظيم هذه الندوة في إطار إثراء محتويات سلسلة إعادة كتابة تاريخ الإنسانية التي تنفذها اليونسكو، وخاصة الجزء السادس من هذا العمل الثقافي الموسوعي، وهو الجزء الذي يتناول الحضارة الإسلامية حرصا من الجمعية على أن تشرف وتتابع ما ينشر عن الإسلام في إصدارات وبرامج المنظمات الدولية للحيلولة دون تشويه الإسلام أو الإساءة إلى أعلامه أو تمرير أفكار ليست من طبيعته، والتأكيد بأن يكون عرضه خاليا من أي تزوير للأحداث أو تحريف للكلام عن موضعه، أو تعمد ربط الإسلام بأفكار هو منها براء، أو الجنوح إلى تعميم بعض التصرفات الفردية أو الطائفية وإظهارها على أنها من الإسلام.

وقد نظمت الجمعية في مالطا خلال الفترة من 22إلى 24/4/1991م وبالتعاون مع مجلس الكنائس العالمي والمفوضية الكاثوليكية الدولية للهجرة والمؤسسة الإسلامية بسويسرا ومؤتمر العالم الإسلامي بالباكستان والاتحاد اللوثري العالمي ندوة حول(اللاجئين والمهاجرين في العالم).

و تعد هذه الندوة أول لقاء إسلامي - مسيحي يرتكز على تأسيس تعاون عملي لدراسة مشكلة اللاجئين في العالم.

وتنفيذا لتوصيات (ندوة الدين ووسائل الإعلام) التي عقدت في طرابلس بالتعاون بين الجمعية والمجلس البابوي للحوار بين الأديان والتي تنص على ضرورة تنظيم لقاء يجمع صحافيين مسلمين ومسيحيين لمناقشة أكثر تخصصية للموضوع ووضع خطوات عملية للقضايا الدينية، فقد عقدت ندوة جمعت اثني عشر صحفيا مسلمين ومسيحيين في العاصمة النمساوية ـ فيينا ـ في الفترة من 7ـ إلى 9ـ من شهر التمور أكتوبر 1994م حيث عرضت عدة أبحاث ورؤى حول الموضوع من الناحيتين التشخيصية والإجرائية، وأجمعت تلك الأبحاث من الناحية التشخيصية على وجود جهل بالإسلام ومبادئه في الغرب، وقد عكست وسائل الإعلام الغربية ذلك الجهل الذي تحول في معظم الأحيان إلى تحامل على الإسلام وتشويه لمبادئه، أما من الناحية العملية لمعالجة ذلك فقد أوصى المشاركون في تلك الندوة بضرورة إجراء المزيد من اللقاءات الحوارية بين المسلمين والمسيحيين في هذا الإطار، وخصوصا بين الجمعية والمجلس البابوي للحوار بين الأديان.

كما أوصى المشاركون بالعمل على تأسيس فرق اتصال في إطار الجمعية والمجلس والهيئات التي لها علاقة بهما لمتابعة القضايا الدينية التي تتناولها الصحافة والرد عليها إذا ما كان ذلك ضروريا، للتصحيح أو الإضافة أو التعديل، وأوصى المشاركون في الندوة بضرورة أن يعمل الجانبان المنظمان على إيجاد وتشجيع البرامج الإعلامية التي تهتم بالحوار الإسلامي المسيحي وتعرف المسلمين على حقيقة المسيحية، والمسيحيين على حقيقة الإسلام بما يؤدي إلى التفاهم والاحترام والتعاون. [12]

وفي إطار اللقاءات الحوارية الدورية بين الجمعية والمجلس البابوي للحوار بين الأديان في الفاتيكان وتنفيذا لما أوصى به الجانبان في البيانات الختامية للقاءاتهما السابقة نظمت ندوة في العاصمة الإيطالية

12 ـ التواصل/ الحوار الإسلامي المسيحي/ عبد الحكيم مختار الورفلي/ ص 15/ المرجع السابق.

روما في الفترة من 27 إلى 30 من شهر الطير 1997م شارك فيها عدد من الأساتذة والعلماء والمهتمين بالحوار ـ الإسلامي المسيحي ـ وقد نوقشت في الندوة أبحاث ودراسات تناولت بالبحث والتحليل المواضيع الآتية.

- مفهوم الدعوة ومفهوم التبشير في المسيحية.
- تطبيقات الدعوة والتبشير في القرن الأخير.
- آفاق الدعوة والتبشير في القرن القادم.. [13]

وتتأكد أهمية هذا اللقاء وما سبقه من لقاءات نظمهما الجانبان في كل من ـ طرابلس و روما ومالطا ـ في الانطلاقة الكبرى التي دعا إليها القائد معمر القذافي في المؤتمر الحواري الموسع الذي انعقد في طرابلس في 1976م المشار إليه سابقا، والذي صدر عنه بيان مهم في إطار الحوار الإسلامي المسيحي حدد ضوابط ومقومات للتعايش، والعمل الدعوي والتنصيري على حد سواء، تمثلت في ضرورة العمل المشترك من أجل الحفاظ على القيم الإنسانية كما أرادها الله سبحانه وتعالى، وكما طبقها الرسل الكرام عليهم جميعا صلوات الله وسلامه.

وأكد البيان على احترام الحرية الدينية والخصائص العقائدية لكل دين، ودعا إلى عدم استغلال حاجات الناس وظروفهم المعيشية للتأثير على معتقداتهم.

وهذه نتائج مثمرة وضعت الحد للعمل التنصيري الذي غالبا ما يعتمد على استغلال الأوضاع والظروف الصعبة التي يمر بها مجتمع من المجتمعات لتمرير دعوته في صورة أقرب إلى الإكراه منها إلى الإقناع بالحجة والبرهان، وهذا ما تنافيه حركة الدعوة وتشجبه.

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [سورة الغاشية : الآية22]

﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [سورة الشورى : الآية 48]

وسعيا لترسيخ دعائم الحوار الذي يدل أحد مفاهيمه التلاقي من أجل التعرف على وجهة نظر الآخر فقد استضافت الجمعية عددا من رجال الدين الكاثوليك والأنجليكان والأقباط الأرثوذكس، لإلقاء محاضرة على طلبة كلية الدعوة الإسلامية، وذلك لشرح أسس تلك المذاهب المسيحية عن طريق معتنقيها وخاصة ذوي الاختصاص منهم.

ثانيا ـ على المستوى الإغاثي.

تحقيقا للأهداف النبيلة التي تحرص عليها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في نشر الدعوة وتمشيا مع دورها الإنساني في مساعدة المنكوبين من كوارث الطبيعة وتفشي الأمراض والأوبئة، ومساعدة المحتاجين إلى الكساء والدواء، قامت منذ تأسيسها من منطلق ثوابتها التي ألزمت نفسها بها لتقديم الخير والعون للناس كل الناس من غير إضافة معتقد أو توجه أو عرق أو إقليم، وبالتحديد منذ العام 1982م [14] وذلك من خلال تقديم عشرات الملايين من المساعدات في صور مختلفة لمئات الجمعيات والمؤسسات والهيئات الإسلامية والإنسانية لتمكينها من تنفيذ برامجها في مناحي الحياة المختلفة.

كما تعاونت الجمعية على تنظيم ندوات وحلقات دراسية مع مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين وبعض المنظمات الإسلامية والمسيحية العاملة في مجال العناية باللاجئين والمهجرين في العالم، وشجعت تضافر جهود تلك الهيئات والمنظمات في تقديم خدمات أفضل لهم، وتنفيذا لأهداف الجمعية

13ـ التواصل/الحوار الإسلامي المسيحي/عبد الحكيم مختار الورفلي/ص13/ العدد الأول / 1372و.ر(2004م).

14ـ عطاء إسلامي واع ومتواصل/ص313/مصدر سابق.

وخاصة فيما يتعلق باللاجئين والنازحين والمهجرين بفعل الحروب والكوارث الطبيعية، تعمل سنويا على تسيير قوافل طبية إلى دول عديدة في إفريقيا وجنوب شرق آسيا لتقديم خدماتها الطبية إلى مئات الآلاف من الموطنين ؛ وفي هذا الإطار فقد سيرت الجمعية قوافل طبية إلى عدد من البلدان من بينها: زيمبابوي، بوروندي، مدغشقر، غانا، مالي، يوغندا، إثيوبيا، الموزمبيق، بوتسوانا، غينيا كونا كري، غينيا بيساو، السنغال، جيبوتي، غامبيا، المالديف، سريلانكا، النيجر، تشاد، سور ينام، رواندا، سيراليون، التوجو، ملاوي، بوركينا فاسو، الصومال، تنزانيا، بنغلاديش.

وما زالت الجمعية مستمرة في هذا البرنامج بعد النجاحات التي حققتها، وما أسفرت عنه من ردود فعل إيجابية حياله لدى العديد من حكومات الدول التي سيرت إليها تلك القوافل، ومن خلال تقارير الجهات المستفيدة والهيئات الدولية المتخصصة العاملة في الميدان، كما عملت الجمعية في هذا الشأن على إنشاء المستشفيات والمراكز الصحية في بنين والفلبين وبنغلاديش ومالي والتوغو ورواندا وبوركينا فاسو وغانا وغيرها، وساهمت مع هيئات وجمعيات أخرى في بناء عدد من المستوصفات ومراكز الخدمات الصحية ومولت بعض الندوات العلمية الطبية، وقدمت منحا لدراسة العلوم الطبية لعدد من أبناء البلدان، كما أولت عناية بالفئات الاجتماعية ذات الاحتياجات الخاصة. [15]

ويمكننا التعرف على طبيعة العمل الإغاثي الذي تضطلع به الجمعية من خلال نماذج في هذا الشأن تتمثل في العمل الإنساني على المستوى الدولي منها.

- يقدم المركز الإسلامي في بنين خدماته الاجتماعية والإنسانية من علاج وأغذية مجانا للمترددين من مسلمين ومسيحيين على حد سواء، مما أسهم في تعميق روح التفاهم بين المواطنين وتعريف غير المسلمين بمبادئ الإسلام وإنسانيته واحترامه حقوق الإنسان وحاجاته دون تمييز.

ومن الجدير بالذكر هنا التذكير بأن الحرب الأهلية في منطقة البحيرات الكبرى وفي رواندا بالتحديد قدم العمل الإغاثي النموذج الرائع للحضارة الإسلامية التي تعنى بإصلاح حال الإنسان من حيث هو إنسان من منطلق الخطاب القرآني:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ (سورة الإسراء، آية 70)

الأمر الذي أكد لكثير من المواطنين الروانديين الصورة المشرقة للإسلام في جانب الأمن والاستقرار والمواساة، فلم يجدوا بدا من الإقرار بمصداقية الطرح الإسلامي، وهو ما دفع الكثيرين من أبناء هذه المنطقة إلى اعتناق الإسلام الذي يكرم النفس البشرية التي حرم قتلها إلا بالحق.

- وفي أوغندا تابع دعاة الجمعية الأحداث التي شهدتها البلاد المتمثلة في عملية الانتحار الجماعي الناتج عن فساد المعتقدات الدينية لبعض الطوائف المسيحية في البلاد، الذي وقع خلال عام 1999م ، وقد تم توجيه الدعاة والجمعيات والمنظمات الإسلامية العاملة في المنطقة للتركيز على هذا الحدث، وشرح مبادئ الإسلام الذي يحترم النفس البشرية، وتوعية الناس بمخاطر مثل هذه الحركات المتطرفة، وما تسببه من قلاقل داخل مجتمعاتها، وإعاقة حرية التفكير وتشويه المبادئ والمثل الدينية السامية.

- ودعا دعاة الجمعية في تنزانيا في الملتقى الإسلامي الذي عقد لتكوين لجنة لمساعدة الدولة في مجال تعديل القوانين المتعلقة بالأحوال الشخصية من أجل ضمان حقوق المسلمين، وما تضمنته الشريعة الإسلامية في هذا الموضوع.

---

15 - ينظر: المفكرة الإسلامية/جمعية الدعوة الإسلامية العالمية/عام372او.ر-2004م.مرجع سابق.

ـ بذلت الجمعية جهودا كبيرة في حل مشكلة مسلمي كوسوفو عن طريق الحوار بين الصرب والمسلمين، وأجرت عدة اتصالات مع الجانبين، وتابعت مبادرة الأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية لحل هذه الأزمة بما يضمن حقوق المسلمين وعدم تعميق الهوة بين المسلمين والمسيحيين الأرثوذكس.[16]

هذه الأرقام الهائلة التي سجلتها الجمعية في إطار العمل الإغاثي تدل على إيمانها العميق بموقع العمل الإغاثي في الدعوة الإسلامية باعتباره يقدم صورة مثلى للإسلام الحضاري الذي فيه خلاص البشرية كلها، ليضع الأمة على الطريق الصحيح في أعقاب حقبة تاريخية لها مقدماتها وتداعياتها الساخنة الملتهبة لتكون بحق خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله كما أرادها، حتى تنهض بمسؤولية الوسطية التي خاطبها بها القرآن الكريم:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ ﴾
[سورة البقرة: الآية 143]

وكان للجمعية تعاون مع منظمة الصحة العالمية وخاصة فيما يتعلق بإرسال القوافل الطبية، واختيار الأدوية المناسبة للمناطق التي تقصدها تلك القوافل، وكذلك فيما يتعلق بالدراسات والأبحاث التي تتناول الأوبئة المنتشرة في تلك المناطق.[17]

ثالثا :ـ على المستوى التربوي.

إن تحقيق التقدم للواقع الإسلامي لا ينطلق إلا من التعليم ، تلك حقيقة التزمت بها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية منذ تأسيسها، وعلى هذا فإن كل الجهود الإنسانية التي تقوم بها الجمعية تأخذ حيزا واسعا من ميدان التعليم والتربية.

وتتجه الجمعية في هذا الإطار نحو فتح المدارس في القرى والمدن في أفريقيا وآسيا لتكون منقذا لأبناء المسلمين للتحصيل العلمي وتلقي العلم ليكون المسلمون قوة إيجابية تقدم الخدمات للمجتمع بفاعلية، ولا يمضي شهر إلا وتطالعنا أخبار الجمعية بأن مدرسة جديدة تفتح هنا وهناك، ويتم ذلك في صمت وسكون من يعمل دون الضجيج الإعلامي.[18]

وللجمعية إسهام كبير في نشر الثقافة الإسلامية حيث أولت اهتماما كبيرا للقرآن الكريم ونشره وترجمة معانيه إلى لغات عدة، وطبعت في هذا الإطار مئات الآلاف من المصاحف المقروءة والمسموعة وترجمة معانيه، ولها مئات الإصدارات في شتى المعارف الإسلامية باللغات ولها مشاركات فاعلة في معارض الكتاب العالمية.

وقد قامت الجمعية بطباعة وتوزيع ملايين الكتب المنهجية مساهمة منها في برنامج محو الأمية في العالم، وخصوصا في القارة الإفريقية، وتصدر صحيفة الدعوة الإسلامية أسبوعيا باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية.

وقد ساعدت عوامل عديدة في إنجاح العمل الدعوي والإنساني والتربوي على الصعيدين الشعبي والرسمي تلك الثقة والمصداقية فيما يقدم من خدمات يراد بها وجه الله، إضافة إلى نشاط دعاة الجمعية وتحركهم في كل مكان من البلدان دون أن يقتصر العمل على مناطق المدن والأماكن القريبة، بل تواصل العمل في تقديم الخدمات إلى القرى البعيدة

16ـ ينظر: التواصل/الحوار الإسلامي المسيحي/عبد الحكيم مختار الورفلي/ص16/العدد الأول/مرجع سابق.

17ـ ينظر: المفكرة الإسلامية/جمعية الدعوة الإسلامية العالمية/عام372و.ر-2004م.مرجع سابق.

18ـ ينظر: التواصل/قرية الهنود التي قهرت الوثنية والظلام بنور الإسلام/مصطفى أبو بكر لاغة/ص15-16/العدد الثاني/372و.ر-2004م.

والأماكن الصعبة والأدغال النائية.

ويندرج تحت الأداء التربوي أولئك القراء الذين يوفدون خلال شهر رمضان المبارك، والذين يقابلون بالترحيب والاستقبال من جميع فئات المسلمين، حيث يتم استدعاؤهم في المساجد المختلفة في المدن والقرى، ليكونوا ضيوفا على المسلمين هناك، يستمعون إليهم، ويتعلمون منهم حفظ القرآن الكريم، وهو الأمر الذي حد مما كان يحدث من خلاف في بعض الأمور الفقهية لاختلاف وجهات النظر حولها، وهذه أسس قربت القلوب وساعدت على المزيد من الألفة والمحبة بين الأخوة المسلمين، وذلك لما يمثله الموفدون في مساجد البلاد من خلق إسلامي أصيل، جسد حقيقة التفاني في أداء الواجب والعمل الصادق خلال إحياء ليالي شهر رمضان الكريم. [19]

وللجمعية وقد أكملت ثلاثة عقود من عمرها، ما يزيد على ثلاثة آلاف منتسب بين داعية ومدرس ومدرب حرفي ينتشرون في جميع قارات العالم ليقوموا بمهامهم الدينية والثقافية من خلال عشرات المدارس والمعاهد ودور رعاية الأيتام التي أسستها أو ساهمت في تأسيسها، أو تعاونت على رعايتها مع القائمين عليها. [20]

التعاون مع المنظمات الدولية في دعم العمل التربوي

للجمعية تعاون وثيق مع العديد من الهيئات والمنظمات الدولية، وخاصة في ميادين التربية والثقافة والعلوم ومجالات العمل الإنساني في مناحيه المختلفة، ولها في هذا الإطار برنامج تعاون واسع جدا مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة ـ اليونسكو ـ بدأ منذ سنة 1985م حيث أنجز في إطار ذلك التعاون مشروع (محو الأمية) في إفريقيا الذي استفادت منه أربع دول في غرب إفريقيا، وكذلك برنامج مصادر المياه في دول الحزام الصحراوي الإفريقي الذي أنجزت في إطاره دراسات ميدانية مسحية عن المياه في هذه المنطقة، وقد سلمت نتائج تلك الدراسة للدول المعنية للاستفادة منها.

وتموّل الجمعية مشاريع تاريخية ذات طابع موسوعي تشرف عليها منظمة اليونسكو منها:

- ❖ مشروع إعادة كتابة تاريخ التطور العلمي والثقافي للبشرية في سبعة مجلدات، صدر منها حتى الآن خمسة مجلدات باللغة الإنكليزية.
- ❖ مشروع المظاهر المتنوعة للثقافة الإسلامية في ستة مجلدات، صدر منها حتى الآن المجلدان الثاني والرابع باللغتين العربية والإنكليزية.
- ❖ مشروع المعرض العلمي الجوال حول إسهامات الحضارة الإسلامية في التقدم العلمي للبشرية.
- ❖ وتقديرا لهذه الجهود التي تبذل من قبل الجمعية في صالح التربية والتعليم فقد منحت منظمة اليونسكو جمعية الدعوة الإسلامية العالمية العضوية فيها بدرجة أ (علاقة رسمية استشارية) ولها كذلك تمثيل في اليونسكو لمتابعة العمل في هذه المشروعات الكبرى.

وللجمعية تعاون واسع مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إليسكو ـ منذ سنوات عديدة، حيث نفذ الجانبان عشرات البرامج التربوية والعلمية والثقافية في مناطق مختلفة من العالم، ولعل ما يجدر ذكره هنا هو البرنامج الثقافي التربوي الواسع الذي تموله الجمعية بالكامل وتنفذه ـ الايسيسكو ـ في دول الساحل الإفريقي والذي أنجز في إطاره في السنة الماضية وحدها أكثر من 120 نشاطا تربويا وثقافيا

19ـ نفس المصدر السابق

20 ـ ينظر: المفكرة الإسلامية/جمعية الدعوة الإسلامية العالمية/عام1372 و.ر ـ 2004م.مرجع سابق.

وعلميا، هذا بالإضافة إلى ـ برنامج التعليم للجميع ـ الذي تمثل في إنشاء خمسين مركزا للقراءة في خمسة بلدان إفريقية.

وتعمل الجمعية على دعم العديد من المؤسسات التربوية والاجتماعية والثقافية والإنسانية من خلال توفير الكتب وتعيين الأساتذة والمدربين المهنيين ،ولها برامج مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ الإليسكو ـ وبرامج تعاون أخرى مع منظمة المؤتمر الإسلامي، ومجمع الفقه الإسلامي وغيرهما من المؤسسات المتخصصة.

من أجل كل تلك الأنشطة التي تبذلها الجمعية في مجال التربية والتعليم ومحو الأمية في الميادين الإسلامية والإنسانية، فإنها تحظى اليوم بالعضوية في عدد من الهيئات والمنظمات الدولية، إضافة إلى عضوية استشارية في اليونسكو، فهي عضو مراقب بمنظمة المؤتمر الإسلامي وعضو بالمجلس الاقتصادي والاجتماعي بوحدة المنظمات غير الحكومية بالأمم المتحدة، وعضو متعاون مع مفوضية الأمم المتحدة السامية للاجئين. [21]

ويندرج ضمن أهداف الجمعية في العمل التربوي تلك الدورة التدريبية العالية لمعلمي اللغة العربية والدراسات الإسلامية التابعة لخطة (ما بعد كانو) التي انطلقت منذ عام 1366و. ر 1998م لتمكين معلمي الدراسات العربية والإسلامية في خمس دول إفريقية هي ـ مالي والنيجر ونيجيريا وبوركينا فاسو وتشاد من أداء علمي ومعرفي أكثر دقة ورصانة، ومن أجل تطوير الحركة العلمية والمنهجية في المدارس والمعاهد الإسلامية في تلك البلدان.

وتنتظم هذه الدورة كل سنة يوفد إليها من تلك الدول المذكورة في حدود عشرة معلمين تستغرق ستة أشهر على الأقل، وقد اختتمت آخر هذه الدورات منذ شهر في 17ـ7ـ1372و.ر(2004)م.

رابعاً : ـ على المستوى التعارفي

إدراكا للحكمة الإلهية التي اقتضت جعل الناس شعوبا وقبائل، أمما وأقواما، أجناسا وألوانا، وشعورا بثقل أمانة التكليف التي حملها الله مخلوقاته فأبت أن تحملها ـإشفاقا وخوفا:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [سورة الأحزاب: الآية 72]

واستشعارا لخطورة ما ينتاب مجتمعنا الإنساني من فتن وصراعات وحروب واضطرابات هددت أمنه وعبثت باستقراره،وردا على الأصوات التي ظهرت هنا وهناك تنظّر لصراع الحضارات وصدام الثقافات، فقد قرر المجلس العالمي للدعوة الإسلامية الذي يبرمج لأنشطة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ويشرف عليها، تنظيم ملتقى فكري ثقافي موسع تحت شعار(لتعارفوا) وذلك على هامش دورته الرابعة عشرة.

وقد انتظم هذا الملتقى بطرابلس في الفترة من 20ـ22 من شهر الفاتح (سبتمبر) 1371و.ر(2003) وشاركت فيه أكثر من 130 منظمة وهيئة إسلامية ومسيحية من مختلف أنحاء العالم، إضافة إلى عدد من المنظمات الدولية والإقليمية ومسؤولي الكنائس الشرقية والغربية، ولفيف من الباحثين والمفكرين ورجال الإعلام والمهتمين بقضايا الحوار.

وقد عكف المشاركون في هذا الملتقى على دراسة عدد من الأوراق والمداخلات التي ناقشت مفهوم التعارف باعتباره نتيجة من نتائج الحوار الهادف الذي

21 ـ ينظر: المفكرة الإسلامية/جمعية الدعوة الإسلامية العالمية/عام1372 و.ر.2004م. مرجع سابق.

يعزز الاحترام المتبادل، ويرفض الظلم ويقاوم الاستعلاء في الأرض، ويؤسس لعلاقة تعاونية بين الأقوام والشعوب على أساس المساواة التي أكدتها الشرائع:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ [سورة الحجرات: الآية 13]

وعززتها المواثيق والأعراف الدولية، وقد وجه المشاركون في هذا الملتقى نداء أسموه (نداء طرابلس من أجل التعارف (هذا نصه):

ومما أعلنه ذلك الملتقى:

إن جهود التعارف التي قامت بها الجمعية والتي انطلقت من توصيات هذا الملتقى الحواري الكبير الذي التأم في طرابلس أصبح لها ثمار تؤتي أكلها على نطاق واسع، تمثلت بالخصوص في لقاء عمل نظم بمدينة (ويند زور) في بريطانيا خلال شهلر الربيع (مارس) الماضي بالتعاون مع مؤسسة روح أوريا، وفي محاضرتي كل من الرئيس الإيطالي السابق - فرانشيسكو كوسيغا- ورئيس جمهورية سيراليون -الحاج أحمد تيجان كابا - في طلبة كلية الدعوة الإسلامية، إضافة إلى عدد من المناشط الأخرى.

وقد أكد المجلس العالمي للدعوة الإسلامية في إطار مناقشته لهذا البند على ضرورة أن تستمر الهيئات الإسلامية والمسيحية التي شاركت في ملتقى (لتعارفوا) في تفعيل اللقاءات التي ستعقد على التوالي في كل من: موسكو، عمان، تورنتو، وفي إحدى العواصم الأفريقية، وفي واحدة من عواصم بلدان جنوب شرقي آسيا خلال هذا العام، كما عبر المجلس عن تأييده ودعمه لمؤتمر الحوار الإسلامي المسيحي المقترح من الرئيس السنغالي - عبد الله واد المقرر عقده في نهاية عام 2005م، وطالب المجلس المؤسسات الإسلامية والمسيحية التي تهتم بأمر الحوار بدعمه واتخاذ الترتيبات اللازمة لإنجاحه.[22]

ومنهجية البحث تفرض عليّ عرض توصيات -نداء طرابلس من أجل التعارف - لما لها من أهمية كبرى أعادت تخريط العالم على نمط من الانسجام والتوافق والاعتراف بالآخر لاستنهاض كل قوى الخير والحق في الواقع العالمي المتأزم من أجل غد أفضل لأجيالنا وعالم أكثر أمنا وسلاما لمجتمعاتنا.

يرتكز- نداء طرابلس من أجل التعارف - على أسس ومبادئ لعل أهمها:

- التعدد الديني والإثني والثقافي واللغوي بين الناس والمجتمعات آية من آيات الله، وتعبير عن المشيئة الإلهية في خلق الناس مختلفين ليتعارفوا في عمارة الكون.
- كرامة الإنسان وحريته مبدأ أساسي في كل الأديان والمعتقدات والمساس بتلك الكرامة بأي صورة من الصور أو تقييد تلك الحرية تحت أي مبرر يناقض ذلك الأساسي ويصطدم بالمشيئة الإلهية التي كرمت الإنسان واستخلفته في الأرض.
- التمييز بين البشر أو المفاضلة بينهم على أساس الدين أو العرق أو اللون ممارسة عنصرية لا يقرها دين ولا تبررها شريعة، وأن انتهاج أي شكل من أشكالها أو إقراره تحت أي ظرف إنما هو عمل يتناقض مع كل القيم والأخلاق ويتعارض مع كل الشرائع والمعتقدات.
- التعارف بين الناس والحوار بينهم هو السبيل الأوحد لحل مشكلات عالمنا حلا منصفا، والجنوح إلى القوة في التعامل مع تلك المشكلات إنما يذكرنا بصورة الحروب المأساوية التي شهدها عالمنا والتي يجب أن نتعاون جميعا حتى لا يكتوي العالم بنارها مرة أخرى.

وفي سبيل تحقيق هذه المبادئ على أرض الواقع فقد أوصى المشاركون بما يلي:-

---

22 - ينظر: التواصل/تفعيل الحوار بين الثقافات/ص16/ العدد الثاني/مرجع سابق.

أولا:ـ التأكيد على التمسك بثقافة التعارف بين الناس انطلاقا من القيم الروحية الإسلامية والمسيحية ومن المبادئ الإنسانية السامية، وذلك على قاعدة احترام الإنسان الذي كرمه الله واستخلفه في الأرض.

ثانيا:ـ العمل على إبراز القيم الأخلاقية المشتركة التي يدعو لها الإسلام والمسيحية في نبذ العنف والتطرف والغلو، وفي رفض منطق الاتهام الجماعي والإدانة الجماعية والعقاب الجماعي، وفي مقاومة كل مظهر من مظاهر استغلال الدين وتوظيفه في الصراعات والخلافات السياسات والتأكيد على أن السلوك الإلغائي للآخر يتناقض مع هذه القيم الدينية التي تشكل ركنا أساسيا من أركان العقيدة في الرسالتين السماويتين الإسلام والمسيحية.

ثالثا:ـ العمل على استمرار موقع لتعارفوا والذي أنشأته الجمعية خصيصا لهذا المؤتمر، وتطويره بحيث يصبح ملتقى دائم للمشاركين فيه وغيرهم من دعاة الحوار، وذلك لتعميم فكر التعارف ونقله من أن يكون محصورا بين النخب المثقفة إلى أن يصبح لغة مشتركة بين الشعوب...[23]

هذه أهم وأبرز البنود التي أقرها ـ نداء طرابلس من أجل التعارف* ـ وهي تجسد النموذج الرائع لتراكم التجارب الإنسانية والإصلاحية في سبيل إيجاد صيغة مشتركة تحقق الاستقرار وتنمي الثقة بين أتباع الديانات المختلفة في ظل الممارسات التي نغصتها عصور انقطاع الوحي، وتلاش اتصال السماء بالأرض.

وقد تنامت الحاجة إلى إدخال عنصر الدين في عملية في إيجاد صيغة التعارف بين الأعراق والشعوب والأديان والحضارات المختلفة بعد فشل كل المحاولات التي عملت في سبيل الإصلاح المنهجي والفكري في إطار الكنيسة والاحتجاج على ممارسات القساوسة وبعض المفكرين الغربيين. إلا أنها لم تحقق على المستوى العالمي الهدف المنشود لرأب صدع التشقق الذي جرّ كثيرا من الويلات والصراعات المدمرة على الإنسانية.

ويمكن القول بأن المسيحية من أبرز الديانات التي أخذت مساحة واسعة في إطار بناء علاقة متميزة مع الإسلام من بين بقية الأديان الأخرى.

والسبب في ذلك هو قرب المسافة زمنيا بين رسالة الإسلام ورسالة المسيح ـعليه السلامـ وعدم وجود أية رسالة سماوية تفصل بينهما.

وهذا إذا أحسن طرحه في واقع الخطاب الإسلامي فإنه سيحقق مكاسب ومنجزات لا يستهان بها في إطار العمل الدعوي، ويكون رافدا مهما من روافد الدعوة الإسلامية.

المصادر

1 ـ صحيفة الدعوة الإسلامية/عدد خاص بمؤتمر (لتعارفوا)ثورة الفاتح وإسهاماتها في الدعوة الإسلامية على مستوى العالم. محمد أحمد شفيع/العدد1371/1او.ر.2003م.

2ـ الإسلام دين الجماعة/أحمد سيكوتوري/ترجمة محمد البخاري/ ط2/1978م

3 ـ مجلة كلية الدعوة الإسلامية/القرآن شريعة المجتمع/محمد فتح الله الزيادي/العدد الأولى السنة الأولى/1984.1985م.

4ـ عطاء إسلامي واع ومتواصل/منشورات جمعية الدعوة الإسلامية/1972او.ر.1999م.

5ـ المفكرة الإسلامية/جمعية الدعوة الإسلامية العالمية/عام 1409او.ر.2000م.

6 ـ المفكرة الإسلامية/ جمعية الدعوة الإسلامية العالمية/عام1372 و.رـ 2004م.

7ـ الرحلة التاريخية الثانية/ كتاب وثائقي مصور /منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية/مكتبة البحوث والإعلام والنشر/د.ت.

8 ـ الحوار الإسلامي المسيحي/بسام داوود عجك/رسالة ماجستير/دار قتيبة/1418 و.ر ـ 1998م.

9ـ صحيفة الدعوة الإسلامية/الحوار حدث عالمي ينطلق من الجماهيرية/عدد خاص بمؤتمر لتعارفوا/العدد1/1731 و.ر.

10 ـ التواصل/الحوار الإسلامي المسيحي/عبد الحكيم مختار الورفلي/ العدد الأول /1372 و.ر ـ 2004م.

11ـ التواصل/قرية الهنود التي قهرت الوثنية والظلام بنور الإسلام/مصطفى أبو بكر لاغة/العدد الثاني/1372او.ر.2004م.

12ـ صحيفة الدعوة الإسلامية/خطوات نحو العلم والتقدم/ العدد 860/ 1371 و.ر ـ 2003م.

---

23 ـ ينظر:ـ المفكرة الإسلامية/جمعية الدعوة الإسلامية العالمية/ مرجع سابق.

❖ النص الكامل لنداء طرابلس منشور في هذا العدد.

الإسلام وثقافة الحوار

الدكتور دهام العزاوي*

جاء الإسلام في ظروف عصيبة مرّت بها الإنسانية، سادت فيها الكثير من المفاهيم البالية القائمة على التعالي والاحتقار واستعباد الغير، فكانت مفاهيم العدالة والمساواة والقبول بالآخر بمثابة فتح مفاهيمي لشعوب وحضارات اتسمت علاقاتها بالاضطراب والتوتر، ومن هنا لم يكن الانتشار السريع للإسلام في مناطق العالم المختلفة إلا اعترافاً من البشرية بفضل وعلو المبادئ التي بشر بها الدين الجديد في احترام الآخر وقبوله. وفي عالم أخذت تسوده اليوم ثقافة الإكراه والنبذ في ظل عولمة أحادية الجانب، أخذت البشرية تفقد جانباً مهماً من إنسانيتها، وتتجرد من طابعها الفطري المستند على التنوع والاختلاف، يظهر النموذج الإسلامي في الحوار والتعايش مع الآخر من بين أهم وأكثر المفاهيم التي ينبغي على البشرية الاهتداء بها للتخلص من واقع الفردية والأحادية التي تسعى بعض قوى الظلام العالمية إلى إشاعته بهدف ابتلاع العالم وتهميشه، وتحويله إلى قطيع لا يسمع ولا يرى ولا يتكلم، فالإسلام قدّم للبشرية عبر تاريخه الطويل نماذج فكرية وواقعية مهمة في قبول الآخر، والحوار معه على أسس قائمة على التسامح والمودة، وبعيداً عن الغلو والإقصاء. والمدقق لمبادئ الإسلام وتاريخ المسلمين يجد أن ثقافة الحوار لم تكن مبنية على أحوال ظرفية ووقائع سياسية أو اجتهادات شخصية بقدر ما نبتت في ظل واقع ديني، وإطار شرعي، ارتقى إلى مصاف العقيدة الواجبة النفاذ، فالمسلمون مأمورون بالحوار مع بعضهم البعض، ومع غيرهم من المخالفين لهم فكراً وعقيدة، بل ومأمورون بعدم وضع شروط مسبقة للحوار والاستماع إلى آراء الغير حتى وإن كانت مخالفة:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [سورة التوبة: الآية 6]

مع تجنب استخدام الغلظة والشدة في الحوار مع الآخر، والسعي إلى انتهاج اللين والحلم والموعظة الحسنة:

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل: الآية 125]

وفي الوقت الذي اعتادت فيه الحضارات والشعوب على أن يكون القتل والاستباحة والاحتلال وسيلتها الوحيدة في التعامل مع الغير رفض الإسلام أن تكون الحرب وسيلة لنشر الدعوة.

فلم تشرع الحرب في الإسلام إلا للضرورة الملحة التي تنحصر في دفع الأذى عن ديار المسلمين، وإزالة الظلم عن الشعوب المقهورة للتعرف على نور الإسلام وقيمه العظيمة. ومن يتفحّص فقه الحرب في الإسلام يجد أن هذا الدين العظيم يحث المسلمين على أن لا يبادروا أعداءهم بالحرب قبل أن يدعوهم إلى احدى ثلاث، أولها: القبول بالإسلام ديناً ومنهج حياة

* كاتب وباحث / العراق

فيدخلوا في زمرة المسلمين، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم. وثانيها: العهد والجزية التي تكون لقاء تأمين المسلمين أرواحهم وممتلكاتهم، وثالثها: الحرب والقتال وليس في هذا إكراه على الإسلام، لأن التمييز بين أمور ثلاثة لا يكون إكراهاً في الدين. وقد كان النبي ﷺ القدوة الحسنة التي استلهم المسلمون من خلالها معاني التسامح والحوار، وكيف لا وهو الرحمة المهداة للعالمين جميعاً، فقد نقل عنه ﷺ انه استقبل نصارى نجران وأكرمهم، وسمح لهم بالصلاة في مسجده الشريف قبل أن يدعوهم إلى الحوار والمناقشة الهادئة، والبعيدة عن الغلو والتشنج، وقصة المشرك الذي أراد أن يقتل النبي ثم استجار به بعد أن أظفر الله نبيه به، ومن ثم رفضه الدخول في الإسلام، تعطي الدليل على أن النبي ﷺ لم يكن إرهابياً ولا سفاحاً يستغل الظرف ليجبر أعداءه على اعتناق دينه، كما يفعل جبابرة العصر، بل كان رحيماً ودوداً، أطعم المشرك وسقاه، ومن ثم دعاه إلى الإسلام، وبعد أن رفض المشرك دعوة النبي أخلى سبيله دون إكراه أو تضييق. وفي صلح الحديبية يتكرر المشهد النبوي، فرغم شدة وبأس المسلمين، وقوة عددهم، فضّل الرسول ﷺ الحوار مع المشركين، واختار الصلح والعهد بدل الحرب، فكان فتحاً مبيناً كما وصفه الله تعالى في سورة الفتح، حتى ان عمر بن الخطاب سأل النبي متعجباً: أفتح هو يا رسول الله؟! فقال النبي ﷺ: نعم، هو فتح.

لقد أعطى صلح الحديبية المثل الأعلى على صواب منهج الحوار والتفاوض الذي اتبعه النبي سبيلاً لنشر الدعوة، فما تحقق من قوة للإسلام عبر دخول الناس أفواجاً فاق بعشرات المرّات فيما لو كان الحال مستنداً إلى الحرب والقتال. وتأكد المعنى الإسلامي ذاته في واقعة الأحزاب التي كفى الله المؤمنين فيها القتال. وفي معارك إسلامية كثيرة وكبيرة اعتاد المسلمون أن لا يبادئوا عدوهم قبل أن يتفاوضوا ويتحاوروا معه، فالقتال كما بيّنا هو آخر العلاج في دعوة المسلمين لمخالفيهم، وهو علاج مر لا يتم اللجوء إليه إلا بعد أن تستنفد السبل وتغلق الأبواب، حتى أن النبي ﷺ استعاذ من الحرب، وكره اللجوء إليها، أو تمنيها، فقال لأصحابه: (لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، ولكن إذا ما لقيتموه فاصبروا فإن الجنة تحت ظلال السيوف) ولعل من يتفحص مفهوم الحوار في الإسلام يستلهم معان كثيرة أفرزها ذلك المصطلح في الواقع الإسلامي، لعل أولها:

❖ في الوقت الذي اعتادت فيه الحضارات والشعوب على أن يكون القتل والاستباحة والاحتلال وسيلتها الوحيدة في التعامل مع الغير، رفض الإسلام أن تكون الحرب وسيلة لنشر الدعوة.

إقرار شعار أن الأرض للجميع، وأنها ينبغي أن تكون مشتركة للبشرية، وأن الله الذي خلق الناس من أصل واحد وطينة واحدة لم يفاضل بينهم إلا بالعمل الصالح الذي ينفعهم وينفع البشرية جمعاء:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [سورة النساء: الآية 1]

وثانيها: إشاعة منهج التعاون بين الحضارات والشعوب على قاعدة البر والتقوى، وليس على أساس استعباد الغير واحتلاله:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [سورة المائدة: الآية 2]

وثالثها: تثبيت ثقافة التنوع في إطار الوحدة فالناس من أصل واحد، ولكنهم موزعون ومتفرقون إلى شعوب وقبائل الأصل بينها التعارف والتعاون لا الاختلاف والتناحر:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [سورة هود: الآية 118]

فاختلاف الناس في ألوانهم وألسنتهم هو من حقائق الكون وآية من آيات الله التي تريد بعض القوى المتجبرة ان تغيرها اليوم بفرض ثقافتها ومنهجها على الغير بالقوة والإكراه،

ورابعها: إقرار مفهوم المساواة بين الناس، وليس مفهوم الاستكبار والتعالي، وكما يقول الدكتور يوسف القرضاوي: هل خلقت أيها المستكبر من ذهب وخلق الآخرون من تراب؟:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [سورة الحجرات: الآية 13]

وخامسها: إقرار أسلوب التعايش السلمي بدل التنابز والتحارب، فالحياة في المنظور الإسلامي تتسع للجميع بغض النظر عن الانتماء والتوجه فما المانع أن يلتقي المسلم مع غيره طالما أن الحياة تسعهم فيحتفظ كل منهم بثقافته ودينه؟:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ * لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [سورة الكافرون: الآيات 1 ـ 3]

وفي ظل عالم اليوم، حيث سيادة مفاهيم العولمة واختراق السيادة، والدعوة إلى تغيير مناهج وطرق الحياة ونظم الثقافة، تطرح تساؤلات عن فحوى وجدية وشكل الحوار مع أولئك الذين لا يعترفون بك ندا أو مشاركاً لهم في الحياة، ويعتبرونك في هامش الحياة الإنسانية، ويسعون بالتالي إلى تدميرك وإخضاعك وهضم حقوقك؟ وكيف الحوار مع من لا يعترف بالحوار أصلاً، ويسعى إلى فرض ثقافة التدمير والاحتلال والعنف بدلاً من السلام والأمن؟ كيف مع أولئك الذين يتهمون ثقافتك بأنها مصدر الإرهاب والعنف، وأن لا سبيل للتخاطب معك إلا بوسيلة العنف والإكراه والتغيير؟ لا شك أن الإسلام يمد يده للحوار مع الجميع دون استثناء وشروط مسبقة، ولكن دون أن يعني ذلك تنازلاً عن ثوابته ومسلّماته في الحوار، وأهمها أن يكون الطرف الآخر نداً لك، ومعترفاً بك، وإلا فإن الإسلام لا يسكت على الضيم والاستبداد، ولا يتغاضى عن حقه في الدفاع عن النفس، فالإسلام يفتح باب الحوار والتلاقي مع من يعترف به، ويسعى إلى إيجاد قواسم للحوار تعين البشرية على التعايش المشترك للتخلص من أوهام القوة والتفرد، وتؤسس لتعددية ثقافية وحضارية تعيد للعالم توازنه المفقود. لا شك أن البعض يعتقد أن التراجع الحاصل اليوم في ثقافة الحوار لا يمكن أن تعزى إلى الصور النمطية التي حملها الآخر عن الإسلام والمسلمين، بقدر ما تكمن أيضاً في عدم قدرتنا نحن المسلمين على إيجاد خطوط تواصل مع الآخر، تعيننا على فهم بعض إيجابيته، وبالتالي فإن استمرار عزفنا على أنغام تقليدية وصور نمطية سالبة تبقي أبواب الحوار موصدة، وإذا كان هذا الاعتقاد يحمل شيئاً من الواقعية فمن المؤكد أن التحديات التي تواجه الخطاب الإسلامي تستدعي وقفة مع الذات لتصحيح الكثير من الهفوات التي تعترض ذلك الخطاب، ولعل في مقدمة هذا الأمر تغيير بنية الخطاب الإسلامي الموجه إلى الآخر، وانتهاج استراتيجية إعلامية موحدة إلى حد ما، تبرز القيم الأصيلة للإسلام في التلاقي والحوار، فضلاً عن تفعيل مناهج التربية والتعليم، وبما يدفع الأجيال الصاعدة إلى فهم الدين على أصوله، وبعيداً عن الغلو والتطرف، والعمل على إجراء إصلاحات شاملة في هياكل السلطة السياسية، وعلى نحو يسرع من وتيرة الديمقراطية والمشاركة الشعبية، بالإضافة إلى تعزيز العمل الثقافي والدعوي، وعلى نحو يبعد الثقافة عن السياسة، ويبرز المثقفين كوجه مشرق في التفاعل الحضاري مع الآخر، بعيداً عن السياسة، فمما لا شك فيه أن المثقف يحمل روح التسامح والتقبل للرأي والرأي الآخر أكثر مما يحمله السياسي الذي لا يفقه سوى لغة المصالح والأهداف، فالثقافة هي سلاحنا الفاعل في حوار الآخرين ومخاطبتهم، ومثقفونا ومفكرونا هم بلا شك اكثر قدرة على تفعيل الحوار مع الآخر، وجعله اكثر جدوى من أحلام السياسيين وطموحاتهم الفارغة.

*** الإسلام يمد يده للحوار مع الجميع، دون استثناء وشروط مسبقة، ولكن دون تنازل عن ثوابته ومسلماته في الحوار.**

وجهة نظر:

مفهوم الانتظار في الثقافة الدينية

د. حسن الباش*

لعل من أهم ما حرّفه أهل الكتاب، صفات النبي المنتظر، التي وردت في التوراة، وكذلك في الإنجيل، وأشار إلى تحريفهم القرآن الكريم في عدد من الآيات الكريمة.

وحتى نكون على بيّنة من أمر ذلك التحريف، آثرنا العودة إلى نصوص التوراة والإنجيل، وما أشارت إليه من صفات النبي المنتظر، وما أكده بعض أحبار اليهود والدارسين في العهد القديم.

فما بين الأنبياء صلات ليست كما هي الصلة بين بقية البشر، فهؤلاء الذين اصطفاهم الله لتبليغ دعوته، ارتبطوا فيما بينهم بروابط غير مادية أو بشرية، وأهمها: أن الله سبحانه سماهم الأنبياء وربط بينهم في العقيدة والسلوك وطريقة التبليغ. لكن الله سبحانه، بعث الأنبياء قبل الرسالة الخاتمة لأقوامهم تحديداً. فكل نبي بُعث لقومه، لتكون رسالته محدّدة في إطار زمني، وإطار مكاني محدّد. فزمن النبي موسى، ومكان ومساحة دعوته، غير زمن داود أو سليمان أو صالح أو هود وغير المكان والمساحة المكانية، التي انتشرت فيها دعوتهم، وقد حدّد القرآن الكريم أمكنة وجود هؤلاء الأنبياء، أو أشار إلى حيثيات مكانية، توضح البيئة المكانية المحددة، التي تجولوا فيها داعين إلى الله سبحانه وتعالى، وعبر سلسلة هؤلاء الأنبياء، برز لنا النبي ابراهيم عليه السلام كواحد من الأنبياء كلف برسالة إنسانية، تجاوزت الزمان الواحد والمكان الواحد، لذلك تنقل من الأرض المباركة ـ فلسطين ـ، إلى الجزيرة العربية، وكان في الأساس قد انتقل بأمر ربه ووحيه من أرضه ووطنه الأساسي في أور العراق إلى الأرض المباركة.

ولذلك وصفه سبحانه، بأنه إمام، وأنه أمة. وكانت دعوته للناس كافة، وليست لقوم دون قوم. وما بين عصر النبي إبراهيم عليه السلام، وعصر محمد رسول الله ﷺ، أزمان طويلة ومتباعدة تخللها وجود أنبياء مرسلين، بعثوا لأقوامهم، حتى تظل وتيرة دين التوحيد حيّة في الأرض وبين الناس.

لقد قصّ الله سبحانه علينا أخبار هؤلاء الأنبياء، في القرآن الكريم فعرفنا إسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف، وعرفنا موسى وداود وسليمان والياس وزكريا ويحيى والمسيح عليهم السلام. وقصَّ علينا القرآن

* كاتب وباحث / سوريا

قصص أنبياء آخرين، كهود وصالح وشعيب ويونس وغيرهم، وعرفنا أن الله سبحانه آتى موسى كتاباً، وكذلك عيسى آتاه الله الإنجيل، وكذا داود آتاه زبوراً. وسار بقية الأنبياء على المنهج الرباني، الذي اختاره لهم. وظلوا في دائرة تبليغ الدعوة الخاصة بأقوامهم. ولعل في ذلك سراً إلهياً، حيث أراد الله سبحانه أن يختم هؤلاء الأنبياء بنبي عالمي إنساني يوحد الأقوام والشعوب، على دين كامل متكامل، لا تعود للإنسانية حاجة إلى كتاب أو رسالة بعده.

فهذا هو القرآن الكريم جمع الأول والآخر، الماضي والمستقبل، ولم ينقص فيه شيء، فهو دستور شامل متكامل للإنسانية جمعاء، وكذا رسالة الإسلام، وكذا نبي الرحمة الإنسانية العالمية محمد ﷺ.

ولهذا، فإن ما يلفت النظر في دعوة الأنبياء ما قبل رسولنا الكريم، أنهم دوماً بشّروا بنبي قادم مع الأزمان، مهمته أوسع من مهماتهم ودعوته أشمل وأعم وأكمل، وأجمع هؤلاء الأنبياء، وخاصة أنبياء بني إسرائيل، على دعوة قومهم باتباع ذلك النبي يقول تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [سورة آل عمران: الآية 81]

ورسخت هذه الفكرة منذ زمن بعيد جداً في أذهان تلك الأقوام التي بُعث الأنبياء لهم، وظلت القلوب والعيون والعقول تنتظر النبي القادم، الذي يختم به الله النبوات، ويكمل به كافة العقائد التي ارتبطت بالسماء. وأصبحت سمة الانتظار ظاهرة متواصلة، خاصة عند أهل الكتاب من اليهود والنصارى، لأنهم على صلة بما سمعوه من أنبيائهم، وبما دوّن في الكتب السماوية التي أُنزلت على موسى وعيسى وداود وأبناء بني إسرائيل. وعندما نطالع آيات القرآن الكريم، وكذلك بعض نصوص التوراة والانجيل، وبعض ما قاله أنبياء بني إسرائيل، نرى أن هناك حالة عامة من الانتظار، تسيطر على عقول تلك الأقوام، وأصحاب تلك العقائد. ولم تقتصر حالة الانتظار، على زمن دون زمن، بل تعدّت القرون، حتى وجد اليوم من يؤمن بأن المسيح الجديد هو المنتظر وأنه سيأتي إلى الأرض، ويقود معركة ضد الكفار، ويحكم ألف سنة سعيدة ويجلس على عرش داود في القدس، وما إلى ذلك من قضايا تتعلق بهذا الانتظار الذي طال أمده.

❖ رسخت فكرة النبي القادم منذ زمن بعيد جداً في أذهان الأقوام التي بعث الأنبياء لهم، وظلت القلوب والعيون والعقول تنتظر النبي الذي يختم به الله النبوات ويكمل به كافة العقائد التي ارتبطت بالسماء.

وحين نحلل هذه الظاهرة، نخلص بنتيجة مفادها أن بني إسرائيل لم ولن يقتنعوا بما أُتى به الأنبياء جميعاً. وظلوا يتطاولون بأقوالهم وسلوكهم، على الأنبياء الذين بعثهم الله لهدايتهم وإنقاذهم من ضلالهم، ويشككون بهم ويتهمونهم بالنقص. لم يرضهم موسى، ولا داود ولا سليمان ولا عيسى، عليهم السلام. وظلوا يخترعون العراقيل في طريق هؤلاء الأنبياء ظناً منهم أن المخلص الحقيقي لما هم فيه لم يأتِ بعد. وأن هؤلاء الأنبياء عاجزون عن تحقيق خلاصهم الكلّي. فلذلك استمروا في تعجيز الأنبياء. فطلبوا من موسى أن يروا الله جهرة. ومن عيسى أن ينزل عليهم مائدة من السماء، وقد بلغ الأمر أن شككوا بكل أقوال أنبيائهم وأفعالهم، ولن يرضوا عنهم حتى يبينوا صفات النبي المنتظر الذي يقودهم إلى تحقيق غاياتهم، وأهمها: السيطرة على البشر، واستعبادهم. هكذا انتظروا وهكذا ينتظرون، لكن الله سبحانه يريد أمراً غير الذي يريدون، وهو أمر مناقض لأهوائهم وأمنياتهم العنصرية.

النبي المنتظر في كتاب موسى:

جاء في سفر التثنية وهو السفر الخاص من أسفار موسى عليه السلام، حسب ترتيب التوراة العبرانية، كذلك السامرية أن الله قال لموسى عليه السلام:

قل لبني إسرائيل إني أقيم لهم آخر الزمان نبياً مثلك من بني إخوتهم[1]

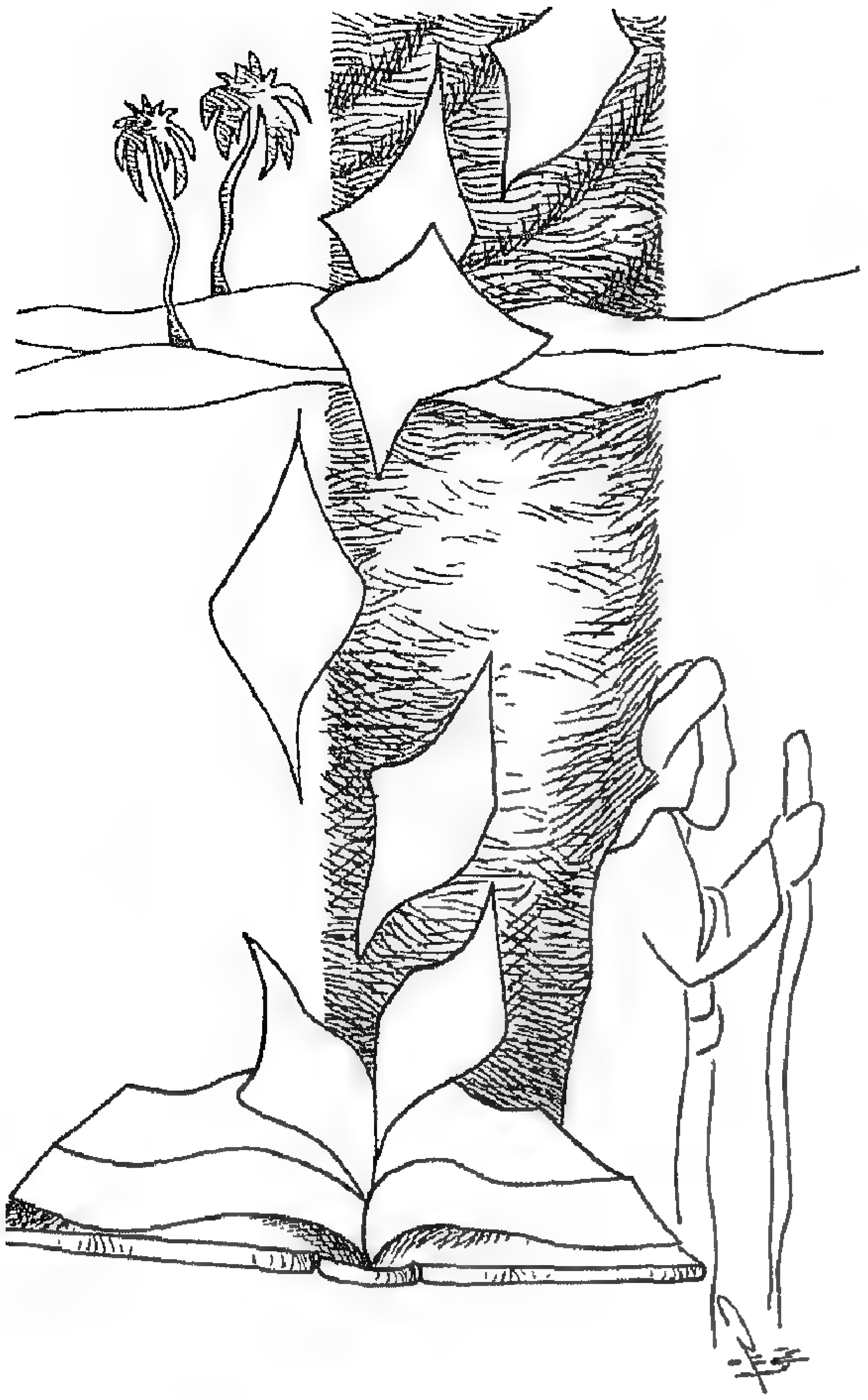
وكل نبي بُعث بعد موسى، كان من بني إسرائيل، وآخرهم عيسى عليه السلام، فلم يبقَ من بني إخوتهم إلا النبي محمد ﷺ، لأنه ومن ولد إسماعيل. وإسماعيل أخو إسحق وإسحق جد بني إسرائيل.

فكلمة من بني إخواتهم، تعني من بني إسماعيل. ثم إن كلمة آخر الزمان، تعني ختم النبوة وليس آخر حياة البشر على الأرض. فداود وسليمان وإلياس وعيسى عليهم السلام لا تنطبق عليهم عبارة آخر الزمان فهم في سلسلة متلاحقة من النبوة. وكل نبي بشّر بالنبي القادم آخر الزمان أي آخر زمان النبوات.

والواقع ان بني إسرائيل، ومنذ تلك اللحظة، ظلوا يعيشون هاجس النبي القادم، وكلما جاء نبي، حاولوا أن يتبينوا هل هو النبي المنتظر، الذي أشار له كتاب موسى أم هو غيره؟

لقد قالت التوراة عند وفاة النبي موسى وفي آخر سفر من الأسفار الخمسة. (لم يعرف بنو إسرائيل نبياً مثل موسى)[2].

لقد وصفوا النبي داود بالملك، ولم يطلقوا عليه اسم النبي، وأطلقوا على النبي سليمان الحكيم، ولم يطلقوا عليه اسم النبي، وعندها بُعث المسيح عليه السلام كذبوه، ولم يعترفوا بنبوّته، على الرغم من أن بعضهم اعتقد أن عيسى هو المسيح المنتظر، لكنه لما خالف أهواءهم، ووقف منهم ومن مصالحهم موقف المعادي رفضوه وحاربوه ولاحقوه وكادوا يقتلونه لولا أن رفعه الله إليه.



وانقضى عهد موسى، وظلت فكرة الانتظار تشدهم نحو القادم الآخر، الذي سيأتي محققاً حسب ظنهم كل أطماعهم ومصالحهم وسائراً في طريقهم المنحرف.

ومن العلامات التي أشارت لها التوراة، والتي تنطبق على النبي محمد ﷺ قولها: (وجاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وجاء معه عشرة آلاف قديس ومن يده اليمنى برزت نار شريعة لهم)[3] وفاران هي جبال مكة بإجماع كافة العلماء وخاصة كهنة بني إسرائيل.

وفي تحريفهم لذلك، فقد أوردوا في سفر التكوين، أن إبراهيم أخذ زوجته هاجر وابنه اسماعيل من الخليل، باتجاه الجنوب، وتدعي أنه وضعهما عند بئر السبع

1 ـ التوراة، سفر التثنية 15: 18 ـ 17.
2 ـ التوراة، سفر التثنية 34:10 ـ 11.
3 ـ التوراة، سفر التثنية 33:2.

بالقرب من جبال فاران[4]. ومن المسلمات التاريخية والمجمع عليها، أن مكان سكن إسماعيل وأمه هو في مكة. وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم بقوله:

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ [سورة إبراهيم: الآية 37]

لكن كتبة التوراة، وبسبب مكرهم وخبث نواياهم، أبعدوا عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أي علاقة ببناء الكعبة، ظناً منهم أنهم سيحتكرون النبوة ويقصرونها عليهم. وبنفيهم هذه العلاقة فقد حرفوا في تحرير جبال فاران، وادعوا أنها في بئر السبع. فهم لا يريدون أن يظهر نبي آخر الزمان في قوم غيرهم، ليظلوا حسب ظنونهم، أصحاب النبوات والرسالات. وقد حاول بعض منظري الكهنوت المسيحي أن يطبقوا هذه النبوءة على السيد المسيح لكنهم فشلوا بسبب ما فيها من تحديد للأمكنة بعينها وكذلك الأشخاص[5].

وعودة إلى النبوءة التوراتية، فإننا نرى فيها أكثر من إشارة. وقد أشرنا إلى العلامة الأولى وهي جبال فاران. أما الإشارة الثانية فقول النبوءة (وجاء معه عشرة آلاف قديس) فهي إشارة إلى قدوم النبي ﷺ، على رأس جيش المسلمين، المؤلف من عشرة آلاف مسلم حين فتحوا مكة. أما الإشارة الثالثة، فهي قول النبوءة: ومن يده اليمنى برزت نار شريعة لهم. وهي تقصد رسالة القرآن والإسلام وتحطيم الأصنام وعقائد الوثنية في مكة وخاصة في البيت الحرام.

وقد أكدت هذه النبوءة التوراتية، نبوءة أخرى جاءت على لسان أحد أنبياء التوراة، وهو النبي حبقوق، حيث يقول: القدوس من جبل فاران. جلاله غطى السماء والأرض امتلأت بحمده وتسبيحه[6].

❖ كتبة التوراة لا يريدون أن يظهر نبي آخر الزمان في قوم غيرهم، ليظلوا أصحاب النبوات والرسالات.

ظل اليهود ينتظرون حتى بعث الله المسيح فظن بعضهم أنه النبي المنتظر، لكن المسيح عليه السلام أشار صراحة إلى أنه ليس النبي المنتظر، إنما ذاك النبي له سمات وصفات مختلفة جاء في الإنجيل قول للسيد المسيح ما نصّه عن النبي المنتظر (سوف لا يتحدث عن نفسه لكنه يعيد على الناس ما سمعه)[7] وهذه النبوءة تتطابق في معناها مع قوله تعالى عن النبي محمد ﷺ:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۞ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [سورة النجم: الآيات 3 ـ 4]

لقد أدرك أهل الكتاب أن النبي المنتظر هو محمد ﷺ عندما بعثه الله. خاصة اليهود الذين سكنوا مع الأوس والخزرج في المدينة. وقد عرفوا صفاته من خلال كتبهم: التوراة والإنجيل والزبور، وأدركوا أن الذي قاله النبي موسى، بشأن النبي المنتظر، وكذلك عيسى وبقية الأنبياء هو حق ولا سبيل لنكرانه.

ماذا يقول القرآن الكريم بشأن النبي المنتظر؟

لا شك أن البحث فيما قاله القرآن الكريم بشأن هذا الموضوع مرتبط كلياً بأهل الكتاب وخاصة اليهود.

ففي سياق الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل في سورة الأعراف يأتي قوله تعالى:

﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ

4 ـ سفر التكوين، 21:21.
5 ـ يقول البروفيسور عبد الأحد داود: إن المسيح لم يدّعي أبداً أنه النبي المشار إليه. من كتاب محمد في الكتاب المقدس، ط1، قطر 1985.
6 ـ التوراة، إشعيا 42:11 ـ 12.
7 ـ الإنجيل ـ الأصحاح 60 الجملة 7.

وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ * وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأعراف: الآيات: 155 ـ 157]

فمن خلال سياق الآيات السابقة ندرك أن الزمن المرتبط بها، هو زمن سيدنا موسى عليه السلام. فالآية الأولى تحدد حادثة مرتبطة بموسى، واختياره سبعين رجلاً من قومه، ثم بعد حديث موسى ورجائه ربه أن يغفر لقومه ما ارتكبوه من إثم يقول تعالى:

﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [سورة الأعراف: الآية 156]

ثم يقول:

﴿يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾

[سورة الأعراف: الآيات 156 ـ 157]

وهذا الخطاب أيضاً يحدد من هم الذي يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون فهم الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل.

فمن تلك اللحظة، يعرف النبي موسى عليه السلام، ويعرف قومه أن الله سيبعث النبي الأمي، وقد سطرت صفاته وميقات بعثته في التوراة، حتى لا يكون لهؤلاء حجة على الله ويدّعون أن الله لم ينفذ وعده.

فمقياس كتابة الله الرحمة لهؤلاء المتقين، الآتين الزكاة والمؤمنين بآياته، هو اتباع النبي الأمي الذي أشار الوحي بصفاته وزمنه في كتاب موسى عليه السلام أولاً ثم في إنجيل عيسى عليه السلام ثانياً.

فمن تلك اللحظة، كان يدرك النبي موسى عليه السلام، أن رسالته مقتصرة على قومه من بني إسرائيل، وكذلك كان قومه يدركون ذلك ويدرك أيضاً أن النبي والذي أوصافه مبثوثة في التوراة والإنجيل، هو نبي الرسالة الخاتمة. وعلى أهل الكتاب أن يتبعوه ولا يحرفوا في كلام الله الخاص بشأنه، كما هو شأنهم في تحريف بقية القضايا التي جاء بها كتاب موسى عليه السلام وكذلك التوراة.

ولننظر إلى هذه الصفات التي منحها الله لرسوله القادم.

إن هذا النبي هو نبي رسول أُمّي أي ليس كتابياً إنه من أمة أخرى وليس من بني إسرائيل وقد درج مصطلح أُمّي عند بني إسرائيل ويعنون به من كان ليس من اليهود[8]. وقد أراد الله سبحانه من إيراد كلمة أُمّي كصفة من صفات النبي القادم. دحض زعم اليهود أنهم أرقى صنفاً من الأميين وليبيّن أن أكمل الرسالات وأعظمها شأناً هي رسالة هذا النبي المنتظر الأمي. فإذا اتبعوه عندما يبعثه الله سبحانه فإنهم يفوزون برحمته وإن لم يتبعوه فقد خسروا خسراناً مبيناً. ولننظر كم عدّد القرآن الكريم صفات هذا النبي.

فقال عز وجل:

﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾

[سورة الأعراف: الآية 157]

8 ـ كل من هو غير يهودي يطلقون عليه أُمّي أو غوييم أي غريب عن اليهود وورد ذلك في أكثر أسفارهم.

وهاتان من صفات جميع الأنبياء.

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾

[سورة الأعراف:الآية 157]

ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم وهذه صفات لم تكن في أنبياء بني إسرائيل. لأن بني إسرائيل تشددوا، حتى قيّدوا أنفسهم بشرائع قاسية وصعبة، وجاء النبي محمد ليخفف عنهم هذه القيود والأغلال، إضافة لتحريمه عليهم الخبائث كأكل الميتة والدم، ويحل لهم الطيبات لأنه فيما روي عنهم أنهم حرّموا على أنفسهم بعض أنواع اللحم، وبعض لحوم بعض الحيوانات كالجمل والأرنب، بحجة أن شفة كل منهما مشقوقة[9]. وهناك العشرات من القيود التي قيّدوا بها أنفسهم فجاء رسول الله ﷺ ليفكها، لأنها لا تقترب من الحرام بل هي محللة من الله سبحانه وتعالى.

ثم أردف سبحانه قوله:

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾

[سورة الأعراف: الآية 157]

والآية واضحة المعاني والمقاصد، لا تحتاج لتفسير. إنما نوضح مسألة هنا وهي أنهم آمنوا به ونصروه واتبعوا ما جاء في القرآن الكريم من تعاليم واضحة.

ويؤكد القرآن الكريم أن أهل الكتاب يعرفون النبي الأمي وصفاته فيقول:

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ [سورة البقرة: الآية 144]

ويؤكد ذلك مرة أخرى بقوله:

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾

[سورة البقرة: الآية 146]

فالنبي المنتظر منذ موسى عليه السلام، ومروراً بجميع الأنبياء حتى عيسى عليه السلام معروف لدى أهل الكتاب، ويعرفون صفاته مثلما يعرفون أولادهم لكن بعضهم يصر على كتمان الحق وهو يعلم.

وحتى يقطع الله سبحانه دابر كل شك حتى لأتباع عيسى عليه السلام فقد بشر بالنبي القادم المخلص.

يقول تعالى:

﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾

[سورة الصف: الآية 6]

وقد جاء في الإنجيل قول السيد المسيح عليه السلام (وجاء مشتهى الأمم)[10] إشارة إلى انتظار البشرية للنبي الذي تشتهيه الأرواح والنفوس والعقول وهو محمد ﷺ ومع أننا استثنينا إنجيل برنابا فإن الشواهد المبشرة بالنبي محمد ﷺ كافية ووافية لتدلل على قدومه. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن التبشير بمقدم سيدنا محمد ﷺ في إنجيل برنابا جاء واضحاً جلياً حيث صرح باسمه تماماً مثلما صرح به القرآن الكريم. وفي كثير من مواقع الإنجيل ـ أي إنجيل برنابا ـ يتحدث السيد المسيح عليه السلام عن رسول الله ﷺ وعن صفاته وزمنه وأمته[11].

وما نستنتجه يشير إلى أن النبي المنتظر حسب التوراة والإنجيل، هو النبي محمد ﷺ، وقد أكدت ذلك نصوص التوراة والإنجيل. لكن أهل الكتاب حاولوا إبعاد الحقيقة، فحرّفوا الكلمات والمعاني وحرّفوا مقاصد ما قاله الأنبياء لينفوا تلك الصفات المتعلّقة

9 ـ وردت المحرمات على بني إسرائيل في سفر التثنية الأصحاح الخامس.

10 ـ الإنجيل 2ـ7.

11 ـ ورد التبشير الصريح في إنجيل برنابا برسول الله محمد ﷺ في عشرات الصفحات ومنها في الصفحة 84 حيث يقول: ثم يحيي الله بعد ذلك سائر الأصفياء الذين يصرخون أذكرنا يا محمد، فتتحرك الرحمة في رسول الله.

بالنبي المنتظر، عن سيّدنا محمد ﷺ. لكن الله سبحانه يبيّن ذلك من خلال آيات القرآن الكريم ودحض افتراءاتهم وتحريفاتهم وإخفائهم الحقائق.

لقد كرّر القرآن الكريم تأكيده بأن أهل الكتاب كانوا يعرفون صفات النبي حق المعرفة كما يعرفون أبناءهم. فمن من الآباء لا يعرف أولاده؟ إن الابن هو الأشد التصاقاً بوالديه وهما اللذان يعرفانه منذ أن حملت به أمه ووضعته. ويعرفانه يوماً بعد يوم ويعرفان كل ما فيه من صفات جسدية ومعنوية. فأهل الكتاب يعرفون صفات النبي المنتظر محمد ﷺ تماماً كما يعرفون أبناءهم، وفي هذا أدق الأوصاف للمعرفة الحقة. وهذا يعني أن كتاب موسى عليه السلام والتوراة والإنجيل وما قاله الأنبياء لم يترك أمراً من صفات النبي المنتظر إلا وذكر كي لا يكون لهم حجة أو مهرب من الاعتراف به واتباعه كما أمرهم الله.

يقول تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[سورة الأنعام: الآية 20 ـ 21]

فنتيجة نكرانهم للحق والحقيقة فقد خسروا أنفسهم وهم أظلم الناس لأنهم افتروا على الله كذباً وكذّبوا بآياته ولن يفلحوا أبداً طالما أنكروا ما جاءت به كتبهم من أحاديث كثيرة وطويلة في صفة النبي المنتظر محمد ﷺ.

ولننظر إلى قوله تعالى:

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ * كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ * تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ * ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة المائدة: الآيات 78 ـ 82]

ونلاحظ هنا أن أهل الكتاب كانوا يتولون الذين كفروا في معاداة النبي محمد ﷺ، ولو كانوا يؤمنون بالله ويؤمنون بهذا النبي الخاتم ما تولوا الذين كفروا لكنهم ملعونون، لعنهم داود وعيسى عليهما السلام لأنهم كانوا يعتدون ويعصون الله، وينكرون نبوة خاتم الأنبياء محمد ﷺ وكانوا قد أمروا أن يؤمنوا به وينصروه.

ثم يأتي معنى قوله تعالى:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾[سورة المائدة: الآية 82]

وهذا الجمع بين الطرفين يوضح كم كان اليهود معادين للنبي ﷺ، ولأمة الإسلام مثلهم مثل أهل الشرك من عبدة الأصنام والأوثان.

وقد وصفهم القرآن الكريم ووصف أساليب تحريفهم ومكرهم وحقدهم فقال:

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم

﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [سورة الأنعام: الآية 91]

فهم لم يعترفوا بما أنزل على قلب رسول الله ﷺ، وقالوا:

﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [سورة الإنعام: الآية91]

وهذا يعني أنهم لا يؤمنون بما أنزل على الأنبياء حتى موسى عليه السلام، ويرد عليهم سبحانه وتعالى: من الذي أنزل كتاب موسى؟ وها هو بين أيديكم تقسّمونه وتجعلونه قراطيس مجزّأة، تظهرون منها ما يناسبكم، وتخفون منها ما لا يناسبكم.

لقد علموا ما لم يكونوا عالمين به ولا آباؤهم. فإذا كنتم تنكرون قدرة الله سبحانه وتنكرون ما أنزل على الأنبياء إذاً فمن أنزل الكتاب على موسى؟ فإن قلتم لا أحد فمعنى ذلك أن هذا الكتاب الذي تجعلونه قراطيس هو باطل ليس من الله. لكن الله الذي أنزله وأنزل القرآن إن كنتم آمنتم به أو لم تؤمنوا فذرهم يا محمد في خوضهم يلعبون.

وأخيراً يقول الله سبحانه مخاطباً أهل الكتاب:

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة المائدة: الآية 15]

وأخيراً، بعث الله سبحانه نبيه الذي انتظروه طويلاً، ثم رفضوه، ورفضوا ما انزل عليه، لكن الله سبحانه أخزاهم وفضحهم أبشع خزي، وأقسى فضيحة. فها هو رسول الله يبين لهم كثيراً مما أخفوه من كتاب موسى والتوراة والإنجيل. وهذه قصمت نفوسهم لأن هذا النبي الذي ختم به الله الأنبياء والمرسلين أوحى له ربّه ما كان يخفي أهل الكتاب فبيّن لهم ذلك الذي أخفوه فأسقط في أيديهم، فهل بعد من علامات لنبوة هذا النبي المنتظر الخاتم؟

ماذا يعني مجيء النبي الأمّي المنتظر؟

عبر آلاف السنين عاش أهل الكتاب وهم ينتظرون النبي المخلص العالمي الإنساني الذي يلغي حالة الانتظار. وعندما بعثه الله سبحانه أدرك أهل الكتاب أنه هو النبي المنتظر المبشّر به في التوراة والإنجيل، وذلك من خلال مقارنتهم بينه وبين ما بشّر به الأنبياء. وعندما تيقّن أهل الكتاب من ذلك آمن بعضهم لما عرفوا من صفاته المكتوبة في كتبهم، وكان على رأسهم عبد الله بن سلام[12]، الذي قال لليهود مواجهة إنكم تعرفون أنه النبي المشار إليه في كتبكم. لكن الأكثرية من اليهود رفضوا الاعتراف بنبوته حسداً وحقداً وجحدوا به فكان مصيرهم الخزي والخسران والترحيل وقد أشار لذلك قوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾
[سورة فاطر: الآية 32]

لقد أتاهم الله الكتاب ـ كتاب موسى ـ ومنحهم الحكمة والنبوة ولكنهم كفروا بها جميعاً، فلذلك استبدلهم الله بقوم ليسوا بها كافرين. وهؤلاء القوم هم المسلمون الذين اتبعوا الرسول محمد ﷺ واتبعوا كتاب الله والنبوة.

ومع ذلك كله فإننا نسأل ماذا يعني مجيء النبي المنتظر؟

نعتقد إن ما قام به عبد الله بن سلام والذين آمنوا من أهل الكتاب[13] وهو إيمانهم بنبوة محمد ﷺ

12ـ عبد الله بن سلام، من أوائل الأحبار اليهود الذين اسلموا وحسن إسلامهم، انظر سيرة ابن هشام.

13ـ من أشهر من سبق إلى الإسلام من اليهود كعب الأحبار ونهب بن حتبه إضافة لعبد الله بن سلام، السيرة.

ودخولهم في دين الله الذي ختمه هذا النبي الأمي الإنساني العالمي.

يعني أن حالة الانتظار الطويلة لخاتم الأنبياء والمرسلين الذي بعث رحمة للعالمين قد انتهت وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها. فلا حاجة بعد للانتظار. لأن النبي محمدا ﷺ، قد ختم النبوة وختم الرسالات.

وقد أوضح القرآن الكريم أن مهمة الدعوة وحمل مسؤوليتها لم تعد تقع على عاتق نبي بل هي تكليف للمؤمنين جميعاً. وهؤلاء المؤمنون وصفهم الله سبحانه بقوله:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾

[سورة فاطر: الآية 32]

فكتاب الله وما فيه من أوامر ونواه هو كتاب الله الكامل المتكامل. وقد أورثه الله سبحانه للذين اصطفاهم من عباده والمقصود بهم أمة الإسلام التي ختم الله برسالتها كل الرسالات السابقة. إن التكليف الإلهي تكليف جمعي وليس فردياً فالأمة كلها مكلفة لا يقتصر التكليف على أحد دون آخر.

❖ إن حالة الانتظار الطويلة لخاتم الأنبياء والمرسلين قد انتهت.. فلا حاجة بعد للانتظار لأن النبي محمداً ﷺ قد ختم النبوة وختم الرسالات

يقول تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾

[سورة البقرة: الآية 143]

ويقول تعالى:

﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ﴾

[سورة الحج: 78]

إذاً لا نبي بعد محمد ﷺ ولا أمة غير أمة الإيمان والإسلام يختتم بهما الله سبحانه الأنبياء والرسالات. محمد ﷺ ينتقل إلى الرفيق الأعلى ويترك شيئين ما إن تمسكت بهما الأمة لن تضل أبداً كتاب الله وسنّة المصطفى عليه السلام. أمة ليست بحاجة إلى نبي جديد ينتظرونه ليخلصهم ويهديهم سواء السبيل الخلاص وسواء السبيل ونور الطريق كلها موجودة في القرآن الكريم وسنّة نبي الله ﷺ.

ولو لم ينحرف أهل الكتاب وخاصة اليهود عن تعاليم الأنبياء، ولو لم يخفوا الحقيقة لم تنطحوا ورسخوا إلى حين المفهوم الخرافي بعودة المسيح الذي يسير على هواهم ويحقق أطماعهم بالسيطرة على بني البشر واستعبادهم. فلنتصور خرافتهم العنصرية التي تقول بعودة المسيح الذي يأتي ليجلس على كرسي داود ويحكم ألف سنة سعيدة.

لقد بثت التوراة وكذلك الإنجيل عشرات النبوءات والإشارات التي تؤكد أن النبي المنتظر هو محمد ﷺ وغيرهم.

إن فكرة انتظار المخلص أصبحت في خبر كان إن صح التعبير فليس لها وجود إلا في العقول الخبيثة وغير المتوازنة العقول التي ترى الحقيقة وتخفيها. ولعل أسوأ النفوس تلك التي تختفي في أجساد من كفروا من أهل الكتاب. فهم يعادون النبي الأمّي العالمي. يعادون من يتبعونه حسداً وغيرة لأنهم كانوا يريدون أن يبعث الله نبي آخر الزمان على هواهم.

حوار الأديان في ظل العولمة

د. عودة سليمان الصويص*

منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، والعالم من حيث الفكر والحرية والديمقراطية يمر بمراحل عدة، أملتها ظروف ما بعد الحرب وتطورات تداعياتها، وقد ساعدت حالة الثنائية القطبية بين الشرق والغرب على أن تكرس فوارق النظرة واختلال المعادلة من منطوق الحرية والديمقراطية في مقابل المركزية والديكتاتورية رغم أن الواقع العملي الذي أعقب الحرب العالمية الثانية ترجم بشكل واضح مقولة: «أن لا حرية بمعنى الرأسمالية ولا تدخلية بمعنى الاشتراكية» بل كلا القطبين قد ابتعد عن الافراط أو التفريط، ولقد استطاع هذا الواقع الذي رمى بظلاله على كل مجريات الساحة الدولية أن يطبع المشهد العالمي بطابع الحرب الباردة بفعل تضادية المصالح وصراعات السباق الاستراتيجي المحموم نحو قمة القوة وقوة السطوة والتحكم، حتى أن هذا المشهد افرز ظاهرة المركز والمدار التي لفّت بشكل أو بآخر العلاقة الدولية، كما استطاعت فترة التحرر من الاستعمار التي اجتاحت الدول النامية من أن تعمق من هذا الاستقطاب وان تقحم بالتالي الدول النامية في معادلة التضادية وتوازنات الرعب، والواقع أن منطقة الشرق الأوسط كانت مسرحاً لهذه المعادلة بل أن هذه المنطقة وقعت تحت ظروف وإرهاصات إضافية متعددة، يمكن إجمالها بما يلي:

أ - إن منطقة الشرق الأوسط تعتبر نقطة ارتكاز هامة للدول الصناعية بفعل امتلاكها لأكثر من نصف احتياطي النفط في العالم.

ب - إن منطقة الشرق الأوسط من أكثر مناطق العالم تعرّضاً لموروث الفكر والتعامل مع الغرب بحكم تقاسمها حوض المتوسط وبحكم حالة التماس التاريخي مع حضارات هذه المنطقة.

ج - إن محور فكر الشرق العربي قد أنشد بعد الحرب العالمية الثانية إلى فكر القومية والاشتراكية بينما غرس الغرب إزاء ذلك فكر الأصولية الدينية باعتبارها من دوافع تحصين الشرق العربي من الشيوعية ولتكون بالتالي خط الدفاع الأول عن الغرب الرأسمالي.

د - إن تراكمات التاريخ في ممارساته السلبية خلق حالة من الاحتقانات في المنطقة الشرق أوسطية تجاه حضارة الغرب مثلما أظهر أن مضامين هذه الحضارة ليست على وفاق مع حضارات المنطقة.

هـ - إن تمازج الفكر بين الشرق والغرب استطاع أن يسجل علامات إيجابية تناسبت طردياً مع ابتعاد هذا الفكر عن منطق الدين وثوابته، ذلك أن العلاقات بين الشرق والغرب انعكست في علاقات بين المسيحيين والمسلمين وأن هذه العلاقة عبر

---

* أستاذ جامعي/ الأردن

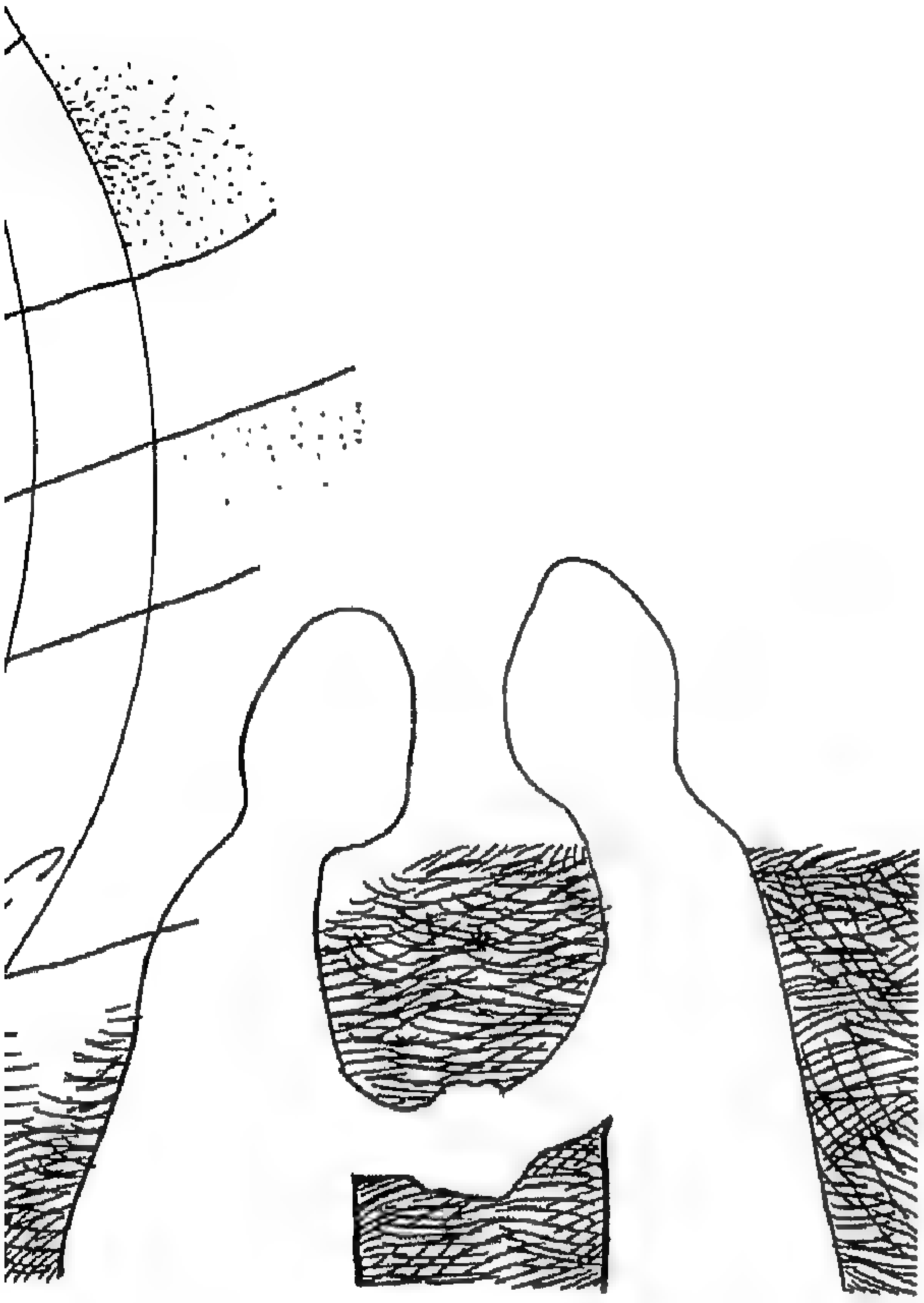
التاريخ اتّسمت تارة بالنزاع والتقاتل وطوراً بالتفاعل والتعاون الحضاري الخلاق.

و ـ إن فترة الاستعمار الحديث أعادت إلى منطقة الشرق الأوسط وتيرة عالية من استحقاقات مخزون التضادية العقائدية والممارساتية بين الشرق والغرب وبين الإسلام والمسيحية، واستطاعت أن تقزم كثيراً من أي مخزون إيجابي في هذا الصدد.

ز ـ إن ظهور الثنائية القطبية العالمية والميل الجامح للتخلص من سطوة الاستعمار الحديث أظهر الفكر والممارسة الغربية في مظهر العداء باعتباره يقف خلف السيطرة على مقدرات الشعوب ومنعها من التحرر.

ومن هنا فلم تكُ هذه الظروف والإرهاصات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية لتقوى على تحسين شروط المعادلة التي تحكم علاقة منطقة الشرق الأوسط بالغرب أو علاقة المسيحية بالإسلام، بل إن النظرة الغربية إلى هذه المنطقة اتسمت بخصوصية جعلت منها في نظر القطب الغربي خط الدفاع الأول ضد الزحف الشيوعي، الأمر الذي أذكى دعم الغرب لقوى التطرف والأصولية وأجّج مكامن النزعة المتعصبة، وقد ضاعف من شغف الغرب وشهوته في هذا الاتجاه ما تزخر به المنطقة من ثروات واعتبارها نقطة إمداد هائلة للطاقة وسوقاً استهلاكية واسعة تتمتع بقوة شرائية ضخمة قادرة على كسر حدة الركود في الاقتصاد الغربي وضمان استمرار دوران عجلة الإنتاج فيه.

والواقع أن هذه الأجواء التي سادت هذه العلاقة ما كان يمكن أن تسفر عن خلق أرضية حقيقية أو بنية تحتية مناسبة للمراكمة عليها من أجل فتح كل قنوات الحوار خاصة الديني منها والتوجه بالتالي نحو حوار الحضارات وتلاقح الثقافات من أوسع أبوابه، بل إن طبيعة هذه العلاقة غير المتوازنة والمقرونة بكل



هواجس الخوف من زحف الشيوعية وبكل توجهات تعظيم المنافع والاستغلال الأكبر للموارد، أدى إلى تعزيز العديد من التيارات الدينية التي اعتبرت حاضنة هامة استطاعت أن تشكل، إضافة إلى المنطلقات الأصولية الدينية وحالات من التطرف والتعصب، حالة من الاختلال بمعادلة التعايش والشراكة داخل المنطقة ذاتها كما أخلت وعمّقت من اختلال معادلة العلاقة مع الغرب والمسيحية أيضاً.

وإذا كان المشهد العام للعلاقة بين الشرق الأوسط والغرب وبالتالي لعلاقة الحوار تحكمه هذه الثوابت والمعطيات، فإن تفكك الاتحاد السوفييتي وانهيار سور برلين فرض معطيات جديدة وأوجد من

المستجدات ما غيّر من كل ثوابت الحرب الباردة واستطاع المشهد الجديد للعلاقة أن يبلور معادلة جديدة، يمكن إجمال تداعياتها بما يلي:

أ ـ توقف الحرب الباردة على الساحة الدولية بشكلها الذي عملت به طيلة أربعة عقود ونيّف من الزمن، وكان هذا التوقف بمثابة إعلان عالمي بانتهاء عهد الازدواجية القطبية ليدخل العالم في حقبة جديدة تحت عنوان: «الاحادية القطبية» وضمن حرب باردة أو ساخنة من نوع مختلف ووفق ظروف ومستجدات غير مسبوقة.

ب ـ الظهور العلني لتقاسيم وملامح ما سمي بالنظام الاقتصادي الدولي الجديد وبالتالي انهيار منظومة النموذج الاشتراكي أو التدخلي في التنمية واستبداله بنموذج الحرية الاقتصادية أو المبادرة الفردية.

ج ـ عدم انسجام حالة سيطرة القطاع العام ومركزية التخطيط مع توجهات العولمة التي بدأت تتكوّن بشكل آليات عمل وطروحات منهجية على الساحة الدولية ضمن سياق رسملة العالم.

د ـ ظهور ايدولوجية اقتصادية عالمية بنفس الوقت الذي يتوجه فيه العالم نحو تأكيد سقوط الايدولوجيات الشاملة والتأكيد على مبدأ النسبية الفكرية في مواجهة الاطلاقية وإبراز دور القوميات الفرعية في مواجهة الأمم المندمجة.

هـ ـ إفساح المجال لمزيد من الديمقراطية ولغة الحوار وإبداء الرأي واحترام الرأي الآخر، فإعادة صياغة النظام السياسي على أساس معادلة الديمقراطية ضمانة للأحادية القطبية في تعزيز دور القطاع الخاص والمبادرة الفردية وحرية حركة السلع والخدمات ورأس المال، ففي هذه الحرية وفي ضرورة تجذير الديمقراطية الاقتصادية يكمن المدخل الأساسي للديمقراطية السياسية.

و ـ إن إحياء ذراع التجارة الدولية باعتباره الضلع غير المنجز نم مثلث القرار الاقتصادي الذي اتخذ على خلفية اتفاقية بريتون وودز في عقد الأربعينيات من القرن الماضي انعكس في إحياء الاتفاقية العامة للتعرفة والتجارة الدولية وتطورها بفعل جولة اورغواي إلى منظمة التجارة العالمية لتكتمل بذلك أضلاع مثلث البنك الدولي وصندوق النقد الدولي

❖ انشدّ فكر الشرق العربي بعد الحرب العالمية الثانية الى فكر القومية والاشتراكية بينما غرس الغرب ازاء ذلك فكر الأصولية الدينية باعتبارها من دوافع تحصين الشرق العربي من الشيوعية لتكون خط الدفاع الأول عن الغرب الرأسمالي.

ومنظمة التجارة العالمية، وليكون هذا المثلث الآلية التي تشكل المدخل الأساسي لصناعة القرار الاقتصادي العالمي وبيئة حاضنة مناسبة لتعزيز تيارات العولمة وانحسار مساحة القطاع العام لحساب اتساع رقعة القطاع الخاص على الساحة الوطنية وبالتالي إلغاء الحدود السياسية لصالح الحدود الاقتصادية وتجاوز القوميات بدعوى المصالح الإنسانية.

هذا المشهد من العلاقات الدولية عموماً بين الدول الصناعية والنامية ومن علاقات الشرق الأوسط بالغرب على وجه التحديد ألقت بظلالها على شكل احتقانات في الشخصية الشرقية (العربية) رفعت من وتيرتها خصوصيات المنطقة في تعاملاتها مع الغرب سواءً كان ذلك جرّاء حروب التحرير أو التصدي للاستغلال والتبعية أو القمع الذي أبدته ممارسات الغرب على هذه الشخصية أو حالة الازدواجية التي تجاهر بها في سياساتها أو في قيم التعامل معها، الأمر الذي شكل بفعل هذه الاحتقانات نموذجاً من شخصية شرق أوسطية ترى في الغرب حالة حراك باتجاه النقيض منها، وبالتالي لا ترى في

التقارب معه وعلى خلفية ما يفرض من معادلة غير متكافئة إلا أن يكون فيها هو المستفيد الأول بفعل عوامل القوة والسطوة والتحكم، هذه الشخصية الشرق أوسطية (العربية) تعرضت بفعل هذه الاحتقانات المتراكمة إلى قوة طاردة وأخرى جاذبة، وفي الوقت الذي توحدت فيه القوى الطاردة لتكون تقاطعاتها عند نقطة التضادية مع الغرب، فإن القوى الجاذبة تشتت بفعل تعدد طيف هذه القوى إلى أن تمحورت في تيارها العريض بين قوى قومية وقوى دينية استطاع المزاج الديني العام لهذه الشخصية وبفعل إحباطات المد القومي أيضاً أن يغلب القوى الدينية الجاذبة لهذه الشخصية.

هذه المعادلة الجديدة بهذه التقاسيم فرضت ذاتها على الساحة الدولية وبدرجات متفاوتة ورفعت شعار العولمة والتدويل والانفتاح، ساعدها في ذلك التسارع الهائل في ثورة التكنولوجيا والمعلومات، حتى أن شعار القرية الكونية بات أقرب إلى الواقع منه إلى الخيال. ومضى إلى جانب كل ذلك وبفعل تراكمات الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للدول النامية على وجه التحديد بروز ظاهرة هي في غاية الأهمية وتتمثل في ضرورة أن يكون القرار السياسي تابعاً للقرار الاقتصادي وليس العكس، وقد رسخ مثلث البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية، هذا الأمر دون أن يكون قد تمّ تأدية استحقاقات الدول النامية من قبل الدول الصناعية، الأمر الذي انعكس سلباً على البنى الاجتماعية والاقتصادية للدولة النامية وأضعف مضمون التوجه الديمقراطي بفعل عوامل تركز الثروة وسوء توزيع الدخل واتساع جيوب الفقر الأمر الذي عكس حالة من عدم استجابة النظام السياسي العالمي في إرساء قواعد الحوار إلى السقف الذي أتاحته له الديمقراطية الاقتصادية، فتراجعت بفعل ذلك القواسم الإيجابية التي يفترض أن تشكل حاضنة مهمة لمراكمة أي حوار أو تلاقح ثقافات أو تناغم حضارات، وظهرت حالة من الحوار تبنتها منتديات ترسيخ النهج القائم، كل ذلك تم في غياب معادلة حقيقية للتعاون الدولي تضع الثوابت الصحيحة لتعاون الإنسان مع أخيه الإنسان وفهمه وقبوله له، ومن هنا فقد انتقل المشهد العالمي للحضارة المعاصرة من حضارة الشرعية الدولية إلى حضارة الأحادية القطبية، ومن حضارة الحياة إلى حضارة الموت، ومن حضارة القيم إلى حضارة المادة، ومن حضارة التعاون والمحبة إلى حضارة توازن الرعب.

❖ إن تفكك الإتحاد السوفياتي وانهيار سور برلين فرض معطيات جديدة وأوجد من المستجدات ما غيَّر من كل ثوابت الحرب الباردة، واستطاع المشهد الجديد للعلاقة أن يبلور معادلة جديدة.

والواقع أن هذه العلاقة بين الشرق والغرب أو بين الدول الصناعية والنامية والتي أملاها المشهد الواقعي قد واجهت ظروفاً ومستجدات غير مسبوقة، فأحداث الحادي عشر من أيلول شكلت فاصلاً مهماً بين حقبتين من الزمن، فقبل هذا التاريخ كانت السمة الغالبة للطرح الاقتصادي والاجتماعي والسياسي يستند إلى ثوابت العولمة والتدويل والانفتاح إلا انه بعد أيلول أصبحت السمة الغالبة لهذا الطرح تستند إلى الأمركة أكثر منها إلى العولمة، كما تعرض هذا الطرح إلى تطور في مساراته يمكن إجمالها بما يلي:

أ ـ أن الاحادية القطبية تعمّقت بفعل ضرورات التصدي للإرهاب وبفعل التفاف العالم حول دعم هذا التصدي واجتثاث الإرهاب من جذوره.

ب ـ إن القرار السياسي عاد ليقود القرار الاقتصادي والاجتماعي بفعل إعادة ترتيب الأجندة الدولية

وسلم أولوياتها بما يكفل ملاحقة الإرهاب والتصدّي له.

ج - إن حالة التحول من العولمة إلى الأمركة بحجة أن إعاقة الأمركة والتصدي لها يصب في النهاية في إعاقة التصدي للإرهاب قد فرض واقعاً جديداً في العلاقات الدولية وأعطى ما يسمى بسياسة انتقاء الضربة التالية من قبل أمريكا قوة القرار الدولي.

والواقع أن هذا التطور في الطرح على الساحة العالمية تزامنت معه حالة من التطور السلبي في العلاقة الفكرية بين الشرق العربي (المسلم) وبين الغرب الأوروبي الأمريكي (المسيحي)، وقد تركز هذا التطور السلبي في الربط الغربي بين الإسلام والإرهاب وما أعقب ذلك من ردّات فعل وكذلك ما شاب هذا الربط من افتقار للحجة والمنطق، وهنا لا بد من إبراز النقطتين التاليتين:

أ - في الوقت الذي ارتكب فيه الغرب خطأ الربط بين الإسلام والإرهاب كذلك فإن الشرق قد ارتكب بالمقابل خطأ الربط بين الغرب والمسيحية.

ب - كان لا بد من التمييز بين «الصليبية» كحالة تاريخية شاذة استخدمت فيها الديانة المسيحية لأهداف توسعية وبين «المسيحية الحقيقية» المتسمة بالانفتاح والسلام والمحبة، كذلك الحال كان لا بد من التمييز بين التطرف والتعصب كحالة تاريخية شاذة استخدمت فيها الديانة الإسلامية لأهداف سياسية وبين الإسلام الحقيقي الذي لا يفرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى.

وعليه، فلا بد من القول أن الحوار الإسلامي المسيحي هو في موقع القلب من الحالة الحوارية الدولية العامة، وان هذا الحوار يعتبر المدخل الرئيس والمقدمة الأساس لإعادة ترتيب الفعل الحضاري للديانة المسيحية والديانة الإسلامية في الدور الإنساني المعاصر بما يتلاءم وضرورة أن يشكل هذا الحوار أيضاً حالة من التعاضد في منظومة القيم الواجب ان تمكث في الأرض في مواجهة الآثار السلبية للانفتاح والعولمة، ومن هنا لا بد من القول بضرورة إعادة ترتيب أسس الحوار ومنطلقاته وفق أجندة حاضرية تتعامل مع منطق الحوار بحكم ما يرمي إليه هذا الحوار من أهداف تتصل بالضرورة بكل الطيف الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وبما يؤثر إيجاباً في إعادة صقل الشخصية وفق هذه الأهداف، لا بل أن الحوار الإسلامي المسيحي هو النواة وهو المفصل المهم في إيجاد مرحلة التحول الحقيقي في العلاقات الدولية بما ينسجم وثوابت الحضارة الإنسانية وكل منظومة القيم والمثل والأخلاق، وضمن هذا السياق فإنه من الضروري في هذا النظام بيان الإطار الحاضن لهذا الحوار والذي لا بد له من أن يدور من بعيد أو قريب على محيط دائرته وبما يكفل الانسجام مع الظروف والمستجدات، ويمكن إجمال المستجدات الأساسية لأفق الحوار والإطار الحاضن له بما يلي:

1- الاعتراف بواقع الاختلاف الديني وبالحق في الاختلاف.

2 - البحث عن الجوامع والقواسم المشتركة ونقاط التلاقي في العقيدة والأخلاق بين المسيحية والإسلام.

3 - إن العالم يمر بثلاث ثورات متزامنة في الوقت الراهن، الأولى، ثورة سياسية تتمثل في الانتقال من الشمولية والسلطوية إلى الديموقراطية والتعددية واحترام حقوق الإنسان، والثانية، ثورة قيمية وتعنى بالانتقال من القيم المادية إلى قيم ما بعد المادية، والثالثة، ثورة معرفية وتتركز في الانتقال من الحداثة إلى ما بعد الحداثة.

4 - إذا كانت العولمة حتمية قائمة، فعلى حوار الأديان وكل قوى منظومات القيم الروحية أن تسعى لأن تجعل العولمة شاهداً تاريخياً حياً على نبل الذات

وشوقها الجوهري إلى الحرية بوصفها حافزاً «طوباويا» «كونيا».

5 ـ كما يصقل الخشب ليتزاوج مع بعضه البعض من دون مسامير أو غراء.. كما تعدل الحجارة لتبنى البيت.. كما يحلج الصوف ويلتف حول المغزل.. هكذا لا بد لحالة الحوار بين الأديان أن تستسلم لحركة المشاركة وقوانينها.

6 ـ لا بد للحوار من أن يحدث نقلة نوعية من حضارة أزالت المسافات بين الناس إلى حضارة تزيل المسافات بين المؤمنين.

7 ـ لا بد من إعادة تشكيل اللوحة العالمية على خلفية المشهد الإنساني الشمولي وضمن رؤى صناعة المستقبل وفق تلاقح الحضارات وعلى أساس توسيع قاعدة الشراكة لضبط إيقاعات حضارة الغد بما ينسجم والتناغم الصحيح مع منظومة القيم الإنسانية وإرساء معادلة التعاون الدولي الحقيقي.

❖ حالة التحول من العولمة إلى الأمركة قد فرضت واقعاً جديداً في العلاقات الدولية وأعطى ما يسمى بسياسة انتقاء الضربة التالية من قبل أمريكا قوة القرار الدولي.

8 ـ إن منطق إلغاء الغير مرفوض في قاموس الديانات، فالطبيعة لا تقبل الفراغ ومنطق قبول الآخر هو المقدمة الأولى لحوار الأديان وبالتالي حوار الحضارات.

9 ـ لا بد وأن ينتقل حوار الأديان من حوار الدفاع إلى حوار الشهادة أعني حوار الحياة وحوار التعاون على البر.

10 ـ لا بد من حوار الأديان من أجل التخفيف من حدة الموروث السلبي وتداعياته وما يحمله من أحكام مسبقة وإرساء قواعد موروث إيجابي بديل.

11 ـ إن السلوك العملي من أجل صون العدالة الاجتماعية وتعزيز السلام الإنساني الشامل، انطلاقاً من فكرة التوحيد، يشكل الأساس الممكن للتفاهم المتبادل والتعاون المرجو بين المسيحيين والمسلمين.

12 ـ إن مسألة الإرهاب المعاصر لن تنتهي بزوال مسبباتها بل هناك ضرورة لتبني المجتمع الدولي طريق حوار ناضج لاجتثاث الإرهاب وإلا لازمه سوء الفهم المتكرر والازدراء المتنامي.

13 ـ إن الحوار يشكل منظومة متكاملة من الاشتقاقات التي تسلط الضوء على الاعتراف بحقوق الشعوب في الحرية وتقرير المصير وفي مشروعية نضالات الشعوب من أجل استقلالها وبالتالي على الحوار أن يجسّد البعد السياسي للحضارة الإنسانية.

14 ـ مأسسة الحوار على أساس توحيد الاجتهادات ووجهات النظر فترسخ بفعل هذه المؤسسية أصالة الحوار واستمراريتها وتعميق بوصلة التوجه العام نحو حالة اصطفاف عالمي خلف منظومة الثوابت المستقرة، فهذا يعتبر من روافع الحوار ذاته وتوسيعاً أفقياً وعامودياً لأفق وآلية الحوار ودائرة تأثيره.

(الكنيسة أم الأمم والشعوب كلها... فهي لا تخص شعباً دون غيره ولا ترتبط بأي شعب أكثر من غيره، بل هي تخص الجميع وبصورة متساوية).

البابا: بيوس الثاني عشر

(لنرَ في هذا الأمر استباقاً لما قد يريد الله أن يراه محققاً في تاريخ الإنسانية: سيراً أخوياً نترافق فيه نحو هدف سام يعده لنا).

البابا يوحنا بولس الثاني

في ختام نهار الصلاة والصوم والحج لأجل السلام

حديث الفردوس الموعود بين التاريخ والأدب

د. عبد الله محمد الزيات*

أدب الرحلات جنس من الأجناس الأدبية، أو نوع من جنس النثر الفني في الأدب العربي، وأدب الرحلات هذا هو الأدب الذي يتحدث فيه صاحبه ويصف رحلته، وما رأى فيها ومن رأى، وما سمع ومن سمع؛ معالم جغرافية وأعلام مكانية حضارية، وظواهر مناخية وعادات وتقاليد اجتماعية ومذاهب ونحل ولغات ولهجات وسلوكيات متنوعة؛ قد تكون موافقة لما عهده صاحب الرحلة، وقد تكون مخالفة لذلك، جالبة انتباهه ومستحقة منه الوقوف عندها والتعليق عليها والمقارنة بينها وبين مذاهب أو لغات أو عادات أو آراء أخرى رآها وعرفها عبر الواقع أو من خلال الفكر والتنظير.

لقد كان هذا الفن النثري موجوداً في الأدب العربي بشكل حيي في كتب الجغرافية التي كتبها أصحابها من مكان وجودهم، ولم يرحلوا إلى المعالم والمدن التي يكتبون عنها مثل ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان، ولكن هذا الفن تطور عندما تعمّد أولئك الجغرافيون الضرب في مناكب الأرض والانتقال بين مشارقها ومغاربها، وتحول هذا الأدب الجغرافي[1] إلى أدب الرحلة، وصار هذا الأدب من أهم فنون الأدب العربي، بل صار في نظر الدكتور شوقي ضيف خير رد على التهمة التي ترمي الأدب العربي بالقصور عن فن القصة[2]، وألّف الكثير من علماء العرب والمسلمين كتباً في هذا الميدان، مثل ابن حوقل والإدريسي وابن خرداذبة، وقد خرّج الغرب الإسلامي عدداً مهماً من أولئك الأعلام الذين أبلوا بنصيب حسن في تحرير أدب الرحلات ومنهم؛ الإدريسي، وأبو عبيد البكري، وابن عربي، وعبد المنعم الحميري وابن جبير والتجاني والعبدري وابن بطوطة.

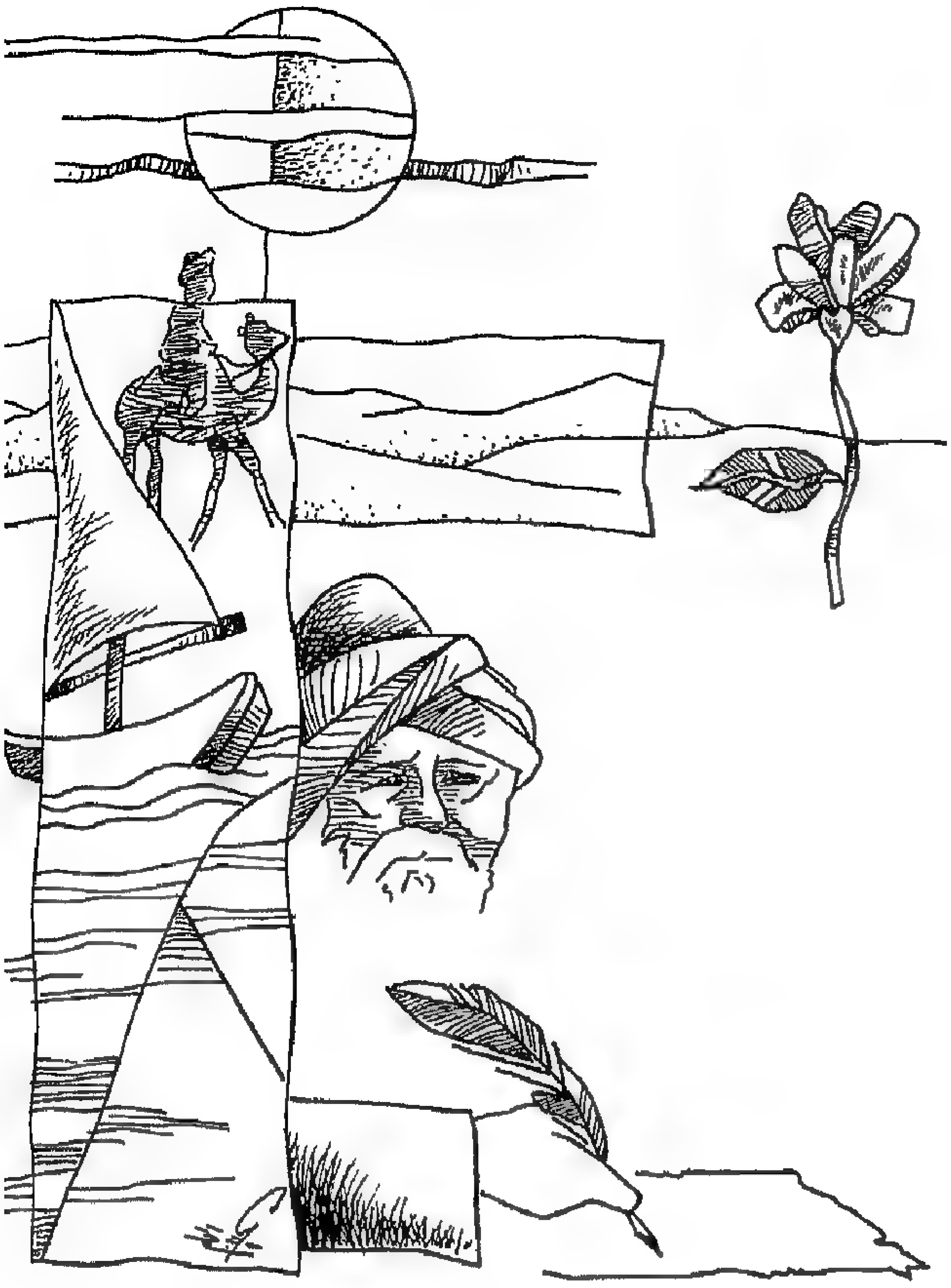
في العصر الحديث رحل كثير من العلماء والمفكرين إلى الأرض التي كانت قديماً تعرف بالأندلس وهي اليوم إسبانيا والبرتغال، حيث حلّ أولئك الرحالة ضيوفاً على تلك الأرض منفيين فيها كما هو الأمر في حال الشاعر أحمد شوقي، أو متسوحين سياحة العلماء والمفكرين أو موظفين يقومون بسفارات سياسية لهذا الملك أو الأمير، وفي الوقت نفسه يتأملون بعض ما يقابلونه أو يقع أمامهم من مشاهد تلفت الانتباه، وتجتذب الأنظار، كما فعل شكيب ارسلان ومحمد كرد علي، وأمين الريحاني،

* أستاذ جامعي / ليبيا

1 ـ ربما يقصد بالأدب الجغرافي كل ما كتب عن الجغرافية كما هو الحال عند كراتشوفسكي في كتابه تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب، وقد يقصد أيضاً بالأدب الجغرافي هو ما كان في لغته أسلوباً أدبياً فلم يقتصر على المعلومة الجغرافية بل اهتم بالقالب الذي توضع فيه فكان أسلوباً أدبياً قصصياً أو ترسلياً.
2 ـ انظر الرحلات ط2، دار المعارف، ص 5.

وأحمد زكي، ومحمد فريد، والورداني وأحمد عبد الرحمن السماوي[3] وغيرهم، وسجل كل أولئك ما شاهدوه وما وجدوه من انطباعات وملاحظات في أدب نثري يدخل ضمن ما اصطلح عليه بأدب الرحلات.

وتكمن القيمة الفنية في هذا الصنف من النثر «فيما يعرضه من مواده في أسلوب أدبي رفيع ذي خيال فني وأسلوب سردي قصصي معتمد على التشويق بما يقدمه من متعة ذهنية مع الحوار والوصف»[4]، وهي قيمة نعتقد أنها تحققت في رحلة الدكتور مؤنس موضوع حديثنا.



وقد كانت الأندلس موضوعاً أدبياً في العصر الحديث لدى أدباء المهجر وغيرهم سواء كانوا شعراء أم ناثرين، فما بالنا بالمؤرخين المعاصرين الذين اهتموا بالأندلس من جانب تاريخي بحت، أو تاريخي أدبي، وأبرز الفريق الثاني المرحوم الأستاذ الدكتور حسين مؤنس الذي ترك العديد من الأعمال التاريخية الصرفة التي تتناول تاريخ الأندلس والمغرب العربي الكبير، كما ترك العديد من الأبحاث والمقالات التي يتحدث فيها عن جغرافية وجغرافيي الغرب الإسلامي وخصوصاً الأندلس التي كان له اتصال كبير بها عبر التاريخ وعبر الواقع؛ حيث أقام أو تنقل في إسبانيا والبرتغال لوقت غير قصير؛ فقد رحل هنالك عدة رحلات وذرع أرض الأندلس شرقاً وغرباً، وجنوباً وشمالاً[5]، إذ كان من المؤسسين الأوائل للمعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، وبقي فترة غير قصيرة في رئاسة هذا المعهد، وهو معهد يهتم بالدراسات العربية، وبالتراث العربي عموماً والأندلسي منه بوجه خاص، ولعل مبرر مؤسسيه في ذلك لأنه موجود على بقعة ورثت رفعة ما كان يعرف بالأندلس، وأوضح ما يدل على ذلك أن المدينة التي يقوم على أرضها هذا المعهد، كانت أيام الأندلس تعرف بالاسم العربي مجريط كما سجلت كتب التاريخ والجغرافية وكتب تراجم الرجال.

كان من أعمال الدكتور حسين مؤنس التي تفرد فيها بين أعماله الغزيرة[6] كتابه رحلة الأندلس عندما جاب نواحيها متأملاً ومؤرخاً ومعتبراً، ولعله في هذه التسمية أراد أن يقول بان الأندلس رغم انتهائها تاريخياً فإنها من ناحية الأثر والحضارة ما زالت باقية، ولكنه بقاء لا يدركه إلا من عرف التاريخ ودرس تجارب الأمم ومقدار آثارها ومساهمتها في الحضارة

3 ـ هذا كاتب ليس معاصراً للسابقين وقد قام برحلته في سبتمبر 1982، انظر رحلة إلى الفردوس المفقود، ط2، 1988، كذلك لا ننسى أن نذكر أن صحافياً وباحثاً ليبياً قد زار الأندلس في الثمانينات وهو الدكتور عبد العاطي محمد عبد الجليل، وقد سجل رحلته تحت عنوان أوراق أندلسية وقد أصدرتها له جمعية الدعوة الإسلامية.

4 ـ أنظر أدب الرحلة عند العرب لحسني محمود حسين، ط2، دار الأندلس، بيروت 1403/ 1983، ص 8، 9.

5 ـ يقول بأنه قطع الأندلس من شماله إلى جنوبه ومن شرقه إلى غربه عشرات المرّات، انظر ص 18.

6 ـ انظر Malaga 1992, p. 174. a, Arguval, Mapfre, M Pedro Martinez Moktavez Al-Andalus, Espa

الإنسانية، أو ربما يمكن تفسير المعنى الذي أراده الكاتب بالفردوس الموعود أن الأندلس رغم انتهائها من الناحية الواقعية اليوم، فإنها كانت في يوم من الأيام فردوساً موعوداً، يحلم به كثير من المحرومين والمغامرين والمتطلعين إلى غد أفضل من ناحية علمية أو سياسية أو اقتصادية.

وعلى أية حال فإن الدكتور مؤنس كان متفائلاً بخروج الأندلس من المحنة، متعظاً بها خير اتعاظ كما نفهم من خلال هذا العنوان؛ فلم يقل لنا كما قال بعض الكتّاب المعاصرين له إن الأندلس فردوس مفقود بمعنى أنه ضاع وعلى محبيه أن يندبوا إلى الأبد فلن يرجع وعليهم أن ينسوه، وإنما قال إن الأندلس مثل واعد بالحضارة والمثل والقيم وهي حيثيات يسعى إليها النوع البشري في أغلب عمومه والأمم المتحضرة بأسرها، وهكذا فحين يعنون بالعبارة موعود لا مفقود ربما يحاول أن يفسر ذلك العنوان الفردوس الموعود على الأندلس بقوله «الماضي لا يموت إلا بالنسبة للأموات»[7] وهو بهذه العبارة يفتح الأفق على مصراعيه أمام القارئ ليتأمل معه تاريخ الأندلس وماضيها العريق ليس كتاريخ مضى وانتهى، وإنما هو تاريخ حي ماثل بين التواريخ الفاعلة للأمم تستلهم منه وتتعظ به، وتتخذ من معالمه المضيئة نبراساً لها تسير على هدي منها، كما تجعل من معالمه المعتمة علامات حمراء تنبهها وتوقظها من غفلة قد تقع فيها قريباً اليوم كما وقع فيها أجدادنا وأسلافنا الأندلسيون بالأمس، نعم أجدادنا وأسلافنا المتكلمون بلساننا المتدينون بديننا وربما كان الكثير منهم يشتركون معنا في الانتساب إلى القبائل العربية التي انتشرت قبل الأندلس في الجزيرة العربية والشمال الإفريقي، بل هم حسب المصادر العربية كلهم كذلك ولكن نعتقد أنه حسب الواقع يجب أن نقول بعض منهم أو ربما كثير منهم هم كذلك لأن أرض الأندلس لم تكن صحراء خالية من البشر قبل دخول المسلمين بل إن التاريخ ليشهد بحضارات كثيرة عرفتها هذه الأرض قبل الإسلام، وإن التاريخ ليشهد أيضاً أن شبه جزيرة إيبيريا إن لم تعتنق الإسلام كلها فقد تعرّبت كلها أو في أغلبها.



أحمد شوقي

وفي رحلة الفردوس الموعود يقرر الدكتور مؤنس في مواضع عديدة أن المسلمين لم ينهزموا في الأندلس لأنهم فرطوا في الجهاد، أو تقاعسوا عن الدفاع عن الأوطان بل لأن الظروف هي التي كانت لا تواتيهم فيقول بعد أن سرد كثيراً من حقائق الجهاد ومعلومات عن بعض قواد حركة الجهاد في الأندلس: «ولكن الحقيقة التي أريد أن أثبتها تحتاج إلى تكرار وتكرار... وهي أننا لم نخسر الأندلس عن تخاذل أو استنامة إلى الترف، وإنما فقدناه كما يفقد الجندي الباسل معركة وسلاحه في يده، تضيع المعركة ويبقى شرف البطولة والاستشهاد»[8]، ومهما كان رأي الدكتور مؤنس في هذه القضية فنحن نعتقد أن هذه الصورة لا تصدق على كثير من الأندلسيين وهي إن صدقت على أغلب الشعب الأندلسي فإنها لا تصدق على كثير من حكام الأندلس؛ ونعني بالتحديد بعض القواد أمثال ابن الأحمر الذي لم يكن مجاهداً بقدر ما كان يؤسس إمارة ويسعى لمجده الخاص، وإلا فإن دويلته لم تقم إلا بمساعدة قشتالة ضد ابن هود؛ فقامت دولة المدعوم من قبل الصليبية ومن كان يبني مجداً لنفسه، على أنقاض دويلة ابن هود الذي كان مجاهداً بحق، ومدافعاً عن الأندلس حين قلّ المدافعون.

7 ـ ص 7.
8 ـ ص 232.



غرناطة

لقد جمع الدكتور حسين مؤنس في رحلة الأندلس بين الجغرافيا والتاريخ والأدب جمعاً موفقاً في رأيي حيث يجد في رحلته هذه كل منشد من منشدي هذه الفنون مبتغاه؛ فيجد المؤرخ الأخبار والوقائع التاريخية ماثلة حية مغربلة موثقة، ويجد الباحث عن الأدب المتعة الأدبية التي تبعثها الصورة والخيال في غير مجانبة للحقيقة ولا بعد عن أحداث التاريخ، مع الأسلوب العذب الذي تسلم فيه كل عبارة إلى الأخرى وكل كلمة إلى أختها، كما أن الباحث لمعرفة تضاريس الأندلس وطبيعة أرضها ومناخ أقاليمها، وطبيعة عمرانها سيجد ما يشفي له غلة في رحلة الأندلس.

ومن بين المناظر الأدبية التي نجد فيها التصوير المباشر الذي ينقلنا عبره الكاتب في صور محسوسة مرئية المقطع التالي: «ونبدأ من قادس مدينة ساحرة تقوم على طرف ذراع ضيق من الأرض طوله اثنا عشر كيلومتراً تمضي فيه والبحر عن شمالك ويمينك»[9].

والأدب على أية حال يجلل كل الفقرات والقطع حتى إننا لا نستطيع أن نجاري المستعرب بدرو مونتابث في القول بأن الجزء الأول كان يحمل أغنى المقاطع الأدبية في الرحلة[10] بل إن كل الرحلة مليئة بالفن الأدبي، وكلما عثر القارئ على مقطع اعتقد أنه الأغنى من الناحية الأدبية تكشف له ما هو أكثر غناء.

وتلح على الكاتب دائماً صورة سقوط الأندلس؛ فهو لا يفتأ يتذكرها ويذكر بها بين الفترة والأخرى؛ ففي حديثه عن رندة يتوقف عند تاريخها كثيراً ليتوقف عند حكاية سقوطها[11] وهو كذلك في الحديث عن مالقة[12] وفي أحاديثه عن أغلب مدن الأندلس.

ومن عباراته ذات الأبعاد الأدبية الموحية قوله بعد حديثه عن سقوط غرناطة وما أعقب السقوط: «لندع الماضي وراءنا، ولننظر إلى الطريق من حولنا»[13]

9 ـ رحلة الأندلس 247.

10 ـ انظر Malaga 1992, p. 176. a, Arguval, Mapfre, M Pedro Martinez Moktavez Al-Andalus, Espa

11 ـ ص 250، 251.

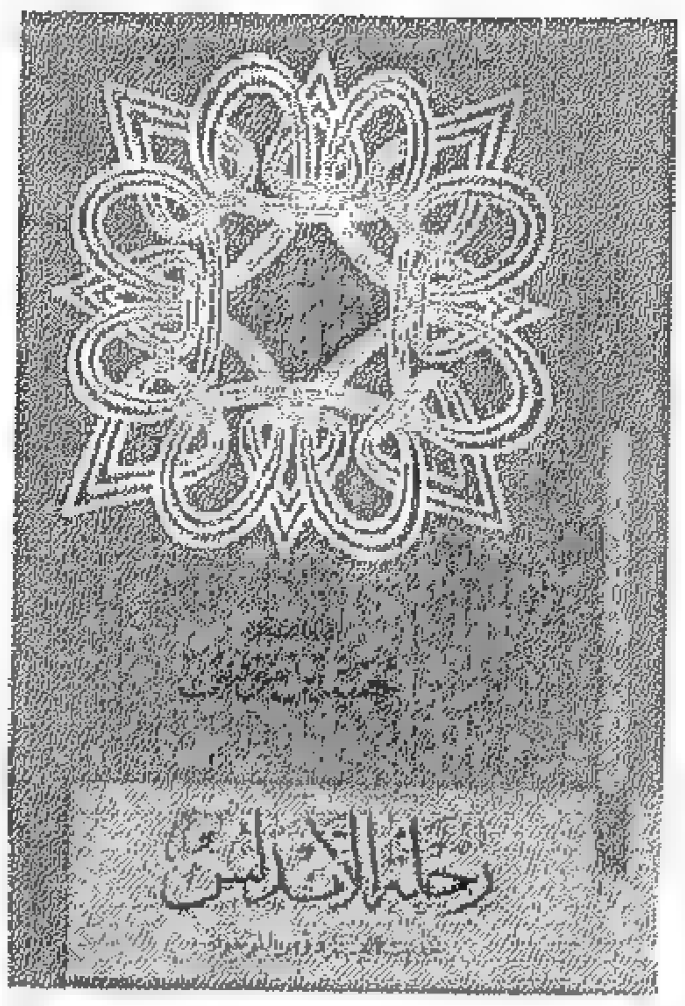
12 ـ ص 253.

13 ـ 160.

فاعتقد أن هذه العبارة مشحونة بالإيحاء والرمزية ومما يمكن أن نفهمه منها نحن العرب والمسلمين أن الأندلس إذا كانت قد سقطت فإن ذلك قد بقي تاريخاً، ولكن يجب أن نبدأ من هذا التاريخ ولا ننتهي عنده، فالشعوب الحية تصاب بنكبات وتتعرض لهزات ولكنها لا تفقد الأمل بل تخرج من المحنة وقد استفادت درساً يدفعها إلى الأمام، ولا يشدها إلى الوراء.

ومن الصور الجميلة التي ينقلنا فيها الكاتب عبر الخيال ولكنه الخيال الواقعي الذي له جذور في التاريخ قوله محدثاً قارئه، أو من يمكن أن يرحل عبر الأندلس: «هذه الليلة التي تقضيها في غرناطة قبل زيارة الأثر العظيم (الحمراء) تأذن لك في أن تتأمل من شرفة أحد الفنادق الجميلة القائمة أعلى التل «بقاع»[14] غرناطة وسهولها، وهذه الرياض التي تمتد أمام بصرك في ظلام الليل وقد شملها سكون الأبد... في موقفك هذا وقف سلاطين غرناطة وقوادهم وأهل الحراسة والحرب، يتأملون هذه الأرض المباركة يستولي عليها العدو شبراً شبرا، في قسوة القدر... كل يوم يتقدم خطوات ويستولي على بلدة أو قرية... تحت بصرك ميدان من ميادين الجهاد والأبطال، عند الأفق ترى خط الحدود الذي وقف عنده رجالنا يقاتلون»[15].

ومؤنس حين يسجل التاريخ في رحلته هذه لا يلقيه تاريخاً ميتاً وحدثاً مجرّداً عن كل دلالة بل إنه ليعانقه معانقة من الصعب الفصل فيها بين التاريخ والمؤرخ، بين الأمس واليوم بين ما كان وما هو كائن الآن؛ انظر في هذا المقطع الذي يتحدث فيه عن لغوي أندلسي كبير، وهو ابن مالك، وذلك عندما كان يسرد بعض ما لهذه المدن الأندلسية من آثار وما أثارته في نفسه من شجون، يقول: «وفي جيان، تسمى اليوم خايين، غير بعيد عن قرطبة، خيل إليَّ أنني لو فتحت دفتر التلفون لوجدت اسم جمال الدين بن مالك صاحب الألفية وعنوانه، ولاستطعت الحديث إليه...»[16].



غلاف كتاب رحلة الأندلس للكاتب حسين مؤنس

فلشدة علاقة الكاتب بتاريخ الأندلس تخصصاً وانتماء، ولشدة معرفته عن طريق التاريخ بهذا العالم، صار كأنه قاب قوسين أو أدنى من اللقاء به، حتى كأنه لم يعد من فاصل بينهما إلا هذه الدقائق القليلة التي يستغرقها البحث في دليل أرقام هواتف المدينة، التي سيجد بينها رقم هاتف ابن مالك، ومعلوم أنه بعد إيجاد الرقم سيهاتفه ويتصل به، ويحدث اللقاء والتلاحم ولكنه لقاء عبر الخيال والصورة، أي عبر الأدب، هو ليس لقاء حقيقياً ولكنه يحتوي على مجموعة حقائق لا تستطيع أن تتنصل منها حقيقة اللقاء.

ومن هذا القبيل أيضاً قوله في موضع آخر: «وفي لوشة، تسمى اليوم لوخا... وهي بلد لسان الدين بن الخطيب، وقفت ذات صباح أمام دار عربية الطابع في وسطها نافورة ينساب منها الماء في رفق موسيقي، خيل إليَّ أن لسان الدين هناك مسنداً ظهره إلى الناحية الأخرى من النافورة مقبلاً على تأليف كتاب جديد»[17]، ومعروف لدى من له بعض إلمام بتاريخ الأندلس أن لسان الدين هذا كاتب وأديب ومؤرخ أندلسي بل هو من اشهر رجالات الأندلس ومن معالم مجدها ورموز عزها الغابر، لكن لننظر كيف حياه كاتب الرحلة حين تفاعل معه فتخيله ببيته الذي يزوره

14ـ يشير الكاتب هنا إلى مرج غرناطة المعروف بالاسم الاسباني La Vega de Granada ولعله يوحي بطريقة خفية إلى أن اصل الاسم عربي أي البقعة.
15ـ 167 ـ 138.
16ـ رحلة الاندلس 12.
17ـ رحلة الاندلس 11.

الكاتب بعد أن أعطاه ملامح البيت الأندلسي، ولننظر كيف تخيله؛ جالساً أمام نافورة يهم بتأليف كتاب جديد! ثم للنظر لبقية عناصر الأدب؛ صورة مرئية تعبّر عن هوية، تموج بالحركة وتزخر بالحياة، بل لم تنقصها المؤثرات الصوتية «دار عربية الطابع، في وسطها نافورة ينساب منها الماء في رفق موسيقي».

إن فن الكاتب الأدبي هنا في الرحلة يذكرنا بخيال أدبي مبدع لدى أبناء الفردوس الموعود المبدعين، وهو ابن شهيد في رحلته الشهيرة رسالة «التوابع والزوابع» التي أقامها على تخيل لقاءات بين أصحاب الشعراء والكتّاب، وكان من مقتضى إبداعه أنه اخترع أجواء ليلتقي فيها بأصحاب الكتّاب والشعراء وجعل لحمة هذه الأجواء وسداها من عالم هؤلاء الشعراء والكتّاب في الحياة الدنيا، وكذلك فعل حسين مؤنس حين تخيل ابن الخطيب وتخيّل له بيتاً أندلسياً وتخيّله بكيفية وأجواء مطابقة كثيراً لما كان واقعاً وحقيقياً في حياة ابن الخطيب وذلك عندما تخيله في الجانب الآخر من النافورة مسنداً ظهره، يهم بتأليف كتاب جديد، فلا أعتقد أن هذه العناصر من النافورة وإسناد الظهر والهم بتأليف كتاب جديد جاءت عبثاً بل إن فيها لاختياراً مقصوداً.

ومن مقاطع التاريخ الصرف في الرحلة قوله متحدثاً عن تاريخ سقوط بعض المدن: «لقد سقط خط الوادي الكبير كما رأيت فيما بين 1230 ـ 1250 في هذه السنوات العشرين التي أعقبت تصدع دولة الموحدين، ضاعت بلنسية ودانية وجيان وقرطبة وإشبيلية.

ومن هذا التاريخ الصرف أيضاً قوله يتحدث عن الصالة التي تدعى بالمشور، وهو مكان مخصص لجلوس الأمير مع وزرائه وأهل دولته، ولعله المكان الذي تتخذ فيه الشورى أي أن الصيغة اسم مكان: «مشور الحمراء كان مخصصاً لاجتماع السلاطين برعاياهم ويذكر ابن فضل الله العمري ـ وهو معاصر لبني الأحمر، إذ عاش وكتب في القرن الرابع عشر الميلادي ـ أن السلطان كان يقعد للناس فيه يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع، وكان يحضر هذا المجلس معه أولاده ونفر من قرابته ورجال حاشيته، وقد تمّ إنشاء هذه القاعة سنة 1365»[18] فهو هنا يهتم بالأحداث فيثبتها ويوثقها من مصارها الأولى دون أن يكون له هدف أدبي واضح في مثل هذه الفقر.

ورغم أن الدكتور حسين مؤنس يكتب التاريخ والأدب باعتباره مثقفاً عربياً متخصصا في التاريخ؛ أي التاريخ الإسلامي بصفة خاصة ثم الأندلسي بشكل أخص فإنه لم ينسَ أن يهتم في هذه الرحلة بذكر ما هو إسباني أو إسباني لاتيني كما ذكر المستعرب بدرو منتابث[19]، نجد هذا مبثوثاً في رحلته مثل ذكره للكنائس المعاصرة التي قامت على أنقاض المساجد والتماثيل التي وجدت بها وكانت قد صنعت من الذهب، أو حديثه عن كولون في الرواية الإسبانية، وكولومبس في الرواية الإنجليزية[20].

ومن الصور الأدبية المفعمة بالدلالات التاريخية والقيم المعنوية التي يريد الكاتب أن يبثها بين متلقي أدبه، قوله متحدثاً عن قصور الحمراء مخترعاً لها هذا التصوير الجميل الموحي بالدلالات المختلفة التي ربما بدت متناقضة في بضع الأحيان: «إنها علب جميلة لحفظ الجواهر... نحن نرى الحمراء عارية لا أثاث ولا سكان، كلما وقفتُ في قاعة بني سراج، أو في قاعة الأختين خُيِّل إليَّ أنني داخل صندوق مجوهرات أو علبة حلوى»[21] فعلبة المجوهرات رغم أن ما بها ثمين، أو تتخذ لحفظ الأشياء الثمينة، فهي للحفظ لا أكثر،

---

18 ـ 184.

19 ـ انظر Malaga 1992, p. 176. a, Arguval, Mapfre, M Pedro Martinez Moktavez Al-Andalus, Espa

20 ـ انظر مثالاً على ذلك الرحلة ص 135.

21 ـ 191.

وكذلك قصور الحمراء هي علب للحفظ أو لحمل شيء ما لعله التاريخ والمجد، أو لعله شيء نتسلى به ونتعزى، كما يجد الإنسان بعضاً من التسلية والعذوبة في الحلوى ولكنها عذوبة وتسلية لا تغنيان عن طعام، فهما مكملان وليسا رئيسيين وكذلك متاحف التاريخ هي أشياء مهمة يحافظ عليها ولكن لا يكتفي بها. ثم يقول مسترسلاً في الحديث عن تلك القصور، واصفاً إحساسه في بعض الحالات التي يلم فيها بتلك المتاحف، باثا لبعض الرسائل التي يريدها أن تصل المتلقي: «في أحيان أخرى أحس أنني قد اقتحمت مخدعاً على صاحبه وأنني لهذا ينبغي أن ابادر بالخروج، يستولي عليَّ هذا التوقير الذي نشعر به معاشر العرب لِحُرم الناس؛ فهذه مخادع نوم، ومجالس راحة، لم يخطر ببال صاحبها أنها ستكون في يوم ما مكاناً عاما».

فانظر إلى اقتحام المخادع! فلا نعتقد أنه يقصد نفسه بالذات؛ بل إنه يقصد تدافع حضارتين في منطقة التدافع وهي الأندلس، فيا ترى من هو الذي اقتحم مخدع الآخر؟ الشرق الإسلامي أم الغرب المسيحي؟ ونترك الإجابة عن هذا التساؤل، ليجيب كل قارئ بما تبدى له من التاريخ والحقائق حسبما يراها!

ثم هذه القيم العربية التي يصورها بعبارته «هذا التوقير الذي نشعر به معاشر العرب لحرم الناس» وليقارن القارئ بعد ذلك هذا الكلام بالكلام السابق، لعله يجيب عن السؤال السابق أيضاً؛ من كان المقتحم لحرم الآخر؟

ثم عري قصور الحمراء الذي يتحدث عنه وإن كان عرياً مجازياً قصد منه خلوها من السكان والأثاث الذي عادة ما يتخذه المعمرون للمكان، نعتقد أن له وجهاً إيحائياً رمزياً؛ فعريها عبارة عن انكشافها أمام الغزاة حتى إنها أصبحت مباحة لهم، حتى تمكنوا منها.

ويسترسل الكاتب متحدثاً بلسان الأديب فيقول: المخادع خالية ولكن الخيال يكمل الصورة: هنا كانت وسائد تدور مع الجدران، هذه الأرض كانت تغطيها السجاجيد، وهنا ـ عند الشرفات التي تطل على الحريقة ـ كانت أرائك، إذا أغمضت عينيك أحسست وكأن الحياة تدب فيما حولك، نساء الحريم[22] غاديات رائحات، همسهن الرقيق يملأ جوانب القاعة ويتصاعد نحو هذا السقف المثقل بالزخرفة، ويضيع هناك كما يضيع كل همس. ويسود الصمت.. الصمت هو الساكن الوحيد هنا، صمت رهيب يزيده خرير الماء عمقاً ورهبة، الماء ينبعث من نافورة في وسط البهو، تستند إلى اثني عشر سبعاً من الحجر، تمج الماء من افواهها. هذه السباع هي اقل هذه القطعة الفنية جمالاً ولكنها اشهر ما فيها، الشهرة دائماً لا تتمشى مع الحقيقة والجمال.

بمنطق التاريخ والواقع لا شيء يوجد اليوم مما كان موجوداً بالأمس؛ المخادع هنا خالية؛ خلاء يكتسح المخادع، ولكن بمنطق الأدب والخيال لا شيء ينقص من عناصر الصورة الحية المفعمة بالحركة والنشاط؛ غدو ورواح، هدوء وهمس، وصمت رهيب، وأجمل ما في رهبته خرير الماء.

ثم ينطلق مؤنس من هذه الصورة لتماثيل السباع ليقرر حقائق تشبه الحكمة فليس كل ما هو مشهور متطابق مع الحقيقة، وليس كل ما هو مشهور متناسق مع الجمال؛ فكم من أمر شهير هو مع الحقيقة في تناقض وتضاد، وكم من أمر مشهور هو متناف مع الجمال، متآلف مع القبح بل هو القبح نفسه.

ومن عباراته التاريخية الأدبية هذا المقطع التالي الذي يتحدث فيه عن مئذنة اشبيلية بعد أن تحدث عن

22 ـ في قصور الحمراء توجد صالة تدعى بصالة الحريم.

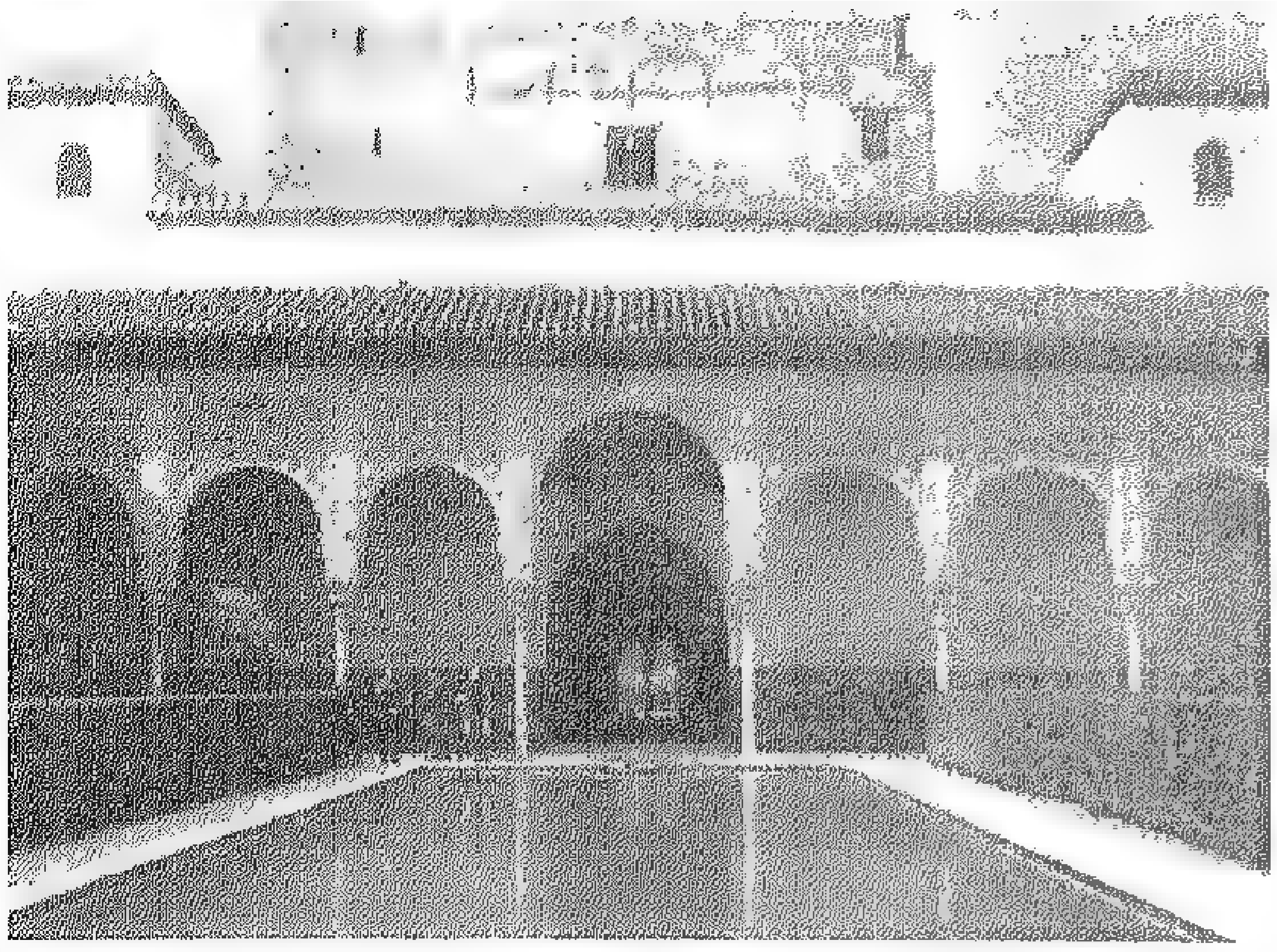
23 ـ 139.

طريقها أو مصعدها الذي يُرقّى فيه مقدار سبع طوابق دون سلم: «بعد ذلك كانت ترتفع المئذنة، وكان في أعلاها ثلاث كرات ضخمة تسمى التفاحات أو التفافيح مغطاة بطبقة سميكة من الذهب كانت تتألق من بعيد، كان ملوك الإسبان يقتربون إذ ذاك من إشبيلية شيئاً فشيئاً ونظرهم مثبت في هذه الكرات الذهبية الرائعة التي كانت تبدو لهم في ضوء القمر وكأنها النجوم في الفلك»[23].

ولعل أحداً ما يفهم من هذه الصور الحية للتاريخ أن ملوك قشتالة كانوا يتطلعون إلى شيء كبير وذي قيمة، وهو الاستيلاء على الأندلس وكانوا يرونه بعيداً مثل النجوم عائمة في سماء الفلك البعيد.

وينتشر التاريخ والأدب ممتزجين في أغلب ثنايا الرحلة؛ يقول مشيراً إلى الفترة المعروفة بفترة الفتنة في الأندلس، حين تصارعت القوى المختلفة هنالك باسم هذا الأمير الأموي أو ذاك، وحوصلت القضية فيما بعد فيما تصولح عليه بالفتنة البربرية بقرطبة التي كانت عاصمة الأندلس، وحينها وجدت الصليبية الفرصة سانحة لأن تطل برأسها الذي أصاب العالم الإسلامي في ذراعه الأيمن: «عشرون سنة سوداء كان الأندلس خلالها دون دولة تقريباً... مدن كبرى لها في تاريخ الحضارة العربية والعالم مجلدات وقفت في العراء أمام حرب صليبية يقوم بها ملوك وراء كل منهم ألوف الفرسان مدرّعين بالحديد الثقيل... ومن وراء جبال البرتات (البرانس) Pirineos أقبل ألوف آخرون من المحاربين الصليبيين تدفعهم البابوية وتؤجج النار في قلوبهم... ومن وراء البحر أقبلت أساطيل الجمهوريات الإيطالية... مشحونة برجال حريصين على ألا تفوتهم الغنيمة الباردة».

ولقد وقف الكاتب في رحلته عند آثار الأندلس الباقية بإسبانيا اليوم، وأكثر ما استوقفه قصور



الحمراء، ربما لروعة بنائها ومحافظة الإسبان على هذا البناء لتعهدهم إياه بالعناية المستمرة مما جعل التاريخ يعيش حياً في هذه القصور، ولكنه حي يندب الأموات؛ يقول مؤنس: «وهذه المنشآت تبدو صامتة، ولكن صمتها ناطق بليغ يهز النفس هزاً، كالدمع الذي ينحدر على وجنة المحزون الكتوم، يهز نفسك على صورة لا يبلغها المعلن بالصياح، المجهش بالبكاء...»[24] ووقفات مؤنس عند الآثار الأندلسية ليس تاريخاً حزيناً عند الوقوف بقصور الحمراء فقط، بل هي كذلك في كل مكان من جزيرة الأندلس لان كل شبر في هذه الجزيرة مجلل بآثارنا التي لا تخلو منها بقعة أندلسية يقول: «هذه الجزيرة كلها موشاة بآثارنا لا تخلو منها مدينة، بل قرية، ولكنها من ذلك النوع الحزين من الآثار؛ بقايا وأطلال وخرائب تجدها مطمورة تحت البيوت حيناً، أو معزولة وحدها في البرية خارج البلاد أحياناً، نجدها هناك وحدها كأنها قطرات دمع تجمدت على صفحة الأندلس، دموع الزمان على المجد الذي كان!»[25].

ولكن الدكتور حسين مؤنس العربي المسلم المؤرخ المختص في التاريخ الإسلامي والأديب المتذوق للأدب العربي لا يفوته أن يجعل لوقوف العربي والمسلم على آثار الأندلس معنى لا يراه يوجد عند غير العرب وغير المسلمين، ذلك المعنى هو أخذ العبرة من هذه الآثار، والربط بين ما كان وما هو كائن في بلاد المسلمين والعالم أجمع، يقول بعد الحديث في

24 ـ 223.
25 ـ 223. الرحلة ص 7.

تاريخ أسباب السقوط للأندلس والوقت الذي استغرقه هذا السقوط: «هذه الآثار يراها غيرنا ليستمتع ويطرب، وهو يتعجب ـ وهو يراها ـ كيف ضاع الذين بنوها ومضوا مع أمس الدابر،أما نحن فنراها لنتعظ ونعتبر، ما زرتها مرة إلا وقع في خاطري أن الله سبحانه أبقاها لحكمة عنده، أبقاها لنرى من خلالها ما ضيعناه، أبقاها لكي يقول الواحد منا لنفسه: هذا هو الحطام، فكيف كان السفين؟! هذه هي البقية فكيف كان الكل، وهذا الكل ضيعه أجدادي غفر الله لهم... ضيّعوه لأن قلوبهم خلت من المثل الأعلى... نسوا أن الأوطان لا تحمى إلا إذا كان أهلها صفا كالبناء المرصوص...».

إن الأسلوب الأدبي في هذه الرحلة ليدلك عليه شغفك بإعادة قراءة هذه الرحلة متى ما فرغت منها، فصارت بالنسبة لقارئها كالفردوس الموعود لصاحب الرحلة؛ طوف به مرات كثيرة، ولكنه ما زاره مرّة إلا شعر كأنه يزوره لأوّل مرّة»[26]، فهذه هي ميزة الأدب؛ يحب الإنسان إعادة قراءته مهما تكررت، ربما يمل القارئ الإعادة لنص قد فرغ منه لتوه إلا أن يكون هذا النص مما يصدق عليه الأدب بجدارة، فعندها كلما ابتعد عنه زاده ذلك تعلقاً به، وحنيناً إلى إعارة قراءته؛ لأنه يجد فيه المتعة التي هي خصيصة الأدب، وهي التي تمنحه خصيصة الخلود الذي يعني أن النص الأدبي يبقى أدباً محبوباً لقرّائه مهما تقادم عليه الزمن كما هو الشأن في الأدب الجاهلي أو غيره من الآداب العالمية التي مضى عليها مئات السنين وربما آلاف السنين، ولكن قارئها اليوم يجد فيها متعة كما وجد فيها قارئها قبل آلاف السنين؛ ربما هي متعة مختلفة قليلاً، ولكنها متشابهة في كونها المتعة التي يحدثها الأدب، وما ذلك إلا لأن الإنسان واحد في عواطفه ومشاعره وأحاسيسه؛ نعم قد يكون هناك اختلاف ولكنه بقدر يسير، إنه اختلاف أفراد الجنس الواحد في الحالات العارضة والمقادير غير المتطابقة، وإلا فالعواطف واحدة من الرحمة والخوف والشفقة والحزن والفرح والطرب والمحبة والعطف والحقد والكره والتسامح والعفو إلى غير ذلك مما يثيره أدب اليوم كما أثاره أدب الأمس، ومما يثيره الأدب العربي كما يثيره أدب أي أمة من الأمم.

وعلى أية حال فإن رحلة الفردوس الموعود «تظل كتاباً رئيسياً ذا أهمية كبيرة في صياغة الموضوع الاسباني في الأدب والتفكير العربيين المعاصرين، وهو ما استحق أن يقوم بشرحه شخصية مصرية جداً مثل طه حسين الوطني الأصيل وغير المختلف فيه في هذه الثقافة وهو ليس شيئاً سوى كونه بياناً آخر لأهميته»[27]، وإذا كانت الرحلة تثري أدب الرحالة نفسه كما رأى الشيخ محمد الخضر حسين[28] فإن رحلة مؤنس قد أثرت الأدب العربي الحديث قبل إثرائها أدب الكاتب، وإذا كان الأندلس قد تحول إلى موضوع أدبي في آداب أمم أخرى مثل الأدب القشتالي ثم الأدب الاسباني[29] فلمَ لا يتحول إلى موضوع له أكثر من جانب علمي وفني لدى العرب والمسلمين، خصوصاً لدى من عرف الأندلس معرفة حقيقية عبر التاريخ والكتب في لغات شتى، وعبر الواقع والحياة ضمن أسفار عديدة، وإقامة ليست قصيرة على أرض ورثت تركة الأندلس، ونعني بذلك أمثال المرحوم الدكتور حسين مؤنس؟!

المصادر والمراجع

أدب الرحلة عند العرب لحسني محمود حسني، ط2، دار الأندلس بيروت 1403/ 1983.

تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشوفسكي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1408/ 1987.

الرحلات، لمحمد الخضر حسين، جمعه وحققه علي الرضا التونسي، ط2، دار المعارف 1396/ 1976.

رحلة الأندلس، حديث الفردوس الموعود، لحسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1963.

رحلة إلى الفردوس المفقود لأحمد عبد الرحمن السماوي، ط2، 1988.

Rabe Mapfre, 1992, p.251. S. Rubıera Mata Literatura hispano Madrid, 1992.

A, Arguval, - Pedro Martınez Montavez Al-Andalus, Espa Mapfre, Malaga 1992.

26 ـ انظر Espa ,Pedro Martinez Montavez Al-Andalus, M a en la literatura, rabe, p. 187

27 ـ انظر الرحلات جمعه وحققه علي الرضا التونسي، 1396/ 1976، ص 16.

28 ـ انظر S Rubiera Mata Literatura hispano rabe Mapfre Madrid, 1992, p. 251.

أهمية نقل المصادر الإسلامية إلى اللغة الصينية

د. مافود يوسف سراج*

قد دخل الإسلام في الصين منذ أكثر من 1300 سنة وبلغ عدد المسلمين بها أكثر من ثلاثين مليون نسمة. وخاصة قد ظهرت رغبة شديدة لدى الشعب الصيني في التعرف على الإسلام وحضارته في هذه السنوات الأخيرة. ولهذا ينبغي أن يلقي العالم العربي والإسلامي نظرة إلى الصين ويعطى الموضوع أهميته.

ونظراً لعملية الترجمة سواءً في وقتنا الحاضر أو العصر القديم فليس من الصعب أن نعترف بأن عملية الترجمة من لغة إلى لغة أخرى هي أنشط الأعمال في مجال المعارف الإنسانية وتبادلها بعضها مع بعض. وكما لعبت دوراً هاماً لا يخفى لكل ناظر عاقل في دعم التفاهم بين الشعوب وتعايشهم بجوار في الأمن والسلام. وذلك بأنه بجهود المترجمين صار التراث لشعب ما مستفيداً عند الشعوب الآخرين وصار التبدل الفكري البشري من الأمور الممكنة. وبها يحسن التفاهم بين الشعوب والأمم. ولهذا قد اقترح كثير من الباحثين بأن تحل كلمة التبادل الحضاري أو التعاون الحضاري محل كلمة الترجمة. وكما لا يخفى أن عملية الترجمة سواء كانت ظاهرة حضارية أو حركة فكرية أو فناً من الفنون العلمية لا تستطيع أن تقطع علاقته بالزمن الذي يعيش فيه. ولذا تكون نظريتها وطرقها ومعاييرها وفنونها لا بد أن يواكب ركب الزمن والعصر.

1 ـ الترجمة ونشر الحضارة

من المعروف إن أي حضارة من الحضارات كان انتشارها الواسع لا يستغني عن عملية الترجمة. وفي العصور الوسطى قد حفظت الأمة العربية عن طريق الترجمة تراث الحضارة القديمة التي قد اندثرت في العالم الغربي ثم أداها الأمة العربية للبشرية بعد الاستفادة والهضم والابداع. وطبعاً قد تركت جهود الامة العربية أثراً بالغاً في هذه الحضارات. وفي أواخر القرون الوسطى نقل الغربيون هذا التراث الإنساني من اللغة العربية إلى اللغة الغربية وأدّت هذه العملية إلى نهوض الحضارة الغربية وللمسلمين فضل في ذلك.

وقد ظهرت في تاريخ الصين حركات مهمة للترجمة نحو حركة الترجمة للكتب البوذية في عهد دونغ هان (25ـ 225م) وفي عصر تانغ سونغ (618ـ

* باحث في الحضارة الإسلامية / الصين

1127م) وحركة الترجمة للكتب الغربية من عهد تشنغ حتى حرب الأفيون (1616ـ1840م) وتركت هذه الحركة النقلية أثراً بالغاً في كل مجال من الحضارة الصينية مثل اللغة والأدب والفن الشعبي والاعتقاد الديني والاخلاق. ومثال على ذلك أن تطبيق الفكرة الشيوعية في الصين ونشر الفكرة الرأسمالية واعتقاد معظم السكان بدين بوذي كل هذه من نتائج العملية النقلية وهذا واضح لكل ناظر في تاريخ الصين.

وكذلك ان انتشار الحضارة الإسلامية في أنحاء الصين له علاقة هامة لعملية الترجمة وعندما صارت العلوم الإسلامية بعيدة عن أذهان المسلمين بالصين شعر أصحاب الطموح من المسلمين بخطرها ومسؤوليتها فظهر منهم من أنفق نفسه وحياته في نشر العلوم الاسلامية فقام الشيخ هو دن جو (1522ـ 1597م) بجهوده فأسس نظام الترجمة من اللغة العربية الى اللغة الصينية ونظام الدراسة في المساجد لتخريج الأئمة والدعاة. فبفضله أن توارث العلوم الإسلامية بالصين جيلاً بعد جيل صار أمراً محققاً وكذلك وجدت انتشاراً كبيراً بين جمهور المسلمين.

تبعاً لتطور نظام الترجمة وتكامله بمرور الأيام ظهرت جماعة من الأئمة المسلمين بالصين التي تتمثل في نحو الشيخ وودنغ دي يي ولوجى وماجو ومادي سينغ وغيرهم قد جعلوا عرض الإسلام وحضارته على الصينيين مسؤولية على أعتاقهم فنقلوا بعض الكتب الإسلامية إلى الصينية فلعبت دوراً مهماً في التفاهم بين الحضارة الصينية والحضارة الإسلامية. ولكن في الوقت نفسه لاحظنا أن تأثير الحضارة الإسلامية في الحضارة الرئيسية ـ الحضارة الصينية ـ تأثيراً يسيراً. فمثال على ذلك أن الموسوعة الصينية الكاملة التي ألفت قبل القرون بأمر الامبراطور الصيني تعتبر موسوعة كاملة وحيدة عن الحضارة الصينية لم تذكر إلا في فهرستها اسماً



لكتاب آداب الإسلام فقط. وحتى في العصر الحديث أن من يقرأ في الكتب والمؤلفات التي أنتجها كبار العلماء الذين يعتبرون حججاً وشيوخاً في الحضارة الصينية سيتعجّب من إهمال هؤلاء الحجج عن الحضارة الإسلامية وندور تحدثهم عنها. وفي ذلك أسباب أهمها عدم نقل الكتب الإسلامية إلى اللغة الصينية حيث لا يعرفون كلهم اللغة العربية.

2ـ الترجمة والبحث في الحضارة الإسلامية

وهناك رأي سائد بين العلماء والمثقفين والجماهير بالصين وخاصة في السنوات الأخيرة وهو أن الحضارة هي تراث البشر جمعاء فليست ملكاً خاصاً لأية أمّة. ولهذا قد اهتم الصينيون بنشر الحضارة الصينية في العالم وكذلك يهتمون بالبحث في الحضارات الأخرى بما فيها من الحضارة الإسلامية حتى تستفيد منها. ولكن البحث والدراسات الإسلامية مازال في مرحلتها الأولى. وما ذلك إن كثير من هذه الدراسات والبحوث التي قدمت للجماهير

الصينيين لا تسلم من الخطأ والتأثر بالاستشراق وذلك لأسباب أهمها نقص المصادر والمراجع الإسلامية الأولية عند الباحثين بسبب عدم نقل هذه المصادر إلى الصينية. ومن المعروف أن اللغة الرئيسية التي تحمل الحضارة الإسلامية هي اللغة العربية ولكن إن معظم الباحثين في الحضارة الإسلامية بالصين لا يعرفون هذه اللغة ولا ملجأ لهم عند البحث إلا التوجه إلى المصادر أو المراجع الثانوية التي كتبت باللغة الغربية ولا يخفى أن هذه المصادر والمراجع الثانوية لا تضمن أمانتها بسبب تأثرها بحياد الغرب السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها. وهذا جعل الباحثين ينفقون معظم أوقاتهم وجهودهم لتحقيق هذه المصادر والمراجع ولتفريق بين الحق والباطل ومع ذلك لا تخلو الدراسات أخيراً عن التأثير الاستشراقي.

ولهذا ينبغي علينا نحن المسلمين أخذ استراتيجية النقل والترجمة وتنقل هذه المصادر العربية إلى الصينية مباشرة حتى نسمع الباحثين والجماهير الصينيين آراءنا نحن المسلمين وفهمنا السديد للدين الإسلامي. كما يقول المثل: أن صاحب البيت أعلم بحال داره. وكما يحصل بسهولة الباحثون الذين لا يعرفون اللغة العربية على المصادر الأصلية حتى تكون بحوثهم ثابتة من أساسها فيكون عدلاً ومنصفاً وكما يقول أحد الباحثين: «ليست المشكلة أن لا توجد مصادر ومراجع علمية في الحضارة الإسلامية ولكننا لا نعرفها ولم ننقلها إلى الصينية فقط».

3 ـ بعض الملاحظات في نقل الكتب الإسلامية إلى اللغة الصينية في العصر الحاضر

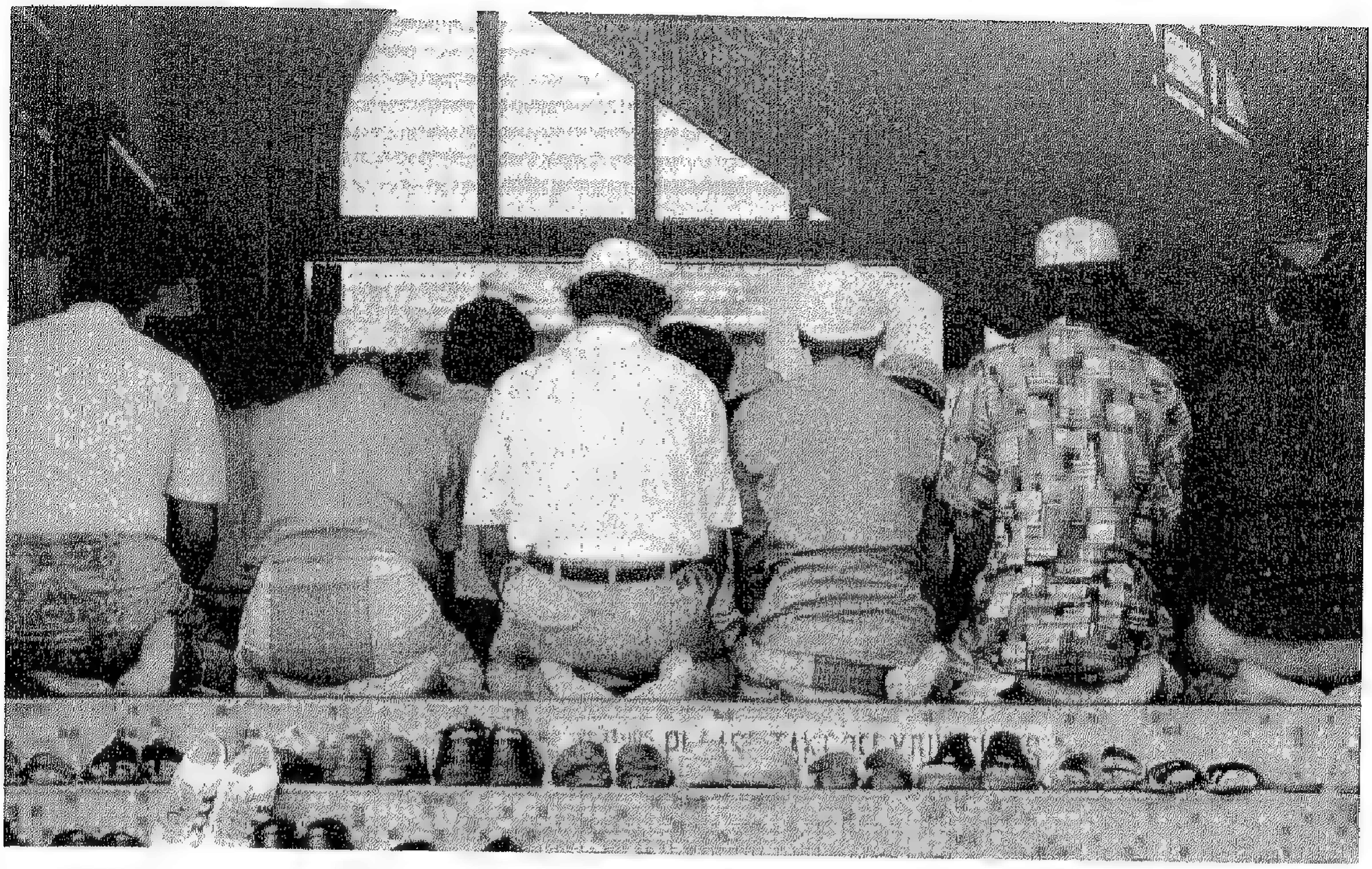
ومنذ أربعة قرون بدأ العلماء المسلون بنقل الكتب الإسلامية إلى الصينية. وفي العصر الحديث خاصة في وقتنا الحاضر تكون عملية الترجمة بجهود العلماء قد أتت أُكلها فقد نقلت نصوص القرآن الكريم إلى اللغة الصينية أكثر من مرة ونقلت بعض الكتب للحديث النبوي مثل الصحيح البخاري والأربعين للنووي ورياض الصالحين وفي مجال العقيدة الإسلامية قد نقل عقائد النسفي وعقيدة المسلم لمحمد الغزالي وكبرى اليقينيات الكونية لرمضان البوطي وكذلك قد نقل إلى الصينية مثل مختصر في إحياء علوم الدين وغير ذلك من الكتب القديمة والحديثة ولا شك أن هذه بداية العمل فقط فيه في حاجة إلى مزيد من الجهود والأعمال:

أولاً: نلاحظ أن الكتب المنقولة إلى الصينية بالنسبة إلى الكتب الإسلامية كلها ضئيلة جداً والكتب التي تعتبر حجة في مجال الدين والاجتماع والأدب وغير ذلك بالمكتبة الإسلامية ما زالت في حال العدم باللغة الصينية. وهذه الحال لا تناسب مدة التاريخ لدخول الإسلام في الصين والتي قد مضى على دخوله أكثر من 1300 سنة ولكن عدد الكتب الإسلامية المنقولة إلى الصينية لا تجاوز عن مائة كتاب بما فيها من كتاب وكتيبات. وكذلك لو قارنا أعمالنا في الترجمة بأعمال الراهب البوذي تونغ سوان زونغ الذي قد نقل الكتب البوذية من اللغة الهندية القديمة إلى اللغة الصينية سيكون الفرق واضحاً حيث أنه وحده قد نقل أكثر من 1225 كتاباً إلى الصينية وكذلك الفرق بين عدد الكتب البوذية المنقولة إلى الصينية والكتب الإسلامية المنقولة إليها كالفرق بين الثراء والثريا. فنأخذ القرآن الكريم مثالاً على ذلك مع أنه أساس ومصدر العلوم الإسلامية يؤسف أسفاً شديداً أن لا يوجد حتى الآن كتاب منقول إلى الصينية من كتب التفاسير للقرآن الكريم فصار عائقاً كبيراً للفهم الصحيح لنصوص القرآن الكريم وكما أن الحديث الشريف مصدر ثان للتشريع الإسلامي ولكنه وجد الصحيح البخاري وحده وجوده بالصينية بين الكتب الستة وفي مجال الفقه الذي لا تستغني عنه حياة



المسلمين اليومية لا يوجد إلا كتاب شرح الوقاية الذي قد ألف من قرون فكثيراً يقع عامة المسلمين في حرج وحيرة أمام المشكلات الفقهية الحديثة فلا يعرف من أين يجد جواباً عنها وتعتبر العقيدة أساس الحياة وعمدتها بالنسبة إلى المسلمين. ولكن الكتب المنقولة إلى الصينية منها خاصة الكتب المواكبة مع أحوال الزمن نادرة جداً وليست الحالة الواقعة في المجالات الأخرى أحسن من غيرها.

ثانياً: إن اختيار الكتب الإسلامية التي ستنتقل إلى الصينية أمر يحتاج إلى الدراسة العلمية. فإن الحوار بين الحضارات والجوار بالحسنى بين الأمم والشعوب شعار هذا الزمان. فللشعب الصيني رغبة في التعرّف على الحضارات الإسلامية والعلماء والمثقفين أشدهم رغبة كما أشار العالم الجليل فيساو تونغ (Feixiao Tong) إلى أن العلم في طريق توجهه إلى القرية وفي ظل هذا يكون البحث والدراسة في الحضارات العالمية له أكبر أهمية. ولهذا يكون من أهم الأمور اختيار الكتب القيمية لها أهمية وروحانية العصر لنقلها إلى الصينية بين الكتب الإسلامية. وينبغي هذا الاختيار مبنياً على الدراسة والبحث العلمي. ونلاحظ أن هذا النقص أعني عدم الدراسة في اختيار الكتب الإسلامية للنقل إلى الصينية واضحاً عندما نعرض الكتب التي قد نقلت إلى الصينية بين الكتب الإسلامية. وكثيراً يختار المترجم كتاباً ما حسب ميله الشخصي ولا يهتم بأحوال الزمن والبيئة حوله ولهذا أرى أن اختيار الكتب الإسلامية للنقل ينبغي أن يراعي أمران أولهما احتياج الثقافة الوطنية إلى أي نوع من الكتب وهذا يطلب من المترجم أن يأتي بحكم سديد على البيئة المحيطة به وحاجات الناس العلمية وميلهم الثقافي. وثانيهما مكانة الكتاب المنقولة إلى الصينية في المكتبة الإسلامية ويتطلب هذا معرفة كاملة عن الكتاب المنقول منها ومؤلفه وعادة أن الكتاب الذي لا يجذب



عليه نظر الناس في لغته الأم تكون حياته العلمية قصيرة وهذا التفكير من جانب الحضارة الصينية سيؤثر على نوعية الكتب التي ستنقل إلى الصينية حتى نقدم للقرّاء الصينيين الكتب القيمة منها.

ثالثاً: إن بعض الملاحظات الفنية في الكتب المنقول إليها ينبغي الاهتمام بها منها عدم وحدة المصطلحات الإسلامية وغير ضبطها وقد لاحظ هذه المشكلة كثير من الباحثين ويرون أنها مشكلة عقيمة وضررها بالغاً شديداً وواسعاً. فترجمة المصطلحات الإسلامية ما عدا بعض المصطلحات الفقهية مثل الصلاة والزكاة وغيرها وهذا قليل ما زالت في حالة فوضى فكل مترجم له رأيه حتى في أسماء الأشخاص المرموقين. مثلاً أن اسم الإمام أبو حنيفة قد نقل إلى الصينية أكثر من خمسة استعمالات في اللغة الصينية فالقارئ غير المتخصص في الدراسة الإسلامية يقع دائماً في التخبط وسوء الفهم. واخطر من ذلك أن بعض المصطلحات قد تمّ نقلها إلى الصينية من اللغة الغربية بما فيها من سوء الفهم للإسلام فكلمة «الجهاد» تمّ نقلها من الإنجليزية فصار معناها بالصينية «الحرب الإسلامي» فقط. ومثل هذه الحالة يجب علينا أن نلتفت إليها. ومنها الفهم الصحيح للنص الأصلي. من المعلوم أن عملية الترجمة ليست نقل لغة ما إلى لغة أخرى فحسب بل نعلم أن اللغة مع أنها رموز وحروف تحمل أفكار الشعب الذي يستعملها وعاداتهم وقيمهم وكل جانب من جوانب حياتهم اليومية ولذلك يتطلب فهم النص الأصلي فهمه في بيئة لغته وحضارته وعلى هذا ينبغي أن يكون المترجم متقناً للغة المنقولة منها وعارفاً بثقافتها معرفة كاملة علماً وشعوراً. وهذا يحتاج إلى تدريب المترجمين وإعطائهم الفرصة للدراسة في الدول العربية وكثيراً ما نجد أخطاء في الكتب المنقولة إلى الصينية إما بسبب عدم الفهم السديد للغة العربية وإما بسبب عدم الإحاطة بالثقافة العربية الإسلامية. منها إبقاء اللون الحضاري باللغة المنقولة إليها وذلك أن الهدف من نقل الكتب الإسلامية إلى الإسلامية هو عرض الإسلام وحضارته كما هو على الأبناء الصينيين سواء

كانوا مسلمين أو غير مسلمين. ولهذا لا بد من أن نبقي اللون الحضاري الإسلامي في اللغة الصينية بقدر إمكان. فكثير من الكلمات الإنجليزية بما فيها من فكر ديني أو قيم غربية صارت متداولة بين الصينيين في آدابهم وحياتهم اليومية. ولكن عندما نقرأ الكتب الإسلامية التي قد تمّ نقلها إلى الصينية نجد أن المترجم دائماً يهمل هذا الجانب المهم فتفوت القارئ فرصة للتعرّف على خصائص الحضارة الإسلامية.

4 ـ تأسيس المؤسسات لنقل الكتب الإسلامية إلى الصينية

وعندما ننظر إلى الحالة الواقعية بالصين في عملية الترجمة للكتب الإسلامية نجد أساسها ضعيفاً والعاملين عليها قليلين وخاصة من أبناء المسلمين أنفسهم ومازالت عملية الترجمة عملية شخصية ينقصها التنظيم والترابط فمن الصعب أن نتوقع لها مستقبلاً يواكب ركبة تطور الزمن وتقدم العصر إذا بقيت على حالها هذه. وبهذا نرى الأعمال التالية أهم الأعمال التي يجب علينا القيام بها في أسرع وقت ممكن:

أولاً: التخطيط الكامل العلمي ذو الأبعاد في عملية الترجمة ولا يستقيم الأمر والشأن بغير التخطيط الحكيم فترجمة الكتب الإسلامية هي أساس نشر الإسلام وحضارته في أنحاء الصين فيجب الاهتمام بها فبناء على هذا يلزم أن نحطط لها تخطيط حكيماً يمكن التحقق حسب تطور وضع الإسلام بالصين.

ثانياً: تأسيس مؤسسة الرابطة لرجال الترجمة ومنذ عشرين سنة بدأ بعض أبناء المسلمين بالصين وجدوا فرصة للدراسة في دول العربية والإسلامية مثل المملكة السعودية وماليزيا وباكستان ومصر وسوريا وليبيا وغيرها فأخذوا من العلوم ما أخذوا ويقدر عددهم بأكثر من ثلاثمائة شخص خلال هذه الفترة ولكن الذين يمارسون الدراسة والبحث العلمي في العلوم الإسلامية وخاصة في المؤسسات الرسمية مثل الجامعات ومراكز البحوث بعد عودتهم إلى الوطن فهم قليلون. فبرغم هذه القلة يقل الاتصال والترابط بينهم فأدّى هذا الوضع إلى إسراف وقلّة الاستفادة من هذه الثروة الثمينة. فتأسيس الرابط ليست لتوثيق العلاقات بينهم فحسب بل يعني الاستفادة منها على أحسن وجه. مثلاً إن نقل الكتاب الضخم إلى الصينية من قبل شخص واحد قد يكون شيئاً صعباً من حيث الوقت والجهد ولكن عن طريق التعاون الجماعي سيتم العمل بسهولة. ومن ناحية أخرى يمكن أن يتعاون الذين يعرفون اللغة العربية مع البارزين في اللغة الصينية فينقل العارف باللغة العربية كتاباً إلى الصينية ثم يصحح العالم في اللغة الصينية من حيث اللغة وأسلوب الترجمة وأسلوب التعبير وغير ذلك فيكون نتاجاً يحمد وكذلك إن التعاون بينهم وتوثيق العلاقات وتبادل المعلومات بينهم سيبعد تكرير العمل وتضييع الوقت والجهد. وكنت قمت بالاستفسارات فوجدت أن بعض الكتب الإسلامية قد تمّ نقله إلى الصينية ولكن هناك أشخاص مازالوا في طريق نقله إلى الصينية ولا شك أن مثل هذا الإسراف يمكن الابتعاد عنه.

ثالثاً: عمل فهرسة كاملة عن المصادر الإسلامية وبكثرة الكتب الإسلامية وضخم عددها فهي بالصينية في أمس حاجة إلى فهرسة كاملة مفصلة فبهذا العمل يمكن أن ينقل في أسرع وقت الكتب التي يحتاج إليها المجتمع الصيني بالتعاون الجماعي وكذلك بهذا العمل يمكن أن نغلب على مشكلة وهي كثرة نقل الكتيبات التي لا يحتاج إليها المجتمع الصيني أو أقل أهمية وندور الكتب القيمة التي يرغب فيها عامة الناس.

رابعاً: عقد بعض الاجتماعات الخاصة بأعمال النقلية بتبادل الخبرات للترجمة لا شك أن عقد الاجتماع حيناً وآخر لتبادل الخبرة للترجمة والبحث



في نظرية الترجمة وتبادل المعلومات بين المترجمين سيدفع أعمال الترجمة إلى الأمام على وجه أحسن. وقد عقدت في الصين اجتماعات للبحث العلمي في الإسلام في هذه السنوات منها رسمية ومنها أهلية وعل كل حال لم يقام حتى الآن أي اجتماع لقضية نقل الكتب الإسلامية إلى الصينية مع أهميتها البالغة.

خامساً: تأسيس صندوق خاص للترجمة ومن المعروف أن أي نتاج للترجمة لا بد من طبعه ونشره وإلا فلا قيمة لها ولكن من الأسف الشديد أن الدراسة الإسلامية بالصينية تواجه مشكلة التكاليف المالية بصفة عامة وعملية الترجمة بصفة خاصة حيث نجد أن بعض الكتب القيمة التي قد تمّ نقلها إلى الصينية لا يستطيع صاحبها طبعه ونشرها بسبب عدم الإمكانيات المالية وذلك أن طبع الكتاب بالصين يكلف تكاليف مالية تفوق قدرة معظم العمال المالية وكذلك يصعب أن تتكون جماعة أو فرقة خاصة للترجمة بعدم الدعم المالي الخاص ذلك أن معظم الشاغلين بالترجمة الآن يمارسون أعمالهم النقلية في أوقات فراغتهم من الأعمال حيث ينفقون معظم أوقاتهم لطلب الرزق فيحتاج نقل كتاب ما إلى وقت طويل. فبتأسيس الصندوق الخاص يمكن أن نجمع القوة المادية أو المعنوية لنقل الكتب التي يكون المجتمع الصيني في أشد رغبة فيها في أسرع وقت ممكن وعلى أحسن وجه. وبالإضافة إلى ذلك سيلعب دوراً مهماً ويترك أثراً بالغاً سواء في تحويل نتاج العمل إلى الطبع والنشر أو تكوين فرقة أو جماعة خاصة لمباشرة هذه الأعمال الجليلة ونظراً إلى وضع المسلمين المالي بالصين نرجو من المؤسسات بالدول العربية والإسلامية أن تعطي هذا العمل أهميته.

ملامح الحضارة الإسلامية

ومدى اختلافها مع الحضارة الغربية

د. مفتاح السنوسي بلعم*

الحضارة ذات جانبين: جانب مادي، وجانب ثقافي فكري.. ويقصد بالجانب المادي المنشآت العمرانية كالمساجد والمكتبات والمؤسسات العلمية التي كان لها دور كبير في إظهار التقدّم الحضاري العمراني والزخرفي..

أما الجانب الثقافي الفكري فيتضمن المعارف والعلوم والأنظمة التي تعالج شؤون المجتمع والمال والحرب والسلم والقضاء، والمناهج العلمية والتربوية.

إن حضارة الإسلام قد تميّزت عن غيرها من حضارات العالم في كل شيء.. في مصدرها، في خصائصها، في غاياتها وأهدافها.

ولكي يتبّن لنا فضل حضارة الإسلام، وما قدمته للإنسانية قاطبة، نبرز أهم ملامحها، ومدى اختلافها مع الحضارة الغربية.

1 ـ تعتمد الحضارة الإسلامية على القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة بينما تعتمد الحضارة الغربية على التراث اليوناني، والقانون الروماني. والديانة المسيحية، والمعتقدات الوثنية.

2 ـ تؤمن الحضارة الإسلامية بأن الدين الإسلامي جزء أساسي في حياة المجتمع المسلم، لا ينفصل عنه بأي حال من الأحوال.. بينما تنادى الحضارة الغربية بفصل الدين عن الحياة، وإبعاده عن تسييره للحياة الإنسانية.

3 ـ تؤمن الحضارة الإسلامية بالطبع الإنساني، وترى أن ما تتوصل إليه في المجال الصناعي والتقني هو لخدمة الإنسان بصفة عامة، بينما تهدف الحضارة الغربية من وراء ذلك إلى خدمة الإنسان الأوروبي.

4 ـ تؤمن الحضارة الغربية بحلول للمشاكل على قاعدة القوة وأسلوب الميكافيلية التي تفصل فيها الأخلاق عن السياسة. بينما تؤمن الحضارة الإسلامية بالحلول الأخلاقية، ولا تبرر الوسيلة عندها الغاية.

5 ـ تقوم الحضارة الغربية على أساس انفصال الوازع الديني عن العلوم والمعارف، وأن المادة لها السيادة الكاملة على الوازع الديني، بينما تؤمن الحضارة الإسلامية بأن الوازع الديني أساس لتقدم العلوم المختلفة.

6 ـ تحاول الحضارة الغربية أن تثبت أن الإنسان عبد

* أستاذ جامعي/ ليبيا

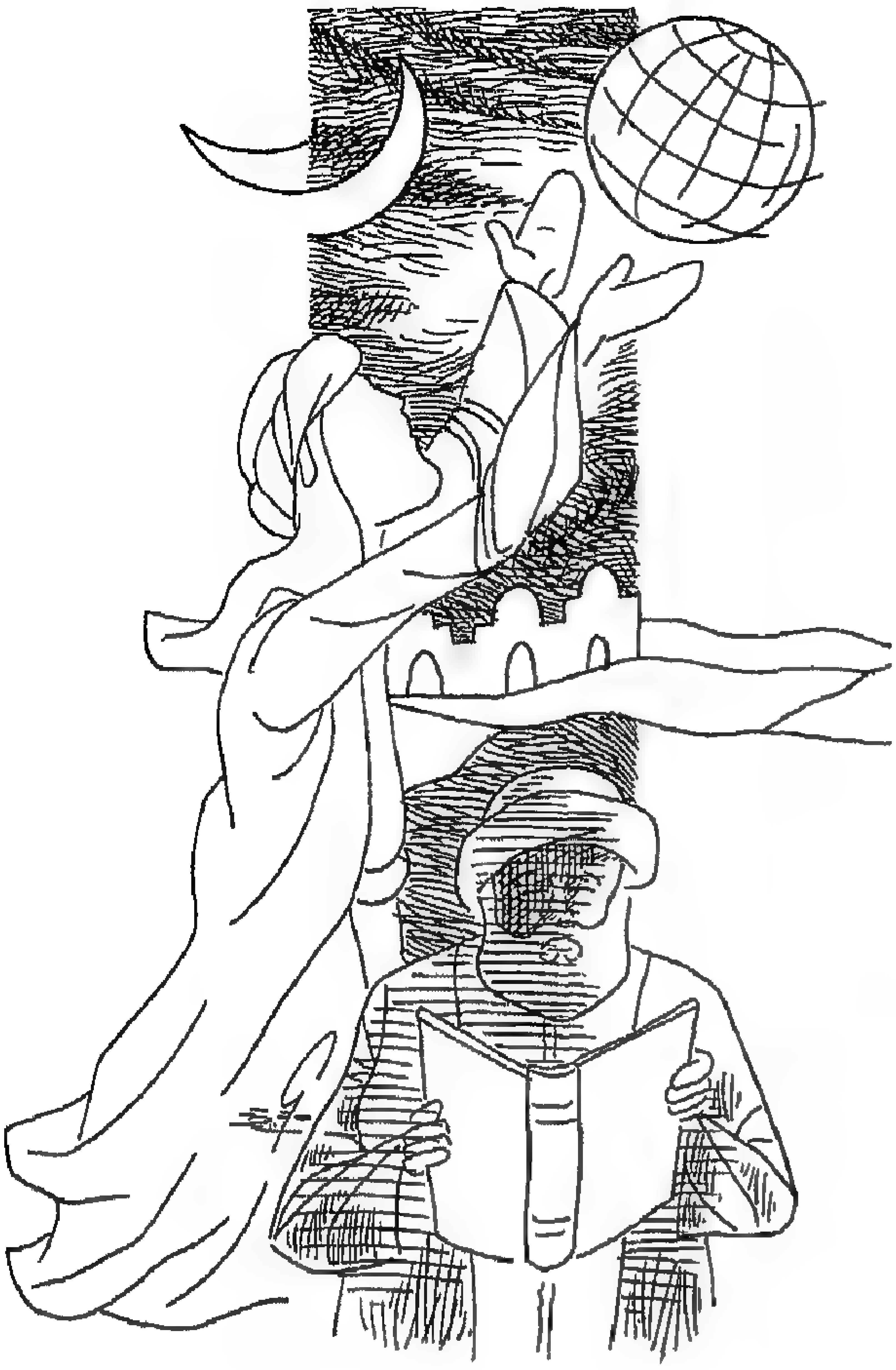
لنزواته وغرائزه الجنسية. ومن هنا أدخلت هذه الحضارة الإنسان إلى حظيرة الحيوان.. وهذه المفاهيم تتعارض مع مفاهيم وقيم الحضارة الإسلامية التي ترى للإنسان كرامة تعلو على جميع المخلوقات، وأن له السيادة تحت حكم الله ترفعه بالعقل، وتكرمه بالإيمان.

7 ـ تفصل الحضارة الغربية بين الروح والمادة، والعقل والقلب، والدين والحياة.. بينما تؤمن الحضارة الإسلامية بالوحدة بين هذه العناصر، والالتقاء والتوازن بينها.. كما أن الحضارة الغربية تنكر الغيبيات، وتؤمن بالمحسوس، والملموس.. بينما تؤمن الحضارة الإسلامية بأن هناك جانباً من الحياة لا يصل إليه الحس والنظر، ولكنه يفهم ويدرك بالعقل والإيمان.

8 ـ تعلي الحضارة الغربية من شأن الجنس، وتحاول أن تجعل للأوروبيين والبيض والغربيين استعلاء على المسلمين والملوّنين. وتحاول بهذا الاستعلاء أن نجعل للاستعمار سيادة على الأمم التي وقعت تحت سيطرة الاحتلال الأجنبي، بينما تختلف الحضارة الإسلامية عن الحضارة الغربية في هذه النظرة، وترى أن الناس سواسية كأسنان المشط، وأنه لا فضل لعربي على أعجمي، ولا أبيض على أسود، إلا بالتقوى والعمل الصالح.

9 ـ تنظر الحضارة الغربية إلى الإسلام على أنه دين مثل الأديان الأخرى اللاهوتية التي ترى أن الدين مجرد علاقة شخصية بين العبد وربه، وأنه لا يتدخل في شؤون الحياة المختلفة.. بينما تنظر الحضارة الإسلامية إلى الإسلام نظرة أكثر عمقاً وواقعية ـ أنه دين شامل، ونظام كامل لجميع جوانب الحياة الإنسانية.

10 ـ تؤمن الحضارة الغربية بالإباحية المطلقة، وتحرير الإنسان تحريراً كاملاً من كل القيود والضوابط. وقد أصبحت هذه الإباحية طابع



المجتمعات الغربية التي انتشرت فيها الملذات والشهوات إلى آخر مدى.. بينما تؤمن الحضارة الإسلامية أن الإنسان المسلم عبد الله، توجهه شريعته حيثما كان وأينما وجد. وله مقومات أساسية قائمة على الأخلاق، لا يستطيع الخروج عنها. وترى الحضارة الإسلامية أن في ذلك حماية للإنسان من الانهيار والانحلال.

ومع أن الحضارة الإسلامية منحت الإنسان حق إشباع غرائزه وشهواته بطرق شرعية، إلا أنها لم تطلق العنان لغرائزه، ولم تفتح أمامه الطريق إلى الملذات والشهوات. هذه النظرة من جانب الحضارة الإسلامية تؤكد للباحثين الغربيين المنصفين جميعاً حاجة الإنسانية إليها اليوم في مواجهة أزمة القيم، ونحو مجال الماديات مع

تجاهل حاجة النفس الإنسانية إلى الوازع الديني والأخلاق الأصيلة.

11 ـ تمنح الحضارة الغربية الإنسان ما يعرف بالحريات الأربع وهي: حرية العقيدة، حرية الرأي، حرية التملك، الحرية الشخصية، بينما تؤمن الحضارة الإسلامية بأن الإنسان المسلم عبد الله، منقاد لحكم الله. لا يجوز أن يترك دينه، ويعتنق ديناً آخر.. وإن فعل ذلك اعتبر مرتداً يجب قتله بعد استتابته لما رواه ابن عباس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: «من بدل دينه فاقتلوه»(1). أما غير المسلم فلا يجوز أن يجبر على الدخول في الإسلام لقوله تعالى:

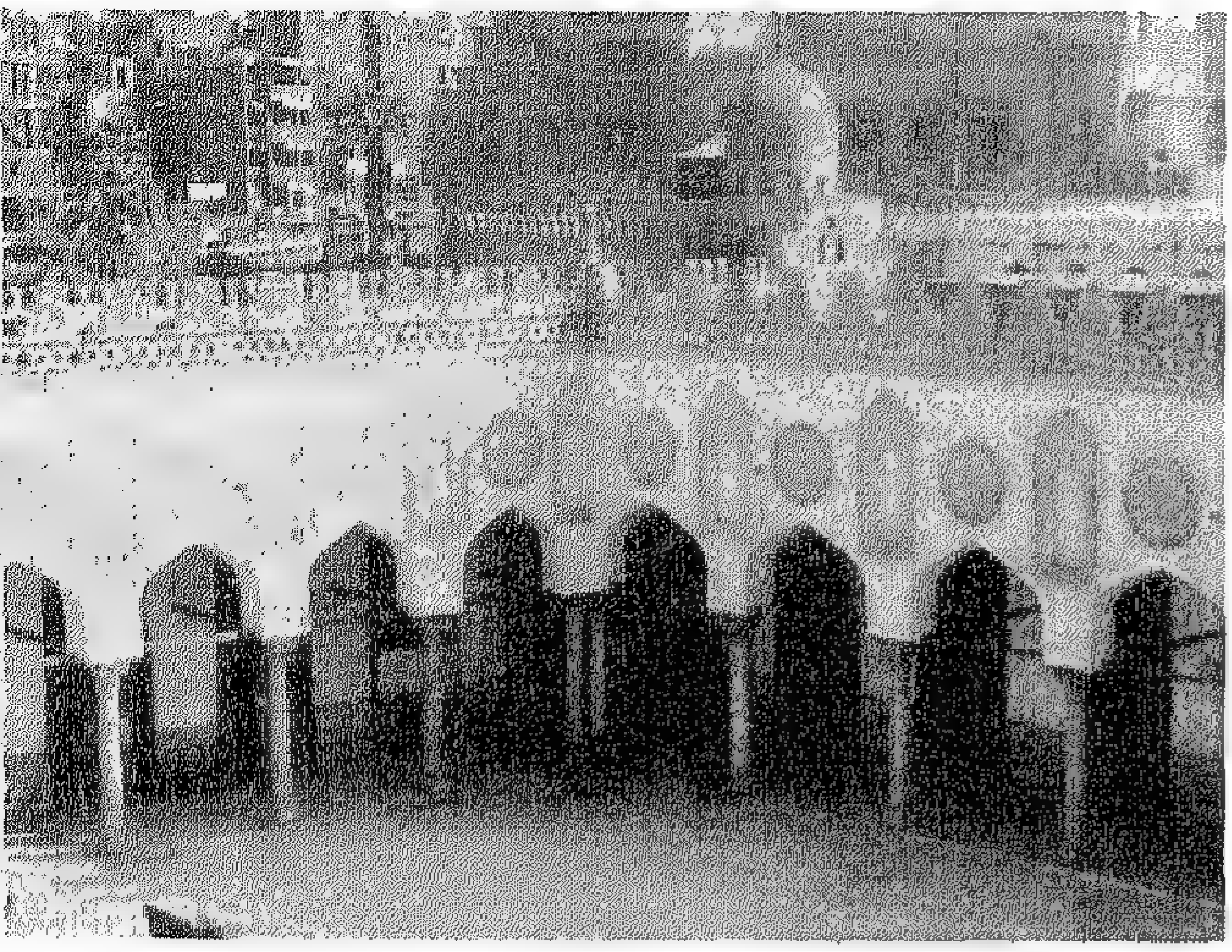
﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾
[سورة البقرة: الآية 256]

وكذلك لا يجوز للمسلم أن يصرح برأي يخالف حكماً من أحكام الإسلام، فرأيه مساعد من عقيدته ودينه.

ولا يجوز له ـ كذلك ـ أن يملك أي شيء بغير الطرق الشرعية بحجّة حرية التملك.. فله أن يملك ولكن في حدود أحكام الإسلام، وفي إطار مبادئه وقيمه الثابتة.

وكذلك لا يجوز للإنسان المسلم أن يتصرف أي تصرف، أو يظهر أمام الناس بأي مظهر مخالف للإسلام بحجة الحرية الشخصية. فهذه الحرية مقيدة بأحكام.. ففي إطار هذه الأحكام وفي حدودها يملك الإنسان المسلم الحرية التي تعنى حرية الإنسان من أي عبودية كانت سوى عبوديته لله تعالى.

إن الحضارة الإسلامية تواجه في الوقت الحاضر تحديات خطيرة تستهدف احتواء هذه الحضارة، والسيطرة عليها، والدعوة الملحة إلى مخاصمتها



واحتقارها، وإثارة الشبهات حولها، والعمل على صرف المسلمين عن هذه الحضارة العظيمة التي اتهمها أعداء الإسلام بأنها هي السبب المباشر لتأخّرهم وتخلّفهم عن ركب الحضارة الإنسانية.

إن إيماننا بقدسية هذه الحضارة، وأنها المصدر الأساسي لنهضتنا، يفرض علينا أن ننذر حياتنا وما نملك لحماية هذه الحضارة من أي دخيل، والمحافظة عليها من أي تشويه، وأن نسعى لفهمها، والعمل بما تضمنته، وتمكين الشعوب المغلوبة على أمرها من الاطلاع عليها ومعرفتها حتى يتبيّن لها أنها الحضارة الوحيدة التي تهتم بالإنسان، وبما يسعده ويصلح شأنه كله.

إن العالم اليوم لا يمكن أن يخطو خطوة واحدة نحن حياة إنسانية فاضلة. يكون فيها الإنسان هو القائد لا المادة، الا اذا استنكر واسترشد بما تضمننته حضارة الإسلام من أفكار قيّمة، ومبادئ عظيمة، كانت لها آثار واضحة في تاريخ الإنسانية كله قال تعالى:

﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [سورة الملك: الآية 22]

(1) رواه البخاري

التحدي النفسي المعرفي التربوي

خطوط عريضة

د. عبد الحميد أحمد أبو سليمان*

هذه الخطوط عريضة يقصد منها طرح هذه القضية للنقاش على أن يستفيض البحث والنظر فيها فيما بعد إن شاء الله فما لا يدرك كله لا يترك كله.

جوهر الإشكال الإسلامي الحضاري فكري - تربوي

لا شك أن الأمة في هذا العصر ولأمد طويل قبل ذلك قد عانت من قصور الأداء والغيبة في مجال الأداء الحضاري واتسمت وجوه الحياة فيها علمياً واقتصادياً وإدارياً وعسكرياً وسياسياً بالتخلف. وأساس الأداء في كل هذه المجالات وفي كافة مجالات الحياة الإنسانية هو في قيمة الأفكار التي يطرحها الإنسان ونوعيتها ولذلك فإن أي إصلاح في أي مجال من هذه المجالات لا بد أن يرتكز إلى منهج علمي عملي في التفكير كأساس ومنطلق، والفكر السليم لا بد أن يقود صاحبه إلى أن يستكمل الأدوات ويذلل العقبات ويهدي إلى أفضل الحلول.

والأساس الإسلامي العقيدي من حيث التصور الكوني لمعنى الإنسان وغاياته الحياتية ومن حيث القيم والمبادئ يقدم ولا شك أفضل عقيدة وأسمى تصوّر وأشمل القيم.

ولهذا فلا بد لنا إذا شئنا أن تستعيد الأمّة عافيتها وقدراتها الحضارية التي تفردت بهما وأبدعت زمناً طويلاً أن ننظر في مناهج فكرها وما اعتراها من عطب عطل طاقة الأمة وأداءها الحضاري.

فالمنهج هو الآلة التي تتناول الطاقات المادية والمعنوية وتهضمها وتصوغها وبقدر ما تكون آلة المنهج سليمة الأداء كلما حسن نوع الفكر وأمد الأمم بالخطط والتصورات والأفكار التي تبدع بها في ميدان العلم والمعرفة والحضارة.

وكلنا يعلم أن الأمة بدأت في مهد الرسالة الإسلامية المحمدية قد احتضنت الفطرة في الإنسان والكون ورشدت خطاها بمفهوم الاستخلاف والإعمار والاستعمار.

ولذلك تميّزت المعرفة الإسلامية بتآزر مصادرها في الوحي والغيب مع العقل والشهادة فكان منهج الإسلام منهج الإيمان والوحدة والخير والمعرفة والإعمار.

وأخذت السيوف تعتور المنهج الإسلامي

* مدير الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ورئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالولايات المتحدة الأمريكية، ومؤلف «أزمة العقل المسلم» من منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالولايات المتحدة الأمريكية.

التوحيدي بتأثير ثقافات الشعوب التي دخلت الإسلام وجاهلياتها وتناقضاتها.

وكان لا بد أن تثخن سيوف الانحراف منهج فكر الأمة وأن يختل أداؤها وأن تختل صفوفها وأن يتمزق نسيجها الاجتماعي والحضاري.

وحين انعزل أصحاب الفكر عن أصحاب الإدارة الاجتماعية والسلطان السياسي كان لا بد أن يضعف الفكر وأن يختل الأداء وأن تتمزّق الوحدة وأن يتعارض النقل والعقل والغيب والشهادة والعاجل والآجل.

وهكذا انحسرت المعرفة وذوي الإبداع وانزوى العلماء في الصوامع وثلمت أدوات القادة والساسة وضعف أداؤهم.

وهزل فكر العلماء بالعزلة عن الواقع وضعف فكر القادة بانعزالهم عن العلماء فكان لا بد أن يؤدي ذلك إلى أخذهم الأمة بالإرهاب بديلاً للفوضى وعموم الخراب، فأخذ العلماء من جانبهم الأمة بالإرهاب المعنوي وإلجام العقل وأخذ السلاطين المعارضين بالسيوف وإرهاب السجون.

وهكذا أدى انحراف المسيرة إلى فساد المنهج وأدى فساد المنهج إلى فساد الفكر وفساد الفكر أدّى إلى الإرهاب والإرهاب أدى إلى فساد التربية لتصبح تربية خوف وإرهاب، والإرهاب لا ينجم عنه إلا نفسية العبيد بكل ما فيها من خوف وذعر وخنوع وزهد في الإعمار والمبادرة.

جوهر الإصلاح فكري تربوي:

مما سبق يتضح لنا أنه إذا لم تصلح مناهج التفكير فإنه لا مجال لإصلاح الفكر وبالتالي فلا مجال للإنجاز العلمي والاقتصادي والإداري والسياسي وفي أي مجال حياتي آخر لأن الإنجاز يستلزم فكر العزم والجرأة والمبادرة.

والعزم والجرأة والمبادرة صفات نفسية يتميز بها الأحرار، وهي صفات نفسية تربوية وليست مجرد صفات معرفية ذهنية. فلا يكفي علم كثير من الأطباء بمضار التدخين ليتركوه ولا يكفي الشاعر حفظ ألوف بيوت الشعر في الحماسة ليكون شجاعاً بل لعل كثير ممن أبدعوا في شعر الحماسة كانوا أرهب من غزال.

فإذا الإنجاز الحضاري هو وليد صفات نفسية لذلك فإن الإصلاح المنهجي يجب أن يوظف أول ما يوظف في المجال التربوي وذلك لبناء الطاقة النفسية لدى الطفل حتى يشب إنساناً قوياً صاحب عزم ومبادرة محباً للخير والمعرفة والإعمار.

> **❖ إصلاح المنهج يجب أن يحرر الثقافة الإسلامية من فكر الخوف والإرهاب والخرافة وأن يغرس في موضعها فكر الاستخلاف وكرامة النفس وحب المعرفة والمبادرة والإعمار.**

إن إصلاح المنهج يجب أن يحرر الثقافة الإسلامية من فكر الخوف والإرهاب والخرافة وأن يغرس في موضعها فكر الاستخلاف وكرامة النفس وحب المعرفة والمبادرة والاعمار. وإذا كانت هذه المهمة من أصعب المهمات لما يحول دونها من موروثات تاريخية روّضت النفوس على أحوال لا تجد الأمّة ومثقفيها الجراءة على التصدي لها، إلا أن فداحة الثمن ومخاطر العولمة والاختراق الثقافي لا يدع مجالاً بعد الآن للتأجيل والتسويف.

إن إصلاح المنهج يجب أن يحرر العقل المسلم من التناقض وأن يعيد إليه صحته في وحدة الغيب والشهادة والنقل والعقل والمادي والمعنوي والأخلاقي والعلمي والدنيوي والأخروي.

وهذا يوجب إعادة النظر في مناهج التعليم فلا مجال لعزلة الدارسين لعلوم الوحي - وهم أساس في

تكوين عقليته وصفاته النفسية - في كتب التاريخ وعصور التاريخ ومجتمعات التاريخ وإلا فليس لهم إلا فكر التاريخ وأحكام مجتمعات التاريخ وتصورات حياة التاريخ فتجديد الفكر رهن بتغير الأحوال والظروف والحالات والحاجات.

كذلك لا مجال لأصحاب العلوم الإنسانية والفيزيائية أن يعزلوا فكرهم عن كليات المعرفة وغاياتها وقيمها وضوابطها وإلا كانت تصوراتهم قاصرة اعتباطية في حقيقتها قد تقود إلى الضلال لعدم فهم الكليات وغيبة الضوابط والقيم.

لا بد في طلب المعرفة الإنسانية من إدراك معناها ورسالتها وغايتها وقيمها وضوابطها، ولا بدّ لإدراك الضوابط والقيم والغايات من الدراية بالطبائع والأحوال ولذلك لا يكون طلب المعرفة الإسلامية سليماً منهجياً لغير العارف بأسس المعرفة والدراسة الإنسانية في عصره ومحيطه ليحسن تنزيل النص على الواقع والطبائع. ولا مجال للدراسات الإنسانية والفيزيائية دون دراية بجوانب الكليات الإنسانية والكونية التي تنزل بها الوحي وكشف عنها الغيب.

وهكذا فإن إصلاح مناهج المعرفة الإسلامية معناه استعادة وحدة مصادر المعرفة الإسلامية ووحدة الحياة الإنسانية وغائيتها الخيرة.

وبالطبع فإنه لا يكفي إصلاح مناهج التعليم فلا بد معها من إصلاح مناهج التربية.

فمن الملحوظ أن مناهجنا التربوية أننا نهتم بالجانب المعرفي والمعلوماتي الذي هو في جوهره جانب اقتنائي يحصل به الدارس ما هو معلوم. أما الجانب النفسي الذي هو الأساس في قدرة الأداء فإننا نهمله ولا نهتم به. إننا إذا لم نهتم بالجانب النفسي ونسخر الجانب المعرفي لخدمة الجانب النفسي بحيث يكون ما يقدم للطفل بما يتناسب مع المرحلة التي يمر بها في نموه النفسي ويعين على بناء الصفات الإيجابية في تكوينه. إن من المهم أن ندرك بوضوح أن الجانب المعرفي يصبح قليل الجدوى وقد يكون هدأماً إذا تعارض مع متطلبات مرحلة النمو النفسي الذي يمر الطفل الدارس.

إن القدرات العملية الإبداعية ليست مجرد تحصيل المعلومة ولكنها تنبع قبل ذلك من طاقة نفسية إيجابية تتميز بروح المبادرة وحب الاستطلاع والمعرفة ويجب أن يعين الجانب المعرفي على تكوينها وتنميتها لا عرقلتها وتعويقها.

إن الجانب المعرفي في تحصيل المعلومات قضية تستمر باستمرار الحياة أما تكوين الطاقة النفسية فإنها لا يتم تحصيلها إلا في الطفولة ونعومة الأظافر فإذا انقضى أمد الطفولة وأعوج فيها العود فلن يستقيم أمر صاحبها ولن يتغير طبعه مهما تراكمت معلوماته.

ولذلك فإن الأثر النفسي التربوي في جهود الإصلاح الحضاري الإسلامي يجب أن يعطى الأولوية وأن يتم تقديم المعلومات والمعارف للناشئ على أساس الوعي والدراية بمراحل تكوينهم النفسي ومراحل نموهم المختلفة.

إن لنا في قضية سيدنا موسى عليه السلام حين أخرج بني إسرائيل من مصر حيث استعبدوا وكوّنوا نفسية العبيد وطلب إليهم أخذ الأرض وبناء الملك فكان جوابهم جواب العبيد الذي يتميز بالخوف وانعدام المبادرة، لأن المبادرة من شأن الأحرار، أما العبيد فيفعلون ما يؤمرون، ولذلك قالوا لسيدنا موسى:

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾

[سورة المائدة: الآية 22]

وذلك الخوف

﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾
[سورة المائدة : الآية 24]

وذلك عدم المبادرة، فما كان تدبير سيدنا موسى التربوي الناجع إلا أن يبقيهم في التيه أربعين عاماً ينشأ فيها جيلٌ من الأحرار لهم الشجاعة والمبادرة اللازمة لإعمار الأرض وبناء الملك.

يتضح لنا مما سبق أن التحدي الذي تواجهه الأمة في عصر التدافع والتنافس الحضاري وعصر التسابق العلمي والتقني الإبداعي هو في أساسه منهجي فكري وفي جله فكري تربوي ينشأ به جيل الخلافة القادر.

الوسائل:

من الواضح مما تقدم أن الإصلاح الفكري التربوي الإسلامي يمثل الموقع الاستراتيجي الهام في إصلاح حالة الأمّة. ومن الواضح أن تحقيق الإصلاح الفكري التربوي الإسلامي يعتمد على عناصر ثلاثة هي الأسرة والمدرسة والإعلام.

1 - الإعلام:

لا شك أن وسائل الإعلام الحديثة وما تبثه من أفكار وتصورات لها تأثيرها الكبير في تكوين عقلية الناشئة وبناء تصوراتها للحياة والعلاقات الإنسانية ولذلك لا بد من الاهتمام بالإعلام ودور الإعلام وما يقدم إلى الناشئة من المواد الإعلامية.

والإعلام المحلي إذا أتقنت صنعته وصدق أداؤه فإنه أكثر تأثيراً في نفوس أبناء الأمّة لأنه حديث الرحم وأقرب إلى تكوين نفس الناشئة. ولذلك يجب إعطاء صناعة الإعلام الاهتمام اللازم بها وتشجيعها حتى تتمكن من تقديم المواد الإعلامية التربوية التعليمية الهادفة اللطيفة الروحية الخالية من الخلاعة والانحطاط والخرافة وتوفير متطلباتها الاكاديمية والفنية.

2 - المدرسة:

وللمدرسة ولا شك دورها الهام جداً في تكوين نفسية الطفل وعقليته وإمداده بالمعلومات الأساسية والنشاطات التي تساهم في تطوين عقليته وقدراته وصفاته ومعارفه.

ويقضي الفرد في المدرسة في مراحل تكوينه نعومة أظفاره وسنين نشأته الأولى وفيها تترك مناهج المدرسة ونشاطاتها المعرفية والتربوية أعمق البصمات على ملامح شخصيته وتكوين عقليته.

ولذلك فإن من المهم إعطاء المدرسة ونظم التعليم نصيبها الوافر من الاهتمام ويجب العمل بجدية على تطوير مناهج المدارس في العالم الإسلامي بحيث لا يقف جوهر أدائها على الجانب المعلوماتي المعرفي وتهمل في أدائها الجانب النفسي وتنمية الطاقة النفسية.

> **❖ القدرات العملية الإبداعية ليست مجرد تحصيل المعلومة ولكنها تنبع قبل ذلك من طاقة نفسية إيجابية تتميز بروح المبادرة وحب الاستطلاع والمعرفة**

يجب الاهتمام بالجانب النفسي في التربية والتعليم وخاصة في مناهج التعليم الديني بحيث نحمي الطفل من العرض السلبي لأسس تكوينه العقيدي كما نحميه من فكر الخوف والخرافة الذي يسيء استخدام الخطاب القرآني بتوجيهه للطفل الغض وما قصد به إلا البالغين كما نحميه أيضاً من سوء استخدام خطاب السنّة بإهمال نقد المتن وتجاهل عامل الزمان والمكان في ذلك الخطاب.

وخطاب الرسول ﷺ إلى الطفل كان خطاباً نفسياً إيجابياً على غير حال الخطاب القرآن المكي الذي كان خطاباً للبالغين الجاحدين، فجاء خطابه للغلام عبد الله بن عباس على غير ذلك يقيم بين الغلام

وبين الله في الجزء الأول من خطابه له المحبة والتساند مع الله سبحانه وتعالى ويعلمه في الجزء الثاني منه الشجاعة والتصرف على أساس القناعة دون خوف ولا رجاء من أهل الأرض جميعاً.

ونجد الرسول ﷺ إماماً في الصلاة وفي السجود يحسب الأثر النفسي على الطفل حسين ابن ابنته وقد علا ظهره فأطال السجود حتى لا يعجله كما قال، لا لأنه كما يقولون يحب الأطفال، فلا غرابة في ذلك، خاصة وأن الطفل هو ابن ابنته، ولكنه لأنه لم يشأ أن ينزل الطفل الذي يلعب على ظهره بسرعة يحس معها الطفل الغافل الصغير الرفض والابعاد بل تركه لنفسه يلعب هنيهة على ظهره ثم ينزله وقد أنست نفسه وأحسّ حب جده وملاعبته، وبهذا الإدراك لطبيعة تكوين نفسية الطفل وحاجاته النفسية أمكن أن يكون عليه السلام أباً وجداً ناجحاً ولم يضرب طفلاً قط.

ولذلك يجب أن تعطى كليات التربية ومراكز البحث العلمية التربوية الاهتمام الكافي لدراسات علم نمو الطفل وأن تولي دراسات المناهج الدينية والعقيدية الإسلامية الاهتمام اللائق بأهميتها وأن يعطى الجانب النفسي التربوي في تطويرها أكبر الاهتمام.

كذلك يجب التعاون بين الجامعات ومراكز الأبحاث ووزارات التربية والمنظمات الدولية ومن أهمها منظمة المؤتمر الإسلامي والايسيسكو واتحادات الجامعات والمدارس الإسلامية وتكاتف الجهود بينها من أجل تطوير المناهج التربوي والمساقات المعرفية لتكوين العقلية الاستخلافية العلمية الريادية الخيرة المبدعة لدى الطفل المسلم.

إن من المناسب أن تدرس منظمة المؤتمر الإسلامي مع الدول الإسلامية والمنظمات المحلية والدولية المعنية أمر إنشاء رابطة للمدارس الإسلامية العالمية تعمل على تطوير المناهج الدراسية التربوية الإسلامية المستقبلية التي تعد الناشئة والأجيال القادرة على مواجهة تحديات عصر العولمة والمواجهة الحضارية وذلك حتى يمكن أن تأخذ الأمة الإسلامية مقعدها على مائدة الحوار الحضاري المعاصر وأن تسهم بنصيبها في توجيه دفة القيادة الحضارية نحو شواطئ الأمان الحضاري المبني على العدل والإخاء الإنساني فالإسلام يؤمن بأن الإنسان خلق من نفس واحدة، وخلق الله البشر شعوباً وقبائل ليتعارفوا، وجعل اختلاف ألسنتهم وألوانهم من آيات قدراته في إبداع الخلق وحسن الصنعة وقضى أن لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح.

إن قيام هذه الرابطة التي تعمل على تطوير المناهج على أسس عليمة نفسية خالية من موروثات الأمراض والانحرافات الثقافية التي ألمّت بالأمّة وهدّمت حضارتها وقضت على قدراتها ورعايتها للمدارس الإسلامية العالمية التي تقوم على أساس تتبنى مناهجها المطورة ووسائلها التربوية الإسلامية العلمية أمر أساسي لإصلاح شؤون الأمّة وأخذ المبادرة الجادة لتحقيقه.

3 ـ الأسرة:

ودور الأسرة هو أهم حلقات الإصلاح التربوي الإسلامي ولا شك، فدور المدرسة ودور الإعلام إيجابياً أو سلبياً فإنه إنما يستمد طاقته ومشروعيته من دور الأسرة وتوجهاتها الثقافية والتربوية.

إن مشروعية توجيه المدرسة وتأثيرها إنما تستمده من دور الأسرة إيجابياً بالدعم والتأييد أو سلبياً بالتخلي والمقاومة وإفساد تأثير جهود المدرسة التعليمية التربوية.

إن دور الأسرة الواعي القدير لا يعدله تأثير

شيء آخر على نفس الطفل لأن الأسرة هي الوعاء الذي يشكل عطاء المدرسة وثمرة تأثيره في نفس الطفل ولذلك ليس من المستغرب أن نرى البون الشاسع في النفسية والعقلية والخلق بين تلميذ وتلميذ آخر رغم أن كليهما يدرسان في مدرسة واحدة ومنهج واحد وفصل واحد ومدرس واحد وذلك بسبب أن لكل واحد منهم أسرته التي تختص بولائه وعاطفته، لذلك فإن اختلاف الأسرة والصحبة تغلب الدور المهم في تشكيل ضمير الطفل وقابلياته وتشكيل مفرداته المعرفية في وعاء نفسيته وتوجهات ضميره. والأسرة بذلك هي التي تفسر كثيراً من الفروق النفسية بين تلميذ وآخر في المدرسة الواحدة.

ولذلك يجب أن يهتم المثقفون والمفكرون في المقام الأول بثقافة الأسرة وفهم دورها الاستراتيجي الهام في تشكيل عقلية الطفل وتكوين ضميره وضبط توجهاته والتي يمد الطفل من خلالها المشروعية لكافة المؤثرات الخارجية التي يتعرض لها وتحيط به.

وأول خطوة بعد تطوير مناهج التربية وإصلاحها أن نعمل بكل الوسائل من أجل إعداد شباب الأمة بالثقافة الأسرية اللازمة لمزاولة أدوارهم في الأبوة الإيجابية. إن الأسرة والأبوة الصالحة التي تمارس دورها في توجيه الطفل هي الوسيلة القادرة على حماية الطفل المسلم من ثقافة الإرهاب والخرافة وتنمي فيه الشجاعة والمبادرة والإبداع وتدعم الجهود الإصلاحية التربوية وتمكن لجذورها في نفس الطفل وتهبها المشروعية.

إن مسؤولية استنقاذ الأمة وإصلاح مناهجها الفكرية ومناهجها التربوية وثقافتها الأسرية إنما تقع في المقام الأول على المفكرين والعلماء والمثقفين، وعلى جهود الصفوة الفكرية. إن جهود هذه الصفوة هي الأساس في الوعي على أحداث الإصلاح والتغيير المرغوب وهؤلاء المثقفون والمفكرون هم القادرون على أحداث الوعي التربوي وتقديم الثقافة والبرامج المطلوبة وتأتي المجتمعات والحكومات والأجهزة والمؤسسات تبعاً لهم في ذلك.

> **❖ مسؤولية استنقاذ الأمة وإصلاح مناهجها الفكرية ومناهجها التربوية وثقافتها الأسرية إنما تقع في المقام الأول على المفكرين والعلماء والمثقفين، وعلى جهود الصفوة الفكرية.**

إن على منظمة المؤتمر الإسلامي والمنظمات الدولية والمحلية طرح قضية الإصلاح الفكري التربوي كأساس أولي للإصلاح المادي والحضاري وتشجيع أعمال البحث فيه ونشر أطروحاته الفكرية في كافة المجالات وبكافة الوسائل التي تمكن لها في ثقافة الشباب والآباء والمربين وبؤرة اهتمام رجال الإدارة والحكم.

ودون أن يضع المفكرون والمربون المناهج الفكرية التربوية السليمة ويبصرون بها الآباء والمربون ويمكنون لها في نفوسهم وأدائهم فلن تفلح جهود الإصلاح ولن يصلح حال الأمّة وستبقى الأمّة عالمياً فريسة الخسف والاستغلال ما امتد الزمن حتى تأخذ نفسها بسبل الإصلاح الفكري التربوي المطلوب.

إن على الأمة أن تعي درسها وتدرك أولوياتها وان ترتد عن الطريق الخطأ السهل إلى الصواب العصب، فالصواب مهما بدا صعباً فهو السهل إذا صح العزم وستعين عليه وتيسّر أمره الطاقة المتنامية من ثمار غرس دروب الإصلاح.

التواصل

مجلة فصلية ثقافية تتناول بالدراسة والتحليل
عـددا من القضايا والموضوعات مثل:

- الدعوة الإسلامية: حاضرها ومستقبلها.
- الدعوة: المناهج والمعوّقات.
- الاجتهاد والتقليد.
- المسلم المعاصر في مواجهة التحديات.
- الشرق والغرب: جدلية الزمان والمكان.
- أصول الفقه الإسلامي: بين إبداع الأوائل وعجز الأواخر (الحاجة إلى تطوير علم الأصول).
- مناهج التفكير بين الخلق والاستيراد.
- علم الانسان (الانتروبولوجيا) الثقافية والاستعمار.
- الإنسان المعاصر: دعوة إلى صناعة غربية (أنسنة الآخر).
- آداب الجدل والحوار.
- المسلمون والاستعمار الجديد.
- الفتوى والفتوى المضادة.
- مرتكزات الهوية ووسائل الحفاظ عليها.
- الإعلام والدعوة.
- الاقتصاد الإسلامي.
- العولمة واستبعاد الآخر (الجانب الديني والاقتصادي، والاجتماعي والسياسي).
- بين الرعية والمواطنة: تحديث السياسة الشرعية.
- أوهام النهايات:
  - نهاية التاريخ.
  - نهاية الإستشراق.
  - نهاية الدولة.
- التغريب الجديد.
- صراع الأنا والآخر.
- الحركات الإسلامية المعاصرة: نظرة موضوعية.
- فقه الفضائيات.. إلى أين؟
- الإرهاب صناعة غربية.
- حرب المعلومات.
- خرافة العالم الجديد.
- المجامع الفقهية: لماذا؟ وإلى أين؟
- الإسلام: من الدين إلى المؤسسة.
- الإستشراق تأثره وتأثيره.
- حوار الحضارات.
- مقارنة العقائد.
- الحوار بين أتباع الرسالات.
- الصحوة الإسلامية: رؤية مستقبلية.

هذه دعوة

لجميع الكتّاب للمساهمة في مناقشة وعرض وإثراء هذه المواضيع وغيرها مما يخدم (التواصل).



لتعارفوا

من عرف شيئاً أحبه

تحدث حتى أعرف من أنت، جملة قيلت وتناقلها الناس حتى جرت مجرى الأمثال، ومن معانيها التي تتبادر إلى الأذهان بسرعة وبساطة أن معرفة الآخر متوقفة إلى حد ما على ما يجود به من كلمات وجمل يحاول من خلالها الافصاح عما يدور بخلده، ومن خلالها يحاول أيضا تبيان رؤاه وآراءه ومعتقده.

لذلك لا أظن أننا سنكون مخطئين إذا ذهبنا إلى أن الحوار بين هذا وذاك وهذه وتلك والأنا والآخر هو خطوة سابقة وأساسية وضرورية تقود حتماً - إن صدقت النوايا وقدمت الآرء وبوضوح - إلى تعارف متبادل بين المتحاورين.

وتأسيسا على ذلك وانطلاقا منه سيكون مقنعا إلى حد كبير أن يكون التعارف خطوة تالية وربما نتيجة منطقية لحوارطال أو قصر.

أعتقد أنها خطوة منطقية قادت إلى تنمية الحوار وتطويره والانتقال به إلى النقطة أو المرحلة أو النتيجة المترتبة عليه، ذلك أنه ليس منطقيا أن يتجمد النمو ليظل حوارا وحوار وحوارا... حتى ليكاد المرء يشك أنه أمام حوار بيزنطي منغلق، إن أي حوار لا يؤدي إلى التعارف هو في الحقيقة مجرد دائرة مغلقة لا تسمح بالنمو أو التقدم.

الخطوة الأولى التي اتخذت منذ عام كانت نقطة انطلاق ساهم فيها أكثر من 200 شخصية ينتمون إلى منظمات وهيئات ومؤسسات وجمعيات من مختلف أنحاء العالم، كل برؤاه وقناعاته وآرائه وتوجهاته،لم يكن الهدف دحض حجة أو إقصاء طرف، أو مجرد حوار يحاول فيه طرف وضع ما يريد على الطاولة دون أن يسمح للآخر من التعرف على منطلقات ومعطيات تمكن الجميع من مغادرة دائرة الحوار المغلق...

ولعله من المهم التأكيد على أن ذلك الملتقى كان يهدف إلى أن يقدم كل طرف ما يساعد الآخر ويمكنه من معرفة واضحة ومباشرة بعيدة قدر المستطاع عن الوسائط التي ربما تحمل ما تريد وتسقط ما لاتريد، مما ينتج عنه معرفة منقوصة أو مغلوطة أو مشوهة، والبعد عن الوسطاء الذين ربما يسعون إلى توسعة هوة الجهل المتبادل عوضا عن ردمها، ومحاولة عدم الاستفادة من جسر الحوار الذي يعبره الجميع إلى مساحة التعارف الإنساني الأكثر اتساعا..

إننا إذا تدبرنا بعض الآيات القرآنية الداعية إلى الحوار والجدال لوجدنا أنها تركز بادئ ذي بدء على أن أطراف الحوار هم أقل من تلك الأطراف المدعوة للتعارف، ذلك أن الحوار والجدال حسب التعبير القرآني يتوجه في معظمه نحو أهل الكتاب، الذين ينبغي أن

تتم مجادلتهم بالتي هي أحسن، ومحاولة التوصل إلى كلمة سواء وهي ألا يعبد الجميع أحداً إلا الله، لكن مساحة التعارف تتسع لتشمل كل الناس دون النظر إلى عرق أو جنس أو لون، والتعارف هو مرحلة ثالثة - إن صح التعبير - بعد الخلق من ذكر وأنثى وجعل الذكر والأنثى شعوبا وقبائل، وكنتيجة للمرحلتين السابقتين كان التعارف كهدف لا تفاضل فيه إلا بالتقوى..

وإذا كان الحوار مبنياً في أغلب أشكاله وصوره على حشد الحجج والبراهين لتحقيق مكسب وتسجيل انتصار، ومحاولة هذا الطرف إقناع الطرف الآخر برأي أو بتغيير وجهة نظره على أقل تقدير، فإن التعارف في أهم صوره هو النظر للآخر كما هو دون الإصرار على تغييره أو الانتقاص من قيمته وقيمة حججه وبراهينه، ذلك أن المعرفة هي اكتشاف قبل أن تكون مقارعة كلامية جدلية، وهي تطور لأداة الحوار وليست أداة فردية تقصي الآخر أو تعمل على تحجيمه..

وإذا كان القول المشهور بيننا: من جهل شيئا عاداه، فإنه من المفيد أن نقول: من عرف شيئا أحبه.. والتعارف في بعض صوره تفاعل إيجابي بالضرورة بين الناس، تبادل للخبرات والتجارب، وهذا يعني ببساطة ووضوح أنه منهج يفرض نمطا من التعامل على قدم المساواة بين الأطراف دون أن يشعر هذا الطرف أو ذالك بأفضلية أو تفوق أو تميز خارج المقياس الإلهي للتفاضل: التقوى.. والتقوى تفرض التسليم الكامل بالمنهج الذي شرعه الله لخلقه، والقاضي بأن يخضع الجميع له، وكلما تحقق الخضوع والتقوى كلما اتضحت معالم التفاضل لا بالنظر لطول وقوة ومال وجاه وسلطان، ولكن بالنظر لمقاييس أخرى ليست من اختراع هذا الطرف أو ذالك.

التعارف هو في بعض صوره تفاعل ايجابي بين الثقافات والحضارات الإنسانية، وهو صمام الأمان الذي يحول دون أي شكل من أشكال الصدام المدمر، ذلك أن الصدام والتدمير ينتجان عن جهل وعدم معرفة وعدم إدراك لما يتمتع به الآخر من مواصفات وصفات ربما تكون عوامل إيجابية إن هي اتضحت بشكل أو بآخر وقدمت بطريقة لا لبس فيها أو غموض..

الخطوة الأولى من أجل إقرار نمط جديد في العلاقات بين الناس - كل الناس - والمبنية على التعارف انطلقت من طرابلس منذ عام كامل تبعتها خطوات أخرى في بريطانيا وروسيا والأردن وستتواصل الخطوات، وإذا كنا قد اخترنا أن ننشر في ملف هذا العدد بعض الأبحاث التي قدمها عدد من العلماء والباحثين في أحد ملتقيات (لتعارفوا) فإننا نرفقها بوقائع ملتقيات أخرى، غير ناسين آراء وانطباعات ثلة من العلماء من مختلف بقاع العالم، ولأهميته واعتماده من أكثر من 200 أستاذ وعالم وباحث من هيئات ومؤسسات وجمعيات ومنظمات متعددة نضع بين أيديكم أيضاً (نداء طرابلس من أجل التعارف).

المحرر

لماذا لتعارفوا؟

جهود جمعية الدعوة الإسلامية العالمية من أجل إشاعة ثقافة الحوار والتعارف

إعداد: **الأستاذ إبراهيم الربو***

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾

[سورة الحجرات: الآية 13] صدق الله العظيم،

هذه آية يتوجه فيها الله سبحانه وتعالى بالنداء ليس فقط إلى المؤمنين أو إلى فريق منهم، بل إلى عموم الناس ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ وهو ما يفيد بأن الأمر الذي يلي النداء موجه إلى الجميع دون استثناءات يقتضيها الدين أو الجنس أو اللون، أما الأمر المنادى من أجله فهو الإعلام بمشيئة إلهية وحكمة ربانية بدأت ببدء الخليقة، حيث خلق الله سبحانه وتعالى الناس ذكوراً وإناثاً وأودع فيهما معاً سر استمرار الحياة الإنسانية بما يؤكد أن دور كل منهما في ذلك لا يقل عن دور الآخر من حيث أن كلاً منهما بمفرده عاجز عن أن يكون له دور في استمرار الحياة على هذا الكوكب، وهو ما ينصرف إلى إقرار المساواة الكاملة بين هذين العنصرين وفقاً لطبيعة كل منهما، ووفقاً للدور المناط به في الحفاظ على الحياة البشرية واستمرارها، وأن لا افضل لأي منهما على الآخر في هذا الشأن. وهكذا تمّت عملية الخلق....، ووفق عنصري الذكورة والأنوثة استمرت الخليقة أما عملية (الجعل) وهي عملية لاحقة لعملية الخلق ومؤسسة عليها فقد تمّت وفق مشيئة إليهة قسمت الناس إلى شعوب وقبائل تختلف عن بعضها، وميز كل قبيلة أو شعب بخصائص اجتماعية وهوية ثقافية وانتماء حضاري، دون أن تكون تلك الخصائص في ذاتها مدعاة لتفضيل قوم على قوم أو جماعة على جماعة أو شعب على شعب، لأن مجموع تلك الخصائص والهويات الثقافية والحضارية تمثل إرثاً إنسانياً عاماً يتحتم علينا جميعاً أن نحترمه ونحافظ على تنوعه.

ويخبرنا الله سبحانه وتعالى بأن حكمته في خلق الناس من ذكر وأنثى وجعلهم بعد ذلك شعوباً وقبائل إنما هدفها التعارف (لتعارفوا)، وأن عملية التعارف تلك التي تعني التفاعل الاجتماعي الإيجابي محكومة بميزان واحد فقط هو ميزان (التقوى) التي تعني في أبسط معانيها مقاومة الشر واتقاءه والعمل من أجل الخير والانحياز له، وأن الكرامة إنما تتحقق للإنسان أو تنسلخ عنه في تناسب مع قربه للتقوى أو بعده عنها، ففي ذلك المحيط البشري الواسع من الاقوام والألوان والأديان والأجناس والثقافات والرؤى والأفكار تنتصب (التقوى) ميزاناً أوحد للتفاضل بين البشر.

وتأسيساً على ذلك فقد جاءت كل الأديان رافضة لمبدأ التمايز أو التفاضل على أسس الجنس أو اللون أو العرق، وأمام هذه الحقيقة الدينية والإنسانية

-----

* أمين مكتب المؤتمرات والهيئات الدولية بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

والأخلاقية الثابتة فإن نظرية الاختيار الإلهي لشعب دون سواه أمر لا يقره أو يعتقد به أو ينادي بتطبيقه الا كل مشكك في العدالة الإلهية التي كرمت بني آدم واستخلفته في الأرض.

وإذا تأملنا الصيغة الصرفية لـ«التعارف» لوجدنا أنها جاءت على وزن «التفاعل» ولوجدنا أيضاً أن كل صيغ هذا الوزن توحي بعلاقة من نوع ما بين طرفين أو أكثر، قد تكون تلك العلاقة سلبية مثل التقاتل والتناحر والتنابز، وقد تكون إيجابية مثل التعارف والتعاون والتآزر والتسامح، ولو رجعنا إلى الجذر اللغوي لمصطلح التعارف لوجدناه «عَرَفَ» ومنه جاءت اشتقاقات كثيرة تدور في عموم معانيها حول معنى الإدراك للشيء كله أو بعضه ومعرفة العناصر المكوّنة له مما يؤدي إلى قيام علاقة من نوع ما معه، فمعرفة الآخر شيء أساسي لنشوء علاقة سوية معه أي علاقة مبنية على عناصر تلك المعرفة، ولذلك فإن العلاقات السوية بين الناس أفراداً وجماعات ودولاً إنما تنشأ عن معرفة بالآخر لكنه من الصعب بل من المستحيل أن نضع خطوطاً لنهايات تلك المعرفة أو نرسم حدوداً تحصر مساحتها وذلك لسببين رئيسيين: أولهما أن المعرفة نسبية في طبيعتها، فمهما كانت معرفتك بموضوع تبقى قاصرة عن أن تلم بكل جزئياته... وثانيهما أن حدود الآخر مرتبطة مباشرة بحدود الأنا أي أن الآخر تحدده دائرة الأنا.

وخلاصة القول هنا أن العلم والمعرفة شيء أساس في إدراك الأشياء إدراكاً يمكن أن يقوم عليه (التعارف) وأن التعارف يتناسب طردياً مع عمق المعرفة بالشيء، فكلما اتسعت دائرة المعرفة وتعمّقت كلما أنتجت تفاعلاً بصيغة إيجابية، والعكس بالعكس، ولعل ذلك ما جعل كل الديانات والشرائع تحث على العلم والمعرفة، وتطالب الإنسان بأن يحارب الجهل والجهالة، وكما يقال فإن الإنسان عدو ما يجهل، أي أن علاقته مع ما يجهل ستكون علاقة غير سوية.

وما «التبين» الذي أوصانا الله بضرورة انتهاجه في قوله تعالى:

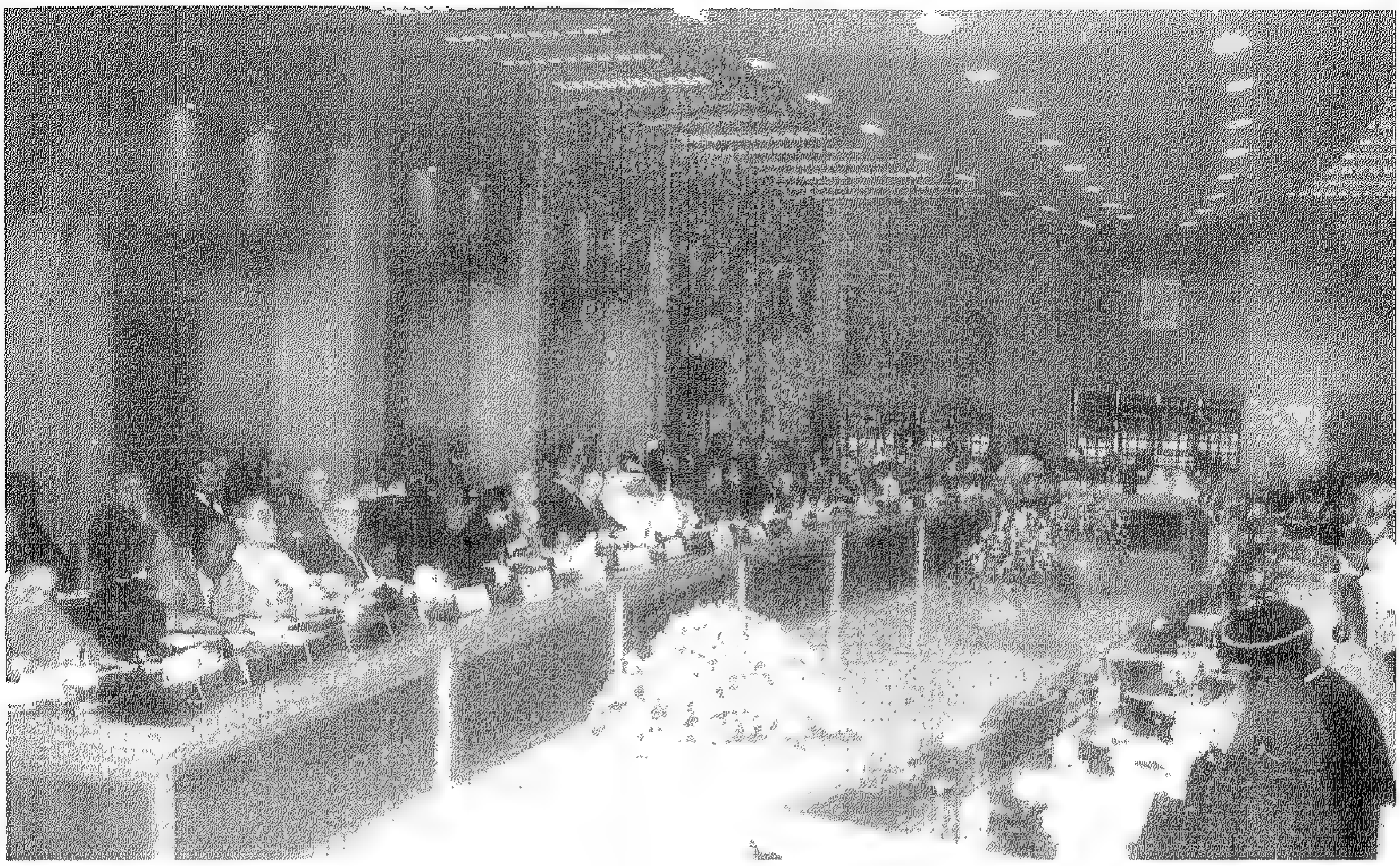


الدكتور محمد المسفر
أستاذ العلوم السياسية
جامعة قطر

أنا أعتقد أن ملتقى لتعارفوا انعقد في ظرف حاسم ومؤثر لما يجري في العالم وخاصة العالم الإسلامي. وهذا أول مؤتمر ينعقد بهذه الفعالية الكبرى، وأرى أن هذا الملتقى جمع شمل الكثير من الفعاليات من المسيحيين والمسلمين والقوميين والكتاب والمفكرين على اختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم، وهذه تظاهرة ثقافية جديدة نتمنى لها التواصل والاستمرار. وفي نفس الوقت دائما ليبيا هي المبادرة لمثل هذه المواقف والملتقيات، ونتمنى أن تؤدي فعاليات هذا الملتقى إلى تألق جديد وتفاعل جديد بين كل قطاعات العالم الإسلامي والمسيحي.

وهنا أرى ضرورة أن ننطلق من تلمس الإجابة عن سؤال مهم هو: كيف يعرفنا الآخر ؟ كيف يرانا ؟ ما هي معرفته بمشاكلنا وقضايانا المصيرية ؟ وما هي أبعاد هذا الهجوم الذي نتعرض له من الإمبريالية العالمية ؟ أو ما يسمى المسيحية الصهيونية ؟ أو اليمين الجديد الذي يقود الغرب في هذه المرحلة ؟

ولا يخفى أن الأرضية التي ننطلق منها ونحن نتدارس ونتداول مسألة التعارف ؛ فإننا نؤسس لمشروع مستقبلي كبير ومهم، يحدد ويوضح ما هي احتياجات المستقبل. ونداء طرابلس من أجل التعارف قدم صياغة عملية للعديد من النقاط التي تشكل الأساس لعمل كبير ومتواصل من أجل خير البشرية.



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾
[سورة الحجرات : الآية 6]

سوى أمر بالتريث واعتماد مزيد من الوقت في البحث والتقصي وجمع أكبر قدر ممكن من المعارف؛ يمكننا من الوقوف على الحقيقة حتى لا نصيب الآخرين بجهالتنا أو جهلنا نتيجة معلومات مضللة قد يكون مصدرها أحد الفساق... وإذا كان الفساق في عصور خلت مجرد أفراد يقلبون الحقائق وينشرون الأكاذيب وينفخون في أبواق الفتنة، ففساق اليوم قد يكونون في صورة مراكز بحثية ومؤسسات إعلامية وأحزاب سياسية، بل قد يكونون قيادات سياسية ذات تأثير كبير في كل مناحي حياة مجتمعنا الإنساني.

إذاً فالجهل والجهالة والتجهيل هي العقبة الكأداء في الوصول إلى «تعارف» حقيقي بكل ما يحمله التعارف من معانٍ إيجابية. ولكن يبقى الجهل بالشيء وعدم معرفته أهون من التجهيل به أو تقديمه على غير حقيقته، ففي الحالة الأولى قد لا يتطلب الأمر موقفاً محدداً سوى محاولة إزالة ذلك الجهل بالشيء، وبذل الوسع في الوصول إلى معلومات حوله، بينما في الحالة الثانية فإن علاقة سلبية ستنتج بسبب معلومات ومعارف خاطئة، وهنا تكمن خطورة تزييف الحقائق وحجب المعلومات، لأنها ستفرز علاقات ظالمة بين المجتمعات البشرية، ولعل نسبة كبيرة من مشكلات العالم اليوم هي نتيجة لمعرفة إما غير موضوعية ومناقضة للواقع أو غير مكتملة في عناصرها حول موضوعات تلك المشكلات... فالمعرفة الخاطئة بالشيء ستؤدي حتماً إلى نشوء علاقة خاطئة معه، لذلك فإن المجتمع الإنساني اليوم في أمس الحاجة إلى «التعارف» القائم على معرفة حقيقية بالآخر، وقبوله كما هو لا كما تريده أنت.

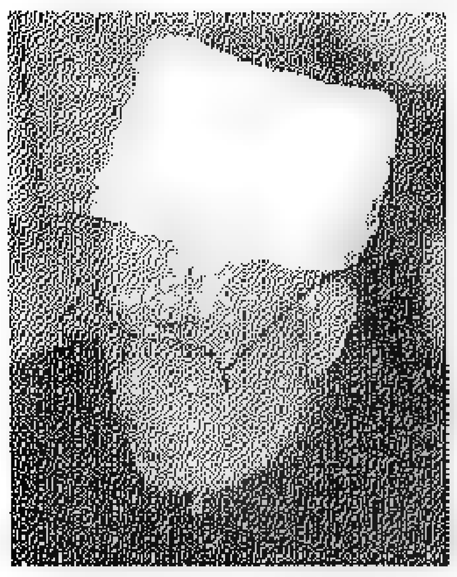
ولعل من الأسباب الرئيسية التي حدت بالجمعية إلى تجاوز صيغة الحوار بصفة عامة والحوار الإسلامي المسيحي على وجه اخص إلى صيغة التعارف؛ هو أن الأول ظل على مدى عقود يحوم في أفاق اكاديمية، أو توقف عند مستويات دينية محددة، وكان في جزئه الأكبر استعراضاً لوجهات نظر كل طرف حيال قضايا تشغل عالمنا المعاصر من خلال كم كبير من الندوات والمؤتمرات وورش العمل، كان نتاجها كلاماً إيجابياً بقي جله في ذاكرة المشاركين

أو حبيس الأرفف، دون أن يتجاوز الحوار إلى التعارف بمعنى التفاعل الإيجابي المفضي إلى برامج عملية يحس بها الإنسان العادي.

كما أن التستر بالدين لممارسة أعمال العنف والإرهاب، وانتهاج أساليب إرهابية بحجة مقاومة الارهاب وشيوع ظواهر التمييز العنصري في مناطق مختلفة من العالم، والقول بصراع الحضارات، ومحاولة إقصاء الدين أو تهميشه في حياة مجتمعاتنا المعاصرة، وخلخلة المنظومة القيمية للأديان من خلال الترويج لمظاهر الفساد والانحلال والتفكك الاجتماعي، كلها عوامل تحتم على أتباع الديانتين الإسلامية والمسيحية أن يتجاوزوا اللقاءات الحوارية التي يجمعون فيها عادة على التنديد بكل تلك الصيغ السلبية في عالم اليوم إلى أعمال ملموسة تشارك فيها فعاليات ثقافية ورموز فكرية وسياسية.

هذه توطئة لدخول واحة التعارف، أردنا أن نستهل بها هذه الورقة التي تحاول أن تلقي بعض الضوء على نشاط الجمعية في ميدان «التعارف» الذي نلجه اليوم بعد سلسلة من البرامج الحوارية التي نظمتها الجمعية مع هيئات ومؤسسات دولية عدة، لعل في مقدمتها المجلس البابوي للحوار بين الأديان بالفاتيكان الذي انتظم آخر لقاء حواري معه منذ بضعة أشهر وكان حول دور الأئمة والقساوسة في بناء مجتمع متسامح... وإذا كنا نصنف الحوار مدخلاً للتعارف وسبيلاً له فإننا لا بد أن نوضح أن التعارف ـ كما سبق أن أشرنا ـ يعني التفاعل الجمعي المؤدي إلى تدافع حضاري قوامه التفاهم والتعاون المؤدي إلى إعمار الكون وتقدم الإنسانية، ولولا ذلك التدافع لاضطربت الحياة وأصاب المجتمع البشري خلل روحي ومادي كبير يقول تعالى:

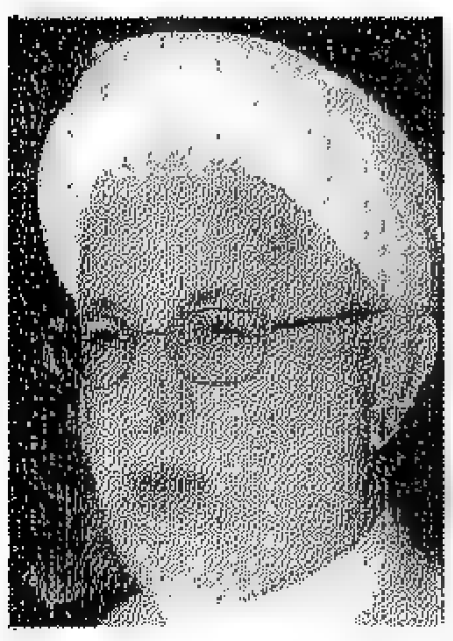
﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحج : الآية 40] **صدق الله العظيم**



الشيخ تاج الدين الهلالي
مفتي أستراليا

هذه الملتقيات تجسد حقيقة التعارف بين البشر تحت هذا الشعار لتعارفوا، وليس لتعاركوا. لقد استخلف الله الإنسان على وجه هذه البسيطة ليعمرها بالمحبة والمودة والتعارف والبناء والإعمار، ولا يحولها إلى ميدان للاعتراك، فقانون الاستخلاف هو أن نجعل من هذه الأرض جنة بقانون التعارف وقانون عالم الشهادة، ومبدأ التعارف مبدأ إنساني إسلامي، وقد أكد عليه الإسلام كل التأكيد، وقد بدأ الحوار طريقه منذ الرسول (عندما التقى وفد نصارى نجران ووفد الحبشة في المسجد النبوي وقام على خدمتهم بل وسمح لهم بأداء صلاتهم متوجهين جهة المشرق في المسجد النبوي.

نقول هذا لأولئك الذين أصابهم الهوس الديني ووقعوا في فخ الصهيونية التي تدعوا إلى صراع الحضارات. الإسلام دين التعارف والحوار والحكمة والموعظة الحسنة.



محمد سعيد نعماني
أمين عام مجلس التقريب
بين المذاهب / إيران

هذا اللقاء مهم جدا نحتاجه اليوم في العالم، صحيح أنه عقدت وتعقد الكثير من الندوات بهذا الاسم وتحت هذا العنوان، ولكن نتيجتها وللأسف الشديد ضعف ثقافة الحوار والتعارف والتفاهم نتيجة لممارسات دولية تحاول أن تقصي الآخرين كي لا يشتركوا في صنع القرار

وإيماناً من الجمعية بأن الحوار هو السبيل الحضاري لفهم الآخر كما هو لا كما تريده أنت، وإسهاماً منها في إشاعة مفهوم (التعارف) الذي يتجاوز مفهوم الحوار ويعمقه ويخرج به من التخوم الأكاديمية إلى الوسط الجماهيري، فقد نظمت الملتقى الدولي الواسع حول مفهوم التعارف، وذلك على هامش الدورة الرابعة عشرة للمجلس العالمي للدعوة الإسلامية في الفترة من 20ـ23/9/..2003. وملتقى «لتعارفوا» ليس النشاط الحواري الأول الذي تنظمه الجمعية، وبالطبع سوف لن يكون الأخير لكنه كان الأوسع مشاركة والأبرز أثراً بعد مؤتمر الحوار الإسلامي المسيحي الذي عقد بطرابلس في شهر فبراير 1976.

❖ فقد حضر أعماله قرابة مائتي مشارك من العلماء والمفكرين والمهتمين بقضايا الحوار من مسلمين ومسيحيين جاؤوا من ستين دولة من جميع قارات العالم، حيث تدارسوا عدداً من القضايا التي دارت في مجملها حول المصطلح القرآني «لتعارفوا».

❖ ولعله من الجدير بالذكر بأن هذا هو أول لقاء لم يتخذ من مصطلح «التعارف» شعاراً فحسب بل قدم رؤية متكاملة لهذا المصطلح من خلال عدد من الأوراق والدراسات والمداخلات والنقاشات المفتوحة، التي أثرت هذا المفهوم وأوضحت مرتكزاته وكشفت عن عمقه باعتباره مفهوماً يتجاوز الحوار إلى عملية تفاعلية إيجابية بين الأقوام والشعوب، تهدف في النهاية إلى الاعتراف بالآخر كما هو واحترام خصوصياته وإدراك أن هذا الاختلاف واقع اقتضته الحكمة الإلهية.

❖ وشهد الملتقى حضوراً مسيحياً واسعاً جغرافياً وعقائدياً، فقد كانت مشاركة الجانب المسيحي تمتد من الفلبين إلى شمال أمريكا ومن وسط آسيا إلى جنوب القارة الأفريقية، ومثلت فيه جل الطوائف والمذاهب والتيارات والكنائس المسيحية، وكانت الشخصيات المسيحية المشاركة في أغلبها تحتل مراكز قيادية في كنائسها وتجمعاتها، وتميزت مناقشاتها لمفهوم «التعارف» بإدراك للمعاني الإنسانية التي يحملها، وقوامها التعاون والمحبة وقبول الآخر في إطار احترام خصوصياته الدينية والاجتماعية والقومية.

❖ كما غطت المشاركة الإسلامية مساحات جغرافية أوسع، وتنوعت هذه المشاركة بين علماء ومفكرين حضروا بصفتهم الشخصية وبين مسؤولين عن منظمات وهيئات إسلامية حضروا لتمثيل منظماتهم، إضافة إلى عدد من الصحافيين والإعلاميين والكتّاب المهتمين بقضايا الحوار.

❖ التعارف يعني التفاعل الاجتماعي الإيجابي المحكوم بميزان واحد فقط هو ميزان «التقوى» الذي يعني في أبسط معانيه مقاومة الشر واتقاءه والعمل من أجل الخير والانحياز له

❖ ولعل ما ميّز هذا اللقاء مشاركة عدد من الشخصيات الرسمية من الجانبين المسيحي والإسلامي فقد حضر أعماله (جوسي ديفينيسيا) رئيس البرلمان الفلبيني، والرئيس أحمد بن بلة البطل التاريخي للثورة الجزائرية، والسيد جون دالي وزير المالية ونائب رئيس الحكومة المالطية آنذاك وزير الخارجية الحالي، والسيد نائب وزير الداخلية الإيطالي ممثلاً للإتحاد الأوروبي، والدكتور أحمد توفيق وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

❖ وتميّز الملتقى بحضور عدد كبير من المنظمات الدولية ذات العلاقة بالشأن الثقافي وقضايا الحوار منها: منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «اليونيسكو» والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إاسيسكو» والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «إليكسو» منظمة المؤتمر الإسلامي، المفوضية العليا لشؤون اللاجئين، ومجلس الكنائس العالمي، ومنظمة الفرانكوفونية، الأزهر الشريف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

بمصر، والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب بإيران.

❖ أما توقيتاً فقد أتى المؤتمر في أوج ما يتعرض له الإسلام ديناً وعقيدة من افتراءات تتهمه زوراً وبهتاناً بأنه يجنح إلى العنف ويبرر الإرهاب ويتميز بالانغلاق الفكري والانكفاء على الذات، ويمارس الاضطهاد ضد المرأة والأقليات، ويرفض الاعتراف بالآخر، ولذلك فقد كان الملتقى بتلك المشاركة الواسعة ـ رسمياً وشعبياً ـ رسالة واضحة إلى العالم بأسره تؤكد على أن «التعارف» كمفهوم قرآني يحمل كل معاني الاحترام للآخر ويدعو إلى التعاون معه في كل ما يحقق خير البشرية، رافضة بالحجة والمنطق ما يلصق بالإسلام من تهم بالتطرف والإرهاب والتعصب، وقد صيغت تلك الرسالة من قبل المسلمين والمسيحيين على حد سواء، وتمثلت بجلاء في «نداء طرابلس من أجل التعارف» بشقيه المتمثلين في الأسس والمبادئ ـ والقرارات والتوصيات.

وبالتأسيس على الملاحظات التي سيقت فإنه يمكننا أن نقيم ذلك اللقاء تقييماً إيجابياً، وأن نصفه باللقاء الناجح بكل المقاييس، وقد عزّز ذلك النجاح دون شك مكانة الجمعية ومجلسها العالمي ولجنتها التنفيذية في الأوساط الدولية والإسلامية وأوضح بجلاء النهج الحضاري الذي تتبعه في إبلاغ رسالة الإسلام إلى العالمين.

ولا شك في أن نجاح اللقاء رتب على الجمعية ومجلسها العالمي للدعوة الإسلامية وعلى الهيئات الإسلامية والمسيحية التي حضرت اللقاء وساهمت في نجاحه مسؤوليات المتابعة اللازمة، واستثمار هذا النجاح من خلال برامج ترسخ المبادئ التي أسّس عليها «نداء طرابلس من أجل التعارف» وتحويل توصياته إلى برامج عملية تنفذ من قبل الجمعية أو بالتعاون بينها وبين الهيئات والمؤسسات الإسلامية والمسيحية التي أرادت أن تكون طرفاً في مثل هذا العمل الحضاري.

الذي يهمهم جميعا.

كلما ازدادت هذه الندوات واللقاءات وتعددت أنا أتصور أنها إيجابية جدا، ومهمة، لكي تشيع ثقافة التعارف وثقافة الحوار على أوسع مدى يمكن أن تصل إليه، وحسنا فعل المجلس العالمي للدعوة الإسلامية باختياره هذا العنوان «التعارف» شعاراً لهذا الملتقى الفكري، وهذا الجمع من العلماء والمفكرين مسلمين ومسيحيين يعطي اللقاء معنى ونكهة وطعما مميزا يختلف عن بعض اللقاءات التي يكون فيها تقريبا الإنسان محاورا لنفسه فقط. إن الشخصيات التي حضرت هذا الملتقى على مستوى معروف ومشهور في العالم الإسلامي والمسيحي واللقاء بكل صدق كان مميزا ومتميزا.



الدكتور المنجي أبو سنينة

المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

ملتقى لتعارفوا جمع نخبة من العالم أجمع، وقد قال أحدهم عن هذا الملتقى «كأني في الأمم المتحدة» والوفود من أنحاء العالم الإسلامي والمسيحي ومن كل التيارات والتوجهات، إنه ملتقى عالمي أفضى إلى نتائج مهمة باعتبار أن الشعار الذي اختير لهذا الملتقى هو شعار الحوار والتعارف، بحيث أن النتيجة ستكون مهمة جدا وتفضي إلى برامج عمل لمواصلة الحوار في المجالات الثقافية والدينية واللغوية على أسس السلم والتسامح وزرع بذور الخير في العالم والقضاء على العنف وإحلال السلام.



وشعوراً بتلك المسؤولية فقد تمّ وضع برنامج لمتابعة توصيات الملتقى بالتنسيق مع عدد من الهيئات الإسلامية والمسيحية، منها تنظيم ست ندوات حول موضوع التعارف، نفذت اثنتان منها في مدينة وندزر ببريطانيا والعاصمة الروسية «موسكو»، وهذه هي الندوة الثالثة التي تنفذ اليوم في عمان، أما الرابعة فستنظم في تورنتو بكندا يومي 18 و19 من شهر الفاتح (سبتمبر) الجاري... والاتصالات جارية لتحديد مكان وزمان الندوتين: الخامسة في جنوب شرق آسيا والسادسة في شرق أفريقيا واللتين ستعقدان بإذن الله قبل نهاية هذا العام... وتهدف هذه الندوات وورش العمل ـ التي تأتي في إطار تنفيذ ملتقى «لتعارفوا» وبهذا التوزيع الجغرافي وبمشاركة إسلامية ومسيحية واسعة ـ إلى دراسة صيغ تنفيذية لبرامج التعارف وجمع تصورات لعمل مشترك بين منظمات إسلامية ومسيحية يقرب نتائج الحوارات بين الطرفين إلى الشارع الذي كانت صلته بتلك النتائج في حدودها الدنيا.

❖ نسبة كبيرة من مشكلات العالم اليوم هي نتيجة لمعرفة إما غير موضوعية ومناقضة للواقع أو غير مكتملة في عناصرها حول موضوعات تلك المشكلات

كما تهدف هذه الندوات إلى جمع الأفكار ودراسة التصورات والاطلاع على التجارب ذات العلاقة بمصطلح التعارف وتطبيقاته العملية، وإن خلاصة هذه الندوات وما يرد فيها من توصيات واقتراحات ستكون مادة لمؤتمر واسع يجمع الفعاليات الفكرية والثقافية التي شاركت في هذه الندوات من أجل إقرار برنامج عمل مؤسس على نتائجها، وذلك من أجل إشاعة ثقافة التعارف بما يؤدي إلى تعاون حقيقي يساهم في تخفيف حدة الصراعات في عالمنا ويقاوم الأصوات التي تقول بصراع الحضارات أو تصادم الثقافات.

ولما كنا قد أشرنا إلى أن ندوتين قد عقدتا في

كل من بريطانيا وروسيا، وحيث إن جل الحاضرين معنا اليوم في عمّان لم يشاركوا في ندوة مدينة وندزر ببريطانيا والعاصمة الروسية موسكو فلا بأس من إحاطتهم علماً بأن ندوة «وندزر» عقدت في الفترة بين 23ـ2004/3/26 بالتعاون والتنسيق مع مؤسسة روح أوروبا Soul of Europe الانجليكانية، وشارك فيها عدد من العلماء والمفكرين من العالم الإسلامي وأوروبا وأمريكا وأفريقيا، وعرضت خلالها أوراق بحثية حول مفهوم التعارف، مؤسسة في جلها على ما دار في ملتقى طرابلس، كما احتوت الندوة على حلقات نقاش وعروض إعلامية عزّزت مفهوم التعارف، وقد قامت مؤسسة روح أوروبا مشكورة بجمع أدبيات تلك الندوة في ملف باللغة الانجليزية متاح لاطلاعكم.

أما ندوة موسكو التي التأمت يومي 25ـ2004/5/26 فقد كانت ضمن إطار الاحتفالات التي نظمتها بلدية موسكو بمناسبة مرور مئة عام على بناء مسجد موسكو وبالتنسيق والتعاون مع المجلس الأعلى لمفتي جمهورية روسيا الاتحادية، وقد شارك في تلك الندوة رؤساء جمهوريات الداغستان وتتارستان وأنغوشيا وعميد بلدية موسكو ومديرو الإدارات الدينية في روسيا وأعضاء مجلس الإفتاء فيها، وممثلون عن الكنيسة الروسية وعدد من العلماء من تركيا وإيران وأذربيجان وطاجيكستان،إضافة إلى عدد من أساتذة الجامعات الروسية والمهتمين بشؤون الحوار والتعارف في الأوساط الثقافية الروسية، وسيقوم المجلس الأعلى لمفتي جمهورية روسيا الاتحادية بترجمة أدبيات تلك الندوة من الروسية لتكون ميسرة لاطلاع الراغبين.

ولا شك في أن الاستجابة المشجعة لجهود الجمعية في إطار التعارف من قبل عدد من الشخصيات السياسية والفكرية والدينية مثل الرئيس الإيطالي الأسبق كوسيغا والرئيس السيراليوني تيجان كابا اللذين حاضرا في طلاب كلية الدعوة الإسلامية داعمين رؤية الجمعية للتعارف وجهودها من أجل



بلال التل

مدير المركز الأردني للمعلومات / الأردن

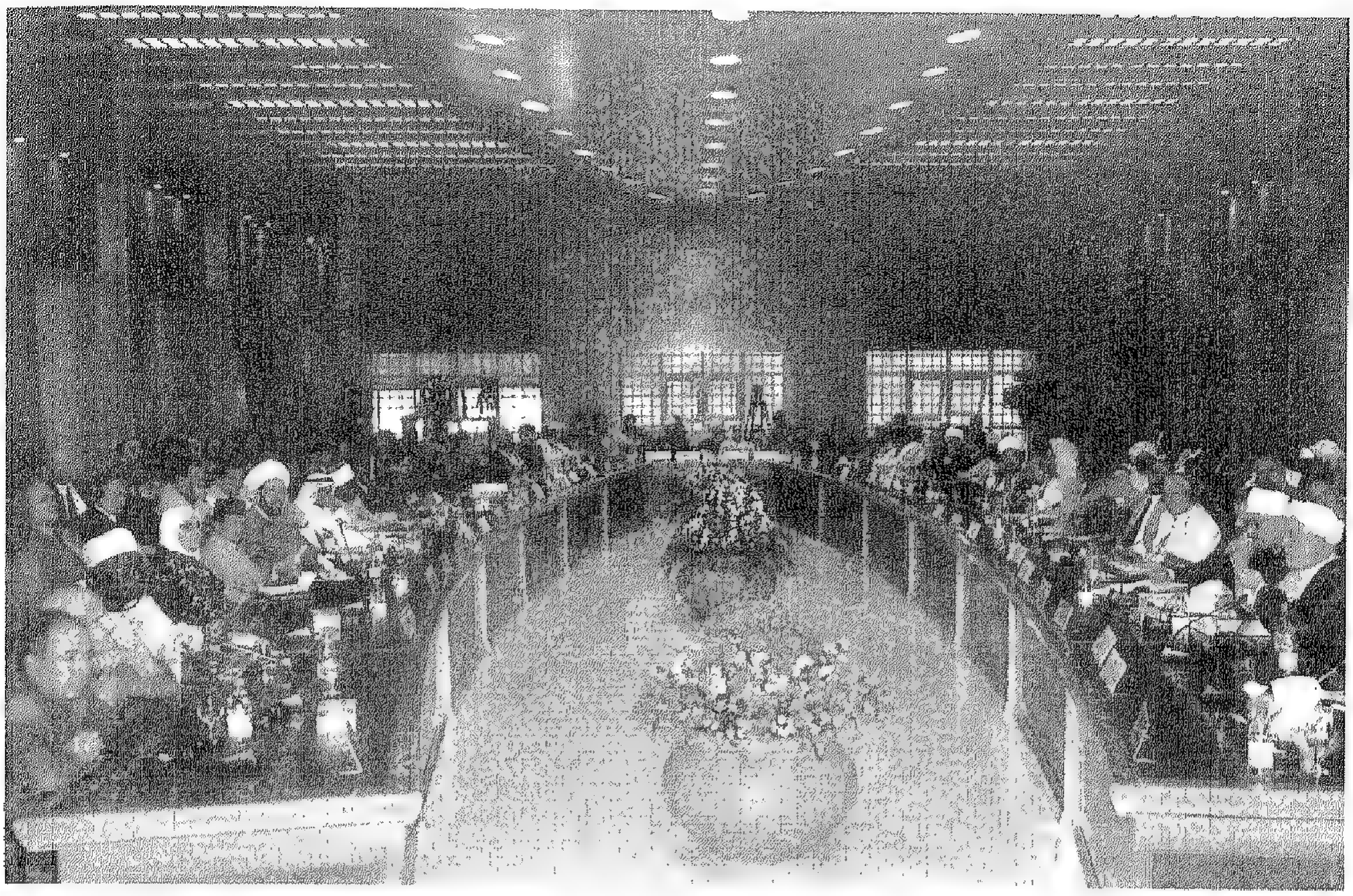
الملتقيات السابقة كانت تتحدث عن الحوار بشكل عام في حين ركز هذا الملتقى على فلسفة التعارف وكانت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية سباقة فيه، وقد تميز هذا الملتقى بنوعية الحضور وكثافته من مختلف الشرائح والمذاهب على المستوى العالمي.



الدكتور نصر فريد واصل

مفتي مصر السابق

التعارف في الإسلام ليس فقط ضرورة أمر بها الإسلام بل يرتقي لدرجة العقيدة والشريعة واجبة النفاذ، فالمسلم لا يكون مؤمنا إلا إذا آمن بإنسانية أخيه الإنسان مهما اختلفت الألسنة والعقائد والألوان، الإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه مستخلف في الأرض، أما العقيدة التي أرسل الله بها الأنبياء والمرسلين وختم بها رسالة سيدنا محمد (فهي تمثل علاقة الإنسان بربه، وعلى عقلاء العالم وعلمائه أن يجتمعوا على كلمة سواء في مواجهة الظلم والبغي الذي ينتشر في العالم اليوم، ويظهر بأبشع صورة في فلسطين والعراق، وإن لم يقل العلماء كلمتهم فلن تكون النتيجة سوى الدمار.



إشاعة مفهومه، إضافة إلى محاضرات ألقاها في نفس الموضوع قداسة البابا شنودة، والسيد محمد فؤاد نهدي مستشار رئيس الوزراء البريطاني للشؤون الاعلامية رئيس تحرير صحيفة Q. News والدكتورة ليزا إندرسون عميدة كلية الشؤون الدولية في جامعة كولومبيا بنيويورك... وكانت آراء كل هؤلاء مشجعة وداعمة ومشاركة في تلك الرؤية.

وكانت دورة المجلس العالمي للدعوة الإسلامية التي التأمت في روما خلال شهر الماء (مايو) الماضي بما استضافته من فعاليات أوروبية وثقافية ودينية من كل من إيطاليا وأسبانيا وفرنسا وألمانيا والسويد ومالطا واليونان إضافة إلى أعضاء الأمانة العامة للمؤتمر الإسلامي الاوروبي فرصة لمناقشة قضايا التعارف وتطبيقاته.

وفي ختام هذه الورقة فإن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي تنظم هذه الندوة بالتعاون مع المركز الأردني للدراسات والمعلومات لتدرك بأن هذه الثلة من العلماء والمفكرين من الجانبين الإسلامي والمسيحي في منطقتنا العربية لقادرة على أن تثري موضوع التعارف برؤى وأفكار ستلقى كل اهتمام ومتابعة من جانب جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والهيئات والمؤسسات التي صاغت معها بيان طرابلس من أجل التعارف... إن هذه الندوة والندوات التي نظمت في إطار برنامج التعارف لهي أكبر دليل على اختلاف الناس تمشياً مع حكمة أرادها الله.

«ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة» والإرادة الإلهية التي خلقتنا من ذكر وأنثى وقسمتنا إلى شعوب وقبائل هي ذات الإرادة التي طلبت منا أن نتعاون على البر والتقوى وألا نتعاون على الإثم والعدوان، مرضاة لإلهنا الواحد واتباعاً لمنهاج رسله الكرام، ذلك هو الإيمان المبني على التعارف الذي تؤطره التقوى ولا شيء غير ذلك...

﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾

[سورة العنكبوت : الآية 46]

صدق الله العظيم

لتعارفوا

نداء طرابلس من أجل التعارف



إدراكاً للحكمة الإلهية التي اقتضت جعل الناس شعوباً وقبائل، أمماً وأقواماً، أجناساً وألواناً.. وشعوراً بثقل الأمانة التي حمّلها الله الإنسان باستخلافه في الأرض لإعمارها وعدم الفساد فيها.. واستشعاراً لخطورة ما ينتاب مجتمعنا الإنساني من فتن وصراعات، وحروب واضطرابات هددت أمنه وعبثت باستقراره، ورداً على الأصوات التي ظهرت هنا وهناك تُنظّر لصراع الحضارات وصدام الثقافات، فقد قرر المجلس العالمي للدعوة الإسلامية الذي يبرمج لأنشطة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ويشرف عليها، تنظيم ملتقى فكري ثقافي موسع تحت شعار (لتعارفوا) وذلك على هامش دورته الرابعة عشرة.

وقد انتظم هذا الملتقى بطرابلس في الفترة من 20 ـ 22 من شهر الفاتح (سبتمبر) 1371 من وفاة الرسول ﷺ (2003 مسيحي) وشارك فيه أكثر من (130) منظمة وهيئة إسلامية ومسيحية من مختلف أنحاء العالم إضافة إلى عدد من المنظمات الدولية والإقليمية ومسؤولي الكنائس الشرقية والغربية ولفيف من الباحثين والمفكرين ورجال الإعلام والمهتمين بقضايا الحوار.

وقد عكف المشاركون في هذا الملتقى على دراسة عدد من الأوراق والمداخلات التي ناقشت مفهوم التعارف باعتباره نتيجة من نتائج الحوار الهادف الذي يعزز الاحترام المتبادل ويرفض الظلم ويقاوم الاستعلاء في الأرض، ويؤسس لعلاقة تعاونية بين الأقوام والشعوب على أساس المساواة التي أكدتها الشرائع وعززتها المواثيق والأعراف الدولية.

وقد وجه المشاركون في هذا الملتقى (نداء) أسموه (نداء طرابلس من أجل التعارف) هذا نصه:

«إننا المشاركون في الملتقى الفكري الحواري الذي نظمته وأشرفت عليه جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومجلسها العالمي قد تدارسنا أوضاع عالمنا وما تحف به من مخاطر، نتيجة ابتعاد الناس عن الشرائع وانحرافهم عن درب الأنبياء والمصلحين، وانحسار مساحة القيم والأخلاق في الحياة، وظهور صور من العلاقات الظالمة بين الأمم والأفراد، لنتوجه بهذا النداء إلى كل قوى الخير والحق في عالمنا من أجل غد أفضل لأجيالنا وعالم أكثر أمناً وسلاماً لمجتمعاتنا ويرتكز نداؤنا على الأسس والمبادئ التالية:

- ❖ التعدد الديني والاثني والثقافي واللغوي بين الناس والمجتمعات آية من آيات الله، وتعبير عن المشيئة الإلهية في خلق الناس مختلفين ليتعارفوا وليتدافعوا في عمارة الكون.
- ❖ كرامة الإنسان وحريته مبدأ أساسي في كل الأديان والمعتقدات والمساس بتلك الكرامة بأي صورة من الصور أو تقييد تلك الحرية تحت أي مبرر يناقض ذلك الأساس ويصطدم بالمشيئة الإلهية التي كرمت الإنسان واستخلفته في الأرض.
- ❖ التمييز بين البشر أو المفاضلة بينهم على أساس الدين أو العرق أو اللون ممارسة عنصرية لا يقرها دين ولا تبررها شريعة، وان انتهاج أي شكل من أشكالها أو إقراره تحت أي ظرف إنما هو عمل يتناقض مع كل القيم والأخلاق ويتعارض مع كل الشرائع والمعتقدات.
- ❖ تعميم الأحكام وانتهاج أسلوب العقاب الجماعي ظلم كبير لأنه يأخذ الأبرياء بجريرة غيرهم، ويوسّع دائرة العسف ويعرض مجتمعاتنا لخطر العنف ويفتح الباب للعنف المضاد.
- ❖ التعارف بين الناس والحوار بينهم هو السبيل الأوحد لحل مشكلات عالمنا حلاً منصفاً، والجنوح إلى القوة في التعامل مع تلك المشكلات إنما يذكرنا بصور الحروب المأساوية التي شهدها عالمنا والتي يجب أن نتعاون جميعاً حتى لا يكتوي العالم بنارها مرة أخرى.
- ❖ التطرف والتعصب والإرهاب أساليب يرفضها الدين وتمجها الفطرة السوية لأنها تجر المجتمع الإنساني إلى صراعات وصدامات تؤثر سلباً على الحضارات الإنسانية مما يحتم تعاوناً دولياً لمعالجة أسبابه والتضامن في مقاومته.
- ❖ الدفاع عن النفس حق تدفع باتجاهه الفطرة وتقره الأديان وتضمنه الأعراف والمواثيق والخلط بينه وبين الإرهاب والتطرف إنما يساهم في تشجيع الظلم والعدوان ويسعى إلى تشويه الحقائق وقلب الموازين.

وفي سبيل تحقيق هذه المبادئ على أرض الواقع فقد أوصى المشاركون بما يلي:

أولاً: التأكيد على التمسك بثقافة التعارف بين الناس انطلاقاً من القيم الروحية الإسلامية والمسيحية ومن المبادئ الإنسانية السامية وذلك على قاعدة احترام الإنسان الذي كرمه الله واستخلفه في الأرض.

ثانياً: العمل على إبراز القيم الأخلاقية المشتركة التي يدعو لها الإسلام والمسيحية في نبذ العنف والتطرف والغلو، وفي رفض منطق الاتهام الجماعي والإدانة الجماعية والعقاب الجماعي، وفي مقاومة كل مظهر من مظاهر استغلال الدين وتوظيفه في الصراعات والخلافات السياسية والتأكيد على أن السلوك الإلغائي للآخر يتناقض مع هذه القيم الدينية التي تشكل ركناً أساسياً من أركان العقيدة في الرسالتين السماويتين الإسلام والمسيحية.

ثالثاً: العمل على استمرار موقع (لتعارفوا) والذي أنشأته الجمعية خصيصاً لهذا المؤتمر، وتطويره بحيث يصبح ملتقى دائم للمشاركين فيه وغيرهم من دعاة الحوار وذلك لتعميم فكر التعارف ونقله من أن يكون محصوراً بين النخب المثقفة إلى أن يصبح لغة مشتركة بين الشعوب.

رابعاً: تنظيم لقاءات شبابية بين المسلمين والمسيحيين لتحقيق تعارف مباشر فيما بينهم سواء في حرم الجامعات والكليات أو في مخيمات صيفية توفر لهم إمكانات التعارف لتصحيح ما قد يكون عالقاً بأذهانهم من صور نمطية سلبية عن الآخر وتمكنهم بالتالي من تكوين صور إيجابية وموضوعية متبادلة.

خامساً: التوجه إلى الجيل الجديد الذي يقع ضحية الحملات الإعلامية المضللة والمشوشة وذلك من خلال القيام بحملات ثقافية وإعلامية تركز على ما في الإسلام والمسيحية من قيم ومبادئ أخلاقية سامية تحرّم الاعتداء على حياة أي إنسان، كما تحرّم أي انتهاك لحقوقه وفي مقدمتها حقه في ممارسة شعائره الدينية بحرية.

سادساً: إصدار نشرة دورية تتضمن عرضاً للأعمال والأنشطة التي تقوم بها مؤسسات ومنظمات وجمعيات إسلامية ومسيحية في إطار الحوار والتعارف بما يمكنها من تبادل المعلومات وتنسيق النشاطات وتشارك في إنتاج ثقافة التعارف المتبادل.

سابعاً: مناشدة الجميع وخاصة الكتّاب والإعلاميين والسياسيين تجنب استخدام المصطلحات الاستعدائية التي تتضمن اتهامات ضمنية جائرة بحق الآخر أو تمس شعائره ومقدساته أو تحرض عليه وتستعديه.

ثامناً: الالتزام بأسس ومبادئ ثقافة الحوار بالتي هي أحسن باعتبارها الأداة الوحيدة لتحقيق التعارف بين الناس والتعريف بمقومات تلك الثقافة في مؤسساتنا التربوية والاجتماعية.

تاسعاً: ضرورة الفصل بين المواقف السياسية لبعض الحكومات الغربية وبين العقيدة المسيحية وكذلك الفصل بين الإرهاب والعقيدة الإسلامية لما في الحالتين من إجحاف وتجنٍ.

عاشراً: يؤيد الملتقى إنشاء مجلس دائم للحوار بين الأديان والعقائد في إطار الأمم المتحدة دعماً لأسس التعارف بين الناس وإسهاماً في إرساء قيم الحق والسلام في العالم.

حادي عشر: توثيق أعمال هذا الملتقى وتجميع أبحاثه ومداخلاته وترجمتها إلى عدة لغات وتوزيعها على أوسع نطاق توسيعاً للفائدة ونشراً لثقافة الحوار.

ثاني عشر: يتقدم المشاركون بشكرهم وتقديرهم لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومجلسها العالمي على تنظيم هذا الملتقى وعلى الترتيبات التي ساهمت في نجاحه».



الدكتور عبد الحق عيسى

أمين الجمعية الإسلامية/ميلانو

إن لقاء المؤمنين يكتسي أهمية من حيث أنه يمكن من تأصيل الدين ونقاوة عبادة الله، وإن حياة أول مجتمع إسلامي في المدينة دليل واضح على تعايش وتكيف مختلف الشعوب والشرائع، وينبغي أن يكون ذلك نموذجا يحتذى به، إن التعارف يجب أن يكون بعدا طبيعيا لحياتنا لأنه إرادة الله.



الدكتور يوسف القرضاوي

رئيس مركز بحوث السنة والسيرة/ قطر

إن كل لقاء يجمع ولا يفرق، ويبني ولا يهدم، ويوحّد ولا يشتت ؛ هو لقاء يرحب به الإسلام وعلماء ودعاة الإسلام. ينطلق الإسلام من فكرة واضحة ومن عقيدة راسخة، وهي أن البشرية كلها أسرة واحدة، تشترك في العبودية لله تعالى وفي البنوة لآدم، وهذا ما قاله رسول الإسلام في حجة الوداع للجموع الحاشدة : أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لأحمر على أسود ولا لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم. وهذه هي نظرة الإسلام للبشرية، إنها أسرة واحدة، وإلى هذا يشير قوله تعالى في مطلع سورة النساء:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[سورة النساء: الآية 1]

ندوة وندسور Wendsor للتعارف

المنعقدة بدار سانت جورج، بقلعة وندسور

23 ـ 2004/3/26



انعقد مؤتمر وندسور في وقتٍ يتزايد فيه التوتر في العالم، فقبل انعقاد المؤتمر بإثني عشر يوماً حدثت تفجيرات مدريد التي أودت بحياة 200 شخص. وقبل انعقاده بيوم واحدٍ اغتالت إسرائيل زعيم حركة حماس الكسيح الشيخ أحمد ياسين بينما كان يغادر المسجد في صلاة الفجر. وكلُّ هذا تهديد لعملية السلام في الشرق الأوسط. وقبل أسبوعين اندلعت موجة من الحرائق في المساجد والكنائس في البوسنة وصربيا بسبب الاضطرابات بين المسلمين والنصارى في كوسوفا.

إن مؤتمر وندسور هو متابعة لمؤتمر التعارف الذي انعقد في طرابلس بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية في سبتمبر 2003.

لقد دعا د. محمد الشريف، ودونالد ريفز معاً قادة الفكر في العالمين الإسلامي والمسيحي لوضع خطة استراتيجية من أجل نشر مبادئ التعارف عبر العالم. وسوف يتبع مؤتمر وندسور مؤتمرات مماثلة في (كندا) بتورنتو، وروسيا (موسكو)، وجنوب شرق آسيا وأفريقيا.

كما انعقد اجتماع في الفاتيكان بروما بتاريخ

2004/3/10 بين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمجلس البابوي للحوار بين الأديان، وكان ذلك قبل بضعة أسابيع من انعقاد مؤتمر وندسور.

لقد كان المقصد الأساس من مؤتمر وندسور التعرّف على الخطوات الدقيقة اللاحقة لهذه المبادرة الجديدة المتحدّية نحو التعاون الفعّال بين الإسلام والمسيحية.

وقد اتفقت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ومنظمة روح أوروبا، وجميع المشاركين في المؤتمر على أن الحاجة باتت ماسّة الآن لتجاوز الحوار بين الأكاديميين والزعماء الدينيين، وذلك بالأخذ بمبادئ التعارف وغرسها في الجماعات العريقة التي تحتاج إلى معرفة كيف تعيش مع بعضها البعض بشكل منسجم في ظروف يغلب عليها التوتر بسبب الريبة المتبادلة، وفقدان الدعم المادي والروح الكافيين معاً.

إن النتيجة الرئيسة لمؤتمر وندسور إدراك الأهمية الأولى للصداقة التي تحدث بين أتباع العقائد المختلفة، وتكون أساساً ثابتاً لمنتديات مستقبلية مع خلق مرونة لمهام مستقبلية التي تحتاج أن تكون عملية ومنتجة في أهدافها ونتائجها.

إن انعقاد المؤتمر في دار سانت جورج في وندسور، وهي وسط مريح جداً يقوم على أرض قلعة وندسور، شجّع على الابتعاد عن الرسميات، كما شجّع على العمل المكثّف في الموضوع الرئيس.

لقد كان كلٌّ واحدٍ من الحاضرين حُرّاً في الحديث والمشاركة في الخطاب. وقد أدّت سلسلة المحاضرات إلى مناقشات مكثّفة.

وقد أقبل المتحدثون الضيوف في أوقاتٍ مختلفةٍ لإضافة وجهات نظر جديدة والتحفيز لأفكار أخرى.

وقد تضمن البرنامج عرضاً لشريط Rehem Tayie عن نشاطات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، مع الإشارة إلى مؤتمر (لتعارفوا) المنعقد في طرابلس في سبتمبر 2003، والذي تحدث فيه

وما أجدر كلمة الأرحام هنا أن تكون إشارة إلى الأرحام الإنسانية العامة **وليس مجرد الأرحام الخاصة، فبين الإنسانية كلها رحم مشترك**، ووشائج واصلة، وهي أنهم مخلوقون لرب واحد ﴿ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾ وأنهم مخلوقون من نفس واحدة، وأنهم لهذا إخوة، ولذلك كان رسول الإسلام يقول دُبُرَ كل صلاة (اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه أنا شهيد أنك وحدك لا شريك لك، اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه أنا شهيد أن محمدا عبدك ورسولك، اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة) فهذه نظرة الإسلام إلى البشرية.



القس ثوما ثاوس بشارة عدلي
راعي كنيسة الأرثوذوكس العرب/ طرابلس

الإسلام والمسيحية رسالة واحدة وهي الدعوة للحب الصادق والتعاون، نبني على هذا الحب مجتمعا إنسانيا تسوده العدالة والرحمة، وتربط بين أفراده أواصر الصدق والأخوّة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [سورة الحجرات: الآية 13]

وهذه أيضا هي تعاليم المسيحية التي تدعوا إلى المحبة والتعارف والتعاون (إن الله محبة، من يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه) لذا فنحن نؤمن ان عزتنا في وحدتنا، نجاحنا في أخوتنا، قوتنا في ترابطنا، فنحن المسلمون والمسيحيون دمًا ولحمًا، أملا وألمًا، والحاجة الملحة في هذه الأيام هي الحب، والعالم كله محتاج إلى لغة الحب، وهي لغة السمائيين، يحتاج إليها العالم الآن لكي تصبح الأرض سماء.

دونالد ريفز من بين الحاضرين عن الحاجة العَجْلَى للجماعات العالمية الكبرى، لا من أجل الحديث فقط بل من أجل العمل أيضاً.

وقد دُعي جميعُ المشاركين للالتحاق بصلاةٍ في كنيسة سانت جورج.

وفي كلمة الترحيب ذكّرنا أندرو هاردينج مدير دار سانت جورج بالتاريخ الطويل لقلعة وندسور التي ظلّت آهلة منذ سنة 1565.

ثم تحدث دونالد ريفز عن الاختلافات الجوهرية بين المسيحية والإسلام وتحدث د. محمد أحمد الشريف عن التاريخ الطويل للحوار بدءاً من مجادلة النصارى لمحمد (ﷺ) في المسجد وهو أقدم مثال على الحوار العملي. فالمجادلات كانت علامة طيبة وبديلاً عن الحرب والكراهية.

ولم يكن الجدل بين العقائد فقط، بل معنى إلى أبعد من ذلك وهو الحوار داخل الدين الواحد.

إنّ معنى التعارف هو أبعد من الحوار ويتجاوزه. إنّه معرفة مشتركة تقود إلى الآخر. وهذه المعرفة هي أعلى نمط من المحبة والتي هي معرفة الله. وقد أكّد على الأهمية الخاصة لمؤتمر وندسور في تحقيق الخطوات اللاحقة، في الاجتماعات الإقليمية الخمسة بعد مؤتمر التعارف في طرابلس في سبتمبر 2003.

وسوف يلتحق ممثلون عن كل مجموعة بالمؤتمرات الإقليمية، بدءاً من وندسور ذهاباً إلى كندا، وروسيا، وإفريقيا، وجنوب شرق آسيا.

ثم سيجتمعون ثانية في طرابلس عند نهاية العام للنظر فيما استجدّ من مسائل ظهرت أثناء الاجتماعات، واتخاذ القرارات في الموضوعات المستقبلية التي تحتاج أن تكون قوية وعملية.

وقد اختتم د. الشريف ترحيبه بأن الجميع يمكن أن يتعلّموا من بعضهم البعض. ويصرف النظر عن الاختلافات فإن لدينا قواسم مشتركة من قيم السلم والتعايش.

توصيات ندوة «لتعارفوا» المنعقدة في وِندْسور

1 ـ التأكيد على الالتزام بثقافة المعرفة المتبادلة بين الشعوب على أساس القيم الروحية الإسلامية والمسيحية، والمبادئ الإنسانية الراقية، وعلى أساس احترام الوجود الإنساني الذي شرّفه الله واستخلفه في الأرض.

2 ـ محاولة التأكيد على القيم الأخلاقية المشتركة التي ينادي بها الإسلام والمسيحية في إنكار العنف والتطرف والغلوّ، والتخلّي عن منطق الاتهام الجماعي، والإدانة، والعقاب الجماعي، ومقاومة جميع أشكال الاستغلال، واستخدام الدين في النزاعات السياسية والخلافات، والتأكيد على أنّ إقصاء الآخر يكون عند التعارض مع تلك القيم الدينية التي تشيد أحد الأركان الأساسية للإيمان في الرسالتين السماويتين: الإسلام والمسيحية.

3 ـ الإبقاء على موقع (لتعارفوا) على الانترنت مفتوحاً، وهو الموقع الذي أسّسته الجمعية وطوّرته لا سيما من أجل هذا المؤتمر، وجعله مكاناً لاجتماع المشاركين، وأنصار الحوار الآخرين. والغرض من ذلك إشاعة ثقافة التعارف المتبادلة، والخروج بها من الدائرة الضيّقة للنخبة المثقفة والتحوّل بها إلى لغة الشعوب المشتركة.

4 ـ عقد اجتماعات شبابية للمسيحيين والمسلمين لغرض تحقيق التعارف المتبادل داخل الجامعات وفي المخيمات الصيفية التي تزوّدهم بالإمكانات التي تحقق هذا التعارف المتبادل بحيث تعالج التحامل الذي زُرِعَ في عقولهم ضد بعضهم البعض، يمكّنهم من بناء صورة موضوعية وإيجابية بشكل متبادل.

5 ـ مخاطبة الأجيال الجديدة التي هي ضحية سوء القيادة والحملات الإعلامية المزعجة عبر حملات تعليمية وإعلامية تركّز على القيم السامية ومبادئ الإسلام والمسيحية التي تحرّم أخذ حياة الناس وانتهاك حقوقهم.

6 ـ طبع نشرة دورية تتضمن مسحاً بالأعمال والأنشطة التي قامت بها المؤسسات والمنظمات والجمعيات الإسلامية والمسيحية داخل إطار عام للحوار والتعارف المتبادل لكي يمكنهم من الاشتراك في المعلومات والتنسيق في الأنشطة والمساهمة في إنتاج ثقافة التعارف المتبادل.

7 ـ مناشدة الجميع، ولا سيما الكتّاب، والتجمعات الإعلامية والساسة أن يتجنّبوا استعمال المفاهيم العدائية التي تتضمن اتهامات خاطئة ضد الآخر والتحامل ضد معتقداته ومقدساته، وتحريض الناس على الوقوف ضده، أو إخفاء المشاعر العدائية ضد الآخر.

8 ـ مناصرة مبادئ ثقافة الحوار من خلال الكلمات اللطيفة، والنظر إليها على أنها السبيل الوحيدة لتحقيق التعارف المتبادل بين الشعوب، وتقديم مكوّنات هذه الثقافة في مؤسساتنا التعليمية والاجتماعية.

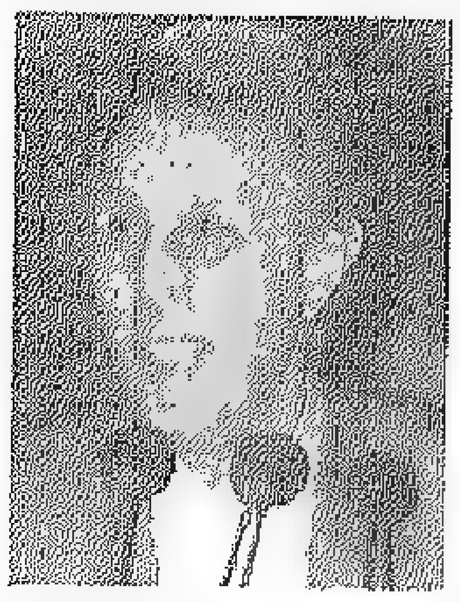
9 ـ الحاجة إلى التفريق بين المواقف السياسية لبعض الحكومات الأوروبية والدين المسيحيّ، وبين الإرهاب والدين الإسلامي. وفي ذلك ظلم للديانتين واتهامات باطلة توجّه ضدهما.

10ـ يؤيد الاجتماع تأسيس مجلس دائم للحوار بين الأديان والعقائد داخل إطار الأمم المتحدة لتوحيد قواعد التعارف المتبادل، وللمشاركة في تأسيس قيم الحق والسلام في العالم.

11 ـ توثيق نشاطات هذا الاجتماع، وجميع دراساته وبحوثه، وما عُرِضَ فيه وترجمتها إلى لغات متعددة التي سينتفع بها الجميع ونشر ثقافة الحوار على مستوى كبير.

12 ـ يعبّر المشاركون عن شكرهم وتقديرهم لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومجلسها العالمي للدعوة إلى هذا الاجتماع، والتنظيم الذي ساهم في نجاحه.

13 ـ قرّر المشاركون إرسال برقية شكر واحترام إلى الأخ العقيد معمر القذافي قائد ثورة الفاتح.



أحمد بن بلة
الرئيس الجزائري الأسبق

ملتقى لتعارفوا يمثل أهمية بالغة في نشر ثقافة السلام وتعزيز روح التعارف بما تشكله من مضامين إنسانية تهم البشرية جمعاء. إن الإسلام يدعو إلى التعارف، وإن المسلمين دعاة تعارف وسلام، وهم يستمدون الثبات على هذه القيم والمبادئ الإنسانية من رسالة الإسلام وسماحة دعوته. إن الإنسانية وصلت إلى مرحلة من المدنية والتحضر، ترفض الحرب ولا تعترف إلا بقدسية السلام باعتباره خيارا إنسانيا. وانا استغرب بعض الدعوات التي يُنَظِّر لها عدد من الغربيين مثل صراع الحضارات ونهاية التاريخ. ولذلك فإنني أدعو إلى ضرورة تأكيد وترسيخ قيم التعارف والتعاون والحوار بين المجتمعات الإنسانية، وهذا الملتقى الإنساني العالمي (لتعارفوا) هو خطوة صحيحة في اتجاه صحيح، كما أنني أنبه إلى خطورة الاستمرار في تناول وتداول بعض المفاهيم التي تؤطر للصراع والتنافر ورفض الآخر بأي شكل من الأشكال، والتي يجب أن تحذف من قاموس الإنسانية.



جورج دي فينيسيا
رئيس البرلمان الفليبيني

المجتمع الإنساني مجتمع واحد، ومن هنا فإنني أدعو إلى ضرورة تقاسم المسؤولية من خلال تقليل المسافة بين المجتمعات من

ندوة موسكو

المسلمون في سبيل السلام والوفاق



متابعة لتوصيات الملتقى العالمي الذي عقد في مدينة طرابلس خلال شهر الفاتح «سبتمبر1371» من وفاة الرسولﷺ (2003 مسيحي) تحت شعار «لتعارفوا» وبمناسبة مرور 100 عام على إنشاء المسجد الجامع بمدينة موسكو انعقدت في موسكو يوم 27 الماء «مايو1372» من وفاة الرسولﷺ (2004 مسيحي) ندوة عالمية بعنوان «المسلمون في سبيل السلام والوفاق» بالتعاون والتنسيق بين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومجلس مفتي روسيا الاتحادية. وقد شارك في الندوة وفود من الجماهيرية وتركيا وإيران وكازاخستان، ومسؤولو الإدارات الدينية في مختلف أنحاء روسيا والجمهوريات القوقازية وتتارستان، ومندوبون عن الاتحادات والمؤسسات الدينية في روسيا، ومسؤولون في الحكومة الفدرالية وحكومة موسكو، وعدد من المستشرقين والمفكرين وأساتذة الجامعات والمهتمين بإجراء الحوار والتعارف.

ألقيت في الندوة عدة مدخلات تناولت منزلة السلام في الإسلام، والتعدد والتنوع الثقافي والوفاق الاجتماعي، كما تناولت أثر الحوار ودوره في إرساء قيم الإسلام، ودور مسلمي روسيا في إرساء قيم الإسلام، وكذلك دورهم في إشاعة ثقافة الحوار والتعارف.

وقد تحدث حفل افتتاح هذه الندوة الشيخ راوي عين الدين رئيس مجلس مفتي روسيا الاتحادية فرحب بالمشاركين وأثنى على دور جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في إقامة هذه الندوة العالمية، مشيرا إلى أنها كانت ثمرة من ثمرات زيارة مجلس مفتي روسيا إلى مقر الجمعية منذ أشهر، وعبر عن تقديره لدور الأخ القائد معمر القذافي في دعم المسلمين في كل مكان، وخاصة في جمهورية روسيا الاتحادية، وتمكينهم من الحفاظ على تراثهم وهويتهم وانتمائهم الحضاري من جهة، ومن جهة أخرى حرصه على أن يقوموا بكل واجباتهم ليكونوا مواطنين صالحين في بلدانهم.

كما تحدث في حفل الافتتاح الأخ أمين الجمعية فنقل إلى الحاضرين تحيات مؤسس جمعية الدعوة الإسلامية العالمية الأخ العقيد معمر القذافي، مشيرا بالخصوص إلى جهوده المتواصلة في تعزيز السلام والوفاق، وعمله من أجل أن تكون للمسلمين إسهاماتهم في الحضارة الإنسانية، مؤكدا على دوره المتميز في تطويق النزاعات الدينية والطائفية، مذكرا المشاركين بخطابه الذي ألقاه في الجلسة الافتتاحية لقمة « س ص» التي عقدت مؤخرا بجمهورية مالي والتي ضمنها رؤيته حول النزاع بين المسلمين والمسيحيين.

وأكد الأخ الأمين أن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية قد بنت سياستها منذ البداية على أسس الحوار واحترام الآخر والوسطية المبنية على أسس الدين وثوابت العقيدة في المقاومة لكل مناهج التطرف والغلو والانغلاق الفكري، وأنها كانت دائما واضحة في مواقفها التي تدين الإرهاب بصوره وأشكاله كافة.

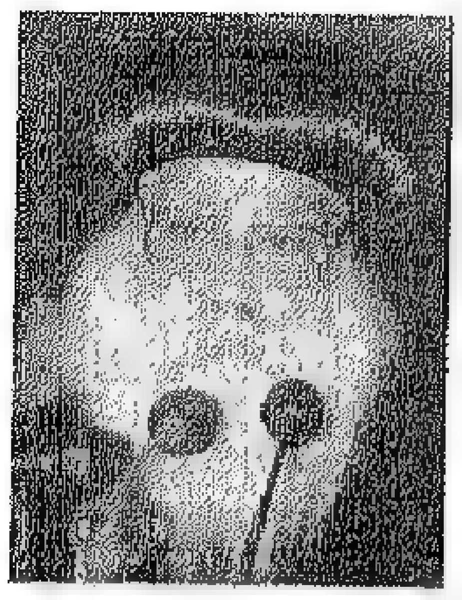
وتحدث الأخ أمين الجمعية عن أهمية هذا اللقاء العالمي متمثلا في هذه الندوة التي تعتبر الثانية في سلسلة من الندوات التي تدور حول أهمية الحوار والتعارف تنفيذا لتوصيات ملتقى طرابلس « لتعارفوا» فقد كانت الأولى بمدينة«وندزور» ببريطانيا وندوة موسكو هذه هي الثانية، وستعقد الندوات الثلاث الأخرى في عمان وفي شرق أفريقيا وفي جنوب شرق آسيا، وستكون نتائج كل هذه الندوات مادة لمؤتمر كبير حول التعارف تصاغ فيه كل أفكار هذه الندوات، ويحول بعضها إلى برامج عمل تنفذ من قبل الجمعية أو بالتعاون بينها وبين المؤسسات والهيئات المسيحية التي شاركت في هذه الندوات.

وعبر الأخ الأمين في ختام كلمته عن شكره وتقديره لمجلس مفتي روسيا ومن خلاله إلى رئيس وحكومة روسيا.

كما تحدث في هذه الندوة كل من آية الله محمد على التسخيري الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب في إيران، والدكتور نفزات يالسنطاش عضو المجلس العالمي للدعوة الإسلامية سابقا وعضو البرلمان التركي، ومندوبو الديانات الأخرى في روسيا، فعبروا جميعا عن تقديرهم لدور جمعية الدعوة الإسلامية العالمية وتعاونها مع مجلس مفتي روسيا لتنظيم هذا اللقاء العالمي.

هذا وصدرت عن الندوة وثيقة دعت إلى تعزيز الحوار وإشاعة ثقافة التعاون، وأكدت على ضرورة معالجة أسباب تنامي ظاهرة العنف والإرهاب والتطرف، ودعت إلى احترام قرارات الشرعية الدولية باعتبار أن رفضها أو العبث بها أو الانحياز في تطبيقها قد يشكك في مصداقيتها، وهذا يساهم في زرع بذور الكراهية بين الأقوام والشعوب والأمم، ويعرض المجتمع الإنساني لفوضى غير مسبوقة، هذا وقد وزع كل الحاضرين بالعربية والروسية خطاب الأخ القائد في قمة «س ص» التي عقدت في باماكو، كما تم توزيعه بالروسية والعربية أيضا على مندوبي وسائل الإعلام التي غطوا أعمال هذه الندوة.

خلال التعارف والحوار والقبول بالتنوع، لقد اتخذت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية من خلال تنظيمها لهذا اللقاء العالمي الخطوة الأولى، لأن الإنسانية بحاجة إلى التقارب والتفاهم، ولا تخفى المرارة التي تشعر بها الإنسانية بسبب النزاعات التي يشهدها العالم. لقد أتينا لنؤكد على السلام الدائم بين الجميع.



الأنبا باخوميوس
مطران البحيرة ومطروح وشمال أفريقيا

أحيي وأشكر الجمعية لاحتضانها هذا اللقاء العالمي الذي يجمع إخوة من كل قبيلة وجنس، وقد أدركنا أن الحل الحقيقي لمشكلاتنا هو رجوعنا إلى القيم الروحية، واجتماعنا يعني أننا نقدس القيم الروحية، وأن المادة لا تستطيع حلّ أي مشكلة. نحن نلتقي لا لنتصارع، لأننا لا نؤمن بصراع الحضارات، بل إننا نلتقي لنتحاور، وهذا اللقاء يعني أننا أحسسنا بمسؤولياتنا نحو السلام العالمي الحقيقي، وهذا السلام لن يأتي بالحروب والنزاعات، ولكنه يأتي عندما نتكاتف معا ونعمل بجدية من اجل السلام بين الإنسان وأخيه الإنسان، سلام في الأوطان وسلام عالمي، ومن لا يصنع السلام لا يكون عضوا في الأسرة الدولية. إن هذا اللقاء هو لقاء الحب والعمل الروحي وتكافؤ الحضارات.

الوثيقة الختامية (ندوة لتعارفوا)
الأردن



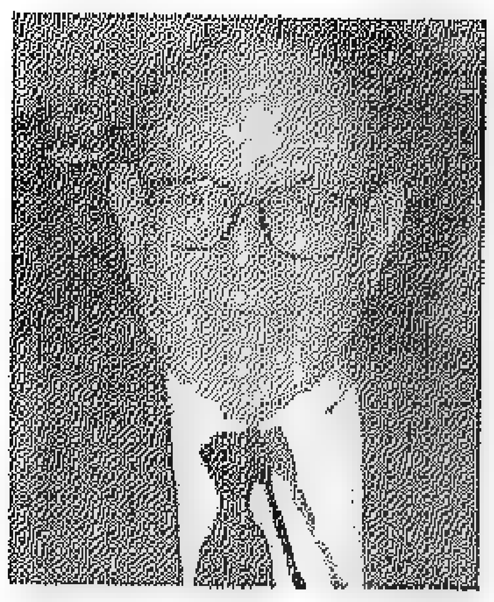
تأسيساً على الملتقى الموسع الذي نظمته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية تحت شعار لتعارفوا خلال شهر الفاتح/ سبتمبر 2003 بطرابلس، وتنفيذاً لتوصياته بإقامة ندوات وورش عمل إقليمية تعمق مفهوم التعارف وتقترح تطبيقات عملية لذلك المفهوم، وبمشاركة علماء ورجال دين ومهتمين بشؤون الحوار في كل من الأردن، فلسطين، لبنان، سوريا ومصر، إضافة إلى أعضاء المكتب التنفيذي للقيادة الشعبية الإسلامية العالمية... عقدت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمركز الأردني للدراسات والمعلومات ندوة إقليمية بالعاصمة الأردنية عمّان يومي 25، 26 من شهر ناصر/ يوليو 2004 تحت شعار «نحو خطاب عربي إسلامي مسيحي مشترك للتعارف مع الآخر» برعاية كريمة من الملك عبد الله الثاني بن الحسين حيث انتدب جلالته دولة السيد فيصل الفايز رئيس الوزراء لافتتاح أعمال المؤتمر، وقد حضر حفل الافتتاح الذي بدأ بتلاوة مباركة من آي الذكر الحكيم دولة رئيس مجلس الأعيان ومعالي رئيس مجلس النواب ومستشارو جلالة الملك وعدد من الوزراء والأعيان والنواب وأعضاء السلك الدبلوماسي وشيوخ العشائر ووجهاء المخيمات وممثلو الأحزاب ومؤسسات المجتمع المدني وعشرات من العلماء والمفكرين وأساتذة الجامعات في المملكة الأردنية الهاشمية، وقد ألقيت في حفل الافتتاح كلمات من قبل كل من:

غبطة البطريرك ميشيل صباح بطريرك

القدس اللاتين، وسماحة الشيخ عكرمة صبري مفتي القدس والديار الفلسطينية، وغبطة البطريرك أغناطيوس زكا الأول عيواص بطريرك انطاكيا وسائر المشرق الرئيس الأعلى للكنيسة الأرثوذكسية السريانية في العالم- والدكتور وهبة الزحيلي عضو المجامع الفقهية- والأنبا باخاميوس أنبا البحيرة وشمال أفريقيا في الكنيسة القبطية المصرية- وسماحة الشيخ محمد كنعان رئيس المحاكم الشرعية في لبنان- والأب الدكتور يوسف مونس ممثلاً عن غبطة الكاردينال مار نصر الله صفير بطريرك انطاكية وسائر المشرق للكنيسة المارونية، والشيخ أمين الكردي ممثلاً عن سماحة الشيخ محمد رشيد قباني مفتي الجمهورية اللبنانية- والمطران سلفستروس الفار ممثلاً عن البطريرك ايرينيوس الأول بطريرك القدس وسائر الأراضي المقدسة - والشيخ تيسير التميمي قاضي قضاة فلسطين - والدكتور محمد أحمد الشريف أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية- والسيد بلال حسن التل رئيس المركز الأردني للدراسات والمعلومات.

وقد عبّرت تلك الكلمات في مجملها عن الشكر والتقدير لكل من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمركز الأردني للدراسات والمعلومات على مبادرتهما بتنظيم هذا اللقاء الموسع في هذه الحاضرة العربية التي كانت دوماً رمزاً للتعايش والتسامح والحوار.. مؤكدين على الروابط التاريخية والثقافية والاجتماعية التي ربطت المسيحيين والمسلمين في منطقة مصر والشام على مدى أربعة عشر قرناً، مشيرين في كلماتهم إلى أن هذا اللقاء إضافة إلى ما يتيحه من فرصة لتبادل الرؤى والأفكار حول مفهوم التعارف فإنه يمثل فرصة أيضاً لمراجعة الذات والتعاون على سد كل الثغرات والذرائع التي يحاول أن ينفذ من خلالها المغرضون، وأعداء الاستقرار والأمن في المنطقة لبث سموم التفرقة والخصام.

كما عبّر المتحدثون في كلماتهم عن حرص



الدكتور عبد الصبور مرزوق
الأمين العام للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية / مصر

إن الحوار هو طريق للتعارف وأحد وسائله، وإن فكرة التعارف فكرة جيدة تتيح جلسات أكثر حرية من المؤتمرات التي قد يحتدم فيها النقاش حول مسألة خلافية، ويتيح التعارف أيضا التعاون في المتفق عليه في الإطار الإنساني.

أما العقبات التي أرى أنها ذات أثر في الإحجام عن فكرة الحوار والتواصل الإنساني بين المسلمين وأصحاب الحضارات الأخرى ؛ فإن من أهم تلك الأسباب: رواسب الماضي المتمثلة في الاستعمار بأشكاله المختلفة التي تركت آثارها بصورة واضحة على قبول فكرة الحوار والتواصل، كما أن البعض يريد أن يطرح صيغة حوار القوي مع الضعيف، ولا شك في أن هذه الصيغة لا يمكن أن تجدي أو تأتي بنتيجة.

وهناك شروط أراها ضرورية لنجاح الحوار، وحتى يكون مجديا وفاعلاً ؛ أولها أن يكون الحوار بعيدا عن الانطباعات المسبقة والفكر المسبق، ثانياً: أن تتوافر فيه الندية فلا يمكن أن يتحاور تابع مع متبوع ولكن أن يشعر كل طرف بالندية، حينها يمكن أن ينجح الحوار وإلا فسيكون مصيره الفشل وعدم النجاح.

وعلى المسلمين أن يشعروا بالاعتزاز بدينهم وحضارتهم والثقة في عقيدتهم وشريعتهم دون الانبهار بالحضارات المادية، فهذه الثقة يمكن أن تولد حوارا جادا مع الآخر بعد أن يأتي حوار المسلم من منطلق الندية.

مؤسساتهم الإسلامية والمسيحية على ضرورة استمرار التواصل ومضاعفة التعاون بينها من أجل غد أفضل للمسلمين والمسيحيين على هذه الأرض التي أشرقت منها الرسالات الإلهية لتملأ العالم أمناً وسلاماً.

وقد ناقش المشاركون من خلال ست جلسات عمل عدداً من الأوراق كانت على التوالي:

- ورقة بعنوان «لماذا تعارفوا» قدّمها الأستاذ إبراهيم علي الربو مدير إدارة المؤتمرات والمنظمات الدولية بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية.
- ورقة بعنوان «الحوار بين النظرية والتطبيق» قدّمها الدكتور يوسف مؤنس أمين عام اللجنة الأسقفية الكاثوليكية لوسائل الإعلام/ لبنان.
- ورقة بعنوان «التعارف وحق الاختلاف» قدّمها الأستاذ محمد السماك رئيس لجنة الحوار الإسلامي المسيحي لبنان.
- ورقة بعنوان «التعارف وأثره في حل المشكلات الدولية» قدّمها معالي الأستاذ عبد الإله الخطيب وزير الخارجية الأردني السابق.
- ورقة بعنوان «التعارف طريق العيش المشترك» قدّمها معالي الدكتور ناصر الدين الأسد.

وأعقبت كل ورقة مداخلات ومناقشات حول موضوعها، وكانت الجلسة الأخيرة حلقة نقاش مفتوح حول مفهوم التعارف وتطبيقاته ساهم فيها جل المشاركين.

وتأسيساً على محتويات الأوراق البحثية التي ألقيت وما دار حولها من نقاشات ومداخلات يمكننا استخلاص التوصيات التالية:

- استحضار نماذج التاريخ المشترك والثقافة واللغة الواحدة وإعطاؤها الحيّز المناسب في مناهجنا التربوية وأنشطتنا الثقافية والاجتماعية، وتنمية الوعي بها لدى الأجيال القادمة.
- توحيد عناصر الخطاب الإعلامي العربي الإسلامي المسيحي حيال القضايا الأساسية وفي مقدمتها قضية فلسطين، والعمل الجاد من أجل مزيد من التنسيق بين مؤسساتنا الدينية لكشف مخططات الاحتلال وممارساته الإرهابية وتهديده للمعالم الإسلامية والمسيحية في فلسطين المحتلة.
- توظيف مساحة الاتفاق الإسلامية والمسيحية واستثمار كل معطيات تلك المساحة في تنفيذ برامج مشتركة تعمق مفهوم التعارف وتؤدي إلى ممارسة عملية له من خلال برامج مشتركة وخاصة في الأوساط الشبابية.
- العمل مع المؤسسات الدينية المسيحية والإسلامية في العالم من أجل إشاعة التدين، والدفاع عن المنظومة القيمية للأديان ودحض أي علاقة للإسلام والمسيحية بالتطرف والتعصب والإرهاب والتفريق بين الإسلام والمسيحية كدين وبين ممارسات بعض من ينتمون إليهما من الأفراد والجماعات.
- انتهاج وتشجيع سياسة الانفتاح على الآخر، والارتقاء بخطابنا الإعلامي العربي الإسلامي المسيحي بطريقة تطرح قضايانا بلغة العصر بعيداً عن التقوقع والانكفاء على الذات واستعداء الآخرين أو استفزازهم.
- تسيير الوفود المشتركة سواء لزيارات تهدف إلى شرح قضايانا والتعريف بها أو المشاركة في المؤتمرات والمنظمات الدولية وخاصة تلك التي تكون ذات صلة بتلك القضايا.
- التعاون في نشر الأدبيات المشتركة التي تحارب التعصب والتي تقيم وحدة حقيقية في إطار التنوع تعرف الآخر وتعترف به، وكذلك التعاون في إنتاج برامج مرئية موجهة للأطفال لتنمية تلك القيم في نفوس الناشئة.
- إبراز وإشاعة ثقافة حقوق الإنسان واحترام حقوقه الأساسية وتمكينه من أن يعبّر عن نفسه بكل حرية، وتأكيد القيم الدينية المسيحية والإسلامية التي تحدد تلك الحقوق وتضع إطارها.

التعارف وحق الاختلاف

د. محمد السماك*

في الأساس لا تكون الوحدة إلا مع الآخر. والآخر لا يكون إلا مختلفاً. وإلاّ فإنه لا يكون آخر. هذا يعني أن المحافظة على الوحدة تتطلب المحافظة على الآخر. وأن استمرارها هو استمرار له. وهو يعني بدوره أن الوحدة يجب أن لا تؤدي بل يجب أن لا تعني أساساً محاولة إلغاء الآخر أو تذويبه، وإلا تصبح وحدة مع الذات. فما من وحدة قامت واستمرّت وازدهرت إلا وفيها تماه للآخر. وما من وحدة تهاوت وتفتّتت إلا نتيجة امتهان حق الآخر المكوّن لها في أن يكون نفسه، أي أن يكون آخر.

يتحدث فرويد عن نرجسية الاختلاف. ويقول إنه مهما كان الاختلاف محدوداً فإنه يحتل موقع القلب في هوية كل منا.

أرسى الإسلام ثلاث قواعد أساسية تقوم عليها الوحدة في التنوّع:

- **القاعدة الأولى**: هي الوحدة الإنسانية. بمعنى أن الناس جميعاً يشكلون أمة واحدة خلقهم الله من نفس واحدة. ولقد قال القرآن الكريم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾

[سورة الحجرات: الآية 13]

- **القاعدة الثانية**: هي التنوع الإنساني حيث تتابع الآية الكريمة ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ﴾.

أي أن هذا التنوع جُعل بإرادة إلهية، وأن وجوده هو تجسيد لهذه الإرادة الإلهية وتعبير عنها.

- **القاعدة الثالثة**: هي ان الهدف من هذا التنوع هو التعارف بين الناس تحقيقاً لوحدة تحفظ التنوع وتحترمه وتصونه. حيث تكتمل الآية القرآنية بتحديد الحكمة من التنوع بقولها:

﴿لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾

[سورة الحجرات: الآية 13]

فالتعارف هو الجسر الذي يربط بين الجماعات المتنوعة والمختلفة، ولكن لا تعارف من دون معرفة، ذلك أن التعارف يقوم أساساً على المعرفة. ويفترض بالآخر أن يكون مختلفاً حتى نتعرف إليه. ويفترض أن نكون نحن مختلفين عنه حتى يتعرّف إلينا. ومن دون هذا الاختلاف ما كانت هناك حاجة للمعرفة، وما كان للتعارف أساساً أن يكون. من هنا فإن الدعوة القرآنية للناس ليتعارفواهي في حدّ ذاتها دعوة لهم للتعرّف على ما بينهم من اختلافات، وللاعتراف بهذه الاختلافات، ولإدراك حتمية استمرارها، ولبناء مجتمع إنساني واحد ومتناغم على قاعدة معرفة المختلفين وتعارفهم.

---

* رئيس لجنة الحوار الإسلامي المسيحي/لبنان

كثيرة هي الإشارات إلى الاختلاف والتنوع التي وردت في القرآن الكريم، أذكر منها:

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ﴾
[سورة يونس: الآية 19]

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[سورة هود: الآية 118]

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾
[سورة الشورى: الآية 8]

لقد شاءت الحكمة الإلهية أن يكون الناس رغم وحدة الخالق، ووحدة الخلق أمماً وشعوباً مختلفة. فالوحدة الإنسانية تقوم على الاختلاف والتنوّع وليس على التماثل والتطابق. ذلك أن الاختلاف آية من آيات عظمة الله ومظهر من مظاهر روعة إبداعه في الخلق. يقول القرآن الكريم:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾
[سورة الروم: الآية 22]

وبالتالي فإن الاختلاف العرقي لا يشكل قاعدة لأفضلية ولا لدونية. فهو اختلاف في إطار الأسرة الإنسانية الواحدة، يحتم احترام الآخر كما هو وعلى الصورة التي خلقه الله عليها.

وإذا كان احترام الآخر كما هو لوناً ولساناً (اي اثنياً وثقافياً) يشكل قاعدة ثابتة من قواعد السلوك الديني في الإسلام؛ فإن احترامه كما هو عقيدة وإيماناً هو إقرار بمبدأ تعدد الشرائع السماوية واحترام لمبدأ حرية الاختيار والتزام بقاعدة عدم الإكراه في الدين.

فالقرآن الكريم يقول:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [سورة البقرة: الآية 148]

وفي إشارة واضحة إلى تعدد التوجهات يقول أيضاً:

﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾
[سورة البقرة: الآية 145]

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الحج: الآية 76]

﴿كُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الجاثية: الآية 28]

معنى ذلك، أنه مع اختلاف الألسن والألوان، كان من طبيعة رحمة الله اختلاف الشرائع والمناهج، وهو ما أكد عليه القرآن الكريم بقوله:

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[سورة المائدة: الآية 48]

فالاختلاف الثقافي والعرقي والديني والمذهبي باق حتى قيام الساعة، والحكم فيه يومئذ لله. والتعامل مع بقائه لا يكون بإلغائه ولا بتجاهله، بل بالتعرّف إليه وتقبّله واحترامه كسنّة دائمة من سنن الكون.

لا يتناقض الاختلاف مع الوحدة الإنسانية، فالعلاقة التكاملية بين الوحدة والاختلاف تبرز من خلال المبادئ الثلاثة التالية التي قال بها القرآن الكريم:

المبدأ الأول هو التداول:

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾
[سورة آل عمران: الآية 140]

إذ لو كان الناس كلهم شعباً واحداً أو إثنية واحدة أو على عقيدة واحدة وفكر واحد؛ لما كانت هناك حاجة للتداول. ولأنهم مختلفون، ولأن الإرادة الإلهية شاءت أن يكونوا مختلفين، كان لا بد من التداول. والتداول يعني تواصل الإنسانية واستمرارها بما هو مناقض لمقولة نهاية التاريخ. فالتداول حياة، والنهاية موات.

المبدأ الثاني هو التدافع:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾[سورة البقرة: الآية 251]

فالتدافع - وليس التحارب ولا التصادم - هو تنافس ارتقائي وتطويري للمجتمعات الإنسانية المختلفة. ذلك أن المجتمعات هي كالمياه، إذا ركدت أسنت، وإذا تحرّكت وتدافعت أمواجها، تعانقت مع حركة الضوء والريح مما يوفر لها عناصر الحياة والانتعاش والنمو والتقدم. فمن دون الاحتكاك الفكري والتلاقح الثقافي والتدافع الحضاري بين الناس المختلفين والمتنوعي الثقافات، يفقد الذهن عطشه إلى المعرفة التي هي عودّ الثقاب الذي يلهبه. إن الاختلاف بين الناس وما يشكّل الاختلاف من تدافع هو أحد أهم مستلزمات عدم فساد الأرض.

المبدأ الثالث هو التغاير:

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾ [سورة الأنعام: الآية 38]

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ [سورة يونس: الآية 47]

﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٍ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٌ﴾ [سورة الرعد: الآية 30]

فالتغاير والاختلاف هو القاعدة، وهي قاعدة عصية على التجاوز، تشكل الثابت الدائم في المجتمعات الإنسانية منذ بدء الخلق وحتى نهاية الزمن.

ولذلك ارسى الله قاعدة التعارف المكملة لقاعدة الاختلاف والتغاير. والقاعدتان معاً تشكلان الأساس الذي تقوم عليه الأخوّة الإنسانية التي لا سلام ولا استقرار من دونها.

لقد قال الإسلام بالتعارف بين الجماعات البشرية ولم يقل بالتسامح.

كان نيتشه على حق عندما اعتبر «التسامح إهانة للآخر»، لما يتضمنه من فوقية المتسامح تجاه المتسامح معه.

إن علاقة الإسلام بالرسالات السماوية التوحيدية ليست علاقة تسامحية ولكنها علاقة إيمانية. ذلك أن إيمان المسلم لا يكتمل إلا بالإيمان بالمسيحية وباليهودية رسالتين منزلتين من عند الله. ففي القرآن الكريم نصّ واضح بذلك:

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [سورة البقرة: الآية 136]

وشتان بين العلاقة القائمة على الإيمان، وتلك القائمة على التسامح. فالعلاقة الأولى نديّة تقوم على الاعتراف بالحق واحترام الاختلاف، بينما الثانية فوقية، تقوم على إنكار الحق والاستعلاء على المختلف معه.

إن من شأن التعصب للدين أو للمذهب أو للجماعة أن يقيم جزراً من التنوّع المتباعدة والجاهلة للآخر، وبالتالي المتشككة فيه والمستنفرة دائماً لمواجهته. وهذا تنوع خارج إطار الوحدة. بل رافض لها. أما التعارف فإنه على العكس من ذلك يقيم وحدة في إطار التنوع، تعرف الآخر وتعترف به، وتبادله الاحترام والثقة والمحبة، وهذه وحدة في إطار التنوع.

سلبيتان لا تصنعان إيجابية: «وحدة تعسفية تطمس التنوع (كما كان الأمر في الاتحاد السوفياتي السابق)، وتعددية مطلقة تأبى الوحدة»، (كما هو الأمر اليوم في البلقان وفي مناطق أخرى من العالم).

إن التعارف من حيث إنه يقوم على المعرفة، هو إحدى أسمى هبات الله للإنسان، والأساس الذي تقوم عليه أخوة إنسانية تغتني بالاختلاف وتحترمه وتجعل منه قاعدة للائتلاف والتوافق وليس للخلاف والتنابذ.

الحوار بين النظرية والتطبيق

الباحث: الدكتور الأب يوسف مونس*

I- في النظرية

1. الأساس الأوّل للحوار - البعد اللاهوتيّ:

في اعتقادي أنّ الحوار قائم في ذات الله وفي ذات الإنسان. الله حاورنا بخلقه لنا ولم يبقَ مغلقاً على ذاته، أيّ صامتاً في كينونته وكيانه. بفعل حبّه لنا خلقنا ودعانا لنعرفه ونسعد بوجوده وعنايته.

الحوار ثابت في مسار الباحث في وجدانه وقلبه عن سرّ الحضور الإلهي وعن كشف هذا الحضور، وفي تجليّاته عبر اختبارات البشريّة والأفراد أو عبر الوحي.

أظنّ أنّ هناك وحدة في المصدر الإيماني قد سبقت الوحي في اليهودية والمسيحية والإسلام. لا نستطيع احتكار هذا الاختبار لوحدنا وفي زمن تاريخي مرتبط بنا ونلغي اختبار ملايين السنين لملايين من الناس تحت الشمس تاقوا إلى الله وبحثوا عنه وعرفوه ولم تكن السماء مغلقة فوق رؤوسهم ولا في قلوبهم. فهناك وحي قبل الوحي منثوراً في تنوّع الكشف والتجليات الإلهية :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ . . . ﴾
[سورة الحجرات: الآية 13]

هناك اختبار وعيش لسرّ هذا الوحي الهابط من السماء والمنثور في قعر الوجدان وهو يتراقى من أعماق التراب ليلتقي بهاء السماء في الذات السامية المُطلقة.

هنا، اسمحوا لي بهذه الملاحظة أنه يجب علينا الفصل بين الدين والوحي:

الدين، حركة تصاعدية من قلب الإنسان وقلب الكون إل الخالق، مُبدع الكون وغاية الوجود.

أما الوحي، فهو نزول أو هبوط الخالق مجاناً وحبّاً لملاقاة البشرية والإنسان.

المضمون الإيماني في جوهره واحد أمّا أسلوب التعبير عنه فمتنوّع،

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ﴾
[سورة يونس : الآية 19]

هناك في أساس الوجود حوار قائم على التوق إلى الله يتوهّج في أعماق الإنسان الباحث عن معنى لوجوده ومصيره وعن حماية له يطلبها من المقدّس المطلق أو النسبي الذي يؤمن به ويخافه ويسترضيه وعن بعد ما وراء يؤمن له السعادة والبقاء.

هذا المقدّس الجاذب Facinendum والمخيف Tremendum كما يقول رودولف أوتو Rudoplh Otto,,"Le Sacré" «يضرب جذوره في قعر وجدان الكائن البشري وهو بنية في ذات الإنسان كما البنيّات الأخرى طبيعيّة كانت أم روحيّة».

التحدّي الأكبر لنا اليوم هو مشكلة العيش معاً على

---

* أمين عام اللجنة الأسقفية الكاثوليكية لوسائل الإعلام/لبنان

اختلاف عائلاتنا الروحيّة؛ السؤال العميق هو كيف يمكن أن نعيش حقاً في الاحترام والسلام ووحدة الله وتعدّد مفاهيمها ونظرتنا لله كيف يمكن أن نحوّل روعة هذا الاختبار الواحد المتعدّد إلى عمليّة تواصل وتكامل وليس إلى مصدر للتنافر والتناحر والإلغاء؟ أسيبقى منطقنا إمّا أنا وإمّا هو؟ أم سنطلّ إلى الأيام الآتية بمنطق «أنا وأنت» معاً للمستقبل في حضارة المحبة وليس في صراع الحارات.[1]

هناك خالق يحاور الإنسان كاشفاً له عن سرّه وعن ذاته باستمرار، وهناك مخلوق يشتاق ويتوق إلى هذا القوي الجبّار المُبدع والراعي والحامي والمُدبّر، وهو يظهر في التجليّات المتنوّعة لهذا الكشف الإلهي الخاضع للزمان والمكان والظروف الاجتماعية والتحوّلات ونضج القلب والعقل. فمرّة هو في القوى الطبيعية ومرّة في الحيوان ومرّة في الإنسان في إطار مقدّس مرهوب مُخيف جاذب ساحر، حامٍ، معاقب مُخصب مكافئ مثيب بالموت والحياة، وهو بيان في عبقريات وذهنيّات ونفسيّات الشعوب المتأثّرة بمحيطها وأنماط سلوكها وقيم ثقافتها وحضارتها وتفاعلها الثقافي أو عزلتها الجغرافية والاجتماعية، لكنه يتلقّى رسالة البعيد ويعيشها في بيئته وتطوّره وترقّيه في الزمان والمكان والمتغيّر الثقافي والحضاري.[2]

إن ينبوعيّة الحوار تقوم على وحدة المصدر وتنوع الاختبار.[3]

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [سورة الروم: الآية 22]

الله لا يستنفده أو يختزله أو يستأثر به دين، فحبّه وخلاصه ورحمته أُعطيَت لجميع الناس.

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [سورة المائدة: الآية 48]



الشيخ فوزي فاضل الزفزاف
رئيس لجنة الحوار بالأزهر
مصر

لقد وُفق المجلس العالمي للدعوة الإسلامية حين اختار موضوع (لتعارفوا) والتعارف يتطلب الحوار، والحوار هو لغة القرآن الكريم، فالقرآن كله حوار : حوار بين الله ورسله، وحوار بين الرسل، وحوار بين الرسل وأتباعهم. وإن الشعوب أيقنت عن إيمان بأن الحروب والصراعات لن تحلّ المشاكل، فالحروب يترتب عليها الحقد والكراهية، والحقد يترتب عليه الثأر من الآخر، ولذلك اتجه العالم إلى الحوار، والحوار بدأ في الإسلام منذ عهد النبوة.



الدكتور طارق متري
ممثل مجلس الكنائس العالمي / سويسرا

أول شرط من شروط الحوار هو احترام آخرية (خصوصية) الآخر، فإنه لا يجعل الآخر أسيرا له، فتحسب المغايرة الدينية وكأنها مغايرة في كل شيء. ولا شك في أن التعارف يكتسب عن طريق الحوار أهمية مضاعفة اليوم بفعل انتشار الأديان خارج معاقلها الدينية. وأنبّه هنا إلى أن هذا الواقع أفرز تيارا يعتبر الدين مجرد بعدٍ من أبعاد الثقافة ومستودعا للذاكرة الجمعية ليس إلا، وهذا المفهوم يستحيل إلى أيديولوجية ما يسمى صدام الحضارات. إن الحوار والتعارف والتعايش هو في الحقيقة دعوة إلى العيش معًا مع الاعتراف بالخصوصيات.

من هنا ضرورة الحوار كما يقول الدكتور محمد السماك في محاضرته في المؤتمر الدولي الحضاري، بيروت، 10/12/2003.

فلا جاهليّة ولا اختيار؛ البشريّة بأسرها تبحث عن الله عبر مسارها، والبشريّة كلّها مختارة لحبّه ورحمته وعنايته، الأرض أرض الله والسماء سماء الله والناس كلّهم خلائقه وعياله.

الاختيار لم يعطَ لشعب أو لجماعة دون أخرى، ومعرفة الله ومساره متواصل مستمر لا جاهلية فيه ولا وثنية بل واختلاط في معرفة الحقيقة البهيّة المطلقة، أو توقف عند ظلالها، لأنّ سرّ الكشف والوحي والنضج لم يكتمل في وجدان الناس.

البشرية هي المختارة الصاعدة من ترابية لحمها وأشواقها، مطهّرة بعشقها للمعشوق الأبعد من الصورة والأيقونة والكلمة والحواس والطقوس. فلا انتقاص للإنسانية في وثنيّتها أو جاهليّتها أو زمن الوحي فيها، بل هناك وحدة مسار ليندرج من العتمة إلى النور، من الصنم إلى المجرّد، من التلمّس إلى الانبهار، في حال حواريّة تاريخية منفتحة لا تنتهي إلاّ مع نهاية الأيّام ونهاية الاختبارات في حضور إلهي كوني. فلا أستطيع احتكار الله في ديني ومجتمعي وكتابي، بل عليّ أن أقرأ ذاتي مع إيماني بالمطلق الذي فيها ومع إقراري للآخرين بحقّ الاختلاف وإيمانهم المستقيم بالمطلق الآخر على طريقتهم. هو حقّ لهم، فعليّ أن أقرأ الآخرين باحترام لأفهم كيف حاورهم الله، كيف كلّمني أنا وكشف لي عن سرّ حبّه وحضوره.

ألا يقول الرسول بولس: بأشياء كثيرة ورموز شتّى كلّمنا الله..

التيولوجيا مرتبطة بالجغرافيا والسوسيولوجيا في إبيفانيتها (Epiphanie) أي ظهوراتها التاريخيّة السماوية والأرضية. فهناك لاهوت للسماء والشمس والقمر والنجوم، ولاهوت للأرض في أشجارها وأنهارها وجبالها وصحاريها وجبالها وفصولها ومواسمها وكائناتها، الكلّ في حوار مع الكلّي الأزلي. من هنا، علينا استقراء النصّ المقدّس واستيلاده بحركة مايوتيكيّة (Maeutique) تربط النصّ بالزمان والمكان والإنسان والدراسات اللغويّة المُعاصرة.

❖ المضمون الإيماني في جوهره واحد أما أسلوب التعبير عنه فمتنوع

❖ ينبوع الحوار يقوم على وحدة المصدر وتنوع الاختيار

تقديس النصّ واللغة شيء وتقديس مدلولاته شيء آخر.

المدلول هو الأساس أمّا القراءة الحرفيّة فصعب اليوم القبول بها دون التوقف عند نقد النص المقدس وربطه بعملية النقد التاريخي المرتبط بالزمان والمكان والحالة الاجتماعية الثقافية لاستيلاد روح النص وعمق مدلولاته ورسالته وغايته.

التاريخ في صيرورته وجدليّته يطوّر العقيدة أو الدوغما، يخصبها، يطهّرها بفعل كاتارسيّ (Catharsie) نقديّ، عقليّ، ينطلق من «براكسيس» (Praxis) جديدة لأناس جدد قدموا إلى التاريخ حاملين إيمانهم وشكّهم قائمين باختبار جديد لله، لهم الحقّ فيه ولو شطحوا فلا يحقّ لنا تكفيرهم أو إهدار دمهم. العقائد أو الدوغما ليست متاحف جامدة يحرسها الموظّفون والعلماء والكهّان والفرّيسيين والفقهاء القائمين على حمايتها وخدمتها والدفاع عنها والاستفادة منها كما قال الكاتب الألماني الكبير Eugène Drewerman في كتابه إلهام: موظّفو الله.Les fontionnaires de Die

فكلّ شيء يتطوّر ليتطهّر وإلاّ غرق المقدّس في طقوسيّة فرسيّة ابتعدت عن حقيقة الإيمان وتاهت في مظاهر إيمانيّة يغلب عليها القساوة والوحشيّة الشرائعيّة، لتصل إلى تبرير قتل الأبرياء باسم الدين، والخلط بين الترويع والإرهاب وحق الدفاع عن النفس والحرية والكرامة وحرية العقل والنقد. وهذا ما يُسيء

جداً إلى الإسلام في صور مشوّهة يقدّمها بعض الناس باسم فتاوى هي أقرب إلى الإجرام وليس إلى روح الرحمة والعدل والتسامح الموجودة في نصوص عديدة. وإن حقّ الإجرام والعنف وقتل الأبرياء والنساء والأطفال لا يبرّره أيّ نص مقدّس، بل هذه بربرية جديدة.[4]

II – في التطبيق

1. نسبيّة الحقيقة

الأساس الثاني للحوار هو نسبيّة الحقيقة؛ الحقيقة النسبيّة في تجسّداتها ونسبيّتها تفتح القلب على مناداة الله ومناداة الآخر بالحُبّ والعدل والرحمة والسلام.

أعتقد أنّ من أهمّ أسس الحوار بين الإسلام والمسيحيّة واليهودية هي الالتزام بالنظر إلى وجه المسيح المشرق محبّة وحناناً وسلاماً. إنّ الله في جوهره محبّة. لذلك وعد البشريّة بالمخلّص المسيح المخلّص في اليهودية، وأرسل عيسى روحاً منه في الإسلام،[5]

(الله محبة) هذا هو المدخل الحقيقيّ للحوار. والله تجلّى في محبّة المسيح يسوع. البشريّة بأسرها انجذبت إلى هذا المخلّص وبخاصّة اليهودية والمسيحية والإسلام. القاسم المشترك الحقيقيّ للحوار هو هذا الانجذاب إلى وجه يسوع المسيح.

إن الافتتان بالمسيح وبوجهه البهيّ المنوّر هو باعتقادي الجامع المشترك الحقيقيّ للحوار.[6]

إنّه مضمون مشترك ومساحة لاهوتيّة مضيئة في رحبة المدى العيساوي دون الدخول في المضامين العقائدية، بل التقارب بروح التراحم والخشوع والصلاة. الوجه العيساوي المسيحانيّ زوّد اليهود انتظاراً ونبوءات، والمسيحيّين خلاصاً وحبّاً، والإسلام رقّة وحناناً وزوّدهم جميعاً شعراً ورسماً وخيالاً وفنّاً وقضيّةً وجمالية إبداعية.



إبراهيم بشير الغويل
مقرر عام مؤتمرات الدعوة الإسلامية

إن الأخذ بفكرة تعدد الثقافات وتنوع مصادر المعرفة والاعتراف بالآخر ورفض فكرة التميز واحترام التجمعات الإنسانية البسيطة وعدم تهميش ثقافاتها المنسجمة الفطرية قد يمكن المجتمع الدولي من الانطلاق بعمق حضاري مجهز بإمكانات إنسانية عالمية ليجتاز العالم مرحلة التبدلات الكبرى والحاسمة على قاعدة خصوصيات المواقع، وخصوصيات التكوين الحضاري، وتعدد الثقافات ومخزون الثروات الطبيعية وتراكم المعلومات وغيرها.

إن الإنسان المعاصر يحتاج إلى فهم جديدة يؤسس لحضارة التعارف، في سبيل الاعتراف بالآخر، وفقا لقواعد العدل الفطري الطبيعي، أساسه منطق عاقل، وموضعية راشدة، مستمدة من تعاليم الرسالات السماوية الخالدة، والتجارب الإنسانية السامية التي منهجها الإقناع والاقتناع دون إكراه أو إقصاء أو تهميش، بعيدًا عن كل محاولات الهيمنة والتلويح بالقوة أو استعمالها لفرض الرؤية الواحدة، وقد ثبت بما لا يقبل مجالا للشك أن منطق القوة وسياسات الاستكبار لن تقود المجتمع الإنساني إلا إلى الهمجية الطاغية، وتعميق الكراهية، وفقدان الطمأنينة، وانعدام الأمن والأمان، وتغييب ثقافة السلام التي لن تشرق شمسها لتبدد ظلام الطغيان، وكوارث الحروب إلا بالتسامح ثم الاعتراف بالآخر والعطف عليه وبذلك الجهد لمعرفته (ولتعارفوا).

نطلّ من خلال وجه المسيح على الثورة الجماليّة والثورة الاجتماعية والثورة الثقافية الحضارية، في بُعد إبراهيمي كتابي مُوحّد يدعو إلى المحبة والعدل والحرية والأخوّة ومحبّة الأعداء. وأمّه ست العالمين مريم وهي للجميع العذراء، الحامية والمشيرة، المصغية. وهي في نقائها وطهرها مثال شريف لقيمة المرأة وأنوثتها وحريّتها وكرامتها. هذه هي المعيّة التاريخيّة المعبّرة عن حضارة المحبّة والحوار، بين أبناء إبراهيم القائمين معاً بالشموع والبخور حول وجه عيسى، يسوع المسيح، ابن مريم العذراء نجسّد الحوار حول وجه عيسى المسيح يسوع الذي هو روح من الله، ابن مريم بحسب المفهوم الإسلامي.

2. في الحبّ يقوم الحوار ونعبر من التسامح إلى المعيّة

المسيح يدعونا لفرح اللقاء حتّى بأعدائنا: أحبّوا أعداءكم. في الحبّ يقوم الحوار، لنتحاور يجب أن نكون اثنان. لا حوار في العزلة كما أنّه لا نغم في قصبة لم تشقّ. ولا نهر في ضفّةٌ واحدة. لنتحاور يجب أن نكون أنا وأنت في قبول إيجابيّ وليس فقط بالتسامح والتغاضي. بل بقرار كيانيّ بحقّ الآخر بالوجود والاختلاف وبحقّه بكينونته. لست هنا بانتظار فرصة لإلغاء الآخر والانقضاض عليه. بل أنا على موعد ليكتمل وجودي بإطلالة الآخر وإقباله لفرح اللقاء والوجود. فأبتعد عن مقولة هيجل بأني رغبة لقتل الآخر، كما يقول هوبس شهوة ذئبيّة نهشه، أو إرادة تشييئيّة كما يقول سارتر.

أمّا التسامح مع الآخر مؤسس لشفقة وجوديّة تدعو لساعة الإلغاء والتدمير. وننسى أنّنا في تدميرنا للآخر لا ندمّر إلاّ ذاتنا ونعمة الاستخلاف الإلهي التي أعطاناها الله كما يقول الدكتور رضوان السيد.[7]

ونهدم فرح التعارف الذي دعانا إليه الله كما يقول الدكتور محمد السماك.[8]

أنا أحبّ وأعرف الآخر، إذاً أنا موجود. هنا تأخذ الخطيئة معناها الحقيقيّ. إنها الانكفاء عن معرفة الله وعن معرفة الآخر والاكتفاء بالذات لأستمد من نفسي معناي وقدرتي وغايتي وليس من الله. الجنّة هي الحضور الحواريّ مع الله ومعرفته مع الآخر. والجحيم هو الانغلاق على الذات والقيام في التراب والعودة إليه بالموت في العزلة والانفراد. كما يقول سارتر.[9]

***المسيح يدعونا لفرح اللقاء، في الحب يقوم الحوار، لا حوار في العزلة، كما أنه لا نغم في قصبة لا تشق، ولا نهر في ضفة واحدة.**

وهناك مشاكل عديدة تواجهنا: التراث، الحداثة، التنمية الاجتماعية والانسانية، الحريات الأساسية، الحرية الدينية، الحرية العقائدية، حرية الضمير، حقوق الإنسان، كرامة وحرية المرأة، التعامل مع الأقليّات، الحريّات السياسية، البيئة، قضايا الحق الفلسطيني، قضيّة القدس، قضايا العراق والجنوب اللبناني.[15]

هذا الرفض الوجوديّ يقابله كلام في الإنجيل يدعو إلى الخروج من هذا الجحيم من مدينة الطاعون كما يقول كامو، بالمحبة حتى محبّة الأعداء، كما يقول المسيح: «سمعتم أنّه قيل أحبب قريبك وأبغض عدوّك. أمّا أنا فأقول لكم، أحبّوا أعدائكم وصلّوا لأجل الذين يضطهدونكم ويعنّتونكم»[11]

3. في العدل والتضامن يقوم الحوار

المسيحيّة تدعو للعدل، الإسلام يدعو للعدل، الإسلام يدعو إلى محبّة الفقراء. المسيحية تدعو إلى محبة الفقراء. فالحوار اليوم يقوم على أنّ نبني معاً حضارة المعيّة وليس حضارة الاستبعاد والاستئثار لمدينة الله القائمة على العدل والتعاضد وليس مدينة قيصر القائمة على المجد والقوّة والمال. بناء حضارة

الاقتسام والمشاركة وهدم هكيليّات الظلم والاستئثار.

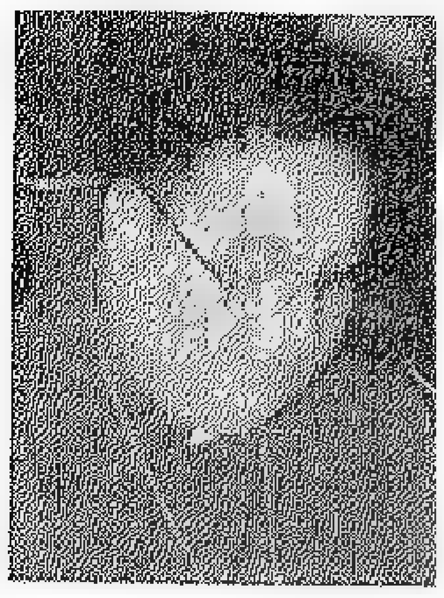
القضية الاجتماعية هي المرتكز الحقيقي لمستقبل الحوار وشهادة الأخوة والاقتسام والمشاركة وعلامة عبوديتنا الواحدة لله، فلا كان لنا في السماء ونحن نتقاتل على احتكار الأرض والسماء طاردين الآخرين من قلبنا وعقلنا.

العطاء هو الأساس الحقيقي لرحمة الله لنا ولشهادة حبّنا له، حتى ولو بالتقدمة المستورة المتواضعة كفلس أرملة الإنجيل. الاقتسام هو المطلوب من الجماعة المسيحية وهو العمل المطلوب من الجماعة الإسلامية: يذكر أعمال الرسل في الفصل 44/2 «وكان الذين آمنوا جماعة واحدة يجعلون كل شيء مشتركاً بينهم، يبيعون أملاكهم ويتقاسمون الثمن على قدر احتياج كل منهم». وبيت الخزانة لا يغب عنه حقّ البؤساء والزكاة الواجب نحو المساكين.

هذا ما يقوله الله في نبوءة إرميا (13/22) «ويل لمن يبني بيته بغير عدل، وعلياءه بغير حقّ، ويستخدم قريبه بلا أجرة، ولا يوفيه ثمن عمله». ويضيف إليه أشعيا 1/10: «ويل للذين يشترعون شرائع الظلم والذين يكتبون كتابة الجور ليحرّفوا حكم المساكين ويسلبوا حق بائسي شعبي، لتكون الأرامل مغنماً لهم».

العهدان القديم والجديد يتلاقيان في الدعوة، إلى الحقّ ورفع الظلم. هذا ما يضيفه القدّيس يعقوب في رسالته في الفصل 4/5، «ها أنّ أجرة العملة الذين حصدوا حقولكم تلك التي نجسّتموهم إيّاها، تصرخ وصراخ هؤلاء الحصّادين قد بلغ أذنيّ ربّ الجنود».

كما أنّ الإنجيل ورسالة بولس يؤسّسان لهذا العدل ولهذه المساواة، ألا يقول بولس «ليس هناك عبدٌ ولا سيدٌ ولا رجل ولا امرأة بل الكلّ واحد في المسيح» ويضيف يوحنّا: «إنّ من قال إنّه يحبّ الله الذي لا يراه وهو يبغض أخاه الذي يراه فإنّه كاذب» وكما قال أيضاً السيد المسيح: «أحبب الربّ إلهك من كلّ قلبك وكلّ



المطران منير حنا أنيس
مطران الكنيسة الأسقفية الإنجليكانية بمصر وشمال أفريقيا والقرن الأفريقي

لا شك في أن للدين أهميته وضرورته في أن يكون قوة دافعة للخير وحل النزاعات وليس خلقها، وإذا لم يكن الدين أساسا للسلام فماذا يمكن أن يكون أساسا لذلك ؟ إن الحكمة الإلهية التي اقتضت الاختلاف بين الشعوب وتعدد العقائد والثقافات وتنوع المجتمعات الإنسانية ؛ عملت من خلال الشرائع على الاهتمام بالإنسان. وعلى هذا فإنني أطالب بنقل هذا الحوار من النخبة إلى رجل الشارع والتعاون في تفعيل صور التنمية، وبالتالي علينا أن ندرك أن بيننا اختلافات عميقة، ومع هذا لابد أن ندرك أيضا أن هناك أرضية مشتركة بين الجميع، مسلمين ومسيحيين، ونريد أن ننطلق من هذه الأرضية المشتركة. إن الله أحبّ كل العالم، ولذلك يجب أن لا نحتقر نحن خليفة الله وننظر إلى الآخرين كأننا أفضل منهم. ومن هنا فإن الحوار بيننا يمكن أن يصحح الصورة المشوهة في أذهان المسيحيين خاصة في الغرب عن المسلمين، وتلك التي في أذهان المسلمين عن المسيحيين.



المفكر الإسلامي الدكتور محمد عمارة

نحن في مثل هذه المنتديات الحوارية والتعارفية نجد أنفسنا أمام فرص وتحديات ومشكلات، ولكن علينا أن يكون منهجنا

نفسك وكلّ ذهنك» تلك هي الوصيّة الكبرى والأولى والثانية مثلها أحبب قريبك كنفسك»[12] ويُضيف «لا تدينوا لئلا تُدانوا فكما تَدينون تُدانونَ ويُكال لكم بما تكيلون» [13]

يُضاف إلى ذلك تعاليم آباء الكنيسة ورسائل البابوات التي راحت إلى أبعد من الشفقة والزُكاة والحسنة، فأمرت بتوزيع الثروات واعتبرت الفائض سرقة إذا لم يُوزّع على الفقراء والعمّال. وهو انتزاع حقّ مقدّس لجميع الناس. ألم يقل باسيليوس «الخبز الذي تحفظه في المخبأ هو ملك الجائعين والثوب الذي تقفل عليه الخزانة هو ملك العراة والحذاء الذي يتلف عندك هو ملك للحفاة والذهب الذي تدفنه هو ملك للمحتاجين، فأنت مجحف بحقّ الذين تسدّ حاجاتهم ولا تفعل» (العظة رقم 6). ويُضيف «أنت سارق إذا لم تعطِ المحتاجين».

❖التسامح مع الآخر مؤسس لشفقة وجودية تدعو لساعة الإلغاء والتدمير، وننسى أننا في تدميرنا الآخر لا ندمر إلا ذاتنا ونعمة الاستخلاف الإلهي التي أعطانا الله

أما يوحنا فم الذهب فيقول «الخيرات ليست ملكاً لك، إنّها ملك مشترك لك ولأخيك كما السماء والأرض وكل شيء آخر هو مشترك»؛ الحبّ إذاً يؤسّس للحوار، والعدل يشهد له. أكان ذلك في الإسلام أم في المسيحية.

حوارنا الثقافي يترافد مع حوارنا الروحي الصوفي في الحفاظ على لغتنا العربيّة وقدرتنا على استعمال وسائل الإعلام والاتصال المعاصرة لنطل على العالم بلغة واحدة ويقبلها متفاعلة مع الثقافة العالمية التي عندها همومنا وهواجسنا بالحفاظ على خصوصياتها لئلا تذوب وبعدم الانعزال لئلا تختنق.

4. حوارنا قائم في اللغة العربية والتراث العربي المشترك

الظروف الثقافية المتجدّدة جعلت من اللغة العربية أداة تعبير في طقوس كنائسنا وفي قراءة كتبها المقدّسة. فحملت هذه الكنائس وخاصة المارونية منها هذه اللغة إلى حاضرة الفاتيكان في أيام تقديس شربل، رفقا والحرديني. كما حمت الكنيسة في أديار رهبانها لقرون عدة واليوم هذه اللغة صارت جزءاً من التراث الشرقي والحضارة العربية في صلواتها وكتبها. هذا هو المدى الحضاري للتعاون والتلاحم المستقبلي ولقيام نهضة حديثة - في حوار حضاري خلاق[14] في محيطنا الثقافي دون أن نغرق في السلفيات الأصولية أو الشعارات الساذجة المبتذلة.

الخاتمة

فعلى وحدة المصدر الإلهي نؤسّس الحوار، وعلى انّ الله محبة نؤسّس الحوار، وعلى أنّ محبة الله فينا تتجلّى في محبتنا للآخرين نؤسّس حوار الحياة والعيش معاً في حضارة المحبة، ونشهد لهذا الحوار بالعدل واقتسام خيرات الأرض في تضامن اجتماعي لا يميّز بين إنسان وإنسان. فالجائع والمريض والمهاجر والمسكين، والمقهور والفقير والبائس أيقونة الله وأخوة المسيح ولا دين لوجعهم على الأرض. وسنُحاسب في آخر الزمان عن المحبة حتى لأعدائنا «أحبّوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم»(لوقا 6).

فلنحاور إله السماء انطلاقاً من أخوّتنا على الأرض، لنكون حقاً الله. فيقوم على أيدينا تاريخ جديد وليس نهاية التاريخ في صراع الحضارات والثقافات والناس والأديان. كما هي الحال الآن في العديد من الأماكن والنظريات.

هذه هي المغامرة التي نحن مدعوون إليها لنطلّ بجرأة وفرح ورجاء على المستقبل الكئيب المضروب بالترويع والتعصّب والذي راح يرتسم على فجر أيامنا

الآتية بذبح بعضنا البعض قرباناً وتضحيات باسم دين معولم أو باسم عولمة تتحوّل ديناً. لنخرج كما الأنبياء والمفكّرين «الكبار» من برص العقل الضيّق والقلب الضيّق والعين الضيّقة إلى مدينة الله بعيداً عن مدينة قيصر ولنعطِ ما لله لله وما لقيصر لقيصر، فلا نقدّس نظاماً سياسياً اجتماعياً باسم الدين، ولا نجعل من الدين فعلاً سياسياً بعيداً عن معنى الإنسان والوجود والمصير والقلق على الحياة وما بعد الحياة.

واسمحوا لي أن أنهي بهذا النداء الحار الذي جاء في رسالة بطاركة الشرق الكاثوليك والذي صدر عن بكركي سنة 1993 في رسالتهم بعنوان «الحضور المسيحي في الشرق» صفحة 44، والذي ردّد ما جاء في رسالة بطاركة الشرق الكاثوليك الأولى في شهر نيبال (أغسطس) 1991.

«إن عيشنا المشترك الذي يمتدّ على قرون طويلة بشكل ـ بالرغم من كل الصعوبات ـ الأرضية الصلبة التي نبني عليها عملنا المشترك حاضراً ومستقبلاً، في سبيل مجتمع متساوٍ ومتكافئ لا يشعر فيه أحد، أيّاً كان، أنه غريب أو منبوذ. إننا ننهل من تراث حضاري واحد نتقاسمه، وقد أسهم كل منا في صياغته انطلاقاً من عبقريته الخاصة. إن قرابتنا الحضارية هي إرثنا التاريخي الذي نصرّ على المحافظة عليه وتطويره وتجذيره وتفعيله كي يكون أساس عيشنا المشترك وتعاوننا الأخويّ. إن المسيحيين في الشرق هم جزءٌ لا ينفصل عن الهُويّة الحضارية للمسلمين، كما أن المسلمين في الشرق هم جزءٌ لا ينفصل عن الهُوية الحضاريّة للمسيحيين. ومن هذا المنطلق فنحن مسؤولون بعضنا عن بعض أمام الله والتاريخ. ولذا يتحتّم علينا أن نبحث، بشكل مستمرّ، عن صيغة، لا للتعايش فحسب، بل للتواصل الخلاق والمثمر الذي يضمن الاستقرار والأمان لكل مؤمن بالله في أوطاننا، بعيداً عن آلية الحقد والتعصّب والفئوية ورفض الآخر. وإنا على قناعة بأن قيمنا الروحية والدينية الأصيلة

المصارحة، وأنا أطالب بضرورة وجود ما يمكن أن نسميه فقه التعارف.

ولا شك في أن التنوع هو سنة وقانون وليس حقا فقط، فالتنوع سنة من سنن الله، ولكن ليكون هناك حفاظ على التنوع يرفض الإسلام الصراع ويستبدله بفلسفة التدافع، وهو إطار يخرج بالحياة من الصراع إلى التدافع الذي يحافظ على التنوع الذي يسمح بتعديل المواقف، وهذا لم يكن فكرا نظريا في الإسلام وإنما كان تأسيسا للتعددية.

ولمن يتهمون الإسلام بالعنف أقول : إن ضحايا المواجهات التي دارت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من الطرفين لم يتعد 356 قتيلا، بينما لا نستطيع أن نحصي ضحايا حروب الحضارة الحديثة بالملايين.

وأرجو أن نلاحظ أن هناك تحديات أساسية أمام الحوار والتعارف منها : ضرورة وجود احترام متبادل بين أصحاب الثقافات المتباينة إضافة للهيمنة الاستعمارية التي تتمثل في القواعد العسكرية في بلدان العالم وكذلك العلمانية التي باتت تهدد أوربا المسيحية.



أحمد بدر الدين حسون
مفتي حلب / سوريا

لا بد أن يقوم العالم الإسلامي بالتعرف على نفسه أولاً وعلى دينه حتى يستطيع أن يعرف الآخرين به. إن الله دعانا للتعارف عندما أنزل على نبيه قوله تعالى ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ ولم يقل: الحمد لله رب المسلمين، فأراد

خليقة بأن تساعدنا على تخطي المشاكل التي قد تطرأ على مسيرة عيشنا المشترك. وهذا ما يفرض علينا أن ينظر بعضنا إلى بعض بروح الانفتاح والتعرّف المتبادل الحقيقي، لأن الإنسان عدوُّ ما يجهل. إن عالم اليوم تمزّقه آفات الفرقة والتعصّب والتمييز على اختلاف أنواعها. إننا نطمح إلى إرساء قواعدَ عيشٍ تكون نموذجاً لعالمنا، يدل أن نشوّه قصد الله فينا فنكون صورةً عكسيةً لما يصبو إليه إنسانُ اليوم من السلام والوئام والتعاون على أساس المواطنة الحقيقية الصادقة. لقد أرادنا الله، جلّت حكمتُه، معاً في هذه البقعة من العالم. وإننا نقبل هذه الإرادة برحابة صدر، ونرجو أن تعمل هذه الإرادة على توسيع قلوبنا بحيث تتّسع للجميع مهما كانت انتماءاتهم المختلفة».

أليس هذا ما يدعونا إليه الإرشاد الرسولي في ندائه للعيش المشترك حين يقول: «ليس الحوار الإسلامي - المسيحي حواراً بين مثقفين فقط فهو يهدف أولاً إلى تشجيع العيش معاً بين مسيحيين ومسلمين في روح من الانفتاح والتعاون... الكنيسة تريد أن تكون منفتحة على الحوار والتعاون مع مسلمي سائر البلدان العربية، ولبنان جزء لا يتجزّأ منها. وفي الواقع فإن مصيراً واحداً يربط المسيحيين والمسلمين في لبنان وسائر بلدان المنطقة... ومسيحيو لبنان وكامل العالم «العربي» وهم فخورون بتراثهم يسهمون إسهاماً ناشطاً في التطور الثقافي وإنني أشدّد يقول قداسة البابا لمسيحيي لبنان «للمحافظة على علاقاتها التضامنية مع العالم العربي وتوطيدهم أدعوهم إلى اعتبار انضوائهم إلى الثقافة العربية، التي أسهموا فيها إسهاماً كبيراً، موقعاً مميزاً لكي يقيموا هم وسائر مسيحيي البلدان العربية حواراً صادقاً وعميقاً مع المسلمين. إن مسيحيي الشرق الأوسط ومسلميه، وهم يعيشون في المنطقة ذاتها، وقد عرفوا في تاريخهم أيام عز وأيام بؤس مدعوون إلى أن يبنوا معاً مستقبل عيش مشترك وتعاون، يهدف إلى تطوير شعوبهم تطويراً إنسانياً وأخلاقياً، وعلاوة على ذلك قد يساعد الحوار والتعاون بين مسيحيي لبنان ومسلميه على الخطوة ذاتها في بلدان أخرى.[15]

❖الحوار اليوم يقوم على أن نبني معا حضارة المعية وليست حضارة الاستعباد والاستئثار

أليس هذا المؤتمر الذي تنظمه اليوم جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمركز الأردني للدراسات والمعلومات اللذين نشكرهما ونشكر جميع القائمين على تنظيم هذا المؤتمر الذي يقام في رحاب المملكة الأردنية برعاية ملكية كريمة مع هذا الحفل الكريم الرفيع هو منارة مضيئة على الدرب المؤدي إلى نعم السماء.

الهوامش

(1) مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك، الحضور المسيحي في الشرق، رسالة راعوية، بكركي 1992 ص 10-11.
(2) الاختلاف اللاهوتي في تصوّر الله واحداً أو متعدداً أو مثلّثاً قائماً في السماوات أو متجسداً لحماً وبشراً بين الناس لا يلغي وحدة إنسانية الإنسان.
(3) مشير باسيل عون، «الأسس اللاهوتية في بناء حوار المسيحية والإسلام»، دار المشرق، بيروت 2003.
(4) رنيه جيرار، «العنف والمقدّس» ترجمة جهاد هواش، عبر الهادي، عباس دار الحصاد، دمشق، 1992) (أمال شحادة، «تحت غطاء محاربة الإرهاب في العالم، حملة إسرائيلية لتشويه القرآن والإسلام» الوسط، 2004/4/26).
(5) الأب ميشال حايك، «المسيح في الإسلام»، بيروت، طريق الخالدي، «الإنجيل برواية المسلمين»، دار النهار، بيروت، 2003).
(6) (د. جوني عوّاد، «يسوع التاريخي من هو، لماذا، وإلى أين»؛ النهار، 2003/12/28).
(7) «الصراع على الإسلام» دار الكتاب العربي، بيروت، 2004.
(8) «ثقافة الحوار في الإسلام: حرية الاختيار وحق الاختلاف»؛ النهار 2002/11/17)
(9) «الآخرون هم الجحيم وأنا لن أتعزّى أبداً على كوني لست إلهاً.
(10) محمد السماك، «كيف ومن يُصلح العالم الإسلامي» النهار، 2004/6/27.
(11) (متّى 5/43-47).
(12) (متّى 22/34).
(13) (متّى 7/1).
(14) (رسالة البطاركة ص 24-25)
(15) (الإرشاد الرسولي رجاء جديد للبنان بيروت 1997، رقم 90، 91، 92، 93 و94).

﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾

أ. د. وهبة مصطفى الزحيلي*

كلما اشتد الصراع والنزاع بين الأمم والشعوب، وسيطرت الأهواء والنزعات والمطامع على العلاقات الدولية الخارجية، كلما بحث الناس عن طريق الانقاذ والنجاة، للخروج من حمأة الصراع، فلم يجدوا ذلك في غير القبس الإلهي الذي يضيء للبشرية دائماً سبيل الحياة الآمنة والمستقرة على المستوى العام والخاص، وهو سبيل الحق والعدل، والحرية والمساواة، والسلم والأمان، والحوار والتفاهم، والتعاون البنّاء، والتسامح والتوادد، والحب والإخلاص، من أجل تحقيق رغد العيش في المستقبل، والعمل على إقامة مجتمع أفضل. وهو صوت النداء الإلهي الجامع للبشرية قاطبة على صعيد الإنسانية الحقة، ولا شك بأن أهل الحكمة ورجال الفكر وعمالقة الثقافة والفلسفة الموضوعة المجردة هم أسرع الناس تجاوباً مع منطق الوحي الإلهي، ومقتضيات المصلحة العامة العليا لجميع بني الإنسان.

المجتمع التعددي:

ومن الملحوظ في واقع الحياة والتأمل الدقيق البعيد عن الأهواء الضيّقة أننا في خضم الكثرة البشرية الهائلة نعيش في مجتمع متعدد الأديان والمذاهب والأفكار والثقافات والتقاليد والعادات، ويتفاوت سكان المعمورة الآن وفي كل عصر في المستوى الحضاري، والاقتصادي، والاجتماعي، والنضج السياسي.

وتظهر القوميات أحياناً، فتكون سبب التجزّؤ والانقسام، ويكون التدخل الأجنبي أو الاحتلال عاملاً مهماً من عوامل التفرقة، وتقسيم الوطن الواحد إلى أقسام، وتجزئته إلى دويلات، كما تعلن الآن الولايات المتحدة الأمريكية في وضع خطة تقسيم البلاد العربية الإسلامية إلى دويلات هزيلة صغيرة، فتزداد التجزئة، ويجزّأ المجزّأ.

والتوجّه السياسي الأمريكي يتجه الآن إلى فرض تقاليد الأمركة وذيولها، وترويج الدعوة إلى الديمقراطية الغربية، وتذويب الإسلام بالذات، وتشويه رسالة المسيحية.. رسالة المحبة والمودة والتسامح والوئام، من أجل صهيون فقط، والتحيز الواضح لتطويع المنطقة العربية لأطماع الصهيونية العالمية، والمسيحية اليمينية المتطرفة، انطلاقاً من تفسيرات وأساطير في التلمود اليهودي، والعمل على إيجاد كيان جديد وهو الشرق الأوسط الكبير، على النحو الذي تتحكم به «إسرائيل» في جميع بلاد المنطقة.

والمؤكد أن هذا التوجه السياسي الغربي يسير في منهج الغطرسة المادية القاتلة، ومحاولة بسط النفوذ والسلطة الأمريكية المطلقة، والعودة إلى أسلوب الاستعمار الجديد النابع من الشعور بالقوة العسكرية

* أستاذ جامعي/ باحث/ عضو المجامع الفقهية/ سوريا

المتفوقة، والاقتصاد المادي الرأسمالي، لحماية التكتلات الاحتكارية الكبرى، في مظلة ما يسمى بالنظام العالمي الجديد أو العولمة بمختلف أقسامها: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإعلامية، من أجل محو وجود الآخرين، وإبقاء الهيمنة الأمريكية الشاملة.

وبه يتبين أن مظاهر الصراع الجديد قائمة على منطق تمجيد القوة، وشهر السلاح في وجه الضعفاء، واستغلال بعض السلبيات تحت مظلة ما أسموه «مقاومة الإرهاب» وتصفيته من العالم علماً بأنهم هم وإسرائيل يمارسون إرهاب الدولة، حيث يقومون بتخريب ديار العرب ومصادرة ممتلكاتهم ونهب ثرواتهم وقتل آلاف الأبرياء وتشريد آلاف آخرين حتى يبيتوا في العراء أو تحت الخيام، ويحتلوا الأراضي كما تفعل أمريكا وحلفاؤها الآن في أفغانستان والعراق، وكانوا قد فعلوا مثل ذلك قريباً في الصومال وبعض دول أمريكا الوسطى، بالإضافة إلى ما ترتكبه «إسرائيل» من مجازر وحشية في حق الشعب الفلسطيني.

وهم الآن فيما يرتكبون من جرائم مع حلفائهم الغربيين عصفوا بكل المواثيق الدولية والقيم الأخلاقية، واخترقوا كل حقوق الإنسان، ومن أغرب ما يفعلون في الوقت الحاضر أيضاً محاولة تشويه معالم الإسلام ومفاهيم القرآن، وتمييع تلك المفاهيم بحسب الخطة الأمريكية الموضوعة في أحدث تقرير سري منذ أيام عن طريق إلغاء ومحو اللغة العربية من ثقافتنا بأساليب ماكرة وخبيثة. وكأنهم في هذه المحاولات يعيدون تاريخهم الأسود الملطخ بالدماء وإثارة الحروب الضارية التي ارتكبوها في الحرب العالمية الأولى والثانية، وما تخلل تلك الفترة من حروب جانبية استعمارية قامت بها البرتغال وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا وغيرها، حتى شوّهوا صفحة العلاقات الدولية، ويكادون الآن أن يعطلوا ميثاق الأمم المتحدة الداعي إلى توطيد السلام العالمي والأمن والاستقرار، وحماية الآمنين، واحترام ميثاق حقوق الإنسان.

طريق الإنقاذ:

يظل الأمل كبيراً، وتحقيق البشائر بالخير متصوراً، والتفاؤل معقوداً على ما قد يسهم به القادة الروحانيون من علماء الإسلام، ورجال الدين المسيحيين، وحكماء الأمة ومفكروها، ودعاة الخير والفضيلة وعقلاء السياسة، في توجيه المجتمع الدولي إلى ضرورة حماية مكاسب الإنسانية والإذعان لصيحة الحق والعدل، وحل المشكلات الدولية بالمساعي الودية الحميدة، والدبلوماسية الحاذقة الأمينة الناجحة، والحفاظ على الأمن والسلم الدوليين، وعدم التورط في متاهات ومشكلات معقّدة، بالاعتماد على تقارير أمنية استخباراتية غير صحيحة، ومعلومات سطحية، ومبتورة، ينقصها التوثيق والحكمة والتعقل، فقد ثبت زيف كل تلك التقارير أمام حملات التفتيش الدولية المتكررة البالغة زهاء (240) جولة استطلاعية واختبارية، شملت كل نواحي بلاد العراق ومراكزه وقصوره وتحصيناته ومنشآته العسكرية والمدنية وغيرها.

❖ الغاية الأساسية من الدعوة الإسلامية العالمية هي توطيد السلم وتقريره وتحقيق الأمن ونشر الحرية والحق والعدالة وإبراز أصول العقيدة الإسلامية القائمة على توحيد الإله الحق والإيمان بوجوده والإقرار برسالات الرسل والاعتراف بالكتب السماوية وبالملائكة والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى

إن تأثير رجال الدين والمفكرين والمثقفين سواء في وسائل الإعلام المختلفة، أو في المساجد والكنائس وغيرها من المؤسسات الاجتماعية، ما يزال قوياً، دولياً ومحلياً، لتحقيق معالم الصحوة، وعقد

مؤتمرات وندوات وإلقاء محاضرات متخصصة ومعمّقة، وإقامة جسور مشتركة بين حملة هذه الطاقات الكبيرة والتخطيط لها، وتحديد غاياتها ومقاصدها، ووضع أساليبها ووسائلها الناجعة.

فمن المعلوم أن المسيحية في أصول دعوتها تحرص على إشاعة المحبة والعفو والتسامح، والود والسلام، وتدعو بإصرار الأفراد والجماعات إلى إعمال الفكر والعقل، والتأني في علاج الأحداث، ونبذ العنف والتشدد، والترفع عن طغيان المادة، وإذكاء روح التعاون والتضامن في مناصرة الفضيلة والسلم، والتخلص من كل ظواهر الإجرام والانحراف، والإبقاء على الصلة الحميمية بين الإنسان وأخيه الإنسان. حتى إن المسيح عيسى (عليه السلام) يدعو إلى حب العدو ومسامحته.

المنهج الإسلامي في إرساء معالم الإصلاح والنجاة والاستقرار

منطلقات هذا المنهج:

تزخر النصوص الشرعية في القرآن والسنّة وترددها كتب أئمة الفقه والاجتهاد، بالدعوة إلى السلم والأمان، والتعاون الدائم بين المسلمين وغيرهم، لأن الشريعة الإسلامية هي شريعة الوفاق والوئام، والود والسكينة، والحب والتعاون، وإحلال السلم محل الحرب، والتسامح محل التعصب، والتفاهم محل التنازع، والتآلف والتعارف محل الخصام والتناكر، والحب السامي بين الإنسان وأخيه بدلاً من الكراهية، وإظهار حسن النيّة والصراحة، والتخلّي عن سوء الطوية والمكر، وجعل الحوار لا الشجار، والإقناع والحرية بدلاً من الإكراه، والأمن محل الخوف، والترويع أو الإرهاب غير المشروع، والتعايش السلمي والودي معاً بدلاً من التقاطع والتآمر والبغضاء، والمساواة بديلاً عن التمييز العنصري والتفرقة بين المواطنين والناس جميعاً، وترسيخ

بذلك أن يوجهنا إلى أن نتعرف على العالمين اجمعهم.

وإنني أرى أن عالمنا الإسلامي مقصر في التعارف بينه وبين بني جنسه وفي التعريف بنفسه أمام الآخرين، فعندما التقينا بأخوة من الغرب وعرفناهم بالإسلام حينها أدركوا حقيقة هذا الدين فعاتبونا وسألونا لماذا تأخرتم في تعريفنا بأنفسكم ودينكم؟ فأنتم ظلمتم دينكم جداً.

ولا يخفى أن الله سبحانه وتعالى حثنا على التعارف من خلال تفضيل الصلاة في جماعة ومن خلال صلاة الجمعة التي لا تقبل إلا في جماعة ز. وإن الله عز وجل أراد بصلاة الجمعة أن يمنح فرصة للمسلم لكي يتعارف على الآخرين في كل أسبوع، أما الحج فالغرض منه هو «التعارف الأممي» للتعارف على أنفسنا وعلى الآخرين.

وعلى هذا فإنني أرى ضرورة تفعيل الدور الإسلامي في المنظمات الدولية، فمنظمة اليونسكو وأطباء بلا حدود وصحفيين بلا حدود يقومون بدور حقيقي في التواصل من خلال أنشطتهم الواضحة في مناطق مختلفة من العالم.. لكن للأسف نحن المسلمين لم يكن لنا دور فيها، ولم نعطى هذه المنظمات حقها في التعرف بنا. وهذه المنظمات التي أصبح العالم كله يعرفها ما هي إلا مجموعة من الأفراد لهم هدف معين واستظلوا بظل الأمم المتحدة ثم اخذوا في الانتشار. ونحن كأمة إسلامية يجب أن نأخذ خطوة في التعريف بأنفسنا في المنظمات الدولية.

صرح العدل في الحقوق بين الأصدقاء والأعداء على حد سواء بدلاً من كل مظاهر الظلم ووقائعه، وتتويج كل ذلك بمزية زائدة عن تلك القيم قررها الإسلام، وهي الإحسان بدلاً من الإساءة أو الأذى والضرر.

ولكن الإسلام وغيره من الأديان يحافظ على الكرامة الإنسانية، ويبيح الدفاع عن استقلال الأوطان والحفاظ على حرمة النفس (حق الحياة) والفكر (العقل) والعرض والمال، فهناك فرق واضح بين المقاومة المشروعة للدفاع عن الحقوق والمصالح الخاصة والعامة، وبين الإرهاب غير المشروع، الفردي والدولي، الذي يلحق الضرر بالفرد والجماعة، وبالأمة والوطن، ولا تقره الشرائع الإلهية كلها، ولا الوضعية القانونية، سواء القانون الدولي العام، أو القانون الوضعي الخاص.

وهذه هي وثائقنا ودستورنا ونظامنا التشريعي الإلهي، والاجتهادي الفقهي.

وأول وثيقة عندنا هي القرآن الكريم:

- قال الله تعالى مقرراً وحدة الإنسانية والإخاء الإنساني:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾
[سورة النساء: الآية 1]

قال المفسرون: في الآية تنبيه على ضرورة التواصل لحرمة هذا النسب وإن بعد، أي وإن كانت الرابطة إنسانية محضة، وليست من قرابة الدم.

كما أرشدت الآية إلى وحدة الإنسانية المخلوقة من أب واحد وأم واحدة وهما آدم وحواء عليهما السلام، ثم وحدة الأسرة القائمة على القرابة الدموية وصلة الرحم.

وأما ضمان احترام هذه الاصول الثلاثة: وحدة الإنسانية، والأخوة الإنسانية، ووحدة الأسرة: فهو عند المؤمنين رقابة الله عز وجل بالإحسان لمن وفى بالحقوق، وتأثيم وعقاب المتنكر لهذه الأصول، مع ملاحظة أن الخطاب القرآني موجّه للناس جميعاً بكلمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ .

ميثاق الأمم والشعوب:

إن الميثاق العالمي للأمم والشعوب قاطبة، الإسلامية منها وغيرها: هو نداء القرآن الكريم في قول الله عز وجل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [سورة الحجرات: الآية 13]

قرر المفسّرون أن القصد من هذه الآية التسوية بين الناس، وهدم برج العصبية القبلية وأشباهها مما يفرق ولا يجمع، ولاستئصال نزعات الاستعلاء والاستكبار والتفاخر بحيث يريد البعض أن يكون أكرم وأعز وأسمى من البعض الآخر، ومن أجل التعارف والتآلف والتوافق، لا التناكر والتنابذ والتعارض من غير بينة أو سبب مقبول، وأن طريق التفاضل فقط هو تقوى الله والعمل الصالح.

- إن جسور المودة والتواصل والتقارب قائمة بين المسلمين وغيرهم منذ القديم على أساس من المسالمة والمودة، والتصافي، والإذعان للحقوق، والاحترام المتبادل للرابطة الإنسانية والمساواة، لقول الله تعالى:

﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ * إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[سورة الممتحنة: الايتان 8، 9]

السلم والحرب

إن الغاية الأساسية من الدعوة الإسلامية العالمية أو ذات النزعة العالمية إلى مختلف شعوب الأرض هو توطيد السلم وتقريره وتحقيق الأمن، ونشر الحرية والحق والعدالة، وإبراز أصول العقيدة الإسلامية القائمة على توحيد الإله الحق والإيمان بوجوده، والإقرار برسالات الرسل صلوات الله عليهم، والاعتراف بالكتب السماوية وبالملائكة الكرام، والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى.

والأصل في هذه النزعة: إيثار السلام والتوصل إليه بقناعة ورضا. لا بضغط وإكراه، ولا يلجأ إلى الحرب إلا إذا أصرّ العدو على الاحتكام إلى القتال، فتكون الحرب حينئذ دفاعاً عن النفس أو الأمة والبلاد، أو الدعاة، إلى الله تعالى، أو لدفع الظلم، أو لنصرة المستضعفين، أو لإنهاء النزاع المسلح وإعلاء كلمة الله: كلمة الحق والعدل والتوحيد، لأن شريعة الإسلام تحرص على عزة المسلمين والكرامة الإنسانية، ولا تقبل من المسلم المذلة والهوان. بل إنها حريصة على تربية الفرد والجماعة تربية استقلالية متحررة. وعلة الحرب هي العدوان وليس المخالفة في الدين فهي إذاً ليست حروباً دينية.

والبراهين كثيرة، منها ما أمر الله تعالى به في القرآن الكريم في آيات كثيرة، مثل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [سورة البقرة: الآية 208]

ومثل:

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سورة الأنفال: الآية 61]

ومثل:

﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

[سورة الأنفال: الآية 72]



الأسقف جيوفاني ما رتينيللي
أسقف الكنيسة الكاثوليكية بطرابلس

هناك حاجة ماسة للتعارف، ذلك أن التعارف المشترك يحمينا من كثير من المزالق والأحكام المسبقة والتقييم السطحي، فالهوية الثقافية للآخر مهمة لنا جميعا، ولكي نحقق المعرفة المشتركة لابد أن يكون هناك صدق وإخلاص وموضوعية، فالمعرفة المشتركة تأخذ مصدرها من نور الله، وهي الحقيقة، وهذه المعرفة تعطينا السلم الداخلي، ونعيش مع الآخرين في وفاق.



سليمان آدم كونفي
أمين عام مدارس النور / بوركينا فاسو

إن التعارف الحقيقي كما ورد في القرآن الكريم يؤدي إلى التعايش السلمي، والمسلمون اختاروا التعارف منذ ظهور الإسلام، المسلمون كانوا جادين في إيجاد وسائل وطرق التعارف، والمسلمون متمسكون بالحوار والتحاور مع الأديان، وخاصة المسيحية، فالمسيحية أكثر تفاهما مع الإسلام، ومن الضروري وضع أسس ثابتة للتعارف بين الجميع من أجل عالم أكثر عدلا وإنصافا.



وهذا مثال عال في احترام الميثاق أو المعاهدة.

ومنها في تقرير القاعدة العامة في مشروعية القتال: أن القتال لمن قاتلنا، وذلك في آية من أواخر الآيات والسورة المدنية:

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾
[سورة البقرة: الآية 190]

ومن الأحاديث النبوية في هذا الشأن: الحديث الثابت الكابح لا رغبة النفسية الجامحة في لقاء الأعداء فيما أخرجه الشيخان:

(لا تتمنوا لقاء العدو، وإذا لقيتموهم فاصبروا)

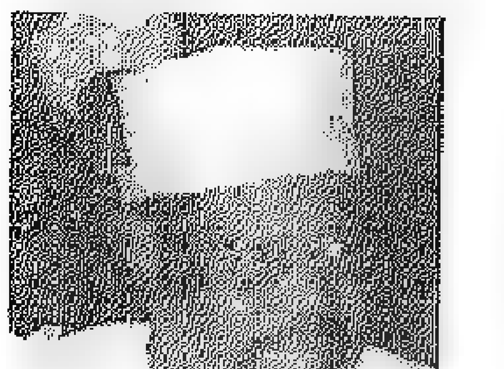
وقرر جماعة من الفقهاء كالإمام الثوري والإمام الأوزاعي والإمام ابن تيمية والشيخ محمد عبده وأغلب المعاصرين أن مشروعية القتال هي لمن قاتلنا، ولا يحل البدء بالاعتداء.

وأما الحروب أو الفتوحات الإسلامية ففي نطاق الجزيرة العربية: خاض المسلمون بقيادة رسولهم الكريم (ﷺ) سبعاً وعشرين معركة أو غزوة، كلها كان المسلمون هم المعتدى عليهم، فكانت أول الآيات بعد أكثر من اربع عشر سنة من بدء الدعوة الإسلامية مقرّرة اسباب المشروعية وهي:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [سورة الحج: الآيتان 39 ـ 40]

وأما حروب مانعي الزكاة أو المرتدين فلاعتدائهم على قدسية العقيدة، ووحدة الشريعة، ومنع إحداث الثغرات الهدامة لصرح الإسلام.

وأما الفتوحات الإسلامية في الشرق أو الغرب، فكانت لمواجهة الفرس الوثنيين في الشرق، والروم



الشيخ مصطفى سيسي
عضو مكتب التصوف / السنغال

إن مسألة التعارف تقتضي أن تكون على مائدة المودة والمحبة، لا في حرب وخصام، وأن يكون هناك تعاون حقيقي بين البشر، فالتعارف أساس التعاون، وإذا تعارفنا وتعاونا أصبحنا كتلة واحدة. وإن سبب تعدد الألوان والثقافات هو أن نتعارف ونتقارب ونلتقي، وإذا التقينا أصبح كل واحد منا يعرف أخاه معرفة جيدة.

النصارى في الغرب حتى في شمال إفريقية أو بلاد المغرب العربي أو أسبانيا، حيث كان عسكر كل من هاتين الدولتين أو الامبراطوريتين هم المعتدين على المسلمين والبادئين بحشد الجيوش على حدودهم.

وأما حروب المغول والتتار وهجومهم الوحشي المدمر للحضارة الإسلامية واجتياح البلاد الإسلامية سنة 616 هـ/ 1219 مسيحي، وتحقيق الانتصار عليهم بقيادة سيف الدين قُطُز في معركة عين جالوت عام 658هـ/ 1260 مسيحي، فلرد بغي هؤلاء ومحاولتهم اكتساح بلاد المسلمين.

وكذلك الحروب الصليبية من جيوش الغرب التي استمرت قرابة مئة سنة وتحقيق انتصار القائد المظفر صلاح الدين الأيوبي في موقعة حطين وتحرير القدس عام 583/ 1187 مسيحي كانت كما هو معروف لدحر قوى هؤلاء المعتدين ورد العدوان ودفع الظلم الصارخ.

والتاريخ يعيد نفسه في طرد المستعمرين المحتلين في القرن العشرين من مختلف البلاد العربية والإسلامية، وبقي ارتقاب الفرصة المواتية لطرد المغتصبين الصهاينة من فلسطين الجريحة، وتبديد مساندة الدول الغربية ولا سيما بريطانيا وفرنسا وأمريكا وروسيا، سواء بالمال أو السلاح أو تسهيل الهجرة لمئات الآلاف إلى فلسطين.

حرية التدين أو العقيدة:

على الرغم من المد الإسلامي الظاهر كما ذكرت، فإن المسلمين حرصوا على نشر دعوتهم بالإقناع والحوار والإرشاد والأسوة الحسنة وبيان فضائل الإسلام، ولم يتورطوا ولو في حادثة واحدة على مدى تاريخهم بإكراه أحد على الدخول في الإسلام، وإنما كانت الشعوب المفتوحة تبادر طواعية واختياراً إلى قبول الإسلام، لما رأوا من عدل المسلمين وتحضرهم ونشر العلم والمدنية، وكما أثبت المؤرخون المنصفون حتى من الغربيين مثل جوستاف لوبون صاحب كتاب (حضارة العرب) وأرنولد صاحب كتاب (الدعوة إلى الإسلام).

والسبب في التزام هذا المنهج الاسلامي هو منع الإكراه على الدين في قوله تعالى:

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [سورة البقرة: الآية 256]

العلاقات الدولية في الإسلام:

تتميز العلاقات الخارجية أو الدولية في الإسلام بأنها لا تقتصر على إعلان المسالمة والمودة والمهادنة إلا دفعاً للظلم، وإنما تمتد إيجابياً إلى الإنعاش الاقتصادي والتبادل التجاري، والتلاقح الثقافي، والتعاون الإنساني، لتتأصل هذه العلاقات وتنمو ويكون الأخذ والعطاء، وإظهار فضائل الإسلام بالحوار والإقناع هو الطابع المهيمن على هذه العلاقات.

ويلتزم المسلمون في حروبهم بالحفاظ على معطيات المدنية والحضارة، والعلم والمعرفة، وعدم التعرض لمن يعرفون في عصرنا بالمدنيين. ثبت في السنن الصحاح عن الرسول (ﷺ) أنه مرّ على امرأة مقتولة في بعض مغازيه، قد وقف عليها الناس، فقال: (ما كانت هذه لتقاتل) وقال لأحد صحابته: «ألحق خالد فقل له: (لا تقتلوا ذريّة ولا عسيفا) وقال أيضاً: (لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة) وكان أبو بكر الصديق يوصي قادة جيوشه بتجنّب التخريب والتحريق والهدم وقطع الأشجار المثمرة، فقال في وصيته ليزيد بن أبي سفيان: «وإني موصيك بعشر: لا تقتل امرأة، ولا صبياً، ولا كبيراً هرماً، ولا تقطعن شجراً، ولا تخربن عامراً، ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة، ولا تحرقن نخلاً ولا تغرّقنه، ولا تغلل ولا تجبن».

قال الأوزاعي: لا يحل للمسلمين أن يفعلوا شيئاً مما يرجع إلى التخريب في دار الحرب، لأن ذلك فساد، والله ولا يحب الفساد.

وينادي الناس اليوم بما يسمى بالتعايش السلمي بين الدول، ومعنى ذلك أن تتعايش المذاهب السياسية والاجتماعية المختلفة في سلام وحسن جوار، فأما الإسلام فلم يدعُ إلى التعايش السلمي فقط بين المسلمين وغيرهم، بل دعا إلى ما فوق ذلك من التعايش الودي الذي يتجاوز المسالمة إلى المودة والمصاهرة والتعاون والتضامن.

صحيح أن دعوة الإسلام دعوة عالمية، تتجاوز حدود الوطن والإقليم، لكنها دعوة حوار وبناء وتنظيم لقواعد الحياة، وترسيخ لأصول السلام ومتطلباته، وما الحرب إلا ضرورة اجتماعية ودفاعية فقط لدفع الظلم ومصادرة الحريات. وليست الحرب على الإطلاق لنشر العقيدة الإسلامية وإكراه الناس عليها.

هذه هي أصول دعوتنا وغايتنا. وهي دعوة الحق والعدل والحرية المساواة، والسلام والأمن



والاستقرار، والتعاون والتضامن، فما أجدرنا نحن علماء الإسلام أن نحيي هذه المعاني في واقعنا، وأن نوجه الأمة إلى ما فيه خيرها وعزها واستقرارها، وأن نتعاون مع دعاة هذه القيم العليا لتصفو الحياة، ويرتفع الطامعون عن الزج بالبشرية إلى نار الجحيم، وأن نضع أيدينا مع كل دعوة صادقة إلى الحوار والتفاهم والتعارف والمصارحة في فهم حقائق ومقاصد بعضنا بعضاً، فيعم الأمن والسلام، ويتفرغ البشر في حل مشكلاتهم الاقتصادية والاجتماعية، وتهدأ روح الغليان، فيرتاح كل إنسان، وتكون الدول كلها آمنة تتفيأ ظلال الحرية والمحبة والسلام، ويهنأ المجتمع الدولي بما لديه من خيرات كثيرة ومنافع وفيرة وكنوز وثروات عظيمة، فإذا ما استنبطت، تحقق الرفاه والسعادة للجميع.

التعارف طريق للعيش المشترك

أ.د. ناصر الدين الأسد *

هذا الحديث مستمدٌ من عنوان المؤتمر، وهو ملتزِمٌ به فالعنوان «لتعارفوا» إنما يشير إلى الآية الكريمة :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ . . .﴾
[سورة الحجرات: الآية 13]

فهذا الحديث إذن عن الإسلام وليس عن المسلمين، عن النظريات والمبادئ والتعاليم وليس عن الممارسات والتطبيق. وكثيراً ما تقوم فجوةٌ قد تكبر وقد تصغر بين النظرية والمبدأ وبين التطبيق ـ في جميع الأديان والمبادئ وفي جميع العصور ـ بين ما يجب أن يكون وبين ما هو كائن. ومما يجب تأكيده أن سوء تطبيق المبدأ لا يَعيب المبدأ نفسه.

وهو حديث سبق أن تحدّث فيه كثيرون: كتابةً ومحاضرات وكلاماً في المجالس. ومع ذلك لا يزال الناس يكتبون فيه ويتكلمون، إما لأنهم يرون في كتاباتهم وكلامهم تأكيداً لا بدّ منه للكلام السابق، أو توضيحاً لجوانب منه تحتاج إلى التوضيح، وإما لأنهم يرون أن الموضوع لا يزال فيه جديد وفضل بيانٍ من المفيد أن يقال، وأن هذا الذي يقولونه هو هذا الجديد، ولكن لا يلبث أن يظهر أنه هو القديم ذاته وإن اختلفت ألفاظه وبعض عباراته.

والحديث عن الإسلام ـ وليس عن واقع المسلمين ـ لا يكون إلا من القرآن الكريم ومن السنّة النبوية الشريفة، ثم مما يُستأنَس به من مواقف بعض الصحابة رضوان الله عليهم.

والأصل الكبير الذي ينبني عليه الخطاب الإسلامي في حواره مع غيره هو ما تضمنته الآية الكريمة التي جُعِلتْ إحدى كلماتها عنواناً لهذا المؤتمر. فقوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ . . .﴾
[سورة الحجرات: الآية 13]

إنما يدل على وحدة الجنس البشري وأن الإنسانية جمعاء أصلها واحد. ويؤكد ذلك ويوضّحه ما جاء في الحديث النبوي الشريف من قوله صلى الله عليه وسلّم: «الناس بنو آدم وآدم من تراب»[1]. ثم إن الكلمات التالية من الآية الكريمة تشير إلى أن هذا التعدّد والتنوّع في خَلْقِ الناس بين شعوب وقبائل، إنما هو لحكمة أرادها الله، وهي أن يقوم بينهم تواصل وتآلف وتفاهم، وهو المقصود بقوله تعالى: «لتعارفوا»، وليس المقصود من التعارف التوحّد والاندماج، وإلا لكان الأمر كما قال تعالى

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ . . .﴾
[سورة هود: الآية 118]

وهو معنى يتكرر في عدد من الآيات منها قوله عزّ وجل:

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ . . .﴾
[سورة هود: الآيتان 118 ـ 119]

* أستاذ جامعي/ الأردن

فإذا سلّمنا بوحدة الجنس البشري وبأن هذه الشعوب والقبائل إنما تلتقي كلها في الإنسانية ذات الأصل الواحد، فإن العلاقات بينها إنما تقوم على أساس «المعاملات» وليس على أساس «العقيدة». والمعاملات والعقيدة أمران يلتقيان ثم قد يفترقان. وهذا موضوع دقيق يحتاج إلى توضيح: ذلك أن لله عزّ وجلّ حُكماً حكم به على غير المسلمين، من أهل الكتاب وغيرهم، وهذا من صميم العقيدة، وله أمرٌ للمسلمين بينهم وبين غيرهم عليهم أن يتبعوه وهو من «المعاملات». وإذا كان «الدين المعاملة» فإنها يجب أن تقوم على التعارف وليس على التدابر والتخاصم والتقاطع، وفي هذه الحالة فإن التفاضل ين الناس إنما يقوم على أساس واضح من هذا التعامل فيما بينهم وذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

[سورة الحجرات: الآية 13]

وللمعاملات، أي للتعامل بين المسلمين وغير المسلمين، آداب في السلوك ووسائل وأساليب، بيّنها عزّ وجلّ في عدد من الآيات، وتمثلت في سُنّة رسوله عليه الصلاة والسلام. وربما كانت الآية الأساس التي تُعَدّ أصلاً في التعامل ثم تتفيع منها آداب وأساليب أخرى هي قوله تعالى:

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

[سورة الممتحنة: الآيتان 7 ـ 8]

ونحن لا نحبّ أن نقف عند اختلاف الآراء في نَسْخ هذه الآية ولا عند النّسْخ عامة، إذ نرى أن كتاب الله الكريم يجب أن يُقرأ غَضّاً حيّاً كما نزل، ولا يجوز أن نذهب إلى أن بعض آياته قد أصبحت متروكة مهجوة ميتة لا في نصّها ولا في أحكامها. ولكننا نحب أن نقف ـ وأن يقف غيرنا ـ طويلاً عند هذا البيان القرآني الناصع في قوله تعالى:

﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾

[سورة الممتحنة: الآية 8]

إذ إن المسلم مأمور ألا يكتفي بأن يقف موقفاً محايداً غير مُبالٍ في مواجهة غير المسلم، فلا يُلحِق به الأذى، بل إن الله عزّ وجل أباح للمسلم القيام بِبرّه والإقساط إليه. وإذا كان الإقساط إليه هو العدل معه وعدم الجور عليه ولا الظلم له فإن البِرّ يعني ـ زيادة على ذلك ـ أن يحسن إليه ويقدّم إليه العون. ونحن نعلم أن البرّ يرتبط عادة بالوالدين وخاصة بالوالدة، فنقول: «بِرُّ الوالدين، وفلان بارٌّ بوالديه، وفي التنزيل العزيز أن سيدنا عيسى قال عن نفسه:

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ [سورة مريم: الآية 32]

وأن الله وصف سيدنا يحيى بقوله تعالى:

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ [سورة مريم: الآية 14]

ووصف الله الملائكة بقوله عنهم:

﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [سورة عبس: الآية 16]

ذلك كلّه إذا لم يكن غير المسلم مقاتلاً للمسلم ولا معتدياً عليه. أما إذا كان ممن

﴿قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ﴾ [سورة الممتحنة: البية 9]

فإن الموقف مختلف ولا يجوز للمسلم حينئذ أن يواليَ من كانت تلك أحواله.

إن هذه الآية الأساسية في تعامل المسلمين مع غيرهم تتفرع عنها أحكام أخرى في آداب السلوك وخاصة مع أهل الكتاب، منها قوله تعالى:

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

[سورة العنكبوت: الآية 46]

وتتجلى في هذه الآية ـ كما في مثيلاتها ـ سماحة الإسلام وإنسانيته في أوضح صورهما، ففيها أمر بأن يكون حوار المسلمين مع أهل الكتاب حواراً مبرّاً من كل ما يمكن أن يسيء إليهم تصريحاً أو تلميحاً. وفيها أيضاً تقريب للنفوس بذكر ما يجمع بين المسلمين وبينهم، وهوأننا جميعاً نعبد إلهاً واحداً، بالإضافة إلى التحبب إليهم بأننا نؤمن أيضاً بما أنزله الله إليهم من كتب سماوية.

ولا شك في أن هذه الآية ومثيلاتها تنفي نفياً قاطعاً كثيراً مما ورد في تراثنا وخاصة بعض ما ورد في كتب الفقه والتفسير عن معاملة أهل الذمّة وعن زيّهم وعن تفسير معنى «وهم صاغرون» في آية الجزية، وعن معنى الجزية عامة. وما أحوجنا إلى فقهٍ وتفسيرٍ وفهمٍ صحيح لكل ذلك، فـ«الصّغار» هنا ليس صغاراً وخضوعاً أمام المسلمين، لأن الإسلام نفى عبودية الإنسان للإنسان وجعلها لله وحده، وإنما الصغار هنا هو صغار أمام الله عزّ وجلّ وأمام حُكْمه، الشأن في ذلك هو الشأن نفسه في الزكاة، حين قال الله عز وجل:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ [سورة المائدة: الآية 55]

أي وهم خاشعون خاضعون لأمر الله وحكمه. ويشبه ذلك ما ورد في كتاب الله من لفظ «داخرين» و«داخرون» قال تعالى:

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ﴾
[سورة النحل: الآية 48]

أي وهم صاغرون خاضعون لله. ولرُبَّ سائل يسأل: ولمَ لمْ تُفْرَض الزكاة على أهل الذمة كما فُرضتْ على المسلمين؟ والجواب أن الزكاة في الإسلام عبادة شأنها شأن الصلاة، ولو فرضت عليهم لكان في ذلك إكراههم على عبادة من غير دينهم، والله سبحانه يقول:

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [سورة البقرة: الآية 256]

ويقول مخاطباً الرسول (ﷺ):

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾
[سورة يونس: الآية 99]

ولذلك جُنّب أهل الكتاب من الذميين الزكاة وفُرِض عليه أمر ليس من عبادات المسلمين. ولكن هذا حديث طويل ليس هنا مجالُه.

ولا بدّ لنا من أن نلاحظ في الآية السابقة ما لاحظناه في الآية التي قبلها من استثناء فئة من أهل الكتاب من هذا الأسلوب من التعامل، وذلك قوله تعالى:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ [سورة البقرة: الآية 150]

والظلم هنا مجالات متعددة منها الغدر، وعدم وفائهم بعهودهم، ومحاربتهم المسلمين، ومعاونتهم أعداءهم.

وقد ذكرنا مراراً فيما سبق تعبير «مثيلات» الآيتين السابقتين، ونذكر هنا بعض هذه الآيات المثيلات، من مثل قوله تعالى:

﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾
[سورة النحل: الآية 125]

وكما وقفنا عند بعض الملاحظات في الآيات السابقة نقف هنا عند عدد منها: فهذا التكرار في الأمر بأن تكون المجادلة «بالتي هي أحسن» ثم إضافة أن تكون الدعوة «بالحكمة والموعظة الحسنة» يجعل أيّ إساءة لأهل الكتاب في المعاملة أو السلوك أو الخطاب، تصرفاً يتنافى مع روح الإسلام ويخالف صريح النص القرآني. ثم إن ختام هذه الآية يدلّ دلالة واضحة على التفرقة بين «المعاملة» وهي التي أمر الله بها المسلمين، وبين «العقيدة» المفوّض

أمرُها إلى الله وحده فهو:

﴿أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾
[سورة القلم: الآية 7]

وليس لأحد من البشر أن يدّعي العلم بذلك أو الحكم على غيره بالضلال أو الهدى.

أهل الكتاب هؤلاء هم الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال عن بعضهم:

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾
[سورة آل عمران: الآية 199]

وذكر الله لنا أنهم فريقان، وذلك في قوله عزّ وجلّ:

﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۞ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾
[سورة آل عمران: الآيات 113 ـ 115]

ذلك كله حُكمُ الله تعالى وأمْرُه، وأما في التطبيق العملي في عهد رسول الله (ﷺ) وفي عهد صحابته، فالأخبار عنه متواترة. منها صحيفة المدينة المشهورة، ذلك أن رسول الله (ﷺ) حين هاجر من مكة إلى المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار، وعاهد اليهود، وكتب في ذلك كتاباً سمّى فيه قبائل اليهود قبيلةً قبيلةً، وجعلهم ـ كما نصّت صحيفة العهد ـ «أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم... إلا من ظَلَم وأثِمَ...»[2]. ولو كان في مكة أو المدينة نصارى لعاهدهم الرسول عليه السلام العهد نفسه، فهم «أقربهم مودة للذين آمنوا». ولا يغيب عنا أن الرسول أذِن لوفد نصارى نجران أن يصلّوا صلاتهم في مسجده، فصلّوا نحو المشرق، وصالحهم على أمور منها أن «لنجران وحاشيتهم جوارَ الله وذمةَ محمد النبي رسول الله على أنسهم وملّتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وبيَعهم، لا يُغيّر أسقف عن سقيفاه، ولا راهب عن رهبانيته»[3].

ولا بد أن يستوقفنا تعبير أن اليهود «أمة مع المؤمنين» فهو يعني بالمصطلح الحديث أنهم «مواطنون مع المؤمنين» لهم حقوق المواطنة كاملة: لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، ما عدا أمور العقيدة والعبادات وما يتصل بهما من الأحوال الشخصية.

وليس في الإسلام مصطلح الأقليات، وإنما فيه مصطلح «أهل الذمّة» وقد استعمله رسول الله (ﷺ) في كتبه وعهود أمانه، منها: «هذا أمَنَةٌ من الله ومحمد النبي رسول الله ليُحنّةَ بن رُوْبةَ وأهل أيْلةَ... لهم ذمّةُ الله وذمّةُ محمد رسول الله...»[4]. واستعمله الخلفاء من بعده كقول عمر بن الخطاب حين طُعِن[5]: «أُوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله، والمهاجرين... وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفي لهم بعهدهم وأن لا يُكلَّفُوا إلا طاقتهم وأن يقاتل مَنْ وراءهم».

ويعرف كلُّ من له بَصَرٌ باللغة العربية جمالَ هذا التعبير ودلالته الرفيعة، وكرَمَ هذه النسبة إلى ذمّة الله ورسوله. ولكن المواطنين المسيحيين في الأقطار العربية أصبحوا يَنفرون من هذا التعبير ويشعرون بالغضاضة منه، فأخذنا نستعمل بدلاً منه تعبير «غير المسلمين» تمشّياً مع روح الإسلام في ألا نسمّي الناس أو نلقّبهم بما لا يحبّون. وقد أصدر المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) في عام 1989 مسيحي مجلدين بعنوان «معاملة غير المسلمين في الإسلام» كتَب فصولَهما مجموعةٌ من العلماء المسلمين[6].

إن هذا الذي ذكرناه وسواه كثير مما لم نذكره عن ثقافة السماحة في الإسلام والروح الإنسانية العالمية فيه هو الذي جعل مثل فارس الخوري رئيس وزراء

سوريا الأسبق يقول: انا مسيحي ديناً ولكني مسلم ثقافةً. وهو الذي جعل المفكر اللبناني الماروني نصري سلهب ـ الذي شغل مناصب رسمية عالية متعددة ـ يصدر كتابه «في خطى محمد» وكتابه «الإسلام كما عرفته دين الرحمة والسلام» ثم هو القائل: القرآن الكريم هو كتاب المسلم والمسيحي في آن» والقائل: «أنا نصف مسلم من خلال لغتي العربية»[7]. وهذا الذي ذكرناه هو كذلك الذي جعل الوزير اللبناني السابق إدمون أمين رزق على علاقات صداقة ومودة مع عدد من العلماء المسلمين من السُّنَّة والشيعة، وحسب المرء أن يقرأ كتابه «مشاركة في الإسلام»[8] ليطّلع على كيف يتحقق العيش المشترك في بلادنا، وقد صدّره بإهداء إلى من سمّاهم أصدقاءه، ومن بينهم المفتي الشيخ حسن خالد والشيخ أحمد عسّاف والشيخ صبحي الصالح. ولا يُغني أي اقتباس منه عن قراءته كلّه، وقد ختم مقدمته بقوله: «فإن وَقَفاتي في مناطق لبنان كُلِّها، من الجنوب إلى البقاع، ومن العاصمة والضاحية الجنوبيّة إلى الجبل والشمال، ومقالاتي وتعليقاتي، في المناسبات الإسلامية الكريمة، هي شهادةٌ، ما زِلتُ أؤدّيها للبنان، وطناً ومُجتمَعاً ودولةً، وقد اخترتُ نماذج منها، لِنشرها في هذا الكتاب، الذي أُقدِّمه إلى قُرّاءِ العربية، عُربون ثقةٍ بالشراكة الإنسانية، وإيمانٍ بالإله الواحد، الضابطِ الكُلّ، الرحمن الرحيم[9].

إن «التعارف» يحتاج إلى «معرفة» ينبني عليها. وقد «عَرَف» هؤلاء الثلاثة الذين استشهدنا بهم حقيقة ما عند الآخر، فحدّدوا موقفهم وفقاً لمعرفتهم. ولذلك «تعارفوا» مع مواطنيهم وتفاهموا وتعاونوا، ومع ذلك بقي كل واحد من الفرقاء على دينه وعقيدته. فالتعارف لا يعني تبديل الدين ولا التفريط بالعقيدة والمبدأ. ولا يجوز أن ننخدع بمواقف بعض رجال الدين وعلمائه الذين أصبحوا حجّة في العلم يستفتيهم الناس ويتّبعون رأيهم، فهؤلاء تبحّروا في علم مذهبهم وحده ولم يعرفوا المذاهب والأديان الأخرى على حقيقتها، بل ربما ردّدوا كثيراً من الأباطيل اتي يرددها العوام عن تلك المذاهب والأديان. ومن عرف منهم شيئاً من المذاهب الأخرى على حقيقته قد تركبه العصبية والهوى فيكابر ويغالط ويطوي ما عرف أو يحرّفه طلباً للدنيا وحرصاً على مناصبه فيها.

سأل الله الإخلاص في النيّة، والصدق في القول، والنجاة من الزلل، إنه سميع مجيب.

الهوامش

(1) كذا في مسند أحمد بن حنبل 2:361 و524، طبعة اسطمبول، وانظره كذلك في سنن الترمذي، وفيه «وخلق الله آدم من تراب».

(2) ذهب المفسرون إلى أن المقصود بالأمّة هنا هو الدين، أي لجعلناكم على دين واحد. كقوله تعالى: (إن هذه أمتكم أمة واحدة) أي دين التوحيد دين واحد.

(3) قال الزمخشري في تفسير الآيتين: أي لاضطرهم إلى أن يكونوا أهل أمة واحدة، أي: ملّة واحدة، وهي ملّة الإسلام... وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار، وأنه لم يضطرهم إلى الاتفاق على دين الحق، ولكنه مكّنهم من الاختيار الذي هو أساس التكليف، فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا، فلذلك قال (ولا يزالون مختلفون إلا من رحم ربك) إلا ناساً هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه، (ولذلك خلقهم)... يعني: ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختيار خلقهم، ليثيب مختار الحق بحسن احتياره، ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية 2:149.

(5) ابن سعد، الطبقات الكبرى 1:357 ـ 358.

(6) المصدر السابق 1:289.

(7) المصدر السابق 3:339.

(8) وانظر كذلك كتابي: «نحن والعصر: مفاهيم ومصطلحات إسلامية» الفصل الثاني عن الأقليات في الإسلام، من: 39ـ54، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1998.

(9) مجلة الوطن العربي، العدد 1076 بتاريخ 17/10/1997.

(3) صدر سنة 1996.

(4) ص 11.

التواصل

المنطلقات والأهداف

❖ تنمية المدارك وترسيخ الوعي الإسلامي على مختلف المستويات وفي مختلف الساحات.

❖ السمو بالعمل الثقافي عن محدودية التناول وسطحية المعالجة.

❖ تحفيز العقل العربي والإسلامي للإبداع من خلال تناول قضايا الواقع الثقافي والفكري بالطرح الجريء والتحليل العميق.

❖ عرض المادة العلمية بأسلوب يتوخى الصحة والدقة في تحديد المفاهيم ومخاطبة العقل وتقديم الحقيقة واضحة دون لبس أو غموض.

❖ التواصل مع المنتج الثقافي للحضارات والتعامل مع المستجدات الفكرية والثقافية.

❖ تتبع الظواهر الثقافية الدينية الإيجابية منها والسلبية بالعرض الواضح والنقد العلمي بهدف الوصول إلى الحقيقة المجردة.

❖ التأكيد على دور الدين في المجتمع والحياة، وكشف أساليب استغلاله لتحقيق أهداف ذاتية أو سياسية.

❖ الالتزام بأسس العقيدة وثوابت الدين في المعالجات الثقافية والفكرية.

❖ تجديد الوعي الإسلامي وتنمية الروح الديني النزيه.

❖ الابتعاد عن المجاملة والإطراء ومخاطبة النفس والحماس المفرط للذات.

❖ الالتفات إلى عيوب النفس ونقد الذات دون تشهير أو إحباط.

❖ عرض وتناول القضايا الفكرية والثقافية والاجتماعية التي تخترق الواقع المعيش وتهزه.

❖ الانتصار للحق والالتزام به.



❖ مكانة تحفيظ القران الكريم في المجتمع
التشادي المعاصر

مكانة تحفيظ القرآن الكريم في المجتمع التشادي المعاصر

د. محمد صالح أيوب*

يتناول هذا البحث الأساس الذي تقوم عليه حياة المسلمين في تشاد، وهو تعليم القرآن الكريم، وقد تطلّب تناول هذا الموضوع الرجوع إلى المصادر التي تناولت وصول القراء والقراءات إلى إفريقية، والرواد الأوائل لتحفيظ القرآن الكريم، والوصف التقديري لمؤسسات تحفيظ القرآن الكريم في البادية والريف والحضر، ثم شرح مراحل النظام التعليمي المتكامل للمسيج القرآني، وطرق الحفظ المتنوعة، والقواعد المساعدة على الحفظ، ومساهمات بعض الحفظة المعاصرين في تطوير القراءات، وأخيراً حاولت الدراسة تلمس أثر مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم في المجتمع.

أولاً: وصول القرّاء والقراءات إلى إفريقية:

رغم ثبوت العلاقة بين انتشار الإسلام، وعمليات تحفيظ القرآن الكريم في جميع البلدان التي وصلها نور الإسلام، إلا أن الاهتمامات المتزايدة بتحفيظ القرآن الكريم إلى درجة وصول القرّاء والقراءات، تختلف من قطر لآخر.

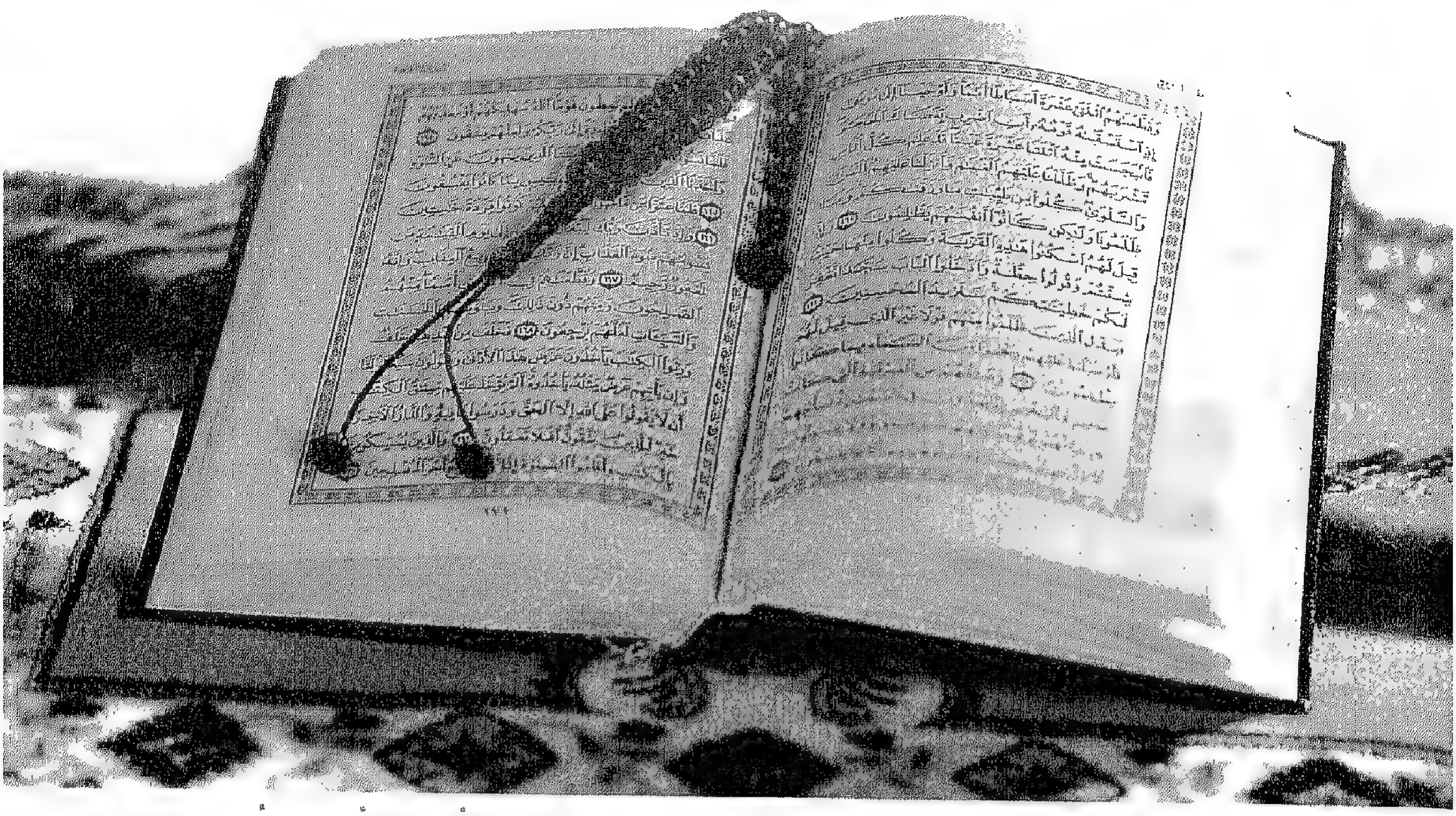
وحول تواصل الاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم بقراءاته الإفريقية، هناك محاولة علمية رائدة تمّت في جامعة القيروان بعنوان «القراءات بإفريقية» للباحثة هند شلبي، وضحت فيها بتتبع دقيق وصول الصحابة الذين يحفظون أجزاء من القرآن الكريم إلى الذين يحفظون الكثير، إلى أن وصلت إلى من وصل إلى إفريقية من القرّاء، ثم تتبعت وصول الأجزاء المكتوبة في الحوامل المختلفة للمصحف الشريف، حتى انتهت بمن أوصل المصحف كله مكتوباً إلى أفريقية، ثم ركزت بحثها على أول من أقام حلقة لتحفيظ أجزاء من القرآن الكريم، وإلى من تصدى لتحفيظ القرآن كله، لأعداد كبيرة من أهل إفريقية، إلى أن وصلت ببحثها إلى أهل القراءات المشهورة في إفريقية، وكيفية انتشارها، وبالتحديد قراءة الإمام نافع، وكيفية رسوخها في إفريقية إلى نهاية القرن الخامس الهجري، وضربت أمثلة عديدة بالرواد الأوائل من الأفارقة الذين تولوا مهمة نشر هذه القراءة برواياتها وطرقها المعروفة[1].

والدراسة العلمية الثانية التي أصّلت لوصول الاهتمام بتحفيظ القرآن وانتشار القراءات في

---

* عميد كلية اللغة العربية / جامعة أنجمينا - تشاد

1. شلبي، هند: القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983م ص ص 267-276.



إفريقية، هي الدراسة الموسعة للدكتور محمد المختار ولد أباه تحت عنوان: «تاريخ القراءات في المشرق والمغرب» والتي تولت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة نشرها مشكورة عام 1422هـ.

وخلاصة رأيه أنه في الفترة التي كانت حركة جمع القرآن متواصلة في المدينة المنورة في عهد الخليفة عثمان بن عفان، فتحت إفريقية على يد عبد الله بن سعد أبي السرح سنة (27هـ) في حملة اشترك فيها آلاف الصحابة من بينهم مجموعة من القرّاء، كان منهم عبد الله بن عباس وابن عمر، وابن الزبير، فدخل أهل إفريقية في الإسلام ومعهم كتاب الله العزيز. كانت بعد ذلك الحملة الأولى التي قام بها عقبة بن نافع الفهري منتصف القرن الأول، وشارك فيها عدد من قرّاء الصحابة الذين أسسوا رباطات الجهاد، ويذكر أن تلاوتهم لكتاب الله تسمع كدويّ النحل، ثم تلتها مسيرة ثانية لقبة الفاتح وفيها اصطحب معه خمسة وعشرين من الصحابة عُرف منهم أبو منصور الفارسي القارئ والد يزيد بن أبي منصور التابعي الجليل، ولقد توفي أبو منصور في إفريقية، وخلف بنين أوصاهم أنْ لا يملأوا صدورهم بالعشر، وأن لا يتركوا القرآن، لأنه دليل إلى الله. واستمرت بعد ذلك البعثات القرآنية من حاضرة الخلافة الإسلامية إلى إفريقية، وكانت البعثات تضم مجموعة من المتخصصين في تعليم القرآن والقراءات إلى أن تأسست مدرسة القيروان في القراءات ورسخت فيها قراءة الإمام نافع على يد ابن خيرون حتى صارت القراءة الرسمية. وابن خيرون هو اصل التحقيق في الأداء من ورش[2].

ثانياً: الروّاد الأوائل لتحفيظ القرآن الكريم حول بحيرة الشط (تشاد):

أوردنا في فقرات سابقة من هذه الدراسة أن تاريخ وصول الدعوة الإسلامية حول بحيرة الشط يرجع إلى وصول طلائع عقبة بن نافع الفهري إلى جبال كوار شمال البحيرة في القرن الأول الهجري السابع الميلادي، ومع الإسلام جاءت بعثات تعليم القرآن الكريم والقراءات.

ولكن نظراً لعدم الاهتمام الكافي بالمخطوطات

2. ولد أباه، د. محمد المختار: تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، منشورات الايسيسكو، الرباط، 2002/1422هـ، ص ص 186_189.

الإسلامية في هذه المنطقة، فإن المعلومات عن الرواد الأوائل الذين قاموا بتعليم القرآن الكريم محدودة، إلى أن نصل إلى القرن الحادي عشر الميلادي من (479ـ549هـ) الموافق (1085ـ1094م) حيث اتضح من مرسوم ملكي أصدره سلطان دولة كانم عام (480هـ ـ 1086م)، للمعلم محمد بن ماني نظير تعليمه للملك حمى جمي عدداً من سور القرآن الكريم، وجهوده التي بذلها في نشر القرآن والعلوم الإسلامية بالمملكة، وينص المرسوم الذي يسمى (بالمحرم) على منح السلطان لمعلمه محمد بن ماني امتيازات عديدة تقديراً له وإقراراً واعترافاً بفضله، وشرح المحرم الجهد الذي بذله المعلم ابن ماني والتوفيق الذي أصابه في العمل مع السلطان (حمى جمي أو محمد بن عبد الجليل بن عبد الله) في نشر الدين الإسلامي إلى خارج حدود برنوح ليبقي الإسلام إلى يوم الدين، وفي جزء من هذا المرسوم يضع السلطان في عنقه ديناً لمعلمه الأول محمد بن ماني الذي أخذ عليه قراءة القرآن والرسالة وتعاليمها السمحة لا بد من الوفاء به، فجعل أرواح وأملاك محمد بن ماني وذريته من بعده في حصانة تامة، بحيث لا يصح المساس بها إلى يوم القيامة. واختتم المرسوم بتحذير منه وتخويف شديد لكل من تحدثه نفسه بالتلاعب وتغيير بنود هذا المرسوم الملكي[3].

ويبدو أن ملوك وسلاطين كانم ـ برنوح قد حافظوا على وصايا أبيهم وجدهم، حيث وجد في مخطوط متأخر أن الإمام احمد بن فرطوا الذي عمل مع السلطان إدريس الومة سلطان كانم ـ برنوح يشير إلى أنه من قبيلة محمد بن ماني وانتهى من تأليف كتابه يوم الجمعة 9 جمادى الآخرة 1269هـ[4].

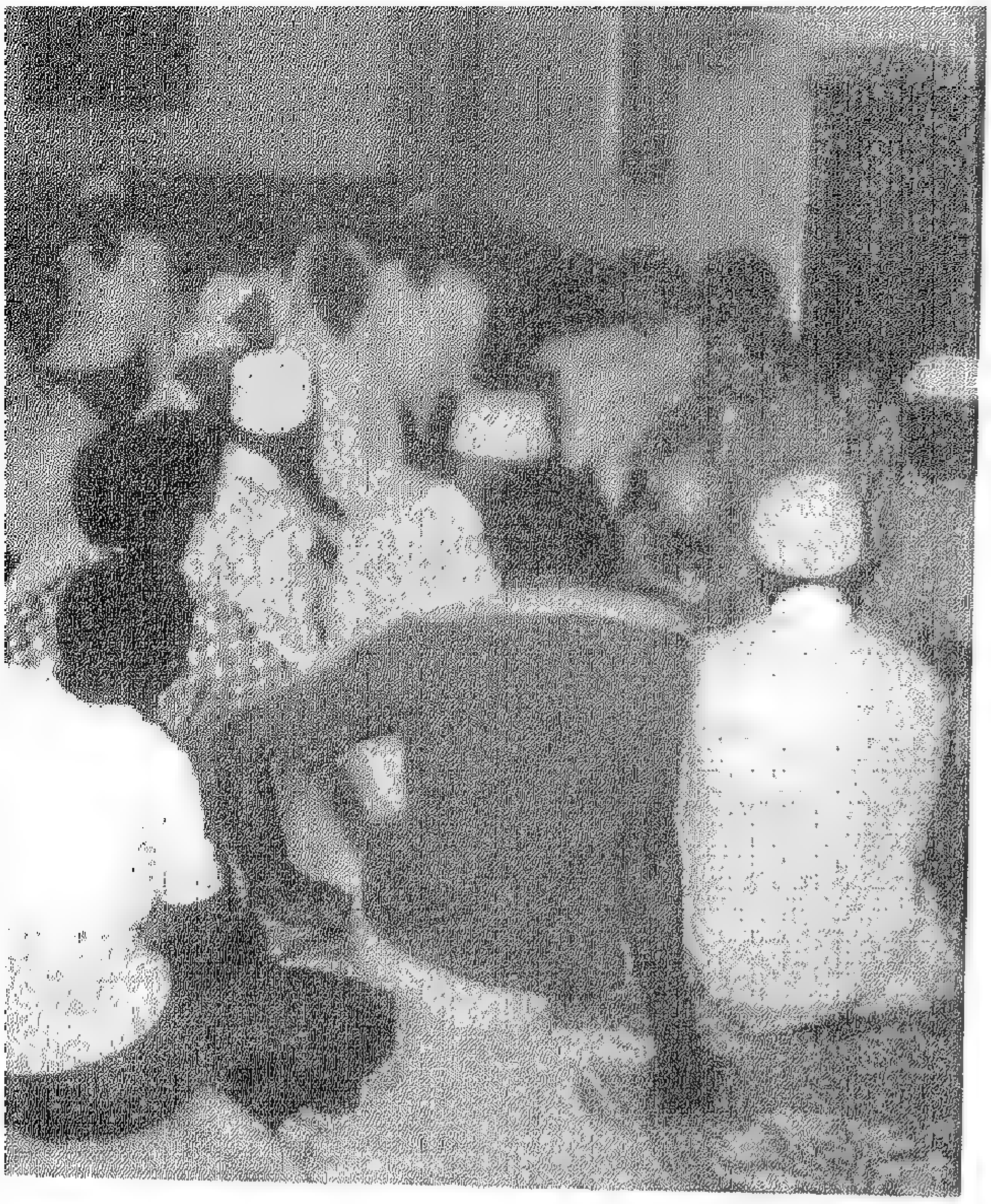
وينتظر الدارس لتراث رواد القرآن الكريم نحو خمسة قرون لتسعفه المخطوطات بآثار لمعلمي القرآن الكريم، حيث تكثر المعلومات عن الشيخ جامع الملقب بالصالح والصليح في دار وداعة في المنطقة الشرقية لتشاد الحالية.

وقد بدأ الداعية جامع ولد عبد الكريم مؤسس سلطنة دار وداعة العباسية حوالي 1611 ـ 1632م دعوته من قرية قريبة من جبل (فسل) ولم يستجب له أحد، ووصل إلى قرية مجاورة اسمها (بكس) وكانت كسابقتها، ثم انتقل إلى قرية أخرى تسمى (مولون) قريبة من بلتن، فاستجاب لدعوته نفر قليل. وبعد ذلك شرح لهم كيفية حفظ القرآن ابتداءً من فاتحة الكتاب، ثم أسّس لهم مسجداً (مسيجاً) ثم ارتحل إلى قرية أخرى، وترك في كل قرية من يقوم بتحفيظ القرآن الكريم، ويتخير أن يكون كبيرهم (أمامهم) ممن حفظ القرآن حفظاً جيداً لا خلط فيه ولا تحري ليستطيع أن يقوم بالواجب المعلق على عاتقه. وهكذا انتشرت الدعوة عن طريق تحفيظ القرآن الكريم، مما جعل قبائل دار وداعة تقرأ القرآن الكريم قراءة جيدة كما أُنْزِل لأن الملقّن كان عربياً فصيحاً، وكان شديد الحرص على تلقين القرآن لهؤلاء الناس الذين لهم لهجات خاصة بهم، وقد أمرهم أن يعلموا أولادهم بلغته العربية خوفاً من انحراف اللسان، ثم انتقل الداعية جامع إلى قرية قريبة من جبل أب طيور (أب طيور)، وأسس مسجداً (مسيجاً) لتحفيظ القرآن لأطفال القرية كما هو دأبه في بث الدعوة في كل قرية يحل فيها، إلى أن وصل بدعوته إلى قرية (دنبه) واستقر فيها لمدة تقرب من تسع سنوات حتى إنَّ بعض الناس قد حفظوا القرآن حفظاً جيداً[5].

---

3. السراج، زين العابدين عبد الحميد: دولة كانم الإسلامية، (رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، غير منشورة 1975م) ص ص 61ـ63.
4. ابن فرطوا، الإمام احمد: أخبار السلطان إدريس الومة، المطبعة الأميرية، كنو، 1930م، ص 129.
5. أيوب، د. محمد صالح: الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق السنوسي الترجمي في دار وداي (تشاد)، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 2001م، ص ص 124ـ130.

ويتذكر الباحث أنه حضر مع فضيلة الدكتور عبد الله بن علي بصفر، الأمين العام للهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، حفل تخريج (41) حافظاً من خلوة دار السلام، القريبة من عاصمة مملكة دار وداعة حيث ألقى شيخ الخلوة كلمة أشار فيها إلى أن منطقتهم كانت تسمي بلاد القرآن، من كثرة تلاوة القرآن الكريم فيها وكثرة حفاظه. وكان شيخ الدار يشير إلى مسيرة تحفيظ القرآن الكريم التي بدأها الشيخ جامع والتي أتمها ابنه عبد الكريم بن جامع الذي قاد دعوة لتصحيح الإسلام في المنطقة حتى سمّي بمجدد الإسلام، وأقام دولة حكّمت شرع الله في العباد، واستمر سلاطين دار وداعة على هداه إلى وصول طلائع الاستعمار الفرنسي، وقد وجدوا سلطنة إسلامية قوامها القرآن الكريم ويقودها العلماء، وهذا ما جعل الفرنسيون يرتكبون الجرائم بذبح العلماء وحفاظ القرآن الكريم في عدد ممن المواقع أهمها موقعة (الكبكب) عام 1917م محاولة منهم للحدّ من تأثير العلماء والحفاظ على المجتمع.



ثالثاً: الوصف التقريري لمؤسسات تحفيظ القرآن:

هناك مداخل متعددة للوصف التقريري لمؤسسات تحفيظ القرآن الكريم في تشاد، والباحث يختار منها المدخل الاجتماعي الذي يحاول دراسة مؤسسات تحفظ القرآن باعتبارها أحد مكونات البناء الاجتماعي للمجتمع، وتختلف صور مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم باختلاف نمط الحياة الذي يعيشه السكان، ولهذا سنقتصر في وصفنا التقريري الحالي على ثلاثة أنماط هي:

أ ـ مسيج البادية:

يُفَضِّل معظم أهل البادية في تشاد أن تكون بداية المسيج عندهم، برجوع أحد أبنائهم من المهجر حافظاً للقرآن الكريم، ومن ثمّ يكون من حقّه أن يؤسس مسيجاً مستقلاً به، فيستقبله أهل الفريق أو الفرقان في البادية بالاحتفالات الكبيرة للاحتفاء به تقديراً للجهود التي بذلها في رفع رأسهم بالصبر على حفظ القرآن والابتعاد عن الأهل والبلاد لمدة لا تقل في الغالب عن عشر سنوات وقد تزيد، ـ ومن العادات المرعية في مثل هذا الاستقبال، أن يكرم الحافظ من قبل شيخ القبيلة أو كبير الفريق أو ما يسمى بالشيخ الصغير، بأن يوجه أفراد مجموعته بأن يُزَوِّجَ القوني الجديد في المرة الأولى هذه من أفضل بنات البادية، هذا إذا لم يزوج مباشرة من التي كانت مدفوعة له منذ أن كان في المهجر لحفظ القرآن، على أن يتكفل والد العروسة أو الشيخ أو من يأمره بسداد جميع تكاليف الزواج. ولا تكتمل هذه الاحتفالات بالحافظ الجديد قبل أن يدفع بعض أفراد البادية أولادهم إلى القوني الجديد لتعليمهم القرآن الكريم، فيكونون النواة الأولى للمؤسسة الناشئة، وهذه المجموعة تحظى بعناية خاصة من قبل المعلم حتى بعد أن يكثر

التلاميذ في مسيجه وقد يكافئهم على ذلك بأن لا يجلبوا الحطب أو الماء للمسيج مثلاً، ولهم الأولوية بطبيعة الحال - إذا بذلوا الجهد الكافي في الحفظ بأن يرأسوا المنضَمينٌ الجدد إلى المسيج.

ومن عادات مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم في البادية، أن لا يبدأ التعليم في المسيج الجديد إلا يوم الأربعاء، والحكمة في ذلك هو الأخذ بيد التلاميذ بالتدرج لفهم طبيعة المؤسسة الجديدة، حيث يلي يوم الأربعاء العطلة الأسبوعية في المسيج، ولا تستأنف القراءة عندهم إلا بعد ظهر يوم الجمعة.

والبداية في تحفيظ القرآن الكريم في البادية غالباً ما تكون تلقين السور القصار، ويركز على النطق السليم للآيات مقطعة، ثم تجمع اثنان اثنان، ثم يجمع بينها، إلى أن تكتمل السورة. ومعظم الحفظة الجدد يشددون - خاصة في المجموعات الأولى - على أن يكون الحفظ متيناً، وأن يعرض لمرات عديدة لتثبيته في ذهن التلميذ من ناحية، ولإثبات جدوى المسيج الجديد من ناحية أخرى، فالتلاميذ الجدد يرددون ما حفظوه على أفراد أسرهم باستمرار، ليثبتوا أنهم نجحوا في بداية مسيرتهم، وليؤكدوا بأنهم قطعوا الشوط الأول في مسيرتهم للوصول إلى التقدير والتشريف الذي لاحظوا أن معلمهم الجديد يحظى به لدى أفراد القبيلة.

ثم تبدأ بعد ذلك عمليات تعليم الكتابة وقواعد الإملاء الخاصة بحفظ القرآن، وهو ما سنشرحه لاحقاً في فقرة النظام التعليمي الخاص بمؤسسات تحفيظ القرآن الكريم.

ومن مميزات المسيج في البادية ظاهرة المهجر، وهي ظاهرة تتمثل في ابسط صورها بأن يأخذ المعلم تلاميذه ويتحول بين الفرقان والبوادي، وهذه العملية تتم لأسباب مختلفة؛ فقد تكون لأسباب دعوية وتعليمية حيث يأخذ بعض المعلمين على عاتقهم أن يتنقلوا بين أهل البادية لتوعيتهم وتعليمهم أمور دينهم وحضهم على إرسال أولادهم لحفظ القرآن الكريم، ولكن قد يصاحب هذه العملية، ترصد وقبول للزكوات والصدقات والهبات، وطلب لبعض الخدمات مثل قراءة القرآن الكريم لبعض القادرين، وبالتالي قد يرجع المعلم من بعض الرحلات بمكاسب مادية في شكل مواش أو غيرها، وقد تدفع له زوجة جديدة، وفي هذه الحالة لا يشترط أن تكون من عِلْيّة القوم ولا من أجمل نساء الفريق أو البادية، بل الغالب أن تكون من النساء العاديات أو معوقة أو عانس.

ويصاحب ظاهرة المهجر في البادية بحث المهاجرين (التلاميذ الصغار) عن الصدقات، ويتضمّن القيام بتأمين الغذاء لجماعة المسيج من جمع الصدقات من البيوتات المجاورة، وغالباً ما تكون مما تجود به ربة المنزل، ومن فضلات موائد الرجال، ومن الملاحظ أن عملية المهر لا يقوم بها التلاميذ الصغار إلا حينما يبتعد بهم المعلم عن أسرهم.

ومن أسباب المهجر أيضاً استكمال المعلم حفظه أو طلب بعض علوم ضبط الآي والرسم والشكل، وبالتالي يسعى المعلم للبحث عن متخصص في مثل هذه العلوم ويتابعه في البادية أو يذهب إليه في قرية أو مدينة، ويسكن بجواره، على أن يتحمل تلامذته الصغار البحث عن الطعام والماء والحطب، وهي عمليات متعبة وتأخذ وقتاً كبيراً من زمن التلاميذ، وهو ما يزيد مدة حفظهم للقرآن الكريم، وبعدهم عن ذويهم.

ومن التقاليد المتبعة في مسيج البادية الاهتمام الشديد بعملية «الشرافة» ويسمونها كرامة في بعض المناطق، وهي في الغالب عبارة عن ذبيحة يذبحها أهل التلميذ حينما يصل إلى سورة معينة من سور القرآن الكريم، ورغم اختلافها من بادية إلى أخرى، إلا أن حفظ سورة الفاتحة غالباً ما يتطلب ذبح شاة أو دجاجة كبيرة، ثم تعلو الذبيحة كلما حفظ التلميذ سوراً أطول، مثل شرافة البينة والأعلى، ويركز على

شرافة ياسين، ومريم، أما الختمة فشرافتها أو كرامتها في الغالب كبيرة، مثل ذبح ثور وعمل وليمة كبيرة وتقديم هدايا كبيرة من والد التلميذ إلى المعلم لا تقل عن البقرة أو الناقة أو شياه عديدة، وبعض الملابس للمعلم وأسرته، ونظراً لأهمية مراعاة هذا التقليد قد يرجع المعلم بالمهاجرين من مكان بعيد إلى ذويهم لإتمام هذه المراسم خاصة إذا كان أهلهم من المستطيعين، أما في حالة الأسر العادية، فقد تتم عملية الشرافة في المهجر، وعندها على التلميذ أن يطلب من أهل البادية المجاورين له أن يعملوا له الشرافة، ويعتز بعض البدو بهذه العملية، ويستبشرون بها، خاصة حينما يخبرهم بعض المعلمين أن تكريمهم للتلاميذ وعمل الشرافة نيابة عن ذويهم يعد مشاركة لهم في أجر الدفع بأولادهم لطلب القرآن الكريم.

ونظراً لندرة التعليم في البادية فإن حافظ القرآن الكريم ومتعلميه يحظون بمكانة هامة لدى أفراد أسرهم، توقعاً منهم أن حافظ القرآن يدعو إلى حفظ جميع أفراد أسرته من المصائب في الدنيا ويشفع لهم في الآخرة، ويقبل الله منه الدعاء في طرح البركة في المال والأعمال، وبناء على هذه المكانة العالية التي يحظى بها أهل القرآن في البادية، فإنه الناس هناك يرجعون إليهم في الكثير من شؤون حياتهم اليومية فيستشارون من قبل الشيوخ (شيوخ القبائل) في الأمور السياسية الهامة، ويرجع إليهم في الصلح بين المتخاصمين وحل النزاعات والفصل في الأمور الدينية. والخلاصة أنه يندر أن نجد نشاطاً من أمور الدين والدنيا في البادية ليس لمعلم القرآن وتلامذته أثر فيه.

أما مكان المسيج في البادية، فقد يكون منزل المعلم أو الفقير، وفي البوادي الكبيرة نوعاً ما، يوضع المسيج وسط البادية، ويبني له بيت كبير من المواد المتاحة للبيوت في البادية، وبجواره مساحة كبيرة تخصص للتلاميذ، ومساحة أخرى لأداء الصلاة جماعة، وهذه المساحة نفسها تستغل لعقد الاجتماعات في البادية، ومكان لتناول الطعام جماعة، ولاستقبال الضيوف، وغير ذلك من الخصائص التي ستظهر بشكل أوضح في مسيج القرية.

ب ـ مسيج القرية

ـ يتميز مسيج القرية عن مسيج البادية بأنه مستقر، فمن الملاحظ على القرى التشادية المسلمة ندرة وجود قرية بدون مسيج، إن لم يكن الأساس الذي تبنى عليه القرية قبل أي شيء آخر.

❖ المسيج في القرية ليس مقتصراً على تحفيظ القرآن الكريم، بل يتعداه إلى أن يشكل رمزاً لقيادة القرية، فشيخ المسيج هو إمام القرية في الصلاة الجامعة، وعلى يديه يتم حل معظم الأمور الدينية.

فالمسيج في القرية ليس مقتصراً على تحفيظ القرآن الكريم، بل يتعداه إلى أن يشكل رمزاً لقيادة القرية، فشيخ المسيج هو إمام القرية في الصلاة الجامعة، وفي المسيج وعلى يد شيخه يتم حل معظم الأمور الدينية، ويستشار في معظم الأمور الدنيوية، ويحوي المسيج في القرية، سكن لجميع التلاميذ، ينامون فيه، وإن كانوا يأكلون عند ذويهم، خاصة أولاد القرية، ومكان للطعام الجماعي، وعلى جانبيه أو بقربه أجنحة لسكن الشيخ وبعض نوابه في التعليم، وبالمسيج أماكن لاستضافة الضيوف وعابري السبيل، وَحَوْلَ المسيج تقام أنشطة أخرى مثل عرض البضائع التجارية والاعلان عن المفقودات، وساحة للمناسبات الاجتماعية مثل عقد الزيجات وإقامة المآتم.

ونظراً للظروف المحيطة بطبيعة المسيج في القرية، وكثرة المتعلمين للقرآن الكريم نسبياً إذا ما

قيسوا بالبادية، فإن شيخ المشيج توفر له الإمكانات المادية من قبل أهل القرية والخدمات التي يؤديها له تلاميذ المسيج بشكل مستمر أكثر من شيخ المسيج في البادية، في الوقت نفسه الذي تدفع عنه غالباً تكاليف الزواج الأول، ومن الممكن أن يكون مرتباً على أن تكون من أجمل بنات القرية وربما بنت الملك أو السلطان نفسه أو من يقوم مقامه، وهذه هي حال المتميز من الحفظة، أما عامة قرّاء القرآن الكريم فقد يقبلون من تدفع لهم من النساء والغالب أن تكون من عامة الناس وقد تكون معوقة جزئياً أو ثيب أو عانس، وهذه عملية ينظر إليها المجتمع القروي باعتبارها مظهراً من مظاهر التكافل والتضامن الاجتماعي، وخدمة يقدمها قرّاء القرآن الكريم في قبول التقرّب من الأسر والفئات الاجتماعية بغض النظر عن الفوارق الاجتماعية، وبالإضافة إلى ذلك تدفع إلى شيخ المسيج وتلامذته جميع الزكوات والصدقات، على اعتبار أنَّ أهل المسيج من الفقراء. ومن هنا شاع هذا الاصطلاح عن معلمي القرآن الكريم، بالإضافة إلى معلم «ملومة» وسيدنا وشيخ، أما مصطلح «قوني» فسنوليه عناية خاصة في فقرة قادمة[6].

ج) مسيج المدينة

هناك نوعان من المسيج في المدينة؛ الأول هو المسيج العام ويشمل عدداً كبيراً من التلاميذ يلتفون حول معلم أو شيخ واحد أو مجموعة من المعلمين يرأسهم حافظ واحد على الأقل، يتخذون من منزل الشيخ أو المقرئ مكاناً للقراءة وقد يختارون ظل شجرة كبيرة أو أي مظلة كبيرة في ساحة من ساحات الحارات، بل يلاحظ وجود المسيج العام في المدينة في جانب مناسب من جوانب الطريق العام، ويغلب على تلاميذ مثل هذه المؤسسات أن يكونوا من سكان الحارة، يأتون لحفظ أجزاء من القرآن الكريم في أوقات معينة من النهار أو الليل، ومن هنا فإن علاقة أولياء أمور التلاميذ بشيخ المسيج في المدينة ليست بنفس القوة والتأثير عليهم كما لاحظناه في مسيج البادية والقرية، فالعلاقة بين معلم المسيج وأهل الحارة قد لا تتجاوز الالتزام بدفع بعض الرسوم الشهرية، إلا إذا كانت لشيخ المسيج أدوار أخرى يؤديها في الحارة مثل إمامة الناس في الصلاة، فهذه قد تتضمن الالتزام ببعض الهدايا، والأولوية في بعض الصدقات مثل زكاة الفطر وغيرها، ولا يبحث التلاميذ في مسيج المدينة العام عن الصدقات، لأنهم يعيشون مع أهلهم، أما إذا وجد من بينهم من هم ليسوا من سكان المدينة أو ما يسمون عامة بالمهاجرين فنلاحظ فيهم ظاهرة جمع الصدقات، ومنبع هؤلاء المهاجرين هو البادية في الغالب، ويحضرون مع شيوخهم الذين يريدون إتمام تعليمهم مع المشائخ الكبار، وبالتالي يقومون بقيادة مسيج تعليم الأطفال القرآن الكريم فيجدون منه ما يسد رمقهم (الرسوم) ويبحث تلامذتهم عن الصدقات، وقد يقومون ببعض الأعمال التي تجلب دخلاً يكون لشيخهم منه نصيب، وبذلك يتأخرون في تعلّمهم للقرآن الكريم ويقضي المهاجر منهم وقتاً طويلاً قبل أن يحفظ أجزاء من القرآن الكريم ناهيك عن حفظ القرآن كله.

ولا توجد فئة من فئات تعليم القرآن الكريم تحتاج إلى معالجة واهتمام خاص مثل فئة المهاجرين في المدن التشادية فكفالة معلمهم لا ترفع عن كاهلهم أعمال جمع الصدقات التي لا تليق بطالب القرآن أصلاً، ولا الأعمال الشاقة الأخرى التي تأخذ الكثير من وقتهم، وتعرضهم للاحتكاك بفئات اجتماعية منحرفة، تجعل من احتمال تأثرهم بهم أمراً متوقعاً،

6. الدكو، د. فضل كلود: الثقافة الإسلامية في تشاد، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1998م ص ص 195ـ200.

ولذلك يكثر في المدينة فرار المهاجرين من معلميهم، ويعلن المعلمون عن هذا الفقدان في البلاغات العادية في الإذاعة المسموعة التشادية. وهناك أسباب عديدة لهذه الظاهرة؛ أهمها تأثر التلاميذ بأجواء المدينة التي يكثر تجوالهم فيها سواء في عملية جمع الصدقات أو العمل، وارتفاع قيمة الضريبة التي يجب أن يحضرها التلميذ إلى شيخه نهاية كل يوم، والاستفادة من أنظمة التعليم الأخرى المتاحة في المدينة.

ولا تطبق إلا تقاليد محدودة للمسيج في المدينة، فمن الممكن أن يبدأ التلميذ في أي يوم حضر فيه إلى المسيج، ومن الممكن أن يحضره والده أو أي فرد من أفراد الأسرة وفي بعض الأحيان يحضر التلميذ بنفسه، ولا اهتمام شديد بالعطلات مثل العطلة الأسبوعية أو عطلات الأعياد. ومن الممكن أن يبدأ التلميذ على اللوح، ولكن من الممكن أن يقرأ من المصحف، وهذه عملية من الصعب أن يصل إليها التلميذ في القرية أو البادية إلا بعد أن يجتاز مراحل معينة، كما سنشرح ذلك أثناء حديثنا عن النظام التعليمي في المسيج.

ولكن أهم ما يميز خلوة المدينة هو العدد، فمسيج المدينة العام يكثر فيه التلاميذ فمتوسطه من مائة فما فوق ويصل بعضها إلى 350 تلميذاً، ولهذا قلنا إنّ المعلم يختار مساعدين له ليقوموا بمتابعة هؤلاء الطلاب في شكل مجموعات صغيرة، وإن كان على الجميع أن يمرّوا على الشيخ لمعرفة التقدم الذي أحرزوه في الحفظ، ويصدر بشأنهم التوجيهات المناسبة.

أما النوع الثاني من مسيج المدينة فهو المسيج الخاص، وخلاصته أنَّ رب الأسرة الكبيرة في المدينة يعتبر أن من أهم مكونات المنزل المحترم أن يحوي مسيجاً لتعليم القرآن الكريم، فيختار لقيادة هذا المسيج اكثر من يجده حفظاً للقرآن الكريم، وقد يستشار في هذا الاختيار اكثر الناس معرفة بالقرآن الكريم «شيخ المشائخ» في المدينة، ويفضل أن يكون رئيس المسيج الخاص أو مسيج الأسرة من الحفظة، ولكن من الممكن أن يقبل من هو اقل من الحافظ في ظروف معينة.

ومن التقاليد المرعية في مسيج الأسرة، أن الشيخ يتم التعريف به لمعظم أفراد الأسرة قبل أن ينتقل إلى المنزل، وهذا يعني إن معظم الذين يفتحون مثل هذه المؤسسات لتحفيظ القرآن الكريم، يخصصون أجنحة من مساكنهم لسكن شيخ المسيج، ليكون قريباً من التلاميذ من ناحية، ولتقديم بعض الخدمات إليه بطريقة مباشرة مثل السكن والإعاشة والملابس وجميع متطلبات الإقامة من ناحية أخرى.

❖ بعد استقلال الدولة التشادية الحديثة عن الاستعمار الفرنسي عام 1960م بدأت البوادر الأولى للاعتراف بالمسيج كمؤسسة تعليمية أساسية في نظام التعليم.

ورغم أن تقليد مسيج الأسرة وجدت له آثار في تاريخ تعليم القرآن الكريم في تشاد، خاصة في الممالك الإسلامية مثل كانم ـ برنوح، والبقرمية، ودار وداعة، وقد أشرنا إلى بعضها في فقرات سابقة، إلا أن انتشار هذه الظاهرة في الوقت الحاضر يثير الانتباه.

فيندر أن يخلو بيت رجل أعمال متوسط إلى كبير، وبيوت المديرين العامين والوزراء، من وجود مسيج داخل بيت الاسرة، ويلاحظ الاهتمام بمسيج الاسرة باعتباره أحد مكونات المنزل الكبير حتى لدى الأسر التي يتعلم معظم أبنائها باللغة الفرنسية. وحينما يستفسر منهم عن ذلك، يجيبون بأن مسيج القرآن هو الوسيلة الوحيدة المتاحة أمامهم لنقل الثقافة العربية الإسلامية إلى أجيالهم اللاحقة. وكان لهذا المسيج القرآني داخل الأسرة ذات الثقافة الفرنسية الأثر

الكبير في المحافظة على الهوية الإسلامية في مواجهتها للتأثير الفرنسي، فرغم التفوق الذي يبديه أبناء المسلمين في تشاد في التعليم الفرنسي إلا أن انتماءهم للإسلام يظهر في أي احتكاك مع الثقافة الفرنسية يمس الحضارة الإسلامية، وقد لاحظ جميع التشاديين ردود وزير التربية الوطنية، حينما تمّت مساءلته من قبل بعض البرلمانيين، من جدوى قرض ممنوح من البنك الإسلامي للتنمية ينص في بند منه على دعم المدارس القرآنية في تشاد وهي بلد علماني، حتى تجرّأ البعض بالإشارة إلى وجوب دعم المدارس الكنسية، إذا تمّ إقرار دعم المدارس القرآنية، بل إنّ بعض النواب شككوا في جدوى المدارس القرآنية، فدافع الوزير عن هذا البند بكل ما يستطيع إلى أن وصل إلى الاستشهاد بنفسه، وطرح عليهم السؤال التالي: هل تشككون بكفاءتي كوزير للتربية الوطنية، رغم أنني مررت بالمدارس القرآنية الخاصة، وتعلمت فيها في مرحلة من مراحل تعليمي[7]؟.

وحول أثر المسيج الخاص بالأسرة على جميع الطبقات حتى تلك التي تلقت تعليماً فرنسياً، يمكن الاستشهاد بظاهرة معرفة القراءة والكتابة العربية لديهم، وكل هذه العملية تمّت داخل المسيج، بدليل إن اغلبهم يكتب العربية باتجاه صدره، وليس من اليمين إلى اليسار كما هو العادة في الكتابة العربية. وهذه العملية الإملائية في الاتجاه من اليمين إلى الصدر أو البطن لا توجد إلا في المسيج ومستمرة إلى اليوم، وهي ظاهرة شائعة في معظم المثقفين بالعربية في تشاد، حتى إن الباحث بإمكانه أن يكتشف مكان تعلّم الطالب في المراحل من خلال اتجاه كتابته.

وهناك مظهر آخر للمسيج القرآني يكثر في المدينة رغم وجوده في القرية والبادية، وهو مسيج القوني، ومعظمهم يطلق عليه اسم «مدرسة القوني»، وتوصف بأنها عبارة عن تصحيح لألواح الطلاب الكبار نسبياً، والذين تجاوزوا مراحل معينة من حفظ القرآن، على الأقل أولئك الذين حفظوا أجزاء كبيرة، وإن لم يحفظوه بالكامل. ويختلف زمن جمع الألواح حسب عدد المترددين على المدرسة، فإذا كانوا كثراً، فقد يتم وصول الألواح مبكراً قبل بداية التصحيح، وفي الحالات العادية يحمل كل طالب لوحه إلى المدرسة بعد صلاة العصر، وأمام الشيخ أو من ينوب عنه دواة وقلم، فينظر هو ومن معه من الطلاب إلى اللوح ويقومون بتصحيح المتن والشكل والقواعد الإملائية وبإمكان أي حاضر أن يشير بيده إلى أي خلل في اللوح مهما صغر، أما العلوم المساعدة على الحفظ الأخرى، فمن حق الشيخ أو من ينوب عنه فقط الإشارة إليها، ووضعها في أول اللوح أو بين السطور أو في آخره، فلا يخرج اللوح من هذه العملية، إلا وهو مليء بالملاحظات والتعليقات والإشارات، والتي قد يقتضي الأمر الاستفسار عن بعضها في نهاية الدرس، وكلما كان صاحب الدرس أو من ينوب عنه بارعاً في معرفة القيود - (مفردها قيد) أو الحبال، وهي قواعد الضبط للمتشابهات في مفردات القرآن الكريم، كلما أدى ذلك إلى الرفع من مكانته بين الحفظة أو القواني وتلامذتهم، وبالتالي تكبر حلقته أو مدرسته، ولذلك قد تجد في قرية أو بادية أو حارة من حارات المدينة عدداً من الحفاظ أو القواني، ولكنك لا تجد إلا عدداً محدوداً من الذين لهم مدارس أو حلقات مثل التي وصفناها.

د) - المعاهد والمراكز القرآنية الحديثة

بعد استقلال الدولة التشادية الحديثة عن الاستعمار الفرنسي عام 1960م بدأت البوادر الأولى للاعتراف بالمسيج وأهميته كمؤسسة تعليمية أساسية في نظام التعليم العام في البلاد، وقد تكلّلت هذه

7. مساءلة وزير التربية الوطنية، عبد الرحيم بريمة حامد، أمام البرلمان التشادي، الميزانية المالية لعام 2002م.

الجهود بإصدار المرسوم الرئاسي رقم (1095) بتاريخ 19/04/1966م، والذي اعترف فيه رسمياً بعدد (12) من المدارس القرآنية في تشاد، وأقر المرسوم الدعم المالي الذي يجب على الدولة أن توفره لهذه المدارس القرآنية[8].

ولكن عراقيل الإدارة وطموح القائمين على هذه المدارس القرآنية، أدى بجزء كبير منها إلى الاتجاه نحو المدرسة الرسمية الحديثة، وتجاوز هذه المدارس لدورها، فحصل انفصام بين المسيج القرآني والمدرسة الحديثة وبتكوين اللجنة الإسلامية العليا للفتوى، بدأت المساعي لتنظيم معهد القراءات بأنجمينا ويرجع الفضل في ذلك إلى جهود الشيخ أبو اليمن عضو اللجنة الإسلامية العليا للفتوى الذي وضع اللبنات الأولى لمعهد القراءات، وهو الذي ساهم في ترتيب ابتعاث الأفواج الأولى من الحفظة «القواني» وإرسالهم إلى معاهد القراءات بالأزهر الشريف، لتلقي علوم القراءات على أحدث طريقة ممكنة، وبرجوع الرواد المحدثين للقراءات من التشاديين إلى الوطن، ونذكر منهم المشائخ القوني جبريل بركة والقوني يوسف إسحاق والقوني حسن عمر، والقوني طه عباس وغيرهم، تمّ تطوير فكرة إنشاء معاهد ومراكز لتحفيظ القرآن الكريم على أحدث طريقة، ولكن الوسائل المتاحة لم تسعف هذه الكوكبة من أن ينفذوا ما عزموا على إنجازه، فحافظوا على معهد القراءات بأنجمينا باعتباره المؤسسة الراعية لعرض القرآن الكريم حسب القراءات السبع أو العشر، ولكن المعهد تنقصه المناهج المنظمة والأطر الإدارية المسيّرة، وأهم إسهام لهذا المعهد تجسد في الصورة التي ينظم بها المسابقات الداخلية والخارجية لحفظة القرآن الكريم، وهو الجهة التي تتولى ترشيح جميع التشاديين من الحفظة للمشاركة في المسابقات الدولية التي تقام في جميع أنحاء العالم الإسلامي، مما عرَّف بمكانة القرآن الكريم في البلاد، والاهتمام الذي يوليه له المهتمون بأمور المسلمين.

وبتكوين المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية حوالى 1990م ظهرت أهمية إنشاء خلاوي نموذجية لتحفيظ القرآن الكريم، ولتطوير معين حدث في العمل الإسلامي في تشاد، ظهرت متغيرات جديدة تمثلت في دخول أعداد كبيرة من المهتدين الجدد في الإسلام والطلبات الملحة منهم بإرسال معلمين للقرآن الكريم، فجاء التفكير في إنشاء منطقة مخصصة لجمع عدد محدود من أبناء المهتدين وتعليمهم القرآن الكريم وشيء من العلوم الشرعية ثم إرسالهم إلى أهليهم وذويهم، دعاة ومعلمين يفهمون لغات وعادات وتقاليد مناطقهم، فينشرون القرآن الكريم بينهم، فأنشئت المدينة القرآنية بكرل، ونجحت الفكرة وحفظ عدد من المهتدين القرآن الكريم وقد اختبر القائمون بأمر المدينة قدرات طلابها في الدعوة بين أهليهم، فقاموا بإرسالهم في رمضان، فحصلت نجاحات كبيرة على أيديهم، وادخلوا أعداداً كبيرة في الإسلام وجلبوا معهم عدداً من المهتدين يطلبون حفظ القرآن في المدينة القرآنية بكرل.

واختار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية قرية كرل التي تبعد عن العاصمة الشادية حوالى (130) كيلومتراً لتكون مقراً لهؤلاء المهتدين، لأنها منطقة ريفية زراعية لا تبعد إلا قليلاً عن بحيرة الشط وفي نفس الوقت قريبة من العاصمة وتسهل مراقبتها ومتابعتها، ومما ساعد على تطوير هذه المدينة كفالة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجميع الطلاب بالمدينة كفالة تضمن الإعاشة والسكن والرعاية الصحية والتعليمية. وجاء معهد طيبة لتحفيظ القرآن الكريم بمساعدة كبيرة من الهيئة العالمية لتحفيظ

8. جمهورية تشاد، قرار رئاسي، رقم (1095) بتاريخ 19/4/1966م.

القرآن الكريم، منذ أن كانت إدارة تابعة لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بالمملكة العربية السعودية، ويتميز معهد طيبة بأن نظامه التعليمي واضح ويربط الطالب الحافظ للقرآن بتأهيل وإعداد أكاديمي يساعده بأن يؤهل غيره من الحفظة أي أن ينشئ مؤسسة قرآنية حديثة. ويؤهل المعهد طلابه أيضاً لاستكمال تعليمهم الأكاديمي الثانوي والجامعي، وقد ترشحت من المعهد ثلاث دفعات إلى الثانوية العامة، والذين نجحوا من هذه الدفعات يواصلون تعليمهم الجامعي بجامعة الملك فيصل بأنجمينا، وقد رتبت جامعة الملك فيصل للأمين العام للهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم لقاء تعارفياً وتوجيهياً بهؤلاء الحفظة أثناء زيارته لكلية اللغة العربية بالجامعة، وحثهم فضيلة الأمين العام على اكتساب التعليم الجامعي الحديث مع المحافظة على كتاب الله تعالى.

وهناك دور ومراكز ومجامع لتحفيظ القرآن الكريم منتشرة في معظم المحافظات التشادية أبرزها قرية مبروكة لتحفيظ القرآن الكريم في سار، وهي قرية قرآنية متكاملة تحوي نحو أكثر (350) طالباً، وقد ساعدت الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم ببناء مظلة ومساكن ومسجد كبير لهذه القرية القرآنية، وقد تشرّفنا بمرافقة الأمين العام للهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم فضيلة الدكتور عبد الله بن علي بصفر أثناء زيارته وافتتاحه لمسجد القرية، وسعدنا بإمامة الأمين العام للمصلين في صلاة يوم الجمعية 25/ رجب 1422 هـ الموافق 12/10/2001م، وقد حضر هذه المناسبة جمع غفير من سكان مدينة سار قدموا خصيصاً لافتتاح المسجد الكبير بالقرية القرآنية، وتفقّد الأمين العام الحالة التعليمية بالقرية القرآنية، وساهم في إعاشة الطلاب بالقرية القرآنية، وتفقد الأمين العام الحالة التعليمية بالقرية القرآنية، وساهم في إعاشة الطلاب بالقرية، ورغم أن القرية القرآنية بسار توفر للطلاب السكن والإعاشة، إلا أن الإعاشة غير منتظمة، خاصة في الفترات التي ترتفع فيها أسعار الغلال، أو حدوث ظروف مناخية غير مناسبة للزراعة.

والحالة نفسها تقريباً في قرية دار السلام قرب أبشة فهي تحوي مجمع لتحفيظ القرآن الكريم يحوي عدداً من الطلاب يحفظون القرآن الكريم، وقد تشرفنا بالحضور رفقة الأمين العام للهيئة العالمية لتحفيظ القرآن فضيلة الدكتور / عبد الله بن علي بصفر حفل تخريج (41) حافظاً من هذا المجمع، بتاريخ 30/ رجب 1422هـ الموافق 17/10/2001م وكان الحفل بهيجاً وقراءات الحفظة تبشر بخير كثير، وإقبال السكان بإرسال أولادهم إلى المجمع مشجعاً، وقد ساهمت المملكة العربية السعودية بإتمام المسجد التابع لهذا المجمع القرآني.

وقد أنشئ في أبشه في الطريق إلى انجمينا مركز عبد الله بن عباس لتحفيظ القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ويدرس به عدد من الطلاب، وأعطت السلطات الرسمية قطعة أرض كبيرة بجوار ابشه وبنى فيها القائمون بالمركز عدداً من الغرف لسكن الطلاب، ولهم مشاريع عديدة مستقبلية، وقد قام الأمين العام للهيئة العالمية لتحفيظ القرآن بزيارة المركز بتاريخ 10/ رجب 1422هـ الموافق 17/10/2001م وأوصى بضم المركز إلى المراكز القرآنية التي يمكن أن تدعم من الهيئة لتقوم بدورها في تحفيظ القرآن الكريم في المنطقة.

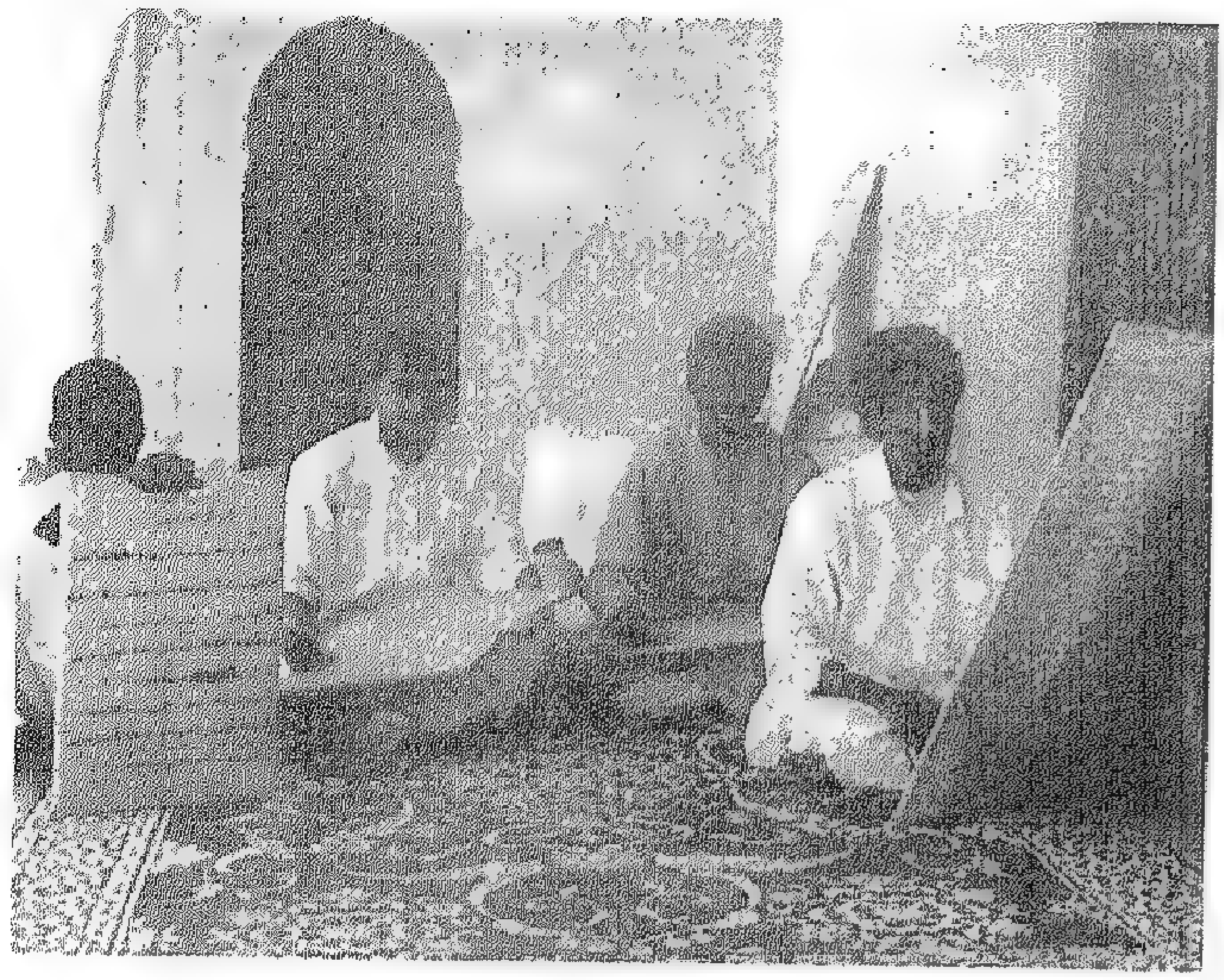
رابعاً: النظام التعليمي في المسيج القرآني التشادي

انتهت تجارب حفظة القرآن الكريم في تشاد إلى التوصل لنظام تعليمي متكامل لحفظ القرآن الكريم، يبدأ من مرحلة محو الأمية أو تعلّم القراءة والكتابة

إلى إتقان المهارة في حفظ القرآن والأدوات أو القواعد المساعدة لتثبيت الحفظ، ونظراً لتميّز هذا النظام التعليمي عن غيره من الأنظمة التعليمية حسب البيئة التشادية، فقد رأى الباحث أنه من المناسب الرجوع إلى الحفظة أو القواني لتفصيل الجوانب المختلفة لهذه العملية، واستنتجت من خلال اتصالات المتكررة معهم، أن معظمهم يتلقى هذا النظام شفوياً وبطرق مباشرة من مشائخهم، ويندر وجود الوصف المكتوب لهذه النظام، إلى ان انبرى أحد الحفظة الذي وفّقه الله أن يجمع بين حفظ القرآن والدراسات الجامعية حتى الدراسات العليا بكلية اللغة العربية جامعة الملك فيصل بأنجمينا، وهو الأستاذ القوني إدريس احمد عثمان وسنعتمد عليه في عرض النظام التعليمي للمسيح القرآني في تشاد إلى ثلاث مراحل تعليمية هي:

1ـ مرحلة المبتدئ (أمبدي):

وهي مرحلة الأساس، تبدأ من يوم التحاق التلميذ بالخلوة. ويكون التلميذ في الغالب بين الخامسة والسابعة من عمره، وتضم هذه المرحلة عنصرين أساسيين. العنصر الأول: تعليم الحروف الهجائية وأمهات الكتابة، العنصر الثاني: تعليم الرسم والإملاء وبداية الحفظ أما تعليم الحروف الهجائية فتكتب للتلميذ أولاً في الأرض أو في اللوح بخط واضح ويختار لذلك من هو أحسن خطاً. ليعتاد التلميذ هذا الخط لأنه قد يبقى معه مدة من الزمن حتى يحفظه حفظاً جيداً، وقد تختلف طريقة الكتابة للحروف الهجائية بتقديم بعض الحروف وتأخير أخرى، ولكن الطريقة المعهودة هي أن تكتب كلها بخط واضح إلى أن يصل إلى حرف العين (ع) وهنا يوضح للتلميذ الفرق بين العين في صدر الكلمة ووسطها، فالأولى عين (شعبة) (عـ) والثانية عين (ركاب أو دوال) (ـعـ) وهكذا حرف الفاء، فالمتصدرة للكلمة تنقط نقطة واحد اسفل الحرف، أما الفاء التي تقع وسط الكلمة فإنها



مهملة، أما القاف فالمتصدر ينقط نقطة واحدة في الأعلى، ويهمل في حالة التطرف، وكذلك النون لا تنقط إذا تطرفت.

وقد يتبع الحروف الهجائية بعض العلامات مثل علامة نهائية الآية ∴ وعلامتي الآية الخامسة والعاشرة وفي الإجمال تكتب متطلبات هذا الجزء حلة الأولى هكذا.

(ا بـ تـ ثـ ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و لا ي ه ة ∴)

ثم يبدأ التلميذ في حفظها تدريجياً حتى يحفظها كاملة، وطريقة الحفظ أن يلقنه المعلم حرفين أو ثلاثة أو أربعة، وفي يد التلميذ قلم يشير به إلى كل حرف ينطقه، فإذا حفظها يؤمر بكتابتها عن ظهر قلب بعد أن تمحى من لوحه. ويجلس أمام المعلم ويكتبها فإذا كتبها ولم يخطئ في شيء منها يبدأ في تعلّم الشكل وهو يعرف في المسيح بـ(بَا نَصْبَه) ويكتب هكذا:

بَا بِيبُوا بأ بٍ بٌ أبْ، ونطقه هكذا:

(بَا) نَصْبة جَابَتْ الفْ، (بي) خفْضَة جَابَتْ يَاء، (بُوا) رُفْعَه جَابَتْ وَاو قَدَّمَتْ الفْ مُكَدْمَلَة. (بأ) نصبتين جابَنْ الفْ (بٍ) خِفِضْتَن (بٌ) رُفْعَتَيْن (أبْ) جزمه.

ويستمر التلميذ في حفظها من حرف إلى حرف آخر، حتى يكمل كل الحروف الهجائية، مع المحافظة على الإشارة لكل حرف بقلمه حتى يتقن حفظه، ثم يؤمر بكتابتها بعد محوها أمام المعلم، فإن أجاد كتابتها كاملة بدون خطأ يختبره المعلم فيها بحيث يملي عليه الحروف الهجائية عشوائياً مع شكلها، فإذا نجح في ذلك تكتب له أمهات الكتابة، وهي عبارة عن الكلمات التي تتكرّر كثيراً في القرآن الكريم.

وتكتب هكذا (قال، قالوا، كان، كانوا، يأيها الذين آمنوا، الذين كفروا، الله، لله، له، إلى، على، عليهم، عليه، عليكم، عليك، عليها، أولئك، له، انه، على الله، في سبيل الله...).

2) مرحلة الإملاء والرسم وبداية الحفظ:

هذه المرحلة تعتبر هامة جداً في حياة التلميذ في المسيج، يستطيع المعلم أن يقيم فيها التلميذ، ويختبر مدى ذكائه وقدراته الاستيعابية، فهو قد عرف الحروف الهجائية والشكل الذي يميّزها وتراكيبها.

وأهم ما يلاحظه المعلم في هذه المرحلة أثناء إملاء الآيات القرآنية المقرّرة للحفظ، وفي الأغلب في بداية هذه المرحلة تكون سورة واحدة من السور القصار، أو خمس آيات يومياً، وقد تزيد أو تنقص عنها حسب قدرات التلميذ الاستيعابية، فيراعي المعلم أثناء التملية حسن الخط، واستقامة السطور التي تتجه من اليمين إلى الصدر أو البطن في الغالب، وفي اللفظ يراعي حسن النطق بالحروف، كالتمييز بين مخارج الحروف وصفاتها، وهكذا حتى القراءة والكتابة، وتتميز هذه المرحلة بأن التلميذ فيها لا يسمح له بالنظر إلى المصحف البتة إلى أن يجيد القراءة والكتابة بحيث إذا أمره المعلم بعد التملية بقراءة ما كتبه يقرأه قراءة جيدة يميّز فيها الحركات والمخارج فعندها يسمح له بالكتابة من المصحف بنفسه أحياناً وقد لا يسمح له بالكتابة من المصحف إلى أن يحفظ القرآن الكريم كله.

وبمعرفة التلميذ للقراءة والكتابة جيداً تبدأ المرحلة الفعلية للحفظ، لأنه يستطيع كتابة لوحه بنفسه من المصحف مباشرة ويشكله ثم يراجعه، وفي الأغلب يكتب ثمن الحزب وهو ما يسمى (لوحاً) في اصطلاح المسيج، وهذا للتلميذ المتوسط، ثم يأتي إلى المعلم ليصحح له الأخطاء وينبّهه إلى قواعد الإملاء والرسم والمحمول والمحذوف والمقطوع والموصول، وهكذا يستمر إلى أن يختم القرآن الكريم الختمة الأولى وتُسَمَّى بالختمة (المُرَّة).

3) مرحلة التسيير، والتمرين:

ويسمى صاحبها مُمَرَّن، أو مسير وهي المرحلة التي تلي مرحلة الأساس، ويدرس التلميذ في هذه المرحلة مع شيخ مأذون له بالقراءة والإقراء أي نال درجة (القوني) يطرح لوحه مع ألواح كثيرة في مدرسة الشيخ الذي يقرأه عنده، والجميع ينظرون إلى كل لوح فإذا رأى أحدهم أي خطأ أشار إليه بقلم أو بأي شيء، فيصحح الشيخ الخطأ وقد لا يظهر في اللوح أي خطأ وهكذا، حتى يخرج اللوح من وسط الحلقة وقد صحح كل ما فيه من زلة قلم ومن أخطاء إملائية ورسم ونقط إلى آخره، وعادة يجتمع في المدرسة جمع من الحفاظ المجودين والمسيرين وغيرهم، ويواصل التلميذ سيره مع الشيخ القوني الذي اختاره إلى أن يتقن حفظه اتقاناً جيداً بحيث يعرف الرسم وقواعد الإملاء ويعرف المقطوع والموصول والمحمول والمحذوف ويعرف الحساب القرآني، ومعرفة عدد وقف كل ربع ومده إلى آخر ذلك.

فإذا أجاد كل ذلك يأذن له شيخه (القوني) في ترك المصحف والكتابة عن ظهر قلب، أو من رأسه دون الرجوع إلى المصحف، ويستمر بعرض كل ما يكتبه على الشيخ في المدرسة، بحضور جمع من الحفاظ فيأخذون عليه كل الملاحظات إلى أن يختم ختمات من القرآن الكريم على هذا المنوال حتى يصير ماهراً متقناً، ويشترط أن تكون «بيضاء» بأن لا يشار إلى أي خطأ في ختماته كلها، وكلما كثرت كلما تميّز المسير.

4) مرحلة التجويد:

ويسمى صاحبها مجوداً وهذه هي مرحلة ما قبل القوني لذلك يطلق عليه «مجود عديل القوني» لأنه يستطيع أن يحل محل القوني في حال غيابه، بحيث يستطيع تسيير المدرسة بدون الرجوع إلى القوني، فيمكث المجود فترة من الزمن مع هذا الشيخ حتى يأذن له ويجيزه الإجازة الكبرى ويخلع عليه لقب «القوني».

وهذا اللقب يعطى في حفل كبير يدعو إليه الشيخ الذي يجيز فيحضره مشاهير القواني وأعيان الناس والجمهور.

ثم يخطب فيه أكبر القواني في المنطقة موصياً المجاز بتقوى الله والصبر على التعليم وأن يعلّم لوجه الله تعالى، ويوصي الحضور باحترام المجاز وتقديره وخدمته، ويشيد بمكانته ومعرفته للقرآن الكريم، وأنه استحق هذا اللقب بجدارة، ثم يعمّمه بعمامة تعد لهذا الغرض، ثم يوقفه أمام الحضور، ليسلم عليهم ويأخذ تهانيهم وتبريكاتهم.

وبعد ذلك يكتب له السند المسلسل إلى الرسول ﷺ، فإذا لم يكتب له سند فالشهادة كافية[9].

وقد يرفع عدد من الحفظة في حفل اجتماعي، وذَكَرَ عدد من الحفظة الذين التقى بهم الباحث أن الرفع قد يتم بدون هذه المراسم، خاصة لدى الحفظة الموسومين بالتواضع.

خامساً: طرق تحفيظ القرآن الكريم

أنتجت خبرات وتجارب القائمين على تحفيظ القرآن الكريم حول بحيرة الشط (تشاد)، تطوير عدد من الطرق لتحفيظ القرآن الكريم، تبدأ هذه الطرق من التلقين، وتتدرج حسب ملكات الطالب إلى الإملاء الشفوي وطريقة العرض، ثم الكتابة من المصحف والمناظرة وطرق تثبيت الحفظ المتنوعة والتي أهمها التكرير والمناظرة.

1) طريقة التلقين

وهي من أهم الطرق التي تستخدم في تحفيظ القرآن الكريم، وتظهر أهميتها في المراحل الأولى للتحفيظ، حيث يقوم المعلم أو من يقوم مقامه من التلاميذ الكبار، بتلقين المبتدئ آيات من القرآن الكريم، ويحفظ منها آية آية، وفي الغالب يلقن في البداية السور القصار، وتجزأ هي أيضاً إلى آيات أو أجزاء صغيرة، وبعد أن تحفظ بالتلقين مجزأة يتم جمعها، ويتم التركيز بشدة على مخارج الحروف والنطق السليم لكل حرف أو صوت، ويلاحظ بدقة أن لا يلقن التلميذ في هذه المرحلة أي جزء من القرآن بطريقة غير مناسبة، وهذا ما يجعل بعض الحفاظ يركزون ويسألون عن من علّم أو لقّن التلميذ في البداية، فإذا عرفوا أن من لقّنه في البداية وعرفوا مكانته العلمية، ومدى إتقانه لتلقينه الأوّل لتلاميذه، وعدم التهاون في المراحل الأولى للتلقين، اطمأنوا على مسيرة الطالب، والفرص المتاحة أمامه للتقدم في حفظ القرآن الكريم، والعكس صحيح، فالشيخ الذي يوكل عملية التلقين الأولى لغيره، ويتجنب صعوبات تلقين طلابه في البداية يصعب عليه تعديل لسانهم فيما بعد. وتصاحب عملية التلقين تعلّم الكتابة – كما ذكرنا في النظام التعليمي للمسيح – فبعد أن يتعلم التلميذ الحروف الهجائية والكلمات التي تتكرر اكثر من غيرها في القرآن الكريم، يسمح له أن يتدرب على الكتابة، في البداية على الأرض، ثم على لوح يصلح للكتابة بحروف كبيرة، ويتدرج تلقين الكتابة أيضاً حيث تكتب له أية واحدة فيحفظها مع

9. عثمان، القوني، إدريس أحمد: النظام التعليمي في الخلاوي القرآنية التشادية، بحث اعد لاستكمال لمتطلبات مادة قاعة البحث سنة أولى دراسات عليا تحت إشراف د. عبد الحميد أحمد بخيت، كلية اللغة العربية جامعة الملك فيصل، العام الجامعي 2000/2001م.

التركيز على معرفة تركيب الكلمات وبالذات الكلمات النادرة أو التي يكتبها لأول مرة، فتوضح له طبيعتها، وهذا التدرج يجب أن يتبع حتى مع الطلاب الذين بإمكانهم أن يحفظوا أكثر من آية شفوياً، أما الكتابة فعليهم أن يتدرجوا مع الإتقان آية آية، ثم يزيد المعلم حسب قدرات الطالب، ويفضل أن لا يترك له العنان أن يكتب آيات كثيرة دون إدراك طبيعة تركيب الكلمات والجمل بمجرد نطقها من الشيخ، ولا يسمح بأن ينتقل الطالب في هذه المرحلة من شيخ إلى آخر حتى داخل المسيج الواحد، وبصورة عامة يتفق المهتمون بتحفيظ القرآن الكريم، على أن مسيرة الطالب في حفظ القرآن الكريم تتوقف على إتقان هذه المرحلة.

2) طريقة الرمي

وتقوم طريقة الرمي على الإملاء الشفوي، والصورة المثلى لها، هي أن يجلس الشيخ في مكان واسع نسبياً وفي وقت مختار ـ يفضل عند البعض وقت ما بعد الفجر ـ ويجلس التلاميذ على مسافة مناسبة من الشيخ على أن تسمح باتساع الحلقة، ويبدأ الطلاب الذين حفظوا ألواحهم السابقة وسمح لهم الشيخ بغسلها بكتابة ألواحهم الجديدة، فبمجرد أن يقرأ الواحد منهم الجزء الأخير من لوحة السابق، يبدأ الشيخ يرمي له الآيات التالية، وأثناء كتابة هذا الطالب، يقرأ زميله الآخر ويرم له، وهكذا، بإمكان الشيخ الواحد أن يرمي إلى عدد كبير من الطلاب إلى أن يكملوا ما هو مقرّر لهم أن يكتبوه.

وغالبية الطلاب الذين يدرسون بهذه الطريقة يكتبون لوحاً واحداً، وهو عبارة عن ثمن، وعند بعض المشائخ وخاصة مع ندرة المصاحف، من الممكن أن يرمي الشيخ لطلاب يختارون المقري كاملاً وهو عبارة عن ربع. وأهم ما يركز عليه في هذه الطريقة هو فهم الطالب للكلمات والجمل والآيات وهي ترمى إليه من الشيخ مباشرة، وأن يكتبها صحيحة من حيث الإملاء والرسم والشكل وبعض العلامات التي يتطلبها النطق في بعض الكلمات أو المقاطع، وعلى الطالب أن يقرأ ما كتبه بشكل صحيح على الشيخ قبل أن يرمي له الأجزاء الأخرى.

ونظراً لأن الألواح التي تكتب على هذه الطريقة لا تعرض في الغالب على مصححين آخرين، فهذا يعني عدم التسامح مع أي خطأ في الكتابة أو النطق، قد يكتشفه الشيخ أثناء الرمي أو القراءة أو حتى أثناء الحفظ، وأي طالب يكتشف عليه شيء من هذه الأخطاء قد يعاقب بعدم غسل لوحه، أو غسله على أن يعاود نفس اللوح السابق، مع الإشارات المتكررة في المرة الثانية للأماكن التي وقع فيها الخطأ وبأن لا تتكرر.

ومعظم الحفاظ يركزون على أنه كلما ظل الطالب أطول فترة ممكنة على التعلم والكتابة على هذه الطريقة، كلما كان إتقانه للقرآن أثبت، خاصة في اكتساب مهارة شيخه في الإملاء والرسم والشكل والنطق وبعض أحكام التجويد، لأنه يصاحب شيخه في ثلاث حالات أساسية هي الرمي أو الإملاء الشفوي والقراءة والحفظ على مسمع ومرآى شيخه وأخيراً عرض ما حفظه على شيخه، وهذا الإشراف على الحفظ الذي توفره هذه الطريقة، يندر أن يوجد في غيرها من الطرق.

3) طريقة النظر

وبعد أن يجتاز طالب القرآن الكريم ويتقن طريقة الرمي من الممكن أن يسمح له أستاذه أن يكتب لوحه من المصحف، ثم يحضره أمام أستاذه في نفس مكان الرمي أو في مكان وزمن آخر يحدده الشيخ، فيقرأ الطالب لوحه أمام نظر أستاذه، وأمامه الدواة وبيده القلم ليصحح الأخطاء التي يمكن أن يقع فيها الطالب، فإذا كثرت أخطاء الطالب يرجعه أستاذه إلى الرمي مرّة أخرى، ولا تحدث مثل هذه الحالة إلا من الطلاب المنتقلين من أماكن أخرى، فيظن الشيخ أنه من الممكن أن يتعلم وبطريقة النظر، ولكنه يكتشف

بأنهم يحتاج إلى مراقبة شديدة في الرمي وما يتضمنه من إشراف دقيق في الإملاء والشكل والنطق والتجويد.

ولذلك لا يسمح أن يتعلم الطالب بطريقة النظر، إلا للذين قطعوا شوطاً كبيراً في الحفظ وإتقان أحكام الحفظ، وهي طريقة مساعدة للطلاب الذين تقتضي ظروفهم الابتعاد عن الشيخ في معظم الأوقات، وقد يكونون في خدمة الشيخ أو في خدمة أنفسهم. وطريقة النظر هذه هي نفسها التي طوّرها المشائخ الكبار إلى المدرسة، والتي لا يحضرها في الغالب إلا من تقدموا كثيراً في الحفظ والإتقان.

4) طريقة العرض

وجوهرها أن يقرأ الطالب ما حفظه من القرآن على شيخه عن ظهر قلب، وتختلف كمية ما يعرض من طالب إلى آخر، فبعض الطلاب يعرض لوحه فقط، ليسمح له بكتابة لوح آخر، ولكن قد يطلب من بعض الطلاب أن يعرضوا أجزاء كاملة من القرآن الكريم قبل أن يسمح لهم بالاستمرار، وفي جميع الأحوال، يركز في هذه الطريقة أن يكون الحفظ جيداً، فأي تلكؤ أو ترتبة أو تردد في الحفظ معناه، إعادة كتابة الأجزاء غير المتقنة وحفظها من جديد، ثم عرضها على الأستاذ أو الشيخ.

وطريقة العرض من الطرق التي يستخدمها حفظة القرآن الكريم للإشراف والمتابعة ومراقبة الطلاب النابهين والجيدي الحفظ، والذين يظهر من عملهم رجاء في حفظ القرآن الكريم، وهي طريقة تحتاج إلى جهد ووقت من الشيخ والطالب، وهذا ما يجعل بعض المشائخ يوزع الطلاب على عدد من الحفظة في المسيج الواحد، فيعرضون عليهم ألواحهم كل يوم، على أن يختار الشيخ من بينهم وبالمصادفة من يعرض عليه، وقد يطلب منه الشيخ عرض معظم ما حفظه أو جزءاً منه، وهي عملية يطمئن الشيخ من خلالها على حسن أداء من أو كلهم أن يقوموا بتقييم العرض لطلابه من الحفظة الجدد.

وتختلف طريقة العرض في حفظ القرآن الكريم عن طريقة العرض التي يستخدمها بعض العلماء في هذه المنطقة في تدريس الكتب العلمية الكبيرة[10].

5) طريقة التكرير (الترتيل)

وتقوم على أن يرتب طالب القرآن الكريم على نفسه أن لا يغسل لوحه قبل تكريره، ويقصدون بتكرير اللوح قراءته بعدد معيّن بعد حفظه بالكامل، وأقل عدد لتكرير اللوح مائة مرّة في جلسة واحدة، ولذلك يختار معظم الذين يقرؤون القرآن الكريم على هذه الطريقة أماكن خاصة، تقل فيها الضوضاء، وتنعدم فيها المشوشات على الذهن، حتى يتم الحفظ بدرجة كاملة، يصل ببعضهم إلى أن يقرأ القرآن الكريم وكأن لوحه مكتوب في ذاكرته أو موضوع أمامه.

❖ طريقة المناظرة من أهم الطرق لإبراز التميز في إتقان القرآن الكريم.

ومعظم الذين يدرسون على هذه الطريقة من الحفظة، ولكنهم يريدون تجويد حفظهم بهذه الطريقة من التكرير. وتذكرنا عبارة التكرير، بتعبيرات المهندسين في علوم الأرض حينما يتحدثون عن استخراج المعادن ثم عن تكريرها، ويقولون أن التكرير عبارة عن عملية تجويد للمعدن أو المادة مثل تكرير النفط. وحينما نناقش حفظة القرآن الكريم نجد عندهم نفس المضمون.

6) طريقة التثبيت

ومعناها أن يكتب الحافظ للقرآن الكريم لوحه من رأسه ويحضره إلى مدرسة شيخه لينظر فيه بمشاركة

10. الدكو، د. فضل كلود: مرجع سبق ذكره ص: 168.

عدد من طلاب القرآن الكريم، إلى أن يختم القرآن الكريم عدة مرات على أن تكون بيضاء، أي خالية من الأخطاء.

وعند بعض المدارس القرآنية، يعني أي خطا في أي ختمة إلغاء عدد ختمات التثبيت وإعادتها من الصفر وفي الغالب لا تحسب الختمة التي فيها خطأ (الختمة التي وقع فيها الحافظ) وتعد الختمات الأخرى ضمن عدد ختمات التثبيت.

أما من حيث عدد ختمات التثبيت، فكلما كثرت كان أفضل، على أن لا تقل عن ثلاث ختمات، ومتوسطها عشر ختمات بيضاء.

ويفضّل أن يشرف على ختمات التثبيت اكبر (القواني) أو الماهرين في القرآن الكريم في المنطقة، وأي منطقة ينعدم فيها مثل هذا الماهر لا يسمح لحافظ أن يطبق فيها طريقة التثبيت، فهي طريقة لتجويد القرآن الكريم وإتقان حفظه، مع ما يصحبها من تمرين على مسك القلم حسب تعبيرات الحفظة في تشاد، وهي أن يسمح الشيخ لبعض الحفظة الذين يدرسون عنده على طريقة التثبيت بأن يحلّوا محله في مسك القلم، وتصحيح الألواح لغيرهم، على أن يضعوا في اللوح جميع الرموز الدالة على الحساب، مثل عدد الوقف والآيات وغيرها في كل لوح، ويتبارى الطلاب لكي يحظوا بمثل هذا الشرف، لأنه الوسيلة الأكثر موضوعية لإتقان أحكام التجويد وأمام الشيخ وكبار الحفظة، بدليل أن ماسك القلم نفسه حينما يأتي دور لوحه، يتركه لآخر حسب تعليمات الشيخ أو يرجعه إلى أستاذه نفسه ويخضع لوح ماسك القلم لنفس قواعد التصحيح التي أجراها على غيره من الألواح السابقة.

7) طريقة المناظرة (المدارسة)

وتتمثل بأن يختار الحافظ من بين زملائه الحفظة من يقرأ معه القرآن الكريم بالتداول، وأن يحدد القسم المخصص لكل واحد منهم مثل حزب أو جزء أو سبع، وبعد أن يكمله بمتابعة زميله بدقة شديدة، يبدأ الزميل الآخر قراءة ما يخصه.

ومن حق المناظر أن يصحح لزميله أي خطأ يمكن أن يقع فيه، وتحسب هذه الوقعات، والفائز في المناظرة هو من تقل عنده الأخطاء، لكن الأخطاء عندهم بدرجات، فهناك أخطاء في نطق الحروف أو الأصوات، وأخطاء في الحركات، وهذه من الممكن إصلاحها بدون عيب كبير، أما الأخطاء في الحفظ نفسه وعدم التثبت من المتشابهات، أو التوقف وعدم القدرة على وصل الآيات أو السور بعضها بالآخر، فهذا لا يغتفر، ومن الممكن أن يرفع إلى الشيخ أو الزملاء الآخرين من الحفظة، ويصل الأمر في بعض الأحيان إلى الشك في درجة حفظ المناظر، وإرشاده إلى الرجوع إلى الحفظ من جديد.

وطريقة المناظرة من أهم الطرق لإبراز التميز في إتقان القرآن الكريم، وبالتالي فهي نادرة، وقليل هم الذين يخضعون للاختبار بهذه الطريقة إلا في حالات غير طبيعية، مثل المناقشة أو «التربيط»، وغالباً ما يجبر الحافظ في الدخول فيها حينما يتحداه أحد الحفظة الذين لا يعرفون قدراته، أو سمعوا بها فقط ويريدون التثبت منها، وتجري المناظرة هنا بصورة جماعية في بعض الأحيان، ومن الممكن أن تحسم من أول خطأ يقع فيه أحد المتناظرين، أما إذا تكافأ فمن الممكن أن تستمر المناظرة إلى قراءة أجزاء كبيرة من القرآن الكريم، فيعترف كل مناظر للآخر بمكانته في معرفة القرآن الكريم، ومن الممكن أن تختم مثل هذه المناظرة بحفل بهيج تذبح فيه الذبائح، ويذاع فيه خبر المناظرة، وما انتهت إليه من اعتراف الطرفين بقدرة كليهما على معرفة القرآن الكريم، ويتنادر الحفاظ الآن، ويحكون الكثير من المناظرات التي تمّت بين الرعيل الأول من الحفظة بشيء من الإعجاب والاعتبار.

سادساً: مستويات حفظ القرآن الكريم

من الملاحظ إن حفاظ القرآن الكريم في تشاد يتدرجون حسب مستويات معينة حيث لا يعد كل مَنْ حفظ القرآن الكريم مباشرة حافظاً إلا بعد أن يجتاز هذه المستويات، ويعرف الحفاظ بعضهم بعضاً كأي جماعة وظيفة أو مهنة أخرى، فيحددون درجة أو مستوى كل حافظ حسب ما أوتي من علم أو تجربة وخبرة مكتسبة عن طريق التلمذة المباشرة، وهذه الجماعات مثلها مثل كل الجماعات المهنية تحتفظ لنفسها بمهارات وتجارب عملية وطقوس للمهنة، يصعب أن يدرك فحواها من يراها من الخارج. وإذا أراد الباحث أن يكتشف هذه العلاقات المهنية المنظمة، فعليه أن يلاحظها بالمشاركة المباشرة، عن طريق العيش المشترك داخل هذه الجماعات، فكل من حفظ القرآن الكريم لأول مرة، يوضع عندهم في المستوى اللين أو النيء، ويسمونه (لم آية فقط) أي أن حفظه لم يتجاوز وصل الآيات القرآنية بعضها ببعض، بينما المستوى الذي يلي ذلك هو مستوى مسير، ويليه المجود، ثم الماهر (القونى) ولكل مستوى من هذه المستويات الأربع خصائص تميزه عن غيره.

❖ إن حفّاظ القرآن الكريم في تشاد يتدرجون حسب مستويات معينة حيث لا يُعَدُّ كل من حفظ القرآن الكريم مباشرة حافظاً إلا بعد أن يجتاز هذه المستويات.

8) **الحفظ اللين (لم آية):**

وهذا هو المستوى الأول للحفظ وعبارة لين أو نيء هي أصدق تعبير عن المكانة التي اختارها الحفاظ لهذا المستوى، فهم لا يعدونه حافظاً ونادراً ما يحظى بمكانة الحفظة من المستويات التالية، فرغم الفرحة التي تعتري دارسي القرآن الكريم حينما يستطيع قراءة القرآن الكريم كلّه من رأسه، إلا أن معظم الحفظة المتمرسين ينصحون من يصلون إلى هذا المستوى بالتواضع، وكأنهم يدربونهم على تحمل المسؤولية في المحافظة على أمانة حفظة القرآن الكريم، فقد يستغرب الملاحظ من موقف شيخ المسيح عندما يصل أحد طلابه إلى هذا المستوى، ويلاحظ على وجهه الوجوم وعدم الانشراح، وكأنه يتخوف من أن لا يجتاز طالبه هذه المرحلة، ويغتر بنفسه، وربما هذه حال عدد لا بأس به من الطلاب، وبالتالي لا تجد من يفرح بالوصول إلى هذا المستوى من الحفظ، ولا تصاحبه أي احتفالات، إلا إذا حفظ الطالب في الختمة الأولى، وعندها يكون الاحتفال بالختمة، ولا يذكر الحفظ، للسبب الذي ذكرناه سابقاً من جهة، وللخوف على الطالب من العين من جهة أخرى.

وغالباً ما يعقب الوصول إلى هذا المستوى جلسات توجيهية توجه إلى الحافظ من أكثر الشيوخ تأثيراً عليه وقد يستغل الجانب الاجتماعي، حيث تبلغ أسرته بأهمية أن يوجه إلى استكمال المستويات المتبقية من الحفظ، وان لا يتوقف عند هذا المستوى الذي من الممكن أن يفلت القرآن منه فيه، وتستعمل الحوافز المعنوية والمادية لتوصيل وتأكيد هذه التوجيهات والوصايا.

9) **مسير:**

ويتميز هذا المستوى بأن صاحبه قد ختم القرآن الكريم ثلاث مرات على الأقل، وعشر في المتوسط على شيخ معروف بإتقانه لأدوات الحفظ المعروفة، بدون أن يقع في خطأ كبير أثناء عرض لوحة أمام زملائه الحفظة في الدرس كل يوم، بعد اجتيازه للمستوى الأول للحفظ «لم آية».

ويركز الحفظة على هذا المستوى باعتباره نقطة اختبار للحافظ فهو يبذل جهداً مضاعفاً، ففي نفس الوقت الذي يظل فيه يكتب لوحه كبقية الطلاب في

المسيج، فهو يحافظ على ترتيب معين لتلاوة القرآن الكريم، فبعضهم يختمه من رأسه في الأسبوع مرّة، وهذا ما يسمّونه ترتيب (سبع)، وهو الشائع، أما ختم القرآن الكريم في اقل من ذلك أو أكثر فهو الطارئ، فبعض الحفظة الذين يعيشون في مناطق تضمن لهم قوت يومهم وتقيهم عناء البحث عن الغذاء قد يختمون القرآن في ثلاثة أيام، ولكن الذين تقتضي ظروفهم المادية العمل أو البحث عن الغذاء فإن هؤلاء يكتفون بكتابة اللوح وعرضه عصراً على الشيخ في المدرسة، أما ختم القرآن فيتركونه للظروف، مع التركيز على أن لا تزيد مدة الختمة في الظروف الصعبة على أسبوعين أو شهر واحد.

وحَلاً لهذه الإشكالات نجد المسير يبحث عن كفيل يؤمن له قوت يومه، أو عن عدد من المهاجرين يوفرون له من الصدقات جزءاً من قوته.

ويقولون إن آفة المسير الانشغال عن الترتيب، أما كتابة اللوح وإخراجه أبيضَ، فهذه ميزة لا يتسامح فيها المشائخ مع أي مسير، يضاف إلى ذلك ميزة إتقانه للأدوات المساعدة في الحفظ التي توضع على لوحه كل مرة، وأن يسأل عنها كل نهاية درس، فهناك جلسة خاصة بالمسيرين بعد الدرس، تعقد لهذا الغرض، ومستوى المسير في الحفظ حسب وصفنا السابق يختلف عن المسير أو الممرن التي تطلق مجازاً حتى على غير الحافظ في بعض المناطق التشادية.

10) مجود:

ويتميز هذا المستوى بإتقان الحفاظ لجميع الأدوات المساعدة في الحفظ، ولكنه يظل محافظاً على كتابة لوحه وترتيبه للترتيل، وان يكون مستعداً ليحل محل شيخه سواء للتدريب على القيادة أو لاختبار ملكاته في الحفظ والتذكر أو لامتحان قدراته في تحمل مسؤولية رسالة تحفيظ القرآن، حينما يأذن له شيخه بالرفع إلى درجة ماهر(قوني). ويتنافس الحفظة في هذا المستوى على الإجادة في كل عمل يقومون به، والشيوخ يثقون بهم، ولكن ثقة المتتبع والمتريث. ويلاحظون عدم ظهور أي بوادر من المجود لطلب لقب الماهر، وبالتالي قد يظل الماهر لفترات طويلة، في انتظار رفعه، فيمانع أستاذه وقد يرسله إلى شيخ آخر أكثر منه علماً، أو لعله لاحظ بعض الأمور العملية والمهنية في سلوك المجود، فيريد أن يشارك في حكمه أستاذه أو أي خبير آخر، فإذا استمر المجود مع الأستاذ الجديد فترة من الزمن قد يرجعه إلى أستاذه الأول ليرفعه، وقد يرفعه إذا ظهر منه تميز واضح حسب المعايير القيادية والفنية ومدى تحمّله لأمانة تحفيظ القرآن الكريم.

وفي هذه المرحلة من تقييم الحفظة، يركز كثيراً على الموضوعية في التقييم فمن النادر أن يشتكي مجود شيخه على تأخره، ولكن المشائخ أنفسهم يدركون خطورة ملاحظة هذه القضية من زملائهم في المهنة الآخرين، فيحافظون على شرفهم ومكانتهم بعدم حبس مجود لفترة زمنية غير مبررة موضوعياً، وهنا يتحدث بعض الحفاظ عن سير شيوخهم وتعاملهم العلمي معهم، كما يتحدث طلاب الدراسات العليا عن أساتذتهم في الجامعات.

11) ماهر (قوني):

وهو المستوى الأعلى الذي يطمع أن يصل إليه حافظ القرآن الكريم في هذه المنطقة.

وهناك آراء مختلفة حول اصل مصطلح «قوني» اشهر هذه الآراء يرجعه إلى أصل من لهجات كانم ـ برنو، ومعناه «قوي» فهو مركبا من (قو) القوة (ني) للنسبة، أي قوى في القرآن الكريم[11].

وقد لاحظ الباحث رسماً لهذه الكلمة في غرب ليبيا، وبالتحديد في منطقة غدامس التي يسكنها في

11. المرجع السابق، ص 198.

الغالب التوارق وهي واحة لها علاقات ثقافية وتجارية هامة مع وسط وغرب افريقيا لوقوعها في طريق القوافل، فهم يكتبونها (كوني) وهي لقب شائع لعدد من الحفاظ وأناس آخرين، كما هو سائد في تشاد. فإذا كانوا يقصدون المعنى العربي لهذا اللفظ فإنه يقرّبنا من اصطلاح «العالمية» وهي أعلى شهادة تمنح في اغلب العلوم حتى إلى وقت قريب من معظم مراكز الحضارة الإسلامية مثل الأزهر وغيرها، فهل نعتبر أن أهل القرآن الكريم اختاروا لهم مصطلحاً متميزاً وهو «كوني» أي ماهر في علوم الكون؟ أي أن القرآن الكريم شامل لجميع علوم الكون، وحافظ القرآن الكريم «كوني» بمعنى انه حائز على الشهادة «الكونية» التي تعادل «العالمية» في العلوم الإسلامية و«الدكتوراه» في العلوم اللاهوتية تاريخياً.

وفي جميع الأحوال يحرص الحفظة في هذه المنطقة أن لا يمنح هذا اللقب إلا لمن توفرت فيه الشروط التالية:

1 ـ المرور أو التدرج على جميع طرق تحفيظ القرآن الكريم التي ذكرناها سابقاً، من التلقين ثم الرمي والنظر والعرض والترتيل وتطبيق طرق تثبيت الحفظ المتنوعة، وأخيراً تجاوز المناظرات أو التحديات والاختبارات التي يمكن أن تواجه الحافظ في طريقه لإتقان القرآن الكريم.

2 ـ الخضوع لنظام تحفيظ القرآن الكريم بالصورة التي وصفناها في العرض السابق، واستيعاب جميع متطلبات هذا النظام، وإمكانية أن يطبقه على آخرين حينما يسمح له بعد رفعه بفتح مدرسة قرآنية للحفظة ومن في حكمهم، أو مسيجاً للتلاميذ.

3 ـ أن يجتاز الحافظ المترشح لمرتبة «قوني» جميع مستويات الحفظ التراكمية التي شرحناها، حيث يستحيل على أي طالب أن يصل إلى مستوى مسير وهو لم يتجاوز المستوى الأول للحفظ، وهو وصل آيات القرآن الكريم بعضها ببعض «لم آية»، وكذلك مستوى المجود وهو مستوى تال المستوى المسير، ومن مستوى المجود يترشيح طالب القرآن الكريم في هذه المنطقة إلى لقب «قوني» أو قوي في علوم القرآن الكريم.

4 ـ معرفة القواعد والحساب والحبال المساعدة على الحفظ، وهي تبدأ من معرفة عَدّ أي القرآن الكريم، ثم الوقف والقواعد الإملائية والمتشابهات، والمكي والمدني، والمحذوف والمحمول... إلخ، وهو ما سنتناوله في الفقرات التالية. ولا يقل التركيز على هذه القواعد عن التركيز على الحفظ نفسه، بل الجهد الأكبر الذي يبذله طالب القرآن بعد التجويد ينصب على هذه القواعد.

❖ إن الطالب الذي ينكر جميل أساتذته، ولا يظهر منه التقدير اللازم لحفظة القرآن الكريم عموماً وخاصة أساتذته الذين درسوه مباشرة أو من لهم علاقة بهم، فإنه لا يرفع إلى درجة قوني.

رغم أنه من الشائع في هذه المنطقة الفصل بين حفظ القرآن الكريم، وتعلّم العلوم الشرعية، إلا أن معظم المشائخ الكبار يشترطون على من يطمح للرفع لدرجة قوني الإلمام ببعض الكتب الفقهية واللغوية (خاصة) النحو. ويركزون على فقه العبادات والميراث أو الفرائض، على اعتبار أن القوني هو إمام أهل منطقته وبالتالي يتوجب عليه أن يعرف شيئاً عن العبادات، أما الفرائض فيرى بعض الحفظة سهولتها عليهم، لأن معظم أحكامها موجودة في القرآن الكريم، من ناحية، ولمردودها المادي من ناحية أخرى، فالحافظ أو القوني الذي يوزع أي ورثة له نصيب مقدر منها بحكم العادات والتقاليد.

6 ـ تُكمّل الشروط السابقة شروط مهنية خاصة بالحفظة، مثل الروح القيادية، خاصة التحلي

بالحكمة وتحمل الآخرين، والمقدرة على قيادة مدرسة قرآنية مستقلة، وكذلك التواضع والاعتراف بفضل المشائخ والحفاظ الذين درسوا الطالب في مراحله المختلفة، فمن الملاحظ أن الطالب الذي ينكر جميل أساتذته، ولا يظهر منه التقدير اللازم لحفظة القرآن الكريم عموماً وخاصة أساتذته الذين درسوه مباشرة أو من لهم علاقة بهم، فإنه لا يرفع إلى درجة قوني، حتى وإن كانت هناك عداوة بين القواني، فنجد بعض الحفظة الذين ينتقلون من شيخ إلى آخر، وقد يظلون مع الواحد منهم لفترات طويلة، ولكن ظهور أي مظهر يعني عدم الاحترام والتقدير لأساتذته السابقين، يعني عدم ترقيته بغض النظر عن العلاقة بين الحفظة الكبار، وكأن هناك قواعد شرف بين الحفظة لا يمكن اختراقها، ولا يدخلون في طبقتهم إلا من يلتزم بها، ويصعب على أي واحد منهم أن يعبّر عنها لفظياً، لكنها مراعاة ومطبقة بشكل صارم في الجوانب العملية.

سابعاً: القواعد المساعدة على حفظ القرآن الكريم

هناك مجموعة من القواعد التي يستخدمها الحفظة في هذه المنطقة لتثبيت حفظ القرآن الكريم، وتختلف تسميتها من منطقة إلى أخرى، ففي بعض المناطق تسمى (قيود أو قيد) وبعضهم يسميها (حبال)، وقد شاع أخيراً تعبير (حساب)، وتشمل هذه القواعد عدد الآي، ورسم المصحف والمحذوف والمحمول والمتشابهات والوقف.

وحسب التراث المكتوب والمخطوط الذي استقى منه الحفظة في هذه المنطقة معظم القواعد المنظمة للحفظ، نجد على رأسه الكتب المعروفة في القراءات مثل الشاطبية وغيرها، ومنها أيضاً مخطوط الدرر اللوامع في اصل مقرأ الإمام نافع، ويأخذون منه التركيز الذي يوليه لرواية ورش، ثم لاحظ الباحث مجموعة من المخطوطات المحلية التي كتبها حفاظ المنطقة متضمنة بعض القواعد أهمها:

1ـ الفرود في القرآن الكريم:

وندرسها من خلال اعمال الشيخ العباس بن فاضل المعروف عندهم بالدنفاسي وهو من عرب الهبانية الذين يسكنون بجوار مدينة ابشة عاصمة السلطنة العباسية شرق تشاد، وقد نظم عدداً من الأعمال أهمها مخطوطة «الفرود» والتي يقول فيها بعد البسملة والحمدلة:

إن الحياة قد أتت بالنصب
اثنا عشر معدودة في الكتب
في البكر والنساء ثم النحل
وهود وإبراهيم فافهم قولي

ويستمر في تعدادها في السور، ويقول في موقع آخر من المخطوطة:

خيراً لكلم مفتوحة حرفان
وجدتهم في سورة النسوان

ومعنى حرفان عندهم اثنان، وسورة النسوان هي سورة النساء، وهي منظومة على الطريقة السابقة نحو (265) بيتاً، في معظم النسخ المخطوطة التي في خزانة الباحث[12].

وللدنفاسي حبال أو قيود أخرى لبعض القواعد أهمها كتاب (الجاري على كل قارئ)، وهي أكثر تعقيداً مما هو في المنظومة السابقة، ولا يعرف بعضها إلا خاصة الحفظة، ولا يوجد عنوان واضح في النسخة التي بين يدي الباحث[13].

2ـ المحذوف في القرآن الكريم:

ونناقشه من خلال أعمال الشيخ عبد الواحد شيخ المشائخ، من سلامات أم حجر آتياً عائلة ولاد أبو

12. الدنفاسي، الشيخ العباس بن فاضل: الفرود في القرآن الكريم، مخطوط، خزانة الباحث، أنجمينا، تشاد.
13. الدنفاسي، الشيخ العباس بن فاضل: الجاري على قارئ، مخطوط، خزانة الباحث، أنجمينا، تشاد.

ضوء، وسط تشاد، وله مخطوط كبير بعنوان «المحذوف في القرآن» والمقصود بالمحذوف عندهم حذف الألف من الكلمة مع وجود علامة مائلة إلى فوق تدل على صوت الألف، ويسمونها الألف الحمراء وبدأها بالترتيب الهجائي، ورصد جميع الكلمات في القرآن التي أتت فيها الألف محذوفة بعد الهمزة، ثم ما بعد الباء، ثم التاء إلى المحذوف بعد الياء، وهي منظومة في حوالي (410) بيتاً، وهي غنية في رصدها للألف الحمراء والكلمات التي وردت فيها، وترتيبها بناء على حرف الهجاء الذي يرد قبل الألف الحمراء، أمثلة: برءؤا، الطيبت، كتب، ميثق، جهدوا، الصلحت، الخشعون، يسجدن، الذكرين، الصرط، الزرعون، السجدين، شكرين، الابصر، يضعف، استطعوا، ظهرين، العلمون، الغرمين، فعلين، استقموا، الكظمين، الهكم، الرحمن، منفع، الأنهر، ازوجكم، يعباد. ومن الواضح أننا استقينا من كل حرف مثالاً واحداً فقط، مع أن الكلمات في كل حرف تزيد وتنقص حسب ورودها في القرآن الكريم.

وهذا الرسم المحذوف في القرآن الكريم، ورد في هذه المنظومة على رواية ورش عن نافع[14].

3 ـ المحمول في القرآن الكريم:

وهو يهتم بالكلمات التي تثبت فيها الألف في القرآن الكريم، وقد ألف فيه الشيخ المهاجر شين محمد العربي المسيري، مخطوطة منظومة يذكر في بدايتها:

يقول المحمول في القرآن

وهو خفي اللفظ في اللسان

في الصول لا في الوقف للبيان

اسئوا تبوءوا قد أتى حرفان

ففي الروم والحشر فخذ معانٍ

ولا تسبوا ويسبوا حرفان

ويبدو أن كاتب المخطوط قد اتبع نفسه طريقة الرصد التي استخدمها عبد الواحد شيخ المشائخ في المحذوف، بحيث رصد الكلمات التي تثبت فيها الألف حسب الترتيب الهجائي من الهمزة إلى الياء، في حوالي (147) بيتاً على الطريقة السابقة[15].

4 ـ الهمزتان:

ويولي الحفاظ عناية خاصة لإملاء الهمزة، كما لاحظنا في القواعد السابقة، ولكن المخطوط الذي بين أيدينا يركز على الهمزتين وأحكام إملائهما في القرآن الكريم على رواية ورش.

وهذا المخطوط رغم انتشاره لدى معظم الحفظة، إلا أن النساخ أهملوا ذكر اسم مؤلفه، وهو منثور، وهذا على غير عادة كتاب القواعد المساعدة على الحفظ، فقد رأيناهم يضعون معظم القواعد بالنظم، على أمل سهولة حفظها.

ومطلع هذا المخطوط:

«أعلم أن الهمزتين على قسمين؛ في كلمة وفي كلمتين. فالهمزتان في كلمة على ثلاثة أنواع النوع الأول أن تكون مفتوحتين، فالحكم فيهما أن تحقق الأولى وتبدل الثانية ألف مد، وعددها في القرآن إحدى وعشرون، موضعان في البقرة، أأنذرتهم، أأنتم، وموضعان في آل عمران... إلخ».

ويستمر المخطوط في توضيح كل قسم وأنواعه ويذكر جميع المواضع التي يقع فيها كل نوع في كل سورة على حدة.

وهذه القواعد ضرورية للحافظ، خاصة في مستوى المجود لأنه من المتوقع أن يحظى بشرف نيابة شيخه في مسك القلم، وعندها يتطلب موقفه أن يعرف مواضع الهمزتين وحكمها في كل موضع، وتتم هذه العملية في جلسات خاصة بعد نهاية عرض الألواح في المدرسة، حيث يكون من حق أي حافظ أن يسأل

14. شيخ المشائخ عبد الواحد: المحذوف في القرآن الكريم، مخطوط، خزانة الباحث، أنجمينا، تشاد.

15. المسيري، الشيخ الماهر شين محمد العربي: التجويد المحمول، مخطوط، خزانة المؤلف، أنجمينا ـ تشاد.

عن هذه المواضع وعلى شيخ المدرسة أو المسيج ضرورة الرد على جميع هذه القواعد المسؤول عنها، ويقع هذا المخطوط في حوالي (22) صفحة من الحجم المتوسط[16].

5 ـ عد الآي:

ومن القواعد المساعدة على الحفظ في هذه المنطقة معرفة الآيات في كل سورة، لدرجة أن الحافظ يحفظ آيات السورة قبل السورة نفسها، ويرتل عدد الآيات قبل أن يبدأ في قراءة سور القرآن الكريم، وقد يستغرب الزائر العادي حينما يسمع أحد القرّاء التشاديين، يبدأ في قراءة لوحه بعد التعويذة والبسملة ـ بقوله سورة فاتحة الكتاب... وهي سبع آيات، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين... الخ.

وهذا دأبهم في بداية كل السور إلى الناس وقد كتب في حصر عد الآي عدد من الحفظة، ولكني اضرب مثلاً: بمخطوطة القوني الجليل عبد الكريم الزيودي، بعنوان «الفصل الأنور في تمثيل السور» وهي منظومة حاول الكاتب أن يجمع السور بعضها مع بعض حسب عدد الآيات التي فيها فعلى سبيل المثال العدد (76) آية ورد في سورتان هما: الأنفال والحج حيث يقول:

ست وسبعون خذ الافغال(*)

وسورة الحج لها مثال

بينما العدد (44) آية هو فقط في سورتي الرعد وسأل، والعدد (111) في سورتي يوسف والأنبياء، بينما العدد (99) آية هو في ثلاث سور هي الحجر ومريم والواقعة، وهكذا يحصي الكاتب جميع سور القرآن في مجموعات على حسب عدد الآيات في كل سورة. والمنظومة في (44) بيتاً فقط[17].

6 ـ المدني والمكي:

على الحفاظ في هذه المناطق أن يستوعب قاعدة المدني والمكي في القرآن الكريم، منذ مراحله الأولى للحفظ وأن يستمر في التثبت منها طيلة مراحل حفظه، فمعلومة المدني والمكي عن كل سورة تحفظ لدى القارئ التشادي بعد اسم السورة مباشرة، وتكتب على اللوح ويحفظها القارئ كجزء أساسي من حفظ اللوح.

فيبدأ القارئ بإحصاء السور المدنية وهي البقرة وآل عمران والنساء إلى آخره. وعددها (27) ثم باقي السور وهي مكية وعددها (87).

وللشيخ الزيودي منظومة ذكر فيها المدنيات فقط ويحصرها في رمز البيت التالي:

عددها (كز) بضبط الحساب

والباقي (فز) خذ بلا ارتياب

وبحساب الطريقة المغاربية (أيقش) ستجد ان العدد هو كما ذكرنا سابقاً[18].

وقريب من اهتمامهم بالمدني والمكي، اهتمامهم بالقرآن السفري حيث عثرت على مخطوطة متداولة بين أيديهم عن القرآن السفري أي الآيات التي نزلت في السفر.

وهذه المخطوطة للشيخ احمد عبد الكريم الحسيني الملقب بطبيك. يقول فيها:

الحمد لمنزل القرآن

فعدّد السفر من قلته

في حضر وسفرٍ بيان

وترك الحضر من كثرته

ثم يبدأ يذكر جميع الآيات التي نزلت في السفر وأماكن نزولها، والمنظومة تحوي (124) بيتاً[19].

16. مجهول (المؤلف)، الهمزتان، مخطوط، خزانة الباحث، أنجمينا، تشاد.

17. الزيودي، القوني عبد الجليل عبد الكريم: الفصل الانور في تمثيل السور، مخطوط، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.

18. الزيودي، القوني عبد الجليل عبد الكريم: المدنيات، مخطوط، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.

19. طبيك، الشيخ احمد عبد الكريم الحسيني: القرآن السفري، مخطوط، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.

7 ـ الوقف:

يركز الحافظ التشادي على قواعد الوقف تركيزه على الحفظ نفسه، فنجد على رأس اللوح رمز الوقف، وفي التراث المتوارث للحفظة أن الحافظ منهم ينطق برمز الوقف لكل لوح و(مقرأ)، قبل بداية حفظه، ولا يميّز الحفاظ كثيراً بين أنواع الوقف، فعلامة الوقف عندهم واحدة فقط لكل نوع من أنواع الوقف. ولهذا بدأ بعض الحفاظ بمحاولات للتمييز بين أنواع الوقف، منذ منتصف القرن الماضي، أي بعد رجوع الدفعات الأولى من الحفاظ الذين أرسلوا إلى الأزهر لدراسة لقراءات، لكن الوقف عموماً ظل من القواعد الضرورية للحفظ.

ثامناً: مساهمات الحفظة المعاصرين في تطوير القراءات

تركز وصفنا لمؤسسات تحفيظ القرآن الكريم في الفقرات السابقة على الجهود التي بذلت من قبل الحفظة المحليين وبرواية ورش عن نافع ـ على الأغلب ـ ولكن ابتداء من استقلال البلاد من الاستعمار الفرنسي عام 1960م والسنوات التي تلت ذلك، وانفتاح البلاد على العالم العربي والإسلامي، بدأت بعض تيارات التغيير تهب على النظام التعليمي لتحفيظ القرآن الكريم وطرق الحفظ ووسائله، والعلاقات الاجتماعية السائدة داخل مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم، فبدأ الحافظ الجديد يطمح إلى إضافة قراءة أخرى أو أكثر إلى قراءته التي حفظ بها القرآن، وبدأ السعي إلى إضافة علوم العربية، وكذلك العلوم الإسلامية، بل والعلوم العصرية إلى حفظ القرآن الكريم مظهراً مألوفاً لدى الحفظة الجدد، بينما هذه التغييرات كانت غير مفضلة لدى الطبقات الأولى من الحفظة التقليديين «السابقين» أو الكبار، فما هي العمليات الاجتماعية التي اتبعت لتسهيل عملية التحول هذه؟

يستفاد من بعض الروايات الشفوية إن هذه العملية بدأت حينما احتك الحفاظ بعد الاستقلال بزملائهم في البلدان العربية، وظهر لهم انهم يحفظون القرآن الكريم بإتقان شديد، ولكن برواية واحدة فقط، إن لم يكن بطريق واحد أيضاً، بينما يقتضي الحفظ في المجتمعات الإسلامية الأخرى، الانفتاح نحو قراءات وطرق وروايات متنوعة، زيادة على انفتاح الحفظة على العلوم العربية الإسلامية بل والعصرية أيضاً أي العلوم التقنية.

وكانت البدايات الأولى للاحتكاك مع علماء في القراءات قدموا من المغرب العربي (المغرب + موريتانيا)، وتوقف المعلومات عن هذه الاحتكاكات الأولية بالمغاربة عن الروايات الشفوية، وسعى الباحث إلى الحصول على أسانيد أو وثائق مكتوبة عن هؤلاء القرّاء الذين درّسوا بعض الحفظة بعض القراءات فلم يقف على اثر مكتوب.

والتحول الواضح هو الذي حصل بعد زيارة قام بها أحد أبناء العلماء من جمهورية مصر العربية وهو الشيخ محمد لطفي عامر ابن رئيس القراء في مصر الشيخ عامر عثمان، وهي زيارة غير رسمية عبّر عنها معظم الذين رووا قصتها أنها كانت عفوية، ونزل هذا الضيف في منزل الإمام الشيخ موسى إبراهيم بقرب السوق الكبير، وأقام حلقة في هذا المنزل حضرها عدد من الحفظة ولفترة وجيزة، وبعد كبر الحلقة في منزل الإمام انتقلت إلى المسجد الكبير، وتمّ ختم القرآن الكريم بالقراءات المتنوعة في عشرين يوماً، ثم وزّعت الشهادات على بعض الحفظة الذين تميّزوا في اكتساب مهارة القراءات المتنوعة، وبعدها رجع الزائر، ورغم قصر مدة هذه الزيارة، لكن تمخضت عنها نتائج هامة، غيّرت مسار تحفيظ القرآن الكريم في تشاد بالكامل تقريباً. فقد أظهر هذا الضيف للحفظة عملياً مدى حاجتهم للتجويد الحديث «الذي يشمل قراءات متعددة» من جهة، وأظهر ضرورة

إرسال عدد من الحفظة إلى المعاهد الأزهرية للقراءات من جهة أخرى، ويبدو أن الرجل حاول أن يسهل إرسال هؤلاء الحفظة إلى المعاهد الأزهرية من خلال معارف في إدارات الأزهر الشريف، ويحكي هؤلاء الحفظة سيرة تجاربهم الأولى في الاحتكاك بالحفظة في مصر بشيء من فرحة الاكتشاف، حيث ظهر للجان في المعاهد الأزهرية للقراءات دقة حفظهم للقرآن الكريم، ومدى حاجتهم إلى الإلمام بالقراءات الأخرى[20].

وساهمت عملية إرسال حفظة لهم مكانتهم العلمية في البلاد، واكتسابهم للقراءات المتنوعة، في تقبل الحفظة المحليين للتحول الذي حصل بعد ذلك، وهي عملية معروفة في نشر الأفكار الحديثة لدى الجماعات، فالجماعات عادة تتقبل الأفكار التي تنقل إليها بواسطة مجموعات بشرية تثق بها، ولها صلات اجتماعية أو معرفية بها، ولهذا يعتبر رجوع الدفعات الأولى من الرواد المعاصرين من الحفظة التشاديين الذين تمّ إعدادهم في معاهد القراءات في الأزهر، نقطة البداية في عمليات التحول داخل مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم، وساهمت عملية نقل هذه التغييرات بواسطة جماعات من الحفظة لها مكانتها العلمية المعترف بها، في عملية التكييف الاجتماعي، وقبول الحفظة المحليين لهذه التحولات، وقد ضمت الدفعة الأولى التي أرسلت إلى الأزهر عام 1975م أربعة من الحفظة وهم: القوني حسن عمر طاهر، الشيخ طه عباس، والشيخ يوسف إسحاق، والشيخ محمد احمد، ولحقت بهم الدفعة الثانية بعد اشهر، وضمت القوني جبريل بركة والقوني محمد الحر، وسنحصر جهدنا لدراسة مساهمات اثنين من الرواد المعاصرين هما: القوني حسن عمر والشيخ جبريل بركة، لما يتميزان به من إنتاج مكتوب في القراءات.

1 ـ الشيخ القوني حسن عمر طاهر إبراهيم القرشي

وهو من الدفعة الأولى للرواد المعاصرين لحفظة القرآن الكريم الذين ابتعثوا إلى معاهد القراءات الأزهرية سنة 1975م.

وهو من مواليد قرية شاور بمدير البطحاء وسط البلاد حوالى 1935م، تلقى تعليمه حسب نظام تحفيظ القرآن الكريم، على يد شقيقه الأكبر، وكان من عادة أقرانه أن يهاجر الحافظ منهم إلى منطقة بعيدة عن موطنه الأصلي، ليتفرغ لتجويد القرآن الكريم، فهاجر إلى بحر الغزال، والتحق بالشيخ القوني محمد أبو شيب، ولازمه بضع سنوات، ليتجاوز جميع مستويات الحفظ والإتقان المتعارف عليها، إلى أن رفعه إلى درجة ماهر (قوني) في القرآن الكريم، ومن شيوخه في مصر الشيخ عامر السيد عثمان، والشيخ عطاء رزق. وعاد إلى البلاد في عام 1978م، وتولى إدارة معهد القراءات في الفترة من 1981ـ1982م.

وما يميز الشيخ عمر حسن طاهر، ليس فقط اهتمامه بتبليغ رسالته في نشر القراءات والعلوم الإسلامية أنى حلّ، وإنما بتأليفه المبسط في علوم القراءات وغيرها. وسأحاول أن أعرض لبعض أعماله المكتوبة[21].

أ ـ دليل الحيران إلى قواعد أبي سعيد عثمان

وهو كتاب منثور يقع في حوالي أربعين صفحة بخط اليد، تناول شرح أوجه رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، اتبع فيه طريقة السؤال والجواب، وهذا المخطوط من أكثر مؤلفات الشيخ انتشاراً بين يدي الحفظة في تشاد، لسهولته، من جهة، ولتناوله روايةً تعتبر الأكثر انتشاراً في البلاد، ولكنها الأقل شرحاً وتوضيحاً من جهة أخرى. وتمّ تأليف هذا المخطوط

---

20. مقابلة مع الشيخ القوني جبريل بركة حول (تطور القراءات في تشاد) في منزله بأنجمينا ـ تشاد، حارة أم رقيبة، الساعة الرابعة بعد العصر، بتاريخ 28/4/2002م، والشيخ جبريل بركة من الأوائل الذين حضروا هذه الحلقة ومن الذين أجيزوا بعدها، ثم التحق بالأزهر بعد ذلك.

21. يرجع الفضل إلى القوني إدريس احمد في مدنا بالمعلومات الذاتية عن صهره وشيخه القوني حسن عمر طاهر.

في 26/محرم 1407هـ الموافق 1986/9/30م، ولتسهيل تداوله بين القرّاء والحفظة تمّ تصوير أعداد من المخطوطة عام 1983م[22].

ب ـ الفتح الرباني فيما خالف فيه قالون ورشا من حرز الأماني

وهو كتاب منثور يقع في حوالي (24) صفحة مخطوطة باليد، تناول فيه الخلاف بين قالون وورش وهما راويا قراءة نافع المدني، فأوضح في البداية ما انفرد به قالون، مع بيان أوجه روايته، ثمّ بسط القول في الخلاف بين الراويين حسب ترتيب السور في القرآن الكريم كلّه. فرغ من تأليفه في 7 شوال 1405هـ الموافق 1985/6/24م. ونظراً لحاجة الحفظة إلى هذه المقارنات فقد صوّرت منه نسخ عديدة في مطبعة مدينة ميدغري بنيجيريا عام 1407هـ[21].

ج ـ الهداية الربانية إلى ما خالف فيه الدوري ورشاً من طريق الشاطبية

وهو كتاب كبير نسبياً فهو يقع في نحو (60) صفحة مخطوط باليد، تناول فيه الخلاف بين رواية الدوري عن أبي عمر البصري وهي الرواية التي تلي رواية ورش في تشاد، ويقرأها في المنطقة الشرقية خاصة المدن والقرى الكبيرة في سلطنة دار وداعة العباسية. وبين رواية ورش عن نافع الدني، وعلى طريقة تأليف الشيخ عمر حسن في النثر، فإنه يقسم أعماله إلى فصول وفرش، وترجع أهمية هذا الكتاب باعتباره العمل الأول لتوضح رواية الدوري والفرق بينها وبين رواية ورش. تمّ تأليف هذا الكتاب حوالي 1982م، ونظراً لحاجة الطلاب إلى نسخ منه فقد صوّرت منه نسخ عديدة مخطوطة في مطبعة يأوندي بالكمرون سنة 1990م[24].

د ـ الإرشادات الربانية إلى ما خالف فيه عبد الله بن كثير نافعاً من طريق الشاطبية.

وتزيد صفحات هذا العمل عن (70) صفحة مخطوطة باليد، ناقش فيه الخلاف بين قراءة عبد الله بن كثير المكي وقراءة نافع بن عبد الرحمن المدني، وبدأه بترجمة لكلا القارئين، ثم وضّح نقاط الخلاف بين قراءاتهما، وقسّم الكتاب كعادته إلى فصول وفرش، ألف الكتاب سنة 1989م[25].

هـ ـ بيان القراءات الشاذة.

وهو عمل يقع في حوالى (50) صفحة مخطوطة باليد، وضّح فيه المؤلف أشهر القراءات الشاذة، وتطرق إلى أحكامها بإيجاز، وقد التقى الباحث مع الشيخ حسن عمر في مدينة سار جنوب تشاد في سنة 1996م وكان الباحث في مهمة رسمية لفتح المعهد الأزهري بسار، ونزل في استضافته، وأخبره بانتهائه من تأليف هذا الكتاب، ولما طلب منه الباحث نسخة، وعده بواحدة، ولكن بعد مراجعتها وتدقيقها، وقد فعل جزاه الله خيراً[26].

و ـ إرشاد الأخوان إلى تفصيل الهمزتين لرواية أبي سعيد عثمان

وهي رسالة صغيرة مخطوطة باليد في حوالى (14) صفحة، وصاغها على طريقة السؤال والجواب، وتطرق فيها لأنواع الهمزات من كلمة ومن كلمتين، حالة اتفاقهما وحالة اختلافهما، وعدد كل قسم وأحكامه. ألف هذا العمل في مدينة أم التيمان سنة 1997م[27].

---

22. القرشي، الشيخ القوني حسن عمر طاهر إبراهيم: دليل الحيران إلى قواعد أبي سعيد عثمان، مخطوط، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.
23. القرشي، الشيخ القوني حسن عمر طاهر إبراهيم: الفتح الرباني فيما خالف فيه قالون ورشا من حرز الأماني، مخطوط، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.
24. القرشي، الشيخ القوني حسن عمر طاهر إبراهيم: الهداية الربانية إلى ما خالف فيه الدوري ورشا من طريق الشاطبية، مخطوط، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.
25. القرشي، الشيخ القوني حسن عمر طاهر إبراهيم: الإرشادات الربانية إلى ما خالف فيه عبدالله بن كثير نافعاً من طريق الشاطبية، مخطوط، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.
26. القرشي، الشيخ القوني حسن عمر طاهر إبراهيم: بيان القراءات الشاذة، مخطوط، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.
27. القرشي، الشيخ القوني حسن عمر طاهر إبراهيم: إرشاد الأخوان إلى تفصيل الهمزتين لرواية أبي سعيد عثماني، مخطوط، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.

ز ـ تاريخ القرّاء

وهو مؤلف يقع في (40) صفحة مخطوطة باليد تناول فيه اماكن القرّاء وتواريخهم، ومدى انتشار قراءاتهم وأماكنها الحالية وقد ألف سنة 1997م[28].

وللشيخ القوني حسن عمر طاهر مؤلفات في مواضيع أخرى، مثل علم الفرائض وعمل في التاريخ والحوادث العظام التي وقعت في تشاد، وديوان في الشعر. وجميع أعماله تقريباً مخطوطة باليد، والجزء اليسير الذي نشر، فهو بطريقة التصوير أو التكثير في مطابع محلية في نيجيريا والكمرون.

2 ـ الشيخ القوني جبريل بركة

وهو من الرواد الأوائل الذين قادوا حركة التحول في تحفيظ القرآن الكريم، ولد الشيخ جبريل بركة بن محمد بن حسين الميقني سنة 1941م في بيكرو غرب تشاد، فبعد أن قرأ القرآن الكريم على يد والده ثم أخيه الأكبر القوني أبو بكر بركة في قريته صاح الزراف في بيكرو، هاجر كعادة أقرانه من أجل إتقان تجويد القرآن الكريم، فذهب إلى البطحاء فأدخل لوحه على القوني عبد الله التمير والشيخ القوني الغالي والشيخ القوني عبد الرحمن، ثم رحل إلى قرية بتكن، فقرأ على الشيخ آدم عمر، ثم على الشيخ موسى صالح المعروف بالقوني موسى ابن الفلانية، ثم ارتحل إلى منطقة دربالي وقرأ على الشيخ القوني حسين آدم المعروف بالغرباوي، ثم على الشيخ القوني صالح بن السيخ أبو بكر اشيقر، إلى أن وصل إلى العاصمة التشادية (فورت لامي آنذاك)، فالتحق بمدرسة الشيخ القوني عيسى ولد كندلة إلى أن أجازه في القراءة والإقراء ومنحه درجه ولقب «قوني» في سنة 1964م.

وفي سنة 1975م سافر في الدفعة الثانية من الحفظة إلى الأزهر الشريف فسجل في معهد القراءات بشبر الحزاندارة، وتلقى القراءات العشر على شيوخه، وأهم شيوخه عبد الصبور منصور والشيخ فتحي قنديل والشيخ داود فتحي، ونال من معهد القراءات الشهادة العالية في القراءات العشرة من طريق الدرة الشاطبية سنة 1979م وعاد إلى وطنه عام 1980م.

وبمجرد رجوعه انضم إلى الرواد الأوائل في تحمّل مسؤولية نشر القراءات المجودة، والتنوّع في التجويد، سواء أكان ذلك في معهد القراءات أو في حلقته العامرة في منزله، وكذلك في رحلاته المتعددة داخل الوطن، وإلى الدول المجاورة، نيجيريا وإفريقيا الوسطى والكمرون. وله من التأليف الأعمال الآتية:

أ ـ كتاب الدرر النضيدة في أوجه عثمان:

وهو مؤلف يقع في (92) صفحة مخطوطة بيد المؤلف، تناول أوجه ورش العامة، ثم أوجهة الرواية في كل سورة من سور القرآن على حدة. ومن الواضح أنه يقدم مادة هامة في الرواية التي يقرأ بها معظم الحفظة والطلاب في تشاد، تمّ الانتهاء من تأليفه في انجمينا في 2 رجب 1404هـ الموافق 1985/3/27م ونظراً لحاجة حفاظ القرآن الكريم لهذا العمل، فقد صوّرت أو كثرت منه نسخ عديدة ووزّعت على شكل كتاب[29].

ب ـ رسالة البيان فيما اختص به قالون عن عثمان: وتحتوي (30) صفحة بخط اليد، كاتبها الناسخ الماهر القوني احمد الجد، بدأها بسيرة الإمام قالون، ثم بين أصول قالون العامة في الرواية والقضايا التي يختلف فيها عن عثمان أي ورش. انتهى منه في 6 رمضان 1404هـ الموافق 1984/9/9م[30].

---

28. القرشي، الشيخ القوني حسن عمر طاهر إبراهيم: تاريخ القرّاء، مخطوط، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.

29. بركة، الشيخ القوني جبريل: الدرر النضيدة في أوجه عثمان، مخطوطة، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.

30. بركة، الشيخ القوني جبريل: رسالة البيان فيما اختص به قالون عن عثمان، مخطوطة، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.

ج ـ الدرر المنثور في تقريب رواية الدوري

وهو كتاب كبير يقع في (216) صفحة مخطوطة باليد، الناسخ عباس محمد احمد عباس، تناول فيه بالتفصيل رواية الدوري التي ذكرنا أن الجزء الشرقي من تشاد يقرأ بها، خاصة المدن والقرى الكبيرة «الحلال»، فأورد الأحكام العامة، في الرواية مثل: ما جاء بين السورتين، والمد المتصل والمنفصل إلخ، إلى أن وصل إلى القواعد التفصيلية للرواية في كل آية وسورة. وكان الفراغ منه يوم 1405/2/3هـ الموافق 1983/8/2م[31].

د ـ القواعد الأدائية فيما خالف فيه شعبة حفصاً من طريق الشاطبية

وهو كتاب متوسط الحجم، يقع (27) صفحة، مخطوط بيد المؤلف، تناول فيه ما يميّز قراءة شعبة عن حفص، لما لاحظه المؤلف من خلط من الطلاب بين الروايتين. بدأ الكتاب بإعطاء نبذة عن حياة شعبة الكوفي، وأوضح ما يميز قراءته من الأحكام عامة، ثم ما يميزه في كل سورة من سور القرآن الكريم، من البقرة إلى سورة الإخلاص، وكان الفراغ من تأليفه يوم 12/ من جمادى الأولى 1414هـ الموافق 1993/10/27م(32).

هـ ـ رسالة تحرير الراءات في طريق الروايات:

وهي رسالة مكونة من (21) صفحة متوسطة الحجم عرض فيها أحكام الراء اتفاقاً واختلافاً، وبين حكم الراء مع حروف الاستعلاء، ثم راء ذكرا وأخواتها، والراء المفخمة والمكسورة والساكنة بعد أكبر... إلخ. تمّ تبييض هذه الرسالة في 11/صفر 1420هـ[33].

تاسعاً: اثر مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم في المجتمع

يسند المجتمع التشادي إلى مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم بمختلف مسمياتها ـ العديد من الأدوار الاجتماعية.

فالمسيج هو المؤسسة الأساسية في حفظ نظام التعليم والتربية في معظم مراحل تاريخ المجتمع التشادي، وهو الحمى الذي احتمى به المجتمع في الحفاظ على هويته الإسلامية أثناء الاستعمار الفرنسي، وظل ركيزة أساسية من ركائز الثقافة الإسلامية المميزة لهذا الشعب، وساهمت مؤسسات تحفيظ القرآن في الحفاظ على الأنفس والثروة والسلطة السياسية في المجتمع.

1 ـ حفظ التربية والتعليم

❖ لا يتوقف دور مؤسسات تحفيظ القرآن على تحفيظه، بل يمتد إلى القيام بالتربية والتعليم في المجتمع.

فمؤسسات تحفيظ القرآن الكريم، لا يتوقف دورها على حفظ القرآن الكريم، بل يمتد إلى القيام بالتربية والتعليم في المجتمع، وتنفرد في القيام بهذا الدور في بعض المناطق البدوية والريفية، وتشارك بشكل فاعل مع غيرها من مؤسسات التعليم والتربية الحديثة في جميع الأقاليم التشادية.

ولم يكن هذا الدور جديداً على مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم في تشاد، فقد كانت المؤسسة الوحيدة للتربية والتعليم في السلطنات والممالك الإسلامية التي قامت حول بحيرة الشط، ابتداء من سلطنة كانم ـ برنوح، إلى سلطنة بقرمية، إلى دار وداعة، ودار سيلا، ودار تاما، وسلطنة لوغون الإسلامية، ففي جميع هذه الكيانات التي أقامها المسلمون حول هذه المنطقة منذ دخول الإسلام، شكل المسيج القرآني

---

31. بركة، الشيخ القوني جبريل: الدرر المنثورة في تقريب رواية الدوري، مخطوطة، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.

32. بركة، الشيخ القوني جبريل: القواعد الأدائية فيما خالف فيه شعبة حفظاً من طريق الشاطبية، مخطوطة، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.

33. بركة، الشيخ القوني جبريل: رسالة تحرير الراءات في طريق الروايات، مخطوطة، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.

نقطة الارتكاز في النظام التعليمي.

وعند وصول طلائع الاستعمار الفرنسي وجدوا هذه المؤسسات التعليمية، أعدت الحفظة والعلماء والمثقفين بالثقافة العربية الإسلامية، وقد أشاد جميع الأوروبيين بريادة هذه المؤسسات واعتماد المجتمع عليها في التربية والتعليم. فذكر (بارث) في رحلته وجود طبقة من المثقفين بالثقافة الإسلامية في جميع السلطنات الإسلامية حول بحيرة الشط تخرجوا من مؤسسات، تعليمية محلية في المنطقة[34].

وخلفه الرحالة (ناشنيجال) فذكر دور مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم في دار وداعة بالتحديد، وأشار إلى قوة الجماعة التي تخرجها في شؤون الدين والدنيا[35].

ودور هذه المؤسسات ظهر بشكل واضح أثناء الاحتكاك بالغزو الفرنسي المباشر حوالى سنة (1900م)، فقد وجد الفرنسيون المدارس القرآنية تقوم بدور التربية والتعليم في المنطقة. ورغم الصورة الصدامية التي واجه بها الفرنسيون هذه المؤسسات التعليمية، إلا أنهم أشادوا بدورها القوي في سحب الأطفال المسلمين من التعليم الفرنسي، فرفض المدرسة الفرنسية من قبل المسلمين، شكل العائق الثقافي الأول للفرنسيين في هذه البلاد.

وأفضل من عبّر عن هذه الصورة من المواجهة بين مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم، والمدرسة الفرنسية الدكتور/ عيسى حسن خيار في دراسته «رفض المدرسة الفرنسية» التي أعدّت ونشرت في فرنسا[36].

ولكن لماذا رفض المسلمون في تشاد التعليم الفرنسي الحديث؟ للإجابة عن مثل هذا التساؤل، هناك عدة محاولات، منها؛ ما يراه الأهالي في هذه المناطق من اختيارهم لنظام التعليم الذي يمكن أن يرسلوا أولادهم إليه، وكان اختيارهم لنظام التعليم القرآني، لأنه يقربهم من ربهم من ناحية، ويحفظ لهم أبناءهم من التنصير من ناحية أخرى، فإلى فترة قريبة ـ وربما إلى الآن ـ ينظر معظم المسلمين إلى التعليم الفرنسي بأنه «نصراني»، وهذا ما يفسّر وجود عدة خلاوي كبيرة في حارة من العاصمة أنجمينا وهي حارة رضينا تضم الخلوة الواحدة (350) تلميذاً وتلميذة، يدرسون فيها بالدوام الكامل، ويعني هذا انهم غير مسجلين في التعليم العام، بينما لا تبعد عنهم مدارس التعليم العام الفرنسي والعربي إلا مئات الأمتار، وحينما يستفسر من أولياء أمورهم يجزمون، أن النظام التعليمي الذي يوفره المسيح لأبنائهم افضل لحفظهم وحفظ دينهم.

❖ يستخدم المجتمع التشادي مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم للحفاظ على الدين الإسلامي ومقاومة ما يمثله التعليم الفرنسي.

فالمجتمع يستخدم مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم للحفاظ على الدين الإسلامي، ومقاومة ما يمثله التعليم الفرنسي. واعترافاً من الفرنسيين بدور مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم في اكتساب رضى المسلمين، وحجز التلاميذ بمحض إرادة أهلهم وذويهم عن المدرسة الفرنسية، شكل الفرنسيون ما يشبه المسيح في المدارس الفرنسية، وقاموا بتعيين معلمين تخرّجوا من مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم، وذلك من أجل استقطاب أولاد المسلمين إلى التعليم الفرنسي، وقد كانت سياسة ناجحة في بعض المناطق، فالطفل المسلم يرى الشيخ «الأستاذ» يدرس مثل

---

34. أيوب، محمد صلح أيوب: مجتمعات وسط إفريقيا بين الثقافة العربية والفرانكفونية منشورات مركز الدراسات الافريقية، سبها، 1992م، ص 40.

35. المرجع السابق ص 25.

36. Khayar Issa Hassan: Refuse de l'ecole, neuf, Paris, 1976.

الفرنسي «النصراني»، وبالتالي فهو في مأمن من التنصير أولاً، ثم يحفظ بعض تعاليم دينه من هذا الشيخ ثانياً.

وترافق مع هذه السياسة في التقرّب من الحفظة، اختيار أعداد من خريجي مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم، والاستفادة منهم في القضاء أيام الاستعمار الفرنسي، وقد ذكر الدكتور عيسى حسن خيار عدداً منهم في كتابه «الصفوة الوداوية»[37].

ولكن هذا الاعتراف الفرنسي لم يقلّل من دور مؤسسات تحفيظ القرآن في التعليم، بل ظل المسلمون يرسلون أولادهم إليها كمهاجرين من أجل التعليم، وظلوا يقيمونها في باديتهم وريفهم وحضرهم، باعتبارها النظام التربوي والتعليمي الذي يحفظ لهم أبناءهم من التنصير ويعلمهم أمور دينهم.

وبعد الاستقلال اعترف الرئيس الأول لتشاد، بالمدارس القرآنية باعتبارها أحد مكونات النظام التربوي في تشاد المستقلة، وأصدر مرسوماً رئاسياً بذلك، حدّد فيه بعض المدارس القرآنية الرسمية وأقرّ لها بمساعدات مادية سنوية[38].

وفي الوقت الحاضر هناك اعتراف من وزارة التربية الوطنية بما تقوم به مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم من محو الأمية لقطاع كبير من المسلمين.

ومن الملاحظ أن جميع هذه الاعترافات كانت نتيجة لقبول المواطنين للمسيح كمؤسسة للتربية والتعليم وإرسال أولادهم إليها، بشكل كلّي أو جزئي، وعدم قبولهم الدائم للمدرسة الفرنسية.

وهذا ما جعل قبول ثنائية النظام التربوي في تشاد عملية ضرورية، فالمسلمون في تشاد لا يقبلون إرسال أولادهم إلى المدرسة الفرنسية، والدولة ـ كانت ـ لا تريد أن تضم النظام التعليمي القرآني بالكامل لنظامها التربوي، ومرّ قرن كامل، والمسلمون مصرون على التمسك بنظامهم التعليمي القرآني، والتعليم العام منخفض في البلاد، والحل الآن هو القبول بوجود نظامين للتعليم والتربية في البلاد النظام الرسمي، والنظام العربي الإسلامي الأهلي الرسمي، وواضح أن النظام العربي الإسلامي هو تطوير منهجي فقط لمؤسسات تحفيظ القرآن الكريم، وإن كان قد تأثّر بالنظم التعليمية الحديثة في الأزهر والدول المجاورة.

❖ حينما امتحن المجتمع التشادي بالغزو الاستعماري الفرنسي لم يجد مثل مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم ملاذاً يحتمي به للحفاظ على هويته الإسلامية، خاصة بعد أن نفّذ المستعمر الفرنسي، سياسة القتل والتنكيل.

2 ـ حفظ الهوية الإسلامية

حينما امتحن المجتمع التشادي بالغزو الاستعماري الفرنسي لم يجد مثل مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم ملاذاً يحتمي به للحفاظ على هويته الإسلامية، خاصة بعد أن نفّذ المستعمر الفرنسي، سياسة القتل والتنكيل، فقتل عدداً من العلماء والمشائخ الذين تخرّجوا من المسيح وتوابعه، وحدّدوا بأن المقاومة الأساسية للثقافة الفرنسية تأتي من هذه المؤسسات، ففي موقعة واحدة في مملكة دار وداعة قتلوا أكثر من (400) عالم وشيخ بحجة أنهم أفتوا بضرورة مقاومة الاستعمار الفرنسي «النصراني»، وشمل التنكيل بالحفظة والعلماء الطرد من البلاد والنفي الاختياري، وقطع جميع وسائل الرزق التي كانت تقوم عليها هذه المؤسسات، من قبيل منع دفع الزكاة لهم ولمؤسساتهم.

ولكن هذه المعاملات من الفرنسيين زادت من قوة مواقف المشائخ والعلماء وأصحاب المسيح القرآني،

37. Arrêté N° 1096/F.G/E.N accodant des subentions aux ecoles coraniques sur le territoire de la Republique du Tchad, For - Lamy, le 19/04/1966.

38. Khayar Issa Hassan, Regęrd sur les elites ouaddaiennes, Paris, 1984.

فكتبوا الرسائل التي تحرض على مقاطعة الفرنسيين، وعدم تقليدهم والتشبّه بهم وعدم التعاون معهم[39].

ولهذا ظلت مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم والقائمين عليها، من اهم الوسائل التي استخدمها المجتمع التشادي للحفاظ على الهوية الإسلامية أيام الاستعمار الفرنسي، وظل يستخدمها في مواجهة التذويب الثقافي الفرنسي إلى اليوم[40].

وفي مؤتمر عن الهوية الشادية أقامته جامعة تشاد (سابقاً) عام 1991م تمّ إقرار هذه الوظيفة لمؤسسات تحفيظ القرآن الكريم، فتم الإقرار من قبل المشاركين في المؤتمر بأن المجتمع التشادي حافظ على هويته الخاصة، وأحد مكوناتها الأساسية الإسلام، بفعل الدور الهام الذي تقوم به مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم والمدارس الإسلامية التي قامت إمداداً لها[41].

3 ـ حفظ الأنفس والثروة والسلطة

من الوظائف الأساسية لمؤسسات تحفيظ القرآن الكريم في تشاد، اتجاه المجتمع لربط بين حفظ القرآن الكريم في عائلة معينة أو منطقة معينة، وحفظ الأنفس والثروة والسلطة، فالعائلة التي تخلو من حافظ للقرآن الكريم، ترى بأنها معرّضة للهلاك دنوياً وليس لها من أفرادها شفيع يوم القيامة، وهذا ما يوضح احتفاء جميع العائلات ـ تقريباً ـ بالحفاظ فيها، والافتخار بهم في المحافل والمواقف الاجتماعية المختلفة، وترتفع مكانة العائلات بارتفاع عدد الحفاظ فيها، ويتبع هذا الاتجاه، اتجاه آخر يركز على أهمية حفظ القرآن الكريم، وربط ذلك بحفظ الثروة، وهذا ما يفسّر إرسال البدو وأصحاب المواشي لأولادهم لحفظ القرآن الكريم، اعتقاداً منهم بأن ذلك يحفظ الثروة، وقد لاحظنا هذه الظاهرة لدى رجال الأعمال في المدينة، حيث يندر وجود منزل كبير لرجل أعمال مسلم يخلو من مسيج بارز لتحفيظ أفراد أسرته القرآن الكريم، أملاً منه في حفظ أموال وثروته دنوياً، بالإضافة إلى طلب النجاة من النار في الآخرة.

أما حفظ السلطة فقد ارتبط بحفظ القرآن خاصة أيام السلطنات الإسلامية منذ دخول الإسلام إلى هذه المناطق وإلى اليوم، وقد استشهدنا بعدد من المهرة أو الحفظة الذين ساهموا مساهمات فاعلة في الحفاظ على السلطة السياسية لدرجة أن الناس في بعض المناطق، وتقديراً لدور هؤلاء الحفظة أو العلماء في الحفاظ على النظام السياسي في المجتمع، قد اسندوا إليهم القيادة، وهم لها رافضون، كما حصل للشيخ عبد الكريم بن دامع في دار وداعة، والشيخ محمد الأمين الكانمي في كانم ـ برنوح.

ومجمل القول أن هذه الصورة المشرقة للحافظ لكتاب الله في هذه المناطق كانت وليدة لعوامل عديدة اجتماعية وسياسية جعلت العلماء بصفة عامة محط الأنظار، ولم يكونوا بمعزل عن الحياة الاجتماعية والمشاركة الفعالة في أحداثها الحاسمة، وربما مَثَّلَ العالم أو الحافظ في العديد من الفرص دور المحرك الأول لتلك الأحداث[42].

الخلاصة :

ومجمل القول ان كل ما قيل عن مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم في تشاد، يعتبر محاولة أولية لدراسة النظام التعليمي العربي الإسلامي، الذي حافظ عليه المجتمع التشادي، لأنه يقدم له خدمات تعليمية وثقافية واجتماعية وسياسية، زيادة على دوره العقدي في حفظ الدين الإسلامي في الصدور وفي الحياة اليومية للمسلم.

---

39. أيوب، د. محمد صالح: الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق السنوسي الترجمي في دار وداي، مرجع سبق ذكره ص 239.

40. أيوب، د. محمد صالح: جماعات التحديث الاجتماعي في وسط افريقيا، مطبعة المعرفة القاهرة، 1991م، ص ص 134ـ145.

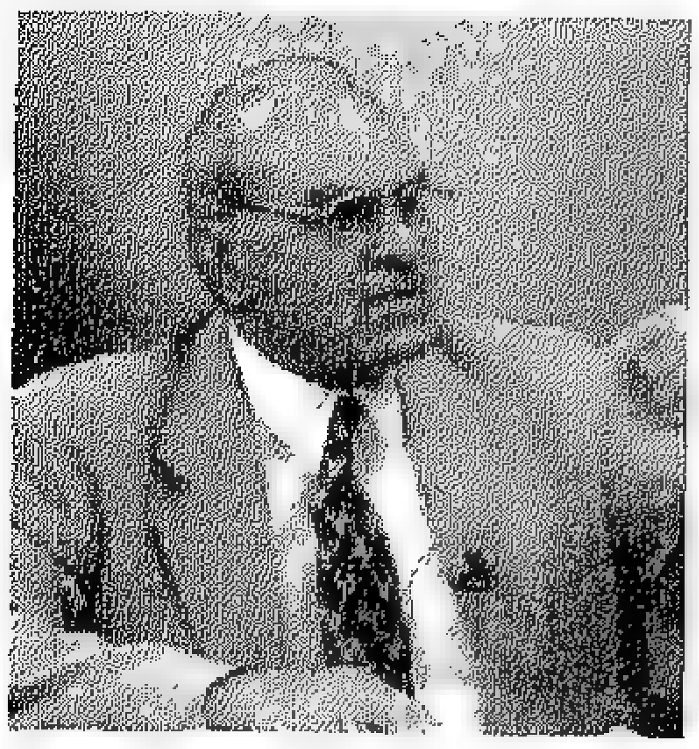
41. Conference sur l'indentité Tchadienne, N'Djaména, université du Tchad, 1991

42. شلبي، هند: القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري مرجع سبق ذكره، ص: 274ـ275.



* الآفاق المستقبلية للدعوة الإسلامية

الآفاق المستقبلية للدعـوة الإسلاميـة*



الدكتور محمد عمارة**

بسم الله الرحمن الرحيم وصلاة وسلاماً على سيدنا رسول الله ﷺ وعلى آله وصحابته أجمعين. أيها الأخوة الكرام والأبناء الأعزاء سلام الله عيكم ورحمته وبركاته.

عندما نتكلم عن الآفاق المستقبلية للدعوة الإسلامية أتصور أن الظرف الذي نعيشه واللحظات التي نمر بها تفرض علينا أولاً أن نحيي أرواح الشهداء الذين يكتبون بدمائهم في هذه اللحظات ـ على أرض العراق وفلسطين ـ وثيقة حتمية انتصار الدعوة الإسلامية في المستقبل إن شاء الله. هذه الحقيقة تطرح قضية تميزُ الدعوة الإسلامية، يعني في النصرانية ـ على سبيل المثال ـ قمة إقامة النصرانية أن تكون راهباً في مغارة أو في شِعْبٍ أو فوق جبل أي بعيداً عن الدنيا بعيداً عن الوطن بعيداً عن الدولة بعيداً عن السياسة بعيداً عن النظام، هذه هي قمة إقامة النصرانية. أما الإسلام والدعوة الإسلامية فيستحيل إقامة كامل الإسلام إلا في وطن وفي دولة وفي نظام، إلا في أمة. فالإسلام دين الجماعة، الإسلام كما جاءت فيه تكاليف فردية موجهة للفرد جاءت فيه تكاليف جماعية واجتماعية لا يمكن إقامتها إلا في جماعة ودولة ونظام، ولذلك فإنه دون وطن لا يمكن أن تقام شعائر الإسلام كاملة، بل حتى الفرائض الفردية في الإسلام عندما تقام في جماعة يكون ثوابها أكبر وأعظم، حتى الصيام ـ وهو عبادة سرية ـ نجده يوحِّد الأمة توحيداً شديداً في شهر رمضان.

إذن الإسلام لا بد له من وطن، لأن الوطن هو الوعاء الذي دونه لا يقام كامل الإسلام، ومن هنا فالذين يقدمون أرواحهم ودماءهم دفاعاً عن وطن العروبة ووطن الإسلام هؤلاء إنما يجاهدون في سبيل الوطن الذي هو وعاء الدعوة الإسلامية، ومن دونه لا يمكن أن تكون هناك حقيقة لدعوة إسلامية.

مقاصد الدعوة الإسلامية

النقطة الثانية هي أن للدعوة الإسلامية مقاصد، وهذه المقاصد ليست مجرد كتاب يُطبع، ولا مجرد خطبة تُقال، ولا مجرد محاضرة تُلقى. الدعوة

* محاضرة ألقيت في كلية الدعوة الإسلامية / طرابلس، بتاريخ: 13/14/1372 من وفاة الرسول ﷺ (2004 مسيحي)

** كاتب وباحث / مصر

الإسلامية لها ثلاثة عناصر تمثل مقاصدها المكتملة والمجتمعة: أولاً تبليغ الدعوة، ثانياً إقامة الحجة، ثالثاً إزالة الشبهة. يعني إذا بلّغنا الدعوة فقط ليس هذا هو كامل الدعوة الإسلامية، لأنه لا بدّ من إقامة الحجة على صدق هذه الدعوة الإسلامية، ثم إن إقامة الحجة مع تبليغ الدعوة لا يكفي، لأن هناك شبهات، والإسلام قام في مواجهة الشبهات وفي مواجهة التحديات، وأنتم عندما تقرأون القرآن الكريم تجدونه لا يترك صغيرة ولا كبيرة من الشبهات التي قالها الشرك وقالها النصارى واليهود إلا وردّ عليها، مهما كانت تفاهة هذه الشبهات

﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [سورة ص: الآية 5]

﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ...﴾ [سورة الجاثية: الآية 24]

﴿سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [سورة الذاريات: الآية 39]

﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الأنعام: الآية 25]

﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ [سورة البقرة: الآية111]

إلى آخر كل هذه الشبهات. إذن القرآن لا يترك الشبهات دون أن يرد عليها ويناقشها بالمنطق، الذين كانوا يصادرون ويصمّون آذانهم ويتجاهلون كانوا مشركين، يعني هم الذين كانوا يقولون:

﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾

[سورة فصلت: الآية 26]

يعني الذين يصادرون ويتجاهلون والذين يصمتون أمام الشبهات وأمام حجج القرآن الذي كان يقول لهم:

﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ [سورة البقرة: الآية111]

﴿هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ [سورة الأنعام: الآية 148]

إذن لا بد مع تبليغ الدعوة من إقامة الحجة، ولا بد من إزالة الشبهات التي تقال وتلقى أمام الدعوة الإسلامية والحجج الإسلامية. ونحن في هذا الواقع الذي نعيش فيه نشهد سيولاً من التهجم والافتراء على الدعوة الإسلامية وعلى الإسلام. وهذا هو الذي يطرح علينا في واقعنا المعاصر أن تكون لنا رؤية متميزة: كيف نبلغ الدعوة في واقع متغير كالذي نعيش فيه؟ كيف نقيم الحجة في مواجهة انساق فكرية وفلسفاتٍ كلُّها تتجمع الآن لتواجه الإسلام؟ وكيف نزيل هذه الشبهات التي تواجه الدعوة الإسلامية؟

فقه الأحكام وفقه الواقع

أنا أتصور أن هذا المدخل يطرح علينا قضية المعوقات التي تقف أمام الدعوة الإسلامية، لأن الفقه في العرف الإسلامي ليس فقط قراءة الكتب، وليس فقط الفهم لما في هذه الكتب، إنما الفقه الحقيقي هو فقه الأحكام وفقه الواقع، ثم عقد القران بين فقه الحكم وبين فقه الواقع، لأنه إذا الإسلام لا بدّ له من وطن ولا بدّ له من إجابات عن علامات الاستفهام التي يطرحها هذا الواقع؛ إذن لا بدّ من فقه الواقع. وأحب أن أشير هنا إلى أنه أصابنا نوع من الفصام النكد منذ الاحتكاك بالحضارة الغربية، منذ قرنين من الزمان على الأقل، بعزل التعليم الديني عن التعليم المدني، يعني أصبح لدينا خبراء في الواقع لا يفقهون الدين، وفقهاء في الدين ليس لديهم خبرة بالواقع، وهذا هو الذي جعل هذا الفصام يسود في ثقافتنا وفي مجتمعاتنا، بعبارة أخرى أصبح لدينا خبراء لا قلوب لهم، وفقهاء لا عقول لهم في بعض الأحيان، وهذه هي المشكلة التي يجب أن تعالجها الدعوة الإسلامية، أن تجمع بين فقه الحكم وبين فقه الواقع، يعني نحن على سبيل المثال عندنا في مصر مدينة البعوث الإسلامية، وأنا عندما دخلت هذه القاعة تذكرت بعض محاضراتي في مدينة البعوث الإسلامية، وكيف أنني كنت أمام هيئة أمم إسلامية، كما أنني الآن أمام هيئة أمم إسلامية في هذه القاعة، لأن الكلام عن

وحدة الأمة الإسلامية ليس شعارات تقال وإنما هو واقع، هو أن يجتمع المسلمون فيتعلمون فتتوحد مناهجهم ثم يعودون إلى بلادهم ليقيموا حكم الله وليقيموا شريعة الله ولينشروا دعوة الإسلام في هذه البلاد.

كثيرون منكم من أفريقيا وتعلمون أنها عاشت مرحلة عصيبة وعانت المشاكل، وأنا هنا أود أن أشير إلى أن تلك المشاكل هي التي أدّت إلى ما سمّي بتطوير الأزهر في ستينيات القرن العشرين، فعندما دخلت ثورة يوليو إلى أفريقيا وجدت المسلمين في أفريقيا في بلاد هم فيها أغلبية، لكنهم خافوا على أبنائهم من مدارس التنصير والتبشير، فقنعوا بالكتاتيب والخلاوي، والأقليات غير المسلمة دخلت هذه المدارس فتعلّمت فن الإدارة والسياسة والحكم، فأصبحت الأقليات تحكم البلاد التي أغلبيتها مسلمة، فنشأت عند ثورة يوليو فكرة تخريج راعية له خبرة بالطب وبالهندسة وبمختلف العلوم، وأنا سعدت كثيراً عندما حدّثني الدكتور عميد كلية الدعوة الإسلامية عن التدريب المهني الموجود هنا في هذه الكلية، لأننا نريد إذا كان الإسلام ديناً ودنيا ليس لدينا كهانة في الإسلام، وحتى كلمة رجل دين ليست موجودة في الإسلام، لدينا عالم دين، نريد عالم الدين أن يكون عالماً بالدين والدنيا، لأن هذا الدين يمثل منهاجاً شاملاً للدين والدنيا، للدنيا والآخرة، للفرد والمجموع، للذات وللآخر، للمجتمعات الدولية للعلاقات الدولية للمنظمات الدولية للعلاقات بين القوميات والألسنة واللغات، هذا منهاج شامل وهو منهاج خالد وخاتم لرسالات السماء.

إذن أنا أقول هذه الكلية التي تدرسون فيها والأساتذة الكبار والعظام الذين يدرّسون فيها هي تمثل بؤرة من البؤر التي تقوم على ثغرة من ثغور الإسلام، رباط... نحن في رباط على ثغرة من ثغور الإسلام، وكان شيخنا الغزالي عليه رحمة الله يقول نحن متبطون على ثغور الإسلام إلى أن يأذن الله بانتصار الإسلام.

في فقه الواقع الذي نعيش فيه لا بد أن نكون صرحاء فنقول إن بعض تيارات الفكر في بلادنا الإسلامية تتميز بالجمود والتقليد، وهذا الجمود والتقليد خطره كبير، لماذا؟ لأن الجمود والتقليد يعني أن يعيش الإنسان في القرن الواحد والعشرين بعقلية عصور التراجع الحضاري التي مرّت بها أمتنا، فيصبح عاجزاً عن تقديم الحلول والعلاجات الناجعة لواقعنا المعاصر، وإذا لم نقدم نحن البديل الإسلامي والحل الإسلامي فسيكون الحل جاهزاً ووارداً ومستورداً ليملأ هذا الفراغ. وأنا أقول لكم ليس في الدنيا من الناحية العلمية فراغ، هذا الكوب ليس فيه ماء ولكنه مملوء بالهواء، لأنه لا يمكن أن يكون فارغاً، إذا لم يكن مملوءاً بسائل ماء فلا بد أن يكون مملوءاً بالهواء. وقديماً كان الصوفية يقولون القلب كالإناء إن لم يملأه ماء الحكمة والمعرفة ملأه هواء الجهل والعصيان. إذن الجمود والتقليد الذي لا يقدم حلولاً عصرية مناسبة لواقعنا المتغيّر دائماً وأبداً، هؤلاء دون أن يدروا ـ ومع حسن نواياهم ـ يفتحون الأبواب لفراغ يملأه الآخر الجاهز ببضاعته، يعني الذين لم يقننوا فقه الشريعة الإسلامية أسهموا في دخول القوانين العلمانية والوضعية إلى بلادنا. وفي هذا السياق أودُّ أن أفيدكم بأنني بينما كنت بالأمس جالساً مع بعض الإخوة من الأساتذة هنا حكوا لي وحتى بعضهم أعطاني بعض الكتب عن جهود ليبية لعلماء ليبيين في تقنين فقه المذهب المالكي، يعني تحويل

> **❖ الدعوة الإسلامية لها ثلاثة عناصر تمثل مقاصدها المكتملة والمجتمعة: تبليغ الدعوة، وإقامة الحجة، وإزالة الشبهة.**

الفقه إلى مواد قانونية، لماذا؟ لأنه كان قديماً القاضي فقيه مجتهد موسوعي، كان يجلس ويحكم بناءً على فقهه واجتهاده، إنما القاضي الآن لا بدّ له من مواد قانونية يطبّقها.

القاضي أصبح مطبقاً للقانون وليس مبدعاً ومجتهداً في صياغة القانون. إذن هذه الجهود التي بذلت لتقنين فقه المذهب المالكي كانت تقدم حلاً إسلامياً ليقف أمام الوافد الغربي في القانون العلماني، ونحن في مصر شهدنا نفس الشيء، شهدنا أحد تلامذة رفاعة الطهطاوي وهو محمد قدري باشا قنّنَ فقه المذهب الحنفي كي يقف أمام قانون نابليون الذي جاءت به الغزوة الاستعمارية الغربية عندما جاء الاحتلال الانجليزي سنة 1882 مسيحي، إذن الجمود مسؤول ـ رغم حسن النوايا ـ عن إيجاد الفراغ الذي لن يظل فراغاً وإنما سيملأ بالوافد الأجنبي. أيضاً إذا كان عندنا تيار للجمود والتقليد مسؤول هذه المسؤولية؛ فعندنا أيضاً تيار منفلت، تيار متغرب، تيار يمثل امتداداً سرطانياً لا أقول لفكر الغرب وإنما لأمراض الغرب الفكرية. لا شك في أن هناك في الغرب أشياء عظيمة، والحضارة الغربية فيها جوانب عبقرية لا بد أن نتتلمذ عليها، لكن للأسف الشديد من يسمون بالحداثيين أو ما بعد الحداثيين هؤلاء يمثلون امتدادات سرطانية في الواقع العربي والإسلامي ممثلة في الأمراض الفكرية الغربية. أنتم الآن تقرأون عن من يسمى بالحداثيين، بينما الغرب تجاوز هذا، يعني هؤلاء سلفيون سلفهم انتهى في الغرب، وإنما الغرب الآن دخل فيما بعد الحداثة ويحطم المنظومات والأنساق الفكرية الحداثوية، وأصبح يدخل في اللاقدرية والعدمية والفوضوية، بناءً على هذه الافكار، أي أفكار ما بعد الحداثة أو ما فوق الحداثة كما يسمونها.



الوسطية الإسلامية

نحن نقول إن بين هذين التيارين اللذين يمثلان الغلو: غلو الإفراط وغلو التفريط، هنا تأتي الوسطية الإسلامية التي تنطلق من المنابع الجوهرية والنقية للإسلام، من الإسلام المعصوم، تلتزم بالإسلام المعصوم بالقرآن الكريم بالبلاغ القرآني وبصحيح السنّة أي البيان النبوي لهذا البلاغ القرآني، وتستهدي وتسترشد وتستفيد من مجمل تراث الأمة، فكر الأمة، دون أن تكون ملزمة بتقديس فكر علم من الأعلام أو مذهب من المذاهب. المعصوم هو الكتاب الوحي وصحيح السنّة، وما عدا ذلك هو تراث للأمة نحتضنه ونعتز به ونستفيد به وفيه من الغنى ومن الكنوز ما لا يفرط فيه إلا السفهاء الذين ورثوا كنوزاً لا يعرفون قيمتها، لكن دون تقديس لعصر أو مذهب أو شيخ... إلى آخره.

إذن هذا التيار الوسطي الذي يعود إلى المنابع الجوهرية لا ليهاجر إلى الماضي لأن الذين يحملون بصب الواقع الحالي والمستقبل في قوالب الماضي هؤلاء واهمون، هؤلاء ضد سنن الله في التغير وفي التطور وفي التقدم، وضد الدورات التي حددها رسول الله ﷺ باعتبارها الخط الذي يحكم سير التاريخ

وسير التقدم، لكننا نهتدي بالماضي دون أن نهاجر إلى الماضي، وإنما عيننا على الواقع، على فقه الواقع لإدراك علامات الاستفهام التي يطرحها هذا الواقع، لنجد لها الحلول الجديدة والمتجددة التي تنطلق من الأصول التراثية ومن الأصول والثوابت الإسلامية.

إذن أنا اقول نحن نعلق كل الآمال على المنهاج الوسطي المعتدل في الدعوة الإسلامية وفي مستقبل الدعوة الإسلامية، وأنا ألفت النظر إلى أن الآخرين الآن وبالذات في الغرب وفي الإعلام الغربي يلقون كل الأضواء على شذوذ شرائح محدودة العدد ومحدودة التأثير في الفكر الإسلامي وفي الواقع الإسلامي، ولا يلقون بالاً ولا ضوءاً على الجسم الأساسي للفكر الإسلامي، يعني أنا أضرب لكم بعض الأمثلة الواقعية، فمثلاً لو تتبعتم أغلب جهود الاستشراق ستجدونها متوجهة ومنصبة على الحركات الشاذة والمغالية والباطنية في التراث الإسلامي. فواحد مثل ماسينيون... ومثل الحلاج وما سوى الحلاّج، برنارد لويس... الإسماعيلية والباطنية وأمثالهم كثيرون، لا يدركون أن جسم الأمة ـ الكتلة الأساسية ـ التي تمثل أغلبية الأمة التي هي الوسطية الإسلامية، فهذه لا يلقون لها كثير بال. لماذا؟ لأنهم يريدون تركيز كل الأضواء على الشذوذ والاستثناء والأقليات من هذا القبيل، سعياً وراء فكر إظهار تراث المسلمين على أنه لا وحدة فيه ولا كيان يجمعه، وإنما هو عبارة عن شرذمات، يعني مثل ما يأتي برنارد لويس في الأربعينيات من القرن الماضي ويرسم مخططاً لتفتيت العالم الإسلامي أكثر مما هو مفتت، يريد أن يقترح أكثر من اثنين وثلاثين كياناً سياسياً جديداً، هذا غير ما صنع من كيانات على أسس عرقية وأسس دينية وأسس طائفية وأسس لغوية وثقافية، ويكتب منذ الأربعينيات أن هذا هو الضمان لأمن إسرائيل. وإذا قرأتم في مخططات الحركة الصهيونية ستجدون أن الذي يحدث الآن في العراق مكتوب منذ الأربعينيات، ومكتوب في محاضرة شارون في سنة 1981 مسيحي، ومكتوب في الاستراتيجية الصهيونية المنشورة في الثمانينات، ومنشور في ندوة عقدت عن الأقليات في إسرائيل في سنة اثنين وتسعين، كل هذا مخطط له منذ زمن، تقسيم العالم الإسلامي وتفتيته، لأنهم يريدون تحويله إلى فسيفساء كما يقولون وإلى برج ورقي كما يؤكدون ذلك بهذه الألفاظ التي يقولونها ويسوقونها. إذن الفكر الاستشراقي يركز على هذه الهوامش وعلى هذه الاستثناءات، وحتى في الوقت الحالي عندما تقرأون مثلاً بعض الأفكار الشاذة عند بعض الجماعات الإسلامية ـ مع أنها محدودة العدد ومحدودة التأثير ـ قد تكون مزعجة مثل الناقوس حجمه محدود لكن صوته مزعج. يقولون كيف؟ أي إسلام تريد؟ إسلام بن لادن أو إسلام الخميني؟ لكن لا أحد يتكلم عن الأفغاني ولا عن محمد عبده ولا عن رشيد رضا ولا عن مصطفى عبد الرازق ولا عن شلتوت ولا عن الشيخ الغزالي!! ولذلك أنا كثيراً ما كنت أتساءل حتى في بعض الفضائيات: من الذي جعل وزن الشيخ عمر عبد الرحمن في الإعلام العالمي أكبر من وزن الشيخ الغزالي؟؟ لأن هناك مخططاً لتسليط كل الضوء عن النتوءات الشاذة في الواقع الإسلامي وفي الفكر الإسلامي.

❖ الوسطية الإسلامية تنطلق من المنابع الجوهرية والنقية للإسلام، من الإسلام المعصوم، تلتزم بالإسلام المعصوم بالقرآن الكريم بالبلاغ القرآني وبصحيح السنّة أي البيان النبوي لهذا البلاغ القرآني، وتستهدي وتسترشد وتستفيد من مجمل تراث الأمة، فكر الأمة، دون أن تكون ملزمة بتقديس فكر علم من الأعلام أو مذهب من المذاهب

مدرسة الإحياء والتجديد

وتأسيساً على هذا فإن الدعوة الإسلامية لا بد أن تنطلق من مدرسة الإحياء والتجديد، المدرسة التي رجعت إلى المنابع والتي فقهت الواقع ونظرت إلى المستقبل، وأنا أقول لكم في الغرب كثير من الأذكياء والحكماء والعقلاء يحاربون الإسلام بوعي، ليس لأنهم يجهلون الإسلام والدعوة الإسلامية بل لأنهم يعرفون، يعني أنا قرأت كتاب ريتشارد نيكسون، ونيكسون ليس مجرد رئيس الولايات المتحدة وإنما هو مفكر استراتيجي، كتب كتاباً في الثمانينات هو (الفرصة السانحة) وهي الفرصة السانحة التي فعلها بوش بعد الحادي عشر من سبتمبر حيث أصبحت هناك فرصة سانحة للمخطط الأمريكي المكتوب منذ السبعينيات في القرن العشرين. ماذا قال نيكسون ضمن ما قال في هذا الكتاب؟ يقول العالم الإسلامي فيه ثلاثة تيارات: تيار قومي دكتاتوري رجعي، وتيار أصولي، لاحظوا هذه النقطة المهمة، فنحن كثيراً ما نقرأ في وسائل الإعلام نقلاً عن الإعلام الغربي، فكلمة (الأصولية) بالمعنى السلبي، الأصولية في الفكر النصراني الغربي معناها أهل الجمود والتقليد والرجعية والتخلف ومعاداة العقل ومعاداة العلم، والقراءة الحرفية للنص الديني، هذا هو معنى الأصولية في المسيحية الأصولية. أما عندنا فالأصولية ليست هكذا، الأصولية في تراثنا شرف نتعلق به، لأنه عندما نقول هذه الكلمة معناها عند الأصوليين، في المصطلح الأصولي الأصوليون هم علماء أصول الدين وعلماء أصول الفقه، وعلم أصول الدين وعلم أصول الفقه هو الإبداع العقلاني للأمة الإسلامية، يعني فلسفتنا وعقلانيتنا وتقدمنا واستنارتنا في علم أصول الفقه وفي علم أصول الدين.

التجديد الإسلامي والحداثة الغربية

وقبل أن نعرج على التيار الثالث الذي تحدث عنه نيكسون هناك تعريف أود أن نتأمله لأنه تعريف ذكي وواقعي وحقيقي ودقيق، يقول هم الذين يريدون بعث الحضارة الإسلامية وتطبيق الشريعة الإسلامية وجعل الإسلام ديناً ودولة، وهم وإن نظروا إلى الماضي فعينهم على المستقبل، فهم ليسوا محافظين وإنما هم ثوار. هذا تعريف نيكسون، وأنا بودي أن العلمانيين في بلادنا والمتغربين يقرؤون هذا الكلام، ويعرفون الوعي بحقيقة الأصولية في مصطلحنا الإسلامي.

التيار الثالث الذي تكلم عنه نيكسون، أولاً قال بالنسبة للأصولية، وكان هذا الكلام في ثمانينيات القرن الماضي قبل سقوط الاتحاد السوفييتي، حيث دعا إلى اتحاد أمريكا وأوروبا والاتحاد السوفييتي لمواجهة هذه الأصولية. أما التيار الثالث الذي دعا إلى دعمه فقال هو التيار العلماني ونموذجه تركيا الأتاتوركية التي تسعى لربط العالم الإسلامي بالمركز الغربي المتحضر.

❖ الجهود التي بذلت لتقنين فقه المذهب المالكي كانت تقدم حلاً إسلامياً ليقف أمام الوافد الغربي في القانون العلماني

إذن هذا هو التقسيم، ولذلك نحن الآن عندما نتكلم عن الآفاق المستقبلية للدعوة الإسلامية نتكلم عن الدعوة الوسطية، الدعوة التي تنطلق من أصول الإسلام ومن جوهر الإسلام ومنابعه وتفقه الواقع وترى هذا الواقع وتقدّم حلولاً للمشكلات التي تقف أمام الدعوة الإسلامية. إذا كنا تحدثنا عن أهل الجمود والتقليد وأهل التغريب والاستلاب الحضاري؛ فأنا أرى أن الدعوة الإسلامية تحتاج الآن إلى منهاج تجديدي كي تفقه الواقع الذي نعيش فيه، وكي تفقه العالم الذي نعيش فيه، وكي تفقه العقول التي يجب أن تتوجه إليها، وكي تستطيع أن ترد على الشبهات التي توجه إلى هذه الدعوة الإسلامية.

نحن ندعو إلى التجديد، وأنا أقول إن طوق نجاة الدعوة الإسلامية في التجديد، لكن لا بد أن نميز ونضبط معنى هذا التجديد. لقد زارني وفد من أندونيسيا يطلبون مني بعض كتبي لترجمتها لكي يردوا بها على التيار العلماني في أندونيسيا، وبعدها لاحظت ـ وأنا أتحدث إليهم وأتكلم عن التجديد ـ أنني كلما أوردتُ كلمة التجديد كنتُ أشعر بأنهم يستريبون، فاستفسرت منهم، وحينها، ومن خلال إجاباتهم ـ أدركت أن التغريب في أندونيسيا والعلمانية يقدم نفسه تحت عنوان التجديد، ولذلك عندما نتحدث عن التجديد لا بد أن نضبط موضوع التجديد، وأنا في بعض ما كتبت كتبت دراسة في كتيب صغير عن مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية. وقد أشرت إلى أن بعض مثقفينا المتغربين زيّفوا علينا مصطلح الحداثة، وكثيرون منا يرددون ـ ببراءة ـ كلمة الحداثة كما وأنها هي التجديد، أو كما لو كانت هي التقدم، ولكن أنا في بعض ما نشرت، نشرت ثلاثة محاضرات للدكتور خاتمي رئيس جمهورية إيران، وقمت بكتابة مقدمة لها ونشرناها في سلسلة التنوير الإسلامي في القاهرة، عنوان المحاضرات الثلاثة (الدين والتراث والحرية والتنمية والحداثة) وخاتمي يعرف الحداثة تعريفاً دقيقاً كما هو تعريفها عند أهلها وليس عند المتغربين في بلادنا الذين يزيفون علينا مضمونها، الحداثة أصبحت ديناً وضعياً غربياً أحلوه محل الدين المسيحي، وأنا نشرت أيضاً دراسة لقسيس ألماني وهو عالم اجتماعي التقينا سوريا في حوار إسلامي مسيحي في مجمع بحوث الحضارة الإسلامية بالأردن، وقدّم بحثاً عن: ماذا صنعت العلمانية بالمسيحية؟ وكيف أن العلمانية هزمت المسيحية في أوروبا، ثم عجزت العلمانية عن الإجابة عن أسئلة الإنسان، فغدت أوروبا فراغاً لا هي مسيحية ولا العلمانية ملأت الفراغ، فدخلت كل العقائد والديانات بما في ذلك الإسلام إلى أوروبا. ويقول إن الحداثة هي الدين الوضعي الذي يعتمد فقط على العقل وعلى التجربة ويترك الغيب ويترك الدين، وأن هذا الدين الحداثوي أصبح عاجزاً عن تلبية احتياجات الإنسان.

❖ إذا قرأتم مخططات الحركة الصهيونية ستجدون أن الذي يحدث الآن في العراق مكتوب منذ الأربعينيات، ومكتوب في محاضرة شارون في سنة 1981 مسيحي، ومكتوب في الاستراتيجية الصهيونية المنشورة في الثمانينيات، ومنشور في ندوة عقدت عن الأقليات في إسرائيل في سنة اثنين وتسعين، كل هذا مخطط له منذ زمن، تقسيم العالم الإسلامي وتفتيته.

أنا أقول: الحداثة هي الفكر والثقافة التي تقيم قطيعة معرفية كبرى مع الموروث، ومع الموروث الديني على وجه الخصوص. إذن الحداثة ليست التجديد، إنما التجديد هو الذي يستصحب الثوابت ويجدد في التفاصيل وفي الجزئيات وفي المتغيرات.

ميزة الإسلام أنه في الأمور العبادية (التعبدية) وفي الأمور الغيبية وفي الأمور المتعلقة بالفطرة والثوابت التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان فصّل الأحكام، أما فيما يتعلق بالمعاملات وبالسياسات وبالواقع المتطور والمتغير دائماً وأبداً؛ فقد وقف الإسلام عند الكليات، عند فلسفة التشريع وليس تفاصيل التشريع، عند كليات التشريع وليس جزئيات التشريع، لماذا؟ لأنه في الشرائع السابقة على شريعة رسولنا ﷺ كانت الشرائع تأتي بالتفاصيل، وعندما يتطور الواقع وتصبح هناك فجوة بين الواقع الذي تطور وتغير وبين تفاصيل الشريعة يأتي رسول جديد بشريعة جديدة، وعندما أراد الله سبحانه وتعالى ـ وقد بلغت الإنسانية سن الرشد ـ خَتَمَ رسالات السماء إلى الأرض جاء

بشريعة لها ميزة خاصة، شريعة لا تأتي بتفاصيل التشريع وإلا تكرر الذي حدث قديماً أن تصبح هناك فجوة بين الواقع المتغير والمتطور أبداً وبين هذه الشريعة المفصلة، جاء بشريعة فيها كليات، ولذلك تجدون في الشريعة الإسلامية وفي الفقه الإسلامي قواعد الفقه أكثر من أحكام الفقه، تجدون كليات التشريع فلسفات التشريع أكثر من الجزئيات، حيث تُركت التفاصيل والجزئيات والتطور والتغير ومواكبة المستجدات والمتغيرات للفقه الإسلامي الذي هو علم الفروع.

التجديد سنّة من سنن الله

إذن عندنا شريعة ثابتة هي وضع إلهي ثابت، وعندنا فقه متطور ومتجدد ومتغيّر دائماً وأبداً كي يواكب المستجدات، ومن هنا التجديد سنّة من سنن الله كما قال رسول الله ﷺ: يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمر دينها. الشريعة مثل الشجرة ثابتة، وكلما استجد جديد يخرج فرع أو أوراق من الشجرة تظلل هذا الجديد، وهي تستمد الروح من مقاصد الشريعة من جذر الشجرة، من جذع الشجرة. إذن هذا هو الذي يجعل الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، ودون التجديد لا يمكن أن تكون الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، حتى الحديث النبوي إذا تأملتموه.. علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل. فأنبياء بني إسرائيل كانوا كلما تجاوز الواقع شريعة نبي يأتي نبي جديد بشريعة جديدة. والآن وقد ختمت الشريعة وختم الوحي فيبقى أن العلماء هم الذين يمارسون هذا التجديد، التجديد الذي كان يمارسه أنبياء بني إسرائيل هو التجديد الذي يمارسه علماء هذه الأمة في ظل الشريعة الواحدة التي فيها كليات التشريع.

إذن أقول التجديد سنّة من سنن الله في هذا الدين وليس مجرد خيار فكري، ولا حقاً من حقوق العقل المسلم، وإنما هو سنّة من سنن الله التي لا تبديل لها ولا تحويل. وعندما يتحدث الحديث النبوي على أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة... إلخ، فأنتم تعرفون أن الأعداد في النصوص القرآنية والنبوية لا تراد لحرّفيتها لمعناها الحرفي، يعني ليست القضية مئة سنة، وليس بالضرورة أن يكون المجدد أو العالم شخصاً واحداً، بل قد يكون تياراً فكرياً، قد يكون دعوة، قد يكون مدرسة، قد يكون مؤسسة علمية... إلى آخره، لن المهم أن سنة التجديد قائمة ودائمة ومستمرة.

> **❖ الفقه في العرف الإسلامي ليس فقط قراءة الكتب، وليس فقط الفهم لما في هذه الكتب، إنما الفقه الحقيقي هو فقه الأحكام وفقه الواقع، ثم عقد القِران بين فقه الحكم وبين فقه الواقع.**

من هنا ندرك أن التجديد ليس هو الحداثة، التجديد ليس هو إقامة القطيعة المعرفية ـ كما هو حال الحداثة ـ مع الموروث الديني على وجه الخصوص، وإنما التجديد هو استصحاب الثوابت. بل أنا أقول لكم إن بعض الناس يخاف من التجديد، يقول لك التجديد في الدين؟؟ وهو متصور أن التجديد تغيير، لا.. هذا استصحاب الثوابت والتجديد في المتغيرات، والرسول ﷺ في أحاديثه يشجعنا على الجرأة الفكرية.

قد يظن البعض أن هناك تفاصيل في الجزئيات فقط، لا... ليس هذا فقط، بل هناك تجديد حتى في الأصول، كيف؟

الرسول ﷺ يقول: جدّدوا إيمانكم، هل هناك أصل أعظم من الإيمان؟ هذا هو جوهر الدين، قالوا كيف نجدد إيماننا يا رسول الله؟ قال أكثروا من لا إله إلا الله. لماذا؟ لأن لا إله إلا الله ثورة تحرير ضد كل الطواغيت

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ...﴾ [سورة البقرة:الآية 256]

عملة ذات وجهين: تكفر بكل الطواغيت وتؤمن بالله، ولكن بعض الناس من النصارى وغيرهم يقولون: أنتم لماذا تسموننا كفرة؟ أنا لي كتاب اسمه (الإسلام الآخر) ناقشت فيه هذه القضية، قلت أولاً هم ماذا يسموننا؟ هل يسموننا مؤمنين؟ القضية ليست هكذا، كل واحد فينا كافر ومؤمن في نفس الوقت، كافر بشيء ومؤمن بنقيض هذا الشيء، يعني أنا مؤمن بأن عيسى عبد الله ورسوله وكافر بأن عيسى ابن الله، والمسيحي مؤمن بأن عيسى ابن الله وكافر بأن عيسى رسول الله وعبد الله، كل واحد فينا مؤمن وكافر في نفس الوقت. أنظر إلى الآية القرآنية:

*** الإرادة أهم سلاح، والهزيمة النفسية هي العدو الأول.**

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [سورة البقرة: الآية 256]

يعني كافر ومؤمن في نفس الوقت، الكفر هو الجحود بالإسلام، هل هناك يهودي يقول أنا مؤمن بالاسلام؟

وإذا كان جاحداً بالإسلام ماذا تسميه؟ الكفر هو الجحود، يعني أقول ليس عيباً أن الإنسان منا يكون كافراً ومؤمناً في نفس الوقت، مثل النصراني كافر ومؤمن في نفس الوقت، واليهودي كافر ومؤمن في نفس الوقت، والماركسي مؤمن بالماركسية وكافر بالليبرالية والليبرالي مؤمن بالليبرالية وكافر بالماركسية. هذا شيء بديهي، ولذلك فإن الناس أحياناً يفتعلون قضايا ويتصورون أنهم يضعوننا في خانة ضيقة مثلما يقولون ويحرجوننا، بينما المنطق لا بد أن يرد على مثل هذه الأمور.

التجديد..
طوق نجاة الدعوة الإسلامية

إذن أنا أقول الرسول ﷺ عندما يجعل حتى الأصول فيها تجديد فإن هذا يشجعنا على أن الدعوة الإسلامية لا بد أن تنتهج منهاج التجديد، التجديد أحياناً يكون بإزالة البدع والخرافات عن الأصول. يعني أنت لو لديك سيف علاه الصدأ فلم يعد صالحاً للاستعمال فإن تجديد السيف تهذيب السيف تسقيف السيف ـ كما هو الحال في العربية ـ أن تزيل عنه الصدأ فيعود إلى مضائه وفاعليته من جديد، ولذلك حتى العقائد الإسلامية حتى الأصول الإسلامية إذا علاها الغبار، غبار البدع والخرافات والزوائد والنواقص، فإن لها أيضاً تجديد، ليس بمعنى أننا نغير ونأتي بدين غير دين الإسلام ولا بأصول غير أصول الإسلام وإنما نكشف عن جوهرها عن حقيقتها ليعود لها مضاؤها وفعلها وفعاليتها من جديد. إذن أنا أقول طوق نجاة الدعوة الإسلامية هو التجديد، هذا هو المنهاج الوسطي الإسلامي الحقيقي، وأنتم تعرفون أن الوسطية جعل إلهي، يعني هي ليست مجرد اختيار أنك تبقى وسطياً أو غير وسطي:

﴿جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [سورة البقرة: الآية 143]

والوسط هو الخيار وهو العدل، وحديث رسول الله ﷺ يقول: الوسط العدل جعلناكم أمة وسطاً. هذا التجديد كما قلت هو طوق نجاة للدعوة الإسلامية وعلى أساسه يتحدد مستقبل العمل الدعوي والآفاق المستقبلية للدعوة الإسلامية.

ونحن نشهد في فكرنا وفي عالمنا الإسلامي الحديث كيف أن حضارتنا مرّت بعصور تراجع، وكيف أن التغريب جاء ليستفيد من هذا التراجع ومن هذا الجمود والتقليد، وأنتم تعلمون أن الشيخ حسن العطار

الذي تولى مشيخة الأزهر في أوائل عصر محمد علي في القرن التاسع عشر عندما احتك بعلماء الحملة الفرنسية، ووجد الفجوة الواسعة بين عملنا الدنيوي وبين العلم الوافد من الثورة الصناعية والنهضة الغربية، لأنكم تعلمون أن الأزهر أول ما نشأ كانت تدرس فيه جميع العلوم، حتى الطب والتشريح والهندسة والرياضيات والفلك والموسيقى كانت تدرس في الأزهر، لكن جاء حين من الدهر في التراجع الحضاري تخلفت هذه العلوم ولم يبقَ إلا العلوم الشرعية، وبقيت في شكل من والحواشي وحواشي الحواشي والتهميشات... إلخ، فالشيخ العطار قال كلمة عندما احتك بعلماء الحملة الفرنسية أنا اعتبرها هي الإيذان والأذان بعصر جديد ويفتح باب الاجتهاد والتجديد، قال: إن بلادنا لا بد أن تتغير ويتجدد فيها من العلوم والمعارف ما ليس فيها. وهذا الشيخ هو الذي عَلَّمَ رفاعة الطهطاوي ورشحه إلى باريس وأوصاه بأن يكتب عن تجربته في كتاب تخليص الإبريز، ثم بدأ بعد الطهطاوي يأتي الافغاني ومحمد عبده وهذه السلسلة الذهبية من المجددين.

أنا دائماً أنصح كل دارس للإسلام بأن يكون فكر هذه المدرسة خلفيته الفكرية، نحن لا نريد أن نكون صورة كربونية من هؤلاء، إنما نريد أن نكون امتداداً متطوراً لهذه المدرسة مدرسة التجديد.

❖ الحداثة ليست التجديد، إنما التجديد هو الذي يستصحب الثوابت ويجدد في التفصيل وفي الجزئيات وفي المتغيرات.

ليست زلة لسان

القضية الثانية بعد قضية التجديد هي قضية فقه الواقع، وعندما نكون نتحدث عن الدعوة الإسلامية ستجد أننا لا نتحدث عن واقعنا في داخل بلادنا الإسلامية فقط، إنما لا بد أن نتحدث عن التحدث الغربي الذي يواجه الدعوة الإسلامية، وأنتم الآن تقرؤون وتشاهدون في الفضائيات وبالسلاح كل هذه المواجهة مع الدعوة الإسلامية، ومنذ أيام لعلكم تابعتم وسمعتم بأن العراقيين كانوا قد قبضوا على سبعة أو ثمانية من الكوريين الذين ذهبوا ليبشّروا بالنصرانية في عاصمة الرشيد وفي عاصمة أبي حنيفة النعمان. إذن أليس هذا تحدياً أمام الدعوة الإسلامية؟ ويقولون إن هذه ليست حرباً صليبية وليست حرباً دينية. صحيفة النيوز ويك كتبت والنيويورك تايمز كتبت أنه يوجد ثمانمائة مبشّر ومنصر من اليمين الديني في أمريكا منهم بات روبرتسون الذي هو الأب الروحي لبوش كانوا موجودين مع القوات الأمريكية في الكويت يستعدون لدخول العراق قبل عام من غزو العراق، وأحدهم صرّح، وهذا الكلام منشور في الجرائد الأمريكية، قال: نحن نعلم أن أغلبية العراقيين 97٪ مسلمون، لكن على الناس أن تعرف أن المسيحية في العراق سابقة على الإسلام؟

عندما قال بوش إنها حرب صليبية جاء بعض المثقفين المخترقين وقالوا إن هذه زلة لسان. هنا أنا أقول لكم تعليم إذاعة الفاتيكان، رئيس إذاعة الفاتيكان (بسكوالي برجوميو) هذا المدير للإذاعة التي تذيع بتسع وثلاثين لغة من الفاتيكان، ماذا قال عن حملة بوش على العراق؟ يقول في الوقت الذي يدعو الفاتيكان إلى التعقل ويشجع العمل الدبلوماسي ويدافع عن الحق الدولي نرى في الجانب الآخر قوة عظمى تقودها إدارة خوّلت إلى نفسها مهمة إنقاذية واتخذت نهجاً ومواقف صليبية. نحن عندنا في مصر الأنبا يوحنا قلته نائب البطريرك الكاثوليكي في مصر وصف الحملة على العراق بأنها حملة صليبية، وأن بوش يعني هذا. هذا فضلاً عن أن كثيراً من

التصريحات خرجت أثناء الأزمة العراقية مثل بلير يقول إنها حرب المدنية والحضارة على البربرية، برلسكوني يقول إن الغرب سيواصل تعميم حضارته وفرض نفسه على الشعوب، جوزيف ليبرمان الذي كان مرشحاً للرئاسة الأمريكية يقول إنه لا حل مع الدول العربية والإسلامية إلا أن تفرض عليها أمريكا القيم والنظم والسياسات التي نراها ضرورية، فالشعارات التي أعلنتها أمريكا عند استقلالها لا تنتهي عند الحدود الأمريكية فقط بل تتعداها إلى الدول الأخرى. جون أشكروفت وزير العدل الأمريكي يقول إن المسيحية دين أرسل الرب فيه ابنه ليموت من أجل الناس أما الإسلام فهو دين يطلب الله فيه من الشخص إرسال ابنه ليموت من أجل هذا الإله. الجنرال بويكين نائب وزير الدفاع الأمريكي يقود الآن في العراق فرقة اغتيالات درّبتها الصهيونية، نُشر له بالصوت والصورة وهو بزيّه العسكري يطُبُّ الكنائس ويهاجم الإسلام ويقول بالحرف الواحد إن إلهنا أكبر من إلههم، إن إلهنا إله حقيقي وإن إله المسلمين صنم، وإنهم يكرهون الولايات المتحدة لأنها أمة مسيحية يهودية، وحربنا معهم هي حرب على الشيطان، وإن الإسلام دين شيطاني وشرير، ومحمد هو الشيطان نفسه.

ورفض بوش الاعتذار عن هذا الكلام، ورفض رامسفيلد الاعتذار عن هذا الكلام احتجاجاً بالحرية وأنه حر في أن يقول ما يقول. الأب الروحي لبوش يقول إن الدين الإسلامي دعا إلى العنف وإن أمريكا في حاجة إلى إنذار ضد خطر المسلمين الذين يكرهون أمريكا ويحاولون تدمير إسرائيل. برنارد لويس يقول إن النظام الأخلاقي الذي يستند إليه الإسلام مختلف عن ما هو في الحضارة اليهودية المسيحية، وآيات القرآن تصدِّق على ممارسة العنف ضد غير المسلمين. تاتشر تقول إنهم يرفضون القيم الغربية. يعني هم لا يريدون السياسات فقط وإنما يريدون القيم، وتتعارض مصالحهم مع مصالح الغرب ويجب أن يعاملهم الغرب كما عامل الشيوعية. توماس فريدمان الصحافي اليهودي الصهيوني الأمريكي يقول عند ضرب أفغانستان: إن الحرب الحقيقية في المنطقة الإسلامية هي في المدارس، لذلك يجب أن نفرغ من حملتنا العسكرية بسرعة لنعود مسلحين بالكتب لينموا جيل جديد يقبل سياساتنا كما يقبل شطائرنا، وإلى أن يحدث هذا لن نجد أصدقاء في هذه المنطقة. فوكوياما في عدد النيوز ويك السنوي الكانون (ديسمبر) 2001 النوار (فبراير) 2002 يقول نريد حرباً داخل الإسلام حتى يقبل الإسلام الحداثة الغربية والعلمانية الغربية والمبدأ المسيحي فصل الدين عن الدولة، فالإسلام هو الحضارة الرئيسية الوحيدة في العالم التي لديها بعض المشاكل الأساسية مع الحداثة، وهو يرفض لا السياسات الغربية فحسب وإنما المبدأ الأكثر أساسية للحداثة العلمانية نفسها، وإن الصراع الحالي ليس ببساطة معركة ضد الإرهاب، وليس سببه السياسة الأمريكية في فلسطين والعراق، وإنما هو الصراع ضد العقيدة الإسلامية، الأصولية التي تقف ضد الحداثة الغربية، إنه تحدي أيديولوجي أكثر حساسية في بعض جوانبه من الخطر الشيوعي.

❖ الدعوة الإسلامية تحتاج الآن إلى منهاج تجديدي كي تفقه الواقع الذي نعيش فيه، وكي تفقه العالم الذي نعيش فيه، وكي تفقه العقول التي يجب أن تتوجه إليها، وكي تستطيع أن ترد على الشبهات التي توجه إلى هذه الدعوة الإسلامية.

أنا لا أريد أن أسترسل كثيراً في هذه القراءات لهذه النصوص، وقد كتبت دراسة عن الهجمة الأمريكية على الإسلام وأتيت بكل هذه النصوص في

كتاب (في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام) لكن أريد أن أقول إن هذا تحدي، فنحن أمام تحدي يعلن الآن حرباً دموية ضد الإسلام، وتقام فضائيات وتصدر كتب، وأريد أن أقول لكم إن المتغربين في بلادنا طابور خامس لهذا. وأنا معي قصاصات ورق كنت في زيارة لقطر منذ أيام فوجدت الدكتور علي حرب وهذا من أساتذة ما بعد الحداثة في الجامعة اللبنانية، كتب مقالاً عن نصر أبو زيد يقول فيه بالنص: إن نصر أبو زيد حاول تنقية الإسلام من الأوهام، وهذا أكبر وهم لأن مبنى الديني إنما هو على الوهم. على حرب هذا كتب في جريدة الحياة يصف مشروع محمد أركون بالقول: إن الحداثة عند محمد أركون هي تحرير العقل الإنساني من إمبريالية الذات الإلهية. وهنا أود أن ألفت نظركم إلى أن أدعياء الحداثة والتغريب في بلادنا هم امتداد سرطاني لهذه الحملة الموجهة على الإسلام، ولذلك هم ينكرون أن هناك حملة على الإسلام، لأن موقعهم موجود في هذه الحملة على الإسلام.

*** الدعوة الإسلامية لا بد أن تنطلق من مدرسة الاحياء والتجديد، المدرسة التي رجعت إلى المنابع والتي فقهت الواقع ونظرت إلى المستقبل**

ماذا نصنع أمام هذه الحملة؟

طبعاً بعض الناس يصيبهم اليأس، وأنا أقول لكم إن أخطر التحديات التي تواجهها الدعوة الإسلامية هي الهزيمة النفسية، لأنك لو امتلكت كل ما على الأرض من طاقات مادية وأسلحة وهُزمت نفسياً ستتحول هذه الأسلحة إلى صفر، بينما إذا امتلكت الإرادة يصبح كل واحد فيكم أحمد ياسين، يصبح كل واحد فيكم بطلاً من أبطال الفلوجة والعراق، ماذا يملك أحمد ياسين؟ في سنة 1952 وهو طالب في الثانوي كان مشلولاً، وكان يثير السخرية دائماً عندما يسير في شوارع غزة لأن رجله دائماً تضرب في التراب تقوم مثل مدراة القمح، وحتى عندما أخذ الثانوية لم يستطع الذهاب إلى مصر حتى يتعلم في الجامعات، فليست لديه صحة تساعده، وليس لديه مال يمكّنه من الذهاب، فتقدم من أجل أن يعمل مدرساً للغة العربية والتربية الإسلامية، عندما امتحنوه كان متفوقاً، ولكن الذين امتحنوه كانوا قد كتبوا أمام اسمه (أعرج) وكانوا يريدون أن يحرموه من وظيفة مدرس، والذي أنقذه أن المدير الذي عُرضت عليه أوراق أحمد ياسين كان عنده ابن اعرج، فاستفزته هذه الكلمة وعيّنه مدرساً، والرجل كانت أسرته من أغنياء فلسطين، في البلاد التي ولد فيها، ولكنه هُجِّرَ وذهب هو وإخوته السبعة وأمّه وقاموا بعمل خص من القش في غزة وسكنوا فيه، وقد ترك العمل مدة سنة وعمل في مطعم من أجل أن يطعم العائلة، ولما تعين كان قد تعيّن بعشرة جنيهات مصرية شهرياً، وكان يعول بها أسرته، ولكن هذا الرجل كانت عينه على أبي الشهداء عز الدين القسام في فلسطين وأنتم تعرفون أن القسام استشهد في نوفمبر عام 1935، وأحمد ياسين ولد في 30 يوليو 1936، يعني الفرق ستة أشهر، الشيخ أحمد ياسين حول اسم القسام إلى صواريخ وإلى قذائف، وكان وهو الضعيف المستضعف تعذّبه إسرائيل، كانوا يعذبونه وقد فقد عينه من التعذيب، وأصبح لا همّ لديه إلا دوام التفكير، واللسان، وقدر من الإحساس في يده مكّنه من أن يمسك القلم بصعوبة، ومرّة حكموا عليه بثلاثة عشر عاماً، ومرّة حكموا عليه بالسجن مدى الحياة، وخمسة عشر عاماً فوق مدى الحياة، لكنه صنع هذا الذي يقض مضاجع القوى العظمى والآلات الحربية.

لذلك أنا أقول إن الإرادة أهم سلاح، والهزيمة النفسية هي العدو الأول، هي التي تحول كل إمكانات

الأمة إلى صفر. هذه الأمة مليار ونصف المليار تعيش في وطن مساحته خمسة وثلاثون مليون كيلومتر مربع، بينما الصين تسعة ملايين كيلومتر مربع، تمتلك من الثروات ما يجعلها العالم الأول في كثير من الميادين الاقتصادية، فيها أطول أنهار الدنيا، فيها أقدم فلاح علّم الدنيا فن الزراعة، في بلد واحد مثل السودان أكثر من مائتي مليون فدان، بينما في مصر سبعة وسبعين مليون يعيشون على خمسة ملايين فدان، من الممكن أن يصبح السودان وحده سلة غذاء للعالم الإسلامي. يعني أنا أقول أن الأمة عندها إمكانات لكن نقص الإرادة والإدارة (كلمتان) إرادة وإدارة ترتب البيت وتعظم الأوراق والإمكانات.

نحن نتحدث عن الأمة، وأرى أننا يجب أن لا نلقي بالأ لكثير من الأمور التي تعرقل مسيرنا، نحن شباب هذه الأمة وعلماؤها ومفكروها ومثقفوها نحن نرابط على ثغور الأمة، ونحن سنسأل عما صنعنا، ولن نستطيع القول أن آباءنا وطغاتنا وكبراءنا وسادتنا أضلونا السبيل، لا... هذا لن ينفعنا، ولذلك أنا أقول تجديد مواجهة التحديات وفقه الواقع الذي نعيش فيه حتى ننطلق من فكر الإحياء وفكر التجديد، هذا هو سبيل الدعوة الإسلامية لتقتحم هذا العالم الذي نعيش فيه.

وآخر نقطة أود الحديث فيها هي كيف تخاطب الدعوة الإسلامية الآخر في العالم المعاصر والآخر حتى في بلادنا؟ الآن أنا أتحدث أمامكم ولو أقول لكم قال الله أو قلت قال الرسول ﷺ لاستمعتم إلي بكل جوارحكم، فنحن المسلمين عندما نتحدث مع بعض نحسن الأشياء بقال الله وقال الرسول، لكن لو أن الدعوة الإسلامية تخاطب أشخاصاً غير مؤمنين بقال الله أو قال الرسول، هنا تجد عملة صعبة في الفكر، مثلاً لو أنت تكون مسافراً إلى أمريكا أو أوروبا لا تأخذ العملة المتداولة في بلادك وتقوم بصرفها هناك، يجب عليك أن تأخذ العملة المتداولة في البلاد التي أنت مسافر إليها مثل الدولار أو اليورو، في الفكر توجد عملة صعبة هي المنطق في العقل، ولو أنتم راجعتم حوارات القرآن ستجدونه دائماً يستخدم المنطق ـ العقل. مثلاً عندما قالوا: هذه العظام الرميم هل من الممكن أن تعود إلى الحياة أو أن تعود لها الحياة؟ نجد أن القرآن الكريم يتحدث إليهم بالمنطق: أليس الخلق الأول أصعب من الإعادة؟ حيث نجد أن القرآن جادلهم وحدثهم بالمنطق، ولم يقل لهم القرآن الكريم إن ربنا سيفعل ذلك وكفى، أي بمعنى ليس مطلوباً منك أن تؤمن هكذا فقط. ونجد أن القرآن الكريم يقول بلسانهم:

﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾
[سورة صٓ: الآية 5]

ونجد القرآن أيضاً يقول:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾
[سورة الأنبياء: الآية 22]

بمعنى لو كان هناك إلهان أو آلهة متعددة لاختلفوا في من تكون له الكلمة العليا، إذن هناك آيات كثيرة في القرآن نجدها تمضي في هذا السياق.. المنطق ـ العقل.

عقليتنا نابعة من القرآن

ولذلك فإنني أقول إن مدرسة الإحياء والتجديد التي تحدثنا عنها لديها موقف دقيق من قضية العقل. وهنا أود أن أنبّه إلى أن تيار الجمود والتقليد يتحسّس مسدساته إذا ذكرت كلمة العقل، وهذا لون من الغباء، لماذا؟ لأنهم يخلطون بين العقلانية الإسلامية المؤمنة وبين العقلانية اللادينية الغربية. المرحلة اليونانية كان فيها عقل بلا نقل، في النهضة الأوروبية كان العقل ثورة على النقل وعلى اللاهوت وعلى الكنيسة، هذه سيرة، وقصتنا نحن مع العقل قصة أخرى نحن عندنا القرآن الكريم يتحدث عن العقل بصريح اللفظ في تسع وأربعين آية، ويتحدث عن اللب والنهي والتدبر والتفكر، وعن الحكمة والفقه والقلب

في أكثر من مائتي آية، يتحدث عن هذه المصطلحات التي تعني العقل، إذن عقلانيتنا نابعة من القرآن وليست ثورة على القرآن أو نقضاً للقرآن كما هو حال العقلانية في الحضارة الغربية.

ولذلك فإن علماء مدرسة الإحياء والتجديد أعلوا من مقام العقل دون تأليه للعقل، لأن العقل في النهاية مع عظمته مع ملكة من ملكات الإنسان، وكل ملكات الإنسان نسبية الإدراك، لذلك فإن الأفغاني ومحمد عبده على وجه الخصوص، وأنا معي نصوص كثيرة ولكن أود فقط الإشارة إلى بعض النصوص، مثلاً الأفغاني يقول إن الدين الإسلامي يكون متفرداً بين الأديان بتقريع المعتقدين بلا دليل، وتوبيخ المتبعين للظنون، وتبكيت الخابطين في عشواء العماية والقدح في سيرتهم... هذا الدين يطالب المتدينين أن يأخذوا بالبرهان في أصول دينهم، وكلما خاطب العقل، وكلما احتكم إلى العقل، تنطق نصوصه بأن السعادة من نتائج العقل والبصيرة، وأن الشقاء والضلالة من لواحق الغفلة وإهمال العقل وانطفاء نور البصيرة.

الذين دخلوا إلى جهنم لماذا دخلوها؟ وماذا قالوا؟

قالوا:

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾

[سورة الملك: الآية 10]

يعني أن قلة العقل هي التي أدخلتم إلى الجحيم.

الإيمان يشرق من العقل (إن العقل مشرق الإيمان) الذي قال هذه العبارة كأنه شاعر، فكما نقول الشرق هو مشرق الشمس فالعقل هو مشرق الإيمان، يعني أن الإيمان يشرق من العقل، لأن ربنا سبحانه وتعالى عرفناه بالعقل، فنحن نعرف الذات الإلهية من تأمل المصنوع فندرك وجود الصانع، من تأمل الإبداع فنؤمن بوجود المبدع، ولذلك فإن عبارة (ربنا عرفوه بالعقل) هي جوهر الفلسفة الإسلامية، فالعقل مشرق الإيمان، فمن تحول عنه فقد دابر الإيمان.

وبعد ذلك يقول: إن فرقاً ما بين ما لا يصل العقل إلى كنهه فيعرفه بأثره وبين ما يحكم العقل باستحالته، وهذا الكلام تحدث كثيراً عنه الشيخ محمد عبده، من ذلك إشارته إلى أن الدين قد يأتي بما يعلوا على الفهم لكنه لا يأتي بما يناقض العقل. لأن هناك أحكاماً تعبدية لا ندرك حكمتها، وربنا سبحانه وتعالى أراد أن يجعل بعض أحكام العبادات تعبدية لكي نطيع الله حباً لله حتى دون أن نعرف الحكمة والعلّة في هذه الأمور، لأن الدين طاعة، والطاعة محبة.

◆ عندما نتكلم عن الآفاق المستقبلية للدعوة الإسلامية نتكلم عن الدعوة الوسطية، الدعوة التي تنطلق من أصول الإسلام ومن جوهر الإسلام ومنابعه وتفقه الواقع وترى هذا الواقع وتقدم حلولاً للمشكلات التي تقف أمام الدعوة الإسلامية

إذن قضية العقلانية كسلاح وكأداة وكفكر عقلاني، أعني العقلانية المؤمنة، وأنا حريص في كل ما كتبت عن قضية العقلانية أن أؤكد على أنها عقلانية إسلامية مؤمنة متميزة عن العقلانية اللادينية التي كانت بلا نقل ولا وحي، أو كانت ثورة على النقل وعلى اللاهوت والكنيسة كما هو شأن العقلانية الغربية. ولذلك فإن بعض الذين يسمون أنفسهم ـ وأقول يسمون أنفسهم ـ بالسلفيين، وهم ليسوا سلفيين حقيقيين لا يميزون بين العقل والهوى، ويتصورون أن العقلانية والمدرسة العقلية عبارة عن صورة أخرى للعقلانية الغربية اللادينية. ونحن نريد تحرير المصطلحات، وقد كتبت كتاباً عنوانه: (معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام) لأن المصطلح مثل الوعاء، أو مثل الكأس الذي يشرب منه عدد كبير من الناس، لكن هناك من يشرب به ماءً وهناك من يشرب به عصيراً وهناك من يشرب به خمراً... إلخ، إذا المحتوى مختلف، فعندما نقول العقلانية لا بد أن نعرف معنى العقلانية ومفهومها، هل هي عقلانية مؤمنة؟ أم هي عقلانية

لادينية؟ ومثل ما نقول: الدين وضع إلهي ووحي إلهي، بينما الدين في الوضعية الغربية إفراز للعقل البشري، لأنه لا يوجد لا وحي ولا غيب، كلنا يتكلم عن السياسة، ولكن أي سياسة؟ إنها السياسة الميكافيلية، سياسة القوة والغاية تبرر الوسيلة، أما السياسية عندنا فهي التدابير التي يكون الناس معها أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد. مثلاً عندما نتحدث عن الإقطاع، وعندما نعود إلى القواميس التي تغربت ودخلت فيها المفاهيم الغربية تجد أن معنى الإقطاع: إنه شخص ما يملك الأرض ومن على الأرض وما على الأرض، إذن وأنت تقرأ في السنّة النبوية وأقطع رسول الله ﷺ فلان أرض كذا كارثة لو فهمت هذه الكلمة في السنّة النبوية بمعنى الإقطاع في الغرب، الإقطاع في الإسلام في التراث الإسلامي تمليك الأرض الموات لإحيائها وللانتفاع بها، أما ملكية الأرض وكل الثروات والأموال مملوكة ملكية حقيقية لله سبحانه وتعالى والناس مستخلفون، إذن حتى المصطلحات دخلتها مفاهيم غربية، ومن أجل هذا أنا أقول مهمة من مهام الدعوة الإسلامية تحرير مضامين المصطلحات، وحتى ونحن نحاور الغربيين ونحاور غير المسلمين يبقى هذا حوار حقيقي، وإلا لو تكلمنا بنفس المصطلحات وكل واحد لديه مفهوم، يصبح هذا الحوار حوار طرشان لا يعود بالنتيجة، نتكلم بلغة واحدة وكل واحد منا لديه مفهوم مختلف ومغاير للآخرين.

إذن أقول تجديد طوق نجاة الدعوة الإسلامية فقه الواقع، مواجهة الحملات الشرسة الموجه ضد الإسلام، تحرير مضامين المصطلحات التي نواجهها ومواجهة تحدي الهزيمة النفسية.

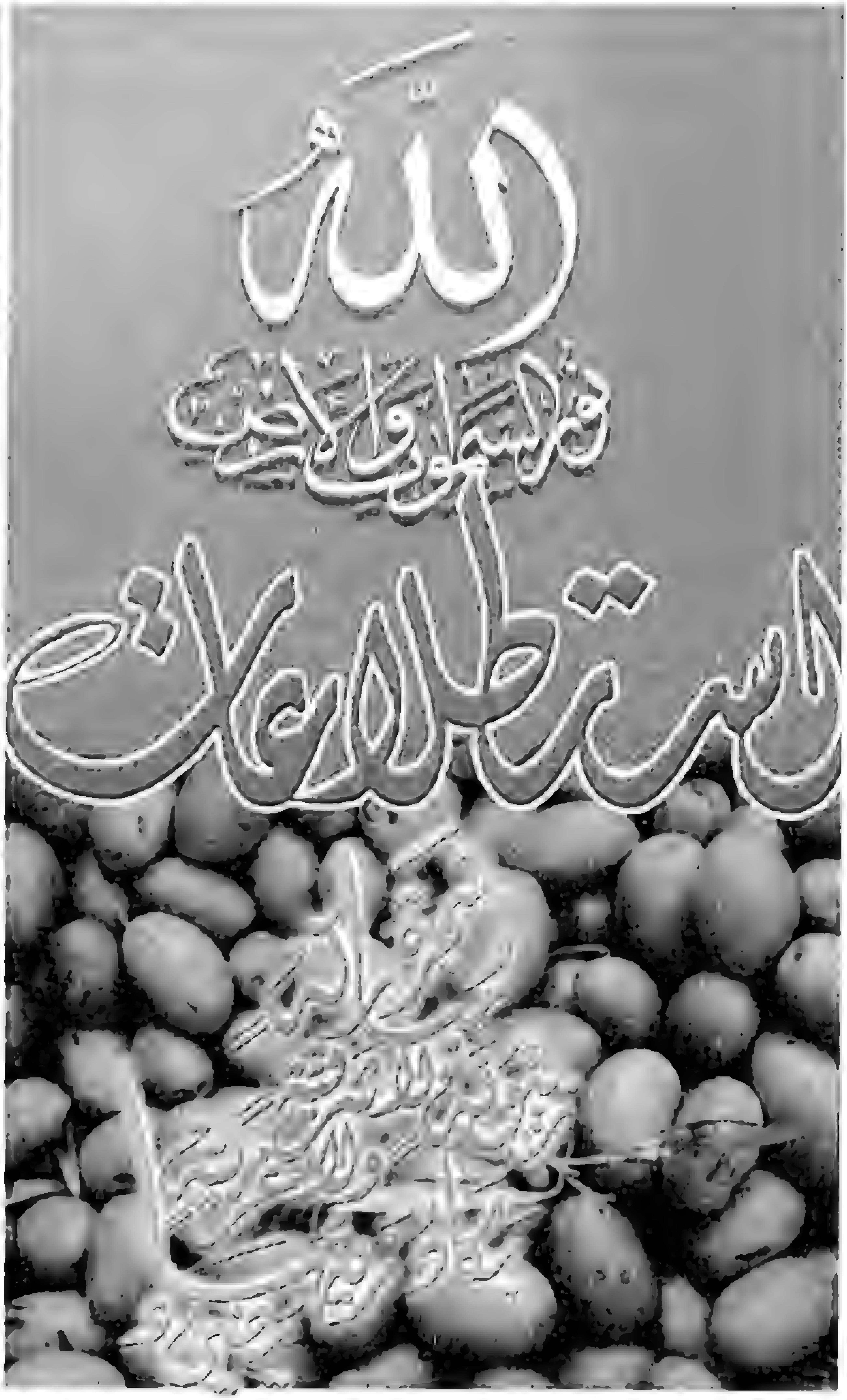
وأنا أقول لكم في النهاية كلمتين: في وقتنا هذا بعض الناس يزرعون اليأس في نفوسنا وينسون أننا مع حالة الاستضعاف التي نحن عليها إنما نضرب لأننا نستيقظ. كان الشيخ الغزالي يقول: نحن نضرب بشراسة لأننا نستيقظ، لو كنا أمواتاً ما ضربونا بهذه الشراسة، فالضرب في الميت حرام. ولذلك أنا أقول إن هذه أمة تستيقظ، تعود إلى دينها، تحاول أن ترسم معالم مشروع نهضوي منطلق من مرجعيتها الإسلامية، بينما الآخر، وأنتم تعلمون أن أوروبا باعتراف حكمائها أصبحت فراغاً دينياً، حيث إن الذين يؤمنون في أوروبا بوجود إله نسبتهم أربعة عشر في المئة، والذين يذهبون إلى الكنائس عشرة في المئة، ويذهبون إليها وكأنهم يذهبون إلى مباراة كرة قدم، لا توجد روحانية، والكنائس تحاول جذب الزبائن بالحفلات المجانية والراقصة.

إذن أنا أقول إسلامنا يحيا، وأنا قرأت في مجلة شؤون دولية التي تصدر في كامبردج في انجلترا في عدد يناير سنة واحد وتسعين دراسة ملف عن الإسلام، دراسة عن الإسلام والنصرانية، ودراسة عن الإسلام والمركزية قالوا فيها بالحرف الواحد:


لماذا اتخذ الغرب الإسلام عدواً فور سقوط الشيوعية؟ الجواب لأن الإسلام مستعص عن العلمنة ومقاوم للعلمنة، وهو الآن أقوى في قلوب أبنائه منه منذ مئة عام، ولذلك فهو التحدي الأول للثقافة الغربية، لأنه يرفض المبدأ المسيحي (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) وهم يعرفون أن امتلاك الإسلام لنموذج التجدد الذاتي المؤمن يجعله لا يقف ذليلاً أمام النموذج الغربي. وإن هذه الشهادات في غاية من الأهمية، وأنا أجمع مجموعة من الشهادات أكثر من ثلاثين شهادة لثلاثين من علماء الغرب الكبار، ينصفون الإسلام إنصافاً يثبت قلوبنا وأقدامنا نحن، أي كما أن هناك في الغرب من يهاجم الإسلام ويفتري عليه، هناك من ينصف الإسلام،وأنا أجمع هذه الشهادات لأنشرها إن شاء الله في كتاب (الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء).

أقول لكم هذا لتدركوا عظمة الإسلام، وأن المستقبل كل المستقبل المشرق هو للدعوة الإسلامية، شرط أن نأخذ بالأسباب، وأن نعمل جادين لأننا سنلقى الله سبحانه وتعالى ليسألنا ماذا صنعتم في شكر النعمة العظمى التي أنعمت بها عليكم وهي نعمة الإسلام؟؟

أشكركم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.



- شجرة مباركة.. يكاد زيتها يضيء
- الخط العربي.. الحرف الناطق


شجرة
مباركة
يكاد زيتها
يضيء
إعداد: محمد حسن جحا

كما فضَّل المولى سبحانه وتعالى بعضَ البشر، كذلك فضَّل بعض الأماكن: ففضَّل الحرمين الشريفين وبيت المقدس، وفضَّل بعض الأيام على بعضٍ ففضَّل الجمعة، وفضَّل بعض الشجر على بعض ففضَّل الزيتون والنخيل والأعناب والرمَّان. قال تعالى:

﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الرعد: الآية 4]

وهذه الأشجار تزرع في تربة واحدة وتسقى بماءٍ واحد ثم تأتي مختلفة الأشكال والطعوم والألوان.

الزيتون في القرآن الكريم

حظي علم النبات بالذكر أكثر من مائة مرّة في القرآن الكريم، والزيتون تلكم الشجرة المباركة الطيبة قد تشرفت بالذكر في سبعة مواضع من كتاب الله الكريم، حيث ورد ذكرها ستَّ مرات، ومرةً واحدةً بوصفها.

ومن هذه الآيات قوله تعالى:

﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴾ [سورة المؤمنون: الآية 20]

وهذه هي شجرة الزيتون، الشجرة المباركة التي جاء ذكرها أيضا في سورة النور، حيث يصف الله سبحانه وتعالى جلالَ نوره ذلك الوصفَ المبهر الوضيء.

في الآية الخامسة والثلاثين من سورة النور جاء قوله تعالى: ﴿ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ وقد اختلف العلماء في معنى ﴿ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ فعن ابن عباس وقتادة: الشرقية التي لا تصيبها الشمس إذا أشرقت ولا تصيبها إذا غربت، لأن لها سترا، والغربية عكسها، أي أنها شجرة في مُنكشف من الأرض، لا يواريها عن الشمس شيء، وهو أجود لزيتها. وقال ابن زيد: إنها من شجر الشام، فإن شجر الشام لا شرقي ولا غربي، وهو أفضل الشجر، وهي الأرض المباركة. وفي تفسير الجلالين ﴿ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ بل بينهما، فلا يتمكن منها حرٌّ ولا بردٌ مضران. ولصفاء ذلك الزيت فإنه يكاد يضيء، وحول قوله تعالى يقول ابن كثير: النار ونور الزيت حين اجتمعا أضاءا، ولا يضيء واحد بغير صاحبه، كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتمعا فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه.

وقال تعالى:

﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴾ [سورة المؤمنون: الآية 20]

قال القرطبي: (وشجرة) يريد بها شجرة الزيتون، وأفردها بالذكر لعظيم منافعها في أرض الشام والحجاز وغيرها، وقلة تعهّدها بالسقي والحفر وغير ذلك من المراعاة في سائر الأشجار.

﴿ تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ ﴾ أي أنبتها الله في الأصل من هذا الجبل الذي بارك الله فيه، وطور سيناء من أرض الشام، وهو الجبل الذي كلمّ الله عليه موسى عليه السلام، ﴿ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ ﴾ أي تنبت ومعها الدهن، والمراد تعداد نعم الزيت على الإنسان، وهي من أركان النعم التي لا غنى للصحة عنها، ﴿ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴾ يراد به الزيت الذي يصبغ به الأكل، وأصل الصبغ ما يلون به الثوب وشبه الإدام به لأن الخبز يلون بالصبغ إذا غمس فيه.

وقال تعالى:

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ [سورة التين: الآيات 1 ـ 3]

قال الإمام الرازي: حصل فيه قولان، الأول أن المراد من التين والزيتون هذان الشيئان المشهوران، قال ابن عباس: هو تينكم وزيتونكم هذا، ثم ذكروا من خواص التين والزيتون أشياء..... وأما الزيتون

فشجرته هي الشجرة المباركة، فاكهةٌ من وجه وإدامٌ من وجه ودواءٌ من وجه... ثم قال المفسرون: التين والزيتون اسم لهذين المأكولين، وفيهما هذه المنافع الجليلة، فوجب إجراء اللفظ على الظاهر والجزم بأن الله تعالى أقسم بهما لما فيهما من هذه المصالح. القول الثاني أنه ليس المراد هاتين الثمرتين، ثم ذكروا وجوهاً منها أنهما جبلان من الأرض المقدسة، ومنها أن المراد من التين والزيتون مسجدان، ومنها بلدان فقال كعب: التين دمشق والزيتون بيت المقدس.

قال القرطبي: قال ابن عباس رضي الله عنهما: في الزيتونة منافع، يسرج الزيت، وهو إدام ودهان ووقود، وليس فيه شيء إلا وفيه منفعة، وهي أول شجرة نبتت في الدنيا، وأول شجرة نبتت بعد الطوفان، وتنبت في منازل الأنبياء والأرض المقدسة ودعا لها سبعون نبياً بالبركة.

موطن شجرة الزيتون

لكل شجرة موطن أصلي عرفها الناس منه ثم انتشرت زراعتها إلى الأقاليم الملائمة. وعن شجرة الزيتون تطالعنا الآيتان الكريمتان:

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾
[سورة المؤمنون: الآية 20]

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۞ وَطُورِ سِينِينَ﴾ [سورة التين: الآيات 1-2]

أكد المفسرون أن الآية الأولى تتحدث عن شجرة الزيتون، وذكرت بعدها كلمة (تخرج)، فكلمة (تخرج) في القرآن الكريم لها دلالتها على الموطن الأصلي للشجرة، ثم تردف الآية (من طور سيناء) أي من جبال في المنطقة العربية، وقيل عن الطور إنه الجبل الذي به الشجر، أو الجبل المخضر بالنبات، وسيناء هي منطقة معروفة، فشجرة الزيتون قد خرجت إلى الدنيا وعرفها الناس من الجبال قرب السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط، والمعروف أن شجرة الزيتون البرية تُغرَسُ وتنتج هناك، ومنها بدأت انتشارها على سواحل المتوسط وشواطئه، ثم إلى بقاع أخرى من العالم. وتبقى دول البحر الأبيض المتوسط هي أكثر الدول إنتاجا للزيتون وهي بالترتيب كما يلي: أسبانيا، إيطاليا، اليونان، البرتغال، تونس، وتركيا.

جدول يبين الآيات السبع التي ذكرت فيها شجرة الزيتون وزيتها

السورة	رقم الآية	نصّ الآية
الأنعام	99	﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾
الأنعام	141	﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا﴾
النحل	11	﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ﴾
المؤمنون	20	﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ﴾
النور	35	﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾
عبس	29	﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾
التين	1	﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا

غصن الزيتون شعار للسلام

جاء في كتاب البداية والنهاية للحافظ بن كثير: إن سيدنا نوحا عليه السلام قد بعث بحمامة لتستطلع أخبار الطوفان، فعادت بغصن زيتون، فأدخل ذلك الأمنَ على النفوس الخائفة من ركاب السفينة. ومنذ أقدم الأزمان كان الزيتون وما يزال شعارا من شعارات السلام وبشيرا من بشائر الأمان. وما زالت شعوب الأرض تتناقل هذا الرمز جيلا بعد جيل، حتى جعلته هيئة الأمم المتحدة شعارا لها.

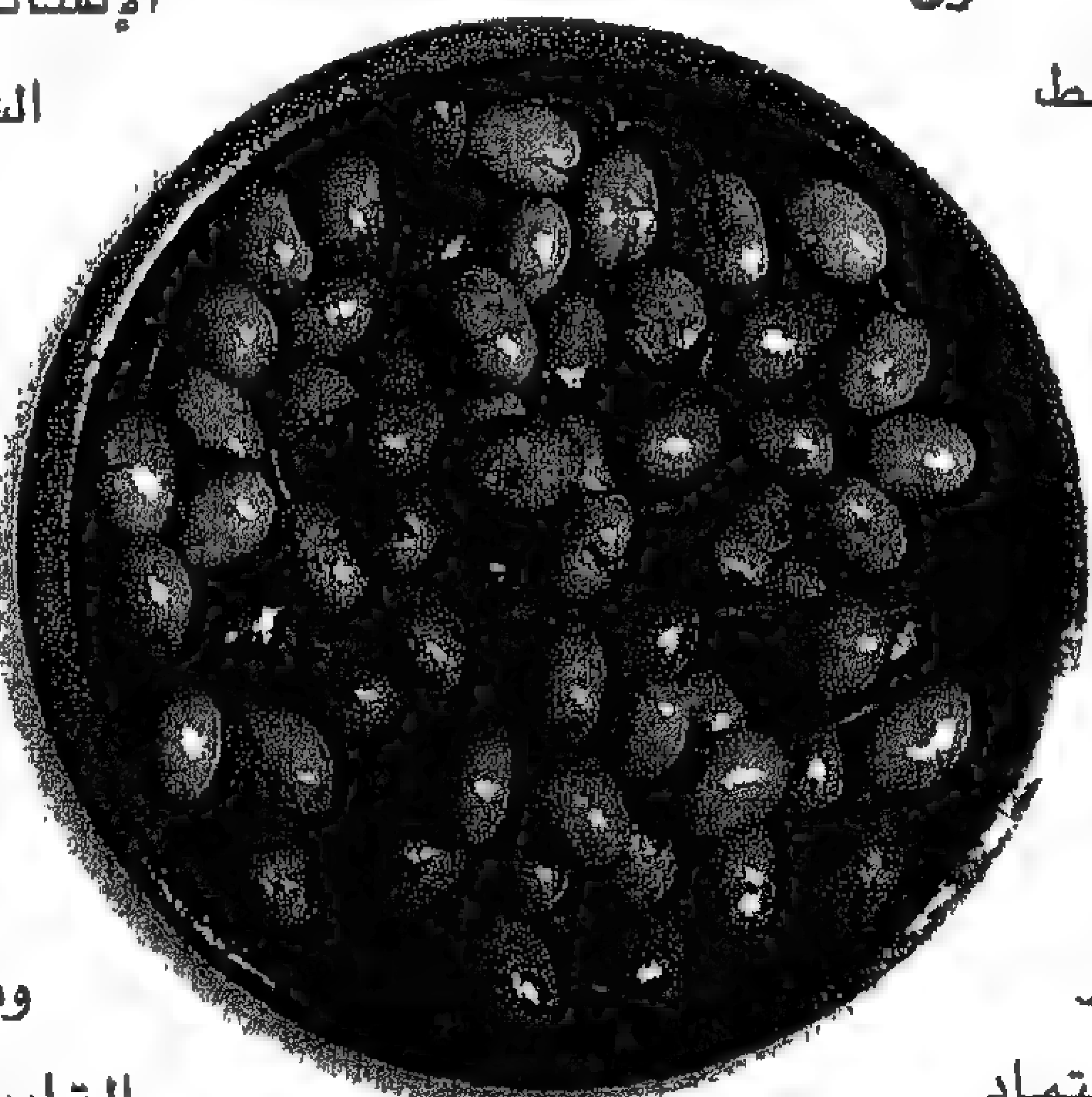
تاريخ الزيتون

يرجع العلماء شجرة الزيتون إلى 7000 سنة قبل الميلاد، ويعتقدون أن موطنها الأصلي غرب آسيا، وأن الذين أحضروها إلى منطقة شرق حوض البحر الأبيض المتوسط هم الفينيقيون والرومان، وأنها غرست في جزيرة كريت منذ 3500 سنة قبل الميلاد.

وتعتبر زراعة أشجار الزيتون إحدى أقدم المؤشرات الحضارية في العالم. فقد سبقت ظهور الكتابة. ولعل السبب في الاعتماد على زراعة الزيتون يعود إلى فوائد زيته، وما يوفره من ظل شبه دائم لأن مخضرٌ طول العام، وما تمد به هذه الشجرةُ الإنسان من أوراق وحطب... إلخ، هذا فضلا عن الأسطورة التي ارتبطت بانتشاره من الأراضي الفينيقية في اليونان، ومنها إلى روما، ومن ثم إلى باقي دول العالم الغربي.

وعندما ننظر في تاريخ شجرة الزيتون نجد أنه قد اختلط بمزيج من الواقع والخرافة والخيال والأسطورة، لكن ما تهمنا الإشارة إليه هنا أن ذلك المزيج على تنوعه يفيدنا بأن منشأ الزيتون يعود إلى ماض سحيق من تاريخ البشرية، وإلى أزمان موغلة في القدم. وقد لاحظ الباحثون في هذا المجال أنه من الصعوبة بمكان تحديد مكان وزمان بداية زراعة الزيتون، لكن الأمر المسلم به هو اختلاط تاريخ الزيتون بتاريخ حوض البحر المتوسط، وأنه يشكل جزءا مهما من حضارة وثقافة شعوب هذه المنطقة.

وقد قدست الشرائع السماوية والحضارات الإنسانية شجرة الزيتون، كما خلدها الشعراء والفنانون في إبداعاتهم وأعمالهم الفنية.



أشرنا إلى أن الشواطئ الشرقية للبحر المتوسط (سوريا، فلسطين، لبنان) تعتبر الموطن الأصلي لنشأة شجرة الزيتون، ومنها انتشرت إلى بقية دول العالم، وما وصلت إليه الدراسات التاريخية الحديثة وأكدت عليه أن شجرة الزيتون وجدت منذ العصر الحجري، أي قبل أكثر من (12) اثني عشر ألف عام، ووجد الباحثون أنه في الألف الثالث قبل الميلاد كانت في منطقة الشام (شرق البحر الأبيض المتوسط) مزارع زيتون مستثمرة. كما استكشفت أغصان وبذور زيتون في آثار منطقة الشام بالقرب من مدينة (إدلب) تعود لأكثر من 2500 عام قبل الميلاد، أضف إلى ذلك أنه تم العثُور على عبوات تحتوي على زيت الزيتون بين القبور المصرية، وذلك خلال العمليات الحديثة للكشف عن

والإدّهان بالزيت يقوي الشعر والأعضاء ويبطئ الشيب، شربه يدفع السموم ويطلق البطن ويسكن وجعه ويخرج الدود.

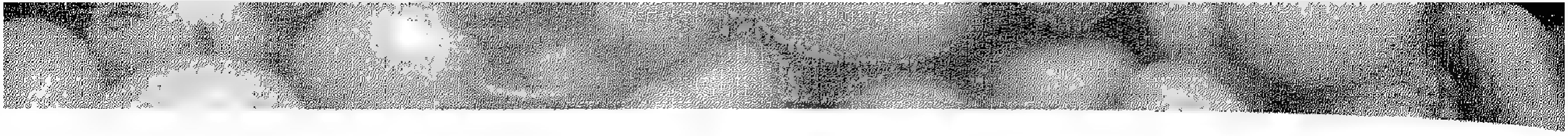
موفق الدين البغدادي

الحفريات الأثرية لهذه القبور التي تعود لأكثر من 1500 عام قبل الميلاد، وفضلا عن هذا هناك دلائل أكيدة أيضا على وجود هذه الشجرة المباركة في تلك الفترة على الشواطئ والسواحل وفي الواحات الليبية، وعلى ضفاف بحر إيجة في تركيا واليونان. ويسجل التاريخ أن الفينيقيين نشروا هذه الزراعة ابتداء من القرن السادس عشر قبل الميلاد إلى الجزر اليونانية، واستمر انتشارها بعد ذلك حتى بلغت أهمية كبرى في عهد (صولون) في القرن الرابع عشر قبل ميلاد المسيح، واعتبارا من القرن الحادي عشر قبل الميلاد، أي في عام (1030) دخل الزيتون إلى مناطق من غرب أوروبا ولأول مرة بواسطة الفينيقيين سادة البحر آنذاك، وانتقلت زراعة الزيتون في القرن السادس عشر قبل الميلاد إلى سواحل متوسطية عديدة عبر الشواطئ الليبية والتونسية، وساهم الرومان في نشرها في حوض المتوسط. واعتبروها سلاحا في أيديهم وعاملَ استقرار للسكان، أما العرب المسلمون فقد كان لهم دور مهم في نشر وتطوير هذه الزراعة، حيث نقلوا أصنافا عديدة من الزيتون إلى ضفاف المتوسط الأوروبية وخاصة إلى الأندلس حتى إن كلمات الزيت والزيتون في اللغة الأسبانية مأخوذة من العربية في تلك الفترة من الزمان.. زمان الوصل بالأندلس.

انتقلت بعد ذلك زراعة الزيتون إلى أمريكا عن طريق المستكشفين الأسبان، وابتداء من عام 1560 مسيحي بدأت بالظهور في المكسيك والبيرو ومنها إلى كاليفورنيا وتشيلي والأرجنتين، وواصل الزيتون انتشاره في الأزمنة الحديثة حيث وصل إلى جنوب أفريقيا وأستراليا واليابان والصين.

تعيش أشجار الزيتون حياة طويلة، حيث يعتقد أن حياتها قد تمتد من 300 إلى 700 سنة أو حتى أكثر من ذلك، وحتى إذا ماتت الساق والأغصان فإن لشجرة





زيتونة زيتها في كلّ مشكاة

الزيتون المقدرة على أن تنبت من جديد وتبعث الحياة في شجرة جديدة. وتقدر أعداد أشجار الزيتون الموجودة اليوم فوق سطح الأرض بحوالي 800 مليون شجرة، تنتمي إلى أصناف مختلفة ومتنوعة من أشجار الزيتون المزروعة في أنحاء العالم.

تصنيف شجرة الزيتون

شجرة الزيتون تنتمي إلى فصيلة النباتات الزيتية التي تضم حوالي 22 جنسا تحتوي على ما يقارب 500 نوع وجنس. الزيتون وحده يضم ما بين 30 ـ 40 نوعا. وشجرة الزيتون المستزرعة، المغروسة، المستغرسة، المنشأة:

﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾

(سورة الواقعة: الآية 71)

هي شجرة صغيرة تختلف عن الشجرة البرية وتعتبر سلالة خاصة من البرية.

والاختلاف في أشجار الزيتون ليس في أنواع الجنس أو بين الشجرة البرية والمستزرعة فحسب، بل هناك تباين دقيق داخل نوع الزيتون نفسه.

وبعد هذه اللمحة الموجزة عن شجرة الزيتون وتاريخها، نحاول أن نقدم جوانب مما اكتشفه العلماء والباحثون في علوم الأغذية من فوائد عظيمة لزيت هذه الشجرة المباركة، وفائدته الأكيدة في الوقاية من الكثير من الأمراض، وعلاج أمراض أخرى. ولابد من الإشارة هنا إلى أننا نستقي هذه المعلومات من الكتب المتخصصة والإصدارات والأبحاث المنشورة.

عود على بدء

أشارت العديد من الآيات القرآنية إلى أهمية شجرة الزيتون وزيتها، وقد وصف الله سبحانه وتعالى هذه الشجرة بأنها مباركة، أي كثيرة العطاء والفائدة.

يا نفثة الروح يا سرّ المرادات

وورد في الأثر أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه ومن ثم جميعَ المسلمين بتناول زيت الزيتون حيث قال (كُلُوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ) وفي رواية أخرى (ائتدموا بالزيت وادَّهنوا به فإنَّه من شجرة مباركة) وكيف لا تكون الشجرة مباركة وقد أقسم الله بها أو بأرضها ـ على اختلاف بين المفسرين ـ في قوله تعالى:

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ﴾ [سورة التين: الآيات1ـ2]

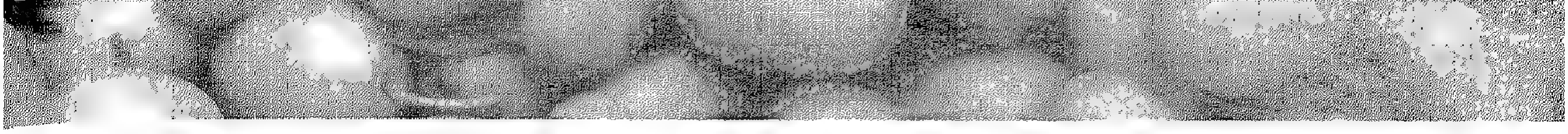
وكيف لا تكون مباركة وقد شبه الله تعالى نوره بالنور الصادر عن زيتها في قوله تعالى:

﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [سورة النور: الآية 35]

فالشجرة مباركة، والزيت مبارك، ولكن كثيرا من الناس عن ذلك غافلون.

نشير في هذا السياق إلى أنه لأول مرة في التاريخ





اجتمع ستة عشر من أشهر علماء الطب في العالم في العاصمة الإيطالية روما في الحادي والعشرين من شهر الطير (إبريل) عام 1997 مسيحي ، وقدموا أبحاثهم ودراساتهم في عدة جلسات علمية، ثم أصدروا توصياتهم وقراراتهم الموحدة حول موضوع زيت الزيتون وغذاء حوض البحر المتوسط. وأصدر هؤلاء العلماء توصياتهم في بيان شمل أكثر من ثلاثين صفحة، استعرضوا فيها أحدث الأبحاث العلمية في مجال زيت الزيتون وغذاء حوض البحر المتوسط. ونقتبس هنا بعضا مما جاء في تلك التوصيات والقرارات فضلا عن الأبحاث والكتب العلمية.

خواص زيت الزيتون

تختلف أنواع الزيت حسب لونه ومذاقه ورائحته، وهذا تابع للأرض التي ينبت بها شجره وطريقة جنْيه وعصر ثماره. وألوانه تتفاوت من الذهبي إلى الأخضر



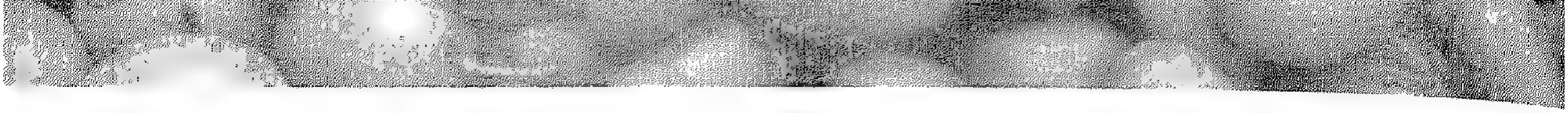
القاتم، كما يختلف مذاقه من لاذع أحياناً أو فلفلي إلى طعم ثمري لطيف. ونحتاج للحصول على لتر من الزيت إلى عصر 5 كغ تقريبا من الزيتون. وليس هناك زيت نباتي آخر يمكن أكله فور عصره إلا زيت الزيتون، فلا بدَّ للزيوت الأخرى من معالجتها بوسائل خاصة قبل أكلها. ويصنف الزيت حسب درجة حموضته وهناك طرق لتكريره من أجل تخفيف حموضته ورائحته.

ومن بين ما يميز زيت الزيتون عن بقية الزيوت النباتية الأخرى أنه يحتوي على عدد من الأحماض الدهنية غير المشبعة (يسميها العلماء وحيدة الرابطة المزدوجة). ووجد العلماء أن زيت الزيتون يحتوي على 15ـ 20 ٪ زيت، 4 ٪ بروتين، 1 ٪ فسفور، وحديد، وكالسيوم، كما يحتوي على فيتامين أ، ب بكميات كبيرة.

وتحليليا وجد العلماء أن الزيتون الجاف يحتوي على 95, 51٪ دهون، و07, 30٪ ماء، و45, 10٪ كاربوهيدرات، و24, 5٪ بروتين، و33, 2٪ معادن غنية بالبوتاسيوم . كما أن زيت الزيتون غني بالدهن الأحادي غير المشبع والذي له القدرة على التقليل من (LDL) الكوليسترول الضار دون أن يؤثر على (HDL) الكوليسترول المفيد في الدم.

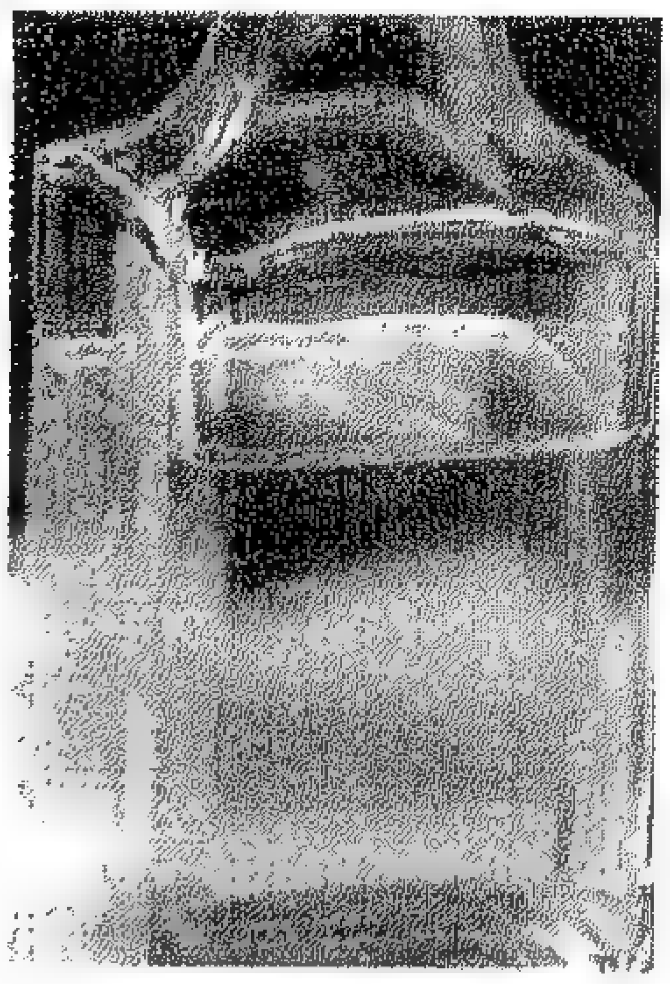
وقد دهش الباحثون المحدثون حينما اكتشفوا أن سكان ضفاف البحر المتوسط وخاصة جزره وشواطئه الجنوبية هم أقل الناس إصابة بأمراض القلب والسرطان في العالم أجمع. ودهشوا أكثر حينما عرفوا أن أهالي جزيرة كريت ـ مثلا ـ يستهلكون زيت الزيتون أكثر من أي شعب آخر، فحوالي 33 ٪ من السعرات الحرارية التي يتناولونها تأتي من زيت الزيتون. فما علاقة زيت الزيتون بذلك؟ وهل للطب الحديث رأي في هذه العلاقة؟ وما تأثيراته على القلب والكلسترول؟ وعلى جسم الإنسان وأعضائه بشكل عام؟.

هذه محاولة لتقديم إجابات عن هذه التساؤلات..



خصائص صحية وغذائية فريدة

اكتشف العلم المعاصر فوائد هائلة ومذهلة لزيت الزيتون، سواء في وقاية الإنسان من بعض الأمراض أو مساعدته في الشفاء من أمراض أخرى، حيث تثبت نتائج البحوث العلمية وتكتشف صدق الحقيقة التي أشار إليها القرآن الكريم ألا وهي البركة التي أودعها الله سبحانه في هذا الشجرة المباركة وفي زيتها العجيب.



بالمناسبة.. ثمرة الزيتون حين بدء تشكلها لا تحتوي على أي كمية من الزيت، بل إنها تحتوي على مزيج من الحموض العضوية والسكاكر التي تتحول بقدرة الخالق تدريجياً إلى زيت وثمرة الزيتون في طريقها إلى النضج، وذلك ضمن عملية خاصة تدعى بتكون الدهن Lipogenesis أجل...! فما هي إلا مصانع كيميائية إلهية تحول الحموض العضوية والسكاكر إلى زيت يكون غذاء ودواءً للناس...

الزيوت في المصطلح العلمي

تعرف الزيوت والشحوم في المصطلح العلمي بأنها تقع ضمن مجموعة (الليبيدات) حيث تقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية: المشبعة (Saturated) وغير المشبعة المتعددة (Polyunsaturated) وغير المشبعة الأحادية (monounsaturated). وتوجد المشبعة منها في اللحوم والبيض ومنتجات الحليب والمرتبطة طبياً باحتمالات الإصابة بأمراض القلب. أما غير المشبعة المتعددة والأحادية من الدهون فإنها تقي الجسم من الأمراض وتقلل من احتمالات الإصابة بها.

وفيما يتعلق بزيت الزيتون فان معظم خصائصه الصحية تعزى إلى أنه يحوي الكثيرَ من الدهون غير

قال الإمام القرطبي: قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: في الزيتون منافع، يسرج بالزيت، وهو إدام، ودهان، ودباغ، ووقود يوقد بحطبه وتفله، وليس فيه شيء إلا وفيه منفعة حتى الرماد يغسل به الحرير، وهي أول شجرة نبتت في الدنيا، وأوّل شجرةٍ نبتت بعد الطوفان، وتنبت في منازل الأنبياء والأرض المقدَّسة، ودعا لها سبعون نبياً بالبركة منهم سيدنا إبراهيم عليه السلام وسيدنا محمد فإن النبيَّ قال: اللهم بارك في الزيت والزيتون. قاله مرتين. إن غلة الزيتون في كثرتها وطول دوامها تعدل أعظم الأشجار إن لم تفقها لعدة وجوه:

أولاً: إن شجرة الزيتون تثمر بعد زمن يسير، فلا يكاد يمضي على غرسها سنتان حتى تبكر بالثمرة، ومتى ما بلغت ست سنوات أدَّت ما عليها لصاحبها من نفقات غرسها وتربيتها.

ثانياً: إن شجرة الزيتون تُعمِّر طويلا ولا يُهرمها كرُّ الغداة والعشي، فلا تزال تطعم وتثمر عشرات بل مئات من السنين كأنَّما حالفت الدهر على الصبا وأخذت منه ضماناً من الشيخوخة، ومن بين أشجار الزيتون ما يوفي عمره على ألفي عام.. ومنافعه كثيرة ينتفع بورقه وخشبه وزيته ورماده، وقد تحدَّث ابن سينا والأطباء قديماً وحديثاً عن كثرة منافعه في العلاج.

وأكثر ما يغرس الزيتون لاستخراج زيته، وزيتُه يُدَّهن به ويؤتدم به، وقد قال في زيت الزيتون: ادَّهنوا بالزيت وائتدموا به. وقد جاء قوله تعالى في صفة الزيت ﴿يكاد زيتُها يُضيء ولو لم تَمسسه نار نور على نور﴾.

فكثرة الإشارات في هذا الكلام إلى الزيتون وضرب الأمثال به يرجع إلى ما خصَّ به المولى عزَّ وجلَّ هذه الشجرة وما خصَّها الله تعالى به من البركة والقدم في الوجود والثبات على مرِّ الزمان وكثرة الانتفاع بها، ومدح نور المصباح الذي يوقد بزيت الزيتون وشبَّه به قلب المؤمن. وقد قال أحدهم: الروح مصباح يُزهر في القلب فنوره الحياة وحرارته الحركة ودخانه الشهوة، فإذا كان زيته جيداً مثل زيت الزيتون كان نورُه ساطعاً وحرارته شديدة ولا دخان له، ومثله مثل المؤمن الصالح الذي لا يفتر في العبادة وفعل الخيرات لكثرة نشاطه ولا نصيب للشهوة في قلبه وكلُّ هذا بفضل اتباع طريق الإحسان.

المشبعة الأحادية التي تعرف بحامض الأوليك.

لا شك في أن زيت الزيتون هبة من الله تبارك وتعالى للإنسان، وقد عرف القدماء بعضا من فوائده، وبدأ الطب الحديث - منذ سنوات معدودات فقط - يدرك بعضًا آخر منها، وقد كان الأطباء لسنوات خلت يحذرون المصاب بارتفاع كولسترول الدم من تناوله، لكن الأبحاث الحديثة دلّت على عكس ذلك، حيث عرفنا من نتائج الأبحاث والتجارب في علوم الطب والأغذية أن زيت الزيتون يقي من مرض العصر (جلطة القلب) ويساعد أو يؤخر من الإصابة بتصلب الشرايين، وتلاشت الأسطورة التي كانت تقول إن زيت الزيتون يزيد من نسبة الكولسترول في الدم، ذلك الشبح الذي يقض مضاجع الكثيرين. وتبين للعلم الحديث أن زيت الزيتون عدو للكولسترول يحاربه أنى كان في جسم الإنسان.

وقد أكدت الأبحاث العلمية الحديثة أن تناول زيت الزيتون يسهم في الوقاية من مرض شرايين القلب التاجية وارتفاع كولسترول الدم وارتفاع ضغط الدم ومرض السكر والبدانة، كما أنه يقي من بعض أمراض السرطان. وحتى عام 1986مسيحي لم يأبه أحد من الباحثين الأمريكيين و الأوروبيين بزيت الزيتون، وما أن طلع على الناس الدكتور غرندي في دراسته التي نشرها عام 1985 مسيحي والتي أثبت فيها أن زيت الزيتون يخفض كولسترول الدم حتى توالت الدراسات والأبحاث والتجارب مركزة اهتمامها حول فوائد زيت الزيتون، وها نحن تكتشف يوما بعد يوم المزيدّ من أسرار هذا الزيت المبارك الذي أتى من شجرة مباركة، كما وصفها القرآن وعبر عن شدة نقاوة وبريق زيت الزيتون.

وبالمناسبة فإن الكثيرين من سكان العالم - وخاصة أمريكا وشمال أوربا - يغبطون سكان حوض البحر الأبيض المتوسط على غذائهم، فهم يعرفون أن مرض شرايين القلب التاجية أقل حدوثا لدى سكان ضفتي المتوسط مما هو عليه في شمال أوروبا والولايات المتحدة، ويعزوا الباحثون ذلك إلى كثرة



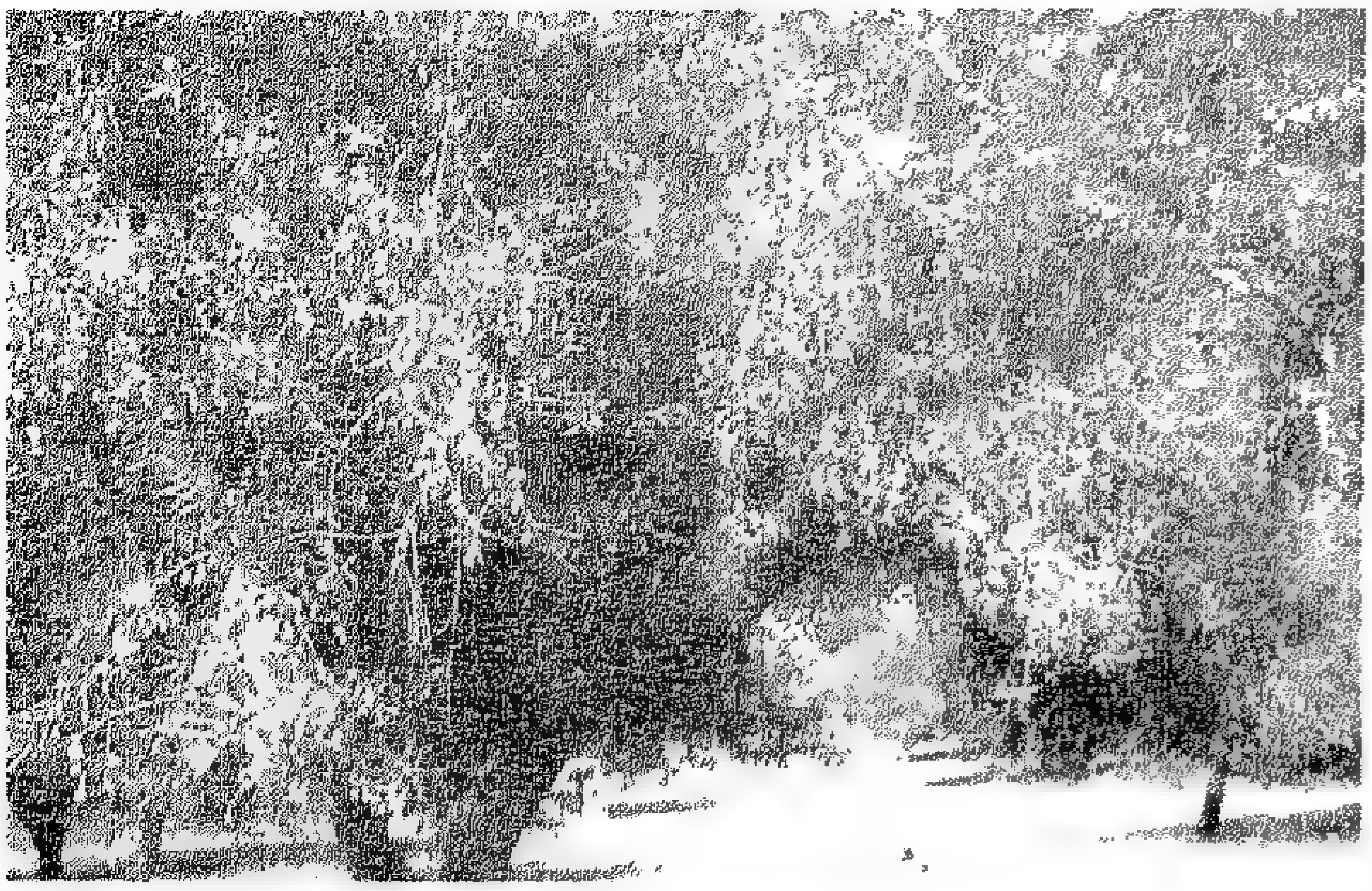
استهلاك زيت الزيتون عند سكان حوض البحر المتوسط ، واعتمادهم عليه مصدراً أساسياً للدهون في طعامهم بدلا من السمن والزبدة وأشباهها.

جاء في كتاب عنوانه (Heart Owner Handbook) صدر عن معهد تكساس لأمراض القلب بأمريكا: إن المجتمعات التي تستخدم الدهون اللا مشبعة الوحيدة (وأشهرها زيت الزيتون) في غذائها كمصدر أساسي للدهون تتميز بقلة حدوث مرض شرايين القلب التاجية، فزيت الزيتون عند سكان دول البحرالمتوسط يشكل المصدر الأساسي للدهون في غذائهم، وهم يتميزون بأنهم الأقل تعرضا لمرض شرايين القلب وسرطان الثدي في العالم أجمع، ليس هذا فحسب، بل إن الأمريكيين الذين يحذون حذو هؤلاء يقل عندهم حدوث مرض شرايين القلب.

الزيت والزيتون في الطب

في الطب القديم: عرف الزيتون منذ قرون عديدة بخواصه العلاجية، وقد أطال الأطباء الأوائل في سرد فوائد الزيتون الطبية ومما ذكروه: أنه يقوي المعدة ويفتح السدد، ويحسن الألوان... ووصفوه ضد أمراض الكبد، والناضج منه مفيد جدا. أما ورق الزيتون فإنه إذا مُضِغَ أذهب فسادَ اللثة والقلاع وأورام الحلق، وإذا دُقَّ وضُمِّدَ بمائه وعصارته نفع من القروح والأورام، وختَمَ الجروح، وعصارته إذا حُقِنَ بها شرجيا أذهبت قروحَ الأمعاء والمعدة. وقد استعمل الرومان زيت الزيتون في دهان أجسامهم ليتطهروا، واهتم المصريون القدماء بزراعته لما عرفوا عنه من فوائده الطبية العظيمة وتباركوا بعصرها.

الزيتون في الطب العربي: جاء في كتاب حديقة الأزهار والعقار لأبي القاسم بن محمد بن إبراهيم العسالي: أن زيت الزيتون جيد للمعدة، وهو أجود الزيت للأصحاء، وزيت الزيتون البري هو كدهن الورد في كثير من المعاني، ويحفظ الشعر من سرعة الشيب إذا



استعمل كل يوم، وزيت الزيتون المدرك التام النضج حار باعتدال ورطب كذلك، وجميع أنواع الزيتون مقوٍ للأبدان منشط للحركة، ورقه نافع للقلاع والداحس ولسيلان العرق. وعَكَرُ الزيت (ما يبقى بعد عصره) دواء للأورام الحارة والغدد، والزيت العتيق ينفع من ظلمة العين، وزيت الزيتون البري مجفف لسيلان الرطوبة من الأذن نافع للثة الدامية والأسنان المتحركة.

زيت الزيتون في علوم الأغذية والطب الحديث

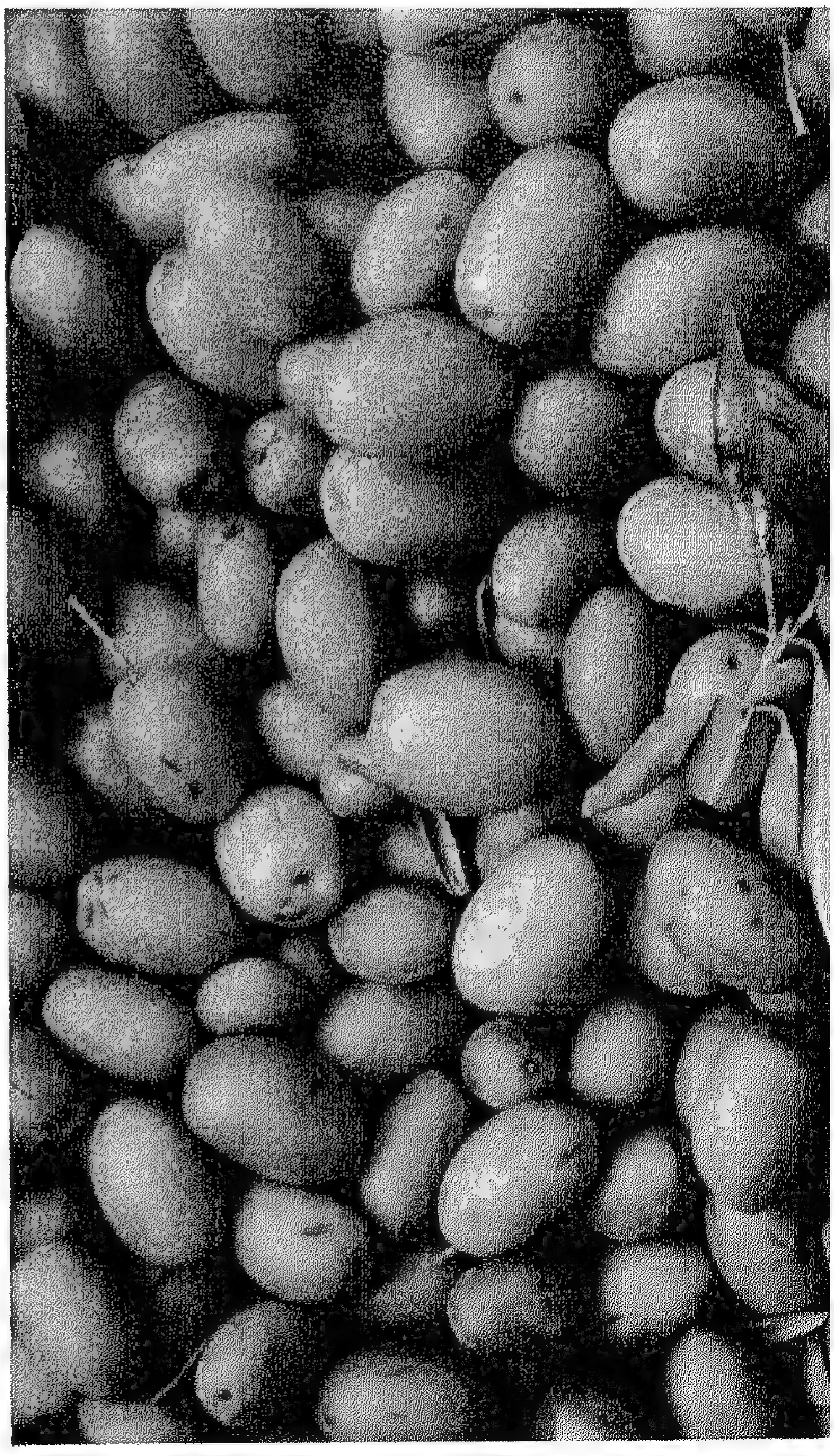
ورد في كتاب عنوانه (8 أسابيع للوصول إلى الصحة المناسبة) {8 weeks to optimum health} لمؤلفه أندرياويل والصادر في أمريكا في العام 1997

في كتب التراث الإسلامي وصف مسهب لفوائد زيت الزيتون نقتطف منها:

والزيت إذا شرب بالماء الحار سكّن المغص والقولنج وأخرج الدود وأدرّ البول وفتّت الحصى وأصلح الكلى. ويقع في المراهم فيدمل ويصلح، والادّهان به كل يوم يمنع الشيب ويصلح الشعر ويمنع سقوطه.. والاكتحال به يقلع البياض ويُحدّ البصر... أما الزيتون فهو من الأشجار الجليلة القدر، العظيمة النفع، وإن مُضِغَ ورقه أذهب فساد اللثة والقلاع وأورام الحلق.

داود الأنطاكي / التذكرة

مسيحي أنه يجب استبدال كل أنواع الدهون التي يتناولها الإنسان وخاصة بعد سن الأربعين بزيت بكر طازج، زيت الزيتون، ومما يذكره المؤلف في هذا الكتاب أن زيت الزيتون يعالج أمراض الكبد، من حيث أنه يذيب الدهون ويساعد في تقوية الكبد، وعلاج الكبد الدهني، وبذلك يزيد من نشاطه. ويؤكد الكتاب أن الدواء المعروف في الأسواق باسم Essential fort يحتوي على نسبة عالية من زيت الزيتون، وهو الذي يوصف كدواء أساسي لمرضى الكبد، كما أنه يحسن من وظائف الكبد، خاصة أنه مضاد للسموم، ومن هنا



فهو يزيد من قدرة الكبد على القيام بإزالة السمّية من الدم.

ويقول الدكتور (وليام كاستللي) مدير دراسة فارمنجهام الشهيرة في بريطانيا: إن هناك زيتا واحدا يتمتع بأطول سجل من السلامة عبر التاريخ هو زيت الزيتون، فلقد تناول زيت الزيتون أجيال وأجيال، وامتاز هؤلاء بصحة الأبدان وندرة جلطة القلب عندهم، وهذا السجل الحافل بمآثر زيت الزيتون يجعلنا نطمئن لاستعماله، ونقبل عليه بشغف كبير.

ويقول متخصص آخر هو الدكتور (أهرنس) من جامعة كوفلر بنيويورك: إننا ندرك تماما أن استعمال سكان حوض البحر المتوسط لزيت الزيتون كمصدر أساسي للدهون في الغذاء هو السبب وراء ندرة مرض شرايين القلب التاجية عندهم.

أما الدكتور تريفيسان من جامعة نيويورك فقد لخص فوائد زيت الزيتون في بحث نشره في مجلة (جاما) عام 1990 مسيحي فقال: لقد أكدت الدراسات الحديثة التأثيرات المفيدة لزيت الزيتون في أمراض شرايين القلب. ورغم أن البحث قد تركز أساسا على دهون الدم، إلا أن عددا من الدراسات العلمية قد أشارت إلى فوائد زيت الزيتون عند مرضى السكري والمصابين بارتفاع ضغط الدم.

زيت الزيتون
وعلاج أمراض القلب والسرطان

توصل بحث علمي أجري في أسبانيا مؤخرا ونشرته إحدى المجلات المختصة بأمراض الجهاز الهضمي ؛ إلى أن استخدام زيت الزيتون في طهي الطعام قد يمنع سرطان الأمعاء.

ويقول الفريق الطبي الذي أجرى التجربة إن النتائج أظهرت أن لزيت الزيتون فوائد وقائية، الأمر الذي قد يفسر سبب كون الغذاء المتوسطي غذاء صحيا.

وقد أجري البحث على عدد من الفئران المختبرية التي أطعم بعضها غذاء غنيا بزيت الزيتون، والبعض الآخر بزيت السمك، والبعض الآخر بزيت زهرة العصفر.

ثم قسّم الباحثون كل مجموعة أعطى إحداها مواد تسبب السرطان، وبعد أربعة أشهر وجدوا أن الحيوانات التي أطعمت بزيت الزيتون كانت أقلها من حيث الإصابة بأورام سرطانية.

ويقول البروفيسور (ميجيل جاسول) رئيس الفريق: إن هذه الدراسة تقدم دليلا على أن غذاء يحتوي على خمسة بالمائة من زيت الزيتون يقي من الإصابة بالسرطان مقارنة بزيت زهرة العصفر.

ويفسر الفريق العلمي دور زيت الزيتون بأنه يعرقل تكون مادة يطلق عليها علميا اسم (آركيدونات) وهي المسؤولة عند إتحادها مع مادة أخرى هي (بستجلاندين إي). عن تحريض الخلايا على الانقسام السرطاني.

ويعتقد الباحثون أن بدائل زيت الزيتون قد تؤدي العمل نفسه. لكن العلماء يؤكدون أن الأمر لا ينتهي عند هذا الحد، بل يحتاج إلى مزيد من التجارب لمعرفة الآلية الدقيقة لتأثير زيت الزيتون في منع تكون السرطان.

فوائد زيت الزيتون للمصابين بداء السكري

الداء السكري الكهلي يستفيد بالدرجة الأولى من الحمية وفي طليعتها الاعتماد على زيت الزيتون، فلقد أوصى الاتحاد الأمريكي لمرضى السكري المصابين بهذا الداء بتناول حمية فقيرة بالكولسترول وبالدهون المشبعة (الدهون الحيوانية). وأصدر الاتحادان البريطاني والكندي توصيات مماثلة، كما أقرت جداول حمية تعطى فيها الدهون بنسبة 30 ٪ على ألا تتجاوز نسبة الدهون المشبعة 10 ٪ وأن تكون نسبة الدهون اللامشبعة العديدة (كزيت الذرة) فيها 6 ـ 8 ٪، في حين يكون الباقي 82 ٪ على شكل حموض دهنية لا مشبعة وحيدة (زيت الزيتون). وقد أكد أن استعمال زيت الزيتون كمعوض عن بعض النشويات في غذاء المرضى السكريين يمكن أن يؤدي إلى تحسين السيطرة على مستوى السكر الدموي.

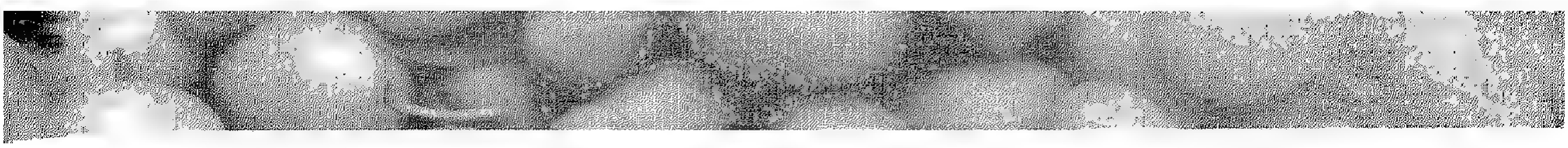
جميع أنواع زيت الزيتون مقوية للبدن منشطة للحركة.... والزيت البري المعتصر من الفج ينفع القروح الرطبة واليابسة والجرب، وورقه للحمرة والشرى. والزيت المغسول يوافق أوجاع العصب وعرق النسا، وزيت العتيق ينفع للمنقرسين إذا طلوا به. كما ينفع البريّ اللثة الدامية تمضمضاً به ويشد الأسنان المتحركة.

ابن سينا

زيت الزيتون وأمراض المرارة

يؤكد كتاب فن المداواة (للدكتورة عزة مريدن) فائدة زيت الزيتون كمفرز ومفرغ لصفراء الكبد، إذا أعطي منه 2 ـ 6 ملاعق يومياً موزعة قبل وجبات الطعام. وبتأثيره هذا يفيد المصابين بالرمال الصفراوية (المرارية) والصفراء اللزجة الكثيفة، ويخفف من آلامها. ونظراً لتفككه أو تفتته في الجسم وانطلاق الغليسرين منه فإنه يفيد في تسهيل إفراغ الرمال البولية.

وفي عام 1985 مسيحي كتب الدكتور كوتكاس (Kotkas) عن مشاهدات طريفة له من الطب الشعبي الكندي، وجدها فعالة في 95 ٪ من حالات معالجة حصى المرارة، تقوم على أن يصوم المريض على تناول السوائل والعصير (من 20 إلى 24 ساعة) ثم يبدأ بعدها بتناول ملعقتين كبيرتين من زيت الزيتون الطازج (البكر) يتبعها فوراً بملعقة كبيرة من عصير الليمون الطازج أيضا، وذلك كل 15 دقيقة حتى يتناول



ما مقداره (224 غ من زيت الزيتون) ثم ينام واضعاً زجاجة ماء دافئ على بطنه ويمتنع عن الطعام بعدها حتى صباح اليوم التالي. وقد أكدّ كوتكاس أنه كثيراً ما شاهد الحصيات المرارية تخرج متفتتة مع البراز خلال ساعات بعد ذلك.

زيت الزيتون يعالج التهابات المفاصل

أكد الباحثون بجامعة أكسفورد البريطانية أن زيت الزيتون يخفف من التهاب المفاصل، وذلك بناء على دراسة قاموا بها على مجموعة مكونة من 30 رجلا من متوسطي السن يتبعون نظاما غذائيا معينا غنيا بزيت الزيتون لمدة شهر، ثم مقارنتهم بمجموعة أخرى اتبعت نظاما غذائيا عاديا.

وبينت نتائج الاختبارات التي أجريت على نظم المناعة لدى الرجال أن المجموعة التي تناولت زيت الزيتون انخفض لديها تكوّن جزء معين يسمى{1-ICAM} الذي يعتقد أنه يزيد من شدة الالتهاب في مرضى التهاب المفاصل، وذلك لأنه يجعل خلايا الدم البيضاء (لزجة) مما يجعلها ترشح المفاصل المصابة.

وبناء على ذلك قال الدكتور بارفيه يعقوب المشرف على الدراسة: إنه كلما قلت نسبة {1-ICAM} تقل آلام المفاصل، مضيفا أن الهدف ليس مجرد إضافة زيت الزيتون للوجبة الغذائية، ولكن استبدال بعض الدهون التي تحتويها الوجبة بالدهون الأحادية غير المشبعة الموجودة في زيت الزيتون.

وببساطة يمكنك بقدر الإمكان استخدام زيت الزيتون بدلاً من الدهون الحيوانية أو الزيوت الأخرى، وإذا كانت نصف الدهون الموجودة في الوجبة الغذائية أحادية غير مشبعة فإن الوجبة تعتبر آمنة صحيا، ومفيدة للجسم إلى حد كبير.

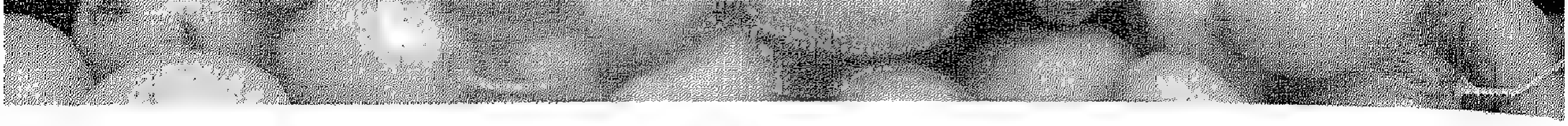
زيت الزيتون والكولسترول

لعل من أبرز النتائج التي توصل إليها العلماء أن سكان جزر البحر المتوسط، خاصة جزيرة كريت، هم من أقل الناس إصابة بمرض شرايين القلب التاجية في العالم، ومن المعروف أن معظم الدهون التي يتناولونها في طعامهم مصدرها زيت الزيتون الذي ثبت أنه يقلل من معدل الكوليسترول الضار في الدم وبالتالي يقي من تصلب الشرايين ومرض شرايين القلب التاجية... ومن المعروف أن أكسدة الكولسترول الضار أمر مهم في إحداث تصلب الشرايين وتضييقها. وقد أكدت الدراسات العلمية الحديثة أن زيت الزيتون يلعب دورا هاما في



منع تلك العملية... فضلا عن أن زيت الزيتون يلعب دورا مضادا للأكسدة أيضا حيث إنه يحتوي على فيتامين E المعروف بدوره المضاد للأكسدة، كما يحتوي على مركبات البولي فينول ومن ثم يمكن أن يقي من حدوث تصلب الشرايين.

ويُرجعُ العلماء الفوائد الصحية لزيت الزيتون إلى غناه بالأحماض الدهنية اللامشبعة الوحيدة، فضلا عن غناه بمضادات الأكسدة. وقد أشارت الدراسات العملية إلى أن زيت الزيتون يخفض مستوى الكولسترول الكلي و الكولسترول الضار دون أن يؤثر



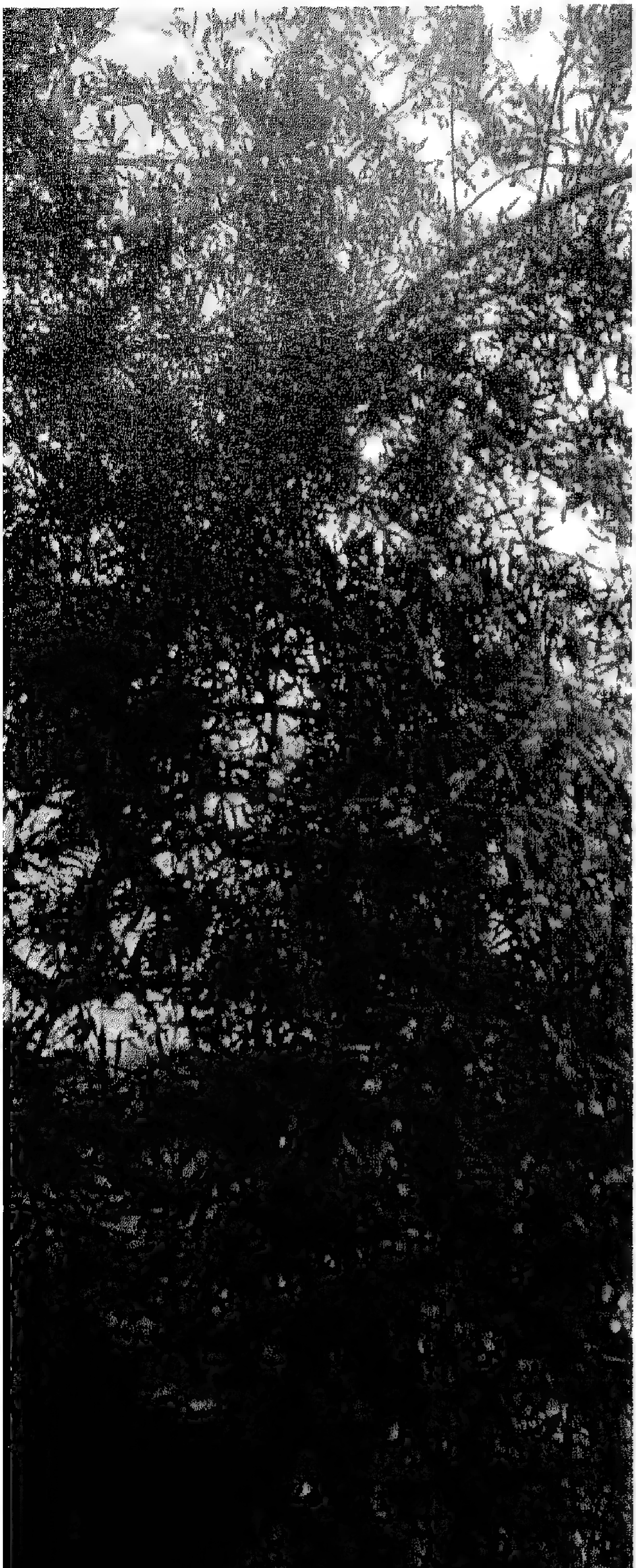
سلبا على الكولسترول المفيد الضروري والمفيد للجسم.

ليس هذا فحسب بل إن دراسة حديثة نشرت في مجلة Atherosclerosis عام 1995 مسيحي أكدت على أهمية تناول زيت الزيتون البكر الممتاز، وهو زيت العصرة الأولى ، وقد وجد الباحثون أن زيت الزيتون البكر يحتوي على كمية جيدة من مركبات البولي فينول Polyphenolic Compounds التي تمنع التأكسد الذاتي للزيت وتحافظ على ثباته، كما وجد هؤلاء الباحثون أن هذه المركبات تمنع أكسدة الكولسترول الضار LDL في أنابيب الاختبار، وبالتالي يمكن لها أن تقي من حدوث تصلب الشرايين، وتلعب دورا هاما في وقاية الجسم من خطر المركبات السامة للخلايا مثل (البيوكسايدز) Lipid Peroxide وغيرها من المواد الضارة. وأكدت هذه المعطيات دراسة أخرى نشرت في شهر النوار (فبراير) 1996 مسيحي في مجلة (Atherosclerosis) .

ولعل السؤال الذي يواجهنا هنا هو: هل لزيت الزيتون تأثير على تجلط الدم؟ وبالتالي: هل هناك أيضاً تأثير آخر لزيت الزيتون يمارس عن طريقه فوائده في الوقاية من تصلب الشرايين؟

تجيبنا عن ذلك دراسة نشرت في شهر الكانون (ديسمبر) عام 1999 مسيحي في مجلة علمية متخصصة بالقول: لقد توصل الباحثون إلى أن الغذاء الغني بزيت الزيتون ربما يضعف التأثير السيء للدهون المتناولة في الطعام على تجلط الدم، وبالتالي فإن ذلك ربما يقلل من حدوث مرض شرايين القلب التاجية.

وفي بحث قام به الدكتور ألدو فرارا في جامعة نابولي الإيطالية ونشر في مجلة Archives of Internal Medicine بتاريخ 27 الربيع (مارس) 2000 مسيحي، تمت دراسة 23 مريضا مصابا بإرتفاع ضغط الدم، ويتناولون أدوية لارتفاع





ضغط الدم، تناول النصف الأول من المرضى غذاءا غنيا بزيت الزيتون البكر، أما المجموعة الأخرى فتناولت غذاءا غنيا بزيت دوار الشمس، وبعد ستة أشهر عُكس نمط الغذاء بين المجموعتين لستة أشهر أخرى، وأظهرت نتائج الدراسة انخفاض ضغط الدم بمقدار 7 نقاط عند الذين تناولوا زيت الزيتون، في حين لم يحدث أي انخفاض في المجموعة الأخرى. وقد استطاع المرضى الذين كانوا يتناولون الغذاء الغني بزيت الزيتون خفض جرعات أدوية ضغط الدم إلى النصف، وذلك تحت إشراف الأطباء بالطبع، كما أن ثمانية من المرضى المصابين بارتفاع خفيف في ضغط الدم لم يعودوا بحاجة إلى الدواء خلال تلك الدراسة، في حين لم يحدث أي تغير يذكر في جرعات الدواء عند المرضى الذين كان غذاؤهم غنيا بزيت دوار الشمس. ولا بد من التنبيه إلى ضرورة الالتزام بإرشادات الطبيب، فلا ينبغي أن يفهم من هذا أن باستطاعة المرضى المصابين بارتفاع ضغط الدم تناول زيت الزيتون وإيقاف أدويتهم فهذا أمر في غاية الأهمية، ولا بد من المراقبة الدورية من قبل الطبيب.

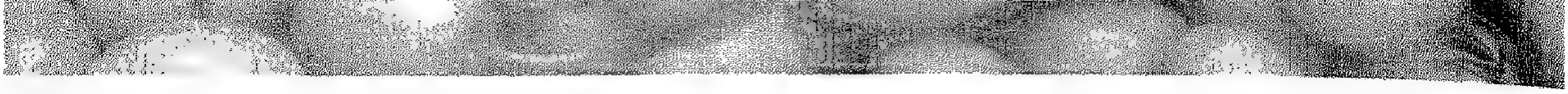
زيت الزيتون يقوي ذاكرتك

ثبت علميا أن زيت الزيتون يحتوي على المواد المضادة للأكسدة التي لها تأثير مهم على تأخير الشيخوخة، ونجد أن المواد المضادة للأكسدة هي (فيتامين سي و إي بيتاكاروتين ومركبات الفينول). وعلى هذا يمكن لقطرات من زيت الزيتون تتناولها يوميا، أن تقيك فقدان الذاكرة وتبقي على أداء دماغك لوظائفه بشكل فعال عند بلوغك سن الشيخوخة، وذلك استنادا إلى ما يقوله فريق علمي من جامعة (باري) الإيطالية والسر في ذلك - حسب ما يقوله الدكتور أنتونيو كابورسو الذي يترأس الفريق العلمي الذي قام بالأبحاث اللازمة قبل التوصل إلى هذا الاستنتاج - هو الحوامض الدهنية غير المشبعة



التي يمكن العثور عليها في زيت الزيتون.

ويعتقد هؤلاء العلماء أن هذه المواد تحافظ على سلامة بنية الدماغ. ويعبر الدكتور (كابورسو) عن ذلك بقوله: يبدو أن هناك حاجة متزايدة إلى الأحماض الدهنية غير المشبعة أثناء عملية الشيخوخة. وقد توصل الفريق الطبي إلى نتائجه هذه بعد أبحاث شملت 300 شخص تراوحت أعمارهم بين 65 و84 عاما، حيث تبين أن الذين تناولوا كميات أكبر



من هذه الأحماض ضمن مكونات وجباتهم الغذائية. تمتعوا بقدرة أفضل على التذكر وكانوا أكثر يقظة من غيرهم. ويوصي الباحثون بتناول كميات إضافية من زيت الزيتون باعتباره فعالا بشكل خاص في هذا المجال. ولا عجب، فشجرة الزيتون مباركة طبية.

زيت الزيتون والسرطان

من خلال الدراسات والإحصاءات الصادرة عن المراكز المتخصصة فإن السرطان يعتبر مسؤولا عن خمس الوفيات في البلدان الأوروبية، ولكن الغريب في الأمر أن هناك اختلافات واضحة في معدلات الوفيات من السرطان بين الدول الشمالية والغربية من أوروبا وبين دولها الجنوبية المطلة على حوض البحر الأبيض المتوسط، وهناك أدلة قوية تشير إلى أن هذا الاختلاف منشأه - إلى حد كبير- نوعية الغذاء المتناول. ويعزو الباحثون سبب انخفاض معدل الوفيات من السرطانات في حوض البحر الأبيض المتوسط إلى غذاء سكان هذه البلاد الذي يشتمل على زيت الزيتون كمصدر أساسي للدهون وعلى الخضروات والفواكه والبقول.

إذن ما هو دور زيت الزيتون في الوقاية من السرطان؟

أظهر العديد من الدراسات أن هناك تناسبا عكسيا بين زيت الزيتون وبين حدوث عدد من السرطانات ، وأكثر تلك الدراسات تؤكد العلاقة الوثيقة بين تناول زيت الزيتون وانخفاض معدل حدوث سرطان الثدي والمعدة، ليس هذا فحسب، بل إن عددا آخر من الدراسات العلمية يؤكد - كما يقول رئيس معهد أبحاث تصلب الشرايين في جامعة مونستر بألمانيا ، وهو من أبرز الباحثين في العالم في مجال تصلب الشرايين - أن تناول زيت الزيتون يمكن أن يقي من عدد آخر من السرطانات ومنها سرطان القولون وسرطان الرحم وسرطان المبيض، على الرغم من أن هذه الدراسات مازالت في بداياتها، فضلا عن أن عددها ما زال صغيرا.

ومهما يكن فإنه يمكن القول إن زيت الزيتون أسهل للهضم وله نكهة تساعد على زيادة الشهية لذا يفضل وضعه على السلاطات والمتبلات ليزيد من نكهتها وشهيتها ومذاقها، لأنه يحسن من مواصفات الطعام، وهو يساعد الأطفال أيضا على النمو، كما أنه يؤخر الشيخوخة، أيضاً هو ملين ومسهل كما يقول الأطباء والاختصاصيون ، ويؤمن زيت الزيتون وقاية جيدة من تجلط الدم وتصلب الشرايين. كما سبقت الإشارة، وهو ينشط الكبد والقناة الصفراوية، ويخفض حموضة إفرازات المعدة ويحميها من الإصابة بالقرحة، ويفيد في أمراض اللثة والحساسية والجلد لنعومة أفضل . كما يستخدم زيت الزيتون لوقف تساقط الشعر، كما يفيد الرياضين في تليين العضلات..

وتبقى الإشارة إلى أن هناك استخدامات متنوعة لأوراق الزيتون وأغصانه وحطبه، إضافة إلى الفضلات التي تنتج عن عصر الزيتون، وذلك في مجالات الصناعة وإعداد أعلاف الحيوان.... إلخ، لا يتسع المجال هنا للحديث عنها.

والعالم ينظر إلى هذه الشجرة ليس فقط على أنها مقدسة بل إنها رمز للسلام الذي نحب ونأمل أن يعم العالم.

مصادر الموضوع:

1- كتاب: إعجاز النبات في القرآن الكريم / الدكتور نظمي أبو العطا أستاذ النبات في الجامعات المصرية.

2- كتاب: زيت الزيتون بين الطب والقرآن / د. حسان شمسي باشا / دار المنارة بجدة.

3- موقع BBC. ARABIC

4- موقع طبيب على الإنترنت .

5- فراس نور الحق: زيت الزيتون .

6- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة .

7- موقع هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

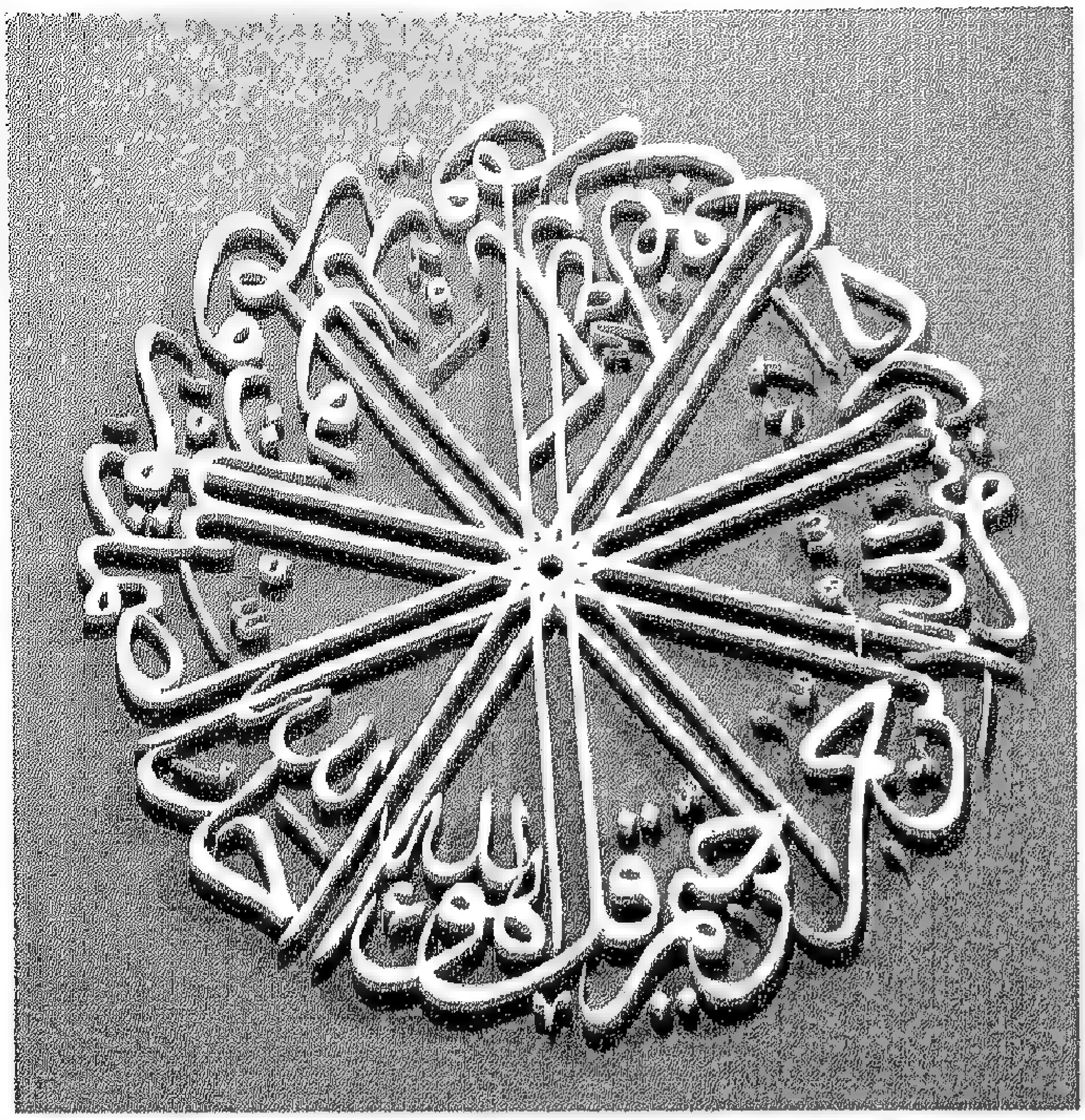
الخط العربي

الحرف الناطق.. الرسم بالكلمات

إعداد: الصديق بشير نصر*



* كاتب وباحث/ ليبيا



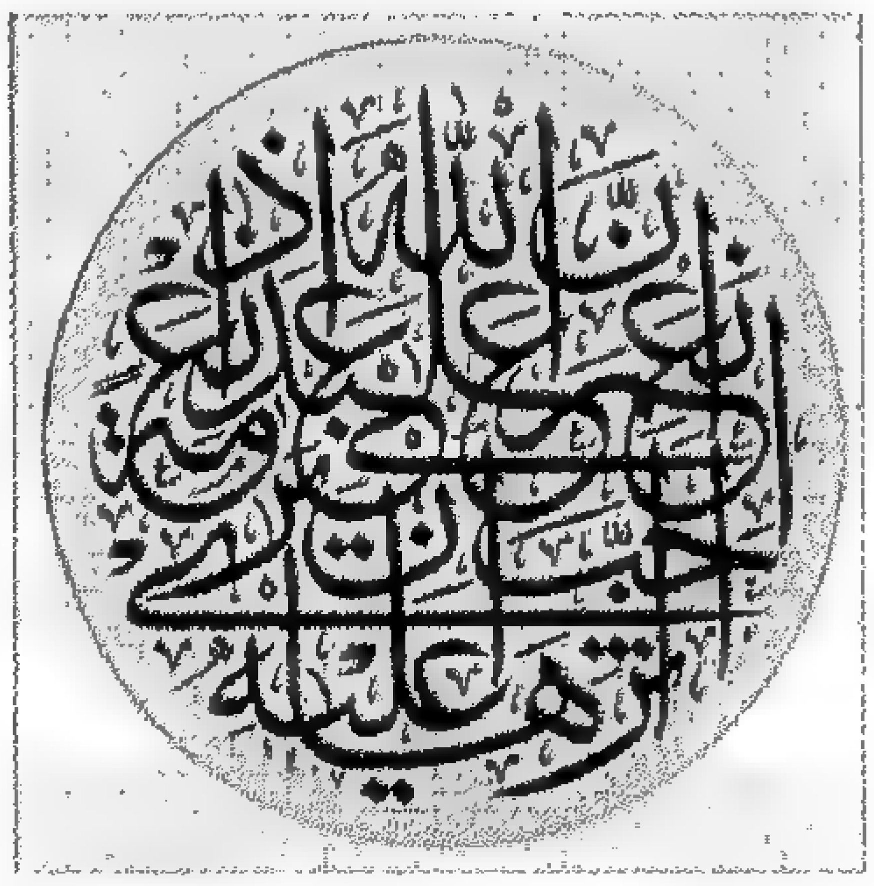
قد يختلف الناسُ في الحكم على كونِ الشيء جميلاً أو أجمل، أو كونه قبيحاً أو أقبح، ولكنهم لا يختلفون في كون الشيء جميلاً أو قبيحاً. وهذا من بداهة الحكم على الأشياء، إذ الجميل والأجمل من الجنس نفسه، وكذا القبيح والأقبح. ولذا فإنّ الاتفاق على كون الشيء جميلاً عند بعضهم قبيحاً عند غيرهم يدلّ على فسادٍ كبير في الذوق، وانحراف ظاهر عن المعايير الجمالية التي لا تُخطئها العيون ولا القلوب.

وللمسلمين بصيرة بالجمال تتجاوز كونها فلسفة. بل إنهم بزوا غيرهم من فلاسفة الجمال، ونجد ذلك جلياً واضحاً عند ابن عربي، والغزالي، وابن حزم، وابن رشد، وغيرهم. فهذا الغزالي يقول في إحياء علوم الدين (4:303):

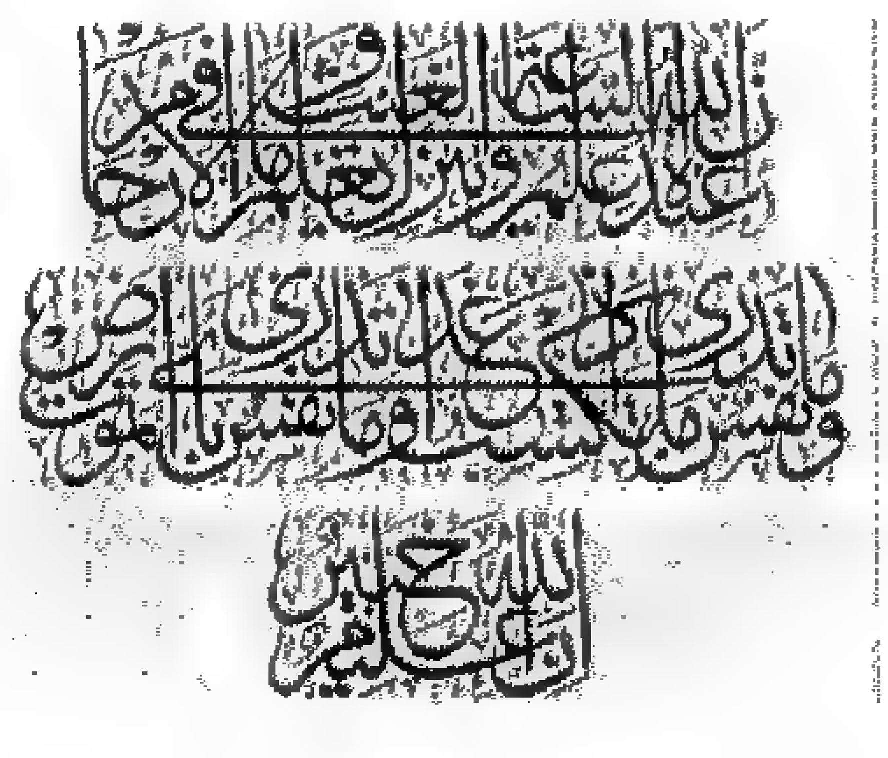
«إن الجمال ينقسم إلى جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين الرأس، وإلى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة. والأوّل يدركه الصبيان والبهائم، والثاني يدركه أرباب القلوب، ولا يشاركهم فيه مَن لا يعلم إلا ظاهراً من الحياة الدنيا».

فإذا اتضحت هذه الحقيقة أدركنا معنى اتفاق الناس قديماً وحديثاً على جمال الخطّ العربي. حتى أولئك الذين لا يحسنون العربية ولا يقرأونها يسلّمون بأن ثمة شحنات جمالية مثيرة تكتنف هذا الخطّ. إن الخط العربي، بأنواعه المختلفة، يحمل في تضاعيفه معاني جمالية وهو بحق لسان بلا لسان، أي أنه لغة بلا جارحة تفصح عنها. فبعض الناس نظر إليه بعين رأسه فأثاره، وبعضهم نظر إليه بعين قلبه فسحره. وهذا هو المقصد الذي أراده الغزالي بقوله.

الخطّ العربي ليس مجرّد رسم جميل، إنه ثقافة أمّة، تعبّر عن ميراث عظيم. ولعلّ من أسباب اهتمام العرب والمسلمين بهذا الخط نهي الشارع عن الرسم والتصوير والنحت، فانصرفت الهممُ إلى أوجهٍ من الإبداعِ أخرى كالزخرفة والخط.



ولقد اجتهد نقّاد الفنّ في اكتشاف أسرار هذا الخط، وأسرار الجاذبية فيه، تلك التي تشدّ الناظر إليه من أوّل وهلة بصرف النظر عن ثقافة الناظر ودينه. فذهب بعضهم إلى أن سرّ جاذبية الخط العربي يكمن في هندسة التماثل التي تخضع لها الحروف العربية، بمعنى أنّ جميع الخطوط العربية تتحرك في انحناءات متماوجة تحدث شيئاً من

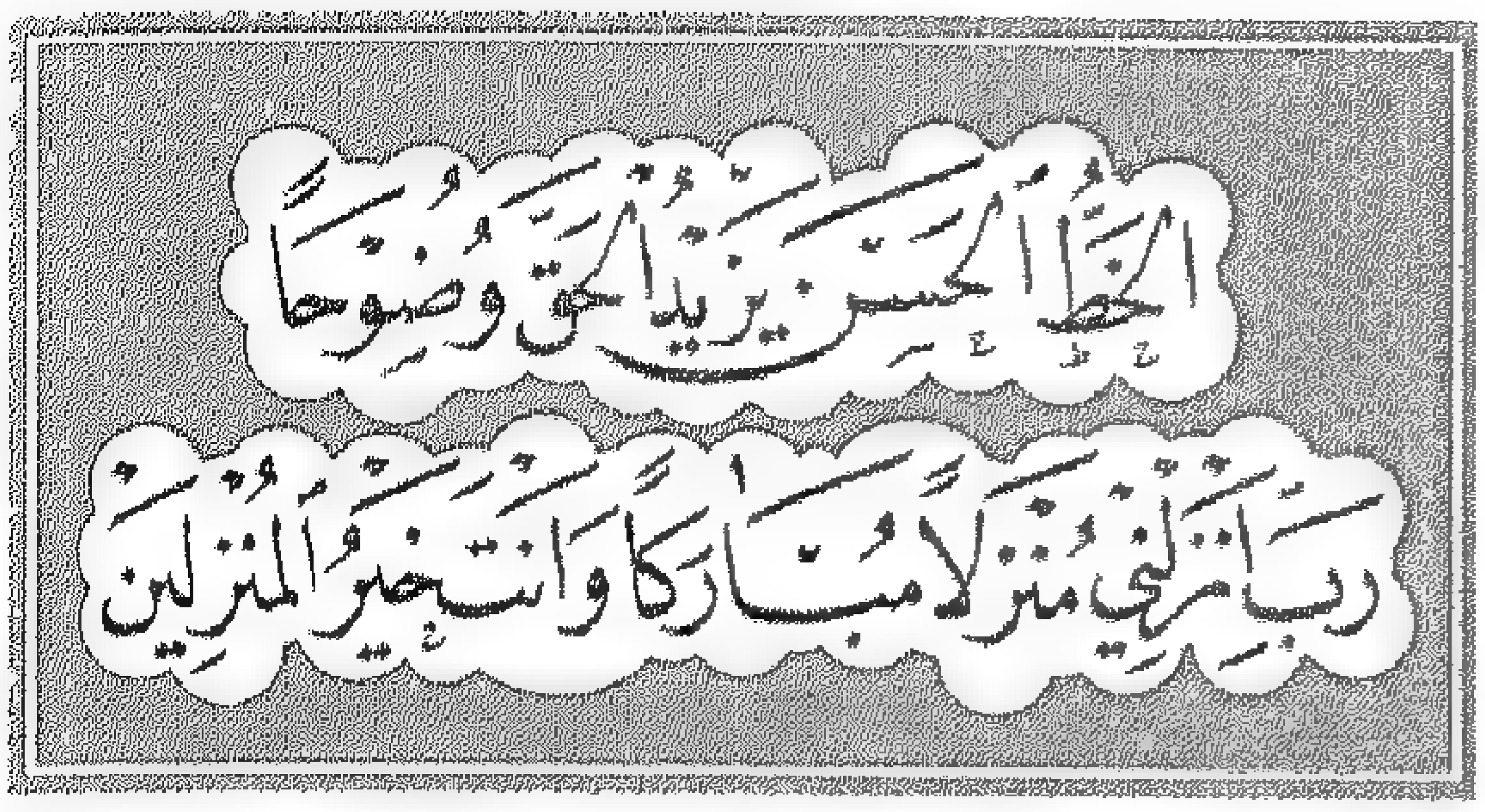


الانسجام، فلا تكاد تجد في أيّ نوع من الخط العربي زاوية حادّة، أيّ نتوءاً جارحاً. ويعتبر بعض الباحثين أنّ حرف الألف هو أساس الخط العربي، والحروف الأخرى إن هي إلا أشباه أقواس، والقوس بعضٌ من الدائرة، والدائرة إذا انحنت تحوّلت إلى خط مستقيم، وذلك هو الألف.

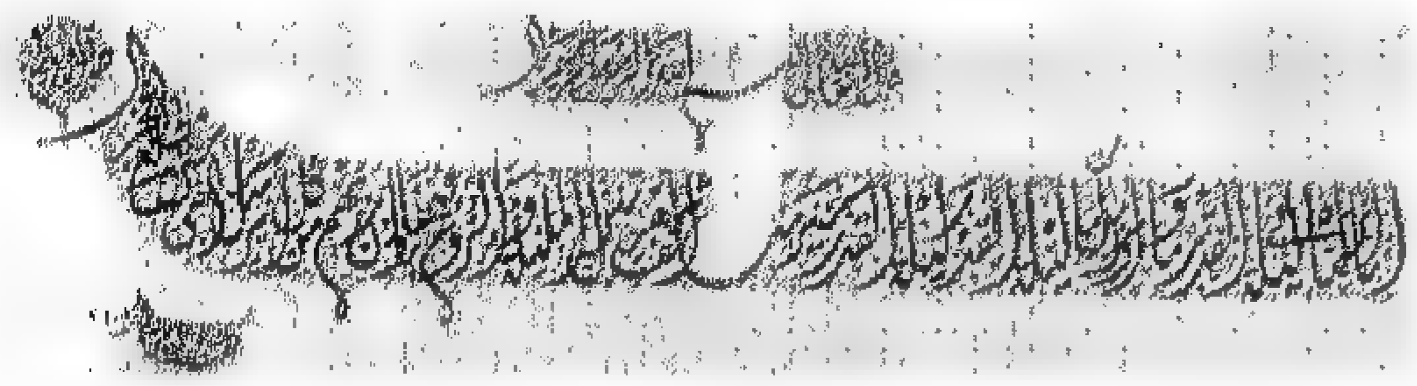
وقد سُئل أحد الخطاطين: متى يستحق الخطّ أن يوصف بالجودة، فقال: «إذا اعتدلت أقسامه، وطالت ألفه ولامه. واستقامت أسطاره، واستوى صعوده وانحداره، وتفتّحت عيونه، ولم تشتبه راؤه ونونُه. وأشرق قرطاسُه، ولم تختلف أجناسُه. وقُدّرت فصوله، واندمجت أصوله، وتناسب دقيقه وجليلُه».

ولقد ارتبط الخطّ العربي بالقرآن الكريم، حيث تنافس الخطاطون قديماً وحديثاً في كتابته، فأتوا ببدائعَ ونفائس، لا تزال تحتفظ بها دور الكتب في جميع أنحاء العالم.

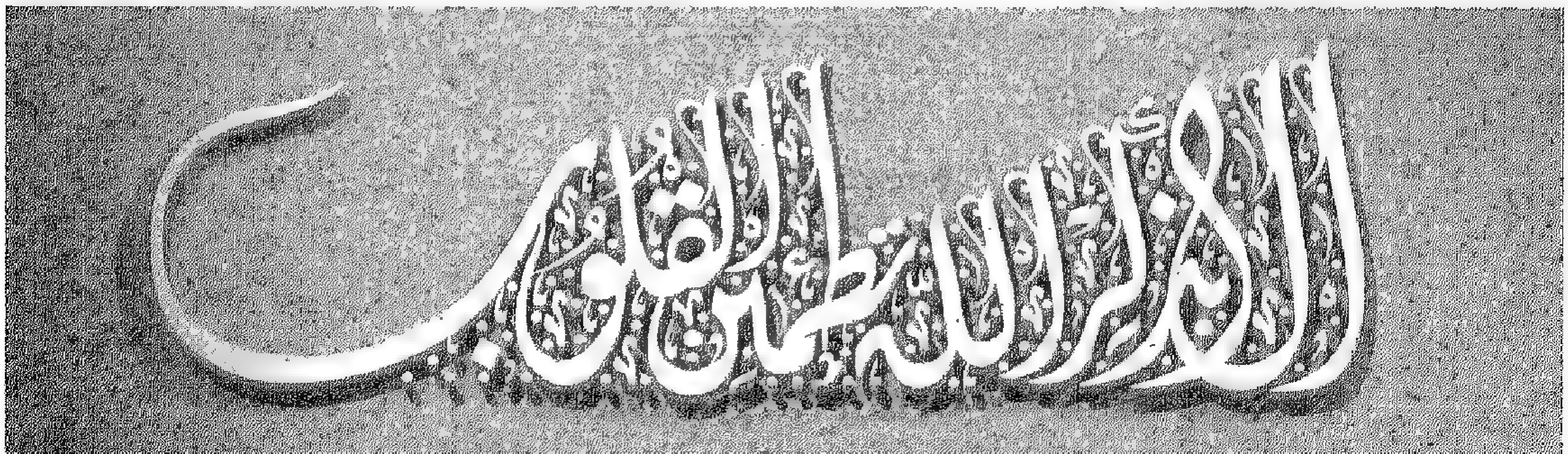
وارتبطت العناية بالخطوط بالدواوين في الدولة الإسلامية، أو ما يُعرف بديوان الإنشاء. فكما كان يوجد بالدواوين المنشؤون وهم الذين يحرّرون رسائل الدولة والوثائق الرسمية، كان هناك الخطّاطون الذين يتولّون كتابة ما يمليه أصحاب الإنشاء من الكتّاب المحترفين والأدباء المنتخبين للعمل بتلك الدواوين. وكما كان المنْشِئُ يختار اللغة المناسبة للخطاب، كان الخطاط ينتقي الخطّ المناسب للكتابة. وفي كتاب (صبح الأعشى في فن الإنشاء) للقلقشندي كلام



تعلّم قِوامَ الخطِّ يا ذا التّأدّبِ
فما الخطُّ إلا زينةُ المتأدّبِ
فإن كنتَ ذا مالٍ فخطّك زينةٌ
وإن كُنتَ مُحتاجاً فأفضلُ مَكسَبِ



مسهب مهم عن أنواع الخطوط وتطوّرها، فضلاً عن أنواع الأقلام، والدواة، وألوان المداد، وكيفية صناعتها. وكنت قد وقفتُ على كتابٍ بعنوان (مراسلات خيري الدين الزركلي مع علماء عصره) منذ وقتٍ ليس بالقصير، وفيه رسائل وردود بين هذا العلامة الكبير صاحب كتاب (الأعلام) مع بعض العلماء، وأغلب تلك المراسلات كانت مكتوبة بالخط الفارسي، أي أن الزركلي كان إذا كاتبه أحدٌ بالخط الفارسي ردّ عليه بالخطّ نفسه، وإذا كاتب هو أحداً بالخط الفارسي، ردّ عليه ذلك بالخط نفسه أيضاً،



فأثار ذلك حفيظتي، ولم أقف على تعليلٍ يثلج الصدر في ذلك حتى سألت عنه يوماً علامة طرابلس الغرب المرحوم الشيخ يوسف عز الدين طاباق، لمّا رأيته قد حرص على أن يكتب كشكوله الأدبي - وهو مختارات أدبية انتقاها الشيخ من أمهات كتب الأدب واللغة، ويقع في نحو خمسة أجزاء مخطوطة - بالخط الفارسي، فقال لي: الخط الفارسي هو خطّ الملوك. وإذا كاتبك أحدٌ بهذا الخط فقد رفع قدرك إلى مصافهم، وينبغي عليك أن تجتهد في الرد عليه بهذا الخط وإلا تكون قد حططت من قدره، ولو اقتضى الأمرُ منك أن تستأجرَ من يكتب لك بالخط الفارسي إذا لم تكن ممن يحسن الكتابة به. وهذا، لا ريب، من أجمل ما وقفت عليه من تعليل. وكل ذلك يُشعر بالبعد الجماليّ للخط العربي.



والنسب والأبعاد في الأحرف العربية، يحققان الانسجام الخارجي الذي يُحدث في العين ارتياحاً.

ومن المثير حقاً أن يهتم المسلمون غير العرب بتطوير الخط العربي بشكل ملحوظٍ، حتى إنّ أعظم الخطاطين في العصر الحديث أكثرهم من الأتراك والإيرانيين. وهذا يضفي سمة العالمية على الخط العربيّ. وقد انعقدت مسابقات دوليّة جرى معظمها في استانبول. ففي سنة 1987 جرت المسابقة الأولى إحياءً لذكرى الخطاط حامد الآمدي، وانعقدت الثانية سنة 1991 في ذكرى الخطاط ياقوت المستعصمي، وكانت الثالثة في سنة 1996 إحياءً لذكرى الخطاط ابن البواب، وكانت الرابعة في سنة 2001 إحياءً لذكرى الخطاط حمد الله الأماسي، ولعلّ آخر مسابقة كانت في سنة 2002 في ذكرى الخطاط المصري الكبير سيّد إبراهيم. إنّ تطوّر الخط العربي يحمل لنا تاريخاً مشرقاً لأعلامه منذ قرونٍ عديدة. فهناك ابن مقلة مكتشف الخطوط الستة: الثلث، والنسخ، والمحقّق،



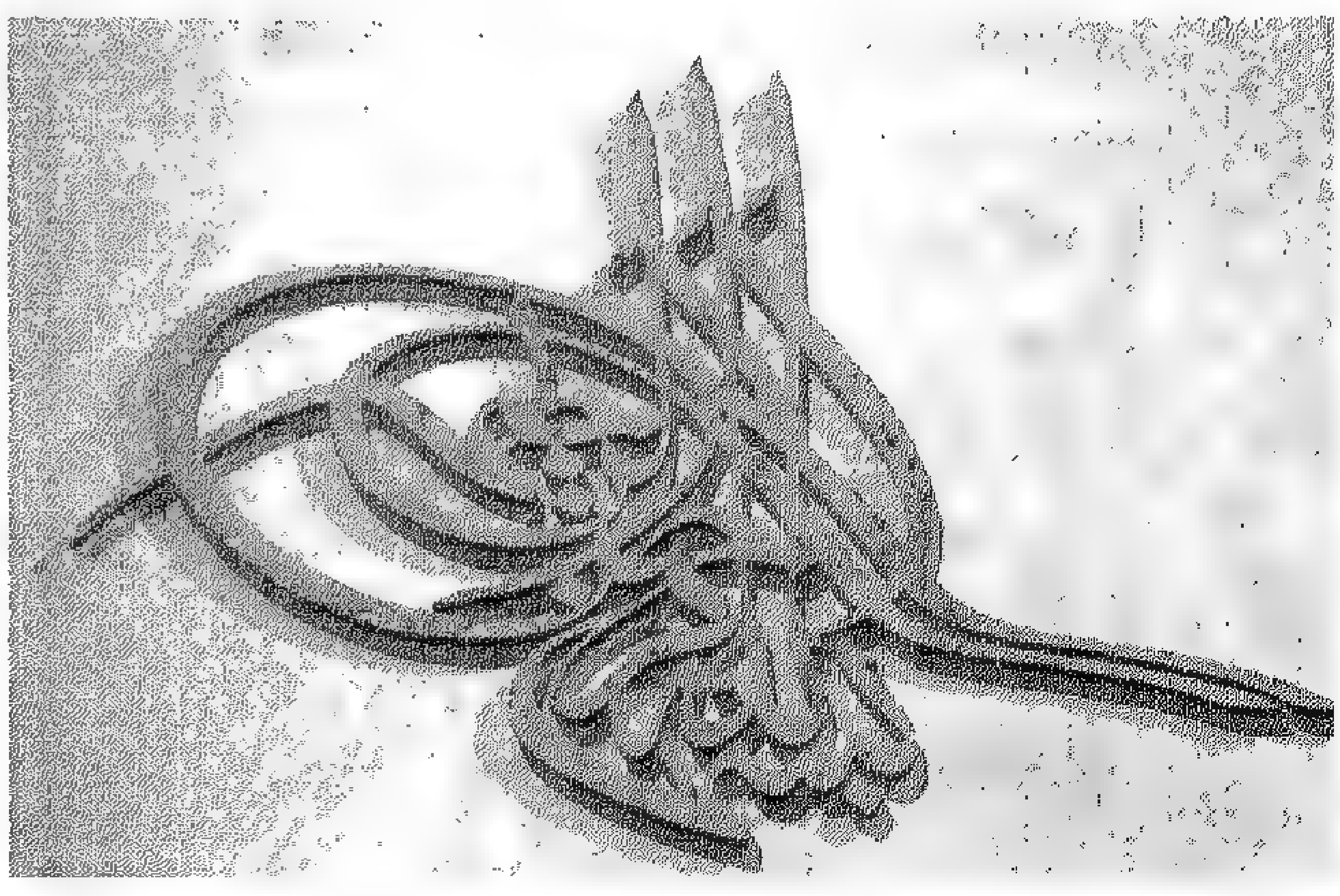
خط تاج السر السيد حسن

والريحان، والرقعة والتوقيع. ولعلّ لابن مقلة يعود الفضل في بدايات إحكام هندسة الخط العربيّ واكتشاف النقطة المربعة عن طريق الضغط على القلم بشكل مائل. وقد وُلِد ابنُ مقلة سنة 272هـ، وكان وزيراً، ويعود إليه الفضل في وضع قواعد الخط المعروفة. وله رسالتان في الخط، الأولى تحمل عنوان (ميزان الخط) والثانية (رسالة في علم الخط والقلم) وجاء بعد ابن مقلة خطاطٌ مبدعٌ هو ابنُ البوّاب، وقد كتب 64 مصحفاً، وتوفي سنة 413هـ، وقد هذّب ابن البواب طريقة ابن مقلة في الكتابة، كما أكمل قلم التوقيع، وأحكم قلم النسخ، وأبدع في الرقاع والريحان. وجاء بعد ذلك الخطاط ياقوت المستعصمي البغدادي، وكان مملوكاً للخليفة المستعصم بالله العباسي، وقد توفي في سنة 698هـ. ويعود لياقوت الفضل في اكتشاف

طريقة جديدة لصناعة الأقلام من القصب وبريها بشكل مائل، وهي طريقة في البري متّبعة حتى اليوم. وقد ظهر أثر ذلك على الخطوط الستة. وهناك خطوط أربعة أخرى غير تلك الستة، وهي: الغبار، والتمار، والتعليق، والنستعليق. وظهر خط الغبار في القرن التاسع الميلادي، وهو مشتقّ من الخط الرياسي (نسبة لذي الرياستين الوزارة والقلم الفضل بن سهل)، وله حروف مدوّرة صغيرة جداً استعارت بعض خصائصها من خطي الثلث والنسخ. والنستعليق كلمة مركبة من كلمتين هما النسخ والتعليق. وهو خط اخترعه الفرس واشتقوه من خط التعليق الذي تشكّل هناك على يد مير علي التبريزي المتوفى في سنة 919هـ، وقد أصبح هذا الخط منذ ذلك الوقت الخط الرسمي عند الفرس. وفي تركيا ابتكر الأتراك الخط الهمايوني المعروف بالخط الديواني على يد الخطاط الشهير إبراهيم منيف، كما وضع ممتاز مصطفى بك قواعد الرقعة سنة 1270هـ. ويقال إن الخط العربي دخل تركيا على يد الخطاط البارع الشيخ حمد الأماسي المتوفي في سنة 926هـ. وخطوطه الموجودة تشهد له بالتبريز.



وقد اشتهر في الدولة العثمانية خط الطغراء، وهو خط محوّر من الخط الديوانيّ، وهو أشبه بالشارة أو الختم، وكان يطلق عليه في الولايات العثمانية (التوقيعة السلطانية). ويقال إنّ للطغراء قصّة طريقة، وهي أن تيمورلنك أرسل تهديداً للسلطان العثماني بايزيد، ولم يمهره بتوقيعه لأنه كان أمياً، وبصمه بكفّ يده بعد أن غمسها في المداد. ومنذ ذلك الحين شاع توقيع الطغراء، وكان أول من استخدمه السلطان سليمان بن يازيد في أوائل القرن العاشر الميلادي. ومن الخطاطين الذين أبدعوا في هذا الخط، الخطاط التركي الشهير سامي، والخطاط

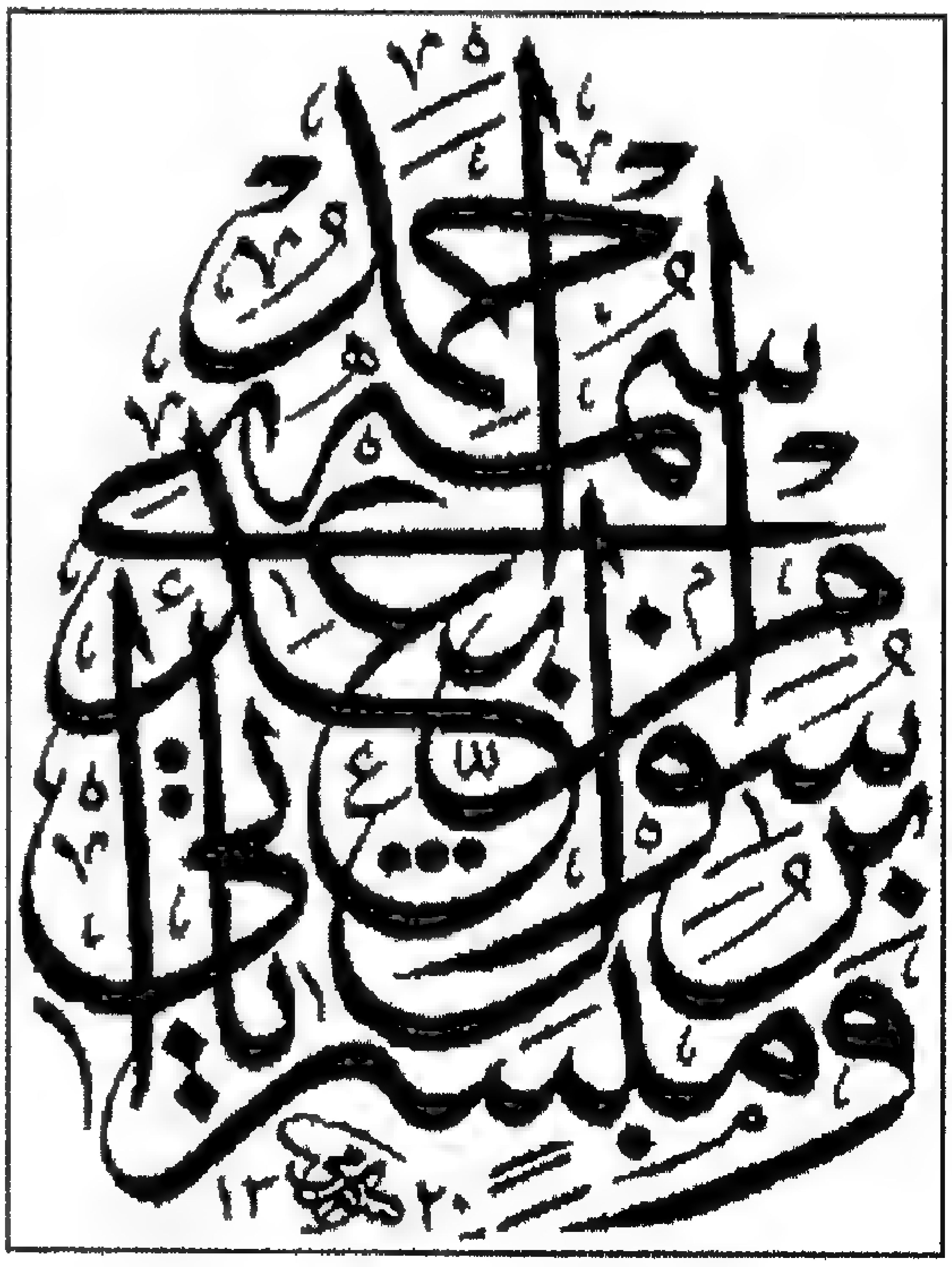


حافظ الآمدي، وشيخ الخطاطين في عصره محمد عبد العزيز الرفاعي، والخطاط المصري الشهير سيد ابراهيم.

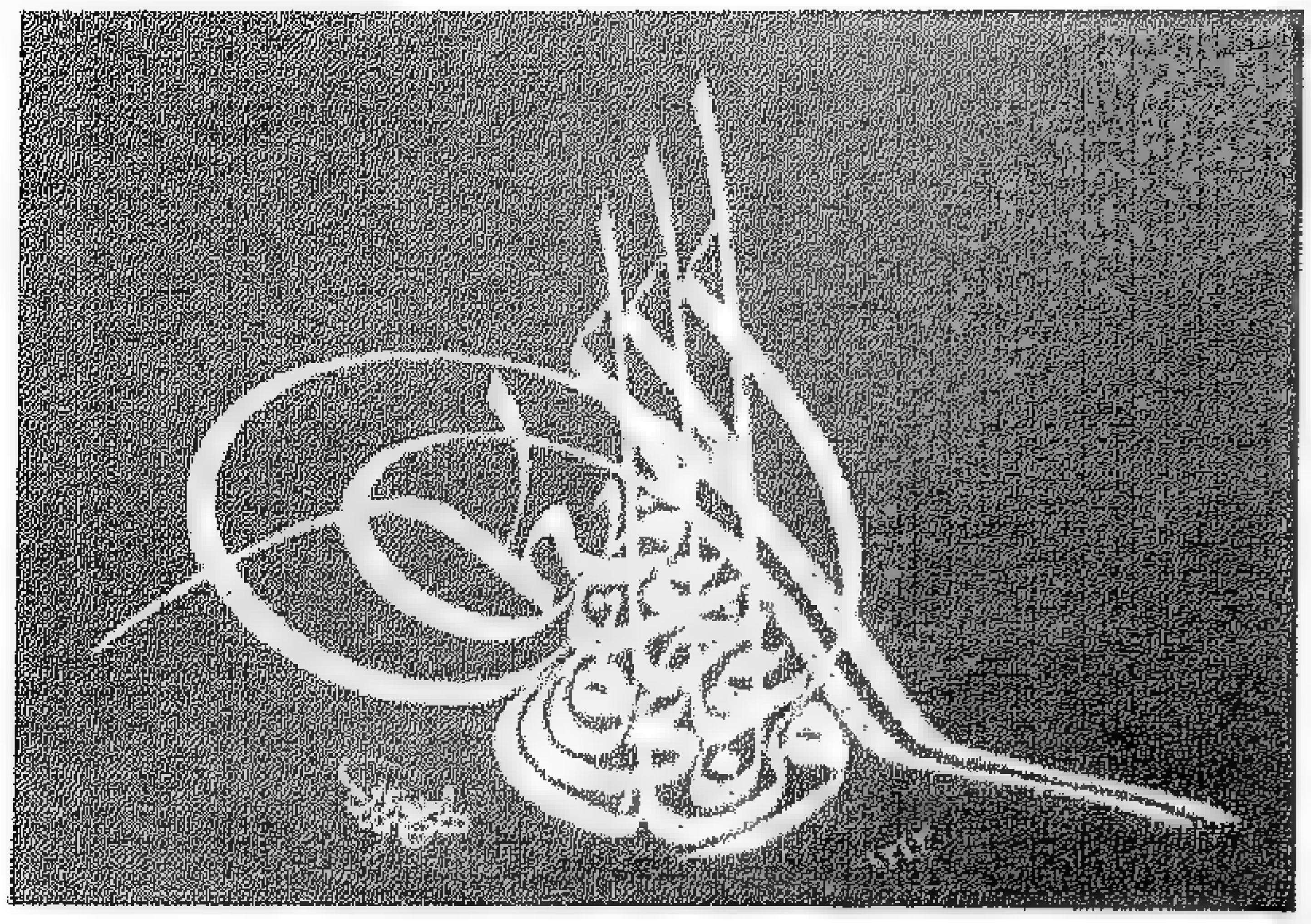
تطور الخط العربي في العقود الأخيرة

في العقود الأخيرة من القرن العشرين تطوّر الخط العربي بشكل ملحوظ، وإن كان ذلك لم يمسّ اصول وقواعد الخط نفسها. فقد أدخلت على الخط الزخارف والألوان المختلفة مع صنع خلفيات خاصة للخط.

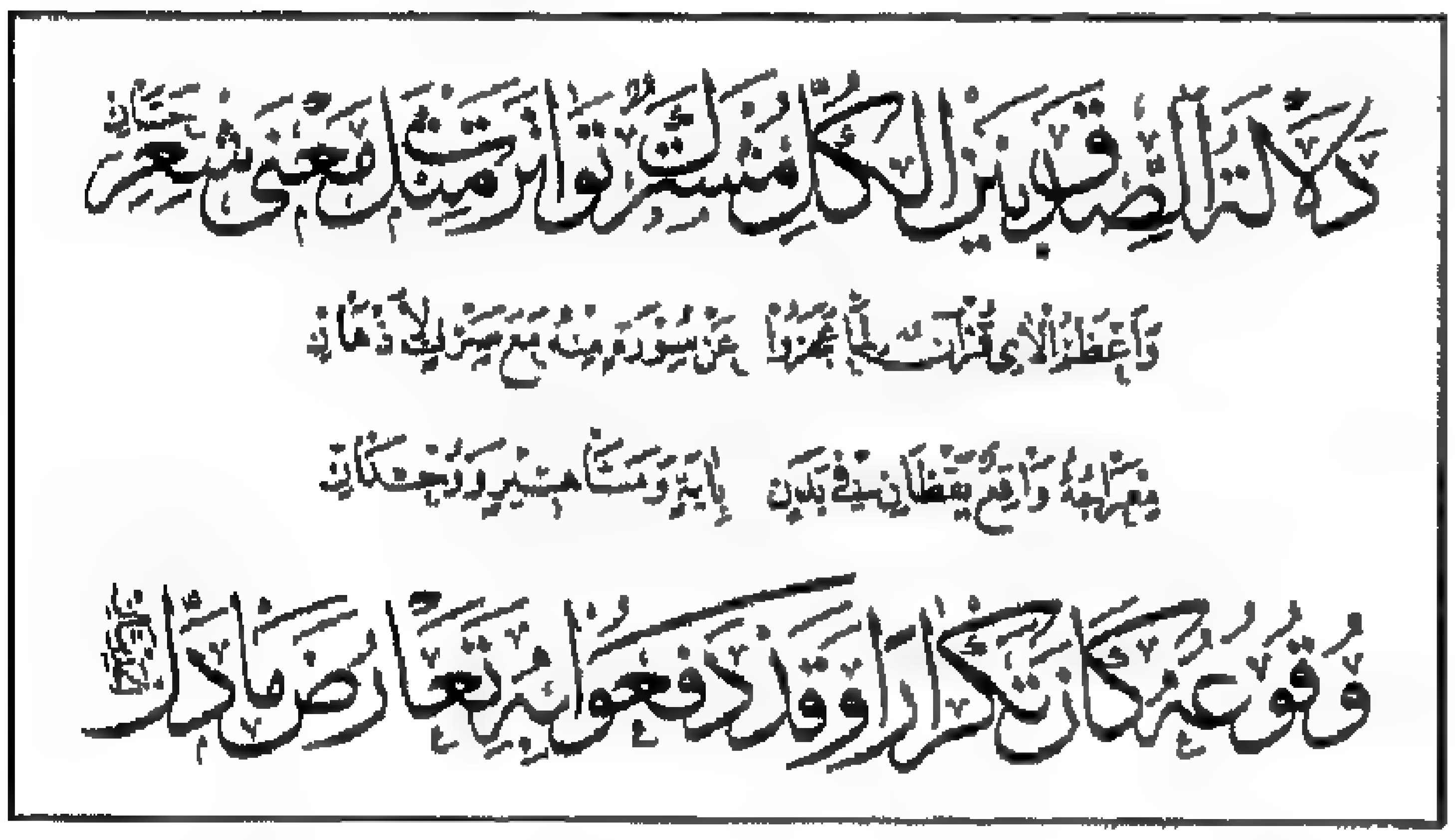
لقد أظهر هذا التحسين الخارجي جمالاً للخطّ كان مخفيّاً، فالكتابة كانت بالمداد الأسود فوق ورق أبيض، وفي بعض الأحايين يستخدم المداد الأبيض فوق الورق الأسود. وفي الوقت الحاضر تنوّع الورق الملوّن بألوان مختلفة، مظهراً ظلالاً متماوجة، فيكتب عليه بأكثر من مداد بحسب كثافة الظلّ في الورقة. كما ابتدعت في السنين الأخيرة أنماط جديدة من



نموذج من خط سامي



نموذج من خط الطغراء بقلم شيخ الخطاطين عبد العزيز الرفاعي



نموذج من خط الشيخ عبد العزيز الرفاعي

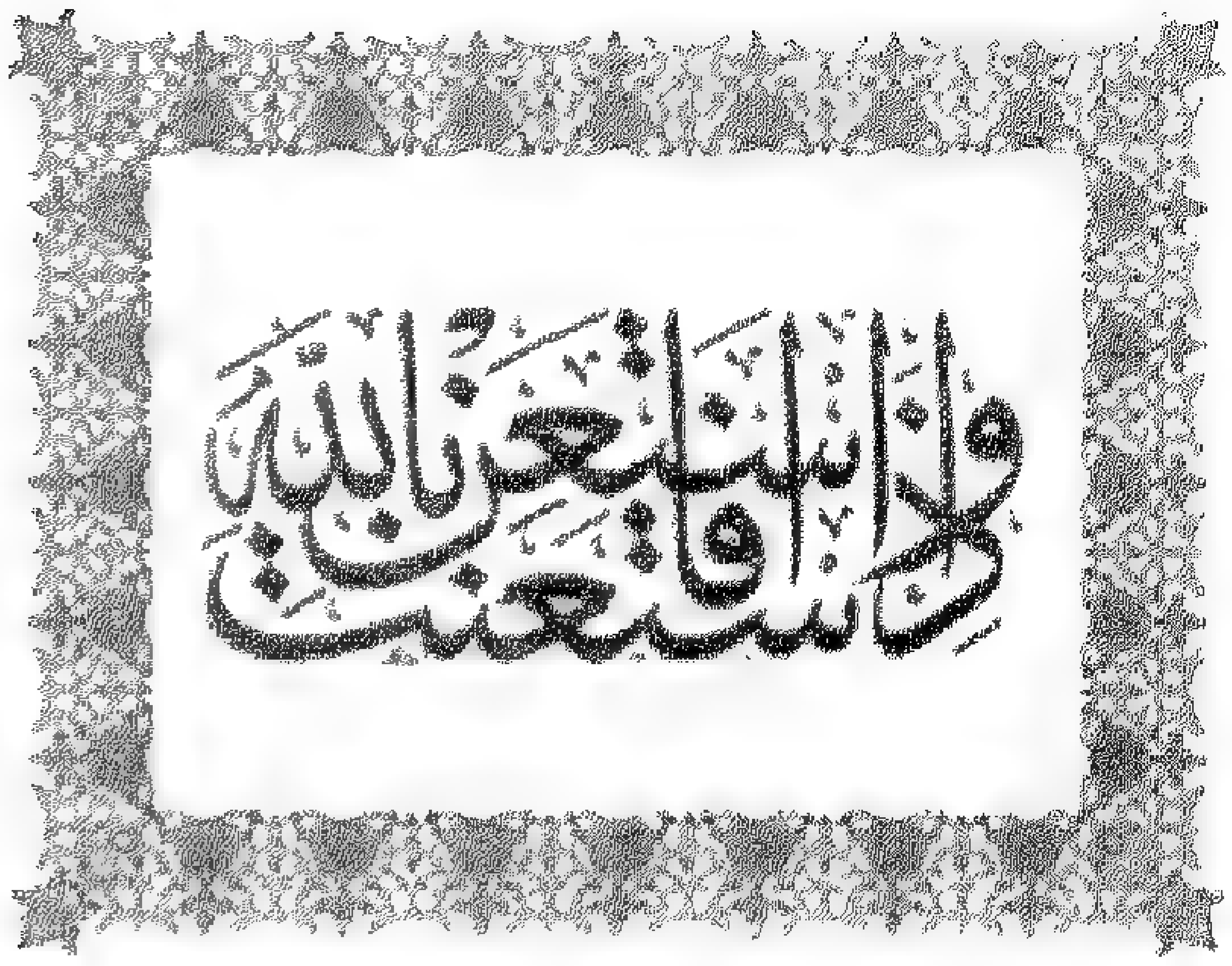


نموذج من خط حسن صبحي مراد

الخطوط الحرّة التي أخذت شكل الرسم الساحر والتي تنعت بالخطوط الحرّة، أي التي لا تخضع للقواعد المعتبرة في الخطوط العربية.

من أعلام الخط العربي في العصر الحديث

لمع في العصر الحديث نخبةٌ من الخطاطين المبدعين، توزّعوا على الأقطار العربية والإسلامية مخلّفين وراءهم آثاراً جمالية تشهد لعظمتهم وتفوقهم. وليس من العجيب أن يتصدّر أولئك جميعهم



نموذج من خط مختار البابا



نموذج من خط عدنان العباد

الخطاطون الأتراك الذين تتلمذ على أيديهم أشهر وأنبغ الخطاطين في العالم العربي والإسلامي. ولعلّ ذلك يرجع لاهتمام سلاطين الدولة العثمانية التي كانت تشجع على الخط وتجزل العطاء للمهرة فيه، حتى بلغ المرتب الذي يمنح للخطاط في دوائر السلطنة من أعلى المرتبات التي تمنح لموظفي الدولة. ومن أشهر الخطاطين الأتراك إسماعيل حقي الشهير بسامي، وكان رئيساً للخطاطين في زمنه، ولد سنة 1253هـ، وتوفي سنة 1330هـ.

ومحمد عبد العزيز الرفاعي المولود في استانبول سنة 1285هـ وتوفي سنة 1353هـ، وكان يُلقّب بأمير الخطاطين، وقد استقدمه الملك فؤاد إلى مصر سنة 1921م ليكتب له مصحفاً، فكتبه في ستة أشهر، وذهبه وزخرفه في ثمانية أشهر، فكان آيةً من آيات الإبداع. ولمّا أسس الملك فؤاد مدرسة تحسين الخطوط في سنة 1922 كان الشيخ عبد العزيز الرفاعي من أوائل معلّميها. وتخرّج على يديه رواد الخط في مصر مثل سيد ابراهيم.

ولمع في العراق عدد كبير من الخطاطين من أمثال: هاشم البغدادي ومهدي الجبوري، وصبري الهلالي، وخليل الزهاوي، وآخرين. وظهر في مصر خطاطون بارعون من أمثال: سيد ابراهيم، ومحمد حسني، ومحمد علي المكاوي.

ولمع في ليبيا خطاطون كبار مثل: الشيخ صبري الأمير، والشيخ أبو بكر ساسي، وهذا الأخير كتب مصحف الجماهيرية برواية قالون، وفي سوريا ظهر الخطاط الشهير بدوي الديراني، ومأمون صقال، وحسن صبحي مراد، وفي لبنان ظهر الخطاط الكبير مختار البابا. ولمع في بلاد الحجاز عدد من الخطاطين المبدعين منهم: عدنان العباد ومختار عالم وآخرين، وفي السودان تاج السر السيد حسن.

الخط العربي يرحل إلى بلاد الصين



الخطاط الصيني
يوسف تشن

كما تنقّل الخط العربي قديماً إلى تركيا، وغيرها من بلاد ما وراء النهر، استقر به المقام أيضاً في بلاد الصين التي كان يضرب بها المثل في البعد في الزمان الغابر.

وليس من العجيب أن ينال أحد خطاطيها وهو الأستاذ يوسف تشن جين هوي المولود في مقاطعة لياونينغ بالصين سنة 1938م الجائزة الأولى في مسابقة الخط العربي المنعقدة في باكستان سنة 1999. والأستاذ يوسف تشن تخرّج في معهد العلوم الإسلامية الصيني سنة 1960 وعمل محرراً في مجلة المسلم الصيني، ويعمل حالياً مديراً لمكتبة معهد العلوم الإسلامية الصيني.



- **أبو الفضل الوليد** (إلياس عبد الله طعمه)

  الشاعر العبقري.. هل كان مسلماً؟

- **(زارادشت) نيتشه وأسد الصحراء**

- **شهادات في الرسول ﷺ**

أبو الفضل الوليد (إلياس عبد الله طعمة)

الشاعر العبقريّ، هل كان مسلماً

إلياس طعمه، المعروف بأبي الفضل الوليد، شاعرٌ متفرّد، يذكّرك بأبي الطيّب المتنبي والشريف الرضيّ. وهو شاعرٌ مرهف الحسّ، متوقّد الذهن، يجري على لسانه الشعرُ وكأنه وحيٌ يتنزّل على فؤاده، فينساب على لسانه رقراقاً، متسللاً إلى آذانِ ساميه بغير استئذان، مستقراً في النفوسِ، مُحَدِثاً فيها أثراً سحريّاً، حتى كأنه ينفُثُ في العُقَد.

إلياس طعمة، هذا الشاعر الفذّ لم يلتفت إليه النقّاد لعلّةٍ نجهلها، مع أنهم اعتنوا بمن هم أدنى منه بكثير.

وُلِدَ هذا الشاعر اللبنانيّ الكبير في قرنة الحمراء بلبنان سنة 1889، وبالمعهد الفرنسي في عينطورة تلقى تعليمه الأوّل، ثم تحوّل إلى مدرسة الحكمة ببيروت حيث كان الاعتناء بالعربيّة وآدابها كبيراً وهو ما كانت روح إلياس طعمه تهفو إليه. لقد أحبّ أبو الفضل العربيّة حبّاً عظيماً حتى الافتتان، وقد بلغ هيامُه بها أن قدّمها على جميع لغات الأرضِ المحكيّة. وهو القائل: «اللغةُ العربيّةُ لا تُقصّر في شيءٍ عندما نعرف أن نستكشفَ. إنها وَسِعَت، مِن قَبْلُ، مَا غربَ عن اليونَان وغيرهم، وجاءت بكلامٍ مُعَربٍ مبَين». وهو مع فرْط عِشْقِهِ للعربية لم يتجاهل اللغات الأخرى فأخذ منها بنصيبٍ وافر، فأتقن الفرنسيّة والإسبانية، وألمّ بالإنجليزية. عاش زمناً في بلاد الغربة حيث حطّ به الرحّال في امريكا الجنوبيّة في العقد الأوّل من القرن الماضي (1908) وهو بعد لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره، وأسس هناك سنة 1913 جريدة (الحمراء) الأسبوعية، وظلّت تصدر حتى سنة 1917. وفي سنة 1916 اتخذ اسم (الوليد)، وتكنّى بأبي الفضل وسجّل ذلك رسمياً في سجلات الحكومة البرازيلية، فأصبح يُنادى بهما رسمياً. وفي ذلك يقول الأستاذ جورج مصروعه: «ولم يُغيّر اسمه لأنه غير عربيّ، بل لأنه ابتُذِلَ، وأصبح الناسُ يعرفون به النبيّ اليهوديّ، متناسين أنّ عربياً كبيراً قد حمله، هو إلياس بن مضر بن نزار».



وفضلاً عن الشعر الذي عُرِفَ به، عكف أبو الفضل الوليد على التأليف، فترك وراءه آثاراً مختلفةً ما بين تصنيف وترجمة. فألّف (أسرار بغداد)، و(نكبة البرامكة)، و(أحمد وولادة)، وهي روايات تمثيلية، وعرّب نظماً قصيدة (البحيرة) للامرتين، و(الليالي) لألفرد دي موسّيه، وبعضاً من (الكوميديا الإلهية) لدانتي، و(آخر بني سراج) لشاتوبريان، و(أحلام العذارى)، و(الحبّ آخره قتل)، و(بعشاه خاطباً فتزوّج) وجميعها تمثيليات لألفرد دي موسّيه، كما نظم شعراً نشيد الإنشاد لسليمان الحكيم. ولما عاد إلى لبنان من المهجر كتب رواية (زوال الحب والملك) وطبعت في بيروت، وأتبعها بـ(أحاديث المجد والوجد)، وديوان (رياحين الأرواح). وفي نيسان سنة 1914 فاضت روحُ هذا الشاعر العملاق الذي كان يتفجّر وطنيةً، وإخلاصاً لقومه وأمته. وكان آخر ما قال من شعر قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة:

علـى عُـمـرانـهـا الـدنـيـا خـرابُ
ومـع قُـمـريّـهـا يُـنـعـى الـغُـرابُ

فَـدَعْـهَـا غـيـرَ مـأسـوفٍ عـلـيـهـا
فـأوّلـهـا وآخـرهـا تُـرابُ

المثير في هذا الشاعر حقاً ذلك الشعر الذي يتفجّر إيماناً، وحبّاً وتعظيماً لنبيّ الإسلام محمد ﷺ حتى لكأنه من أخلص أتباع عقيدة الإسلام. فهل كان أبو الفضل الوليد مسلماً أخفى إسلامه؟ فها هو ذا يقول في إحدى ملاحمه، وهي تائية تقع في أكثر من مائتي بيت، يصوّر فيها رؤياه للنبي ﷺ:

طَرِبْتُ لرؤيا أشرقت فاضمَحلّتِ … وَقلبي لها طُورٌ عليه تَجَلّتِ

فما زلت أهوى خلوةً وسكينةً … لتمثيل رؤيا دونها كلّ رؤيَةِ

فأُغمضُ أجفاني واشتاق أن أرى … بروحي جمالاً لا أراه بمقلتي

فروحي مع الأرواحِ في دارِ أُنسِها … وجسمي مع الأجسام في دار وحشتي

غريبٌ أنا بين الذين أُحبّهم … وأُبغضهم والموتُ آخرُ غربتي

تَشوّفتُ حتى زارني الطيفُ مُؤنساً … وأشرَق نورُ الطّلعَةِ النّبويّةِ

قَديمان شوقي والهوى غير أنني … جَلَوتُ دُجى شكّي بصُبْحِ الحَقيقَةِ

فَقَلبي وَعَيني مَطْلعانِ لنُورِها … وما أطلعَ الأنوار غيرُ الدُّجُنةِ

وفي غَفوتي أو غفلتي جاءني الهُدى … وكانت على غَيبوبَةِ النّوم يَقظتي

فَيَا لكِ رُؤيا نوّرت كُلَّ ظُلمَةٍ … ويالكِ ريّا عَطّرت كُلَّ نَسمَةِ

ألا ليتَ عمري كانَ كُلُّه ليلةً … ويا ليتني في ليلةٍ أبديّةِ

أُعاهِدُ ربّي أن أُصلي مُسلِماً … على أحمدَ المُختارِ من خير أمةِ

هداني هواها ثمّ حبّب شرعَه … إليَّ فَصحّت مثلَ حُبّي عَقيدَتي

فَمَن قَوْمُه قومي أدين بِدينه … لأنّي أرى الإسلامَ روحَ العُروبَةِ

ويُكثر أبو الفضل من مدح الإسلامِ ونبيّه، فتسمعه في قصيدته (الصحابية) التي مطلعها:

أفي دارِ قومي يَسكُنُ الغُرباءُ … وليس لهم بعد الثّواءِ جَلاءُ

ويقولُ:

وكيف أُوفّي خيرَ مَنْ وطِئَ الثّرى ... من المدحِ حقّاً والثّناءُ عياءُ

إلاهيةٌ أقوالُهُ وفِعالُه ... يُقصّر عن إدراكِها الحُكماءُ

دَعا قومَه والنّاس طُرّاً إلى الهُدى ... وللأرضِ منه في الظّلامِ ضِياءُ

شريعتُه فوق الشّرائِعِ كُلِّها ... فما هي إلى حكمةٌ ودَهاءُ

فلا فِقْهَ إلا ما ارتأى فُقهاؤها ... وعنهم وعنها يأخذُ الفُقَهاءُ

وكم من شُعوبٍ تستنيرُ بدينِهِ ... وكم دولٍ منها عليه بناءُ

وَأكْملُ دينٍ دينُه فهو للورى ... علاجُ طبيبٍ صَحَّ منه إسَاءُ

على مُقتضى أحوالِهم وطِباعِهم ... وحَاجَاتِهم قد جاء منه كِفاءُ

ويقولُ في قصيدته (الجهادية) عند سقوط دمشق في ايدي الفرنسيين مستحثاً المسلمين على منازلة العدو:

الشّامُ يُقهَرُ والعِراقُ يُضَامُ ... فاليَومَ لا عَرَبٌ ولا إسلامُ

أينَ العُروبَةُ والخِلافَةُ منهما؟ ... والمُسلمون بِلادُهم أقسام

شُقَّ الحِجَابُ فلا حِجَابَ لِقُدْسِهَا ... وَأهانَها زُرْقُ العُيونِ طِغَامُ

يَا مُسلمينَ تَقطّعت أوصَالُكم ... وَنِصَالُكم قد بَكَّها المِرجَامُ

حتّامَ أنتم صَابرون على الأذى ... وإلامَ أنتم غُفّلٌ وَنيامُ

أموالُكم وَنُفوسُكم منهوبَةٌ ... وديارُكم فيها الخُطوبُ جِسَامُ

والدينُ يَبكي والفضيلةُ تشتكي ... والحجُّ لغْوٌ والصلاةُ سُوامُ

إلياس طعمه، شاعرٌ ضيّعته الغُربةُ، جوهرٌ مدفونٌ في جزائرَ مجهولةٍ نائية. فاستمع إليه يقول:

فُؤادي شهابٌ والشّعورُ ضياءُ ... وكُلّ فؤادٍ مَطلَعٌ وسماءُ

وشعري له أقسى القلوبِ تَليّنت ... فمن صَخْرَةِ الوادي تفجّرَ ماءُ

سَأُسمِعُهُ في الخافِقينِ كأنما   مِنَ المَلأ الأعلى يرنّ نِداءُ

فتُنشِدُه الأملاكُ والناسُ مُطرِباً   وترديدُه في العالمينَ غِناءُ

تغنّيتُ في شِعري لأني نظَمتُه   ومني ابتسامٌ في الهوى وبُكاءُ

فطَوراً له يَفتَرّ ثَغرٌ وتارةً   تسيلُ عليه أدمُعٌ ودِماءُ

فما لِقديمِ الشعر والله رَونقٌ   لديه فعنه قَصّر القُدماءُ

ولكنه بين الأعاجِمِ ضائعٌ   فليس له وسْطَ الخُمولِ بَهاءُ

ومن جميلِ شعره قصيدته المسماة (الحكمة بنت الشقاء) التي يقول فيها:

سَلِ الشواطئَ ما أبقينَ من جسدي   وما عليهن من دمعي ومن كَمَدي

ضَيّعن قدْري وأيام ومعرفتي   في غُربةٍ فلّذت أحزانُها كَبِدي

يَخدَعْنَ نفسي بآمالٍ مُزَخرَفةٍ   حتى أرى الحظّ في أثوابِهِ الجُدُدِ

تلكَ الأمانيُّ أزهارٌ بلا ثَمرٍ   قد عَاجلتها الغُيومُ السُّودُ بالبَرَدِ

الدّهر لمّا طلبتُ المَجدَ عاكَسَني   فقال عني عَدُوّي غير مُجتهدِ

لِمثلِ هذا بكى الأحرارُ وانفلَقت   قُلوبُهم تحتَ ضَربِ الهمّ والنكدِ

يا شامتينَ بِنفسٍ لم تَنل أرَبا   حذارِ منها فهذي نَومةُ الأسَدِ

لي من مطامِعِها بَحرٌ يُهدّدُكم   بالريحِ والغيمِ والأمواجِ والزّبدِ

إني لأحمِلُها في الصّدرِ صاعِقةً   حتى إذا انفجرت طارت من الجسَدِ

بالأمس قد كان لي قلبٌ يذوب جَوىً   حتى يُلبّيه جَفنٌ بالدّموع نَدِي

في اليأسِ قلبي وجفني اليوم قد يبسا   فلستُ أبكي ولا أحنو على أحدِ

ومن جميلِ شعره في الغزل:

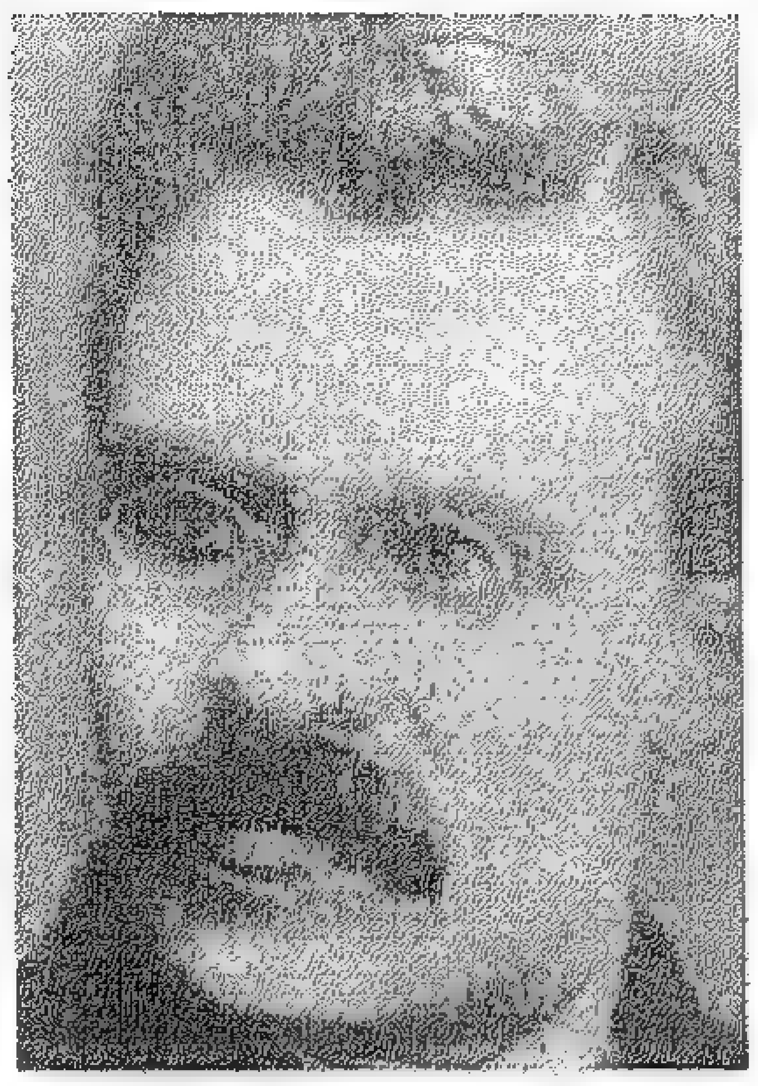
بَكرَت لِتسقي زهرَ جنّتها التي   فحَسِبتُ ماءَ المُزنِ هلّ من اليدِ

بِغُلالةٍ بيضاءَ صانت جِسمَها   فَرأيتُ منها دُميَةً في المعبدِ

ومَشت بِخِفّةِ ظَبيّةٍ فوق الحصى   فَغدا طَهُوراً مثلَ أرضِ المسجدِ

وحَنَتْ لتنشّقَ وردةً فَرأيتُها   أختاً تُقبّلُ أختَها بِتَوَجُّدِ

(زارادشت) نيتشه وأسد الصحراء:
توكلت على الله



نيتشه فيلسوف القوة، المجنون الذي حيّر الناس، وشغلهم أمداً بهرطقته وإلحاده وإعلانه موت الإله. اتخذ من حكيم الفرس زارادشت رمزاً ينطق باسمه، ولساناً يفصح به عن فلسفته وهرطقته فألّفَ كتابه الشهير (هكذا تكلّم زارادشت).

وقد نفث نيتشه في كتابه حمماً مستعرة لم تبقِ على شيء، وصبّ جام غضبه على العادات والتقاليد، والضعف البشري منادياً بالإنسان المتفوّق. فهذا زارادشت نيتشه يقول:

«إنني آتٍ إليكم بنبأ الإنسان المتفوّق. فما الإنسان العادي إلا كائنٌ يجب أن نفوقه، فماذا أعددتم للتفوّق عليه؟

إنّ كلاً من الكائنات أوجد من نفسه شيئاً يفوقه، وأنتم تريدون أن تكونوا جزراً يصدّ الموجةَ الكبرى في مدّها. بل إنكم تؤثرون التقهقر إلى حالة الحيوان بدل اندفاعكم للتفوّق على الإنسان.

وهل القرد من الإنسان إلا سخريته وعاره؟.. لقد كنتم من جنس القرود فيما مضى، على أن الإنسان لم يفتأ حتى اليوم أعرق من القرود في قرديّته».

غير أنّ هذا العقلَ التائه، الضاربَ في بيداء الشك والحيرة والضلال تصدر عنه إشراقات ربانية حيّرت محبيه وكارهيه من الدارسين والنقّاد على حد سواء،

فقد جاء في آخر كتابه هذا في نشيد (بين غادتين) شيءٌ من ذلك، حتى إن بعضَ دارسيه أوّلَ ذِكْرَ أسد الصحراء في هذا النشيد بمحمد عليه السلام. فاستمع إليه يقول:

«إنّ الصحراء تتسع وتمتد».

فويلٌ لمن يطمح في الاستيلاء على الصحراء.

يا للمهابة!!

يا للبداية تليق بمهابة صحراء أفريقيا.

تليق بأسد أو بنذيرٍ يهيب بالناس إلى مكارم الأخلاق.

إنها لروعةٌ لم تسلّط عليكم. يا صديقتيّ عندما أتيح لي أنا ابن أوروبا أن أجلس عند أقدامكما تحت ظلال النخيل. حيّ على الصلاة. ارتفع يا مظهر الجلال، ولتهب مرة أخرى لمسة الفضيلة. ويا ليت أسد الفضائل يزأر أيضاً أمام غادات الصحراء، فزئير الفضيلة يا بنات الصحراء، أقوى ما ينبّه أوروبا ويحفزها إلى النهوض.

ها أنذا ابن أوروبا، لا يسعني إلا الخشوع والانتباه لدَوِيِّ هذه الآيات البيّنات وقد توكّلتُ على الله.

إنّ الصحراء تتسع وتمتد. فويلٌ لمن يطمح إلى الاستيلاء على الصحراء».





بساطة الرسول محمد ﷺ... وصدقه

«أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر.. لقد أصبحت مقتنعاً كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته. هذه الصفات هي التي مهدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف. بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي آسفاً لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة»

مهاتما غاندي

(A statement published in "Young India",1924)



ما يثير دهشتنا هو استمرارية الدعوة الإسلامية وثباتها

«ليس انتشار الدعوة الإسلامية هو ما يثير دهشتنا، وانما استمراريتها وثباتها على مرّ العصور. وما زال الانطباع الرائع الذي حفره محمد في مكة والمدينة له نفس الروعة والقوّة في نفوس الهنود، والأفارقة، والأتراك حديثي العهد بالقرآن، رغم مرور اثني عشر قرناً من الزمان.

لقد استطاع المسلمون الصمود يداً واحدةً في مواجهة فتنة الإيمان بالله، رغم أنهم لم يعرفوه إلا من خلال العقل والمشاعر الإنسانية. وقولهم «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله» هو شهادة الإسلام. ولم يتأثّر إحساسهم بألوهية الله بوجود أيّ من الأشياء المنظورة التي كانت تُتّخذ آلهةً من دون الله. ولم يتجاوز شرف النبيّ وفضائلُه حدودَ الفضيلةِ المعروفةِ لدى البشر. كما أنّ منهجه في الحياة جعل مظاهر امتنان الصحابة له منحصرة في نطاق العقل والدين».

إدوارد جيبون

(Edward Gibbon and Simon Oakley, "History of Saracen Empire", London, 1870)



سيكون للإسلام شأن في أوروبا

«كنت دوماً أرى دين محمد في مكانة عالية بسبب حيويته الرائعة وهو الدّين الوحيد الذي يبدو لي أنه قادرٌ على استيعاب التغيرات التي تحدث في العالم في كلّ عصر. لقد درستُ سيرته، إنه رجلٌ رائعٌ. وهو في رأيي أبعدُ ما يكون عن عداوة المسيح، وينبغي أن يُسمى منقذَ البشرية.

وأظن أنّ رجلاً مثله لو حمل على عاتقه دكتاتورية العالم الحديث لنجح في حلّ مشكلاته، بطريقةٍ تجعل العالم ينعم بالسعادة والسلام اللذين يحتاجهما.

وإنني أتنبّأ بأن دين محمّد سيكون له شأن في أوروبا غداً، كما أنّ بواكير قبوله في أوروبا بدأت اليوم. وإذا كان ثمة دين له فرصة حكم انجلترا، بله أوروبا في غضون مائة سنة قادمة، فإنه سيكون الإسلام»

جورج برنارد شو

(George B. Shaw, The Genuine Islam, Vol.1, No.8, 1936)



من يجرؤ على المقارنة؟!



«إذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة، فمن ذا الذي يجرؤ على أن يقارن أياً من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد في عبقريته؟ فهؤلاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة وسنوا القوانين وأقاموا الإمبراطوريات. فلم يجنوا إلا أمجاداً بالية لم تلبث أن تحطمت بين ظهرانيّهم.

لكن هذا الرجل محمداً لم يقد الجيوش ويسن التشريعات ويقم الإمبراطوريات ويحكم الشعوب ويروض الحكام فقط، وإنما قاد الملايين من الناس ممن كانوا يشكلون ثلث العالم حينئذ. ليس هذا فحسب، بل إنه قضى على الأنصاب والأزلام والأديان والأفكار والمعتقدات الباطلة.

لقد صبر النبي وتجلّد حتى نال النصر. كان طموح النبي موجهاً بالكلية إلى هدف واحد، فلم يطمح إلى تكوين إمبراطورية أو ما إلى ذلك. حتى صلاة النبي الدائمة ومناجاته لربّه ووفاته وانتصاره حتى بعد موته، كل ذلك لا يدل على الغش والخداع بل يدل على اليقين الصادق الذي أعطى النبي الطاقة والقوة لإرساء عقيدة ذات شقين: الإيمان بوحدانية الله، والإيمان بمخالفته تعالى للحوادث.

فالشق الأول يبين صفة الله (ألا وهي الوحدانية)، بينما الآخر يوضح ما لا يتصف به الله تعالى (وهو التجسيم ومماثلة للحوادث). لتحقيق الأول كان لا بد من القضاء على الآلهة المدعاة من دون الله بالسيف، أما الثاني فقد تطلّب ترسيخ العقيدة بالكلمة (بالحكمة والموعظة الحسنة).

هذا هو محمد الفيلسوف، الخطيب، النبي، المشرّع، المحارب، قاهر الأهواء، مؤسس المذاهب الفكرية التي تدعو إلى عبادة حقه، بلا أنصاب ولا أزلام. هو المؤسس لعشرين إمبراطورية في الأرض، وإمبراطورية روحانية واحدة. هذا هو محمد.

بالنظر لكل مقاييس العظمة البشرية، أود أن أتساءل: هل هناك من هو أعظم من النبي محمد؟»

ألفونس دي لامارتين

(Alphonse de La Martine, Histoire de la Turquie, Paris, 1854)

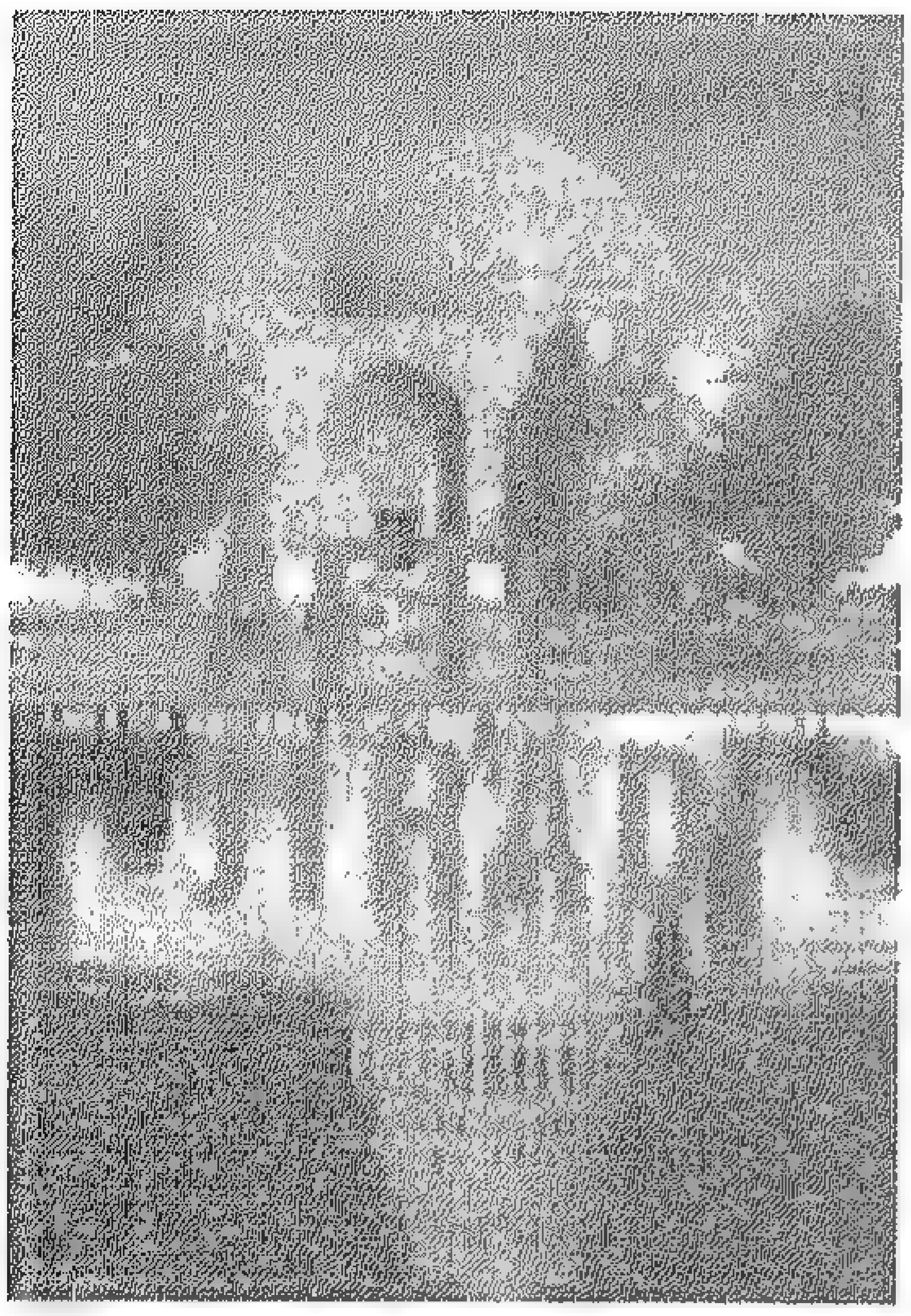
- بعد الجهاد..

أمريكا والنضال من أجل ديموقراطية إسلامية

- المكتبة

بعد الجهاد

أمريكا والنضال من أجل ديموقراطية إسلامية



بعد الجهاد After Jihad كتاب من تأليف نوح فلدمان Noah Feldman، وهو يهودي أمريكي، يعمل أستاذاً للقانون بجامعة نيويورك، ويعمل مستشاراً للسلطة المؤقتة بالعراق من أجل وضع دستور جديد لها. وهو من منشورات Farra, Straus and Giroux سنة 2003. ويقع الكتاب في 260 صفحة.

يتكوّن الكتاب من تمهيد وثلاثة اقسام:

- **التمهيد:**
  - ❖ الثورة التي لم تكن
  - ❖ الإسلام والديموقراطية في مواجهة

- **القسم الأول: (مفهوم الديموقراطية الإسلامية)**
  - ❖ ديموقراطية إسلامية لا ديموقراطية إسلاميين
  - ❖ الإسلام والغرب: مسألة التضاد
  - ❖ الإسلام والديموقراطية باعتبارهما فكرتين متحركتين
  - ❖ مرونة الإسلام
  - ❖ حكم الله وحكم الشعب
  - ❖ المساواة الإسلامية
  - ❖ الحرية الإسلامية
  - ❖ شمولية الأفكار المتحركة

- **القسم الثاني: (تنوع الديموقراطية الإسلامية)**
  - ❖ الديموقراطية والواقع الإسلامي
  - ❖ ديموقراطية إيران الإسلامية في الميزان
  - ❖ تركيا القصيّة
  - ❖ الإسلام والديموقراطية في جنوب وجنوب شرق آسيا
  - ❖ الحركة والإمكان
  - ❖ باكستان: الدولة الإسلامية والنضال من أجل الاستقرار
  - ❖ تفرّق العرب
  - ❖ ملكيّات مع النفط
  - ❖ ملوك بلا نفط
  - ❖ المستبدون والإسلاميون
  - ❖ أحجية مصر
  - ❖ تغيير النظام وعواقبه

- ❖ الصورة الكبيرة: ديموقراطية الإسلام وتماس الأفكار المتحركة

- القسم الثالث: (ضرورة الديموقراطية الإسلامية)

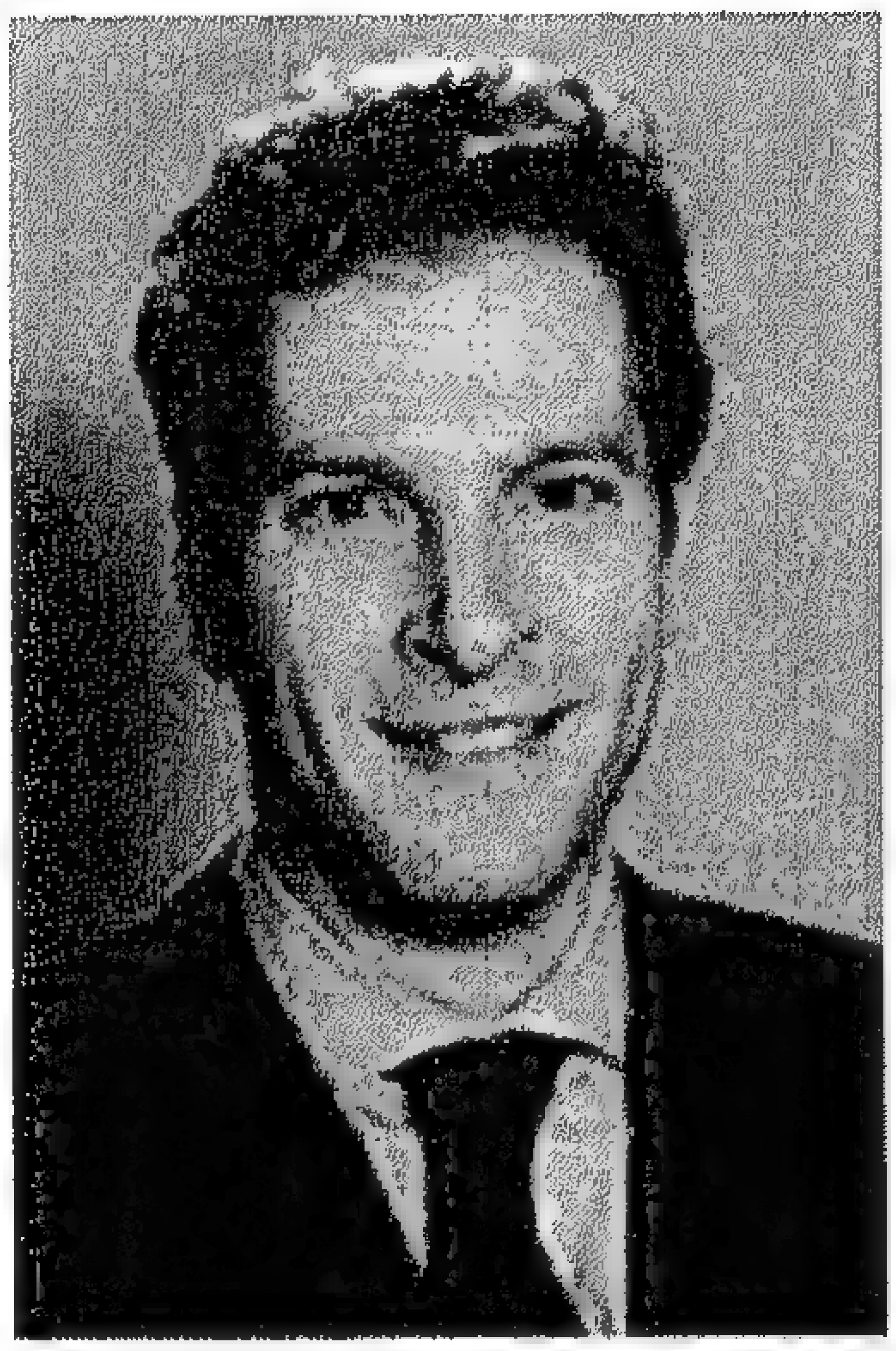
- ❖ لماذا الديموقرطية؟ النقاش البراجماتي
- ❖ تحييد معاداة الأمركة
- ❖ القيام بالأشياء الصحيحة
- ❖ كيف نقوم بذلك؟
- ❖ أنصار الديموقراطية الإسلامية
- ❖ تصور الديموقراطية الإسلامية
- ❖ ما بعد الجهاد

- ملاحظات

- شكر وتنويه

- كشاف

بانتهاء الحرب على العراق، ارتفعت أصواتٌ تتساءل عما إذا كانت الدولة الإسلامية يمكن أن تكون ديموقراطية. وإجابةً عن هذا السؤال وضع نوح فلدمان Noah Feldman كتابه (بعد الجهاد).



نوح فلدمان

لقد لفت فلدمان Feldman الأنظار إليه بكتابه هذا، ولذا وقع عليه اختيار إدارة الرئيس بوش ليشرف على كتابة الدستور الجديد للعراق بعد صدّام.

وفي كتابه هذا يرى فلدمان أنّ المسلمين في حاجة إلى الحريّة كما يحتاجها آخرون غيرهم (ص 11)، وأنّ الإسلام السياسيّ في طور الانتقال من دائرة العصيان المسلّح إلى دائرة السياسات الانتخابية (ص 49). وانّ دعم الغرب للتيوقراطية يشوّه قيمهم الديموقراطية، ويجعل من المضطهدين أعداء للبشر (ص 11).

وبدرجة أقل اقتناعاً يرى فلدمان أنّ العالم الإسلامي إذا كان ديموقراطياً حقاً فإنه سيكون سهلاً تقبّل شرعيّة وجود إسرائيل (ص 14). أيّ أن خلق مناخ ديموقراطي في العالم العربي سيخدم مصلحة إسرائيل بالدرجة الأولى، لأنه حينئذٍ يسهل اختراق الجميع ديموقراطياً بينما يشقّ أو يستحق اختراق الفرد الواحد المستبدّ. لأنّ هذا الأخير يغطي استبداده بتبني معاداة قيام دولة إسرائيل أمام شعبه.

إنّ الفكرة الأساس (الأصلية) الأكثر إثارةً في كتابه هي مبدأ (الأفكار المتحرّكة أو المتنقلة) Mobile Ideas (ص 32 وما بعدها وص 75 وما بعدها)، وتلك جزء من الأفكار الكلية التي تتسم بصفات المرونة والبساطة فضلاً عن الشمولية. فالإسلام والديموقراطية أفكار تمتلك جميع الخصائص الثلاث المذكورة. فالشمولية التي يدّعى أنها في الإسلام وفي الديموقراطية، بمعنى أنهما قابلان للتطبيق على جميع البشر في كل زمان ومكان، مسألةٌ واضحة.

فالفكرتان كلتاهما بسيطتان، فالإسلام خضوعٌ لله وحده، والديموقراطية هي الحكم بالشعب. وقد فُسّرت الديموقراطية بطرق مختلفة منذ نشأتها في بلاد اليونان وحتى تأسيس الدولة الأمريكية، والشأن نفسه يتعلّق بالتفسيرات المختلفة للإسلام، حيث يظهر بأشكال متعدّدة من أندونيسيا إلى مراكش إلى انبعاث الأقليات المسلمة في بلاد الغرب.

والكاتب هنا يخلط خلطاً عجيباً، فيوهم قارئه أن الإسلام الذي يعتنقه الأندونيسي غير الإسلام الذي

يعتنقه المغربي أو المصري. وكأنه يريد ان يقول إنه ثمة عدة إسلامات في العالم.

ويرى فلدمان أن الإسلام والديموقراطية باعتبارهما فكرتين متحركيان (أي قابلتين للتغيّر) يمكن أن تتفاعلا معاً، وأن تحدثا نُظماً جديدة للحكومة التي يمكن للناس من خلالها أن ينهجوا منهجاً إسلامياً في حياتهم لا يعوقه المستبدون وسادة الحروب. وأن هذا سيحقق السلم مع المجتمعات الديموقراطية غير المسلمة. ولذا يرى فلدمان أن العلمانية ليست شرطاً للديموقراطية (ص12). وثمة وسائل متعددة يمكن بواسطتها أن تتفاعل الأفكار المتحركة.، وإحدى تلك الوسائل هي النزعة العالمية أو الكونية التي تمكّن الناس من الاختيار بين الإمكانات المتاحة التي تقدمها وحدة الأفكار المتحركة (ص 34-35). وثمة وسيلة أخرى هي (الجناسة) أو التحدّر من أجناس مختلفة، وهذا يساهم في خلق الأفكار المولّدة. وهذا صراعٌ آخرٌ، لكنه لا يشبه صراع الحضارات عند صموئيل هنتنجتون. إن فلدمان يؤمن برغبة المسلمين في العيش بمجتمع إسلاميّ وديموقراطي في الوقت نفسه.

ويشير فلدمان إلى أن مفهوم الديموقراطية الليبرالية هي نفسها نسيجٌ يتكوّن من فكرتين متباينتين (ص 36). وهناك طرق متعددة للتأليف بين الإسلام والديموقراطية يمكن سلوكها. وتعليقاً على اختيار الخليفة وانتخابه من قِبَلِ جماعةٍ من الناس هم أهل الحلّ والعقد، يشير فلدمان إلى أن مفهوم (الحلّ) يقتضي نظرياً أنّ الناس لهم حقّ عزل الخليفة إذا لم يحفظ حق البيعة (ص 53). والعناصر الخاصة للفقه الإسلاميّ يمكن أن تندمج ديموقراطياً في النظام العام للجمهورية الإسلامية وذلك بسنّ مدونة القواعد التي تتصل بالفقه الإسلامي قانوناً قانوناً كما حدث في الدولة العثمانية عندما أصدرت المدونة الفقهية تحت اسم (مجلة الأحكام العدليّة) (ص 56) وثمة طريقة أخرى لتطبيق الجمهورية الإسلامية وهي أن تدع المؤسسة القضائية تقرّ ما إذا كانت القوانين إسلاميةً أم لا.

وبينما تضع هذه المؤسسة حق النقض a vote power في أيدي الموظفين غير المرشحين، كذلك تفعل النظم الأمريكية والإنجليزية التي يقرر فيها القضاة غير المنتخبين دستورية التشريع (ص 56) والاعتراض على وضع بعض القوانين فوق السيادة الشعبية يتجاهل حقيقة أن إعلان الاستقلال الأمريكي لا يذكر صراحة أن الناس سادة، ولكن جميع البشر خلقوا متكافئين، وأن خالقهم وهبهم حقوقاً غير قابلة لأن يتخلى عنها أصحابها. وكل حق غير قابل لأن يتخلى عنه صاحبه، لا يمكن أن يحذف حتى ولو صوّت الناس جميعاً لإلغائه. فالحقوق غير القابلة للتنازل تضع إذن حدّاً لسيادة الشعب حتى في الديموقراطية (ص 57).

حاول المؤلف أن يظهر موضوعية كبيرة في كتابه موجهاً اهتمامات العلمانيين لفهم صحيح للشريعة الإسلامية من خلال الرجوع إلى مصادرها مباشرةً، ونجد أثر تلك الموضوعية في كلامه عن شهادة النساء، والمشاركة في الميراث، وحقوق الطلاق (الخلع). ويشير فلدمان إلى أن مكانة المرأة في الشريعة اليهودية هي الأكثر سوءاً. والشأن نفسه مع القانون الأنجلو أمريكي العام حتى العصر الحديث (ص 65). ويتّبع فلدمان موضوعية مماثلة في مناقشته لمسألة غطاء الرأس (الحجاب) مقدّراً القيمة الرمزية للباس، ولذا يشير إلى التضليل الواقع عند الغرب في عدم المساواة فيما يتعلّق باللباس.

وفي مسألة الحريّة الإنسانية يلاحظ الكاتب أن المعيار المزدوج الذي يقيس به من ينتقدون الإسلام

يعرقل الاختيارات الفردية عندما تنظّم دولتّهم كلّ شيءٍ من الزواج إلى قماش القبعة.

لمّا كان القرآن يمنع الإكراه في الدين، وفلدمان يرى أن معظم المسلمين يفهمون هذا لمنع الإكراه في مسائل الاعتقاد الشخصية، فإنه في نظره «من الصعب على المسلم أن يرتدّ عن دينه في دولة إسلامية تحرّم قوانينها الردّة. وهذه المشكلة تشكّل تحدّياً حقيقياً لما يراه الغربيون من حرية الدين والقول» (ص 70).

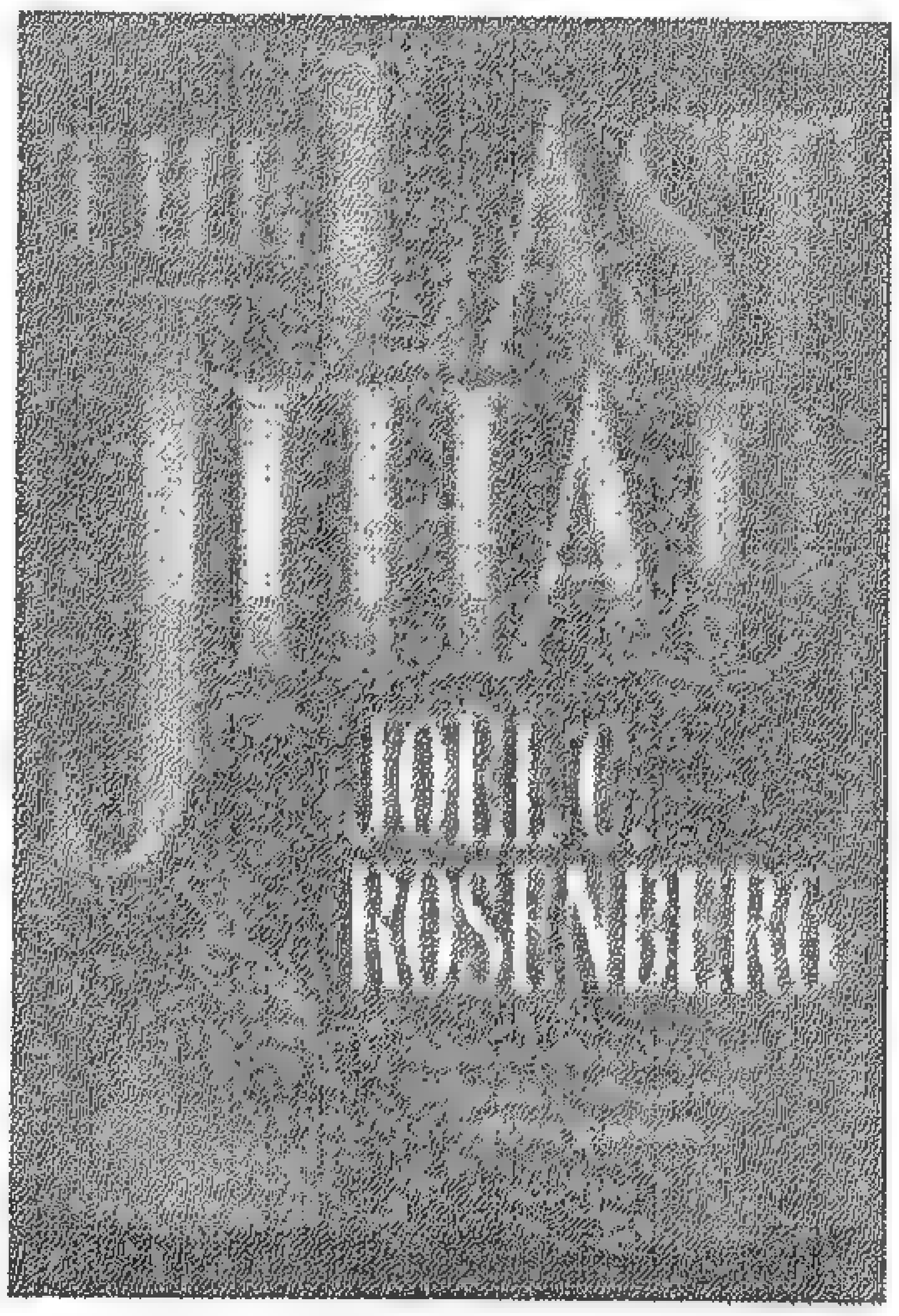
ويقرّ فلدمان بأن السياسة الأمريكية تقمع أيّ تكوين ديموقراطي في العالم الإسلامي فمثلاً، فيما يتعلّق بإحباط أوّل انتخابات حرّة في الجزائر عسكريّاً، يقول فلدمان: «قدّمت أمريكا موافقة ضمنية لقمع الديموقراطية في الجزائر عندما قدّمت دفاعاً ضد الأصوليين، وشجعت المستبدين في العالم الإسلامي بطريقة ماكرة لإنقاذهم، فسجن المستبدون النشطاء الديموقراطيين وأعدموهم (ص 19). وعن الدعم المالي السعودي لـ(الإسلام السياسي) يحلل فلدمان الاعتبارات الجيوسياسية التي لعبت فيه، بالطبع، أمريكا دوراً هاماً، ولا سيما التدخل في أفغانستان (ص 48). ويؤكد فلدمان على أهمية فهم صنّاع السياسة الأمريكية للقوّة الحقيقية للإسلام بمعزل عن الدعاية التي تروج لفكرة أن الإسلام لا يقيم وزناً للقيم العامة أو الكلية. وفضلاً عن ذلك يلاحظ المؤلف أنه «عندما تنتقد الشعوبُ في العالم الإسلامي حكوماتها بأنها غير إسلامية، فإن ذلك في الغالب يعني نعتها بالفساد والقمع. إنّ إحدى قوى الإسلام الكبيرة في دنيا السياسة تكمن في وضوح رؤياه الأخلاقية التي تجعل الحكام يحاسبون حسب أصول الشرع» (ص 20). ويرى الكاتب أن ثمة ما يبرر خطاب الإسلاميين في معاداة السامية. وعندما يصرّ القوميون العرب على انتقاد الصهيونية ويفرقون بينها وبين اليهودية، فإن الإسلاميين يشيرون إلى الإسرائيليين بكونهم يهوداً. (ص 167).

وبالرغم من كراهيته الفطريّة لرؤية ديموقراطية إسلامية يرى فلدمان أنّ التنظيمات الإسلامية هي القوى الأولى الأكثر وضوحاً وتأسيساً، والتي تمتلك المقدرة على القيام بوظيفة قيادة المؤسسات الديموقراطية (ص 222). والسبب في ذلك في رأيه منع الحكومات المسلمة ظهور مجتمع مدني علماني من النوع الذي يعتقد كثيرون من منظّري الديموقراطية أنه ضروريّ، وأنّ الإسلام والإسلاميين قد ملأوا هذه الفجوة.. فقد أحضر الإسلاميون إلى عالم المجتمع المدني نفس المرونة والإبداع التي جاءوا بها من أجل إعادة الاعتبار للتراث الإسلامي، ولتحقيق ديموقراطية إسلامية في الآونة الأخيرة (ص 223).

ويستطرد قائلاً: «إن بناء مجتمع مدنيّ عبر تنظيمات شعبية يضع الإسلاميين في المكان الصحيح لقيام الديموقراطية» (ص 224). وفلدمان يحمّل الغرب مسؤولية عدم التآلف بين الإسلام والديموقراطية وأنّ ذلك يقع على كاهل الغرب. يقول: «الغرب، وأمريكا على وجه الخصوص، في حاجة إلى تغيير الدوافع التي خلقتها السياسة الخارجية في الوقت الراهن من أجل تسهيل، لا تشجيع، التقدم الديموقراطي في العالم الإسلامي» (ص 12). وبينما ينصح فلدمان أمريكا وأوروبا بتغيير سياساتهما، إلا أنه لا يقوم بالشيء نفسه مع إسرائيل إلا لماماً بالرغم من إدراكه أن إسرائيل وقفت حجرَ عثرة في طريق نمو الديموقراطية في الأردن (ص 84). وفي الوقت الذي يناقش فيه المؤلف التكاليف الدبلوماسية المترتبة على الدعم الأمريكي لإسرائيل، فإنه يعطي انطباعاً بأن أحسن الطرق للتخلص من معاداة الأمركة في العالم الإسلامي هو التخلي عن تأييد الاستبداد في العالم

الإسلامي بدلاً من الضغط على إسرائيل. يقول فلدمان: «إن فتح بوابات تدفق الخطاب السياسي في العالم العربي سيقلّل من مركزية الاهتمام بالمسألة الفلسطينية، حيث سيأخذ المواطنون العرب فرصة التعبير عن آرائهم في جميع القرارات الحكومية المتعلقة بالسياسة الداخلية والخارجية، وبذلك ستبدو إسرائيل شريكاً تجارياً أكثر من كونها جاراً في عقول كثير من العرب (ص 192). وهذا الذي ينصح به فلدمان هو ضرب من الاستراتيجية الجديدة في التعامل مع الآخر من خلال إشغاله بأمور كثيرة من عنت الحياة اليومية لصرفه عن قضاياه الرئيسية التي أنفق دهراً طويلاً في النضال من أجلها مقدماً أرواحاً وتضحيات جساماً. ولذا يرى فلدمان أنه «من المستحيل الحصول على اعتراف بشرعية إسرائيل ووجودها من عامّة العرب.. ما دام زعماء العرب مستبدين لا يتكلمون باسم شعوبهم ولا يعملون من أجلهم» (ص 14).

إن (بعد الجهاد) لنوح فلدمان يمثّل منعطفاً هاماً في التفكير السياسي الحديث. وبسبب هذا الطرح الموضوعي إلى حدٍّ كبير اهتمت الإدارة الأمريكية بمؤلف الكتاب وبما جاء فيه لاحساس صنّاع السياسة الأمريكية بالفشل والإخفاق في معالجة مشاكل السياسة الخارجية لا سيما ما يجري في الشرق الأوسط. ومن يقرأ شهادة نوح فلدمان أمام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ بتاريخ 2003/9/24 بعد عودته من العراق يمكنه أن يتلمس بوضوح أهمية الأفكار والرؤى التي جاءت في الكتاب. يقول فلدمان في تلك الشهادة: «إنه من الأمور الحيوية والقومية أن تبرهن الولايات المتحدة على إمكانية نجاح الديموقراطية في العراق. وإذا أخفقت الديموقراطية هناك فإنّ تحريرنا للعراق سيتحوّل إلى احتلال امبريالي، ومن ثمّ ستتحوّل شكوك العالم العربي والإسلامي في دوافعنا إلى استنكار صريح لتدخلنا في المنطقة. كما أنه علينا واجبٌ أخلاقيّ لتمكين العراقيين من صنع حياة لأنفسهم أفضل من تلك التي عاشوها لمدة خمسة وثلاثين عاماً تحت القمع والاستبداد. إن الديموقراطية يجب أن تنجح في العراق، وفي كلّ مكان. وسواء أيّدنا الذهاب إلى الحرب في العراق أم لا فإنه يتوجّب علينا إضفاء اللمسات الأخيرة على ما قمنا به. إنّ التحالف يعمل على خطين متكافئين: الخط الأمني، والخط السياسي، ويواجه الخط الأمني تحديات كبيرة، بينما السير على الخط السياسي يحقق نتائج جديرة بالتقدير. إنّ العقبات التي تواجهنا في المسألة الأمنية قد تعوق تقدمنا في الجانب السياسي. ولذا فإنه من المهم جداً تحقيق الاستقرار والأمن في العراق ومستقبل الديموقراطية في ذلك البلد يتوقف على هذا الأمر».



والأمر الجدير بالانتباه بخصوص هذا الكتاب، أنه يختلف جذرياً عما قذفت به المطابع في أوروبا وأمريكا تحت مسمى (الجهاد).

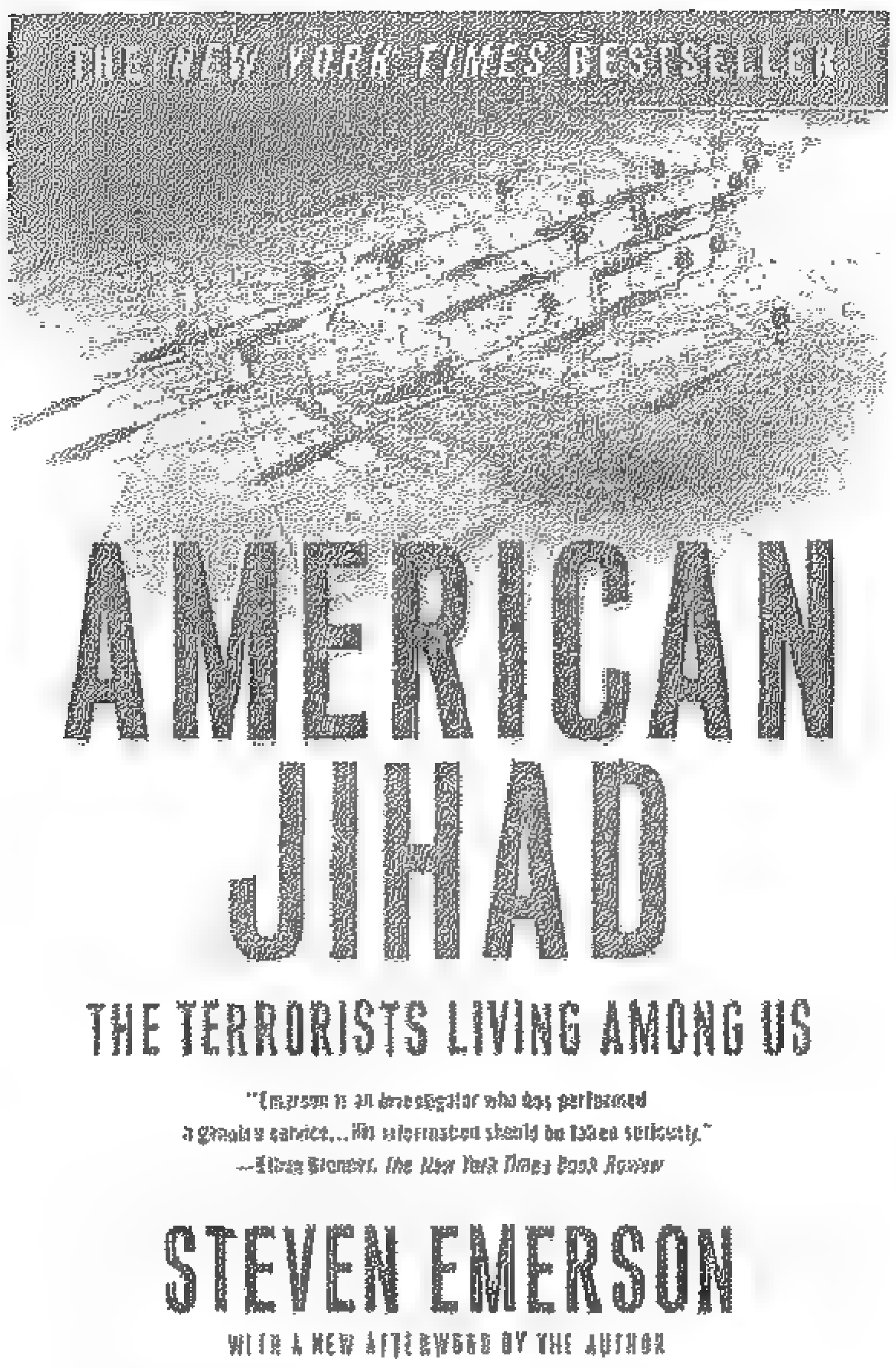
والمتتبع لما أنتجه العقل السياسي بعد أحداث 11 سبتمبر يدرك مبلغ سطحية نظرته للأحداث، والتي يتسم أكثرها بخطاب تحريضي، استفزازي. وقد وجد العقل السياسي الأوروبي والأمريكي في مصطلح (الجهاد) مادة خصبة للتناول، ولكن بأسلوبٍ يختلف عن الذي عالج به فلدمان موضوعه.

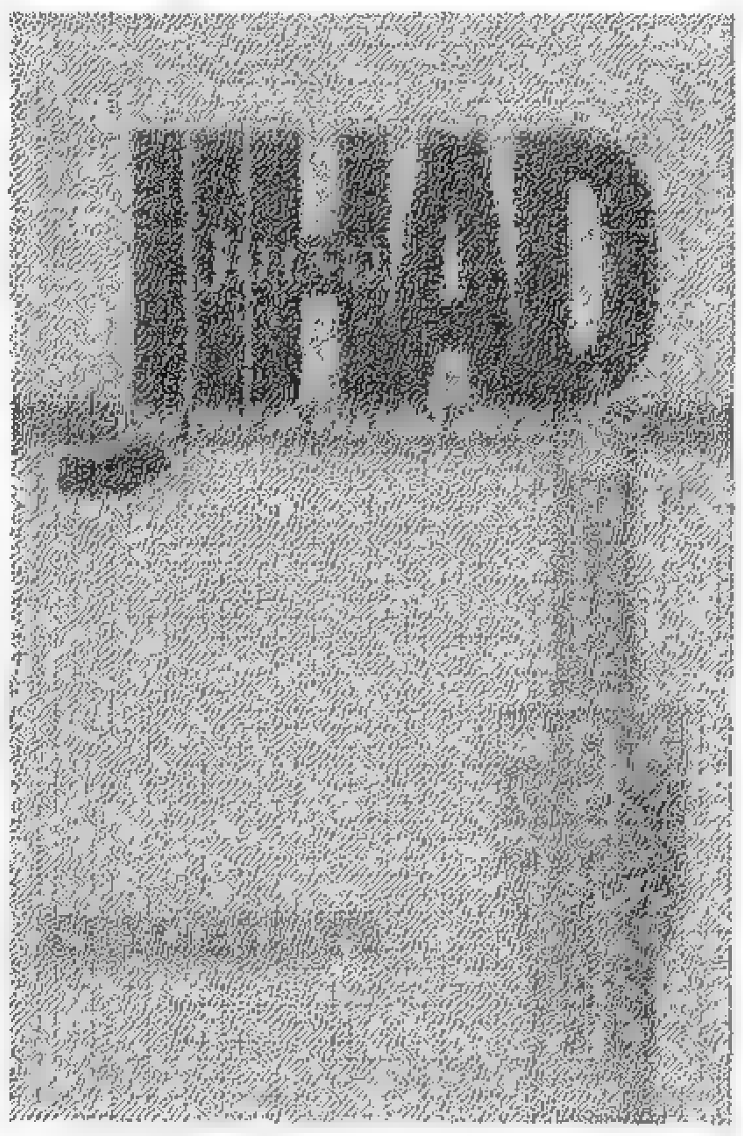
فمن الكتب التي طُرِحت في السوق بعد أحداث 11

سبتمبر كتاب (الجهاد الأخير) The Last Jihad من تأليف جول روزنبرج Joel Rosenberg، وهو رواية خيالية سخيفة تحكي أن جورج بوش حكم أمريكا لفترتين، ثم تولّى الحكم بعده أحد المحاربين القدامى في فيتنام يدعى جيمس ماكفرسون. كان الاقتصاد وقتها مزدهراً، وأسامة بن لادن قضى نحبه، وانتصرت الحرب على الإرهاب. وتحكي الرواية أن الرئيس الجديد ماكفرسون يتعرّض لمحاولة اغتيال، وأن اسرائيل تحبط عملية هجوم نووي عليها دبّره صدام حسين. كما تبيّن أن محاولة الاغتيال الفاشلة كان وراءها صدام نفسه، وكذلك عدة أعمال إرهابية أخرى. وفي تلك الأثناء تقدّم إسرائيل إنذاراً للرئيس ماكفرسون يقضي بأن أمريكا يجب أن تهاجم العراق نووياً في غضون ساعة أو أن إسرائيل سوف تتولى ذلك. هذا نمط من الإسفاف الذي يمارس كلّ أساليب الدعاية والتضليل. وهذه الرواية مع ما اتسمت به من إثارة لم تلقَ اهتماماً من النقّاد ولا من القرّاء. وثمة كتاب آخر يجري في الفلك نفسه يحمل عنواناً هو (الجهاد الأمريكي: الإرهابيون يعيشون في كنفنا)

American Jihad: The terrorists living among us

وهو من تأليف ستيفن إمرسون Steven Emerson يتحدث عن انتشار خلايا إرهابية للمتطرفين المسلمين الذين ينتمون للقاعدة، وحزب الله، وحركة حماس والجهاد الفلسطينيتين.



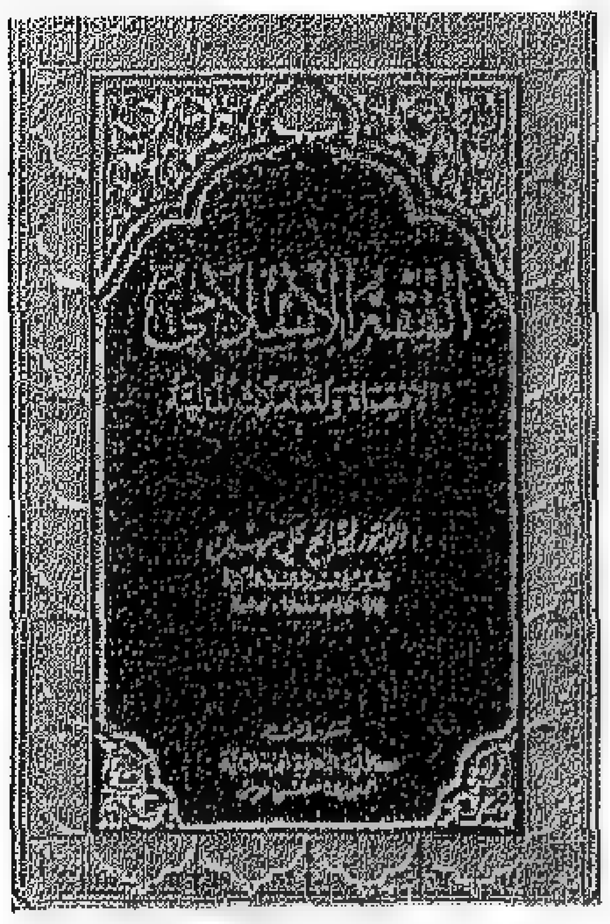


الجهاد: محاكمة الإسلام السياسي لمؤلفه جيلز كيبل

وهناك كتابٌ ثالثٌ من وضع الباحث الفرنسي، الخبير بدراسات الشرق الأوسط، جيلز كيبل يحمل عنواناً هو (الجهاد: محاكمة الإسلام السياسي) Jihad: The Trial of Political Islam by Gilles Kepel. وهذا الكتاب صدر بالفرنسية قبيل أحداث 11 سبتمبر، ثم تُرجم إلى الإنجليزية بعيد الأحداث بعد أن أدخل إليه مؤلفه بعض الإضافات لتتناسب مع هول الحدث. يخلص فيه مؤلفه إلى انحسار مدّ الحركات الإسلامية، فيقول: «لقد تشظّت الحركات الإسلامية في الشرق الأوسط اليوم، ولم يعد بمقدورها تحريك المنظومات الاجتماعية كما كانت تفعل ذلك في السبعينيات. ومع ذلك تظلّ خطراً، لأنها تعتقد أنّ الجهاد هو القوة الخارقة الأخرى».

وكتابه هذا جاء متأثراً بالمناخ السياسي السائد، ولم يبلغ المستوى الذي بلغه كتابه الأوّل الذي يحمل عنوان (التطرف الإسلامي في مصر: الفرعون والنبي) Muslim Extremism in Egypt: The Prophet and Pharaoh, وقد صدرت للكتاب ترجمة عربية بقلم أحمد خضر عن مؤسسة دار الكتاب الحديث.

أخيراً، إنّ كتابَ نوح فلدمان رؤية مغايرة أقرب إلى الموضوعية منه إلى الهوس السياسي، وهو لذلك جدير بالقراءة والتأمّل، والعرض والنقد، بالرغم مما فيه من مآخذ ترجع إلى تكوين المؤلّف الذهني وموروثه الثقافي.



الفقه الإسلامي: الاقتصاد والمعاملات المالية

المؤلف: الدكتور السائح علي حسين

منشورات: كلية الدعوة الإسلامية

هذا الكتاب أشبه بتأريخ لحركة الفكر الإسلامي في مواجهة مستجدات الحياة المتغيرة، يتتبع فيه المؤلف جهود الباحثين ليتمكن القارئ من الإلمام بها مجمعة موجزة في غير إخلال، ويعطي لأصحاب الرأي الحق في الاجتهاد وإبداء الرأي في ما لا نصّ فيه، وهذا ما نفتقده في الكثير من كتب هذا الزمان. ويختار المؤلف من أبواب الفقه ما يؤكد خصائص الاقتصاد الإسلامي النابع من روح الشريعة وقيم الإسلام، ويعرض وجهات نظر المجتهدين بأدلتها، ويترك للقارئ أن يوازن بين الأدلة ليختار لنفسه ما يرتاح إليه قلبه.



خُطَبُ الجمعة

إعداد : مجموعة من الطلاب

إشراف : شعبان علي عبد الجواد

تقديم : د. عمارة بيت العافية

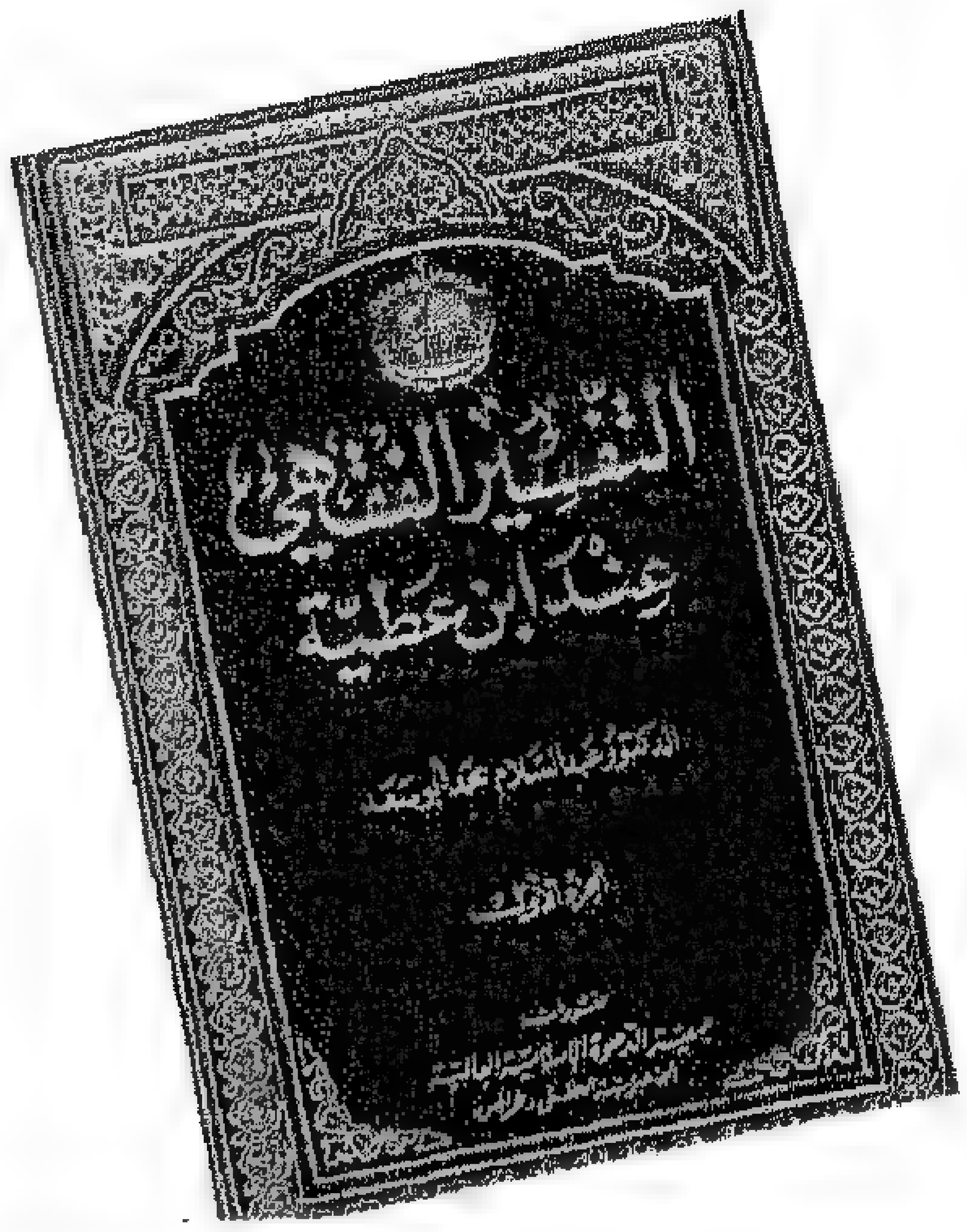
منشورات : كلية الدعوة الإسلامية

يدرس طلاب كلية الدعوة الإسلامية ـ بالسنة الثالثة ـ مادة الخطابة، انطلاقا من الفهم العميق لضرورة دراسة هذا الفن و اطلاعهم عليه للاستفادة منه في حياتهم الدعوية، ويعد الطالب ويلقي خُطَبًا على مسامع زملائه وفي مسجد الكلية أمام جموع المصلين في أيام الجمعة وفي غيرها من المناسبات الدينية. وهذا الكتاب يضم مجموعة خطب أعدّها الطلاب، تناولت مسائل متعددة، وحوّمت عبر الكلمة مستعرضة قضايا تهم الإنسان المسلم، واعظة زاجرة، مرشدة مهددة، استفاد منها الطلاب واكتسبوا خبرة في إعداد الخطب وإلقائها والتمكن من الفنون المصاحبة للإلقاء. وإذا كان هناك الكثيرون الذين يرون أن الخطب لا تكون إلا إذا كانت حية ؛ إلا أن كلية الدعوة الإسلامية آثرت جمع وطباعة خُطَبَ الطلاب تشجيعا لهم من جانب، ومن جانب آخر إفادة الخطباء الآخرين بما تحويه هذه الخطب من مادة جيدة تصلح لإلقائها وربما تطويرها.

التفسير الفقهي عند ابن عطية

تأليف : الدكتور عبد السلام محمد أبو سعد

منشورات : جمعية الدعوة الإسلامية العالمية



دراسة الجانب الفقهي من تفسير ابن عطية تعطينا صورة واضحة عن حالة التشريع في الأندلس خلال القرن السادس الهجري إبان دولة المرابطين. ويحاول المؤلف في هذا الكتاب أن يقدم أنموذجا من جهود العلماء في ميدان التشريع الإسلامي، لأن فقه الكتاب هو الأساس الأول الذي عليه أي تشريع، وابن عطية كان من كبار الفقهاء والقضاة الذين مارسوا جانب التشريع علما وعملا، ومن ثم فإن هذه الدراسة تتمم جانب النقص في ثقافة ابن عطية من خلال تفسيره، وتقدم أنموذجا للتشريع الإسلامي خلال القرن السادس الهجري.

إنتشار الإسلام

المؤلف : د. محمد فتح الله الزيادي

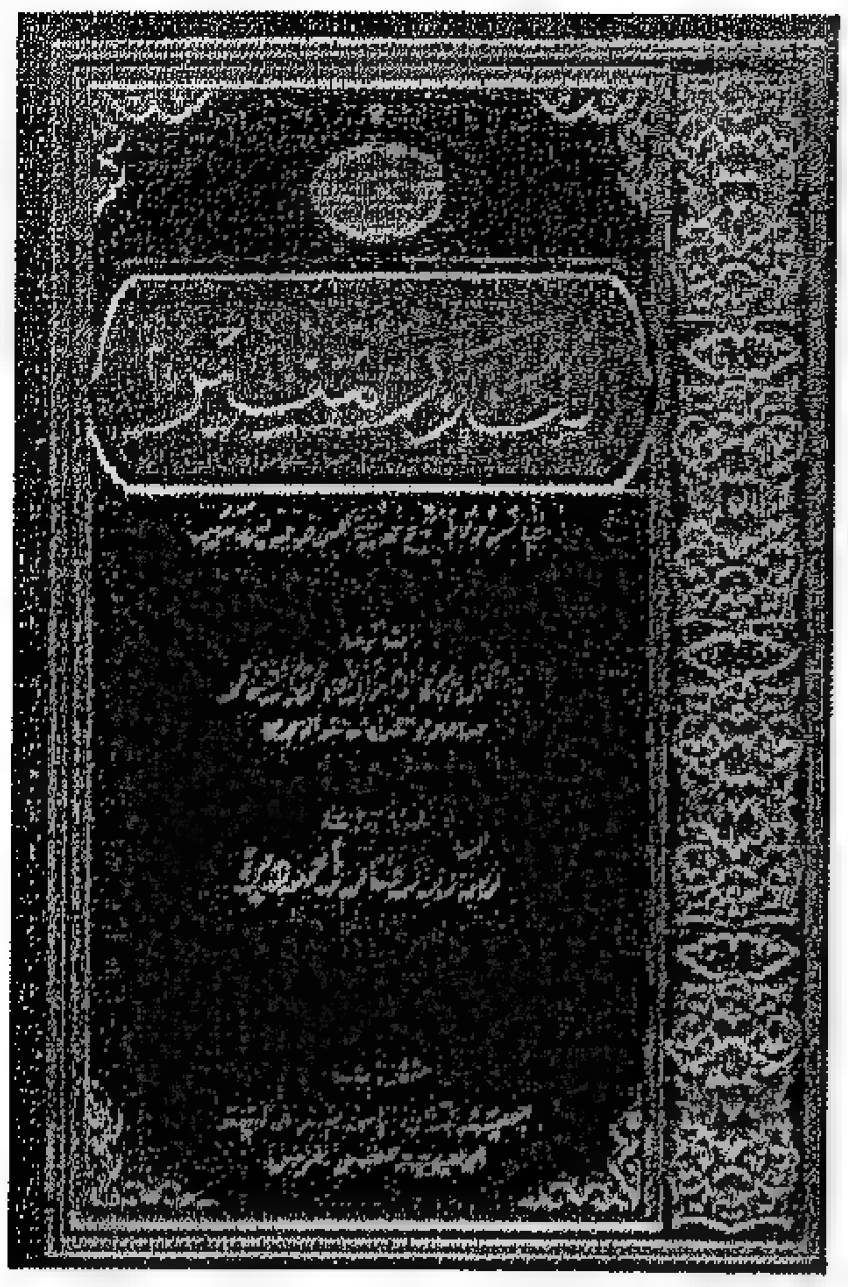
منشورات : كلية الدعوة الإسلامية



يعد الإستشراق من أخطر الظواهر المضادة للإسلام، فما عرف التاريخ الإنساني عبر مراحله المتباينة أن طوائف من أمم مختلفة تنوعت ثقافاتها ولغاتها وأعرافها التقت كلمتها واتحدت أهدافها حول العكوف على دراسة دين لا تؤمن به، لا تريد من ذلك معرفة الحق من الباطل، وإنما تريد العمل دون كلل من أجل تشويه الرسلام وحضارته الإنسانية الرائعة. وقد كانت الفتوحات الإسلامية من أهم القضايا التي شغلت الفكر الاستشراقي.

في هذا الكتاب محاولة جادة من المؤلف لمناقشة الفكر الإستشراقي في الفتوحات الإسلامية، فيعرض لآراء المتشرقين وفق تصنيف موضوعي لها، ويتناولها بالنقد العلمي الذي لا يعرف التحامل، ولا يبخس الناس شيئاً، ولا يضيره أنه لم يقرأ كل الآراء، فذلك أمر لا سبيل إليه، ويكفيه أنه جمع منها ما استطاع الوقوف عليه، وتمكن من أن يلقي ضوءاً كاشفاً حول موقف الاستشراق من إنتشار الإسلام.

البدر المنير
في قراءة نافع وأبي عمرو وابن كثير



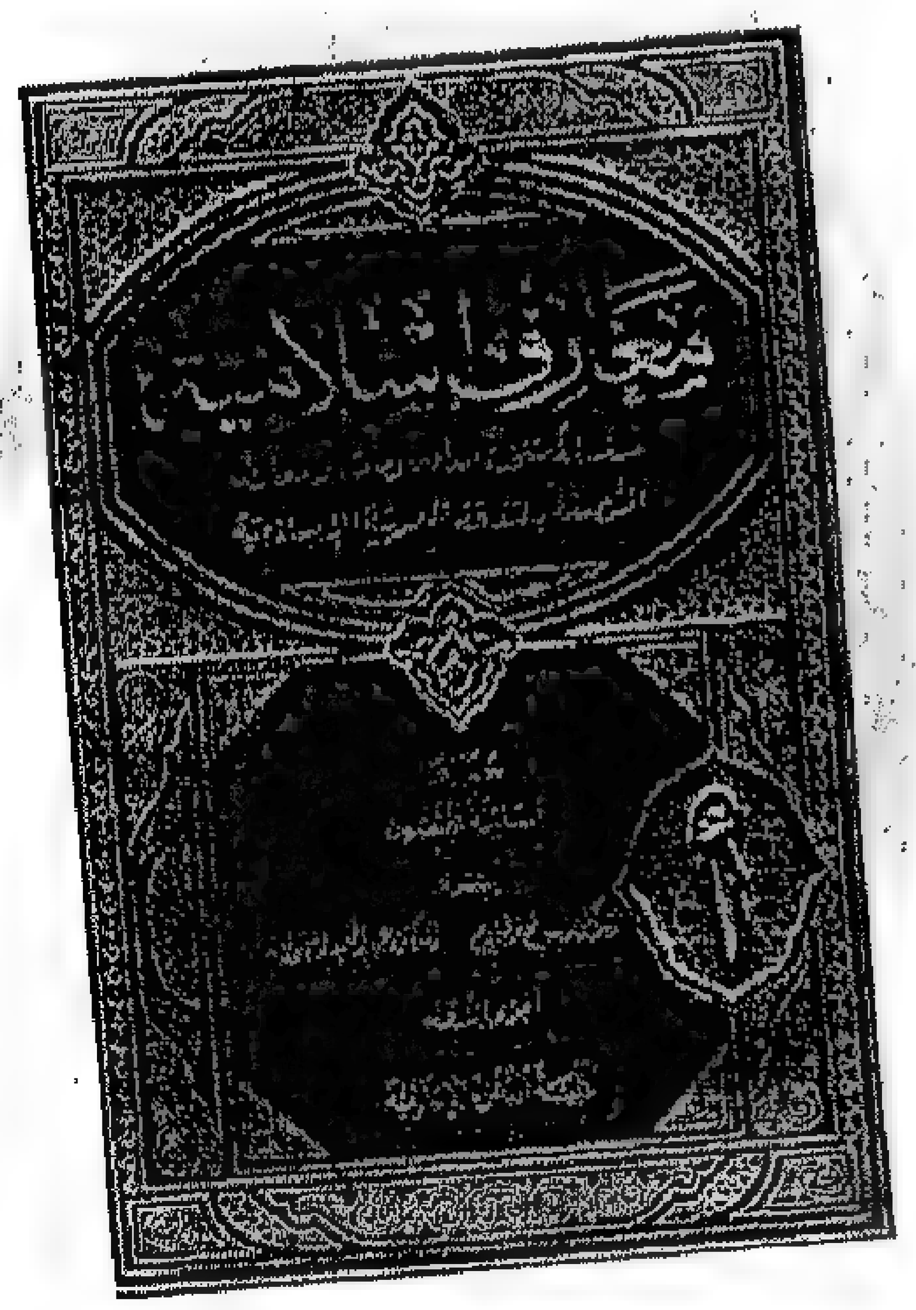
المؤلف: عمر بن قاسم الأنصاري النشار

تحقيق ودراسة: الدكتور المختار أحمد ديرة

منشورات: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

على الرغم من أن كتب القراءات القرآنية كثيرة إلا أنها - على كثرتها - ما يزال الكثير منها مخطوطا ينتظر من يخرجه إلى النور. ويعتبر هذا الكتاب امتدادا لجهود السابقين في هذا الميدان. ولعل الأهمية العلمية لهذه المخطوطة (البدر المنير) تكمن في أنها تحوي القراءات القرآنية، وإلى جانب الأهمية الدينية للقراءات القرآنية فإن لها قيمة لغوية خاصة، لأنها تحوي ثروة لغوية ضخمة لا يستغني عنها دارس اللغة العربية، وفضلا عن هذا فهي تسجل الكثير من الظواهر اللغوية التي امتازت بها القبائل العربية، والاختلاف في القراءة يعطي في بعض الأحيان أحكاما شرعية مختلفة دون أن تنزل بها آيات قرآنية أخرى.

معارف إسلامية



إعداد: أساتذة متخصصون

إشراف: الدكتور فاتح زقلام

الدكتور عبد الحميد الهرامة

منشورات: كلية الدعوة الإسلامية

هذه الموسوعة حررها أساتذة متخصصون، وهي تستمد حدودها من اسمها، فهي معارف إسلامية مكثفة، تُعْنَى بإعطاء نبذة مختصرة عن موضوع من الموضوعات الداخلة في نطاقها، ونطاقها يشمل المعارف الإسلامية الأصيلة، وتلك التي تساهم في فهمها، كاللغة العربية وآدابها، وبعض المعالم التاريخية والجغرافية المتصلة بها، فهي تمثل المعارف الإسلامية الأصيلة كالعبادات والمعاملات، فضلا عن بعض المعلومات عن الثقافة والعلوم، والبلدان التي يمثل المسلمون فيها أغلبية، والمدن التي لها تاريخ إسلامي مجيد، والأعلام الذين يشكلون تيارا فكريا أو صوفيا أو فنيا يرتبط بالإسلام برابط ما.

مسجد غرناطة بين (العربي) و(التواصل)





حدث أن عثرت على عدد من مجلة (التواصل)، كان العدد الأول، وكنت قبل ذلك قد اشتريت مجلتنا (العربي) في عددها رقم 547 لشهر يونيو2004 وقد دهشت لاشتراك مجلتكم (التواصل) مع مجلة العربي في موضوع غلاف واحد وهو افتتاح اول مسجد في غرناطة.

ولأنني لم أكن أعرف شيئاً عن (شهر الربيع) فقد سعيت بين أصدقائي لأعرف هذا الشهر وقد هداني أحدهم إلى أن أسأل السفارة الليبية حيث عرفت أن شهر الربيع يقابل شهر مارس...

لماذا أجهد نفسي لأعرف شهر الربيع ما يعني؟ ذلك لكي أعرف من صاحب الفكرة لكي يكون الغلاف له موضوع واحد...

أدركت فيما بعد أن الذي جعل (العربي) و(التواصل) تشتركان في تنفيذ فكرة واحدة ليس التقليد بكل تأكيد بل هو اشتراكهما في الاهتمام بحدث فرض نفسه يحتاج لكي يُنتبه إليه إلى مطبوعة على مستوى مجلة العربي ومجلتكم (التواصل).

أشكركم على هذا الاهتمام بحدث له مدلوله الحضاري ويعكس فعلاً ذلك النوع من التواصل بين التاريخ والواقع...

كما أشكر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي تصدر مجلة (التواصل) والتي كان لها الفضل في إقامة أول مسجد في غرناطة منذ 511 سنة. وكنت أود لو ان استطلاع مجلة (العربي) قد أشار إليه ولو من قبيل إعادة الفضل لأصحابه.

أشكركم على هذا الجهد الذي أتمنى أن يستمر ليتحقق لنا معنى التواصل بين الثقافات وهو الأمر الذي نحتاجه اليوم.

أخوكم

ماجد احمد الحسبان/ الاردن

تحية طيبة.. وبعد

فقد أطلعت على العدد الأول لـ(التواصل)، ولا يسعني إلا أن أشكركم واقدِّر جهودكم الخيِّرة التي بذلتموها لإصدار هذا العمل الثقافي الذي سيشكّل إضافة مهمة، بل وسيملأ فراغاً واضحاً في الصحافة المتخصصة في هذا النوع من العلوم الإنسانية..

وكقارئ أرى أن العدد زاخر بالأبواب والتنوّع من الموضوعات التي تلبي حاجة القارئ والباحث وطلاب المعرفة على مختلف مستوياتهم، كما وأن حجم المجلة والشكل العام لها من حيث التبويب والإخراج غاية في الروعة والجمال.

أشد على أيديكم.. وفّقكم الله وسدَّد خطاكم مع أطيب تمنياتي بدوام النجاح.

علي حمزة

صحفي/ ليبيا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أقدم إليكم أحر التهاني بصدور العدد الأول من مجلة (التواصل)..

مثل هذه المجلات الثقافية ذات طابع علمي موضوعي، ولذا كان من التوفيق غياب الجانب السياسي أو حضوره على استحياء، مما يعطي للمجلة قبولاً على نطاق واسع بين قرّاء العربية، ويجنبها عثرات الوصل السياسي والطائفي والمذهبي، وما يمكن أن يوصف بالوحل الإقليمي على مستوى الفكر، وإذا كان لا بد من السياسة لإرضاء شريحة من القرّاء فلتكن في صورة العرض العلمي الذي يمد القارئ بمعلومات جديدة وتحليلات مقنعة وغير منتمية لغير المنطق الصحيح، مع ما تتمتع به من تشويق ناجم عن مفاجأة القارئ بما لا يعلم، وليس بأساليب الإثارة الرخيصة.

مثل هذه المجلة تحتاج إلى أقلام لها وزن علمي وثقافي، وذات عمق في تناول القضايا، وتحتاج الكتابة فيها إلى ما يعرف بمصرف المعلومات الذي يعين الكاتب على الربط العلمي بين الماضي والحاضر، لتبنى نظراته الاستشرافية على حقائق موضوعية، ولا شك في أن لغة الأرقام والنسب تقرب المعاني، وتدل على بذل الجهد في البحث عن المعلومة والأمانة في نقلها. وإذا لم تكن أرقام وحقائق فمنطق وبراهين عقلية، وإذا لم يكن هذا وذاك فوثائق وصور مختارة ودالة، ومعلومات محالة إلى مصادر ومراجع، أو تجارب شخصية مقنعة، وما عدا ذلك فإنشاء لا يليق بهذا المستوى من المجلات، وتهبط بالمجلة أيضاً المقالات التي تنزع إلى المباشرة الجوفاء، والموضوعات التي قُتلت بحثاً، والموضوعات الممعنة في الغموض.

أكرر التهنئة بهذا المولود الجديد، وأؤكد لكم بأن ما ينفق في مثل هذا العمل يعد من أنعش الاستثمارات الثقافية التي يعود الربح فيها على الوطن حاضراً ومستقبلاً.

د. / عبد الحميد الهرامة
الرباط/ المغرب

بعد التحية

اطلعت على العدد الأول لمجلة التواصل، ولقد سررت بهذا المولود الثقافي الجديد الذي جاء يافعاً منذ البداية، ومليئاً بالمقالات الدسمة والتقارير الجيدة، ومتضمناً العديد من القضايا الفكرية التي تشغل بال العرب والمسلمين في هذا العالم المضطرب، وما كنت أحسب ن البداية ستكون بهذا المستوى المتميز، ولكن ذلك سوف يلقي عبئاً ثقيلاً على القائمين بهذا المشروع، وهو أن تكون الأعداد اللاحقة في نفس المستوى إن لم تكن أكثر وأشمل حتى تشق المجلة طريقها ضمن الدوريات المرموقة.

وما دام هذا المولود الثقافي يحمل عنوان التواصل فإنني أرى ضرورة أن نجعله أداة ووسيلة للاتصال والتواصل بين مختلف الكتّاب، تمكّنهم من نشر أفكارهم وآرائهم من خلاله، وخاصة الكتّاب الليبيين لكي يساهموا في هذا الصرح النابع من أرضهم.

لكم الشكر والدعاء بالتوفيق

د. / جمعة الزريقي
أستاذ جامعي/ ليبيا

حضرات الإخوة الأعزاء

تحية أخوية طيبة

أهنئكم على هذا المشروع الدعوي الثقافي الإعلامي الإسلامي، الذي يعتبر امتداداً لجهود جمعية الدعوة الإسلامية العالمية المتواصلة في سبيل خدمة الإسلام والمسلمين بكل الوسائل والسبل الثقافية والاجتماعية والإعلامية.

وإننا نرجو الله سبحانه وتعالى أن يجعل من مجلة التواصل (كاسمها) وسيلة فعالة للمساهمة في تحقيق التواصل والتعارف والترابط والحوار بين المثقفين المستنيرين (مسلمين ومسيحيين) في جميع أنحاء العالم، وعلى الأخص بين أبناء القارة الأفريقية.

ومن جهتنا فإننا سنكون ـ بإذن الله ـ من قرّاء (التواصل) ومن المشاركين في الكتابة بها.

وأود أن أتقدم باقتراح بسيط لعلّه يكون مفيداً في تحقيق الأهداف السامية التي دعت إلى إصدار (التواصل). ويتمثل هذا الاقتراح في أن يضاف إلى أهداف المجلة العناية بتاريخ الإسلام وشعوبه والعلاقات والروابط التاريخية بينها. والذي دعاني إلى تقديم هذا الاقتراح هو أهمية دراسة التاريخ بصفة عامة في بناء حاضر الأمم ومستقبلها..

ولا يخفى عليكم أن تاريخ الإسلام ـ وخاصة في أفريقيا ـ قد أجرى فيه الكتّاب والمفكّرون الغربيون تحريفات كثيرة، وتبعهم في ذلك بعض المثقفين بالثقافة الغربية من أبناء أفريقيا نفسها ما ينبغي إذن أن تساهم بمجلة (التواصل) في تصحيح هذه التحريفات.

وعلى نفس المنوال فإن العناية بتاريخ المسلمين وروابطهم التاريخية العريقة ستعين كثيراً على تجديد الوعي الإسلامي والمحافظة على الهوية الإسلامية والتضامن بين المسلمين.

وفّقكم الله والسلام عليكم

محمد أحمد شفيع

كاتب/ النيجر

السلام عليكم

في الحقيقة ودون أي مجاملة، ومن خلال اطلاعي على العدد الأول من مجلة (التواصل) أرى أنه بشكل عام إنجاز طيب ورائع يستحق التقدير والثناء. ومن حيث الشكل والموضوعات والكتّاب وجدت أن هناك شمولية وتنوعاً لمجلة ستكون واعدة بإذن الله في عالم الفكر والثقافة والحوار.

هذا الكلام ليس من باب المجاملة ولكنه انطباع حقيقي لمسته وأنا أطالع صفحات المجلة وما تضمنته من موضوعات تعالج قضايا مهمة وحيوية.

وأشكر لجنة التحرير على اختيارها وإبرازها مساحة أو قضية (المسيحية الصهيونية) وهي قضية مهمة ورئيسية تختزل كل القضايا الأخرى..

وأريد أن أتقدم إلى أسرة تحرير التواصل باقتراح أرجو أن يجد الاهتمام وأن تتوفر الظروف لتحقيقه وهو أن تتبنى مجلة (التواصل) الدعوة إلى عقد ندوة موسعة يشارك فيها كتّاب ومفكرون متميزون مسلمون ومسيحيون من مختلف أنحاء العالم لدراسة مخططات وأهداف المسيحية الصهيونية المشبوهة، وما تتضمنه منطلقاتها الفكرية.

أجدد لكم الشكر والتقدير وأثمن كل جهد بذل وسيبذل لإصدار هذه المطبوعة الرائعة..

مزيداً من التألق ولكم التوفيق والسداد.

أحمد البكوش

صحفي/ ليبيا

..ولنتواصل

كم هو جميل إيقاع هذه الكلمة «التواصل» لما تحمله من دلالات اللقاء والمحبة ولما تشعر به من معاني القرب الذي بدوره يؤدي إلى نفي البغضاء وإقصاء الخلافات مهما تنوّعت، وهذه هي فكرة هذه المجلة كما أتصور، إنها دعوة إلى الانتقال من مرحلة إلى أخرى على كافة المستويات، العربي والإسلامي والدولي، لقد مرّ العالمان العربي والإسلامي بفترات تاريخية قاسية كان أشدها قسوة فترة الاحتلال الغربي لأجزاء كثيرة من العالمين العربي والإسلامي، ولئن رحل الغرب بعساكره عن أوطاننا فإنه قد خلف الكثير من الرواسب المهلكة كان من أهمها عدم الثقة في النفس وفي الآخر، ولذا مرّت البلدان العربية والإسلامية بفترات صراع سياسي واقتصادي وحتى عسكري فيما بينها شدها إلى الخلف وأعاقها عن ركب التقدم الذي سارت فيه الأمم الأخرى، وكثيراً ما اكتشفت هذه البلدان أن سبب هذا الصراع إنما كان بأسباب خارجية وأن انعدام الحوار واللقاء المباشر بينها قد فتح طريقاً لهذه الأسباب الخارجية، ومن هنا كانت دعوتنا للتواصل منطلقة من دراسة الواقع واستشراق المستقبل ولعل تواصل شريحة المثقفين والكتّاب والباحثين يأتي في مقدمة اهتمام هذه المجلة ولذلك «فلنتواصل».

أما على الصعيد الدولي فإن العلاقات الغربية الشرقية أو الإسلامية المسيحية قد تأثرت كثيراً بالنظرة الخاطئة وبالخبر الموظّف وبالفكرة المقصودة وكان ذلك سبباً في تشويه ثقافة أجيال بكاملها غُيِّبَتْ عن الحقيقة قروناً طويلة ولم تتمكن من التواصل للتعرف على الحقيقة وأثمر هذا عداءً مستحكماً وصراعاً مستمراً ليس له من مبرر ولا تقره الأديان ولا القيم الإنسانية، ولأننا في عصر العولمة عصر التقدّم المذهل في وسائل الاتصال، ولأنه بإمكان إنسان هذا العصر أن يقفز فوق الاحتكار الاعلامي وأن يحطم السيطرة على وسائل الاتصال فلنتواصل انطلاقاً من قيمنا الإنسانية المشتركة وتعاليمنا السماوية الخالدة ونحن على ثقة بأن التواصل لا يحقق إلا الخير، ولذا.. فلنتواصل.


من اصدارات
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية
القبائل البيضانية


كتاب صحيفة
الدعوة الإسلامية
صدر حديثاً
أي إسلام..
وأي غرب؟
2
القدس
1
سلسلة دورية غير منتظمة تصدرها
صحيفة الدعوة الإسلامية، تناقش
عدداً من القضايا والموضوعات المعاصرة
برؤية تتوخى الدقة والموضوعية
تستلهم قيم ومبادئ الإسلام.

4

التواصل



مرض الخوف من الإسلام

الكراهية والحصاد المر

د. آن صوفي - السويد

المسلمون كبش فداء!!

د. جاك شاهين - أمريكا

هوليوود شوهت صورة المسلمين

د. محمد السماك - لبنان

المسلمون يعانون من سياسة العقاب الجماعي

د. بيدرو مونتابث - إسبانيا

العلاقة المثمرة أساسها التعارف

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

الافتتاحية

علمنا الإسلام أن الله كتب على نفسه الرحمة، ونحن آناء الليل وأطراف النهار نقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ونقرأ ﴿الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم﴾ وندرس بأن الرحمن الرحيم هما من أسماء الله الحسنى، ومع ذلك نعجب ممن لا يدرك حقيقة هذا الأمر فيتهم الإسلام بأنه دين يدعو إلى القسوة ويعلي من شأن التطرف.

ومن توجيهات النبي ﷺ أن يكون المسلم رحيماً بنفسه وبعياله وبإخوته في العقيدة، وأن يكون رحيماً بكل إنسان مهما كان جنسه أو لونه أو لغته أو فكره أو عقيدته "ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء". وكان صلى الله عليه وسلم عنوان الرحمة والعفو والعطف، ليس لأن ربه أدبه فأحسن تأديبه فقط بل وإضافة إلى ذلك ليكون أسوة للمؤمنين، وقدوة لهم، صابرين على دعوته ويتحملون سيرته العطرة، فبعد أن طردته قريش، ولم تدخر جهداً في التضييق عليه والنيل منه ومن المؤمنين وبعد أن سيّرت الجيوش لحربه، وبعد أن منعته من العودة إلى أحب البلاد إليه. بعد كل ذلك وأكثر منه جسد نبي الرحمة المثل الذي يحتذى في الرحمة والعطف والعفو وذلك عندما فتح الله عليه وعلى المسلمين مكة، ومكّنه من أهلها، لم يأخذهم بالشدة ولم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر بل قال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء، رحمة وسعت كل أحد.

علمنا الإسلام أيضاً أن نكون رحماء فيما بيننا، رحماء مع كل الخلق حتى الخصم والمحارب، وأن نكون رحماء حين لا يكون للرحمة معنى، وذلك أثناء الحرب، فليس وأكثر من هذا أيضاً ينبغي أن نكون رحماء.

هذا دين الرحمة بشّر به نبي الرحمة بشهادة الرحمن الرحيم ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ ومع كل هذه المبادئ والمثل والقيم لا نعدم من يناصب دين الرحمة العداء، ومن يناصب نبي الرحمة العداء. ولكننا ومهما اشتدت الأزمات، ومهما تكالبت وتداعت علينا الأمم سنظل نؤمن ونمضي على هدي دين الرحمة ونبي الرحمة فهو الرحمة المهداة.

التحرير

في هذا العدد

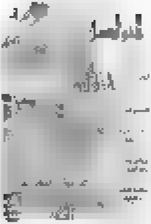
الافتتاحية

تقارير

مقالات

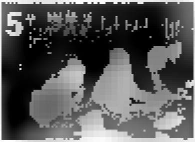
دراسات

ملف وآراء



الغلاف

الإسلاموفوبيا
مرض الخوف من الإسلام



تقارير

استجلاء صورة الإسلام
المضيئة ومباحثه السمحة



استطلاعات

[illegible]

التواصل

تصدر عن
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية
السنة الرابعة - العدد 18
من وفاة الرسول ﷺ الموافق
شهر الكانون (ديسمبر) 2008 مسيحي

المراسلات باسم
أمين هيئة التحرير
طريق السواني - كلمة
هاتف 4800736 - فاكس 4800346
بريد مصور 4800736
ص.ب 80686
طرابلس - الجماهيرية العظمى
البريد الإلكتروني
www.al-tawasol.info

استطلاعات

مواجهة

كتب

منتدى التواصل

شروط النشر في مجلة

التواصل

ترحب مجلة التواصل بكتابات المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين وغيرهم الذين يشغلون التواصل طريقاً من خلال بث الحوار والتفاعل الهادف البعيد عن التعصب الذميم بجميع أشكاله وسعياً لنبذ أسباب الخلاف والفرقة، مع الالتزام بأسس العقيدة الإسلامية وثوابت الدين في المعالجات الفكرية والثقافية وتحقيقاً لهذه الأهداف يشترط لقبول نشر البحوث والمقالات

- أن يتسم البحث بالجدة والموضوعية، وأن يتبع في كتابته الأساليب المنهجية في البحث العلمي من تسلسل منطقي في العرض، وتوثيق للمصادر والمراجع.
- أن يُراعى تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في البحوث التي تتضمنها
- أن يكون البحث أو المقال خالياً من الأخطاء اللغوية والإملائية، مع مراعاة علامات الترقيم وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.
- ألا يكون البحث أو الدراسة المقدمة للنشر في (التواصل) جزءاً من أطروحة ماجستير أو دكتوراه
- ألا يكون البحث قد سبق نشره في مكان آخر
- أن يكون البحثُ أو المقال مطبوعاً أو مكتوباً بخطٍ واضح
- ألا يقل عدد كلمات البحث أو الدراسة عن 8000 كلمة ولا يزيد على 12000 كلمة
- ألا يقلّ عدد كلمات المقال عن 4000 كلمة ولا يزيد على 6000 كلمة
- أن يُرفق الباحث ببحثه سيرته الذاتية
- في حالة الترجمة لا بدّ من أن يرفق النص المترجم بنسخته الأصلية

ملاحظات:

- للمجلة الحق في اختيار العدد المناسب لنشر البحوث المجازة
- ترتيب نشر البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية
- لا تردّ البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت في المجلة أم لم تنشر
- تعرضُ الأعمال المقدمة للنشر على لجنة تقويم المتخصصين وفق لائحتها
- تمنح البحوث والمقالات المجازة مكافأة مالية مناسبة



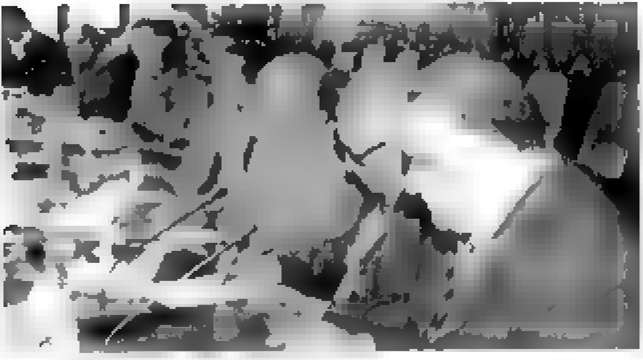
• حلقة دراسية لبحث:

استجلاء صورة الإسلام الناصعة

ومبادئه السمحة

حلقة دراسية تبحث

استجلاء صورة الإسلام المضيئة ومبادئه السمحة



خلال النصف الأول من شهر الفاتح (سبتمبر) 1372 من وفاة الرسول ﷺ 2004 مسيحي عقدت بقاعة المؤتمرات بمقر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية حلقة دراسية تحت شعار (التعريف بحقيقة الدين الإسلامي ومبادئه السمحة) شارك فيها علماء ومفكرون وباحثون جامعيون من الجماهيرية والمغرب ومصر والشام كما شارك فيها عدد من أعضاء المجلس العالمي للدعوة الإسلامية فضلاً عن ثلة من الجامعات الليبية وكلية الدعوة الإسلامية.

وقد تمحورت الأوراق التي قدمت في الحلقة الدراسية حول ما يمكنه التعريف بحقيقة الإسلام ومبادئه السمحة من تقوية الرسالة العظيمة وقد أكد المشاركون في هذه الحلقة الدراسية على سماحة الإسلام وإنسانيته وعالمية دعوته، منبهين إلى ضرورة التعامل مع قضايا مجتمعنا المعاصرة انطلاقاً من الرؤية الصحيحة والواعية للإسلام بعيداً عن الانغلاق والتعصب والغلو، مؤكدين بالخصوص على ضرورة الاهتمام بجوهر الإسلام وعدم الخلط بين العقيدة والأمور الصغيرة مثل المسائل الشخصية والرغبات الفردية

وجاء التئام هذه الحلقة الفكرية التشاورية في إطار الإعداد لانعقاد المؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية مساهمة من الجمعية في سبيل [illegible] صورة الإسلام المضيئة، والتعريف بالإسلام والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وإلقاء الضوء على الانحرافات التي تساهم في إشاعة الأفكار المغلوطة والمناقضة للإسلام ومبادئه.

الانطلاق من القيم السمحة التي جاءت بها دعوة الإسلام

وقد تحدث في الحلقة الدراسية الأخ أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية فرحب بالعلماء المشاركين من متخصصين وباحثين مهتمين، موضحاً أن هذه الحلقة العلمية البحثية التي تنظمها الجمعية في إطار المشاورات التي تجريها استعداداً للمؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية، والتي يتم خلالها [illegible] العام [illegible] تسعى إلى بحث العديد من القضايا التي تهم شباب المسلمين والفكر الإسلامي والواقع الإسلامي الذي تعيشه المؤسسات والجمعيات والهيئات الإسلامية، وذلك على مختلف المستويات بما فيها العمل الدعوي المباشر والاتصال بالجماهير، وعلى مستوى التواصل الفكري والعلمي مع المؤسسات العلمية والدعوية والفكرية في العالم الإسلامي أو خارجه. ويشير الأخ أمين الجمعية إلى أهمية إقامة مثل هذه الحلقة العلمية باعتبارها تجمع المسلمين جميعاً على تعدد مشارب اهتماماتهم، بما فيهم أولئك الذين لا علاقة لهم بمسألة الحركة الإسلامية ومسألة الدعوة الإسلامية المباشرة، سيما أن العالم الإسلامي والمسلمين في كل مكان داخل العالم الإسلامي أو في الدول والمناطق التي يعيشون فيها كأقليات هم اليوم محط أنظار ومحاولات تريد التمرد عليهم، موضحاً أن تلك النظرة وإن كانت في بعض الأحيان سلبية إلا أنها في أحيان أخرى تتسم بشيء من الموضوعية، مشيراً إلى المتغيرات التي أوجدها هذا الواقع الجديد والصعوبات التي ترتبت عنه، مؤكداً على ضرورة التعامل مع هذه الحالة بإيجابية، وذلك انطلاقاً من القيم السمحة التي جاءت بها دعوة الإسلام.

وأشار إلى أن الاستجابة مع حالة التعرف هذه كانت في بعض الأحيان غير منصفة، أو كانت تنقصها الرؤية الواضحة للعالم الذي نعيش فيه، كما كان ينقصها في أحيان كثيرة التعرف على حقيقة المبادئ الإسلامية وحقيقة النص الإسلامي وحقيقة فهم هذه النصوص وتجارب المسلمين في القرون الماضية في تطبيق هذه النصوص وهذه الشرائع وهذه التوجيهات الربانية، مشيراً إلى أن الكثير من التشويش على الثقافة الإسلامية بمفهومها الواسع قد جاء نتيجة العديد من الأسباب التي أثرت تأثيراً كبيراً في الفكر الإسلامي المعاصر، وأثرت في توجهات الجمعيات الإسلامية في عالمنا الحكومية منها وغير الحكومية، مبيناً أن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي حرصت منذ تأسيسها على الاهتمام بمنهج الشورى والحوار انطلاقاً من رسالتها كمؤسسة دعوية، حيث تنظم اليوم هذه الحلقة الدراسية فهي تحاول جاهدة إتاحة الفرصة أمام علماء وباحثين ومختصين في العديد من التخصصات لتبادل الرؤى والأفكار حول واقع المسلمين وتبادل وجهات النظر، وتحليل معطيات ومتغيرات هذا الواقع، بمعنى التعرف على حقيقته وتحديد التحديات والصعوبات والعقبات التي تواجه المجتمعات المسلمة.

أمين الجمعية: هناك محاولة للتمرد على المسلمين ويجب التعامل معها بموضوعية

مؤكداً على ضرورة التسلح بالشجاعة الأدبية والقدرة على النقد الذاتي، موضحاً أن بعض هموم العالم الإسلامي والتحديات التي تواجهه هي من صنع المسلمين أنفسهم، وذلك نتيجة جهل بعض أبنائه بحقيقة الإسلام.

وبين الأخ الأمين أن كل المسلمين معنيون بهذا علماء الدين وعلماء الحديث وعلماء اللغة وعلماء



الأستاذ إبراهيم الغويل محاولة لاستكشاف الواقع من خلال الرؤى والأفكار الأصيلة

الاجتماعي وغيرها، الاقتصاد ... التي باعتباره شأناً انعكس على المسلمين ووباله وقع على المسلمين جميعاً

موضحاً أن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية انطلاقاً من حرصها على ترسيخ مبدأ الشورى قد دعت للمشاركة في هذه الحلقة الدراسية للاستفادة من الآراء والأفكار التي تطرح، منبهاً إلى أن هذا الملتقى يأتي في إطار الاستعداد لعقد المؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية

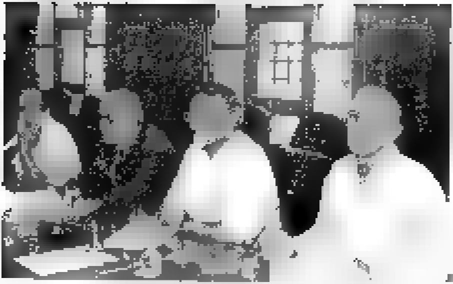
منهج الشورى أسلوب علمي وحضاري ينظم علاقات البشر

كما تحدث الأستاذ إبراهيم الغويل مقرر عام مؤتمرات الدعوة الإسلامية منبهاً إلى أن هذا الملتقى يرمي في جانب منه إلى محاولة التعرف على حقيقة العالم الذي نعيش فيه مؤكداً على أهمية منهج الشورى كأسلوب علمي وحضاري ينظم علاقات البشر ويساعد على فهم وتفهم واقعنا المعاصر موضحاً مدى انعكاس ذلك الفهم على الثقافة والسلوك ومدى التأثير الإيجابي الذي يمكن أن ينتج من فهم الواقع

وفي تناوله العلاقة بين الفهم والعمل، استعرض الظروف التاريخية والاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية التي مرت بها المجتمعات المسلمة، مبيناً دور بعض المتغيرات في إيجاد حالة من الركود والتخلف.

وأشار بالخصوص إلى أن التدفق الإعلامي من جانب واحد يشكل تحدياً جديداً يجب أن نفكر فيه، خاصة ونحن نتحدث عن مفهوم التعرف على العالم الذي نعيش فيه، وضرورة أن نتعرف على ما يحدث في سياق عصرنا وتحديد موقفنا منه وتحديد من نحن ومن هو الآخر ... مع ضرورة التنبه لتشابك العلاقات في مجتمعات العصر، بما يتطلبه ذلك من مصطلحات يجب الإلمام بها، مشيراً بالخصوص إلى تأسيس جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بدعوة من الأخ قائد ثورة الفاتح الإسلامية إلى انعقاد المؤتمر الأول للدعوة الإسلامية مؤكداً أن فهم الواقع بمتغيراته كافة بشكل مجرد [illegible] في التعامل مع معطياته أو التحديات التي يطرحها منبهاً لأهمية [illegible] هذه الحلقة الدراسية في تقصي هذا الواقع والتعرف على مختلف جوانبه، خاصة أن المشاركين فيها هم من ذوي الخبرة سواء في مجال الدعوة أو في العديد من المجالات والعلوم الإنسانية موضحاً أن انعقاد هذا الملتقى الفكري يأتي في إطار الاستعداد لعقد المؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية

وأشار الأستاذ الغويل إلى أهمية الأفكار التي



الدكتور محمد عمر هاشم: مشيداً بالجهود التي تضطلع بها الجمعية

يطرحه المشاركون في إثراء معرفة أعضاء المؤتمر العام بواقع عالمنا المعاصر، ومعرفة موقعنا من هذا الواقع العالمي، حتى تكون الخطط والبرامج التي سيقترحها أعضاء المؤتمر أكثر واقعية وتجاوباً مع متطلبات العصر، داعياً إلى أن يكون الطرح علمياً وموضوعياً ومتكاملاً، حتى يؤدي إلى فهم حقيقي ينسجم مع المبادئ والقيم التي يدعو إليها الإسلام.

ونبه إلى أن غياب العقلانية قد أدى في بعض الأحيان إلى تشويه صورة المسلمين، ملاحظاً أن معالجة الواقع الإسلامي ضمن الواقع العالمي أصبحت من القضايا المطروحة بأوسع الآفاق على كل مستويات العالم الإسلامي التي باتت علاقاتها تتشابك مع أتباع العقائد الأخرى، وهي مسألة جديرة تطرح تساؤلات يجب علينا مواجهتها ووضع تصورات للتعامل معها. وفي هذا السياق أشار إلى تأكيد الأخ أمين الجمعية على مختلف هذه القضايا، منبهاً إلى هذه الصيغة الدراسية التي تأتي انسجاماً مع فلسفة الجمعية، وهي محاولة لاستكشاف الواقع من خلال الأفكار التي سيطرحها المشاركون والمصالح التي سيقدمونها، وذلك لوضع سياق للتشاور في المؤتمر القادم، وهو المنهج الذي سارت عليه الجمعية في كل مؤتمراتها منذ أول مؤتمر، والذي بيّن فيه الأخ قائد ثورة الفاتح الإسلامية كيفية الدعوة للإسلام في عصر العالم المعاصر، وضرورة مراعاتها بمقتضيات كل منطقة من المناطق، وأهمية مراعاتها لمدى تأثيرها على الدعوة، وكيفية إعداد الدعاة الذين يناط بهم هذه الرسالة وكيفية تمويل مثل هذا المشروع.

مشيراً بالخصوص إلى تأكيد المؤتمر الأول للدعوة الإسلامية منذ البداية على ضرورة الاهتمام بمسألة الحوار، وهو ما كان نبه إليه الأخ قائد ثورة الفاتح الإسلامية، داعياً إلى إعطائه مساحة مهمة في برامج العمل الإسلامي.

واستعرض الأستاذ إبراهيم الغويل في مداخلته توصيات ذلك المؤتمر التي أكدت على ضرورة تأسيس جمعية الدعوة الإسلامية وإنشاء كلية تتبعها وإنشاء صندوق للدعوة يمولها، مبيناً أن مسيرة الجمعية منذ تأسيسها في العام 72 مسيحي قد اعتمدت منهج الشورى، وذلك من خلال مؤتمرها العام.

نحن في أمس الحاجة
إلى ترتيب بيتنا من الداخل

وتحدث الدكتور محمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الأسبق معرباً عن شكره وتقديره لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية على هذه الدعوة الكريمة والمبادرة الهامة، مشيراً إلى أنها جاءت في وقت أحوج ما يكون فيه المسلمون إلى هذه الوقفة مع الذات



الدكتور أبو زيد المقرئ
يتحدث عن محور الثقافة
الإسلامية وتحدياتها الإنسانية

موضوع ان [illegible] الندوة جاء في توقيت هام والمناقشة موضوع له حساسيته بالنسبة للأمة، وأن مجرد التفكير بالقائه من جانب جمعية الدعوة الإسلامية العالمية وكلية الدعوة الإسلامية هو تفكير عميق، مؤكداً ان هذه المبادرة ليست غريبة عن مؤسسة عملت للعمل الإسلامي بكل جوانبه أكثر من ثلاثين عاماً وعملت له بعد تعاليمه ورسمت مسيرته مشيراً الى أهمية الأخذ من الثقافة والقضايا التي أثارها النقاش والعمل على النقد الذاتي وضرورته موضحاً أننا في أمس الحاجة الى ترتيب بيتنا من الداخل وضرورة ان نتقبل [illegible] نقد علمي وأن نتعرف على حقيقة الهموم والتحديات التي [illegible] شروحها في أسس [illegible] أن [illegible] هذه القضايا في بعدها [illegible] وأن [illegible] من [illegible] النتائج التي تنعكس على فهم الواقع مضيفاً ان النموذج هو ان ما نتطلع إليه ونحن في هذه الجمعية العالمية التي تحظى بمكانة مرموقة وهي متميزة خلاصتها ورؤيتها الواضحة

وأكد الدكتور محمد عمر هاشم على أهمية المبادرة بعقد هذه الحلقة الدراسية مشيراً إلى توحيد علماء هذه الأمة ومفكريها والتعرف على مذاهبهم حتى لا يظل الناس في حيرة [illegible] له وأن يكون متقاربا وبديلا عن الفتنة بين الأمة وذلك من خلال التسامح الذي أمرنا به ديننا مشيراً إلى حمل المسلمين للرسالة والدعوة إلى السلام والتعايش السلمي مشيراً الى التحديات الداخلية والخارجية التي تواجه العالم الإسلامي والمسلمين وضرورة بحث هذه التحديات وفق رؤية جماعية مستمدة من رسالة الإسلام الصحيحة مؤكداً على ضرورة عقد مؤتمر دولي لمعالجة هذه التحديات مبيناً ضرورة عقد مؤتمر دولي تتوحد فيه كلمة [illegible] التي [illegible] الى وحدة الصف حيث يقول سبحانه وتعالى ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا﴾ سورة آل عمران الآية 103

[illegible] الدكتور هاشم عن سعادته من خلال المؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية بطلاقة عملية لهذه الرؤية بتوضيح حقيقة الإسلام ونبذ الخلافات من خلال رؤية تحرص على [illegible] وتسير على نهج الرسول الكريم ﷺ معبراً عن سعادته بالتعاون مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومشاركته في البرامج التي تضطلع بها

مشيراً في هذا السياق الى الاتفاق العلمي والثقافي بين كلية الدعوة الإسلامية وجامعة الأزهر

وأكد الدكتور هاشم انه يقدر الجهود التي تضطلع بها هذه المؤسسة وقال ان الله تعالى سيكتبكم مع [illegible] نهضة هذه الأمة الغارقة في همومها من أجل استنهاضها وبناء نهضتها والتقدم الى الأمام وهي في ذلك تستشعر حجم المسؤولية والتحديات التي تهدد

مستقبلي. وعليه أؤكد أنه يجب علينا وعلى كل مسؤول وعلى كل الدعاة وعلى الجمعيات المعنية أن تقدم العلاج الناجع، وأن تسعى إلى وحدة الصف وجمع الكلمة.

وقال في ختام مداخلته: أرجو الله أن يوفقكم لأداء هذه الرسالة على أكمل وجه. ولذا يسعدني الآن خرِّيجي لتسلّم الشهادة وجمعيات الشباب المسلمة الطلابية أشد بيدي في أيديكم وأدعو معكم، وأنا رهن إشارة هذه الدعوة التي أراها واجب حتمي علينا في هذه الأمة.

السلوكيات الهوجاء تعد كارثة يجب التنبيه لها ومعالجتها

من جهته أكد الدكتور أبو زيد المقرئ الإدريسي، الأستاذ الجامعي وعضو البرلمان في المملكة المغربية، على أهمية عقد هذه الحلقة الدراسية مضيفاً: إنه لشرف عظيم أن أشارك في جلسة أعمال هذه الحلقة الدراسية. وأشيد بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية على الجهود التي تبذلها من أجل تقديم الإسلام بعيداً عن التشويه والتحريف، مؤكداً على أهمية الملتقى باعتباره يبحث موضوعات تتعلق بالدعوة والعمل الإسلامي بجميع جوانبه. موضحاً أن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية من خلال تجربتها الغنية والممتدة على مدى أكثر من ثلاثة عقود قد عكست أهمية نقل ما من شأنه الارتقاء ببرامج العمل الإسلامي، مشيراً أيضاً إلى الاجتماع التشاوري الذي عقدته الجمعية في إطار الاستعدادات لعقد المؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية.

واستعرض الدكتور أبو زيد المقرئ جملة من القضايا التي تهم المسلمين، وتتعلق بظروفهم، منبهاً إلى الاهتمام المتزايد بالثقافة الإسلامية والهوية والشخصية المسلمة بين أبناء الأقليات المسلمة في الغرب، موضحاً: أول نقطة أريد أن أتحدث حولها هي أزمة الفكر... رغم أن الإسلام اليوم يتمدد في نفوس الشباب، فبعد الضعف والوهن والانبهار بالغرب نرى هذه الأمواج المتدفقة من الشباب والشابات المترددين على المساجد والمراكز الإسلامية، وهذه نعمة كبيرة، يجب الاستفادة منها في ترسيخ هوية المسلمين في كل أنحاء العالم، وأكد هنا، مشيراً إلى الاستحقاقات التي يجب الاهتمام بها ومنها التركيز على تقديم الصورة الصحيحة للإسلام، موضحاً أن هذه النعمة والمد المتجدد هو نعمة ولكن ربما يتحول إلى نقمة إذا لم نحسن تقديم الثقافة الإسلامية بخصائصها الإنسانية، مشيراً إلى المتغيرات التي يجب التركيز عليها محذراً من العقلية المأزومة ربما تؤدي إلى الانحراف عن الصواب، مؤكداً على ضرورة أن تكون هناك رؤية استراتيجية لمعالجة جملة القضايا والتحديات التي يطرحها الواقع المعاصر، مبيناً أهمية التركيز على فهم الآخر وإدراكه وسبل التعامل معه، وفهم النص. ولا يخفى أن السلوكيات الهوجاء تُعد كارثة يجب التنبيه لها ومعالجتها، وبالتالي تقديم الحلول. وهنا يأتي دور وسائل الإعلام التي تقع عليها مسؤولية كبيرة وخطيرة في تشكيل الرؤية الجماعية المشتركة تجاه هذه الموضوعات والقضايا. لكنني أشير هنا بالخصوص إلى تخبط بعض وسائل الإعلام بسبب غياب الوعي والخطط والبرامج القائمة على رؤية استراتيجية واضحة.

وتساءل الدكتور المقرئ عن سبب إقدام إحدى القنوات الفضائية ـ مثلاً ـ في هذه الفترة بالذات على التشكيك في مضامين مهمة ومحددة مثل حادثة الإسراء، معتبراً تلك الدعوة طمساً لهوية القدس الإسلامية. متسائلاً: أيّ عقل هذا، وأي فتنة؟ وعلى هذا السياق نشير إلى أن ذلك يعكس أزمة تحيط بالمسلمين سببها التشرذم، التناحر والفرقة والاختلاف تعود في أصلها إلى أزمة الفكر، وهذا يحتاج إلى مشروع بعيد المدى.

وأنا أناشد إخوتي في جمعية الدعوة الإسلامية العالمية الذين عهدتهم منذ القدم وعهدتهم هذه المؤسسة المبنية على العمل البعيد المدى والرؤية الواضحة: أن عليهم التركيز على إعداد الدعاة



الدكتور مصطفى التير: التعامل مع الواقع بموضوعية قائمة على رؤية واضحة منبثقة من الإسلام

الدكتور محمد سوالم: رسالة الجمعية لتنسيق الفكر والاحترام

والنصب.. وتقديم المساعدات الاجتماعية، وباعتبارها مؤسسة تستطيع بدور كبير يغطي مختلف الجوانب بما فيها الجوانب الدعوية والثقافية والتعليمية والإنسانية بالإضافة إلى مجال الاستثمار. وأتمنى لأعضائها - ولا أمل لي في سواهم - أن يتحملوا رأس الحربة في هذا المشروع الحضاري، وهو معالجة الفكر المأزوم والذي نعتبره أول التحديات التي يجب معالجتها، وكما تعلمون فإن هذه المسألة لا تُحل في جلسة أو ساعة أو دقيقة، بل تحتاج إلى نفس طويل، لأننا نحتاج إلى تكوين مراكز وبناء مؤسسات وهيئات أكاديمية وإعادة توجيه الجامعات الإسلامية، وبالخصوص كليات الشريعة والدعوة، والتي يجب أن تتعامل مع التراث ومقررات التدريس بمناهج جديدة، مشيراً بالخصوص إلى أن ما نحتاجه من مؤسساتنا التعليمية المتخصصة في مجال الدعوة والثقافة الإسلامية أن تكون قادرة على تأهيل باحثين قادرين على التعامل مع المشكلات المعاصرة بموضوعية وروح علمية تستمد أصالتها من رؤية الإسلام الصحيحة.

وفي معرض تناوله مختلف الأبعاد الثقافية والاجتماعية للقضايا المعاصرة، أشار إلى أنه ليس كل شخص قادراً على أن يكون عالماً في العقيدة، هناك أناس بشر يحتاجون إلى الاحتفال والتقاليد، نحن نبحث عن البدعة والسُّنة ولكن نبحث عن البدعة المعتبرة، تضبطها الضوابط الشرعية العامة، بحيث الأشياء الخاصة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، ولا تأتي ثقافة محلية تبعية معلقة بمجتمع مسلم وتجعله معيباً وتلصق التقاليد بالإسلام.

موضحاً أننا نحتاج إلى آلة نقدية انتقائية عند الأخذ من الغرب، كما أنه يجب أن نتعامل مع التراث برؤية مستنيرة ومنضبطة على مستوى الأفكار وعلى مستوى المناهج، وأن يكون ذلك وفق رؤية إيجابية تنطلق من الإسلام منسجمة مع التراث ومنفتحة، لتوجيه البناء ومواجهة التحديات وصنع التقدم الحضاري.

إعادة قراءة التراث للتخطيط للمستقبل من خلال الفهم الصحيح

كما تحدث الدكتور مصطفى عمر التير أستاذ علم الاجتماع بالجامعات الليبية فأشار إلى العديد من الجوانب الثقافية والاجتماعية ودور متغيرات العصر في صياغة الواقع، مستعرضاً جملة من المفاهيم والقضايا التي تعكسها، موضحاً أنه لا يوجد شك في أهمية إعادة قراءة التراث لتخطيط المستقبل من خلال الفهم الصحيح، مبيناً أن هناك أموراً كثيرة للأسف تحسب على الدين في الوقت الحاضر، وقد وضعت المسلمين في زاوية ضيقة، وأن الخروج من هذه الزاوية يحتاج منا إلى رؤية واضحة مبنية على

التربية، والتعامل مع الواقع بموضوعية قائمة على رؤية واضحة مستمدة من الإسلام، ولا يعني هذا أن التعامل مع التحديات من منطلقات عاطفية لا يحل المشكلة.

إعمال العقل والفكر والجهد لاستخلاص المعاني الكريمة التي جاء بها الإسلام

ومن جانبه ركز الدكتور محمد سويلم على قضية الشباب، موضحاً أن الحديث في هذا الموضوع مرتبط بالحديث عن التأسيس والتطوير، معتبراً أن هذه القضية هي من القضايا المهمة في الفكر الإسلامي، مؤكداً على ضرورة الرجوع إلى المصدر الأساسي الأول وهو كتاب الله سبحانه وتعالى، مشيراً بالخصوص إلى أهمية إعمال العقل والفكر والجهد لاستخلاص المعاني الكريمة التي جاء بها الإسلام في مجالات الآداب والتربية والأخلاق، منبهاً إلى ما تشكله هذه الموضوعات من أهمية في الجانب التأسيسي من جهة، ومن جهة أخرى محددات للجانب التطويري، وأوضح أن الإسلام هو دين صالح لكل زمان ومكان، مبيناً أن هذا لا يتعارض مع إعمال العقل والتفكير لإصلاح شؤون المسلمين، وذلك طبقاً لمنهج القرآن الكريم ووفقاً لمبادئ الإسلام المتمثلة الأصيلة والأصلية، وذلك من خلال فهم عميق لها ولأبعادها، مؤكداً على أهمية نشر هذه الدعوة ونشر المفاهيم الإسلامية الصحيحة انطلاقاً من منهج الاعتدال ومنهج الوسطية ومنهج الإنصاف الرافض للتطرف والمغالاة، أو التوجه إلى أمور هامشية قد تكون بعيدة عن فهم الدين.

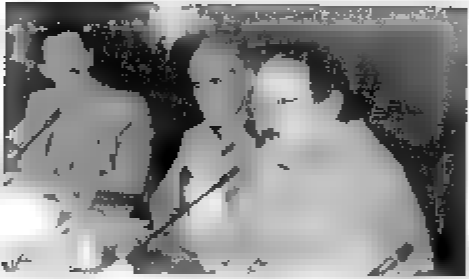
وأشار الدكتور سويلم إلى أن الاعتصام بالشباب لا بد أن ينطلق من هذه الرؤية الواضحة، مستعرضاً في هذا السياق بعض الرؤى التي أساءت فهم الإسلام والتي جعلت الشباب في حيرة وقلق أو ربما حتى سوء فهم، مؤكداً على أهمية وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة في هذا الجانب المهم، داعياً إلى تحصين الشباب تحصيناً علمياً وتربوياً إسلامياً صحيحاً وفكرياً من خلال ربطهم بالفكر الإسلامي الصحيح، وهذه التربية العملية تنطلق من البيت وتشمل مختلف جوانب الحياة، مؤكداً على ضرورة الالتزام بمنهج الدعوة القائم على الحكمة والموعظة والجدال بالتي هي أحسن، وأن معنى الحكمة هو الأمر المحكم المنظم الذي ورد في كتاب الله العزيز، وذلك طبقاً للمنهج الإسلامي. وأشاد بدور جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وخاصة ما تقدمه للدعوة الإسلامية ونشرها في العالم، واهتمامها بإعداد الدعاة الواعين بحمل رسالتهم، رسالة الإسلام، والقادرين على رد الحجة بالحجة، مضيفاً: هذه هي رسالة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي تقوم بها، وهي رسالة تستحق منا أن نشكرها عليها، ونرجو من الله أن يوفقها في أداء هذه الرسالة من منطلق ديننا الحنيف وتوجهها الإنساني.

الدكتور مطاعن البهاتي: يبحث واقع العمل الإسلامي بكل جوانبه لاستشراف المستقبل

الدكتور عبد الرحمن عمير النعيمي: عقد هذه الحلقة يأتي تمشياً مع مبدأ الشورى

مفهوم التعارف من أنسب الطرق للوصول إلى الحقيقة ومعرفة الآخر

كما تحدث الأستاذ سمير الحسيني رئيس المركز الأفريقي المؤسس بالقاهرة، فتناول مفهوم التعارف ودوره المهم في الانتقال بالحوار إلى مداه الإنساني مبيناً أهمية هذه النقلة الحضارية في تحرير روح التعايش ونشر وترسيخ ثقافة التفاهم بين أبناء المجتمعات الإنسانية على تعدد ثقافاتهم وعقائدهم، مشيراً أن مفهوم التعارف يُعد من أنسب الطرق للوصول إلى الحقيقة ومعرفة الحقيقة ومعرفة الآخر، مشيراً إلى أن هذه الخطوة تُعد الخطوة الأولى نحو



الأستاذ سمير البقشيني: تعزيز روح التعايش ونشر وترسيخ ثقافة التفاهم بين الناس

التعايش بين الثقافات على تنوعها، موضحاً أن مشروع التعارف يقودنا إلى موضوع هذا الملتقى.

ونبه الأستاذ البقشيني إلى أن كثيراً من الأفكار التي طغت تاريخياً سببها التركيز على الشكل دون الجوهر، مستعرضاً جانباً من تاريخ تلك الأفكار، موضحاً أن ارتباطها بعضها بالمصالح السياسية وتوجهها إلى السلطة ورغبتها في الوصول إلى الحكم قد جعلها تركز على الشكل والذي بدوره أدى إلى ظهور انحرافات خطيرة، وهذا أدى إلى ظهور التنظيمات السرية، ومن هنا بدأت لا تبحث عن جوهر الإصلاح، مؤكداً أن الإسلام جاء في الأصل ليتمم مكارم الأخلاق، ولتحقيق العدالة الاجتماعية، ورفع الظلم عن الإنسان، وهذا هو الجوهر الحقيقي للإسلام، موضحاً أن الدعوة التي تبدو إصلاحية عندما تخلط بين الحكم والدين تصبح بعيدة عن فكرة الإصلاح.

وقال الأستاذ البقشيني في مداخلته: كما نذكر أن الأخ القائد معمر القذافي بعد قيام ثورة الفاتح الإسلامية نبه إلى ضرورة إنشاء هيئة مستقلة تعمل على نشر الإسلام والتعريف به، وأن هذه الخطوة قد هيأت للمسلمين وجود مؤسسة خيرية عالمية هي جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، تعمل على الاهتمام بمختلف مجالات العمل الإسلامي، دون الخلط بين متطلبات الحكم والسلطة ومتطلبات الدعوة، مشيداً بالدور الذي تضطلع به الجمعية من أجل خدمة الإسلام والمسلمين.

إصلاح الواقع وتلافي الأخطاء

وتناول الكلمة الدكتور مخلص السبتي، أستاذ جامعي من المغرب، فأثنى على فكرة انعقاد هذه الحلقة الدراسية، مؤكداً على أهميتها، خاصة أنها تأتي في إطار الاستعداد لانعقاد المؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية، وأشار في مداخلته إلى أن انعقاد هذه الحلقة يعد بادرة إيجابية باعتبارها تبحث واقع العمل الإسلامي بكل جوانبه لاستكشاف المستقبل وتبين مواطن الخلل التي يجب معالجتها، معبراً عن قناعته بأنها تشكل فرصة هامة لإصلاح هذا الواقع وتلافي الأخطاء التي أوجدتها الممارسات الخاطئة باسم الدين.

منهج عمل لدراسة واقع المسلمين وأحوالهم

كما تحدث الدكتور عمر العاصي، الأستاذ الجامعي من جمهورية تشاد، فأعرب عن تقديره لهذه المبادرة التي تأتي انسجاماً مع مبدأ التشاور الذي انتهجته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية كمنهج عمل لدراسة واقع المسلمين وأحوالهم وبحث شؤون الدعوة، مشيراً بالخصوص إلى العديد من برامج العمل التي تضطلع بها الجمعية من أجل خدمة الإسلام والمسلمين والإنسانية بصفة عامة.

التحرير



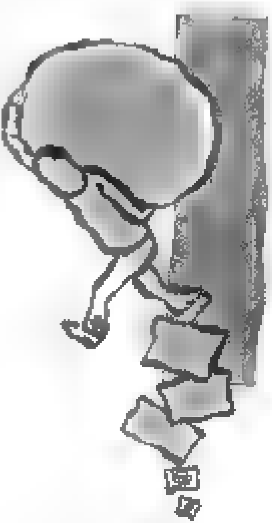
- المسلم المعاصر والتحديات
- التفوق الثقافي المزعوم
- المصطلحات العلمية العربية: تعريب أم تغريب
- مفردات في إشكال الثقافة والهوية
- الإسلام والعولمة: جدال أم هيمنة؟

المسلم المعاصر والتحديات

طلعت سقيرق *

في التعرض إلى الراهن بكل ما يحمل من تحديات ومواجهات وتطورات، نصل في أكثر الأحيان إلى إغماض العين تارة، وإلغاء العقل تارة أخرى، وتجاوز المرجعية الحقيقية التي نعرفها المتمثل بالقرآن والسُّنة تارة ثالثة. كل هذا يولد تراجعاً وتخلفاً وضعفاً على كل المستويات. ورغم أن السبب جد واضح وبيّن، فإننا نسأل بصورة آلية غريبة: ما هي الأسباب التي تدعو للتخلف؟ ولماذا نجد أن أكثر الدول الإسلامية في حالة مزرية من الضعف والتفكك؟؟ ثم ما معنى أن يكون المسلم غير مستوعب لمعطيات العصر والتقدم العلمي الذي يشمل كل العلوم الحديثة، وسيما ما يمس أو يؤثر مباشرة بالصناعة والتكنولوجيا وما إلى ذلك؟؟

ولا نستغرب أن يسأل بعضهم بكثير من الفضول لمعرفة الحقيقة: التعامل مع شبكة المعلومات الدولية والبريد الإلكتروني وزيارة المواقع أو نشرها هل هو حرام أم حلال؟؟ ولا يظن أن مثل هذا السؤال عابث أو على سبيل الدعابة، فهو أكثر الأسئلة التي تصب في هذا الاتجاه، في التصور الجاهز والمعايير عند الغرب، وعن الغرب أحياناً، بأن القول بعدم مناسبة الإسلام لعصر الحديث، عصر العلم والتقدم



* كاتب وباحث، سوريا

الصليبي والنفسي الكبير. ومع بطبيعة الحال يقتضي الأمثلة القريبة من واقع الدول الإسلامية الموزعة على خريطة جغرافية واسعة وشاملة لعدد كبير قد يصل في القريب إلى المليار، وتحسب المليار من المسلمين. ويبدو الأمر في الظاهر موافقاً لمقتضى الحال، فالدول الإسلامية بكل هذا الامتداد والاتساع، دول ضعيفة متخلفة لا تملك من مقومات القوة المادية شيئاً. وحين يصدر الغرب مقولته يجد من يسمعه ما دام المثل على الأرض موجوداً بكل جلاء.

وقد يحلو لهذا الغرب، بل يطيب له أن يشير إلى فصل الدين عن الدولة والحياة والممارسة اليومية العملية، إذ ما تقدم الغرب ولا أنجز ما أنجز من تطور إلا بعد أن فصل الدين والكنيسة عن أمور الدولة والحياة العملية فتحرر العقل واستطاع أن يبدع ويصل إلى ما وصل إليه من إنجازات كبيرة.

وقد يرى الغرب فيما يرى أن الإسلام يدعو إلى ما يراه من تطرف يأخذ صور التكفير أو القتل وما إلى ذلك. والغريب أن معظم الصورة يكون التعبير معبراً عن الكل في مقولة لإلصاق التهمة بالإسلام مباشرة، إذ المطلوب يتحدد في اتهام الإسلام كدين. ولنا أن ننظر ونتمعن في التداول الإعلامي لكل عمل يقوم به شخص ما غير أمريكي أو فرنسي أو ألماني عندما يكون غير مسلم، حيث لا ينظرون إلى الدين بل إلى تبعية الشخص بدولة. أما إذا كان الشخص مسلماً فسرعان ما يتم تناسي كل شيء غير كونه مسلماً لتبدو الصورة صورة إرهاب إسلامي بتصميم غربي مرهون. ولنا أن نتساءل تماماً؟؟ لماذا يصر الغرب على هذه الصورة والتي تبدو ذات حضور طاغ في الإعلام الغربي؟؟

تجدر الإشارة هنا إلى ضرورة الاعتراف بواقع مرير لا يسر بأي حال، لكن علينا أن نتبين الطريق بوضوح قبل أن نمضي إلى الأمام، إذ من غير الممكن إيقاف الاتهامات التي سبقت على حالها وبالكيفية التي طرحت بها، والأجدى أن نبين التالي:

القول بعدم مناسبة الإسلام للعصر يبدو متهافتاً ضعيفاً عند أي تمحيص، فالدين لم يتغير ولم يتبدل في أي وقت من الأوقات، وقد كان الإسلام وما زال دين علم وعمل وفكر، والأجدى أن نلتفت إلى التمسك بهذا الدين في ذات أنفسنا كمسلمين. وليس عيب الاعتراف بالتقصير الذي يجعلنا ضعفاء في هذا العصر، ولا داعي لتغييب الحقائق أو إحضار الدين وإقحامه بصورة لا توافق الحال الذي نحن فيه.

القول بعدم مناسبة الإسلام للعصر يبدو متهافتاً ضعيفاً عند أي تمحيص فالدين لم يتغير ولم يتبدل في أي وقت من الأوقات. وقد كان الإسلام وما زال دين علم وعمل وفكر

كان المسلمون الذين صنعوا الحضارة والعلم والتقدم والازدهار، وطوروا وصنعوا وأبدعوا في كل مجال علمي من طب وتشريح وعمران، وكانوا يحملون الدين الإسلامي الذي يحض على زيادة العلم والإحسان. ما تغير وتبدل يخص بنا كمسلمين وبوجه العموم لا التخصيص، إذ من غير المجدي أن يبرئ كل واحد منا نفسه ويضع اللوم في التقصير على الآخرين.

كان فصل الدين عن الدولة بالنسبة للغرب قائماً على أساس علمي لأنهم عانوا ما عانوا من تسلط الكنيسة التي حاولت تحجيم العقل والعلم وكل دعوة للتطور، بينما لا نجد مثل هذا في الدين الإسلامي، الدين الإسلامي يدعو إلى العلم والمعرفة والتطور والتقدم والبناء، ولا يضع أي حد لذلك. أيضاً يمكن

ترجمة ما وصل إليه الأولون الذين فتحوا أبواب العلم والتعلم وصمدوا، وسعوا إلى التطور والتحديث والتقدم دون وجود أي عائق بل كان هنالك دافع دائم ومحرض متصاعد على العلم والمعرفة والبناء والتطور والتقدم.

ما كان الإسلام في يوم من الأيام إلا الدين الذي يدعو إلى المحبة والتسامح والخير لكل الناس، ولكن البعض قد حاد عن هذه المرتكزات والأسس في ابتداع صور من تلك التي نراها في الزمان، فهذا شيء صدر من الأشخاص وليس عن الدين.

وكل ذي عقل سليم يمكن أن يرى أن التطرف والمغالاة والانحراف نابع من كثير من الناس دون الرجوع إلى الدين نفسه، إذ لو كان الدين هو الذي يدعو إلى ما يقومون به لما كانوا فئة معدودة العدد. فأي مسلم يقوم بالإعتداء أو تدمير مكان ما، لا يكون من المنطق أن يحال الفعل بالإشارة إلى الجماعة الإسلامية على أنها ديانة تدعو إلى القتل والتدمير. كذلك الأمر بالنسبة إلى مسلم. فالتعميم لا معنى له ولا جدوى منه.

إذا حاولنا العودة إلى الأمام في تحديد أسباب التخلف والتقصير والتراجع عن مواكبة الركب العلمي، وجدنا أن المسؤولية تطال الجميع دون استثناء. ولدى النظر إلى الكل فإن الفرد هو البنية الأساسية لتكوين المجتمع أقصد الفرد المسلم. أي أن المجموع سيبرز في خط قوي واضح من التمسك مع الدين الإسلامي كافة واحدة. فإذا صلح الجزء تحرك الكل. فالمجموع، وهذا يعني المجتمع، أكبر المؤثرات ومركز العمل والعلم والبناء

وتعمير الأرض. فهم في بعض الأحوال يرون أن شهادة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والصلاة والزكاة والصيام والحج تكفي تماماً ليكون الإسلام كاملاً ولينال المسلمون ما يرجون من أجر ونعيم وسعادة في الدنيا والدار الآخرة.

لا أحد يجادل في أن الإسلام بني على هذه الأركان الخمسة، فكانت أساساً وأركاناً. لكن أيمكن أن يكون الإسلام كله صياماً وصلاة وزكاة وحجاً ونطقاً بشهادة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟؟ أين التكليف وما معناه، والإنسان مكلف من بين المخلوقات بالخلافة وما تقتضيه في الأرض. أنقول أنه لا حاجة لأي شيء آخر ما دمنا نقوم بهذه الأركان الخمسة؟! أين التعامل بين الناس؟؟ أين العلم والعمل والبناء والتخطيط والتجريب والخطأ والصواب؟؟ على أي شيء كان امتداد الرسالة على مدى ثلاثة وعشرين عاماً؟ وهل كان القرآن الكريم والسنّة تفسيراً وشرحاً من أجل هذه الأركان الخمسة ليس إلا؟! إن في ذلك ابتعاداً كبيراً عن فحوى ومعنى الدين الإسلامي، هذا الدين الذي جاء ليكون دين عمل وعلم قبل أي شيء آخر.

> بالجهة ... التطرف بالحد فعل وفكر، وليس ناتجاً عنه الكثير ... من الدين ... أي خير ... إلا من خلال ... مع الأشياء التي يطرحها وبالطريقة التي يريد

المسلم الفرد هو في البداية والنهاية أساس الجماعة ولبنتها البانية، وطبيعي أن اللبنة الطيبة القوية العالية إنما تتشكل مع صرف المسائل لتبني بناءً شامخاً متميزاً.

ابتداء من هذه النقطة أسوق التحول في حياة الفرد التي تنعكس بشكل طبيعي في المجموع. فالمسلم الفرد هو في البداية والنهاية أساس الجماعة ولبنتها

البالية. والعكس صحيح حين تكون البيئة غير جيدة فإنها تتشكل مع مقولاتها جيلاً ضعيفاً غير مستقبلي. وأي دراسة يجب أن تأخذ هذه المرة لترى إلى أي حد وصل التقصير الذي يمس بشكل طبيعي المساس بالمجموعة. فالمجتمع والدولة والأمة عبارة عن مجموع أفراده، وهنا لا يأتي دور الفرد كحالة استثنائية معزولة عن المجتمع، التحول بمعنى الفرد الجمعي بشكل ما حيث تتشابه الآمال إلى حد ما بين الأفراد ليكون الواحد دالاً على الآخرين. فكيف يتعامل المسلم اليوم مع العصر وتحدياته؟؟ وهل ينظر إلى كل شيء من خلال دينه ليحقق الموازنة الصحيحة في الحياة الدنيا والحياة الآخرة؟؟

تأخذ الصلاة والصيام والزكاة والحج وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله تنظر في الغايات المرجوة. وفي ضوء تعامل المسلم مع هذه الغايات، ويعرف جيداً معرفة يقين أن هذه الأركان الخمسة إنما تدفع إلى التعاون والتعاضد بمعاناة الآخرين، والتآلف والتكاتف، ودفع الفقر والعوز عن أفراد المجتمع المسلم، وتدفع به إلى التفكير والتبصر وتبادل الرأي والمشورة والرحمة. كما تدفع إلى النظر في أمور المجتمع المسلم والعمل على إنمائه وتجاوز كل تقصير والبحث الدائم عن كل ما يمس ويمسي البناء.

أين المسلم من كل هذا في الوقت الراهن؟؟ تبدو الإجابات صعبة شائكة. أليس هذا، أننا نلجأ إلى تنفيذ الأركان دون العمل من أجل الغايات المرجوة؟؟ أليس هذا فصل العمل عن مؤداه؟؟. لماذا لا نعد مجتمعاً متماسكاً متعاوناً متآلفاً؟؟ لماذا يتفشى الفقر والتخلف والطبقية؟؟ لماذا لا يتحقق التقدم والرفعة والتطور من خلال تأدية الأركان الخمسة كاملة غير منقوصة؟؟ ألا يخشى من كون الأداء غير مكتمل، أو أنه أداء آلي لا يصحب فيه حد التدقيق الكلي مع الغاية والعمل والمعنى الحقيقي؟؟ الإجابة تأتي من خلال قراءة الواقع، وهي إجابة لا تسر، فهل كان المسلم معزولاً عن قضايا ومشاكل وعظمة الدين الإسلامي، أم أن في الأمر شيئاً آخر يدل على التقصير والتعطيل؟؟

ذكرت سابقاً بأن المسلم المعاصر يؤدي الأركان الخمسة أداء قد يكون جيداً في الكامل من جهة الأداء، لكن الأداء وحده لا يكفي إذ من الواجب العمل بمقتضى هذه الأركان.

تخلي الفرد عن الآخر يقود إلى مجتمع يلغي المجتمع أو إلى مجتمع يلغي ذاته وكيانه

والمسلم المعاصر ابتعد تماماً عن العمل بمقتضى وغايات هذه الأركان إلى جانب انفصاله عن كتلة الدين الإسلامي الضخمة الكبيرة، حيث نجد أرضاً غير متماسكة، كل واحد منا إنعزل تماماً عن المجموع ليشكل عالماً خاصاً به، عالماً منكمشاً بخصوصيته، عالماً قائماً على مصلحة الأنا ويتجاهل مصلحة المجتمع الإسلامي ككل. إن الفقر الذي نجده في مثل هذه العزلة الفردية يعم ويطغى ويؤثر على المجموع. ولا يظن ظان أن الخروج للعمل والشراء والبيع والالتقاء في المساجد في صلاة الجماعة إنما هي تعبير عن اللقاء والتواصل والتآلف والتآزر والعمل من أجل المجتمع. فالمرء يحاول أن يتنقل المرء إنما يعني الاكتفاء بحظيرة الأسرة في أحسن الأحوال، وبالذات المفردة في كثير من الحالات، فرضت النفس هنا على رفض العالم الخارجي على أنه عالم لا يوافق البنية الأخلاقية للفرد وتكسي أو

تناسى أن الفرد الذي يرتضي أن يشكل جزءاً من هذا العالم، ذاته والبقية الباقية تشكل العالم المجموع. ونفي الفرد الآخر في المجتمع انطلاقاً من أنه لا يوافق أخلاقي ونفسي وتركيبتي النفسية، يعني تكرار مستلاحق لصورة واحدة تنفي الفرد الآخر على الدوام، وهذا يقود إلى مجتمع ينفي المجتمع، أو إلى مجتمع ينفي ذاته وكيانه، وهذا بمجموعه يقود إلى التفكك والتعصب والتشتت والتراجع لتغيير الصورة عما هي عليه الآن.

فبعد تأثير الزمان بكتلته المتسارعة تشعر وكأنما يجعلك ترتد نحو الذات بشيء من الخوف والتقوقع، ولكن ارتداد الآخرين في العالم لا يوازي كون كل واحد منهم يعمل ويساهم في بناء المجتمع بشكل ما. فالارتداد هناك وإن كان حالة سلبية، إلا أنه يتشكل ممزوج على اللقاء والتواصل. بينما نجد أنفسنا في حالة ارتداد سلبية تزيد في عزلتنا وتخلفنا، لأننا لم نبنِ من قبل البناء المتماسك القائم على العلم والعمل والتقدم الذي نتمسك به دون أن نتقدم، أوجدت فجوة بيننا وبين العالم الغربي من جهة التطور التقني والعلمي.

إن مجتمعنا يصبح الكبير فيه ميزان مصلحة مادية ليس إلا فهو مجتمع يسير بخطى حثيثة نحو الضعف والتفكك والانهيار.

لا مبرر لنا... فالدين يحض بل يدعو إلى العلم ويعطيه مكانة رفيعة عالية، كما يدعو إلى التفكير وإعمال الفكر والتدبر.

إن الفرد في المجتمع المسلم قد تشتت بشكل من الأشكال إلى السعي المادي والتفكير الآني في عمل يجلب المال، ولأن مجتمعاتنا... وهذا أيضاً لا ينفصل عن التركيبة الفردية والجماعية. لا تقدر العلم حق قدره ولا تعطي للعلم والعلماء المكانة اللائقة والمناسبة، ولا تأخذ العلم الذي حض عليه الدين الإسلامي وأراده ووضعه في أعلى المراتب... كما يجب أن يأخذ مكانة وتقدير... لقد بحثت أهمية العلم إلى الوراء ليحل مكانها منطق المصلحة المادية... الجميع يريدون ما يجلب المال، ويكون ذلك مرتبطاً بالابتعاد عن العلم أو غير مرتبط. ولا ننسى أن نظرة الواقع الراهن حيث إلى حد قريب في النظر إلى العلم والمتعلمين، فالأكثرية تتجه إلى ما يؤمن مركزاً اجتماعياً ومعه المال، ممن يجعل كل فرد يتجه لدراسة الطب والهندسة والحقوق والصحافة والصيدلة لا ننسى أهمية كل فرع من هذه الفروع وحاجة المجتمع إليه. لكن حين يكثر الأمر ويزيد على الحد تقل أهمية الطلب وسواه، وتختل المعادلة الصحيحة في أي مجتمع. فلا بد من غير المنطقي أن تترك فروع كثيرة وعلوم متعددة يحتاجها المجتمع كما يحتاج الهندسة والحقوق، فتهميش هذه الفروع الأخرى لا تؤمن المردود الاجتماعي والمادي الجيد. إن مجتمعاً يصير الميزان فيه ميزان مصلحة مادية ليس إلا هو مجتمع يسير بخطى حثيثة نحو الضعف والتفكك والانهيار. ميزان المادة خطر ميزان حين يتحول إلى ميزان واحد... على الفرد المسلم أن يفكر في تبديل الميل إلى المال والمادة كميزان وأن يفكر ويتبصر في الطريق التي نسير فيه كمجتمعات مسلمة غير منتجة ومهمشة فاعلة ومؤثرة على صعيد العلم والصناعة والتجارة... نعاني عزل العلم إلى الدرجات الدنيا، وهذا المسلمون يعيشون في غير الدرجة التي يستحقون...

الأعمال غير المنتجة والأعمال المستهلكة غير المنتجة تضع المجتمع في حالة تبعية تزيده ضعفاً وتفككاً

اضعف الاهتمام بالعلم وما عاد الالتفات اليه كما كان من قبل. لكن المجتمع الإسلامي ما زال ذا علم ومعرفة وفكر، فأين بعض الأفراد وجماعات من هذه القيمة العالية للعلم؟؟ هل تتقدم المجتمعات وترتقي وتعلو قيمة إلا جعلت العلم في حالة إقتدار وتزود؟؟. كيف لمجتمع يعطي الجهل حيزه أن يبني ويرفع ويبني البناء؟؟

ولأن العلم قد يؤدي إلى الأنس، فقد صار العمل المثمر في حالة عاقمة بالنسبة للمسلم الفرد، العمل جوهر التكليف والقيمة التي توضع في الميزان يوم الحساب. والمجتمع الإسلامي بحاجة للعمل البناء المثمر الصالح المفيد، فهذا المجتمع يبني بالعمل ويرتفع بمقدار العطاء فيه من خلال العمل، ولا أحد يستطيع أن يقلل من قيمة أي عمل ما دام قد أصبح صالحاً مفيداً بناءً. لكن حين تتحول الأعمال كلها أو معظمها إلى أعمال غير منتجة، أو أنماط استهلاكية متكررة غير مبدعة، تكون قد وضعنا المجتمع كله في حالة قيمية معطلة، هذه القيمة التي تريد للمجتمع تقدماً وانطلاقاً كاملاً.

وطبيعي أن يسعى الغرب إلى هذا الموقع كي يطيل زمن السيطرة على خيراتنا وبلادنا وأفكارنا. ولا شك أن الاحتلال والسيطرة لا يأتيان إلا عن طريق الاحتلال المباشر من خلال الجيوش والوجود العسكري المادي والمحسوس، فكم من احتلال يمارس بأشكال حديثة يجعل المجتمعات خاضعة لسيطرة هذا المحتل، وطبيعي أن تكون التبعية الاقتصادية شكلاً من أشكال الرضوخ للاحتلال.

يأتينا الغرب بألف شكل وشكل، ويدخل إلى خزائننا وبيوتنا وأفكارنا ومشاعرنا، حتى يصعب عليه الكثير ظناً منا أننا نأخذ ما نريد دون أي ضرر، ونتناسى أو نتناسى أنه من خلال ما نأخذ نتكيف مع الأشياء التي يطرحها وبالطريقة التي يريد، فيتسرب إلى مجتمعاتنا الأفكار والمواد والقيم، فيوجد احتلالاً مقنعاً يصعب علينا التفلت من براثنه. ولا يعني ذلك أننا نرفض أخذ ما يأتي إلينا بشكل كلي، إذ من المنطق أن نأخذ لكن بقدر وبوعي وحكمة، ثم علينا أن نأخذ ما نحن بحاجة إليه، وقبل كل ذلك أن نخرج من عصر الاستهلاك شيئاً فشيئاً ونوجد مجتمعاً منتجاً ينتج ما يحتاج إليه ويعتمد على اليد المسلمة والعقل المسلم.

علينا أن نخرج من عصر الاستهلاك شيئاً فشيئاً ونوجد مجتمعاً منتجاً ينتج ما يحتاج إليه ويعتمد على اليد المسلمة والعقل المسلم.

لا نقول إن ذلك يأتي بين ليلة وضحاها، إنه يحتاج إلى زمن قد يطول. كم من الزمن مر ونحن نعيش حالة الاستهلاك ونستمر في المأكل والملبس حتى في هذه الأمور؟؟ طبيعي أن يعمل الغرب على إطالة حالة الملبس هذه، ولن يربط مصالحه أكثر فأكثر بنا. والسؤال أين نحن من كل ذلك؟ ولماذا لا ننهض ونبحث عن مصالحنا بشكل صحيح؟ فالغرب بحاجة إلى ثرواتنا والكثير من منتجاتنا الطبيعية، فلماذا لا نوظف هذه الحاجة لتكون عامل إيجابية لمصلحتنا في حد المصنع والمعمل وتطوير الصناعة لتعمل داخل نسيج حياتنا ومجتمعاتنا؟ كل هذا الانزواء والارتداد إلى الذات الفردية، يولد عقماً مريراً ناقصاً وتوجهاً نحو... ولا يقتصر على حد... عن صورة التفكك التي تصيب المجتمع جراء هذه الانعزالية فالفرد منكب بذاته منطوٍ في عالمه الصغير يسعى إلى غاياته دون النظر إلى فائدة المجتمع، والإضافة إلى ما سبق أصبح الفرد بعيداً عن معيار التزاوج والتآلف

وصلة عند الأقربين. الأخ بعيد عن أخيه. فكيف يكون قريب من بقية أفراد المجتمع؟ صلة الرحم تركت للمناسبات التي تمر في السنة مرتين أو أكثر قليلاً. وقد ينسى التواصل حتى في هذه المناسبات مع الزمن. فإذا كان الفرد المسلم لا يهتم بأسرته من الأقارب فكيف يهتم بأفراد المجتمع من جيران وغيرهم؟ ما عاد الجار يهتم بالجار. يستبدل الجار راحة الجار بمصلحة الجار. فكيف نبني مجتمعاً لا يفكر فيه الفرد سوى بمصلحته غيره؟؟

أعيش في حي شعبي هو حي الشيخ محيي الدين، وهو حي معروف بمشاكل. من قبل كان هذا الحي مثالاً للألفة والتكاتف والتعاطف والتراحم والتقارب. كانت لمة المريض تلم الناس وتجمعهم وتضمهم. كان الفرح كما الترح، فرح أو ترح الجميع. كل شخص يعرف عن جاره القريب والبعيد وعن أحواله الكثيرة. فإن وقع الجار في محنة، أتت الكثير بالمساعدة. كانت القلوب مليئة بالمحبة. كانت النفوس عامرة بالطيبة والرحمة. يأتي العيد فتملأ الزينات الشوارع والبيوت، ويكون الفرح عاماً شاملاً. فماذا جرى؟؟ كل شيء تغير وتبدل وما عاد كما كان. لماذا؟؟ هل تغيرت الشوارع والأمكنة والمناسبات؟؟ هل تغيرت الأحاسيس والمشاعر وبعض القلوب؟؟ ما الذي تغير؟؟ النفوس ما عادت هي النفوس التي كانت سابقاً عامرة بالحب. قد تقول إنه الزمن وفعله. قد تقول إنه واقع العصر المعيشي. لكن لو كنا متمسكين بما يدعو إليه ديننا من محبة وألفة وتسامح وتآزر وتقارب. أكنا سنصل إلى ما وصلنا إليه من تراجع وتفكك وتباعد؟؟ أكنا [illegible] على هذه الحال من التراجع؟؟

وقد نجد في هذا المجال موضوعة من أخطر الموضوعات تتعلق بالحرية والديمقراطية، فهل نعرف أن الديمقراطية تتمثل بإتاحة المجال لممارسة الحرية ولنعد إلى الحرية من خلال السؤال: هل توجد حرية في المجتمعات الإسلامية في الوقت الراهن؟؟

إني أشعر بوجود هذه الحرية تحجبه صور الواقع في مجتمعاتنا الإسلامية، فالمسألة شديدة من التضييق وسلب الحريات وجعل الفرد في المجتمع مقيداً مكبلاً. علماً أن مثل هذا الأمر يتعلق بالحكومات والأنظمة في المجتمعات الإسلامية. فهذه الأنظمة والحكومات تضيق على الفرد المسلم في كل مجال، ولا تترك له أي فسحة من مساحات. ذلك أن هذه الأنظمة [illegible] بالنفس، وترى أن المحافظة على السلطة إنما يكون بتقييد الحريات. وهذا ما [illegible] يقود إلى جعل الفرد مفتقراً إلى الفضاء الذي يعطيه هواء نقياً يساعده على الإبداع والحس والاختراع والبناء. كما أنه يقود إلى ربط الفرد بملاحقة قوت يومه. هذا الجو المشحون دائماً بالخوف والخشية وتضييق الحريات يزيد في عزلة الفرد وانطوائه على نفسه. فهل كانت الحريات في الإسلام هكذا؟؟

يمكن للدين الإسلامي أن يكون مرجعاً حقيقياً وشاملاً للحريات بكل أشكالها. وفر الإسلام الحرية على صعيد الفرد، فكان الإنسان حراً في عمله وتفكيره وتصرفاته وأعماله إذ هو في النهاية رهين بما كسب، فله مطلق الحرية في أن يعمل ما يريد وأن يفكر بما يريد. ويكفينا أن نعود إلى ثمرات هذه الحرية العقلية والنفسية والفكرية فيما سبق، فنجد أنها بنت أروع حضارة قوامها الانطلاق من الأساسيات والمفاهيم والتوجيهات التي وضعها ديننا الإسلامي ومعارفه [illegible] العلم والمعرفة والتقدم والتطور والبنيان والاختراع. فالحرية بالنسبة للمسلم تعم المجالات

واسعة دون حدود. كما وفر الإسلام جميع الحريات في المجتمع فتحها [illegible] لكل شيء من تجارة واقتصاد وإبداع ... أي وتفكير وإبداع مع توفير الظروف المناسبة لكل ذلك. فالمجتمع كل متكامل يسعى ويعمل على توفير هذه الحريات وحمايتها من أن تمس فالكل يحمي هذه الحريات التي تنعكس فوائدها على الفرد والمجتمع كما هي ... ولأنه كل المواطنين مساهم بشكل طبيعي بروحه وجسمه والعمل على تماسكه وتلاحمه ... [illegible] الرعية التي وفرها الإسلام من حرية وحريات كانت خير دافع ومحرك للبناء والتطور والإبداع دون حدود.

نحن في حاجة للكثير حتى تتحرر مجتمعاتنا الإسلامية من التخلف والضعف والتفكك، ولكن أن ننظر إلى تقصير كل فرد والاعتراف بهذا التقصير للعمل على تجاوزه. فالنظر إلى الذات يبين الرضا ... بينما نجد الآخرين مقصرين في توصيف التي ما نريد من تقدم وتطور، وعلى جميع شعوب الإسلامي لنكون واقعيين في التعامل مع عطائنا وتقصيرنا حتى نداوي هذا التقصير فنهضة المجتمع مسؤولية عامة تشمل كل فرد ولا تعفي فرداً منها لا كثرة من الناس.

نرى أن ننطلق دون تفريق أو ترتيب ... بل علينا أن نعمل كل النقاط نسير معاً

من النقاط التالية:

- العودة إلى منهج نبينا المتمثل في القرآن والسُّنة والانطلاق منهما وعلى هديهما عملاً. فالأخذ بالقرآن والسُّنة يجب أن يكون منهج حياة ... الفرد لا تكفي ... عليه العمل بما جاء في القرآن والسُّنة ... ونحن نقر بهدي المفسرين بروية وتدبر وتبصر ونعرف أن العمل بما جاء فيهما واجبه فهما يتضمنان أروع منهاج للحياة وهو يحفظ ويحافظ على العمل بما جاء فيهما ... هو المنهاج الذي من خير منهاج، ومن يعمل به يكون ... التقدم والتطور والتنظيم والتمحيص ... في المجتمع الأفضل.
- التوجه إلى منهج الأخلاق في الإسلام والتمسك به قدر المستطاع، ونعرف أن منهج الأخلاق في الإسلام لا يترك صغيرة أو كبيرة ... وليس هناك منهج يساويه أو يشابهه، فهو يقدم كل ما يحتاجه الإنسان في حياته ليعيش من الدنيا حياة سعيدة وليكون زاده من الأعمال الصالحة التي تنفعه في الدار الآخرة خير ... هذه المدرسة المتكاملة من منهج الخلق الحسن يجمع التقارب بين المسلمين والتعاطف والتآزر على أسس ... أن هذه الأخلاق تدفع بشكل حقيقي وفعال لبناء المجتمع.
- عملاً بالأركان الخمسة حتى الشعور مع العمل بها ... لا يكفي أن نؤدي العبادات شكلاً بل علينا أن نعمل بمحتوى وغايات هذه العبادات والتواصل مع كل ركن من الأركان الخمسة عملاً يجمع ... كل السبل لبناء مجتمع إسلامي قوي.
- أخذ الفكر الإسلامي والعمل بمضمونه دون ترك ... أو ... فالفكر الإسلامي كل متكامل شامل وهو يبني الفرد والأسرة والمجتمع ويطلع ويحض على العلم والتفكير والتقدم والإبداع ... من غير المنطقي أن نترك أي شيء من هذا الكل المتكامل، وطبيعي أن العمل بالكل إنما يجعلنا نبني مجتمعاً حضارياً متقدماً هوية متماسكة.
- أخذ إيجابيات العلم من الغرب ونقل كل تطور ... يعرض الأخذ للبناء والتطوير والتحديث لا

للاستعمال والاستهلاك المؤقت ليس إلا، فخططنا يجب أن تكون مدروسة للوصول إلى التطور الذي نريده علماً وبناءً وتقدماً، كما أخذ الغرب الكثير منا واستفاد منه في نهضته العلمية، فلا ضير في أن نأخذ ونستفيد ونطور، وإذا كان الغرب قد سبقنا كثيراً[1] في المجالات العلمية، فلا يعني هذا أن نسلم بالأمر الواقع ظناً منا أنه لا يمكن أن نصل إلى ما وصلوا إليه، فكما وصلوا يمكن أن نصل، وكما تقدموا علمياً يمكن أن نتقدم.

- ◆ توفير الحرية لأنها الأرضية الخصبة للبناء والتطور والتقدم، ولا حاجة لتحميل كل شيء للقضاء والقدر، وكأننا نهرب من أعمالنا وأفعالنا التي قمنا بها بمحض إرادتنا وكامل حريتنا.
- ◆ إعادة القيمة للعقل الذي ميز الإنسان وكان التكليف على أساسه، فالعقل يفسح المجالات واسعة للسير قدماً إلى الأمام، وحين نحجر على العقل ... سببت التخلف والضعف والتفكك في المجتمع، والعقل هو الذي يطور العلم، وهو الذي يوجهنا نحو العمل بكل ما جاء في ديننا، وتعطيل عمل العقل يبعدنا عن التفكير الإيجابي بكل ما يحيط بنا، كما أن التعطيل يجعل كل العبادات مجرد شكل ظاهري، فالعبادة عبادة تفكر وتذكر وتبصر وعمل، فهل من حقنا أن نوقف عمل منحة ربانية إلهية بعد ... من التفكير؟؟
- ◆ العودة إلى الاجتهاد من قبل علمائنا بما يقرب معطيات العصر ويوضح الصورة للمسلمين عامة أنه لا يمكن أن نأخذ ما طرح في الماضي لتطبيقه على الحاضر، لأن الاختلافات بين الزمنين جد واسعة، وباب الاجتهاد مفتوح على وسعه لا يغلق، علماؤنا في الماضي اجتهدوا واجتهدوا فيما يوافق الزمن الذي كانوا فيه، وما قدموه يبقى لزمن عاشوه، والمسلم اليوم بحاجة إلى اجتهاد يبين له الكثير ... المسلمين عامة يتوقفون عند كل تطور علمي أو اختراع جديد وقفة الحيرة والتردد والشك، ولأنهم لا يجدون أجوبة شافية يخشون ويتخوفون من كل الجديد، وحين يجتهد العالم ويبين يساعد في دفع المسيرة في المجتمعات الإسلامية إلى الأمام، علينا الإسهام في كل تطور واختراع ... من طريق استعمالنا له وفي قدرتنا على توظيفه للمصلحة العامة، لكن هذا لا يعني أن نترك الحبل على الغارب، فالاجتهاد ضروري في عصرنا الراهن كما كان ضرورياً في كل وقت.
- ◆ الانتباه لأهمية الإعلام والثقافة وتوظيف كل ذلك لما نريد من بناء وتقدم ونمو كما يريد الآخرون ممن يستغلون كل مادة إعلامية لغزو العقول وإبعاد الإنسان عن العلم والعمل، الإعلام بكل صوره وأنواعه يؤثر بالكثير ... المجتمعات، ومن باب الإعلام تتسلل مقولات كثيرة لا توافق مجتمعنا وديننا.

والجهد يدعو إلى جعل الإعلام في خدمة قضايانا وفي خدمة مجتمعاتنا ... وسيلة ... كل فرد من أفراد هذا المجتمع، ومن لا ينتبه لخطر الإعلام ... فهو في هذا لا يرى الأمور بالمنظار الصحيح.

وبعد ... ما تقدم في محاولة لرؤية مجتمعاتنا بكل وضوح، والإشارة إلى الخلل دون ... لأن فهم الخلل والتقصير يعني قطع نصف الطريق للمعالجة، ... نحتاج بعض التفكير للتحاور والحوار وهذا أمر ضروري ما دام يصب في مصلحة مجتمعاتنا الإسلامية لتخليصها من الضعف والتفكك والتخلف.

التفوق الثقافي المزعوم

العلاقة لن تكون مثمرة ومجدية إلا إذا تأسست على التعارف

د. بدرو مارتينيث مونتابث*

لن أنسى تلك العبارة التي تفوه بها أحد المشاركين في جلسة بداهية جرت في اليوم التالي لعملية مدريد المؤلمة التي حدثت في 11/03. لقد قال بكل بساطة وقناعة إن تلك العملية هي خير دليل على قسوة الشرق. تلك العبارة ظلت بمثابة ناقوس الخطر يدق في ذاكرتي دون انقطاع. إن هذا الرأي المجحف والمثير للقلق ينم عن قصر نظر بالإضافة لكونه عارياً تماماً من الصحة أو المنطق. وعلى الرغم من ذلك لم يلق أي ردود فعل أو تعليق، بل ربما لقي الاستحسان لكونه تعريفاً صائباً لما يجول في خاطرة الكثيرين. من البديهي أن الرعب الذي سببته تلك المجزرة في نفسي لم يكن ناجماً عن وصف تلك العملية بالقسوة، فهو أمر واضح وجلي، ولكن ما أثار قلقي هو اعتبارها صفة ملازمة للشرق. إن هذا الاستخدام غير المنطقي يحمل في طياته أحكاماً خطيرة. وليس [illegible] أن يتضح أنه لو كان الاستخدام من الجانب الآخر لأثار في نفسي شعوراً مماثلاً.

القول إن المواجهة بين الحضارة الأوروبية الأمريكية المسماة مجازاً الحضارة الغربية وبين الحضارة العربية الإسلامية المسماة مجازاً الحضارة الشرقية تمر في مرحلة حرجة تنذر بخطورة متزايدة لا يأتي بأي جديد، لذلك يحسن الخوض في الأسباب ومظاهر هذا الصراع، أو المسؤولية عن هذا التصعيد المريع، لما [illegible] هذه الظاهرة بحد ذاتها. والملاحظة الأولى التي تستوقفني هي أن هذه الظاهرة ناجمة عن فرضية لا أساس لها في اعتقادي، وغير مثبتة أو محسوسة بالحس، تقول إن الحضارة الغربية (حضاراتنا) متفوقة على حضارة الشرق (حضاراتهم). ليس فقط من حيث الموقع أو الشكل، بل من حيث الأسس، وليس من حيث التأكيد، بل من

> الخطأ في التفكير يعود بشكل رئيسي إلى الجهل أو عدم الإلمام الكافي بتلك الثقافة أو الحضارة، أي أن السبب هو الإهمال الكامل لما يدور حولنا، وهذا يمثل أحد العيوب التي نتميز بها

* أستاذ كرسي اللغة العربية في جامعة أوتونوما بمدريد، ورئيس جمعية المستعربين الإسبان.

حيث المبادئ، وليس من حيث التطبيق بل الجوهر والمنطق. هذه القوى لا تقتصر على الكم، بل يعني النوع. كما لا يقتصر على الظروف الآنية أو النسبية أو الظاهرية، بل تعوداً في الجوهر. أي بعبارة أخرى يعتبر تعرفاً مطلقاً وأخلاقياً.

لقد توصلت إلى قناعة شخصية بأن عدم التفاهم في التقدير يعود بشكل رئيسي إلى الجهل أو عدم الإلمام الكافي بتلك الثقافة أو الحضارة. أي ... السبب هو الإهمال الكامل لما يدور حولنا. وهذا يمثل أحد العيوب التي نتميز بها. إن هذا الجهل لا يساعد على التريث أو التفكير قبل إطلاق الأحكام والتعبير عن الآراء، أو تعميم الآخر بل بالعكس تماماً. إن من السهل أن هذا التجهيل بالآخر لا يحملنا على توخي الحيطة والحذر أو التأكيد ... مشاعر التعالي بما نتميز به من عنجهية ... عبارات ... جاهزة مطلقة ... وغير قابلة للنقاش.

قد يرد عليّ القارئ ... وهو محق في ذلك ـ مثلاً ـ ألا يتصرف الطرف الآخر بنفس الطريقة؟ من الواضح أنني لا أنوي التحقيق في هذا الباب من خلال المقارنة هنا. حاول التفكير ومراجعة الذات. علماً أن الكثير من القراء قد يحتجون عليّ بأن التحليل والأمر جملة في هذا الطرف لا طائل منه، ولكنني سأثبت برأيي المحدد لهذا الطرح وتشجيع الجميع على السير في هذا السبيل تمشياً مع واجب المثقف، وكرامة الإنسان، والأمل في مستقبل الجنس البشري. وأذكر في هذا المجال الملاحظة الصائبة التي نوه بها الباحث المفكر المغربي عبد الله العروي والتي أرى أنها ما زالت مناسبة وتساعد على توضيح الكثير من التساؤلات. يقول المفكر المغربي في الوقت الذي تقتصر فيه معرفة الحضارة العربية ـ في الغرب ـ على نفر من الاختصاصيين، فإن كل عربي مثقف هو مؤهل بدرجة أو بأخرى للغرب مستغرب. هذه اللحظة التي يقتنع فيها على العلوم الحديثة بمنطق شخصية أوروبية إلى حد ما. أسجل هنا ملاحظة عابرة هي أن المفكر المغربي الشهير لم يتردد في الاعتراف بفضل المساهمة الأوروبية في التفكير العربي. وقد يرد المستشرقون والمتحمسون معه قائلين إن العرب المثقفين لا وجود لهم، ويقتصرون فقط على أولئك الذين أتيحت لهم فرصة الانتهال من منابع الثقافة الغربية. يكثر الآن هذا الصنف بدون الإلمام بالثقافة العربية ولو أن معرفتهم تقتصر على دورات سريعة في مطالعة الكتب السطحية التي كتبت عنهم بلغات غربية مصدرهم الوحيد للمعرفة. أليس هذا هو العبث بحد ذاته؟

> **الشخصية ليست مرهونة بالوسائل أو السبل المستخدمة بين الأسس المتينة والبيئة الناضجة ولا تقتصر على الظروف الآنية**

الشخصية ليست مرهونة بالوسائل أو السبل المستخدمة بين الأسس المتينة والبيئة الناضجة ولا تقتصر على الظروف الآنية. وكما يؤكد الكاتب والشاعر السوري اللبناني (أدونيس)، الشعر يبقى غير المحسوس بل الشيء والعقول، وليست الكلمة هي القاضية بل التساؤل. هنالك من يقول إن هذا ... بسيط ... يعني ببساطة إن الشخصية تكمن في نوع العلاقة ... أليس مصادفة؟

العلاقة لن تكون مثمرة ولا حتى مجدية إلا إذا انطلقت وتأسست على التعارف والاحترام المتبادل. يجب ألا تكون علاقة جامدة ومتحجرة بل متحركة وديناميكية ومتنامية. شعار التحديث والتحرير السوالب. كما يجب أن تكون علاقة تكاملية، متبادلة ومتقاربة، ضمن عملية التعارف والتبادل لا يجب أن تكتفي بالقشور. لا بد من التمسك بالعمل الدؤوب الذي يساعد على تجاوز الصعوبات والتحديات من خلال التصميم والإرادة الصادقة

التعارف والاحترام المتبادل هو بمثابة القنطرة أو الجسر الذي يقود إلى تقبل الآخر ويسمح بالتلاقي والتفاهم المتبادل والإلمام بكل ما يحيط بالآخر من ملابسات. هذا هو الطريق الوحيد الذي لا مفر من السير فيه من أجل تحقيق هذا التعايش الذي نطمح له، وهو الأمر الذي يدعو إلى أن الجميع يسعى أو يدعي السعي من أجله، وأي طريق آخر سيقودنا لا محالة إلى الاستكانة للظلم والسيطرة والتوحش حتى وإن مرضت أي قطاع من أنظمة الثقافة المريضة.

المطالبة به، والتمسك به في هذه الظروف التي تمر بها بعدد رياح عاتية تهدد بعصفنا نحو مستقبل ليس يبدو كابوساً مرعباً ومرعباً. لا بد من العمل الدؤوب لتفادي هذا الاحتمال.

لا يمكن الاكتفاء بدور المتفرج على الجرائم التي تقترف من قبل الإرهابيين والمستعمرين الجدد، لأن الصمت على ما يجري سيطرح الكثير من علامات الاستفهام على أمريكا، وسيحرمنا من أهم ما نملك، أي الحياة الكريمة، وكما يقول المثل الساكت عن الحق شيطان أخرس.

فرقت كثيراً بين الإرهاب والاستعمار الجديد. وهذه ليست محاولة مني لخلط الحابل بالنابل بل تذكير بأن الطرفين لا بد من مواجهتهم ووضع حد لمراميهم وبرامجهم. هذا يستدعي مواصلة الكفاح من أجل الحرية والعدالة، وهو السبيل نحو الحضارة الإنسانية. إن من بين الطرق التي يمكن سلكها لتحقيق الحرية والأمن بمكافحة الأعمال الإجرامية البحث في تحسين ودراسة متفحصة لمصادر وجذور هذه الظاهرة والأسباب التي أدت إليه، والآليات والطرق التي يستخدمها والمقاصد التي يسعى إلى الوصول إليها. هذا أمر لا بد من العمل على تحقيقه، وأي وسيلة أخرى لن تقود سوى إلى مزيد من الوحشية بغض النظر عن الفاعلين أو مسمياتهم. السبيل الوحيد لتحقيق ذلك هو الحوار والكلمة، وهو الأمر الذي ينادي به الجميع على ما يبدو. وعدم السير في هذا الدرب قد يكون ناجماً عن الكسل أو العناد، وربما الجبن والخوف والعجز عن استيعاب مبدأ التعايش بكل أبعاده، والنتيجة ستكون خطأً فادحاً. لتحقيق هذا الهدف هناك وسيلتان: هما التربية والثقافة. يجب أن نستثمر المزيد من الأموال في مجال الثقافة والتربية، وهما العاملان الوحيدان اللذان يضمنان للإنسان التنمية المستديمة. ومن ثم يتحول هذا الجهد فلن يكون إسرافاً بمعنى الكلمة، بل ضرورياً، وقد أشار إلى ذلك الرئيس الدكتور [illegible] قال: المشكلة لا تكمن في القلة التي تواجه المقاومة، وبهذا الثقافة العربية الإسلامية هي الوحيدة التي تعاني من هذه العقلية بل ربما لأن الحضارة ككل هي المسؤولة. ففي الوقت الذي تبذل فيه الجهود الصادقة لمعالجة هذا المرض الثقافي، مطالب بعدم وضع الحواجز والعراقيل في مختلف جوانب هذه الحضارة وفروعها، لأن ذلك سيؤدي إلى القطيعة الكاملة ويعمق من الهوة لتصل معه لتفادي ذلك.

العلاقة لا تكون مثمرة ولا على مصلحة إلا إذا انطلقت وتأسست على التعارف والاحترام المتبادل، يجب ألا تكون علاقة كامنة متحجرة بل متحركة وديناميكية ومتنامية تتجاوز التقلبات والظروف الطارئة.

الصمت على ما يجري سيطرح الكثير من علامات الاستفهام على أمريكا، وسيحرمنا من أهم ما نملك أي الحياة الكريمة، وكما يقول المثل: الساكت عن الحق شيطان أخرس.

المصطلحات العلمية العربية

تعريب أم تغريب؟

عمر لطفي العالم *

أحصر همي في هذه الدراسة ضمن مسألة مهمة طالما دار حولها الجدل وهي قدرة اللغة العربية على مجاراة العلوم الحديثة وتسارع الثقافة، مستفيداً في ذلك من تجربة لي سابقة في مجال النقل عن إحدى اللغات الحية.

وقد يتعين عليّ أن أشير ابتداء إلى أن عملية النقل بمرحلتيها "الترجمة والتعريب" أهم من أن يحيط بها حافظ واحد، فحصرها هذا هو حصر المتخصصات، والإقدام على مثل مهامه يقتضي بالضرورة درجة مقبولة أو حداً أدنى بمعرفة (العامل اللغوي)، وإلا كانت فكرة النقل من منظومة لغوية إلى أخرى ضرباً من العبث.

وأود أن ألاحظ هنا بأنني في هذا التناول غير معني بالتصريح على الجانب الأدبي في موضوع النقل، خشية الالتباس أو الاعتقاد بأن همّ المعجم قد ذلك بي، فهم يُعد هذا البحث المبتكر بتحوّل بين حدود اللغة وحدود الأدب.

إن ما أريد التوصل إليه تحديداً هو مناقشة المصطلح اللغوي العلمي "Term" لدى التعرض عن حقل المكافئ (Parallel)، وما إذا كان ذلك هو الطريقة المثلى لتأسيس قاعدة علمية لغوية عربية. كرأب صدع التصحر الثقافي رغم الطريق نحو المستقبل والخطى فإن حملات التشكيك في أهلية اللغة العربية وقدرتها على استيعاب المستجدات لا سيما المعطى التقني منه في جانب، أو عجزها عن الانصهار والتكيف مع اللغات الحية الأخرى في جانب آخر، لم تتوقف منذ مطلع القرن قبل الماضي، أول ما تجسد ذلك في إطاره الواسع، على ما نرى، في كتاب المؤرخ الأسكتلندي (هاملتون جب) ترجمة ... بيروت 1960). وقد ترجع

* كاتب وباحث / سوريا

بيروت في مقدمته لقواعد العرب العصرية إلى الشكل الكامل وهي المقوسة بعضه الإغريقي وإلى تعطل العرب المسلمين فيما استقبلوه من ثقافة وعلوم الأقدمين Antike؛ لا بسبب الإنسان [illegible] (Humanismu) وكان [illegible] اللغة واستبدال العربية باللاتينية (المقدمة ص 32 وما بعدها). وقد لا ننسى أن مشروع الهجوم على العربية واستئصالها من نعمة العلوم (المقروءة والمكتوبة) قديماً، حين أذكر بما كان لبعض رواد الفكر في مصر (سلامة موسى، أحمد لطفي السيد، طه حسين وغيرهم) من مواقف غريبة من مسألة العربية) ومنافحتهم للمستشرقين. وليس خافياً أن سهام الدعوات أصلاً [illegible] الأمس لا [illegible] العرب [illegible] مستشرقين معروفين كان على رأسهم لويس ماسينيون الذي عمل عضواً في المجمع الدمشقي.

وقد تبنت الدعوة بوضوح أكثر على يد المغرمين بالعربية وكبار أعلامها وأعني به (أحمد حسن الزيات)، الذي اشتكى بمرارة من النحو العربي، وقال في ذلك كلاماً كثيراً كان من بين ما جاء فيه: «عرفت [illegible] شيئاً قد ابتلي بعده النموذج، [illegible] الصوت النحوي [illegible] فيرفعه من جره وينصبه من [illegible]، ثم يتكلم فيعتمد اللحن الفصيح، ولا أنكر عليه منكر التحرر من هذا الهوس فذكر لكل خطأ وجهاً، ولكل وجه علة، لم يطل في تعليقه ويحذو (لولا الحذف والتقدير لفهم النحو الحمير)، ويستطرد واصفاً العرف العربي عند النحاة [illegible] شيئاً كبيراً كان يصر كتاب الله

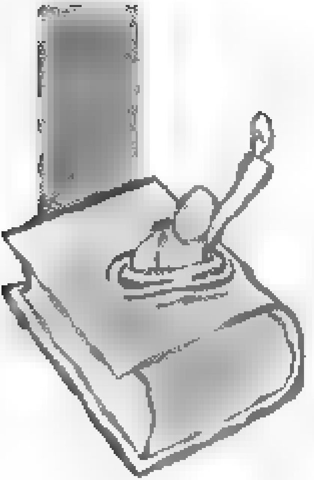
وهو لا يصدقه قراءة قوله تعالى

﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [سورة الفتح الآية 18]

قرأها: مخففاً (يبايعونك تحت الشجرة). وكتب في تسهيلها وتذليلها لابن مسعود من المقطع الكبير بالعرف الصغير، ويختم بالدعوة إلى إصلاح البيت اللغوي من داخله ولكن ليس بهدمه على رؤوس أهله: «ليس من شك في أن دراسة النحو على هذا الشكل تفيد في بحث اللهجات في اللغة، ودرس القراءات في القرآن، ولكن دراسته لضبط اللغة وتقويم اللسان أمر مشكوك فيه كل الشك. نحن اليوم وقبل اليوم إنما نستعمل لغة واحدة ونلهج في الفصيح لهجة واحدة، فلماذا لا نجرد من النحو القواعد الثابتة التي تضبط هذه اللغة، وتقوم تلك اللهجة، وندع ذلك الحشو والركام للمتخصصين من الأدب وفقهاء اللغة وطلاب التعمق، على أن لا يحيلوه على العاصر ولا يستعملوه في النقد، وإنما يعنون بتلك اللغات البائدة التي خلق لها ويأخذون بها، فيكون هو وهي في ذمة التاريخ» (الزيات: محاضرات في أصول الأدب ص 17؟ وما بعدها).

نحن اليوم وقبل اليوم إنما نستعمل لغة واحدة ونلهج في الفصيح لهجة واحدة، فلماذا لا نجرد من النحو القواعد الثابتة التي تضبط هذه اللغة، وتقوم تلك اللهجة

ثم يدور عبد [illegible] من المعاصرين لإظهار ما سموه قصور نظام الكتابة العربية المتمثل في إهمال إثبات علامات الحركات إكتفاء برسم الحروف الصحيحة، ما يؤدي إلى الخطأ الصرفي والنحوي، واقترحوا استعمال الرموز اللاتينية في كتابة اللغة العربية، أو باستعمال النقط في نظام الكتابة العربية بالاستعانة برموز يقتبسونها من الكتابة الإغريقية واللاتينية بهدف التكامل وسد الفراغ (تمام حسان: الرسمية والمعيارية، ص 33 من المقدمة).



غير أن خطورة الطرح في هذا الكتاب وأشباهه، لا تكمن في مجرد ما جوبه به سمن النحاة العرب ما يسمى (عصر الاحتجاج) والتجمد لدى القوالب التقعيدية الموروثة منذ نهاية القرن الرابع الهجري، بل في التبني اللامحدود لمناهج البحث الغربية الحديثة في الاستعمال اللغوي، وفي إحلال مفاهيم وتعريفات جديدة، من شأنها أن تؤدي إلى تصدع الصرح اللغوي بكامله في نهاية المطاف.

وربما وجدت طائفة من أنصار العربية والمتخصصين من هاله التعريض بلسان الأمة فهب فيه للدفاع عن أهميته ولم يقر بالأ مستوى الصواب فيما يرمى به من أخطاء، صرفاً أم رسماً، ولم يفهم من الدعوات والانتقادات المتوالية عرقلة للغة بما قد يكون فيها قصور بل عجزاً بيناً عن مواكبة قطار الحضارة الحديثة وتحمل وتحمل أمانة الضاد الأكبر.

تناول عدد كبير من الكتاب واللغويين والمفكرين هذه المسألة إلا أن د. عائشة عبد الرحمن في دراسة تحت عنوان (اللغة وعلوم العصر) كانت أكثر ملاءمة في طرحها حين قصدت إلى جوهر الموضوع مباشرة ووضعت يدها على الغايات البعيدة من وراء الانقضاض على هيكل اللغة وأساس طروحاتهم لدى الرفاه النفسي والتشدد المنهجي مما دل جليّاً عند وعي. هكذا يقول: يصنع دعوى عن عجز العربية عن أداء العلوم الحديثة، حتى كدنا ننسى ماضيها العلمي في عصر الحضارة الإسلامية وفجر العصر الحديث، فاللغة العربية وعلوم العصر الشان العربي الموحد 9 من 20 وما بعدها، والفلسفات الكاتبة ممثلة كلي من الجاليات العرب وفضلهم على الأوروبيين في مجالس العلم التجريبي كافة في العصر الوسيط، ثم انتهت بالتعريف بتاريخ هذه المعاني

وتحميل توظيفه: «ثم ما لبثت الفكرة أن جاوزت معالمها المحدودة في القول بعجز العربية عن العلم الحديث، إلى دعوى تظن أن تخلفنا العلمي والقومي والحضاري في عصور الانحطاط إنما يرجع إلى تشبثنا بلغة بدوية من أساطير عصر الجاهلية لا تصلح لغير جدار الإبل والوقوف على الأطلال، وتحكم علينا أن نظل نعيش بعقلية البدويين والقيود في مجتمع الرعاية والرعي إلى أن نهجر هذه اللغة العتيقة إلى لغة عصرية حية، والعصر نفسه، ولعل أهم ما استوقفني من وجهات النظر المتقابلة عبارة للأستاذ أمين فيها جاء فيها: «إن اللغة أداة للتعبير، والمرء لا يعد بلغة خاصة إذا استطاع أن يصل إلى الهدف وهو

التعبير نفسه وإن كانت الكلمة العربية ليست كذلك صالحة للتعبير لضعفها وضعف نطقها فلا لوم عليه إن تركها إلى غيرها من اللغة الأجنبية لأن الإنسان معذور على طلب التفهيم (ص ١٤٠).

غير أن هذه الحملة العلمية لم تسجل إلا في دعوة محمد فارس الشدياق لتعريب مصطلحات العلوم والفنون التي لم يكن للسلف سابق معرفة بها. وشهدت مرحلة النهضة حركة تطور في أساليب العربية ونهوض بالبحث. فشهدها [illegible] عبد الله في الخطاب المصري [illegible] معالم التطور الحديث في اللغة وآدابها، وظهرت من بعد معاجم العلوم بالإنجليزية والعربية وصدور الدوريات المتخصصة ونشأة المجمع العلمي بدمشق وساهم بعض المستشرقين في الأداء.

إلا أن تلك الجهود لم تستطع أن تنهض اللغة العربية إلى مجالها الحيوي في الدراسة العلمية. لا ولم تستطع أن تحسم الجدل القديم حول صلاحيتها لتدريس العلوم الحديثة والتأليف فيها. فها هو سلامة موسى المعروف بالنزوع [illegible] يريد أن تكون لغة علمية وثقافة أوروبية وكتابة لاتينية (سلامة موسى البلاغة العصرية ص ٢٩).

لكن طرفاً ثالثاً سعيد أن يكون النحو هو آفة هذه اللغة والمسؤول عن تقصيرها ويمثل الأوهام المطبقة المشكلة في نفس العائلة من طلاب اللغة عندنا وعدم التفريق بين النحو وبين اللغة التي يدرسون نحوها. حتى إن معظمهم يظن أن العربية الفصحى هي هذا النحو وأن العرب كانوا فصحاء لأنهم كانوا قادرين على أن يتكلموا هذا الكلام والعرب والتصحيح والتصحيح [illegible] دراسة للنحو محمود

شهدت مرحلة النهضة حركة تطور في أساليب العربية ونهوض بالبحث وظهرت معاجم العلوم بالعربية والإنجليزية وصدور الدوريات المتخصصة

السعران: علم اللغة ص ٤٢. ورغم هذا فقد سعت أي الهيئات والمؤسسات العلمية العربية على استكشاف القياس [illegible] وتركيب البدائل اللغوية بحيث أخذت المجامع على عاتقها عبء التطوير للغة العربية الفصحى لظروف الحضارة الحديثة فكان عليها أن تضع اسماً لكل شيء ومصطلحاً لكل فكرة منهجية في كل فرع من فروع المعرفة فإذا شاع بين الناس شيء باسم أجنبي نظر المجمع في ذلك الاسم وأخضعه مع غيره لإحدى الطرق الآتية في الصياغة:

أ- التعريب: وذلك بأن تؤخذ الكلمة الأجنبية المستعملة فتوضع في قالب عربي من حيث أصواتها وصيغتها على نحو ما جرى في كلمة ومرطبة ومسطلة التي اتخذت حروفاً عربية وبنيت في صيغة عربية هي صيغة مفعللة.

ب- الترجمة: وذلك بإيجاد مقابل عربي للكلمة الأجنبية المستعملة مع مراعاة الشروط التي في الكلام عن الاصطلاح العلمي.

ج- ارتجال كلمة جديدة تتوفر فيها الشروط التي تتوفر في الاصطلاح العلمي (اللغة بين المعيارية والوصفية ص ٤٨).

وكانت طائفة من المتخصصين والمفكرين قد نادت بل وعملت على تعريب المصطلحات دليل لا حول عنه أن التعريب ضرورة في وجه التحديات الحضارية التي تستهدف الوجود العربي وتوجيهه للمساهمة في تكوين الروابط المشتركة لأبناء الأمة العربية واجتماعية لتعميم التعليم العالي على جماهير الشعب وعدم حصره في الفئات الراقية وهو فوق ذلك ضرورة تربوية [illegible] لغة الجامعة لغة الجماهير وخطاء خريجي الجامعات العربي

الميدانية لممارسة علومهم النظرية، وإبداع إنتاج علمي جديد، لتسهيل الاتصال بين المعلم وتلامذته علمياً ... العالم: تعريب المصطلح العلمي، إشكالية المنهج، عالم الفكر، المجلد 40، العدد 1، من القسم 1993 ص...

ومن العوامل التي عجزت عن التّمشّي في هذا الاتجاه ايضاً محاولات التشهير من قبل البعض وخوفهم على اللغة، فعلماؤهم لم يصيبوا اللغات من تطور حتمي لا مهرب منه. واللغة ليست هامدة او ساكنة بحال من الاحوال، بالرغم من أن تقدمها قد يبدو بطيئاً في بعض الأحايين، فالأصوات والتراكيب، والعناصر اللغوية وصيغ الكلمات ومعانيها معرضة كلها للتغيير والتطور، والتطور اللغوي يمضي عبد التواب، من ... ويأتي في موضع آخر، وليست عناصر اللغة كلها على سواء في سرعة قبول التطور إلا هناك فرق في تطور اللغة بين الاصوات والصرف والمفردات، والتغير نتيجة من ذلك يقدم عبد التواب مثالاً عن أشكال تطور اللغة سواء كان صرفياً، أم على الحروف، أو على الألفاظ، أو التراكيب، أو في الموازين الصرفية، معتمداً و مستنداً في ذلك على اللهجات العربية والقراءات بخاصة، إن المصطلح العلمي في رأي عمدان، هو الوسيلة الرئيسة لتكوين وتنظيم وتطوير المعارف، وهو علم معقد يشترك في صياغته جملة علوم مثل اللغة والمنطق، وعلم الوجود وعلم المعلوماتية، وحقول التخصص العلمي والادبي والفني كل على حدة، أحياناً، وبالاشتراك فيما بينها أحياناً اخرى، المصدر نفسه ص 33، لكن الباحث يستدرك بأن هذا التعقيد الذي يتم بعناية قصوى لا يعني استخدام المصطلح العلمي لكل دقائق المفهوم العلمي الذي يعبر عنه، أو إحاطته إحاطة جامعة بدقائق المفهوم المعبر عنه، بل يكفي الاتفاق بين المختصين على ذلك، مع وجود علاقة أو ملاءمة بين لفظة المصطلح وبين دلالته.

وهناك من يرى أن هذا المصطلح لا يزيد في واقع الحال على تعريف الزبيدي في تاج العروس بانه اتفاق طائفة مخصوصة على امر مخصوص.

ويروى من هذه الزاوية وضع ايجابيات العرب معاجمهم وصاغوا مصطلحاتهم، (ولو أن ما ألفه العرب بقول صاحب الصناعة المعجمية مرتكزا – من رسائل لغوية، أعيد ترتيب (مواده) بحسب النظام المعجمي المعروف، لكان في ذلك فائدة جمة في إحداث المصطلحات الضرورية التي تواجه بها لغتنا العربية ما يستجد كل يوم في مجالات المعرفة، ذلك أن التحقق من اللفظ المطلوب دونه أمر عسير). ويرفع هذا المقام المعجمي الذي من به السلف من الخلف، وهو مكسب ومعيد عند ما في الرأي من شعر ... مقابلها وهي، أن الطب ... وصاحبه القاموس كانوا يضطرون لاستخدام ألفاظ غير عربية الأصل لأنهم لا يجدون مقابلها في العربية، إذ هي تدل على أشياء ومسميات لم يعرفها العرب فلم يضعوا لها اسماء. الترجمة والتعريب، 33 او 43 من عالم الفكر.

تلك هي الصورة التقليدية لوضع التعريب والمصطلح خلال عصرين، فإلى اي مدى نجحت هذه الجهود وتلك في سد ثغرة الحاجة إلى المصطلح العربي، وهل استطاعت ان تقنع الاوساط العلمية الثقافية بجدوى هذا المنهج وما تحقق منه، أم ان ذلك بعيد عن بلوغ الهدف المنشود، وما هذه المحاولات العلمية سوى محاولات تخرج بلهي شهادة واحدة، وبرغم ما على الأرفف من معاجم وما في العواصم العربية من مجامع؟

وبحكم طبيعة أدواتي، فقد لا أملك الحق في تفنيد صلاح كثير من المصطلحات الواردة في

المعاجم الطبية والصيدلية والعلمية بعامة، ولكن أعطي لنفسي الحق في القول

إن منهج التعريب اليوم يقوم على عدم اللجوء إلى تعريب الجديد مع توفر القديم. فإذا عرفنا أن الذين تولوا نقل علوم اليونان إلى العربية في عصر الخلفاء العباسيين كانوا من النسطوريين واليعاقبة والأعاجم. هؤلاء كانوا علماء أكثر منهم لغويين وأدباء، وإن كانوا تعلموا العربية فإنهم لم يتقنوها ولم يتقنوا آدابها، فلا نستغرب أن يجد ما عربوه محشواً بالألفاظ الأعجمية مع أن لها في العربية مرادفات، ولكنهم لم يجمعوا في التعريب على معنى واحد يصح الباسه إلا في أحوال معينة. بل كثيراً ما صوروا الكلمات اليونانية بصور شتى، ينسب على خارجها. ردها إلى أصولها ولم يذكر أحد منهم أو من أئمة اللغويين أي قواعد لما عربوه من الكلمات الأعجمية». (محمد شرف، معجم العلوم الطبية والطبيعية في مقدمة ص ٤٥).

والمثل الطريف لتصوير هذه الحالة ما ذكره ابن جلجل حول نقل كتاب (ديوسقوريدس) في ذلك الوقت من اليونانية. فقد ترجم بمدينة السلام أيام جعفر المتوكل، وكان المترجم له إصطفن بن بسيل الترجمان، وراجع الترجمة حنين بن إسحاق فصححها وأجازها.

٤ ـ وأقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة بعدم خلو بعض الألفاظ من ملاحظات فإن كلمة (Toxin) نقلت الى العربية بتركيبه على سبيل التعريب برغم شيوع كلمة سمية قديماً ومشهورة في الميدان، وقد تنقل اللفظة الأجنبية الواحدة بألفاظ مختلفة. فقد نقلت كلمة (ترجمة) تارة بـ(تفسير) تارة أخرى بـ(تعريب) تارة ثالثة. وفي الوقت نفسه أعتمدت كلمة (Maceration) بـ(نقع) أيضاً. كما تم نقل كلمة (Infusion) بـ(إستحلاب) حيناً وبـ(نقيع) حيناً آخر برغم شيوع نقل الدم (Transfusion). لكن هذا كله يهون أمام غياب سلطة المجمع وعدم استطاعته الزام الدارسين والباحثين في الجامعة العربية. وقد بات أكثر من مائة ألف مصطلح في الرفوف رهين الدفاتر.

ـ جرب أن تقرأ نصاً علمياً معرباً في مجلة متخصصة مثل مجلة العلوم (Science) من جهتي قد جربت، والنتيجة أنني لم أفهم شيئاً، وإذا فهمت فهم يبقى في الذاكرة، وصعوبة القول إن تعريب المصطلحات في العصر الحديث لم يتزحزح عن منهجه من حيث التنظير عما كان عليه في عصر إطلاع العرب على الثقافات الأعجمية. وقد كان من فوارق جوهري هو أن العرب الأولين تعدوا وتقدموا، وكانوا مبدعين مبتكرين بقدر ما كانوا ملتقين.

> **طالبت المجامع منذ ما تأسست بصون (تطوير) اللغة العربية الفصحى ومواكبة الحضارة الحديثة، لذلك عليها أن تضع اسماً لكل مخترع واصطلاحاً لكل فكرة مستجدة في كل فرع من فروع المعرفة**

من جانب آخر ـ وهذا هو الأهم ـ فلا يمكن التحدث بالتعد عن نشوء إصطلاحي بالمفهوم المعاصر. بمعنى أن أوروبا والغرب بعامة لم تكن قد وصلت بعد مرحلة التلاقح الإغريقية والرومانية ما يفتح الباب لتداخل اللاتينية واليونانية في البيئة اللغوية الأوروبية. التي كانت مجرد لهجات محلية قبل اجتياح الرومان. وكان من نتيجة التلاقح أن أي معجم غربي (Lexikon) يحتوي كما هائلاً

من الكلمات التي تنتهي بالمختصر (Cal) أو (Gr) أي أنهما من أصل لاتيني أو يوناني، وإذا بقيت ينظر إلى اللاتينية على أنها اللغة الأم فإن اليونانية هي الأب وعبده البرية [?] أي الألمانية، أو الفرنسية أو الإيطالية، فتشربت الثقافتين على المستوى اللغوي ما لم يفعله العرب بحسب اعتقاد عبد الرحمن بدوي فكان سبباً في عدم امتلاكهم مصطلحاً موحداً [?]. فهم يلجؤون مقابلة سريعة بين المفردات التركيبية الأعجمية. ليس لنا الشرح الكبير بين الأصل والمعرب في طريقة الاشتقاق والتركيب، وفي المعنى والمبنى.

فلدى إضافة كلمة لاحقة إلى بعض البادئات مثل (Micro) (Mini) (Phono) (Photo) (Philo) (Phoco) (Poly) (Pseudo) تولد في كل مرة معنى جديداً قد يصل إلى ثمانين أو أكثر أو دون ذلك ويتضمن جميع فروع المعرفة. وإذا صرفنا النظر عن الطريقة التوليدية - وهي ولادة عسيرة - نلمس المعرب مختلفاً عن مصطلح يستوي سبعة أو ثمانية أضعاف الكلمة اللاتينية. ومن ذلك على سبيل المثال كلمة حيكم عريب بـ [?] الكرية المنفتة، كرية دم حمراء منفيرة على عمر عبر سوي تكون في بعض حالات فقر الدم بصاصة [?].

+ (Phenol Phthalein) الفينولفثالين: مركب كيميائي مؤشر أبيض أو أبيض مصفر (1).

ولذا انصب الهم الأكبر للمعربين على عنصري الكلمة والمعنى قديماً وحديثاً، فلم يتشكل ذلك عقبة في تعريب المصطلح الأوروبي، والسبب الأول في ذلك إنما يرجع إلى أن البيت اللغوي الأوروبي من جمع الشمير [?] اعتمد منذ بداية عصر النهضة (Renaissance) على منظومة لغوية واحدة أغنته من المصطلح إلى النهر [?]، فلا هو اعتمد على مجالات معرب ولا بحث عن حرف عربي، وكانت حصيلة ترسانة من المعاني الملائمة للألفاظ تسمح بتركيب معان ومفردات جديدة في أي اتجاه من اتجاهات المعرفة وبقدر ما يستجد من مخترعات.

بعبارة أخرى: لقد تلازمت الصورتان، الصيغة والدلالية، الرمز واللفظ الدال عليه، وبذلك لم تنقطع السلسلة مطلقاً، بعبارة أدق: إن المعنى لم يخرج عن سياقه العلمي، سواء في الأصل والتاريخ، أو في اللفظ والتركيب، أو في المعنى بالدلالة، أو في حيز التطبيق المختبراني والميداني.

أين موقع المصطلح العربي من هذا كله؟

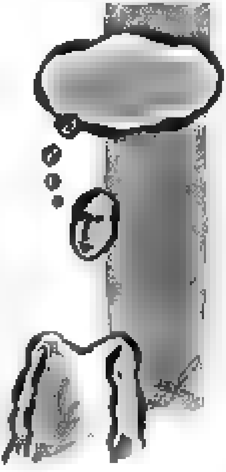
والجواب: غربة ثم غربة ثم غربة، واستعادة وترميم وحشو وتلصيص، والنتيجة هي هذا المعنى المفكك الركيك الذي يستحيل أن يصلح أساساً لقاعدة علمية مستقبلية.

وإن المشكلة كما أراها لا تكمن في القصور في الميدان المعرفي أو في القدرة على تقديم دلالات تسع ممتلكات السماوات والأرض، بل في العقل العربي نفسه الذي يريد أن يعيش عالة على الآخرين.

إن العربية بريئة من جميع التهم المنسوبة إليها. وإن اللغة التي قامت على أكتافها حضارة ممتدة في الماضي مؤهلة لتكرار الدور ولكن بشرط وجود الإنسان المبدع الخلاق. وأياً ما كانت صورة اليوم، فقد تغلب العرب في الماضي على إشكالية المصطلح، بل إن كثيراً من المفردات والمصطلحات العلمية العربية اتخذت طريقها إلى المعاجم اللاتينية وكذلك العلوم. لقد تركوا تراثاً ضخماً يدل على حياة علمية زاهرة، لكنهم لم يتخلفوا عن تنظيم ولم يقصروا [?]

مفردات..
في اشكالية الثقافة والهوية

د. محمد سالم القيد*



عقل لا يتفكر يستطيع أن يستوعبه مع الوجود والمتكررة على مر أطوار الذات الذين يتدرجون في أطوار التفكر يدركون تنامي التطور الذي يحتفلون به عبر الطاقات المخزونة الكامنة في أعماق الإنسان، طاقات قادرة على حمل تباريح الألم وتعبر الوجع، الذي يهب الحياة سرعة التمييز المؤطر بنمطية الاحتلال، وإشكالية الصراع المحسوم بين ما يمكث في الأرض وما يذهب جفاء مفهوم حاسم على الثقافة المؤهلة لأحداث نقلة متميزة في مجال تعميق الفكر عبر دروب وآفاق المعرفة الراشدة، آفاق تنفتح على مجالات أوسع للكشف والفهم والرؤى الملهمة التي تعد جديدة في تحليل مساحات ومعطيات التراكم الحضاري عبر انحرافات متعددة ومتباينة، مستندات فكرية وربما اجتماعية سائدة، بحكم قانون التقادم، حقباً متتالية من الزمن، واتضحت في وقت المعاصر إشكاليات يجمعها ما يعرف بـ "الفهم الأكثرية" ويتعاطى

* كاتب وباحث - ليبيا

مفرداتها الغارقة في مجاهل الغيبية والتبريرات التاريخ جمع غفير من (المثقفين) الذين يدعون معرفة (الهوية) القادرة على خلاص الإنسان. وفي الوقت ذاته يتشاركون متعلقاً وتحليلاً وعملية عبر التعلم والبحث بعد حدوث الفاجعة وتبلور الأفكار ويسرعون الحسن ويتحررون هؤلاء حسب حسابات أن الخلاف لا يقصد بالرد قضية) وعند باب مفتوح تصرفت من خلاله الأطلال ثم يرتد معها الإنسان إلا حرة ووهماً وتعاء

الثقافة بمفهومها العام وفقاً لما يشكله القاسم المشترك لمجموعات العديد من المفكرين ـ هي منظومة الأفكار التي يكتسبها المرء جراء انتمائه إلى مجموعة ما، في ظرف زمني محدد ويمكن القول بأنها الإرث الفكري التاريخي الذي يتحصل عليه المرء بميلاده أو بنموه، بما يتضمنه هذا الإرث من معتقدات وتوجهات معقدة حول من يقف أو الجماعة. ويحفظ لها تماسكها عند مواجهة الأعداء. بغض النظر عما توصف به هذه الثقافة فهي تمثل طريقة للحياة، تفرض على المنتمين إليها الولاء التام وتحفيه مع عدم المنطلق ويتشكل المرء بحسب حجم عطائه وولائه، في أغلب الأحيان، على كل من يحاول انتهاك أو نقد الأسس التي تقوم عليها تلك الثقافة، حتى وإن كان الناقد مشحوناً بالولاء للترسيخ وتأكيد مبادئها ورسمها.

الهوية لها صلة بالثقافة ولكنها ليست مرادفة لها ـ كما يظن ـ بل هي مصطلح للتعبير الكلي في الفعل والسلوك، تبرز الوجود والانتماء. غياب الثقافة لا يلغي وجود الهوية ولكن الحضور الثقافي يمنحها قوة والتجذر.

الهوية لا تمثل مشروعاً ثقافياً بقدر ما ترسخ القيم التبعية

الهوية هي أحد المظاهر اللامس للثقافة مكتوبة كانت أم متواترة وقد تتنوع وتتمايز صورها حتى في إطار الثقافة الواحدة، نتيجة لما يتبعه فرد أو جماعة من مضمون الثقافة ـ ما يثير التساؤل في أجواء الثقافة، لكنه سبب يفتح الحوار نتيجة لمعطيات جديدة بين أطراف الهوية الواحدة، يتطور في بعض الأحوال ويتحول على شكل صدام عنيف يمهد بالنماء وفي المقابل عندما تتهدد الهوية من الخارج، تتترس الأكثرية بطروحات الانتماء في مواجهة ثقافة غازية وهذا ما يفسر توحد الجماعة أو الشعب أو الأمة إبان التعرض للهجمات الخارجية الهادفة إلى إخراج الهويات من مرتكزاتها الثقافية ولقد ابتلاه السياسة هذه الحقيقة وقامت بوظيفتها حرباً من خلافات سياسية معينة لم يجد التفريق بين صراع الهوية مع نفسها ومع الهويات الأخرى وبين صراع الثقافات والأخير تعريف أدق تعبيراً من (صراع الحضارات) الذي كتب له الشيوع والتداول إعلامياً عن طريق الثقافة المترجمة.

لقد شكل القرن العشرون ـ بإيقاعه المتسارع ـ متغيرات عدة على واجهات الثقافات المختلفة بين كلي يعطي مستلزماته المتوالدة من التقدم الفكري والانفتاح الإعلامي أكثر هيمنة على سوق الثقافات، الأمر الذي جعلها حرصاً على البقاء إلى التمسك بالمظهر النمطي (الفلكلوري) الجاذب للسواح والعقلية الضحلة والباحثين الموضوعيين. ونتيجة لهذا الوضع (المأزوم) أضحت الهوية كمساحة من ورق في مهب الريح. ولم تجد ملاذاً إلا في لبوس الانضواء تحت راية (المرجعية).

ويمكن تصوري الحقيقة – ولعل في تصوره – عن نكر المتطرفين. فالعولمة هذا المصطلح الشائع لا تمثل مشروعاً ثقافياً على الإطلاق ولا تقدم بديلا للثقافة، بقدر ما ترسخ التبعية لمصلحة الأقوياء الذين يرتبطون معها لأنه وقادرة على تجاوز قيم الإنسان الثقافية.

الثقافة في وقتنا الراهن مصطلح كثير التداول فضفاض المعنى كما هي كثير من المصطلحات السائدة في خطاب التواصل بين من يحكمون وبين من يراد منهم التلقي والأتباع وحيث إن ذلك الخطاب مرتهن بآفاق الثقافة التي نرويه بالمصداقية، تضطرب مفرداته بسبب المفهوم الجامع المحدد لمصطلح الثقافة، ويعد إشكالية مطيرة تضاف الى الإشكاليات الأخرى العالقة بصيرورة المجتمع العربي في القرن الواحد والعشرين التي أصبحت أبوابه مشرعة على كل الاحتمالات.

إن تجاوز هذه الظاهرة في سبيل التعاطي مع الراهن لا يمكن الاقتراب من تعريف الثقافة وتعريفها، على أنها الرؤية العقلية والوجدانية لمجموعة ما، تسهم في تشكيل هذه الرؤية ما يحيط بها من منطلق بمدركات بمفهومه الواسع الذي يتضمن العديد من العوامل ويحتل موقعي الدين والعرف والتاريخ أهم العوامل الأهم شأناً وتأثيراً والصيرورة تكمن بحداثة منه العوامل مع المعطى الاقتصادي والسياسي والاجتماعي السائد. ومن خلال هذا المفهوم يختفي العجب من ضرورة تنوع الثقافات وتصادمها المسبب هذه تشكل

> **الثقافة – حقيقة – لم تكن بأي حال من الأحوال علم يكتسب ولم تكن في يوم من الأيام مهنة تحترف والفكر ليس أصلا تأسس على أنها منهجية وقصدنا المعرفة بالتربية والتفصيل مع القيم الوجودي الذي يحمله الإنسان داخله**

مقتطفات التاريخ، والذي يقول بنهاية التاريخ بسبب من زيفه ما تمتلكه الثقافة من قدرة على صناعة التاريخ.

في مجتمعنا العربي والإسلامي تحديداً لا زال مفهوم الثقافة يتأرجح بين الإلمام برصيد المعلومات، ليرحل نحو النخبة القادرة على إبداع المشروعات النهضوية، وبين مفهوم الثقافة العريضة التي تشكل حسبه عبر تجربة موصلة في الفرد والمجتمع هذا الانقسام نتج عن تراكمات الظرف التاريخي الذي غيّب المسلمين عدة قرون عن دائرة الفعل والتأثير وهو يمنح بالسحب أيضاً – وبشكل مطلق – على أمم وشعوب أخرى، فأصبحت تجد نفسها في مواجهة تحديات الاستلاب والاحتواء والتحدي المتطرفة السياسية، الأمر الذي اضطرها إلى الولوج فيما ليس منه بد. وهذا التلوين يشكل في حاضرنا الهم العام للثقافة في العالم العربي والإسلامي والشرقي عموماً وهو الهم ذاته الذي يجعل من المرء الذي يمتلئ الثقافة أو يحمل تطلعاتها أمام الكثير من الأسئلة المحيرة، والعديد من القضايا التي تنتظر التحليل والحلول، والمزيد من المظاهر التي تستدعي التغيير وأحسب أن الذي يحول انتزاع الأزمة هو خطاب التواصل الذي لم يتبلور بعد في أرضية ثقافية واعية، تشكل وحدة المجموع، وترجمة الحراك الاجتماعي المؤسس لإخراج الأمة من واقعها الأليم.

مفهوم الصحافة والإعلام – بواقعه العربي – ارتبط هو الآخر بمصطلح الثقافة ابه يعمل جاهد للاستلاب

عليه بدلاً من استحقاقها والاسترشاد بفهمه، استفحل الأمر على الناس حتى ظنوا أن كل معجب يرغب الأمر، وازداد الأمر غموضاً باعتبار المتعلمين أصحاب المؤهلات الأكاديمية أكفاء لإنجاح المشروع الثقافي، يهم ويدعم الفئة القادرة على إنجاز مهمة فهمه وتطبيقها على أرض الواقع المراد تقييمه. والثقافة - حقيقة - لم تكن بأي حال من الأحوال علماً يكتسب ولم تكن في يوم من الأيام مهنة تحترف بالنظر إليها أساساً تأسس على أنها موهبة يتصف المرء بالحرية والتفاعل مع الفهم الوجودي الذي يصنعه الإنسان داخله، وكل ما تقوم به القراءة والعلم والخبرة هو التشكل لتصبح مجرد أدوات تساعد على تفجير الفهم الأساسي والمساهمة في ولادة الإبداع، وتحويله إلى رؤى ومواقف عالية التعبير، قابلة للتواصل مع الناس، بل مع دخول الناس، وهي أدوات لا تؤدي هذه المهمة بدون فنون ذاتها بالتقييم، فتتقاطع العلم والسياسة والأدب وكل ما له علاقة بقيمة الإنسان، وبعبارة أخرى تأتلف العلوم والأفكار والتشريعات حسب جهودها في مجرى النهر العام الذي يدفع البشرية إلى فهم ثابت التدافع المتغير دوماً وإدراك ماهية الوجود القاهر أبداً.

المثقف تعبير آخر يطلق بإطلاقه على من يجيدون كثرة الرواية وتتبع الأحداث والاقتباس الواعي أو اللاواعي لنتاج المبدعين، والفارق بين من يحمل الثقافة وبين من يبدع من خلال الثقافة شاسع وكبير. المثقف المبدع عندما ينطلق من حل الفهم الوجودي لا يكون، فالحياة في اعتقاده تتحول من غاية في حد ذاتها إلى وسيلة مثلى وموحدة للوصول إلى فهم محركات الوجود والكينونة بشكل أعمق وأكثر عقلانية وتبصر. وأثناء ملازمته هذا التطور يتسائل مع العالم والفيلسوف والمفكر والصوفي، ولذا يكثر التخبط عند الناس، بل عند أولئك الذين يدعون بالمعرفة، فيطلقون عليه من الألقاب والصفات ما يروق لأهوائهم، وربما يتجاوزون كل هذا بتأثير العاطفة فيصفونه بالوحي أو التجلي أو الجنون، والمطلب المستحضر العاجز حتماً وهو يصدّ بفعل التطور التفسيري لمفردات النصوص الدينية.

هذه الظاهرة تتضح بشكل جلي في ثقافة الشرق التي تضرب بجذورها في عمق التاريخ، الأكثر تشويقاً والأغنى حضارة، والأظهر تجلياً في الطروحات الدينية والفكرية. أما ثقافة الغرب فهي خالية من هذا العمق، إلا أن الفهم الجميل الذي يتميز به بعض كتّابه ومفكريه بحكم التماس مع الثقافة الشرقية، والذي لا يستشرق من يتطلع شيئاً من الفهم الوجودي، هو القول بأن تلك الألقاب التي تتناوب على شخصية المثقف لها ما يبررها في ظلالها الدينية، كما يقوم به المثقف من تجلٍّ في أجواء نصوص الدين وحقائق العلم وأوراق الفلسفة والتصوف. ولكن عندما يكمن المثقف ويتمكن في أصول الثقافة، يبتعد عن العلم والخبرة زاده وزاويته الذي يواصل به السير صعوداً نحو مواجهة الحقيقة والانصهار في مدارها الأسمى، حيث تتجلى الظروف، كما هي في العمق، سراً يتكشف به كل الأسماء والأشياء.

> الجهل الدائر في الأوساط الثقافية يتجاهل في الكثير من الأحيان حقيقة أن استبدال ثقافة بأخرى ممكن الحلول ولكن استبدال نص مجمع على مجد للثقافة بثقافة يتطلب جهداً والتحولات.

تتداعى إشكاليات الثقافة لتصل إلى ما لا نهاية ويمكن أن يقول الإنسان وأن يعمل لتشكل الحياة التي تتنوع بشأنها مواقف الأفراد والجماعات، تتنوع درجة فيه الإيمان بمتطلبات القوى وجهات النظر، لذا لا يستغرب تطاحن الناس أصحاب الثقافة الواحدة فضلاً عن الحوار والجدل حول الأساليب والمنهج لتحقيق الهدف المشترك. ولكن الذي يستغرب حقاً أن يتحد الفرقاء في الانتماء دون أن يستطيع أحد طرفي المعادلة عن مبدئه وفهمه أو يتكيف على الأقل بتصوير ذراتها والتعسف في تفسير مفاهيمها.

لا بد من الإشارة في هذا المجال إلى ما تعيشه الثقافة العربية والإسلامية في مواجهتها للسيطرة السياسية والاقتصادية والثقافية التي تصطبغ في تصميمها بالكونية الرأسمالية العالمية.

ثمة إشكالية مثيرة تستحق من الكثير من الجهد والتعب بلا حدود. لأن ما يحدث في هذا المجال هو القول بأن ثوابت أي (ثقافة) لا تزول بتأثير متغيرات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية وعبر فترة وجيزة من الزمن. استقراء التاريخ البشري يشهد على صحة هذه المقولة. الثقافة العربية والإسلامية تتميز عن باقي الثقافات باستيعاب النص مختلف وحماية. والجدل الدائر في الأوساط الثقافية يتجاهل في كثير من الأحيان حقيقة استبدال ثقافة بأخرى ممكن عقلاً، ولكن استبدال نص مجمع على قدسيته بثقافة يستحيل جملة وتفصيلا.

الحوار لا يتوقف، والجدل قائم ومستمر والدعوة إلى نقد العقل العربي مشروع يتنافى مع للشهرة والكراهية. كما أن ضرورة التعايش بظروف عصرية في البنية الثقافية للأنظمة العربية هي الأخرى ضرورة تستقطب المزيد من الأنصار على مدار الأيام. ويحسن التذكير بأن مسألة الأمن الثقافي تتصدر الآن أولويات واهتمامات المجتمع العربي. ومحور الأمن له علاقة وثيقة بما يدور من جدل حول الثقافة، وتقارب التوجهات الثقافية. ولقد أدى هذا التباين واتساع التشاكل السلبي في الآونة الأخيرة، بتحول إلى توتر تزداد مساحته بازدياد المفارقات، التي تسهم حتماً في توسيع محيط القلق وآفاقه.

تتضح بجلاء مساوئ الخطاب الذي يكيف إسقاطه على الواقع العربي والمسلمين. وهو إسقاط لم يحسن تدبيره، فضلاً عن ترويجه، حتى في مواطن تأسيسه إذ أنه (حركة) تجاوزت الآداب والأعراف والقوانين لتلقي بظلالها على الثقافة والهوية. لقد أبدع الكاتب المصري محمد نور الدين أفاية في عبارته التي تقرأ:

وكل فترة تحمل أشكالاً جديدة في الهوية وتصوغ أساليب كتابتها. ففي المراحل التي يحتدم فيها الصراع تعرية يصوغها كتهان هشة أو وطن أو دولة معرضاً للتهديد أو الاختراق، يجسد خطاب الهوية عن ذات متجرحة ومتشبثة بثوابتها الجوهرية، لكي تتفادى الاقتلاع والاحتواء.

هل يتداعى التاريخ بشكل المأساة؟ وهل يتطور الخطاب ليتقمص روح الذات المجروحة المتمسكة بالثوابت الجوهرية، التي تشكل في وقت الراهن هموم (المثقف) الواعي بتيارات ونقل الأسماء

الإســـلام والعـــولمـــة

جـــدل أم هيمنـــة

د. وسام رجا *

ركّز الله ـ جل وعلا ـ في نفوس البشر طموحاً غير محدود إلى توسيع النفوذ وبسط السلطان، فكان من دوافع كثير من الكائنات الحية السعي إلى توسيع المجال الحيوي، والذي لا يقتصر على المعنى الجغرافي، وإنما يتجاوزه إلى المجال الثقافي والاقتصادي أيضاً: فمنذ قديم الزمن كانت الرسالات الكبرى والحركات الإصلاحية تتجاوز محيط النشأة وتعبر الحدود الجغرافية والسياسية التي حيث يتوزع المؤمنون بها. وعلى هذا فالأديان السماوية الكبرى والمذاهب الأرضية كذلك كانت (تتعولم). فالثقافات بما تحدثه فيها من تغيرات جذرية وما تضفيه على أنماط حياة الناس في بقاع عديدة من الأرض من تجديد وسعي للتغيير. والحقيقة أن شيئاً ما مركوزاً في فطرة الإنسان يحثه على أن يحلم بالحركة في عالم واحد بعيد عن الحدود والقيود. لكن حقائق الجغرافيا وتباين الثقافات والمصالح كانت تحول دائماً دون تحقيق ذلك الحلم. وبهذا المعنى يمكننا القول إن أي تحرك يقوم به الإنسان بهدف زيادة درجة الارتباط المتبادل مع باقي المجتمعات الأخرى من خلال انتقال السلع ورؤوس الأموال وتقنيات الإنتاج والمعلومات يحمل معنى عولمي. حتى وإن سبق هذا النشاط العولمي ظهور المصطلح الذي لا يتجاوز العقدين من الزمن فمعنى العولمة كان قد تطور من داخل الفكرة ملازمة البشر مع مرور الزمن وتعاقب الحضارات.

محطات من تاريخ العولمة وصولاً إلى الاصطلاح المعاصر

يحتفظ التاريخ بمحطات عدة شكلت قفزات نوعية ساهمت في تشكيل الهيمنة نتوقف عند أبرزها:

1ـ كان العرب المسلمون تاريخياً المحتكرين الأوائل لأنظمة المتاجرة عبر البلدان، وكان المقر الرئيسي لتلك النشاط متمركزاً في جزيرة هرمز، واستمر هذا النشاط إلى مصر من عام 1000م، لكن البرتغاليين قاموا خلال القرن الخامس عشر ببرنامج بحث وتطوير في الملاحة البحرية في (سجرس)

* كاتب وباحث فلسطيني ـ سوريا

وكان الهدف من ذلك البرنامج بناء مستقبل يتم فيه تحدي نظام المتاجرة الدولي الذي يهيمن عليه العرب المسلمون، وقد نجح البرتغاليون في صنع السفينة العابرة للمحيطات والتي بإمكانها عبور المحيط الأطلسي حاملة أكثر من مئة قطعة مدفعية والإطلاق على من يعترضها. وأدت هذه الثقافة البحرية الجديدة، بدء عصر الاكتشافات الجديدة فقد حققت أوروبا في عام 1500م تعادلاً تقريباً مع المسلمين، إلا أن ميزان القوة بين الطرفين أخذ يتقوض منذ ذلك الحين بسرعة بسبب سلسلة القفزات العلمية والتقنية الأوروبية مثل إحلال قوة البخار محل قوة العضلات ومثل اكتشاف توليد الطاقة الكهربائية وغيرها.

وخلال الحروب الخمسة الماضية أخذ نمو الهيمنة الغربية في العالم، يستقل، حقبة قصيرة، وكانت سمة تلك الهيمنة تتمثل في الاستعمار العسكري للدول الضعيفة على نحو ما جرى في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، وكان ذلك يعني أن قيادة الهيمنة أصبحت في يد الغرب.

2. تمثل النتائج التي خلفتها الحرب العالمية الثانية مرحلة مهمة في تاريخ العولمة، إذ بدا واضحاً أن الهيمنة الحقيقية لا ينبغي أن تكون عسكرية فحسب وإنما هناك هيمنة ثقافية واقتصادية من شأنها أن تقود إلى هيمنة سياسية، وتحقيق تبعية كاملة، ولنتذكر كيف صرفت الولايات المتحدة الأمريكية ضمن مشروع «مارشال» أكثر من ثلاثة عشر مليار دولار بين عامي 1948 – 1951 من أجل إعادة بناء الدول الصناعية الغربية واليابان، ولم يكن

تمثل النتائج التي خلفتها الحرب العالمية الثانية مرحلة مهمة في تاريخ العولمة، إذ بدا واضحاً أن الهيمنة الحقيقية لا ينبغي أن تكون عسكرية فحسب وإنما هناك هيمنة ثقافية واقتصادية من شأنها أن تقود إلى هيمنة سياسية وتحقيق تبعية كاملة

هذا كرماً ذاتياً من أمريكا، وإنما كان يهدف جعل أوروبا واليابان جزءاً من سوق مفتوحة لاستيراد المصنوعات الأمريكية وإيجاد فرص للاستثمار، بالإضافة إلى إعادة تنظيم العلاقات النقدية وأسعار الصرف، وموازين الدفع الدولية وقد تمثل هذا بتأسيس البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، ومن هنا يمكن اعتبار أواسط عقد الأربعينيات من القرن العشرين بداية وضع حجر الأساس لعولمة أطلسية.

3. في النصف الثاني من عقد الثمانينيات بدأت العولمة بالظهور كحقيقة لا يمكن تجاهلها، فقد سعت أمريكا إلى تحرير حركة الأموال ولتخفيف التكتلات الرأسمالية، مستندة في ذلك إلى حالة من تطور الرأسمالية الغربية. وبالمقابل جاء إعلان غورباتشوف عن قيام ثورة التحرير وإعادة البناء، فيما عرف بالبروسترويكا والذي حمل إنهياراً سريعاً للاتحاد السوفياتي في غضون سنوات، وكان ذلك إيذاناً في كل المعايير الليبرالية وأن سماوية، وتلا ذلك سقوط جدار برلين عام 1989 وأصبحت الدول التي كانت تشكل حلف وارسو تنضم واحدة بعد الأخرى إلى الحلف الأطلسي، وتبع ذلك انهيار أسوار عالية كانت تحتمي بها الأسواق في الصين وأوروبا الشرقية وروسيا، وصار انتقال الأفكار وأنماط العيش وتدفق الأموال والخبرات التنظيمية والتقنية أكثر سهولة وأوسع مدى من أي مرحلة سابقة، وبدأ مصطلح العولمة المعاصر يشق طريقه إلى مجالات الحياة كافة من ثقافة واقتصاد وسياسة واجتماع وبدأ يحتل بعد قضية بوابات الأديان الكبرى ممثلاً

بتحولات كبيرة إن لم تتخ منه تيرايب وتحقه ليسرح منه قدسيتها ويتخلص من آخر العصبي السماوية بمفاهيمه المخصوصة أمام ثبات نظرياتها واستقرار حقائقها ولأن الإسلام ديانة عالمية في توجهات بات أخطر أعداء العولمة ولابد من تحجيمه إلى أن يصبح تحول العولمة القوة التي يصعب التغلب عليها لمعطيات من السنن القادمة على خلاياه قوة رأس المال قد لازدادت جبروتاً بحيث تصبح مقاومتها موضوعاً خيالياً لا أكثر

طبيعة التجاذبات بين الإسلام والعولمة

تمثل علاقة العولمة بالدين منطقة صراع وجدل وتناقض لا نهاية له، فالعولمة قاطرة همتها الحداثة والتحديث بالمفهوم الغربي البعيد عن كل أخلاق والذي يحمل المفهومية سكس العلاقات الاجتماعية في مجتمعاته ويهدد كل ما هو ثابت وجميل فيه. فالعولمة تحاول تقديم نموذجها الغربي للقيم والأخلاق والعلاقات بين البشر بل وتسعى لفرضه على العالم عبر الإعلام والاتصالات الإلكترونية وغيرها من وسائل تصير ثقافة الآخر

على أن أخطر ما في العولمة على الدين ولا سيما الإسلامي يتجلى من الناحية الفكرية. فالإسلام دين يضع السلوك للمجتمع بأسره وهو بذلك دين شمولي يقوم على الإيمان بالله الواحد. ويبني استقراره على حالة من الإبداع العقلي التي تشكل الأخلاق محور الزاوية فيه. بينما تبشر العولمة بنوع من تعدد الآراء حول كل شيء بما في ذلك الدين والأخلاق وهي تسعى بطلب يقرش. تسهيل عبورها إلى حالة الفوضى التي تنشدها، والتي لا يدري أي من مخططيها إلى أين ستؤدي، وقد جاء في وصف أحد علماء الاجتماع في الغرب لمعادلة العولمة بأنها قوة ساحقة تنطلق بسرعة هائلة. وأنها قوة هائلة يصعب معها التحكم البشري بها. وهي قوة تسحق من يقاومها ولا أحد بمكنته توقع إلى أين ستنتهي. وكيف سيكون تحولها الجديد؟ في حين يرى د. عبد الخالق عبد الله أن للعولمة أساليب عدة في التحاور والتعامل مع الثقافات والأديان الأخرى وأنها - أي العولمة - تشكل تحدياً لقوة هذه الثقافات والأديان أمام ما تطرحه العولمة وكأن للعولمة ديناً أو أخلاقاً؟ ويرى د. توفيق مكرم أن الدين الإسلامي هو الذي يرفض الحوار مع الآخر منطلقاً في جذوره من تصور الآخر على أنه كافر لا يتصور أن الآخر لا يقنع منه إلا الجهاد. فتساقطت هذه الآراء على محطات مجلات والصحف مع افتراض أن المتلقي ساذج أو ما شابه ذلك، فالدين الإسلامي يعتبر من الأديان السمحة في تسامحه مع الأديان الأخرى والثقافات الأخرى

> تلاقح الإسلام بين الثقافات والحضارات ولم يعرض نموذجاً إلا بعد هذا التلاقي وكان النموذج مقبولاً من الجميع بدليل تعدد الثقافات والأعراق التي اشتركت في إظهاره وإبرازه

فقد عاش أهل الذمة في أكثر مراحل ازدهار الحضارة الإسلامية كأفراد فاعلين وليسوا معزولين عنها، ثم إن الإسلام تلاقح بين الثقافات والحضارات ولم يعرض نموذجاً إلا بعد هذا التلاقي وكان النموذج مقبولاً من الجميع بدليل تعدد الأعراق والثقافات التي اشتركت في إظهاره وإبرازه، ولم يخل ميدان من هذا التلاقح حتى علم اللغة العربية فقد تميز فيه علماء الفرس حتى أصبح بعضهم قواعد للغة العربية وهذا دليل خير وسلامة في

الأمة. ولا يمكن مقارنة الإسلام كنظام ودين شمولي بالعولمة فقد جاء الإسلام ليجعل من قبائل متناحرة أمة تدعو إلى الله الواحد وتحمل رسالة إلى البشر كافة:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾
سورة الأنبياء الآية (107)

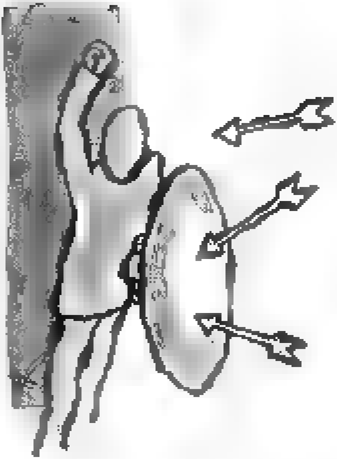
أما العولمة فجاءت لتفكك الدول وتزيد من فوضى الأمة الفردية وتخرج حالة من فوضى الفراغ في ظل مؤسسات اقتصادية كبرى في الغرب تسوق منتوجاتها من خلال ثقافة استهلاكية تسود العالم الثقافي للشعوب وتغرب الإنسان وتعزله عن قضاياه وتدخل الضعف في نفسه من خلال التشكيك في جميع قناعاته الوطنية والقومية والأيديولوجية والدينية، وذلك بهدف إخضاعه نهائياً للقوى والنخب المسيطرة على القرية الكونية وإضعاف روح النقد والمقاومة عنده حتى يستسلم نهائياً إلى واقع الإحباط فيقبل بالخضوع لهذه القوى ويتصالح معها. فالعولمة تشكل تحدياً حقيقياً أمام بناء المجتمعات صاحبة الخصوصية أو الهوية الثقافية لأنها تحطم قدرة الإنسان على التمسك بالوطن وتجعل منه إنساناً مستهلكاً أكثر منه منتجاً ينتظر ما يجود به الغرب ومراكز العالم من سلع جاهزة التصنيع بل وتجعله يتباهى بما لا يملكه. فالملكية للسلع تصبح امتيازاً يتميز من خلاله دون أن يشعر تطور عجلة الرأسمالية الغربية التي تزيد من إحكام قبضتها على مقدراته، وفي سبيل إعادة هيكلة الإنتاج الرأسمالي تتجه إلى السيطرة على المعلومات والمعرفة والثقافة الرسمية لثقافة الاستهلاك للسلع بكل أنواعها.

وبالمقابل ليس من الإنصاف القول إن العالم الإسلامي كان ينعم بالتنمية والأمن والأمان والرخاء والتواصل الإنساني والوحدة. ولكن من المهم تثبيت خيانة التنظير للعولمة على أنها نظام عالمي يقوم على العدالة والديمقراطية، فالتطبيق الذي يتجلى أمام أنظارنا يومياً في الأسواق المحلية أو على شاشات التلفزة بما تعرضه من إعلانات وأنماط، فضلاً عن التبريرات الساذجة لحروب العدوان باسم العدالة والديمقراطية. فحين تخوض الولايات المتحدة الأمريكية حرباً ما كالتي خاضتها في العراق بدعوى إزاحة نظام فاسد فإن آلاف الخطابات والمقالات والمقابلات الإعلامية تسوغ وجه أمريكا الإنساني وحين تمعن في القتل والتدمير بعد زوال النظام تختلق مبررات جديدة لحماية المطلب الذي تحركت عليه الحرب الظالمة؟

إن فكرة إقامة نظام عالمي على أساس مجموعة من المبادئ الكلية تحكم علاقات المجتمعات السياسية وتضمن الكرامة الإنسانية، وتأخذ بيد المظلوم بالنصرة على الظالم، فكرة تتوافق وقيم الإسلام ومقاصده وتستحق أن تلقى دعم المسلمين وتأييدهم، ذلك أن إقامة القسط هي الغاية النهائية وراء إرسال الرسل وإنزال الكتب كما يخبرنا القرآن الكريم

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ سورة الحديد [25]

فغضب المسلمين ومعارضتهم لا تنبع من رفض الغرب رغبته في تطبيق القانون الدولي على سبيل المثال تطبيقاً شاملاً، بل من اعتماده نهجاً انتقائياً في التطبيق. فقد أثار موضوع دارفور الرأي العام العربي أكثر بكثير مما فعلت أحداث التفجير اليومية والاغتيال والاحتلال في فلسطين المحتلة منذ سنوات طويلة.



إن هذا الخضوع الانتقائي للقانون الدولي من قبل الدول الكبرى في الغرب يسمو في ظل العولمة، مما يحجب أي إيجابية للعولمة في نظر المسلمين، سيما وهم يرون الأهداف الحقيقية في السيطرة على الثروات الطبيعية للدول المسلمة، وفي مقدمتها الثروة النفطية. تتهاوى أمامهم سحابة الستار أمام دعوات الغرب للديمقراطية والإصلاح في العالم الإسلامي.

كل هذا ينفي إمكانية الجدل مع العولمة ومن قبل العولمة ذاتها. فالإسلام دين منفتح على الآخر ولكن حين يفتقر الآخر الجدل إلى صورة من الهيمنة والإكراه فلا مناص أمام الإسلام من إعلان صراعه وتحديه خصوصاً وهو يرى استنفار العداء ضده من الغرب

التي يقود العولمة. ولم يكن لعالم السياسة صامويل هنتنجتون الذي قرأ في بداية هذه التسعينات من القرن العشرين في كتابه صراع الحضارات فضل السبق في التحذير من الخطر الإسلامي للمصالح الغربية. فقد أظهر العديد من المفكرين الغربيين خشيتهم من تعاظم عدد المسلمين في الغرب، وبادر بعضهم إلى اقتراح ضرورة القيام بضربات وقائية للإسلام في عقر داره. وتدل الأحداث الأخيرة على أن القوى الغربية في ظل العولمة عازمة على حرمان الشعوب الإسلامية من حقها للخروج في تطوير أوضاعها السياسية وتنمية أحوالها الاقتصادية طالما أصرت على الاحتفاظ بهويتها الإسلامية.

وعلى هذا كله لا نجد أن العولمة الغربية أرادت جدلاً مع الإسلام أو طلبت حالة من التفاعل والتلاقح بينهما، بل أرادت فرض هيمنتها وسيطرتها على العالم الإسلامي ومحاولة التأثير في مكونه الأساسي «الإسلام» برغم أن نشر رسالة الإسلام مستفيد من تقنيات الاتصال الإلكترونية التي أتاحتها العولمة في إحدى جزئياتها. وهذا لا يدل على رفض مطلق من قبل الإسلام للعولمة، بل على إمكانية عالية للتفاعل حتى مع جهة اتخذت مواقف العداء ضد الإسلام.

استراتيجية التحدي

العمل الاستراتيجي المناسب لمواجهة التحدي الذي تمثله العولمة ضد الإسلام يجب أن يقوم على مبادئ الإسلام، لتحقيق التوجه نحو الأهداف والطموحات. فالإسلام يشكل الحصن. المنبع الأخير للأمة وهوية إيمانية تتمتع باحترام الأغلبية المسلمة التي تثق بقدرته على إقامة نظام عادل تتحقق فيه المثل الإسلامية دون التفريط بحقوق الأقليات غير

المسلمين وعالمية رسالته دعوته فاذا [1] جرى تجاوز حدوده القطرية والإقليمية بتحقيق التطابق الملحمي والعقيدي لشعوب تمتد على رقعة واسعة من العالم وبمعنى عن القول ان الوحدة والتعاون بين الشعوب المسلمة اساسا، لتحقيق مشاريع التنمية والتطوير إنطلاقا من قدرة الإسلام على تخطيه حدود النزعة المصرية للمصالح القومية، وبصالة منحى الهيمنة والتسلط بين الشعوب والقوميات من خلال توجهاته العالمية والمرسلات الحضرية الكلية والعقيدة إن قدرة الإسلام على تحقيق هذا النظام العالمي وامكانيته على التعبئة ضد قوى الهيمنة والتسلط هي التي أثارت نقمة دعاة العولمة على الطراز الغربي وجعلتهم يضعون مرميهم الشعواء المتواصلة ضد الإسلام لإعاقة جهود المسلمين في التعاون والتنمية. وبناء على ما تقدم ذكره يتضح أن التحدي الذي يواجه عودة الإمكانية الإسلامية ناجم عن تضافر عوامل ثلاثة:

1. الطموحات الإسلامية الرسمية الى إقامة نموذج حضاري متميز في كثير من جوانبه عن النموذج الليبرالي للعولمة

2. المقاومة الغربية لأي نموذج حضاري يرتكز على أشكال ثقافية واجتماعية مغايرة لتلك التي طورها الغرب

3. الاختلال الكبير في ميزان القوى بين العالم الإسلامي والعربي لمصالح الأخير واستفادة الغرب من هذا الاختلال لقمع طموحات المسلمين وإعاقة جهودهم النهضوية والتطويرية

ويستدعي استراتيجية اسلامية في التصدي لمشروع العولمة الذي اكتسح العالم بأسره وبات يهدد جميع البنيات الثقافية في المجتمع وصولا لتغيير المجتمعات نحو النموذج الغربي يجب ان يتصدى الإسلام بتجديد التنوع الثقافي أكثر فأكثر فالعولمة تسعى إلى محو الفروق الثقافية من اجل تجنيس الاعراف والاذواق والتطلعات وصولا الى السيطرة والإنتاج المستهدف التي لا توقفه النزعات الثقافية والتمسكات العرقية والنزعات الإقليمية

والدعوة التي نسمع في كل مكان نحو الانفتاح على الآخر هي حقيقة دعوة حق نريد بها باطل، وتطلب منا نحن العرب على التقاعس أن نتخلى عن كل مانعتقد في المعتقدات والتصورات وصولا الى تقبل ما يأتي به الأخر مهما كان مجافيا كما نعتقد بصوابه بدعوى التلاؤم مع روح العصر والاستفادة من خبرات العولمة

> **هل الدعوة الى الانفتاح على الآخر هي دعوة حق اريد بها باطل؟**

ان الثقافة بهذا المعنى هي السلاح الذي يمكن للأمم ان تستخدمه لمقاومة الذوبان في النموذج الغربي، والإسلام يرتكز بثقافته الواسعة على المنهج الرباني بمعطيات وثوابته واديانه وان أي تجديد للتنوع الثقافي يجب ويعني ما تدعو اليه العولمة يجب ان يقوم على تحسين معرفة الناس بهذا النهج، ولا يخفى ان تقنية البث وشبكات المعلومات قد فتحت كل النوافذ على كل الوان المعارف والخبرات والتقاليد البشرية، ما هو حسن منها وما هو رديء ومعظم ما يعرض ويقدم لا يتشكل الإطلاع على وجهة بمعظم الناس لكنه على كل حال يعرضهم لما يجد لا يطلعون عليه ويعرضهم كما انه يربك وعيهم ويخلق بينهم نوعاً من العكر في اكلتهم الثقافية، وهذا في الحقيقة يمثل تحديا قويا امام كل من يريد تقديم ثقافة إسلامية صافية للناس تستند إلى نظرة شمولية لفهم حقيقة الحياة والموت والآخرة، وعلاقة الانسان بربه جل وعلا ولتحقيق

مثل هذه الثقافة الفعالة يجب بذل الجهود الحثيثة لأجل التقريب بين دعوة الإسلام إلى الأخوة التي تربط جميع المسلمين في مشارق الأرض، وبين الرؤية التوحيدية التي تبشر بها العولمة بين الناس على أساس مادي نفعي مصلحي من شأنه أن يفكك روابط المجتمعات الأساسية.

ويجب على الإسلام بثقافته الفقهية أن يعمق معرفة الناس بالحلال والحرام، ولا سيما في قضايا الأخلاق والتجديد والمعاملات التي تعد في صلب اهتمام العولمة، ويمكن الاعتماد على خطبة الجمعة في كل مساجد العالم كنموذج من نماذج الإعلام النظري والتطبيق في أحيان كثيرة.

والمسلمون لأسباب عدة يستطيعون مقاومة العولمة وسيئات مشاريع استغلاله في سياساتها الحمقاء والتحرر من مفاهيم الآخر والتشجيع على التمرد عليها، لكن هذا مرتبط بشكل أساسي بتطلعات قيادات الأمة وأصحاب القرار فيها، ولأن العولمة تحض على إفقاد الأمم ميزاتها وخصوصياتها، ولاسيما الثقافية منها، وتحصرها في القوة والمال والتقنية المتقدمة والتعليم المطلق بمزيد من الهيمنة والاستبداد، فإن التصدي يجب أن يعتمد على ثقافة الإسلام في الاستقلال والتميز، وليس المقصود بالاستقلال إنشاء نظام معزول عن النظم السائدة بين الناس اليوم، وليس ذلك ممكنا أصلا في هذه المرحلة، وليس المقصود بالتميز التعالي على الآخرين والانغماس في أوهام عظمة مجمدة، وإنما المقصود أن يملك إرادة التميز على الذوبان في إطار العولمة الجارف، وإرادة التميز هذه ترتكز على الاعتقاد بوجود خصوصية ثقافية وحضارية تتمتع بها أمة الإسلام، وتملي عليها مسؤوليات كبيرة خاصة، وتلزمها بسلوك مغاير لما عليه الأمم الأخرى، وإن تأملنا في قوله -جل وعلا-

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾

[سورة آل عمران، الآية 110]

نستنتج أن أمة الإسلام لن تكون مسؤولة عن شؤونها الداخلية فحسب، وإنما يجب أن تعمل على إصلاح الآخرين أيضا من خلال الدعوة وتقديم النموذج الإيماني الخاص الذي يجذب الناس إلى طريق السلام من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفق الفهم الإسلامي الخاص والخالص.

إن أمة الإسلام ليست مكلفة بإيصال صوت نبيها ﷺ للعالمين فحسب وإنما هي مؤتمنة على جميع مبادئ التوحيد وجميع القيم التي بعث بها الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- إلى أمم الأرض من قبل، والتميز في نظره ثقافيا، وليس انطوائيا، وهو ليس انزواء وإنما هو مشاركة إيجابية ومساهمة فعالة في إصلاح شؤون الحياة كافة.

• لا نجد أن العولمة الغربية أرادت حوارا مع الإسلام أو طلبت حالة من التفاهم والتلاقي بينهما، بل أرادت فرض هيمنتها وسيطرتها على العالم الإسلامي ومحاربة التأثير في مكونه الأساسي: الإسلام.

تجديد الثقافة الإسلامية

تمتلك الثقافة الإسلامية عوامل جعلتها تحافظ على نفسها أمام جميع نزعات التفكيك والتغيير التي فرضتها القوى الاستعمارية الغربية على العالم العربي، لكن ضعف حملة الثقافة والتكاثر العجيب

بالأفكار والتيارات في زمن يتطلب من الثقافة الإسلامية نوعاً من التجديد والتطوير بالاستناد على ثوابت ومبادئ الإسلام الحضارية والمنهجية مع الدراسات العميقة والشروح التفسيرية والمتينة بالإضافة للجانب الحيوي اليومي للمسلم) فالمشكلة الجوهرية تكمن في أن الوعي البشري لا يستطيع دائماً ملاحظة التغيرات التي تبعد الثقافة عن أصولها، كما لا يدرك في كل الأوقات السبب الذي يصيب الثقافة فيحولها من أداة ارتقاء وتقدم إلى هيكل معوق ومقيد.

إن الثقافة على المستوى التجريدي تشكل الإطار المرجعي للحكم على مدى صحة الثقافة المعتمدة ومدى ملاءمتها للنهوض الشامل، ولذا فإن التجديد لا يطويها، لكن خبرتنا البشرية تكشف عن بعض أسرارها ومكنوناتها، وقد توجد ببعض أصولها ومنطلقاتها بعض التوظيفات الجديدة. وليس مستبعداً من ذلك أنه يحسن من قدرة الثقافة الإسلامية على الصمود في وجه العولمة، ويساعد على توفير كيفيات التقدم في ظلها.

إنها القاعدة الروحية، حيث يتم إهمال الجانب الروحي في ظل العولمة من خلال تضخيم تيارات الشهوة الجنسية والشهرة والسيطرة والاقتناء.. وحب التملك، وهذا لا يمكن مقاومته بالأنشطة الفكرية والعقلانية وإنما بنشاط منطلق من المشاعر والأحاسيس الإيمانية والذي لا يتولد إلا عن طريق المزيد من الأعمال التعبدية الملتزمة بالأطر والآداب الشرعية. إن طابع الرقي الحقيقي هو طابع روحي أخلاقي أكثر من أن يكون طابعاً عمرانياً تقنياً، والجاذبية التي تتمتع بها أجيال القرون الأولى من تاريخ الإسلام، تنبع على نحو أساسي من منابع الروح والإكرام واللرحمة والسعي نحو الآخرة، وليس من التفوق في الحروب أو العلوم أو العمران.

3 - بناء حساسية جديدة نحو المال بكل صوره وأشكاله ومستوياته، وتكوين شفافية عالية نحو قضية مراقبة استثمار النقود، حيث أن من طبيعة التقدم الحضاري أن يوجد في التوفيق بين الناس في المهارات والإمكانيات والممكنات وإن وجود تركيبة القائمة تتيح فرصاً متفاوتة للمتعاطين في المجالات الاقتصادية - على وجه الخصوص - أن يقيموا فيما بينهم تحالفات لاستثمار تفوقهم المالي، ومن الواجب أن تتوافر البيئة التي لا تسمح بذلك الاستغلال، والخروج عن الطرق المشروعة. وتحريم الشريعة الغراء للرشوة - مثلاً - كان إجراء في هذا السبيل وإذا تأملنا في حياة الشعوب التي تفشى فيها الفساد وأشكال الكسب غير المشروع، وجدت أنها تملك حساً مرهفاً في هذه المسائل، كما تملك آليات تعري أولئك الذين يتورعون في الكسب الحرام.

4 - ما كان للعولمة أن تقتل بالناس فتنة على هذا النحو السحيق لولا أنهم يعانون من أشكال عديدة من الخواء الثقافي، حيث إن أحوالنا الحضارية تتطور خارج مدلولات الثقافة الإسلامية، أي إن أنشطة العيش الجديدة وكنسق العلاقات التي تتيحها لا تتشكل على هدي القيم الكبرى التي نؤمن بها، وإنما تتم تحت ضغوط مقتضيات ظروف العمل وضرورات تلبية الحاجات الأساسية، وهذا ما أوجد لدينا مشكلة كبرى، إذ صار كثير من الناس مكشوفين ثقافياً، ومجردين - إلى حد كبير - من البعد القيمي الذي يعطي للأنشطة الحياتية معنى خاصاً وعمقاً ورعاية. ويكشف لنا عن مدى هذا الانكشاف الثقافي ما نلاحظه من ازدياد المسافة بين مقالاتنا المطروحة ومماكيننا المجتمعية، ومن المعلوم أن المقيدة

الاجتماعية في جماع المبادئ والمصالح على حين تشكل العقائد النظرية على أرضية مفهوم [illegible] ومثال ومثالي رهنه المسافة الفاصلة بين المفهومين في [illegible] ضمنه المصالح على المبادئ ونتائج ضعف النشاط الثقافي للسلوكيات اليومية.

إن العولمة تشوه القيم العربية وتمس الحياة اليومية للإنسان العربي من خلال الأجهزة والأفلام والإنتاجات الثقافية المتنوعة، وقد فكر بذلك الكثير من الناس بسبب بعض الإيجابيات في الثقافة العربية وبسبب تهميش بعض المكونات الثقافية المهمة لدينا من خلال عرضها التجسيد العملي في الحياة المعاصرة.

وعموماً إذا ما أردنا أن نكسر هجمة العولمة في المجال الثقافي فإن علينا أن نقلب النظر في الأوراق القديمة من ثقافتنا ونجدد بها الهوية والتألق من جديد.

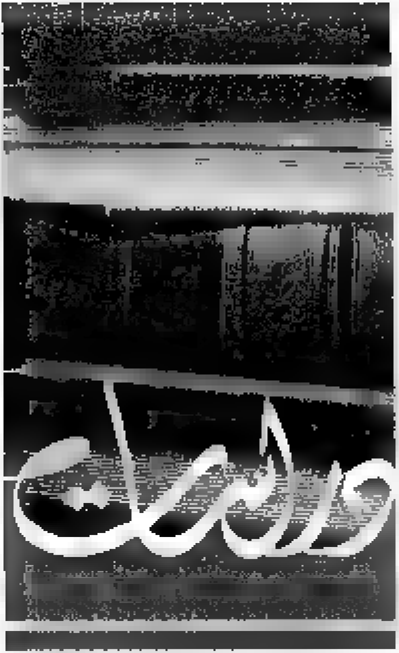
العمل الإسلامي المشترك

لا تستطيع العولمة أن تعمل عملها على الوجه الأمثل إلا في عالم منفك متجزئ تجري في سياقه على نحو يخدم مصالحها، وحد فالدول الكبيرة والشعوب النافذة [illegible] في مجال الأمر الممكن لقوى العولمة العاتية، فالمستفيدون من العولمة يلتجئون نظم الهيمنة والسيطرة من أجل تحقيق المزيد من المكاسب والتطوير المعرفة تهيئ الفرص وتقدم التسهيلات لوقوع ذلك.

التجربة على كل حال معقدة، فقد تقدم عبوله دون أن تدري، وقد تخدمه لأن أوضاعك لا تستقل عن غير ذلك، وقد تخدمه لأنك لا تحصل ما ينبغي عليك أن تحصله، ولهذا فإن وحدة المسلمين تصبح أكثر العامل من نصوغ قضية [illegible] وجوه ومصلحة ومصيره وتوعي بعد بداية العمل الشاق التي عليها أن تجري، فلا بد من أعمال كثيرة وكبيرة توضح الأواصر بين المسلمين إلى جانب وحدة التحديث ووحدة المصير المشترك، ويمكن التطلع إلى إقامة نظام عالمي عادل غير ممكن ضمن البنية المتطورة السياسية العالمية الحالية وعمادة من المعايير الثقافية السائد، ولكنه غير مستحيل إذا ما وجد العمل الإسلامي طريقة لأن يصبح أكثر وحدة وانسجاماً مع بعضه ليمضي كافة فهو من هذه الناحية مرشح للتصدي للعولمة لأنه يمتلك نظام شمولي ويمكن للإسلام أن يلعب الدور الحاسم لأن لديه القدرة في خلال قيمه ومبادئه كبديل لحالة الضياع والفوضى التي تنشرها العولمة وطالما أن العولمة اتخذت طريق الصراع سبيلاً عن الحوار والجدل فإن الإسلام كنظام شمولي يجب أن يكون درعاً حامياً لأمته أمام سيول العولمة وطوفانها اللامحدود.

المراجع والمصادر

1. العولمة طبعة مصر [illegible] دار الهدى [illegible]
2. فخ العولمة الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية، تأليف [illegible] ترجمة [illegible] الكويت، المجلس الوطني للثقافة [illegible]
3. [illegible] ترجمة [illegible] [illegible]
4. العولمة ومقاومة [illegible] عبد الخالق عبد الله، مجلة العربي [illegible] العولمة وصراع الحضارات الثقافة العالمية [illegible]
5. العرب والعولمة، [illegible] بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية [illegible]
6. [illegible] عصر العولمة الأمريكية [illegible]
7. الإسلام [illegible] مؤسسة الرسالة، بيروت [illegible]



• الخطاب الإسلامي المعاصر

• التلاحم الثقافي العربي - الأفريقي في مواجهة العولمة



الخطاب الإسلامي المعاصر

د. محمد مصطفى بن الحاج *

إن من أهم القضايا التي تشغل بال كل مسلم مثقف واعٍ بطبيعة هذا العصر، وبما تعانيه أمته من أزمات، وما يتربص بها من تحديات فكرية ومادية، قضية الخطاب، ذلك أن الخطاب هو أداة التبليغ والتواصل والحوار بين أبناء الأمة نفسها، وبينها وبين الأمم الأخرى. وهذه الأداة هي مقياس نضج الأمة ومعيار مقدرتها على ممارسة ذلك التبليغ والتوصل والحوار، ومدى احتلال مكانتها المكانة اللائقة بها بين الأمم، ومن ثم نجاحها أو فشلها في إقناع الآخرين بمواقفها ووجهات نظرها في مختلف المسائل والقضايا. (انظر 2/ 109)

مستويات الخطاب وصوره

ويتجسد الخطاب في مستويات مختلفة، كما يتجلى في صور متعددة. أما مستوياته التي يتوجه إليها، فيمكن تقسيمها مستويين: داخلي أو محلي، وخارجي أو عالمي. وينقسم كل من هذين القسمين إلى مستويات التلقي بحسب درجة التعلم والثقافة والسن ونوع المهنة والبيئة والظروف. وبناء على هذه الاعتبارات يتحدد نوع الخطاب ومنهجه وخصائصه المناسبة، كما يتعين الوقت الأنسب والأداة الأصلح لتقديم هذا الخطاب. وأما صوره التي يؤدى من خلالها، فهي كما نعلم: الكتاب والمقالة البحثية والمقال الصحافي والمحاضرة والحوار وعرض الكتب والشريط المرئي أو المسموع والنشيد والأغنية والمعارض الثقافية. وبقدر مراعاة طبيعة تلك المستويات وهذه الصور وتحقيق الشروط الموضوعية والمنهجية فيها، يكون مبلغ نجاح الخطاب في مهمته أو فشله في أدائها. ويلاحظ، إلى حد ما، على عامة خطابات المسلمين في أكثر حالاتها، ما يكتنفها من عيوب كثيرة، تعرقل غاياته، وتشوه أهدافه، وتتخلف به قرونا عن هذا العصر.

مكونات الخطاب الإسلامي (انظر 1/ 33-37)

يمكننا أن نرد مكونات الخطاب الإسلامي إلى نوعين: المكون الشرعي وهو ما جاء به الوحي الإلهي من قرآن وسنة نبوية صحيحة، وهو أصل الخطاب الإسلامي ومنطلقه ومرجعيته الثابتة الدائمة، لكونه صادرا عن الله سبحانه الذي أبدع الوجود كله. والمكون البشري هو ما فهمه واستنبطه البشر من النصوص الشرعية وما نتج عن ذلك فكرا كان أو فقها أو علميا أو أدبيا. ولذلك فهو فرع للمكون الأول ومؤسس عليه وتابع له (1/ 67). ويتميز المكون الشرعي بأنه اكتسب بمصدره الرباني خصائص الربانية والشمول

* أستاذ جامعي - ليبيا

والثبات والتوازن والمرونة والصلاحية لكل زمان ومكان. فما ينبغي علينا أن نكتشف معاييره كل خلل واضطراب في واقع الحياة القائم (انظر: ... ٦٦-٦٧). ونظراً لتباين الأفهام واختلافها في التحليل والتفسير والتأويل، فقد كان لا بد من وجود شروط لكل ذلك متفق عليها بين العلماء، في مقدمتها إتقان العربية وفقه أسرارها على مستوى العصر الذي نزل به الوحي وعاش فيه الرسول الأمين، وليس وفق معايير ومناهج مستوردة متكلفة، كما يلجأ كثير من مفكري اليوم وكتابه، لشرح النص المقدس تشريحاً كما يريده فرويد أو يونغ أو ماركس أو شتراوس أو غولدمان أو فوكو أو دريدا، أو سواهم من المنظرين الغرباء عن هذا المكون الديني وطبيعة نصه ولغة بيانه وخصوصية مبلغه وسياق نزوله وبسنته.

وإذا كان الخطاب أي خطاب رهين للتطوير والتجديد دون تحفظ أو اشتراطه، فإن خطاب الإسلامي له وضعه الخاص، فهو لا يتغير ولا يتبدل في جوهره أي في ثوابته الأساسية المرتكزة على مكونه الشرعي المقدس مهما تغير الزمان والمكان والمتلقي، وتغيير هذه الثوابت أو المساس بها لا يكون إسلامياً ولا يمثل طبيعة الإسلام وخصائصه. وأما المكون الآخر فيه فيكون الاجتهاد والتطوير بما يعبر عن المخاطبين وظروفهم العامة والخاصة زمناً ومكاناً. يقول د. القرضاوي: ... كان المحققون من أئمة الدين وفقهائه قد قرروا أن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والحال، والفتوى تعتبر بأحكام الشرع على نفس هذا المعنى يقول: إن تغيير الدعوة أو الخطبة بتغير الزمان والمكان والعرف والحال أحرى وأولى ... ٢/٦.

> إذا كان الخطاب رهيناً للتطوير والتجديد دون تحفظ أو اشتراط، فإن خطاب الإسلامي له وضعه الخاص فهو لا يتغير ولا يتبدل في جوهره أي في ثوابته الأساسية المرتكزة على مكونه الشرعي المقدس مهما تغير الزمان والمكان والمتلقي

فضاءات الخطاب: بالنظر إلى متلقي الخطاب نجد أن هناك فضاءات متنوعة يمكن أن نتناول على مستويين:

أولاً: الفضاء الداخلي أو المحلي:

وفيه يتوجه الخطاب إلى فئات متفاوتة: فيه الطفل والشاب والفتاة والمرأة والرجل، كل بحسب مستواه التعليمي أو الثقافي، وبحسب موقعه، أو مهنته وظروفه الخاصة. ومما نلاحظه على هذا الخطاب هو عدم مراعاته أحياناً طبيعة هذه الفئات والظروف المتعلقة بذلك. ويتجلى هذا في مظاهر كثيرة نحاول عرض أهمها، بعيداً عن التفاصيل ومن ذكر ما يثير أي حساسية، اعتماداً على وعي القارئ المهتم بكل ذلك، وتجنباً للإطالة المملة. ومن المظاهر المهمة منها:

- غياب الرؤية الفكرية الموحدة والمشروع الدعوي الموحد، ومن ثم افتقاد الخطاب الإسلامي المتفق عليه بين كثير من مؤسسات الدعوة ورجالات الفقه والشريعة، وكذلك غياب الفتوى المتفق عليها في كثير من الأمور التي تهم الأمة وتمس شؤون حياتها، مثل رؤية الهلال وتحديد المواقيت والفوائد المصرفية وغيرها من المسائل والمشكلات. وقد ترتب على ذلك صور من التنافس غير المحمود، بل قام التصارع بين جمعيات ومؤسسات دعوية إسلامية في دولة سمحت بذلك، وكل ذلك بسبب تحكم الأهواء والمآرب السياسية التي لا تخشى الله ولا تخلص العمل في سبيله.
- ٢- تسلل المؤسسات والمنابر المتخصصة والمؤهلة ... منتجي المعرفة الإسلامية الصحيحة في بعض البيئات الإسلامية أو عزلهم أو تهميشهم بحجة

المآرب السياسية، ولجوء الناس أو بعضهم ولا سيما قطاع الشباب، إلى تلقي المعرفة الدينية من طريق غير مباشرة وغير متخصصة ولا ذات منهجية، وهو ما يؤدي بهم في الغالب إلى تصورات ومفاهيم ومواقف وأنماط من السلوك في التطرف أو التصوف الذي يناقض طبيعة الإسلام وواقعيته وسماحته. يقول الأستاذ فهمي هويدي: «في غيبة مدارس التربية الإسلامية الرشيدة، كان طبيعياً أن تظهر الانحرافات الفكرية. خصوصاً وأن أولئك الشبان هم ضحايا التعليم العلمي الذي لم يوفر لهم حداً معقولاً من الثقافة الإسلامية يوفر الحصانة ويكفل لهم التوازن النفسي والعقلي، وهكذا فإن إغلاق الأبواب المشروعة دفع نفر من الشباب إلى طرق الأبواب غير المشروعة، وأفرزت ثقافة الظلام نتاجها الطبيعي الذي كان خليطاً من الشذوذ والانحراف». (136/4)

> إن إغلاق الأبواب المشروعة دفع نفر من الشباب إلى طرق الأبواب غير المشروعة، وأفرزت ثقافة الظلام نتاجها الطبيعي الذي كان خليطاً من الشذوذ والانحراف

3- التقوقع داخل مذهب فقهي أو عقيدي معين، والرغبة في التحكم بوسائل الإعلام والثقافة، وإصدار الفتاوى الدينية من خلاله، ثم تصدير هذا التوجه المذهبي الضيق إلى عامة المسلمين في العالم، بمختلف الوسائل والأساليب، وتخطئة سائر المذاهب وأصحاب الاجتهادات الأخرى، إن لم يرموا بالجهل والفسوق والزيغ والخروج عن الملة، ويضاف هذا كله رفض الكثير من المصطلحات المعاصرة بحجة عدم وجودها في الفكر الإسلامي كلفظة الديمقراطية بدعوى أنها تتناقض مع ما شرعه الله.

4- التشبث برأي واحد في مسألة ما ومصادرة جميع ما عداه من وجهات النظر، والتشبث بالانفراد بالفهم والمسؤولية عن الدين، استناداً إلى وهم عصمة للذات واتهام الآخرين بالنقص والجهل ورفضاً لمبدأ نسبية المعرفة في التفكير البشري، وهو موقف يعطل العقل ويلغي مبدأ الاختلاف والاجتهاد ويحبس التفكير في مسلمات جامدة، وهو ما يخالف إرادة الخالق سبحانه في جعله الناس مختلفين، تتقوم الحياة بكل مناحيها وتجلياتها. وهذا ما يتنبه الكثير من محللي الخطاب الإسلامي ويحسبونه على الإسلام، وهو منه براء، ومن يتلمس آثاره السيئة في تمزيق فكر الأمة وتشتيت وحدتها وتضييع طاقاتها في كثير من المهاترات والتشكيكات والتبديعات الغامضة، وقد مكن هذا التصور الكتاب المعاديين على اختلاف مشاربهم من انتقاد هذا الخطاب ومهاجمة الإسلام نفسه من خلاله أكثر فأكثر وبلا هوادة.

5- تجاهل أولويات القضايا المهمة في التأليف والكتابة فيما يعالج أزمات الأمة ويعمل على توجيهها وترشيدها وإصلاح ذات البين فيها والعمل على تقدمها والرقي بها، والانشغال بدلاً من ذلك في بعض الأوساط الإسلامية بافتعال الفتن المذهبية وإشعال نار الصراع والتنابذ والاتهامات بالزندقة أو التفسيق أو التكفير من خلال تأليف الكتب وتدبيج المقالات وإصدار الأشرطة، وتقديم البرامج المرئية المسجلة.

6- تشويش أذهان عامة الناس وزعزعة عقائدهم بإثارة قضايا ومشكلات خلافية شائكة ومعقدة من خلال تلك الحوارات الساخنة على بعض القنوات المرئية وعلى صفحات بعض المجلات والصحف، كالخوض في الأسماء والصفات والتأويل والقدر والجبر والاختيار، وإحياء

الخصومات القبيحة بين المذاهب والفرق الإسلامية التي هي من اختصاص كبار المتخصصين، والتي لا طائل من وراء إثارتها في وسائل الإعلام العامة غير بلبلة الأفكار وزرع الشك وتوسيع شقة الخلاف بين المسلمين.

7- التشديد والتضييق في فتاوى بعض العلماء فيما فيه سعة ومجال للاجتهاد، تجاهلاً لمرونة الإسلام وصلاحيته لكل البيئات والأزمان والظروف والضرورات، أو التساهل المحتوى والجرأة أحياناً على مخالفة المعلوم من الدين بالضرورة: وذلك بتحليل الحرام وتحريم الحلال، أو السكوت عن عبث السلطان وتجاوزاته في حقوق الناس السياسية والاقتصادية وغيرها، أو استغلال الإسلام أحياناً في خصومة وتسخير مقاصده لضرب القوى المناوئة للنظام القائم في بعض المجتمعات، مجاملة لأهواء الساسة والحكام حرصاً على المناصب والجوائز. (انظر 3/143-144)

> ثم تخلفت مؤسسات التعليمية والدعوية الإسلامية العامة بتعليم أبنائك وتلقينهم أدب الاختلاف وأهمية الاختلاف في الآراء لما انحرف شبابنا ولما تطرفوا وصارت أمورنا إلى ما صارت إليه

8- مجابهة بعض التيارات التي تنتقد الإسلام أو تهاجمه بآلياتها المعرفية ومنهجياتها المعاصرة مجابهة ساذجة متخلفة، تضيع نصيبه أو توضع عادة في موضع لا تحسد عليه كما يقال، موضع هو أدنى للهزء والسخرية على مرأى ومسمع من جماهير المشاهدين أو القراء. وقد يبلغ الأمر من كثير أحد يحدث في بعض البرامج التلفازية وبعض المجلات المتخصصة في هذا الشأن أن يكون المتحاوران على درجة قصوى من التباين في استعدادهما للحوار ومقدرتهما على الحجاج والإقناع، بحيث يكون المحاور الإسلامي في موقف مرن ومؤسف أمام خصمه المتمكن، الأمر الذي يفسر التعامل المخجل بين طرفيه، كل من المتحاورين قد يتهم أحياناً بعمالة ويرميه بتهمة سيئة أو يطلبه في نص يحقق عنه على أن الملاحظ أحياناً أن قضية الحوار بين الإسلاميين أنفسهم وبينهم وبين غيرهم غير قائمة، لأن منهم من لا يقبل مبدأ الحوار أصلاً، ويراه أسلوباً متهماً، كما أن منهجية الحوار وآدابه لم يتعلموها ولم يجربوها في حياتهم العملية. ولو تكفلت مؤسسات التعليمية والدعوية الإسلامية العامة بتعليم أبنائك ذلك وتلقينهم أدب الاختلاف وأهمية الاختلاف في الآراء لما انحرف شبابنا ولما تطرفوا وصارت أمورنا إلى ما صارت إليه. (انظر 3/141-143)

9- تحميل بعض النصوص القرآنية والنبوية عبر ما تحتمل والإلحاح على التماس الربط لأدنى مناسبة بين النص المقدس والظواهر الطبيعية والنظريات العلمية والأمراض، ربطاً قائماً على الترجيح بالظن والافتراض، ومثاله تلك المحاولة حول الرقم "19" وهو عدد أحرف البسملة ويطابق عدد العدد مع الحروف المقطعة في فواتح بعض السور القرآنية، أو القول إن العرق يحتوي على مادة أو مواد تعمل على العلاج من الماء الأبيض الذي يصيب العين، استنتاجاً من قوله تعالى في سورة يوسف ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ [سورة يوسف: الآية 96]

إن سبب رجوع البصر إلى عيني والده يعقوب إنما هو لوجود عرق يوسف في قميصه. وعلى نحو هذا النوع الأخير من الخطاب الذي يخاطب قراء الأمية الثالثة بادر أحد كتاب مجلة الكشكول الشهالية (12/1/1987)، وهي من أكثر

مانع العلمانية الآن، بتحويل مقال يعتبر خبراً وقراءة بصاحب ذلك الاكتشاف الطريف. وهذا ليس اعتراضاً مطلقاً على جهود التفسير العلمي للقرآن والسُنّة الصحيحة، فإن هذا اجتهادات لا بأس بها ما دامت تتسم بالحيطة والتثبت والتفريق بين النظرية القابلة للتغير أو التعديل، والحقيقة العلمية الثابتة التي لا تتبدل.

١٠ - التأكيد المبالغ فيه من قبل الكثير من الوعاظ وخطباء المساجد على موضوعات الترهيب بأصناف العذاب الأخروي والترهيب في تصوير الحياة والإبداع فيها، وإهمال معظمهم لشؤون قضايا الإنسان والمجتمع من معاملات وعلاقات وآداب، وعدم التذكير بأنواع الأمانات الملقاة على المسلم تجاه نفسه وأسرته ومجتمعه ووطنه وأمته. ومن ظاهرة هذه أسباب تكثير العمر أبرزها ما يتمثل في النقطة التالية.

١١ - فراغ كثير من الساحات والمنابر من المتخصصين القادرين وانكفائهم على أنفسهم نتيجة أوضاع سياسية معينة في بعض البلدان الإسلامية، وإبعاد هذه المهمة أو توجيهها من قبل خريجين غير مؤهلين أو من قبل متطوعين من ذوي التثقيف الديني الذاتي الذي يغلب على معظمهم نوع شبيه من التطرف والغلو والتخليط في العلم وسوء الفهم. ولقد تمكنت هذه الظاهرة في بعض البلاد العربية إلى درجة أن صلى الجمعة عدد كبير من كبار المتعلمين وبينهم علماء متميزون في الشريعة خلف عامل ورشة فني وشبه أمي ومن جاء مجبور بعد أن اتحفهم بخطبة مرفوضة شكلاً.

١٢ - نجاح كثير من الجهود الواعية المخلصة في وصولها إلى قلوب الناس وتوظيفها في إحداث إصلاح واسع المدى، وذلك بفضل وسطيتها وتفقهها بجوهر الشريعة وصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، وإخلاصها ومثابرتها واستخدامها الأسلوب الجذاب الذي يشد الانتباه ويأسر العقل والقلب للمتابعة والاستجابة. ومن أجود الأمثلة في هذا المجال جهود الداعية الشيخ محمد الغزالي والداعية الدكتور يوسف القرضاوي والدكتور محمد عمارة والأستاذ عمرو خالد وما أحدثوه في أوساط الشباب والفتيات بخاصة من صحوة وإقبال وخروج جاد على طريق الله سبحانه. والمؤمل أن جهود هؤلاء وغيرهم من الجهود المميزة الناجحة يجب أن تحتذى وأن يستعان بها في تربية الناشئة والشباب في كل المؤسسات التربوية والتعليمية والإعلامية لإحداث صحوة القلوب والهمم، والأمر حقاً أن يصلح أمر الناس ويسمو في العاجلة والآجلة.

نجاح كثير من الجهود الواعية المخلصة في وصولها إلى قلوب الناس وتوظيفها في إحداث إصلاح واسع المدى، وذلك بفضل وسطيتها وتفقهها بجوهر الشريعة وصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، وإخلاصها ومثابرتها واستخدامها الأسلوب الجذاب الذي يشد الانتباه ويأسر العقل والقلب للمتابعة والاستجابة

ثانياً - الفضاء الخارجي أو العالمي:

بالنظر إلى تلك الأوضاع التي عليها الخطاب الإسلامي محلياً أي في الداخل، وما يسودها من اضطراب وغياب للتخطيط والتنسيق، ومن افتقاد - كما تقدم - للرؤية الشاملة الموحدة والأهداف المحددة وإخلاص العمل لله سبحانه، فإن هذا الخطاب على مستوى العالم ضعيف ومتخلف جداً عن منطق العصر وآلياته ومتطلباته، بل لولا بعض الجهود الفكرية المتناثرة، لقلنا إنه غائب في جوانب غير محدودة من عالم اليوم. ومع صعوبة تشخيص هذا الوضع وتحديد

ملاحظة، فإنه يمكن إدراك الملاحظات الآتية:

1- على الرغم من امتلاك الدول الإسلامية عدداً من الثروات الطبيعية الهائلة كالنفط والغاز والحديد والفوسفات والنحاس واليورانيوم... الخ والمناطق الزراعية والمائية والثروات البشرية والزراعية وعلى الرغم من تصاعد السكاني الذي يتجاوز المليار وربع المليار مسلم، ومنهم آلاف الأدمغة المهاجرة التي تعمل في خدمة الدول الأجنبية وتسهم في رقيها، فإن ما تخصصه هذه الدول - على تباين فيما بينها - من أموال ومن برامج ومشروعات لتبليغ رسالة الإسلام إلى شعوب العالم وإنقاذها من ظلمات الضلال في التيه وسوء المصير في الآخرة، وتسخير من قدراتها في المعترك الدولي هو أمر مؤسف جداً، إذا ما قورن بما تحظى به المسيحية والصهيونية وسائر المذاهب والحركات الهدامة من جهود للانتشار والتمكين في العالم. والبيت حتى هذا الأمر المؤسف، أن هذه الجهود المحدودة لا تنطلق من رؤية موحدة رشيدة، وضمن خطط علمية موحدة، ويقتضي من ثم خطاباً منهجياً ووسطاً وموحداً يناسب طبيعة العصر ومتطلباته.

2- كثير ممن يهديهم الله إلى الإسلام هم أعلام مشهورون في مجتمعاتهم المحلية، وبعضهم لهم شهرة محلية وعالمية، علماء ومفكرون وكتّاب وفنانون، ولهم تأثير كبير في الآخرين، لكن قليلاً منهم من اتجه وجهة الدعوة إلى دين الله وطلب علمه أو ميزته أو مكانته أو ثروته بهذه الدعوة. من هؤلاء كات ستيفنز المغني العالمي المعروف الذي تسمى بيوسف الإسلام، ويذكر فنه وماله وحياته للدعوة إلى الله. وكذلك الأمريكية المسلمة مريم جميلة، والمستشرقان الألمانيان أنا ماري شيمل، ومراد هوفمان، وغيرهم كثير. هؤلاء لا شك في أنهم واعون بمقتضيات العصر ويمتلكون أدوات التصور الناجعة، وفي الإمكان توحيد جهودهم وتوجيهها من أجل تقديم خطاب إسلامي دال وفعال، ويجب ضم كلمة المسلمين في برامجهم واستقدامهم الخطاب العلمي الموحد باستقطابهم إلى برنامج علمي جاد يجمع ضمن أولئك الموهوبين الجيد والقادرين على تقديم الخطاب العالمي المطلوب.

> **قليلة تلك الجهود التي اتجهت إلى شعوب العالم بخطاب علمي موضوعي وخالص لوجه الله، ومعظم هذه الجهود هي جهود فردية عصامية، وقد باركها الله وصحب إخلاص أصحابها**

3- الحوار الإسلامي - المسيحي هو أحد السبل التي حاولت من خلاله عدة منظمات ومؤسسات إسلامية تمرير خطابها الإسلامي في عدة ملتقيات معروفة. وهو سنة حميدة في امتداد لذلك الحوار الذي كان يجريه أسلافنا مع أهل الكتاب عبر عصور السيادة الفكرية والحضارية في القديم، لكن فكرة الحوار مع الأديان الأخرى لم تنل في هذا العصر العناية التي توليها المنظمات المسيحية لذلك الغرض. يقول الأستاذ محمد السماك في كتابه الصادر في 1998: فإن المنظمات المسيحية الكبرى قامت بمراجعة شاملة للأعمال التي قامت بها لتوجيه برمجة مشاريعها المستقبلية، وهو أمر لا تعانيها فيه المنظمات الإسلامية. ويشهد نهاية القرن العشرين أربعة مؤتمرات مسيحية دولية يدعى مسلمون لمشاركة فيها. ويقول أيضاً: مهمة هذه المؤتمرات الدولية الأربعة الكبرى تقييم الحوارات بين الأديان التي جرت في العقود الخمسة الماضية، ومن ثم وضع برامج جديدة في ضوء التجارب الماضية لتقرير

أي نوع من العلاقة يمكن أن تقوم بين المسيحية والإسلام تحديداً.. وقد لاحظ الأستاذ السماك أن المسلمين لم يتقدموا أي مبادرة لعقد مؤتمر شبيه بتلك المؤتمرات وأنهم في غياب تلك المبادرة هم بين اثنين: أما أنهم غير ... إذ لم يتحمسوا للاشتراك فيها، فإنهم يحرمون أنفسهم ويوحون للآخرين بأن الإسلام سلبي منكفئ على نفسه وإذا لبوا الدعوات فإنهم يستجيبون لشروط الداعين، ثم إن الإسلام غالبا ما يوضع في هذه المؤتمرات الدولية موضع المتهم بالإرهاب وبانتهاك حقوق الإنسان، وهو ما يضع المسلمين المشاركين موضع المدافعين عن دينهم. وهو تكتيك -على حد قوله- يضعف من الحضور الإسلامي ويحد من دوره. (انظر 80/ 72-73).

ومع صعوبة الحكم في هذا المقام على مسيرة هذا الحوار وما أدى إليه من نتائج، فأعتقد أن هذا الحوار لم يكن قائماً على خطة شاملة وتعاون بين المسلمين أنفسهم، شأن أي عمل إسلامي آخر. وبخاصة، فهو حوار يبعد أن يكون في مجمله خالصا لوجه الله، بقدر ما هو في الغالب بخدمة الأهداف السياسية والضغوط الدولية والمصالح المؤقتة. (انظر 19/15 ـ 60).

٤- قلة تلك الجهود التي اتجهت إلى شعوب العالم بخطاب علمي موضوعي وخالص لوجه الله ومعظم هذه الجهود هي جهود فردية عصامية وقد بارك الله فيها بسبب إخلاص أصحابها. وأشهر مثل في هذا المجال ما قام به الداعية المسلم العالمي أحمد ديدات الذي أدى رسالته في محاورة أهل الكتاب باقتدار عظيم كان محل الإعجاب، ووهب أعماله كلها صدقة جارية في سبيل الله. وكذلك ما قدمه المفكر الإسلامي الكبير وحيد الدين خان الذي أثرى المكتبة الإسلامية بعدد من المؤلفات والمقالات الإسلامية القيمة. وهناك أعلام مسلمون آخرون أسهموا بتقديم آثار علمية جليلة بأكثر من لغة أجنبية، كلها جديرة بإعادة النشر في طبعات منقحة، يتم توزيعها من خلال برامج منهجية واتصال مباشر بالمؤسسات الثقافية والعلمية في مختلف بلاد العالم غير المسلم.

٥- بعد حادث الحادي عشر من سبتمبر في نيويورك المعروف، صار منعطفاً بارزاً في نظر الغرب بخاصة وبنظر العالم بعامة إلى الإسلام والمسلمين وبالذي ما ترتب على هذا الحادث من نتائج وجهة على الإسلام والمسلمين، فقد حمل الحدث كثيراً من الأجانب في مختلف بقاع العالم للتعرف على حقيقة هذا الدين الذي تحملوا فيه من -كما يزعمون- الباعث الأساسي على ما أسموه الإرهاب. ومعلوم أن الخطاب الإسلامي للعالم والموجه باللغات غير العربية هو خطاب ضعيف ومحدود جداً من جهة الانتشار والتأثير. وإن كتابات المستشرقين والمبشرين أو المتخصصين في الشؤون الإسلامية من غير المسلمين هي المصدر الأساسي للأجانب، وبكثير من المسلمين الذين لا يعرفون العربية أو لا يتقنونها وإن كان الفعل أسرع تأثيراً من الكتابة وأشد وقعاً وانتشاراً. فقد كان لمشاهد المأساة في ذلك الحادث من الخراب وقتل الضحايا الأبرياء وما تلاه التالي من الهلع والفزع أثر وأصداء بعيدة المدى، ليس في نفوس الغرب، بل في نفس كل ذي عقل وإحساس. بهذا السلوك الأرعن الذي لا يرتضيه الإسلام مطلقاً، توارت في النفوس كل صور حسنة عن الإسلام، وصمته مكانية يقين بالعنف. أثبته الواقع واعترف به الجناة. وهو أقوى أنواع التشهير ... من هذا غير مسلمي الإسلام، وهيهات لهذه الصورة القاتمة المنكرة أن تمحى وأن يحل محلها ما يثبت العكس ويصحح صورة

الإسلام الحق، وفي الوقت الذي تجتهد فيه الحركة الصهيونية لتأكيد تلك الصورة القاتمة في أذهان من في قلوب شعوب الأرض ضد الإسلام بكل وسائلها الإعلامية والسياسية مستغلة سوء الاستشهاد البطولي في فلسطين، يعمل المسلمون ومن بينهم العرب وعلى رأسهم شعوب في فلسطين في تشتت وضياع، وتعميق خلافاتهم، وإهمال تصحيح صورتهم أمام العالم. ولا شك في أن الأثرياء العرب والمسلمين الذين جمد الغرب ملياراتهم بعد ذلك الحادث المحكوم، والذين وظفوا شطراً منها قبل ذلك في مشروعات جوهرية، وسخروا بعضها في مسراتهم الشخصية وهواياتهم المختصة، كان في وسعهم لو أنهم أنفقوا الثلث في بيتهم وأنفسهم لتسخير أكبر وسائل الإعلام والنشر العالمية، وشراء كبرى الصحف والقنوات الفضائية لخدمة الخطاب الإسلامي بكل أنواعه ومستوياته، وإبلاغ البشرية في كل ديارها وبمختلف لغاتها رسالة الهدى والحق

الأثرياء العرب والمسلمين الذين جمد الغرب ملياراتهم كان في وسعهم لو أنهم أنفقوا الثلث في بيتهم وأنفسهم لتسخير أكبر وسائل الإعلام والنشر العالمية، لخدمة الخطاب الإسلامي بكل أنواعه ومستوياته، وإبلاغ البشرية في كل ديارها وبمختلف لغاتها رسالة الهدى والحق

أنواع الخطاب الإسلامي:

انعكاساً لما مر ويمر بأمتنا من ظروف عاصفة وهزات مروعة ومآسٍ مزمنة، ولا سيما بعد حادثة الحادي عشر من سبتمبر المعروفة تعددت أنواع الخطاب الإسلامي بخاصة والعربي عامة معبرة من وجهات النظر الرسمية وغير الرسمية وممثلة لمختلف التيارات والاتجاهات، والمتتبع للخطاب الإسلامي بخاصة يمكنه أن يلاحظ ـ كما يرى د. محمد عمارة ـ فرقاً مميزاً بين المنشقين السنية والشيعية، وهو أنه لا عصمة لعالم دين ولا لمؤسسة العلم الديني لدى مسلمي السنة وهم غالبية المسلمين، وأما أنواع الخطاب التي يمكن استخلاصها من مجموع الملاحظات والملامح السابق ذكرها فهي الآتية: (انظر 5/ ق ـ 39)

1ـ خطاب الوسطية الإسلامية: الذي تمثله مدرسة الإحياء والتجديد والجمع بين الأصالة والمعاصرة ومواجهة الأحداث بواقعية ومرونة وحكمة، ويتصدر هذا الاتجاه عدد من العلماء والدعاة والمفكرين والكتاب من بينهم: د. يوسف القرضاوي ود. عيسى الصالح ود. محمد عمارة والشيخ محمد الغزالي ود. محمد حلمي ووحيد الدين خان وفهمي هويدي وغيرهم كثير، وهو كما يسميه الإمام محمد عبده خطاب الهداية الأربع: العقل والنقل والتجربة والعاطفة، وهو الأوسع دائرة وانتشاراً في عالم الإسلام.

2ـ خطاب الاتجاهات الصوفية: التي يرتكز على التجارب الروحية وعلم القلوب والتأملات، ويصدر عن فرق متعددة، تتفاوت في قربها أو بعدها عن روح الشريعة وحقيقة الإسلام، لذلك يشوب خطاب بعضها شوائب من الدروشة والخرافات والانحرافات، وقد سخرت بعض الأنظمة السياسية هذه الطرق لتخدير الناس وإلهائهم عن واقع الحياة، وسمحت بنشر الكتب والرسائل التي تمثل هذه الاتجاهات دون توجيه أو رقابة، ومن المؤسف أن بعض مؤسسات الدراسات العليا أجازت أطروحات عن بعض الأولياء لا تضيف أي قيمة علمية ولا أي نفع للمجتمع والحياة

3 ـ الخطاب السلفي أو النصي: وهو ما يصدر في بعض البيئات التي تلتزم بمذهب معين، ويتبناه النظام القائم ويوظفه لصالحه. فيوجه أصحاب هذا الخطاب كل جهودهم إلى مسائل العقيدة والعبادات والأحوال الشخصية والحدود والمظاهر الشكلية كالاختلاط والأزياء والعقائد والموالد، ويرفضون الخروج عن كثير من الخطاب الذي يمس حياة الناس من طبيعية وتصوير ومصادرة الحريات والحقوق السياسية ويرفضون الانفتاح الواعي على ثقافات الآخرين. وقد بلغ الأمر ببعض رموز هذا الاتجاه أن شكك في كروية الأرض ودورانها حول الشمس، ونفى صعود الإنسان إلى القمر، وهاجم بعضهم الأشاعرة والماتريدية وكل قائل بالمجاز، بل تعرض بعضهم لمهاجمة عدد من العلماء والكتّاب واتهموهم قدحاً ورمياً بالفسوق والضلال والتكفير، بحجة أنهم خالفوهم في تمسكهم وتشبثهم بحرفية النصوص. وقد استطاب الغرب هذا النوع من الخطاب، بل احتضنوه وساندوه واستخدموا استغلاله في ظروف الصراع المسلح بينهم وبين الاتحاد السوفياتي في أفغانستان، فلما انحسر الدب الروسي وانتهت الحرب الساخنة والباردة بينهما، أخذ الغرب يعيد حساباته مع أتباع هذا الفكر، حتى إذا التقوا عليه في عقر داره، وكان ما كان في الحادي عشر المشهود في نيويورك، لتشن هذه الحرب هجوماً يصمهم بالإرهاب العالمي ويعلن عليهم حرباً شعواء لا تبقي ولا تذر.

4 ـ خطاب الرفض والاحتجاج والعنف والتخريب: وتمثله نسبة ضئيلة من الناس، وأكثرهم من الشباب المتحمس منهم من العاطلين والمحبطين في حياتهم أو المتعرضين للاعتقالات أو المعذبين في دينهم بالسخرية أو اتهامهم أو بأي وسيلة أخرى. ومعظم هؤلاء سطحيون ومن ذوي الثقافة السطحية المحنطة والمكتسبة من كتب غير المتخصصة ومن الأشرطة والملفات السرية الخاصة. وهم لا يقبلون حواراً ولا يؤمنون بالمنهج الإصلاحي المتدرج، ويصرون على الأمر المباشر على مخالفة الأمور، لفرض الشريعة بالقوة وتغيير مظاهر الحياة المعاصرة والعودة بها إلى عصر النبوة والخلفاء الراشدين. لذلك فهم يحرمون التلفاز والصور والتصوير ووضع الساعة في المعصم الأيسر، بل يحرم بعضهم الصلاة مع الآخرين ويبطلون معاملاتهم الشرعية. وقد تمثل خطابهم في بعض الساحات العربية في جماعة التكفير والهجرة وفي مظاهر سلوكية إجرامية نالت من الأبرياء وأشاعت التخريب والفزع والفوضى. أما الذين تمكنوا منهم إلى الخارج فقد شكل بعضهم فصائل ضمن احتضنهم الغرب في حربه ضد الروس ـ كما تقدم ـ ثم صاروا جزءاً من تنظيم القاعدة المعروف (انظر/ 3/ ...129 ...).

ولئن كان الإرهاب الذي مارسته تلك التنظيمات هو تعبير بليغ صارخ من موقفها من أنظمة الحكم الداخلية والدولية الكبرى، ومن أوضاع الفوضى والتخلف وقهر الإنسان المسلم وضياع حقوقه وكرامته وثرواته، فهو أسوأ ما كان به أن يمثله والسعي بمعنى الإسلام في معالجة مثل هذه الأمور. ذلك أن هذا النوع من الخطاب العنفي المتهور أساء كل الإساءة إلى الإسلام والمسلمين في كل مكان، ولم يحقق ذرة من خير.

صور الخطاب:

قدمنا أن للخطاب صوراً متعددة، بين مقروء

ومسموع ومرئي. ولما كان للأداة المختارة لتعميم الخطاب أهميتها في إيصاله إلى الآخرين وإقناعهم به، فقد صار من الضروري مراعاة هذه الحقيقة دائما. ومن هنا فلا بد من أن يكون المقروء مطبوعا بصياغة فائقة وإخراج جذاب، يغري بالاقتناء والقراءة، وأن يكون المسموع أو المسموع المرئي معتنى بصياغته أيضا من ناحية وإخراجه وأسلوب تقديمه، وكذلك في ملاءمته للمخاطب من حيث سنه وثقافته ومهنته وظروفه. فإذا كان المسموع أو المرئي شخصا يتحدث أو يحاور، فيجب أن يعتنى بصياغة إضافة إلى ما سبق في مظهره واستئناس النفوس به، وفي طلاقة لسانه وقوة حجته، إلى جانب تمكنه من موضوعه وتبحره في مجاله. ونستعرض أن نستعرض صورا أو أساليب الخطاب وأبرز ملامحها في واقعنا المعاصر:

1. خطبة الجمعة: وهي وسيلة فعالة إن أحسن استخدامها، لكنها تشكو اليوم من الكثير من المآخذ، كاعتمادها في بعض القرى والأرياف على كتب قديمة قد تجاوزها الزمن بأجيال وأجيال، أو تركيزها على الترهيب والترغيب في كل ما يخص الحياة، أو توظيفها في بعض البيئات لأغراض النظام، أو أن الذين يتولونها هم مستويات متفاوتة ما بين تقليدي شكلي متمسك من أفكاره ولغته وطريقة أدائه، أو مبالغ في الإطالة كخاطب ليس، أو منفر عبر كثير المخاطب عليه فيملل ويسخر من بعضه ومن الآخرين، أو بوق للنظام يردد ما يملى عليه، وقلما نجد خطيبا ناجحا موفقا في رسالته. ولهذه الأسباب ولغيرها نجد أن خطب المساجد الآن هي في معظمها شكلية لا روح فيها وليس لها أي صدى (انظر 6/1641).

2. الوعظ والإرشاد: وهو وسيلة تعاني مما يعاني منه الخطيب، علما أنها حاجة ماسة في الحياة العامة، ويقف خاتمة لها حضور الخطيب على البلاد العربية والإسلامية عند بعض ساعات التكبير فيها. هذه الوسيلة سيجة طريقة سياسية فاضطر إلى هجرها كثير من ذوي الكفاية العلمية والأسلوب الصالحة، وتولاها غيرهم من ذوي المعرفة المحدودة بالأساطير والأوهام، أو من ذوي التأهيل الذاتي، أي بالوجادة دون أسناد وبغير منهاج سليم، فنتج لهذا الضرب من الخطاب الديني سلبيات كثيرة هي انعكاس لشيوع الأمية ومستوى وعي الناس ومدى ثقافتهم.

3. الصحف والمجلات: عرفت أمتنا على امتداد ساحاتها من المحيط الأطلسي غربا إلى أرخبيل الملايو، ولا نزال نشهد سيلا من الصحف والمجلات الإسلامية المتخصصة والعامة، وهي تصدر بكل اللغات والمذاهب والأحزاب والاتجاهات الجماعية والفردية، الرسمية وغير الرسمية، ومن هنا تعددت فيها ألوان الخطاب وتفاوتت درجاتها ما بين متزمت ومنفتح ومتسامح، لذلك فهي خير ممثل واضح عاكس لتلك المظاهر التي استعرضناها على الصعيد الدعوي أو العملي. والحق أن كثيرا من هذه المنابر الورقية قد أخذت كثيرا من أساليب البهرجة، وصوبت جهدها في الإسهام في خدمة قضايا الإسلام والرد على منتقديه وتوعية المسلمين وتحليل أوضاعهم ودراسة مشكلاتهم واقتراح الحلول من زوايا نظرها الخاصة والمتفاوتة، ولكن نتيجة غياب مرجعية إسلامية عليا تقدم رؤية علمية عامة وتضع استراتيجية كاملة للعمل الإسلامي، وتحدد المعايير العامة التي يحتكم إليها عند الخلاف والاجتهاد، وأصبح التنافس في مختلف وسائل الفكر والعقيدة والمعاملات وسائر شؤون الحياة، ضاعت مصلحة الإسلام أولا ثم مصلحة المسلمين، وضاعت الجهود في الاختلاف العقيم، وتعددت

جهات الصراع، ويخرج الأمر في بعض الأحيان إلى أساليب التجريح والتفسيق والتكفير.

ولعل عددا من المآخذ التي تتصل ببعض تلك الصحف والمجلات مثلا: التصدي أو تولي الرد على الانتقادات أو كتابات المتحاملين على الإسلام إلى أقلام قاصرة عن مقارعة أصحاب خصومها. وأكتفي هنا بالإشارة إلى مثال يدل على هذا، وهو أنه عندما صدر كتاب «الحكومة الإسلامية» للخميني انتدب أحد الكتاب في مجلة شهيرة، فدبج مقالاً عاطفياً مشحوناً بالعاطفة والاعتداد، ويشير على التي، وقد كان هذا المقال بعيداً عن المستوى المردود عليه منهجياً ولغة ومصطلحاً وثقافة، فقد سنح الفرصة لصاحب الكتاب لكي يجعل منه مرآة يتندر بها ويضحك عليها القراء في مقال يكتب به فيما بعد ذلك. ويشكو منه الواقع كثير في صحافتنا العربية التي تعطي انطباعاً بتقديم كثير من المدافعين عن الإسلام وضعف ثقافتهم بسبب تخلفهم عن ثقافة العصر وعلومه ومناهجه، وتمكن المتهجمين واقتدارهم في ذلك.

> **عرفت المكتبة عبر امتداد ما تطرحه منابر من الصحف والمجلات الإسلامية المتخصصة والعامة، ومن منابر تلك الهيئات والمذاهب والأحزاب والاتجاهات الجماعية والفردية، الرسمية وغير الرسمية، ومن هنا تعددت فيها ألوان الخطاب وتفاوتت مستوياته ما بين متزن ومعتدل ومتساهل.**

ولعل من أسوأ المواجهات التي يستخدم فيها عامة الخطاب الإسلامي إذا لم يكن على المستوى المطلوب وعلى الدرجة المناسبة أن يتربص به المتهجمون والمستشرقون للاصطياد وتتبع الضعف والمثالب في الماء العكر، فيحكموا على صاحبه ويهولوا على صاحبه بكل ما أوتوا من أساليب التهويل والدحض والتحجير والسخرية، بل ربما استعانوا عليه بالرسم الساخر الكاريكاتيري، وهو ما يحدث خلال الضجة الكبيرة التي قامت حول رواية (وليمة لأعشاب البحر) مثلا.

4 - الكتب: وهي ألوان من الاتجاهات والاجتهادات والاهتمامات التي تتناول الإسلام في مختلف جوانبه وأبعاده وقضاياه بالتعريف والتوضيح والعرض والنقد والتحليل، ومحاورة الآخرين والرد على خصومه ومنتقديه. فهي تشكيلة فسيفسائية كبيرة، تتفاوت في مستوياتها واهتماماتها، وفي مناهجها وأساليبها. ولعل أبرز خصائصها أنها متحيرة بين العمق الشديد والتبسيط المخل والسطحية أحيانا بموضوعات عاطفية لجمهور عريض. وهو ما لاحظه د. عمر عبد السلام يقول عن الكتاب الإسلامي: فنجده يتراوح بين العمق الشديد والتبسيط المخل والاهتمام في الغالب بموضوعات أحداث التاريخ... هامشية ومعارك جانبية في الدين... كالسحر والجن والسحر والعين، وترديد في الغالب أحاديث ضعيفة ومنع أغلبه نصوصه من المختصين، وغالبا لا تهتم بتجديد المسلمين المعرفية. (2)

ومن الكتب التي عرفت الأسواق ومعارض الكتب في السنوات الأخيرة تلك التي استهدفت قذف العلماء والدعاة المعتدلين وتسفيه جهودهم، وإحياء الخلافات القديمة وإذكاء نارها، واتهام المخالفين بالضلالة والعمالة والفسق، وقد يصل الأمر إلى التكفير أحيانا. وفي المقابل تموج المكتبات العربية الآن بعشرات الكتب التي تتناول الوحي والنبوة والشريعة والتراث عامة من خلال مفاهيم النص والتلقي والقراءة والتفسير والتأويل والرمز والأسطورة، متذرعة بمناهج الحداثة والتحليل النفسي

والاجتماعي والإنساني والأنثروبولوجي والابستمولوجي والأسلوبي والبنيوي والتفكيكي ... الخ، فهي مشروعات في تقويض القديم وموروثاتنا الدينية والثقافية. على حين تخلو الساحة من الدراسات العلمية الرصينة التي تتكفل بمحاورة تلك الكتابات بهدوء وموضوعية واقتدار يكون في مستواها بموضوعه وتماسكه بمصطلحاته ومناهجه وأسلوب خطابه.

وبعد فقد قدم كثير من الصحويين دراسات جيدة في ترشيد الصحوة الإسلامية الوسطية وتوعيتها بحقائق الدين وسماحته، ومحاربة الغلو والتطرف وعدم التعصب وتوجيه الشباب في مواجهة مصادرة الحريات والحقوق ومواجهة التيارات العسكرية المتطرفة وألوان الإسراف والإرهاب، غير أن بعض هذه الكتب تم مصادرتها أحيانا من قبل أجهزة النظام مع أنها أفضل وسيلة لإقناع الشباب وحمايته من كل ما يؤدي به إلى خلخلة الأمن والاصطدام بالسلطة وبث الفوضى والشغب في البلاد. بل ما أحرى أن تقرر هذه الكتب وتدرس في مراحل التعليم المتوسط والعالي في كل بلاد المسلمين بينما يجد القراء في بعض المساجد من مواقف الإسلامي الشامخ بجميع أنواع الكتب بكل اتجاهاتها ومدارسها ومستوياتها مؤلفة ومترجمة ومحققة. يعاني الشيء في ساحات أخرى من تحكم الرقابة ومصادرة أنواع من العناوين وأسماء من الكتب والمؤلفين، والأمثلة كثيرة ولا داعي لذكرها تجنبا للإحراج. وهو سلوك يدعو في عصر عوالم الإنترنت إلى الدهشة والرثاء. وترجع بعض أسباب هذه الظاهرة المتخلفة التي طبقتها بعض الأنظمة الحاكمة إلى صدور بعض الكتب من مفكرين كبار في مراتب إسلامية تحمل اجتهادات وتطلعات كانت في حاجة إلى التريث واستشارة علماء الأمة الكبار ودراسة عواقب طرحها على الأمة في تلك الظروف. وقد جلبت هذه الكتابات ألوانا من الغضب السياسي الذي عاد على الحركات الإسلامية بنتائج لم تتوقعها ولم تكن في صالح الإسلام والأمة (انظر د/ ...).

٣ ـ الأشرطة والأقراص المدمجة: هي من وسائل الخطاب الفاعلة والمهمة التي وفرتها التقنية الحديثة، وقد أسهمت في إيصال المحاضرات والحوارات والمقابلات وكثير من الكتب المسجلة صوتيا، وكان لها دور كبير في إشاعة الثقافة الدينية الذاتية المعاصرة في أوساط الشباب بمختلف اتجاهاتها المتطرفة والمعتدلة. لذلك فهي ربما أسهمت في ترسيخ موجة الصحوة الإسلامية، بعدما أحدثت أحيانا ألوانا من الغلو والتطرف الفكري والسلوكي أحدثه وأذاعه ما يجري حيالنا من الانغلاق والتهميش داخل الأسر والمساجد. والسبب في ذلك أن هذه الخطابة ليست مبنية في معظمها على أسس علمية. وإنما هي خليط هش من المعلومات من غير إسناد موجه ولا متخصص خبير.

ولعل من أسوأ السلبيات التي يستخدمها الخطاب الإعلامي إذا لم يكن هو الموضوع المطلوب ويعني التوجيه المناسبة أن يترصد له المتشددون والمتطفلون للأخطاء ويلتقطون ... والعاملون في الإعلام ...

٤ ـ القنوات المسموعة والمرئية: وجد الخطاب الديني مجالا مباشرا وجديدا للوصول إلى كل الناس من خلال هذه القنوات، لكن نصيبه بين سائر ضروب الخطابات الأخرى محصور، وتوجهه ومستوى قرائه لا يزالان متخلفين عن المطلوب. ومن بين ما يلاحظ على هذا الخطاب في بعض تلك القنوات توجهه بمذهب معين يعني الناس على

شتويه عبر تقدير لمذهب السائل رمزه يؤدي أحيانًا إلى وقوع المسلمين في حيرة من أمره ويلاحظ على هذا الخطاب كذلك أن بعض الشخصيات التي تدعى للحديث باسمه ليست أهلًا لذلك حتى ليشعر أحيانًا المشاهد المتتبع لبعض التوجيهات أن ممثل هذا الخطاب قد اختير قصدًا ليكون أمام محاوره في موقف الضعف العجزي، ويقع في نوع [illegible] عن الأمر هو تحدي على الصواب والأحق بالإتباع، انظر 1/ 26 ـ 27.

4. الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت): وهي الأداة الأحدث والأوسع، غير أنها ليست في متناول كل الناس [illegible] كالتي [illegible] القنوات المشار في أكثر ديار المسلمين من فقر ومن تحكم في المجالات المعلنة ومن حرمها من [illegible] الوطنية ومتوقع المدنية [illegible] المواقع الإسلامية في هذه الشبكة [illegible] تعدد الأنواع والألوان من الخطاب [illegible] ومن المواقع [illegible] الهامة:

ISLAM ON LINE, ISLAM TODAY ومن المواقع التنصيرية الخطيرة على [illegible] السائل موقع Answering Islam وهو في الأصل اسم موقع إسلامي جيد وذلك للإيقاع بالقراء المسلمين في براثن التنصير ومن الضروري أن توجه جهود مكثفة لتوعية الشباب بخطورة هذه المواقع ومناهجها وبواعث القائمين عليها حتى يستطيعوا التمييز بين غثها وسمينها ومعرفة جوهرها من شرها، وهذا من صميم العمل الإسلامي المطلوب. انظر 1/ 29-30.

5. الملتقيات العلمية: (انظر 1/ 30 - 31) وهي من وسائل التواصل الفكري المهمة بين المختصين بأمور الخطاب الإسلامي أنفسهم وبينهم وبين أصحاب الخطابات غير الإسلامية على اختلافها [illegible] الإطار المحلي أو الدولي ثم بينهم وبين نظرائهم من أصحاب الخطابات الأجنبية على اختلاف مجالاتها ومذاهبها ومناهجها وأهدافها. ومما يجب أن يعلم هنا هو أن المجال على الصعيد العربي هو أكثر نسبيا مما هو على الصعيد الإسلامي ولا سيما بين السنة والشيعة أما ما يتصل بالصعيد الدولي أو الخارجي أي العالمي فهو محدود جدا، ومن أمثلة ملتقيات الحوار الإسلامي المسيحي التي [illegible] منه هنا وملتقيات مركز الدراسات العربية في باريس، ومن أهمها [illegible] حول الفرانكفونية وملتقيات [illegible] السكن والمرأة التي عقدت في طوكيو والقاهرة وبيجين وغيرها والملاحظ أن وجود الخطاب الإسلامي فيها [illegible] ضعيف التصور والتأثير أو لا وجود له البتة.

6. الدراما: (انظر 1/ 31) وهي المادة التي تقدمها تلك القنوات في صورة تمثيليات أو مسلسلات ومنها التي تقدمها القنوات العربية أو الإسلامية كما في إيران وتركيا مثلا، فالدراما وسيلة من أكثر الوسائل قبولا عند الناس وتأثيرا فيهم ويكفي أن نذكر هنا بعض الأعمال العالمية المتميزة مثل شريط الرسالة العربي وشريط مريم [illegible] عمران الإيراني وشريط [illegible] التركي، فهي تمثل لونا من الجهاد الديني المتقدم الذي [illegible] المسافات [illegible] السامية بكل ثقة ونجاح. ولاشك أن الرسالة العربية التي بعثت عشرات الأعمال التاريخية المهمة مثل: صلاح الدين الأيوبي وقمر الصحراء والجوارح والأشرطة المذكورة وغيرها، يمكنها أن تقدم الخطاب الإسلامي خدمات جليلة وبأساليب درامية بعيدة عن المباشرة والسطحية لتوصيل دعوة الإسلام بخصائصها السمحة إلى كل الشعوب.

تلك هي أبرز ألوان الخطاب الإسلامي وأهم صوره التي يتواصل بها مع الجماهير، وقبل أن نعرض هنا ما ينبغي أن يكون عليه هذا الخطاب ليستطيع مواجهة الواقع وما يموج فيه من أحداث وأفكار يحسن بنا أن نقارن بينه وبين خطاب الإعلامي العربي. (انظر 2/69...)

مقارنة بين الخطابين العربي والإسلامي

واضح تماماً أن معظم مؤسسات الإعلام العربي ولا سيما الرسمي منها لا تعطي للخطاب الإسلامي عناية كبيرة، بل تمارس معه نشاطاً من باب مجاملة المتدينين أو المخلصين أكثر من كونها رسالة من أجل الإصلاح والنهوض بالأمة. ولذلك فإن ما يقدم ومن يقدم لا بد أن يكون محل رضا الاتجاه السياسي القائم، ولا بد من أن يوظف لخدمة أفكار هذا النظام وتوجهاته. وخلال العقود الأخيرة كان من ملامح الخطاب السياسي والإعلامي العربي في موقفه من الخطاب الإسلامي تسليطه الضوء - كما يقول الأستاذ فهمي هويدي - على الأداء الشاذ لمختلف الجماعات الإسلامية الرافضة والمجددة ومهاجمة الإسلاميين كلهم دون استثناء بجريرة هذه التنظيمات، وقد استطاع ذلك الجهد بمبالغات ومزايدات إعلامية قلبت الصورة رأساً على عقب، فأصبح الاستثناء قاعدة، وأصبح الشذوذ والانحراف أصلاً، ومقت عنه الإسلام بعد انسقاط الدولة العثمانية عقب الانقلاب الكمالي عاد الإسلام يحمل مرة ثانية بعد شذوذ بعض الشباب وتطرفهم أو إرهابهم، حتى بدت الحملة الثانية مماثلة للأولى، ومستخدمة نفس عبارات الكماليين. وتجاوز خطاب الحملة المكثفة حدود الإسلام الرجعي الذي كان محور قضية الكماليين، وأضافت إليه سمات أخرى مثل الإرهابي والمتعصب (4/36د،57) وقد عبّر عن هذا الموقف كثير من المثقفين أمثال د. كمال أبو المجد وزير الإعلام الأسبق في مصر بقوله عن المثقفين المهيمنين على وسائل الإعلام: فإن أولئك المثقفين يختلفون في خطابهم عن قواعد العلم والمنطق والأعراف السائدة، ومنهم من يذهب إلى حد التخلي عن عبارات اللياقة والذوق السليم (4/242)، وقد لاحظ الأستاذ هويدي أن على الرغم من وجود هذا النوع من الاتجاهات المتطرفة فإن أحداً لم يقل ما حجمه أو وزنه ولا من هم دعاته ومن أين جاءوا ولماذا ظهروا في هذه المرحلة دون غيرها. لم يقل أحد منهم سوى شذوذ في المجتمع. أكثر من ذلك الجهد الهائل الذي يوجه لمواجهة الشذوذ والتطرف لم يصرف عشر معشاره لدعم حركة الاعتدال بل لم يذكر أصلاً أن هناك اعتدالاً يختلف عما يقدمه المتطرفون، وحرص البعض على تأكيد الانطباع بأنه ليس هناك اعتدال أو تطرف في الساحة الإسلامية، ولكن الجميع جزء من مؤامرة تختلف فيها الأدوار ولكن المصير أو جلهم واحد (4/137)".

الطاقة العربية التي أنبتت عشرات الأعمال التلفزيونية المتميزة يمكنها أن تخدم الخطاب الإسلامي خدمات جليلة وبأساليب مراعية بعيدة عن المباشرة والسطحية: لتحسين صورة الإسلام وحضارته الناصعة إلى كل الشعوب

وقد امتد البعض هذا إلى التضييق على الدراسات الإسلامية في بعض الساحات العربية وإلى التحرش بالشباب الملتزم إسلامياً، بل إلى منع بعض العلماء والوعاظ الذين لهم صيت واسع من الاتصال المباشر بالناس في المساجد أو عبر وسائل الإعلام، وفي الحق أن كثيراً من برامج الإعلام العربي في مجال هدم تكون ما يحاول الخطاب الإسلامي المعتدل أن يبني به الإنسان ويوعيه به

ويعتريه منه من تطرف وغلو وانحرافات، وتتجاهل تلك الأنظمة أن هذه السياسة إنما تعود بالوبال على استقرارها وأمنها وأمن رعاياها.

إن مدى حركة الخطاب الديني المعاصر – كما يقول أحد الدارسين (انظر ٢/١٥٢) - واستجابته للمتغيرات الواقعية والتحولات الحادثة في الواقع قليلة بحيث تصل إلى حد يقترب – أحيانا – من السكون أو التحجر، بحيث يعطله عن الواقع أو حاجات الحركة الاجتماعية. كما أن الاهتمام المبالغ فيه بالتاريخ يكاد يستلب ذلك الخطاب من واقعه، فينشغل بالماضي على حساب الحاضر والمستقبل، ثم إن الصراعات الجانبية التي غدت (موضة) موسمية، جعلته يتسم بتشوش الرؤية وافتقاد الوجهة، وكل ذلك يعطي على التجديد الإسلامي إلى حد كبير.

ولعل السبب في ذلك أن الخطابين يشتركان في كثير من العوامل والظروف، ويصدران عن مكونات ثقافية وسياسية ونفسية واحدة تقريبا (انظر ١/٥٢-٥٥).

> الجهد الهائل الذي يوجه لمواجهة الغلو والتطرف لم يصرف عشر معشاره لتشجيع حركة الاعتدال، بل لم يفكر أصلا أن هناك اعتدالا يختلف عما يطلقه المتطرفون.

التحديات التي تواجه الخطاب الإسلامي (انظر ١/[illegible])

طبيعي أن تزيد التحديات لهذا الخطاب، وتختلف من مرحلة إلى أخرى ومن عصر إلى آخر، وهذه الحقيقة تقتضي أن يتسع الخطاب بكل ما يؤهله لمواجهة تلك التحديات، وأن يطور من أدواته ومناهجه باستمرار، دون مساس بثوابته، ليكون في مستوى الأحداث والأفكار والمناهج الحديثة، وليكون قادرا دائما على التبليغ والإقناع، ويخاطب العالم بهذه الأساليب الجديدة بكل مستجداتها العلمية والتقنية، ويمكن الإشارة إلى أهم تلك التحديات على المستويين أو الصعيدين الداخلي والخارجي:

• ففي الصعيد الداخلي أو المحلي هناك تحديات عدة منها الآتية:

أ- أجهزة الثقافة والإعلام العربية بمختلف وسائلها فهي أولا تابعة للأنظمة القائمة، وتتبع كل دعم سياسي ومالي، وليس عليها أي خطر، لذلك فهي الأداة الأولى في شحن الأدمغة وتعبئة وتصوير النفوس وتوجيهها، وأسهموا أسلوبا في مواجهة الحركات الإسلامية تعميم الأحكام أحيانا دون تفريق بين المتدينين والمتطرفين، وعدم تمكين العلماء والكتاب المتخصصين والمعتدلين من نشر كتاباتهم أو تقديم برامجهم في أجهزة بعض الأنظمة لتوعية الناس ومحاورة أولئك المتطرفين.

ثم هي ثانيا مسخرة – وبنسبة عالية جدا – لإلهاء الناس ولا سيما الأطفال والشباب بمختلف أنواع التسليات والمسلسلات التي تقضي على الوقت أو تهدر الفكر، وتصرف الهمم عن الهموم والقضايا الجدية بتنمية المعارف والمهارات وخدمة المجتمع والدين والأمة. لذلك تضمنا بتحقيق كل هذا تحرص الأنظمة كل الحرص على انتقاء المسؤولين على هذه الأجهزة ممن تهم ولاء السياسة والتبعية والاستماتة في سبيل المناصب والمصالح. ونتيجة لهذه السياسات يحدث رد الفعل عند الجماعات المتطرفة، فبدلا من أن تستدرك تلك الأنظمة نفسها وتصحح أخطاءها وتعدل في معاملة رعاياها، تجدها تمضي في أسلوبها المعتاد، وتصر على القضاء التام والإرهاب المضاد حلا لذلك.

ب- منع المؤسسات الإسلامية المتخصصة في بعض الوطن العربي أو التضييق عليها والتحرش بها وهي التي تعد المتخصصين في مجال التدريس والإفتاء والوعظ والإرشاد والتوعية الدينية العامة، وكذلك غياب الثقافة الدينية المتنوعة والجهود

الخطاب الإسلامية الحديثة والمعاصرة في التعليم العام والعالي، وقد أدى ذلك إلى وجود فراغ كبير وجهل فاضح سائد. فاضطر الشباب بخاصة إلى الاتجاه نحو الاعتماد الذاتي في تلقي المعلومات الدينية من الأشرطة ومواقع الإنترنت وكثير من الكتب دون موجه أو أستاذ. وبذلك اكتسبوا ثقافة مضطربة هي سبب التطرف والانحراف.

ج ـ استفحال ظاهرة الكتابات العلمانية على اختلاف مشاربها ومنطلقاتها وأهدافها، وقد وانتهت الطرق لتحتد وتجد منابر لأقلامها وأصواتها. ومن أبرز هذه المنابر مجلات معروفة مثل: القاهرة المصرية ـ وقد توقفت عقب وفاة أحد أقلامها البارزة وهو صادق النيهوم ـ وروز اليوسف، وأدب ونقد [illegible]، والكشكول اللبنانية وغيرها، ومن الكتاب عبد الله القصيمي و[illegible] وصادق العظم وعبد الله العروي ونصر أبو زيد وسعيد العشماوي ومحمد أركون [illegible] وهشام جعيط وأحمد عبد المعطي حجازي وغيرهم كثيرون.

ويتجلى تحدي هؤلاء وأمثالهم في أنهم ينطلقون من اطلاع واسع وروافد ثقافية متعددة عربية وأجنبية، ويستخدمون مناهج ومصطلحات حديثة يفتقدها كثير من الكتاب الإسلاميين. ومن هنا فإن هذه الظاهرة تشكل ضربا من التحدي الخطير الذي يستدعي قصور كثير من الإسلاميين المعاصرين، وتغييب القادرين منهم، وتحيز الملأ المتنفذين، وتوفير الفرص للعلمانيين في منابر الثقافة والإعلام العامة.

د ـ حدة بهجة المتطرفين ـ حتى قتلتهم ـ في خطابهم، وضيق أفقهم الفكري، ورفضهم أشكال الانفتاح الواعي والمنتقي مما عند الآخرين، وتنكرهم لمبدأ الاختلاف، وافتقاد كثير منهم القدرة على الحوار والإقناع. ومثله هؤلاء المحسوبون على الخطاب الإسلامي بشكل مستمر تشويش وتكريه للخطاب المعتدل وعامل إعاقة وتضييع للجهود. وقد آثر بعضهم تسطير فتاوى بتكفير عدد من العلماء والكتاب المعاصرين المجتهدين، مثل هذه العناوين:

- معالم [illegible] الفكري عند القرضاوي.
- [illegible] الكتاب [illegible] في الرد على.
- الأفعى تتلوى في كتب
- السهام المصلية لأصحاب الدعاوى الكاذبة.
- [illegible] في [illegible] المثار.
- [illegible] على [illegible] الرحمن.

وما إلى غير هذه كثير. وهي جهود بعيدة عن أي صفة أخلاقية وإنسانية في ما يبدو لدى أصحابها أكثر من كونها تستهدف الحق والصواب. ولا تعود على الإسلام والمسلمين بخير. وما أحرى أصحابها بأن يوظفوها في توحيد صفوف المؤمنين وفي توجيههم بأخطار أعداء الإسلام الحقيقيين، بدلاً من هذا التجريح المجاني والعبث المتصل.

إن الخطاب الإسلامي له وجهه الخاص، فهو لا يستطيع ولا يستبدل في جوهره أي من ثوابته الأساسية المرتكزة على مكونه الشرعي المقدس مهما تغير الزمان والمكان والمتلقي.

2. أما أهم تحديات الفضاء الخارجي أو العالمي فهي تواجهنا من خلال المصادر الأجنبية الآتية:

المصادر العلمية والثقافية وهي

أ ـ قنوات البث المرئي.

ب ـ مواقع شبكات المعلومات.

ج ـ [illegible] السيئة.

د- الكتب والمجلات والصحف.

هـ- الدراسة في المعاهد والجامعات الغربية.

و- المشاركة في الندوات العلمية المشتركة.

ولا شك في أن لهذه المصادر إيجابيات كثيرة إن أحسن استخدامها، وكان المستخدم قويا في عقيدته ملماً بأصالته وهويته، محصناً ضد كل أنواع الدس والتشويه ومحاولات الاستشراق والتبشير وسموم الاستعمار بأساليبه الجديدة، وضد كل أنواع الإفساد الأخلاقي. وهي مصادر تكتنفها وسائل الإعلام العالمية الحديثة بتوصيل معظم وقائعها ومضامينها إلى كل مكان يصل إليه البث الجماهيري في كل أقطار الأرض. ويتمثل تحديها للخطاب الإسلامي في كونها بعيدة عن الارتجال والعشوائية، وأنها تعتمد في ما تقدمه من معارف وثقافات وفنون ودعايات على دراسات علمية ونفسية لشخصية المستهدفين بالخطاب. وإذا تذكرنا أن هذا الإعلام العالمي تمتلكه وتوجهه قوى الصهيونية العالمية العلنية منها والسرية كالماسونية وما يتفرع عنها من نوادٍ كالروتاري والليونز ومن هيمنة أمريكية وقرصنة صهيونية للقضاء على الأخلاق والقيم والهويات والأديان، أدركنا ضخامة هذا التحدي وضخامة مخططاته وإمكاناته المعتمدة على التخطيط والتنفيذ والمتابعة، وأدركنا أيضاً ضآلة جهودنا وتأخر مناهجنا وتخلف وسائلنا في هذه المعركة الخطيرة. (انظر 1/ 127)

إن صورة المسلم التي يرسمها كما تقدمها وسائل الإعلام العالمية هي في الغالب صورة الرجل المتخلف القادم من عصور الكهف، في فكره ومعتقده وشكله وسلوكه، الذي يختار التخلف والهمجية مبدأ والتخريب والإرهاب منهجاً، فالإسلام يشكل انفجاراً (انظر 1/ 92) أو صورة البدوي المترف المتهالك على ملذاته في دور القمار وعلب الليل. ولما كان مهماً جداً أن يختار النموذج الذي يقدم الخطاب إلى الآخرين، ليقع موقع القبول النفسي قبل الاقتناع العقلي، فإن خطابنا الإسلامي في حاجة إلى أن يقدمه أشخاص عصريون في مظهرهم وتفكيرهم، لكي يدرك الآخرون أن المسلم إنسان متحضر ونموذج جذاب في مظهره ومخبره. (انظر 1/ 102)

4- المصادر السياسية: وهي تتمثل في مجموعة الاجتماعات والتصريحات التي قام ويقوم بها كبار رجال السياسة في أمريكا وأوروبا عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر المعروفة، والتي تشكل حملة عدائية جديدة على الإسلام والمسلمين بحجة الحرب على الإرهاب الدولي، وقد اتخذت هذه الحملة عدة مظاهر دبلوماسية واقتصادية وعسكرية، تمخضت حتى الآن عن احتلال العراق، وإحداث مصطلحات سياسية جديدة في بعض الساحات العربية، كما طالبت الأنظمة الحاكمة بإجراء تعديلات في المقررات الدراسية الإسلامية وتكييف الخطاب الإسلامي المباشر وغير المباشر بما يخدم مصالح إسرائيل والأنظمة السياسية الغربية. (انظر 7، ص 21-28)

خصائص الخطاب الإسلامي الأمثل

تعددت جهود المفكرين والكتاب في تحديد هذه الخصائص، وذلك يرجع إلى تباين الأفهام واختلاف زوايا الرؤية والقدرة على استكناه أبعاد الخطاب والإحاطة به. ولقد وقفت على كثير من تلك الجهود لعدد من الكتاب منهم د. القرضاوي ود. عبد الملك منصور والأستاذ محمد عدنان سالم، ود. عصام أحمد البشير، ود. سعيد إسماعيل علي، ود. سعيد مراد، ود. علي جمعة، وغيرهم، ويرى هؤلاء على تباين في ما بينهم أن الخطاب الإسلامي الأمثل الذي يمثل الإسلام الحق المبرأ من شوائب الغلو والتطرف ومن ضلالات المنتحلين وسطوة الأهواء،

والذي يواكب تطور الحياة ويطبعه بروحه ومنهاجه وشريعته. لا بد من أن يتصف بالخصائص التالية وهي: ربانية المصدر والغاية ـ عالمية التوجه إنسانية المنطلق ـ أخلاقية المحتوى ـ اقتران العقل بالروح ـ الجمع بين المثال والواقع والأصالة والمعاصرة والمحلية والعالمية ـ التوازن والتعمق ـ الاتساع التنظير ـ تعدد المطالب ـ الوسطية والاعتدال ـ الحوار ـ التنوع ـ النمو والاطراد ـ وهو يدعو إلى الاجتهاد ولا يتحدى الثوابت ، يدعو التيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة ، يستشرف المستقبل ولا يتنكر للماضي ، يؤمن بالشورى والتدرج في اتخاذ القرار ، يحرم التعصب والإرهاب، ويحض على الجهاد ، يرفض الانغلاق والتحجر والتطرف والتكفير ويؤمن بالانفتاح والمرونة والتسامح (١/٤٨ـ٥٥ و ٢/٣٣ـ٤٢ و ٨/ ٨٤ـ١١٢ و ٩/ ٧٩ـ٨٤).

ولا ريب في أن هذا الخطاب المتكامل الذي تتطلع إليه كل هذه الخصائص لن يكون له وجود في دنيا الواقع الراهن بسبب ما هي عليه عقلية معظم الذين يمارسون الخطاب الإسلامي بمختلف صوره ومستوياته محليا وعالميا ، ذلك أنها عقلية هي نتاج مؤسسات التربوية والإعلامية وثمرة للمشكلات الأسرية والاجتماعية والثقافية التي لا تزال في معظمها مثقلة بكثير من المثالب ومتخلفة عن العصر.

فما الذي يعوقه من أن يتقدم ويرتقي إلى مستوى العصر ؟ إن الإجابة واضحة وتتنوع الحلول ويعرفها الجميع.

الخطاب الإسلامي المطلوب
واستراتيجية إصلاحه (٢/ ٩٩ـ١٠٨)

لقد نادى كثير من العلماء والمفكرين والكتاب والدارسين بضرورة الإسراع بتطوير الخطاب الإسلامي من واقعه الحالي والانطلاق به من خلال خطة علمية عصرية شاملة وجادة لتتحقق فيه تلك الخصائص التي تقدم ذكرها (١/ ٤٨). ويجب أن ينطلق الإعداد ، اتفق عدد كبير من الباحثين المشتغلين بقضية الخطاب في الدول الإسلامية والعربية ووضعوا جهودهم في برنامج عملي جاد يبدأ بإنجاز التوصيات الآتية:

1 ـ تكوين هيئة إسلامية عليا من رجال الفكر والدعوة المشهود لهم بالعلم والخبرة وإخلاص العمل لله تضع خطة منهجية شاملة لتطوير الخطاب الإسلامي بكل مستوياته وصوره وأساليبه، بما يمكنه من مواجهة الحاضر والمستقبل مواجهة واعية متمكنة ، ويتم هذا أولا بإعداد مسح شامل لطاقات الخبرة والقيادة، وثانياً بتوحيد جهود كل المؤسسات العلمية والدعوية الرسمية وغير الرسمية.

2 . محاورة هذه الهيئة العليا للجهات الرسمية المسؤولة عن أجهزة الإعلام والثقافة العربية لإقناعها بضرورة تنقية برامجها من مظاهر الميوعة وإفساد الأخلاق ، وإتاحة الفرص الكافية للعلماء والمفكرين المستنيرين لتقديم الإسلام الصحيح، فهذه أول خطوة جادة للقضاء العلمي على جذور التطرف والانحراف والإرهاب.

3 ـ محاولة هذه الهيئة العليا محاورة أصحاب الخطاب المتطرف وتعريف الناس به من خلال وسائل الإعلام العامة لتوعية الشباب بحقيقته وتحذيرهم من عواقب الانضمام إليه ، وإصدار فتاوى بمرجعية المجلس الأعلى للفقه الإسلامي وسائر المؤسسات الإسلامية الكبرى لترد الرد الشافي على هذا الخطاب.

4 ـ تخصيص أقسام أو شعب في كليات الإعلام الكبرى وكليات الدعوة لتدريس مجموعة من المواد التي تعد وتخرج متخصصين في مجال

الإعلام الإسلامي قادرين على أداء رسالتهم بما تمليه مستجدات الحياة وتتطلبه مواجهة العصر.

5 ـ التأكيد على مبدأ الوسطية والاعتدال كما يراه الإسلام، وذلك من خلال المقررات الدراسية والأنشطة الثقافية والاجتماعية الترفيهية، ومن خلال العمل الجمعية (3/ 54-55).

6 ـ الاهتمام بتعويد الناشئة على التفاهم وآداب التحاور وحسن الاستماع وتقبل الاختلاف، وغرس مبادئ التسامح والمرونة فيهم، وذلك عن طريق التربية الأسرية والمدرسية، ومن خلال الأناشيد والتمثيليات والمقررات الدراسية والمجلات والبرامج المسموعة والمرئية، كل ذلك لتنشئة أجيال بعيدة عن الغلو والتطرف، ولا تنجر في مزالق الرفض والتخريب والإرهاب.

7 ـ ضرورة قيام الحكومات العربية والإسلامية بإعادة النظر في آليات الخطاب الديني عامة والخطاب الإعلامي بخاصة، وإسناد مقاليد هذه المواقع الحساسة إلى أهلها المتخصصين القادرين ممن يخشون الله في علمهم ويحملون مصالح الأمة والوطن والدين، من كتاب ومؤلفين وخطباء ومنسقين ومخرجين ومقدمي برامج ومديرين ومسؤولين كبار.

8 ـ الاهتمام بالآداب الإسلامية وترجمتها إلى لغات الشعوب الإسلامية، وكذلك الاهتمام بالأعمال الدرامية التي تخدم الدعوة والقضايا الإسلامية والعمل على تمكينها من منافسة النتاج الدرامي العالمي المعاصر.

9 ـ إعداد موسوعة إسلامية شاملة بكل لغات العالم الحية، وذلك بأقلام طائفة من المتخصصين المسلمين، لتعريف الباحثين والدارسين بالإسلام الحق، بدلاً من اعتمادهم حتى الآن على موسوعات المستشرقين، وفي الوقت نفسه حصر الموسوعات والكتب المؤلفة عن الإسلام وذات المستوى الرفيع والصيت الذائع، لإعادة نشرها وترجمتها إلى عدة لغات حية وتوزيعها على مؤسسات التعليم والبحث العلمي ومؤسسات الثقافة والإعلام في كل دول العالم. ويشمل هذا البرنامج أيضاً كتابات الأجانب المنصفة والمنصفين من الإسلام.

10 ـ ضرورة قيام الخطاب الإسلامي المعتدل بالتواصل والحوار مع مؤسسات الأمم الأخرى العلمية والثقافية والدينية والتربوية والسياسية، والحرص على متابعة أنشطتها والمشاركة فيها، من خلال كفايات علمية متمكنة ومتخصصة واعية.

المراجع

1. الإسلام وتحرير الخطاب الديني، سلسلة فكر المواجهة، رابطة الجامعات الإسلامية، دار البيان، القاهرة 2006.
2. إشكالات الخطاب العربي المعاصر، كمال عبد اللطيف، نصر محمد عارف، دار الفكر المعاصر، بيروت 2000م.
3. [illegible] في الحركة الإسلامية المعاصرة، [illegible]، دار [illegible]، القاهرة [illegible].
4. [illegible]، القاهرة، [illegible].
5. الخطاب الديني بين التجديد والتبديد الأمريكي، محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة 2004.
6. ظاهرة التطرف [illegible]، محمد [illegible]، دار [illegible]، الجامعات [illegible]، الإسكندرية [illegible].
7. الخطاب الإسلامي في عصر العولمة، يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة [illegible].
8. مجلة الرسالة [illegible]، العدد [illegible].
9. محمد سعيد رمضان البوطي، [illegible]، دار الفكر المعاصر، [illegible].
10. [illegible] إلى [illegible] الإسلامي [illegible]، [illegible]، بيروت [illegible].

بحث

التلاحم الثقافي العربي ـ الأفريقي في مواجهة العولمة

د. علي الطاهر عريبي*

سأحاول في هذا البحث ربط ماضي التلاحم الثقافي العربي الإفريقي بحاضره وأبين بعجالة أثر الإسلام في ترسيخه ذلك لأن لهذا التلاحم أثر في خلق تكتل عربي أفريقي عبر وحدة الدين على الرغم من تأثره بمحاولات المستعمر المتكررة لقطع هذا التلاحم واجتثاثه من جذوره باستبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني وذلك في العهد الاستعماري للقارة. إلا أن هذه المحاولات لم يكتب لها النجاح لتصدي عصر الاستعمار ولتحرر معظم الدول الأفريقية من نيره في الستينات من القرن الماضي، ولعمق الروابط الثقافية بين العرب والأفارقة، أما في القرن الواحد والعشرين وفي ظل العولمة والنظام العالمي الجديد فإن افريقيا تتعرض من جديد لمخاطر الاستلاب الفكري والغزو الثقافي إذا لم تتحرك الشعوب الأفريقية هذا الخطر فإنها ستسلب إرادتها وستفقد هويتها

إن ما يعنينا في هذا السياق التعرف على كيفية انتقال المؤثرات العربية الإسلامية إلى افريقيا وأثرها في تعزيز الروابط الثقافية والاقتصادية ومن المعابر الرئيسية التي انتقلت عبرها، وما نتج عنها من نشوء حضارة عربية إفريقية متميزة في خصائصها واضحة في معالمها، وذلك لأن الشعوب الأفريقية أخذت نصيباً كبيراً من الحضارة العربية الإسلامية التي وجدت فيها متنفساً ومنبعاً لبناء مستقبلها، سواء كان ذلك سياسياً أو اجتماعياً، فتطبعت هذه الشعوب بالروح والثقافة العربيتين طوعاً لا قسراً والدليل على ذلك تجاور اللهجات الوطنية إلى جانب اللغة العربية

التي حافظت بمركزها كلغة للتخاطب والتعامل قبل سيطرة المستعمر وفرض ثقافته ونفوذه، والمعابر الرئيسية الثلاثة هي:

أولاً الساحل الشرقي لأفريقيا الذي لعب دوراً في نقل المؤثرات العربية الإسلامية إلى أواسط القارة وتوثيق الروابط بين سكان الخليج العربي والجزيرة العربية من جهة وشعوب شرق افريقيا من جهة أخرى

أما المعبر الثاني فهو مصر التي أدت دوراً مهماً في توثيق روابط شعوب وادي النيل، والمعبر الثالث موانئ الشمال الإفريقي ومدنه التي أدت إلى إرساء الروابط بينها وبين شعوب غرب افريقيا وذلك عن

* استاذ جامعي ليبيا

طريق الصحراء الكبرى التي كانت حلقة هامة من حلقات الاتصال الثقافي والاقتصادي والحضاري بين شمالها وجنوبها من بلاد غرب السودان.[1]

وتعد مصر في طليعة الأقطار العربية تمثلاً للعقيدة الإسلامية والثقافة العربية وتجسدت فيها كل مظاهر الحضارة الإسلامية والثقافة العربية وبذلك تبوأت مركز الصدارة في الوطن العربي في كثير من الأحيان في العصر الحديث، ومنها تسرب كثير من المؤثرات العربية بحكم موقعها الجغرافي المميز والذي جعلها تؤثر في افريقيا وتتأثر بها فكانت بمثابة الجسر الذي تعبر عليه الثقافة العربية والعقيدة الإسلامية إلى قارة افريقيا فضلاً عن علاقاتها التجارية بها حتى امتد التأثير المصري إلى منطقة البحيرات الاستوائية وبلاد الحبشة جنوباً.

إن تدفق المؤثرات العربية الإسلامية من طريق مصر إلى سودان وادي النيل أدى الى [illegible] في عقلية الثقافة العربية واللسان العربي في أجزاء كبيرة من البلاد، ثم انتشار الإسلام بين الوطنيين الذين كانوا يدينون بالمسيحية والمعتقدات الافريقية الأخرى، وصار الإسلام عامل ربط اجتماعي مهم بين شعوب سودان وادي النيل ذات الجذور العرقية المتباينة والثقافات المتنوعة واللغات المتعددة، كما أن تفاعل الثقافة العربية مع موروثات تلك الشعوب خلق مراكز قوى جديدة، تمثلت بقيام دول إسلامية كالعبدلاب والفونج والفور وتقلي، ونشأ جيل جديد من المواطنين

صار الإسلام عامل ربط اجتماعي مهم بين شعوب سودان وادي النيل ذات الجذور العرقية المتباينة والثقافات المتنوعة واللغات المتعددة

أخذوا على عاتقهم نشر الإسلام في المناطق التي لم يبلغها الدعوة بعد، كما تفاعل العرب القادمون من مصر مع المجتمع الجديد، ودخلت بعض المفردات الحبشية إلى لسانهم المحلي مثل ... وغيرها.[2]

إن التواصل العربي القادم من مصر أو عبر البحر الأحمر من افريقيا أدى الى نشأة الثقافة السواحلية واللغة السواحلية التي ظهرت في القرن العاشر الميلادي، وتمركزت في منطقة شرق افريقيا وبعض جزر المحيط الهندي. فاللغة السواحلية من أهم اللغات المستخدمة في الشرق الافريقي من حيث الانتشار وعدد الناطقين بها، وهي اللغة الرسمية لجمهورية تنزانيا الاتحادية واللغة الرسمية لجمهورية كينيا، وتستخدم على نطاق واسع في جنوب الصومال وأوغندا وفي رواندا وبوروندي وفي شرق الكنغو وشمال موزامبيق وجزر القمر، ويقدر عدد الناطقين بها حوالي 40 مليون نسمة، وتدرس في الجامعات ومعاهد اللغات في افريقيا وأوروبا وامريكا وآسيا، وتذاع برامج إذاعية بالسواحيلي من عدة محطات، وهي اللغة التي اعتمدتها اليونسكو كلغة عمل في مؤتمراتها.

يعود ارتباط اللغة السواحلية باللغة العربية منذ بزوغ فجر الإسلام إذ ما فتئت اللغة العربية تطعّم السواحلية بمفرداتها حتى قال بعض المفكرين إن السواحيلي ما هو إلا صيغة للغة العربية.[3]

وكان لوجود العرب الثقافي والإداري على طول

الساحل الشرقي للقارة الأفريقية أثره الواضح، إذ تقدر النسبة بين الكلمات الأجنبية التي دخلت السواحلية 20% من السواحلية المكتوبة و 30% في لغة الشعر السواحيلي القديم. وقد كتبت السواحيلي بالحرف العربي إلى أن خضع شرق أفريقيا إلى الاستعمار الذي عمل على استبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني.[1]

واستأثرت الثقافة الدينية في تلك الأماكن بأكبر جزء من المفردات العربية إذ تضمنت مجموعة من الألفاظ لها وظيفتها في أداء الفرائض الدينية مثل: دين (دين) صلاة (صلاة) إيماني (إيمان) عيبادة (عبادة) زكا (زكاة) [illegible] (صدقة) [illegible] (التضحية) [illegible] [illegible] (تحويل) (باب) توبة (توبة) ... الخ.

أما أوقات الصلاة مثل [illegible] بمعنى الفجر [illegible] والعصري، أما أيام الأسبوع: جمعة، جوما موزي (السبت)، جومابيلي (الأحد)، جوماتاتو (الاثنين) ... الخ.

وتوجد مفردات عربية كثيرة التداول في شؤون الحس والحياة العائلية الأفريقية مثل [illegible] (الطهارة) [illegible] (شرطة) وعرفة [illegible] كذلك في وصف علاقات الشخص بالأسرة مثل عامي (ابن العم أو العمة أو الخال أو الخالة) [illegible] (صديق) [illegible] عن الحياة الاجتماعية مثل [illegible] مهرو [illegible] الباقة [illegible] ... الخ.

وكذلك في المجالات التجارية فقد أخذت عدة مصطلحات تجارية مثل سيتا (ستة) وسابا (سبعة) وإيدشر (أحد عشر) وثيناشر (اثنا عشر) وكذلك مفاهيم البيع والشراء مثل بيع ثمن [illegible] بيع بالمزاد العلني وفائدة (ربح). وفي الإدارة مثل [illegible] الحكم البلدي وكلمة سوالي (زعيم) [illegible] شيخ القرية) وأيضا في السوقيات والمعلومات النحوية والأعمال الأدبية.[2]

وعلى الرغم من أن عددا من اللغات الأجنبية ساهمت في نمو السواحيلي* وتطويرها فإن اللغة العربية أثرت تأثيرا [illegible] وتبوأت مكانة خاصة في [illegible] الصدد [illegible] ويعترف السواحيلي بأهمية اللغة العربية في هذا الصدد والعمق الإسلامي.

يعود ارتباط اللغة السواحلية باللغة العربية منذ بزوغ فجر الإسلام إذ دعمت الثقافة العربية المعجم السواحلي بمفردات جديدة [illegible] بين السواحيليين [illegible] الأصيلة مبسطة لثقافة العربية

تمتد العلاقة الأفريقية بسكان جزيرة العرب والعراق إلى زمن طويل قبل الإسلام، ولكن مجيء الإسلام أدى إلى نقلة نوعية في تاريخ العلاقات الثقافية بين العرب والأفارقة حتى صار الإسلام الدعامة الأساسية للثقافة العربية وأصبحت اللغة العربية لسان العقيدة الإسلامية ومستودع الفكر الإسلامي، وصاحب انتشار الإسلام نشر أنماط من الثقافة العربية، واكتسبت العربية أو العروبة معنى جديدا، إذ أصبحت العروبة هي عروبة اللسان والثقافة، ومصر أولى الأقطار الأفريقية التي تأثرت بالعقيدة الإسلامية، وتأسست فيها الثقافة العربية فتصدرت الأقاليم الأفريقية في نشر الإسلام والثقافة

---

1 حسن يوسف [illegible]

2 [illegible] اللغة العربية في إثراء اللغة [illegible] الإسلام اليوم [illegible]

* [illegible] السواحيلي [illegible]

العربية في أجزاء كبيرة من القارة، وكان سودان وادي النيل بعد مصر أقرب البلاد المطلة على ساحل البحر الأحمر مطلاً للهجرة العربية [4].

أكدت بعض الدراسات الحديثة أن السواحلية وآدابها شديدة الارتباط باللغة العربية وبالدين الإسلامي، فيرى بعض الباحثين أن فهم الأدب السواحيلي بخصائصه الفنية [illegible] يتطلب إلماماً بالمسائل الدينية مثل تفسير القرآن والفلسفة الإسلامية، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى الاتصال القوي بين اللغة العربية التي هي لغة الإسلام ومعارفه والتي عن طريقها تلقى الأفارقة قسماً منه المعارف، فاللغة السواحلية ما هي إلا صيغة مبسطة للغة العربية.

[illegible] اتسع [illegible] التجارة من الجزيرة العربية ومنطقة الخليج نحو الشرق الإفريقي شملت التبادل عن [illegible] في [illegible] نتاج [illegible] تناسب [illegible] سكان تلك المناطق وسمحت اللغة العربية بنفسها بأن تكون هجين بين العربية والبانتو وتولدت من هذا التلاقح اللغة السواحلية التي كتبت بحروف عربية، مما سهل الاتصال والتفاهم بين المسلمين إلى جانب تلقي التعاليم الإسلامية [illegible] ومن الملفت للانتباه أن العرب المسلمين في مملكة النوبة بوادي النيل في شمال السودان [illegible] نفس سمات [illegible] بين العربية والبانتو التي تولدت منها السواحلية [5].

انتشرت اللغة السواحلية انتشاراً واسعاً فشملت الصومال وكينيا وملاوي وموزمبيق وتنزانيا وزائير ومدغشقر وجزر القمر، وانتشرت أخيراً في جنوب السودان، وتفاوتت استخداماتها بين أن تكون لغة أولى كما في جزيرة زنجبار والساحل الشرقي لكينيا، ولغة ثانية لغالبية سكان تنزانيا، ومستخدمة على نطاق ضيق كما في أوغندا وزائير واستعمالها لدى بعض المجموعات التي تسكن الصومال وموزمبيق [6].

[illegible] التشابه [illegible] على أن الصلات بين اللغة الأثيوبية والعربية القديمة والسبئية أو الحميرية ترجع إلى ما قبل بعثة الرسول ﷺ [illegible] كانت أوجه الشبه بين اللغات السامية الأثيوبية واللغة العربية القديمة في مجال التركيب والبناء الصوتي والقاموس يوضح أن تلك الصلة كانت قوية وذات جذور تاريخية بعيدة، وقد أطلقت كلمة أثيوبيا ثم الحبشة على تلك المناطق الواقعة على الساحل الغربي للبحر الأحمر وتشمل اليوم السودان وإرتريا الحالية [7].

انتشر الإسلام في أفريقيا بدرجة سريعة، وتغلغل إلى قلب الهضبة الحبشية، وتخطى ساحل شرق أفريقيا إلى المناطق الداخلية إلى كينيا وتنجانيقا.

انتشر الإسلام في أفريقيا بدرجة سريعة وتغلغل إلى قلب الهضبة الحبشية وتخطى ساحل شرق أفريقيا إلى المناطق الداخلية إلى كينيا وتنجانيقا [8].

ظل البحر الأحمر ولا يزال ممراً دائماً يصل بين جنوب الجزيرة العربية وشرق أفريقيا، كما أن هجرة المسلمين من مكة إلى الحبشة دليل على التواصل الاجتماعي بين العرب والأفارقة الذين سبق وأن تعاملوا معهم تجارياً وسياسياً، وكانت أكثر

---

(4) [illegible] حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، مكتبة النهضة المصرية [illegible]

(5) محمد عبد الله [illegible] [illegible]

(6) محمد عبد الله [illegible] المرجع السابق [illegible]

(7) محمد عبد الله [illegible] المرجع السابق [illegible]

(8) [illegible] الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار النهضة العربية [illegible]

المناطق تعاملاً مع العرب، وكان إتصالهم بالعرب قوياً بل توحدت أفريقيا حول عقيدة واحدة متحدة ولغة واحدة ألا وهي الثقافة العربية الإسلامية.[1]

إن ظهور الإسلام على الساحة الأفريقية في العصر الإسلامي كان له هدف سام هو نشر العقيدة الإسلامية، وتبعه بعد ذلك المد السياسي والعسكري ونشر اللغة العربية والحضارة العربية، وهكذا كانت مع الفتح وبسببه روابط متصلة مع أفريقيا شمالها وغربها وشرقها في المجالات الدينية والثقافية.[2]

ويؤكد التاريخ الإسلامي أن المسلمين الأوائل هاجروا إلى الحبشة هجرتين عبر البحر الأحمر بقيادة عثمان بن عفان، ولقي المسلمون كل ترحيب من النجاشي الذي رفض تسليمهم وإعادتهم إلى قريش، واشتملت هاتان الهجرتان على عدد من النساء، مما يدل على تأكد المسلمين بموافقة الحبشة على إيوائهم واستضافتهم، ولم يكن هذا التأكد إلا نتيجة تردد المسلمين أكثر من مرة على هذه الطريق، وكان هذا الشعور صحيحاً إذ كان المهاجرون في الحبشة يلقون كل ترحاب طيلة ست عشرة سنة ومن أجل هذا ظلت العلاقات الحميمة تربط كلاً من النجاشي والنبي ﷺ طيلة حياتهما، فتبادلا الهدايا أكثر من مرة، وكان النبي يحمل كثيراً من الود والحب للأحباش.[3]

وبسبب تلك العلاقات الحميمة، دخلت الألفاظ والمصطلحات إلى اللغة العربية من الحبشة على الرغم من أن معظم هذه الألفاظ أصلها ذات جذور سامية، ويؤكد علماء اللغة بأنها دخلت عن طريق الحبشة، ومن بين الألفاظ على سبيل المثال ما يعود إلى مسائل دينية كالحواريين ومنافق ومنبر ومحارب ومصحف وبرهان، ومنها ما يدل على أسماء الحيوانات كالحريش والزرافة والبغل والهرماس، وصيغة [illegible] الدالة على الجمع في اللغة العربية دخلت الحبشية مباشرة من طريق اليمن مثل (خلوة وخلول و[illegible] وأركوب: جماعة الركاب) الخ.[4]

إن إنتشار الإسلام عمل توسيع الروابط الثقافية في شمال وغرب أفريقيا، ولقد أكد أحد الباحثين أن الروابط الثقافية المتبادلة بين شمال أفريقيا ووسطها وغربها تمثلت بدرجة كبيرة في عهد الدولة الحفصية، وأثرت تأثيراً قوياً في جنوب الصحراء الكبرى، وذلك للعلاقات الطيبة بين سلاطين بني حفص وأمراء برنو، ومما دعم هذه الصلات التجارة والحج والتزاوج وتبادل الزيارات والسفارات والهدايا والهجرة من مكان إلى آخر. الأطروحة المغاربية بصفة عامة والتونسيين بصفة خاصة في الطب والتعليم والتأليف، وسعوا للحصول على الخيول العربية والسيوف التونسية واقتناء الكتب وطلب العلم.[5]

> اهتم المغاربة بنشر اللغة العربية في الأقطار الأفريقية وذلك من خلال [illegible] الرسمية واعتماد اللغة العربية في تسجيل العقود وفي شتى المجالات الثقافية، وفي كتابة المخطوطات والوثائق.

نشطت الدعوة للإسلام بعد سقوط غرناطة والتقاء المسلمين معها ونزوح بعض علمائهم في المدارس الأفريقية فانتشر الإسلام في أفريقيا بزوايا الأزهر وتوطدت العلاقات وترسخت، فقد

---

(1) [illegible] ص 37.
(2) [illegible]
(3) [illegible]
(4) [illegible]
(5) [illegible]

اجتاز الإسلام الصحراء واتجه صوب الغرب والشرق في حركة سريعة أذهلت المؤرخين، واعتنقه الأهالي بسرعة فائقة. اذ وجد الإسلام في مناطق «كانو - برنو» منذ سنة ٤٦ هـ ٦٦٦ (مسيحي)، وفي هذه السنة وصلت طلائع عقبة بن نافع إلى (كادار) والمرجح أن الطريق الذي سلكه عقبة وجنوده كان يربط طرابلس وكانم. وهذا الطريق كان له تأثيره اذ تحقق خلاله التأثير الإسلامي من «كانو - برنو» إلى مناطق أخرى في السودان الأوسط.

بدأ التأثير الإسلامي فعلياً منذ القرن الحادي عشر مسيحي عندما اعتنق حاكم «برنو» الماي «هوم جلمي» الإسلام، ثم امراء غانا والتكرور ومالي إلخ وهكذا تواجدت جماعات اسلامية في كل المراكز التجارية في الساحل الغربي امثال العلامي ... الهوسا. قام حكام برنو بحماية طريق الحج فكان بذلك تأثيره إبتداء من القرن الثاني عشر مسيحي، ولاحت طريقة تسمية لبناء علاقات فكرية وثقافية ودبلوماسية بين حكام الشمال الإفريقي وبين حكام (كانم - برنو).

ويعد الحاكم المسلم الماي «دونامه دبالمي» الذي خلف الماي «هوم جلمي» في الحكم أول من أنشأ علاقات ثقافية وسياسية مع حكام طرابلس ومصر أثناء ذهابه للأراضي المقدسة وعودته منها في القرن الثاني عشر وتوفي في الثالث عشر (*) انتشر الإسلام في بلاد المغرب (ليبيا تونس والجزائر والمغرب) على يد المسلمين العرب الذين جاوزوا فاتحين المنطقة حتى سواحل المحيط الأطلسي، واختلط المسلمون الذين قدموا من الجزيرة العربية بالعرب المستعربة الذين كان جلهم وشعبهم قد عرفوا الإسلام وتعلموا اللغة العربية لساناً لهم وبذلك ظهر جيل من المستعربين الذين حملوا لواء الإسلام والثقافة العربية عبر الصحراء الكبرى. ولم تكن الصحراء حاجزاً بل كانت بمثابة البحر المحيط يربط بين منطقتين، هذا وتجدر الإشارة هنا إلى أن المؤثرات الثقافية العربية والإسلامية التي حملها العرب من أقاليم شمال افريقيا إلى وسطها وغربها دخلت عبر أربعة منافذ كان للتجارة فيها أثر واضح، وأولها الطريق الذي يربط ليبيا وتونس بمنطقة بحيرة تشاد. وثانيها يربط تونس ببلاد الهوسا، وثالثها يربط الجزائر بأواسط نهر النيجر ورابعها يربط المغرب الأقصى بأعالي نهر النيجر ونهر السنغال.

لقد تمكن الوافدون بالتفقيه وتثبيت المصالح والعلاقات فيما بينهم ومضيفيهم، مما أدى إلى نشر الإسلام في السودان الأوسط مثل التكرور والفلانة والولوف والسوننكة والسهوية والصنغاي والماندنغو والهوسا والكانوري والكانمبو، وعلى النمط نفسه انتشر الإسلام في سودان وادي النيل، فالتجار جمعوا بين التجارة والدعوة إلى الإسلام وانتشرت الثقافة الإسلامية باللغة العربية والحرف العربي.

العولمة هي المفهوم الدال على نظام جديد للعالم في دور الإنجاز تستخدم الية من الرؤية الاقتصادية على أنه لحظة التطور التي وصلت اليها الرأسمالية، حيث تسعى العولمة الى ان تستبدل رأس المال الوطني برأس المال العالمي بما يترتب على ذلك من انقلاب جوهري في شبكة العلاقات التي تربط الإنسان بمواطنه وبالآخر من جهة وبتاريخه وميراثه الثقافي والحضاري بصفة عامة من جهة اخرى.

(*) [illegible]

وكان من بين أهم المدن التي أنشئت مدينة تمبكتو (تنبكتو) التي تقاطر عليها التجار وأهل العلماء من المغرب والأندلس ومصر، وازدهرت تمبكتو إلى حد كبير فأصبحت مركزاً إشعاع للعلوم الإسلامية والآداب العربية واشتهر بعض أبنائها بالتأليف أمثال أحمد بابا والسعدي والقاضي محمود كعت. ولعبت مدينتا (جني) وكاغو (جاو) دوراً[1] مماثلاً في نشر الثقافة العربية والعمل لنصرة الإسلامي بغرب إفريقيا وأواسط بلاد السودان ونشر الإسلام في هذه المناطق.

لقد مر تأثير العرب بسكان إفريقيا بمراحل ثلاثة أولاها مرحلة الاحتكاك السلمي وكان للتجار العرب والعرب المغاربة نصيبهم، ثم مرحلة جهاد المرابطين وكانت بداية المد الإسلامي في تلك البقاع، والمرحلة الأخيرة جمعت بين السلم والجهاد وتركزت على الدعوة للعقيدة الإسلامية وتعميق مفاهيمها. وفي هذه المرحلة انتقلت الزعامة الدينية إلى أهالي السودان المقيمين بعد تشبعهم بالروح الإسلامية فضلاً عن قيام الممالك الإسلامية السودانية التي تعاقبت على حكم المنطقة بين القرنين الثالث عشر والسابع عشر مثل مالي وصنغي وإمارات الهوسا. فممالك أواسط بلاد السودان تشبه الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا حيث تغلب عليها مظاهر الحضارة العربية الإسلامية، وجمعت في نظمها الإدارية بين النظم الإسلامية والتقاليد بسماتها المغربية وساد فيها المذهب المالكي، وصارت اللغة العربية لغة العبادة والعلم والتجارة والدبلوماسية[2]

ومن بحيرة تشاد بدأ الإسلام يأخذ في الانتشار بفضل قدماء المتحمسين من التجار والجاليات العربية والعلماء المتجولين إلى أن عم هذه المناطق وأصبحت المعمورة تحت نفوذه في القرن الثالث عشر.

ترسخت الصلات بين العرب والأفارقة لعاملين هما: المصالح التجارية من ناحية وجهود الإسلام من ناحية أخرى التي صارت من أقوى الأواصر التي أكدت التواصل الثقافي ورسخته.

دخل الإسلام من الغرب [illegible] نيجيريا إلى كانو ويرى بعضهم أنه دخل الإسلام من الشرق ويعزى دخول الإسلام إلى جماعة "الونقارا" الذين نزحوا إلى إقليم كانو إبان حكم السلطان الحادي عشر إليه وهو ياجي بن تسمية (1349 - 1385 مسيحي).

وبعد القرن الخامس عشر مسيحي بدأت العلماء تحظى باهتمام شعب الشمال الإفريقي فوجهوا اهتمامهم نحوها، ويروى أن معلماً كبيراً قدم من مصر مع تلاميذه أرض الهوسا من أجل تعليمهم الطلاب حاملاً معه مختصر خليل بن إسحاق في الفقه المالكي. وفي الربع الأخير من القرن الخامس عشر مسيحي ظهرت حركات إصلاحية ونهضة في التعليم في أرض الهوسا على أيدي حكام مثل محمد رمفا كانو وزازو وغيرهم.

اهتم علماء الشرق بأرض الهوسا والمعيشة فيها، ألف السيوطي "جلال الدين" كتاباً عن الحياة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية في أرض التكرور وخاصة منها الهوسا، وزار السيوطي تلك البقاع إلى جانب ما كان يسمعه من الطلاب الوافدين إلى الأزهر والحجاج الذين يذهبون لمكة عند مرورهم بالقاهرة[4].

ولا يفوتنا أن نذكر أثر سلطنة[5] كمركز تواصل ثقافي، التي ظلت مدة من الزمن مركزاً لاستقطاب

---

(1) د. يوسف فضل [illegible] التأثيرات العربية [illegible] مرجع سبق ذكره، ص[illegible]

(2) [illegible] مرجع سبق ذكره، ص[illegible]

العلماء فضلاً عن التجار وأصحاب الأموال فساهمت بشكل فعال في النهضة الدينية والعلمية بل وكانت إحدى الركائز الأساسية في بناء الحضارة العربية الإسلامية كانت كفيلة لتبادل الرأي ولحرية الاعتقاد وللتسامح الديني [1].

لقد اهتم المغاربة بنشر اللغة العربية في الأقطار الأفريقية وذلك من خلال تعريب الدواوين الرسمية واعتماد العربية في تسجيل العقود وفي فض المنازعات القضائية وفي كتابة المخطوطات والوثائق [2].

لقد انتشر الإسلام في المنطقة الأفريقية من الشمال عربي إلى غانو شرقاً وقامت ثمة مراكز للعلم والتعليم. كان الدعم المغربي بتصدير الكتاب المنسوخ مطبقاً بضاعة مهمة وقد عُثرت عن عدد الكتب التي تعود إلى فترة القرنين الثامن والتاسع للهجرة (الرابع عشر والخامس عشر مسيحي) على الدهاء الأفريقية بعد عثر على الكثير منها في مكتبات تلك الممالك الخاصة والعامة، وكان الحرف العربي هو الغالب في كتابة اللغات الأفريقية كالسواحلية والفلانية [3].

إن الانتماء إلى عروبة الإسلام كان كافياً لنشر يساهم في حضور جسور التواصل والحوار الحضاري بين العناصر الأفريقية المسلمة. ويتأكد لنا ذلك في بقاء اللغات واللهجات الأفريقية المحلية إلى جانب اللغة العربية التي احتفظت بمركزها كلغة للثقافة والتعامل، بل إن كثيراً من المفردات العربية دخلت اللهجات الأفريقية المدونة بالحرف العربي [4].

إن الغرب أدرك مصدر قوة الحضارة العربية الإسلامية وأسباب بقائها فبدأ يوجه برنامج محاربتها، وذلك بزرع المفاهيم الخاطئة لدى النخبة المتعلمة من ذوي الأصول الأفريقية محاولة محو الأثر الثقافي العربي والإسلامي [5].

> إن الغرب أدرك مصادر القوة للحضارة العربية الإسلامية وأسباب بقائها، فبدأ يوجه برنامج محاربتها، وذلك بزرع المفاهيم الخاطئة لدى النخبة المتعلمة من ذوي الأصول الأفريقية محاولاً محو الأثر الثقافي العربي والإسلامي.

فلو [illegible] تلك السياسة الاستعمارية في مجال التعليم الحكومي نجده طريقة عندما قررت السلطات البريطانية استخدام الحروف اللاتينية في كتابة السواحلية مستندين في ذلك على استطرادات المبشرين والمساومة لها في مجال التعليم لمدة خمسين سنة متجاهلين بذلك تجربة خمسة قرون متواصلة من استعمال الحرف العربي هذا، ومن اللافت للنظر أن الحرف العربي ظل يقاوم حتى النصف الأول من القرن الماضي إلا أن السياسة الوطنية لم يكن هم [illegible] الاستعمار طويلا في مقاومة الحرف اللاتيني خطراً بمخطط القوى الاستعمارية الأوروبية، وبعد الحرب العالمية

[illegible] حضارة إسلامية [illegible] والعرب الإسلامي [illegible]
1) [illegible]
2) [illegible]
3) [illegible]
4) [illegible] الحضارة العربية الإسلامية [illegible]
5) [illegible]
6) محمد [illegible]

الثقافية لمحاربة الغزو الغربي. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الصومال بعد استقلاله في الستينات من القرن الماضي طلبت من الدول والمؤسسات العربية المساعدة في كتابة اللغة الصومالية بالحرف العربي.[14]

إن الخطر علينا نحن العرب والأفارقة يكمن في تطرف بعض الثورة العلمية والتقنية والتقدم الصناعي وثورة المعلومات بنوع من السيادة الساذجة أو التجهيل، وإزاء ذلك يمكن طرح السؤال الآتي: هل تعرضت قارتنا الأفريقية وعالمنا العربي إلى غزو ثقافي؟ الغزو عملية ذات سلسلة متعددة الحلقات من الأشكال تبدأ حلقاتها بالنية والقصد ثم التخطيط والإعداد بما يقتضيه هذا الغزو من وسائل، ومن ثم المواجهة مع الجانب المغزو لاجتياح حصون هذا الغزو ومواقعه بكل ما يتطلبه من وسائل متى أجريت وسائل الإعلام بدءاً وما يحمل معه بعض من يعتمونه الإبداع والإشباع في المذهب الفكري والثقافي.[15]

إن ما نشهده في هذه الآونة من محاولات محمومة للغزو الثقافي لقارتنا وعالمنا العربي يدعونا إلى تجنيد كافة إمكاناتنا من أجل الحفاظ على هويتنا باتخاذ السبل الكفيلة للحفاظ على ذواتنا وعدم التفريط بقيمنا الروحية. وهذا لا يعني الابتعاد عن أسباب التقدم، ولكني أرى أن سياسة الغالب والمغلوب، إذا صارت الثقافة العربية والفكر العربي والمسلم مرناً للاستيراد لا للتصدير. وسيظل بالاستقبال لا بالإرسال. إننا سنظل في حلقة من يتقبل بصدمة الكلام بمداهنة والنقد وسطحية، لذا علينا أن نأخذ بكل أسباب التقدم لمواجهة الغزو الداهم لقارتنا.

وما نواجهه الآن في القارة الأفريقية وفي عالمنا العربي خاصة في هذا العصر المتميز عن الماضي أي عصر العولمة يدعونا إلى مراجعة الماضي الإفريقي والعمل على التخلص من هيمنة الثقافات الغربية التي جلبها المستعمرون، بالبحث من جديد عن الشخصية الأفريقية ومقوماتها بالرجوع إلى التاريخ والتراث الإفريقيين المتميزين المرتبط بمحطات الدعوة الإسلامية والعلاقات مع العرب بكل ما يحتويه من أساطير وأمثال وحكايات وأفكار إنسانية عميقة. والعودة إلى هذا التراث وإلى الثقافات الوطنية لأنها الطريق الوحيد للتخلص من هيمنة الثقافات الغربية التي جلبها المستعمرون الأوروبيون والارتباط بالتالي بالجذور الأفريقية الراسخة.

إن الزعماء الأفارقة الذين حققوا استقلال أوطانهم في الستينات من القرن الماضي تميزت دعوتهم إلى الاستقلال على الخصوص باتخاذها بعداً ثقافياً إلى جانب البعد السياسي تمثل في الدعوة إلى التمرد على الثقافة الفرنسية التي كان الفرنسيون يفرضونها بالقوة على الشعوب المستضعفة ويريدون إحلالها ـ هي واللغة الفرنسية ـ محل الثقافات واللغة الوطنية، وقد تجلت دعوتنا إلى اتباع أسلوب متميز

أمر ما يسمى العولمة التي تسعى إلى اقتلاع الإنسان من انتمائه الأصلي من جهة، والعمل على تفتيت وعيه بالتاريخ من جهة أخرى، كما أنها لا تعترف بالهوية الوطنية أو القومية أو الدولة، بل إنها تهدف إلى إلغائها كما أنها تقوم على الهيمنة وتكريس علاقة التبعية بالهيمنة.

---

[14] ..... مرجع سابق، ص.....

[15] ..... مجلة ..... العدد ..... ص .....

وذلك بإرسال شبان أفارقة إلى باريس لتلقي العلوم ودمجهم في المجتمع الفرنسي لاعتناق الأفكار السياسية والمفاهيم الفرنسية. إلا أنها فشلت في مخططها، حيث حدث العكس في كثير من الأحيان، ويتبين في ظهور الدعوة إلى العودة إلى الأصول الأفريقية والاعتزاز بأفريقيا الوطن الأم والانتماء إلى ثقافتها التقليدية [3]

إننا في القرن الحالي في أمس الحاجة إلى العودة إلى الأصل ومواجهة الثورة المعلوماتية بشيء من الحذر والاستفادة منها وتوظيفها للحفاظ على تراثنا ولا يعني ذلك الارتماء في أحضان الماضي والانقطاع بالتالي عن العالم الحديث، بل لكي يكون منصة للانطلاق إلى العالم الفسيح الرحب على كل المستويات، ولإبراز مكامن القوة في الشخصية الأفريقية وفرضها على العالم وذلك بالاستفادة من التقنية الحديثة وثورة المعلومات والإنترنت

ولعل أبرز ما يميز العولمة أنها تسعى إلى انتزاع الإنسان من انتمائه الأصلي من جهة وتعمل على تفتيت وعيه بالتاريخ من جهة أخرى، كما أنها لا تعترف بالهوية الوطنية أو القومية أو الدولية، بل تقف نقيضاً لهذه المفاهيم. كما أنها تقوم على الهيمنة وتكريس علاقة السادة بالعبيد. ولهذا عليه أن يسعى كل الجيل الذي قد تحفظ هويتنا من الضياع [4]

إن الانترنت والقنوات الفضائية ستملي على الجميع أفكارها، كل ذلك سيجعل الاقتصاد بهالياً على ما كان يسمى الاقتصاد الوطني والثقافة الوطنية وتخضع كل ذلك لنظام العولمة الجديد الذي لا مكان فيه للكسالى والضعفاء

لقد أكد بعض الباحثين أن العلاقة بين العرب والأفارقة في إطار ما أسماه بالعقد الإفريقي الموحد أن العرب أفارقة لأنهم استوطنوا أفريقيا منذ القرن السابع الميلادي وأقاموا وجودهم بأفريقيا، مصلحة التمازج، وحيث قام العرب بتعريب شمال أفريقيا فإن العرب قد أسهموا في حضارة انتشرت في شرق افريقيا [3]

فالسؤال الذي يطرح نفسه: هل بإمكان الدول العربية والأفريقية من خلال الاتحاد الإفريقي تنمية وتعميق التلاحم الثقافي الموروث والتأكيد عليه ثم الاستفادة منه في المستقبل لصالح الأفارقة ؟

أن الأوان لنا نحن الأفارقة أن نتطلع إلى أن تكون لنا هويتنا الخاصة بنا لا هويتهم التي تعمل على زعزعة ثقتنا بأنفسنا واستلابنا وتحويلنا إلى أمة مستهلكة لا ذاكرة لها بعد أن كنا أمة منتجة تقود ولا تقاد. فنحن مستهدفون وعلينا أن نرجع قصار وأن نكون أو لا نكون، وعلينا بالعمل لا بالقول لكي نسهم في ركب التنوير العقلاني والوجداني والعلمي. وإن الفضاء الإفريقي الموحد كفيل بدحر جملة من أزمة العولمة. وإن التغلب على العقبات التي تعترضنا كأفارقة لا يمكن أن تتحقق في عقدين إلا في ظل وعي عربي أفريقي جديد

[illegible]

[illegible]

[3] السباعي، عزالدين، العولمة وأزمة المصطلح ... العدد ... مايو 2000، ص 61

[4] التوجي أحمد يوسف، قضية العلاقات العربية الأفريقية، مجلة السياسة الدولية، العدد ... أكتوبر ...



الإسلاموفوبيا: الكراهية والحصاد المر

- لماذا نخوف من الإسلام؟
- الإسلاموفوبيا: الجذور التاريخية
- الإسلاموفوبيا:
  الصورة النمطية في الإعلام الغربي
- هوليوود صناعة الإسلاموفوبيا
- الإسلاموفوبيا: الكراهية والبغضاء في
  المدارس الأمريكية نموذجا
- مؤتمرات لمجابهة الإسلاموفوبيا
- الإسلاموفوبيا في عالم الرسوم الساخرة
- نقد الإسلاموفوبيا: حالة النفر
- الإسلام والإعلام الغربي
- التخوف من الإسلام في المجتمع الأوروبي
- حول ثقافة كراهية الإسلام في الفكر الغربي
- الغزو الثقافي والإسلاموفوبيا
- الشخصية العربية على الشاشة
  صورة خارجية مشوهة
- علماء ومفكرون يؤكدون: التخوف من الإسلام
  علة نفسية
- مفكرون غربيون يناهضون الإسلاموفوبيا
  نعوم تشومسكي: سيد الأعلام
  جون إسبوزيتو: الخطر الإسلامي حقيقة أم خرافة
  جاك شاهين: الصور النمطية للعرب والمسلمين في
  الثقافة الأمريكية الشعبية
  ادوارد سعيد: الرؤية المستقلة
- وقائع الإسلاموفوبيا في العالم
  حوادث – شهود – تقارير

لماذا الخوف من الإسلام؟!

د. عبد العاطي محمد عبد الجليل *

عندما قررنا إثارة قضية: مرض الخوف من الإسلام أو (الإسلاموفوبيا) لم يكن مرمى [illegible] إيضاح بعض الحقائق من جهة؛ ومحاولة الاقتراب من الذهنية التي تعتمد على لا تفكير [illegible] أن تقع في دائرة غربية لم يعرفها تاريخ العلاقة.

يعتقد البعض أن القضية بكل أبعادها تكاد تكون محصورة في عرض بعض المؤلفات [illegible] من مرحلة الجهالة وبعض الرسوم الكاريكاتيرية [illegible] لكن هذا الاعتقاد لم يصمد طويلاً.

[illegible] هذه الظاهرة (الإسلاموفوبيا) موجودة بشكل أوضح في أوروبا وأمريكا الشمالية [illegible] تاريخياً بدأت هذه الظاهرة المرضية في مكة حين جسدها بعض من عناد قريش [illegible] في المدينة فقد جسدها أغلب اليهود.

[illegible] نحو محاولة تصوير الإسلام في [illegible] بعض المؤلفات [illegible] آلاف الكتب والمقالات في الصحف والمجلات [illegible] مرحلة الجهالة ورسوم ساخرة [illegible] المرحلة الكرتونية ندوات ومؤتمرات.

◆◆◆

السؤال الذي [illegible] يطرح نفسه: [illegible] بعض الناس [illegible] مرض الخوف من الإسلام؟!

في مقدمة الذين يصابون بهذا المرض [illegible] حقيقة هذا الدين [illegible] إدراك [illegible] ثم يجدوه كما هو [illegible] الإسلام من خلال ظواهر ومظاهر أريد لها أن تكون [illegible] يرفضونه ويحاربونه ولا يحبونه.

ولعل [illegible] عدم تمثل هؤلاء [illegible] الشوائب والظواهر [illegible] حقيقة الإسلام [illegible] يصعب [illegible] الناس [illegible] مرض الخوف من الإسلام [illegible] عادي [illegible] المعارف [illegible] إضافة إلى صعوبة التفريق بين العقيدة وبين مظاهر وظواهر تتقاطع مع أسس تلك العقيدة.

[illegible] من الذين يصابون بمرض الخوف من الإسلام لا يدركون [illegible] الوضعية المرضية التي يعانون منها [illegible] يرفضون الاعتراف بذلك [illegible] أنهم مسكونون [illegible] إليهم من التنشئة التي [illegible] تسعى لأن تشيع ثقافة الغلو والتطرف والانعزال.

[illegible] في الإسلام [illegible] والانحراف عن الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها [illegible] الظلم والاستبداد والاستغلال وهي ظواهر مرضية [illegible] لا تزال على قيد الحياة.

◆◆◆

* كاتب وصحفي وأستاذ جامعي، ليبيا

[illegible] قضية مرض الخوف من الإسلام [illegible] من الإشارة [illegible]

[illegible] لا يعود [illegible] وشعب [illegible] وذلك الشعب [illegible] لم يتركوا [illegible] لم يبحثوا [illegible] في [illegible] الحاجة [illegible] أنفسهم على [illegible] البحث عن [illegible] فيه العمل فقط بل [illegible]

المشكلة لا تكمن فقط في تشخيص المرض وطبيعته [illegible] من التناقض الواضح بين [illegible] والحضارة [illegible] مرض الخوف من الإسلام [illegible] ظاهرة بشرية [illegible] [illegible] المفكرين الغربيين [illegible] المرض؟ بل [illegible]

إلى اكتشاف [illegible] أبناء جلدتهم بهذا المرض

[illegible] المفكرين الغربيين من ذوي [illegible] والثقافة [illegible] لم يصابوا بهذا المرض لأنهم [illegible] أنفسهم [illegible] كل ما هو إيجابي [illegible] النظر [illegible]

***

هل نستطيع إلى التساؤل حول [illegible] النخبة الغربية ببعض [illegible] والتوقعات التي يطلقها بعض من أبناء جلدتهم؟

هل [illegible] هؤلاء [illegible] الحضارة الغربية وهم [illegible] أطباء [illegible] تشكل صدمة [illegible] المصابين بمرض الخوف من الإسلام [illegible]؟

هل كانت [illegible] إسلامية [illegible] أبناء الحضارة الغربية؟ [illegible] كانوا [illegible] تلك [illegible] في [illegible] أن يصبحوا [illegible] لا يقبلونه [illegible]؟

[illegible] جورج برنارد شو [illegible] الخوف في [illegible] أبناء الحضارة الغربية؟ [illegible] سنة 1936 [illegible] الإسلام [illegible] حتى [illegible] بريطانيا [illegible] قليله

[illegible] من المفكرين [illegible] والسياسيين والأوروبيين [illegible] يوم [illegible] الإنساني؟

[illegible] في العدد الثالث [illegible] العدد الذي [illegible] إلى المكانة الإيجابية التي يتمتع بها الإسلام في عقول وقلوب [illegible] أمثال جورج برنارد شو [illegible] أبناء النخبة الغربية أو الحضارة الغربية [illegible]

***

[illegible] في الأمر [illegible] التاريخ لم [illegible] الإسلام [illegible] الإسلام [illegible] إلى مرض [illegible] كل [illegible]

***

[illegible] بهذه القضية [illegible] كل جوانبها [illegible] لا [illegible] مطولة [illegible] الاهتمام إليها [illegible] أكثر

***

ختاماً لا بد من الإشارة إلى الجهد [illegible] الذي [illegible] في سبيل توفير المادة التوثيقية المتعلقة بهذه القضية [illegible] فله منا كل التقدير

الإســلاموفوبيا
الجــذور التاريخيــة

الإسلاموفوبيا Islamophobia حسب تعريف الموسوعات ودوائر المعارف الغربية مصطلحٌ شاع في ثقافة الغرب، ويعني الخوف من الإسلام وكراهية المسلمين، وهو مصطلح تم وفق عملية نحت Neologism من مصطلح آخر قديم هو Xenophobia أي الرُهاب على وزن فُعال، كزُكام وسعال وصداع، أي الخوف من الأجانب أو كل ما هو غريب، وتلك حالة مرضية تلبس الشخص عند مواجهته حقيقة من الغريب، وأصل كلمة Phobia يوناني، وقد كثر في العقود الأخيرة استخدام هذه اللفظة لاستحداث تركيب جديد، مثل Acrophobia الخوف من الأماكن المرتفعة، وAtmophobia، Autophobia الخوف من الوحدة، وDoxophobia الخوف من إبداء الرأي.

والإسلاموفوبيا هي أيضاً وصف للمسلمين بالتعصب الديني وميلهم إلى العنف ضد غير المسلمين، ووصفهم بكل ما هو مخالف للإسلام مثل المساواة Equality والتسامح Tolerance والديموقراطية Democracy.

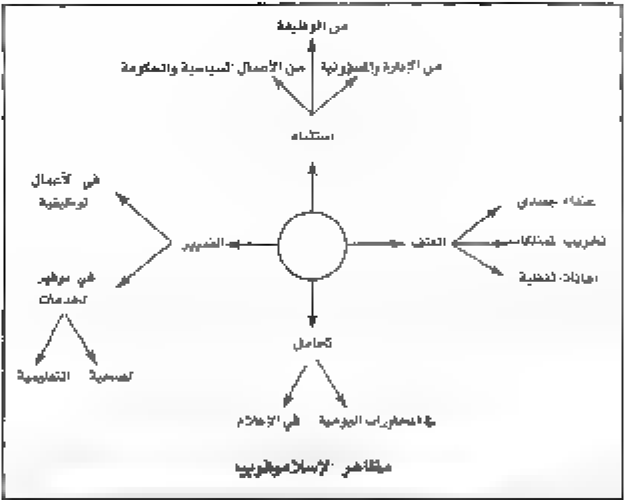
والإسلاموفوبيا شكلٌ جديدٌ من أشكال العنصرية Racism، حيث إن المسلمين جماعة اثنية دينية Ethnic religious group أي أنهم ينتمون إلى أعراق مختلفة، فالمسلمون لا يُعدّون جنساً واحداً، ومع ذلك ينظر إليهم في الثقافة الغربية وكأنهم جنسٌ واحد. وبسبب ارتباط العرب بالإسلام فقد يراه الإسلاموفوبيا شكل آخر من أشكال العنصرية التي تستهدف العرب، ولذا نجد الإسلاموفوبيا والعرب تعرفان بمعنى واحد Arabophobia = Islamophobia، بالرغم من أن العرب ليسوا جميعهم مسلمين، وأن الغالبية العظمى من المسلمين ليسوا عرباً، ويبرز ذلك واضحاً في الاعتداءات التي تعرض لها بعض العرب غير المسلمين، وبعض السيخ بسبب العمامة التي يرتدونها، والتي ترمز في ثقافة الغرب إلى الإسلام، والمصطلح نفسه مبتكرٌ، ويحكي تأثيرات الحركات التي حدثت في التسعينات مثل نزعة الثقافة المتعددة أو التنوع الثقافي Multi-Culturalism وسياسات الهُوية Identity Politics، وهي تظهر في الغالب عند الكلام عن المهاجرين المسلمين الذين يعيشون كأقليات في الغرب.

وتقوم الإسلاموفوبيا على ثمانية مكوّنات حددتها Runnymede Trust، وهي:

1- النظر إلى الإسلام على أنه كتلةٌ متراصةٌ Monolithic bloc، وأنه ثابت غير قابل للتغيير.

2- النظر إلى الإسلام باعتباره كائناً منفصلاً وشيئاً آخر، وليست له قيم مشتركة مع الثقافات الأخرى، ولم تكن هناك بينه تأثيرٌ فيها.

3- النظر إلى الإسلام باعتباره ... وأدنى من



من كتاب: Islamophobia: Challenge for us, by Runnymede Trust

الغرب Inferior وبربري Barbaric وغير عقلاني Irrational وبدائي Primitive وشهواني Erotic

4- الإسلام عدواني Aggressive وعنيف Violent ويهدد Threatening ويؤيد الإرهاب Supportive of Terrorism وفي صدام مع الحضارات In a clash of civilization

5- الإسلام أيديولوجية سياسية Political Ideology ويستخدم لمصالح سياسية وعسكرية.

6- انتقادات الإسلام للغرب مرفوضة.

7- المعاداة المُوجَّهة للإسلام تُستخدمُ لتبرير ممارسات التمييز ضد المسلمين وإقصائهم من المجتمع السائد.

8- النظر إلى معاداة المسلمين على أنها عادية وطبيعية.

ويزعم البعض أن السبب في ظهور مصطلح (إسلاموفوبيا) هو تزايد الحركات الإسلامية المعادية للغرب، التي إما أن تكون قد تسلمت السلطة في بعض البلدان، مثل إيران والسودان، وأفغانستان، أو مارست تأثيراً قوياً على سياسة الحكومة في بلدان أخرى.

ويزعم البعض أن السبب في ظهور مصطلح (إسلاموفوبيا) هو تزايد الحركات الإسلامية المعادية للغرب، التي إما أن تكون قد تسلمت السلطة في بعض البلدان، مثل إيران والسودان، وأفغانستان، أو مارست تأثيراً قوياً على سياسة الحكومة في بلدان أخرى.

ويُزعمُ أحياناً أن ترابطٌ عند المسلمين الأمريكيين والأوربيين علمٌ يعود الى الإسلاموفوبيا، ولعلّ أهم العوامل التي ساهمت في تشكّل موجات الرُّهاب الإسلامي الموجودة حالياً منذ عام 2003 ذلك التأثير الهائل الذي يقوم به الإعلام العربي والأمريكي في مُتابعة ما يُسمونه الإرهاب الإسلامي إذ عند قيس بالعمليات الإرهابية التي يقوم بها بعض المسلمين، ولا تلقى القدر نفسهُ من الاهتمام

الإسلام : الصورة كما يصنعها الغرب

الصورة التي يرسمها الغرب (الأوربي والأمريكي) حديثاً عن الإسلام والمسلمين ليست جديدة، إنها صورة قديمة متجددة، صورة العدو من القرون الوسطى بظلالها القاتمة وروائحها الكريهة، صورة قاتمة مشبعة بالكراهية والحقد. هذه الصورة التي يسمي أحياناً عنها الباحثون في التاريخ الثقافي للشعوب بـ «الشرق»، او الشرق كما يرتسم في الخيال الجمعي Collective imagination للغرب، أو كما ينعكس على صفحة مرآته.

الشرق لا باعتباره الجغرافي، لأن تلك مسألة نسبية، إذ إن كل شرقٍ هو غربٌ لشرقٍ آخر. الشرق في ثقافة الغرب منظومة فكرية، تاريخ بيع أوجهٌ في الحضارة الإسلامية. الشرق في ثقافة الغرب قديماً وحديثاً يختزلُ كله في الإسلام.

وبأسلوب يعود من التعقيدات الجدلية، فالشرق مرادف للإسلام عندهم، وإن حاولوا أن يظهروا غير ذلك، وهذه حقيقة، ويمكن أن نتبين ذلك بإلقاء نظرة سريعة على جهود المستشرقين التي يفترض أنها تنصبّ على الشرق الجغرافي، ولكنها في واقع الحال يدور معظمها حول الإسلام والمسلمين، وكأنه لا شرق ولا مشارقة غير الإسلام والمسلمين. وليس ذلك من باب المصادفة، بل لأن الغرب جرّبه تماماً أن الإرث الإسلامي يمارس بمقدار كبير في الواقع الحي، بحيث لا يُعرفُ في ثقافات الشرق إلا في الإسلام، لا لأنه قديم بل لأنه حي، والحي أقوى من الثقافة، ولذلك ظل الحي والذي ترث الثقافة. ومع ذلك فإن تراث الإسلام بشقيه الروحي، ومعينه الوحي والمادي، وتمثله الحضارةُ الإسلامية، هو التراث الشرقي الوحيد الذي لا يزال ينبض بالحياة، وتسري روحه في مفاصل شعبه، لا شك أن الشرق كان يحفلُ بموروثات كثير، لكن ذلك لا يعدو كونه تحفةً متحفاً لا تُحدثُ أثراً يُذكرُ في حياة الناس الراهنة، من كونفوشيوسية، وبراهمانية، وبوذية، وكذا زرادشتية، وبابلية، وآشورية. كل تلك تراثٌ محنطٌ داخل صناديق زجاجية موضعة في زوايا المتاحف يتمتع برؤيته الزوّار من حين إلى آخر من باب التسلية.

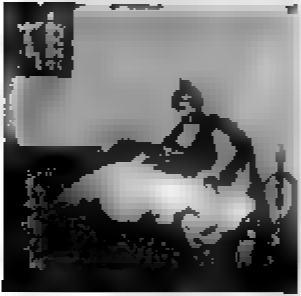
لقد رسم الغربُ (الثقافي) باعتباره منظومةً فكرية تميل إلى حدٍّ ما متجانسة صورة لهذا الشرق كما رآه، أو كما أحبوا أن يروه على رأي أدوارد سعيد.

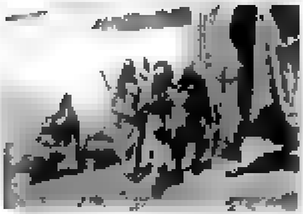
هذه الصورة التي تشكلت في وعي الغربي المظلمة هي بواكير الإسلاموفوبيا التي ترى اليوم المنظر نفسه والألوان نفسها، فالقرآنُ أثر من الباطلين، وآيات شيطانية، ونبي الإسلام محتال ومصروع، ومهووس بالجنس، ومحتل، وسفاح، وكذّاب، ومسيح دجّال، والمسلمون والعرب على وجه الخصوص بدو، وهمج، ورعاع، وأكلة لحوم البشر، قتلة، ويشربون الدم، ويحتفلون بالنجاسة، والإسلام: مسيحيةٌ مهاجرية، وفي أحسن الأحوال هو نسخة مشوّهة من اليهودية والمسيحية.

من صنع هذه الصورة القاتمة ؟

هذه الصورةُ اشتركت في إبداعها مؤسساتٌ متعددة، ولعل مستويات ومناهج ومكانها مختلفة، فهي مزيجٌ من رؤى لاهوتية وإيديولوجية، وأدبيّة فنية، وأنثروبولوجية.

فالصورة اللاهوتية Theological image هي أقدم الصور، وتمثل فئةٌ متطرفة من المؤسسة الكنسية من







قساوسة ورهبنة في بيعها ومستعمريها وإرسالياتها
التبشيرية حديثاً. وهذه الصورة انطلقت من موقف
دفاعي عن المسيحية التي بدت [illegible] القسوسة
الدين الجديد، يتهددها بالتقدم في نشرها حتى
الجنوب حتى ما وراء البحر، حقلاً في مواجهة
شديدة من جهة، وبسبب خوف من تصدع الكنيسة
في ظهور عدد كبير من [illegible] وخوف من [illegible]
[illegible] جديد [illegible] لم يتطلع إلى الاستقلال من
جهة أخرى [illegible] الكنيسة الشرقية [illegible]
[illegible] المتقدم [illegible] [illegible]
تحرير الأمر [illegible] في [illegible] العقيدة [illegible]
[illegible] بالرغم من أن [illegible] الذي تحطيم
الأوثان [illegible] الشرك.
وظلت الرؤية المسيحية الغربية للإسلام سائدة
حتى [illegible] [illegible] [illegible] مسيحية [illegible]
[illegible] الإسلام والمسلمين في نظر [illegible] من
النصارى في [illegible] الحروب الصليبية إلى
الآن [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] على [illegible] تلك
المؤتمرات [illegible] التي [illegible] [illegible]
العالم الإسلامي، وربما كان آخرها المؤتمر
التبشيري [illegible] في مدينة [illegible] ولاية
كولورادو [illegible] الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1978
[illegible] المؤتمر [illegible] البحوث التي [illegible]
وقد قام [illegible] إلى العربية [illegible] [illegible]
[illegible] لا [illegible] من [illegible] [illegible]
العالم الإسلامي لا [illegible] من [illegible] التي [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] هذه [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] جانبا من [illegible] في بحوث المؤتمر
المشار إليه [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] النصرانية والإسلام في [illegible]
وقد أكد كثيرٌ من الباحثين في هذا المؤتمر [illegible]



[illegible] الذي لا يعرف [illegible]

الكنيسة في تصوير المسلمين بالوسائل المتاحة [illegible] [illegible] المصريين أنفسهم

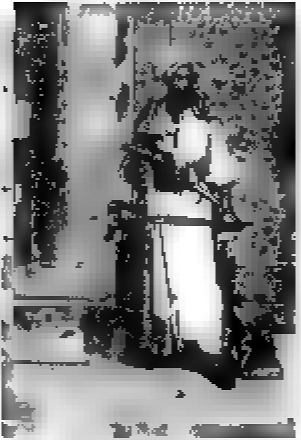
[illegible] المسلم المنهمك في عبادة الله ويوقره ويعظمه ويحاوره مع الندامة المصحوبة بالخشوع [illegible] ملتفتة إليهم [illegible] المسلم على عبادة الرب الواحد الذي يتصرف في ملكوته [illegible] شيخ منتصب في [illegible] من المؤلف [illegible] يقول هؤلاء الرجال [illegible] هذه القوة والخشوع له [illegible]

ونتيجة للإخفاق المبكر [illegible] من أتباع الكنيسة في هدم معالم الإسلام من خلال [illegible] اللاهوت الكنسي [illegible] أساليب القرون الوسطى لتشويه الإسلام [illegible] ونتج [illegible] الأساليب [illegible] شكلا [illegible] الموضوعية وهي الموضوعية الأخلاقية Ethical Objectivity [illegible] النزاهة وعدم المحاباة [illegible] فإنه لا [illegible] الأخلاق [illegible] يقع في [illegible] الكتب

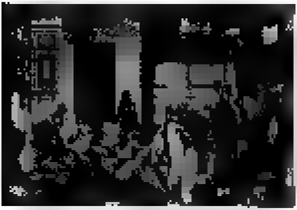
ومن هنا لم يتوان المتطرفون من أتباع الكنيسة سبيلاً للتصدي من الإسلام حتى دعا بعضهم بطرس قساوستهم أن نادوا على إزالة الإسلام وإبادة أهله، [illegible] ذلك واجب إنساني إن لم يكن دينياً، من أجل تخليص العالم من شرور هذا الدين. ولقد ظلت صورة المسلم والعربي في عين الرجل الأوروبي قاتمة وقبيحة كما رسمها أسلافهم، رهبان الكنيسة وقساوستها منذ الحروب الصليبية، فهو الزنجيّ الأسود حارس البوابة، أو القصير [illegible] العربي، وهو الشبق والنمر، والدموي الذي لا يعرفُ الشفقة، وهو عبد الشيطان وعنصر الشر الذي يجب أن يطهر [illegible] ملكوت الله ورحمته [illegible] كل ذلك إلى [illegible] الإسلام مرفوض.

وأما الصورة الأيديولوجية، فقد رسمها المستشرقون بمدارسهم المختلفة وهي صور [illegible] بين التطرف ويمثل الاعتدال، وإن كان الاعتدال فيها قليلاً، والاستشراق القديم أكثر سطوة وتحاملاً على الإسلام، ربما لأن الاستشراق القديم متداخلٌ مع التبشير، وأكثر المستشرقين كانوا قسيسين ورهباناً والاستشراق أكثر تأثيراً من التبشير، الذي يُمثل فشله في علمنة [illegible]، ربما لأنه أكثر استعداداً وأحسن تجهيزاً، والجمعات الإسلامية [illegible] التبشير وهم أيضاً أكثر معرفة بلغة العرب. ولم يكن الاستشراق في الربع الأخير من القرن العشرين أن يكون أكثر قرباً من الإسلام لولا تسارعُ الأحداث، فالمستشرقون لعلم بالإسلام في العالم، تلك الأحداث التي تركت آثارها بشكل أو بآخر على المؤسسة الاستشراقية التي أعلن أوساطها في أحد مؤتمرات المستشرقين (موت الاستشراق).

والصورة التي رسمها الاستشراق للإسلام ذات ملامح سلبية، فالعقلُ الإسلامي عقلٌ منتج وهو عاجز عن الإبداع والابتكار وهو عقل التقليد وأن [illegible] في الإسلام ليس إلا بضاعة مستوردة من مصادر يهودية



الزنجي الأسود حارس البوابة



القصور والحريم نظرة استشراقية

ومسيحية، فالمعتقد الإسلامي بمضمونه يهودي ومسيحي الأصل وشيء جاهلي على رأي [illegible] وغيرهم وأن سيرة نبي الإسلام وسنته ليست إلا موضوعات اختلقتها الأجيال اللاحقة على رأي معظمهم [illegible] وأن القرآن الذي يتباهى به المسلمون ويعلونه معجزة محمد التي لا يمكن معارضتها ليس إلا صنعة بشرية من تأليف محمد نفسه، وأنه من نسيج

مشككين ومشغولين بالاختلافات اللغوية والتاريخية على أي نقيضه وغيره، بل ذهب بعضُ مستشرقين إلى القول بأن محمداً نفسه اسطورة، وأن الإسلام خرافة لا وجود له على حد تعبير [illegible] كما يرى مايكل كوك وباتريشيا كرونه) وأنه مجرد هاجرية Hagarism نسبة إلى السيدة هاجر أم اسماعيل عليه السلام، جد العرب.

ولم يقصر المستشرقون بصناعة الصورة الايديولوجية للإسلام بل شاركهم في تلوينها بعض المفكرين ممن يعدون إلى حد ما في سلك الاستشراق من طبقة ارنست رينان الفرنسي، الذي يرد كل فكر مبدع إلى العقل الآري لأن العقل السامي ومنه العقل الإسلامي عقل متبلّد عليل [illegible] الفكر الإنساني وحده جعله يلتفت إلى الإسلام، وهو لولا ذلك ما اهتم به لأنه في نظره عالم فاسدٌ لا يستحقّ أن توجه إليه العناية كما توجه إلى عبقريات الفكر الإنساني القديم كاليونان والهند والفرس اليهودي. وهذا الموقف المتحامل من الإسلام مرجع إلى وقوع رينان تحت تأثيرات نفسية لم يستطع مغالبتها، ويفسر ذلك عنصريته في مذكراته المطبوعة سنة [illegible] الثالث من أعماله الكاملة بأن الإسلام قد أحدث فيه انفعالاً عميقاً لدرجة أنه ما من مرة دخل إلى مسجد إلا وتأسف لأنه لم يكن مسلماً.

وأما الصورة الأدبية فقد صنعها الفنانون والأدباء والرحالة شُغفوا بالشرق الإسلامي فصوروه كما يروق لهم، وكما يشبع نهمهم، فلم يروا في الشرق إلا العنف والسحر والشعوذة والبخور والجنس والشهوة وليالي ألف ليلة وليلة وعالم الرجل والعبيد والحريم والحجاب والمغامرات البحرية والعمامة والسلاطين الشرقية والطربوش التركي وسيف



عالم الحريم كما يراه الغربيون



الجملان والمرضى والزمار والجمل والخيام

[illegible]

Richard Burton إلى مصر والحجاز ووليام

بيكفورد William Beckford وترجمة [illegible]

Antoine Galland لقصة ألف ليلة وليلة ورسائل

لورنس العرب Lawrence of Arabia وأعمدة حكمته

السبعة وغيرها كثير لعبت دوراً في رسم الصورة

النمطية للإسلام والمسلمين، وربما كانت الرسومات

[illegible]

حيث تفننت في تعرية المرأة الشرقية المسلمة،

وتصويرها في حالة شبق وفجور كما تفننت في كسر

أسوار عالم الحريم، وصورت ما يجري في داخله من

شبق وفجور.

كما صوّرت الشرق الإسلامي المتوحش كما يبدو

في أسواق النخاسة، ومن هؤلاء في فرنسا جان ليون

جيروم، ويوجين دي لاكروا Eugene Delacroix

وهنري [illegible] Henry Regnault [illegible]

لويس John Frederick Lewis وجان أوغست

دومينيك آنجر Jean Auguste Dominique Ingres

الذي لم ير الشرق أبداً ولكنه استوحى رسوماته من

كتب مونتسكيو ورسائل الليدي مونتاغو.

ولعل كتاب رنا قباني «أساطير أوروبا عن الشرق

Europe's Myths of Orient» من [illegible]

عالجت موضوع الصورة المشوهة عن الإسلام

والمسلمين [illegible]

ولما كانت الصورة الأنثروبولوجية الإناسية وإن

بدت في الظاهر صورة ذات سمت علمي، إلا أنها تخفي

في باطنها عداء لاهوتياً وليس بمستغرب أن يكون

ذلك من منطلق وصفه بعض الباحثين العرب بأنه

قرين الاستعمار وأن أكثر الإناسيين هم ربائب

الاستعمار وقد قاموا بدراسة مجتمعات أطلق عليها

وصف (البدائية) حيناً و(المتوحشة) حيناً آخر أي

[illegible]

[illegible]



من فيلم لورنس العرب



حقول خصبة للتجارب، فضلاً عن استغلال مواردها وثرواتها تحت حجج ومبررات واهية. ومن كتاب الأنثروبولوجيا والاستعمار، لجيرار لوكلرك Gerard Leclerc من أحسن ما كُتب في إماطة اللثام عن العلاقة بينهما.

ولذلك ليس غريباً أن نجد أشهر أنثروبولوجي هو كلود ليفي شتراوس يصنّف الإسلام في كتابيه المشهورين: الفكر المتوحش، و(المدارات الحزينة) ضمن الديانات البدائية.

لماذا الخوف من الإسلام؟

لم يعرف التاريخُ القديمُ ولا المعاصرُ عقيدة تعرضت للتشويه المنظم كما تعرّض الإسلام، وقد يتعجب المرء لهذا القدر الهائل من الكراهية والحقد الذي يتحدر لتصويره دون البحث عن علل قديمة وأخرى حديثة تكمن وراء ذلك.

من الواضح أنّ الإسلام ليس ديناً ميّتاً أو عقيدة معطلة [illegible] في الأخيرة [illegible] في العقود الأخيرة يبين بأن المستقبل لهذا الدين، خاصة مما تُعرّض له من اعتداءات مشينة سواء بسبب سلوك بعض أهله، وأكثره سلوك جاهل [illegible] من قمع واستبداد، أو بسبب برامج منظّمة تخططها مؤسسات ومنظمات، وحكومات، دول، قديماً وحديثاً. الأمر الذي جعل خصوم هذا الدين، جملة من الحقائق.

الأولى: أن هذا الدين عصيٌّ على الاضطهاد، وقد برهنت تجارب التاريخ العملية على ذلك.

والثانية: تنامي هذا الدين وتعاظمه في أرجاء المعمورة بشكل يلفت الانتباه.

والثالثة: إفلاس البدائل. وأن العالم اليوم في شوق شديد للتجديد لا سيما بعد أن يئس من حضارة العصر الحديثة التي باتت تُعلن عن (موت الإنسان). وأن قيمة الإنسان بدأت تنحدر إلى مستوى مريع يستوي فيه الآدمي مع التراب، والأمر الذي حير الباحثين زحف الإسلام على أمريكا وأوروبا بشكل مذهل حتى حد بعضهم يقرع نواقيس الخطر منه، وبعضهم يكتب في ذلك كتب [illegible]، مثل [illegible] المد الإسلامي مواجهة أسرع الأديان نمواً في العالم



[illegible]



Islamic Invasion: Confronting the World's Fastest Growing Religion، روبرت موري Robert Morey، و"الإسلام المسلح يصل إلى أمريكا" Militant Islam Reaches America لدانيال بايبس Daniel Pipes. وفي فرنسا نجد منظر الإسلاموفوبيا الفرنسي دومي مارتان، وهو منظر سياسي فرنسي من المروجين للإسلاموفوبيا، وهو جان ماري لوبان Jean Marie Le Pen يحذر من خطر تزايد المسلمين في فرنسا، حيث يقول في مقابلة أجرتها معه الصحيفة الإسرائيلية اليهودية Haaretz News بتاريخ 2002/4/22: «إنهم، المسلمون، يتزايدون سكانياً، سواء بالإنجاب الطبيعي أو بالهجرة إلى فرنسا، مما يُقوّي من عزائمهم المريضة السيئة وطبائعهم المستبدة، وهذا هو علم الإسلام بكل رهبته وضلالاته».

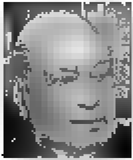
والرهبة، انتصار الغرب تكنولوجياً، وهزيمته أيديولوجياً.

والخلاصة، الإسلام دين ديناميكي حركي بطبعه، وقد حطّ الغرب [illegible] من دائرة السكون إلى دائرة الحركة؛ لأن الإسلام كلما استُفِزّ قوي، وكلما أُهين هو وأهله ثار حتى على المستكبرين منهم. ومن يتأمل في تاريخ الإسلام يكتشف أن أكثر حركات التحرر الإسلامي جاءت بعد زمن طويل لتصحح بعض التحرش به.



روبرت موري





ماكسيم رودنسون

وكان مكسيم رودنسون الفيلسوف الفرنسي من أوائل من نبّه إلى هذا الأمر، وفي إحدى المقابلات معه أشار إلى أن الموسوعة كانت ستُخفي الإسلام فيها لولا انتقاد الصحف.

وقد أتت أزمنة يوماً يقول أحد الطلاب الموسوعيين الذي يدرس على يديه بعد انتهاء الحرب الجزائرية وقد أطلق العنان لحديثه وكان من قبيل ماركسيين لا يؤمن بدين فسأله عن ذلك، فأجاب الطالب: إنهم يقتلون لأننا مسلمون، فصرت مسلماً ضد الذين يقتلونه من أجله، فاكتشفت عالماً قد غُيّب علينا منذ أمد بعيد.

هل الإسلاموفوبيا خير وسيلة لمحاربة الإسلام؟

ليس ثمة شك أن النخبة في الغرب وأمريكا يعرفون عن الإسلام الشيء الكثير، وربما أكثر مما يعرفه عنه المسلمون أنفسهم، وقد توسلوا سبلاً متعددة ومتنوعة لمجابهة ما يطلقون عليه خطر الإسلام، فذهب بعضهم إلى أن الأولى في معالجة هذا الأمر تجاهله وعدم إثارته، لأن الاصطدام به مباشرة سيولد في مستقبله حالة من التحدي والاستمرار لا قبل لخصومه به، ويرى فريق ثانٍ أن التعامل مع هذه الظاهرة يكون بالإمعان في تشويهه وحرقه، ووصمه بصفات سيئة كالإرهاب والأصولية واضطهاد المرأة، والتشكيك في القرآن، وما شابه ذلك، ويرى فريقٌ ثالث أن لا سبيل لوقف مد الإسلام إلا بشن حرب كونية عليه يقسّم فيها العالم إلى محورين: الخير والشر، وهذا الأخير هو مطلب بعض الساسة الأمريكيين والأوروبيين الواقعين تحت تأثيرات الصهيونية والإنجيلية التي شرعت في تمرير

الكنيسة، وتبرئة اليهود من دم المسيح، والاعتراف بالخرافة التوراتية وإدخالها في التراث المسيحي، والإسراع بعودة المسيح التي لن تتحقق إلا بعد إقامة دولة صهيون وبناء الهيكل المزعوم على أنقاض الأقصى، وحتى تتحقق نبوءة يوحنا اللاهوتي التي جاءت في الإصحاح السادس عشر من رؤياه الملحقة بكتاب العهد الجديد، لا بد من حرب مدمرة تصحبها زلزلة عظيمة لم يحدث مثلها منذ صار الناس على الأرض، وتصير المدينة العظيمة ثلاثة أقسام، وتسقط مُدنُ الأمم، وتسقط بابل العظيمة، وتهرب الجزر، وتزول الجبال، ويقع بَرَدٌ عظيم من السماء على الناس، وتفسر الصهيونية الإنجيلية هذه الرؤيا بأنها حربٌ نووية مدمرة يعقبها شتاءٌ نووي وهو المراد بالبرد في الرؤيا.

كل ذلك سيحدث في موضع بفلسطين اسمه هرمجدّون، لم تبق هذه الأوهام والهوس لأشغال العالم، بل تحوّلت إلى أعمال درامية لتهيئة الناس لما قد يدبّره هؤلاء الصهيونيون تحت شعار تخليص العالم من الشرور التي يجسدها الإسلام، وقد روجت شبكة الثالوث المقدس التلفزيونية TBN لشريط يحمل اسم شفرة أوميجا Omega Code يصور النبوءات الإنجيلية ويصوّر تفجير المسجد الأقصى.

ويزعم أن سر ... مكتوب بشفرة يوجد في الأسفار الخمسة الأولى من كتاب العهد القديم، ومن يطلع عليه سوف يُسيطرُ على العالم، وكتابات هال لندسي Hal Lindsey التي تحول بعضها إلى أفلام سينمائية من هذا القبيل، وهي كتب تلهب مشاعر بعض الصهيونيين بتدمير العالم، ومن أهم كتب لندسي:

- الأرض: ذلك الكوكب العظيم الأخير The Late Great Planet Earth وقد طُبع 108 طبعات، وبيع منه 18 مليون نسخة.
- كوكب الأرض: الفصل الأخير Planet Earth: The Final Chapter
- العدّ التنازلي لـ هرمجدون Countdown to Armageddon

تمثل هذه النزعة المحمومة لتدمير العالم باسم النبوءات التوراتية والإنجيلية، وإدخال العالم في حالة من الفوضى مرحلة من المراحل اللاهبة التي تلتهب فوق التربة الخصبة لمحاربة الإسلام والتحريض عليه، ولذلك لا عجب أن هال لندسي لا يتورع في كتابه كوكب الأرض الفصل الأخير عن أن يذكر أن الخطر الأعظم الذي يهدد الحرية والسلام العالمي اليوم هو الأصولية الإسلامية، وأن السلام مع إسرائيل لا يمكن أن يتحقق فقط إذا علم العرب بأن طموحاتهم العسكرية والاقتصادية لن تتجاوز إسرائيل، وهذا يحتاج إلى معجزة.

ومن أهم كتب هال لندسي التي تدعو إلى تأجيج الحقد والبغضاء كتابه الذي يحمل عنوان: الكراهية الأبدية: جذور الجهاد
(The Everlasting Hatred: The Roots of Jihad)

ولا يرى هذا الكاتب بأساً من أن يقول إن هذه الكراهية عمرها أكثر من 4000 سنة، وإن هدف الأصولية الإسلامية تدمير النظام العالمي اليهودي المسيحي بنظام عالمي إسلامي، وأنه ينبغي لكل أمريكي أن يدرك فداحة هذا الخطر الذي نواجهه ولماذا.

وبهذا الكتاب استحق هال لندسي بجدارة أن يُطلق عليه لقب (كبير دعاة الإسلاموفوبيا).





«الإسلاموفوبيا الجديدة» [illegible]

(الإسلاموفوبيا الجديدة)

La nouvelle Islamophobie

عنوان دراسة للمفكر الفرنسي فانسان جيسير Vincent Geisser من منشورات لاديكوفيرت 2003 في هذا البحث يسمح الكاتب ملف الثقافة في فرنسا التي تقوم بصنعه أجهزة استخباراتية محضة. ويرى فانسان جيسير أن مصطلح "الإسلاموفوبيا" من اختراع كتاب ومفكرين لهم ارتباطات وثيقة بأجهزة الاستخبارات، وقد عملوا في سلكها [illegible] مدة طويلة سواء في تجميع المعلومات أو تحليلها أو تتبع الظواهر السياسية المختلفة، وتقديم البحوث والاقتراحات لمعالجة بعض القضايا. وكل ذلك يجري تحت مسميات مختلفة وتحت ستار العلم والبحث العلمي. ويسمح الكاتب رؤية كبيرة في حقل المعرفة تورطت في مثل هذه الوظائف القذرة، مثل ميشيل تريبالا، أنطوان سفير وغيرهم. ومن الكتاب الذين تم تجنيدهم بشكل سري بفضل تسليط الأضواء عليه من قبل بعض المؤسسات الكبرى [illegible] وهو كاتب فرنسي يسمى [illegible] في سنة 1997 نشر أول كتاب له بعنوان "الإسلامية والولايات المتحدة: تحالف ضد أوروبا" ويتحدث فيه عن تحالف مزعوم بين الأصولية الإسلامية وأمريكا من أجل القضاء على أوروبا، وهي من أهم كتابات [illegible]. ويصف فانسان جيسير من حضروا مجالس المفكرين المتخصصين في فهم الإسلام والذي يُطلق عليهم اسم "الإسلامولوجيين" من خلال الصفات يوجهها إليهم ملف الثقافة في فرنسا لأنهم يتناولون بدراسة الإسلام موضوعياً [illegible] بسبب البحث عن الحقيقة التي غابت في دوامة محاربة الإرهاب العالمي تهمه من خلال أي مفكر حر مستقل. ويرى جيسير أن بعض المؤلفات التي صدرت حديثاً من الكتاب الفرنسيين تندرج ضمن صنف "إسلاموفوبيا". ومن هؤلاء [illegible] في كتابه "الخرائط السياسية ليوم الغد: الديموقراطية ضد بلاد الإسلاميين" وهو من منشورات دار [illegible] يناير سنة 2002 [illegible] في كتابه [illegible] على موقع [illegible] فرنسا [illegible] ضد الإسلاميين. ويشكل ملايين المواطنين المسلمين من الأصل العربي أحدها [illegible] من المجتمع لا يتوقف نشاطها [illegible] استقرار الفرنسيين المسلمين إلى تنظيم القاعدة وبعضهم يوجد في قلب النواة الأفغانية.

وقد انتقد قليلا من ملف الثقافة في فرنسا كما يصنعها فانسان جيسير إلى ملف الثقافة في أمريكا أو بريطانيا أو [illegible] المسلمة [illegible] أكثر إطلاعا [illegible] لمؤسسات [illegible].

أخيرا: لماذا الإسلاموفوبيا؟

الإسلاموفوبيا من الظواهر السياسية التي لا يجب [illegible] بمعرفة النظر في تكوينه [illegible] عن فهم أسبابها وكشف [illegible] بل [illegible] ليس من [illegible] إذ [illegible] أنها أكثر الظواهر الجيوسياسية [illegible] ويكاد يُجمع الباحثون على أن أسبابها هي:

- البحث عن عدو جديد بعد انهيار المعسكر الشيوعي، وتفكك جمهوريات الاتحاد السوفياتي.
- تعرض المجتمعات الإسلامية [illegible] العالم العربي، الأمريكي، حيث يشكل [illegible] أمام مصالحهم في بلاد الإسلام التي تتمتع بأكبر مساحات جغرافية، وهي مناطق [illegible] وأخطر مواقع [illegible].
- تكاثر عدد المسلمين في أوروبا وأمريكا، والتزايد المستمر لاعتناق الإسلام بشكل ملحوظ.
- صعوبة اندماج المسلمين وضعف تذويبهم في المجتمعات الغربية، لأن المسلم حريص على المحافظة على هويته الدينية والثقافية، ولذلك يعز على الغربي أن يرى مسلما يسير بجلبابه في شارع الشانزليزيه مثلا أو أن يرى مسجدا ينتصب في العاصمة الباريسية.

الإسلاموفوبيا

الصورة النمطية (المقولبة) في الإعلام الغربي

إن الصورة النمطية Stereotypical Image أو Portrayal هي الصورة التي يرسمها فرد، أو مجتمع، أو مؤسسة عن الآخر سواء أكان إنساناً، أو ثقافة، أو ديناً، وفق المعتقدات التي يحملها المصوِّر بصرف النظر عن كونها مطابقة للواقع أم مغايرة له. والصورة النمطية صورة سلبية في الغالب لأنها لا تعكس إلا ما يحب مصوِّرها أن يرى، وتمسي أشبه بالصورة الموروثة غير القابلة للتغيير. وقد لعب هذا التصوير النمطي Stereotyping دوراً سيئاً في رسم ملامح الإسلام والمسلمين، مخلفاً أثراً سيئاً في نفوس الآخرين. وتكمن خطورة الصورة النمطية عندما يُوظَّف لترويجها الأدوات الإعلامية الجبارة من: إذاعة، وتلفزيون، وسينما، وصحافة، وإنترنت، ورسوم أطفال، ورسوم ساخرة. فتشيع في الناس وكأنها حقائق لا يرقى إليها الشك.

وقد أحس كثير من المفكرين بخطورة هذا التنميط الذي يساهم في خلق الكراهية، ويزيد العقد بين الشعوب والثقافات والأديان، الذي يفضي في نهاية المطاف إلى اتساع رقعة العنف، فكتبوا في ذلك كتباً مهمة، مثل كتاب:

◆ الرؤية النمطية المنقسمة: صورة العرب في الإعلام الأمريكي

Arab and Muslim Stereotyping in American Popular Culture

قام بتحريره البروفيسور إدموند غريب Edmund Ghareeb، وقد صدر عام 1983 عن مجلس الشؤون العربية الأمريكية.

ومن أهم ما كُتب في هذا الموضوع مؤلفات البروفيسور جاك شاهين Jack Shaheen الذي صرف وقتاً طويلاً من عمره في بحث هذه الظاهرة وتحليلها، ومن مؤلفاته التي تُعد مراجع مهمة في رصد الظاهرة وتتبعها:

1. عرب التلفزيون The T.V Arab
2. التصوير النمطي للعربي والمسلم في الثقافة الأمريكية الشعبية:

Split Vision: The Portrayal of Arabs in the American Media

3. العرب الأشرار: كيف تشوه هوليوود سمعة شعب

Reel Bad Arabs: How Hollywood Vilifies a people

يقول د. جاك شاهين في مقدمة كتابه "التصوير النمطي":

«ما زلت أتذكر الأسلوب الذي بسط فيه جيمس بيرنغ James Parng مدير البرامج في تلفزيون CBS يوم جئت لمقابلته لأسمع رأيه في عملية التنميط (القولبة) Stereotyping في سنة 1974، حيث قال: "أعتقد أن تصوير العرب بصورة نمطية مسألة جذابة لعدد من الناس، والقيام بذلك أمر سهل، وإنه الشيء الأكثر قبولاً عند عدد كبير من المشاهدين، وهذا الشيء يشبه ترطيب الجسم، والمتعة، عندما تكون الأحداث رتيبة". ولم يتغير شيء كبير منذ ذلك

العربي. فالدراسات حول الإسلام والعرب قديمة ولكن كرة تدور في ضريبة السنة. فالعرب والمسلمون ما زال يُنظر إليهم باعتبارهم الآخر الثقافي المُهدِّد. يقول جون اسبوزيتو John Esposito في كتابه "التهديد الإسلامي: حقيقة أم أسطورة" من [illegible] الراية الحمراء واللون الأخضر رمز الإسلام قد يكون بديلاً عن الراية الحمراء (واللون الأحمر رمزٌ للشيوعية) والإسلام يصنف في الغالب مع التعصب والكراهية والعنف، وعدم التسامح، وقمع النساء. وفي مقابلات أجراها بولستر لويس هاريس Pollster Lewis Harris مع 1000 شخص أمريكي، وسئل الأمريكيون [illegible] بآرائهم عن الصورة النمطية السلبية، فكانت النتائج على النحو الآتي: 42 % يتفقون مع عبارة «المسلمون يميلون إلى دعم نشر الإرهاب أو يؤيدونه». 47 % يتفقون على أن «المسلمين معادون للغرب، ومعادون لأمريكا». 32 % يتفقون مع مقولة أن المسلمين يهزأون بالنساء ويضطهدونهن. وبعدة كتب التقارير الإعلامية وسائل الصورة الجهاد بأنه حرب مقدسة وهو تعبير صليبي، تولَّد في رحم الكنيسة. وثمة مصطلحٌ آخر صيغ حديثاً [illegible] وهو الأصولية Fundamentalism حيث لا يوجد مقابل مقبول له في العربية. يقول الأستاذ شاهين: «وبالرغم من أن الأصولية مصطلح أمريكي يراد به البروتستانت الذين فهموا الإنجيل بشكل حرفي، إلا أن الصحافيين يصفون المسلمين بأنهم أصوليون، والأصولية تصنف في مستوى واحد مع التعصب». ويقول بيتر جيننج Peter Jenning من تلفزيون ABC للأستاذ ستيوارت هوفر Stewart Hoover من جامعة كولورادو (في حوار شخصي في 15/3 [illegible] نقله الأستاذ شاهين في مقدمة كتابه "التصوير النمطي"): «نحن ورملاؤنا لم نقم بعمل جيد في التماس مع الإسلام، وبشكل أخص أظن أننا لم نتماس بشكل جيد مع العرب، ونحن

في قناة لم نتماس بشكل جيد مع العرب. وفي قناة ABC لم نستعمل مصطلح «أصولية إسلامية» لأننا نرى أن ذلك استعمال مخطوء Misnomer. والآخرون يستعملونه. ونحن جميعاً نحتاج إلى وعي أكبر بالدين عموماً. وقد تم التماس مع المسلمين على أنهم كتلة واحدة دون تمييز، وجُعلت [illegible] العرب على أساس يعطي أكثر مما يجري على حد قول اسبوزيتو (التهديد الإسلامي ص 207). ووصف الصوامت المختلفة التي استعملت فيها مصطلح أمريكية مع اختلاف أسبابها وملابساتها من كل وراءها، والتعامل معها على أنها صورة واحدة تشجع على تزايد المشاعر المعادية للإسلام، حتى إن الأمريكيين يظنون أن إيران دولة عربية، وبالرغم من أن أكثر المسلمين ليسوا عرباً إذ لا يشكلون أكثر من [illegible] من مجموع المسلمين إلا أن كثيراً من الأمريكيين يحسبون أن العرب هم المسلمون فقط. وفي استطلاع عام أجري سنة 1980 إبان أحداث الرهائن الأمريكيين في إيران اظهر أن 70 % ممن استطلعت آراؤهم من الأمريكيين يعرفون إيران بأنها قطر عربي و [illegible] لا يعرفون هل هي عربية أم لا.

'Shelly Slade: The Image of Arab in America. Middle East Journal, Spring [illegible]991, pp. 143-162)

تتلاشى عن حالة تشابه التصوير النمطي

وقد نبه خطورة الصور النمطية السلبية والت ليبمان Walter Lippmann قبل سبعين عاماً إذ قال: «إن أكثر المؤثرات خبثاً هي تلك التي تخلق مستودعاً من الصور النمطية. فقد أُخبرنا عن العالم قبل أن نراه، ونحن نتخيل أكثر الأشياء قبل أن نختبرها، وتلك التصورات تتحكم بعمق في عملية الإدراك».

(Walter Lippmann: Public Opinion New York: Free Press 1922 p23)

لهذا عملت الستيريوتايب عملها في طمس الحقيقة، فصورت الثقافة الأمريكية في مطلع القرن

المضربين الآخر عبر شاشاتهم بصور معينة، فظهر الآسيوي مخمور Sneaky والأسود ... والإيطالي مافياوي Mafioso والإيرلندي مخمور Drunk واليهودي طماعاً Greedy والهندي متوحش Savage والأسباني دهني كالشحم Greasy. ومع تقدم الزمن تبدلت هذه الصور الكاريكاتورية تنتهي إلى حد ما، واستعيض عنها بنموذج عام يمكن ان يُركب عليه كل الأقنعة هو البديل هو العربي المسلم. النموذج الذي يسمى 3B's Character وهو مختصر لثلاثة أوصاف كل واحد منها يبدأ بحرف B، فشخصية العربي في السينما لا تخرج عن هذه الأوصاف الثلاثة: المليونير Billionaire، المتفجر Bomber، و الراقص Belly dancer

يقول سام كين Sam Keen في كتابه وجوه العدو Faces of the Enemy ص 29 «يمكنك ان تضرب عربياً ... بلا مقابل ... بلا ثمن ... لا يمكنك ان تعمل ذلك مع يهودي او حتى مع رجل أسود».

لقد ظلت الشخصية المسلمة الاسطورية والخرافات الدرامية منذ بداية القرن العشرين، وهذا يعكس تأثير صناعة الثقافة المتأصلة والمسيحي واليهودي حتى إنهم ما زالوا يكررون إ... قدموا صور مستحيلة ... ليقنعهم أنه لا أحد سيسأل ... لماذا؟ كيف؟ او متى؟

ويتحدر إلى هذا المستوى ... أن القناة الإنجليزية الرابعة بثت في سنة 1997 شريطاً ... فيه ... بلا تعليق بصور مواطنين ... مواطنين بعلون ... ويهاجمون على ... Seal ... النشمة ... تحت ... المواطن البريطاني وهو ... جمرقياً الى شمال

افريقي من الامريكيين ان يعمل ... لا يعني الا في الأسواق ... وأن ثلاثة ... صحر ... يا ... يسيدي ... الصعيد ... بكل ... في التصحيح من مع ذلك ... من الواضح جداً ان ميكانيزم التصوير النمطي ... كثير حتى لا مبالاة المتضرر. وسرعة تصديقه ... تقول ... متأصلين في التصوير النمطي: «لقد تتبعت من سنة 1986 إلى سنة 1995 ما يعرض على التلفزيون في ولاية سانت لويس وميسوري، وعلى قنوات الكيبل والكابل فوجدت أن نحواً من ... إلى ... شريطاً يُعرض فيها اسبوعياً ... العرب والمسلمين ويصورهم ... ان أكثر شرائح المجتمع الأمريكي متابعة لأفلام الإثارة هم جيل المراهقين، وهم الأكثر سطحية، والأكثر استعداداً بما يشاهدون ... لما خطورة الصورة النمطية وتحولها إلى مصدر من مصادر الإسلاموفوبيا. وفي عدد كبير من الأشرطة التي لا تعالج موضوعاً يتعلق بالعرب أو المسلمين لا من قريب ولا من بعيد، يحرص المنتجون والمخرجون على إقحام العربي والمسلم في تلك الأشرطة،

> **في عدد كبير من الأشرطة التي لا تعالج موضوعاً يتعلق بالعرب أو المسلمين لا من قريب ولا من بعيد، يحرص المنتجون والمخرجون على إقحام العربي والمسلم في تلك الأشرطة.**

فيظهر في خلفيات الشريط كالشبح ... متربص في ... او يهاجمه ... بطله ... المنتفخ بين ... موسيقات في جو الصادق ... قهقهات ...

واما الألفاظ التي تجري على لسان الأبطال من شتم العرب وسبهم فيمكن ان يجمع منها قاموس خاص ... «Scumbag» و «ابن العاهرة Son of a bitch» وذبابة على غائط a fly in a piece of shit، و «حيوانات Animals»، و «ابن زنا Bastard» وخنازير «P-is pigs» ومتوحشين «Savage» يذبحون الاطفال Children Massacre.

هـولـيــوود

صناعة الإسلاموفوبيا

منذ أن أحكم اليهود قبضتهم على مؤسسات الإعلام في العالم وفي أمريكا على وجه الخصوص وصورة العربي والمسلم يتم تشويه تلك الصورة التي أمعن في تشويهها ذلك الإعلام على مدى قرن من الزمان. وكانت الدراسة التي أعدها البروفيسور جاك شاهين عن الأفلام التي صنعتها هوليوود في حق العرب والمسلمين إدانة حقيقية لتلك المؤسسات. وقد أحدث كتابه الأخير الذي يحمل عنوان

«العربي الشرير: كيف شوهت هوليوود شعب»

Reel Bad Arab, How Hollywood vilifies a people

دوياً هائلاً في أوساط النخبة المثقفة في أمريكا والعالم حيث أماط اللثام عن ظاهرة خطيرة وهي توظيف وسائل الإعلام في رسم صور مشوهة لأمم وشعوب من أجل تحقيق مآرب سياسية دنيئة. ويعد الكتاب وثيقة حقيقية كشفت الوجه القبيح لمؤسسات إعلامية يزعم أنها تسعى لتنوير العالم.

يقول دكتور شاهين في كتابه «عرب التلفزيون» (The T.V. Arab) «إن تكون عربياً فإنك مرشح للإرهاب والسخرية في التلفزيون تحت مسمى الاستمتاع» ويرى أن الصورة المعادية للعرب تكشف عن نفسها في السياسة الأمريكية، وبالرغم من أن أكثر العرب يعيشون في مدن بعيداً عن الصحراء



كالرباط والجزائر وتونس وطرابلس والقاهرة ودمشق وبيروت والقدس وبغداد إلا أن الصورة التي رسمتها مؤسسات الإعلام المختلفة من صحافة، وإذاعة، وتلفزيون تظهر العرب شعباً همجياً يعيشون في قلب الصحراء حيث الرمال الصفراء الأطراف، وحيث الإبل والخيام. ومن عجيب أثر هذا التشويه على السياسة أن السواد الأعظم من الأمريكيين يظنون أن منظمة أوبك العالمية لتصدير النفط OPEC منظمة عربية يقودها شيوخ النفط العرب بالرغم من أن ستة فقط من ثلاثة عشر عضواً من أعضاء المنظمة هم من العرب.

لقد اكتشف صنّاع الإسلاموفوبيا في أمريكا والغرب أهمية توظيف المؤسسات الإعلامية لا سيما السينما التي تلعب الدور الأكبر في تشكيل ثقافة الإنسان المعاصر الذي يعزف عن القراءة والبحث بسبب تعقد الحياة، وتفاقم مشاكل العيش. ولهذا عمل اليهود على اختراع هوليوود.

ويبين كاتب يهودي هو نيل غابلر Neil Gabler في دراسة له صدرت سنة 1988 بعنوان "الامبراطورية التي تخصهم: كيف ابتدع اليهود هوليوود"

"An Empire of their own:

How the Jews Invented Hollywood"

أن اليهود أسسوا جميع الاستوديوهات الأمريكية السينمائية الكبرى بما فيها صناعة السينما الأمريكية متمثلة في كبرى الشركات العالمية مثل: كولومبيا Columbia، مترو جولدوين ماير Mayer-Metro Goldwyn، وارنر براذرز Warner Brothers، باراماونت Paramount، يونيفرسال Universal، تونتيث سنتشري فوكس Twentieth Century Fox.

لقد تأسست هوليوود عقب الحرب العالمية الأولى، وقام بإدارتها يهود من أوروبا الشرقية، ثم تم تبنيها من قبل كتّاب يهود معظمهم شرقيون. ويقول نورمان كانتور Norman F. Cantor في دراسته الصادرة سنة 1994 عن جامعة نيويورك تحت عنوان

"السلسلة المقدسة: تاريخ اليهود"

'Sacred Chain: A History of Jews'

إن إنتاج الأفلام وتوزيعها في هوليوود كان في الغالب تحت السيطرة الكاملة لليهود المهاجرين في الخمسين سنة الأولى من تأسيسها، وظلت السيطرة على مستوى القمة في هوليوود لليهود. وفي أوائل الثمانينات من القرن العشرين سقط آخر معقل في هوليوود كان يسيره غير اليهود وهو استوديو ديزني.

وظلت هوليوود على مدار حقبة طويلة من الزمن قد تصل إلى ثلاثة أرباع القرن تعمل بدأب على تشويه العرب والمسلمين وتصويرهم بأنهم برابرة، همج، رعاع، خونة، قذرون، جبناء، وأن اليهود أكثر تحضراً وتسامحاً وشجاعة. ذلك التباين الذي يسميه مؤرخو السينما أفلام الطيب والشرير God Guy /Bad Guy وفي الستينات وحدها نجد على الأقل أكثر من عشرة أفلام أنتجت لتلعب دور البطولة فيها أمريكيون يهود مثل بول نيومان، توني كيرتس، كيرك دوغلاس وآخرون غير يهود مثل يول براينر، جون واين، جيري لويس، فرانك سيناترا، شارلتون هستون، جورج بيبارد، روك هدسون، أرنولد شوارزنيجر، ودور العربي يسند عادة لممثلين كومبارس من الدرجة الثالثة والرابعة، ويستحسن أن يكون قبيح المنظر لا يتعاطف معه الجمهور، وفي أحسن الأحوال يؤتى بهم من أمريكا اللاتينية، وإسبانيا، وجنوب إيطاليا ممن تشبه ملامحهم ملامح العرب، مع عدد قليل من العرب الذين لا يلعبون دوراً رئيساً في الشريط، وإنما يشكلون عادة خلفية للمشهد السينمائي.

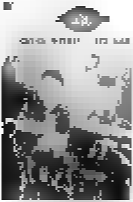
وفي مقابلة أجريت مع الممثلة جين فوند Jane Fonda حول فيلم (Rollover) الذي عرض في عام 1981، وفيه يقوم العرب بتدمير النظام المالي العالمي، وقد لعبت فيه دور بطولة تقدمية، عبرت بصراحة عن موقفها المتعصب من العرب بقولها: «إنهم مثل العرب، فمن الأفضل أن نخيف ملوك... إن بهم سيطرة استكراتيمية عليهم، وهم ليسوا متزنين، وهم أسطوريون وسطحيون، وأعداء للمرأة، وأعداء الصحافة الحرة».

إن الأفلام السيئة التي شوهت العرب والمسلمين، والتي جذرت الخوف من الإسلام، بلغت رقماً كبيراً جداً.

على مدار الثلاثة عام المنصرمة، وقد كشفها بشكل جاك شاهين في دراسته القيمة (العرب الأشرار: كيف شوهت هوليوود شعباً).

ونحن هنا لضيق المقام، نكتفي بالإشارة إلى بعض هذه الأفلام.

ففي شريط (الهجرة أو الخروج Exodus) أنتج سنة 1960، يقتل العرب المتوحشون صبية يهودية جميلة في الخامسة عشرة من عمرها. وفي شريط (الأحد الأسود Black Sunday) أنتج سنة 1977 يلعب اليهودي دور البطل بينما العرب أنذال وإرهابيون يريدون قتل متفرجين في ملعب عامة بمن فيهم رئيس الولايات المتحدة نفسه.

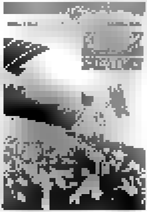


وفي شريط قوات الدلتا (Delta Force 1986) يلعب دور البطولة الممثل اليهودي شوك نوريس ولي مارفن.

وفي الشريط يظهر البطل الأمريكي الأسطوري الذي لا يقهر، ويقضي على الأعداء العرب المجرمين. وعلى غراره شريط (النسر الحديدي Iron Eagle 1986).

ويعد شريط (قواعد الاشتباك Rules of Engagement) من أسوأ أفلام هوليوود، ليس في عيون المسلمين فحسب، بل في أعين العقلاء الأمريكيين أنفسهم. بالرغم من أن الفيلم قد حصد ربحاً يقدر بـ 43 مليون دولار خلال سبعة عشر يوماً من عرضه. وقد دعت الهيئة الأمريكية العربية لمكافحة التمييز ADC إلى الاحتجاج على الشريط أمام المحطات الفضائية لأنه دعوة صريحة للتعصب وقتل العرب، حيث يصور حشداً من المتظاهرين حاصروا السفارة الأمريكية في اليمن، فأرسل الكولونيل تيري تشلدر من المارينز لتحرير السفير وأسرته، فشن هجوماً على السفارة







واستطاع محطمة السفير بكن ثلاثة من رجاله قُتلوا حينئذٍ أسير لوامره بإطلاق النار على الحشود بقتل ثلاثة وثمانين عسكرياً ونساء فكانت مذبحة مروعة تمرب الأمريكيون عبر الزحف الأشعاب مبتهجين بالنصر على المتظاهرين الذين يصورهم الفيلم وكأنهم إرهابيون قتلة لا يستحقون إلا الموت. يحكي الشريط أن أزمة دبلوماسية حدثت بين البلدين بسبب تلك المذبحة مما استدعى الأمر ان يمثل الكولونيل تيري تحت استجواب. وفي المحكمة يسعى هذا الضابط ومحاميه أن المتظاهرين كانوا مسلحين بمن فيهم الأطفال، ولأن بياناً صدر من جهة تسمى الجهاد الإسلامي تدعو بقتل الأمريكيين سواء أكانوا عسكريين أم مدنيين وقد كان منهم من باب الدفاع عن النفس. والشريط كما يتفق أكثر النقاد على أنه تبرير بقتل العرب وتهيئة الرأي العام الأمريكي لتقبل مثل هذه الأمور ان حدثت، وما هي بالفعل تحدث في العراق وفي أفغانستان، ولا يحرك أحدٌ ساكناً لأن ما يجري هو مجرد ... ودفاع عن النفس أو بلغة بوش (عمليات استباقية) وجاء في بيان صدر عن الشركة المنتجة للفيلم «Paramount Pictures» قولها لاستقبال مجرد عمل درامي ورواية خيالية سمحت في حوادث التطرف بجميع أشكاله. والفيلم ليس اتهاماً لأي حكومة أو ثقافة أو شعب ولكنه استكشاف لمأساة الإنسانية والعواقب التي تحدث عندما يوضع شعبٌ من الشعوب في مواقف متطرفة ولكن الشريط من الشركة المنتجة لم تجب عن تساؤلات النقاد لماذا مثّلت البلاد اليمن وشعب اليمن بالذات؟

ويصور شريط أكاذيب حقيقية (True Lies) 1994 إرهابياً عربياً يحمل أسلحة نووية ويجب القبض عليه.

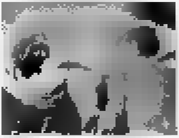
ومن الأفلام الرديئة المتحاملة على المسلمين شريط (الحصار The Siege) وفيه تقوم مجموعة من المسلمين الإرهابيين بهجمات بالقنابل على أمريكيين أبرياء، فتقوم السلطات الفدرالية بإعلان القوانين العرفية في البلاد، ومن ثم إلقاء القبض على المسلمين والعرب في جميع أنحاء الولايات المتحدة. ويبدأ قصة الفيلم عندما يلقي فرع من فروع الجيش الأمريكي القبض على مشبوه عربي يظن أنه العقل المدبر للإرهاب واسمه الشيخ أحمد بن طلال، فيجيء خبر اعتقاله إلى أصوليين إسلاميين. ولم تكن الشرطة الأمريكية الفيدرالية الا رسالة واحدة تقول: أطلقوا سراحه، ثم بدأت عمليات التفجير في نيويورك بتفجير حافلة يقتل فيها 25 مدنياً، ثم تفجير مسرح في برودواي Broadway وأخذ ... في ... المدارس ... يصف بعض النقاد الفيلم بأنه نبوءة لا سيما بعد أحداث 11 سبتمبر

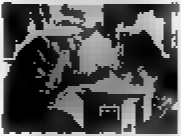


ومن الأفلام المسيئة في التشويه شريط هيدالغو Hidalgo شارك في بطولته عمر الشريف، وهو يحكي قصة حقيقية ملخصها أن أمريكياً ينحدر من أصول هسبانية ذهب إلى الصحراء يشارك بجواده المسمى الأصيل في سباق سنوي للخيول كان ينظمه أحد شيوخ القبائل العربية يدعى الشيخ رياض (عمر الشريف) وكان للشيخ يملك جواد عربي أصيل اسمه (الحلال) لم يُهزم قط في سباق، وكان الفرسان ينطلقون من قبيلة الشيخ، ويقطعون صحراء الجزيرة، إلى

بغداد حتى [illegible] وهي نهاية السباق فخصص للأمريكي مراقباً عربياً [illegible] قبل السباق [illegible] الخادم الأمريكي [illegible] الشيخ رياض لا يصافح أحداً لأنه إذ [illegible] يده فقد القدرة على التنبؤ بالمستقبل، ويتحدث الخادم مع الأمريكي عن نفسه ويقول له إنه [illegible] عند الشيخ رياض وإنه ضبط مرة يسرق الحليب وبذلك عوقب بأن يخدم الأمريكي [illegible] لم يفعل ذلك قطع لسانه [illegible] في ليالي الشتاء الباردة [illegible] وجهه مع حصان الشيخ [illegible] الإسطبل.

وعند انتهاء المرحلة الأولى من السباق يصرع الأمريكي وجواده من الماء نتيجة أن [illegible] جافة وفي الحقيقة [illegible] الأمريكي في السباق [illegible] الأعراب [illegible] بالسقاية عند البئر لكن الأمريكي اللعين لم ينتبه لذلك وقال لصاحبه وكم سندفع من أجل البئر الثانية عند نهاية المرحلة القادمة من السباق؟ الذهب والسرج [illegible] فلك [illegible] فيجيبه [illegible] العربي بقوله: والرسول كان قاطع طريق في وقته!!





يكتشف الأمريكي [illegible] للشيخ رياض بنتاً جميلة [illegible] تقول إن أحداً لم ير وجهها عدا أبيها والأمريكي الآن لقد كشفت له عن وجهها لأنه [illegible] والفتاة تريد الهرب للأمريكي، لأنه إن انتصر [illegible] ويدعى الصدار [illegible] وهو [illegible] من [illegible] الأمريكيات [illegible] جديدة [illegible] برواته معها

وأثناء هذا الحوار يهرب الأمريكي والفتاة بدخول الصداد [illegible] من الخيمة فيهالون عليه ضرباً [illegible] إلى الشيخ رياض الذي [illegible] هذا [illegible] يصرخ الشيخ رياض:

[illegible] العار إلى بيتي، فيقول له [illegible] أتباعه [illegible] يرجم والأب [illegible] ابنته إليه الشرع [illegible] إلى الأمريكي [illegible] أنت [illegible] الكافر [illegible] بطلب الشيخ رياض بالأمريكي ويسأله

هل [illegible] بيتي؟ كلا يا سيدي،

من يمسني كافر؟

وأثناء هذا [illegible] ترتفع الأصوات ويصرخ الشيخ رياض [illegible] تقول: سيدة إنجليزية كانت تشارك بجواد لها في السباق [illegible] مثل الرياضة الوطنية [illegible] كان الصداد [illegible] بنت الشيخ لأنه [illegible] من هزيمته أمام الأمريكي في السباق. يساوم الصداد الشيخ رياض [illegible] مقابل جواده [illegible] الصداد [illegible] الشيخ رياض [illegible] في [illegible] العصار.

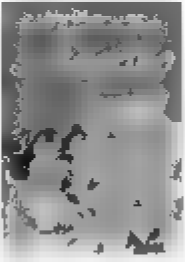
[illegible] قبل [illegible] في [illegible] بغدادي [illegible] وبطريقة خارقة يصل الأمريكي وأحد العبيد إلى خيمة الصداد مع جواد [illegible] في إنقاذ الفتاة ويقتل العبد الذي كان معه ويعود منتصراً حيث كان الشيخ رياض وأهل الفتاة بانتظاره [illegible] السباق من جديد لإكمال المرحلة

النهائية. ويلعرض الأمريكي في الطريق يقتل بسبب خيانة وغدر صاحبه العربي، ومع ذلك يقوم بإنقاذ أحد أصدقائه من الرمال المتحركة بالرغم مما أصابه منهم. يتعجب العربي من عودة الأمريكي لإنقاذه بالرغم من كيده له، فيقول له: «... حُبِّكَ من أجلي. لا توجد جائزة من أجل حياة إنسان؟!» يفوز الأمريكي في النهاية، ويهتف الجمهور في استقباله: كاوبوي، كاوبوي.

عبر المشوار أكثر من نصف قرن أصبح جمهور العالم ملماً بالتشويه والتشويش الذي تقوم به المؤسسات السينمائية وما تخلّفه هذه الصور النمطية من آثار سلبية على المشاهدين الذين يستهلكون كل ما يشاهدون أو يقرؤون.

ومن الأشرطة التي توظف الإثارة من خلال مشاهد الرعب والخرافة شريط المومياء Mummy الذي يصور العربي المجرم المستكشف الباحث عن الحقيقة بينما يظهر العربي في صورته النمطية المعتادة: الأنانية المخادع الذي لا يستأمن الجبان المنقاد بخرافته، الدموي النهم الذي لا يشبع القبيح المنظر. والعجيب أن بعض الكلام يأتي في الشريط باللغة العبرية وكأن المخرج أراد أن يقول للمتفرج إن تاريخ اليهود عمره آلاف السنين قبل الميلاد، وأنهم هم من صنعوا حضارة مصر القديمة وليس الفراعنة ... [illegible] ... الفراعنة.

وأشرطة الرسوم المتحركة (كارتون) لم تسلم هي الأخرى من تشويه، فالعربي والمسلم يعبّر عن Bogeyman وهو في الغالب شرير Evil-minded أو قاتل Murderer و ... Thief و غبي أحمق Foolish. حتى الشريط الذي قد يصور العربي أو المسلم في صورة بطل مثل شريط علاء الدين 1992 المستوحى من ألف ليلة وليلة لم يخلُ من التشويه، ويكفي تلك الأغنية الوقحة التي يغني بها علاء الدين عن جزيرة العرب وهو يقول: «إنها بربرية، ولكنها مع ذلك وطني». وفي شريط ميكروني كارتوني اسمه Mikra يدور حول سيطرة البشر الأليين على العالم، فتقرر الحكومة تدميرهم، وفي النهاية يتم التخلص من ... ويجتمع القادة في هيئة الأمم المتحدة، وأمامهم خريطة العالم يحتفلون بالنصر.





فجاءت لقطة دعائية عن الخريطة، وفوق جزيرة العرب كلمة مكتوبة عند العسكريين باسم ... من على وجه الخارطة، والمتفرج ليس محتاجاً لجهد ذهني كبير ليستوعب الرسالة أو العقاد المقصود.

الإســــلاموفوبيا

الكراهية والبغضاء في المدارس الأميركية نموذجاً

إن زرع الأفكار المغلوطة في أذهان الناشئة جريمة شنعاء إن لم تكن جريمة بالمعنى القانوني، وتتفاوت خطورة هذا النوع من الجرم لاعتبارات مختلفة، فالفرق مثلاً كبير بين الخطأ الناجم عن قلة المعلومات، وندرة المصادر، والخطأ المتعمد الذي يراد من ورائه تحقيق هدف ما، أو الوصول إلى غاية معينة لا يمكن بلوغها إلا بذلك. وقد أثبتت الدراسات أن الكتب المدرسية في المدارس الأمريكية والأوروبية مشحونة بالأفكار المستقبحة التي تساهم في زرع الكراهية والحقد في نفوس الأطفال. فقد أجريت دراسات عديدة تبحث في الصورة التي يتم بها وصف العرب والمسلمين في الكتب المدرسية بالولايات المتحدة. ففي سنة 1975 شكلت رابطة دراسات الشرق الأوسط

The Middle East Studies Association (MESA)

لجنة لدراسة صورة الشرق الأوسط في الكتب المدرسية للمرحلة الإعدادية، وقد انتهت نتائج دراستها إلى أن غالبية الكتب المدرسية أخطأت في مواضع كثيرة، وأنها تكرر الصور النمطية المغلوطة عن الإسلام والمسلمين، وتعمل على استمرارها، مع التهوين من شأن المسائل الكبرى، وتضخيم المسائل التافهة، وكثيراً ما تركز على النتائج وتهمل الأسباب

ينظر:
(1) W. Griswold, The Image of Middle East in Secondary School Textbooks, New York, Middle East Studies Association, 1975, P.25

وفي سنة 1974 أجريت دراسة على 36 كتاب مدرسي للمرحلة الإعدادية والثانوية بولاية كاليفورنيا في حقل العلوم الاجتماعية، وقد أثبتت هذه الدراسة أن الصورة النمطية لتلك الكتب كانت مسلطة على تصوير الشرق الأوسط أنه مجتمع عربي بدائي، يرتبط بالجمل والصحراء والبدو، وأن تاريخ العرب والسلب والنهب، والقتل ما هي إلا سمات موروثة من حياة البداوة، وأن الإسلام محمدية كما هي تسميته عند المستشرقين، وأن موسى وعيسى هما من أنبياء الله، وأن محمداً راعي قوافل، وأن الإسلام انتشر في بلاد العرب بالسيف.

ينظر:
(2) W. Bender, The New World's Foundation in the Old, Boston, Allyn and Bacon, P.287

ولا تزال الكتب المدرسية الأمريكية تضع المرأة المسلمة في مكانة منحطة، وتزعم أن القرآن جعل النساء عبيداً للرجال.

في سنة 1985 ظهرت دراستان أخريان:

- الأولى: تناولت مسألة الشرق الأوسط في 36 المدارس الأمريكية للمرحلة الثانوية، وقد قامت



بتحليل محتويات 20 كتاباً مدرسياً وخلصت إلى أن

1) مصطلح العرب والمسلمين شيء واحد مع أن ليس كل المسلمين عرباً وليس كل العرب مسلمين

2) الإسلام عقيدة ومنهج حياة دون مضمون

3) إسرائيليون وجهات نظرهم دائماً منصفة على العرب ووجهات نظرهم ...

(W. Perry, "Treatment of the Middle East in American High School Textbooks", Journal of Palestine Studies, Vol. IV, No.3, April 1975, pp. 46-58)

• قامت الجالية وهي بعنوان صور العرب في كتب العلوم الاجتماعية للمدارس الثانوية في الولايات المتحدة بدراسة 45 كتاباً مدرسياً في حقول التاريخ، والجغرافيا والاجتماع، وخلصت إلى النتائج نفسها تقريباً ...

(S. A. Jarrar, Images of the Arabs in United States Secondary Schools Social Studies Text Books)

وفي سنة 1980 قامت الرابطة الوطنية للعرب الأمريكيين.

National Association of Arab Americans (NAAA)

بدراسة بعنوان العالم العربي والإسلام في الكتب المدرسية بولاية واشنطن دي سي، وخلصت فيها إلى النتائج الآتية:

• تجاهل التاريخ العربي والثقافة العربية بالمقاييس الغربية

• المعلومات المستخدمة قديمة جداً وغير صحيحة

• الصراع العربي الإسرائيلي مصور ... لمصلحة اليهود

• الإسلام بين سلبي ...

(National Association of Arab Americans, "Treatment of the Arab World and Islam in Washington Metropolitan Area Junior and Senior Textbooks", Washington D.C. 1980)

ولم تتوقف الدراسات عن البحث في مؤثرات الصورة النمطية في الكتب المدرسية حتى اليوم لما تشكله من خطورة على تكوين العقل والسلوك، وكل هذا يتحول في نهاية المطاف إلى شكل من أشكال الإسلاموفوبيا.

مؤتمرات لمجابهة

الكراهية الأزلية

في جو مشحون بالكراهية ومعاداة كل مظاهر الإسلام انعقد مؤتمر "الإسلاموفوبيا: الكراهية الأزلية" في أكتوبر 1997 بقاعة Logan Hall بلندن، وشارك فيه عدد كبير من الأوروبيين والمسلمين، وقد تحدث المؤرخ الاسكوتلندي يعقوب ركي عن جذور الإسلاموفوبيا ويرد ذلك إلى بواكير ظهور الإسلام الأولى، وأن الغرب قد عرف موجات متتالية من الكراهية للإسلام. وقال: إن الغرب يعتمد على الإسلاموفوبيا لتحطيم الإسلام كما حطم الشيوعية عن طريق تخويف العالم منهما، وتحدث عن ضعف المسلمين، والمآسي والمذابح التي قام بها الغرب في أراضي الإسلام منذ الحروب الصليبية إلى يومنا هذا.

وقد حمل حمد فون بيهم الألماني الأصل وممثل المركز الإسلامي في ميونيخ الإعلام الغربي خطر انتشار الإسلاموفوبيا وطالب بتوخي الموضوعية مشيراً إلى أن التركيز كله منصب على المسلمين في الغالب. وقد دعا المشاركون في نهاية المؤتمر إلى الموضوعية، وتجنب التعميم، وفتح قنوات الاتصال الحر مع العالم الإسلامي بعيداً عن التعصب والكراهية، والتشجيع على الحوار، وتفهم المسلمين من أجل القضاء على ما ترسخ في الأذهان العامة من الغربيين من أن الإسلام هو عدو الغرب الأول وعدو الحضارة الإنسانية.

مؤتمر في اسكوتلندا

وهو حلقة دراسية ليوم واحد انعقدت في اسكوتلندا بتاريخ 2004/6/14 أشرفت عليها اللجنة الإسلامية البريطانية والمجلس الاسكوتلندي للأديان، وقد انعقد هذا المؤتمر خصيصاً لبحث تزايد حدة المخاوف من الإسلام، وأن ذلك بات يشكل مشكلة خطيرة في أوروبا، ويعد المؤتمر هو الأول من نوعه في اسكوتلندا، وقد نظم

معالج القضايا التي تواجه الجماعة المسلمة اليوم، ولمواجهة المجتمع الاسكوتلندي بحقائق الإسلام والتعريف به. كما جاء المؤتمر ليبحث معضلة التحيز والتصورات المسبقة فضلا عن تشجيع التفهم بين الجماعات وتسهيل العلاقات بينها على المدى الطويل.

وكان من المتحدثين في المؤتمر طارق رمضان، أستاذ الدراسات الإسلامية من جامعة فريبورغ، والأستاذ أنس التكريتي الرئيس السابق لرابطة المسلمين في بريطانيا MAB والأستاذ بيل ميلر أستاذ العلوم السياسية بجامعة غلاسكو، والإعلامي هوف ميور من صحيفة الغارديان، والباحثة إيفون ستراتشان، لجنة وحدة المساواة باسكوتلندا.

وقد ناقش المؤتمر الموضوعات الآتية:

- جذور الإسلاموفوبيا
- الإسلام وأوروبا
- الإسلاموفوبيا في اسكتلندا
- المدارس الإسلامية
- قوانين محاربة الإرهاب
- الحجاب

مؤتمر استكشاف الإسلاموفوبيا

بتاريخ 2004/6/29 انعقد مؤتمر (استكشاف الإسلاموفوبيا: تعميق فهمنا للإسلام والمسلمين) "Exploring Islamophobia: Deepening our understanding of Islam and Muslims" في كلية الحقوق بجامعة ويستمنستر بلندن. وقد قام بتنظيم هذا الملتقى منتدى مجابهة الإسلاموفوبيا والتعصب ومؤسسة العربي بلندن.

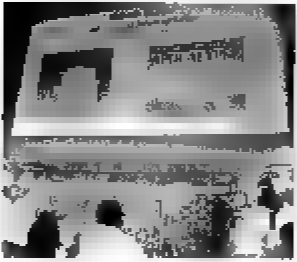
وشارك في الملتقى ثلة من الباحثين، منهم: كريستوفر ألن Christopher Allen عنوانه: الإسلاموفوبيا في وسائل الإعلام منذ حدث الحادي عشر من سبتمبر Islamophobia in the Media since September 11th.

ومنهم: رئيس المنتدى (FAIR) جيرمي هنري توماس Thomas Jeremy Henzell الذي شارك بمحاضرة قيمة بعنوان: لغة الإسلاموفوبيا.

يقول كريستوفر ألن في بحثه: «عرضت علينا صحيفة وشاشات التلفاز صور المسلمين وهم يحرقون الأعلام الأمريكية، وهم يلوحون بمسدسات، ويقف إلى جانبهم صبيا يصرخون خارج المسجد بشمال لندن، ويعرضون علينا صور نساء منقبات قد تبرقعن من أعلى رؤوسهن إلى أخمص أقدامهن، يتبعهن نساء محجبات يرتدين الحجاب يمشين خارج السفارة الباكستانية في لندن ضد الأعمال الحربية. ومن بين كل ذلك تُعرض علينا صور لأطفال يحملون لوحات فيها صور لأسامة بن لادن في شوارع إسلام آباد، وتحمل تلك المقالات عناوين، مثل: هذا التعصب الذي لا يمكن فهمه في الغرب، مثلا قلب لندن يطالبون بالحرب المقدسة. فهذه العناوين والصور ليست استثناء عن القاعدة، ولا هي نتيجة سنوات من دراسة الإسلاموفوبيا

في وسائل الإعلام. إنها مجرد نماذج لأمثلة عديدة مشابهة نُشرت وحُرّفت بشكل متكرر في الصفحات الأولى، وعُرضت على الشاشات الجماهيرية منذ أحداث سبتمبر المأساوية. لقد أصبحت التجمعات الإسلامية وكذلك [illegible] من المهتمين بهذا الشأن أن الصورة النمطية التي [illegible] وسائل الإعلام للإسلام من أكثر مصادر الإسلاموفوبيا في بريطانيا [illegible] وسائل الإعلام هي سبب الإسلاموفوبيا [illegible] أنها أكثر [illegible] انتشاراً في [illegible] الإسلاموفوبيا خطيرة لأنها لا تحترم الفرد، إنها [illegible] يصور كل مسلم بنفس [illegible] من الانتماء الثقافي أو العرقي، أو الاجتماعي، [illegible] ملايين من الأفراد التي تحدد سلوكهم نحو المسلمين ومعتقداتهم.

جوائز الإسلاموفوبيا السنوية



في 31 / 5 / 2003 عقدت الوكالة الإسلامية لحقوق الإنسان مؤتمرها الأول الذي يحمل اسم:

جوائز الإسلاموفوبيا السنوية

The Annual Islmophobia Awards

والجوائز تمنح لمن هو أكثر عداء للإسلام والتحيز في التخويف منه، ويتم اختيار الفائزين من قبل لجنة من الحكام وحسب الترشيحات العامة ووفق معايير مختلفة كما تمنح في موضوع الجوائز. كما أقيمت معارض وحملات على هامش البرنامج.





صور من وقائع مؤتمر جوائز الإسلاموفوبيا السنوية

الإسلاموفوبيا

في عالم الرسوم الساخرة



[illegible] الكاريكاتير أسلوب من أساليب الخطاب يقوم على الإثارة والفكرة، والإبداع. [illegible]

[illegible]

الفترة الواقعة ما بين سنتي ١٧٥٠ و ١٨٥٠، وقد اشتهر في تلك المرحلة وليام هوجارث William Hogarth [illegible]

[illegible] Hogarth [illegible] Rowlandson [illegible] Franklin [illegible]

بها بشكل مباشر لاعتبارات سياسية وعرقية جماعية.

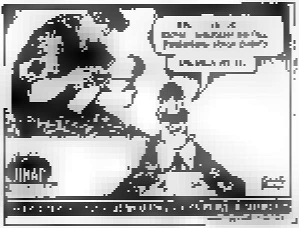
وفي العصر الحديث نال هذا الفن قدراً كبيراً من الاهتمام، فخُصِّصت له مساحاتٌ ثابتةٌ في الصحف والمجلات، بل في الكتب وشاشات التلفاز وشبكة المعلومات العالمية « الانترنت » التي أفردت مواقع عليها يمكن من خلالها الاطلاع على أحدث ما قدمته الصحافة العالمية من رسوم ساخرة معدية. ولأن الرسوم الساخرة وسيلة من وسائل التعبير التي لا يحتاج المرء لفهمها ثقافةً عاليةً أو تحصيلاً أكاديمياً كبيراً، باتت معظم تستخدم وسائل الإعلام لنشر ما تريد نشره من أفكار ومفاهيم. وتكمن خطورة الرسوم الساخرة في أنَّ ما تحويه من خطاب لا يحتاج إلى التفسير شأن ضروب الخطاب الأخرى، ولذا فإن المستهدف من هذا الخطاب يكون عرضةً للتضليل والوقوع في دائرة التزييف والكذب.

ولقد وجد دعاة الإسلاموفوبيا وسيلة منيرة لتشويه الإسلام والمسلمين، فراحوا يحيكون أفكارهم بنشر رسومات سطحية، يجمع بينها قاسمٌ مشتركٌ هو تصوير العربي والمسلم بلحية كثة، وحواجب عريضة، وأنف معقوف، وبطن منتفخ، ونظرات قاسية، وقد تبدو على رأسه كوفية أو عمامة، ويحمل في وسطه حزاماً ناسفاً مسدساً.

هذه الصورة الساخرة طبعة أخرى مماثلة لما قدمته هوليوود في أفلامها.

لقد ظهرت إسلاموفوبيا الرسوم الساخرة بشكل ملحوظ بُعيد وقائع حرب يونيو حزيران، حيث صور العرب حلالاً مدبر معادين للحضارة والمدنية منتهكين حقوق شعب الله المختار، الأمن المسالم، كما صُوِّر اليهوديُّ الجبانُ ضحيةً وقعت تحت براثن العربي المتوحش. هذه الصورة الجزئية هي ما هي إلا اعتداء على الحقيقة واستخفاف بالعقل. ركنا لنا سنداً ليس من السهل محوه، إذ ظلت قائمة حتى







اليوم، إنها تطبيقٌ عملي لصورة اليهودي العرابي، الذي لم يكن من تخدش قُبحه.

فالانتفاضة وهي المطالبة بحقوق شعب مظلوم قُتِل أبناؤه وشُرِّد شيوخه، إرهابٌ وعنف، إنها رشق من هنا من شعبه ويطالب أن يردَّ إليه، والحجر في يد صبي فلسطيني سلاح دمار شامل، ومقاومة الاحتلال

مشروعة وفق جميع الأعراف والشرائع والقوانين أصبحت غير مشروعة، فهي إرهاب، وفي أحسن الأحوال عنف غير مبرر.

حتى ما يسمونه الحلول السلمية، وما تم التوصل إليه عبر المفاوضات تحت مظلة هيئة الأمم، مع ما فيه من إجحاف في حق العرب، يُصنّف بأنه كارثة ومؤامرة دولية على إسرائيل. فالمهم دويلة لشعب فلسطيني شريد ستعمر بدولة العرب، والتقسيم عند دعاة الإسلاموفوبيا يذكّر بحكاية المرأتين اللتين تخاصمتا عند النبي سليمان في ولد تزعم كلٌّ منهما أنه وليدها، فهمّ سليمان بسيف ليشطره نصفين لكلٍّ منهما نصيبٌ ولد، فتحركت مشاعر الأمومة في إحداهما، وهي الأم الحقيقية فأبت أن يُشطر وليدُها شطرين فتنازلت عنه للأخرى.

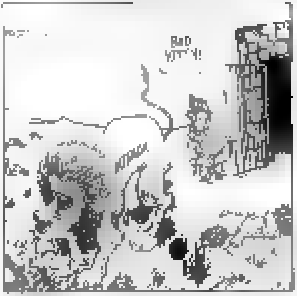
فعرف سليمان الأم، فحكم لها بالولد. فكان المخطط اليهودي الكاريكاتوري يقول: من سليمان الحكيم؟

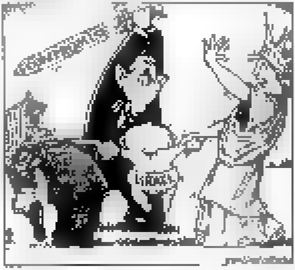
والصحوة الإسلامية المعاصرة لها حيز كبير في الكاريكاتير العربي والأمريكي سواء، إنها مرادفة عندهم للتخلف والعودة إلى عصر الكهوف، ودعاتها هم عُبّاد الموت يحكمهم مثلُ مهاتير في عيني خاص

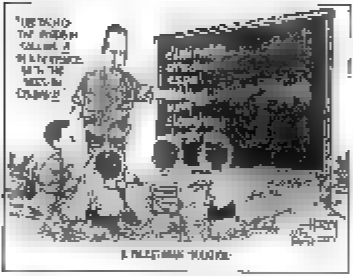
ومن الشخصيات الكاريكاتورية التي ترمز للعربي والمسلم جميعهم وجوه الخميني، وأسامة بن لادن، وصدام حسين، وهو المعنى نفسه الذي تردده وسائل الإعلام العربية والأمريكية على لسان منظري الإسلاموفوبيا، أي أن المسلمين والعرب جميعهم بلا استثناء إرهابيون، ودمويون، وإسلاميون.

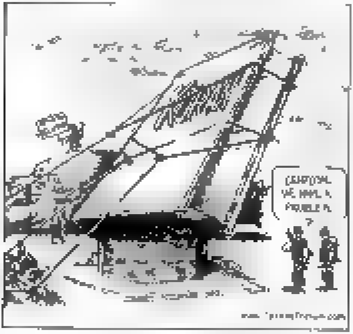
بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، أخذت الرسومات الساخرة شكلاً مغايراً، وبدأت تكشف عن الأيديولوجية الكامنة وراءها في معاداة الإسلام، لا سيما بعد غزو العراق، ذلك الغزو غير المشروع قانونياً وأخلاقياً يجد في الرسوم الساخرة تبريراً للتهجير، ثم تعد المشكلة مشكلة البحث عن سلعة

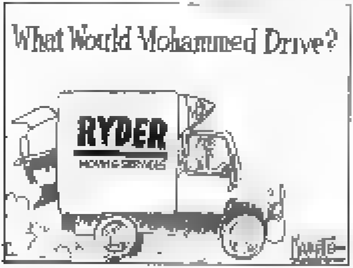












السماء فحسب، بل اتخذ ملامح إنسانية من الأصولية المتطرفة

فالجندي الأمريكي المهيب جاء محرراً العراق من قبضة الاستبداد والخوف، وليتتبع أسلحة العراق الجامعين لكن الأصولية الإسلامية المتمثلة في فيلق سايرها الإعلامية تعوق هذه الرسالة الإنسانية التي تحمل أمريكا عباءة إيمانها من أجلها، ومصيبة العراق الكبرى، كما تصورها الرسوم الساخرة، هي استحالة مستقبل بمستقبل أكثر خطراً لا على العراق فحسب، بل على العالم أجمع، إنه الإسلام واستفحال الخطاب الكاريكاتوري الأمريكي يؤشر على الخطأ الاستراتيجي الذي وقعت فيه أمريكا وحلفاؤها، لقد جاءت من أجل الفعل تحت ذرائع مختلفة فجلبت بما لم يكن في الحسبان

كاريكاتور الإسلاموفوبيا يريد أن يحول لينا العالم لنتيجة حرب العراق استهدفت مسجداً يحمل أكبر مجسم له ويحمل القرآن والنجوم نجمة

فهل تريدون أن تنتهي حرب العراق؟؟

ولم تقف الإسلاموفوبيا الساخرة عند الاستخفاف بالعربي والمسلم، بل تعدت ذلك إلى النيل من شخص الرسول، وتصويره إرهابياً ذلك التصوير الذي أثار حفيظة العرب والمسلمين في جميع أنحاء العالم، وطالبت المؤسسات والهيئات الإسلامية الرسمية وغير الرسمية بمقاطعة الصحيفة التي نشرت هذه والحروب كالمعتاد الأمر هينٌ ولا يحتاج إلى كلّ هذه الضجة.

كما لم يقف توظيف الرسوم الساخرة عند حد الترويج للإسلاموفوبيا، بل وُظفت أيضاً لترويج مناصري القضايا الإنسانية وتطويق

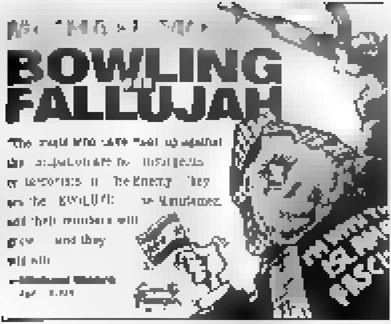
للمفكرين الآخرين ... ووصفهم بالفاشية الإسلامية. ولقرب رسم ساخر بين يدينا ذلك الذي يظهر في صورة ملصق حائط Poster يصوّر المخرج الأمريكي مايكل مور Michael Moore وهو يرتدي كوفية، ويحمل في يده علم العراق، وفي يسراه بندقية كلاشينكوف، وكُتب على صدره: أنا مع الفاشية الإسلامية.

ذلك لأن مايكل مور صرّح في أبريل/نيسان 2004 قائلاً:

العراقيون الذين يقاومون ضد الاحتلال ليسوا متمردين أو إرهابيين وليسوا أعداء. إنهم الثورة، وسوف يتزايد عددهم، وسينتصرون.

والانتخابات الرئاسية الأمريكية التي انتهت بفوز بوش كان لها نصيبٌ أيضاً من هذا الفيض الكاريكاتيري، فانتقد المرشح الديموقراطي جون كيري John Kerry منافسه جورج بوش الجمهوري بسبب طريقته في معالجة أزمة العراق، التي أدت إلى تقوية الظلام والإرهاب في العالم العربي والإسلامي التي هتفت (كيري أكبر) بدلاً من الله أكبر.

ومن أسخف المواقع على شبكة المعلومات الدولية موقع مجهول الهوية يحمل اسم (محمد وأحمد) يستعرض كلَّ ما من شأنه الحطّ من قدر الإسلام والمسلمين، وهو أولاً ينشر الرسوم الساخرة التي تعنى بالاستهزاء بالعقيدة الإسلامية.









دعاة الإسلاموفوبيا.. باعة الشر



نك غريفين Nick Griffin

زعيم الحزب الوطني البريطاني المعادي للمسلمين

Leader of the racist,

Anti-Muslim British National Party

«المسلمون أكبر مشكلة في الوقت الحاضر لأسباب عديدة، فهم [illegible] أكبر حملات إنجاب، وعدد كبير من جماعاتهم تندمج إلى أماكن معيشة وهو ما يتسبب في التطهير العرقي، وهم يعانون من فساد سياسي في بلدانهم الأصلية. والأكثر خطورة من كل ذلك هو أن الإسلام دين عدواني»

الغارديان 28 مايو/أيار 2001

وليام هيغ William Hague

زعيم حزب المحافظين السابق

Ex-Conservative Party Leader



«أنا صديق لإسرائيل وداعم لها، وأعتقد أن لإسرائيل دوراً مهماً في المنطقة... وقد تخرج إسرائيل بسياسات يختلف عليها أو لا يوافق عليها الفرد، ولكن النقطة الجوهرية لدولة إسرائيل هي أنه من حق الشعب اليهودي تقرير مصيره»

Jewish News [illegible] March 1999

«تمارس أمريكا سياسة أحادية الجانب مع إسرائيل، لأنه دون ذلك سوف يلقى باليهود في البحر»

The Spectator March 8 2003

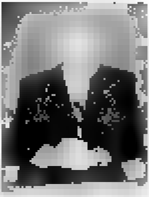
فرانكلين غراهام

Franklin Graham

الانجيلي أمريكي يعمل بشبكة فوكس

«إن كتابه [illegible] القرآن، فاقرأه بنفسك، إنه يبشر بالعنف»

Fox News, Hannity & Colmes program 5 August 2002



جان ماري لوبان
Jean Marie Le Pen

سياسي فرنسي

وإنهم (المسلمون) يتزايدون سكانياً سواء بالإنجاب الطبيعي أو بالهجرة إلى فرنسا مما يقوي من عزائمهم الحربية الجديدة، وطبيعتهم الاستبدادية، هذا هو عالم الإسلام بكل زيفه وضلالاته.

من مقابلة أجرتها معه
أخبار هآرتس اليهودية Ha'aretz News
بتاريخ 2002/4/22



جون آشكروفت
John Ashcroft

النائب العام الأمريكي (وزير العدل حالياً)

«الإسلام دين يطلب فيه الله منك أن ترسل ابنك ليموت من أجله، والمسيحية دين يرسل الله فيه ولده ليموت من أجلك».

Los Angeles Times Feb 10 2002

آن كولتر
Anne Coulter

كاتبة ومراسلة قانونية بمجلة هيومان إفنتس
Human Events



«يجب أن نغزو بلدانهم، ونقتل قادتهم ونحولهم إلى المسيحية»

National Review Online (NRO) Sep 13, 2001

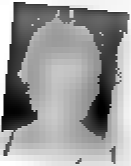
روبرت كيلوري سلك
Robert Kilroy - Silk

مقدم برامج في BBC
ومحرر عمود في صحيفة الديلي إكسبرس



«المسلمون يحتقرون
وأطراف ... هذا
خولي منه عنصرية
فإنني سعيد بهذا،
وإنني لفخور بكوني
كذلك».

15 Jan 1995
Daily Express



أوريانا فالاتشي Oriana Fallaci

كاتبة وصحافية إيطالية

وإنهم (المسلمين) يتناسلون كالجرذان

ويبولون في جدران الكنائس

من كتابها (الغضب والكبرياء)

La Rabbia e l'Orgoglio

جين فوندا Jane Fonda

وإذا لم نحل الحرب فمن الأفضل أن نعتبر مقولة

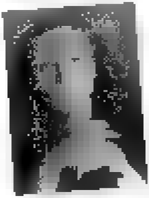
إن لديهم مصطلح استراتيجية حقيقية وهم ليسوا

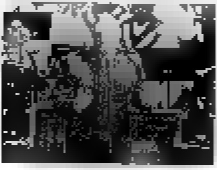
مقاتلين بل هم ممولون ومستبدون، وأعداء أمة

واحدة، الصحافة الحرة

من مقابلة معها حول شريطها السينمائي

Wildcat





الجنرال وليام بويكن

William Boykin

وزارة الدفاع الأمريكية

«أعلم أن ربي أكبر من ربهم، وأعلم أن إلهي حقيقي وإلههم صنم»

من كلمة ألقاها في إحدى الكنائس

Pat Robertson

بات روبرتسون

مذيع ديني ومؤسس الائتلاف المسيحي



«أرجو أن تتراودوا القرآن ... ماذا يعني للشيوخ الأطفال الصغار ... من العالم عنكم ... لا تتمنوا أصدقاءكم ولكن انظروا من هم أعداؤكم الحقيقيون»

CNN News 15/11/2004 Pat Robertson Reveals Islam Koran and Wicked

الإسلام والإعلام الغربي
وتحديات ما بعد أحداث 2001/9/11

د. محمد بشاري *

قد يكون قطاع الإعلام اليوم من بين أهم القطاعات الأكثر تأثراً بالأحداث التي ميزت مطلع القرن الميلادي الجديد، أي أحداث 11 سبتمبر 2001، على اعتبار أن تسويق التعليقات وردود الفعل على الحدث وخاصة بيانات جاءت بالدرجة الأولى عبر القطاع الإعلامي سواء كانت تلك الردود سياسية أو ثقافية أو أكاديمية.

من ناحية ثانية، يجب أن نتأمل جيداً الفرص السانحة التي سنحت فجأة بيد صناع القرار الإعلامي في العالم العربي.

طبيعي أن نكون نحن ممثلي الأقلية المسلمة في الغرب من أهم المعنيين بتحسين هذه الصورة، خاصة بعد القلاقل التي أفرزها حدث 11 سبتمبر 2001 على الأقلية المسلمة في القارة الأوروبية وبالتحديد في القارة الأمريكية، إذ لم نؤكد على أن الأحداث نسفت مجهودات عقود وسنوات من عمل أقليات وجدت نفسها بين ليلة وضحاها مضطرة لإعادة عمل نفس وطويل يقوم على إعادة بناء أسس علاقة سوية مع الجار الغربي في السكن والعمل والشارع... ووجدت نفسها أيضاً مضطرة للدفاع عن نفسها من مجموعة من الاتهامات الجاهزة الصادرة عن بعض المقالات الصحفية أو التعليقات التي كانت تسطر فقط الذريعة من أجل ترويج اسم الكاتب والباحث، ويكفي في هذا الصدد الاستشهاد على سبيل المثال لا الحصر بما نشرته مؤخراً علامة مصرية شئون الشرق الأوسط في صحيفة «الفاينانشيال تايمز» البريطانية في عدد 11 أكتوبر (أكتوبر 2001) أي بعد حوالي شهر واحد فقط من الاعتداءات التي تعرضت لها نيويورك وواشنطن، عندما استشهدت بما جاء على لسان الطبيب الفرنسي «أوليفيه روي» حول تحول الإرهاب الإسلامي الدولي من الإرهاب المدعوم من الدول أو المنظمات... التي استهدفت الداخل، إلى إرهاب غير محدد الموقع، ويتجاوز الحدود عبر دول عديدة، مضيفة ما معناه أن مسلمي الغرب مرتع للإرهاب، وهذا يشرح المثلث الثالث وراء أحداث يوم 11 سبتمبر ويعود أن المهاجرين العرب في الغرب أكثر من يحتضنهم أسامة بن لادن للتجنيد في «القاعدة». يقول روي: هؤلاء هم من ناحية نتيجة للعولمة، فهؤلاء الناس يجابهون الواقع الذي يدفعهم للاندماج بالمجتمعات الجديدة، لكن قلة منهم ترفض ذلك، وتكون النتيجة خليطاً من

* أمين عام المؤتمر الإسلامي الأوروبي - فرنسا

تمرد إسلامي وعداء عربي تقليدي للنظام الغربي ويكون المسلمون الذين يشكلونهم قسماً من الأمن بقضاياه السياسية من العمال المهاجرين والشباب المتأثرين أو الشباب العربي المتحمس، وهذا تصريح يتماشى مع ما جاء في العديد من وسائل الإعلام الغربية، ونستشهد هنا بما جاء في صحيفة هيرالد تريبيون الأمريكية التي صعدت رتبة العدو لتصحيح مواقف الحكومات الأوروبية تجاه اندماج اللاجئين المسلمين في داخل المجتمعات الأوروبية ومنها المجتمع الهولندي، بدليل دخول الإعلام الهولندي في مناقشة موضوعات لا يجرؤ أي إعلام أوروبي على التطرق بها أو التصدي لها. فحسب بعض التحليلات فإن المهاجرين العرب والباكستانيين والأتراك يعتبرون الآن خطراً قومياً، وهو نفس ما أشار إليه بوليفيه رولا كما أسلفت من قبل.

لسنا في حاجة إلى أن نؤكد على أن ما تعرضت له العديد من المساجد والمراكز الإسلامية والمدارس الإسلامية من اعتداءات ومضايقات أدت بالكثير منها إلى التوقف عن النشاط إلى وقت غير معلوم، وقد مثلت هذه الضغوط عبئاً جديداً يضاف إلى كاهل القائمين على المراكز العربية والإسلامية والراغبين في فتح مراكز أخرى، خاصة إذا علمت أن بعض المناطق يمنع المسلمين من بناء أي معلم لهم فيها يدل على هويتهم بالإضافة إلى ذلك يمثل المراقبين البيروقراطية التي تواجه المسلمين إذا ما تعلق الأمر ببناء مسجد أو مركز إسلامي مثلما حدث منذ مدة قليلة مع المسلمين في منطقة (ويست هام) في بريطانيا، من بناء مسجد على قطعة أرض كانوا قد اشتروها بحجة أن البلدية قررت تحويل الأرض إلى طريق.

وقد نالت النساء والأطفال من هذا الوحش حصة الأسد لأن النساء في هذا البلد هم في الأصل فريسة سهلة، وأخبار قتل واغتصاب وخطف النساء تملأ صفحات المنابر الإعلامية الأوروبية، وقد كانت في تزايد مطرد وقد كانت هذه الأخبار توسعاً كافياً لأن تجرؤ الكثير من النساء القعود في البيوت تجنباً لمشاكل فجاءت المحرقات الأخيرة لتزيد من معاناتهن.

المهم أننا لا نزعم أننا نختزل الخطوط العريضة لصورة الإسلام في وسائل الإعلام الغربي في مداخلة وجيزة أو عرض موجز، خاصة وأنه سبق لنا أن أنجزت هذه المهمة منذ مدة من خلال عمل من المنتظر أن يصدر قريباً في أسواق النشر العربية عما قريب. ولو صح اختزال هذه الصورة في الإعلام الغربي لاختزلناها في ما أصبح يصطلح على تسميته بالإسلاموفوبيا. فالإسلام يعني بالنسبة لهم القسوة والوحشية ويساهم في ذلك بعض المسلمين عن وعي أو غير وعي، كما في الأفلام السينمائية التي تصور معاملة المرأة في أفغانستان التي تحكم باسم الإسلام. ونستحضر هنا ما تحدث عنه الدكتور غانم جواد في مبحث له يحمل عنوان: «من الكلاسيك إلى محمد أركون، صورة الإسلام في الإعلام الغربي» قد رصد فيه الكثير من التحولات منذ عام 1970 حين بدأ هذا الاتجاه في النمو عقب الحرب العربية الإسرائيلية عام 1967، وحرب أكتوبر 1973 والحظر النفطي واندلاع الحرب الأهلية اللبنانية، والثورة الإسلامية الإيرانية، وما واكبها من أزمة الرهائن والكساد الاقتصادي في بداية الثمانينات، ما عرف بـ «الجهاد

ما تعرضت له العديد من المساجد والمراكز الإسلامية والمدارس الإسلامية من اعتداءات ومضايقات أدت بالكثير منها إلى التوقف عن النشاط إلى وقت غير معلوم.

الإسلامي ضد السوفييت، وحربي الخليج الأولى والثانية. ساهمت الصور النمطية والأفلام السينمائية والصور الصحفية والكاريكاتيرية بدأت تصور المسلمين على أنهم إرهابيون ومتوحشون، وقاسون، وقد ساعد أيضاً على زيادة مخاوف الغرب من المسلمين تزايد الهجرة الواسعة من العالم الإسلامي إلى أوروبا، وما رافقها من أزمة البطالة واتساع نطاق الجريمة، وانتشار تجار المخدرات رغم ذلك يعرف معظم الغربيين بزيادة أعداد المهاجرين من دول الجنوب إلى الشمال.

من ناحية ثانية، لا بد لنا من استعراض الظروف المرتبطة بهذه الصور في الفترة التي جاءت بعد أحداث 11/9/2001. كما نشير إلى ذلك في معرض مداخلة تم تقديمها أمام البرلمان الأوروبي يوم 13 أبريل 2005، وذلك على هامش اعتراف البرلمان الأوروبي بالمؤتمر الإسلامي الأوروبي كمنظمة غير حكومية في سابقة من نوعها تهم منظمة إسلامية، يأبى هذا البرلمان إلا أن يقر بشرعيتها، حيث أشرنا إلى أن الأصوات الأوروبية المسؤولة سواء كانت محسوبة على العمل السياسي أو الثقافي أو الديني أو الإعلامي وغيره، انقسمت في ما يخص التعامل مع الوجود الإسلامي في القارة الأوروبية على فريقين أساسيين:

• فريق تبنى خط التعقل والحكمة في تحليل أسباب الاعتداءات التي تعرضت لها الولايات المتحدة الأمريكية أولاً، ولم يتردد في الإقرار بتبرئة الإسلام من مثل هذه الممارسات، وكذلك الشأن مع الديانات الأخرى، بل وهذا هو الأهم، تبنى الدفاع عن مقولة سماحة الإسلام المعتدل الذي يطغى على ممارسات مسلمي القارة الأوروبية من مجرد التفكير في مثل هذه الأعمال الإرهابية، وإن كانت ممارسات هذه الأقلية تؤكد على ذلك بالفعل سواء تعلق الأمر بالفترة التي تسبق تاريخ هذا الحدث (أي سبتمبر [illegible]) أو بعده.

• فريق تبنى حمل أوزار ممارسات الإسلام المعتدل الذي تمثله الأقلية المسلمة مع بعض الممارسات الشاذة والمتطرفة والتي سجلت بالمناسبة في جميع الديانات والإيديولوجيات، وما نسب له من هذا التيار وجد تغطية مكثفة في العديد من وسائل الإعلام الأوروبية المسؤولة، ولأنه لا يسعنا استعراض مجمل الأصوات المتحررة والحاقدة التي تبنت هذا الطرح الشاذ، فإننا نكتفي باستعراض بعض النماذج المعبرة عنه، ولكنها نماذج معبرة بحق عن مدى خطورة هذا الاتجاه في عالم عملي لا يخدم بالضرورة مستقبل اندماج هذه الأقليات في الفضاء الأوروبي الرحب، وذلك لأنه فضاء أوروبي رحب، لأنه تبنت التعميم، ومباشرة بعد الاعتداءات التي تعرضت لها الولايات المتحدة الأمريكية. إن الوجود الإسلامي في أوروبا عموماً لم يتأثر كثيراً كما حصل مع الوجود الإسلامي في القارة الأمريكية، وهذه خلاصة لا يسعها إلا أن ترسخ من تفعيل وتيرة الاندماج المرجو من قبل المسؤولين الأوروبيين من جهة، وكذا من قبل الأقلية المسلمة من جهة ثانية.

ولعلنا نتذكر جيداً أحد أهم التصريحات التي جاءت على لسان عدد من المسؤولين الغربيين، والتي كانت مناسبة لأن نطلع على ما تكنه بعض العقليات الفكرية الغربية تجاه الإسلام والمسلمين، ونستشهد على الخصوص بالتصريحات الصحفية والمهينة بالصحف الصادرة في صحيفة كوريري ديلا سيرا الإيطالية الشهيرة على لسان الكاتبة والصحفية الإيطالية أوريانا فالاتشي في رسالة مطولة أكدت فيها من خلال مقالتها المشهورة أنه سيشن حرباً صليبية قائمة بالفعل، وإنكم لا تفهمون ولا تريدون أن تفهموا بأن

هناك حرباً دينية قائمة. تضيف أوريانا فلاتشي: "حرباً يسمونها جهاداً. حرباً لا تريد أن تغزو أراضينا بل أرواحنا. حرباً تريد القضاء على حريتنا وعلى حضارتنا. وتريد أن تغير طريقة عيشنا وموتنا، طريقة أكلنا وشربنا ولبسنا وتعلمنا. ألا تفهمون ولا تريدون أن تفهموا بأننا إذا لم نقاوم ولم ندافع عن أنفسنا ولم نحارب فإن الجهاد سينتصر. وسيدمر العالم الذي بنيناه وغيرناه وطورناه وجعلناه أكثر تسامحاً؟ وسيدمر فننا وثقافتنا. ألا تفهمون أن أمثال أسامة بن لادن يستحقون قتلكم وقتل أولادكم لأنكم تشربون الخمر أو البيرة، لأنكم لا تطلقون اللحية ولا تلبسون النقاب، لأنكم تذهبون إلى المسرح والسينما، لأنكم تستمعون إلى الموسيقى وتغنون الأغاني، لأنكم ترقصون في الملاهي أو في بيوتكم، لأنكم تشاهدون التلفاز، وتلبسون السراويل القصيرة، لأنكم تتعرون كلياً أو جزئياً في المسبح أو الشاطئ، لأنكم تمارسون الجنس مع من تحبون، أين تحبون ومتى تحبونه".

عندما تصف أوريانا فلاتشي مساجد ميلانو وتورينو أنها أصبحت تعج بالأوغاد من أنصار أسامة بن لادن، فإن مثل هذه التصريحات تلقى بالضرورة أصداء في الشارع سواء الإيطالي أو الأوروبي. ونستشهد على ذلك بمضمون استطلاع أجرته صحيفة «ذي أوبزرفر» البريطانية صدر في 21 نوفمبر 2001، جاء فيه أن غالبية البريطانيين يطالبون بطرد المسلمين الذين يدعمون في بريطانيا أسامة بن لادن، وبالمناسبة، أظهر نفس الاستطلاع إلى تدهور العلاقات بين الإثنيات في بريطانيا منذ أحداث 11 سبتمبر. حيث أكد ذلك 36 في المائة من الأشخاص الذين شاركوا في الاستطلاع، مقابل نسبة [illegible] المائة ظهرت في دراسة سابقة أجريت قبل الاعتداءات.

لا شك مطلقاً أن الوجود الإسلامي المكثف والمجتمع سيختفي. أوريانا فلاتشي ما دامت هذه الأخيرة تنطلق في تصريحاتها من خلفيات مشبعة بالحقد والعنصرية والتطرف، والدليل هو عداؤها بكره الأجانب العرب والمسلمين، وتأكيدها على عدم قبول موجة من المهاجرين الذين يريدون بطريقة أو أخرى أن يغيروا نمطنا في الحياة وقيمنا. إنني أقول إنه ليس عندنا مكان للمؤذنين، للمآذن، وللمصلين المزيفين ولحجابهم، ولو كان عندنا مكان لهم فإنني لن أعطيه لهم.

كتّاب آخرون وفي معرض ربطهم الإسلام كدين جاء رحمة للعالمين، كما نص على ذلك إحدى الآيات القرآنية، نجدهم يستشهدون ببعض الآيات القرآنية التي تركز هذه الاتهام عبر التأويل ومنها الآية:

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ (سورة النساء، الآية 89)

ولا داعي لأن نستحضر من هؤلاء عن عدم الاستشهاد بالآية الكريمة التي ترد على هذه الأباطيل والتي يقول فيها الله عز وجل:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (سورة البقرة، الآية 256)

أو بالآية

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ (سورة آل عمران، الآية 64)

وآيات أخرى ونصوص نبوية صحيحة وصريحة تفند هذه المزاعم والمغالطات.

من ناحية أخرى شهدت الألعاب الإلكترونية قامت بالدعاية والترويج لتمثيلات تفضح العقلية الغربية والصور النمطية الاستشراقية والتي تمس الإسلام والمسلمين ونحصرها في النماذج التالية:

- العربي المسلم يقابله الغربي المسيحي
- الاستبداد والظلامية مقابل الحرية والديمقراطية
- الإرهابي مقابل الضحية

◆ الإرهابي هو المسلم والمسيحي مقابل الحروب المشروعة كالدفاع عن النفس

ويكشف قراءة ما كان يصرح به بعض تصريح المسؤولين الفرنسية، الكاتب الفرنسية كلود لمبير عن مفهوم اتجاه الإسلام والغرب، فتجده على سبيل المثال لا الحصر يقول في إحدى مقالاته أنه أيضاً حل الإسلام يكون مصير تلك البقعة الشكل المسيحي، وتكون الحضارة الغربية هي المستهدف الوحيد من الإرهاب الإسلامي والذي يبعث على الاستنكار بالفعل، هو أن تكون المنافذ المهيمنة الواردة في الافتتاحية تبين حجم هذا التصريح الخطير. كما أنه أشار إلى أن الإرهاب الإسلامي على حد قوله يرفض الحضارة، يرجع إلى أن الاعتداءات التي عرفتها نيويورك وواشنطن تجسد نموذجاً لصراع الأديان وصراع الحضارات. مؤكداً الأسف أن يمثل فرصة لأن مشروع الإسلام من أيام القرون الوسطى.

وبخصوص حجم المحتوى الذي تشكله الصليبية على الإسلام في الوقت الراهن شدد رئيس أساقفة كانتربري على أن الرئيس الأمريكي جورج بوش لم يكن حكيماً على الإطلاق في استخدام مصطلح الحروب الصليبية معرباً عن اعتقاده بأن استخدامه لهذه الكلمة يعكس عدم فهمه لتاريخ العالم. وقال: «لا أريد تسوية الإسلام أو تعريض مستقبلهم بأي شكل من الأشكال بسبب أحداث 11 سبتمبر». وفيما يتعلق بدور الكنيسة الإنجليزية في منع المزيد من الاعتداء على المسلمين في بريطانيا أوضح كاري أن بلاده لم تشهد سوى اعتداءين منذ هجمات 11 أيلول / سبتمبر، مشيراً إلى التجربة مسجلة للهيئة التي تشكل فيها أسماء الديانات الإسلامية

شدد رئيس أساقفة كانتربري على أن الرئيس الأمريكي جورج بوش لم يكن حكيماً على الإطلاق في استخدام مصطلح الحروب الصليبية، معرباً عن اعتقاده بأن استخدامه لهذه الكلمة يعكس عدم فهمه لتاريخ العالم

واليهودية والمسيحية قوة رد سريع للتعامل مع أية هجمات تطال الأماكن الدينية أو دور العبادة

وحذرت صحيفة ... من أن التشريعات الجديدة التي تطالب بتعديل القانون يمكن أن تطال حرية الأفراد. فيما انتقدت أيضاً حكومات أوروبية اتخذت بعد الهجمات والتي تشير إلى أكثر من خمسة عشر مجالاً للتصدي للإرهاب. وقالت إن كل هذه الإجراءات لا تعطي معنى دون حماية قانونية لهم، هذا ومن المتوقع أن تؤثر التشريعات الجديدة في بريطانيا وخطوات أخرى اتخذتها حكومات غربية أوروبية على العلاقات المتوترة بين الحكومة والمهاجرين المسلمين في هذه البلاد. وحتى الآن كان المثال الفرنسي الأنجح في التعامل مع المهاجرين المسلمين الذين ينتمون إلى أصول مغربية وهي جزائرية من شمال إفريقيا. واستطاعت حكومة فرنسا ضمن مسلسل التعبئة النضالية تحرير أوضاع الجالية الإسلامية والعربية، واتخذ خطوات لتحجيم في داخل المجتمع العام وإعطائها الوسائل ... على ...

سيطرة اللوبي الصهيوني على وسائل الإعلام الأمريكية مما جعل لليهود تأثيراً واضحاً على صانع القرار الأمريكي قبل حوادث 11 سبتمبر. ولكن تأثير اليهود زاد عقب حوادث الثلاثاء الخطيرة، ثم إن تأييد أمريكا المطلق لإسرائيل يرجع إلى قوة اليهود سياسياً واقتصادياً مما جعل لهم وضعية متميزة. إضافة إلى أن اليهود ... من الحضارة الغربية فكانت لهم مكانة عالمية جعلت للصهيونية تأثيرها الكبير على الإدارات الأمريكية المتعاقبة بالنسبة للحالة الأمريكية. ومن المؤسف جداً أن نجد

أن العناصر المحافظة هي التي سيطرت على إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن التي تؤمن بتعزيز القوة العسكرية لأمريكا والاستمرار في برنامج حرب الهجوم ومحاربة الإرهاب الدولي، وتؤمن بأن دعم أمريكا القديم الدعم المطلق للكيان الصهيوني، لأن العرب متخلفون ولا يستحقون الدعم الأمريكي. وعلى الصعيد الإعلامي والأكاديمي المعرفي، أصبح موضوع الإسلام وعلاقته بالديمقراطية وحقوق الإنسان موضوعاً دائماً في الإعلام الغربي والأمريكي، حيث كان الصدام الحضاري بين الإسلام والغرب يتكرر في تاريخ الاصطدامات، ولكن الآن أصبح يثار بشكل أكثر والجديد اليوم في إثارة الصراع بين الإسلام والغرب هو دعم الحكومات العربية وبالذات أمريكا للحملات المعادية للإسلام في الإعلام العربي، وظهور تيار عربي فكري يسعى لفرض ما يطلق عليه الإصلاح الداخلي للفكر الإسلامي بمحاربة الاتجاهات المتطرفة في الفكر الإسلامي، كما أشار إلى ذلك عبد العليم الأبيض الخبير في الإعلام الأمريكي، والذي أضاف: إن هدف أمريكا من الحملة الحالية ليس هو محاربة الإرهاب بالأساس بل تغيير الفكر الإسلامي ليتوافق مع حضارة الغرب، إما بالضغوط السياسية أو العسكرية أو الاقتصادية، وقد شهدت العديد من إفرازات هذه الضغوط منها الضغط على الدول العربية والإسلامية من أجل أن تحتضن ندوات الحوار مع الغرب نحو حوار داخلي بين المسلمين كعملية مراجعة للفكر الإسلامي.

التهيئة لحوار داخل المسؤولين المسلمين

من بين العديد من الخطب والتصريحات الصادرة من المسؤولين والحكام والقادة العرب، استوقفني خطاب مبارك التدخلي ومرة أخرى لن نستعرض جميع الخطوط العريضة التي تمر بها هذه الخطابات، ولكن هناك نقاط هامة جداً من الأساسي التنبيه إليها وتهمنا في هذا العرض الإشارة إليها، وتنبيهاً على الخصوص رد الفعل الذي على وصم العرب المسلمين بالإرهاب في سياق سلسلة من المفاهيم المشوهة بدءاً بالتشدد إلى التطرف إلى التعصب إلى الأصولية فالإرهاب، وهذا في الحقيقة يدل على أن أحد ثوابت الفكر الغربي هو نفي الآخر كما ذهب إلى ذلك أحد الباحثين المسلمين، شئنا أم أبينا، علينا أن نتذكر ونستحضر تعامل القرآن الكريم مع مفردة الإرهاب حيث استعملت في دلالة لا صلة لها بدلالة مصطلح الإرهاب بالمفهوم الغربي، وهكذا نجد قوله تعالى ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [سورة الأنفال، الآية 60]

وقد ورد هذا التعليق في سياق الأمر بإعداد القوة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ﴾ [سورة الأنفال، الآية 60]

إن اللفظ المستعمل بهذه الآية يحيلنا على أن كلمة الإرهاب تأخذ معنى الردع ومعنى الترهيب:

﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ﴾ [سورة الأنفال، الآية 60]

أي تملكون من القوة ما يجعله يخاف من الحرب، فيرتدع عن ممارسة العنف الذي يضطر المسلمين إلى العنف المضاد. الإرهاب في القرآن هو محاولة الوقاية من الاضطرار إلى العنف المضاد بوصفه طبيعياً وعادلاً ومشروعاً ضد العنف، وهكذا نجد أن القرآن كان يهدف إلى معنى تجنب الحرب من حيث هو مطالبة بإعداد القوة حتى لا يستهين العدو بالمسلمين فيطمع فيهم ويضطرهم أن يواجهوا ملة العنف الجديد.

النقطة الثانية الهامة التي تهمنا الإشارة إليها تتعلق بمشروع التدخل الذي يروم الدعوة إلى فتح حوار يضم المسؤولين في العالم الإسلامي، ويشمل أيضاً ممثلي المنظمات غير الحكومية لتشريع السؤال

الأمم بعد، محتاج إلى الحوار؟ وعن أي حوار يتحدث التداخلي بالضبط؟

لقد أفرزت الاعتداءات التي تعرضت لها نيويورك وواشنطن، ضرورة فتح قنوات الحوار المستقل على الأقل من أجل أن نلتقي مع أنفسنا نحن على طبيعة الإسلام الذي نريده والمأمول أن تدفع هذه الاجتماعات وهذه اللقاءات بالعالم الإسلامي ككل للوقوف مع نفسه وقفة جادة، وتعبير التداخلي، وأن نقدم بعضاً من الأجوبة الواضحة والصريحة على السؤال الأكبر: أي إسلام نريد اليوم؟

وستكون هذه اللقاءات مناسبة أيضاً من أجل الحسم مع مفهوم الإرهاب بصفة نهائية، سواء استعملناه نحن كمسلمين في مجالنا الإسلامي، أو في التعامل السياسي والأكاديمي والإعلامي مع الغرب، تحت شعار قرآني معروف:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾

(سورة آل عمران، الآية 64)

ولا شك أن الحسم في هذه المفاهيم، وفي طبيعة الإسلام الذي نبتغيه اليوم، سوف يعود بالنفع على أوضاع الأقليات المسلمة في الغرب، على الأقل سوف تتضح الرؤية أكثر في خطابها الديني والدعوي الموجه لأبناء الأقلية من جهة، وللنخب السياسية والثقافية والإعلامية الغربية من جهة ثانية.

توصيات ختامية

مهمة المسلمين في تمثيل الإسلام المتمثل الحقيقي أو التعريف به التعريف الصحيح عن طريق وسائل الإعلام، عن طريق المحاضرات والكتب والرسائل والمطبوعات ووسائل الإعلام المختلفة سواء المتلفز منها أو المسموع أو المكتوب إلى آخره، هذه كلها، ونعم الشيء دون ذلك هو التماس والاحتكاك مع الناس، ومن أبرز مظاهر الضعف لدى المسلمين: كثير من المسلمين مع الأسف يسيء إلى الإسلام أكثر مما يحسن إليه، وهذه مشكلة يعني هذا الشيء في تركيبة المسلمين سواء في تعاملهم، في أساليب تعاملهم، في أساليب حياتهم، في فهمهم لمختلف الأمور، فمنهم من يُنفّر الناس من الإسلام أكثر مما يجذبهم إليه، وهكذا. فالمسألة معقدة جداً. ولكن غياب المؤسسات وغياب التنظيمات القادرة التي تدير الإمكانيات الصحيحة والعلمية والعملية بحشد هذه الإمكانيات وتوجيهها التوجيه الصحيح للتعريف بالإسلام هو الشيء الغالب، وهو الشيء المفقود في الساحة الإسلامية في الغرب.

علينا أن نعترف اليوم أن هناك قصوراً في الجانب الإسلامي في إبلاغ الصوت العربي والإسلامي إلى المجتمعات الغربية بصورة صحيحة. صحيح أن المسألة تحتاج إلى إمكانيات وطاقات ولكنها قبل ذلك تحتاج إلى رؤية، فما معنى أن تحتضن الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من 7 ملايين مسلم دون أن نستفيد من هذا العنصر في ترسيخ الصورة الإيجابية عن الإسلام والمسلمين الذي أصبح هو تنظيم القاعدة وأسامة بن لادن عند أغلب وسائل الإعلام الأمريكية؟

عملياً يمكن أن نؤكد أن صورة الإسلام في الغرب قد تغيرت إلى حد ما بعد ما عرف العالم براءة المسلمين من حادث أوكلاهوما، وكذلك التغطية الإعلامية لأحداث كوسوفو والبوسنة، والقمع الوحشي الصهيوني الذي صورته صورة استشهاد الطفل محمد الدرة، ومقتل الطفلة إيمان حجو وغيرها عدد المسلمين الأبرياء، ولكن لا يحول ذلك من أن هذه المبادرات الصادرة عن المسلمين أنفسهم من داخل

وبخارج العالم الإسلامي، والتي تهدف إلى إزالة العديد من نقاط سوء الفهم التي تهم علاقاتنا بالغرب بصفة عامة. ولا نريد أن نسرد لائحة طويلة من التوصيات التي تعرضت إليها في ختام مؤلفي الذي يحمل عنوان: «صورة الإسلام في الإعلام الغربي» ولكن يمكننا مثلاً أن نتساءل عن السبب الذي يقف دون بعث قناة فضائية تبث باللغات الأجنبية تشرح الحضارة الإسلامية والدين كأحد مكوناتها وأن نعمل لإنتاج أعمال تلفزيونية وسينمائية عن الحضارة والثقافة الإسلامية على أن تكون باللغات الأجنبية وتكوين (مجموعة ضغط) إعلامي ثقافي لتصحيح ما ينشر عن الإسلام، والرد عليه أيضاً عبر جرائد تصدر بلغات أجنبية من إحدى دول النشر العربية في المهجر خاصة وأن الجيل الجديد من مسلمي أوروبا والدول الغربية عموماً يبدو أوفر حظاً في التفاعل الإيجابي المستمر مع الساحة الإعلامية الأوروبية من سابقه، وهذا ما نلمسه من خلال معايشتنا الميدانية والجولات والحوارات التي نجريها في البلدان الأوروبية.

يمكننا أيضاً إعداد عدة دورات تدريبية للإعلاميين الشبان وللمسؤولين في مؤسسات [illegible] في أوساط الأقليات الأوروبية المسلمة. والعمل على انطلاق مشروعات إعلامية تتركز على ميادين مكافحة التشويه في وسائل الإعلام وإنتاج المواد الإعلامية وإعداد بحوث ودراسات معمقة وتأهيل الإعلاميين المختصين ولن يتم كل هذا إلا باستحضار رؤية [illegible] من قبل المسؤولين المسلمين سواء في الدول الإسلامية أو في الدول الغربية التي تشهد حضوراً مكثفاً للأقليات المسلمة.

أخيراً وليس آخراً نحتاج اليوم إلى أن تكون



[illegible]

على وعي تام بدور الإعلام في بلورة خطاب وصورة تقريب الإسلام والمسلمين، فنحن في أمس الحاجة إلى بلورة خطاب إعلامي عصري وموضوعي، يخترق الأسواق الغربية ويتجاوز الانطلاقات المتسلطة، ويعلو على النزعة العاطفية ويؤسس لرؤية معرفية إسلامية مستقلة وشاملة ويرتكز على الانفتاح الفكري، يعلي من شأن الأمة كبديل عن الاهتمام بالذات المركزية خاصة وأننا نعيش في فترة تتميز بحضور متصاعد لمفهوم دولة المواطنة، وهذا يتطلب من المسؤولين على الخطاب الإعلامي على أن يكونوا مدركين للبعد الحضاري حتى يساهموا في التقليل من سلطة المعرفة الإسلامية. وكما أشرنا في خاتمة بحثنا حول صورة الإعلام في وسائل الإعلام الغربية، نحتاج كثيراً إلى دور الأقليات المسلمة التي يمكن أن تشكل قوة ضغط فعالة، خاصة في ظل سيادة أجواء حرية التعبير وحرية التفكير في الدول الغربية مما يتطلب مساعدة هذه الأقليات واستثمار طاقاتها وإمكاناتها.

الخوف من الإسلام في المجتمع الأوروبي

د. آن صوفي روالد *

يشير مصطلح "الخوف من الإسلام" إلى الخوف أو الرهاب من الدين الإسلامي وأتباعه. إن مفهوم "الخوف من الإسلام" لا يعطي على الخوف وحده، ولكن يشتمل على معنى يشعر المسلمون أنه يؤثر على الإسلام والمسلمين، ولهذا يمكن تعريف (الخوف من الإسلام) على أنه خوف من الإسلام والمسلمين قد يحمل على نفس العمل المضادة للإسلام ضد المسلمين.

إن مفهوم "الخوف من الإسلام" يعتبر نسبياً مفهوماً جديداً. وتوجد كتبٌ بلغاتٍ عديدة تتعامل مع هذه الظاهرة بشكل عام ولكنها لا تشير إلى هذا المفهوم، وكمثال على ذلك كتابي إدوارد سعيد «الاستشراق» (1978) وتغطية الإسلام (1981) وكتاب التهديد الثاني: التصورات الغربية للإسلام" 1995" الذي حرره الباحث الهولندي يوهان هيبر والصحفي الألماني أندريا لوبيغ، ويعتبر كتاب صمويل هانتينغتون صراع الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي" 1996) فقد أصبح هذا المفهوم واضحاً لدى المثقفين الذين درسوا صفات الإسلام والمسلمين عن طريق وسائل الإعلام الغربي وحديث العامة، واطروحة هانتينغتون، بشكل مختصر، تقول بأن ما يتعارض مع تطورات المستقبل من حيث الاختلاف الثقافي، وكذلك الديني سوف يكون منصباً عليه، فالغرب هو الحال بالنسبة للمعارض من الناحية العسكرية والاقتصادية، زد على ذلك فإنه يعتقد بأن، حتى الدولة الأمة، إذا ما استمرت في كونها الممثل القوي في سياسات العالم فإن الصراع سوف يكون بين الأمم والجماعات ذات الثقافات المختلفة، وتجدر الإشارة إلى أنه وبعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر على الولايات المتحدة الأمريكية أصبح كتاب هانتينغتون ضمن قائمة أعلى الكتب الأكثر مبيعاً في واحد من أشهر مراكز البيع الآلي في الولايات المتحدة WWW.amazon.com

وفي بريطانيا أجري بحثٌ حول مفهوم "الخوف من الإسلام"، ففي عام 1996 عينت مجموعة شركات (Runnymede Trust) لجنة للتحري حول تأثير (الخوف من الإسلام" في البلاد، وفي العام 1997 نُشر تقرير المنظمة البريطاني نتائج هذا التحري: "الخوف من الإسلام: تحد لنا جميعاً" والتقرير كان مبنياً على معلومات تم جمعها من المسلمين في

* جامعة مالمو - السويد

** نقله من الإنجليزية [illegible]

بريطانيا. وكان الهدف من ذلك هو إيجاد تقرير مضاد للفكرة السائدة أن الإسلام الذي نعتنقه هو دين له نظام متجانس، ولكن دون أي تطوير داخلي، ولا تفريع ولا حوار من جهة، ومن جهة أخرى الإشارة بأن الخوف من الإسلام، ليس خطراً على المسلمين في بريطانيا بل على المجتمع البريطاني بأكمله. ويشرح التقرير الخوف من الإسلام بتفصيل، ويضم مقترحات بالإجراءات التي يجب اتخاذها على مختلف المستويات في المجتمع من قبل الحكومة، المدرسين، القانونيين، الصحافيين، وكذلك الزعماء الدينيين والمراقبين.

والخطوة الثانية في التطور الذي حدث بالنسبة لتقبل الرسمي لمفهوم وظاهرة الخوف من الإسلام، حدث في شهر أيار من عام 2001 عندما تم القبول رسمياً بالظواهر المتعلقة بالخوف من الإسلام كمظهر من مظاهر التعصب إنسجاماً مع العنصرية ومعاداة السامية والخوف من الأجانب، وذلك من قبل مؤتمر ستوكهولم الدولي لمحاربة التعصب. ومنذ ذلك فقد ترددت العديد من المكونات في وصف (الخوف من الإسلام) بأشكال التعصب الأخرى، وكنتيجة للإعلان الصادر عن هذا المنتدى، يتوقع أن يكون لمفهوم "الخوف من الإسلام" تأثير أعظم على الساحة الدولية في المستقبل القريب.

الخوف من الإسلام من الناحية الاقتصادية يبرز إلى السطح في أوقات الكساد الاقتصادي عندما تكثر البطالة وتزيد التوترات الاجتماعية، فيتم وضع اللوم على المهاجرين وخاصة المسلمين.

أسباب (الخوف من الإسلام)

إن أسباب (الخوف من الإسلام) قد تكون دينية أو ثقافية أو سياسية أو عنصرية أو اقتصادية، وقد تم إيراد أسباب عديدة لتوضيح التعارض بين المسلمين وغير المسلمين في المجتمع الغربي، وتعد هذه الأسباب هو مسألة (كبش الفداء)، مجموعات من الناس تحتاج إلى اضطهاد مجموعات محددة أخرى أو أفراد جسدياً أو عقلياً، من أجل تكوين شعور أو لحمة بين المجموعة الأولى (على سبيل المثال راجع كتابه ميلر عام 1995). إن شرعية هذه النزعات القبلية يمكن ملاحظتها في حركة الجماعات الداخلية والجماعات الخارجية (أنظر تورنر وتاجفيل 1981). وكمثال على ذلك المذابح العديدة ضد اليهود عبر التاريخ، عندما تمت التضحية باليهود كجماعة مضادة دينياً أو اجتماعياً، وسياسياً وفقاً لحاجة المجتمع الغالبية في فترات مختلفة من التاريخ (على سبيل المثال أنظر فلانيري 1965).

إن الخوف من الإسلام، من الناحية الدينية قد يكون مبنياً على الفكرة القائلة بأن الأفكار الإسلامية تمثل تهديداً لوجهات النظر العالمية في العالم الغربي، وقد تمت تقوية هذه الفكرة في فترة ما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ومن منظور أي دخيل على الوضع فإنه ليس بالضرورة الإحساس بالتطورات المختلفة القائمة بين مختلف الحركات الإسلامية، تلك التطورات التي يوجد نظيرها في اليهودية والمسيحية، وكمثال على تلك التطورات هو اعتبار الإسلام ديناً جامداً أو ساكناً مستمراً، وهذا يتباين مع حقيقة أن الكثير من الجماعات والحركات الإسلامية قد عانت من تطور المواقف تجاه هذه الأمور بشكل يتطابق نسبياً مع التغيرات في اليهودية والمسيحية.

أما (الخوف من الإسلام) من الناحية الثقافية فقد يكون مبنياً على منظور (نحن) و(هم) حيث إن غير المسلمين في تلك الأماكن من العالم، وحيث يسود الإسلام، أكثر قبولاً للتصنيفات الثنائية

والتركيبات الاجتماعية من أولئك الموجودين في الغرب. هذا المنظور محصور في النموذج الاجتماعي المنهجي الذي طوره عالم الاجتماع نوربيرت إلياس ضمن نظرية من يحتوي على فهم الشخص وإجراء مقارنة بين ما يطبقه الآخرون عليه مع تلك المفاهيم الخاصة بهم شخصياً. كما لاحظ بأن أي جماعة موجودة في المجتمع ستحتوي الجماعة الخطية ككل بالصفات السيئة التي يتحلى بها القسم الأسوء من الأقلية الشاذة من هذه المجموعة (انظر إلياس 1994 الجزء 10)، وعلى سبيل المقارنة يقول إلياس إن الشكل الذاتي لمجموعة المؤسسة حديثاً يميل إلى تأكيد صورته المثلى استناداً إلى الصفات الحسنة التي تتمتع بها أقلية من أفضل ممثليها (أنظر إلياس 1994: الجزء 10). وبهذا فإن ايديولوجية مجموعة الأغلبية وشركها يعتبران منطقيين بالنسبة لتلك الخاصتين بمجموعة الأقلية. وبصرف النظر عن الحكم على الفرد أو المجموعة وفقاً لصورة المثلى والحكم على الدخيل أو المجموعة الدخيلة وفقاً لمعيار سلطتها أو تصرفاتها السيئة، فإن الأفراد المنتمين لمجموعتي الأغلبية والأقلية يميلون إلى جعل أنفسهم وكذلك الآخرين في قالب الفكرة السائدة عنهم فيما يتعلق بخواصهم المشتركة كأصناف. (ميزلر وجابر 39: 1981)

هذا ويمكن أن نلحظ تصرفات المسلمين بشكل مجرد ونظري في ضوء المواجهة الثقافية الحالية بين المسلمين المهاجرين والمجتمع الغربي. وقد أشار الباحثون مثل ألبرت حوراني (1980)، إدوارد سعيد (1978)، مكسيم رودنسون (1974)، جون إسبوزيتو (1992) وفريد هاليداي (1995) بأن الصراع بين الغرب والإسلام قد تأسست جذوره منذ قرون مضت، عقيب بعد عودة الإسلام إلى أوروبا. وكذلك الصليبيين في القرون الوسطى، ويرى رودنسون أن المسلمين كانوا يمثلون تهديداً للنصرانية الغربية قبل أن يصبحوا مشكلة بوقت طويل (رودنسون 1974: 9). كما تم الاستشهاد به من قبل إسبوزيتو (1992: 37) الذي كتب:

إن التوسع المبكر للإسلام بشكل ناجح قد شكل تحدياً عقائدياً وسياسياً وثقافياً ساهم في مستوى أكثر أعلى التقاسم وجعل منه تهديداً للغرب المسيحي، إن الإسلام والمسيحية ديانتان تمتلكان سمة الرسالة والمهمة العالمية للخلاص التي إن أسس النظر فيها فإنك ترى أنه مقدر لهما أن تؤدي إلى مواجهة بدلاً عن تعاون مشترك (إسبوزيتو 1992: 46)

> إن وضع الجاليات المسلمة في أوروبا وبصفة خاصة في مستقبلها يمكن النظر إليها على أساس الوضع اليهودي في التاريخ القديم حيث يرتطم الكثير من المسلمين الثقافي مع مجتمع الغالبية

ويلاحظ إسبوزيتو عن التداعي بين النصرانية والإسلام من الناحية الثقافية حيث يقول

"إن كل جماعة تعتقد أن ميثاقها مع الله هو تكملة الوحي الإلهي الذي سبق، عزوه للوم مجتمعهم كانوا من الضالين" (إسبوزيتو 1992: 38). وعلى أية حال فهو يوسع تحليله لتغطية الدوافع السياسية أيضاً حيث يتحدث حيث إن للمسيحيين اليد العليا في علاقاتهم مع اليهود الذين عوملوا كما لو كانوا جماعات أقلية صغيرة لكنه لم يتم تصوير اليهود كمصدر تهديد، ومن ناحية أخرى فقد تم تصوير نجاح المسلمين كقوة يبدو أنها ستفرض عليهم يوماً من أي مكان لا يتوقعونه لكي تهدد وجودهم وانهم وجود النصرانية (إسبوزيتو 1992: 46)

إن الصراع بين القوتين قد بلغ ذروته في زمن الحملات الصليبية التي استمرت من القرن الحادي عشر حتى القرن الثالث عشر، وفي فترة أكبر من النزاع كانت القوة الإسلامية أكبر من تلك المسيحية

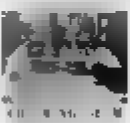
حيث قام العثمانيون عام 1453 بفتح العاصمة [illegible] حامية النصرانية وأطلقوا عليها اسم إسطنبول.

وقد انتهت أيام المجد الإسلامي بمواجهة جديدة مع الغرب، حيث أن القوات الاستعمارية كانت في حاجة إلى الشرعية لتبرير احتلالها للمناطق الإسلامية في القرن الثامن عشر وما بعده. فقد بدأ انتشار الأفكار المسيحية التي تروج إلى أن الإسلام دين عنيف [illegible] ويهدف إلى الحرب ومعاداة النساء، وقد أوضح إسبوزيتو كيف أن البعثات التبشيرية المسيحية أصبحت جنود المشاة للتوسع الأوروبي والهيمنة الإمبريالية في العالم الإسلامي (إسبوزيتو 1999: 48). ويكتب أيضاً حول الحديث البريطاني عن أعباء الرجل الأبيض والحديث الفرنسي حول مهمتهم في نشر المدنية (إسبوزيتو 1992: 48). هذا ولم يكن الاستعمار مجرد كسب مادي، لكنه كان وسيلة لفرض الأفكار الغربية [illegible] على بقية العالم.

وقد لاحظ إدوارد سعيد في كتابه المشهور (الاستشراق) أن الغرب قد فرض صوراً على (الشرق) مبنياً على علاقة السلطة القائمة بين الاثنين، وحيث إن الغرب لديه معرفة بالشرق ويعتبر أنه الذي حدد مفهوم كلمة الشرق Orient فقد كان قادراً على السيطرة عليه [illegible] على ذلك فإن المعرفة المتوفرة لدى الغرب عن الشرق لم تكن مثل تلك التي يعرفها الشرق عن نفسه (إدوارد سعيد 1978). ووفقاً لما يراه إدوارد سعيد فإن [illegible] موقفاً خاصاً تجاه الشرق، وخاصة الشرق المسلم، وأحد هذه المواقف حول الشرق يمثل الجاذبية الشرقية التي يمكن مشاهدتها في الصور الجذابة للنساء [illegible] والمحتشمة



إدوارد سعيد



وكمثال على ذلك (تجربة الإمبراطورية الشرقية) التي تظهر – حسب رأي سعيد – شكلاً من الاندماج بين الشرق والجنس (إدوارد سعيد 1978: 188). كما أن المسرحيين الأوروبيين مثل [illegible] وكذلك الرسامين الذين زاروا العالم العربي كثيراً بحثاً عن المغامرة كانت لديهم أيضاً ذات المفاهيم.

والموقف الثاني من الشرق هو اعتباره نظاماً مبنياً على أفكار وممارسات غير طبيعية وغالباً، ومثالاً على ذلك وجهة نظر كرومر حول الشرقيين كالمخلص مستهدفاً حيث الأوروبي هو الشخص العقلاني، إن ملاحظاته في الواقع تخلو من أي غموض [illegible] بشكل طبيعي [illegible] المنطق [illegible] إلى [illegible] حيث إنه يحتاج إلى [illegible] [illegible] الكذب [illegible] [illegible] وقد تم الاستشهاد بكلام كرومر من قبل سعيد (1978: 38). يعكس ذلك فإن الشرقي من وجهة نظر كرومر يبدو أنه مختلف تماماً [illegible] [illegible] مثل الإنسان الغربي. من ناحية أخرى، مثل الشوارع ذات الصور الرائعة تتطلب تحولاً في التحسين، إلا أن ميزاته تتحرر من معظم الصفات غير الحقيقية. [illegible] أنه يزعم أن العرب الأوائل كانوا [illegible] لديهم أعلى المستويات العلمية في مجال المنطق، إلا أن أتباعهم كانوا غير أكفاء في ملكاتهم المنطقية وكانوا غالباً عاجزين عن التوصل إلى أوضح الملاحظات لأية مقدمة منطقية قد يعترفون بالحقيقة بشأنها، [illegible] استنبط مجرد الإقرار بالحقائق من أي موظف مصري عادي [illegible] توضيحه بشكل عام طويلاً، [illegible] توضيح بعد نظره، [illegible]

سرعان ما يلاحظ نفسه حرفت عقيدة قبل أن ينتهي من سرد قصته، كما أنه سيجد يتهجم عند أول استجواب لمعرفة التهمة» (استشهاد سعيد بكريم 1978: 38).

أما اليوم فإن هذا الموقف الإستعماري أو الإستشراقي تجاه المسلمين بشكل عام قد تغير شكله ولكن ليس في مضمونه، حيث لم تعد المؤلفات الإستشراقية أدباً عالي الجودة، ولم تعد كذلك أدباً للإعلام الشعبي وأشرطة الخيالة وأغلفة الكتب.

وقد ناقش كل من هيبر وكويج تعبير "الخوف من الإسلام" من الناحية السياسية، رغم عدم الإشارة لهذا المفهوم بشكل صريح، وقد نبّه الكاتبين إلى كيفية تقديم الإعلام لانطباعات حول خطر آتٍ من الشرق، وفي هذه الصورة تحت عنوان "الإسلام أحياناً نصر وأحياناً تهديد" (هيبر و كويج 1998) يقول الكاتبان:

وإن التهديد قد يكون روحانياً "تهديداً" كشكل شرقي مضاد للحضارة الغربية، وقد يتسبب في وقف ضخ النفط، أو في غزو ثقافي من قبل المهاجرين من تركيا أو المغرب، وقد يكمن في الطبيعة العربية الإسلامية في الإرهاب، أو في الثورة الإسلامية الأصولية العالمية بالقالب الإيراني التي يتم التهديد بها. وقد يرى فيها البعض معركة للإسلام ضد المسيحية أو ضد الكفار. ويوجد تصورات لهذا التهديد حدثت في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، أحياناً جنباً إلى جنب، وأحياناً بشكل منفصل، وأحياناً تصوران متضادان ويناقض كل واحدة الأخرى، وفي أحيان أخرى تتلخص في تركيبة واحدة كل ذلك حسبما هو مطلوب أو مرغوب في وضع معين. (هيبر وكويج 1998: 1).

وعليه فإن فكرة كون الإسلام يمثل تهديداً لأمن الدول الغربية موجودة على مستويات متعددة، وقد يُظهر المختصون كأمثال [illegible] جدل حول حقيقة هذا التهديد (هانتنجتون 1993 و 1996). ومن ناحية أخرى فإن الكاتبين الغربيين مثل إسبوزيتو وهاليداي لاقت مصداقية هذا التهديد بمبررات أكثر واقعية (إسبوزيتو 1992، هاليداي 1995).

وفي تحليلاً له يقارن إسبوزيتو التصور الشعبي السلبي المثير للمواطنين تجاه الإسلام والمسلمين بالتصور القوي المضاد للشيوعية في الولايات المتحدة في الفترة التي سبقت سقوط الستار الحديدي، ويقول موضحاً: أن تقدم درساً من ثقل مثال موضوع استمر يهدد من خطر الشيوعية الملحدة يهدد أن الواقع أن الإتحاد السوفييتي كان يُعتبر سمة بالانسانية [illegible] ذاتي. أما المحللون الغربيون الذين يتوسعون بدعم الفكرة الشائعة السريعة والافتراضات العلمانية الغربية فلابد وأنهم يخطئون في الأمر، أو كان عليهم أن يتجنبوا المآزق أو سمات المحللين السياسيين السوفييت [illegible] تهديد مبالغ فيه (إسبوزيتو 1992: 174).

وتتركز فكرة إسبوزيتو على [illegible] التمييز من قواعد السياسة الإسلامية، مشيراً إلى أن الحركات السياسية الإسلامية لا يجب بمقاييس التهديد الموحد للمجتمع الغربي، مشيراً إلى عدد المرات التي طالبت فيها الكثير من الحركات الإسلامية لسنوات كثيرة بتأسيس دولة إسلامية، ولكن دون أية نتائج ملموسة (إسبوزيتو 1992: 13 - 14).

ومن وجهة نظر إسبوزيتو فإن الشعبية التي تبدو للحركات الإسلامية خلال العملية الإنتخابية في بعض الدول الإسلامية، هي بسبب كون هذه الحركات أكثر البدائل مصداقية وشعبية في هذه الحقبة (إسبوزيتو 1992: 14). ولهذا فهو يشير بنفسه إلى أنه في الكثير من الدول الإسلامية تم تأسيس أحزاب سياسية مدعومة من قبل القوى الغربية، ثم اتضح أنها غير جديرة بثقة السكان الأصليين من المسلمين. هذا التصريح المكشوف الذي قدمه إسبوزيتو يشير إلى

النزاع بين الغرب ومصالح السكان المسلمين، حيث يكون الدعم الغربي لبعض الحكام المسلمين مبنيا على أساس المحافظة على الاستقرار في المنطقة المسلمة، أكثر منه لرعاية مصالح المسلمين (المصري، 1991). ومثال على ذلك الدعم الاقتصادي الضخم والمستمر لصدام حسين بعد الثورة الإيرانية عام 1979، وحينما كان موقف حسين يمثل الاستقرار في المنطقة في ذلك الوقت، وصدام حسين وقتها صديق ومعه الإعلام الغربي الحاكم المطلق والطاغية المستبد تجاه شعبه، لم يظهر لهذه الصحف خلال الحملة الإعلامية الداعمة لصدام والمضادة لإيران في الثمانينات.

ويرى هاليداي أن هنالك أربع فترات من النزاع بين الإسلام والغرب غير المسلم (هاليداي 1996: 21)، وهو يشير إلى الثلاث الأولى منها بقوله:

« إن صحوة الإسلام في نهاية القرن السابع والتي أرسلت جيوشه إلى قسطنطينية، وبعدها دخل فرنسا، عندما انتهت حروب القرون الوسطى للصليبيين، وعندما تم إيقاف الزحف العثماني في القرن السابع عشر في فيينا: أما الفترة الثالثة فقد بدأت في أواخر القرن الثامن عشر عندما أخضعت الدول الأوروبية العالم الإسلامي لسيطرتها السياسية والاقتصادية (هاليداي 1996: 21)

أما الفترة التي يشير إليها هاليداي بأنها لم تنته فيمكن فهمها بالعودة إلى الحرب العالمية الثانية رغم أنه يشير إلى بداية السبعينات كنقطة محددة لبدء التفاعل المسلم وغير المسلم. وهو يعتبر أكبر اختلاف بين الفترات الثلاث الأولى والفترة الأخيرة هو شعور الانتماء للأمة الإسلامية التي أصبحت سائدة في العصر الحالي، وهذا لم يخلق ترابطاً مع العالم الغربي فحسب بل كذلك مع السكان غير المسلمين في العالم الثالث (هاليداي 1996: 21).

ويتحدث كلٌّ من اسبوزيتو وهاليداي حول التهديد السياسي للإسلام فيما يتعلق بمدى تهديد الأمة المسلمة المحتمل للنظام السياسي الغربي. ومع أحداث 11 سبتمبر الإرهابية في الولايات المتحدة كاستجابة للمتطرفين المسلمين تجاه الهيمنة الغربية قد أرسلت إلى قائمة المناظرة القائمة حول مدى التهديد الذي يمثله الإسلام. هذا التهديد على أية حال ثبت أنه تهديد تجاه الناس الذين يعيشون في الدول الغربية والذين كانوا في المكان الخطأ والزمان الخطأ، وليس تهديداً للنظام السياسي الغربي أو الحكومات الغربية التي كانت أكثر تصوراً لهذا التهديد في [illegible] التي سبقت أحداث سبتمبر.

إن (التخوف من الإسلام) من الناحية السياسية قد يكون مبنياً على الفكرة القائلة بأن الأفكار الإسلامية تشكل تهديداً لوجهات النظر الغالبية في العالم الغربي.

إن التخوف من (الإسلام) من الناحية السياسية مبني على فكرة أن الإسلام يشكل تهديداً، حيث يمثل الإسلام والمسلمون خطراً على العالم الغربي بمختلف مستوياته الاجتماعية.

أما التخوف من الإسلام من الناحية العنصرية فقد يكون مبنياً على التعريفات العنصرية، حيث تبرز جماعات عرقية معينة كممثلين للإسلام، ويكون قد تم تصنيفهم في مرتبة أقل من أغلبية الجماعات. وفي السويد، على سبيل المثال، فإن الناس القادمين من دول تكون اللغة العربية هي لغة الأغلبية يتم ربطهم بالإسلام ويتم اعتبارهم كأقليات دونية. وفي النرويج حيث الجماعات الجنوب آسيوية هي أكثر الأقليات فإن الباكستانيين يعانون من مصير مشابه للجماعات التي تتحدث اللغة العربية في السويد. وعلى سبيل المثال فإن الإهانة بلفظ "باكي" يتم استخدامه كثيراً كلفظ للدلالة على سوء المعاملة في النرويج.

أما "التخوف من الإسلام" من الناحية الإنسانية فهو يبرز إلى السطح في أوقات الكساد الاقتصادي، عندما تكثر البطالة وتزيد النفقات الاجتماعية، فيتم وضع اللوم على المهاجرين وخاصة المسلمين.

تعابير "التخوف من الإسلام"

ترى ماريان جاكبسون أن انتقاد المسلمين في الوضع الرسمي يمثل جزءاً من الاتجاه القائم في أشكال مختلفة عبر القارة الأوروبية (جاكبسون 17 2002). ويختلف الأشكال المختلفة للإسلام والمسلمين وتنوع "التخوف من الإسلام" في الدول الأوروبية وفق الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المحددة، والجماعات المهاجرة المسيطرة فيها. وفي بريطانيا - على سبيل المثال - فإن الجاليات الهندية والباكستانية تسيطر على الوضع الإسلامي على أساس الخواص التي يمارس بها أعضاء هاتين الجاليتين ديانتهم، وبالمثل في ألمانيا فإن الإسلام التركي هو المسيطر ويمنح المرجعية للألمان بفهم الإسلام والمسلمين، وأما الدول الإسكندنافية فهي تتنوع فيما بينها، ففي النرويج الجالية الباكستانية هي الأكبر، وفي السويد المسلمون الشرق أوسطيون المتحدثون باللغة العربية هم الذين يجسدون معايير تصور السويد للإسلام، وفي الدنمارك فإن المسلم قد يكون تركياً أو باكستانياً أو مغربياً. ولهذا فإنه وعلى الرغم من وجود أفكار واسعة الانتشار في العالم الغربي على مستوى العام إلا أنه على المستوى المحدد أو المحلي فإن الأشكال خصيصاً تم تكوينها من خلال ممارسة إسلامية معينة وكذلك من خلال الصفات الثقافية لمجتمع الأغلبية.

إن "التخوف من الإسلام" أولاً وأخيراً يتم التعبير عنه بشكل واضح وصريح في جزء من الصحف الشعبية المصورة والقنوات المرئية التجارية، فيما يتم التعبير عنه بشكل ضمني وغير صريح في الصحف الصباحية والقنوات المرئية الرسمية. والوسائل الإعلامية في وصفها للإسلام والمسلمين تهدف إلى خلق تصورات سلبية تضخم الخلاف بين المسلمين وغير المسلمين على مختلف المستويات. وللصورة السلبية للإسلام عدة أبعاد، كل واحد منها يعكس خرافة كون الإسلام يمثل تهديداً للعالم الغربي. هذه الخرافة مبنية على فكرة أن الإسلام نظام متجانس، في حين أنه ليس الجانب السياسي للتطرف الإسلامي الذي يأتي يمثل الإسلام والمسلمين بشكل عام، ولكنه أكثر أشكال الملتزمين تطرفاً وعنفاً. وقد أجرى الباحث السويدي مطلان همبلتون تحقيقاً مسحياً حول مدى التغطية السويدية لأخبار الإسلام خلال السنوات 1991/1995، حيث لاحظ أنه يتم التركيز في البرامج التي تشير إلى الحرب والإرهاب واضطهاد النساء (غير المؤمنين)، أما البرامج التي تشير إلى وضع المسلمين أو العيش أو الاندماج في المجتمع الأوروبي فهي أقل تكراراً، ولهذا يعتقد همبلتون بأنه ليس من الضروري النظر إلى الإسلام عبر الناس الذين يمثلونه، حيث إن الإسلام يمثل غير المألوف أو غير المعروف، وعليه يمكن فهمه من قبل غير المسلمين فيما يتعلق بالمخاوف (همبلتون 1998).

في الفترة اللاحقة لهجمات على الولايات المتحدة في سبتمبر 2001 كثرت التعابير المضادة للإسلام والمسلمين. وفي البدء تم تحميل المسلمين بشكل جماعي الإثم الخاص بارتكاب هذه الهجمات في النقاش الرسمي، ثم طلب إلى الجالية المسلمة على مختلف مستوياتها في المجتمع أن تعبر رسمياً عن رفضها لما حدث، رغم أنه وفي الأسابيع الأولى بعد الهجمات وُجهت الدعوة لممثلي المسلمين للمشاركة في المقابلات والمناظرات المرئية وعبر الصحف، إلا أن تعابير "التخوف من الإسلام" أصبحت أكثر قبولاً في الإذاعة المرئية وفي الصحف، وعلى سبيل المثال

فقد سمحت بعض المقالات الصحفية لكي تعبر عن دلالاتهم بطريقة توحي بأن مجموعة صغيرة من المسلمين اعتبرت نموذجاً لجميع المسلمين. وعلى سبيل المثال، مع كتاب سيد سفيسكا ود. جيلادويت 2001/9/11. وفي المناقشات التي تمت كرد فعل الأمريكية والتي أدت إلى قصف العديد من الدول الإسلامية، فقد أصبح المسلمون يتهمون بأن (التخوف من الإسلام) من الناحية السببية قد زاد وتم التعليق من قضية المسلمين بالنسبة للأوروبيين والأمريكيين.

جعل المرأة المسلمة ضحية

إن الصراع بين الإسلام والغرب والذي يبدو بشكل كبير نزاعاً سياسياً كثيراً ما يصبح كما تم وصفه أعلاه، أكثر منه ثقافي الأبعاد. كما أصبح الجدل السياسي أكثر تشدداً، وعلى أية حال فعندما يتم تحويل شكل التهديد الى المستوى الاجتماعي يظهر عندها المنكر الذي تشبه للإسلام كنظام عدواني بالنسبة للنساء، بحيث أصبح هو موضوع الجدل الرئيسي في معاداة الإسلام في المجتمع الأوروبي، وكمثال على ذلك نجد أن قصف أفغانستان قد تم تدريجياً تحويله الى حرب لتحرير النساء الأفغانيات اللاتي أجبرن على تغطية كامل أجسادهن ووجوههن بحجاب البرقع.

> الخوف من الإسلام من الناحية الثقافية قد يكون مبنيا على مفاهيم "نحن" و(هم).

إن جعل المرأة المسلمة ضحية، والتعبير بشكل يوحي بأن النساء المسلمات مضطهدات، يجعل الرجال المسلمين عموماً ممن يسيئون معاملة النساء والأطفال، ولكنهم لا يعبرون عنها بشكل واضح، بل بشكل ضمني.

وقد بدأت طباعة الكتب والمقالات على المستويات الأكاديمية والشعبية في العالم الغربي حول النساء المسلمات، والعلاقات بين الجنسين من وجهة النظر الإسلامية بشكل متواضع خلال الفترة الاستعمارية إلا أنها راجت في الثمانينيات بعد الثورة الإيرانية وبالذات أوروبا مع بداية الألفية الثالثة. وتظهر الزيادة الضخمة في إنتاج الكتب في الثمانينيات وما بعدها الاهتمام السياسي لأن تمويل البحوث يتبع نزواته استناداً للظروف سياسية ولكن على أية حال فإن هذا الإنتاج يشير أيضاً إلى اهتمام الجمهور حيث المحررون يستقطبون مشترياتهم بتبني المقالات أو الكتب ذات الأهمية الجنسية. ومعه المقالات والكتب تتناول النساء المسلمات بشكل عام، وكذلك النساء المسلمات في المجتمعات الإسلامية وفي المجتمع الغربي. على سبيل المثال أنظر مقدم 1990، ميرنيسي 1985. في البداية كان المؤلفون بشكل رئيسي من غير المسلمين، إلا أنه وبعد أن أصبحت النساء المسلمات يواصلن دراستهن العليا في الجامعات الغربية زاد عدد النساء المسلمات اللاتي يكتبن عن أنفسهن أو عن الإسلام أو الأمور المتعلقة بالجنسين. أحد الأمثلة على ذلك هو كتاب ليلى أحمد بعنوان "النساء والجنس (الذكر والأنثى) في الإسلام 1992" والكتاب الآخر هو (مسلم عربيات في المجتمع 1988) جلوم من الأركي، وسي إف الصلح الذي يظهر مهم لأنه يحكي قصة [illegible] في المجتمعات الغربية، عادتا إلى بلادهما بشأن الأسئلة الأخيرة بعد [illegible] عن المسلم [illegible]، وأعتقد أن المقارنة الأخيرة تعتبر علاج للمنظور [illegible] حيث أن النساء غير المسلمات ليس للكتابة [illegible] بالنساء المسلمات وفقاً لمستوى تقييمهن ومفاهيمهن. وقد أكدت ذلك عالمة الأنثروبولوجيا [illegible] جيهان كريم في كتابها "الذكر والأنثى في قضية [illegible] حول [illegible]" حيث تنتقد الطريقة التي يقوم بها الباحثون الغربيون المرأة [illegible]، إذ تقول

إن النظرة السائدة بين النساء يعتقدن عن الرجال ويؤدين أعمالاً مختلفة عنهم يجب ألا يُفهم منها أنهن أقل شأناً من الرجال، أو أقل أهمية منهم على الأقل ليس بعد أن تم إخبارهن بذلك من قبل الداعين للحداثة وإبعادهن عن الأنماط الغربية للتغيير والتطور (كريم 1995:14)، وطبقاً لرأي كريم فإن التمييز بين التشابه والتميزات هو الذي يعكس طريقة التفكير الجنوب شرق أسيوي، حيث إن الناحية البيولوجية والجسدية والنفسية هي عوامل تجعل المرأة مختلفة عن الرجل ولكنها ليست أقل شأناً أو تابعة للرجل بأي حال من الأحوال (كريم 1995:14).

وينتقد قاسم أبوشيك وشيفا بالاحي أيضاً الدراسات المتعلقة بالعالم الثالث، التي غالباً ما تشتمل على عناصر إستشراقية تتماس مع المعاملات الاجتماعية في الثقافات والمجتمعات (عبر مجتمعاتهن، حيث تعتبرهن «أكثر» أو على الأكثر «مختلفة» (أبوشيك وبالاحي 1994: 5)، حيث تؤكدان أن تلك الدراسات تميل إلى الإشارة إلى التقاليد بشكل يؤسس على الفكرة الخاصة بثبات التقاليد لفرض إبعاد القدرة لديهم، ويحتاج النظر للفرصة التي ترى صورة التقاليد في الشرق الأوسط كقوة ثابتة (أبوشيك وبالاحي 1995: 5).

وقد تم تأكيد الملاحظة الواردة أعلاه في الترجمة التي قام بها عالم الاجتماع «برايان تيرنر» بعنوان «الإستشراق وما بعد الحداثة والعولمة» حيث تناول بالبحث في هذا الكتاب كيفية ظهور الإستشراق في علوم الاجتماع (تيرنر 1994) وقد أشار إلى أزمة عرض رئيسية من حيث فترة الركود الاجتماعي في المجتمعات الشرقية (تيرنر 1994).

وقد كانت استجابة المسلمين لموضوع النساء المسلمات ومراكزهن في الإسلام منذ البداية في شكل «حذر»، ثم قام المسلمون بهجوم مضاد معروفين متذكرين أن الإسلام يعطي النساء حقوقهن الشرعية حيث يستقبل العالم العربي النساء على مختلف مستوياته.

ويقترح حمودة عبدالعاطي أفكاراً مشابهة في كتابه «مقدمة للإسلام» في الخمسينيات وفي الفترة الخاصة بوضع النساء في الإسلام يشير عبدالعاطي إلى أن وضع النساء ليس مشكلة حوله لم يكن ليثار لولا ضغوط الثقافات الأجنبية والنفوذ الأجنبي (عبدالعاطي 1980: 217/218)، ويستمر في الإشارة إلى حقوق النساء ووضعهن المساوي للرجال (عبدالعاطي 1990: 219/220). وما كتبه عبدالعاطي وغيره هو دفاع عن الدين الإسلامي ورسالته الاجتماعية. ويجب أن تنقد غير المسلمين للإسلام في عدم الأخذ بعين الاعتبار استجابة للوضع الحقيقي للنساء في العالم الإسلامي، وكذلك لدى الجاليات المسلمة في الدول الغربية. وبالمحصلة كل منهما في طريقة معالجته للموضوع من خلال مجالات اجتماعية تجعلهم يصلون إلى خلاصات أو نتائج بحوث مختلفة.

الأدب الشعبي:

هناك باحثون يميلون إلى التعميم في تصوراتهم المتعلقة بالمسلمين بصفة عامة والإسلام بصفة خاصة (ماسيجنتير 1996 سيمان 1997) وعلى أية حال فإن الأدب الشعبي وإنتاج الصحافة والمرئي والإعلام هي الجهات التي تؤدي بشكل رئيسي إظهار الصورة السلبية عن الإسلام والمسلمين. وقد ناقش ماجيسون بيري المتخصص السويدي في علم الأجناس ما سماه «النظرة العالمية للإستشراق الشعبي» (بيري 1988) وقد طور في دراسته وأفكاره بعداً من دراسة سعيد حول الإستشراق، مجادلاً أن الإستشراق الشعبي - حسبما يُشير إليه في الكتب الشعبية وأشرطة الفيديو - لا علاقة له بالمستشرقين ولا الشرق ذاته بأكثر من علاقته ببحث الغربيين عن الهوية. ويؤكد قائلاً:

إن الاستشراق الشعبي لا علاقة له بالشرق، إن الشرق والاستشراق الشعبي هو عالم خيالي سافر إليه الغربيون بحثاً عن هوية. ويبدو أن هذا البحث عن الهوية جوهري. أما الشرق فهو موضوع ثانوي من حيث الأهمية، يتم تشكيله داخلياً لتسهيل البحث عن الهوية أو طريقة تستطيع الدراما الغربية أن تلعب فيها أدوارها، وتبحث في شكلها المتطرف (بيرج 1999: 136) (الترجمة بمعرفة الكاتبة).

وقد توصل بيرج إلى هذه النتيجة بتلخيص فكرة التهديد الإسلامي بإسهاب، حيث إنه يُعبِّر عنها بشكل خاص في أشرطة الخيالة الأمريكية. وقد شاهد الأفلام التي تظهر كيف يهزم الرجل الغربي الأبيضُ التهديد الإسلامي، وكمثال مشهور على ذلك شريط (الأكاذيب الحقيقية) عام 1994 بطولة أرنولد شوارزينجر وجامي لي كيرتس، حيث يبرز التهديد الإسلامي في الحركة الملهمة (للجهاد الأحمر). ومن الجدير بالذكر أن مخرج الشريط جيمس كاميرون قد تمكن من دمج التهديدين في واحد: الشيوعية والإسلام. وقام بذلك في التسعينات عندما كان هناك ارتباك في أمر ما إذا كانت قد تبقت أية حياة شيوعية، أم أن الإسلام قد نهض ليصبح العدو الجديد.

ووفقاً لوجهة نظر بيرج فإن هذا الشريط يُظهر التغييرات المهمة فيما يتعلق بقواعد العلاقة بين الجنسين في المجتمع الغربي في أواخر القرن العشرين، حيث تظهر شخصية الأنثى في نهاية الشريط مندمجة ضمن النظام الذكوري، أو وفقاً لمنطق الرجل، ومن ناحية أخرى يُظهر الشريط انتصار الرجولة الغربية المتحكم فيها لأغراض معينة على رجولة الشرقي المتقلبة المنصبة للعدوانية. وعلى أية حال فإن بيرج يشير أيضاً إلى كيف يُظهر الشريط التزعزع وعدم الاستقرار في قواعد العلاقات بين الذكر والأنثى. ولا يربط بيرج فكرته عن الشرق بشكل واضح، حيث إن بحث الغرب عن الهوية ومشاكل التغير في قواعد العلاقات بين الجنسين في المجتمع الغربي قد خلقت عدم الشعور بالأمان، خاصة بالنسبة للرجل وفكرة الرجولة. كما أنه لا يناقش ما إذا كانت الصورة الغربية للذكور الشرقيين توفر وسيلة للإبعاد على درجات معينة أو شهوانية أو عاطفية دون وعي. وعلى أية حال فإن بيرج يوضح بشكل ضمني هذه الفكرة عن طريق الإشارة في كتابه أيضاً عن جوليا كريستيفا.

إن المرجعية المتخيلة للآخر ... تظهر مخاوف عما نواجهه روحانياً أو عاطفياً من تجارب تعتبر خطيرة أو غير سارة ... وهذا يخلق بالآخرين غريبين ومتنزين بالخطر ومتوحشين. [illegible] الشيطان ... [illegible] جوانب الخبرة والعالم الذي لا يمكن السيطرة عليه أو التحكم فيه (بيرج 1998: 20، كريستيفا 1991: 192) (الترجمة بمعرفة الكاتبة).

ويعد الجدل مرتبطاً بشكل واسع مع فكرة لويج بأن صورة المرأة المسلمة المقهورة يخدم غرض إبعادنا من الأشياء الخطأ في مجتمعنا، حيث تعتبر هذه المساعد مقبولة أكثر لو كانت تجربة شخص آخر أكثر سوءاً (لويج 1995: 30) وتستطرد لويج في تعليقها كيف أن فكرة بؤس الآخر قد تخلق شعوراً بالتفوق بسبب وعي تربطه بتصوير الغرب بالتفوق على الدول الإسلامية. وهي تورد ما كتبته آن كاثرين بيوليك:

وفي الإعلام الشعبي فإن الشادر شكل المرأة المقهورة خلف الحجاب - كرمز لتخلف الشرق الوسطي بالنسبة للدول الإسلامية - يطرح عادة التحديث المركز عليه حول سيادة وتفوق الغرب

ملاحظة: (أسماء الشرائط موجودة في قائمة الأعمال الواردة في النص)

بروكس في كتاب مهجر ولويج 1995: 20

عليه فإن لويج وبروكس ينظران بطريقة مشابهة بموضوع إلى التصورات الغربية والهجوم الغربي على الإسلام بمثابة أمور مسكية، وليس كتصرفات قسمها تمس أوضاع المسلمين، وقد لاحظت لويج أنه نادراً ما يسمح للنساء المسلمات بالتحدث عن أنفسهن في الصحافة السائدة، ولهذا فهي تقول إن النساء المسلمات من بشكل ليس خصماً (لويج 1993: 11).

ومن العجيب بالذكر أن لويج ولتيج يشيران إلى كتاب بيتي محمودي الشهير (ليس بدون ابنتي 1991) وبالتركيز على مفهوم المرأة المسلمة كمضطهدة (لويج 1995: 19، لويج 1991: 37)، وقد يتوقع أن فكرة المرأة المسلمة المضطهدة قد انتشرت بسبب هذا الكتاب بشكل كبير في جميع أنحاء العالم الغربي، وتقول لويج إن الكتاب قد بيعت منه عشرات الآلاف في الولايات المتحدة كما بيع في ألمانيا (لويج 1991: 6). وعلى الرغم أن كتاب محمودي هو قصة رجل إيراني واحد إسمه مودي وكيف جعل زوجته تضطر إلى خطف ابنتها والخروج بها من إيران.

والقصة في مضمونها تؤكد عميق استبداد الرجل الشرقي والمرأة المسلمة المضطهدة وهذا من الكثير في ظل الشخصيات النسائية القوية في أقارب مودي الإيرانيات في هذا الكتاب ويبدو أن الشرق الغربي يشير إلى، ويفسر الشخصيات المختارة من القصة في سياق مفهومه للمرأة المسلمة المضطهدة، وليس النساء الإيرانيات القويات في الكتاب.

وتحمل بروكس في كتابة أخرى مشاركة إلى الشرق الأوسط وكتبت انطباعاتها عن لقاءاتها مع النساء المسلمات وعلى أية حال فإن كتابها (أقسام الرغبة الخفية: العالم الخفي للنساء المسلمات) لا يبدو كونه مجرد وصف لانطباعاتها عن مقابلات أجرتها مع نساء من ديانات ودول أخرى مثل إيران، الدول الأوروبية والإمارات العربية المتحدة، وتجسد الملاحظة أن بروكس نفسها يهودية، وعدم خلفيته تصريحها في نص كتابها (بروكس 1995: 303)، ولكنها لم تشر إلى ما إذا كانت النساء اللاتي زودتها بالمعلومات على علم بانتمائها الديني، كما أنها لم تشر في الكتاب إلى الدور الذي لعبته يهوديتها في التأثير على انطباعاتها حول أوضاع النساء المسلمات، أخذين في الاعتبار العداوة القائمة بين الدولة اليهودية (إسرائيل) والعالم الإسلامي، والتي تشكل الأكبر تأثير بين المسلمين واليهود في عالم اليوم ويبدو أن هذا النقاش ضروري للتفسير الدقيق لنتائج بحثها.

إن كتاب بروكس هو مثير ويحوي لمحات ذكية ولكن على أية حال فإن أسلوب الصحافي هو ويخفي كونه قد اختلطت وانتقت عباراتها حسن يبرز نظرتها السلبية تجاه الإسلام، وممارسات المسلمين، ومثالاً على ذلك نجد أنها في القسم التاريخي تصف الذي حدث ما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، فإنها تشير إلى أن بعض النسوة في المنطقة العربية (حضرموت) قد احتفلن بموته بالخروج إلى الشوارع وضرب الطبول فرحاً بذلك، وقد كتبت:

«من يحكي من الذي دعا النساء للقيام باحتفالهن المتهتك والمتهور؟ وبالنسبة إليهن فربما كن يعتقدن أن دين محمد الجديد قد جعل حياتهن أكثر أعباء وأقل حرية والكثير من المسلمين كانت آتية، حيث كان مصرح بقطع أيدي النساء إلى حد الأقصى من قبل خلفاء أبي بكر وعمر الذي عامل النساء كخليفة للمسلمين» (بروكس 1995: 18).

وفي هذا القسم من الكتاب فإنها تؤسس نقاشها على إحساس الخوف من الإسلام، وهذا الإحساس بسبب بدلاً من القيام بمناقشة متوازنة حول الحدث التاريخي، ولم تشر بروكس صراحة إلى ما إذا كانت النساء موضوع الحديث مسلمات، أو ممن يعشن حياة

حقيقة، ولكن يبدو أنها تحضر عن كتفها، حيث لم يعد تفسير ابي بكر عاطفي بـ موسومات حضرموته (أنظر بروكس 1995: 28) وبهذا فإنه يمكن القول إن بروكس ضمنياً قد سوت حقوق المرأة في ممارسة التجارة مع حقوقه بصفة عامة، جاعلة القارئ يشعر العبء الذي وضعه الإسلام على هؤلاء النسوة في ممارسة الرذيلة بمثابة نكران لحقوق المرأة.

وبموازنة هذه المناقشة يمكن لنا القول إن هؤلاء النسوة ربما لم يكن مومسات، ولكن كلمات ابي بكر هي هذه التي تدين ذلك، إن فرضيات بروكس في هذا الشأن تمثل تفسيراً خاطئاً للأحداث التاريخية، إنه فضلاً من المحتمل أن يكون صراحة يعكس موضوع السلطة حول من يجب أن يحكم حضرموت ولمن يجب أن يتم تقديم فروض الطاعة والولاء؟ وقد يكون سر أنه علاقة بالوضع الاقتصادي، أي أنه تمرد ضد الضرائب التي يجب على القبائل المسلمة دفعها للسلطة الإسلامية المركزية، ومهما كان السبب فإن تفسير بروكس سيتسبب بمنح القارئ نظرة سلبية عن الإسلام بصفة عامة.

الدول الاسكندنافية معزولة بحيث يوجد تفاعل قليل بين الجاليات.

زد على ذلك المثال الآخر على مدى التطرف للعرب والمسلمين هي القصة التي ترويها عن لقائها بالملكة نور والملك حسين ملك الأردن (بروكس 1995: 11-14) إن نظرتها تجاه الملك والملكة، وكذلك التنمية في الأردن تعتبر إيجابية. ومع ذلك تستمر في روايتها فإنها ترجع كل التطورات التي حدثت في الأردن إلى تأثير الملكة نور على زوجها، كما لو أن تركيبة المرأة (الغربية) والرجل هي أفضل وسيلة للنجاح، ولذلك فكرة أن الملكة نور هي القوة المحركة للتغيير في الأردن فإن بروكس تبدأ القصة المعنونة (بـ اسم ملكة) بقصة حول ملكة سبأ في القرآن والتي تقول: إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم (القرآن 27:23) (بروكس 1995: 119)

وفي هذا الجزء من الكتاب يبدو واضحاً وجلياً ما تراه بروكس عن المفكرين المستشرقين.

الإعلام

يلعب الأدب الشعبي دوراً في تكوين النظرة الشعبية للإسلام والمسلمين ويكمله الإعلام: الصحف، المجلات، والإذاعة المرئية، التي كثيراً ما ترافق التبعية الأكبر بخرافة كون الإسلام يمثل تهديداً، وإن المرأة المسلمة هي ضحية. وفي كتابها حول أحاديث السنوية التربوية المختلفة عن الأمور التربوية وتلك المتعلقة بأمور المهاجرين تناقش جاليستاد كيف أن الإعلام غالباً ما تساهم في عملية تكوين أية صورة نمطية يتم اللجوء للإجحاف بدلاً من التعليم (جاليستاد 2004: 33)

إن الدول الإسكندنافية معزولة بحيث يوجد تفاعل قليل جداً بين الجاليات العرقية، وبناءً على إحصاء وطني أجري عام 1993 فإن ثلثة من المجتمعات العرقية الدنمركية ليس لها أي تفاعل مع أي أفراد من مجتمعات عرقية أخرى (حسين 2000: 136)، ويرى عالم الاجتماع الدنمركي مصطفى حسين أن الإعلام هو الوسيط الرئيسي بين غالبية المجتمع الدنمركي والجماعات العرقية. وفي هذا الشأن يقول: نظراً لقلة التجربة الشخصية مع الأقليات فإن المواضيع والأمور التي تصبح محل اهتمام الجمهور حول الأقليات تعود إلى المصادر الإخبارية. وهذه المخطوطات أو الأفكار هي التي تكون الرأي المتصل أو مجموع مواقف معظم الناس في غالبية السكان، وعليه فإن الإعلام يقدم تعريفاً مسبقاً لمشاكل الأقلية بحيث يقوم البحث استناداً إليه بتكوين آرائهم (حسين 2000: 140)

ويشير حسين إلى أن خطابات الإعلام لا يتم إعادة إنتاجها في ظل الاتصالات الاجتماعية كتقليد مباشر أو بتكرار النص العرفي لمواد الإعلامية (حسين 2000: 110) حيث إن الإعلام ليس فاعلاً[1] وحده على تغيير القيم الأساسية أو المعتقدات المشتركة في المجتمع فيقرر.

ورغم زيادة الانفتاح انتشار الصور السلبية للأقليات، فإنه رغم محاولات استراتيجيات الإقناع والاعتبار والتكرار والتأكيد ويمارس الإعلام تأثيراً ضاغطاً على الجمهور والسياسيين لكي يؤمن بهم إلى التعامل مع الحقيقة العرفية بأن الإعلام هو الذي يكون أحاديث الأخبار (حسين 2000: 110).

وتضع التغطية الإعلامية الأمور المهاجرين والمسلمين والإسلام في الدول الأوروبية، ولكن تجدر الإشارة هنا إلى أن الإعلام عندما يشير إلى المهاجرين فإنه يربطهم ذاتياً بالإسلام والمسلمين. وفي معظم الدول الأوروبية فإن المهاجر يعتقد أنه هو مسلم دون النظر إلى جنسيته. إن هذه الفكرة القائلة تؤكدها دراسة قام بها حسين عام 1996 حيث لاحظ كيف أن معظم المقابلات يميلون إلى الحديث عن المسلمين والإسلام حتى ولو كانت الأسئلة الموجهة إليهم كانت حول ثقافة المهاجرين بصفة عامة (حسين 2000: 109). ويوضح حسين أيضاً كيف أنه حتى في نصوص خدمة الإذاعة العرقية يكون مفهوم المهاجر مساوياً لكلمة مسلم (حسين 2000: 105).

> الإعلامية السلبية الاستكشافية عندما يشير إلى المهاجرين فإنه يربطه ذاتياً بالمسلمين

الاختلافات

إن الخوف من الإسلام، إضافة إلى الأسباب التي تمت مناقشتها أعلاه يعود إلى محاولات المسلمين المحافظة على هويتهم والامتناع عن أن يتم استيعابهم في مجتمع الأغلبية. وفي إطار عملية العولمة، حيث تميل الخصوصية العرقية إلى الانتشار في جميع أنحاء العالم، فإنه يوجد انقسام مجتمعي للأقلية. يشير أحد الباحثين لذلك إلى أن عمليات العولمة هي الحقب التاريخية السابقة مثل (الهيلينية اليونانية التي تطورت من عولمة الخصوصية اليونانية وأصبحت عاملاً أساسياً في الإبادة للديانات التقليدية. إلا أنه في الواقع وضعت الأساس للدين الجديد لكي يعتنقه العالم وهو المسيحية. ومن بين الديانات القديمة فإن الديانة اليهودية هي الوحيدة التي نجت ويمكن أن يُعزى ذلك إلى أن اليهود كانوا يعيشون وينعزلون في مناطق معزولة بالفعل أن يكونوا جزءاً من الوحدة التي تنصهر فيها مكونات أي مجتمع. وتمثل الصعوبة الدينية والثقافية القوية لليهود تكون هي السبب الذي جعلهم قادرين على تحمل الضغوط المسيحية التي كانت سريعة الانتشار.

إن وضع الجاليات المسلمة في أوروبا وبصفة خاصة في اسكندينافيا يمكن النظر إليه على أساس الوضع اليهودي في التاريخ القديم. حيث يرفض الكثير من المسلمين التماشي مع أعراف مجتمع الأغلبية خاصة عندما تتعلق بالعرقية وحرية الاعتبار للمرأة حيث أن الكثير منهم يأتون من مناطق عقبة، ولديهم صعوبة في التكيف مع الحياة الحديثة في المجتمع المضيف. علاوة على هذا بالإضافة إلى الشكل الإسرائي للمجتمع الاسكندينافي جعل الكثير من المسلمين يعيشون ويتصرفون في نواحي مختلفة من الحياة أكثر من معظم أعضاء مجتمع الأغلبية.

ومن ناحية أخرى فإن أولئك المسلمين الذين لديهم الرغبة في الاندماج عليهم تحمل الصعاب التي سير جهودهم، مثل مواجهة صعوبات في سوق العمل وسوف يكونون مثل اليهود الذين أصبحوا يعانون من

تتواءم مع التصور وفق ما ذكره الكثيرون من المهتمين الجدد في هذه الدراسة فإن على المسلمين الذين يختارون أن يكونوا جزءاً من المجتمع سوف تستمر معاملتهم على أساس كونهم غرباء.

ويشعر المسلمون بأن «الخوف من الإسلام» هو سبب مشكلة تناول الصحف اليومية والثقافية لهم بألفاظ مغرضة ومهينة. ويقول مهاجر مسلم يعيش في الدنمارك: «كيف يمكنني أن أحس بأنني أعيش في موطني في مجتمع [illegible]» وفي بريطانيا يؤكد «الخوف من الإسلام» على [illegible] الجدد وفقاً لتقرير صدر عن مجموعة شركات (Runnymede Trust) عام [illegible] ضعف [illegible] عنصرية خطيرة في بعض المدن الشمالية. أما في إسكندينافيا فإن الإعلام السويدي [illegible] هو الذي لعب دوراً في بعض الدول في نقل الأخبار المتعلقة ببعض الأمور الخاصة بالمهاجرين. ويعترف ممثلو الإعلام السويدي بمسؤولية الإعلام عن توليد ظاهرة الخوف من الإسلام، بينما لا يعترف بهذه المسؤولية بالكامل في كل من النرويج والدنمارك.

المراجع

[illegible]

مجموعة شركات The Runnymede Trust [illegible]

[illegible] www.di.dk [illegible]

حول ثقافة كراهية الإسلام في الفكر الغربي

د. محمد السماك *

أ المواقف التهجمية التي اتخذها الجنرال وليام بويكن نائب وزير الخارجية تحولت الاستخبارات في عدد من الكنائس الأميركية وهو بالزي العسكري لم تأت من فراغ. صحيح أنها تعرضت لانتقادات شديدة من شخصيات سياسية في الحزبين الجمهوري والديمقراطي، ومن شخصيات دينية مرموقة تمثل عدداً من الكنائس الأميركية الكبيرة. إلا أن الصحيح أيضاً أن اتهام المسلمين بأنهم يعبدون الأصنام وأنهم يستهدفون الولايات المتحدة لأنها أمة مسيحية، وأن الإسلام يمثل الشيطان، إن هذه الاتهامات تعكس ثقافة تهجمية عميقة الجذور في التربية الدينية والسياسية.

في منتصف القرن التاسع نشر المؤرخ البيزنطي جورج هامارتولوس كتاباً عن تاريخ الإنسانية في الصفحة 335 من هذا الكتاب وصف المسلمين بأنهم [illegible](1) ومن بعده وجه الراهب الفرنسي هيو كلوني (1049-1109) رسالة إلى أحد الأمراء المسلمين دعاه فيها إلى الارتداد عن الإسلام واعتناق المسيحية، مبرراً دعوته بقوله: لقد خدع الشيطان أحفاد إسماعيل بالنسبة لإيمانه بعد مقتنعين أنه من الطبيعي أن يكون مقامهم نار جهنم(2).

وفي أواسط القرن التاسع عشر حرصت الحكومة الإنكليزية على منع شرب القهوة، كانت حينئذ تعرف بين الناس باسم حبيبات محمد، وكان هناك اعتقاد بأن من يشرب القهوة يرتد عن مسيحيته إلى الإسلام وأن الأتراك المسلمين يتآمرون على المسيحية في بريطانيا من خلال القهوة.



من يشرب القهوة يرتد عن المسيحية!

وقد تمكن رئيس أساقفة كانتربري الأسقف لاند من استصدار قانون عن مجلس العموم في عام 1637 يمنع أي بريطاني من اعتناق الإسلام.

وبعد وفاة الرئيس الأميركي الأسبق جيفرسون، صدر له كتاب عنوانه «القاموس المطلق» كتب فيه يتكلم

---

* رئيس لجنة الحوار الإسلامي المسيحي، لبنان.

(1) Cardinal. Encounters and ... Vol. II, p.

(2) Ibid. Vol. II, p. ...

من الوضوح من ثقافة كراهية الإسلام فنال في الصحف 1993[3].

ويعتبر بعض المراقبين من أن الإسلام سوف يكون قوة جغرافية سياسية وسياسية وإن ... وهو قوة العالمية سوف يرتبطان تحدياً رئيسياً، وإن الغرب سوف يضطر لتشكيل حلف جديد مع موسكو من أجل مواجهة عالم إسلامي معاد وعدواني، لأن وجهة النظر هذه يضيف نيكسون، تعتبر أن الإسلام والغرب على تضاد، وإن المسلمين ينظرون إلى العالم على أنه يتألف من معسكرين لا يمكن الجمع بينهما، دار الإسلام ودار الحرب.



ريتشارد نيكسون.

ويعكس نيكسون في كتابه صورة قاتمة عن العالم الإسلامي عندما قال: إن كثيراً من معظم الأمريكيين ينظرون نظرة موحدة إلى المسلمين على أنهم غير متحضرين ومتسخين، برابرة غير عقلانيين لا يسترعون انتباهنا إلا لأن الحظ حالف بعض قادتهم وأصبحوا حكاماً على مناطق تحتوي على ثلثي الاحتياطي العالمي المعروف من النفط.

ولا شك في أن كثيرين في الولايات المتحدة وفي الغرب يشاركون نيكسون وجهة نظره التي يقول فيها عن 1985 بأنه يوجد في العالم الإسلامي عاملان إثنان مشتركان فقط: هما الدين الإسلامي والاضطراب السياسي.

بعد إنتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفياتي وانحلال حلف وارسو، جرى تصعيد مصطنع للمخاوف القديمة ضد الإسلام، حتى أن مدير معهد بروكنغز في واشنطن Brookings Institution هيلموت سوننفيلد Helmut Sonnenfeldt يقول: إن حلف شمال الأطلسي سوف يبقى، وإن الغرب سيبقى مجموعة دول لها قيم أساسية مشتركة، وستبقى هذه المجموعة متماسكة مع من خلال الشعور بخطر خارجي، قد يأتي من الشرق أو التطرف الإسلامي.

وفي ديسمبر 1990 ألقى هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية الأسبق خطاباً أمام المؤتمر السنوي لمنظمة التجارة الدولية، قال فيه: إن الجبهة الجديدة التي يتحتم على الغرب مواجهتها هي العالم العربي الإسلامي، باعتبار هذا العالم هو العدو الجديد للغرب، وإن حلف الأطلسي باق رغم انخفاض حدة التوتر بين الشرق والغرب في أوروبا، ذلك أن أكثر الأخطار المهددة للغرب في السنوات القادمة آتية من خارج أوروبا. وفي نهاية التسعينات فإن أخطر التحديات للغرب ستأتي من ناحية الجنوب ... في المغرب العربي والشرق الأوسط.

وكانت مجلة الايكونوميست البريطانية المعروفة بدعمها ... قد نشرت في الوقت نفسه على الغلاف موضوعاً بعنوان «الإسلام الأحمر» ... المعادية للغرب.

وجاء في دراسة أخرى نشرتها مجلة ... متخصصة في الدراسات الاستراتيجية[4]: إثر إنتهاء الحرب الباردة وسقوط الشيوعية في عام 1990 علق الأمين العام لحلف شمال الأطلسي ويلي كلايس، (الذي ... منصب وزير الاقتصاد في بلجيكا فيما بعد): «لقد حان الوقت الذي يجب علينا فيه أن نتخلى عن خلافاتنا وخصوماتنا السابقة، وأن نواجه العدو الحقيقي لنا جميعاً وهو الإسلام، وأن الأصولية الإسلامية هي على الأقل في مستوى خطورة الشيوعية سابقاً».

وفي شهر الصيف – (يونيو) من عام 1994 انتهت مهمة الجنرال جون كالفان القائد الأعلى لقوات حلف شمال الأطلسي، وفي الاحتفال التكريمي الذي أقيم له في بروكسل، ألقى كلمة تحدث فيها عن الآفاق المستقبلية للحلف ولدوره.

3- [illegible]
4- Survival [illegible] 1991-92, P. 112-113.

تستوقفت من كلمته المبهرة الآتية: فلقد وضعت الحرب الباردة أوزارها بعد نحو 70 عاماً من الصراع، ثم عادت الحالة إلى محور الصراع القائم منذ 1300 سنة، إنه صراع المجابهة الكبيرة مع الإسلام.

والواقع أن المشاعر المعادية للعرب والمسلمين تمثل من هذه الصورة الجديدة للعدو الغربي سلفاً والمحافظ لها أسرع انتشاراً وأكثر قدرة على الاستقطاب.

ويبرز ذلك واضحاً من إصرار مجموعات من منظمة الخضر بألمانيا أن إحراق آبار النفط الكويتية على يد قوات الغزو العراقي في عام 1991 لم يكشف لا عن صراع بين الإسلام والغرب فقط، بل بين الإسلام والتقدم في التصنيع أيضاً.

وطالب أحد من الخضر الألمان بجلوس لوبي لمجابهة الثورة من الغرب.

وفي أعقاب المحاولة الإرهابية الأولى التي استهدفت برجي التجارة العالمية في نيويورك في عام 1993، نشرت مجلة نيوزويك الأمريكية بتاريخ 15 الربيع مارس 1993 دراسة مطولة علّقت لها على الغلاف ما يلي:

الرعب البادي: الإرهاب اليوم: التحدي الإسلامي. وقد تضمنت الغلاف صورة تشابه ملتحٍ يحمل سلاحاً حادّاً المصحف الشريف مكتوب عليه الله ومحمد.

وفي الداخل (صفحة 14) وتحت عنوان: غضب الإسلاميين تساءلت المجلة: هل إن جذور الضربة الإرهابية في نيويورك تكمن في ثورة غضب المسلمين الأصوليين ضد الغرب في شمال إفريقيا وغيرها؟

وتساءلت المجلة عن الدوافع الكامنة وراء استهداف الولايات المتحدة من قبل الأصوليين الإسلاميين، وقالت إن لائحة الدوافع طويلة، منها أن الدول الغربية مجتمعة تصر على إخضاع العراق منذ حرب الخليج، وهو دولة عربية إسلامية، ومنها أن الصهيونية تستمر في الأراضي العربية بمساعدة أمريكية، ومنها إبعاد فلسطينيين مسلمين عن الأراضي المحتلة إلى جنوب لبنان حيث يواجهون البرد في الجبال الجرداء (مرج الزهور)، ومنها منع الإسلاميين من الوصول إلى السلطة بوسائل سلمية ديمقراطية كما حدث في الجزائر، وقمع حركات الإسلاميين في مصر إلخ.

في ذلك الوقت دعا رئيس مجلس النواب الأمريكي نيوت غينغريتش المجلس إلى وضع استراتيجية متكاملة لمحاربة الراديكالية الإسلامية.

ويلاحظ المفكر الأمريكي صموئيل هنتنغتون في دراسة نشرتها مجلة الشؤون الخارجية «فورين أفيرز» الأمريكية وتلتها مقتطفات منها صحيفة هيرالد تريبيون الأمريكية (عدد الثلاثاء من الصيف، يونيو 1993) أن المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية تفصل الشعوب عن هوياتها المحلية، وفي معظم أنحاء العالم يتقدم الدين ليملأ هذا الفراغ غالباً في شكل حركات غالباً ما توصف بالأصولية كالمسيحية الغربية واليهودية والبوذية والهندوسية والإسلام.

وفي مقابلة أجرتها معه مجلة تايم الأمريكية (28 أغسطس 1995) سألت المجلة البروفسور هنتنغتون: ألست تؤكد أن الصراع المقبل الذي سيواجهه الغرب سوف يأتي من العالم الإسلامي؟ لماذا؟

يجيب هنتنغتون على السؤال بقوله: إن الإسلام هو الديانة الأشد صرامة في العالم خارج المسيحية، لا يوجد فصل بين الدين والسياسة. ثانياً، هناك شعور بأن العالم الإسلامي قد تعرض للضرب والاستغلال على يد الغرب، وإن ثمة نوعاً من المرارة في نظرتهم إلى الغرب. إن الصراع سيأخذ عدة أشكال، والواحد منا لا يريد أن يظن أن هذا يعني قيام حرب شاملة بين الإسلام والغرب.

قبل حدث 11 سبتمبر 2001 كان منظرو الحركة الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة يعبرون عن كراهيتهم للإسلام ويصبون جام حقدهم عليه، فهم يعتبرون أن المسلمين يقفون في وجه الإسرائيليين يعطلون العودة الإلهية ويؤخرون العودة الثانية للمسيح، ومن أبرزهم جيري فولويل وبات روبرتسون وجيمس كنيدي وبول سيلدون وهنري ميرس.

وقد ازداد نفوذ هؤلاء القساوسة السياسي في عهد

الرئيس جورج بوش، فالرئيس الأمريكي معني بهم الانتقال من حالة الإيمان على المستوى إلى الإيمان بـ «الولادة الثانية» وبالعمل من أجل تسريع العودة الثانية للمسيح.

وتمتد مظاهر هذه العلاقة إلى القس ليندسي حذر من «أن المسلمين لا يريدون فقط تدمير دولة إسرائيل ولكنهم يريدون تدمير الثقافة اليهودية - المسيحية التي تشكل أساس الحضارة الغربية. إنهم كالشيوعيين في أعماق أنفسهم نزق شديد لنطف جميعاً»[5].

كذلك فإن القس بات روبرتسون وصف الإسلام بأنه دين الإرهاب وأنه يهدف إلى السيطرة على العالم. كما يتهم المسلمين الأميركيين بأنهم يخططون خلايا إرهابية لتدمير الولايات المتحدة. وجاءت هذه الاتهامات من خلال برنامجه التلفزيوني الواسع الانتشار «نادي السبعمائة».

ويصف القس جيري فاين Jerry Vine النبي محمداً ﷺ في مؤتمر المجلس المعمداني الجنوبي الذي عقد في فلوريدا في عام 2002 بأنه الشيطان نفسه[6].

وكان فرانكلين غراهام Franklin Graham وهو نفسه أيضاً الذي ترأس الصلاة المقدسة بمناسبة أداء القسم الدستوري للرئيس جورج بوش الابن، قد قال عن الإسلام أنه دين شيطاني شرير[7]. وقال مثله القس جيري فولويل إنه دين عدواني.

إن هؤلاء القساوسة الذين يحاضرون بعداوتهم للإسلام ويطلقون يومياً الشتائم بحق النبي محمد ﷺ يشكلون الجسر الديني السياسي الذي يربط بين الرئيس جورج بوش والجنرال أرييل شارون، وبين إسرائيل والولايات المتحدة.

إن كاتب خطابات وتصريحات الرئيس بوش هو واحد من هؤلاء القساوسة وهو مايكل جيرسون، ومن السهل تتبع العبارات الدينية - التوراتية في كلام الرئيس الأميركي خاصة عندما يتحدث عن الشرق الأوسط.

حتى أن أشد مظاهر العداء للإسلام لدى هؤلاء القساوسة تظهر عندما يتحدثون عن أي أمر يتعلق بإسرائيل. فقد رفعوا الصوت عالياً ضد انطلاق اتفاق أوسلو، وضد اتفاق واي ريفر، وكذلك ضد قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالقرارين 242 و338، فالقس والتر ريغنز Walter Reggans مثلاً دعا إلى محاربة اتفاقي أوسلو وواي ريفر بحجة أن الاتفاقين يعطيان الشرعية للطموحات الفلسطينية في القدس وفي الضفة الغربية، وحذر من أن الله سوف يشكل العطر الأول في مسير الفلسطينيين الإرهابيين نحو القضاء على إسرائيل.

وحتى يعطي هذا الموقف السياسي خلفية دينية أعلن القس ريغانز أن اتفاقات السلام هي مخالفة لله ولنياته نحو الشعب اليهودي، فالسلام كاذب لأن جذوره تنطلق من الشيطان[8].

لا يتفرد القس ريغانز بهذا الربط بين السياسي والديني، ذلك أن هذا الربط يشكل القاعدة الثابتة في التأويلات التوراتية لأحداث الشرق الأوسط، بل لصناعة هذه الأحداث في ضوء هذه التأويلات.

فالقس كلارنس واغنر Clarence Wagner يقول: «عليه أن نشجع الآخرين على فهم مخطط الآلهة وبين المخطط الذي هي من صنع الإنسان في الأمم المتحدة أو حتى في الولايات المتحدة أو الاتحاد الأوروبي أو في أوسلو أو واي ريفر.. إلخ. إن الله يعبر عن أن مخططه يعرض مدينة القدس للصراع بما في ذلك منطقة جبل الهيكل وجبل الزيتون وهو أبعد ما يكون عن إعطائها للعالم الإسلامي. إن المسيح لن يعود إلى مدينة إسلامية تدعى القدس، ولكنه سيعود إلى مدينة يهودية موحدة تدعى «جيروزاليم»[9].

وفي الأول من شهر يناير 2002 حذر القس بات روبرتسون في برنامجه التلفزيوني «نادي السبعمائة» من أن دعم الولايات المتحدة للتسويات السياسية وانتزاع القدس من اليهود وإعطائها إلى ياسر عرفات، فإذا استرجعت الولايات المتحدة القدس الشرقية وجعلتها

---

5. Lindsey, The Road to 9/11.
6. Richard Vine, "Evangelicals ... attacks on Islam ...", Washington Post, June 11, 2002.
7. Washington Post, ... 2001.
8. Walter Reggans, The Movement ... and the Middle East ... 1998.
9. Clarence Wagner, ...
10. Herman ..., Don't ... for Jerusalem, ...

عاصمة الدولة الفلسطينية فإن معنى ذلك أننا نسعى وراء نصر [illegible] الله».

وذهب القس [illegible] إلى أبعد من ذلك عندما وصف اغتيال إسحاق رابين رئيس الحكومة الإسرائيلية الأسبق الذي وافق على اتفاق أوسلو مع الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات بأنه «أي الاغتيال» عمل من أعمال الله؛ لأنه حكم إلهي نفذ فيه نتيجة خيانته [illegible] هذه الأرض هي أرض الله، وأن لله كلمات قوية تجاه من يقسم أرضه. لقد استحق رابين غضب الله عندما بدأ يقسم أرض الله»[1].

في مطلع شهر الربيع/مارس 2003 نشرت صحيفة [illegible] الإسرائيلية تصريحاً لمدير السياحة الإسرائيلي بيني ألون قال فيه: «من الواضح أن الإسلام في طريقه إلى الزوال. فما نلاحظه اليوم في العالم الإسلامي ليس انتفاضة إيمان قوية، بل انطفاء جذوة الإسلام. أما كيف سيحدث ذلك [illegible] حرب مسيحية [illegible] ضد الإسلام في غضون بضع سنوات ستكون الحدث الأهم في هذه الألفية، وطبعاً سنواجه مشكلة كبرى حين لا يبقى في الساحة سوى الديانتين الكبيرتين: اليهودية والمسيحية، غير أن ذلك ما زال متروكاً للمستقبل البعيد»[2].

وفي مطلع الشهر التالي: الشهر [illegible] أبريل تجمعت أمام الحدود الأردنية ـ العراقية، وأمام الحدود الكويتية العراقية مجموعات [illegible] الصهيونية المسيحية [illegible] بمساعدات إنسانية غذائية وطبية، مع كميات كبيرة من الكتب [illegible] وتسمى هذه المجموعات [illegible] مؤسسة [illegible] Samaritan's Purse [illegible] السامرية وهو اسم ديني يشير إلى العهود الأولى من ظهور المسيح ولا يقتصر أعضاؤها على الأمريكيين وحدهم، ولكنها تضم متطوعين من جمعيات أوروبية مختلفة، خاصة من النرويج وهولندا وبريطانيا.

وإذا كانت مهمة القوات العسكرية الأمريكية هي البحث عن أسلحة الدمار الشامل في العراق وتدميرها، فإن هؤلاء المبشرين يؤمنون بأن سلاح الدمار الشامل في العراق الذي يجب تدميره هو الإسلام الذي يتهمونه بأنه مصدر الفكر الإرهابي والمحفز على ارتكاب العمليات الإرهابية كالتي جرت في الولايات المتحدة (نيويورك وواشنطن) وفي إسرائيل (العمليات الاستشهادية).

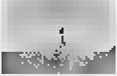
فالقس غراهام هو الذي قال عن المسلمين في الولايات المتحدة [illegible] الديمقراطية والليبرالية والحرية [illegible]. وعندما احتج المسلمون الأمريكيون على هذه الأقوال لأنها تحرض الأمريكيين الآخرين عليهم، رد غراهام بقوله: «إن الذين هاجموا الولايات المتحدة ودمروا برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك لم يكونوا من اللوثريين ولا من الميثوديين، بل كانوا من المسلمين، ولذلك فإن وجودهم يشكل خطراً على المجتمع الأمريكي».

فثقافة العداء للإسلام ليست ثمرة جريمة 11 سبتمبر (أيلول) 2001، وإن كانت هذه الجريمة قد وظفت على أوسع نطاق لتعميم هذه الثقافة وتعميقها وتجذيرها في العقول والقلوب. [illegible] سياسة التعقب الجماعي التي يلقى منها المسلمون، خاصة في الولايات المتحدة، سوى بعض مظاهر هذه السياسة التي تتناقض مع الأهداف الأمريكية الكبرى.

على أن القضية الكبرى هي أن العالم الإسلامي لم يفعل شيئاً يذكر طوال العقود الخمسة الماضية لتصحيح ثقافة الاستعداء المترسخة في الفكر الغربي، كان يكتفي بالأدلة من بعيد متكئاً على معتقد نظرية المؤامرة. ثم جاءت أحداث سبتمبر (أيلول) 2001 لتعطي هذه الثقافة مبررات وأبعاداً جديدة تلهب مشاعر الكراهية والعدائية. ورغم أن بعض الأصوات الإسلامية العاقلة ترتفع من هنا أو من هناك مستنكرة أحياناً، ومنبهة أحياناً أخرى، فإن صدى أصوات التطرف الإسلامي تذهب بعيداً جداً مثل ضربات الطبل المدوي، الأمر الذي يعمق الهوة بين الإسلام [illegible].

لقد قررت قمة منظمة المؤتمر الإسلامي في اجتماعها الأخير الذي عقدته في ماليزيا التصدي لهذا الأمر. إنه قرار حكيم نأمل بأن يتبعه خطة

[1] [illegible]
[2] [illegible] بيني ألون [illegible]



«التنوع الثقافي» والإسلاموفوبيا

د. غيما مارتين مونيوث *

لقد انتقلت من خطاب مثالي من الناحية السياسية يقوم على بناء المجتمع المتعدد الثقافات، ويجد الكل نفسه في هذه المرحلة مجبرا على التلقي بحماس التنوع الثقافي واعتباره واقعا إيجابيا لا بديل عنه. وانقلب الأمر إلى تصريحات متلاحقة تظهر مساوئ التعدد الثقافي وتعتبره تهديداً للتعايش. وفي اعتقادي فإن الطرح في كلا الحالتين افتقر للعمق والتحليل الهادئ والعميق والموضوعي، وقد يكون ذلك ساذجاً ـ كما قال أحد مثقفينا الإداريين الإسبان ـ من ميزات بعض الإسبان، والمتمثلة في الإسراع في الكلام دون تفكير أو التهور. وليس لي إلا أن أضيف أن هذا التهور يزداد كلما تعلق الأمر بالإسلام. ويجب أن نتحلى بالشجاعة لنعترف أن موضوع الثقافة لا يطفو على السطح ولا يطرح للجدل على المستوى العام إلا إذا تعلق بموضوع الإسلام والمسلمين، عندما تتعالى الأصوات المضادة لكل ما هو إسلامي وتسود صورة تدل على عداء شريعة الإسلام، الذي يدعي بعضهم أنه يكلف نفسه عناء التفكير ويبين أدنى قسط من المعرفة الحقيقية به بما يقال.

> موضوع الثقافة لا يطفو على السطح ولا يطرح للجدل إلا إذا تعلق الأمر بالإسلام والمسلمين وعندما تتعالى الأصوات المضادة لكل ما هو إسلامي

نعتقد بأن موضوع الجدل الحقيقي ليس الإسلام، بل عدم وضوح في المفاهيم، فمسألة الانخراط الاجتماعي مثلاً لم تحدد معالمها بالكامل في إسبانيا. ففي الكثير من الأحيان عندما نطرح المواضيع الكامنة للنقاش والجدل يكون ذلك مجرد محاولة لطمس الخلل أو العيوب الاجتماعية ذات الأهمية الأكبر. فليس لأحد ومع ذلك أن يثبت أن مشكلة الانخراط تجد حلاً سهلاً في مجتمع مسيحي أو كاثوليكي، ففي محاولة لتبسيط الأمور وطرحها على هذه الصورة لن تستخدم إلا تعبير مفاهيم «الإسلاموفوبيا»، كالقول إن المهاجرين يشكلون تهديداً للمجتمع العلماني في الوقت الذي نرى فيه أن هذه العلمانية ليست كاملة.

من ناحية نظرية يجب ألا ننسى أن مسألة التعدد الثقافي لها جوانب كثيرة لا تقتصر على استيعاب المسلمين أو لا. فهناك العديد من الجاليات الجديدة أتت من مناطق جغرافية متعددة، ذات طابع ثقافي متنوع، وحيال ذلك فليس لنا إلا أن نتأقلم ونتكيف جميعاً مع الوضع الجديد وهو ليس بالأمر الهين، يجب ألا نقلب الآية ونتعامل مع القضية بتسرع وكرد فعل

* أستاذة العلوم الاجتماعية في العالم العربي والإسلامي بجامعة أوتونوما - مدريد، إسبانيا

** ترجمه عن الإسبانية: [illegible]

فقط على الموضوع الذي يختلف في هذه الخصلة (موضوع الإسلام)، غالباً ما يطالب المهاجرين المسلمين بتكييف أنفسهم مع وضع معقد بشكل قوي ويحملهم مسؤولية الفشل في تحقيق ذلك.

ونحن نعلم جيداً أن عملية التكيف والتأقلم لا تقتصر على هؤلاء أو أولئك، بل تستدعي من كذلك استيعاب الرموز الثقافية الجديدة، والتطورات التي تطرأ على العلاقات العائلية بالإضافة إلى التناقضات بين الأجيال، واستيعاب هذه الأمور لا يقتصر على المسلمين، بل يمتد إلى كل الجاليات الأجنبية وللمجتمع نفسه بدون أدنى شك. لكن المسلمين هم الوحيدون المطالبون بتقديم شهادة حسن سيرة وسلوك، وشهادات تثبت أنهم ديموقراطيون ومؤهلون للانخراط في المجتمع، ومن البديهية أن على المجتمع هو المطالب بتحمل ذلك، هذه هي الطريقة التي يجري بها التعامل مع المجموعات البشرية الوافدة إليه من جميع أنحاء العالم بمختلف الدول العربية والإسلامية.

> **إذا لم نتمكن من التخلص من ترسبات وعقد فكرية مضادة للإسلام فلن ننجح في إيجاد حلول لتلك التحديات.**

يجب أن نعترف أن مشكلة غطاء رأس المرأة وهو الأمر الذي شهد جدلاً كبيراً في أوروبا مؤخراً سببه التصاعد والعداء المضاد للإسلام، وعليه لا يمكن اعتباره مظهراً من مظاهر صعوبة اندماج المهاجرين المسلمين في المجتمع الأوروبي. ونشير في هذا الصدد إلى أن جمعية المهاجرين المغاربة التي لا يمكن وصفها بالإسلاموية بل على العكس أكدت في العديد من المناسبات أن غطاء رأس المرأة المسلمة ليس إلا مجرد رمز للهوية الثقافية، وليس محاولة لنظر الدين الإسلامي المجحف بحق المرأة، وعليه فالقضية ليست حجاباً يغطي وجه المرأة من أجل تجريدها من شخصيتها الفردية وتذويبها في وسط عام، ونحن غالباً ما نرفض فهم الأبعاد المختلفة للحجاب في العالم الإسلامي، لأننا لا نتقن سوى التفسير الوحيد الذي توصلت إليه لهذه الظاهرة.

فالنساء اللواتي يتعرضن للمجتمعات الأوروبية والمغربية بشكل عام كضحايا لضعف التكوين أو الأصولية الإسلامية لا يرغبن في الظهور بمظهر مختلف أو مغاير تماماً لإرادتهن، ومن لا يرغبن بالتحول إلى ضحية لمنع التعميم المريبي الذي يحرمهن من استخدام هذا الرمز للهوية الثقافية.

ليس في وسع أحد أن ينكر مدى التحديات التي تواجه إعادة تأسيس بنية اجتماعية معقدة ولكن لا بد من مواجهة ذلك بدراية كاملة بظروف المجتمع والوافدين إليه.

ومما يتعلق بالواقع يجب أن ننظر في الاعتبار أولاً أنه إذا لم نتمكن من التخلص من ترسبات وعقد فكرية مضادة للإسلام فلن ننجح في إيجاد حلول لتلك التحديات. إن هذه ليست أمراً جديداً، ولكن مشاعر الحساسية المضادة للإسلام تضاعفت بعد أحداث 2001/09/11 بشكل يبعث على القلق. المتضررون المباشرون من هذا الوضع الجديد هم المسلمون الذين يعيشون بيننا في العالم الغربي (هذا يفسر سر تهرب البعض من تجاوز العقود المتعارف عليها وإعلان الرفض للتنوع الثقافي متناسين أن هذا الرفض يمثل انتهاكاً غير مقبول للمبادئ الديموقراطية).

القضية تكمن في ضرورة الأخذ بعين الاعتبار تبني مبدأ تحرير وتأسيس في كافة المجتمعات الغربية حول مفهوم المجتمعات الإسلامية والعربية، ينطلق من أرضية جديدة ورؤية مرنة تعتبر الثقافة العربية الإسلامية ثقافة منغلقة على نفسها، غير قابلة لتقبل أي تعديل جذري مما يؤدي إلى الاعتقاد بأنها حضارة متخلفة وغير قابلة نسبياً وتحمل تقاليد متحجرة وغير منطقية وتتميز بالعنف، وقد أدت إلى هذا المصير وكأنه القدر المحتوم، وهذا هو الأساس الذي ينطلق منه المعارضون للتعددية الثقافية. ولا نأخذ في

الاهتمام عادة التناقض في ما يتعلق بالشذوذ والغلو الذي تتسم به بعض التنظيمات الإسلامية الإرهابية والتي لا تمثل وجودها في العالم الإسلامي.

من فكرة بسيطة واحدة في تلك السبيل وبالضبط التحديد لكل ما يمثله الوجه الثقافي الرجعي المتخلف للعالم الإسلامي يعمل على التقصي عن التشاؤم من خلال الاستقدام من أولئك المسلمين الذين يعيشون بيننا في الوقت الذي لا نعيرها مبالاة. هذا الوضع الراهن الذي لا يطاق التصادم عن المسائل الإسلامية بين العالم الغربي وعدد من الأنظمة الديكتاتورية التي تنتهك بشكل دائم حقوق الإنسان بالإضافة لكونها المسؤولة الأولى عن تشجيع التعبيرات التعصبية المتشددة للإسلام؟ هؤلاء وحدهم يعتبرون حلفاء الذين يحصل الغرب مسؤولية حمايتهم على الرغم من أنهم يعرضون الآن أكثر من أي وقت مضى باستغلال ظروف الحرب ضد الإرهاب للتعدي في حمى وضع المجموعة: المرجعية سواء العلمانية أو الإسلامية الإسلامية التي تشكك من جل الديمقراطية والتي لا شك في أنها ستكون قادرة على المضي بالإسلام نحو الأمام لو ترك لها المجال للعمل بحرية دائما على استنكار كل ما هو سلبي في العالم الإسلامي من جهة المنتقد الذي يبادر بنفسه في رؤية الواقع المعاش هناك، وتعمل مواصلة الاعتقاد بأن ذلك العالم الإسلامي هو عالم فريد ومنغلق وعاجز عن التحرك يتمم بذلك نواة العالم الآن هذا التوقف يعكس من الظهور مظاهر المثل العالمي للحضارة في الوقت الذي يشهد فيه الواقع أنها تساهم في عرقلة الحرية والسلام والديمقراطية وبدوره التفاني في هذا الجزء من العالم.

ولكن مسؤوليتها لا تقتصر على عدم توفير الشروط اللازمة لتطوير هذا الوضع المتوازي في ذلك الجزء من العالم بل إننا لا نقوم بالواجب هنا حيث لا نعمل على توفير الحريات من أجل مساعدة المسلمين الذين يعيشون معنا على التحول اجتماعيا، بل بالعكس نضيق الخناق عليهم ونطلب منهم أن يكونوا ليس فقط متأقلمين بل وأن يتخلوا عن دينهم.

نعتقد أن التوجه المهم في الواقع هو تعليم الشباب، وأن التربية والتعليم هما الضمانة الحقيقية للمستقبل وليس المهم ما إذا كانت النساء يرتدين الحجاب أم لا، ويجب ألا ننسى أن الكثير من النساء المسلمات اللواتي يرتدين الحجاب بمحض إرادتهن، فالمهم هو التأكيد على الهوية الثقافية وليس الاعتراف بالسيطرة والتفوق الذكوري عليهن، الطرق التي تسمح بالتحولات الاجتماعية لا تتم ولا تحصى ولا تقتصر على تلك الخطوات التي يرسمها الغرب من رغبته في التفوق والاعتقاد بأنه يملك الحقيقة الحضارية.

يجب ألا نروج لكل من يعادي الإسلام، ولا ننسى أن الجيل الثاني أو الثالث من المهاجرين المسلمين في أوروبا يشهد فعلا تحولات جذرية في أسلوب حياة هؤلاء الشباب والشابات.

فهم يشعرون بأنهم أوروبيون ويشاركون في العمل الجماعي المنظم ويعيدون النظر في أفكارهم وفي عاداتهم، ولكن هذا لا يعني بأنهم سيتركون دينهم بل ربما يكونون أكثر المسلمين قدرة على التوفيق بين الحداثة والإسلام، وعليه يجب في التعرف على الآخر وألا نكرر فهما سطحيا عنه ينطلق من تصوير الأمن من دون فهم، الصادر انطلاقا من جهلنا وعدم قدرتنا على استيعاب التنوع في العالم الإسلامي لأن ذلك قد يجعله عملية بناء مستقبل مزدهر.

إننا نضيق الخناق على المسلمين ونطالب منهم أن يكونوا ليس فقط متأقلمين بل وأن يتخلوا عن دينهم

الشخصية العربية على الشاشة
«صورة خارجية مقربة»

رمضان سليم *

كان من أهم البواعث التي حركت فن الخيالة منذ نشأته الأولى وانطلاقته سنة 1895 محاولة توثيق وتسجيل البيئات والأمكنة الجغرافية التي تعبر عن الإنسان تعبيراً من خلال الإحساس بفن الصورة بشكل عام والذي وجد تحمساً من قبل الجمهور. تكمن آلة التصوير إلى مزيد الحركة والبحث والاكتشاف.

تحت تأثير هذا المظهر التقني وضمن هذا ظهر ذلك النوع الفني الذي عُرف باسم الخيالة التسجيلية، أو بتعبير آخر الخيالة الوثائقية. ولقد كان لمشغلي (لوميير) في فرنسا الدور الرئيس في النظر إلى هذه الخيالة على أنه توثيق وتسجيل وبالتالي تصوير بيئات مختلفة من العالم. كان من بينها شمال أفريقيا وكثير من المناطق الإسلامية في بقاع عدة من العالم.

ثم اتخذت الخيالة التسجيلية منهاجاً متنوعاً، لأن مهمتها كانت التسجيل المباشر للمشاهد، وفي ظل بحث الجمهور عن التخيل والمغامرة كانت الخيالة التسجيلية مجرد أداة للمعرفة واكتشاف الآخر.

وفي تلك المرحلة التي أعقبت نشأة الخيالة عرفت الشعوب الإسلامية آلة التصوير من خلال الأجنبي المستعمر الذي جلبها معه، متنقلاً بها من مكان إلى آخر فكانت هذه الآلة في بعض جوانبها أقرب إلى السلاح الموجه نحو صدور الشعوب المستعمرة.

لقد سميت المرحلة التي أعقبت نشأة الخيالة (1895 - 1939) بالنسبة للشعوب الإسلامية باسم المرحلة الاستعمارية. وهناك من أسماها مرحلة الخيالة الكولونيالية، وهذا ما ينطبق على بعض البلدان دون غيرها.

من سمات وخصائص الخيالة التسجيلية أنها تعمل على نقل الواقع كما هو وإن كان الاختيار يلعب دوراً في عملية التصوير بالمعنى السياسي. وكان من الطبيعي أن يلتقط الأوروبي الصورة التي يراها غريبة وفي نفس الوقت تستجيب لرغباته في تأكيد النزعة التي ترى الشرق بشكل عام بالتخلف، وترسّخ مفهوم الهامشية بالنسبة للثقافة غير الغربية، وبالتالي تبرز الصورة العمل الاستعماري في جميع اتجاهاته.

أما الاتجاه الثاني في الخيالة فهو الذي يعتمد على التخيل، والذي أفرز الخيالة الروائية المبنية على القصة المتخيلة، وهو الاتجاه السائد والمعروف من قبل الجمهور، والأكثر شعبية وتأثيراً. ولقد بدأ الفرنسي (جورج ميلييس) في تأكيد هذا النوع منذ أن قدم شريطه الخيالي (رحلة إلى القمر - 1902).

ومما دفع الخيالة الروائية إلى التحول في تجارب جديدة زادت من فاعليتها وشعبيتها من الخيالة التسجيلية ومحاولة تصوير الأماكن والبيئات كما هي وكذلك إضافة عنصر التخيل، وهو أمر دفع الآلات

* كاتب وناقد/ ليبيا

التصوير للبحث عن الأماكن غير المألوفة بالنسبة للأوروبي وبكل ما تحتوي عليه من عمارة وملابس غريبة وأشكال جديدة في التعامل، وقد ما ركزت عليه الشركات لكسب الجمهور وبيع الصورة له ويعرف المنظر من النوع بين آلات التصوير قد سويت البيئات الإسلامية بعين الأوروبي وحده تقريباً واستمر ذلك لعقود كثيرة. ويقول بعض المصادر إن أول شريط تعامل مع التاريخ الإسلامي كان شريطاً عنوانه (في حماية السلطان - 1909)، أما على مستوى السينما التسجيلية فالرحلات التي قام بها المصوران الفرنسيان إلى كل من مصر وتونس والمغرب وبعض المناطق في أفريقيا كانت البداية، فعززت رحلات باقي تلاميذه ممن ساروا على خطاه.

ولقد توالت الأشرطة الغربية متعاملة مع التاريخ الإسلامي من خلال الإطار المسلم والأجواء التاريخية، مستعرضة الشخصيات العربية الإسلامية المتخيلة، حتى يمكن القول إن المستوى العام للإنتاج السينمائي الغربي قد صبغ بتحقيق الكثير من الأغراض التجارية والسياسية، وهو ما انعكس على تعامل خيالة هوليوود مع التاريخ بشكل عام. ففي الوقت الذي قدمت فيه أشرطة تدعم الشخصية اليهودية، تعرضت شخصيات أخرى للإساءة المباشرة مع عدم الدقة في الطرح، وهذا ما بدا واضحاً في أشرطة تعاملت مع السود والهنود والشخصيات العربية الإسلامية.

لقد صورت الأشرطة الغربية مع العقود الثلاثة الأولى لبداية الخيالة عالمياً في الإنتاجين، الروائي والتسجيلي، المسلمين العرب والإسلام، مؤكدة على عدة جوانب أهمها الربط بين الإسلام والتخلف من خلال تصوير وضعية المرأة المنكمشة والمحجبة

في الوقت الذي قدمت فيه الأشرطة ما يدعم الشخصية اليهودية، تعرضت شخصيات أخرى للإساءة المباشرة مع عدم الدقة في الطرح، وهذا ما بدا واضحاً في الأشرطة التي تعاملت مع السود والهنود والشخصيات العربية الإسلامية

بحق البيوت والملابس القبيحة، وبسبب سلوك الرجل الذي يجد متعة في استعباد الآخرين.

أيضاً عملت آلات التصوير على تصوير الدراويش والمجانين وربطهم مباشرة بالإسلام، هذا بالإضافة إلى عدم الدقة في تصوير العبادات وخصوصاً طقوس الصلاة.

ونخلص للقول إن الرغبة في الوصول إلى حكم نهائي يوسم الشخصية الإسلامية بالتخلف هي نتيجة مباشرة لظروف سياسية وثقافية تحكمها اعتبارات لها علاقة بعدم الرغبة في التعرف على الآخر كما هو في مراحله المتدرجة، بل المبالغة في تحديد النتيجة السلبية بالتعرف المباشر. ومن الطبيعي أن يكون الإنتاج الأمريكي هو المعني تحديداً بذلك بسبب طابع المعاصرة والاندفاع الذي يتحكم بشخصيته الأمريكي.

ويمكن القول إنه ساهمت آلة التصوير في تأكيد الصورة الاستشراقية، كما أنها أسهمت في إبداء تلك الصور، وإذا كانت هناك بعض الإشارات الإيجابية المسلطة على، فإن آلة التصوير قد ساهمت بشكل مطلق للنظرة السياسية الاستعمارية في تعاملها مع التاريخ والواقع الإسلاميين.

كما قلنا سابقاً فإن بحث الخيالة عن الجديد والمختلف دفعها إلى التعامل مع التاريخ في كل مراحله، كما تقول بعض المصادر العربية فإن الفرنسي جورج ميلييس نفسه قد قدم شريطاً بعنوان «المهرج المسلم» عام 1898، وهذا جزء من إنتاج موسع لشريك الشريحتي العيني، وهو أيضاً يتماشى مع سيطرة بعض البلدان الأوروبية على بعض الأماكن الإسلامية وتحويلها في صراع معها وتستخدم فيه مختلف الوسائل والأساليب.

أما باقي الأشرطة فهي أقرب إلى نمط التسويق التجاري العالمي مقارنة بالشريط الإيطالي والفرنسي نعم لقد كان الأمر في بداياته حيث نجد أن السوق المحلية في الأمم الكبرى مشروعه التجاري الأوروبي مناطق كثيرة من العالم. أما بعد ذلك فقد اكتسبت الأشرطة طابعاً إعلامياً استخدم في الصراعات السياسية والعسكرية في أوروبا نفسها.

ولعل أشهر الأشرطة التي صوّرت في مناطق مختلفة من العالم، تلك السلسلة المعروفة باسم «العودة إلى البدائية» والتي تهتم في الدرجة الأولى بالنوازع الاستعمارية حيث يصور الشرق المناطق البدائية التي تحتاج إلى من يحضرها وينقلها إلى مرحلة الحضارة.

ومن الأشرطة التي يمكن أن نذكرها في هذا الصدد مثلاً «علاء الدين» 1912 «علي بابا» 1914 – «مسلسل بغداد» 1915 ولقد أعيد إنتاج بعض الأشرطة أكثر من مرة، وكان تأثيرها بالغاً بسبب عنايتها على الصورة ذات الطابع الاستشراقي وفي غياب للصوت التي أضيفت بعد ذلك في إنتاجات جديدة سارت على نفس المنوال.

يمكنك أن نذكر أسماء أشرطة قالت المصادر إنها نجحت على المستوى التجاري مثل شريط «ست الحسن» الذي أنتج مرتين (1915 – 1921) وكذلك شريط «الشيخ» 1921 ثم يليه شريط «ابن الشيخ» 1926 ولقد اعتمد الممثل الشهير (فالنتينو) في شهرته على هذين الشريطين، حيث ظهر فيهما فارساً عربياً مسلماً جميلاً في مقابل تصوير كل الشخصيات العربية الإسلامية الأخرى التي تتواجد بالشريطين.

إن الأشرطة التي اقتربت من الشيخ العربي كثيرة، تقع على المحاور الواقعية والتاريخية، مع استخدام المعالجات السينمائية المختلفة التي تركز على المغامرة وحدها، والتي تلتقي في الغالب مع الخرافة والأسطورة.

ولقد تدعم هذا الاتجاه بأشرطة اعتمدت على قصص مستمدة من ألف ليلة وليلة، وكان أول ذلك الشريط المعروف الذي أخرجه «جورج ميلييس» وكان بعنوان (قصر ألف ليلة وليلة 1905) ثم توالت أشرطة كثيرة، أعيد إنتاجها أكثر من مرة ومنها: «شهرزاد» – «علاء الدين ومصباحه السحري» – «سلطان بغداد» – «لص بغداد» – «علي بابا والأربعين حرامي» – «السندباد» – «ست الحسن»، ولقد غلب على الإنتاج المذكور النمطية التي لا تكاد تتغير بحيث تتشابه الشخصيات في سلوكها العام، ويمكننا أن نحدد جوانب هذه النمطية في الآتي:

أولاً: الربط بين الشخصية المسلمة والسلوك المعتمد على الغش والخداع وعدم الأمانة، فمن النادر أن تظهر شخصية مسلمة على مستوى الأشرطة الواقعية أو التاريخية وقد اتسمت بصفة إيجابية.

ثانياً: في علاقة الرجل بالمرأة تظهر الشخصية الإسلامية وهي متصفة بالشهوانية المتهورة التي لا تراعي أي حدود أو ضوابط، وهذه الشخصية مستعدة للقيام بأي عمل يحقق لها رغباتها السريعة، ولقد جاءت أشرطة (الحريم والجواري) المتكررة لتؤكد هذه النزعة التي تربط بين المسلم وزوجاته المتعددات وكذا سيطرته على المرأة واستعبادها له.

ثالثاً: التآمر السياسي هو المدخل الذي تعتمد عليه الأشرطة الغربية عند تصويرها للشخصية العربية، وهذا ما يتضح من أشرطة كثيرة معظمها تاريخي، وهذا التآمر غالباً ما يقع داخل الأسرة العربية البدوية، أو عندما تتعاون إحدى الشخصيات العربية مع قوى أجنبية لتحقيق مصالحها في الوصول إلى الحكم.

رابعاً: بالغت الأشرطة الغربية والأمريكية منها على وجه التحديد في تصوير تجارة الرقيق، وربطها بالمسلمين، ولا سيما في أفريقيا، ولذلك لن نشاهد شريطاً تاريخياً يصوَّر في المناطق الإسلامية إلا

ويوجد فيه سوقا لبيع الجواري والعبيد.

خامساً: في الغالب تقدم المرأة العربية في صورة المرأة الضعيفة، التي تنتظر الفرصة المناسبة للتحرر من زوجها، والبحث عن رجل غربي يعاملها بشكل جيد ويحقق رغباتها. وكل ذلك يتم تحت دافع الإهانة التي تتلقاها من زوجها أو أبيها.

سادساً: إرتبط الشرق بالخرافة والأسطورة؛ ولا سيما في الأشرطة التي صورت في بلاد مثل الهند وإيران ومناطق الإتحاد السوفياتي سابقاً، والقضية ليست لها علاقة بالنظرة الأسطورية للتاريخ التي تعاملت معها السينما العالمية كثيراً، ولكن كان الهدف المباشر هو الربط بين الدين الإسلامي والخرافة في المعتقدين بتعصبهم وفي سلوك المسلمين وطرائق تعاملهم مع بعضهم.

هذه بعض مرتكزات السينما العالمية في تعاملاتها مع التاريخ الإسلامي والشخصيات العربية الإسلامية، وكثيراً ما يندرج تحت هذا العنوان المغم الأفارقة والأتراك والأفغان والمسلمين في شبه القارة الهندية، وأحياناً يوضع سكان المنطقة العربية ما قبل الإسلام في نفس الخانة، ويطلق عليهم ما يطلق على المسلمين من وصف وسلوك.

لقد استجابت الأشرطة التاريخية العالمية في السينما الغربية إلى منظور إيديولوجي فيها يتقدم عليه وكل ما هو المنهجي، ويكون منظوراً مسبقاً يتسم بالتسرع في إصدار الأحكام والتماس مع الشخصيات بما يتفق مع القراءة المباشرة للمصالح المتناقضة بين الشرق والغرب.

وهكذا، نجد أن صورة الشرق ثابتة في السينما الغربية، لا تقوم على فكرة إدراك المتغيرات حسب المراحل التاريخية، ولكن المرحلة الأخيرة هي الأهم على أن تقدم بدون خلفية معرفية، وبقصد التشهير المباشر الذي له طابع دعائي، وهنا نجد أن السينما الغربية قامت بدور كبير في تنميط الشخصية العربية الإسلامية في إطار سلبي، بالإضافة إلى إستخدام العقل العلمي والمعرفي بإعتبارهما سلطة في تشويه صورة كل ما هو غير غربي.

السينما الغربية قامت بدور كبير في تنميط الشخصية العربية الإسلامية في إطار سلبي

إن كنا نركز على الشخصية الإسلامية بسببها فالمجال مفتوح لدراسات أنثروبولوجية وإثنوغرافية موسعة حول هذا الموضوع ضمن الأجواء عامة وتقديم العادات والعبادات وإستعراض الملابس والأمكنة والبيئات الإسلامية في شكل عام.

إذا انتقلنا إلى نوعية أخرى من الإنتاج، بالخروج عن مجال السحر والتاريخ ونوعية المغامرة التي في الغالب تقوم على فكرة السبع والقبيلة والحروب والمغامرات الخرافية، فإننا ننتقل إلى مجال جديد سوف نجد أمامنا أشكالاً من الأشرطة لها طابع واقعي أو حربي أو سياسي وفرضت هذه الوقائع التي جاءت بعد الحرب العالمية الأولى، وبصورة خاصة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وظهور النزعة الإستقلالية للكثير من البلدان الإسلامية.

لا يعرف تاريخ المعرفة كثيراً بالفكرة النمطية الثابتة، وإن وجدت فهي في الغالب مجرد أداة لتحقيق المصالح المؤقتة سلباً أو إيجاباً.

ومن ما نجده في النظرة الإستعلائية التي تمارس بين الغرب مع الشرق، والتي كشفت عن تقليد غير مدروس لا يتفق مع التخطيط والإستنتاج العلمي الذي اعتمده الغرب في مجال العلوم التي تخصه، وهو يعني أن النظرة مزدوجة، بتناقض جوهري بين التقدم العلمي العقلي والرغبة في تشويه الآخرين والتعالي عليهم معرفياً بمستوى أعلى، رغبة سياسية وربما هي مستترة أو مستمدة مع الطرح العلمي المعاصر الذي تتبعه الحضارة الغربية.

إن الصورة التي عرضت في البدايات الأولى لتونس الشرق منها نوعاً من الغموض ثم وضعها من قبل الشعوب الإسلامية، بل تم استيعابها والتواصل معها، وبالتالي انطلقت الخيالة في بعض المناطق الإسلامية متوازية مع بدايات انتشار الفن السابع، كما حدث في تركيا وإيران ومصر وأندونيسيا والقيقاز وشبه القارة الهندية.

وإذا كان المستوى قد جاء فيه متوسطاً على مستوى الصنعة إلى مرحلة التوسع التدريجي إلا أنه لم يبالغ في ردود الفعل ولم يصور الأجنبي إلا في الصور الأخلاقية المقبولة من حيث اعتباره مستعمراً ودخيلاً وعدواً ينبغي مقاومته بشتى الطرق، ولم تقترب هذه الخيالة التي أنتجتها بعض البلاد الإسلامية من التطاول على الديانة الأخرى، بل كشفت عن طابع سائد في الاتجاه العام [illegible] في التفكير.

بلغت النزعة العدائية حدتها بالنسبة للخيالة الغربية في بعض الأشرطة التي أنتجت حول الحروب الصليبية، ففي مثل هذه الأشرطة استخدمت معالجات مرئية اقترنت بتشويه صورة المسلم، والسبب في تضخيم العامل العدائي المرتبط بالأنماط الثابتة التي كرّستها الخيالة الغربية، يرجع إلى أن المواجهة في مثل هذه الأشرطة كانت دينية، بعكس مرحلة الشريط التاريخي الأولى التي كانت ثقافية ثم المرحلة الثالثة والتي كانت ذات طبيعة إيديولوجية.

من أهم الأشرطة التي صورت الحروب الصليبية شريط «الصليبيون» 1935 لمخرجه سيسيل دي ميل وفيه يظهر الصليبيون وكأنهم جاؤوا للمنطقة العربية بقصد إنقاذ المسلمين من ظلم حكامهم والأمراء الذين يتصارعون على الحكم فيما بينهم.

أما بالنسبة إلى شخصية صلاح الدين الأيوبي التي تعامل معها الشريط فقد ظهرت بعيدة عن المعطيات التاريخية المتعارف عليها، وهو ما تكرر سابقاً في شريط آخر بعنوان «ريتشارد والصليبيون» أنتج سنة 1954 لمخرجه ديفيد باتلر عن رواية «التعويذة» للكاتب والتر سكوت.

ورغم ابتعاد الرواية عن تشويه الشخصيات إلا أن الشريط مختار أن يرفع من شأن ريتشارد على حساب صلاح الدين والذي ظهر مغرماً جوالاً يهتم بحريمه وجواريه أكثر من اهتمامه بالحرب.

هناك أشرطة كثيرة تماست مع الحروب الصليبية تفاوتت في المستوى الفني لكن جميعها يصب في خانة عدم العدالة في تصوير الشخصيات إلا شخصيات بسيطة، ونذكر على سبيل المثال شريط «الأسير» 1958 وأشرطة مثل «صيف الحريم» وغيرها «روبين هود» التي أنتجت مكرراً. ويمكننا إضافة أشرطة مثل «الطلسم السابع» وغيرها من الأشرطة الإيطالية والإنكليزية.

بلغت النزعة العدائية حدتها بالنسبة للخيالة الغربية في بعض الأشرطة حول الحروب الصليبية التي استخدمت معالجات شوهت صورة المسلم.

ولا شك أن النزعة العدائية لبعض المخرجين قد خففت من غلواء التعصب الديني، إلا أن الأشرطة المنتجة لأغراض تجارية ودعائية ظلت سائرة بطريقة عرجاء، وصاحبتها ردود فعل سلبية أهمها منع عرض هذه الأشرطة في بعض المناطق الإسلامية.

وعليه فقد [illegible] إلى الرقابة العربية [illegible] لعب دوراً جماعياً مؤثراً إلا في القليل من المناسبات التي تمنع تصوير الكثير من الأشرطة الغربية على أراضيها تحت ضغط العامل الاقتصادي والسياسي.

وبالرغم من أن مبدأ الرقابة مرفوض بشكل عام إلا أن الاحتجاجات المنظمة يمكنها أن تلعب دوراً إيجابياً في هذا السياق.

في مرحلة الحرب الباردة بين أمريكا والاتحاد

السوفياتي سابقاً. وهي التي أعقبت الحرب العالمية الأولى. استطاعت هوليوود إنتاجها السينمائي لخدمة الدعاية الأمريكية، وبسبب القوة الاقتصادية والعسكرية والسياسية، بدأت الخيالة في استعراض تفوقها على باقي الشعوب ومن بينها الشعوب الإسلامية. وبالإضافة إلى الهنود الحمر والجنسيات المهاجرة إلى أمريكا، وفي مرحلة متقدمة السود الأمريكان أنفسهم. وكذلك شعوب آسيا وأمريكا اللاتينية. بالإضافة إلى كل ذلك لم تسلم الجنسيات الأوروبية من التشويه. ولكن بدرجات متفاوتة. وهذا ما انعكس على الياباني والألماني وبدرجة أقل الإيطالي والفرنسي وغيرهم.

وتعد شخصية الجندي الأمريكي هي وجه المجهود والمجهود الحربي بعد التواجد الأمريكي في فيتنام وأمريكا اللاتينية. ولا تكاد توجد إلا أشرطة قليلة تعرض فيها سلوكيات الأمريكي إنما حل وكيفما كان. هو المنطق السياسي يستخدم حركية الهجوم والاستعلاء ليس بالطريقة العسكرية، ولكن باستخدام المعرفة بوسائط حديثة ومؤثرة.

أيضاً بالمطابقة بين الواقع والتصورات التي نصنعها تخييلاً. ولقد شوهت الشخصية العربية الإسلامية حسب المنطق السياسي، في الأشرطة التي تلت استخدام النفط باعتباره سلاحاً إستراتيجياً من قبل العرب والمسلمين وبالأخص بعد حرب 1973.

والأشرطة التي لها علاقة بموضوع الإرهاب وعددها كثيرة نذكر منها «الأسد الأسود» 1977 «المغير» 1986، «ثلاث ساعات في ميونيخ» - «برعم الزهرة» 1975، سلسلة أشرطة «نينجا»، وغير ذلك من الأشرطة.

ونلاحظ هنا أن الدين يختفي بشكل واضح بسبب الدافع السياسي المباشر. ولكن تظهر بعض المشاهد التي تشير إلى طرح مسألة الدين في عبارات قليلة وفي صور لها علاقة بالعبادات، مثل مشاهد الصلاة الجماعية، أو قراءة القرآن بشكل غير واضح وفي بعض الأحيان يصبح المسجد مجرد خلفية لأحداث قد تكون عاطفية أو غرامية. وهذا يبرر عند بعض المخرجين الربط المباشر بين السلوك الفردي والشخصية الجمعية والتي ساهمت الأحداث السياسية على استثمارها، وخصوصاً انتشار العمليات الفدائية من ناحية، وبروز الحركة الإسلامية في إيران من ناحية أخرى.

إن كل ذلك هو استمرار لنفس النمط السابق الذي استمد جذوره من آراء بعض المستشرقين والرحالة والكثير من المواد والمقاطع الذاتية والتي تعكس بعض المخاوف من هذه الشخصيات غير واضحة السلوك بالنسبة للمخيلة الغربية.

شوهت الشخصية العربية الإسلامية من الأشرطة التي تلت استخدام النفط باعتباره سلاحاً من قبل العرب والمسلمين

إزاء ذلك لا يحق لأصحاب النظريات الأنثروبولوجية أن يقدموا تفسيراً أعمق عن مدى اختلاف الثقافة الغربية مع الشخصيات الأجنبية، حيث تظهر أن هذه الثقافة ليست واحدة وموحدة. وتعمل الخيالة تلك التفسيرات وتعتمد على فهمها، ولا سيما من حيث الفروقات الواضحة بين الخيالة الأمريكية والفرنسية والإنكليزية وغيرها.

إذا كان الاستعلاء الثقافي الغربي قد أخذ صفة واضحة يراها بعض الدارسين مسألة طبيعية، فإن نوعية الاختلاف ترجع إلى جزئيات تتعلق بهذه الحضارة الغربية. إن الثقافة الفرنسية على سبيل المثال تتصف بأنها قادرة على التعامل مع الآخر والتعرف على حضارته التي تبدو في الظاهر متماسكة ولكنها لا تضع أمامها حدوداً فاصلة أو قوالب جامدة نمطية.

أما الثقافة الأمريكية فهي تفرض على أفرادها

قوالب نمطية، وأفكاراً مسبقة تخدم الأغراض السياسية المعلنة، وهي مترددة في التعامل مع الآخر وليس لديها قدرة على النفاذ إلى داخله.

وحتى الثقافة الأنجلوسكسونية مبنية على التشكيك والتعامل عن بعد، بعيداً عن الاندماج والمجازفة في التعبير عن نفسه.

وإذا كان لكل هذه الآراء جوانب علمية فهي تخفي تدرجات متفاوتة على الإبداع السينمائي، لأن السينما الفرنسية قدمت أشرطة كثيرة عن الشرق، ولم تصرح في تصوير الشخصية الإسلامية بشكل سلبي إلا في حدود ضيقة وحسب توجها المخرج، والمهم أنها تقع في نمطية مكرورة ومن تلك النماذج يمكن أن نذكر أشرطة مثل [illegible] «رجل يدعى [illegible]» [illegible] [illegible] وغير ذلك من الأشرطة.

أما السينما الانكليزية فقدمت الشخصية الإسلامية بطريقة تشكيكية لا تمس الشكل الخارجي مثل العادات والتقاليد والسلوك ولكنها تمس طبيعة الشخصية الإسلامية من داخلها. ونضرب مثالاً على ذلك بشخصية محمد علي جناح في شريط «غاندي» 1982 [illegible] [illegible] الموقف السلبي من الأحداث، والسبب الرئيسي [illegible] أصاب الهند من تقسيم، وأصاب [illegible] [illegible] من [illegible] باغتياله على أيدي المتطرفين له.

ولهذا السبب أنتجت الباكستان شريطاً حول شخصية محمد علي أبو جناح عام 1995 ليكون بمثابة الرد على شريط غاندي.

من الأشرطة الانكليزية المعروفة «لورنس العرب» لمخرجه ديفيد لين وأيضاً شريط «الخرطوم» وشريط [illegible] وشريط [illegible] الذي رغم أن مثل تلك الأشرطة ذات طبيعة إنتاجية أمريكية إلا أن الكتابة والإخراج كانت إنجليزية. وهو ما ينطبق أيضاً على شريط «الطريق إلى الهند» لمخرجه ديفيد لين وشريط «الملك» لمخرجه [illegible].

السينما الانجليزية قدمت الشخصية الإسلامية بطريقة تشكيكية لا تمس الشكل الخارجي ولكنها تمس طبيعة الشخصية الإسلامية من داخلها.

والأشرطة الأمريكية لن تسيطر على الإنتاج العالمي في مجال السينما لأنه هو أمريكي، والتشويه يطال الأعراق والأجناس ولا سيما ما تراه عدوها الرئيسي وهو محور متغير ومتبدل حسب الظروف السياسية وتعدد المصالح وتباينها.

إن الاتجاه العام للسينما العالمية استمر في اتجاهه محافظاً على نفس الخصائص ولكن مع تغيير طفيف بعض الشخصيات ونماذج مختلفة، مثل شخصية «الهندي الأحمر» الذي صار [illegible] مع مرور الوقت، وهو نفس ما ينطبق على الشخصية الزنجية، وكذلك اليابانية والصينية. وهو ما قد شكل منعطفاً حاسماً على المستوى الثقافي نسبياً،

الأول يعود إلى انتهاء الحرب الباردة بين أمريكا والاتحاد السوفياتي سابقاً، وثانياً يرجع إلى فرض بعض الإنتاجات السينمائية نفسها على الصعيد العالمي فقد تطورت وانتشرت السينما اليابانية، ونالت جوائز عالمية، وانتشرت تجارياً، وكذلك الأمر بالنسبة للسينما الصينية والسينما الهندية. وقوة السينما من حيث المستوى والكمية له تأثير في تغيير بعض الشخصية والتعامل معها، والتي كان لها حضور علمي واقتصادي وسياسي.

وظل صراع هوليوود مع الكثير من النماذج والشخصيات العالمية لعدة أسباب، ولم يبق لها إلا الشخصية الإسلامية خصماً وعدواً مرعوبين، وكان لضعف الفاعلية الإسلامية السبب الرئيسي في ذلك على مستوى السينما، ومع استمرار سيطرة اليهود على السينما الأمريكية أنتجت العديد من الأشرطة التي تخرج عن السياق المعتاد رغم التطور التقني وتوفر المعلومات الدقيقة عن كل الأديان في العالم.

لقد حافظت هوليوود على نظرتها القديمة للشخصية الإسلامية ويتجسد ذلك في الأشرطة مثل "الملوك الثلاثة 1999" "قواعد الاشتباك 2000" "سقوط الصقر الأسود 2001" مع أشرطة أخرى تأتي بالجديد من ذلك مثل الشريط الإنجليزي 1999 "المحارب 13" الذي اعتبره بعض النقاد تحولاً كبيراً في الاتجاه التقليدي لهوليوود. شريط مقتبس من كتاب مصور إنتاج والمترجم يصور شريط يصور بعض الوقائع التي تظهر شخصية أحمد بن فضلان الرحالة الذي كان يقوم بنشر الإسلام في بعض الأصقاع المختلفة في العالم ولا سيما عند تنقله من الاتحاد السوفياتي عام 922 ميلادية والشريط لم يعتمد كما كان البعض على رحلة ابن فضلان المكتوبة ولكن على كتاب مؤلفه مايكل كريشتون والذي اعتمد فيه أيضاً على قصص شعبية نرويجية تنتمي قصص من الفولكلور.

رغم بعض الإيجابيات المتعلقة بالشريط إلا أن له طابع المغامرة، فهو شريط مغامرات، لم يحقق نجاحاً تجارياً ونقدياً كبيراً لأنه لم يعتمد على قصة محددة وواضحة، وخصوصاً أن وجود شخصية أحمد بن فضلان في مناطق نائية كان بالصدفة كما أنه كان دبلوماسياً وشاعراً ليس له مكان عند أهل الحروب والممارسات الهمجية البدائية في شمال أوروبا (الاسكندنافية).

بالإضافة إلى التفسير الذاتي الذي لم يقترب من الدين الإسلامي نهائياً وهي وجهة النظر التي تبناها الشريط، رغم حرصه على إبراز كلام ابن فضلان في تعامله مع الآخرين.

إن الشخصية العربية الإسلامية تبقى نمطية لا تكاد تتغير في مخيلة هوليوود رغم كل المتغيرات السياسية والثقافية وتراجع الاستعمار السياسي المباشر على الميدان. وإذا اعتبرنا أن شريطاً مثل جحيم ... إنتاج 2004 قد حافظ على بعض التوازن فإن شريطاً جديداً عنوانه عيد الحب إنتاج 2004 قد أعاد ليضع الشخصية العربية الإسلامية في نفس الإطار الاجتماعي الضيق الأول، رغم بعض المتغيرات الشكلية الجديدة التي لم تكن موجودة مسبقاً.

وهكذا نجد أن التأثير يسير بطيئاً في شكل التقنية الإعلامية الأمريكية على وجه الخصوص والغربية عموماً، مع الشخصية العربية الإسلامية ويظهر عن الضبابية أو فن الصورة بوجه عام من الفنون التي تدعم عملية التشويه المستمرة، والتي تحددها اعتبارات سياسية وظروف معينة من داخل وخارج أمريكا، وأهمها عدم تفاعل اللوبي العربي مع هوليوود رغم تحوله في أكثر الاستثمارات العالمية بمجالاتها المتعددة.

التأثير يسير ببطء من التقنية الإعلامية مع الشخصية العربية والإسلامية

إذ كانت أحداث 11/09/2001 لم تنعكس بشكل مباشر على الإنتاج السينمائي في أمريكا بسبب عدم وضوح المواقف النهائية بعد، ووجود أكثر من رأي حولها يتعذر معه إنتاج أشرطة تدعم إتجاهاً معيناً واضحاً. وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للغرب عموماً قد جعلت من الإسلام خصماً سياسياً وثقافياً يمكن أن نلاحظ معه نفس الأساليب التي استخدمتها هوليوود في عقودها السابقة، وأبرزتها عقدة التعالي واستخدام القوة الحربية والعسكرية بنوع من التهور ضد الآخرين.

لا شك أن هذه القراءة الخارجية لا تلغي بعض الإشكالات التي ترتبط بالعرب الذاتية نحو مسألة التشكيك من الآخرين وهي عقدة نعترف بأنها موجودة فعلاً، ولكن السبب في وجودها يرجع إلى ممارسات الغرب الثقافية نفسها ضد الكثير من الشعوب التي أجبرتها ظروف هذه المرحلة العربية على أن تكون دائماً في موقف المدافع عن نفسها، وليس موقف الذي يبدأ بالهجوم، وهي المرحلة التي نحتاج إليها للانتقال من مرحلة الدفاع عن النفس إلى مرحلة إقناع الآخرين من أنفسهم.

علماء ومفكرون يؤكدون:

الخوف من الإسلام عقدة نفسية

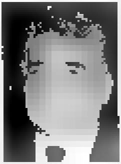
أعدها: جمال السيد

أكد علماء ومفكرون مسلمون أن الإسلام يدعو إلى التواصل والتعارف والتعاون بين جميع البشر من أجل خير الإنسانية جمعاء، رافضين (الإسلاموفوبيا)، الذي يؤكد خوف الغرب من الإسلام ووضعه في موضع العداء.

والخوف من الإسلام هو عقدة نفسية لدى بعض الغربيين، في حين أن العداء لا يخدم مصلحة أحد، بل يضر كثيرًا بالحضارة والنهضة الغربية الحديثة التي إن أراد لها أبناؤها الاستمرار فلا بد من إقامة جسور الحوار والتواصل والتفاهم مع الحضارة الإسلامية.

كما أكد هؤلاء العلماء والمفكرون على ضرورة إقامة سبل التعاون والحوار مع الغرب، ولكن بعد ترتيب البيت الإسلامي من الداخل أولاً، واعتماد وتفعيل التكامل في أمر هذا التواصل.

وفيما يلي نقدم بعض آراء هؤلاء العلماء والمفكرين.



في الغرب هناك من يدعو إلى عملية الوجود الإسلامي

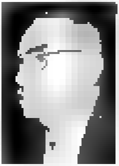
● يرصد الدكتور جعفر عبد السلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية جذور الخوف الغربي من الإسلام قائلاً: يمكن تقسيم علاقة الغرب بالإسلام على ثلاث مراحل، الأولى: بدأت منذ الحروب بين المسلمين وأتباع الإمبراطورية الرومانية واستمرت حتى تمكن المسلمون من تأسيس أول دولة إسلامية بأوروبا، وبالتحديد في الأندلس والتي بدأت من عام 92 حتى 897 هجرية. والمرحلة الثانية تمت في عهد العثمانيين الذين استطاعوا السيطرة على جنوب أوروبا وإقامة عدة دول إسلامية في البلقان وخاصة البوسنة والهرسك وكوسوفا والشيشان وألبانيا ومناطق أخرى من وسط وجنوب أوروبا. وخلال هاتين المرحلتين شهدت العلاقة حروباً عديدة ما زالت آثارها باقية حتى اليوم، وما زالت أوروبا تتذكر إلى الآن ما فعلته بالمسلمين في الأندلس عن طريق محاكم التفتيش حتى إنه انتصار ساحق على المسلمين، ينبغي ألا تقوم للمسلمين قائمة بعدها في العالم عامة وأوروبا خاصة.

أما المرحلة الثالثة فتتمثل في الحروب الصليبية.

قيام أوروبا بغزو العالم الإسلامي والعربي، والسيطرة على ثرواته، تارة تحت عباءة المسيحية في الحروب الصليبية، وتارة عن طريق الاستعمار المباشر لأراضي المسلمين، واستنزاف خيراتها وتقسيم البلاد إلى دويلات متناحرة، والقضاء على الدولة العثمانية وتقسيم المناطق التي كانت تسيطر عليها، والاستراتيجية الغربية الحالية تقوم على منع وجود دولة إسلامية قوية في العالم كله. ثم المرحلة الراهنة [illegible] مع انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتي، ويعم سعي أوروبا للسيطرة على المسلمين بكل الوسائل إلا أن احتياجها لليد العاملة الرخيصة لقيام نهضتها الصناعية جعلها تستقدم العمال المسلمين من مستعمراتها. وقد استقر أولئك العمال وأهاليهم لأسباب متعددة، وكانوا نواة لأقليات إسلامية بالغرب التي أصبحت واقعاً كبيراً ومؤثراً في المجتمعات التي يعيشون فيها. وهو ما أظهر جماعات غربية استرجعت العداء لأي وجود إسلامي، بل إن أحزاباً وجماعات ظهرت ومهمتها الأولى التصدي لأي وجود إسلامي في الغرب، وإيقاف هجرة المسلمين والمطالبة بعودتهم إلى بلادهم، وتكفيه مقولة الشاعر الإنكليزي ادوارد كبلنج (الشرق شرق والغرب غرب ولا يمكن أن يلتقيا). والمؤسف أن الاقتناع بهذه المقولة والعمل على تطبيقها لم يعد شعار مجموعات صغيرة من الشعوب وإنما أصبح فكر بعض القيادات الغربية اليمينية المتطرفة التي تعلن أن مهمتها الهيمنة على المسلمين، وقيادة حرب صليبية ضدهم، وترويج نظريات صراع الحضارات والأديان، وحماية المؤامرة وقوة تيار الصهيونية المسيحية.

ويخلص الدكتور جعفر عبد السلام إلى أنه وحتى نكون منصفين لا بد من أن نؤكد أن هناك بعض الغربيين الذين يدعون إلى حماية الوجود الإسلامي في الغرب، ومنح المسلمين حقوقهم كاملة ويستندون في دفاعهم هذا على عدة مرتكزات أساسية أهمها:

- تمتع المسلمين بسمات جليلة للمجتمعات الغربية حيث ساهموا في بناء أوروبا بعد أن دمرتها حربان عالميتان، بل إنهم وقفوا إلى جانب أوروبا في الحروب التي راح ضحيتها الملايين منهم.
- المسلمون يسدون فراغاً في الحياة الأوروبية حيث يقومون بالأعمال المتواضعة التي يأنف الأوروبيون عن القيام بها.
- استفادة أوروبا من عقول المسلمين، ونبوغ بعضهم، وإسهامهم في التقدم العلمي.
- معاناة أوروبا من نقص الإنجاب وتناقصه مستقبلا وبدلاً من فتح الأبواب لهجرات جديدة، فالأفضل الاحتفاظ بالجاليات الموجودة، مع العمل على دمجها فيها حتى يكون الولاء لها.
- لا بد من فتح صفحات من الحوار والتفاهم مع المسلمين سواء المقيمين في الغرب أو الموجودين في العالم الإسلامي، لأن في هذا مصلحة الغرب في استمرار نهضته، أما التحول نحوهم في حرب فإن ذلك سيضر بمصالح الغرب.



التحدي الأكبر من التاريخ الإسلامي جاء من أوروبا

◆ المفكر الإسلامي الدكتور محمد عمارة: إن التحدي الأكبر في التاريخ الإسلامي جاء من أوروبا. وبدأ هذا منذ سعي الإسلام في سنواته الأولى على تحرير الناس من الاحتلال البيزنطي، واستمرت هذه الحروب حتى سقطت القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية في أيدي المسلمين بقيادة السلطان العثماني محمد الفاتح عام ٨٥٧ هجرية. خاصة وأنها كانت معقل

العداء للإسلام. وحيث كانت تنطلق الجيوش وتغزو سواحل القيانة في أواسط الأطلنطي بغرض إسقاط الدولة الإسلامية، ثم قادت البابوية في جنوب فرنسا أمراء الإقطاع الأوروبي في سلسلة الحروب الصليبية على امتداد قرنين من الزمان، أقاموا خلالها الدول والإمارات الاستيطانية في قلب بلاد المسلمين وخاصة فلسطين والشام. واصطحب ذلك تحالف الغرب المسيحي مع التتار الوثنيين ضد المسلمين. ومع دخول الإسلام أرض البلقان في النصف الثاني من القرن الخامس عشر المسيحي حافزاً كبيراً للغرب ليبدأ "غزوة الحروب الصليبية" التي استهدفت حلقات الالتفاف حول العالم الإسلامي وضربه من الداخل، وخلال هذه الفترة سقطت غرناطة عام 1492 مسيحي وهو الحدث الذي ما زال الغرب يتذكره جيداً حتى الآن لدرجة أنه احتفل بمرور 500 سنة على سقوط غرناطة من خلال إقامة الدورة الأولمبية في برشلونة بإسبانيا عام 1992، وتواكب ذلك مع حملة حربية لإبادة المسلمين في البوسنة وكوسوفا، وهذا ما أعلنه وزير الإعلام المصري نفسه آنذاك حيث قال بالحرف (إنها طلائع الحروب الصليبية الجديدة ضد الإسلام والمسلمين). وتركز المشروع الغربي منذ سقوط غرناطة حتى الآن لتحقيق عدة أهداف أهمها:

- تطويق وعزل العالم الإسلامي بكل الوسائل حتى لا تقوم له قائمة أبداً
- نهب ثروة المسلمين.
- احتلال أرضهم ومقدراتهم
- كسر شوكة الإسلام في بلاده وعلى أيدي أهله

ويكشف الدكتور عمارة حقيقة مهمة تؤكد أنه بعد شهر واحد من سقوط غرناطة جهز الأسبان أسطولاً بقيادة كريستوف كولومبس للذهاب إلى جزر الهند الشرقية الإسلامية دوراناً حول أفريقيا لاكتشاف طريق لتطويق العالم الإسلامي، فلما ضل ونعجب لأمريكا، نهض البرتغاليون بعبء المهمة بعد ست سنوات فوصل فاسكو دي جاما إلى رأس الرجاء الصالح، بهدف تطويق المسلمين بعد إنزال الهزيمة بجيش المماليك الذي خرج من مصر لمواجهة البرتغاليين على الساحل الهندي، وبعد عشرات السنين تلتها كل البرتغاليين بقيادة ماجلان الذي لعبت كنيسة الفرنسيسكان دوراً في قتل وإبادة المسلمين في الفلبين التي تحولت لمسيحية بعد الإسلام، وأصبح اسم عاصمتها "مانيلا" بعد أن كانت تسمى (أمان الله)، وبعد أن تم التطويق بدأ غزو القلب أو العالم العربي عن طريق حملة بونابرته على مصر عام 1798 مسيحي، ثم حملة الإنكليزي فريزر 1807 مسيحي وبعد أن نجح الفرنسيون في احتلال الجزائر عام 1830 مسيحي وهيمنة الإنكليز على الهند والخليج العربي بعامة 1830 مسيحي، وسقطت بلاد المسلمين واحدة تلو الأخرى بالصفقات الأوروبية التي تمت بينهم بموجب اتفاقية سايكس بيكو 1916 وأعقبها وعد بلفور 1917، وسقوط الخلافة الإسلامية 1924 ولا يمكن أن ينسى المسلمون موقفين ذوي دلالة لمن يعتبر: وهو ما قاله الجنرال الفرنسي «غورو» بعد احتلاله دمشق واقتحامه قبر صلاح الدين الأيوبي وركله بقدمه قائلاً (ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين!!) وما قاله قبله بسنوات الجنرال الإنجليزي «اللنبي» عندما احتل القدس قائلاً: (الآن انتهت الحروب الصليبية).

المشروع الغربي

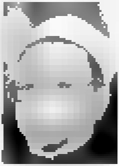
وعن أمكانية الحوار والتواصل بين المسلمين والغرب بعد هذا الميراث التاريخي الطويل يؤكد الدكتور محمد عمارة أن مشكلة المسلمين ليست مع الإنسان أو العلم أو الحضارة الغربية، وإنما مع المشروع الغربي الذي يريد إلغاء مشروعنا الحضاري وطمس هويتنا

ويهمش دينه، ويحرض وسائله عليه، ولا بأس بكل الوسائل، وليحذ حذوك من أنصار الحوار والتواصل مع الغرب. إلا أن هذا لن يكون حقيقياً ومجدياً إلا إذا سبقته عدة شروط عامة هي:

- أن يعيد العقل المسلم ترتيب بيته من الداخل ونقد البنى الفكرية والمذهبية الداخلية ومعالجة كل أشكال التناقضات الداخلية.
- إعادة ترتيب الأولويات في حياة المسلمين بدلاً من حالة (العمى الفكري) الذي جعل بأسهم بينهم شديداً، مما ساعد على استشراء التمزق الداخلي.
- تحديد وتصحيح موقف الذات مع الآخر.
- معالجة حالة الغضب التي تصيب معظم أبناء الأمة التي يعيشها المسلمون، حتى وإن كان هذا الغضب بالحق وللحق إلا أن الغضب يؤدي إلى غياب العقل وضياع الحكمة والصواب. لهذا لا بد من توجيهه إيجابياً، والإحساس بخطورة التصنيفات التي تجعل الأمة في صراعات كبرى، حيث يصنف الأعداء مصطلحاتهم بقوة، ونحن نردد خلفهم ونتفرق ونتشرذم.

ومن خلال إطلاعي بالغرب أرى أنه لا بد من إقامة جسور للحوار والتفاهم مع التيار المعتدل، وفي نفس الوقت تشكيل لجان مشتركة تضم آراء المتخصصين من الجانبين، وأن هؤلاء يمثلون قلة يجب التصدي لهم من أجل الصالح العام للبشرية. وفي نفس الوقت لا بد من إبعاد الدين عن الصراعات السياسية الحالية، لأن تصنيف الصراع على أنه ديني سيؤدي إلى إشعال نيران تحرق الجميع، وستدفع أجيالاً قادمة ثمنه. ولا بد من أن يدرك الجميع أن جوهر الأديان كلها هو السلام والخير والتعاون بين البشر، ومن الأخطاء التعود على نياتهم من مفاهيم عنصرية هي في الحقيقة مفاهيم مدسوسة ليست من صحيح اليهودية التي أنزلها الله لهم. ويجد بعض الحاخامات الذين يرفضون المشروع الصهيوني الذي أدى لقيام الكيان الصهيوني ويرونه مخالفاً للمفاهيم التوراتية. وفي نفس الوقت هناك مسيحيون كثيرون يرفضون الأفكار المسيحية التي يؤمن بها البروتستانت من العودة الثانية للمسيح وضرورة قيام إسرائيل الكبرى ومعركة هرمجدون لتبدأ الألفية السعيدة.

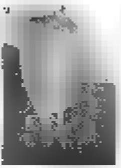
هناك متعصبون يرفضون الإسلاموفوبيا



- الدكتور إبراهيم الجيوشي العميد الأسبق لكلية الدعوة ومدير المركز الإسلامي بلندن لأكثر من عشر سنوات، من الخطأ الحكم على الغرب بأنه كتلة واحدة معادية لنا، بل إن هناك متعصبين يرفضون هذه الإسلاموفوبيا ويرونه خطراً على مستقبل البشرية كلها، وليس الغرب فقط، إلا أن تيار العقلاء ليست بيده دفة السياسة التي تحدد علاقة الغرب بالعالم كله وعلى رأسه المسلمين.

عقدة نفسية

الدكتور محمد أبو ليلة رئيس قسم اللغة الإنكليزية بكلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر، له رؤية متميزة للقضية فيقول فيها: الخوف من الإسلام أصبح اليوم يمثل شبه عقدة نفسية لدى كثير من الغربيين، وترجع بداية هذه العقدة إلى بداية انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية، وخاصة في أفريقيا وآسيا، واقترابه المستمر من أوروبا، واستمر هذا مع انتشار الإسلام في بعض مناطق أوروبا نفسها، المحكمة بتعاليمه وقوته الإنسانية، وهذا ما جعل القيادة المسيحية هناك تشعر بالخوف الشديد من الإسلام، لهذا عمدت إلى حربه وتشويه صورته في عيون الأوروبيين، فرسخت

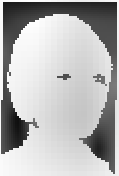


بعض المتطرفين من أتباع الكنيسة حيث أنه تشوه صورة الرسول والقرآن بل وتهاجم ما تسميه بوثنية المسلمين، وتطور الأمر إلى إخراج أول ترجمة للقرآن على يد بطرس المبجل وجاءت كلها تحريف وتشويهاً متعمداً، مما أدى إلى تعميق العداء والكراهية عند المسيحيين، حتى وصل الأمر إلى استخدام المصطلحات والمفاهيم المسيحية في هذه الترجمة حتى يظهر القرآن على أنه مجرد نقل مشوه ومحرف لكل ما في الإنجيل والتوراة، وأن محمداً كتبه بشكل سيء، وترافق هذا مع إنتاج أعمال أدبية وفنية كلها كراهية للإسلام وما زال هذا يمثل جذور الكراهية لعدة قرون عديدة، بل إن مؤرخ بيكون الإنكليزي وهو من المعادين للعرب وللمسلمين ينادي بضرورة التصدي للمسلمين وتعلم لغتهم ودراسة عاداتهم وتقاليدهم وميولهم حتى تسهل السيطرة عليهم، وهذا ما فسر انتشار جيوش المستشرقين في أرجاء العالم الإسلامي وتحالف الاستشراق والاستعمار الأوروبي بل إن بيكون دعا لتقسيم أرسطو لطرق معايشة الناس في العالم إلى ستة أصناف لكل صنف منها ما يناسبه من الحيل ووسائل التنصير ولم يكتف بيكون بذلك بل إنه تحالف مع ملوك أوروبا الهمجي ويوحنا الأوروبي الألماني للترويج للنبوءة الكاذبة أنه خلال 30 سنة سيتم القضاء على الإسلام من الوجود كله وليس من أوروبا فقط وهذا ما يفسر سعي أوروبا لإنزال كل الكوارث بالعالم الإسلامي سواء عن طريقها مباشرة أو التحالف مع أعداء المسلمين ولم يقف الأمر عند هذا الحد وإنما زاد العداء بعد تحالف مسيحي أسبانيا وخاصة الفرنسيين مع التتار في المسعى للقضاء على الإسلام وعدو دينه، وكانت المسيحية مزيداً من القوة للإسلام بعد دخول التتار في الإسلام ومع أنه دين المظلومين، ومن المعروف تاريخياً أنه كلما تقدم الإسلام وانتشر جغرافياً زادت الحملات ضده، وعندما بدأ انهيار الدولة العثمانية وقيام الغرب بزرع الكيان الصهيوني المصطنع في قلب العالم العربي، والدعم الغربي المستمر والرعاية الكاملة له، وكل ما من شأنه الإضرار بالمسلمين، وزاد هذا العداء في العهد الأخير من خلال نظرية صراع الحضارات والأديان، ومن قبله الرئيس نيكسون في كتابه (الفرصة السانحة) ووصل العداء قمته بعد أحداث 11/9 حيث تكاتف الإعلام ومثقفو الغرب في تعميم كل ما هو إسلامي وظهور مئات الكتب وبروز التعبير عن الحرب على الإسلام غربياً عملياً وليس قولاً فقط، بل إن غزو أفغانستان والعراق ومشروع الشرق الأوسط الكبير وخطة غزو بلاد الإسلام ما هو إلا تعبير عملي عن التخوف والعداء للإسلام، وخاصة بعد أن دخل العنصر الديني والنبوءات التوراتية فيه، وضرورة إقامة ما يسمونه إسرائيل الكبرى من النيل للفرات كشرط لنزول المسيح وبداية الألفية السعيدة كما يدعون.

المشكلة الكبرى أن العلمانيين يؤكدون ارتباط الغرب بالدين

◆ الدكتورة زينب عبد العزيز أستاذ الحضارة والمفكرة بجامعة المنوفية بمصر تقول إن المشكلة الكبرى في علاقة المسلمين بالغرب هي أننا لا نجيد قراءة التاريخ، وإذا قرأناه لا نستفيد منه، لهذا نجد الأحداث متكررة وما نعيشه من كوارث صورة طبق الأصل مما في تاريخنا وكل الاختلاف هو في الزمن والأشخاص فقط، وقد أدرك الغرب ذلك فخطط لتنفيذ الكثير وهو يدرك أننا لن نتعلم، وإذا قرأنا ففي

مقاومة عشوائية، لأنه لا يستشعر الخطر، والمجتمع لا يتحرك تحركاً سليماً في مواجهته. ونلاحظ غياب المراكز البحثية وخاصة في التاريخ والسياسة في واقع القيادات السياسية



والدينية في بلد آخر، فمن المؤسف أنه لا يوجد في عالمنا الإسلامي مراكز للدراسات المستقبلية يتم الأخذ بقراراتها وتوصياتها إذا وجدت، في حين توجد لدى الغرب مراكز تعتمد عليها القيادات السياسية إلا القليل، ولهذا لا توجد فروقاً جوهرية بين حكومة ومجموعة أخرى، لأن المخطط واضح ومرسوم، وما الحكومة إلا جهات تنفيذية، إلا أن الأمر في عالمنا العربي بالذات يسير وفق نظرية ... ليس ... فالعشوائية هي طابع حياتنا، وإلا ماذا فعل العرب بعد احتلال العراق التي سيكون مقدمة لاحتلالهم جميعاً؟ وماذا كان موقفهم في اجتماع الدول الثماني الكبرى الذي يحدد لهم حاضرهم ومستقبلهم دون استشارتهم وكأنهم أنعام بلا عقول؟! ويزيد الطين بلة أن الغرب العلماني بدأ يسطر الدين بقيمة متسلطة في عروقنا، ويرى كثير المحافظين بقوى الصهيونية المسيحية يعيش في غفلة وكأن الأمر لا يعنيها من قريب أو بعيد. وهذا ما عبر عنه ... في دراسته "المسيحية والإسلام" والتي أكد فيها ارتباط التغيير بالديني في الموقف الغربي من الإسلام ... وأنه نقل مفهوم امبراطورية الشر الشيوعية إلى الإسلام، والأخير هو أقرب نموذج قريب لم يحرك المسلمون حياله ساكناً رغم أنه يمس عقيدتهم مباشرة، حيث أنه في الذكرى الثلاثين لإقامة إسرائيل وبالتحديد ١٤ أيار (مايو) 1978 مسيحي جمع قساوسة الكنائس وإرساليات التبشير العربي في العالم الإسلامي في مؤتمر عقد بمدينة ... بولاية كولورادو وقدم الباحثون أربعين بحثاً تتناول الحاضر والمستقبل في علاقة المسيحية وكذلك اليهودية بالمسلمين، حيث أكد ... رئيس المؤتمر على طموحه لتغيير مجرى التاريخ بتنصير المسلمين جميعاً واقتلاع الإسلام من جذوره بل إنه في كلمته الافتتاحية ذكر بوصف مؤتمراتنا ومؤتمراتهم حيث يقول: يجتمع المؤتمرون في كثير من المؤتمرات فيتبادلون الرأي ويصدرون بعض القرارات ثم يمضون فتصبح قراراتهم حبراً على ورق ولكن مؤتمراتنا تغير مجرى التاريخ. وبعد سنوات وبالتحديد في 30 ديسمبر (كانون الأول) 1993 ... تم توقيع معاهدة الاتفاق الأساسي بين الفاتيكان ممثل الكاثوليكية مع إسرائيل وجاء فيها: بعد إعلان تبرئة اليهود من دم المسيح فإن هناك بعداً روحياً يجعل هناك بعداً فريداً للعلاقة بين الكنيسة الكاثوليكية والشعب اليهودي بعد المصالحة التاريخية بينهما وأنهما يتعهدان بالتعاون لمكافحة كل أشكال العداء للسامية والعنصرية والتعصب الديني، وأن يبقى الفاتيكان معترفاً بالوضع الحالي بالأراضي المقدسة. فماذا فعل المسلمون والعرب لمواجهة هذه المخططات الصريحة لمحوهم وإزالتهم؟ للأسف لا ردود فعل إلا من بعض الصيحات التي تجمع عليها لمستشعر الخطر بوحدتنا.

مواجهة التطرف

♦ المستشرق الفرنسي الدكتور ... المكلف من وزارة التعليم الفرنسية برصد الأخطاء الموجودة عند الإسلام في المناهج الدراسية وتصحيحها، يقول: لا شك في أن البشرية كلها في حاجة لحوار الأديان والحضارات لمواجهة موجة التطرف الديني التي تسعى إلى نشر الصراع بين البشر، ويدفع الجميع

ضرورية لذلك وليس الضغط القاتل والتنكر من بقيم له بعض مفكري الغرب من تنكر لفضل الحضارة الإسلامية على الغرب وكذلك فرض ربط التطرف والعنف بالإسلام.

وقال: لا بد من أن يتحرك المسؤولون لتصحيح تلك الصورة المشوهة والمغلوطة عبر نوع من الأمانة العلمية التي تقتضيها العقلية المنصفة.

ويرى أن صراع الحضارات والأديان في صالح الغرب: أنتم وتعلمون أن غير الغربيين أصحاب حضارات عريقة أثرت الفكر الإنساني كما أنهم يعتزون بدينهم ومستعدون للتضحية في سبيله بكل ما يملكون، وهذا ما أكده عقلاء الغرب الذين حذروا من مستقبل العلاقة بين الغرب وبقية العالم.

وأنا أعترف أن هناك مستويات عربية وإسلامية ترفض الحوار بين الأديان والحضارات، ولا يدركون خطورة ما يدعون إليه، ولا يعني تعميم التكفير هو الفكر الرافض للتسامح، وأرى أن هذه الدعاوى مرفوضة دينيا وعقليا، فالأديان السماوية كلها تستهدف خير الإنسانية وتدعو للتعاون والتسامح بين كل بني آدم الذين خلقهم الله لتعمير الأرض، ولهم تجربتها تطبيقية بعد ميكافيللي (الغاية تبرر الوسيلة)، فالمشكلة ليست في الأديان نفسها وإنما في سوء الفهم للأديان، والإدعاء بأن هذا هو صحيح الدين. ولهذا لا بد من أن يقوم قادة المؤسسات الدينية الكبرى في العالم بدور لتشجيع الحوار والتعاون لمواجهة موجة التعصب الديني التي يروج لها اليمين المتطرف في كل الأديان.

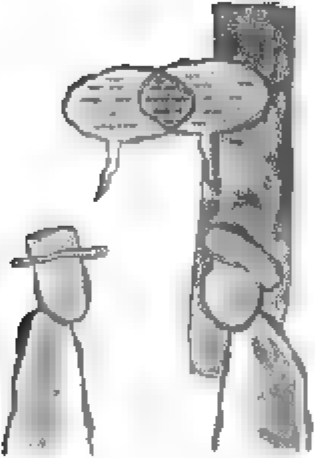
حقيقة الأصولية

لا شك في أن الإعلام الغربي حاول إبراز الأصولية كمفهوم يعبر عن التطرف والعنف الذي قد يصل إلى الإرهاب، والحقيقة التي من خلال دراستي عرفت أن الأصولية مفهوم جاء من داخل الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية، وهذا ما أكده جاك بيرك المستشرق الفرنسي المعروف، حيث أوضح أن الظاهرة الإسلامية ليست أصولية بالمعنى الغربي السلبي لهذا المصطلح، وإنما هي حركات إسلامية تسعى لتقريب مجتمعاتها من منابعها، وإقامة دولة ومؤسسات تقدم حلولا لمشكلات العصر انطلاقا من مرجعية إسلامية بدلا من المرجعيات غير الإسلامية، أي أن الأصولية مصطلح غربي في الأساس ثم نقله بمفهومه السلبي للإسلام. وهذا ما يرفضه أي باحث إلا أنني أتعجب لماذا تم إلصاقه بالإسلام فقط وبالمفهوم السلبي؟ وأين دور مفكري الإسلام في توضيح ذلك للغرب إذا كان قد تم إلصاقه خطأ بالإسلام دون غيره؟ ولماذا لم تتم الاستفادة مما قاله المستشرق الفرنسي المنصف مكسيم رودنسون عن أن الأصولية الإسلامية تتميز عن الأصوليات الدينية الأخرى، وذلك لتميز الإسلام عن بقية الأديان بأنه دين ودولة.

جحود ونكران

هناك مفكرون غربيون يحاولون إنكار أي فضل للحضارة الإسلامية على الغرب رغم أن هذا سجلته كتب التاريخ، ولا شك في أن أمثال هؤلاء يتسمون بالعداء الشديد لكل ما هو إسلامي ويرفضون فهم الحقائق التي لا ينكرها إلا جاحد، فالتلاقي والتمازج والتواصل الحضاري أمر طبيعي، وكل حضارة استفادت من الحضارات السابقة والمعاصرة لها، ومن ينكر

ذلك ينظر للعالم وكأنه مقسم إلى جزر منعزلة ليس بينهما أي روابط. وهذا أمر يرفضه أي عاقل فالحضارة الإسلامية كان لها دور عظيم في الفكر الإنساني، وقد عبر عن ذلك بعض المؤرخين المنصفين أمثال المؤرخ البريطاني الشهير أرنولد توينبي الذي قال في كتابه (دراسة التاريخ): إن الحضارة الإسلامية باقية لقيامها على الجوانب الروحية أساساً، بينما الحضارة الغربية غير مستقرة لأنها حضارة مادية. فهؤلاء الأوروبيون بنوا حضارتهم الحديثة ثم دمروها في الحرب العالمية الأولى، وعندما أعادوا بناءها دمروها مرة ثانية في الحرب العالمية الثانية. لهذا فأنا أؤيد أي محاولة للتواصل والحوار بين الغرب والعالم كله، وخاصة المسلمين الذين يمثلون ربع سكان العالم. فالتفاهم والحوار في مصلحة البشرية جمعاء وفي مقدمتها الغرب نفسه، سواء كانت مصالح سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية. أما الصراع فهو خراب على الجميع وقتل لأي محاولة للتفاهم.



صراع الحضارات

إنني أنظر إلى الحضارات على أنها من صنع البشر جميعاً وبدرجات متفاوتة، وعطاياها وثمارها في مصلحة البشر جميعاً. والعالم الآن أصبح قرية صغيرة، ما يحدث في طرف من أطرافها يؤثر على بقية العالم، لهذا فإن من مصلحة العالم الآن أن يتوجه الحكماء بدلاً من القوى الهمجية المتطرفة التي ستؤدي إلى بداية الصراعات. ويزيد الأمر صعوبة إذا رأت هذه القوى الهمجية حضارات وديانات معينة تعمل على تحقيقها حتى ولو كان فيها هلاك الآخرين، فهذا الأمر يقود العالم كله إلى مستقبل غامض مشحون بالصراعات التي ستدفع ثمنها البشرية جمعاء وستسود الكراهية بين الأجيال القادمة



مفكرون غربيون يناهضون الإسلاموفوبيا

مناهضة الإسلاموفوبيا بالكشف عن آلياتها وفضح أدواتها

نعوم تشومسكي وسيطرة الإعلام

يُعد نعوم تشومسكي في رأي أكبر المؤسسات العلمية أشهر كاتب معاصر على الإطلاق، وأهم باحث أكاديمي استطاع أن يحترم إلى أكبر حد بالسمعة العلمية. وبالرغم من أنه اشتهر عند علماء اللغة بأنه صاحب أشهر نظرية نحوية في العصر الحديث، وهي ما يُطلق عليه اسم "النحو التوليدي"، إلا أن له مشاركات في مجال الفكر السياسي مشهورة حتى أنها طغت أو أوشكت أن تطغى على مجاله العلمي الأصلي وهو علم اللغة.

يقول أحد الباحثين الغربيين: يقول عنه رجال الدين إنه [illegible] من مظاهر السلطة، فوضويون أنه فوضوي يهدف إلى تفكيك هياكل السلطة وسيطرة الدولة، ويصر منظرو المؤامرة على أنه من أنصار نظرية المؤامرة، والصهاينة أن إيمانه [illegible] كمسلمين بكل تأكيد، كما أن [illegible] دون شك [illegible] بنظرية المؤامرة، ولو سلمنا بذلك جدلاً فهذا لم يمنع نيويورك تايمز وهي أشهر صحيفة في العالم من وصفه بأنه أعظم مفكر على قيد الحياة، كما أكدت مجلة [illegible] أنه مع عالم التحليل الأمريكي إدوارد ويلسن (1993) يعتبران أكبر مفكرين ظهرا في النصف الثاني من القرن العشرين، وأضافت صحيفة بوسطن [illegible] أنه يتساوى مع سيجموند فرويد وألبرت أينشتاين، بل أظهر في دراسة للمركز الوطني للمعلومات العلمية في





الولايات المتحدة أنه أكثر شخص على قيد الحياة يتم الاستشهاد بأقواله، ويحتل المركز الثامن تاريخياً ضمن قائمة العشرة الأوائل من الأعلام الذين يستشهد بأقوالهم على مر العصور، وتضم القائمة ماركس، وشكسبير، وأرسطو، وفرويد، وغيرهم. وتشومسكي وُلد عام 1928 في ولاية بنسلفانيا لعائلة تنحدر من أصول يهودية، وهو الآن في طريقه إلى تقاعد جزئي من عمله كأستاذ في اللغة واللسانيات في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا، ويعد من أعظم من كتب في اللسانيات الحديثة. كما أحدثت نظرياته في اللغة ثورة حقيقية في علوم النفس، والفلسفة، والإدراك والعقل، والأنثروبولوجيا، والتعليم، والذكاء الاصطناعي، والاتصالات.

نشر تشومسكي ما يربو على مئة كتاب، ومئات المقالات في العديد من المجالات.

من مؤلفاته:

- أسرار وأكاذيب الديموقراطية
- هيمنة أم بقاء على قيد الحياة

● دورة مدرقة

● مساحة الإجماع السكوتي

إلا أن أهمية تشومسكي وشهرته الحقيقية تنبع من نشاطه السياسي بوجهيه الفكري والحركي ويمكن تلخيص فلسفة تشومسكي السياسية في عبارة مهمة قالها في محاضرة له في جامعة هارفارد عام 1966 بعنوان «مسؤولية المثقفين» ضمن نشاطه السياسي المعادي لتدخل الولايات المتحدة في فيتنام حيث قال: «إن من مسؤولية المثقفين أن يقولوا الحقيقة ويفضحوا الأكاذيب». ومن المعروف أن تشومسكي هو من أشد المناصرين للقضايا العربية وخاصة قضية فلسطين مما جعله عرضة لهجمات تصل إلى اتهامه بالعداء للدولة اليهودية التي وصفته بلقب «اليهودي المعادي للسامية». ونتيجة لمواقفه الناقدة لسياسة الولايات المتحدة فإن وسائل الإعلام الأمريكية بشبكاتها الثلاث تتجاهله تماماً ولا تعطيه الفرصة ليظهر. وقد أنتج عنه لندرة فيلماً وثائقياً طويلاً في 166 دقيقة عام 1992 بعنوان «فبركة الموافقة: نعوم تشومسكي وأجهزة الإعلام» والفيلم يقدم سيرة ذاتية وفكرية لتشومسكي بأسلوب مثير وطريقة مبتكرة. ويتضمن الفيلم مقاطع من مناظرة مهمة لتشومسكي مع الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو وأخرى ساخنة جداً مع فريتس بولكشتاين زعيم الحزب الهولندي السابق. وكذلك قصة موقف تشومسكي الأخلاقي ودفاعه عن حق الدكتور الفرنسي روبرت فوريسون في التعبير عن رأيه عندما أنكر وجود غرف الإعدام بالغاز في ألمانيا، وما تلاها من حملة افتراء وتهمة تعرض لها تشومسكي. بالإضافة إلى العديد من المقابلات والمحاضرات والأحداث المثيرة والنادرة. كما يقدم تشومسكي في الفيلم معلومات دقيقة وأدلة موثقة توضح كيفية سيطرة أجهزة الإعلام الأمريكية على عقول الناس مما ينتج عنه الموافقة على سياسة النظام التي تكون دائماً مقيدة لمصالح الشركات الكبرى. الفيلم ممتع وغير مسبوق من حيث تقنية الإخراج الوثائقي ولذلك حاز على 22 جائزة دولية وكل من يشاهد هذا الفيلم سيدرك أن هناك مواطناً إعلامياً ورسمياً أمريكياً لتهميش هذا المفكر العظيم والناشط السياسي العنيد الذي رفض أن يكون «مثقف سلطة» واختار أن يخصص حياته كلها للدفاع عن مصالح المسحوقين والمضطهدين.

ثم تقول صحيفة «التايمز» اللندنية عن تشومسكي بأنه «عدو سياسة الولايات المتحدة وبطل شعوب العالم». وكذلك صحيفة الغارديان التي أكدت أنه «ضمير الولايات المتحدة الإعلامي وفاضح الأكاذيب». وكتابه الأخير الذي يحمل عنواناً هو:

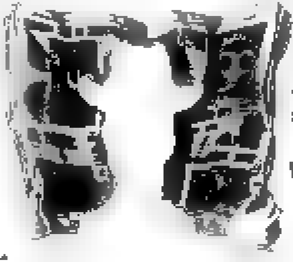
«سيطرة الإعلام: الإنجازات المثيرة للدعاية»

Media Control: The Spectacular Achievements of Propaganda

من منشورات Seven Stories Press، يمثل نقلة جيدة في فضح الأدوار الخفية التي تؤديها وسائل الإعلام ويكشف خطورة هذه الآلة الجهنمية في توجيه الرأي العام وتوظيفه في مصالح يفترض أنه في خدمته، وليس تحقيق الأغراض الخاصة. ويعود تشومسكي إلى خطورة هيمنة الدولة على مؤسسات الإعلام التي إن امتلكت مروجاً بلا تدخل حرماً لسياسات وأهداف قلة من الناس داخل مؤسسات الدولة، حتى باتت معرفة الحقيقة من ذلك الكم الهائل من الأكاذيب أمراً عسيراً. ويقول تشومسكي إن أول عملية دعائية حكومية حديثة تمت في عهد الرئيس الأمريكي ويلسون الذي انتخب رئيساً للولايات المتحدة سنة 1916 على أساس السياسة التي نادى بها وهي (السلام بلا انتصار). وكانت هذه الدعوى تنسجم مع الثقافة العامة للأمريكيين الذين كانوا يميلون للمسالمة وكراهية الحرب التي اندلعت في أوروبا ولا شأن لهم بها. ولما كانت إدارة حكومة ويلسون قد تعهدت بالتزامها أن تنخرط في تلك الحرب، لم تجد أمامها إلا

أن تستخدم الدعاية لتغيير الرأي العام من رأي يدعو إلى المسالمة إلى رأي يدعو إلى الحرب، رأي متعطش لدماء العدو الألماني.

لقد وجد هذا الأسلوب الدعائي موقعاً حسناً في نفوس صناع السياسة الأمريكية اللاحقين، فلجؤوا يتوسعون في الأنشطة الدعائية، والإغداق على مؤسساتها، والإسراف في توظيفها، فاستخدمت بطريقة فعالة في نشر الرعب والهلع من الخطر الأحمر العالمي الذي سيأتي على كل جميل في هذا العالم، لقد نجح هذا الأسلوب بشكل فائق حتى تلبس الأمريكيين هوسٌ اسمه الشيوعية ذلك الوباء الذي يجب أن يجتث من جذوره بعد سقوط هذا الأخير تحول ذلك إلى وسيلة شريرة من وسائل القمع تحت مبررات واهية، إن ملاحم الديمقراطية الليبرالية أو صناديق الاقتراع على النمط الأمريكي كان واضحاً جداً وهي فلسفة سياسية مصلحية.



وقد كتب تشومسكي في كتابه هذا عن الترافق بين النظرية الماركسية اللينينية والنظرية الديمقراطية الليبرالية فكلتاهما تسخر آلاتها الدعائية من أجل الترويج للقمة بعينها. وتمكن قلة من قساوستها السياسيين أو المثقفين منها من أن يفكروا نيابة عن السواد الأعظم من الناس، فالجمهور في كلتا النظريتين كالقطيع الذي ينبغي أن يُسيّر عليه، يفعل ما يفكر له، وقد نرى سهولة انتقال أنصار إحدى النظريتين إلى الأخرى على مدار السنين، على رأي تشومسكي دون الإحساس بأي تغيير، إنها فقط عملية تغيير موقع السلطة والقوة. ويرى تشومسكي الآثار السيئة لنظرية ليبمان في الديمقراطية، حيث ينقسم المواطنون إلى فئتين، فئة فاعلة مفكرة، وهي فئة الصفوة أو النخبة، وهي التي تتسلم مقاليد السياسة والحكم وقيادة الأمة، وهي فئة صغيرة الحجم، كبيرة التأثير، وفئة منقادة، يطلق عليها ليبمان اسم «القطيع المرتبك المشوش»، ويقول ليبمان: «يجب علينا حماية أنفسنا من هياج أي قطيع مرتبك ومشوش». ويعد الصنف الثاني هو مستهدف الآلة الدعائية، حيث يعاد تشكيلهم ذهنياً لتوظيفهم في تأييد هذا أو ذاك، ويفضح تشومسكي عن خطورة تزييف التاريخ وتشويه الحقيقة، لأنه من الضروري وفق المنظّر السياسي المسيطر أن يُزيف التاريخ وتلك طريقة أخرى تتسب على العيوب الشعبية غير المرغوب فيها، مثل الأحداث و... ... بعد وجوده في الولايات المتحدة تعني الأمر يبدو كما لو أننا نهاجم أو ندمّر شخصاً ما ... ندافع عنها ضد معتدين ... خطرين.

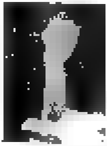
ومن أخطر الأمور التي يتحدث عنها تشومسكي في كتابه عدم الصبر اللاأخلاقية عندما تتصادم مع السياسات الأمريكية لا سيما المتبعة في الخارج مع دول العالم الثالث، فالمثل تحت مسميات جديدة يصير مبرراً وسرقة ثروات الشعوب ونهب خيراتها تتم تحت غطاء تمدين الشعوب وتطويرها.

وأهمية الكتاب تكمن في أنه دعوة صريحة إلى إعادة التفكير في كثير مما يحسب على أنه من المسلمات، وهو ليس بالضرورة كذلك، ولذا فلعل أبرز مظاهر الآثار الجوهرية التي توظفها الإسلاموفوبيا اليوم هي الإعلام الجماهيري، لذا كما أحسبه هو الكتاب.

جون إسبوزيتو وخرافة التهديد الإسلامي

(التهديد الإسلامي: أسطورة أم حقيقة)

The Islamic Threat: Myth or Reality



كتاب من تأليف جون إسبوزيتو John Esposito ظهرت منه مؤخراً[1] الطبعة الثالثة. وقد صدرت طبعته الأولى بتاريخ 1992 وهو من إصدارات مطبعة جامعة أكسفورد - نيويورك.

يقع الكتاب في نحو 319 صفحة، ويحتوي على:

- المقدمة
- الإسلام المعاصر: الإصلاح والثورة
- الإسلام والغرب: جذور الصراع، والتعاون والمواجهة
  - الغرب المستعمر: ردود أفعال إسلامية
  - الإسلام والدولة: ديناميكيات الانبعاث
  - التنظيمات الإسلامية: جند الله
  - الإسلام والغرب: صدام الحضارات
- ملاحظات
- فهارس

يأتي هذا الكتاب في زمن تعالت فيه أصواتٌ معادية للإسلام تصرح تصريحاً تارة وتلمح تلميحاً تارة أخرى إلى محاربته والتضييق على أهله، لأنه في نظرهم بات يُشكّلُ خطراً على الإنسانية والحضارة الحديثة. وهو دينٌ معادٍ للحداثة والتطور على حد زعمهم. في هذا الزمن الذي خرج فيه مفكرون يبشّرون بصدام الحضارات ونهاية التاريخ، وممَّن يمكن وصفه بأنه من عقلاء الزعماء، خرج الينا جون إسبوزيتو John Esposito بكتابه (التهديد الإسلامي أسطورة أم حقيقة). تبرئةً لهذا العالم الموسوم بالدمار والقتل والهمجية، إلى صوابه.



هذا الكتاب يعد من أهم الكتب التي صدرت في العقد الأخير من القرن العشرين، لأنه يمثل خطاباً معتدلاً كُتب بلُغة موضوعية، بعيدة عن التشنج والاستعداء.

والكتابة بهدوء الرصين عن الإسلام يعد مهمة في بلاد الديموقراطية والحريات التي تسيطر فيها مافيا الثقافة على وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري. ولذا ليس من الغريب أن يتعرض الكتاب إلى نقد جارح من أمثال عرّاب الإسلاموفوبيا والمتصهين دانيال بايبس Daniel Pipes الذي كتب في وول ستريت جورنال بتاريخ 1992/09/30 عرضاً مقتضباً في صفحة وصف بكتاب (التهديد الإسلامي) ووصف فيه جون إسبوزيتو بأنه من ذلك النوع الذي لا يبصر العدو حتى يضربه بقبضته على وجهه. وهو يرى أن الجملة الأخيرة التي أنهى بها إسبوزيتو كتابه وهي: «أن الإسلام، وأغلب الحركات الإسلامية ليست بالضرورة معادية للغرب أو معادية للأمريكيين أو معادية للديموقراطية... والتحدي الذي نواجهه هو أن نفهم تاريخ العالم الإسلامي وحقائقه بشكل أفضل» فيها مبالغةٌ كبيرة.

يرى إسبوزيتو أن هذه المخاوف من الإسلام بدأت تتصاعد مع انتهاء الحرب الباردة، لا سيما مع ذلك الفراغ الهائل الذي أحدثه تهاوي المعسكر الشرقي بشكل سريع ومذهل، ولأن الثقافة الأمريكية والأوروبية قد تكونت على أساس مواجهة الآخر الثقافي، كان لا بدّ من اختراع عدو جديد تنشغل به العقول والمؤسسات لأمد، حتى ينتهي الأمريكيون والغرب من إعادة تشكيل العالم، وفي التسعينات من

القرن العاصمي محالات أصوات معادية للعرب والمسلمين من قبل منابر مختلفة: سياسية وثقافية وأكاديمية وعسكرية، وخرجت نعوتاً جديدة وفي النظام العالمي الجديد، وشرعت وسائل الإعلام المختلفة تروج له، مروجة الشعوب وتخويفهم من الخطر الوشيك، وطرح عناوين صحافية مستفزة مثل: «الحرب الإسلامية ضد الصليبية»، «الهلال الجديد في أوروبا»، «الهلال الجديد والغرب»، «القنبلة النووية الإسلامية». وقد ظهرت هذه الصفة الشرسة على كل ما هو إسلامي من خلال الصورة التي ينظر بها الغرب للإسلام.

وينتقد إسبوزيتو حملة التقليد على المؤسسات العلمية والثقافية التي لعبت دوراً في عملية التشويه وطمس الحقائق والاكتفاء بإظهار جانب واحد من الصورة، وطمس الجانب الآخر، مبيناً خطورة الأسلوب الانتقائي في فهم الآخر وتصويره، ويقول إسبوزيتو:

إن هذا المنهج الانتقائي أضاف إلى جهلنا بالإسلام والعرب جهلاً، وضيّق مجال رؤيتنا بدلاً من أن يوسع نطاق إدراكنا وفهمنا. وقد استعرض الكاتب نماذج من المؤلفات التي أسهمت في تصوير العرب والمسلمين تصويراً سلبياً لا يختلف عن تلك الصورة الكاذبة التي نشرتها الكنيسة للشرق المسلم في القرون الوسطى، ومن النماذج التي عرضها إسبوزيتو للتدليل على رأيه مؤلفات برنارد لويس المتميزة والمتعمقة في التشويه وطمس الحقائق، ويرى أن هذا النوع من الدراسات أعدّ ابتداءً لتحقيق أحد الأغراض الآتية:

1. خدمة أهداف سياسية
2. خدمة أهداف عسكرية واستراتيجية
3. إرضاء الصهيونية العالمية، ودعم الأهداف الإسرائيلية

ولا يسلم إسبوزيتو بأن السبب الحقيقي وراء إطلاق فكرة «التهديد الإسلامي» هو ازدياد عدد المسلمين في الغرب، كما يروج لذلك دعاة الإسلاموفوبيا، واعتبر المؤلف إرجاع فكرة التهديد الإسلامي إلى عوامل ديموغرافية أمراً خاطئاً في إدراك الأسباب الحقيقية المقصودة بين الغرب والإسلام المعاصر. ويرجع المؤلف حالة العداء المتنامي بين الغرب والإسلام إلى محاولات الغرب منع تطوير المسلمين لمصادرهم في ثقافته ونظرته للعقيدة، والأحكام الشرعية في الإسلام مسألة حضارية وليست واجبات دينية. ويرى المؤلف أن أسباب كراهية العرب والمسلمين للغرب والولايات المتحدة تعود إلى:

- ◆ الاستعمار وما خلفه من آثار سلبية
- ◆ انحياز أمريكا المطلق لإسرائيل، وتعصبها ضد العرب والمسلمين
- ◆ تأييد الولايات المتحدة للأنظمة القمعية المستبدة في العالمين العربي والإسلامي من أجل تحقيق مصالحها الذاتية على حساب حقوق الإنسان

وبخصوص مسألة العنف عند المسلمين، واتهام المسلمين بذلك بطبيعتهم، يرى إسبوزيتو أن هذه الدعوى قروسطية قديمة، وهي أسطورة من أساطير الغرب عن الشرق.

ولقد شنّ الكاتب أيضاً هجوماً شديداً على الاستعمال الفاسد والمغلوط لمصطلح «الأصولية» ونقل الاستعمال الأصولي به في أدبيات الكنيسة وإلصاقه بذلك بعض من المسلمين، وهو لا يتفق في دلالته مع أدبيات المسلمين.

ويرد إسبوزيتو إخفاق الغرب في فهم الإسلام إلى جملة من العوامل، هي:

- ◆ فقدان كثير من الخبراء الذين اهتموا بالدراسات الدينية في الغرب من الذين أساتذة في علم التاريخ والاجتماع يفتقرون الخبرة الصحيحة والفهم الصحيح للدين الإسلامي، وكان ذلك وفقاً لبرامج

دراسية نظرت إلى الإسلام باعتباره جزءاً من تراث تقليدي وحصيلة تاريخية ترتبط بالماضي أكثر منها بالحاضر.

- التوجه الفكري لسياسة المسيحية في الغرب والتركيز على دراسة سياسات الحكومات الإسلامية وتوجهات النخب، حيث عكس هذا التوجه شكلاً من التحيز عائق فهم طبيعة الحركات الشعبية والإسلامية في البلدان العربية والإسلامية. أضف إلى ذلك أن معظم الدارسين الغربيين ونظرائهم المسلمين الذين تعلموا في الغرب كانوا أكثر ارتباطاً بالنخب والشريحة مع جماعات من النخب من ذوي الفكر العلماني، مما أدى إلى دراسة السياسات والتوجهات الإسلامية المعاصرة وفقاً لقالب حضاري غربي معاصر.
- التحيز الأكاديمي العلماني، والمعرفة المحدودة بالإسلام وبالبعد الديني في المجتمعات الإسلامية مما أدى بكثير من الدراسات إلى الوقوع في التعميم والاستعلاء تالياً من مسلمات وأحكام وقوالب مسبقة.
- النظرة المعنوية للإسلام وتركيب معظم الدارسين للإسلام على دراسة قضايا ومجالات هامة، خاصة القضايا السياسية والعلمانية والاجتماعية فضلاً عن الموضوعات المرتبطة بالنفط والعلاقات الدولية. ويرتبط بذلك أيضاً ندرة العلماء والباحثين في مجال الدراسات الخاصة بالشرق الأوسط عموماً والباحثين في مجال الدراسات الإسلامية خصوصاً.
- محدودية معرفة معظم الخبراء والدارسين بالحركات الإسلامية المعاصرة، واعتماد أغلبهم على التخمين والتعميم فضلاً عن النقل عن التقارير الصحفية، أو الوثائق والتقارير الصادرة عن الحكومات المعادية. ومن هنا جاءت نتائج معظم الدراسات الغربية عن الحركات الإسلامية مجانبة للواقع، لأنها انطلقت من قوالب جاهزة وتعميمات لم تستند على البحث العلمي الرصين، بل إنَّ هذه الحركات تعرّضت للتشويه بسبب وصفها جميعاً بالحركات الأصولية.

وأخيراً فإن كتاب (التهديد الإسلامي) أساط النظام من كثير من التشويهات، وكان محاولة منه لدحض الدعوى الزائفة. وختم كتابه بأن مسألة التهديد الإسلامي للعالم هي محض خرافة، صنعها الغرب وساهم ووقع في أسرها.

جاك شاهين الصراخ الذي هز اليوم

بكرة أفلام العرب الأشرار
كيف شوهت هوليوود شعباً
Reel Bad Arabs: How Hollywood Vilifies A people

كتاب من تأليف الدكتور جاك شاهين Jack Shaheen صدرت الطبعة الأولى للكتاب سنة 2001، وصدرت طبعته الثالثة سنة 2003 ويقع في 573 صفحة وهو من نشر Olive Branch Press.

والمؤلف جاك شاهين، كاتب أمريكي من أصل عربي لبناني من مواليد بنسلفانيا، وهو أستاذ سابق في مادة الاتصال الجماهيري بجامعة إلينوي الجنوبية بإدواردزفيل Southern Illinois University at Edwardsville

وهو الآن أستاذ زائر في مركز التفاهم الإسلامي - المسيحي بجامعة جورج تاون. وللمؤلف كتبٌ عديدة في حقل الإعلام والاتصال من أشهرها:

- عرب التلفزيون The TV Arab
- الصورة النمطية للعرب والمسلمين في الثقافة الشعبية الأمريكية

وكتاب (العرب الأشرار) حصيلة بحث مضنٍ ودراسة متواصلة استغرقت من المؤلف عشرين عاماً قام خلالها بالعرض والتحليل لأكثر من 900 شريط

سينمائيٌ وتلفزيوني تصور العرب والمسلمين في السينما الأمريكية خلال القرن العشرين برمته

يحتوي الكتاب على:

- كشاف المختصرات والرموز
- شكر وتقدير
- تمهيد
- القسم الأول: المقدمة (39 صفحة)
- القسم الثاني: عروض الأشرطة السينمائية من الألف إلى الياء (500 صفحة)
- ملاحظات (8 صفحات)
- فهارس

يعد هذا الكتاب صدمة ثقافية حقيقية A real cultural shock غير لصيحة للعالم الذي يزعم أنه حر ومتفهمٌ للأحرار، العالم الذي يسعى لأن يحرر عقل الإنسان.

لم يكن الرجل العربي والأمريكي يُصدق بسهولة لو قيل له إن مؤسسات بلاده الإعلامية تمارس الكذب والتشويه والافتراء، ولم يكن يصدق أن هذا الإمعان في التشويه ليس وليد اللحظة، بل إن عمره بعمر القرن، إن المتضرر الأول في هذه المسألة هو المتفرج العربي الأمريكي، ذلك المتفرج المطحون الذي أعيد تشكيل عقله ليكره وفق النمط الذي رُسم له.

وترجع أهمية كتاب (العرب الأشرار) على رأي الناقد إلا أنه استطاع أن يحقق ثلاث نتائج قلب ليجمع الكتاب. الأولى: تضمينه مصدراً أكاديمياً لكل من يريد دراسة هذا الموضوع، حيث يضع كماً هائلاً من الأشرطة بين أيدي الباحثين مفهرسة، ومرتبة ألفبائياً بحسب عناوينها، وهو بذلك ييسر على الباحث مشقة مشاهدة تلك الأفلام، فيضع ما يحتاجه من يحثه ينتقل فوراً إلى المرحلة اللاحقة وهي البحث عن العلل النفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية الكامنة وراء هوس التشويه والترصد.

الثانية: إحداث هزة ثقافية وسياسية في أوساط النخبة المثقفة، لأن الكتاب إدانة سياسية لمؤسسات الدولة ولمؤسسات الخاصة التي تسعى لتحقيق أهداف مشتركة، بل إن في الكتاب إدانة مطلقة من الكتاب والمتخصصين بالإخراج والإنتاج السينمائي الذين عملوا من أجل الترويج لأهداف الصهيونية وربائبها في الغرب من خلال طمس الحقائق، وإعادة تركيب الوقائع والأحداث بما يخدم مصالحهم.

الثالثة: إحداث حالة من الوعي لا في النخبة المثقفة فحسب بل في جمهور الناس من العامة المفتونين بمشاهدة الأشرطة السينمائية، ولن يتوقف ذلك عند تشويه صورة العربي والمسلم فحسب، بل سيتجاوزه إلى غيرهم ممن شوهوا أيضاً، فالأمريكي، مثلاً، عندما يقرأ هذا الكتاب سيتساءل: هل حقاً كل اليهود البشر متوحشون؟ هل تلك الصورة القاتمة التي رُسمت لهم حقيقية؟ هل هي بريئة حقاً في جرائم ومذابح شهدت عليها التاريخ؟ هل كان الأمريكي حقاً بطلاً أسطورياً في فيتنام؟ وفي كمبوديا؟ وفي كوريا؟ وفي اليابان؟ خطورة الكتاب أيضاً تكمن في أنه سيعيد فتح ملفات حرص الغرب على إغلاقها.

لقد عالج المؤلف البروفيسور جاك شاهين الموضوع بصورة تامة، وبمنهجية أنيقة مهذّبة، فجعلت الكثيرين ممن قرأه ثقة يملك درجة عالية من الإقناع والموضوعية.

والسؤال الذي ينبغي أن نجيب عنه هنا: أما آن الأوان أن يُترجم هذا الكتاب، وكتبٌ أخرى لهذا المؤلف الفذ إلى اللغة العربية؟ أم أن قراء العربية في غنى عن ذلك مع أن تلك الأشرطة تعرض في عقر دارهم.





جاك شاهين يتحدث للتواصل:

هوليوود منذ أكثر من قرن تشوه صورة الإسلام

أجرى المقابلة: الصديق بشير نصر *

س. يعد كتابكم «العرب الأشرار في السينما: كيف تشوه هوليوود شعباً» صيحة نضالية. إلى أي مدى توافقون على هذا القول؟ وإذا كان الأمر كذلك فلماذا؟

ج. هذا الكتاب «العرب الأشرار» صيحة نضالية وصيحة ماحقة أيضاً. فقبل صدور الكتاب لم يكن أغلبُ القرّاء، بمن فيهم العرب والمسلمون، يدركون أن هوليوود كانت لأكثر من قرن تشوه الإسلام وكلّ ما يمت للعرب بصلة.

س. بعد انقضاء فترة طويلة من العمل المتواصل والمؤلفات الجيدة في الإعلام، كيف تقوم الآن جهودك النقدية في تقويم وسائل الإعلام الأمريكية؟

ج. تسعى أعمالي لإحداث نوع من الائتلاف لا مثيل مع نقاد السينما، والأساتذة، وصناع صورة الأمريكية للمسلمين والعرب من الأمريكيين الشباب. ولكن أن يقوم فردٌ واحدٌ بالكتابة في هذا الموضوع أو المحاضرة فيه فذلك لا يعدو أن يكون قطرات من الغيث. ولكي نغير هذه الصورة النمطية (المقولبة) فنحن نحتاج إلى ملايين، ومثلما قال عربيٌّ بليغ: «اليد الواحدة لا تصفق» ونحن لا نزال أحوج إلى العمل منا إلى الكلام، أي أننا نحتاج إلى أيد كثيرة لتصفق.

س. الإسلاموفوبيا اليوم تهديد حقيقيٌّ يوظف كل وسائل الإعلام المتاحة لتشويه ثقافتنا وتاريخنا وديننا. فما الذي تنصح به لمواجهة هذا التحدي؟

ج. أصل، فيطلب من القضاء وللتفكير تطوع و قسم بعضاً تلك المؤسسات، والمحطمين، وصنّاع السينما الذين يقومون بجهد لإعادة الوجه الإنساني للعرب والمسلمين. سمح لضمائرهم أن يصبحوا جزءاً مسمعاً لوسائل الإعلام، وعندما يقوم شخصٌ ما من وسائل الإعلام بإهانة ثقافتك أو عقيدتك، التقط سماعة الهاتف، وتأهب للاحتجاج بذلك الشخص، إذ ليس في مقدورك أن تستمر في الصمت واللامبالاة.

س. إنّ إحدى آليات الإسلاموفوبيا سوء استعمال وسائل الإعلام بشكل متعمد. وقد نبه البروفسور ناعوم تشومسكي في كتابه «سيطرة الإعلام» إلى هيمنة تلك الوسائل. ولكن كيف يمكن السيطرة على وسائل الإعلام نفسها؟

ج. كلا. وسائل الإعلام لا يمكن السيطرة عليها، ولكن يمكن تغييرها. وهي دائماً تتغير وتتبدل. انظر كيف تغيرت صورة الأمريكيين السود (الأفارقة)، فقد تغيرت لأن الأمريكيين الأفارقة ومناصريهم قاموا بالعمل المطلوب من أجل خلق صورة أكثر إنسانية لهم.

س. في تحليلكم «الصورة النمطية للعرب والمسلمين في الثقافة الشعبية الأمريكية» فقد أنكم قابلتم في سنة ١٩٧٩ مدير البرامج في قناة CBS لتخبروهم بأن صورة العربي النمطية (المقولبة) جائرة ومسيئة لكثير من الناس، ولكنه من المحزن قبل ذلك، ومقالتم على ما ذكر بقولكم: «ولم يتغير شيء منذ ذلك الوقت».

* كاتب وباحث من ليبيا

واليوم، وبعد مُضي أكثر من ثلاثين سنة على ذلك النقل، كيف هو الحال الآن؟ هل ترى أي تغيير؟

ج: إن الهجوم على العرب والمسلمين اليوم أسوأ من ذي قبل، والآن، وللمرة الأولى في تاريخ الإعلام الأمريكي وبرامج التلفزيون، والصور المصورة، يصوَّر العرب الأمريكيون والمسلمون الأمريكيون على أنهم نسخة أخرى من أسامة بن لادن وصدام حسين، وهو ما يعبر عنه بالأمريكية [illegible] وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر [illegible] كليشيه.

س: وضع بعض النقاد كتابك وكتاب "الاستشراق" لإدوارد سعيد في مستوى واحد، فكلاهما يسعى لإماطة اللثام عن الصور النمطية والثقافية للعقل الأمريكي، أي ظاهرة التحيز في التفكير الأمريكي، هل توافقون على هذا؟ إذا كان جوابكم (نعم، أو لا) فلماذا؟

ج: إن كتاباتي، والكتابات الرائعة لصديقي ومعلمي المتميز إدوارد سعيد، تشتركان في هدف واحد، إنها تهدف إلى فتح أعين الناس وجعلهم يدركون ويفهمون هذه الصورة النمطية، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، وتسعى للتعريف بتاريخها، وبتأثيرها المدمر على الأبرياء، والسياسة الداخلية، والعلاقات الأمريكية الخارجية.

س: كيف استقبل المثقفون العرب كتابكم (العرب الأشرار)؟

ج: إن الصحفيين والباحثين الذين يهمهم برنامج منظمة "أجندة" [illegible] العرب [illegible] الكتاب، [illegible] عن الصورة النمطية لأن العرب يفهمون [illegible] ويريد [illegible] مقالات روبرت [illegible] الذي يزعم في كتاباته أن المسلمين يفهمون [illegible].

س: كيف استقبل الأمريكيون غير المتخصصين الكتاب؟

ج: الكتاب مستمر في التأثير على القراء، وأغلب الأمريكيين الذين اطلعوا على الكتب [illegible] يسرون [illegible] ألقى رسائل أسبوعياً من القراء في جميع أنحاء العالم، وهم يقولون شكراً، وكثير منهم [illegible] سواء بالاقتراحات أو [illegible] سينمائية وتلفزيونية جديدة.

س: هل ثمة انطباعات إيجابية عن كتابكم عند رجال الحكم والسياسة وصناع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية؟

ج: للأسف لا أعلم.

س: هل ترجمت أيٌّ من كتبكم إلى العربية أو إلى أي لغة أخرى؟

ج: كان من المفترض أن تصدر ترجمة لكتاب "العرب الأشرار" بعد صدوره مباشرة في يونيو سنة 2001، وقد أخبرني ناشر الكتاب قبل ثلاث سنوات أن مؤسسة حكومية غير ربحية في مصر ستقوم بترجمة الكتاب ونشره باللغة العربية، لقد أسعدني ذلك كثيراً لأنه سيتيح الفرصة للقراء العرب للاطلاع على الكتاب، ولكن إلى الآن لم تظهر ترجمة عربية إلى الوجود، ولا زلت أنتظر شيئاً من مصر.

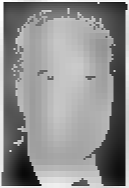
س: ما هي مشروعاتك المستقبلية؟

ج: إلى جانب المحاضرات التي ألقيها، والكتابات ذات العلاقة، فإنني منهمك الآن في إدخال تعديلات على كتابي "[illegible] العرب الأشرار" و"[illegible] العرب [illegible]".

س: [illegible] إن كتابكم "العرب الأشرار" مرحلة تشخيص [illegible] ويبحث عن تكوين الخطوط العريضة للتعرف على الأسباب الظاهرة والباطنة التي تكمن وراء ظاهرة الصورة النمطية للعرب والمسلمين، فهل تفكرون في العمل على هذه الصورة؟

ج: نعم، [illegible] أخرى أيضاً، ومما [illegible] أن العرب والمسلمين، الذين [illegible] التهميش والتحقير، لم يقوموا بأي محاولة لاقتناء الكتاب وشرائه وتوزيعه في أرجاء العالم، فلماذا لا يحدث هذا؟ لماذا لا يقوم البعض بمد يد المساعدة، المساعدة التي يستفيد منها الجميع، [illegible] بجعل هذا الشكل الجديد من [illegible] السامية [illegible] وأكثر الناس في حاجة إلى معرفة ذلك التمييز [illegible] فقط بالإرادة الواعية والهمة ستقوم بالتغيير المطلوب [illegible] المطلوب [illegible] في المساعدة حتى [illegible] للوجود [illegible] للصورة من العرب والمسلمين الأمريكيين، [illegible] المستقبل [illegible] الله [illegible] التغيير.

إدموند غريب: الرؤية المنقسمة





(الرؤية المنقسمة:

صورة العرب في الإعلام الأمريكي

Split Vision: The Portrayal of Arabs in the American Media

كتاب من تأليف الكاتب الأمريكي العربي الأصل إدموند غريب وهو من منشورات مجلس الشؤون العربية الأمريكية بواشنطن دي سي سنة 1983

وللدكتور غريب عدد من المؤلفات، منها:

- المسألة الكردية في العراق
- نداء التحدي (شعر المقاومة الفلسطينية بالاشتراك مع آخرين
- حرب الخليج بالاشتراك مع آخرين
- القاموس التاريخي للعراق

ويعالج كتاب (الرؤية المنقسمة) موضوع تشويه صورة العربي في وسائل الإعلام الأمريكية. وبالرغم من أن الكتاب قد مضى على صدوره حقبة من الزمن إلا أنه يظل على رأس قائمة الكتب الأكثر قراءة من المتخصصين. ويقع الكتاب في نحو 400 صفحة ويحتوي على:

- مقدمات

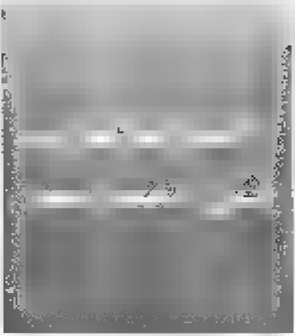
القسم الأول

- عدم التوازن في وسائل الإعلام الأمريكي
- مقابلات مع شخصيات إعلامية
- التحيز على صفحات التحرير الأمريكية
- تنميط الرسوم الساخرة في تعاملها مع الشرق الأوسط

القسم الثاني

- نظرة جديدة لمتابعة الأمريكية للأحداث العربية نحو فهم أفضل.
- مقابلات
- في منتصف الشرق الأوسط: الإعلام والسياسة الأمريكية الخارجية
- أساطير الإعلام من الشرق الأوسط بقلم ماري ماكريدي
- صور الشرق الأوسط في الرواية المعاصرة بقلم جانيس تيري
- صور العرب في التلفزيون الأمريكي، بقلم جاك شاهين
- أثر التصورات الأمريكية على شعب الشرق الأوسط بقلم مايكل سليمان
- التصوير النمطي للعرب في الرسوم الأمريكية السياسية الساخرة بقلم ميل لفنسن
- الصورة الأمريكية في وسائل الإعلام العربي بقلم عباس أبو عودة
- تكوين الصورة والكتب المدرسية بقلم إياد القزاز
- دراسة العرب في كتب علم الاجتماع المدرسية الأمريكية بقلم سمير الجرار
- وسائل الإعلام الكندية والشرق الأوسط بقلم كريستوفر نيلور

ويستطيع القارئ أن يعرف قيمة هذا الكتاب حينما ينظر في قائمة مراجع المؤلفات التي جاءت بعده حتى اليوم، فلا تكاد تجد كتابا عالج هذا الموضوع يمكنه الاستغناء عنه



تقارير

الإسلاموفوبيا في أمريكا
تقاضي جامعة كارولينا الشمالية

رفعت منظمة مسيحية دعوى قضائية ضد جامعة North Carolina لأنها قررت على طلابها كتاباً بعنوان (مقاربة لفهم القرآن: الرسالات الأولى) للكاتب الأمريكي مايكل سلز

Approaching to Quran: The Early Revelation's by Michael Sells.

واستندت الدعوى إلى أن الجامعة بتصميمها هذا تروج لدين معين على حساب الأديان الأخرى، واحتجت إدارة الجامعة بأن الحاجة لفهم الإسلام والقرآن باتت اليوم ملحة. كما رفع مركز رابطة الأسرة الأمريكية دعوى مماثلة نيابة عن خمسة من طلاب الجامعة المذكورة، وادعت أن الجامعة بفعلها هذا انتهكت تعديلات الدستور الأمريكي الداعي إلى حرية الاعتقاد، فضلاً عن أن الجزء المختار من الكتاب للدراسة لم يتحدث عن آيات الجهاد التي يستند إليها الإرهابيون في تبرير جرائمهم، وتقدمت جامعة كارولينا الشمالية بمطالبة القاضي برفض الدعوى، واتهم أستاذ الأديان كارل إرنست Karl W. Ernst المنظمة المذكورة بالتعصب وقال لصحيفة واشنطن بوست: إنه من السهل انتزاع جملة من سياقها من أي كتاب مقدس، وذلك جزء من تاريخ طويل من الانحياز ضد الإسلام وهو شبيه بمعاداة السامية.

والعجيب أن الإقبال على قراءة القرآن وفهم الإسلام تعاظم بعد حوادث 11 سبتمبر، مما دعا الإسلاموفوبيين إلى رفع عقيرتهم بمعارضة قراءة القرآن ... على محاولة فهم الإسلام عن كثب، وقد صرح أحد غلاة المبشرين وهو فرانكلين غراهام لصحيفة [illegible] بأن القرآن يقدم دليلاً على أن الإسلام يشجع العنف من أجل كسب المزيد من المؤمنين به لتحقيق هدفه الأكبر وهو أسلمة العالم.

الغزو الإسلامي لمدارس كاليفورنيا

تحدث عن العنوان كتب براين كونور Connor Brain مراسل CBN NEWS بتاريخ 4/2/2002 عن حالة الاختلاف التي ظهرت بين أولياء أمور الطلبة والمسؤولين في مدرسة بايرون بولاية كاليفورنيا بسبب كتاب عبر القرون، الذي قرر على التلاميذ والكتاب يشرح تاريخ العالم، وقد خصص الفصلان الثالث والرابع منه لدراسة أصول الدين الإسلامي وبواكير البعثة ويحتوي الفصلان على رواية مفصلة لحياة محمد ﷺ كما يتكلم الكتاب بالتفصيل عن القرآن باعتباره عند المسلمين وحيا نزل من الرب على محمد ﷺ والسنة باعتبارها أحكام الإسلام الإرشادية وأركان الإسلام الخمسة. يقول المدرس مولكر بدلا من عرض الكتاب عرضا مبسطا يمثل الوعي التاريخي للإسلام ونشأته يثبت بعض العقائد الإسلامية ويكتب حقائق أكثر من كونها مسائل دينية، حيث يرد في الصفحة رقم 62 ما يلي: فالقرآن هو الوحي الأخير كما أن محمدا هو آخر الأنبياء. ويرد في الصفحة رقم 63 هو الرسالة التي أوحي بها إلى محمد هي نفسها الوحي الذي نزل على إبراهيم وموسى وعيسى. وجاء في الفصل الذي يتضمن أسئلة للإجابة عبارات مثل: وأنك جندي مسلم في طريقك إلى فتح بلاد الشام، ومثل: دع بيتك في الإسكندرية وامض حاجا إلى مكة. ويحتج بعض الآباء بأن الأديان الأخرى مثل المسيحية والبوذية واليهودية لم تعرض بالتفصيل كما هو الحال مع الإسلام.

وجاء في التقرير: ولكن لم ير الجميع أذى في الكتاب، وقالت ليندا تايلور وهي عضو في مجلس مدرسة بايرون، وأم مسيحية لطفلين يدرسان في الكتاب المذكور: لا يمثل الكتاب تهديداً لي ولا تهديداً لأطفالي وليس بينه مهدداً بذلك. وإذا حدث أن طلب مثل هذا فإنني أستغل ذلك كفرصة للانطلاق إلى البيت من أجل الحصول على حوار غني وفهم عن ديننا.

الإسلاموفوبيا في إذاعات محلية أمريكية

تشويه صورة المسلمين والتخويف من الإسلام أصبح المادة المفضلة في المحطات الإذاعية المحلية في داخل الولايات المتحدة الأمريكية، وقد شجع على ذلك:

- ضعف المؤسسات الإسلامية في أمريكا عن ملاحقة من هم وراء ذلك
- تمييع الجهات القضائية في أمريكا للحقوق الإسلامية تحت تأويلات غير مقبولة
- تأثير اللوبي الصهيوني على المؤسسات الإعلامية

ومن الأمثلة المسيئة للإسلام والمستهزئة بالمسلمين والمحرضة على معاداته تلك الحلقة التي بثتها محطة 640 AM KFI المحلية بلوس أنجلوس صباح يوم 10/3/2004 والتي يقدمها الصديق بن هاتون، وتضمنت الحلقة لقاء هزليا مع شخص وهمي اسمه محمد إقبال أكبرود يزعم أنه خبير مسلم في الدستور العراقي المؤقت، وقد افتتحت الحلقة بقراءة وأعوذ بالله من الشيطان الرجيم، باللغة العربية في مستهل اللقاء الساخر وفي نهايته سئل الضيف عن الدستور المؤقت للعراق ما بعد الغزو فذكر المواد الآتية:

مادة 1: يحق لشعب العراق من أجل بناء اتحاد نموذجي يقوم على العدالة ويؤكد الديمقراطية القومية

ويدعم دولة الجماعات الراديكالية الأصولية الدينية ويمجد سفك الدم ويحمي بركات الله لك ولداوود حين ونصر الأسلوب الوقت للعراق الجديد

مادة ٢: الموت لليهود الموت لليهود الموت لليهود (ضحك)

مادة ٣: يتكون مجلس النواب من إرهابيين يكرهون أمريكا والذين يحلمون بالدخول في حرب مدمرة بطيئة بالأسلحة، أو أن يختفي الأمريكي الكافر من الوجود

مادة ٤: التهديد

مادة ٥: يسمح لكل مسلم بمشيئة الله ١٢ حورية عند دخوله الجنة المحررة من بلا عراقيين ولكن تكهنات يابانيات جميلات (ضحك هذا شيء نضمنه شخصياً بمشيئة الله

مادة ٦: العبري يجب أن يموت فلسطيني حر العبري يجب أن يموت (ضحك

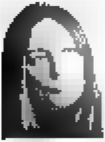
مادة ٧: يجب منع جميع علاقات العراقيين منذ هذا اليوم في العراق لا سيما علاقاتهم في الاستعمار بشكل منظم.

مادة ٨: الموت للمؤامرة الصهيونية الموت للمؤامرة الصهيونية، الموت للمؤامرة الصهيونية

مادة ٩: يجب منع زواج الشواذ بصفة خاصة، وسوف تتم مكافأتهم بالموت مع الموافقة على الزواج غير الرسمي بين العراقيين البالغين والجمال والماعز المصيرية

لا غرابة إذا فيه مشكلة من عقل يستسيغ هذا الهراء والإسفاف والانحطاط الذي يبدو أنه يبيع مبلغاً يستعصي على العلاج. لقد طالب مكتب مجلس العلاقات الأمريكية العربية CAIR بلوس أنجيلوس محطة KFI بالاعتذار، ولكنها رفضت فتم رفع الشكوى إلى مساهمي شركة Clear Channel Communication وهي الشركة الأم للمحطة المذكورة ومطالبة لجنة الاتصالات الفيدرالية FCC وهي وكالة اتحادية معنية بإصدار الرخص لوسائل الإعلام ومتابعتها من أجل ردع هذه المحطات عن تجاوزاتها المسيئة للإسلام، ومن تشويهه الكراهية

إسلاموفوبيا إيطالية تفرخت في أمريكا



الغضب والكبرياء La Rabbia e L'Orgoglio اسم كتاب من تأليف الصحافية الإيطالية أوريانا فالاتشي Oriana Fallacia اشتهرت الكاتبة بمقابلاتها الصحافية مع رؤساء الدول وزعماء حركات التحرر في العالم في السبعينات من القرن العشرين وقد عُرفت بميولها اليسارية عندما كانت النزعة اليسارية من سمات المثقفين في تلك الحقبة قبل أن يتداعى المعسكر الشرقي وانهيار الاتحاد السوفياتي. لقد أحدث تفكك تلك المنظومة زلزالاً في معتقدات الكثيرين الذين كانوا يعيشون على الأيديولوجيا الخاسرة، من هؤلاء أوريانا فالاتشي حتى قررت الإقامة في الولايات المتحدة، وهاجمت اليسار، وتروجت اليمين المتطرف والانتماء إلى معسكر أيديولوجي جديد يقتضي التخلص من موروثات الماضي وفالاتشي التي جاوزت السبعين

من مصيرها لم يعد شيء ما تدفعه في شيخوختها تماماً تهدد الأمن الجديد إلا أن تعرف عدو الإسلاموفوبيا فجاءت تلعب دورها مشاعر مكبوتة فانفجرت بعد اللعنات على أعداء الأمس مجرمي اليوم. وتمثل في كتابها الجديد الذي مولته مؤسسات معادية للإسلام والمسلمين في الولايات المتحدة وإيطاليا وفرنسا وترجم إلى الفرنسية والإسبانية أنها تعبر ... الله الأمس ... التي تطلق أسماء ... لو لم تكن تعرفهم. لقد أصبح فيتناميو الأمس هم مسلمو اليوم، واكتشاف المستقبل!

ويمكن تصنيف كتابها في إطار الخواطر الشخصية إذا اعتبرنا ما كتبته جنساً أدبياً ... الكتابة الحديث من ذلك الصباح الذي استيقظت فيه فالاتشي في بيتها بمانهاتن نيويورك وقد انتابها شعور غريب بأن ثمة شيئاً ما سيحدث ما هو؟ لم تستطع معرفة كنهه ... تلك الشعور التي تحولت إلى نوع من الكابوس أو الرؤيا Apocalypse على حد تعبيرها. امتلأ الشارع الذي تقيم فيه بالضوضاء، ... لقد سقط ما هو الذي سقط لم تعرف. اتجهت إلى التلفزيون وأدارت المفتاح وظهرت ... الحالة الموجودة في جهاز استقبالها ... عندما وجدت صورة واحدة في جميع المحطات حتى خالت أنه ثمة ... شاشة تلفزيونية مطلقة اكتشفت ما جرى. لقد روعها المشهد لقد ... حدثاً كثيراً يموت فيه الناس في أنحاء متعددة من العالم، لكنها لم تر قط أناساً يهربون من الموت بقتل أنفسهم بالقفز من الطابق الثمانين من برج التجارة العالمي ... يهبطون ويسبحون في الهواء وكأنهم مظلات ... شيء مروع بعد هذه المقدمة الهيروشيمية شرعت في الحديث عن المجرمين الذين أرعبوا أمريكا مهد العالم الحر وطفقت تسب المسلمين، وتلعن الفلسطينيين القتلة المرتزقة الذين يهددون أمن العالم ويتقدم عدد ... معهم. وتصف العرب والمسلمين بأنهم حثالة قذرة، يتناسلون كالجرذان، وينتشرون في كل مكان ... حتى أجزاء الكنائس لم تسلم منهم.

وإنه لمن المؤسف ... أكثر ... غير ... تتحدث عن التنوع الثقافي، ... في خصوصية الوجود الإنساني فكم كانت ... الرسالة النبيلة التي كان يقوم بها شارون في خدمة الإنسانية بقمع هؤلاء ... وكم كان ... أن شارون يشبه شكسبير ... المزعوم عند فالاتشي ... النقاد يسخرون منها بحق ويقولون إن هذه العجوز التي جاوزت السبعين قد بلغت مرحلة الخرف. ومن يردها إلى ... صور شبابها القديمة التي تعرضت حتى أن تكتب مع مقالاتها حتى إنك لا تجد لها صورة حديثة في ... إنه هوس الشيخوخة وهو من أسوأ أنواع الهوس.

وقد قالت الناقدة رنا قباني في مقال نشر في صحيفة الغارديان بتاريخ 6/ 10/ 2002 تحت عنوان «إنجيل كراهية المسلمين» ... الأولى أن الكتاب ... من القرون الوسطى يحكي عن الحقد والاحتقار ولكنه كتاب ألف في القرن الواحد والعشرين وهو أسوأ ما كتب عن ... المسلمين من كان سيجد له ناشراً ... مكتبة الغضب والكبرياء التي ... وأفرغت في ... وجه من وجوه الإسلاموفوبيا

٥- تفجر الإسلاموفوبيا في المملكة المتحدة

تحت هذا العنوان "Islamophobia "Explosion" in UK" كتب BBC News يوم الجمعة الرابع والعشرين من شهر مايو 2002

تعاني المجموعات المسلمة في المملكة المتحدة حسب ما جاء في التقرير الذي أعدته اللجنة الأوروبية لمراقبة العنصرية EU Race Watching على أن الشعور المعادي للإسلام قد اندلع في المملكة المتحدة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر. وقد عبر المركز الأوروبي لمراقبة العنصرية والخوف من الأجانب (EUMC) أن هناك ارتفاعاً كبيراً في الهجوم على المسلمين في بريطانيا بما في ذلك الانتهاك الجسدي. وأشار التقرير إلى وجود أعداد كبيرة من التقارير مسجلة في مراكز الشرطة عن اعتداءات ضد أفراد مسلمين وكذلك مؤسسات إسلامية مثل المساجد والمراكز الثقافية، فضلاً عن ذلك هناك المضايقات اليومية التي يعاني منها الأطفال في المدارس والتحرش بالنساء في الشوارع وفي الحافلات لا سيما المحجبات منهن وذلك بجذبهن من خمارهن أمام أعين المارة.

وقد تعرضت طالبة جامعية بمدينة غلاسكو للضرب في إحدى الحافلات حيث تعدى عليها شخص بأن هوى على رأسها بزجاجة، وكانت الحافلة تعج بالركاب ولم يحرك أحد منهم ساكناً بمن فيهم سائق الحافلة الذي كان يرى ذلك. ولم تنج الفتاة حتى ترجلت في المحطة التالية وهي تنزف. وسُجلت الحادثة تحت مسمى عنف بسبب الكراهية وقُيّدت ضد مجهول. وفي سويندون Swindon تعرضت فتاة مسلمة محجبة للضرب من قبل رجال بيض انهالوا عليها ضرباً بواسطة مضرب البيسبول وعولجت في المستشفى وغادرته. وسُجلت الواقعة على أنها أيضاً عنف بسبب الكراهية بعد أن فشلت الشرطة في العثور على شهود للواقعة التي تمت أمام عدد كبير من الناس. كما تعرض سائق سيارة أجرة أفغاني للاعتداء على يد ركاب مجهولين في تويكنهام بجنوب غرب لندن Twickenham in SW London أدى به إلى الشلل في رقبته.

وقد صرحت السيدة عزة ميراني من وكالة حقوق الإنسان الإسلامية لشبكة BBC News Online أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر كانت عاملاً محفزاً لتفجير المشاعر المعادية للإسلام في المملكة المتحدة، وأنها مشاعر لم تعد مخفية، والشعور بالعداء انتقل إلى الوظائف حيث يتعرض المسلم في مكان عمله للإهانة والمضايقة التي قد تصل إلى صرفه من الخدمة. وجاء في التقرير أن الشرطة والساسة والإعلام والشخصيات العامة حاولت أن تمنع الهجوم على الأهداف الإسلامية وأن تقلل من الشعور بالخوف عند المسلمين، ولكن الجماعات الإسلامية قالت إن السياسيين ما زالوا يتسببون في المشاكل من خلال تعليقاتهم البعيدة. وقد عبر المجلس الإسلامي البريطاني مؤخراً عن الاهتمام بالتعليقات التي صدرت عن وزير الداخلية ديفيد بلانكت David Blunkett حول الانعزالية والتفريق بين الجماعات المسلمة. كما انتقد مجلس المساواة العنصرية الوزير الأوروبي بيتر هاين بسبب إصراره بأن الإسلاموفوبيا ثانية بالقياس إلى المعاملة.

إنهم يتفقون على ستر جرائمهم العنصرية

عشماً مسلم في قارة على الإرهاب يعاني من 30 إصابة! تحت هذا العنوان تقول صحيفة الغارديان اللندنية بتاريخ 11/9/2004 إن الادعاء البريطاني CPS رفض الدعوى المقدمة من بابر أحمد المسلم ضد الإنجليز بمحاسبة الشرطة التي اعتقلته عدة أيام ثم أفرجت عنه دون أن توجه له اتهاماً بعد أن تعرض للتعذيب والإهانة ضرباً ورفساً، بحجة عدم توافر الأدلة وأن الدعوى تبحث أكثر من اتهام مزعوم بالرجوع من صحة التقرير الطبي الصادر من مستشفى جامعة لندن التي اطلعت عليه صحيفة الغارديان. ويقول التقرير إن بابر أحمد 30 سنة كان يعرف من كدمات مع وجود دم في البول وإصابات في الوجه والرأس والعمود الفقري، ويقول التقرير إن أحمد تعرض لمعاملة عنيفة. وقد أعلن الادعاء البريطاني يوم 10/9/2004 أنه لا يمكن اتهام أي ضابط بالاعتداء المزعوم على المواطن بابار أحمد الذي ألقي عليه القبض بعد أن جوبه لنفي في ديسمبر 2003 وبعد أن رفع المجني عليه تظلمه عند اعتقاله مرة أخرى في شهر أغسطس بعد صدور طلب من أمريكا بتسليمه إليها بتهمة دعم شبكة إرهابية في الشيشان وأفغانستان. وقد جددت النيابة تحديد توقيف المجني عليه للنظر في الدعوى الأمريكية. وقد صرح المجني عليه لصحيفة Eastern Eye أن اعتقاله الأخير كان بسبب الدعوى التي رفعها ضد الشرطة الإنجليزية. وأخيراً إنهم يتفقون على الباطل لستر جرائمهم العنصرية. هذه حالة من حالات كثيرة مماثلة يتعرض لها المسلمون لا في بريطانيا فحسب بل في بلدان كثيرة من العالم. مما دعا مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية RIAC أن يصدر كتيباً بالعربية والإنجليزية للتعريف بسبل المحافظة على سلامة وأمن المسلمين والعرب مع تعريفهم بحقوقهم القانونية وكيف ينبغي أن يتصرفوا مع رجال الشرطة عند اقتحام منازلهم أو عند استجوابهم.

نصائح NASUWT لمواجهة الإسلاموفوبيا في المدارس والكليات

أعد NASUWT وهو أكبر اتحاد يمثل المعلمين في المملكة المتحدة في كل القطاعات التعليمية كتيباً لمواجهة الإسلاموفوبيا في المدارس والكليات في إنجلترا وويلز واسكوتلندا وإيرلندا الشمالية بعنوان **Islamophobia: Advice for Schools and Colleges**

وقد جاء في الكتيب أن الإسلاموفوبيا والتعصب ضد المسلمين قد تزايد في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر وأن هناك خلطاً غير معقول بين حقوق الإنسان، والتطرف وشبكات الإرهاب، والتجمعات الإسلامية، وطالبي اللجوء السياسي الموجودين في بريطانيا. وهذا قاد إلى تأجيج التعصب والتوتر الديني في بعض المدن والقرى ومما دعم الأحزاب السياسية اليمينية المتطرفة. وكل تلك التطورات تسببت في زيادة مستوى الخوف داخل التجمعات المسلمة وأثر ذلك على التلاميذ والطلاب والمدرسين في المدارس والكليات. وقد حث الكتيب الجميع على تبليغ أحد عن أي تجاوزات عنصرية. كما نبهت على المعلمين تجنب كل ما من شأنه أن يفضي إلى التعرض العنصري والديني في دروسهم وتعاملهم مع التلاميذ. ونصحت جميع المدارس إلى إعادة النظر في سياساتها التعليمية بدءاً من المناهج التي تدرس والانتباه لشكاوى أولياء أمور التلاميذ.

٦. الإسلاموفوبيا في أستراليا

كتبت ليندا موريس Linda Morris يوم الخميس 2003/9/25 في صحيفة سيدني مورنينج هيرالد The Sydney Morning Herald تحت عنوان: المسلمون، الغيلان الجديد في أستراليا العنصرية:

Muslims, The New Bogeymen of Racist Australia

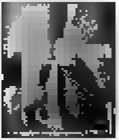
«لقد تخطى المسلمون الأستراليون عدد الآسيويين باعتبارهم واحدة من أكبر التجمعات الإثنية والدينية المبغضة في البلاد، والمسلمون والقادمون من الشرق الأوسط أكثر من أي مجموعة ثقافية إثنية أخرى يعتقد أنهم غير قادرين على التكيف في أستراليا، مع أكثر من نصف الأستراليين الذين يعتقدون ألا يتعين السماح لهم بالزواج عن طريق الزواج. يقول الدكتور كيفن دن Kevin Dunn الأكاديمي بسيدني في ورقة بحث قدمها لمؤتمر الهجرة والاندماج: «الإسلاموفوبيا تنمو في أستراليا». ويقول أيضاً إن في أستراليا ثقافة عنصرية عن المصريين، وإن أسوأ أنواع العنصرية وُجدت في الطبقات العاملة الفقيرة في سيدني، وينصب التعصب ضد سكان البلاد الأصليين، والأستراليين اليهود، إلا أن المشاعر المعادية للمسلمين هي الأقوى. وقد تزايدت بعد أحداث سبتمبر، وتفجيرات بالي والتجريم العلني لشبكة مسلمين لبنانيين في عمليات اغتصاب في جنوب غربي سيدني. ويقول إن المسلمين عانوا كثيراً بشكل دائم من الصور النمطية التي ألصقت بهم، وقد بين الدكتور دون نتائج دراسته على البحث الذي أجراه مع إيمي ماكدونالد Amy McDonald التي تحدت الحكمة السائدة التي تقول «العنصرية أكثر شيوعاً في البيئات الريفية»، كما أثبتت الدراسة أن كثيراً من الأماكن الريفية أقل عنصرية من أجزاء أخرى في سيدني. وقد تبين أن الأماكن الأكثر عنصرية تقع داخل سيدني وبريسبان ولا سيما في الضواحي الفقيرة. وقد أسفرت نتائج المسح الذي أجراه الدكتور دون على نحو 5056 شخصاً عما يلي:

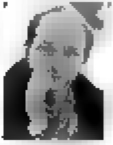
- [illegible] ممن شملهم المسح يقولون إنهم سينزعجون إن تزوج أقرباؤهم بمسلمين.
- 87٪ يحبذون التنوع الثقافي.
- 41٪ قالوا بوجود مشكلة مع العنصرية في أستراليا.
- 45٪ قالوا إن بعض المجموعات الثقافية لا تنتمي إلى أستراليا.
- 71٪ يعلمون بوجود التحامل والتمييز.

وفي دراسة أعدها معهد بريسبان [illegible] نشرت بتاريخ [illegible] 2005 بعنوان: المسلمون في أستراليا: المحرومون الجدد **Muslims in Australia: The New Disadvantaged**

ظهرت معاناة المسلمين في أستراليا من عنصرية وحرمان، وخطورة الربط بين الأحداث العالمية والتمييز ضد المسلمين بالرغم من تزايد عدد المسلمين الملحوظ في السنوات العشر الأخيرة، ولا شك أن تزايد المسلمين في البلاد المجاورة واستعداد المواطنين الأستراليين في بعلاقاته القائمة على وضع المسلمين في أستراليا. وفي سنة 1996 كان معدل البطالة بين المسلمين في أستراليا 25٪ مقارنة بـ 9٪ للأستراليين المولودين في بريطانيا وأيرلندا و8٪ للمولودين في أستراليا والوطنيين، بالرغم من أن مستوى مهارات المسلمين في الغالب مساوية لمهارات المولودين في أستراليا والوطنيين، والمسلمين من حيث الدرجات العلمية التي يحملونها أفضل

من المجموعات الأخرى. وكثير من المسلمين يؤمنون بمفاهيم الإسلامية التي تعكس معتقداتهم بما يميزهم وقد أثّر ذلك على فرص توظيفهم. ويقول عالم الاجتماع ستيفن كاسلز Stephen Castles ومؤرخ العلاقات العنصرية أندرو ماركوس Andrew Markus إن العنصرية اليوم ليست مسألة لون فحسب، فالتمايز الثقافي، والديني والقومي والأصول الوطنية هي الأقوى تأثيراً في الوقت الراهن. وهنالك عوامل أخرى ساهمت في تقليل فرص المسلمين في الحصول على الوظيفة مثل قصر الإقامة في استراليا، النقص في مهارات اللغة الإنجليزية، قلة الاندماج، استمرار العنصرية البنيوية.





الإسلاموفوبيا في فرنسا

ميشيل ويلبيك ورواية (المنصة - بلاتفورم)

من لطائف العربية التي قد لا نجدها في غيرها من اللغات، أن لفظة (الأدب) تحمل في تضاعيفها دلالات أخلاقية، وتعني فيما تعني في لغة العرب تساوي الأخلاق. بينما نجد لفظة الأدب في اللغات الأخرى Literature في الإنجليزية وLittérature في الفرنسية، والمانية Literatur تعني الكتابة. فلا تحمل لفظة الأدب في لغة الغرب ما تحمله مثلها في العربية من معاني أخلاقية، وهذا يعني أن صناعة الأدب عند الغربيين لا تستلزم من صاحبها الكاتب أن يكون مفترضاً أخلاقياً في الوقت الذي لا تستقيم في لغة العرب وصف أديب بلا أدب، أي بلا أخلاق على رأي أديب العربية وكاتبها الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد. ولذا فليس من المستهجن في ثقافة الغرب أن يكون الأديب عندهم فاجراً عديم الأخلاق مستهتر السلوك، لأنه لا ربط عندهم بين سلوك الكاتب وما يكتب. ولذا نجد عندهم كتاب فجرة ولصوصاً وشواذ، من أمثال الفرنسي جان جينيه وغيره، وأوسكار وايلد الإنجليزي.

وإن كان هذا هو مفهوم الأدب في الغرب، أو عند بعضهم على الأقل، فليس من المستغرب أن يخرج من حين إلى آخر، صنف من هذه الأصناف يسعى في وجوه الناس، ما علق في جوفه، ثم لا يعدم مادحاً من صنفه يصفق له واصفاً ما جاء به بأنه قمة الإبداع وذروة الفن، ورواية (المنصة Platform) للكاتب الفرنسي ميشيل ويلبيك Michel Houellebecq تصب في هذا المستنقع الآسن.

هذه الرواية نستطيع أن نقول إنها كتبت بثقافة القرون الوسطى لما تحتويه من غل وحقد على الإسلام والمسلمين، إن الرواية بلا شك ليست مجرد عمل معادٍ للإسلام فحسب، بل إنها استخفاف بالقيمة الإنسانية ذاتها، وليس من باب المصادفة أن يكون اسم بطل الرواية (ميشيل) هو نفسه اسم المؤلف، فقد يتناول على لسان بطل الرواية ما هو إلا مشاعر مقموعة في نفس المؤلف، ثم تستطيع أن تنطلق من سجنها فلم تجد لها نافذة تتنفس منها إلا هذه النافذة.

رواية «بلاتفورم» تضج بالتعصب والكراهية

إن أبطال الرواية يوصفون وكالة للسياحة الجنسية الأولى للسائح الغربي عرضه أن يستمتع، ويجمع رواته الجنسية في أحد النوادي الشهير في العالم الثالث، حيث جاع الأجساد بأثمان بخسة.

ويحتج المؤلف على لسان أحد أبطال روايته بالكلام عن قتل العرب في فلسطين، أو حينما يقول على لسان أحد أبطال روايته إن منتهى سعادته تكون عندما يرى طفلاً أو فلسطينية حبلى تقتل، لأن ذلك لا يعني عدده كما يقول أكثر من مسلم ينقص من أعداد المسلمين في العالم.

لا عجب أن رواية «بلاتفورم» تندرج في مدار الإسلاموفوبيا، وقد حاول المدافعون عن الكاتب كعادتهم في الدفاع عن المعادين للإسلام والمسلمين أن يصفوا الرواية بأنها مجرد عمل إبداعي ليس بالضرورة أن يكون تصويراً لواقع حقيقي.

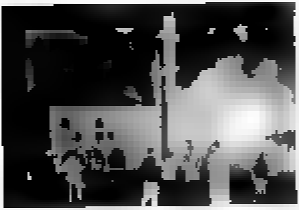
غير أن المؤلف حدثهم عندما صرح في لقاء أجرته معه مجلة (لير) عشية الأنباء بأن القرآن يثير الاشمئزاز والامتعاض، وإن من يقرأه يشعر بالانهيار، وأن الدين الإسلامي دين خطير، وهو الأكثر بلاهة وغباء.

وإذا علمنا أن هذا الحقد الشديد على الإسلام هو مشترك مع الإسلام قبل بضع سنين، فلا يستغرب أن يظهر ذلك ما كان مكنونا في داخله.

الإسلاموفوبيا في السويد

النازيون الجدد والمتطرفون اليهود يتحدون تحت عنوان الكراهية

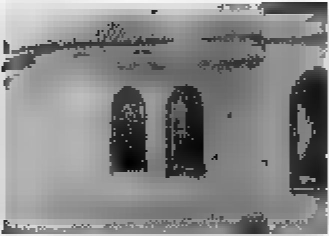
Neo-Nazis, Extremist Jews unite in hatred of Muslims



مسجد ... وعشية ... (تعذرت قراءة هذا التعليق)

كتبت Liberty Post Org بتاريخ ... 2003 شكل النازيون الفرنسيون الجدد اتحاداً مع مجموعات يهودية متطرفة على الإنترنت لنشر وإثارة مشاعر الكره ضد العرب والمسلمين بحسب ما ورد في تقرير لمجموعة مناهضة للعنصرية، وقد جاء في التقرير نفسه أن أعضاء من المجموعات اليهودية المتطرفة عمدوا ليضعوا مشاعرهم المعادية للسامية جانباً ليشاركوا في مواقع على شبكة الإنترنت مع مؤيدين متطرفين لإسرائيل من أجل توظيف ظاهرة العنف المتفشي في الشرق الأوسط.

يقول الأستاذ ... رئيس مجموعة MARP التي نشرت تقريراً من 78 صفحة: «إنها ظاهرة جديدة!! لقد أردنا أن نقرع جرس الإنذار للتنبيه على خطورة تطور هذا الشكل من العنصرية، والذي لم يكن مجرد جرائم تشكل خطراً من انتشار في الصحافة اليهودية كذلك»، ويقول التقرير إن 16 موقعاً على شبكة المعلومات الدولية تتبع الجماع اليمينية ومجموعات يهودية متطرفة في فرنسا تعمل على ... الخادم Server في الولايات المتحدة ...



سنة 1999 وحتى الآن ويشترك أعضاء المجموعات في تقديم الاستشارات والنصائح بمعرفة الطريقة التي يتم بها إرسال الرسائل دون أن تترك وراءها أثراً إلكترونياً يمكن تعقبه من خلاله حتى لا تقع تحت طائلة القانون.

ويعتقد المحققون أن المواقع قد تم تفكيكها بسبب الخلاف بين المجموعات حول قيادة الولايات المتحدة للحرب في العراق، حيث إن المتطرفين اليهود باركوا ذلك وأيدوه، بينما عارضت ذلك بعض الأطراف الفرنسية من جبهة اليمين المتطرف، ولم تعلق الشرطة الفرنسية لاعتقاد بالتحرير، كما لم تعلق عليه المنظمة اليهودية الرئيسة في فرنسا CRIF، ويتوقع الاستاذ عويث أن اتحاد مماثلاً سوف يظهر على السطح قريباً.

يقول التقرير إن هذه المجموعات المتطرفة المتحدة ترسل يومياً ألف رسالة إلكترونية منذ سنة 2001 إلى سنة 2003 تحرض على مهاجمة المساجد على أثر اندلاع حرب الخليج بين الغرب والتحدي الفرنسي، كما تدعو بعض إلى اغتيال الرئيس الفرنسي جاك شيراك الذي يلقبونه بلقب ساحر هو بن شيراك، على وزن بن لادن.

بالرغم من أن الجالية المسلمة في السويد ليست كبيرة إلا أنها ليست في منجاة من أعمال العنف والترويع فقد حرق المسجد الوحيد بمدينة مالمو ليلة الأحد 27/4/2003 وأتت النيران عليه برمته، وسجلت دوائر الشرطة في المدينة أن الحادث لا يستبعد أن يكون متعمداً بفعل تنامي الكراهية للمسلمين لا سيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

وقد رسم الجناة على أحد جدران المسجد النجمة السداسية إمعاناً في تحدي سلطات المدينة التي تم توجيه الاتهام إلى عدم كفاءتها وإجراء تحقيقات جدية، وتشهد السويد موجة عداء للإسلام كبيرة، ويقول إمام مسجد أوبسالا: إن أحداث 11 سبتمبر كان لها عظيم الأثر على تزايد وعي السويديين بالإسلام، وقال: «من منطلق عملي والعملي المباشر بالمجتمع السويدي أرى أن أحداث سبتمبر فتحت المجال للسؤال عن الإسلام والبحث والدراسة في تشريعاته».

نظم مكتب مكافحة التمييز ضد المسلمين بالسويد مؤتمراً يوم الأحد 12-9-2004 بمدينة شيمت يعرض خلاله بالأدلة أشكال التمييز التي تعرض لها مسلمو البلاد خاصة بعد هجمات 11 سبتمبر 2001 بالولايات المتحدة ويقوم بجمع شكاوى المسلمين.

وأوضح المنظمون أن المكتب الذي تأسس قبل في أبريل 2004 سيبحث أعماله بجمع كل ملفات التمييز ضد المسلمين التي قدمت للمحكمة مصحوبة بالأدلة الثابتة مثل ملف مصورة لمتظاهرين عنصريين ضد المسلمين خارج مسجد استوكهولم أو رمي الخنازير في المساجد أو حرق مسجد مالمو.

وحث المكتب كل المسلمين الذين تعرضوا للتمييز أن يكتبوا ذلك في كتاب يكون مضمونه بمثابة تقديمه للحكومة مشيرين إلى أن هذا هو الهدف الأساسي لمهرجان الأحد

وأشار المسؤولون في المكتب إلى أن تعامل السلطات كان إيجابيا في مجمله مع شكاوى حوادث التمييز التي تقدم بها المكتب في السابق

ووافقت الحكومة السويدية على تأسيس المكتب الذي بدأ في شهر أبريل 2004 في مباشرة أعماله حيث تم تعيين موظفين لجمع كل الملفات المتعلقة بحوادث العنف والكراهية وقضايا التمييز ضد المسلمين ويتخذ المكتب من مسجد استوكهولم مقرا له ويرصد كل ما من شأنه أن يمس طابع التمييز ضد المسلمين في كل مناحي الحياة ويتابع الحكومة السويدية وتأسس المكتب بمبادرة من المجلس الإسلامي السويدي وبقية الجمعيات الإسلامية والاتحادات الإسلامية الفاعلة في السويد

ويعدد المشرفون على مسجد ستوكهولم المركزي التحديات التي تواجه مسلمي السويد منذ ثلاث سنوات في ما يلي

- مطالبة عدد من السياسيين السويديين بمنع ارتداء الحجاب في المدارس وأماكن العمل
- مطالبة بعض الأحزاب السويدية بإغلاق باب الهجرة على طالبي اللجوء السياسي من أبناء الدول العربية والإسلامية
- مطالبة بعض الأحزاب السويدية بإغلاق المدارس الإسلامية في السويد
- مطالبة ممثلي الجالية اليهودية بالتشديد على المساجد بزعم أن فيها خلايا إرهابية
- اتهام بعض السياسيين اليمينيين المؤسسات الإسلامية بدعم الإرهاب
- قيام الأجهزة الأمنية بمراقبة بعض العناصر المتطرفة واعتقال بعضهم بتهمة التخطيط لعمليات إرهابية
- تعرض المسافرين من أصول عربية للمضايقات الأمنية في المطارات بسبب اللباس العربي أو الشكل ويتم احتجاز عدد منهم ومنع البعض من السفر
- حرق مسجد مالمو والمدرسة الإسلامية التابعة له
- إلقاء زجاجات حارقة والقاذورات في بعض المساجد والجمعيات الإسلامية
- تحطيم زجاج مسجد استوكهولم المركزي أكثر من 10 مرة
- الاعتداء الجسدي على عشرات المسلمين
- مظاهرات عنصرية ضد المساجد جابت شوارع العاصمة السويدية ومدن أخرى
- تبني صفحات الإنترنت التي يمتلكها عنصريون سويديون مقالات متطرفة ضد المسلمين
- ادعاء اليهود بأن العرب يشكلون خطرا أمنيا عليهم في السويد ويطالبون بحماية لهم كأفراد ومؤسسات ومعابد





ما تختزله العين

منذ عدة سنوات، كنت ضمن وفد من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية مهمته افتتاح عشرات المدارس والمستوصفات والمساجد في النيجر وغانا وبوركينا فاسو وبنين والتوغو

وميزة هذه الرحلة أنها كانت برية وتلك ميزة لا شك تجعلك أمام تجربة خاصة تتيح لك فرصة لا تعوض لكي ترى ما لا يمكنك أن تراه وأنت سائح أو مسافر لمهمة رسمية لدولة أو برلمان جوا

والغريب في هذه الرحلة أنها محددة بزمن محصور في أيام قلائل وحتى يمكن أن عينيك ستدور بأقصى ما تمتلك من حركة لكي تختزن ما يمكنها أن تختزنه مع كل التعب الذي توفره تلك الطرق مهما كانت فخامة السيارة التي تركبها

إن الانطباع هو سيد الرحلة، أما الوعي بها والقدرة على التعبير عنها فتلك مسألة أخرى قد تتوفر وقد لا تتوفر، لأن الوعي يحتاج إلى استقرار وسبات واختصاص لتأتي مرحلة الكتابة، أما في هذه الرحلة فإن تعدد المناظر وسرعة مرورها وانتقالها كأنه حلم استغرق لحظة، حمل شخوصا ومساحات من الرمال والأحجار والغابات والجوع والعطش وشلالات ومسارات ومشاهدات بشرية غنية بالحب والتعلق بالإسلام يحتاج لفترة من الزمن لكي يتم التمحيص لم الصبح.

لم يكن بإمكاني أن أتوقف بي لأشاهد شوارع وأزقة مترب في قرى النيجر أو بنين أو غانا أو التوغو أو بوركينا فاسو ... ربما لأول مرة وقد تكون آخر مرة

إن النظرة السريعة هي الحكم الذي يفرض سلطانه على حركاتي، وليس أمامي إلا أن أنقل قلمي بسرعة مع كل حركة، متأكداً أنني لن أفكر أمامي، ... المهمة ضرورية لأن ما يعرض ... إنما هو خطوط عريضة لتلك المسيرات التي تمت بعون وتوجيه من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

كانت أقدام المشيات والفتيان حافية لكن صوت ارتطامها بالأرض الغنية بالحسن والخضرة يرفع الرداء الذي ... من ... العاشر إلى القديم من الأيام ليرسم صورة الوجه الأفريقي الجميل

البداية

استمعت فكرة القيام بهذه المسيرات بداية التي بدأها معمر القذافي قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية من مراكش إلى لومي عاصمة التوغو

وكان موكب القائد معمر القذافي وهو يشق طريقه البري ... لوجي يتوقف ... في محطات بشرية ... ولا بد أن يكون لهذا الموقف ... بالنماء والازدهار ولذلك كانت هذه المشاريع التربوية والصحية والاجتماعية

وكانت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية منذ



المهمة في برنامج عرف باسم «الحسان» فيكون دالاً على فتح مسار رحلة معمر القذافي البرية من طرابلس إلى سبها

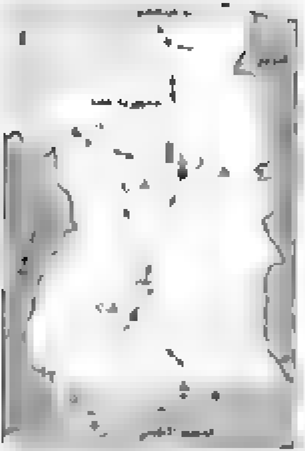
ومن هنا أيضاً كان على الفريق الذي شكلته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية أن يصل إلى الذين رحلوا من قراهم ومدنهم بعيدة أو قريبة لتلك اللقاء مع معمر القذافي

تحركت قافلة فريق المسار «إذن» في البداية لتتحسس هموم المواطنين في القرى والمدن حيث تشكلت ظروف الرحلة حسب التصحيح حيث الأمطار الغزيرة التي تحول الطرق إلى مستنقعات من الوحل والطين أو الجفاف والهواء الساخن الشديد وحيث الغابات الكثيفة أو الأحراش أو الصحراء القاحلة

وبطبيعة الحال استمر الفريق في البحث بمكاتب جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في عواصم هذه الدول وذلك عبر الدعاة الذين يعملون عبر هذه المكاتب والذين هم من أهل البلد القادمين من مختلف المناطق والذين يعرفون جيداً ما يحتاج السكان وما يخص هذه المنطقة أو تلك

وإلى جانب هذه الاستضافة كان الاتصال المباشر بالأهالي عبر الرحلات المباشرة إلى تلك القرى والمدن يستغرق الوصول إليها ساعات طوال من الترحال فوق طرق غير معبدة، يضيف إليك أن بعضها ما زالت على حالتها الأولى التي صنعتها قوافل الجمال والحمير لتشري بحثاً عن الماء والغذاء

لقد شاهدت في رحلة الافتتاح كيف كان المهندس جمال الكيكتي يقود السيارة الطاوية التي





على المياه لا يزال. تلك المناطق مشكلة مزمنة زاد من حدتها وتيرتها ارتفاع الكثافة السكانية وقلة الإمكانات، مما يجعل الحصول على المياه مشكلة يومية، فهناك من يأتي من الصباح حتى المساء. مما جعل من هذه المشاريع حلماً راود أبناء تلك المناطق كباراً وصغاراً. قالوا لنا: لم نستطع أن نصدق [illegible] بئر المياه [illegible] حياتنا. [illegible] [illegible] بصعوبة [illegible] [illegible] أننا لن نتعدى حدود الحلم أما الآن فقد أصبحت [illegible] الحلم حقيقة.

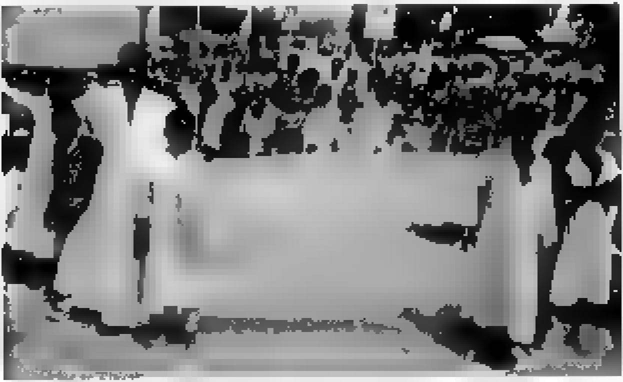
وقام [illegible] بزيارة لهذه المدينة بالتوقيع على اتفاق لبناء مدرسة [illegible].

مدينة كوماسي ([illegible] الذي [illegible])

تقول الأسطورة إن اسم كوماسي ينسب إلى شجرة (كوم) وتقول الذاكرة الشعبية إن الملك (أوسي توتو) موحد شعوب الأشانتي والمعروف عندما أراد أن يختار موقع عاصمته زرع [illegible] في مكانين مختلفين فأزهرت إحداهما وذبلت الأخرى، وبذلك أقيمت العاصمة في المكان الذي ازدهرت فيه شجرة الكوم.

زار الوفد وهو في طريقه إلى مدينة كوماسي التي تبعد عن مدينة أكرا بحوالي 240 كلم مسجد بلال بن رباح الذي يقع بمنطقة (كورسي) [illegible] والذي يضم مدرسة ثانوية للبنات ودار للأيتام وكانت الهيئة قد زودت هذه المدرسة والدار بخطوط الكهرباء، إضافة إلى سور المدرسة [illegible] اللوازم، وكذلك توفير مصدر للمياه الصالحة للشرب لخدمة المرافقين والسكان المجاورين لهما.

وفي منطقة [illegible] بمدينة كوماسي اطلع الوفد على مراحل تنفيذ مشروع بناء مدرسة ثانوية إسلامية تشتمل على [illegible] فصلاً، وكان قد تم حفر بئر للمياه الصالحة للشرب يخدم المشروع لخدمة المدرسة والسكان المجاورين لها.



وقد لاحظت ... عند المدرسة ... وسط مجموعة من المدارس ... للإرساليات المسيحية مما يعكس الأهمية التي يعلقها ... المنطقة على هذا المشروع

(مدينة و...)

إن مدينة ... كغيرها من المدن تشاد ... عرفت ... موقعها على طريق القوافل التي ... من شمال؟ الساحل الافريقي نحو الشاطئ وهي عاصمة المنطقة الغربية العليا على مسافة ٤٢٥ كيلو متر جنوب (كومو) عبر طريق ترابية و... كلم شمال غربي ... عبر طريق ترابية

كان الظلام ... يسير على طريق ترابي غير معبد بطرق غابات ... الأشجار العالية كمظلات ... تظهر ... ثم تختفي ... في هذه الأجواء المظلمة تظهر أمامك أشباح ... الأشجار كانت ... بنظام السيارة بالعسر ... الحصول المطر ... نعرف متى يظهر الإصباح

ثم ... العوف الا ... وصلنا ... و ... في كل ... الحمد لله على السلامة

وفي مدينة ... والتي تبعد بحوالي 800 كلم عن العاصمة ... كان ... موعد مع ... مدارس في مناطق نائية تفصلها طرق وعرة ... مدرسة ...



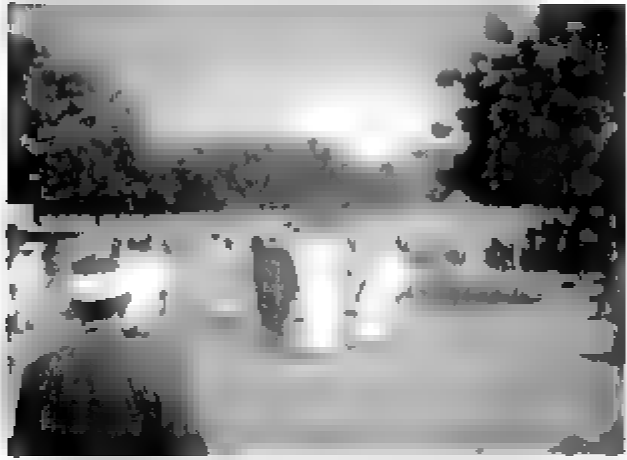
بمدائني بحضور الأخ سعدون مختار مدير الهيئة مراوة وعدد من أمراء المنطقة والجمعيات الإسلامية بالإقليم.

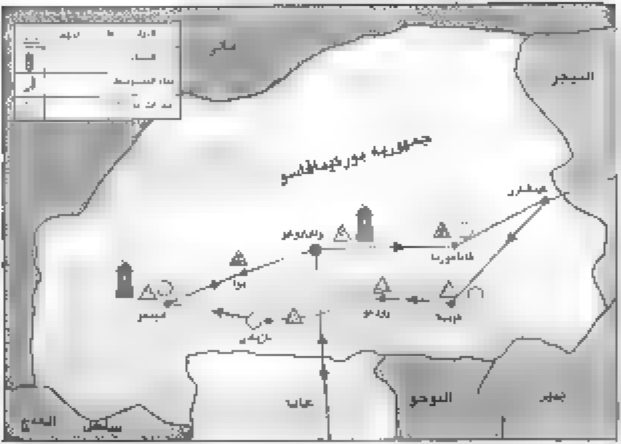
وفي قرية أخرى هي قرية «كودوبره» كان الوفد أيضاً على موعد لافتتاح مدرسة أخرى بمدينة مراوة حيث ازدان موقع المدرسة بفرحة أهالي القرية الذين شاركوا بتقديم لوحات موسيقية تعكس فرحة السكان بهذه الإنجازات.

وفي قرية «جوجو» التي تبعد عن مدينة مراوة بحوالي 200 كلم نظم أبناء المنطقة حفلاً جماهيرياً بمناسبة افتتاح مدرستهم التي [illegible] طويلاً كوجهة لتجمع أطفالهم على مائدة العلم.

والتقى فريق العمل في قرية «ميرو» بمدينة [illegible] بالجماهير المشاركة في افتتاح المدرسة التي أنشأتها الجمعية مؤخراً وسط التجمع [illegible] تيلادية ورؤساء المنطقة وإمام وأهالي القرية وذلك أمام مدرستهم الجديدة التي تعد بحق خير لأن قرية «ميرو» تعد تاريخياً نقطة انطلاق للدعوة الإسلامية فمن هذه القرية انطلقت الدعوة الإسلامية في المناطق المجاورة على يد أميرها الذي [illegible] الإسلام [illegible] العلماء من المسلمين [illegible]

وقد شهد هذا الاحتفال حدثاً جديداً حيث أعلن حوالي عشرين مواطناً إسلامهم أمام وفد الجمعية ونطقوا بالشهادة جماعياً. وفي قرية «[illegible]» التي تبعد 80 كلم عن مدينة «مراوة» احتفل الأهالي بافتتاح مدرسة جديدة لأطفالهم بدلاً من المدرسة القديمة التي كانت عبارة عن مبنى عشوائي





من سيقان الشعير مغطى بسقف القصير. وقد بنى متبرع أهالي القرية للطلاب تساعداً على العملية التعليمية ببناء هذه المدرسة

في مدينة تمالي

تمالي عاصمة المنطقة الشمالية وهي المدينة الخامسة في غانا بعد أكرا وكوماسي وسيكوندي تاكورادي وتيما

وقد قطع الوفد 230 كلم من مدينة بولغاتنغا إلى مدينة تمالي حيث كان على موعد مع افتتاح المدرسة الإسلامية فاطمة الزهراء التي تم تشييدها بجانب مدرسة أخرى بمنطقة بيبي مع مسجد قامت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بترميمه

وفي خطوة أخرى في المدينة زار الوفد مشروع بناء 6 فصول دراسية ومبنى إدارياً بالإضافة الإنساني بتمالي، كما قام الوفد بافتتاح مدرسة التماكرية بمنطقة كبيقني بمدينة تمالي، وهكذا كانت هذه المحطة الأولى لرحلة الغربي

وكما ورد في كلمات وفد الجمعية في أكثر من موقع في هذه المرحلة من الرحلة فإن هذه المشاريع تعتبر السلاح الحقيقي لمواجهة الإرهاب بجميع أشكاله، فكل مشروع مائي يمثل هو خطوة جديدة للقضاء على العطش الحقيقي للإنسانية وكل مستوصف يقام إنما هو خطوة في طريق مواجهة عدوى المرض وكل مدرسة تقام هي خطوة في معركة الإنسان ضد العدو الأكبر الجهل فالعطش والمرض والجهل مثل الثالوث لا يفرق بين أبناء أفريقيا مسلمين كانوا أم مسيحيين ولذلك فإن هذه المشاريع لجميع أبناء أفريقيا دون تخصيص أو تمييز

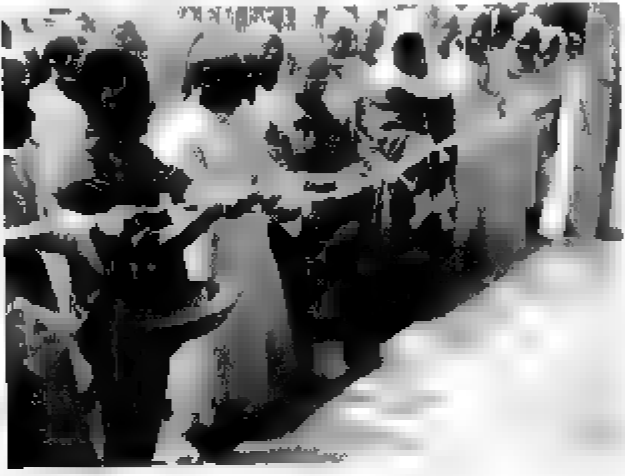
فكل الوعود السحرية التي انتهت لم تغير من واقع الأمر وهو يشعر بحسرة نحو الطفل من الواقع المصري المنفصل تماما عن حياة العواصم المعمرة فالأطفال شبه العراة في القرى الأفريقية المحصورة بحياة الغابات لا يعرفون أن هناك شيئا اسمه السيارة مثلا لأن هذه القرى عاشت مهمشة بعيدة عن إيقاع الحياة العصرية محكومة بقسوة الحياة الاجتماعية والاقتصادية المصاحبة للفقر والجهل والمرض وبذلك فإن عدسة المصورين تقوم في إحدى هذه القرى بتكوين شبه بالانبهار [illegible] ولو قليلا حوائج أقدام عارية لطفل ولد في إفريقيا [illegible] أمه [illegible] المدرسية [illegible]

الإسلامي لأنك ستشاهد من مواقف القنوات [illegible] تحت كل أواني الماء [illegible] سيكون البحر [illegible] وأعمال [illegible] فرصة عودة الحياة وعرض [illegible] العبادة.

ومن مدينة تنالي إلى مدينة [illegible] عن مدينة [illegible] بالمنطقة الحدودية مع بوركينا فاسو [illegible] الوفد [illegible] كلم [illegible] في رحلة العطاء الإنساني إلى مناطق بوركينا فاسو

في بوركينا فاسو

استقل وفد جمعية الدعوة الإسلامية العالمية إلى بوركينا فاسو [illegible] وكان ذلك يوم السبت التاسع والعشرين من الشهر [illegible] نوفمبر ١٥٥ ميلادي





وبعد الساعات الأولى من دخول قافلة الجمعية إلى أراضي بوركينا فاسو زار الوفد موقع مشروع يتم تشييده بمنطقة كومادجي التي تبعد عن واغادوغو نحو 40 كلم يتكون من مسجد وفصول دراسية بمرافقها مع مبنى الإدارة.

وانطلق الوفد على مدى ثلاثة أيام في افتتاح عدة مدارس مع احتفالات شعبية بحضور قطاعات إسلامية من أمراء ومشايخ وأئمة المساجد في كل منطقة وفيها أقيمت فيها هذه المدارس.

وقد شوهدت [illegible] المدارس الإسلامية في عدة مناطق من بوركينا فاسو على مسافات شاسعة تشهد على دراسة احتياجات تلك المناطق للتعليم وهذا ما يمكنك أن تلمسه لا من خلال الكلمات التي ألقيت في الاحتفالات الشعبية التلقائية فحسب بل وفي عيون أولياء الأمور ومسؤولي [illegible] المناطق ولتبدو في عيون الأطفال أيضاً.

وصولا يوم الأحد 26/10/2006 مسيحي تم افتتاح:

- مدرسة سبيل الفلاح بمنطقة دوري التي تبعد عن العاصمة بحوالي 115 كلم
- مدرسة النجاح بقرية بوانتا
- مدرسة هارون الرشيد كفرسيهي بمحافظة كوليسيا
- مدرسة نور الإسلام بقرية [illegible] وهي مدرسة تصل إليها عبر طريق وعر [illegible] بين الأحراش وبيوت القش
- مدرسة نور الإسلام بمدينة بولا شرق بوركينا
- مدرسة الاتحاد الإسلامي بمنطقة كوبيالا



المرأة في المسار

وبما أن بوركينا فاسو تعتبر من البلدان الأكثر حاجة للتعليم كان لاهتمام هذه الثروة الإسلامية كبير حيث تم [illegible] المرأة بشكل واضح عبر تخصيص فصول في كل مدرسة لتعليم [illegible] مهنة الحياكة [illegible] هذه المدارس [illegible] للخياطة والحياكة الملابس.

ومن أهداف هذا المشروع بالمرأة المسلمة في المجتمع البوركيني تم افتتاح مسجد القدس ومركز الخدمات الاجتماعية [illegible] مشروع يضم مسجداً ومصلاً لتعليم المرأة القرآن الكريم والعلوم المتنوعة إلى جانب تعليم [illegible] الحياكة والمهن المناسبة لها.

وفي [illegible] هذا الاهتمام تم [illegible] مركز [illegible] النسوي [illegible] مركز [illegible] يضم فيه [illegible] وسائل [illegible]

وقد أكدت الأخت المحاجة [illegible] رئيسة الرابطة الإسلامية للنساء بوركينا فاسو أن هذا المشروع يدل على اهتمام الجماهيرية العظمى بالمسلمين في بوركينا فاسو خاصة وفي افريقيا عامة.

وقالت إن هذا المركز سيساهم في رفع المستوى الثقافي والمادي والمعنوي للمرأة المسلمة ويجعلها قادرة على الاعتماد على نفسها [illegible] مكانتها في المجتمع الإسلامي كما أنه سيساهم في تثقيف ورفع النساء إلى الدرجة

من الجهود في سبيل الدعوة الإسلامية. وفي هذا الاتجاه ركّز على دور المدرسة ... والصحية الرقي ... قام الوفد بزيارة لمدرسة الإسلامية للتربية والتعليم بمدينة واقيمري شمالاً ... عاصمة الإقليم ... وهي المدينة التي تعد معقل المسلمين حيث يشكل المسلمون فيها ٧٠٪ من عدد سكانها. وكانت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية قد قامت هذه المدرسة وبجانبها المركز المهني الشامل الذي افتتح في وقت سابق ويضم عدة مناشط منها الحياكة والصباغة والنجارة ومصنع صغير للصابون إلى جانب معرض لمنتجات المركز من المشغولات اليدوية التراثية الإفريقية والمفارش الأنيقة.

وفي هذه المدينة قام الوفد بافتتاح عدد من المساجد موزعة على طول الطريق المؤدي إلى مدينة «رحمة الله».

بلدة رحمة الله

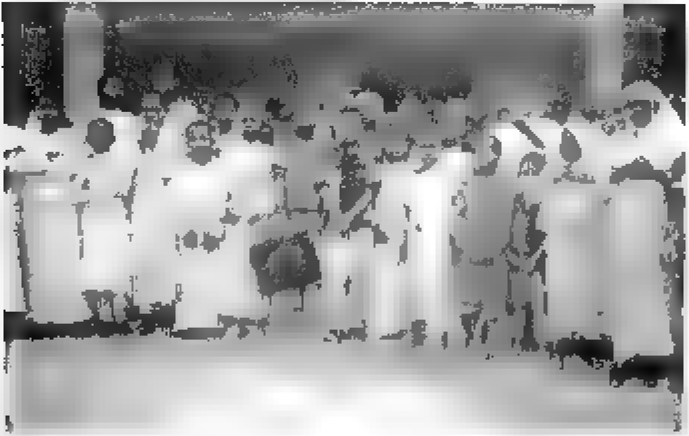
ترتبط بلدة «رحمة الله» بالطريقة التيجانية الصوفية فقد أسسها الشيخ أبو بكر ... الأول عام ... هجرة ... من قومه الوثنيين ولإتاحة الفرصة لنفسه ولأتباعه لعبادة الله وإقامة شعائر الإسلام في البلدة الجديدة التي سماها «رحمة الله» تفاؤلاً بقوله تعالى:

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾

سورة آل عمران الآية ١٠٧

علماً أن إنشاء هذه البلدة جاء مقاومة لإفشال مخطط التحالف الاستعماري الفرنسي مع الملوك المحليين الوثنيين والهادف إلى محاربة ...





مجموعة إسلامية تستهدف نفوذهم وأطماعهم

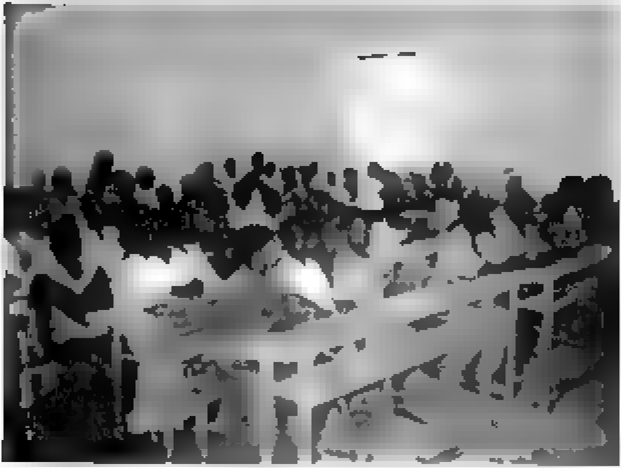
تقع بلدة رحمة الله في إقليم بالقصا شمال بوركينا فاسو على بعد 37 كلم من عاصمة الإقليم والمعنى التي تبعد مسافة 60 كلم عن حدود مالي المجاورة وتبعد عن واغادوغو العاصمة حوالي 270 كلم. والأعجب في الطريق التي تصل إليها أنها تمتد أمامك كثعبان أسود لا ينقطع ولا ينتهي إلا بعد أن تبدو أمامك من بعيد بعيد صومعة مسجد تصبح هي هدف بصرك كلما كبرت كبر بفرحة الوصول. فعندما وصل الوفد إلى مدينة رحمة الله كان الاستقبال حافلاً ومؤثراً

فقد استقبله أعيان البلدة وعلى رأسهم الشيخ أبو بكر مايغا الثاني شيخ التجانية الذي كرمته دورة الفاتح الإسلامية بوسام لدوره الدعوي الكبير وخدمته الإسلام والمسلمين في بوركينا فاسو

وقد تجمع هذا الحشد الكبير لافتتاح معهد الفاتح العظيم لتحفيظ القرآن الكريم وافتتاح قسم التعليم الثانوي بمدرسة مفتاح العلوم.

دعم التعليم العربي

وقد عبّر المتكلمون في هذا الحفل أن إقامة معهد الفاتح العظيم لتحفيظ القرآن الكريم تحقيقاً لطموحات أبناء البلدة والإقليم لأنه يملأ الفراغ الكبير على صعيد التعليم العربي الإسلامي في هذه المنطقة من بوركينا فاسو وأكد الشيخ عبد العزيز مايغا مدير المعهد وأحد قادة العمل الإسلامي في البلدة أن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بهذا العمل البناء تكون قد أضافت لأعمالها الجبارة في شتى أنحاء المعمورة على وجه العموم وفي القارة السمراء على وجه الخصوص



[illegible] طويلاً [illegible] [illegible] [illegible] لأبناء [illegible]
الليبي الحنيف تتيح لأبنائه حفظ كتابه الكريم
والتعرف على علومه وأسراره وحكمه، مشيراً إلى
المنجزات التي قدمتها جمعية الدعوة الإسلامية
العالمية للمسلمين على جميع الأصعدة، مؤكداً بأن
هذه المنجزات تدل على الاهتمام الذي يوليه معمر
القذافي قائد ثورة الفاتح الإسلامية لشعوب
[illegible] على [illegible] وتحقيق ازدهارها والعلم لها
وقال: إن هذه الجماهير المحتشدة في هذه المناسبة
اليوم تعبر عن امتنانها للقائد المسلم معمر القذافي
وتقديرها العالي لإنجاز هذا المعهد وبناء القسم
[illegible]
[illegible]

وألقى الشيخ سليمان [illegible] مدير معهد [illegible]

[illegible] كلمة [illegible] القائد معمر القذافي
لتوجيهاته السامية لجمعية الدعوة الإسلامية
العالمية لخدمة الإسلام والمسلمين. وقال: إن هذا
بلد ورحمة الله نسأل الله أن يوفق القائمين على
هذه الجمعية التي تسير بتوجيه من الأخ القائد
معمر القذافي [illegible] الجمعية الإسلامية
العالمية التي [illegible] [illegible] همه ما يجري في
أفريقيا [illegible] ومحاربة الجهل والجوع والعطش
وألقى الشيخ أبو بكر [illegible] الثاني كلمة عبر فيها
عن فرحته لإنجاز معهد الفاتح العظيم لتحفيظ
القرآن الكريم وقسم التعليم الثانوي اللذين تم
إنجازهما بتمويل من جمعية الدعوة الإسلامية
العالمية

وفي مساء يوم الثلاثاء 10-5 شهد الوفد [illegible]

عدد من أبناء بوركينا فاسو إسلامهم وسط فرحة وحبور

وعلى ذلك وبسمات الإيمان غادر الوفد يوم الأربعاء براً إلى جمهورية النيجر لمواصلة افتتاح مشاريع الخير

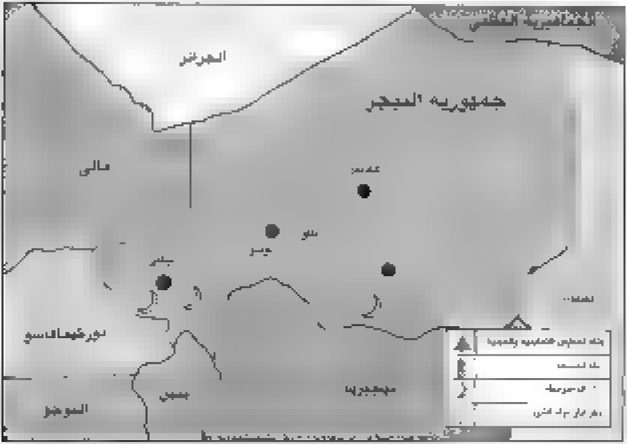
نحو النيجر

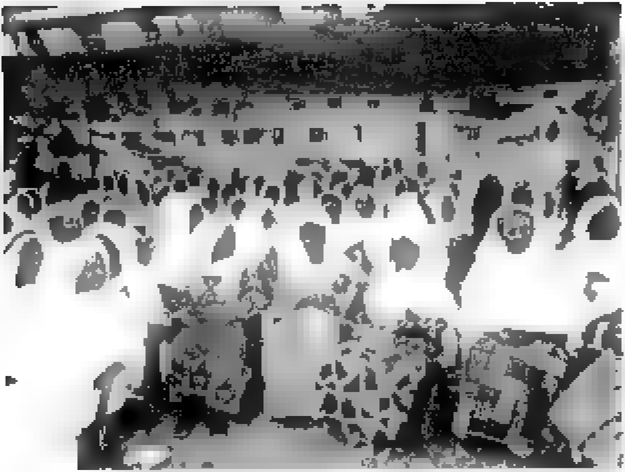
بدأت القافلة رحلتها نحو النيجر في طريق بين الأحراش الصحراوية والرمال الممتدة إلى قرية «كوكشريه» على بعد 25 كلم من العاصمة مستقلة في إيمانها متمسكة بحمد الله.

في هذه القرية تم افتتاح مستوصف «ابن سينا» ومدرسة «عمر بن الخطاب» وسط حشد من أبناء القرية رجالاً ونساء

وكانت الكلمات بسيطة تحمل الحب كله لمن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية وتبحث عن المزيد من فعل الخيرات وفي نفس الدائرة وبقرية «بوزيه» تم افتتاح مدرسة «خالد بن الوليد» بحضور مدير التربية في النيجر ومدير التعليم العربي وإلى جانب المدرسة تم افتتاح مستوصف «ابن الهيثم» وكانت أصوات أطفال المدرسة ترحب بكلمات لم أتبين منها إلا (ليبيا) و(النيجر) ولقد حاولت أن أصغي لأفهم ما يقولون دون جدوى وأرجعت عجزي إلى أن أصواتهم كانت تختلط بأصوات الطبول. أحد الذين كانوا يحضرون الاحتفال لاحظ حيرتي فهمس في أذني إنهم يقولون «ليبيا والنيجر ...»

كان الشريط يطوي جزءاً من اليوم فهو يمضي





الجهد المتبقي مع أبناء أفريقيا في احتفالاتهم ويبلغ الظلام جزءاً من عودة القافلة إلى قواعدها.

وفي يوم الجمعة الثاني من الحرث نوفمبر بدأت القافلة يوماً جديداً من رحلتها بزيارة مدرسة معاذ أقامتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بجنب فرع لجمعية البعث بجمعية مدني الإسلامية ومع رابطة المرأة المسلمة بالنيجر.

ومن هذه الزيارة انطلقت القافلة إلى مدينة دكوناء التي تبعد عن نيامي 25 كلم حيث كان عدد المواطنين ينتظرون حول شيخ الطريقة التيجانية في استقبال أعضاء القافلة.

وفي صلاة الجمعة رأيت عدداً كبيراً من البعثة الأزهرية التي تعمل في هذه القرية.

وبعد الصلاة احتشد الناس بمطالبهم الإسلامية وقياداتهم الدعوية بالاحتفال بإضافة 6 فصول إلى معهد عمر جوتا وافتتاح مدرسة أبو بكر الصديق.

إلى بنين

ومن كوتا إلى دوسو وإلى قاب ومنها إلى ماي نيلي وكاندي حيث الحدود البينينية وبعد رحلة بين والشمس الحالكة بتنا في كاندي حتى نستطيع أن نمضي في الصباح الباكر إلى مدينة بيرواري البينينية لتفتتح القافلة مدرسة من ثلاث فصول.

وعلى بعد 15 كلم من مدينة كاندي كانت هناك قرية نيكي «NIKKI» حيث تم افتتاح مدرسة ذات 6 فصول وبجانب القافلة في رحلة العودة

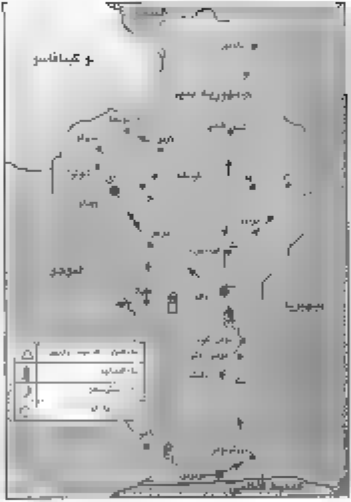
على أنقاض أقدام الأطفال وهي تهرول نحو هذه المدرسة الجديدة

وكان لا بد أن نزور تلك المدينة في بلده التي بنته به جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

ومررنا نحو مدرسة دبار كو حيث ومستوصف العالم الذي شيدته الجمعية لأبناء هذه المدينة

وفي يوم الأحد ١٤/١ سارت القافلة مبتعداً بين حقول القطن إلى منطقة بوكوف بمحافظة بورغو شمال بنين حيث حفرت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بئراً يمد القرية بالمياه

وأيضاً وبين الطرق الضيقة الملتفة بين الأحراش ممشى قرية Kom Koma كانت حاجة هذه القرية للمياه شديدة فتم حفر بئر لأهلها ليساعدهم على تخطي أزمة مياه الشرب



لتصل إلى قرية بيريري Perere بمحافظة بورغو (Borgou) البنينية حيث أقامت الجمعية مدرسة جديدة بثلاث فصول.

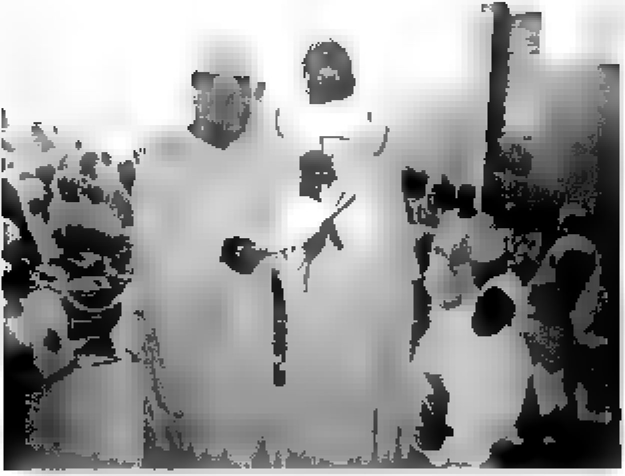
ولا تحدثت عن الاحتفالات التي واكبت هذه الفعاليات فقد كان أبناء هذه القرى يغنون ويصفقون ويعبرون أن تلك المحافظة ترابا كل مسلميه وعبرت كل هذه الكلمات عن الفرحة الغامرة بوجود هذه المدرسة أو تلك تعبيرا عن قيام جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بهذا الجهد إنما يحكي ما توليه من اهتمام لأبناء أفريقيا ومستقبلهم وفي نفس القرية بيريري تم افتتاح مدرسة أخرى بمنطقة دغبيا غوروجاه، حيث كانت الموسيقى الأفريقية الشعبية تصاحب الراقصين

بين المسجد

وعبر طرق متعرجة بمدينة دبار كو كان الهدف هذه المرة صاحبة من هذه المدينة يتبع به سجن؛ كان تلاحف يعج بالشباب المسلم الذي قادته الخطا إلى الخطيئة

وداخل السجن التقى السجناء بأعضاء القافلة داخل مساحة يتخذها السجناء المسلمون كمسجد للصلاة، كانت الجمعية قد جهزتها بما يقي المصلين حرارة الشمس وحرارة الأمطار

ولم تكن مطالب السجناء معقدة، فقد انحصرت في أواني للوضوء، ولوحة شمسية على



الدراسة وملابس تغطي جلودهم

وفي محطة (باراكو) أيضاً وبقرية [illegible] تم افتتاح مدرسة

وبقرية جونلرو (Goonlerou) بمديرية بن كرنم افتتاح مسجد [illegible]

وبقرية فيارو (Fiarou) افتتح بئر [illegible] ثم سارت القافلة إلى مدينة ناتيتنغو (Natitingou) في الشمال الغربي من بنين وتبعد عن العاصمة بحوالي 700 كلم، حيث تم افتتاح مستوصف

وفي يوم الاثنين 5/11 سارت القافلة متجهة نحو مدينة (جوقو) التي تبعد حوالي 75 كلم عن ناتيتنغو حيث زارت القافلة مشروع بناء مدرسة سلامية ذات 6 فصول

وعلى بعد 88 كلم من (جوقو) كانت هناك مدينة باسيلا (Bassila) كان خبر وصول القافلة الى المدينة قد وصل قبلها فقد وجدنا على الطريق رجالا ونساء على دراجات نارية يتقدمهم قادة [illegible] في المدينة

سعدية

كان من بين الذين استقبلونا في الطريق سيدة افريقية ذات ملامح رقيقة تحمل دائماً معها ابتسامة جميلة [illegible] هذه السيدة تدعى سعدية هذه (السعدية) هي التي سعت يوماً (قاطعة الدراسة والاختيار على (موتوسيكل) [illegible] الحدود البنينية التوجولية تقنع أطرافاً بأن يحضروا إلى باسيلا لأنها في حاجة إليهم

ونتيجة لجهود هذه السيدة تم افتتاح مركز

النادي الاجتماعي التربوي، ويتكون من مسجد و٥ فصول دراسية في عدة مديريات. تتركك إلى طريق ترابي طويل غير معبد إلى حدود التوغو دون أن تشعر أن هنالك ما يشير إلى فاصل سوى أن سحابة قالت لنا: موعدكم الآن لنعود إلى بنين.

التوغو

بشمال التوغو حيث منطقة سيكوني التي تضم مدن تشامبا، وباغيلو، وكارا، وبسار. ففي مدينة تشامبا التي تمتلئ بالمساجد مما يوحي بالوجود الإسلامي المكثف بها [illegible] زارت القافلة المعهد الجديد لمنظمة رعاية المرأة المسلمة في تشامبا، وكذلك مستوصف تشامبا، وأيضاً المعهد الثانوي الإسلامي ذو ٨ فصول.

وفي يوم الثلاثاء ١١/٥ كان أعضاء القافلة على موعد مع مدينة باغيلو حيث تم افتتاح مركز التدريب المهني ويضم أقساماً للنجارة والخياطة والحاسب الآلي. وفي نفس الدائرة تم افتتاح مستوصف باغيلو. وقد أقيم المشروعان داخل باحة المدرسة الإسلامية بباغيلو.

وفي مدينة كارا Kara تم افتتاح مشروع آخر مكون من مسجد و٥ فصول. وفي مدينة بسار زارت القافلة مشروع بناء مدرسة بها.

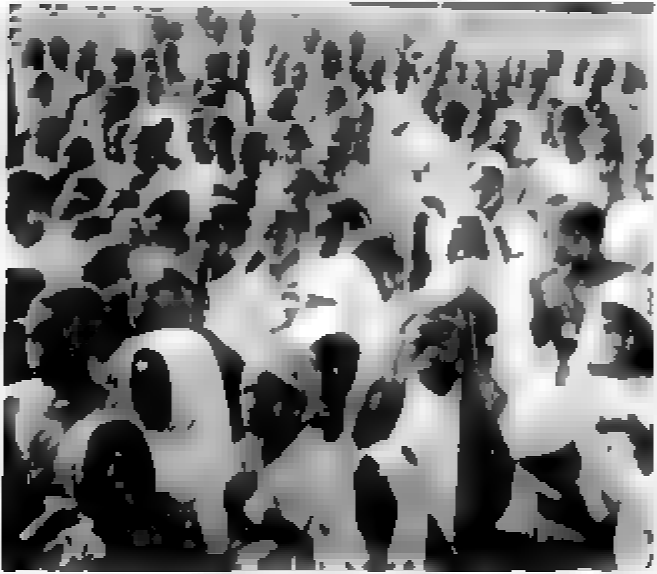
عودة إلى بنين

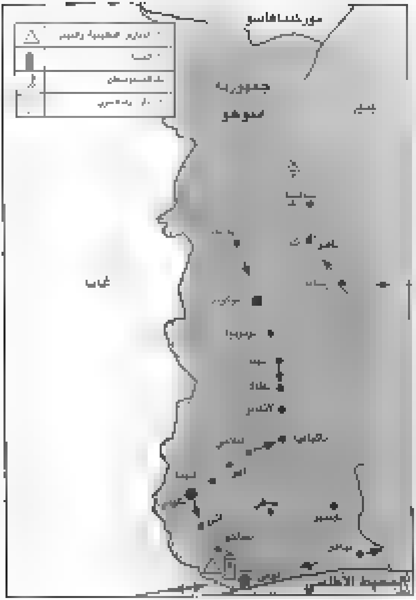
من [illegible] كسب الوقت نحلق شمال التوغو من الشمال الليبي ولكن على الجنوب البنيني كانت العودة حيث عادت القافلة إلى بنين لتجد بعد الخروج من الأراضي التوغولية مباشرة مدينة جيلاغنجي Glazoué ... Hila Condji بمحافظة [illegible] حيث يوجد مشروع للهيئة الخيرية يتكون من مسجد ومدرسة. وعلى بعد خمسين كيلومتراً من كوتونو عاصمة بنين [illegible] أعضاء القافلة مسجد بمنطقة ويداه تمت صيانته بالكامل من قبل الجمعية.

بوابة اللاعودة

وما إن نقترب من كوتونو تقف أمام شاهد على جريمة نكراء ارتكبها البيض الغزاة في حق أبناء أفريقيا، تلك التي قام فيها تجار الرقيق يوماً من الأيام الغابرة بخطف أبناء أفريقيا في سفن نحو







من الأيام ليرسم صورة الوعد الأفريقي القادم

وجاء الاحتفال غنياً بالمعاني بمشاركة بعض طلبة الرقص مع آخر القصص.

وفي يوم السبت 15/10/2001 مسيحي، قام أعضاء القافلة بزيارة لمقر معهد اللغة العربية والثقافة الإسلامية الذي أنشأته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية داخل جامعة بنين، وافتتح عام 1999 مسيحي ويضم طلبة من دول غرب أفريقيا حيث يمنحهم التخرج بدرجة ليسانس.

كما قام الوفد في اليوم ذاته بافتتاح مدرسة بمدينة (أعوي) بمحافظة (موبا) بنين ذات 5 فصول.

عودة للتوجو

ومن جديد عادت القافلة إلى التوجو كيلا للعطلة جديدة يكون لأعضائها لقاء مع افتتاح مسجد الهداية بالعاصمة لومي ومعه عدد من الفصول الدراسية كان ذلك اليوم هو الأحد 18/11/2001 مسيحي.

هذه هي الرحلة

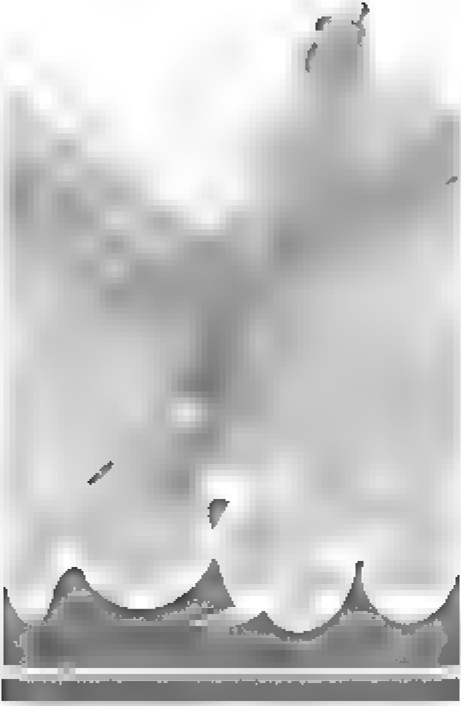
وتلك النتائج.

واليوم بعد مضي سنوات على هذه الرحلة وتلك النتائج، هل يا ترى ما زالت الأشياء على حالها؟

هل بقيت المدرسة مدرسة؟

هل عرفت الديانات وعمقها أم أنها تحولت إلى شيء آخر

هل مسؤولية أبناء تلك القرى الذين كانوا في حاجة إلى مدرسة ومسجد لتحقق ما يريدون بعون الله، وعلى أن يحافظوا على ما تحقق حين كانوا ينتظرون.



- من أسس التسامح في الإسلام
- تسامح الإسلام في عيون مفكرين غربيين

من أسس التسامح في الإسلام

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [سورة البقرة - الآية 256]

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون - الآية [illegible]]

﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس - الآية 99]

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [سورة الفرقان - الآية 63]

﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [سورة فصلت - الآية 34]

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ [سورة النحل - الآية 90]

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [سورة النساء - الآية 125]

﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [سورة البقرة - الآية 237]

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [سورة آل عمران - الآية 134]

﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة التغابن - الآية 14]

التطبيق العملي لدستور التسامح

• عن زاذان أبي عمر قال: أتيت ابن عمر وقد أعتق مملوكًا قال: فأخذ من الأرض عودًا أو شيئًا فقال: ما فيه من الأجر ما يسوى هذا، إلا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه».

أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، باب صحبة المماليك)

• كان سهل بن حنيف وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية فمروا عليهما بجنازة فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض، أي من أهل الذمة، فقالا: إن النبي ﷺ مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: «أليست نفسًا؟».

متفق عليه

• قال أبو مسعود البدري: كنت أضرب غلامًا لي بالسوط فسمعت صوتًا من خلفي: «اعلم أبا مسعود» فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: «اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود». قال: فألقيت السوط من يدي، فقال: «اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام». قال: فقلت: لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا.

أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، باب صحبة المماليك)

- عن العرباض بن سارية السلمي قال: نزلنا مع النبي ﷺ خيبر ومعه من معه من أصحابه، وكان صاحب خيبر رجلاً مارداً منكراً، فأقبل إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، ألكم أن تذبحوا حمرنا، وتأكلوا ثمرنا، وتضربوا نساءنا؟ فغضب يعني النبي ﷺ وقال: يا ابن عوف، اركب فرسك ثم ناد: ألا إن الجنة لا تحل إلا لمؤمن، وأن اجتمعوا للصلاة. قال: فاجتمعوا، ثم صلى بهم النبي ﷺ، ثم قام فقال: «أيحسب أحدكم متكئاً على أريكته قد يظن أن الله لم يحرم شيئاً إلا ما في هذا القرآن، ألا وإني والله قد وعظت وأمرت ونهيت عن أشياء إنها لمثل القرآن أو أكثر، وإن الله عز وجل لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن، ولا ضرب نسائهم، ولا أكل ثمارهم إذا أعطوكم الذي عليهم».

أخرجه أبو داود في سننه

كتاب الخراج والإمارة، باب تعشير أهل الذمة

- قال ابن وهب: حدثني أبو صخر المدني أن صفوان بن سليم أخبره عن عدة من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ عن آبائهم دنية عن رسول الله ﷺ قال: «ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة».

أخرجه أبو داود، كتاب الخراج، باب في تعشير أهل الذمة

- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ألا من قتل نفساً معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً».

أخرجه الترمذي

كتاب الديات، باب ما جاء فيمن يقتل نفساً معاهدة

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها، فجيء بها فقيل: ألا نقتلها؟ فقال: «لا». فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ.

متفق عليه

- عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره في أي الحور شاء».

أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب الحلم

خطاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى مالك الأشتر النخعي

ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضى، فإن في الصلح دعة لجنودك، وراحة وأمناً لبلادك... وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة، أو ألبسته منك ذمة، فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت، فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء... فلا تغدرن بذمتك، ولا تخيسن بعهدك، ولا تختلن عدوك، فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي... ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل، ولا تعولن على لحن القول بعد التأكيد والتوثقة، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته، وأن تحيط بك من الله فيه طلبة لا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك.

من عظمة الإسلام وسماحته كتاب الأمان الرائع الذي كتبه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لأهل إيلياء (بيت المقدس) وهذا نصه

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تُسكنُ كنائسهم ولا تُهدم، ولا يُنتقصُ منها، ولا من حيزها، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يضارُ أحدٌ منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحدٌ من اليهود لسلوكهم الشجن ونقضهم المواثيق والعهود. وعلى أهل إيلياء أن يُعطوا الجزية كما يُعطي أهل المدائن، وعليهم أن يُخرجوا منها الروم واللصوص. فمن خرج منهم فهو آمنٌ على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أحب من أهل إيلياء أن يخرج معهم يسير بنفسه وماله مع الروم ويُخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم. ومن شاء منهم قعد ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيءٌ حتى يُحصد حصادُهم. وعلى ما في هذا الكتاب عهدُ الله وذمةُ رسوله وذمةُ الخلفاء وذمةُ المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية. شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان. كُتب سنة 15 هجرية

(تاريخ الطبري ج3 [illegible] أحداث سنة 15)

تسامح المسلمين في معاهداتهم

معاهدة المسلمين مع أهل جرجان

هذا كتابٌ من سويد بن مقرّن لرزبان صول بن رزبان وأهل دهستان وسائر أهل جرجان، إن لكم الذمة وعلينا المنعة على أن عليكم من الجزاء في كل سنة على قدر طاقتكم، على كل حالم، ومن استعنا به منكم فله جزاؤه في معونته عوضاً من جزائه. ولهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم ولا يُغيرُ شيءٌ من ذلك هو إليهم ما أدوا وأرشدوا ابن السبيل ونصحوا وقروا المسلمين ولم يبدُ منهم سلٌ ولا غلٌ.

من تاريخ جرجان لأبي القاسم السهمي ص[illegible]

معاهدة المسلمين مع أهل أذربيجان

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عتبة بن فرقد عاملُ عمر بن الخطاب أهل أذربيجان سهلها وجبلها وحواشيها وشفارها وأهل مللها كلهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقاتهم. ليس على صبي ولا امرأة ولا زمن ليس في يديه من الدنيا شيءٌ لهم، ذلك ولمن سكن معهم وعليهم قرى المسلم يوماً وليلة ومن حُشر منهم في سنة وُضع عنه جزاءُ تلك السنة ومن أقام فله مثلُ ما لمن أقام من ذلك، ومن خرج فله الأمن حتى يلجأ إلى حرزه

من مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة لمحمد حميد الله ص [illegible]

تسامح الإسلام في عيون مفكرين غربيين

غوستاف لوبون Gustave Lebon

والإسلام من أكثر الديانات ملاءمة [illegible] [illegible]

من كتاب غوستاف لوبون

حضارة العرب

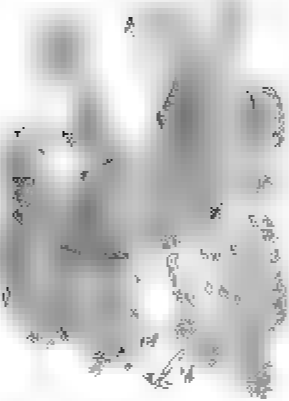
توماس أرنولد Thomas Arnold

[illegible]

من كتاب توماس أرنولد

الدعوة إلى الإسلام



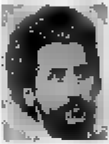


درابر Draber

يقول العلامة درابر الأستاذ في جامعة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية في كتابه (المنازعة بين العلم والدين): إن المسلمين الأولين في زمن الخلفاء لم يقتصروا في معاملة أهل العلم من النصارى النسطوريين ومن اليهود على مجرد الاحترام، بل فوضوا إليهم كثيراً من الأعمال الجسام، ورقّوهم إلى المناصب العالية في الدولة، حتى إنَّ هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت إشراف حنا بن ماسويه (يوحنا بن ماسويه)، وكانت إدارة المدارس مفوضة إلى النسطوريين تارة، وإلى اليهود تارة أخرى، ولم يكن يُنظر إلى البلد الذي عاش فيه العالم، ولا إلى الدين الذي وُلد فيه، بل لم يكن يُنظر إلا إلى مكانته من العلم والمعرفة.

نقلاً عن كتاب (الإسلام والنصرانية) للشيخ محمد عبده ص 15)

العالم جولدتسيهر Ignaz Goldziher



« ولكن مسألة واحدة من هذه المسائل الفرعية يجب عليَّ أن أذكرها لأهميتها من ناحية معرفة الروح العامة لهذا العصر الأول، ذلك أنه مما لا يمكن إنكاره أن الأوامر التنفيذية التي وُضعت للفاتحين المسلمين إزاء أهل الكتاب المغلوبين لهم كانت قائمة على روح التسامح وعدم التعصب. ومن الحق أن يُشاهد اليوم مما يجب أن يكون تسامحاً دينياً في علاقات الحكومات الإسلامية، وبعد ظهور هذا التشريع في الإسلام في كتب الرسالة في القرن الثامن عشر يرجع إلى ما كان في النصف الأول من القرن السابع من مبادئ الحرية الدينية التي سُمحت لأهل الكتاب في مباشرة أعمالهم الدينية. وروح التسامح في الإسلام قديماً وهي الروح التي اعترف بها المسيحيون المعاصرون أيضاً كان أساسها في القرآن.

ولقد جاءت الأخبار عن السنين العشر الأولى للإسلام بشكل التسامح الحقيقي للخلفاء إزاء أهل الأديان المختلفة، وكيف أنهم كانوا يوصون في وصاياهم للفاتحين بالتعاليم المتسامحة. وكما أن مبدأ التسامح كان يجري في الأعمال الدينية، فكذلك من جهة أخرى كان يُرى عن قصد فيما يتعلق بالمعاملات المدنية والاقتصادية بالنسبة لأهل الكتاب، مبدأ الرعاية والتساهل، فقد كانت لهم الذمة، وهم أولئك الذين يحتمون بحمى الإسلام من غير المسلمين، كان يُعدُّ شخصية وتعدياً على الشريعة.»

نقلاً عن كتاب جولدتسيهر (العقيدة والشريعة)



- [illegible]
- علم النفس الشخصي

تاريخ مسلمي صقلية

بعد طول حرمان أصبح في وسع القارئ العربي، أخيراً أن يطلع على هذا العمل التاريخي المهم الذي تولى الناشر الفلورنسي فيليتشي لي مونييه إصدار نصه الأصلي فيما بين سنتي 1854/1872 للميلاد، كما تولى في السنة المنصرمة 2003 للميلاد إصدار الترجمة العربية التي نحن بصدد تقديمها اليوم والتي باشر إنجازها في سنة 1935 للميلاد نخبة من الأساتذة المصريين المتخصصين في اللغة الإيطالية وآدابها، علماً بأنها جاءت في ثلاثة مجلدات تحتوي في جملتها على ألف وتسعمائة وخمسين صفحة من القطع المتوسط.

كان ميكيلي أماري من أبناء صقلية الأقحاح المخلصين ويعتبر من أعلام الاستشراق الذين أنجبتهم إيطاليا وتفتخر بهم وبمآثرهم.

وقد ولد بعاصمة الجزيرة في السابع من شهر يوليو سنة 1806 للميلاد إبان خضوع صقلية تحت نير البوربون. لقد رباه أبوه فاسمي تربية غرس فيه روح القومية حقداً دافقاً للمحتلين نالت على فساد حكمهم واستبدادهم.

وحين بلغ ميكيلي شيئاً من الرشد وقسطاً من النضج الفكري تحرك الوضع المؤلم الذي آل إليه وطنه الغالي.

ورغم تواضع أسرته وضعف مواردها الاقتصادية نال قسطاً وافراً من العلم والمعرفة وسرعان ما تشرب مبادئ الفلسفة المادية التي تستمد أصولها من مذهب التنوير، كما اعتنق فكرة استقلال صقلية عن جنوب إيطاليا وذلك في إطار دولة تتمتع بكامل الحرية.

ثم تدرج في سلك الوظائف وعكف على دراسة تاريخ جزيرته الحبيبة ولم يلبث أن أصدر مؤلفاً فيه طبعت سنة 1842 أولى نسخه التاريخية المتضمنة للأحداث التي تم فيها صقلية فصحبت ونكبتها أثارت جام غضب السلطات البوربونية الحاكمة حينئذ. ولتجنب عواقب بطش هذه السلطات قرر الابتعاد متوجهاً إلى منفاه في باريس حيث ساعده بعض الأصدقاء على إعادة نشر قصته الشهيرة المذكورة.



تأليف: ميكيلي أماري

عرض: علي الصادق حسنين

وبالنظر إلى قناعته الراسخة بأهمية عهد الحكم الإسلامي في صقلية عقد النية في أثناء إقامته بالعاصمة الفرنسية على التفرغ لدراسة لغة الضاد والعمل على اقتناء المخطوطات والآثار

العربية الصقلية وغيرها من المواد الأخرى وذلك تمهيداً لتأليف «تاريخ مسلمي صقلية» كمقدمة لتاريخ عام للجزيرة كان عاقد العزم على تدوينه.

هذا وحري بالتنويه أن نشاطه العلمي لم يشغله من الإسهام ولو عن بعد في حركة النهضة وطنه الأكبر «إيطاليا». وقد بقي في باريس إلى أن اندلعت في «باليرمو» ثورة سنة 1848م التي انضم هو أيضاً إليها وكان في طليعة مسؤوليها. ولما باءت هذه الثورة بالفشل اضطرت إليه مباحثها بالتوجه إلى باليرمو حيث تولى مهام مختلفة. وقد أوفد من هناك إلى باريس ولندن في مهمة دفاع عن الثورة التي فجرها الوطنيون الصقليون في ربوع الجزيرة.

وبعد أن تحققت الوحدة الوطنية عاد هذا العالم إلى إيطاليا وتبوأ كرسي التاريخ واللغة العربية في بادئ الأمر بجامعة بيزا ثم في جامعة فلورانسا.

واستأنف بعد ذلك نشاطه السياسي وعين وزيراً وعضواً بمجلس الشيوخ. وظل يشغل منصب السيناتور إلى أن وافته المنية في 16 يوليو 1889م. إذ كان لا يزال يبذل جهوداً مهمة ويشارك في سبيل إصدار مصنفه في طبعة ثانية قدر لها أن تخرج بعد وفاته مع العلم بأن كثيراً من أعماله الأخرى ما برحت تنتظر النشر.

ولم يمض وقت طويل على استشهاد سالم المصرية حتى تقلبت الأحوال وساءت الظروف فاضطر أماري إلى العودة إلى منفاه في باريس حيث انقطع عن النشاط السياسي واستأنف دراساته وأبحاثه العلمية وانكب على مواصلة التأليف وأخذ يتابع طبع أجزاء مصنفه الذي ساهم بشكل مباشر في إثبات مدى صدق قول المؤرخ الأستاذ فرانكو كارديني: «بمدى ما تدين به أوروبا للإسلام من أسبانيا إلى صقلية وحتى بلاد البلقان وهو تاريخ عربي وإسلامي معاً. فلا يمكن إذن اعتبار الإسهام العربي في تكوين الهوية الأوروبية إسهاماً عارضاً وهامشياً، بل هو إسهام جوهري بناء بشكل حقيقة تاريخية علينا أن نتذكرها دائماً وأن نستوعبها. فهي علية أساسية في حياتنا الثقافية وفي بناء مستقبل قائم على السلام والإخاء بين شعوب البحر الأبيض المتوسط» إلى هنا ينتهي كلام الأستاذ كارديني.



والكتاب يعتبر ذو قيمة علمية عالية يقدرها المشتغلون بالتاريخ الإسلامي وهو يقع في ثلاثة مجلدات:

- المجلد الأول: ويتكون من مقدمة وكتابين (الأول والثاني).
- المقدمة: وتحدث فيها أماري عن تطور دراسات التاريخ الإسلامي بشكل عام وعن صقلية بشكل خاص وقد استعرض في المقدمة أعماله في مشروعه الكبير الذي يتصل بالمكتبة العربية الصقلية والخارطة الجغرافية المقررة والأبحاث التي ينتوي إجراءها في المستقبل. كما استعرض المؤلف المصادر العربية والبيزنطية واللاتينية التي اعتمد عليها في كتابه الكبير هذا.
- الكتاب الأول: ويتكون من عشرة فصول.
- عالج المؤلف في الفصل الأول تاريخ الحكومات

الأسبانية في صقلية والصلة الإسلامي والنورماني، كما عالج موضوع تدهور صقلية تحت حكم الروم، وأحوال البلاد في القرون الثلاثة ما قبل الميلاد، ثم أحوالها في القرون الوسطى السنة الأولى بعد الميلاد.

وفي الفصل الثاني تطرق الى بواكير المسيحية في الجزيرة وأثر الكنائس الإيطالية عليها.

وفي الفصل الثالث، تحدث أستاذي عن شبه الجزيرة العربية والقبائل التي كانت تعيش فيها ونظامها السياسي والديني وأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية وما كان يسود فيها من عادات ومثل. وفي هذا الفصل تحدث عن بواكير البعثة المحمدية وحياة محمد ﷺ ومبادئ العقيدة التي جاء بها ومصادرها من القرآن الكريم والسنة وتطرق الى أحداث إسلامية مشهورة كالهجرة والغزوات، ثم الفتوحات في عهد الخلفاء.

وفي الفصل الرابع ناقش بواكير وصول المسلمين الى صقلية وفسر اسم السراسنة الذي كان يطلق على المسلمين.

وفي هذا الفصل تكلم عن الغزوات الصليبية لفتح صقلية.

وفي الفصل الخامس تكلم عن أحوال شمال أفريقيا وأصول البربر والفتوحات التي تمت في شمال أفريقيا على يد عقبة بن نافع وموسى بن نصير.

وفي الفصل السادس تكلم عن نظام الحكم في البلاد المفتوحة على يد المسلمين والأسر التي تعاقبت على حكم تلك البلدان.

وفي الفصل السابع تحدث عن اجتياح صقلية والهجوم على سرقوسة.

وفي الفصل الثامن ناقش المؤلف الحياة السياسية في إيطاليا أثناء فتح صقلية.

وفي الفصل التاسع تحدث الباحث عن أحوال صقلية تحت حكم الأمير الأغلبي وتشكيل إدارة الدولة ومؤسساتها في تلك الحقبة.

وفي الفصل العاشر عرض الباحث معاهدات حكام الجزيرة مع عرب أفريقيا والغارات المتتابعة على شواطئ صقلية.

• والكتاب الثاني من المجلد الأول يقع في اثني عشر فصلاً.

ناقش في الفصل الأول أسباب ثورة أوفيميو وفقد الروايات التاريخية المتعلقة بتلك الأحداث.

وفي الفصل الثاني تحدث عن أسد بن الفرات فقيهاً وقيادته لجيش الفتح، وطلب أوفيميو المساعدة من أفريقية.

وفي الفصل الثالث تكلم عن الغزو من مازارا وانتصار أسد والسير نحو سيراكوزا ومحاصرتها، ثم رفع المسلمين الحصار عنها وتعرض لمقتل أوفيميو بعد أن حكم قسطنطين وحصار بالرمو واستسلامها.

وفي الفصل الخامس تكلم عن مصير بعض المدن واستسلامها مثل بلاتاني وكورليوني وجرجنتي وما أبرم من معاهدات مع الأهالي.

الفصل السادس وفيه تحدث عن العود من مسيني صقلية وأقطارها سعياً لمحاصرة مسينا ثم اقتحام مسينا وأليسيا والاستيلاء على سرقوسة وهزيمة الجيش البيزنطي وخضوع كورد ووفاة الأمير بني الأغلب، وهزيمة الأسطول الإسلامي في بحار كريت، ثم الاستيلاء على كاستروجوفاني.

الفصل السابع، وفيه الاستيلاء على سرقوسة وهزيمة قوات فيسيسا ويعرض هذا الفصل بجملة من المدن الأخرى.

وفي الفصل الثامن يتحدث المؤلف عن معارك في البحر الأدرياتيكي وحصار باري.

وفي الفصل التاسع يتعرض الكاتب في إشارات سريعة لانتصارات المسلمين على البيزنطيين، واحتلال سيراكوزا، وما حدث من مجاعة وزباء.

وفي الفصل العاشر يتعرض الكاتب لمؤامرات قصر بالِرمو، ولتمرد البرهان الناس لعائلة الفاطميين، وبعض الهجرات الإسلامية والمسيحية التي حدثت في كلتا توتورو، وما حدث من حرب أهلية بين العرب والبربر في صقلية، وتحدث المؤلف أيضاً عن أسر محمد بن إبراهيم قائد مسلمي صقلية وشعره.

وفي الفصل الحادي عشر تحدث المؤلف عن أحوال إمبراطوريات الشرق والغرب وسلطة البابا يوحنا الثامن، والمعارك التي حدثت في كالابريا، وبوية ومؤامرة البابا ضد دوق نابولي، واتفاق المسلمين عدداً.

وفي الفصل الثاني عشر يتحدث الكاتب عن أحوال المسيحيين في صقلية وعلاقاتهم المختلفة مع المنتصرين عليهم، واحتلال الجزيرة، وتقسيمها إلى ثلاثة ولايات، وظروف المسيحيين المختلفة والمدن المستسلمة بسهولة وقواعد الشرطة المدنية، كما تطرق إلى العهد العمري، وهو الأمان الذي أعطاه عمر بن الخطاب لأهل بيت المقدس، ويعد الفصل فيه الكثير من المؤاخذات التي تحتاج إلى تصويب.

- المجلد الثاني من كتاب تاريخ مسلمي صقلية يتضمن الكتابين الثالث ويحتوي على أحد عشر فصلاً، والرابع ويحتوي على خمسة عشر فصلاً ويجمع هذه الفصول تعالج الحياة المدنية والسياسية والدينية والاقتصادية بعد فتح الجزيرة، وكذلك الحياة المدنية وموضوعاتها المختلفة، ولعل الفصل الرابع عشر من الكتاب الرابع أهم ما كتب عن الحياة العلمية والثقافية في جزيرة صقلية في تلك الحقبة، حيث تحدث عن أعلام الفقه، والقرآن واللغة، والأدب، والشعر.
- والمجلد الثالث من كتاب (تاريخ مسلمي صقلية) يتكون من كتابين الخامس ويحتوي على عشرة فصول، والسادس ويحتوي على ثلاثة عشر فصلاً ويحتوي المجلد الثالث في آخره على فهارس الأعلام والأماكن والبلدان ويعد هذا المجلد الأخير من كتاب (تاريخ مسلمي صقلية) من أهم مجلدات الكتب الثلاثة لاحتوائه على قدر هائل من المعلومات، لا سيما تلك التي لا يمكن العثور عليها في المصادر العربية.

وأخيراً فإن كتاب (تاريخ مسلمي صقلية) موسوعة تاريخية حقيقية تفخر بها المكتبة العربية والاستشراقية معاً، والكتاب لا يخلو من بعض العيوب المنهجية التي لا تقلل من شأن الكتاب، كالإفراط في الاعتماد على المصادر غير العربية، لا سيما عند اختلاف الروايات للواقعة الواحدة بالإضافة إلى أنه كان أحياناً يملأ بعض الفراغات عند قلة المعلومات المتعلقة بالمسألة التي يطرحها اعتماداً على افتراضات وتخمينات شخصية، فقد كتب عن مسألة تحدث عن مسألة الجزية وأحكام المسلمين في الجزيرة مفترضاً أن ما أجري على سكانها هو عين ما أجري على سكان البلدان المفتوحة في المشرق الإسلامي.

هذا عرض سريع لكتاب انتظرت ترجمته طويلاً، فهنيئاً للباحثين العرب صدوره، وهنيئاً لمن قام على ترجمته ونشره، فإنهم بذلك قدّموا خدمة جليلة للتاريخ الإسلامي.

علم النفس الشخصي

كتاب عنصري يتهم المسلمين بأنهم يولعون على العنف

بقلم: د. عبد الله محمد الزيات *

مضى على خروج هذا الكتاب لأول مرة وقت ليس بالقصير، إذ حدث ذلك في بدايات العام 1997 مسيحي، ولم يطفُ سجل فضيحته إلا في عام 2001م بوصول الكتاب (علم النفس الشخصي) (La Psicologia Personal). أما مؤلفه فهو الأستاذ الدكتور خيسوس كنتخلات فرنانديث الذي اشتكى طلاب السنة الثالثة في كلية التربية بجامعة الكمبلوتنسي منه عندما اكتشفوا أن الكتاب الذي كان يعتمد عليه ويحمله في دروسه التي يقدمها لهم يحتوي على أغراض ذي طابع عنصري تمييزي ضد المرأة. وكان الأستاذ قد دافع في هذا الكتاب عن أمور كثيرة منها الشخصية الجامدة للإنسان المحافظ مقابل الطابع المتقلب وعند الباحث: بل سريع التقلب والمتناقض للإنسان التقدمي.

كما وجدت في هذا الكتاب كلمات مسيئة للمرأة. وإن الكلمات هذه الكلمات أخيراً[1] التي اقتطعت من الكتاب، وقد وصفت تلك الكلمات المرأة بأنها غير ناضجة، وبأنها مبالغة في التربية متقلبة في المزاج تهوى التسوق والشراء، والأشياء المنزلية، وتتجاوب مع متطلبات التجميل.

كما تضمن هذا الكتاب تلك النظرة العنصرية الدونية للجنس الأسود أمام الجنس الأبيض، أما الجنس الأصفر فقد وصفه الكتاب بالحماقة والبلادة.

وقد أثارت وسائل الإعلام المختلفة في إسبانيا ضجة واسعة حول الكتاب، والسبب في ذلك كما قالت إن الكتاب به ثلاث أطروحات عنصرية خطيرة: الأولى هذه الأطروحات التي تقول إن الجنس الأسود أقل ذكاءً وأدنى فكرياً[1] ومكانةً من الجنس الأبيض. أما الثانية فهي أن المرأة لا تفهم شيئاً ولا تفكر في شيء إلا في الشراء وصرف النقود والمبالغة في التجميل والتزيين، والأطروحة الثالثة. وقد ذكرت في تلك الضجة ثم نسيت بعد ذلك. وهي أن المسلمين يولعون على العنف بالفطرة.

اعترضت على هذا الكتاب أصوات مختلفة من جهات نظر عديدة، ومن ذوي الجمعيات الكثيرة المنخرطة في الاتجاه المناهض للعنصرية الجنسية وبشكل خاص العنصرية ضد السود، والاتجاه الأنثوي النسوي أو الفيمينيسمو El feminismo (اتجاه نسائي المطالبة بحقوق المرأة).

فلقد صرحت وزيرة التربية في حكومة فيليبي غونثالث في وجه هذا الكتاب معللة أنه يقلل من شأن المرأة ويحقرها ويهينها، وطالبت بأن يقدم مؤلفه إلى

* أستاذ جامعي، ليبيا

المحاكمة. ولن ينظر المجلس الأعلى للإفتاء في هذا الكتاب لمنعه من النشر.

أما رئيس جمعية مكافحة العنصرية فقد طالب أن يحظر النائب العام هذا الكتاب، وقد قرر هذا الأخير النظر فيه.

ورغم الضجة الكبيرة التي حدثت حول الكتاب بجريدة مقابلة إذاعية مسموعة مع مؤلفه، وكانت سريعة. قال فيها: إن من تناول الكتاب بالنقد لم ينظر فيه جيداً وبخاصة في أوله حيث يوجد هنالك ما ينفي عن الكتاب أية عنصرية.

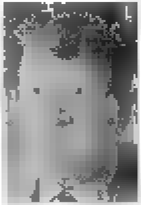
لم يتطوع أو يتكلم أي أحد من أي جهة إسلامية دافعاً تهمة الإرهاب والعنف الفطري عن المسلمين.

لكن ماذا لو كان هذا الكتاب قد تناول إهانات تنبذ جارحة ضد اليهود أو المسيحيين بصفة عامة؟ إسكت الإعلام الغربي لسكتت حكومات العالم الغربي؟ أيسكت المسيحيون واليهود؟

إنه معلوم بما لا يتطرق إليه شك عداء الشارع الغربي بصفة عامة للإسلام والمسلمين، ومن ثم فلا غرابة أن يصدر حكم من قبل كاتب ينتمي إلى هذا الشارع الذي تلقى فيه توجيهات فكره الأولى. ولا غرابة أيضاً أن تسكت وسائل الإعلام الغربي عن هذه الإهانة للمسلمين، ولا تشير إليها إلا إشارة جاءت مرة واحدة. ثم ما لبثت أن تخفت صوتها في كل تعليقاتها بعنصرية الكتاب، وكأن الكتاب ليس عنصرياً لأنه تبنى كل تلك الادعاءات التي من بينها أن المسلمين ذوو صلة بالبهيمة، بل لأنه تناول المرأة والسود وغير ذلك مما ليس له علاقة بالمسلمين.

وكما قلت سابقاً فإنه لا غرابة في أن يصف الغربيون الإسلام والمسلمين بأي شيء. لكن الغرابة في غياب المسلمين ووسائل إعلامهم. فيا ترى أين كانت المساجد؟ وأين كانت سفاراتهم الموجودة في سويسرا؟ أيعقل أن يمر خبر كهذا تتناوله كل وسائل الإعلام من إذاعات وصحف ولا يعلم به سفير واحد من سفراء المسلمين؟ أو لا يطرقه على الأقل أحد الملحقين الثقافيين المسلمين في هذه البلاد؟ أو على الأقل لا تقع عليه عين أحد المخبرين لأنظمة الدول الإسلامية في هذه البلاد؟

ولعل أحداً يقول إن هذا من الظلم الكبير لهذه الشريحة الأخيرة فلم نوظف لهذا الغرض. وإذا كان من اللوم ممكن تطبيقه على غير هذه الأخيرة فلماذا لم يحس أحد من كل تلك الشرائح بهذه ثقة، فلماذا مراقبة صاحب هذا الكتاب؟



فيرمو كشافا فروتسا

ولا أحد يقول إنه ربما ممكن أن تصدر تنديد لهذا الكتاب من سفارة إسلامية هنالك، إذ لا يعقل أنه حدث ذلك دون أن تذيعه وسائل الإعلام الإسبانية المختلفة.

لكن صاحب وجهة نظر مخالفة قد يقول: لا يستغرب أن يكون قد صدر أي تنديد ولكنه شجبه فلم تتناوله وسائل الإعلام. فالغرب صريح في كل شيء، ديمقراطي في كل الأمور إلا فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين، فقد يسكت عن حقائق بعد تُخفي معلومات، ويُزوّر أحداث، ويشوّه مفاهيم والدليل على ذلك ما حدث ويحدث في فلسطين، وما حدث ويحدث في العراق، وما حدث ويحدث في كل بقعة من العالم الإسلامي كيف تتناوله وسائل الإعلام الغربي وتصوّر فيه وتوجهه حسب إيديولوجيتها وأهدافها. فهل استطاعت وسائل الإعلام أن تصل إليه رغم جهد الصادقين فيه بكل شيء حتى الموت.

إن سكوت الجهات التي نفت بعض ما في الكتاب من أي ذكر أو إشارة أو إشارة لعنصرية الكتاب ضد المسلمين، لدليل واضح على عنصرية ضد المسلمين، وكره وحقد يمارس ضدهم على مختلف المستويات، ولأن كل من نقد مزاعم الكتاب ضد المرأة هي في الغالب نسوة أو ينتمين إلى إحدى الشرائح التي

استقصيها الكتاب فإن من قتل برابهم الكتاب ضد السود ليس اسود، بل هو أسيوي، أو هم أوروبيون من الجنس الأبيض، وكانوا يتكلمون باسم جميعا مكافحة العنصرية. ولذا كان دفاعهم عن السود لأن الكتاب يهاجمهم مهاجمة عنصرية جنسية. فإن الكتاب هاجم المسلمين مهاجمة عنصرية دينية، ثم أين جمعيات حقوق الإنسان مطلقا، كيف سكتت عن تصوير وتكوين مثل هذا الرأي القائل بأن كل مسلم يولد بطبيعته عنيفاً يجري العنف في دمه [illegible] ممارسة [illegible]

[illegible] الكتاب من الأسواق في أول صدوره وذلك بأمر رئيس الجامعة كما أوقف الأستاذ عن عمله ووقف مرتبه لمدة ستة أشهر، وكان على وشك أن يقدم للمحاكمة، إلا أن ذوي الاختصاص لم يجدوا سبباً قوياً يجوز محاكمة الكاتب أو تجريم صاحبه؛ لأن القانون العام يعتبر ذلك دخولاً في تقييم الكتب ومن ثم دخولاً في حرية فكر الأستاذ [illegible] بها وهو ما لا يجب [illegible] عبرت جهات النقابية أي من الأكثر مناسبة أن يحصل مرتب الأستاذ كاملاً بسبب نقص كبير في الإنتاج أو الأداء وهو ما يؤثر على وظيفته العادية وأدائه للشريحة. البلد القانوني يعتبر الكتاب غير مناسب لتأهيل الطلاب ويرجع ذلك إلى أنه لا يتحقق مع البرنامج المعلن من قبل قسم المنفى التعبيري والتربية، وهو القسم الذي ينتمي إليه الأستاذ كاتبه، ومن ثم لا تعتبر عقاب الجامعة له من الإيقاف عن العمل وإيقاف المرتب لمدة ستة شهور عقاباً إدارياً أي لتقصير الأستاذ. وكان من حجة الجامعة ضد الأستاذ أنه لم يعلم الجامعة ببرنامجه الدراسي وأدخل هذا المقرر محل البرنامج دون علم منها. ومن ثم فهو مقصر من الناحية الإدارية وهو مستغل استغلالاً سيئاً لوظيفته في فرض كتابه وبيعه لطلابه. رغم أنه كتاب ليس صالحاً. ثم طعن الأستاذ في الحكم أمام المحاكم فطعن في [illegible] فرحت [illegible] على الجامعة بالقول: «اتضح أن الكلية نفسها لم تحترم بصورة دقيقة المقررات أو الاحتفاظ بها منذ الأول من يوليو، أي لم تحتفظ أو تخزن البرامج والمقررات التي كان كتابه قد تضمنها وبذلك تلغي المحكمة الإيقاف وتحكم على جامعة الكمبيوتنسي بأن ترجع إلى الأستاذ أكثر من [illegible] أنه [illegible] حوالي ثلاثة آلاف دولار عن كل شهر، ثم يتسلمها خلال النصف العام الذي كان موقوفاً فيه عن العمل»[2].



ما كتبته صحيفة (الوطن العالمي) الإسبانية عن الكتاب

إذن أثيرت ضجة كبيرة حول ذلك الكتاب الذي مس أموراً خطيرة وقال بخطورة [illegible] لكن [illegible] في النهاية براءة الكتاب وصاحبه. فهل يا ترى حدث ذلك لعدم كفاية الأدلة أم أن عنفنا أمر لا يخفى القاضي قد [illegible]؟

[illegible] أكثر في كل تلك الضجة التي أثيرت حوله لم يمس منها شيء ما يتعلق بما قيل من كلام مجاف للحقائق فيما يتصل بالمسلمين، حتى المسلمون أنفسهم لم يلبسوا ببنت شفة كما يقال حول ذلك الكتاب. فهب علم كاتب هذه السطور الذي يرجح أن يكون علمه قاصراً في هذا الشأن، ومعلوم أن مئات أو ربما آلاف الكتب تخرج في العالم الغربي على مدى أيام أو شهور تحمل هجوماً على المسلمين والإسلام بغير دون قصد أو رغبة في تعلم المسلمين أو بحقيقة، وهذا نموذج شهد به كاتب هذه السطور ربما ليس كان أكثر.

[2] [illegible] الصحفية صحيفة [illegible] للملكة [illegible] بتاريخ [illegible]

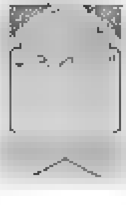


الندوة الدولية حول ترجمة معاني القرآن الكريم

الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

273 صفحة/ قطع كبير

من بين أبرز المناسبات التي نظمتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية الاهتمام والرعاية لما يصدر من ترجمات للقرآن الكريم بمختلف اللغات، وهي القضية التي أثارت جدلا كبيرا بين العلماء المسلمين غيرة منهم وحرصاً على أن لا تؤدي تلك الترجمات إلى أي شكل من تبديل أو تحريف لمعاني النص في كتاب الله من قريب أو بعيد. والضرورة الملحة لإبلاغ دعوة الإسلام ونشره بكل الوسائل اقتضت من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية العمل عبر الدعم والاهتمام بكل ما يختص بترجمة معاني القرآن الكريم ترجمة دقيقة وأمينة لا تحتمل التحريف أو التشويه أو التضليل في المعنى أو التفسير، وتعطي الفرصة لمن لا يعرفون اللغة العربية مسلمين وغير مسلمين للاطلاع والفهم لأسس الدين الإسلامي ونصوصه من الكتاب عامة. ومداولات الندوة العلمية التي احتضنتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بالتعاون في تنظيمها مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة والمعهد العالمي للفكر الإسلامي لمناقشة قضايا ترجمة معاني القرآن الكريم، وهي خطوة نحو التعريف الصحيح في الاهتمام والرعاية بكتاب الله في هذا الجانب المهم الذي حاول أعداء الإسلام الولوج منه تحقيقا لمآربهم ونواياهم السيئة. ولا شك في أن الخطوات العلمية والعملية الرصينة هي فقط التي ستعطي النتائج الإيجابية الكفيلة بحفظ فكر الإسلام وثقافته من أي تشويه.



الإعراب والاحتجاج للقراءات في تفسير القرطبي

المؤلف: سيدي عبد القادر بن محمد محمود الطفيل

الناشر: كلية الدعوة الإسلامية

696 صفحة/ قطع متوسط

يعتبر تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) من أكثر التفاسير المهتمة بالإعراب والقراءات تداولا بين العلماء، وذلك لتميزه بسهولة عباراته وغزارة مادته وتنوعها. ويدرس المؤلف في هذا الكتاب اهتمام القرطبي في تفسيره بالإعراب الذي توسع فيه كثيرا، وبمزجه بين المذاهب النحوية في القواعد والمصطلحات، واتباعه في تناوله للإعراب طرقا شتى. كما يدرس اهتمامه بالقراءات حيث شحن تفسيره بمتواترها وشاذها، وخصوصاً اهتمامه بالاحتجاج للقراءات وتوسعه فيها توسعه في الإعراب، وإكثاره من أدلته. وقد استفاد من الإعراب والقراءة في تقرير الأحكام الشرعية واستنباطها من أدلتها.

لسعادة الأبدية
في التعريف بعلماء تنبكت البهية

تأليف: مولاي أحمد بابير الأرواني

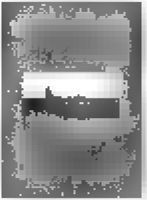
دراسة وتحقيق: الدكتور الهادي المبروك الدالي

تقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة

الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

[illegible] صفحات - قطع متوسط

حظيت مدينة تنبكت بأهمية خاصة بين مراكز العمران والاستقرار لأنها أصبحت ملتقى الحضارات العربية الأفريقية بعد تأسيسها على يد قبائل مغشرن الطوارق في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي. ولذلك أصبحت مدينة تنبكت بجمهورية مالي تمثل بؤرة جامعة لتمثلات جملة من العلاقات المتنوعة باعتبارها ملتقى الوافدين، ومركز الإشعاع الثقافي الإسلامي ومجمع الحضارات الأفريقية والإسلامية. وعلى هذا فإن الكتب التي تتناولها بالدراسة والتعريف تكون جديرة بالتحقيق والاهتمام لأنها تكشف [illegible] لنا من موقع الحدث التاريخي، الذي يحتفظ بالآثار الباقية مسطرة في الوثائق والمخطوطات، أو محفوظة في الذاكرة. وهذا الكتاب يحتل مكانة رفيعة بين مصادر تاريخ أفريقيا، يتناول عددا من المسائل المهمة ذات الصلة المباشرة بأمور الدين والدنيا، وعلى رأسها فوائد التاريخ العمومية والأخروية، وصفة تنبكت وضبطها، وأول من سكنها، والتعريف بالطوارق وبمالي والتملك سني علي، والأسكيا الحاج محمد، وذكر مساجدها والتنويه بعلمائها وعيانها من قضاة وأئمة معروفين، والتعريف بجامعة سنكري، وعلماء بابها تنبكت.





دراسات في
أصول التفسير

المؤلف: الدكتور محمد كبير يونس

الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية

[illegible] صفحة - قطع متوسط

دراسة كتاب الله عز وجل وتدبره تحتاج إلى ضوابط تقوم على أصول شرعية وقواعد علمية، تضمن صحة الفهم عن الله عز وجل، وتعصم من الخطأ والزلل. وفي هذا الكتاب يحاول المؤلف أن يحقق الأهداف التالية:

1- التعريف بأصول التفسير مع الاهتمام بحصر حجيتها، والبرهنة على صحة حجيتها

2- بيان القواعد والأسس المنهجية للتعامل مع هذه الأصول

3- الإكثار من ضرب الأمثلة التطبيقية التي توضح القواعد والأسس النظرية

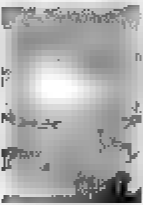
ولتحقيق هذه الأهداف يسلك المؤلف منهج الاستقراء والتصنيف والتحليل العلمي، وعلى أساس ذلك يتم استنتاج الأحكام وبناء الأسس والقواعد

الرق والعنصرية
بين الإسلام وحضارة الإنسان

المؤلف د. الشيخ علي حسين

الناشر: كلية الدعوة الإسلامية

79 صفحة - قطع صغير



يكشف هذا الكتاب عن ظلم الإنسان لأخيه الإنسان وطغيان القوي على الضعيف والمستحوذ في البشر ومعاملتهم كبعض الأشياء، ويناقش نشأة استرقاق الإنسان واستعباده منذ القدم، وكيف أصبح الإنسان السلعة الرائجة المقبولة على أوسع نطاق حتى أشرق نور الإسلام على العالم فقطع ينابيع هذا المستنقع وفتح منابع التحرر ولم يبق منه إلا حين الآن فرضته الضرورة المتبادلة بين الحروب. ويكشف الكتاب دور اليهود في بث جذور العنصرية التي تقصف بالغربيين وساعدوا على نظرية التعالي والاستكبار في الأرض، ويبين المؤلف بطلان النهج الغربي بعد مرتكزات فكرة التفوق العرقي من جهة ومن جهة أخرى سمو الإسلام الذي كرم الإنسان بوصفه إنساناً، كما يكشف زيف ادعاء الغربيين أن العرب مارسوا تجارة الرقيق على نطاق واسع في القارة الأفريقية. إنه خلاصة سريعة مركزة ونقية كافة الأطياف: الحق.

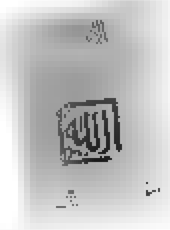
الأسنى
في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته

المؤلف أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي

حققه وقدم له: الدكتور صالح عطية الحطماني

الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

440 صفحة - قطع متوسط



يحاول محقق الكتاب عبر هذا الكتاب تحقيق الطريق الساعي إلى الوصول المأمول تحقيقاً للوعد الموعود في قول النبي ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة» ومؤلف هذا الكتاب يحصيها ويشرح معانيها، ويوضح ما على المرء اعتقاده فيها، ويعتبر الكتاب من أجل الكتب المؤلفة في هذا الشأن بما تميز به من شمولية وإحاطة في موضوعاته من ناحية وسهولة أسلوبه ووضوح عباراته من ناحية أخرى، فضلاً عما يزخر به الكتاب من فوائد الإشارات ولطائف التعليقات، علاوة على ما يتميز به أسلوب القرطبي من كثرة الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف. وقد أشار الشيخ القرطبي كثيراً إلى هذا الكتاب في تفسيره المسمى (الجامع لأحكام القرآن) غير أن الدارسين ومفهرسي المخطوطات لم يقفوا عليه، واعتبروه من الكتب المفقودة.

بعضٌ من أصداء العدد الأول

يتشرف مركز القرآن الكريم بجمهورية المالديف أن يتقدم بجزيل الشكر وفائق التقدير والاحترام لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية لما تبذله من جهود مخلصة لخدمة الإسلام ونشر ثقافته المجيدة ومبادئه الخالدة، ومن ذلك مجلة «التواصل» التي شرعت الجمعية في إصدارها، والتي تستهدف إنشاء مجتمع حضاري إسلامي متميز، وقد تشرف المركز بالحصول عليها والحمد لله، ونسأل الله أن يجعلها منبراً للهدى ومنارة للخير والرشاد، كما نسأله تعالى أن يثبت أقدامكم في سبيل نشر دعوته وأن يجزيكم أحسن الجزاء، وهو على كل شيء قدير.

د. عبد المجيد عبد الباري

مدير مركز القرآن الكريم، جمهورية المالديف

الأخ أمين تحرير مجلة التواصل

أتشرف بتقديم أحر التهاني القلبية لكم ولجميع أسرة تحرير التواصل بمناسبة صدور هذه المطبوعة المتميزة شكلاً وموضوعاً.

إن مجلة التواصل تميزت بما حوته من أبوابها المتنوعة من مقالات وقصائد وآراء وتقارير واستطلاعات ودراسات ومحاضرات، فقد تميز العدد الأول بجديد المكتبة وبمقال المختصين، فقد قرأت موضوع «حوار الحضارات من منطلق صراع الحضارات أم يحقق دون صدامها؟» وقرأت بشغف موضوع الاستطلاع عن افتتاح أول مسجد في غرناطة بعد السقوط، وأعجبتُ به كثيراً، حيث رجعت بي الذاكرة إلى العام 1982 حيث قمت بزيارة عمل إلى غرناطة وتجولتُ في قصر الحمراء الشهير. تهاني القلبية لكم ومزيداً من النجاح.

محمد خليفة حسين

محرر صحفي وإعلامي - ليبيا

يسرني أن أنقل لكم تهنئة الإخوة الأساتذة بجامعة الخرطوم الذين اطلعوا على مجلة التواصل التي تصدرها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، فالشكر والتحية للإخوة القائمين على أمر هذه المجلة على ما بذلوه ويبذلونه من جهد.

د. محمد الحسن سماعة

أستاذ الدراسات اللغوية والتربوية

قسم اللغة العربية والدراسات العليا

الجامعة الإسلامية العالمية/ ماليزيا

جامعة أفريقيا العالمية/ الخرطوم - السودان

الى أسرة تحرير مجلة التواصل
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد تحصلت على هذه المجلة في معرض الآن صحفة طلعت أتيت الى مدينة طرابلس ولقد ذهلت بها واعجبت تمام الإعجاب. وقد ثبت في نفسي هذه المجلة من خلال ما في ليبيا الآن شبه انها واسعاد عظيم لأنها وكذلك مجلة جديرة بالاحترام والتقدير من جميع جوانبها من حيث موضوعاتها والجهة التي تصدرها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. ولقد وجدنا ضالتنا التي نبحث عنها في هذا المنبر الإعلامي والتي تزدان بكل ما هو من خصائص مميزة فهي مجلة علمية ثقافية فكرية شاملة بجميع العلوم بموضوعاتها القيمة ومقالاتها الرائعة

وإنني أشكركم جزيل الشكر على المستوى الرفيع لهذه المجلة الجديدة «التواصل» بدون انقطاع بإذن الله فالمجلة ذات طرح وتجديد فهي من حيث الطباعة وفرز الألوان وشكل الغلاف ومعاني حجم الرسائل جد رائع كذلك مضمونها الرائع والقيم والهادف، والتي كنا نبحث عنها في كثير من الدوريات والمنشورات فلا نجد ما يلامس فكرنا ووجدت مقالا يطرح فيه التواصل ضيفا عزيزا فأهلا ومرحبا بالتواصل والتواصل ولقد شدتني على الصفحة الأخيرة والتواصل عبارة صفحة مفتوحة لمن أراد أن يلقي حصاة في البركة الراكدة فهذا تعبير فيه تفاؤل أكثر منه تساؤل وكان الأحرى أن يكتب صفحة مفتوحة لمن أراد أن يغرس زهرة في حديقة التواصل، لا أن يرمي حجرا في بركة التواصل ... لهذا المسعى الثقافي أن يكون بركة آسنة ... إنه بحر العطاء ولكم منا جزيل الشكر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بدر الدين المصباحي

مصراتة - ليبيا

يسعدني وقد اطلعت على العدد الأول من مجلتكم العزيزة «التواصل» أن أسجل إعجابي بالموضوعات التي تم تناولها في هذا العدد وفي الوقت نفسه أثمن عالياً جهودكم المخلصة من أجل ربط جسور التفاهم والتواصل والحوار بين الشعوب والأمم والحضارات
وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الباحثة / إسماعيل التاج إدريس حسن

تشاد - انجمينا

تحية خالصة تحمل الأخوة الصادقة والامتنان العميق لقد اطلعت وأنا في غاية السعادة على مجلتكم المحترمة «التواصل» التي تعكس جدة وأصالة في مجال البحوث والدراسات والمقالات لذلك أهنئكم بهذا العمل الرائع المتميز وأعدكم بأن أكون قارئاً مداوماً لهذه المجلة وأن أسهم معكم بالكتابة راجياً أن تنال كتاباتي قبولكم، وإنني إذ أعد بهذا أعي عظم المسؤولية لما تتسم به هذه المجلة من مادة جادة تجمع بين الأكاديمية والإبداع وهذا أمر جل وجوده

د. شعبان عوض العبيدي

كلية الآداب / جامعة قاريونس

بنغازي - ليبيا

..ونتواصل

التحولات الحالية في عصرنا تمثل بشكل رياح هوجاء، تركت وتترك آثارها العميقة على كل صعيد له صلة بالإنسان والأرض والحياة. نتيجة ليست هي الواقع الذي يحصر العقل والوجدان على الفكر والانفعال، بل كانت الجرأة على اختراق المسلمات قد أصبحت هي العامل الأهم في إكساب الحياة لونها الخاص المتميز للتوتر على مدى الساعة.

لا يمكن إنكار أن ثقافة الفرجة والصور الملتقطة والوسائل الإعلامية كافة قد أبعدت الناس عن تخصيص مساحات للقراءة والتفكر والتحرر. لقد استبدلت هذه المساحات بثقافة الصورة التي تروج لتصدر أولوية الاهتمام بكل الأخبار والمستجدات ولم تكن النتيجة غير معرفة الأسس الثقافية لكل مجتمع. والأمر بكل بساطة يرجع إلى أن الانفتاح الإعلامي الضخم والمتكلف يخترق بكل سهولة كل المجتمعات، ويعرض قيماً وطروحات ثقافية فكرية ومتضمنة لكل ما هو (تلقيني) في ثقافة المجتمعات من خلال هذا المنظور يتحول ما يدعى بتيار العولمة إلى معول خطير لهدم أو تشويه كل خصوصية وتراث وثقافة وقيم متعلقة بهوية الشعوب والمجتمعات البشرية.

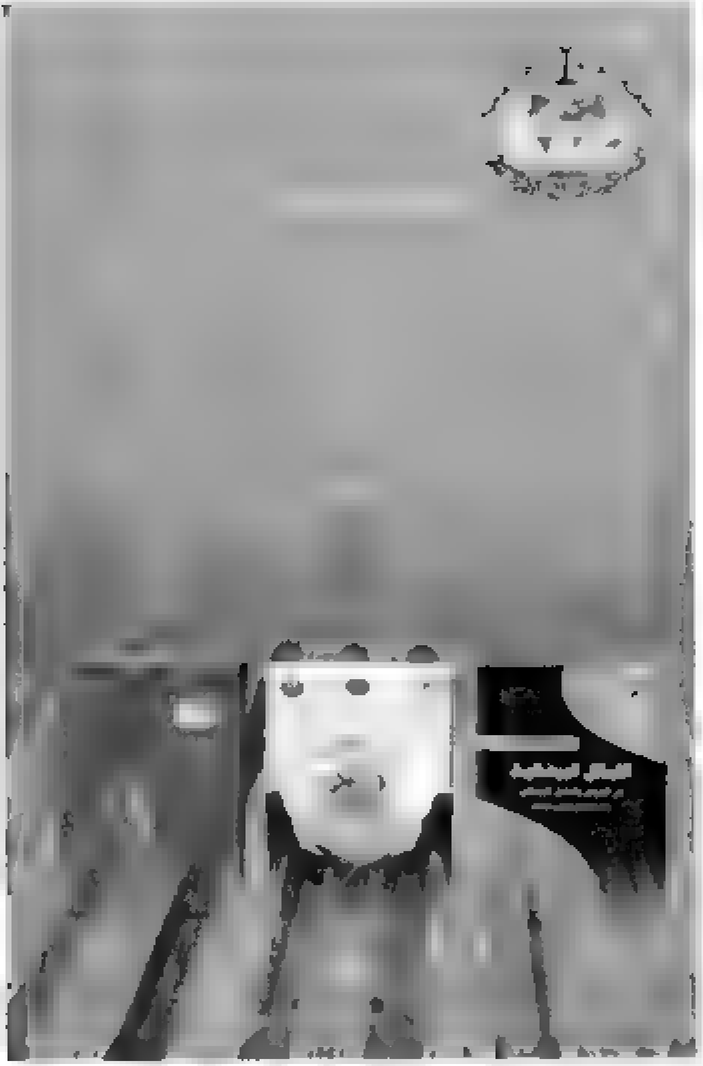
فتداعي الظاهرة تؤكد على أن المستجدات التكنولوجية قد ساهمت بشكل ملحوظ في تحقيق نوع من الحياة الهادئة والمريحة، ولم يأت ذلك إلا بسرعة في الإيقاع والتحرك والاستجابة اللاهثة للتغيير، بالإضافة إلى نقص في العواطف وصعوبة في التآلف.

هل بإمكاننا القول: إن الطفرة التكنولوجية هي التي تترأس اليوم قائمة توجيه وتحديد المسائل في المعارك الدائرة الآن في مجالات العلم والاقتصاد والثقافة؟! إن المقصود بهذه الطفرة ما يعد العامل الأهم والقاسم المشترك لكل تغيير وتطوير.. تطوير يتضمن الصمود الهادر في وجه الأعاصير العاتية المتلاحقة إلى المستقبل. وليس ثمة شيء آخر.. ما الذي يرتقي في سلم المستقبل المستوي؟

هل تصدق نظرية هنتنغتون وتصادم الحضارات؟! وهل يستمر التعلق بوجهة نظر بريجنسكي القائلة بتفوق الديمقراطية؟

وهل كان فوكوياما يمثل بحق رؤية عصرية، لتوجيه مسار التحولات المستقبلية، لأجل تحديد نهاية التاريخ، أم أن نظر الجميع كان يقتصر على الرؤية بعين واحدة؟!

وهل ثمة - أخيراً - ما يقدمه الشرق كمكون شامل يتضمن موروث الحضارة العربية الإسلامية من إسهام يحول دون وقوع الكارثة مع الأخذ في الاعتبار خصوصية هذا الموروث المؤسسي فضلاً عن أهمية وضرورة التواصل؟




كتب صحيفة
الدعوة الإسلامية
القدس


2
المجامع الفقهية

التواصل

المنطلقات والأهداف

- ❖ تنمية المدارك وترسيخ الوعي الإسلامي على مختلف المستويات وفي مختلف الساحات
- ❖ السمو بالعمل الثقافي عن محدودية التناول وسطحية المعالجة
- ❖ تحفيز العقل العربي والإسلامي للإبداع من خلال تناول قضايا الواقع الثقافي والفكري بالطرح الجريء والتحليل العميق
- ❖ عرض المادة العلمية بأسلوب يتوخى الصحة والدقة في تحديد المفاهيم ومخاطبة العقل وتقديم الحقيقة واضحة دون لبس أو غموض
- ❖ التواصل مع المنتج الثقافي للحضارات والتفاعل مع المستجدات الفكرية والثقافية
- ❖ تتبع الظواهر الثقافية الإيجابية منها والسلبية بالعرض الواضح والنقد العلمي بهدف الوصول إلى الحقيقة المجردة
- ❖ التأكيد على دور الدين في المجتمع والحياة وكشف أساليب استغلاله لتحقيق أهداف ذاتية أو سياسية
- ❖ الالتزام بأصول العقيدة وثوابت الدين في المعالجات الثقافية والفكرية
- ❖ تجديد الوعي الإسلامي وتنمية الروح النقدية الحرة
- ❖ الابتعاد عن مجاملة الآخر ومخاطبة العقل والتحامل المفرط للذات
- ❖ الالتفات إلى عيوب النفس ونقد الذات دون تشهير أو إحباط
- ❖ عرض وتناول القضايا الفكرية والثقافية والاجتماعية التي تخترق الواقع المعيش والمهم
- ❖ الانتصار للحق والالتزام به

الأسعار

البلد	السعر	البلد	السعر	البلد	السعر	البلد	السعر
بنين	300 فرنك سيفا	مصر	3 جنيه	سوريا	50 ل. س	بلجيكا	يورو
بوركينا فاسو	300 فرنك سيفا	المغرب	15 درهم	العراق	1500 دينار	إيطاليا	يورو
ساحل العاج	300 فرنك سيفا	موريتانيا	120 أوقية	عمان	ريال	بريطانيا	جنيه استرليني
تونس	دينار ونصف	النيجر	160 فرنك سيفا	[illegible]	دينار [illegible]	تركيا	1500 ليرة
الجزائر	100 دينار	[illegible]	جنيه	قطر	10 ريال	فرنسا	يورو
السنغال	300 فرنك سيفا	الإمارات	10 درهم	الكويت	دينار	ألمانيا	يورو
السودان	300 جنيه	باكستان	10 روبية	لبنان	3000 ل.ل	هولندا	5 يورو
ليبيا	دينار	البحرين	دينار	الهند	80 روبية	أمريكا	5 دولار أمريكي
مالي	300 فرنك سيفا	السعودية	10 ريال	اليمن	80 ريال	كندا	دولار كندي

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية

* [illegible] العاصمة الإيطالية
على الشاطئ الشمالي للبحر الأبيض المتوسط مسافات ومسافات
مسافات بآلاف الكيلومترات تفصل بين دولنا [illegible] وإيطاليا
[illegible]
[illegible]
[illegible]
إيطاليا [illegible] شعوب البحر الأبيض المتوسط وثقافته
مسافات تاريخية تفصل بين دولنا [illegible] وإيطاليا
[illegible]
الثاني الذي نضعه بين أيديكم.

* [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
اللون الذي تتطلبونه [illegible]

* [illegible]
[illegible]
[illegible]

* [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] غير لون الرمال

* [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

* [illegible]
ولا ريب أهم عوامل الاستمرار

[illegible]

فـي هـذا العـدد

الافتتاحية

تقارير

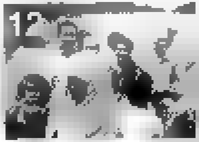
مقالات

المجامع الفقهية .. لماذا؟ وإلى أين؟



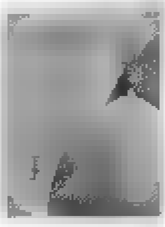
الغلاف

مسجد مدينة تومبكتو



تقارير

قرية الهنود التي هجرت الوثنية والظلام إلى نور الإسلام



استطلاعات

القبة ... حوار السماء والأرض

التواصل

تصدر عن
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية
العدد الثاني - جمادى الآخر [illegible]
من وفاة الرسول ﷺ الموافق
شهر الصيف - ديسمبر [illegible] مسيحي

المراسلات باسم
أمين هيئة التحرير
طريق السواني كم 2
هاتف 4800739 - 4806615
بريد مصور 4800739
ص.ب 80480
طرابلس - الجماهيرية العظمى
البريد الالكتروني
www.al-tawasul.org

دراسات

محاضرات

استطلاعات

[illegible]

كتب

منتدى التواصل

شروط النشر في مجلة

التواصل

ترحب مجلة التواصل بكتابات المفكرين والمثقفين العرب والمختصين وغيرهم الذين يستلهمون التواصل المعرفي من خلال لغة الحوار والنقاش بأسلوب بعيد عن التعصب الذميم بجميع أشكاله وسعي نحو إرساء مبادئ الحلاف والفرقة مع الالتزام بأسس العقيدة الإسلامية وثوابت الدين في المستجدات الفكرية والثقافية وتحقيقا لهذه الأهداف يشترط لقبول نشر البحوث والمقالات

- ❖ أن يتسم البحث بالجدة والموضوعية وأن يتبع في كتابته الأساليب المنهجية في البحث العلمي من تحديد منطقي في العرض وتوثيق للمصادر والمراجع.
- ❖ أن يُراعى تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في البحوث التي تتضمنها
- ❖ أن يكون البحث أو المقال خاليا من الأخطاء اللغوية والإملائية مع مراعاة علامات الترقيم وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط
- ❖ ألاّ يكون البحث أو الدراسة المقدمة للنشر في (التواصل) جزءا من أطروحة ماجستير أو دكتوراه
- ❖ ألاّ يكون البحث قد سبق نشره في مكان آخر
- ❖ أن يكون البحثُ أو المقال مطبوعا أو مكتوبا بخطٍ واضح.
- ❖ ألاّ يقل عدد كلمات البحث أو الدراسة عن 3000 كلمة ولا يزيد على 12000 كلمة
- ❖ ألا يقل عدد كلمات المقال عن 4000 كلمة ولا يزيد على 6000 كلمة
- ❖ أن يُرفق الباحثُ ببحثه سيرته الذاتية
- ❖ في حالة الترجمة لا بدّ من أن يرفق النص المترجم بلغته الأصلية

ملاحظات

- للمجلة الحق في اختيار العدد المناسب لنشر البحوث المجازة ترتيب نشر البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.
- لا ترد البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت في المجلة أم لم تنشر
- تعرضُ الأعمال المقدمة للنشر على لجنة لتقويم النصوص فهي لا تجيز نشر البحوث والمقالات المجازة مكافأة مالية مناسبة



- ملتقى إسلامي في رواندا ضم أئمة ودعاة من أكثر من 20 دولة إفريقية
- وجه سورينام المشرق.. يستضيء بحقائق العمل الإسلامي النبيل
- الدورة الخامسة عشرة للمجلس العالمي للدعوة الإسلامية

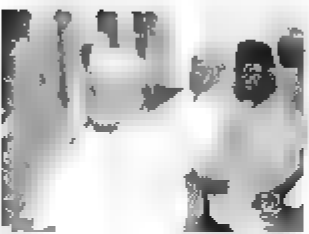
ملتقى جمع أكثر من 20 دولة إفريقية

الإهتمام بالتعليم وتفعيل الحوارات بين الثقافات

احمد البكوش *

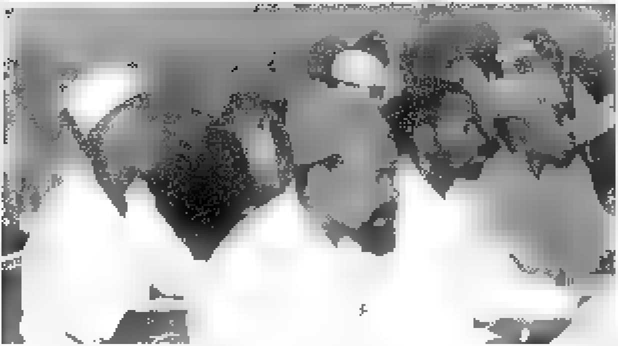
عقد المؤتمر العام لاتحاد المجالس الإسلامية لشرق ووسط وجنوب أفريقيا وجمعية الدعوة دورته التاسعة خلال يومي الثالث عشر والرابع عشر من شهر الماء "مايو" 1372 من وفاة الرسول ﷺ 2004 مسيحي بالعاصمة الرواندية كيجالي وحضر الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الرئيس باول كاغامي رئيس جمهورية رواندا ووفد هام من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ضم عضو اللجنة الشعبية وعميد كلية الدعوة الإسلامية وأمين مكتب الدعوة والمراكز الإسلامية كما حضر الجلسة الافتتاحية رئيسا مجلسي الشيوخ والنواب ورئيس مجلس الوزراء وعدد من الوزراء وأمينة لجنة المصالح الوطنية ورئيسا الأساقفة الكاثوليك والبروتستانت وعدد من الشخصيات الإسلامية وأعضاء الهيئات السياسية المعتمدة في رواندا وممثلو المنظمات الإنسانية

وألقى رئيس الجمهورية كلمة حيا في



مستهلها الحضور المشاركين وخص بالشكر والتحية وفد الجمعية معبرا عن تقديره للدعم الذي تقدمه لمسلمي رواندا وقال كنا في مرحلة حرب التحرير يصفنا المستعمرون بأننا إرهابيون ولكن المستعمرين هم الذين مارسوا الإرهاب والتمييز العنصري والتصفية العرقية ولكن في نهاية الأمر انتصرنا، ووجه حديثه لأعضاء المؤتمر طالبا منهم التحلي بالصلاح والتسامح، وقال إن الذين يصفونكم بالإرهابيين مخطئون وإنكم على حق والحق ينتصر دائما. متمنيا في ختام كلمته للمؤتمر التوفيق والنجاح

* صحفي، ليبيا



جانب من المشاركين في دورة الانعقاد والخطيب يتحدث

وألقى الأخ عضو لجنة الجمعية كلمة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية رحباً في مستهلها بالرئيس وأعضاء المؤتمر وقدم في كلمته شرحاً مفصلاً عن الجمعية وأهدافها ونشاطاتها الإنسانية والثقافية في العالم، مؤكداً على أهمية الحوار في التفاهم بين الديانات والثقافات وأوضح أن الجمعية اعتمدت لغة الحوار كمنهج للتفاهم لقناعتها بأن الحوار هو الأسلوب الأمثل في التعامل مع الآخر مما ساعدها في إقامة علاقة تعاون مستمرة مع الفاتيكان وعدد من المنظمات المسيحية والمجلس العالمي للكنائس في إطار الاحترام المتبادل وأشار في كلمته الى علاقات التعاون القائمة بين الجمعية وجمعية مسلمي رواندا.

وتحدث في الجلسة الافتتاحية رئيس اتحاد المجالس الإسلامية السابق والأخ الأمين العام للاتحاد والشيخ هارون سمبوا وعبر عن تقديرهم للجهود التي يبذلها الأخ معمر القذافي من أجل تحقيق التنمية في أفريقيا وإحلال السلام في ربوعها.

وألقى الدكتور [illegible] كاهيما من جامعة امبالي محاضرة حول التحديات المعاصرة ومستقبل الاتحاد تناول فيها الكثير من القضايا التي تهم العالم الإسلامي مشيداً بجهود الأخ معمر القذافي في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين في كل مكان وبذل عالي جهوده في قيام الاتحاد الافريقي وسعيه الدؤوب من أجل إحلال السلام والتنمية في افريقيا وإبعاد شبح الخوف والجوع عنها مشيداً بدور جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في بناء المساجد والمدارس في أنحاء افريقيا ومنها المسجد الوطني في اوغندا.

اجتماعات الجمعية العمومية للاتحاد

وكانت الجمعية العمومية لاتحاد المجالس الإسلامية لشرق ووسط وجنوب افريقيا قد بدأت اجتماعاتها صباح الثالث عشر من شهر الماء مايو حيث ألقى عضو لجنة الجمعية كلمة باسم الجمعية رحب فيها بالأخوة أعضاء الاتحاد معبراً عن شكر الجمعية على الجهود التي يبذلها الاتحاد من أجل خدمة الإسلام والمسلمين، مؤكداً على أهمية عقد هذه الدورة زماناً ومكاناً، حيث إنها تأتي في ظروف دولية معقدة، وتأتي في بلد ساهم فيه المسلمون بشكل مباشر في صناعة السلام وتحقيق الأمن في بلدهم الذي عانى الكثير مما أعطى للقاء بعداً كبيراً وعميقاً

على أن الإسلام دين السلام، وختم كلمته بالتمني لهذه الدورة بالنجاح والتوفيق.

ثم تحدث الأخ أمين مكتب الدعوة والمراكز الإسلامية، حيث عبر عن أهمية هذا الاتحاد ودوره في تعريف المسلمين بوحدتهم وسعي المؤتمرين أن يواصلوا برامجهم الدعوية والاجتماعية والإنسانية بكل جد متذكرين الواقع المر للأمة وضرورة أن يتوحد هذا الواقع بدل الأخطار المحدقة بهذه الأمة، مؤكدا على أهمية توحيد لغة الخطاب بين المسلمين وخاصة أعضاء الاتحاد بأن يكون خطاب المسلمين في الاتحاد خطابا واحدا في جميع المواقف، إذ لا يجوز أن يكون عضوا في اتحاد المجالس الإسلامية ويكون لكل مجلس خطاب مستقل مختلف عن خطاب الاتحاد وهذا مما يساعد على نشر الإسلام واحترام الآخر لنا وخاصة أن هناك دعوة للحوار مما يساعد على نشر الإسلام بالصورة الصحيحة في بلدانهم المهيأة أصلا لتقبل الإسلام لأن فيه حلا لجميع المشاكل التي تواجههم.

كما عبر الأخ هارون سنفوما الأمين العام لاتحاد المجالس الإسلامية لشرق ووسط وجنوب أفريقيا في كلمته باسم أعضاء الاتحاد عن شكره وتقديره للأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية مؤسس اتحاد المجالس الإسلامية، وشكره وتقديره لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية على دعمها للاتحاد والتواصل معه حتى يحقق أهدافه المرجوة.

هذا وقد حضر أعضاء الاتحاد المشاركون في فعاليات المؤتمر من الدول التالية:

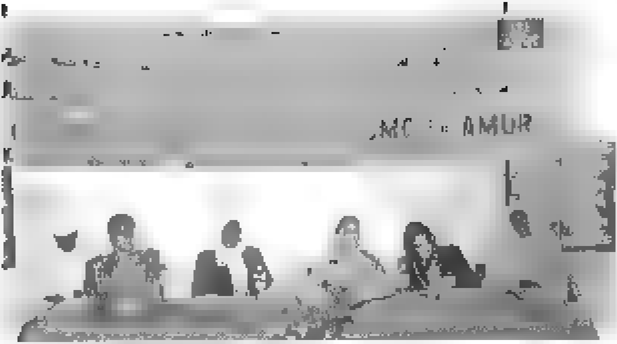
مالاوي، كينيا، تنزانيا، جيبوتي، رواندا، أوغندا، بتسوانا، موزمبيق، جنوب أفريقيا، الكونغو الديمقراطية، الكونغو برازافيل، أفريقيا الوسطى، أنغولا، ليسوتو، وأثيوبيا، موريشيوس، بوروندي، سوازيلاند، مدغشقر، الصومال، إلى جانب أعضاء الجمعية السعودية لمؤتمر الشباب المسلم الأفريقي وممثلي الإذاعات الإسلامية في أوغندا وكينيا وموزمبيق وجنوب أفريقيا التي تدعمها الجمعية أو ساهمت في إنشائها.

وعند الساعة العاشرة صباح يوم الثالث، حضر أعضاء الاتحاد ووفد الجمعية بزيارة إلى مقر جمعية مسلمي رواندا بمنطقة كاكيرو بالعاصمة الرواندية كيجالي وذلك لحضور جانب من دورة الأئمة والخطباء التي تعقد على هامش انعقاد المؤتمر التاسع لاتحاد المجالس الإسلامية تحت شعار «مسؤولية الإمام في إصلاح المجتمع المسلم» دورة للأئمة والخطباء.

وقد شارك في هذه الدورة 200 إمام وخطيب يمثلون جميع المحافظات الرواندية وهي: كيجالي، بيكراما، بوتاري، كيكمبو، تشاكوكو، غيسيني، جيتاراما، كيبونجو، بيومبا.

وأعرب الأخ حبيب صالح مفتي رواندا عن شكره وتقديره باسم مسلمي رواندا للإخوة أعضاء الاتحاد ووفد الجمعية على حضورهم للتعرف على أحوال المسلمين في رواندا والاطلاع على أحوالهم وظروفهم، مؤكدا على أهمية الدور الذي يلعبه الإمام في توعية المجتمع المسلم، وخاصة في رواندا التي شهدت جريمة بشعة قتل فيها الآلاف وأن المسلمين اليوم بحاجة للشباب الذين تقع على عاتقهم مسؤولية نشر الإسلام وبيان حقيقته، فالإسلام ليس دين الحرب، الإسلام ليس دين القتل، الإسلام دين السلام، الإسلام دين المحبة والمساواة، ونحن المسلمين في رواندا عرفنا كيف نعيش مع الآخرين لأننا نؤمن بأن قرآننا الأمين يبعث حلا لنا لغة الحوار هي الحل للجميع.

وألقى الأخ عميد كلية الدعوة الإسلامية كلمة حيا فيها الأخوة الأئمة المشاركين في الدورة، مؤكدا لهم بأن المسلمين في رواندا قاموا بعمل عظيم ونحن كمسلمين نفتخر بأنهم كانوا صانعي السلام في هذا البلد الذي شهد أحداثا مؤلمة ذهب ضحيتها جميع سفراء السلام من خلال موعظة الناس، تجسيدا لدور الإمام في إصلاح المجتمع ونشر الثقافة والقيم الإسلامية التي تضمن لنا الأمن والسلام، مؤكدا على



ملتقى المرأة المسلمة برواندا

أهمية عقد الندوة في هذه المرحلة لمخاطبة الكثير من المستجدات وللتعرف على السبل المثلى لنشر الإسلام بالصورة الصحيحة البعيدة عن الغلو والتشدد. حيث لعب الإمام الخطيب في هذه المجتمع دور محور فعالا لنشر الدعاء وإحلال السلام فهو الذي يشكل الرأي العام ويقنع الناس ويحقق الوئام والوفاق. ويدعو الأمر للالتقاء والحوار من أجل نشر ثقافة الحوار التي تحقق السعادة للجميع.

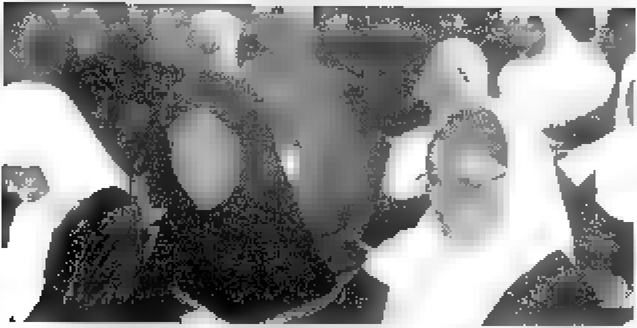
وفي الختام عبر باسم الأخ الأمين وباسم أعضاء الاتحاد عن شكره وتقديره للإخوة أعضاء جمعية مسلمي رواندا برئاسة الشيخ حبيب صالح مفتي رواندا على تنظيم مثل هذه الندوات وعلى الجهود التي تبذل في رواندا من أجل وحدة المسلمين بالتعاون مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

ملتقى المرأة الرواندية المسلمة

ثم انتقل بعد ذلك وفد الجمعية وأعضاء الاتحاد إلى مركز التدريب بكيميهورورا لحضور جانب من فعاليات ملتقى المرأة المسلمة الرواندية والذي يعقد على هامش انعقاد المؤتمر الخامس لاتحاد المجالس الإسلامية تحت شعار

«التطور لمسلمة في فضايا المرأة المسلمة الافريقية»

هذا وقد عبر الأخ أمين الدعوة والمراكز الإسلامية عن شكره وامتنانه للإخوة المشرفين على تنظيم هذه الندوة النسائية وعبر عن الغبطة التي تهم العمل الإسلامي برواندا. علما أن هال المرأة في العالم حقوقها التي تليق بها وفق طبيعة المرأة ورسالتها التي أرادها الله عز وجل. فالإسلام لم يهمل المرأة، وأعطى لها من الحقوق والواجبات كما للرجل موضحا بأن الغربيين الذين يتحدثون بحرية المرأة لم يصلوا إلى المكانة التي أعطاها الإسلام للمرأة، لقد خص الله المرأة بتربية الأبناء فالأسرة هي المدرسة الأولى، وهي التي تنسج الأجيال وتدعم تحمل أعباء الحياة وتحمل المسؤولية، فالحقوق متساوية في الإسلام بين الرجال والنساء. ودعا المشاركات في فعاليات هذه الندوة بضرورة المشاركة في جميع المناشط الاجتماعية والثقافية والسياسية في المجتمع والخروج إلى ميادين العمل المختلفة بما يخدم مصلحة المجتمع ويحقق التقدم.



جانب من المشاركات في ملتقى المرأة المسلمة برواندا

ثم تحدثت الأخت ... رئيسة جمعية المرأة المسلمة الرواندية التابعة لجمعية مسلمي رواندا ناصحة المشاركات في الندوة وباسم النساء المسلمات الروانديات معبرة في كلمتها بالجهود التي تبذل للرفع من مستوى المرأة المسلمة، حيث قدمت شرحا وافيا للتعريف بالملتقى وأهدافه وكذا تشارك فيه أكثر من 100 امرأة يمثلن جميع المحافظات في رواندا. وباسم المرأة المسلمة الرواندية شكرت أعضاء الاتحاد ووفد الجمعية على مشاركتهم في فعاليات الملتقى.

الجولة على هامش الملتقى

ثم انتقل وفد الجمعية وأعضاء الاتحاد إلى مركز كيجالي التذكاري والمتحف حول مذبحة عام 1994 المسيحي والذي يجسد معاناة الشعب الرواندي إبان المذبحة التي راح ضحيتها مليون شخص من الأطفال والنساء والرجال الأبرياء، ويجسد ويحكي هول هذه الجريمة أمام مرأى ومسمع من العالم، استمع الوفد إلى شروح وافية عن المذبحة وشاهد الصور والرموز والأدوات وغيرها من بقايا الضحايا الدالة على بشاعة الجريمة. وفي الختام أعرب الوفد عن الأسف والحزن على ما شاهد من آثار إبادة جرت فيها [illegible]

وفي الفترة المسائية ليوم الخميس الثالث عشر من شهر [illegible] واصل أعضاء الاتحاد اجتماعهم التمهيدي لدراسة ومناقشة العديد من القضايا التي تهم الاتحاد وتقييم المناشط التي قام بها ودراسة خطة العمل لهذا العام. وقد شارك وفد الجمعية في مناقشة العديد من القضايا التي تهم العمل الإسلامي وأوسع الجوانب التي تخص الجمعية في إطار تعاونه مع الاتحاد.

اجتماع اتحاد الشباب المسلم الإفريقي

وعلى هامش الجلسة المسائية بدأ أعضاء اللجنة التنفيذية لاتحاد الشباب المسلم الإفريقي اجتماعهم الأول لهذا العام لدراسة وتقييم مناشط الاتحاد للعام الماضي ودراسة خطة العمل لهذا العام.

وحضر جانب من الاجتماع أمين مكتب الدعوة والمراكز الإسلامية الذي أثنى على الدور الذي يقوم به أعضاء الاتحاد ودعاهم إلى بذل مزيد من الجهد من أجل تحقيق الاتحاد بشكل علمي وعملي للشباب المسلم



صورة الأمانة والمشاركين التي عقدت على هامش المؤتمر العام لاتحاد المجالس الإسلامية لشرق ووسط وجنوب أفريقيا برواندا

الأفريقي بما يخدم قضايا الشباب وقضايا الأمة.

واجتمع أمين مكتب الدعوة والمراكز الإسلامية، وعميد كلية الدعوة الإسلامية بمديري الإذاعات الإسلامية التي افتتحتها الجمعية أو ساهمت في إنشائها ودعمها وهي:

1. إذاعة نور — كينيا
2. إذاعة الإيمان — موزامبيق
3. إذاعة صوت أفريقيا — أوغندا
4. إذاعة جنوب أفريقيا

وتحدث عميد كلية الدعوة الإسلامية عن أهمية الإعلام ودور الإذاعات الإسلامية في نشر الإسلام ومواجهة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية بالتصدي لحملات التشويه التي يتعرض إليها الإسلام والمسلمون من قبل بعض وسائل الإعلام الغربية، مؤكداً على دور الإعلام في تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام وذلك بالتنسيق بين الإذاعات الإسلامية وتبادل الخبرات والزيارات، مشيراً إلى أن الجمعية ترغب في أن يكون الاجتماع القادم للإذاعات الإسلامية أشمل وأعم ويضم الإذاعات الأخرى غير التي تدعمها الجمعية. وناقش أمين مكتب الدعوة والمراكز الإسلامية مع ممثلي الإذاعات جملة من القضايا والمناشط التي يقومون بها والتعرف على نوعية البرامج التي تبث ودعا إلى إمكانية توحيد البث في بعض الأوقات.

وقد أصدر المؤتمر العام لاتحاد المجالس الإسلامية لشرق ووسط وجنوب أفريقيا في ختام اجتماعاته عدداً من القرارات والتوصيات، شملت العديد من القضايا التي تناولها المشاركون بالنقاش خلال أيام المؤتمر.

وأكد على أهمية قيم التعايش السلمي والحوار بين الثقافات والحضارات والأديان ودعا المؤتمر إلى دعم الجهود المستمرة بأن تولي كافة المجالس الإسلامية المنضوية تحت الاتحاد هذا الموضوع اهتماماً بالغاً. وأدان المؤتمر في بيانه المجزرة البشعة التي وقعت في رواندا قبل عشر من السنين وأدان بشدة عمليات الإبادة الجماعية والتشريد التي يرتكبها الصهاينة بحق الشعب الفلسطيني الأعزل مطالباً المجتمع الدولي بضرورة التدخل لإنهاء معاناة الشعب الفلسطيني واستنكر عمليات التعذيب والممارسات غير الإنسانية التي ارتكبتها وترتكبها قوات الاحتلال الأمريكي والبريطاني ضد المعتقلين العراقيين بسجن أبو غريب وغيره من السجون في الأراضي العراقية المحتلة.



وجه سوريمام المشرق يستضيء بحقائق العمل الإسلامي النبيل

قرية الهنود.. التي قهرت الوثنية والظلام بنور الإسلام

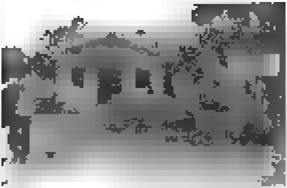
مصطفى أبو بكر لالة*

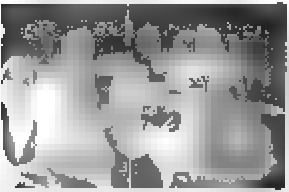
في أواخر الخمسينيات عرضت الخيالة الأمريكية على [illegible] الهنود الحمر [illegible] بعرض مباراتها الهجومية عليهم باعتبارهم أناسا عجزا لا يستطيعون التعايش مع الحضارة الإنسانية المتقدمة

ومنذ ذلك في السنة الواحدة عشرات الأشرطة وتروج لها وتوزعها على دور الخيالة في العالم بالعصي الأثمان، واختلقت تلك الأشرطة قصصاً من خيال لتعلل بتشويه كيان هذه الأمة بعد أن حاربهم وطاردتهم عشرات السنين وكانت بذلك تستعدي الشعوب في كل مكان لتبرر الفظائع والمجازر التي ارتكبت في حق هؤلاء البشر لتصورهم عراة حفاة جوعى وقطاع طرق يهجون

* كاتب وصحفي [illegible]







خلف الستولتف من البرامج الامنة ويقتلون البلاوة في طرقهم دون اسباب وكانت جميعها صور كاذبة ومسمة بخيال المخرجين الذين كانت تدفع لهم هوليوود المبالغ المالية الطائلة حتى يبدعوا ايما ابداع في مواضيع تخدم المصالح الامريكية في هذا الجانب

وبالرغم من ذلك التركيز المدروس والمدعوم ماليا آلة السياسة المصنوعة، لم تبن تلك الادعاءات اغراضها ولم تصل الى أهدافها بل انها كشفت الدراما من خلال مغالطة المشاهد والطرح المبتذل لواقع لم يكن موجودا بل هو نسج خيال لا يساوي حفنة من الدولارات، وبعد ذلك ما دفع ببعض المخرجين الى محاولة الرد على تلك الحملات من خلال الموجة التي ظهرت بها بعد الحملة الامريكية في محاولة لتصحيح ما طرحته حول هذه الصور العدو

الامر الذي جعلني استرجع هذه الصور التي ما زالت راسخة في الأذهان، تلك الفرصة التي منحتها لي ظروف العمل التي جعلتني اعيش عن قرب مع هذه من الهنود الحمر في احدى قراهم بشمال ... والتي يعيشون فيها حياة الإنسان المسالم الذي ما زال يتعامل مع الطبيعة بما هي عليه ولا يحاول تشويهها بمخترعات الإنسان المتحضر، اللهم الا فيما اقتضته الضرورة ... فرص ... من ذوي ... والاحسان.

ولا يمكن لي مهما حاولت ان اكون دقيقا في النقل والتسجيل وسرد تفاصيل المشاهد ان اضع امام القارئ حقيقة النفوس البريئة ... في صدور هؤلاء الناس الذين ... الابهة ... ملائكة ...

قد لا تتصور ... الاستغراب واللهو ...



[illegible]

والتقاطهم للأشياء وحفظهم عن ظهر قلب بسرعة عجيبة. سألت عبد الأعمال منهم في أي مدرسة تقرأ؟ أجاب بكلمات عربية صحيحة متقطعة وليست [illegible] مدرسته في مدرسة عمر [illegible] قلت له من يعلمك القرآن الكريم؟ أجابني: ماما قرأني، سألته كم سورة من القرآن تحفظ؟ قال: سبعاً وعشرين

الأطفال.. والمكاسب الدعوية

هؤلاء مجموعة من الأطفال عددهم يصل إلى سبعة عشر طفلاً بين بنين وبنات، يواصلون تحصيلهم الدراسي في إحدى مدارس الدولة ويتلقون حفظ القرآن الكريم في مدرسة عمر المختار التابعة لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي تأويهم إقامة وإشرافاً ومتابعة. وهم الآن يتعلمون اللغة العربية في فصول دراسية أعدها المكتب لهم خصيصاً خلال الفترة المسائية، أي بعد انتهائهم اليوم الدراسي في مدارس الدولة. ويمكن المكتب أيضاً بتنقلهم من وإلى المدرسة. في المسجد المواجه لمكتب الجمعية يواصلون أداء الصلاة في أوقاتها، بل إن الكبار منهم يرفعون نداء الصلاة في وقتي الظهر والعصر.

أليست كل هذه مكاسب دعوية تحققها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في هذه الديار البعيدة؟ ويمثل هؤلاء الأطفال الذين هم خلف أقوام تريد بهم الإبادة والنهاية المصير؟ إلا هذه بادرة من تلك الرؤى المتعددة التي شاهدتها وأنا أقف أمام نفر من الهنود الحمر في أرضهم وبين أطفال عائلاتهم.

ما يثير الانتباه هو ذلك الاعتزاز بما قدمته الجمعية لهؤلاء الهنود فوق أرضهم من نعمة الإيمان والهداية إلى دين الحق فذلك نور قد غمرهم الله به بعد أن [illegible] بالشعائر [illegible] جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في سورينام بفضل من الله عليهم أن هداهم

لديه القيم، ومن مشكلتها وعجز الصحية والروحية والمتابعة وقدمت لهم كل المساعدة والخدمات التي يحتاجونها ومن خلال بث المشروع

خطوات العمل المتقدمة:

الخطوة الأولى بدأت في العام 2000 ميلادي، وبالتحديد في العاشر من شهر التاسع (سبتمبر) حيث تم بناء قاعة كبيرة للمهتدين الجدد من الهنود الحمر لأداء الصلاة فيها وتعليمهم العبادات، ووضع بعدها حجر الأساس للمسجد الذي استغرق بناؤه مدة ثلاثة أشهر، وبعد أن اكتمل تم افتتاحه بإقامة قراءة قرآن بكل المتروحين منهم والذين هداهم الله إلى دينه الحق ليبارك الله سعيهم ويهديهم إلى طريق الخير والصلاح. ثم توالت الأعمال وتقديم المساعدات والخدمات لهم، فتم بناء محل تجاري لهم في القرية يشتري منه السكان ما يحتاجونه من المواد الغذائية ليمتلك المحل بيت لهم ويديره ويقدم خدماته لأهل قريته. ثم أعقب كل ذلك بناء بيت لتعليم القرية وزعيمها الذي وقف مواقف يعتز بها الإنسان عندما يجد نفسه في حاجة إلى من يعينه ويقف إلى جانبه خاصة في مجال العمل الإسلامي والدعوة إلى دين الله. وهكذا توالت الخطوات في ثبات نحو عمل إسلامي مشرف يعين المسلم الجديد على ترسيخ عقيدة الإيمان داخله ببرامج الأخوة الإسلامية.

القوافل الإسلامية والرعاية الصحية

عندما كانت تجمعني اللقاءات مع الإخوة المسلمين الذين يديرون المؤسسات والهيئات الإسلامية في سورينام، لا بد أن يتم الثناء على ما قدمته الجمعية من عناية ورعاية واهتمام بإرسالها للقوافل الإسلامية وما قدمته من خدمات صحية ومساعدات غذائية واجتماعية للمسلمين وغير المسلمين في هذا البلد.

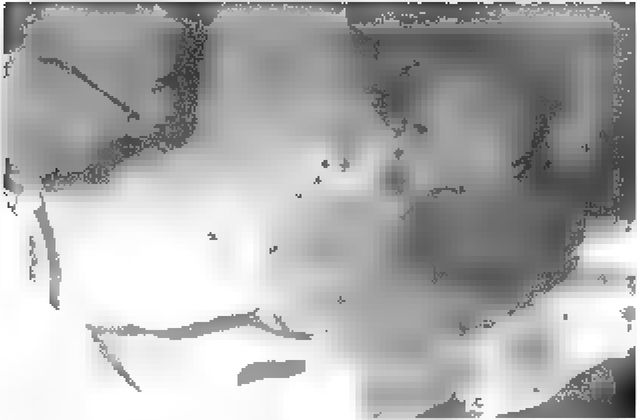
لقد قامت القافلتان اللتان تم إرسالهما إلى سورينام خلال العام 1999 ميلادي والعام 2001 ميلادي على متابعة الأحوال الصحية للمسلمين، كما قامت بإجراء العديد من عمليات الختان لأبنائهم، وحيث اشتهر كثير من سكان القرى الهندية بإسلامهم، عمل الأطباء المرافقون للقوافل على إجراء عمليات الختان لأبناء الهنود الحمر إضافة إلى مساعدتهم على علاج الكثير من الأمراض المستوطنة في تلك الأدغال وتقديم الأدوية والعلاج للمرضى منهم، كما قامت بإجراء بعض العمليات الجراحية للمحتاجين منهم، أما الخدمات الغذائية فقد قدمت القافلتان المواد



قارب نهري لنقل المساعدة

الغذائية الضرورية للمسلمين والفقراء في العديد من المناطق والقرى والمدن التي وصلت إليها، والتي قوبلت بالاستحسان والتقدير والامتنان، وقد ساعدت عوامل عديدة في إنجاح العمل الدعوي والإنساني والصحي والاجتماعي على المستويين الشعبي والرسمي، تلك الثقة والمصداقية فيما يقدم من خدمات يراد بها وجه الله، إضافة إلى نشاط دعاة الجمعية وتحركهم في كل مكان من البلاد، فلم يقتصر العمل على مناطق المدن والأماكن القريبة بل تواصل العمل وتقديم الخدمات إلى القرى البعيدة والأماكن الصعبة والأدغال النائية.

ويحظى قراء الجمعية الذين يتم إيفادهم خلال شهر



طبيب القافلة يفحص أحد الأطفال

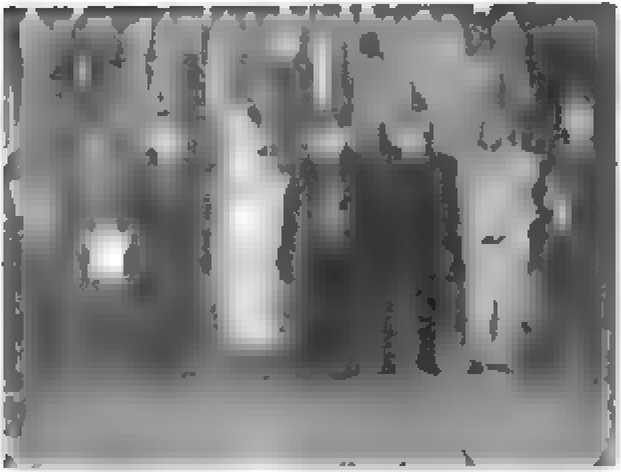
بمصلى المبارك بالترحيب والاستقبال من جميع فئات المصلين، حيث يتم استضافتهم في المساجد المختلفة في المدن والقرى ليكونوا ضيوفاً على المصلين هناك يستمعون إليهم ويتعلمون منهم فنون وقراءة القرآن الكريم. وهو الأمر الذي مكن من كان يصدق من خلافه في بعض الأمور الفقهية لاختلاف وجهات النظر حولها. وهذا الذي قربت القلوب وساهمت على المزيد من الألفة والمحبة بين الاخوة المسلمين وذلك لما يحمله القراء الليبيون في مساجد البلاد من خلق عربي وإسلامي لعلي جسد حقيقة التفاني في أداء الواجب والعمل الصادق خلال أيام و ليالي شهر رمضان الكريم.

مصداقية الطرح وحجم العمل:

إن الحديث في مجالات العمل الإسلامي في هذا البلد يطول وتتعدد فيه المسميات والإعداد. ولا شك أنني قد استطيع أن أسجل من خلال اطلاعي أو تحقيق صحفي واحد كل ما جرى ويجري، ولكن تحتوي هذه الطرح لكل ما حاولت رصده في هذه الأوراق يجعلني أتوقف على طريقة العرض التي رسمت خطوطها على هذه الأوراق لتدخل في إطار العمل الصحفي الميسر الذي يضع المعلومة بين يدي القارئ، دون أن يعتمد لها مرجعاً ولا يعني هذا شكاً أو تشكيكاً في المعلومة المنشورة وإنما هو أسلوب العرض في كتابة وطرح الموضوع. إنني حاولت بكل صدق أن أتابع برؤية المحايد والناقل للأحداث كما هي وربما أكون قد ساهمت بشيء عن الإنسان مع شيء أثار حماسي وإعجابي لعمل عظيم ومهم بوضوح حقيقة الاتجاه ومصداقيته الحقيقي للوصول إلى الهدف السامي الكبير الذي من أجله انشئت وتأسست جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لخدمة الإسلام والمسلمين في كل مكان.

الدورة الخامسة عشرة للمجلس العالمي للدعوة الإسلامية

تفعيل الحوار بين الثقافات



استهل المجلس العالمي للدعوة الإسلامية أعمال دورته الخامسة عشرة ببرنت بتلاوة آيات من الذكر الحكيم. تحدث بعدها المقرر العام للمجلس موضحا موقع هذا المجلس في الهيكلية التنظيمية لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمهام المنوطة به باعتباره الهيئة التمهيدية التي تحول مقررات وتوصيات المؤتمر العام إلى برامج محددة في المجالات التربوية والثقافية والاجتماعية والإنسانية، وعبر عن سعادة أعضاء المجلس بعقد دورتهم الخامسة عشرة في إيطاليا مشيرا إلى أن المجلس عقد دورات سابقة في دول إسلامية وغير إسلامية وكان المجلس في كل تلك الدول محل تقدير واحترام وإكبار للدور الثقافي والإنساني الذي يقوم به أعضاؤه.

وتحدث بعد ذلك باسم أعضاء المجلس الدكتور محمد منصور عضو اللجنة التنفيذية للمجلس حيث شكر حكومة إيطاليا على استضافتها لهذه الدورة معبرا عن ترحيب أعضاء المجلس بحضور الرئيس فرانشيسكو كوسيجا لهذه الدورة كما رحب بضيوف المجلس الذين حضروا من مختلف أنحاء العالم مساهمة منهم في إثراء مناقشاته مؤكدا على أن هذا اللقاء يعتبر خطوة متقدمة على طريق الحوار والتعارف بين الأديان والثقافات وهو الطريق الذي خططته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية منذ انطلاقتها.

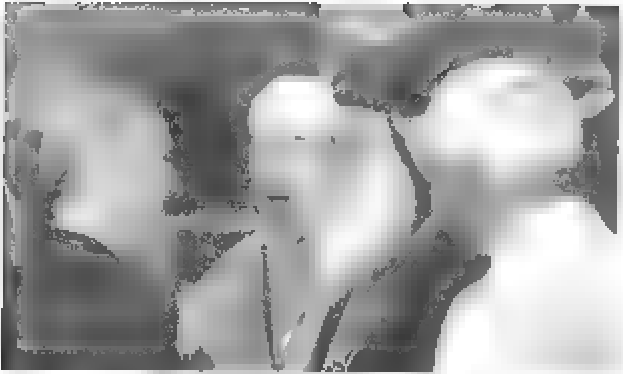
ثم آلت الكلمة بعد ذلك إلى السيد مايكل هينزبيرغر رئيس المجلس اليهودي للحوار مع الأديان فتقدم بتحيته إلى أعضاء المجلس وضيوفهم، وأشار إلى علاقات التعاون المثمرة مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية منذ ما يربو على عقدين من الزمان والتي تمثلت في عقد عدد من الندوات واللقاءات، تناولت قضايا ذات تأثير في مجتمعات المسيحية والإسلامية مشيرا بالخصوص إلى اللقاء الأخير الذي نظمه المجلس الفاتيكاني تحت شعار التساوية الأديان تبنى التكوين والتعاون، وأكد السيد هينزبيرغر في ختام كلمته على حرص المجلس على استمرار وتطوير برامجه الحوارية مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

وتحدث بعد ذلك الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم مشيدا بعلاقات التعاون الوثيقة والمتميزة مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية من خلال عشرات البرامج التي عززت الهوية الإسلامية وحافظت على قيمها في نفوس وعقول الناشئة مؤكدا على رسالة الإيسيسكو الثقافية التي تعمل في مجملها على التعريف بالإسلام وإبراز وسطيته وسماحته، وأشار إلى أن المشاكل التي يعيشها العالم اليوم إنما تعود نتيجة طغيان المصالح المادية والبعد عن الالتزام بالأخلاق والعبث بالقوانين والمواثيق الدولية، وأن الأزمة الحضارية التي يعيشها عالمنا لا يمكن معالجتها إلا في إطار مبادئ ثقافة العدل والسلام.

اللقاء يعتبر خطوة متقدمة على طريق الحوار والتعارف بين أتباع العقائد

ورحب السيد روبيرتو غويراليس مستشار رئاسة جمهورية الفلبين في كلمة نيابة عنه، رحب بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية وجهودها في العمل الثقافي والإنساني، مشيرا إلى أن بلاده شجعت الجمعية على فتح مكتب إقليمي لها في مانيلا وهو ما تم رسميا خلال الأشهر الماضية. وعبر السيد المستشار في كلمته عن تقديره لدور الإسلام في الثقافة الإنسانية واعتزازه بأن يكون أحد العناصر المكونة لهوية الثقافة لبلاده، وتمنى في ختام كلمته كل توفيق ونجاح للمجلس في مداولاته.

ونظرا لأن ظروفا طارئة حالت دون حضور



حوار من منظور ... بين الشرائع

الدكتور عبد الواحد بتقرير الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي فقد أرسل خطاباً الى أعضاء المجلس حيا فيه جهود جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومؤسساتها الثقافية والإنسانية في مختلف أنحاء العالم وعلى وجه الخصوص في قارة افريقيا مؤكداً على ان منظمة المؤتمر الإسلامي فخورة بما تربطها بعلاقات تعاون مع الجمعية ومستعدة دوماً للدفع بالتعاون معها خطوات للأمام.

بعد ذلك تحدث الدكتور محمد أحمد الشريف امين عام المجلس العالمي للدعوة الإسلامية فحيا في كلمته إيطاليا رئيساً وحكومة وشعباً وخص بالشكر السيد جوزيبي بيزانو وزير الداخلية الذي تكرمت وزارته على شؤون الأديان على استضافة لهذه الدورة وتقديم كل التسهيلات لنجاحها، وتقدم بالشكر والتقدير إلى الرئيس الإيطالي السابق فرانشيسكو كوسيغا الذي كانت له اسهاماته في مجال الحوار والتعارف والتواصل الثقافي كما حيا السيد ماركو هنز جيرالد رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان ومن خلاله حيا قداسة البابا يوحنا بولس الثاني على المشاركة لجهوده في الدعوة إلى السلام العالمي وعمله من أجل ذلك. كما تقدم بشكره إلى مسؤولي المنظمات والهيئات الإسلامية والمسيحية التي لبت دعوة المجلس للمشاركة في مداولاته.

واستعرض في سياق حديثه عن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بأن الفضل في تأسيسها يرجع بعد الله سبحانه وتعالى للأخ معمر القذافي قائد ثورة الفاتح الذي دعا إلى تأسيسها على هدى من الله للتعريف بالإسلام في قيمه وأساسياته وفي وسطيته وانفتاحه على الآخر وفي تأكيده على ضرورة احترام مبادئ الكرامة الإنسانية في أوسع معانيها، مشيراً إلى أن الكرامة تقتضي منا جميعاً ادانة كل ما يمس بها من مظاهر القتل والإرهاب والتعذيب والاحتلال وتدمير البيئة والفساد في الأرض وأن أول خطوة في التصدي لتلك المظاهر إنما تتمثل في احترام الشرعية الدولية وعدم العبث بالمواثيق والأعراف التي ارتضاها المجتمع الإنساني لأن الضرر من تلك المواثيق او

تجاهلها إنما يخلق بيئة مناسبة للإرهاب والتطرف التي حسب ما سمعناه لم تتطرق بجدية وسلوكية إلى مسبباته رغم وقعت عدة مظاهر، وأكد الأخ أمين عام المجلس على ضرورة العمل من أجل عقد مشترك لأجيال قواعد المساواة والعدل والسلام والقاعدة ثقافة الحوار والتقارب وهو ما تضمنه الجمعية في سلم أولوياتها.

وألقى السيد جوزيبي بيزانو وزير الداخلية الإيطالي كلمة في الجلسة الافتتاحية جاء فيها:

السيد الأمين العام السادة أعضاء المجلس العالمي للدعوة الإسلامية

أود أولاً أن أشكركم على دعوتي للمشاركة في الأعمال الافتتاحية لهذه الدورة إنها المرة الأولى التي تعقدون فيها أعمالكم في مدينة أوروبية وهو شرف لي أن أقول لكم مرحباً بكم في روما مرحباً بكم في إيطاليا مرحباً بكم في أوروبا.

إن جمعيتكم تقوم بعمل في غاية الأهمية لكونها تنظر إلى الإنسان الذي يمثل ركناً أساسياً لأية بيئة اجتماعية.

لكم تدين الإنسان بعملكم الكريم في مجالات الثقافة و التعليم والخدمات الإنسانية. إن جمعيتكم معترف بها في أهم المراكز الدولية في الأمم المتحدة في المنظمات الصحية العالمية.

إن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية موجودة في إيطاليا منذ ما يقارب من 20 سنة وقد عرفنا أصدقاء منذ مدى طويل. أنتم أصدقاء شعبي وتضامنكم في هذه المدرسة للجمعية التابعة لوزارة الداخلية السابقة التي تقدم دعماً كبيراً في الأوقات الصعبة كالتي نعيشها الآن وهي في الوقت نفسه غنية بالفرص للحوار وتحقيق السلام.

أنا أعلم أن موضوع التقارب بين الشعوب هو من بين الأمور التي ستناقشونها وهذا خيار محظوظ فالتقارب ينتج من الحوار الذي كما نعلم ليس بالهين ولكن من خلال الحوار وحده يتم التعارف والتفاهم واحترام الآخر والتعايش السلمي.

إن الحوار بين الديانات يدخل بين الأولويات لكم الثابتة وهذه علامة مميزة لنشاطاتكم في إيطاليا ويجب ذكر مشاركتكم في الحوار الإسلامي المسيحي الذي عقده الفاتيكان بمساهمة جماعة سانت إيجيديو.

كما تعلمون ففي العشرين سنة الأخيرة فقط تحولت إيطاليا إلى هدف للهجرات القادمة من العالم الإسلامي ولهذا ففي هذه السنين دخل المجتمع الإيطالي في احتكاك مباشر مع القيم الدينية والثقافية ومختلف جوانب الواقع الإسلامي المعاصر.

القصر على المواثيق والأعراف الدولية أو تجاهلها يخلق بيئة مناسبة للإرهاب و التطرف

غير أن موضوع العلاقة بين المسيحيين والمسلمين لا يمثل أمراً جديداً بالنسبة لنا بل على العكس فإننا بدأنا نتدارس الموضوع منذ زمن بعيد.

وفي هذا المجال اسمحوا لي أن أذكر أمراً لا يزال عالقاً في ذاكرتي رغم قدمه وهو يتعلق بالشخصية الفذة للرجل السياسي جورجو لابيرا أي ذكرى اللقاء المتوسطي المنعقد في مدينة فلورنسا قبل ما يقرب من نصف قرن وبالتحديد في 4/10/1958 في ذلك اليوم جمع الأستاذ جورجو لابيرا بعدد من ممثلي شعوب البحر المتوسط المنتمين إلى الفروع الثلاثة سلالة إبراهيم للحديث عن القديس سان فرانشيسكو وعن مهمته عند سلطان مصر من أجل السلام.

المجتمعون بدأوا الحديث عن السلام متبادلين الأفكار والمشاعر في مدينة فلورنسا التي كانت قبل أربعة قرون تسمى (القدس الثانية) من قبل جيرولامو سافونارولا


WORLD ISLAMIC CALL COUNCIL
THE FIFTEENTH SESSION

يجب أن نقاوم كل أنواع الانعزال المنغلق والتمييز الاجتماعي لكونها جزءاً لأنها أوضاع يسهل فيها نمو التزمت الديني والتعصب السياسي.

الإرهاب عدو لكل الشعوب المحبة للسلام ولذلك ينبغي على الجميع: اليهود والمسيحيين والمسلمين مقاومة الإرهاب في داخل مجتمعاتهم والتعاون فيما بين بلدانهم.

الحكومة الإيطالية أدرجت كل هذه المواضيع في برنامجها عندما تولت رئاسة الاتحاد الأوروبي لمدة ستة أشهر وخرجت بنتائج مهمة. ففي نهاية عملنا كنا قد حصلنا على الورقة الأوروبية حول الحوار بين الثقافات كعامل اجتماعي في أوروبا وأداة في خدمة السلام في منطقة البحر المتوسط. هذا الحوار [illegible] من الورقة الأوروبية: فيما يتعلق بتعاهد الأجيال الأوروبية القادمة على عدم تكرار أخطاء الماضي، ولهذا يجب علينا أن نعلم للتسامح والتنوع ونسلحهم بالتسامح في شبابنا. إنه مهم أيضا ونتحدث عن التراث الروحي للديانات الثلاث الموحدة. التعددية هي الأساس الذي لا بد منه لبناء الديمقراطية والتعدد الديني هو أهم أشكال التعدد ولكن لكي يكون هذا الأخير واقعا ملموسا يجب احترام جمال وخصوصية كل الديانات. ذكرنا يوحنا بولس الثاني إمام الكنيسة الكاثوليكية في جميع أنحاء العالم، وهو الأول في العالم الذي يحتل منصبا كهذا، فهو عندما تحدث في روما أكد على ضرورة الإقرار بالفروق والاختلافات بين المعتقدات موضحا [illegible] الصليب في القاعات الجامعية بقوله: إن الصليب يمثل رمزا دينيا [illegible].

التعددية مبدأ حديث وفي الوقت ذاته فهو قديم والقرآن يصفه جيدا عندما يذكر:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات، الآية 13]

دعوني أتطرق مرة أخرى إلى القرآن:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

[سورة آل عمران، الآية 64]

اسمحوا لي أن أختم كلمتي بالتمني أن جبهة الحوار والاحترام المتبادل والسلام تتسع دائما لرجال من ذوي الإرادة الحسنة. إن حضوركم هنا هو خير دليل على ذلك.

أشكركم من صميم قلبي وأتمنى لكم خير العمل.

***

وفي ختام جلسة الافتتاح تحدث السيد فرانشيسكو كوسيغا الرئيس الإيطالي السابق فأثنى على جهود جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومجلسها العالمي معبرا عن سروره بلقاء هذا العدد من المفكرين والعلماء ومسؤولي المنظمات الدولية والهيئات المسيحية الذين يجتمعون اليوم في هذه العاصمة التاريخية. وأكد الرئيس كوسيغا في كلمته بأن التطرف مرض لم يصب الإسلام فحسب بل أصاب المسيحية واليهودية أيضاً، ولعل الحروب الصليبية التي شنت على العالم الإسلامي تمثل مظهرا من مظاهر ذلك التطرف، وأشار بأنه يجب أن يكف الغرب عن [illegible] الديمقراطية وحقوق الإنسان للعالم وفق رؤيته لها، وإجبار الناس على أن يكونوا نسخة منه في تجاهل لخصوصياتهم الدينية والثقافية والاجتماعية، وأوضح في كلمته بأن العالم يعيش أزمة أخلاقية أفرزت أوضاعا إنسانية مؤلمة يمثلها اليوم الوضع في فلسطين والعراق، وأكد الرئيس كوسيغا في ختام كلمته على ضرورة أن يكون

للمسلمين في أوروبا وضع قانوني يحفظ لهم هويتهم وخصوصيتهم الدينية والثقافية، لأن غياب ذلك الحق يناقض ومقتضيات المواطنة

أعمال الدورة الخامسة عشرة

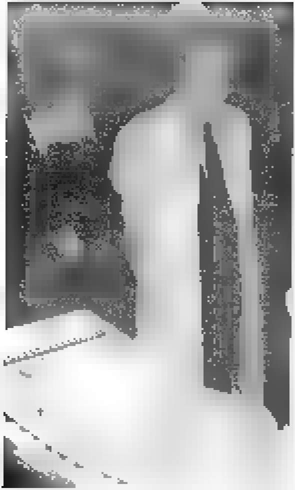
بعد جلسة الافتتاح بدأ المجلس العالمي للدعوة الإسلامية في مناقشة جدول أعماله حيث استعرض التقرير المقدم من اللجنة التنفيذية حول أنشطة الجمعية في الفترة الواقعة بين الدورتين الرابعة عشر والخامسة عشر

النشاطات التعليمية

وانتقل المجلس بعد ذلك إلى مناقشة البند الثاني من جدول الأعمال والمتمثل في تقرير حول الأنشطة التعليمية للجمعية خلال الفترة ذاتها، والتقرير يشمل البرامج التعليمية بكلية الدعوة الإسلامية وفروعها في كل من سوريا ولبنان وتشاد والسنغال ومعهد تعليم اللغة العربية في بنين والكلية الإسلامية في لندن، وكذلك برنامج دول الساحل الأفريقي الذي ينفذ في إطار التعاون مع منظمتي الإسيسكو والأليكسو إضافة إلى جهود الهيئة المشتركة لتأسيس المراكز الثقافية الإسلامية، وبعد مناقشة هذه التقارير باستفاضة تم اعتمادها من قبل المجلس مع التأكيد على ضرورة أن يتم العمل من خلال الكلية الإسلامية بلندن وبعض المؤسسات التعليمية الجادة في أوروبا على تكوين أئمة من أبناء المسلمين الأوروبيين يكونون قادرين على تبليغ رسالة الإسلام في مجتمعاتهم والعمل على جعلها منفتحة على العصر مع تحقيق أكبر استفادة ممكنة مما تطرحه تقنيات الاتصال والمعلومات.

النشاط الدعوي والثقافي والإنساني

واستمع المجلس في إطار البند الثالث إلى تقرير من أعضاء المجلس عن النشاط الدعوي والثقافي



والإنساني في مناطقهم، وقد تبلورت مناقشاتهم في التوصيات التالية:

1. مضاعفة الاهتمام بالمؤسسات التي تعد الأئمة والدعاة واستخدام أحدث الوسائل في تعليمهم وتطوير مناهج تلك المؤسسات بما يعكس وسطية الإسلام وإبراز عدالة، التسامح والسلام والانفتاح على الثقافات الأخرى والمحاولة دون أن يقعوا في شراك التعصب المذهبي والانغلاق الفكري.
2. العمل على توسيع مشاركة المرأة في المجلس العالمي للدعوة الإسلامية وفي المؤسسات الثقافية والتربوية التي تشرف عليها الجمعية والاستمرار في دعم برامج الهيئات والروابط النسوية
3. بذل مزيد من الجهود في المجالات الثقافية في

مشاكل المختلفة، سواء مؤتمرات أو إعداد كتب ومنشورات ترجمة من أجل التعريف بالإسلام في أسسه وثوابته وعلاقته بالأديان والثقافات الأخرى، وتفنيد ما يروج ضده من افتراءات.

4. تطوير برامج العمل الثقافي والدعوي في منطقة الشرق الأقصى (اليابان، الصين، كوريا) والاستمرار في دعم المؤسسات التعليمية الإسلامية هناك وتوسيع دائرة قبول الطلاب من هذه المنطقة في كلية الدعوة الإسلامية وفروعها.

5. إيلاء مزيد من الاهتمام بالشأن الثقافي الإسلامي والدعوي في أمريكا اللاتينية والعمل على نشر إصدارات باللغة الإسبانية تعرف بالثقافة الإسلامية وتدعيم الجاليات المسلمة بينهم وتقديم الإسلام في أسسه وثوابته بلا تحريف.

6. التأكيد على رفض المجلس وإدانته كل مظاهر التدمير الثقافي والحضاري وتخريب المؤسسات التعليمية في فلسطين، وممارسة سياسات الحصار التي تحول بين الطلاب وجامعاتهم وتحرم الآلاف من الأطفال من تلقي تعليمهم في ظروف مناسبة، ويدعو المنظمات الدولية وفي مقدمتها منظمة اليونسكو للاضطلاع بدور أكثر فاعلية لوضع حد لتلك الانتهاكات والمظالم.

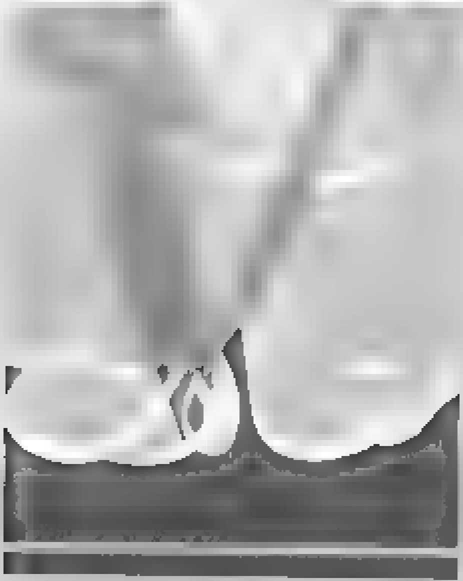
7. استمرار وتحسين التنسيق بين المؤسسات الإسلامية والعمل على تكامل أعمالها والحيلولة دون تكرار الجهود أو تضاربها، وفي هذا الشأن يؤكد المجلس ضرورة تفعيل لجنة تنسيق العمل الإسلامي التي أنشئت في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي.

جهود التعارف

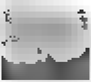
وفي إطار مناقشة البند الرابع استعرض المجلس ورقة حول جهود التعارف التي قامت بها الجمعية، وفي مقدمتها الملتقى الحواري الكبير الذي التأم في طرابلس خلال شهر الفاتح (سبتمبر) 2005 وما تبعه من أنشطة تمثلت بالخصوص في لقاء عمل نظم بمنظمة (ويلتون بارك) في بريطانيا خلال شهر الربيع (مارس) الماضي بالتعاون مع مؤسسة روح أوروبا، وفي حضور كل من الرئيس الإيطالي السابق فرانشيسكو كوسيغا ورئيس جمهورية سيراليون الحاج أحمد تيجان كابا في طليعة كلية الدعوة الإسلامية، إضافة إلى عدد من المناشط الأخرى. وأكد المجلس في إطار مناقشته لهذا البند على ضرورة أن تستمر الهيئات الإسلامية والمسيحية التي شاركت في ملتقى (تعارفوا) في تفعيل اللقاءات التي ستعقد على التوالي في كل من: موسكو، عمان، تورنتو، وفي إحدى العواصم الأفريقية، وفي واحدة من عواصم بلدان جنوب شرقي آسيا خلال هذا العام. كما عبر المجلس عن تأييده ودعمه لمؤتمر الحوار الإسلامي المسيحي المقترح من الرئيس السنغالي عبدالله واد الذي يعقد في نهاية عام 2006، وطالب المجلس المؤسسات الإسلامية والمسيحية التي تهتم بأمر الحوار بدعمه واتخاذ الترتيبات اللازمة لإنجاحه.

المؤتمر العام السابع

وناقش المجلس البند الأخير من جدول الأعمال والمتعلق بالترتيبات الخاصة بعقد المؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية، حيث استعرضت الورقة المعدة حول هذا الأمر، واستمع المجلس إلى عدة مقترحات حول مكوناته، انتهت إلى تحديد الزمان ليكون في أواخر شهر شوال، وتحديد المكان في دولة المقر. أما بخصوص الشعار الذي سيعقد تحته المؤتمر ومحاوره فتقرر إحالة كل المقترحات الواردة من أعضاء المجلس أو من غيرهم من أعضاء المؤتمر العام إلى اللجنة التمهيدية لدراستها ثم الاتفاق على شعار ومحاور المؤتمر.



- العرب يقرأ الإسلام من جديد
- الإنسان المعاصر أمام حركة الواقع والاجتهاد
- كيف تعاونت الصهيونية مع النظام النازي!
- الصحوة الإسلامية رؤية مستقبلية
- الشباب المسلم والسنة
- التلوث الثقافي وانعكاساته
- الكتاب وثقافة الطفل المسلم
- البعد الديني لمفهوم الإرهاب في السياسة الصهيونية
- الشيخ عبد الواحد يحيى (رينيه جينو) والنهضة الروحية في الغرب



نحو عالم أكثر تسامحاً

الغرب يقرأ الإسلام من جديد

د. إسماعيل نوري الربيعي*

يخضع الإسلام في هذه الأيام التي نعيشها إلى مزيد من التفحص والتدقيق بل بحثٍ المطابقة والتفتيش عبر قنوات اهتمام مفرط جاء في غضون حادث معاصر، لكنه عُدَّ بمثابة التفجير الاستنادي بعد الحين الذي كان يمر على استحياء الأمر من قبل أن تهتم الأوساط المعنية بالبحث والتمحيص عميقاً، ولعل الانطلاقة في الأمر كان غريباً، وبعد هذه الموجة التي يتعرض لها الإسلام من الإعلامية تكشف عن الكثير من ملامح الخلل في الصيغة المعرفية والعلمية بالإسلام، حتى يمكن السؤال الاستنكاري هل الغرب من خلال الإعلام المستمر الذي تم الصياغة فيه الغرب المتقدم الذي لا يدع للصدفة مجالاً بل إن التداول الثقافي كثيراً ما أشار إلى هذا التوسع الهائل والكبير في مجال مراكز البحوث العلمية التي تعنى بدراسة المجتمعات المختلفة والعناية بالتفصيلات المتعلقة بالتطورات والأحداث والتفاعلات، لكن مهمة البحث الصادر عن الغرب إزاء العالم الإسلامي تكشف عن مدى الغياب الذي حققته مراكز صنع القرار في الغرب ذاته، وليس على مستوى المواطن الغربي العادي، حتى تثير الظاهرة اللافتة حول هذا الإقبال المتصاعد لطلب قراءة كل ما يتعلق بالإسلام والتفصيلات المتعلقة به، كأن الأمر يتجلى على جديد ظهر فجأة، وليس ذلك العالم الذي يتوسط الأرض ويتفاعل ويتواصل ويتوسّع مع المجتمعات البشرية الأخرى.(1)

لقد عُدَّ الإسلام مادة للدرس والتقصي منذ أن بدأ الاهتمام والتفات العالم، ولا بد هنا من الإشارة إلى أن الدرس العلمي والتقصي المنهجي عن الإسلام لم يكن غائباً بشكل نهائي، لكن ردة الفعل وحجمها الصادرين عن الغرب تكشف عن هذا التداعي والارتباك الذي حط على الجميع بما فيها مراكز البحوث العريقة والمتخصصة بتناول الإسلام، وإذ كانت التقسيمات الأوسع والأكبر قد توقفت عند هذه التوزيعات المرتبطة بشؤون الفرق والمذاهب، فإن الأمر اتخذ نموذجاً مختلفاً حيث تابع الصدمة المباشرة والتي كانت بمثابة الأماني المعتمد الذي يعتمد الوصول إلى كنه التعبير فيه هو على الرغم من الإسهام المباشر الذي لعبته قوى الغرب في تأجيج

* أستاذ جامعي - العراق

مجال الحس القتالي والصدامي في داخل الإسلام، من خلال استحضار معالم التحالف مع القوى الإسلامية نحو محاربة العدو المتحرك الذي تمثل بالاتحاد السوفياتي السابق في غزوه لأفغانستان، إلا أن تحولات القوى وتبدلات المراكز جعلت من هذا التحالف مصدراً لنبع حد الصدام الذي يشهده العالم اليوم.

في طابع استعلائي بدأ الغرب يكرس جل جهوده نحو استقراء الملامح الرئيسة في الإسلام، وفي سعي يحاول من خلاله الوقوف على مجمل التفاعلات المختلفة والمتنوعة القائمة فيه، بدءاً من الديني مروراً بالاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي. ولعل المنحى الأهم في كل هذا، أن يحدد الارتكاز الذي يحاول هذا الغرب الانطلاق منه، تكون عملية الترصيف الختامي أو الإجمالي الكامل في المنظومة الإسلامية. فلا شك أن الطابع التوحيدي في الإسلام جاء واضحاً لا يمكن التغاضي عنه، فيما يكون التوكيد على هذا المنهج الإيماني القائم في الإسلام ورسالة محمد ﷺ، حيث الختام الذي لا يقبل جدلاً أو تداخلاً من لدن المسلمين.

وبتأكيد حضور العقيدة والشريعة، فإن التوقف عند الإسلام يستدعي هذه النظرة الحرة، التي تجعل من المسلم مرتبطاً بالله في شكل مباشر، من دون وسائط أو نظام تراتبي، فالأهمية تقوم على التقوى، فيما يتم الدخول في التفاصيل المعرفية من خلال «الراسخون في العلم» وهم العلماء الذين يمالون التقدير والتبجيل، لكن من دون تمييز إيماني أو درجة تقرب أعلى من الله.

الحياة الإسلامية تعيش تفصيلات اليومي، في شكل شديد المباشرة. ولا بد من الالتفات إلى الأسلوب الذي يعتمد من خلاله الاستناد عن أهمية الارتباط بأصول الشرع والعقيدة، فإن هذا لا يعني الخروج عن القانون الوضعي الذي يسود الواقع، ويعمل على تجسيد حالة الانضباط في المجتمع المدني، فحتى القانون المدني لا يخرج عن أهمية الانضواء في مشروعية التشريع الإلهي، والذي يتم استنباط الأحكام الأساسية فيه من خلال الارتباط الوثيق بالشرع والدين. ومن هنا فإن ثمة ضابطاً دينياً يظهر بهذا القدر أو ذاك في صلب العملية التشريعية المدنية.

إن التوكيد على الطابع المؤسسي الذي شمل الحياة المدنية في العالم الإسلامي، لم يجعل هذه

> الإسلام يربط المسلمين بالله دون وسائط أو نظام تراتبي

المؤسسات خارج نطاق الضبط الفقهي، والذي يتجلى في المعاملات والمواريث والعلاقات الشرعية والقرابة والعائلة والأسرة. بل إن الفقهاء يكون لهم الدور الأسبق في ضبط العلاقات التي يحددها القانون، بكل تشريعاته التنظيمية والعرفية، ومدى تعالق وتآلف المجتمع معه. وإذا كانت المؤسسة الرسمية تعمد إلى تعميم مبدأ المركزية والعمل على توحيد مصالح الرعايا المدنيين والعسكريين تحت لواء ويحدد الدولة الواحدة، فإن الإطار الرسمي هنا لا يخلو من أهمية عن الإشارة المباشرة إلى أن الإسلام هو دين الدولة الرسمي.

في محاولة لرصد التوزيعات والتقسيمات، نجد التعالق وقد اتخذ مسار الفرز بين الموقف السياسي الذي يحقق المؤسسة الرسمية عبارته والعامل الاجتماعي المرتبط بمجموع الأمة، حيث الارتباط بالإجماع الذي تشكله الغالبية في تعيين موقف ما إزاء القضايا الكبرى، هذه المسألة يتوقف عندها الكثير

من المراقبين الغربيين ويمضون إلى دعمهم بالكثير من المضي إلى تعطيل حركة الدولة ومؤسساتها الرسمية في سبيل تحقيق الغايات والأهداف. ومن هنا التداخل المفرط في الكيفية يبرز مستوى الخلط في مستوى الفهم الكامن حول الطبيعة الوظيفية التشريعية للدين الإسلامي في صلب مؤسسة الدولة.

فالأمر لا يتوقف عند مطلب أدائي مباشر، بقدر تعلقه بوظيفة اجتماعية، قوامها تقديم التنظيمات التي تتطلبها حاجات الفرد الاجتماعي داخل وسطه. وإذا ما برزت الأهمية للفقهاء الدينيين في المجتمع الإسلامي، فإنها تبقى حاضرة في مجال المكانة والتقدير والاعتبار، وهو بين الديني والدنيوي يبرز مصطلح الملاحق الذي يعمل على الاقتباس والتفسير المباشر نحو توطيد الأصول الشرعية.

إن التركيز المطبوع على الجانب الطقوسي والشكلاني في الإسلام يجعل من الدارسين الغربيين والمعنيين في تيسير الأوهام، والتي تؤدي بهم نحو الدخول في مساحات واسعة من الاستقراء التنظيري الواقع في مسار اللبس والتمحي. فهم عادة ينظرون إلى الإسلام كوحدة واحدة على صعيد المذاهب، لكنهم من زاوية أخرى يمضون إلى إقرار مجالات التنوع القائمة فيه بوصفه دلالات وعلائم الشقاق، ومن هنا تبرز الرؤية التشويهية لكون الأحكام مرتبطة بالغايات والأهداف المبيتة والمنطلقة إلى تكريس رؤية مسبقة غير قابلة للأخذ والرد، حتى تكون المواجهة الحاكمة وقد استقرت في هذا التوحيد المتعسف للإسلام الصادر عن رؤية ثابتة في الاستهداف.

بكثير من التضامن المباشر في تكريس الرؤية الحاكمة بين الطرفين، الإسلام والغرب. فهذا الأخير ينظر إلى الإسلام بعين الريبة والشك في صلب اكتماله التشريعي وأسس التقدم على أقل تقدير. لكنه من جانب آخر لا يغفل الأهمية الحضارية والمكانة التي يتمتع الإسلام على مستوى تحقيق التكامل الإنساني، وإبراز مجالات التعبير الذاتي بقوة ومكانة واضحتين.

من أبرز المبتكرات السياسية والاجتماعية، عكف الإسلام على تحقيق تجربته على مستوى الواقع، بل إن الإنشاء والتأسيس يكونان هما الأصل في تحقيق هذا البناء والتشييد، كما في دولة المدينة التي أنشأها الرسول (ﷺ)، ومن هنا فإن فكرة الدولة - الأمة جاءت لتعبر عن نفسها في سياق واحد عبر قابل للتجزئة أو التقسيم، وإذا ما ظهرت الانشقاقات والانقسامات الداخلية منذ عهد مبكر في جسد الدولة الإسلامية، فإن حال الإسلام الحضاري بقي متمسكًا بجذوره وشرعيته من حيث الترابط الوثيق بالدين الإسلامي.

قيمة الإسلام الحضارية تتبدى في الفسحة الهائلة من تراث التسامح

أما على مستوى التلاقح المعرفي والفلسفي فإن الحضارة الإسلامية قُيِّض لها الالتقاء والممازجة مع التيارات الفكرية الإنسانية، حتى استطاعت أن تجسد نموذجها الفكري الأصيل، يتمثل قوامه في التفاعل مع كل أطياف اللون الذي تفرزه الحياة، من دون سيطرة طرف على الآخر. بل إن قيمة الإسلام الحضارية تتبدى في هذه الفسحة الهائلة من تراث التسامح الذي لا يغني عن التجلي والظهور في مختلف العصور والحقب التاريخية.

وتكشف التحولات التي يشهدها العالم، عن هذا المنحنى الحاسم في مسار التيارات والاتجاهات الفكرية، والمرتبطة بطبيعة الاحتكام إلى العوامل

المباشرة، التي تكون بمثابة أداة التفسير الحاسمة في ظهور الأشكال والممارسات الجديدة. فالتغيير الذي يكون بمثابة سمة العالم الاجتماعي إنما يبرز مآلاته وتداعياته من خلال الارتباط بواقع التشاهد الذي يبذله الناس من أجل تحقيق [illegible] الذاتية [illegible] الانخراطات الأوسع الشاملة لبعض الأنشطة الكلية. ومن دون الاستناد إلى [illegible] يكون صعبا الوقوف عند ترصد أي ظاهرة إنسانية. ويبرز مجال التخصص في هذه الاستحقاقات التي يفرضها الواقع، ويجعل منها ظواهر جديرة بالالتفات تدعو الجميع إلى ملاحظتها ونسبية التوقف عندها.

وإذا كان العالم مرتكز انتظاره حول الإسلام والمسلمين [illegible] رؤى وتصورات [illegible] الحركة والأهداف والمطالب والارتباطات [illegible] واقع التحولات الداخلية في الإسلام ذاته بمعزل عن الآخر والآخر، فقد يصعب المقارنة مع أي ملاحظة تأتي من خارجه من أجل الاعتداد بتخصصه واستقلاله. ومن هنا تحديدا تبرز أهمية الوقوف عند الأثر الاجتماعي الذي تجسده التحولات الإنسانية في المعنى. فالمجتمع الإسلامي لا يمكن النظر إليه بمواصفات واشتراطات يتم استكشافها من خارج السياقات التي تحكم العالم برمته. فالمسلمون بشر يعيشون على هذه الأرض يؤثرون ويتأثرون، كما هو حال أمم ومجتمعات أخرى. وإن حالة التركيز التي تواجهها أبحاث التخصص والاستقراء والدرس، لا تعني بتقديم الافتراضات المسبقة عن النقص أو عدم الاكتمال أو أن هناك خللا أو عيبا في الأمر، قد يصعب الاعتداد بالمرجعية [illegible]

إن التركيز الذي يعيشه العالم اليوم، يجعل من المسلمين في أشد حالات التوتر من هذا المصاد الذي يستهدف بالمسلمين ويعمل على ترصد حركاتهم وسكناتهم وما يتعلق بهم، حتى ليغدو الأمر وكأن المسألة تتعلق بكائنات جديدة وطأت الأرض في الحادي عشر من سبتمبر أيلول، لا قبل ولا بعد. ومن دون الخضوع لمجايزات العقل والروح العلمي والادعاءات المنهجية، نجد العالم وقد نزع عنه كل شيء وبات في أتون من المباشرة التي تتكاثف على الهياج وتتبضع من الاتهام، حتى ليكون الإفراط والإيغال فيه، عبر هذا التحول الذي يطال لا المسلمين فحسب بل الإسلام برمته كدين وحضارة وأفق إنساني فيما يكون الاستهداف من قبل أطراف أخرى [illegible] تجانب المحتم من التاريخ ومحاولة الإشباع بالتعريفات.

لا يمكن النظر للعالم الإسلامي باشتراطات يتم استكشافها من خارج السياقات التي تحكم العالم

التعريفات الأشمل

ما عاد العالم يتوقف بكل ما يملك لتفحص المسلمين، ومحاولة الغوص في التفصيلات المتعلقة بحياتهم وممارساتهم والتفاعلات البارزة في أدق شؤونهم، [illegible] عند الشروع الطاعني الذي يفرد مساحته على الواقع، يقع المسلمون ضحية سوء الفهم والإخضاع القسري لمبدأ الاتهام، حتى لتكون النظرة وقد ترسخت عند نموذج بعينه عبر قابلية المضاعفة والدرس والتفحص، ومن هذه الزاوية التعريفية يكون الانعزال عن مجمل التحولات التي يعيشها العالم الإسلامي للاندماج في العالم الحديث الذي [illegible] وسائل الاستدراك، وقد جهزت لمهمة الاندماج القسري الذي يبرر من الآخر في سبيل دمجه في تجليات نموذج الحداثة وتعليماته وتوظيفاته

لقد تفاعلت جملة من العوامل في رسم وتحديد صورة العالم الإسلامي الراهن، والتي تبني الشبيهة من جانب الآخر باعتبار ترتبط بالاستثناء، في الوقت الذي تتصدع فيه الثقافة في التطورات والتغيرات التي تعيشها المجتمعات الإسلامية بكل ما يتطلب من مقومات إنسانية وحضارية وخصوصيات تفصح عن معالمها وطبيعة انفتاحها بالإسلام الواسع والشامل الذي حقق لها هذه القيم، والتميز الفارق.

كانت التوصيفات والتي عهدها الغرب موجهة مركزيًا نحو المجال الجغرافي في كل تعبير كامن لأي انتماء إلى الإسلام حتى أن الأنظار تتجه إلى الشرق الأوسط أو دول جنوب شرقي آسيا، أو حتى الدول العربية. وفي الاستنتاجات المقتبسة والمصطلحات تبرز التسمية بالإسلامي في تطابق الارتباط بحادث أو مناسبة.

تلك المواصفات التي تعرفها مجالات المباشرة، يكون فيها مسار التقسيم والفصل وقد يبدى في أشد مظهره وعلى صورة تكون الصورة في توزيع أكبر وأشمل يقوم على استمرار ملامح الصراع القديم الذي قسم العالم إلى معسكرين شرقي وغربي فهما يكون التقسيم اليوم على وقع التفرع الحضاري انطلاقًا من نظرية صراع الحضارات ويكون الانفعال بسبب المصدر الذي يبسط ذراعيه على المشهد الدولي بتبريره انقسامات عبر توجيه دلالة المصالح نحو أطراف وجهات قوامها تأكيد الخطر الدائم الذي يهدد مقومات ومكامن الوجود. فيما تكون النتيجة إفساحًا لمجال التوجهات التي تعرف القوة الأوحد في سبيل البحث عن مكامن المصالح، والتي لا تأتي عادة من الارتكاز على مضمون السلام والتصالح، الذي سينجم عنه توافقًا وتعاونًا يقومان على المساواة وتكافؤ الفرص. أما الأمر هنا تبرز في هذه التطلع إلى إبراز مجال القوة ولا بد من وجود ضحية.

مسألة رموز

في أحد مجالات رصد الرموز وتداولها يكون الحضور في الوسط الاجتماعي وقد اتخذ بعده الاتهامي المباشر. على حسب المثال ورث النظام الرسمي العربي خلال الفترة المبكرة من عمره السياسي قضية المعاداة للشيوعية والتي كانت تهمة جاهزة للمعارضين له. وفي هذا الاتجاه الأيديولوجي يتجسد الاختزال في فئة(?) ... و ... منه المجتمع العربي على مدى طويل. ولم تكن الأحوال لدى المجتمعات ما قبل الرأسمالية الأخرى بأحسن حالاً. فالتوزيع الذي تبرره ملامح التهمة يفصح عن هذا الاستغراق الذي يقوم على محاولة التطلع نحو الإمساك بالقوة، حتى وإن كانت تنسب في منبعها الجهات الأكثر قربًا من مركزية المصلحة.

ثم(?) تتجاهل "الإرهاب"؟ ما هو؟ وكيف يكون؟ وما الشروط المتعلقة به؟

اليوم تستحضر تهمة من نوع آخر "الإرهاب"، والتي يمكن تجسيدها أفقيًا وعموديًا، هنا يغيب الضبط للاختلاف الذي تنطوي عليه. فالسلطة المباشرة تحدد ملامح الاتهامية الصادرة عنها بحسب الالتزام وطرقه على صعيد الواقع المعاش. وعبر مضمون تهديد السلام الاجتماعي يكون التطابق وقد تستظهر في أجلى صوره حينما تختلف الأحوال والأشكال والمفاهيم حتى تكاد

يوظف وكأنه في ذلك عقلية القواعد تخطيط الذي يمسك على العقول من هذا الرعب الفجائي الذي يطلق عليه تعبير الإرهاب فيما يتم تغييب كل الأسئلة المرتبطة به: ما هو وكيف يكون؟ وما هي شروطه المستحقة جدا لكون تحديده الجاسوسية فالعدو اليوم هو الإرهاب ومن هنا فإن صاحب معجم إطار عرضه في الطريق وفي شكل طبائع سيجعل من رجل الشارع يتحدث عنه ويرفضه ويرعاه.

هكذا يتم حجب الرموز على مستوى الكلام، حتى يصبح من العسير والشاق الركون إلى مصداقية الرمز الذي يبدو بالتداول حتى يصادف العالم برمته يكون متناغماً مع المعاني المتداولة وكأنه حق غير قابل للنقاش أو الدحض وإذا كان الواقع يشير إلى هيمنة المكنون الثقافي في المعنى والصورة فإن الوقائع تتجسم في مكمن الاحتلال والتداخل الذي يحيط بالعقول حتى يكون من الصعب الحسم موطن التقاء وتعبير ملامح الفكر إذا كان التسلط إلى احتضان الرموز والعمل على جعلها وكأنها من صميم الواقع، فإن التفصيلات المتعلقة بالأحداث تكون بمثابة القاموس الذي يشهد على لحظة الإعلان الرسمي عن هذا الرعب ومن هنا يكون الإرهاب في لحظة التطور الثاني من تجلياته ذلك التطور الذي تظهر فيه ملامح التركيز والاستهداف الأوحد.

سلالة التحديات

الخصوصية المرحلة التي يوصف فيها مصادر الإرهاب تجعل منه خاضعاً لاشتراطات المركز الذي يتجه اليوم في خطيئة الواحد التي باتت خصيصة عند الولايات المتحدة وإذ كانت تفاعلات العلاقات الدولية قد أفصحت عن ملامح التبدلات الهائلة والعميقة فإن التطلع هنا يمس مجال الاستهداف الواقع على مسار الفعل وبحضور هذا الرعب تتوسع مراكز التأثير المباشر يكون العالم وقد وقع في سلالة التحديات التي تجعل من توزيع العلاقات يتنوع عبر ثنائية الأسود والأبيض من دون الإحساس باختلاط من اللون أو الأحمر، بأن ثمة خاصية يمكن الإفادة منها.

توزيع لا يقوم على تحديد المصالح أو الاشتراطات السياسية لكن الأمضى والأهم فيه يبرز في هذا الربط القائم مع الديني والتي يتعلق حضوره في تحديد المعاني التصاقاً بالمجتمعات ومن هنا تبرز ملامح الخطورة والمباشرة فإذا كانت المباشرة الاتهامية قد تمثلت اللبوس الأيديولوجي خلال سنوات الحرب الباردة فإن حقل الاتهام اليوم ينحصر في مجال لا يبتعد بتوصيفه عن حقل الأديان.

الموصل هنا يتمثل بجانب تحديد الرموز، تتمثل خصائصه في مكنون الهوية الأصل الذي يغلب على المجتمعات الإسلامية والتي باتت مستهدفة اليوم بطريقة شديدة الوضوح تقبل اللبس أو الاجتهاد وإذا كانت قائمة التصنيفات التي تعتمدها الولايات المتحدة في حربها ضد الإرهاب تقوم على جهات أو بلاد محددة من عموم الإسلام، فإن طبيعة المحدد هذا الواقع يجعل من أمر التلون مسألة في غاية الصعوبة والتعقيد وهكذا يكون الاتهام وقد تم توجيهه إلى هذا القطاع الواسع من المسلمين الذين يعيشون في الغرب حتى باتت الأصوات تتعالى من شدة الاحتراز وتشددهم في مسائل الهجرة والإقامة بل إن الأمر بات على مستوى الأعمال المباشرة من بعض الغربيين الذين عبروا بنظرتهم إلى المسلمين بعمومية تثير القلق.

مقام التدبر العقلي في القرآن الكريم

الإنسان المعاصر
أمام حركة الواقع والاجتهاد

نورية العقري الإدريسي*

إن الحالة المتعبة التي تعيشها جماهير الأمة الإسلامية تعود في جزء منها، إلى أنها نأت بالعقل الغاء عليه كاملا، وحاربت دوره وعطلت منافعه، من إنها فسخت ذلك أسبابه باسم الإيمان توهما منها أن من مستلزمات الإيمان الصحيح أن يقوم الإنسان بكبح جماح العقل ولجم أسئلته المحرجة المقلقة المشاغبة، التي قد تؤدي إلى زعزعة إيمانه وتهديد يقينه.

وهكذا كان المحصلة المر لقرون الاستعطاف والتمحل في شيوع الخرافة والشعوذة وتعاطي السحر وتصديق التنجيم والاعتماد على العرافة والكهانة على مستوى الاعتقاد، وكذا شيوع التواكل والفوضى والجهل والكسل الذهني والعزوف عن العلم على مستوى السلوك، وتوج ذلك بإغلاق باب الاجتهاد، وسيطرة التقليد، فالمتعصب لمذهبي فقهي يقتدي لسابقين فالرجعة بفقه الفروع الجاهز، وهو الفقه الذي نصب فيه الأوائل ولكنه ليس عاما قابلا للتطبيق في كل مكان أو صالحا مطلقا لكل زمان لأنه ليس وحيا ولكنه اجتهاد عقل في زمان ومكان محددين لتنزيل الوحي على واقع محدد.

وعندما يتغير هذا الواقع يحتاج إلى إعمال الذهن من جديد في كل مقتضيات الفقه، ولهذا نفرق بين الفقه وبين الشريعة، وهو تفريق لا يجد مسوغه إلا في هذه الحقيقة.

وتعتبر المذاهب أثر المحيط الثقافي الذي انحصر تحكم العربي فيه، فأولئك الذين أداروا [illegible] تشهد منه لعمه العقل كما تشهد التصاريخ والمنشآت، وهذا [illegible] فقائد، لكنه عجز لا يشمل موقف ممارسيات القوة والتدافع فحسبما حسب الكثير، وإنما يتعلق بهذه الجذور التصورية والمعرفية المستمدة من هوة الغلو بالعقل والعصبية [illegible] على الإيمان، إلى وجود خلل في فهم العقيدة وخلل في السلوك وضياع على مستوى الرؤية والمنهج. إن علينا أن نعيد الاعتبار إلى العقل بصفته نعمة من الله سوف نُسأل عنها، وبصفته وسيلة من

* أستاذة جامعية، المغرب

وسائل التكريم والبقاء والتدافع، وبمعنى قريب الإيمان لا بمعنى، فالعقل هو الذي يصون الإيمان تماماً كما أن الإيمان هو الذي يصون العقل، ذلك أن الإيمان بدون عقل يصبح خرافة كما أن العقل بدون إيمان يسقط في مزالق الإلحاد.

لقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالتدبر في كتابه وأمرنا من خلال كتابه بالتدبر في كونه وخلقه وشؤونه، أمر يأتي في سياق الاستفهام الإنكاري:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾

(سورة محمد الآية 24)

والآية تشير بطريقة غير مباشرة إلى أن حال من لا يتدبر إلى الختم على قلبه، وهكذا تصبح الحالة الفكرية السلبية مؤشراً على الحالة الإيمانية السلبية.

لقد وجد الرسول (ﷺ) في حاله ومقاله يدعو إلى التدبر ويمارسه ويستثمره ويجعله في أرض الواقع منهج دعوة وواقع دولة، كيف لا وهو يقرأ قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (سورة آل عمران الآيات 190 – 191)

فيقوم منتحباً في خشوع ويقيم ليلة من غير أن يهدأ وهو يتدبر فيه.

وليس المقصود مجرد التدبر الإيماني المحض فقط من ضرورات العقيدة، وإنما يُراد بذلك أيضاً التفكر العقلي الخالص والتأمل العلمي العميق الذي يفضي إلى الكسب المعرفي الصحيح. إنه لا بد من أن نعود إلى الأصول، إلى القرآن الكريم، نستقي منه ضوابط وأسساً ترسم منهجية عامة لاعتماد منهج التأمل الخالص، ولقد قمت شيئاً من ذلك، لأكتشف أن القرآن الكريم وضع الانطلاقة بوضع المنهج الصحيح بهذا الصدد.

تكون المنطلقات دائماً تأسيسية، وفي المنطلق نجد أن القرآن الكريم يولي الاهتمام للعقل ويضعه في مقام خاص في منطلقه التأسيسي: المنطلق النسقي والمنطلق التاريخي.

أما المنطلق النسقي فيتمثل في أول كلمة نزلت من القرآن الكريم ألا وهي «اقرأ»، ومن وقفة لا بد منها حتى نفقه هذه الأولوية، فليس الأمر متعلقاً بأهمية الفكر ووظيفته وأهمية العلم وقيمته فقط، ولكن الأمر أعمق من ذلك، لقد كانت الجزيرة العربية [illegible] تغرق في الشرك، فكان أحوج إلى أن يكون أول ما ينزل توحيداً، وكانت تغرق في الكفر فكانت أحوج إلى أن يكون أول ما ينزل إيماناً، وكانت تعيش تخلفاً اجتماعياً قاهراً للمرأة والعبيد والضعفاء والمستضعفين، فكان أولى أن يكون أول ما نزل من العدل، لقد كان في قريش من عتاة وصناديد الملأ المكي من يصد الناس عن دين الله، مما لعله يحوج أن يكون أول ما نزل هو الجهاد.

إلا أنه لم تنزل أي من هذه أولاً، لا توحيد ولا إيمان ولا جهاد، وإنما نزلت «اقرأ» وليس لذلك في رأيي إلا تفسير واحد يتمثل في أنه لا بد من تأسيس كل هذه الأفعال بدءاً على هذا الفعل، فعل المعرفة السليمة، ذلك أن الإيمان بلا «اقرأ» سيصبح خرافة، وإن الدعوة بلا «اقرأ» ستصبح فتنة، وإن العبادة بلا «اقرأ» ستصبح بدعة، وإن الجهاد بلا «اقرأ» سيصبح إرهاباً، ومن هنا كان لا بد من البداية بالعلم، فتتربى «اقرأ» هذه على رجل أمي يمثل بشخصه التجربة.

وأكثر من ذلك نرى أن هذا التأسيس النسقي لم يكن فقط في بداية الوحي، وإنما انتشر في نسيج القرآن من أوله إلى آخره، ويكفي أن نشير إلى أن لفظة العلم ومشتقاتها وردت 750 مرة في القرآن الكريم، وهذا كلام الله المبني على أساس الإيجاز، ومن مقتضيات الإيجاز عدم التكرار، فلا يكرر في سياق الإيجاز إلا ما كان ضرورياً أن يكرر لأهميته. إن الشخص العاقل [illegible]

حدثك. لا يحتاج أن يعيد كلامه مطولاً لنقل عباره في وعيك وقلبك. فكيف إذا كان المتكلم هو الله؟! إنه يكفي أن يأتي الأمر مرة واحدة في القرآن الكريم حتى يحتل في نفوسنا ووعينا المكان الذي يليق به، فكيف إذا تكرر بهذا الرقم الهائل؟

لكن ما يلفت الانتباه بهذا الصدد، هو أن الخلوة في غار حراء مخالفة لكل المقاييس للمنهج العام للدعوة الإسلامية، ذلك أنها كانت تقتضي دائماً أن تبتعد عن مواطن الشبهات التي قد تظهر في وجه الخطاب الدعوي النبوي ودواعي التشكيك، فقد اعتزل الرسول (ﷺ) في سن الأربعين حتى لا يحقق علامة، واعتزل كامل الخلق حتى لا ينتقص من خلافته

ويكون الاعتزال به حاجزاً بينه وبين دعوة الناس وإخبارهم أمراً حزماً عمة السر به حتى يسطع الطريق على من سيعترضه بمثل الكتب المدبجة كلها خيارات لا صلة لها بأسس الإسلام، وإنما هي صادرة من عادة متحكمة للوضع تجنباً للتشويه بالتشويش.

ولا يكاد يجد من ذلك سوى تفسير مقلق انطلاق الوحي، فهو لن تختار لحظة من اللحظات اللاحقة للرسول ﷺ وهو وسط الناس، تحسباً لأن يتهم بما هو شائع في الثقافة السائدة آنذاك، بأنه شاعر أو كاهن أو ساحر يتصل بالجن في الأماكن النائية. اختيرت لحظة قد تلقي بشيء من ظلال الشك على مصداقية الوحي، بل تربطه بحزمة بشكل أكبر مع ما هو سائد في الثقافة العامة آنذاك.

إن اختيار غار حراء مع ما يمكن أن يثيره من شك لا بد أن يكون من ورائه غاية تعلم أصحاب الإسلام التي أن يركب هذا المركب الصعب وأن يتحمل هذا التفسير المشكك من جهة، ونظنها تكمن في ضرورة عمليات التي تكون الغار السري، في مكان شاهق، يوفر للرسول (ﷺ) لحظة تأمل هادئ خالص، فتجعله يمر

عبر ما لم يكن للعبادة، إذ لم يكن عنده شرع يعبد الله به، وإنما يتحنث بأن يعمل ما تمليه عليه الفطرة، المعاصرون له حتى أوقفوا عن العبادة فانتهت، اللهم أن نعلم الوجه الذي يتعبد فيه لنفسه، ولم يكن مقامه فيه للدراسة، فقد كان أمياً، وليس عنده كتاب

كان إذن يتأمل بما هو طول تركيز جواني لتحرير الملكات العقلية والنفسية، أي بما هو إعداد فكري لمن سيحمل المشروع فيما بعد وتطبيقاً، إعداد استمر أزيد من خمس سنوات، وفي كل مرة كانت الخلوة التدريبية تستغرق أياماً وأحياناً أسابيع

ولا يعقل أن الرسول ﷺ الذي صنع على عين الله واحد بمرحلة الله وصنع بأن خلق ما يشاء وطهر وأدب فأحسن تأديبه فصار على خلق عظيم، لا يعقل إذاً أن يكون شيء من محطات حياته إلى لحظة مبعثه، أو غير مشروع في إطار الإعداد لهذا العهد الوحي

متى يصبح الإيمان خرافة؟ و الدعوة تبشيرا؟ والعبادة بدعة؟ و الجهاد إرهابا؟

لقد أطال الصبي الواجب ضمن مخططي الإعداد النفسي والإعداد الفكري، ويعني مواطنيهم حتى هذا السبيل للنبي ﷺ، فالأول في أداء أمانة التبليغ، والثاني في الصبر على الابتلاء، ولكن هناك إعداد ثالث أغفل أو لم يأخذ حقه في الحديث عن سيرة الرسول ﷺ قبل البعثة، وهو الإعداد العسكري، فلو كان الرسول (ﷺ) مجرد مبلغ فقط كالمسيح عليه السلام، لكفى بكامله الإعداد النفسي والفكري، أما وهو معني أيضاً ببناء دولة الإسلام ويؤسس المشروع الإسلامي والحضارة الإسلامية، فإنه لا يكفيه حسن خلق ولا جميل صبر، بل لا بد من دهن لأمم يقوم بتنزيل هذا على أرض الواقع وبواقع فيه ما من به من مقتضيات وشروط، وهذا يحتاج إلى العلم ولا يصح فيه التقليد وحده

بل الإعداد العقلي، لا يمكن أن يأتي من فراغ، بل

بد من بث وتهيئة، ولقد كان لقد تم تحرير الخلوة في الغار ... استعدادا لاستقبال عملية الوحي بعد استغرق ذلك ما بين سن الخامسة والثلاثين والأربعين، من جانب تكامل النمو أي الإعداد الخلقي يتم قبل الخامسة عشرة حتى تمت في طاعة الله، والإعداد النفسي يتم قبل العشرين، فهناك تكامل البنية النفسية للإنسان، أما الإعداد العقلي فيترك إلى المرحلة الأخيرة لاكتمال النضج، وقد تم اختيار مرحلة من مراحل هذا الإعداد ومن طبيعة الرسول ﷺ إلى هذا الاكتمال عقله العقلي وتهيئته الفكري بالاستغراق العميق في التأمل الفكري المنفصل عن الواقع بالظلمة المحيطة والصمت الأشد طلباً مكون من اللحظة التي حدود [illegible] الوحي.

إن الأمر لـ بعض من هو سطحي وتاريخي القرآن له دلالته، ومن هذا الأمر له أهمية تتنافى مع أن تكاد لحظة من شيء سبقه، نعم إن منهج الإسلام هو الابتعاد عن الغيبية كلها.

إنه ليس هنالك أي تفسير لهذا الأمر، غار حراء لنزول الوحي عليه هنا، ألا لم يكن هذا الغار في نفسه شيئاً أو يكون أرضاً مقدسة، ولا دليل على ذلك، فرسول الله لم يعد قط إلى غار حراء بعد نزول الوحي ولا ذكره لأنه مكان دلالته في وظيفته الإعداد الكامل، فمتى انتهت الوظيفة انتهى الأسباب فيه، ولهذا لم يشرع لنا في مناسك الحج أن نزوره ويخرج الناس [illegible] يسعون فيه [illegible] حقاً أن الأمر كان محض القرآن وطبيعي لا علاقة له بقدسية المكان سوى أنه مكان احتضن تأمل الرسول ﷺ وتحنثه وأنه شهد اللحظات الأولى لنزول الوحي وأنه كان مسرحاً للقاء الأول بين جبريل الأمين وبين الرسول ﷺ.

لقد جمع [illegible] فوق منابرهم على

لا يعقل أن يكون شيء من حياة الرسول ﷺ قبل البعثة عبثاً أو غير مندرج في إطار إعداده للوحي

التحدي [illegible] عن إفساد الذهب رغم الحركات العالمية في ميدانها المعاصرة، فتجد منهم [illegible] على القتال المادي، ومن مواجهة السيطرة الصليبية، أو حرب يستعدون [illegible] مستقلا ورابطة بينه إلى رواية فاسدة.

قد يكون هذا من الصراحة المطلوبة شرعاً [illegible] من أمور الجهاد عظيم [illegible] قبل أن يكتب سلمان رشدي روايته الماجنة، فهوم الوعظ يلبسها في المنبر [illegible] أن تصبح كاتباً أدبياً تحتضني حيث جوائز الأدب وتطلع بموائد أدبية وتبقى دار نشر للأعمال الأدبية الهادفة، يدعو هؤلاء الشباب إلى أن يصبحوا مبدعين يكتبون الرواية، بدلاً من [illegible] الساحة ويضعون لها البديل ممن لا يستطيع أن يعبر كتابة فكرية مادة يستحي بها من أمثال سلمان رشدي؟

نحن العالم [illegible] يجب أن [illegible] في حفظ الدين بأن يعي هذه أشكال السلطين وتحريم العالم ويحفظ [illegible] الدين وكل أمر الغير قائم وحاضر ومتكامل وليس في العالم الآن بحفظه في حين أن أمر الدين يبقى وحركة التدين قد تموت في المجتمع، فالأمر لا يحتاج إلى حفظ فقط بل إلى إنشاء من جديد، يحتاج إلى دم جديد يدفق في العروق فكراً وتصوراً وسلوكاً بدافع الضيق والتخلف [illegible] المنحرف المستبد.

في حين أن السلف الصالح لم يكونوا يحتلون المدافعة بل كانوا يبادرون من جهة كما هو جد من دورهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يبق [illegible] الجاهرية بل [illegible] طوال عصره بكل مسؤولية ومعاناة [illegible] بل إن الرسول ﷺ لم يكن قد غاب إلا قبل عقد من الرسالة ومن ذلك [illegible] في قضية [illegible] السواد [illegible] الجيش [illegible]

والمال على مدى حوار المال لدى الفرس وتوظيفه باب من أبواب الزكاة ... المؤلفة قلوبهم، وتطبيقه حد السرقة عام الرمادة ... الخ.

لكن بعد أربعة عشر قرناً ما زال يهمس من يقول بعدم الحاجة إلى تجديد الدين لأنه جامد

كيف يجدد الصحف ويغيره التغيير بطبيعته في رسالتهم ولا يجدد ووتيرة التغيير سريعة جداً في عالمنا ؟

يتحول الحديث عن الانسجام وتقييم البدائل إلى نقطة منهجية لا بد من الحديث عنها، بأي وسائل نقيم البدائل..؟ وعلى أي مستوى نتحقق منه البدائل..؟ هل الأخذ بوسائل العصر أم الأخذ بوسائل الزمن القديم باسم «السلف» وباسم «السنة» و«الاقتداء» ؟

لا يمكن إلا أن نتكلم بوسائل العصر لقد كان الرسول (ﷺ) يتكلم بوسائل عصره وهنا تكمن مشكلتي: فأنا أرى الاستشهاد برسول الله ﷺ إلا وفرضنا معاً الاستشهاد من روحه وبعده على الإطار التاريخي، كالذي يحكم على انتاجية مصنع من خلال مجموع الساعة المعتبة. وهذا لا يصلح في علم الاقتصاد. فلكي نحكم على إنتاجية مصنع يجب أن ننظر إلى بيئته وليس إلى إنتاجه

لنأخذ شخصاً بنى مصنعاً ضخماً واستغرق منه ذلك عمره، كيف أ من عمره وليس معالم المشكلة فيه. لو بعد 23 سنة أنتج 500 طن مثلاً ثم نذهب هل نحكم على منهج الرجل ومشروعه وطموحه من خلال المصنع الذي بنى، أم نحكم عليه من خلال الكمية المحدودة التي أنتج، ولا نريد عليها بالاقتداء والاقتداء به ؟

لقد بنى الرسول (ﷺ) مشروعاً حضارياً ضخماً وطبيعة السنة الكونية سنة التدرج ألا تظهر نتائج هذا المشروع إلا بعد عقود عدة

لقد بعث النبي (ﷺ) في أمة أميّة ولكنه أول من اصطفى إليه كتبة الوحي، ودعا إلى الكتابة، وجعل أسرى بدر الفداء بتعليم على أن يعلم كل واحد منهم عشرة من الصبيان، وهو الذي جاء بوحي أول كلمة فيه «اقرأ». لكن مشروع التدوين لم يكتمل إلا على أبواب القرن الرابع الهجري لما أصبحت العلوم الإسلامية أوسع من أن تستوعب شفوياً

ولا يمكن أن نحكم على التجربة الإسلامية في مسائل التدوين في عهد الرسول (ﷺ) باعتبار النبوة بالاقتصار على ما أنجزه عهد الرسول ﷺ من المؤلفات والمدونات لم نعثر عليه؛ لأننا سنجد كتاباً واحداً هو القرآن وحده وبعض صحائف من الحديث أذن النبي ﷺ بكتابتها، والقرآن نفسه لم يكن مكتوباً إلا على العظام وسعف النخل. لكن المهم هو الانطلاقة والإطار الذي وضع، أما الإنتاج فهو محصور بحدود بشرية محدودة، وعلى هذا المثال يمكن أن يطرد القياس

إننا نعيش مثلاً تداعيات قضية المرأة وهي من أخطر المشكلات اليوم التي انعكست على الصعيد السياسي والقانوني، لكن «الخطاب الإسلامي» الذي جاذب المصلحين والمفكرين هو أيضاً خطاب تقليدي في معظم مضمونه، يحاول أن يكرس عقلية عصر الانحطاط التي تنظر إلى المرأة نظرة سلبية تحقيرية وتجعل الرجل مهيمن على مجالات التفكير والنشاط والقيادة الفكرية بقراءات متعلقة للإسلام. ... على نصوص ... من سياقها القرآني مستند هذه القراءة التقليدية للمرأة هو النظر إلى حجم الإنجاز النسوي في عهد الرسول (ﷺ) ليس هو حدود الإنجاز النسوي في الإسلام. فتلك المرحلة لم تكن سوى عينة نموذجية سمح بها الزمان المحدود. ثم جاءت الأمة بعد ذلك في نكسة ومضى المشروع الإسلامي في عكس اتجاهه

وهذا الإشكال المنهجي وراء كل مظاهر سوء التفاهم بين تيارين كبيرين داخل مجتمعات اليوم

أحدهما يريد أن يمنع المرأة كل مجالات المعركة إلى أقصى حد، متوقفاً فقط عند النصوص القطعية الورود والدلالة التي قد تحظر على المرأة، واستثناء فقط يعطي الرياضة المحدودة المحدودة، وثانيهما يسعى بالعكس، إلى قصر نشاطها على أضيق المجالات وأقلها عدداً وشتان بحجة أن غيرها من المجالات ثم تعرضها الأول للميوعة والفلاطة، فهي بدع محرمة وضلالات مستجدة انفتحت علينا كالجراثيم بسبب عدوى التغريب وضلالات الاستعمار والعولمة.

والتيار الأول وهو الأكثر يلحق بالسوف والتي هم روح الشرع الحنيف، وينطلق من القاعدة الأصولية العظيمة (الأصل الإباحة)، ويستمد روح الفكرة التي سنطرحها الآن في حين يظل التيار الثاني سجين حركة التاريخ، يختلط عليه حدود الإنجاز البشري النسبي بضوابط الاقتداء والتأسي.

ونحاول هنا أن نقدم مثالاً آخر على معاناة الفكر الإسلامي لتخليص الشرع من أسر التاريخ، حتى يستطيع داخل منطق التشريع ما هو جوهري خالد، يمثل القوانين الكلية المطلقة، وما هو مرحلي مؤقت يراعي المرحلية والمرونة وضوابط الواقع العارض، ولكنه قد يتحول إلى عائق حقيقي في وجه الاجتهاد حين لا يتم إدراكه على هذا النحو.

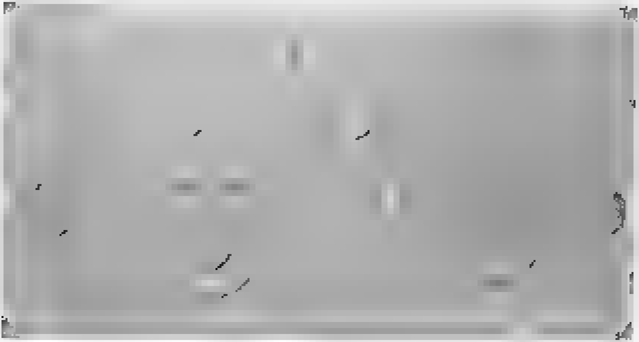
إن مثال حكم الإسلام في الرياضة يساعدنا جيداً على إدراك إشكال تفاعل الشرع مع حركة التاريخ بما لا يؤدي إلى خلط المبدأ في الحكم الشرعي بضرورات الواقع المتغاير؛ لا أحد يشك في أن الأصول العامة الملزمة تقوم على مساواة أبناء آدم كأسنان المشط، فلا فضل إلا بالتقوى، وعلى تكريم الإنسان في خلقه وتحريره وتكليفه بالرسالة المقدسة: عبادة الله. وفي هذا الإطار نضع مجموعة من الأحكام الشرعية موضع الاعتبار المؤقت: فيأتي (العبد الآبق مثلاً) لا يفهم منه أنه أمر نصبوه نتبقاه في بيوت أسيادهم تكريساً لظاهرة العبودية، وإنما نفهم منه رفض الإسلام لحل المشاكل من طريق الفوضى التي ستتسبب في فساد الأموال والأعراض وتؤدي إلى تفكك العلاقات في المجتمع كله. كما أن الإسلام منع الانتقام وشرع القصاص، ولم يمنع الانتقام لأنه أراد أن يحرم القاضي من حقهم في القود، بدليل أنه منعهم من القود من طريق القصاص.

وإلا كيف نفهم في المقابل بقية الأحكام الشرعية المتضافرة للقضاء على ظاهرة الرق: بإعلان عتق رقبة ثواب كطريق من أفضل سبل جعل العتق من ضمن الكفارات والحض حب الحث على المكاتبة بين العبد وسيده، عدم استثناء العبيد من أي سبب للشرف الحسي كالإمامة مثلاً؟

طرح المسائل يعني الأخذ بوسائل العصر وقد فعل الرسول (ﷺ) ذلك

إن الأزمة ليست في النصوص، بل في الرؤية لهذه النصوص. والرؤية مطلق، والمطلق ثابت من الثوابت الكبرى يتم في إطار حركة الحياة والسنة الكونية. وبموجب هذا قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه باجتهاداته المعروفة. نفهم من ذلك أن هذا التشريع جاء في إطار حركة تدريجية. وفي هذا الإطار أيضاً نفهم الناسخ والمنسوخ، والأحكام الشرعية التي تغيرت حسب تهيؤ المجتمع الإسلامي للحكم الشرعي النهائي القطعي.

في إطار هذه الرؤية التجديدية وفي إطار التصور الواقعي لحركة تنزيل الدين على المجتمع، يصبح لازماً أن نجيب عن السؤال المطروح سلفاً بالآتي: إن طرح المسائل يعني الأخذ بوسائل العصر، وقد فعل الرسول (ﷺ) ذلك، فقد وجد الكفار يجتمعون في الأسواق التجارية فوفد عليهم، ووجدهم يجتمعون في الأسواق الموسمية مثل الحج، فاقتحم عليهم هذه الأسواق، ووجدهم يجتمعون في الأسواق الأدبية



في عصرهم فيه. وجد الأسواق الاقتصادية قائمة على الغش والاحتكار والربا، لكنه ولج هذه الأسواق من دون أن يعني ولوجه ذلك تزكية لتلك التجمعات ثم يعيد الرسول ﷺ إلى الأسس الفاسد الذي تقوم عليه تلك التجمعات. التجمعات العبادية كانت قائمة على البدعة ونشر البدع ما جمع في الحج. وأسواق الأدب كانت قائمة على المفاخرة والتحدث والمشاحنة التي نهى عنها الإسلام والتبجح في الكلام. وعلى المنبر والمعرض القصصي لم ينظر إلى أساسها الفاسد عقدياً وتشريعياً وأدبياً واقتصادياً وإنما نظر إلى كونها على المستوى التقني، تجمعاً بشرياً يمكنه من أكبر قدر من الاتصال.

لقد كانت دار الندوة تمثل تجمع الصفوة الأرستقراطية والملأ القرشي الظالم، وهي محتكرة عليهم، وفيها يبرمون قراراتهم، والدخول إليها قد يفهم على أنه تزكية للديكتاتورية القائمة في هذا التجمع. ولكن النبي ﷺ لم ير مانعاً لا نجد تحريمه ولهذا لكي يعلي كلمة الإسلام ويبلغ رسالته كما دخل عيسى عليه السلام قبله على اليهود في الهيكل.

بموجب هذا نصير أن نلج إلى أمتنا في عصرنا هذا، كما في كل عصر، بالوسائل التي يتيحها العصر وبالإمكانات التي يتيحها العصر من جمعية أو حزب أو نقابة أو منظمة حقوقية أو جريدة أو مؤسسة إعلامية أو اقتصادية تدخل كل المواقع من منطلق أصيل من الأصول حاسم وهو «الأصل في الأشياء الإباحة». هذه الأسس كلها بتحرير العقل المسلم وبتحرير الجسم والتمتع والإحسان المسلم الذي كان يتآمر الخارجي وكبّل بالتكلس الداخلي وصار المسلم يطلب بتحريمات وسيلة يرفضها ويحرمها، في حين كان من الأولى أن يكون هو مبدع تلك الوسيلة.

وقد عرفت الحركة الإسلامية المعاصرة بموجب ذلك، ذاتها بذاتها وحصل من هذا التفريق بين الآخر يتفوق عليها في شكل الفاني.

إن المقصود بالحركية إذاً هو الحركة التي تخرج إلى الشارع وتطرح البدائل وتبتكر والابتكار وطرح البدائل بدل النقد، يستلزم الأخذ بوسائل العصر والحركة الأصولية لهذا الأخذ هو قانون «الأصل في الأشياء الإباحة» ورحم الله من قال: «ولأن يوقد شمعة خير من أن يلعن الظلام».

كيف تعاونت الصهيونية مع النظام النازي؟!

ترجمة وإعداد: عبد الله الزيات*

لقد أمضى قادة الصهاينة أثناء عصر الفاشية الهتلرية والموسولينية من الوقت ما يجعل من الصعب علينا الاعتقاد بأن الصهاينة سعوا في كفاح الفاشية، بل إنهم فعلوا ما يؤكد أنهم حاولوا التعاون معها. فالهدف الأساسي للصهيونية لم يكن إنقاذ اليهود وإنما كان إنشاء دولة يهودية في فلسطين. والقائد الأول لدولة إسرائيل وهو بن غوريون Ben Gurion كان أدلى في السابع من ديسمبر (كانون الأول) 1938 بالتصريح التالي: "لو علمت أنه كان من الممكن إنقاذ كل أطفال ألمانيا بإحضارهم إلى إنكلترا، أو إنقاذ نصفهم فقط بنقلهم إلى Eretz Israel فإنني كنت سأختار الحل الثاني". فدولة إسرائيل كانت أكثر أهمية عند الصهاينة من حياة اليهود، وعدوها الرئيسي كان تشابه اليهود مع غيرهم والاندماج للجماعة اليهودية في المجتمع الوطني نفسه.

بسبب ما قام الاتحاد الصهيوني العالمي كان وجه إلى الحزب النازي في 21 من يونيو (حزيران) عام 1933 مذكرة يقول فيها: "هل إنشاء الدولة الجديدة التي قامت على مبدأ الجنس تأمل بأن تمنح مجتمعنا مكاناً في البنيات الجديدة، فالاعتراف بالقومية اليهودية يسمح لنا بإقامة علاقات واضحة وصريحة مع الشعب الألماني طبقاً لحقائقه الوطنية والعرقية. ولهذا بالضبط لا نريد نحن هذه المبادئ الأساسية؟ بل ذلك بسبب الذي نعتقد نحن ضد الزيجات المختلطة ونصر على المحافظة على نقاوة الطائفة اليهودية. لأجل بلوغ هذه الأهداف العملية فإن الصهيونية ترجو أن تكون قادرة على التعاون حتى وإن كان ذلك التعاون مع حكومة معادية أصلاً لليهود. وفي حالة ما إذا قبل الألمان هذا التعاون فإن الصهاينة سيجتهدون في إقناع اليهود في خارج ألمانيا على أن يتخلوا عن المشاركة في المقاطعة ضد ألمانيا".

وهكذا كان، حيث بدأ الصهاينة عام 1933 التعاون الاقتصادي مع النظام النازي وأنشأوا شركتين هما Haavara Company في تل أبيب و Paltreu في برلين، بهدف تمويل نقل يهود أوروبا إلى الشرق الأوسط. وقد شارك بن غوريون Ben Gurion وجولدا مائير Golda Meir في هذه الصفقات، واستمر التعاون حتى عام 1941.

* أستاذ جامعي/ ليبيا

خرافة الهولوكاوستو Holocaust في خدمة لاغتصاب أراضي دولة صهيونية امبريالية في الشرق الأوسط

في ما قبل عام 1945 بدأت الصهيونية العالمية من جانب الامبريالية الانجليزية - الأمريكية في مرحلة سياسية تم فيها النظام النازي بوصفه شيئاً سوى برنامج مطلق ضد اليهود. ولقد حكمت النازية بهدم الصورة حتى اليوم، وقد تكونت تلك الصورة من عناصر عدة:

خرافة محاكمة Nuremberg

فقد كُشف على حقيقة محكمة في Nuremberg لم تكن محكمة دولية؛ لأنها لم تكن قد شكلت إلا من الامبرياليات المنتصرة في الحرب وإضافة إلى ذلك فإنها لم تتصل إلا في جرائم المهزومين في تلك الحرب. ولم يجلس في قفص الاتهام المخصص لمجرمي الحرب تشرشل ولا ستالين ولا ترومان، بالرغم من أن الأخير كان مسؤولا عن الكارثة الذرية في كيادن التي تسببت في ممات الآلاف من الضحايا، وبالرغم من أن ستالين أمر بإقامة مجزرة آلاف من المواطنين البولنديين وهي مذبحة منسوبة إلى النازيين.

2- النظرية المنتصبة الجسمية الجرائية والهولوكاوستو

بالرغم من أنه لم يوجد مستند مكتوب يأمر فيه هتلر بإبادة اليهود والحل النهائي كان يعني بالنسبة إلى زعماء النازية - إبعاد اليهود عن ألمانيا وأوروبا إلى مستعمرة في شرقي أوروبا. فبالرغم من أن الخبرات التقنية التي أكدت عدم الإمكانية الاستقنية لغرف الغاز، وبالرغم من أن رقم الستة ملايين الذين قتلوا، كما صرح في Nuremberg والمتسلطين في ما بعد إلى ثلث هذا العدد - على الأكثر - كما صرح بذلك المتهمون بالجريمة. فإن خرافة الهولوكاوستو مستمرة. تنتشر

إن كلمة الهولوكاوستو Holocausto في الأصل هي كلمة توراتية لها دلالات دينية وظفت في خدمة الأهداف الصهيونية، مع تحسف المعنى التاريخي من البربرية النازية الفاشية.

وبالرغم من الطابع المختلق بجزء كبير من يوميات آنا فرانك Ana Frank فإنها ما زالت تقدم كوثيقة تاريخية.

لتصميم قمع النازية لليهود تصفية عرقية

التصفية العرقية تعني إبادة شعب أو طائفة عرقية، والطائفة اليهودية لم تبد في التقدير التصفية التي إليها عرفت أوروبا الممتاز اعتباراً من العام 1945 والحديث عن التصفية العرقية الكبرى في التاريخ. يليه في تغطية جرائم كثيرة ويصرف الاهتمام عن تصفيات عرقية كبيرة يجب ذكرها مثل ما فعله المنتصرين في الحرب، مثل إبادة الهنود الحمر في أمريكا، ومذابح العبيد في أفريقيا والإبادات الجماعية التي قام بها ستالين، و 60 مليونا من مجموع 90 مليوناً من سكان أمريكا الأصليين كانوا قد قتلوا في أمريكا الجنوبية بعد غزوها. والحرب العالمية الثانية بنفسها تسببت في موت 50 مليون نسمة، عشرون مليوناً منهم من السوفيات، وتقريباً عشرة منهم من الألمان، ومن يتذكر اليوم مذبحة درسدن Dresdn في 13 من فبراير (شباط) 1945؟ عندما قصفت القنابل الفوسفورية الإنجليزية والأمريكية أرواح ما يقارب ألف نسمة مدنية في ساعات قليلة.

> **الهولوكاوستو كلمة توراتية لها دلالات دينية وظفت في خدمة الأهداف الصهيونية**

فكلمة هولوكاوستو Holocausto تشير إلى إرادة حصرية للجريمة المرتكبة ضد اليهود من جانب النازية، عداً خاصاً دون مقارنة ممكنة مع ضحايا أخرى للنازية، ولا مقارنتها على أي جريمة أخرى في التاريخ كله، لأن معاناة اليهود وأمواتهم كان لها طابع مقدس، وهكذا استطاع أن يطول أي حساب وبرر إنشاء دولة إسرائيل كان استجابة الرب إلى دولة إسرائيل.

ولكن اسرائيل لم تقم بواسطته الى ... وبعد حدثها الامبريالية العربية التي لها مصالح في وضع اقدامها في وسط الأمة العربية

3 - خرافة ارض بلا شعب لشعب بلا ارض:

كيف تُقيم دولة يهودية في بلاد مسكونة بشعب عربي فلسطيني اصلي في هذه البلاد؟ لقد برزت الصهيونية بالحل الذي ... يتمثل في الاتي: منع ... من سكان وطرد الفلسطينيين و ... استبدالهم بالمهاجرين اليهود واستعمار الارض الفلسطينية من ... وطمس تراثهم، كل ذلك كان ... متعمدا ومنهجيا مخططا.

ولاجل ... تقنع الصهيونية الآخرين بان فلسطين كانت قبل الصهيونية ... صحراء ... وما زالت ... من القرى الفلسطينية بواسطة الجرافات ... في ذلك بيوت تلك القرى ومساجدها وحظائرها ومقابرها ... فضلا عن ... ايدي ... فوق اطلال ... عربية وسياسة الابادة التي تمارسها ... في ... بيرين ... الحالي ... الجرح وبين شارون ... على نحو واسع، في ... هذه الصهيونية الكتائبية التي حدثت ... المسابح في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في صبرا وشاتيلا.

4 - ... اللوبي الإسرائيلي عبر وسائل الاتصال التي يسيطر عليها في الولايات المتحدة الامريكية وفي اقطار غربية اخرى ان يخفي ما عبر عنه ... جامعة القدس ... بيوت بكل وضوح ... قال ... القبضة اليهودية تستمد من القمار الحديدي الذي ... الدولار ... تكمنه حقيقة.

يجب ان يدير الشعب اليهودي ظهره للصهيونية

... المؤسسة ... ان المجتمع اليهودي العالمي ... في ... اسباب ... كانت قد ... في الاستيطان عمالا ... كان ... الى صهيونيين عنصريين واستعماريين. فاليوم ... يدعو ... شارون ... المصري ... امريكا اللاتينية الى الهجرة الى اسرائيل والانطلاق ... التي بحفظ ... الى الامام في الوطن ... في ... التحرر الوطني والاجتماعي يجب ان نذكر الملاحظة التي ... ان ... اليهودي ... الذي ... حيث ... في رؤية ... اليهودي في اسرائيل ... في مطارد الى ... من مجتمع ... الى مجتمع ... فالسياسة الصهيونية المتناقضة والعربية ... نصر ولم ... من خلال مبادئ هتلر العنصرية.

السياسة الصهيونية المتناقضة تبني نصر ولم يتم من خلال مبادئ هتلر العنصرية

... الى الموضوع من ... السؤال رقم 46 من ... من ... الذي ... في سياقه ... التالي:

46 - هل وجد تعاون بين النازيين والصهيونية؟

نعم. فكلاهما كان ... اليهود من اوروبا وكانت بينهما علاقة ... العرب ... انظر رسالة الصداقة ... الوزير الاسرائيلي الاول السابق على ... في عام 1941 ... من قبل الكاتب اليهودي ... برينر L. Brenner في (The Iron wall ... حول ... الهولوكوست التي نشرها معهد ... التاريخية.

Newport Beach, ... 92659 ... P.O.Box 2739

47 - ما هو الدليل عن ان النازيين قد قتلوا ستة ملايين يهودي؟

- لا يوجد أي دليل على ذلك، فالشيء الوحيد ... هو ... الشهادات ... الشخصية التي ... وعدم ... ولا ... هذه الشهادات ... كان ... حصر ... الى عملية للقتل بالغاز

لا توجد براهين معتمدة من أي نوع، لم يوجد صابون مصنوع من الأجساد البشرية، لم توجد عاكسات مصنوعة من الجلد البشري (كما قال يهودا باور مدير مكتب الهولوكوست في إسرائيل، (انظر Bs. As Herald. April 25 1990 p.2) لا توجد ارتسامات ولا حسابات ميكانية.

2) ما هي البراهين الموجودة الداعمة على أنه تم موت ستة ملايين يهودي على أيدي النازيين؟

- توجد براهين كثيرة بما في ذلك طبيعة الطب الشرعي، الطبيعة التصنيفية والطبيعة الجغرافية السكانية والطبيعة التحليلية وطبيعة المعمارية، فكل هذه الأمور تجمع على إثبات عدم إمكان هذا الرقم الذي ربما مثله في الواقع 1000 شخص فقط (ألف شخص)

3) هل صحيح أن سيمون ويسنثال أكد ذات مرة أنه لم توجد معسكرات إبادة في الأراضي الألمانية؟

نعم، في (Books & Bookmen) عدد أبريل 1975 زعم ويسنثال أن خنق اليهود بالغاز كان قد حدث في بولندا

4) إذا كانت داخاو Dachau في ألمانيا وسيمون ويسنثال يقول إنه لم توجد معسكرات إبادة هناك، إذاً يقول آلاف من [illegible] [illegible] في الولايات المتحدة إن داخاو كان معسكر [illegible]؟

لأن بعد استيلاء الحلفاء على داخاو [illegible] آلاف من المحترفين الأمريكيين للتجنيد إلى داخاو نفسها أو مروا بها، وهنالك كشفوا له عن مبان من التي قال إنها كانت غرف غاز، ولأن الوسائل العامة للنشر كانت واسعة ولكنها كانت في حقيقتها تخلو من المصداقية أكد أولئك المحترفون أن داخاو كانت معسكراً للقتل بالغاز

5) أوشفيتز Auschwitz موجود في بولونيا وليس في ألمانيا، هل توجد أدلة على أنه قد وجدت غرف غاز الهيدروجين لأجل قتل البشر في Auschwitz أو قريب منها؟

- لا، فقد عرضت مكافأة من خمسين ألف دولار لمن يكتشف دليلا ما من هذا القبيل، وقد وضعت النقود لذلك في أحد المصارف، ولكن لم يتقدم أي أحد بأي دليل معقول يمكن تصديقه. فمدينة أوشفيتز [illegible] بطريقة موسعة [illegible] استولى عليها السوفيات بعد الحرب، فقد أقاموا فيها بنايات مختلفة لأجل أن يظهر فيها كغرف غاز [illegible]، وهي حالياً مركز سياحي كبير لأهل بولونيا

6) هل من دليل علمي يؤكد عدم وجود غرف غاز في أوشفيتز؟

نعم، ففي فبراير وأكتوبر من العام 1988 قام الإنجليزي فريد لاشتر Fred Leuchter وهو خبير في تخطيط وصناعة غرف الإعدام المستعملة في سجون الولايات المتحدة، بأول بحث قضائي في أوشفيتز في غرف الغاز، وقد أظهرت الدراسات التي جرت وتحاليل المواد التي أخذت من الأماكن أن تلك الأمكنة المزعومة لم تستعمل بأي حال من الأحوال ولم يستطع [illegible] غرف غاز. وقد قبلت دراسة العالم الإنجليزي Leuchter دليلا في الدفاع أمام المحكمة عن إرنست زندل Ernst Zündel في كندا عام 1988

7) إذا لم تكن مدينة أوشفيتز معسكراً للإبادة فماذا كانت حقيقتها النهائية إذاً؟

- لقد كانت منطقة صناعية [illegible] لبناء كبير، وكانت بها مصانع المطاط الألماني وقد استخدم فيها السجناء يداً عاملة

8) من أنشأ أول معسكرات الاعتقال؟ ومتى استعملت لأول مرة؟

معسكرات الاعتقال الأولى في العالم الغربي ظهرت لأول مرة تاريخيا في الولايات المتحدة الأمريكية أثناء حرب الاستقلال الأمريكية، فالبريطانيون اعتقلوا آلاف الأمريكيين الذين مات كثير منهم بسبب الأمراض أو بسبب التعذيب، ويمكن أن نذكر بشكل معروف جداً [illegible] جاكسون Andrew Jackson رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بعد الاستقلال (1829 - 1837) وعقيدته، وقد [illegible]

الأسير في واحد من هذه المعسكرات. وفي مرحلة لاحقة صنع البريطانيون معسكرات الاعتقال في أفريقيا عندما غزوها لاعتقال نساء وأطفال هولنديين أثناء حرب البوير 1899 (La guerra Boer) وعشرات الآلاف من الأشخاص ماتوا في معسكرات الاعتقال البريطانية في جنوب أفريقيا التي كانت فيها ظروف الاعتقال أكثر سوءاً إلى حد بعيد من أي معسكر للاعتقال في الحقبة أثناء الحرب العالمية الثانية.

9) في ماذا اختلفت معسكرات الاعتقال الألمانية عن معسكرات الاعتقال الأمريكية التي احتجز فيها اليابانيون والألمان المقيمون في الولايات المتحدة أثناء الحرب العالمية الثانية؟

- تكمن الفروق في التسمية والسمعة. أما في ما عدا ذلك فلا يوجد فرق بالمعنى الفعلي إلا أن الألمان اعتقلوا أشخاصاً قد يكونون خطرين أو اعتبروا تهديداً لأمن المجهود الحربي الألماني، بينما الأمريكيون اعتقلوا كل الذين اعتقلوهم بسبب أصلهم العرقي فقط.

10) لماذا حبس الألمان اليهود في معسكرات الاعتقال؟

- لأنهم اعتبروا اليهود يشكلون تهديداً مباشراً لسيادة وبقاء الأمة الألمانية، ولأن اليهود أيضاً كانوا عنصر تخريب دائم في المؤسسات والمنظمات التشريعية التي تستهدف هذا النظام. ومع ذلك فليس اليهود فقط هم الذين استهدفوا من قبل النازية، وإنما كل شخص تبين أنهم يتآمرون على الأمن الوطني، وكثير من معارضين انتهوا إلى الاعتقال.

11) هل صحيح أن اليهودية العالمية أعلنت الحرب ضد ألمانيا؟

- نعم، وسائل النشر الصهيونية في العالم كله نشرت بعناوين كبيرة: «اليهودية تعلن الحرب ضد ألمانيا»

بأي قدر يستفيد اليهود حاليا من خرافة الهولوكوست؟!

إضافة إلى ذلك بقي في مقاطعة تشيكوسلوفاكية خاضعة للسيطرة الألمانية.

12) هل حدث هذا قبل أو بعد بداية انتشار الضجيج حول معسكرات الإبادة؟

- لقد حدث قبل ذلك بست سنوات: فاليهودية أعلنت الحرب على ألمانيا في 1933. انظر Daily Express, Marzo 24, 1933, Inghilterra

13) ما هي أول بلاد التي قصفت المدنيين بشكل جماعي؟

- إنها بريطانيا العظمى في الحادي عشر من مايو 1940.

14) كم يهودياً كانوا في الأراضي الألمانية التي أصبحوا بعد الحرب لاحقاً مراقبين من قبل الألمان؟

- ثلاثة ملايين.

15) إذا لم يكن اليهود الأوروبيون قد أبيدوا من قبل النازيين فماذا حدث لهم إذاً؟

- في ما بعد الحرب استمر اليهود في أوروبا مع استثناء حوالي 300 ألف، ومن هؤلاء من مات بالفعل لأسباب عدة أثناء الصراع، ومنهم من استطاع أن يدخل إلى إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية والأرجنتين وغيرها. وغالبية اليهود الذين كانوا قد غادروا أوروبا عادوا بعد الحرب وليس اختفاء، وذلك كله لم يكن مانعاً من أن يجعل هؤلاء من الهولوكوست المزعوم.

16) كم يهودياً هربوا من داخل الاتحاد السوفياتي؟

- أكثر من مليونين، والألمان لم يملكوا أبداً داخل منطقة نفوذهم هذا الرقم من السكان اليهود.

17) كم يهودياً هاجروا قبل الحرب وبقوا على الأقل خارج منطقة نفوذ الألمان؟

- أكثر من مليونين، دون أن ندخل في الحساب الذين أحصتهم منظمة [illegible].

18) إذا لم يكن أوشفيتز Auschwitz معسكراً للإبادة فلماذا اعترف القائد رودولف هوس؟ لا يشبه بروتوكوله صورة بالعكس.

لأن هوس غضب وهو أمر مؤكد في Bunker Leagues of Death إذ نشر المقال رقم ... من مجلة Revision وبعد الشكل أجبر على إطلاق ... غير صحيحة

19) هل يوجد دليل على أن الأمريكيين والبريطانيين والسوفيات قد رتبوا "التعذيب" بعد الحرب لأجل إرغام جزء من الموظفين الألمان على الاعتراف؟

توجد أدلة كثيرة على أن التعذيب قد وقع قبل محاكمات Nuremberg وأثناءها وحتى بعدها في محاكمات أخرى على جرائم الحرب.

20) بأي قدر يستفيد اليهود حاليا من خرافة الهولوكوست؟

بالقدر الذي يمنحهم مناعة اجتماعية ناجية أو يعفي عن كل نقد ويمدهم بصلة مشتركة تسمح بالمراقبة أو التحكم من جانب بعضهم، فهي أداة فعالة في جمع مصادر الأرصدة وتسمح بتبرير مساعدات اقتصادية إلى إسرائيل. أنت منذ 1970 على 11 مليون دولار تقدمها الولايات المتحدة.

21) وبأي قدر تفيد خرافة الهولوكوست دولة إسرائيل؟

تبرر ملايين الدولارات التي تطلع إليها في مفهوم التعويضات التي قبضتها إسرائيل من ألمانيا الاتحادية (ألمانيا الشرقية كانت قد رفضت أن تتعامل مع ألمانيا الاتحادية التي تعهدت وحدها دفع 30 مليون دولار.

فالهولوكوست مستعمل من قبل الصهيونية الإسرائيلية للتحكم في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية في علاقتها مع إسرائيل، وتوجيه المساعدة الأمريكية في جلب النقود إلى الدولة الإسرائيلية وتمويلها بالمال الذي ترغبه وهو في كل مرة أكبر من سابقه.

22) وبأي قدر أفاد الهولوكوست الشيوعية؟

سمح لهم بإخفاء ابعادهم الحربية الخاصة كما سمح لهم بإخفاء فظاعاتهم المرتكبة ضد الإنسانية سواء التي كانت قبل الحرب العالمية الثانية أو أثناءها أو بعدها.

23) وبأي قدر استفاد غير اليهود من خرافة الهولوكوست؟

- بالطريقة نفسها التي استفاد منها فيها الشيوعيون.

24) لأي استعمالات وضعت أنتج الغاز Zyklon-B؟

- لأجل إبادة القمل الحامل لحمى التيفوس، فهو مستعمل في تبخير وتطهير المساكن والمباني وصوامع الحبوب والملابس. ويمكن الحصول عليه دون صعوبة حتى اليوم.

الهولوكوست مستغلة الصهيونية للتحكم في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية

25) لماذا استعمل هذا الغاز ولم يستعمل غاز أكثر مناسبة للإبادات الجماعية؟

إن كان النازيون قد أرادوا استعمال الغاز لإبادة أحياء من البشر كان عليهم أن يختاروا غازا آخر من الغازات التي يمتلكونها في حوزتهم. فالزيكلون ب Zeyklon ليس فعالا إلا في الاستعمال الرسمي مثل التطهير والتبخير.

26) كم من الوقت الذي يستلزم لتهوية منطقة مبخرة بالغاز زيكلون ب؟

تقريبا حوالي عشرين ساعة، والإجراء بشكل عام هو معقد وتقني، وحتى الذين يسمح لهم به أن يستعملوا كمامات واقية من الغاز. ولا يمكن أن يقوم بهذه العمليات إلا فنيون ذوو قدرة تقنية عالية.

27) أكد هوس آمر Auschwitz أن رجاله كانوا يدخلون الغرف الغازية لأجل إعادة تصريفها أو تنظيف الجثث بعد عشر دقائق من موت اليهود بداخلها. كيف تفسر ذلك؟

لا نستطيع تفسيره بأي طريقة كانت، لأن رجال هوس لو كانوا قد فعلوا حقا شيئا كهذا لانتهوا إلى معاناة التسمم نفسه الذي لاقاه اليهود.

28) أكد هوس في اعترافاته أن رجاله كانوا يشعلون

المحتجزين كانوا يستخرجون اليهود الأموات في غرف الغاز بعد عشر دقائق من انتهاء تعقيمها. ألم يكن غاز زيكلون ب Zyklon B غازاً قاتلاً؟

- بلى، وهو بدرجة عالية. وواضح أن من طلب هوس لتجبيره على اعترافاته لم يكن متخصصاً في الغازات.

29) إذا كان اليهود المخصصون للإعدام يعرفون المصير الذي كان ينتظرهم فلماذا ذهبوا إليه دون أي مقاومة أو أي احتجاج؟

- لم يقاوموا ولم يحتجوا لأنه ببساطة لم توجد نية لقتلهم، ولأنهم وببساطة أيضاً سُخّروا وأجبروا على العمل.

30) كم يهودياً مات في معسكرات التجميع تقريباً؟

- حوالي 360 ألف يهودي.

31) كيف ماتوا؟

- بشكل رئيسي ماتوا بسبب العدوى المتكررة بحمى التيفوس، وهو مرض خطير ينتشر في الأمكنة التي يحتشد فيها الناس بكثافة في مكان واحد لفترات زمنية طويلة في وضع غير صحي، وهذا المرض ينتقل بواسطة القمل، وقد تسبب في حصاد بشرية كبيرة في أوروبا المدمرة بالكامل في حروب ذلك العهد. ماتوا أيضاً بسبب الضعف الناتج عن الجوع ونقص العناية الطبية قبيل نهاية الحرب، وذلك ما تسبب عنه تحطيم كل مواصلات السكك الحديد والمطارات، بعد أن حدثت انهيارات أرضية كثيرة بسبب قصف الحلفاء.

32) ما هو الفرق بين ستة ملايين و300 ألف من اليهود الأموات أثناء تلك الفترة العصيبة؟

- الفرق هو 5700000. وانطلاقاً من ذلك فإنه وبشكل متعارض مع الدعاية للهولوكوست لم تكن هنالك نية مبيتة لاستئصال اليهود.

33) كثير من اليهود الذين نجوا من معسكرات الإبادة، وبقوا على قيد الحياة أكدوا أنهم كانوا قد رأوا أكواماً من الجثث المكومة في الحفر والجثث المحروقة. ما هي كمية المحروقات التي يحتاج إليها للقيام بتلك العملية؟

- كمية لا بأس بها، أكثر من الذي نص عليه الألمان، مع النقص الحاد في المحروقات الذي كان يعاني منه الألمان في ذلك العصر.

34) هل يمكن أن تفنى الأجساد البشرية بشكل تام إذا حرقت في حفر؟

- لا. إنه غير ممكن بهذه الطريقة، ففي الحفر المفتوحة لا يمكن إيجاد الحرارة اللازمة لذلك.

35) الكتاب الذين يؤكدون وجود الهولوكوست يقولون إن النازيين كانوا قادرين على إحراق الجسد الإنساني في وقت قريب من عشر دقائق. كم من الوقت يستغرق إفناء جسد إنساني في أتون حسب الشهادات الاختصاصية من قبل عمال محارق الموتى حالياً؟

- ساعتان تقريباً.

36) لماذا وجدت أفران الإحراق في معسكرات الاعتقال؟

- لتدمير الجثث المصابة من طاعون حمى التيفوس بشكل فعال وصحي.

37) مع افتراض عمل كل المحارق في كل المعسكرات المقامة من قبل الألمان بمعدل 100 جثة لكل فرن، ما هو العدد الأقصى من الجثث التي كان من الممكن أن تحترق أثناء كل الفترة التي تبين أن تلك المحارق المقامة لهذا الشأن كانت تعمل خلالها؟

- حوالي 436600 جثة.

38) هل يمكن أن يشتغل فرن إحراق بمعدل 100 جثة بشكل مستمر؟

- لا. فخمسون جثة للفرن تعتبر تقديراً مرتفعاً (بمعدل 8 ساعات يومياً)، وأفران الاحتراق يجب أن تنظف بشكل عشوائي وخاصة عندما تكون في استعمال مستمر.

39) ما هي كمية الرماد المتبقية من كل جسد محروق؟

- بعد أن تطحن العظام بشكل تام فإن كمية

الرماد فهذا تقريباً ما تحتاجه علبة حذاء.

40) من أحرق النازيون ستة ملايين شخص فعلاً، فماذا حدث لرماد أجسادهم؟

إنه شيء محال لم يقترح بعد، فستة ملايين من الجثث يجب أن تخلف وراءها أطناناً من الرماد، ومع ذلك فلا يملك أي دليل على وجود أي مصرف كبير من الرماد بهذه الكميات الكبرى.

41) هل الصور الجوية التي التقطت الحلفاء لـ Auschwitz أثناء الفترة التي يفترض أن غرف الغاز أثناءها كانت تشتغل على أشدها تبين وجود غرف غاز؟

لا. في الواقع لا تبين هذه الصور أي علامة أو دليل لكميات كبيرة من الدخان من المفترض أنها كانت قد وجدت بشكل مستمر فوق المعسكر ولا تبين الصور الحفر المفتوحة التي ادعي بأنه كان تحرق فيها الجثث.

42) ماذا تشرع بشكل أساسي قوانين Nüremberg الألمانية الصادرة في عام 1935؟

تمنع الزواج والعلاقات الجنسية بين الألمان واليهود بطريقة مشابهة للقوانين الموجودة اليوم في إسرائيل.

43) هل يوجد أصول أو مصادر أمريكية لهذه القوانين الألمانية؟

عديد من الولايات في أمريكا كان بها قوانين تمنع الزواج والعلاقات الجنسية بين الأشخاص من أعراق مختلفة، وكان ذلك قبل ظهور النازية بوقت كبير.

44) ما الذي كانت هيئة الصليب الأحمر العالمية في ما يتعلق بالهولوكوست؟

التقرير الذي عده ممثل الصليب الأحمر العالمي الذي زار Auschwitz في سبتمبر (أيلول) عام 1944 أفاد أن المعتقلين سمح لهم باستلام مرسلات وأوسمة، وأن الشجيج المتعلق بغرف الغاز لم يكن مؤكداً بعد.

45) ما هي الورقة التي لعبها الفاتيكان أثناء الفترة التي قيل إن الستة ملايين كانوا معتقلين خلالها؟

لو كان مخططاً منتجاً أو إستئصالياً فإن الفاتيكان سيكون بالتأكيد عالماً بذلك. ولكن بما أنه لم يوجد أي مخطط أو أي نية للاستئصال من هذا النوع فإن الفاتيكان قد عرف من شيء يخشى منه عقاً موقفاً مختلفاً عما اتخذه من مواقف.

46) هل وجد تعاون بين النازيين والصهاينة؟

نعم. كلاهما كان ذا مصالح، ومهتماً بإخراج اليهود من أوروبا. وكانت بينهم علاقات صداقة أثناء الحرب (انظر رسالة الصداقة لإسحاق شامير الزعيم الإسرائيلي الأول السابق لإسرائيل إلى هتلر التي كانت في عام 1941 والمسجلة من قبل الكاتب اليهودي Brenner في The Iron Wall).

ما حقيقة الصور التي تظهر ويدعى أنها كانت من معسكرات الاعتقال الألمانية؟!

47) من كانت هذه ميتة من آنا فرانك Anne Frank قبل الحرب العالمية الثانية بمدة سابيع؟

إنها فتاة اليهودية.

48) هل كانت يومياتها حقيقية؟

لا. فالبراهين المجموعة من قبل Ditlieb Felderer في السويد، والمجموعة من قبل الدكتور Robert Faurisson في فرنسا تبين بشكل قاطع أن المذكرات المشهورة هي تزوير أدبي (وهي تدليس بين واضح) عندما بعث الكاتب Mayer Levin إلى والد فرانك بيئة، ومنع الكاتب حقه في جعل الوضع ماساوياً في اليوميات الأصلية، أي أنه كان قد أعدّ كتابتها.

49) ماذا حدث مع الصور الكثيرة التي أخذت في معسكرات الاعتقال الألمانية، وهي صور تبين أكواماً من الأجساد التي أنهك أصحابها الجوع، هل هي صور مزورة؟

الصور يمكن أن تكون مزورة دون شك، ولكن الأمر أكثر سهولة إذ تستعاد شرحها فكرة تصويرة أو

لصاحبه تصويريتين مختلفتين. فمثلاً هل يدل كوم الجثث المنهكة بالجوع على أن أصحابها قد ماتوا خنقاً بالغاز؟ أو يدل على أنهم جوّعوا عمداً حتى الموت؟ أو أن الصورة تكشف ضحايا طاعون حمى التيفوس الجارفة؟ أو أن أصحاب تلك الجثث قد ماتوا نتيجة عدم وجود الأغذية في معسكرات الاعتقال في نهاية الحرب؟

إن صور الأكوام من رفات الأحذية والشعر والأثواب للمقتولين بواسطة غرف الغاز، وظفت صوراً لضحايا اليهود.

4) هل هي الأسطورة والتلفيقية مثل الهولوكاوست؟

- لا، هذه الأسطورة لا يستطيع أحد أن يدعي بأنها تاريخية، وإنما هي تلفيقات مصنوعة انطلاقاً من التاريخ، ولسوء الحظ قبلها كثير من الناس على أنها تعبير عن حدث حقيقة وهو جدير بالتصديق.

5) كم عدد من الكتب التي نجد فيها تأكيدات الرواية الرسمية للهولوكاوست؟

مائة كتاب على أقل تقدير، ويوجد أكثر قيد النشر.

5) ماذا حدث عندما عرض المعهد لنشر المراجعة التاريخية I.H.R خمسين ألف دولار مكافأة لمن يمكنه أن يثبت أن اليهود قتلوا خنقاً بالغاز في Auschwitz؟

- لم يتوصل إلى أي دليل يستحق الجائزة المعروضة. بل إن أحد الناجين من الهولوكاوست طالب المعهد بدفع غرامة مقدارها سبعة عشر مليون دولار تعويضاً من المعهد بهذا المدعي لأن عرض الجائزة جعله في قلق ... يتعرض لخسارة تجارية. وقد رأى ذلك المدعي أن الجائزة مثلت شيئاً مهيناً للأحداث التاريخية.

53) لماذا يوجد خلط من التأكيدات التي تقول إن الذين جادلوا في أمر الهولوكوست هم ضد السامية أو هم نازيون جدد؟

- إنه وصمة عار. إن الموضوع هو عبارة عن تمويه، وجذب للانتباه إلى ... وتحويل الأنظار عن الانتباه إلى الحرب، ومحاولة ... ضد أعمال ... وأدلة قاطعة. فالباحثون الذين شككوا في الهولوكاوست موجودون في كل الأيديولوجيات، ولعل ذلك الأنموذج معروف أكثر من غيره وهو بول راسينير Paul Rassinier العضو القديم في المقاومة الفرنسية وعضو الحزب الاشتراكي والمعتقل ضمن معسكرات الاعتقال النازية الأكثر شهرة، وهو واحد من الذين كانوا قد أمعنوا النظر في الهولوكوست وناقشوا في حيثياته وما يتعلق به. فمنهم الديمقراطيون ومنهم الجمهوريون ومنهم ... ومنهم الاشتراكيون، ومنهم المسيحيون ومنهم اليهود ومنهم غير ذلك. ولا يوجد أي ارتباط بين نقد الهولوكوست ومعاداة السامية أو النازية الجديدة.

الكتّاب اليهود الذين يشككون في صحة الهولوكاوست في تزايد مستمر

وبالفعل فإن الكتاب اليهود الذين يعترفون بشكل واضح بأن الأدلة التي تدعم الهولوكاوست الصحيح بشكل لا يقبل الشك، عدم كفايتها، هم في تزايد مستمر.

54) ماذا حدث مع الباحثين الذين شككوا بالغاز وتلفيقية الهولوكاوست؟

- لقد كانوا هدفاً لحملات تشهيرية، وقد طردوا من مناصبهم الأكاديمية وحجبوا مرتباتهم وتعرضت أملاكهم، وتعرضوا لعنف جسدي بل تعرضوا للتهديدات بالموت ومحاولات اغتيال. كما حدث ضد معهد المراجعة التاريخية I.H.R في الرابع من تموز/يوليو 1984 عندما حطمت مكاتب المعهد ومخازنه بشكل كامل وتعرضت لاعتداء بإشعال حريق فيها.

55) لماذا يوجد القليل جداً من المعلومات حول وجهة نظر المعهد I.H.R ومن المراجعة بصورة عامة؟

لأسباب سياسية: فالمؤسسة الرسمية لا ترغب في أي مناقشة عميقة حول الأمور التي تتعلق بمزاعم الهولوكاوست اليهودي.

الصحوة الإسلامية.. رؤية مستقبلية

محمد احمد شطيح*

تحديد مفهوم الصحوة الإسلامية

إن كلمة «الصحوة» مأخوذة لغوياً من فعل صحا يصحو، ومعناه استيقظ من النوم أو ذهب عنه السكر بعد أن كان مسيطراً عليه.

ومن هنا استعملت كلمة «الصحوة الإسلامية» لتدل على استيقاظ المسلمين واعتزامهم الخروج من فترة النوم الفكري والانحطاط الثقافي والتبعي الحضاري، حيث بدأوا يشعرون من جديد بعظمة شخصيتهم الدينية والثقافية والحضارية والتاريخية الإسلامية ويعتزون بها، ويستشعرون بل ويحسون إحساساً شديداً بالأخطار المحدقة بحاضرهم ومستقبلهم كأمة إسلامية حريصة على شخصيتها وهويتها الدينية الحضارية المتميزة، والتي أصبحت هدفاً لأعداء الإسلام والمسلمين، وبخاصة منهم بعض ساسة الغرب وكتابه ومفكريه وأجهزة الإعلام فيه، والنخبة من هؤلاء الذين حاقدين كمعية ورثت قديم ومتأصل للإسلام والمسلمين، ويتمثل في الروح الصليبية والصهيونية اليهودية اللتين لم تتقبلا الإسلام منذ أيامه الأولى وإلى يوم الناس هذا.

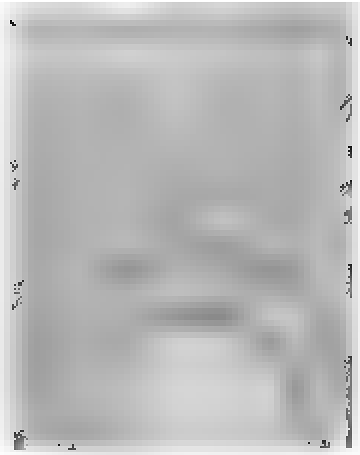
كما تتلخص ظاهرة «الصحوة الإسلامية» في اقتناع المسلمين بضرورة العودة إلى مبادئ الإسلام الأصيلة التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، والعمل على التقريب بين شعوب الأمة الإسلامية، وبناء مجتمعات إسلامية قوية في مجالات الحياة الدينية والدنيوية، حيث تستطيع المحافظة والدفاع عن كيانها وتراثها وكرامتها وتاريخها وحضارتها.

إن ظاهرة «الصحوة الإسلامية» هي إذاً في الواقع ثورة فكرية ثقافية حضارية تهدف إلى العودة إلى تعاليم الإسلام وحماية الأمة الإسلامية وتقدمها في جميع المجالات.

هذا ومن الجدير بالذكر أن ظاهرة «الصحوة الإسلامية» والتجديد الديني هما حدث من الظواهر الدائمة الأساسية لدين الإسلام.

وللتوضيح ما نقوله ينبغي أن نذكّر بما يعرفه الجميع وهو أن الأنبياء والرسل السابقين عليهم السلام كانوا يبعثون إلى شعوب معينة ولفترات محددة، وعندما تنتهي تلك الفترة المحددة يبعث الله سبحانه وتعالى رسولاً جديداً يقوم بتجديد التعاليم الدينية بأمر ووحي من الله تعالى. وهكذا حتى

* كاتب - النيجر



بعث الله حبيبه محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، فجعله خاتم الأنبياء والمرسلين، وكلفه بتبليغ آخر رسالة إلهية إلى البشر، ولذلك جعل الله تعالى من دين الإسلام ديناً حياً ولتدبير صالحاً لكل زمان ومكان ولكل شعوب البشرية.

ونظراً لختم النبوة والرسالة، فإن الله سبحانه وتعالى جعل من العلماء العاملين ورثة للأنبياء، كما ورد ذلك في الحديث الصحيح المشهور. وقد وعد الله تعالى - كما جاء في حديث نبوي صحيح - أن يُعطي هذه الأمة في كل قرن علماء يجددون لها دينها. ومعنى التجديد هنا هو التذكير بالإسلام الصحيح الذي جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وليس معناه إدخال عناصر جديدة على الإسلام لم تكن موجودة من قبل، لأن الله تعالى يقول:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (سورة المائدة، الآية 3)

وهنا يجب أن نذكر أننا نفضل اصطلاح «التجديد الديني» الوارد في الحديث على اصطلاح «الإصلاح الديني» الذي يستعمله بعض الكتاب والمفكرين المسلمين المعاصرين الذين تأثروا بالكتابات الغربية التي تتحدث عن «الإصلاح الديني» (Réforme Religieuse) بالفرنسية، لأن الغربيين يتحدثون في ذلك عن الإصلاحات التي أدخلها البروتستانت على المسيحية كما يتصورها الكاثوليك، وهي إصلاحات وتغييرات عقائدية، ولا وجود لمثل ذلك في الإسلام.

إن حركة التجديد الإسلامية قد وعدت الأمة بأنها - كما قلت سابقاً - في حديث مشهور صححه الإمام الحاكم، ويصرح هذا الحديث بأن الله سيبعث لهذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها دينها، وهو حديث رواه الكثيرون من كبار علماء السنة النبوية ومن بينهم أبو داود في سننه، وأحمد بن حنبل في مسنده، والحاكم في مستدركه، والحافظ البيهقي في كتاب المعرفة، وغيرهم من أئمة الحديث.

يجب أن نقوم بالنقد الذاتي لأنفسنا ونعترف بأخطائنا وخروجنا في كثير من الأحيان عن جادة الصحوة الإسلامية الصحيحة

ونحن نعتقد بأن ظاهرة «الصحوة الإسلامية» الصحيحة ما هي إلا مظهر من مظاهر هذا التجديد الديني الموعود، وهي ظاهرة إسلامية تحدث كما حدث على مر القرون. هذا التيار العالمي التقدمي الحالي كان الغرب الرأسمالي يعتقد أنه بعد نهاية الاتحاد السوفياتي لم يعد يطالعه من أي إيديولوجية فكرية ثقافية عالمية ترفض الاستسلام له والذوبان فيه، ونخص هنا بظاهرة «الصحوة الإسلامية» المعاصرة، والتي أصبحت تمثل في نظره العقبة

الوحيدة، فتم سيطرته الثقافية العسكرية الشاملة على العالم، وفرض نظام العولمة الثقافية الحضارية عليه، ذلك النظام الذي يسميه الغرب «النظام العالمي الجديد».

ويرى المفكرون والكتاب والمؤرخون الغربيون أن من الصعب جداً أن يتمكن الغرب من القضاء على هذه «الصحوة الإسلامية المعاصرة» لأنها ـ كما يعترفون ـ تنبع من الشعوب والأقليات الإسلامية، وليس من الحكومات أو الأحزاب، بينما لم يكن النظامان النازي والشيوعي يعتمدان على غير الحزبين النازي والشيوعي، ولذلك سهل القضاء عليهما عندما تم القضاء على زعماء هذين الحزبين.[1]

إن ذلك ما تحديد لمفهوم الصحوة الإسلامية وأصولها في نصوص السنة النبوية، وتبدو من تاريخها الحديث، وموقف الغرب منها.

وبالنسبة لما يعني المسلمين فإنه مع اعترافي الكبير بهذه الظاهرة الإسلامية الكبرى، وهي ظاهرة «الصحوة الإسلامية المعاصرة» فإنه يجب أن نقوم بالنقد الذاتي لأسسها ومسارها بنشاطاتها ومنهجها وخروجها في كثير من الأحيان عن جادة الصحوة الإسلامية الصحيحة، وهو ما منع كثيراً من حركات الصحوة الإسلامية المعاصرة من تحقيق الأهداف الإسلامية السامية التي من شأنها أن تحقق عزة الإسلام والمسلمين، ولذلك يجب علينا ترشيد صحوتنا الإسلامية.

وسنشير فيما يلي إلى رأيي في تحديد بعض من تلك الأخطاء المؤسفة بهدف العمل على تجنبها وتداعيها.

النقد الذاتي لمسيرة بعض حركات «الصحوة الإسلامية» المعاصرة

تميزت بعض حركات الصحوة الإسلامية في مسيرتها بأخطاء عدة من بينها ما يلي:

روح الجمود والتحجر والانغلاق والانعزالية حيث لا يعمل قادتها على تفهم أحوال العصر ودراستها من أجل العمل على إيجاد حلول ومواقف إسلامية سليمة للمشاكل التي تنشأ يومياً من تطور الحياة العصرية.

إن هذا الموقف المتحجر الميت يتنافى تماماً مع روح الإسلام الأصيل، ذلك الدين الحي الكلي الخالد، والذي يستطيع أن ينظم كل شؤون الإنسان في كل العصور إذا أحسن استعمال كلياته الأساسية ومقاصده وقواعده العامة بحسب ما نجده في محكم القرآن الكريم والسنّة النبوية الصحيحة وكما درسها بكل دقة علماء الإسلام القدامى والمحدثون أمثال الإمام سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام في كتابه القيم «قواعد الأحكام في مصالح الأنام»، والإمام المحقق المجتهد أبو إسحاق الشاطبي الأندلسي في كتابه «الموافقات في أصول الشريعة» و«الاعتصام» والدكتور يوسف القرضاوي في كتبه الكثيرة.

لا يرفض الإسلام الأفكار والعلوم والاتجاهات الحديثة التي لا تتنافى مع مبادئه ومفاهيمه الأساسية، لكنه لا يقبل الانصهار والذوبان في تيار الفكر البشري الحديث

إن النظرة الصحيحة لروح الإسلام تثبت أن هذا الدين الحنيف يشتمل على ثوابت جوهرية لا تتغيّر ولا تتبدّل بتغيّر الأمكنة أو الأزمنة مثل قواعد الإسلام الخمس وأحكام المحرمات ومنها: الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله بمفهومه الإسلامي الصحيح وتحريم الخمر والربا

وغيرها من الواضحات الثوابت

أما ما سوى الثوابت التي لا تتغير فإنه خاضع لنظر العلماء الراسخين واجتهادهم في كل زمن ومكان للعمل على تحقيق مصالح البشر ودفع الضرر ودرء المفاسد عن الناس.

2. وعلى عكس ذلك تماماً، فإن هناك بعضاً من مفكري الصحوة الإسلامية المعاصرة الذين يدعون إلى الخضوع لمنتجات الفكر الغربي العلماني أو اللاديني المعاصر، وهم يحاولون أن يفسروا مواقف الإسلام من مشاكل الحياة البشرية طبقاً لمقتضيات هذا الفكر الغربي وذلك لمحاولة إظهار الإسلام على أنه عصري ومتطور يساير الأفكار والمفاهيم والمواقف العصرية!!!

وإذا أردنا أن نعرف موقف الإسلام تجاه هذين الاتجاهين المتطرفين، اتجاه الجمود والتحجر واتجاه الاستسلام للفكر الغربي وسيطرته، فإن علينا أن نرجع إلى مبدأ الوسطية والتوازن والاعتدال في الإسلام وهو المبدأ الذي يمثل جوهر ديننا الحنيف ويحث عليه الإسلام في أمور العبادات وحتى في المعاملات كما قال تعالى:

﴿لا [illegible] ربكم﴾ (سورة [illegible])

وطبقاً لهذا المبدأ العام فإن الإسلام هو نظام نسبي وحيٌّ وهو لا يرفض الأفكار والعلوم والاتجاهات الحديثة التي لا تتنافى مع مبادئه ومفاهيمه الأساسية بل يأمر بالإفادة منها ولكنه في الوقت نفسه لا يقبل الانصهار والذوبان في تيار الفكر البشري الحديث والتسليم المطلق بكل ما جاء به، بل إن للإسلام هويته المتميزة وثوابته الجوهرية التي تجب المحافظة عليها وحمايتها والدفاع عنها.

يمتاز الكثيرون من دعاة الصحوة الإسلامية المعاصرة بالتطرف والتنطع والغلو في مواقفهم، وهو شيء يرفضه الإسلام الصحيح الذي يدعو -كما قلنا آنفاً- إلى الوسطية والتوازن والاعتدال في كل شيء من أمور الدنيا والآخرة بل وفي عبادة الله نفسها!!!

ومن أمثلة هذا التطرف والغلو تكفير المسلمين ونسبتهم إلى الشرك بسبب بعض المعاصي التي يرتكبونها أو البدع التي يخترعونها أو يعملون بها مما لا يمس جوهر العقيدة الإسلامية، وهذه ذنوب هي مذموم منها في الإسلام ولكنه لا يبيح تكفير المسلمين، لأن الحكم على المسلم بالكفر هو أمر عظيم يجب تحاشيه إلا إذا كان سبب التكفير واضحاً لا شك فيه.

> علينا أن نرجع إلى مبدأ الوسطية والتوازن والاعتدال في الإسلام وهو المبدأ الذي يمثل جوهر ديننا الحنيف

ومن أمثلة ذلك أيضاً التعصب وعدم التسامح مع غير المسلمين، واتخاذ مواقف سلوكية متشددة ضدهم، بينما يرى الإسلام يأمر بالدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد يشمل أيضاً غير المسلمين ممن لا يظهرون مواقف العداء ضد الإسلام والمسلمين ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم﴾ (سورة العنكبوت، الآية 46).

4. تمتاز بعض حركات الصحوة الإسلامية المعاصرة بإهمال قاعدة تربوية إسلامية عظيمة وهي قاعدة التدرج في تحقيق الأهداف، وقد سبق الإسلام وعمل بها في مختلف المجالات، فهو مثلاً لم يفرض أركان الإسلام الخمس مرة واحدة، بل بدأ بتوحيد الله سبحانه وتعالى، ثم بعد مدة وجبت الصلاة وهكذا فرضت الأركان الأخرى بالتدريج.

والإسلام لم يحرم الخمر مرة واحدة بل على ثلاث مراحل، والله سبحانه وتعالى لم ينزل القرآن الكريم مرة واحدة بل على مدى 23 سنة ولم يقم الرسول ﷺ بتنظيم الدولة الإسلامية وهياكلها إلا في المدينة المنورة بعد الهجرة النبوية ... إلخ.

ولكن بعض حركات الصحوة الإسلامية المعاصرة تهمل هذه القاعدة الهامة فتحاول مثلا فرض أنظمة إسلامية متكاملة فورية في بلدان لم يتم فيها واجب التعريف بالإسلام وتثقيف أهله ثقافة إسلامية عميقة وإعدادهم إعداداً مناسباً يسمح بتأييدهم الكامل لهذه الأنظمة الإسلامية عند إعلانها حتى يقوم الجميع بحمايتها واحترام أحكامها والتضحية في سبيل الدفاع عنها ولذا إهمال تلك القاعدة التدريجية الطبيعية التربوية الإسلامية قد أدى كثيراً إلى الإضرار بالإسلام والرجوع إلى الوراء والفشل الذريع لدى الكثيرين من أبناء الصحوة الإسلامية المعاصرة.

تلك إذاً أمثلة بسيطة لبعض أخطائنا في مجال الصحوة الإسلامية المعاصرة، وهنالك أمثلة عديدة غيرها، لكن هذه المقالة الموجزة لا تتسع لاستقصائها.

وفيما يلي سنتناول نقاطاً هامة تمثل بعض الأسس الضرورية لترشيد الصحوة الإسلامية المعاصرة وإنجاحها طبقاً لروح الإسلام الأصيل.

الصحوة الإسلامية
ضوابط لنجاح مستقبلها

إن الضوابط الصحيحة الكفيلة بنجاح مستقبل الصحوة الإسلامية المعاصرة نجدها في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وسيرة نبينا محمد ﷺ ونشير في ما يلي إلى أمثلة محدودة منها ولكنها في غاية الأهمية:

1 - يجب أن تعتمد هذه الصحوة الإسلامية على قيادات فكرية ثقافية لها معرفة راسخة وتفهم حقيقي لمبادئ الإسلام الأساسية ومفاهيمه الصحيحة ومقاصده العامة وأساليبه الحكيمة في الدعوة والإصلاح، ذلك الإسلام الأصيل المؤسس على محكم القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وليس إسلام البدع والخرافات والترهات والمحدثات في الدين إذ كل بدعة في الدين ضلالة وكل ضلالة في النار كما تعلمنا السنة النبوية الصحيحة بكل وضوح ودون أي تردد.

يجب أن تعتمد هذه الصحوة الإسلامية على قيادات فكرية ثقافية لها معرفة راسخة وتفهم حقيقي لمبادئ الإسلام الأساسية ومفاهيمه

2 - يجب أن تعتمد الصحوة الإسلامية على منهج الوسطية والتوازن والاعتدال كما دعا إلى ذلك القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وعليها أن تتجنب التعصب والتطرف والغلو في شؤون الحياة الدينية والدنيوية.

3 - يجب أن تعتمد الصحوة الإسلامية المعاصرة في مجال الدعوة على أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة والمناقشة والحوار بأحسن الطرق السلمية وليس بأسلوب الإكراه والعنف والتسلط.

4 - يجب أن تعتني الصحوة الإسلامية عناية كاملة بالمحافظة على الشخصية والهوية الثقافية الحضارية للمسلمين دون أية مجاملة ولا تهاون في كل ما يتعلق بثوابت هذه الهوية الإسلامية وفي الوقت نفسه فإن ذلك يجب أن لا يمنع المسلمين من أن يكونوا متقدمين ومنفتحين



للحوار والتفاهم والتعاون والصداقة مع الحضارات والثقافات والعقائد الأخرى، وبخاصة العقائد السماوية الأخرى ويجب أن يكون هذا الحوار على أساس الاحترام المتبادل بين الجميع، وسيادة مبادئ العدالة والمساواة والسلام بين الشعوب، كما قرره الله القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين﴾

سورة الممتحنة الآية 8.

إلى آخر الآية الكريمة

5- يجب أن تسعى الصحوة الإسلامية بدعوة المسلمين إلى دراسة الإسلام دراسة حقيقية متعمقة لفهم تعاليمه والتفقه فيه، إلى جانب ضرورة العناية بالعلوم العصرية والصناعات والتكنولوجيا الناهضة، وتعلم البحوث العلمية العالمية المهمة، وذلك لتكوين أمة إسلامية قوية وعزيزة في كل الميادين، كما أمرنا بذلك الإسلام الأصيل.

6- تجب العناية بمجال الإعلام الإسلامي باستعمال كل الوسائل الإعلامية الحديثة لمصلحة شرح الإسلام الصحيح للمسلمين وغير المسلمين والعمل على الدعوة إلى وجوب عدم الخلط بين الإسلام والتطرف والإرهاب، ذلك السلوك غير المقبول وغير الصحيح، والذي يسير عليه اليوم مع الأسف الشديد معظم ساسة الغرب ومفكريه وكتابه ومؤرخيه ووسائله الإعلامية الهائلة!!!

7- يجب أن تعتني الصحوة الإسلامية بنقطة مهمة وهي العمل على الدعوة إلى عدم الخلط بين التقاليد الشعبية لبعض المجتمعات الإسلامية وبين تعاليم الإسلام الصحيحة، فالإسلام شيء وتقاليد الشعوب الإسلامية شيء آخر قد يتفق مع تعاليم الإسلام وقد يناقضه.

8- العمل على تقوية التقارب بين المجتمعات الإسلامية رغم خلافاتها الفرعية في بعض الجزئيات الدينية غير الجوهرية

الشباب المسلم والتنمية

د. سامبي خليل ماغاسوبا*

تعريف التنمية

منذ قديم الزمان والحضارات الإنسانية في تغير مستمر تارة بسرعة وأخرى ببطء. وقد انطلقت تلك الحضارات من مرحلة جمع الطعام حتى وصلت إلى مرحلة الصناعة الآلية. أي أن المجتمع الإنساني قد تغير بشكل تدريجي من مرحلة المجتمعات البدائية البسيطة الصغيرة إلى المجتمعات الضخمة المعقدة المستقرة. ويبدو أن هذا التغير يرتبط بمحاولة الإنسان المستمرة لإشباع حاجاته المادية والاجتماعية والمعنوية. ونتيجة قيام الصراع بين الإنسان وأخيه الإنسان من جهة، والطبيعة من جهة أخرى، فقد أدى إلى تحقق الذهن من حلول كانت أساس التنمية. وبتراكم تلك الحلول الناجحة انتقل المجتمع من وضع إلى وضع آخر[1].

ويرجع التحول في حياة الإنسان إما إلى التقليد أو الاكتشاف أو الاختراع. ويعتبر التغير بأي طريق من هذه الطرق، فإن هناك اتفاقا على أن التنمية أساسية في الأساس، أي أنها تتم عن طريق تفاعل متغير في المجتمع مع الجهاز العصبي للإنسان، مما يدفع إلى محاولة تغيير الوضع لإرضاء حاجة كامنة في نفسه[2].

ويعني بالتنمية في هذا الصدد التنمية المتكاملة التي تركز على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأدبية لتحقيق أهدافها. وتعتمد في تعريفها على إرادة التقدم في المجتمع لأن الإرادة هي الأساس لتقدم الشعوب، والعلم وحده ليس هو سبيل التقدم في ميدان التنمية لأنها عملية إرادية لا تتحقق إلا إذا تم قرار المجتمع بوعيه حقاً في تحقيقها عن إيمان صادق بأن الجهد الواعي للإنسان يمكنه من السيطرة على الطبيعة وتسخيرها لمصلحته[3].

وهكذا يبدو لنا من هذا العرض السريع الموجز أن التنمية عملية قديمة في تاريخ الإنسانية، تحدث بتغير المجتمع من وضع معين إلى وضع أحسن، وذلك في كل مستويات الحياة.

2. التنمية في الإسلام

يبدو أن التنمية من المفاهيم التي عرفها الإسلام وأولاها اهتماما بالغا، وهي تتمثل في قيام المجتمع الإسلامي باستخدام الموارد المادية والبشرية التي وهبها الله تعالى تحت تصرفه أفضل استخدام، وذلك في ظل المعرفة العلمية المتاحة، وتوزيع الناتج بما يحقق للناس حد الكفاية أو الكفاف مع حجم الناتج، عبادة لله تعالى وقياما بمهام الخلافة[4].

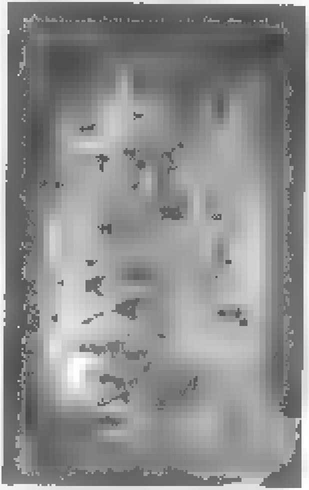
وللتعرف الحقيقي إلى طبيعة هذه التنمية لا بد من الإشارة إلى جوانب معينة ذات الصلة بهذا الموضوع

* جامعة باماكو، مالي

لعل من أبرزها: النظام الاقتصادي الإسلامي الذي يعتبر جزءاً لا يتجزأ من النظام الإسلامي الشامل ويحقق المصلحة العامة بمراقبة سعي الإنسان وإقدامه على نشاطه الفردي مع التوازن بين الفرد والمجتمع والتعاون بينهما، وذلك بما يحقق المصلحة العامة وفقاً لما أملته الشريعة الإسلامية.

ومن الواضح أن الإسلام يهدف بطبيعة هذا النظام إلى توزيع الثروة من طريق التكافل الاجتماعي الذي يتحقق من طريق الزكاة التي تؤخذ من الأغنياء لترد على الفقراء والمساكين... الخ.

كما أن التنمية الإسلامية تعتمد نظاماً إدارياً يتميز بخصائص أساسية توحي بحتمية انسجام المفاهيم والممارسات الإدارية مع نصوص القرآن الكريم والسنّة الشريفة، واجتهادات أئمة المسلمين، وقيام نظام اتخاذ القرارات على مبدأ المشاركة والتشاور في



مختلف المستويات الإدارية والسياسية والاقتصادية وغيرها، حيث إن مبدأ المشاركة والشورى من المبادئ الإسلامية الهامة والراسخة في أعماق الفكر، مع وجود نظام حوافز مادية ومعنوية كافية تكفل كفاءة وفعالية الأداء الفردي والمؤسسي، مع الاهتمام بمبدأ الجدارة والكفاءة، حيث يجب أن تستخدم كمعيار في التوظيف بمختلف مراحله والتعيين والترقية والعزل، مع هذا المبدأ.

تضاف إلى ذلك السياسة الاقتصادية التي تشكل جزءاً مهماً من النظام التنموي الإسلامي والتي تهدف إلى تطوير المشكلات وبيان سبل مواجهتها بالإضافة إلى تسخير الطاقات والإمكانات والفرص المتوفرة من أجل إنجاز الأهداف التنموية الشاملة[1] أي أنها تهدف بصفة عامة إلى تحقيق المحافظة على التوازن والاستقرار والرفاه الاقتصادي العام.

أما أهداف التنمية في الإسلام فأهمها ما يلي:

- تعزيز قوة ومنعة المجتمع الإسلامي وبالتالي المحافظة على الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي العام.
- توفير السلع والخدمات بكميات ونوعيات ملائمة، وتطويرها باستمرار وبشكل يحقق الرفاه العام للأفراد والجماعات في المجتمع، حيث لا حرية لشعب يأكل من وراء حدوده.
- الحفاظ على استقلالية المجتمع المسلم، ومحاربة التبعية الاقتصادية والسياسية وغيرها.
- تفعيل الاقتصاد الإسلامي وتنشيطه في مختلف القطاعات الإنتاجية: الزراعية والصناعية والتكنولوجية والرقمية وغيرها.
- العدالة بمختلف أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها[2].

د- الشباب المسلم والتنمية:

لا يخفى علينا ما للشباب المسلم من دور مهم في تنمية المجتمع، إذ هو العمود الفقري الذي يستوي عليه

الجماعي، والدعاء الذي يجد فيه روح الأمن وعلى عاتقه يقع عبء تطوير المجتمع وتنميته على مستويات الحياة عامة ومن ذلك إسهامه الفعال في استثمار الثروة الطبيعية والعامة وفق الأطر الشرعية المعروفة بأشكاله وموضوعاته، ومن ثم تكمن في إدارة شؤون الدولة وتطويرها على الأصعدة كافة، وتوظيف جهوده وأوقاته وإمكاناته البشرية توظيفاً أمثل من خلال العمل المخلص والبناء، واستعمال التكنولوجيا الحديثة والملائمة لزيادة الإنتاج، حتى يتم تحقيق الكفاية والمطلوب، والكف... في انجاز الأهداف التنموية بمختلف جوانبها، ومشاركته في مقاومة التحديات والطاقات الإنتاجية والاستهلاكية في مختلف القطاعات. وليتمكن الشباب المسلم من تحقيق ذلك ينبغي له الاعتماد على وسائل معيّنة من أهمها:

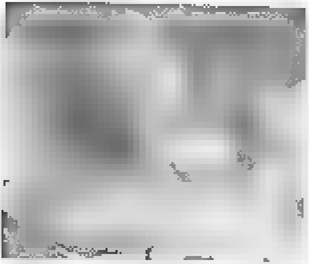
- فهم الدين فهماً صحيحاً: أي أن يكون عميق الفهم لدينه فإنه عماد الأمر كله وعصمته، وهو القوة الحقيقية في مواجهة شؤون الحياة، والأسلوب الأمثل في المعاملة مع الفرد والأسرة والمجتمع.

2- معرفة مسؤوليته على النحو الذي أراده له الحق تبارك وتعالى، وبذلك حتى يستطيع المضي قدماً في مسيرة الحياة، عارفاً مسؤوليته الفردية، والتزامه الأخلاقي، حافظاً حدود الله تعالى.

◆ التغلب على نفسه، إذ لن يكون الشباب قوة فعالة إن لم يتحرر من مخاوفه وأهوائه، ويتمكن من كبح جماح نزواته وشهواته، وتوجيهها إلى الطريق الذي رسمه دينه فيصل بذلك إلى مرحلة أعظم في القوة والسيادة.

◆ أن يكون قادراً على أن يربط بين التجدد والأصالة وأن يجمع الحركة والانفتاح والتلقي مع الاحتفاظ بقاعدته الأساسية في الإيمان بالله العظيم والقيم الثابتة[1]

◆ التزود بالثقافة الإسلامية بصفة عامة وباللغة العربية بصفة خاصة، أي الاهتمام بهذه اللغة ومحاولة إتقانها مهما كانت قوميته، لأن الحرص



على هذه اللغة هو الحرص على الدين، لأنها تجسّد كما هي بتعريبي تعبير عن هوية وانتماء ملائم للقرآن الكريم للمسلمين جميعاً

وإن كان الشباب المسلم مدعوّاً في الدرجة الأولى إلى تعلمها لوسيلة فهماً صحيحاً، فهو حريّ بإتقان هذه اللغة لفهم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ومقاصد الشريعة ومصطلحات الدين ومفاهيمه، وخاصة موضوع التعامل مع الآخرين.

لقد اعتبر بعض العلماء المسلمين تعلم اللغة العربية فرض عين[1] إذ عليه تتوقف صحة الاجتهاد، فإن كان ثمة علم لا يحصل الاجتهاد في الشريعة إلا بالاجتهاد فيه فهو لا بد مضطر إليه[2]

◆ إدراكه الخطر الكامن في تطلّع الدول الرأسمالية والشيوعية على الشباب المسلم بوسائل متنوعة وبالخصوص عبر الهوية بجوانبها المتعددة[3]

وغير هذه من عوامل ينبغي أن يتمسك بها الشباب المسلم حتى يؤدي دوره المطلوب لتحقيق التنمية الفعّالة في المجتمع الذي ينتمي إليه

وليتمكن الشباب المسلم من أداء دوره خير أداء في مجال التنمية، لا بدّ للمجتمع من القيام بتربية الشباب تربية إسلامية صحيحة انطلاقاً من التعاليم والمثل الإسلامية العليا، وتبصيره بكل ما يشكل خطراً في حياته، وتزويده بالعلم الصحيح الملائم لتنمية

مجتمعة، وعبر ذلك من تطوير المؤثرات إلى مجتمع أفضل.

وفي نهاية هذا العرض يطيب لي أن أورد جملة من الاقتراحات أراها مفيدة للشباب المسلم هي:

1. أن على الجمعيات الإسلامية العمل الجاد لتكوين الشباب المسلم، والأخذ بيده إلى كل ما هو مفيد لبلاده، ومساعدته للإفادة من التقدم التكنولوجي الحديث.
2. توجيه الشباب المسلم إلى الاهتمام بالتراث الإسلامي لإحيائه و[illegible] لاستعادة الهوية الإسلامية الصحيحة، حيث لا شعب بلا تراث ولا تراث بلا شعب وإن الشعب المسلم لا يستقيم إلا مع هويته وتراثه.
3. توفير فرص الدراسة للشباب المسلم في كل التخصصات حتى يتمكن من إثبات وجوده في مجتمعه ويشارك في تقرير مصيره.
4. دعم الجمعيات الشبابية ماديا ومعنويا وتنظيم الملتقيات التكوينية بينهم حتى تتمكن من وضع برامج عمل منظمة.

والسؤال المطروح في هذا الصدد هو: هل للشباب المسلم دور فعال في تنمية مجتمعه اليوم؟

نعم هنالك شباب مسلم واع وملتزم، ويشارك في تنمية مجتمعه على كل الأصعدة، ويعمل حثيثاً عبر الجمعيات الشبابية والطلابية للتوعية الإسلامية، مع قلة إمكاناته المادية والصعوبات المفروضة عليه من جهات مختلفة.

ولكن مع ذلك تسري في جسم هذا الشباب أمراض خطيرة منها: سيطرة الطمع وحب المادة مما [illegible] أداء رسالته بأمانة أحياناً، فالتمرد والانحراف [illegible] رغبة في تحسين أوضاعه، [illegible] يعود ذلك إلى عدم تكوينه تكويناً صحيحاً يدرك واجباته ويؤديها حق الأداء، ويراعيه في ذلك ضميره المهني متجرداً من التعصب الحزبي أو الإقليمي، متمسكاً بمبادئ الإسلام الصحيحة، مستنيراً بالعلم الذي هداه الله به، إذ يعد تخليه عن تطبيق ما تعلمه جهلاً وتنطعاً وخيانة، كما

قال الشاعر:

وإذا الفتى قد نال علماً ثم لم
يعمل به فكأنه لم يعلم [11]

الهوامش

(1) انظر [illegible] ترجمة [illegible] عبد العليم [illegible] بيروت، [illegible] المكتبة [illegible]
(2) [illegible]
(3) انظر مستقبل [illegible] في الوطن العربي، مجموعة من [illegible]
(4) انظر [illegible]
(5) انظر [illegible] في [illegible] والتنمية الاقتصادية [illegible]
(6) انظر المصدر نفسه ص [illegible]
(7) انظر الشباب المسلم [illegible] ومشكلاته [illegible] القاهرة [illegible]
(8) انظر [illegible] العربي [illegible] في [illegible] العربي والإسلامي [illegible]
(9) انظر المصدر السابق، ص [illegible]
(10) [illegible] الإسلام [illegible]
(11) الرسالة [illegible] مخطوط [illegible]

المصادر

- [illegible] العربية [illegible] في [illegible] العربي والإسلامي [illegible]
- [illegible] في [illegible] الإسلام [illegible]
- [illegible] الإسلامية [illegible]
- رسالة [illegible] مخطوط [illegible]
- الشباب المسلم [illegible] ومشكلاته [illegible] القاهرة [illegible] للنشر والتوزيع [illegible]
- مستقبل [illegible] في الوطن العربي، مجموعة من [illegible]
- [illegible] الإسلامي [illegible]
- [illegible] في [illegible] والتنمية الاقتصادية [illegible] دار [illegible] للنشر والتوزيع [illegible]

التنوع الثقافي وانعكاساته

د. محمد السماك *

في عالم تتلاشى فيه الحدود السياسية وتتداخل فيه الثقافات الوطنية، فإن الحديث عن واقع التعددية الثقافية وانعكاساته سياسياً ووطنياً يستوجب التوقف ملياً أمام الأمور الثلاثة الآتية:

الأمر الأول، هو تحول القضايا الوطنية (مثل حقوق الأقليات وحقوق الأفراد وحرية العبادة وسواها) إلى قضايا عالمية. وكذلك تحول القضايا العالمية مثل السلام والتنمية وحركة رؤوس الأموال والاستثمارات والبيئة وتبادل السلع إلى قضية وطنية.

الأمر الثاني، هو أن القرار الوطني في دولة ما لم يعد ملكاً لأصحابه فقط. ولكن عملية اتخاذه باتت جزءاً من عملية أوسع تلعب فيها عناصر من وراء الحدود الوطنية دوراً أساسياً. وبالتالي فإن الممثلين المنتخبين المكلفين بتسيير وإدارة أمور شعب ما أو دولة ما أصبحوا رهينة نظام عالمي له حساباته ومصالحه وقوانينه الخاصة التي لا تلتقي بالضرورة مع المصالح الوطنية منها والتي كثيراً ما تتناقض معها أيضاً.

أما الأمر الثالث فهو استمرار فرص المحافظة على التنوع الثقافي وتآكل المساحات الوطنية التي توفر لهذا التنوع قوة استمراريته إلى الشعور بالاختناق

الذي يحدث تصادماً مع ثقافات متعددة يعود إلى انطلاق ثقافة واحدة على العالم ومحاولة فرض قيمها وتعميم هذه القيم مقياساً مستهلكاً. وهو التفسير السببي للتوسع الثقافي (Cultural Expansion).

يقول المستشرق الإنجليزي مونتغمري وات في كتابه «الفكر السياسي الإسلامي»:

«إذا أردنا أن نلقي نظرة عامة على العلاقة بين الدين والسياسة، فإن من المفيد الاهتمام أولاً بموقع الدين في حياة الفرد.

فبالنسبة للشخص الذي يشكل الدين عنده معنى خاصاً -وليس مجرد تعلق شكلي- يمكن التأكيد على نقطتين:

● النقطة الأولى، هي أن الأفكار التي تتضمنها ديانته ترسم له الإطار الثقافي الذي يعيش نشاطاته وبأهدافه كلها. ومن خلال هذه العلاقة تكتسب نشاطاته أهميتها. كما أن هذه العلاقة قد تؤثر بطريقة معينة على البرنامج العام لحياته.

● النقطة الثانية هي أن الدين من حيث أنه يؤدي بالشخص إلى وعي المضمون الأوسع الذي تقوم عليه الأهداف المتعلقة بحياته، فإن من الممكن أن يوفر الدين بعض الحوافز المحركة لسائر النشاطات التي يقوم بها. وبالطبع فإن من دون هذه الحوافز العميقة لا يمكن القيام ببعض هذه النشاطات

* كاتب وباحث - لبنان

ومن خلال هذين التعريفين يتبين لنا كيف أن الدين يحتل موقعاً مركزياً في حياة الإنسان ليس من حيث أنه يقرر الكثير من التفاصيل – مع أنه يفعل ذلك بالفعل في بعض الحالات – ولكن من حيث أنه يزود الإنسان بأهداف عامة في الحياة، ويساعده على التركيز وعلى تجميع قواه من أجل تحقيقها[1].

وهذا يعني أن لا قيمة لحياة الإنسان إذا لم تكن له خلفية ثقافية يستمد منها معنى لحياته. وبالتالي فإن جوهر أي ثقافة خاصة هو ترتيب القيم التي تقوم عليها إنسانيته وتمييزها. وعندما يتداخل الدين مع الثقافة، أي عندما يكون الدين مكوناً أساسياً، أو المكون الأساس للثقافة، يأخذ الصراع حول الخصوصية الثقافية بعداً حاداً على النحو الذي نشهده اليوم في مواقع متعددة من العالم، [illegible] في ذلك [illegible] وخاصة في علاقته [illegible].

إسلامياً تكونت عناصر الثقافة والتقاليد الثقافية الإسلامية ونمت وتطورت بتفاعل تماسٍ مع الدين. وهذا يعني أن فك الارتباط بين الدين والثقافة الإسلامية يجرد هذه الثقافة من هويتها ويقتلعها من جذورها الروحية، وهو شأن الثقافة المسيحية أيضاً، بل وسائر الثقافات الشرقية كالهندوسية والبوذية وسواهما. وعلى العكس من ذلك فإن الثقافة الغربية الحديثة، والأوروبية، تكونت خارج الدين وفي أحيان كثيرة قامت على تحديه وعلى التناقض معه. وهذا يعني أن نموه أو تطوره يتطلب دائماً الإبقاء على حالة فك الارتباط بين الدين والثقافة. وهي لا تستبعد القيم الدينية فقط، إنما تسلّم بها وتحملها تبعة ومسؤولية ما تعانيه الشعوب المتمسكة بالدين وثقافته من تأخر اجتماعي ومن تردد اقتصادي. أدى ذلك إلى قيام الهوة الواسعة بين ما هو إلهي وما هو بشري، بين ما هو مقدس وما هو دنيوي، حيث الهيمنة للثاني والتراجع للأول.

من هنا التناقض بين الثقافة الغربية والثقافة الإسلامية تحديداً، والثقافات الشرقية عموماً.

إن التشخيص الأوروبي لواقع العالم الإسلامي يقوم أساساً على هذا التناقض. فالغرب يعزو تأخر المجتمعات الإسلامية إلى تمسك هذه المجتمعات بالارتباط الثقافي بالدين. وهو يرى أن هذه المجتمعات تقصر عن مواكبة المسيرة الحضارية لأنها غير قادرة على [illegible] ثقافة [illegible].

في الثقافة الغربية الدين ماضٍ والتمسك به ارتداد عن المستقبل

في الثقافة الغربية الدين ماضٍ، والتمسك بالدين هو ارتداد عن المستقبل. من هنا فإن الثقافة الغربية لا ترفض الإسلام كإسلام، ولكنها ترفض الدين بالمطلق إسلامياً كان أو مسيحياً، من حيث هو مكون لثقافة عصرية تتوق إلى مستقبل [illegible] ويعتبر التمسك به [illegible] في وجه [illegible] الإنسانية وتطلعاتها.

ويحسن التمييز بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية. أرجو أن تلاحظوا هنا أنني أشير إلى الغرب وليس إلى المسيحية، لأن التعاليم والقيم المسيحية منفصلة تماماً عن ثقافة الغرب وحضارته إلى نقطة اللاالتقاء. عندما يفكر الغرب أن [illegible] هو [illegible] بالإسلامية بالمسيحية. وعندما يفكر في الوقت نفسه في تخلف العالم الإسلامي وسقوطه – كما يقول المستشرق أرنست رينان في كتابه «الإسلام والعلم» [illegible] – هو ثمرة الارتباط بالدين. أما العالم الإسلامي فإنه يعزو تفوق الغرب إلى ممارسة الاستعمار والنهب، ويعزو تأخر الشعوب الإسلامية إلى ما تعرضت له من استعمار وإلى ما واجهته من محاولات استهدفت ولم تزل تستهدف مسخ شخصيته وثقافته الدينية في محاولة لإضعافه [illegible].

في الثقافة الإسلامية إن الله خلق الناس مختلفين

(1) Montgomery Watt, Islamic Political Thought, Edinburgh Univ. Press, 1968, P. 41

اللون واجتماعياً وثقافياً وشعوباً وشقهم في الأساس أمة واحدة كما جاء في القرآن الكريم

﴿ومن كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا﴾

(سورة يونس، الآية 19).

أي أن اختلافاتهم على تعددها لا تلغي الوحدة الإنسانية.

تقوم هذه الوحدة على الاختلاف وليس على التماثل أو التطابق، ذلك أن الاختلاف آية من آيات عظمة الله ومظهر من مظاهر روعة إبداعه في الخلق. يقول القرآن الكريم:

﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾

(سورة الروم، الآية 22).

والقاعدة الإسلامية كما حددها الرسول محمد ﷺ هي: لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى. وبالتالي فإن الاختلاف العرقي لا يشكل قاعدة لأفضلية ولا دونية. فهو اختلاف في إطار الأمة الإنسانية الواحدة يحتم احترام الآخر كما هو وعلى الصورة التي خلقه الله عليها.

إن كان احترام الآخر كما هو لوناً ولساناً (أي عرقاً وثقافة) يشكل قاعدة من قواعد السلوك الديني في الإسلام، فإن احترامه كما هو عقيدة وإيماناً هو احترام لمبدأ حرية الاختيار التي تعتبر عطاء إلهياً فضّل الله به الإنسان الذي خلقه من طين على الملائكة الذين خلقهم من نار ونور. ثم إنه التزام بقاعدة عدم الإكراه في الدين. وهي قاعدة جوهرية حيث الـ «لا» هنا نافية وليست ناهية. بمعنى أنها لا تعني عدم إكراه الناس على الإيمان ولكنها تعني أنه لا يكون إيمان بالإكراه. وهذا فرق كبير.

يقول القرآن الكريم:

﴿ولكل وجهة هو موليها﴾ (سورة البقرة، الآية 148).

وفي ذلك إشارة واضحة إلى تعدد التوجهات. ويقول أيضاً:

﴿وما بعضهم بتابع قبلة بعض﴾

(سورة البقرة، الآية 145).

بل إنه مع اختلاف الأديان والأقوام كان من طبيعة رحمة الله اختلاف الشرائع والمناهج، وهو ما أكده القرآن الكريم بقوله:

﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ (سورة المائدة، الآية 48).

إن وحدة الجنس أو اللون أو اللغة ليست ضرورة حتمية لا يتحقق التفاهم بدونها. ولذلك لا بد من أجل إقامة علاقات مبنية على المحبة والاحترام من الحوار على قاعدة هذه الاختلافات التي خلقها الله، وأراد أن تكون، والتي يكتشف العلم أنها موجودة حتى في الجينات الوراثية التي تشكل بعناصرها شخصية كل منا ومميزاتها.

في ضوء هذه المبادئ العامة التي تقول بها الثقافة الإسلامية، فليس صحيحاً أن الدول لا تقوم إلا على هوية واحدة. هنالك دول انهارت مثل هاييتي أو تفتت مثل كوريا رغم وحدة الهوية واللغة والجنس، وهنالك دول قامت وازدهرت رغم تعدد هوياتها، كالولايات المتحدة مثلاً التي رغم أن مجتمعها قائم على الهجرة، فقد نجحت في تشكيل بناء «الصخرة الوطنية National Granite» في ثقافتها العامة. فالإسبانية كلغة وكنسق ثقافي بدأت تتحدى الإنجليزية في معظم الولايات المتحدة الأمريكية. ولا تزال قضية ازدواجية الولاء الوطني لليهود الأمريكيين بين إسرائيل والولايات المتحدة قضية ساخنة وغير محسومة. ولقد منعت مقاطعة كيبيك في كندا حق استخدام وسائل تعبيرية تسمح بسيطرة اللغة الإنجليزية في المقاطعة على حساب اللغة الفرنسية التي تعتبرها لغتها الأم.

بل إن بعض الدول الأوروبية التي تبدو ظاهرياً موحدة الهوية لم تكن كذلك. فشعوب الباسك في فرنسا لم تصبح من أسلاف الفرنسيين إلا بعد أن فرضت ذلك كتب التاريخ الرسمي، واليوم تعترف كل من فرنسا وإسبانيا بالثقافات الموازية في مجتمعاتهما وبأن لأصحاب هذه الثقافات حقوقهم أيضاً. وفي المملكة

المتحدة بين [illegible] معالم الثقافة القومية للاسكتلنديين والويلزيين [illegible] تقدر ما تبرز مثل هذه المظاهر لدى الفلمنك في بلجيكا والكتالونيين في شمال إسبانيا وشرقها والباسك في شمالها.

ثم إن الجماعات المستقلة على ذاتها كالشعب البوسني [illegible] بسبب الشيشانية وقبائلها الصومالي [illegible] حيث [illegible] تركيب هوية وطنية واحدة لأي منها لا يبدو مهمة ممكنة.

يقودنا ذلك إلى أمرين متمايزين:

الأمر الأول: هو أن تحديد الهوية لم يكن إلا نتيجة المعرفة التي جرى ذلك في ما بعد من خلال الثقافة العامة المعتمدة في برامج التعليم والتربية. الأمر الثاني: هو أن وحدة الهوية ليست شرطاً لا غنى عنه لوحدة الدولة في صورتها [illegible] الإشكالية بمعنى التلق أن بناء الوطن لا يتطلب بالضرورة فرض هوية واحدة على جماعات منقسمة [illegible] تنوعيتها بل إن بناء الوطن يكون بإدارة صحيحة للعيش الواحد بين هذه الجماعات ومن خلال اعتماد ثقافة احترام الاختلافات والتباينات القائمة في ما بينها.

لقد توحدت إيطاليا في عام ١٨٧٠م وتوحدت ألمانيا في عام ١٨٧١م على أساس وحدة الثقافة والتراث، وانهارت الامبراطورية النمساوية الهنغارية في عام ١٩١٨م على أساس عدم استيعاب تعدد الثقافات والاتنيات في صيغة تجمع بين هذه المجموعات على قاعدة الاعتراف واحترام خصائصها وخصوصياتها في ظل شرعية دستورية واحدة في وطن واحد. وهو ما حل بالامبراطورية العثمانية كذلك رغم كل المحاولات التي قامت بها لتجنب هذا المصير.

ثم نشأت الدول التي انبثقت من انهيار الامبراطوريتين المذكورتين على أساس هوياتها العرقية أو الدينية المحددة بعد ما قامت على أساس تقاسم النفوذ بين ورثة الامبراطوريتين. كان ذلك في البلقان أو في الشرق الأوسط أو في أفريقيا حيث رسمت حدود الدول وحددت هوياتها الوطنية من دون أي حساب لانتماءات سكانها العرقية أو المذهبية أو الدينية. ومع تنامي الانهيارات السياسية التي شهدتها القارة السوداء في وقت واحد التي [illegible] مجازر جماعية في رواندا وحدها [illegible] أكثر من مليون نسمة خلال أشهر [illegible] الحرب العرقية [illegible] إلى حد الإبادة بين الشعوب [illegible] والتسويات [illegible] سواء جرى [illegible] عندما يتعلق الأمر بالثقافة والخصوصية الإنسانية أو عملية الصهر القسري بالإكراه والقوة. مآل فشل تجربة الاتحاد السوفياتي، وتجربة الاتحاد اليوغوسلافي السابقين وحتى تجربة تشيكوسلوفاكيا. وما نشاهده اليوم من محاولات الإبادة الدينية المسلحة المنظمة ضد مسلمي [illegible] في شرق الصين حتى الباسك في شمال إسبانيا دليل على ذلك. وبذلك فإن مقولة الانصهار الوطني مما لا يتسع لها سوى [illegible] بيئات استيعابها لا يستمر لما تقوم به [illegible] إن للإنسان حقاً في الثقافة من دون أن يعني ذلك بالضرورة أن له حقاً في ثقافة خاصة. صحيح أن الثقافة غير ثابتة وغير محددة في طبيعتها، إلا أن حركتها وانفتاحها لا يلغيان خصوصيتها.

الثقافة غير ثابتة وغير محددة لكن ذلك لا يلغي خصوصيتها

إن الأمة كما يقول المفكر والمؤرخ الفرنسي أرنست رينان هي استفتاء شعبي يومي. وعلى ضوء هذا التعريف الذي يصح في العديد من الدول والمجتمعات، فإن العيش الواحد أو حتى العيش المشترك يحتاج إلى حب [illegible] وهو [illegible] ويرتبط بالاختيار الإرادي الحر [illegible] الاستجابة [illegible] إلى القضاء والقدر. فالاستجابة استكانة أو قسر [illegible] ما يتحول إلى [illegible] وتمرّد عندما تتوفر لها [illegible] الفرصة للانفكاك من زواج الإكراه. ولكن عندما يقوم الزواج الوطني على الحب والاحترام والإرادة الحرة فإنه يصبح رابطة صالحة [illegible] واستمرار ويرسي دعائم الوطن الصالح ويكون زواجاً شرعياً [illegible] مباركاً.

الكِتَابُ وثقافة الطفل المسلم

د. مفتاح محمد دياب*

ثقافة الطفل الواعية والجيدة هي الثقافة التي تراعي ميول الأطفال وقدراتهم ورغباتهم واحتياجاتهم وفقاً للخصائص المرحلة العمرية التي يمر بها الطفل في إطار من المثل السليمة والقيم الجديرة بأن تغرس في الطفل لتساعده على تكوين شخصية قوية طموحة تجعله يساهم في بناء صرح المجتمع الذي ينتمي إليه من أجل تحقيق طموحه وتطلعه نحو حياة سعيدة فاضلة ومستقبل مشرق.

والمجتمع من خلال مؤسساته الثقافية والإعلامية المختلفة هو المسؤول الأول عن ثقافة أطفاله على المستويين الشعبي والرسمي، والمؤسسات الثقافية والإعلامية الموجودة في المجتمع تقع عليها مسؤولية تقديم الثقافة الجيدة للأطفال. هذه الثقافة من شأنها بناء الطفل بناء قوياً يمكن للمجتمع أن يعتمد عليه اعتماداً كبيراً في عمليات التنمية من جوانبها المختلفة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية ... إلخ.

والثقافة الواعية السليمة التي يجب أن توجه وتقدم للطفل المسلم يجب أن تهتم بمقاومة ما يحل في أذهان الأطفال من مغلوطات خاطئة ومشوهة نتيجة الغزو الثقافي الأجنبي الذي يتلقاه الطفل المسلم بسبب عدم توفر وسائل وقنوات ثقافية إسلامية تلبي احتياجاته ورغباته في التطلع إلى ولوج آفاق جديدة ومعرفة العالم من حوله.

وهذا الأمر يدعو إلى ضرورة إنتاج ثقافة إسلامية أصيلة تستطيع أن تقف في وجه الثقافة الخارجية التي لا تعبر عن روح المجتمع وآماله وطموحاته المستقبلية وهذا يعني الاهتمام بوسائل ووسائط وقنوات الثقافة كالكتب، والمجلات، والإذاعة المسموعة والمرئية والخيالة (السينما) والمسرح والبرمجيات الحاسوبية والوسائط الإلكترونية الحديثة وغيرها. على أن تبذل الجهود على كل المستويات الرسمية والشعبية والمؤسسات العلمية حتى يتمكن المجتمع الإسلامي من تقديم ثقافة إسلامية فاعلة للطفل المسلم على الوجه المطلوب ووفق الأسلوب المناسب للتقديم.

ولا يزال الكتاب يحتل الدور الأول ويلعب الدور الطليعي في هذا المجال.

ويعد الكتاب من أهم وسائط الثقافة وأقدمها عرفه الإنسان منذ عصور ماضية قبل أن يعرف الأنواع الأخرى من الوسائط الثقافية والعلمية وما يزال يقوم بدوره في التثقيف والتعليم حتى وقتنا الحاضر.

* أستاذ جامعي - ليبيا

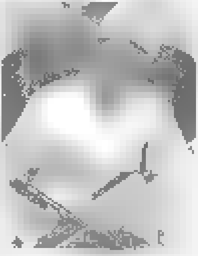
بالرغم من ظهور الوسائط والوسائل الإلكترونية المتقدمة التي حدت سائر الكتاب في نقل الثقافة والمعرفة للإنسان، ويعد الكتاب من أقوى الوسائط وأكثرها ... بين الناس بسبب المواصفات التي تتوافر فيه ولا تتوافر في غيره.

ومن أجل ... يؤدي الكتاب بمختلف أنواعه ومستوياته الدور المنوط به في تثقيف الطفل المسلم في مراحل الطفولة المختلفة، لا بد من أن تتوافر فيه الأسس التي تجعله كتاباً جيداً سواء من حيث الشكل أو من حيث المضمون والموضوعات التي يتناولها.

وكتب الأطفال تتعدد موضوعاتها التي يتم من خلالها نقل الثقافة للطفل، فهناك الموضوعات القديمة كقصص الأنبياء والقصص والأمجاد التاريخية والأدب والشعر ... وهناك موضوعات الحديثة والمعاصرة كالعلوم الحديثة وموضوعات الحياة اليومية للأسرة ومثل القضايا الاجتماعية، المضمون الواقعي الذي يضم قصص كفاح الإنسان في كل العصور من أجل عزته وحريته وكرامته، ثم الموضوعات الخيالية التي تهدف إلى توسيع آفاق الخيال عند الطفل.

ويعد المظهر الخارجي للكتاب من العوامل المهمة التي تساهم في جذب انتباه القارئ الصغير وجذبه نحو ... ويؤكد عدد من الرسامين والمصممين الذين يقومون بتصميم كتب الأطفال أن المظهر الخارجي للكتاب المقدم للأطفال يعتبر على قدر كبير من الأهمية، ويعرفون بعض الأحيان أهم من محتويات الكتاب الداخلية، خصوصاً في كتب الأطفال الصغار جداً في مرحلة الطفولة المبكرة ومرحلة ... إن الأطفال في هذه المرحلة العمرية هم أكثر انجذاباً للكتب التي يتوافر فيها المظهر الجذاب والمغري، وإن هذه التقنية هي التي تشكل ... بعد من الاستطلاع الفكري عند الأطفال عموماً.

الصور والرسوم لها دور كبير في توضيح ما لا تستطيع الكلمات أو النصوص توضيحه أو نقله للأطفال، فالصور قد لا توضح النص فقط ولكن قد تعطي بعداً ... عن ... الكتاب ... الشخصية وملامحها ووجوهها وتكشف ... داخل ... المكان، والصور كما يقول ... تؤثر بقوة في ... الطفل إلى درجة أنها تطبع في نفسه بشكل لا يمحى، وهي بذلك تضاعف من القدرة السحرية التي تختص بها الفن ...



الصور والرسوم لها دور كبير في توضيح ما لا تستطيع الكلمات أو النصوص توضيحه أو نقله للأطفال

والصور أو الرسوم في كتب الأطفال تساعد الطفل وبخاصة الصغير على فهم النص ... ويعد ذلك ... التي أن يستعمل المضمون والمحتوى فيكون قادراً على إدراك أبعاد الصورة أو الرسم من خلال ... فيه من انفعالات مختلفة.

ويدخل في ناحية الشكل الورق الذي يجب أن تكون ... تعبيراً دقيقاً عن الأشياء المستخدمة لأجلها ومن المفضل استخدام الألوان الزاهية التي تجذب الطفل إليها.

والقدرة على ... الألوان ... في كتب الأطفال تعطي هذه الكتب طاقة قوية تؤثر في جذب القارئ إليها كما أنها تساعد على تنمية الذوق الفني والجمالي عند الأطفال ... من كتب الطفولة

المبتكرة والكتب المصورة ومرورا بالطفولة المتوسطة والمتأخرة ثم المرحلة المثالية التي تقل فيها الصور تدريجيا.

كذلك يعتبر حروف الطباعة عنصراً هاماً لا بد أن يراعى في الطباعة المتقنة لكتب الأطفال حيث يجب أن يراعى التنبيهات المتعلقة بالحروف من حيث الحجم، واللغة العربية من حيث ضبط الحركات لتيسير النطق باستقامة القراءة ومن ثم استقامة المعنى والفهم، فحجم الحروف المستخدمة في طباعة كتب الأطفال يجب أن يكون مناسباً لمرحلة الطفولة المراد تقديم الكتاب إليها حيث لا تكون هذه الحروف كبيرة وهو ما قد يؤدي بالطفل إلى الاستهانة بها وعدم الإقبال عليها، ولا تكون صغيرة جداً فتسبب تعب عيني الطفل وتؤدي إلى ضعف بصره في المستقبل.

أما الورق الذي يجب أن يستخدم في كتب الأطفال فيجب أن يكون من نوع جيد ولا يسمح باستخدام الورق الأبيض اللامع لما يسببه من إجهاد لعيون الأطفال نتيجة انعكاس الضوء عليه ويستحسن استخدام لون مناسب كاللون الترابي مثلا.

أما من حيث المضمون أو المحتوى الداخلي لكتب الموجهة إلى الأطفال المسلمين يجب أن تدعم بطاقة ثقافية من حضارتهم الإسلامية أولاً لينطلقوا منها بعد ذلك نحو معرفة مقابلات الشعوب والحضارات الأخرى قديماً وحديثاً.

فالطفل المسلم يجب أن يكون على معرفة بالبعثة المحمدية وصبر الرسول وأصحابه على الشدائد في سبيل نشر دعوة الحق والتمسك بها بالرغم من جميع الأخطار، وانتشار هذه الدعوة وإقبال الناس عليها لما تحمله من توحيد للخالق وما تنادي به من أخوة وعدالة ومساواة بين أتباعها وتكوين

البناء الفكري الثقافي إذا تم بطريقة سليمة فإنه سيثمر في المستقبل عقولاً محلية مفكرة مبدعة

الدولة الإسلامية بعد ذلك وبداية عصور الحضارة الإسلامية ومميزاتها وما قدمته للبشرية كافة.

ويجب ألا تهمل كتب الأطفال الإسلامية العمل على تثقيف الطفل المسلم بموضوعات وقضايا حديثة وجارية قريبة مما يراه ويسمعه كل يوم فهذه الموضوعات هي ذات أهمية وقيمة عالية في تنمية مدارك الصغار وتطويرها ومساعدتهم على اكتشاف أنفسهم وما يحيط بهم، ومعرفة موقعهم من الأحداث التي تمر بهم والظروف التي يعيشون فيها وهذه في الواقع خبرة وجدانية فريدة يحصل عليها الأطفال فتساعدهم على النمو السليم والارتباط بالبيئة والتكيف معها.

كذلك بإمكان كتب الأطفال أن تطلع القراء على بعض القضايا التي تمر بها الأمة الإسلامية في الوقت المعاصر وما يقوم به أعداؤها من محاولات لتمزيقها والتشكيك في عقيدتها التي تدين بها.

وهذا الوعي يجعل الطفل المسلم في ما بعد يتحصن من الاتهامات التي يدسها المغرضون لتفكيك أواصر الأخوة الإسلامية ويقف شامخاً في وجه الذين يحاولون تشويه الدين الإسلامي وإعطاء صورة غير صحيحة عن المسلمين من أجل وقف المد الإسلامي وانتشاره في مختلف قارات العالم بعد أن تبين صدق هذه الدعوة وما تنادي به من وحدانية في العبادة ومثل سامية وقيم فاضلة سامية أن لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح.

وهذه المضامين التي تقدمها كتب الأطفال إلى الطفل المسلم يجب أن تكون مناسبة لمستوى الطفل العقلي والعاطفي، وأن تكون اللغة المستخدمة فيها مناسبة أيضاً لكل مرحلة وأن يكون أسلوب الكتابة واضحاً خالياً من التعقيد والغموض.

إن الاهتمام بثقافة الطفل المسلم ضرورة من ضرورات عصرنا الحاضر تمليها عليه الظروف التي يعيشها العالم الإسلامي ومحاولات التقدم والنهوض من الركود الذي يعيش فيه منذ أمد غير بعيد بفعل عوامل وأسباب عدة، منها محاولة القوى الاستعمارية السيطرة على مقدراته وثرواته ومنها هو عامل داخلي ناتج عن اختلاف وجهات النظر ومحاولة كل مجموعة أو فئة فرض وجهة نظرها دون تمحيص أو معرفة أنها صائبة وصحيحة [illegible] وتخلفت الأمة الإسلامية وتطورت في إطار القيم والمثل التي ينادي بها الإسلام [illegible] حدث في الماضي فظهرت بعض الحركات والفرق والطوائف التي تدعي أنها تمثل روح الإسلام حتى وإن كان باقي الأمة الإسلامية يرى غير ذلك [illegible] الأسلم [illegible] على تأييد هذه الحركات [illegible] للمسائل لأنه يعلم أن كثرة الآراء ووجهات النظر المتعصبة لا بد من أن تؤدي إلى الصراع بين أفراد الأمة وبذلك يسهل التحكم فيها وتسييرها كيف يشاء.

وقد حاول الاستعمار العودة إلى السيطرة عليها بطرق أخرى كالسيطرة الاقتصادية والتربوية والثقافية وإن الغزو الثقافي الذي يتعرض له العالم الإسلامي من جانب هذه القوى هو محاولة لإبقائه ضمن مناطق النفوذ والسيطرة الأجنبية.

وإذا أرادت الأمة الإسلامية أن تعود كما كانت أمة قوية يخشى الأعداء شوكتها ويخاف بطشها كل من تسول له نفسه أو يوسوس له الشيطان [illegible] من هذه الإعادة [illegible] بالأساس الأول في [illegible] الذي [illegible] ثم تعمل على تربيته تربية سليمة لأنه سيصبح في المستقبل عضواً مسلماً مفكراً مبدعاً مخترعاً [illegible] حضارة إسلامية جديدة حديثة تقدم للعالم مثالاً على سماحة الإسلام وسمو المبادئ والمثل والقيم التي ينادي بها من أجل حياة سعيدة للإنسانية على اختلاف ألوانها وأجناسها تجمع بين الدين والآخرة، وعماد الأساس هو الطفل المسلم.

فالأمة الإسلامية يجب أن تجند كل الجهود والإمكانات التي من شأنها الرفع من مستوى الثقافة المقدمة للأطفال المسلمين وتكوين أجهزة ثقافية وإعلامية قادرة على التخطيط السليم والواعي والمستقبلي لكل ما يخص ثقافة الطفل في العالم الإسلامي.



هذه الثقافة التي ندعو إليها يجب أن تأخذ في حسبانها [illegible] الطفل المسلم واحتياجاته بما يتناسب مع [illegible] العمر المختلفة للأطفال وأن يتعرف الطفل المسلم بتراث أمته الخالد وتاريخها المشرق المجيد ومساهمتها في الحضارة الإنسانية وأن تعمل على إعداده إعداداً يجعله مؤهلاً في المجتمع الإسلامي ليأخذ مكانه ويشق طريقه ويعطي دوره في بناء مجتمعه ويكون مسلماً يتحمل مسؤولياته في الدفاع عن الإسلام والمسلمين إذا اقتضى الأمر ذلك.

والثقافة الإسلامية للأطفال يجب أن تعمل على تقوية الاحترام والتفاهم واتباع الأساليب السلوكية التي ينادي بها الإسلام لدى الطفل تجاه الآخرين والمساواة والتعاون وأن تهدف إلى غرس روح التضامن والتعاون بين الأطفال المسلمين وأن توقظ فيهم [illegible] واستعداداتهم وتنمي فيهم ميولهم وطموحاتهم وتسمو بهم إلى [illegible] والمثابرة عليها لأن [illegible] في مفتاح العلم والثقافة

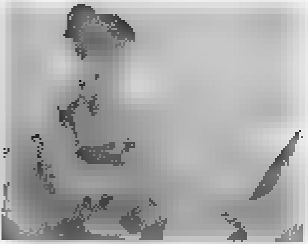
والمعرفة. وخير مثال على أهميتها في حياة المسلم هو أن أول أمر إلهي نزل على رسول الله (ﷺ) هو الأمر بالقراءة «إقرأ».

ولقد حرص المسلمون الأوائل على تنفيذ هذا الأمر وحرصوا على استمراريته والعمل به من جانب الأجيال الإسلامية المتعاقبة، فتمكنوا من إنشاء حضارة متكاملة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وعلمياً لم ير العالم شبيهاً لها حضارة أتت بما جاءت به الحضارة الإسلامية من تقدير لقيمة الإنسان الذي جعله الله خليفته في الأرض، وما زال العالم حتى وقتنا الحاضر يكتشف مع الجد كل يوم جديد جزءاً من تراثها العلمي والثقافي الذي قدمته من أجل رفاهية الإنسان وسعادته وحريته.

والطفل المسلم في الوقت الحاضر هو عماد المجتمع الإسلامي وعدته في المستقبل.

فهو الذي سيكون العالم، والمهندس، والقائد والمبشر، والمخترع، والحكيم، والمعلم، والمصلح... إلخ، فلا بد إذاً من الاهتمام بتكوين شخصيته ومفاهيمه وثقافته وعلمه.

ويمكن أن تساهم كل وسائل الثقافة المختلفة من كتب ومجلات وسينما وإذاعة مسموعة ومرئية ومسرح... إلخ في تكوين مفاهيم وأساسيات ثقافة الطفل المسلم. ولكن يبقى الكتاب هو الوسيط الذي يمكن أن يعتمد عليه اعتماداً كبيراً في تثقيف الطفل المسلم لما يتوافر فيه من عناصر تجعله رفيقاً وصديقاً وحبيباً للطفل لا تتوافر في بقية الوسائط الأخرى مثل مقدرة الكتاب على تقديم الحقائق والمفاهيم والأفكار إلى الطفل مثبتة على الورق، وذلك يجعل الطفل يتعامل معها وقتاً طويلاً وبأناة تامة. كما يمكن له أن يعود إليه في أي وقت يشاء، في حين أن هذه الأمور لا تتهيأ للاتصال من خلال الإذاعة والمسرح والخيالة (السينما) إذ كثيراً ما تغيب عن ذهن الطفل الصور والقيم بعد وقت قصير.



فمن أجل الاهتمام بمستقبل الأمة الإسلامية يجب أن نحرص على إقامة حركة نشر قوية تتولى إمداد أطفالنا بالكتاب الذي يجدون فيه المعلومات والمتعة والتسلية. الكتاب الذي تكون معلوماته ومحتوياته دائماً تتفق والفكر المسلم وخطه وتحضه على النهل من العلوم الحديثة واكتساب خلفية ثقافية عن ماضيه وتراثه وحضارته لتكون جسراً يربطه بالحاضر ويعبر عليه نحو المستقبل.

ويمكن أن تساهم في إنعاش حركة نشر كتب الأطفال في العالم الإسلامي المؤسسات الرسمية والشعبية على السواء حيث إن الهدف الذي تسعى إليه هدف واحد يرمي إلى بناء المجتمع الإسلامي القوي المتميز الخالي من العنصرية والتعصب والعبودية والجهل، دستوره ودليله القرآن الكريم والسنة الشريفة.

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾
(سورة التوبة الآية 105).

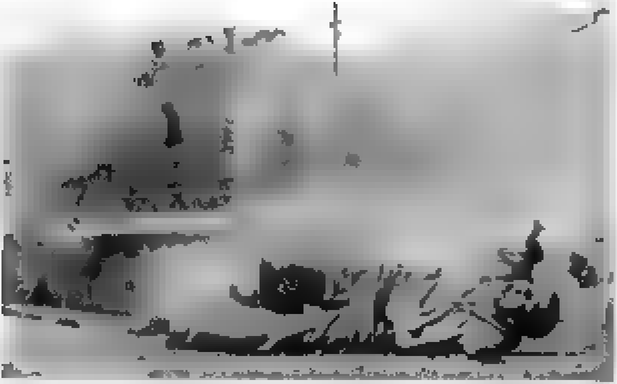
صدق الله العظيم.

المراجع

(1) ... الطفل العربي وثقافة المجتمع، بيروت، دار الحداثة ... [illegible]
... الطفل العربي ... [illegible]
... الأطفال ... [illegible]
2- ... الأطفال ... الثقافة الإسلامية ... [illegible]

البعد الديني لمفهوم الإرهاب في السياسة الصهيونية

د. بلعلام البربوري*



لا شك في أن المتفحص لطبيعة الصراع العربي الصهيوني لا يمكن أن يجده صراعاً سياسياً يقبل التفاوض والحوار للوصول إلى حلول وسطى، بقدر ما يجده عداءً دينياً مستحكماً يرى في وجود العرب والمسلمين على أرض فلسطين المقدسة تحدياً للنبوءة التوراتية بانتظار يوم يحقق الله لإسرائيل التفوّق والسيطرة على القدس (أو كما يسمونها أورشليم) عام 1967م مما يفسح لها المجال لإقامة هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى الذي آن الأوان لهدمه حتى يأتي المسيح (عليه السلام) ليحكم العالم ألف سنة يتحقق فيها العدل والسلام قبل أن تقوم الساعة. وبهذه الرؤية الدينية تكون الصهيونية العالمية قد كشفت عن وجهها القبيح حين حوّلت الصراع العربي الصهيوني من صراع سياسي إلى صراع أيديولوجي يحكمه البعد الديني، مما دفعها إلى تصعيد هجومها على كل من يقف ضد أطماعها

* أستاذ جامعي - ليبيا

مستضعفة في ذلك الأساطير التوراتية. هذا في الوقت الذي خدت فيه عقلية [illegible] جزاء التقوى الفكري لجعلها [illegible] وسبايا [illegible] التي عبر اليهود عنه [illegible] ومن يعترض على [illegible] الله [illegible] عليه ولا يستحق الحياة الكريمة، الأمر الذي أدى إلى تطور الثالوث المعروف في الفكر الصهيوني بالرب والشعب والأرض والذي وصف أرض الميعاد بأنها الأرض الممتدة من النيل إلى الفرات.

ومن المؤكد أن تلك الأساطير تتفق مع طبيعة المعتقدات التي تفسر أحداث التاريخ لخدمة الأهداف الدينية التي صاغها الفكر الصهيوني والتي [illegible] من المسيحيين المتصهينين، والتي تقوم على أسطورة الاختيار الإلهي لبني إسرائيل على أساس عرقي وأسطورة [illegible] وأسطورة الوعد الإلهي وأسطورة المعاداة للسامية(5) وأسطورة المذابح ضد اليهود (الهولوكوست) ومن يشاهد الاستعمار الأمريكي الغربي لمصلحة الكيان الصهيوني يدرك قوة النفوذ [illegible] الصهيوني المؤمن بالأفكار الصهيونية والتي [illegible] يتمركز في أجهزة صنع القرار الأمريكي والغربي وبعيدة عن المصالح العربية والإسلامية. إن فرضية هذه الدراسة تقوم على أن سياسة الإرهاب التي تمارسها إسرائيل حيال الشعب العربي في فلسطين والقائمة على القتل والتهجير والتشريد وهدم المنازل وأصبحت [illegible] قائمة على أساس ديني فالمجتمع الصهيوني مبني على إيديولوجية سياسية ذات طابع ديني تحركها مشاعر العداء والكراهية لكل ما هو عربي ومسلم، أو بالأحرى لكل ما هو مغاير للمفهوم اليهودي التوراتي المتطرف. ولا يخلو أي محلل واقعي في أن ما تقوم به إسرائيل من ممارسات إرهابية يومية حيال أبناء الشعب العربي في فلسطين

ما تقوم به إسرائيل من ممارسات إرهابية يومية حيال أبناء الشعب لا يأتي في إطار الصراع السياسي والاقتصادي المستمر للسيطرة على فلسطين فحسب بقدر ما يأتي من عقيدة دينية متعصبة تعلي من شأن اليهود على من عداهم من الشعوب الأخرى

واغتيال الشيخ الشهيد أحمد ياسين لا يأتي في إطار الصراع السياسي والاقتصادي المستمر للسيطرة على فلسطين فحسب بقدر ما يأتي من عقيدة دينية متعصبة تعلي من شأن اليهود على من عداهم من الشعوب الأخرى التي تبقى في نظر اليهود أغيارا يبيحون قتلهم [illegible] كما ورد في [illegible] التلمود. إن هذه الفرضية يبرزها السؤال عن سبب اتفاق اليهود على تسمية دولتهم بإسرائيل بدلاً من أي اسم آخر؟ وعن سبب الإصرار اليهودي الصهيوني على جمع شتات يهود العالم في أرض فلسطين؟ وكيف يمكن تبرير أعمال الحفر والهدم والتخريب الصهيوني تحت المسجد الأقصى بدعوى البحث عن هيكل سليمان؟ بل كيف يمكن تبرير قيام إسرائيلي بحرق المسجد الأقصى عام 1969م؟ ولماذا تطالب فئات واسعة من المجتمع اليهودي اليوم بنسف المسجد الأقصى بالطائرات والصواريخ؟ ثم على المستوى الخارجي لماذا تسعى الأقلام [illegible] من الكتاب الأمريكيين والغربيين إلى تلميع صورة الكيان الصهيوني الإرهابية وعرضها بارتداء ثوب الدولة المحبة للسلام وبأنها واحة للديمقراطية وسط غابة من الغوغاء والإرهابيين المسلمين؟!! ألم يخاطب الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر أعضاء الكنيست الصهيوني عام 1979م بقوله: (إن علاقة أمريكا وإسرائيل أكثر من علاقة خاصة، فهي علاقة متأصلة في وجدان وضمير ومعتقدات الشعب الأمريكي نفسه، وإننا نتقاسم معكم تراث التوراة)(6)؟ ثم لماذا تمنى الرئيس الأمريكي الأسبق ريغان لو أن [illegible] العرب للنووية في عهده لكي يرى نهاية العالم وتتحقق النبوءة التوراتية بعودة المسيح (عليه السلام) إلى أرض فلسطين؟ ألم يقل الرئيس بوش الابن بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001م إنها حرب صليبية جديدة؟ ولماذا



يسمح الغرب للإعلاميين والكتاب والمحللين بأن يصوغوا ما يحلو لهم من عبارات التهجم والتشنيع بالإسلام ووصفه بعبارات الإرهاب والتخلف والتحجر ولا يسمح لأي كاتب مهما كان لونه وجنسه بأن يكشف حقائق الإرهاب الصهيوني في فلسطين المحتلة؟ ألا يعد ذلك إرهاباً فكرياً تمارسه القوى الفاعلة في الساحة العالمية تأييداً للكيان الصهيوني؟ إن الإجابة عن الأسئلة الأخيرة يحجب عنها مستوى الدعم اللامحدود الذي تقدمه الولايات المتحدة للدولة الصهيونية. فقد شجع الدعم الذي تقدمه التيار اليميني الصهيوني المتطرف الحركة الصهيونية وإسرائيل على تشريد مئات الآلاف من الفلسطينيين من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مساكنهم، وقامت باغتيال الذين لم يرحلوا منهم، ثم فتحت باب الهجرة اليهودية إلى القدس وأبعدت الشخصيات الفلسطينية البارزة فيها، وهدمت الممتلكات، وأغلقت المساجد والمدارس والمحال والمصارف العربية، وقامت بحفريات حول الحائطين الغربي والجنوبي للمسجد الأقصى، وضمت القدس [illegible] [illegible] لسيادة الإسرائيلية، وأعلنتها عاصمة أبدية لإسرائيل، وحلت مجلس أمانة القدس العربي وألغت القوانين العربية واستبدلتها بقوانين إسرائيلية أما على المستوى الدولي فقد نجحت إسرائيل في استخدام تعبير معاداة السامية لتشويه واغتيال صورة وسيرة أي شخصية سياسية وفكرية وإعلامية تنتقد الكيان الصهيوني وتفضح سياساته الإرهابية مثلما [illegible] مع الكاتب الفرنسي [illegible] [illegible] الذي كشف عن الأباطيل والأساطير المؤسسة لإسرائيل وقد استطاع الصهاينة بحيلهم المعهود توظيف مخرجات السياسة الغربية لمصلحة مشروعهم الاستعماري، فنجحوا في الربط بين الإرهاب والإسلام في محاولة خبيثة لتشويه صورة هذا الدين الحنيف باعتباره سبب التخلف الحضاري في العالم، وأنه يشكل تهديداً للحضارة الغربية، وأنه دين يمثل بربرية مطلقة تقف حجر عثرة في وجه العالم المتحضر، كما استطاعوا توظيف الدوائر السياسية والإعلامية في الغرب لمحاربة الدين الإسلامي باعتباره مصدراً للإرهاب والتطرف. على الرغم من أن الإرهاب أصبح ظاهرة عالمية لا يرتبط بدين أو عقيدة فضلاً عن كونه مبهم الهوية والاتجاه بحكم اختلاف النظرة إليه بين الأمم وعدم اتفاق الدول على تعريف [illegible] موحد لهذه الظاهرة. ولا يزال الكيان الصهيوني يواصل سياسته في دعم العديد من الكتاب والمحللين والسياسيين ومراكز البحث العلمي والمؤسسات الفكرية التي تصور الإسلام بهذه الصورة البعيدة عن جوهر الحقيقة فضلاً عن دعم الكثير من الشخصيات السياسية المؤثرة في صنع سياسة بلدانها [illegible] على نحو يغير من سياسة تلك البلدان نحو العالمين العربي والإسلامي، ويمكن تلمس حقيقة هذا الأمر في السياسة الأمريكية التي لا تريك إلا صعود الكثير من الشخصيات اليهودية والمسيحية المتشبعة بالأفكار الصهيونية كالرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان الذي كان يتمنى على الله أن يكرمه بأن يضغط على المفتاح الذي يطلق السر[illegible] النووية مع الاتحاد السوفيتي حتى يرى معركة هرمجدون [illegible] المعركة الحاسمة لنهاية العالم، وكذلك بات روبرتسون أحد القادة الكبار للحركة المسيحية الصهيونية في أمريكا والذي كان يمتلك صوتاً قوياً في مجلس الأمن القومي الأمريكي في عهد ريغن والذي [illegible] الجنرال [illegible]

دايان حيث حطمت الطائرات الإسرائيلية المنشأة النووية العراقية عام 1981 ومنهم اليوم الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن الذي وصف أحداث الحادي عشر من سبتمبر بأنها حرب صليبية جديدة، ووصف العراق وإيران بأنهما ضمن محور الشر الذي يهدد استقرار العالم وأمريكا، وكذلك وزير العدل الأمريكي جون أشكروفت الذي يقيم كل يوم قداساً قبل ذهابه إلى عمله، وكذلك القس جيري فالويل الذي هاجم الإسلام والنبي محمد ﷺ في الآونة الأخيرة وهو الأمريكي الوحيد من غير اليهود الذي كرمته إسرائيل بميدالية جابوتنسكي ويعد من الأصدقاء المقربين لرئيس الوزراء الصهيوني الحالي شارون، وقد رافقه أثناء دخوله إلى بيروت عام 1982م، ويشير ديفيد ديوك وهو عضو سابق في الكونجرس الأمريكي إلى قوة ونفوذ اللوبي اليهودي في أمريكا بإشارته إلى أن اليهود في أمريكا هم وراء أغلب عمليات الإرهاب المنظم في العالم بحكم سيطرتهم على مجالس السياسة الأمريكية المتمثلة بالصحافة والإعلام والاقتصاد. ففي الولايات المتحدة تنتشر اليوم مئات المنظمات اليهودية التي تدعم إسرائيل وتسعى إلى تلميع صورتها وتشويه صورة العرب والمسلمين، بل إن الكثير من تلك المنظمات بدأ يستخدم أساليب قسرية تمنع الناس حتى من الوصول إلى الانترنت لمشاهدة جرائم اليهود وإرهابهم حيال الشعب الفلسطيني، فاليهود وإسرائيل يتخوفون من أي شخص عربي يطلع على حقيقة ما تقوم به إسرائيل من جرائم إبادة جماعية ضد العرب والمسلمين في فلسطين وغيرها، ولذلك لا يمكن استبعاد لجوء إسرائيل إلى أعمال التصفية والإرهاب الجسدي والفكري ضد كل شخصية فكرية أو سياسية تحاول كشف سجلها الإرهابي في العالم، مثلما حصل مع رئيس وزراء السويد أولف بالمه الذي تشير أصابع الاتهام إلى دور الموساد الصهيوني في اغتياله عام 1986 بسبب مواقفه المؤيدة للعرب والفلسطينيين، ولا شك أن هذا الأسلوب الإرهابي في تصفية الخصوم هو جزء من سلوك عصابات الدولة الصهيونية على ممارسته مع كل شخصية سياسية دولية تفضح جزءاً من ممارساتها الإرهابية البشعة حيال شعبنا العربي في فلسطين والتي تعكس الفكر الصهيوني في ابتداع مختلف أساليب القتل والتعذيب والتشريد وهدم المنازل واقتلاع المزارع وقطع كل سبل الحياة وعلى نحو لا يقترن بأي جرائم إنسانية أخرى حيث تبقى مذابح دير ياسين وقبية وكفر قاسم وصبرا وشاتيلا ونابلس وجنين ورفح مرتبطة بأسماء إرهابية صهيونية لا يمكن أن تقارن جرائمهم بأي جرائم ارتكبها العابثون بحق شعوب العالم مثل بن غوريون وجولدا مائير ومناحيم بيغن وشامير ورابين ونتنياهو وباراك وشارون، تلك الأسماء التي انغمست في كل توجهاتها حيال الشعب الفلسطيني من رؤية إيديولوجية ودينية تحتقر العرب والمسلمين وتصفهم بأقذع أوصاف الكراهية والحقد والإرهاب. ومن ينظر إلى شريعة اليهود المتمثلة بالتلمود وبروتوكولات حكماء صهيون ويقارنها بالممارسات الإرهابية والعنصرية للكيان الصهيوني يجد تطبيقاً عملياً للمبادئ التي أقرها أحبار اليهود قبل آلاف السنين عن علاقة اليهود بما يسمونهم بالأغيار والتي ينبغي أن تؤسس على الاحتقار والازدراء والتمييز والقتل. فاليهود شعب مقدس، كما ورد في سفر التثنية وحتى بهائمهم مقدسة لا يجري عليها ما يجري على البشر الأخرين ولا البهائم الأخرى من الأمراض والظلم. والمهمة الإلهية لهؤلاء اليهود هي أكل الشعوب التي يدفعها الرب إلى هؤلاء اليهود ليحكم عليهم بهذا المصير الرهيب. ونذكر الإشارة إلى شهادات الكثير من اليهود المتدينين على أن ممارسة الاحتقار والإرهاب مع ما يسمونهم الأغيار كان ولا يزال الصفة المميزة للعقيدة اليهودية التلمودية

اليهود في أمريكا وراء أغلب عمليات الإرهاب المنظم في العالم.

ديفيد ديوك
عضو سابق
في الكونجرس الأمريكي

ويشير د. إسرائيل شاحاك وهو رئيس لجنة حقوق الإنسان في إسرائيل سابقاً في كتابه (الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود) إلى أن إهدار دماء الأغيار وإبادتهم هو أمر مباح في تلمود اليهود. فاليهودي الذي قتل غير اليهودي مذنب فقط بخطيئة ضد شرائع السماء التي لا تعاقب عليها المحكمة. أما التسبب في موت غير اليهودي بطريقة غير مباشرة فلا يعتبر خطيئة أبداً. وإذا وقع القاتل غير اليهودي تحت سلطة التشريعات القضائية اليهودية يجب إعدامه سواء كانت الضحية يهودية أم لا. ولكن إذا لم تكن الضحية يهودية واعتنق القاتل اليهودية فلا يعاقب.[2] والأمر الذي استخلصه الكثير من حاخامات اليهود من هذا النص التلمودي هو إمكانية قتل جميع غير اليهود المنتمين إلى شعب عدو، بل ضرورة قتلهم. والأمر المهم في هذا أن هناك كتيباً كتبه الحاخام الأكبر في أوساط الجيش الإسرائيلي منذ عام 1973م موجهاً لليهود المتدينين. وأول نصيحة دينية من هذا النوع جاءت في كراس نشرته قيادة المنطقة الوسطى في الجيش الإسرائيلي والتي تقع الضفة الغربية تحت سيطرتها حيث يقول الحاخام: ويجيز في (حالة الاحتكاك بقواتنا بمدنيين خلال الحرب أو غارة على مدينة، إذا لم يتوافر دليل بعدم إلحاقهم الأذى بقواتنا، فهناك إمكانية للتعليمات، بل إن الشريعة تنص على قتل حتى السكان المدنيين).

وفي رسالة بعث بها أحد الجنود الإسرائيليين إلى الحاخام شمعون وايزر يطلب منه إصدار فتوى في ما إذا كان من الجائز قتل العربي الأعزل من السلاح من الشيوخ والنساء والأطفال الذين ليس لهم مشاركة في الحرب؟ أم أنه نحوهم يجب يحسنك في الحرب المقبلة التي يقتل فيها يهودي عدوه الأمر مسموح؟ وهل يجوز تقديم الماء للجندي أو المواطن العادي الذي يستسلم؟ فرد عليه الحاخام أن أفضل شيء يعمله اليهودي هو القتل مطلب أن أفضل شيء للأفعى هو تهشيم رأسها. وبناء على هذا الفكر المتوحش يمكن تفسير أن جميع الحالات التي قتل فيها يهود من الجيش أو منظمات إرهابية مسلحة عرباً غير محاربين مثل مجزرة كفر قاسم 1956م أطلق سراح القتلة أو أدينوا بأحكام خفيفة أو يصدر عفو عنهم قبل نفاذها.[3] ويؤكد شاحاك أن إبادة غير اليهود واجبة في حالة الحرب حتى وإن كان المُباد امرأة أو طفلاً أو شيخاً كبيراً. أما في حالة السلم فمحظور على أي يهودي إنقاذ حياة أي من هؤلاء الأغيار حتى وإن كانوا على مشارف الموت، وهذا الأمر ينطبق على تحريم علاج المريض غير اليهودي، فعلاجه حرام حتى وإن كان مقابل أجر. ومن المسموح تجربة عقار طبي وشفي أي غير يهودي إذا كان ذلك يخدم غرضاً مهماً. ولقد نشرت هذه المبادئ الشرعية في كتاب عبري مترجم إلى الإنجليزية وعنوانه (الشريعة الطبية اليهودية) ونشرته إحدى المؤسسات الإسرائيلية بناء على طلب الحاخام اليعازر يهودا ومولكيت قاضي محكمة القدس ومن بين ما جاء في الكتيب أنه يحظر انتهاك السبت لإنقاذ حياة مريض غير يهودي في حالة بالغة الخطر ويحظر توليد المرأة غير اليهودية يوم السبت. أما الصلة مع غير اليهودية فتعتبر موجودة في التعاليم التلمودية فإذا ما أخذ اليهودي رغبته من امرأة غير اليهودية فيجب قتلها، كما تقتل البهيمة حتى لا يتعرض اليهودي بسببها للمشاكل، ومن المفترض أن جميع غير اليهوديات عاهرات وفق التفسير اليهودي.[4] أما لعن الأغيار والدعاء عليهم فيشكل ركناً أساسياً من عقيدة اليهود. فإذا ما شاهد اليهودي حشداً من الأغيار فيجب أن يلعنهم. ويحض التلمود الرجل اليهودي الذي يمر بجوار بناية مأهولة بغير اليهود أن يدعو الرب بتدميرها. ولقد أصبح من العادات اللاهية المألوفة عند اليهود البصق ثلاث مرات عند مشاهدة كنيسة أو مسجد مع ذكر الآيات التلمودية التي تلعن الأغيار. كما لا تعبر التعاليم التلمودية القضاء على غير اليهود أو على عالمهم إلا إذا أسفر ذلك عن قضاء أكبر على اليهود والأشياء اليهودية. وحينما تسلم الكاتب الصهيوني عجنون جائزة نوبل في الآداب في منتصف الستينيات التي على

الأكاديمية السويدية التي منحته الجائزة. الا انه سرعان ما عاد وقال في راديو الكيان الصهيوني انه لم يعد بانه لا يجوز التشبه بغير الاغيار ولكن كانت هناك ظروف أجبرته على ذلك. ويقصد مراسم تسليم الجائزة. وطبقت لهذه التعاليم بحظر مشاركة اليهود في الاحتفالات الشعبية لغير اليهود إلا إذا كان الامتناع يثير العداوة وفي هذه الحالة لا يسمح إلا بإبداء أدنى حد ممكن من الابتهاج. كما تمنع اللغة صداقة إنسانية بين اليهود وغيرهم[3] وما يمكن تأكيده هنا ان هذه العقيدة العنصرية التي لا نظير لها في التاريخ البشري والإنساني لم [illegible] اليوم [illegible] يحتكمون إلى المصادر الدينية وإلى فتاوى الحاخامات. فقد تحول هذا الفكر الديني المتعصب إلى ثقافة تكاد تجمع عليها تقريباً كل اليهود حتى وبنفس المعنى عناصر الإلحاد في الدين لو انتموا إلى حركات يسارية لا دينية. فكل اليهود المتدينين والعلمانيين في هذه العنصرية المتوحشة باتوا اليوم سواء، ويشهد على هذه الحقيقة الوضعية إسرائيل شاحاك الذي يقول: «إن دراسة الاحزاب الراديكالية والاشتراكية والشيوعية تقدم العديد من الامثلة حول شوفينيين وعنصريين يهود متخفين انضموا إلى تلك الأحزاب لأسباب تتعلق بالمصلحة اليهودية وهم يؤيدون التمييز الموجه ضد الأغيار. والكيبوتس وهو مؤسسة عمالية اشتراكية إنما تمثل مؤسسة عنصرية مغلقة بوجه غير اليهود من مواطني إسرائيل»[4] ولقد أثبتت التجربة الفلسطينية مع الأحزاب الاشتراكية الصهيونية صحة تلك المقولة فمعظم الممارسات العنصرية بما فيها الإبادة والتهجير والتشريد التي مورست بحق الشعب الفلسطيني إنما كانت في ظل حكومة حزب العمل والاحزاب اليسارية الأخرى، وأمام هذه الأفكار العنصرية المتوحشة التي صبغت الفكر اليهودي وممارسات اليهود الإرهابية على الأرض العربية في فلسطين يحق للمرء عن جدوى شعارات السلام التي ينادي حولها بعض القيادات العربية وحول جدوى السلام وتطبيعه في ظل حكومات اسرائيلية تسربلت بأفكار وثقافة عنصرية وظيفية تسعى إلى تطبيقها على ارض الواقع عبر سياسة الإبادة الجماعية للشعب الفلسطيني القائمة على الإرهاب والقتل والتهجير ومصادرة الحقول والأراضي وضمها الى الدولة الصهيونية التي تسعى في نهاية المطاف إلى ابتلاع وتصفية القضية الفلسطينية تمهيداً لإقامة دولة صهيون [illegible] الكبرى من النيل الى الفرات وعلى هذا فمصير مصالح العرب والمسلمين وهم الاغيار اليهود فلن يكون [illegible] سوى التسخير والاستعباد تنفيذ لأوامر رب اليهود يهوه، ذلك أن رحمة الرب يهوه ستكون مرهونة بمدى قدرة اليهود على ابادة البشر والحجر والشجر والبهائم، ولا شك أن هذا ما يحرص جميع ساسة الكيان الصهيوني على الالتزام به وتطبيقه حرفيا عبر سياسة الإبادة الجماعية فلا ما جاء سياسي صهيوني إلا وكان على مقدمة أولوياته زيادة الإمعان في القتل والتهجير والتشريد وإبادة الشعب العربي في فلسطين.

> **من ينظر إلى شريعة اليهود ويقارنها بالممارسات الإرهابية للكيان الصهيوني يجد تطبيق حرفي للمبادئ التي أقرها أحبار اليهود قبل الاف السنين ممن يسمونهم بالاخيار**

وصدق الله العظيم حينما وصفهم بقوله

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

آل عمران: الآية ٧٥

الهوامش

1. [illegible]
2. [illegible] الصهيوني [illegible]
3. [illegible] الإسلام [illegible]
4. المصدر السابق [illegible]
5. المصدر السابق [illegible]
6. المصدر السابق [illegible]

الشيخ عبد الواحد يحيى (روني كينون) والنهضة الروحية في الغرب

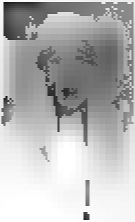
د. عبد الإله بنعرفة*

● أول محاولة لتعريف القارئ العربي بهذه الشخصية

لقد عرف الغرب في القرن العشرين نهضة روحية كبيرة كان وراءها عالم فرنسي مسلم اسمه الشيخ عبد الواحد يحيى. وقد كان أثره على النخب الفكرية والثقافية والسياسية بليغاً حتى دخل الكثير منهم في الإسلام. ورغم هذه النهضة الروحية ظل المسلمون غافلين في غفلة عنها وعنه لأسباب ترجع في معظمها الى عدم تبيّن الجوانب المشرقة في الحضارة الغربية وانصرافهم وراء التيارات المادية من تلك الحضارة. ويعتبر هذا البحث أول محاولة لتعريف القارئ العربي بهذه الشخصية الفريدة من نوعها تتقدمها ترجمة عنه وقراءة تمهيدية لأحد كتب الشيخ عبد الواحد يحيى.

لعل من المفيد أن يبدأ الحديث عن الشيخ عبد الواحد يحيى بالقول بأنه سئل مرة أن يتحدث للناس عن نفسه فأجاب: «شخصية روني كينون لا تهمُّ ولا شيء».

حقاً لقد كان الشيخ يكره الحديث عن نفسه، بل كان طالب الذكر لا يرى له فضلاً على غيره، زاهداً متقشفاً، عليل الصحة، ضعيف البنية مع طول ظاهر. لقد كان لهذا الرجل من التأثير في الأوساط والنخب العلمية في الغرب الشيء الكثير، فأسلم تحت تأثيره الكثيرون، ويمكن اعتباره باعث النهضة الروحية في أوروبا والغرب عموماً، حتى كان الجميع يصفونه بالأستاذ الصوفي، وهو وصف له وزنه حين يصدر من نفس أكبر دولة علمانية في أوروبا. فمن ترى يكون هذا الرجل المسلم الذي لم يسمع به العرب والمسلمون إلا القلة منهم؟



من هو روني كينون؟

ولد روني جان ماري جوزيف في مدينة بلوا الفرنسية (Blois) يوم 15 نوفمبر 1886م وكان وحيد والديه. كان أبوه يعمل مهندساً معمارياً أما أمه فاسمها آن جوري. وكان روني كينون ضعيف البنية عليل الصحة مما عطل التحاقه بالمدرسة فتولت خالته معلمة دروس تدريسه في المنزل الخاص على مسافة من ... حتى بلغ سن الثانية عشرة.

نشأ الولد في وسط ديني مسيحي حيث عُمّد سنة بعد ولادته عام 1887م في كنيسة القديس ساتورنان وأعيد تأكيد التعميد عام 1897 في كنيسة القديس نيكولا بمسقط رأسه بلوا. أكمل روني كينون دراسته الإعدادية إلا أن صحته المعتلة كانت تضطره للغياب المتكرر، مما حمل والديه على نقله الى إعدادية ثانية عام 1902، لما تلقيه هناك من المشاكل في السنة التي تلت. بدأ روني دراسته الفلسفية الأولى على يد أحد المتخصصين في فلسفة اليونان قبل سقراط ثم مع أحد القساوسة طمح بعده في ... هذه المادة

* أستاذ جامعي، المغرب.

حين نجح في امتحان البكالوريا ـ شعبة الفلسفة. كما حصل على البكالوريا في الرياضيات الأساسية. وصار جلكه الشرف من ثانويته. هذه النتائج الطيبة فتحت له أبواب المدارس العليا في فرنسا كمدرسة البوليتكنيك Polytechnique والمدرسة العليا لتكوين الأساتذة في باريس العاصمة.

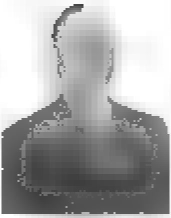
إثر هذا النجاح قرّر روني كينون الاستقرار في الحي اللاتيني من مدينة الأنوار. ثم انتقل بعد سنة إلى جزيرة القديس لويس في قلب باريس على نهر السين. المقهم الذي يطرق العاصمة يتعرف هناك على الأوساط العلمية والثقافية ويحصل على شهادة التربية الدينية التي منحها إياه استحقاقاً من رجال الدين المسيحيين. كما يسافر عام ١٩٠٥م برفقة عائلته إلى مدينة لورد Lourdes المشهورة بتقديس الحجاج المسيحيين عليها.

1906 ـ 1933م سنوات بحث:

يرسب روني كينون في كوليج رولان الذي كان قد سجّل به في باريس. ويصف في التقرير السنوي بالحساسية المفرطة فيضطر مرغماً لمغادرتها. والسبب الحقيقي في هذا الرسوب هو صحته المعتلة وحالته المستمرة. أثر هذا الحادث ابتعد الأثر على روني كينون فانصرف كلية عن المدارس العليا واهتم بالدراسات الباطنية التي كنت تجذبه. تعرف إلى باپوس (الدكتور أنكوس) الذي أدخله إلى المدرسة الهرمسية. ثم أصبح عضواً في المعلم المارتيني والمحفل الإنساني. هذه التجربة الجديدة كانت سبباً في كتابته لرواية معلوم العالم الآخر.

في سنة ١٩٠٨م عين سكرتيراً في مكتب المؤتمر الروحاني بمبادرة بسبب توجهات تنبيهه إلى ضرورة التكوين المادية أنذاك. إلى مساهمته بمهام التنمية الجديدة إلا أن هذه التجربة وثّقت في العهد. فابتعد عن الأوساط الباطنية في بلده. بعد ذلك يصبح عضواً في محفل طيبة الذي هو فرع من محفل فرنسا الكبير. إلى حدود الحرب العالمية الأولى. ينخرط خلال هذه الفترة عبر تطوير الخلية الماسونية لعرك. ويشكل علاقات معينة مع مجموعة من الشخصيات من أبرزهم جون شاسيوروو الذي اعتنق الإسلام فصار يدعى عبد الحق.

بدأت أول أعمال روني كينون بالظهور عام ١٩٠٧م حيث أصبح تحرير عضوية في مجلة أسوانه وساكرة هو مجلة الكاسب. ورسالة توضيحية في مجلة فرنسا المسيحية اللاماسونية. وكان يوقع أعماله باسم «أبي الهول». وبسبب موافقته من الدكتور باپوس فقد فصل من جل المنظمات التي كانت خاضعة لهذا الأخير. مع نهاية سنة ١٩٠٩م عين أسقفاً قنوصياً بكنيسة الإسكندرية الغنوصية. وبرئس مجلة الغنوص. أصدر كينون مجموعة من الأبحاث في هذه المجلة. وكان حكمه على هذه الكنيسة الغنوصية قوياً حيث يقول: إن الغنوصيين الجدد لم يستقوا أي معرفة تذكر لافتقادهم إلى سلسلة الإسناد التي لا سلوك ولا تربية من دونها. ويمكن اعتبار تجربتهم محاولة لإعادة إنشاء هذه السلسلة من خلال جمعهم لبعض الوثائق المتفرقة والتي يمكن لكل واحد أن يحصل عليها. ويضيف: إن مجمل هذه المذاهب الروحية الحديثة ليست إلا مادية جديدة في مستوى آخر وهمها الوحيد أن تطبق على الروح مناهج العلم الوضعي التي يتوسل بها في دراسة العالم الطبيعي الفيزيائي. هذه المناهج التجريبية لا يمكنها أن تصف إلا ظواهر جزئية لا تستطيع أن ترقى إلى تأسيس نظرية في الإلهيات لأن من طبيعة العبد ألا يحدد بالظواهر الجزئية. ويعتبر كل ادعاء بحيازة معرفة للعوالم الملكوتية بوسائل مادية مغالطة كبرى لأن مبادئ هذه المعرفة هي في الإنسان وليست بمقارنة مع في العنصر والأشياء المادية.



هنري ديقول

كان ديقول يناديه بالأستاذ العربي

من روني كينون

الى عبد الواحد يحيى

ولتدارك هذه النقص طاف كينون كل عوالم البحث عمن يأخذ بيده ويرشده الى الحق، وشاء الحق أن يوجهه وجهة الإسلام والإيمان فتعرف إلى شخصية الرسام السويدي أكيلي.

كان لهذا اللقاء أثر في حياته، فقد تمّ عام 1910 م حيث تعرّف إلى الرسام والمفكّر السويدي جان غوستاف أكيلي الذي اعتنق الإسلام عام 1897 فصار اسمه عبد الهادي. وكان هذا الفنان شغوفا بالشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي الحاتمي وكان إسلامه على يد شيخ الأزهر مفتي المالكية العلامة السيد عبد الرحمن عليش الكبير. وكان لهذا الشيخ نفوذ علمي وسياسي قوي، وتخرج على يديه قادة النهضة العربية والإسلامية في بداية القرن أمثال الشيخ محمد عبده، والشيخ عليش من تلامذة الأمير عبد القادر الجزائري المختاري في السلوك والتربية الروحية. وقد أمضى أكيلي ست سنوات في القاهرة واستحدث فيها مجلة إسلامية. ساهم عبد الهادي أكيلي مع روني كينون في مجلة «العرفان» بعدة أبحاث بلغت خمسة عشر بحثاً وركزت [illegible] الصلة [illegible] في الإسلام والتصوف. وعمره آنذاك 26 سنة. [illegible] التوجه الجديد في حياة مترجمنا توقفت مجلته عن الصدور بسبب مواقفه الجديدة. وكان إسلامه سبباً في ابتعاده أيضاً عن الأوساط الباطنية في فرنسا وأوروبا.

1912 – 1921م.

بعد تحول روني كينون إلى الإسلام ودخوله في الطريقة الشاذلية صار يحمل اسم عبد الواحد يحيى، واسمه الفرنسي روني René يحيى بالفرنسية المولود [illegible]، يتزوج من فتاة عابدة تشتغل معلمة في قطاع التعليم الحر. وقد تعرف إليها حين كانت تعمل مساعدة مع خالته مدام دورو التي مر ذكرها. كانت صحته المعتلّة سبباً في إعفائه من التجنيد الإجباري بعيد الحرب العالمية الأولى، فوجدها فرصة سانحة لإكمال دراسته.

في عام 1915م يحصل على إجازة الفلسفة من جامعة السوربون بدرجة حسن، ويعمل كأستاذ مساعد في كوليج سان جرمان. يتابع بعد ذلك دراسته حيث يحصل على دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة عام 1916م. شهدت السنة التالية وفاة والدته فسافر الى سطيف بالجزائر برفقة زوجته وخالته حيث يمضي هناك سنة ثم يعود إلى مدينة بلوا ليدرس بها. يأخذ كذلك تحت كفالته قريبة له صغيرة السن، لكن المقام لم يطب له في مدينته فيعود إلى باريس من أجل إكمال الدكتوراه، وبسبب استقلاله الفكري ومجاهرته بأفكاره فإن أستاذه المشرف على الدكتوراه يرفض منحه تلك الشهادة. لم يثن ذلك عبد الواحد يحيى من متابعة عمله حيث يصدر في السنة التالية رسالة الدكتوراه تحت عنوان مقدمة عامة لدراسة المذاهب الهندوسية.

شهرة ونشاط وانتصار للإسلام

إثرها بدأت شهرته تتوالى، كما عين مدرساً للفلسفة عام 1922م في معهد البرجوازيين الأحرار. ذاع صيته وطبقت شهرته أوروبا، واجتمع اليه الناس من كل حدب وصوب فرنسيين وغربيين. أصدر كتاب «ضلال الباطنية Théosophisme» وكتاب «الشبهة الروحية» ينتقد فيه التيارات الباطنية الجديدة التي تتستر على ماديتها بطلاء روحي زائف [illegible] هذه المذاهب حملة شعواء على أصحاب [illegible]، كما [illegible] محاضرة [illegible] مركز [illegible] بجامعة باريس. وشهد عام 1924م صدور كتابه «الشرق والغرب» الذي أحدث هزة في الأوساط الفكرية والثقافية بسبب الأفكار الجديدة التي يطرحها فيه والتي لا تتمشى مع تلك التي كانت سائدة وقتئذ. ومن خلال هذا الكتاب يرى عبد الواحد يحيى أن الوضع في العالم وخصوصا في الغرب، أما الشرق الأصيل فإنه ما زال بخير حتى ولو ظهرت فيه بعض [illegible]. أما الغرب فقد تبين أنه افتقد كل إمكان للرجوع عن هذه المادية المفرطة التي قطعته عن مصادر الوحي وليس هناك من حل أمام العقلية الغربية سوى أن ترتبط بالتقاليد [illegible] من الإسلام

الذي يحمل كل عناصر الأصالة و ... تجديد ... الإسلامية ... إن هذا الدين لم يستطع أحد أن يحرفه عن مصدر الوحي، وهو القلعة الوحيدة أمام هجمة المادية. كان لهذا التحول وقع الحريق على [illegible] الكثيرين من المثقفين، فقوة روحية تخرجهم من سلطة المادية التي [illegible] الإنسان [illegible] بعد [illegible] من هذا التاريخ [illegible] في هذا [illegible] شيخهم عبد الواحد يحيى. ولم يكن هؤلاء من عامة الناس وبسطائهم بل كانوا من العلماء والمفكرين [illegible] في مجتمعاتهم، ولعل أبرزهم فريتيوف شيون، تيتوس بوركهارت، [illegible] ومارتن لينغز، وميشال فالسان (مصطفى). وهؤلاء هم الرعيل الأول من [illegible] الذين [illegible] بتوجيههم الصوفية من الغرب في الإسلام وأسسوا لنهضة روحية حقيقية في الغرب ما زالت آثارها بادية للعيان حتى رأيت بعضا منهم وقد ألقى دروساً بالعربية في الدروس [illegible] التي تعقد [illegible] المدرسة الصوفية [illegible] ... كتب في النهضة الروحية والعلمية والفكرية التي عرفها الشرق والغرب.

كان كينون يساهم بشكل فعال في مجلة [illegible] وفي المجلة [illegible] أيضاً إلى بعض الأوساط التي كانت تقول بها [illegible] الهرمسية المسيحية. وصدرت له كتب أخرى منها كتاب «أزمة العالم المعاصر» الذي لقي نجاحاً كبيراً، [illegible] عرفت [illegible] وقد وصف هذا الكتاب [illegible] قائلاً: [illegible] الغاية.



عبد القادر الجزائري

العقل الذي تمجده الحضارة الغربية ما هو إلا صنم تم تشييده على حساب الوحي

1930 - 1951م:

تعتبر هذه السنوات مرحلة في حياة الشيخ عبد الواحد يحيى، فقد توفيت زوجته الفرنسية في 15 يناير 1928م، ولم يرزق منها بولد. [illegible] التي احتضنته في السنة الثانية [illegible] إلى سيدة أمريكية ثرية [illegible] زوجها [illegible] إلى مصر في 5 مارس 1930م. ما كان يعلمه عبد الواحد يحيى [illegible] أمراً سيتحول إلى إقامة دائمة في بلاد النيل.

[illegible] الشيخ [illegible] الذكر [illegible] في النيل [illegible] من [illegible] معولاً على العلم والتربية والسلوك الإحساني [illegible] كتب [illegible] الصوفية [illegible] المدرسة الشاذلية في مصر [illegible] الشيخ [illegible] [illegible] بالسيدة فاطمة [illegible] بنت الشيخ محمد إبراهيم ثم يتخلى عن ممتلكاته في فرنسا ليستقر نهائياً في بلاد الإسلام، [illegible] الهندي الشهير [illegible] بالعرفي [illegible]

كانت حياة الشيخ [illegible] موزعة بين التأليف والمراسلات [illegible] الاستقبال وجلسات العبادة والخلوة. أما مكتبه فكان قريباً من الأهرام ومن أبي الهول الذي كان يوقع به بعض مقالاته سابقاً، كما كان يصلي كل صباح في مسجد سيدنا الحسين وقد رزق عام 1944م بطفلة من زوجته المصرية. كما ظهرت [illegible] كتابه «أزمة العالم المعاصر» في سنة 1946م بعد نهاية الحرب العالمية الثانية التي جاءت تأكيداً لما كان قد ذكره في كتبه. وقد خلص إلى أن العالم يعرف نهاية دورة وجودية ستعقبها قوة روحية ستؤسس لعصر ذهبي جديد مع دورة وجودية جديدة. ويلخص الشيخ عبد الواحد يحيى في نقده للعالم الغربي إلى القول إن الغرب قد أحدث قطيعة منذ نهاية القرون الوسطى مع مصادر الوحي التي تحدد العلاقة بين الحق والخلق [illegible] وظيفة الشيخ تمثلت في هذا النقد الأصيل والعميق للحضارة الغربية القائمة على الحداثة التي أضحى

جهوده في الطعن بعيوب الغرب وخطورتها على العالم الإنساني. ويصب النقد هنا على بناء الحضارة الإنسانية الأصيلة التي تمثل رسالة الإسلام كدين قيم مهيمن على سائر الشرائع والأديان. إن الإنسانية بالنسبة إليه قد دخلت في عصر مظلم بتأثير من الحضارة الغربية المادية. وهو يقسم مراحل البشرية عبر ظهورها إلى دورات وجودية. وهذا الطرح موجود في الهندوسية التي تسمي هذه الدورة الوجودية المظلمة "كالي يوغا". كما نجد هذا التقسيم عند الصوفية المسلمين وخاصة عند الشيخ محيي الدين بن العربي الذي يتحدث عن الدورات الوجودية وعن دورة الملك. وهو يستند في ذلك من الحديث النبوي الشريف الذي يقول فيه النبي ﷺ: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض».

فهناك دورة زمانية تامة منذ خلق الله سيدنا آدم عليه السلام. وبالنسبة للشيخ عبد الواحد يحيى فالعلل التي أصابت الحضارة الغربية منذ النهضة الأوروبية هو الانفصام شيئاً فشيئاً عن مصدر الوحي. ويتجلى هذا الانفصام في استبداد سلطة السلاح على سلطة القلم. ومع ذلك فالصراع قائم حتى يومنا بين هاتين السلطتين رغم تشابك المراتب وعدم تميزها بالنسبة للملاحظ السطحي. لقد كان الشيخ عبد الواحد يحيى يرى أن اختلاف الشرائع ليس معناه اختلاف مصدر الوحي، بل على العكس من ذلك فالشرائع مصدرها واحد ووحيد وهي متحدة الأصول مختلفة الفروع.

اختلاف الشرائع ليس معناه اختلاف مصدر الوحي

في عام 1947م سيرحل بصفة نهائية، ويصاحب ولدين أحمد وعبد الواحد. ولتأكيد انتمائه إلى الأمة الإسلامية فقد طلب الجنسية المصرية وحصل عليها عام 1949م قبل أن يرحل في سابع يناير 1951 عن هذه الدنيا. وكانت آخر كلمة يتفوه بها هي كلمة الاسم المفرد: الله.

أثر الشيخ في الأوساط التركية

نظمت الجمعية السياسية الفرنسية في شهر ديسمبر 2000م ندوة في باريس تحت عنوان "رينيه جينون: قراءات ومعاصرته"، وقد صدرت أعمال الندوة في المجلد السنوي للجمعية. وهو يضم عدة محاور يهمنا منها فصلان خاصان بتأثير الشيخ عبد الواحد يحيى في بعض الأوساط في تركيا وإيران.

وكما يذكر أحد كتاب هذه المقالات وهو مارك سيدجويك الأستاذ بالجامعة الأمريكية في القاهرة فإن رينيه جينون لا يثير فضول عامة الناس إليه وإنما يهتم به العلماء والنخب الفكرية. وقد ترجمت بعض كتب الشيخ إلى التركية مثل كتاب أزمة العالم المعاصر وكتاب الشرق والغرب، إلى جانب بعض المقالات التي ترجمها مصطفى طوراني الأستاذ بجامعة إسطنبول الذي تعرف إلى كتب عبد الواحد يحيى حين كان يدرس في فرنسا لتحضير رسالة الدكتوراه، إبان الستينيات.

أما في ما يخص الوضع في إيران فيبدو مختلفاً نسبياً، حيث عرفت النخب المثقفة إليه قبل ذلك التاريخ بفضل كتابات العالم الإيراني الكبير المقيم في الولايات المتحدة الأمريكية سيد حسين نصر حيث درس في العديد من المعاهد والجامعات هناك ولا يزال. وقد عرف الشيخ عبد الواحد يحيى أثناء عمله في الأكاديمية الملكية الإيرانية للفلسفة سابقاً. ومن بين من كان يعرف كتب الشيخ عبد الواحد يحيى ثلاثة من الأساتذة الذين عينهم الخميني في لجنة إصلاح الجامعات الإيرانية بعد الثورة الإسلامية. وقد وجد من بين محبي الشيخ عبد الواحد يحيى معارضون وموالون للنظام الإيراني. ومن بين الشخصيات التي كانت محط جدل ونظر في الأوساط الإيرانية الدائمة خلال العقود الأخيرة مدرسة "الوحدة المتعالية للأديان" وهو سويسري كان أحد تلامذة الشيخ عبد الواحد يحيى وهو فريتجوف شوون. وقد اعتبرت الملكة الإيرانية عاهلة إنجلترا عبر الكتب لمعظم ما ألف في الغرب الشرقي.

ويمكن القول إن تأثير الشيخ عبد الواحد يحيى ظهر أيضاً في النخب من الدول الإسلامية وبخاصة منها تلك التي لها تكوين أكاديمي وجامعي معترف به حسب مقاييس الجامعات العالمية. وأخص بالذكر بعض النخب في شمال أفريقيا

قراءة تقديمية لكتاب

أزمة العالم المعاصر

ينقسم هذا الكتاب إلى تسعة فصول مع مقدمة تمهيدية. أما فصول الكتاب فهي: العصر المظلم، المقابلة بين الشرق والغرب، المعرفة والفعل، العلم المقدس والعلم الدنيوي، الفردانية، الفوضى الاجتماعية، الحضارة المادية، الاستعمار الغربي، نتائج. يقع الكتاب في حوالي 200 صفحة من القطع المتوسط.

يتحدث في المقدمة عن الخوف من الأزمة الذي يلهج بها الغربيون من وجود تقدم غير محدود، فينتقد هذه الدعوى ويخلص إلى التنبؤ بأن هذه الحضارة الغربية التي تسمي نفسها كذلك قد تختفي فجأة من غير [illegible] بعد ذلك، ويعطي مثالا من الحرب العالمية الثانية التي كانت أن تعصف بهم [illegible] ظهرت أشكال مشوشة من [illegible] بنهاية العالم والتاريخ ومن شاكلتها، وهي أشكال مادية صرفة حدثت بسبب الفوضى الفكرية وانعدام المرجعية الروحية [illegible] التي تعبر عن حال الإنسان كما ورد ذلك في الوحي، وهي إنما تصبح [illegible] هذه الأفكار خطأ محضا عليها أن تعرف الأسباب التي أدت إليها بل تستحق وجودا سلبيا. وليس هناك خطأ مطلق على الإطلاق، بل إن هذه الكلمة فارغة من محتواها (ص 46). وهو ما ينسجم مع ابن العربي الحاتمي حين يقول في كتابه مواقع النجوم (ص [illegible]): كل باطل فهو عدم محض وكل وجود فهو حق، فليس في الوجود باطل أصلا. فإن قلت إن الكفر باطل والكذب كذلك وهو في الوجود، فسلم أن الحروف التي ينطق بها الكافر أو الكاذب في الوجود هي حق، فإنها قد وجدت. وما المعاني التي تحت هذه الحروف فعدم، وهي مثلا أن لله شريكا تعالى سبحانه.

في الفصل الأول المعنون بالعصر المظلم يعني عبد الواحد يحيى استنادا إلى ما ذكره حكماء الهند أن كل دورة إنسانية تنقسم إلى أربعة عصور: العصر الذهبي والفضي والنحاسي والحديدي، والإنسانية تتدرج في سقوطها من علياء القمم إلى حضيض

مؤلفات الشيخ عبد الواحد يحيى

- مملكة الكم وعلامات الزمان
- مبادئ الحساب اللامتناهي في الصغر
- أزمة العالم المعاصر
- تصوف دانتي
- الثلاثية الكبرى
- ملك العالم
- الرموز الأساسية للعلم المقدس
- أشكال أصيلة ودورات كونية
- نظرات حول التصوف الإسلامي والطاوية
- أعمال متفرّقة
- رموز العلم المقدس
- مقدمة عامة لدراسة المذاهب الهندوسية
- الثيوصوفية: دراسة ديانة مزيفة
- الشبهة الروحانية
- شرق وغرب
- الإنسان وصيرورته حسب الفيدانتا
- السلطان الروحي والسلطة الزمنية
- القديس برنار
- رمزية الصليب
- الأحوال المتعدّدة للوجود
- نظرات حول السلوك
- سلوك وتحقق
- نظرات حول التصوف المسيحي
- دراسات حول الماسونية والفتوة
- دراسات حول الهندوسية
- تقارير علمية

وفضلا عن هذه الكتب هناك ما يزيد على الأربعمائة وخمسين مقالا يمكن أن تشكل عشرة مجلدات إن تمّ جمعها.

الانحطاط، والعقل العربي هو الآن في عهد العصر المسيحي المظلم. ثم يقول إن «الحقائق التي كان بوسع الإنسان أن يعرفها قد عرفت وأصبح من الصعب الوصول إليها، وعدد من يعرفونها هم في تناقص مستمر. وعلى الرغم من أن كثير الحكمة العربية لا يمكن أن تنسحب من العالم فإنها تظل مجموعة من العجب تجعلها عصية على الكشف» ص (21). ثم يسأل في الصفحة الموالية عن السبب في هذا الانحدار من الأعلى إلى الأسفل فيقول إن هذا الانحدار مناقض تماماً لفكرة التقدم اللانهائي التي شجعت عليه الحداثة الغربية. ثم يجيب قائلاً إن كل التحليات تصدر من ابتعاد مستمر عن الأصل الذي صدرت منه. وهذه الفكرة في شرح قول النبي (ﷺ): «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم».

ثم يخلص في الصفحة 21 إلى انتقاد ما يعرف بالمذهب الإنساني والعلوم الإنسانية كمظاهر أولية سبقت ظهور العلمانية الحديثة في الفكر الأوروبي حيث «اعتبروا الإنسان الغاية من كل شيء وقاسوا عليه كل شيء، وقاسوا الحق الذي هو مصدر الوجود».

في الفصل الثاني الذي يعالج فيه الشرق مع الغرب يذكر أن هذا الفصل هو من نتائج الفكر المعاصر، وأن البشرية لم تعرف هذه الفروق من قبل رغم وجود حضارات أصيلة مختلفة، ولكن الاختلاف لا يعني التعارض التام في ما بينها. والشيخ عبد الواحد يحيى يعتبر الحضارة الإسلامية وسطاً بين حضارات الشرق القديم والحضارة الغربية الحديثة.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (سورة البقرة، الآية 143).

وهي من حيث هذه الحيثية والوسطية تعتبر الفرصة الأخيرة أمام الغرب لكي يتصالح مع السماء. إن التقابل بين الشرق والغرب لم يكن له معنى حين كانت الحضارة الغربية مرتبطة بمصدر الوحي، ولكنه أصبح اليوم ضرورياً بعد أن انفصلت تلك الحضارة عن أصولها المشرقية.

وسطية الحضارة الإسلامية تعتبر الفرصة الأخيرة أمام الغرب كي يتصالح مع السماء

في الفصل الثالث المعنون بالمعرفة والعمل، يستعرض عبد الواحد يحيى النظريات الفكرية التي تمجد الحركية والعمل على حساب المعرفة مثل البراغماتية التي تنفي وجود أي شيء خارجها، ويميز هنا بين الحضارة الغربية المعاصرة التي تمجد الفعل على الفكر، وحضارات الشرق التي تعطي لكل واحد من هذين العنصرين حقه، بل تعطي الصدارة للوجهة حيث يكون التفكر والتأمل والمعرفة في درجة أعلى، ويعتبر هذا من ثمرات العلم والعمل. ويصف العالم على الطريقة المعروفة في الدين الإسلامي، ولكن يرى في الغرب تفكيراً يخالف هذا، ثم يستعرض بعض الفلسفات التي تدعو إلى التقدم وتعتبر كل شيء من خلال التاريخ والصيرورة التاريخية بأنها نظريات طبيعية، أو كما وصفها القرآن دهرية.

﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ (سورة الجاثية، الآية 24).

ويعتبر الشيخ أن النظريات الميتافيزيقية هي خارج الطبيعة وأنها غير محكومة بالدهر لأنها ليست من التاريخ بل هي فوق التاريخ، إنها مبادئ ثابتة وخالدة كفكرة وجود الخالق.

في الفصل الرابع يميز بين العلم المقدس والعلم الدنيوي، هذه التفرقة هي أيضاً من نتائج الحداثة الغربية لأن الحضارات الأصيلة لا تقيم مثل هذا الفرق، بل هنالك علم مقدس يتعلق بالذات الإلهية وسائر العلوم الأخرى هي نتائج وترجمة لهذا العلم لذا فليس هنالك فرق بينهما، إن العلم المقدس هو السبب، والعلوم الفرعية نتائجه.

في الفصل الخامس يعتبر عبد الواحد يحيى الفردانية نفياً لكل مبدأ علوي خارج عن الذات الفردية والجزئية، ومن هنا تنفي كل حضارة إلى الجانب البشري والإنساني فيما هو عبر اعتبار للخالق، والمعرفة عنده مطلقة خارجة عن الإنسان من حيث مصدرها، فكل فكرة حقيقية هي ملك لكل من يستطيع فهمها، أما إن كانت منوطة بشخص من دون تسمى عند ... الحقيقة ليست منتوجاً تنتمي

البشري، بل إنها توجد باستقلال عنه، وما عليه إلا أن يعرفها ويتعرف إليها. خارج هذه المعرفة لا يوجد سوى الباطل، «ألا كل شيء ما خلا الله باطل» وهي صدق كلمة قالها الشاعر «لبيد» كما أخبر بذلك رسول الله (ﷺ). إن تاريخ الفكر الغربي يضع العقل على رأس الهرم ويعتبر نتاج ذلك العقل العلامة ثم يكفر بما عداه. والعقل الذي يتحدثون عنه عقل ناقص محكوم بالحس والمادة وليس عقلاً منورًا بالشرع كما هو الشأن في الحضارات الشرقية. ثم يستعرض نقدا مختصرا للفلسفة الغربية بتوجهيها نقد العقل الجزئي في مقابل العقل الكلي الذي نسبت فيه لا نهائي للمساواة.

في الفصل السادس يتعرض عبد الواحد يحيى للفوضى الاجتماعية. وهو لا يعير الجوانب الاجتماعية كبير اهتمام لأنها ليست إلا ظلالاً من ظلال المبادئ التي يجب أن تحكم الكون، وكل نهضة لا تقوم على ترتيب عناصر البناء من الأساس والقواعد إلى ما يتفرع عنها، فليست إلا نهضة خارجية لا بد أن تموت وتختفي. إن التنظيم الحقيقي هو الذي يبدأ من المبادئ ليصل إلى النتائج لا العكس كما هو الشأن في كل الظواهر الاجتماعية.

في الفصل السابع بعنوان «الحضارة المادية»، يتابع عبد الواحد يحيى نقده للحضارة الغربية المعاصرة في مظاهرها الثابتة ونظمها ونظرياتها الفكرية، وتتجلى المادية الغربية في تقديس المادة كمعبد وحيد، ولا شيء خارج المادة. والعلوم الوضعية التي ظهرت في العصر الحديث ما هي إلا تطبيقات على المجال الحسّي المادي، ولا وجود للعلم خارجها حسب هذه الحضارة. فالحواس هي المحددة لكل شيء، بل هي الإدراك الوحيد في الإنسان، وهذه مغالطة عظمى لأن للإنسان مدارك متعددة بعضها أسمى من بعض.

في الفصل الثامن، يتطرق عبد الواحد يحيى لمسألة الاستعمار أو الاكتساح الغربي. لقد كانت الفوضى الغربية منحصرة في الغرب منذ العصر الحديث، لكنها اكتسحت كل العالم، وعلى الرغم من أن هذا الاكتساح كان يمس فقط الجانبين السياسي والاقتصادي لأن الشرق الأصيل الواثق من نفسه وحضارته لم يكن يسمح للغرب أن يخترقه بأكثر من ذلك. فإن الوقت الراهن بدأ يمس معالم خطر خطير حيث ظهرت عناصر شرقية ممسوخة تحمل أفكارا غربية هدامة تريد أن تبثها في مجتمعاتها. وعلى الرغم من أن الغرب يضخم أمر هذه الأقلية الصاخبة فإن دورها محصور في بعض الأوساط، رغم الدعم الكبير الذي تتلقاه من الغرب. وقد تبدو هذه الأقلية في بعض الأحيان وكأنها تعادي الغرب من الناحية السياسية، لكنها في الواقع تفكر نفس التفكير وتعيش الفكر نفسه، فهي نخب غربية في مجتمع شرقي.

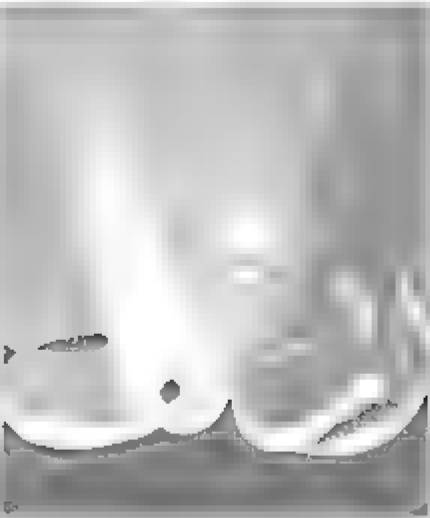
ثم يختتم في الأخير بالدعوة إلى العودة إلى المبادئ الأصيلة في الحضارة الشرقية يمكنها حل المشاكل التي يواجهها العالم المعاصر، من باب الحقيقة غير المحكومة بتقلبات العصر والزمن والأمزجة المتحكمة والأمر من النسبية الضيقة. إن الحقيقة هي بمعزل عن هذه الحدود الضيقة. ثم هو يدعو إلى اتخاذ نخبة خاصة من العلماء والعارفين في الغرب، قليلة العدد يمكنها أن تؤثر في الجموع الكثيرة من غير أن تقتصر حتى بوجودها أو بوسائل عملها.

المصادر

كل المصادر والمراجع المتوفرة حول الشيخ عبد الواحد يحيى وترجمته هي باللغات اللاتينية فقط، وربما يكون شيخ الأزهر المرحوم الشيخ عبد الحليم محمود هو الوحيد الذي تكلم عن عبد الواحد يحيى في كتابه عن المدرسة الشاذلية وعدد بعض هذه المصادر باللغة الفرنسية.

Bibliographie:

Charles-André Gilis: "René Guénon et l'avènement du troisième sceau", Éditions Traditionnelles, Paris.
Introduction à l'enseignement et au mystère de René Guénon, Éditions Traditionnelles, Paris.
Jean-Pierre Laurant: "... l'oeuvre de René Guénon", L'Age d'Homme, Lausanne.
Jean Robin: "René Guénon témoin de la Tradition", Trédaniel, Paris.
Marie-France James: "Ésotérisme et christianisme", Nouvelles Éditions Latines, Paris.
Paul Chacornac: "La vie simple de René Guénon", Éditions Traditionnelles, Paris.
Paul Sérant: "René Guénon", La Colombe, Paris.
Dossiers H: "René Guénon", L'Age d'Homme, Lausanne.
René Guénon: "La crise du monde moderne", Gallimard, France.
Xavier Accart: "L'Ermite de Duqqi", Arché, Milan.



المجامع الفقهية .. لماذا ؟ وإلى أين؟

- هل مجامعنا الفقهية في مستوى طموح الأمة؟
- المجمع الفقهي الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي
- المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث
- المجمع الفقهي الهندي
- مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا
- [illegible]
- [illegible]
- التعدد في الفتوى بالمجامع الفقهية — أ.د. يوسف القرضاوي
- لا جدوى من قرارات لا تنفذ — أ.د. محمد الدسوقي
- معرفة الواجب في الواقع — د. علي السالوس
- وسائل الإعلام لا تؤازر المجامع — وهبة الزحيلي

إعداد: الصديق بشير نصر - د. عبد المعطي محمد عبد الجليل

هل مجامعنا الفقهية في مستوى طموح الأمة؟

الصديق بشير نصر *

تزايد في العقود الأخيرة عدد المجامع الفقهية المنتشرة في العالم العربي والإسلامي وهذا في الحقيقة عمل يستحق الثناء على أهله، وعلى كل من يقف وراءه.

والمجامع الفقهية المشار إليها هي:

- المجمع الفقهي لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة
- المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة
- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة
- مجلس الفكر الإسلامي في إسلام آباد بباكستان
- أكاديمية الفقه الإسلامي في دلهي بالهند
- المجمع الفقهي بالسودان[1]
- المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث[2]
- مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا[3]
- هذا فضلاً عن مراكز البحوث والدراسات، ودور الإفتاء في البلدان الإسلامية، وسيأتي على سبيل المثال لا الحصر الجمعية المصرية للبحوث والدراسات في هذا الشأن.

ولكن يظل السؤال قائماً: هل أنجزت هذه المجامع ما أنيط بها؟

قد يكون يجيب بعض أعضائها: نعم. وذلك جواب متوقع منهم بحكم الانتماء. ولكن المتأمل فيها من الخارج لا يرضيه هذا الجواب، وأقل ما يقال هنا إن ثمة قطيعة ظاهرة بين تلك المجامع وجمهور الأمة.

وتخفى ما يجري داخل أسوار المجامع ضرباً من الترف الفكري بين الأعضاء لا يبرحهم إلى غيرهم وكأن غيرهم -وهم في الأصل علة وجود تلك المجامع- لا يعنيهم الأمر لا من بعيد ولا من قريب.

وأكثر ما تسفر عنه جلسات المجامع ودوراتها أن تنشر قراراتها وفتاواها في مجلات المجامع، وحتى هذه فإنها حبيسة الأرشيف لا يطلع عليها إلا نخبة النخبة، أو بعض المتخصصين من خارج المجامع من باب التطفل العلمي إن تمكنوا من العثور عليها في رفوف بعض المكتبات الجامعية.

ويبقى السؤال الثاني الذي يحتاج إلى جواب أيضاً وهو:

لماذا لم تحقق مجامعنا الفقهية ما أنيط بها؟

ثمة أسباب لا ريب، تكمن وراء ذلك.

من جملة الأسباب تلك:

- سيطرة الحكومات على المجامع الفقهية بشكل مباشر أو غير مباشر. وحتى تلك التي أسست لتكون مؤسسة مستقلة لم تنجح في أن تكون كذلك، لأن استقلالها الفكري لا معنى له إذا لم يكن مؤيداً ومصحوباً باستقلال مادي. ولهذا لم تلبث أن وقعت بين براثن الحكومات بعضاً عن جهات ممولة. وفي الحكاية المشهورة عن أحد الفقهاء: من يحد رجلَه لا يمدّ يده. وقد شهدت الوقائع الراهنة الماثلة التي تمسّها المجامع الفقهية حيث خضعت في إصدار فتاوى معينة

* كاتب وباحث ليبي

تشغل همّ الأمة في منازلة عدوها.

... دور المجمع الفقهي الرائد للفتوى حتى لا يقتصر دوره على إصدار الفتاوى والأجوبة الفقهية عما ... ومؤسسات ... بالرغم من ... التأسيس كل أكبر من ... تكثير نفقة ... مع مرور الوقت في ... من الواجبات؟

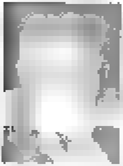
ضعف الصلة بين المجامع وجمهور الأمة ... الأخرى انعدامها. وعلامة ذلك أننا لا نرى أثراً ... لا في الأوساط العامة ولا في الأوساط الخاصة، فأصبحت المجامع بذلك أشبه بالمنتديات يلتقي داخلها النخبة من الفقهاء يكلم بعضهم بعضاً، ثم ينصرف كلٌّ إلى شأنه ... ما يجري ... المجتمع الإسلامي من تطورات وتحديات.

٤- الضعف العلمي الظاهر في بعض أعضاء المجامع لا سيما أولئك الذين منحوا العضوية بسبب التمثيل الدولي، فأكثر الدول تمنح عضوية تمثيلها في المجامع لمن ينتمي إليها سياسياً، وليس لمن يؤهله قدراته الذهنية وتحصيله العلمي، وقد ... في ...

والمجامع التي تضررت من هذا البلاء وقعت في بلاءٍ من نوع آخر لا يقل خطورة عن الأول، وهو أن العضوية تُمنح لأصحاب الشهادات (الإجازات العالية) من درجة دكتوراه، وليس كل من تحصل على هذه الشهادات يكون فقيهاً أو عالماً، وتحن نرى في واقعنا اليوم، بسبب تردي التعليم في بلداننا وتأخر ... من يحصل على الإجازة وهو لا يحسن من علوم الشريعة ولا من علوم الآلة ما يؤهله لتصنيع ... فضلاً عن أن يكون فقيهاً في مجمع فقهي.

ويستثناء مشاهير الفقهاء من أصحاب التأليف والتصنيف فإن أكثر أولئك الأعضاء هم من مجهولي ... لا نعرف لهم آثار علمية ... اللهم إلا أطروحاتهم التي نالوا بها إجازاتهم ولم يأتوا بغيرها، فكانت ... بيضة الديك.

د. عبد العظيم الديب



بعض المجامع أسيرة الواقع المفروض عليها

س: كيف ... الجمهور ... مجمع الفقه الإسلامي؟

ج: المتابع لأعمال مجمع الفقه الإسلامي يجد أنه ... مع قضايا العصر ... أعماله في الدورة الرابعة عشر ... تم الحديث فيه عن الإرهاب والعولمة ... قضايا معاصرة أخرى ... في المصارف والبنوك الإسلامية ... سلبية ... الجماعي، وكلها قضايا معاصرة ... أو ... في ... المجمع، ... أن المجمع يقوم بدوره إلا أن الأجهزة ... في العالم الإسلامي هل ... ومرجعيتها قرارات المجمع؟ هذا هو المطلوب.

المطلوب الآن هو أن تعمل الأجهزة ... والأجهزة التنفيذية في الدولة على وضع فتاوى المجمع موضع التنفيذ. المجمع ... والمعروف أن الفتاوى ليست ملزمة ... هو ... ، ... أن تجد قرارات المجمع مرجعاً له. هذا هو المطلوب ... ولنا ... التي لا أحب أن ... الآن في ... الأمور.

س: لاحظنا أن هنالك عدم اتساق بين بعض قرارات وفتاوى مجمع الفقه الإسلامي وبعض مجالس الإفتاء في العالم الإسلامي، ألا ... ظاهرة ... تلك الظاهرة موجودة.

ج: هنالك مبدأ يقول إن الاختلاف في الفتوى ... مشروع، والاختلاف بين الفقهاء أمر مشروع

5. ضعف الصلات بين المجامع الفقهية، وقلة التنسيق بينها، بالرغم من أنه لا يخلو مجمع من مجامع الفقهية الا وقد ورد في برنامجه ذكر ذلك، وعدم التنسيق قد يتسبب في وقوع خلافات جديدة نحن في غنى عنها[1].

6. الانشغال بكثير من الموضوعات الفقهية التي أشبعها فقهاء السلف بحثاً، والتكاسل عن النظر فيما استجد من نوازل وأقضية. ويرى ذلك واضحاً في البحوث الفقهية التي تعرض في جلسات المجمع، فحينما عرضت مسألة لها نظير في كتب الأولين تسابق فقهاؤه بالكتابة فيها، وإذا عرضت مسألة جديدة أعرضوا عنها وود كلُّ واحد منهم لو يكفيه صاحبه عناء النظر فيها. ومن يتابع مجلة المجمع الفقهي لمنظمة المؤتمر الإسلامي يرى ذلك بأم عينيه. فكثير من المسائل المستجدة يكلف بها أحد الأعضاء أو بعضهم، ثم تنعقد الجلسة التالية للنظر فيما توصل إليه هذا أو هؤلاء، فلا يجدون إلا الاعتذار وطلب إرجاء النظر في المسألة إلى جلسة قادمة. وهكذا تتوالى الجلسات دون الوقوف على شيء. ولعل خير مثال على ذلك تلك الاستفتاءات التي توجه بها المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن إلى مجمع الفقه الإسلامي المنبثق من منظمة المؤتمر الإسلامي وعددها ثمان وعشرون مسألة[2]. وقد جاء بشأنها في القرار رقم 1:

- بعد التأمل فيما تم في الأمر من إجابات تبين أن:
- الإجابات قد صيغت بطريقة مختصرة جداً لا يحصل معها الاقتناع وقطع دابر الخلاف أو الرفض.
- لا بُدَّ من قيام المجمع بإزاحة الإشكالات الحاصلة لإخواننا المسلمين في الغرب.

فقرر المجمع بناء على ذلك تكليف خبراء للنظر في الأسئلة المذكورة، وبعد مُضي مدة وجيزة، وفي الدورة التالية المنعقدة بعمان في صفر 1407هـ صدر القرار رقم 11 متضمناً الأجوبة عن أسئلة المعهد المذكور باستثناء خمسة منها أرجئت الإجابة عنها. وقد جاءت أغلب الإجابات مثل سابقاتها مقتضبة غير مُدلَّلة خلافاً لتوجيهات القرار رقم (1/2) الذي عاب الإجابات الأولى بالاختصار الشديد. وقد اكتفت بعض الإجابات بثلاث كلمات فقط: (لا يجوز شرعاً)، فبدت الإجابات وكأنها فتاوى من شيخ من شيوخ الطريق وليس من مجمع فقهي يفترض أنه يضم أكبر فقهاء العالم الإسلامي.

7. احتكار عضوية المجامع وقصرها على نخبة بعينها، بحيث تجد بعضهم أعضاء في عدد كبير من المجامع فضلاً عن عضوية مراكز بحثية أخرى عديدة، وهذا بلا شك ما يتسبب في إرهاق العضو بحيث لا يستطيع أن يفي بواجباته على الوجه الأكمل، فإنه يسهم في تضاعيفه اتهام العقل المسلم بالعجز عن إنجاب مثل أولئك، وفكرة الرجل الخارق الذي

هل بات وجود اتحاد للمجامع الفقهية يضم شتاتها أمراً ضرورياً؟

يقوى على القيام بكل شيء فكرة سيئة وخطيرة في الوقت نفسه لأنها تعطل للقدرات الأخرى. ولعل سبب تضايق بعض المؤسسات العلمية قد يرجع إلى تكليف بعض هؤلاء برئاستها وهم مثقلون بأعباء أخرى جسام يرون بحملها فريق كامل من الناس ناهيك بفرد واحد.

المجامع الفقهية والاجتهاد الجماعي

الاجتهاد هو بذل الوسع في طلب نيل حكم شرعي من أدلته التفصيلية، والمجتهدون على مراتب، أعلاها: المجتهد المطلق المستقل. وإذا كان وجود المجتهد المطلق متعذراً عند نحن بصدده قبله في زماننا بات مستحيلاً لما استُحدث في حياة الناس من تغير كبير لا يماثل شيئه ما كانت عليه الحياة في العصور الماضية. وقد الزمن الذي نعيش فيه لم يعد فيه مكان لمفهوم الفردي الخارق الذي يحرك كلَّ شيء، وما

استجد ويستجد في حياة الناس من وقائع لم يعد لها نظير في اجتهادات الأولين يستدعي عقولاً جماعية متنوعة التخصصات حيث تقتضي الاجتهاد في العصر الحديث الاستعانة بضروب من العلوم المختلفة التي يستحيل أن يحيط بها واحد فضلاً عن التطور السريع لهذه العلوم وتعقدها، ومن المحال أن فقهاء العصر ليس لهم إلمام حتى بأبجديتها وأصولها ومع ذلك تراهم يتجاسرون على الفتيا في أمورهم بجهل خطل الله به.

ولا شك أن مجامعنا الفقهية قد أدركت هذه الحقيقة وسعت إلى تطعيم بعضها بالاستعانة بالخبراء المتخصصين في العلوم المختلفة وهذا شيء محمود بلا ريب ولكن يؤخذ عليها أنها تنظر إلى أقوال أولئك الخبراء لمجرد الاستئناس فقط وأنها ليست ملزمة لها وهذا يحتمل بلا أدنى شك التهور المسبوق بأولئك الخبراء أو على الأقل بمشورة كانت لا يعبأ بها. وتمسّ الحاجة إلى الاجتهاد الجماعي في كثير من الأمور لا سيما القضايا العامة التي تخص الأمة جميعها وهذه لا بد أن ينتهي القول فيها إلى إجماع من المجامع من أجل توحيد صف الأمة للوقوف في وجه الخطوب التي تقاذفها من هنا وهناك، ويكون ذلك الإجماع ملزماً والخروج عنه خروج عن الجماعة وإذا كانت بعض المجامع قد نصت في قرار تأسيسها على أهمية الاجتهاد الجماعي للوصول إلى إجماع عام نستطيع أن نسميه بإجماع كوني فإنها تحتاج إلى أن تترجم ذلك إلى واقع ملموس(2)

أسئلة ينبغي أن تجيب عنها المجامع الإسلامية ؟

إن قيام المجامع الفقهية بالدور المنوط بها خير قيام سيكون له الأثر الحسن في معالجة المسائل الخلافية ويرجى أن تجعل ذلك في الأمة بحيث لا أن اتفاق كلمة الأمة تندرج تحت أحد أهم مقاصد الشريعة، ألا وهو حفظ الدين، وضياعه يكون بتفرقهم واختلافهم

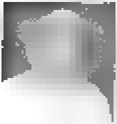
وغير منضبطين بل هو من السعة والتوسعة ولا حرج فيه، والأمور التي لا نص فيها يدخل الحل في باب الاجتهاد من المستحيل عقلاً أن يتفق الناس حولها وذلك راجع لتفاوت العقول والأمزجة والخبرات ولكن وقدر الإمكان نأخذ الأمر المتفق عليه وتبقى هناك مساحة محل للخلاف حتى لو أخذ برأي الجمهور نأخذ بجمهور الفقهاء فهذا أفضل من الأخذ برأي واحد أو اثنين

أما النوع الآخر فهنالك بعض المجامع في أسيرة للواقع الذي فرض عليها أن تخضع له

من تفضل لها تكييف الفتوى للواقع؟

ج: أحسنت، وهذا في الواقع لا يجعلنا نتهم تلك المجامع، ولكن أقول إن الذين قدموا لهم القضية صوروها على أنها حالة ضرورة فأفتوا بالجواز ولذلك فالقضية في هذا الأمر ليست على المجمع الفقهي إنما على من قدم له القضية وصورها ولذلك لا بد من التذكير بالقول المشهور لا تكتم على المستشار خبراً إن كنت تريد استشارة فلا بد من تقديم الحقيقة كاملة حتى يقول المستشار رأيه، ويعطي من يكتم حقيقة الأمر ويقدم الأمر في صورة يمكن أن يحرف المعنى، وهذا خلل يمكن تداركه على كل حال

عبد الرحمن شيباني



حاجتنا إلى بيان الحق كما جاءت ليس بنقصه

س: باعتباركم عضواً مؤسساً في مجمع الفقه الإسلامي هل يمكن أن نجد لديك إجابة عن السؤال الآتي: إلى أين وصل مجمع الفقه الإسلامي؟

ج: لقد خطا المجمع خطوات مهمة في مجال البحث وإصدار الفتاوى في شتى الأغراض من الوجهة النظرية للمجمع فالمعلوم بحسب الذي نرجوه له يتطلق من أن للمجمع مهمتين مهمة تبيانية توضيحية

ولعل الأسئلة الآتية تُعين على تقييم دور المجامع الفقهية لمعرفة مدى نجاحها في مستوى التحدي الذي تواجهه، ثم لا ينبغي أن يجيب عنها كلُّ مجمع على حدة، ومن ثم يتولى الخبراء والعارفون تحليل تلك الإجابات للوصول إلى الحلول الناجعة.

- إن تعدد وجود المجامع الفقهية على مستوى الأقطار العربية والإسلامية ظاهرة طيبة، ولكن تكمن في تضاعيفها جملة من التساؤلات، فهل يفهم من هذا التعدد إخفاق المجامع الفقهية التي سبقت تأسيس مجمعكم في تحقيق ما أنيط بها؟
- هل ترون أن تعدُّد المجامع الفقهية على مستوى الأقطار يمكن أن يقضي على بؤر الخلافات الفقهية بين المسلمين؟
- يعيب على المجامع الفقهية وجود قطيعة بينها وبين جمهور الأمة، ولذلك لم تحقق الأمل المنشود، وبقيت متخلفة في معالجة كثير من الأمور، لا سيما ما يجدُّ من نوازل وأقضية، فضلاً عن تخلفها الظاهر في معالجة المسائل التي تعم بها البلوى في وقتنا الراهن، فكيف ترون ذلك؟
- لماذا يغيب أو يُغيَّب الفقه السياسي في أكثر مجامعنا الفقهية بحيث يحظر مثله الميادين؟ ومن المعلوم أن تراث الفقه الإسلامي يرجع بعضه إن لم يكن أكثره إلى الفقه السياسي في حياة المذاهب وداخل مؤسسات المعرفة والاجتماعية؟
- من الواضح حدة ضعف الاتصال بين المجامع الفقهية، وربما انعدام التنسيق بينها، ألا ترون أنه بات من الواجب معالجة ذلك من أجل إحداث نهضة فقهيَّة منشودة؟
- يُعاب على المجامع الإسلامية الفقهية عدم الاستقلالية ووقوعها تحت تأثير الحكومات والسلطات، مما أفقد الثقة فيها، وأوضح شاهد على ذلك التأثير تحيُّز أكثر أعضاء المجامع وفقاً لاتجاهاتهم السياسية، وليس بحسب استعداداتهم العلمية والمعرفية؟ فما رأيكم في هذا القول أولاً؟ ثم هل توافقون على مبدأ استقلالية المجامع تماماً؟
- يرى بعض المتتبعين للحركة الفكريَّة في العالم العربي والإسلامي حول المجامع الفقهية أنها تحولت إلى مستويات تقييم النخبة تمارس داخلها نوعاً من الترف الفكريِّ، والفكر إذا لم يحدث أثراً في الأمة فلا خير يرتجى منه، فكيف يمكن في رأيكم معالجة هذا الأمر؟
- ما هو التجديد الذي يتميز به مجمعكم الفقهي؟
من الملاحظ أن عضوية المجامع الفقهية في زماننا الراهن مرتبطة بأن تكون حاملاً على شهادة مرحلة الدكتوراه، مع أنه لا يخفى أن الكثيرين من حملة هذه الإجازات يعانون من تدنٍّ واضح في مستوى تحصيلهم العلمي، بسبب الضعف العام الذي بات يسود مناهجنا الدراسية، وهذا التوجه جعل المجامع لا تلتفت لكثير من الكفاءات العلمية المتميزة والمعروفة بآثارها العلمية الرائعة، لا لشيء إلا لأنها لا تحمل تلك الشهادات العليا، ألا ترون أن هذه المسألة ينبغي أن تعالج بشكل جادّ؟
- ألا تفكرون في طرح فكرة إنشاء اتحاد المجامع الفقهية من أجل تقليص الهوة بين المجامع نفسها، ومن أجل توحيد الرأي في كثير من الأمور التي تعم بها البلوى في حياة المسلم المعاصر، والمراد بما تعم به البلوى اليوم أكبر بكثير مما تكلم عليه الفقهاء المتقدِّمون، وليس ثمة ما هو أكبر خطراً من تمزق الأمة وتكالب الأعداء عليها؟
- ما هي الطرائق التي يتبعها أو سيتبعها مجمعكم لتوثيق الصلة بينه وبين جمهور الأمة؟ وإن كانت بعض المجامع تسعى في مجرد توصيل مجلتها العلمية التي تُعدُّ منبرها الذي تخاطب منه عامة الناس بحيث يهمُّ الشعبَ الأوَّلُ إنشاءُ تلك المجامع، فكيف سترون قراءته وتلقيه؟

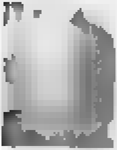
بيان الحق وبيان الحلول الملائمة للمشاكل التي تواجه الأمة الإسلامية في مجالها الحيوية هذا جزء من المهمة. الجزء الثاني الأهم هو دعوة الحكام المسلمين إلى تحقيق هذا الأمر. أولو الأمر في القرآن الكريم هم العلماء المنوط بهم بيان الحق والحكام المراد منهم تنفيذه، فحاجة الأمة إلى من يبين الحق كحاجتها إلى من ينفذه. أكثر من قاما بهم مهمة التنفيذ يحتاجون إلى من يعلمهم، وأهم مسألة إطار أنهج يستنتج من بيان التمهيد مثل العلماء. فمهمة العلماء مهمة مزدوجة: بيان الحق من ناحية والدعوة إلى تطبيقه من الناحية الأخرى. [illegible] المشاكل ولم يوجد من يطبقها [illegible]

[illegible]

من هذه الناحية وأهمية الصفة التنفيذية فإن المجمع لم يحصر عمله [illegible] التنفيذي [illegible] التصوري الذي يحصر [illegible] ما يتوصل إليه من البحوث [illegible]

من [illegible] التي من خلالها يمكن تنفيذ مثل هذه المقترحات والآراء والنتائج التي تفرزها البحوث والدراسات التي يقرها المجمع، [illegible] لا [illegible] غير [illegible] للعلماء [illegible] الأمة وإذا [illegible] الأمم [illegible] كيف [illegible] القول لله [illegible]

الدكتور يوسف القرضاوي



التجديد في الفتوى بالمجامع الفقهية

خلال زيارة الأستاذ الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي إلى [illegible] جرى عدة لقاءات، وألقى بعض المحاضرات في عدة جامعات ومراكز علمية، كانت [illegible] يوم السبت 2001/12/14 [illegible] في مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية بطرابلس الغرب.

الهوامش

[illegible]

[illegible]

2) المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث: هيئة علمية إسلامية مستقلة [illegible]

[illegible]

[illegible]

يضع خطة لإعداد البحوث والدراسات الشرعية التي تعالج أوضاع المسلمين في المجتمع الأمريكي وما يجد من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية [illegible]

[illegible]

[illegible] مسلمين [illegible] في الغرب.

إنشاء صناديق للمجمع للزكاة والتكافل الاجتماعي.

4) من برنامج العمل الذي تم تحقيقه من قبل [illegible] المجمع الفقهي الإسلامي [illegible] المنعقد [illegible] وتحديد الكتب والمخطوطات التي لها الأولوية في النشر والتحقيق [illegible] البرنامج [illegible] العدد الثاني من [illegible] الأول من مجلة المجمع [illegible]

5) [illegible]

[illegible] الأول صدور هذه الفتوى عن مجمع علمي [illegible] الثاني [illegible] الأزهر [illegible] المصرية بتاريخ [illegible] رأي [illegible]

6) [illegible]

[illegible]

المجمع الفقهي الإسلامي الدولي
التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي

اسم الهيئة والمقر

المجمع الفقهي الإسلامي الدولي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي ومقره مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية.

الهدف من إنشائه

الهدف من إنشاء المجمع الفقهي دراسة مشكلات الحياة المعاصرة والاجتهاد فيها اجتهادا أصيلا فاعلا يهدف لتقديم الحلول النابعة من التراث الإسلامي والمنفتحة على تطور الفكر الإسلامي. كما يهدف المجمع إلى إحياء التراث الفقهي الأصولي وكتب الخلاف لتوفير المصادر والأمهات للدارسين والباحثين من الفقهاء ورجال الشريعة.

النشأة والتطور

أنشئ مجمع الفقه الإسلامي الدولي بموجب قرار صادر عن مؤتمر القمة الإسلامي الثالث (دورة فلسطين والقدس) الذي انعقد بمكة المكرمة عام 1401هـ/1981م. وتم عقد المؤتمر التأسيسي لمجمع الفقه الإسلامي في مكة المكرمة في الفترة من 26 - 28 شعبان عام 1403هـ الموافق 1-3 يونيو 1983م. وقد خصصت الدورة الأولى بمكة المكرمة في الفترة من 26 - 28 صفر من عام 1405هـ/19 - 22 نوفمبر 1984م، لدراسة نظام المجمع، ووضع الخطة التمهيدية لإنجاز مشاريعه العلمية. وبها تأسس مكتب مجلسه وكوّنت شعبه الثلاث، وهي: شعبة التخطيط، وشعبة الدراسات والبحوث، وشعبة الفتوى، وبذلك أصبح المجمع هيئة قائمة ذات شخصية معنوية تميزه عن غيره من الأجهزة الفرعية لمنظمة المؤتمر الإسلامي. وقد بحثت شعبة التخطيط للمجمع في الفترة من 22 - 25 شعبان 1405هـ/13 - 16 مايو 1985م المقترحات والآراء الواردة من البلاد الإسلامية ورتبتها ترتيباً أولياً، ثم شرع المجمع في دراستها وإصدار الرأي الشرعي بشأنها. وانطلق المجمع يعمل وفق خطة مدروسة قامت على أساس استفتاء عام شمل جميع البلاد الإسلامية، مستقرئاً بذلك أهم المشكلات والتحديات التي تواجه المجتمعات الإسلامية المعاصرة، واضعاً نصب عينيه رسالته ودوره الجاد في عرض شريعة الإسلام عرضاً صحيحاً يبرز مزاياها، ويبين قدرتها الفائقة على معالجة المشاكل المعاصرة، ويحقق سعادة الإنسان في الدارين العاجلة والآجلة.

وقد عقد المجمع مؤتمراته السنوية في العديد من عواصم الدول الإسلامية الأعضاء لدراسة أهم الموضوعات المطروحة، وأصدر قراراته العلمية بها وتوصياته المجمعية المناسبة التي ترجمت إلى العديد من اللغات مثل الإنجليزية والفرنسية والفارسية والتركية والأردية، جمعاً لكلمته وتعريفاً بما توصل إليه اجتهاده من أحكام شرعية في القضايا الفقهية والمستجدة منها.

* تم إعداد هذه المادة من خلال مطبوعات المجمع التعريفية.

الهيكل الإداري يتكون من:

- رئيس المجمع، ويتم انتخابه من قبل أعضاء المجمع، ويرأسه حالياً فضيلة الشيخ الدكتور بكر ابن عبد الله أبو زيد
- أمين المجمع، وهو فضيلة الشيخ الدكتور الحبيب ابن الخوجة
- أعضاء المجمع، ويتم ترشيحهم من قبل دولهم حيث ترشح الدولة عضواً واحداً ليكون ممثلاً عنها
- الخبراء من الفقهاء والعلماء والمفكرين في شتى مجالات المعرفة الفقهية والثقافية والعلمية والاقتصادية من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، حيث يقوم المجمع باختيارهم ليساهموا بآرائهم للمجمع في توضيح بعض القضايا

أنشطة المجمع

عقد الدورات السنوية لبحث القضايا المعاصرة وبيان أحكام الشرع فيها وإيجاد الحلول للقضايا المشكلة

2 - إصدار موسوعة فقهية تتناول أهم القضايا في المعاملات القديمة والمستجدة وما يتعلق بها من أحكام، وذلك تحقيقاً لما ورد في النظام الأساسي للمجمع، وحرصاً على كتابة الفقه الإسلامي بطريقة تسهل على الدارس والناظر أخذ ما يحتاجه منه، ويشارك في هذا المشروع العلمي الهام عدد من علماء الأمة وخبرائها، وقد وزعت موضوعاته على عدد من السادة المختصين من الفقهاء والاقتصاديين، ويتم التعاون بشأنه مع جهات الاختصاص في الجامعات ومراكز بحث الاقتصاد الإسلامي

- معلمة القواعد الفقهية: يقصد بهذا المشروع العلمي جمع شامل للقواعد الفقهية مرتبة ترتيباً أبجدياً بقطع النظر عن كون القاعدة كبرى أو فرعية، ويقطع النظر عن المذهب القائل بأي

وبعد المحاضرة، توجه إليه بعض الحاضرين بعدة أسئلة، فأجاب عنها مشكوراً، ومن بينهم الأستاذ الدكتور محمد منصور الربيعي الذي توجه إليه بالسؤال الآتي:

قرأت بعض فتاوى المجمع الإسلامي بجدة والمجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، فلاحظت أنها تميل إلى التشدد، ولا تأخذ بأسباب التيسير، والكل يعلم أن فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي هو عضو بالمجمعين ومن المطالبين بالوسطية في كل الأمور وبالإرشاد إلى الدين القويم، كما عهد عنه. ومن هو بالتيسير في كل الأمور، ...، وهذا التشدد قد لا يكون في مصلحة المسلمين، حيث إن المسلم يرغب في تدين الوسط، ...، بحيث تكون الفتوى السهلة التي تبني حلولها على ألا تتعارض مع أصول الشريعة، وقد يصل في ... إنما الفقيه الرخصة ... فيحسنه كل أحد، والوسطية تقتضي أن يدخل الفقه الإسلامي أمام الشباب وأمام الجيل المعاصر وأمام المسلمين، حتى لا تنفرهم من الإسلام ودون التفريط أو التساهل في قواعد الإسلام الأساسية.

السؤال: ما هو رأي فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي في هذه الفتاوى المتشددة التي تصدر عن بعض المجامع الفقهية؟

الإجابة:

أولاً: خلق الله الناس متفاوتين مختلفين، ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ۝ إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ [illegible] (هود: 118 - 119).

والمفسرون يقولون: وللاختلاف خلقهم، لأنه ما دام لكل منهم عقل يفكر به، وإرادة يرجح بها، فلا بد أن يختلفوا ويتغايروا، فلا نستطيع أن نجعل الناس نسخة واحدة، ومن أجل هذا فإن الله سبحانه وتعالى لم يجعل نصوص دينه كلها قطعية الثبوت وقطعية الدلالة، ولو أراد أن يجمع الناس على رأي واحد لجعل الدين كله نصوصاً قطعية في ثبوتها، قطعية في دلالتها، فلا مجال للاختلاف.

ملف مع الاهتمام برد كل قاعدة إلى مصدرها.

4- مجلة المجمع: يصدر المجمع إثر كل مؤتمر مجلته السنوية التي تحتوي على:

- البحوث التي عرضها أعضاء المجمع والمستكتبون من العلماء والخبراء على المؤتمر.
- القرارات والتوصيات التي يعتمدها مجلس المجمع بعد النظر والدراسة والمداولة.

الإنجازات

أولاً: الدورات

عقد المجمع عدداً من الدورات منذ تأسيسه وقد استضافت بعض البلدان العربية والإسلامية تلك الدورات لتنعقد فيها.

ثانياً: المشاريع العلمية

مكتبة المجمع:

زودت هذه المكتبة بجملة من المصادر والمراجع في علوم القرآن الكريم والتفسير وفي الحديث الشريف وشروحه وفي الرجال والطبقات وفي السيرة النبوية الشريفة وفي الفقه ومذاهبه وفي الأصول العامة والخاصة وفي الاقتصاد والتاريخ والعقائد، وفي علوم اللغة العربية والمعاجم، وفي الطب الإسلامي. ويجري العمل باستمرار على إثراء المكتبة خدمة للعلماء والباحثين والدارسين.

ثالثاً: ندوات المجمع المتخصصة

عقد المجمع عدة ندوات في شتى العلوم المختلفة في عدد من الدول منها:

1- ندوة سندات المقارضة:

عقدت بين المجمع والبنك الدولي الإسلامي للتنمية بتاريخ 22 - 25 ذو الحجة 1407 ([illegible]) أغسطس 1987 بجدة وبحثت المحاور التالية: تصوير سندات المقارضة والفرق بينها وبين سندات التنمية وشهادات الاستثمار، تحديد طبيعة سندات المقارضة، وهل هي عقد جديد ذو صيغة خاصة أو عقد مضاربة شرعية؟ وعطاء سندات المقارضة. وكان عدد البحوث المقدمة 11 بحثاً.

2- الندوة الطبية الفقهية:

عقدت بين المجمع والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت بتاريخ 10 - 13 أكتوبر 1988 بدولة الكويت، وبحثت المحاور التالية: زراعة خلايا المخ والجهاز العصبي، زرع الأعضاء التناسلية، استخدام الأجنة مصدراً لزراعة الأعضاء، البويضات الملقحة الزائدة عن الحاجة. عدد البحوث المقدمة 12 بحثاً.

3- الندوة الأولى للأسواق المالية:

عقدت بين المجمع والبنك الإسلامي للتنمية باستضافة وزارة الأوقاف المغربية بتاريخ 20 - [illegible] نوفمبر 1989 بالرباط، وبحثت المحاور الآتية: الأدوات المالية التقليدية، الخيارات في السلع والمستقبليات، الأدوات المالية الإسلامية، البعد الوضعي للأسواق المالية وأهمية تنمية هذه الأسواق. وكان عدد البحوث المقدمة 10 أبحاث.

4- ندوة الإجابة عن استفسارات البنك الإسلامي للتنمية:

عقدت بين المجمع والبنك الإسلامي للتنمية بجدة بتاريخ 16 - [illegible]/5/1410هـ [illegible] 1990م، وبحثت المحاور التالية: هل يجوز للبنك بوصفه بنكاً لا مشاركاً في صندوق الحصص الاستثمارية الذي أنشأه أن يضمن قيمة رؤوس أموال المستثمرين وكفالتهم بالنسبة للاستثمارات التي يديرها البنك لحسابهم؟ هل مساهمة البنك في رؤوس أموال المشروعات الإنتاجية بالبلدان الأعضاء التي تقوم عليها شركات تتعامل بالفائدة جائزة شرعاً؟ وهل يجوز للبنك الإسهام في الصكوك الموجودة في أسواق المال الدولية والمتعاملة بالفائدة في ظل الأوضاع الاقتصادية القائمة؟ وكان عدد البحوث المقدمة: 10 أبحاث.

5. ندوة استخدام الحاسوب في العلوم الشرعية

عقدت بين المجمع والبنك الإسلامي للتنمية بجدة بتاريخ 24 ـ 26 ربيع الآخر 1411هـ (13 ـ 15 نوفمبر 1990م) بجدة، وبحثت المحاور التالية: استخدام الحاسب الآلي في العلوم الشرعية. وكان عدد الأبحاث المقدمة: 11 بحثاً.

6. الندوة الثانية للأسواق المالية

عقدت بين المجمع والبنك الإسلامي للتنمية بالمشاركة مع بنك البحرين الإسلامي بتاريخ 19 ـ 21 جمادى الأولى 1412هـ (25 ـ 27 نوفمبر 1991م) بالمنامة، وبحثت المحاور التالية: الأسهم، الاختيارات، معوقات العمل المصرفي الإسلامي، بطاقات الائتمان وتكييفها الشرعي والبديل الإسلامي لها. عدد البحوث المقدمة: 8 أبحاث.

7. حلقة دراسية للنظر في توصيات ندوة البحرين

عقدت بمقر الأمانة العامة للمجمع بجدة وشارك فيها عدد من الفقهاء والاقتصاديين.

8. عقد ثلاث ندوات فقهية اقتصادية

بالتعاون مع المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب بالبنك الإسلامي للتنمية في الفترة من 18 ـ 22 شوال 1413هـ (10 ـ 14 أبريل 1993م) بجدة، وبحثت المحاور التالية: قضايا العملة، مشاكل البنوك الإسلامية، حكم المشاركة في [illegible] الشركات الاستثمارية المتعاملة بالربا.

9. ندوة عن الجوانب الفقهية لمرضى الإيدز

بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت في الفترة من 23 ـ 26 جمادى الثانية 1414هـ (6 ـ 9 ديسمبر 1993م).

10. ندوة عن حقوق الطفل في الإسلام

بالتعاون مع الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي في الفترة من 11 ـ 13 محرم 1415هـ (18 ـ 20 يونيو 1994م) بجدة.

11. الندوة الفقهية الاقتصادية حول قضايا العملة:

تمهيداً لتوصية الدورة الثامنة لمجلس المجمع

﴿[illegible] الكتاب [illegible]﴾ [سورة [illegible]]

ويحمل معالم المبهمة والمجملة والصريح والكناية، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، وهنالك من يأخذ بالظواهر، وهنالك من يلتفت إلى المعاني.

حتى الصحابة أنفسهم اختلفوا في فهم النصوص، ومثال ذلك قوله ﷺ لأصحابه: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: لم يرد منا ذلك بل نصلي، فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم. فبعضهم أخذ بالظاهر وجماعة منهم بالمعنى والمقصود، ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لم يعنف هؤلاء ولا هؤلاء، لأنه عرف بطبائع الناس، فمنهم الظاهري ومنهم المقاصدي، فترك الناس على سجيتهم وبذلك لا نستطيع أن نحمل هؤلاء على هؤلاء. إن دين الإسلام دين يسر كما قال الشيخ عبد اللطيف: لنا أن نقول إن الشريعة بنفسها قائمة على التيسير، لقد ختم الله آية الصيام بقوله تعالى:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾
[سورة البقرة، الآية: 185]

وختم آية الطهارة بقوله تعالى:

﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾
[سورة المائدة، الآية: 6]

وختم آية [illegible] بقوله تعالى:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾
[سورة النساء، الآية: 28]

وفي آيات القصاص:

﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾
[سورة البقرة، الآية: 178]

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾
[سورة الحج، الآية: 78]

وإذا كان التيسير مطلوباً في كل زمان فهو اليوم [illegible] يكون في زماننا هذا أن نيسر على الناس، قال الرسول ﷺ: «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا

انعقدت في أبو ظبي في الفترة من ... 6 ذي القعدة 1415هـ ... 6 أبريل 1995م) التي كلفت الأمانة العامة للمجمع بعقد ندوة حول قضايا العملة وبخاصة موضوع حقيقة التضخم ... وآثاره ... الإسلامي. وقد تم الاتفاق على عقد هذه الندوة بالتعاون مع مصرف فيصل الإسلامي بالبحرين وذلك في ثلاث حلقات: الأولى في جدة، والثانية في كوالالمبور بماليزيا، والثالثة في المنامة بالبحرين.

٦ - ندوة حقوق الإنسان

انعقدت هذه الندوة في الفترة من 8 - 10 محرم 1417هـ (25 - 27 مايو 1996م) بجدة، ودارت أعمالها حول أربعة محاور أساسية هي: الجانب التاريخي لحصر ودراسة حقوق الإنسان، النظرة التحليلية لحقوق الإنسان، تطوير النظرة لحقوق الإنسان، النظرة المعاصرة والمستقبلية لحقوق الإنسان.

٧ - الندوة الفقهية الطبية حول رؤية إسلامية لبعض المشاكل الصحية

انعقدت هذه الندوة في الفترة من 8 - 11 صفر 1418هـ الموافق 14 - 17 يونيو 1997م في مدينة الدار البيضاء بالمملكة المغربية، بمشاركة مؤسسة الحسن الثاني للأبحاث العلمية والطبية، والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، ومجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة، والمكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية. ودارت أعمالها حول ثلاثة موضوعات هي: الاستنساخ، والمواد الإضافية في الغذاء والدواء، الاستنساخ، المخدرات.

١٠ - الندوة الطبية الفقهية حول الهندسة الوراثية والعلاج الجيني من المنظور الإسلامي

بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية في الفترة من ... أكتوبر 1998 بالكويت.

الندوة الطبية الفقهية حول حقوق المسنين من منظور إسلامي

بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية في الفترة من 18 - ... أكتوبر 1999 بالكويت.

١١ - ندوة حول العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور

فكره الإسلامي ومنهجه في التفسير، وقد عقدت في تونس في الفترة من ... 14 أبريل 2000.

رابعاً: الأنشطة الأخرى

يعمل المجمع على عقد الندوات العلمية المتخصصة بالمشاركة مع عدد من الجهات المعنية بالاختصاص، والتي يحضرها صفوة رجال الفقه والطب والاقتصاد والعلم، كما يقوم المجمع بالمشاركة في المؤتمرات والندوات التي تنظمها الهيئات والمنظمات والمؤسسات الجامعية ومراكز البحوث الإسلامية في جميع أنحاء العالم الإسلامي. ويقوم المجمع بأعمال أخرى في أطر ثقافة التدريب ومجالات البحث والتأليف والتحقيق والاستشارات الفقهية. وفي كل مجالات النشاط العلمي التي عقدها المجمع مع كل من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت، بالإضافة إلى أعمال مشتركة يجري بصددها التنسيق والتعاون مع عدد من المنظمات والمؤسسات والهيئات الإسلامية التي لها أعضاء ممثلون في مجلس المجمع، ومن هذه المنظمات هي: المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) بالأردن، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بجمهورية مصر العربية. كما يجري التعاون والتنسيق بصورة دائمة مع عدد من المؤسسات الإسلامية الاقتصادية ومراكز البحث، مثل: بيت التمويل الكويتي، مركز أبحاث الاقتصاد الإسلامي بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب بالبنك الإسلامي للتنمية، بنك البحرين الإسلامي، بنك فيصل الإسلامي بالبحرين ... التعاون مع المؤسسات

الإسلامية والجامعات، كما عمل المجمع على توسيع نطاق عمله بمد جسور التعاون المتواصل مع عدد من الجامعات والمؤسسات الإسلامية، حرصاً منه - من جهة - على الإفادة من الطاقات العلمية التي تتوفر لدى الجامعات الإسلامية، ومن جهة أخرى على المساهمة قدر المستطاع في مساعدة بعض المؤسسات التي يحتاج المسلمون من خلالها إلى معرفة الأحكام الشرعية لبعض القضايا التي يمارسونها والمتصلة بعدد من البلدان الإسلامية، أو بجاليات مضطرة إلى الإجابات الصحيحة عن مسائل مختلفة تعرض لها في حياتها اليومية. وقد شمل هذا التعاون: وزارات الأوقاف في الدول الإسلامية، البنك الإسلامي للتنمية، رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت، مؤسسة [illegible] الخيرية بجدة، مؤسسة آل البيت بالأردن، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، المعهد الإسلامي لأبحاث الاقتصاد الإسلامي التابع لجامعة الملك عبد العزيز بجدة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، مجمع الفقه الإسلامي بالهند، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرابلس.

خامساً: منشورات المجمع

1. مجلة المجمع: يصدر المجمع مجلته العلمية إثر كل دورة.
2. المنشورات العلمية: عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة لابن شاس: ثلاثة مجلدات. [illegible] للعلامة [illegible] ابن تيمية: مجلد واحد. المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل وتخريجات الأصحاب: مجلدان.
3. المطالعات الفقهية، للدكتور عبد الوهاب أبو سليمان: مجلد واحد. قواعد الفقه الإسلامي من خلال كتاب الإشراف على مسائل الخلاف للقاضي عبد الوهاب: مجلد واحد.

مبشرين، وحيث أرسل أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما إلى اليمن أوصاهما بوصية جامعة فقال: يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا. وروي عن عائشة رضي الله عنها [illegible] ولا عسر [illegible].

أنا فقيه معاصر، وحبيب إلي أن أصف منهج التيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة، وحبيب إلي هذا والتزمت به لأنه المنهج النبوي، ولأنا لم نبتدعه ولكنه من منهج الرسول ﷺ، ولأن الرسول ﷺ أكثر الناس تيسيراً، والصحابة من بعده وإن كانوا أقل منه، والتابعون قريبون من الصحابة ولكنهم أقل، ثم من بعد التابعين كذلك، وهكذا، كل عصر يصبح أكثر تشدداً من العصر الذي قبله. يتشبث بعض الأحوط [illegible] الأحوط، فيصبح العمل [illegible] المجموع التراكمي في النهاية مجموعة من الاحتياطات، وكل احتياط يضيف أشد وأثقل، ولذلك نحن نحتاج أن نعيد الأمر إلى فطرته الأولى، إلى التيسير.

ومن تيسيره ﷺ: رجلاً جاءه فقال له: يا رسول الله هلكت وأهلكت، جامعت امرأتي في نهار رمضان، فقال له رسول الله: أعتق رقبة، فقال الرجل: [illegible]؟ قال له الرسول: صم شهرين متتابعين، فقال الرجل: وهل أصابني ما أصابني إلا من الصيام؟ فقال له رسول الله: أطعم ستين مسكيناً، فقال: من أين أطعم ستين مسكيناً؟ فأمر الرسول ﷺ بعرق من تمر، فقال: خذه وأطعم به ستين مسكيناً، فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله؟ والله ما بين لابتيها من هو أفقر مني، فقال له رسول الله ﷺ: خذه وأطعمه أهلك. هل يوجد تيسير أعظم من هذا، لكن مسألة بعض الناس للأسف يريدون أن يحرجوا [illegible].

ومما يشهد في تراثنا الفقهي: شدائد ابن عمر ورخص ابن عباس، ابن عمر متشدد وابن عباس ميسر. ابن عمر كان متشدداً، شدد على نفسه، وحتى نفسه كان إذا توضأ يحاول أن يدخل الماء إلى داخل عينيه، والأطفال كان يبعدهم عنه

المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث

هيئة إسلامية متخصصة مستقلة يتكون من مجموعة من العلماء

المقر الحالي للمجلس: الجمهورية الإيرلندية

اللقاء التأسيسي:

عقد اللقاء التأسيسي للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث في مدينة لندن في بريطانيا في الفترة 21-22 من ذي القعدة 1417 هـ الموافق 29-30 من شهر آذار (مارس) 1997م بحضور ما يزيد عن خمسة عشر عالماً، وكان ذلك تلبية لدعوة من قبل اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا، وفي هذا اللقاء تم إقرار مسودة الدستور لهذا المجلس (النظام الأساسي).

أهدافه:

يتوخى المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث تحقيق الأهداف الآتية:

1. إيجاد التقارب بين علماء الساحة الأوروبية والعمل على توحيد الآراء الفقهية فيما بينهم حول القضايا الفقهية المهمة.
2. إصدار فتاوى جماعية تسد حاجة المسلمين في أوروبا وتحلّ مشكلاتهم، وتنظم تفاعلهم مع المجتمعات الأوروبية في ضوء أحكام الشريعة ومقاصدها.
3. إصدار البحوث والدراسات الشرعية التي تعالج الأمور المستجدة على الساحة الأوروبية بما يحقق مقاصد الشرع ومصالح الخلق.
4. ترشيد المسلمين في أوروبا عامة وشباب الصحوة خاصة، وذلك عن طريق نشر المفاهيم الإسلامية الأصيلة والفتاوى الشرعية القويمة.

وسائل تحقيق الأهداف:

يسعى المجلس لتحقيق أهدافه من خلال اعتماد الوسائل التالية:

- تشكيل لجان متخصصة من بين أعضاء المجلس ذات مهمة مؤقتة أو دائمة، ويعهد إليها القيام بالأعمال التي تساعد على تحقيق غرض المجلس.
- الاعتماد على المراجع الفقهية الموثوق بها وخصوصاً تلك التي تستند إلى الأدلة الصحيحة.
- الاستفادة من الفتاوى والبحوث الصادرة عن المجامع الفقهية والمؤسسات العلمية الأخرى.
- بذل المساعي الحثيثة لدى الجهات الرسمية في الدول الأوروبية للاعتراف بالمجلس رسمياً والرجوع إليه لمعرفة أحكام الشريعة الإسلامية.
- إقامة دورات شرعية لتأهيل العلماء والدعاة.
- عقد ندوات لدراسة بعض الموضوعات الفقهية.
- إصدار نشرات وفتاوى دورية وغير دورية وترجمة الفتاوى والبحوث والدراسات إلى اللغات الأوروبية.
- إصدار مجلة باسم المجلس تنشر فيها مختارات من الفتاوى والبحوث والدراسات التي يناقشها المجلس أو التي تحقق أهدافه.

مصادر الفتوى وضوابطها

يعتمد المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث في إصدار الفتوى على:

1. مصادر التشريع الإسلامي المتفق عليها بين جمهور الأمة وهي: القرآن والسنة والإجماع والقياس.
2. مصادر التشريع المختلف فيها كالاستحسان والمصلحة المرسلة، وسد الذرائع والاستصحاب والعرف ومذهب الصحابي وشرع من قبلنا، وذلك بشروطها وضوابطها المعروفة عند أهل العلم، ولا سيما إن كان في الأخذ بها مصلحة للأمة.

كما ترتكز منهجيته على:

- اعتبار المذاهب الأربعة وغيرها من مذاهب أهل العلم ثروةً فقهيةً عظيمة ويُختار منها ما صحّ دليله وظهرت مصلحته.
- مراعاة الاستدلال الصحيح في الفتوى، والعودة إلى المصادر المعتمدة، ومعرفة الواقع ومراعاة التيسير.
- وجوب مراعاة مقاصد الشرع واجتناب الحيل المحظورة المنافية لتحقيق المقاصد.

طريقة إصدار الفتاوى والقرارات

تصدر الفتاوى والقرارات باسم المجلس في الدورات العادية أو الطارئة بإجماع الحاضرين، فإن لم يكن فبأغلبيتهم المطلقة، ويحق للمخالف أو المتوقف من الأعضاء إثبات مخالفته حسب الأصول المعمول بها في المجامع الفقهية.

وينص (النظام الأساسي) على أنه لا يحق لرئيس المجلس ولا لعضو من أعضائه إصدار الفتاوى باسم المجلس ما لم يكن موافقاً عليها من

حتى لا تميل [illegible] عليه. ألا يكفيه العذاب ربما يكون خارجاً من داخل المحنة. وابن عباس يضمهم إليه ويقول: إنما هي رياحين شمّها في [illegible] الأسود ابن عمر [illegible] الأسود حتى [illegible] فيقولون له لماذا هذا؟ [illegible] من بعيد فيقول: موت القلوب [illegible] أن يكون في [illegible] الناس ولكنهم يترحمون عليه [illegible] مع هؤلاء الناس. وابن عباس يقول: لا [illegible]

[illegible] الآخر [illegible] البشر والناس أيضاً تتفاوت في ثقافتها [illegible] بلادهم [illegible] العالم [illegible] من العالم [illegible] العالم ومرجع العالم. [illegible] النبي [illegible] على [illegible] ولكن [illegible] في حاجة إلى التيسير على الناس [illegible] الله [illegible] خلقه [illegible] إلى [illegible] هو الذي [illegible] مقولة الإمام سفيان بن سعيد الثوري [illegible] النبوي هنا كان [illegible] له مذهب [illegible] أبي حنيفة في العراق وكان [illegible] في الورع [illegible] أمير المؤمنين في الحديث، هذا الإمام في الورع وفي الفقه وفي الحديث، له كلمة مأثورة [illegible] يقول: إنما العلم الرخصة من الثقة، فأما التشديد فيحسنه كل أحد، كل واحد يستطيع [illegible] حرام [illegible] كلمة سهلة [illegible] لك مخرجاً للناس [illegible] ما حاولناه

يمكن [illegible] المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث [illegible] المسلمين الذين يعيشون في هذه البلاد محتاجون [illegible] على [illegible] بالأيسر لا بالأحوط [illegible] بعض الناس يشددون عليهم [illegible] على عباد الله في ضوء [illegible] التيسير [illegible] النصوص [illegible] على ما [illegible] إلا [illegible] كان [illegible] منهج [illegible] الناس [illegible] بالأحوط [illegible] بالأيسر [illegible] في هذا؟

قبل المجلس نفسه. ولكل منهم أن يفتي بصفته الشخصية، من غير أن يذيل فتواه بصفة عضويته في المجلس، أو أن يكتبها على أوراق المجلس الرسمية.

اللقاء الدوري للمجلس

ينص النظام الأساسي للمجلس على اجتماع دوري سنوي لعقد هيئته العامة، تتم فيه مناقشة الأبحاث المقدمة إليها في الموضوعات المختلفة التي تمسّ إليها حاجة الجالية المسلمة في أوروبا مع تولي الإجابة عما يرد عليه من استفتاءات حسب الجو الاجتماعي. ويجيز النظام الأساسي للمجلس الاستعانة ببعض الخبراء وغيرهم لحضور دورة الانعقاد التي يعرض فيها ما يتعلق باختصاصاتهم من غير أن يكون لهم حق التصويت. وعقد المجلس منذ تاريخ إنشائه حتى تاريخ إعداد هذا التعريف عدة دورات:

- الدورة الأولى: في مدينة سراييفو بدولة البوسنة والهرسك، في الفترة 24 - 26 ربيع الثاني 1418 هـ الموافق 28 - 10/8/1997م، وكانت باستضافة صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور مصطفى سيريتش رئيس علماء البوسنة.
- الدورة الثانية: في مدينة دبلن بدولة إيرلندا، في الفترة 19 - 21 جمادى الأخرى 1419 هـ الموافق 9 - 11/5/1998م وذلك باستضافة (هيئة المكتوم الخيرية) في المركز الثقافي الإسلامي.
- الدورة الثالثة: في مدينة كولن بدولة ألمانيا في الفترة: 4 - 7 صفر الخير 1420 هـ الموافق 19 - 22/5/1999م وذلك باستضافة (جمعيات ملي جوروش التركية في أوروبا).
- الدورة الرابعة: في مدينة دبلن بدولة إيرلندا، في الفترة: 18 - 22 رجب 1420 هـ الموافق 27 - 31/10/1999م وذلك باستضافة (هيئة المكتوم الخيرية) في المركز الثقافي الإسلامي.
- الدورة الخامسة: في مدينة دبلن بدولة إيرلندا في الفترة 30 محرم - 3 صفر 1421هـ الموافق 4 - 7/5/2000م وذلك باستضافة (هيئة المكتوم الخيرية) في المركز الثقافي الإسلامي.
- الدورة السادسة: في مقر المجلس الجديد بمدينة دبلن بدولة إيرلندا، في الفترة: 28 جمادى الأولى إلى 9 جمادى الآخرة 1421هـ الموافق 28 أغسطس إلى 1 سبتمبر 2000م.
- الدورة السابعة: في مقر المجلس بمدينة دبلن بدولة أيرلندا، في الفترة: 29 شوال إلى 4 ذي القعدة 1421هـ الموافق 24 - 28/1/2001م.
- الدورة الثامنة: في مدينة بلنسية بإسبانيا في الفترة من 20 ربيع الثاني إلى 1 جمادى الأولى 1422هـ الموافق 18 - 22/7/2001م.

وتم في هذه الدورات مناقشة عدة أبحاث وموضوعات مما يهم الجماعة المسلمة في أوروبا والإجابة عن عدد من الأسئلة الواردة.

اللجان الفرعية التابعة للمجلس

نظراً لتباعد انعقاد الاجتماع الدوري للمجلس، وانشغاله في اجتماعاته بمناقشة القضايا الأكثر أهمية، ورغبة منه في تلبية حاجة عموم المسلمين في أوروبا والمعنيين بإجابة استفتاءاتهم، فقد اعتمد في دورته الثانية تأسيس مجلسين فرعيين للفتوى أحدهما في فرنسا والأخرى في بريطانيا، باشرتا مهمتهما بعد ذلك التعيين. كما أنشأ المجلس لجنة للبحوث والدراسات تتولى إصدار مجلة المجلس كما تهتم بالبحوث والدراسات التي تعين المجلس على إصدار قراراته وفتاواه.

مجمع الفقه الإسلامي الهندي

أهداف المجمع

يهدف مجمع الفقه الإسلامي الهندي من نشأته إلى تحقيق ما يلي:

- التوصل إلى حلول المشكلات الناجمة عن التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والصناعية وبحكم التطورات الحديثة لهذه الآونة وفق الأحكام الإسلامية، المستخرجة من الكتاب والسنة وآراء الصحابة وأقوال علماء السلف.
- البحث عن الحلول لمستجدات العصر الحديث وبما دعت بضرورات الظروف إلى استئناف البحث والدراسة فيه من المذاهب الفقهية في ضوء أصول الفقه الإسلامي عن طريق التحقيق الاجتماعي
- إجراء الدراسة لمصادر الفقه الإسلامي وقواعده وكلياته والنظريات الفقهية شرحاً وتأويلاً وتطبيقه في العصر الراهن.
- عرض الفقه الإسلامي وشرحه في أسلوب عصري
- الدراسة والتحقيق للموضوعات الفقهية في ضوء المقتضيات العصرية
- الحصول على الفتاوى والآراء للعلماء المحققين والمؤسسات الدينية الموثوقة في القضايا المستجدة ثم نشرها بين عامة المسلمين
- إيجاد الروابط مع جميع المؤسسات الفقهية والتحقيقية الأخرى في داخل الهند وخارجها وتبادل المعلومات من الإنجازات العلمية
- إعداد الفهارس على شتى الموضوعات الفقهية
- انتخاب الفتاوى الصادرة من العلماء والمؤسسات الموثوقة المطبوعة منها وغير المطبوعة التي هي بمثابة تراث فقهي وعلمي، وتهذيبها وعرضها في أسلوب عصري، حفاظاً للتراث وتقديماً للفائدة إلى الأجيال القادمة
- ... بالمشكلات الناجمة في مجالات الاقتصاد والاجتماع والطب وأعراف البلدان المختلفة والبيئة

فقد حججني ابن النبي ﷺ ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، يعني أنا أسع مع المتشددين وأنا مع الميسرين لكن ما حياتي أمام المتشددين

أنا أعتقد بحمد الله أن منهج الوسطي الذي يقوم على التيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة ... يتسع ويحتضن ويوجد له أنصار ويكفي أن فضيلة الشيخ يؤيد هذا المنهج وهذا هو سر ... هذا المنهج يكسب كل يوم رحباً وكل يوم أنصاراً، وعند ما نطمئن إن شاء الله أن يصبح المنهج الوسط هو منهج الأمة الوسط كما أراد الله تعالى

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾

(سورة البقرة، الآية: 143)

د. محمد الدسوقي



لا جدوى من قرارات لا تنفذ

س: ما تقييمكم لبعض قرارات مجمع الفقه الإسلامي من القضايا المعاصرة التي يبحثها المسلمون في هذه العصور التي توصف بأنها مرحلة التردي، مدى وصل المجمع إلى معالجة هذه القضايا والاقتراب منها؟

ج: للمجمع نشاط محمود وطيب في دراسة كل ما يتصل بالمشكلات المعاصرة والتي تهم العالم الإسلامي وقد رحبت الأوساط العلمية بالقرارات التي صدرت عن هذا المجمع منذ إنشائه حتى الآن ويلاحظ أن هذه القرارات تناولت تقريباً كل المشكلات التي يعاني منها هذا المجتمع، وكانت للمجمع بحوثه ودراساته القيمة وجهوده لتوضيح الحكم الشرعي في كل هذه القضايا ولكن المشكلة أن هذه القرارات وللأسف الشديد لم

أضواء على المجمع الفقهي الهندي

- تاريخ تأسيس المجمع: 1989
- مكانه: نيودلهي الهند
- الرئيس المؤسس: المرحوم القاضي مجاهد الإسلام القاسمي
- الأمين العام للمجمع: الشيخ خالد سيف الله الرحماني
- الأهداف العامة للمجمع

الاعتناء بالفقه الإسلامي

- الاجتهاد الجماعي في القضايا المعاصرة

الحلول الشرعية للمشكلات المستجدة

تربية العلماء الشباب على مواصلة المسيرة.

والمسائل في الهند وخارجها، وإشعار الناس بنتائج الدراسات والتحقيقات التي تتم حولها

- استعراض الأحكام الصادرة من محاكم الهند وخارجها حول تشريع وتطبيق القوانين الإسلامية ونشر نتائجها

12- استعراض ما يثار من الشبهات ويورد من الإشكالات حول قوانين الإسلام من جانب المستشرقين والآخرين، وتقديم الرؤى الصحيحة عنها

13- إصدار الكتب عن الأسئلة الجديدة والتحديات المواجهة للإسلام في ضوء واقع العصر

14- تشجيع العلماء الشباب المتفوقين وتدريبهم للدراسة والتحقيق والتعاون والترابط بين العلماء بربطهم بمركز تحقيقي واحد

15- بذل الاهتمام اللازم بتزويد متفوقي فضلاء المدارس الدينية بمبادئ ضرورية للعلوم العصرية والأكفاء متخرجي الجامعات العصرية بالمبادئ الفقهية والدينية تهيئة لجيل من الأجيال القائمة من يرسخ في علوم الشريعة مع المعرفة اللازمة بمقتضيات العصر

16- لتحقيق الأهداف المذكورة تعقد الحلقات والندوات وتشكل مجالس الدراسة وتنشأ المؤسسات العلمية والتحقيقية واستخدام كل ما يحقق الأهداف حسب الإمكانيات المتوفرة

مجالات العمل

1- الندوات الفقهية
2- ترجمة أردية للموسوعة الفقهية الكويتية
3- أنشطة ثقافية للطلاب
4- المحاضرات في المدارس
5- تدريب الفضلاء
6- تحقيق المخطوطات الفقهية
7- المؤسسة العالمية الأردية
8- الإصدارات

مسيرة الاجتهاد الجماعي التي بدأ بها مجمع الفقه الإسلامي الهند في عام 1989

أسفرت هذه المسيرة في سنة 1989م مسفرة خلالها عن عطاءاته المتعددة في مجالات عديدة، نجملها في الأسطر التالية:

الندوات الفقهية:

دأب المجمع على عقد ندوة فقهية كل عام لمناقشة موضوعات وقضايا تطرحها متغيرات ومتجددات اختلاف الليل والنهار، متوخياً البحث عن الحلول لها وتبصير الأمة المسلمة بشأن الأحكام الشرعية في شتى جوانبها، وقد عقد المجمع ثلاث عشرة ندوة في مختلف أماكن البلاد تم فيها تناول أربعين موضوعاً متعلقاً بالقضايا المختلفة من قضايا طبية واجتماعية واقتصادية وتجارية وأسرية وغيرها، ويربو عدد البحوث المقدمة فيها على الألف

ترجمة أردوية للموسوعة الفقهية:

تبنى المجمع مشروع ترجمة الموسوعة الفقهية الكويتية كاملة إلى اللغة الأردية، وقد بدأ المجمع المشروع قبل مدة قصيرة واستطاع خلال أربع سنوات إكمال واحد وأربعين جزءاً، ويجري ترجمة بقية الأجزاء، وأجزاء الموسوعة من الأول إلى الثانية عشرة أصبحت جاهزة للطباعة بعد أن مرّت بمراحل إعادة النظر من

جانب الفقهاء والمترجمين القديرين لمراجعة الترجمة النهائية الدقيقة كي لا يتطرق إلى الترجمة نقص قدر الإمكان.

ندوات ثقافية للطلاب

ومبادئ حول علوم عصرية، فكان المخيم التربوي الأول نظمه المجمع في الفترة من [illegible] 3/1992 خلال العيد [illegible] عام 1993م، والمخيم الثالث التربوي تم تنظيمه في [illegible] خلال الفترة [illegible] سبتمبر 1993 للطلاب المتفوقين، وركزت خاصة على إلقاء المحاضرات حول مواضيع العلوم المعاصرة.

يحضر كثير من الطلاب من مختلف المدارس العربية للمساهمة في المسابقة، ويعقد معهم ندوة يومين يناقش فيها المساهمون حول موضوع البحث مع التوجيه اللازم من العلماء.

المحاضرات في المدارس

كان المجمع يقدم برنامج إلقاء المحاضرات على موضوعات عصرية جديدة أمام طلاب المدارس الدينية يلقيها الأخصائيون والدكاترة بغية تزويد الطلاب بمعلومات قيمة حول علوم العصر. فقد تم إلقاء المحاضرات القيمة في عديد من المدارس الإسلامية الكبيرة في عدة ولايات.

تدريب الفضلاء

وراء تدريبهم على الدراسة المتعمقة لعلوم الشريعة والتمرين العملي للتحقيق والبحث عن الحلول الشرعية للمشكلات المعاصرة لمدة سنتين، مع تكفل المجمع كفالة احتياجاتهم السكنية والغذائية والدراسية مع إعطائهم المنح الدراسية شهرياً.

تحقيق المخطوطات العلمية

مساهمة في عملية تحقيق المخطوطات القيمة المبعثرة في مكتبات الهند خاصة بدأ المجمع يجري مسح مكتبات الهند، كما [illegible] كتابين للعلامة برهان الدين [illegible] الهداية في الفقه الحنفي [illegible]

تعرف طريقها إلى التطبيق والالتزام وما دامت مسجلة أو مسطورة على الورق وهذه هي المشكلة المعروضة في وجود هذه القرارات طريقها إلى التطبيق العملي، فالفكر مهما كان ممتازاً وعلمياً إذا لم يترجم إلى سلوك فإنه لا خير فيه، ويظل دائماً يربط بين الإيمان والعمل كما قال الرسول ﷺ: "الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل". فالمجمع يقوم بنشاط علمي مشهور، وفي كل دورة تعرض بحوث طيبة من خيرة الأساتذة ويدور حول هذه البحوث نقاش واسع وتصدر قرارات علمية توضح أو تكشف أو تزيد شيئاً هذه البحوث، ومن ثم تأتي القرارات في النهاية بعد هذه البحوث العلمية لتعبر عن أن هذه القرارات جاءت من طريق الدراسات المتأنية والمناقشات العلمية الهادفة مما يميزها عن غيرها من القرارات الأخرى. ولكن كل هذه القرارات ما لم تعرف طريقها إلى التطبيق فلا جدوى منها.

س: يمكن أن نقول وباختصار أن مجمع الفقه الإسلامي هنا يطرح اسمه كما يمكن تسميته باجتهاد معاصر يحل القضايا النازلة.

ج: لا شك أن كل ما توصل إليه المجمع من قرارات هو نوع من الاجتهاد المعاصر الجديد، لأن الاجتهاد له صور مختلفة، ومن ثم يمكن أن نجتهد في قضايا سبقت دراستها وأقوال في القدم فيها رأياً جديداً يتلاءم مع ظروف العصر والبيئة، والمجمع يحاول ذلك.

هناك ما يسمى بالاجتهاد الانتقائي بمعنى أن يكون أمامي في القضية عدة آراء للفقهاء سابقين فأنا أرى أن رأياً من هذه الآراء أولى بالأخذ لأنه يتناسب مع الظروف ويحقق مصلحة المسلمين في هذا العصر.

البحوث التي تقدم للمجمع تعبر عن جهود فردية [illegible] قد عرضت على المجمع فأصبحت من الاجتهاد الجماعي، والاجتهاد الجماعي له أهمية خاصة ويتميز عن الاجتهاد الفردي، لأن الاجتهاد الجماعي غالباً ما يكون أكثر دقة وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب.

التجهيز والمزيد من مهارات النوازل. وقد اكتملت عملية التحقيق عليهما وتم التنضيد على الكمبيوتر. وسوف تكتمل بإذن الله تعالى.

المؤسسة المالية اللاربوية

كان المجمع ينظم مخيمات ثقافية تربوية لأذكى طلاب المدارس الدينية وتزويدهم خاصة بمعلومات في قضايا فقه. ثم نظم المخيم الثاني لمدة خمسة أيام في مدرسة كبيرة واقعة في مديرية جمبي. كانت المخيمات الثلاث تضمنت أنواعا من البرامج التعليمية والثقافية. موضوع البنك اللاربوي أو المؤسسة المالية اللاربوية كان شغل المجمع الشاغل طوال فترة طويلة، وعقدت لذلك لقاءات الاختصاصيين والعلماء مرات عديدة لمناقشة جوانب الموضوع والبدائل الشرعية لها. وتمخض كل ذلك عن تحرير فهم حول الموضوع عند الأخصائيين بالمجمع ولوجدت كذلك بحوث منقحة حوله. والعملية بعد في الطريق إلى النهاية.

الإصدارات:

بلغ عدد الإصدارات حتى الآن ستين بالمجلات المختلفة من بينها مجلات فقهية إسلامية تحتوي على بحوث الندوات وكتب عديدة مترجمة من العربية إلى الأردية، وبعض كتب الفتاوى وغيرها. وتم طبع قرارات المجمع في لغات محلية مختلفة وغير محلية.

ندوة حول مقاصد الشريعة

عقد مجمع الفقه الإسلامي بالمساهمة والتعاون المشترك مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي ندوة فقهية لمدة خمسة أيام، وذلك في 21 ديسمبر لعام 2003م في جامعة همدرد بدلهي.

تم افتتاح الندوة في جلستها الافتتاحية بكلمة فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رئيس هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند الذي لم يستطع الحضور بنفسه في اليوم الأول فقرئت كلمته الافتتاحية في هذه الجلسة وقد حضرها حوالي مائتي شخص من الفقهاء والعلماء الناشئين من مختلف أنحاء البلاد. وقد تحدث فيها عن أهمية مقاصد الشريعة وتفهيمها واستخدامها في حل قضايا العصر عديد من كبار فقهاء البلاد. ويجدر بالذكر منهم الشيخ خالد سيف الله الرحماني أمين عام المجمع والشيخ عتيق أحمد القاسمي سكرتير المجمع والشيخ جلال الدين عمر العمري نائب رئيس الجماعة الإسلامية في الهند، والشيخ الدكتور محمد اجتباء الندوي والشيخ الدكتور محسن العثماني الندوي والشيخ أسرار الحق القاسمي وغيرهم.

سلط الأمين العام الشيخ الرحماني في كلمته الضوء على ضرورة الاطلاع على مقاصد الشريعة قائلا بأنه يحمي الإفراط والتفريط في اتخاذ الآراء الفقهية، وأكد على ضرورة استمرار مثل هذه الورشات الفقهية سوية بخدمات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ونشاطات المجمع، فضيلة الدكتور محمد اجتباء الندوي ستتضمن بداية هذه السلسلة وقال إنها تفتح أبواب التفكير وتوقظ الصلاحيات الفكرية وتكشف عن جهات جديدة من مناهج البحث على موضوع مقاصد الشريعة وتطبيقها على حالات العصر.

أفاد فضيلة الشيخ عتيق أحمد القاسمي قائلا: إنه عقدت هذه الندوة في مدينة دلهي التي كان الشيخ الكبير العلامة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي ساكنا فيها كتابه الشهير المسمى بحجة الله البالغة. والهدف من جمع أهل التحقيق الفقهاء في هذه الورشة هو تزويدهم بمحتويات موضوع مقاصد الشريعة والبحث والمناقشة في الجوانب التي تحتاج إلى النظر والإضافة فيها وتدريبهم كذلك على استخدام المقاصد في حل القضايا المعاصرة.

إن الحضور في الحفلة الافتتاحية قدموا تحيات جليلة لفضيلة مؤسس المجمع المرحوم القاضي مجاهد الإسلام القاسمي رحمه الله.

وعلى مدى اليوم نفسه بدأت الندوة واستمرت خمسة أيام ألقيت خلالها عدد من المحاضرات ودار النقاش القيم حولها.

المحاضرة الأولى في 21 ديسمبر في جلسة المسائية ألقاها فضيلة الشيخ عتيق أحمد القاسمي على موضوع مقاصد الشريعة: تعريفها وتطورها من العصر الأول إلى

القرن الرابع عشر الهجري، أكد فيها على أن الإمام الجويني هو أول من قسم أحكام الشريعة إلى درجات ثلاث في كتابه البرهان في أصول الفقه، وأضاف أن الحاجة [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] المحاضرة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وبعد انتهائها وجهوا الأسئلة [illegible] [illegible] الذي [illegible] بالإجابات عنها [illegible] [illegible] [illegible] محاضرة [illegible] الدكتور طه جابر العلواني الذي لم يستطع الوصول إلى الندوة مع كثرة جهوده فقرئت خطابه مسجلاً، فاستمع الحاضرون إليه واستفادوا منه على موضوع خصائص الشريعة الإسلامية.

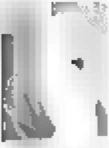
وفي اليوم الثاني في 22 ديسمبر ألقيت أول محاضرة لفضيلة الشيخ خالد عبد الله الرحماني عن موضوع دور مقاصد الشريعة في حل القضايا المعاصرة ومشكلات الأقليات المسلمة مؤكداً فيها على أن الأحكام الشرعية تتعلق بالمصالح [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] السياسية والاقتصادية كما تهدي بانحطاط في الأخلاق وتشوه قضايا جديدة، إنه سلط الضوء على أن الاتجاهات اللفظية ربما يؤدي إلى الحرج والضيق ومراعاة المصالح العامة تأتي في نطاق واسع بمقاصد الشريعة كانت المحاضرة قيمة وشاملة للأمثلة التطبيقية تبعتها مناقشة من جانب المشاركين الفضلاء، ومن بين استفسارات وتعقيبات وأسئلة.

ثم تلتها محاضرة لفضيلة الشيخ بدر الحسن القاسمي نائب رئيس المجمع الذي لم يستطع المشاركة في الندوة وأرسل محاضرته القيمة بالبريد المصور حول موضوع مصادر أحكام الشريعة ومدارجها فألقيت نيابة عنه فضيلة الأستاذ بدر محمد النبوي [illegible].

أما في الجلسة الثالثة فقد تفضل الدكتور صلاح الدين سلطان رئيس الجامعة الإسلامية الأمريكية بتقديم خطابه الإيماني الحماسي القيم قبل وصوله إلى الندوة من أمريكا، وألقى فيه ضوءاً ساطعاً على الاجتهاد المقاصدي والاجتهاد الإصلاحي مؤكداً على أهمية الجمع بين الصبغة الشرعية والخبرة الفنية في العلماء المعاصرين. وبعد خطابه استمع الحضور إلى محاضرة ثانية للدكتور طه

○ الدكتور علي السالوس

معرفة الواجب في الواقع



من كثرة المجامع هل تعد ظاهرة صحية أم ظاهرة تؤدي إلى التضارب والاختلاف؟

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] طبيعة المجامع في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مجمع البحوث الإسلامية أنشئ سنة 1961 ليكون الهيئة العليا للبحوث الإسلامية ويقوم بالدراسة في كل ما يتصل بهذه البحوث ويعمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب وتجليتها في جوهرها الأصيل الخالص وتوسيع نطاق العلم لكل مستوى وفي كل بيئة وبيان الرأي فيما يجد من مشكلات. أما مجمع الفقه السابق عن منظمة المؤتمر الإسلامي فأعضاؤه من [illegible] والعلماء [illegible] في شتى مجالات المعرفة من فقهية وثقافية وعلمية واقتصادية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المعاصرة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تقديم البديل انطلاقاً من الفكر الإسلامي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] وأصلاً يكفي المجمع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ومجمع فقهاء الشريعة يهتم بالمسلمين ومشكلات المسلمين في الغرب وفي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أساساً أن يكون مجمع فقهاء الشريعة في أمريكا وأوروبا ثم وجدت أن أوروبا فيها المجلس الأوروبي للإفتاء فرأينا أن يكون في أمريكا فقط على أن يكون بيننا وبين المجامع الأخرى تعاون [illegible] [illegible] [illegible] الشريعة بأمريكا يضم أعضاء من كل المجامع سواء من مجمع البحوث [illegible] [illegible] منظمة المؤتمر الإسلامي والمجلس الأوروبي للإفتاء حتى يكون هناك تعاون وتكامل وليس تنافر وتضاد.

جابر العلواني عن طريق الكمبيوتر حول موضوع آثار عدم رعاية المقاصد في حل المشاكل المستجدة.

في 24 ديسمبر قدم فضيلة الدكتور صلاح الدين سلطان محاضرة موسعة وممتعة ومفيدة تكلم على ثلاثة جوانب للمقاصد، وهي نظرية المقاصد وأنواع المقاصد وشرعية الأخذ بالمقاصد مصحوبة بالأمثلة التطبيقية الحية وبأسلوب منضبط وجميل ومثير للفكر. وبهذه المناسبة حضر فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي وفضيلة الشيخ محمد واضح رشيد الندوي وفضيلة الشيخ الدكتور محمد جلبان الندوي وجميع هؤلاء الشيوخ الثلاثة كلماتهم وأبدوا فيها آراءهم عن ضرورة مقاصد الشريعة وأهمية مثل هذه الندوات العلمية وضرورة قيام علماء العصر بالاجتهاد الواسع في ضوء مقاصد الشريعة لحل مشاكل العصر.

في الجلسة المسائية لهذا اليوم نفسه واصل الدكتور صلاح الدين عبد الحليم سلطان محاضرته وكان موضوع هذه الجلسة تاريخية نظرية المقاصد فألقى الضوء على اهتمام الصحابة ومن بعدهم بالمقاصد في استنباط وتطبيق الأحكام الشرعية كما سلط ضوءاً على كتابات العلماء الأصوليين وغيرهم الذين تكلموا عن مقاصد الشريعة في كتبهم بدءاً من الحكيم الترمذي ومرورا بالعلماء المعروفين أمثال الجويني والقرافي والعز بن عبد السلام إلى الشاطبي.

أما في 26 ديسمبر فقد تابع الدكتور صلاح الدين سلطان موضوع محاضرته، فبدأ ببيان نظرية المقاصد عند الشاطبي وأسهب في ذكر أنواع مقاصد الشريعة ودرجاتها عند الشاطبي كما بين طرق معرفة مقاصد الشريعة ووصل في حديثه إلى الإمام محمد الطاهر بن عاشور فبين نظريته تفصيلاً وذكر إضافة الشيخ الطاهر متحدثاً عن مقاصد الشريعة وهما الحرية والمساواة. واشترك الحضور في النقاش بعد محاضرة الدكتور صلاح الدين عبد الحليم سلطان وقدموا أسئلة عديدة إليه، وأجاب فضيلة المحاضر عنها. وبعد هذه المحاضرة تكرم فضيلة الشيخ برهان الدين السنبهلي بتقديم محاضرته عن موضوع علاقة المقاصد بالسنن النبوية فألقى فيها الضوء على حقيقة السنن النبوية وحجية المقاصد والعلاقة بينهما بشكل استفاد منه الحضور عليها.

وفي الجلسة المسائية في اليوم نفسه قدمت كلمة الدكتور جمال الدين عطية حول مقاصد الشريعة عن طريق الكمبيوتر. ثم بعد ذلك ألقى الدكتور صلاح الدين سلطان محاضرة علمية وفقهية أصولية مفصلة عن موضوع الضوابط المنهجية لفقه الأقليات المسلمة أكد فيها على أربع نقاط:

1. فقه الواقع
2. الفكر المقاصدي
3. الاجتهاد الجماعي
4. التيسير في الفتوى

وفي 25 ديسمبر وبالجلسة الصباحية تفضل الدكتور صلاح الدين سلطان بالإجابة عن الأسئلة التي وجهها إليه فضيلة السادة المشاركين بشأن محاضرته في الضوابط المنهجية لفقه الأقليات ثم تطرق فضيلته إلى تقديم توجيهات علمية للحضور والإخوان المشاركين أكد فيها على الاتصاف بصفات التقوى والطهر والعفاف والخشية القلبية والتبصر في الفقه والحجة الشرعية.

وفي الجلسة الختامية قدم بعض المشاركين كلمات شكرهم بشأن الندوة وعبروا فيها عن مدى امتنانهم واستفادتهم من الندوة. ومن الجدير بالذكر أن مجمع الفقه الإسلامي بالهند كان قد أرسل إلى جميع المشاركين إصدارات المعهد حول المقاصد منها كتاب المقاصد العامة للشريعة الإسلامية للدكتور يوسف حامد العالم وكتاب نظرية المقاصد عند الشاطبي للدكتور أحمد الريسوني وكتاب نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور للأستاذ إسماعيل الحسني وقواعد المقاصد عند الشاطبي ونحو تفعيل المقاصد الشرعية للدكتور جمال الدين عطية قبل الندوة. ثم ألقى كل من الشيخ خالد سيف الله الرحماني والشيخ عتيق أحمد القاسمي والشيخ برهان الدين السنبهلي كلمات موجزة في أهمية وتقدير مثل هذه الندوات ودورها في التنمية العلمية والثقافية وضرورة عقدها من حين لآخر.

الندوات الفقهية التي انعقدت بمجمع الفقه الإسلامي بالهند

(نظرة عابرة على قرارات فقهية جماعية اتخذها المجمع في ندواته الفقهية والتي تمس موضوعاً يمس شتى جوانب الحياة اليومية)

□ الندوة الفقهية الأولى

شيعد التوليد

○ الندوة الفقهية الثانية

بين الظلو

رع الأعضاء

الأوراق المالية

المهر

قضايا حول الربا

فائدة البنوك

الربا التجاري وحكم الشريعة فيه

الربا في التجارة الدولية

مشروع للنظام المصرفي اللاربوي

ر الإسلام ودار الحرب

○ الندوة الفقهية الثالثة

المصرفية الإسلامية

المرابحة

المؤسسات التمويلية اللاربوية

بيع الحقوق

الحرج حول المدارس الدينية والعصرية

○ الندوة الفقهية الرابعة

التأمين

المصرفية الإسلامية

قرار الدكتور أنس الزرقاء

بيان مجلات البوطنين بسببه

ومن أهداف المجمع إصدار الفتاوى فيما يعرض عليه من قضايا ونوازل ببيان حكم الشريعة فيها وكذلك وضع خطة لإعداد البحوث والدراسات الشرعية التي تعنى بأوسع للمسلمين في المجتمع الأمريكي وما يجد من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية التي تواجههم في هذا المجتمع وبيان الحلول الفقهية المناسبة لها والتعرف على ظروفهم وظروف دراسة وتحليل ما ينشر عن الإسلام والتراث الإسلامي في وسائل الإعلام وتقديمه للاطلاع بما فيه من رأي صحيح وتعقيب ما فيه من أخطاء بالتصحيح والرد ومن الأهداف معاونة المؤسسات المالية الإسلامية بإعداد البحوث والدراسات وابتكار صيغ التمويل وعقود الاستثمار وتقديم ما تطلبه من الفتاوى والاستشارات وتدريب كوادرها على ذلك وإقامة دورات تدريبية للأئمة ومسيري المراكز الإسلامية في مختلف المجالات الفقهية كقضايا الأسرة والقضايا المالية وقضايا التحكيم الشرعي وغيرها ومن الأهداف بحث سبل التعاون مع مجمع الفقه والمجامع الفقهية الأخرى للوصول إلى ما يشبه الإجماع الفقهي على القطاع من قضايا الأمة ونوازلها وكذلك معالجة قضية المواطنة وما تفرضه من حقوق وواجبات على المسلمين الذين يتمتعون بحق المواطنة في الغرب أيضا من الأهداف دعم أنشطة نوادي التحكيم الشرعية التي تقيمها الجاليات الإسلامية في البلاد الغربية ومراجعة ما ترفعه إليه من قرارات وتوصيات وإعطاء تقنين معتمد للأحكام الفقهية في أبواب الأسرة والمعاملات المالية يكون مرجعا لهيئات التحكيم التابعة في الغرب وكذلك من أهداف المجمع إنشاء صندوق الجمع للزكاة والتكافل الاجتماعي في حدود ما تسمح به القوانين والنظم والحصول على موافقة الجهات المختصة على ذلك

ومن أوجه التميز في هذا المجمع

أولا التخصص في أعضائه فالأصل في العضو أن يكون أستاذا في الفقه والأصول أو على الأقل من حملة الدكتوراه في الشريعة

الندوة الفقهية الخامسة

التأمين

قضايا الزكاة:

- الحوائج الأصلية
- زكاة الديون
- زكاة القيمة المسجلة في التجارة
- زكاة الأحجار الكريمة والمجوهرات
- أموال صندوق الاحتياط
- المنح الدراسية للطلبة
- حيلة عمل المدرسة ومحصليها
- أموال المدارس
- العمولة في جمع الزكاة
- زكاة المال الحرام.
- مصداق كلمة في سبيل الله

الندوة الفقهية السادسة

- الأراضي العشرية والخراجية
- طريقة أداء الخراج
- العشر على المحاصيل الأرضية
- العشر في صورة المزارعة
- النصاب وخصم المصاريف من وجوب العشر
- العشر في تربية الأسماك وزراعة الأبريشم وغيرها
  للمنتجات الزراعية
- العشر على أرض الوقف

الندوة الفقهية السابعة

- الضرورة والحاجة الشرعية
- الذبح الميكانيكي
- شرائط الذبح الاختياري
- شرائط الذبح الاضطراري

الندوة الفقهية الثامنة

- أخلاقيات الطبيب ومسؤولياته
- تكوين دستور أخلاقيات الطبيب
- الإيدز
- العرف والعادة
- حقيقة العرف وأنواعه المختلفة
- شروط اعتبار العرف
- تعارض العرف والأدلة الشرعية
- تغير الحكم بتغير العرف
- الاشتراط في النكاح

الندوة الفقهية التاسعة

- أسهم الشركات
- تجارة الأسماك في المياه
- البيع قبل القبض
- قرار حول الذبح الميكانيكي

الندوة الفقهية العاشرة

- قضايا الأوقاف
- قضايا الحج والعمرة
- البيع بالتقسيط
- الاستنساخ البشري
- إعلان حول الوحدة الإسلامية

الندوة الفقهية الحادية عشرة

- الكفاءة في النكاح
- الولاية في النكاح
- حكم [illegible]

الندوة الفقهية الثانية عشرة

- طلاق السكران
- اختلاف الفقهاء
- الإنترنت والأجهزة الحديثة

الندوة الفقهية الثالثة عشرة

- انقلاب الماهية
- الاستثمار بأموال الزكاة
- إجراء العقود عن طريق الأجهزة الحديثة
- الزواج الإجباري

مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا

أهدافه

دراسة وتحليل ما ينشر عن الإسلام، وإصدار الفتاوى والبحوث الشرعية، وإقامة الدورات للأئمة.

أعضاء المجمع

يتميزون بالعالمية والتخصص، والجمع بين العلم بالشرع والدراية بالواقع. المجمع يضم هيئة رئاسة على رأسها رئيس، ولجنة دائمة للإفتاء ومستشارين من مختلف أنحاء العالم.

فكرة تأسيس المجمع

جاءت فكرة المجمع بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر حين شعرت نخبة من علماء الأمة بعظم المسؤولية وحجم التحديات التي تحيط بهم نحو المسلمين في بلاد المهجر، ومن ثم ولدت هذه الفكرة التي تقوم أساساً على إيجاد هيئة شرعية متخصصة تهتم بقضايا الجاليات الإسلامية المقيمة في الغرب لا سيما في الولايات المتحدة الأمريكية.

وبعد مجموعة من الإجراءات شق المجمع طريقه نحو النور واعترفت به الولايات المتحدة عندما قيد اسمه في سجل الحكومة الأمريكية.

ومجمع فقهاء الشريعة بأمريكا هو مؤسسة علمية غير ربحية تتكون من مجموعة مختارة من علماء الأمة الإسلامية ومفكريها، تسعى إلى بيان أحكام الشريعة فيما يعرض للمقيمين في أمريكا من النوازل والأقضيات.

أهداف المجمع

- إصدار الفتاوى فيما يعرض عليه من قضايا وبيان حكم الشريعة فيها.
- وضع خطة لإعداد البحوث والدراسات الشرعية التي تتعلق بأوضاع المسلمين في المجتمع الأمريكي وما يجد من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والسلوكية التي تواجههم في هذا المجتمع، وبيان الحلول الشرعية المناسبة لها، والإشراف على تنفيذها.

ثانياً: العالمية: يضم المجمع نخبة من علماء الأمة ويشكل تجمعاً علمياً عاماً يلتقي عليه العاملون لدين الله تعالى في مشرق الأرض ومغربها بعيداً عن التكتلات الحزبية أو التوجهات الانتماءات المذهبية.

ثالثاً: الجمع بين العلم بالشرع والدراية بالواقع فبالإضافة إلى الفقهاء يوجد بالمجمع عدد من الخبراء لا يقل عددهم عن الفقهاء، وهؤلاء يمكنون الفقيه من الرؤية المستبصرة والشاملة للواقع الذي ينطبق فيه الفتوى لأن الفتوى كما يقول أهل العلم معرفة الواجب في الواقع. ولهذا توجد لجنة دائمة للإفتاء بالمجمع تتكون من مجموعة من الأعضاء من حملة الدكتوراه في الشريعة وهي مقيمة داخل الولايات المتحدة وتتولى الرد على القضايا اليومية التي ترد إلى المجمع وتصدر قراراتها في ذلك بالأغلبية كذلك توجد لجنة مستشاري الإفتاء تتكون من ثمانية من كبار أهل الفتوى في الأمة ترجع إليها اللجنة الدائمة عند الاختلاف. أيضاً من أوجه التميز وجود صلة وثيقة بين هذا المجمع وبين ما سبقه من المجامع، فالأصل هو التنسيق والتكامل وليس المنافسة أو التنازع أو التضاد، فالمجمع يمد يده لكل المجامع الفقهية لتنسيق الجهود وجمع شتاتها وتوحيد الكلمة بينها ورأب صدعها لأمة من الأمم.

وقد أكد المجمع على ما ذكره منذ اللحظة الأولى أن يجمع القائمين على الفتوى بين العلم بالشرع والدراية بالواقع لأن الفتوى كما يقول أهل العلم معرفة الواجب في الواقع، ويتحقق ذلك من خلال ما سبقت الإشارة إليه من وجود عدد من الخبراء بالمجمع لا يقلون عن عدد الأعضاء، وهؤلاء هم عيون المجمع التي بها يرى الواقع ويحيط من خلالهم علماً بمختلف جوانبه، و توجد بالمجمع لجنة دائمة للإفتاء وهي مقيمة داخل الولايات المتحدة الأمريكية وتتولى الرد على القضايا اليومية التي ترد إلى المجمع وتصدر قرارها في ذلك بالأغلبية فإن أشكل عليها أمر رفعته إلى مستشاري الإفتاء، ورغم أن كثيراً منهم متفرقون في بلدان عديدة ولكن ذلك يتم من خلال وسائل الاتصال الحديثة.

- مراقبة وتحليل ما ينشر عن الإسلام والتراث الإسلامي في وسائل الإعلام، وتعريف المسلمين بما فيه من صحيح، وبيان ما فيه من خطأ بالتصحيح والرد.
- مساندة المؤسسات المالية بإعداد البحوث والدراسات والمشاركة في صيغ التمويل وعقود الاستثمار وتزويدها بما تطلبه من الفتاوى والاستشارات وتدريب كوادرها على ذلك.
- إقامة دورات تدريبية للأئمة ومديري المراكز الإسلامية في مختلف المجالات الفقهية كقضايا الأسرة والقضايا المالية وقضايا التحكيم الشرعي وغيرها.
- دعم التعاون بين المجمع والهيئات والمجامع الفقهية الأخرى للوصول إلى ما يشبه الإجماع الكوني عبر العالم من قضايا الأمة ونوازلها.
- معالجة قضايا المواطنة بما تفرضه من حقوق وواجبات على المسلمين الذين يحملون حق المواطنة في الغرب.
- دعم أنشطة لجان التحكيم الشرعية التي تقيمها الجاليات الإسلامية في البلاد الغربية، وما تحتاج إليه من قرارات وتوصيات، وإعداد تقنين ميسر للأحكام الفقهية في قضايا الأسرة والمعاملات المالية يكون مرجعا لجهات التحكيم الناشئة في الغرب.
- إنشاء صندوق المجمع للزكاة والتكافل الاجتماعي في حدود ما تسمح به القوانين والنظم، والحصول على موافقة الجهات المختصة على ذلك.

التخصص والحيادية

ومما جعل المجمع يعد من المؤسسات الإسلامية المتميزة توجه هذا:

التخصص: فكل أعضائه من حملة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية.

- الحيادية: فهذا المجمع ملك للأمة ومشترك علمي عام يلتقي عليه العاملون لدين الله في المشرق أو في المغرب بعيدا عن الخلافات المذهبية أو التجمعات التنظيمية المعاصرة.

الجمع بين العلم بالشريعة والدراية بالواقع، فبالإضافة إلى الفقهاء يوجد بالمجمع عدد من الخبراء لا يقل عددهم عن الفقهاء، وهؤلاء يشكلون للفقهاء من الرؤية المستبصرة والفاحصة للواقع الذي تطبق فيه الفتوى، لأن الفتوى كما يعلم أهل العلم معرفة الواجب في الواقع. إن المجامع الفقهية في العالم تدرس قضايا طبية كزرع الأعضاء والتلقيح الصناعي والاستنساخ البشري ونحوه، ولم يقل أحد إنه لا بد أن يكون الفقيه طبيبا حتى يتسنى له الإفتاء في هذه القضايا، وإنما يكفي التعرف على تفاصيل هذه القضايا من خلال من يحضرون من هذه المجامع من الخبراء وإن كانوا لا يشاركون في التصويت عند اتخاذ القرار الفقهي.

وهؤلاء الخبراء منهم من يحملون الخبرة العلمية كالاقتصاديين والقانونيين والسياسيين والإعلاميين، ومنهم من يحملون الخبرة العملية الميدانية كأئمة ومديري المراكز الإسلامية أو من يعملون في المؤسسات الاقتصادية المالية أو الإعلامية ونحوها.

- وجود لجنة دائمة للإفتاء بالمجمع تتكون من سبعة من الأعضاء من حملة الدكتوراه في الشريعة وممن يقيمون داخل الولايات المتحدة، وتتولى الرد على القضايا اليومية التي ترد إلى المجمع وتصدر قراراتها في ذلك بالأغلبية.
- وجود لجنة لمستشاري الإفتاء تتكون من جملة من كبار أهل الفتوى في الأمة ترجع إليها اللجنة الدائمة عند الاقتضاء، مستخدمة في ذلك أحدث تقنيات الاتصالات العالمية بما في ذلك البريد الإلكتروني وموقع المجمع على الإنترنت الذي يجعل التواصل مع من هو في طوكيو يتحقق بنفس السرعة التي يتم فيها مع من هو في واشنطن مثلا.

وجود صلة وثيقة بين هذا المجمع وبين ما سبقه من المجامع، فالأصل هو التنسيق والتكامل وليس المنافسة والتنازع أو التضاد، ولهذا فإن عضوية هذا المجمع مبذولة لمن شاء من أعضاء المجامع الأخرى ممن تنطبق عليه شروط العضوية كما فصلها النظام الأساسي للمجمع، فالمجمع يقدم قوة مضافة للجهود القائمة تنسق بينها وتجمع شتاتها وتمد جسور الصلة بينها وبين فقهاء الأمة في جميع أرجاء العالم.

الهيئة الرئاسية للمجمع

تضم الهيئة الرئاسية للمجمع:

- أ. د. حسين حامد حسان رئيس المجمع
- أ. د. علي السالوس نائب أول لرئيس المجمع
- أ. د. وهبة الزحيلي نائب ثاني لرئيس المجمع
- د. صلاح الصاوي الأمين العام للمجمع

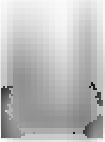
أما بالنسبة للجنة الدائمة للإفتاء بالمجمع فقد صدر الاجتماع التأسيسي للمجمع عن تكوين لجنة دائمة للإفتاء تتولى الفتاوى اليومية إلى الفتوى، وهي لا تقل عن خمسة أعضاء ويكون منسق الفتوى فيها الأغلبية وتتكون من:

- الدكتور صلاح الصاوي أستاذ الثقافة بجامعات الأزهر وأم القرى ومعهد العلوم الإسلامية والعربية بواشنطن سابقاً ونائب رئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة
- الدكتور إبراهيم الكاتب أستاذ علوم الحديث بمعهد العلوم الإسلامية والعربية بفرجينيا
- الدكتور الحسيني فؤاد أستاذ علوم الحديث بالجامعة الأمريكية المفتوحة بفرجينيا
- الدكتور يوسف الشبيلي أستاذ الفقه بمعهد العلوم الإسلامية والعربية بفرجينيا
- الدكتور فؤاد العصيم رئيس قسم الدراسات الإسلامية بمعهد العلوم الإسلامية والعربية بفرجينيا
- الدكتور خالد الكتشيب رئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة لين بولاية ...
- الدكتور محمد طليبك أستاذ الفقه الإسلامي بالجامعة الأمريكية المفتوحة بفرجينيا وإمام وخطيب مسجد الهدى بكولومبس / جورجيا
- الدكتور أحمد سهيب حسن سكرتير مجلس الشريعة الإسلامية ورئيس جمعية القرآن الكريم ببريطانيا

مستشارو اللجنة الدائمة للإفتاء

- الأستاذ الدكتور حسين حامد حسان رئيس الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد ورئيس هيئة الرقابة الشرعية لأربعة بنوك إسلامية
- الأستاذ الدكتور علي أحمد السالوس أستاذ الفقه والأصول

○ د. وهبة الزحيلي



وسائل الإعلام لا مؤازرة للمجامع

س: إلى أي مدى وصل مجمع الفقه الإسلامي في معالجة القضايا المعاصرة والمستحدثة؟ وإلى أي مدى استطاع هذا المجمع أن يواجه المواقف جديدة، وأرسى قواعد فقهية جديدة ومستجدة فيما يتعلق بالمذاهب الفقهية المعاصرة؟

ج: مجمع الفقه الإسلامي الدولي الذي شاركت في جميع مؤتمراته في بداية الثمانينات من القرن الماضي وكنا حريصين كل الحرص على قرار مؤتمر القمة الإسلامي الذي انعقد في مكة المكرمة بضرورة إنشاء هذا المجمع وقد أنشئ هذا المجمع وحقق نجاحاً كبيراً على المستوى العربي والإسلامي. هذا المجمع في حقيقة الأمر مجمع متخصص في القضايا الفقهية واستطاع على مدى الدورات التي عقدت أن يسهم إسهاماً طيباً عن طريق الاجتهاد الجماعي والمناقشات البناءة ... كما استطاع ... وتقديم البحوث الشاملة والمتعددة الأنواع ولذا كان الموضوع يتعلق باختصاص جميع ... الأخرى كانوا يدعون إلى هذه الندوات مثل الفلكيين والأطباء والاقتصاديين، وهذا بالإضافة إلى الدورات الرسمية ندوات متخصصة لإنضاج الفكر الفقهي الإسلامي. واستطاع هذا المجمع من خلال هذا الاجتهاد المعاصر أن يغطي مساحة كبيرة من الموضوعات والتي ... حسب القضايا ... وطبية، فهو لا يرجع إلى ... الأحكام الفقهية موجودة في الكتب المتخصصة من مثل هذه المواضيع.

فالمجمع يعطي متخصصة توضع أمامها الموضوعات ويصلون إلى ... في التعبير بحس ظاهرة معاصرة بين المجامع التي تخصصت، حتى حرصوا أن يجعلوا مجامع فقهية متخصصة فهو أمثل هذه المجامع وأكثرها ... وبعد ... على هذه السمعة العلمية الكبيرة، ولكن المجامع ... ولا ... الشديد لا يكون لها مؤازرة من أجهزة الإعلام، ولذلك ...

بكلية الشريعة جامعة قطر، وخبير الفقه والاقتصاد بالمجمع الفقهي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي.

- الأستاذ الدكتور عبد الله المصلح أستاذ الفقه بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض وعضو هيئة الرقابة الشرعية بالبنك الأهلي التجاري السعودي.
- الأستاذ الدكتور أحمد علي طه ريان أستاذ ورئيس قسم الفقه المقارن والعميد الأسبق لكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر وعضو موسوعة الفقه الإسلامي بوزارة الأوقاف.
- الأستاذ الدكتور وهبة مصطفى الزحيلي أستاذ الدراسات العليا بجامعة دمشق وعضو المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي والمجمع الفقهي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي.
- الأستاذ الدكتور محمد رأفت عثمان أستاذ الفقه المقارن، والعميد السابق لكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر.
- الأستاذ الدكتور عمر الأشقر أستاذ الفقه والعقيدة بكلية الشريعة بالجامعة الأردنية.
- الشيخ الدكتور [illegible] أستاذ الحديث بجامعة الأمير الإسلامية ورئيس هيئة الإفتاء بمركز السنة بالأزهر.
- الأستاذ الدكتور عجيل النشمي العميد الأسبق والأستاذ بكلية الشريعة جامعة الكويت.

مجمع البحوث الإسلامية بمصر

أعرق المجامع الفقهية في العالم

- يضم علماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي لتوحيد الفتوى حول القضايا المستحدثة
- الشعوب والحكومات الإسلامية تأخذ برأيه ويحول دون الفوضى في الفتاوى

مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف هو أعرق وأقدم مجمع فقهي في العالم الإسلامي، وهو الجهة العلمية الشرعية والرقابية على كل مصحف إسلامي أو قانون يتم صدوره في مصر للتأكد من عدم مخالفته للشريعة الإسلامية، هذا المجمع الذي يرأسه الإمام الأكبر شيخ الأزهر، متضمنًا لنخبة من كبار العلماء، له تأثير فعال في جميع جوانب الحياة في مصر وخارجها سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الدعوية.

وحتى يتضح لنا حجم دوره وأعماله ينبغي علينا التعرف على الأزهر الشريف نفسه، الذي يعود تاريخه إلى بداية عهد الدولة الفاطمية بمصر عندما أسس القائد جوهر الصقلي مدينة القاهرة في السابع عشر من شهر شعبان 358هـ، وبعد أن استولى على مدينة الفسطاط رأى ألا يتحدى المصريين الذين يتبعون مذهب أهل السنة في مساجدهم بشعائر المذهب الفاطمي الشيعي، ومن ثم عول على بناء مسجد يكون رمزًا لسيادة الفاطميين على مصر، فشرع في بناء الجامع الأزهر في الرابع والعشرين في جمادى الأولى عام 359هـ، 970 ميلادي، وتم بناؤه في التاسع من رمضان 361هـ، 972 ميلادي، وأقيمت فيه صلاة الجمعة لأول مرة في اليوم السابع من شهر رمضان في هذه السنة، بعد أن جوهر الصقلي في حفل افتتاحه لخلفائه حتى البلس من خطبة الجمعة.

وكان الجامع الأزهر يسمى في بادئ الأمر بجامع القاهرة نسبة إلى العاصمة الجديدة التي أنشأها جوهر الصقلي، أما تسميته بالأزهر فيظهر أنه أطلقت عليه في عصر العزيز بالله الفاطمي بعد إتمام القصور الفاطمية التي كان يطلق عليها القصور الزاهرة، وقيل: سمي بذلك لما سيكون له من الشأن العظيم بازدهار العلوم فيه، وقيل

أطلق عليه الأزهر نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء حيث ينتسب الفاطميون أنفسهم إلى بنت رسول الله ﷺ.

نشأة مجمع البحوث الإسلامية

أنشئ مجمع البحوث ليحل محل هيئة كبار العلماء بموجب قانون تطوير الأزهر رقم 103 الذي صدر عام 1961 والذي ينص على أن المجمع هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية برئاسة شيخ الأزهر، ويقوم بالدراسة في كل ما يتصل بهذه البحوث، ويعمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب وتجليتها في جوهرها الأصيل، والعمل على نشر الدعوة الإسلامية وتنظيم بعوث الأزهر من وإلى العالم الإسلامي.

ويستهدف رسالته الربط الفكري بين علماء المسلمين وروح العصر الذي يعيشون فيه، وكان من أصداء المؤتمرات التي عقدت بدعوة من المجمع أن تناولت الشعوب والحكومات الإسلامية بمقرراتها التي تناولت النواحي المختلفة لحياة المسلمين في عصرنا هذا.

ويعد المجمع ركيزة الفكر الأكاديمي بين علماء المسلمين وتوجيه اتجاهاتهم في مجال العقيدة الإسلامية حتى لا تخرج اجتهادات فردية قد تمس روح الإسلام أو تنال منه، فهو صمام الأمان بالنسبة للفكر الإسلامي المعاصر تصب فيه كل الآراء المتعلقة بالعقيدة الإسلامية ويقيم منه فكر إسلامي لا شائبة فيها حماية للدين وسموا لأبعاد الاجتهاد وصيانة لسلوك المسلمين.

ويضم المجمع في عضويته حوالي 45 عالما من التخصصات كافة في مصر والعالم الإسلامي كله يقومون بالبحث والتنقيب في كل الأمور المستجدة وإصدار فتاوى بالإجماع حول كل جديد.

لجنة الفتوى

ويشرف المجمع على لجنة الفتوى بمقر الأزهر ولجان الفتوى المنتشرة بالمحافظات المصرية، وهذه اللجان هي الجهة التطبيقية لقرارات وفتاوى مجلس المجمع، كما تقوم بإصدار شهادات إشهار الإسلام لكل من يرغب في ذلك، وعلى يد علماء لجنة الفتوى التي تتألف من كبار علماء الأزهر في جميع المذاهب وتفتح أبوابها طيلة

القرارات التي يصدرها هذا المجمع تظل مع الأسف [illegible] ومتاحة للمتخصصين على [illegible] الإسلامية والعربية ذلك أن هذا المجمع يمثل كافة دولة عربية وإسلامية ومصالح إضافة إلى ممثلي تلك [illegible] في المسلمين الرسميين، وهؤلاء الخبراء ليس لديهم [illegible] الأمة الإسلامية.

[illegible] المجمع لا يتصدى بشكل [illegible] للقضايا [illegible] التي تمر بها الأمة الإسلامية لأنه يدرك إدراكا جازما أن قراراته لا تؤخذ بعين الاعتبار [illegible] القضية [illegible] ولكن في أكثر الأحوال يكون له دور محدود في التصدي للأمور السياسية بما يخلق، لأن القائمين على المجمع يخشون حرجا في التصدي في مثل هذه الموضوعات.

[illegible] والفتوى [illegible] مرجعية، ولكن يلاحظ أن هناك فتاوى تصدر عن مجمع محلي أو إقليمي ربما تتناقض مع فتوى من مجمع آخر، فما هو دور مجمع الفقه الإسلامي الذي يتبع منظمة المؤتمر الإسلامي في التوافق أو التنسيق بين تلك الفتاوى خاصة وأنكم على رابطة بما يحدث في مثل هذا الإطار خاصة تلك الفتاوى التي تتعلق بالمصارف وفوائدها وغيرها من الفتاوى المتعارضة؟

ج: مما لا شك فيه أن هذا المجمع يتميز بحكمة القائمين عليه، ويتميزون أيضا بالاعتدال والوسطية [illegible] موجودة في البلاد العربية والإسلامية [illegible] يكون هذا التنسيق كاملا بين المجامع ولا يكون هناك أي نوع من التصادم في المذاهب الأساسية من قرارات هذه المجامع [illegible] لم تتعرض لها القرارات السابقة

لجميع المسلمين في كل مسائل ونواحي الحياة، وله دور فعال في مجريات الأمور السياسية والاجتماعية في مصر فلابد أن تصدر عنها البيانات الفقهية في أي مسألة تخص الإسلام ويهم الرأي العام.

هيئة الرقابة

كما تختص إدارة البحوث والتأليف والترجمة وهي من أهم الإدارات التابعة فهي هيئة الرقابة على المصنفات الإسلامية حيث تقوم أولاً بمراجعة المصاحف التي تطبع في مصر أو التي تدخل إليها، ولها حق الضبطية القضائية على المصاحف في الأسواق وكذلك كتب السنة، فلا يطبع أي مصحف بمصر إلا بعد الحصول على تصريح هذه الإدارة.

كما تقوم هذه الإدارة بفحص شرائط الكاسيت والكتب التي تضم مادة إسلامية أو مصنفاً يحمل هجوماً على الثوابت.

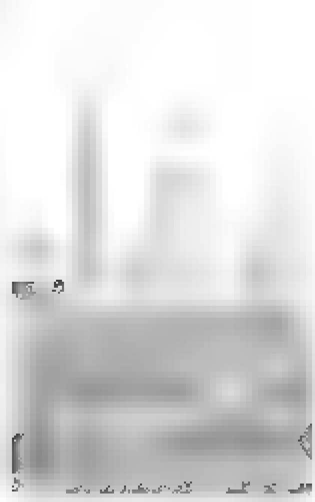
ومع تطور الوسائل الحديثة تقوم الإدارة بفحص شرائط والأقراص والأجهزة الإلكترونية التي تحتوي على مواد إسلامية.

قطاع الوعظ

يشرف مجمع البحوث أيضاً على أكبر قطاع دعوي فعال في مصر وهو قطاع الوعظ الذي يضم ما يقرب من خمسة آلاف داعية ينتشرون في جميع ربوع مصر لنشر رسالة الأزهر حيث يلتقون بالجمهور في المساجد والأندية والمؤسسات الاجتماعية ومختلف التجمعات العامة.

ومن أنشطة المجمع إشرافه وإنفاقه على سلسلة البحوث الإسلامية التي تصدر كتاباً مع مطلع كل شهر عربي يكون في متناول الجميع بسعر مدعم بحيث يستطيع أي فرد الحصول عليه بيسر، بالإضافة إلى مجلة الأزهر التي تضم بحوث الفكر والثقافة الإسلامية.

وينص القانون على أن شيخ الأزهر هو رئيس المجمع، وينص القانون أيضاً أن يتم تعيين أمين عام له بدرجة وكيل أول وزارة، وتقلد هذا المنصب منذ عام [illegible] وحتى الآن كل من: د. محمود حب الله، د. عبد الحليم محمود، د. محمد عبد الرحمن بيصار، د. محمد حسين الذهبي، الشيخ [illegible]



السيد، د. عبد الجليل شلبي، د. الحسيني عبد المجيد هاشم، د. عبد الرحمن بركة، الشيخ سيد سعود، الشيخ سامي محمد متولي الشعراوي، الشيخ سيد وفا أبو عجور، وحالياً الشيخ إبراهيم الفيومي.

وقد عقد المجمع منذ إنشائه عدة مؤتمرات تصل إلى 13 مؤتمراً جمعت الجميع علماء المسلمين تناول فيها بكل حرية وصراحة كل القضايا التي تهم المسلمين، وأصدر العديد من التوصيات التي تلتفت بها الحكومة، وبالتنسيق مع الحكومة المصرية تتم مراجعة أي قانون جديد داخل أروقة المجمع حيث يتم فحصه ويصدر فيه المجمع بما يتفق والشريعة الإسلامية. ومن أهم تلك القوانين: الأحوال الشخصية، القوانين الاقتصادية، معاملات المصارف، فضلاً عن إصدار الفتاوى والبيانات حول المعاملات الاقتصادية والجهاد والزواج العرفي [illegible] وغيرها من القضايا الكثيرة المستجدة.

وقد تعاقب على مشيخة الأزهر الشريف منذ العام 1690 الميلادي وحتى العام 1996 اثنان وأربعون شيخاً أولهم الشيخ محمد عبد الله الخراشي.



- الوقف ودوره الحضاري
- كتابة تاريخ الأمة سبيل لتحديد الهوية والثقافة
- العربية والعولمة [illegible]
- الدين وهموم المستقبل

الوقف.. ودوره الحضاري
في دعم مؤسسات التعليم والثقافة

عطية فتحي الويشي*

منذ بدايات الوحي الأولى التي افتتح فيها بكلمة (اقرأ) ... والأمة المسلمة تستشرف يوماً بعد يوم آفاقاً رحبة من مجالات التعليم والثقافة ... التي تتيح للأجيال المسلمة سوانح الرقي الحضاري والفلاح في الدنيا والآخرة. (1)

فلقد كان للقرآن الكريم الفضل الكبير في تصحيح الوجهة الإسلامية على أسس ... تكون من خلال الدعوة الموجهة إلى ضرورة إعمال العقول بالتدقيق والاستقراء والوعي العميق في كتاب الكون المفتوح. يقول عز وجل:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (سورة البقرة الآية 164).

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ (سورة آل عمران الآيات 189 - 191).

عند هذا الموضع يتحقق فعلاً الوعي والإدراك والحضور الفكري والوجداني ... وتستكمل من ثم تكاملها الحضارية مقوماتها وتحقيق فريضة الشهود الحضاري، وتستحق ميزة الشهادة على الناس. (1)

الوقف في اللغة: من مصدر الفعل وقف، من التحبيس. يقال وقف فلان الشيء وقفاً أي حبسه حبساً وجعله في سبيل الخير موقوفاً ... ويجمع الوقف على أوقاف ووقوف. وفي اصطلاح الفقهاء هو حبس العين على حكم ملك الله تعالى والتصدق بالمنفعة حالاً أو مآلاً (2). وبمعناه يشمل الوقف تعاريف متعددة وتعاريف متشعبة تبعاً لمراد كل منهم ودلالة المصطلح لديه. ويمكن على أي حال أن نجمل هذه التعاريف بقولنا: إنه حبس الشيء الذي يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه عن جميع

* كاتب وباحث - مصر

التصرفات الناقلة لملكيته وتسبيل منفعته لجهة من جهات الخير ابتداءً وانتهاءً.

وينقسم الوقف تبعاً لأغراضه إلى أنواع ثلاثة:

أ. الوقف الخيري:

وهو ما رصده الواقف لوجه لا ينقطع من وجوه البر، سواء كان على أشخاص معينين، كالفقراء والمساكين والمستحقين، وذوي الحاجات الخاصة، أم كان على جهة بر عامة كالمساجد والمستشفيات والمدارس ومعاهد العلوم الشرعية، ودعم مؤسسات الدعوة إلى الدين الخالص، وإعداد العدة لمواجهة الأخطار المحدقة بالأمة، وغيرها من المرافق والمصالح ذات النفع العام.

ب. الوقف الذري أو الأهلي:

وهو ما كان ريعه مصروفاً على الواقف نفسه أولاً ثم على أولاده وذريته والأقربين من بعده، وهكذا إلى حين انقراضهم كلهم، أو على جيل معين، ثم يؤول في الأخير إلى جهة خيرية عامة للمسلمين. (1)

ج. الوقف المشترك:

وهو الحبس الذي أسس على الذرية وعلى جهة من جهات البر في وقت واحد، بحيث أن الواقف قد جمع في وقفه لجميع ذريته نصيباً من العين الموقوفة وللبر نصيباً محدداً أو مطلقاً في الباقي أو بالعكس، وهذا سائغ لا يتنافى مع مشروعية الوقف، إذ يتحقق الخير ولو بقدر محدود حالاً، ولا تثريب في ذلك على الواقف، لقول الله تعالى:

﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾

[التوبة الآية 91]

وغالباً ما تؤول الحال بالوقف المشترك بمرور الزمن إلى النوع الخيري.

ولقد أدى الوقف دوراً حضارياً متميزاً في تلبية جانب كبير من متطلبات الحياة الاجتماعية، وفي سدّ الثغرات الاقتصادية لفئات عدة من أفراد المجتمع، كما أنه يعمل على دفع وتنمية المسيرة الاقتصادية ويحقق المتطلبات الدينية التي تساعد على استمرارية الفكرة الإسلامية في مجتمع مترابط ومتضامن ومتعاون يعمل على إنجاح مسيرة الأمة الإسلامية في كل مناحي الحياة بلا معوقات أو مشاكل قد تؤثر في عضد المجتمع وتأكل في بنيان الأمة بسبب الحقد أو البغضاء التي تتولد في نفوس بعض المحرومين إذا لم يجدوا من يسد حاجاتهم بقدر من ولا أذى، فالوقف على هؤلاء المحرومين من الفقراء والمساكين وأبناء السبيل يقلل في نفوسهم الشرور، ويبعث في قلوبهم المودة، ويدفع سواعدهم إلى المشاركة في بناء المجتمع المسلم الذي يحنو عليهم بالرعاية من مرحلة الوضع إلى أن اللحد بلا طلب أو استجداء، وإنما يقدم لهم عوائد الأوقاف الموقوفة عليهم لتحقيق الحياة الكريمة لهم بلا أذى تعبيراً عن التعاون على البرّ والتقوى.

ولقد أدى الوقف على امتداد العصور الإسلامية دوراً متميزاً في خدمة الدين والمجتمع والعلم واستطاع الفقهاء من خلال الأوقاف أن يقوموا بوضع قواعد موضوعية تتفق مع محددات الوقوف بأنواعها فكان الوقف بمثابة تنظيم وتوجيه للبر والإحسان إلى المجالات الحيوية في أرجاء المجتمع الإسلامي. (2)

الوقف ومؤسسة التعليم الأولى:

ولقد كان للأوقاف سهم وافر ودور باكر في وضع اللبنات الأولى لمؤسسات التعليم والثقافة في المجتمع الإسلامي، فأول وقف في الإسلام هو المسجد الذي بناه الرسول (ﷺ) عند نزوله المدينة، حيث بدأ فيه المسلمون تعلّم القرآن الكريم، وتعلّم القراءة والكتابة، كما ألحق بالمسجد وخُصص مساكن إلى جانبه كتاتيب تشبه المدارس الابتدائية في العصر الحالي لتعليم القراءة والكتابة واللغة العربية والعلوم الرياضية وغيرها (3) فقد بدأ التدريس أول الأمر في

المساجد والجوامع، وانتقل إلى بيوت المدرسين الخاصة، ليصل في نهاية المطاف إلى تخصيص دور العلم المعدة لهذا الغرض، يؤسسها الولاة والخلفاء ويطلقون عليها اسم بيوت الحكمة وخزائن الحكمة ...

وقد كان القرن الثاني الهجري بالكوفة شاهد الحركة العلمية، حيث كان القرن الأول عصر الفتوح والتوسع... حتى إذا استقر الأمر ودخلت في الإسلام أمم متباينة ومختلفة ظهرت حركة البحث العلمي ومراكز التربية في الحجاز والعراق والشام ومصر والمغرب... وربما كان أول دار للعلم عرفها المسلمون هي بيت الحكمة التي أنشأه العباسيون في بغداد حيث نشأ أول الأمر في عهد المنصور ثم ... وازدهر ونما بصورة كبيرة في عهد المأمون، حتى كان من أعظم مدارس العلم آنذاك.

الوقف كان بمثابة تنظيم وتوجيه لأعمال البر والإحسان

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن المؤسسة الوقفية كان لها دور كبير في إنشاء المساجد العلمية في بلاد المسلمين، فلم تخلُ مدرسة من تلك المدارس ولا معهد من المعاهد ولا مكتبة علمية إلا وكان لها وقف خاص يتم الإنفاق عليها من ريعه وعوائده ...

ولقد أسهم الوقف في إرساء دعائم ثقافية متنوعة في المجتمعات الإسلامية على مدى قرون طويلة من تاريخها الإسلامي العظيم، ومن بين تلك الدعائم العلمية والثقافية:

- تشييد المساجد المعمرة للعبادة وطلب العلم.
- تشييد المدارس والكتاتيب وتعيين المدرسين فيها والإنفاق على طلبة العلم.
- الإفادة من المساجد في تطوير حلقات التعليم والتنوير.
- العناية بالمكتبات العلمية العامة والمتخصصة.

وقد شاركت في تمويل هذه المؤسسات الوقفية جميعها طبقات مختلفة في المجتمع من علماء وأمراء وحكام وعامة الناس وعامتهم، حيث كان هنالك تسابق كبير بين وجهاء الأمة لإنشاء المدارس الوقفية التي انتشرت في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي المترامية ...

ولقد أدت المساجد دوراً كبيراً وتربوياً هاماً حيث كانت منذ العصور الأولى مجالاً خصباً لممارسة كل الأنشطة الفكرية والثقافية والتعليمية فكان من وظائفها الصلاة والعبادة والتربية والثقافة وكانت تستخدم كمعاهد لتعليم الناشئة أصول الدين والفقه والأدب بمختلف فروعه ...

وكان التعليم في المساجد يتبع فيه الأسلوب القصصي الممتزج بالعلوم والحكمة والموعظة، ومن أشهر المساجد المعروفة إضافة للمسجد النبوي الشريف في المدينة مسجد الكوفة ومسجد البصرة الذي كان يضم حلقات للشعر والأدب والجدل، ومسجد دمشق والذي يعرف الآن بالمسجد الأموي، وجامع عمرو بن العاص في مصر، ومسجد القيروان الذي بناه عقبة بن نافع في تونس، وجامع الزيتونة في تونس، وجامع القرويين في فاس، وجامع قرطبة في الأندلس، والجامع الكبير في صنعاء، والجامع الأزهر الذي بناه الفاطميون في مصر وكان قبلة لطلاب العلم من مشرق العالم الإسلامي ومغربه ... وكان يدعو للمذهب الخاص بالفاطميين، وكانت تدرس فيه العلوم العقلية والنقلية بما فيها من فلسفة ومنطق وطب ورياضيات.

وكانت الكتاتيب أحد مراكز التعليم عند العرب ويقال إنه عرف في بلاد العرب قبل الإسلام على نطاق ضيق وقد يطلق على الكتاب أيضاً اسم مكتب، وكان الكتاب عبارة عن كشك ملحق بالمسجد أو غرفة أو حجرة مجاورة للمسجد، وكانت الدراسة فيه عادة تمتد من يوم السبت إلى الخميس صباحاً، وكان في بعض الكتاتيب فترة مسائية يدرس فيها الصبيان النحو والحساب وأيام العرب وتاريخهم وكان يوم الخميس يخصص عادة للمراجعة

ويُقال: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من أنشأ الكتاتيب لتحفيظ القرآن ومدارسته بإنشاء أول كُتّاب بجوار الحرم النبوي، كلف عمر الخزاعي بتعليم الأولاد على أن يكون ذلك بدرس بعد صلاة الصبح إلى الضحى، ودرس بعد صلاة الظهر إلى العصر. ولما خرج إلى الشام وغاب شهراً خرج المسلمون على مسيرة يوم لملاقاته ومعهم الصبيان، فكان يوم الخميس فتأخّر معهم إلى العروبة، ثم تعوّدوا يوم الجمعة ولم يحضروا إلى الكُتّاب فأمّا علم عمر بذلك جعلهم هذين اليومين من كل أسبوع"

وكان السلاجقة هم أول من بنى المدارس في مصر، وكانت المدارس الإسلامية الأولى مبنية على الطراز المعماري نفسه، ومن أشهرها المدارس النظامية (نسبة إلى نظام الملك)، وكانت مجانية، ولعل أول من بنى مدرسة في دمشق نور الدين محمود (المدارس النورية)، كما أنشأ الأيوبيون والمماليك المدارس في فلسطين ومصر والعراق، وقد كانت أول مدرسة نظامية أنشئت في القاهرة في عهد الأيوبيين هي المدرسة الناصرية.

ولم تكن تلك المدارس التي كانت تُقام من ريع الوقف ومرافقه، مجرد أبنية تُقام أو قاعات تُرتّب أو مجموعة من الطلاب يتلقون العلم وحسب، ولكن كان أكثرها عبارة عن مؤسسات ومراكز علمية، لكل منها أنظمتها الخاصة وتقاليدها التي تسير عليها، وموازنتها المالية المستقلة التي تعطيها دعماً كبيراً في أداء وتحقيق رسالتها الحضارية والثقافية.

والحقيقة: أن جميع المدارس والمعاهد العلمية التي أنشئت في التاريخ الإسلامي كان يُعتمد في تمويلها وإدارتها على مؤسسة الأوقاف، رغم تنوع مهام تلك المدارس، من حيث الحجم والتخصص والإمكانات، وقد كان التعليم فيها مجاناً ويشمل جميع قطاعات المجتمع، فلم يكن التعليم فيها محصوراً بفئة من أبناء الأمة دون فئة، بل كانت فرصة التعليم فيها متوفرة لجميع طبقات المجتمع بمختلف فئاته

المؤسسة الوقفية التي تديرها وتعمل على تمويل أهم مهامها وتحقيق رسالتها في نشر العلوم.

ففي مجال التعليم الأساسي فضلاً عن المساجد التي كانت تقوم بالجهد الأكبر في هذه الأغراض والتخصصات، مثلت الكتاتيب التي تم تمويلها بأموال الأوقاف في مدينة واحدة من مدن صقلية، مثلاً (300 كتاب)، وذكر أبو القاسم البلخي أن مدرسة ما وراء النهر الوقفية كانت تتسع لثلاثة آلاف طالب، وكان يلحق بهذه المدارس أطباء لمعالجة الطلاب ومساكن لاستقبالهم ومطابخ لتقديم الوجبات لهم، ووفرت الأوقاف رواتب المدرسين، بل إن كل شيء كان يأتيهم بدلاً عن نفقاتهم عليه دائماً.

أما في مجال التعليم العالي فقد كان للوقف الإسلامي دور فاعل ورئيس في مجالات الفقه والطب والكيمياء والصيدلة والرياضيات والفلك، حيث موّل الأوقاف الإسلامية كلاً من ابن رشد وابن السراج في أبحاثهم الخاصة وإدخال السكّر في الأدوية حتى مستشفى المرضى ومن أشهر المستشفيات التي بُنيت بأموال الأوقاف وكلها تابعة دار الشفاء، التي أنشئت عام 1284م، والتي احتوت على مستشفى تعليمي وعلى إسكان جامعي وإعاشة للطلاب والعاملين، وكذلك مستشفى السلطانة في روما التي بقيت حتى عام 1923 والتي كانت تموّلها الأوقاف، وكذلك كليه طب المستنصرية التي كانت بها قاعات للمحاضرات وكراسٍ علمية للتخصصات المختلفة.

كما موّلت الأوقاف أشهر المؤلفات الطبية، منها على سبيل المثال كتاب الكليات في الطب لابن رشد، والذي تُرجم وأصبح الكتاب الأساس في تدريس الطب بجامعات أوروبا، وكذلك كتاب الحاوي في الطب لأبي بكر الرازي، وكتاب القانون لابن سينا، وكتاب تذكرة الكحالين لطبيب العيون علي بن عيسى الذي وصف مائة وثلاثين مرضاً من أمراض العيون.

ولقد تعدى الاهتمام بالتعليم حدود الكتاتيب

والمدارس والمعاهد والجامعات بمهمة الإفادة من الجوامع والمساجد، حيث كان هنالك توجه لتخصيص جزء من عوائد الوقف إلى تكليف علماء المساجد بالتدريس والتثقيف، الأمر الذي أدى إلى تميز تلك المساجد بمكانتها كمراكز للإشعاع العلمي والثقافي، سواء من خلال التدريس والمحاضرات والمساجلات العلمية والمناظرات، أو من خلال إنشاء مكتباتها العامرة واستمرارها في رفد مراكز التعلم بما يلزمها من كتب في شتى فروع العلم والمعرفة.(1)

وكانت المكتبات العامة في الإسلام دائمة ومنتشرة في العالم الإسلامي من حدود الصين والهند شرقا إلى حدود فرنسا غربا وشمالا، ولم تخلو بلدة أو قرية من مكتبة عامة، إضافة إلى مكتبات المساجد التي كانت ملحقة بها والمباني، ناهيك عن مكتبات الأفراد ومكتبات الربط والمدارس والكتاتيب والمعاهد، واشتهرت مكتبتان عامتان كان لهما أهمية كبرى في العالم الإسلامي، الأولى مكتبة سابور في بغداد في القرن الخامس الهجري، والثانية مكتبة بني عمار في طرابلس الشام في القرنين الخامس والسادس الهجريين، وكانت المكتبات تحصل على كتبها بطرق عديدة أهمها: الشراء، الوقف، النسخ، الهبات والإهداء.(1)

وعلى الرغم من أن المساجد والمدارس والمكتبات وغيرها مما كان في حد ذاته مركزا لإشعاع الفكر الحضاري ونشر العلوم عبر الدوائر الإسلامية المتداخلة المحلية منها والإقليمية والعالمية سواء بسواء، بيد أنها غدت مع مؤسسات وقفية أخرى تحفاً فنية وتحفاً أثرية أثرت الفكر الإنساني بتراثه الفني المعماري والجمالي الرائع... بل وأضافت إليه بعداً ثقافياً مميزاً من جهة أخرى.(1)

ولما كان الأصل الشرعي للوقف أنه عمل من أعمال التقوى، وقربة إلى الله تعالى طمعاً في نيل ثوابه ودخول جنته، وبما أنه عز شأنه جميل يحب الجمال، وطيب لا يحب إلا طيباً، فقد اجتهد الواقفون على مر الزمن في أن تكون مبانيهم الوقفية تلك المؤسسات التي شرعت إليها في غاية الإتقان وآية من آيات الجمال الفني والمعماري الأخرى.(1)

ولعل قضية التأسيس الشرعي لعمارة الوقف وترميمه وإصلاحه ورعايته بما يكفل دوامه واستمرار عطائه دون ارتباط بحياة الواقف أو موته باعتبار أن يتأسس الوقف من شخصية معنوية دائمة مستقلة لا تخرب، كل ذلك أسهم في بقاء المباني الوقفية شامخة تقاوم الفناء وتنبض بالحيوية، وتعكس أهم الجوانب الحيوية في فكر الأمة المسلمة وثقافتها عبر العصور.(1) والحاصل من ذلك هو أن الوقف كان خلف آليات تكوين الثروة الفنية والأثرية ومصدر غنى معالم تراكمها عبر العصور في مختلف البقاع الإسلامية.(1)

مولت الأوقاف أشهر المؤلفات العلمية مثل كتاب (الكليات في الطب) لابن رشد و(الحاوي) للرازي و(القانون) لابن سينا

الدور التاريخي للوقف في مجال التعليم

ولا نريد أن نتحدث عن دور الوقف في رفد وتطور الحركة العلمية والثقافية على امتداد مسيرة التاريخ الإسلامي بوجه عام، فإننا سنشير بكم كبير من تلك المساجد والمدارس والمكتبات المتخصصة في مختلف أقاليم البلاد الإسلامية، ويكفي أن نعلم أن هذه الأقاليم كانت تحوي أكبر المدارس والجامعات الإسلامية كالمستنصرية والأزهر والقرويين وغيرها من بعض المدارس العلمية في الشرق الإسلامي، والتي كان للمؤسسة الوقفية آثار واضحة على معالم

الحركة العلمية واستمرارها في بناء مسيرة الحضارة الإسلامية ... إلا أننا سنحاول، بإذن الله، التركيز على أهم تلك المؤسسات العلمية والثقافية وأبرزها وأكثرها، مما كان للوقف من دور عظيم وخطير في تنميتها وتطويرها ورقيها على مر تاريخنا الإسلامي.(٧)

وفي ما يلي سنعرض لدور الوقف في دعم مسيرة التعليم والثقافة الإسلامية، وذلك على محورين أساسيين هما:

(أ) المعاهد التعليمية

(ب) المكتبات العلمية والثقافية

أولاً: المعاهد التعليمية

المعاهد العلمية في بغداد

بعد أن استقر الأمر لبني العباس نشطت الحركة العلمية تزدهر وتتطور حتى أصبحت بغداد قبلة الوافدين من أنحاء الدولة الإسلامية، فتم تأسيس دور العلم والمعرفة فيها بفضل تشجيع الخلفاء والأمراء وتشجيعهم للعلم وأهله، فساهموا في تأسيس المدارس العلمية التي تخرج منها عظماء المفكرين والمجتهدين الذين كانوا رواد الحركة العلمية في التاريخ الإسلامي.

وقد روى الرحالة الشهير (ابن جبير) أنه شاهد في بغداد نحو ثلاثين مدرسة كل واحدة منها في قصر وبناية كبيرة، أشهرها وأكبرها المدرسة النظامية. ولهذه المدارس أوقاف وعقارات للإنفاق عليها وعلى العلماء والدارسين فيها، حتى بلغ ما أنفقه نظام الملك نحو ستمائة ألف دينار، وكان وقف النظامية ببغداد ضيعة تغل ألف دينار شهرياً، وتخرج منها أكابر العلماء وأشهرهم: الشيرازي والغزالي وكمال الدين الأنباري وغيرهم.

وقد كانت تلك المدارس والمعاهد العلمية تعتمد اعتماداً كلياً في نفقاتها ومصاريفها على ريع المؤسسة الوقفية، مما ضمن لها المحافظة على استمرارها في تقديم الخدمات العلمية والثقافية قروناً طويلة من الزمن دون حاجة إلى عون من أحد بفضل العوائد الوقفية المخصصة لهذا الغرض. وفي ما يلي سنحاول الوقوف على بعض المعاهد العلمية التي كانت منتشرة ببغداد والأوقاف المرصودة لها.

الوقف ساهم في تكوين الثروة الفنية والأثرية عبر العصور

المدرسة النظامية:

وتعد هذه المدرسة أول مدرسة تقوم على أسس مستقلة وأوابد تربوية ناضجة. وقد احتفل بافتتاحها على نطاق رسمي من قبل الدولة العباسية، حيث أنشئت مع مدرستين تحملان الاسم نفسه في نيسابور وطوس، وجاء اسمها نسبة إلى الوزير نظام الملك الحسن بن علي الطوسي الذي شرع في بنائها عام ٤٥٧هـ وافتتحت في عام ٤٥٩هـ. وقد اعتمدت هذه المدرسة في نفقاتها على ريع الأوقاف الملحقة بها والمرصودة لها، حيث بنى حولها أسواقاً توقف عليها، كما اشترى نظام الملك قرى وضياعات وحمامات وأوقفها عليها.

المدرسة المستنصرية

وهذه المدرسة لا تزال قائمة في بنائها وإدارتها [illegible] في وسط مدينة بغداد على الضفة اليسرى من نهر دجلة، وتعتبر أول مدرسة جمعت في دراستها المذاهب الفقهية الأربعة في مكان واحد، مما يُطلق عليه اليوم بالفقه المقارن.

وتعد هذه المدرسة أشهر مدرسة في التاريخ الإسلامي والتي قامت بدور كبير في تاريخ التعليم في الإسلام، وقد أنشأها الخليفة العباسي المستنصر بالله، حيث ابتدأ العمل بها عام ٦٢٥هـ واكتمل بناؤها عام ٦٣١هـ، وأنفق على بنائها ٧٠٠ ألف دينار ذهب.

وكان نظام الدراسة فيها دقيقاً ومرتباً، حيث يتم اختيار المدرس وفق شروط ومؤهلات معينة كالعلم والفضل وسلامة العقيدة، وهؤلاء المدرسون أشبه بأساتذة الجامعات اليوم من حيث مهامهم وواجباتهم العلمية ودرجاتهم الأكاديمية. وكان المدرس يجلس على كرسي من الخشب تحت قبة صغيرة من الخشب ويجلس الى يمينه وشماله المعيدون يعيدون دروسه على الطلاب.

ولم يقتصر التدريس في المستنصرية على علم الفقه بل شمل علوماً أخرى مثل النحو واللغة والحساب والمساحات وسلامة البيئة وصحة الأبدان وغير ذلك، وكان علم الطب أيضاً من العلوم التي كانت تُدرس في هذه المدرسة، وقد خُصص له موضع خاص ملحق بالمدرسة كان بمثابة مستشفى لعلاج المُدرسين والدارسين بالمدرسة مجاناً.

وكان للأوقاف الكثيرة المحبوسة على المدرسة المستنصرية أثر واضح في تقديم الخدمات الجليلة والمتنوعة لطلابها، حيث كانوا يقيمون في غرف خاصة مجهزة بالفرش والبسط وكل ما يحتاجه الطالب من الحاجات الأساسية له.

وكان في بغداد مدارس علمية أخرى أنشئت على فترات زمنية متلاحقة أهمها: المدرسة المغربية ومدرسة عبد القادر الجيلاني ومدرسة ابن الجوزي والمدرسة البشيرية ومدرسة أبي حنيفة ومدرسة الطبقجلي والمدرسة المرجانية والمدرسة السليمانية وغيرها من المدارس التي لم يزل بعضها قائماً حتى عهد قريب، ولا تزال أوقاف عدة محبوسة عليها في وسط مدينة بغداد.

وهكذا يتضح لنا أن مجمل المدارس العلمية في بغداد كانت تعتمد اعتماداً كلياً على عوائد المؤسسة الوقفية، إذ لولاها لما كانت هنالك مراكز علمية أو مؤسسات تربوية، مما يؤكد دور الأوقاف في الحركة العلمية في هذا البلد الذي احتضن الخلافة الإسلامية أكثر من خمسة قرون من الزمن.

المعاهد العلمية في مصر

نمت المعاهد العلمية الوقفية في مصر في التواجد والانتشار منذ البدايات الأولى للقرن الثاني الهجري، وكان جامع عمرو بن العاص الذي بناه في وسط مدينة الفسطاط هو المكان الذي اختير ليكون المنطلق الأساس لإلقاء الدروس والمحاضرات والمساجلات العلمية بين مجموعات المسلمين، حيث اتخذه التابعون والمجتهدون مركزاً علمياً لنشر العلم والثقافة الإسلامية.

وعقدت في هذا المسجد حلقات العلم والتدريس حتى بلغت أوجها وعظمتها في القرن الرابع الهجري، إذ كان عدد حلقات التعليم فيه مائة وعشر حلقات. وكان نظام التدريس المتبع في هذا المسجد هو نظام الحلقات المعروف في تلك الفترة الزمنية، حيث يلتقي فيه العلماء والفقهاء للمناقشة والبحث، فكان بهذا أول معهد علمي إسلامي في مصر، حيث برز فيه الفقهاء الأمويون أمثال الليث بن سعد والإمام الشافعي وبعض من فقهاء المالكية وعلى رأسهم عبد الله بن الحكم.

وللوقف أثر مهم في تطور الحركة العلمية في مصر من خلال المدارس التي انتشرت في طول البلاد وعرضها.

ومن أجل الوقوف على أهم تلك المدارس العلمية فإننا سنتعرض للجامع الأزهر باعتباره أهم منبر من منابر العلم في الماضي والحاضر في حياة المسلمين، ثم نتطرق إلى بعض المؤسسات التعليمية التي كانت موجودة في مصر للاطلاع على مدى الدعم الكبير الذي حظيت به مراكز العلم من خلال عوائد الوقف وريعه.

مدرسة الجامع الأزهر

بعد أن دخل جوهر الصقلي قائد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي الى مصر دخل الإسكندرية وزحف بعدها إلى الفسطاط حاضرة مصر الأولى، حيث اهتم جوهر الصقلي بتعمير المدن وبناء المدارس فأسس

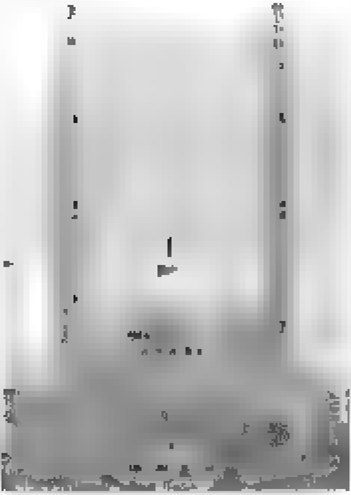
مدينة القاهرة وشيد قصوره في وسطها والجامع الأزهر بجوارها، وقد نسبه إلى فاطمة الزهراء، وأقام حوله مساكن للطلبة وأجرى عليهم الأرزاق تشجيعاً للدراسة والبحث، ولم تمض سنوات حتى أخذ يؤدي المسجد رسالته في نشر علوم الدين ومعارفه.

بدأ التدريس والتعليم في هذا الجامع، فقد كان أول درس ألقي في الجامع الأزهر كان في شهر صفر سنة 365هـ وكان في الفقه والشريعة وألقاه علي بن النعمان القاضي حيث أملاه عن أبيه، واسماه بعد ذلك «بالمختصر» في فقه الإمام علي كرّم الله وجهه.

وفي سنة 378هـ استصدر [illegible] الخلافة خمسة وثلاثين عالماً من الطبقة الأولى في المعارف الإسلامية، وجعلهم مدرسين في الأزهر، وأوقفت على مرتباتهم الأوقاف، وأنشئت مساكن لهم حول الجامع، الأمر الذي أدى إلى زيادة حلقات العلم فيه حتى أصبح عدد الفقهاء فيه لا يُحصى لكثرتهم.

وما كاد أن يخبو نجم الأزهر نسبياً في عصر الدولة الأيوبية، حتى عادت [illegible] مع المماليك الجراكسة، وبنى الأمير [illegible] [illegible] للذين كانت إيذاناً بالتوسع في رسالة الأزهر العلمية التي استمرت، وتوالت توسعة الأزهر، وتجديد العمارات، وإلحاق [illegible] الملحقة به، كالمدرسة الطيبرسية نسبة للأمير علاء الدين طيبرس الخازندار نقيب الجيش في دولة الناصر قلاوون، والمدرسة الأقبغاوية وأنشأها الأمير علاء الدين أقبغا، والمدرسة الجوهرية نسبة للأمير جوهر القنقبائي خازندار الأشرف برسباي، ولعل من أكبر ما لحق بالأزهر من تجديد، ما تم على يد الأمير محمد علي وعثمان كتخدا وعبد الرحمن كتخدا.

وممن تخرّج في هذه المدرسة العريقة عباقرة العلماء أمثال القلقشندي والمقريزي والبلقيني والسيوطي الذين انتشرت العلوم على أيديهم، وأصبح الأزهر مصدراً للعلم والثقافة ومرجعاً علمياً يفد إليه الطلاب من جميع أنحاء العالم الإسلامي.



وقد كانت هذه المدرسة تعتمد على الأوقاف المحبوسة عليها من الولاة وأهل الخير، حيث كان الطلاب الذين يتلقون العلم فيها مقسمين إلى طوائف عدة، ولكل طائفة جهة يقيمون بها وتُصرف عليهم المرتبات والمكافآت، ولكل طائفة نقيب وشيخ يرعاهم ويدافع عن حقوقهم ومسائل تخص جميعهم، ولكل مجموعة من هذه المجاميع أوقاف ومخصصات يتم الصرف عليهم من ريعها، هذا غير الأوقاف العامة التي كانت موقوفة على الأزهر كله.

فقد أصبح الأزهر قبلة الدارسين في البلاد العربية يفد إليه طلاب العلم من الهند والصين وبلاد الترك ووسط أفريقيا، حيث ظل الأزهر يؤدي الحركة الفكرية وينشر الثقافة العربية والإسلامية على مر العصور بفضل عوائد الوقف التي كانت تدعم نشاطه حتى أصبح منارة إشعاع في العلم والدين والأدب ومركز الثقل الحضاري في كل العصور.

المدارس الأخرى في مصر

ويذكر المؤرخون أن إلى جانب الأزهر والأوقاف المرصودة له كانت هناك مدارس ومراكز للعلم والمعرفة لا تقل أهمية عن الأزهر وقتئذ، وكانت لها أوقاف خاصة بها يصرف من ريعها على تلك المدارس والتي أهمها: المدرسة المستنصرية، والمدرسة الظاهرية، والمدرسة الناصرية، ومدرسة ابن قاضي العسكر، والمدرسة الحجازية، والمدرسة الصرغتمشية، والمدرسة المحمودية، ومدرسة الأشرف شعبان، والمدرسة الحافظية، وفضلاً عن هذا كله، فقد كانت في مصر مدارس أخرى متعددة، كالمدرسة الشريفية والصلاحية والسيوفية والقطبية. وكان لكل مدرسة منها أوقاف خاصة بها يُصرف من عوائدها على الأساتذة والطلاب الموجودين فيها ولها صلات وقفية كثيرة، كما نصّت على ذلك الوثائق الوقفية المتعددة[13]. وهو مما يشير إلى تطور ونشاط الحركة العلمية في مصر وإلى دور المؤسسة الوقفية في دعم هذه المدارس وضمان تواصل النشاط والاستمرار في دورها الحضاري، الأمر الذي يجعلنا نجزم بأنه لولا الأوقاف وعوائدها لما حظي المجتمع الإسلامي بهذا العدد الكبير من مراكز العلم ومؤسسات الثقافة والمعرفة[14].

المعاهد العلمية في بلاد المغرب

اعتمد المسلمون في فتوحهم على تثقيف البلاد المفتوحة وبث أسس العلم والمعرفة بين أبنائها، حيث كان جيش الفتح الإسلامي يصطحب معه الفقهاء والشعراء والعلماء والمفكرين، لأنهم كانوا في فتوحهم دعاة حضارة وبناة أمم، وكان هم بارز في فتوحهم منذ الأمر بإنشاء الجوامع التي كانت منطلقاً أساسياً لدور العلم ومراكز المعرفة فيما بعد.

وعلى هذا الأساس بُني جامع الأنصار بموقع القيروان عام ٥٠هـ، واستمرت حلقات العلم والثقافة فكان أول معهد يرسي التعليم في بلاد المغرب من أجل نشر الإسلام وتثقيف أبناء البلاد المفتوحة وأبناء الأسر العربية النازحة مع الفتح الإسلامي الجديد.

وفي عام ٥٠هـ أسس عقبة بن نافع القيروان، وبنى فيها مسجدها الكبير (المسجد الجامع)، وجعله مقراً للعلم ومدرسة للمعرفة وثكنة للجيش، حتى أصبح هذا المسجد مركزاً أساسياً لعامة ديار المغرب والأندلس من بعدها إلى أن انتقل التعليم إلى جامع الزيتونة.

وهكذا انتشرت في غرب العالم الإسلامي عدة مدارس أخرى كمدرسة قرطبة وإشبيلية ومالقة وغرناطة، وبلغ عدد المدارس في غرناطة وحدها سبع عشرة مدرسة كبرى، وبلغت مدرسة القاهرة درجة عالية من حيث المستوى العلمي والشهرة في تلك العصور.

وكان الخلفاء والولاة يهتمون بالحركة العلمية ويكرمون العلماء ويشجعونهم ويوفرون لهم كل الإمكانات التي تيسّر مهمتهم، وكان الخليفة المستنصر من أكثر الخلفاء اهتماماً بهذا الجانب حيث عمل على نشر العلم بين طبقات الشعب، إذ ألحق في كل مسجد أو جامع مدرسة علمية، فكان في كل حي من الأحياء مدرسة خاصة تكفل بدفع نفقاتها وأجور التدريس فيها.

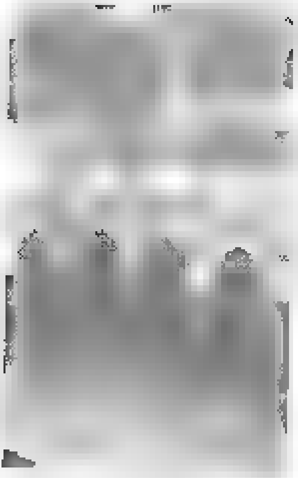
وكانت الرحلات العلمية بين الأندلس والمغرب من جهة، والقيروان والفسطاط وبغداد والمدينة من جهة أخرى من أبرز سمات هذه الروابط التي وثّقت أواصر التعليم والثقافة بين أبناء الأمة الواحدة.

فبعد أن فتحت تونس على يد القائد حسان بن النعمان عام ٧٩هـ في العهد الأموي، أقام دار إمارته فيها، وأسس حوله مسجداً ليعلم المسلمين في أداء الصلاة وليكون مدرسة يتعلمون فيها ثقافة الإسلام وفكره، الأمر الذي جعل تونس ومسجدها قاعدة للانطلاق إلى بحر الروم وفتح ما يليه في شمالي أفريقيا ومركزاً للجهاد والدعوة إلى نصرة المسلمين ووحدتهم.

ولقد جُدّد هذا المسجد عام ١١٤هـ ليصبح معهداً

علمي يتلقى فيه طلاب العلم تفسير القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ على يد كبار التابعين والمجتهدين ممن تفرغوا لتعليم الناس أصول الشريعة وأحكامها. وقد أضيفت إلى هذه المدرسة العلمية مكتبة ضخمة ممن إليها الواقفون نفائس المصاحف وكتب التفسير والحديث، لتكون مرجعاً لطلاب العلم الشرعي وعلوم اللغة العربية...[1]

وكان التعليم في جامع الزيتونة شاملاً لجميع فنون المعرفة الدينية والأدبية والعلمية وعلوم الطب والفلك والحساب وغيرها، اعتماداً على شروط الواقفين، الذين يحبسون أوقافهم على مختلف فنون المعرفة أو على فن خاص منها. ولقد تخرج في مدرسة جامع الزيتونة علماء أفاضل كان لهم أثر كبير في رفد الحركة الفكرية الإسلامية وتطويرها أمثال عبد الرحمن بن خلدون صاحب (المقدمة).



مدرسة جامع القرويين

بعد أن أسّس الأدارسة دولة المغرب، وجعلوا مدينة فاس عاصمة لها، أنشأت فاطمة أم البنين القيروانية جامع القرويين، الذي ما لبث أن أصبح جامعة تدرس فيها علوم الطب والهندسة والفلك والرياضيات، مع نقل علوم الفقه إليه (إسماعيل بن دارم) فاستقل ذلك عن جامع القيروان.

وفي عهد الدولة السعدية أنشأ أحمد المنصور مكتبة في هذا الجامع سُمّيت بالخزانة الأحمدية أو السعدية، وتتابعت الوقوف الخيرية على طلبة العلم في هذا الجامع من وجهاء الدولة بموارده وعطاياها من غلات وأموال وكتب، مما كان له أثر واضح في مسيرة مدرسة القرويين ونتاجها العلمي.

إضافة لكل ما تقدم فقد أنشئت في المغرب مدارس أخرى متعدّدة في عهد المرابطين والموحدين كمدارس سبتة وطنجة وتلمسان ومراكش، وفي الأندلس مدارس قرطبة وإشبيلية وطليطلة ومالقة، وغيرها...[5]

كما اهتم بنو مرين ببناء المدارس العلمية ومن أشهرها في مدينة فاس مدرسة الصفارين ومدرسة الصهريج ومدرسة العطارين ومدرسة بوعنانية. وكان لكل واحدة من هذه المدارس غلات وقفية تُرصد لتلبية شؤونها وينفق منها على الطلاب والأساتذة فيها.

مدارس المشرق الإسلامي:

وفي الوقت الذي اهتم فيه الأمراء والولاة بإنشاء المدارس العلمية في بغداد ومصر وبلاد المغرب والأندلس، كان هناك اهتمام واسع مماثل لنشر الحركة العلمية في بلاد المشرق الإسلامي.

وقد أنشئت المدارس في أول أمرها على نفقة المدرسين أنفسهم، ففي نيسابور أسّس ابن فورك مدرسة على نفقته، وفي مرو شيد أبو حاتم البستي مدرسة تضم غرفاً لإيواء الطلاب ومكتبة علمية ملحقة بها[6]

ثم ظهرت بعد ذلك مدارس أخرى، مثل المدرسة الميمونية، المدرسة الأميرابادية، والمدرسة السميحية، والمدرسة النظامية، ومدرسة أصفهان، ومدرسة شرف الملك، وغير ذلك من المدارس التي كانت متصلة بالمساجد والجوامع وينفق عليها من أوقافها وعوائدها.

خزائن الكتب الوقفية (المكتبات العامة)

إن المكتبات العامة هي المقياس الحقيقي لرقي الشعوب، وإن كثرتها وتنوعها وسهولة ارتيادها لا تدل على ثقافة الشعب وحسب، بل على صعيده الحضاري والفكري والتربوي. ولذلك اعتبرت المكتبة مركزاً تربوياً، وكانت هيئة مهمة من أقسام المؤسسات التربوية التعليمية التي ظهرت لاحقاً كالمدارس والكتاتيب والجامعات. كما لم تكن المكتبة مكاناً لتعلم الفرائض والواجبات الدينية وتلقي العلوم الأخرى فحسب بل كانت إلى جانب هذا مركزاً للبحث والدرس والتأليف، كما اعتبرت المكتبة مركزاً اجتماعياً وسنياً يجتمع فيه أهل البلدة أو الحي. قامت المكتبة في الإسلام من أجل غاية دينية هي تعليم الناس أمور دينهم وتفقيههم وتثقيفهم ثقافة دينية، وأنشئت المكتبات من أجل هذا في المساجد والجوامع ولذلك ظهرت أقدم المكتبات في المساجد.

ولقد ظهرت المكتبات في الإسلام وتطورت نتيجة لانتشار العلم والمعرفة في العالم الإسلامي، فالمكتبات انبثقت من المجتمع الذي وجدت فيه نتيجة تطوره وحاجته إليها، وهي في الوقت نفسه ساعدت على تطور هذا المجتمع ودفعه في طريق الرقي. كانت النهضة العلمية التي بدأها الإسلام هي السبب الأعظم في اهتمام المسلمين بالكتب والمكتبات واحترام أوائل المسلمين الكتب لأنها أوعية المعرفة.

وقد جرت العادة أول الأمر في الإسلام أن يودع الناس في المساجد نسخاً من نسخ القرآن الكريم وغيرها من الكتب الدينية والنافعة كوقف للفائدة للمطالعين والمصلين، ومن الواضح أن مكتبة المسجد ظهرت منذ اتخذ المسلمون المسجد مكاناً للدراسة وجعل للمسجد خزانة للكتب وضمت إليها كتب كثيرة، وكان على هذه الخزائن ولا سيما الكبيرة منها مشرفون على شؤونها وهم في الغالب من العلماء المشهود لهم بالعلم والصلاح. وكانت تعقد الحلقات في المساجد للدراسة والمناظرة كما كان يحدث في جامع بني أمية في دمشق وفي جوامع مكة والمدينة وفي الجامع الأزهر وفي جامع المنصور في بغداد وفي جوامع قرطبة وطليطلة.

وقد انطلقت عملية بناء المكتبات ووقفها لله تعالى على طلبة العلم، على أساس حب المسلمين للعلم وأهله، وحث الإسلام عليه. كان وراء قول الفقهاء بمشروعية وقف المنقول كالكتب وأثاث المسجد وغير ذلك من باب الاستحسان. ومن هنا نشأ وقف الكتب، واستمر المسلمون من أهل الخير والفضل يوقفون الكتب عموماً للمتخصصين، وحباً للمعرفة وأملاً بنيل رضا الله تعالى ورحمته...

وفي القرن الثاني الهجري برزت مؤسسة علمية ألا وهي بيت الحكمة، حيث كان من أبرز ما احتوت عليه مكتبة، حظيت بعناية بني العباس وأبرزهم المأمون الذي كان أكثرهم تحمساً ورعاية لها ودعماً لتنميتها. وهكذا سهل خلفاء بني العباس للناس سبل الدرس والبحث والاطلاع في بيت الحكمة التي أنشئ خصيصاً لنشر العلوم والمعارف.

ومما يلاحظ في سياق هذه الأنشطة الثقافية، أنه وإن لم يذكر فيه إشارة إلى الوقف، إلا أنه يقترب من معاني الذين أسهموا في وقف الكتب والمكتبات بشكل صريح في المرحلة التاريخية التالية لبيت الحكمة.

وقد شاع الوقف بعد ذلك فشمل كتباً ومكتبات خاصة وعامة. فمن الواقفين من يجعل كتبه عامة على المسلمين دون تعيين موضع محدد، حيث تجعل في خزانة المسجد أو الجامع، ومنهم من يخصص وقفه فيكون الوقف على المكان الفلاني أو المدينة

المحدّثة فتجمع في مكانب أو بلحقه المعهد... ومنهم من يوقف مكتبته او كتبه على أهل العلم عامة، ومنهم من يترك استعمالها حر لكل شخص، ومنهم من يضع شروطاً وضوابط لوقفه فلا يمكن تجاوزها.

وهكذا انتشرت خزائن الكتب الوقفية في ارجاء العالم الإسلامي، لدرجة انك لا تجد مدينة اسلامية تخلو من مكتبة أو مجموعة كتب موقوفة تعين اهل العلم على التزود بالمعرفة وتوفر لهم فرصة مواكبة الافكار والآراء الجديدة والاطلاع عليها.

وكانت هذه المكتبات والخزائن الوقفية وراء حركة الازدهار الثقافي والعلمي التي عرفها العالم الاسلامي على مدى تاريخه الطويل. فقد اعتمد على هذه الخزانات الوقفية العامة علماء كثيرون في تأليف مصنفاتهم العلمية، فقد اشار ياقوت الحموي إلى ذلك عندما أكد انه استفاد من المراجع العلمية التي كانت موجودة في الخزائن الوقفية في مرو عندما صنف كتابه معجم البلدان حيث قال (وأكثر فوائد هذا الكتاب وغيره مما جمعته فهو من تلك الخزائن).

وسنحاول هنا التعرف إلى اهم خزائن الكتب والمكتبات العامة التي كانت وقفاً عاماً للمسلمين، والتي ساهم الوقف في إنشائها وتنميتها وتطويرها.

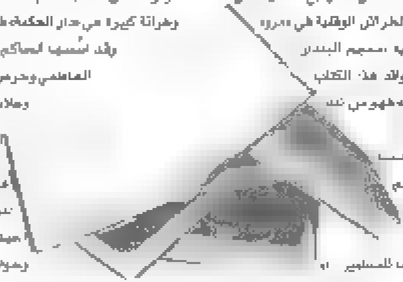
اولاً: خزانات الكتب العراقية

وتتوزع خزانات الكتب في كل من الموصل والبصرة وبغداد وغيرها من مدن العراق، ومن بين اهم تلك المكتبات مكتبة الموصل والتي تعتبر اول مكتبة وقفية في الإسلام استناداً على ما ورد في النصوص التاريخية، ويرجع الفضل في إنشاء هذه المكتبة ابو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي، الذي كان شاعراً واديباً فاضلاً وله كتب عدة في الفقه الشافعي، وكان صاحب جاه ومنزلة مرموقة في الموصل، وله علاقات طيبة بعلماء ووجهاء عصره من الوزراء والأمراء كالبحتري والمبرد والعبر... (1).

وتظل المكتبة الموصلية من الإسهامات المباركة للمؤسسة الوقفية العلمية والثقافية، التي فتحت الباب واسعاً لمكتبات ثقافية تعنى بالعلم ومصادر المعرفة وترعى المهتمين فيه ليس في العراق او بغداد والبصرة وحسب وانما في مختلف بلاد الخلافة الإسلامية (2).

ثانياً: خزانات الكتب المصرية

وبعد ان انشئت مكتبات العراق والتي كانت موقوفة على طلاب العلم، انشئت في مصر مكتبة وخزانة كبيرة في دار الحكمة في القاهرة وقد انشأها الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي وحرص على توفير اموال وصلات عدة لها لتوفير التمويل المالي الكافي لاستمرارها في تقديم الخدمة للمستفيدين منها، حيث اوقف عليها دوراً وحوانيت حيث يستغل ريعها في الإنفاق على هذه المكتبة العامرة الكبيرة (3).



ان الكتب التي كانت تحويها هذه الخزانة فقد نقل المؤرخون نصوصاً تشير إلى شمولها على جميع فنون المعرفة والعلم، وانها تحتوي على اربعين خزانة من جملتها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة وهناك أرقام أخرى تؤكد مدى سعة هذه الخزانة وتنوع المصادر العلمية الموجودة فيها، وكثرة عدد نسخها

مما يشير إلى أن هذه الخزانة تُعتبر أول نموذج للمكتبات التي أُسست على أساس نظام المؤسسة الوقفية العلمية والثقافية.

ثالثاً: خزائن الكتب في المغرب العربي

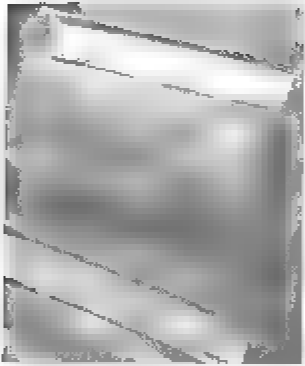
1. مكتبة المغربي: أسسها الوزير أبو القاسم الحسن بن علي المغربي في ميافارقين وجعلها وقفاً عاماً لطلاب العلم، ويبدو والله أعلم، أن مؤسسها هو الحسن بن علي المغربي، وأن نصير الدولة أضاف إليها مجموعة من الكتب في فترة حكمه لتلك المنطقة فنسبها بعض المؤرخين له.
2. مكتبة تمدة: أسسها ووقفها عبد الجبار بن حمد التميمي في مدينة قسنطينة وهي بلدة مشهورة في المغرب، وجعل وقفها على طلاب العلم. وقد جاء بمعظم كتبها من فاس وتلمسان ومصر.

علاوة على بعض مساكنها العلمية لبعض العلماء في تصنيف كتبهم وتعلم الرحالين بدراستها والاطلاع عليها. وتعرضت هذه المكتبة إلى العبث والتخريب والإهمال بعد فترة من تأسيسها. ولذلك قام أحد أحفاد مؤسسها وهو عبد القادر بن محمد بالاهتمام بها من جديد وإعادة وقفها وكتابة وثيقة جديدة لها أشارت إلى أنها حبس معقب لا يورث ولا يقسم ولا يُباع ولا يرهن.

رابعاً: خزائن الكتب في المشرق الإسلامي

ولقد كان في بلاد المشرق الإسلامية العديد من المكتبات العظيمة الشأن، من أهمها:

1. مكتبة شيراز: أنشأها الوزير قوام الدولة أبو منصور العادل، من وزراء الملك البويهي، الذي وقف هذه المكتبة على طلاب العلم.
2. مكتبة الهمداني في همدان: والتي أسسها قطب الدين الحسن بن أحمد بن الحسن الهمداني المتوفى عام 569هـ، وكان رجلاً حافظاً محدثاً ومن وجهاء عصره. نسخ أولاً



نسخه ودراسته ثم وقفها بجميع كتبها لطلاب العلم والمتخصصين فيه.

3. مكتبة مباركشاه في مرو: ومؤسسها هو مباركشاه بن الحسين المروزي المتوفى عام 602هـ والذي اتخذ داراً في بستان له جعل فيها خزانة كتب تحتوي على أنواع العلوم.

بالإضافة لذلك كانت هناك مكتبات ملحقة بالمساجد والجوامع والمدارس العلمية وقفت لعامة الناس سواء كانوا طلاب علم أو غيرهم من الذين يريدون التزود بالمعرفة والاطلاع على الثقافة والمشاركة في الدراسة والنقاش والمحاورة.

وهكذا انتشرت المدارس العلمية والمراكز الثقافية في التاريخ الإسلامي لتؤدي وظيفة التعليم والتربية، ومع ذلك أقيمت فيها الشعائر الدينية واتسعت مساجد أقيمت فيها الصلوات المفروضة لتؤكد مدى الارتباط الوثيق بين أداء العبادة والقيام بواجب العلم والدراسة، مما دفع الناس للوقف عليها وحبس العديد من الغلات والأسواق لرعاية تلك الحركة الثقافية والتعليمية.

وهنا لا شك يؤكد لنا أن عوائد الأوقاف تعتبر

المصدر المالي الأساسي والوحيد لمعالجة مدارس ومراكز التعليم في العصور الإسلامية المتقدمة وبالتالي فإن الحركة العلمية الواسعة التي شهدتها الأمصار والبلدان الإسلامية والتي تدين بوجودها في أساس لمدارس ومعاهد التعليم فيها [illegible] هي في الحقيقة نتاج طبيعي لازدهار الأوقاف وكثرتها وديمومة عوائدها الخيرية.

ولم ينحصر أثر الأوقاف على التعليم في كونه المصدر الأساس والوحيد الذي يمد المؤسسة التعليمية بالمال، بل تعدى الأمر إلى تدخل الوقف في تنظيم جميع الجوانب العلمية والتعليمية حتى عُدّت الوثائق الوقفية بمثابة [illegible] أساسية تنظم شؤون التعليم وتضع الأسس التربوية والشروط التي يجب أن تتوفر في القائمين عليه ومواعيد الدراسة ومناهجها وغير ذلك.

وبهذا تكون الأوقاف ساهمت على امتداد التاريخ الإسلامي مساهمة فاعلة في خلق أجيال من العلماء والباحثين والمتخصصين سواء عن طريق توفير مراكز العلم والبحث أو عن طريق توفير الكتب والمراجع الأساسية مما كان له مردود بالغ في إثراء الفكر الإنساني وتقدمه في شتى ميادين العلم والمعرفة والثقافة (1).

إن متابعة تاريخية للمؤسسة الوقفية [illegible] نتج عنه من معاهد علمية ومكتبات متخصصة تشير إلى الدور الكبير الذي لعبته هذه المؤسسة في [illegible] المجتمع الإسلامي بالقوى العاملة والموارد البشرية المتسلحة بسلاح العلم والمعرفة التي هي سلاح التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

ولولا اهتمام مؤسسة الأوقاف وعنايتها بالجانب التعليمي ما كان في المجتمع الإسلامي ذلك العدد الكبير من المعاهد والمدارس [illegible] العلمية الحنفية والمتخصصة، حيث يؤكد المؤرخون أن هذا يعني [illegible] المدارس المتخصصة التي انتشرت ثم [illegible] في مهامها لعدم وجود أوقاف تمولها وتقوم برعايتها وإعانة القائمين عليها، مما يؤكد الدور الرائد للأوقاف في تنمية مثل هذه [illegible] الأمة (1).

الهوامش

(1) [illegible]

(2) المرجع نفسه [illegible]

(3) المرجع السابق [illegible]

المصادر

أولاً: الكتب

[illegible]

ثانياً: الدوريات والمجلات

[illegible]

ثالثاً: الدوريات

[illegible]

كتابة تاريخ الأمة
سبيل لتحديد الهوية وللتعارف

د. سهيل زكار*

تتشعب اهتمامات الباحثين من جيل واحد، وتتركز في شكل رئيس على واحد من الموضوعات الرئيسة. فمنذ سنوات طويلة اهتم الأمريكيون العرب من المهتمين بالإسلام، وأظهروا جوانبهم معه، واعتمدوا الخطط لإيقاع ضربات معينة به. ويمكن لنا أن نرصد مثل هذا في ما كتبه الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون حول اغتنام اللحظة المناسبة، وظهرت إثر هذا كتابات تتحدث عن مخاطر الإسلام. وتتحمل الإعلام الغربي في هذا المجال كثيراً، والإعلام الغربي، لا سيما الأمريكي منه هو في أيدي المؤسسات اليهودية الصهيونية. ثم إن المسيطر على مدارس الاستشراق في العالم هم من الصهاينة اليهود، وبات بعض هذه المؤسسات أن من المفيد غزو الإسلام ومحاربته عن طريق بعض المسلمين، فمنذ سنوات جاءني طالب دمشقي يدرس في ألمانيا كلفه أستاذه وهو يهودي بالتحضير للبحث في مسرحية الخواتم الثلاثة أو ناثان الحكيم للكاتب اليهودي الألماني ليسنغ Lessing، الذي يعد من بين كتاب عصر التنوير. وتقوم هذه المسرحية، أن ناثان كان معاصراً لصلاح الدين الأيوبي، وكان صديقاً له يلعب معه بالشطرنج ويتجاذب معه بعض الأحيان، وفي أحد الأيام سأله صلاح الدين وأحرجه، فقال له: انظر يا مولاي كان هنالك رجل حكيم امتلك خاتماً نفيسه عنده كبير وشامل من الألوان، وعندما مات ورث هذا الخاتم ابنه، وأوصاه بعمل ذلك معه، وهكذا إلى أن وصل لواحد ممن آل إليه الخاتم ثلاثة أولاد، فاحتار بمن يورث الخاتم، فعمد في النهاية إلى أن أمر بصنع خاتمين مشابهين للخاتم الأصلي، وإثر موته ادعى كل واحد من أولاده أن ما لديه هو الخاتم الأصلي، فاختلفوا فذهبوا إلى واحد من الحكماء ليفصل بينهم، فما كان منه إلا أن أخبرهم أن من المستحيل إصدار الحكم حول معرفة الخاتم الأصلي، فذهب كل واحد من الثلاثة مدعياً أنه يمتلك الخاتم الصحيح، وأراد ليسنغ بالخواتم الثلاثة: اليهودية، والمسيحية والإسلام.

ولم يمض طويل وقت على هذا حتى فوجئت بقدوم أستاذ من ألمانيا يلقي محاضرة في كلية الآداب جامعة دمشق حول مسرحية ليسنغ، وسألت وقتها عميد كلية الآداب عمن وجه إليه الدعوة ورتب الأمور، فأجاب بعدم المعرفة.

ثم كان أن ترافق هذا النشاط بظهور عدد من الكتابات المتشنجة في لبنان، لا بل حتى في دمشق نفسها، منها بحث أن نظرية الأحرار... حيث صرح جل

* أستاذ جامعي / سوريا

للكشف في الغرب جهودهم تبحث في المسيحية تاريخاً وعقيدة، للوصول إلى نتيجة أن المسيحية مرتبطة باليهودية، وأن على المسيحيين العودة إلى اليهودية. وكان لهذا نتائج خطيرة، كان منها اعتذارات البابوية، وتبرئة اليهود من دم المسيح، والوصف هذه الأبحاث هشمت اليهودية دينياً وغيرها من ديانات العالم، وجاءت الفتاوى الصاخبة في الإسلام بلا مصطلحات علمية دقيقة. لذلك تم الاتفاق نحو ما سمي بـ«الإسلام السياسي» وتوجيه تهمة الإرهاب إلى جل المنظمات السياسية الإسلامية، ويصل الأمر إلى حد أن احتلال كل من أفغانستان والعراق يعتبر عملاً مشروعاً، والذين يدافعون عن بلادهم ويحررونها هم إرهابيون، والأنكى من هذا يعد الشيخ أحمد ياسين في نظرهم إرهابياً وشارون اليهودي الكافر يسمى شارون المجرم الآثم، مناضلاً ضد الإرهاب. لقد اختلطت المفاهيم، ولكن نعيش في غربة الإسلام، فلنبذل جهودنا كلها حتى نكون من المسلمين الصالحين، وأن نتعامل مع هذا الوضع الخطير بعلم وعقل وبوسطية جادة، ومنطلق إسلامي صحيح، وأن نبتعد عن ردود الفعل والرغبة في الانتقام، فالإسلام دين الهداية والمحبة لا دين القتل والانتقام.

ونحن جميعاً نعرف أن النبي ﷺ رفض منطق الانتقام من المشركين يوم أحد ودعا لهم بالهداية، ثم قال لأهل مكة يوم الفتح: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

وفي هذه الأجواء المسمومة أمضيت مطولاً مع تاريخ ومحتوى جميع الديانات والعقائد، وأنا منذ سنوات أتعامل مع كل من اليهودية والمسيحية، لأن الصهيونية والصليبية سواء، وأتكلم ومحمد هو النبي في الإسلام ومحمد هو النبي الذي ارتضاه الله لعباده ... ووصل إلى مرحلة التجرد على فهمه وتطبيقه، ولذلك بات الإسلام صالحاً لكل زمان ومكان، ولا يصلح زمان ومكان من دون إسلام. يقول الله تعالى في محكم التنزيل:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ سورة آل عمران الآيات 18 - 22.

والمتمعن بهذه الآيات الكريمة يدرك وكأنها كتبت لمواجهة ... في زمن خبث العهد ... أن الإسلام وحده يتمتع بسمة الدين، لأن الدين هو النظام الشامل لجميع أوجه الحياة بشكل عام ومتوازن وبلا تناقضات، ومن دون تعصب مع التركيز على الجانب الأخلاقي والإنساني وهذا لم يتوافر في غير الإسلام. فالأناجيل عدة وهي تحتوي على ذكريات بعيدة كتبت بسنوات متعددة تسرد بعض الوصايا والتوصية ببعض جوانب السلوك البشري، وهي كتبت بعهد من المسيح ربما في روما، بتغيير الأرامية من قبل أناس ... جاءت بعد انتقال المسيح عليه السلام بعقود من الزمن، وهي من المؤكد لا علاقة لها بالوحي، وما من إنسان يدرك ... بيسوع المسيح عليه السلام، ولذلك يلاحظ أن القرآن الكريم لم يستخدم كلمة «مسيحيين» بل اعتمد كلمة نصارى، والنصارى نسبة إلى الناصرة، فالمسيح عليه السلام كان ناصرياً ولم يكن نصرانياً، والنصراني هو

التي أخذ بالصوفية التي اخترعها بولس اليهودي الذي عُرف من قبل باسم شاول، فهو عندما سيطر على الكنيسة قال لأتباعه: «أنتم حر المحللين وأول النصارى».

ومثلما ضاع إنجيل المسيح عليه السلام كان قد ضاعت من قبل الكتب التي أنزلها الله على الأنبياء بني إسرائيل ولا سيما توراة موسى عليه السلام فالتوراة المتداولة بين أيدي الناس ليست التي أوحى الله بها إلى نبيه موسى عليه السلام، ومعنى كلمة «توراة» الأسفار الخمسة ويحتوي كتاب العهد القديم على عدد كبير من الأسفار وكان عزرا الكاتب أول من عمل على تدوين التوراة، وكان عزرا يعمل كاتباً في البلاط الأخميني الفارسي وقد ظهر بعد موسى عليه السلام بما يربو على ألف سنة وعزرا الكاتب ليس هو الذي أماته الله ثم أحياه كما ورد في القرآن الكريم. واستمرت أعمال تدوين أسفار العهد القديم ما يزيد على ألف وخمسمائة سنة، ثم إن العهد القديم ليس هو الكتاب الأساسي لدى اليهود بل كتابهم المعتمد هو التلمود الذي استغرق تدوينه في بابل نحو السبعمائة سنة، وهو مثل العهد القديم من صنع الحاخامات ولا علاقة مباشرة له بالوحي.

وإننا لا نعرف شيئاً موثقاً لا حول الإنجيل ولا حول العهد القديم، ولا نعرف تاريخاً موثقاً عن حياة جميع الأنبياء عليهم السلام قبل النبي محمد ﷺ كما لا نعرف أين عاشوا ولا الظروف الجغرافية والمعاشية لأي منهم، وذلك باستثناء المعجزات الموجزة التي وردت في القرآن الكريم. فإن مثل هذا ينطبق على تواريخ الديانات الوضعية مثل البوذية والبراهمية والزرادشتية وسواها، ومقابل هذا نعرف بشكل تفصيلي يقيني المكان الذي ولد فيه النبي المصطفى ﷺ، وأهله وعشيرته، وبيئته، وكل مرحلة من مراحل حياته العامة والخاصة. وهو نبي عربي من الأنبياء، لا بل من بين كل التاريخ نعرف قبره وتاريخ وفاته بالساعة واليوم والشهر والسنة.

وثبت بالدليل العلمي أن القرآن الكريم كتاب فيه كلام الله عز وجل، منزل من إله واحد فرد صمد لم يتغير ولا يتغير ولا يتبدل، ولا تأخذه سنة ولا نوم، ليس كمثله شيء، وهو سبحانه على كل شيء قدير، يحيط بحكمته بكل شيء، فقد اقتضى جل وعلا بأن يكون القرآن الكريم كلامه الذي لم يحرف، ولا يعرف التبديل ولا التغيير، وأن فيه المنهاج الذي تحتاجه البشرية كما البشرية دوماً وأبداً، وأنه بالإسلام نسخ جميع الشرائع الماضية، وبصلاته ﷺ بالأنبياء جميعاً يوم المعراج، جاء ذلك اعترافاً برسالته ورعايته المطلقة، وأرى أنه لحكمة ربانية بقيت بعض الآثار المصرية للأنبياء عليهم السلام، حتى يمكن عقد المقارنات، ولاستنباط البراهين على أن الدين هو الإسلام وأن القرآن كتابه حتى الساعة، وهو المعبّر لإرادة الله تعالى.

يتحدث بعض الناس في هذه الأيام عن إسلام وسط وإسلام متشدد وإسلام معتدل هذه التقسيمات لا وجود لها إلا بالأوهام حيث هناك إسلام واحد

لكن على الرغم من هذه الوثائقية الفريدة، ولأسباب كثيرة أصيب الفكر القصصي الإسلامي بوباء الإسرائيليات، وعمد كثير من العلماء إلى الإكثار المدهش من القصص الموضوعة المعزوة إلى كعب الأحبار وسواه، مع أن معاوية بن أبي سفيان اتهمه بالكذب، وأن عبد الله بن عباس قال: «كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على رسوله أحدث الكتب بالله، تقرؤونه محضاً لم يُشَب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا: هو من عند الله، ليشتروا به ثمناً قليلاً، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم

عن مسائلهم، لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم». وقال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا». وروى الإمام أحمد في مسنده أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي (ﷺ) بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبي ﷺ قال: فغضب وقال: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني».

وإن الأمر مثير للدهشة مسألة دور الإسرائيليات الذي كان، والذي ما برح قائماً عن هذه الشاشة البيضاء وتدعمه مؤسسات الصهيونية وما تزال تدعمه، لأن وسائل الإعلام الرئيسة في العالم بأيدي اليهود الصهاينة. فقد ذكر عضو الكونغرس الأمريكي (بول فندلي) في كتابه «الصحوة» أن المجلات الكبرى في الولايات المتحدة وعلى رأسها «التايم» و«النيوزويك» ويو إس نيوز أند وورلد ريبورت يملكها يهود. وإن صحف نيويورك تايمز ووول ستريت جورنال وواشنطن بوست يملكها يهود صهاينة. ومثل ذلك محطات التلفزة الرئيسة ولا سيما الـ N.B.C والـ C.B.S والـ A.B.C يديرها يهود صهاينة، والصهاينة هم المهيمنون على صناعة السينما في هوليوود وبيدهم المصارف والأموال في أيديهم.

وصحيح أنها حالة مرعبة، لكن لا بد من مواجهتها بأوامر الله تعالى وتوجيهات النبي المصطفى ﷺ بشجاعة وعقل وعلم، والهدف من وراء ذلك حماية المؤمنين والسعي لهداية البشرية وتحريرها من الطغيان والتسلط، ويكون ذلك بالدعوة إلى الإسلام.

﴿ فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ﴾ سورة آل عمران الآية 20.

ولكون الدعوة إلى الإسلام بشكل علمي منطقي هادف ونحن نملك في هذا المجال تراثاً غنياً جداً وخبرات واسعة، تمتد من العصر النبوي إلى نهاية العصور. ولا بد أن تكون الدعوة من طريق الدعوة المشفوع بالترغيب والعلم والمحبة، والصدق بالقول والعمل. ويمتلك الإسلام من قوى الإقناع الذاتية ما هو متحرر من جوانب الضعف في العقائد الأخرى، ولعل وسائل العصر الحالية إذا أحسن استخدامها، وتوفرت لها الخبرات والبرامج يمكنها أن تقدم الكثير الكثير من الفوائد، مع مزيد من الاعتماد على الأقليات الإسلامية المنتشرة في جميع أنحاء المعمورة، والمهمة كبيرة وصعبة، تكتنفها صعوبات مختلفة، وهي واجبة على جميع العلماء، وهي أحرى على جمعية الدعوة الإسلامية بحكم علاقاتها وصلاتها بالقائمين عليها، وما توافر لديها من خبرات كبيرة أن تتولى عبء هذه المهمة بوضع برامج لها، أو بدعوة العلماء من أصحاب الاختصاصات، كل بحسب اختصاصه، إلى مائدة مستديرة لوضع مشاريع البرامج، ومن ثم نقلها من واقع التنظير إلى الواقع العملي.

فليبيا بما حباها الله به من موقع وإمكانات وجماهير مؤمنة وقيادة، يمكن أن تقيم شبكة كبيرة من الفضائيات تغطي العالم أجمع، فهي مطلة على البحر المتوسط، قريبة من أوروبا، موجودة في القارة الأفريقية، وقد آن الأوان لمقابلة الشر بالخير والصلاح.

وأشدد مرة أخرى على الحوار وسماع الرأي الآخر واعتماد العلم المقرون بالإيمان، وأن يكون العمل كله خالصاً لوجه الله وفي سبيله، يقول الله تعالى:

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ سورة الحجرات الآية 13.

ويقول أيضاً

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء الآية 1).

وفي ذكره تعالى للشعوب والقبائل اعتراف بالتعددية، لكن ليس تمييز باللون أو النسب لأن البشر كلهم لآدم، وأكرم البشر عند الله هو أتقاهم، وهنا نجد من بين البشر التعارف لا التصارع أو التواجه، أو التصادم، والتعارف بشروطه وقواعده وأهدافه، ومن معاني التعارف معرفة الذات والإيمان والحوار المستمر بمبادئ الرسالة الإلهية، ومعرفة الآخر من جميع الجوانب، وبعد معرفة الذات التعريف بها، والهدف من التعارف هو الوصول إلى الإيمان والتقوى، والتقي يخاف الله تعالى ولا يمكن له أن يظلم أو يتجبر أو يقتل، أو يغش أو يخادع، والتقي هو المبتعد كلياً عن الظلم والكفر والذنوب، ويتم التعارف بوسائطه مباشرة وغير مباشرة، وبالحوار وبالدعوة، ومن هنا جعل الحوار طريقاً للدعوة ووسيلة لها، وفي تاريخ الإسلام ما لا يحصى من الأمثلة لتوجيهها المرشدة، من ذلك مع البدايات نقرأ في كتاب السيرة لمحمد بن إسحق أنه بعد ما أنزل الله تعالى على نبيه التكليف بالرسالة وبعد وقت قصير من الدعوة السرية أمر بالإعلان بقوله جل وعلا

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾
(سورة الحجر الآية 94)

وقال أيضاً مبيناً المنهج والطريق

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة الشعراء الآيات 214، 215).

وتنفيذاً منه ﷺ لهذا الأمر دعا عشيرته وأقرباءه، فأطعمهم وسقاهم ثم حدثهم عن الرسالة التي كلفه الله تعالى بها وحاورهم، وبعد هذا ختم حديثه وحواره بترغيب، وبعد بقوله: والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة.

والحوار ينبغي أن يكون علمياً مسبقاً بيقين في المحاور بالرأي الآخر مع ضمان لحرية الكلمة والتعبير، وهكذا نحن نقرأ في القرآن الكريم قصة موسى عليه السلام مع صاحبه الذي آتاه الله من عنده رحمة:

﴿ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾
(سورة الكهف الآيات 65 - 69).

ويعد هذا الحوار من موسى كليم الله عليه السلام مثالياً فيه إقرار بالطاعة للعلم والعلماء مع أنه كان معصوماً بحكم النبوة، والإقرار بالطاعة لمن آتاه الله العلم يقيني، لأنه لا يخشى الله من عباده إلا العلماء، وفي الحوار ليس هنالك حدود بالمواضيع، إنما مع الالتزام بالأدب والرغبة بالوصول إلى الحقيقة. ونقرأ في القرآن الكريم

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾
(سورة البقرة الآية 260).

وهنا نجد رب العزة يستجيب إلى طلب نبيه من خليله. لذلك فإن الإسلام ضمن حرية السؤال، وشرع الإصغاء إلى الرأي الآخر، فعندما تسلم الصديق الخلافة ضمن للمسلمين حق الشورى وحرية الرأي، وحرية الرأي والعقيدة أساسية في الإسلام، لأن لا إكراه في الدين، وفي تاريخ الإسلام نجد تمييزاً دوماً ما بين السيطرة السياسية أو العسكرية، وبين اعتناق الإسلام من قبل الشعوب المفتوحة، والتراث الإسلامي غني جداً بأسماء العلماء وبأشهر مجالس المناظرات حيث لم تستهدف المناظرات تحقيق النصر لواحد من الطرفين، بل كان المراد بسط الآراء وتحسين الفكر والتوسعة على الناس حتى قيل: اختلاف الأئمة رحمة للأمة.

والمسلمون الآن بأمس الحاجة إلى العودة للأخذ بهدي السلف القويم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] وحين يعود المسلمون للخلق بهدي الخلق [illegible] يكونون قادرين على الحوار والتعريف بالإسلام.

ويتحدث بعض الناس في هذه الأيام عن إسلام وسطي وإسلام متشدد وإسلام معتدل، وهذه التقسيمات لا وجود لها إلا بالأوهام، حيث هناك إسلام واحد.

ولما كان التاريخ خير مساعد على صنع الحاضر والتخطيط للمستقبل، من المفيد عقد مقارنة بين ما كان الإسلام سبباً في إنجازه إثر انتشاره، وبين الذي صنعته المسيحية في أوروبا بعد انتشارها.

ارتبطت بدايات الإسلام بكتاب [illegible][1] وقلم، [illegible] وإرشاد له [illegible] التفكير [illegible] المسيحية، فكانت [illegible] بالعزي من المحصلات [illegible] في المدينة المنورة [illegible] كانت ساحة لصراع العصبيات [illegible] صارت بعد الهجرة [illegible] واستقرار الأمور دار للإشعاع الإيماني والعسكري، وبدأ [illegible] الأمثل للإسلام الجديد الذي أقر بأن السعادة البشرية ليست القوة والجبروت والمال بل بالسلوك المثالي المرتبط بوحدانية الخالق والخوف من الله ومراقبته في السر والعلانية. وبعد [illegible] انطلقت المسيرة حركة الفتوحات الكبرى، وشهدت قيام إدارة جديدة راشدة [illegible] لا يحصى عدده من العلماء، لأن الوضع السياسي والعسكري إذا لم يدعمه الفكر والإيمان والنهضة الحضارية مآله إلى الاندثار كما حدث لإنجازات جنكيز خان والمغول العسكرية.

ولعل ما حدث في المدينة المنورة [illegible] القيم [illegible] الإسلام إلا [illegible] الحياة فيه كلياً، حيث أقبل الناس على العلم والتعلم، وكتب التعليقات والتراجم كثيرة جداً فيها ما لم تعرفه البشرية من قبل [illegible] السبل أمام الجميع حتى [illegible] إمام [illegible] أهل العراق [illegible] الإمام [illegible] والعربية والنحو من أهل [illegible] وكبار المحدثين من بلاد خراسان وما وراء النهر مثل البخاري والنسائي ومسلم والترمذي وأبي داود وغيرهم كثير.

ويعكس هذا تماماً ما شهدته أوروبا بعد انتشار المسيحية فيها، حيث أغلقت المدارس ومنع الناس من التفكير، وصارت عقوبة التفكير الحر هي محاكم التفتيش والإعدام حرقاً، وكانت هنالك الكثير من حروب الإبادة لإرغام الناس على ترك ديانتهم مثلما حصل [illegible] مع الساكسون [illegible] والأندلس [illegible] من المسلمين إلا بالسيف أو بالتعميد.

وهذه كلها حقائق تؤكد أن الإسلام دين الهداية لا دين القتل، حيث يقول الله تعالى في قرآنه أنه قد كتب ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (سورة المائدة الآية 32).

وهذه حقائق لا بد من تبيانها بشكل علمي للمسلمين وغير المسلمين بطرائق متعددة.

وشهدت سنوات [illegible][1] [illegible] الحوار [illegible] المؤتمرات، ومنها ما جاء بمثابة [illegible] ومنها ما جاء أصيلاً، ولكن شخصياً لا أقبل بالحلول [illegible] على ذلك العمل تجاه أعمال أو أفكار الآخرين، بل [illegible] بالعمل الأصيل الصادر عن القناعة، فردود العمل غالباً ما تكون انفعالية آنية [illegible] الإنسان [illegible]

ويبقى علينا أن نواجه سؤالاً لا بد منه: هل المسلمون الآن قادرون على التعريف بالإسلام وبأنفسهم والقيام بأعمال الحوار مع الغرب عبر [illegible] وفي حقيقة الواقع المسلمون [illegible] في هذه الأيام من أن يستطيعوا القيام بهذا الواجب، ومع ذلك لا بد من معالجة أسباب الضعف، وعندي أن الإسلام على الرغم من [illegible] الواقع المرير يتمتع بعمل

قوام الدنيا يخطئ من الله، لأنه جلّ وعلا هو الذي أنزل الذكر ويتعهد بحفظه.

ومن شروط الحوار القبول من جميع الأطراف، أو توافر القدرة على الجذب من الجانب المسلم للأطراف الأخرى بمعرفته بثقافة هذه الأطراف من جملة من المشاكل، والقدرة على العرض والإقناع بأن الحل متوافر بالإسلام. ومع هذا الشرط يحتاج الحوار إلى الكفاءة والتكافؤ بين الأطراف، لا بل التفوّق الإيماني والخلقي من الجانب المسلم مع القدرة على الإقناع، وهذا غير متوافر بوجود العائق اللغوي وعوائق المعرفة. فالعالم الإسلامي يفتقر إلى مراكز الدراسة والبحث حول الآخرين، ففي العالم الإسلامي لا يكفي أن ليس لدى المسلمين مراكز لدراسة تاريخ الولايات المتحدة وتركيبتها الاجتماعية والسياسية والبشرية والفكرية والعقائدية، لا يكفي هذا، بل لا يوجد في بلادنا الإسلامية مراكز حول أي من شعوب العالم، والأنكى من هذا عدم توافر مركز للدراسات العبرية والصهيونية مع تعج بالمصادر والدراسات المهمّة. فقد بحثت عن نسخة من التلمود البابلي في البلدان العربية فلم أجد، وأخيراً عندما حصلت على نسخة تقع في ثلاثين مجلداً كبيرة لا أجد من يتكفل الإنفاق على مشروع ترجمة هذا الكتاب وإعداد دراسات حوله.

ولا بد من أن يكون الحوار حوار الإقناع لا حوار الترضية والتنازلات والصفقات، فما من أحد يطلب من التنازل في شريعة الله، ومن أقدم على ذلك عدّ خارجاً عن الإسلام، وهذا يشكل تحدياً من تحديات العلمانية وفصل الدين عن الدولة، ورفض تطبيق الشريعة. فالإسلام كل لا يتجزأ، ويتوجب أن يتمتع المحاور المسلم بالمعرفة، والإيمان، وصلابة أسس الموقف والرأي، وأن يحسن استغلال الهيبة من الإسلام، فالنبي عليه الصلاة والسلام نصر بالرعب من مسيرة شهر. والرعب هنا يعني أن يكون مهيباً حتى أدى العيش مع الكفر والآثام، والظلم والاستغلال، وانعدام الطمأنينة عند الجانب المراد هديه إلى الإسلام. ويقتضي هذا تفوقاً إسلامياً حضارياً وفكرياً، أو على الأقل وجود مساواة، وهنا أنا أميّز بين المعرفة والحضارة، ففي عصر الحروب الصليبية امتلك الصليبيون تفوقاً في معارف السلاح والتسليح، لكن الجانب المسلم كان متفوقاً في جوانب الحضارة، ومتمسكاً بمفاهيم الحضارة المرتبطة بالتوحيد، فمن وجد النور، ومن أشرقه وجد الأعداء والمطارح، وكان عليه الكثير من الانتباه.

إن الحاجة ازدادت من أجل كتابة تاريخ العرب والمسلمين، ذلك أن هذه التواريخ لم يكتب حتى تماه كتابته

وقد قيل بعضهم إننا نمتلك الآن ثروات على العرب، لكن هذا وهم غير مقنع داخلياً، ولا يتمتع به خارجياً، فالنقد والتكفير والتكفير لا يجدي، والجدل البيزنطي لا يوصل إلى نتائج مجدية، وهو أشبه بعبور الطريق.

والمطالب كثيرة وهنا كله من الممكن تحصيله وهو من فروع الجهاد في هذه الأيام. وعلى رأس المطالب المستعجلة إنهاء عصر التبعية الفكرية لغير المسلمين، والتبعية الاجتماعية والسلوكية وإن عاد إلى صناعة دراسات شاملة لجميع الجوانب لتحقيق كسمتين متمسلمين على وحدة الأسس والتوجيهات، ويحكم الاختصاص أعتقد أننا لا نقوم بكتابة تاريخ الأمة الإسلامية ضمن أسلوب وحدوي علمي إيجابي، وسوف أكتب مع هذه المسألة بما يكفي من الجهد.

لقد استبد بأعمق التاريخ الحديثة للإسلام والمسلمين أجيال من المستشرقين والمستغربين،

الذين اشتهروا بشكل عام بكراهية الإسلام وبالتالي عملوا للنيل من تاريخ المسلمين بمكر شديد وبافتقادهم للإنصاف والحيادية. وبحثوا دوماً في ما أسموه دوماً باسم الفتوحات. ومنذ ما يزيد على ثلاثة عقود من الزمن جرت محاولات لإنهاء التبعية الفكرية، ولإعادة كتابة التاريخ. وتحمس العرب لهذا المشروع، وعقدت ندوات كبيرة حوله في ما بين الكويت، وطرابلس والإسكندرية، ودمشق، وفي دمشق تأسست منذ عام 19٨٠ لجنة قومية للقيام بهذه المهمة، ووضعت مخططاً مختصراً، لكن حتى الآن لم يتحقق شيء ملموس، لأن [illegible] تعرضت الآمال، وبات الآن هناك اكتفاء بكتابة كتاب مرجعي مختصر.

وانتهى القرن العشرون ودخلنا في عصر جديد هو عصر الاتصالات والعولمة وشبكات المعلومات، وباتت معظم مدارس التفسير التاريخي التي أبدعها الغربيون قاصرة، وأخفق التفسير المادي للتاريخ وكذلك التفسير الرأسمالي، ونحن في عالم من المتاعب والهموم وتحول العرب من الدعوة إلى الوحدة العربية إلى تخطيط حدود الكيانات السياسية والترافع أمام المحاكم الدولية والحروب أحياناً، ولقد بت الآن أشبه بأمم.

وعلى الرغم من هذا كله أرى أن الحاجة ازدادت من أجل كتابة تاريخ العرب والمسلمين، ذلك أن هذا التاريخ لم يكتب حتى تعاد كتابته. وهنا لا بد لنا من تأسيس جيل من الباحثين، وإعادة النظر في تصنيف المصادر وجمع هذه المصادر والاتفاق على الاصطلاحات العلمية، واعتماد تحقيب متفق عليه مع التوصل إلى مدرسة، أو مدارس عربية إسلامية لتعليل التاريخ وتفسيره ومعالجة قضاياه ومن ثم كتابته بشكل وحدوي شمولي.

وإنجاز هذا المشروع يبعث نور الهوية العربية الإسلامية، وصيرورة هذه الهوية بمعطياتها لكل عربي ومسلم، ومن لم يشرف في الغرب فلعل مكة أخرى بحاجة، وأن الأوان أن يوقف استيراد التحريفة [illegible] ويستخرج ويحقق من هذه [illegible] لا سيما من عند الصليبيين والصهاينة.

ويستثنى عن [illegible] الغالبية العظمى من المستشرقين ابتداءً من تاريخ الإسلام والمسلمين من الحقب التاريخية التالية وذلك على ما بعد نهاية الحرب العالمية الأولى:

1. العصر النبوي
2. العصر الراشدي
3. العصر الأموي
4. العصر العباسي في العراق
5. العصر العباسي في مصر
6. عصر السلطنة العثمانية
7. عصر الاستعمار والتمزق واختلاط المرجعية الشرعية

ومع هذا التحقيب هنالك مباحث مخصصة لكل من الخلافة الأموية بالأندلس والخلافة الفاطمية ودولة الموحدين، وفي إطار المرجعية الكبرى يمكن التعامل مع تواريخ الدول المستقلة أو شبه المستقلة التي ظهرت في دار الإسلام.

وبما أن الإسلام نظر إلى الإنسان نظرة كاملة جامعة، وبحيث أن الإنسان هو صانع الحدث التاريخي ويمثل التاريخ الحقيقي، أرى الإقلاع عن البحث في تاريخنا من خلال منظور الحوليات أو منظور الحكام بل نعده بمثابة كل كبير، كل كتلة تشكل عنصراً مهماً سواء أكان سياسياً أم عسكرياً أم حضارياً أم ثقافياً أم اقتصادياً، وفي ما يلي بعض المخططات المقترحة:

العصر النبوي:

تقديم: تعريف عملي بالمصادر والمراجع

مدخل: وضع شبه جزيرة العرب، أوضاع الدول

مبني قبل ظهوره وأحوال القوى الكبرى المحيطة بها الموقع وخرائطه المياه أنماط المعيشة وأماكن الاستقرار ظهور القبيلة صعود مكة ظهور قريش وأحوالها التجارة المحلية والخارجية وأنواع السلع والقبائل الأسواق وإسهاماتها، الأوضاع الدينية الحنيفية اليهودية النصرانية الوثنية المجوسية السلطة والزعامة والحروب وأهم الأيام الأحوال الثقافية وأنماط المعرفة الشعر السرقية وأعمال والأسلحة والتسليح دور الجمل والفرس.

الفصل الأول: المرحلة المكية من حياة النبي ﷺ والدعوة الإسلامية مكة البيت الحرام والحج، سيطرة قريش على مكة وتنظيمات قصي بن كلاب أحلاف قريش الداخلية بعد قصي الإيلاف أبرز الأسر والعشائر القرشية بنو هاشم، ميلاد النبي ﷺ، حياته في ظل كفالة جده ثم في ظل كفالة عمه زواجه من خديجة سجاياه وشمائله البعثة وأسبابه المبعث المرحلة السرية الجهر بالدعوة المسلمون الأوائل معارضة قريش الهجرة إلى الحبشة عرضه ﷺ دعوته على القبائل ذهابه إلى الطائف مشروع الهجرة إلى المدينة

الفصل الثاني: المرحلة المدنية من حياة النبي ﷺ وتأسيس دولة الإسلام الأولى (يثرب قبل الهجرة السكان من الأوس والخزرج اليهود في يثرب وخيبر ووادي القرى الصراعات الأوضاع السياسية محاولات الملك الاتصالات الأولى بين النبي ﷺ وعناصر من عرب يثرب مشروع الهجرة مصعب بن عمير ودوره بيعة العقبة الثانية الهجرة دستور المدينة الأول وإقامة المسجد المفاهيم الجديدة التحولات الاقتصادية والاجتماعية والدينية في المدينة تطور الدعوة)

الفصل الثالث: الأعمال العسكرية في العصر النبوي أ) الجهاد فريضة القتال الغنائم الأسرى معاملة العدو المهزوم الجزية والخراج ب) المعارك ضد اليهود ج) المعارك ضد قريش ومكة حتى الفتح، د) المعارك ضد قبائل شبه الجزيرة بما في ذلك اليمن) هـ) المعارك إلى أطراف شبه الجزيرة و) مراسلة الحكام والملوك والأباطرة والدعوة إلى الإسلام. ز) السلاح والخطط وتطور الجيش وأبرز القادة ح) عام الوفود

الفصل الرابع: التنظيمات الإدارية والتشريعية والاجتماعية (النبي ﷺ من الدعوة إلى التشريع فقيادة الدولة رجل الدولة ظهور مفهوم أسرة آل البيت ورسوم التعامل مع النبي ﷺ ومع آله الاهتمام بالتعليم مفهوم السلطة والدولة أيام النبي ﷺ حجة الوداع المرض الأخير والانتقال إلى الرفيق الأعلى قلق المستقبل وأزمة الحكم أبرز خصائص الجماعة الإسلامية)

خاتمة

المصادر والمراجع

المحتوى الفهارس

العصر الراشدي

التقديم: تعريف نقدي بأهم المصادر والمراجع

الفصل الأول: تأسيس الخلافة (مؤتمر السقيفة بيعة أبي بكر حروب الردة الشروع بالفتوحات)

الفصل الثاني: خلافة عمر بن الخطاب (الفتوحات على جبهة الشام مؤتمر الجابية وفتح القدس فتوحات العراق وفارس فتوحات الجزيرة وأرمينيه وأذربيجان فتح مصر وفتوحات الشمال الأفريقي.

الفصل الثالث: التنظيمات الإدارية الدواوين الخراج الجزية الصدقات، تأسيس مدن المعسكرات والتبدلات الاجتماعية

الفصل الرابع: أزمة الحكم بعد مقتل عمر بن

الفصل الخامس: مقتل عثمان و... بالخلافة (الفتنة الكبرى)

ومقتل عثمان وظهور الحزبيات

الفصل الخامس: حركة الفتوحات البرية والبحرية بعد حكم الشيخين

الفصل السابع: التعريف بأبرز شخصيات العصر الراشدي السياسية والإدارية والعسكرية والفكرية

خاتمة

المصادر والمراجع

المحتوى والفهارس.

الخلفاء .

الفصل التاسع: الحياة الاقتصادية

الفصل العاشر: الحياة الاجتماعية

الفصل الحادي عشر: الحياة الفكرية ودور آل البيت الأموي.

الفصل الثاني عشر: التعريف بالخلفاء وأبرز الولاة والقادة والساسة

خاتمة

جريدة المصادر والمراجع.

المحتوى والفهارس الفنية العامة

العصر الأموي

مقدمة: دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع

مدخل: تعريف بالأسرة الأموية وأهم سماتها وذلك حتى تأسيس الدولة الأولى ثم الثانية)

الفصل الأول: الحياة السياسية

الفصل الثاني: الحياة الإدارية

الفصل الثالث: العلاقات مع بيزنطة

الفصل الرابع: حركة الفتوحات (المشرق، المغرب الأقصى والأوسط، جزر البحر المتوسط، أرمينية وأذربيجان، الخزر)

الفصل الخامس: الجيش والبحرية

الفصل السادس: الحزبيات السياسية والعصبيات القبلية والعرق (الشيعة، الخوارج، الزبيرية، النجدية، الجبرية، المرجئة والفئات الأخرى).

الفصل السابع: النشاطات الفكرية والثقافية (المهارات المعمارية وأوجه النشاط المعرفي والحضاري: التدوين، الترجمة، الشعر، الأدب، العمارة، المساجد والقصور، الري وإصلاح الأراضي، الحمامات ووسائل اللهو

الفصل الثامن: النشاط الفكري الديني العلمي: التفسير، الفقه، السيرة، التاريخ والأخبار.

العصر العباسي (في العراق)

مقدمة: دراسة لأهم المصادر

مدخل: تعريف بالأسرة العباسية

الفصل الأول: الدعوة العباسية، الثورة، تأسيس الخلافة العباسية وبناء بغداد

الفصل الثاني: الحياة السياسية وعصر قوة الخلفاء

الفصل الثالث: الحياة السياسية ومراحل التحكم بالخلافة، ضعف العصر العباسي، السلاجقة

الفصل الرابع: الوزارة والدواوين والنظم الإدارية

الفصل الخامس: الحياة الاجتماعية، المنظمات الشعبية، العيارون، الفتيان ...)

الفصل السادس: الحياة الاقتصادية

الفصل السابع: أهم التيارات اللا إسلامية والشعوبية والحركات الدينية المتنوعة

الفصل الثامن: العلاقات الخارجية وبخاصة مع بيزنطة

الفصل التاسع: الدول المستقلة وشبه المستقلة في المشرق والعراق والجزيرة والشام ومصر وشبه الجزيرة، وبلاد خراسان وما وراء النهر، والمغرب والأندلس

الفصل العاشر: الأحوال الفكرية - التدوين - الفقه - الحديث - التفسير - السيرة - التاريخ - الطبقات والتراجم - الأدب - المكتبات والمعاجم - الترجمة - علم الكلام - الفلسفة - الملل والنحل - الجغرافيا - علم الهيئة والفلك - الكيمياء - الطب والصيدلة والمشافي - علم الحيوانات - علوم البحار - العلوم العسكرية - الهندسة - الري - النسيج - الرياضيات والموسيقى - الوراقة والنشر - الشعر...

الفصل الحادي عشر: التعريف بالخلفاء ورجال السياسة والولاة والوزراء والقادة

الفصل الثاني عشر: القضاء

الفصل الثالث عشر: أهل الذمة - النصارى والصابئة والمجوس واليهود

الفصل الرابع عشر: من أوجه الحياة الحضارية - البناء - النقود والأقنية وإصلاح الأراضي - الحياة المدنية

الفصل الخامس عشر: سقوط الدولة العباسية في بغداد

خاتمة

جريدة المصادر والمراجع

المحتوى والفهارس الفنية

العصر العباسي الثاني في مصر

مقدمة: دراسة لأهم المصادر

مدخل: التعريف بالأوضاع في بلاد الشام ومصر - الأيوبيون في الشام وفي مصر - الكيانات الصليبية - الخوارزمية - الحملة الصليبية السابعة - ظهور المماليك

الفصل الأول: المغول من جنكيزخان إلى هولاكو

الفصل الثاني: معركة عين جالوت ونتائجها

الفصل الثالث: بيبرس وإعادة تأسيس الخلافة العباسية ونشاطاته ضد الصليبيين والمغول

الفصل الرابع: النظام العسكري والسياسي والإداري للمماليك - التدريب - الإقطاع العسكري - مصادر المماليك وجنسياتهم ومدى اندماجهم في المجتمع - حياة الفلاح.

الفصل الخامس: العلاقات مع المغول الإيلخانيين حتى ما بعد معركة شقحب

الفصل السادس: حكم الأسرة القلاوونية وتصفية الوجود الصليبي

الفصل السابع: العلاقات الخارجية للمماليك

الفصل الثامن: الأوضاع الاقتصادية وحركة التجارة الداخلية والدولية

الفصل التاسع: الحياة الاجتماعية - الأحداث - العامة - الحرافيش - الزعر ...)

الفصل العاشر: الحياة الدينية - العلماء - المتصوفة - السلفية.

الفصل الحادي عشر: الحياة الثقافية والفكرية والعمرانية (الآداب - الشعر - الموسوعات - الطب - التاريخ - العمارة)

الفصل الثاني عشر: العصر المملوكي الثاني - المشاكل السياسية - العسكرية - الاقتصادية - الانحدار والانحطاط إلى الانهيار

الفصل الثالث عشر: سقوط الدولة المملوكية

خاتمة

المصادر والمراجع

المحتوى والفهارس الفنية

يجري إعداد مخطط بالعصر العثماني مع متخصص بتاريخ هذا العصر، كما يجري إعداد مخطط للتاريخ المعاصر مع متخصص أو أكثر.

والله الموفق إلى السداد

دمشق 14/9/2003.

العربية والعولمة.. استنهاض أم استنزاف؟

دراسة تقييمية لوضعها اللغوي

حسن سعيد جالو *

صدرت دراسة لغوية في جامعة كاليفورنيا لوس انجيلوس قسم اللسانيات وأثارت تخوفا عالميا لم يسبق له مثيل إذ بينت بما لا لبس فيه أن وضع غالبية اللغات ليس بأحسن من وضع الهيروغليفي، فهناك ستة آلاف لغة ولهجة ستختفي نهائيا خلال هذا القرن وتذهب معها تراثها ومعارفها. وهذا بلغة الحساب والإحصاء خسارة لا تعوض[1]. لم ينبع خوف العالم من حقيقة الموت فالحياة والموت آية من آياته جل وعلا، وإنما خوف العالم نابع من سرعة تحقيق هذا الموت الرهيب.

يستثني بعض الناس اللغة العربية من هذه الكارثة لما لهذه اللغة من ارتباط وثيق بالقرآن الكريم وهو وعاء الإسلام دين الله الخالد فهو بمثابة الصدفة التي تحمي اللؤلؤة في قاع البحر. لكن هذا لا يمنعنا من الاعتقاد بأن الإسلام دين العقل والمنطق الذي يعترف صراحة بقوانين الكون السارية في الطبيعة والإنسان. سنتطرق في هذا الموضوع إلى مسائل عديدة منها: العولمة باعتبارها امتدادا للفكر الغربي الرأسمالي. والمسألة الثانية: اللغة العربية بين الماضي العريق والمستقبل المصير. والمسألة الثالثة: هل من الضرورة أن نواجه الخطر بكل حزم وجد ونترك الاتكاء على عنصر الدين في أمور لا يمكن الحسم فيها بالدين وحده؟

أ) العولمة

ليست جديدة بل هي تواصل مستمر للعداء الغربي الذي له جذران: جذر مسيحي تبشيري ومسيحي وجذر استعماري عدواني واستغلالي، فهذان الجذران لا يحكم اليهود فكرة الأسود والأبيض فحسب معتقدات وإنما ملابسات تاريخية أكثر تعقيدا.

1) الجذر المسيحي

ولد المسيح عليه السلام في مجتمع يهودي وعاش جل حياته فيه، إلا أنه من البداية سعى إلى إصلاح مسيرة الفرقة التي جعلت الله خاصا باليهود، رغم ما يعنيه هذا الموقف من تناقض سافر مع نصوصهم التأسيسية مثل موقف إبراهيم عليه السلام من الملك الصالح ملك شاليم (التكوين 14: 18-20) والنبي أيوب وسيرة أخنوخ في التكوين (5: 24) وغيرهم من الأنبياء والصالحين الذين كانوا أبرارا رغم كونهم غير يهود يشهد لهم نصوصهم نفسها[1]. لم تسع اليهودية إلى مخاطبة الأمم قبل المسيح عليه السلام فكان جهد اليهود مركزا على تخليص شعبهم من نير الأمم الأخرى كسلطة الإغريق والرومان وغيرهم.

ورغم أن المسيح لم يترك بعده كتابا مقدسا كالقرآن يمكن الرجوع إليه[2]، فإن تلاميذه جمعوا حياته وأقواله في أربع نسخ سميت بالأناجيل الأربعة، ثلاثة منها ملخصة من مصدر سابق لم يعثر عليه تسمى بالأناجيل الملخصة (synoptic) وهذه الأناجيل هي

* كاتب وباحث عماني

إنجيل متى وإنجيل لوقا وإنجيل مرقس والرابع مستقل وهو إنجيل يوحنا. فالإنجيل في الحقيقة مشروع تحوّل من المركزية اليهودية إلى الأممية، فكانت الرسالة في البداية تعاني الاضطهاد من أختها اليهودية التي كانت ترى فيها الانحراف الخطير عن الأصل الصحيح فساءت العلاقات بين الطرفين نتيجة الاختلاف في التأويل[2] ووصل الخلاف ذروته في نهاية القرن الأول المسيحي عندما منع اليهود المسيحيين من دخول معابدهم (synagogue) وهكذا فكانت القطيعة النهائية حتى اليوم.

المصدر الثاني من مشاكلها هو الأمم غير اليهودية خاصة الرومان والإغريق الذين كانوا يحكمون البحر المتوسط وحواليه بما فيه فلسطين مسقط رأس المسيح. إلا أنه في غضون [illegible] زوال [illegible] الأقوام إلى الدين المسيحي بفضل [illegible] قسطنطين الذي [illegible] الجديد من مدينة ميلانو عام [illegible] المسيحي [illegible] الاعتناق رغم كونه مسيحياً سياسياً، فقد حوّلها من مجرد طائفة مضطهدة تلاقي القمع من كل الأطراف [illegible] المسيحية [illegible] في كل الإمبراطورية الرومانية بدون استثناء بل من له الحظوة في جميع أقاليم الإمبراطورية. هذه الحظوة المطلقة مكّنتها من السيطرة على مقاليد الأمور سياسياً واجتماعياً في العصور الموالية، كما حوّلتها من دين الفقراء المضطهدين إلى دين الملوك المستبدين مع بقاء نزعتها التبشيرية التي بموجبها تحولت من اللين والإقناع إلى التسلط والتجبر خاصة مع الوثنيين بل مع اليهود أيضاً، فقد وصلت هذه الشدة ذروتها أثناء الحروب الصليبية وحروب استرجاع الأرض من المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية فرجال ما يعرف بـ (conquistadores) التي مكنتهم في النهاية من تحرير [illegible] المسلمين [illegible] بالعرب الكفار (infidel moors) وإقامة محاكم التفتيش (inquisition) ضد من بقي من هؤلاء في الأندلس، ومن ثم ارتكاب أفظع جريمة على الإنسانية في العصور الوسيطة وما زال شبحها يطارد الكنيسة إلى اليوم.

وقد أدى تحالف الكنيسة مع الملوك إلى انحصار دورها الديني وإلى تقوية النعرات الاحتجاجية والانفصالية ومن ثم إلى قطيعة نهائية بين الكاثوليك والبروتستانت[4] وكلاهما تحالف مع ملوك الدول القومية الجديدة، فكان أكثر هؤلاء الملوك متحمسين للحرب إلى أقصى الحدود رغم ما يتظاهرون به من روح التدين، فهذه النزعة العدوانية هي التي قادت إلى الاستعمار وما انجر عنه من المآسي.

جاء الإسلام ليعيد في عصر اللغة العربية ويبلور جمالها عبر المحطات الكبرى في رحلتها

2) العصر الاستعماري العدواني:

تعد الوهلة الأولى هي سقوط الإمارات الإسلامية في شبه الجزيرة الإيبيرية عندما اتجه الوجه الأوروبي من توجهه نحو العالم الخارجي، فاحتل الشواطئ الجنوبية للبحر المتوسط فالشواطئ الغربية للسواحل الإفريقية حيث يتاجر مع الهند وشرق آسيا مباشرة، ولأول مرة في التاريخ بدون وساطة، بما أن حل عام 1492 حتى قضي على آخر إمارة إسلامية في شبه الجزيرة الإيبيرية وهو يعني مباشرة وصول القارة الأمريكية بقيادة المكتشف المزعوم كريستوف كولومبس[3]

فمنذ ذلك الوقت، سعى هذا الجزء الصغير من العالم الذي لا يمثل آنذاك أكثر من 7٪ من سكان العالم، سعى إلى السيطرة على مصير العالم.

فقد جمع ثروات هائلة من أركان العالم الأربعة بطرق ملتوية غير شرعية، وسخّر لذلك شعوباً كثيرة مثل الشعوب الإفريقية التي سيعرف بعضهم في مستعمرات العالم الجديد إلى ظروف لا يختلف عن الحيوان الأعجم، كما سخّر شعوباً أخرى لاستهلاك بضاعتهم المسمومة، مثل تجارة الإنجليز مع الصين بالأفيون، مع العلم أن قيادة العالم منذ ذلك الوقت لم تنتقل من هذا الجزء من العالم إلى جزء آخر، وكل ما في الأمر أنه

تحولت من دولة أوروبية إلى دولة أوروبية أخرى، وبقي الأمر على هذا المنوال إلى اليوم.

لقد قيل حول هذه السيطرة كلام كثير جله يصب في خانة التبريرات الاستعمارية مثل قول "ديفيد لاندس (David Landes)" الذي قال: "إن الغرب نال مكانته في العالم بجدارة طبيعية، إذ كنا نعرف أن العرب أخذ حروفه الهجائية من الحروف السامية الساكنة فالغرب رجع إليها حروفاً صائتة (Vowels) التي يسرت على الأمية في زمن مبكر فسهّلت وقربتها على الكتابة مع الأصوات ثم إن ظهور المطبعة في هذا الجزء من العالم، مكّنه من الاستفادة من ثورة الكتب قبل البلاد التي عرفت الورق وهي الصين والبلاد التي ساهمت على انتشاره وهي البلاد الإسلامية"[1]. فالأمر كذلك في الأسمدة الأخرى التي ساهمت في توزيع الثروة في العالم، كالتجارة والصناعة وغيرها من الميادين. فالغرب لم يمنع أحداً من تطوير إمكاناته ومن لم يحقق أحلامه. فالأمم الأخرى رغم ما تملك لديه من إمكانات لم تقدر على استغلالها في مسيرتها الوجودية؟ لا يخفى على أحد من خلال هذه التصريحات تدخل ضمن تبرير الوضع القائم اليوم والأمس القريب، الخال من الغرب، إذ كان يفسر بشكره بوصفه في صدارة الأمم، فهو عبقريته ليس إلا. فهذه العبقرية هي التي مكّنته من حصاد الأمم وافتكاك ثرواتها المادية والمعنوية، وقد نقض الشاعر الانجليزي وليام بليك (W. Blake) هذه الفكرة بإيجاز ووضوح يعجز أبلغ الناس عن بيانه وذلك في بيتين من الشعر يقول فيهما: «مهما يكن من أمر، فقد كان لنا بندقية ماكسيم وهم ليس لهم»

"Whatever happened, we have got the Maxim Gun and they have not"[2]

فالتفوق الغربي لم يكن أخلاقياً ولا تقنياً ولكن أدياً تتواسطه خضع كل الشعوب في العالم، وبعد ذلك الوقت غيب بقية الأمم وأخرجها من مسرح التاريخ مثل القوة الوحيدة الفاعلة في التاريخ وغيره خاضع له. لكن هل يعني هذا أن نستسلم بقية الأمم؟ الجواب طبعاً لا، من غير المعقول أن نسلم كما قاومت الشعوب الاستعمار بالأمس، فعليها أن تقاوم اليوم أيضاً في كل المجالات. بما فيها المواجهة التي هي نتاج للصيرورة التاريخية التي فرضها الغرب على كل الأمم بما فيها العرب الذين يعيشون بشكل دقيق في مجالهم الثقافية اليوم.

(II) اللغة العربية بين الماضي العريق والمستقبل المبهم

- نظرة تاريخية:

تعتبر اللغة العربية من أقدم اللغات الحية اليوم والمعروفة، فهي من حيث الأرومة تنتمي إلى الأرومة السامية أو السامية الحامية (Hamito - Semitic Languages) مثل البابلية والكنعانية والعبرانية وغيرها. فهذه المجموعة اللغوية أصيلة الجزيرة العربية ومن هناك انتشرت إلى الهلال الخصيب فشرق أفريقيا وشمالها. ماتت كل أخواتها ولم تبق منها اليوم إلا لغتين تواصلان حياتهما، هي العربية عينها، إن لم نقل في مقدمة منها هي اللغة العبرية والأثيوبية. ويقول بعض المختصين في هذه الأرومة: إن اللغة العربية أوفى لأنها من جميع أخواتها الحية والمنقرضة[3].

رغم أننا لم نجد نصاً عربياً يعود تاريخه إلى ما قبل القرن الثالث المسيحي، فإن الخبراء يؤكدون على قدمها وجمالها اللذين يتجسدان في نظام إعرابها الفريد لمصطلحاتها، والقدرة الهائلة على تطويع أسلوبها[4]. فجاء الإسلام ليمتد في عمرها ويطور جمالها عبر المحطات الكبرى في رحلتها، منذ أن نزلت فيها الآية الأولى من آي الذكر الحكيم، سلمتها ظروف تاريخية خاصة تتمثل في دمج الدولة الدينية في الدين الإسلامي، فاستعربت أمم كثيرة حباً في فهم دينها الجديد الذي ظل حسب على من يجهلها، كما استعربت أمم أخرى بدوافع مختلفة، وإن كانت غير دينية وإنما حباً للحياة ورغبتها في تحقيق طموحها، لأن العربية أصبحت لغة علم ومعرفة وثقافة لا يتسنى للمرء أن يتبوأ مكانة مرموقة في أي مجال من مجالات العلم والمعرفة الإنسانية، وهذا لم يكن يقتصر على العالم الإسلامي فحسب، وإنما كل العالم المعروف آنذاك

حضرت الأمم التي كانت معاقل للحضارات في شتى المجالات، سخّرت مكانتها في خدمة هذه اللغة تأصيلاً وتعريباً، وتحسيناً وتبويباً، إلى ما هنالك من الأعمال[1].

لقد غابت هذه الحقيقة على كثير من الباحثين فراحوا يعزون هذه النعمة وتطورها إلى أسباب دينية بحتة، ولا يعرف هؤلاء أن ليس هنالك مانع أقوى من علم الإنسان، بل حتى الدين في حد ذاته قد يكون جزءاً من هذا العلم وغير العلم كله.

انتشرت اللغة العربية في جميع الدول الإسلامية ليس باعتبارها لغة دينهم فحسب، وإنما لأنه من طريقها يتعلمون إسلامهم، فمنهم من يستطيع بل لم تبرز اللغات المحلية على ما أصلها، حتى تلك التي كتبت منها كتبت بحروفها، وكان الناس يعربونها ليس تعويضاً عن العربية، ولكن تمهيداً إليها، إذ كل المصطلحات العلمية والتقنية عربية، مما حوّلها إلى لهجة من اللهجات العربية من حيث المعجم، مثل التركية العثمانية والفارسية في الشرق الأوسط والسواحلية في شرق أفريقيا والفلانية وغيرها في غربها.

رسالة التعريب كانت تسير جنباً إلى جنب مع الرسالة الإسلامية، لذلك نرى أن الانتكاسة التي وقعت للأولى انعكست على الثانية

يقول علي حسين الخربوطلي: «إنه من المفارقات أن يكون الإنجليز والألمان الذين أوقفوا الزحف الإسلامي في شرق أفريقيا، هم الذين شجعوا السواحلية على نشر تعليمهم ودينهم، والحال أن هذه اللغة متشبعة بروح الإسلام فهماً وحضارة. فالسواحلية اليوم تفهم للإسلام من الإنجليز وذلك بطرد لتنتهي من المنطقة كما طرد الإسلام منها أول مرة»[2].

فرسالة التعريب إذن كانت تسير جنباً إلى جنب مع الرسالة الإسلامية، لذلك نرى أن الانتكاسة التي وقعت للأولى انعكست على الثانية. لسنا هنا في صدد عرض الأسباب الكامنة وراء هذه النكسة لأنها موقف من أكثر من عامل. لكننا نعتقد أن الأسباب الداخلية كانت أقوى من غيرها، مثل غلق باب الاجتهاد الذي عنى به غلق باب البحث والإبداع المفضيين وبالتالي الثورة العلمية داخل المجتمع الإسلامي على غرار الثورة البروتستانتية في الغرب التي في مكري وراء ... خلال المجتمع العربي من قسمه بسائل جمود عام في العالم الإسلامي، مما جعل الناس يجترون القديم جيلاً بعد جيل حيث يعتبر التبرع وشرح الشروح والحواشي، وحاشية الحواشي مع حقيقة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية دون أن يؤدي ذلك إلى الانفراج. هذا كله أدى إلى النزعة الامتثالية (conformity)، والخوف من التجديد. فقامت حروب الإصلاح المسيحية في أكثر من جهة في البلاد الإسلامية بكيفية كانت في كثير من الأحيان حروباً سياسية وقبلية أضرت بالمجتمعات الإسلامية في وقت حساس ودقيق جداً. إذ يصادف انتشار العربية عبر العالم بما فيه العالم الإسلامي، لأن ما يعرف بالاختلافات الطائفية والمذهبية في الإسلام ليست بكثير مما يتصوره الناس بالمقارنة إلى الطوائف والمذاهب في الأديان الأخرى.

- العربية المعاصرة

غني عن القول أن المجتمعات الإسلامية عاشرت تبعية تكنولوجية (Technological)[3]، ومن ثم فإن أي هجوم على الذات يؤدي إلى الموت البطيء في كل المستويات، خاصة في المستوى اللغوي. لذلك لا نستغرب من الصدمة التي أحدثتها حملة نابليون على الشرق عامة، وعلى مصر خاصة[4]، فمنذ ذلك الوقت يحاول العالم الإسلامي اللحاق بالغرب، وأكبر جهد تم في هذا المنطلق إلى حد الآن هو ما قام به محمد علي باشا من ترجمة وبعثات علمية إلى الغرب، وكان أكبر هذا الجهد منصب على إحياء اللغة العربية وعصرنتها. إلا أن هذا الجهد لم يأت أكله نتيجة الحملة الاستعمارية على المنطقة. فالأبحاث التي كتبت في هذه الفترة جلها تمجيدية أو تحميسية بدون أن تكون وراءها خطة مدروسة أو برنامج متكامل إلى غير الاستقلال، بعد كانت الكارثة أكبر في الدول التي ناضلت من أجل استرجاع سيادتها الوطنية وعلى

راسخا اللغة العربية. لكنها ما إن استقلت، حتى زادت تمسكا باللغة الأجنبية وبادر بعضهم بالتعريب فقط في ظاهر الدعوى. الطبقة الأكاديمية لا تتكلم باللغة العربية ولا بالمصطلحات العلمية والتقنية كلها أجنبية ... ما لها من أعذار وهي كما ترى واهية في أكثرها. إذ تلبسه بما يسمى «البيروقراطية» ... التي هي في حقيقتها ليست إلا دكتاتورية مقنعة بثوب عقلاني لا يقنع أحدا.

التعريب المعاصر لا يزال إلى حد ما يحمل نفس في التعريب الإيديولوجي الذي حقق طفرة من أحداث الماضي. لا يستطيع أي أحد إلا أن يعترف بتسريبه إلى أساسيات الحياة ووسائل المعرفة. ومن الملاحظ أن أكثر هذه الفئة ينتمي إلى الأكثرية المتعلمة. بينما تواصل الطبقة العاملة المتعطلة والأقلية تدرس دراستها باللغات الأجنبية فرنسية كانت أم إنجليزية لأن هذه اللغات هي الوحيدة التي توصل إلى سدة الحكم[4] أو المراكز الهامة في البلاد.

فالطريق إلى التعريب مسدود في كل الصعد. فلا يرى ما تراه أو تسمعه من بهرجات ديكورية. فهو إما حقيقة مخيفة وهي أن الناس يريدون نوعا من التعريب ولكنهم لا يصرحون ذلك علنا. خشية تعرضهم للأذى وهو خلاف ما كان سائدا في الماضي حيث كان الناس يدافعون عن آرائهم حول قضية التعريب أو يزعمون أنه قضية مصير حتمية تامة.

الأمة العربية اليوم تشهد تراجعا خطيرا في كل أرجاء العالم الإسلامي. وذلك في جزءيه العربي وغير العربي. أما في جزئه الأخير فنلاحظه في مستويات عديدة. وأهمها إبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني في كل اللغات التي كانت تستعمله في الماضي. ما عدا لغات قليلة جدا حتى هي مرشحة في المستقبل إلى إبداله[5].

هنا أريد أن أفتح قوسا واسعا، نوعا ما. لأن هذا الموضوع من أهمية قصوى ولما يحتويه من سوء فهم من كل الأطراف. إذ يربطه بعض الناس إلى الدين مباشرة ولو سهم يستشهدون إلى مجمع دامغة من النصوص الأساسية. كما يعتبر الآخرون إلى عصبيته وهو هام جدا. كل هذا لا يمنعني من الحرص على أن الدال الذي دار بين دعاة اللاتينية ومعارضيها في الوطن العربي في الثلاثينيات من القرن الماضي. واعتقد أنه قد تجاوزته الأحداث، إذ لا أحد يثيره اليوم في كامل الدول العربية حتى أشد الناس تغريبا. كما لا أريد التركيز على تركيا التي أصبح الحرف اللاتيني فيها واقعا غير قابل للتغيير.

ويبقى الجزء المسلم في إفريقيا ما وراء الصحراء الذي يمتد من السودان الشرقي إلى المحيط الأطلسي حيث نجد شعوبا شتى ... عبر ... فأصبحت الثقافة العربية جزءا لا يتجزأ[7] من ثقافتها وكانت تكتب لغاتها بالحرف العربي فيما مضى. إلا أن هذا ... بالحرف ... تحت السيطرة الاستعمارية إنجليزية كانت أم فرنسية، وهو ... في تشكل مستمر. وما زالت اللغات المحلية فيه تستعملها زيادة على التخلف التبشيري المكثف فيه. فهو مرشح لاحتمالات ثلاثة: إما أن يقوم بزحف ثقافي نحو الشمال أي نحو الدول العربية أو المعربة في الشمال، مع العلم أن هذه الدول أيضا تعربت على مر حال ما ... بعضها يأخذ مواقعه في الساحة، وهذا دليل على أن التعريب ليس أمرا[8] مستحيلا في الجزء الذي نحن بصدده، وإما أن يقوم بزحف داخلي أي نحو الثقافة المحلية التي هي بدورها مصرية إلى حد كبير. والخيار الثالث هو اللحاق بالغرب بجانب ثقافة ولغة وربما دينا أيضا.

مع العلم أن من يفوز بالمعركة في هذا الجزء فقد فاز فوزا عظيما بما يمثله من ثقل بشري في كامل إفريقيا. إذ نجد فيه ثروات هائلة من معادن وزراعة وحيوان وإنسان. ويكفي أن نعرف أن أكبر قطر من حيث السكان في القارة يوجد هنا وهذا القطر هو نيجيريا. فإذا فشل التعريب والتعصير في هذا الجزء فلن يكون لهما أثر دائم في الأجزاء الأخرى، وذلك على الرغم مما حققاه من نجاح فيها خاصة في جنوب القارة، كما أنهما إذا نجحا في هذه المنطقة فإن المكتسبات الثقافية في الشمال، بل في كامل الوطن العربي سوف تنهار عاجلا أم آجلا[9]. إذ تكون ثقافة مطوقة ... ومطوقة ... خلافه

العربية توجد في إفريقيا وليس في موطنها، لأن الثقافات المحيطة بالوطن العربي تتميز بخصائص لا يمكن اختراقها بسهولة. هذه الحقيقة مع الأسف، لا تعيها الجهات الثقافية العربية، لذلك لا تتعامل معها بطريقة منهجية. وهي نقطة هامة تسجل على المؤسسات العربية إن كان لها وجود.

فالأمر إذاً كما قلنا أدبي متمسكة على نفسها، فتنادي بضرورة التمسك بالحرف العربي في اللغات المحلية خاصة تلك التي كانت تستعمله على الأقل مثل السواحلية والهاوسا والفلانية، ويتزعم هذا الفريق يوسف الخليفة أبو بكر، الذي يرى أن كتابة هذه اللغات بالحرف اللاتيني ابتعاد عن تراثها الديني والقومي لأن لهذه اللغات تراثاً معرفياً من النصوص الدينية والأدبية وغيرها لا تحصى ولا تجهل الجماهير والعامة قراءته. إذا لم تعرف الحرف العربي. والحال أن هذا الحرف أصبح مطروحاً في وجدانهم، فهو عندهم ليس مسألة كتابة فحسب وإنما مسألة ذاكرة جماعية ومسألة جمال ووجدان لدى الإنسان الذي لا يقدر بالثمن. فالاقتراح إذن ليس إبدال هذا الحرف بحرف آخر مهما كان نوعه. وإنما إيجاد تعبيرات مناسبة تتلاءم أكثر فأكثر مع الأوضاع الجديدة في هذه اللغات.

أما الذين يرون عكس ما يراه يوسف الخليفة أبو بكر فكثيرون هم أيضاً وفي مقدمتهم (محمد حمباني ...) أبو مشروع الكتابة اللاتينية للغات الإفريقية في يونسكو. هؤلاء يرون رؤية براغماتية، فماضي أن الماضي مهما كان أثره فهو ماض يجب ألا يؤثر سلباً على الحاضر، وعليه فإن الحرف العربي لعب دوراً مهماً في اللغات الإفريقية التي ذكرناه مثل السواحلية والفلانية والولوف والهاوسا وغيرها، إلا أنه اليوم، لم يعد قادراً على النهوض بها وإخراجها من العزلة والتخلف.

من أهم حججهم ما ذكره أحمد حمباني ... الذي يرى أن الثقافة الإفريقية مهددة من جهتين: الأولى القراءة الإسلامية المتطرفة التي ترى في الثقافة الإفريقية المحلية شركاً بالله، والجهة الثانية من الجهة المسيحية المتطرفة التي ترى في الثقافة المحلية نوعاً من التخليط بين المسيحية والوثنية (...).

غير أن الأفارقة اليوم أو أكثرهم، إما مسيحيون أو مسلمون، فلا بد من القيام بعمل ما وهو كتابة المعارف والثقافات الإفريقية بلغات الأفارقة التي قد تكون أوفى لتراثها وأقدر على التعبير عنه من غيرها. ثم إن الذين يقومون بهذا العمل هم الأفارقة أنفسهم لأنه كما يقول المثل الإفريقي: (...) [illegible] في مكانه. فالكتابة هنا لتكون عملية يجب أن تكون لاتينية، لأسباب عدة منها، أن القارة برمتها استعمرت من قبل الدول الأوروبية وبعد الاستقلال ظهرت فيها ... لا بد أن نتعامل معه بموضوعية وهو أن النخبة المثقفة برمتها تثقفت بالثقافة الأوروبية ثم إنها لا تعرف الحرف العربي ولا يمكن تجاهلها أو إقصاؤها لأنها هي التي تحكم، والسبب الثاني يعود إلى طرق استعمال الحرف العربي في الماضي التي لا يمكننا اليوم أن نتغاضى عنها إذا أردنا أن نقوم بنقد علمي بناء. فهذا الحرف لم يقع ضبطه رسماً وإملاءً بين الجهات فكان كل جهة بل كل شيخ يقرأ بطريقته الخاصة، قد لا يفهمها غيره باستثناء جهة واحدة (وهي فوتا جالون ...) التي كانت تقرأ كل الكتابات الفلانية بالحرف العربي، كما يستطيع كل فلاني أن يقرأ كل ما يكتب في فوتا جالون بغض النظر عن جهته وموطنه. فهذا يدل على ما وصل إليه الحرف العربي من ضبط ونظام في هذه الجهة. فقد ترجم ... كل الكتب الدينية إلى لغتهم، والسبب الأخير هو أن الأوروبيين قاموا بمجهود كبير في اللغات الإفريقية من كتابة المعاجم وكتب الإملاء وترجمة الأعمال الكبرى والكتب المقدسة إلى اللغات الإفريقية بل حتى إلى بعض لهجاتها، مقابل جهل تام لهذا الموضوع في الوطن العربي.

مهما يكن من أمر فإن الثقافة العربية شهدت تراجعاً كبيراً من حيث الإقبال في هذه المنطقة نتيجة فشل المدرسة العربية فيها خاصة في مجالي التكوين والتثقيف وهما مجالان هامان جداً لأن الناس في العادة تحركهم آمالهم وأحلامهم أكثر من أي شيء آخر حتى النزعة الدينية داخلة في هذا الأمر ومتأصلة فيه. وإن عديد من

الرصد في بعض الأحيان لكن ذلك لا ينفي تعاطيه مع المعايير المذكورة.

لست هنا في صدد تحليل الظاهرة الدينية بل في صدد رصدها وبعض مظاهرها إذ تبدو الفتوحات الإسلامية التي يصورها بعض الدارسين [illegible] حروباً بطولية قام بها فرسان العرب ضد الممالك والامبراطوريات هي في رأيي نشاط عسكري في معظم الفترات أقبلت عليه الشعوب المقموعة والمضطهدة من قبل حكامها رغبة في التحرر والانعتاق، وقد يفسر بجلاء سرعة انتشار هذه الفتوحات في منطقة جغرافية واسعة تشمل حدود العالم المعروف آنذاك، وتجاوب الشعوب معها [illegible] لأنها كانت تريد تحسين أحوالها وظروفها التي تتجاوز في الجوهر النزعة الدينية الحماسية التي كثيراً ما تختبئ خلف دعوى الإيمان.

الفتوحات الإسلامية نشاط عسكري في معظم الفترات أقبلت عليه الشعوب المقموعة والمضطهدة من قبل حكامها رغبة في التحرر والانعتاق

فنحن هنا لا نتكلم عن الإيمان باعتباره جوهر الإيمان، وإنما نتكلم عن الإيمان العرفي الحالم والمفارق وهو كما نرى لم يعد يؤثر كثيراً حتى في الأديان الأخرى مثل المسيحية التي خلفها بعض الغاضبين - إن خطأ أو صواباً - ديانة مثالية لا تهتم بالواقع. فالمسيحية اليوم ترتكز على مجموعات من الناس وأحلامهم، من أصغر القضايا إلى أكبرها".

أما في الجانب العربي من العالم الإسلامي فيبدو التراجع أوسع، خاصة في الميدان التعليمي، نرى تراجع اللغة الفصحى والواضح في كافة الأقطار العربية، بل أصبح بعض الأساتذة في اللغة العربية لا يتكلمون بها في حصص التدريس وحسب يتكلمون بها فلا يلتفتون إلى قواعدها، إما جهلاً أو استخفافاً منهم وكأنها لغة ميتة لم تعد جديرة بالاهتمام، كذلك نرى تراجع الإقبال عليها من جهة التخصص، فلا يتوجه الطلاب والمتفوقون إلى التخصصات العربية الإسلامية، فمن يتوجه إليها هم أصحاب ضعيف العلامات أو علامة [illegible] في حقه رغم كلتا العالمين يظل يلعن حظه إلى الأبد".

الميدان الاقتصادي هو في جوهره لم يعرب بعد، بل بقي إنجليزياً أو فرنسياً إلى اليوم، وقد يظل كذلك في المستقبل المنظور. أما الميدان الإعلامي فهو أدهى وأمر، فنحن نلاحظ زيادة [illegible] في وسائل الإعلام العربية [illegible] كانت مسموعة أو مرئية [illegible] يستحسن العامية في المرئيات الأجنبية وترجم كلامه على الشاشة فوراً كائناً من كان فلا ينظر إلى عاميته أكانت قريبة من لغة الأم أم بعيدة عنها، فرنسية كانت أم إنجليزية. أما في الوطن العربي فقد أصبح الناس يتفاخرون في كون عاميتهم أقرب إلى اللغة الفصحى [illegible] بل يدعي بعضهم أنهم يتكلمون الفصحى سليقة، والحال أن العرب الأوائل أصحاب اللغة قطعوا قولهم في هذا الموضوع منذ القرن الثالث الهجري، [illegible] أن لا سليقة بعد ذلك القرن". فكيف يأتي اليوم أناس يدعون بالسليقة؟ ولا يزعمون في ذلك [illegible] والاختلاط بين الأعراق والثقافات. كل هذه العوامل وغيرها أدت بالمسلسلات العربية تتحول إلى مراكز إشعاع للعاميات العربية عوضاً عن اللغة الفصحى الموحدة التي تجمع كل دولة عربية لأنها تعمل بها وتسعى إلى [illegible]

من [illegible] كذلك تعليمهم الفصحى للأجانب خاصة الإنجليز، فهم من هؤلاء [illegible] للأجانب غير الناطقين بالإنجليزية (English for non native speakers) [illegible] أين نوجد كتب لغير الناطقين بالعربية أو للأجانب، والسؤال هنا من هم هؤلاء الأجانب؟ أهم الأوربيون والأمريكان؟ لكن هؤلاء لا يقبلون على تعلم العربية إلا ما ندر، وحتى في تلك الأحوال، فهم يعتمدون على وسائلهم [illegible] المسلمون إذن هم المسلمون غير العرب من الآسيويين والأفارقة؟ لكن هل يحتاج هؤلاء إلى مثل هذه الكتب خاصة أنهم يحفظون القرآن الكريم عن ظهر

لقد وصل مستخدمو [illegible] إلى بعض القواعد النحوية؟ أليست العربية في هذه الحالة لتقسيم الأمة بالفرق بينهم وبين العرب «الحقيقيين»؟ أليسوا كلهم يحتاجون إلى صقل مواهبهم في اللغة الفصحى؟ هل يحتاج أبناء المسلمين إلى العاميات العربية؟ أسئلة كثيرة يفرزها الواقع المعيش. لقد قال لي أحد الطلبة الأجانب: «أتصور أن أستاذنا في اللغة العربية لا يعرف ضمير المثنى ولا [illegible]، فكل ما يعرفه هو [illegible] [illegible]» [illegible] [illegible] بلاده، ويبيت روحه كأنها [illegible] تجهد بها.

لعل في ذلك يكمن في مقارنة الإنجليزية بالعربية، البريطاني والأمريكي بالمواطن العربي والحال أن الفارق كبير في مستوى الواقع والتاريخ، فاللغة العربية أقدم من الإنجليزية بقرون كثيرة [illegible] إلى حد الآن لا يتجاوز عمره خمسة قرون[3] بينما أقدم نص عربي يتجاوز عمره ثمانية عشر قرناً. مما يجعل اللغة العربية اليوم أقدم لغة حية في العالم بعد العبرية[4] ولو [illegible] مسألة الاتصال والانقطاع بعين الاعتبار نجد اللغة العربية أقدم من العبرية، باعتبار هذه الأخيرة انفصلت عن الحياة اليومية لمدة قرابة ألفي عام إلى أن تم بعثها من جديد عند إنشاء الكيان الصهيوني في فلسطين عام 1948.

يقول [illegible]: «إن البون الذي ينحسر بين العاميات الإنجليزية واللغة الرسمية (Formal English) سواء في أمريكا أم في المملكة المتحدة أقل بكثير من مثيله بين العاميات العربية وبين اللغة الفصحى، ثم إن الإنجليزية اليوم بفضل وسائل الاتصال الحديثة [illegible] أصبحت موحدة أكثر من أي وقت مضى، فالمواطن الأمريكي أو البريطاني [illegible] [illegible] بصفة تلقائية [illegible] في حياته اليومية، والمواطن العربي غير [illegible] إلى الفصحى بهذه الدرجة. كل هذه العوامل تجعل أي مقارنة بين اللغتين مقارنة مغلوطة في الأساس، القصد منها ترك الحبل على الغارب، ومن ثم إحلال العامية محل الفصحى»[5].

هذه القضية في الحقيقة ناتجة عن فرنسية (Jacomes)

خطيرة ومشكلة مفادها أنه يكفي المرء أن يكون أبواه مسلمين ويولد في بلاد إسلامية ليعرف الإسلام معرفة جيدة، وهي الحالة نفسها بمن ولد من أبوين عربيين وعاش في بلاد عربية، ليعرف اللغة العربية ولا تبقى حرجاً فيها، والخطورة تكمن في أنهما يتفقان في أمور يجهلانها أو يتطاولان على حقائق وقواعد اتفقت عليها بإجماع الأمة، مثل تطاول بعض الناس على القرآن الكريم فيتعاملون معه مباشرة كأنه جريدة يومية لا تصعب عليهم قراءتها، والحال أن القرآن كتاب موحى من الله فيه علوم كثيرة يصعب على الشخص الإلمام بها، وهي متعلقة بعضها ببعض، منها ما يتعلق بالشريعة التي لا بد لمن يريد فهمها أن يرجع إلى شروحها في كتب الفقه وأصوله مع العلم [illegible] الآراء والمدارس الفقهية، ومنها ما يتصل بالعقيدة وهي أخطر لأنها تمس الشريعة فأخطاؤها لوهلة ومسالكها أصعب على الحاذق المتمرس فما بالك بالمتعسر؟

أما اللغة العربية الفصحى فإن الخطب أكبر والبلاء أعم؛ لأن هذه اللغة كما يعرف الجميع حظيت في الماضي بعناية لم تحظ بها أي لغة في الأرض لما لها من علاقة وثيقة بالدين، فتقعدت في أزمنة مبكرة جداً مما أضفى عليها على الأقل، فما أن يركب على رأسه ويتكبر على غيره، فلن يريد الأمور إلا تعقيداً؛ لأنه إن كانت بعض العلوم تقبل المحض سماعاً أو لحظة في حياتها قبل أن ينكشف أمره فإن الإعراب والرياضيات لا يحتملان ذلك، فلك أن تعرف القاعدة فلك فسحة للمناورة، وإما لا تعرفها، فأمرك مكشوف ورأيك مرجوح.

ج) عولمة غير مستعدة (An Unprepared Globalization)

إن العولمة باعتبارها تطوراً منهجياً للنظام الرأسمالي الغربي المفروض على بقية الشعوب لا تناسب أحداً، لكن هذا لا يمنع أن تكون هناك شعوب أكثر استعداداً من غيرها، وذلك يرجع إلى الأنظمة السياسية والنظم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها، أما في الوطن العربي، فإن الدلائل تؤكد معايشة قبل الأوان، فلو كان من الممكن تجنبها لكان ذلك لأننا غير مهيئين لها، ويتجلى ذلك في مراقبة

المتعددة بين القديم والحديث بين الديني والإنساني بين العالمي والمحلي قد حول لغتنا اليوم إلى الساحة المحتدمة سوف يجعلها متاطحة غير كفء مقابل سباق لغوي جهنمي لم يسبق له مثيل تقوده اللغة الإنجليزية التي تشتكي منها كل اللغات حتى تلك المتمدنة، مثل اللغة الفرنسية والألمانية وغيرها من اللغات. فهذه اللغات رغم ما رصد لها من ميزانيات هائلة وتشجيعات معنوية لأبنائها وغيرهم ممن يتخصص في فضائها من كتاب ومدرسين وطلبة ... فإننا نرى نسبة ملحوظة بالمقارنة إلى المجهودات البريطانية والأمريكية في هذا الميدان. في المقابل، نجد أولئك الذين ساقتهم القدر إلى التخصص العربي الإسلامي مثل الطلبة الأفارقة يعانون الأمرّين، فكثير منهم ظل ... في الدول العربية ما لا يقل عن عشر سنوات دون أن يرى أهله وذويه، ليس لأنه لا يرغب في ذلك، وإنما لقلة ذات اليد وغياب التشجيع. وهذا الوضع المأساوي انعكس على مستواهم العلمي ومستواهم النفسي(2)

... كله أدى إلى كثرة الخريجين المتوسطين من الجامعيين في مستواهم، فمنهم من انقطع عن الدراسة في مستوى الإجازة بل حتى في مستوى الدكتوراه ثم ذهب إلى الغرب ليحسن مستواه ناكصاً ... في صدد الاستنكاف من أي عمل كان، لكننا إذا نظرنا إلى الجهد الذي بذل ليصل إلى هذا المستوى والآمال المعقودة عليه في منطقة ... لتكوين عامة، والتكوين في الثقافة العربية الإسلامية خاصة نجد أن الخسارة كانت كبيرة، لأنه لن تكوين ألف طالب ممتاز في اللغات الغربية، إنجليزية كانت أم فرنسية، أسهل لك من تكوين مائة طالب متوسط في الثقافة العربية الإسلامية خاصة. ويصبح هذا المصطلح شاهداً على ذلك. كل هذا مؤشر من مؤشرات وضع العربي في ظل العولمة. إلا أن العولمة كغيرها من المسائل لم تأت فجأة أو على حين غرة، وإنما هي مسيرة طويلة عرفها من عرفها فاستعد لها ووعيها أو تجاهل عنها من تغافل عنها فداهمته ليتحول إلى رقودها.

العولمة كغيرها من المسائل لم تأت فجأة أو على حين غرة، وإنما هي مسيرة طويلة عرفها من عرفها فاستعد لها وجهلها أو تغافل عنها من تغافل عنه فداهمته ليتحول إلى رقودها

هذا عن الأجواء العمومية، أما عن أجواء البحث العلمي وما يتعلق به، فإن الإنجليزية تستأثر كاملاً فليس هناك لغة تزاحمها فيه، بل حتى الترجمة فاللغات عاجزة عن مواكبة ما يصدر في هذه اللغة، فاللغة اليابانية هي اللغة الوحيدة في العالم التي استطاعت أن تواكب ما ينشر في الإنجليزية بالترجمة إلى اليابانية، مما جعل دولاً كثيرة تتخذ من الإنجليزية لغة تكوين مباشر لأنها عجزت من الترجمة أو وجدتها مكلفة وغير فعالة(3)

هذا وإن الكتاب ... مثل نجيب محفوظ في اللغة العربية أقل كثير ممن يقرأ الكتاب ... في اللغة الإنجليزية أو الإسبانية بل حتى الفرنسية والعالم ... تعداده السكاني يتجاوز ثلاثمائة مليون عربي ... عليهم ... العدد من المسلمين ... لغة في العالم بل لم تكن الأكثرية.

وأمام هذا الوضع المزري والمختل في موازينه، لا يمكن للغة العربية أن تسهم في العولمة إسهاماً محترماً، كما لا يمكن لها أن تنافس اللغات الأخرى في الإنتاج العلمي والأدبي وهو شرط أساسي للمشاركة في العولمة بشروطها وأهدافها ولا يكون بفرضها ... لكن كما قال ... أبو العباس:

لا تعذليني إن كشفت مواجعي

وجه الحقيقة ما عليه نقاب

III مواجهة ... بحزم وجد:

أ. مرة فهم المصطلح:

لقد دأب بعض الناس في مناسبة وفي غير مناسبة على الاتكاء على جدار العوائق والمعجزات للتنفيس عن أنفسهم وعن غيرهم ... ملهم ... العمل مطلوب في

الإسلام يدعو إلى العمومات ويفتح الطريق للفهم وعدم الجمود والتشدد، وذلك اعتماداً على استنتاجات ناقصة ونصوص ظنية الدلالة مثل قوله تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

(سورة الحجر، الآية 9).

من هذه الآية تنطلق بعضهم إلى الجزم بأن الله تعالى اللغة العربية ضمنت وضمناً لحفظ القرآن مع العلم أن هناك احتمالاً آخر لمعنى الآية، فالضمير المتصل (إنه لحافظون) يمكن أن يعود إلى الرسول ﷺ[3] ثم إنه حتى لو جزمنا على أنه يرجع إلى الذكر الحكيم فهو أقرب الاحتمالات إذ بعد خمسة عشر قرناً من الزمن، لم يطرأ على القرآن تحريف أو تبديل، لكن هذا لا ينسحب على اللغة العربية باعتبار الحفظ موجه إلى الكتاب وهو جزء من اللغة وليس اللغة كلها التي هي كانت حية كأي لغة أخرى قبل أن ينزل فيها وحي من الله من لدن آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ.

فالاتكاء على الخوارق والمعجزات منهجية للتفسير أو التنظير قد لا يكون منهجاً مطلوباً في الإسلام دين العقل والمنطق والواقع، لأن منهجاً كهذا لا يسوغ في ظروف استثنائية قد يؤدي إلى سوء نية في ظروف أخرى، وهذا بدوره قد يقود الأمة كلها إلى متاهات أخرى.

قبل عشرين عاماً كنت أعتبر نفسي - وما زلت - مرتبطاً باللغة العربية أكثر من أي لغة أخرى في العالم، كما كنت أعتقد أن مستقبلي ومستقبل كل مسلم فيها وليس في غيرها، وأن المسألة مسألة وقت فقط حتى يعود المسلمون والأمة إلى رشدهم ويقبلوا عليها ويعودوا إلى القرآن هو حبل الله الذي لا ينفصم، وقد قال في آية صريحة بأنه سيحافظ على الذكر ومعه طبعاً اللغة العربية. فهذا الشعور لم يكن غريباً عن شباب مثلي تربوا في عائلات مسلمة وضعت كل رهانها على هذا الدين ولغته وحضارته المقدسين.

لكن بعد عشرين عاماً من الزمن وبعد دراسة وتجربة كفهم نفسي للدين نسبياً وزادت معرفتي لمن حولي بدأ إيماني يتعدى ارتباط الإسلام بالعقل والمنطق، وأنه لا محل لسنة الله في الكون، وأن هذا القانون يسري في كل شيء بما فيه اللغة العربية التي تعارض التي دين الإسلام وبين هذه القوانين يجب الرجوع إلى فهمنا للدين فسوف نجد الخلل فيه وليس في الدين في حقيقته ولا في القوانين الكونية. هكذا تسلل موقفي وعدت بنفسي فوجدتني أرى أن المستقبل ليس كما كنت أراه، بل هو نتيجة ما يحدثه تعاملي في جدار الفكر.

كنت مشغولاً في أنني تخصصت في هذه التكلفة التي هجرها كثيرون بدعوى أنها لم تعد تساير العصر دون أن يعطوها حجة مقنعة أبداً. شأنهم شأن أولئك الذين يريدون أن يتمسكوا بكل شيء باسم الدين دون أن يكون لديهم عقل. فهذان المعسكران في رأيي يتصارعان اليوم في المجتمعات الإسلامية مما لا تخمده النار في الهشيم، وأن المعركة الحقيقية هي التي تدور بينهما وبين المثقف المعتدل المقبل على العولمة المفروضة عليه وهو لا يملك لها رداً، فكل ما يملكه هو أن يعتقد أنها خير استعداداً حتى لا تفاجئه وتطلع بمصيره.

- تناقض الإشكالية

فمسألة التوجه إلى الدين كلما تعلق الأمر باللغة العربية مسألة معروفة في أوساط المثقفين وغير المثقفين، وفي التيارات الدينية والقومية وغيرها، وقد وقعوا جميعاً في تناقض صريح، فبعضهم لا يرى الفصل بين الدين وبين المسائل المتشابكة في الحياة، لكنهم عندما يتعلق الأمر باللغة، فلا يرون غضاضة ولا حرجاً في مناقشة الدين ضمن المسائل الأخرى ذات الصلة المباشرة بالحياة، وكأن الإسلام هو الضامن الوحيد لوجود اللغة العربية، وهذا ما يرفضه بعضهم في المسائل الأخرى خاصة السياسية مثل المواطنة على سبيل المثال.

بل ما أدى إلى هذا التناقض الصارخ هو جهلهم جميعاً بأن اللغة العربية لم تجد إلى حد الآن دعماً مادياً يعينها على الاستمرار إلا الإسلام، وهو كما نرى غير كافٍ في عصر يتسم بالنزعات القومية والمادية لا يمكن حصرها أو السيطرة عليها، إذا باستثناء حفنة من المستشرقين ورجال المخابرات الغربيين، لن تجد من

بفعل [illegible] العربية [illegible] جديدة ومعجمة الا العرب والمستعربين [illegible] هؤلاء الدارسين [illegible] عن العرب [illegible] خاصة لا تمس بذاتهم باللغة العربية، ولا توجد فيه مؤسسات عربية قادرة على استيعابهم[1] ولم يجنبوا عملا بطبيعة الحال في الدول العربية [illegible] لديهم [illegible] الذي قد يكون غير [illegible] لأن الخبرة العملية [illegible] وكاتب قد تكون خلفية [illegible] في منطقة لا تدعم [illegible] العادي الى [illegible] مما جعل كثيرا من هؤلاء الأسماء يلجأون [illegible] المنابر الى الطرق [illegible] منها [illegible] الكريمة [illegible] [illegible] باسم البركة [illegible] والألاعيب بالعقل [illegible] كل هذه الأساليب في [illegible] [illegible] الثقافة الأحادية [illegible] والسيكولوجية الدينية[2] [illegible] الإسلام [illegible] العربية لأنها لا [illegible] Archaique [illegible] في المجتمع [illegible] الديانات المسيحية والإسلام [illegible] في الحال في هذه [illegible] الإفريقية [illegible] من [illegible] يترجمون في [illegible] العاصمة [illegible] في البلاد وخارجها في حين [illegible] الى عمال [illegible] باسم الدين أو الثقافة الاجتماعية؟ أليس هذا [illegible] أنه يقدم للعرب [illegible] فالكتابة [illegible] في بعض الأحيان [illegible] تلك المرحلة.

[illegible] إلى الشخص [illegible] العربي [illegible] في كثير من المؤسسات العربية [illegible] الثقافية [illegible] العلاقة باللغة العربية [illegible] شخص ذي أصول عربية [illegible] لقد تعرض [illegible] هذه [illegible] التجربة في مناسبات عديدة في [illegible] العربية التي [illegible] من [illegible] أكثر [illegible]

بالعرب والتعريب [illegible] على [illegible] اليوم [illegible] الى العربية التي كان [illegible] [illegible] في الآداب الإنجليزية أو الفرنسية [illegible] لا [illegible] البلد [illegible] عربية لأنهم يعرفون جيدا [illegible] اللغات [illegible] [illegible] الفرق [illegible] فالنسبة الوحيدة التي ينظر إليها هي المعرفة والقدرة على التواصل مع الآخر.

[illegible] اللغة العربية [illegible] الآخر [illegible] في هذا [illegible] اللغوي؟ [illegible] في الوقت التي [illegible] عليها؟ ألا يكون هذا التصرف [illegible] للتنصل منها؟

[illegible] ربط اللغة العربية بالدين الإسلامي [illegible] لا [illegible] في كثير من الأحيان [illegible] [illegible] والشريعة [illegible] [illegible] كل شيء [illegible] الدين [illegible] عرقية [illegible] [illegible] مصلحة مادية أو معنوية [illegible] والأخوة الدينية [illegible] الناس جميعا [illegible] [illegible] لا تنتهي [illegible] الدين [illegible] الثقافية [illegible] علاقة [illegible] هذا الموقف [illegible] على [illegible] في [illegible] بين المتمسكين باللغة العربية [illegible] المتمسكين [illegible] اللغة العربية [illegible] الفرق [illegible] [illegible] موقف [illegible] اللغة العربية [illegible] [illegible] اللغة [illegible] [illegible] هذا الموقف [illegible] [illegible] [illegible] من الأول [illegible] في [illegible] العربية [illegible] عليها[3] [illegible]

عبر العربيين عربي ثابت ليس بذي نفع ولا ذي خطر، فهو ماضي لا يكاد يذكر

٣. تجربة تستحق الاهتمام.

ما دمنا نتكلم عن التعديل في ربط اللغة بالدين ربطاً واعياً فأرى أنه من الضروري أن نذكر تجربة معاصرة وفريدة من نوعها تكاد تكون مبررة لي جواز استعمال هذه الكلمة فقد ذكرها الأستاذ يحيى كمال في كتابه القيم: دروس في اللغة العبرية[١٦] هي تجربة اليعيزر بن يهودا المهاجر اليهودي الليتواني الذي هاجر إلى القدس عام ١٨٨١. لكن لماذا تجربة اليعيزر بن يهودا بالذات وليس غيرها؟

تجربة اليعيزر لأسباب عديدة: منها أنها ناجحة حسب الغاية التي وضعت لأجلها، ولو كانت فاشلة، لما ذكرها أحد، ثم إن اليهودية على الرغم من عداوتها أو عداء بعض معتنقيها للإسلام هي شبيهة به في نواح كثيرة منها: العقيدة التوحيدية والتطور التاريخي في خلال الأمة الدينية مكان الأمة العرقية، وربط اللغة بالدين ربطاً مهائياً. مكانة التوراة العبرية في حياة اليهود شبيهة بمكانة القرآن الكريم في حياة المسلمين، فلولا التوراة العبرية لضاع اليهود في خضم الأمم، كذلك لولا القرآن لضاع المسلمون واللغة العربية في العصور الحالكة خاصة في فترة الاستعمار. وأهم من ذلك كله هو أن اليهود أنفسهم يعترفون بأيادي الإسلام البيضاء عليهم، فلولاه لضاعوا أو قضي عليهم قلباً وديناً خاصة في العصور الوسطى في الأندلس[١٧] وأنهم لم ينعموا بالحرية والراحة خلال تاريخهم الطويل إلا في ظل الدولة الإسلامية في الأندلس[١٨].

نظير الشبه الموجود بين العربية والعبرية فمصيرهما أشبه شيئين ونعد علاقة كل واحدة منهما في حياتهما. بقيت العبرية قابعة في المعابد ومجالس الأحبار بعيدة عن الحياة النابضة قرابة ألفي عام إلى إنشاء الكيان الصهيوني في فلسطين عام ١٩٤٨. ثم انقلبت، أما العربية فرغم حيويتها فهي مبعدة عن الحياة العملية وأصبح من يتكلم بها في الشارع، ينظر إليه نظرة فيها معاني شتى من وصمه أحد

الفنانين الساخرين إلى المسرحية منها في النموذج مسرحية في الوطن العربي. ولا سيما الفعال لا هم مستنكر لو أبدى ملاحظة عابرة فهو مسرحيات هذه السخرية من الأجانب لقامت الدنيا ولم تقعد. أما هي اليس صادرة من ذويها فلا بأس!!

لنرجع إلى الموضوع الأساسي وهو تجربة اليعيزر بن يهودا. يقول يحيى كمال: «إن الحركة الصهيونية نشأت في أوروبا لم تكن مقصورة على الدعوة إلى الهجرة إلى فلسطين وتأسيس المستعمرات فيها فحسب بل كانت ترمي بالإضافة إلى ذلك، إلى إحياء الثقافة اليهودية واللغة العبرية ... وفي عام ١٨٨١ هاجر اليعيزر بن يهودا مع زوجته إلى فلسطين وأقام في القدس وظل مدة أربعين عاماً يناضل باستمرار من أجل إحياء اللغة العبرية وجعلها لغة المخاطبة والمحادثة (...) فرض على نفسه وعلى زوجته وأولاده التحدث بالعبرية، فأصر عليه أصدقاؤه بالعدول عن هذا التصور وألا يكون سبباً في إتعاس ولده الذي لن يستطيع الاختلاط مع لداته.

أسس في القدس رابطة المتكلمين باللغة العبرية وتعرض بسبب ذلك إلى الناشئة اليهودية، وكان يلقاه مع التعصب المقيت إلا أنه لقي صعوبات جمة منها موقف الجماعات اليهودية الذين كانوا يعتبرون اللغة العبرية مقدسة لا يليق التحدث بها في الشارع، ذلك رفض ذلك فوشي به لدى السلطات العثمانية بأنه ثائر فاعتقل، ولما توفيت زوجته، رفضوا دفنها في مقبرة اليهود بجبل الزيتون في القدس. أما المشروع الكبير الذي أنجزه اليعيزر بن يهودا فهو تأليف قاموس اللغة العبرية القديمة والحديثة. فقد ثبت له بعد الاستقراء أن مفردات اللغة العبرية في ذلك الحين لم تكن تصلح إلا للتخاطب في شؤون ساذجة وبدائية محدودة، فكانها أمر كالحتمية (...) وانكب دون كلل ولا ملل ينقب عن كنوز اللغة العبرية في كتب الأقدمين، في العهد القديم والتلمود واللغات السامية. وقد ثابر مدة أربعين عاماً على إصدار المعجم العبري الكبير وقد أعد منه تسعة مجلدات في حياته. ويصدر المعجم العبري الكبير الآن في ستة عشر

مجلة مستقلة ومسلحة من قبل المستشرقين الفرنسيين[12]

هذه التجربة جديرة بالاهتمام لأنها كما قلت سابقاً، ناجحة. ومن يزر الكيان الصهيوني يدرك بأم عينه حيث يتكلم الناس، وهم من أصول مختلفة وأعراق متباينة وثقافات متنوعة باللغة العبرية التي قربتهم إلى بعضهم بعضاً وجعلت منهم أمة واحدة، ولو مؤقتاً. وهذا ما كان يسعى إليه اليعازر بن يهودا في قولته/حكمته المشهورة التي يرددها المثقف والأمي معاً: لا حياة لأمة لا لغة لها، ولا لغة لأمة لا تستعملها في حياتها اليومية.

الخاتمة والمقترحات:

ظل ميدان اللغة عبر التاريخ ساحة صراع بين الأمم، من أجلها قدم الإنسان الغالي والنفيس مما يملكه ألا وهو النفس، ومن أجلها كتب لبعض الأمم البقاء رغم بساطتها وإمكاناتها المتواضعة، في حين اندثرت أمم وصلت من الحضارة ذروتها ومن العلم غايته. فقصة الأمم والأمر لا تختلف كثيراً عن طبيعتها اليوم، لذلك فهي اليوم تتصارع صراعاً حاداً في ميدانها كما كان الوضع آنذاك، وكما يبدو في المستقبل المنظور، إذ تقع من أجلها معارك حامية تفوق كل التصورات. فهي إذ تقوم بهذا العمل فلأنها تعرف جيداً أن النصر لا يكتب لأمة من أجل تفوقها العسكري، وإنما لأجل تفوقها الثقافي الذي لا يخفى على أحد أن اللغة جوهره الذي تكون به جوهر.

العولمة آتية لا ريب في ذلك، وهذا ليس من باب القدرية التاريخية، وإنما من باب الواقعية التاريخية نفسها. وهي كما قلت سابقاً، استمرار لتطور الرأسمالية الغربية التي استطاعت من السيطرة بهدف التحضير الرقمي، مع العلم أن للغة العربية بعضاً البعد نفسه. فهو عامل مهم ولكنه ليس حاسماً في هذه المعركة لأن العولمة الثقافية (Globalization) إلى حد كبير، الشيء نفسه ليس بمسألتنا الحالية بالنسبة لعدد الذين يدخلون في المسيحية في العالم أكبر من عدد الذين يدخلون في الإسلام. فالقارة الإفريقية على سبيل المثال إلى وقت قريب كانت الأغلبية فيها مسلمة، أما اليوم فقد رجحت كفة المسيحية خاصة بعد أن بدأت تأخذ مواقع لها في المناطق الإسلامية التقليدية مثل شمال إفريقيا وغربيها[13]. فلماذا إذن عبارات قلبية وكلها تتطلب مزيداً من المجهود العملي والفكري، وعلى رأسها التخطيط تماشياً مع التعريب فطرة، فطرة غير مضنية للبحث عن كيفية أن ينتقل اللغة العربية من الميدان فوراً، من حظيرة الهواة إلى المنبر، ومن المساجد إلى المعامل، ومن المهد إلى الماس اليومي، مع جهد مستمر لإيجاد مصادر المعرفة ومنابعها.

> اليهود أنفسهم يعترفون بأيادي الإسلام البيضاء عليهم، فهؤلاء لم يعرفوا أو تفتح عليهم ثقافتهم وحياتهم، خاصة في العصور الوسطى في الأندلس وأنهم لم ينعموا بالحرية والراحة خلال تاريخهم الطويل إلا في ظل الدولة الإسلامية

كل ذلك لتكوين ثقافة أنثروبولوجية تجعل من ثقافتنا جزءاً لا يتجزأ من ثقافة العالم، لا الثقافة الكلاسيكية يتخصص فيها المستشرقون عن الغرائب والطرائف، وهو عكس ما نراه اليوم في جل التصانيف العربية التي تفتقر إلى العنصر العالمي، لذلك لا يشاهدها إلا العرب أو من يحنون إلى الشرق العربي، وهذا ما جعل الشباب وكثيراً من المثقفين العرب يبتعدون عن السوق الثقافي ويتوجهون إلى القنوات الأجنبية أو المحلية الناطقة بغيرها[1]. علينا أن نرجع الأمل إلى مدارسنا العربية لأن أهم حافز للناس هو نجاحهم في تحقيق آمالهم وأحلامهم، وليس الحماس القومي والديني وإن كانا داخل اللعبة.

فاللغة الإنجليزية التي يتفاخر بها شباب اليوم هم في الواقع لا يحبونها ولا يحبون الإنجليز أو الأمريكيين، وإنما يحبون تحقيق أحلامهم المجسدة. إن صواباً أو خطأ حظي اللغة الإنجليزية وتوابعها أي أنه في كلمة واحدة، النجاح (success) لا شيء غيره، وهو خلاصة أيديولوجية العولمة: أليست جديرة بهذه الثقافة بعدم المبالاة الجاثمة على صدر كل واحد منا، حيث لا يمكن إسقاطها بمجرد انتفاضة؟

[illegible]

الدين وعلوم المستقبل

عمر تحقي العالم*

• رب معترض يقول: إن ما سميته عند مستقبلي أو إيحائي لحاجة ماسة لا محالة، يستوي في ذلك علم الأحياء وعلم الأشياء، لا يعدو كونه حكماً على مجهول أو نبوءة زائفة يكتنفها الشك ويلفّها الغموض. فهُم أصحاب الفكرة وليس الكشف، ليسوا أسعد حالاً ولا أوفر حظاً، هُم مثلنا في غفلة عما يستقبلون، ومن يضمن ألا ينقلب السحر على الساحر، وألا يتناسى القزم الصغير بعدئذ التنين الأسطوري الكبير؟! فما تمر شمس ولا يمضي ليل، إلا ويطالعنا خبر لافت بإنجاز مشهود، في واحد أو أكثر من حقول العلم والمعرفة، لا يسع المرء أمامها إلا أن يقف مشدوهاً وقفة المذهول: ترى هل جاوز الإنسان الحد؟ وبعد هل جاس المنطقة الحرام؟ وهل بات على أدرع من حل الأحجية الكبرى: سر الموت والحياة؟! يجري ذلك ربما بتصريح فروسي على إحدى شاشات المرئية، أو بتسريح بحث في أحسن الأحوال، بهذه البساطة يوضع حل لغوي التصفية مرسلة تتقاذفها حزمة من علوم واصطلاح عليها العلق، رجوعاً إلى أول عملية استنساخ بين لعب، هصرت تستقل إلى جوف الجمجمة من قمة الأنف؟!

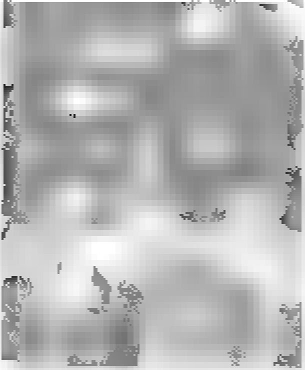
ليس المنطق الديني الحالي الذي يعالج أعقد العلوم، ما كان منه على سبيل التباهي بمعنى الترف، أو البرهان على حيوية النص المقدس ومرونته، على منهجاً من ذلك الجراح الذي صعد ضمرته بأنه لم يعثر على الشيطان!!

* كاتب باحث/ سوريا

ومنذ فرضت الكنيسة طوق الحرمان على نظرية داروين، لأنه أهان الجنس البشري وعرّج على سفر التكوين، يوم خاطب الجموع الغفيرة التي احتشدت لسماع نتائج بحوثه التجريبية حول الأصل بالقول: انظروا فابحثوا عن جدودكم في الأدغال والغابات. بعد ذلك الحين وحتى صدور ردّ الفعل المعاكس عقب نجاح أول عملية استنساخ، تفاوتت الردود حول جدوى الخطاب عن قضية من رجعية، لا تعرج على الجانب الميتافيزيقي، ولا معنية بالتة على الجانب التطبيقي، بل تتعالق معرفة وقواعد حوارية، ما كان يبقى جانبها في معرض الحديث، يصطلح على تسميته بعدئذ كالتي تسم الرسالات هذا النوع من الحوار.

وقد حدث أول مواجهة ساخنة بين العلماء الأوروبيين وأصحاب الأناجيل، والتي وجه فيها البابا غريغور تولف تهديداً للمفكرين الذين يتكئون على كشوفات الكتاب المقدس في الرد على أسئلة الطبيعة وشمول هؤلاء بالإلغاء. تشابه الموقف الاجتهادي الإسلامي مع الموقف المسيحي الرسمي من المستحدثات العلمية المعاصرة تشابهاً تبعياً، أقرب ما يكون إلى حالة، تحتوي منه إلى وجود التقاطع بين حصر ومبرره أو أنه واصطلاح.

حق، باطل، خطأ، صواب، جمع بين النقيضين عن نقطة واحدة أو أكثر ليس مهماً، والمهم عندي أنها كتبها والتقاف، حالة من التماهي المنهجي والمرجعي في



الرؤية الدينية الواحدة تتضايق خلافية بين العلم والعلمانية على جانب وجبهة دينية متحدة في الشكل متنافرة في المحتوى والمسيرة والتاريخ على الجانب الآخر.

ليس من العدل أن يطالبني أحد بأن أقتفي له أثر الواقعة وأن أحصي الوقائع عدداً فهذا مطلب يشق على أي باحث يريد أن يختصر المسافة لدخول الحلبة من أيسر أبوابها.

غير أن هذا الاعتذار لا يمنع من التذكير بطائفة من الجدليات العقدية، التي ما تزال قائمة منذ أن مال الطرفان الخلاف إلى شكله السوري المنظم. نحن في نظر كنيسة واحدة هي الأصل، ونحن منشقّ من الهرطقة، ونحن في نظر المذهبية الكاثوليكية بحت منحاً لا فرق بيننا وبين الكنائس المسيحية المخالفة الأخرى، ولا خلاص لنا: أي لا جنة ترتجى ولا وصول في ما يسمى بالكهنوت.

ونحن ثالثاً وفي أحسن الأحوال، مسيحيون يمكن للآخرين أن يستطلع فيه بعض جوانب الحق والخير والجمال.

ولم يدخل هذا التطور الأخير أو الاعتراف التجريبي الاستخفافي حيز الجواز إلا بعد تحقق التحالف الأنغليكانية والبروتستانتية وظهور كتب مثل كتاب القس الإنجليزي جون هيك: (الله أسماؤه عدة) وبرغم هذه النظرة الودية.

فكلما أطبقت كماشة الظلم على ما تبقى من قناعات فروسطية مهلهلة، أو تعرضت المصالح الإمبريالية للخطر، فزعت الكنيسة تطلب النجدة من جميع المؤمنين، للوقوف صفاً في وجه العدو المشترك بغض النظر عما أمسك إليه من تفاوت وتناقض وخلاف.

من ذلك أن المؤتمر الديني الذي التأم في مدينة القاهرة تحت شعار (الإجهاض... خلال تسميات

ليس من العدل أن يطالبني أحد بأن أقتفي له أثر الواقعة وأن أحصي الوقائع عدداً، فهذا مطلب يشق على أي باحث يريد أن يختصر المسافة لدخول الحلبة من أيسر أبوابها

القرن المسيحي، وشاركت فيه وفود مثلت مختلف المذاهب والطوائف والأديان، لتنتهي بجهادها الجراحيين العريضين إلى مجموع قرارات وتوصيات، فاز فيه الفاتيكان بحصة الأسد. ولم يخرج في جوهره عما ذكر مخالفة لمعتقد قروسطية قدمه الشارحون الأولون لمقولات الرسل والقديسين ونصوص الكتاب المقدس.

لقد ورثت الكنيسة المسيحية فلسفة (دينية) القائلة: إن الإنسان منذ آدم وحواء لا يتكون ولا يتخلق بل ينشئه الرب بنفسه[1] وأن الروح تزرع في نطفة التلقيح. وتدافع الكنيسة عن هذه النظرية التي سادت في العصر الوسيط، إذ ترى أن الحيوان المنوي للرجل يعد فاقداً للإنسان كله، وعلى هذا فكل تبديد للمادة المنوية هو بمثابة قتل متعمد. والأدهى من هذا أن الإنسان ينتقل كروح جاهزة من فم الرب إلى رجل الدين، مع تفويض كامل بإدارة هذه الحلبة في حال توافر شروط العصمة، وحيثما كانت الأمور لا تعرفها لتنسجم مع هذا الاعتقاد، وهكذا سُمحت خطيئة آدم الأولى (بالصلب) فيما أسند إلى الوسطاء في الأرض محو الخطايا بالتعميد والاعتراف.

وانطلاقاً من مبدأ (كل اجهاض جريمة) وإن تم في حالة اغتصاب أو خلل وراثي سيجد المسلم الكنيسة موقفها من التحريم ولو حالة الاغتصاب الحمية أو التمييز أو العنف الأخرى مجتمعه أو فرانك وفي خطوة استرضائية لا تخلو من دهاء تنوي الكنيسة سوف تتخلى حركت موجة العلم والحديث دائماً بالمحافظة العربية ... ر هذا تحققت مسار علم الأجنة ... حسنت صورة حتى معلومة الكتب من علم الوراثة الحديث مفاجئة: إن كل بويضة ملقحة تحتوي بالضرورة على العناصر الوراثية الخاصة بالإنسان الذي سوف ينمو منها، تكشف بجاهلية من يبقى من تلك المعلومة وهو يطورها ومن ثم نؤول إليه في ظروف غير طبيعية بحث بالذكر هنا ان اي كائن جديد ينتج في الاصل من 23 زوج من الكروموزومات تتساوى فيها حصة الذكر وحصة الأنثى بواقع 23 خلية لكل طرف. وتتمم ايضاً هذا الحديث حول تاريخ مراحل النمو التي يمر بها الجنين البشري، وفكرة ... التعلق هذا الجنين ... النفس والروح ترجع الى العام 1966م حيث وضع اسسها الفيلسوف ...

وانطلاقاً من قناعات ومرئيات علمية هاجم العباسيون افكار الفاتيكان هذه ... واستندوا في هجومهم الى:

1. أن باب الخلود مع مفهوم منع تحطيم كل بويضة ملقحة تتصور الناس جوهراً. ولاصبح الحكم بالإعدام موجباً على كل انواع الحيوانات والنباتات في كوكبنا لان الإنسان وحده هو الكائن الحي الذي لا يبقى؟!

2. ولاحظ هذا ... كان عالم الاحياء الانجليزي ريتشارد داوكنس على حق حين اطلق عبارة: انانية النوع. على هذا النمط من التفكير ووصف إجهاض بويضة بشرية واحدة ملقحة بينما يقطع الآلاف لأنه يمير فرعاً منتقباً ويغضب يريد على قتل اي حيوان.

3. والحكم قد يكون عادلاً بالمرة إن الحوار العلوي يقضا: إما الأم الذي تعاني منه مسكة وتحتاج نسيان من المعاناة مستمرة يريد كلها على ما يسببه طبيب تشخيصه عمره ثلاثة أشهر. وربما كان من الحصافة القول عاقب ومحبوب: إن الذي يأكل بيضة دجاج ملقحة لا يزال بعيد عن الوصف بأنه يأكل كتكوتاً. والكنيسة في موقفها الداعي الى تحريم الإجهاض ... بجميع أنواعه تستند على المسيرة الطويلة من القمع الروماني لحقوق الكنيسة والذي حصل على حرمان كل مؤمن من حقوقه الكنسية في حال المخالفة ... يطلق الطاعنون في حاراتهم من عدم ... وهو موقع المرأة المسحوق بمراة الرجل وليس بمستوى ... يبرز ... منه المهام ... على ... تراثاته ... أساسيات الوجود المجتمع.

نحن ... مفهوم بالطبع سماح الطريقة التي ... بها الفقه ... المسلمون وما ... لا ... عنه

لا تكفي ثقافة عادية لتشكيل رادع فقهي يبعد عن بيئة الدين

مختاره ... ولقد ... كانت في الإسلام ... المرأة ... بمسألة في هذا الطريق المعتبر ... لا تكفي ثقافة عادية لتشكيل رادع فقهي يبعد عن بيئة الدين ... القول ... والمنهج ... التوسع للمرأة في المجتمع لا يشكل اليوم ... قيمة معرفية تتحد ضمنه الإيمان من ... ومن يخضب ... أو الخطأ لا يحسن ... الله على ... بمعرفة إن علم النفسية ... مفكر واحداً من ... على ... أنه ... لا ... سؤال طرحه ... متخصص في علم الاجنة ... الشرعي القول: "لقد ربط الفقهاء بين الإجهاض والحركة فلا إجهاض مع ثبوت حركة الجنين والعكس صحيح".

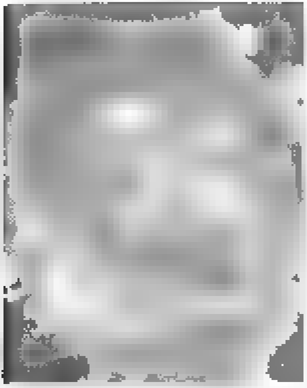
ولقد ... الفقيه حين رد الطبيب ... عن حالات حمل صحيحة لم تسجل خلال اي حركة، ... تقديم ...

ولو قصيرة حول ملابسات الحمل من آخر ما توصلت إليه استطلاعات الطب الحديث في هذا المجال، فقد تجيب عن أسئلة يطرحها المشرعون، أو قد تحلّ بعض ما استشكل فهمه في الدين.

* كان المصور السويدي لينارت نلسون أول من تحمل عدسته تصوير الرحم امرأة حامل، وبعد عشرين سنة من نشر لقطاته المدهشة في منتصف الستينات، حقق حلمه الثاني، إذ فاجأ العالم ببعض عجائب الحياة الخافية حين صور بدقة مدهشة تفاصيل اللقاء الحار بين البويضة والنطفة ثم الانتقال السريع إلى جدار الرحم للشروع في بناء الكائن الجديد. ولعل أروع مشهد صوره كان لملايين النطف وهي تصول وتجول من حول البويضة، في حول عارم للاستيلاء الوحيدة، حتى إذا أذن صاحب القرار بالحمل، ويتبعها غيرها من المستطرين الذكور انتفضت عناصرها فتمنعت واطبقت غلافها عليه فمنعت البقية الباقية من المشاركة في الدخول.

حتى نختار فرصتها الآن، فإذا رجعت إلى العلم وسألتك: لم؟ سكت ولم يُجبه ومن العبث الصارخ أن نلحّ عليه بالسؤال، فقد تكون الإجابة معروفة وقد لا تكون، وقد يبقى على المجهول.

إن الملقح العرب نتيجة من هرمي والحمة التلاقح بالنسبة لنا بحث ذات جدوى طبية بقدر ما هي جدوى تشجعيه، فخلال ثلاث ساعات لا غير، يبدأ علماء الأجنة بالتحدث حول حياة جديدة، رغم الجهل المطبق بخطى التصريف الأولية للعمر. وفي اليوم السادس أو السابع من التخصيب، تحدث الوقائع الأهم في مظرهم. فالجنين الذي لا يزيد طوله على عُشر المليمتر والمسمى: (بلاستوسيست)، يأخذ في الحركة نحو الأمام عبر العنق ليلتصق بجدار الرحم ويحمي عنه، وهنالك يستطيع استرداد البدء لإنشاء النموذج المفترض. فإن تحولت الكتلة الحجمية (حلقة إلى ما يشبه كيساً مفتوح الفم مقصداً) وبجدران مؤلفة من ثلاث طبقات خلوية قابلة للمرن، تحول الطبقة الخارجية إلى جلد وشعر، وجهاز عصبي



ودماغ، بينما تشق الطبقة الوسطى وتبسط لتصبح عظماً، الجسم الرئيسية، الخلايا العصبية العضلات والعمود الفقري، أما الطبقة الداخلية فتتحول إلى جهاز الهضم والرئة. في هذه المرحلة المتقدمة من التطور، أي حين تكون الأجنة قد كوّنت هيكلاً واضحاً، فإن جميع الحيوانات الفقرية تبدو شديدة التشابه، فالسمك والتمساح والعصفور والإنسان تتسع بينها فتية متطابقة تقريباً، ودون حتى دون السمكة وهتحي خيشوم، وهنا يجني لن موروثات ... حتى تصبح الأوامر بتخلايب الشفافة (بالتصوير النهائي في مستودع الإعجاز، لأنها ترسم الحدود النهائية والملامح لكل الأنواع.

سنتوقف عند المشهد السريع بذاكرتنا خمسة النشوء الأولى أو القصة الملاحمة الأخيرة حول تحول الإنسان، فقد حيث يتمّ التصوير في الأرحام، وتخفي الأيام المنبثقة الخلوية الثلاث، فلا يدري حدّ لا العلقة ولا المضغة المجردة ولا المستحوذ. مالذا تخبئ هذه الكتلة الدموية المتماسكة من مفاجآت، فما تكرر سيرة الإنسان الأولى من نقطة الصفر تقريباً تلقي بظلال كثيفة من الشك على فرضية علمية

الجنين نهاية كبرى بالعنصر البشري

من جانب آخر فإن الظلمات الثلاث التي تحدث عنها أصحاب الديانات العلوية هي معظم التفاسير ليست ظلمات مادية، ولا يمكن فهمها على هذا الوجه بعد أن التحقيق عبر الكاميرا فتكشفت عنها للنظر واتضحت بروائع الإعجاز والتحدي الذي لم تكن عجيبة العصر تسمح بأكثر منه!!

إن المعرفة لا تتوقف، إن المعرفة تراكم وتكامل وتتشكل الحل لا توجد حلقة واحدة وإذا رغبت في معرفة المزيد حول الطريقة التي تم بها هذا الكشف العلمي المبين بحوثك الواقعية

لقد تم اكتشاف أمر ذبابة وبعد وقع الاختيار على هذه الحشرة المزعجة نتخلى به عن دورة حياة قصيرة تسمح بتتبع آليات النمو

حتى ضمن الحشرة المعجزة هذه، طرح العلماء على أنفسهم سؤالاً مهماً يتعلق بمعنى تشابه آليات النمو الهرمية بين الأنواع وجاءت تجربة العالم الأمريكي وليام ماك جينس بمثابة الرد المناسب إذ تمكن فريقه مورثاً بشرياً من نوع (هوكس) في جنين ذبابة فاكهة (دروسوفيلا) بعدما تم تعطيل مورث هوكس بواسطة الطفرة الجينية. يجدر بالذكر هنا أن هذا المورث الذي يعمل في الإنسان والذبابة ليس واحداً عن المورث البشري في جنين الذبابة وإنما هو فاعل فقط حسب النموذج، وبرغم الاختلاف العديد القائم بين التطور الجيني للذبابة والسمكة والإنسان فمن غير الواضح كيف تم تعريض حيوانات التطور البدائية واللافقاريات بالنظر إلى تطور الحيوانات عبر ملايين السنين والنبات الذي يتم بتعريض من مورثات (هوكس) التي سبق ذكرها، دليلاً على أن هذه المورثات حافظت على بنيتها أي تلك الخلقة الأولى خلال العمل في الأنواع كلها بصفتها مفتاح السر بالتطور والمنظومة كلها وهذا في حد ذاته مؤشر على أن عمليات التطور التي تحتفظ بنجاح حافظت على خصائصها عبر ملايين السنين، ولكن هل ثمة تحدد أنواع المورثات؟ غير هذا لم يتحدد

في هذه المرحلة نحن نتكون الخريطة الكبرى من (وصفية) بين (ما يحمله) الجنين وبيئته العالم المحيط حول وجود يد حكيمة دافعة)، وإن التطور موجود ولكن ليس بالصورة التي أرادها داروين فعلياً بل على طريقة افتراق الأنواع كما يحدث في قرار تصوير الأجنة، وليس على أصحاب المدرسة (السلفية) أن يتلوا ويتمسكوا بل عبروا عن التزحزح من مواقفهم فليس في حاجة الأمر في جامع لا في (كنيس) الله

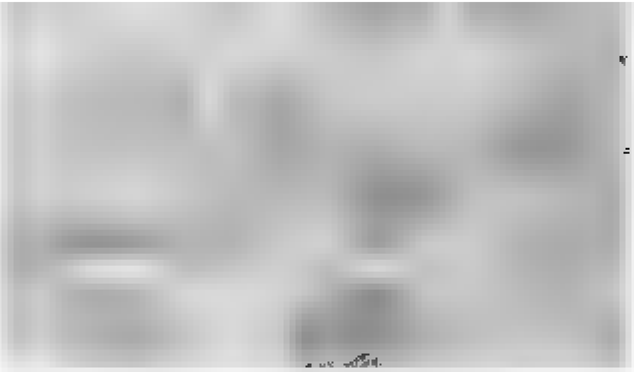
وبعد انقضاء أربعة أشهر ونصف الشهر تبدأ بمحطة الانقسام الخلوي يتوقف العمل في جميع أنواع الخلايا ويصبح الإنسان على مسافة غير قابلة للاستبدال وإن ظلت الأعين مغمضة حتى الأسبوع الخامس والعشرين تقريباً فإذا حدثت ولادة غير طبيعية في منتصف فترة الحمل، فسوف يتمتع الوليد بفرص قوية للحياة، إذ توافرت العناية الطبية الكافية. ومن ذلك كله نخلص إلى الاستنتاجات الآتية:

1) أن تكامل النمو يتم بعد 18 أسبوعاً أو 126 يوماً تقريباً

2) وأن فرص الحياة لولادة مبكرة، أي بعد 18 أسبوعاً قوية أيضاً

يبهذا نخلص استخلاص العلماء إلى ما جاء في الحديث النبوي الشريف بتحديد المدة الأدنى الشرعية على الجنين، لا يكونون ابتعدوا كثيراً عما قرره علم الأجنة الحديث وبحق، هذا أيضاً فإن الإنسان يوضع في الرحم جاهزاً بحسب المعتقد المسيحي بل يتطور (يتشكل) وإن الحركة من علم الحركة معيار صحيح للآن بالإجهاض من عدمه ويبقى مسألة والنقاش في ما يحتج به العلم من مواقف:

هم العلمانيون على حق بالطبع في ما ذهبوا إليه من حالات حدوث خطأ ما في التسلسل الوراثي لا يرفضون الإجهاض كاملاً والرأي عندهم أن تتدخل قطع مبكراً لهوية ونمو وآخر أو أن نقف مضطرين حائرين، من ذا الذي يملك جواباً وعلى الذين يطالبونه أن يتدخلوا لأن طموحهم لن تجري



محمد فاطمة ماما كشفت الحياة والنفس والروح
تسطو بجماع النفوس والمشيرين.

لست فقيهاً، ولم تطمس نفسي يوماً تركيب هذا المركب البشري، لكنني سأتقدم بسؤالين واحد أوجهه إلى العلماء والمسلمين: لماذا التفكير الآن بالقتل في الوقت الذي [illegible] خريطة لإصلاح أخطاء في الطبيعة؟ أليس الجنين المعاق ابن ثمانية عشر أسبوعاً يشكل حالة مرضية تستدعي علاجها لا قتلاً؛ فأي حالة مرضية تجري مع فارق حد أن الأول غائب والآخر موجود؟!

هنا السؤال الثاني فأين (رجل الدين) إن مبررات القتل في نظر الشريعة الإسلامية تكمن في حالتين: القتل العمد والفساد في الأرض، ومع تواتر القصد الطبي والعقلانية العلمية، أين موقع الشرع في الإقدام على الإجهاض؟! وكيف سيلتف الإشارة فالأوساط العلمية تتحدث اليوم عن (أخطاء للطبيعة) ينبغي إصلاحها. لقد أفادت هذه الفكرة في تحقيق رغبة هائلة مع دخول علم الوراثة حيز التطبيق في المجال الطبي. ولكي لا يكون حديثك رجماً بالغيب، فلا بد من جولة مع ايجابيات هذا التخصص توصلك إلى بداية الخيط. لقد عرف الإنسان وراثة الصفات منذ أبعد العصور الا ان فكرة تحسين النوع بوساطة الاختيار المتعمد أو التصفية المقصودة بمعنى للصفات السيئة بما يعرف "تحسين النسل" ثم جرى الاحتلال السنوات السبعين الماضية، واكتسبت السمعة الوراثية سمعة مسمومة حين تحولت إلى عنصرية إلهية، وأفضت إلى تسميم الشعراء بين الملايين، فشعبه الذي نوى هتلر والوطنيون الاشتراكيون أمر تنفيذه. وكان الباحثون قد فكروا قبل هذا في [illegible] الإنسان بجمع الوحدة الأساسية أي الخلية. واقترح الباحث مللر، ولاحقه في التحسين مستنداً على شيء يتمتع بصفات الخلية من حيث التركيب، لكنّ (عليكم) لم تقسم وبالتالي لم تتكاثر. وما لبث الجهد ان تحول نحو التعمق في دراسة الخلية نفسها. وهي السمة التي حققت خلالها ألف عالم جيني من أربعين بلد فكرة تفكيك (الكتلة البشرية الخلقية) بإشراف المنظمة الدولية وكان ذلك في العام 1986م. تمخض المشروع بأسبقيات مختلفة عن التسويق على مخططات معينة للجينات شكل الانجيير بمخططهم أمر محال فيه، ويستحق رسمياً بما يسمى بحر الخريطة الوراثية للإنسان في [illegible] الجسم.

فإذا تركنا الجانب الشخصي، وارهفنا السمع لما يقول له العلماء، اسمعونا كلاماً عذباً يدعو للبهجة والتفاؤل، وهو يتمثل في رغبة الطب وعلم الأحياء بوضع حلٍّ جذري لكثير من الآلام التي لم تنفع معها طرق المعالجة التقليدية. ويعمل الباحثون بطريقتهم

الجديدة. بالترتيب المعتمد. فما كان يجري في الهرم الطلل بعد مغايرات فسيس وبدلاً من استخدام الأنسجة السببية التي عادة ما تؤدي إلى تدمير عضوي لا يمكن إصلاحه في جسم المصابين على سبيل المثال، فإن إدخال تعديلات على كتلة الخلقة بات شيئاً في متناول اليد. من ذلك أن سبب أحد أمراض الدم الخطيرة المميتة في القلب خطأ في حرف واحد ضمن ملايين الحروف في مكتبة كتلة الخلقة. إن طفل هذا الطفل لا يستطيع إنتاج مادة خضاب الدم (الهيموغلوبين) على نحو سليم، وتصحيح مثل هذا (الخطأ المطبعي) أصبح وشيكاً الآن. أما طريقة العلاج فتتلخص في أخذ الخلايا المنتجة من نقي العظام، وتعريضها لنوع فيروسية غير مؤذية تؤدي في النهاية إلى استبدال المورثة المصابة بالخلل وصف الحرف غير الصحيح نفسه.

كذلك الحال بالنسبة لأمراض الربو والتصلب الشرياني والسكر وتآكل الدماغ، ويبني الباحثون جهات الأمراض اهتماماً خاصاً بعد تحديد الصورة على ألف مورثة من أصل خمسة آلاف تم ضبطها تهم بالتسبب بمثل هذه الأمراض. كما تمّ التعرف على نحو أربعمائة مرض وراثي، ولا ينقضي أسبوع تقريباً إلا ويكتشف الباحثون مقاطع معينة من حامض (دي.إن.أي) يشتبه بتورطها في الأمراض الوراثية. إن المقصود بالمورثة أو الجينة، ذلك المقطع من الحامض النووي الذي يحمل المعلومات اللازمة لإنتاج بروتين معيّن، وتتمثل حروف الهجاء هنا في الحروف الأربعة: أدنين، جوانين، تيمين، سيتوسين، ضمن سلسلة المركبات الكيميائية.

وحقق العلم تقدماً كبيراً، فبعد ما كان تحديد الجينة الواحدة يستغرق عشرة أعوام، اختصرت المدة لعدة شهور، وبعد نشر المخططات الجديدة، أصبح نحو 75 في المئة من كتلة الخلقة مقسماً إلى مقاطع صغيرة، ولا يلزم الباحث سوى التفتيش عن الجينة المشتبه بها في تلك المقاطع التي تشبه علامة فارقة. وللمزيد من التوضيح، فقد ضرب علماء الأحياء مثلاً حياً على الكيفية التي تحدث بها الغلطة المطبعية، إذ شبهوها بالأحرف اللاتينية الثلاثة (G.O.D.) فلو غيرنا مكان هذه الحروف، لحصلنا على هذا اللفظ (G.O.D.) الذي معناه (الإله) بالإنكليزية، ولو رُكّبت بطريقة معاكسة على (D.O.G.) لأصبحت معنى مختلفاً.

> بعد ما كان تحديد الجينة الواحدة يستغرق عشرة أعوام، اختصرت المدة لعدة شهور، وبعد نشر المخططات الجديدة، أصبح نحو 75 في المئة من كتلة الخلقة مقسماً إلى مقاطع صغيرة

لقد سمعنا رأي (المختصين) في هذه المسألة، فكيف يفكر الباحثون؟ لا يوجد عالم فكري واحد رفض ذلك، إن الصعوبة في علم (الوراثة الجرثومي) يتمثل في عدم وجود فاصل واضح يمنع المرء بتجاوزه أو تركه إرثاً للأجيال السابقة من علماء الأحياء، تجزم بوجود فواصل بين الأجناس وأنواع النبات وأنواع الحيوان لا يجوز تجاوزها. ويبدو علم الحياة يتحول إلى اختراق الحدود والمخلوقات. إنتاج مخلوقات تمثل تهديداً، نعرف اليوم أن تلك الحدود تخترق يومياً، وعلماء الجين، بحسب الباحثين، يرون أن هذه النقطة هي النقطة الأخطر في عالم المعرفة لأنها هي التي قد تحمل معها الإجابة القاطعة حول مسألة الخلق الأول.

وتفسير ذلك أن هناك مورثات (طافرة) تغير موضعها في كتلة الخلقة، بغض النظر عن النوع، وقد ثبت أن الفيروسات والبلازميد تقطع الحواجز بين الأفراد وحتى بين الأجناس دون عناء. من هنا جاء الاعتقاد بأن فيروس الإيدز انتقل من القرد إلى الإنسان، إذ يصعب تفسير الشبه الشديد بين أصل فيروسات هذا المرض لدى القرد والإنسان بغير هذا الافتراض. أما عن طريقة الانتقال فلا يملك العلماء سوى التخمين حتى الآن.

كذلك الحال بالنسبة لمرض الأعصاب المميت لدى الأغنام، فقد انتقل كما يعتقد بطريق التغذية بالبروتين إلى الأبقار فسبب لها الجنون، وربما انتقل هذا المرض إلى البشر عن طريق الغذاء وهو ما يسمى (أمراض كروتزفيلد - جاكوب المتراصة) ويشكل جزء غير يسير من كتلة الخلقة البشرية في ما يفترض من نص جيني تستضيفه الفيروسات معها، والمقصود الأمراض والتحويرات. ويعتقد الباحثون بوجود تبادل ... بين الجينات الحيوانية والجينات النباتية، إذ يميل المرء إلى الاعتقاد بأن الواحدة نسخة من الأخرى، وذلك ما ترجحه الداروينية. ومما يعزز هذا الرأي هو تسلح البكتيريا بترسانة ضخمة من الأدوات الكيميائية التي تجعلها قادرة على قص بعض النصوص الجينية وإدخال نصوص أخرى بدلاً منها.

ويبرر الباحث ... أن الإنسان ما انفك يتدخل منذ الوقت السحيق في كتلة الخلقة وما تهجين المزروعات وإنتاج المطاعيم الطبية إلا نتاج لتغييرات جينية مقصودة ... في التهجين الذي قد لا يعرف لتغييرات ... تحصل تلقائياً في مستوى الخلقة بطريق الاصطفاء.

الإنسان ما انفك يتدخل منذ الوقت السحيق في كتلة الخلقة وما تهجين المزروعات وإنتاج المطاعيم الطبية إلا نتاج لتغييرات جينية مقصودة حقيقة

وإلى وقت قريب كان ينظر إلى المادة الوراثية في الإنسان على أنها محصنة من أي تدخل خارجي كما كان ينظر إلى حامض (د.ن.أ) على أنه منطو في الجزيئات ضمن الصبغيات (Chromosome)، وأن الجزيئات الكيميائية لا تفقد خواصها إلا من خلال عمليات نقل معقدة.

وحين اكتشف المهتمون أن كتلة الخلقة أو الرصيد الوراثي البشري غير مغلف بالبروتين كما ظنوا وأنها تحتوي على عشرات الآلاف من العناصر الارتجاعية، تملكتهم الدهشة. والمقصود بالارتجاعية مقاطع مكتسبة تشاركي في حجمها مقاطع الجينات المعدية واستناداً إلى العديد من الخصائص الحيوية.

فالاعتقاد يسود بأنها ناطقة عن فيروسات ارتجاعية تستطيع - على سبيل المثال - كتابة نفسها في كتلة الخلقة كما هي الحال في مرض الإيدز (HIV). وإن أهمية هذه الكتابة مجهولة حالياً في (كتاب الحياة).

والفيروسات الارتجاعية عدو (خصوم) الذكياء كما يُستدل على ذلك من فيروس مرض الإيدز، غير ينتقل من فرد لآخر، ويقتحم كل الطاقة، ويؤدي في النهاية إلى التنفس الصناعي التابع. ويجزم الباحثون باستحالة القضاء على هذا الوباء قبل التعرف إلى حل هذا الفيروس الخبيث الذي يستدعي بالضرورة التدخل في كتلة الخلقة، والقاعدة نفسها تنطبق على مرض السرطان لإطفاء الجينة الورمية.

فالرأي بدأ أن الإنسان حين يخلق لا يملك حدوداً مقدسة لأن الحدود سلطت عليها منذ زمن بعيد إما في الطبيعة بتسرب العناصر الارتجاعية أو من خلال التدخلات والتجارب البشرية. هذا فضلاً عن أن الكتلة البشرية تحتوي على أشكال وألوان غير مفهومة أو غير ذات معنى، فقد ... الفيروسات الارتجاعية. وباختصار إن كتلة الخلقة ليست محراب القديس الذي لم تمسه يد. وهذا ما يدفع الباحثين إلى نفي ما يسمى (أزمة خلقية) أمرٌ مصطنع وغير موجود أصلاً انطلاقاً من هذا الفهم، وأن الأزمة إن وُجدت بمرجعية دينية أو غيرها فلا تكمن في مبدأ التدخل، بل في الأحوال التي تشكل موضوعاً للتدخل.

غير أن الإجهاض وما يتصل به من جسامة (مسألة كتلة الخلقة البشرية) لا تشكل حالة شاذة في قائمة الأسئلة الصعبة التي تلتف حولها العلم، ويشير لها الأ... بطلب الجود.

ركائز حية في الجسم البشري يبدأ التماس معه محدوداً ضيقاً ثم لا يلبث أن يكبر ويتسع وتتحقق النظرة إليه من مجرد ماضي إلى قضية خلقية كبرى

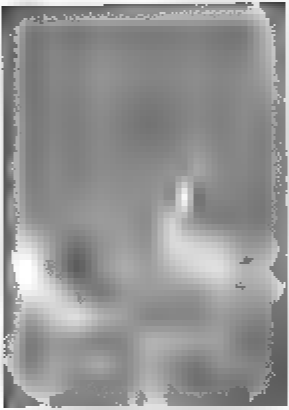
تمتد من مبضع الجراح إلى اهتمامات المفكرين ورجال القانون، وذلك.. لتحري [illegible] الحقائق الكونية التي تتصل بالجوهري من وجود هذا الإنسان؛ إننا نشهد عدد من الأعضاء التي كانت تباع على قارعة الطريق في بومباي أو سيول [illegible] بالتجربة تاركة المجال في المشكلة لغيرها. ولتوضيح الأسباب المستترة خلف هذا القرار لا مندوحة من الاستشهاد بداية ببعض التجارب التي نزعت من تلك الأعضاء هالات التقديس حين بات تُصنع مع لُعب وأدوات تسلية الأطفال كالعرائس والدمى لرؤية [illegible] الأجداد والآباء. فقد قام الباحث [illegible] وغيره بزرع خلايا الجلد وبعض الأعضاء الداخلية للبقرة [illegible] بالقلب [illegible] مدة تزيد على عشر سنوات فقد توصلا بعد التجربة [illegible] الأعضاء لم [illegible] وحافظت على حيويتها السابقة، بينما البقرة ماتت [illegible] والتجربة نفسها جربت على مريض [illegible] الأمراض [illegible] هاد القلب [illegible] وهو العضو [illegible] المتهم [illegible] إلى العمل بعد [illegible] بسائل مُعد [illegible]

بينت التجربتان [illegible] الحياة [illegible] بجميع الأعضاء [illegible] الموت [illegible] لا يكون إلا بموت الدماغ الذي يصيبه نفسه خاص في النظام الحيوي، الذي يصطلح به [illegible] المحيط.

وخلايا الدماغ لا [illegible] الحياة [illegible] أي تجديد [illegible] الإنسان [illegible] على قيد الحياة [illegible] والدماغ [illegible] عضو الحضارة [illegible] غير قادر على نفسه؟

وقد [illegible] وإستبدال [illegible] الدماغ فهو العضو الوحيد الذي [illegible] حتى الآن [illegible] العلم، إلى وقت طويل.

[illegible] أمراض عضوية ترتبط بالجملة العصبية



لكن لا تستطيع الزمن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حركة الحياة

مثل مرض الزهايمر والشلل [illegible] وبعض أمراض [illegible] لا [illegible] فقد [illegible] جديد [illegible] الأعصاب [illegible] الخلايا العصبية لم [illegible] الدماغ إلا مع نهاية [illegible]

غير [illegible] الإيطالي [illegible] في روما سنة [illegible] أما [illegible] الروح التي [illegible] أي إستبدال العضو [illegible] من [illegible] البشرية أو الحيوانية أو [illegible] فالأمر يختلف [illegible] للدماغ [illegible] على التعويض [illegible] استعمال تقنية [illegible] وبحسب البعض فقد [illegible] الدماغ [illegible] الأسطورية [illegible] إلى عضو [illegible] الأعضاء [illegible] إلى [illegible] هذا العضو المعقد [illegible] إلى علم [illegible] لا [illegible] في مستواه عن [illegible] الاكتشاف الأعظم [illegible] أو الهندسة الوراثية

والمرة الأولى في تاريخه كشف النقاب عن وجود أبجدية كيميائية للغة الأعصاب، وبعد الحديث جدياً حول ما يسمى (معطاء كتابية) بمصطلح بواعث للمرض. إن الدعوة القرآنية الكريمة إلى إتمام النظر في النفس والآفاق تحرضني على التوسع في ما عتبره مدخلاً طبياً للنتائج خلاقية فيما تحضير (مسائل خلوي) من جنين أنثى ضرير من التلافيف الصناعية بعقل لا يزيد على حجم المقتطر وادراكه على هيئة خلايا ميكروية عددها في حدود 12 مليون خلية عصبية مخصصة لمعرفة المرض، وضعت في رح مجالات من المسائل ضمن حقنة بالإمكانية، حفر ثقب دائري لا يزيد قطره على قطر قطعة نقود معدنية لكشف المادة السنجابية في الدماغ.

تُغرس الإبرة في دماغ مريض الشلل بعمق لا يستمر، فيما يوزّع المحلول حتى 40 نقطة من الجنينيات النووية وأعلاها، وعلى كل منشأة دماغية تشاركه في عمليات الدفع الآلية التي تصفو بمادة (الدوبامين) التي تعد نور ناقص التبريد في حالة الإصابة بمرض باركنسون. لكن المادة الأكثر استعمالاً في علاج أمراض كهذه، هي الخلايا العصبية المصورة من الأجنة البشرية ولم يكتف الجهد حين بأخذ الخلايا العصبية من الصبي المجهض فقط بل حتم معها جماعاً حلوية حرى ويزرعوها فما كان منها إلا أن حث بغير مانع في جمجمة المتلقي وصعدت الكتلة النسيجية على مركز الحس فتوقف قلب المريض وزكاه عن العمل في نهاية المطاف، واكتُسب تقنية أخرى لمحاولة علاج مرض الزهايمر حيث زُرعت مضخة مؤالفة تحت الجلد تضخ كميات صغيرة جداً من المواد التي تساعد على نمو الأعصاب المضيئة شهور فوق المسطحات الصناعية الثانية في الخلايا السنجابية وكان المرضى تقنية التحسين المطلق، التي أصبح غير قادر على

وفقد التصور العقلي للمريضة ولم حتى الآن تسعين مئة انشاء ونحو 300 مستقبل عصبي.

كشفت النتائج المتحصّلة عن بعض التقدم لكن التجارب أسفرت عن جانب سالب باختلاف الظواهر السلوكية لدى المتلقين وضم الباحثين فرضية نسالة مرضية ممن اشتكت في سمعتهم خلايا بيئية فلدى متول أحد القتلة المتلقين أمام القضاء ردُّ عن تهمة القتل بأنه لم يرتكبه وأن الفاعل هي تلك الأجنة التي ادخلها الجراحون في رأسه.[15]

كثير ما يقع (المتوطنون) في خطأ التفسير فيضعون النص في غير موضعه الصحيح، حين يستنطقونه الرد عن أسئلة ليست من طبيعته، أو يقحمونه لإيجاد حلول لمعضلات نشأت عن ممارسات وتطبيقات لا يد له فيها من هذه الأسئلة المحرجة: ما رأي الإسلام في نقل الأنبوبة وما رأي أصحاب الفضيلة في حق الأجنة المجمدة ملقحة تمت في غير الرحم الأصلي؟ وما رأي الشرع في ما يسمى (مصاصة الرحمة)؟ مسألة حياء ليست في مسائل مسألة، وحضارات رفضت رغبة المسلمين في وجه الأديان عدد قرون الا إن مثقف (التقي لبعض يتهادى عالية أدنى من فيلسوف معاصر لم يترك للمسلمين شيئاً على علاته) لكن الدين قرأه (فه يكر فهموه على عرف فهو لم يرد العلوم التطبيقية إن المستقبلية التي كانت سبب العداء بين القطيعة الكاملة بين البحثي والكنيسة وكان لهذا المسلك العلمي ما يبرره، فقد وجد رجال الدين في فلسفة الفلسفة الأفلاطونية بالذات روحهم الإسلامية في صورة حدود أروع، فظل نمو وأكثر تحضيراً وكثير ما نوحظ ذلك التأثير المرسوم في المصطلحات والألفاظ الشرعية التي أكثر القاضي عبد الجبار من استعمالها بحسب مؤرخين معاصرين.

صحيح أن القرآن الكريم لم يرد غير إشارة علمية

كثير ما يقع (المتوطنون) في خطأ التفسير فيضعون النص في غير موضعه الصحيح حين يستنطقونه الرد عن أسئلة ليست من طبيعته أو يقحمونه لإيجاد حلول لمعضلات نشأت عن ممارسات وتطبيقات لا يد له فيها

وفي أكثر من موضع. لكنّه - القرآن الكريم - لا يغلق ذلك على سبيل التخصص، بل من باب الإعجاز الذي يترك الباب مفتوحاً ولا يقيّده بزمن ولا بمكان. وتلميح المؤمنين على الدوام بضرب أو أكثر من ضروب الإعجاز تلك. فظلّ مقصود [illegible] القرآن والعامة منضبطة في المجالين. وهو مفهوم إلى أن يجدّ حدوث التخصص والجمع السطحي. وقد أدى خلط بعض المفسرين وإسرافهم في تطويع النص المقدس إلى استعداء أهل [illegible] رجال اللاهوت حين [illegible] ولي جهدهم في الإلهيات، الجأهم إلى الاستعانة بالبراهين والأدلة العلمية الحديثة.

والعقل الإسلامي متهم بالعكوس وبجاهزية القسمة للنظر والتحري والانفلات من قيود القوالب الفكرية الجاهزة. ويرجع بعضهم ذلك إلى صفة تمسك بتلابيب البنية النفسية العربية. ومن حيث ابن المقفع عن مناقب العرب (في الإمتاع والمؤانسة) ذكر [illegible] أهل بلد قفر موحشة من الأنس احتاج كل واحد منهم في وحدته إلى فكره ونظره وعقله [illegible] أي أنهم لا يتلقون العلم عن أحد. أي أن العربي لا يعبأ [illegible] في الأشياء بل يعيها [illegible] وهو في انفصاله عنها [illegible] تراه يصطفيها ويخزن معانيها كما يرصد الصانع صنعته.

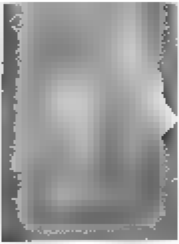
وقد [illegible] أن [illegible] من [illegible] الآخر. فوسموا كل شيء بسمته [illegible] ثم علموا أن شربهم من السماء، فوضعوا لذلك الأنواء، واحتاجوا إلى الانتشار في الأرض وأقطارها فسلكوا [illegible] البلاد [illegible] هذا يعني أن أشياء الطبيعة تستخدم في أحد شيئين: النفع والضرر. وهو يقف منها موقف المحايد الذي لا يحب ولا يكره إلا الذي ينتفع فيه فهو [illegible] العاطفة [illegible] كما يتذوق الطعام والشراب. والعربي لم يكن ينظر إلى تلك الأشياء على أنها محصلة للقوانين. ولو فعل لأدرك علاقتها بها. لا لأجل علاقته بها، بل استخراجاً للقوانين الكامنة وراءها.

ترى لأي مدى أنصف هذا الحكم العربية؟ وهل كان العقل العلمي العربي على تلك الدرجة من [illegible] [illegible] والعمى؟!

في حكمي على هذه المسألة سأمضي إلى أقصى أسئلتها واستنطاقه. ولعلّ ما يحضرني في هذا السياق قصة جميلة معبّرة تنقل المصادر العربية أن الطبيب ابن جميع كان جالساً يوماً في دكانه بالفسطاط بمصر وقد مرّت عليه جنازة، فلما نظر إليها صاح بأهل الميت، وذكر لهم إن صاحبهم لم يمت وأنهم إن دفنوه فإنما يدفنونه حياً. قال: فبقوا ناظرين إليه كالمتعجبين من قوله، ولم يصدقوه فيما قال. ثم إن بعضهم قال لبعض: هذا الذي يقوله ما يضرّنا أن نمتحنه، فإن كان حقاً فهو الذي نريده، وإن لم يكن حقاً لم يتغير علينا شيء. فاستدعوه وقالوا: بيّن الذي قد قلت. فأمرهم بالعود إلى البيت وأن ينزعوا عن الميت أكفانه، وقال لهم: احملوه إلى الحمام، ثم سكب عليه الماء الحار، وأحمى بدنه ونطّله بنطولات، وعطسه، فرأوا فيه أدنى حس، وتحرك حركة خفيفة، فقال: أبشروا بعافيته. ثم تمم علاجه إلى أن أفاق وصلح. فكان ذلك مبدأ اشتهاره بجودة الصناعة والعلم، وظهرت عنه كالمعجزة. ثم إنه سئل بعد ذلك من أين علمت أن ذلك الميت، وهو محمول، مغطى بالأكفان، أن فيه روحاً؟ فقال: إني نظرت إلى قدميه فوجدتهما قائمتين، وأقدام الذين قد ماتوا منبسطة، فحدست أنه حي. وكان حدسي صائباً.

إنّ من تخصص في الطب أو تلقى ثقافة حرّة يعرف أن الطبيب العربي كان على حق، وأن ما قام به ينطبق على أحدث النصوص السريرية في وقتنا الحاضر. وأن المريض الذي أشار إليه [illegible] لا يمثّل حالة وفاة كاملة بالمعنى البيولوجي. ابن جميع المتوفى سنة [illegible] ميلادي، تقدّم على عصره بإنجاز هذا حوالي ثمانية قرون تقريباً.

ولطالما اتهم العلم العربي بأنه علم موسوعي لا يعرف التخصص. إذاً فانظر إلى ما كتبه الطبيب عبد اللطيف البغدادي والسبب الأول لمنطق التخصص [illegible] أوصيك أن لا تأخذ العلوم من الكتب وإن



ويُمكن من مسبقه بقوة الفهم، وعليك بالاستدلال في كل علم تطلب اقتباسه، ولو كان الأستاذ ماهراً فعد عنه ما عنده حتى تجد أكمل منه، وإياك أن تشتغل بعلمين دفعة واحدة. وواظب على العلم الواحد سنة أو سنتين أو ما شاء الله، فإذا قضيت منه وطرك فانتقل إلى علم آخر، ولا تظن أنك إذا حصّلت علماً فقد اكتفيت بل تحتاج إلى مراعاته ليسمو ولا ينقص.

وهكذا يكون العرب قد وضعوا التصنيف الأولي لشيء نطلق عليه اليوم اسم (التخصص)، فميزوا جيداً بين دراسة أكاديمية وثقافة عامة، ووضعوا بعلمية فائقة قاعدة البناء المعرفي وشمية العلوم.

ليست هذه محاولة لاحصائية بوقائع وقواعد عامة، بل أمثلة تعكس عقلية التداوي العربي، وكان في الإمكان المضي قدماً وعلى هذا النسق مع عباقرة آخرين لرسم الإطار العلمي العام الذي تحرك من خلاله المفكر العربي. ولعل الأهم من التحدث عن أبجديات علمية مثل الشك والتجربة والاستنتاج، وأدبيات البحث العلمي التي تجدها واضحة بارزة لدى الرازي وابن سينا وابن البيطار وغيرهم، أن نُعرج على الأهم ألا وهو موضوعية العلم وتحرره من الخرافة والشعوذة التي سادت ذلك العصر.

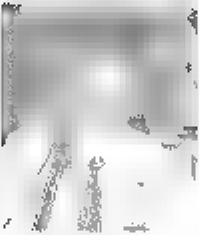
جاء في كتاب (مطامح الطب) أن أبا الفرج بن هندو رأى في بلاد العجم جماعة كانوا يعيبون علم الطب وصناعته، قال: وقد كان زعيم الفرقة السالفة يطلب مداواة أستاذي (أبو الخير ابن الخمار) الفيلسوف ويغري العامة بإيذائه، فاشتكى الزعيم رأسه واستلقى أبو الخير في دوائه فقال: ينبغي أن يضع تحت رأسه كتابه الذي ينعي فيه فضل الطب، ليشفيه الله. ولم يداوه، ويمثل هذه المعاملة التي يُتعلم من خلالها بعض التصرف، ربما جلبت رد فعل على الاستخفاف بهذا العلم. إن الصورة المقابلة لهذه العقلية التي بلغت حد التشبع في طلب العلم والإيمان به بدت بعبثية حجرية على الجانب الأوروبي؛ (كان [illegible] يخيط الجرح ويغلي فيه الدود، تقول [illegible] على الأوروبي جرحه وربطه كي لا تسقط [illegible]،

ثم يرش عليه العطر وماء الورد لأنه مبارك، ومثل هذا ما زال موجوداً بين ظهرانينا، منبهاً منه عيب العرس [illegible] فرداً محتماً لا يمنع التفكير في علاجها

والتحظر على العلم والبحث هو في توسيع الدائرة والتطرّف إلى حد ما هي أنه ابتلاء لا ينبغي معارضته والقبول به بل والصبر عليه دون محاولة للأخذ بأسباب الشفاء، فيه مثوبة وجزاء ومغفرة وأجر كبير!! لا يمكن أن تحمل المسيرة العربية وزر التخلف العلمي، وإن كان من شيء تحمله جريرة التخلف، فهو المعارضة [illegible]، وهذه الرقابة الصارمة التي تريد فرضها على العقل باسم الدين، ولكي لا تستقبل الزمن بشدّ [illegible]، ينبغي أن نفرق جيداً بين ما يريده الله وما تقتضيه حركة الحياة، ولقد فهم أسلافنا هذه المعادلة جيداً فلم يحدث أي صدام، إذاً فليترك البحث يمضي في أي اتجاه شاء، ولنطمئن إلى أن هناك لقاء أخيراً بين ما يقوله الدين وما يقرره العلم. إن معرفة الله تتم عبر قنوات لا قناة واحدة.

المصادر والمراجع

[illegible]





صدام الحضارات.. هل هو ديني أو سياسي؟*

المستشرق ياتوش دانيتسكي**

سيداتي سادتي من دواعي سروري أني مدعو إلى هذا الوطن الكريم وإلى هذه المنشأة وكل ذلك بفضل الدكتور الذي يعتبر من أصدقائي القدامى وقد التقيته لأول مرة منذ أكثر من عشرين سنة ومنذ ذلك الوقت كانت لدي اتصالات مباشرة واتصالات مع العديد من الأدباء والعلماء الليبيين خاصة أن لنا في بولندا قسماً للدراسات الإسلامية والعربية الذي من مهامه إقامة الاتصالات والعلاقات بين بولندا والعالم العربي ولا سيما في الشؤون الثقافية والتراث العربي والإسلامي.

وأنا جئت إليكم هنا لكي أقدم ملاحظاتي حول الرؤية البولندية حول الثقافات والحضارات وما يسمى من جهة أخرى بالاصطدامات حيث يقول بعض الناس لا مفر من هذا الاصطدام بين الحضارات الغربية والحضارة الإسلامية.

واليوم أريد أن أقدم لكم رأيي الخاص الشخصي حول هذه المشكلة وليس فقط بالنسبة للحالة الراهنة ولكنني أريد أن أقدم تاريخ هذه العلاقات وأنا أتمنى في هذه المشكلة التي يمكن أن يكون لا حل لها ويمكن أن تكون هناك حلول عديدة لها. ولكن هل نحن في خطر؟ مع ما حدث بعد أوروبا؟ أو هو الوضع الجديد الذي لم نتوقع أن يحدث أو يحصل في هذه الفترة؟ هذه هي الأسئلة التي سوف أجيب عليها في المحاضرة ليست هي الإجابات الوحيدة، ولكنها محاولة للإجابة هنا أمامكم ولذلك أنا أرجو وأنتظر منكم الملاحظات والآراء. وهل ما أفكر فيه صحيح أم أنه مخطئ وهل هناك مبررات لما أقوله أو لا توجد.

أبدأ باستعراض هذا التاريخ، تاريخ العلاقات بين الغرب والإسلام منذ البداية.

والفكرة الأساسية هي التالية:

هناك فرق مختلفة ولكن كل شيء هنالك الدين الإسلامي والدين المسيحي، ورغم الاتصالات بين هذين الدينين كان هنالك منذ البداية نضال بينهما من قبل المسيحيين؟ بسبب من الفتوحات الإسلامية الفترة الأولى أي في بداية القرن السابع الميلادي من

* محاضرة ألقيت بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية في [illegible]

** رئيس قسم الدراسات العربية والإسلامية بجامعة وارسو متخصص في اللغة العربية

كان هناك صراع بين الدين الإسلامي والدين المسيحي؟ في أوروبا يظنون أن هذا صحيح حيث إن عملية انتشار الإسلام هي عملية انتشار الدين الجديد ولا شك أن هذه الفكرة صحيحة لأن العرب انطلقوا من الجزيرة العربية ولهم فكر جديد هو الدين الإسلامي وكان من واجباتهم ونشاطاتهم نشر الدين الإسلامي. ولكن هل كان ذلك السبب الوحيد للفتوحات العربية الإسلامية؟ طبعاً لا. لأن لا بد أن ننظر إلى البيئة التي كان يعيش فيها العرب آنذاك. الوضع كان في الجزيرة العربية أو الصحراء في ذلك الوقت صعبة للغاية وفي نفس الوقت كان العالم الخارجي ضعيفاً سياسياً وكانت بيزنطة تحارب الدولة الساسانية وبسبب هذه الحروب كان هناك فراغ كبير في المناطق المحيطة بالجزيرة العربية ولهذا كانت الفرصة مواتية سياسياً للعرب للانطلاق من الجزيرة العربية والانتشار السياسي للقبائل العربية في المناطق المجاورة تحت شعار الدين الجديد الوحيد.

يعني في العالم المعمور آنذاك كله من حدود الصين ولكنهم وصلوا إلى حدود الصين في منتصف القرن الثامن وإلى الهند وإسبانيا في بداية القرن الثامن.

فالأسباب الدينية ليست أساسية في هذا الانتشار فهناك أسباب سياسية قبل كل شيء.

وأما الفترة الثانية فهي فترة الحروب العربية البيزنطية. هل هذه الحروب كانت دينية أم سياسية؟ من وجهة نظر الخلافة العربية كانت إلى حد كبير حروباً دينية، لأن الهدف كان الدفاع عن أو المحافظة على الدين الإسلامي ومكافحة الدين المسيحي في بيزنطة هذا من وجهة النظر العربية ولكن من وجهة النظر البيزنطية الحالة مختلفة تماماً لأن بيزنطة كانت تنظر إلى الإسلام لا كدين ولكن كقوة سياسية لا بد من محاربتها يعني أننا نرى هنا عدم توازن في وجهات النظر العربية.

◆ نتيجة للغزو الاستعماري الأوروبي ضعف في العالم الإسلامي فكرة التجديد

◆ هناك عدم تفهم في أوروبا للمواقف الإسلامية

فهل استمرت حالة عدم التوازن في القرون التالية؟ لو تحدث بعين الاعتبار فترة الحروب الصليبية لانعكس الوضع تماماً عما كان يحدث في الفترة البيزنطية بما أن الصليبيين كان هدفهم الأساسي هدفاً دينياً وهو الحصول على الأماكن المقدسة في فلسطين والسيطرة عليها وهذا يعني أن هدفهم ديني قبل كل شيء وطبعاً وراء هذا الهدف كانت تكمن دوافع أخرى سياسية واقتصادية ولكن السبب الأول كان دينياً. هذا من وجهة النظر الأوروبية ولكن من وجهة النظر العربية هل كانت هذه الحروب حرباً دينية؟ لا. العرب كانوا ينظرون إلى الحروب الصليبية نوعاً من الهجوم السياسي يعني السيطرة على الأرض العربية قبل كل شيء وعلى الإمارات العربية التي كانت من ذلك الحين ولهذا تعتبر الحروب الصليبية حروباً سياسية*

ومرة أخرى نرى عدم التوازن في التفكير بين الغرب والعرب. ولكننا نرى شيئاً من التطور في منتصف القرن الثالث عشر وما بعده. وبعد هذه الفترة تغيرت الأمور في العالم الإسلامي بسبب

*) وجهة نظر المحاضر هنا مغايرة تماماً لرؤية المؤرخين المسلمين للحروب الصليبية فهم يرونها حروباً دينية لا سياسية كما يقول المحاضر. (المحرر)

الغزو المغولي على العالم الإسلامي ونتيجة لهذه التطورات سيطرت القوات التركية على العالم الإسلامي. لماذا التركية؟ ننظر إلى الدولة العثمانية التي سيطرت على العالم العربي في بداية القرن السادس عشر وننظر إلى إيران الدولة التي بدأت ببناء إيران كانت دولة تركية، والدولة الثالثة هي الدولة الإسلامية الكبرى في الهند وكانت تحت السيطرة المغولية وكانت من أصل تركي وكانت لغتهم التركية أولاً ثم أصبحت بعد ذلك لغة فارسية.

يعني بعد فترة تطورات مست العالم الإسلامي والعالم الأوروبي اللذين كانا آنذاك منفصلين تماماً والاتصالات بين العالمين كانت نادرة ولم تكن هناك اتصالات مباشرة مثل الاتصالات التي كانت في الحملات التي كنا نراها في البداية وهي الحروب الصليبية والحروب الهمجية، إنما كانت العلاقات من نوع آخر تشمل كل جوانب الحياة. يعني كانت هناك الحروب الحربية الأوروبية وكانت تشترك بولندا فيها وكان لها الدور المهم في الحروب العثمانية الأوروبية. ونعلم هناك فكرة لنهاية الدولة العثمانية في أوروبا في اشتباكات فيينا في سنة 1683 وكان الجيش الأوروبي آنذاك تحت قيادة الملك البولندي سوبيسكي. وثمة شيء جدير بالذكر آنذاك في بولندا. رغم هذه الاشتباكات والحروب التي دارت بين أوروبا والأتراك المسلمين في بولندا كان يعيش التتار المسلمون هناك وكانوا في الجيش البولندي وهم يحاربون ضد الأتراك يعني مسلمون بولنديون ضد مسلمين أتراك هذا غريب ولكنه صحيح. وهذا العنصر الإسلامي ما زال موجوداً في بولندا وله دور بنّاء في تطور العلاقات الإسلامية البولندية والعربية ولكن هذا الموضوع جانبي بالنسبة لما أريد أن أقدمه لكم الآن وسوف نتكلم فيه في محاضرة أخرى حول العلاقات البولندية الإسلامية والعربية.

نعود إلى موضوعنا الأساسي هو اصطدام الحضارات الإسلامية والأوروبية. هل هو اصطدام ديني أو اصطدام سياسي، حتى الآن وفي الفترة التالية هذا الاصطدام لم يكن فيه توازن. حيث إن العرب كانوا ينظرون إليه بطريقة على عكس الطريقة التي ينظر إليها الغرب. والمسلمون فيهم نقطة اتصال ما، ثمّ بعد ذلك هو تطور هذه الدول الكبرى الثلاث: الهند وتركيا وإيران.

والآن بدء الغزو الأوروبي الاستعماري، ماذا يعني هذا الغزو؟ هل هو غزو ديني مسيحي؟ لا طبعاً. كانت هناك مبررات دينية ولكن لا نستطيع أن نقول إن احتلال الهند من قبل بريطانيا والجزائر من قبل فرنسا كانت له مبررات وأهداف دينية كانت فقط مبررات اقتصادية وقبل ذلك سياسية.

ما هي التطورات التي كانت آنذاك في العالم؟ أصبحت الهند تحت السيطرة البريطانية وأندونيسيا كانت تحت السيطرة الهولندية وإيران كانت شبه مستقلة ولكن فيما بعد أصبحت تحت السيطرة الروسية في الشمال والجنوب لبريطانيا. وفرنسا كانت لها مصالح في شمال إفريقيا اقتصادية غير دينية.

وهذه نقطة مهمة بالنسبة لتطورات الفكرية للعالم الإسلامي. حيث بدأت حرب غير معلنة بين فرنسا وبريطانيا. وكان هدف هذه الحرب السيطرة على العالم الإسلامي لأن ما بعد العالم الإسلامي كانت هناك بعض أجزاء من أفريقيا الجنوبية والباقي هو عالم إسلامي ابتداء من أندونيسيا والهند وإيران والعالم الإسلامي العربي.

وذلك يعني أن الحركة الاستعمارية كانت موجهة اتجاه العالم الإسلامي والسؤال هل كانت هذه الحرب حرباً دينية؟ طبعاً لا. من البداية كانت سياسية وماذا كان رأي العرب والمسلمين في هذا

الغزو الاستعماري. هل كان ينظرون إليه كغزو ديني أو غزو استعماري؟ حسب كانت الأفكار مختلفة ولكن لكي نفهم الموقف العربي من هذه القضية لا بد أن ننظر إلى شخصية بارزة أخذ الله وهو جمال الدين الأفغاني وهو شخص غريب ولأن حوله أسراراً عديدة وكثيرة نحن نرى فيه رائد سياسي كان يستفيد من اختلاف المصالح الإنجليزية والفرنسية ينكر أنه التار في فرنسا ما سماه بالعروة الوثقى وكانت هناك مجلة في فرنسا تصدر بنفس الاسم العروة الوثقى ولكن عندما ننظر إلى مضمون المقالات المنشورة في هذه المجلة نرى أولاً أنه كان هناك نقد شديد للاستعمار ولكن في مستعمرة الاستعمار الإنجليزي فقط ولا يُكتب نقد للاستعمار الفرنسي. وهذه فكرة تبدو جيدة ولكنها ممكن أن تكون صحيحة وممكن أن تكون باطلة وكانت تخدم المصالح الفرنسية والنقد الوحيد الذي وجدته في كتاباته كان ضد الفرنسيين في قبضتهم أي السياسة الفرنسية ولا ينتقد وجود الفرنسيين في أفريقيا الشمالية. ونتيجة لهذا الغزو الاستعماري الأوروبي وُلدت في العالم الإسلامي فكرة التجديد التي كان وراءها مصالح أوروبية وكانت أوروبا تسيطر إلى حد كبير على هذا التجديد وكان جمال الدين الأفغاني عنصراً في هذا الصراع الأوروبي الداخلي وعندما ننظر إلى أفكاره نجدها في البداية أفكاراً دينية قبل كل شيء من كتابه الوحيد المكتوب باللغة الفارسية والذي كان ضد التيارات الدينية المضادة للدين التي بدأت في الهند تحت تأثير أوروبي إنجليزي ... يُعرف بـ ... الطبيعة الاتجاه الطبيعي يعني النظر إلى الطبيعة كمصدر لكل شيء من المصالح الإنسانية ودون النظر إلى الله. والأفغاني كان ينتقد هذه الأفكار ولكن يظهر كل شيء كان سياسياً.

وفي هذه البيئة بدأت فكرة أنه لا مفر من تجديد الإسلام لكي يكون له دور في تطوير الحضارة الإسلامية في العالم الإسلامي ولكن ما هي النتيجة العملية الصحيحة لهذه الأفكار؟ حسب رأيي الشخصي النتيجة كانت الآتية:

♦ إبان فترة الاستعمار بدأت فكرة أنه لا مفر من تجديد الإسلام لكي يكون له دور في تطوير الحضارة الإسلامية في العالم الإسلامي

♦ الإسلام ليس ديناً فقط ولكنه حضارة أيضاً

بدأ هناك تياران في التفكير الإسلامي الأول كان تيار التجديد وهو خطوة حول قبول المفاهيم الأوروبية مثل ما يقول معاصرو جمال الدين الأفغاني: انظروا إلى أوروبا إنهم المسلمون أصبحت أقوى منكم وقد تطوروا وأنتم ما زلتم متخلفين فلا بد أن تتعلموا شيئاً فالحضارة موجودة ولا بد من أن نستفيد منها.

فكرة التجديد هذه هي التيار الأول التجديد الذي يستفيد من الخبرة الأوروبية.

التيار الآخر محافظ ولا يريد الأخذ من الحضارة الأوروبية ويقول إنه توجد قيم إسلامية لا بد أن نعود إليها.

ومثل هذا التفكير السلفي كان موجوداً في الإسلام منذ البدايات عند ابن حنبل وابن تيمية، وهذا التيار موجود في كل الحضارات والآن إذا نظرنا إلى تركيا نرى نفس الشيء تيار يريد الانضمام إلى أوروبا وتيار ضد ذلك، ونسمي هذا التيار تياراً دينياً محافظاً.

ومن الطبيعي أن هذا التيار قد بدأ منذ بداية الإسلام

والآن نعود إلى شرح التيارين لنعرف بأنهما سياسي. وهل هناك جانب ديني للتيارين أو هو شأن سياسي فقط؟ المعرفة صعبة جداً ولا نستطيع إعطاء إجابة واحدة دون تنبيهات جانبية. فالسلفية كانت دائماً دينية وكانت تعود إلى الدين ولكن لا بد من أن نؤكد بأن الإسلام ليس ديناً فقط ولكنه حضارة أيضاً. وهناك عدم فهم من أوروبا لمواقفنا الإسلامية حيث يحاولون بأن ينظروا إلى الإسلام مثلما ينظرون إلى الكاثوليكية والمسيحية ويرون فيه ديناً فقط والجانب السياسي فيه:

غربياً يبحث عن الإسلام ويريد أن يعثر على كنيسة مثل الكنيسة الكاثوليكية وهذا غير موجود في الإسلام. طبعاً الكنيسة الغربية ليست ديناً صرفاً فقط ولكن هناك عناصر سياسية لا بد منها.

أما التيار الثاني التجديدي فإننا نجد فيه كل الأفكار الأوروبية المستمدة من أوروبا ولكن الدين لا يزال موجوداً في هذا التيار يعني ليس سياسياً فقط، وكيف نصور مدى التيارات مع ما هو موجود حالياً من خطر الإرهاب وخطر التطرف وخطر الصدام بين الحضارات.

ننظر أولاً إلى التيار السلفي كان دينياً ولكن دوره الديني كانت تكمن القيم السياسية وأول منظمة برزت في العالم الإسلامي جمعية الإخوان المسلمين في مصر في نهاية العشرينيات من القرن العشرين وكانت الحركة ضد الاستعمار البريطاني سياسية ولكن الدين كان نوعاً من التعليم لهذه المنظمة ولو بقيت هذه المنظمة والتيار مثلما كانت في بدايته دون التطورات التي حدثت بعد الحرب العالمية

الثانية وبعد كل حرب بعد بروز القضية الفلسطينية ووجود إسرائيل بقيت هذه المنظمة تحت غطاء واحد من عدد كبير من المنظمات الدينية شبه السياسية في العالم الإسلامي ولكن التطور كانت مختلفة تماماً ومثال ذلك جماعة الإخوان المسلمين الارتباط بين الدين والسياسة أصبح مهماً عندما وجدت دولة إسرائيل على الأرض الفلسطينية وظهرت بعد الحرب العالمية الثانية حربت على الأرض الإسلامية المقدسة دولة دينية فإسرائيل كانت دولة دينية حتى الآن دولة دينية أوروبية

♦ كانت إسرائيل وما زالت دولة دينية تمثل المصالح الأوروبية والغربية

وهي تمثل المصالح الأوروبية وهي وجهة النظر الغربية في دولة أوروبية وهي جزء من الدولة الأوروبية على الأرض العربية الإسلامية وهذا التطور في رأيي يشكل سبباً للمشكلة مع التطرف الإسلامي حالياً والإرهاب الذي نسميه إسلامياً وليس هو إسلامياً بالمعنى الديني وهو مرتبط بالأمور المختلفة في العالم الإسلامي والعربي قبل كل شيء كيف كان ذلك؟ البداية كانت

♦ ما يحدث في فلسطين هو كفاح شعب من أجل الحصول على حريته واستقلاله

سياسية فقط وما كان يحدث في فلسطين هو نضال الشعب الفلسطيني من أجل الحصول على حريته واستقلاله يعني أسباب سياسية وظلت هذه الحالة هكذا إلى غاية الانتفاضة الأولى، ماذا حصل في الانتفاضة الأولى؟

إسرائيل تحاول كما يبدو خطر من جانب منظمة فتح يعني ياسر عرفات ولذلك كانت تدعم الحركات والجماعات الدينية مثل حماس والجهاد الإسلامي وكانت هناك بيانات من الحكومة الإسرائيلية في بداية الانتفاضة الأولى بأن عرفات ليس له أي دور يعني لا بد أن ندعم القوى الفلسطينية الدينية ولكن

ذلك بشكل كبير ويرى الآن أنه من هذه القوات برزت قوات إرهابية إلى حد كبير لها مبررات دينية وكلمة (إرهابية) أن استعملها كما تستعملها الصحافة الأوروبية في اعتقادي ليست هي إرهابية أو منظمة الإرهاب من أجل الإرهاب فقط ولكن هي قضية شرف إنسان وطبعا هناك طرق متعددة للإرهاب.

والقضية الفلسطينية هي مصدر من مصادر التطرف الإسلامي(1) وليست هي المصدر الوحيد أما ما هو مهم فهو قضية تدخل القوة الغربية في خلق التيارات المتطرفة حيث لم تكن هناك القوة الأوروبية ولا وجود لإسرائيل أو سلطة أوروبية على المنطقة أنا متأكد أن هذه القوة لها دور جانبي ولكن وجود الغرب ساهم في هذا التطرف في أماكن أخرى كما حدث في أفغانستان حيث كانت هناك حرب بين الاتحاد السوفيتي وأمريكا بعد احتلال أفغانستان من قبل الروس، فأصبح الأمريكان يستغلون هذه الفرصة للحصول على مصالحهم وعندما أصبحت أفغانستان مستقلة بقيت المجموعات الإرهابية [illegible] لذلك انتشرت في العالم الإسلامي والعربي والقوة المتطرفة ومن هنا بدأت المنظمات مثل منظمة القاعدة، وفي اعتقادي أنه لا يوجد ما يسمى بالـ[illegible] ويمكن أن تسمى ذلك ظاهرة غربية.

وبعبارة أخرى ليس هناك اصطدام بين الحضارات الدينية أو معركة الأديان، أي الصراع بين الدين الإسلامي والمسيحي؟

مثلا في إسرائيل وأفغانستان والآن في العراق ليس هناك شيء من ذلك [illegible] هناك مبررات لكل ما يحصل، يقولون إننا ضد التطرف الديني وهو تطرف سياسي قبل أن يكون دينياً [illegible] هو التيار الآخر.

ما هي التيارات المرتبطة بهذا التجديد وأين برزت مثل هذه التيارات في كل الدول التي برزت فيها مشاكل دينية. إن أبرز حروب المنطقة هي حرب اليمن وهو أهم الحروب العربية ولكن أول حرب [illegible] الحرب من [illegible] سوريا والعراق؟ لأنه كانت في الدولة مشاكل دينية، ففي سوريا معظم سكان الدولة من السنة وحزب البعث مسيطر على العلوية والعلوية من وجهة نظر بعض العلماء الفرق ليست جزءا من الإسلام ولا أريد أن أقدم رأيا في ذلك لأنني لست مرتبطا بتحكيم الأديان وتلك ليست قضيتي.

* نفوذ الغرب وسياساته ساهمت في انتشار التطرف
* من خلال استعراض التطورات وتاريخ الحضارة الأوروبية والإسلامية نرى أنه ليس هناك أي نوع من التصادم بين الأديان
* لا بد من التعارف والتواصل والتفاهم بين الناس جميعاً

وعلى كل حال هناك مشكلة وهي أن عشرة في المائة من سكان سوريا يسيطرون على 90% من السكان ولذلك فإن الدين لا يستطيع أن يكون له دور [illegible] مهم في الدولة لأن ذلك بسبب مشاكل داخل سوريا.

والدولة البعثية في العراق نفس الحالة كانت هناك السُّنة التي هي أقلية من الدولة والشيعة الغالبية ولكن الحزب أي حزب البعث يمثله السنيون لذلك لعب الدين دوراً ثانياً وليس الأول في الدولة يعني أن

(1) يعتبر المحاضر هنا من وجهة نظر غربية، وهي وجهة نظر مستقلة كما هو واضح. المحرر

الاشتراكية تنظر إلى الدين باعتباره عنصراً مهماً ولكن ليس هو العنصر الأساسي، وهنالك فرق بين الاشتراكية البعثية واشتراكية عبد الناصر ومن الفرق هو أن في اشتراكية عبد الناصر كان الدين مهماً وكان عبد الناصر يقول: الفرق الأساسي بيننا وبين الشيوعية أن الدين كان عنصراً أساسياً ومهماً من حضارتنا.

ومكانة الدين في النظام الجماهيري مثل مكانته في الاشتراكية الناصرية كما نقرأ ذلك في الكتاب الأخضر فالدين له مكانة ثابتة في المجتمع ولا يتطور المجتمع بدون الدين. وهذا صحيح من كل العالم في أوروبا وبالرغم من أني أرى الناس يبتعدون عن الدين ولكن الدين ما زال موجوداً في كل الدول الأوروبية جزءاً لا يتجزأ من المجتمع الأوروبي ومن هذا الاستعراض لكل النظريات وتاريخ الحضارة الأوروبية والإسلامية نرى أنه ليس هنالك أي نوع من التصادم بين الأديان طبعاً الدين موجود لأنه جزء من الإنسانية ولا نستطيع أن نتكلم من دون ذكر القيم الإنسانية.

وفي النهاية أريد أن أنظر إلى ما نسميه في الماضي التعايش السلمي بين الحضارات. هل كانت حروب حضارية أم كانت شيء مختلف تماماً. أنا إنسان متفائل وأعتقد أن الفرق أساسي مهمة هي نتيجة التعايش والمناقشة مع الناس في كثير من الدول في العالم وعلى ذلك لا بد من التواصل والتفاهم بين الحضارات الموجودة منذ القرون القديمة إنّ الخطأ هو عدم معرفة وتفاهم بعضنا البعض وفي كل شيء عبر [illegible] موجود في أوروبا ولكم أنتم العرب معرفة بأوروبا عن طريق الإذاعات وأنكم تريدون العودة إلى فهمكم بطريقة حياتكم الخاصة المختلفة عن أوروبا ولكن أوروبا معرفتها بالعالم الإسلامي ضئيلة جداً والجماهير الأوروبية ومن ضمنها البولندية لا تعرف كثيراً عن العالم الإسلامي ونحن لا بد أن نعمل بكل الطرق الممكنة حتى يعرفوا أكثر وتكون المعرفة أعمق من الجانب الأوروبي. والمسألة الثانية هي قضية الاتصال المباشر بين الناس فمثلاً البولنديين الذين يعيشون في الدول العربية ولهم اتصال مباشر مع العرب ويعرفون الكثير منهم لأنهم عاشوا معهم مستغربين من الهجوم ضد المسلمين ويقولون إن العرب متخلف وهنالك اختلاف في الحضارات فقط ولذلك يجب أن يكون هنالك اتصال وسياحة.

ونحن الآن هناك جانب إيجابي للعولمة لأن العولمة كما ينظر إليها هي سيطرة التفكير الأوروبي على العرب، ونسمع دائماً العرب يقولون أين القيم من هذه العولمة فهي ليست موجودة حيث إن العولمة هي قيم أوروبية فقط ونحن نريد الاشتراك في العولمة بوجود القيم الشرقية وليست القيم الغربية فقط. ويجب التعايش بين العالم الإسلامي والعالم الأوروبي والتفاهم بين الحضارات الأوروبية والحضارة الإسلامية. وكما قلت في بداية هذه المحاضرة أنا إنسان متفائل ومقتنع بأن الحصول على التفاهم ممكن لأن العالم الإسلامي مستعد للحوار ونحن شبه مستعدين، ونحتاج إلى من يعرف الحضارة الإسلامية ويقوم بشرحها بطريقة صحيحة وصحيحة للأوروبيين وذلك ما نسميه بالاستشراق رغم كل الانتقادات الموجهة ضد الاستشراق ولكن هذه هي الطريقة الوحيدة التي يجب أن نقوم بها لنفهم ونسهل الثقافة الإسلامية على ... الغرب وهذا العمل لا يعطي صورة كاملة وحقيقية ولكن هذه هي الخطوة الأولى وعندما نقدم هذه الثقافة بكل تفاصيلها فلن نجد أحداً يستمع إليها لأنهم يريدون معلومات أساسية بسيطة وهي سوف تكون نقطة الانطلاق نحو المعرفة وإن شاء الله سوف يحدث ذلك في أقرب وقت ممكن.

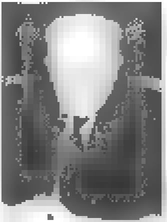
الحوار..
حرية الاختيار والتوجّه الديني*

فرانشيسكو كوسيجا**

بسم الله الرحمن الرحيم

بهذه التسمية الربانية استطيع ان ابدأ التحدث اليكم لأنني على ثقة ان ربي هو ربكم، وكما قال احد الفلاسفة المسيحيين الفرنسيين الكبار بليس بسكال ليس رب الفلاسفة ولكنه رب ابراهيم واسحاق ويعقوب الرحمن الرحيم ان يكون هو ... ويكفيني عندما انه يهمكم معرفة ... من مناصب في حياتي وبالاضافة الى هذا فإنني الى حد الآن ... عضو مدى الحياة في مجلس الشيوخ للجمهورية الإيطالية وقبلها كنت استاذا جامعيا وكانت مادتي القانون الدستوري والقانون العربي ولقد تربيت في بيئة كاثوليكية وكنت مهتما كثيرا بالدراسات الدينية وبالاديان المختلفة وكذلك حوار الاديان ... فإنني كاثوليكي ... في ... المسيحيون في الله يؤمنون به بمفهوم الديانة المسيحية التي نعترف بها على ... ديانة سماوية ... شعر ... كثير بالحرية ... ان هذه الحرية يجب أن تكون قائمة تحت ... الرباني.

إن العالم وبالخصوص اوروبا الغربية وكذلك البلدان العربية والإسلامية وقعت تحت وطأة مشكلة كبيرة ... لتشكو من مشكلة هويتها الثقافية والدينية فيما تتحدثون انتم ... بذكر ... آيات من القرآن الكريم وبتسمية الله مثل هذه التبريكات ... في بعض الدول الناطقة بلغة الانجلوسكسون في المملكة المتحدة وكندا والولايات المتحدة وقد ... التحديد التحتي عنها في بلدان اوروبا التي تريد ان تكون ... التي ... ان تكون لا دينية في هذه الأيام ان ... في احدى أقدم الصحف الإيطالية ثم ... في الصحافة العربية ... الجمهورية ...



* الحرية هي الاعتراف بالآخر والقبول به كما هو: بهويته الثقافية والتاريخية وعلى وجه الخصوص الدينية

* ملقاة ... في كلية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا ... يناير 1992 ...

** الرئيس الإيطالي السابق

جرءات يحترم ورث التعليم العربي الصادق وتطبيقها في المدارس الفرنسية، وذلك يمنع ان يمس بالرمز الديني، والذي امنحه أنا بحرية الاختيار و لتوجه الديني. حيث سيتم منع البنات المسلمات من ارتداء الحجاب، فرنسيات كن او غير فرنسيات. اللاتي يردن وضعه على رؤوسهن ويمنع الابناء اليهودية من وضع القلنسوة، ومنع الاولاد والبنات المسيحيين من حمل الصليب في رقابهم. هذا ليس تسامحاً وليست حرية. الحرية هي الاعتراف بالآخر، والقبول به كما هو بهويته الثقافية والتاريخية وعلى وجه الخصوص الدينية.

إن منع الرموز الدينية للاديان الرئيسية في فرنسا لن يساعد قضية الحرية والتسامح، وانما الذي يجدي هو حث الاولاد اليهود والمسيحيين على احترام الاولاد المسلمين، وأن يتعلم الاولاد المسلمون احترام الأولاد اليهود الذين يضعون القلنسوة، وأن يتعلم الاولاد اليهود احترام الاولاد المسيحيين الذين يحملون الصليب.

ان اراهم هم الاحترام ايضاً من قبل الآخرين. إنني مقتنع بأننا معشر الدين مؤمنين بنفس الإله مسيحيين ومسلمين ويهود. علينا تقع مسؤولية كبرى أمام العالم أجمع، مسؤولية مشتركة واعتقد أنه بدون حوار أخوي بيننا سوف لن نستطيع مواجهة مخاطر الانقسام والموت التي تهدد العالم، اما فيما يتعلق بأوروبا والغرب، فيحتم علينا معشر الغربيين ان نعيد حساب تلك التحول وطبيعته والذي يدخل في إطار الفلسفة التاريخية لفيلسوف إيطالي كبير هو أجمل بالنسبة لفكر، وهو يتحدث عن الحضارة، ويتكلم عن القانون وأحداث

* جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لم تقم ابدا بالخلط بين العمل الدعوي والسياسي ولم تطرح مرئيات مطبوعة بين ... وتوجهاتها الدينية

التاريخ، اي ان الحضارات والثقافات والديانات لها لحظات من التقدم والمجتمعات الإنسانية. ولها ايضاً لحظات من الانهيار والتخلف. أنني أعتقد في شبه معظم الأوروبيين الغربيين وبعض المسيحيين يجب علينا الاعتراف به وقبوله كذلك اليوم انحطاط متقدم بالإسلام بمعرفته الثقافي والسياسي والاقتصادي والديني، فعليه قبول هذا الامر المستجد على اوروبا على أنه فصل جديد من التلاقي مع ثقافات وديانات ليست تقليدية على اوروبا مثله مثل الثقافة والحضارة الرومانية اللاتينية الإغريقية او الرومانية اللاتينية وفي وجدت نفسها امام مواجهة التحول لاوروبا في كانو يسمون بالبربر. هنا اعتقد يجب بروح غير عدوانية وليس مثل ما كانت في ذلك الوقت، القبول بالدخول على ذلك النحو لتلك السلالة من الثقافات التي ليست تاريخية بالنسبة لاوروبا في نفس معنى ولكنها تتقارب وتتنافس مع الدين الإسلامي.

انني اقول دائماً لا يمكن المقارنة بين هاتين الظاهرتين، لأن الهجوم القديم على اوروبا من قبل البربر كان في الحقيقة هجمة بربرية عدوانية بينما نمو الوجود العربي والأفريقيين والآسيويين الذين يمثل معظمهم الدين الإسلامي في اوروبا، انني في هذا الخصوص اقول دائماً وبسبب دينكم الإسلامي بأنه غزو همالم لمحاربين، بل العكس لأناس أكثر تحضراً ويجب الاخذ بالاعتبار الإسهام العربي وكذلك الإسلام في الحضارة الأوروبية، وبالخصوص للحضارة المتعلقة بمنطقة البحر المتوسط من اسبانيا والبرتغال الى شمال افريقيا

وإلى سيشيل وبولو التي هي أرض إيطالية.

لا يجب أن ننسى أن (توماسو داكوينو) الذي يعتبره المسيحيون الكاثوليك أكبر فيلسوف لديهم لم يكن يستطيع أن يكتب مؤلفه الرائع (الخلاصة اللاهوتية) إذا لم يطلع على كل ما ترجم لأرسطو وشارحيه ومن أولئك الفلاسفة العرب الأسبان الكبار. لم يكن ليصل إلى ما وصل إليه من فكر بدون الاعتماد على هؤلاء. ولهذا فنحن مطالبون بالعودة إلى حداثة التاريخ، وإلى جوهر الحضارة العربية وبالأخص الإسلام في كل عناصر الرقي وعصر النهضة بداية من النشء الإنساني ومراحل الميلاد، من المولود الصغير والطفل إلى الصبي، ثم الشاب ثم الكبير. هذا التدرج لا بد أن يكون مصحوباً بشيء من الحرارة والحماس في بيئة التكوين. وهذه الحرارة وذلك الحماس شيء طبيعي تجسد في إرهاب التطرف الإسلامي، ولكنه سيكون من الخطأ الكبير جداً إذا ما ساوى الغرب والغرب المسيحي بين إرهاب التطرف الإسلامي والإسلام، والبلدان العربية. فهذه ستكون كارثة كبرى ... أن (الهولوكوست) الذي كان مدمراً بداخلية بلاده، وفي الوقت الذي كانت فيه أوروبا مصابة بمرض الإرهاب، أعتقد بأن القوة وكل سبل التدخلات العسكرية والبوليسية قد تساعد على صد الإرهاب وعواقبه، ولكنهم لن يستطيعوا تذويبه أو قهره بدون مواجهة لقضاياه الموضوعية والصعبة. ليس صحيحاً الاتهام بالأسباب البسيطة سواء للعرب أو للإسلام على وجه الخصوص، لأنه لا يجب أن ننسى أن بعض

التنظيمات للإرهاب العربي كانت قد عرفت في حياة الجيران بالشرق الأوسط من منظمات تأسست في الأصل من عرب مسيحيين والفلسطينيين أرثوذكس. إن الحزب الاشتراكي الوطني ... البعث الذي كان ومن برز حزب سوري وكان حزباً للعراق، لم يكن قد أسس من قبل عربي مسلم، ولكن تأسيسه تم من عربي مسيحي اتهم بالاشتراكية وبالتمجيد بالعرب الاشتراكي الوطني الأجنبي. ولا بد أن نوضح أن الإرهاب هو سلاح الضعفاء ضد الأقوياء، والصغار ضد الكبار. وقد حدث في أوروبا أيضاً خلال حروب المقاومة ضد النازية الفاشية ... ولا بد أن نوضح هنا أيضاً بأن الذي يقال عنه الإرهاب الفلسطيني والتنظيمات الإرهابية في فلسطين ليس له أية صلة بالإسلام؛ لأنه إرهاب ذو خصوصية وطنية للدفاع عن حقوق الفلسطينيين في تلك الأراضي التي يسعى شعبها إلى تكوين وتأسيس دولة فلسطينية مستقلة.

لا يجب أن ننسى أن ضحايا الإرهاب كانوا من العرب والمسلمين من الرباط إلى العراق، وخاصة أحداث العشرية الرهيبة في الجزائر والتي كان ضحايا الإرهاب فيها من العرب المسلمين، وأنا في هذا الشأن لي رأيي الخاص فيما وقع في الجزائر. إنني أعرف جيداً الثورة الجزائرية التي لم تهتم بالمثقفين الذين تم تكوينهم في المدرسة الفرنسية. ويذكر المنتقدة لا بد من الاعتراف بأنهم لم يكونوا من المتدينين وهم من العسكريين الذين أصبحوا ضباطاً في

• نحن في حوار أخوي يسهل على كل مستطيع مواجهة مخاطر الانقسام والحروب التي تجتاح العالم

• هناك اليوم انبعاث متقدم للإسلام بمفهومه الثقافي والسياسي والاقتصادي والديني، وعلينا قبول هذا الأمر المطلق على أوروبا

الجيش الفرنسي. ربما انتم لا تعرفون أن يطل الانتخابية المشهورة في الجزائر كان نقيباً في فرقة المظليين الفرنسيين في قيادة وتخصص على على المراتب العسكرية من الجيش الفرنسي. وانا شخصياً مقتنع بأن هنالك فرقاً كبيراً بين الثقافة والإحساس بالشعور الشخصي أو التدين من قبل الأصلية من الجزائريين. وهو أداة التواصل مع حركة المقاومة الشجاعة للشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي. لقد كان غالبيتهم يتحدثون بطلاقة ولغة فرنسية، وعملوا على تحقيق شكل حكومة دولة في الجزائر تستلهم توجهاتها من تحصيلهم الفكري الذي درسوه في الجامعات العلمانية في فرنسا والذي لم يترك لهم إلا القليل من مساحة الأعراف والتقاليد الاجتماعية والدينية العربية التقليدية للشعب الجزائري.

إنني أعتقد أنه أمور يمكن أن تحل ليس بالتأسيس الفرنسي، ولكن من خلال مطلب العرب والمسلمين في أن يصبحوا شيئاً يختلف عما هم عليه. والأكيد أن هنالك من يريد أن يكون مواطناً فرنسياً، ومن هؤلاء كثيرون، ولا يجب أن ننسى أن الشاعر الكبير (سنغور) كان مواطناً فرنسياً، كما أنه كان عضواً في البرلمان الفرنسي، وقبل أن يصبح رئيساً لبلاده كان وزيراً في الحكومة الفرنسية، وكان شاعراً بلغته الأصلية ولكنه كان أيضاً شاعراً باللغة الفرنسية، وهذا ليس الاحتواء، ولكنه الانسجام والدمج والتكامل. وأظن بأنه يستحيل بناء وجود مسيحي يهودي وإسلامي متسالم في أوروبا، إذا لم تكن الهوية مسيحية ومعترفاً بها بشكل واحد. وبهذا فإنني أجزم بأن

> ♦ من الخطأ الكبير جداً أن يساوي الغرب بين الإسلام والتطرف الإسلامي فهذه ستكون كارثة كبرى

> ♦ هنالك زمن للالتقاء متعادل ذو طابع ثقافي وديني أيضاً حيث كل واحد يجب أن يبقى كما هو ويحترم الآخر لما هو عليه

الإجراء الفرنسي بالاحتواء سيكون طريقاً مستهجناً في بلادي.

هنالك مسؤولية هامة تقع على عاتق المسيحيين والمسلمين، لأن المسيحية والإسلام ديانتان عالميتان متحررتان من قوانين الجنس واللون. هنالك مسيحيون أوروبيون، وهنالك مسيحيون أفارقة ويوجد مسيحيون من الشرق، وهنالك مسيحيون من ذوي اللون الأبيض، ومن اللون الأحمر، ومن اللون الأسود، ومن اللون الأصفر. وهكذا يوجد من المسلمين عرب، شيشانيون، اندونيسيون، صينيون ومسلمون من كازاخستان، أتراك وإيطاليون وفرنسيون. إن أخطر مسؤولية خاصة ستحملها الديانتان الإسلام والمسيحية.

[illegible] الفرنسيين [illegible] تصبحوا لا من هذا الجانب ولا من ذاك، كما أنه ليس زمن الاستعمار العسكري، وإنما هو زمن للالتقاء متعادل ذي طابع ثقافي وديني أيضاً، حيث كل واحد يجب أن يبقى كما هو ويحترم الآخر لما هو عليه. طبعاً أنتم المسلمون وبالأخص المسلمين العرب تجدون أنفسكم في وضع حسن وأفضل مما نحن الغربيين فيه [illegible] دينكم الموحد، وبالنسبة لكم كعرب في تاريخكم الواسع أنكم لا تستطيعون أن تكونوا أنتم [illegible] إذا لم تعودوا إلى جذوركم التاريخية والثقافية والدينية بهويتكم. إنكم تجدون أنفسكم أمام عالم غربي وعلى وجه الخصوص الأوروبي الذي ينكر عليكم الهوية ويجهل حقيقتكم. إنني أجد صعباً أن التحدث مع من يعتقد في وجود الله في دين توحيد شيء، والتحدث مع من ينكر هذه القيم الرئيسية

في حياة الروح الإنسانية شيء أمر أكثر صعوبة ولهذا فأنا المسيحي أفهم جيداً الفتاة المسلمة التي تريد أن تضع الحجاب على رأسها في مدرسة عامة ليس مفروضاً عليها ولكنه من صميم تعاليمها بعض الدول الإسلامية، وأفهم جيداً الفتى اليهودي الذي يريد أن يحمي الكلتسوة كما أفهم أولئك المسلمين في ميلانو الذين ليس لهم مسجد يؤدون فيه شعائر الصلاة فيفترشون الشارع لأداء هذه الفريضة، والذي لا يؤمن بالله ولا يعتقد فيه يعتبر أن هذا يسبب إزعاجاً للمجتمع العام، وأنا أعتقد أن الحوار شيء مهم جداً والاحترام المتبادل والاعتراف بالآخر يجب أن يكون اعترافاً متبادلاً للوحدة بالآخر.. إن العمل الذي تقوم به جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في أوروبا وأفريقيا وخاصة في إيطاليا مهم جداً، وهذا يجب أن أبوح به بكل خلاص هناك عشر منظمات الإسلامية والعربية في إيطاليا تم استغلالها باسم التشدد بطرق غير شرعية كأدوات سياسية ويريدون لمسلمي بلادنا الانضواء تحت قبة واحدة لا ينتمون لا إلى الليبراليين ولا إلى الديمقراطيين. جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لم تقم أبداً في بلادي بالخلط ما بين العمل الديني والسياسي، ولم تستغل وجودها بطرح معالجات مختلطة بين عملها وتوجهاتها الدينية بالأخرى، أو التدخل فيما لا يدخل في نطاق اختصاصاتها أو ممارسة الهيمنة السياسية أو أن تقع في مواجهة مع الآخرين من العرب أو المسلمين، ولهذا فإنني واثق من أن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي تقدم لكم فرصة مواصلة دراستكم العلمية والدينية أيضاً في مثل هذه المؤسسة التعليمية الكبيرة الرائعة فإنكم تستطيعون التعاون بإيجابية مع أولئك المسيحيين الذين تشعرون معهم بأن قاسم مشترك واحد في الاعتقاد بنفس الإله، والعمل معاً فيما يعود بالفائدة وربما هو ضروري للمسلمين الموجودين في بلادنا حتى يحصل لهم وضع قانوني معترف به. إنني أعتقد أن التعاون بين الأديان التوحيدية الكبرى سيكون أداة مهمة لتقدم خطوات السلام والرقي في العالم، وعلم أن الحوار بين اليهود والمسلمين تعترضه مشكلة فلسطين المأساوية ولهذا فأنا آمل بمساندة ومساعدة أوروبا حتى يتم التوصل لحل هذا الوضع الخطير وذلك بالاعتراف بحقوق واستقلال الشعب الفلسطيني المشروع.

- **أنا المسيحي أفهم جيداً الفتاة المسلمة التي تريد أن تضع الحجاب على رأسها، وهو من صميم تعاليمها**

- **الحوار بين الديانات التوحيدية الكبرى أداة مهمة لتقدم خطوات السلام والرقي في العالم**

وأخيراً، وكما قرأتم أنتم بعضاً من آيات القرآن الكريم اسمحوا لي بأن أقرأ عليكم صفحة من كتاب تعرفونه أنتم من نبأ التوحيد الإلهي الأوحد (العهد الجديد) في إحدى جمل صفحاته من (انجيل متى 5: 1 - 10، ومن انجيل لوقا 6: 20 - 23)

- طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماوات
- طوبى للحزانى لأنهم يتعزون
- طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون
- طوبى للرحماء لأنهم يرحمون
- طوبى لصانعي السلام فإنهم سيدعون أبناء الله

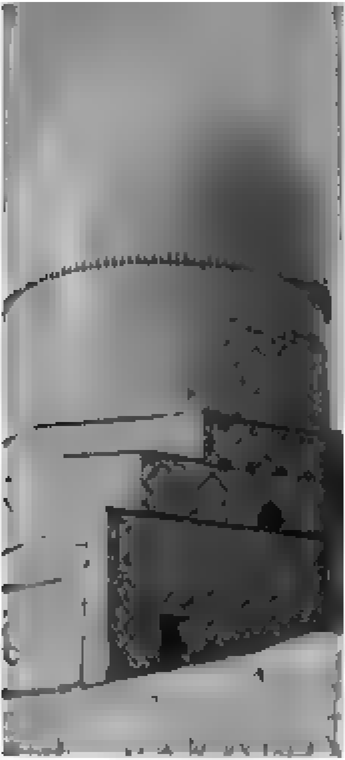


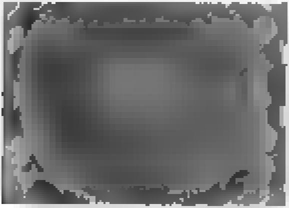
القبلة

حوار السماء والأرض



الصديق بشير نصر





القبة Dome نمط معماري متنوع الأشكال يحمل معاني فلسفية ودينية عميقة فضلاً عن تلك الدلالات النفسية الواضحة التي تعبر عن مكنونات النفس [illegible]

ومن يتأمل في القباب على مر التاريخ سيكتشف ضروباً مختلفة من الإيحاءات تنبعثُ منها

ولا ريب في أن الإنسان قد أدرك منذ القدم أن ثمة أساليب أخرى غير الكلام والكتابة يمكن توظيفها للتعبير عن العلاقة بين الإنسان والكون والحياة، وما يكتنفها من أسرار

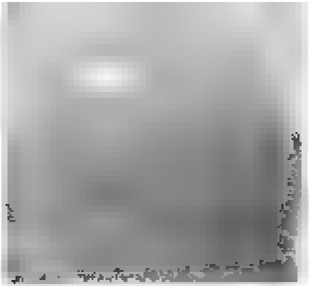
وقد لعبت الأشكال الهندسية في حياة الإنسان دوراً كبيراً منذ أقدم العصور، ويكاد يجزم علماء الأديان والأركيولوجيا أن إحساس الإنسان بالعجز عن التواصل المباشر مع الغيب جعله يتخذ من الأشكال الهندسية وسيلة للتعبير عما يعجز لسانه عن البوح به

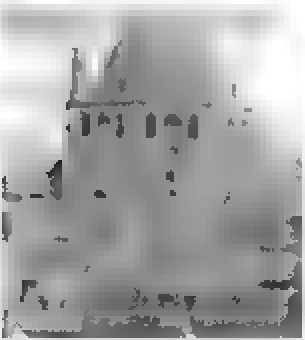
ولعل الشكل المثلث أقدم الأشكال الهندسية التي وظفها الإنسان منذ فجر التاريخ، وباجتماع خمسة مثلثات بنيت الأهرامات، ولا شك أن الأهرامات من أقدم الآثار المعمارية التي بلغت فيها هندسة المثلث أوجها، إن لم تكن أقدمها على الإطلاق

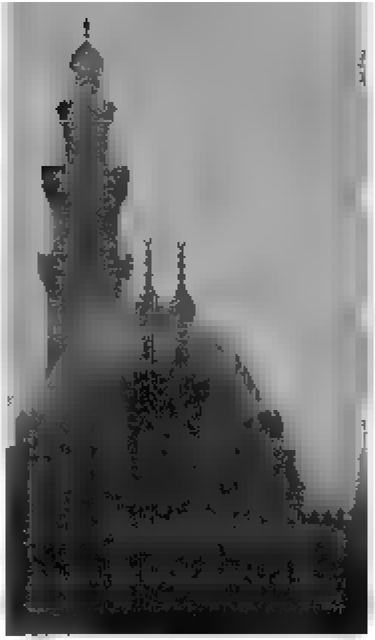
والهرم تعبيرٌ عن اتصال بين الأرض والسماء ولكنه اتصال أحادي الاتجاه ينطلق من أسفل إلى أعلى، وتتمركز قاعدته على الأرض ويتجه رأسه نحو السماء، محاولة بشرية قديمة لاكتشاف ما يدور خارج هذا العالم الأرضي

وصناعة القبة على ما يبدو بحسب ما تشير إليه الاكتشافات المعمارية تأتي في مرحلة لاحقة، ولعل [illegible] واحد في إثر الآخر، ويمضي [illegible] الحلقة [illegible]

ومن هنا نرى أن التصميم الهندسي لشكل القبة يحقق هذا المعنى، وهو الاتصال الثنائي من أسفل إلى أعلى، ومن أعلى إلى أسفل، ولا يوجد شكل هندسي [illegible]







فالقبة في ظاهرها بناء
أسري المسقط مقعر من
الداخل، محدّب من الخارج
يتألف من دوران قوس حول
محور عمودي، ليصبح نصف كرة تقريباً. تقوم فوق
السطح مباشرة أو تقف على رقبة مضلعة أو دائرية
أو على حنايا ركنية.

سكنت جلال القباب الجن من
شرق بها فادرن فيها الأعين
أبو الطيب المتنبي

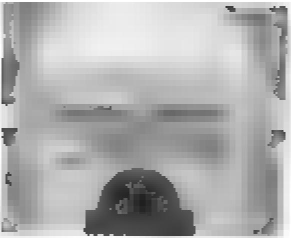
وقد ظهرت القباب كما ورد في تاريخ العمارة
أول الأمر في آسيا، ثم انتقلت إلى الفرس والبيزنطيين
ثم الرومان قبل أن يتلقفها المسلمون. ولا يخلو طراز
من طرز العمارة الإنسانية من القبة إلا العمارة
المصري القديم

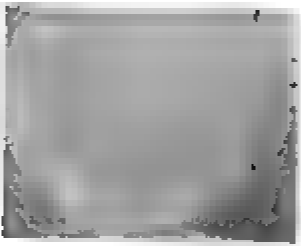
والبداية في عمل القبة ابتكار العقد أو القوس
وأصل ذلك ابتكار أسيوي، ولكنه
تطور على أيدي الفرس
والرومان لاحقاً، ثم جاء
المسلمون وطوروه إلى حد
بعيد

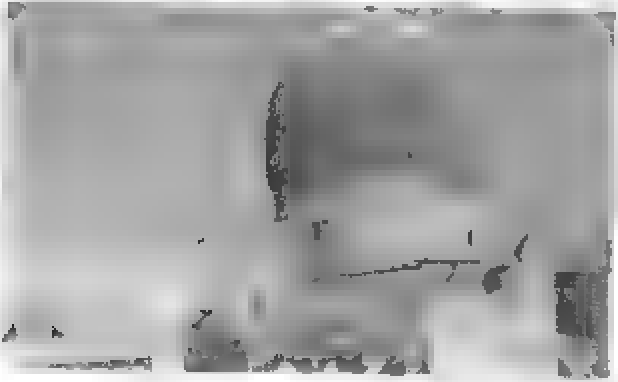
وأول قبة عرفت في الإسلام قبّة الصخرة
المشرفة التي بناها عبد الملك بن مروان ببيت
المقدس في المسجد ما بين عامي 69-72هـ

وبعد قبة الصخرة بنى الوليد بن عبد الملك
المسجد الأموي بدمشق، وفيه قبة النسر الشهيرة
وذلك عام 86-96هـ

الناظر إلى القبّة من الخارج توحي بأنها متجهة إلى
[illegible]







السماء بالأرض لطمأنينة الأم كرامتها. الإحساس بالخصب الإنساني الذي يطلب أمان النفس وسكينة الروح داخل محراب العبادة الذي تمثله القبة

والناظر إليها من الداخل يرفعها لتتجه إلى أعلى رمز السمو والارتقاء. والإنسان منذ غادر فردوسه الأول يوحدنا. فقدماء الأرض يحن إلى موطنه القديم فتقمصة الروح تلفت من قبضة الطين لتستقر في عوالم

لقد ارتبطت القبة في البدء بأماكن العبادة ولا تكاد تخلو ديانة من الديانات سماوية كانت أو وثنية إلا والقباب تزين دور عباداتها

ثم لم تلبث أن انتقلت القباب من دور العبادة إلى الأضرحة والمقابر فشيدت على قبور الأولياء والصالحين والرهبان، تعبير عن المكانة المقدسة التي يتبوأها هؤلاء الناس

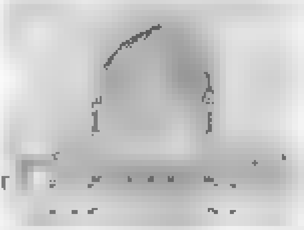
ومع الزمن أصبحت المبالغة في تقديس الأولياء ضرب من ضروب الشرك، فشيدت القباب فوق قبر كل نبي فخرج الكثيرون من الخاصة والعامة يكتبون في وصاياهم أن تبنى على قبورهم قباب وأضرحة لكيما تخلدهم بعد الخلف، وتسكّن بخاطرهم حتى ولو

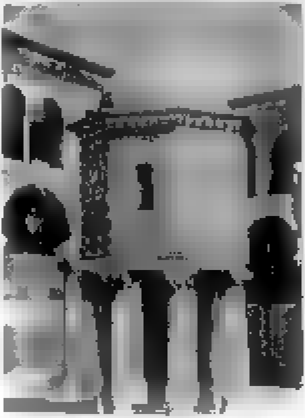
ولعل هذا هو السر في نهي الشريعة الإسلامية عن البناء فوق القبور مخافة أن تتحول إلى صنم يعبد من دون الله

وهذه الحقيقة نشاهدها في اجتماع العامة عند القباب والأضرحة يتبركون بها ويتوسلون بها إلى الله









مستشفى، وذلك هو الطراز الذي حاربه الإسلام

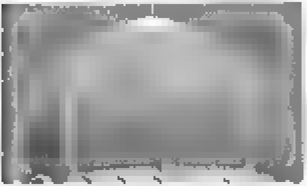
كانت القبة في الأمس تحمل معاني جمالية وهندسية رفيعة بعيدة عن تلك المعاني التي ستحدث لاحقا

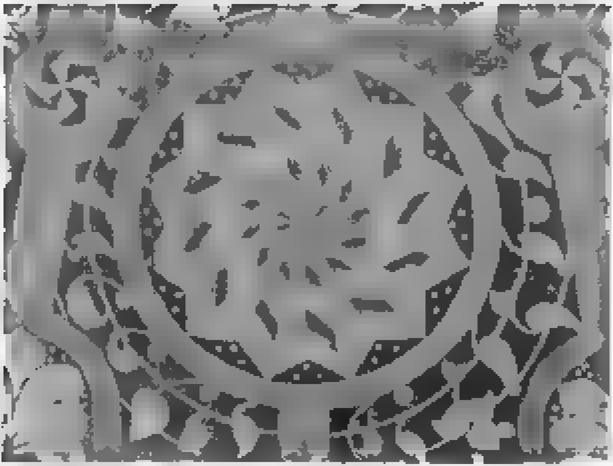
لقد تطورت هندسة القباب بشكل ملحوظ عبر التاريخ، فبدأت أولاً بالقباب الخشبية التي كسيت من الخارج بصفائح من الرصاص لحمايتها من العوامل الجوية، وكسيت من الداخل بطبقة من الطلاء المصنوع من الجص الأبيض لتزيينها والنقش عليها.

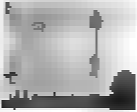
ومن هذا النوع قبة الصخرة (٧٢هـ) وقبة الإمام الشافعي [illegible] وقبة جامع بيبرس [illegible] وقبة السلطان حسن بالقاهرة [illegible]

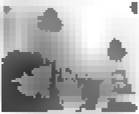
ثم أنشئت القباب الحجرية، أو المصنوعة من القرميد، وهي كثيرة في بلاد المسلمين، مثل قبة مسجد القرويين بالمغرب [illegible] وقبة خانقاه بن برقوق [illegible] وقبة مسجد السلطان سليمان بإسطنبول

وأما القباب الحديثة فإنها تقوم على هياكل









وفي العصر الحديث تطورت مساحة القباب بشكل ... من مادة الألياف الزجاجية، ... تسمح بنفاذ الضوء إلى جوف القبة ولا تسمح بنفاذ ...

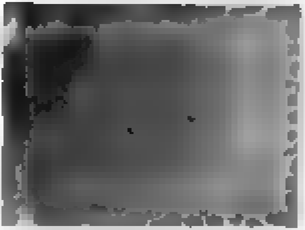
... في الصفحة ...

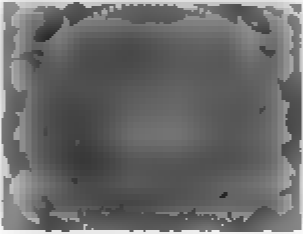
... وفي ...

... الإسلامي في العالم ...

... في ...







القبة بآيات قرآنية تكتب بخطوط زخرفية كالكوفي
وتتعارض مع الخط ... المتوسط لقسم
جسم القبة، ويكون ... أو ...

...

تلونت القبة بألوان ... البلاد
الإسلامية، فقد عُرفت القباب الزرق في بلدان
آسيا والخضر والبيض في أكثر البلدان العربية

...

الإفريقية مع وجود ألوان أخرى للقباب ولكن على ... مثل الأحمر والأصفر الذهبي، والترابي الطيني كما
في بخارى وسمرقند من بلاد آسيا الوسطى
واللون الوحيد الذي لم تُلوَّن به القباب هو اللون
الأسود لما يتضمنه من إيحاءات سيئة كالموت
والظلمة والشر. وفي الميثولوجيا ... يعبر اللون
الأسود عن العالم السفلي حيث ... الدنيا ...
وحيث ... الجان والشياطين والمردة
... اللون الأزرق السماوي والفيروزي

...



اصفهان وشيراز تتألق بزرقتها التي تحاكي زرقة السماء. ومن المعروف أن اللون الأزرق يعبر عن الاتساع والشمول، ومن هنا كانت زرقة السماء وزرقة البحر. والبحر يمثل أربعة أخماس الكرة الأرضية وخمسها الأخير من اليابسة تتقاسمه ألوان الطيف الأخرى.

وتظهر تجارب علم النفس الحديث أن اللون الأزرق أكثر الألوان راحة للنفس، ولذلك يشعر المرء بالارتياح … حينما يجول في … ويحدق في البحر فلا يرتد إليه بصره.

ولم يقف تشييد القباب على المساجد والأضرحة بل تجاوزها إلى المدارس والمستشفيات والأسواق، ففي بخارى مثلاً عُرفت القباب التجارية في القرن السادس عشر على يد الأسرة الشيبانية حيث كانت بخارى تقع عند تقاطع نهر طريق تجاري لذلك وهو طريق الحرير، وقد انتشرت خمس قباب تجارية تحمل كل قبة اسم التجارة التي تجري تحتها. ولم يبق من تلك القباب الخمس حتى يومنا هذا إلا ثلاث، وهي قبة تاقي صرافان وهي تمثل سوق الصرافة حيث يتم تبديل العملات، وقبة تاقي تلباك فروشون وتباع تحتها معظم أنواع القبعات، وقبة تاقي زرگران وهي تمثل سوق الذهب.

القبة الخضراء

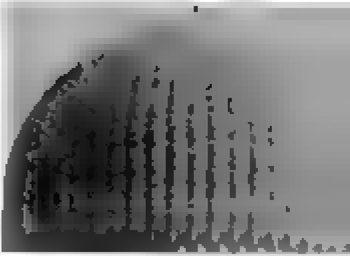
بنيت أول قبة في المسجد النبوي الشريف في القرن السابع الهجري بأمر من السلطان المملوكي المنصور قلاوون الصالحي سنة 678 هـ، وهي التي تعرف الآن بالقبة الخضراء. وكانت مربعة من أسفلها مثمنة من أعلاها، مصنوعة من أخشاب أقيمت على رؤوس السواري المحيطة بالحجرة الشريفة، وقد كسيت بألواح من الرصاص منعاً لتسرب مياه الأمطار إلى الحجرة الشريفة.

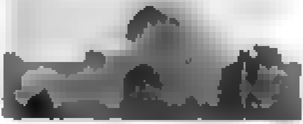
[illegible]

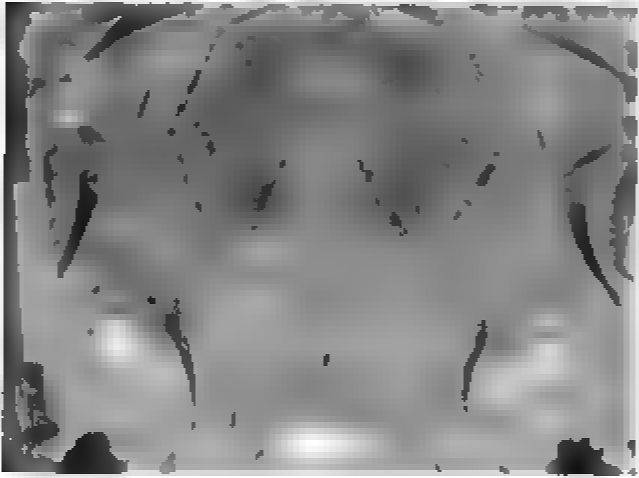
كانت على يد شرف الدين [illegible]
من الخشب، وذلك في مطلع القرن الهجري
السادس، وكان يعلوه - كما يذكر المؤرخون - [illegible]
[illegible] ثم بُدّل بعد سنوات [illegible]

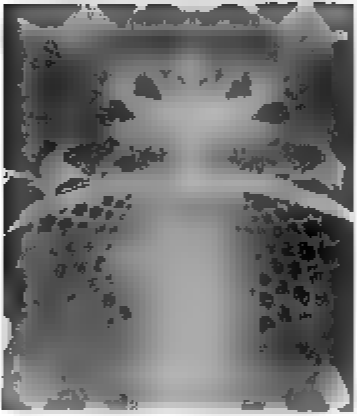
[illegible]

حتى اتخذت صورتها على ما نراها اليوم
وكان بناء القبة الثانية فوق الحجرة الأولى [illegible]
[illegible]
الشريفة كأنها تتكون من سقفين، أو غطاءين









التحتي منهما ذو مسقط يؤدي إلى العلوي وهو مطل على الضريح الظاهر وقد بنيت تلك المساند على أشكال مُقَعَّرة ومُقَرْنَصة. أما الغطاء الخارجي للقبة فهو مكسي بالخشب مثبت بألواح الرصاص لتبدو من الخارج.

ومن القباب الشهيرة أيضاً قبة الإمام الشافعي وقد تم إنشاؤها في عهد السلطان الملك الكامل سنة 608 هجري - 1211 ميلادي.

ويوجد بداخل القبة تابوت الملك الكامل وتابوت الإمام الشافعي وتابوت آخر لأم الملك الكامل، وقد غطيت جوانبه الأربعة بمنحوتات دقيقة [illegible]، وتم تجديد نقوش جدران القبة في عهد علي بك الكبير عام 1186 هجري - 1772 ميلادي، ويوجد مدخل

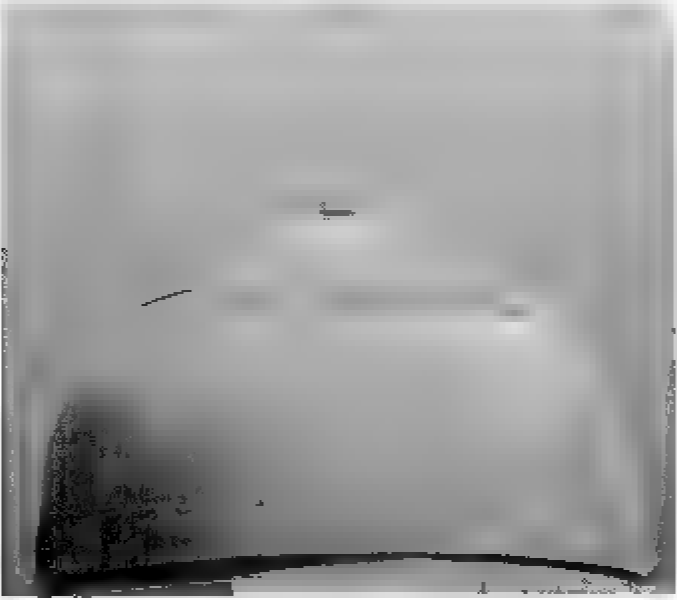


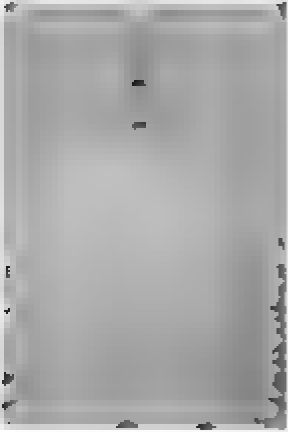
المقام بالقرب من العتبة الجنوبية الشرقية للجانب الشمالي وبابه مزجج ذو نقوش هندسية من الداخل. أما جدران القبة فمكسوة بالرخام وهذا الرخام من آثار تجديد السلطان قايتباي والسلطان الغوري ويوجد بالجدار الشرقي للقبة ثلاثة محاريب طواقيها خشبية ثم محراب رابع حديث لتصويب القبلة. وترتفع هذه القبة على عدد طاقات المقرنص.

- ومن القباب المشهورة تلك التي بنيت فوق مرقد السيدة الجليلة فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر أخت الإمام الرضا. ولدت في الأول من ذي القعدة سنة 173هـ وتوفيت في 10 ربيع الآخر سنة 201هـ وسميت معصومة لورعها وتقواها.

لما توفيت السيدة فاطمة المعصومة دفنها موسى بن خزرج بن سعد الأشعري القمي وبنى على قبرها بيتاً له سقف من البواري وكان موقع المقبرة قديماً يُعرف بـ(بابلان) ومن هذا التاريخ بدأت شهرة مدينة قم.

وبدأ الناس بزيارة المرقد. ثمّ توالت عمليات البناء والعمارة لتتسع وتزيد حتى يومنا هذا.





قبة الصخرة

تتوسط تقريباً ساحة الحرم الشريف حيث تقوم على فناء حجري يمتد على طول من الشمال للجنوب [illegible] ذراعاً ومن الشرق للغرب [illegible] 22 ذراعاً بارتفاع [illegible] ذراعاً ويتوصل إليها عن طريق مراقٍ (درج) وتوجت بقناطر حجرية تتألف من مجموعة عقود حجرية تقوم [illegible]
ثمانية وزعت في جهات صحن الصخرة الأربع.

قطر القبة الداخلي [illegible] م وارتفاع [illegible] م وقطر [illegible] بشكل عام [illegible] م وارتفاع [illegible] م ويأخذ القبة بناء مثمن الأضلاع طول الضلع [illegible] م على ارتفاع [illegible] ثم نجد أن طول الصخرة المشرفة من الشمال إلى الجنوب [illegible] م 30 سم، وعرضها من الشرق إلى الغرب [illegible] م [illegible]
ويوجد أسفل الصخرة المشرفة كهف صغير يعرف بالمغارة مربع الشكل تقريباً [illegible] م ومتوسط ارتفاعه 3 م وقد أقيم في جهته القبلية محرابان



تُوم.. بُو.. كتو

إيقاع موسيقي تشترك في عزفه الصحراء والريح والعطش، يجعلك تجزم أن الصمت مصنوع من الأصوات الخرافية المنبعثة من كل جزء من أجزائه المتكاملة. تُوم، تُوم.. تُوم

ويتصاعد وقع الخطى مع تصاعد الريح بالمخطوطات المرمية وراء الكثبان، بعيد.. بعيد.. بعيد

وفي لحظة تستمر بالتكرار النبضي مع سكون الكلمات، التمتمة المكتومة تنضم مع خطى الليل المنبعثة بإيقاع الرتابة كأنها دوائر.. دوائر.. في دوائر الموسيقى الرتيبة المتصلة مع الخطى المستمرة

مدينة تومبكتو في شمالي مالي مدينة معروفة بالأسرار. عرفت بمساجدها ومكتباتها وموقعها الاستراتيجي، كما كانت مركزا لتسويق الذهب والتوابل. ولعبت تومبكتو دور الأسطورة، وكانت كمحطة هامة لالتقاء عابري المسالك الصحراوية بالنجوم توصلهم المراكب المشتتة. لكن المدينة كبرت يصل ساكنوها إلى خمسين ألف نسمة قبل ستة قرون، حيث تحول لنا المجد التاريخي

كانت تومبكتو دوماً نقطة التقاء وامتزاج ثقافي بين شمال أفريقيا وجنوبها، وهذا ما جعل المدينة تنمو بين الصحراء ونهر النيجر.

تركت النسيمة قرون من تاريخ المدينة آثارها بوضوح في شوارع تومبكتو في عمارات مساجدها



وأزقتها المبنية طبعت بعض درجة الغموض والسحر في جوانبها التي تعرجت بين الصحراء

ترسم المكتبات والمخطوطات والمساجد والأضرحة في فضاء من قبائل وأعراق مختلفة ثقافات ترسم في هذا الأفق الكبير لتنسج تاريخ هذه المدينة

من يستطيع أن يحدد معنى هذا الاسم (تمبكتو)؟

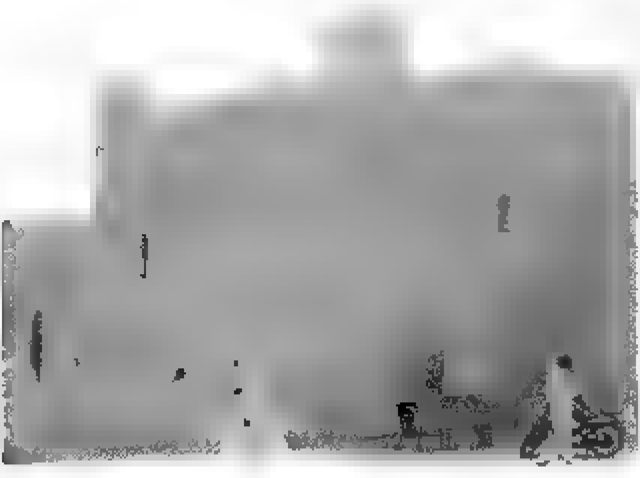
في بقعة صحراوية تقترب من الموقع الذي نعرفه الآن أو ربما عنه كان هنالك بئر. والناس في الصحراء يعرفون قيمة المكان الذي يجمع بئراً. فذلك يعني أن الحياة تطرق أبوابها في هذا المكان، ولذلك كان الناس الذين ترهقهم أسفار الرمال يلقون أحمالهم في هذه البقعة شرقاً تقريباً ماء، وخضرة جيدة، وأرومة طيبة

وتكرر الشيء هنا وصلت لتحكي عن امرأة أعد حكاية الزمن حضورها وقدم عبق وحس الصحراء وحنينها

اسم هذه السيدة (بكتو) هي ما قالته الشفاه الصحراوية. وتقول أن الطوارق الذين يصلون إلى البئر من الجنوب يتركون حاجاتهم عند القدوم عند السيدة يستأمنونها على ما يثقل كواهل الجمال من أشياء قد تمنعهم من مواصلة الرحيل إلى الشمال

لقد أتاح الطوارق برحلهم حول بئر (البئر الذي سمي بهذه السيدة (بكتو) وبذلك أصبحت المنطقة ترمز للارتواء والأمانة. فالسيدة بوكتو تحرس البئر وتتولاه

ولأن المركز كان الماء والأخلاق فقد عرفت

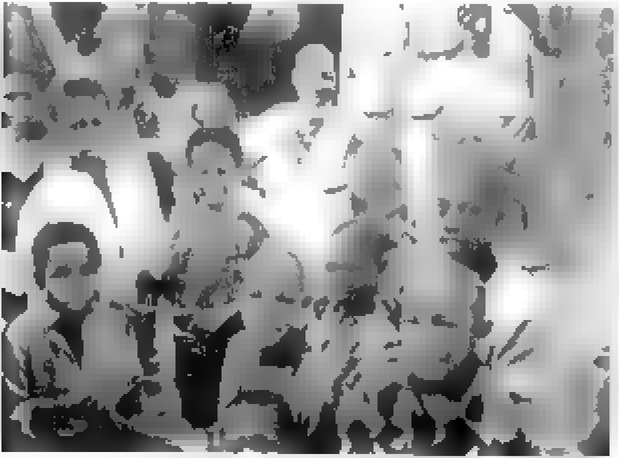




المقامة من مجرد استراحة بسيطة للقوافل الرحل [illegible] [illegible] [illegible] وممرًا [illegible] [illegible] [illegible] بالمواشي إلى مصر والمحملة بالذهب والعاج والجلد إلى المغرب

وبدأت العصور الذهبية لمدينة قصية من الرمال، وتدفقت الثروات على تومبكتو، وولدت حضارة متقدمة فيها أصول العيش والاستقبال وتلاقي الحضارات والحوار في الأسياد الصحراوية المحمية بالشعر وأجواء العلم التي جذبت الوافدين من كل بلدان العالم الذين يتهافتون على سماع العلماء والفقهاء الذين يعظون في جامع سنكوري.

وذكر المؤرخ [illegible] الأمريكي وجود 25 ألف طالب وألفا مدرسة قرآنية في مدينة كانت تعد في أوجها، في



القرن السادس عشر 100 ألف نسمة. ويقول محمود كاتي كاتب «تاريخ الفتاش» الذي ألفه في القرن السادس عشر «تومبكتو وصلت إلى الحد النهائي من الجمال والروعة، وكانت الديانة المزدهرة فيها والتقاليد النبوية تمنح الحياة لكل شيء».

لقد أصبحت مدينة «تومبكتو» من أهم مراكز نشر الثقافة الإسلامية في مالي، وعرفت بمساجدها الجامعة ومدارسها الإسلامية، وكان بالمدينة عدد كبير من القضاة والعلماء والفقهاء، وكانت تباع في المدينة أعداد كبيرة من الكتب [illegible] كافة السلع الأخرى. كما كان عدد علمائها في هذا الوقت 330 عالماً.

انقراض الرمل

هكذا كانت تومبكتو معلماً حضارياً ثقافياً واقتصادياً، كان يشع نوراً على مساحات من الكرة الأرضية. ومنذ الشيء كما أنه قادر على جذب الذرات الجميلة، قادر أيضاً على [illegible] الهجوم والذباب على التكالب على كل ما هو جميل لتحويله إلى قبح.

هذه الكلمات أردتها أن تكون كأنها حركة من مسرح سينمائي يريد أن يقفز من حل طويلة إلى لقطة من الرمل تحول فيها هذا المعلم الحضاري الثقافي والاقتصادي من حياة واقعية إلى التاريخ، ومن فاعلية إلى ذكرى، ومن رحلة إلى عصر .. ومن منطقة متقطعة إلى منطقة [illegible]

لا [illegible] التحسر [illegible] الحركة [illegible]

لا نريد الحديث عن موت الأمم وانتقالها ذكرى، نريد فقط أن نهرب من الأسى والحزن إلى الجهد الذي يبذل من أجل أن يبقى هذه المدينة في ذاكرة بناتها قبل أن تكون في ذاكرتنا



الشخصية العربية

نقصد هنا بالشخصية العربية البعد الثقافي الذي شكل على مدى قرون الحركة الثقافية في مدن المدينة والقرى الثقافة الإسلامية بأبعادها الجديدة امتزجت بالخصوصية الأفريقية تحركت في أفريقيا بانسيابية مع حركة التجارة والتجار الحكماء والعلماء

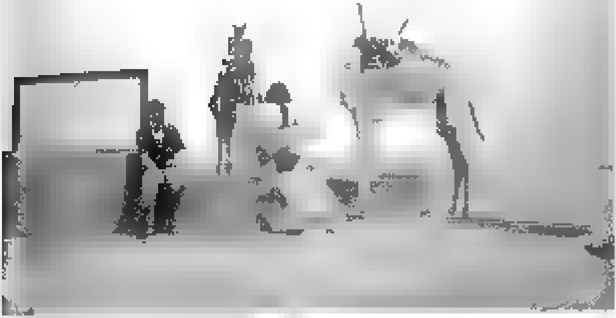
هذه الخصوصية تعرضت لعمليات محو بطيئة ولكنها مبرمجة فالمستعمرون كانوا يحملون معهم مشروعا ثقافيا فيه سيادة لغتهم ومن ثم ثقافتهم

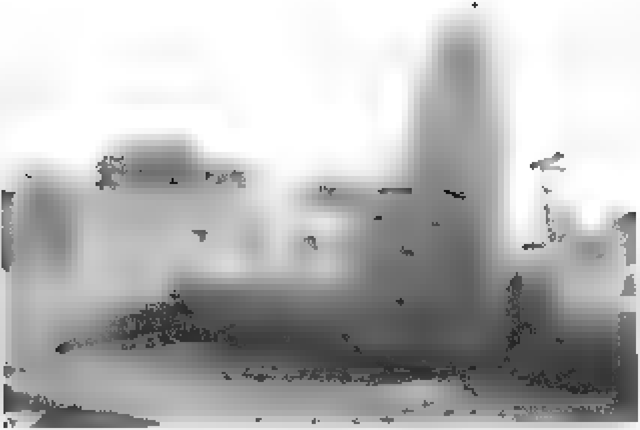
إن هذا المسعى الاستعماري الطويل أفضى مع التراكم إلى أن تنحسر اللغة العربية في ركن ضيق كان يمكن أن يستحيل إلى لا شيء لولا القرآن الكريم والعلوم الإسلامية التي كانت تفتح نفاذا مطلقا من أجل أن يبقى لها ركن ولو كان ضيقا في ذاكرة الإنسان الأفريقي خاصة وأن الظاهرة الاستعمارية ارتبطت بنشاط مكثف من قبل البعثات التبشيرية ممولة من مؤسسات ترعاها دول ومنظمات بوسائل متعددة تمهد للتسلل للعقل عبر الجسد

هنا الأمثلة يمكن أن تشمل فيه كل الدول الأفريقية التي تعرضت للاحتلال وليست جمهورية مالي التي تضم تومبكتو بمنأى من هذه الهجمة فقد عانت تومبكتو من الواقع ذاته فانحسر فيها التعليم العربي وظل قابعا في الزوايا والتكايا والكتاتيب التي كانت تعاني هي الأخرى من الإهمال المتعمد لكي تصبح في النهاية بدون مستقبل

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

كانت عندي محطة في زيارة لجمهورية مالي وهناك التقيت عددا من العاملين في الحقل الإسلامي وقد أحسست أثناء كل اللقاءات بذلك الفرق الكبير الذي





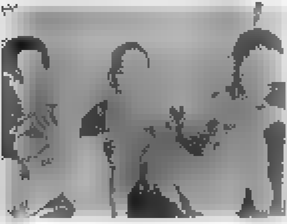
يكنه الماليون تجاه الشخصية الإسلامية بكل ما تحمله من تاريخ وتجذر. ولمست الحب الذي يحملونه للغة العربية وثقافتها لأنهم يدركون أن وجودهم الثقافي والحضاري مرتبط بالإسلام والعروبة. وأن اللغة العربية تترجم هذه العلاقة بينهم وبين التاريخ الحضاري لأفريقيا كلها وليس مالي فقط.

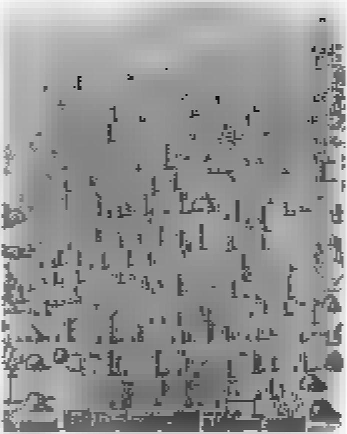
وقد لمست هذا الانتماء عندما كان الحديث يتطرق بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي تتخذ من مدينة طرابلس - ليبيا مقراً[1] لها، أو أكثر ما يتطرق الحديث عنها لسلسلة الوثيقة بكل الأعمال التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالشخصية الإسلامية للمواطن الأفريقي عامة والمالي خاصة، والبعد اللغوي لهذه الشخصية. كان الناس هناك يتحدثون عن مشروع لتجربته الجمعية استفاد به التومبكتيون شيئاً من ذاكرتهم التاريخية عندما كانوا مرتبطين بالعربية في حركتهم اليومية

شوارع المدينة

لمدينة تومبكتو شوارع لها أسماء قديمة جداً مرتبطة بشخصيات تاريخية ومساجد. مثل شارع (منع الإبل) مرتبط بما يتوارثه الناس أن الإبل ممنوعة دخول هذا الشارع تفادياً، ويتخوفون أن هناك شياطين فيتلبسها. وهناك أيضاً شوارع تطلق على مدن التوأمة مثل شارع سنت الفرنسية المدينة التي تربطها توأمة مع مدينة تومبكتو وشارع كيمس الألمانية. والمجلس البلدي هو الذي يجتمع ويعطي أسماء لهذه الشوارع فهناك شارع جوهرة سيساكو وكوكري وشارع الملك محمد الخامس ...





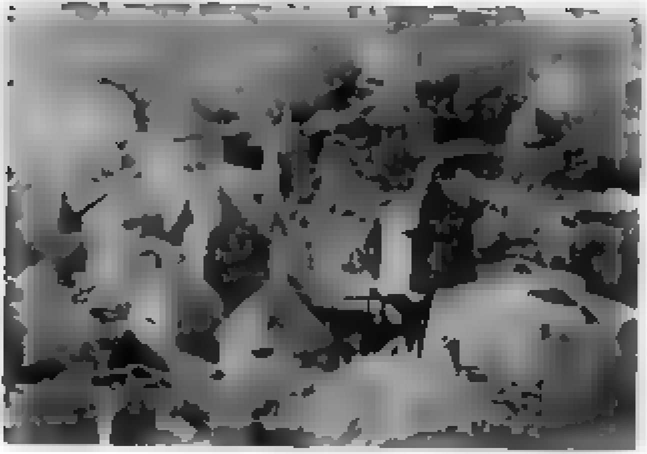


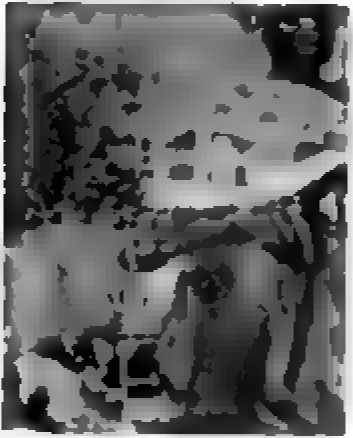
برنامج تبيين

كانت شوارع المدينة بالرغم من عمقها المعماري التاريخي الذي يجذبك إلى الأجواء الإسلامية الشرقية تحمل أسماء مكتوبة بالأحرف اللاتينية تقطع عن أبنائها عمق التاريخ الذي يوصلهم بالجذور الإسلامية العربية.

ولهذا فإن قيام جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بكتابة أسماء الشوارع بالحرف العربي إلى جانب الإبقاء على الاسم بالحرف اللاتيني وهو ما يعتبره عمدة المدينة دليلاً على أن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية مع أنها تخدم مصطلحات اللغة العربية والثقافة الإسلامية ليست انغلاقية فهي تخدم بقية الثقافات الأخرى فهي أعطت أيضاً عناية بالثقافة الفرنسية وأصبح الفرنسيون والعرب كلما حلوا بمدينة تومبكتو يستطيعون الاهتداء بسهولة. وأقول إن هذا البرنامج نبيل جداً ونتوقع أن تستمر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بالتوسع فيه بإقليم تومبكتو وفي خارج إقليم تومبكتو بجمهورية مالي.

كان الاحتفال بهذا المشروع متميزاً حيث أقيم في مبنى بلدية تومبكتو وحضره عدد من المسؤولين وبعض الجهات الأجنبية مثل ممثل مدينة [illegible] الألمانية التي تربطها علاقة توأمة مع تومبكتو وهناك أيضاً ممثل مدينة سنت الفرنسية التي تربطها علاقة توأمة ولذلك فإن أسميهما تم إطلاقهما على شارعين في المدينة وبالمناسبة قررت مدينة تومبكتو إعطاء أحد الشوارع لاسم القائد معمر القذافي ويمتد هذا الشارع من وسط المدينة شمالاً محاذياً لشارع يسمى بشارع السلام الذي يلتقي بشارع الأمم المتحدة ويواصل شمالاً إلى نهاية المدينة. فأهل تومبكتو بما فيهم المسؤولون يرون أن القائد معمر





التداعي جدوراً في مدينة تونبكتو [illegible]
ورفت في طرز المدينة مند أعطوالهد الشارع [illegible]

[illegible]

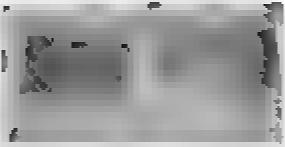
على الاعتقاد بعد المشروع اعتقاد مريحاً يترجم
ترخص بالعودة للحرف العربي المدروس في ذاكرة
تنبوكتي التاريخية ويدعم التصادم مع واقع ثقافي
طرحته عوامل ليس من السهل التخلص منه

فلم يعد غريباً بعد أن تزينت لوحات أسماء
الشوارع بالعربية والحرف اللاتيني لا تعتاد

[illegible]

فلنقتصد أعين الغرباء الباحثة عن جواهر التاريخ
بعيداً عن تمسكه هذه المدينة من حمل يؤسسه

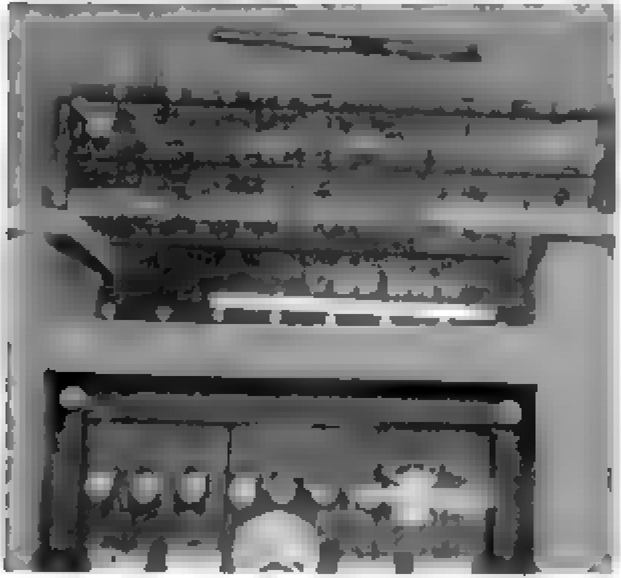
[illegible]



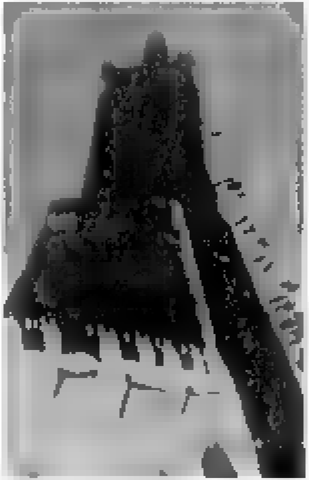


المخطوطات

عرفت افريقيا جنوب الصحراء تعليم اللغة العربية منذ وقت مبكر مع ظهور الأفواج الأولى من معتنقي الإسلام في القرن السابع ميلادي، وخاصة في عهد امبراطورية غانا. ومن ثمة العبادات تحولت العربية فيما بعد الى لغة العلوم والثقافة ولغة التعبير الرسمي خاصة. فقد كانت امبراطورية مالي (فيما بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر) والممالك المختلفة التي تعاقبت في الحزام العربي من اقتاره تستعمل هذه اللغة في الإدارة والقضاء وفي مراسلاتها الرسمية مع الخارج







وانتشرت المجالس والحلقات العلمية للتعليم الإسلامي في المدن والقرى تقريباً في كل بلدان افريقيا الغربية الحالية. واصبحت مدينة تمبكتو مركزاً دينياً وثقافياً يضم أول جامعة اسلامية في المنطقة تستخدم العربية لغة للتعليم. وكان عدد الطلبة الذين يدرسون فيها في ذلك العهد يزيد عن عدد سكانها الحالي (حوالي 20000 نسمة). وقد تخرج من التعليم العربي علماء أفارقة كبار من امثال احمد بابا (له خمسون مؤلفاً) والمؤرخ المشهور محمد كاتي الذي ساهمت مؤلفاته بقسط وافر في التعريف بتاريخ بلدان الساحل الافريقي الحالية. فالمخطوطات جزء من تاريخ هذه المنطقة: كتب كثيرة في الطب والفلك والفقه والتاريخ. مكتبات كثيرة تُركت لمصير مجهول بعد أن فقدت من يعتني بها. بعضها نهبه لصوص الآثار والبعض الآخر لا يزال مكدّساً في مخازن الأمتعة وقد [illegible]



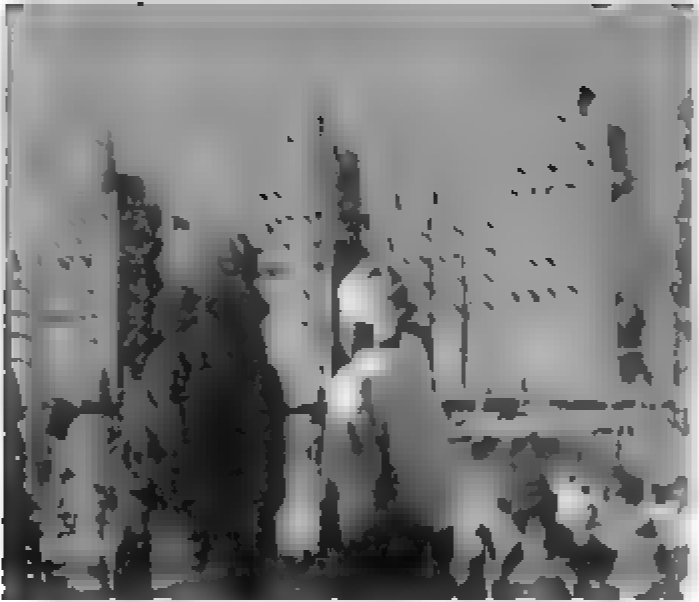
مع الجمعية مرة أخرى

قال لي الأستاذ محمد التميم حمودي مدير ثانوية علال عرب بمدرسة النور الشعبي بمدينة تمبكتو إن لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية اهتمام بالمخطوطات والآثار العلمية الإسلامية ليس في مدينة تمبكتو فقط بل في أفريقيا كلها. فجمعية الدعوة الإسلامية العالمية أولت اهتمامها الجادة بالآثار الإسلامية وبالثقافة الإسلامية القديمة والتاريخ.

قرية العلماء

موّلت الجمعية بناء مكتبة للمخطوطات والوثائق التاريخية القديمة في نقطة في مكان حساس في قرية يرجع تاريخها إلى ما قبل تاريخ تمبكتو وهي قرية بوجبيهة فهي القرية المعروفة باسم قرية العلماء القدماء وأهلها يجمعون عددا هائلا من المخطوطات وكذلك هي مكان ثقة للناس يمتلكون المخطوطات حتى خارج القرية. فإذا قلت لأحد من جاري. أو صديقي إن مخطوطاتك ستوضع بعد فلان إلى فلان في بوجبيهة أو في مكتبة بوجبيهة فستجده يفرح بذلك ويقدم لك ما يملكه من مخطوطات عن طيب خاطر

ويضيف السيد محمد التميم حمودي إن الأهالي يحافظون على مخطوطاتهم من أن تقع في أيد غير أمينة قد تسرّب عمليه تهريبها للخارج وكذلك فهم



بتخطيط وبناء مدرسة تلتف على أي تيه طريقها [illegible] امريكية

لقد [illegible] الجمعية مستندة إلى قرية [illegible] بناء مكتبة عالية ولا شك أن هذه المكتبة سوف تضم كمية هائلة من المخطوطات القديمة

مكتبات [illegible]

في تومبكتو اهتم بافتتاح مكتبة جديدة منها مكتبة (السوينية) تدعم من قبل الجمعية [illegible]

مكتبة أخرى ألفنادي جمعية الصحوة الإسلامية [illegible] والمخطوطات بل هي مكتبة للكتب الحديثة ومكتبة [illegible]

إذن فهناك محاولات جادة لتصحيح تومبكتو [illegible] المستمرة بطريق [illegible] على قارة ترنو إلى الاتحاد [illegible] الأمال الواعدة



- أغاني رمضان

مقتطفات من قصيدة للشاعر الأمريكي "تسنيم عبد الحي" دانيال مور

- مختارات من سونيتات رمضان

- اختيار الإسلام.. حكاية رجل

الشاعر الأمريكي المسلم

دانيال مور

منير العكش *

في أواخر الستينات حين كانت ثورة الشباب براكين من الإبداع والرومانسيات وأحلام بتغيير العالم، كنت حبيس المهد بالهجرة إلى بيروت مكسوراً مع كل المكسورين بالهزيمة واليأس والعسكر وخوف الصحافي يقض الزيارات، حقاً مع كل العالقين يوم يتسع أكثر من حد اليوم ومصير لكل بشاعة من هذا المصير

وكان دانيال مور ولورنس فرلنغيتي وألن غينسبرغ ومايكل مكلور وناثانيل بش … حلقات على سيف المحيط الهادي في أقصى غرب الدولة … المتوحشة جزءاً من الأمل في بحر يضطرب بالكراهية والجشع وتاريخ الإبادات

ثم … وشلالات الضوء … من … في شوارع العالم من … في بيروت إلى دانيال مور في سان فرانسيسكو أكثر من … أصدقائي الذين … مثل أسراب الحمام في … على الشاطئ الأخضر بهؤلاء الحالمين الأبديين بثورة الشباب وقد … معظم … غينسبرغ … والهيكل … ومور … الأحمر تحت … وحيداً … في … الروح

منذ أن وصلت إلى العالم الجديد أدركت أنني نحن وقصائد كولومبوس في قارة واحدة، وأن هذه الأمريكا متعددة ولا بد من اختيار ما يجب … العالم. وكان لا بد من دانيال مور … التي ما تزال تلتقي في هذه الغابة المحترقة

وكانت مجلة (جسور) هي البداية … إذ لم يكد يصدر عددها الأول حتى التقيت بدانيال مور ولورنس فرلنغيتي وناتاني … وجون … ومايكل مكلور … النبض الداخلي الذي … كل ما هو إنساني … في أمريكا

وها هو دانيال مور اليوم واحد من أسرة (جسور) يسهر الليالي في ترجمة كل ما ينشر فيها من شعر ونصوص إبداعية، ويعمل معي على اختيار وترجمة كل ما يقدم وجهاً مشرقاً للثقافة العربية الإسلامية في هذا العالم الذي لا يرى فينا إلا صورة … وها هو مور للمرة الأولى يتعرف على وجهه في المرآة، بعد أن تمعنت في وجهه طويلاً ظناً أن عرفته … كما يصور ذلك في قصيدة «المرآة» المترجمة

في الستينات كان مور من أبرز شعراء أمريكا … أكثر إنسانية وعالم أكثر عدلاً، وتعتبر دواوينه … «الفجر» و«القلب المحترق» … الحرية … ثورة في حركة الشعر الأمريكي الحديث، كذلك كانت مسرحياته …

* كاتب /أمريكا

وطواسين ابليس التي عرضت لسنوات في مسرحه خلال أثناء عمله في حلب كاليفورنيا مدرسة إبداعية روحانية. لكن السبعينات لم تمض على دانيال مور حتى زار المغرب وتعرف على الشيخ محمد بن الحبيب الفاسي ليعود إلى بركلي ساعيا لتوشيح شعره بأسمى روحانية عرفها الشعر الإنجليزي المعاصر.

معظم مجموعاته الشعرية في هذه المرحلة (بالصحراء، باب النجاة، وحوليات الأعراف، وصباح كما لم أسمع من قبل، ومولد...) نشرت في طبعات يدوية محدودة جداً من عمل الشاعر ذلك لأن ناشريه لم يرق لهم دانيال مور الجديد.

برغم عزوف الناشرين الأمريكيين عن طبع مجموعاته فإن حضور دانيال مور القوي والمتميز ما يزال ظاهرة مثيرة في الشارع الأمريكي المعاصر. هناك من يعتبره مصدر إزعاج المعسر بينما يعتبره آخرون إقبال أمريكا.

الشاعر ألن غينسبرغ يقول: «إن مور هو شاعر أمريكا اليوم كما أنه شاعر الإسلام (بالنسبة للأمريكيين) دون منازع. إنه متيم بجذره الأمريكي ومتيم بروحانيته الإسلامية. إن قراءته رحلة والسفر معه يثير الأسئلة: أين نحن؟ في أي عالم؟ أية أمريكا؟ من هو المسلم؟ من أنا؟ إن سونيتات رمضان مثل دليل المسافر إلى عوالم المتخيلات المدهشة والمضادات المتنوعة».

وكتب كولمان باركس: «إن شعر مور يحمل موهبة ... ويبحر بإسقاط إلى روحانية الإسلام العميقة».

وكتب ...: «إن تجليات سونيتات رمضان البديعة قد تبدو ممارسة لروحانيات التعلم. لكن ... واحد. إنه الحرية، وموهبته مثل فرس رهان».

وكان دانيال مور قد بدأ بكتابة سونيتات رمضان في أول ليالي رمضان 1406، 1986 ليكتشف صباح العيد أنه أنجز مجموعة كاملة من 62 قصيدة كانت كما يقول، مفتاحاً روحياً لتجربته الرمضانية وتصويراً شعرياً لعالم الصيام والعالم من حول الصيام، ولم

السوني هذا مقبولاً لأنه رد تعبيري عن كل معاناة التي تلاقحت فيها ثقافة الغرب وروحانية الإسلام. كان يعلم أن العربية لا تعرف معنى «السونيت» (الأغنية القصيرة). غير أنني ذكرت له لاحقاً أن مؤرخ الموسيقى العربية هنري جورج فارمر يقول: إن المقابل العربي للسونيت هو كلمة «الجلجل» وتمنى علي كل حال أن أستخدمها في الترجمة لأنها الآن أغرب من كلمة السونيت.

يبقى أن ترجمة دانيال مور إلى العربية مغامرة خطرة، لا لأنه يتفنن في فهم الفروقات اللفظية ولا لتداخل جمله التي يستمدها من الإنجليزية فهي تبدو غريبة على الاستجابة العربية ولكن لتعدد طبقات صوره وتنوع ينابيع هذه الرموز واختلاف ثقافاتها. في شعره مصهر عجيب لشعر الثقافة العالمية ولي ملامحه شعر السورياليين والشعر العربي والفارسي. إنني لأقرأها أحياناً وغير ... بعض القصائد المترجمة كيف أنه يحول إلى قصائد عربية أو فارسية من عصور مختلفة. ويأتي في المرتبة الثانية ثقافته العلمية والإنسانية، ولا سيما معرفته بالكيمياء والأدبيات الفيزيائية الكونية وافتتانه في علم العصور الجيولوجية والأنثروبولوجيا وعلم الآثار.

إن تداخل كل هذه المعارف في قصائده يجعل ترجمته العربية مرهقة ومؤذية للأذن العربية التي ما زالت تقصر من كل نص على مفهوم اللغة الشعرية المتوارثة.

وأخيراً هناك ما يسميه الشاعر الناقد جيمس كيني بحقيقة دانيال مور البلاغية النادرة التي تنطلق وتخصب شعره دائماً بالحدس المستحي من العلاقات اللغوية.

بكل هذه القلق اخترت مقاطع يسيرة الترجمة نسبياً لشاعر أقدم لقارئ العربية هذا الشاعر الأمريكي الذي يجمع بروحانية الإسلام فاعتنى به التجربة الشعر في أمريكا واستحق بجدارة لقب محمد إقبال العالم الجديد.

مختارات من «أغاني ومخاز*»

داليال مير

ترجمة: سمير العكش

ملائكة لا تلمحها العين

ثمة ملائكة

خفية، لا تلمحها العين

تسري بلطف جسد الأشياء

***

رب ملائكة

تخطر كلمعات الضوء البراقة

فوق مياه الشلالات سريعة

ورشيقاً كالماء

***

مخلوقات من ضوء

تمضي مثل الصورة

وترتد سريعاً في جوف الظلماء

***

رب ملائكة تسري في الليل إلى غايتها

في طيران خاطف

لا يحجزها المطر

ولا يمنعها البحر

ولا يثنيها عمق الوادي

***

تعبر بوابات الأرض فيهتز

وينبض معها قلب الأشياء

مرآة

وجهي وجهٌ

حين أمر أمام المرآة العابرة

ومرور الزمن هنا

لا يقنع صحبي

ألمح عيني

وأرى «النفس»

وما كنتُ أسميها «أنا»

من هو هذا الإنسان؟

ابني وأبي؟

ولمن هذا الوجه الغاضب؟

غريب أم حبيب؟

هذا الضوء المكسو بلحم

هل هو أرض أم شمس

أم الملائكة سر؟

من يلمسها، هي سحرية

هي لعبتي؟

***

هل من أحد؟

***

يا شكلاً في المرآة

ووجهاً كشراع مسحور

مسكناً غريباً

في هذا العالم

حتى الأبد

* صدرت المجموعة عن [illegible] بالتعاون مع [illegible] وهي في الأصل تحمل اسم [illegible]

الترقّي

عند تلاوة القرآن
جهراً في صلاة الصبح
أدرك أن هذا الخلق
لم يخلق إلا لقراءة القرآن

◆◆◆

أسمع رجعه في القلب
متدفقاً كخرير النبع
أسمع رجعه
في تلك الأعماق من جسدي

◆◆◆

وتحضرني ملامح هذه الأكمة
فأعرف كيف صاغ الله
حول تشبثه الإنسان
كمثل جبلة خلقت من الإحسان
من أجله وجهها حسب
يرجع تلاوة السور

◆◆◆

كم أحكمت يا رباه
حتى جوانح الأحسن للقرآن
فيسكن قتامة العمى، وكم يعلو
نهر الفجر بعد الليل
إنشاد بديع الشعر

○

ولماذا الصوم؟

لما خلق الله العقل استحضره
ثم سأله أن يسمو فسما
وسأله أن يهوي فهوى
وسأله أن ينأى فنأى
وسأله أن يدنو فدنا

◆◆◆

لما خلق الله النفس استحضرها
ثم سألها أن تسمو فعصت
وسألها أن تهوي فعصت
وسألها أن تنأى فعصت
وسألها أن تدنو فعصت

◆◆◆

ألقاها في النار
وعاقبها عشرة آلاف سنة
ثم استحضرها
وسألها أن تسمو فعصت
وسألها أن تهوي فعصت
وسألها أن تنأى فعصت
وسألها أن تدنو فعصت

◆◆◆

وكذلك ألقاها في التيه
وعاقبها عشرة آلاف أخرى
ثم استحضرها
وسألها أن تسمو فعصت
وسألها أن تهوي فعصت
وسألها أن تنأى فعصت
وسألها أن تدنو فعصت

◆◆◆

وحين فرض الله الصوم
ثم استحضرها
وسألها أن تسمو فارتفعت وسمت
وسألها أن تهوي فارتفعت وهوت
وسألها أن تنأى فارتفعت ونأت
وسألها أن تدنو فارتفعت ودنت
بالصوم انكسرت شهوتها
صارت مع الله

◆◆◆

البحر وحيتان البحر

لو أن البحر وحيتان البحر
قطرة دمع في عين وليّ

◆◆◆

لو أن حريق الحروب اليوم
بصقة غضب في باطن قدميه

◆◆◆

لو أن الليل وأسواق الليل
وطيفها دروب معي
معنىً يرشح من الصمت الأبدي

◆◆◆

لو أن وجوه الجوهرة الأرض
نقطة ضوء تتململ في عين تجليه

◆◆◆

لو أن أشعة كل نجوم الليل
تكتب في عينيه
ما تكتب أشرطة الآلات الكاتبة
على الورق الأبيض
حيث الأنفاس فصول
ووجيب القلب ساعات
... يدي ... ترقص
فوق شفاه الصحراء الأزلية
يتكاثر على شجر

◆◆◆

لو أن القمر وأعشاب ما بعد القمر
ونبضه إبدار
في راحة الريح المسحورة
في قلب وليّ

◆◆◆

عندئذ
حين تُخلق الأبوابُ
على جسد القمر المطرزة على
كل وجود المستقبل

◆◆◆

حين تصير الريح
غرفة عطر الدخان مأتي بخطه
ثم يصير الماء زجاجاً
ويصير زجاج الماء
صوتاً أحمر

◆◆◆

حين توجه موجات سر لشرنا
نحو مطالب لأفكار الخلق المشرق
في أعماق السلاسل البحرية

◆◆◆

عندئذ
قد نهمسُ
غريباً تقطع قوس الأرض
نهياً يمضي في بحر شافوني
من ... يعمد في الجبهة ...
ويسقط العسل

◆◆◆

عندئذ
سنصبح عهد في
ضوء نهار ينتظر حصانه
حدوداً لا يعرف أين حدود الصورة

◆◆◆

الخضرة

إلى الخضرا

يحنو العاشق الولهان

في حذر

فيسبغه إذا ما لاحت الأنوار

تأديه

وحشيته

وما يعروه من صمت

وما يلقاه من ضجر

يسقسم وجه المهرول

في منعطف من الأفق

وما [illegible] تضرمُ [illegible]

جنحة الفرح

ولا يظل هنالك من عذر يعتذر

يغير توجهه

عسيرا مصموتا بلا بصر

ويصهره جحيم النار

والمنفى الذي [illegible] للأموات

منذ بداية النصر

فلم يحمل برحلته غير حقيبة العمر

وفيها كل ما فيها من خطاياه

والنية الحمر

إلى الأسر

اختيار الإسلام..
حكاية رجل

عبد الغني مور

أصبحت مسلماً. كيف بدأ ذلك؟ عندما قربت بالإسلام بدأ حس التصالح وكان الأمر يتطلب مسألة الاختيار ومع كل شيء فإن أهله هو القدر لا استطاعة رسمياً... فالطريق كنت مسروراً. وبالطبع كنت أتقدم إلى الأمام دون شك.

لنعد إلى المسرح الذي أسسته وبعد أن مضى ثلاث سنوات من عمره. بعد إنتاج سادلة الفرنسي وفي نحو منتصف في منطقة (فونك Fank) بين فرنسيسكو

كنت أعتبر نفسي من أتباع البوذية التأملية ولكنني كنت أبحث عن كتب أخرى. كنت في العادة أستعمل الأجنبي مسألة... وأنسى البوذية وأمارس تمارين الوضوء بعد نصف ساعة ثم أقرأ منظومات الرومي وهي الأشعار الصوفية الطويلة للصوفي الفارسي الكبير في القرن الثالث عشر.

بعد ذلك التقيت الرجل الذي سيكون شيخي ومعلمي في المغرب: الشيخ محمد بن الحبيب. في الوهلة الأولى كان اللقاء ببساطة. لقد وجدته كان رجلاً رائعاً أيضاً. وسرعة ما تحول هذا اللقاء إلى شيء عجيب عندي ما دفعني إلى ثورة في حياتي ثم أصابت منها وأمل أن لا أصطفي معها أبداً.

بدا الرجل وكأنه رجل إنجليزي غريب الأطوار وهو أيضاً من رجال عهد قريب الطريقة الإنجليزية للموجة الهيبية. كان أكبر سناً مني ومهذب وذكي ومثقف وكان من ذلك النوع المثالي بسبب الذي أخذ الفكر والمنتجات الفنية غير من جوده. فقد جاهر جميع مسائل المحدد الكلاسيكية من بلاد عكسي في سفر بحثه عن سفر البيوت ** والسالك في

منطقة بوكالان. ولكن في لقاء وجهه إلى المغرب أصبحت ما غير مسار حياته تماماً. لقد اعتنق الإسلام ... إنه فوراً بعد انتهاء مسيح الصوفية. لقد انتهت اللعبة. وطرأ تغيير كبير في حياته تجاوزت تجربة المخدرات.

على مدى ثلاثة أيام بعد ... أمريكيان ... وأنا في ... الفاسي الرائع وهو يسرد سيرة الإسلام ويتحدث عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعن الصوفية في المغرب وعن الشيخ الذي يتجاوز عمره القرن، كان يجلس تحت عريشة التين الكبير في حديقة فيها ينشد لأتباعه أناشيد دينية. كان الأمر ينطوي على جميع ما حلمت به. كان بمثابة الحلم الذي أصبح حقيقة. كانت تجربة حيال جُعلت تكون جزءاً من الحياة اليومية حيث النبي سيد الحكمة والبساطة، ويونس الذي يمكن الوصول إليه تاريخياً وتختلط من قصة موسى، والأنبياء غير النبوية الأخرى كعيسى ونوح وغير.

إن المعرفة النبوية التي تحدث عنها ... كانت نوعاً من البيولوجيا الروحية فهي مسائل مثلاً كيف تدخل غرفة وأي قدم تدخل بها أولاً وأن تشرب الماء ولكن ترتشفه التحليب رشفاً، وأن تسمي اسم الله قبل الأكل والشرب وبعده تحمد الله وهكذا. ولكن بدلاً من أن ترى ذلك عبثاً عليك أن تجربة ... علمك أن هناك طريقاً سليمة لعمل الأشياء والتي لها أصداء كونية إن صح التعبير. إنه إدراك بالانتماء للخالق وخلقه الذي يضمن كثافة التصور.

إنه من الصعب وضع أي شرح للإسلام ومحاولة طرح جمال شموليته من خلال الكلمات وحدها. إن دين الإسلام هو أمر بطبيعته، ويأتي دائماً عبر رسول بشري ناقل للصورة عبر ذاته شخصياً.

... وجهاً لوجه مع مرشدنا في سلوكه السوي والنبيل. كان فيما يعلم يطبق ما يتحدث عنه. ثم أتت اللحظة التي واجهني فيها إزاء حياتي. قال في صباح يوم من الأيام بعد ثلاثة أيام من الاحتكاك المباشر بكل ما يأتي به كل لحظة شيء ... به أبداً. فهل تفكر؟ هل تريد أن تصبح مسلماً؟

قلت وأنه ... حتى الآن. بعد كل تجربتي وتعلمي في البوذية والتبتية واليوغا والبوذية التبتية والمسيحية. هذه الحقيقة بالتأكيد، ولكن أعتقد أنني أريد أن أسافر قليلاً لرؤية العالم والذهاب إلى أفغانستان (وحينئذ كانت غير محتلة) ربما ألتقي شيخي في قرية جبلية في مكان ما بعيداً. كلا ذلك ليس جيداً. عليك أن تقرر الآن نعم أم لا. إذا كانت الإجابة بنعم عليك أن تبدأ الرحلة العظيمة، وإذا كانت الإجابة بلا فلا لوم. لقد قمت بواجبي. فقط سأقول مع السلامة وامضي في طريقي. ولكن عليك أن تقرر الآن. سوف لن أكون ... وأنتظر ... لا ...

عندما غادر الغرفة لم أكن خياراً. ... كل كياني وبساطة ... جميع ... تلك اللحظة. كنت وجهاً لوجه مع عبادة الله بصورة خالصة ونقية حيث الطريق أمامي قد رسم بدقة وميز بعلامات الطريق، ودليلي أمامي وهو معلم من الطراز الأول ... مستقبل من ... كان ذلك اليوم هو تاريخ ميلادي ... أكثر إثارة. لقد اعتنقت الإسلام.

[illegible] ... في المغرب والجزائر ... حول ... للكتابة عن الإسلام.

[illegible]

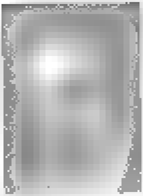
** [illegible] ... المترجم.



- كرامة الاختلاف كيف نتجنب صراع الحضارات؟
- الإرهاب صناعة غير اسلامية
- المكتبة

كرامة الاختلاف

كيف نتجنب صراع الحضارات؟



جوناثان ساكس

«كرامة الاختلاف» أو «كيف نتجنب صراع الحضارات» كتاب من تأليف جوناثان ساكس كبير أحبار الطوائف اليهودية لدول الكومنولث. درس ساكس في جامعة كمبردج بالمملكة المتحدة، ويتولى رئاسة الكلية اليهودية بها. وقد صدر الكتاب عن مؤسسة كونتينيوم للنشر بلندن ونيويورك سنة 2002، ويقع في 210 صفحة.

للمؤلف عدة كتب من بينها: «شعب واحد» (1993)، وكتاب «رسالة في برمجة» «قيم شخصيتنا اليهودية ومستقبل تراثه القديم ومكانة في العالم»، وكتاب «سياسة الأمل».

وكتاب «كرامة الاختلاف» دعوة للتسامح والفهم المتبادل بين الجماعات المتدينة والشعوب والأمم، وجميع القوى المتصارعة في زماننا.

وجوناثان ساكس كما يرى المطلعون على كتاباته يختلف عن الزعماء الدينيين الآخرين، فهو صاحب موقف مستقل يدعو للاحترام، كما أنه يفكر ويكتب بلغة فصيحة ولغة مدعومة بقدر كبير من المعرفة والاجتهاد.

ومن هنا فهو لا يختلف عن كثير من الفلاسفة وعلماء الاقتصاد ورجالات الأعمال في كل عصر مثل جان جاك روسو، وجون لوك، وإميل دوركهايم وفوكوياما، وجورج سوروس، وروجر سكروتن.

والبحث الذي يقوم به يدل على أنه يعني فيلسوف متميز، فهو يفسر المفاهيم العسيرة بوضوح تام مثلما يفعل عندما يوازي بين النظرية الحديثة للرياضيات وتعاليم الكتاب المقدس.

وكل من له إلمام بمؤلفات ساكس المبكرة سيدرك مدى التأكيد الذي يضعه على التبادل الأخلاقي في مقابل العقد، وهو قانوني، كمكون أساسي للفهم والتسامح وهذا ينطبق على كل المستويات سواء أكانت أفراداً، أم جماعات (قبائل) أم مجتمعات، أم حكومات.

وموضوع ساكس الرئيسي هنا في كتابه «كرامة الاختلاف» هو الشعوب والأديان.

ويعتقد ساكس أنه لا يوجد دين واحد أسمى أو أعلى منزلة من غيره، والاختلاف في الدين ينبغي أن يولد الفهم بدلاً من الرغبة في إقصاء الآخرين.

ويعزو ساكس انقسامات كثيرة حدثت في المجتمع اليوم إلى فقدان الولاء على جميع المستويات بما فيها الانهيار السريع للأسرة في جميع البلدان الغربية منذ ستينيات القرن العشرين.

وهو يتساءل: كيف تستطيع العائلة أن تعيش في عصر تهيمن عليه رأسمالية العولمة أو الرأسمالية الكونية؟ فالناس مدفوعون بقوة إلى العمل بكدح من أجل انتظار هاتف خليوي أو بريد إلكتروني، ولذلك لم يعد ثمة وقت ليصرف على العائلة.

إن كتاب «كرامة الاختلاف» كما يقول مترجمه ليس كتاباً دينياً بالمعنى المعتاد، إنه حكمة مثيرة ومناظرة حول مسؤولياتنا عن أجيال المستقبل، وكيف نستطيع في عالم شديد الانقسام أن نصل إلى الفهم والتسامح.

والنتيجة التي وصل إليها ساكس، ويصفها بأنه

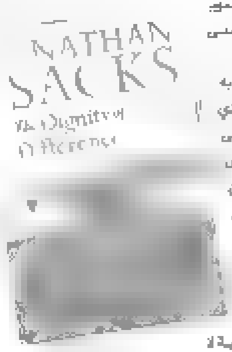
ميثاق الأمم المتحدة مصر، وطموح مصري، ولا يوجد شيء محتوم حول بقاء المجتمعات وتواصلها فمعظمات التاريخ مشتغلة بأنقاض الإمبراطوريات التي بلت في زمانهم خصيصه إلا أنه لم تلبث أن تآكلت وتلاشت ولكن الفرصة التي تقدمها رأسمالية العولمة وقوة التكنولوجيا كبيرة وجيدة إنهم يبشرون بمكافحة الفقر ومحاربة الجهل، ومعالجة الأمراض على مقياس غير مسبوق ومع ذلك فإن المخاطرات هائلة ورؤية ساكس هنا تصدر عن موقف متفائل من العولمة خلافاً لكثير من المفكرين الذين يعدون العولمة سبباً لإيساع الفقر والتفاوتات بين دول الشمال ودول الجنوب الفقير.[1]

يقول ساكس في مستهل كتابه يجب أن نتعلم فن الحوار الذي نبحث معه الحقيقة وليس على طريقة جدل سقراط برفض الخطأ أو الباطل، ولكن من خلال عملية مختلفة تماماً بجعل عالمنا يتسع كبيراً بوجود الآخرين الذين يفكرون ويعملون، ويفسرون الحقيقة بطرق مختلفة تختلف عنا. يجب أن نحتفي بالخصوصية لا السوية.

وقد توسع ساكس في بيان العلاقة بين الوحدة والاختلاف في فصل خصصه لذلك بعنوان (طرد الشبح الأفلاطوني). ويلاحظ ساكس تعاقب النظم الفلسفية في التاريخ الغربي وهو تعاقب بلغ أوجه الآن في العولمة وفي انبعاث ثقافة عمومية كونية تمتد في أرجاء العالم.

ويتبع أفلاطون في هذا السياق، وهو فكرة تطورت في كتابه (الجمهورية) يراد به عالم العقل والعالم المحسوس عند أفلاطون هو عالم الظلال، والأوهام والأشباح وأما عالم الحقيقة فهو عالم الفكر المثالي، أو عالم الروح فهو مرآة في الواقع المحسوس له نظيره في عالم آخر هو عالم المثال أي أن الوجود الحقيقي للأشياء ليس المادة، ولكن الشكل والأفكار، وليس تجسدها في عالم الحسّ.

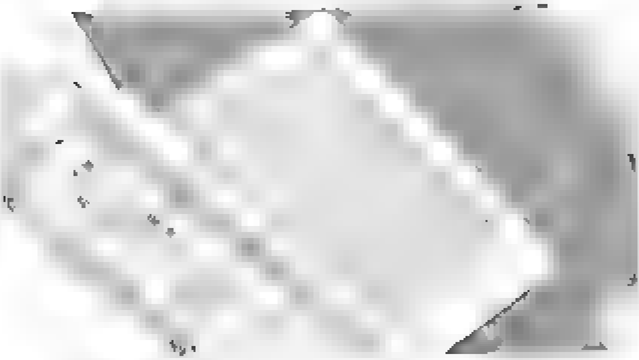
وعلى خلاف ذلك يقول ساكس بل فكرة أن الحقّ الحقيقة جوهرُ الأشياء كليّة، يسبب الخصوصية عالم الحواس والوجدان مصدر للنزاع والتفاعل والشك والحرب ويستطرد ساكس قائلاً: الله إله لكل الناس، ولكن لا توجد عقيدة واحدة هي عقيدة لجميع الناس، وبالرغم من أن هذا الرأي موضوع جدل فقد لا يُسلّم به للمؤلف لكنه يسوي بين عقيدة سماوية وديانة من صنع البشر إلا أن في نصاعته كلامه وهو جدير بالبحث والتأمل.



وفيه يصل النزاع العالم في الشرق الأوسط يتناوله بعض الفقهاء فيما يجري من حول المسألة الفلسطينية فيقول: وفضلاً عن ذلك قد يوجد بعض الشك في أن ثمة حلاً سيظهر إلى الوجود كتقسيم الأرض إلى دولتين حسب هيكل السكاني الديموغرافي، والاتفاق حول القدس والمدن المقدسة حتى يتمكن كلّ واحد من الدخول إلى الأماكن المهمة عنده والاتفاق على الموارد المشتركة كالمياه، ووجود اتفاق دولي حول مستقبل اللاجئين الفلسطينيين.

يقول ساكس في محاضرته ألقاها في محاضرة مبادرات الحوار السابعة حول الدين وشؤون العالم في 2002/3/21:

لقد أصبح الدين قوة حاسمة في العالم المعاصر ومن الجوهري أن يكون قوة من أجل الخير ومن أجل حل النزاع وليس من أجل خلق النزاع، فإذا لم يكن الدين جزءاً من الحل، فإنه لا ريب جزء من



المشكلة، ولذلك نحن لا نضع فكرة مبسطة، ولكنها متطرفة. نريد أن نقدم قراءة جديدة، أو بشكل أدق استقراء جديداً لبعض النصوص القديمة جداً، والتي أظن ذلك لأن موقعنا في القرن الواحد والعشرين، وبعد الحادي عشر من سبتمبر قد تميز بثلاث طرق: الأولى: عودة الدين. والثانية: تفجر الدين في مناطق الصراع مثل البوسنة وكوسوفو، والشيشان وكشمير وباقي الهند وباكستان، وإيرلندا الشمالية والشرق الأوسط، وفي مناطق من آسيا. والثالثة: وجود الدين في قلب الصراع، ويمكن أن في بلاد البلقان، [illegible] الكروات الكاثوليك والصرب الأرثوذكس والمسلمين نجد الجميع ينحدرون السلالة نفسها ويشتركون في الجنس نفسه والشيء الوحيد الذي يفرقهم هو الدين. فالدين هو علّة التقسيم [illegible] الكلام فيه [illegible] للمسألة من [illegible] كما لا يخفى على الناظر [illegible] من الصراعات الراهنة [illegible] دارت رحاها لأسباب غير دينية [illegible] الحربين العالميتين الأولى والثانية في العصر الحديث خير شاهد على ذلك.

وصيغة (إذا لم تكن جزءاً من الحل فأنت جزء من المشكلة) غير مطّردة، بل قد تكون فاسدة لأنها تنتج مقولة بوش الابن: من لم يكن معنا فهو ضدنا.

إن كتاب «كراهة الاختلاف» قراءة للواقع الراهن بعين لاهوتية يهودية، ومؤلفه حاخام يقر بحقيقة الدين قوة مؤثرة في العصر [illegible] ويزعم أنه دينٌ يتعاطف مع [illegible] ضد صراع الحضارات، وأن كتاب العهد القديم [illegible] على الصراع مع حضارات العالم القديم في شبه جزيرة العرب وفي مصر الفرعونية، وقد وجدت إسرائيل نفسها محاطة [illegible] القديمة في [illegible] الآشورية والبابلية [illegible] واليونانية، والرومانية. وبعد تدمير الهيكل الثاني تقلّص الوجود اليهودي في بلاد إسرائيل، وأصبح اليهود أقلية بين المسيحيين، والمسلمين فيما بعد.

ومما لا يخفى على [illegible] أن هذا الكتاب خطابٌ يهودي [illegible] ثمة التسامح والاحترام [illegible] الكاتب كل ملاءمة لترويج فكرة أن اليهود هم خير من يدعو إلى التسامح ونبذ العنف واحترام الآخر. وبالرغم من هذه الرؤية المبطّنة التي قد تنطلي على الكثيرين، لا سيما أولئك الذين [illegible] بمضمون الكتاب فإنه لا يخلو من أفكار جديرة بالتأمل.

شهادة مفكر مسيحي مصري:

الإرهاب صناعة غير إسلامية

عرض وتقديم: السيد عبد الرؤوف*

تسعى الحركة الصهيونية والقوى المتحالفة معها المعاصرة لها في الغرب إلى النيل من الإسلام والمسلمين، وتتفنن في إطلاق الأكاذيب والأباطيل حول هذا الدين الحق وتلك الشعوب المسالمة. ولعل أخطر تهمة وجهت للإسلام والمسلمين في نهاية القرن الماضي تهمة الإرهاب. ورغم أن التاريخ والواقع المعيش يكذبان هذه التهمة الباطلة فإن أحداث الإرهاب التي عانت منها البلاد الإسلامية قبل غيرها استغلت في الحملة على الإسلام والمسلمين.

وكانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 بمثابة فرصة ذهبية نادرة المثال لشن حملة مستترة على الإسلام والمسلمين والانتقال من مرحلة الهجوم الفكري والتشويه الإعلامي إلى مرحلة العمل العسكري. وتوجيه التهديدات لمزيد من الدول العربية والإسلامية بدعوى تفريخ الإرهاب أو تشجيعها عليه، كذلك جرى الخلط بين الإرهاب وبين نضال الشعوب من أجل التحرر.

كثير من السياسيين والمفكرين والإعلاميين الغربيين المتعصبين والمتحاملين يطلقون هذه الاتهامات ليس من منطلق التعامل مع الإسلام أو الانتصار للمسلمين، ولكن من منطلق الحرص على بلادهم ومصالحهم القومية، ووضعت نظرية صدام الحضارات، والتي تعد محاولات للهيمنة التي تؤدي لإشعال الكراهية والحقد في نفوس الشعوب وخاصة



كاتبه نبيل لوقا بباوي
رشح صاحبه من مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر بجائزة الدولة

الشعوب الإسلامية

هذا الظلم الذي يتعرض له الإسلام والمسلمون دعا مفكرا مسيحيا عربيا هو الباحث المصري نبيل لوقا بباوي إلى أن يؤلف كتابا من 300 صفحة بعنوان

* كاتب صحفي مصري.

والإرهاب صناعة غير إسلامية، يسرد فيه الحقائق والوقائع والأفكار الباطلة الموجهة للإسلام. وكان هذا الكتاب بصفة خاصة وغيره من الكتب التي يدافع فيها هذا الباحث المسيحي عن الإسلام في مواجهة الهجمات الغربية سبباً في ترشيحه لجائزة الدولة التقديرية وهي أعلى الجوائز التي تقدم للباحثين في جمهورية مصر العربية. والجديد في الترشيح أنه صدر من مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشريف وهي أول مرة في تاريخ هذه المؤسسة الإسلامية العريقة يتم ترشيح مؤلف أو مفكر مسيحي لهذه الجائزة.

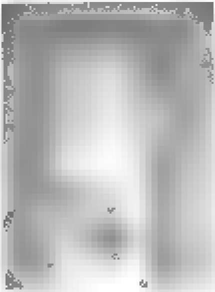
والباحث الدكتور نبيل لوقا بباوي يحمل درجتي الدكتوراه في القانون والاقتصاد، وبعد حصوله على الدكتوراه في الشريعة الإسلامية تحت إشراف الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف المصري، وهو عضو في المجالس القومية المتخصصة في مصر وعضو أمانة التثقيف والتدريب بالحزب الوطني الديموقراطي المصري، وأستاذ بكليتي الشرطة والحقوق وهو في الوقت ذاته رجل أعمال ورئيس مجلس إدارة إحدى الشركات. وله قبل الكتاب الذي بين أيدينا كتاب مهم تحت عنوانه «انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء» وكتب عدة كتب أخرى منها: «محمد الرسول ﷺ والادعاءات المغرضة»، «الجزية على غير المسلمين عقوبة أم ضريبة؟» «الإسلام كما يراه المسيحيون»، «حقوق وواجبات غير المسلمين في الدولة الإسلامية»، «زوجات الرسول بين الادعاءات المغرضة».

الإسلام بريء من الإرهاب

يؤكد الدكتور نبيل لوقا بباوي مجموعة من الحقائق المهمة:

أولى هذه الحقائق براءة الإسلام من تهمة الإرهاب، وأنه إذا كان هناك إرهابيون ينتمون للإسلام أو يرفعون شعارات إسلامية فإن ثمة إرهابيين ينتمون للمسيحية واليهودية والبوذية، كما أن هناك إرهابيين لا دينيين، وقد كانت الأحداث التي وقعت في اليابان وفي بريطانيا وفي الولايات المتحدة ذاتها وفي غيرها من البلاد هذه الحقيقة.

والحقيقة الثانية أن الإرهاب ظاهرة عالمية لها تجليات محلية في هذا البلد أو ذاك بهذه الظاهرة العالمية طريقتها المتمثلة المختلفة لأسباب ودوافع ومشكلات قد تكون دينية أو اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو خليطاً من كل هذه الأسباب أو بعضها.



نبيل لوقا بباوي

والحقيقة الثالثة أن تجاهل حوادث العنف والإرهاب التي ترتكب من الأطراف المختلفة والتركيز على حوادث الإرهاب التي يرتكبها بعض المسلمين أفراداً أو جماعات وإلصاق ذلك بالإسلام والحديث عن الإرهاب الإسلامي كل ذلك ظلم وقلب للحقائق والمواجهة في المعايير تنافي الحق والعدالة.

والحقيقة الرابعة أن رفض الإسلام للإرهاب وحرصه على حياة البشر وسلامتهم وعلى أموالهم وأعراضهم وحرياتهم كما هو موجود في مبادئ الإسلام التي وضعها وأرساها القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة موجود أيضاً في التطبيق

العمل وأي عمل يرتكبه أي مسلم أو مجموعة من المسلمين فإنهم يكونون مسؤولين عنه مسؤولية شخصية ولا يسأل عنه الإسلام.

قدم المؤلف لكتابه بمقدمة تعد من أهم ما فيه، ففي هذه المقدمة يتحدث المؤلف عن تصاعد حملات الكراهية والتضليل والتشويه ضد الإسلام خاصة بعد أحداث سبتمبر 2001 مسيحي واقتناعه بأن هذه الحملات ظالمة وغير منطقية، وإن تناول هذه القضية بموضوعية وحيادية كان يقتضي منه الرجوع للمصادر الأصلية للإسلام والمسيحية واليهودية، والعديد من كتب المقارنة والتاريخ وغيرها بالإضافة إلى أصول المسكنة رأسه وجد سبيلا من التشويه والتحريف بشأن الإسلام وأن الإسلام في حقيقته وجوهره وثوابته دين سلام ومحبة وتعارف بين الشعوب وأن صحيح الإسلام هو الوارد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأي أفعال لا يقرها الإسلام يتحمل وزرها صاحبها وليس الإسلام وبخاصة أعمال العنف التي يقوم بها بعض المسلمين الضالين.

ويعرض المؤلف في المقدمة أيضاً لآراء بعض المستشرقين، ودعا إلى حوار الأديان على أن يكون هدف الحوار بصفة حضارية ولا داعي للتحول في المعتقد، ودعا المسلمين والمسيحيين مطالبين بالتضامن لإيجاد حلول للصراع الحضاري، وطالب باتفاق الدول الغربية والعربية والإسلامية على إصدار قانون يجرم التعرض للأديان ومعاقبته بالتجريم، كما طالب الدول الإسلامية بإنشاء هيئة إسلامية مستقلة يكون مقرها إحدى الدول العربية وتكون مهمتها الدفاع عن الإسلام.

"الإرهاب ظاهرة عالمية لا ترتبط بدين معين ولا بدولة معينة"

"الإسلام لا يقر العنف ولا الاعتداء على النفس البشرية"

"الإرهاب ظاهرة عالمية"

وفي الباب الأول المكون من خمسة فصول يتحدث المؤلف عن عالمية ظاهرة الإرهاب وذكر عدة تعريفات وضعتها له عدة دول ولكن لم يتم حتى الآن الاتفاق على تعريف موحد للإرهاب دولياً، ويرى المؤلف أن جميع التعريفات المحلية والدولية التي وضعت للإرهاب لها خمسة محاور:

المحور الأول: استخدام العنف للمساس بغير المشروع.

المحور الثاني: أن يكون محل الفعل الأشخاص أو الأماكن العامة أو الخاصة أو المرافق.

المحور الثالث: أن يكون هدف الفعل الإرهابي هدفاً سياسياً غير مشروع.

المحور الرابع: أن يكون مرتكب الفعل الإرهابي فرد أو جماعة.

المحور الخامس: هو أن تكون العقوبة للفاعل الأصلي والمحرض بأي أسلوب من أساليب التحريض بالمساعدة أو المساهمة أو الاتفاق الجنائي وأن تكون عقوبة الفاعل الأصلي مثل عقوبة الشريك.

ويتحدث عن الفرق بين الإرهاب وتحرير الأرض والحصول على الاستقلال، ويذكر أن الكيان الصهيوني وبريطانيا وأمريكا تديرها ازدواجية وتناقض في تعريف الإرهاب، فبينما هم يعتبرون العمليات التي يقوم بها الفلسطينيون لتحرير أرض فلسطين عملا إرهابيا، يعتبرون في الوقت نفسه أعمال العنف والاغتيالات التي قام بها الجنرال ديغول في فرنسا في فترة الاحتلال الألماني من عام 1940 مسيحي إلى عام 1943 مسيحي أعمالا قومية لتحرير التراب الفرنسي، كما يعتبرون أن ما يحدث من التكهن المغتصب للأرض والهوية في فلسطين من عمليات

عنف وإبادة وهدم للمساكن والممتلكات وتجريف الأراضي الفلسطينية المحتلة، وبخاصة ما حدث في جنين، معتبره شرعياً ومشروعاً.

ويؤكد المؤلف أن الإرهاب لا دين له، فمن الممكن أن يكون مرتكبوه ممن ينتمون إلى الإسلام أو إلى المسيحية أو اليهودية أو البوذية أو أي ديانة غير سماوية، أو لا ينتمون إلى أي دين. ويضرب أمثلة لأعمال إرهابية حدثت في العالم ارتكبها أفراد أو جماعات ينتمون إلى ديانات مختلفة أو لا دين لهم، واختتم هذا الباب مؤكداً أن الإرهاب ظاهرة عالمية وليست محلية، وأنه لا ترتبط بدين معيّن ولا بدولة معينة.

الإسلام يحارب الإرهاب

شرح المؤلف في الفصول الخمسة التي تضمنها الباب الثاني أن الإسلام هو دين السلام، وأن القتال في الإسلام فرض على سبيل الاستثناء في حالات محددة وليس هو الأصل والقاعدة، وأن الإسلام يحرم الحرب مع أهل الكتاب المسالمين، والمشركين الذين يرتبطون بدولة الإسلام بمعاهدات، واستعرض أخلاقيات الإسلام في الحرب، مؤكداً أن الإسلام يعترف بالأديان السماوية السابقة عليه، وأن الإسلام لا يقر العنف ولا الاعتداء على النفس البشرية، كما أوضح مفهوم الجهاد في الإسلام، وأن الإسلام يقر المساواة بين الناس جميعاً، وأن الإسلام يقر حرية العقيدة ويحترم الشعائر الدينية لغير المسلمين.

وعقد المؤلف مقارنة بين ما فعله الإسلام مع غير المسلمين في البلاد التي افتتحها ومعاملته السمحة لهم وتخييرهم بين الدخول في الإسلام بلا إكراه وبين البقاء على دينهم، وبين ما فعلته الإمبراطورية الرومانية المسيحية الكاثوليكية مع المسيحيين أنفسهم من البروتستانت والأرثوذكس من قتل وتعذيب وحرق أحياء، وبين أن الإسلام يدعو إلى التعاون مع أتباع الديانات الأخرى، بعكس ما صوره بعض المستشرقين في كتبهم من طعن في الإسلام وفي الرسول ﷺ، وأكد أن الإسلام يرفض صراع الحضارات.

ودعا المؤلف إلى الحوار مع الغرب ليبين فكر وتميز الحضارة الإسلامية بخصائص لا يمكن تجاهلها، دون الانصياع الأعمى للحضارة الغربية ومحاولة طمس الحضارة الإسلامية بما يحدث من الغرب أكثر مما يحدثه من المسلمين فضلاً عن أنه يكاد يكون مستحيلاً.

إرهاب في كل مكان

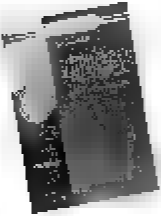
وهكذا يقدم المؤلف في سياق الأبواب التالية من الكتاب نماذج من الأعمال الإرهابية التي قامت بها الجماعات الإرهابية المنتمية إلى كل الديانات سماوية وغير سماوية، وإلى نماذج من الإرهاب الذي قامت به جماعات تنتسب إلى الإسلام، ونماذج من الإرهاب الذي قامت به جماعات تنتسب إلى المسيحية، ونماذج من الإرهاب الذي قامت به جماعات تنتسب إلى اليهودية، ونماذج من الإرهاب الذي قامت به جماعات تنتسب إلى المسيحية واليهودية (إرهاب مزدوج)، ونماذج من الإرهاب الذي قامت به جماعات بوذية.

وأكد أن جميع الأديان السماوية وغير السماوية لا تقر الأعمال الإرهابية، ويسأل لماذا تتناسى أمريكا ودول الغرب من الأعمال الإرهابية التي ارتكبتها الجماعات الإرهابية غير الإسلامية ولا يشيرون إليها في تقاريرهم ولا في إعلامهم وإنما يذكرون فقط الأعمال التي تقترفها جماعات تنتمي إلى الإسلام، ويركزون على أن الإرهاب صناعة إسلامية؟ ألا يدل ذلك على سوء نية؟ وأن اتهام الإسلام بالإرهاب متعمد؟

الدعوة الى الله: مشكلات الحاضر وآفاق المستقبل

المؤلف: محمد شمس الدين صديق حمد

منشورات: كلية الدعوة الإسلامية

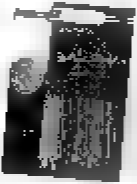


الدعوة الى الله تعني جملة تلك الأنشطة التي يقوم بها المسلمون ليدعوا للإسلام اليهم وإقامة للحجة الرسالية عليهم. أما مشكلات الحاضر فالمقصود بها ما تعانيه الدعوة على المستوى الداخلي من المشاكل في مجالي الفكر والعمل وكذلك التحديات الفكرية والعملية التي تواجهها على المستوى الخارجي في ايامنا المعاصرة. أما آفاق المستقبل فالمقصود بها التوقعات المستقبلية التي يمكن ان نستشفها من خلال قراءة الظروف الراهنة والامكانات المتوفرة

دور مجامع اللغة العربية في التعريب

المؤلف: إبراهيم الحاج يوسف

منشورات كلية الدعوة الإسلامية



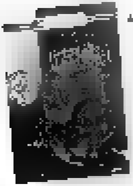
تحمل ما وجهه أصحاب المجامع اللغوية عند القدامى من دراسات في التعريب وقواعده التي انتهجوها عبر كافة لمعالجة مسألة الاقتراض في العصر الحديث بكونها غير شاملة لبسطة بسلطة الحياة في عصرهم، لكنهم اعتمدوا عليها وجعلوها أساساً لا بد أن تنطلق منه دراساتهم في التعريب بوضع القواعد له ثم تطبيقها في ساحته. والسؤال: هل قامت مجامع اللغة العربية بهذا الدور؟ محاولة الإجابة عن هذا السؤال هي موضوع هذا الكتاب

إندونيسيا بين الحملات التنصيرية والدعوة الإسلامية

من منتصف القرن العشرين الى اواخره

المؤلف: محمد ريحان ناسوتيون

منشورات: كلية الدعوة الإسلامية



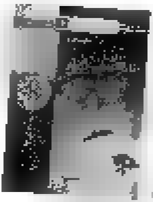
حاولت المسيحية العالمية جعل إندونيسيا قاعدة لانطلاق نشاطاتها في منطقة جنوب شرق آسيا. وعندما لم تنجح حشدت امكاناتها وقواها وقدمت الدعم المادي والمعنوي للمنصرين راسمة برامج هدفها تحويل الشعب الإندونيسي المسلم الى المسيحية. لكنها لم تنجح ولن تنجح. وربما تكمن أهمية موضوع الكتاب في أنه يصحح الصورة المغلوطة التي رسمها الإعلام المسيحي عن إندونيسيا، ولإعطاء المسلمين خاصة مفكريهم في العالم الإسلامي صورة للواقع الذي يعيشه الشعب الإندونيسي المسلم، فضلا عن رصد عمل الدعاة المسلمين وتحذيرهم من الأخطار التي تحيق بالدعوة الإسلامية في اندونيسيا

الفكر المغرب العربي وتحديات الغزو الثقافي الغربي

(دراسة وصفية تحليلية)

المؤلف: عبد الباسط دردور

منشورات: كلية الدعوة الإسلامية

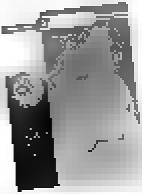


الثقافة هي العمود الفقري لوجود الأمة واستمرارها وهي الهوية التي تستمد منها شرعيتها، وموضوع الغزو الثقافي لا يحتاج إلى خطورته فحسب بل إلى أهميته التي اكتسبها الاتصال والتبادل الثقافي وضرورته لنا، وكيف نفرق بينهما؟ وما السبيل السليم لتحقيق ذلك هو المحاولات المستمرة لتعميق المفاهيم وتحديدها وتحليلها. وقد سعى صاحب هذه الدراسة إلى تأكيد ذلك وهو هدف تكفل به المؤلف مبيناً مخاطر الغزو المحدقة بالثقافة العربية المعاصرة، ويحاول الكاتب تقديم ملامح استراتيجية ملائمة لمواجهة الغزو الثقافي.

التفكير اللغوي الدلالي عند علماء العربية المتقدمين

المؤلف: عدنان حسين محمد

منشورات: كلية الدعوة الإسلامية

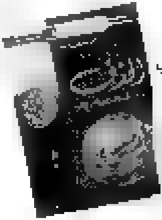


يدور موضوع الكتاب حول علوم العربية لا سيما الدلالات الشرعية المستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وتقوم هذه الدراسة بالبرهنة على أصالة الدلالة عند الباحثين العرب من اللغويين والنحويين والبلاغيين والأصوليين والمفسرين، ومن دراسة الدلالة في الإطار العربي القديم هو البرهنة على أن الدلالة علم عربي له سماته ومميزاته مما يساعد على إنجاز تطبيقاته ببيان وضوح لدى الباحثين المحدثين المعاصرين، كما يساعدهم على التعامل مع الأسئلة وقواعد النصوص في اللغة العربية.

الكتاب: الحذف في الأساليب العربية

المؤلف: د. إبراهيم عبد الله رفيدة

منشورات: كلية الدعوة الإسلامية



كان موضوع الحذف في الأساليب العربية وما يزال من الموضوعات التي استحوذت على اهتمام الدارسين، وذلك على عبقرية اللغة العربية في مراعاتها لذكاء المخاطب وقدرته على فهم الأسلوب الحالي من المتقدم وربط المعاني التالية مع السابقة، وهو أسلوب يعتمد على الاختصار ويتميز بالإيجاز على توصيل الأفكار كلها في المتلقي، واعتمد على همة من يقوم بالبيان والتفسير لأولئك الذين يقصرون في فهم المختصرات، وهم الأنبياء وورثتهم من العلماء.

حروف الجر وأثرها في الدلالات



المؤلف: محمد طيب مانكا سانغوري

منشورات كلية الدعوة الإسلامية

تهدف هذه الدراسة إلى جمع كل ما يتصل بحروف الجر من مصادره من كتب اللغة والنحو والبلاغة والتفسير والأدب، ثم تنظيمه حسب ما يقتضيه البحث العلمي، والوقوف بالتالي على كل ما يتعلق بحروف الجر من أحكام ودلالات لتكون وسيلة لفهم الكثير من الأساليب البلاغية الرفيعة، والتعرف على أسرار اللغة العربية وإعجاز القرآن الكريم، ويحاول المؤلف الوقوف على الرأي الأصوب أو المذهب الأرجح بين الآراء والمذاهب التي تختلف في قضية من القضايا اللغوية التي لها ارتباط بحروف الجر.

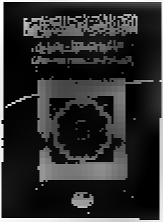
رواية قالون عن نافع المدني دراسة نحوية صرفية

المؤلف: محمد علي مفتاح

منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

في هذا الكتاب تعريف بعلم القراءات من حيث نشأته وتطوره وقرائه، وموقف علماء العربية منها، والعلاقة بين القراءة واللهجة، ويتتبع المؤلف ويجمع الألفاظ العربية في آيها وسورها طبقاً للمصحف المتداول في ليبيا على رواية قالون وترتيبه، ومنهجه في موافقة روايته للمصحف والترجيحات والتخريجات النحوية والصرفية من حيث موافقتها للقياس والسماع، والمشهور من قواعد اللغة، وما خالف منه قالون أصحابه، وأثر ذلك كله في الدراسات النحوية والصرفية.

الدور الاجتماعي والسياسي



للشيخ عبد الحق الترجمي في دار وداي - تشاد

المؤلف: الدكتور محمد صالح أيوب

منشورات: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

يوضح الكتاب أثر الحضارة الإسلامية على النظم الاجتماعية السياسية الاقتصادية الدينية في حوض تشاد، وبالجمع بين المنهج التاريخي ومنهج تحليل المضمون يحاول الكتاب أن يوضح الأثر الاجتماعي والسياسي للحضارة الإسلامية على شعوب منطقة افريقيا في حوض تشاد مما أدى إلى ظهور جماعات قيادية دينية تتفاوت في مسافاتها من المخزون الثقافي الاجتماعي الإسلامي، مما سمح بملاحظة نموذجين من القيادة الدينية، النموذج الأول تمثل في الجماعات الدينية الإصلاحية بقيادة الشيخ عبد الحق الترجمي والنموذج الثاني الجماعات التقليدية من علماء حاشية السلطان في دار وداي.

ويحاول المؤلف بيان ديناميات الصراع بين هذين النموذجين وما توصلا إليه من اتفاق وتقارب بفعل الضغط الخارجي المتمثل في تأثيرات الثقافة الفرنسية.

أوراق عن القدس

المؤلف: محمد صالح يونس

منشورات: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

دار مسيس للطباعة والنشر



هذه الأوراق كتبت على فترات متباينة ومتباعدة، تتناول القدس وما يجري في فلسطين وتاريخها وجغرافيتها وديموغرافيتها، وكان الدافع الحقيقي ما جرى ويجري في فلسطين، وما حدث من استبدال شعب عربي بآخر غريب، من أمس ظلًا لا قائمة، وربما جيل الجيل الجديد لا يعرف ما كان موجودًا في الوطن المغتصب من مدن وقرى، فرضًا على استمرارية العربية؟

إن هذه الأوراق هي للأجيال القادمة لكي لا ينسى الأجداد كانوا فيه، ألا يخلو من جيل التحرير فلابد من جيل التذكر حتى لا تضيع القدس وفلسطين ولن تضيع بل ستبقى في القلب والعين والذاكرة والمقاومة للآباء والأبناء ولن تضيع ما دام في هذه الأمة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه

أصول الجدل وآداب المحاجة في القرآن الكريم

الطبعة الثالثة

المؤلف: محمد علي نوح الويس

منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية



عرض القرآن الكريم أساليب مختلفة من المحاجة والمجادلة ناقش من خلالها الكافرين والمشركين والمنافقين وغيرهم، فهم المجادلون في آيات الله والمشككون في دعوة الرسل عليهم السلام، وفي صدقهم بالرسالة، وفي توحيد الله سبحانه وفي البعث والنشور... إلخ. ويحاول الكتاب الكشف عن هذه المجادلة والمحاجة في النص، وينظر نظرة فاحصة إلى صياغة الجدل المعروض والهدف منه، كاشفاً عن الأدلة المطروحة والحجج المقصودة، في إطار الإجابة عن التشكيك، أو عن السؤال المقدم أو عن الدعوة المزعومة

أحاديث في السور القرآنية



المؤلف: الدكتور محمد كريم الكوّاز

منشورات: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

دار الملتقى للطباعة والنشر

يتناول المؤلف أحاديثه ليدلّ على ما يحسبه وجوه الإلمام الكلام في القرآن الكريم وبثّه بين الناس وتوصيله لهم ليس لأن بالقرآن حاجة إلى البث والنشر وهو رسالة إلهية محفوظة ممنوعة وإنما لأن بنا نحن المسلمين والناس جميعاً حاجة إليه فهو دستور الوجود الذي يحمي الحقوق والواجبات ويختار المؤلف من وجوه الكلام في القرآن الكريم ما هو مناسب للقارئ، مبيناً أنه يأخذ من مائدة القرآن محرضاً أنه على التوغل في مائدته فهي مائدة ممدودة مبسوطة وقد حاول المؤلف أن ينظر من زوايا جديدة فيجد يتحدث عن البناء الموضوعي للسورة وعلاقة ختام الفواصل القرآنية بالموضوع الذي يهتم به النص القرآني في سياق معين، كما تتضمن الأحاديث إيضاحات بلاغية أراد بها الاستزادة بالإعجاز البلاغي على ترسيخ المبادئ وتحصين العقيدة.

المثل الأعلى للمجتمع الإنساني كما تحدث عنه القرآن الكريم



الطبعة الثانية

المؤلف: سالم محمد الماقوري

منشورات: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

كانت الآثار العلمية التي قدمها علماء الإسلام في الماضي والحاضر محاولات طيبة على طريق فهم القرآن، والكشف عما تضمنه من قواعد ومبادئ يتأسس عليها المجتمع الذي تمثل الحرية والأخوة والمساواة في كل مجال من مجالات الحياة قوامه. وفي ذات السياق يأتي هذا الكتاب الذي يعد محاولة لتلمس الطريق الصحيح نحو علاج الأمراض المستعصية التي تفتك بالمجتمعات المعاصرة. وفي الكتاب نفسه تقدم ملامح المجتمع الإنساني على دعائم راسخة من القيم والمثل التي لا تجافي الفطرة، ولا تنبو عن الواقع، ولا تسبح في عالم من الأوهام والأحلام، ويحقق للإنسان فرداً وجماعة في كل زمان ومكان نصيبه من العطاء الروحي والمادي

أحييكم وأهنئكم بصدور مجلة «التواصل» التي تمتاز بالبساطة في المظهر والرصانة في الإخراج، والمعاصرة والمجاراة في المحتوى والتنوع في الموضوعات متمنية لنا جميعاً بمولد هذه المطبوعة العلمية الجادة وتحية تقدير وإجلال للذين عملوا ويعملون من أجل دفعها في خضم الحياة الفكرية والثقافية بفكر نير وقاد، وأعرف أنهم يسيرون على نهج أبي الطيب المتنبي فلا ينامون قريري العين عن شواردها ولتهم يظلون يسابقون لشرحها وتأثيرها ويجتهدون لإثرائها وتطويرها، فأنتم لهم مزيداً من الإبداع والعزم لاستشراف انطلاق النهضة الفكرية والثقافية التي تكرست كينونتها وعقال سياقها.

محمد أحمد زميات
جبر الحواريب

أمين التحرير لمجلة التواصل، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

السلام عليكم ورحمة الله

لا أملك مع «التواصل» إلا التواصل، هذه الرافدة المحمية التي لم تأت بجديد جميلاً فحسب بل ووصلاً يبعث الدهشة في الأحرف والكلمات والأسطر، فترانا حيال منافذه متكئين «التواصل»، وسرت عيني بما جادت به من قصص وتحليلات، وعبر إذ نستلّ من هذه المكانة فإننا سعي تقدير للجهود التي أبدعتها، ندعو بأن تبقى «التواصل» جسراً للتواصل لا ينقطع.

مودتي وتقديري

الدكتور الهادي الورطي

مدير عام المكتبة القومية المركزية، طرابلس، ليبيا

تحية طيبة وبعد

لقد جاء الثلاث الأول بمطبوعة التواصل مبرزاً على نحو منطلقاتها وأهدافها كمجلة ثقافية فصلية شاملة تصدر عن مؤسسة إسلامية ذات تاريخ كبير وتاريخ حافل في التواصل مع الفكر والثقافة، وضمنته معنى أهداف تسعى التي سعت إلى تحقيقها على مدى عقود ثلاثة في مختلف مجالات الثقافة وعززته بوصلات الحوار والبرامج التي تخدم الحضارة الإنسانية وتعلي الإنسان عربياً وفكرياً.

إن أهم طرح يجب أن يعتد به «التواصل» خطواتها نحو ترسيخ ذاتها وإثبات شخصيتها في عالمي الثقافة والفكر حتى ترسم في عالم الصحافة علامتها المميزة كمطبوعة للتواصل الثقافي المستمر وصلة لا تنقطع مع الجميع وواحة تحمل في نهر الثقافة العربية الإسلامية الواسع، وهو المفهوم الذي منحت المجلة حريته من غلافها الداخلي.

لقد شدني ذلك التناغم الموضوعي والشكلي الذي يجعل بين العديد من مواد المطبوعة في التبويب وعمق المقالات وانتقائها وإدراجها حيث تضمين موضوعها من ذلك الكم الدسم الذي ملأ هيكلية المقالات الفكرية والثقافية وأكثر من أنفس ما جاء وقدم لنا على مائدة الفكر من سرع في مضمون الخطاب الآن وأطلعت العقل بالعديد من المفاهيم في مجالات الحوار والحضارات والثقافات.

مصطفى أبو بكر لاغة
كاتب صحفي، موريتانيا

بعد التحية والسلام

لابد أن أسجل شكري وتقديري وامتناني وإعجابي بصدور العدد الأول من مجلة التواصل هذا المنبر الجديد التي تعدها مجلة كل المسلمين وقد اطلعت على هذه المجلة وعجبت بالمواضيع التي طالعتها على صفحاتها وسيدكم بأنني تمكنت من كتابتها وقراءتها من عدد من علماء كانوا يحيون ديار الإسلام التاريخية الدعوية بمساعيكم لنجاح إدريس حسن

كاتب ليبي

سبقت تهانيكم بأجمل التهاني بصدور العدد الأول من مجلة التواصل المتألقة مضموناً وإخراجاً وذات رسالة وطموحات. والتي نأمل من جهد القائمين عليها أن تصبح مجلة شهرية توزع في كافة أقطار العالم الإسلامي بأسعار مناسبة لتسد فراغاً كبيراً في الإعلام الإسلامي المستنير. نكرر تهانينا وندعو الله لكم بالتوفيق والسداد دائماً.

جعل الله ذلك في ميزانكم، وتقبل منكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير المركز العربي الدولي - القاهرة

سمير الحسيني

أتقدم إليكم بالتهنئة بمناسبة صدور العدد الأول من مجلة التواصل بمواضيعها القيمة وطباعتها الأنيقة وتطلعاتها التي تبشر بمستقبل مشرق إن شاء الله تعالى وتقديري لكم ولكل العاملين معكم وتمنياتي المخلصة بالنجاح والتوفيق وتفضلوا بقبول فائق التقدير والاحترام

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد الحمدي

المركز الإسلامي - مالطا

التواصل مجلة جديدة تحمل رسالة ثقافية جادة في شكل صحفي إبداعي متكامل يظهر في إطار جذاب وتطرق مميز

وتشكل في نفس الوقت مكتبة مرجعية مهمة للعديد من الموضوعات والدراسات

نقول لأهلنا في التواصل: أهلاً ... مرحباً ... مرحباً

سعد نافو

كاتب صحفي - ليبيا

بعد التحية

اطلعت بمزيد من الغبطة والسرور على مجلة (التواصل) ذلك الحلم الذي أصبح بجهودكم المخلصة حقيقة موضوعية وتحقيق بعيد على قبح الكلمة وزيفها بجميع أشكاله وتجسيد ما يدلل لمحبته للخدمة الإعلامية ولغوات توسيعها للتواصل بين بني البشر تحت راية التعارف الإيجابي ومن هذا المنطلق الذي يتطلب مع من يرى أن الإعلام في مجمله ما هو إلا سلعة حتى أقدم هذه الملاحظات:

- تحريت في العدد موضوعية وواقعية دون خلاف حسب الإمكانيات المتاحة ... ليس أن المنهجية أكثر من رائعة شكلاً ومضموناً وخاصة إذا تمت مقارنتها بإصدارات أخرى تفوق إمكانياتها ما يفرزه نص بلدنا الذي ولد بعناية من الله والجهود المخلصة المجموعة في بيئة مبدعة وأتم حسنة والحمد لله.

* بالرغم من تكامل أبواب المجلة وتسلسلها إلا أنني أود فيها إعادة النظر في تصنيفها من حيث التقديم والتأخير.

* نتمنى لكم بالتوفيق والمزيد من التجديد والتميز خدمة لمشروع حضاري نسعى لتقديمه للناس.

مع سلامي ... تحت تصرفكم للمساهمة في إنجاح هذا المشروع الهام.

محمد المحجوبي

كاتب صحفي - ليبيا

..ونتواصل

«إذا لم يكن بين يديك إلا مطرقة، فكل ما تراه أمامك مسمار»

هذه مقولة قالها أبراهام ماسلو أحد أشهر علماء الإدارة في العصر الحديث، وهي مقولة لا تحتاج إلى شرح.

في عالم الفكر والثقافة تكثر المسامير وتقل المطارق، بل إن من المسامير ما يبلغ حداً من الصلابة لا يليق بمطرقة، ولو تعبت عليه بمطارق الدنيا كلها قد ينكسر أو ينثني لكنه لا ينغرس.

والمثقف العربي اليوم تكاثرت عليه المسامير، وانكسرت مطرقته منذ أمد بعيد، وراح يضرب رأسه في كل شيء لا يبالي إن شُجّ رأسه ولم يتأوه الضجر.

وقديماً قال الشاعر:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها

فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

إن المثقف اليوم كاتباً أو ... أو باحثاً يشكو همّاً من تبعات ثقل اشتغال الأمة من وحدتها، فالأمين ... وكأنه امتلك الوحيد، وهي لا تدري أنه فارس ترجل إذ تكسّر حواليه وتحطم سيفه، وصار يصارع خصومه دون خطوته ... ملواحي الريح.

المثقف اليوم ... عن ... مهدي هذا الزمان المخلص الذي يأتي وقد لا يأتي حاملاً عصا سحرية يضرب بها أوثان الدنيا، ولكن يطول انتظار المرتقب وما جاءه من انتظاره ... أطوله

كليني لهم يا أميمة ناصب

وليل أقاسيه بطيء الكواكب

... المثقف ما يعانيه من عدم ... في أزمة المثقف العربي، والمثقف العربي الرمز ... والمثقف العربي الصوت والصدى.

لقد حُمّل المثقف العربي أكثر مما يحتمل، وكأن به ... الثقافية والسياسية قد أُنيط به وحده، ويعلق عليه ... مهدياً منتظراً ... القاموس ... المعطوبة بالمحمات ويمتنع ... والقهر والسذاجة والمصلحية.

... المثقف في عالمنا العربي ... يعرف أكثر مما يجب أن يعرفه ... من ... فيه الجنون فضيلة والجهل رذيلة ... أسبغ عليه من أوصافه.

ولكن ... يفتخر ... بمعرفته أشياء يجهلها الآخرون، ويشعر بالعجب من الإفصاح عنها ويكون جهله بها خيراً له.

ورحم الله الشاعر الذي يقول:

خلت البلاد فسدت غير مسود

ومن الشقاء تفردي بالسؤدد

وقد لا نعجب إذا علمنا أن ثمة كتاباً يحمل عنوان ... سيكلوبيديا «موسوعة الجهل» (Encyclopedia of Ignorance) لا يتصفح ظاهرة ... أنه يحكي عن الغوص في الآفاق المجهولة والإبحار إلى جزائر أفكار لم تكتشف بعد ... قدرة ... المعرفة وطهر الحضارة التي ... أن يتواصلوا به مع الآخر، أو على الأقل أن يتواصلوا به مع أنفسهم ويمحو جهلهم.

التواصل

مجلة فصلية ثقافية تتناول بالدراسة والتحليل

عدداً من القضايا والموضوعات مثل:

- الدعوة الإسلامية: حاضرها ومستقبلها.
- الصحوة: المناهج والمعوقات.
- الاجتهاد والتقليد
- المسلم المعاصر في مواجهة التحديات.
- الشرق والغرب: جدلية الزمان والمكان.
- أصول الفقه الإسلامي: بين إبداع الأوائل وعجز الأواخر، الحاجة إلى تطوير علم الأصول.
- مناهج التفكير بين الخلق والاستيراد
- علم الإنسان (الانثروبولوجيا) الثقافية والاستعمار
- الإنسان المعاصر: مفهوم أم صناعة غربية (النسبة للآخر)
- آداب الجدل والحوار
- المسلمون والاستعمار الجديد
- الفتوى والفتوى المضادة.
- مرتكزات الهوية ووسائل الحفاظ عليها
- الإعلام والدعوة
- الاقتصاد الإسلامي
- الحركة واستيعاب الآخر (الجانب الديني والاقتصادي والاجتماعي والسياسي)
- بين المرجعية والمواطنة: تحديث السياسة الشرعية
- أوهام النهايات:
  نهاية التاريخ
  نهاية الاستشراق
  نهاية الدولة
- التغريب الجديد
- صراع الأنا والآخر
- الحركات الإسلامية المعاصرة: نظرة موضوعية
- فقه المقاصد: إلى أين؟
- الإرهاب صناعة غربية
- حرب المعلومات
- خريطة العالم الجديد
- المجامع الفقهية: لماذا؟ وإلى أين؟
- الإسلام: من الدين إلى المؤسسة
- الاستشراق: تأثره وتأثيره
- حوار الحضارات
- مقارنة المعتقد
- الحوار بين أتباع الرسالات
- الصحوة الإسلامية: رؤية مستقبلية

هذه دعوة

لجميع الكتّاب المساهمة في مناقشة وعرض وإثراء هذه المواضيع وغيرها مما يخدم (التواصل).


الدعوة الإسلامية
ISLAMIA

13

التواصل

AT-TAWASUL

فصلية ثقافية شاملة

السنة الرابعة - العدد الثالث عشر - الربيع 1375 من وفاة الرسول ﷺ 2007 مسيحي



مالطا
جزيرة الشمس والبحر

د. كويشيرو ماتسورا

مدير عام اليونيسكو

لنبرم معاهدة سلام مع الأرض

د. محمد السماك / لبنان

هل يجوز لليهودي ما لا يجوز لغيره؟

د. خيما مارتين مونيوث / اسبانيا

الإسلام.. الكل سيّان

د. كليمنتي ماستيلا

وزير العدل الإيطالي

من الشرق ينبعث النور

الملحق

رسالة محمد ﷺ للناس كافة



أمين هيئة التحرير

بين الحلم والواقع

هذا هو العدد الأول الذي نفتتح به السنة الرابعة من عمر هذه المطبوعة الفصلية التي كانت حلماً، ثم صارت واقعاً ملموساً...

لن أطيل الحديث عن المسافة بين الحلم والواقع، لكنني أرى أن مجرد الإشارة إلى ذلك كفيلة بأن تختزل المسافة بينهما مهما كانت شاسعة، ولعل القارئ الكريم يدرك بحسه وحسن تقديره للأمور معنى ما أشير إليه، خاصة وأن المشاريع الثقافية الجادة لا يمكن أن تنمو مثلما تنمو الطحالب، إنها لا تنمو إلا في وسط سليم، ومقاييس النمو السليم في وسط سليم باتت من الأمور التي يصعب تحقيقها في هذا الزمن الذي تراجعت فيه - وبنسب متفاوتة - المقاييس السليمة، وذلك بالطبع ناتج عن تجاهل القيم وآليات العمل الصحيحة، التي بناء عليها يمكن أن تتحدد ملامح الوسط الثقافي والإعلامي.

ليس هذا موقفاً سلبياً أو نظرة متشائمة حيال الواقع الذي نشهده ونعيشه رغماً عنا، كما أن هذه الكلمات ليست اتهاماً لأحد، ولا انتقاصاً من قيمة أي عمل، ذلك أن الأعمال الجادة الرصينة الهادفة تصطدم بسلبيات لا حصر لها، وهذا ما نلمسه حين نتحسس الواقع الثقافي في عدد لا بأس به من مناطق العالم...

هل فقدت الثقافة الجادة موقعها لصالح ثقافة لا تتصف بالرصانة والجدية؟

لا بد أن أحداً ما يتساءل: ما معنى الثقافة الجادة والرصينة؟ وما المعايير التي من شأنها أن تدلنا على معنى الثقافة الجادة والرصينة من غيرها؟

وهب أن حواراً ساخناً دار حول معنى الثقافة الجادة، فهل من حق أحد أن يزعم أنه يمتلك المعيار الذي من شأنه أن يعزز رأيه ويسقط رأي غيره؟

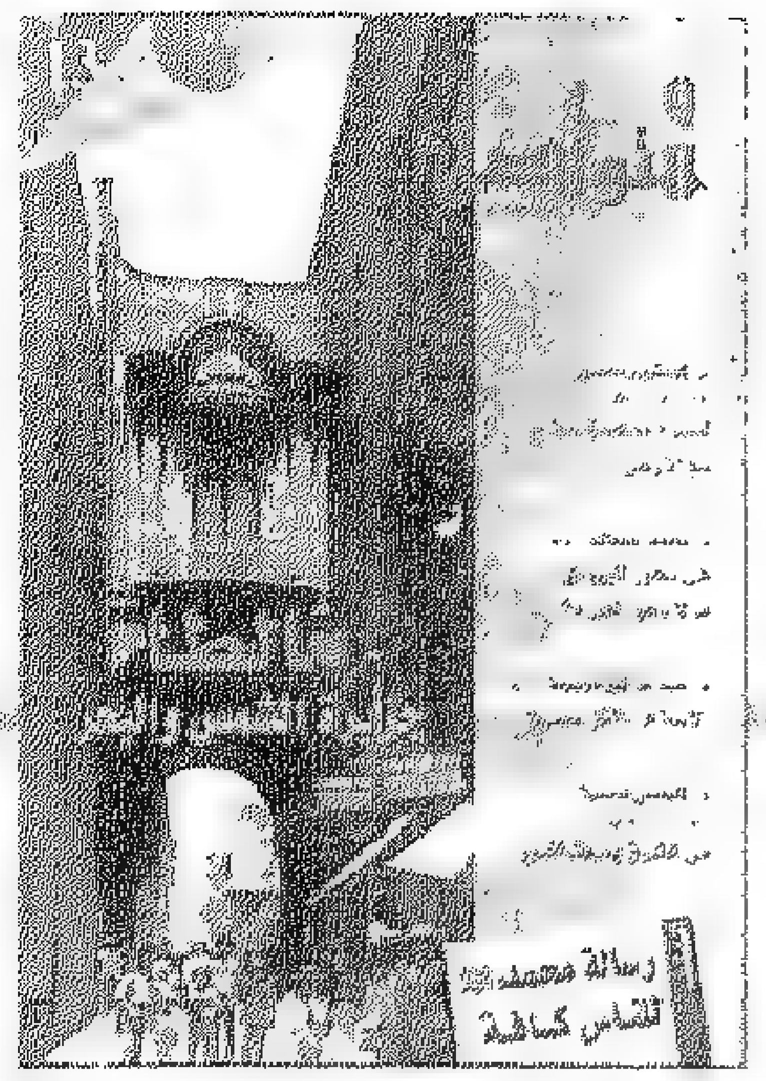
على أية حال هذه بداية لجدل لم يحسم ويبدو أنه لن يحسم بسهولة، لكنه جدل يشير إلى أن ثمة من يسعى إلى البحث عن الجدية والرصانة عبر رحلته في عالم الكلمة الرحب الفسيح.

هذا هو العدد الأول من السنة الرابعة، من هذه المطبوعة التي نسعى من خلال ما تحويه - وما ستحويه إن كتب لها النجاح والإستمرار - إلى ترسيخ قيم التواصل والفهم المشترك والتشجيع على قبول التنوع الثقافي، الذي يشكل لوحة تتماشى وأحد أسرار الخلق: التنوع الإيجابي، التعاون الإيجابي، دون إقصاء أو تهميش أو انتقاص من قيمة ثقافة أو شعب أو حضارة.

التقى على صفحات هذه المطبوعة كتّاب من مختلف الجنسيات، طرحوا أفكاراً وآراء ورؤى، كان القاسم المشترك بينها جميعاً السعي إلى إرساء قيم راقية بأسلوب راق، بعيد عن كل أشكال الإنغلاق والتعصب والتطرف، وهي قيم لا شك تنمي الإحساس بالمسؤولية الأدبية والأخلاقية، حيال الإنسان - بغض النظر عن معتقده أو لونه وجنسه - الذي هو في أمس الحاجة إلى تواصل بناء إيجابي، تواصل يحترم الخصوصيات الثقافية، تواصل ينمي الشعور بالمسؤولية المشتركة.

من أجل تفعيل هذه القيم الراقية، من إجل إثراء منتدى الحوار تسعى هذه المطبوعة إلى التواصل مع قرائها الكرام، وتتمنى أن يتواصلوا معها، وعبر صفحاتها نتمنى أن يتواصل عطاؤهم وآراؤهم ومقترحاتهم ومساهماتهم...

ليكن شعارنا جميعاً: لنتواصل، لنتواصل..



في هذا العدد

التواصل
AT-TAWASUL

تصدر عن
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

السنة الرابعة ـ العدد الثالث عشر
الربيع 1375 من وفاة الرسول ﷺ
2007 مسيحي

المراسلات باسم
أمين هيئة التحرير
طريق السواني ـ كلم 5
هاتف: 4800730 / 4808461.5
بريد مصور: 4800736 ـ 4800730
ص.ب: 86086
طرابلس ـ الجماهيرية العظمى

البريد الالكتروني
INFO@AT-TAWASUL.INFO
ARAA@AT-TAWASUL.INFO

الموقع على شبكة الانترنت
WWWW.AT-TAWASUL.INFO
WWWW.AT-TAWASUL.NET
WWWW.AT-TAWASUL.ORG
WWWW.AT-TAWASUL.COM

شروط النشر في مجلة

التواصل

ترحب مجلة التواصل بكتابات المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين وغيرهم الذين ينشدون التواصل المعرفي من خلال لغة الحوار والنقاش المستنير بعيداً عن التعصّب بجميع أشكاله، وسعياً لدرء أسباب الخلاف والفرقة، مع الالتزام بأسس العقيدة الإسلامية وثوابت الدين في المعالجات الفكرية والثقافية. وتحقيقاً لهذه الأهداف يشترط لقبول نشر البحوث والمقالات:

- أن يتسم البحث بالجدّة والموضوعيّة، وأن يتّبع في كتابته الأساليب المنهجية في البحث العلمي من تسلسل منطقي في العرض، وتوثيقٍ للمصادر والمراجع.
- أن يُراعى تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في البحوث التي تتضمنها.
- أن يكون البحث أو المقال خِلواً من الأخطاء اللغوية والإملائية، مع مراعاة علامات الترقيم وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.
- ألاّ يكون البحث أو الدراسة المقدمة للنشر في (التواصل) جزءًا من أطروحة ماجستير أو دكتوراه.
- ألاّ يكون البحث قد سبق نشره في مطبوعة أخرى.
- أن يكونَ البحثُ أو المقال مطبوعاً، أو مكتوباً بخطٍّ واضح.
- ألاّ يقلّ عدد كلمات البحث أو الدراسة عن 8000 كلمة ولا يزيد على 12000 كلمة.
- ألاّ يقلّ عدد كلمات المقال عن 4000 كلمة، ولا يزيد على 6000 كلمة.
- أن يُرفقَ الباحثُ ببحثه سيرته الذاتية.
- في حالة الترجمة لا بدّ من أن يرفق النصّ المترجم بلغته الأصلية.

ملاحظات:

- للمجلة الحق في اختيار العدد المناسب لنشر البحوث المجازة.
- ترتيب نشر البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.
- لا تردّ البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت في المجلة أم لم تنشر.
- تعرضُ الأعمال المقدّمة للمجلة على لجنة تقويم النصوص فيها لإجازتها.
- تمنح البحوث والمقالات المجازة مكافآت مالية مناسبة.



مقالات

لنبرم معاهدة سلام مع الأرض



د. كويتشيرو ماتسورا*

ترجمة: عبد الحميد غريبي**

لا شك في أن الأزمة البيئية التي تواجهها الإنسانية ليست الأولى من نوعها، ولكن تجلياتها التي تتبدّى في الأفق الآن هي الأشد خطورة. والسؤال البديهي الذي يفرض نفسه هو: ما العمل إزاء هذا الخطر البيئي الذي يهدد الأرض كلها ومن عليها؟ وما هي الحلول العملية لتدارك ما يبدو كأنه مصير مأساوي لن يفلت منه أحد؟.

هذا التساؤل كان محور (حوارات القرن الحادي والعشرين) التي أشرف على تنظيمها (جيروم بانديه) في (اليونسكو)، تحت شعار: (ما هو مستقبل الجنس البشري؟ وما هو مصير كوكب الأرض؟) وقد شارك في (الحوارات)، خمسة عشر خبيرًا، من أكفأ العلماء في هذا المجال.

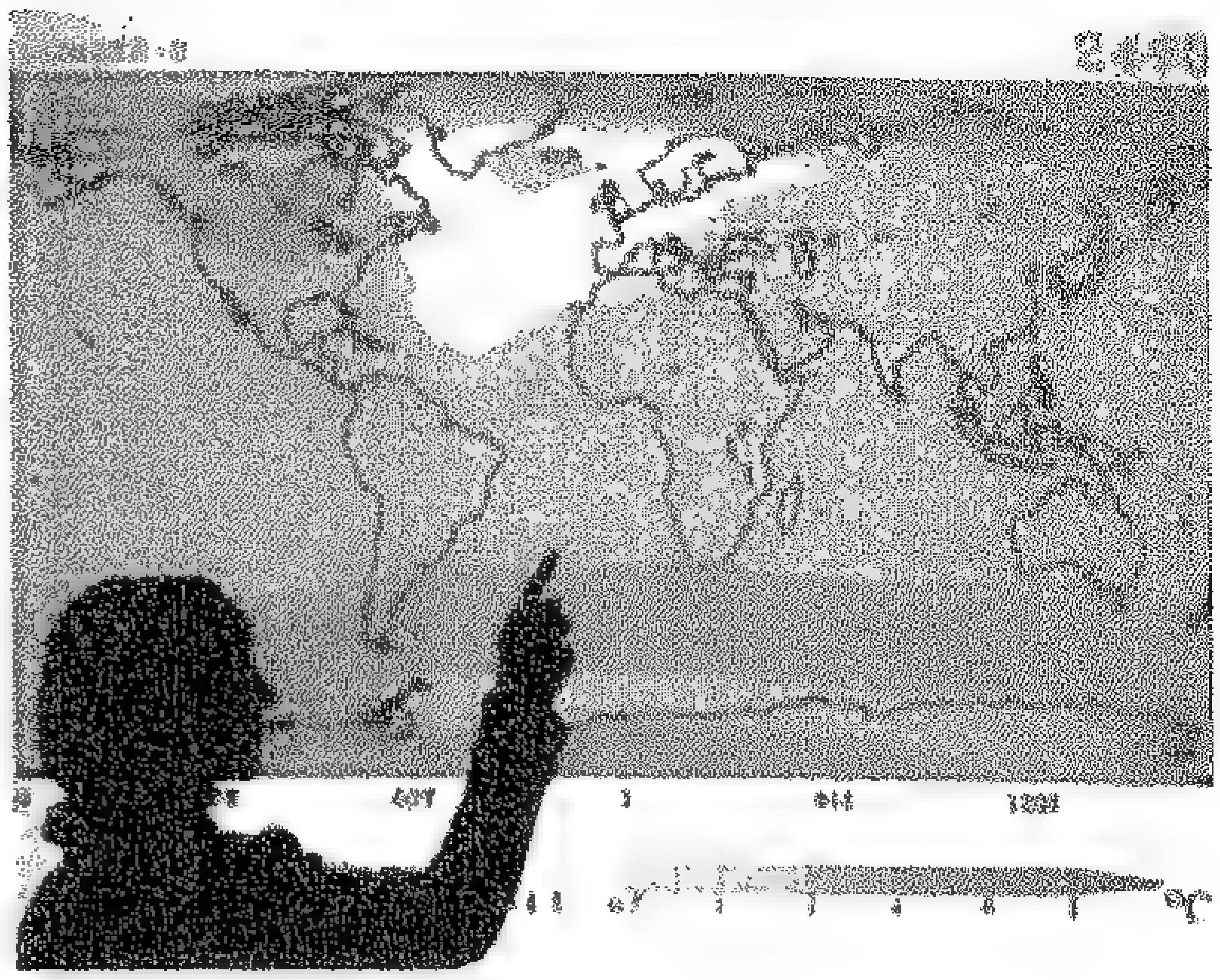
1 ـ التغيرات المناخية وارتفاع درجة الحرارة:

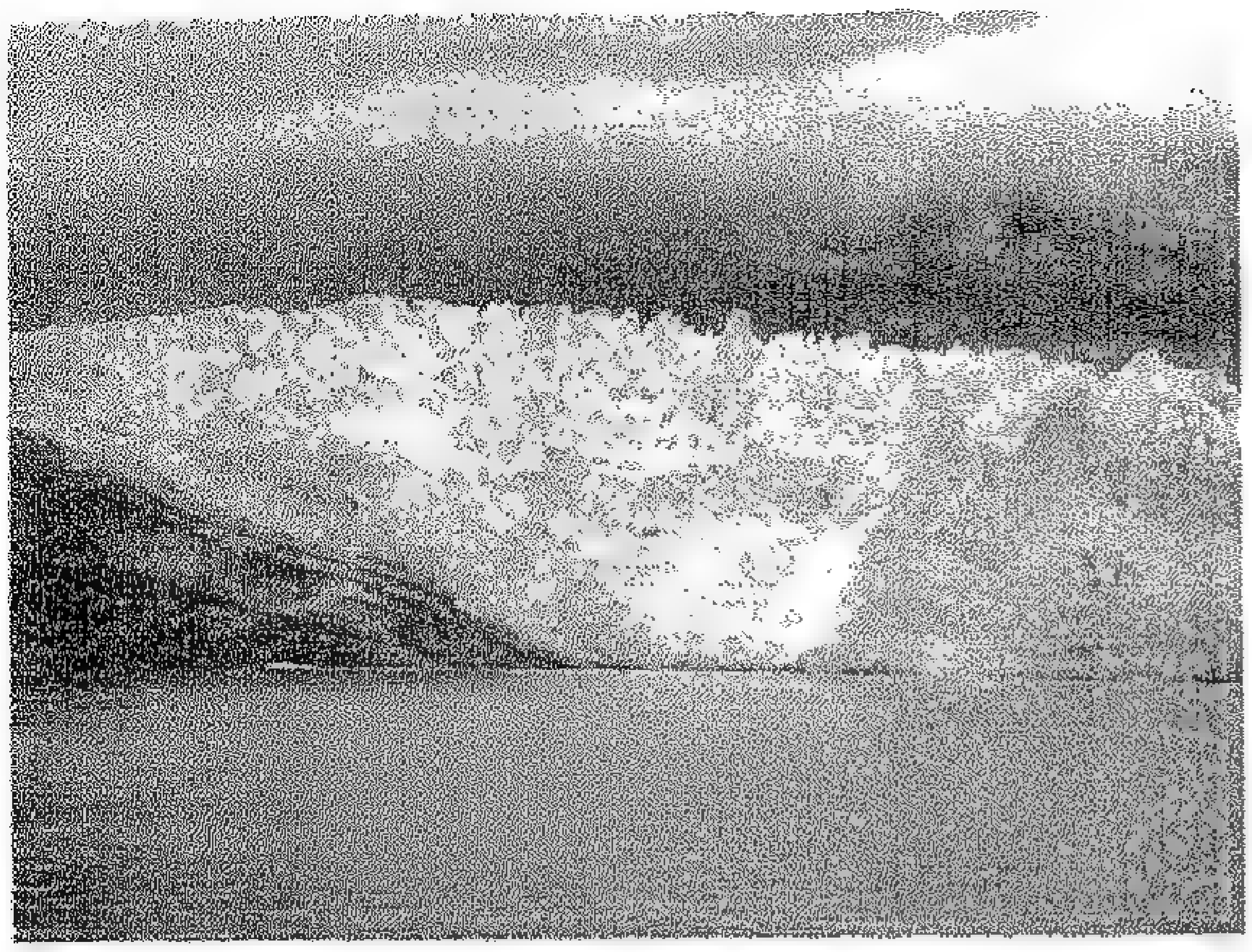
سترتفع درجة حرارة الأرض بحوالي 1,5 درجة على الأقل، و5,8 درجات على الأكثر، بحلول سنة 2100م، وهذا التغير يهدد مناطق عديدة من الأرض، وقد يسبب كوارث طبيعية، كاختفاء الكثير من الجزر، والمناطق المنخفضة

---

* مدير عام منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، باريس.

** صحفي ومترجم / ليبيا.





على شواطئ المحيطات والبحار، ويُتوقع أيضًا أن تشهد المناطق الحارة، شمال وجنوب خط الاستواء، نوعًا من العواصف الشديدة غير المعهودة.

التصحّر:

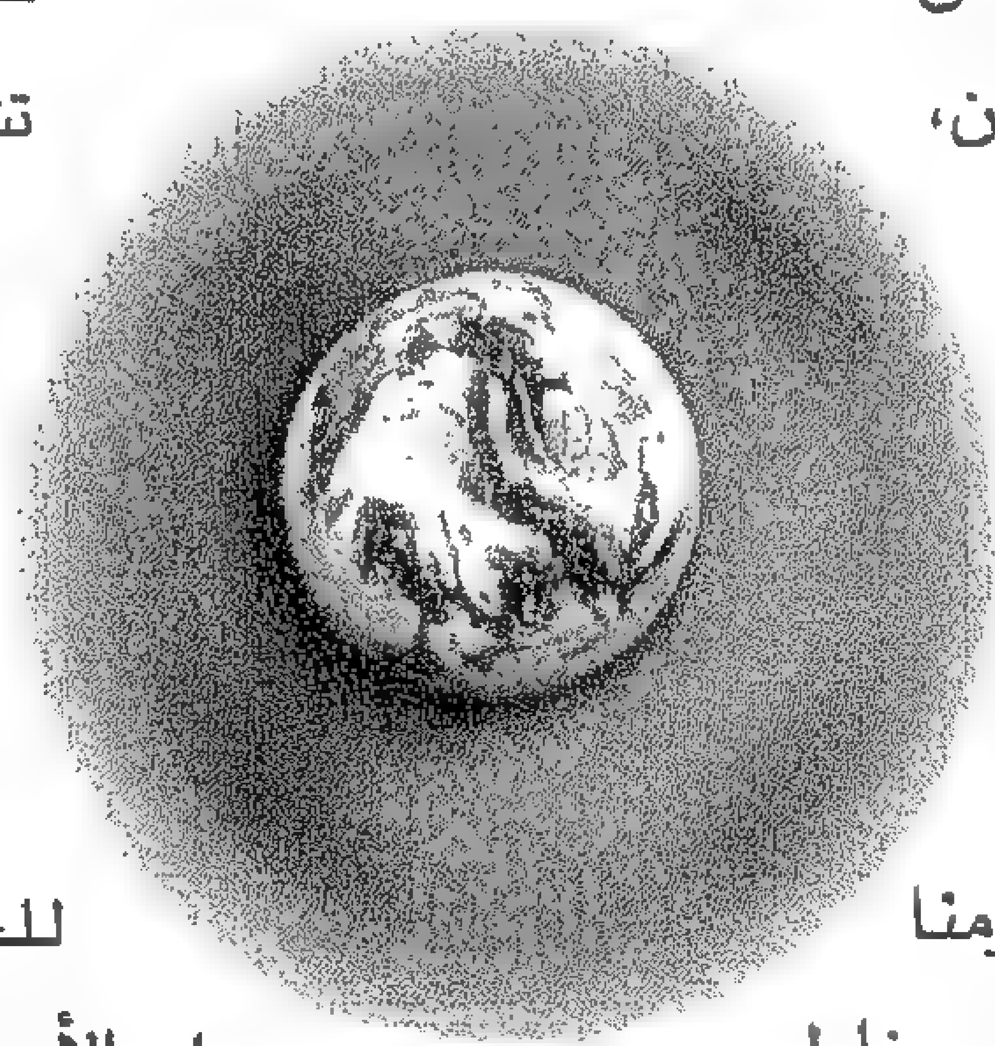
آفة التصحر أصابت أكثر من ثلث مساحة الأرض، خلال القرن العشرين، وقد تضرّر منها حوالي مليار إنسان، في (110) دولة. ويتوقع أن تتضاعف هذه الأرقام بحلول سنة 2050م.

تدمير الغابات:

اقتلاع الأشجار متواصل إلى يومنا هذا، بالرغم مما يُحدثه ذلك من مخاطر. فمن المعلوم أن الغابات الكبرى تساهم بشكل أساسي في الحفاظ على التبادل البيئي، وحماية الأراضي، والحد من آثار التغيرات المناخية.

التلوث:

يتعرض الغلاف الجوي، وكذلك المياه والبحار والأراضي الزراعية، للتلوث الكيميائي، الظاهر والخفي، ويُعزي (المصرف الدولي) موت (1,5) مليون إنسان سنويًا في آسيا، بسبب تلوث الجو.



أزمة المياه:

ولا نغفل في هذا المجال أزمة نُدرة المياه على المستوى العالمي. ويتوقع الخبراء أن يبلغ عدد المتضررين من نقص المياه مليارين من البشر، بحلول سنة 2025م، وثلاثة مليارات في سنة 2050م.

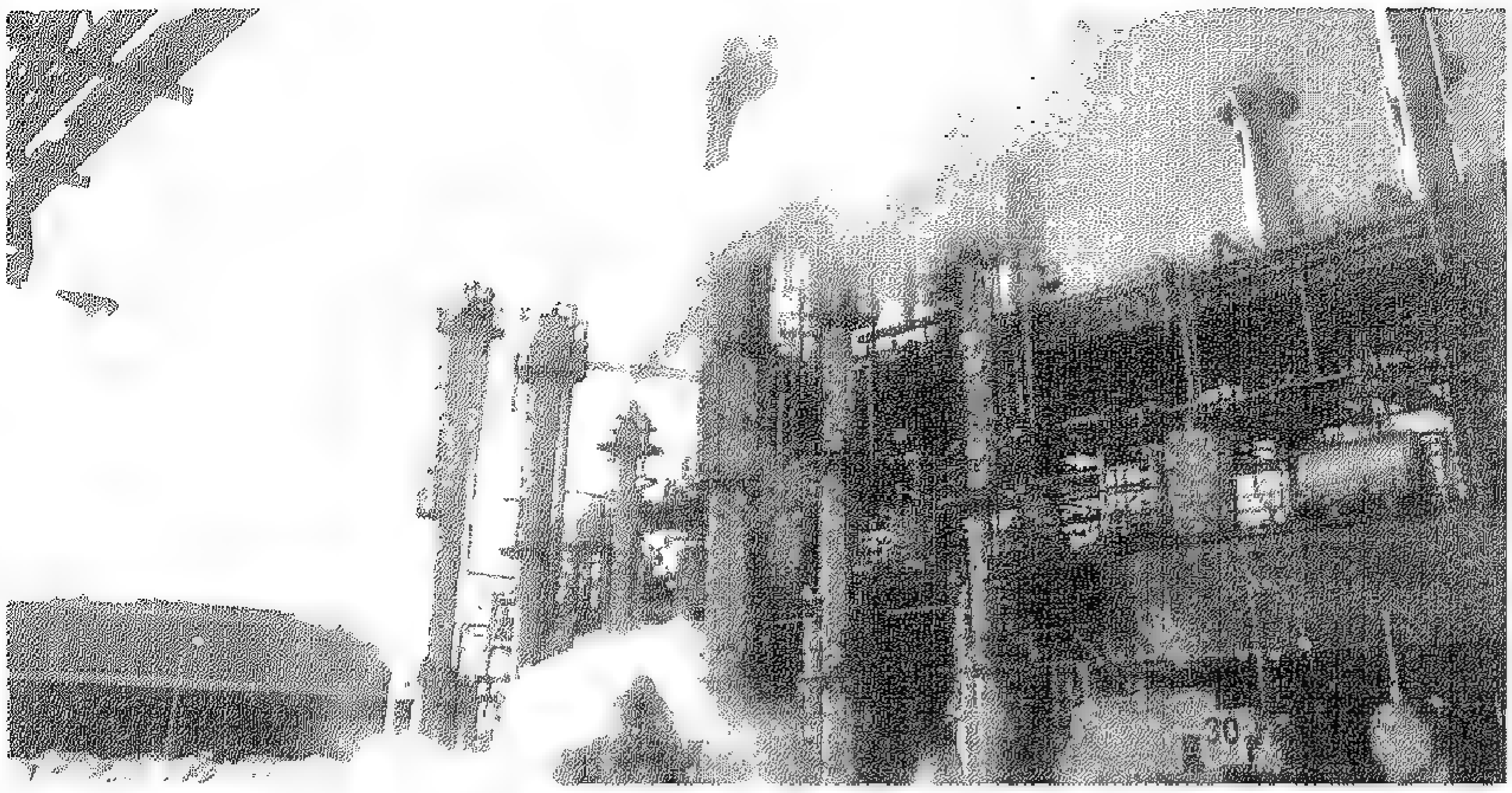
البيئة الحيوية (دورة الأحياء) سوف تشهد تناقصًا في عدد الأنواع، وستبلغ نسبة الانقراض معدلاً يزيد بمائة ضعف عن المعدل الطبيعي، وينتظر أن يختفي نصف الأنواع بنهاية القرن الحالي.

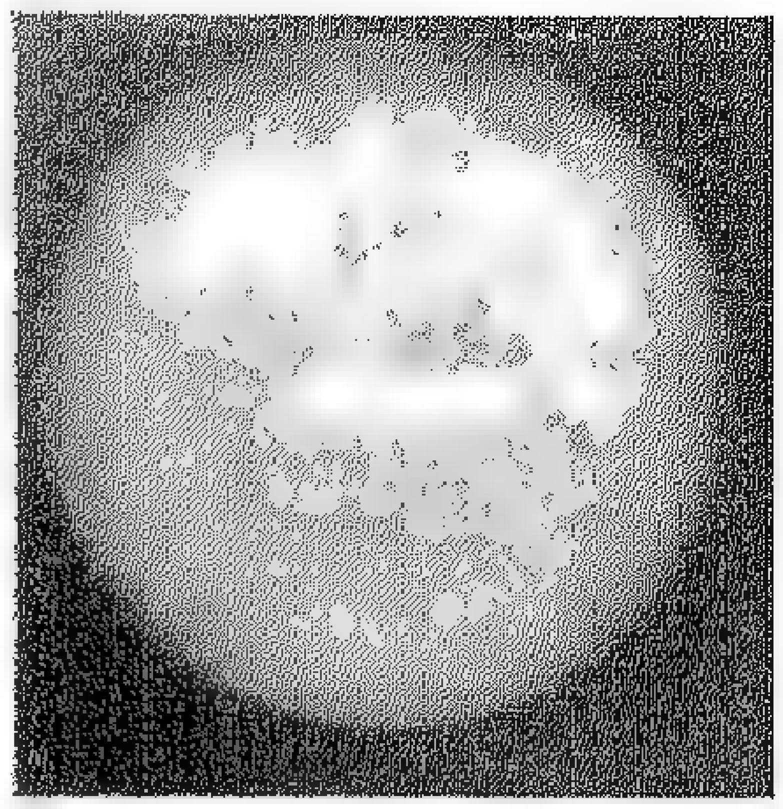
وسلامة الدورة الحيوية ضرورية للحفاظ على الدورة الغذائية، وبالتالي على الأمن الغذائي البشري.

إن هذه الحالة التي تواجهها البشرية لأول مرة في تاريخها؛ سوف تؤدي إلى حروب وصراعات، إذا لم تؤخذ تدابير عملية لإصلاح ما يمكن إصلاحه.

إن فكرة (التنمية الدائمة) المطروحة تعنينا جميعًا، وتشكل الشرط الضروري لمكافحة الفقر، لأن الفقراء سيكونون الأكثر تضرّرًا من آثار الأزمة المناخية، وما ينتج عنها من تسارع كارثة التصحّر، وتزايد الكوارث الطبيعية.

ومن الواضح أننا سنواجه المخاطر البيئية

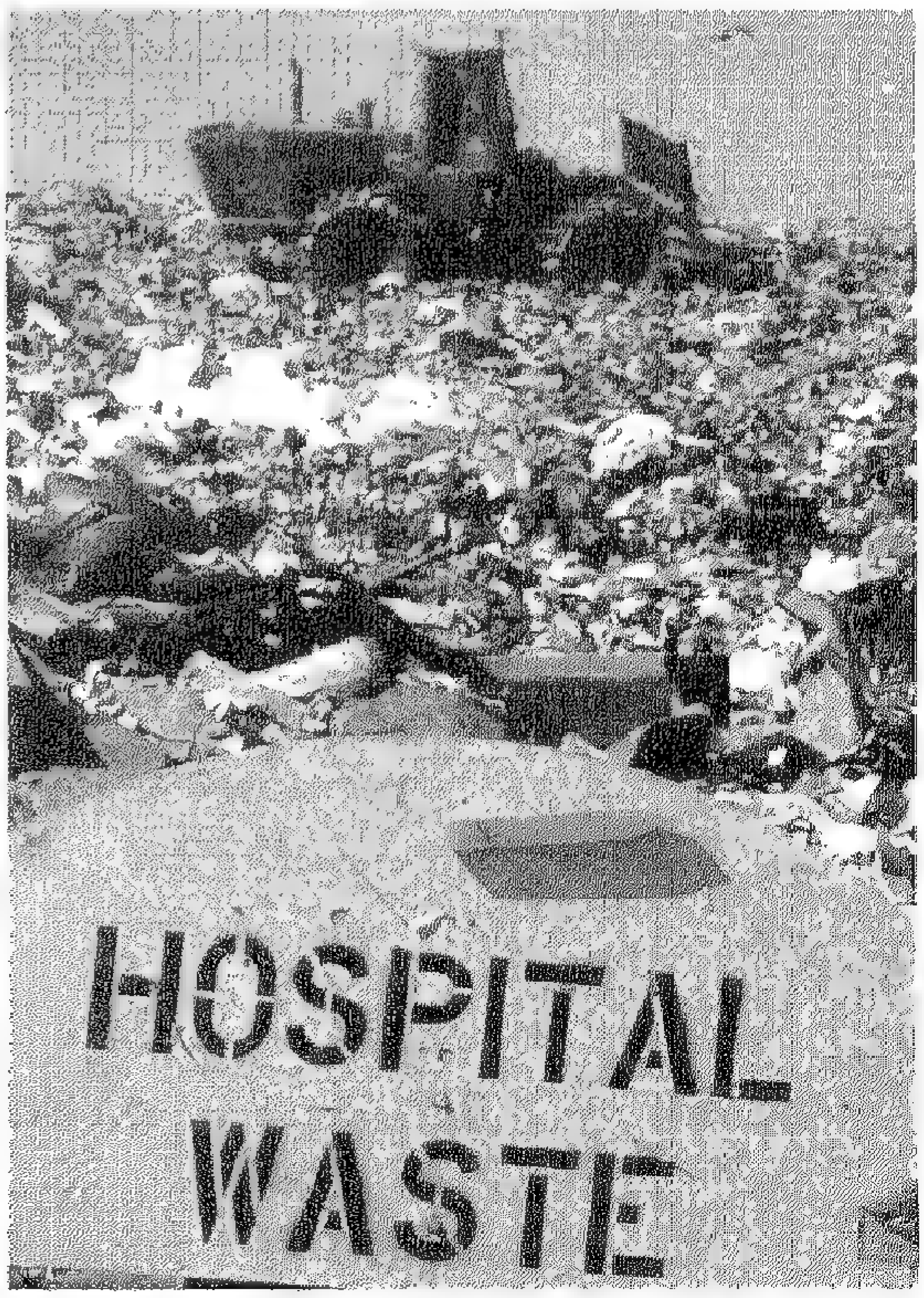




القادمة، فيما يشبه حربًا عالمية، من حيث مخاطرها.

ورد في تقرير (ستارن)، حول النتائج الاقتصادية للأزمة المناخية، أن الناتج الإجمالي العالمي سينخفض بنسبة تتراوح بين (5) و(20٪) إذا لم نقم بإجراءات عملية عاجلة لمقاومة الاضطراب المناخي.

هل تكلفة التحوّل إلى (التنمية الدائمة) العالية هي سبب التردد الواضح في اتخاذ القرارات العملية



لمعالجة الوضع؟ أم هو الكسل وضعف الهمم لدى أصحاب القرار؟

يقول (جافيي بتريز دي كويلار) الذي شارك في ملتقى (حوارات القرن الحادي والعشرين): كيف نعرف الخطر ولا نحرك ساكنًا؟.

إن الحقيقة الماثلة أمامنا تفرض علينا أن نجيب بشجاعة عن أسئلة صعبة، متجاوزين الحديث عن خيارات غير صحيحة وغير مجدية، في حين أن الحل الحقيقي يكمن في إيجاد أنماط جديدة للتنمية، وترشيد الاستهلاك. وكما قال (هارولدو ماتوس) في مداخلة بملتقى (الحوارات) فإن «الإنسانية لم تعد تعيش على (القيمة المضافة) التي توفرها الطبيعة، بل أصبحت تستهلك رأس مالها». ولكن هذا لا يتطلب بالضرورة تجميد النمو الضروري. ويقول الخبير (مصطفى طلبة) في هذا الشأن: إن الضرورة تقتضي الاقتصاد في استهلاك المواد الأولية في جميع قطاعات الإنتاج، مع التقيد بمقررات (اتفاقية كيوتو) بشأن الآثار المدمرة المتوقعة لزيادة حرارة الأرض.

ويتعين أيضًا على المجتمع الدولي أن يضمن حق جميع الشعوب في الحصول على المياه الصالحة للاستهلاك البشري، وأن يضع آليات ترشيد استخدام المياه، وإنشاء مشاريع تنقية المياه المستعملة.

إن منظمة اليونسكو تلتزم بشكل عملي ـ على عدة





مستويات - بتطوير سياسات تهدف إلى الاستخدام المتجدد والدائم لمصادر المياه، والحفاظ على التوازن الطبيعي، ومنع أي اختلال في استغلال الموارد المائية. وقد أنشأت شبكة دولية من (المحميات البيئية) التي يمكن اعتبارها (معامل تجريبيّة) لدراسة إمكانيات تحسين استخدام الموارد، دون الإضرار بالاحتياطي اللازم لبقائها، وتجددها على المستوى المحلي.

وأذكر في هذا المجال المبادرات الكثيرة التي عرضتها ونفذتها المنظمة في دول الجنوب، من أجل تدريب وتكوين متخصصين، قادرين بمساعدة مسؤولين أكفاء، يستوعبون أبعاد المشكلة، ويعملون على إيجاد الحلول الملائمة، للحفاظ على الموارد المائية.

إن أطروحة (التنمية الدائمة المتجددة) تحتاج إلى تطوير منهجي في التعليم والثقافة، لتوعية الشعوب والمسؤولين، على حد سواء، بضرورة المحافظة على الموارد المائية، وترشيد استهلاكها، وإعادة استخدامها، في إطار أعمّ، وهو الحفاظ على التوازن



البيئي الطبيعي، فنحن أمام مفاهيم جديدة تستوجب جهودًا حثيثة لاستيعابها والتعامل معها.

وقد شهدت منظمة الأمم المتحدة نقاشًا واسعًا ـ ضمن بحث إصلاح آليات المنظمة ـ حول إدارة شؤون البيئة على المستوى الدولي، وضرورة تنسيق الجهود المبذولة في هذا المجال. وأنا أعتقد أنه يجب وضع حد لتشتت تلك الجهود، وأرى أنه بإمكاننا استعمال الآليات المتوفرة لدينا، بشرط تنسيق استخدامها بشكل أفضل وأكثر فاعلية.

فمنظمة اليونسكو تضطلع بدور فاعل في هذا الشأن. وإذا نظرت في تسمية المنظمة فإنك ستلاحظ أنها تعنى، بالتربية والعلوم والثقافة، بما فيها الاتصال، وكل هذه المهام المسندة إلينا معنية بقضية التنمية الدائمة، للحد من الأزمة البيئية التي يواجهها العالم.

وأود أن أذكر القارئ أن اليونسكو تقوم بتنفيذ أربعة برامج علمية دولية مهمة في مجال علاج مشكلة البيئة، وهذه البرامج تتعلق بالبيئات البحرية، والمنابع المائية، والبيئات الإنسانية والحيوانية، مع الاهتمام بالمعطيات.

وتنفذ المنظمة برامجها بالتنسيق مع برنامج البيئة العام الخاص بالأمم المتحدة ذاتها.

وأشير هنا إلى مشروع (الأمم المتحدة والماء) (ONU-EAU)، الذي تشارك في تنفيذه (اليونسكو) ضمن (24) مؤسسة ومنظمة دولية، والذي يُعد نموذجًا ناجحًا يحتذى به.

وبالإضافة إلى ذلك تلعب منظمتنا دورًا رياديًا في إدارة البرنامج الدولي لمصدر الموارد المائية العالمية، وتسهم أيضًا ببرنامج العقد (عشر سنوات) الدولي للتوعية والتعليم، بشأن التنمية الدائمة.

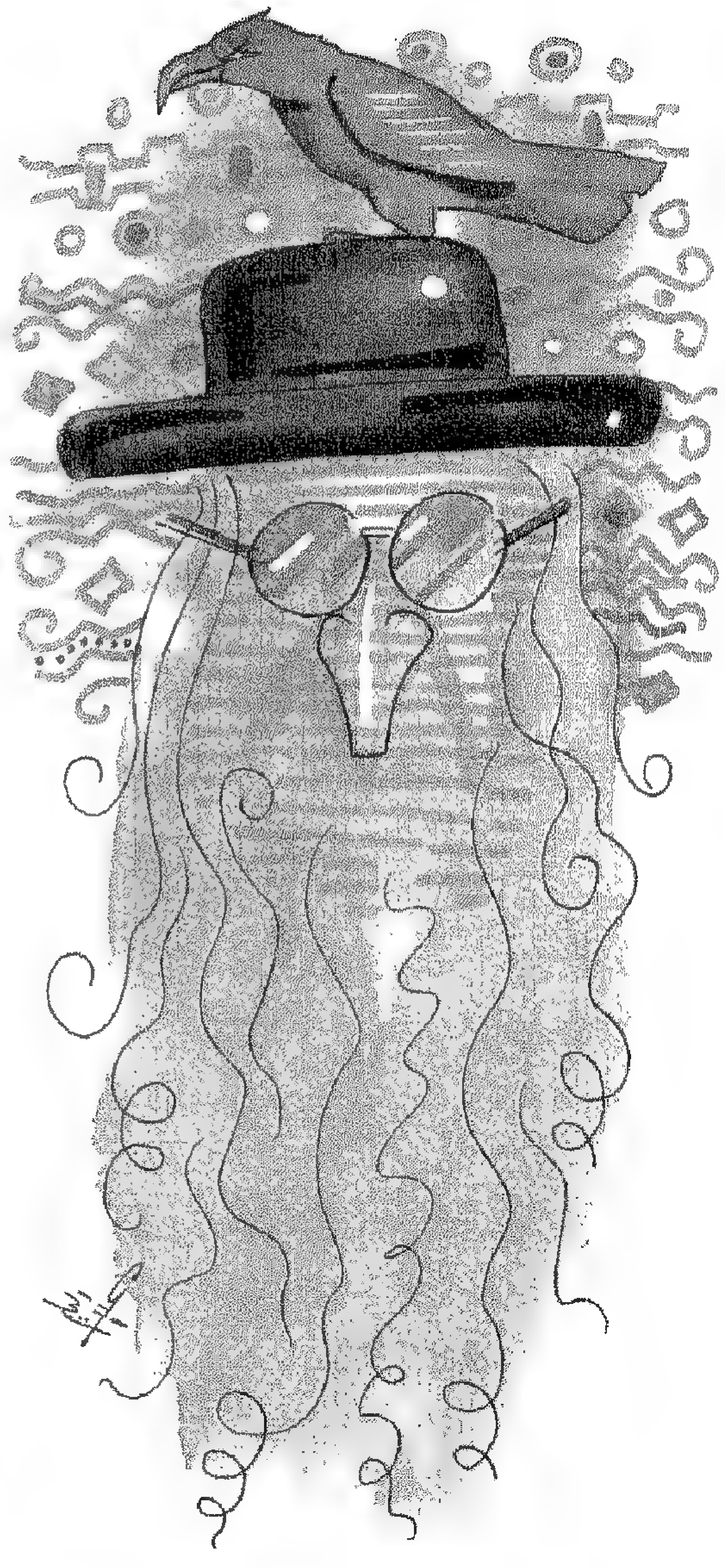
إذا أردنا أن نوقف الحرب التي نشنها على الطبيعة؛ فلا مناص من تأسيس مبدأ التضامن بين جيلنا والأجيال القادمة. ولا مناص أيضًا من صياغة ميثاق عالمي، ولنُسمّه (العقد الطبيعي CONTRAT NATURE) يلزم البشرية بانتهاج نوعٍ من التنمية المتوازية مع الطبيعة. وبعبارة أخرى علينا إبرام (معاهدة سلام مع الطبيعة) وعلينا أن نثبت قدرتنا على النظر إلى المستقبل والأجيال القادمة من زاوية أخلاقية، إذا أردنا أن نلتزم بمعاهدة سلام مع الأرض.

إن الأرض مرآتنا، إذا جرحناها أو شوهناها فإنما نجرح ونشوه أنفسنا.

فإذا عقدنا العزم على تغيير وجهتنا؛ فلا بد لنا من صياغة مجتمعات تأخذ بالعلم والمعرفة، قادرة على الجمع بين مكافحة الفقر، وتطوير التعليم والبحث العلمي، وتأسيس ذلك كلّه، على مبدأ الالتزام الخلقي، والشعور بالمسؤولية.

هل يجوز لليهودي ما لا يجوز لغيره؟

د. محمد السماك*



أثناء الحرب العالمية الأولى، تمكّنت خلية من الإستخبارات الفرنسية، من الوصول إلى وثائق سريّة، من سجلات السفارة الألمانية في باريس، تتضمن تقارير مكتوبة، بخط يد ضابط في الجيش الفرنسي، يدعى الفرد «دريفوس»؛ كشفت تلك الوثائق بالتفاصيل، عن قيام ذلك الضابط، بالتجسس لحساب الألمان، حيث قدّم لهم معلومات خطيرة ومهمة جدًا، عن أسرار الجيش الفرنسي؛ أعتُقل الضابط في شهر التمور (اكتوبر) من عام 1894م، وأُحيل إلى محكمة عسكرية؛ إلى هنا يبدو وكأن كل شيء ليس خارجًا عن مألوف الأحداث الاستثنائية، غير أن الضابط «دريفوس» كان يهوديًا، ولذلك خرجت قضيته ـ أو لعلها أُخرجت ـ عن إطارها الطبيعي، وهو محاكمة ضابط متهم بالخيانة، إلى إطار آخر مختلف تمامًا، وهو تلفيق تهمة للإساءة إلى يهود فرنسا، من خلال الإساءة إلى ضابط يهودي كبير، وهكذا، فالقضية التي يُحتفل بذكراها في فرنسا كل عام، لا تزال تدور حول



ألفرد دريفوس

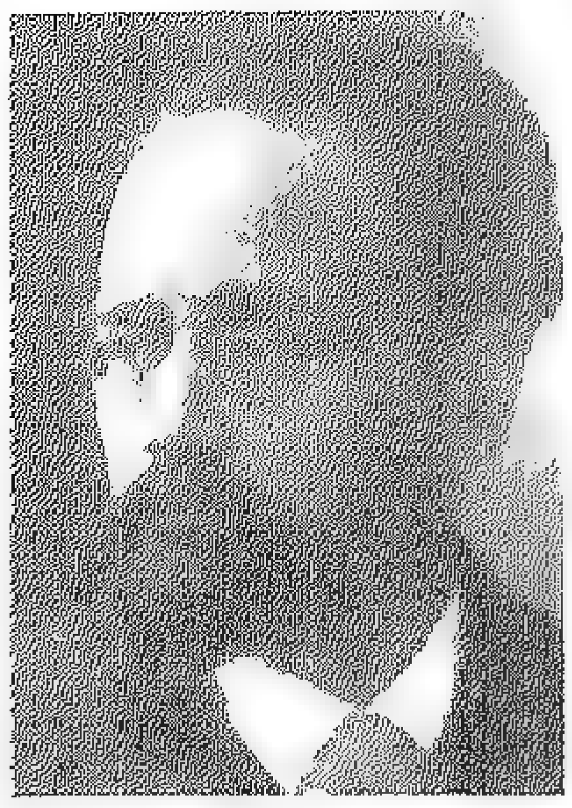
* كاتب وصحفي ـ رئيس لجنة الحوار الإسلامي المسيحي / لبنان.

محورين: محور معاداة السامية، ومحور موالاة الصهيونية، ولا تزال فرنسا منذ الحرب العالمية الأولى، منقسمة على نفسها حتى اليوم، فريق ينفي تهمة الخيانة، ويطالب الدولة بالاعتذار لليهود، عن ردود الفعل الغاضبة التي استهدفتهم، وفريق ثان يؤكد التهمة، على أساس الوثائق التي ضبطت من السفارة الألمانية، وبالتالي يطالب اليوم بإبعاد اليهود، عن المواقع الهامة والحساسة في الجيش الفرنسي.

وفي الواقع، صدر حكمان عن محكمتين فرنسيتين مختلفتين، بشأن تلك القضية، الحكم الأول بالإدانة، وقد أصدرته محكمة عسكرية، في عام 1899م، أما الحكم الثاني فقد صدر عن محكمة مدنية، في عام 1906م، ونصّ على براءة «دريفوس»، وكان قرار إعادة المحاكمة، قد اتخذته حكومة يسارية.

وتشكلت المحكمة المدنية، بطلب من تلك الحكومة ولأسباب سياسية داخلية، ولكن في عام 1994م ـ أي بعد مائة عام ـ صدر عن رئيس قسم التاريخ في الجيش الفرنسي، تقرير من ثلاث صفحات، يشكك في حكم البراءة، ويؤكد صحة حكم الإدانة، وقد حرّك نشر هذا التقرير، اللوبي الصهيوني الفرنسي، الذي أثار حملة على قيادة الجيش، وعلى وزارة الدفاع، موزعًا الاتهامات باللاسامية، مما حمل وزير الدفاع في ذلك الوقت ـ فرانسوا ليوتار ـ على عزل رئيس قسم التاريخ في الجيش من منصبه!!

كان حكم المحكمة العسكرية الفرنسية، قد نصّ على تجريد «دريفوس»، من رتبته العسكرية، ونفيه إلى «جزيرة الشيطان»، قرب غُيانا الفرنسية، ولعل هذا السجن، كان الأسوأ في التاريخ، ومن أجل ذلك اشتدت الهجمة الصهيونية المضادة، ذلك أن سجن الشيطان، كان يُعرف بأنه مقبرة السجناء، وكانت فرنسا قد نقلت إليه حوالي (70) سجينًا، مات أكثر من نصفهم، قبل أن تكتمل مدة عقوبتهم، وكان السجن يقع وسط جزيرة صغيرة، معزولة في البحر الكاريبي، يستحيل الهروب منه أو الخروج منها، واستندت الحركة الصهيونية، في ايداع «دريفوس»، ذلك السجن على مجرد كونه يهوديًا، وهو ما ينكره الفرنسيون، وبصورة خاصة العسكريون منهم، ثم شدد الحكم عليه بالسجن عشر سنوات إضافية، لثبوت ضلوعه بالتجسس لمصلحة العدو.


الكاتب الفرنسي أميل زولا، شارك يهود فرنسا حملتهم واتهم الجيش

تمكن يهود فرنسا، من إثارة حملة تشكيك بالتهم المساقة ضده، شارك فيها الكاتب الفرنسي «أميل زولا»، الذي اتهم قيادة الجيش الفرنسي في مقال شهير له، نشره تحت عنوان: «إني أتّهم J'Accuse» بتلفيق القضية من الأساس للإساءة إلى يهود فرنسا، من أجل ذلك، حوكم هذا الأديب الفرنسي الكبير، وحُكم عليه بالسجن لمدة عام، ولكنه غادر فرنسا إلى بريطانيا، تهربًا من العقوبة، وعندما مات «زولا» في عام 1902م، جرت خلال مراسم تشييعه، محاولة لاغتيال «دريفوس»، الذي كان يشارك في تلك المراسم، ولكنه نجا بعد إصابته بجراح.

وتحت ضغط تلك الحملة، أعيدت محاكمة «دريفوس»، أمام محكمة مدنية، حيث برّيء، وأعيد إليه اعتباره، ورفعت رتبته العسكرية، وأعيد بالتالي الاعتبار إلى اليهود الفرنسيين، غير أن المحكمة العسكرية، رفضت تبني هذا الحكم، وأصرّت على حكمها الذي سبق لها أن أصدرته، ولا يزال هذا الوضع مستمرًا حتى الآن، رغم أن «دريفوس» مات عام 1935م، وكان قد ترك الجيش الفرنسي في عام 1907م.

من هنا جاء تقرير رئيس قسم التاريخ في الجيش الفرنسي، بمثابة تأكيد جديد لصدقية الجيش وقيادته، وبالتالي بمثابة تأكيد للحكم الذي صدر بإدانة «دريفوس».

لقد أثار هذا الموقف غضب اللوبي الصهيوني الفرنسي، الذي اعتبر التقرير إثباتًا وتجديدًا لإدانة اليهود الفرنسيين، الذين يبلغ عددهم الآن حوالي (600) ألف شخص، وتحريضًا جديدًا، ضد وصول عسكريين يهود، إلى مراكز عليا، في الجيش الفرنسي!!. ولقد تمكّن هذا اللوبي، ليس فقط من إدانة وعزل رئيس قسم التاريخ في الجيش الفرنسي، ولكنه تمكّن أيضًا من إقامة متحف تكريمي «لدريفوس» في باريس.. والمطالبة بنقل رفاته من المقبرة اليهودية، في «مون مارت» إلى «البانتيون» Pantheon، حيث رفات كبار الشخصيات الفرنسية، أمثال بونابارت!...

ويحذر عدد من كبار القادة العسكريين، ومسؤولي وزارة الدفاع الفرنسية، من أن رد فعل الحركة الصهيونية، بات يشكل خطرًا على وحدة الجيش، بينما تعتبر الحركة الصهيونية، أن هذا التحذير، يشكل في حد ذاته، دعوة خبيثة لإعادة تحريك مشاعر العداء ضد اليهود في فرنسا، تحت مظلة الدفاع عن وحدة الجيش، حتى إن الإعلام الصهيوني الفرنسي، استغل حادث الشاب اليهودي «المخنث» إيلان حاليمي، والذي وُجد مقتولاً في ضاحية باريس، ليصفه بأنه «دريفوس» القرن الواحد والعشرين، الأمر الذي يُقصد منه الإيحاء بأن اللاسامية الفرنسية مستمرة، وكذلك ضحاياها اليهود!!.

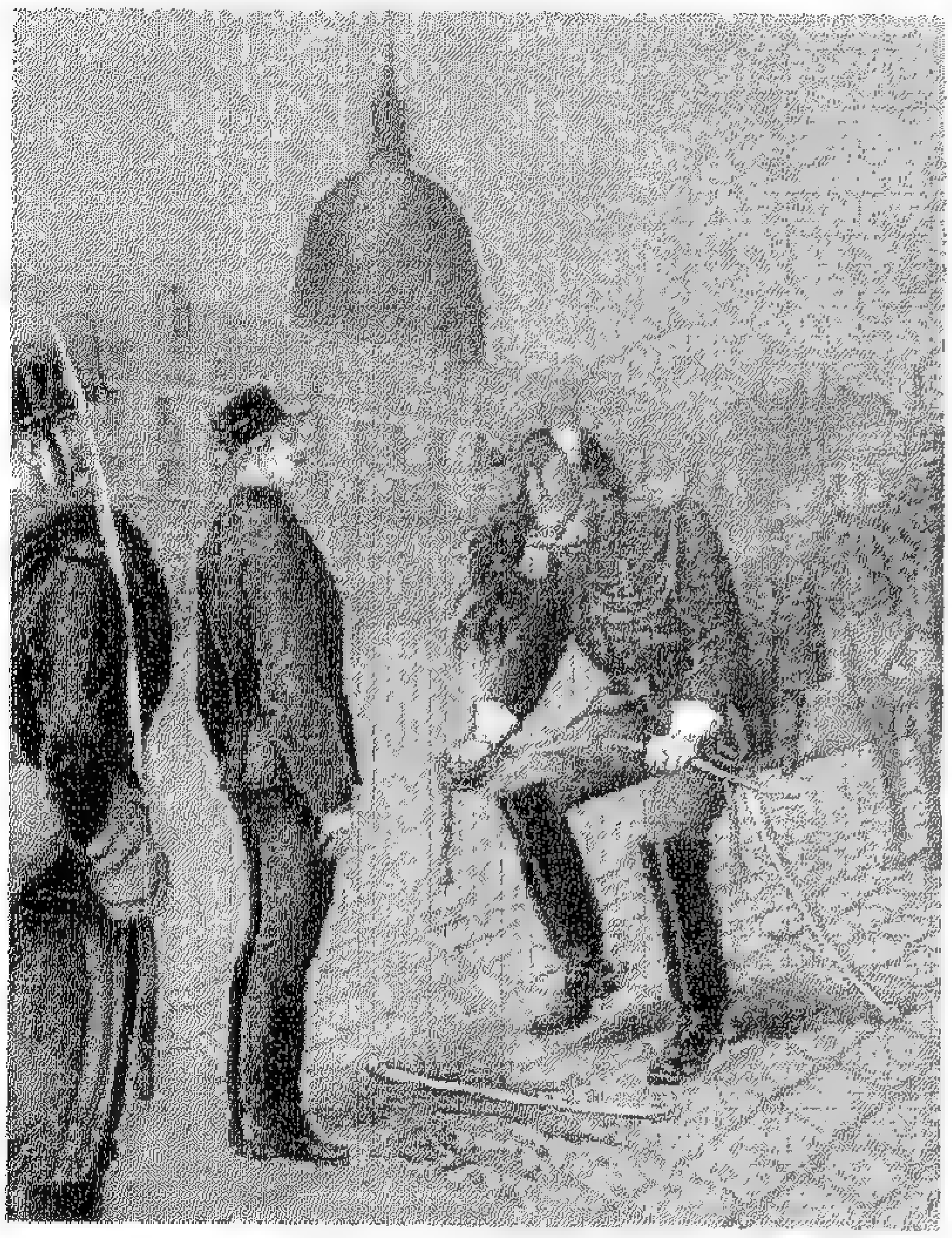
يتداخل مع هذه القضية أمران أساسيان:

الأمر الأول، هو: انعكاس الصراع العربي الإسرائيلي، على العلاقات بين اليهود والمسلمين الفرنسيين، وذلك منذ أن اعتبرت إسرائيل، أن أي انتقاد لسياستها، هو نوع جديد من اللاسامية، وقد شهدت فرنسا عدة اشتباكات، تارة بين المسلمين واليهود، وتارة أخرى بين اليهود وحركات اليمين المتطرف (حركة ماري لوبان).

أما الأمر الثاني، فهو: انعكاس القانون الإسرائيلي، الذي يعتبر كل يهودي إسرائيليًا، على مفهوم الولاء


L'AURORE
Littéraire, Artistique, Sociale
J'Accuse...!
LETTRE AU PRÉSIDENT DE LA RÉPUBLIQUE
Par ÉMILE ZOLA

صورة مقال (إني أتهم) لأميل زولا، نشر على الصفحة الأولى



ألفرد دريفوس، أثناء تجريده من الرتبة والنياشين العسكرية

الوطني، ليس فقط عند يهود فرنسا، إنما عند يهود كل دول أوروبا، والولايات المتحدة.

ففي عام 1987م، كان الأدميرال «بوب راى إينمان» نائبًا لرئيس وكالة الإستخبارات المركزية الأمريكية (C.I.A)، عندما انكشفت فضيحة جوناثان بولارد، وبولارد مواطن أمريكي يهودي، كان يعمل في الوكالة، وكان ينقل معلومات وأجهزة غاية في السرية إلى إسرائيل، عن طريق السفارة الإسرائيلية في واشنطن.

جرت محاولات لطمس القضية، غير أن «إينمان» وقد أذهله حجم ونوع المعلومات، التي تم تسريبها إلى إسرائيل، وقف بالمرصاد ضد تلك المحاولات، مصرًا على محاكمة الجاسوس، الذي أثبت عدم ولائه للأمة الأمريكية، تدخل اللوبي الصهيوني في الكونغرس، لدعم جهود السفارة الإسرائيلية، وذلك على أساس أن عملية التجسس، التي ثبتت وقائعها، تمت لمصلحة دولة صديقة ـ هي إسرائيل ـ وأن المعلومات والأجهزة، التي وصلت إليها، لم تستعمل ضد الولايات المتحدة، وأنه بالنظر لوجود اتفاقات تعاون استراتيجي بين الدولتين، فإن إسرائيل تصبح بفضل جهود بولارد، أكثر قدرة على خدمة المصالح الأمريكية، في الشرق الأوسط.

رفض «إينمان» هذا المنطق التبريري، الذي يحاول أن يجعل من الخيانة بطولة. وأصر على طرد بولارد من الوكالة، وإحالته إلى المحكمة بتهمة التجسس لمصلحة دولة أجنبية، خاصة وأنه تمكن من سرقة أجهزة سرية، تمكن إسرائيل من السيطرة على دائرة استخباراتية، يزيد قطرها على (250) ميلاً، وهذا ما حدث. فقد حوكم بولارد، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة (إلا أن اللوبي الصهيوني، تمكن من استصدار قرار قضائي، بإطلاق سراحه، في عام 1995م، مع إبقائه تحت المراقبة).

رغم ذلك، فإنه عندما رشح الرئيس الأمريكي السابق بيل كلنتون، الادميرال إينمان، لمنصب وزير الدفاع، بعد إحالته إلى التقاعد، تحركت الآلة الصهيونية في الإعلام، وفي الكونغرس، لقطع الطريق أمام وصوله إلى هذا المنصب السياسي العسكري الرفيع، بدأت الحملة صحيفة نيويورك تايمز، حيث نشر الكاتب اليهودي «وليم سافير»، سلسلة مقالات ضد «إينمان» شخصيًا، وذلك انطلاقًا من اتهامه



جوناثان بولارد في سجنه

بالتهرب من دفع رسوم الضمان الاجتماعي، عن خادمة تعمل في منزله!!.

وسرعان ما انتقلت الحملة، بعد ذلك إلى الكونغرس، حيث قادها هناك السيناتور روبرت دول، الزعيم السابق لـ«الأقلية» الجمهورية»، في ذلك الوقت، وتوسعت دائرة الحملة التشويهية، حتى اضطر «إينمان» إلى الاعتذار، عن قبول ترشيح الرئيس الأمريكي له لمنصب وزير الدفاع.

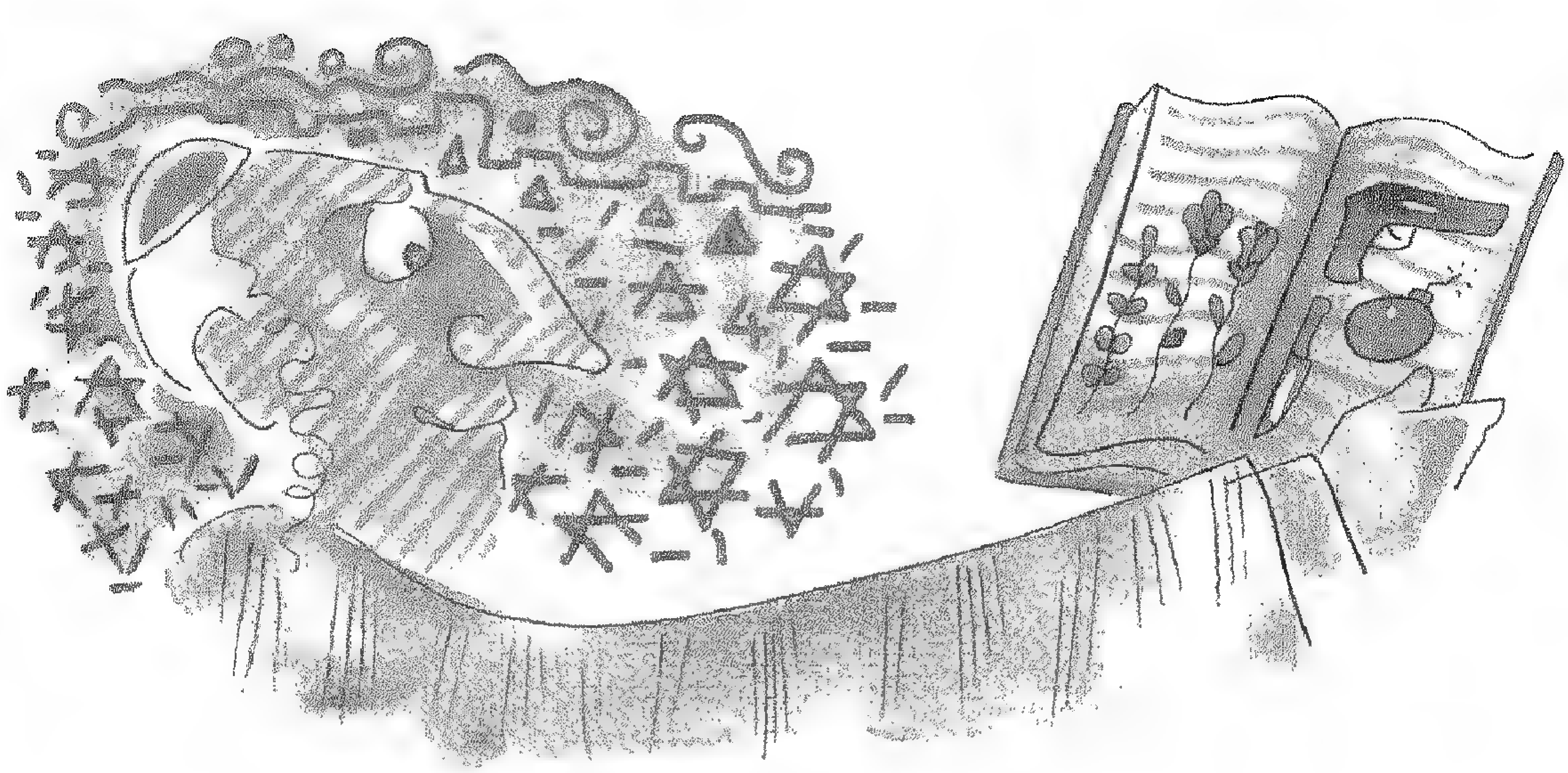
القانون الإسرائيلي، الذي يعتبر كل يهودي إسرائيليًا، على مفهوم الولاء الوطني، ليس فقط عند يهود فرنسا، انما عند يهود كل دول أوروبا، والولايات المتحدة.

لم يستطع اللوبي الصهيوني الأمريكي، تحمل وجود شخص يعتبر معاديًا لإسرائيل على رأس وزارة الدفاع الأمريكية، التي يعمل في مؤسساتها العسكرية المختلفة، ثلاثة ملايين رجل، والتي تمسك بأكبر قوة مدمرة في تاريخ البشرية!.

وهكذا بين سقوط الضحية الأمريكية الادميرال «إينمان»، الذي كان مرشحًا لمنصب وزير الدفاع، في الولايات المتحدة، وسقوط الضحية الفرنسية، رئيس قسم التاريخ في الجيش الفرنسي، قاسم مشترك هو اللوبي الصهيوني.

ذهب «إينمن» ضحية الدفاع عن جاسوس يهودي أمريكي أثبت أن ولاءه لإسرائيل كدولة يهودية، يتقدم على ولائه لوطنه الأمريكي، وفي فرنسا ذهب رئيس قسم التاريخ، ضحية الدفاع عن جاسوس يهودي فرنسي، أتهم بأنه قدم مصالح جماعة يهودية ألمانية ـ كانت متعاونة مع ألمانيا، في الحرب العالمية الأولى ـ على مصالح وطنه فرنسا.

لم تكن قضية جوناثان بولارد الأولى، التي تهز المجتمع الأمريكي، فقد سبقتها قضية «شبيرو»، وهو عالم يهودي أمريكي، كان يعمل في إحدى المحطات



النووية الأمريكية (محطة أبولو في بنسلفانيا)، وتمكن من خلال ذلك، من تهريب كميات كبيرة من اليورانيوم المخصّب، إلى إسرائيل، الأمر الذي ساعدها على تشغيل مفاعل ديمونا في النقب، لإنتاج ترسانة نووية، يعتقد الآن أنها تضم أكثر من ألفي عبوة نووية، ورغم خطورة تلك العملية، فقد تمكن اللوبي الصهيوني، من طمس معالمها، واحتواء ردات فعل العلماء والسياسيين والعسكريين الأمريكيين، ربما لأنه لم يكن على رأس جهاز وكالة المخابرات المركزية، في ذلك الوقت، شخصية صلبة، مثل الأدميرال اينمان!!

في الأساس يعزى قيام الحركة الصهيونية في أوروبا، إلى هزيمة الحركات الديمقراطية الغربية، لمصلحة الحركات القومية، فيما بين (1830-1850م)، كانت تلازم الحركات الديمقراطية المهزومة، حركات يهودية مثل: حركة مندلسون، وحركة الهسكالا، التي دعت اليهود إلى الانصهار في المجتمعات، التي يعيشون فيها، في إطار تميزهم الديني، وبانتصار الحركات القومية، تحولت الحركة اليهودية، إلى الصهيونية القومية العنصرية، غير أن الوضع تغير في أوروبا خاصة، وفي الغرب عامة، وتقدمت الديمقراطية على القومية، إلا أن الحركات الصهيونية، ظلت محافظة على مواقعها، ومع قيام إسرائيل، صدر قانون الجنسية، الذي يعتبر كل يهودي إسرائيليًا، بمجرد أن تطأ قدماه أرض إسرائيل، هذا الواقع يطرح ازدواجية الولاء اليهودي، على النحو الذي كشفته أحداث عديدة، في الولايات المتحدة وأوروبا، من قضية الأدميرال «إينمان»... إلى قضية رئيس قسم التاريخ، في الجيش الفرنسي.

فليس جاسوسًا ولا خائنًا لوطنه، إذا كان فعل الخيانة والتجسس يصب في مصلحة إسرائيل (بولارد وشبيرو كمثالين على ذلك)، ذلك أنه على قاعدة شعب الله المختار، يبدو أنه يحق لإسرائيل، ما لا يحق لغيرها من الدول... ويحق لليهودي، ما لا يحق لسواه من بني البشر.

من مأدبة الله

4 في القراءة

أ. د. مهدي امبيرش *

ما مفهوم أن يقرأ الإنسان على الأحرف السبعة؟ ثم لماذا يتكرر هذا الرقم (7) في الخرافات والأساطير، وفي الشرائع الإلهية؟ إن الاستفهام بـ (ما) هو طلب فهم هذا الغيبي، أو المجهول، وفي الاستخدام الفلسفي، طلب فهم (الما هو؟)، أو (الما هي؟)، التي قد تتعدد، أي: (الما هُمّ؟)، أو (الما هُنّ؟)، وكما هي دلالة الأصوات في البيان العربي التي نخطها أو نرسمها، فإن صوت (الميم)، يرسم دائرة مغلقة، ثم يمتد هذا الصوت ويرسم ألف مد، وهذا يعطي الاستفهام عن الغيبي دلالته، من خلال علامات الاستفهام التي تضغط في الذهن على الإنسان، ثم محاولة الإنسان طرح، أو بلغة النفسانيين، تخفيف الضغط والتوتر، وإن كان التوتر والضغط والفائض، كلها لها مفاهيم (فيزيائية)، فكل ما يتجاوز الحد، أو حد الاحتمال والقدرة، أي يتجاوز القدر، إما أن يتم صرفه، أو يولد انفجارًا، وهذا هو الشأن في عملية طرح الاستفهام، أي طرح هذا التوتر الذي يلح ويضغط، من أجل الوصول إلى إجابة، وإن كان السؤال من خلال إشاراته المتعارف عليها (؟)، يعبر عن حالة القلق هذه، فالإشارة بمثابة رأس بجذع، على نقطة تُعبّر عن القلق، والسؤال، هو عملية سلب أو (طرح)، ويعبر عنها في الخط العربي وفي غيره، بإشارة المد الأفقي (ـ)، وإن كان اللسان العربي يتقدم خطوة فيقدم هذه الإشارة إشارة للضعف، الذي هو الانفتاح والنصب، فهي إشارة انفتاح، والانفتاح يرتبط بالنصب، والقابلية للنصب تدل على القابلية للمفعولية، ومن ثم تأتي إشارة السلب قابلية للامتلاء، وهو الذي ينهي مؤقتًا حالة التوتر، إذا سقط عليه خط عمودي (/)، ومن إلتقاء الأفقي والعمودي تكون هذه الإشارة التي تعبر عن حالة الامتلاء أو الزيادة، من خلال إلتقاء الخطين (+)، وإن كانت الزيادة هي زيادة في كل واحدة منهما قبل هذا الالتقاء والتعامد، فعلامة السلب زيادة في السلب، أي زيادة في الامتداد الأفقي، ولكنها نقص في هذا العمودي، وهو ذاته ما

* باحث، كاتب، أستاذ جامعي، الأمين المساعد لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية/ ليبيا.

يمكن أن نقوله على هذا الخط العمودي، وهنا يبدأ مشروع الولادة، في هذا التزاوج بين الأفقي والعمودي، وهنا نؤكد على أنه ما من لسان فيه المثنى إلا اللسان العربي، فكل مشروع ولادة يتم من زوجين اثنين، وفي عملية الاستفهام، لا بد أن نقبل أن هذه الحالة الجديدة من الزيادة أو



الحمل، ستلد عن طريق الاستخلاف سؤالاً جديدًا، وهكذا تستمر الحياة، ويمتد مشروع المفاهيم في رحلة الغيبي، في محاولة للتمعن، أي لطلب المعنى، ولهذا فإن هذه البيانية العربية تقدم مشروع الفهم ومشروع المفاهيم أو قل القراءة، مشروعًا إنسانيًا منفتحًا، ولكنه انفتاح موجب مشروع إمكانية، يحوي مفهوم المكون والتمكن، ولكنه في ذات الوقت مشروع إمكانية، فالكينونة هي أبعد من الوجود، ودلالة الكينونة في اللسان العربي تأخذ قوتها من (صار)، أي من هذه الصيرورة التي تتقدم بالإنسان، ومن ثم تعطي هذا المفهوم التقدمي للمكان والزمان، فترتبط الكينونة بالمكان والزمان حالتي امتداد، فالمكن غير المكان، والزمن هو غير الزمان، والأخيران فيهما هذا المفهوم المتحرك والممتد، والذي يقدم مشروع الإنسانية مشروعًا في التمام حتى الكمال، ومن ثم لا ينتهي مشروع القراءة، ومشروع التاريخ، إلا باكتمال الإنسان نفسه، أو بالتعبير المنطقي، إلى أن يصل المفهوم كمال المعنى، بالتمظهر الكامل، أو التحقق الكامل للمعنى، وهو ما يعبر عنه في مفهوم (كان) في العربية، بلحظة الظهر، وهي الظهور الكامل للحقيقة، ومن ثم اضطر المنطقيون والقواعديون، إلى الاعتراف بهذه الحقيقة البيانية العربية، فهم مع عجزهم عن شرح دلالة الكينونة، واكتفوا بقولهم: «كان وأخواتها»، دون أن يوضحوا نسب كان هذه، التي لها أخوات، ولكنها مقطوعة النسب!، ثم إنهم لم يوضحوا لماذا كان فعل أظهر فعلاً تامًا، أو لماذا هذه الـ(كان)، ناقصة؟.

هذه أسئلة ومشاريع استفهامية، أي مشاريع للفهم، تكشف عن هذا الجانب الإبداعي في البيانية العربية، أو في هذا اللسان العربي المبين، وربما نتناول محاولة لفهمها في دراسات قادمة، وإن كانت هذه الأسئلة نفسها، التي هي مشاريع قراءة، أو مشاريع رقي، أو قرى معرفي، أو مشروع أدب، ينهل من هذه المأدبة، في دلالاتها العربية التي قدمنا لها، وإن كانت كلها ضمن هذا الاستفهام الذي طرحناه في المقدمة حول دلالة الرقم (7).

إن الرقم في العربية غير العدد، فالرقم له مفهوم وجودي حسي، والحس هو تجاوز الجس، أي تقدم بالمجسوس إلى المحسوس، والرقيم، الذي ورد في القرآن يقدم هذا المفهوم:

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [سورة الكهف، الآية: 9]

ومن ثم فإن الرقم (7)، هو ليس العدد (7)، فالعدد هو تركيب شمولي، بمعنى أن العدد (7) هو مركب تجريدي، للعدد (1)، سبع مرات، في حين أن الرقم (7)، مشروع لوجود يسير نحو الاكتمال، ودلالة السير في العربية تحمل مفهوم السر، فالسير هو محاولة لاكتشاف السر، و(الياء)، هي هذا الامتداد الحسي، كما هو في كلمة (يد)، حيث تجتمع الياء والدال، والدال له علاقة بالدليل، والدليل له مفهوم جسي، من دلالة (الجس)، ولهذا نرى فرقًا مفهوميًا بين (الجسم) في العربية، و(الجسد)، فالدال في الجسد، أعطت هذا المفهوم الجسّي، في حين أن (الميم) قدمت الدلالة التي أشرنا إليها، أي دلالة هذه الدائرة المقفلة التي تفتح المشروع على الغيبي.

إن الرقم (7) يضعنا في هذا الغيبي، أي مشروع المعنى الغيبي والمطلق، ولهذا اكتسب هذا الرقم رمزيته في الخرافات والأساطير، عند كثير من الشعوب، وكما نعرف، فإن أصول هذه الخرافات والأساطير، هي أصول دينية، فليس الدين مؤسسًا على خرافة وأسطورة، بل العكس هو الصحيح، فالخرافة والأسطورة سببها نفسي اجتماعي، إذ أغلب الشعوب، وخاصة المحبطة، تحاول أن تملأ فراغ الواقع، من خلال الأسطورة والخرافة، أي من خلال تراجع سلفي، يضع الكمال في المتحقق من الزمان، أو هذا الذي يطلق عليه الماضي، أي أن الزمان في امتداده، يختزل في الزمن والتاريخ، الذي هو الفعل الإرادي الواعي الممتد، يقطع في (التأريخ)، ودلالة الهمزة في العربية، هي دلالة الإثارة، وهنا دلالة الإثارة والإشارة إلى حالة الانقطاع في حركة التاريخ، ومن ثم فإن الموقف السلفي التراجعي الأسطوري الخرافي، ينقطع عن الامتداد، كما أنه يتخذ موقف قطيعة من هذا التقدم في التاريخ، وكل المشاريع المحبطة، تحاول أن توقف حركة التاريخ، ودائمًا تستند إلى الخرافة والأسطورة، وحتى وإن حاولت أن تقدم نفسها (مشروعًا فلسفيًا)، أو (مشروعًا) تقدميًا، كـ(المشروع) التفوقي التركيبي الألماني، كما يقدمه (هيغل)، أو (مشروع) (نهاية التاريخ)، الذي يعبر عن إفلاس (المشروع) الليبرالي الانجلوسكسوني، مع ملاحظة أن هذين (المشروعين) يختزلان مشروع الفلسفة المعرفي المفهومي، ضمن لوغوس التركيب المنطقي، ومن ثم تتحول الحياة إلى منطق، ويموت (مشروع البيان)، أو قل مشروع الحياة في محدود اللغة والمنطق، أي في (مشروع) اللوغوس، وإن كنت أستخدم المشروع هنا على غير دلالته العربية، فمصطلح (Project)، هو إسقاط أو إملائية أو دكتاتورية، وذلك خلاف المشروع في مفهومه العربي، ولهذا وضعت هذا المصطلح بين قوسين.

لقد أشار القرآن الكريم في قصة الخلق، إلى أن الله خلق السماء والأرض في ستة أيام:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: 54]

وقد استغل اللاهوتيون اليهود هذا العدد (6)، في الإدعاء أن الله ـ وحاشا له ذلك ـ قد استراح في اليوم السابع، وأن هذا اليوم السابع هو يوم السبت، وذلك لمصلحة المشروع اليهودي التلمودي، إلا أن القرآن الكريم يقدم هذا الرقم (6)، على الرغم من أن أيام الأسبوع هي سبعة أيام، وهنا يكون الرقم (7)، هو ما يقدم هذا البعد الغيبي، المرتبط بخلق السماء والأرض في ستة أيام، وفي ظننا أن هذه تحتاج إلى قراءة بيانية، ومن ثم فإن الرقم (7) هو مشروع هذا الغيبي، والذي يتكرر في الحديث عن السموات السبع:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [سورة المُلك، الآية: 3]

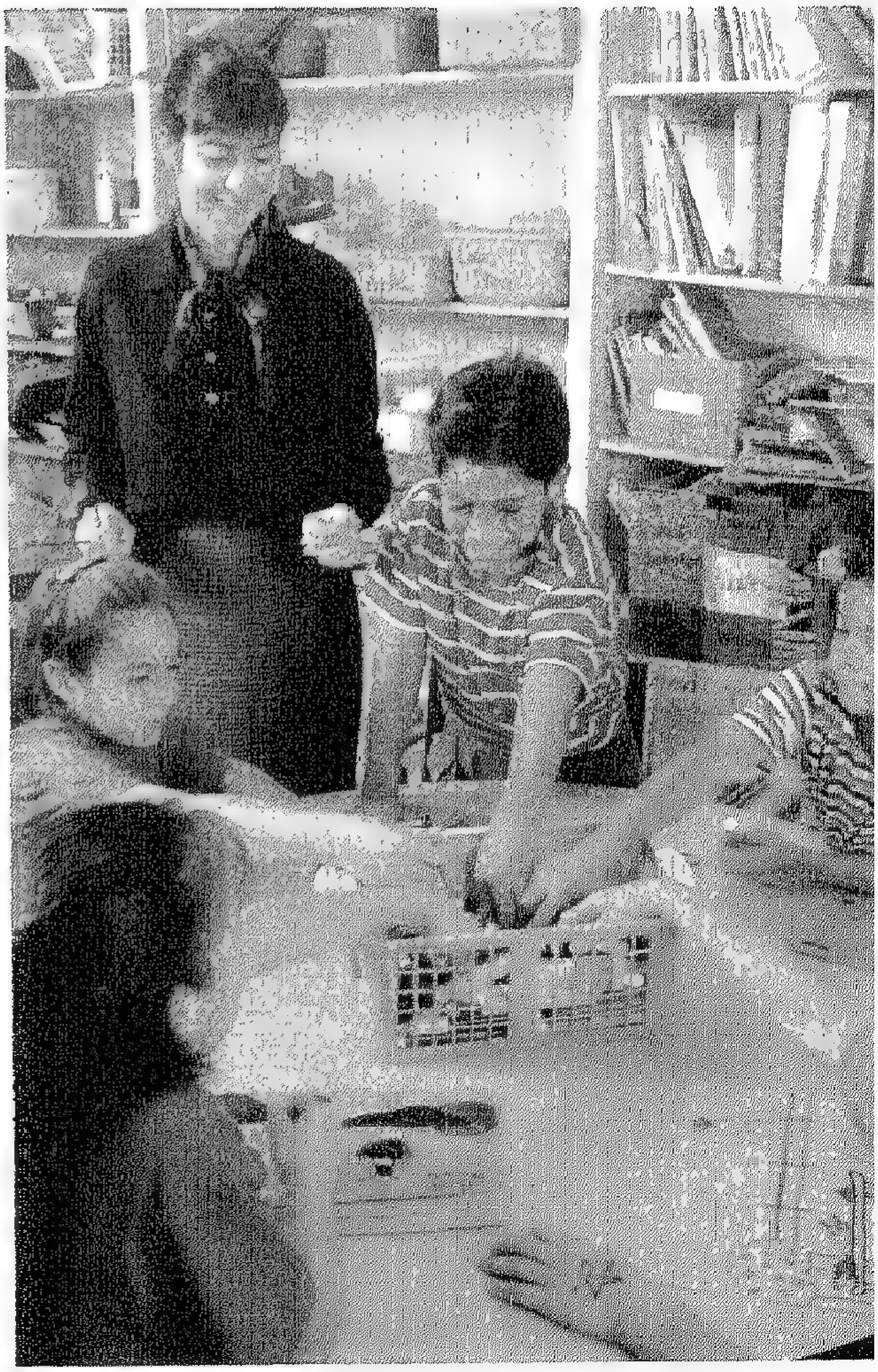
وفي موضوع العلم الإلهي، يقدم الرقم (7)، في ضرب المثل بالأبحر السبعة:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة لقمان، الآية: 27]

وغير هذين الموضوعين في القرآن، آيات تؤكد أهمية هذا الرقم، كما أن العبادات في الحج على سبيل المثال، تؤكد الرقم (7)، فالسعي سبعًا، والطواف سبعًا، وهذا يقودنا إلى البعد الغيبي الذي يعطيه حديث الرسول ﷺ، لهذا الرقم مشروعًا لقراءة منفتحة على الغيب، أي قراءة باسم الله، وباسم الذي خلق، وهذه القراءة هي ما يخرج الإنسان عن هذه المحدودات فيما دون السبعة، فنزول القرآن الكريم على سبعة أحرف، ليس هذه التي يطلق عليها القراءات السبعة، بل هي هذا البعد السابع الغيبي، الذي يجعل هذه الشريعة صالحة لكل زمان ومكان، ومن ثم تكون هذه الشريعة هي الخاتمة والمكملة، وبذلك فهي تخرج الناس مما عداها من الطقوس الرقمية، ولنا أن نشير هنا، إلى أن الأشكال الهندسية، قد تكون في ما هو غير شكل سباعي، أي لا يوجد شكل سباعي في هذه الرسوم الهندسية، إضافة إلى هذا، فإن البناء الإسلامي يقدم هذا الرقم (7)، مشروعًا كاملاً غير منقطع، فالإسلام يرتفع بناؤه على قواعد خمس، ولكن هذه القواعد هي على الأرض، وهي ما يفتح مشروع البناء الإسلامي على هذا البعد السابع غير المنغلق، إذ إن البناء المقفل، يوحي بوجود سقف، وهذا ما لم يشر إليه الرسول الكريم ﷺ، وهو ما يفهم من هذه القراءة على الأحرف السبعة، أو ما يضع البشرية ضمن مشروع الغيب الذي تحقق على هذه الأرض، والغيب الذي سيتحقق، وبذلك يكون مشروع الإسلام مشروعًا يربط هذا الغيب، الذي انقضى، والآني، والآتي، وهذا ما سوف نتناوله في قراءة قادمة، تخرج هذا المشروع من أن يتحول إلى حركة تراجعية بائسة، أو واقعية ساكنة، أو قفز طوباوي، أي عدمية هي شطح، وكلها تؤكد الأزمة المعرفية الفكرية، ولكنها لا تجد المخرج منها، وعلى الجملة، فإن هذا المشروع، هو مشروع للناس، ومشروع للحياة، ولكنها حياة الإنسان، التي هي جديرة بأن يعيشها الإنسان، أي حياة الكينونة، التي هي أبعد من الوجود، وتكون الروح، هي هذه الكرامة، التي تقدمت بالإنسان من درك الشيء، ومن مستوى النفس التي هي قوام الحياة، في كل حي، نباتًا أو حشرة أو حيوانًا أو إنسانًا، يتقدم الإنسان بهذه الروح التي نفخت فيه، وإن كانت هذه الروح هي ما تفتحه على الذاكرة، أي على الغيب المتحقق، وعلى الإيمان، أي على هذا الغيب الآتي، وهنا هو مشروع القرآن الكريم.

صورة الإسلام والمسلمين في مناهج التاريخ الغربية

د. فوزية العشماوي *



إذا تتبعنا مناهج التاريخ في الدول الأوروبية والأمريكية، نجد أنها تبدأ غالبًا بسرد تاريخ الحضارات القديمة، وتعرض لنا حرص المجتمعات البدائية على معرفة الآخر، ليس للتواصل والتعايش السلمي معه، ولكن لمعرفة نقاط الضعف عنده، حتى تستطيع أن تتغلب عليه، وتستولي على أراضيه وممتلكاته، وتوسع رقعة أراضيها الزراعية، وتزيد من قوة جيوشها، لتهيمن وتسيطر على مزيد من الأراضي والشعوب؛ وحين نتتبع تاريخ الشعوب والدول، نجدها تتصارع وتحارب بعضها البعض، باسم الأديان، وقد حرصت كل أمة من الأمم على نشر دينها بالقوة، وفرضه على الأمة المغلوبة.

وبمراجعة مناهج التاريخ المدرسية في الغرب، للبحث عما ذكرته عن تاريخ الآخر عامة، وتاريخ العرب والمسلمين خاصة، وجدنا أن معظم الدول تشيد بتاريخها المجيد، وتندد بتاريخ الآخر وتشوهه عمدًا، أو بدون عمد. وهذه ظاهرة خطيرة، يلاحظها كل من يعكف على دراسة المناهج الدراسية الأوروبية بصفة خاصة، وقد أطلق عليها الباحثون مصطلح: (Eurocentrismez) أي المحورية العرقية الأوروبية، التي تجعل من أوروبا محور العالم، وتجعل كل الدول

* باحثة / الأمين العام المساعد لشؤون المرأة بالمجلس العالمي للدعوة الإسلامية / سويسرا.

والشعوب، تدور في فلك أوروبا[1]، وتؤكد هذه المناهج، على أن أوروبا هي مهد الحضارة والثقافة والتاريخ، وأن تاريخ الشعوب والدول الأخرى، يكتب ابتداء من تاريخ أوروبا، أي أن أهم أحداث التاريخ العالمية، تجري بمحاذاة ومواكبة تاريخ أوروبا، أما الأحداث الهامة التي مرت بها الأمة العربية والإسلامية مثلاً، فيتم إغفالها تمامًا، ويتم التركيز فقط على بعض الأحداث غير ذات الأهمية، والتي تبرز تفوق أوروبا أو انتصارها على المسلمين.

وهكذا ينشأ المواطن الأوروبي منذ صغره، على فكرة أن الآخر، أي المسلم، أقل شأنًا من الأوروبي، وأنه لا يستحق أن يهتم به، ولا أن يدرس تاريخه، لأن الحضارة الأوروبية متفوقة على الحضارة الإسلامية، حسب اعتقاده الراسخ، وفي الغالب تكتفي المناهج الدراسية الأوروبية، بذكر بعض المعلومات الطفيفة عن الإسلام والمسلمين، تتناقلها كتب التاريخ من طبعة لأخرى، دون الأخذ في الاعتبار التغييرات الجغرافية والتاريخية والسياسية والاقتصادية، للدول العربية والإسلامية، وللحياة الاجتماعية لهذه الشعوب.

حرص الأوروبيون على تصوير الآخر، أي المسلم بأسلوب منفر لتشويه صورته.

وتعد ظاهرة «تهميش الآخر» هذه، نوعًا من رفض «الآخر» أي المسلم المختلف عن الأوروبي، وعدم قبول التعرف عليه، وعلى مكونات هويته، وعلى دوره في تاريخ وحضارة العالم وقيمة، هذا الدور. وهذه اللامبالاة بتاريخ الآخر، خاصة تاريخ الإسلام والمسلمين، إنما تعكس الرفض الواعي المتعمد، أو غير الواعي للآخر، وقد حرص الأوروبيون منذ العصور الوسطى، وعبر الأجيال، على تصوير الآخر، أي المسلم وكل ما يتعلق به، بأسلوب منفر، لتشويه صورته، حتى يخاف منه التلاميذ، منذ أول لقاء لهم مع الإسلام والمسلمين، على صفحات كتب التاريخ المدرسية.

وهذا التشويه قد ترسب في نفوس الأوروبيين منذ الصغر، لأن العلم في الصغر كالنقش على الحجر، وهذا ما ظهر جليًا بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م في أمريكا من خلال تصريح رئيس وزراء إيطاليا، «سيلفيو بارلسكوني» حين قال: «إن حضارتنا أرقى من الإسلام... ويجب أن نعي تفوقنا، تفوق الحضارة الغربية». ولم يكن ذلك زلة لسان، -كما قيل- بل انعكاسًا للقناعات الراسخة في ذهنه منذ الصغر، مثله مثل كل أوروبي مسيحي، تعلم في المدارس الحكومية، في أي دولة أوروبية، وأخذ معلوماته من كتب التاريخ المدرسية.

وهكذا تغلب النقش المشوه المحفور في الذاكرة، منذ الطفولة، على الدبلوماسية السياسية، لرئيس وزراء دولة ترى نفسها من أعرق الدول الأوروبية، بينما العالم يدخل الألفية الثالثة، وينادي بالتعايش السلمي، وبمزيد من التسامح بين الشعوب، وبالعلمانية، ليصبح العالم قرية واحدة بدون فوارق، ولا حواجز مسبقة، صنعها الجهل بالآخر، على مر العصور.

ونجد نفس هذه الظاهرة، مع بعض الاختلاف في المناهج الدراسية الأمريكية، أي في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي كندا، بل نجدها في المناهج الدراسية؛ أيضًا في استراليا، وبالرغم من أن تاريخ دول أمريكا الشمالية وأستراليا، يعتبر حديثًا بالنسبة لتاريخ الدول الأوروبية، وأيضًا بالنسبة لتاريخ الإسلام والمسلمين، وكذلك الحال بالنسبة لكندا، فهي تعتبر شمال القارة الأمريكية، وكذلك الحال بالنسبة لتاريخ قارة استراليا، والمناهج الدراسية في هذه الدول، لا

1. انظر سومر ويليم، العرقية، نيويورك 1953.

تعطي لتاريخ الإسلام والمسلمين، الاهتمام اللازم، بقدر ما تقدم صورة مشوهة عنهما، ربما تكون منقولة عن المناهج الدراسية الأوروبية، مع بعض التعديلات الطفيفة.

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن المجلس الأوروبي منذ منتصف القرن العشرين، يولي اهتمامًا خاصًا بقضية توحيد المناهج الدراسية لمادة التاريخ، في دول الوحدة الأوروبية، كما يهتم بوجه خاص، بتقنية تلك المناهج، من القوالب النمطية السلبية، والشوائب التي تسئ إلى كل من اليهود والمسلمين. ولقد عقد المجلس الأوروبي، عدة مؤتمرات وندوات لمعالجة هذه القضية الشائكة، وأصدر قرارات وتوصيات في غاية الأهمية، تتسم بالموضوعية والرغبة في التصحيح، بإدراج الحقائق التاريخية الثابتة، وخاصة فضل الحضارة الإسلامية، وفضل العلماء العرب المسلمين على النهضة الأوروبية، ونذكر هنا باختصار أهم هذه التوصيات الصادرة عن تلك المؤتمرات والندوات:

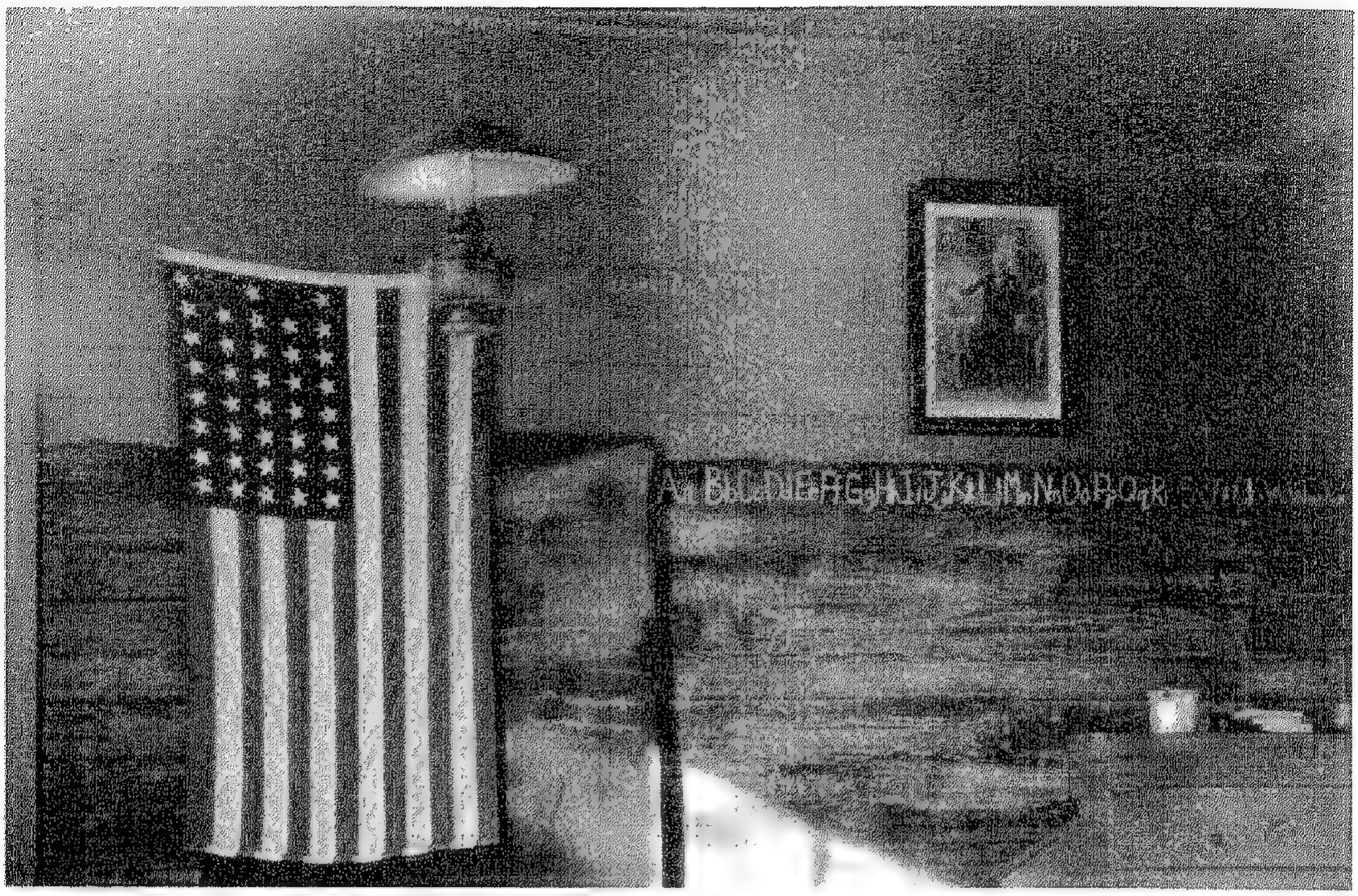
- ❖ توصية المائدة المستديرة في روما عام 1953م، حيث نادي روبير شومان، الأب الروحي للوحدة الأوروبية بـ«تنقية المناهج الدراسية من التلوث وعلاج التسمم الموجود فيها».
- ❖ توصية مؤتمر أوسلو 1954م، اعتبار الإسلام حضارة أصيلة zeuqitnehtua.
- ❖ التوصية رقم 1162 لعام 1991م، للجمعية البرلمانية للمجلس الأوروبي، الخاصة بمساهمة الحضارة الإسلامية في الثقافة الأوروبية.
- ❖ توصية الاجتماع الـ19 للمؤتمر الدائم لوزراء التربية والشؤون الثقافية للدول أعضاء المجلس الأوروبي، فيينا 2003م، بشأن مشروع المجلس الأوروبي الخاص بإعادة النظر في محتوى تدريس التاريخ، خلال القرن العشرين.

وتعتبر هذه التوصيات في غاية الأهمية، وتبرز الجهود التي يبذلها المجلس الأوروبي، لتنقيح وتوحيد مناهج التاريخ، في مدارس دول الوحدة الأوروبية. إن تطبيق هذه التوصيات، سيقدم خدمة كبيرة للدارسين والمتتبعين لهذه القضية، حيث سيكون من السهل الإطلاع على هذا المنهج الموحد، وتكثيف الجهود عليه في لغة واحدة، وتكليف لجنة من خبراء المسلمين المتخصصين للاطلاع على هذا المنهج الموحد، قبل نشره وطباعته وتوزيعه، وإدخال التعديلات عليه، بالاتفاق مع المسؤولين التربويين الأوروبيين، وأصحاب دور النشر الكبرى، التي ستقوم بنشره وتوزيعه. والى أن يتم إعداد هذا المنهج الأوروبي الموحد المرتقب، سيستمر الخبراء المهتمون بالمناهج الدراسية، في الإطلاع على مختلف كتب التاريخ المدرسية، في دول الوحدة الأوروبية، لاستخراج صورة الإسلام والمسلمين منها.

المجلس الأوروبي يولي اهتماماً خاصاً بقضية توحيد المناهج الدراسية لمادة التاريخ.

وهذه المهمة، مهمة شاقة، حيث إن الحصول على كتب التاريخ المدرسية، ليس بالأمر السهل، وإن كان هناك في ألمانيا معهد متخصص في مدينة برانشفيج، وهو معهد «جورج ايكارت انستيتوت»، متخصص في توفير كتب التاريخ المدرسية، لمعظم دول العالم بجميع اللغات، وقد تشرفنا بزيارته عند الاضطلاع بهذا المشروع، لإعداد هذه الدراسة.

ونشير هنا إلى الدراسة، التي أجريناها باللغة الفرنسية عام 1994م، تحت إشراف مكتب التربية الدولي في جنيف، والتابع لمنظمة اليونسكو، تحت عنوان: «دراسة مقارنة بين صورة الآخر في مناهج التاريخ المدرسية، في بعض دول شمال البحر الأبيض المتوسط، ودول جنوبه» (فرنسا، وإسبانيا، واليونان من ناحية، ومصر، والأردن، ولبنان، وتونس، من ناحية أخرى)، حيث كان اهتمامنا منصبًا على وجه



الخصوص، حول مناهج التاريخ في نهاية المرحلة الابتدائية(2)، وقد توصلنا في تلك الدراسة، إلى أن التاريخ الذي يتم تدريسه للتلاميذ الأوروبيين الصغار، في دول شمال البحر الأبيض المتوسط، يحتوي على معلومات مختلفة تمامًا، عما يتم تدريسه للتلاميذ العرب المسلمين في مدارس جنوب البحر الأبيض المتوسط، وأن المناهج في الدول الأوروبية المتوسطية، التي درسناها تعمد إلى تقديم مفهوم عن الإسلام وعن المسلمين، وعن نبي الإسلام، محمد ﷺ يتفق مع المفهوم اليهودي المسيحي للإسلام، ويحتوي على معلومات تجرح شعور المسلمين.

وكنا نأمل ـ بعد انقضاء حوالي عشر سنوات، على إجراء تلك الدراسة المستفيضة، التي رصدت أهم المغالطات السائدة عن الإسلام والمسلمين، في المناهج الدراسية، في ثلاث دول أوروبية، هي: فرنسا، وإسبانيا، واليونان، حيث يوجد بكل منها جالية إسلامية، من أكبر الجاليات الإسلامية في أوروبا، أن نجد في المناهج الجديدة تنقية من السلبيات والتشوهات، خاصة بعد ازدياد عدد التلاميذ المسلمين في المدارس الأوروبية، نتيجة لتزايد الوجود الإسلامي الأوروبي، وتضاعف أعداد المسلمين في الدول الأوروبية، خلال العشر سنوات الماضية.

ولكننا عند إعداد هذه الدراسة الجديدة، عن صورة الإسلام والمسلمين، في المناهج الدراسية، ـ وخاصة مناهج التاريخ ـ في الغرب، وبعد تحليل أحدث كتب التاريخ المدرسية الأوروبية والأمريكية، وجدنا أن المناهج الدراسية للمرحلتين الإعدادية والثانوية في معظم الدول الغربية، تهتم أكثر في طبعاتها الجديدة بالإسلام، في العصر الحديث، أي تاريخ المسلمين منذ القرن التاسع عشر الميلادي، وحتى الآن، وبالرغم من أن هذه المناهج الدراسية الأوروبية، مثلها مثل المناهج الأمريكية، تحاول الحفاظ بقدر الإمكان

2 ـ د. فوزية العشماوي، دراسة مقارنة بين صورة الآخر في مناهج التاريخ المدرسية في بعض دول شمال البحر المتوسط، ودول جنوب البحر الأبيض المتوسط، مطبوعات معهد روبير شومان لأوروبا، باريس 1996م. باللغة الفرنسية.

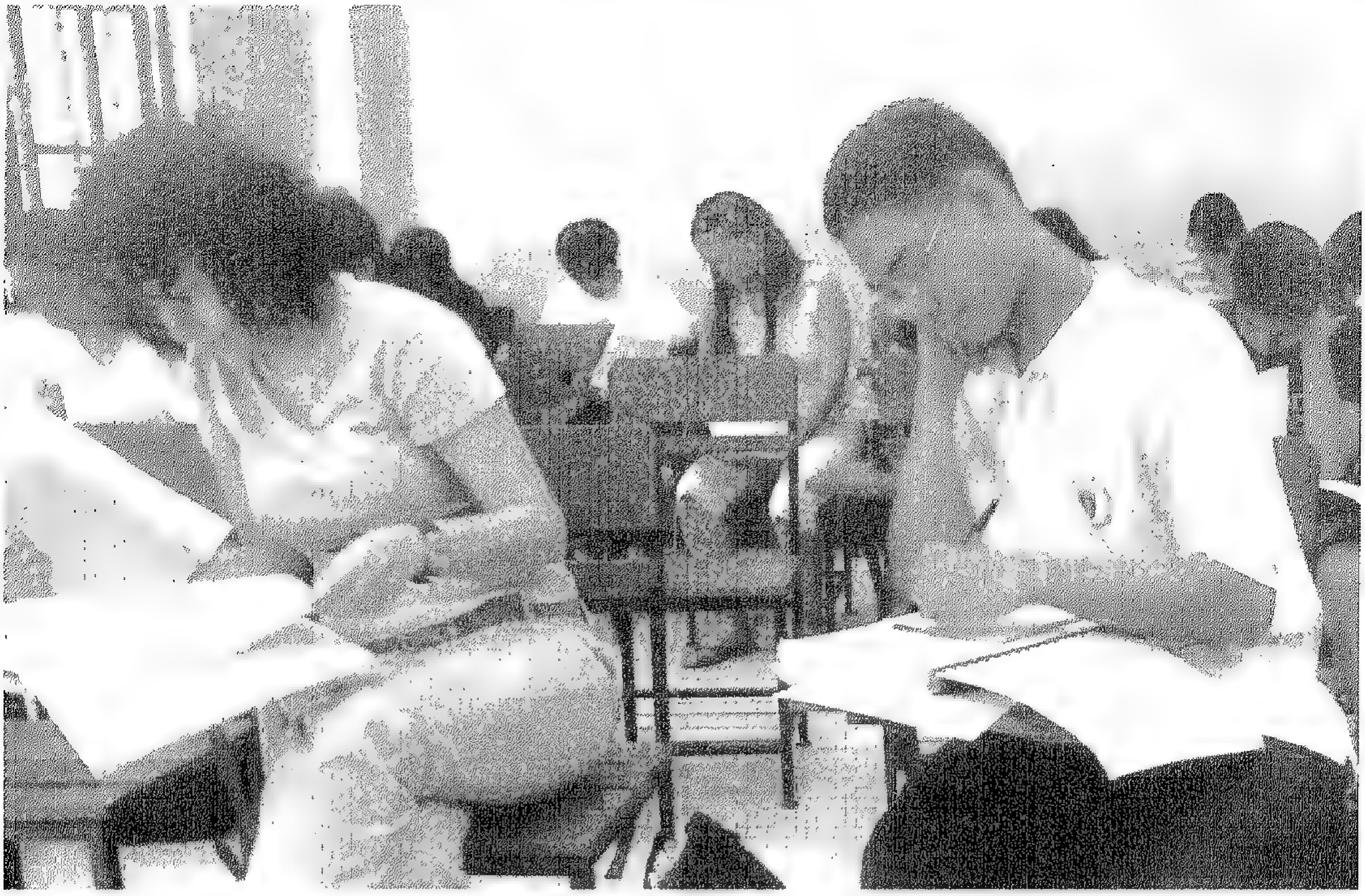
على العلاقات الدبلوماسية الموجودة بينها وبين الدول الإسلامية، منذ بداية القرن الماضي، وكذلك مراعاة المواثيق والمعاهدات الدولية التي تربط بين الدول، والتي تنص على احترام حقوق الإنسان وحقوق الأقليات، في جميع أنحاء العالم، كما أننا لاحظنا أن الصورة التي تعطيها معظم هذه المناهج عن الإسلام والمسلمين، لا تزال مشوهة وعالقًا بها كثير من الشوائب والمغالطات المعتمدة، وكثير من النواقص والاغفالات، وعدم الاهتمام بالجوهر، والتركيز على الأنماط المتكررة والأفكار المتوارثة.

لقد ارتأينا استكمالاً للمشروع الذي بدأناه عام 1994م، والذي ارتكز على دراسة صورة الإسلام في المناهج الدراسية الأوروبية، في المرحلة الابتدائية، أن نقوم هذه المرة، في الدراسة الحالية، باستخراج صورة الإسلام والمسلمين، من المناهج الدراسية للمرحلة الإعدادية والثانوية، في دول الوحدة الأوروبية، وفي الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك من خلال بعض القضايا الهامة المحورية التي تهتم بها المناهج الدراسية الغربية، وتبرزها في كتب التاريخ وتركز عليها أساسًا لعرض صورة الإسلام والمسلمين، ومن أجل إعداد هذا البحث، اطلعنا على أحدث الطبعات (من 1995 إلى 2004)، لكتب التاريخ المدرسية للمرحلتين الإعدادية والثانوية، في الدول الغربية، وبناء على توصيات المجلس الأوروبي، منذ عام 1952م، باختيار كتب التاريخ الفرنسية، كنموذج للمنهج الموحد للتاريخ، في دول الوحدة الأوروبية.

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن صورة الإسلام والمسلمين في المناهج الدراسية في فرنسا، لا تزال بها كثير من الشوائب والسلبيات والإغفال المتعمد للحضارة العربية والإسلامية، بل وبعض التشويه والاتهامات الباطلة. وربما يرجع ذلك إلى الخلفية التاريخية، والآثار المترتبة عن حرب الجزائر، واستعمار فرنسا للجزائريين «العرب المسلمين»، والسياسة الاستعمارية التي اتبعتها فرنسا، لتشويه صورة هؤلاء المسلمين وتحقيرهم وتحقير معتقداتهم، واعتبارهم أدنى من الفرنسيين أصحاب السلطة والسيطرة في الجزائر، ومن ثم ترسخت هذه الصورة المشوهة عن المسلمين العرب، التي كان المقصود منها الجزائريين خاصة، والتصقت هذه التشوهات والسلبيات في أذهان الفرنسيين عن المسلمين عامة. فلا تزال فرنسا مصرة على سياستها العلمانية، وتعطي أهمية كبيرة جدًا لما يطلقون عليه في فرنسا تعبير «احترام قيم الْعَلْمَانية»، وتطبيق الحياد التام فيما يتعلق بالتعامل مع الأديان في المدارس الحكومية، وخير دليل على ذلك هو القانون الجديد الذي أصدرته فرنسا واعتمده البرلمان الفرنسي بأغلبية ساحقة في النوار (فبراير) 2004م، بمنع التلاميذ في المدارس الحكومية الابتدائية والثانوية، من ارتداء علامات دينية بارزة، هذا القانون الذي تم تطبيقه ابتداء من العام الدراسي الفاتح (سبتمبر) 2004م، في فرنسا، والذي ترتب عليه منع دخول التلميذات المسلمات اللواتي يرتدين الحجاب إلى المدارس الحكومية في فرنسا.

صورة الإسلام والمسلمين في المناهج الدراسية في فرنسا، لا تزال بها كثير من الشوائب والسلبيات والإغفال المتعمد للحضارة العربية والإسلامية.

أما بقية الدول الأوروبية الأخرى، المجاورة لفرنسا، فقد خطت خطوات كبيرة خلال السنوات العشر الأخيرة، نحو تنقية صورة الإسلام والمسلمين، في مناهجها الدراسية، ولاسيما النمسا، وانجلترا، وإيطاليا، وألمانيا، والسويد، والدانمرك، وإسبانيا. ومن المعروف أن معظم هذه الدول الأوروبية قد اعترفت بالإسلام رسميًا (النمسا، إسبانيا، السويد،



الدانمرك)، والبعض الآخر اعترف بالإسلام كدين لبعض المواطنين فيها، ومن ثم أصبح تدريس التربية الإسلامية في المدارس الحكومية في هذه الدول معترف به رسميًا، ويتولى تدريس التربية الإسلامية مدرسون مسلمون تقوم الدولة بدفع مرتباتهم من ميزانيتها. وكان من نتيجة ذلك أن صورة الإسلام والمسلمين قد تحسنت كثيرًا، فلم يعد ممكنًا اضطهاد بعض المواطنين فيها، بسبب الدين بتشويه صورتهم وصورة دينهم، في الكتب المدرسية، لأن ذلك يتنافى ويتعارض مع قوانين تلك الدول، ومع دساتيرها، خاصة أن المسلمين في كل دولة، من هذه الدول الأوروبية، أصبح لهم هيئة إسلامية رسمية، تمثلهم لدى الحكومة، وتدافع عن حقوقهم.

وقد وجدنا أن صورة الإسلام والمسلمين متشابهة في أغلب كتب التاريخ المدرسية، في هذه الدول الأوروبية، وأنها أصبحت صورة بعيدة عن التشوهات السابقة، بالرغم من وجود بعض السلبيات، خاصة الإغفال المعتمد، لفضل الحضارة العربية والإسلامية، على الحضارة العالمية، وفضل العلماء العرب المسلمين في الأندلس، في العصر الذهبي للإسلام، على النهضة الأوروبية في القرن الخامس عشر. أما في فرنسا فإن الصورة تختلف تمامًا، ولا تزال صورة مشوهة، وبها كثير من الشوائب والسلبيات، بدرجات متفاوتة، في طبعات مختلفة لدى ناشرين متعددين، نذكر هنا أكثر هذه الكتب انتشارًا، وهي طبعات: «هاتييه وهاشيت ومانيار وبيلين وناثان وبورداس»، وكل هذه الطبعات، تحتوي على نفس المنهج تقريبًا، ويتم تدريسها في المدارس الحكومية، أو المدارس الخاصة في فرنسا، وكل مدرسة تختار كتاب التاريخ من بين مختلف الطبعات هذه، وتقرره على تلاميذها ولا يتم تعديل هذه الكتب إلا كل 5 سنوات، وعلى سبيل المثال، فلا تزال طبعة 2001م، تدرس في معظم مدارس فرنسا، في العام 2004م.

وباستعراض معظم هذه الكتب وتحليل ما تذكره عن الإسلام وعن المسلمين، نجد في الغالب أن عدد الصفحات المخصصة للشرق وحضاراته، بما في

ذلك الحضارة البيزنطية والصينية، يقل عن 10٪ من إجمالي كتاب التاريخ، والنسبة المخصصة للحضارة الإسلامية داخل الحضارات الشرقية، لا تتعدى نسبة 4,5٪ من إجمالي المقرر الدراسي، وهي نسبة ضئيلة جداً، بالمقارنة بباقي المقرر، أي نسبة 5,5٪ المخصصة لتاريخ أوروبا وأمريكا(3). وتدرج مناهج التاريخ المدرسية، تاريخ العالم العربي والإسلامي، منذ الصف الدراسي الخامس الابتدائي، ويتدرج المنهج، ويتسع ويشمل قضايا ومحاور، تتناسب مع تزايد سن التلاميذ، وتنامي إدراكهم ووعيهم في الصفوف الدراسية، في المراحل الإعدادية والثانوية.

وبمراجعة كتب التاريخ الفرنسية المذكورة بعالية، وجدنا أن كتاب: «هاتييه» للتاريخ، طبعة 2001م، المخصص للصف الثالث الإعدادي، هو الذي يخصص أكبر عدد من الصفحات، لعرض الحضارة الإسلامية، حيث بلغ عدد الصفحات أكثر من 20 صفحة، من مجموع 288 صفحة، وهي نسبة 7٪ تقريبًا، وهي أعلى نسبة بين جميع الكتب الدراسية الأخرى، التي اطلعنا عليها.

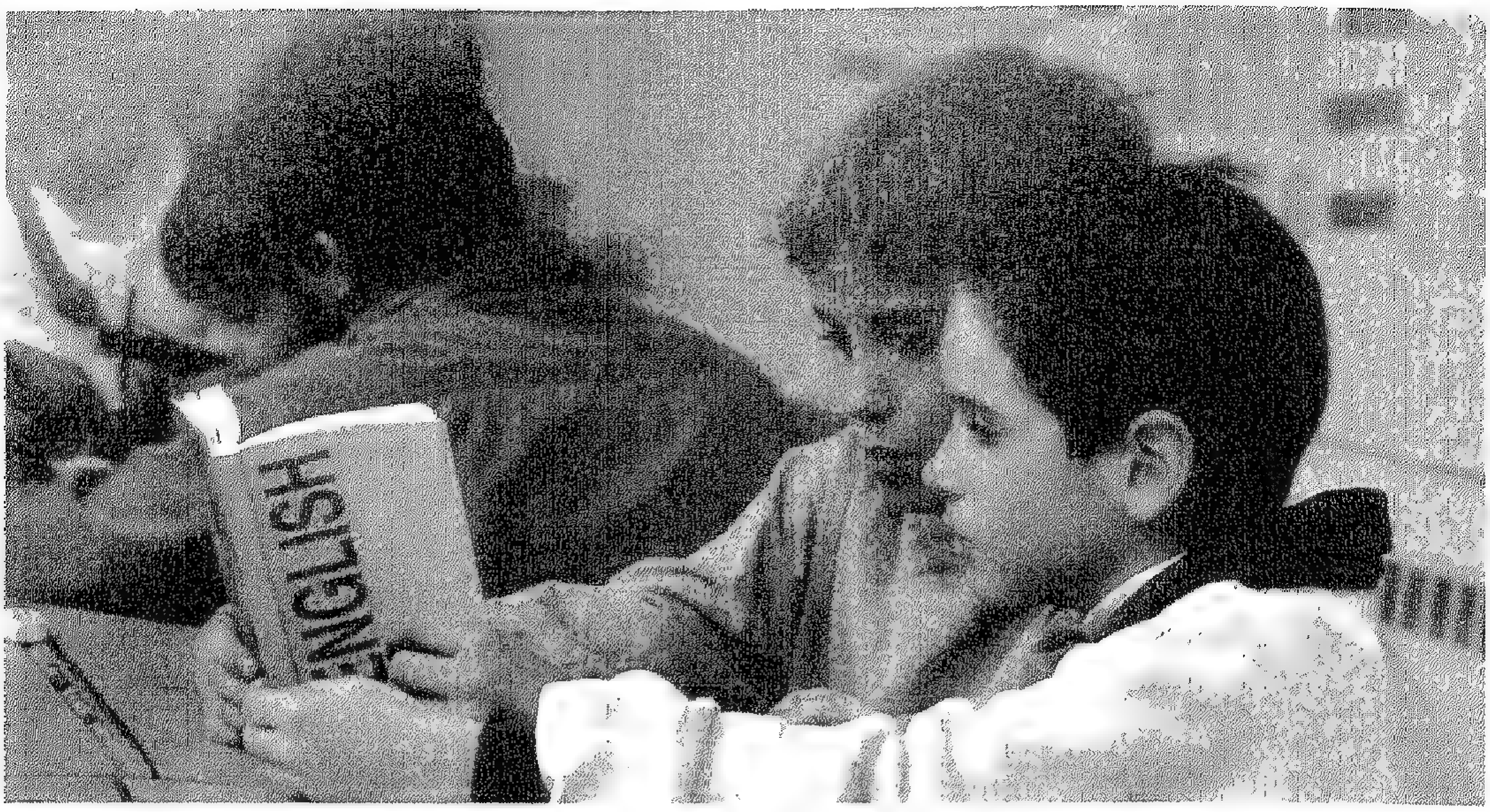
ومن هذا المنطلق أعطينا اهتمامًا خاصًا في دراستنا هذه، لكتب تاريخ «هاتييه وهاشيت»، والتي تدرس حاليًا في المدارس الإعدادية والثانوية في النظام الفرنسي، وكذلك في سويسرا، الناطقة بالفرنسية، وهذه الكتب تعكس خلاصة خبرة ونتاج قناعات مؤلفيها، بأهداف المجلس الأوروبي لتوحيد منهج التاريخ، في دول الوحدة الأوروبية(4). كما اهتممنا أيضًا بكتاب الناشر (Hachette)، وسلسلة للتاريخ والجغرافيا في العالم الحديث (ابزا)، والذي يدرس في المدارس الثانوية ويهتم بالقضايا المعاصرة في العالم. وتطبق معظم هذه الكتب نفس الأسلوب في عرض الأحداث التاريخية، من منطلق عرض أهم القضايا المحورية، التي تدور الأحداث التاريخية في مجراها.

أما الولايات المتحدة الأمريكية، فمثلها مثل فرنسا، لا تعترف بالإسلام رسميًا، ولكن المناهج الدراسية فيها تولي اهتمامًا شديدًا بالإسلام، كدين وكثقافة، وليس كحضارة، وكذلك الاهتمام بالمسلمين كمواطنين أمريكيين أولاً، وثانيًا كشعوب لها مصالح وارتباطات اقتصادية، مع الولايات المتحدة الأمريكية؛ ونظام الدراسة في المدارس الإلزامية الأمريكية، يختلف عن نظام التعليم في الدول الأوروبية، وقد لاحظنا أن مادة التاريخ، ليست من المواد الأساسية في التعليم الأمريكي، ولا توليها الدولة الاهتمام الذي توليه للمواد الرئيسة وهي الرياضيات واللغة الانجليزية والفيزياء، أما مادة التاريخ فهي وإن كانت إلزامية حتى الصف الثامن (الثاني الإعدادي) إلا أنها بعد ذلك تصبح اختيارية ولا تستغرق سوى حصة واحدة في الأسبوع، إذا تم اختيارها، أي 45 دقيقة تاريخ فقط في الأسبوع، وهي نسبة ضئيلة جدًا لا تكفي إلا ليستوعب التلميذ المعالم الأساسية لتاريخ بلاده، وبعض المعلومات الطفيفة عن تاريخ الأمم الأخرى، أما إذا لم يختر الطالب مادة التاريخ فإنه لا يتعلم شيئًا عن الأمم الأخرى، لا تاريخها ولا شيء عن ثقافتها، وفي ظل هذا النظام في التدريس فإن التلميذ الأمريكي لا يهتم بمادة التاريخ عامة ومن ثم فإن اهتمامه بسيط

الولايات المتحدة الأمريكية، مثلها مثل فرنسا، لا تعترف بالإسلام رسميًا، ولكن المناهج الدراسية فيها تولي اهتمامًا شديدًا بالإسلام، كدين وكثقافة، وليس كحضارة.

3- هنري دال بيب، صورة الشرق في كتب التاريخ الفرنسية، تولوز، 2004.

4- انظر تقرير هنري دا بيب، أرشيف المجلس الأوروبي في ستراسورغ، تولوز، 2004.



جدًا بالإسلام والمسلمين، ومعلوماته عنهما تعتبر ضحلة جدًا.

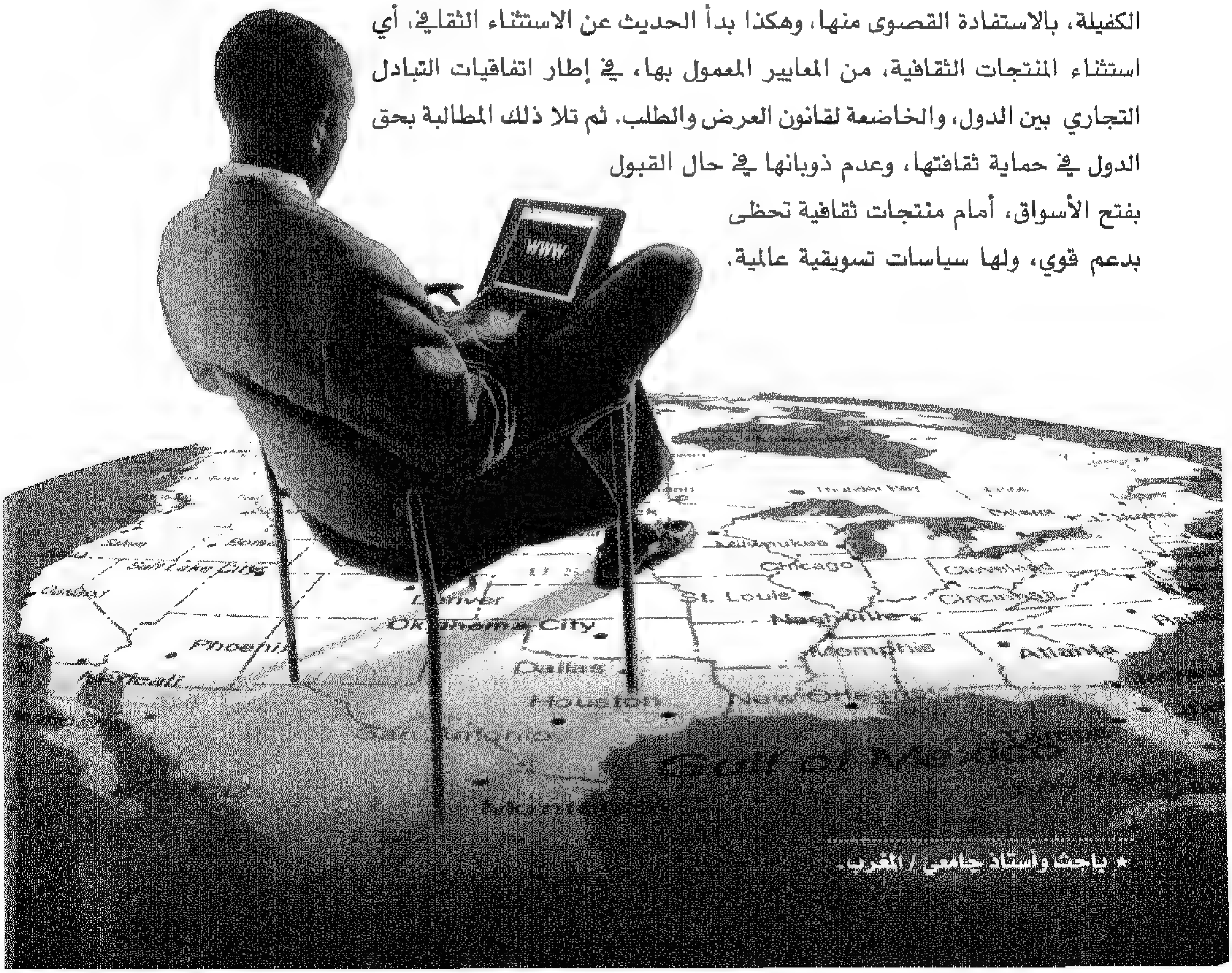
وتوجد في الولايات المتحدة الأمريكية هيئة حكومية مستقلة هي المجلس الأمريكي للمناهج الدراسية American Textbook Council (ATC) الذي أنشئ في نيويورك عام 1988م، والذي يتولى «مراجعة محتويات كتب التاريخ المدرسية لتتوافق مع القيم الغربية». كما توجد هيئة إسلامية مستقلة لمراقبة ومراجعة ورصد كل ما يذكر عن الإسلام والمسلمين في المناهج الدراسية الأمريكية وهي: Council on Islamic Education (CIE) مجلس التربية الإسلامية، وقد تم إنشاء هذا المجلس عام 1989م، في كاليفورنيا، وازداد نشاطه بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م، بصورة كبيرة، وقام بمراجعة كتب التاريخ المدرسية الأمريكية، ورصد ما تحتويه من تشوهات وقوالب نمطية، ومفاهيم خاطئة عن الإسلام والمسلمين، ثم قام بمخاطبة أصحاب دور النشر الكبرى، التي تتولى طباعة كتب التاريخ المدرسية، للتفاهم معها بشأن حذف المقاطع، التي تشوه صورة الإسلام والمسلمين، وتعديل بعض المصطلحات والمفاهيم، لتتناسب مع المفاهيم الإسلامية، وقد تفهم الناشرون الأمريكيون وجهات نظر رئيس ومؤسس المجلس الإسلامي للتربية، (شابير منصوري)، وقاموا فعلا بحذف بعض المقاطع التي تسئ للإسلام والمسلمين، لدرجة أن اللوبي اليهودي في كاليفورنيا، أعد تقريرًا من 23 صفحة، يشتكي فيه من أن كتب التاريخ المدرسية في «سانتا زورا» (كاليفورنيا)، أصبحت تدرس «المصطلحات الإسلامية، وفقًا لما يكتبه مجلس التربية الإسلامية، في صفحته على موقعه «بالانترنيت»... وأنها تعرض صراع الشرق الأوسط، من وجهة نظر الفلسطينيين.... والقضية الفلسطينية الإسرائيلية، طبقًا للدعية (البروباجندا)، التي تنشرها منظمة التحرير الفلسطينية»[5]. وتعتبر هذه الشكوى انتصارًا للجهود، التي يبذلها المجلس الإسلامي للتربية، في كاليفورنيا، ونتمنى أن يعم في جميع الولايات الأخرى، في أمريكا، وكذلك في الدول الأوروبية، لتنقية صورة الإسلام والمسلمين، من كل الشوائب العالقة بها.

5 - انظر تقرير لي كابلان، المناهج الدراسية للجهاد، مجلة الصفحة الأولى، كاليفورنيا، مارس 2004 م.

من أجل عولمة الخصوصية الإيمانية والأخلاقية

د. عبد الإله بنعرفة*

إن العولمة الحالية التي اكتسحت العالم، وفرضت نمطًا معينًا في التفكير، وتعاملاً مُوحَدًا مع مجتمع اقتصاد المعرفة، قد ولدت وعيًا قويًا لدى شعوب المعمورة، بضرورة التعامل البناء، والمتفاعل مع ظاهرة العولمة. وبدل الدعوى التي قدمها البعض، لمناهضة العولمة، سار الاتجاه نحو إيجاد الطرق الكفيلة، بالاستفادة القصوى منها، وهكذا بدأ الحديث عن الاستثناء الثقافي، أي استثناء المنتجات الثقافية، من المعايير المعمول بها، في إطار اتفاقيات التبادل التجاري بين الدول، والخاضعة لقانون العرض والطلب. ثم تلا ذلك المطالبة بحق الدول في حماية ثقافتها، وعدم ذوبانها في حال القبول بفتح الأسواق، أمام منتجات ثقافية تحظى بدعم قوي، ولها سياسات تسويقية عالمية.



* باحث وأستاذ جامعي / المغرب.

وتبلور هذا الاتجاه داخل المنظمات الدولية المختصة، كاليونسكو والإيسيسكو وغيرهما، حيث صدر عن الأولى الإعلان العالمي، حول التنوع الثقافي، ثم زكاه الإعلان الإسلامي حول التنوع الثقافي، الذي صدر عن منظمة الإيسيسكو، للتأكيد على الخصوصية الإسلامية في الموضوع، ثم تطور الأمر بعد ذلك، إلى أن حدث شبه إجماع دولي، بضرورة إصدار اتفاقية دولية، حول التنوع الثقافي. وبالفعل، فقد تم هذا الأمر، ووقعت على هذه الاتفاقية 148 دولة، باستثناء الولايات المتحدة وإسرائيل، في أكتوبر 2005م، وهذه الاتفاقية تؤكد على حق الدول في حماية منتوجها الثقافي ودعمه، وعدم تعريض ثقافتها لخطر الذوبان والانقراض، إن هذا الوعي نشأ من كون المنتوج الثقافي، يحمل محتوى حضاريًا لصيقًا بقضية الهوية، فهو ليس محايدًا كغيره من السلع الثقافية، بل يحمل ويروج للثقافة التي صدر عنها. ومن هنا استشعر الجميع، أن فتح الأبواب أمام المنتجات الثقافية المهيمنة، من دون اكتساب تنافسية عالية، وإقرار المساطر القانونية التي تصحح قانون العرض والطلب، واعتماد قاعدة الحصص في البث الإذاعي، للمواد الثقافية الوطنية، الخاصة بكل بلد، من شأنه أن ينعكس سلبًا، على الثقافة الوطنية لكل بلد.

وفي إطار هذه الاتفاقية، وعلى إثر الأزمة العالمية، التي أثارتها صحيفة دانماركية، بنشر رسومات مركبة ومتخيلة، مسيئة لشخص رسول الرحمة إلى العالمين، أقترح التفكير في مفهوم جديد للعولمة، يمكن أن نسميه: عولمة الخصوصية الإيمانية والأخلاقية.

لقد تبين فعلاً، أن هذه الأزمة، طرحت على العالم، مسألة الخصوصية الثقافية، لكل حضارة، وتبين كذلك أن هناك اختلافًا، في تقدير تلك الخصوصية الثقافية، بين مقتضيات حرية التعبير، وضرورات احترام المقدسات.

إن الأخلاق في نظر العولمة الأحادية، منبعها الثقافة فقط، والقيم الأخلاقية، محصورة في هذه الثقافة، وهي تتغير بفعل مرور الوقت والأزمان. ولكن القول بأن القيم محصورة في الثقافة فقط، يؤدي إلى قطع تلك القيم، عن أصلها الإيماني، وهي خطوة على درب نزع القداسة، عن منظومة الأخلاق، باعتبارها ظاهرة اجتماعية، تخضع لنفس ما تخضع له الظواهر الاجتماعية، من التقلب والتغير والطعن والنقض وغير ذلك. فإذا ترسخت لدى الجميع هذه القناعة، أمكن بسهولة تجريد القيم عن الإيمان، وإلحاقها في خزائن الذاكرة، وتعريضها لنقد العقل المنقطع، عن كل مصدر علوي. ومتى قطع عن منظومة القيم هذا المصدر الإيماني، وألحقت بمشرحة العقل الوضعي، ثم صُفّفت في الذاكرة، صارت كشأن باقي القيم المجردة، عن نماذجها الحية، التي تبعث فيها روح التجدد والاستمرارية. إن هناك فرقًا بين القيم المتصوَّرة ذهنيًا، وتلك المشخصة فعليًا في حياة الناس، لدى نماذج الكمال عبر التاريخ، كالأنبياء ومن دونهم، من أهل الصلاح. والإيمان لا يترسخ إلاّ إذا تجسد في مظهر إنساني كامل، يكون المظهر الأتم لذلك الإيمان، ويمد الناس بالحياة المتجددة لهذه القيم.

العولمة الحالية تسعى إلى انتزاع القيم من أصلها العلوي وإلحاقها بالمجال الثقافي العام

وهكذا يظهر لنا أن العولمة الحالية، تسعى إلى انتزاع القيم، من أصلها العلوي، وإلحاقها بالمجال الثقافي العام. وفي هذا التحويل نوع من المصادرة، لتاريخ الحضارة الإنسانية عمومًا، كما أنه يتسم بنوع من العنف الثقافي، شاهدنا بعض آثاره، خلال أزمة الرسوم المذكورة المشار إليها سابقًا.

وللخروج من مستنقع هذه العولمة الأحادية، وتحقيقًا للسلم العالمي، والتصالح الثقافي، والتحالف الحضاري، نرى أنه من المفيد أن نؤكد على الخصوصية الإيمانية والأخلاقية، ومحاولة عولمتهما.



وهناك إشكالات فكرية، يطرحها هذا الأمر، ويمكن الإجابة عنها وحلها، بالتأكيد على أن العقل، يمكن ربطه بالإيمان، وأن الثقافة يمكن وصلها بالفطرة الإنسانية النقية، وأن السياسة يمكن ربطها بالصلاح والخير. وهذا يعني أولاً، رفض الحتمية القائلة بتلازم العقل مع اللا إيمان، والثقافة بالمكتسب الاجتماعي، والسياسة بالمصلحة الضيقة، إن تفكيك هذه الثنائيات، وإعادة ربطها مجددًا وفق ما ذكرناه، من تلازم العقل بالإيمان، والثقافة بالفطرة، والسياسة بالخير، كفيل بإحقاق عولمة ثقافية وحضارية حقيقية، يسودها العدل والسلم والمحبة والرحمة.

إن الخلل كأمن في الخلفية الفكرية، التي تحكم تلك الثنائيات، التي أبطلنا تلازمها، وفي نظرنا ليس هناك تعارض، بين ما هو سياسي، وما هو أخلاقي، أو ما هو عقلي وما هو ديني، أو بعبارة أخرى، ليس هناك تعارض بين ما هو قُدُسي، وما هو دنيوي، والأولى أن نعتبر أن أحدهما، وسيلة إلى الآخر، والتجربة التاريخية والحاضرة، تفيد ذلك، إذ أنّ التعرف على القدسي، لا يتم إلا من خلال الدنيوي، وأقدس المقدسات الذي هو الإله، تعرَّف إلى الناس من خلال ما هو بشري، أي بإرسال الرسل، كما أن ممارسة القدسي، تتم من خلال أفعال حسية، وأعمال بدنية كالصلوات وغيرها. وكل شيء في المقدس، يتوسل بما هو دنيوي، فكيف تجهر العولمة الأحادية، بإقامة تعارض بين ما هو قدسي، وما هو دنيوي؟ بل الأدهى من ذلك، أن اتجاه هذه العولمة الأحادية، يسير نحو إضفاء القدسية، على ما هو دنيوي، بعدما تم نفي القدسي، من الحياة العامة للناس. وهكذا تقدس العولمة الأحادية، ما ليس من شأنه التقديس.

إن هذه الثنائية المصطنعة، التي تعارض بين ما هو قدسي، وما هو دنيوي، مرفوضة في المجال التداولي للحضارة الإسلامية، وكل الحضارات الأصيلة، ولنا كل

الحق في الاختلاف حولها، وليس هذا من العولمة في شيء، بل إن العولمة في مجال الحضارة الإسلامية، ترى أن لا تعارض بين الزمني والقدسي.

المسألة الأخرى، التي يتميز بها المجال التداولي، للحضارة الإسلامية، والتي يمكن تعميم نتائجها في حضارات أخرى، مع تكييفها وفق مكوناتها الأساسية، هي مسألة الأخلاق. ومعلوم أن كل فلسفة أخلاقية، تنظر في الفعل الإنساني، من حيث اتصافه بالخير أو الشر. إن كل مجالات الحياة، يمكن أن تنسحب عليها هذه الثنائية القيمية، فمثلاً، في الاقتصاد الرواج والكساد قيمتان أساسيتان، الأول يؤول إلى قيمة الخير، والثاني شر، لأن الكساد شر يتأذى منه الناس. كما أن السياسة تتأرجح بين قيمتين أساسيتين، هما: جلب المصالح، ودفع المضار. وكلا القيمتين يحكمهما أيضًا الخير والشر. أما في الجانب المعرفي، فإن المعارف تُقَيَّمُ وفق الإفادة وعدمها، وهو ما يعبر عنه باللغو. ونفس المقياس يمكن أن نستعمله لتبيان أن الخير في الفائدة، والشر في اللغو. ثم إن الأخلاق ليست أمرًا عرضيًا، أو تحسينيًا حسب القسمة المعروفة، في علم أصول الفقه، الذي يميز بين الضروريات والحاجيات والتحسينات. ويعتبر هذا العلم أن مكارم الأخلاق، ومحاسن العادات، ترجع إلى هذه التحسينات. والحقيقة أن الأخلاق ليست كذلك، بل هي أمر ضروري، إذ بفقدانها ينحط الإنسان، عن مرتبة الإنسان، ويلحق بالبهيمة، كما أن المجتمع الذي لا يقر بالأخلاق، أو يعتبرها أمرًا عرضيًا، ينتهي به الأمر إلى الانحلال، والتفسخ والانقراض، واللحوق بقطيع البهماوات، التي لا تُحِلُّ حلالاً، ولا تحرم حرامًا. إن نظام الحياة، يختل بغياب هذه الأخلاق. ثم إن الأخلاق مرتبطة بالمصادر العلوية، وليست تواضعًا إنسانيًا مُتبدلاً، كما تصر على ذلك العولمة الأحادية، ومن هنا نستطيع أن نقول، بأن الانتقادات التي أتينا بها لتصور العولمة للإيمان، والدين والأخلاق، والثنائيات التي ترفعها وتجعلها متعارضة، تحمل في طيها مشروع وجواب عن الخصوصية الإيمانية، والأخلاقية الإسلامية، ومع أن تسميتها بالخصوصية، قد يوهم بافتقادها للعالمية، فإن ذلك مجرد انطباع لا يفتأ أن يزول، انطلاقًا من التشريع الإسلامي، الذي يشرع للمسلم وغير المسلم، ثم في الخطاب القرآني ذاته، الذي تقرع آذاننا عند كل صلاة، حقيقة الفاتحة مؤكدة، على أن الله هو رب العالمين. هذه هي العولمة، التي نرغب فيها، ونتمنى أن يشاطرها معنا الأخيار، والأشراف في كل مكان. وهي عولمة هادئة، لا تسعى لطمس معالم حضارات الآخرين، بل تتحاور معها تحقيقًا للتوافق والتراضي، على القواسم المشتركة. كما أن نبي الإسلام هو نبي رحمة بمقتضى القول الإلهي، الذي يؤكد قائلاً:

تلازم العقل بالإيمان، والثقافة بالفطرة، والسياسة بالخير، كفيل بإحقاق عولمة ثقافية وحضارية حقيقية، يسودها العدل والسلم والمحبة والرحمة.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾
[سورة الأنبياء، الآية: 107]

هذه بعض أفكار، أتمنى أن تكون لبنة على طريق الاعتراف والإقرار، بأن هناك خصوصية، إيمانية وأخلاقية في الحضارة الإسلامية، ويجب احترامها، بل والذّب عنها كلما انتهكها منتهك. ومن شأن هذا الاحترام، وذلك الاعتراف، أن يحققا السلم العالمي، ويشعر الجميع، أنهم على سفينة واحدة، يقودها رُبّان متمرس، مهمته الوصول إلى بر السلامة.

الإسلام.. الكل سيان

د. خيما مارتين مونيوث*

ترجمة: خليل صدقة**

تراكمت في السنوات الأخيرة، سلسلة من القضايا المثيرة للجدل، تبدو كأنها عناصر خلاف وصدام، بين ما يمكن أن نسميه العالمين: الغربي والإسلامي. في عالمنا الغربي، نحاول تبسيط الأمر، وكأنه مجرد جدل حول: حدود الحرية ومكامن الحرف.

في نظري، حرية التعبير، لا يمكن إدراجها ضمن القيم المطلقة، المجردة من أي مسؤولية (وهو الأمر الذي يجري إبرازه، عندما يتعلق الأمر بالعالم الإسلامي) مما يبدي حرية التعبير، كامتياز للقدح بالغير. أما الخوف أو الابتزاز، فمن غير المقبول أن يتحول إلى سبب، يجبر على تغيير طريقة التعامل مع الآخر، هذه المعاملة يجب أن تكون حصيلة معرفة متعمقة للطرف الآخر وواقعه. وهناك في العالم الإسلامي الجدل ينطلق من أسس أخرى، تتمثل في مدى الاحترام، أو الطعن في ثقافتهم ودينهم، الذي يقرن عادة بالعنف أو التعصب. مما لا شك فيه، أن ما يسميه جيراننا في الجنوب تصرفات استفزازية غربية، تنم عادة عن تحليلات غير موثقة، ومتجاهلة للحقيقة الواقعية والتنوع الكبير في المجتمعات الإسلامية، وغالبًا ما تعبر ـ أي هذه التصرفات الاستفزازية ـ عن أراء أشخاص لا يلمون بالعالم العربي أو الإسلامي، وعلى الرغم من ذلك تؤخذ وكأنها حقائق ناصعة، توصل إليها خبراء في الموضوع، على دراية كافية بالأوضاع الإسلامية، ولكن من الواضح بأنه طالما اقتصر رد الطرف الآخر (العالم الإسلامي) على هذه الأعمال الاستفزازية، على انفعالات عاطفية، فإن النتيجة لن تكون سوى التأكيد على الأفكار السائدة تغذي الإسلاموفوبيا.

إن أحد أسباب المشكلة القائمة، يتمثل في رسم صورة ممسوخة ومقتضبة حول «الـ نحن». و«الـ هم» أعني الثقافتين، وكان كل طرف -الغرب والإسلام- ليس إلا عالمًا مغلقًا ومتجانسًا يتألف من ملايين البشر.

إن هذا المفهوم التجريدي للثقافات المتبع عند مقارنة العالم الإسلامي مع «الـ نحن»، هو ثمرة عملية إخراج وتصوير زائفة، قام بها الغرب، لإظهار أن 1200 مليون مسلم، وكأنهم بوتقة واحدة، وجسم إيديولوجي متسق، هذا الكم الهائل من البشر، يمثل بالنسبة للغرب، مجرد فرد، وهذا يعني تجاهلاً متعمدًا، للتنوع

---

* باحثة وأستاذة جامعية / إسبانيا.

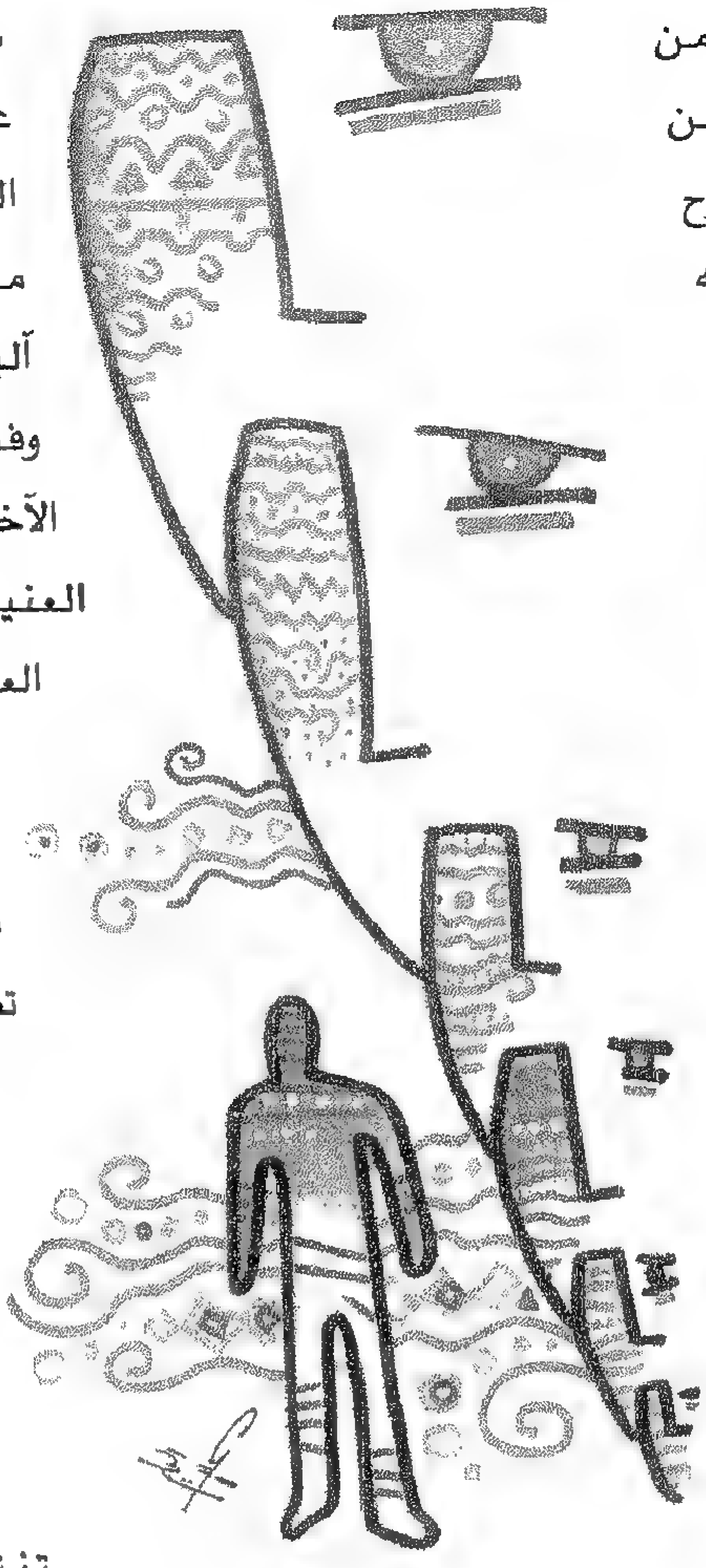
** صحفي ومترجم / إسبانيا.

الهائل الذي يمتد جغرافيًا في آسيا وأفريقيا، بالإضافة لملايين من المسلمين، الذين يعيشون بين ظهرانينا، كل ذلك ناجم عن الطرح الإعلامي الشمولي، الذي خلفته قضية الشرق الأوسط.

إن معالم الإطار الخارجي، للصورة السائدة عن الإسلام في الغرب، تتسم بالتزمت والأصولية واللاعقلانية.

إن محاولة الجمع بين عنصري: العدوانية والاختزال، عند الحديث عند الإسلام، يبرز معالم صورة ممسوخة لجسم إسلامي واحد، مرعب ومتخلف وعنيف؛ تستخدم هذه الصورة، لتبرير البحث عن علاج قصري، يشتمل حتى على الإقصاء، إن لم يكن التصفية المباشرة للطرف الآخر، كما يؤكد (ادوارد سعيد) في كتبه، غطاء الإسلام، هذا المشهد ليس إلا تبريرًا لعودة التدخل الامبريالي والاستعماري، في هذا الجزء من العالم.

خلال عملية التبسيط الساذج لثقافة ممسوخة، من أجل خلق انطباع واسع، في ذهن أغلبية شرائح المجتمعات الغربية، يتم الإفراط في الحديث عن عنصر الانحطاط، أي الجهل، حيث يبدو للإنسان الغربي، بأن شعوب العالم الإسلامي، تعيش مرحلة طويلة من الانحطاط، أدت إلى الجمود والبقاء خارج حركة التطور البشري، وبدون أن ننفي حالة التخلف التي يعاني منها العالم العربي والإسلامي، وهي ظاهرة عامة لكل الدول النامية، التي تفتقر للتنمية

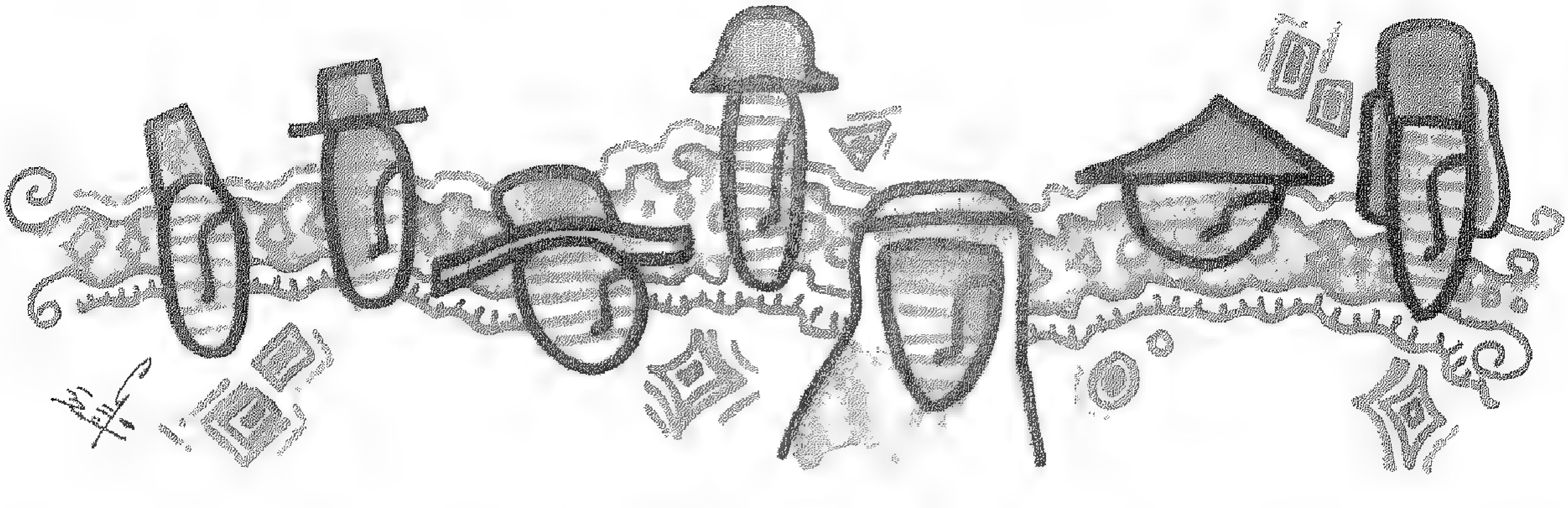


الاقتصادية والسياسية، فإن شعوب هذه المنطقة، لم تتوقف عن المساهمة في التطور التاريخي، وقد حققت انجازات، في مجال التحول نحو الحداثة ضمن آليات خلاقة، ومساهمات فكرية وفلسفية وفنية، والقضية، هي أن الآخرين يجهلون بسبب المقاومة العنيفة، على تقبل انخراط الثقافة العربية، في البنية الراهنة للعالم المتحضر.

ويجب أن لا يخفي عمق مشاعر الإحباط والألم، التي تعتمر في نفس أي عربي أو مسلم، عندما لا يجد من الآخرين، سوى الإصرار، على تقديم عقيدته وثقافته وهويته، بأنها قرين للانحطاط والعنف والتزمت.

شعور الإحباط والأسى، تنتشر في المجتمعات العربية والإسلامية، إن هذه المشاعر ليست ناجمة فقط، عن آثار تجربة التخلف، بل عن معايشة تاريخية طويلة، للعجز والتهميش، بالإضافة إلى احتلال أرضهم وخضوعهم لأنظمة شمولية، وكل ما ترتب على هذه الحقبة الطويلة من ضحايا.

إن المواطنين العرب، والمسلمين في غالبيتهم العظمى، من الحضر المتمدنين، وأكثريتهم من الشباب المتعلمين المتسيسين؛ في ذاكرتهم الجماعية، تتفاعل بقوة شديدة مشاعر الإنتماء إلى جزء من العالم المتميز (مهد الحضارات، منطقة ذات أهمية إستراتيجية، تختزن فيها أكبر احتياطي للطاقة)، ويعتبرون بأن عوامل التميز هذه، كان من



المفروض أن تمنحهم مكانة مرموقة في العالم، بالإضافة إلى ضمان انتعاش وازدهار اقتصادي، لم يروه أبدًا، لأنه بقي خارج إرادتهم، ولا قدرة لهم على التأثير أو الاستفادة منه، كل ذلك يضاعف من شعورهم بالهامشية والحرمان.

كما أن عدم قدرة المجتمع الدولي، والحكومات المحلية، على تطبيق أحكام القانون الدولي (قرارات الأمم المتحدة، والمعاهدات والمواثيق الدولية، وخاصة تلك التي تتعلق بحقوق الإنسان)، كلها عوامل إضافية، تساهم في تعميق مشاعر اليأس؛ أضف إلى ذلك كله، شعور الجماهير العربية، بالعجز عن التأثير في مسرح الأحداث العالمي، وأنها ليست إلا كمًا مهملاً، لا دور له فيما يجري حوله من تطورات.

إن التفاعلات، التي تنجم عن هذه السلسلة من العوامل، تنتج مركبات سامة، تضرر بالإنسان المسلم، وتعمق فيه مشاعر الكراهية، والظلم والإحباط. إن هذا الوضع، يستدعي مراجعة متعمقة في العالم الإسلامي، للخروج من هذه الحلقة المفرغة، المتمثلة في المقارنة بين (النحن والهم) عند تحليل وتفسير ما يعاني منه، مقارنة بما هو عليه الوضع في الغرب، لكي لا ينجرف إلى ردود انفعالية، تعبر فقط عن العجز، في مواجهة الوضع الداخلي، ليلقى باللائمة على الطرف الآخر باعتباره السبب الرئيسي، لكل ما يعاني منه، وهنا ينجرف بكل سهولة، نحو أفكار تحث على الانتقام، تتبناها أقليات متزمتة، وفي اعتقادي، فإن المفكرين المسلمين، مطالبون بالرد المتأني والعقلاني والعلمي، على الأصوات الغربية الاستفزازية، والاستماع لصوت العقل، الذي يتبناه قطاع هام من المفكرين الغربيين، الملمين بتاريخ الإسلام والثقافة والفلسفة الشرقية، والأهم من ذلك، هو طرح كل هذه المسائل انطلاقًا من مبدأ الاحترام، لكرامة الإنسان وعلاقته بموروثه التاريخي والثقافي والديني. وهذا يعني بعبارة أخرى، تشكيل ما يوصف باللوبي المتنور، القادر على الوصول إلى الرأي العام الغربي، للعمل على تغييره.

وإذا لم يعاد النظر في مسيرة الأحداث الجارية، في هذه المنطقة من العالم، على نحو يسمح للمواطنين، بالتحكم في مصيرهم، والتعمق في معرفة العالم الغربي الأصيل، والتمسك بميزة التنوع المثمر (الحوار بين الحضارات)، فإن النتيجة لن تكون سوى فشل آخر، يضاف إلى العلاقات بين الغرب والعالم الإسلامي.

ثلاثة أوجه لدين واحد.. ولكن

قراءة في فكر برنارد لويس

عبد الحميد غريبي*

يُعد (برنارد لويس) من كبار المتخصصين في تاريخ الإسلام، وهو يهودي بريطاني، ولا تعتبر كتاباته بصورة عامة، معادية للإسلام، وإن كانت لا تخلو من نقد للمسلمين. وله مؤلفات عديدة، أحدثها كتاب مثير للجدل بعنوان «عودة الإسلام» وآخر عن «العرب في التاريخ» كما صدر له كتاب بعنوان: «الإسلام والغرب والحداثة». وآخر مؤلفاته دراسة تحليلية يصفها «بالموضوعية» تجيب ـ كما يقول ـ عن سؤال يتردد حاليًا على ألسنة الغربيين وهو: هل يشكل الإسلام خطرًا على الغرب؟.

في الترجمة الفرنسية يحمل عنوان: «أزمة الإسلام» أو «الإسلام يواجه أزمة».

وأهمية الكتاب، تكمن في عرضه الصور النمطية عند أكثر المثقفين الغربيين، عن الإسلام ديناً وثقافة، ثم يحاول إيضاح علاقة المسلمين بالغرب، والجدلية التي أسستها وتؤسسها تلك العلاقة عبر التاريخ.



برنارد لويس

لذلك قد يكون من المفيد لنا ـ ونحن نواجه الحملة تلو الحملة، من غلاة التطرف والفاشيين الجدد ضد الإسلام ـ أن نتبين الصور النمطية، المترسبة في عقول الغربيين عمومًا، عن الإسلام، والمنطلقات التي تشكل مرجعيتهم، في التعامل مع المسلمين، خصوصًا في الزمن الراهن.

وقد يكون عرض مقتطفات مهمة بنصها، كما وردت في الكتاب، أبلغ وأوقع من إستعراض كامل، لكل ما ورد في الكتاب.

يقدم «برنارد لويس» لكتابه فيقول: الإسلام كدين، أقرب بكثير إلى اليهودية والمسيحية منه إلى الديانات الآسيوية، كالبوذية والهندوسية والكنفوشيوسية. والإسلام واليهودية، يتفقان في أن الله وضع للناس شرعة (قوانين) تنظم شؤون حياتهم وآخرتهم، وتشمل جميع المجالات، أما أهم أوجه الشبه بين الإسلام والمسيحية، فهو اعتقاد أتباعهما بأنهم ـ كل في إطار دينه ـ يملكون الحقيقة الإلهية والوحي (الرسالة) الكاملة ويختلفون عن

* صحفي ومترجم / ليبيا.

اليهود، في أنهم مأمورون بنشر دينهم والتبشير به.

فهذه الأديان السماوية الثلاثة، إذا ما قورنت بالأديان الشرقية الأخرى، تبدو وكأنها ثلاثة أوجه لدين واحد.

ومع ذلك فإن الفوارق بينها عميقة، ليس في أصولها العقدية فقط، بل في كثير من فروعها. فالإسلام والمسيحية يختلفان، في علاقة كل منهما بالشؤون السياسية والإجتماعية، فمؤسسو المسيحية، يدعون أتباعهم إلى «دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله».

الدين والسياسة:

يقارن الكاتب علاقة الدين بالسياسة، في تاريخ المسيحية والإسلام فيقول:

«ظلت المسيحية تنتشر منذ ظهورها بين الفقراء والمضطهدين لعدة قرون، إلى أن اعتنقها قسطنطين، ومن ثم قيصر امبراطور روما، حتى أصبحت ديانة الدولة، وسادت جميع أطراف الإمبراطورية الرومانية، وغيرت مجرى تاريخ أوروبا.

الثنائية المسيحية، بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية، غير موجودة عند المسلمين، وليس لها أصل في الإسلام، الذي لا يفصل بين الدين والدولة.

ويقول برنارد لويس : أما الإسلام، فقد اختصر الطريق بأن تأسست الدولة الإسلامية، على يد «مؤسس» الإسلام ذاته، (يعني محمدًا ﷺ وهو ليس مؤسس دولة الإسلام بل نبي الله ورسوله) ويضيف الكاتب: لذلك لم يحتج الإسلام إلى مؤسسة كنسية ترعى الديانة الإسلامية، مثل ما عليه الحال في المسيحية. فالثنائية المسيحية، بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية، غير موجودة عند المسلمين، وليس لها أصل في الإسلام، الذي لا يفصل بين الدين والدولة. والثنائية بتعقيداتها، لعبت دورًا كبيرًا في تاريخ المسيحية عمومًا، والمسيحية الغربية على وجه الخصوص.

أما المسلمون، فقد انضووا منذ البدء، في ظل دولة إسلامية دينًا وسياسة. وكان محمد ﷺ رئيسًا للدولة الناشئة، إلى جانب كونه نبيًا، وسار خلفاؤه على سيرته وعلى منواله من بعده».

النموذج الإسلامي

ظلّ الإسلام أكثر من عشرة قرون، يقدّم للعالم النظام المرجعي الوحيد والمقبول على مستوى العالم، من التشريعات والمبادئ الأساسية، التي لا غنى عنها في إصلاح المجتمعات، وظل المسلمون إلى يومنا هذا، وحتى في عصر ازدهار الحضارة الصناعية في أوروبا، وحقبة الاستعمار، على اتصال وثيق بالقيم والمرجعيات الثقافية والاجتماعية الإسلامية، ولم تستطع الثقافات الغربية الوافدة، زعزعة تلك القيم والمرجعيات، بل نحن نشهد اليوم، انتعاشًا سريعًا لها، تحت أشكال وصيغ مختلفة ظاهرًا، ومتسقة مضمونًا.

ومن الظواهر التي تلفت انتباه الكاتب، هي استمرار تمسك المسلمين بمفهوم «الأمة» كأساس للبنية الفوقية، لجميع المجتمعات والتجمعات الإسلامية، بمختلف نظمها، وهذا المفهوم كامن في نفوس المسلمين، ويفعل فعله بشكل واع، أو غير واع. ولعل قوة الإسلام، تكمن أساسًا في هذا المعنى، الذي يُنتج تضامنًا تلقائيًا، بين جميع الشعوب الإسلامية، نشاهده اليوم في التعامل مع الأحداث التي تمس الإسلام.

وكذلك نلاحظ اليوم أن الدول الإسلامية على اختلاف نظمها، تُنشئ قنوات وآليات للتشاور والتنسيق فيما بينها، في جميع المجالات، من خلال منظمات أو مؤتمرات، القاسم المشترك فيها الإسلام، بالرغم من اختلاف لغاتها ومواقعها

الجغرافية. ولا يوجد ما يشبه ذلك في الدول غير الإسلامية، حيث لم يعد للدين أي دور سياسي في العلاقات الدولية والإقليمية. ومجرد التفكير في استغلال الانتماءات الدينية، في انشاء تكتلات في المحافل الدولية، يُعد ضربًا من السخف أو اللامعقول...

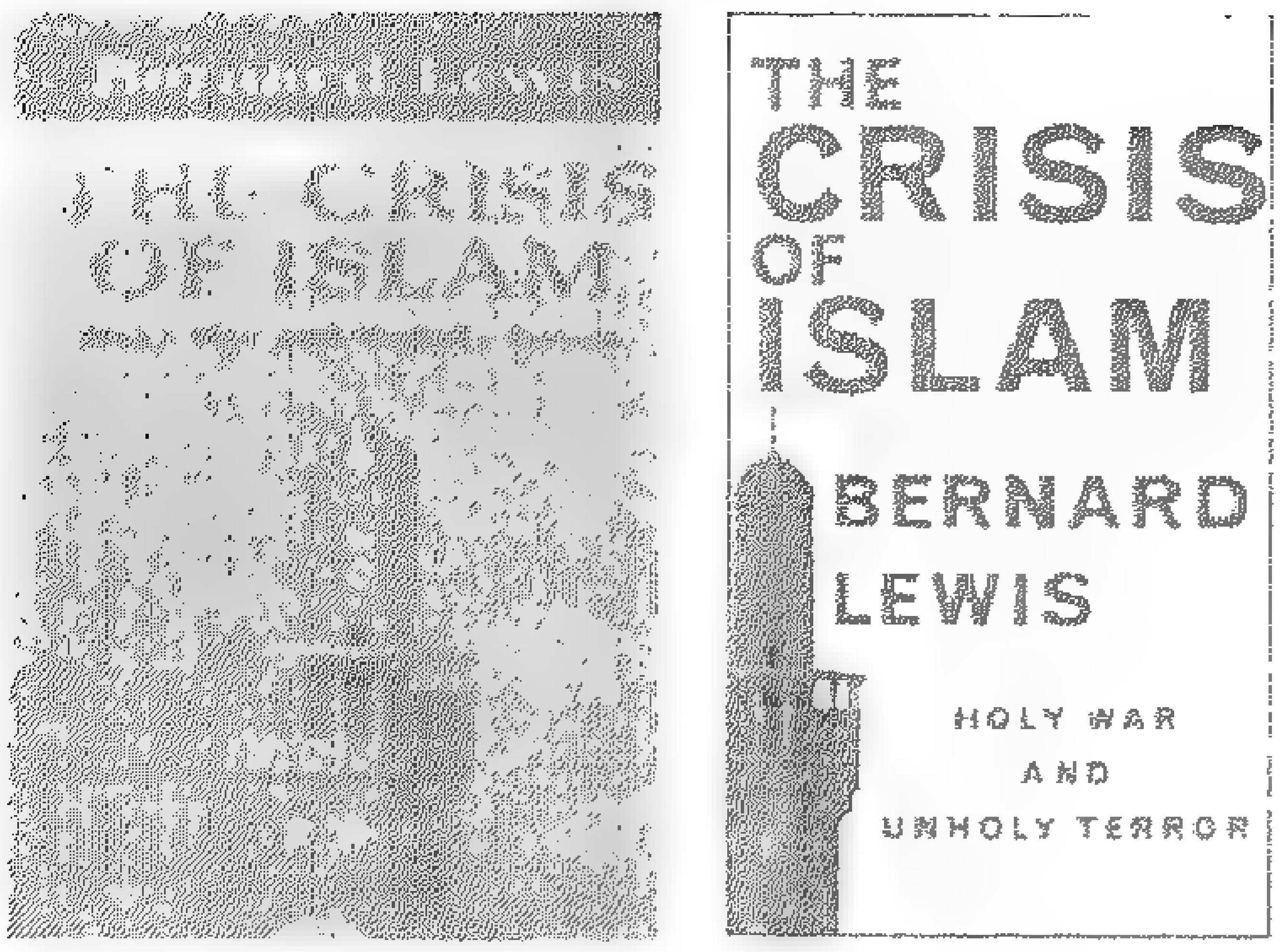
ومردّ ذلك إلى أن المسلمين كانوا وما زالوا يضعون معتقدهم، فوق كل الاعتبارات الدنيوية، بالرغم من وجود تيارات عَلْمانية، تسعى بدون جدوى، إلى تغيير العقليات. فالإيمان بالله والدين لم يفتر لدى المسلمين، على عكس ما حصل في الغرب، حيث ضعف تأثير القيم الدينية المسيحية، إن لم نقل قد اختفى نهائيًا، وحل محلها «العقد الاجتماعي» وما يصطلح عليه الناس، من قواعد وضعية لتنظيم علاقاتهم.

لا شك أن الكنائس المختلفة، ورجال الدين المسيحي، لا زالوا يؤدون الطقوس، ويعظون أتباعهم ـ على قلتهم ـ، ولكن تأثيرهم السياسي والاجتماعي، لم يعد قادرًا على أداء دور مهم في الحياة العامة. بل إن المؤسسات الدينية، والمسيحية نفسها، ليست في معزل عن الانتقادات الشديدة، ممن يفترض أن يكونوا المدافعين عنها، باعتبارها أساس حضارتهم.

ويسترسل الكاتب قائلاً:

أما الإسلام، فإنه لم يتعرض لمثل ما تعرضت له الأديان الأخرى، من نقد شديد من قبل اتباعه، وإن اختلفوا أحيانًا في استنباط مقاصده. ولا زال الإسلام يحتفظ بقدسيته، المستمدة من قدسية الإله، التي تحفظه من النقد تحت كل الظروف. وهو كذلك حتى في الدول الإسلامية، التي تعد نظمها عَلْمانية وديمقراطية. بل نلاحظ ذلك عند الأقليات المسلمة، في الغرب المفرط في العلمانية.

إن المناعة من النقد، التي يحظى بها الإسلام عند معتنقيه، لا يوجد مثيل لها في المسيحية



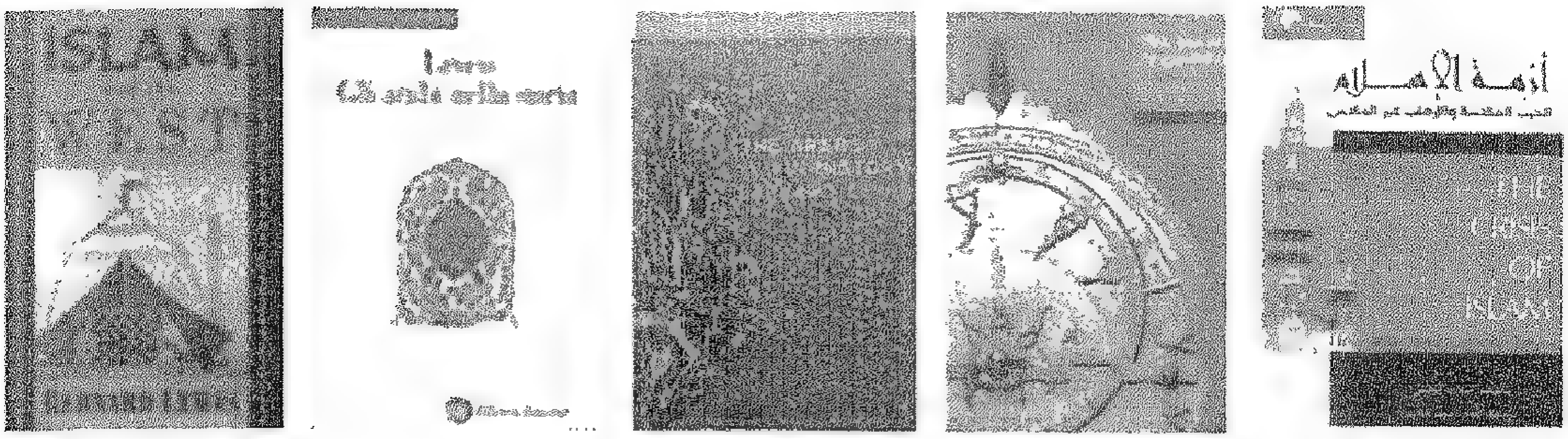
الكتاب في بعض طبعاته

واليهودية، وتمسك المسلمين بأداء مناسكهم، تحت كل الظروف، ميزة ينفرد بها الإسلام في الماضي والحاضر.

وقوة العقيدة، والتمسك بأداء المناسك والفرائض، عند المسلمين، يفسران إلى حد كبير تعاملهم مع المعطيات السياسية، والمنظور الخاص الذي يقيمّون من خلاله ما يحدث حولهم. إن الإسلام عند أتباعه ليس عقيدة دينية صرفة، أو مناسك يؤدونها، بل هو هُوية ملازمة، تحت كل الظروف، والتزامٌ سلوكي وأخلاقي، يشمل مجمل حياتهم، وما عدا ذلك، فمتغيرات ظرفية قابلة للتعديل، لكونها تابعة وليست متبوعة، والإسلام هو الأصل في كل ما عداه.

ظلال وارفة لدين عظيم

يقر الكاتب بعظمة الإسلام فيقول: إن الإسلام هو أحد الأديان الكبرى، على مدى تاريخ البشرية. وقد علَّم الإسلام معتنقيه على اختلاف أجناسهم، كيف يصبحون إخوة، قولاً وعملاً، وعلَّم غير معتنقيه، من أتباع الأديان الأخرى، كيف يعيشون مع المسلمين، دون أن يؤذوا في عقائدهم، أو في كرامتهم، أو كسبهم، وفي إطار من التسامح والأمن. وهو الذي أسس حضارة عظيمة مكنت المسلمين وغير المسلمين، من إنجاز إبداعات، كان لها اليد



من مؤلفات برنارد لويس

الطولى، في الدفع بالإنسانية إلى تحقيق تقدم منقطع النظير، في كل المناحي، ولكنه، مثله في ذلك مثل الديانات الأخرى، مرّ بفترات غير مضيئة، عبّر تاريخه الطويل، اتسمت بقدر من العنف والشحناء.

ويقول الكاتب: وللأسف الشديد، إن الإسلام يواجه حاليًا، إحدى أسوأ تلك الفترات وتتسم هذه المرحلة، التي تعيشها قطاعات من العالم الإسلامي، بالحقد الموجه ضد الغرب عمومًا.

ثم يستطرد قائلاً: ولكن لنتجنب المبالغة في التشاؤم. فمن جهة ليس كل المسلمين متفقين على رفض الغرب بالجملة، ومن جهة أخرى، فإن كراهة الغرب ليست محصورة في المسلمين، بل شعوب أخرى، من العالم المسيحي الثالث، تُكِنُّ لنا قدرًا من العداء، ولا يجب أن نغفل، أن الكثيرين من المسلمين، يشاركوننا في القيم الأساسية الكونية، والأفكار والطروحات، ولنا علاقات ثقافية مع العديد من الدول الإسلامية.

ولا يمكن أن نقلل من أهمية موجة العداء، التي تتجاوز أحيانًا المصالح والاعتبارات السياسية، لتشكل رفضًا قاطعًا للقيم الغربية، والمتمثلة خصوصًا، في السياسات الأمريكية، حتى إن أصحابها يصنّفون أعداءً لله، وهذه ظاهرة مؤكدة في الكثير من الأوساط الإسلامية، (ويلاحظ الكاتب أن عبارة «أعداء الله» غير مفهومة لدى الغربيين، بالرغم من ورودها في الإنجيل والتوراة، وكذلك في القرآن الكريم).

«الخير والشر» في الاسلام

يقول «برنارد لويس»: إن الصراع بين الخير والشر، يكتسي في الإسلام، صبغة سياسية، وأحيانًا عسكرية. فالنبي محمد ﷺ، لم يكن رسولاً أو موجهًا روحيًا فحسب مثل سائر مؤسسي الديانات، ولكنه كان أيضًا، رئيس دولة وقائدًا عسكريًا، فقضيته كانت، تبعًا لذلك، سياسية وعسكرية، فإذا اعتبرنا المقاتلين المسلمين في الحروب المقدسة «مجاهدين في سبيل الله» فالمنطق يلزمهم أن يعتبروا أعداءهم «أعداء الله» وأشر خلقه.

ويسترسل الكاتب في «تعريفه» للجهاد قائلاً: بما أن الله هو المالك لكل شيء، والآمر والناهي المطلق، فإنه هو المهيمن على مقاليد الدولة الإسلامية، فهو الذي يأمر الرسول ﷺ بقيادة المسلمين المجاهدين. فالجيش الإسلامي، هو من وجهة نظرهم «جيش الله»، ومهمة المجاهدين تصبح في النهاية: إلقاء أعداء الله في بؤرة العذاب، الذي أعده الله لهم.

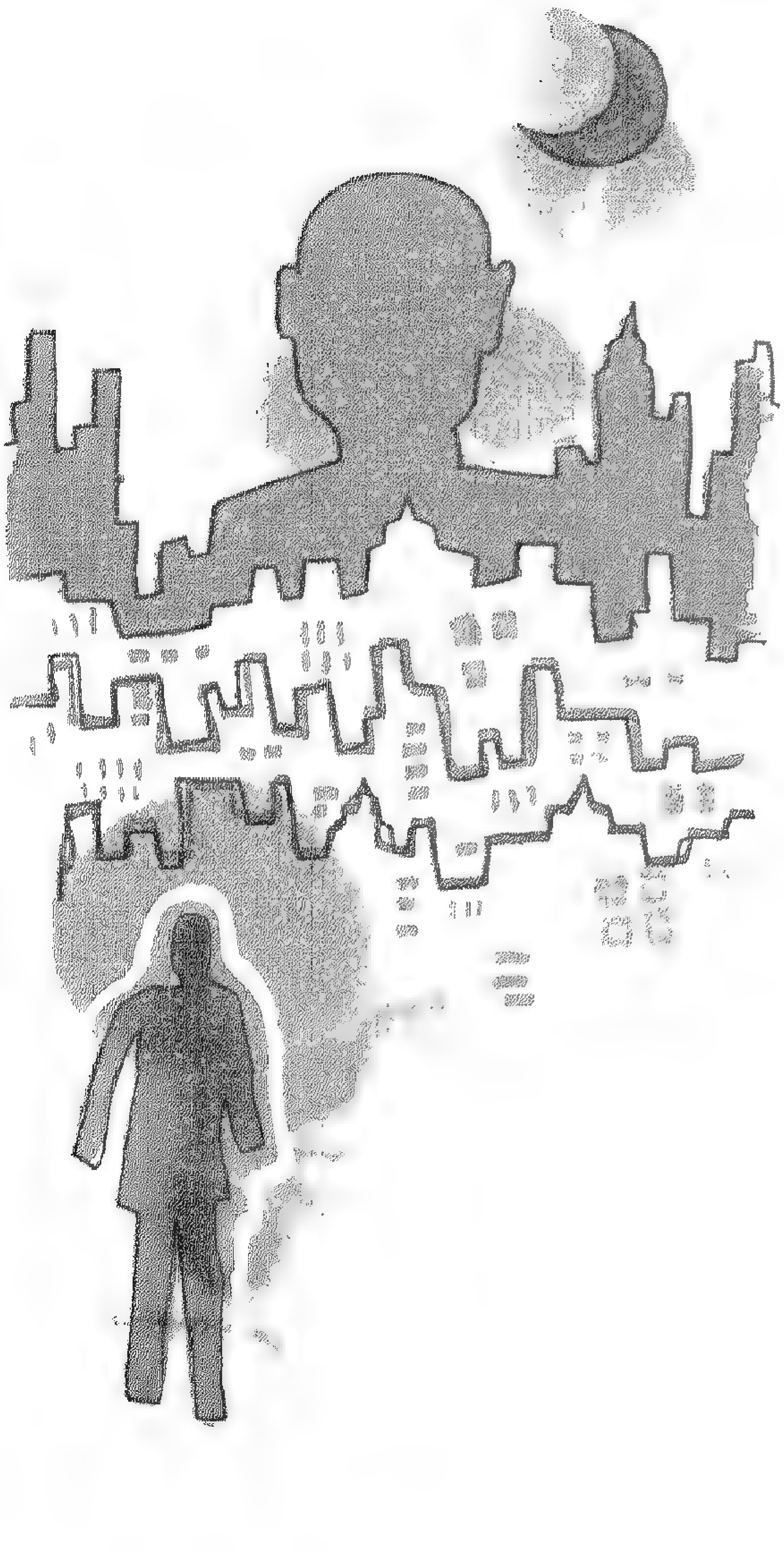
الاسلام العدو البديل

السؤال الذي يقض مضاجع القادة السياسيين الغربيين، يمكن صياغته في جملة بسيطة: هل الإسلام، سواء كان متشددًا أو غير متشددٍ، يشكل خطرًا على الغرب؟

يجيب الكاتب على هذا السؤال قائلاً: قد يكون لهذا السؤال عدة إجابات، ولكن وكما هو الحال، في

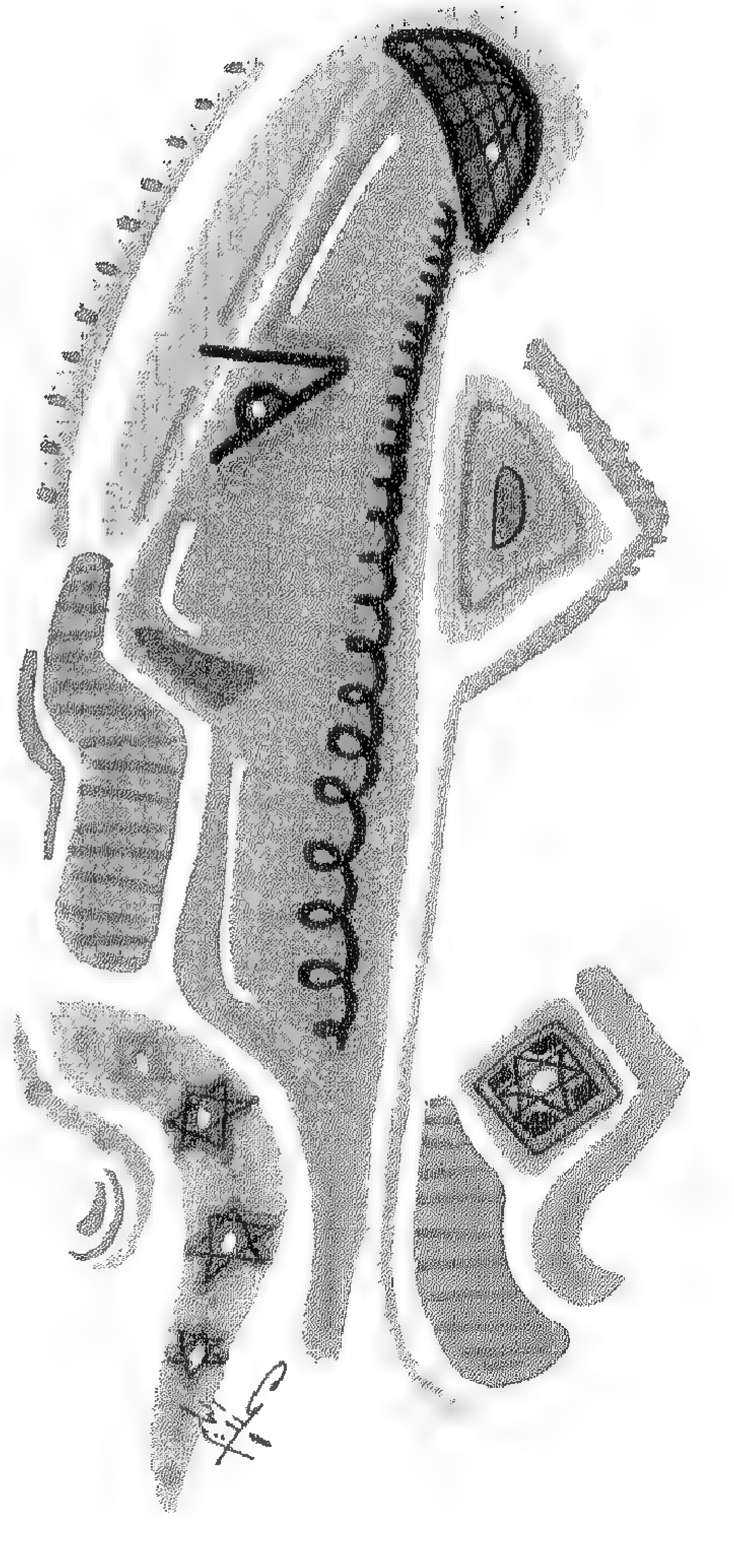
مثل هذه القضايا، قد تؤدي بنا الإجابات إلى الوقوع في أخطاء، لذلك ليس من الحكمة في شيء، محاولة الحصول على إجابة حاسمة، فمن الاعتبارات التي قد تضللنا، القول: بأن الإسلام و«الأصولية الإسلامية»، حلا محل النظرية الشيوعية، التي كان يجسدها المعسكر الشرقي، قبل انهياره، وأصبح الإسلام بدوره، الخطر الذي يهدد الغرب وقيمه، مثل ما كان عليه الحال، مع الكتلة الشيوعية، ولهذا الرأي السطحي أنصار. ولكن كثيرًا من المحللين، يعتقدون أن ظاهرة التطرف والتشدد لدى المسلمين، التي نشاهد نموها، ليست نتاجًا طبيعيًا لعلة في الإسلام أو في المسلمين، ولكنها نتيجة منطقية، لشدة ما يعانونه من الظلم على أيدينا. ويقول آخرون: إن معاداة الإسلام نشأت في الغرب عقب رواج وهم ناتج عن حاجة نفسية، للبحث عن خطر بديل للخطر الشيوعي، الذي زال بزوال المعسكر الشيوعي، فكان ردّ المسلمين على عداوتنا لهم بالتطرف والارهاب.

وينتهي «برنارد لويس» إلى القول، بأن كل الاجابات المطروحة، تحمل شيئاً من الحقيقة، ولكن ليست كل الحقيقة، لذلك لا يجب أن نركن إليها، ومن المؤكد لدينا، أن الإسلام ليس معاديًا للغرب، وأن كثيرًا من المسلمين، يرغبون في توطيد علاقاتهم مع الغرب، ويؤمنون بأن الحضارة الغربية ليست كلها شر، وليست كلها خير، وأن التعايش السلمي والتعاون المتكافئ هما الخيار الأفضل .



الصهيونية والعولمة

الحاج موسى فال*



إن مرحلة العولمة - رغم أنها حدثت فجأة - يمكن أن تعتبر من أهم مراحل المخطط الصهيوني، للاستيلاء على مصادر القوة والاقتصاد في العالم، من خلال حلفائها ذوي الانحياز الأعمى لمصالح السياسة الصهيونية، ولكي ندرك حقيقة النفوذ اليهودي على العولمة، فلندرس معًا وضع اليهود في الولايات المتحدة؛ فاليهود لا يمثلون سوى 5، 2» من مجموعة السكان الأمريكيين، يملكون قوة تأثير تفوق حجمهم نحو 10 مرات، ولدرجة أنهم يشكلون في الولايات المتحدة 23٪ من المحامين و20٪ من الأطباء، ونحو 25٪ من العاملين في المجال الإعلامي(1)، ويمتلك اليهود في الولايات المتحدة فقط، علنًا وبأسمائهم وأسماء منظماتهم 244 صحيفة، منها 158 دورية، هذا بالإضافة إلى مئات الدوريات في أوروبا وكندا وأميركا الجنوبية، مما يسهل لهم التأثير المباشر، على الرأي العام الدولي، وتوجد لليهود مئات المنظمات في أمريكا، تعمل في المجالات الفكرية والثقافية والاقتصادية والدينية...

* باحث / السنغال.

1 - مجلة فلسطين المسلمة العدد السادس، محرم 1417هـ/ الصيف «يونيو» 1996 مسيحي، لندن.

ولضيق المجال لا نستطيع سردها كلها ولكن نحاول ذكر بعض منها في المجالات الثلاثة الآتية:

1 ـ المجال الفكري: ويقصد به المنظمات التي تنشط في بث الأفكار الصهيونية في الأوساط الأمريكية، وأبرزها:

❖ **المنظمات الصهيونية الأمريكية:** تأسست سنة 1918 مسيحي، تقدم دعمًا سخيًا للمؤسسات التعليمية الإسرائيلية.

❖ **الاتحاد الصهيوني الأمريكي:** تأسس في العام 1970 مسيحي، في نيويورك، ويضم 16 منظمة صهيونية، ومن أهم أهداف الاتحاد، العمل على توضيح أهمية العلاقات بين الولايات المتحدة والدولة اليهودية، وترابط المصالح بين البلدين.

❖ **المنظمة الصهيونية النسائية في أمريكا:** (هداسا)، وتعمل في إقامة معسكرات ودورات تدريب الطلاب، وتنظيم زيارات لهم إلى إسرائيل.

2 ـ المجال المالي والإعانات: تشير بعض الإحصائيات إلى أن الجالية اليهودية في أمريكا، تعتبر ثاني مصدر للمعونات المالية لإسرائيل، بعد الحكومة الأمريكية، وتعمل أكثر من 500 منظمة يهودية، في جمع التبرعات لصالح دولة إسرائيل، وتحول هذه الجالية إلى إسرائيل سنويًا 2 مليار دولار، حسب تقديرات، ابن برادلي، في كتابه «اللوبي الإسرائيلي» وكثيرًا ما تستخدم الحكومات الإسرائيلية ـ على مختلف اتجاهاتها ـ هذه المعونات في المشاريع العسكرية والاستيطانية، بل هناك بعض منظمات يهودية تخصصت في تمويل المشاريع الاستيطانية وتسهيل الهجرة إليها بعض المنظمات اليهودية الممولة لإسرائيل على سبيل المثال لا الحصر:

نداء إسرائيل الموحد: وهي مؤسسة تشكل حلقة الوصل بين يهود الولايات المتحدة والوكالة اليهودية في فلسطين، تركز أنشطتها في مجال توطين المهاجرين اليهود في فلسطين، وقد حولت الحكومة الأمريكية خلال الفترة ما بين 1971 ـ 1998 مسيحي، نحو 350 مليون دولار استخدمت كلها لتمويل عمليات توطين المهاجرين اليهود القادمين من الاتحاد السوفييتي.

النداء اليهودي الموحد: هذه المنظمة تأسست عام 1939 مسيحي، وتعد المنظمة الرئيسة لجمع التبرعات في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد بلغت الأموال التي جمعتها عام 1988 مسيحي، نحو 631 مليون دولار.

منظمة سندات حكومة إسرائيل: تأسست عام 1951مسيحي، من أجل إيجاد استثمارات كبيرة لتنمية الاقتصاد الإسرائيلي، وتماري عملها من خلال شركة استثمارات التنمية الإسرائيلية، وتقول صحيفة واشنطن بوست: إن حجم الأموال التي جمعتها خلال الفترة من 1951مسيحي، حتى 1986 مسيحي، تبلغ 8 مليارات دولار، هذا إلى جانب منظمات أخرى مثل:

❖ **صندوق دعم المؤسسات الدينية اليهودية في إسرائيل.**

❖ **صندوق أورشليم (القدس).**

❖ **دعم مستوطنات «يشع» الضفة الغربية وغزة.**

❖ **صندوق الاستيطان في الجولان.**

3 ـ المجال السياسي: وتوجد في الولايات المتحدة الأمريكية منظمات تمارس ضغوطًا سياسية لصالح إسرائيل، وتوجيه الرأي العام الأمريكي، كوضع

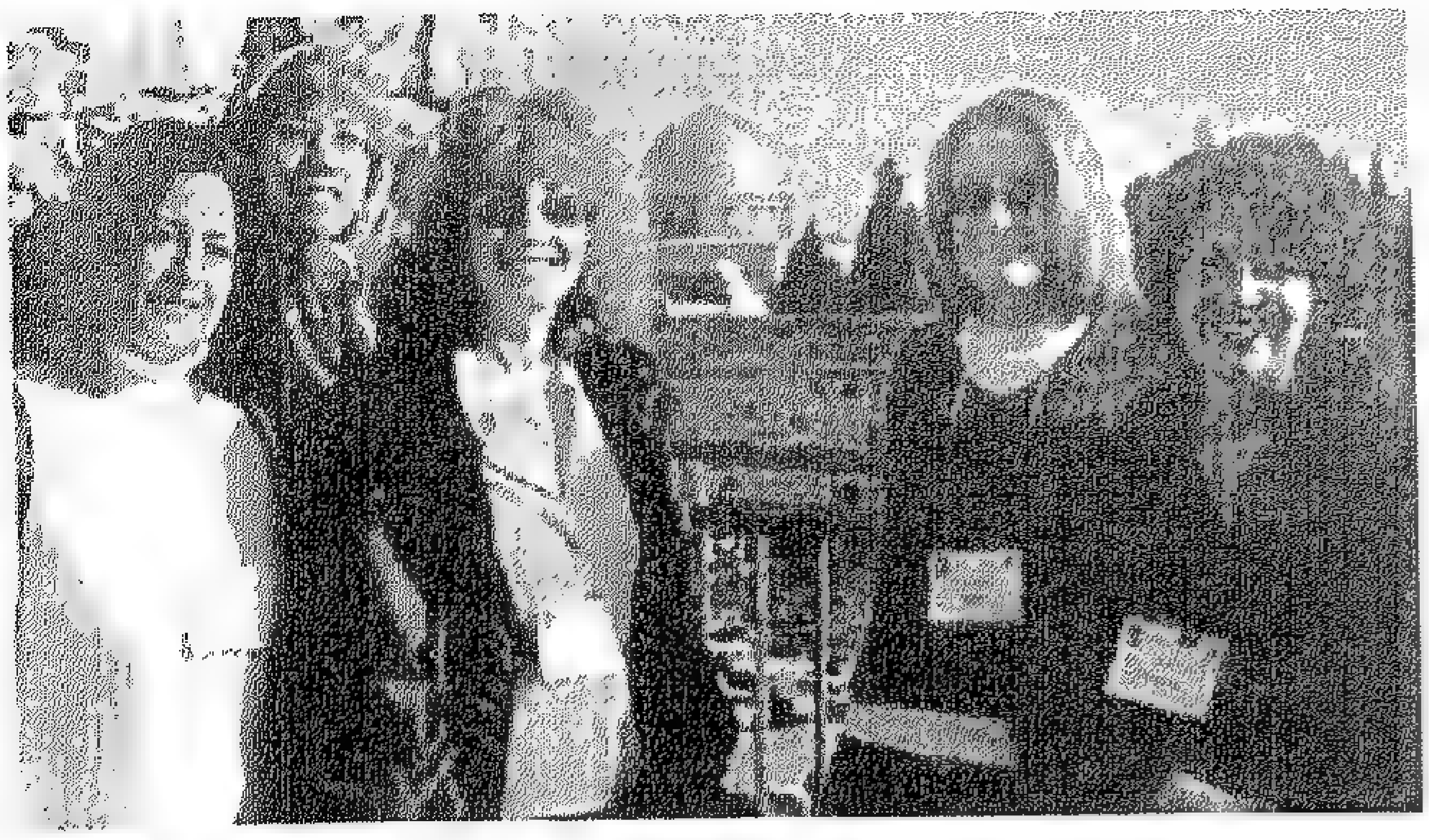
القوانين داخل الكونغرس، ونشر المعلومات والمواقف السياسية باتجاه المصالح الإسرائيلية. ويلاحظ أن هذه المنظمات تنشط بوضوح في فترات الانتخابات الأمريكية للتأثير في تحديد النتائج ومن أهمها:

❖ **اللجنة الإسرائيلية الأمريكية «إيباك»:** وقد تأسست عام 1951 مسيحي، وتستقطب في صفوفها موظفين سابقين بارزين في الإدارة الأمريكية يعرفون خبايا أروقة صنع القرار الأمريكي.

❖ **اللجنة القومية للعمل السياسي:** وتأسست في العام 1982 مسيحي، تعتبر من أغنى اللجان المؤيدة للكيان الصهيوني، والعاملة في مجال دعم المرشحين والتأثير على نتائج الانتخابات الأمريكية.

❖ **مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية الكبرى:** ويضم هذا المؤتمر 16 رئيسًا من المنظمات اليهودية باسم «نادي الرؤساء» ويعمل لحفظ المصالح الإسرائيلية في مختلف القضايا الدولية.

❖ **المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي:** تأسس المعهد في عام 1937 مسيحي، من قبل مجموعة من الخبراء والمحللين العسكريين المؤيدين لإسرائيل، وهدفه الأساسي هو إقامة علاقات بين المؤسسات العسكرية الأمريكية والصهيونية، وترويج المقولة: (أي خطر تتعرض له إسرائيل يهدد أمن واشنطن نفسها). والجدير بالذكر أن هذا النشاط الضخم متشعب الجوانب في الولايات المتحدة، وليس في إسرائيل!!! وهو ما يشهد بصحة القول: اللوبي اليهودي دولة في الدولة الأمريكية!.



نساء من أعضاء (هداسا) خلفهن تظهر قبة الصخرة..
«صورة مقصودة!!»

مكانة إسرائيل لدى الإدارة الأمريكية:

إن مسؤولي الدولة الأمريكية ـ على مختلف اتجاهاتهم السياسية ـ وتباين حكوماتهم لديهم قناعة كاملة بأن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية ليست قائمة على المصالح المتبادلة كما هو الحال مع باقي دول العالم الأخرى، وإنما هي علاقة تاريخية قائمة على التحالف الإستراتيجي أو على الشراكة الإستراتيجية أو على الصداقة بين الدولتين على حد تعبير المسؤولين من كلا البلدين.

في أمريكا منظمات يهودية تمارس ضغوطًا لصالح اسرائيل وتنشط في فترات الانتخابات....

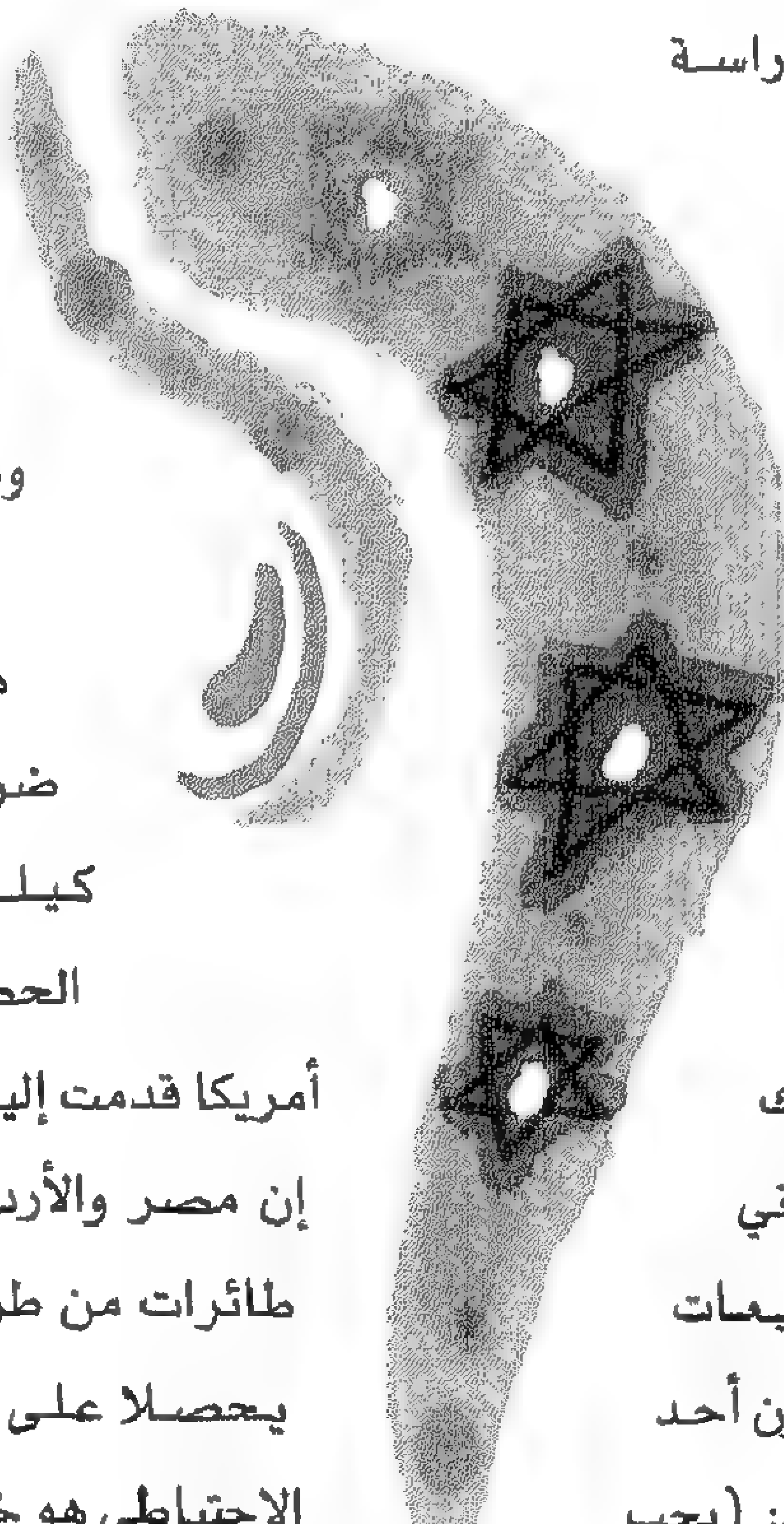
وبعد أن لعبت بريطانيا دورًا بارزًا في وعد بلفور 1917مسيحي، لإقامة وطن لليهود في أرض فلسطين، جاء دور الولايات المتحدة الأمريكية، بعد الحرب العالمية الثانية، المتمثل في تحمل إقامة الدولة الإسرائيلية فعليًا ورعايتها وضمان تفوقها النوعي على كافة الدول العربية والإسلامية. إن أهمية منطقة الشرق الأوسط الاقتصادية وموقعها الإستراتيجي بالإضافة إلى سقوط الاتحاد السوفييتي ـ كقوة عظمى مضارعة لأمريكا ـ جعلت الولايات المتحدة تركز سياستها في هذه المنطقة لتحقيق أكبر قدر ممكن من

المكاسب والمصالح، وذلك عن طريق ضمان التفوق العسكري لليهود على حساب الدول العربية وشعوبها في المنطقة. إن الإدارة الأمريكية لا تخفي على العالم دعمها «اللانهائي» لدولة اليهود، يقول



بيل كلينتون

فرديك سميث ـ نائب وزير الدفاع الأمريكي بالوكالة لشؤون الشرق الأدنى وجنوب آسيا ـ أمام الكونغرس الأمريكي بتاريخ 13/4/1994 مسيحي، وذلك بمناسبة جلسة عقدت لدراسة المساعدات العسكرية لدول شرق الأوسط: (إن التزام الولايات المتحدة بأمن إسرائيل كان منذ أمد طويل ولا يزال حجر الزاوية في سياستنا تجاه الشرق الأوسط(...) وكان نقل التكنولوجيا المتقدمة ـ ولا يزال ـ عنصرًا حيويًا آخر في التزامنا باستمرار التفوق النوعي لإسرائيل، وقد حققنا ذلك من خلال برامج تعاونية مكثفة في مجال البحوث والتطوير ومبيعات الأسلحة)[2]. وأما بيل كلينتون أحد رؤساء الولايات المتحدة فهو يقول: (يجب علينا أن نصون التزامنا الخاص بشريكنا الديمقراطي إسرائيل وبأمنها)، ولا يثير العجب إذا ما نراه من قيام أمريكا بصب المساعدات العسكرية الضخمة على إسرائيل في نفس الوقت الذي تسعى



لفرض الحد من التسلح على الدول العربية والإسلامية، يقول «سميث» في المناسبة السابقة أمام الكونغرس الأمريكي: «إن إدارة الرئيس كلينتون قد قررت منح إسرائيل 25 طائرة حربية من طراز (اف 15أي) ومعدات عسكرية متطورة أخرى قيمتها 2،4 بليون دولار، تحت بند الهبة العسكرية السنوية للكيان الصهيوني... إن هذه الصفقة تعزز أمن دولة صديقة كانت ولا تزال قوة مهمة للاستقرار السياسي والتقدم الاقتصادي في الشرق الأوسط، وأن إسرائيل تستخدم هذه الطائرات لتدعيم سلاح طيرانها وتقوية قدراتها الدفاعية وتحقق أهداف الولايات المتحدة الأمريكية الإقليمية بالنسبة إلى الأمن القومي والإسرائيلي والمحافظة على تفوق إسرائيل النوعي)[3]. والجدير بالذكر أن هذه الطائرات تمكن إسرائيل من ضرب أهدافًا عسكرية إلى أبعد من 1500 كيلومتر، وكانت إسرائيل تأمل في الحصول على 20 طائرة فقط، منها بينما أمريكا قدمت إليها 25 طائرة هبة!! وقال سميث أيضًا» إن مصر والأردن قد أبديا رغبة في الحصول على طائرات من طراز (إف16) ولكن هذين البلدين لن يحصلا على هذه الطائرات لأن حق السحب من الاحتياطي هو خاص لإسرائيل فقط ولا يحق لغيرها، وأن إسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي تستطيع الاستفادة من برنامج حساب الاحتياطي الذي خصص لإسرائيل من وزارة الدفاع الأمريكية في أعقاب حرب الخليج، مبلغ 700 مليون دولار، وأن

---

2 ـ أحمد منصور، أضواء على السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط ط1، 1415هـ 1994مسيحي، دار ابن حزم، بيروت لبنان ص: 83.

3 ـ المرجع السابق، ص: 78.

إسرائيل سوف تتلقى من نفس النوع 50 طائرة تؤخذ مباشرة من المخزون الجاري للقوات الجوية الأمريكية.



جيمس بيكر

نعم إسرائيل هي الدولة الوحيدة ـ على حد تعبير نائب وزير الدفاع الأمريكي ـ في ظل العولمة، التي تستطيع أن تتمتع بهذا الدعم العسكري الهائل من أمريكا، ولذلك حينما كانت الولايات المتحدة الأمريكية عام 1991 مسيحي، تحض الدول العربية، أو تجبرها على حضور مؤتمر السلام مع إسرائيل في مدريد، كان الكونغرس الأمريكي، قد أجاز في نفس العام مشروع قرار، يقضي بأن يقوم الجيش الأمريكي بتخزين أسلحة ومعدات حربية أمريكية سنويًا في إسرائيل، بما قيمته 3000 مليون دولار، ويذكر «جان فرانسوا ريجل» وهو صحفي في المجلة الفرنسية «اكسبريس» ومعروف بميوله نحو الدولة اليهودية «أن التصاميم العسكرية الأمريكية الحساسة، تصل إلى تل أبيب في نفس الوقت الذي تصل فيه إلى البيت الأبيض»[4]. وأكدت بعض المصادر الإعلامية، أن هناك معلومات أكثر من خبير أوروبي في بروكسل، تؤكد بأن إسرائيل التي كانت تفاوض على السلاح مع العرب، يعكف خبراؤها مع خبراء أمريكيين، في معهد «التخنيون» في حيفا، على وضع التصاميم الخاصة بالقنبلة النيوترونية، التي تبيد الكائنات البشرية وحدها، بينما تبقى الجمادات على حالها. أي سلام هذا؟!!! وأية عدالة هذه؟!!! وهكذا أمريكا، إذا وجهت نحو اليمين، فانتظرها في اليسار، وإذا تكلمت عن السلام، فاستعد للحرب!

ويلخص لنا «جيمس بيكر» وزير الخارجية الأمريكية السابق، في لقاء مع أعضاء مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية، في الفاتح «سبتمبر» 1992مسيحي، العلاقات الأمريكية اليهودية بالعبارات التالية: (إن الولايات المتحدة وإسرائيل، قد توصلتا إلى اتفاق في خمسة مجالات، تقضي بالحفاظ على التفوق العسكري النوعي لإسرائيل في الشرق الأوسط، ومن هذه المجالات: تمكين إسرائيل من استخدام تجهيزات ومعدات، من مخازن ومعدات الجيش الأمريكي في أوروبا، وضم إسرائيل إلى شبكة الأقمار الاصطناعية، للحماية من الصواريخ، ونقل خبرات تقنية عسكرية حديثة إلى إسرائيل، والإشراف على الحد من سباق التسلح في الشرق الأوسط، بالتنسيق مع الولايات المتحدة الأمريكية).

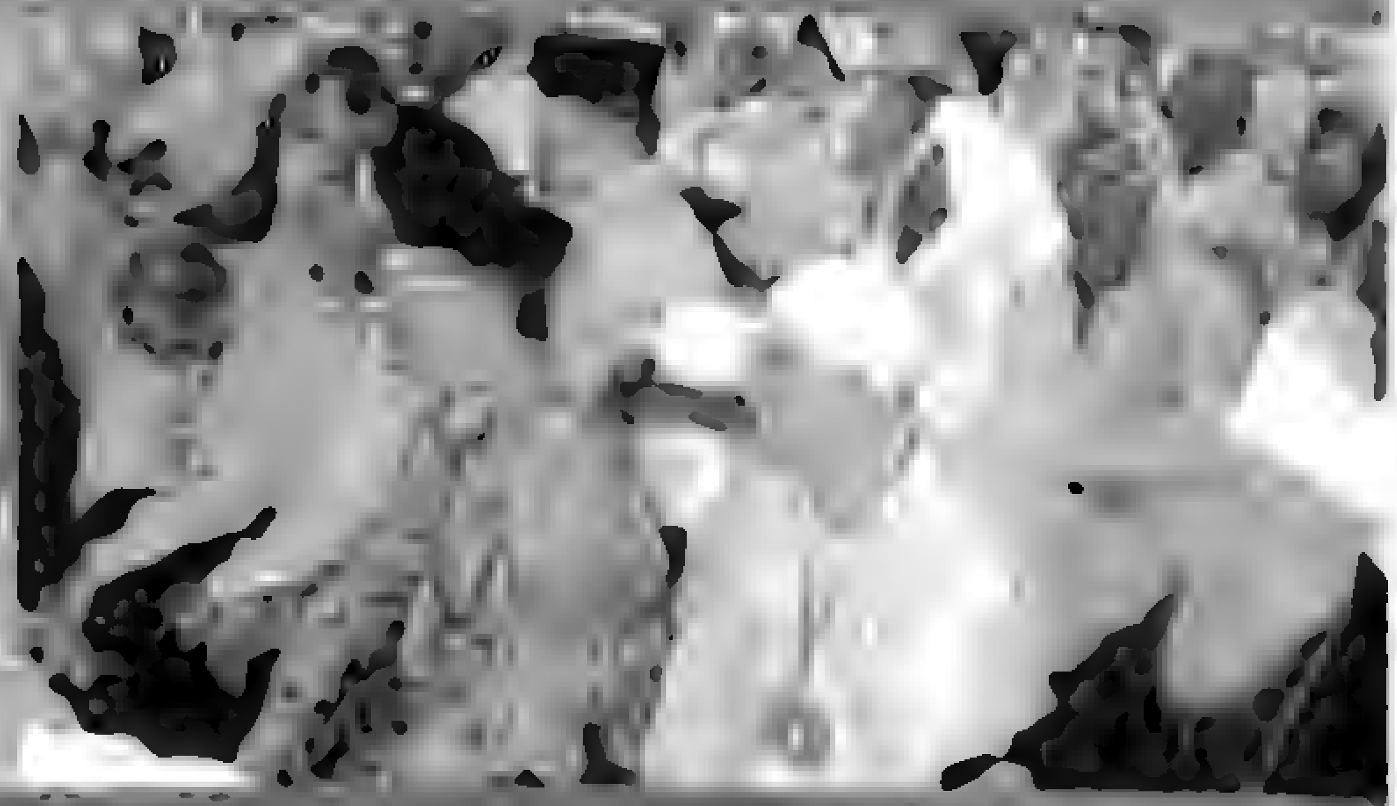
العلاقات الأمريكية الإسرائيلية ليست قائمة على المصالح المتبادلة وإنما على التحالف والشراكة.

وللأسف الشديد، رغم كل هذه الكميات الهائلة من الأسلحة والمعدات العسكرية، ذات التقنيات العالية، التي تقدمها أمريكا لإسرائيل ـ هذا بالإضافة إلى تأكيدات كل مسؤول أمريكي، في كل مناسبة، على ضرورة تفوق إسرائيل النوعي على جيرانها العرب، رغم كل ذلك ما زال بعض المسلمين والعرب منهم بالذات يظنون بأمريكا خيرًا!!!

إن العولمة ليست إلا مرحلة خصبة للكيان الصهيوني، في تحقيق مشاريعه الاحتلالية في العالم العربي الإسلامي، وراء الستار الأمريكي.

4 ـ حوار نشر في مجلة الحوادث 22/ 4/ 1994 مسيحي.

الملف



رسالة محمد ﷺ للناس كافة

- مع القائد معمر القذافي في أغاديس
  أبو بكر صديق / باكستان
- استراتيجية المواقف
  د. محمد قلخالي / سورية
- من كانو إلى أغاديس ..
  حواضر الإسلام في أفريقيا
  تستعيد بريقها
  بلال حسن التل / الأردن
- خطاب أغاديس ومعطيات المستقبل
  د. حسن الباش / سورية
- خطاب في مستوى الأحداث
  عمر لطفي العالم / ليبيا
- الانطباعات لن تغادر الذاكرة
  د. حسن مصطفى / فلسطين
- حدث تاريخي بكل المقاييس
  موسى سليمان / غينيا كوناكري
- دور رائد يخدم قضايا المسلمين
  الشيخ أحمد الولي / موريتانيا
- انطباعات



تظاهرة التحدي الإسلامي الكبرى الثانية:
رسالة محمد ﷺ للناس كافة

حدث تاريخي في يوم مشهود، عاشته واحة أغاديس، إحدى حواضر الإسلام التاريخية في إفريقيا: يوم الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الأول، الموافق للثلاثين من شهر الربيع (مارس 2007 مسيحي)، كان الأخ معمر القذافي، يلتقي في هذه الواحة مع عشرات الآلاف من جموع المسلمين من ست وتسعين دولة، يتقدمهم الرؤساء: «محمد طانجا» رئيس جمهورية النيجر، و «إدريس دبي» رئيس جمهورية تشاد، و«عمر حسن البشير» رئيس جمهورية السودان، و«أحمد توماني توري» رئيس جمهورية مالي، و«أحمد تيجان كابا» رئيس جمهورية سيراليون، والعقيد «أعلي ولد محمد فال» رئيس المجلس العسكري للعدالة والديمقراطية في جمهورية موريتانيا، وسلاطين وملوك وامراء وعمداء، قبائل الصحراء الكبرى، وشيوخ الطرق الصوفية والمريدون والأتباع، فاعليات وقيادات أحزاب ومنظمات ومؤسسات إسلامية، وعلماء وفقهاء وأساتذة جامعات، من إفريقيا وآسيا الوسطى، ومن غرب وشرق أوروبا ومن أمريكا وكندا وأستراليا، ووفود من برلمانات: تنزانيا، كمبوديا، باكستان، كينيا، أفغانستان، رواندا، سيراليون، أثيوبيا، ترينداد وتوباغو، ومفتيو الإسلام من: مقدونيا، روسيا البيضاء، طاجكستان، أذربيجان، تتارستان، لاتفيا، بلغاريا، رومانيا، استراليا، رواندا، أوغندا، وزنجبار.

وفي صلاتي المغرب والعشاء، أمَّ القائد معمر القذافي هؤلاء المسلمين قادة ورؤساء ودعاة، ومصلين من عامة الناس الذين علموا من تواتر الأخبار في المدن والقرى والصحراء الإفريقية، بوصول الثائر المسلم معمر القذافي إلى أغاديس، فتدفقوا راكبين وراجلين على الواحة : كان الجميع على موعد يترقبونه سنوياً، ليشاركوا في التظاهرة الإسلامية الكبرى، احتفالاً بذكرى ميلاد ووفاة خاتم الرسل والنبيين محمد ﷺ.

إعداد :

التحرير

بالتعاون مع

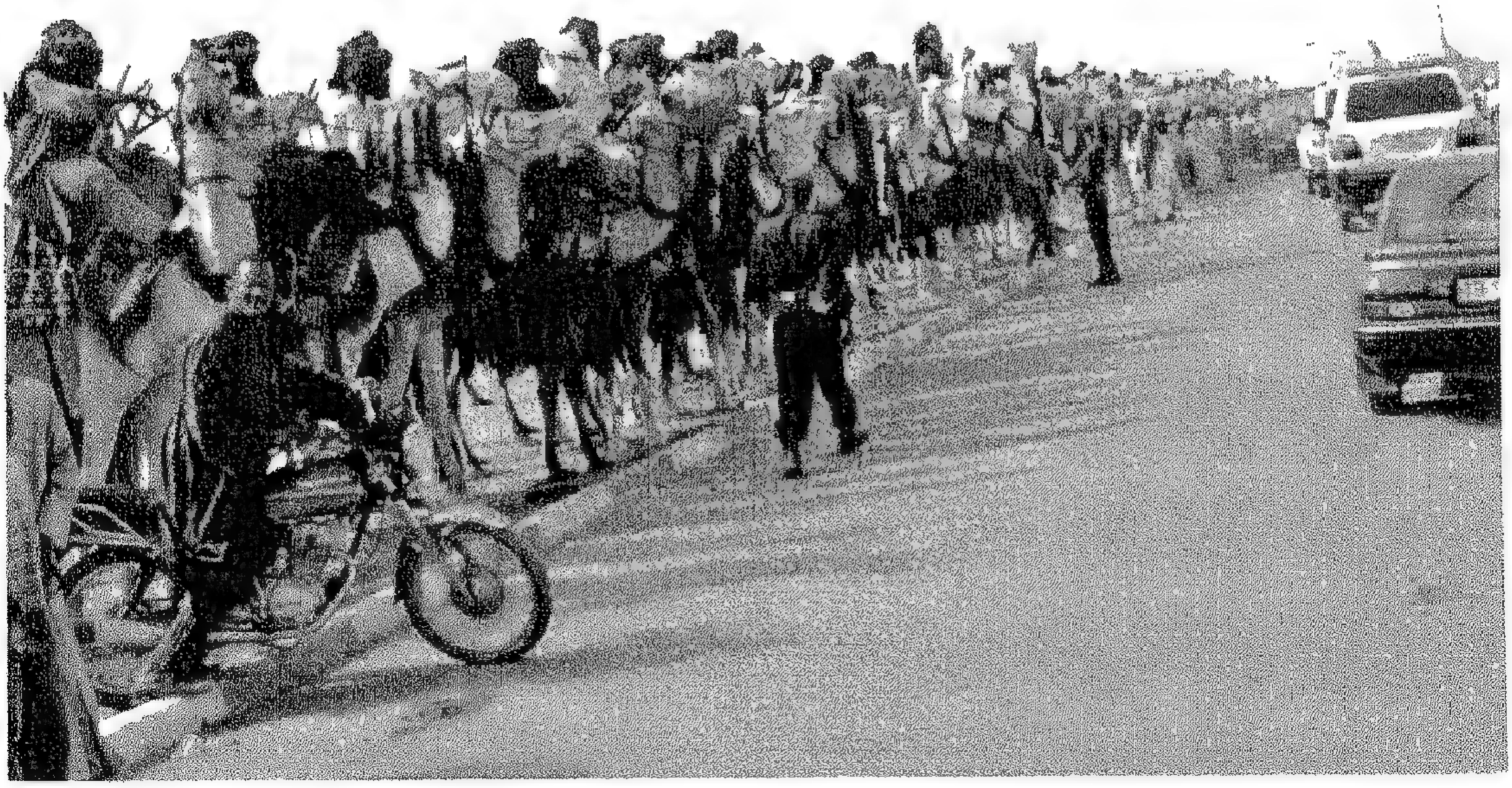
صحيفة الدعوة الإسلامية

مع القائد معمر القذافي في أغاديس

أبو بكر صديق *

كان الشارع المؤدي إلى مطار مانديوك الدولي، في عاصمة جمهورية النيجير (أغاديس) مليئاً باللوافت والملصقات الزاهية الألوان، ترحب كلماتها بمقدم القائد معمر القذافي والضيوف الذين جاءوا من أرجاء العالم، ملبين دعوته لحضور فاعليات مولد الرسول ﷺ في هذا البلد من احدى حوافز الصحراء الكبرى.

وكنا قد وصلنا (أغاديس) قبل ذلك عبر الخطوط الأفريقية، وبسبب تعب السفر ارتاح زملائي بالفندق، ولكنني وبحكم اهتماماتي المهنية خرجت من الفندق



* مدير عام معهد باكستان للدراسات الإسلامية والعربية في إسلام أباد رئيس تحرير مجلة (المجلة الباكستانية) الأسبوعية.



لتفقد شوارع هذه المدينة التاريخية، التي لا تزال توجد فيها بصمات أولئك العظام من السلف الصالح، الذين ترعرعت وازدهت على أيديهم الحضارة الإسلامية في شمال وجنوب أفريقيا، وجدت سكان المدينة رجالاً ونساء كباراً وصغاراً يبتسمون للأجانب، كان منهم من ينتظر أن تحاوره، فيخبرك عن بلاده، ومن حسن حظي وجدت البعض منهم ممن يجيدون اللغة العربية، فتبادلت معهم أحاديث كثيرة وعرفت ما لم أكن أعرف

كلماتكم رسمت الطريق لمستقبل أفضل

لقد أخذتم بلباب الحاضرين - في ملتقى أغاديس - بتلك الكلمة الشاملة الجامعة، عن نبي هذه الأمة وعن عيسى وبشارته بمحمد، وعن الأناجيل، وعن عالمية الإسلام وعموم رسالته وبقائه إلى الأبد .
الإصغاء إليكم أيها القائد لا يمل، لأنكم تخاطبون القلوب قبل العقول، وتعبرون عن الواقع بكل ما فيه من ايجابيات وسلبيات، وترسمون الطريق لمستقبل أفضل، ملهمين في كل ذلك من دروس التاريخ، تاريخ الإنسانية، الذي ساهم فيه الإسلام بنصيب أكبر..
شكرا لكم وإلى الأمام معاً، لإسلام مستنير قوي خلاق، في عالم لا مكانة فيه للضعفاء.

هارون سامسا

المسؤول عن التربية والثقافة، في اتحاد المتطوعين للتربية والثقافة الإسلامية في السنغال

الاسلام دين الناس كافة

خاطب الأخ القائد المصلين موجها الحديث - من هذه المدينة الإفريقية الإسلامية التاريخية - إلى الأمة الإسلامية والعالم كله، مجددا التأكيد على أن اليوم الذي ولد فيه «محمد» خاتم النبيين ﷺ، والذي توفى فيه أيضاً، هو يوم عظيم في تاريخ البشرية.

وإن الإرادة الإلهية والحقائق الإلهية الواردة في القرآن الكريم، تبين أن النبي الوحيد، الذي صلى عليه الله وملائكته وطلب منا أن نصلي ونسلم عليه تسليما، هو النبي محمد بن عبد الله ﷺ، وأن الله سبحانه وتعالى خصه بأن ختم به الرسالات السماوية، وخص أهل بيت النبي بالطهارة، ولم يقل الصلاة والسلام عليهم، وأن ما ينسب للنبي محمد ﷺ من أشياء أخرى تقليداً للأنبياء الآخرين، هو غير صحيح : المسلمون يعترفون بمعجزة ولادة عيسى بدون أب، وكون عيسى يُحيي الموتى ويشفي المرضى، لكن عيسى عليه السلام، أرسله الله إلى بني إسرائيل فقط، ليصحح شريعة موسى، ولا علاقة له بآسيا وأوربا وأمريكا وإفريقيا.

وشدد الأخ القائد على أن بقاء عدة أديان بعد دين محمد ﷺ هي أخطاء تاريخية خطيرة لأن الدين عند الله هو الإسلام.. والله قد أرسل محمداً للناس جميعاً، الله قد بعث للناس كافة رسولاً هو خاتم النبيين «محمد بن عبد الله» ﷺ، فهو النبي الوحيد الذي صلى عليه الله وملائكته، وطلب منا أن نصلي ونسلم عليه تسليماً:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾

[سورة الأحزاب، الآية: 56]







عن جمهورية النيجير، وفي هذه المناسبة فإنني أشيد بجهود مكتب جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والقيادة الشعبية الإسلامية العالمية على التسهيلات التي حصلتُ عليها خلال تجوالي في هذه المدينة، التي أقيمت فيها انجازات إسلامية مرموقة، بدءاً من إنشاء وتطوير مهبط مطار (أغاديس) الدولي، إلى بناء المساجد والمدارس والعديد من المشاريع التنموية التي مولتها الجمعية والقيادة.

كان سكان المدينة في انتظار وصول القائد، ليسمعوا منه المزيد من التحليلات والإضاءات لمشاكل المسلمين، وتقوية أواصر الأخوة الإسلامية والإفريقية، وهذا ما لمسته من خلال الحوار مع البسطاء من الناس، الذين ينظرون إلى القائد باعتباره مصدرا للمعرفة الإسلامية الصحيحة.

كنا في يوم الجمعة على موعد لاستقبال القائد معمر القذافي، وكان استقبالاً فريداً من نوعه، حيث امتلأت الشوارع والساحات بالمواطنين النيجريين الذين جاءوا من كل فج عميق، في السيارات وعلى الإبل، تملأ الفرحة وجوههم، عندما أطل عليهم القائد، الذي كان من الممكن له إحياء هذه المناسبة في

مدينة طرابلس، ولكنه اختار هذه المدينة لإحيائها، تأكيداً على قناعته بأن النيجير هي مثل ليبيا تاريخاً وحضارة. سوف أتحدث عن ردود فعل الوفد الباكستاني على كلمة القائد معمر القذافي، التي ألقاها بالمناسبة في مقال مستقل، ويكفي الآن القول: إن الوفد الباكستاني اعتبر أن هذه الكلمة الجريئة هي بمثابة رسالة واضحة إلى الغرب.

على العموم، كانت الرحلة موفقة وتعلمنا منها الكثير الكثير، من خلال التواصل مع الآخرين، كما أنني فرحت عندما رأيت في كلمة القائد، مدخلاً للتقريب بين مختلف المذاهب والتيارات الإسلامية، وقد ساعد على ذلك حضور الكثير من الفاعليات الإسلامية إلى (أغاديس) على اختلاف مذاهبهم الفقهية، حيث جرت محاورات هادئة، من غير تعصب أو تشدد، بين هؤلاء جميعاً والفضل في ذلك بعد الله عز وجل، يعود إلى القائد معمر القذافي قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية.

تشرفنا بحضور الاحتفالات في أغاديس

لقد تشرفنا بحضور الاحتفالات في أغاديس، التي تدل على تمسككم بإقامة الشعائر الإسلامية، والحرص على تأديتها، وهذا ليس بالغريب عليكم، نظراً لانحداركم من السلالة الطاهرة التي تعود لجدكم رسول الله ﷺ.

وقد كان هذا جلياً، من خلال خطابكم العظيم بتلك المناسبة العطرة، والتي دعوتم فيها لإنشاء الدولة الفاطمية، التي يعرف بدلالاتها القاصي والداني، لما تحمله من المعاني الإسلامية السمحة وتطبيق شرع الله.

جزاكم الله عن الأمة الإسلامية جمعاء، خير الجزاء وسدد الله على طريق الخير خطاكم.

عشائر مدينة معان الأردنية

كل الرسل خصهم الله بالسلام، أما محمد ﷺ، فخصه الله بالصلاة والسلام. وأسمع كثيراً من الفقهاء يقولون «كما صليت على إبراهيم» وهذا غير صحيح.. فالله خص السلام على إبراهيم وليس الصلاة، إنما الصلاة لمحمد فقط.

إن الله خص أهل البيت.. بيت النبي، بالطهارة، ولكن لم يقل الصلاة أو السلام عليهم.. فالصلاة والسلام على محمد فقط. الشيء الآخر الذي خص به الله سبحانه وتعالى النبي محمداً ﷺ هو أنه قد ختم به الرسالات السماوية، فهو خاتم النبيين. هذه هي الإرادة الإلهية وهذه الحقائق الإلهية الواردة في القرآن الكريم. أما ما يوصف به النبي من أشياء أخرى تقليدا لأنبياء آخرين، هذا غير صحيح ف «محمد» يكفيه أنه هو خاتم النبيين وأن الله خصه بالصلاة عليه. الله قال له في القرآن الكريم:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾

[سورة الأعراف، الآية: 158]

بينما قال عن عيسى:

﴿...مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾

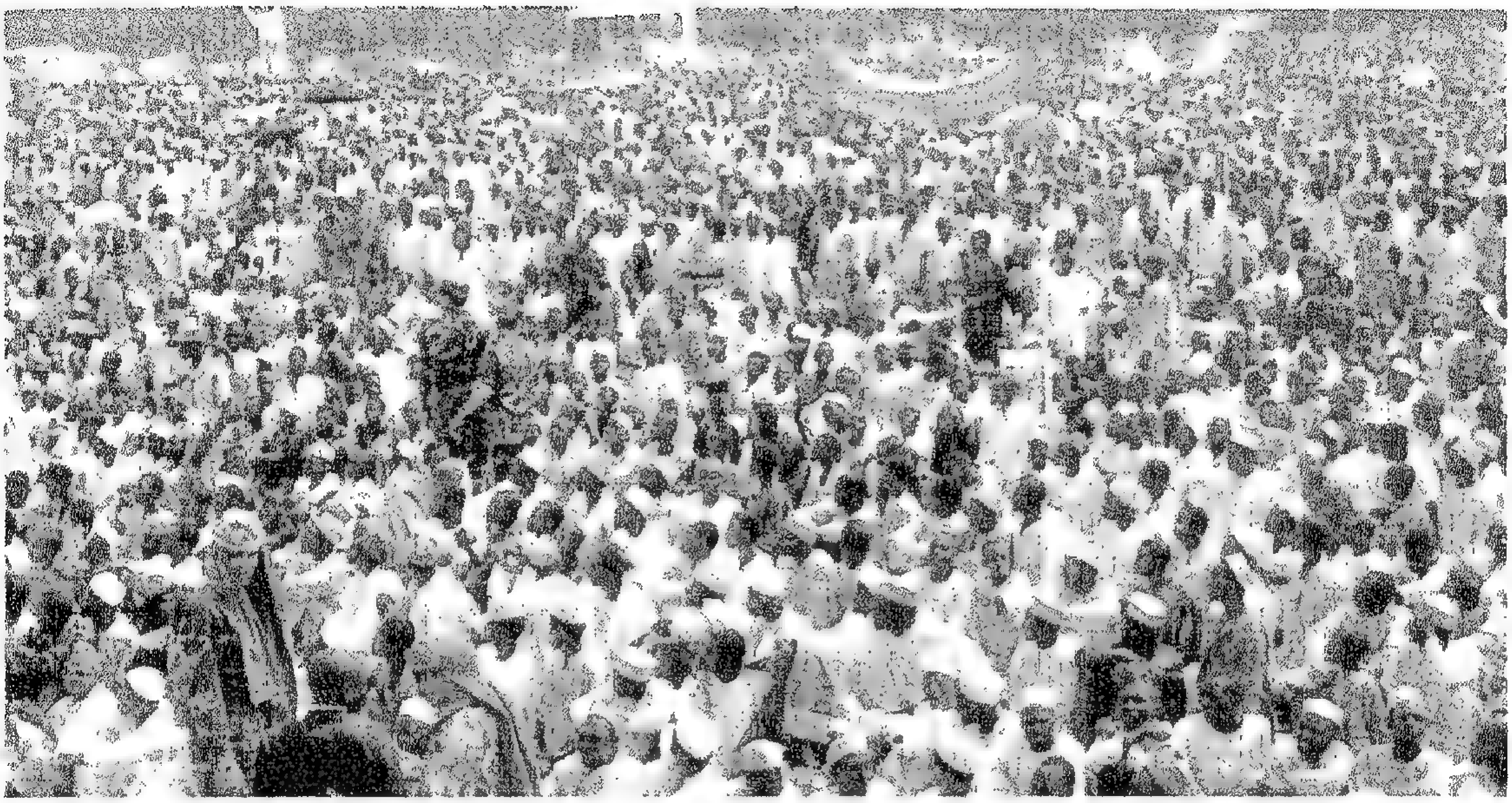
[سورة الصف، الآية: 6]

عيسى عليه السلام لم يرسل إلى آسيا ولا إلى أوروبا ولا أمريكا ولا إفريقيا.. هؤلاء غير معنيين برسالة عيسى، لأن عيسى مُرسل إلى بني إسرائيل فقط ليصحح شريعة موسى. وقال عيسى لبني إسرائيل

﴿...مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [سورة الصف، الآية: 6]

إستراتيجية المواقف

د.محمد شيخاني *



الأخ معمر القذافي، هو خير من يوظف الزمان والمكان؛ فالزمان ذكرى ميلاد ووفاة محمد خاتم النبيين والرسل ﷺ، والمكان الذي اختاره هو مراكز قيادات الدعوة والممالك الإسلامية عبر تاريخ طويل في الصحراء الكبرى، إنها رحلة مكانية عبر ذكرى المولد النبوي الشريف:

من كانو إلى تمبكتو.. ثم إلى أغاديس في النيجر.

لقد كان لهذه المواقع تاريخها الإسلامي وامتدادها الجغرافي، فمنها عبرت قوافل الدعاة إلى كل إفريقيا، وفي قدرة مبدعة يقوم معمر القذافي، بإعادة اللحمة بين الإسلام ـ الذي يحاربه أعداؤه ـ وهذه المراكز المهمة التي كان لها الدور القيادي في توسع الدعوة الإسلامية عبر الجنوب، فهذا الاختيار مبني على فكرة متجذرة في فكر الأخ معمر القذافي، لكونه قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، يعيد مجد الإسلام، الذي كان متألقاً تاريخياً وعراقة وأصالة، في هذه الأماكن المنسية، وإن دلت هذه الاستراتيجية فإنها تدل على فكر واقعي ومستقبلي مدروس ومبرمج، لتكوين الرأي العام الإسلامي في كل أصقاع إفريقيا، منطلقا من هذه المثابات الإسلامية عبر التاريخ، وهو يحلل الأسباب التي عمل لها الاستعمار، عبر القرن التاسع عشر والقرن العشرين، قطيعة لغوية وثقافية ودينية وروحية

* كاتب ، أستاذ جامعي / سورية.

في كل أرجاء هذه المنطقة، بخطة مدروسة عبر مراكز البحث العلمي عند المستشرقين والمنصرين، بإرسال البعثات التنصيرية، وبأسلوب مكشوف لاستمالة المثقفين والمفكرين والعلماء والحكام، لينهلوا من الغرب علومهم ولغاتهم، وبذلك تتحقق حالة فراغ كبير، يتولد منها فقدان الهوية القومية والثقافة العربية والإسلامية، مع العمل المستمر لإبعاد المسلمين عن اللغة العربية، التي تكون أداة الاتصال الوثيق بين هذه الصحراء الكبرى والأمة العربية والإسلامية، وبذلك يحققون ما تصبو إليه نفوسهم، فبدأ يفكر بالأمر وخطورته، فنادى ـ وبكل قوة وشجاعة وإباء العربي المسلم الأصيل ـ لتجميع القبائل العربية الممتدة من المحيط الأطلسي إلى صحراء العراق مروراً بالصحراء الكبرى من كل أقاليمها في الجزائر ومالي والنيجر ونيجيريا وليبيا ومصر والأردن وسوريا والجزيرة العربية، لتكون قوة متعاونة فيما بينها،

خطابكم أظهر الحقائق

نفتخر بالقيادة الشعبية الإسلامية العالمية، التي نعتبرها رحمان الشعوب الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها .

إننا حقاً أعجبنا بخطابكم التاريخي، في الميدان الكبير بأغاديس، الذي أظهرتم فيه حقيقة تاريخية، لطالما أخطأت فيها الكثير من الشعوب، ألا وهي كون الإسلام هو الدين العالمي الوحيد من بين الأديان .

إنه لتحد تاريخي ومبادرة مباركة، من شأنها أن تحبط كافة المؤامرات الغربية لتمزيق الأمة، وتؤكد على ثوابت هذه الأمة وتماسكها.

فامض أيها القائد، فنحن معك والشعوب الإسلامية معك.

والله الموفق والمعين ..

مشيخة الطرق الصوفية في الباكستان

نحن نبحث عن الإنجيل الذي فيه كلام الله لعيسى، أين هو؟، إنه غير موجود الآن. إذن الإنجيل الموجود الآن ليس هو الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى، لأن الإنجيل الحقيقي مذكور فيه «محمد».. والإنجيل الذي بين أيدينا الآن غير موجود فيه اسم «محمد» الذي سيأتي بعد عيسى. وهذا يؤكد لنا أن ما يسمى بالكتاب المقدس الآن، هو ليس الكتاب المقدس الذي أنزله الله على موسى ولا على عيسى، هذا كتبه الرسل بعد عيسى وبعد موسى بمئات السنين. هناك «بايبل» إسمه (بايبل القديس برنابا) مذكور فيه محمد، وهذا هو الذي يبدو صحيحاً، وهذا أُحرق.. أُعدم.. اختفى نهائياً من العالم. إذن عيسى مرسل لبني إسرائيل، فقط، ومحمد مرسل للناس كافة.الأمم الأخرى التي هي غير بني إسرائيل ليست معنية برسالة عيسى إطلاقاً، ولكنها معنية برسالة محمد ﷺ، لأن محمداً خاتم النبيين ومرسل للناس كافة، هذا عصر العلم وثورة المعلومات.. ولا بد أن يفهم الناس حقائق الدين. لكن يجب الإيمان بعيسى كنبي لبني إسرائيل وأن ميلاده كان معجزة إلهية. ومن أجل أن يثبت الله نبوة عيسى لبني إسرائيل وأنه مبشر بنبي يأتي من بعده وهو النبي محمد، مكّنه بمعجزات لم يمكّن منها أي رسول آخر. عيسى ويحيي الموتى بإذن الله ويشفي المرضى بإذن الله، وينزل المائدة من السماء بإذن الله. فالله يطلب من أتباع موسى وعيسى أن يتبعوا محمداً الذي يصفه في القرآن بأنه الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل؛ أين التوراة والإنجيل المذكور فيهما محمدﷺ؟. القرآن قال هكذا، قال مذكور في

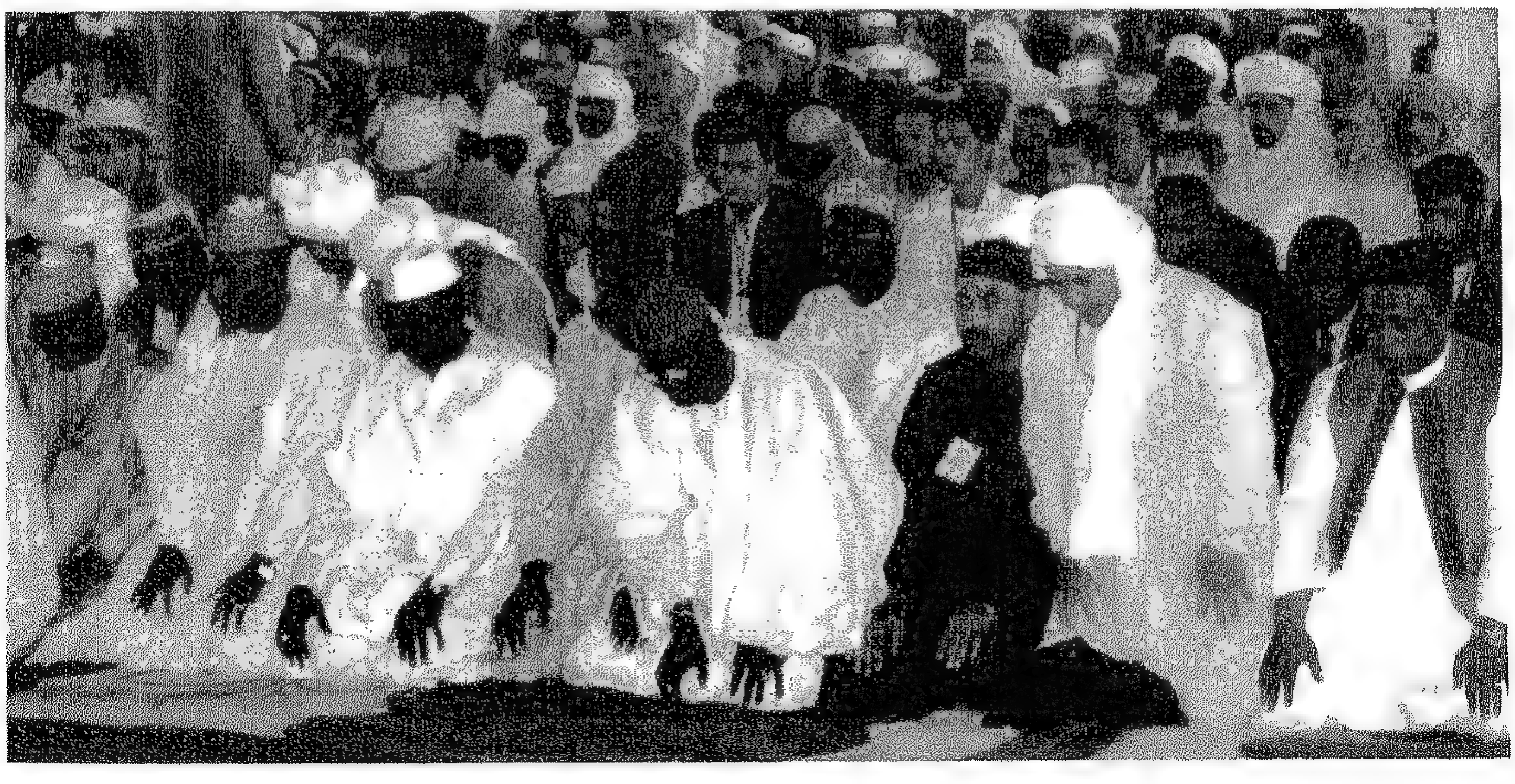
لاستعادة حقها المسلوب من الاستعمار، وليجعلها سداً منيعاً ضد الشمال، ليمنعه أن يجتاح المنطقة، وهذه مواقف استراتيجية بعيدة المدى، واسعة التطلعات، ايجابية في كل أطروحاته ودفاعه عن المنطقة كلها.

فهذا اللقاء وهذا الخطاب، وهذا التجمع المستمر لاعادة وتثبيت الهوية العربية والإسلامية، وهي عملية ذكية جداً، وتدل على مرتكزات عميقة يريد تحقيقها، كما يريد إعادة التفكير الجذري لهذا المنطقة، لتحصين شعوبها من كل عدوان فكري وثقافي وديني واقتصادي، وعلى رأسه الوقوف أمام التنصير، لأنه قال: «إن المسيح لم يأت لافريقيا ولا أوروبا ولا لأمريكا، وإنما جاء لحراف بني اسرائيل، ليصحح لهم شريعتهم المنحرفة»، ويؤكد أن دعوة الأنبياء كلهم كانت لأقوامهم، عدا الرسول محمد ـ خاتم النبيين والرسل عليه الصلاة والسلام ـ فكانت دعوته عالمية، ولذلك على الأفارقة أن يبحثوا عن الرسالة العالمية الخاتمة التي جاء بها محمد ﷺ، والذي يسوي بين الأبيض والأسود؛ وأشار بشكل رائع إلى الأناجيل الحقيقية، وأكد عدم وجودها، إلا انجيل برنابا الذي حاولوا إخفاءه، لأنه أشار في ستين موضعاً بمجيء الرسول العربي محمد ﷺ الذي سيرسل بشيراً ونذيراً ورحمة للعالمين.

إن الحقائق المستفادة من خطاب أغاديس، إنما هي تركيز وتعميق لكل المقالات التي طرحها معمر القذافي في تمبكتو وفي كانو، حيث قام بتأصيل الاستدلال العقلي والعلمي، للاستمرار في الهوية الإسلامية لهذه المنطقة، التي كانت منطلقا للدعوة، ولقد أوصل دعوته للجماهير والحكام ورؤساء القبائل، محذراً من مخططات الإستعمارالذي يريد استعمارهم اقتصاديًا وسلب خيراتهم، وإبقاء هذه المنطقة مجزأة تتناحر فيما بينها بايجاد الفتنة المذهبية والعرقية والاقليمية.

والإسلام قادر بعمقه التربوي والروحي، أن يجمع بين أبناء هذه الشعوب ويوحد كلمتهم، لأنه يحمل مشاعل الحرية والكرامة والمساواة والوحدة، ولا يحمل الغرب الاستعماري لهذه المنطقة إلا الاستغلال والتجزئة والتمزيق والفتن والحروب واستلاب المواد الخام، لابقاء الشعوب في حالة من الفقر والمرض والجهل، وفقدان الهوية الجامعة لهم في ظل العقيدة الإسلامية .

ومن المحاولات المكشوفة للاستعمار، لإنهاء الصلة



الصلاة الجامعة ـ أغاديس

بين هذه المناطق، التي كانت مراكز وممالك إسلامية، ومراكز اشعاع حضاري وفكري وديني وروحي، عمل جاهدا لبث فكرة مذهبي الشيعة والسنة، لايجاد الفتنة وايجاد القطيعة مع العالم العربي والإسلامي، فأكد عروبة القبائل، فهي قبائل عربية الأصل، عربية الجذور، جاءت قبل الإسلام ومع الإسلام وبعد الفتوحات الإسلامية، وعالج موضوع الفتنة المذهبية بين السنة والشيعة، بأسلوب رائع داحضاً كل أساليب الاستعمار، وقال: إن كل مسلم يحب عليا ويحب آل البيت، فكلنا شيعة لعلي ولأهل بيت الرسولﷺ.

والعرب كلهم بايعوا الإمام علي رضي الله عنه، وأحبوه وآل بيت الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، ولم يكن الشعب الإيراني إلا مسلما يعمل بسنة النبيﷺ، ويحبون علياً وآل بيته، وإن حب علي وآل بيت الرسولﷺ ليس حكراً على الفرس وليس هو مذهباً، وإنما يمثل كل المسلمين الذي أحبوا سنته وشايعوا آل بيته، فلو أجرينا ـ كما قال الأخ معمر القذافي في خطابه

نؤيد ما جاء في خطابكم

نؤيد كل ما جاء في خطابكم بأغاديس بالنيجر، في تلك الليلة المباركة ليلة مولد المصطفى عليه أفضل الصلاة والتسليم، والتي باركها الله بهطول الأمطار التي غابت طويلاً عن أهل أغاديس.
وبفضلكم تم إسلام ذلك العدد الكبير أمامكم .
ونؤيد ما جاء في خطابكم عن الدولة الفاطمية، وعما تحدثتم عن الشيعة والسنة، وعملكم الدؤوب لتوحيد قبائل الصحراء والساحل، وانجازكم الكبير في إفريقيا بقيام الاتحاد الإفريقي، وخطواتكم المباركة بإذن الله لـلم شمل إفريقيا وتسوية المشاكل بين السودان وتشاد.
سدد الله خطاكم وأعانكم بفيض من عنده على طريق النصر والسؤدد .

أبناء قبيلة الحلاوين بالسودان

التوراة والإنجيل، لكن التوراة والإنجيل التي بين أيدينا ليس فيهما ذكر لمحمد، إذن هاتين ليستا التوراة والإنجيل الصحيحتين.

وفاة محمدﷺ حدث كوني عظيم

في كل الأحوال نحن الآن نؤرخ بميلاد عيسى، وهو جدير بالتأريخ به، لأن ميلاده كان معجزة من الله. لكن لماذا لا نؤرخ بوفاة محمدﷺ؟ فوفاة محمدﷺ هي أيضاً حدث كوني عظيم، لأن وفاة محمدﷺ هي وفاة آخر نبي يرسله الله للبشر.. وفاة محمدﷺ تعني صمت السماء نهائياً عن الكلام وعن الاتصال بالأرض مباشرة، عن طريق الرسل إلى يوم القيامة.الله من آدم إلى محمد يرسل الرسل ويخاطب البشر والسماء على اتصال بالأرض إلى أن انتهى هذا بوفاة محمدﷺ، فمنذ 1375 عاماً توقف الوحي نهائياً عن البشر.إذن لا بد أن نؤرخ بتاريخ وفاة محمدﷺ.. هذا حدث كوني عظيم.

إذن يجب على العالم أن يؤرخ اعتباراً من الآن ويقول مرّ 2007 سنوات على ميلاد عيسى المعجزة و1375 عاماً على وفاة محمدﷺ خاتم النبيين. لماذا نؤرخ بميلاد عيسى ولا نؤرخ بوفاة محمدﷺ.. لماذا؟. السبب لأن المسلمين ضعفاء مغلوبون على أمرهم. نحن الآن نصحح وفقاً للقرآن الوضع الخطأ الموجود فيه العالم.. نحن لم نأتِ بحاجة من عندنا.كون عيسى عليه السلام ولد دون أب، هذه معجزة.. كون عيسى يُحيي الموتى بإذن الله ويشفي المرضى بإذن الله، هذه معجزة ونعترف بها. لكن هذا لا يعني أن عيسى نبي لإفريقيا، أو لأوروبا، أو لأمريكا، أو لآسيا، هو نبي لبني إسرائيل فقط. لو أن عيسى «عليه السلام» حي

التاريخي الهام ـ استفتاء في كل العالم العربي والإسلامي، لوجدناهم كلهم يحبون عليا وآل بيته، أكثر من معاوية ويزيد وغيره، وجاء بأدلة علمية تاريخية، بأن أول دولة شيعية تأسست في شمال إفريقيا هي الدولة الفاطمية، بعد شيخوخة الدولة العباسية وترهلها وتمزقها، وإذا أرادوا هذه الفتن فنحن سنشكل الدولة الفاطمية الجديدة الممتدة في كل شمال إفريقيا، وفي كل العالم العربي والإسلامي بمفهومه الإسلامي الجامع، مع التأكيد على العمل بالسنة النبوية المعتمدة على القرآن الكريم ومسترشدة بكل التراث الفقهي، كأفكار تفسيرية مساعدة وليست كمذاهب للتعصب والتقوقع، فليس في الإسلام مسجد شيعي ومسجد سني، واستشهد بالآية القرآنية:

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾

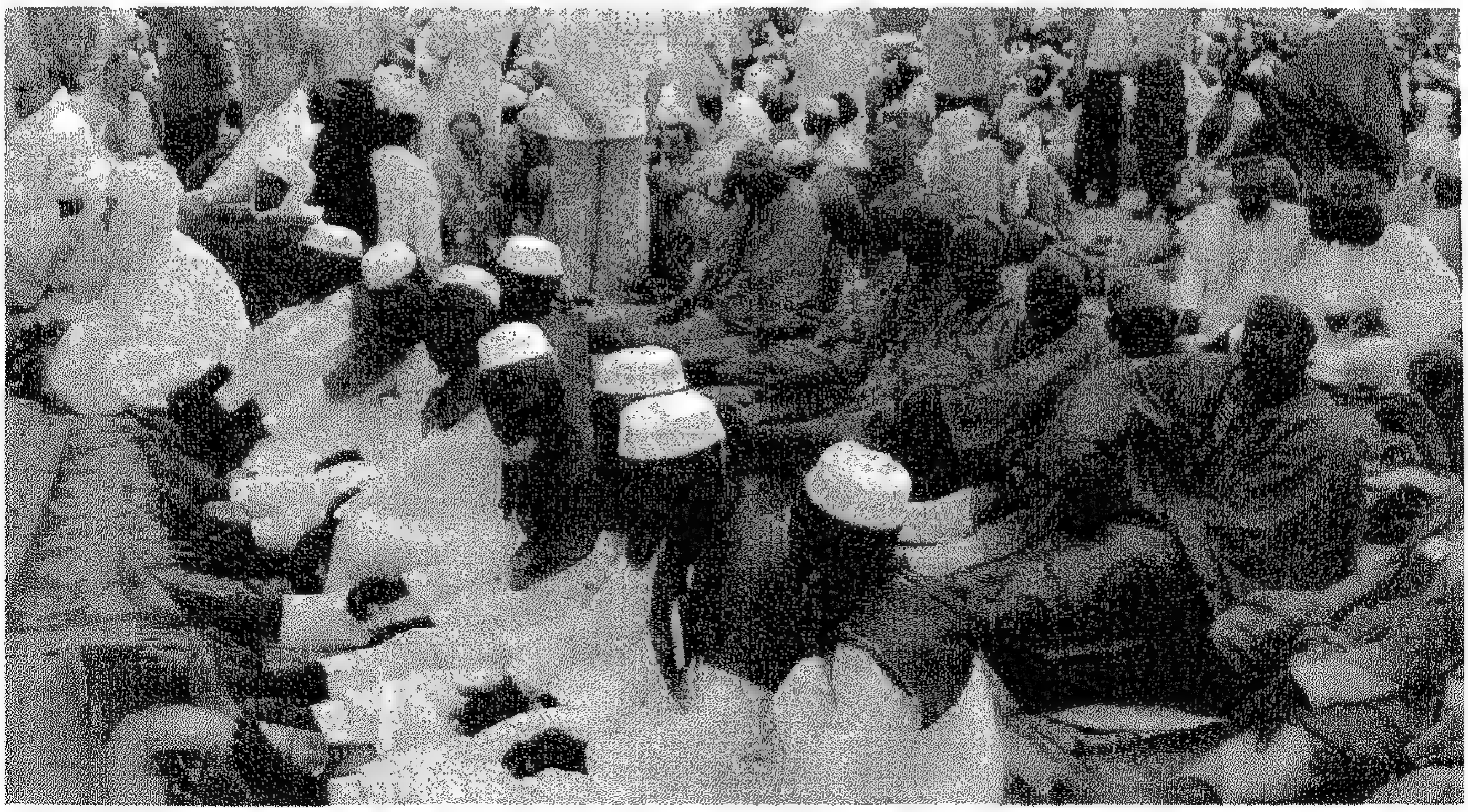
[سورة الجنّ، الآية: 18]

فما بال هؤلاء الذين يعملون لتمزيق الأمة، ولا يعلمون أن المؤمنين إخوة لا يفرق بينهم أي عرق أو لون أو إقليم فهم كلهم مسلمون.

فالمتأمل لخطاب الأخ معمر القذافي في أغاديس، يشعر بالبعد الاستراتيجي لفكر إسلامي عميق، يعي الأحداث ويفهم الواقع، ويستقرئ المستقبل ويعمل جاهداً لايجاد الحلول القريبة والبعيدة المدى، لتوعية الشعوب وكل الذين لم يتعمقوا في الأبعاد المتجذرة في أطروحاته العقدية، والتاريخية والتوثيقية، وما هي إلا صرخة مدوية في أعماق إفريقيا لتعود إلى رشدها، وتعيش حاضرها ومستقبلها مع الذين يحبونها وينظرون إليها كشعوب في إنسانيتها وأُخوتها بالمساواة، حيث قال الرسول ﷺ «لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح» وإن أول من وقف على الكعبة، بعد فتح مكة، ينادي بالأذان هو بلال الحبشي رضي الله عنه، ينادي الله أكبر الله أكبر، ويستصرخ همم العلماء والمثقفين والحكام والشعوب لتعلم أن كل رسول جاء لقومه إلا محمد ﷺ كان عالمي الدعوة وخاتم المرسلين ورحمة للعالمين ورسالته هي الإسلام دين التوحيد، وهو دين جميع الأنبياء والمرسلين.

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾

[سورة آل عِمرَان، الآية: 19]



أغاديس، جموع المهندين

واستشهد بآية أخرى:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾
[سورة آل عمران، الآية: 85]

وما كان المسيح عليه السلام، إلا لحراف بني إسرائيل، لتصحيح شريعتهم الضالة، وكأنه يقول لهم: إياكم إياكم من هذا الزحف الاستعماري الغربي والتنصيري، والذين يريدون استغلالكم باسم المسيح عليه السلام، الذي لو كان موجوداً ما وسعه إلا اتباع محمد عليه الصلاة والسلام، وحاور المسيحية - بواقعها المنحرف - التي جاء بها بولس الرسول الذي حول الرسالة إلى عالمية، وحرفها عن مسارها التوحيدي، إلى عبادة وثنية وإشراك المسيح بالعبودية كابن للإله، وأنه هو الله، قد حل فيه اللاهوت بالناسوت . الخطاب عميق الفكرة، واسع الدلالات، مبني على حكمة وعقلية مدركة لأبعاد المؤامرة الدولية الغربية والأمريكية والصهيونية، ولم ينس أن يذكر العالم العربي والإسلامي والشعوب العربية والإسلامية بدورها الكبير لإعادة حقوقها المسلوبة باسم حكومات إسلامية لا تعي دورها في مشاركة الشعوب بالشورى الحقيقية والديمقراطية المباشرة، وتكامل اللقاء الأول مع اللقاء الثاني بخطاب متكامل الأبعاد لإعادة مجد العروبة والإسلام وإحقاق الحق للشعوب الإفريقية التي تحاول المؤامرات تجذير الخلاف بينها.

وكان القائد معمر القذافي واضحاً في تأكيده على أن الإسلام الحقيقي في مصادره المتكاملة هو الحل لكل النزاعات الإقليمية، وأوجد قنوات متعددة وخطوطاً عريضة تحتاج إلى مجلدات لشرحها، وقد أثار اشعاعات وومضات فكرية روحية للعودة إلى القيم العربية والإسلامية والإنسانية، التي جاء بها الإسلام العظيم وأثبت أنه المجدد والمفكر الذي وعى دوره في قيادة القيادات الشعبية الإسلامية العالمية بتنظير وتخطيط وعمق الإدراك للواقع والحاضر والمستقبل؛ لقد انتقل الأخ القائد في خطابه، من أفق إلى أفق، عبر فكر رائد متألق.

عندما أرسل محمد، لأصبح تابعاً لمحمدﷺ. أن تبقى عدة أديان بعد محمد، هذه أخطاء تاريخية خطيرة. الدين يجب أن يكون واحداً بعد محمد..

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾
[سورة آل عمران، الآية: 19]

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾
[سورة آل عمران، الآية: 85]

هذه إحدى الحقائق الكونية. الخطأ الآخر الذي خدع الناس البسطاء هو ادعاؤهم أن عيسى صلب نفسه ليغفر ذنوب تابعيه، وعيسى لم يُصلب ولم يُقتل

﴿...وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾
[سورة النساء، الآية: 157]

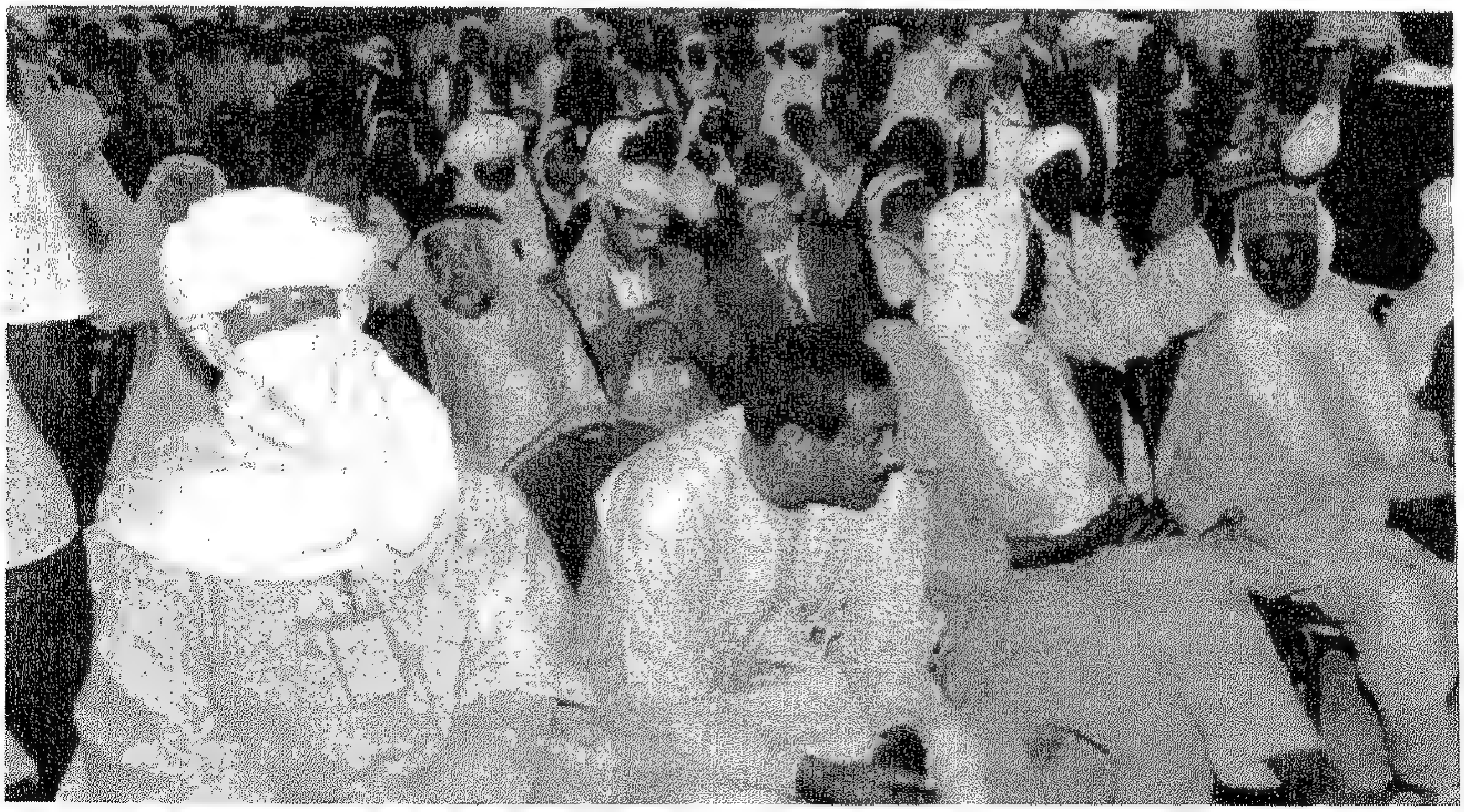
﴿...وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾
[سورة النساء، الآية: 157]

فالذي صُلب منذ 2040 عامًا هو شخص آخر يشبه عيسى وليس عيسى.. عيسى لم يُصلب. الكتاب الموجود بين أيدينا، ليس كلام الله.. كُتب بعد وفاة عيسى بمئات السنين، يقول: إن عملية الصلب حضرتها مريم وحضرتها مريم المجدلية وربما يوسف النجار وبعض التلاميذ، هم كلهم يعرفون أنه لم يكن عيسى. ولكن مثلوا أن هذا هو عيسى لكي يحموا عيسى الحقيقي من المطاردة، لأنه كان مطارَداً في ذلك الوقت. هذا كلام قاله الله، ولم نقله نحن. كل الكلام الذي قلته هو كلام الله.. نحن لم نكن نعرف هذه الحقائق إلا عندما قالها الله لنا في القرآن ولم نأتِ بها من عندنا.. الله يقول لعيسى:

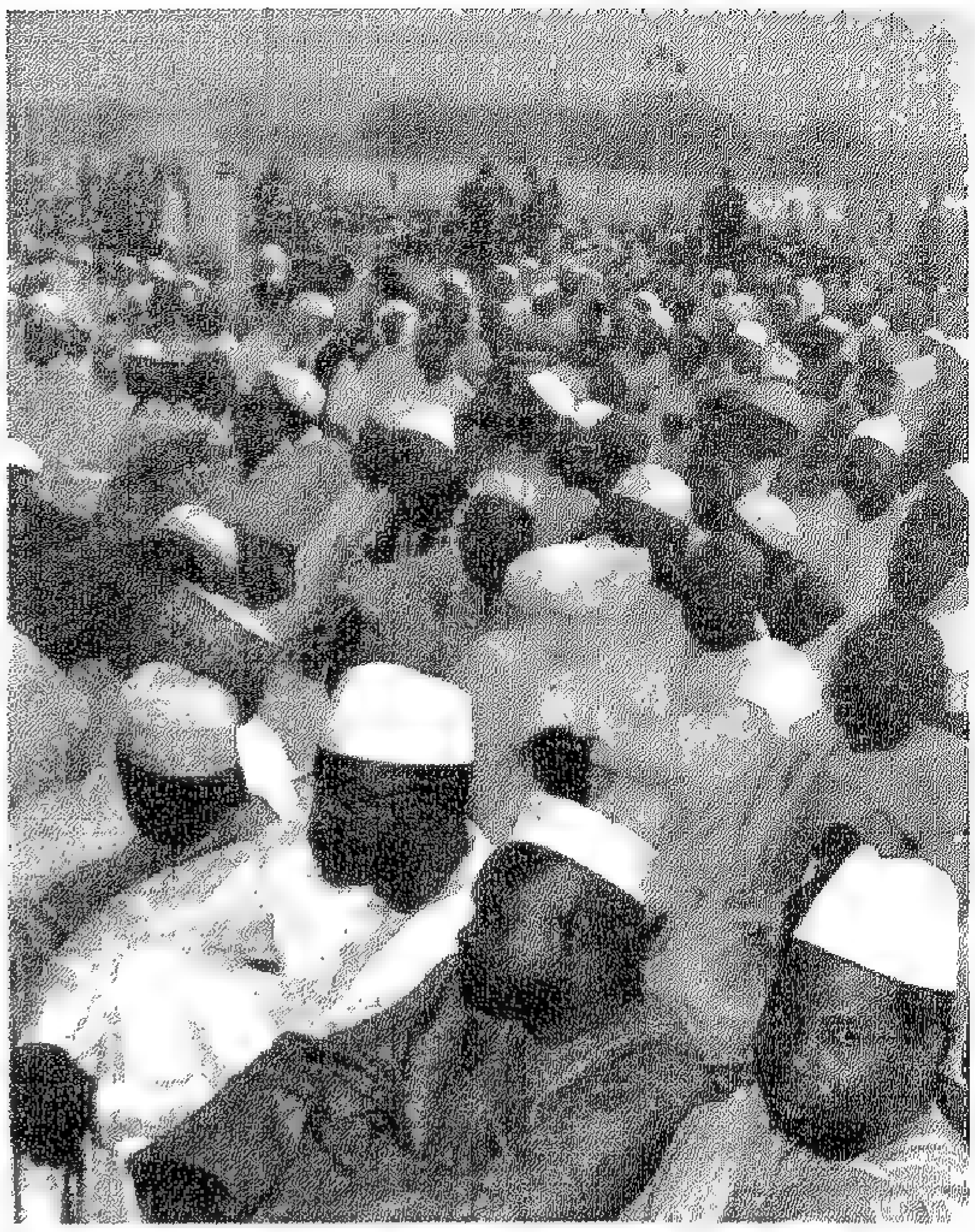
حواضر الإسلام في إفريقيا تستعيد بريقها

بلال حسن التل *

للإسلام مع الصحراء العربية علاقة طويلة، فالصحراء العربية كانت ولا زالت جزءًا حيًا نابضًا، من هذه الأمة وتاريخها ووجودها، وهي بامتدادها من الخليج العربي شرقًا، والمحيط الأطلسي غربًا، ومن البحر الأبيض شمالاً، وحتى قلب إفريقيا السمراء جنوبًا، جزء لا يتجزأ من العروبة والإسلام، وقبل ذلك، هي مهد لكل حضارة عرفتها قارات العالم القديم، ابتداء من الحضارة الفرعونية، وانتهاء بالحضارة الإسلامية، مرورًا بحضارة الرافدين في بلاد العراق، وبالحضارة الرومانية التي- برغم ادعاءات الأوروبيين- كان مركزها ومصدر إشعاعها الحضاري دمشق المتربعة على أطراف الصحراء العربية، وحتى الحضارة الإغريقية التي كثرت المزاعم حول كونها حضارة أوروبية خالصة، فإن



* كاتب، باحث / مدير المركز الأردني للدراسات والمعلومات / الأردن.



عمقها الاستراتيجي وكثيرًا من مكوناتها جاءت من هذه الأرض الطيبة من الصحراء العربية، وطن العرب والعروبة؛ فمن العرب العاربة، ، الذين نزلوا من جبال اليمن، والعرب المستعربة أبناء إسماعيل (عليه السلام)، وبين أحضانها تكونت القبائل كلها، ابتداءً من بني قحطان حمير وكهلان، مرورًا ببني عدنان مضر وربيعة، وصولاً إلى قبائل اليوم، مثل شمر وعنزة وقبائل الطوارق الممتدة على طول إفريقيا وعرضها، وكما أن الصحراء العربية ذات أياد بيضاء على العرب والعروبة، فهي أيضًا ذات صنيع حسن مع الإسلام، ففي مكة القابعة في قلب الصحراء، ولد هذا الدين وترعرع، ومن فيافي المدينة انطلقت رسائل الهداية إلى أصقاع الأرض وكل شعوب البسيطة، وكانت الصحراء الحضن الحاني والحامي لهذا الدين، فوقفت سدًا منيعًا في وجه الغزاة والطامعين، وحمت الإسلام في منشئة حتى قوي واشتد عوده، وأضاء العالم بالحكمة والموعظة الحسنة، لا بالسيف وسفك الدماء كما يزعم خصومه، وليس سرًا أن جهود الداعية المسلم سواء أكان تاجرًا أو مسافرًا، هي التي عرّفت بهذا الدين،

﴿... إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾
[سورة آل عمران، الآية: 55]

حتى العبادات الموجودة الآن التي يقوم بها أتباع عيسى، لم يقلها عيسى.. الحركات التي تعني الصليب، هذه لم يعملها عيسى لأن عيسى في ذلك الوقت لم يُصلب حتى حسب اعتقادهم.

إن صورة عيسى وتمثال عيسى أو مريم التي توضع أمامهم في الصلاة، وثنية لم يقلها عيسى.

حتى الصلوات التي الآن يمارسها أتباع عيسى، ليست هي التي قال بها عيسى أبداً.

إذا كنت من بني إسرائيل يمكن أن تكون مسيحياً، أما إذا كنت لست من بني إسرائيل فما علاقتك بالمسيحية؟ فأنت لست معنياً بها أبداً.

***

قبائل العرب تلتقي في أغاديس

تميزت احتفالية أغاديس، بانعقاد الملتقى الثاني لقبائل الصحراء الكبرى، وهو حدث إسلامي تاريخي يشهده المسلمون للمرة الثانية، وكان شيوخ وسلاطين وفعاليات هذه القبائل تقاطروا على أغاديس من السنغال وموريتانيا غرباً ومن العراق شرقاً مروراً بشمال إفريقيا ووادي النيل وبادية الشام والجزيرة العربية والقرن الإفريقي والسودان وتشاد والنيجر.

وألقى الأخ معمر القذافي قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية في هذا الملتقى التاريخي الشامل خطابا فيما يلي نصه :

نؤمن بكل الأنبياء

باسم الله

في البداية أشعر أنني عاجز عن التعبير

وكم فوجئ الفاتحون وهم على أعتاب بلاد مسلمة، أن الذين سبقوهم إليها من الدعاة والتجار المسلمين، قد فتحوها بحسن الخلق والموعظة الحسنة.

إفريقيا بين العروبة والإسلام

منذ بداية الإسلام وفجره الأول، كان لإفريقيا نصيب كبير فيه، فإليها كانت هجرة المسلمين الأولى والثانية، وكانت الحبشة أول دولة تحالف المسلمين وتحميهم، وكان النجاشي أول حاكم يدخل في هذا الدين، ومن هناك بدأ انتشار الإسلام في إفريقيا، وتوغله فيها حتى وصل إلى كل بقاعها شرقًا وغربًا، وأقام فيها دوله وممالكه، وحتى إمبراطوريته الإسلامية، وبقيت إفريقيا عامرة مزدهرة طوال فترة قوة الإسلام، وازدهاره فيها، حتى دخلها الرجل الأوروبي الأبيض، غازيًا مستعمرًا، فدمر حضاراتها واستعبد الملايين من أبنائها واستنزف ثرواتها، ولولا ذلك الغزو والاستنزاف لكان لإفريقيا شأن كبير، من العلو والرفعة والقوة، ونتيجة لهذا التدهور حدثت القطيعة بين إفريقيا وخلفيتها التاريخية والثقافية، أي الإسلام أولاً، والعروبة ثانيًا، وطالت القطيعة قرابة ثلاثة قرون، ثم عادت الأواصر العربية الإفريقية، تنمو من جديد، لكن هذا النمو كان في بداياته نموًا بطيئًا



خطابكم جدد دعوة الإسلام

لقد أحسسنا بقوة دعوية جديدة، وعزيمة متجددة مما سمعنا منكم، وشاهدنا بأم أعيننا من دخول الكثير من الناس الإسلام في الساحة الكبرى بمدينة أغاديس .

الشكر لكم من الأعماق على خطابكم هذا، والخطاب الثاني الذي ألقيتموه أمام رؤساء القبائل العربية والإفريقية، فأشرتم فيه إلى ضرورة الوقوف ضد التطاول الغبي، لتفريق الأمة وإشعال فتيل الحرب فيما بينها.

إن نيتكم لإقامة دولة فاطمية في الشمال الإفريقي، على غرار الدولة الفاطمية الأولى، خطوة تاريخية عملاقة ستنهي ما يعاني منه العالم الإسلامي، بفعل المؤامرات الخارجية، من وضع التناحر والصراع بين الأمة الإسلامية .

ونحن نؤيدكم في هذه المبادرة التاريخية، ونقف معكم في خندق واحد.

دمتم منارة شامخة للإسلام والمسلمين، ورمزاً للدعوة الإسلامية .

وجزاكم الله عنا وعن الأمة الإسلامية خير الجزاء .

جمعية الأئمة الوطنية في بنغلاديش

مشوهًا، نتيجة للتراث الطويل من الظلم والاستعمار، الذي عاناه الطرفان، لكن نقاط التداخل والتماس العربية الإسلامية الإفريقية، كانت أكبر وأقوى، فهناك أحد عشر دولة عربية، في الجناح الإفريقي، من الوطن العربي، تضم الغالبية من العرب، كما أن القبائل العربية متأصلة في الكثير من الدول الإفريقية غير العربية، ولا زالت هذه القبائل تحتفظ بجذورها ولغتها، هذا عدا عن الرابط الأهم، وهو الإسلام، أوسع الديانات انتشارًا في قارة إفريقيا. أما الآن وبعد أن بدأت العلاقة بالاستقرار، ونشأ رابط جديد أصبح يعرف (بالإفروعربي)، حيث أصبح أكثر وضوحًا أن العربي - الإفريقي، والإفريقي غير العربي لا ينفصلان، فلا يوجد فاصل جيولوجي ما بين البلدان العربية وغير العربية في إفريقيا، على العكس، فهناك الكثير من نقاط ومناطق التداخل واختلاط الأعراق، وعلى الرغم من ميل الكثيرين، إلى الفصل الحضاري بين العرب والأفارقة، إلا أن الواقع يؤكد أن لا إفريقيا بلا عروبة ولا عروبة بلا إفريقيا، لكون التأثر والتداخل الحضاري بينهما أقوى وأعمق، من أن ينفصل، بل على العكس، ظهرت عدة نظريات مؤخرًا، تقول بأن الساميين (نسبة لسام بن نوح، والذي تنتسب إليه عدة أعراق منها العرب)، كان أيضًا إفريقياً، وبالتالي فإن التمييز على أساس الأصول الجغرافية أيضًا، أصبح يشوبه الكثير من اللبس.

أما من المنظور اللغوي، فإن الكثير من الدول العربية، أو المنضوية تحت الجامعة العربية، تتداخل فيها عدة لغات ولهجات عربية وإفريقية، وأجنبية غربية، وبالمقابل فإن الكثير من الدول الإفريقية غير العربية، تستعمل فيها اللغة العربية وبكثرة، حتى إنها تعتبر لغة رسمية وشبه وحيدة، لعدد من الأقاليم والقبائل الكبيرة المستوطنة في تلك الدول، مثل: أثيوبيا والنيجر ومالي، هذا عدا عن استخدام اللغة العربية، كلغة تعامل يومية في العديد من البلدان الإفريقية،

بعبارات الامتنان والشكر والتقدير، لتواجدكم في هذا اليوم المشهود بالمناسبة الكونية، وهي ميلاد ووفاة خاتم النبيين، وأن تأتوا من كل فج عميق إلى هذه الواحة التي كانت منسية ولا يعرفها العالم إلا قليلاً، وكذلك لما سمعته من نثر وشعر، وللهدايا الرمزية التي لها معنى معنوي كبير، هذا ثاني لقاء تاريخي شامل لأبناء الصحراء الكبرى في مناسبة كونية عظيمة واحدة، لمرتين، في تمبكتو السنة الماضية واليوم. هذا التواجد له معنى، فيه شيء من التحدي، مع هذا التطاول على نبي الإسلام، وعلى القرآن الكريم، وعلى أمة الإسلام والمسلمين، الحقيقة في ظل احتلال العراق وأفغانستان تم الاستهتار بدين الإسلام وبنبي الإسلام وبالقرآن حتى في اسكندنافيا التي هي بقعة بعيدة باردة، فمن عرفهم بمحمد ﷺ هناك؟ معنى ذلك أنه يوجد منهج كراهية يدرسونه حتى في اسكندنافيا.

نؤمن بكل الأنبياء نحن الآن متهمون بالإرهاب، ومتهمون بأننا أصحاب الكراهية، وأننا لا نقبل الآخر، بينما نحن نقبل الآخر، نقبل نبي النصارى وأنبياء اليهود وكل الأنبياء نقبلهم ونعترف بهم وإلا لا نكون مؤمنين. هم الذين لا يقبلون نبينا، ولا يقبلون كتاب الله الذي نزل على نبينا، وهم الذين يمارسون العنف ضدنا، وهم الذين يمارسون الإرهاب ضدنا، يعني أن الآية معكوسة تماماً. فالصحفي الذي في اسكندنافيا، الذي يرسم صورة للنبي محمد ﷺ ما هو مستواه؟ من عرّفه محمداً ﷺ؟ كيف عرف أن هناك نبياً اسمه محمد، إلى درجة أنه أصبح يرسم صورته ووضعه الاجتماعي وما إليه؟ هناك أحد علمه

سواء كعربية بحتة، أو كلغات متفرعة مرتبطة بالعربية، كالسواحلية والهوسا.

أما بالنسبة للإسلام في إفريقيا، فقد شاب اللبس مفهوم أو معنى أن تكون مسلمًا إفريقيًا، بحيث أصبح الإسلام مرتبطًا بالعروبة، مما خلق في فترة من الفترات حاجزًا ونوعًا، من التنافر بين المسلم العربي، والمسلم العربي الإفريقي من جهة، والمسلم الإفريقي من جهة أخرى، لكن السعي من كلا الطرفين، نحو التقريب والتواصل، ألغى هذه الصورة من التنافر غير المبرر، خاصة أن الفرق بين العروبة والإسلام بيّن واضح، فليس كل عربي مسلمًا، ولا كل مسلم عربيًا، وكذلك الحال مع إفريقيا وأبنائها، وبالتالي لا يجوز أن يستخدم أي من هذه المصطلحات، مترادفًا مع الآخر، ومعلوم تمامًا أن أعداد الأفارقة المسلمين، أو ممن ارتبطوا بالجذور والثقافة الإسلامية، أكبر من أعداد العرب ـ الأفارقة.

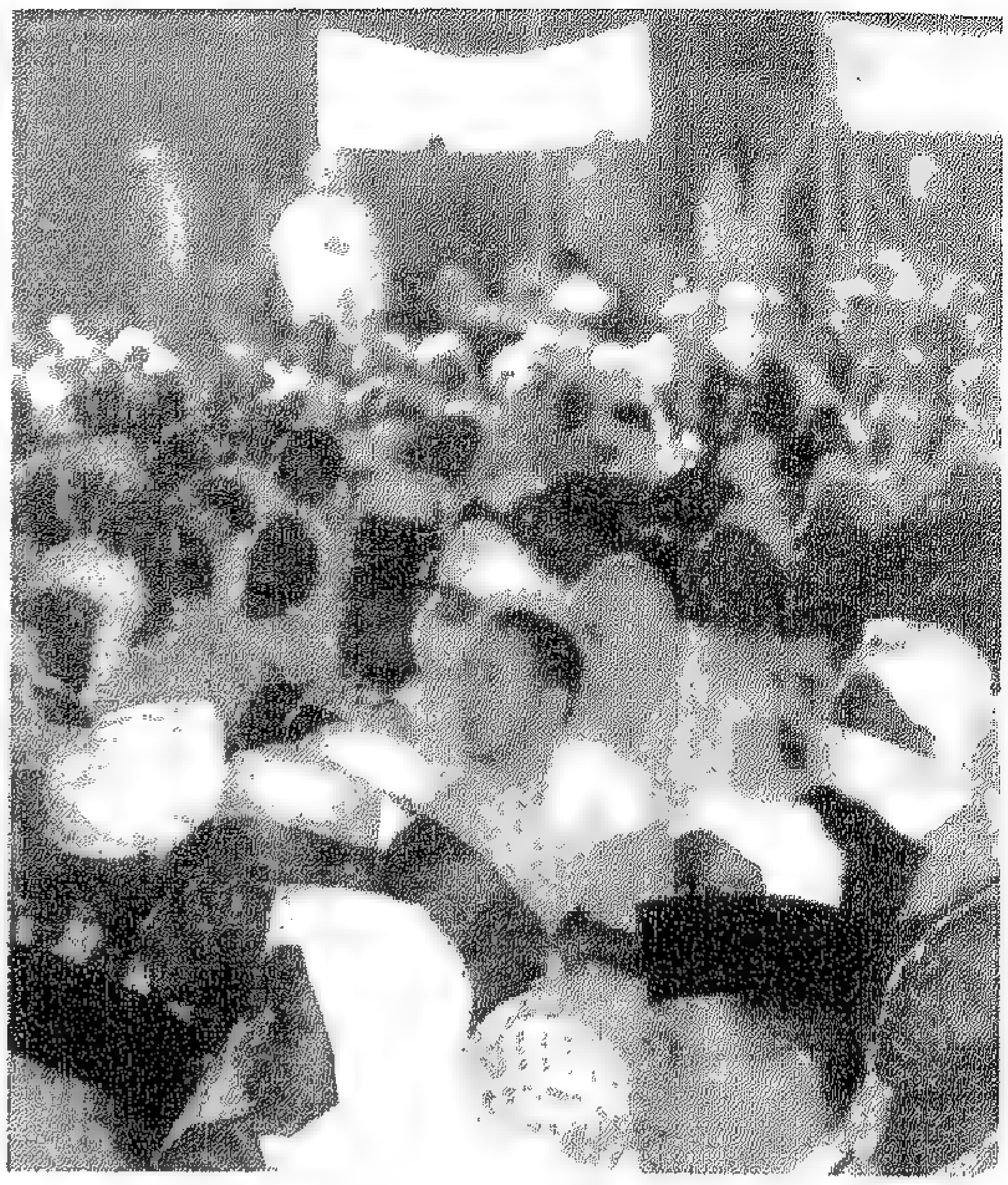
إن الصحراء العربية، من مكة إلى أعماق إفريقيا، حمت الإسلام واحتضنته في مكة أولاً، وفي الحبشة ثانيًا، فقد حفظ الإسلام للصحراء صنيعها، فحفظها ولم يهجرها، وكانت ولا زالت أضخم عواصم الإسلام، ودوله وإمبراطورياته متربعة في قلب هذه الصحراء، فنجد مكة مهد الدعوة والرسالة، والمدينة المنورة العاصمة الأولى، ومثوى آخر الرسل، والبصرة، والموصل، أولى الحواضر التي أسسها الإسلام، ونجد الفسطاط أولى مدن الإسلام في إفريقيا، وقاهرة المعز، ومنها إلى كانو وأغاديس وتمبكتو عاصمة الإمبراطورية الطوارقية، كلها مدن صحراوية، وكلها عواصم

الصلوات الجامعة جعلت المسلمين في قلب الحدث وليس متفرجين

جاءت احتفالات هذه السنة بذكرى المولد النبوي الشريف، في مرحلة بالغة الصعوبة، وبالتالي فإن المسلمين بحاجة إلى مثل هذه الصلوات الجامعة، وما يستفاد منها من دروس.

ويأتي ملتقى أغاديس ليؤكد جملة من الحقائق، التي اعتقد أنها بحاجة للإبراز، من أجل أن يظل المسلمون في قلب الحدث، ومن أجل أن يكون لهم حضورهم الفاعل، فهو ملتقى للمصارحة مع الآخرين، ومن هنا فإن الجموع التي حضرت من شتى الدول والأقوام والأجناس من كل القارات، من استراليا وأوروبا والأمريكتين وإفريقيا وآسيا، هو دليل على أننا بحاجة إلى اللقاء من خلال قيادة توحدنا، وفكر يوحدنا، وحدث يجعلنا في دائرة الضوء، وعليه فإن كل هذه يمكن أن تشكل رمزا للتطلع إلى المستقبل والاستشراف للمستقبل الأفضل لهذه الأمة، وهذا التواجد في إفريقيا هو إعطاء لإفريقيا هذا الدور الذي يجب أن تلعبه وهو دور العطاء الروحي للإنسانية، والتأكيد على مضامين الرسالة المحمدية، الرسالة الخاتمة، الرسالة التي جاءت للناس كافة، ومن هنا فإن خطاب الأخ القائد هو دليل على أن هذه الرسالة هي رحمة للعالمين، وهي لكل البشر باختلاف الألوان والأجناس، ورغم أن الرسالات السابقة هي شرائع وكل شريعة تنسخ الأخرى، لكن الشريعة المحمدية والعقيدة الإسلامية هي منهج ومسلك وحل لكل مشاكل الإنسانية، نعم إفريقيا بحاجة إلى مرجعية، هذه المرجعية جسدت في إعلان سرت التاريخي، إعلان 9-9-1999 مسيحي، الإعلان بدأ يقترب بالقارة، وبعبارة أدق وضع إفريقيا على الطريق الصحيح، وما عشناه في هذه التظاهرة الكبرى وما لمسناه في كل الصلوات الجامعة وخاصة أفواج المهتدين، يدلل على عمق ما تكنه شعوب القارة من محبة وتقدير للأخ معمر القذافي، قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، الذي تجد فيه المرجع الفكري لكل هذه الاجناس وهذه القبائل.

الدكتور محمد البشاري:
أمين عام المؤتمر الإسلامي الأوروبي ورئيس الفدرالية العامة لمسلمي فرنسا



ضخمة تاريخية، كان ولا زال لها شأنها في حضارة الإسلام، وقد زاد عدد الممالك والدول الإسلامية، في إفريقيا عن 25 دولة، وهو رقم لم يتكرر، في أي بقعة من أرض الإسلام.

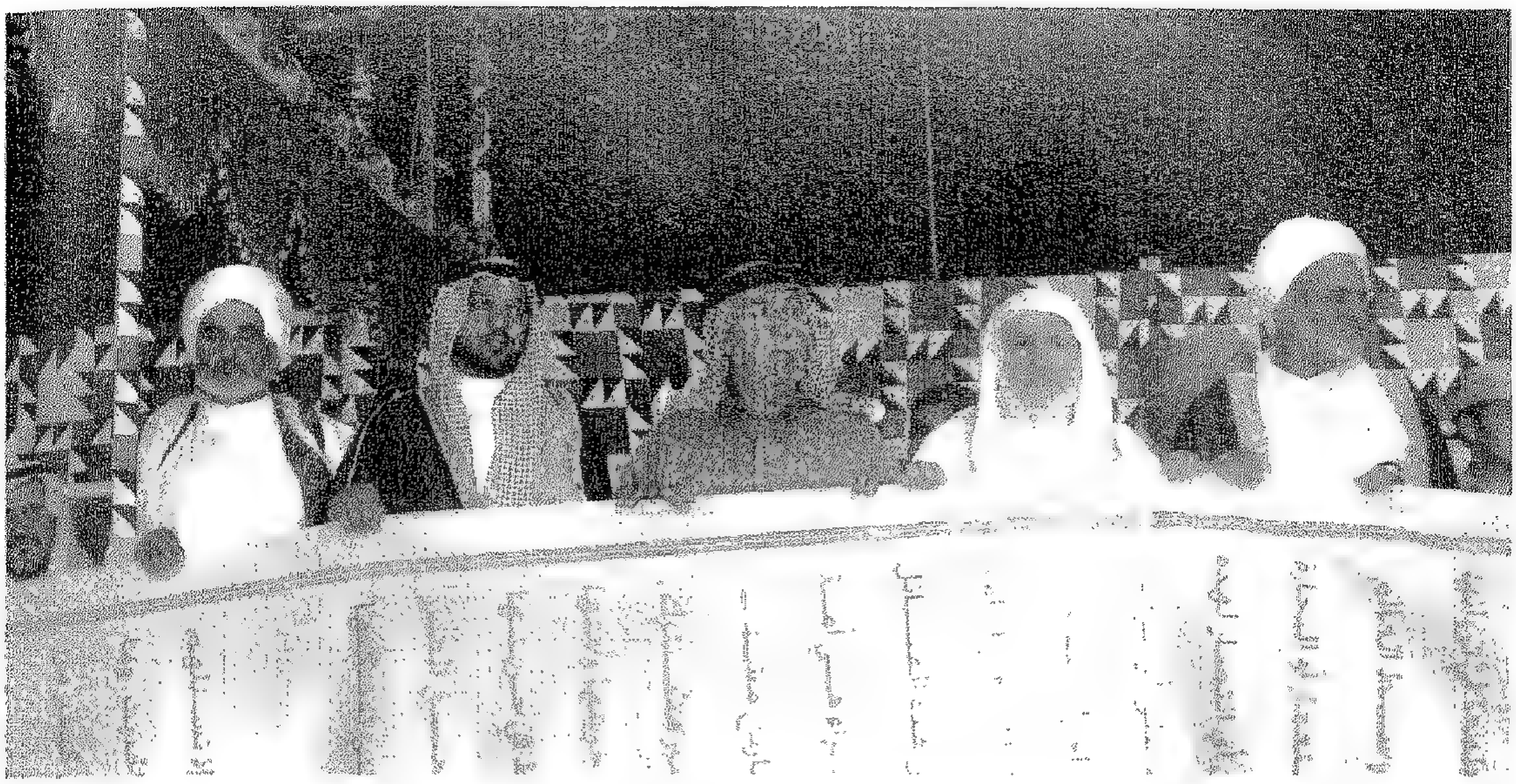
والقارئ لخطاب الأخ معمر القذافي، في الملتقى التاريخي الثاني، لقبائل الصحراء الكبرى، يلمس هذه النقاط بصورة واضحة، فالملتقى جمع القبائل العربية من المحيط إلى الخليج، ومن البحر إلى عمق القارة الإفريقية، في احتفالية نادرة من نوعها، وفي ذلك إشارة واضحة إلى نقاط هامة عدة، منها: أن العرب سواء آسيويين أو أفارقة، هم أولاً وأخيرًا، إخوة ينتمون إلى أصول واحدة، وجذور متصلة متشابكة، وأن هذه الصحراء التي جاءوا منها واجتمعوا فيها، ستكون دائمًا إحدى أقوى حلقات الوصل بينهم، في إشارة أوضح، إلى أننا كعرب، كلنا أبناء لهذه الصحراء، وبالتالي يجب أن نحفظها ونتميها، ونعيد لها عزها وعزتها، إذ لا عزة لنا بغيرها، أما ثروات وخيرات هذه الصحراء، فأبناؤها أولى بها، وأحق من المستعمر الأوروبي وغيره، وإن كنا قد سمحنا له في الماضي، باستغلالها واستنزافها، تحت تهديد القوة والسلاح،

هذا، هناك منهج كراهية، منهج حقد، منهج عدواني في اسكندنافيا نحن ليس عندنا كلام ضد عيسى ولا موسى ولا يوسف ولا إسحاق ولا إبراهيم ولا هود ولا صالح ولا كل الأنبياء الخمسة والعشرين المذكورين في القرآن، فنحن إذا لم نؤمن بهم لا نكون مؤمنين.. ولما نذكرهم نقول عليهم السلام أما هم فعندما يذكرون نبينا يذكرونه بالشتيمة وباللعن.

نحن قلنا أمس إن هذا ليس نبينا نحن فقط لأنهم يجهلون أنه نبي للناس كافة.. محمدﷺ نبي حتى لـاسكندنافيا، المفروض أن يدخلوا في الإسلام، رسالة محمد خاتم النبيين. يعني توجد تُهم ضدنا وهم الذين يرتكبون هذه التهم، فهم يتهموننا بأننا ندرس الكراهية، نحن لا ندرس الكراهية، بينما هم الذين يدرسون الكراهية، لو كنا نحن الذين ندرس الكراهية لكنا شطبنا على اسم عيسى عليه السلام المذكور 25 مرة في القرآن.. لماذا لم نشطب عليه لو كنا نحن الذين ندرس الكراهية لأولادنا، ومريم مذكورة 33 مرة في القرآن لماذا لم نشطب عليها. وموسى الذي هو نبي لليهود مذكور، 136 مرة في القرآن ولم نقدر أن نشطب حتى على رقم واحد، لو كنا نحن الذين ندرّس الكراهية نشطب على هذه الأشياء كلها. لكن هذا كلام الله ونحن لا نستطيع أن نتصرف فيه. نحن لا ندرّس في الكراهية هم الذين يدرّسون الكراهية ضدنا.

نرد على التحدي

نرد على التحدي، لقد أصبح هناك تطاول ما دام بلد مثل العراق أمكن احتلاله وأمكن القبض على رئيسه وأمكن إعدامه أمام العرب



ميثاق تمبكتو





والجبروت الغاشم، فيجب أن لا نسمح له بذلك مرة أخرى، حتى لو جاء مستترًا تحت عباءة حريرية، مثل التنصير الذي اجتاح إفريقيا، أو التذرع بذرائع كاذبة خادعة، مثل الحفاظ على الأمن والسلم الدوليين، أو الحفاظ على حقوق الإنسان، وحقوق الأقليات، مع أن دعاة هذه الأمور هم أول منتهكيها، فليس العربي أو الإفريقي هو من يحتل الدول، ويشتت شعوبها، وليس العربي والإفريقي من استعبد غيره من الأمم طوال قرون، ولا العربي والإفريقي هو من لا زال يقيم دول التمييز العرقي والعنصري والديني، ويسيء إلى أرباب الديانات ورسلها، ويحتقر كل من لم تكن بشرته صافية، أو عيناه زرقاوان، فالثروات كانت ولا زالت ملكًا لشعوبها التي تكدح للحفاظ على حياتها ومستقبلها، ومن بين صفوفها يخرج القادة والزعماء، الذين يجب أن يضعوا دوما مصالح أوطانهم وشعوبهم نصب أعينهم، مهما كانت التهديدات والمغريات، حتى لا يكون حال المواطن كقول الشاعر:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما

والماء فوق ظهورها محمول

فهذا شيء منكر مرفوض، فكيف يطلب من أي

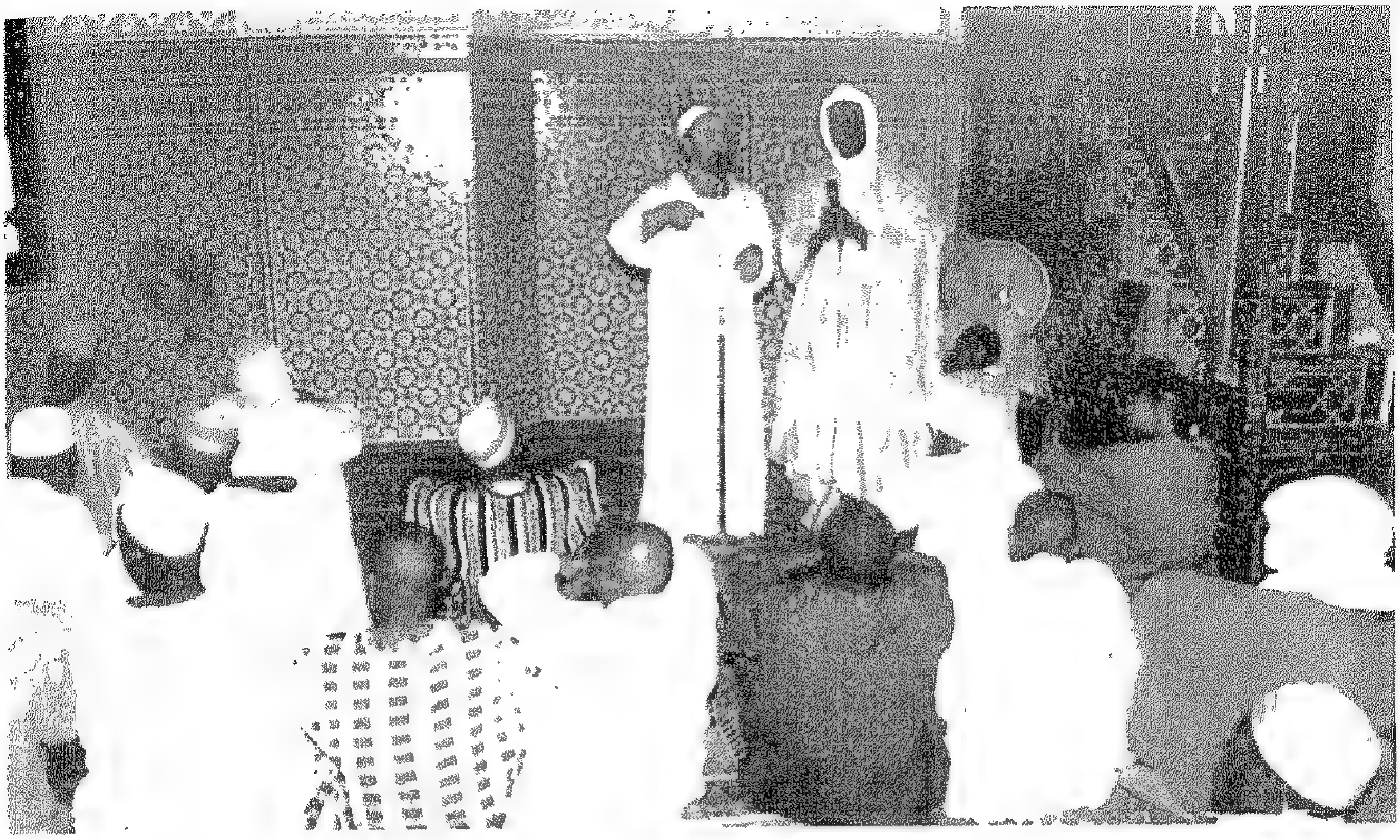
كان، أن يسير فوق جبال وأنهار من الذهب الأبيض، والأسود والأصفر، ثم يسلمه طائعًا لكل من يريد أن يستغله ويستنزفه، ثم يقعد هو ملومًا محسورًا، طالباً للمعونات والمساعدات، من الذين نهبوه وتمتعوا بثروته، فبأي حق أو عقل يبرر الأمريكي والأوروبي، ضرورة أن يعيش شعبه في رفاهية وغنى، من عرق وثروات الشعوب الأخرى، وفي نفس الوقت تحرم هذه الشعوب، من أبسط مقومات الحياة، ثم يُصنف أبناؤها على أنهم عالم ثالث ورابع، وتوصف إفريقيا بالقارة السوداء، وهي لم تكن أبدًا سوداء، إلا في عهد الاستعمار الذي استنزفها وجردها من أبسط مقومات الحياة، حتى أصبحت أكبر مدنها وحواضرها، تخلو من أبسط الخدمات والبنى التحتية، فإفريقيا هي أقل القارات من حيث التغطية، بشبكات المياه والكهرباء والصرف الصحي والطرق المعبدة، وهي أعلى القارات من حيث نسبة الأمية والفقر والبطالة، وتدني متوسط عمر الفرد، مع أنها تمتلك أكثر من ثلثي ماس العالم وذهبه، وفيها نسبة ضخمة من احتياطيات النفط والغاز، وبيئتها الأفضل للكثير من الزراعات

حدث عظيم

لقاء هذه الجموع التي توافدت على أغاديس للاحتفال بالمولد النبوي الشريف، في عمق صحراء إفريقيا، أعتقد أنه حدث مهم جدا على كافة الأصعدة والمستويات، واجتماع المسلمين هو شيء مهم كثيراً كثيراً، وهنا أود أن أشكر القائمين على هذه التظاهرة، ومنهم الإخوة من القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، كما أود أن أشكر الإخوة في النيجر على استضافتنا، والحقيقة أن توافد جموع المسلمين من مختلف أنحاء العالم، للاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف في أغاديس، هو شيء عظيم.

حسين شوشر/ أمريكا

والمسلمين وهم يتضاحكون، وأن أفغانستان أمكن أن يحتلها الحلف الأطلسي، وفلسطين أمكن أن ينكروا حقها.. لم تعد هناك قضية فلسطينية إطلاقاً والفلسطينيون يعيشون لاجئين وانتهى أمرهم. وأمام هذا كله والتطاول الذي وصل لهذه الدرجة فنحن على الأقل. محاولة منا. نردُّ على هذا التحدي، ونحيي ذكرى النبي محمدﷺ الذي يجري الآن التطاول عليه، وطمس ميلاده، وممنوع الاحتفال بميلاد محمدﷺ، وجرى طمس للقرآن، طمس للإسلام باسم حركات مشبوهة، يريدون أن يصبح الإسلام بين الحقيقة والخيال ما الذي يضير الإسلام ويضر العقيدة إذا وجدنا السيوف التي قاتل بها المسلمون في خيبر وفي بدر وفي أُحُد وفي حنين وفي حروب الردة وفي الفتوحات وأن هذا سيف محمد وهذا سيف علي وهذا سيف حمزة وهذا ترس عمر وهذا ترس عثمان. ماذا يضرنا إذا كانت الرسائل التي كتبها النبي لقادة الأمم في ذلك الوقت موجودة ومحفوظة. أين هي؟ لقد أحرقوها. أين الحراب أين التروس أين السيوف وأين النشاب والقوس الذي يحاربون به أين المعدات هذه كلها؟. كلها دمروها لكي لا يكون هناك دليل على أن هناك ديناً وأن هناك نبياً اسمه محمدﷺ. أين قبر محمدﷺ.. أنا أتحدى أي واحد يقول لنا هذا قبر محمدﷺ. إنه ليس موجوداً.. فلقد انتهى قبر محمدﷺ وجثمانه وانتهت قبور الصحابة وقبور آل البيت والمهاجرين والأنصار تم طمسها. ماذا يضرنا إذا كان هذا قبر فاطمة وهذا قبر عائشة وهذا قبر عثمان وهذا قبر عمر. قالوا حتى لا نعود للوثنية. إذا كنا لسنا مؤمنين فإننا نعود



الإستراتيجية والاستثمارية، ولو استغلت ربع المساحات الصالحة للزراعة، وتربية المواشي في إفريقيا فقط، لانتهى الجوع والفقر من على وجه الأرض، لذلك فقد حان الوقت لأبناء هذه الصحراء، أن يجدوا مظلة تجمعهم وتدافع عنهم وعن حقوقهم.

الدعاة الجدد

ومن هذا المنطلق جاءت جهود جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، والقيادة الشعبية الإسلامية العالمية، بتدعيم هذه الدعوات الخيرية، نحو إعادة الروح لإفريقيا المسلمة، بوسائل منهجية مدروسة بعيدة عن منهجية العمل السريع غير المدروس، الذي يأتي وليد لحظته، فيأتي ويذهب هباء، لذا دأبت هاتان المؤسستان ومنذ سنوات طويلة، على العمل لإعادة الوعي للمواطن الإفريقي المسلم، وذلك بمواجهة المد التنصيري، الذي اجتاح إفريقيا منذ بدايات القرن السابع عشر، وعمل على تغريب عقول أبنائها، وتشويه أفكارهم ومبادئهم ومعتقداتهم الدينية والخلقية، باسم المسيح والمسيحية، وهما من ذلك براء، فما كان التنصير في إفريقيا إلا إحدى وسائل الاستعمار وسيوفه الخفية، والتي عمد من خلالها السياسيون، إلى استمالة من لم يمكنهم استعبادهم أو شراؤهم أو الاستقواء عليهم، بوسيلة أشد خطرًا وأكبر ضررًا، هي تحوير أفكارهم ومعتقداتهم الدينية والخلقية، وذلك بالعمل على تنصيرهم، وليس بخاف أن الغالبية ممن استهدفتهم هذه الحملات المتعددة، منذ القرن السابع عشر، وحتى يومنا هذا، هم من المسلمين الذين لقصور في دور الداعية المسلم، انقطعت الأواصر بينهم وبين الإسلام، وأصبحوا عرضة للوقوع أمام أبسط الدعوات الوافدة من الغرب.

وكانت أولى هذه الخطوات، هي بث مجموعات من الدعاة المسلمين المؤهلين، والدارسين للإسلام وحضارته، وعلوم ولغات المخاطبين، المستهدفين بالدعوة في كل بقاع وأطراف إفريقيا، ليعملوا أولاً: على مواجهة الطوفان التنصيري، وايقافه عن التمدد والاتساع، بأن أظهروا أمام المواطن الإفريقي، وأمام المبشر الأوروبي، أن هناك مدًا مضادًا يعمل في الساحة، وأنه قوي ومؤثر، وليبينوا للإنسان الإفريقي،

صاحب التراث العربي الإسلامي، أنهم الأقرب له والأكثر قدرة على فهمه واستيعاب احتياجاته، والتقريب بين تراثه وبين الرسالة السامية التي يحملونها، وأن الإسلام هو دين إفريقيا الأول، والذي كانت قبلة معظم إفريقيا (باستثناء الحبشة والرومان في مصر)، غارقة في الوثنية، ومثلما جاء الإسلام ليعتق إفريقيا من رق الوثنية أول مرة، عاد ليعتقها من الرق الحقيقي، ومن رق الفقر والضعف هذه المرة، وبعد أن يتم هؤلاء الدعاة مهمتهم الأولية وهي تهيئة المناخ الفكري والثقافي المناسب، وسط التجمعات السكانية، تأتي الخطوة الثانية والتي لا تقل أهمية، وهي العمليات التنموية البنائية فتدخل كوادر الجمعية لتقوم بإعادة الحياة وبث الحضارة في هذه التجمعات من تمهيد الطرق، وإنشاء المدارس، وحفر الآبار، وإيصال أكبر قدر من الخدمات الأساسية، تلي ذلك المشاريع الاقتصادية التنموية من المصانع وتشجيع وتطوير ما هو قائم من مشروعات محلية بسيطة، فقبل سنوات قليلة، كان التنصير هو الحركة والقوة السياسية، والاقتصادية والمجتمعية الأهم في إفريقيا.

صدى إيجابي

نحن نشكر الأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، ونشكر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، على هذا اللقاء، كما نود أن نشكر فعاليات الشعب النيجري للقائه الكريم لنا، وهذه فرصة عظيمة لإحياء ذكرى المولد النبوي الشريف، والحقيقة أن لقاء جميع المسلمين من جميع أنحاء العالم، هو من الأحداث التي لابد أن يكون لها صدى إيجابي واسع على واقع المسلمين خاصة الأقليات المسلمة في الغرب.

عاصم فاضل

أمين المؤتمر الإسلامي في كندا

للوثنية حتى بلا هذه القبور وبلا هذه الرموز. لما عملت الناس الوثنية ولما عملوا:

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۞ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾

[سورة النجم، الآيتان: 19-20]

وهذه الأصنام المذكورة في القرآن هل عملوها لأن هناك رموزاً لأنبياء باقية وبالتالي جسدوها في أصنام، إنهم عملوها من تلقاء أنفسهم. إذا كنا ضعافاً إلى درجة أننا لما نجد قبر محمد أو قبر عائشة أو قبر عثمان نصبح وثنيين، معناها لسنا مؤمنين.. لم ندخل للإسلام. فلتبقَ هذه الأشياء ونبقى مؤمنين بوحدانية الله، بنبوة محمد. الآن يريدون أن يكون الإسلام بين الحقيقة والخيال: هل هناك نبي اسمه محمد ﷺ. والله لانعرف ما الذي يدل عليه؟ حتى قبره ليس موجوداً وعملوا هذا المسجد الكبير من أجل طمس القبر.. أين القبر. أنا نفسي ذهبت وفتحوا لي هذا المكان ولم أجد القبر.. وأتحدى أي واحد يثبت لي أن قبر محمد ﷺ موجود، لأنه مثله مثل قبور الآخرين الذين معه «وطائفة من الذين معه».. أين هم؟. إذا كانت رسالة كتبها النبي للمقوقس أو للنجاشي تجعلنا نرجع للوثنية.. إذن نحن لسنا مؤمنين ولا داعي للإيمان إذا كنا ضعفاء إلى هذه الدرجة. طمسوا قبر عائشة قبر فاطمة قبر خديجة قبر عثمان قبر أبي بكر. طمسوا كل ما له علاقة بالإسلام.. لماذا قالوا: خائفون عليكم من الوثنية. هذا معناه أننا نحن لسنا مؤمنين. إذا كنا مؤمنين لا نخاف من هذه الأشياء ونحن الآن نقول:

﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾

[سورة النجم، الآية: 23]



حتى إن بعض الكنائس والبعثات التبشيرية كانت تتحكم بسياسات الدول الإفريقية، إلى درجة أصبح معها واضحًا أن أعداداً كبيرة من المسلمين، حتى الواعين المثقفين منهم، أخذ يتبع هذه الدعوات وينضم إليها، بدافع من الحاجة والعوز وانعدام البديل، أما الآن فتثبت الإحصائيات، وآخرها إحصائية نشرتها صحيفة نيويورك تايمز أواسط شهر الطير (نيسان أبريل) من هذا العام، أن الإسلام هو الدين الأوسع والأسرع انتشارًا في إفريقيا، وان الدور السلبي للحركات التنصيرية وتورطها في عدد من المذابح والفضائح السياسية والعسكرية، كان أحد أهم أسباب انحسار هذا المد وتحول مئات آلاف الأفارقة إلى الدين الإسلامي، خاصة وأن مثل هذه المشاكل تقابل بجهود دعوية وتنموية ضخمة، من قبل عدد من المؤسسات الإسلامية، أضف إلى ذلك أن الداعية المسلم، لا يفرق بين أبناء الجلدة الواحدة، ولا يلعب على أوتار النزاعات القبلية والموروث القبلي في إفريقيا، كما تفعل الحركات الهدامة.

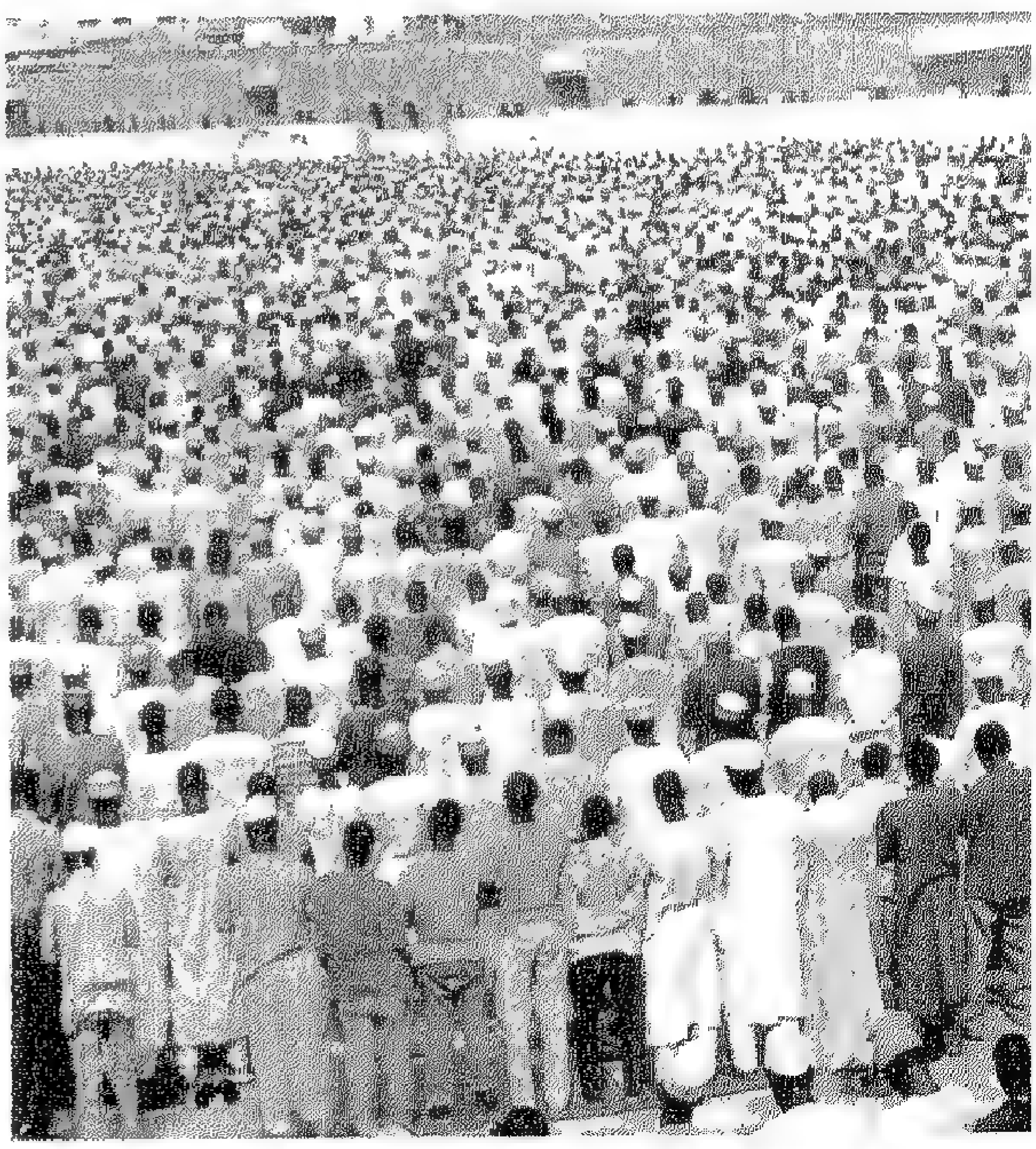
ملتقى كانو

جاء ملتقى كانو في نيجيريا في العام 2005م، ليمثل أول تتويج علني عالمي لهذه الجهود الدعوية، التي سبقته بسنوات، واختيار كانو ونيجيريا لم يأت عشوائيًا، بل كان ذا دلالات واضحة وعميقة، من قبل جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، والقيادة الشعبية الإسلامية العالمية، فنيجيريا من أول دول إفريقيا إسلامًا، فبعد أن دخلها الإسلام أول مرة على يد المهاجرين الأوائل في الحبشة، والذين هيئوا أرضية خصبة لانتشار الإسلام هنالك، عاد الإسلام ثانية على يد القائد المسلم عقبة بن نافع، عام 56 للهجرة، حيث أمضى عقبة وجيشه ما يقرب من ستة أشهر، في تلك المنطقة التي أصبحت تعرف الآن بنيجيريا وتشاد، حيث بث بذور الإسلام وترك لمن بعده من الدعاة تنميتها، ولا زال التراث النيجيري يروي الكثير عن أولئك العباد الزهاد الذين اقتحموا قلب إفريقيا لا يحملون سوى المصحف الشريف وقربة الماء، وكيف أنهم هدوا خلقًا كثيرًا، بحسن الخلق والتعامل الطيب،

وكيف أنهم فتحوا الأبواب أمام التجار والدعاة الآخرين، ليدخلوا البلاد ويستقروا فيها مما ساعد على انتشار الإسلام واستمراره، وبعد أن حدثت القطعية بين البلاد العربية وإفريقيا في فترات انحطاط وانهيار الدول الإسلامية، حافظ الإسلام على وجوده في تلك البلاد، بفعل الطرق الصوفية المختلفة، التي لا زالت منتشرة هناك إلى يومنا هذا.

أما نيجيريا الحديثة، فهي أكبر الدول الإفريقية، من حيث تعداد السكان إذ يزيد عدد السكان فيها عن 133 مليون نسمة، وهي أكبر دول إفريقيا مساحة، وتتكون من 36 إقليمًا وتبلغ نسبة المسلمين فيها حوالي 76٪ من السكان، تليها المسيحية، ثم مجموعة ديانات ومعتقدات أخرى.

تاريخًا كانت كانو إحدى أهم المدن الإفريقية، كونها بوابة بلاد الهوسا ومركزًا تجاريًا قديمًا، لكن ازدهار كانو وانفتاحها على العالم، لم يبدأ إلا في العهد الإسلامي، حيث دخلتها جموع من التجار المسلمين، من قبائل الفولاني والبربر واستقروا ونشّطوا الحركة التجارية الدولية إليها، كما لعبت قوافل الحجيج دورًا



حتى ولو يأتون بمليون صنم سنقول لهم هذه الآية. لماذا نحن لا نعبد النخل ونعبد الزيتون والكرم وتعبد الجبال.. لماذا لا نعبد هذه الأشياء؟. هذه كلها رموز.

الإسلام دين الناس كافة

الإسلام دين الناس كافة يعني يوجد تحدٍ حقيقي للإسلام ولا بد أن يواجه بتحدٍ ولا بد أن نثبت أن الإسلام ليس للمحمديين. الإسلام هو دين الناس كافة وأي واحد ليس على دين محمد ﷺ فهو في الآخرة من الخاسرين:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾
[سورة آل عمران، الآية: 85]

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾
[سورة آل عمران، الآية: 19]

ومحمد هو خاتم دين الإسلام الذي بدأ من إبراهيم.. كلهم مسلمون ومحمد ختم الرسالات السماوية بأن اختار للمؤمنين به دين الإسلام الذي بشر به الأنبياء السابقون، إذن كلهم يجب أن يتبعونا.. كل الذين على دين موسى خطأ والذين على دين عيسى خطأ.. ولو كان عيسى موجوداً لاتّبع محمداً ولو كان موسى موجوداً لكان تبع محمد ﷺ. وهذه نحن نجاهر بها، نستخدم الإنترنت وثورة المعلومات ونستخدم أصواتنا كلها ونبين لهم أنكم أنتم خطأ وأن عيسى لم يُصلب:

﴿...وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾
[سورة النساء، الآية: 157]

كل هذه خرافات وثنية، والحركة التي يعملونها «يمين يسار» هذه لم يعملها عيسى

هامًا جدًا، في نماء المدينة وازدهارها. وقد زارها وسكنها عدد كبير من العلماء. ومنهم الشيخ عبد الكريم التونسي، ومحمد بللو. كما حكمها عدد من السلاطين والملوك الذين اشتهروا بالعلم والإنفاق عليه. والعمل لتحسين البلاد وأوضاع أهلها. منهم السلطان محمد رمفا (أواخر القرن الخامس عشر)، والسلطان محمد نزاكي (1618-1623) وقد استمرت كانو في ازدهارها في عهد الخلافة الصوكونية أواخر القرن التاسع عشر، حتى وقعت تحت نير الاستعمار البريطاني، بداية القرن العشرين (1903م) مما تسبب بخرابها وهجر عدد كبير من أبنائها، فرارًا بدينهم نحو السودان والحجاز وبلاد الشام.

أما كانو الحديثة فهي قلب الحركة الاقتصادية للبلاد، والمحرك الثقافي لغربي إفريقيا، ورغم أن الانجليزية هي اللغة الرسمية إلا أن الواقع يؤكد أن اللغة الأكثر شيوعًا أو لغة التعامل اليومي هي الهوسا الأقرب إلى العربية، والإسلام هو الدين الأسرع انتشارًا، ويبلغ عدد سكان الاقليم نحو 11 مليون نسمة.

ورغم الطابع الأكثر قربًا إلى العروبة والإسلام في كانو، إلا أن ملامح الثقافة العربية لم تكن واضحة في الإقليم، كون الناحية الاقتصادية هي الأكثر وضوحًا أحياناً، فكانو هي مقر معظم الشركات الدولية المقيمة في نيجيريا، ومركز لتجمع معظم أغنياء إفريقيا ونيجيريا، لكن بعد ملتقى كانو، والذي عقد في 2005م، بدأت الهوية العربية الإسلامية بالظهور، بصورة واضحة، حيث نتج عن المشروع الذي أخذ يعرف

رسالة واضحة

الحقيقة في هذه المناسبة العزيزة على كل المسلمين وهي ذكرى المولد النبوي الشريف، جاءت الرسالة واضحة من هذه المدينة التاريخية والتي هي من المدن العريقة التي لها تاريخ كبير، فقد بيّن الأخ القائد معمر القذافي قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، من خلالها حقيقة دين الإسلام، وعرف بنبوءة محمد ﷺ ، الذي أرسله الله تبارك وتعالى رحمة للعالمين، وقد وضع في الكلمة التي ألقاها بعد صلاة المغرب، في جموع الحاضرين في هذه الحاضرة الإفريقية، والقادمين من كل قارات العالم المختلفة، وضع القائد النقاط على الحروف، بأن الأنبياء والمرسلين والرسالات تتكامل واحدة وراء الأخرى، وكلها تأتي في النهاية وتتوج بالدين الخاتم دين الإسلام الذي أرسل به نبينا محمد ﷺ رحمة للعالمين لكل الناس ولكل الأجيال إلى يوم القيامة، وأن المسلم كما قال الأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، وكما هو في حقيقة الدين الإسلامي الحنيف، يؤمن بكل ما سبق من الرسالات والديانات، وهو ينظر نظرة إكبار للأنبياء والمرسلين الذين سبقوا، ولكن يضعهم في مواضعهم ومنازلهم لا يتجاوزهم بها، لأنهم كما أراد الله تبارك وتعالى أرسلوا لأقوامهم ولأزمنة معينة، أي لبني إسرائيل بالذات، أما الإسلام فقد جاء خاتما لهذه الرسالات فهو للأسود وللأبيض وللناس أجمعين وأن الدين عند الله الإسلام، أي لكل الناس في مختلف مواضعهم وفي مراحل تاريخهم، والحقيقة أن فكرة إحياء ذكرى المولد النبوي الشريف، والاحتفال بهذه المناسبة الشريفة في أعماق أعماق إفريقيا، إنما هو تعريف بحقيقة الإسلام الذي جعله الله تبارك وتعالى ملاذا ولا يقبل من عباده غيره.

محمد صلاح الدين المستاوي،
عضو المجلس الإسلامي الأعلى / تونس

بـ(مابعد كانو) حوالي 1126 مدرسة، وست جامعات، وما يزيد عن أربعة آلاف مدرس، بحيث انتشرت اللغة العربية والثقافة الإسلامية، بصورة جاوزت كل التصورات، فوصلت خلال عامين إلى ما يزيد على ثلثي السكان، هذا عدا عن مئات من المشاريع التنموية الصغيرة، التي انتشرت هنا وهناك.

تمبكتو عبر العصور

وبعد كانو حطت هذه القافلة المباركة رحالها في تمبكتو المدينة، عاصمة تمبكتو الإقليم بجمهورية مالي، وتمبكتو غنية عن كل تعريف، فهي المدينة الإسلامية الحقة أسسها المسلمون الطوارق نهايات القرن الحادي عشر المسيحي، ولم يدخلها غير الإسلام منذ ذلك الوقت، والمدينة مبنية في بقعة صحراوية منبسطة تبعد حوالي عشرة كيلومترات عن مجرى نهر النيجر، وقد كانت مدينة عامرة ومركزًا للامبراطورية الطوارقية، وقد كتب عنها باسهاب عدد من الرواة والمؤرخين، منهم: ابن بطوطة والحسن الفاسي، ووصفوها بالعمران والغنى، واتساع النشاط الثقافي والاقتصادي، وعرفت المدينة بالازدهار منذ نشأت،



ولم يقل بها أبداً.. هذه الصلوات لم يقل بها:

﴿...وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾

[سورة الحديد، الآية: 27]

لا بد أن نجهر بهذا: أن يكون إفريقي «مسيحياً غلط.. أوروبي» يكون مسيحياً غلط.. أمريكي» يكون مسيحياً غلط. عيسى بُعث ليصحح شريعة موسى لبني إسرائيل فقط. وكل الموجودين الآن على هذه الديانات غلط. والذين يضعون صورة عيسى ومريم ويصلُّون ناحيتها هذه أوثان.. هذه وثنية. نحن سكتنا عليهم:

﴿...وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

[سورة النحل، الآية: 125]

ولكن بدون فائدة. كنا ساكتين ممنوع علينا المجادلة.. لو تقول لهم هذا خطأ يقولون لك أنت متعصب.. أنت ضد الآخر.. الآخر يعني هم لكن الآخر عندما يكون نحن يسبون (سنسفيل أبينا). أي يسبوننا بكل الألفاظ وينالون منا بكل الطرق والوسائل.. هذا الحضور من جميع أنحاء العالم تحد كبير. أنا أقدر هذا التواجد من جميع أنحاء العالم الإسلامي في هذه الخيمة في أغاديس في النيجر في قلب الصحراء.

هذا التواجد تحدٍ كبير وردٌ على المستهترين الذين تعدوا الحدود. بحارة إنجليز أمسكهم الإيرانيون احتج الإنجليز، قالوا: نحن في مياهنا الإقليمية.. قالوا: مياهكم الإقليمية في جزيرة بريطانيا أم أين.. قالوا: في العراق. العراق صارت بريطانية والمياه الإقليمية للعراق صارت مياهاً إقليمية بريطانية، حتى يقولوا لهم أنتم مسكتموهم في مياهنا الإقليمية. قالوا لهم نحن مسكناهم هناك في بريطانيا أم مسكناهم في العراق إذا

لكن هذا الازدهار ازداد وذاع صيته. في عهد الأباطرة المسلمين حكام مملكة مالي. الذين استقروا في تمبكتو، وجعلوها عاصمة لهم لفترة طويلة من الزمن، وكان أولهم السلطان منسي موسى. الذي لا زال اسمه مشهورًا بين دارسي التاريخ، لشدة ما عرف عنه من الكرم الذي وصل حدود البذخ، حتى إن موكبه الذي كان يحج فيه. كان من أشهر الأحداث التاريخية في عصره، والروايات التي تتحدث عن كثرة إنفاقه وضخامة أعطياته، وكيف أن الصحراء كانت تفرش أمام موكبه بالنمارق، وصلت حدود الأساطير، وما هذا إلا مؤشر واضح على مدى ثراء وأهمية تمبكتو في تلك العصور.

ولا زال مركز أحمد بابا التمبكتي، بالرغم مما وصل إليه من تدهور، من أهم مراكز المخطوطات

ملتزمون بتوضيح هذه المضامين وتعريف الآخر بها

أولاً في هذه الفرصة أقدم التحية لجميع المسلمين في العالم بهذا الحدث العظيم، ذكرى مولد النبي ﷺ الذي يهتم به جميع المسلمين في العالم.

وحول انطباعاته أوضح قائلاً: نحن نعلم أن الأخ القائد دائماً يهتم بتوحيد المسلمين، ودائما يوجه وينبه على أن الإسلام دين حنيف، دينٌ سلام، وقد لمسنا هذه المضامين في حديثه بهذه المناسبة، مدللاً على هذه الحقائق، مبيناً أن رسالة الإسلام التي جاء بها سيدنا محمد ﷺ، هي الرسالة الخاتمة للناس كافة، وهذه المضامين نرى أن الكثير من الأوساط الغربية تحاول التكتم عليها عمداً، كما أن الكثير من الناس يجهلونها، ولهذا نحن ملزمون بتوضيح هذه المضامين وتعريف الآخر بها.

وقد تحدث في هذه الليلة المباركة، الأخ القائد معمر القذافي، ليوضح الأسباب، ويبيّن أن هناك تجهيل لعقول الناس، ويشير إلى أن الإنجيل الصحيح والأصلي الذي غاب أو تم تغييبه، ونحن ندرك أن الأناجيل المتداولة طالها الكثير من التحريف وهذا باعتراف صريح من أتباعها أنفسهم، فالإنجيل الأصلي ذكر فيه أسم الرسول محمد ﷺ، ولكن اليوم لا نجد هذا النص الذي أخبر به الوحي.

والحقيقة أن هذا الحدث هو شيء عظيم جداً، لو كان كل القادة المسلمين مثل الأخ القائد معمر القذافي، يهتمون بالدعوة وبهذه القضايا لما كان المسلمون في مثل هذا الوضع، ومن هنا قدم هذا الحدث الكثير من الفرص في مجال الدعوة لدين الله الخاتم، وجمع كلمة المسلمين وتوحيد جهودهم وإبراز قوة الإسلام، وعرف بمضامين إنسانية جاء بها الإسلام، مثل التقارب والمحبة والتسامح، والتعارف والحوار، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [سورة الإسراء، الآية: 70]

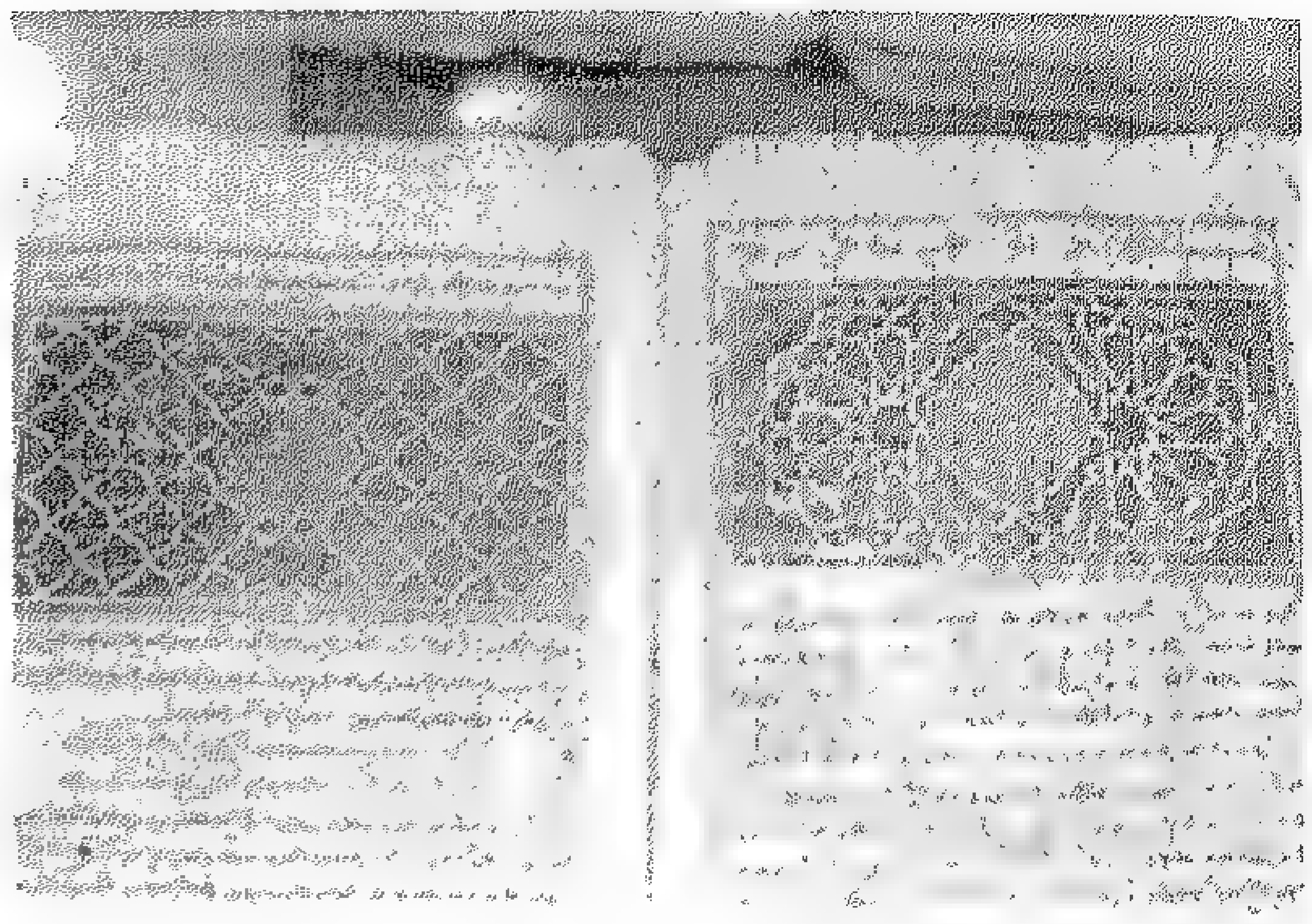
وقال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾
[سورة الحجرات، الآية: 13]

يعني هذه فرصة عظيمة ونحن دائماً نتمنى أن يطيل الله سبحانه وتعالى عمر الأخ القائد معمر القذافي، لأن الحقيقة هذه رحمة ونعمة لنا كمسلمين، فدائماً يتكلم القائد ويوجه المسلمين، وكلنا يجب أن نقتدي بهذا الحدث وأن نعمل بهذا المنهج، من أجل أن يتوحد المسلمون، وقد رأينا حرص القائد على ضرورة الانتقال بالمسلمين من خانة الانفعال إلى خانة الفعل ومن خانة التأثر إلى خانة التأثير، من خلال الكثير من الجهود التي قام بها سابقاً ويقوم بها، فمثلاً فكرة الكتاب الأخضر فكرة مبنية على مبادئ الإسلام، لأن الإسلام يقوم على ثلاثة أشياء، هي العدل والمساواة والشورى، وهذا ما يزيد من اعتزازنا بالقائد معمر القذافي، ونتمنى أن يحذو الرؤساء المسلمون حذوه، والعمل من أجل رفعة الإسلام والمسلمين.

محمد عمر

نيجيريا



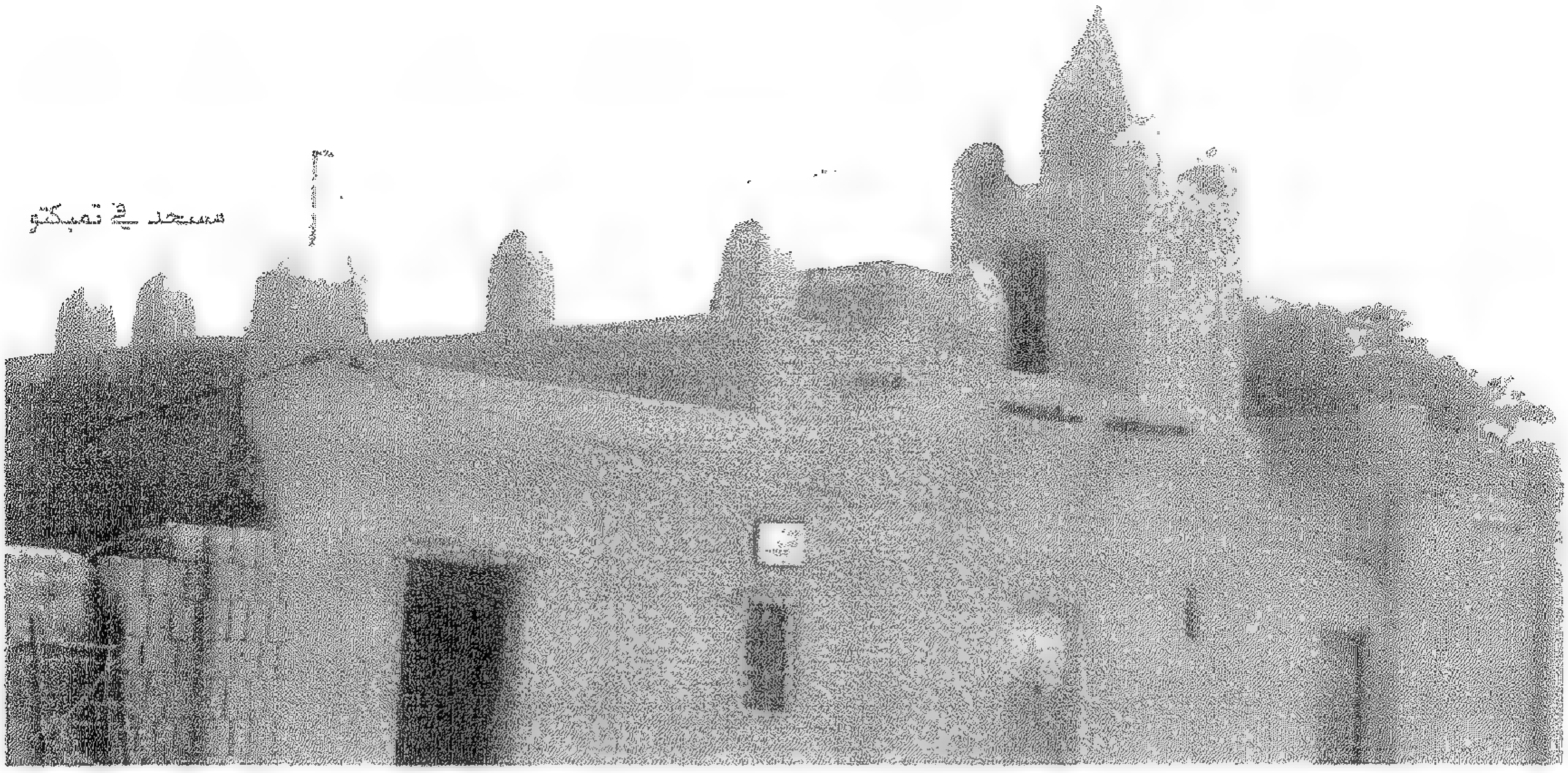
مخطوطات إسلامية - تمبكتو

العلمية في العالم، حيث يضم آلاف المخطوطات التي لم تر النور بعد، وهو حالياً عبارة عن غرفة طينية مستطيلة تفتقر إلى أي شكل من أشكال حفظ المخطوطات القيمة، التي يحتويها والتي يزيد عمر معظمها عن الألف عام.

كل هذا وغيره الكثير، جعل تمبكتو في العصر الحديث محجه للأوروبيين ومحطًا لأطماعهم، فأخذت البعثات الأوروبية العلمية والتنصيرية تغزو تمبكتو منذ سنوات، وقد نجحت بتنصير وتهويد أعداد من أبنائها، باستخدام وسائل غاية في البساطة، حيث من المعلوم أن أكبر المشاكل التي تواجه تمبكتو هي التصحر، وزحف الصحراء السريع على المدينة أولاً، وشح المياه والأمطار ثانيا، فما كان من الأوروبيين إلا أن اجتاحوا المدينة بوسائل تمنع الزحف الصحراوي، ووسائل لاستخراج وتجميع المياه غاية في البساطة، وباستخدام مواد متوفرة في البيئة المحلية، ما جعلهم يمتلكون مفاتيح هذه المدينة الإسلامية لسنوات طويلة، وساعدهم في جهودهم التغريبية، قيام الاحتلال الفرنسي بنهب الكثير والكثير من تراثها العلمي والثقافي، على مدى سنوات الاحتلال.

لقد كانت تمبكتو ومملكة مالي، مركزًا حضاريًا هامًا ومحجًا للعلماء والفقهاء، وكان بلاط منسي موسى يضم نخبة العلماء والفقهاء في عصره، ووصل التقدم بهم حد أن أساطيل مملكة مالي، غزت المحيط

كنا مسكناهم في بريطانيا في مياهكم الإقليمية عندكم الحق في أن تحتجوا أما إذا كنتم أنتم في العراق، العراق أصبح ملككم وحتى المياه الإقليمية للعراق أصبحت مياهاً بريطانية. قالوا للإيرانيين ليس عندكم حق.. أنتم تمسكون بحارتنا في مياهنا الإقليمية. انظروا إلى أين وصلت الأمور. ودولة عربية يحتلونها ويعينون أمريكانياً حاكماً لها ولو استمر إلى عند الآن ممكن حضر قمة الرياض.. والحكام العرب يقبلون بذلك. ولو كان هذا الذي أسمه «البريمر» وإلا (اسمه إيه؟) الذي عينوه حاكماً للعراق لو كان موجوداً إلى الآن لكان حضر القمة يمثل العراق ولا يقولون لا.. من يقول لا.. قولوا من؟ سنستمر في التصعيد والتحدي للدفاع عن النفس، دفاعاً عن عقيدتنا، ودفاعاً عن كرامتنا، وعن وجودنا. ولتخرس هذه الأبواق وهذا الضعف، ولينته هذا الضعف وهذا الانحطاط الذي يبديه الحكام العرب والمسلمون أمام العدو. ومن حسن الحظ والحمد لله أن القيادة الآن لم تعد بيد الحكام ولم تعد القصور هي التي تحكم. الآن القيادة أصبحت للشارع.. الشارع هو الذي يحكم الآن.. الثائر هو الذي يحكم والمتمرد هو الذي يحكم.. حتى الإرهابي دعهم يسمونه إرهابياً هو الذي يحكم.الآن، كلهم من أكبر دولة إلى أصغر دولة مرعوبون من الإرهاب. والإرهابيون من هم؟ هم أفراد عاديون ليسوا حكاما.. ليست لديهم جيوش ولا تيجان ولا صولجانات.. أفراد عاديون ترتعد منهم أكبر دولة. هذا ليس معناه أننا نؤيد الإرهاب أو نؤيد شيئاً آخر. لكن معناه أن الذي يغير الأمور ويغير مجرى الأحداث هو الشارع، هو المواطن العادي الذي هو نحن، هذه



مسجد في تمبكتو

الأطلسي (بحر الظلمات) ووصلت إلى شواطئ أمريكا الشمالية، والعديد من الدراسات والشواهد الأثرية، تثبت أن حضارة مالي، وصلت إلى هناك قبل اكتشاف كولومبوس، وحتى قبل ادعاءات (الفايكنج) باكتشافها، ومن أهم الروايات التي استعملها كولومبوس، لتدعيم روايته حول إمكانية الوصول إلى جزر الهند الشرقية، عبر قطع المحيط الأطلسي، كانت روايات عدد من البحارة المسلمين الأفارقة، الذين وصل بعضهم تلك الجزر، وبعضهم رآها لكنه لم يصلها، لأنه في ذلك الوقت من العام، تكثر الأعشاب البحرية على سطح الماء، وتمنع السفن من الإبحار.

وكان في تمبكتو في تلك العصور، عدد كبير من المدارس وثلاثة مساجد رئيسة، بني أكبرها مهندس جاء خصيصًا لهذه الغاية من الأندلس، وجامعة كبيرة كانت من أهم المعاهد العلمية في عصرها، هي جامعة سنكوري.

أما تمبكتو الحديثة، فقد اجتمعت كما قلنا قرية طينية تائهة في قلب الصحراء، لا يمكن الوصول إليها إلا عبر القوافل البرية، وباستخدام القوارب عبر نهر النيجر، وحتى القوارب لا تصلها إلا أثناء موسم واحد من العام، لا تزيد مدته على شهرين، كما وتعاني المدينة الأمرين من زحف الصحراء عليها، وشح المياه والأمطار، حيث ينخفض معدل الهطول في البلاد عن 1,6٪. أما عن الفقر فحدث ولا حرج، حيث إن نصيب الفرد من الدخل القومي الإجمالي في مالي، حوالي 827 دولارًا للعام، مما يعني أن الكثير من الأفراد لا يحصلون على أجزاء من هذا المبلغ فعليًا.

وكان من أول جهود جمعية الدعوة الإسلامية

نهنئ القائد ونهنئ إفريقيا

بهذه المناسبة نهنئ القائد ونهنئ إفريقيا بهذا الحدث المميز من كل الجوانب، فهو اجتماع للمسلمين من أصقاع الدنيا كافة على أرض إفريقيا، في حاضرة أغاديس بالصحراء، وهنا أود أن أؤكد أن القائد معمر القذافي، هو قائد الأمة وأنه دعانا لنجتمع وتكون هذه الأمة على كلمة واحدة في جميع شؤونها، فنحن كمسلمين كل واحد يقف في مكان مختلف ولكن كلنا نجتمع معه ونحس بأننا مسلمين، ونعرف بأننا أمة واحدة.

عبد الله محمد سعيدي

تنزانيا

العالمية، بعد ملتقى تمبكتو، أن جهزت حملة لدراسة أوضاع مركز أحمد بابا التمبكتي للمخطوطات، للعمل أولاً على ترميم المخطوطات الموجودة فيه، ثم إنشاء مركزين دوليين، يختصان بدراسة وترميم وحفظ المخطوطات الإسلامية القديمة، الأول في طرابلس، وسيكون مركزًا ضخمًا يهتم بجمع المخطوطات من كافة أرجاء العالم، والعناية بها، والثاني سيكون امتدادًا وتحسيناً لمركز أحمد بابا التمبكتي في تمبكتو، للعناية بهذا المركز الحضاري ومخطوطاته.

ثم تأتي بعد ذلك الجهود التنموية المختلفة، مثل تحسين وضع المطار الصغير، غير المجهز الذي يخدم المدينة، حتى يصبح قادرًا على استقبال الرحلات بشكل منتظم، ويكون حلقه وصل بين المدينة المفقودة

تعرفت على الإسلام من خلال القائد

جئت من المنطقة الشمالية (كامالي) بجمهورية غانا، والآن أشعر بالسرور، فمن خلال حديث الأخ القائد، تعرفت على الدين الإسلامي، وهو الدين الحقيقي الصحيح، و عرفت أن حمل الصليب كان خطأ، ولهذا أشعر الآن باطمئنان القلب، وكما شعرت بالسرور عندما أشهرت إسلامي أمام زعيم المسلمين وقائدهم.

عندنا أتباع كثيرون موجودون في مناطقنا وبلداننا، وعندما نرجع إلى مناطقنا سنبذل الجهد الكبير لكي نعرفهم بحقيقة الإسلام ورسالة الإسلام ودعوة الإسلام، ونتمنى أن يشهروا إسلامهم، كما سنبلغ عندما نرجع إلى بلدنا زملاءنا من الأمراء، وندعو لهم بالهداية لكي يدخل جميع الأمراء حولنا الدين الإسلامي، وإن شاء الله تعالى في السنة القادمة في مثل هذا الوقت ستجدون الكثير من الناس يشهرون إسلامهم أمام القائد.

بلقوره

جمهورية غانا

الجماهير.. هذه الناس العادية هي التي بيدها الحل والربط. نحن بيدنا الحل والربط.

التزمنا بميثاق تمبكتو

قلنا في المرة السابقة إننا التزمنا بميثاق تمبكتو، ومرت سنة ونحن ملتزمون، ولم يحصل إلا خرق بسيط جداً سأذكره لأصحابه على حدة فيما بعد. ينبغي أن نوضح أنه بعد تمبكتو ارتعدت فرائص بعض الحكام ولم يناموا الليل. قلنا يا إخواننا لا بأس ماذا عملنا في تمبكتو.. قالوا أنتم عملتم في تمبكتو شيئاً خطيراً. شيء خطيركيف؟. قالوا أنتم عملتم إمبراطورية صحراوية تمتد من بادية الشام إلى السنغال. نحن عملنا إمبراطورية؟ نحن عملنا دولة جديدة؟ نحن لم نعمل ذلك. نحن ماذا قلنا؟ قلنا إن كل دولة حسب حدودها الموجودة الآن يجب أن تُحترم. هل فينا أحد قال غيروا الحدود الموجودة.. أبداً.. ليبيا هي ليبيا الجزائر هي الجزائر السنغال هي السنغال الأردن هي الأردن موريتانيا هي موريتانيا السودان هو السودان، حسب الخرائط الموجودة الآن المعترف بها.. لم نقل نغيرها. لكن قلنا نحن سكان الصحراء وقبائل الصحراء المهمشة والتائهة في الصحراء والتي تحت أقدامها الذهب الأسود ولا تستفيد منه والتي عندها البترول والغاز ولا تستفيد منه.. والتي عندها البقرة وحليبها يشربه الآخرون من وراء البحر.. قلنا إننا يجب أن نعيش على قدم المساواة مع الناس في الشمال، والذي في المدينة والذي في الحضر، وأننا نريد الاستقرار لأنفسنا ونريد السلام والأمن. هل قلنا نريد حرباً؟ هل قلنا نريد قطع الطرق؟ هل قلنا نريد التهريب؟ هل قلنا نريد العنف؟. أبداً..

والعالم، ثم تحسين الأوضاع المعيشية والتعليمية للسكان، بإنشاء المدارس والمعاهد والمساجد والمشاريع التنموية المختلفة، لمواجهة حركات التنصير والتهويد التي اجتاحت المدينة، مستغلة فقر أهلها وضعف حالهم، هذا في مدينة كانت عاصمة لامبراطورية حكمت معظم إفريقيا، وكان اليهود ممنوعين من دخولها، وكما كان حكامها يعاقبون أي تاجر يتعامل مع اليهود، بمصادرة أمواله ومنعه من العمل فيها.

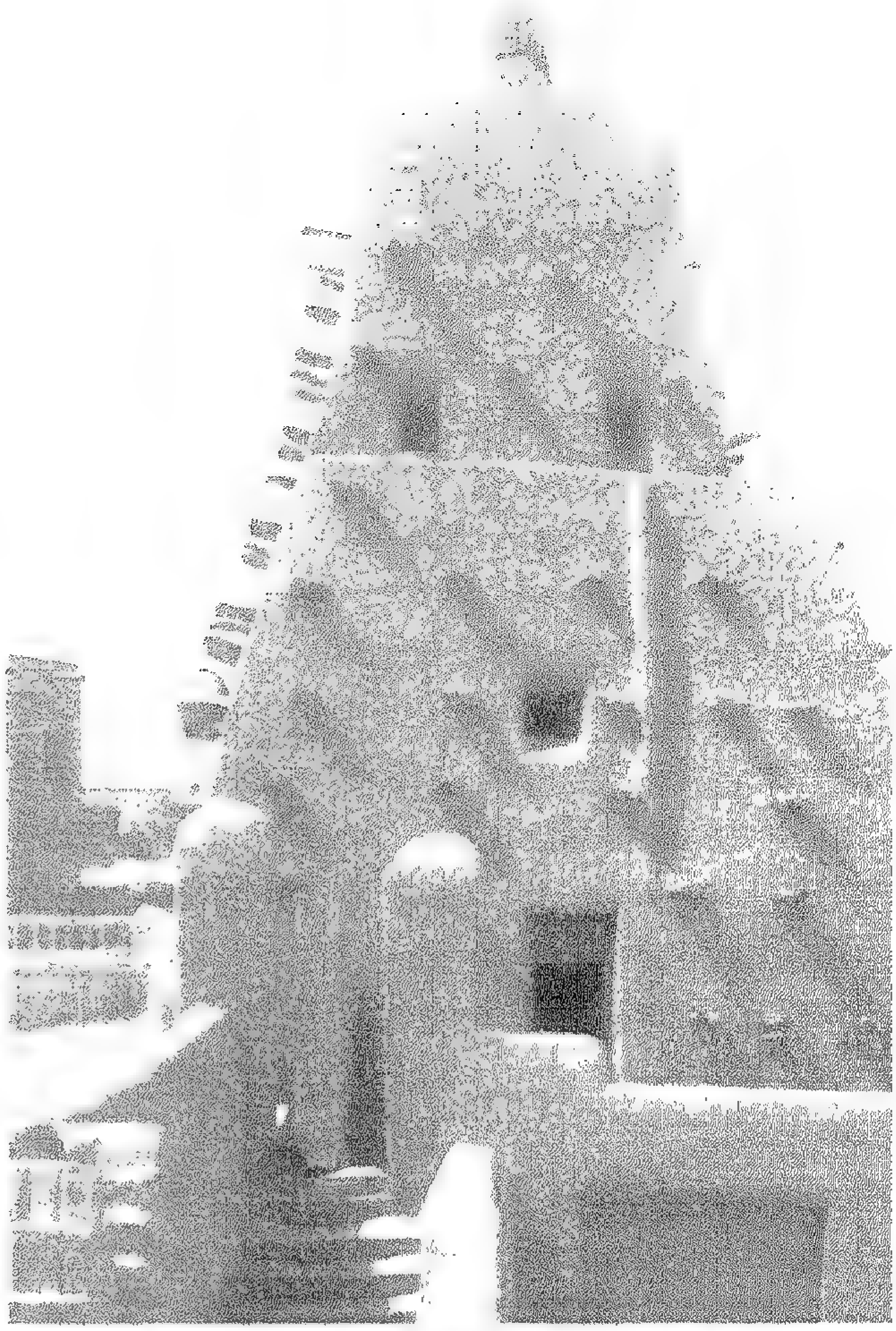
أغاديس :

أما أحدث هذه المحطات، فهي مدينة أغاديس في النيجر، الدولة المسلمة بامتياز، حيث تزيد نسبة المسلمين فيها عن 95٪. أما موقعها على مقاييس الفقر العالمية، فهو الموقع قبل الأخير أي أنه لا يوجد على وجه الأرض دولة أو فرداً أفقر من الدولة النيجرية والفرد النيجري، سوى دولة واحدة، وطوال الأعوام الخمسة الماضية، كانت النيجر تعاني مجاعة شديدة هي إحدى أسوء المجاعات في تاريخ العالم، حيث إن النيجر يجتمع فيها عدد من أكبر مسببات المجاعات في العالم، أولها: قلة تساقط الأمطار، حيث تقل نسبة الهطول عموماً عن 0.02٪ سنويًا، عدا عن أن الأمطار انقطعت عن البلاد بشكل شبه تام، منذ شهر 8/2004م.

وثانيها: انتشار الجراد والآفات الزراعية، حيث عرفت النيجر مؤخرًا موجات من الجراد والآفات الزراعية، وصلت نسبة إتلافها للمزروعات في بعض المناطق إلى 100٪.

وثالثها: الرياح الصفراء أو الرياح الرملية، والتي يزيد منسوبها بانخفاض نسبة الهطول وحالة الجفاف العام، وعدا عن التأثير السلبي لهذه الرياح على المزروعات فإنها قاتلة للمواشي والبشر على حد سواء.

ومما يحز في النفس، أنه وبالرغم من معاناة النيجر المسلمة، إلا أن أول وأكثر من هب لمساعدتها، كانت المنظمات الدولية غير التابعة لدول عربية أو



القائد بيّن لنا الحقائق

الحمد لله أنا الآن أحد المهتدين، وأشكر والدنا القائد معمر القذافي، لأنه قام بإرسال مندوب للقرية لدعوتنا لدخول الإسلام، وبعد أن تعرفت على هذا الدين يسعدني أن اعتنق الإسلام، وقد حضرت وقمت بإشهار إسلامي أمام الزعيم القائد معمر القذافي، ولهذا أشعر بفرحة نطق الشهادتين أمامه، وأنا أشعر بأهمية ما بيّنه القائد من حقائق، للأسف الكثير من الناس لا يعرفونها.

عبد الجليل
زعيم قرية (لوكوها) التوغو

إسلامية، باستثناء بعض الجهود البسيطة لبعض الجهات والصناديق العربية والإسلامية، حيث أوشكت المجاعة أن تفتك بما يزيد على 800 ألف طفل نيجري، هم أشد ضحاياها معاناة، هذا بعد أن زاد عدد الوفيات من النساء والأطفال على 80 ألف حالة وفاة، ماتت جوعًا ومرضًا، حتى وصل الحال بالمواطن النيجري إلى استخدام حبوب الثخن، غذاءً رئيسًا لهم، ولمن لا يعرف حبوب الثخن، فهي نوع سيء من أعلاف الطيور، التي تستخدم لتغذية الطيور المنزلية الصغيرة، هذا عدا الأوبئة المتفشية، وعلى رأسها الحصبة والتهابات السحايا التي وصلت نسبتها حوالي 9, 17٪.

والنيجر لمن لا يعرفها، دولة إسلامية تقع على الحدود الجنوبية لليبيا والجزائر، ويقدر عدد سكانها بـ11 مليون نسمة، بكثافة سكانية أقل من 10 نسمات لكل كيلومتر مربع، ونسبة المسلمين فيها حوالي 95٪، ونسبة من هم دون الخامسة عشر 45٪ من مجموع السكان، منهم أقل من 37٪ على مقاعد الدراسة، ومعدل دخل الفرد دون 150 دولارًا في العام، أي أقل من 40 سنتًا أمريكيًا يوميًا، وما يزيد على 80٪ من سكانها يصنفون كقرويين، وشعب النيجر يمتهن بالدرجة الأولى الزراعة، ومنها تعتاش البلاد، ويشكل أي وباء زراعي أو موسم جفاف، كارثة محققه لأهالي النيجر.

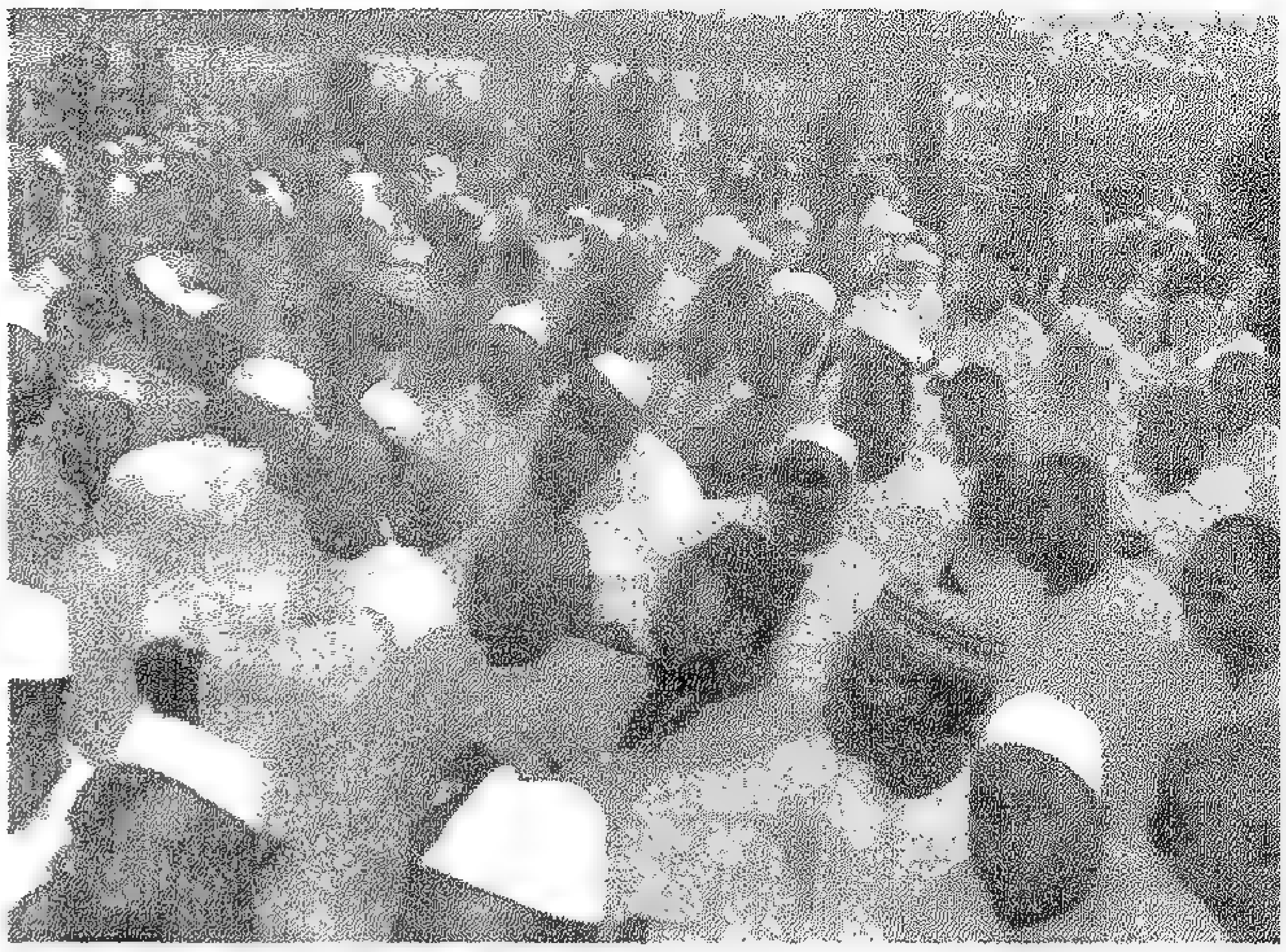
وفي النيجر حالياً عدد من المدارس القرآنية، أو ما يعرف بالكتاتيب، تضم حوالي 34٪ من صغار السن (من هم دون الخامسة عشر) وحوالي 19٪ منهم

نؤيد خطواتكم

نبارك ونؤيد خطواتكم الجبارة في إقامة الدولة الفاطمية الحديثة.

شباب وشيوخ الأشراف بمدينة قنا ومحافظة البحر الأحمر ومحافظة الدقهلية مصر

نحن ضد هذه الأشياء. إذاً لماذا يخاف الحكام؟. إذا كانوا يخافون من أننا يجب أن نتحرك بحرية، وتكون عندنا حصة في ثروة هذه الصحراء أو أن ثروة الصحراء تعود إلينا.. إذا كانوا خائفين من هذا عندهم حق. ولكن هذا معناه أنهم لا ينوون أن يعطونا نحن سكان الصحراء حقنا في الثروة على الأقل ثروة الصحراء.. نحن لا نريد ثروة البحر.. ليأخذوا ثروة البحر. نحن نريد ثروة الصحراء التي فيها الذهب وفيها البترول وفيها الغاز.. يعطوننا هذه الثروة. ولا نبغي سلاحاً ولا ثورةً ولا انفصالاً .. نحن ضد هذه الأشياء. كيف سنعمل انفصالاً إذا كنا نأتي لقبيلة مثلاً، هنا الآن وفود جاءت من الأردن من سوريا من العراق من الجزيرة.. سمعت كلمة (شمّر سوري، وشمّر أردني، وشمّر عراقي، وشمّر من الجزيرة، وشمّر حجازي وشمّر نجدي) معناها أن قبيلة (شمّر) هذه منتشرة في كل هذه البلدان. كيف نعمل انفصالاً لقبيلة (شمّر).. غير معقول.. فنحن متداخلون مع قبائل أخرى. نأتي لقبيلة الهوسا مثلاً، هذه 20 مليوناً.. يوجد هوسا في النيجر وهوسا في نيجيريا وهوسا في البلدان المجاورة للنيجر ولنيجيريا، هل معقول أن نقول الهوسا يستقلون ويعملون دولة؟. قبيلة الفولاني هذه تجدها في بوركينا فاسو، في السنغال في مالي في ساحل العاج في النيجر. كيف نلمّها ونعمل منها دولة؟ قبيلة الطوارق موجودة في ليبيا في الجزائر في النيجر في مالي وحتى في بوركينا فاسو كيف نجمعها ونعمل منها دولة. نحن لم نقل أبداً إن كل قبيلة نعمل منها دولة ولم نقل إن الصحراء نعمل منها دولة. نحن قلنا نحترم الحدود المعمولة الآن



يدرسون في المدارس الابتدائية والإعدادية النظامية، وليس في الدولة بكاملها إلا جامعتان: الأولى جامعة نيامي، في العاصمة، والثانية الجامعة الإسلامية في مدينة ساي.

وفي النيجر حوالي 10 لغات ولهجات محلية، لكن تبقى لغة الهوسا هي اللغة الأكثر انتشارًا إلى جانب العربية التي كانت اللغة الرسمية للأدباء والمثقفين، والتعاملات الدبلوماسية للدولة، حتى قام الاستعمار بحصر تأثيرها في المساجد والكتاتيب، لكن عادت الدولة لتنشيطها منذ الاستقلال عام 1960م.

أما أغاديس، فهي من أشهر المدن والحواضر الإسلامية العديدة في النيجر، حيث إن قربها من مدينة (تيجدا) بوابة النيجر الإسلامية، لعب دورًا هاماً في جعلها عاصمة إسلامية هامة، للإقليم الذي يحمل اسمها، وقد أسست المدينة في القرن الحادي عشر الميلادي، على يد قبائل الجوبيرا المسلمة، وكانت تحمل اسم (أغادا) حتى تحول الاسم إلى أغاديس، في عهد العرب الطوارق، وكانت المدينة ضخمة واسعة، يسكنها مئات آلاف البشر، وفيها أكثر من 150 مسجدًا، وعدد كبير من المدارس، ووصفها ابن بطوطة، والوزان، بأنها مدينة عامرة كثيرة المساجد، تنشط بها التجارة، وفيها أكثر من عشرين حيًا سكنيًا، وكانت مدينة حسنة التنظيم، بنيت وفق الطراز المعماري البربري، وبقيت أغاديس، على هذا الحال من الازدهار، حتى قامت قبائل (كيل أويون) بغزوها وتدميرها، وارتكاب المجازر ضد أهلها، حتى لم يبق من سكانها سوى سبعة آلاف

الإسلام رحمة للعالمين

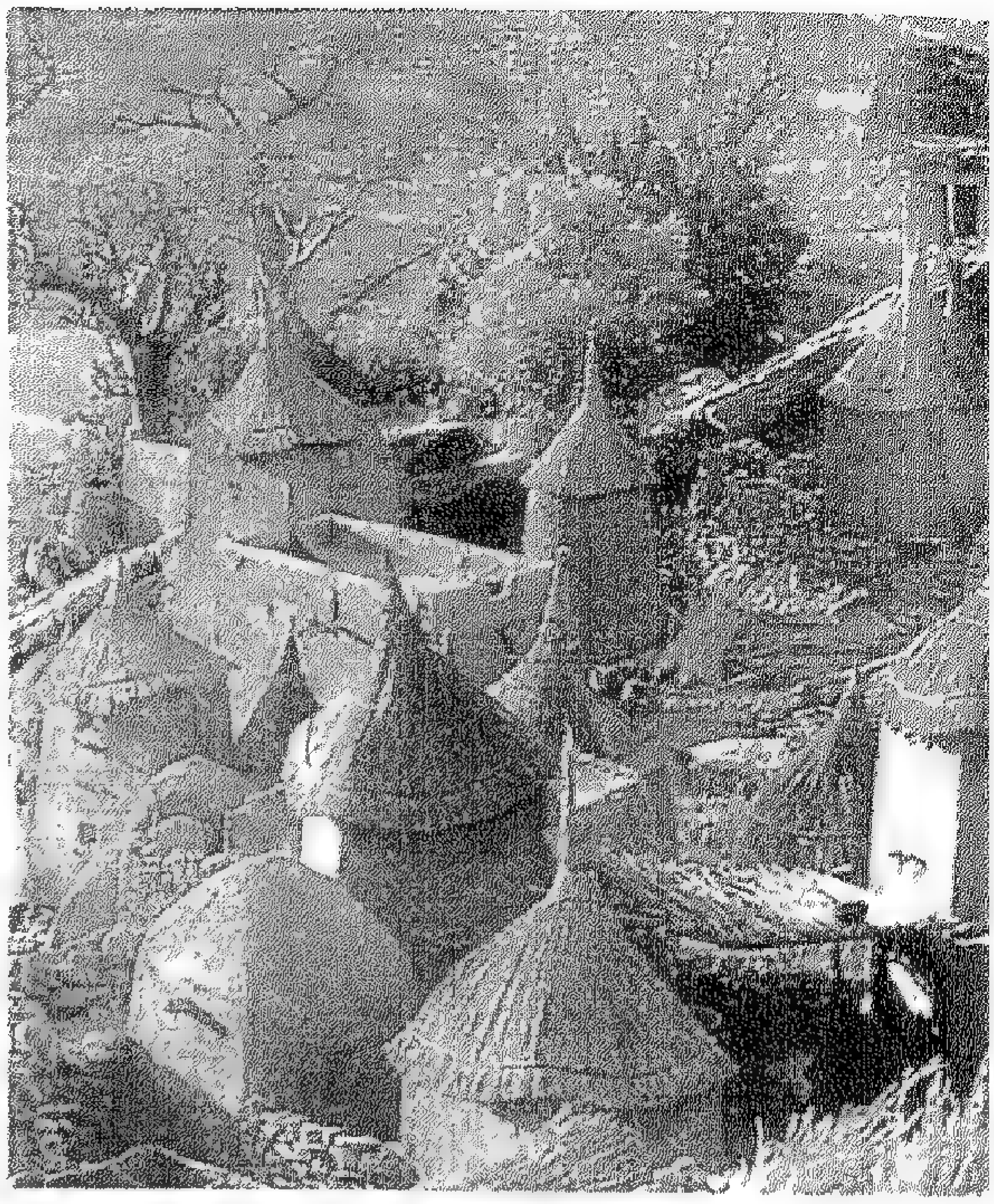
عندما علمت بأنه تمت الاستجابة لرغبتي في إشهار إسلامي أمام القائد، زاد فرحي واستبشرت خيراً، لأنني رأيت جهود القائد في دعم العمل الإنساني، ففي قريتنا تم حفر بئر لنا قبل أن أدخل السلام ونحن نستفيد منه، ولم يقل لنا أحد اعتنقوا الإسلام حتى نحفر لكم بئرا، وهذا موقف جعلني أفكر كثيرا، والحقيقة التي أدركتها أن الإسلام هو رحمة للعالمين، فهو يدعو معتنقيه إلى عدم التفرقة في أعمال الخير بين بني الإنسان، ونحن نتمنى أن تبنى لنا مدرسة في قريتنا.

وبعد أن دخلت الإسلام أدركت أنني كنت في الظلمات، أما اليوم فرجعت إلى نور الإسلام، ولهذا أقول مع القائد كيف يكون جميع أسماء أنبياء الله موجودين في القرآن الكريم، على عكس الأناجيل «الكتب» المسيحية، لذلك فإن ما قاله القائد هو حقيقة.

ونحن نشكر الأخ القائد وندعو الله سبحانه وتعالى أن يجزيه الخير وأن يرفع مقامه إلى أعلى الدرجات، فلقد رأيته وهو يصلي بالناس ويعظهم وكأنه واحد منهم، والحقيقة أننا لم نعهد هذا من أحد.

صحيح الإسلام هو الدين الحق، وعند عودتي سأخبر جماعتي وأهلي بما رأيته حتى يدخلوا الإسلام، وأشكر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، لمساعدتها للمسلمين ونشرهم للإسلام.

تاكوكولازا/ من قرية (لابي) في جنوب التوغو

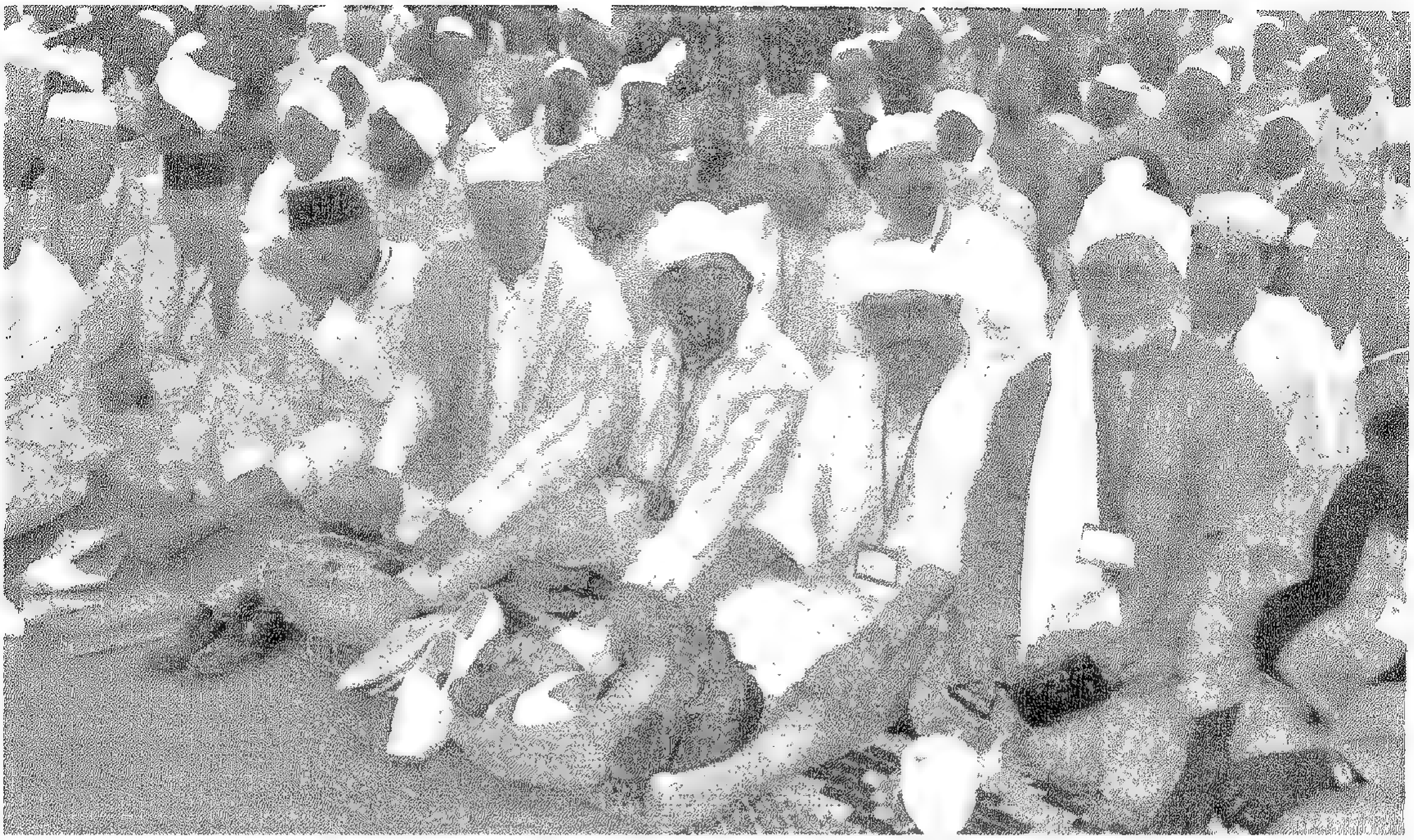


نسمة، ومن مساجدها سوى عشر.

أما أغاديس الحديثة، فهي لا تتجاوز قرية طينية واسعة المساحة، لا يوجد فيها أي شوارع معبدة، أو مبان حديثة، وليس بها سوى مدرسة كبيرة واحدة، تتبع لأحدى البعثات التبشيرية الفرنسية، وليس بها من الصناعات والحرف ما يذكر، سوى صناعة الحصر وطرق بدائية لإعادة استخدام الحديد، الناتج عن مخلفات السيارات والمباني القديمة، وليس في الإقليم كله، الذي هو أكبر أقاليم البلاد الخمسة عشر، والذي تبلغ مساحته عدة أضعاف مساحة الكثير من الدول العربية، سوى 124 مدرسة عربية، متواضعة، ومعهدين متوسطين، ويبلغ مجموع الطلاب في مختلف المراحل الدراسية، على مستوى الإقليم حوالي 3900 طالب، وهي نسبة منخفضة جدًا.

أما الآن، وبعد أن كانت أغاديس إحدى المحطات التنموية، لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية فقد بدأت بوادر الخير تهل عليها، فقبيل موعد ذكرى المولد النبوي الشريف، لهذا العام بأشهر، قامت طواقم من جهات

«والقابعون خلفها يبقون فيها إلى يوم القيامة، لا تهمنا. نحن يهمنا أن نتحرك بحرية عبر الصحراء وإذا وجدوا أحداً منا يهرب السلاح أو العملة أو المخدرات أو البشر أو السلع، عندهم حق أن يمسكوه ويحاكموه حسب القانون. نحن قلنا نريد أن نعمل بحرية ولكن في وضح النهار. ونحن حسب (ميثاق تمبكتو) سنتبرأ من أي واحد يهرب أو يتسلل أو يتاجر في الممنوعات، ويتحايل على القانون. وإذا عمل أحد، من أي قبيلة من الصحراء، عملاً مثل هذا مخالفاً لميثاق تمبكتو، لا بد أنتم قيادات الصحراء هذه، هي التي تحاسبه وتتبرأ منه وتستهجنه استهجاناً اجتماعياً، وتوقع عليه أي عقوبات قبلية، لأننا لا نريد أن يسيء أحد لسمعة أبناء الصحراء وقبائل الصحراء. قلنا قبائل الصحراء عندها أخلاق، عندها قيم، عندها مبادئ، عندها تاريخ ،عندها كرامة لا تسمح لأبنائها بأن يكونوا مهربين أو حشاشين أو أن يكونوا متسللين أوأن يكونوا إرهابيين. قلنا هذا الكلام.. وهذا الكلام ليسمعه الحكام الذين خافوا. الآن عندما أريد أن ألتقي بالطوارق مثلاً، أو مثل ما هم يسمون القبيلة «تماجق».. عندما نلتقي بهم إذا كانوا من الجزائر نقول لهم يا سلام أنتم وطنيون جزائريون مرتاحون وإن شاء الله السلام للجزائر ووحدة الجزائر والأمن للجزائر ونحن نرى وضعكم تماماً، ما شاء الله ولا تعملوا أي حاجة تسيء للطوارق حتى يعتبروهم كأنهم أقلية من الأقليات. نأتي للطوراق الذين في ليبيا: أنتم ليبيون مرتاحون وبلدكم ما شاء الله. نأتي للطوراق الذين في النيجر: نفس الشيء.. نقول لهم أنتم مناطقكم في النيجر.. أنتم موجودون في



من أنحاء العالم اجتمعوا في أغاديس

ليبية متعددة، بتحسين أوضاع المدينة بشكل واضح، فشق طريق معبد، ونصبت أعمدة الإنارة، والإشارات الضوئية، ومدت شبكة كهرباء وإنارة، غطت المدينة بأكملها، بحيث قفزت قوة التيار الكهربائي في المدينة من 4, 2 كيلو فولت، إلى 3200 كيلو فولت، هذا عدا عن توسعة المطار وتحسينه وإنارته، بحيث أصبح قادرًا على استقبال طائرات البوينج الضخمة، وتجهيز وإنارة الملعب الرياضي للمدينة، وهذا كله ليس إلا غيضاً من فيض، ممّا تنتظره المدينة والدولة من خير عميم.

وفقكم الله

نود أن ننقل إليكم فرحتنا الكبرى بما سمعناه في خطابكم الرائع في النيجر الذي حضره عدد من رؤساء الدول والقبائل والعشائر والأشراف من أنحاء العالم، و فقكم الله لكل خير وسدد خطاكم وجعل لم شمل العالم الإسلامي على أيديكم.

الدكتور محمد حسين راغب الحسيني

نقيب الأشراف في سوريا

في ظل كل ما سبق، يجب ألا يطغى السرد التاريخي والتحليل السياسي، أو الثقافي على الواقع، الذي ينبئ صراحة عن دور كبير وجهود بذلتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، والقيادة الشعبية الإسلامية العالمية، لإعلاء كلمة الله وأعمار أرضه، بصورة عجزت عنها الكثير من الجهات، حتى يكونوا أهلاً لاستخلاف الله -سبحانه وتعالى- لهم في أرضه، فمن كانو إلى تمبكتو، ومن بعدها أغاديس، ولا زال قطار الخير والبشر مندفعًا، عبر بقاع وحواضر إفريقيا المسلمة، مع الأخذ بعين الاعتبار، أنه كان يمكن للقيادة والجمعية أن تعقدا كل هذه الأنشطة، في أكبر العواصم، وضمن أرقى وسائل الراحة، لكن اختيرت هذه البقاع، لأهداف ليست بخافية على أحد، منها: إرسال رسالة واضحة، إلى دعاة التنصير أولاً، وإلى العالم الغربي ثانياً، أن إفريقيا المسلمة، ليست لقمة مستساغة لكم، تلوكونها كيف شئتم، بل هي أرض مسلمة وجزء عزيز من بلاد الإسلام، يبذل فداءً لها الغالي والنفيس، ومنها إشعار الإفريقي المسلم، أنه لا

النيجر استقروا في النيجر.. نعمل مشاريع في النيجر ومثلكم مثل القبائل الأخرى الموجودة في النيجر ومثل القبائل الأخرى الموجودة في ليبيا ومثل القبائل الأخرى الموجودة في الجزائر. تأتي لمالي: نفس الشيء.. أنتم يا طوارق الموجودون في مالي مثلكم مثل بقية القبائل السنغاي والبرابيش والبنباري والفولاني والموسي.. كل هذه القبائل نقول لهم أنتم مثلكم مثلهم. لأننا لا نقدر أن نقول اعملوا دولة للطوارق وإلا فحتى البنباري اعملوا لهم دولة والموسي اعملوا لهم دولة والفولاني اعملوا لهم دولة واليروبو اعملوا لهم دولة والهوسا اعملوا لهم دولة والتبو دولة والقذاذفة دولة وورفلة دولة والفرجان دولة. هذا غير معقول.

وحدة الأقطار وليس فصل القبائل

نحن كقبائل موجودون هكذا في أقطار.. نحن نفكر في وحدة هذه الأقطار كلها وليس في فصل القبائل. وبالتالي دعوتنا من تمبكتو حتى الآن، لمصلحة النظام في الجزائر، لمصلحة النظام في مالي، لمصلحة النظام في النيجر، لمصلحة النظام الشعبي في ليبيا، لمصلحة النظام في مصر في الأردن في الجزيرة في الشام في السودان. لو مثلاً أن الرشايدة نقول لكم اعملوا دولة الرشايدة موجودون في إريتريا.. موجودون في السودان.. موجودون في الحجاز كيف تعمل دولة عبر البحر!. لكن إذا كان الرشايدة كلهم يريدون أن يعودوا للحجاز أرضهم هذا شيء ثان.. يعودون. إذا كان الطوارق كلهم يريدون أن يعودوا لليبيا يقولون هذه بلدنا.. تفضلوا أهلا وسهلاً يعودون. إذا كان التبو يريدون أن يعودوا،



يقف وحده في وجه هذا الطوفان الغاشم، من الاستعمار الجديد، وأن إخوته المسلمين، من الصين شرقًا، إلى أمريكا غربًا، ومن أستراليا جنوبًا، إلى كندا شمالاً، من كل لون ومذهب ومشرب، ومن كل مدرسة فكرية، يقفون إلى جانبه ويشعرون معه، كما ويشعر الفرد المسلم بمقدار ما يعانيه أخوه الإفريقي، من حاجة وعوز وضعف ومقارعة للمرض والفقر، وانعدام أدنى وأبسط مقومات الحياة، في كل يوم من حياته، فيعود إلى بلاده ليبذل كل جهد ممكن، ليساعد ويساند إخوته في كل مكان .

خطاب تاريخي

إن خطابكم التاريخي في النيجر ما هو إلا دليل على حرصكم الشديد لاعادة الحق المسلوب إلى أهله.. وفقكم الله وسدد خطاكم وجعل لم شمل أمة محمد على أيديكم.

رعد إسماعيل محمد الحسيني

ممثل السادة الأشراف في العراق

خطاب أغاديس ومعطيات المستقبل

د. حسن الباش *



قبل عام وفي مدينة تمبكتو، ألقى القائد معمر القذافي خطابًا في ذكرى مولد الرسولﷺ، تناول فيه عددًا من القضايا الهامة والحساسة، أثارت لدى الكثيرين من المسلمين ردود فعل، خاصة فيما يتعلق بعالمية الإسلام، وانحراف أصحاب العقائد الأخرى عن الحقائق الدينية والتاريخية، وفيما يتعلق برؤية معمر القذافي المستقبلية، والتي ترتبط بوحدة المسلمين للنهوض من جديد في مواجهة التحديات المعاصرة.

تواصلاً وامتداداً لهذه الرؤية جاء خطاب أغاديس في النيجر في نفس المناسبة تناول القائد فيه القضايا الكبرى التي تعرض لها في العام الماضي، لكنه في لقائه مع زعماء القبائل، كانت له كلمة جامعة فاجأت الجميع بما حوته من أفكار، وبما تضمنته من رؤية للمستقبل؛ وحين نقرأ ما تناوله من أفكار، نجد أنفسنا أمام منهج فكري يتراكم كمًا ونوعًا، ليستكمل ما بدأ به منذ زمن بعيد، ولعلنا اليوم بحاجة إلى وقفة موضوعية مع ما طرح، لأن الأمور المتعلقة بالمنطقة والعالم، بلغت من التعقيد حدًا كبيرًا، وليس لحلها سوى أن نفكر بجدية فيما جاء بالخطاب .

* كاتب وأستاذ جامعي / سورية.

الاحتفال والتحدي

يرى الأخ القائد أن هذا الاحتفال بمولد رسول اللهﷺ، يعبّر عن التحدي الإسلامي، لمن يريدون تشويه الإسلام، ونبيه محمدﷺ وفي هذا الإطار يبدو أن هناك منهجين عالميين متناقضين، منهجنا الإسلامي والمنهج الغربي، فنحن نتمسك بثوابت الإيمان بالرسل جميعًا، بينما هم يعادون هذا الإيمان، ويتجاوزون حدودهم حين يحاولون الإساءة إلي النبي محمدﷺ، إنهم لا يقبلون إسلامنا ولا قرآننا ولا نبينا، ويمارسون العنف والإرهاب ضدنا، وليس احتلال فلسطين والعراق وأفغانستان سوى دليل كبير على منهجهم العدائي الإرهابي، ويبرز هذا التحدي حين نرى أنهم يدرسون الكراهية والحقد، استنادًا على رؤيتهم العنصرية القومية، ونحن ندرس الحب والسلام استنادًا على ديننا المتسامح، ديننا الإنساني العالمي.

ولو كنا ندرس منهج العداء، لما آمنا بما أنزله الله علينا من تقدير وإيمان بالرسل جميعًا، بموسى وعيسى وإبراهيم وداود وسليمان، وغيرهم من أنبياء الله، وهنا لا بد من الوقوف عند مسألة فكرية غاية في الأهمية.

فنحن نجد طرفًا في هذا الكون وهم يجدون طرفًا آخر، وبمعنى من المعاني نقف أمام مقولة: ـ نحن والآخر ـ لنرى أن هناك منهجين متناقضين في العقيدة وفي الرؤية الإنسانية وفي آلية التعامل الإنساني.

حلول ناجحة

يسعدنا ويشرفنا أن نبارك خطابكم التاريخي بالنيجر، لما فيه من حلول ناجحة للأزمات التي تعاني منها أمتنا العظيمة في تاريخها المعاصر.

الدكتور/ محمد جاسم المشهداني

الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب

يقولون نحن نريد أن نعود لتشاد ونطلع من بلمة ونطلع من تجرهي وتروح مثلاً، أهلاً وسهلاً.. وإذا كان يقول: لا سآتي لليبيا أهلاً وسهلاً. الهوسا يقولون نحن سترجع لنيجيريا وننسحب من النيجر.. ويمكن مثلاً أن قبائل الموسي كلها تتجمع في بوركينا فاسو، والله أحرار، إذا كانوا يريدون أن يتجمعوا هناك. لكن لم نقل أبداً ينفصلون.. لم نقل اعملوا انفصالاً.. لم نقل اعملوا حرباً.. لم نقل اعملوا مشاكل. هم إمّا أنهم غير فاهمين الكلام الذي قلناه، أو أن الاستعمار يوحي لهم بهذا، أو أنهم لا يعرفون أن يقرءوا الأعمال التي نعملها.

نحمل السلاح في وجه الاستعمار

نحن نحمل السلاح في حالة واحدة، قلنا لكم عنها، نحمل السلاح في وجه الاستعمار وهي إذاً دخل الاستعمار إلى الصحراء.. قواعد استعمارية.. استعمار.. غزو سوف نقاتل. نحن قلنا إن المستعمر إذاً دخل الصحراء فإن رملها يصبح رمضاء وحجارتها تصبح جمراً وهواءها يصبح غازاً خانقاً للأعداء، وأنتم رأيتم ما يجري في الصحراء. إذاً جاء الاستعمار إلى الصحراء بأي شكل من الأشكال، في ذلك الوقت نقول لكم احملوا السلاح وقاتلوا من أجل استقلال الصحراء ومن أجل رد الاستعمار إلى ما وراء البحر. أما غير هذا فنحن لا نحمل السلاح أبداً ولا نخرب الحدود، لكن يجب أن نعبر الحدود بحرية بين ليبيا والجزائريين، الجزائر ومالي، بين مالي والنيجر، بين النيجر ونيجيريا، بين نيجيريا والكاميرون، بين الكاميرون وتشاد، بين تشاد والسودان، بين



منهج العداء والكراهية

ومن خلال المعطيات الواقعية نرى أنهم ما يزالون متمسكين بمنهج العداء والكراهية ومازلنا متمسكين بمنهج التسامح والانفتاح، وهم متمسكون بالحس الاستعماري، فإذا بهم يحتلون العراق وأفغانستان وفلسطين، إذاً، ما زالوا يتطاولون على الإسلام والمسلمين، لأن منهجهم هو منهج التربية العدائية الكارهة للآخرين؟.

الآثار الإسلامية المهددة بالزوال بحجة الوثنية:

وحين يتناول الأخ معمر القذافي مسألة التطاول على الإسلام والمسلمين، لا يتوقف عند مظاهر العداء الغربي، بل يتوسع ليتناول ما تقوم به بعض الأوساط، من طمس للآثار الإسلامية في مكة والمدينة والأماكن الإسلامية الأخرى. فهم يحاربون الاحتفال بمولد رسول البشرية محمد ﷺ، وهم يفتشون عن آثار الرسالة ليهدموها، والشواهد على ذلك كثيرة، فأين ما خلفه المسلمون الأوائل في زمن رسول الله ﷺ من سيوف وتروس ومواقع، أين معالم معركة بدر وأحد والخندق؟ أين المنازل والمساجد التي أمر النبي محمدﷺ ببنائها، حتى القبور أزالوها، حتى رسائل رسول اللهﷺ إلى ملوك ذاك العصر حاولوا إتلافها، وكل ذلك بحجة الوثنية. إن المقياس في الإيمان هو التمسك بعقيدة التوحيد، ولن يفكر الإنسان المؤمن بالتخلي عن هذا، وهذه الآثار ليست دليلاً على الإيمان، فهي بالمحصلة شاهدة على الحضارة، على التاريخ ووقائعه، وهي عبر ودروس وليست مقياسًا للوثنية أو الإيمان.

والحقيقة لو كانت هذه الآثار لدى الأوروبيين، لاحتفوا بها واحترموها وحافظوا عليها لأنها شواهد تاريخية وحضارية للأمة، لكن ضيق عقول أولئك البعض، ومنهجه المعادي للإسلام والمسلمين، دفعه

حكمة حكيم

نعاهدكم أن نكون خير داعم لصمودكم وتوجيهاتكم الحكيمة وخير نصير لتصديكم المشرف وخير داع ومناصر لتطلعاتكم المنشودة.

محمد منير الشويكي الحسيني

الأمين العام لتشر وتحقيق وتوثيق الأنساب/ سوريا

لإزالتها وإعلان الحرب عليها بحجة الوثنية، بينما هو غارق بالوثنية الحقيقية، من خلال ما يمارسه من أمور تنافي الدين وتنافي أبسط قواعد الاحترام للرسول محمدﷺ ولتاريخ المسلمين وحضارتهم وتراثهم.

إن هذا المنهج، يريد أن يضع الإسلام بين الحقيقة والخيال، يصبح الشك في دين الله سائدًا في العقول والنفوس، بدل أن ترسخ حقيقته وتنتشر دعوته، ومن خلال هذا الطرح نستطيع أن نرى طرفين معادين للإسلام، طرف غربي جاهل، وطرف متآمر يصبان في هدف واحد، وهو معاداة الإسلام والمسلمين ومحاربتهم بكل الوسائل الإعلامية والمذهبية المقوتة.

عقيدة التوحيد

إن المؤمن الحقيقي لا تؤثر فيه تلك الآثار، ولا حتى الأصنام والأوثان، فالإيمان بعقيدة التوحيد أقوى من كل هذه الرموز؛ يوضح معمر القذافي:

إذا كنا مؤمنين فنحن لا نخاف من هذه الأشياء، حتى لو يأتون بمليون صنم « سنقول لهم هذه الآية:

﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [سورة النجم، الآية: 23]

إن الدين عند الله الإسلام، وكل ما عداه هو باطل. فأصحاب العقائد الأخرى هم على باطل وعليهم أن يتبعوا دين الإسلام، لأن محمدًا نبي للعالمين. وهو خاتم الرسل والأنبياء، الإسلام هو الدين الشمولي

نقدر جهودكم

يسرني باسم مركز التنسيق الأعلى لمسلمي روسيا، أن نتقدم إليكم بأسمى آيات التقدير والعرفان، سائلين الله تبارك وتعالى أن يتقبل أعمالكم النبيلة، وجهودكم الطيبة المباركة التي تبذلونها لإعلاء كلمة الإسلام ووحدة المسلمين.

الشيخ نفيع الله عشيروف

رئيس مركز التنسيق الأعلى لمسلمي روسيا

الأردن ومصر، بين مصر وسوريا، وبين العراق وسوريا، يجب أن تعبر الحدود بحرية وبهوية شرعية وليس تسللاً، نحن لا نبيع المخدرات ولا نبيع السلع الممنوعة لكي نتسلل، لماذا نتسلل؟ لا يليق بنا أن نتسلل. ثم إن كل هذه البلدان داخلة في أحزاب وفي انتخابات نستطيع أن نأخذ حقنا بالديمقراطية، فالسلاح لم يأتِ بنتيجة لدارفور أبداً، فقد مات الآلاف بدون فائدة، ناس من دارفور جاءوا إلى الخرطوم، وهم موجودون أصلا في الخرطوم، ويقولون ينقصنا كذا، كذا، كذا، حسنا.. إن هذا لا ينقصكم أنتم فقط في دارفور، لأن حتى الخرطوم فيها شوارع ليس فيها كهرباء، عندهم نقص هنا ونقص هناك ونقص في البجا ونقص في الشرق عند الرشايدة وعند النوبة. وليس في الإمكان أكثر مما كان، هذه إمكانيات البلد تعالوا قسموها. سلطة الشعب تنهي الصراع، نعود ونقول: إنه عندما تكون السلطة شعبية.. مؤتمرات شعبية لجان شعبية.. الميزانية بين أيدي الناس.. القوانين تصنعها الناس، في هذه الحالة لن يكون هناك صراع. فالناس تصبح تعرف كم عندها قرش.. وتفضلوا تريدون أن تصرفوها في الكهرباء أو في الطرق أو في التعليم أو في الصحة، مثلما يجري في ليبيا، حيث دخل النفط موضوع بين أيدي الناس في المؤتمرات الشعبية.. 30 ألف كومونة فيها ثلاثة ملايين ليبي يقال لهم هذا دخل النفط، ها هو فوق الطاولة قسموه.. كم تريدون للصحة؟.. كم للزراعة؟ كم للصناعة؟. وبعدها كل واحد منكم يأخذ حصته ويعملها في الأشياء التي تنقصه.. كل واحد ومنطقته.. يقول ميزانيتي أريد أن أعملها كذا، أعملها كذا.. لا أحد له علاقة به.

ومن المفترض أن تتبنى البشرية كلها هذا الدين العالمي، لأن محمدًا ﷺ بُعث للناس كافة، رحمة لهم، ونبيًا يرشدهم إلى دين الحق.

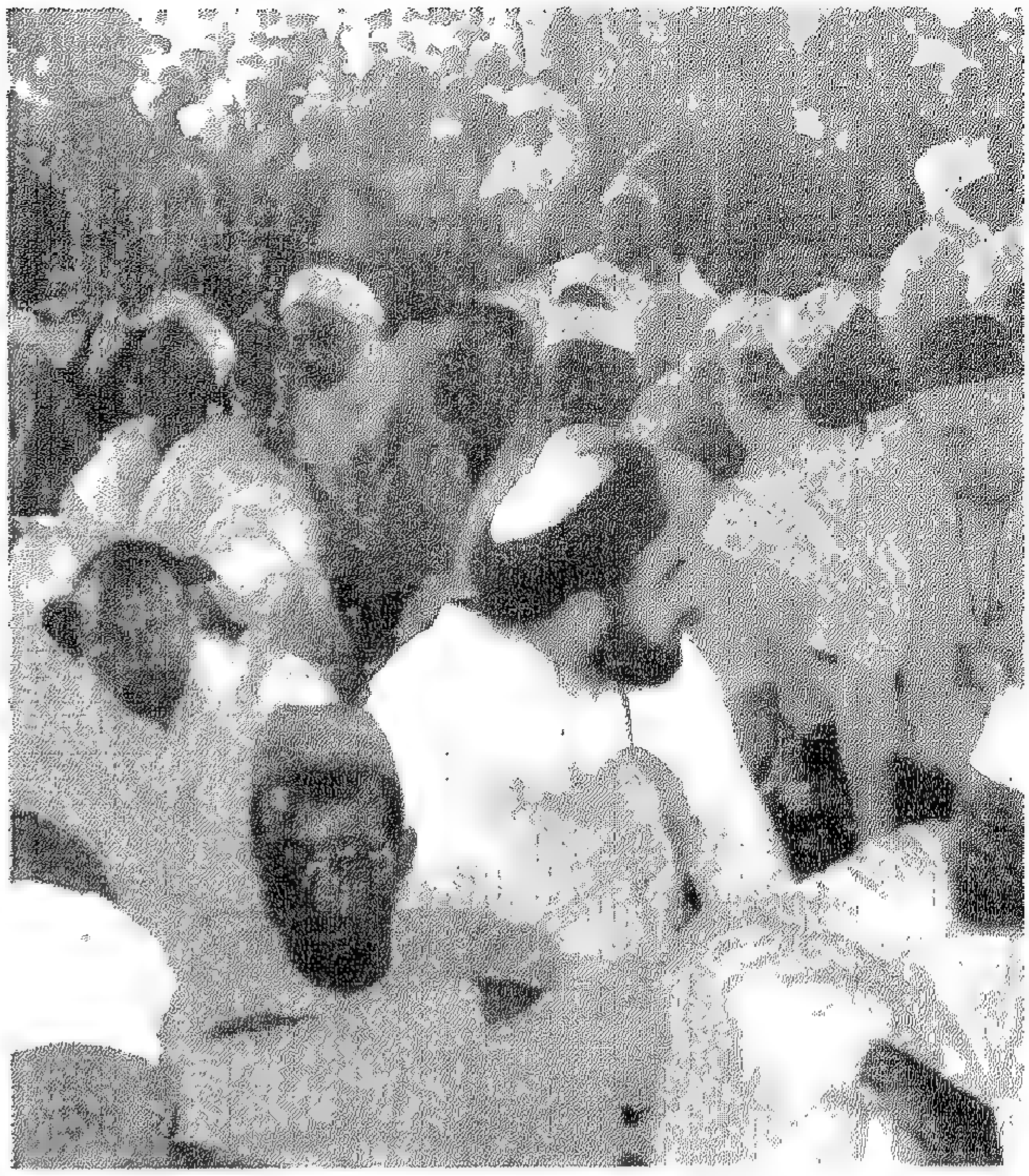
ولعل من أخطر مظاهر المسيحية الغربية تلك الوثنية الفاقعة التي هم عليها، فهم يضعون صورة متخيلة للمسيح وأمه مريم - عليهما السلام - ويصلّون نحوهما، إذًا هذه هي الوثنية، التي يجب أن يبتعدوا عنها، لأن الله حذر منها، ولأن الأنبياء رفضوها وحاربوها، وعلى كافة أبناء البشرية أن يعودوا لرشدهم ويميزوا بين الوثنية والتوحيد ليدركوا أن الإسلام هو دين الجميع وليس غيره.

هذا التردي العربي

ويأتي خطاب القائد معمر القذافي، على شواهد من وقتنا المعاصر، كأدلة واضحة على سخف المنهج الغربي وتزويره للحقائق، فالبريطانيون والأمريكان قدموا من أقصى الأرض ليحتلوا العراق، ويدّعوا أن مياه الخليج وشط العرب، أصبحت مياهًا إقليمية لهم.

وردًا على هذا التردّي العربي، يؤكد القائد معمر القذافي، أن الحل الوحيد لهذا الواقع، هو إنهاء الضعف والانحطاط، وخلق روح التحدي للدفاع عن كرامتنا وكرامة أمتنا ووجودنا.

والواقع أن هذا التأكيد على روح التحدي والدفاع عن الكرامة، لا يأتي من فراغ فاليوم أصبح الشارع، شارع الجماهير، هو الذي يرعب أعداء الأمة، لأن قادة الشعوب نائمون، والذي يخيف الأعداء الجماهير، التي باتت تتسلح برؤية ناضجة واعية. ولنلاحظ اليوم، كيف يرتجف القادة والملوك وزعماء العالم الغربي، مما يُسمى الإرهاب، وهذا دليل على أن الناس العاديين إذا آمنوا بالتغيير ومارسوه، استطاعوا إيقاف هذا الاستهتار المستشري من قبل أعداء الأمة. ويذكر الزعيم القذافي العالم الغربي، بما قاله في السنة الماضية في تمبكتو، من أننا مع السلام، ولكننا نحن أحرار في صحرائنا وسنعمل على وحدة الأمة. لكنهم



الذي يحتاجه كل إنسان مهما كان لونه أو عرقه.

والعقائد السابقة كانت محدودة الدعوة، فالمسيحيون يعرفون، وكذلك المسلمون، أن المسيح - عليه السلام - بُعث لبني إسرائيل فقط، ليصحّح عقيدتهم التي انحرفوا عنها، فلماذا يكون الأفريقي والأوروبي والآسيوي مسيحيًا؟ إذا كان المسيح بُعث لبني إسرائيل فحسب، فليس مفروضًا أن يتبنى عقيدته الإفريقي أو غيره، أما الإسلام فقد جاء لكافة الناس،

دور ريادي

نحن المنتسبين لجمعية آل البيت بتشاد، نعبّر لكم عن مدى امتناننا وشكرنا لكم، حيث كنتم دائماً في مقدمة الرواد، شأنكم شأن العظماء، وجاء الدور الريادي الذي قمتم به، ألا وهو جمع آل البيت في بوتقة واحدة، منها يشع النور للعالم، ونحن على يقين طالما أنتم الراعي، فإن الصبح ليس ببعيد.

السلطان كشلا محمد كاسر

الرئيس الشرفي لجمعية آل البيت بتشاد

ارتعبوا وارتجفوا، وهذا الرعب الذي وقعوا فيه، يعود لكوننا نسعى إلى وحدة القبائل، وحدة أبناء الأمة وليس وحدة ملوكها ورؤسائها، وهذا هو الذي يرعبهم.

فكر معمر القذافي

والواقع أننا حين نعود إلى فكر معمر القذافي، منذ بداية ثورة الفاتح عام 1969 الإسلامية، نرى أنه فكر ينطلق إلى الوحدة بإيمان راسخ لا يتزعزع، وهذا ما أدى إلى خوف الغرب وغير الغرب، خاف الملوك على عروشهم، لأن القائد يريد وحدة الجماهير، وهي القادرة على الدفاع عن الأمة ووحدتها ودينها وحدودها وقيمها، لذلك راحوا يفسرون رحلاته الدعوية على أنها تهديد لمصالحهم ودولهم الإقليمية وحدودهم، فوحدة الشعوب تفتح الآفاق للتعاون والنهضة، وليست هي دعوة للتهديد وقلب الأنظمة والحكومات، والدعوة لنهضة هذه الشعوب هي دعوة كي تُحترم ولا تُهمش؛ الصحراء ثروة من الذهب الأسود وغيره، يجب أن توزع على أبناء الصحراء ولا يستأثر بها الحكام أو الشركات.

ويؤكد القائد ذلك بقوله: «قلنا إننا يجب أن نعيش على قدم المساواة مع الناس في الشمال، نحن يهمنا أن نتحرك بحرية عبر الصحراء» وليس معنى ذلك أننا نسعى إلى التخريب والتهريب، وميثاق تمبكتو ينص على التمسك بالأخلاق والكرامة والمبادئ الأساسية المستندة إلى الإسلام.

ونلاحظ أن القائد معمر القذافي، يركز على مسألة توزيع الثروة على جميع أبناء الشعوب والقبائل، هذه الثروة التي حُرموا منها، بل إن الغرب سلبهم إياها طوال عهود وعهود.

ولتتوضح الصورة أكثر، فإن هذه الدعوة هي دعوة وحدوية، يُراد منها وحدة الشعوب والأمة، وليس تمزيقها إلى دويلات قبلية، تقوم على مبدأ القبلية المنغلقة المنفصلة.

إن مبدأ وحدة القبائل ـ قبائل الصحراء ـ يمنع هذا لما تتحقق الجماهيرية.. لما يتحقق النظام الجماهيري.. سلطة الشعب.

من يعمق الانشطار في المنطقة؟

بمناسبة وجود الصحفيين رغم أن عددا كبيرا منهم غير معني لأنهم من خارج المنطقة. الوضع الموجود الآن من هذا البلد وشماله خاصة بالنسبة للناس الذين يفهمون التاريخ والناس المثقفين والسياسيين والمحللين ليس السطحيين وهذا الكلام موجه لهم. المنطقة الآن التي نحن فيها من المحيط الأطلسي إلى غاية الهلال الخصيب، تعيش الآن في أوضاع تشبه الوضع الذي كانت عليه في فترات تاريخية سابقة، من بينها الفترة التي شاخت فيها الإمبراطورية العباسية عندما تهلهلت وأصبحت غير قادرة على النهوض من الداخل، ولا تستطيع الدفاع ضد العدو الذي يأتيها من الخارج. المنطقة التي ذكرتها وكانت سائدة فيها الدولة العباسية، الآن وضعها يشبه تلك الحالة. يعني حكومات ضعيفة.. حكام ضعفاء ومترفون ومنعّمون وسكارى وغير مهتمين بأحوال الرعية في ذلك الوقت وكثر التشرذم في شمال إفريقيا وفي المشرق وقامت دويلات وحكام وقبائل وصراعات وثورات وزعماء ضد بعضهم، وقبائل ضد بعضها، وحركات ضد بعضها ومذاهب ضد بعضها. والمؤرخون والسياسيون والمحللون الذين يقرءون علم السياسة والعلوم السياسية.. أقصد الذين يقرءون العلوم السياسية وليس السياسيين الذين مثل الحكام الآن.. هذا ليس سياسة.. خريجو العلوم السياسية الذين يفهمون السياسة والذين يفهمون التاريخ ويفهمون علم

التمزق ويمنع الاقتتال، بينما يريد الاستعمار تمزيق هذه الوحدة، حتى يتسنى له احتلال الصحراء وامتصاص خيراتها وثرواتها، وهذا ما يحفزنا للدفاع عن صحرائنا وثرواتنا وهويتنا. ويضرب القائد مثلاً في تقسيم الثروة بما قامت وتقوم به الجماهيرية من خلال نظام شعبي جماهيري، يقسم الثروة ولا يستأثر بها طرف دون آخر، وهذا النظام الاجتماعي الاقتصادي، يضمن للجميع حقوقهم في النهضة والتقدم. وهذا ما يُفترض أن تقوم به الدول العربية والإسلامية، لأنه النظام الذي يضمن توزيع الثروة على كافة أبناء الشعب.

التاريخ يعيد نفسه

ولعل من أهم ما طرحه القائد معمر القذافي في هذا الخطاب، هو التماثل بين حالة التمزق والضعف التي تعيشها الأمة، وحالة التمزق التي عاشتها الأمة في أواخر العصر العباسي. «فالمنطقة الآن التي نحن فيها من المحيط الأطلسي إلى غاية الهلال الخصيب، تعيش الآن أوضاعًا تشبه الوضع الذي كانت عليه في فترات تاريخية سابقة، من بينها الفترة التي شاخت فيها الإمبراطورية العباسي».

فالأمة في تلك الفترة تمزقت، ولم تعد قادرة على الدفاع عن حدودها وهويتها، والحكام ضعفاء مترفون منعّمون، وغير مهتمين بأحوال الرعية، وهذا ما هو عليه الحال اليوم.

دويلات وقبائل متناحرة، وصراع مذهبي راح ضحيته الآلاف من أبناء الأمة، ولا بد من الإشارة هنا، إلى دور الاستعمار، في تفتيت أبناء الأمة، وخلق الفتن الطائفية والمذهبية.

ماذا نعني بالشيعة والسنة؟ في هذه الفقرة بالذات، يضع القائد يده على أخطر ما يحدث الآن في المنطقة، فالواقع أن الفتنة المذهبية، وصلت ذروتها ولا تجد لها حلاً، وقد حرص الاستعمار على تغذية هذا الصراع المذهبي، حتى سُفكت الدماء بين الشيعة والسنة.

وإذا تساءلنا هل نحن سنة أم شيعة أم مسلمون.

خطاب منسجم مع أسلوب العصر

جئنا بدعوة من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، لنشارك في الاحتفالات الدينية بمناسبة المولد النبوي الشريف، التي تعقد على أرض النيجر الحبيبة، وجئنا على رأس وفد يرأسه نائب وزير التنمية والثروة الحيوانية بجمهورية سيريلانكا، ونحن مسرورون جداً للقاء الإخوة المسلمين في هذا التجمع الكبير، وكذلك نحن سررنا كثيرا بالاستماع لكلمة الأخ القائد معمر القذافي، الذي تحدث بوضوح عن الفرق بين المسيحية والإسلام، مبينا في خطاب دعوي منسجم مع أسلوب العصر، بأن رسول الله محمدﷺ ليس بعده نبي وأن الوحي قد انقطع بوفاته ﷺ، فلا نبي بعده، ويأتي هذا الطرح المتقدم، ليدحض الإدعاءات الباطلة والدعوات المشبوهة، التي تظهر بين الفينة والأخرى في بعض أقطار العالم، والتي يزعم أصحابها، أن الرسول ﷺ ليس خاتم النبيين، واعتقد أن رفضنا لتلك المزاعم المشبوهة التي لا تمت بأي صلة للإسلام، يحتاج منا جميعاً إلى تبيان الحقيقة بأن الرسول ﷺ، هو خاتم النبيين، وأنه لا يوجد نبي بعده، وهذه فرصة طيبة لتلتقي هذه الجموع على أرض النيجر الحبيبة، ولتستمع وفود المسلمين في كل بقاع الأرض لكلمة القائد المهمة، التي رسم لنا فيها خطوطاً عريضة عن النبوءة وعن ختم النبوءة وعن آخر المرسلين محمدﷺ، ونحن مسرورون جداً بأن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية قد أتاحت لنا هذه الفرصة.

قمر الزمان محمد

نائب وزير التنمية والثروة الحيوانية بجمهورية سيريلانكا



وهذا لمصلحة من؟! يأتي الجواب إن ذلك لمصلحة الاستعمار.

إن الشيعة كما نفهمها ليست مذهبًا وليست تعصبًا، نحن نفهم التشيع على أنه حب آل البيت، ومن منا لا يحب آل البيت، والشيعة لا تحدد بقومية أو بإقليم، فإيران مثلاً تتبع المذهب الشيعي. ولكن لا يعني أن الشيعة هي إيران. وإذا توسعنا أكثر، نقول: إن من يحب ويتبع الرسول محمدﷺ هو سنّي وأن من يحب آل البيت هو شيعي، ولكن ليس معنى التشيع الخروج عن سنة رسول اللهﷺ وليس معنى السنة معاداة آل البيت.

وعلى هذا المبدأ الذي نفهمه من التشيع فإننا نرفض المذهبية ونرفض التعصب، ونؤمن أن التشيع لا يتجاوز الحب لآل البيت ولا ينفي الحب لصحابة رسول اللهﷺ.

المفهوم الجديد للدولة الفاطمية

ويتلمس معمر القذافي الخطر الناتج عن التفرق المذهبي، الذي قسّم الأمة اليوم إلى شيعة وسنة، ويخاطب الذين تورطوا في هذه المذهبية البغيضة، فيرى أن الشيعة ليست إيران وليست الفرس. فأول دولة شيعية قامت في إفريقيا وليس في إيران. فنحن عرب وشيعة نحب آل البيت، قبل غيرنا فالدولة الفاطمية قامت في شمال إفريقيا وصهرت كل القبائل المتنازعة في دولة واحدة دون أن تفرض مذهبًا على الناس.

الاجتماع يستطيعون أن يرجعوا للفترة التي كانت عليها هذه المنطقة في نهاية الدولة العباسية.

الموجود الآن هو انشطار لا بد أن نعترف به و نحتاج أن نعرف من يعمقه.

ربما يقوم بتعميقه الاستعمار عدو الإسلام عدو العرب عدو الفرس.. (الآخر) الذي يتكلمون عنه، الذي يقولون لنا اقبلوا بالآخر.. استوعبوا الآخر.. ولماذا هو لا يقبلنا ولماذا لا يستوعبنا.. لماذا هو لايستوعبنا نحن، فنحن الآخر بالنسبة له. هذا (الآخر) الذي يقولون لنا اقبلوه وحاوروه واستوعبوه لمصلحته وجود الانشطار أو هو وراء الانشطار الخطير الموجود الآن. الآن قسموا الإسلام إسلامين أصبح هناك إسلام شيعي وإسلام سني وهذه بدعة ما أنزل الله بها من سلطان. متى قال لنا محمدﷺ جئتكم بإسلام شيعي وإسلام سني؟. هذه بدعة.. هذه بدعة أصبحت الآن حتى البيت الأبيض يعرفها ونستغرب أنه حتى الرئيس الأمريكي يتكلم عن السنة والشيعة وهو لا يعرف معنى السنة ولا الشيعة أبداً ولا يعرف حتى أن ينطقها. إذاً عندما نقول الشيعة الذين تشيعوا لـ «علي» في الحرب على الخلافة وبعد ذلك حتى نصل إلى الاثنى عشرية والإمام السابع ونصل إلى جعفر الصادق. هل يستطيع هو أن يذهب معنا بعد ذلك في هذا العمق؟. أنا أتيت للنتيجة وأقول في المقدمة ماذا ترتب عليه؟. لقد ترتب عليه أنهم بدأوا الآن يكتلون العرب ضد إيران وإيران ضد العرب وبعد ذلك شيعة ضد سنة وسنة ضد شيعة. نحن مسلمون أم شيعة وسنة!. وهذا لمصلحة من؟. هذا لمصلحة (الآخر) الذي نحكي عنه ، مصلحة العدو

ونحن ندعو إلى إقامة دولة فاطمية جديدة. بمعنى أنها دولة تقوم على حب آل البيت وليس معنى ذلك آن تكون الدولة مذهبية.

ويأتي ذلك في خطاب القائد الذي يوضح المسألة بدقة فيقول: «الدولة الفاطمية العصرية، بشرط أن تكون خالية من كل الصراعات المذهبية، ومن الإمامة ومن الحاكمية ومن السفسطة القديمة».

فهذا هو المفهوم الجديد للدولة الفاطمية، وليس كما يفهمه غلاة التطرف المذهبي، الذين اخترعوا مسألة الإمامة والحاكمية وهي ليست من الإسلام في شيء.

لقد تجاوز الزمن هذه المقولات، وما يقوله المتشيعون المذهبيون حول الإمامة، ليس مناسبًا لهذا الوقت وهذا العصر.

إن الخلاف بين علي ومعاوية، لم يكن خلافًا دينيًا ولا خلافًا مذهبيًا، إنما هو خلاف سياسي حول السلطة، والخلافة ليس لها علاقة بالدين.

إن الظروف التي عاشها الصحابة، وخاصة الظروف السياسية، ليست مثل ظروفنا، ولا نحاكم التاريخ ولا نحاكم أشخاصًا، فتلك أمة سلفت، عملوا باجتهاداتهم، إن أصابوا أو أخطئوا، أما نحن فلنا عصرنا ولنا تحدياتنا ولنا أسلوبنا المناسب مع هذا العصر المليء بالتحديات.

ونستشف من حديث القائد أن مقياس الشيعة والسنة، ليس هو المقياس الذي تقول به إيران أو السعودية أو غيرهما، فعندما يقول: «ها هي الأوراق قد اختلطت، ولكي نقضي على هذا الجدل واستغلال العدو لهذه الفُرقة، بين الشيعة والسنة، فإننا مطالبون بتوضيح الحقائق التي تقول: إن حب آل البيت، ليس معناه أن أكون مذهبيًا متعصبًا، وإذا كنت أحب رسول الله ﷺ ليس معناه أن أكون سنيًا متعصبًا.

فإذا كان الحكم اليوم بمقياس حب آل البيت، فآل البيت أولى الناس بالحكم، وإذا الحكم بالجدارة وبالفهم والديمقراطية فليسلموا السلطة للشعب، فليعملوا مؤتمرات شعبية، ولينهوا الملوك والحكومات، وليلغوا كل هذه النماذج القديمة، وليطبقوا قوله تعالى: ﴿... وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الشورى، الآية: 38]

ندعو المسلمين للوقوف مع هذه الدعوة الصادقة

نشكركم كثيراً على إظهار الحقيقة أمام العالم بأن بعض الحكومات العربية لا تحترم النبي ﷺ ولا تحترم قبره الطاهر والبقعة المباركة، وهذه جريمة لا يجوز السكوت عنها، ويجب أن يرفع المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها أصواتهم ضد مثل هذه الحكومات .

بارك الله فيك أيها القائد ونفع بك الأمة .

ونعلن نحن مجلس كبار العلماء لأهل السنة والجماعة في بنغلاديش، تأكيدنا للدعوة المباركة بشأن إقامة الدولة الفاطمية من جيد، فبعد أن استمعنا لخطابكم في أغاديس بمناسبة المولد النبوي الشريف وجدنا أن ما ورد فيه إنما نبع عن علمكم العميق بالشريعة الإسلامية، فنحن لا نؤمن أن هناك سنة وشيعة بل نؤمن بأن الأمة الإسلامية أمة واحدة، نبيها واحد، وكتابها واحد، والذين يؤيدون التفريق هم ليسوا مسلمين .

وقراركم قرار حق، ومبادرتكم مبادرة طيبة تستحق التأييد والتعاون.

وبناء عليه فإن مجلس العلماء يدعو المسلمين جميعاً للوقوف مع هذا القرار حتى ينفذ على أرض الواقع.

أبقاكم الله للمسلمين قائداً ونصيراً.

مولانا محمد احتشام الحق

رئيس شعبة الفتوى بمجلس كبار العلماء لأهل السنة والجماعة ـ بنغلاديش

ويتناول الزعيم القذافي، تلك الحجج الواهية للحكام العرب المعاصرين، الذين يقولون بأنهم يحكمون باسم الإسلام، والإسلام منهم بريء.

من أين لك أنت أن تحكم باسم الإسلام؟ فالذين يدّعون أنهم يحكمون باسم الإسلام، ليسوا أولى من آل البيت في الحكم، ولكن يبدو أن الحكام يستغلون الإسلام كي يثبتوا حكمهم وهم فاقدون للشرعية من كل الأبواب.

نحن اليوم متفقون، نقرأ القرآن حسب كل رواياته، ونأخذ بأيسر المذاهب، وأيسر الأمور بين المذاهب كلها، فلسنا متعصبين لمذهب على حساب مذهب، وما يحتاجه المسلمون اليوم هو أن يكونوا مسلمين فحسب، دون أي تعصب، فالصلوات معروفة، وكذلك الصوم، والحج والزكاة والشهادة، إذاً لماذا نختلف؟.

المسجد يوحّد ولا يفرّق

وتناول القائد ظاهرة الانقسام بين الشيعة والسنة، حتى في المسجد، فهذا مسجد للشيعة وهذا مسجد للسنة، وهذه من المظاهر الفاسدة، فالمسجد واحد موحّد، والإسلام لا يعرف سوى مسجد واحد لكل المسلمين، ليس هناك فرق بين مسجد وآخر، كل المساجد تتجه نحو قبلة واحدة، فليس هذا قبلته للشرق وذاك للغرب، الجميع يتجهون نحو البيت الحرام، ويركز في آخر فقرات الخطاب، على مسألة انصهار الجميع في دولة واحدة، فلا تمييز بين عربي وغيره، ولا تمييز بين القبائل، فالكل مطالب بالانصهار في دولة واحدة، تضمن حرية العبادة وحرية التفكير، وحرية الرأي، والاجتهاد، في آخر المطاف، نرى أن ما يطرحه الزعيم القذافي من أفكار، يصب في غايات وحدوية تصل إليها الأمة بكل قناعاتها.

إن هذه الأفكار تحفر مجراها في عقول أبناء المسلمين أينما كانوا، لأنها بالمحصلة تعبّر عن قناعاتهم الراسخة دون تعصب أو مذهبية.

مصلحة الاستعمار. فترة التشرذم التي تكلمت عنها وانهيار الإمبراطورية العباسية وشيخوختها هي مثل شيخوخة الأنظمة العربية والإسلامية الموجودة الآن. في بداية القرن العاشر الميلادي كان الوضع هكذا. في شمال إفريقيا على سبيل المثال هذه أمثلة فقط، الثورات التي تعرفون .. وكانت دويلات المدرارية والرسولية والأدارسة والأغالبة. وكانت هناك الخلافات المذهبية خوارج وسنة والخوارج ينقسمون والسنة انقسمت والشيعة انقسمت وكانت هناك خلافات إمامية وعنصرية. وكانت قبائل تقاتل بعضها قبائل زناتة وكتامة وصنهاجة وهي قبائل عربية بربرية يعني العرب البربر الذين جاءوا قبل عرب بني هلال كانوا يقاتلون بعضهم قتالاً شديداً.

الدولة الفاطمية والهُوية الواحدة

هذه القبائل العربية البربرية كانت تقاتل بعضها البعض في ذلك الوقت مثل هذا الوقت.. كانت تقاتل بعضها في شمال إفريقيا وفي هذه المنطقة كلها إلى غاية مصر والشام قتالاً شديداً مثل هذه الفترة. الدولة الفاطمية ورثت الدولة العباسية المنهارة، الذي حصل أن الدولة الفاطمية قامت في بداية القرن العاشر وكونت مظلة على شمال إفريقيا وانصهرت تحت لوائها كل هذه الخلافات القبلية والمذهبية والسياسية والعنصرية وأصبحوا كلهم هوية واحدة فاطمية ودامت 260 عاماً وامتدت إلى غاية المشرق العربي. وكانت القاهرة بعد المهدية هي عاصمة الدولة الفاطمية وورثت الدولة العباسية المنهارة التي أصبحت ضعيفة في ذلك

خطاب في مستوى الأحداث

عمر لطفي العالم *

قبل ربع قرن تقريباً، صدر للمتصوفة الألمانية، أنماري شيمل، أحد أهم مؤلفاتها التي تربو على المائة تحت عنوان: (وأن محمداً رسول الله) . في هذا الكتاب القيم، أرادت المؤلفة أن تبرز المنزلة الفريدة التي يشغلها رسول الإسلام في قلوب المسلمين، ولما كانت الأستاذة (شيمل) قد أفنت عمرها في التعليم والتحصيل، متنقلة في الأقطار الإسلامية بشبه القارة الهندية، ووقفت كما شاركت بنفسها في طرق إحياء الشعائر والمناسبات الدينية، فضلاً عن قراءاتها المتعمقة في كتب التراث، فقد جاء كتابها بحق وثيقة عالمية نادرة، سلطت فيها الضوء على شخصية الرسول الأعظم، ومن لا ذ به من آل بيته، أمهات المؤمنين وأزواجه الغر الصالحين.

كتبت ـ وهذا هو اللافت ـ عن الحب النبوي ولكن بروح وروحانية العالمة الأنثى، فكان في رأيها حبا مدولا، أعني عالميا تذوب فيه الأقاليم والقوميات،



* كاتب وباحث / ليبيا .



وتنتفي المذاهب والطوائف، ويستوي العربي والتركي، الفارسي والكردي، والأسماعيلي والدرزي، نعم تفرقهم السياسة ولكن يجمع بينهم الحب المشترك لمحمد رسول الله، ولم تنس أن تنحى باللائمة على الغرب لأنه أدرك متأخراً جداً، طبيعة العلاقة الروحية بين النبي وأتباعه، لقد أحبوه، مع هذا فلم يتخذوا منه إلها ولم يعبدوه.

لقد تفاقمت الأزمة مذ جهل الغرب ما يكنه المسلمون لهذا النبي، من تعظيم وتبجيل، جمع بين الحب والولاء والوفاء والفداء.

إن معمر القذافي ليس مستشرقاً ولن يكون، مع هذا فقد ملك ـ ربما لأول مرة في تاريخ الثقافة القومية- حسَّ وملكة وجرأة النقد الذاتي، حين شخص ـ بأدائه المقنع وأسلوبه السهل الممتنع ـ حقيقة الداء، ووضع يده على جرح مزمن سال طويلا ولم يلتئم، لأنه كان صادقاً مع نفسه ومع الناس، ولم يكن مداهناً تابعاً أو مأجوراً.

من فرط حبه ولهفته وعشقه لنبيه، شهق الشاب المقدسي شهقة ثم مات، هكذا حدثنا المستشرق

الوقت ، ولم تستطع أن تقاوم حتى ثورات الجند والمرتزقة الذين كان حكام العباسيين يستعينون بهم، ولم يستطيعوا أن يقاوموا حتى نفوذهم فأصبحوا هم الحكام. فجاءت الدولة الفاطمية، قوة شابة جديدة، تنتسب طبعاً إلى فاطمة الزهراء وأسست الأزهر.. يعني إحدى القلاع التاريخية للدولة الفاطمية هي الأزهر واسم الأزهر الذي في مصر هو نسبة لفاطمة الزهراء بنت الرسول والدولة الفاطمية تنتسب لفاطمة الزهراء. وأسست القاهرة بدل الفسطاط وأصبحت عاصمة الدولة الفاطمية ودامت 260 عاماً. وظلت هذه المنطقة تنعم بالاستقرار 260 عاما. أقصد أن على الأقل أصبحت هوية واحدة. وسمحت هذه الدولة الفاطمية الفضفاضة بقيام الدويلات في الداخل واستقلال وارتياح.. ولم تعد كتامة ضد صنهاجة ولم تعد قبيلة «تهرت» ضد لا أعرف من نفوسة ولا وفلان ضد فلان، ولا هذه القبيلة ضد هذه القبيلة ولا هذا المذهب ضد هذا المذهب. أصبحت كلها فاطمية واستقرت الأمور. أول دولة شيعية قامت في شمال إفريقيا الآن يقولون لنا إن الشيعة في إيران وأن الشيعة معناها الفرس وأن السنة معناها العرب.. هذا كذب هذه مغالطة. والذين يقولون ذلك هم أناس جهلة لا يعرفون التاريخ. بالعكس إن أول دولة شيعية قامت في شمال إفريقيا. الدولة الفاطمية هي أول دولة شيعية استمرت 260 عاماً. ومتى قامت دولة شيعية في إيران. أبداً.. لا توجد دولة شيعية في إيران إطلاقاً. في شمال إفريقيا خذها من هذه المنطقة التي نحن فيها واذهب إلى أي مكان اسألهم عن عاداتهم وتقاليدهم

الانجليزي دانييل نورمان نقلاً عن أم الشهيد ضمن شهادات الحب النبوي وحب آل بيت الرسول، لعمرك آي تقاطع، أي مصادفة جمعت بين مسلم غيور يتحدث من خلال منظومته الفكرية وبين رجل من بلاد الضباب، اللهم غير الرؤية المتمحصة، والاستدلال الموضوعي، والرأي الثاقب الهادف.

أليس هذا ـ فدتك نفسي ـ هو مضمون الرسالة المدوية، بل قل الصوت العذب الشجي الذي بثته بالأمس القريب بقعة إفريقية سوداء نائية، حين كانت جوقات الطرب المذهبي البغيض تعزف على أوتار التشرذم والتمذهب والشقاق، باسم رص الصفوف والغيرة على الحمى والحمية ومهبط الوحي الأمين.

منذ القرن السابع عشر ـ لا أريد وقائع وأحداث السياسات التفتيتية ـ بل كيف شقت الفتنة المذهبية العمياء، أو أريد لها، الطريق من خلال الترويج لمذهبين، وكيف شوهت هذه الدعوات الباطلة صورة الإسلام الواحد ونكست بطريقة مأساوية راياته الظافرة.

لم يكذبنا القائد العربي الأفريقي المسلم صاحب الخطاب، الخبر حين تساءل: ماذا يفهم الغربي من كلمة سني وشيعي؟!

نعم ماذا يفهم، ونحن من لطخ أكرم ظاهرة لإسلام رجل كان شوكة في حلق الكنيسة.

قالوا له: إن شئت أن تأكل.. أن تعيش فقل: إن محمداً نبي كاذب، وإن قرآنه كتاب مزيف، قال: بل إن محمداً نبي صادق وإن قرآنه كتاب منزل، كان شاعراً وأديباً ألمانياً كبيراً، لقب بشهيد الأدب العربي لفرط تضحيته ودفاعه المستميت عن تاريخ الإسلام، ثم نُقل إلينا فجاءت أنه قد تشيع، كيف ذلك وقد قرأنا للتو أنه أهدى عروسه «كرستينا» باقة مترجمة من شعر الغزل

تذكير المسلمين بمسؤوليتهم

لقد كان هذا التجمع حدثاً تاريخياً حضارياً كبيراً لمناسبة عظيمة، مناسبة ذكرى مولد النبي ﷺ.

فإن كانت مناسبة مولد النبي ﷺ ودعوته إلى الحق قد غيرت وجه التاريخ ورفع القيم الإنسانية نحو السمو والكمال الإنساني، فلا شك أن الاحتفال بذكرى مولد هذا النبي هو أيضاً حدث تاريخي ومناسبة عظيمة وفرحة تتكرر سنوياً في قلوب المسلمين ووجدانهم وتذكرهم بأفضل إنسان وأكمل خلق في حياة الإنسانية.

إن هذه المناسبة تجدد شعور المسلمين بالمسؤولية التي هي مسؤولية كل مؤمن مخلص لدينه يريد الخير للبشرية كافة، كما كان هذا النبي رحمة للعالمين . هذا هو الاحتفال بذكرى مولد النبي ﷺ احتفال الذكرى بالمسؤولية التي يجب أن يشعر بها كل مسلم، مسؤولية تصدر من قلب مؤمن مخلص إلى عامة الخلق ... مسؤولية تجعل المسلم يؤدي أمانته . هذه هي رسالة الإسلام ، هذه هي مبادئ الدين الحنيف، هذه هي تعاليم الرسول الكريم التي غيرت مجرى التاريخ، وأخرجت البشرية من الظلمات إلى نور الإيمان والعدل، وشعوراً بهذه المسؤولية التي ينبغي أن يشعر بها قلب المؤمن المخلص ، جاء خطاب الأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، خطاباً يذكرنا بمسؤولية الإيمان، والمسؤولية التي بها ينبغي أن نغير وجه التاريخ ـ كما كان أول مرة ـ كلما فقدت الأمة والبشرية رشدها.

ومن هنا نرفع إلى الأخ القائد قائد القيادة الشعبية العالمية أسمى التحيات ، ونقول له : إن خطابكم كان أمانة منكم للأمة الإسلامية ، وخطاباً يذكر المسلمين بمسؤوليتهم .

بيزت بكيروف
مدير المركز الإسلامي بمالو ـ السويد

العربي ساوت عندها ألف خلخال ذهب؟! أُقحم المؤلف قلبه في معركة الجمل ودوامة علي ومعاوية وعائشة، لمن تكون الخلافة أولاً ولمن لا تكون.

من وقتها صُنف «يوهان.. رايكه» الذي انشرح صدره للإسلام الواحد شيعياً لمجرد أن صرح بأن «علياً كان بطلاً عظيماً من أبطال التاريخ!».

بسهولة بالغة يمكن لقارئ عادي أن يحدد تاريخ استعمال لفظ «التشيع» فهل لي بقارئ متخصص قد يدلني على موعد رسمي لتاريخ استخدام «مسلم سني»، وأن يوسع المصطلح الذي بات جارياً ومألوفاً على الألسن كما في المستندات الرسمية، من جهتي لا أعرف إلا تاريخا واحدا لظهور هذه النعرات ألا وهو عصر التفسخ وضعف السلطة المركزية، تماماً كما قال صاحب الخطاب المميز، فأي غرابة إن اختار «جوزيف فان إس» القرنين الهجريين الأول والثاني كي يكونا شاهديه على تاريخ ظهور الفكر الديني والفرق في المجتمع الإسلامي؟!

لا عجب ولا غرابة، فما أراده الإسلام أن يكون فترة ازدهار فكري وتلاقح حضاري، في صورة ترسانة فلسفية وتشريعية لمواجهة قضايا العصر ومتطلباته، تحول هذا المشروع الرائع الذي أنجز كتاباً ككتاب «الأم» للأسف إلى أداة رخيصة للقمع وكم الأفواه، لقد وقع الخلط المزري بين الدين والسياسة، وإن القلب لينفطر من عدد الرؤوس وأسماء أصحابها والتهم السخيفة التي أدت لحز رقابهم والإتيان بها من أقصى «الإمبراطورية» الإسلامية على أطباق هدية للحاكم، باختصار كانت تهمة «جبري، قدري، أروقي، خارجي» كافية لاقتلاع الرأس من بين الكتفين.

لقد ولدت مسلماً فمن ذا الذي سماني سنياً؟! إن من يزعم أنه شيعي هو سني رغم أنفه إن كانت هذه النسبة تعني حقاً الامتثال لسنة رسول الله، والسني شيعي حكماً إذا ادعى أنه الوحيد الذي يتمثل تعاليم

كلها عادات وتقاليد شيعية. الاحتفال بيوم عاشوراء.. والحزن يوم عاشوراء وذكرى عاشوراء وسيدنا علي.. والقصص المبالغ فيها جداً عن سيدنا علي، والتشيع لسيدنا علي ولا يعرفون (معاوية) فمن مصر إلى غاية المحيط الأطلسي غير موجود حتى واحد اسمه (معاوية).. كلهم أسماءهم علي وفاطمة وخديجة والحسن والحسين وما إليه.

الأحقية في الإمامة

إذا كانت الموجة هذه الأيام هي موجة الدين والأحقية في الإمامة وما هي الإمامة وهذه الأشياء ومن هو أحق بالإمامة؟ نقول أهل البيت هم أولى من كل الحكام الموجودين الآن الذين ليسوا من أهل البيت. وإذا كنا سنأتي للمرجعية الدينية ونرجع ويعملونها دينية.. أليسوا هم الآن قد ورطوا أنفسهم ؟ قالوا السنة ضد الشيعة والعرب ضد الفرس.. من قال بهذا؟. هذا أتى به الاحتلال الأجنبي والاستيطان الصهيوني. من أين جاء هذا؟. ما دام أنتم ورطتم أنفسكم شيعة وسنة إذن تفضلوا واسمعوا، الشيعة ليست إيران. الشيعة شمال إفريقيا.. انقلبت الطاولة.. اختلطت الأوراق من حيث لا تحتسبون.

نحن نعمل الدولة الفاطمية العصرية الثانية في شمال إفريقيا وهويتنا ستكون هوية فاطمية وننصهر فيها العرب والعرب البربر وتنصهر فيها الأحزاب وينصهر فيها اليمين واليسار والمتطرفون وأنصار العنف.. هذه كلها تصبح هوية واحدة. ينتهي الصراع حتى في شمال إفريقيا.. ينتهي الصراع في الجزائر وينتهي في السودان وينتهي الصراع في مصر وينتهي الصراع في الصحراء. إذا كان صراعاً

سيدنا محمد ﷺ. أما إذا كان حب آل البيت هو الفارق بين السني والشيعي فتالله لا يوجد على ظهر البسيطة مسلم واحد إلا ويذوب حباً بآل البيت. فإذا أجرى التقسيم على غير هذا الأساس، أعني على قاعدة طي الزمن والعودة بالتاريخ وبمليار مسلم 14 قرناً إلى الوراء، لنكون بانتظار ماذا ستتمخض عنه قرارات المجتمعين في سقيفة ساعدة والنظر في «دستوريتها» ثم إبقاء من هو .. وخلع من هو .. فهذا هو المستحيل بعينه.. وليكن بعدها فقه سني وآخر شيعي ... لا يهم، ولنتسلسل في ذلك من قمة الهرم حتى أخمص قدميه، شريطة أن يتم ذلك تحت مظلة الإسلام أو في ظل الإدارة الفاطمية.. رمزا وتعبيرا عن العباءة الفضفاضة التي تتسع للجميع، لقد كفل الإسلام حق الاجتهاد للجميع، ولا يبدو لي أن «المعلم» كان أحادياً أو جبهوياً في طرحه، ولا حاول شراء الأصوات أو استمالة الأعوان لنصرة فريق على آخر، بل سما بإسلامه وارتقى بعقيدته، ودق - حين صمت الجميع - ناقوس الخطر كي لاتقع الأمة مجدداً في مصيدة المذهبية، ولا تتكرر بالتالي معركة «الزاب الكبير»!

طرحكم انتصار للإسلام

من رحم المعاناة والألم، من لبنان الذي تحبه ويحبك، وأعطيته الكثير من فكرك ووقتك ودم شعبك، فهو صنو لفلسطين المحتلة وطريق لتحريرها، ومن الشعب اللبناني المجاهد الصامد في وجه العدو الصهيوني.

من لبنان المنتصر بوحدته والتفافه حول مقاومته.

أتيناك للصحراء في عمق إفريقيا التي تحب، ونحب نسمع خطابك وتوجيهك عبر الجماهيرية العظمى قلعة الشهداء والعظماء والثوار الطامحين، لرؤية وسماع من لا يخاف إلا الله ولا يخشى فيه لومة لائم، ومثابة للعرب والمسلمين مع ثلة من العلماء والمفكرين الثوار المتألمين لمنحى الرجعية في أنظمة أمتنا العربية المتآمرين عليها، المتفقين مع الامبريالية لضرب لبنان ومقاومته خلال حرب الشهر السابع عام 2006 مسيحي.

الأخ القائد باعث الحركة الحضارية المعاصرة في الصحراء، استمعنا لخطابك وسررنا، لأنك قائد تخاف على الأمة أن تزداد تشرذماً مذهبياً وطائفياً أكثر ما هي مشرذمة جغرافياً وعرقياً، لقد عانينا القهر العرقي أوائل القرن العشرين واليوم في القرن الواحد والعشرين تفرض الامبريالية الصهيونية قهراً مذهبياً وصراعاً عربياً إثنياً وانقلاباً حاداً على كل القيم والموازين، وتنصاع لها أنظمة تكفيرية غير عابئة بمصير الأمة ومتلاعبة بشعورها وانتمائها ووحدتها، وتعمل على تمزيق وتشتيت أبناء الأمة الواحدة، لذلك كان طرحكم لإنشاء دولة فاطمية في الشمال الإفريقي، هو انتصار للإسلام بكل تجرد وشفافية ووضوح، الإسلام دين الرسل والأنبياء، ودعوة كل العلماء والقادة أمثالكم حتى يسير العالم بنور سيدنا محمدﷺ وبنور التعاليم الربانية التي جاء بها، فلا للفكر المذهبي والعنصري الذي يطرح في شرق عالمنا العربي، وكذلك حديثكم عن إنجيل برنابا وما دخل الأناجيل من تحريف وتضليل لهو استمرار لدعوة الناس للإسلام، وإن المنصرين في إفريقيا لا مكان لهم إنما إفريقيا إسلامية وستبقى بجهودكم كذلك إن شاء الله، ودخول ملوك وسلاطين الإسلام وإعلان ذلك أمامكم لهو إشارة واضحة للأعباء التي على عاتقكم وإحياء الممالك الصحراوية الإسلامية ستكتب لكم في تاريخ الدعوة إلى الله، وإنكم حقاً قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية.

ولا يفوتني أن أقدم لكم باسمي واسم الوفود المشاركة من لبنان بخالص الشكر على استضافتكم لنا والرعاية التي حظينا بها، سدد الله خطاكم لما يحب ويرضى.

الشيخ عبد الناصر جبري
عميد فرع كلية الدعوة الإسلامية - لبنان

إن من يريد أن يكون قائداً ينبغي أن يقفز بفنه الدعوي فوق شحن القلوب وشحذ السيوف، أن لا ينرض من جانب واحد نظرية دينية تلزم المسلمين كلهم باتباعها لميزة تتصل بموقع جغرافي أو خصوصية تاريخية، بلى كان رسول الله ﷺ قرشياً، لكن الفقهاء أبوا أن يسلموا يوماً بأن تكون الخلافة في قريش وحدها، لا ولا التشريع الذي ادعاه أهل المدينة حقا مكتسباً لأنفسهم وفقهائهم دون بقية الأمصار، فأي قياس سوغ طمس كل أثر باق يمكن أن يملأ بغبطة بالغة أو ذكرى جميلة هباء الزمن؟ لا نعرف أن رسول الله أمر أو أن أحداً من أصحابه المقربين أوصى بأن تدمر أشياءه وتُمحى آثاره، أم هو القياس نفسه الذي جعل الأرض مسطحة بأكثر من دليل في كتاب الله برغم كرويتها التي لا يختلف بشأنها أعشيان!

القائلون بردة المسلمين وحدهم، والحمقى من ورائهم، هم الذين يخشون عودة هبل واللات ومناة، ولماذا الأصنام والأوثان وفي عالم الأحياء بحبوحة ممن زاحموا الشمس والقمر والحجر؟! يحكي (السير هنري لايارد) مؤلف كتاب «بابل ونينوى» أنه قابل صحفياً غربياً زار شبه جزيرة العرب والتقى بها شرطياً من جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودار بينهما الحوار:

السائل: نحن مثلكم أهل كتاب، نؤمن بموسى وعيسى، مع هذا فقد نقبنا في كل مكان، لماذا لا تسمحون بإجراء حفريات في بلدكم، لعل الناس يقولون بعدها : إن محمداً كان على حق؟

الشرطي: إن كنتم في شك من دينكم فلسنا في شك من دين محمدﷺ.

أجل، لسنا في شك من دين محمدﷺ .. وإذا كان الحال كذلك فممَّ الخوف على الإسلام؟ وعلام القلق من الأوثان ؟!

قبليا أو صراعاً مذهبياً أو صراعاً عنصرياً ينتهي لأننا أصبحنا فاطميين. حسنا: نحن عرب وشيعة.. ألم تقولوا لنا إن الشيعة هم الفرس. نحن في شمال إفريقيا عرب وشمال إفريقيا عربي مائة في المائة.. والذين نقول عنهم بربر هم العرب الأصليون الأقحاح.. كون أن فرنسا والاستعمار الغربي يقول لهم أنتم لستم عرباً فإن الذي يصدق هذا يتحمل مسؤوليته. شمال إفريقيا عربي وشيعي.. معناه انقلبت الآية. أنتم قلتم لنا إن الشيعة هم الفرس. لا كذب.. العرب شيعة، كيف؟. الدولة الفاطمية الشيعية قامت في شمال إفريقيا وليس في إيران.. ونحن نريد أن نبعثها من جديد ونوجه النداء من جديد لكل القوى في الدولة الفاطمية الأولى أن تبعث الدولة الفاطمية الثانية العصرية بشرط أن تكون خالية من كل الصراعات المذهبية ومن الإمامة ومن الحاكمية ومن السفسطة القديمة.. فهذه ليس وقتها أبداً. ولم يعد يهمنا أن جعفر الصادق أوصى لموسى الكاظم أو أوصى لإسماعيل بالإمامة أو بالوراثة من بعده.. هذا يهم جعفر الصادق وإسماعيل وموسى الكاظم وهؤلاء انتهوا والله يرحمهم. والآن من أحق بالخلافة: علي أو معاوية. صراع دنيوي على السلطة ثم إن الخلافة ليست لها علاقة بالدين فهذا صراع دنيوي على السلطة. لكن إذا كانوا يريدون أن يقرروا من يكون حاكماً بعد النبي، النبي ليس حاكماً فهو نبي فقط.. هذا نبي ومات لا ولد عنده ولا وريث ولا وصي ولا نائب نبي.. وإذا كانوا يقولون نحن العرب في المدينة أو في الجزيرة العربية عندنا نبي وكنا مستأنسين به وينزل عليه الوحي ومات ماذا نعمل؟.إذن نعمل أي

أغاديس:
انطباعات لن تغادر الذاكرة

د. حسن مصطفى *

مرة أخرى تخترق الصحراء قلوب أبناء الأمة، إلى بلاد المسلمين الواسعة، إلى بلاد تناساها المسلمون أو نسوها، فجاء من يكتشفها لنا ويقول هنا بلاد مسلمة غدر بها الاستعمار واستباح ثرواتها، وامتص دماء أبنائها.

أغاديس اليوم ... وبالأمس تمبكتو . مالي بالأمس ... واليوم في النيجر .

وغداً في بلد إفريقي مسلم جديد .

ما كنا لنعرف هذه البلاد ونتعرف على إخوة لنا في الدين لولا جهود القائد الثائر المسلم معمر القذافي .

فمن قلب أغاديس المدينة النيجرية المسلمة صدحت نداءات الله أكبر فاجتمع فيها مسلمون من كافة أرجاء الأرض يحيون أجمل وأغلى ذكرى على القلوب، ذكرى مولد رسول البشرية محمد ﷺ. بعد عناء السفر البعيد حطت الطائرة في هذه الأرض المسلمة وانطلقت المواكب متتالية حيث حطت فيها أقدام لم تطأها من قبل، الجميع يعيش حالة روحانية خاصة، فاليوم هو الثاني عشر من ربيع الأول يوم ولد الرسول الحبيب محمد ﷺ.

في ساحة غصت بالمسلمين التقى فيها الأبيض والأسود والأصفر والحنطي وكل الألوان والتقى فيها العربي بالأعجمي بالإفريقي بالإفرنجي وغيرهم. التقوا لهدف واحد ومحبة واحدة لا فرق بين هذا وذاك، فالكل عباد الله والكل ينتمون لهذا الدين العظيم ولهذا الرسول الكريم ﷺ.



ملتقى القبائل العربية في أغاديس

* كاتب وأستاذ جامعي فلسطيني/سوريا.

قالوا عن صحراء النيجر الكثير، قالوا عن شمسها ورمضائها وقلة مزروعاتها ومياهها، لكن الذي يرى أبناء الإسلام وهم يحركون شفاههم وقلوبهم بالصلاة على النبي العظيم محمد ﷺ. ينسى الشمس وينسى رمضاء الرمال الساخنة وينسى .. وينسى.. وإذا بكل شيء يتحول أجراً وثواباً ونعمة من الله على عباده المؤمنين . نعمة من الله حين هطل المطر على تلك المدينة، وعلى رمالها، فكانت الحرارة لا تقل عن الأربعين فإذا بها تهبط بأمر من الله لتصبح لطفاً ونعمة وهواء لطيفاً، تعجب الناس وأجمع أهل المدينة أن ما حدث غريب وهو لا يحدث في هذا الوقت من السنة، وكان الجميع يتذكرون أن المؤمنين المسلمين الذين قدموا من أصقاع الأرض ليحتفلوا بمولد النبي العظيم محمد ﷺ قد باركهم الله وأكرمهم بفضل بركة رسول الله ﷺ ومولده العظيم . أما المياه فكانت أوفر على الرغم من عدم برودتها ، وقد وفرت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية آلاف العبوات من المياه النقية الصافية، حتى لتجد الكثير منها في أيدي النساء والأطفال الذين تزدحم بهم الطرقات .

وفي ساحة هي ملعب كبير التقت جماهير المسلمين بالقائد معمر القذافي، انتظروه حتى أطل عليهم بلباسه المعهود البعيد عن البهرجات والزينات ليتحدث عن هذا المولد العظيم، عن هذه المناسبة العزيزة على قلوب كل المسلمين.

راح القائد يؤكد على أن النبي محمداً ﷺ الذي هو نبي للعالمين ، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين والذي بعثه الله رحمة للناس كافة ولو كان أصحاب بقية العقائد يعقلون ويحبون الأنبياء فعلاً لآمنوا برسالة هذا النبي العظيم ﷺ .

كما أعاد القائد التأكيد على ما تناوله من قضايا هامة في خطاب تمبكتو العام الماضي من أن ما يُسمى الكتاب المقدس «التوراة + الإنجيل» هو محرفة كُتبت بعد موسى وعيسى عليهما السلام بمئات السنين، ولو كان هذا الكتاب صحيحاً لكان قد ورد فيه التبشير

واحد رمزاً.. خليفةً مع أن خليفة غلط. ليس خليفة، فالنبي لا يخلفه أحد أبداً وموسى طلب من الله قائلاً: اعمل لي أخي هارون وزيراً.. وقبل منه، ولو أن الله لم يقبل لم يكن هارون وزيراً. قالوا نريد واحداً يحكم، على الأقل يكون حاكماً فعلاً.. قالوا «علي» يجب أن يكون هو أول واحد. إذا كان الاستناد إلى آل البيت وأقرب واحد لمحمد.. أقرب واحد للنبي فعلاً «علي» أحق. وإذا كان الاستناد لكبر السن أو للحكمة أو للثروة ممكن أبوبكر غني وصديق للنبي يكون أبوبكر غني، وعلي عمره 12 سنة لما بعث محمد رسولاً بينما أبوبكر وعثمان وعمر أعمارهم كبيرة ربما في الـ40 أو الـ50 وهؤلاء أكبر سناً من «علي» وقالوا يتولون هم بعد ذلك الخلافة.. هذا أيضا منطقي. لكن هذا شيء يخصهم هم في ذلك الوقت ليس لنا علاقة به الآن. العرب والمسلمون كلهم سنة وكلهم شيعة.

نحن سنة .. ونحن شيعة

لكن عاطفياً نحن كل العرب وكل المسلمين متعاطفون مع «علي».. معناها كل العرب شيعة. إذا كانت الشيعة هي التعاطف مع علي فكل العرب شيعة. أين العربي الذي هو ضد «علي»؟. لا يوجد. اعملوا استفتاء في كل العالم الإسلامي والعربي: قولوا لهم أنتم مع معاوية أم علي، يقولون لك مع علي. قولوا لهم: أنتم مع فاطمة الزهراء أو مع أي واحدة أخرى زوجة معاوية أو زوجة يزيد أو غيره، يقول لك لا.. أنا مع فاطمة الزهراء. معناه تشيع لآل البيت.. تشيع لفاطمة وتشيع لـ«علي». كل العرب.. كل المسلمين متشيعون لعلي. معناها إذا كان التشيع لـ علي هو الشيعة

الصريح بالرسول محمد ﷺ، فالقرآن يخبرنا أن المسيح عليه السلام بشّر بالنبي صراحة. لكن الذين كتبوا هذا الكتاب حرفوا أقوال المسيح عليه السلام وحرفوا عقيدته بل صنعوا عقيدة جديدة قالت بأن المسيح إله، وأن المسيح صُلب، وأنه لم يبشر برسول يأتي بعده اسمه أحمد ﷺ .

إن الدين عند الله الإسلام ولا دين غيره، وعلى أصحاب العقائد أن يتبعوا هذا الدين الحنيف، وأكد القائد على أن عصرنا هو عصر المعلومات، عصر العلم الذي يفرض التحقيق بمصداقية هذين الكتابين التوراة والإنجيل .

وركز القائد على عالمية الإسلام، بمقابل محدودية دعوة المسيح عليه السلام ، فالمسيح وبالنص القرآني وكذلك في مصادر المسيحية بعثه الله لبني إسرائيل فقط ، فكيف يمكن أن يكون الأفريقي مسيحياً أو الأوروبي والهندي والأمريكي طالما بُعث المسيح لقومه من بني إسرائيل ؟فمن الخطأ أن يكون غير بني إسرائيل مسيحيين، لقد أرسل الله الأنبياء جميعاً إلى أقوامهم، بينما بُعث رسول الله ﷺ إلى العالمين، إلى الناس كافة، ومن هنا فإن الرسالة الإسلامية رسالة عالمية إنسانية، وهي دعوة لكافة أبناء البشرية، لأن الله سبحانه ختم الأنبياء بنبوة محمد ﷺ وختم الرسالات برسالة الإسلام، فلا حجة لأحد أن يبقى مسيحياً أو يهودياً أو غير ذلك.

وحين ندرك ما وراء هذا الحديث نستطيع أن نفهم لماذا يُجن جنون البعض ؟.إن القائد معمر القذافي يدعو من وراء ذلك إلى العودة إلى الحق والحقيقة فلا يقبل عقل أن ترى إفريقيا واحداً يدين بعقيدة المسيحية، وكأني به يدعو من الآن إلى نفض غبار الوثنية المسيحية عن كافة أبناء إفريقيا..

ومن المعروف أن الاستعمار الغربي حين استعمر بلاد إفريقيا فرض على بعض سكانها العقيدة

جهود مخلصة لخدمة الدعوة

وفد مسلمي بلاد الشام، سورية قلب العروبة والإسلام، وقد شاركنا في الاحتفال الجماهيري الذي أقيم بمناسبة مولد النبي محمد ﷺ في مدينة أغاديس وسط الصحراء الإفريقية الكبرى يوم الجمعة 30-3-2007 مسيحي ، وشاركنا أيضاً بالصلاة الجامعة التي قمتم بإمامة الناس فيها في ذلك اليوم الأغر من تاريخ أمتنا الإسلامية، الذي حضره رؤساء دول السودان وتشاد والنيجر ومالي وموريتانيا، وأعضاء من هيئات ومؤسسات إسلامية من ست وتسعين دولة.

نرفع إليكم أسمى آيات الشكر والتقدير على ما تقدمونه وتبذلون من جهود واضحة الملامح والثمرات في خدمة الدعوة الإسلامية ، ونشر دين الله عز وجل في الآفاق، وتقديم المساعدات الإنسانية الصادقة في مجالات الإغاثة والصحة والتعليم، ملتزمين حقيقة قول الله تعالى :

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [سورة الإنسان، الآية: 9]

ولقد تلقينا خطابكم التاريخي في ذلك الحشد ببالغ الاهتمام والإفادة .

وقد كان لإعلان عدد من الملوك والسلاطين في القارة الإفريقية، ومن ورائهم عدة ملايين من شعوبهم، إسلامهم على أياديكم المعطاءة ، بالغ الأثر في نفوس كل المتابعين لهذا الحدث التاريخي .

وهذا كله يذكرنا بالواجب الأعظم الذي تضطلعون القيام به ألا وهو واجب تبليغ الدعوة الإسلامية ، كما كان الخلفاء المسلمون يفعلون سابقاً .

ولذلك فإننا نسأل المولى عز وجل أن يوفقكم لما فيه خير الإسلام والمسلمين، وأن يجعل جهودكم الخالصة لوجهه الكريم، في ميزان حسناتكم إنه نعم المولى ونعم المجيب .

الوفد المشارك من سوريا

المسيحية الغربية، ولكن قدر إفريقيا وأبناء إفريقيا هو الإسلام وليس أي عقيدة مستوردة أو مفروضة .

لقد أوجز القائد كلامه واختصر، لكن لسان الحال يقول: إن لكل مقام مقالاً ولكل حادث حديثاً، وما قاله القائد في خطابه تناسب مع حدث الاحتفال بعيد المولد النبوي الشريف، فهو قد أكد خاتمية النبوة ، وأكد احترام المسلمين لكافة الأنبياء، وأكد أن المسيح عليه السلام بعث لبني إسرائيل وأن لا شأن للإفريقي أو الأوروبي أو غيرهما بالمسيحية، وأكد على أن الرسول محمدا ﷺ هو النبي الإنساني العالمي الذي يجب إتباع رسالته .

ولعلنا نقف طويلاً مع مشاعرنا الدينية الإنسانية عندما اجتمع عدد من السلاطين من غانا وغيرها ليشهروا إسلامهم أمام جماهير المسلمين ولعل ما اعتدنا عليه في مثل هذه المواقف تلقين القائد القذافي الشهادتين لهؤلاء الذين انتموا إلى الإسلام، لقد كان موقفا مؤثراً جداً، وكنت ترى الكثير من المسلمين الضيوف وهم يتفاعلون مع هذا الحدث العظيم ويتذكرون كم أعد الله من نعم في الدنيا والآخرة لمن يهدي إنساناً للإسلام .

إننا حين نغادر تلك الصحراء نغادر الأرض ولكننا لا نستطيع أن نغادر أرواحنا ونفوسنا وعقولنا.

إن مثل هذه الأحداث تحفر دقائقها وأشخاصها في الذاكرة فهي دائمة التفاعل في العقل والنفس ، ونعتقد أن الإسلام الذي ربانا على حب الآخرين والسعي لإنقاذ الناس من الضلال إلى الهدى يدفعنا كي نحذو حذو القائد المسلم معمر القذافي ونسعى بكل جهودنا العقلية والجسدية لهداية كل من نستطيع إرشاده لدين الله.

تلك انطباعات لا بد منها بعد مواكبة هذا الحدث، من المفترض ومن الوفاء أن تنطق بها ألسنتنا وأن تكتب أقلامنا وتنشر صحافتنا.

إنه أقل الوفاء لمن أعاد الأمل في صحوة الأمة وعودة الناس جميعاً إلى دين الله الإسلام.

إذن نحن كلنا شيعة.. هذه حقيقة.. هذه ثقافتنا. إذا كانت السنة هي أنك تؤمن بمحمد وبسنته، والأشياء التي سنها محمد تأخذ بها، فالإيرانيون سنة. هل قال لكم الإيرانيون: نحن ضد محمد؟. هم يقولون محمد ﷺ هو نبينا. وهل تأخذون بسنته؟. يقولون طبعا نحن على سنته. إذن أنتم سنة نعم.. صحيح. ويأتون لنا هنا نحن العرب المسلمين في شمال إفريقيا يقولون: أنتم تحبون علياً، نقول نعم نحب عليًا.. هل تحبون علياً أم معاوية نقول: نحن نحب علياً. إذن أنتم شيعة. الإيرانيون سنة ونحن الذين في شمال إفريقيا شيعة، إذن ها هي الأوراق قد اختلطت. ولكي نقضي على هذا الجدل، واستغلال العدو لهذه الفرقة بين الشيعة والسنة، والحكام العرب الآن يطبلون لإرضاء الأمريكان وإرضاء الاحتلال، بالدعوة إلى كره إيران، لأن إيران تعمل قنبلة ذرية، وأن إيران كذا والفرس كذا، وذلك لكي يشطروا الإسلام. وعندما تسألهم: لماذا تكرهون إيران؟ يقولون: لأنها شيعة. لا لا.. نحن في شمال إفريقيا الدولة الفاطمية العصرية الجديدة. ها نحن شيعة.. حسناً الشيعة انتقلت الآن من إيران وأصبحت في شمال إفريقيا. يجب أن تقام الدولة الفاطمية الثانية نحن شيعة في شمال إفريقيا لكن عندما تسألنا عن سُنة النبي نقول: كيف لا نطبق سنة النبي.سنة النبي نحن نتقيد بها. إذن أنتم سنة. نعم صحيح نحن سنة لأننا نطبق سنة النبي ونحن شيعة لأننا متشيعون لـ«علي». إذن انتهى الخلاف. لكن السفسطة والهرطقة التي كانت موجودة في ذلك الوقت لن تعود في الدولة الفاطمية التي ندعو إليها مرة ثانية إذا

حدث تاريخي بكل المقاييس

سيسي سليمان ⭑

يجد الباحث لدى تصفحه للكتب التاريخية المهتمة بالقضايا الإفريقية كماً هائلاً من الرحلات التي دونها المؤرخون والجغرافيون العرب المسلمون، أمثال البكري وابن بطوطة وابن خلدون وغيرهم، كما أنه يعثر بالمقابل على أنواع أخرى من الكتابات التي وضعتها أياد استعمارية استشراقية تنصيرية، وإذا حاولنا دراسة تقريبية بين الأهداف التي دفعت أولئك المستشرقين إلى التغلغل في القارة الإفريقية يتضح أنها لم تكن تستهدف إلا وضع آليات مباشرة للهيمنة على القارة، الأمر الذي أدى إلى التوقف المفاجئ لاستمرار تطور القارة.

ومن هنا شكلت رحلات القائد معمر القذافي عاملاً مهماً للنهوض بهذه القارة وتأتي تظاهرة أغاديس الإسلامية الكبرى، لتعزز مسيرة النهوض



⭑ باحث / غينيا كوناكري.

بالمجتمعات الإفريقية وتضيف للانجازات نجاحات جديدة، وتقدم قراءة واعية بالمستقبل والتحديات بقدر ما هي مغايرة لما يحاول أن يرسمه الغرب لهذه القارة.

فقد تميزت رحلات الأخ القائد باللقاء المباشر بالحشود المستقبلة من جميع أنحاء العالم بالدفوف والترحاب بأب من طراز الآباء الذين سهروا وضحوا من أجل تحرير القارة الأفريقية من السيطرة الأجنبية، وكأخ بار ينشر رسالة المحبة والسلام الحقيقي وكابن نذر نفسه في تطوير واستمرار التنمية الحضارية والثقافية والاقتصادية للقارة، ولعل مما يزيد من أهمية هذه التظاهرات الإسلامية الكبرى أنها تأتي رداً عمليا على أولئك المستشرقين المستعمرين المنصرين بتنكرهم وتحايلهم على الشعوب الإفريقية، الأمر الذي جعل الشعوب الإفريقية في ملاحقة مستمرة لكل تحركات أولئك المشبوهين في مراحل توغلهم التاريخي في القارة والتي هدفوا من خلالها إلى:

1 ـ الدافع الاستعماري

إن الرحلات التي نظمتها المراكز العلمية الجغرافية ـ على حد قول المؤسسين ـ كانت من أجل تحقيق أهداف استعمارية واستنزافية لثروات القارة واستلاب حضارتها، لأن الرغبات الأوروبية الجامحة كانت لا تسكن دون الوصول إلى ذلك، فكان من نتاج التوغل الأوروبي هذه الأمور: تكوين مستعمرات من نوعين: مستعمرات سكنية بغرض الإقامة الدائمة فيها، ومستعمرات سكنية بغرض الإقامة للأغراض الاستثمارية.

2 ـ الدافع الديني التنصيري:

يأتي الدافع الديني في طليعة سائر الدوافع، وذلك لما كان منتهى الصراع بين المسلمين والمسيحيين في الأندلس نهاية الدولة الإسلامية، فانصبت مطامع الأسبان والبرتغال بهدف تطويق القارة وعرقلة

قامت.. إذا وجدت. كل الناس وكل القوة الفاعلة في شمال أفريقيا ستؤيد هذه الفكرة. ولن يكون هناك اتحاد مغرب عربي ولا غير عربي ولن يعود هذا ضد هذا وحرب بين هذا وذاك وحدود أية حدود.. لا يهمنا . دولة فاطمية: ابق مصريا وليبيا وجزائريا وتونسيا وموريتانيا ونيجريا وماليا.. إلى آخره.. وابق في السودان.. في الهلال الخصيب في الأردن لكن الهوية هي الهوية الفاطمية. هنا كل واحد من الذين يتاجرون في هذه القضية بأن الشيعة هم إيران وأن العرب هم السنة سيسقط في يده ويتبين أن الإيرانيين يطبقون سنة النبي إذن سنة.. وأن العرب في شمال إفريقيا متشيعون لـ«علي».. إذن شيعة ويعملون دولة فاطمية نسبة لآل البيت.

الحكم بين الدين والسياسة

إن كان التحكم والحكم لآل البيت إذن لأحد أولى من الدولة الفاطمية التي تنتسب لفاطمة الزهراء. وإن كان الحكم بالجدارة وبالفهم وبالديمقراطية فليسلموا السلطة للشعب.. اعملوا مؤتمرات شعبية واعملوا لجاناً شعبية وانهوا الحكومات وانهوا الملوك وانهوا الرؤساء والغوا كل هذه النماذج القديمة ويصبح أمرهم شورى بينهم. ما إذا كنتم تريدون أن تعملوا حكاماً وتستغلوا الإسلام»، كل واحد يستغل الإسلام.. إذا كنتم أدخلتم الإسلام في السياسة، إذن آل البيت أولى منكم كلكم يامن تستغلون الإسلام. من أين لك أنت أن تحكم باسم الإسلام؟. إذا كنت تريد أن تحكم باسم الإسلام، فإن آل البيت أفضل.. آل البيت أولى. وإذا كنت تقول دعوا الدين، ونحن نريد أن نحكم حسب الكفاءة أو حسب



الأنسياب الإسلامي فيها، والاتصال بملك الحبشة ـ آنذاك ـ المسيحي للاشتراك في حركة التطويق، كما أن ذلك الاندفاع كان مؤيدا بتبريك البابوية، بَيْدَ أن تصدي مصر المملوكية أرجأ ذلك التفزع الأوروبي.

3 ـ الدوافع الاقتصادية

من أكبر أهداف الأوروبيين توفير المواد الخام الرخيصة والأسواق الاستثمارية، لأن الثورة الصناعية التي كانت في ازدهار في أوروبا، تستدعي وجود أسواق لبيع الفائض من الإنتاج وتوفير الأيدي العاملة لسكان المدن الصناعية الذين غادروا مزارعهم التي تكسبهم المواد الغذائية، والحاح حاجتهم إلى المواد الخام التي لم تكن في مقدور الدول الأوروبية توفيرها.

4 ـ الدوافع الإستراتيجية والاستشراقية

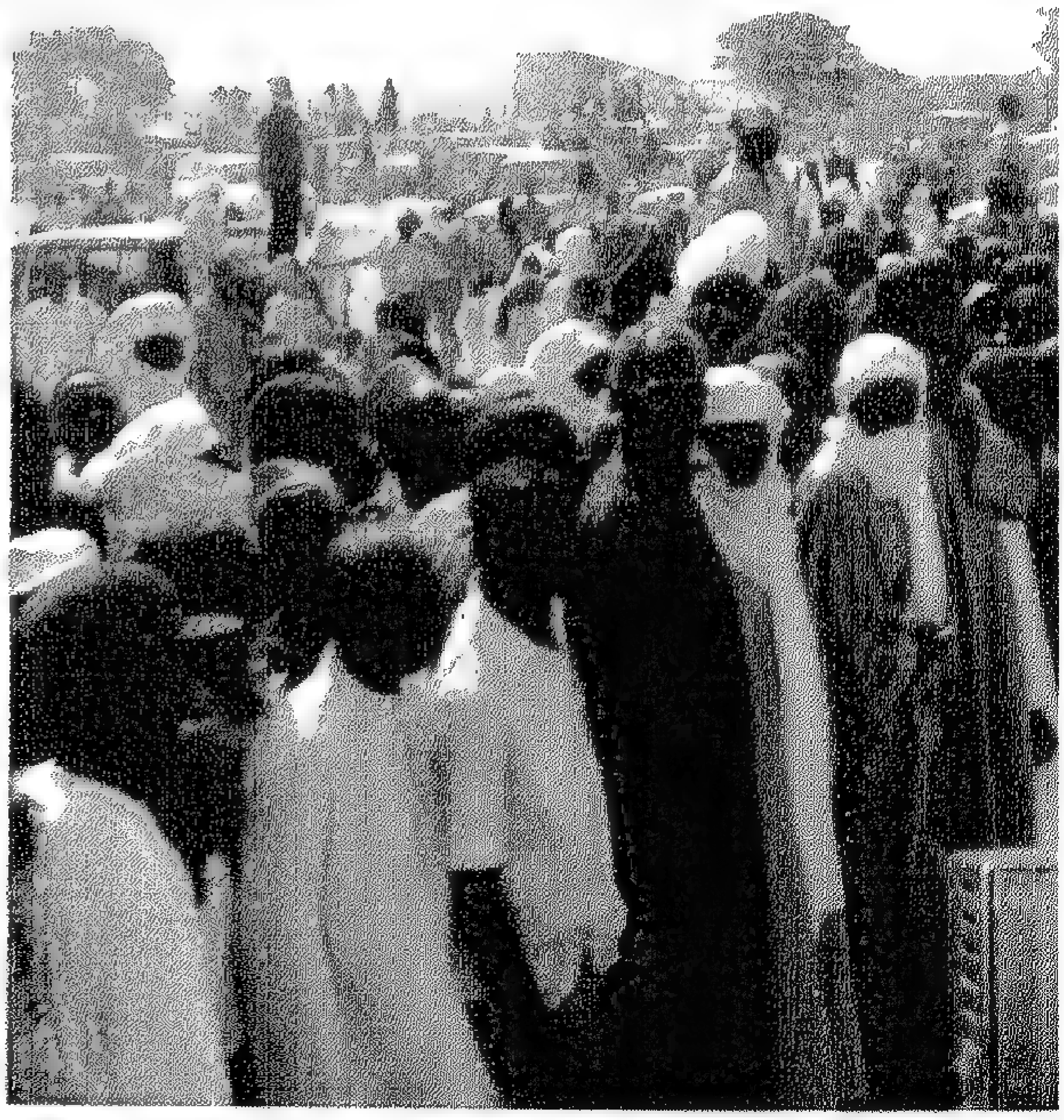
مما كان يتوهمه بعض الأوروبيين أن من واجبهم الحضاري الأخذ بأيدي الأفارقة وتغيير نظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتدوين تاريخهم بالطريقة التي تحلو لهم، فقامت نخبة من الباحثين لتنفيذ تلك المهمة، منهم على سبيل المثال لا الحصر: رينه كاييه الفرنسي، وهنري بارث الألماني، ومونغو بارك، الذين اتجهوا إلى مدينة تمبكتو خاصة، وتمكن بعضهم من وضع خريطة وهمية للمدينة ورسم منارات للعلم والعبادة فيها.

ومن هنا جاءت رحلة الأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية إلى أغاديس تحدياً لكل تلكم الرحلات القديمة التي نظمت تحت عنوان الاستكشاف تارة، وإثراء العلوم الجغرافية تارة أخرى، وتميزت على جميعها بحجمها التاريخي الحضاري وأهدافها الدعوية الكبيرة، وإذا ركزنا على الجانب التاريخي الحضاري، نستطيع تصنيف هذه الرحلة من حيث الدوافع والغايات المنجزة التي حفزت الأخ القائد إلى الرحلة التاريخية الفريدة من نوعها إلى مدينة

أغاديس التاريخية على النحو الآتي:

1 - إعادة توثيق العلاقات العربية الإفريقية التي فككها التغلغل الأوروبي الاستعماري في القرن الخامس عشر المسيحي، بدءاً باحتلال البرتغال لسبته بالمغرب، وصولا إلى عام 1900 مسيحي حيث تمت خلال ذلك السيطرة على أجزاء إفريقيا، من أجل تنفيذ المخططات الاستعمارية.

2 - تمتين الروابط العربية الإفريقية، وتتجلى مظاهر ذلك بدءا من الدور العربي النضالي للأفارقة الذي يتصاعد في نهاية الستينات من أجل مضاعفة العمل المساند لهم عن طريق الدعم المادي والمعنوي لحركات التحرر في موزمبيق وزمبابوي وأنجولا وجنوب إفريقيا، وعدم مساندة الحركات الانفصالية التي كانت القوى الصهيونية بدأت الاعتراف بها ومساندتها كمحاولة انفصال الجنوب الشرقي في نيجيريا باسم «بيافرا» في أواسط العام 1967 مسيحي، وقد أصبح هذا التعاون العربي الإفريقي، أكثر إلحاحاً منذ بروز



الانتخابات.. فإن هذا شيء آخر لا تدخل فيه الإسلام.

نتوجه إلى أعمدة الدولة الفاطمية

وأنا متأكد أن هذه الدعوة، لإحياء الدولة الفاطمية الثانية، ستنهي هذا الجدل وتقطع الطريق على العدو، وتسحب البساط، من تحت أقدام كل المزايدين على هذه الأمة، والمتاجرين في قضاياها؛ ستجد من يتبناها. أولها نتوجه للأزهر، الذي هو أحد أعمدة الدولة الفاطمية والى المهدية، وحتى القيروان، والى كل المؤسسات المعروف عنها أنها كانت من أعمدة الدولة الفاطمية أو إرث الدولة الفاطمية. لا علاقة لنا بأي خلاف، أما حكاية أن هذا مذهب إسماعيلي، نسبة لإسماعيل بن جعفر الصادق، وأن هذه الاثني عشرية، نسبة لموسى الكاظم، وأن هذه الزيدية.. هذه كلها نحن ليست لنا علاقة بها. ليس هناك شيء يتناقض مع شيء أبداً، كأن تقرأ القرآن على رواية «نافع» أو على رواية أخرى.. أو تمارس العبادات حسب ماشرحها لك مالك، فأنت حر.. أو حسب ماشرحها إباض، أو حسب ما شرحها حنبل، حر.. أو حسب الشافعي، حر.. حرية تامة. إن الدولة الفاطمية أعطت الحرية لهؤلاء الناس، كل واحد يمارس عبادته بحرية تامة.. واحد شافعي، واحد مالكي، واحد إسماعيلي واحد خوارج. والكلام الذي يقال عن أن الدولة الفاطمية كانت ضد المذهب المالكي، إذا كان موجوداً في ذلك الوقت، فهو قضية فقهاء، لكن ليست قضية جمهور، ولا قضية عامة الناس،



النفط وتصديره، إذ أنه أدى منذ عام 1975 مسيحي إلى تدفق معونات مادية كبيرة نحو إفريقيا، وكان من عوامل دفع العلاقات للأمام توفر العوامل المنشطة لها وهو قيام ثورة الفاتح من سبتمبر عام 1969 مسيحي، وتأسيس تجمع دول الساحل والصحراء (س.ص) 1969 مسيحي، وقيام الاتحاد الأفريقي العظيم في 9ـ9ـ1999مسيحي.

3ـ خدمة قضايا التنمية والاستقرار والاستقلال الذاتي للقارة، والتضامن الصادق مع شعوبها، والتي تظهر علاماتها واضحة

في المشاريع الاستثمارية التي يتابعها الأخ القائد في كافة الأراضي الإفريقية، وتمثل أحد نماذجها في انطلاق مشروع إعادة حفر قناة كابارا في تمبكتو، العمل الذي أشاد به خلال زيارته لمدينة تمبكتو وأعطى إشارة البدء الفوري في تنفيذه.

أما على الصعيد الدعوي فيمكن إجمال الغايات الكبرى فيما يأتي :

1ـ توحيد الصف الإسلامي في مواجهة التحديات التي تزداد حدتها للأمة الإسلامية ولمقدساتها، والتصدي بالسبل الحضارية المنطقية المناسبة لها.

2 ـ تعظيم الشعائر الدينية التي تعد واجباً دينياً على جميع المسلمين

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾
[سورة الحج، الآية: 32]

3 ـ تأسيس منهجي لخطاب دعوي إسلامي يواكب العصر بكافة مستجداته وتحدياته، تتحقق عبره أهداف الخطاب الدعوي الإسلامي الأصيل الذي يعيد روح الأمل لدى المسلم.

4 ـ النداء إلى رسم خطة عملية يكون فيها العون على إيجاد منهج حواري ديني صادق، تشترك فيه

الأمم في تعايش أخوي خال من كل أصناف الاستهزاء والاستهانة والتلاعب بمقدسات الأمم.

5 ـ الدعوة إلى الشراكة في وضع أو تصحيح المناهج الدراسية، بدءا بتصحيح الكتب الدينية المحرفة، والتحذير من محاولة الاستهزاء بتحريف أو تعديل نقطة من القرآن الكريم عند المسلمين، لأن ذلك يعد محاولة للتلاعب به بعدما ضمن البارئ سبحانه وتعالى حفظه:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

[سورة الحجر، الآية: 9]

6 ـ التذكير بالأخطار التي تداهم العالم الإسلامي من محاولة تأجيج روح الطائفية والحزبية المتنكرة، وذلك بتقسيم المسلمين إلى سنيين تارة وشيعيين تارة أخرى، أو إلى قوميات مغايرة تماما للقومية العربية، واعتبار تلك الهوة مصيدة رابحة في تخويف كل الأطراف عن أخرياتها.



وقد مرت في وقتها، لكن الآن نحن متفقون، عندنا عشر روايات للقرآن، نحن أحرار، يمكننا أن نقرأ القرآن بهذه الرواية أو بتلك الرواية. وعندنا أيسر المذاهب، وتقدرهنا في هذا المكان، في النيجر، أن نطبق المذهب المالكي، وإذا وجدت المذهب الحنبلي أيسر، نطبقه في قضية معينة، وإذا وجدت أن الشافعي أيسر نأخذ بالشافعي.. أي أيسر المذاهب. ثم إن كل هذه المذاهب هي بدع، في الحقيقة.. هذه كلها بدع وكلها اجتهادات، وكلها جاءت في عصر مشكوك في كل شيء فيه. الحلال بينٌ والحرام بينٌ، والله يقول لاتتشيعوا ولا تتحزبوا.. هذه كلها موجودة في القرآن. والصلوات الخمس معروفة، والنوافل معروفة، والصوم معروف، والحج معروف، وأركانه معروفة، والزكاة معروفة، والشهادة معروفة، وأركان الإسلام الخمسة معروفة وغيرها. إذن لماذا نختلف؟ على أي شيء نختلف؟ قال له: والله أنت شيعي:

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾

[سورة الجن، الآية: 18]

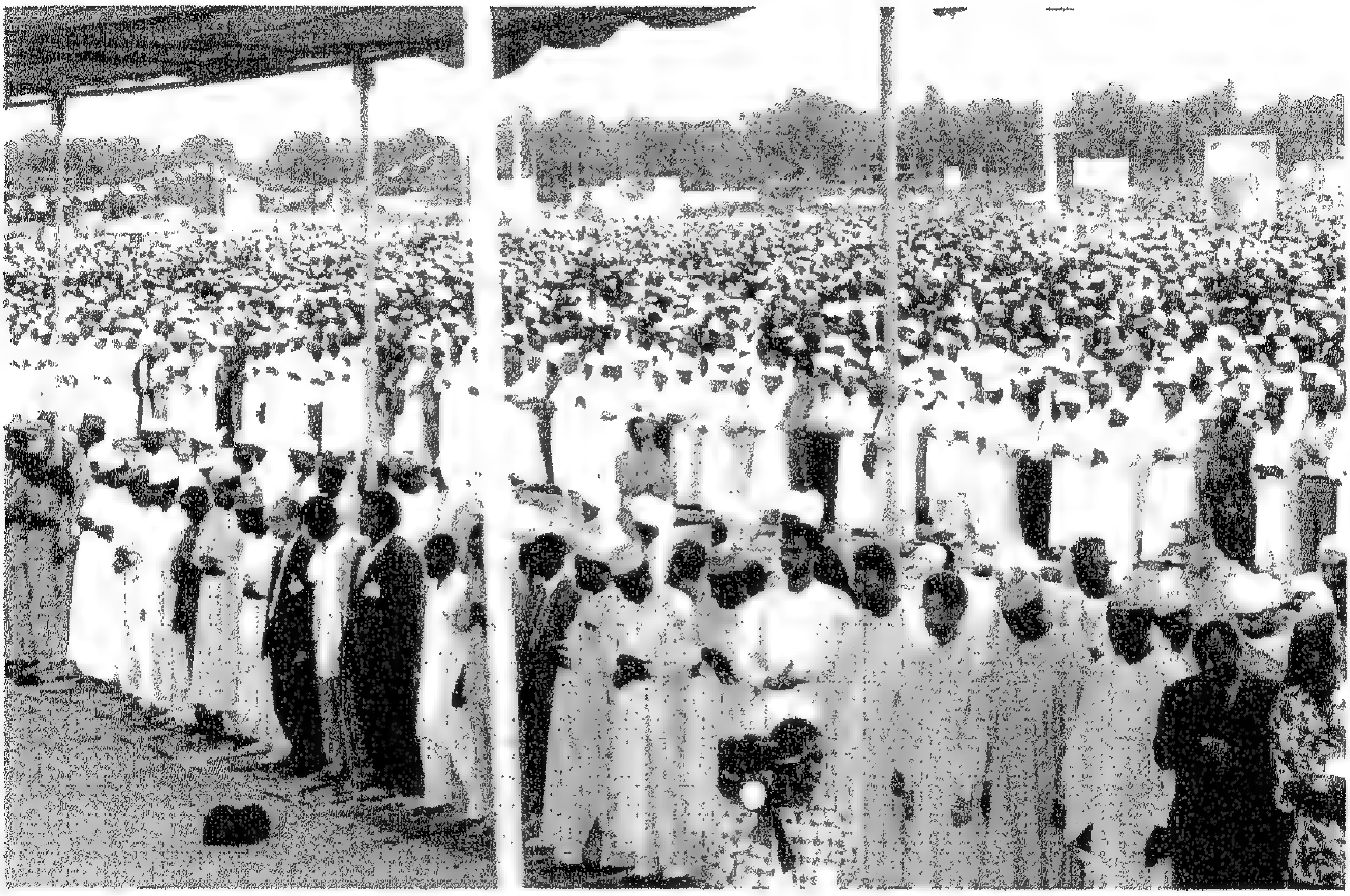
كيف نجد مسجداً يقولون إنه مسجد شيعي وآخر مسجد سني من قال بهذا ؟ هل كان في وقت الرسول يوجد مسجد للشيعة ومسجد للسنة، من أين جاءت هذه البدعة؟ أعوذ بالله!

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ [سورة الجن، الآية: 18]

هذه كلها مساجد لله.. كيف تقول هذا مسجد شيعي وذاك سني؟. ما الفرق بين المسجد الشيعي والسني، هل واحد قبلته يمين وواحد قبلته يسار، أليسوا متوجهين كلهم

دور رائد يخدم قضايا المسلمين

الشيخ أحمد الوافي *



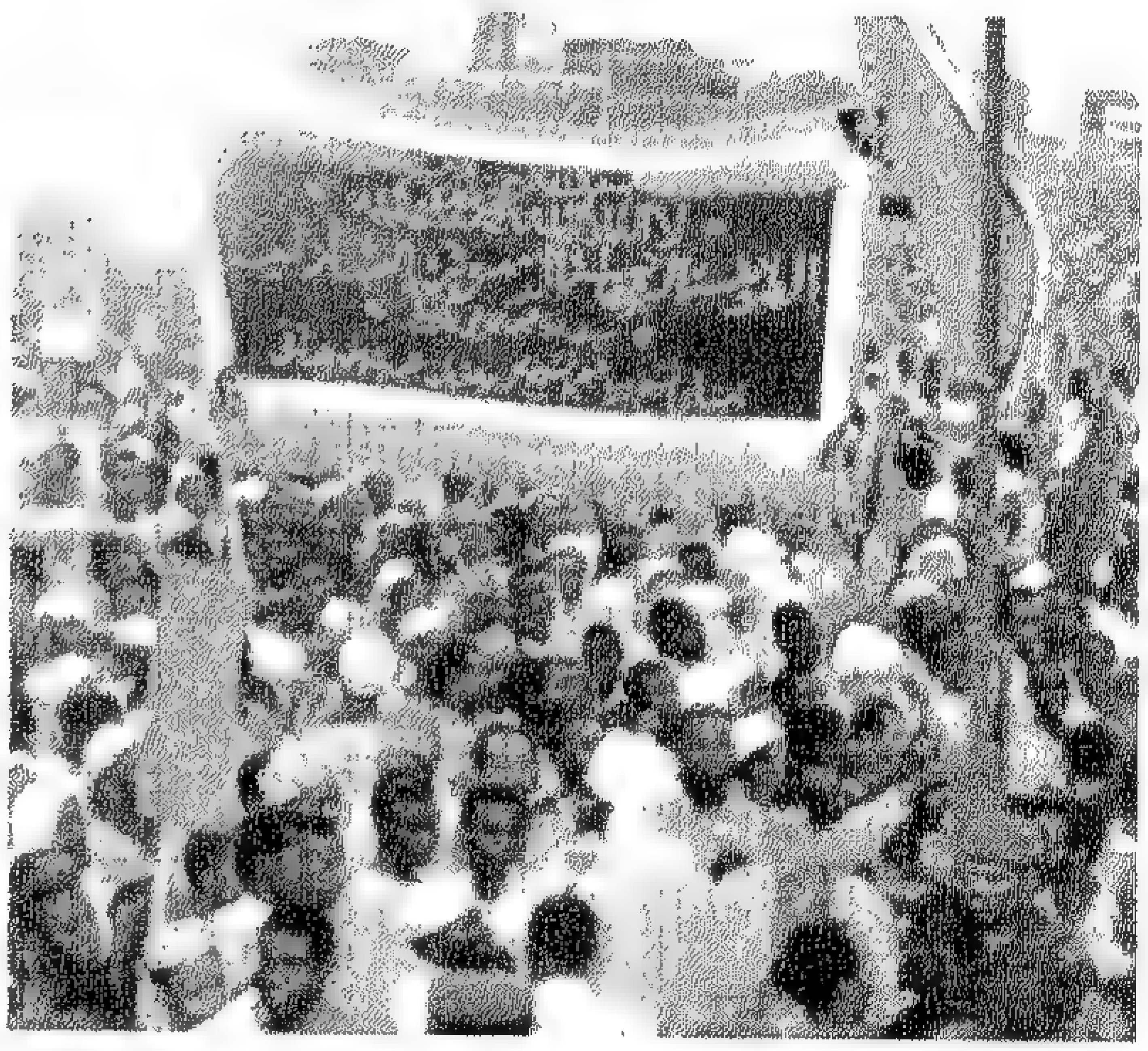
أعبر عن اعتزازي بالجهود المخلصة، التي يقوم بها الأخ معمر القذافي، من أجل خدمة الإسلام والمسلمين في أرجاء المعمورة قاطبة، وتحقيق وحدتهم والمحافظة على هويتهم الإسلامية، وأثني على الدور الإنساني الذي تضطلع به جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، في الجوانب كافة الإنسانية والفكرية والثقافية والإغاثية، وعملها المتواصل لترسيخ ثقافة الحوار والتفاهم والتواصل بين أبناء البشرية.

لقد حضرت التظاهرة الإسلامية الكبرى الثانية، احتفالاً بذكرى مولد خاتم أنبياء الله محمد ﷺ، وإمامة الأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، في صلاتي المغرب والعشاء لآلاف جموع المسلمين، الذين تقاطروا من أنحاء العالم أجمع، على مدينة

* رئيس منتدى الفكر والحوار / موريتانيا.

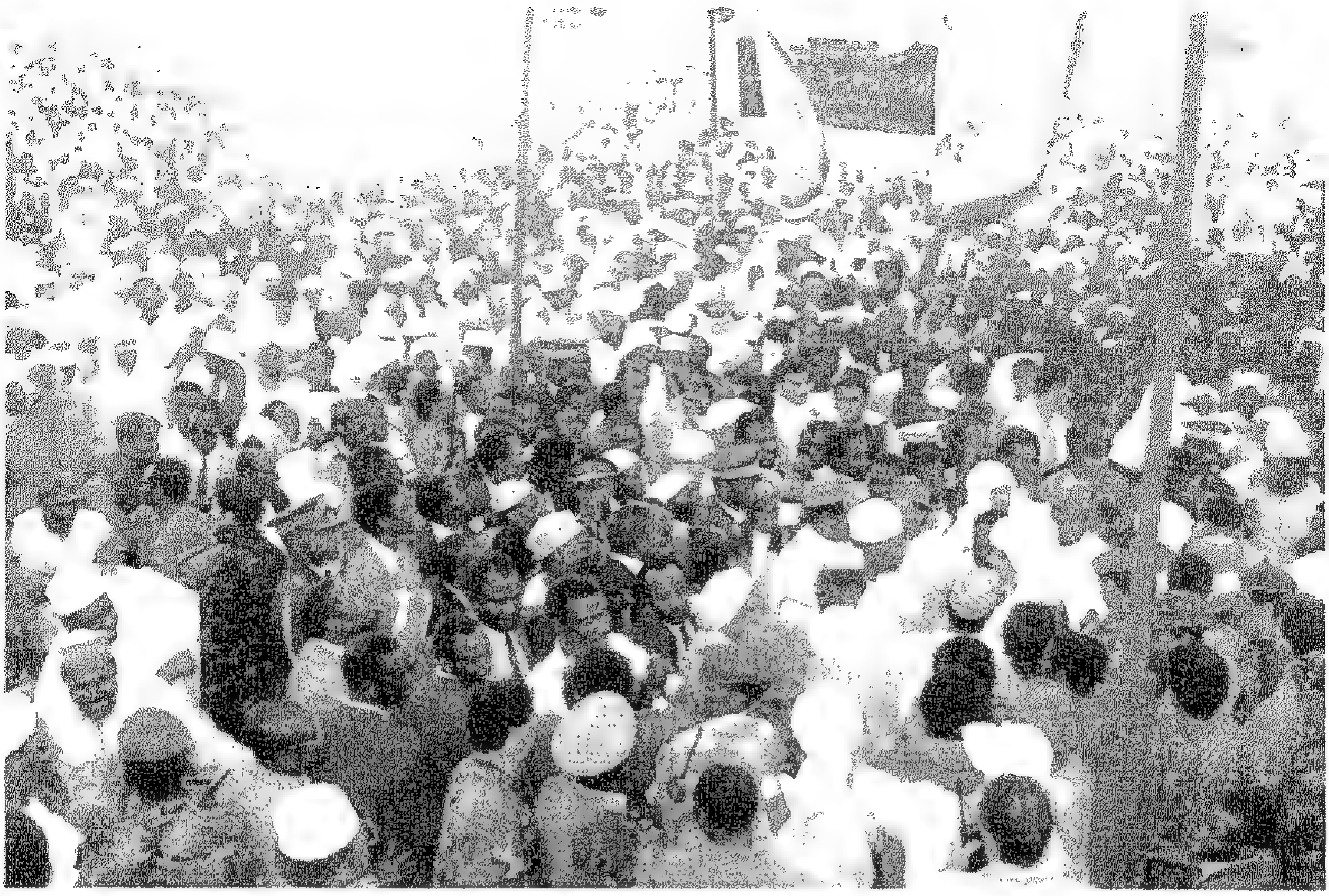
أغاديس، ولا شك في أن هذا حدث كبير وعظيم، يحيي ويرسخ من جديد معاني هذه المناسبة العظيمة.

لا شك في أن هذا التحدي الذي نواجهه نحن المسلمين اليوم، هدفه القضاء على الأمة من داخلها، بإدارة النزاعات الداخلية، وتحريك القمقم داخل الأمة، وتفجير الصراعات بين الطوائف والمذاهب، فهذا السيل يكاد يجرفنا، لكن القائد يتصدى اليوم لهذا السيل الجارف، حتى لا يدمر ما بقى من وجودنا. وفي اعتقادنا فإن هذا الدور يأتي في وقته المناسب، حيث نفاجأ بالحصار من كل جانب، كان الحصار على الجماهيرية، وكان حصاراً خانقاً، واستطاع القائد أن يفك هذا الخناق وأن يفك هذا الحصار بقوة، واليوم





نحو البيت الحرام؟. وبالمناسبة فإن الحرمين ليسا هما الحرمان اللذان نقولهما الآن.. الحرمان هما مكة والقدس، هذان هما الحرمان. هذه الجدلية التي كانت موجودة في ذلك الوقت نحن في غنى عنها ولن نبعثها أبداً. شيء جديد تنصهر فيه كل القوميات والقبليات نحن سنبعث شيئاً واحداً هو هوية فاطمية لكي تنصهر فيها كل الإشكاليات الموجودة في شمال إفريقيا: أنت من أين؟. عربي أو غير عربي.. أنت أمازيغي.. عربي أو غير عربي.. نعم عربي.. لا غير، أنت ماذا أباضي.. أنت لست أباضياً.. أنت مالكي.. أنت متطرف.. أنت أصولي.. أنت سلفي.. بالعنف بالقوة وأنت من أين أنت طارقي.. وأنت شاعمبي.. وأنت لا أعرف ماذا.. وأنت عربي.. أنت لست عربياً. كل هذه الصراعات تنتهي وتصبح الهوية هي الهوية الفاطمية.. لا يهم أنك تكون أمازيغياً من القبائل الأمازيغية المنقرضة القديمة، العربية القديمة من العرب البائدة، ولا يهم أنك تكون من العرب البربر الذين جاءوا في منتصف القرن الحادي عشر. ولا يهم أنك تكون حتى قادماً من جهة أخرى. ولا يهم أن يكون لونك أسود أو أبيض أو أحمر أو أصفر. ولا يهم أنك تتكلم بأي لهجة من اللهجات وكلها هي لهجات عربية إنسانية قديمة كلها. هذه كلها لم تعد تهم. المهم أنت فاطمي وهذا يكفي. نعم هذه أفضل لنا من مسألة أين أنت.. تونسي.. وأنت ليبي إبرز لي هويتك وأنت من أين، أنا جزائري وأنت نيجري وأنت مالي وأنت مصري. لا داعي لـ«أنت من أين». خلينا فاطميين. الحكام

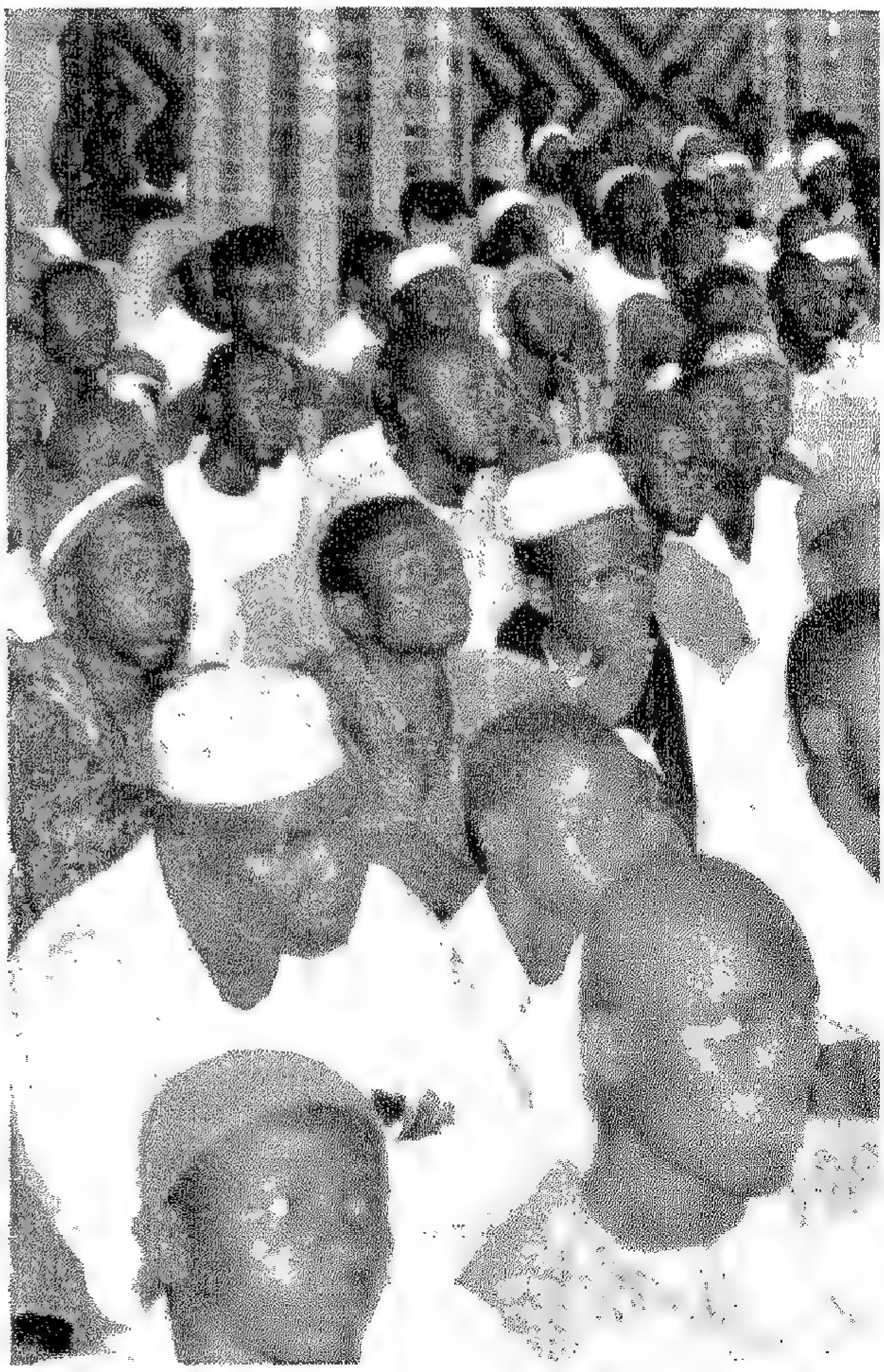




الحصار يضيق الخناق على الأمة الإسلامية بكاملها، ولم يعد على الجماهيرية وحدها، ولا بد من عمل جبار لكي يفك الحصار. هذا هو الذي يقوم به القائد في هذه اللقاءات لترسيخ وتقوية الجبهة الداخلية لنا كعرب ومسلمين، في إفريقيا أولاً ومع العالم الآخر ثانياً. اليوم نشق هذا التحدي من داخل أصعب المناطق، وهي المناطق الصحراوية عبر الصحراء الكبرى، اليوم القائد يخترق الصحراء من داخلها، ويفجرها قوة هائلة من تحت أقدام المحتل، والذين يطمعون في خيراتها ويستغلونها، القائد يفجر هذه القمقم لكي تتفجر عليهم وتتحرك هذه الفعاليات، سواء كانت قبائل أو مرجعيات أو كانت شخصيات، وأعتقد بأن هذه اللقاءات هي لقاءات كان لها صدى كبيراً، وهذا الدور الذي يقوم به القائد، نحن ما كنا نعرف بعضنا اليوم لولا القائد، ونحن فعلاً وضعنا أمام الواقع بمرارته، أيضاً القائد استطاع أن يحرك الجذور التاريخية التي تجمعنا، فتصحيح المفاهيم عن الإسلام وعن نشأته، وتصحيح المفاهيم عن ميلاد الرسول ﷺ، ودوره في تصحيح نظرتنا عن الرسل الآخرين وتعلقنا بهم، وتصحيح المفاهيم لدى الآخر، أعتقد أن هذا الدور هو دور رائد يخدم قضايا الإسلام والمسلمين.

وهنا لا بد أن أشيد بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، التي تضطلع بالعديد من البرامج والأنشطة الإنسانية، خدمة لقضايا الإسلام والمسلمين في العالم.

أنا نفسي ابن الصحراء، وقد رأيت بأم عيني ما تقوم به الجمعية في هذه المنطقة التي كنا فيها (منطقة أغاديس) بالنيجر في الصحراء، رأيتها قبل ذلك في تمبكتو وكيف يتحرك الجميع، وكيف يتلقى الجميع الثقافة من منبعها الأصيل، ورأيت رجال الجمعية كيف يتحركون في هذه الأرض مع الناس، ويعلمونهم أمور دينهم، ويطلعونهم على الثقافة وعلى العلم ينهلون مباشرة منه. ولا يخفى الدور الإنساني الذي تقوم به في إغاثة الناس وفي مساعدتهم، وفي التواصل فيما بينهم وفي مكافحة أفكار التفرقة وأفكار التشويه، وربط العلاقات بين الشعوب، وأعتقد أن هذا الدور الذي تقوم به الجمعية هو دور كبير جداً وستكون له آثار كبيرة على المستقبل المنظور.

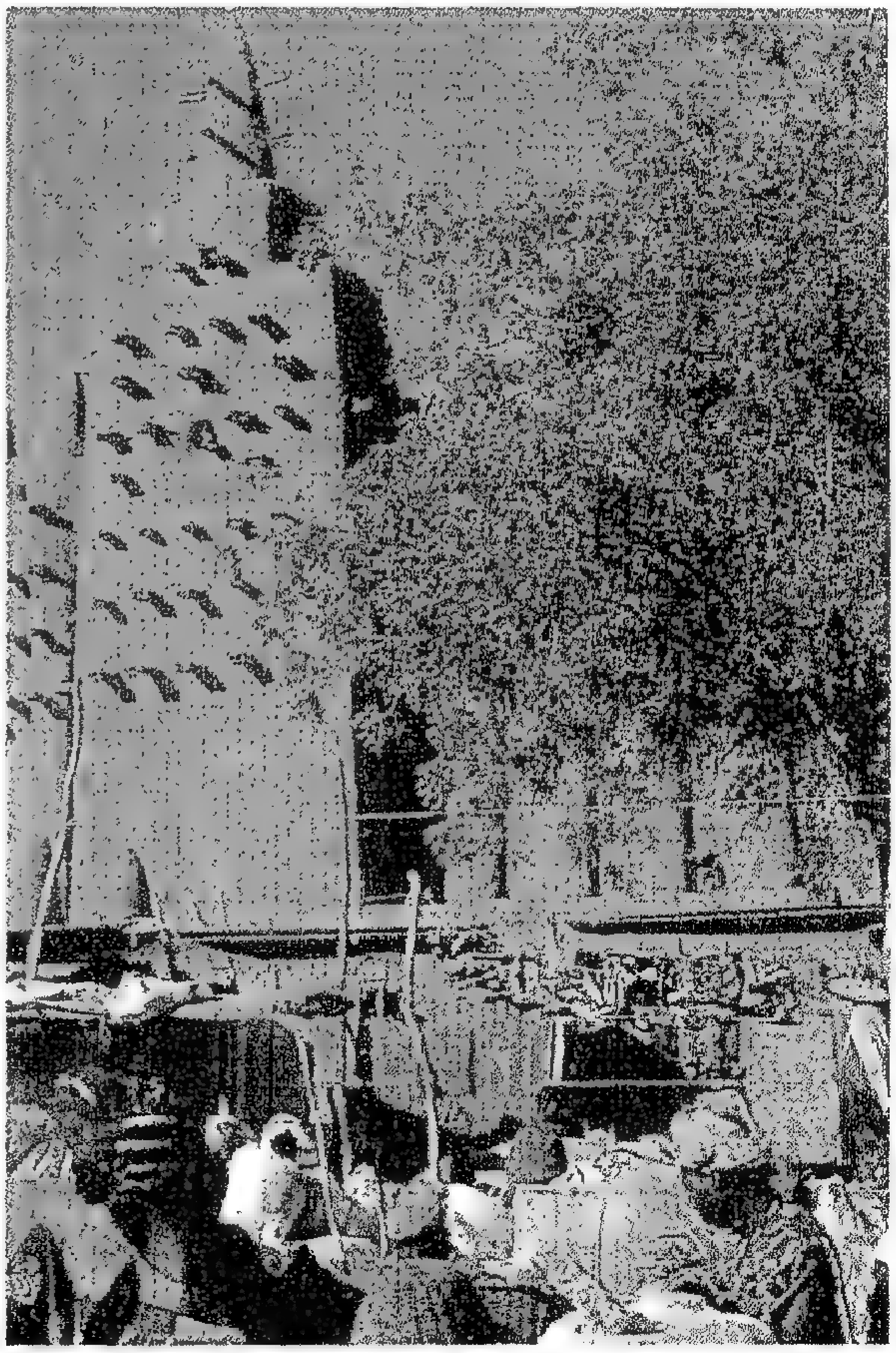


سيبقون يرفضون هذه الأشياء، وسوف ترون ردة فعلهم، لكننا نحن سنرتاح. هويتنا فاطمية الإسلام تريدون أن تدمروه. تقولون شيعة في إيران وسنة عند العرب لا.. الدولة الشيعية هي التي قامت في شمال إفريقيا. الدولة الفاطمية هذه هي الدولة الشيعية في التاريخ. إذن متى قامت الدولة الشيعية في إيران؟. نحن نشكر إخواننا الفرس الذين تشيعوا لأهل البيت وتشيعوا لـ«علي».. نشكرهم لأنهم انضموا لأهل البيت فهذا شيء عظيم. وأنا مستغرب أن ناسا من آل البيت مثل ما في الأردن مثلاً يكونون ضد الشيعة. ما معنى الشيعة؟ هي التشيع لآل البيت.. معناها نتشيع لك أنت الذي في الأردن.. أنا متشيع لك عندما أكون شيعياً في إيران. انظر كيف أنهم « ركبوها في بعضها » وجندونا ضد بعضنا. هذه الدعوة لإقامة الدولة الفاطمية الثانية سيؤيدها الإسماعيليون والزيديون والنزاريون والدروز والعلويون، وكل هذه الحركات التي كانت تتبع الدولة الفاطمية، وأنا متأكد أن لها وجوداً حتى في المشرق. هذه هوية أفضل لنا تجمع كل هذه القوميات وهذه القبليات والعصبيات وهذه المذهبيات وتنصهر كلها في بوتقة واحدة.

وفقنا الله

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتهْ





من جانب آخر، فإنه لا يغيب عن بالنا، أن العالم الإسلامي يتعرض لحملة استعمارية متعددة المنطلقات والوسائل، لكن ـ للأسف الشديد ـ يجب أن نعترف بأن الدور الذي نقوم به دور متواضع، ويجب أن نعترف بأننا مقصرون، ولا يجب أن ندافع عن أنفسنا بأننا نقول إننا نعمل الكثير، لا.. نحن مقصرون، وعلينا أن نعمل أكثر، علينا أن نعمل بما نستطيع، كل في موقعه. إننا نشعر بالتقصير ويجب أن نقول ذلك ونعترف به، لكن لقاءنا مع إخوتنا في هذه المناسبات، الذين يأتون من جميع بقاع العالم، نحن اليوم نواجه حالة نادرة، إنه مؤتمر بين الشعوب العربية والإسلامية، من أقصى سيبيريا إلى أقاصي جنوب إفريقيا، إلى أمريكا إلى بنغلاديش إلى إندونيسيا، اليوم نحن وجدنا أنفسنا في بحر بشري يتحرك. دون شك، نقوم وقمنا، واستطعنا تبليغ ما فهمناه من الرسالة، وما أدركناه منها وما سندركه، وهكذا سنستمر في تبليغ ما استطعنا أن نستوعبه من الرسالة العالمية التي أتينا من أجلها.

دراسات



- هل تتعارض نظرية داروين مع القرآن الكريم..؟

  د. البشير أحمد الحطلاوي

  أ. اسماعيل محمد الهمالي

- مظاهر الهجوم على اللغة العربية في إفريقيا الغربية

  د. عبد الرحيم ششت ناني

هل تتعارض نظرية داروين مع القرآن الكريم..؟

د. البشير أحمد الجطلاوي*
أ. إسماعيل محمد الهمالي**

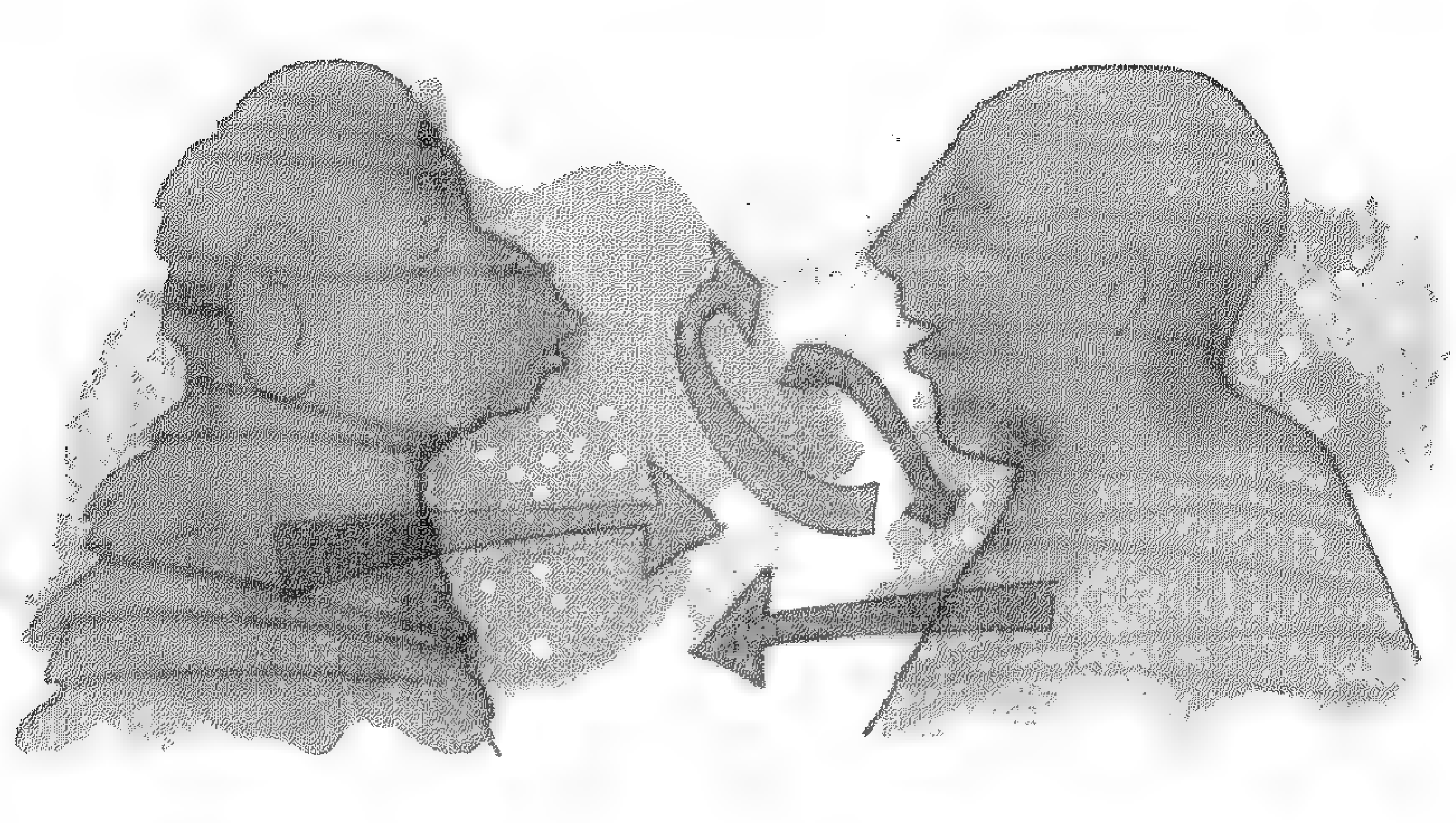
فتح القرآن الكريم، باب العلم والمعرفة على مصراعيه، أمام الإنسان لينهل منه، وشدد على تعلم العلوم بأنواعها المختلفة، حتى بلغ عدد الآيات التي اتصلت بالعلوم، ما يزيد عن 750 آية، وذكرت كلمة العلم في القرآن الكريم 38 مرة ومرادفتها ذكرت مئات المرات، وعلى الرغم من هذا العدد الكبير من الآيات، التي تتعلق بفروع العلوم المختلفة، إضافة إلى أهمية هذه العلوم (الرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، والجيولوجيا، والأحياء، والفلك) في تفسير وفهم الآيات، التي تتناول الظواهر الطبيعية، والسُنن التي سنها الله، لتسيير كونه ومخلوقاته، وبالتالي في إثبات الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، لم تحض هذه العلوم ولا الآيات التي تتناولها باهتمام علماء المسلمين، اللهم إلاَّ بعض المحاولات المتواضعة، والتي لم ترق إلى مستوى أهمية الموضوع، وخصوصاً إذا ما قورن بما يبذله المسلمون من اهتمام، بالعلوم الدينية، التي لا يزيد عدد الآيات التي تناولتها عن 150 آية.

علوم الأحياء بصفة عامة، وعلم الحيوان بصفة خاصة، والذي تميز بمكانة متميزة في القرآن الكريم، حيث أطلقت أسماء بعض الحيوانات، على بعض سور القرآن الكريم، على سبيل المثال لا الحصر، سورة البقرة، سورة النحل، سورة النمل، سورة العنكبوت، وسورة الفيل، والعاديات، وكذلك سورة الأنعام، إن هذه الأسماء ما اختيرت إلا لورودها في آيات هذه السور، وما ذُكرت في هذه السور إلا لحكم، بعضها يعرفها الإنسان، وبعضها لم يعرفه، وربما لن يعرفه، وذكر الله كثيراً من الحيوانات، كالإبل والبعوض والذباب، في كثير من الآيات، في مواقع مختلفة من القرآن الكريم، حيث ضربت كأمثلة للتدليل على قدرة الخالق، إن هذا العلم برغم أهميته، في التدليل على قدرة الخالق - عز وجل -، قد أهمل تماماً من قبل علماء المسلمين، سواء في صدر الإسلام، أو في الوقت الحاضر.

علم التطور البيولوجي والنشوء (Evolution)، هو أحد فروع علم الحيوان، وكان في السابق - في عصر داروين -، مع مجموعة علوم أخرى، علم البيئة Ecology، وعلم سلوك الحيوان Animal Behaviour، وعلم تصنيف الحيوان Systematic

---

* باحث وأستاذ جامعي / ليبيا.
** باحث وأستاذ جامعي / ليبيا.



zoology، وعلم الجغرافيا الحيوية (Biogeograpy)، يُشكل ما يُعرف بعلم التاريخ الطبيعي، وإن هذا العلم يقوم أساساً على نظرية داروين، والدراسات التي قامت عليها، ويهدف إلى تفسير الاختلافات بين الكائنات الحية، وكيفية نشوء وتشكل المجاميع الحيوانية.

إن حظ هذا العلم من اهتمام المسلمين، كان أسوأ من حظوظ فروع علم الحيوان الأخرى، نتيجة لموقف المسلمين المتشدد حيال نظرية داروين، لاعتقاد معظم المسلمين، أنها تتعارض مع ما جاء في القرآن الكريم.

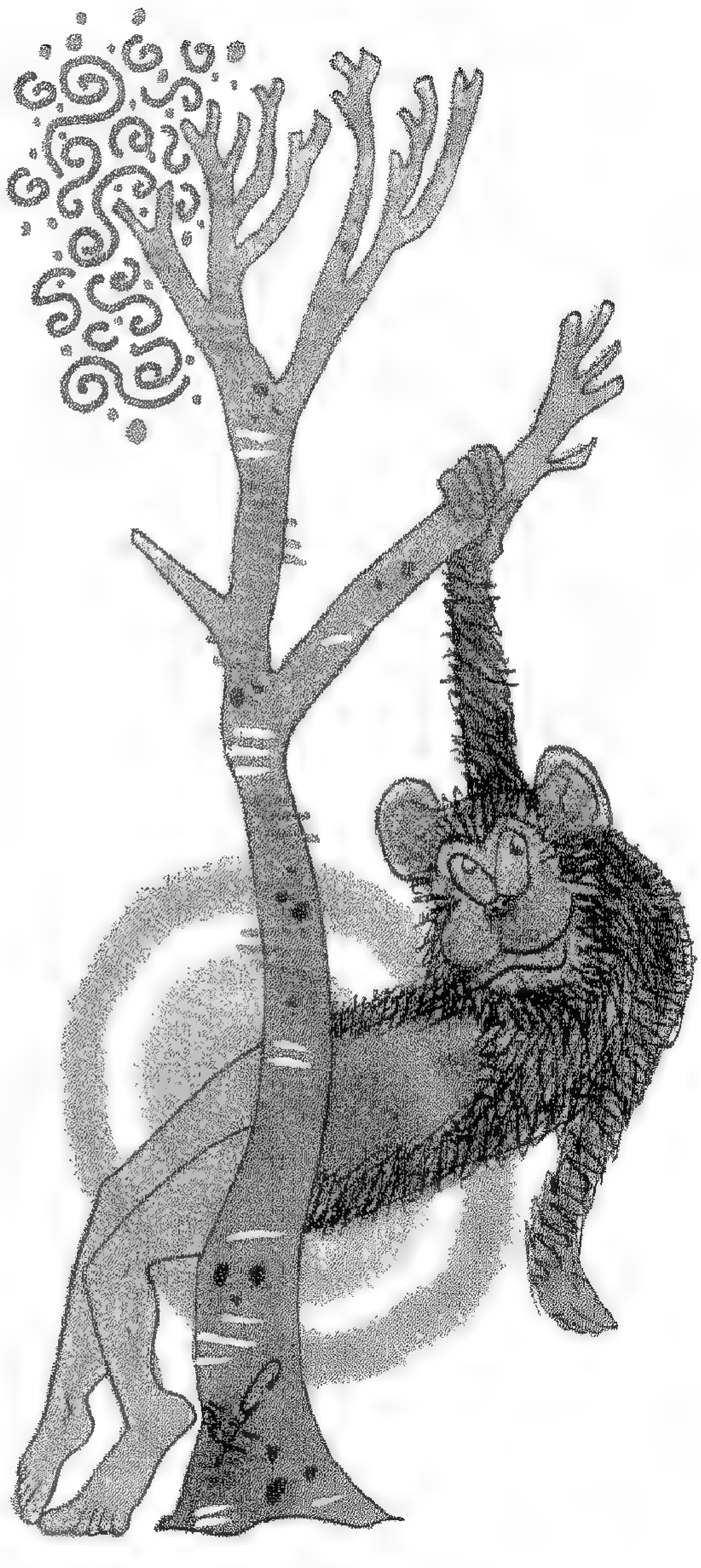
في السطور التالية، سنسلط الضوء على هذه النقطة، حيث نتناول نشوء وتطور الإنسان من وجهة النظر العلمية، وكذلك من وجهة النظر الدينية، كما وردت في القرآن الكريم، وللإلمام بالموضوع سيتم استعراض أساسيات علم التطور ونظرية داروين، وكذلك استعراض الآيات التي تتناول النشوء والخلق والتطور، مع التركيز على الآيات التي تتعلق بأصل الإنسان، لا ندعي الإجابة عن السؤال عنوان هذه الدراسة، بل سيكون تناولنا له أقرب إلى عرض الموضوع بشكل علمي، للتنبيه إلى أهميته، ولإفساح الطريق أمام الآراء الأخرى، مع محاولة التقريب بين وجهتي النظر العلمية والدينية.

العلاقة بين العلم والقرآن الكريم

الحقيقة في رأينا المتواضع، هي أنه لا تعارض بين العلم والقرآن، وهناك شبه إجماع بين علماء المسلمين، على إمكانية تفسير القرآن تفسيراً علمياً، وإذا ما وُجد تعارض بين ما جاء في القرآن الكريم، وبين بعض النتائج أو النظريات العلمية، فما علينا إلا إعادة النظر في فهم أو تفسير الآيات، محل الخلاف والتدقيق، والتأكد من صحة النتائج العلمية المقصودة، حتى تتجلى الحقيقة، وعادة ما يكون قصوراً في فهم وتفسير بعض الآيات، وهذا ليس طعناً في المفسرين الأجلاء، أو إنقاصاً من مكانتهم، وإنما هو أمر له مبرراته، والتي جُلها ترجع إلى طبيعة وخصائص القرآن نفسه، تتضح هذه المبررات، عند ربط عدة حقائق وردت في القرآن، والنظر إليها من زاوية أوسع، وأول هذه الحقائق، هي: أن القرآن صالح لكل زمان ومكان، وهنا في هذا المقام، يهمنا الزمان بالدرجة الأولى، والحقيقية الثانية، هي: أن القرآن الكريم كتاب محفوظ، أي غير قابل للتغيير أو

التحريف، وعند التمعن في هاتين الحقيقتين، نجد أن القرآن الكريم، لا يخضع للنواميس والسُنن التي تسيّر الكون، لأنه أحد معجزات الرسول الكريم ﷺ، والتي مفادها أن مقومات البقاء، تغير الأشياء حتى تتكيف وتتأقلم مع الظروف، التي من صفتها التغير الدائم، وبما أن العلم يتقدم بشكل مستمر، فإن فهم وتفسير الآيات بحاجة للتجديد من وقت إلى آخر، ليتمشى مع الاكتشافات العلمية الجديدة، ولهذا حث الله المسلمين على قراءة القرآن باستمرار، حتى الذين يحفظونه عن ظهر قلب، لإعادة فهم وتفسير القرآن، في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة، وبهذا يكون صالحاً لكل زمان ومكان، دون أن يلحق به أي تغيير، إضافة إلى أن دراسة وتفسير القرآن الكريم، تقتصر على المسلمين فقط، وهم لا يستخدمون الوسائل العلمية الحديثة في دراستهم له، في المقابل نجد أعداداً كبيرة، ممن يدرسون العلوم المختلفة، ويستخدمون أرقى وأحدث التقنيات، التي جعلت العالم اليوم، عالم اللا مجهول، ومن المؤكد أن المجموعة الأكثر عدداً، والأكثر استخداماً للتقنية، سوف تكون نتائجها أكثر دقة، مقارنة بالمجموعة الأخرى، مع أنه لا مانع من حدوث بعض الأخطاء، في النتائج العلمية.

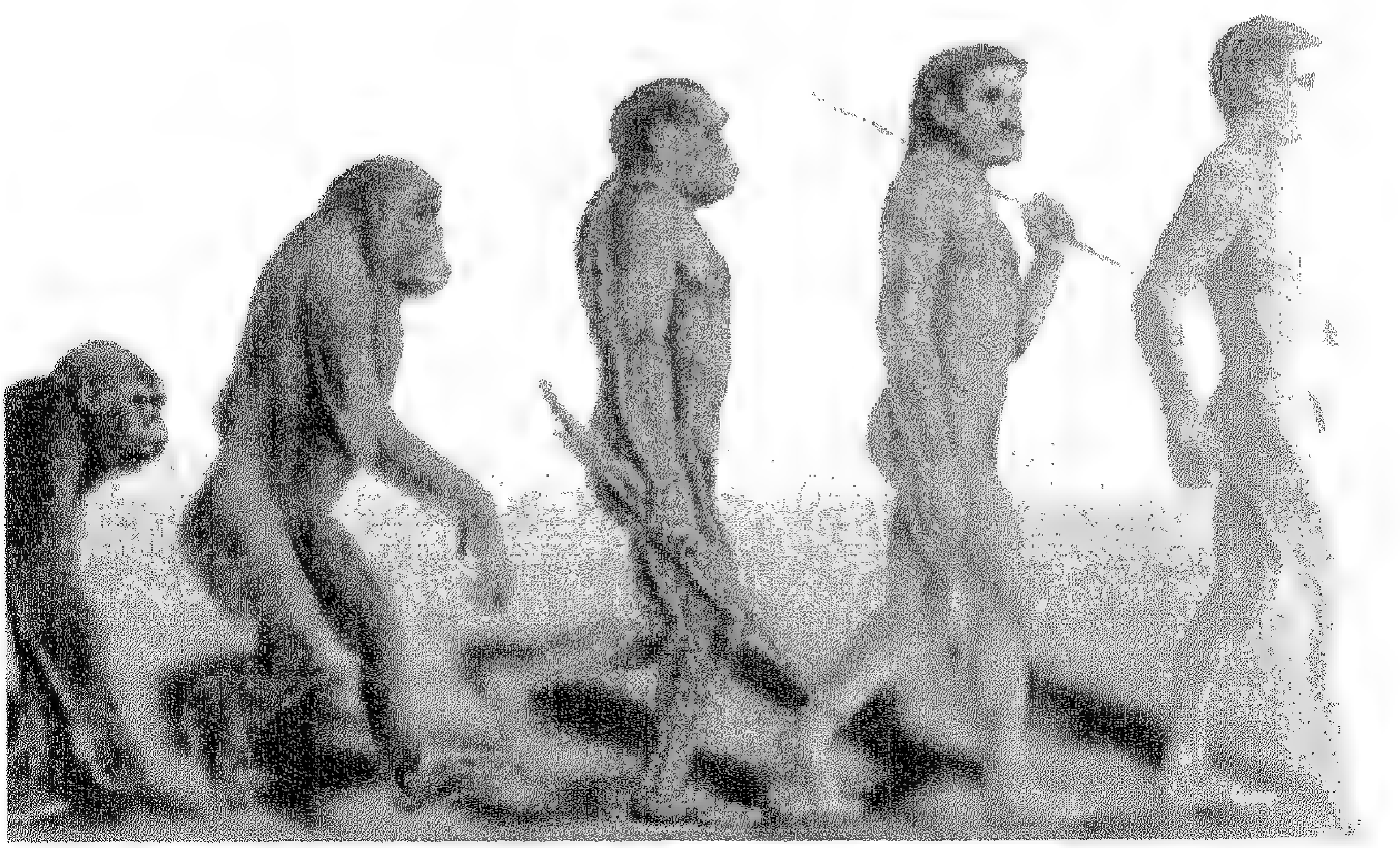
علم التطور الذي تشكل نظرية داروين عموده الفقري، أحد هذه العلوم، التي يفترض أن لا تتعارض، مع ما جاء في القرآن الكريم، إذاً ما علينا القيام به، هو الفهم الصحيح لنظرية داروين، وعلم التطور، وفهم ما جاء في القرآن الكريم، وتفسيره التفسير العلمي الصحيح، وسوف نصل إن شاء الله، إلى الحقيقة في كيفية بداية الحياة، وأصل الإنسان، والتي تعتبر هي نقطة الخلاف الجوهرية، بين النظرية وما جاء في القرآن الكريم.



نظرية داروين والتحريف الذي لحق بها

نظرية داروين، والتي تعرف أيضاً بنظرية الانتقاء

الطبيعي (Natural Selection)، هي نظرية بيولوجية، أي تخص علوم الأحياء، وتُدرّس في معظم أقسام علم الحيوان، وعلم الأحياء في كليات العلوم في أنحاء العالم المختلفة، مفادها أن الاختلاف بين أنواع الكائنات الحية، يرجع إلى الاختلاف في الظروف البيئية، التي تعيش فيها هذه الكائنات، والأفراد والأنواع الأكثر تلاؤماً مع البيئة، هي الأكثر نجاحاً من تلك غير القادرة على التكيف، فتخلف نسلاً وأحفاداً أكثر، بآلية تسمى الانتقاء الطبيعي، وهذه باختصار نظرية التطور، التي وضعها «تشارلز داروين»، وقرأ نصها أمام مجموعة من علماء الأحياء، في اجتماع جمعية لينيوس (Linnaeus Society) العلمية، في لندن سنة 1858، ولم يتطرق داروين إلى الإنسان وحياته الاجتماعية، إلا على أساس كونه نوعًا من أنواع الكائنات الحية، أما ما يُسمى بنظرية داروين الاجتماعية، والتي تُدرّس في مقرر علم أصل الإنسان (Anthropology) في بعض أقسام علم الاجتماع، في الحقيقة ما هي إلا نسخة محرّفة لهذه النظرية، ولا تمُت إلى تشارلز داروين بصلة، وقد تم وضعها من علماء ملحدين ماركسيين، من أمثال «اسبنسر، وهيجل، ونيتشه، وكونت، فحرّف هؤلاء العلماء نظرية داروين، لخدمة أفكارهم وآرائهم، التي تدعو إلى الإلحاد والشرك بالله، أما تشارلز داروين، فقد كان عالماً بيولوجياً متواضعاً مؤمناً بالله، ودائماً يتحاشى الخوض في موضوع أصل الإنسان، وحتى عندما يُثار هذا الموضوع، فإنه يشعر بالخجل، أما النظرية الدارونية الجديدة (neo-Darwinism)، فهي امتداد وتفصيل محكم لنظرية داروين، بعد ظهور الأدلة المعاصرة، مثل الحفريات، وبعد أن تم فهم نظرية داروين، في ضوء التقنيات العلمية الحديثة، ومنها إعادة اكتشاف قوانين (مندل) في الوراثة، في عام 1905، أي أنها عبارة عن شرح لنظرية داروين الأصلية، إن صح التعبير، في ضوء المتغيرات العلمية والتقنية الحديثة، ونرى أن هذا أمرًا مقبولاً في الاكتشافات



النظرية، فنظرية النسبية لاينشتاين، لم يتم فهمها بالصورة الصحيحة حتى يومنا هذا.

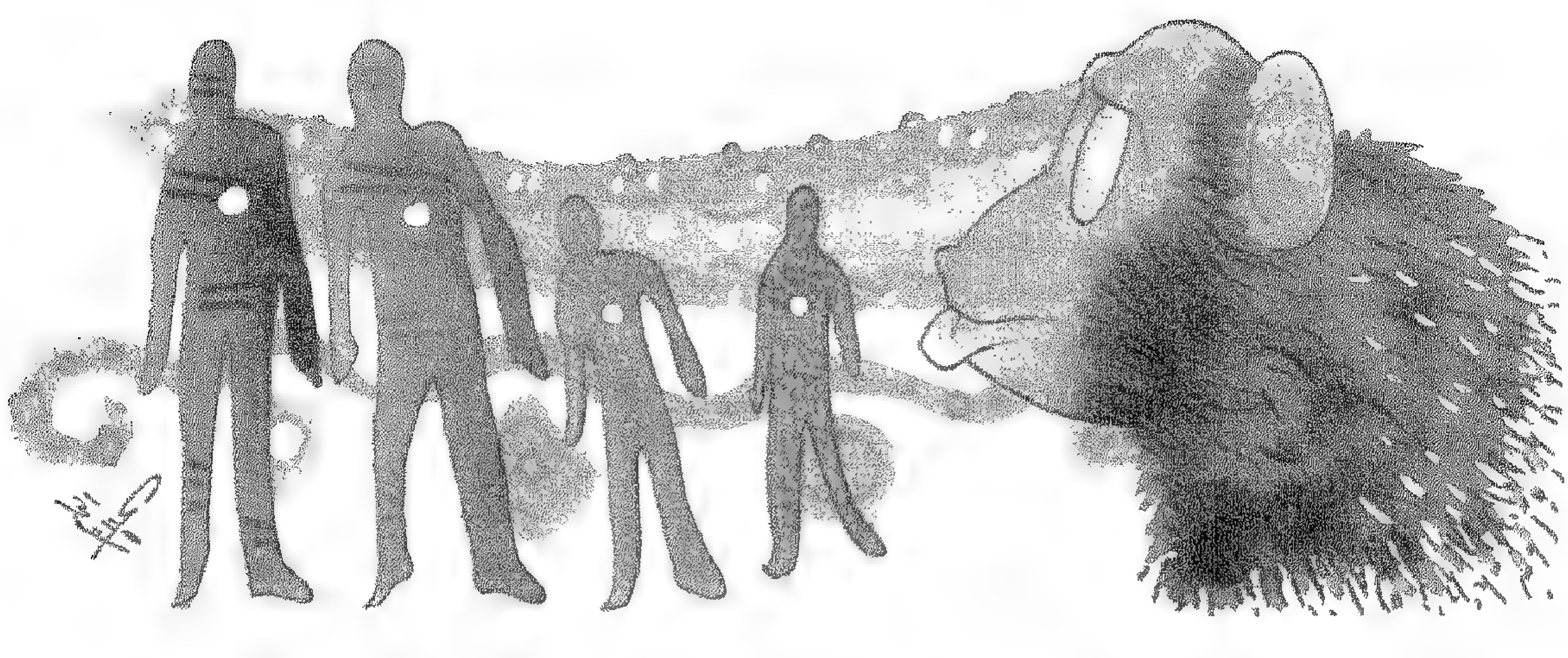
ومن المغالطات التي استطاع الملحدون (الذين لا يؤمنون بوجود الله)، إلصاقها بنظرية داروين، هي العشوائية لإضفاء صفة الإلحاد، وإنكار وجود الله على النظرية. على الرغم من أن ورود كلمة انتقاء، أو انتخاب (هو عكس العشوائية) صراحة في النظرية والانتخاب الطبيعي، هو الآلية التي تم على أساسها وضع النظرية، وفي الحقيقة لا يوجد ما يشير إلى العشوائية في نظرية داروين لا من قريب ولا من بعيد، ويتم الانتقاء على كافة المستويات في العالم الحي، من أدنى مستوى فيه وهو الجزئي (molecule) إلى أعلى مستوياته، وهو العشيرة (population) مروراً بالحيوانات المنوية والأفراد، ومن الأشياء التي أساءت إلى نظرية داروين، استخدامها من علماء الاجتماع المتشددين، في إثبات تفوق الجنس البشري الأبيض، على الأجناس البشرية الأخرى، ليتيح لهم استعبادهم وسلب خيراتهم، واستخدموها أيضاً في تبرير التحريض، على التخلص من الأفراد المرضى، أو المعاقين في مجتمعاتهم، للمحافظة على العرق النقي، وهذا لا وجود له في النظرية.

موقف المسلمين من نظرية داروين والآثار المترتبة عليه

لم تحظ هذه النظرية بالدراسة الكافية، من قبل علماء بيولوجيين مسلمين، المتخصصين في علم التاريخ الطبيعي، وأن الدراسات التي تناولت هذه النظرية، تمت من قبل أناس غير متخصصين، أو متخصصين في مجالات أخرى، كعلم الاجتماع، والفلسفة، والعلوم الدينية، وحتى الدراسات التي أنجزت، لم يرجع كاتبوها إلى ما كتبه داروين مباشرة، بل رجعوا إلى كتابات بعض الداروتيين المتشددين، مثل أرنست هيجل وسبنسر، الأمر الذي أوقع الكثير منهم في الخطأ، ونسبوا الكثير من الأقوال إلى داروين، وهو في الحقيقية منها براء، ربما يرجع ابتعاد المسلمين عن دراسة آراء داروين، وأفكاره إلى حساسية الموضوع، الذي مرده إلى التعارض الظاهر، في نظر بعض المسلمين، بين نظرية داروين وما جاء في القرآن الكريم حول أصل الإنسان، مما أدى إلى قلة، أو بالأصح إلى انعدام وجود المسلمين المتخصصين في هذا العلم، مما ترتب عنه غياب الفهم الصحيح، والتحليل العميق لنظرية داروين، وعلم التطور البيولوجي بصفة عامة، وبالتالي صعب عليهم التمييز، بين ما كتبه داروين، وبين ما أحدثه الملحدون من تحريف، فضعفت ردودهم وحججهم وبراهينهم، أمام حجج وبراهين محرفي هذه النظرية، ونتيجة لغياب الفهم الصحيح لنظرية داروين، صارت هذه النظرية، في اعتقاد المسلمين - سواء المتعلمين، أو غير المتعلمين والمتخصصين وغير المتخصصين - تنحصر في نقطتين: النقطة الأولى: هي أن الإنسان أصله قرد، والثانية: هي أن النظرية خطأ، لأنها تتعارض مع ما جاء في القرآن الكريم، والاعتقاد بصحتها يتعارض مع وجود الله، وهذا كفر به جلت قدرته، وبات شبه إجماع على أن كل من أراد أن يتطرق إلى علم التطور ونظرية داروين، سوف يصل إلى هذه النتيجة، سواء بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة، حتى صار الذين يرون صحة نظرية داروين في تفسير تطور الكائنات الحية، لا يستطيعون الإفصاح عن رأيهم، بصحة نظرية داروين.

تشارلز داروين، كان عالماً بيولوجياً متواضعاً مؤمناً بالله.

الموقف المتشدد تجاه علم التطور ونظرية داروين، والذي وصل عند بعض المسلمين إلى درجة رفض التطور من الأساس، أدى إلى عدم إطلاع المسلمين على



حقيقة نظرية التطور، وهذا بدوره أدى إلى إغفال - عن غير قصد - دعوة القرآن الكريم الصريحة والمتكررة للمسلمين، وحثهم على التفكر والتأمل في النشوء والتطور، وهذا الموقف ترتب عليه عدم فهم، وعدم تفسير الآيات الكثيرة التي تتناول هذا الموضوع، التفسير الصحيح، حتى صار موقف المسلمين، يختلف عن موقف الإسلام، وما جاء في القرآن الكريم، حول هذا الموضوع.

ليس المسلمون فقط من يعارض هذه النظرية، بل نجد أيضاً أن المسيحيين واليهود يرفضون هذه النظرية، وربما للأسباب نفسها، وللمسلمين فرصة أفضل من غيرهم، لدراسة هذه المشكلة، وإيجاد الحلول لها، بفضل ما أتاحه الإسلام من حرية في طلب العلم، والتشجيع عليه، في مقابل موقف الكنيسة الرافض حيال الكثير من المسائل العلمية، وخصوصاً في العصور الوسطى، ربما يرجع موقف الكنيسة المتشدد إلى تجربتها الفاشلة في مجال تفسير الإنجيل تفسيراً علمياً، فاقتبست كثيراً من آراء علماء ذلك الوقت، التي ثبت خطؤها بعد ذلك، وفي جامعة هارفارد في الولايات المتحدة الأمريكية، يجري الآن الترويج لنظرية تسمى نظرية الخلق الذكي، أو التصميم الذكي، لتحل محل نظرية داروين، ولم تتضح أساسيات هذه النظرية بعد، وربما ترجع إلى جذور نظرية قديمة، تسمى نظرية الخلق الخاص (Special Creation)، والتي تنص على أن الحياة نشأت على الأرض بواسطة مخلوقات خارقة، في زمن محدد.

تطابق فكرة النشوء في كل من القرآن الكريم، وعلم التطور

ورد ذكر النشوء في القرآن الكريم صريحاً، في شكل كلمة النشأة مرات، وفي صورة مرادفة، في شكل بداية الخلق مرة واحدة، وكما هو معلوم حث الله - سبحانه وتعالى - المسلمين على تحصيل العلوم بصفة عامة، كما حثهم على التأمل والتفكر والتمعن، ودراسة علم النشوء بصفة خاصة، قال تعالى:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة العَنكبوت، الآية: 20]

وبالتمعن في هذه الآية، يمكن الوصول إلى عدة مضامين أهمها:

1 ـ هناك نشأتان، النشأة الأولى (بداية الخلق) فقط، التي يحث الله عباده على التأمل فيها، واكتشاف أسرارها.

2 ـ النشأة الأولى يستطيع الإنسان إدراكها بعقله، أي أنها خاضعة للسُّنن (القوانين التي وضعها الله) التي سنها الله، لتسيير كونه وخلقه فيه، مثل سُنة الشمس تشرق من المشرق، وتغرب في المغرب، بدليل أنه حث الإنسان على التأمل فيها:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الواقِعة، الآية: 62]

3 ـ هناك دليل موجود على سطح الأرض، يدل على بداية الخلق، وربما هو ما يُعرف اليوم في الوسط العلمي، بعلم التوزيع الجغرافي للكائنات الحية (Biogeography)، وهو يعتبر دليلاً من الأدلة على حدوث التطور، وهو الدليل الذي قاد داروين، إلى ابتكار نظريته، إن هذا الدليل لا يستطيع الإنسان اكتشافه إلا بالترحال في الأرض، وفي هذا تطابق واضح بين ما قام به العالم داروين، في رحلته العلمية حول العالم، بين عامي (1831–1836م) والتي أثرت في وجهة نظره، وغيّرت أفكاره من معارض لفكرة تغير الأنواع، أي التطور قبل الرحلة إلى مؤيد، وبشدة لهذه الفكرة بعدها، وبين ما تدعو إليه الآية الكريمة، وكأن داروين استجاب إلى ما تدعو إليه الآية الكريمة، فقام برحلة حول العالم، لاكتشاف بداية الخلق، وبعد عشر سنوات، قام العالم الفرد والاس (Wallace)، برحلة مشابهة لرحلة داروين، وتوصل إلى الاستنتاج نفسه، وبشكل مستقل عن داروين، وهذا تأكيد لما توصل إليه داروين، وما تدعو إليه الآية.

4 ـ هناك فترة زمنية بين النشأة الأولى، والنشأة الثانية، بدليل استخدام حرف العطف، (ثم) التي تفيد التراخي مع الترتيب، والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى هنا، هو: ماذا حدث للكائنات الحية بما فيها الإنسان، خلال هذه الفترة؟ هل ظل شكلها وتركيب أجسامها ثابت، ولم يطرأ عليه أي تغيير، من النشأة الأولى حتى النشأة الثانية؟ أم تعرض لبعض التغيير حتى تأقلم وتكيف مع الظروف البيئية المتغيرة؟ أي هل حدث له تطور خلال هذه الفترة..؟.

> **هل استجاب داروين لقوله تعالى:** ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾

5 ـ لم يحث الله الإنسان على التأمل في النشأة الثانية، ربما لأنه إذا تم فهم النشأة الأولى، فلم يكن صعباً عليه فهم النشأة الثانية، أو ربما تكون النشأة الثانية: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [سورة النّجم، الآية: 47] غير قابلة للإدراك، بواسطة العقل والحواس، والإمكانيات البشرية، أي أنها معجزة لا تخضع للقوانين، التي سنّها الله، وهذا هو المرجح، بدليل قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) الذي جاء بعد ذكر النشأة الثانية.

نشوء (بداية خلق) الإنسان في القرآن الكريم

ورد ذكر النشوء في القرآن الكريم في شكل شمولي، أي دون تخصيص، وهذا يشمل جميع أنواع النشوء التي تمت على سطح الأرض، سواء تلك التي حدثت للكائنات الحية: (الجراثيم والميكروبات والنباتات والحيوانات والإنسان)، أو تلك التي حدثت في المواد غير الحية (الجماد) بما فيها الأرض نفسها، وورد النشوء أيضاً في شكل تخصيص، وهذا التخصيص مقتصر على الإنسان فقط دون سائر

الكائنات الأخرى، وورد في صورة مرادف، وهو بداية خلق الإنسان، وجدير بالذكر هنا أن هناك فرقًا بين (بداية الخلق) أي: النشوء، وبين (الخلق) والتي تعني لغوياً: الإبداع.

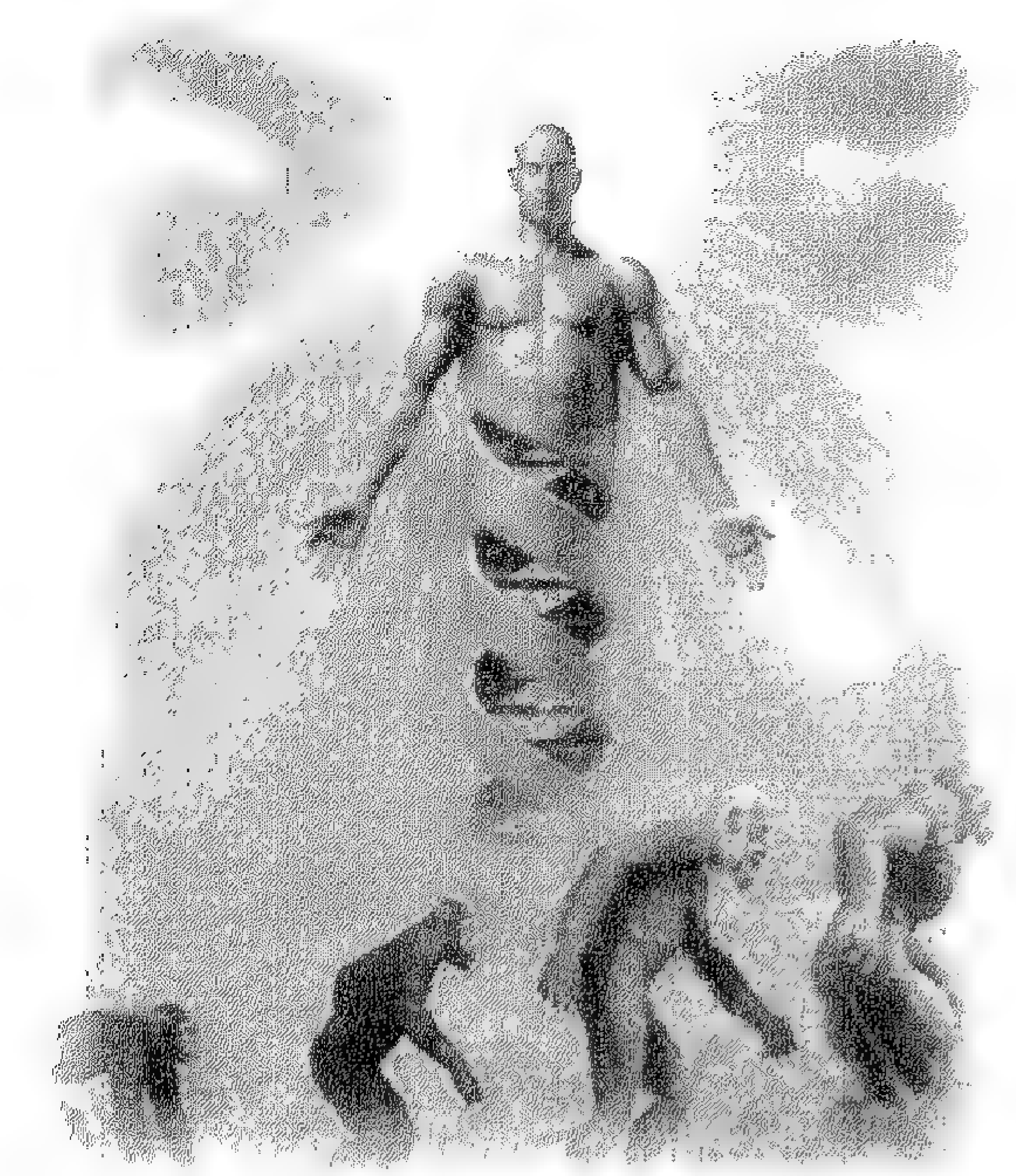
التخصيص والتأكيد على نشوء الإنسان يحتمل عدة معانٍ لتفسيره، فربما يكون هذا التخصيص إشارة إلى أن بداية خلق الإنسان تختلف عن بداية خلق الكائنات الحية الأخرى، ولأي سبب من الأسباب لا تخضع للنواميس والسُنن التي يخضع لها نشوء الكائنات الأخرى، وبهذا تكون حالة استثنائية، وربما يكون هذا التخصيص إشارة إلى أن نشوء الإنسان أصعب إدراكاً، مقارنة بنشوء الكائنات الأخرى، وهذا مرده إلى أن الإنسان أرقى الكائنات ـ أكده القرآن في أكثر من آية ـ وأكثرها تعقيداً، وإذا توصل الإنسان إلى معرفة أصل الكائنات الحية، والآلية التي تم بها، فما عليه إلا الاجتهاد لمعرفة أصل الإنسان، وإذا توصل الإنسان إلى معرفة كيفية نشوء الإنسان فلم يعد من الصعب عليه التوصل إلى معرفة نشوء الكائنات الأخرى، للتيسير على علماء المسلمين ورحمة بهم ذكر الله أن نشأة الإنسان الأولى كانت من الطين:

(الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ) (السجدة-7)

لم يذكر نشأة الكائنات الحية الأخرى، وهذا ربما راجع لعلم الله ـ سبحانه وتعالى ـ الأزلي بصعوبة إدراك الحواس البشرية هذا الأمر، ولتخفيف الاستغراب وتذكير الإنسان بأنه في أحسن صورة في الوقت الحاضر، وكذلك بقية الكائنات الحية والأشياء غير الحية في أحسن صورها التي أرادها الله، فسبق ذكر النشأة بأن الله أحسن خلق كل شيء فوضعه في صورته المُثلى التي يجب أن يكون عليها وليس البشر فقط.

الإنسان خُلق على مراحل

هناك فرق بين بداية الخلق أي النشوء وبين الخلق



في حد ذاته، الذي يعني إبداع الشيء على غير مثال سابق له، وبعد أن ذكر الله المادة الأولية التي نشأ منها الإنسان ترك معرفة كيفية خلقه (كيفية إبداع الله في صنعه) إلى اجتهاد الإنسان بما منحه الله من عقل وحواس، ووردت مادة خلق في القرآن الكريم بعدة صيغ: فجاءت بصيغة المصدر: (خلق) 80 مرة، وهي تتناول الخلق بصفة عامة. وبصيغة الفعل الماضي مضافاً إلى نون العظمة: (خلقنا)31 مرة. وبصيغة: (خلقكم) 18 مرة، وهي تتناول خلق الإنسان. وبصيغة الفعل المضارع للدلالة على الاستمرار (يخلق) 13 مرة. وبصيغة (خلقناكم) 8 مرات، وبصيغة اسم الفاعل (خالق) 7 مرات، منها ما يتناول الخلق بصفة عامة ومنها ما يتناول خلق الإنسان، و6 مرات بصيغة: (خلقه)، و5 مرات بصيغة: (خلقوا).

وجاء في القرآن الكريم أن الله خلق الإنسان من عدة مواد مختلفة، منها (التراب):

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [سورة الحج، الآية: 5]

و(الحمإ المسنون):

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾

[سورة الحجر، الآية: 26]

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [سورة الحجر، الآية: 28]

و(الصلصال الذي يشبه الفخار):

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾

[سورة الرّحمٰن، الآية: 14]

و(الماء الدافق):

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [سورة الطارق، الآيات: 5-7]

والماء:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [سورة الفرقان، الآية: 54]

يتبين من الآيات السابقة أن خلق الإنسان تم على مراحل مختلفة، أي أطوار:

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [سورة نوح، الآية: 14]

وأن كل مادة من هذه المواد تشكل بداية مرحلة من مراحل الخلق هذه، وفي كل مرحلة يبدع الله في خلق الإنسان، والإبداع لا يكون إلا في صورة جديدة مخالفة للصورة التي كان عليها في السابق وإذا كان المخلوق يشبه أو على الهيئة السابقة فلم يكن إبداعاً ولهذا استعمل الله لفظ (خلق) في كل المراحل، وهذه المراحل هي مراحل لاحقة تأتي بعد بداية الخلق والتي كما ذكرنا سابقاً كانت من الطين، والخلق على مراحل يعني ضمنياً: التطور.

الخلق على مراحل يعني التطور

يستخدم مصطلح (خلق أو تخليق) (Synthetic) في علوم الأحياء، ويُعرّف على أنه، تكوين أو إنتاج مادة غير موجودة من قبل، سواء في جسم الإنسان أو أي كائن حي آخر، وكيميائياً يُعرف على أنه، إنتاج أو تصنيع مادة عن طريق تفاعلات كيميائية معينة.

ولغوياً (الخلق) كما ذكرنا سابقاً، هو إبداع الشيء دون سابق له، أما التطور في الوسط العلمي فله عدة تعريفات حسب المستوى الذي يحدث عنده، ومن هذه التعريفات: أي تغير يُحسّن من حالة الكائن الحي ويُورث من جيل إلى آخر، ويعرّف أيضاً بأنه انتاج أنواع جديدة أكثر ملاءمة للظروف البيئية السائدة في تلك الفترة من أنواع كانت موجودة في السابق، ولغوياً التطور يعني الاختلاف (القاموس المحيط)، وفي الوسط العلمي توجد علاقة وطيدة بين التطور والاختلاف، حيث يقوم التطور أساساً على الاختلاف في المادة الوراثية وينتج عنه اختلاف في الشكل الخارجي وما يترتب عليه من تغييرات.

على العموم لم يرد في القرآن الكريم ما ينص صراحة على أن الإنسان تطور (أو يتطور) أو خلق على مراحل، ولم ترد مادة طّور في هذا السياق في القرآن الكريم إلا مرة واحدة في شكل كلمة (أطواراً) وهذا لا يعني أن الإنسان لا يتطور.

ورد ذكر النشوء في القرآن الكريم في شكل شمولي، أي دون تخصيص.

أدلة القرآن الضمنية على حدوث التطور في الإنسان

إن خلق الإنسان على مراحل، ليس انتقاصاً من قدرة الذات الإلهية، في عدم قدرة الله على خلق الإنسان في مرحلة واحدة، وربما يكون خلق الإنسان على مراحل كما خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام، والأيام هنا مقصود بها مراحل أو خطوات وليس الأيام التي نعرفها.

ويمكن إدراك حدوث تطور الإنسان في كثير من الآيات القرآنية كما في الآية:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ

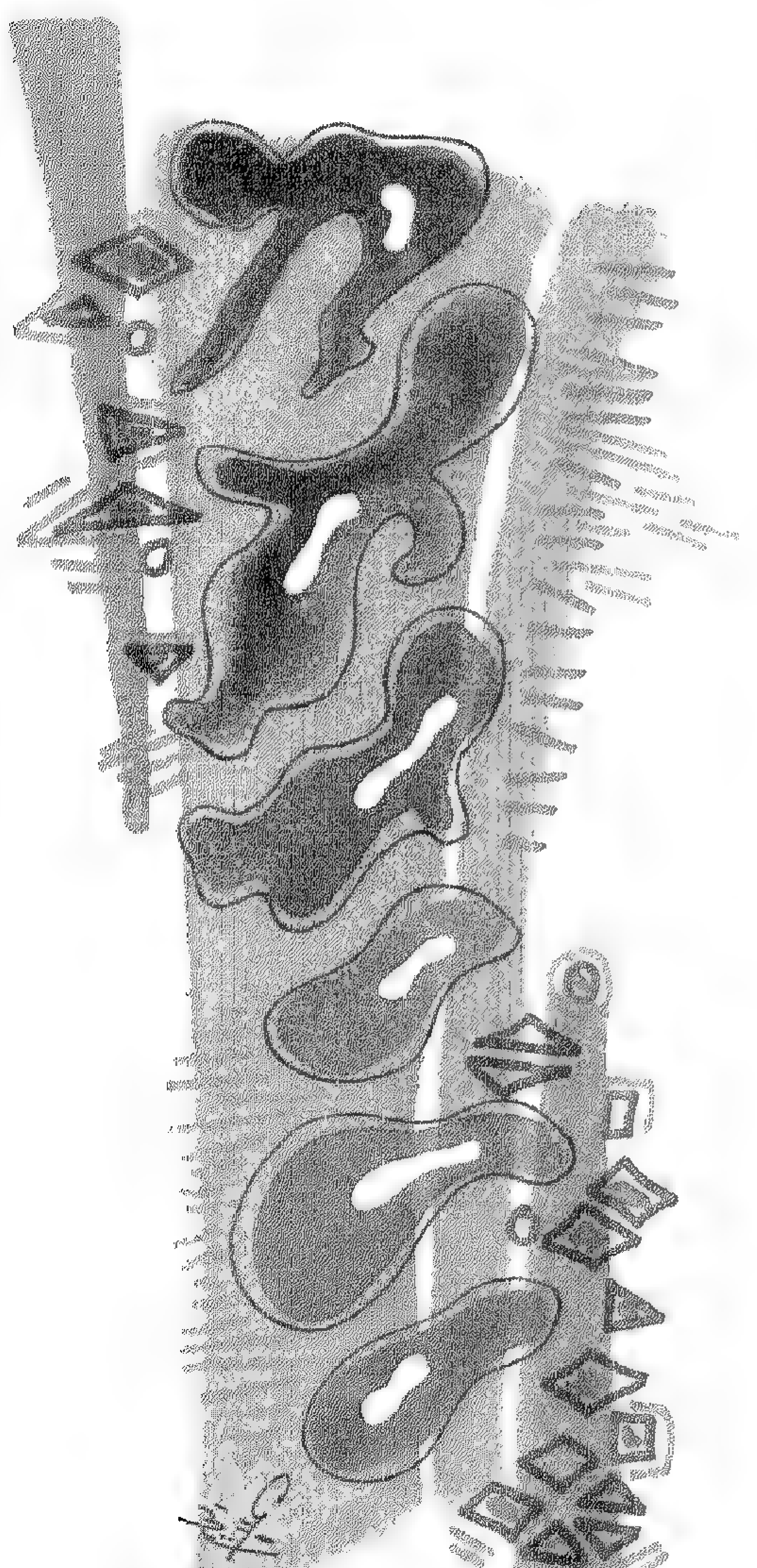
عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾

[سورة المؤمنون، الآيات: 12-14]

وكلمة السلالة لغوياً لها معان كثيرة، منها ما يسلت من شيء ما، ويُفصل عنه (القاموس المحيط للفيروزابادي)، وتعني أيضاً ما يحرك في الخفاء، والخفاء قد يتعلق بالشيء ذاته، وقد يتعلق بالحركة، وقد يكون كلاهما خفياً، والشيء يكون خفيا حين يكون مفرطاً في الصغر أو مفرطاً في الشفافية أو في العتامة، أو مفرطاً في البعد، أو حين يختفي وراء غيره أو في ثناياه، والحركة تكون خفية حينما تكون مفرطة في السرعة، أو مفرطة في البطء، وتعني أيضاً سمكة، وفي لغة العلم، السلالة تعني النسل الذي ينتجه الكائن الحي طوال فترة حياته، ولا تستخدم للجماد لأنه ليس للجماد نسل، والطين من هذه الجوامد التي ليس لها نسل، ولهذا يمكن تفسير الآية على أن الله خلق الإنسان من سلالة أو نسل الكائنات الحية التي خلقها الله من طين.

ذكر الله تعالى أنه خلق الإنسان أولاً، ثم بعد ذلك صوّره:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: 11]



وهكذا يتضح أن الإنسان عند بداية خلقه لم يكن على الصورة التي هو عليها في الوقت الحاضر، بل كان في المراحل الأولى مخلوقاً بسيطاً، ولم يكن في هذه المراحل يُسمى إنساناً:

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [سورة الإنسان، الآية: 1]

و

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [سورة مريم، الآية: 67]

ووصل إلى هذه الصورة التي هو عليها في الوقت الحاضر بعد فترة زمنية بدليل استخدام حرف العطف (ثم)، وهذا يتفق مع علم التطور، وأكد الله عز وجل على هذا، فذكر ثلاث مراحل لتطور الإنسان:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۞ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [سورة الانفطار، الآيتان: 6-7]

وهذه تتضمن إشارة واضحة إلى أن الإنسان وصل إلى هذه الصورة التي هو عليها الآن على مراحل، وأن الإنسان بعد عملية خلقه مباشرة وهي المرحلة الأولى لم يكن مستوياً، بل حدث الإستواء أي تحرير الأيدي من الأرض وانتصاب القامة بعد مرحلة الخلق، وهذه المرحلة الثانية، وأن الإنسان بعد عملية الإستواء لم يكن معتدلاً بل حدث الإعتدال بعد أن استوى الإنسان، وهذه مرحلة ثالثة، وبهذا الخصوص ذكر (الشيخ الكبيسي) أن مراحل خلق الإنسان بدأت بخلقه بشراً حيواناً فأطلق يديه من الأرض، وهذا يتطابق مع ما يُعرف في الوسط العلمي بأشباه البشر ape.(apean) تعني قردًا، وmang تعني إنسانًا، والترجمة الدقيقة للمصطلح هي القرد الإنسان، وهي مخلوقات لها بعض صفات القرود وبعض صفات الإنسان، وقد عُثر على الكثير من الحفريات لهذه المخلوقات في مناطق مختلفة من الكرة الأرضية، والذي بفضلها بات التاريخ التطوري للإنسان أكثر وضوحاً، ولم يعد مجال للشك في صحة هذه الأدلة (14-15).

بعد أن وصل الإنسان إلى هيئة معينة أصبح مهيئًا ليخلف الله في الأرض، ويحمل الأمانة، فكرمه الله ونفخ فيه من روحه من دون سائر الكائنات الأخرى فجعلته النفخة إنساناً، ولم يكن يُسمى إنساناً كما ذكرنا سابقاً، فجعلته النفخة في أجمل صورة، وأبهى خلقة وجعلته أعظم مخلوق خلقه الله عز وجل، ويبدو أن النفخة في البداية قد تمت في فرد واحد فقط، فخلق منها أبو البشر سيدنا آدم ـ عليه السلام، أما بالنسبة لخلق حواء ـ أم البشر أجمعين ـ فربما تكون خلقت بالطريقة نفسها التي خلق بها آدم مع الفارق في الزمن أي بتكرار النفخة.

وفي الختام، الموضوع يحتاج جهوداً كبيرة من ذوي الاختصاص، سواء من علماء التفسير الأجلاء والأطباء وعلماء الأحياء، وطالما هناك حياة فهناك علوم مستمرة ومتغيرة، وما ينطبق على العلوم ينطبق على علم التفسير، لأنه أحد هذه العلوم، ولهذا فإن جميع الروايات والفرضيات والنظريات العلمية الخاصة بتاريخ الحياة ليست قطعية، وطالما بقينا موضوعيين في بحثنا عن الحقيقة فإنها تبقى كذلك.

هل تعرضت نظرية تشارلز داروين للتحريف خصوصاً من قبل الملحدين لخدمة أغراض غير الغرض الذي أُعدت من أجله.

ونختم هذه المقالة بما ذكره تشارلز داروين في الفقرة الأخيرة من كتابه (أصل الأنواع): ثمة عظمة بلا حدود في هذه الرؤية للحياة بقواها المتعددة، وهي التي ترجع في أصولها إلى صنعة الخالق الذي أنشأها في شكل أو عدة أشكال على هذا الكوكب ـ الماضي في دورانه حسب ما تقتضي الجاذبية ـ من بداية غاية في البساطة، أشكال لا حصر لها ولا حدود لروعتها الأخّاذة المدهشة وجدت وما تزال تتطور(16).

الخلاصة:

تبين الآيات القرآنية التي تم تناولها في هذه الدراسة أن الإنسان لم يخلق على الهيئة التي هو عليها

في الوقت الحاضر، بل مر بمراحل مختلفة حتى وصل إلى هذه الصورة، وفي كل مرحلة من هذه المراحل يتم خلقه، أي إبداعه على غير سابق له من قبل المولى - عز وجل - على هيئة أفضل من الهيئة التي كان عليها، حتى وصل إلى الهيئة التي هو عليها في الوقت الحاضر، ولا شك أن هذه المراحل استغرقت الكثير من الوقت، مراحل الخلق المختلفة هذه، هو ما يُعرف في الوسط العلمي بالتطور الحيوي، وهذا ما صاغه عالم التاريخ الطبيعي تشارلز داروين بشكل موسع ليشمل كل أنواع الكائنات الحية في نظرية عُرفت بنظرية (التطور الحيوي) أو نظرية (الانتقاء الطبيعي) والتي خلصت إلى أن الإنسان أرقى أنواع الكائنات الحية وهذا ما أكده القرآن الكريم أكثر من مرة.

إن هذه النظرية تعرضت إلى الكثير من التحريف خصوصاً من قبل الملحدين لخدمة أغراض غير الغرض الذي أُعدت من أجله، ألا وهو تفسير الاختلاف بين الكائنات الحية وكيفية نشوء المجاميع الحيوانية، الأمر أثار حفيظة المسلمين وأهل الكتاب من يهود ومسيحيين، فاتخذوا مواقف متشددة حياله.

المراجع:

1 - درنيقة، م.أ(دون تاريخ) القرآن والعلم، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.

2 - غنيم، ك.أ (دون تاريخ) المعارضون للإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة، مناقشة الآراء ودحض الحجج، موضوع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة، www.55a.net

3 - جارمن، ك(1983) تطور الحياة، مكتبة الثقافة العلمية الميسرة، معهد الإنماء العربي - بيروت - (ترجمة ب.أ. الشرقاوي).

4 - Green, N.P.O., Stout, G. W., Taylor (1994) Biological Science 1&2, Cambridge niv. press, Cambridge

5 - السمالوطي، ن(2006) قراءة في موقف بعض علماء الاجتماع وبعض المقررات الدراسية في الغرب، مجلة التواصل، 9 - 68،87.

6 - يحيى، هـ (2003) التضحية عند الحيوان، مؤسسة الرسالة، بيروت.

7 - الحوالي، س.ع (دون تاريخ) العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة.

8 - السباعي، ع.ج.(دون تاريخ) مجلة الوعي الإسلامي، 456.

9 - عبدالحميد، ن(2006) أثناء تعليقها على شريط وثائقي بعنوان «عائلة تمشي على أربع» أذيع في فضائية العربية يوم الخميس الموافق 18-5-2006، ونصه موجود في موقع الفضائية على شبكة المعلومات الدولية.

10 - Ruse, M. (2004) Can a Darwinian be Christian?: the univ. relationship between science and religion. Cambridge press, Cambridge، (هل بإمكان الدارويني أن يكون مسيحياً..؟ العلاقة بين العلم والدين).

11 - حسب النبي، م (1995) الزمن بين العلم والقرآن، مجلة الإصلاح، العدد325.

12 - طيرة، ع.م (دون تاريخ) خلق الإنسان من طين في ضوء القرآن الكريم.

13 - الكبيسي، أ. (2006) لقاء حول موضوع بعنوان «عائلة تمشي على أربع» أذيع في فضائية العربية يوم الخميس الموافق 2006/5/18، ونصه موجود في موقع الفضائية على شبكة المعلومات الدولية.

14 - Futuyma, D. (1986) Evolutiounary biology. Senauer Associates, INC Publishers, Sunderland.

15 - المصري، ع. م (2002) النشوء والتطور في الكائنات الحية، منشأة المعارف، الإسكندرية.

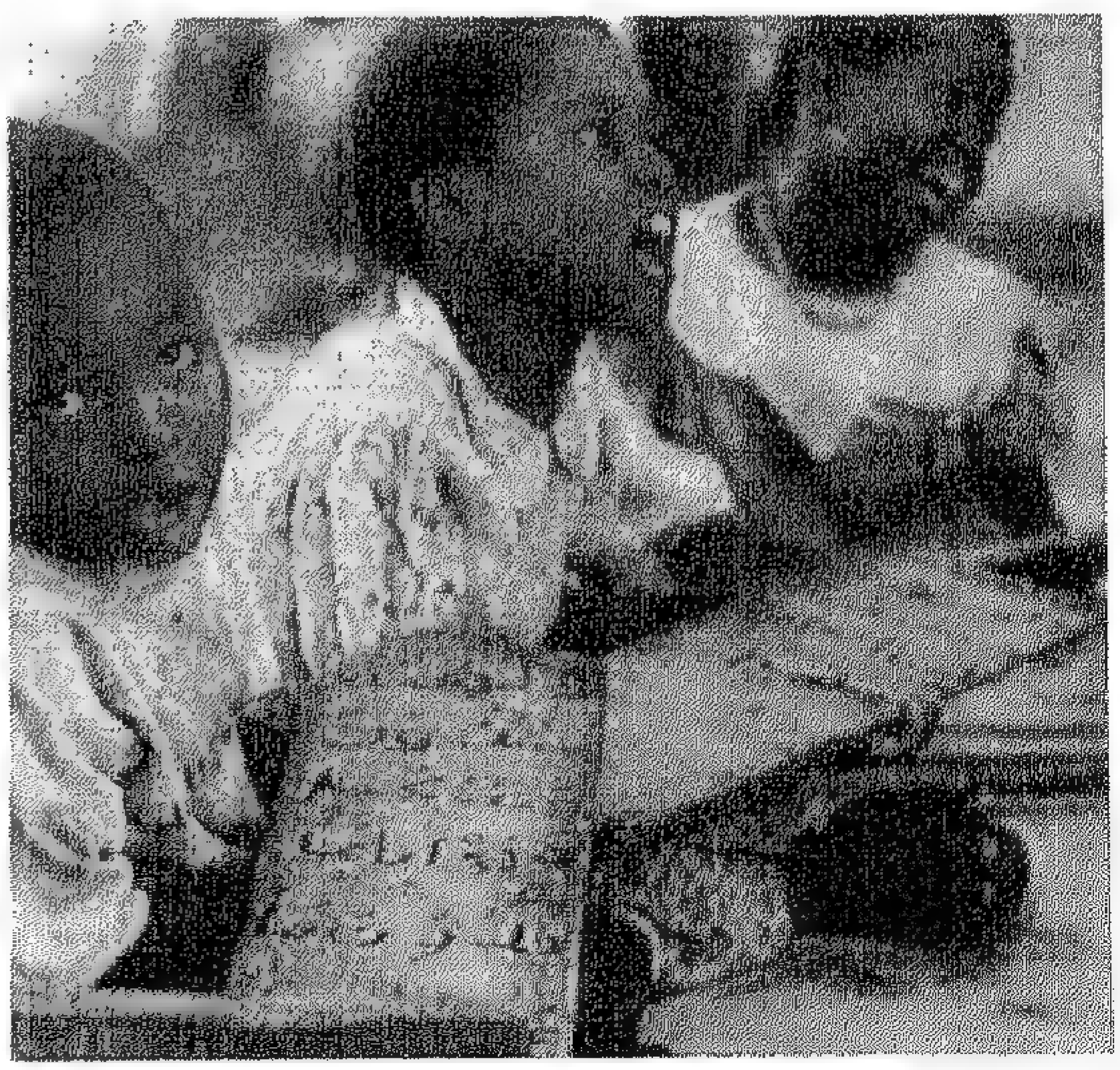
16 - Darwin, C. (1859) The origin of the species by means of natural selection. Penguin Books, Harmondsworth (reprint 1968).

يشكر الباحثان كلاً من: د. سليمان مختار إسماعيل، استاذ اللغة العربية على المراجعة اللغوية والملاحظات القيمة على مسودة هذه المادة، وكذلك د. عبدالوهاب الصلابي، أستاذ الفيزياء، وأ. محمد علي، لملاحظاتهما القيمة حول الموضوع.

مظاهر الهجوم على اللغة العربية في إفريقيا الغربية

د. عبد الرحيم شئت ثاني *

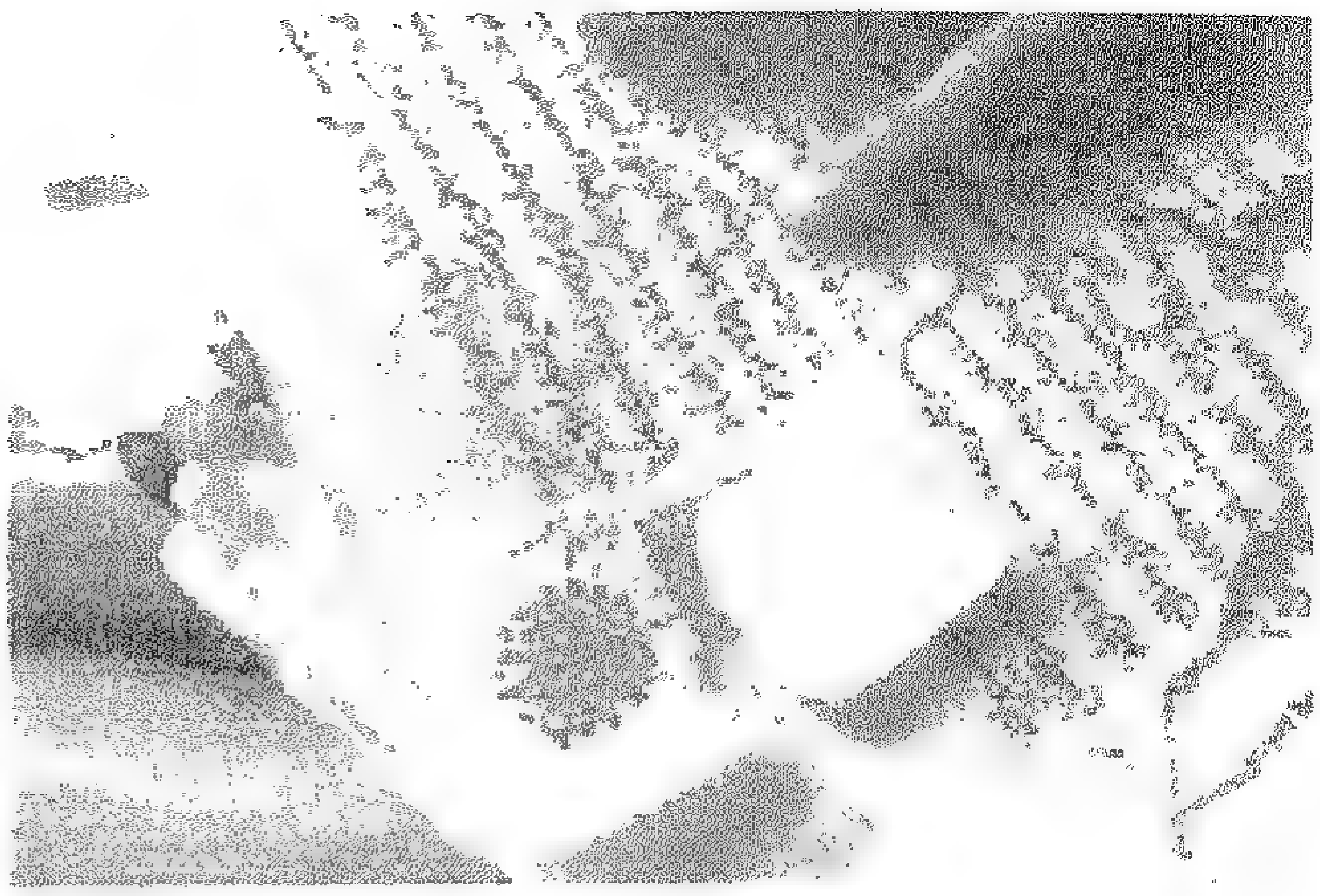
كان الاتصال بالحضارة العربية الإسلامية أول اتصال حضاري خارجي عرفته الشعوب الإفريقية، فكانت اللغة العربية أول لغة أجنبية تحتك باللغات الإفريقية، وتتعايش معها. ولم تلبث أن فرضت العربية نفسها على هذه اللغات، بسبب ما تتمتع به من ثروة لغوية، وتراث تليد، وثقافة واسعة، وحضارة عريقة، فاتخذها الأفارقة لغة السياسة والإدارة والثقافة والحضارة. وهكذا انتشرت اللغة العربية بين عدة شعوب إفريقية، وكتب بها الأفارقة مراسلاتهم، وألفوا بها كتبهم، وأسهموا في الفكر العربي والثقافة الإسلامية. كما قامت المؤسسات العلمية في إفريقيا لغة، وثقافة، وحرفًا، في إطار الحضارة العربية الإسلامية، لفترة تربو على ثمانية قرون؛ حتى شاءت الأقدار أن تطالها الأيدي المعادية للإسلام، والناقمة على كل ما له صلة به، فكان الزحف الاستعماري في نهاية القرن التاسع عشر؛ وقد بذل المستعمرون جهودًا مضنية للقضاء على وجود هذه اللغة في إفريقيا، وخاضوا في سبيلها معارك عدوانية دامية، حققوا في أغلبها انتصارات ظالمة باغية، أدت إلى طمس كثير من معالم اللغة العربية في القارة الإفريقية.



اللغة العربية قبل الحقبة الاستعمارية وخلالها

أدرك المستعمر أن اللغة العربية وصلتها بالإسلام هي رمز قوة الأمة الإسلامية ووحدتها في إفريقيا، وأن حفاظ الأفارقة عليها يعد حفاظًا على الشخصية الإسلامية المتميزة، وكيانها المستقل، وحماية لتقاليدها، وأعرافها، وطبائعها النفسية والسلوكية، بل إن بقاء هذا الدين قويًا فيها، مرتهن بحياة هذه اللغة، ومتسقًا مع مستويات ازدهارها وضعفها.

* باحث وأستاذ جامعي / النيجر.



لذا، حرص المستعمر الغاشم، فور احتلال الأراضي الإفريقية، على العمل من أجل القضاء على اللغة العربية، حتى يقطع الصلة بين الأفارقة وبين الأمة الإسلامية، ويقضي على الروابط الثقافية التي تربط الأهالي والأجيال المتعاقبة ويفكك الوحدة الإفريقية، ويشتت كلمة الأفارقة، بالقضاء على وسيلة التواصل بينهم.

ولكن اللغة العربية التي كانت تحمل بالنسبة لسكان المنطقة بمن فيهم غير المسلمين سجلاً تاريخيًا ضافيًا، يتصف بالحيوية، سواء قبل الحقبة الاستعمارية أو في أوج قوتها، وتمثل مصدرًا تاريخيًا فريدًا استعصت على المستعمر، إذ كانت اللغة الحية الوحيدة المكتوبة، التي كانت تعرفها المنطقة أيام حلَّ بها الاستعمار، كما كانت لغة السياسة والإدارة، ولغة الاقتصاد، حتى لغير المسلمين. وذلك لأن ازدهار الحضارة الإفريقية، وبداية العصر الذهبي لتاريخ إفريقيا، كان بمجيء الإسلام ولغته العربية، يقول جولي الفرنسي: «إنه بالإسلام يبدأ العصر التاريخي لإفريقيا السوداء»(1). إذ بمجيء الثقافة العربية الإسلامية إلى إفريقيا، برزت الخصائص المميزة للحياة الإنسانية في تلك القارة، وقامت حكومات ونظم إدارية متقدمة، ويمثل الإسلام القوة الدافعة المحركة، التي خطت بالحياة في إفريقيا عامة، وغربيها خاصة.

وبحكم المركز المتميز الذي كانت تحتله اللغة العربية في المنطقة في تلك الفترة، فقد اتخذها المستعمر في بداية احتلاله لغة الإدارة والسياسة، من أجل تثبيت أركان وجوده، مع وضع خطة محكمة للقضاء عليها تدريجيًا.

ولم يلبث أن بدأ الصراع بين اللغتين: العربية الإسلامية، والأوروبية الاستعمارية في القارة الإفريقية، وكانت اللغة محل التنازع، لكونها وسيلة نقل الثقافة؛ فوضع المستعمر مخططات قوية ومحكمة للقضاء على هذه اللغة، تتمثل في الآتي:

المخطط الأول: تجريد اللغة العربية من رداء القدسية: أدرك المستعمر أن الأفارقة يضفون على العربية قدسية الدين الإسلامي، وأن هذه القدسية تنطلق من كونها لغة القرآن العظيم، الذي هو منهاج حياتهم، وقوام وجودهم، وأن لا سبيل لهم إلى العلم بالقرآن والعمل به، إلا بتعلم اللغة العربية؛ فكانت الخطوة الأولى التي قام بها الإستعمار الغربي تتمثل في تخريب هذه اللغة وتشويه صورتها في عيونهم وعقولهم، وفي ذلك ما يضمن للمستعمر الفوز عليهم بأقل الخسائر وأرخص التكاليف؛ فاللغة العربية حين تفقد قدسيتها، فإن أهميتها الدينية تزول، ومن ثم تسير إلى ما سارت إليه اللغات البائدة. وقد غفل من حارب اللغة العربية عن حماية الله عز وجل لها بالقرآن الكريم، قال تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾

[سورة الحجر، الآية:9]

المخطط الثاني: حرق وتدمير المصادر العربية في الحضارة والثقافة الإفريقيتين:

وجد المستعمر أن كثيرًا من الكتاب الأفارقة المسلمين كتبوا كتبًا كثيرة باللغة العربية عن

---

1 ـ دياب، أحمد إبراهيم، لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث، ص: 26–27.

مجتمعاتهم وممالكهم، فأدرك أن هذه الكتابات تمثل الروافد التي ستزود الجيل الصاعد بثقافة أسلافهم، ومن ثم عمد إلى تدمير هذه المصادر، حيث قام المبشرون بحرق ما وجدوه من هذه المؤلفات، ثم أكمل الاستعمار ما تبقى، حتى يقطع الصلة بين هذه الشعوب واللغة العربية، ومن ثم يؤكد ما تردد في كتاباتهم المختلفة أن إفريقيا لم تدخل في مسرح التاريخ إلا بفضل التدخل الأوروبي[2].

المخطط الثالث: فرض حصار ثقافي شامل على المنطقة وقطع جميع سبل الروافد الثقافية عنها؛ فقد سدَّ الاستعمار جميع القنوات التي تمد الحركة الثقافية في المنطقة بما تحتاج إليه من مصادر؛ وخصوصًا قنوات شمال إفريقيا التي كانت منفذًا رئيسًا للثقافة العربية الإسلامية إلى المنطقة، لوعيه التام بالدور الهام والحيوي، الذي تلعبه قنوات التواصل الممتدة بين دول شمال إفريقيا ومنطقة غربي القارة، في ترسيخ الثقافة العربية فيها، ومن ثم نقلها إلى منطقة وسط القارة وجنوبها. يقول الدكتور عبدالله عبدالرزاق: «كانت الموجة الاستعمارية تتركز في المقام الأول على المسلمين في شمال القارة، باعتبارهم الحصن الحصين، والدرع المتين الذي يدافع عن الإسلام وعن المسلمين[3].

أصبح المجال الثقافي في هذا العصر، أقوى وأسرع وسيلة فرض هيمنة لغة على أخرى

المخطط الرابع: فتح مكاتب المراقبة بإشراف اليهود

فتح المستعمر مكاتب لمراقبة كل المطبوعات الواردة إلى المنطقة، وكان الذين يشرفون على جهاز المراقبة غالبًا من اليهود؛ وفي خطوة موازية كانت مكاتب المراقبة تعطي تصريحات ورخصًا لإدخال الكتب، التي تحمل أفكارًا مضادة للإسلام ومخالفة لتعاليمه، وتنادي بمناصرة المستعمر، والخضوع لأوامره، من أجل ترويج ما تقدمه من أفكار وآراء تتعارض مع المبادئ الإسلامية في مواجهة الخط الإسلامي الأصيل، الذي يرفض الخضوع للهيمنة الخارجية، تلك الهيمنة التي تحمل في نظر مسلمي المنطقة، طابع الكفر، وتريد فرضه عليهم بالقوة[4].

المخطط الخامس: القضاء على المؤسسات والمجالس العلمية والثقافية التي كانت قائمة وتؤدي دورًا فكريًا واجتماعيًا متميزًا، بما تخرجه من الأئمة والقضاة والمثقفين، وقد سلك المستعمر في سبيل تنفيذ هذه الخطة التخريبية الخطوات الآتية:

أولاً: الحد من انتشار العربية، بمحاربة أعلامها والتضييق عليهم، وممارسة ضغوط نفسية ومادية ضدهم، من أجل جعل المستوى العلمي يتجه نحو الانحدار تمهيدًا للقضاء عليها، إضافة إلى سد المنافذ العلمية والمصادر الثقافية، التي تغذي الحياة الثقافية الإسلامية في المنطقة، وكذلك تضييق الخناق على المؤسسات العربية والإسلامية، حيث يرفض أحيانًا منح الرخص للراغبين في فتح المدارس العربية.

ثانيًا: محاولة تحديد حركة الابتعاث تمهيدًا لإيقافها نهائيًا[5]، وقد وضع المستعمر قيودًا وشروطًا قاسية على الشباب الذين يرغبون في مواصلة دراستهم في البلاد العربية والإسلامية، ولم يسمح بخروجهم، إلا بعد أن يطمئن لضعف عقيدة المترشح وانحرافه الديني، بل إنه كثيرًا ما يستولي على المنح، ويحجزها حتى تنتهي صلاحيتها، أو يرسل أبناء الأسر المسيحية، إذا كانت الجهة المعنية لا تشترط الإسلام في المترشح.

2 ـ دياب، المرجع السابق، ص:29.

3 ـ إبراهيم، عبدالله عبدالرزاق، المسلمون والاستعمار الأوروبي إفريقيا، ص:10.

4 ـ سيلا، عبدالقادر، المسلمون في السنغال، ص:90.

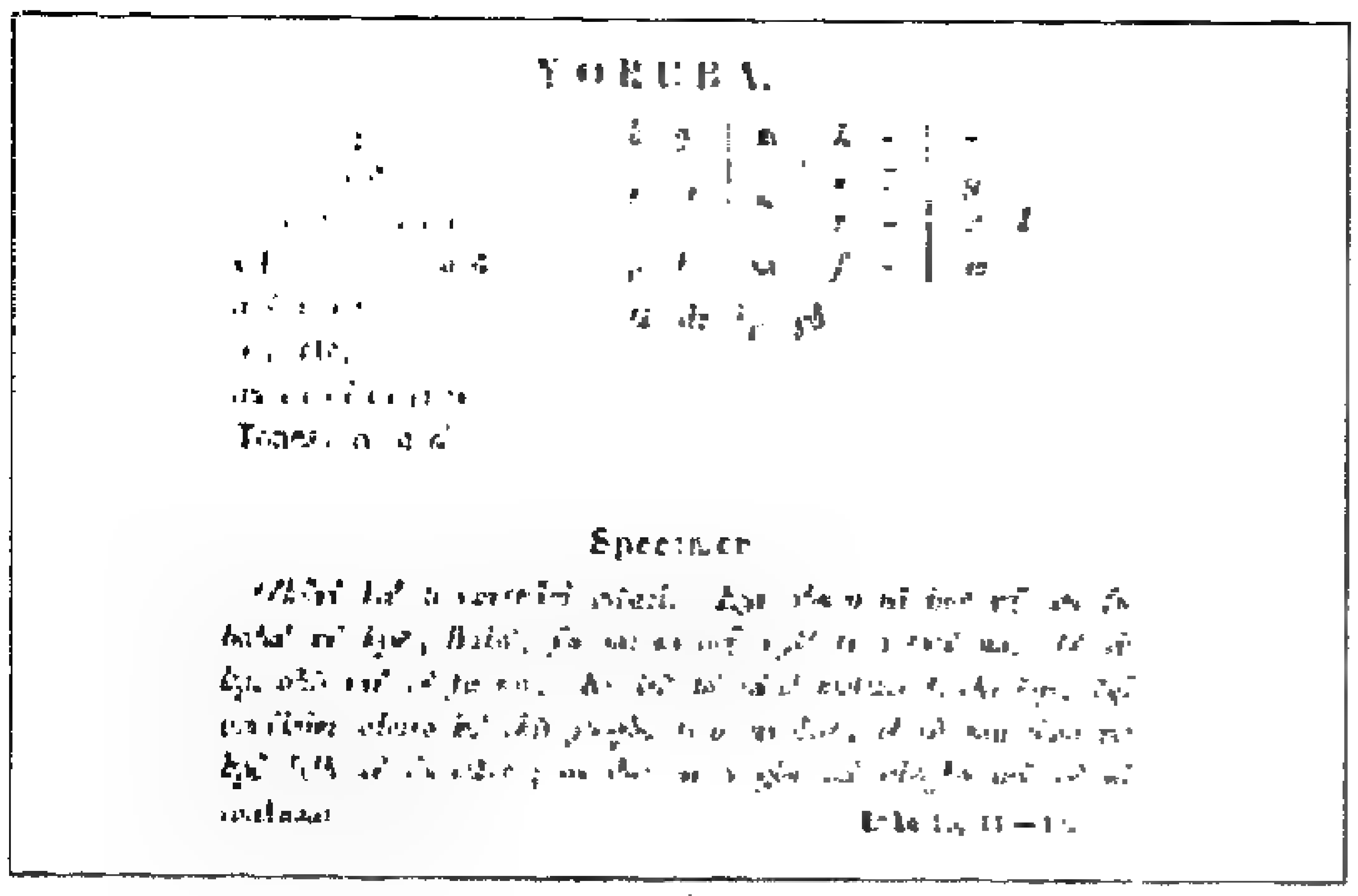
5 ـ جارا، الحسن الفاروق، المجاعة الفكرية في إفريقيا، مجلة البيان، العدد 141، سبتمبر 1999 مسيحي.

ثالثًا: السعي الجادّ إلى جعل المدارس الاستعمارية، التي كانت ذات مضمون تنصيري صرف، تحل محل المؤسسات الإسلامية الثقافية، لأنه كان يشعر تجاه هذه الأخيرة بقلق كبير، من جراء نفوذها الاجتماعي، ودورها في خلق الوعي الجماهيري، وصقل الرؤية الوطنية التي تنادي بالمقاومة ورفض الهيمنة الخارجية، وفي هذا الإطار جاءت فكرة تأسيس المدارس المزدوجة، التي تدرس فيها المواد العربية إلى جانب المواد الفرنسية، وتكون السيطرة الكاملة للمواد الفرنسية.

ولقد كان لهذه المدارس، أثر سيئ على مستقبل الثقافة العربية في المنطقة؛ يستنتج ذلك من الإستراتيجية التي تم رسمها، والأهداف التي سعت إلى تحقيقها، فعندما بدأت المدرسة الفرنسية تأخذ طابعها النهائي في إفريقيا الغربية. كان في تلك البلاد عدد كبير من المدارس العربية، التي تأسست في الماضي، وبعضها كان له شهرة كبيرة وقديمة مثل مدرستي: تمبكتو ـ وجني، اللتين بلغتا مرتبة الجامعات في أيام «الأسكيين» على الخصوص؛ ولم يكن من صالح الاستعمار الفرنسي إغلاق تلك المدارس، التي أنشئت لها فروعًا في عديد الجهات، كما لم يكن من صالحه أبدًا تركها تؤدي دورها كما كانت تعمل في الماضي[6]؛ فقد قام بتغيير برنامج هذه المدارس فلم تعد ترقى إلى مستوى الجامعات الإسلامية، وإنما تحولت إلى مجرد مدارس فرنسية عربية، يسيطر فيها اللسان الفرنسي والعلوم الفرنسية على اللغة العربية، والثقافة الإسلامية.

رابعاً: تهميش أصحاب الثقافة العربية والإسلامية ليبقوا في حالة مادية متدنية داخل مجتمعهم، وذلك لتخفيف الحماس في نفوس الذين يرغبون في تعلم اللغة العربية، وهذا واضح ومشاهد في جميع دول المنطقة.

وقد تكاملت هذه المخططات مع مخططات



محاولات فرض اللغات الأجنبية بالمدارس الإفريقية

تدميرية أخرى، أدت بمجموعها إلى انحسار في مساحة اللغة العربية في الساحة الثقافية الإفريقية، لصالح اللغات الأخرى، وأصبحت متأخرة عن اللغات الأجنبية، وبالتالي تفشت الأمية، وانتشرت بين صفوف المسلمين، مقارنة مع الأقليات المسيحية التي فتحت لها المدارس التنصيرية أبوابها، في حين تم تدمير المؤسسات التعليمية الإسلامية، أو تفريغها من محتواها.

وهكذا، فقد الإفريقيُّ شخصيته الثقافية التاريخية، وأصبح مغتربًا عن منابع حضارته (ثقافته الإسلامية ولغته العربية)، بل أصبح الأفارقة يصنعون بأيديهم وأموالهم «اغترابًا ثقافيًا» في سعيهم لنشر اللغات الأوروبية، ويبتعدون عن جذورهم الحضارية؛ كما أصبحت اللغات الأوروبية اليوم في إفريقيا، أكثر انتشارًا بين جيل ما بعد الاستقلال من الإفريقيين، منها قبل الاستقلال، كما أن اللغات الإفريقية التي ظلت قرونًا طويلة تكتب بالحرف العربي، أصبحت كلها الآن تكتب بالحرف اللاتيني، وذلك لقطع كل صلة باللغة والثقافة الإسلامية، وهذه المعركة الثقافية لا تزال مستمرة، حيث يخطط المتفرنسون لأن يكتبوا بالحرف اللاتيني، اللغات المحلية التي لم تكن مكتوبة أصلاً، خوفًا من أن يجرء أهلها على كتابتها بالحرف العربي، نظرًا لأن أكثر هذه اللغات تختزن آلافًا من الكلمات العربية[7].

---

6 ـ زبادية، عبدالقادر، العلاقات العربية الإفريقية، دراسة تاريخية ص:433، وما بعدها.

7 ـ دياب، أحمد إبراهيم، المرجع السابق، ص:12-21.

عالمية اللغة العربية وخصائصها

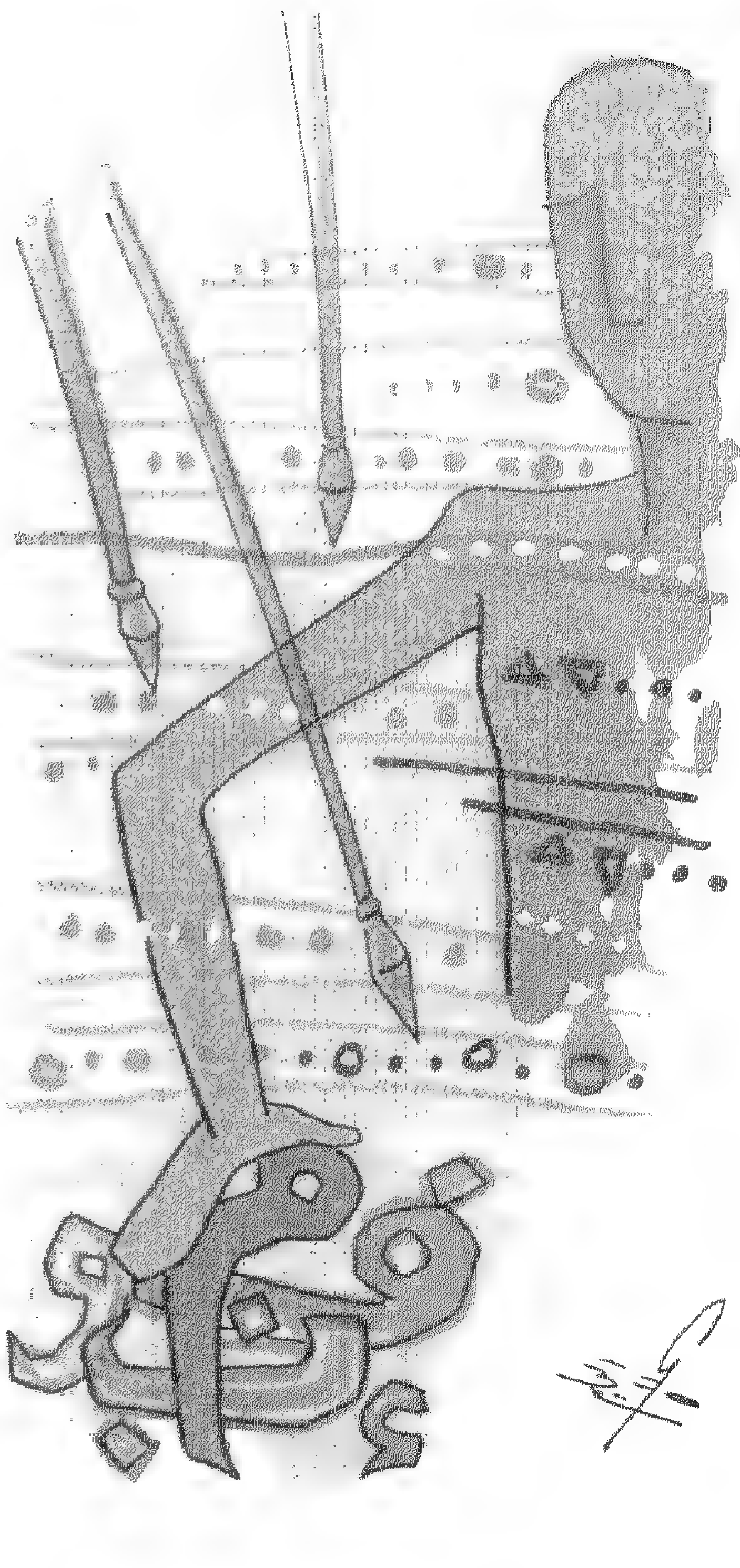
إن وضع آلية لإحياء لغة وتطويرها وتفعيلها في أية بقعة من الأرض، يعد ضربًا من الوهم ما لم تكن تلك اللغة تتمتع بخصائص لغوية وسمات لسانية تجعلها قادرة على مواكبة مستجدات العصور المتعاقبة. ومواجهة كل التحديات والصراعات اللغوية. وتتركز هذه الخصائص والسمات في عنصرين اثنين:

1 ـ عالمية اللغة.

2 ـ خصائصها اللغوية.

أما عالمية اللغة العربية فلا شك أنها تكتسب عالميتها بالدرجة الأولى من كونها لغة دين عالمي، وهو الدين الإسلامي، تلك العالمية التي ضمنت لها القدرة على مواكبة مستجدات العصور المتعاقبة، وإذا أضيف إلى ذلك مكانتها في المسرح الدولي، حيث تعدّ اللغة الرسمية لأكثر من ثلاثمائة مليون انسان، بالإضافة إلى كونها لغة عقيدة أكثر من مليار مسلم، تصبح أعرق لغة تتوفر لها خصائص القدم وسمات الحداثة. كما أن اللغة العربية لغة عمل ولغة رسمية للجمعية العامة للأمم المتحدة اعتمدت في عام 1973 مسيحي، بموجب قرار الجمعية العامة 3190 (د ـ 28) 1973/12/18 مسيحي، ثم تساوت مع باقي اللغات في سنة 1979 مسيحي، بموجب قرار الجمعية العامة 226/34، 20/12/1979 مسيحي، وأصبحت من بين لغات العمل واللغات الرسمية للهيئات الفرعية للجمعية في عام 1980 مسيحي، إلى جانب اللغات الخمس الأخرى، الأسبانية، والإنجليزية، والروسية، والصينية، والفرنسية، وحق لها أن تحتل هذه المكانة باعتبارها لغة حية، أثبتت على مر العصور والدهور أنها قادرة على التكيف والاستيعاب، لما لها من حضارة عريقة، وتراث تليد، ولما لأهلها من أهمية اقتصادية وسياسية في العصر الحديث.

أما خصائصها اللغوية: فإن اللغة العربية تتمتع في ذاتها ببناء قوي محكم، ومادة غزيرة، فهي رحبة الصدر ومطواعة، استطاعت أن تتغلب على لغات شعوب كثيرة في فجر الإسلام، لأن المسلمين لم يفرضوا



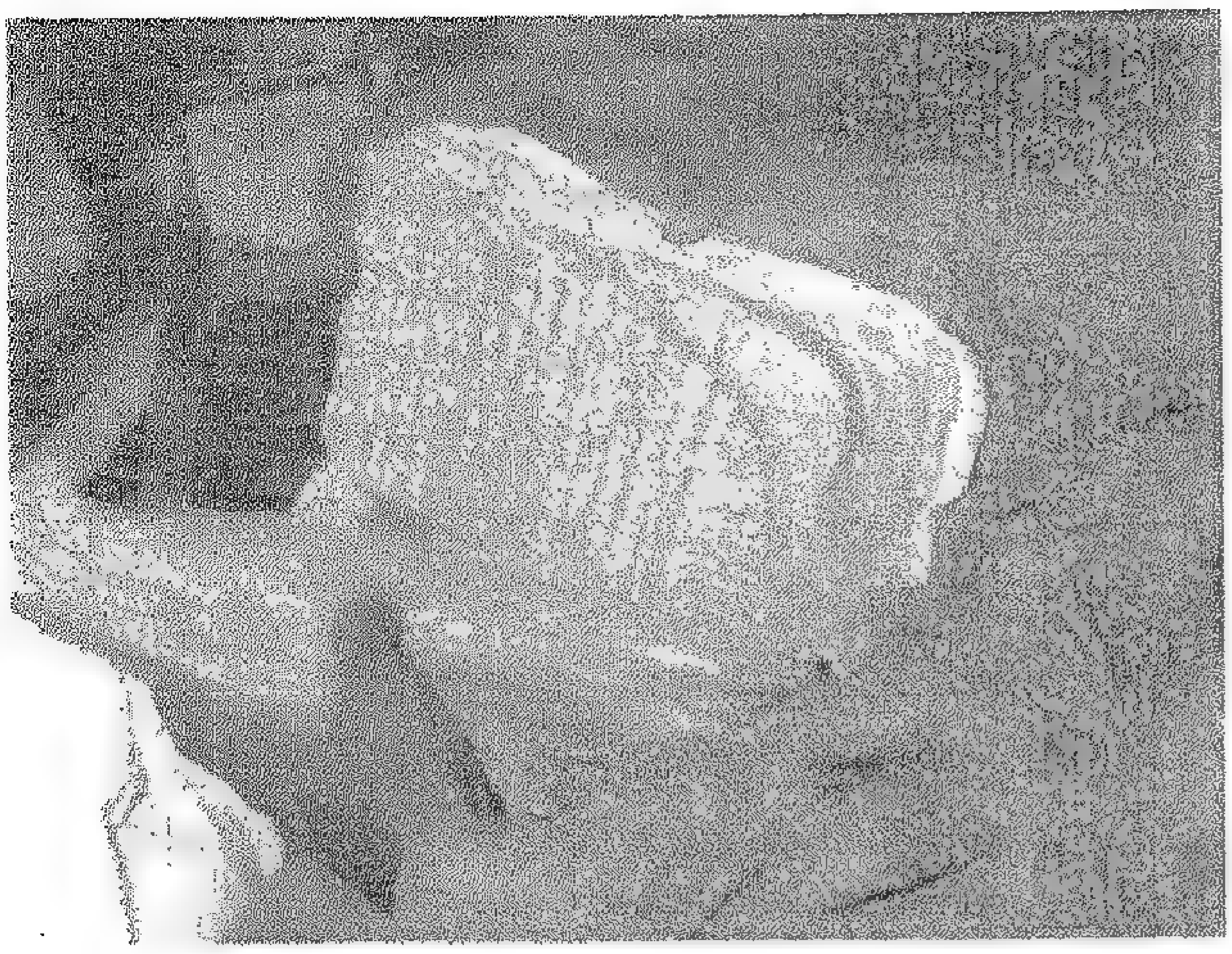
لغتهم ويتشددوا في ذلك في البلاد التي فتحوها، ولم يكن لهم من الوسائل العسكرية أو العلمية الحديثة ما يمكنهم من نشر لغتهم كما فعل الاستعمار في العصر الحديث، بَيْدَ أنهم يملكون لغة مرنة مطواعة، يعضدها دين ذا قدسية وتقدير في وجدان الشعوب المسلمة، وكان ذلك دافعًا روحيًا للشعوب الداخلة في الإسلام لتعلم هذه اللغة والاقبال عليها والحماس لنشرها.

وتعدّ اللغة العربية من أسهل اللغات تعلُّمًا، إذا طُوِّع تعليمُها لتتماشى مع مقتضيات العصر، من حيث التبسيط والتيسير والترغيب، وتطوير أساليب تعليمها للعرب أنفسهم وغير العرب، إذ يكفي فيها حفظ قواعد أساسية في النحو والصرف وتطبيقها لفهمها والتحدث بها، وهذا أهون من حفظ كل كلمة وكيف تكتب وكف تنطق، وكل فعل من الأفعال الشاذة الكثيرة وكيف يصرّف في الإنجليزية، وحفظ كل قواعد الإعراب وكيف تعرب الألفاظ الشاذة في الفرنسية. هذا إلى جانب ما تتمتع به من قواعد ثابتة لا استثناء فيها، في الكتابة والقراءة. على نقيض بعض اللغات الأخرى مثل الانجليزية والفرنسية التي يختلف فيها أحيانًا النطق والكتابة مما يمثل صعوبة في تعليمها.

وتتميز اللغة العربية، علاوة على ذلك، بسمات لغوية ولسانية كثيرة، تؤهلها لاستيعاب كل تطورات ومستجدات العصور المتعاقبة، كالاشتقاق الصغير والكبير والأكبر، والنحت، وكثرة أوزان الأفعال والأسماء، واستعمالات الحروف، وتعدد الصيغ لمفرد كلمة واحدة، وتعدد صيغ جمع مئات الكلمات، وغيرها.

وسائل إحياء اللغة العربية وتطويرها

إن السبيل إلى إحياء اللغة العربية وتطويرها في إفريقيا الغربية وغيرها، أن ترجع هذه الأمة إلى ربها، وتسترجع شخصيتها، وتستعيد سلطانها وهيبتها، وتُعيد النظر في أوضاع لغتها، مناهج وكتبًا ومعلّمين، ويؤدي الإعلام أمانته، ويحرص كل مسلم أن يكون قويًا أمينًا، عندئذ تقوى اللغة العربية وتصبح قادرة على كبح جماح أعدائها، ومواجهة كل التحديات.



كتب ومخطوطات إسلامية نادرة في الخزائن الإفريقية

أما في إفريقيا الغربية - على وجه الخصوص - فإن العمل على إحياء اللغة العربية فيها، لم يبدأ من فراغ، بل إنه يجد قاعدة صلبة راسخة وأرضًا خصبة غنية، لم تتأثر رغم كل العواصف والتحديات، فالثقافة العربية الإسلامية لها قدسية عظيمة، في وجدان سكان المنطقة وفي ممارستهم، تتمثل في آلاف الخلاوي، والمدارس القرآنية والإسلامية المنتشرة في كل مكان، إلى جانب تراث فكري إفريقي عربي عريق، امتد لأكثر من ثمانية قرون، وهو تراث حرمت منه الأجيال التي نشأت في ظل الاستعمار وبعده. وبالتالي سيكون العمل على إحياء الثقافة العربية الإسلامية في إفريقيا الغربية، فرصة ذهبية لتوعية الجيل الجديد، ومنحه حق الاتصال بتراث أجداده الذي حجب عنه، والذي دأب الاستعمار على ترويج المفتريات حوله، وإقناع الأفارقة بأن لا تراث لهم ولا حضارة ولا تاريخ قبل القرن التاسع عشر.

وثمّة آليات ووسائل إجرائية وعملية من شأنها - إن أحسن توجيهها والإفادة منها - أن تعجّل بإحياء اللغة العربية، وتضمن لها الاستقرار والديمومة. وتتمثّل هذه الآليات في تفعيل وتطوير المجالات الآتية:

أولاً: المجال الديني:

إن اللسان العربي شعار الإسلام ولغة القرآن وأهله، وإن اللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها تتميز، لكنّ العربية هي وحدها لغة الدين، وأيّ دين؟ إنه الإسلام الذي أكمله الله وارتضاه:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[سورة آل عمران، الآية:85]

والأفارقة يؤمنون بثنائية مطلقة بين اللغة العربية والإسلام، ويضفون على العربية قدسية الإسلام، ويرون أن من ينكر عليهم الاهتمام بالعربية كمن ينكر عليهم كونهم مسلمين، لأن القرآن الذي هو مصدر تشريع المسلمين، ومنهاج حياتهم، وميزان دينهم ودنياهم وآخرتهم، عربي اللسان، فأجدر بالعربية التي أنزل بها أن تكون من أكبر همومهم.

وتاريخ الإسلام في منطقة إفريقيا الغربية، يؤكد أن مكانة اللغة العربية فيها مرتبطة بمكانة الإسلام، لأن الأفارقة يدركون أنّ معرفة حقيقة هذا الدين، والإلمام بأصوله وفروعه، والوقوف على أحكامه، لا تكون دقيقة وصائبة إلا بالوقوف على أصول هذا الدين في لغته الأصلية التي هي العربية. ولن يكتب نجاح لأية محاولة في تطوير اللغة العربية في المنطقة، حتى تتخذ من الإسلام منطلقها، ومن هديه وتعاليمه منهجها. لأن جميع لغات الشعوب المسلمة في المنطقة، تختزن آلاف مفردات إسلامية، بل إن كثيرًا من العوام وحتى بسطاء المثقفين، لا يتقبلون وجود فرق بين ما هو عربي وما هو إسلامي، لأن العربية عندهم ترادف الإسلام.

ثانيًا: المجال التاريخي:

تعد اللغة العربية أقدم لغة أجنبية إلى مناطق دول الساحل الإفريقي، فقد ثبت أن عقبة بن نافع ـ رضي الله عنه ـ قد دخل هذه المناطق في وقت مبكر، وتوغل فيها، وتابع الفتوحات الإسلامية نحو الجنوب حتى وصل مدينة كاوار في منطقة أغادس بالنيجر اليوم وفتحها، كما فتح الواحات الأخرى الواقعة جنوب الصحراء، فبعض أفراد الجيش الذين كانوا معه، رجع واستوطن وتزوج وتصاهر مع السكان الأصليين وانصهر فيهم[8]. وقد أثبت المؤرخون أن اللغة العربية كانت لغة التدوين والكتابة في إفريقيا، قبل الزحف الاستعماري؛ يقول «ديفدسن»: إن وهب بن منبه هو أول من دوّن تاريخ منطقة جنوب الصحراء سنة 738 مسيحي، وكان تدوينه باللغة العربية[9]. وذكر الأسقف جونسن في كتابه (تاريخ اليوربا) أن اليوربا قبل وصول الإنجليز سجلوا أفكارهم بالحروف العربية[10]. وفي القرن الخامس الهجري تم إنشاء مدينة تمبكتو التي كانت مركزًا هامًا للثقافة العربية والإسلامية إبَّان مملكة مالي، وجاء إليها العلماء من أنحاء العالم الإسلامي[11]. ونظرة في هذا التاريخ تجعلنا نجزم بأن منطقة الإفريقية الغربية تزخر بتراث عربي ضخم في اللغة العربية والثقافة الإسلامية، ينتظر من يحييه وينفث عنه الغبار، ولا شك أن في إحياء هذا التراث ربطًا للأفارقة بأسلافهم، وتقريبهم من مصادر ثقافاتهم وحضاراتهم الأصيلة، وتوعية الجيل الجديد بالعوامل والأسس التي حققت لأجدادهم الاستقلالية والحرية الحقيقية.



جانب من المراكز الإسلامية الحضارية في إفريقيا

8ـ أحمد شلبي موسوعة التاريخ الإسلامي، 1146.

9ـ A.B. Fafunwa P. 55.

10ـ Samuel Johson: The History of Yoruba, Britain, Love and Bydone limited, 1921, P.4.

11ـ تاريخ إفريقيا، ص:635.

ثالثا: المجال الثقافي:

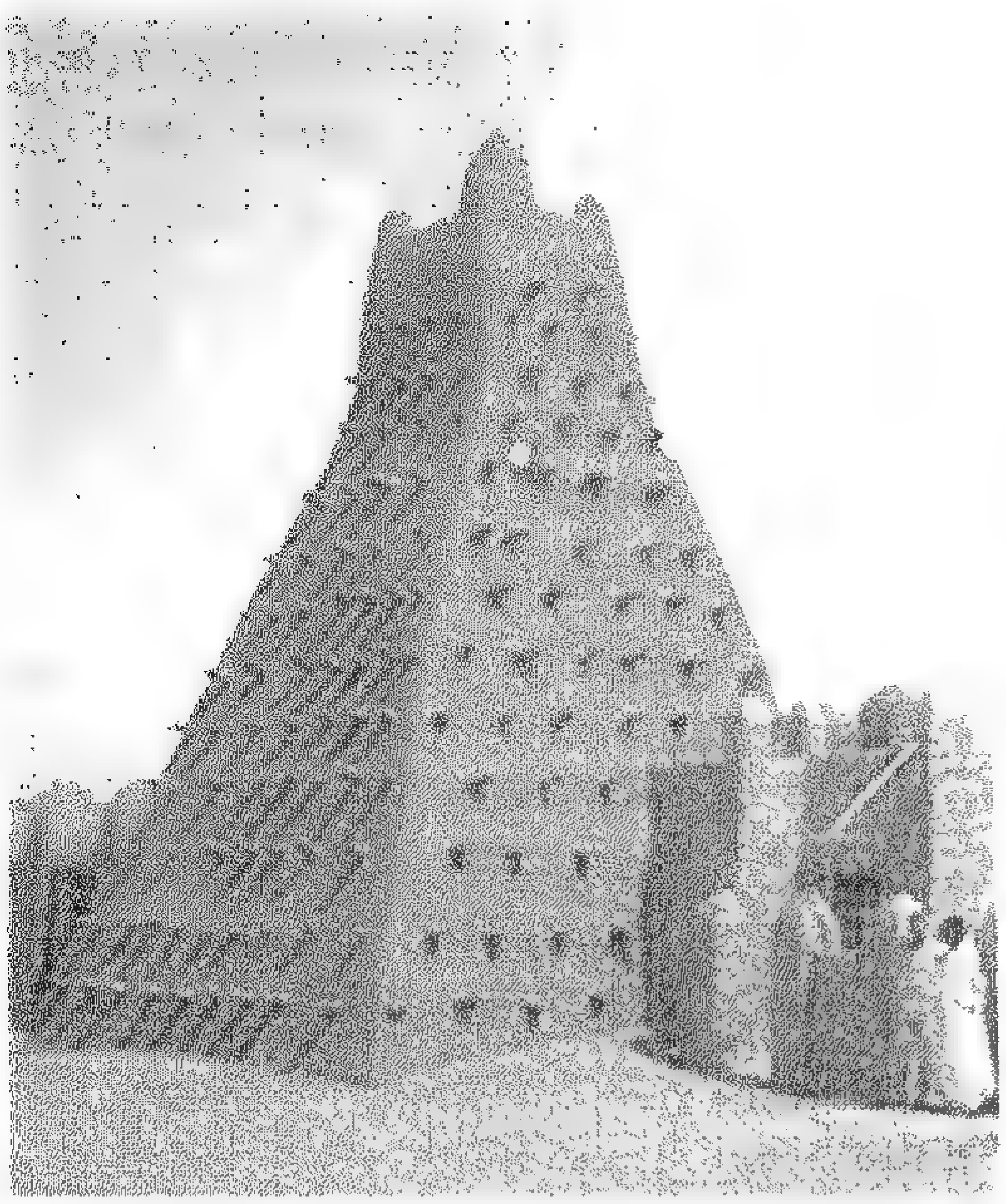
أصبح المجال الثقافي في هذا العصر، أقوى وأسرع وسيلة لفرض هيمنة لغة على أخرى، شريطة أن تسير هذه الجهود الثقافية تحت مظلة سلطة سياسية واعية وهادفة، تدعمها وتشرف على أعمالها؛ ولإرساء وجود الثقافة العربية في إفريقيا الغربية، يتحتم على الأمة العربية والإسلامية، تكثيف الجهود الثقافية على أساس من التكافل والتكامل، لتوفير الأمور الآتية:

1 ـ تكوين المنابر أو الروابط الثقافية العربية ذات الطابع الحضاري والسياسي والإعلامي لتنافس الكومنولث، والفرنكفونية (❖)، ورابطة التبادل الثقافي بين الأفارقة والأمريكيين الأفارقة.

2 ـ إنشاء المراكز الثقافية في جميع الدول الإفريقية، وتكون هذه المراكز مزودة بالوسائل التعليمية الحديثة، وطاقات بشرية ذات كفاءات لغوية وتربوية عالية، وتنظم فيها دورات تأهيلية في اللغة العربية، وتقام فيها مسابقات ثقافية عربية، ويُشجّع المتفوقون، وتعرض مسلسلات وأشرطة «أفلام» عربية، وتنظم مواسم ثقافية يشارك فيها جميع أطياف المجتمع.

ولضمان نجاح هذه المراكز يجب تكثيف الجهود، وحشد الطاقات، لإنشاء مركز ثقافي موحد وعام لجميع الدول الإفريقية، ويهتم هذا المركز جديًّا وعمليًّا بنشر الثقافة العربية، وذلك بعد دراسة ميدانية دقيقة لحاجات ومطالب الشعوب الإفريقية، بالاعتماد على ذوي الخبرة والاختصاص، وعقد تعاون علمي كامل وشامل مع كافة المؤسسات المعنية بالمجال الثقافي والعلمي وغيره.

3 ـ إنشاء منظمات غير حكومية تعمل في مجال التربية والتعليم والتدريب المهني، وتركز على اللغات واللهجات المحلية، للحد من النفوذ الفرنسي أو الإنجليزي. وفي ذلك ربط الدعم الاقتصادي والتنموي بالمصالح الثقافية.



من رموز مملكة مالي القديمة

4 ـ مساهمة الدول العربية والإسلامية الفعلية والحقيقية، في التنمية الثقافية والعلمية في إفريقيا، وذلك بتبني مشاريع تعليمية، وإنشاء مؤسسات ثقافية خاصة بها، تكون واضحة المعالم والاختصاص، وكذلك مضاعفة المنح الدراسية إلى الجامعات العربية والإسلامية، وفتح أبواب جميع التخصصات العلمية وغيرها أمام الطلاب دون قيد أو شرط، مع وضع آليات علمية لاختيار الطلاب، وتوفير مناخ اجتماعي، وثقافي، ومعرفي، يسمح للأفارقة بالاطلاع على الثروات المعرفية والثقافة العربية، مع ضرورة العمل الجاد لتوفير جو علمي وعملي مناسب، لمن يتخرجون من هذه الجامعات، حتى يتمكنوا من تطبيق ونشر ما تعلموه في مجتمعاتهم.

(❖) تجمعان أو رابطتان، أقامتهما كل من: بريطانيا وفرنسا، قبل منتصف القرن الماضي، على أساس لغوي وثقافي وتربوي وسياسي وقانوني واقتصادي، بهدف أن يحتفظا بنفوذهما الثقافي وسيطرتهما السياسية، على الدول التي كانت خاضعة لاستعمارهما، وقد كوّنتا له عدة أجهزة ووكالات، تقوم على تنفيذ أهدافه، التي ترعى مصالحهما في تلك الدول وهي من كل القارات، والتي يزيد عددها في كل منهما على خمسين عضوًا. «التحرير».

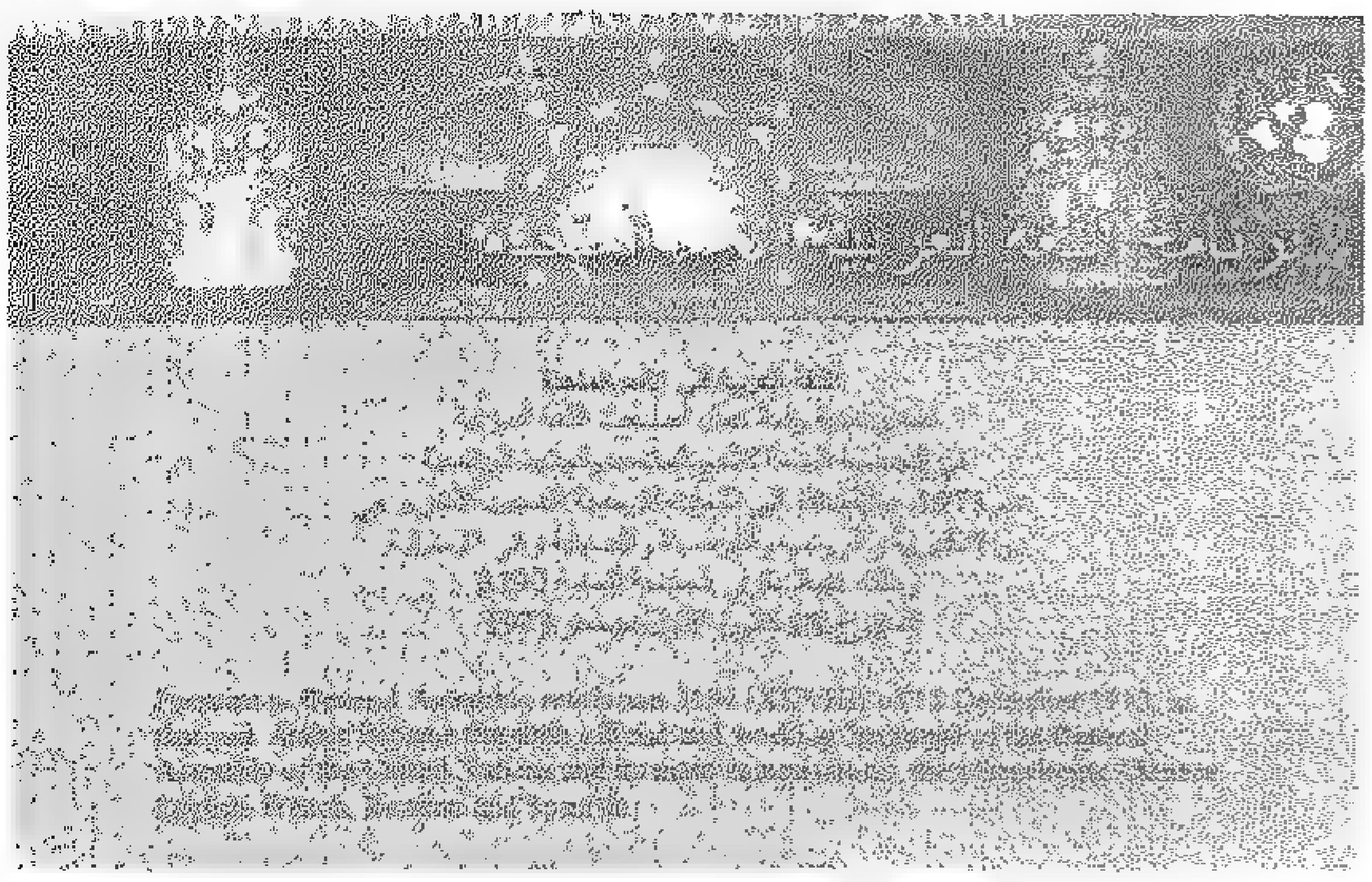
رابعًا: المجال الإعلامي

آن الأوان للأمة العربية والإسلامية أن تضاعف جهودها في تصدير الثقافة العربية إلى إفريقيا، وتنمي التواصل الإعلامي العربي وتطوره، إذ أصبحت العولمة الإعلامية أقوى وسيلة لفرض اللغات والثقافات على الشعوب، فعلى الأمة العربية أن لا تبقى متفرجة، بل عليها أن تفعّل طاقاتها في هذا المجال، وذلك من خلال:

1 ـ إنشاء محطات إذاعية تبث باللغة العربية، ودعم البرامج العربية في المحطات غير العربية: ففي ظل التطور الإعلامي الذي تشهده الدول الإفريقية، انتشرت ظاهرة فتح المحطات الإذاعية بشكل رهيب، حيث بلغ عدد المحطات في دولة كـ «بنين» ما يناهز العشرين محطة، تبث كلها باللغة الفرنسية، وتعمل على نشر ثقافتها، وإذا أردنا للعربية حياة في المنطقة فلا بد لها من محطات تزاحم هذه القنوات.

2 ـ نشر الجرائد والصحف باللغة العربية: تزايد عدد حملة الشهادات العربية والإسلامية في الدول الإفريقية، وصار عدد الطلاب يعد بالآلاف، وظلت دراستهم محصورة على جدران الفصول الدراسية، وليس لهم أدنى اتصال بالأحداث الجارية في بلدانهم، فضلاً عن العالم الخارجي، لفقدان الصحف التي تنطق باللغة التي يجيدونها.

3 ـ تحديث الفنون الشعبية، كالأغاني التراثية «الفولكلورية»، والمسرحيات، ذات المضامين الثقافية العربية والإسلامية، ونشر المسلسلات والأشرطة «الأفلام» العربية، وإحلال المصطلحات العربية محل المصطلحات الغربية، لما لهذه الوسيلة من أثر كبير في توعية الشباب وتبصيرهم بالثقافة العربية والإسلامية، وجذب اهتماماتهم إليها، وإثبات قدرتها على منافسة الحضارات الغربية الحديثة، بل أسبقيتها عليها، هذا إلى جانب دورها في تثبيت المعتقدات الدينية وتنمية الثروات اللغوية.



خامسًا: المجال اللغوي:

لعل هذا المجال يعد من أقوى المجالات وأكثرها تعقيدًا، لأن نجاح بقية المجالات رهين بنجاحه، ولأنه يشتمل على عناصر، تتطلب دراسات عميقة وفاحصة، من ذوي الاختصاص والخبرة في المجال اللغوي. ولكي نحظى بتطوير فاعل ومؤثر للغة العربية في إفريقيا، يجب علينا تفعيل العناصر اللغوية الآتية:

1 ـ تأكيد عالمية اللغة العربية وقدرتها على استيعاب جميع شؤون الحياة، ومواكبة كل التطورات. والعمل على إحيائها بين أهلها وتحسين وضعها الداخلي. لأن اللغة العربية لها وضعٌ مقلق ومزعج إلى أبعد الحدود؛ والدليل واضح ماثل لكل ذي بصر وبصيرة؛ فطلابنا يعانون ضعفًا مزريًا في هذه اللغة، فخريجو الجامعات ضعاف في اللغة العربية، ولا فرق في ذلك بين خريجي أقسام اللغة العربية ومعاهدها، وبين غيرهم، والأغلاط اللغوية في الكتب والصحف متفشية. وهذا الضعف ليس في أساسيات اللغة العربية ومهاراتها ـ فقط ـ بل يمتد إلى معارفها وثقافاتها المتصلة بها.

2 ـ تأكيد دور اللغة العربية في توحيد الأمم، وذلك لأن لكل أمة شعارًا، «واللسان العربي شعار الإسلام وأهله»، وما ذاك إلا لارتباطه بأهم مقدسات المسلمين، وهما: الكتاب والسُّنة، بالإضافة إلى أن أغلب ما كتب في العلوم الإسلامية كان باللغة العربية، وهذا كاف في توحيد الأمة الإسلامية كلها حول اللغة العربية، وأن يصبح من واجبات جميع المسلمين اليوم العمل على نشرها،

والمحافظة عليها، والدفاع عنها، كما فعله الأسلاف حين نشروا اللغة العربية مع نشرهم للإسلام.

3 ـ تأصيل هوية الأفارقة اللغوية، للغة العربية: يقول طه حسين: «إن اللغة العربية ليست ملكًا لرجال الدين يُؤْمَنون وحدهم عليها، ويقومون وحدهم دونها، ولكنها ملكٌ للذين يتكلمونها جميعًا، وكلٌّ فردٍ من هؤلاء الناس حرٌّ في أن يتصرف في هذه اللغة تصرف المالك...»[12].

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا: «إن اللغة رابطة من روابط الجنس وقد كان من إصلاح الإسلام الديني والاجتماعي توحيد اللغة، بجعل لغة هذا الدين العام، لغة لجميع الأجناس التي تهتدي به، فهو قد حفظ بها وهي قد حفظت به... فاللغة العربية ليست خاصة بجيل العرب سلائل يعرب بن قحطان، بل هي لغة المسلمين كافة ولغة شعوب أخرى من غير العرب، وطوائف من العرب غير المسلمين، ولم يكن أحد من العرب في النسب، يفرق بين سيبويه الفارسي النسب، وأستاذه الخليل العربي، في فضلهما واجتهادهما في خدمة اللغة، ولا بين البخاري الفارسي، وأستاذه أحمد ابن حنبل، وإسحاق بن راهوية العربيين، في خدمة السنة، بل لم يخطر في بال أحد من سلف الأمة ولا خلفها، أن يأبى تفضيل كثير من الأعاجم في النسب، على بعض أقرانهم وأساتذتهم من العرب، فيما امتازوا به من خدمة هذا الدين ولغته»[13].

4 ـ زيادة الاهتمام باللغة العربية:

إن اللغة العربية قد تعرضت منذ الحقبة الاستعمارية لعداوة شرسة عملت على استئصالها والقضاء عليها، قال تعالى:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة الصف، الآية:8]



الطفولة والبيئة واللغة المتوارثة

وقال:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية:32]

فقد حفظ الله اللغة العربية بحفظ كتابه، وفشلت جميع المؤامرات والمكائد، وصمدت مدارس اللغة العربية بصمود العلماء المسلمين، الذين كان تعلقهم بدينهم شديدًا، إلا أن ما تعرضت له هذه المدارس من مضايقات واضطهادات خلف آثارًا سلبية في فاعليتها، وفي مكانتها الثقافية والحضارية، وقلل من شأنها في نفوس الناس بسبب وضعها المزري. والآن ـ وبفضل الله ومنّه على الأمة المسلمة ـ فإن بوادر استعادة القوة والحيوية في هذه المدارس قد أقبلت، إذ أخذت تستعيد استقلاليتها، وبدأت تفرض نفسها على الواقع الاجتماعي، نتيجة الصحوة الإسلامية التي هبت رياحها اللواقح على الشعوب الإفريقية، فهذه المدارس ـ كما سيأتي ـ تعيش الآن فترة نقاهة صعبة، ترفع أصواتها عالية، تستغيث بالنفوس الحية والضمائر الواعية، لتنقذها، وتأخذ بيدها، نحو الرقي والنهضة؛ فالاهتمام باللغة العربية والثقافة الإسلامية في دول إفريقيا الغربية، يجب أن يدخل ضمن أولويات الأمة الإسلامية، لأن هذه المنطقة تملك أساسًا متينًا، وجذورًا راسخة وصلبة، في العربية والإسلام، تنتظر

---

12 ـ المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين، علم التربية، 290.

13 ـ رضا، رشيد، الخلافة، ص:100.

من يقوم بتنشيطها وإحيائها، بعد دراسة علمية دقيقة لها.

5 - وضع سياسة لغوية واضحة المعالم للتعامل مع الصراع اللغوي:

إن الدول الإفريقية تقبع تحت جماح صراع لغوي عنيف، لأن الصراع إنما ينشأ من تجاوز أو معايشة لغتين واحتكاكهما ببعضهما، وسواء أكانت اللغتان لأمتين مختلفتين أو أمة واحدة، وتزداد فاعلية هذا الصراع وحدّته عندما تكون أمة من الأمم لها أطماع في أمة أخرى، كما هو الحال في هذه المنطقة؛ التي تتصارع فيها لغات كثيرة، كلها تسعى لفرض هيمنتها، وتوفر أصحاب كل لغة جميع الإمكانات المتاحة لها لإرساء دعائم ثقافتها، وإن كانت الغلبة حتى اللحظة للغة المستعمر.

لذا، يتحتم على الثقافة العربية - إن أرادت أن تضع لنفسها مواطئ أقدام راسخة في المنطقة - ، أن تسوس لنفسها سياسة ذكية وصائبة لمواجهة هذا الصراع العنيف، فالرومان مثلاً استطاعت لغتهم اللاتينية أن تنتصر على اللغات الأصلية في فرنسا وإسبانيا وإيطاليا وغيرها، مع قلة الرومان المغيرين على هذه البلاد بالنسبة لسكانها، بسبب المنهجية والعلمية التي تتمتع بها لغتهم. وفي العصر الحديث عندما انتشر الغزو الأوروبي لأطراف الأرض كوّنت دول أوروبا كتلاً بشرية في مناطق هجرتها، وكثر أفرادها مع قوة سيطرتها، فنجم عن استعمار الإنجليز لأمريكا الشمالية واستراليا، وبعض نواح في جنوب أفريقيا، انتشار اللغة الإنجليزية في هذه الأرجاء الواسعة؛ كما نجم عن استعمار الإسبان في أمريكا الجنوبية، أن كانت الأسبانية لغة معظم دول أمريكا الوسطى، وأمريكا الجنوبية، وغيرها.

وإذا كان هذا الصراع السابق مرتبطًا بالصراع السياسي، وكانت ظروفه تختلف عن صراع آخر، أقل جرأة ووسائل - كتغلب اللغة العربية بفضل انتشار الإسلام، على كثير من لغات الشعوب الآسيوية، وعلى لغة الأقباط، ولغة البربر في أفريقيا - فإن هذا لا ينكر خطورة الصراع اللغوي، الذي قد تحدثه عوامل أخرى غير سياسية أو حربية.

ولا شك أن الظروف مواتية للغة العربية في أن تكون الغلبة لها، وتفرض هيمنتها المطلقة على جميع اللغات المتصارعة معها، لما تتمتع به من خصائص قوية ومحكمة، وتاريخ عريق في المنطقة. وسينجم عن هذه الغلبة - إن أحسن التعامل مع الصراع - حلول اللغة العربية محل جميع اللغات المتصارعة معها، لأن شخصية الأمة صاحبة اللغة المغلوبة تذوب تدريجيًا في الأمة الغالبة، وتصبح بعد أن كانت لها مقوماتها وخصائصها وهي على لغتها الأصلية، تصبح مندمجة في أمة أخرى، وقد فقدت ما كانت تحمله في ذاكرتها من الأفكار والمعتقدات ووسائر المعاني المختلفة، وتراها بعد ذلك بمنظار فكر اللغة العربية، الذي لا شك يغايرها في كل شيء.

> **السليقة لا تعدو أن تكون مرحلة لا شعورية في تكلم اللغة، وعندها يؤدي المتكلم اللغة بصورة آلية دون تكلف أو تعمد في عناصر الكلام، ولا علاقة لها بما أرضعته أمه، إذ لا وراثة في السليقة.**

وهذه النتيجة من شأنها أن تقلع جذور الاستعمار، وتستأصل رموزها، وتكسر شوكتها، فتنشأ أجيال جديدة لا تعرف إلا الثقافة العربية والإسلامية، فيسهل احتواء هذه الأجيال ويتيسر التحكم في توجيهها.

6 - اتخاذ الازدواجية اللغوية وسيلة بناء وتطوير لا أداة هدم للثقافة العربية:

إن الازدواجية اللغوية أو الثنائية اللغوية حقيقة لا مفر منها في غرب إفريقيا، لأنها منطقة مترامية الأطرف، استعمرتها في العصر الحديث دول مختلفة، فبعض دولها يتميز بالثقافة الإنجليزية، وأغلبها متشبع من الثقافة الفرنسية، ولا سبيل لإحياء اللغة العربية فيها إلا بازدواجها مع لغة من هاتين، رغم أن الازدواجية ربما تحدث صراعًا خطيرًا قد يؤدي إلى الانفصام الثقافي أو الانسلاخ الثقافي، وخصوصًا إذا



كان بين اللغتين صراع وتناقض في القيم الثقافية التي يتضمنها كل منهما بالضرورة، فالعربية تحتفظ بقيم الحرية المسؤولة وقيم الألوهية، في حين أن الإنجليزية أو الفرنسية ترعى قيم الإباحية والإلحاد. فما الحل؟

أ ـ العمل على تحقيق التوازن في الإجادة والإتقان للغتين، بأن نحقق الثنائية اللغوية الجامعة، بحيث يتمتع الدارسون بقدر كبير من الرسوخ والتفوق في اللغتين، وأن نسعى إلى إعطاء اللغة العربية حق السيادة.

ب ـ أن تكون الازدواجية وظيفة، نستغلها لبناء أصالة لغوية، ونتخذها جسرًا لإرساء قدم اللغة العربية في المنطقة.

ج ـ دعم المدارس ذات الصبغة الإزدواجية، لأن الذي نلمسه بوضوح أن الإنكليز والفرنسيين يحاولون أن يجعلوا لغتهم لغة التعليم أينما حلوا، فلا بد من جعل اللغة العربية تزاحم هاتين اللغتين، ولكن يجب أن تكون هذه المدارس المزدوجة في إطار هدف سام نابع من هويتها وجذورها، ويحكمها نظام علمي دقيق ومتين، لا يسمح لها بالانفلات؛ وأن تتوفر لها العناصر القادرة المدربّة: تدريسًا وتوجيهًا وإدارة.

7 ـ دعم مشاريع الترجمة، ووضع آلية علمية دقيقة لسياسة الترجمة:

لأن الترجمة أحسن وسيلة لاستغلال اللغة أداة للبناء والتفاهم، وسبيلاً إلى الوحدة وربما الوئام، فهي كفيلة بأن تكشف لنا أسرار عقول وقلوب كبيرة تسترها عنا اللغة، بشرط أن تركز الترجمة، فيما تنقلها من تراث إفريقي، على نقل المعارف الإنسانية، والعلوم النافعة التي تخدم خطة إحياء اللغة العربية وتطويرها، كما تنقل إلى اللغات الإفريقية الثقافة العربية والعلوم النافعة. ولضمان نجاح هذه المهمة يجب أن ننهج فيها المنهج التالي:

أ ـ أن تكون الترجمات من العربية إلى لغات أخرى أو العكس، يضطلع بها أهل اللغة المنقول إليها، لأنهم أقدر من غيرهم على ذلك، لامتلاكهم ناصية لغتهم، ولمعرفتهم بحقائق وخلفيات فكرية، واجتماعية، وتقليدية، قلما يعرفها غيرهم، إلا في حالات نادرة جدًا، وهذه المشكلة مطروحة أيضًا بالنسبة للترجمة الفورية في الاجتماعات والمؤتمرات الدولية.

ب ـ ضرورة استغلال جهود المترجمين في مؤسسات الترجمة المشهورة في العالم، وخصوصًا أقسام

الترجمة في الأمم المتحدة، لأنها تضم عناصر من المستعمر الفرنسي والمستعمر الإنجليزي، ما يجعل في أعمالهم إثراء وفائدة إن أحسن استغلالها.

ج ـ دعم مشاريع المعاجم الثنائية اللغوية، وذلك بالعمل على وضع خطة لصناعة هذه المعاجم، سواء المعاجم المخصصة لفهم اللغة العربية، أو المعاجم المخصصة للتعبير بتلك اللغة، لأن المعجم الواحد لا يستطيع أن يخدم هذين الهدفين في آن واحد، ولا بد من وجود معجمين مختلفين، أحدهما لمساعدة القارئ على فهم لغة الهدف، والآخر لإعانته على التعبير بها، والفرق بينهما في الشكل والمضمون، فإذا كانت اللغة العربية هي لغة الهدف في دولة فرنسية، فالأول يكون فرنسي عربي، ويشتمل على أكبر عدد ممكن من المفردات فقط، والآخر يكون عربي ــ فرنسي، ويشتمل على مداخل ذات طبيعة إنتاجية عامة، ومتبوعة بمعلومات صرفية ونحوية ودلالية مفصلة.

8 . تشجيع دراسة اللغات الإفريقية، ودعم كتابة هذه اللغات بالحرف العربي الذي به كتبها أسلافهم، لأن أغلب هذه اللغات تختزن آلاف الكلمات العربية، ما يجعلها وسيلة سهلة وميسرة لدراسة اللغة العربية، بالتركيز أولاً على الكلمات المشتركة بين هذه اللغات والعربية، فيسهل على الدارسين التعامل معها، واستيعاب مدلولاتها، ثم التعرف على مواطن الاختلاف بينها، على أن يبدأ التركيز على الكلمات التي لم يجر فيها أي تغيير يذكر في شكلها ودلالتها، ثم هكذا بالتدرج حتى تصل الدراسة إلى الكلمات غير المشتركة. ولا شك أن الدارس سيشعر بالارتياح، ويتشجع للتعليم إذ أحس في الوهلة الأولى بقدرته على فهم واستيعاب اللغة موضوع الدراسة.

سادسًا: المجال التربوي:

إذا كنت من محبي اللغة العربية، ومن الذين يجعلونها همهم في الليل والنهار؛ فلا شك في أن همك سيزداد، وشعورك بالقلق سيتضاعف، وأنت ترى حال هذه اللغة العظيمة، وقد انحدرت في هذا العصر على ألسنة المتحدثين بها وأقلامهم إلى مستوى لا يسر. تُرى ما الذي أدّى بهذه اللغة إلى أن وصل حالها إلى أن لا تواجه طالبًا ولا دارسًا إلا شاكيًا من تعلُّمها على مدرسيها؟!

فنحلل المشكلة في إفريقيا الغربية إلى عناصرها لمعرفة الحل. وهذه العناصر تتمثل في أمرين اثنين:

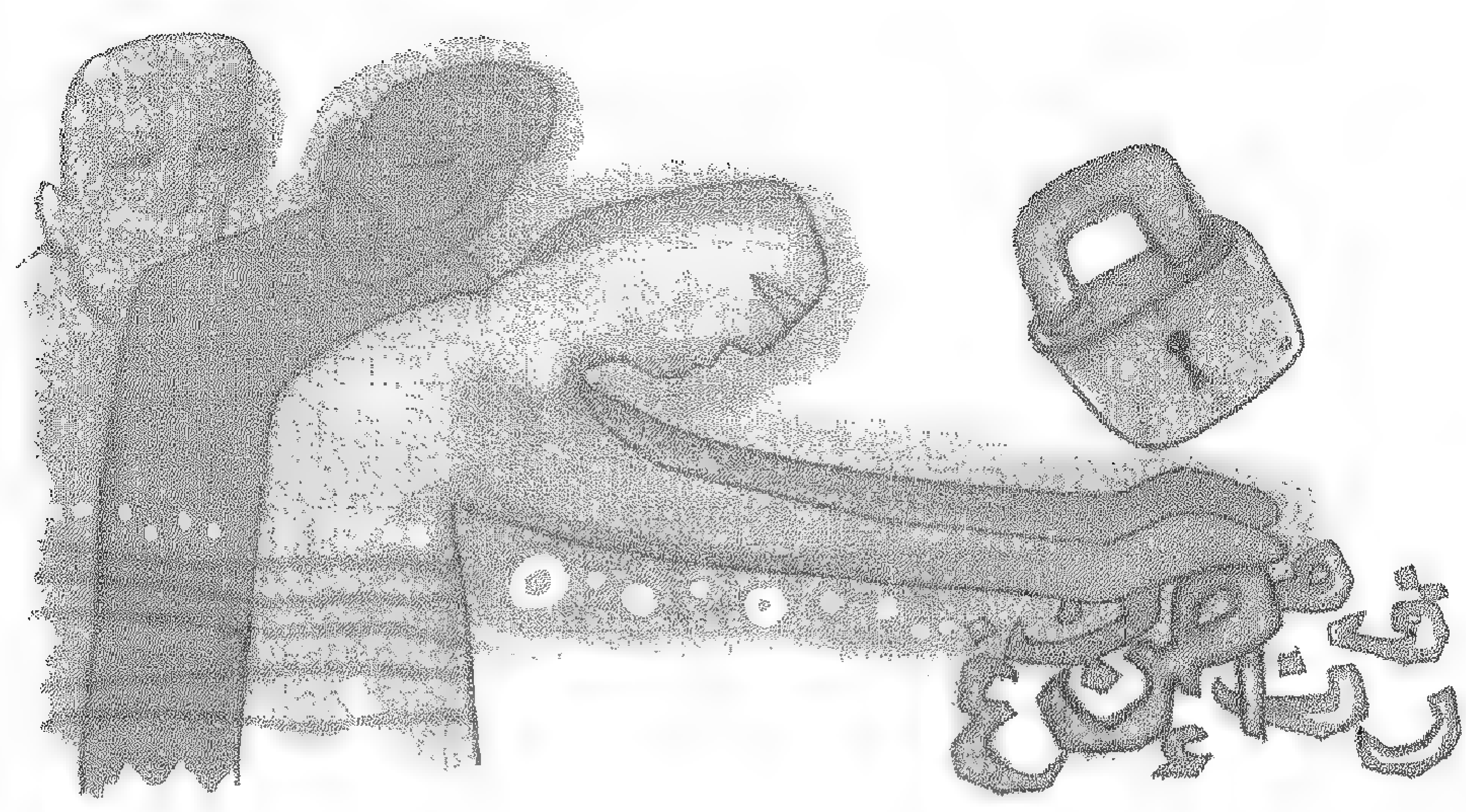
1 ـ وضع الدراسات العربية ومكانتها لدى السلطات الحاكمة.

2 ـ عناصر التربية الثلاثة: المدرّس، والمنهج، والطالب.

وكل عيب في هذه العناصر يساهم بقدر ما، في المشكلة.

أولاً: مكانة الدراسات العربية لدى السلطات الحاكمة في إفريقيا الغربية:

إن المدارس العربية الإسلامية في الغالب غير معترف بها حكوميًا في كثير من دول غرب إفريقيا وأن المتخرج من المدارس الإعدادية العربية والإسلامية لا يستطيع أن يلتحق بالمدارس الحكومية الثانوية، وقس على ذلك بقية المراحل. بل إن المتخرج من المدارس العربية والإسلامية لا يُقبل للعمل في القطاعات الحكومية المختلفة، وخاصة إذا كان لا يتقن اللغة الرسمية للبلد، ولم يتعلم الثقافة العصرية، وذلك لأن مناهج غالبية المدارس العربية والإسلامية لا تهتم بتدريس مواد العلوم والرياضيات، وإن درست فهي تدرس بشكل بدائي لا يتجاوز إعطاء صورة أولية عنها للطلاب، دون أن يكون لها أدنى أثر في مستواهم العلمي. ونتيجة لهذا اتسعت الهوة بين هذه المدارس وبين المؤسسات الرسمية. وانعكس ذلك سلبًا على رواد هذه المدارس، وعلى مواردها التمويلية، لأنها إن فرضت رسومًا خلت فصولها من الطلاب. وهكذا، أصبحت المدارس العربية والإسلامية في أغلب الأحوال وقفًا على الفقراء والمساكين، الذين لا يملكون قيمة الرسوم في المدارس الحكومية، أو عجزوا عن المواصلة



هناك لضعف مستواهم العلمي، فيلتحقون بالمدارس العربية والإسلامية، لأن الرسوم منخفضة، والنجاح مضمون في أغلب الأحيان.

فما الحل ودساتير هذه الدول كلها، تسمح بفتح مدارس أهلية ذات طابع ديني، وتعترف بها رسميًا إن ضمنت في مناهجها المواد التي تقررها وزارة التربية، وأهلت طلابها لمستوى ينافسون به أقرانهم في البلاد؟. الحل يكمن في حمل السلطات الحاكمة على فتح الأبواب أمام الدراسات العربية، شريطة أن نعمل على وضع طرائق وأساليب لتعليم اللغة العربية تتماشى مع مقتضيات العصر.

ثانيًا: المناهج الدراسية:

تعتمد المدارس العربية والإسلامية في إفريقيا الغربية ـ في أغلب الأحوال ـ على المناهج المقررة في الدول العربية، ومن هنا تنشأ المشكلة المنهجية، لأن تلك المناهج وضعت لتتناسب مع العقلية العربية والخلفية الفكرية الاجتماعية للطلاب، وصيغت بأسلوب يلبي حاجات الطلاب العرب، ومن ثم فإن نقل هذه الكتب إلى بيئة اجتماعية وفكرية مختلفة تمامًا، ووضعها في أيدي مدرسين غير مدربين على العملية التعليمية، وغير قادرين على تحقيق انسجام بين هذه المناهج وبيئة الطلاب، سوف يؤثر حتمًا على مستوى التعليم، خاصة أن كثيرًا من تلك الكتب ألفت لمعالجة بعض الأوضاع الاجتماعية والأخلاقية والفكرية قد لا يعرفها الطلاب في البيئة الإفريقية.

وهكذا تضم المناهج التعليمية في تلك المدرسة مجموعة متداخلة وغير متجانسة من المقررات المبعثرة التي قد لا يربطها رابط. ومن جانب آخر، فإن معظم المدارس العربية والإسلامية تعاني من ندرة حادة في الكتب المقررة، إذ لا تكاد تجد في أغلبها إلا نسخة واحدة منها: يصرف للمدرس، وأحيانًا تكون مصورة. وهذا التشتت في المناهج، وفقدان الوسائل التعليمية في حوزة الطلاب، لا ينتج منه إلا ضعف في المستوى العلمي والثقافي لدى الطلاب.

ولا شك أن مهمة إعداد المناهج، وتوفير الكتب والمقررات الملائمة، لكل بيئة اجتماعية وفكرية، يراد منها أن تتعلم لغة أجنبية، لمهمة شاقة وعويصة، تحتاج إلى تكثيف الجهود وحشد الطاقات البشرية والمادية والعلمية، لتصميم منهج علمي دقيق، يأخذ بالاعتبار حقائق بيئات الأفارقة، وخلفياتهم الثقافية، مع دراسة حاجات ومطالب الدارسين.

ثالثًا: المدرّسون:

تعاني المدارس العربية والإسلامية في إفريقيا من قلة المدرسين الأكفاء تربويًا وعلميًا... فبعض هذه المدارس تعتمد على مدرسين يحملون الشهادة الإعدادية لتدريس الطلاب في المرحلة الابتدائية، ومدرسين يحملون الشهادة الثانوية للتدريس في المرحلة الإعدادية، لأن أولئك أقل تكلفة من الناحية المالية، وعلى أحسن الأحوال فهم يعتمدون على خريجي الجامعات العربية لتدريس جميع المواد لجميع المراحل، بما في ذلك المواد العلمية كالعلوم والرياضيات، دون أي اعتبار للتخصص.

ونتيجة لضعف المستوى العلمي للمدرسين، أصبحوا يلتزمون بطريقة الترجمة، ونقل المعلومة إلى لغة الطلاب المحلية، ومن ثم تحفيظهم إياها حفظًا مجردًا، دون أدنى اهتمام بالمحتوى العلمي الشرعي أو التجريبي.

فتحت المدارس العربية والإسلامية أبوابها للفقراء والمساكين الذين لا يملكون قيمة الرسوم في المدارس الحكومية.

أما مشكلة المدرسين فإن حلها أهون نسبيًا إذا ما قورنت بمشكلة المناهج، إذ يكفي إعدادهم إعدادًا كافيًا ومنتجًا، وذلك بإنشاء معاهد المعلمين للغة العربية والدراسات الإسلامية في الدول الإفريقية، والقيام بتحديث الأسس المعول بها في العالم العربي في معاهد المعلمين وفي الجامعات من أجل تخريج المعلم، وإقامة نظام تعليمي يشعر معلم اللغة العربية بقيمته وأثره، على أن يكون اختياره وإعداده وتوجيهه لهذه المهمة في وقت مبكر، وعدم إشغاله بدراسة أو تدريس معلومات تصرفه عن المهمة الرئيسة التي صرف إليها.

رابعًا: الطلبة:

أما الطلب فإن مشكلتهم أعمق وأكثر تعقيدًا، فالهوة متسعة بين اللغة التي يتعلمونها والمجتمع الذي يعيشون فيه، فكل ما حولهم ناطق بلغة غير اللغة التي يدرسونها: المدرسون (بمن فيهم مدرسو العربية)، والبيت، والمذياع «الراديو»، والتلفاز «التلفزيون»، والشارع... فكيف يستطيع هذا الطالب أن يسبح ضد التيار، ويتقن لغة مهملة ومنكرة في مجتمعه؟!، وكيف يقتنع بفائدة ما يتعلمه، وهو لا يجد له تطبيقًا معقولاً على ألسنة المتعلمين؟! وهنا تأتي ضرورة العناية بالمجالات الثقافية واللغوية، حتى يجد الطلبة جهات تشاركهم معلوماتهم ولغاتهم التي يدرسونها.

وفي الختام، فإن اللسان العربي يأتي في مقدمة اللغات التي تملك الإمكانات التي تؤهلها لتكون لغة رائدة في إفريقيا الغربية، إذا استعادت الأمة العربية والإسلامية مجدها وقوتها، وأعادت نفسها إلى صدارة الأمم بكل جدارة، لأن الثقافة العربية الإسلامية هي نواة الحضارة الإفريقية، ومنطلق عصرها الذهبي، فهي القادرة على لملمة جميع الثقافات الإفريقية دون جهد كبير. هذا إلى جانب ما تتمتع به إفريقيا حاليًا، من كوادر وكفاءات عالية، وحملة الشهادات الجامعية العليا في شتى مجالات الثقافة العربية والإسلامية، وتساندهم شعوب توارثت بكل أطيافها الإعجاب والتقدير لكل ما له صلة بالإسلام، ولم تتأثر بالعواصف، والتيارات المعادية، التي حاولت زعزعة هذا المبدأ، بل بقيت صلبة راسخة ثابتة، فهذه العوامل تجعل إفريقيا مهيئة جاهزة للتفاعل مع كل المبادرات التي تعيد لها أيام مجدها وازدهارها.

فعلى الأمة العربية والإسلامية أن تهب لاغتنام هذه الفرصة النفيسة، وتوحد جهودها، وتحشد طاقاتها في جميع المجالات، لتحيي لإفريقيا تراثها التليد، وحضاراتها المفقودة، وتسترد لها مجدها، ووحدتها، التي حققتها على أيدي سلف الأمة العربية والإسلامية، أيام شرّف الله إفريقيا بحلولهم بأراضيها.

محاضرات

الانسان المسلم والواقع



الإنسان المسلم والواقع *

الشيخ الداعية / زين العابدين الجفري **

ا الحمد لله الذي يصطفي من يشاء من عباده، ليكونوا أدلة للخلق على مراده، والصلاة والسلام على مفتاح باب الدلالة على الله، والسبب الأعظم في نيل رضوانه ووداده، سيدنا محمدﷺ وعلى آله وأصحابه ومن سلك على ذلكم المسلك القويم..

وبعد، فإني أسأل الله عز وجل، أن يبارك لنا ولكم في هذه السويعة التي إن تجلى عليها الحق باسمه النافع، سَرَتْ آثار نفعها إلى سائر ساعات حياتنا حتى نلقاه، وسَرَتْ آثار نفعها إلى سائر الأماكن في شرق الأرض وغربها ؛ إذ أن كل جهد في خدمة هذا الدين عند الله عزيز، وعلى قدر توفيق الله للعبد في تصحيح النية وصدق الوجهة إليه، يبارك في كل إصغاء أو كلمة تصدر رغبة في خدمة هذا الدين.

في بداية هذه المذاكرة في ما بيننا، أودّ أن أذكّر نفسي وأذكركم، بأن لا يغيب عنا استشعار عظمة الساعة التي نحن فيها، والمكان الذي نجلس فيه، فنحن وإياكم الآن في مجلس، أخبر الصادق المصدوق أنه يذكر في العالم الأعلى، وأن ذكرنا لله وتذاكرنا في الله مذكور من قبل الله في حضرة الله. ولكن.. ما صلة هذا الأمر في الحديث عن دعوة في واقع، أشار إليه الكثيرون أنه (واقع زمن أكلة القصعة)!!. وإذا أردنا أن نتكلم بإيجابية نقول: إنه واقع زمن إبراز حفظ الله لهذا الدين. وهذه الكلية علامة من العلامات في هذا العصر.

الصلة بين أن أذكّر نفسي وأن أذكّر من حضر، بعظمة الساعة التي نجلس فيها الآن، وبين واقع يموج فيه العالم من أقصى شرقه إلى أقصى غربه؛ إن بداية تغيير الواقع شيء يحدث في نفس الإنسان، يحمل الإنسان على الواقع الذي يحيط به، يتخلص فيها من تطرفين يعانيهما العالم اليوم: تطرف التغييب عن الواقع والعيش في تقوقع بعيد عنه، وتطرف الاستسلام للواقع والخضوع له، والتعامل على وصف التبعية له. والناس اليوم يعيشون في غالب أحوالهم أحد هذين التطرفين، إما غيبوبة عن الواقع، وإما استسلام للواقع. والذي يمكن أن يتغلب على هذين الأمرين ليعيش ميزان التعامل، على أساس التفاعل مع الواقع وتفعيله وتحسينه؛ هم أرباب الصلة أو أصحاب الصلة،

* محاضرة ألقيت بكلية الدعوة الإسلامية / طرابلس، في شهر الحرث 1473 من وفاة الرسول ﷺ نوفمبر (2005م).

** داعية / اليمن.



بمعنى المعاملة مع الله الذي يغير الواقع، ومعنى أن نعيش مع الله هو أن يعيش الواحد منا فقه نفسه:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [سورة فصلت، الآية: 53]

صلة شهود الآيات في الآفاق لتبيين الحق لا تتم إلا بمعرفة النفس.

صلة الآفاق بالحق

والحديث عن الواقع حديث عن الآفاق، ولا يمكن أن يتبين لنا في الآفاق معنى صلة الآفاق بالحق، إلا إذا فقهنا معنى الآيات في أنفسنا، مع فقهنا للآيات في الوجود. أنت إنسان، ومعنى أنك إنسان، أن الله قد ركبك من جسد وعقل ونفس وقلب وروح، وبقدر فهمك لمكوناتك تستطيع أن تفعّلها، وبقدر تفعيلك لمكوناتك تستطيع أن تؤثر في هذا الوجود الذي يحيط بك، وبمعنى أبسط وأوضح، هناك اليوم في العالم تفعيل لمكونين للإنسان فحسب، وإخضاع للتالي. أما التفعيل الأول فمكون النفس، حيث العالم اليوم يعيش تأجيج الشهوات، تأجيج المطامع، تأجيج الصراعات، تأجيج ما يسمى عند علماء التربية بالعناصر البهيمية والسُّبُوعية في الإنسان، العالم اليوم يُأجج فيه عنصر البهيمية من الشهوة، فتُربّى أجيالٌ على أن تكون أهدافها منحصرة على الطعام والشراب واللباس والنكاح والتكاثر في ذلك، وعنصر (السبوعية) فتربى الأجيال أيضاً على أن تكون أهدافها منحصرة في المغالبة كما يحصل بين السباع في الغاب، فيكون الدافع للإنسان حب التسلط والتجبر والنزاع والحقد والبغضاء. هذان العنصران من طبيعة النفس البشرية - التي لم تزكّى ولم تهذّب - يفعلان في الوجود العنصر النفسي الذي يتبعه العنصر الجسدي.

أما العنصر الثاني الذي يفعل اليوم هو العقل، فنحن في عالم يعمل العقل فيه على أشده، لكن بجزئية صغيرة، وهي إصلاح الشؤون المتعلقة برغبات النفس فحسب، فصار عند البشرية تقدم في حضارة معاصرة نستطيع أن نسميها (حضارة الخدمات): مكبر الصوت، آلة التصوير، مكيف الهواء، الإضاءة، النقل عبر الأثير، وسائل الاتصالات أو ما يسمى بالثورة المعلوماتية. حضارة الخدمات هذه هي نتاج لعمل من قبل أحد مكونات الإنسان وهو العقل، ولكن في مساحة صغيرة وهي مساحة خدمة مطالب النفس البهيمية



والسبوعية فقط، ولهذا أثمر هذا الحال، من تفعيلِ مكون العقل ومكون النفس وخدمة للجسد في الإنسان؛ أن يعيش العالم اليوم هذا الاضطراب الذي ترونه وتسمعونه، ويعيش العالم التداعي على القصعة، قال ﷺ فيما صح عنه من حديث: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها، قالوا أومن قلة نحن يا رسول الله؟ (عددنا قليل بين الأمم حتى تطمع فينا؟) قال لا، إنكم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ينزع الله هيبتكم من قلوب عدوكم، ويلقي في قلوبكم الوهن، قالوا وما الوهن يا رسول الله؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت) أكلة القصعة اليوم لماذا تداعوا علينا نحن فقط؟، قائل يقول: لأنه لدينا الثروة التي يحتاج إليها العالم اليوم في تسيير حضارته الخدماتية (البترول، المعادن...إلخ) هذا سبب وجيه، لكنه أيضاً غير كاف، لأنه يوجد شيء من الثروات بأماكن أخرى، وإن كانت أرض المسلمين هي أكثر الأراضي في الأرض امتلاكاً للثروة، ولكن الثروة توجد أيضاً وبكميات غير قليلة في كثير من أجزائنا نحن، هنا سر، ويجب أن نلتفت إليه، إن الله عز وجل لما اصطفى المسلمين لهذا الدين الخالص العظيم، جبل القلوب على الالتفات ـ قبل قلوب العالم كله على قابيلة الالتفات ـ إلى المكان والزمان والعنصر الذي نزل فيه هذا الدين، وربما جعل وجود الثروات في هذه الأماكن نوعاً من أنواع لفت الأنظار إلى هذه الأماكن، لحكمة لو أدركناها لكانت مفتاحا لحل إشكالنا مع العالم اليوم، وأنتم يامن تتهيئون لخدمة الدعوة أكثر الناس اختصاصاً لهذه الحكمة.

اللبنة مفتاح لسر عظيم

الله عز وجل خلق هذا العالم لعبادته، وأوحي إلى الرسل، وأنزل الكتب، وتوالت حتى جاء الإسلام امتداداً وتتميماً لهذه الأديان، وجاء الحبيب ﷺ وهو سيد المرسلين، لكنه لما عبَّر عن مهمته عبر عنها بتعبير اللبنة، قال: (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل بيت اكتمل بناؤه إلا موضع لبنه، فأخذ الناس يطوفون بالبيت وينظرون إليه ويقولون ما أجمله! ما أحسنه! ما



أكمله! لولا موضع اللبنة، فأنا اللبنة)، قوله ﷺ أنا اللبنة فيه مفتاح لسر عظيم، ربما يكون المدخل لحل مشكلات أمتنا، هو سيد الأولين والآخرين، هو صفوة الله من خلقه، هو إمام الغر المحجلين، هو من هو ﷺ، ولكنه قال أنا اللبنة، وفي طيات ذلك تنبيه إلى أمور لا تتسع هذه المحاضرة لبسطها، ولكن أمرين من هذه الأمور هما محل النظر في فهم هذه الحكمة:

الأمر الأول: أننا امتداد للعالم الذي سبقنا ولسنا انفصال عن هذا العالم أو ضدية لهذا العالم، ومعنى النسخ في الإسلام ليس إنهاء الصلة بمن سبق وإنما تتميم الكمال لمن سبق، فنحن استمرار لصلة السماء بالأرض، وهذا وجه صلة بيننا وبين العالم.

الأمر الآخر في قوله ﷺ(أنا اللبنة)؛ أي أن مهمتنا (كأمة) أصلها البناء وليس الهدم، وأن الهدم استثناء يجري العمل به عند وجود ما يعرقل البناء، بحيث لا يمكن التعامل معه إلا بالهدم، غير أن الأصل هو البناء، فنحن صلة بمن كان قبلنا، صلة بالعالم الذي أوجده الله، ونحن بناء في هذا العالم، هذا سر، وهو أننا أصحاب رسالة للعالم، ومن أجله - فيما أفهم - جعل الله العالم مهتماً بنا، وأوجد حاجات العالم الحسية عندنا (النفط والمعادن والمواد الخام... الخ)، والحضارات القديمة. فالحاجات الحسية للعالم عندنا، وكذلك الحاجات التاريخية المعنوية، كل حضارة موجودة عندنا في الشرق، أي في وسط العالم، جعل الله هذين الأمرين عندنا ليشعر العالم بحاجته إلينا، غير أن المشكلة هي أن العالم مع شعوره بحاجته إلينا لم يقابل بشعورنا بما عندنا، وما يمكن أن نعطيه للعالم، فأقبل العالم علينا، هذا أقبل للمادة، وهذا أقبل للحضارة، ونحن غير متهيئين وغير مستشعرين للحكمة التي جعل الله حاجة العالم فيها إلينا، وهي أن نقوم بدور البلاغ عن الله لهذا العالم، أن نربط العالم بخالق العالم، أن ننبه العالم إلى أن هذا الوجود خلق لحكمة، وأن نحيي للعالم معنى إنسانيته.

لو سألت إخوتي من طلاب هذه الكلية المباركة سؤالاً، وأنتظر جواباً من بعضهم: ما هي مشكلة العالم اليوم؟ لا أقول مشكلة المسلمين، نعم نحن كمسلمين في أولوياتنا إصلاح ذاتنا، ولكن ليست مهمتنا إصلاح ذاتنا، إحدى الوسائل لأداء مهمتنا هي إصلاح ذاتنا،

مهمتنا إصلاح العالم، الإلتقاء بالعالم، نحن أمة عالمية، فإذا سألنا اليوم سؤالاً، وأود أن أسمع من الشباب: ما هي مشكلة العالم اليوم؟ من عنده جواب مختصر؟ من عنده نقطة؟.

كنت قبل شهرين في كينيا، وذهبت إلى منطقة بين (لاما) وبين (مالدندي) اسمها (كنقوني)، وذهبنا إلى قرية بعد كنقوني إلى الداخل، هذه القرية لا يوجد فيها كهرباء ولا ماء، وأهلها يعيشون في (عشش.. أو العرائش الإفريقية المعروفة)، لا توجد بها بيوت، المبنى الوحيد فيها مدرسة ومسجد، جزى الله خيراً من قام بذلك، وفيها أستاذ مبارك من أهل البلاد يدرس عند قبائل الأورمو، دخلت هذه المنطقة التي لا يوجد فيها كهرباء، وجلست في المسجد، وشيخ المسجد أو شيخ المدرسة الذي يعلم فيها ـ جزاه الله خيراً ـ إسمه الأستاذ شامي، استأذن أن يعرض بعض من الطلاب شيئاً مما حفظوه، فقرأ بعضهم آيات من كتاب الله، وأنشد بعضهم قصيدة في مدح الحبيب المصطفى ﷺ، ثم بعد ذلك قام أحدهم وألقى كلمة باللغة العربية الفصيحة حتى إنه استخدم عبارة قال فيها: ولا ينبغي أن يتكلم في حضرتكم بَيْدَ أن الامتثال للأمر خير سلوك الأدب، قلت لهم (بَيْدَ) هذه نسيها العرب الآن!!. وعندما انتهوا قدمت سؤالاً للطلاب، طلاب مدرسة بسيطة في مكان لاتوجد فيه كهرباء، أحد الأجوبة أبكاني، هزني هذا السؤال، سألت الطالب وقلت له: لماذا أنتم هنا؟ فقال: نطلب العلم، فقلت: ولماذا تطلبون العلم؟ فقال أحد الطلاب لنعمل به ولنعلمه للناس، نبلغه للناس، فقلت: أين تريد أن تبلغ؟ فقال في كينيا وفي الصومال في أمريكا وفي العالم.

الذي أريد أن أصل إليه هو أن الطالب الذي يعيش في قرية في إفريقيا، في قرية ليس فيها مبان حسية من الطوب والحجارة والإسمنت، لا يوجد فيها كهرباء، لم تصل إليها ما يعبر عنه اليوم بخيرات الحضارة الحديثة، وهو ـ في هذا المكان ـ يفكر في أن عنده مهمة، أن الذين يسكنون في ناطحات سحاب هو بحاجة إليها، هو الذي نحتاج إليه اليوم يا شباب، الذي يدرك أن عنده شيء العالم اليوم بحاجة إليه هو الذي يمكن أن يكون مفتاحا ليس لحل مشكلة العالم مع المسلمين بل لحل مشاكل العالم. من العجز أن ينحصر تفكيري وتفكيرك في قضية أن بيننا وبين العالم مشكلة ونحن عاجزون عن حل هذه المشكلة. إذا ستعيش وهدفك الأعلى أن تحل مشكلتك مع العالم، وإذا ما رضي أن يتفاهم معك العالم بالطيب فستقاتله.. هذه القضية فقط؟! وفي الأصل ليست بينك وبين العالم مشكلة، الأصل أنت جئت لتحل مشكلات العالم، الأصل أنك جئت صاحب رسالة هدي ونور، والعالم اليوم يحتاج إليها. وأشير هنا إلى أن آخر إحصائية وقفت عليها تقول: إن نحو سبعين أمريكياً يدخلون الإسلام يومياً، هؤلاء الذين يسجلون رسمياً في المراكز الإسلامية يومياً يدخلون إلى الإسلام، عدد المسلمين في الغرب الذي ننظر إليه على أنه المشكلة الكبرى بيننا وبين العالم، عدد المسلمين يتراوح بين 17 و25 مليون مسلم في الغرب، عدد المساجد في بريطانيا وحدها يقارب 3000 مسجد. ونحن لدينا تقصير كبير في البحث والدراسات في العالم الإسلامي، ميزانية الدول العربية مجتمعة في البحث والدراسات تصل إلى 3٪ من ميزانية إسرائيل في البحث والدراسات، في سنة 1987 هناك كانت إحصائية وصلت إلى رئيسة وزراء بريطانيا تفيد بأن نحواً من 86 كنيسة تحولت إلى مساجد في بريطانيا. وأحد الأساتذة الأفاضل يقول إن جمعية الدعوة كان لها دور في ذلك، هذه الأرقام هي شيء بسيط.

الناس اليوم يعيشون في غالب أحوالهم أحد تطرفين: إما غيبوبة عن الواقع، وإما استسلام للواقع.



ما هي أزمة المسلمين اليوم؟

أيها الشباب الدعاة: نحن اليوم في أزمة، واسمحوا لي أن أسأل سؤالاً آخر: ما هي أزمة المسلمين اليوم؟ كنا نسأل عن أزمة العالم، لكن لنتبين الأمر ما هي مشكلتنا اليوم؟ وأين تكمن؟ ومن هم السبب في إشكالياتنا اليوم كأمة؟. سؤال ثالث أخير أسألكم إياه: من هم السبب في هذه المشكلة؟ وبدون تحرج. هل أحد لديه كلام ثانٍ غير العلماء والحكام؟

هل تعرفون هذه الأسئلة الثلاثة؟ أريد أن أربط بين الأسئلة الثلاثة هذه، والإجابات التي جاءت عنها.

السؤال الأول: ما هي مشكلة العالم؟ كان الجواب حاجتهم للقيم الإنسانية، كان الجواب الفراغ الروحي، كان الجواب طغيان المادة، كان الجواب الفصل بين العقيدة والحياة، كان الجواب عدم التكامل في الإنسان، كان الجواب انقطاع العلاقة بين الإنسان وربه...

السؤال الثاني: ما هي مشكلة الأمة؟ قال عدم الاتفاق، قال ضياع الهوية، حب التغرب، قال كثرة الكلام وقلة العمل، قال ترك الكتاب والسُّنة، قال لم نعرف من نحن.

السؤال الثالث: من هم سبب المشكلة؟ قال العلماء، قال الحكام، قال العيب فينا، قال كلنا.

ما هو الترابط بين هذا وذاك؟

نبدأ من السؤال الأخير. من السبب؟ هناك مثل أو قصة ضربتها في عدد من المحاضرات، بعضها ربما في التلفزة، وكررتها مراراً، لكن مادمنا فتحنا الموضوع فسأعيدها: مرّ أحدهم في الطريق فوجد مجموعة من الناس يتكلمون عن مشاكل الأمة، فسأل: من السبب؟ فقال أحدهم الحكام، كما سمعنا الآن، لماذا الحكام؟ قال هؤلاء خانوا الأمانة ولم يؤدوها، وصاروا يخدمون الغرب، ويهمهم أنفسهم ومصالحهم، ولم يحكموا بالكتاب والسُّنة، ولائحة انتقاد الحكام معروفة، فسأل الحاضرون: هل صحيح كلامه؟ فقام أحدهم وقال لا، العلماء هم المشكلة، لماذا؟ قال هؤلاء داهنوا الحكام وما عملوا بعلمهم، وهمهم الدنيا والمكانة بين الناس والشهرة، وما أدوا الواجب ولا عملوا ولا فعلوا، فالذي سمعهم يتكلمون هكذا طرح سؤالاً يقول: ما رأيكم في التجار؟ أليسوا سبباً في المشكلة؟ نعم التجار من أجل مصالحهم المالية باعوا الدين وباعوا البلاد وخانوا

ورفعوا الأسعار وأضعفوا اقتصاد الأمة. والموظفون؟ قال الموظفون ما عندهم أمانة، الموظف تأتي إليه دون رشوة فلا (يُمشّي) العمل، والموظف تأتي له يقول لك إذهب للثاني، والثاني يقول إذهب للثالث. قال وما رأيك في العمال والمزارعين؟ قال أين المزارعون؟، المزارعون لو كانوا يقومون بما ينبغي القيام به لما كنا نستورد القمح من الخارج، المزارعون لم يؤدوا الدور المناط بهم، وكذلك العمال والمهنيون ما عندهم أمانة، ولو غبت عن أحدهم قليلاً فستجده خرب ما أردت أن يصلحه!!

هل تسمحون لي أن أسأل سؤالا هو: من بقي؟ الحكام والعلماء والتجار والموظفون والعمال والمهنيون والمزارعون... كلهم السبب في مشكلة الأمة. تعالوا ندخل معا إلى الجانب الاجتماعي..

أكررها أيضاً: ما رأيك في الأقارب؟ قال الأقارب أهل فتنة ومشاكل، وهذه فلانة عملت سحراً لفلان، والأقارب الشر جاءنا منهم. الجيران؟ قال الجيران نيران، ابن الجيران ينظر إلى بناتنا وما يستحي، والآخر أعلى بيته فوق بيتنا...

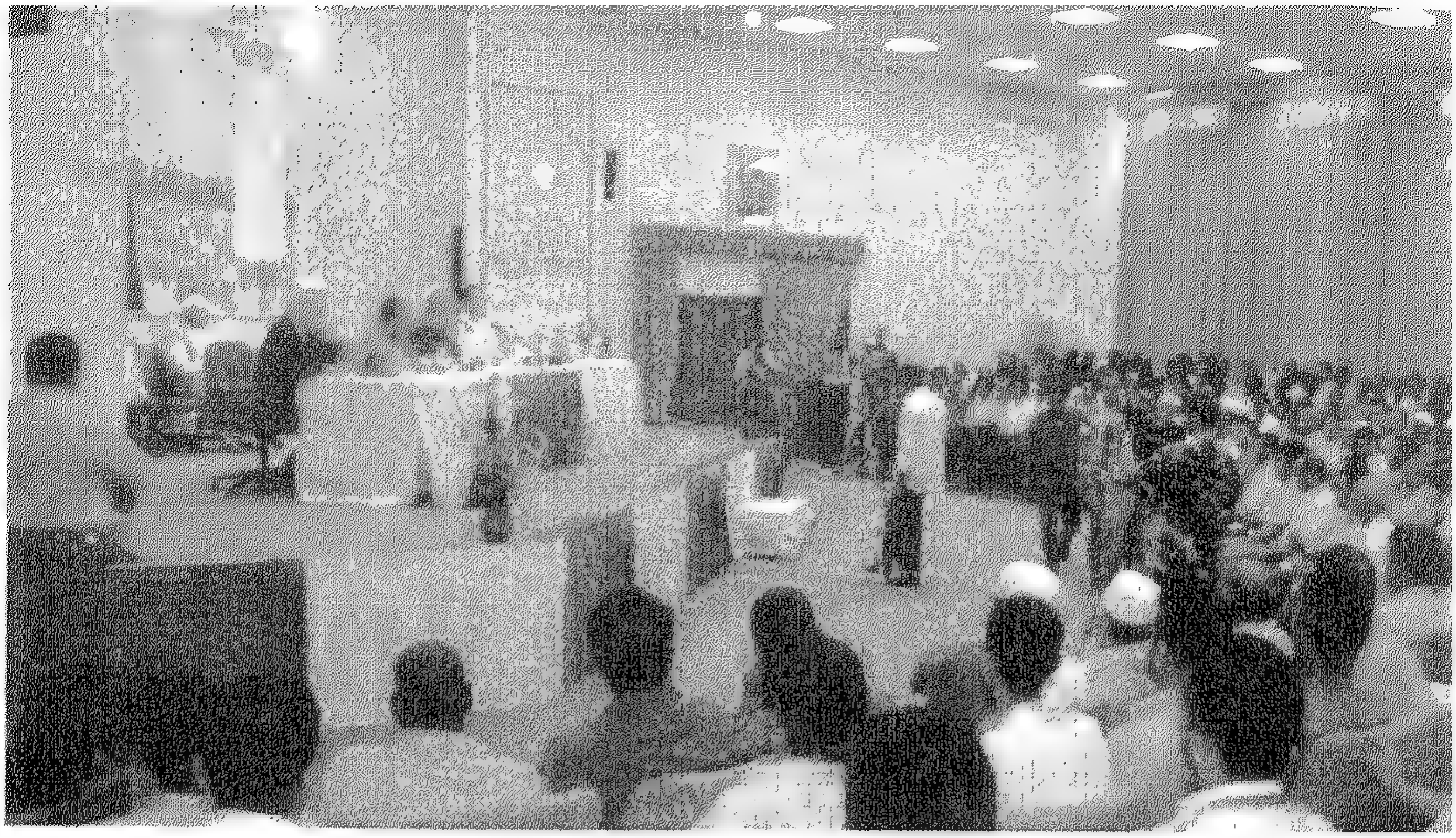
ندخل إلى البيت.. الأمة كلها ضاعت، وكل الأمة سبب المشاكل، ما بقي إلا بيتك أنت، ما رأيك في زوجتك؟ قال حريم آخر زمان، كل يوم تريد ثوبا وتريد الذهاب ولا يقنعها شيء، نذهب للزوجة، رجال آخر زمن، عيونه زائغة، ما رأيك في الآباء؟ الآباء لا يهتمون بنا ولا يجلسون معنا، ما رأيكم في الأبناء يا آباء؟ قال أبناء آخر زمان.. عقوق ولا يسمعون الكلام ولا يعرفون الأدب. من بقي؟ أنت، الأمة كلها سبب في ضياع الأمة إلا أنت. إذاً نحن نتكلم عن البداية، من هذا المكان ينبغي أن نفقه أن البداية أنت لحل مشكلات العالم، إن تكلمنا عن مشكلة عدم الاتفاق بين المسلمين فطبّق مشاكل عدم الاتفاق في نفسك مع بيئتك، وعندما تختلف مع زميل لك في الكلية أو يحصل سوء تفاهم بينك وبين أستاذ من الأساتذة، أو عامل النظافة، أو سائق التاكسي الذي تركبه (الأجرة)، أو المكان الذي تذهب إليه لتأخذ معاملة من المعاملات وحصل عدم اتفاق بينك وبين أحد هؤلاء ؛ فكيف تتصرف؟، تفهم لماذا الأمة لا تتفق اليوم، عندما تتكلم عن مشكلة ضياع الهوية.. ما هي هويتك أنت؟؟

من أنت؟ وما هي مهمتك؟

إخوتي.. مللنا من الشعارات التي هي مجرد شعارات، مللنا من النوح واللوم، نحن نقول إن الإسلام هو الحل، نقول الإسلام صالح لكل زمان ومكان، لكن ما هي الهوية التي تعيشها ضمن هذه الشعارات؟ من أنت؟ ما هو فهمك ومكوناتك؟ وما هو دور عقلك ودور جسدك؟ ودور نفسك؟ ودور قلبك؟ ودور روحك في هذا الوجود؟ من أنت وما هي مهمتك؟ إذا لم تفقه هذا التكامل في تكوينك وتركيبك فلن تفقه التكامل في دورك، ولن تفقه التكامل في مجتمعك، ولن تفقه التكامل في أمتك!! ولن تفقه أنك وريث للبنته ﷺ التي يكتمل بها بناء العالم.

نحن امتداد للعالم الذي سبقنا ولسنا انفصالا عن هذا العالم أو ضدية له.

إذا نظرنا إلى كثرة الكلام وقلة العمل، وربما أكثرت الكلام عليكم اليوم، وأعيدها عليكم: ما نسبة الكلام إلى العمل في يومي وليلتي؟ ما هي قدرتي على الاستماع؟ ما هي قدرتي على القراءة؟ ما نسبة قراءتي واستماعي إلى نسبة كلامي في اليوم والليلة؟ لا أعني في المحاضرات، ففي المحاضرات مستمع، ولا أعني في الاختبارات، ففي الاختبارات قارئ، لكن في تكوينك أنت، في شخصيتك أنت، ما هي نسبة حب الاستماع والمطالعة فيك لغير الشهادة ولغير المحاضرة؟ إذا وجدت فراغاً من الوقت في إجازة تقضيها في وقت



تقضيه مع أهلك ؛ فهل تشعر بأنه من المهم أن يكون وقتا لتقرأ فيه؟

الذين يسافرون إلى الخارج يلاحظون شيئاً مهماً، فعندما نذهب إلى الغرب، وأيضاً إلى الشرق الذي تقدم في الحضارة الخدماتية؛ نجد أنهم لما شعروا بقيمة الوقت والحاجة إلى الاستزادة دائماً تجد أحدهم في القطار وفي الطائرة وفي الحافلة أو الباص يجلس ومعه كتاب، ما يخرج إلا والكتاب معه، لماذا؟ لأنه يشعر بأنه بحاجة إلى الاستزادة، ما هي حاجتي إلى الاستزادة اليوم؟ شعوري بأني محتاج أن أفهم أكثر، أتعلم أكثر، أستزيد أكثر، الشهادة لا تعني العلم، الرتبة الوظيفية العلمية لا تعني العلم، هناك ربما المشائخ والدكاترة والأساتذة يوافقونني، هناك بعض المشائخ الذين في القرى النائية التي ربما لا توجد فيها الوسائل الموجودة الآن، ولم يدخلوا مدرسة قط، فضلاً عن جامعة، فضلاً عن دراسات عليا، لو جلست مع أحدهم فستجد أنك مهما بلغت من الدرجة الأكاديمية أو الوظيفة العلمية ؛ تشعر بأنك تلميذ بين يديه، فحب الاستزادة موجود في نفسه، وهذا له ارتباط بما نتكلم عنه.

النقش على معالم واضحة

إذا تكلمنا عن إشكالية ترك الكتاب والسُّنة والإعراض عنهما والأخذ بهما ؛ فينبغي أن نفقه ما مقصودنا بالكتاب والسُّنة، النقش على معالم واضحة بصلتنا بالكتاب والسُّنة، الكتاب والسُّنة هما المرجع الأعظم لنا، هل هي صلة عقلية فقط؟ بمعنى أن عقلي يقرأ ويفهم ويأخذ ما قاله العلماء، أو صلة عقلية وجسدية فقط؟ جسد يقوم ويعمل ويطبق، أين صلة النفس بكتاب الله وسُّنته رسوله ﷺ؟ هل توافقونني يا إخوتي الشباب أن هذه هي إحدى المشاكل الصميمية لنا في ميدان إعداد الدعاة في خدمة الدعوة؟! صلتنا بالكتاب والسنة من وجهة مكون النفس فينا:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾
[سورة الشمس، الآيات: 7-10]

لو قرأنا كلام حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى في كتاب (الإحياء) ورأينا ما يتكلم به وينطق به ويشكوا به مرارة من العلوم الدنيا، أي العلوم الشرعية، الذين أخذوها للدنيا، أو مالت بهم الدنيا، وكيف لعبت بهم ؛ لفقهنا عظمة الحاجة إلى صلتنا بالكتاب



والسُّنة، لتكتمل صلتنا بالكتاب والسُّنة كعقول، وكأجساد تطبق ما تفهمه العقول .

من الممكن أن تحفظ وأن تقرأ وأن تبلغ رتبة الإفتاء، بل من الممكن أن تبلغ رتبة الاجتهاد إذا تكاملت فيك أدوات الاجتهاد ؛ لكن إن لم يكن ذلك مبنياً على معنى صلتك لخدمة هذا الدين، ولم يكن مبنياً على تزكية نفسك ؛ فعلمك وبالٌ عليك وعلى الأمة!! وكم عانت الأمة ممن انتسبوا إلى العلم فباعوا دينهم بعرض من الدنيا قليل!!. ليست المسألة مجرد امتثال جسدي لأوامر الكتاب والسُّنة، جسد يركع ويسجد، جسد يمتنع عن الطعام ثم يأكل الطعام، جسد ينفق المال... الخ. ليست المسألة مجرد الامتثال الجسدي الآلي لكلام الكتاب والسُّنة دون الصلة بالمقصد من وراء ذلك.

إذاً نحن بحاجة إلى صلة بالكتاب والسُّنة يشعر فيها ومن خلالها بالمعنى الذي كان يجعل رجلا مثل (عكرمة) إذا أخذ القرآن بكى قبل أن يقرأ ما فيه، يمسك المصحف وينظر إليه ويرتج قلبه، ويقول: كلام ربي، كلام ربي، كلام ربي. وربما يغشى عليه خوفاً أو رجاءً أو شوقاً قبل أن يتأمل ما في الكتاب من آيات، هذا المعنى الذي استقر في نفس هذا الإمام نحن اليوم بحاجة إليه إذا أردنا أن نأخذ الكتاب والسُّنة ، بحاجة إلى أن نعيش هذا المعنى، أن يشعر الواحد منا بذوق صلته بالله، أن يشعر بذوق الشوق إلى الله، أن يفهم أحدنا اليوم ارتباط وضع الأمة في فلسطين والعراق وأفغانستان والبلقان والصومال... وفي مشارق الأرض ومغاربها ؛ أن يفهم أحدنا اليوم صلة وضع الأمة المرير، بتذوق روحه لمعنى الصلة بالله، والشوق إلى الله.

هل توجد صلة واضحة في ذهن واحد منا بين تغيير واقع الأمة، وبين أن تبيت أنت ليلة، وقلبك مشتاق، وروحك مشتاق إلى الله؟ إن لم تتضح تلك الصلة، وأراها غائبة اليوم عن كثير من أذهاننا، حيث الكل منا يقتنع بالإجمال أن حال الأمة لن يصلح إلا إذا صححت صلتها بالله، هل أحد عنده اعتراض على ذلك؟ كلنا مجمعون، وأعتقد أننا جميعا نجمع على أن مشكلة الأمة هي انفصال صلتها عن الله، لكن أين وضوح هذا المعنى عندما نقول للذي لديه حرقة على حال الأمة أيقظ معنى الشوق إلى الله في قلبك، عندما

نقول للمحترق من تحول المسلمين إلى أديان أخرى في بعض الأحيان ؛ نقول له أيقظ معنى الشوق إلى الله في قلبك.

أنتم المفتاح

ولندخل الآن إلى خاتمة الكلام وهو مشكلات العالم. أنتم الذين أوقفتم أوقاتكم لله، أنتم محسوبون اليوم على الله، أي محسوبون على خدمة دين الله، آمل في طلبة الطب وطلبة الهندسة وطلبة القانون وطلبة التاريخ وطلبة علم الاجتماع... وكل هؤلاء، نحن بحاجة إليهم أن يكونوا في خدمة الله، لكن المفتاح أنتم، أنتم فقط، أنتم المفتاح ليلفت نظر طالب الطب وطالب الهندسة وطالب التاريخ وطالب الاجتماع وطالب القانون وطالب اللغات، يلفت نظره إلى مهمته، أنتم المفتاح، عندما يكون طالب في كلية الدعوة أو كليات الشرعية أو كليات الدعوة أو الإسلامية ؛ عندما يكون هذا الطالب في حال تأهب لينال الإرث عن الحبيب ﷺ، والإرث لعقله معلومات، ولجسده أفعال، لكن أيضاً لنفسه تزكيه، صلة الواحد منا بالآداب النبوية، مرتبطة بالحال مع الله سبحانه وتعالى.

وهنا دعوني أسأل: متى كانت آخر مرة تذكر أحدكم فيها صلته بربه فبكى حباً؟ ربما أحدنا بكى تقرباً خوفاً من الله وهذا عظيم، ربما بكى أحدنا حياء وهذا عظيم، ربما بكى أحدنا طمعاً في الجنة وهذا عظيم، لكن سؤالي محدد بدقة أكثر: من منا - يا شباب - بكى شوقاً إلى الله؟ من شدة حبه إلى ربه أبكاه الحب، شوقه إلى الله حركه، هيجه، من منا اشتاق إلى رؤية الحبيب ﷺ؟ ليس ليقص المرء أو ليعيش في عالم من الخيالات أو الغيبوبة.. لا، من اشتاق قلبه إلى أن يرى نبيه، لا يوجد إنسان يحب إنسانا لا يشتاق إلى رؤيته، ولا يوجد مؤمن يكمن إيمانه لم يبلغ حب رسول الله منه أنه فاض على حبه لنفسه، لا يؤمن أحدكم حتى يكون أحب إليه من نفسه.

هذا مدخل يترتب عليه أن الواحد منا يعيش لذوق هذه الصلة. إذا آوى إلى فراشه مرتبطاً بالأدب النبوي، تائباً إلى الله عز وجل، متطهراً، ومن يحرص على أن يبعثه الله في أحب الأوقات إليه، يستيقظ آخر الليل يقوم ويقول يا رب اهدني لخدمة دينك، كان بعض مشائخنا يقول: طالب العلم الذي ليس له وقت مع الله في الليل أنفض يدك منه، وكان بعض مشائخنا يقول: طالب العلم الذي لا يثقل عليه أن تفوته التكبيرة الأولى خلف الإمام في الصلاة في الجماعة أنفض يدك منه، وكان بعض مشائخنا يقول: طالب العلم الذي لا يشعر بالحسرة في فوات سُنّة أو أدب من سنن وآداب النبوة لا يرجى له أن ينفع الأمة، هذا ليس من التشديد أو التقنيط، وهذا دافع إلى أن نلتفت بأنظارنا إلى هذا الأمر العظيم، صلتنا بتقويم أنفسنا من خلال ما نتعلم، ومن خلال ما نأخذ، وأن لا نجعل مشاكل الواقع تعطلنا عن أن نعمل، تعطلنا عن أن ننتج، عن أن نقوم

ما هي مشكلتنا اليوم؟
وأين تكمن؟
ومن هم السبب
في إشكالياتنا اليوم
كأمة؟





من أنت؟ وما هي مهمتك؟ إذا لم تفقه هذا التكامل في تكوينك وتركيبك فلن تفقه التكامل في دورك، ولن تفقه التكامل في مجتمعك، ولن تفقه التكامل في أمتك!!

بشيء، مشاكل الواقع مريرة، كما أنها عظيمة وخطيرة، لكن مفتاحها يبدأ بأن نكون حقيقة الدعاة، أو دعاة حقيقيين. اليوم بلدانكم بحاجة إليكم، وأكرر العالم محتاج إليكم، أنت يا من جاء من أدغال إفريقيا، إن الذين يعيشون في ناطحات سحاب بحاجة إلى المعنى الذي جئت تتعلمه في هذا المكان المبارك، هم بحاجة إلى أن تحيي فيهم أمراً هم بحاجة إليه، لكن لا يتأتى أن تؤدي هذا الدور قبل أن يحيا فيك أنك، سلوكك، نظرك. طالب العلم، كيف يعد نفسه مهيئاً بأن يكون عالماً، عاملاً مجدداً للأمة، من يستسهل أن ينظر إلى الحرام؟ والنظرة سهم مسموم من سهام إبليس المرجوم، من تركها من مخافة الله أبدلها الله بها إيماناً يجد حلاوته في قلبه، من يرى في نفسه أنه بحاجة إلى حل مشاكل النفس، أن يغض البصر.

ويجب أن لا يغيب عن بالنا أننا لا نعد عدة لنتجبر في الأرض، أو لنكون جبارين في الأرض، ليست مهمتنا أن نخضع الأرض، ومن على الأرض، مهمتنا أن نعبد قلوب أهل الأرض لله، وإذا فقهنا الفرق بين مهمة نظرنا فيها مقصور على السيطرة إلى مهمة من قال الله له لست عليهم بمسيطر، مهمتك هداية للقلوب، هذه أول هذه لبنة، أو هذه خطوة، إذا خطوناها كبداية ونحن في هذه الكلية المباركة فستكون بداية لخطوات أخرى تكتمل وتتكامل وتتسع حتى يظهر وعد الله سبحانه وتعالى.

والذي أحب أن أختم به هذه المحاضرة هو قولهﷺ: (زويت لي الأرض مشارقها ومغاربها وإن ديني - وفي رواية مُلكي - سيصل إلى ما زوي لي منها. فوالذي نفس محمد بيده لن يبقى على وجه الأرض بيت شعر أو مدر أو حجر إلاّ دخله ديني بعز عزيز أو بذل ذليل)

فانظروا.. ولينظر كل منكم: هل انتشار الدين اليوم بعزه أو بذله؟ من أخذ المعنى بكماله وبهمته وبصدقه فسيكون انتشار الدين بعزه، ومن أغفل الأمر فسيكون انتشار الدين بذله.

أسأل الله أن يعزنا بهذا الدين، وأن يذيقنا لذة الذلة بين يديه حتى يعتقنا من التذلل لخلقه..

وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليماً..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

حوارات



جسر التواصل.. وجزر السلام

وزير العدل الإيطالي

د. كليمنتي ماستيلا:

من الشرق ينبعث النور

جسر التواصل.. وجزر السلام

وزير العدل الإيطالي

د. كليمنتي ماستيلا:

من الشرق ينبعث النور

حاوره: د. عبد العاطي محمد عبد الجليل*
قامت بالترجمة: آمال المغربي**

يكون الحوار مغرياً حين يتم مع أوروبي يلامس - وبشكل واضح وجلي - خطوط التماس الحضارية والثقافية والسياسية بين الشمال والجنوب، بين الشرق والغرب، بين الإسلام والمسيحية.. ويزداد الحوار إغراءً حين يكون مع سياسي، مثقف، تشكل بلاده أولى نقاط هذا الالتماس جغرافياً وحضارياً ودينياً.

وتتعدد الألوان الجاذبة في مكونات شخصية الدكتور (كليمنتي ماستيلا) باعتباره خبيراً بكل أنواع الحوارات، حيث عمل بالصحافة الإيطالية فترة من الزمن، وكان مسؤولاً عن قسم الإعلام والنشر بالحزب الديمقراطي المسيحي الإيطالي، وهي خبرة مكنته ولا شك من إدراك ما يرمي إليه محاوره، وكونه وزيراً للعدل في الحكومة الإيطالية اليوم، يضعه في موقف أكثر حرصاً، خاصة حين يقترب الحوار من خطوط التماس التي قد تشكل تعارضا بين ما هو سياسي وماهو ثقافي.



كليمنتي ماستيلا

* كاتب وصحفي وأستاذ جامعي / ليبيا
** مترجمة/ ليبيا.
الصور/ عبد الباسط بن غزال

لكن الدكتور (كليمنتي) مع كل ذلك وغيره لم يكن منغلقا في حواري معه، الذي جرى بطرابلس، صحيح أنه تحدث باعتباره مثقفاً أحياناً وبصفته سياسياً أحياناً أخرى، وبين الثقافة والسياسة التقاء وافتراق، فمن تفرقهم الثقافة ربما تجمعهم السياسة، ومن تفرقهم السياسة ربما تجمعهم وتوحدهم الثقافة، كما أن هناك مكونين آخرين ضمن مكونات هذه الشخصية المتعددة المواهب، أولهما دراسة الدكتور (كليمنتي) للأدب الإيطالي، والثاني انتماؤه للجنوب الإيطالي حيث ولد وعاش في بيئة ريفية، من هنا، فإن الحوار معه جاء أوسع بكثير من الحوار مع سياسي آخر، فدراسته الآداب الإيطالية منحته بلا شك مساحة أوسع لرؤية القضايا بمنظار إنساني، أما انتماؤه للجنوب فيعني تاريخيا وجغرافيا وثقافيا أنه قريب جدا من خطوط التماس الحضارية، بين الشاطئ الشمالي للبحر المتوسط وشاطئه الجنوبي..

المنابع والمصادر الحضارية

إيطاليا مهد الحضارة الرومانية، التي لا تزال آثارها بادية للعيان على شواطئ البحر المتوسط، إيطاليا اللغة اللاتينية الأم، لعدد من اللغات المعاصرة، إيطاليا دافنشي ومايكل انجلو وميكيافيللي، إيطاليا الفاتيكان، إيطاليا الممتدة في عمق البحر المتوسط، إيطاليا النائمة في جنوب الشمال والأقرب إلى شمال الجنوب؛ أثرت وتأثرت، طفت وغرقت، اتسعت وضاقت، من بين أهم النوافذ التي يمكن من خلالها أن نلمس البصمات الحضارية بين الشرق والغرب، بين الشمال والجنوب؛ **يقول السيد كليمنتي عن ذلك:** نحن نشاطر سويا قيمنا الجوهرية، لأننا ورثنا الحركة الثقافية في القرن الرابع عشر بنفس التوجه المنبثق عن الحركة الأدبية والعلمية والفلسفية التي ظهرت في إيطاليا في القرن الرابع عشر لتنتشر لاحقاً في القارة الأوروبية، وأيضا القيم التي تعتمد على نفس الثروات الروحانية، ثقافاتنا وحضاراتنا تتغذى من المنابع والمصادر نفسها، وهذا ما يجعلها قريبة من بعضها، ويعتبر الأمر المهم والذي يميزها عن بعضها البعض.

الإسلامو فوبيا

رؤية للمزيد من الانقسام

د. كليمنتي: أنا ضد الذين ينظرون الى الاسلام نظرة ترتبط بالتطرف.

كلماته تلك عن المنابع والمصادر المشتركة كانت مدخلا مشجعا للاقتراب أكثر من أهم القضايا المثارة على الساحة الأوروبية، وكنت حين التقيته وحاورته أستعد للمشاركة في ندوة عن دور وسائل الإعلام في إيضاح خطورة (الإسلاموفوبيا: مرض الخوف من الإسلام أو الخوف المرضي من الإسلام)، تنظمها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) في مدينة حلب الشهباء باعتبارها عاصمة للثقافة الإسلامية للعام 2006 مسيحي. سألته ما الذي يمكن أن يقوله حول هذه المشكلة باعتباره من المثقفين والسياسيين في إيطاليا أولا وفي أوروبا ثانياً، وكونه على اتصال مباشر بالإسلام والمسلمين من خلال موقعه ومن خلال التفاعل الحضاري بين ضفتي البحر المتوسط، **قال السيد كليمنتي:** بشكل شخصي، وعلى المستوى الثقافي فإنني ضد أولئك الذين يسيرون في هذا الاتجاه، أعني الذين ينظرون إلى الإسلام نظرة ترتبط فقط بالتطرف، وتقتصر على هذا الفهم، قطعا تنبثق من هذه النظرة رؤية تستحوذ على البعض حيال العالم الإسلامي، وذلك ربما يكون من أجل أهداف شخصية،

ومن شأن التطرف والنظر إلى الإسلام من هذه الزاوية أن ينقلنا إلى مزيد من الانقسام، وإلى مزيد من المنازعات، وعدم القبول المتبادل، كما أن كل ذلك من شأنه أن يؤدي بنا إلى انعدام احترام الإنسان أخيه الإنسان.

وقال: من عدم الاحترام المتبادل تولد فكرة غير صحيحة لدى البعض الذين يرفضون الحوار والسلم، وهؤلاء موجودون في مجتمعاتنا الغربية، إن بعض تلك التوجهات المعادية للتعايش موجودة في ثقافتنا الغربية أيضا.. نحن نطالب دائما بإزالة الجدران الفاصلة.. العنف يقابله عنف، العنف الثقافي يقابله عنف ثقافي آخر، عندما يرتفع جدار هنا سيرتفع جدار هناك، عدم القبول ورفض التعايش يقابله رفض التعايش وعدم القبول، وهذا بالطبع سيكون على حساب جهود ذوي النوايا الحسنة..

❖ **قلت متسائلاً: وماذا يتوجب علينا فعله إزاء هذا البعض؟**

قال: عندما يحاول البعض تغيير أو تحريف المبادئ الدينية الحقيقية والمقدسة سواء في المسيحية أو الإسلام فإن علينا أن نضع ذلك البعض في الإطار الصحيح، حتى نستطيع أن نخطو خطوة إلى الأمام، يسود بيننا الاحترام العميق، والقبول المتبادل بعيوبنا ومحاسننا، لأننا ينبغي أن ندرك أنه بإمكاننا أن نتعايش بسلام.

وفي إشارة منه إلى (الجسر) الذي اختارته مجلة (التواصل) رمزاً للتواصل دون إقصاء أو منع، قال الدكتور كليمنتي وهو يمعن النظر في الشعار المذكور: علينا أن نبني معاً عن طريق وبمساعدة هذا الجسر الذي ربما يشير إلى أكبر بكثير مما نقوم به، إنه رمز حقيقي واقعي يمس ضمائرنا التي ينبغي أن تكون حرة مرتبطة بروح الدين الإسلامي أو المسيحي، وبعد أن نعبر هذا الجسر يجب أن ننطلق وتنبثق جزر السلام..

حاولت أن أقترب أكثر من قضية تقض مضاجع الجميع، ورأيت أن يكون المدخل لطرحها سياسياً، قضية اختلطت فيها السياسة بالثقافة.

قلت: الاتحاد الأوروبي فضاء يسعى إلى تحديد ملامحه كمنظومة جديدة تسوده مصطلحات مثل تعدد الثقافات والأعراق، كيف يا ترى تحللون ما بات متداولاً إعلامياً وسياسياً وثقافيا، أعني: (الإسلام والغرب)، هل تنظرون إلى الإسلام باعتباره (آخر) بالنسبة للغرب؟ هل من الصواب أن نضع (الإسلام) في مواجهة (الغرب) جغرافيا وثقافياً؟

الحرية الشخصية تنتهي حين تبدأ حرية الآخرين. هناك نقاط عديدة من شأنها أن تساعد على تفادي التعارض والنزاع

... عندما نتصور أن إله إبراهيم والمسيح ومحمد ﷺ هو الإله نفسه..

أدركت أن الدكتور كليمنتي اختار حين أجاب عن تساؤلي هذا أن يكون سياسياً فقال: أوروبا تاريخياً تعتبر منطقة ذات كثافة مسيحية، وأعتقد أن من بين الجوانب الإيجابية المنبثقة عن العولمة أن على الذين يدينون بعقائد مختلفة أن يحترموا عقائدهم من خلال احترامهم عقائد غيرهم، ولهم أن يمارسوا عقائدهم، ويفرضوا احترام الغير لهم حتى لا يتولد هاجس أو شك بأن ديانتنا أفضل من الديانة الأخرى، ينبغي ألا تكون هناك فكرة مسبقة بالتفوق لا من الناحية الدينية ولا من الناحية الثقافية، ولكن عندما نتصور أن إله (إبراهيم والمسيح ومحمد ﷺ) هو الإله نفسه فإن الإشكاليات والمشاكل ستزول حتما، إن رؤية الإله الواحد من زوايا متعددة ينبغي ألا تحول دون توحدنا معاً.. لأننا حين نحاط بالسلام فإنه بإمكاننا أن ننظر



ماستيلا وجسر (التواصل)

بهدوء أكثر إلى المشاكل المحيطة بنا، والتي ربما تكون مجرد مشاكل اجتماعية أو اقتصادية أو مالية ناتجة عن قصور في معدلات التطور هنا أوهناك، وفي كل الأحوال من الممكن توحيد الشعوب والحضارات، وهذا ما علينا أن نقوم به، هذه هي مهمتنا الكبرى والتاريخية، إنها مهمة ثقافية ودينية، علينا أن نصنع ما من شأنه أن يقبل تعدد الثقافات والأعراق..

قلت: سألتك عن (الإسلام والغرب)، وقد أدركت أبعاد ما ترمي إليه، لكننا لا يمكن بأي حال أن نغض النظر عن ذلك، فمن الشرق ظهرت كل الرسالات السماوية التي بشر بها الأنبياء أمثال: (إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد) عليهم السلام، وهذا أمر لا يمكن تجاوزه أو تجاهله..

قاطعني قائلاً: «نعم، من الشرق تشرق الشمس وينبعث النور»، أحسست أنه اختزل في جمل قصيرة أشياء كثيرة، ولذا حاولت أن أستثير فيه الإعلامي والسياسي فقلت: ثمة مشكلة إعلامية في ما يعرف بـ(الغرب)، حيث إنه في الوقت الذي ترتفع فيه أصوات تدعوا إلى الحوار والتفاهم والتعارف والتواصل ترتفع أصوات هنا وأصوات هناك، وتحت مظلة ما يعرف بـ(حرية الرأي وحرية التعبير) وتسوق مصطلحات وآراء سلبية من شأنها أن تلحق الأذى والإساءة بحضارات وعقائد وشعوب عبر مؤسسات رسمية أحيانا.. صحيح أن الجميع يرحب بـ(حرية الرأي)، لكنها لا يمكن أن تعتبر حرية حين تلحق الأذى والإساءة بالآخرين، إن حرية شخص لا ينبغي لها أن تنال من حرية غيره..

التربية عن طريق الثقافة واحترام القيم

التقط الدكتور كليمنتي الفكرة، وقال بوضوح: إنني أتفق معك تماماً في أن الحرية الشخصية تنتهي حين تبدأ حرية الآخرين، وهناك نقاط عديدة من

شأنها أن تساعد على تفادي التعارض والنزاع..

على المدى البعيد لا بد من أن تكون هناك تربية عن طريق الثقافة، عن طريق الأسرة، عن طريق احترام القيم، ولابد أن يكون هناك فاصل بين حرية التعبير المسموح بها وبين الإساءة، هناك حاجة ماسة إلى الحكمة، وأحيانا إلى القوانين..

لابد لي من القول، إن لدينا في أوروبا قوم غير متسامحين، للأسف هناك متطرفون، وهناك متطرفون أيضا بين الذين حولنا، علينا جميعا أن نضع حدا للتطرف، وأن نعمل للاستفادة بكل الطرق من الذين يعيشون بيننا، نستفيد من معارفهم، إنهم يعيشون بيننا باعتبارهم شعوبا لها ثقافاتها وعاداتها..

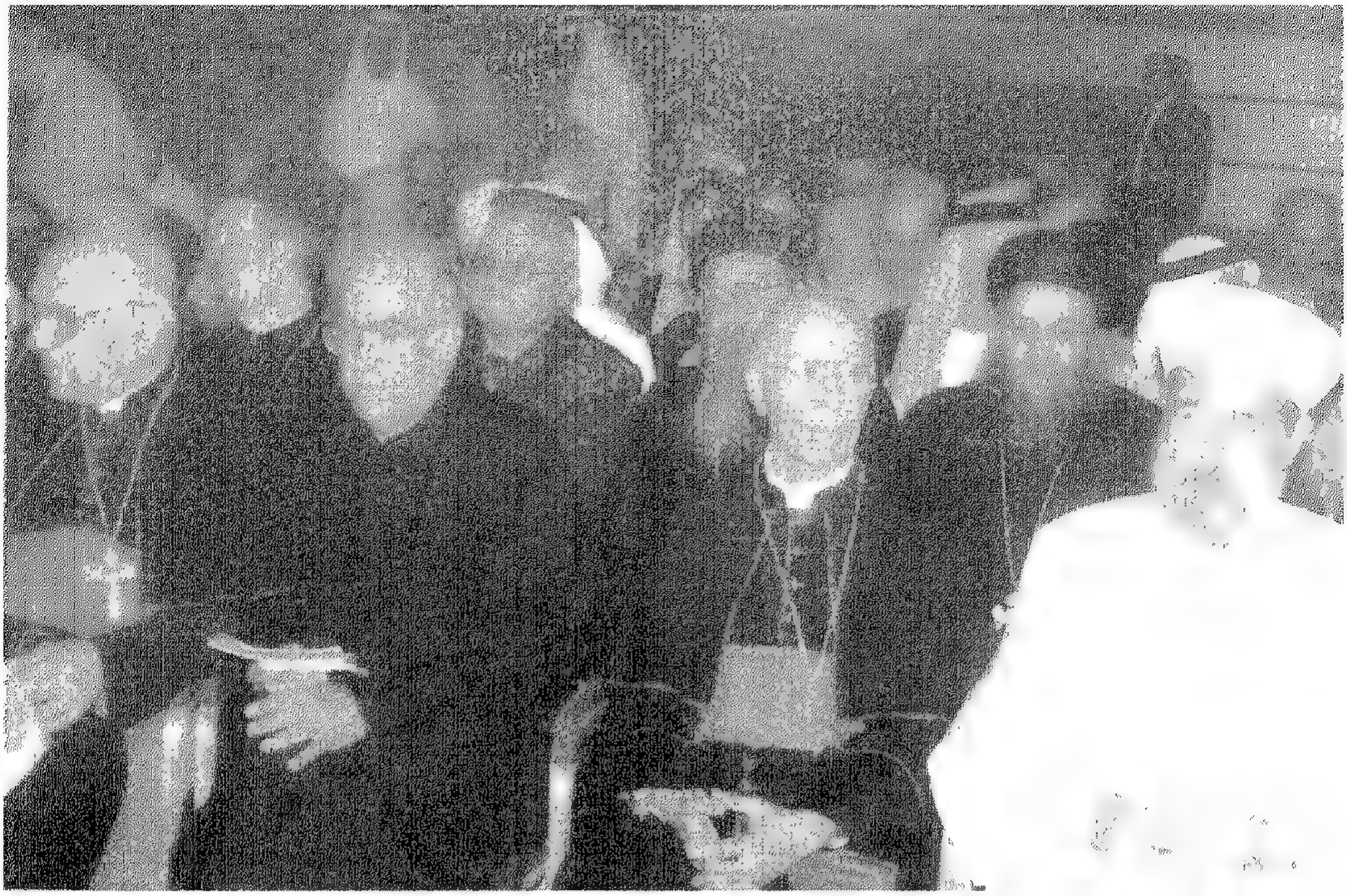
إذا توفرت الفرص فإنني أعتقد أنه بالإمكان عزل كل من يريد أن يرعب الآخرين، وعزل من يتسبب في إشعال النار، ومن يتسبب في إلحاق الضرر بالآخرين، إن الذين يحاولون إضرام النار لا يحترمون القوانين ويرتكبون الجرائم، وهؤلاء لابد من عزلهم.. أنا هنا لا أدعو إلى الطمس أو الضغط أو الإقصاء، ولكنني أدعو إلى احترام كل من يحترم التعبير وحرية الثقافة، أحترم الحرية، ولكنني ضد الإساءة تحت مظلة الحرية وباسمها..

للدكتور كليمنتي مشاعر واضحة حيال الإسلام والمسلمين، يعلنها دونما تردد، ليس من قبيل العمل السياسي، ولكن من باب آخر، قال: أود أن أتوجه بالتقدير والاحترام إلى كل المسلمين، وهم الأكثر عددا في العالم، والذين يعيشون في حقيقة الأمر مع الإسلام انطلاقا من الاعتدال والتسامح في منظور ورؤية تعتمد على قبول الآخر بكل ما بوسعه، ولتغذية الحوار بيننا

من السيرة الذاتية

- من مواليد مدينة شيبالوني ـ بلدية بينا فينتو بجنوب إيطاليا بتاريخ 1947/7/5، وعمل عميداً لهذه البلدية من عام 1987 حتى عام 1992 ثم عام 2003.
- يحمل دكتوراه في الآداب الإيطالية، وعمل بالصحافة الإيطالية.
- يشغل حالياً أمين عام حزب أوديور (UDEUR) حزب الاتحاد الديمقراطي الأوروبي.
- كان عضواً بالحزب الديمقراطي المسيحي.
- تم انتخابه لعضوية مجلس النواب عام 1976 وأعيد انتخابه عام 1979 وكان مسؤولاً عن قسم الإعلام والنشر بالحزب الديمقراطي المسيحي.
- عمل وكيلاً لوزارة الدفاع في حكومة جوليو أندريوتي (الحكومة السادسة والسابعة) كما عمل عضواً بلجنة الشؤون الدستورية في الحكومة الثامنة والتاسعة، وعمل عضواً بلجنة الشؤون الثقافية في الحكومة العاشرة، وفي عام 1992 (الحكومة العاشرة) تم انتخابه عضواً بمجلس النواب واختير لعضوية لجنة الدفاع.
- عام 1994 تم انتخابه لعضوية مجلس النواب، وتولى منصب وزير العمل في حكومة سلفيو برلسكوني.
- عام 1995 عمل عضواً بلجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب.
- عام 1996 ـ 1998 تم انتخابه لعضوية مجلس النواب، عمل نائباً لرئيس مجلس النواب وعضواً بلجنة الدفاع.
- عام 1999 ـ 2004 عضواً بالبرلمان الأوروبي.
- عام 2002 أعيد انتخابه لعضوية مجلس النواب، وعمل نائباً لرئيس المجلس.
- في انتخابات شهر الطير 2006 تم انتخابه عضواً بمجلس الشيوخ.
- عين وزيراً للعدل بتاريخ 2006/5/17.





من لقاءات الحوار التي نظمتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

وتعزيزه يجب علينا أن نحسن المعرفة المتبادلة لثقافاتنا وحضاراتنا..

يخيل إليّ أنه حاول أن يفصح أكثر عن ما يراه بوضوح حيال القضايا المعاصرة، خاصة ما تعيشه الشعوب المسلمة من إحباط، وهو يرى أن هذه الأوضاع كانت مسؤولة نسبياً عن الأوضاع المقلقة، ولذا قال: الشعوب المسلمة استطاعت أن تنسجم مع الحداثة، وللأسف ـ كما تعلمون ـ فإن المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدناها في السنوات الأخيرة والإحباطات ومظاهر مشكلة التهميش الاجتماعي أدت إلى ظهور حركات متطرفة تستخدم الإسلام لأغراض ممارسة العنف، ولكن نحن جميعا نعلم جيدا أن لا صلة للإسلام بالتطرف..

لن نقبل أبدا بميلاد جدار جديد

ويبدو أن الدكتور كليمنتي وجد في كلمات (ليوحنا بولس الثاني) ما يسند رأيه، ولذا أوردها كدليل على ما ذهب إليه، قال: وما ذهبت إليه هو ما قاله البابا يوحنا بولس الثاني منذ عشر سنوات مضت، في مدينة أسيسي بإيطاليا «الديانات لم تبرر على الإطلاق الكراهية والعنف، والسبيل لتجاوز الشك والصراعات هو الحوار، الحوار لا يضعف هُوية أحد، ولكن يدفع كل رجل وامرأة لرؤية ما هو أفضل في الآخر، حيث لا يضيع شيء بالحوار، وكل شيء يكون ممكناً».

علينا ألا نتجرأ ونبالغ في إصدار الأحكام، كما يجب أن ندين التطرف، وأن نتصدى لكل أولئك الذين يشرعون اللجوء إلى العنف ويحاولون بناء حدود اصطناعية بين الإسلام والغرب..

إيطاليا وأوروبا بأكملها لا تقبل، ولن تقبل أبدا بميلاد جدار جديد، لأن العالم قد عانى بما فيه الكفاية من تقسيمات الماضي، نحن نرفض بشدة



ماستيلا يطلع على إحدى طبعات صحيفة (الدعوة الإسلامية)

فكرة أن الصدام بين ثقافاتنا ودياناتنا أمر لا يمكن تفاديه، ذلك لأننا على قناعة تامة بأن دفع وتشجيع الحوار سيساهم في عزل التطرف وتثبيت السلام والتطور والاستقرار..

يبدو أن الدكتور كليمنتي يعي تماماً ما يقول، ولذا قال بوضوح لا لبس فيه: يمكنني أن أؤكد لكم بأنني سأكرس نفسي وكل طاقتي كمسؤول اعتباري للمساهمة في الوصول إلى هذا الهدف الأساسي والذي لا يمكن العدول عنه..

المجتمع الجماهيري هو مجتمع الخير والقيم النبيلة

لم ينس السيد الدكتور كليمنتي ماستيلا وزير العدل الإيطالي، أن يفرد مساحة مهمة لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية والجماهيرية، حيث قال: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية تعمل بفاعلية منذ ثلاثة عقود في سبيل تشجيع الحوار بين الثقافات والديانات، ومنذ أكثرمن ثلاث سنوات مضت ـ وأنا فخور بأن أقول ذلك، عقدت هذه الجمعية المهمة اجتماع الدورة الخامسة عشرة لمجلسها العالمي بمدينة روما، بحضور صديقي وصديقكم فرانشيسكو كوسيجا رئيس الجمهورية المعروف لدى الجميع.. لذلك أود أن أنتهز هذه الفرصة لأتوجه لكم جميعا بكلمة سلام وصداقة..

إن الجماهيرية العظمى، وحسب ما ورد في الوثيقة الكبرى لحقوق الإنسان، فإن المجتمع الجماهيري هو مجتمع الخير والقيم النبيلة، فهي تدرس المبادئ والقيم الإنسانية، هدفه تحقيق مجتمع إنساني بعيد عن العنف والحروب والاستغلال والإرهاب، وتنعدم فيه الفوارق بين الناس.

استطلاعات

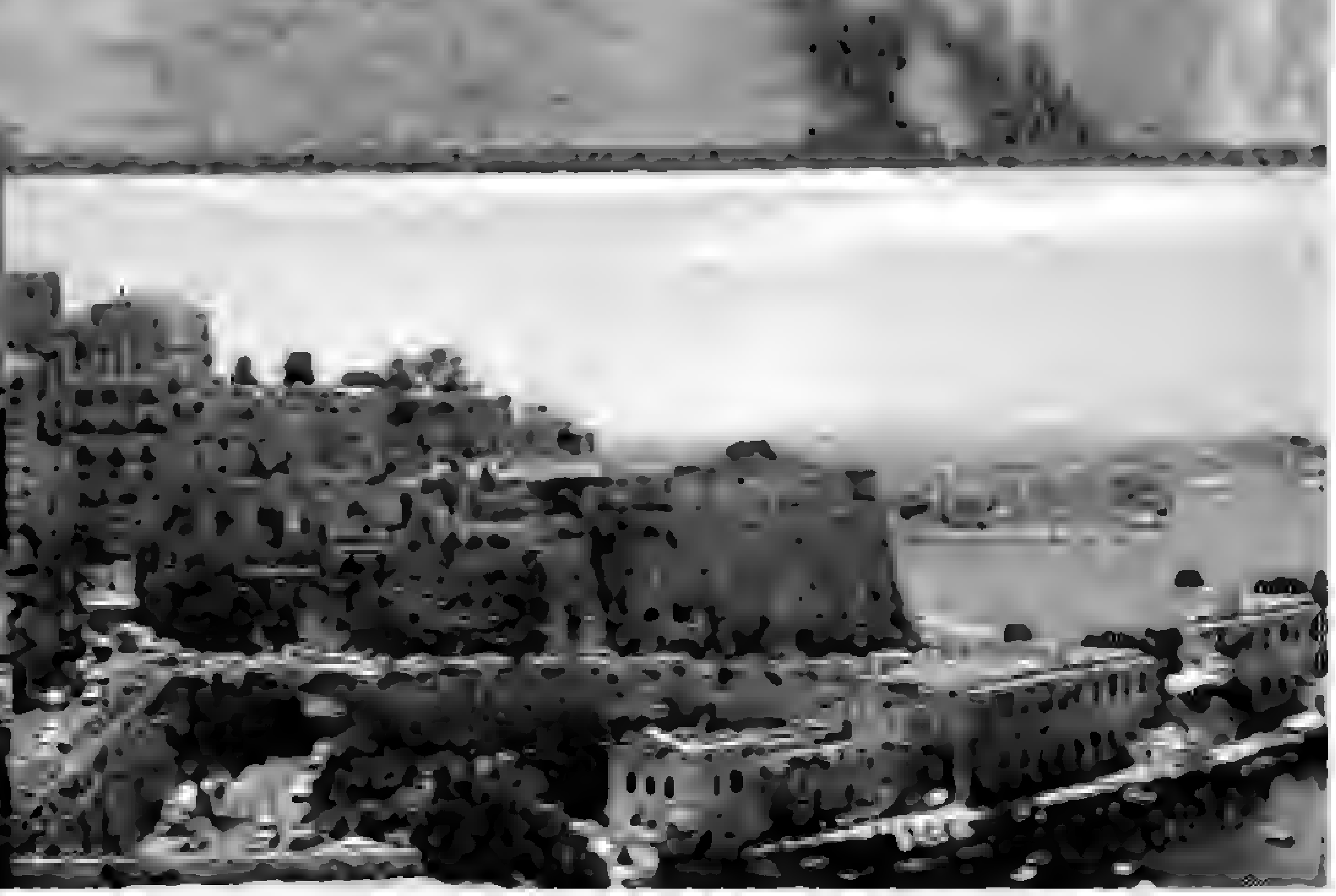


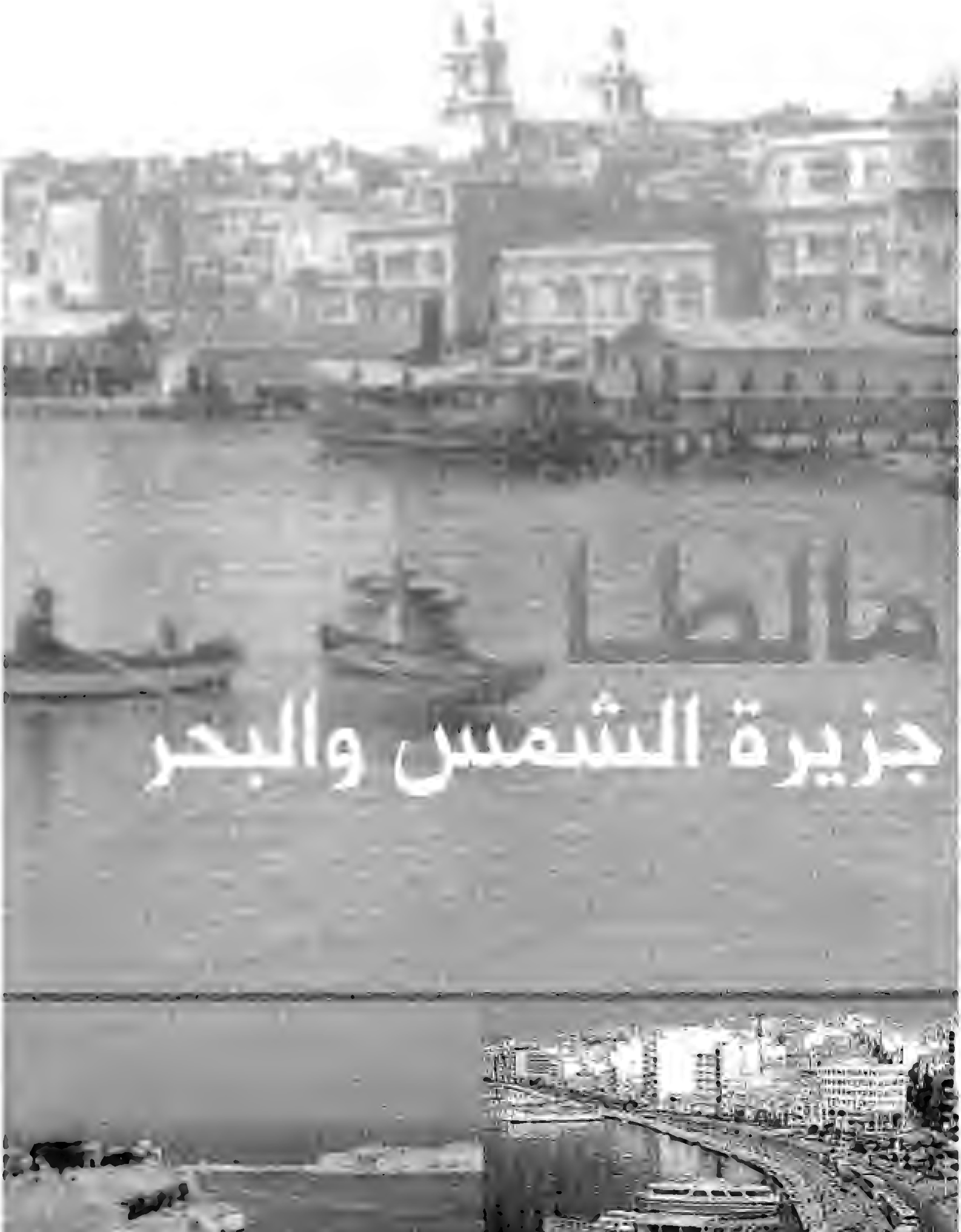
مالطا

جزيرة الشمس والبحر








مالطا
جزيرة الشمس والبحر

هكذا يحب المالطيون أن توصف أو تنعت بلادهم، جزيرة الشمس والبحر، وهي فعلا كذلك...!!!

مالطا جزيرة صغيرة رائعة، رغم أنها لا تكاد ترى على الخريطة إلا بإشارة سهم إليها، وذلك لصغر حجمها، وهي عبارة عن قمم جبلية بارزة وسط الماء، وتنتشر المرتفعات وسط الجزيرة، وتحيط بها سهول غربية وشرقية، ولا يذكر اسمها أمام أحد سبق له زيارتها، إلا وانتزعت منه ابتسامة إعجاب عريضة

إعداد: عبد الرحمن فروجا*

محمد حسن جحا**

ترجمة: محمد العالم***

تقع مالطا في قلب البحر الأبيض المتوسط، في منتصف الطريق بين جبل طارق والاسكندرية، وجزيرة صقلية والشمال الإفريقي، ولهذا فقد كانت دائماً مفترقاً رئيساً للطرق التجارية وللأطراف المتحاربة في هذا البحر المغلق. وتتكون من عدة جزر، ثلاث جزر رئيسة مأهولة وهي: مالطا MALTA، وغوزو GOZO، وكومينو COMINO. أما الجزر غير المسكونة فهي كومينوتو، وفلفلة، و جزيرة القديس بولص. هذه الجزر نشأت كبقايا للوصل الجغرافي الذي كان يوماً ما، يربط قارتي أوروبا وإفريقيا سوية. وتبعد مالطا عن المغرب العربي أو الشمال الإفريقي بحوالي 290 كيلومتراً (180 ميلاً)؛ في حين تبعد عن جزيرة صقلية الإيطالية (Sicily) من ناحية الشمال بحوالي 93 كيلومترا (58 ميلاً). وتبلغ مساحة مالطا الكلية ما يقارب 316 كيلومتراً مربعاً (122 ميلاً مربعاً)؛ يشغلها حوالي أربعمائة ألف نسمة، تدين غالبيتهم - أي حوالي 95 ٪ منهم - بالمذهب الكاثوليكي. ونظراً لصغر حجم الجزيرة فإن الكثافة السكانية فيها عالية، حيث تقدر بحوالي 1198 لكل كيلومتر مربع؛ هذه النسبة تجعل منها ثالث أعلى بلد بالعالم من حيث الكثافة السكانية. 94 ٪ من سكان البلاد يسكنون في المدن. يتركز معظمهم في عاصمتها فاليتا Valletta إذ يقطنها أكثر من سبعين ألف نسمة، وتبلغ نسبة الأجانب حوالي 5 ٪ من مجموع السكان..

أما الجزيرتان الصغيرتان الأخريان فهما: جزيرة (جوزو Gozo) فيقطنها حوالي 30 ألف نسمة، وجزيرة (كومينو Comino) التي لا يتجاوز عدد سكانها ثلاثة آلاف نسمة.

* باحث / مالطا ** كاتب وإعلامي وأستاذ جامعي/ ليبيا *** مترجم وصحفي / ليبيا



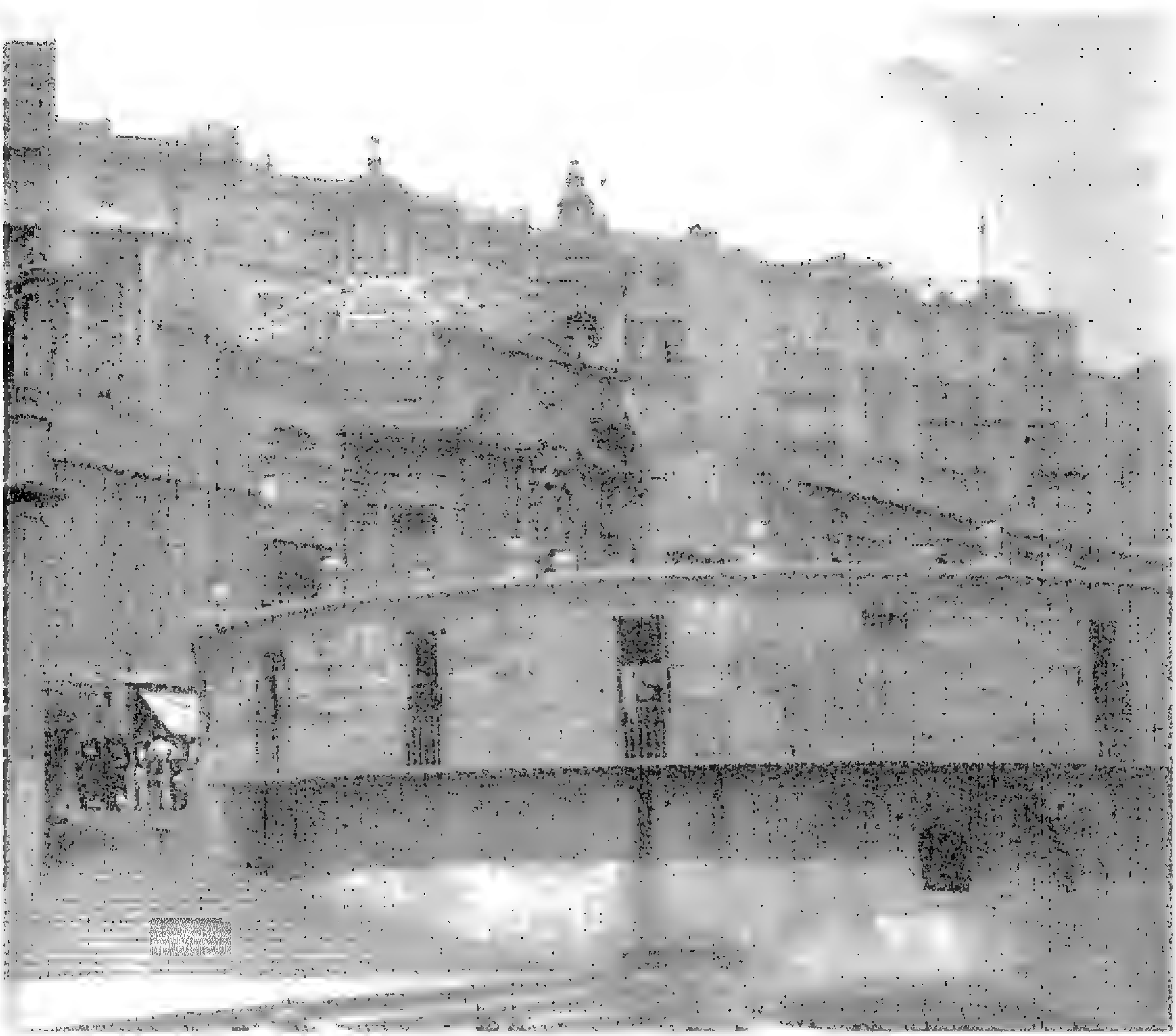


كاتدرائية سان جوزن في فاليتا

لمحة عن تاريخ مالطا

يعود أصل تاريخ مالطا إلى ما يقرب من 5000 سنة قبل ميلاد المسيح (أي قبل ظهور الديانة المسيحية) عندما قررت مجموعة من الأفراد من جزيرة صقلية المجاورة الإبحار خلال المضيق الصغير لاكتشاف تلك الجزيرة الصغيرة التي كانت تتراءى لهم في الأفق. لقد كان من الواضح أن هذا ما كان ليحدث لولا أن أولئك الأشخاص كانوا يتمتعون بمهارات بحرية وتفوق في صناعة المراكب التي كانت من الرحابة بمكان، بحيث نقلت معها الأمتعة وبعض الحيوانات مثل الغنم والماعز والماشية وأيضاً الحبوب كالقمح والشعير.

وقد استقر أولئك الأشخاص في الجزيرة وسكنوا الكهوف الكثيرة التي كانت توجد هناك، وكان يسمى أقدمها (غار الظلام GHAR



سوق السمك في فاليتا

DALAM) حيث دلت بقايا أولئك الأشخاص وأدواتهم التي عثر عليها على جوانب من طرق حياتهم، وقد قاموا بزراعة الأرض بالقمح والشعير ومارسوا تربية الحيوانات.

ولم يتسن جمع الكثير من المعلومات حول أولئك الأشخاص، ولكن من المعلوم أنهم مارسوا تجارة العسل والنسيج مع جيرانهم الشماليين عن طريق مقايضة بضائعهم بسلع غير موجودة في الجزيرة، إلا أن أغلب المعلومات قد اشتقت من خلال القبور والأديرة والتماثيل الفخارية الصغيرة والأدوات والفنون التي تم اكتشافها، وبحلول الألفية الرابعة قبل ميلاد المسيح ظهرت بعض الطقوس ومراسم الدفن، وبدأ الكثير من سكان الجزيرة في تشييد الأديرة التي ما زال البعض منها قائماً حتى الآن، وتعرف على أنها من أقدم الأبنية في العالم.

وبحلول عام (3500 ق. م) بدأ السكان في إقامة مبان ضخمة قل أن تجد نظيراً لها في أي مكان آخر، وقد بقوا على اتصال مع أبناء عمومتهم في جزيرة صقلية، حيث يستجلبون منهم المواد التي تمكنهم من صناعة الأدوات التي تساعدهم على التعامل مع الصخور. إن تلك المباني - التي يوجد منها خمسة عشر في جميع أنحاء الجزيرة - هي من أقدم البنايات التي شيدت بالأحجار الضخمة، والتي عرفها الإنسان، وقد تم تشييدها قبل بناء الأهرامات في مصر أو صخور ستونهنج STONEHENGE في إنجلترا بحوالي 1000 عام.





ستراداً تياترو - فاليتا
(ملامح من التأثير العربي الإسلامي في العمارة المالطية)

القرطاجيون والرومان

أصبحت الجزر بعد ذلك تحت سيطرة قرطاجة (400 ق. م) ثم روما (218 ق. م)، وقد ازدهرت الجزر تحت الحكم الروماني حيث اعتبرت آنذاك (بلدية) من بلديات (روما)، وتقف الآثار القديمة شاهداً على العلاقة الوطيدة بين المالطيين وشعب روما، وفي عام 60 بعد الميلاد، واستناداً إلى كتاب النصارى المقدس، فقد زار القديس بولس الجزيرة، ويقال إن سفينته تعرضت لعطب على الشاطئ فيما يسمى اليوم بـ (خليج القديس بولس).

مالطا والإسلام

كانت مالطا تحت سيطرة بيزنطة عندما وصل



صورة تعود إلى أكثر من مائة سنة، حيث الترام (المترو) وعربات نقل البضائع

الاقتصاد والبنية التحتية

أهم ركائن الإقتصاد المالطي هي قطاعات الزراعة، صيد الأسماك والسياحة. شركة مالطا دراي دوكس (Malta Drydocks) هي أكبر مشغل للعمالة في البلاد، وثاني أكبر حوض بناء سفن في أوروبا. معظم السياح يأتون من المملكة المتحدة، ألمانيا، إيطاليا، وليبيا، يبلغ عددهم سنوياً حوالي نصف مليون نسمة. تم عام 1992 إنشاء بورصة للأوراق المالية في مالطا. هناك علاقات تجارية قوية مع كل من إيطاليا وليبيا.

لا توجد شبكة سكك حديدية على الجزيرة، في المقابل هناك شبكة حافلات كثيفة تربط معظم مناطق مالطا ببعضها وخاصة حول العاصمة فاليتا. يعود تاريخ هذه الشبكة إلى حقبة الإستعمار البريطاني. المطار الدولي يوجد في لوقا، من هناك يوجد خط مروحيات يربط مالطا بجزيرة غوزو. توجد أيضاً حركة عبارات تسير عدة رحلات يومياً إلى غوزو، بينما حركتها أندر إلى جزيرة كومينو.

إليها العرب، وكانت تدين بالنصرانية، حيث توجد بقايا قبور مسيحية ترجع إلى ذلك التاريخ، ولا أحد يعلم ما اللغة التي كانت وسيلة للتخاطب، عدا أن اليونانية كانت على ما يبدوا لغة الإدارة. كان البيزنطيون قد اتخذوا من مالطا قاعدة لشن هجماتهم على البلاد الإسلامية في شمالي إفريقيا، لاسيما على ليبيا وتونس، وكان العرب يصدون هجمات الروم ويتعقبونهم أحياناً إلى قواعدهم في مالطا، وقد أرسل (الأغالبة) حكام تونس حملة إلى مالطا في سنة 209هـ، بعد ذلك، وإثرمقاومة قوية من المحتلين البيزنطيين دانت الجزر بالولاء إلى القوة الجديدة، حيث تمكنوا من فتحها بقيادة الخليفة الأموي عبد الله بن عبد الرحمن الثاني (عام 250 هـ - 870م)، وهكذا بدأت السيطرة الإسلامية على مالطا في منتصف القرن الثالث الهجري، فحكمها الأغالبة حتى سنة 297هـ، ثم حكمتها الدولة الفاطمية حتى سنة 483هـ. فاستمر الحكم الفاطمي لمالطا 186 سنة، انتشر الإسلام خلالها بين سكان الجزيرة، وهاجرت إليها

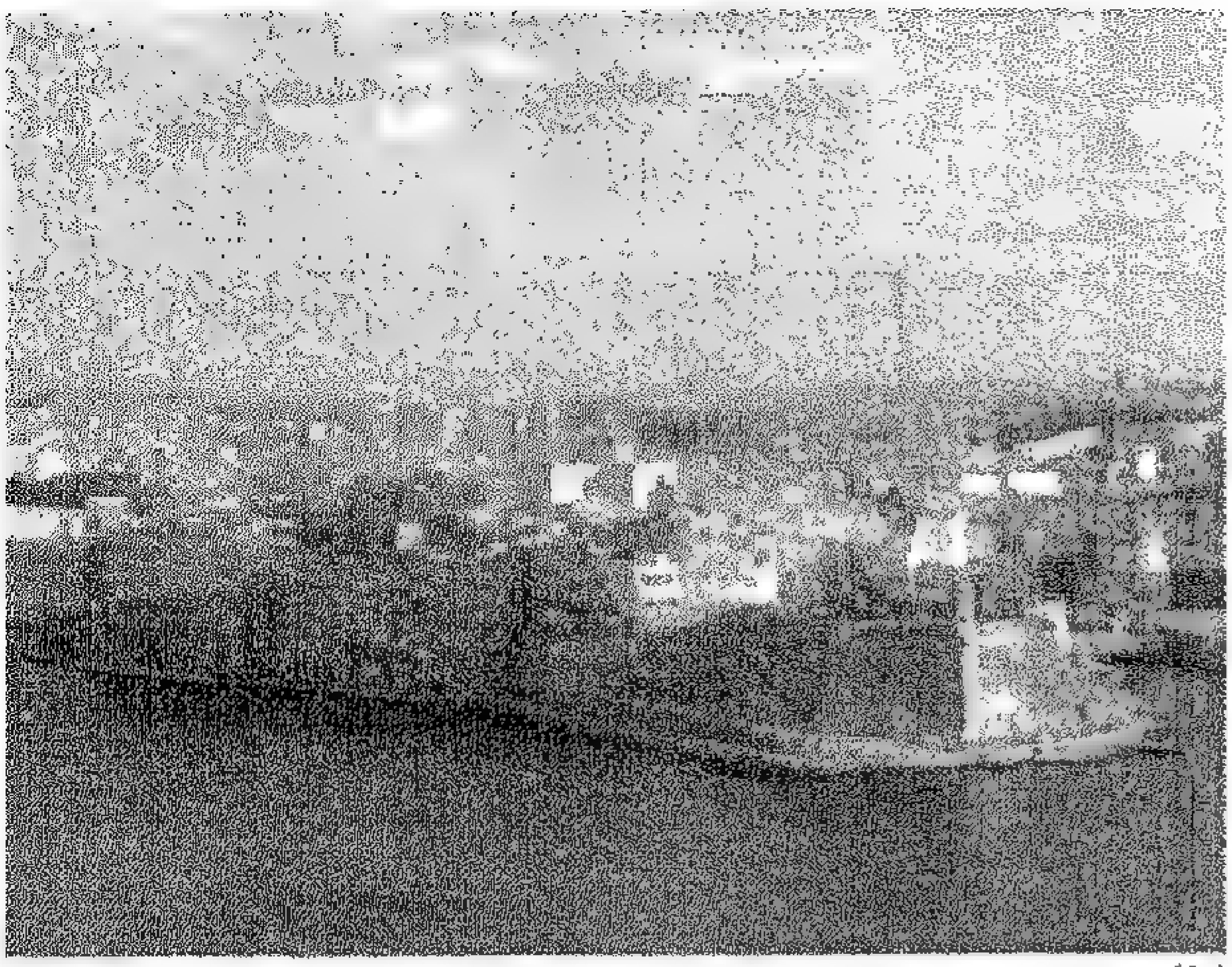
عناصر عربية، واستخدمت اللغة العربية بين سكانها، وتركت آثارها في اللغة المالطية، وانتشرت المساجد في أنحائها، وارتبط تاريخ الإسلام بها بتاريخ الإسلام في جارتها صقلية، لهذا عندما قامت الحروب الصليبية في الشرق نال صقلية ومالطا الكثير من التحدي، وقاسى المسلمون بالجزيرتين من صنوف الاضطهاد والتعسف، فهاجر عشرات الآلاف من المسلمين من مالطا، وخضعت الجزيرة لحكم (النورمانديين) في نهاية العقد الخامس الهجري.

وقد استفادت مالطا من هذه الحقبة المضيئة في تاريخها، وبالرغم من وجود القدر القليل من الوثائق والدلائل المادية على وجودهم، فإن تأثير العرب في الثقافة المالطية كان كبيراً إذا أن كثيراً من أسماء الأماكن كانت مشتقة من اللغة العربية ليس أقلها (مدينة MDINA) وهي العاصمة القديمة التي بناها العرب ولا زالت أطلالها باقية من العصر العربي.

ولا يوجد أدنى شك في أنه خلال ما يربو على ثلاثة قرون كان الإسلام عقيدة الأغلبية، إن لم يكن الأغلبية المطلقة للمالطيين، ولقد تم العثور على عدد كبير من القبور الاسلامية، حيث يوجد مائة منها في (مقبرة الربط) وحدها، وتحمل تواريخ ترجع للقرن الثاني عشر، ومن أشهرها (قبر ميمونة) المعروف في غوزو، ويرجع تاريخه إلى عام 1174 م، كتب على قبر ميمونة ما يلي:

(بسم الله الرحمن الرحيم.. هذا قبر ميمونة، إسأل نفسك إن كان هناك أي شيء دائم... وا حسرتاه.. لقد اختطفني الموت من حياتي القصيرة، لقد كنت كادحة في عملي، وإن كل ما فعلته هو في الحسبان، ويبقى ذكريات.. لا توجد إلا الدموع في هجوعي ومسكني هذا) !!.

ورغم طول الفترة التي سيطر فيها المسلمون على مالطا؛ إلا أنه لا توجد أطلال للمساجد، ولم يتم اكتشاف مبان إسلامية محددة.



الميناء





الميناء من زاوية أخرى



إعادة تجسيد جوانب من صور الماضي



النورمانديون

أجلي العرب من الجزيرة عام 1090م من قبل مجموعة من المغامرين النورمانديين تحت قيادة الكونت روجيه الأول (ROGER I)، الذي أسس مملكة في جنوب إيطاليا وجزيرة صقيله، وبذلك أصبحت مالطا ملحقة بصقلية لمدة تربو على 440 عاماً.

وقد نُسِجت الكثير من الأساطير إبان وصول الكونت روجيه والنورمانديين إلى مالطا، ولكن أغلبها لم يكن له أساس من الصحة. قيل أن الكونت روجيه قد أعطى لمالطا لون علمها، وعرف عنه أنه أعاد تنصير المالطيين وتأسيس الكنائس وتنصيب الأساقفة، وحتى طرد العرب. إن كل هذا تكتنفه ظلال من الشك كثيرة. وعلى أية حال فقد فتح وجود النورمانديين الباب لإعادة الهوية الأوروبية للشعب المالطي، وقد استمر ما يسمى بالعصر النورماندي إلى عام 1194، وبالرغم من أن النورمانديين قد تركوا الكثير من الكنوز والفنون المعمارية في صقلية؛ إلا أنه من الصعوبة بمكان أن تجد آثاراً لتلك الحقبة في مالطا.

فرسان القديس يوحنا

حلت جماعة القديس يوحنا بمالطا بعد أن تقهقروا من جزيرة رودس لصالح سليمان الثاني التركي عام

1522م، وقد مكثوا في رودس منذ عام 1039م، وكانوا قبل ذلك التاريخ في الأراضي المقدسة حيث تم تأسيس الدرجة الكهنوتية عام 1099، ولقد كانت تركيا العدو الرئيس لهم. في تلك الأثناء أصبحت مالطا تكتسي أهمية استراتيجية كبيرة فيما يتعلق بالسيطرة على البحر المتوسط من قبل السلطة التركية،

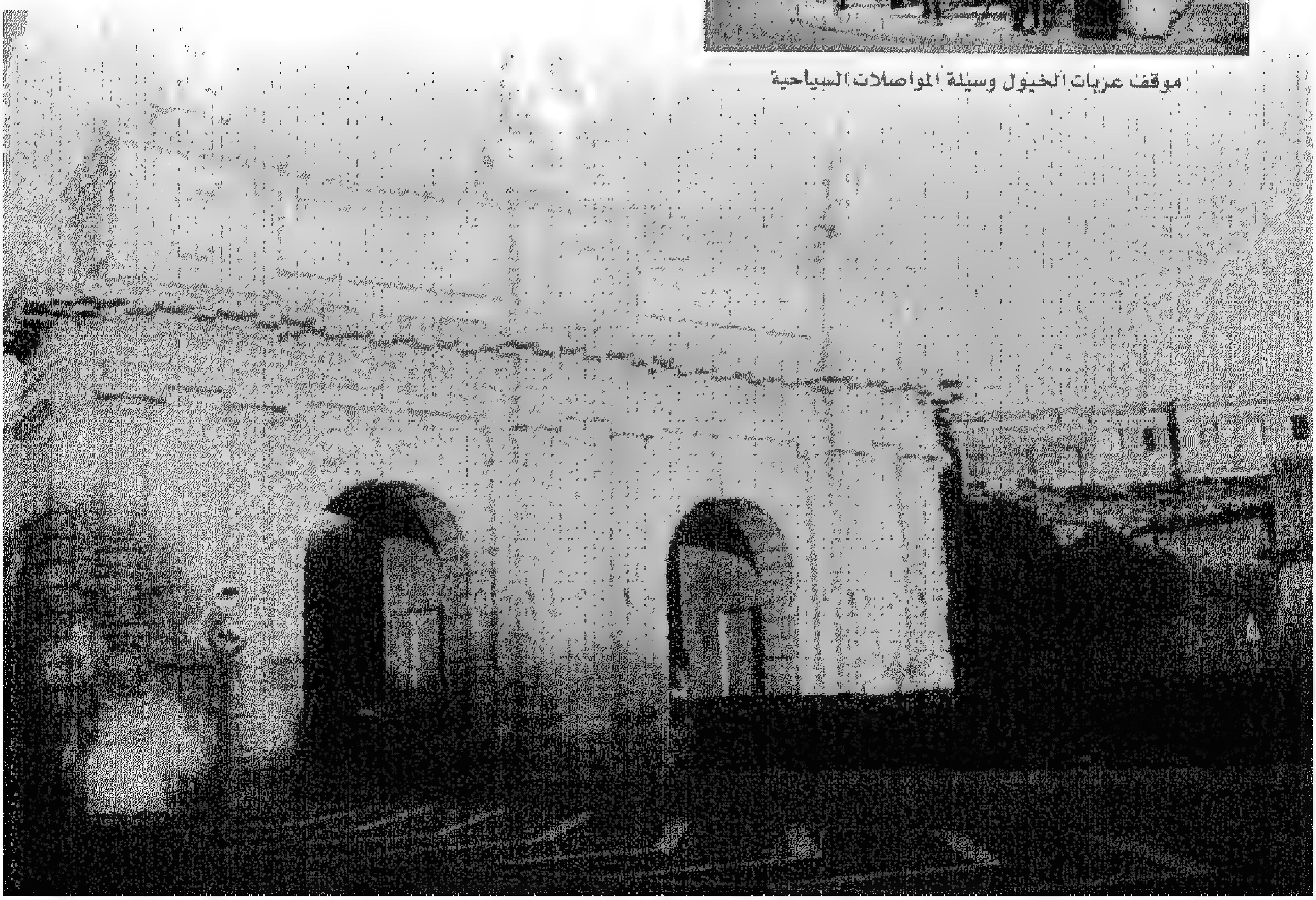
وفي عام 1547 شن الأتراك هجوماً مباغتاً على جزيرتي مالطا وغوزو، وتم اعتقال 5000 أسير، ولقد اقتنعت الجماعة الدينية بأنه ينبغي عليها إعداد العدة للدفاع عن الجزيرة تحسباً لأي هجوم جديد.

وبعد فترة قصيرة من ذلك وفي عام 1565 ظهر جيش تركي كبير على شواطئ مالطا مستهلاً ما يسمى اليوم (حصار مالطا الكبير) وبعد أشهر قليلة أصبحت الغلبة لفرسان القديس يوحنا والشعب المالطي وتم دحر الأتراك.

وبعد عام من ذلك بدأ فرسان القديس يوحنا العمل على إنشاء مدينة جديدة بتحصينات لا نظير لها، وذلك في شبه جزيرة تسمى (غولجا سيبراس (Gholja Sciberas التي استخدمها العثمانيون قاعدة في أثناء حصارهم، ولقد اطلق عليها (فاليتا) تيمناً بـ(جين



موقف عربات الخيول وسيلة المواصلات السياحية





بانسوت دي فاليتا Jean pansot de Valletta) وهو الزعيم المبجل لدى تلك الجماعة الدينية. وبما أنه لم تقم الامبراطورية العثمانية بشن هجوم آخر فلم يتم اختبار التحصينات التي نصبت، وها هي الآن باقية من بين ما تم حفظه من هذا العصر.

وفي سنوات تلت، أصبحت فاليتا قلعة حصينة تحتوي على قصور مهيبة وكنائس، وأصبحت أيضاً مركزاً مزدهراً للتجارة والتعليم، وقد قام الزعماء الدينيون المتعاقبون بإنشاء مشاريع كبرى مثل بناء عديد التحصينات وقنوات المياه وجامعة، حيث يتم تدريس التشريح والجراحة.

التقسيم الإداري وأهم المدن

مالطا مقسمة منذ عام ١٩٩٣ إلى ٦٨ دائرة إدارية. أهم مدن البلاد إلى جانب العاصمة فاليتا (حوالي 70,000 نسمة/2000) هي: بير كاركارة (حوالي 25,000 نسمة)، سلامة، سانت جوليان، رباط أو فكتوريا (حوالي 6,000 نسمة)، بير زبوج، وحمرون. مدن سلامة وسانت جوليان تقعان على أطراف فاليتا، لذا فهما امتداد لها.

وبمرور الزمن بدأ نجم فرسان مالطا في الأفول، إذ كان الوضع في أوروبا متفجرا آنذاك، وتسببت الثورة الفرنسية تحت تأثير زعيمها نابليون بونابرت Napoleon Bonaparte في تغيير وجه أوروبا. وفي عام 1798 قام نابليون بغزو مالطا وطرد الجماعة الدينية، منهياً 268 عاماً من حكم جماعة فرسان القديس يوحنا الدينية.

الحكم الفرنسي

استمر الحكم الفرنسي لمالطا سنتين اثنتين فقط، حيث قام المالطيون بتمرد بعد ثلاثة أشهر من وصول الفرنسيين، وقاموا بمحاصرتهم في فالتيا، ونجحوا - بمساعدة البريطانيين - في طردهم عام 1800، وقام البريطانيون باحتلال مالطا في غضون خمسة عشر عاماً تلت ذلك التاريخ، وأصبح مصير الجزيرة مجهولاً، إذا أن المالطيين لا يريدون عودة الفرسان مرة أخرى، وكانت بريطانيا مترددة إلى حد كبير فيما كانت ترغب في البقاء في مالطا، ولكن، وعلى حد سواء، فإن بريطانيا كانت لاترغب في مجيء الفرنسيين أو الروس الذين وضعوا مالطا في محور



البوابة الرئيسية للمدينة التاريخية



من الآثار القديمة في مالطا

اهتمامهم لفترة من الزمن، وأرادوا احتلالها. وأخيراً حزم المالطيون أمرهم وطلبوا من البريطانيين البقاء، حيث تم الاعتراف باحتلال بريطانيا لمالطا تطبيقاً لبنود اتفاقية باريس التي تم التصديق عليها عام 1815 من قبل مجلس فيينا.

الحكم البريطاني

تعود المالطيون على الحكم البريطاني، ولكن لم يمض وقت طويل حتى طلب المالطيون من البريطانيين مشاركة متساوية في تسيير شؤون الجزيرة، وكالعادة انعكس رخاء الجزيرة سريعاً في زيادة وتيرة عدد السكان. وقد استمر هذا الوضع حتى القرن العشرين، وارتفع عدد سكان الجزيرة من 114,000 عام 1842 إلى 124,000 عام 1851. وبالرغم من الرخاء الذي شهدته إلا أنه لم تكن هناك أعداد كافية من اليد العاملة، وتم تطبيق سياسات هجرة لم تنجح في بادئ الأمر. ومن ناحية ثانية بدأ المالطيون في الهجرة وبخاصة إلى الشمال الإفريقي، وذلك مع نهاية القرن التاسع عشر، مع تراجع الازدهار التجاري واضمحلال ثروة المالطيين.

القرن العشرون

مع بداية الحرب العالمية الثانية وفي أثنائها كانت مالطا في المعمعة، ومرة أخرى سال لعاب الطامعين في موقعها الاستراتيجي المهم في البحر المتوسط. لقد تم قصف الجزيرة بعنف من قبل سلاح الجو الإيطالي والألماني خلال عامين ونصف العام.

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها بدأت بريطانيا عملية إزالة آثار الاستعمار، وكانت مالطا جزءاً من تلك العملية، ولكن الطريق نحو الاستقلال كان بطيئاً ويكتنفه الغموض. وبحلول العام 1964 دوت صرخة الاستقلال من قبل الأطراف السياسية النافذة. وبعد مداولات مع الحكومة البريطانية تم أخيراً التوصل إلى اتفاقية الاستقلال مع المملكة المتحدة، والتي

نصت في أحد بنودها على الائتلاف الدفاعي والمالي لمدة عشر سنوات. وفي 21 الفاتح (سبتمبر) 1964 أصبحت مالطا ذات سيادة ومستقلة ضمن دول الكومنولث. وبعد عقد من الزمان أقر البرلمان المالطي تعديلات مهمة في الدستور. وفي 13 الكانون (ديسمبر) 1979 أعلنت مالطا جمهورية، وبعد خمس سنوات غادر آخر جندي من القوات البريطانية الجزيرة. وفي 31 الربيع (مارس) 1979 تم إنزال العلم البريطاني، وحققت مالطا أخيراً الهدف الذي ناضل من أجله شعبها لقرون من الزمان، أي القدرة على اتخاذ قررات من قبل المالطيين أنفسهم، من أجل خيرهم وخير دولتهم دون أي تدخل من القوى الخارجية.

ومالطا ممثلة اليوم في منظمة الأمم المتحدة، ولها دور نشط في الشؤون الأوروبية.

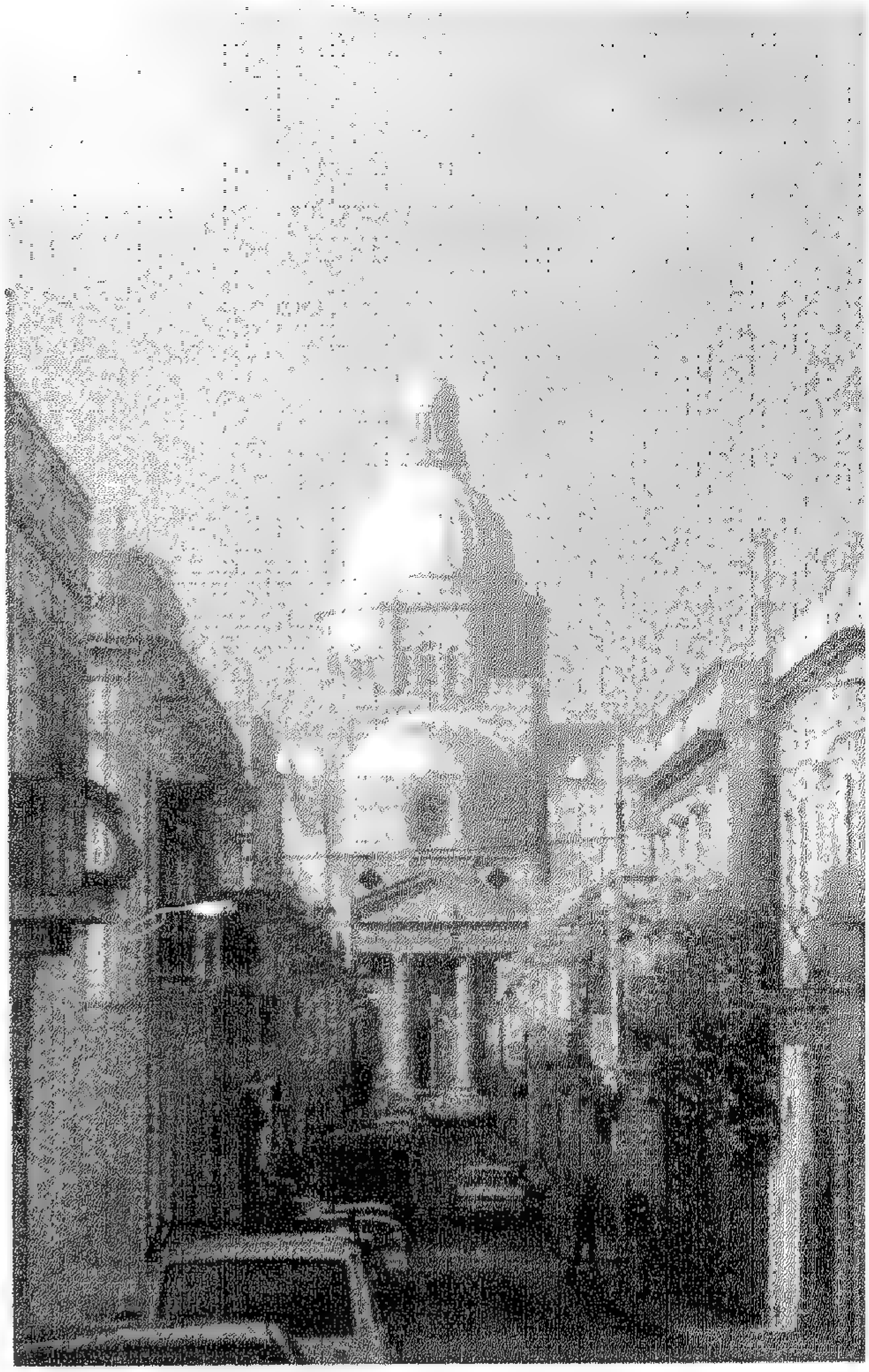
عضوية الاتحاد الأوروبي

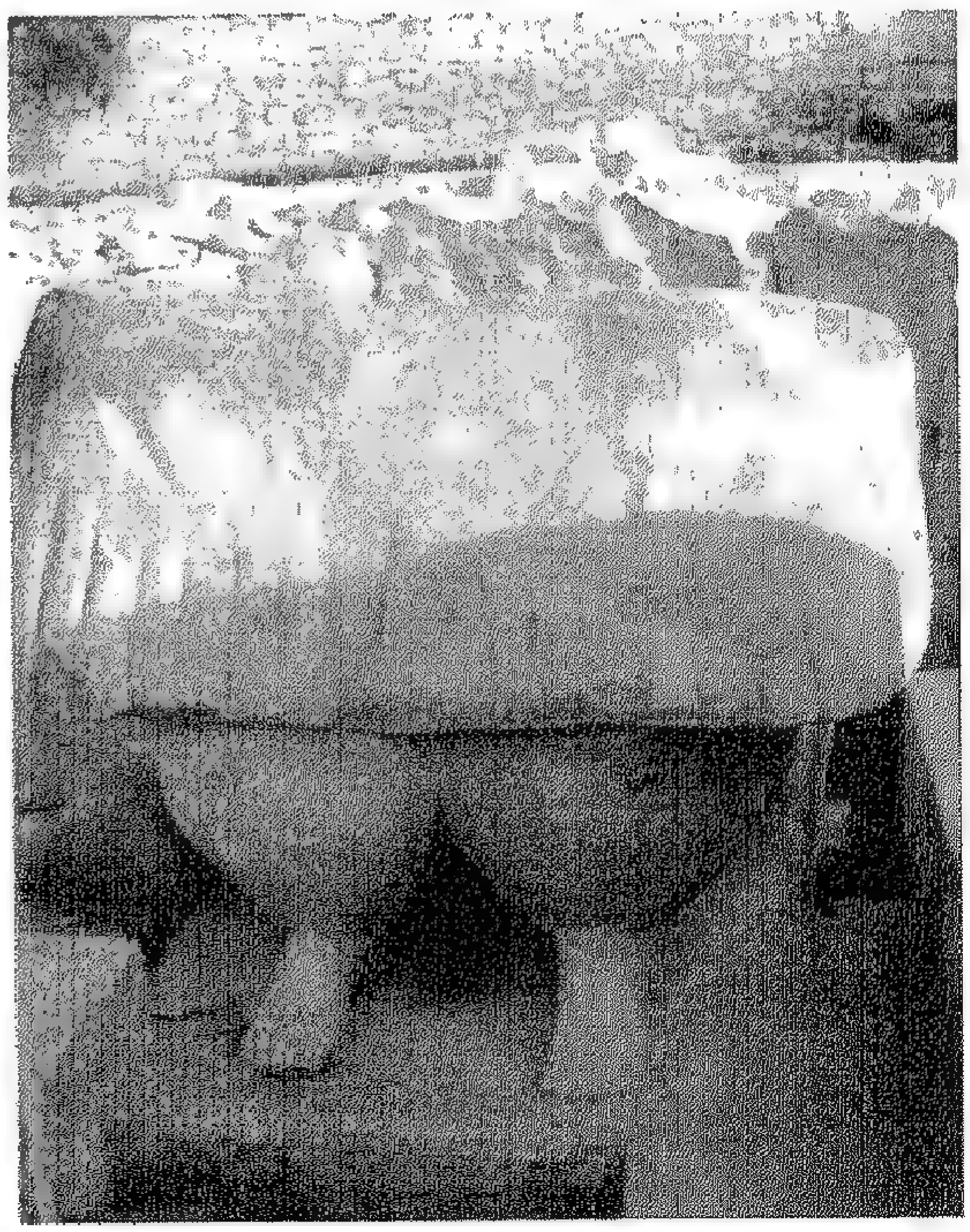
أصبحت مالطا عضواً في الاتحاد الأوروبي في الأول من شهر الماء (مايو) 2004، وفي الأول من شهر أي النار (يناير) 2008 تسعى مالطا إلى تبني اليورو ليكون العملة الرسمية للجزيرة.

المباني الصخرية في الجزيرة

في عام 1902 اكتشفت في شارع صغير مهمل في عاصمة الجزيرة حفرة تحت الأرض تؤدي إلى مبنى سريّ صخري بني قبل تاريخ الإنسان، يتكون من غرف متقاطعة ومتصالبة، الأمر الذي أدهش العالم كله.

يتميز المبنى بكمال التشكيل وروعة التصميم، وينقسم إلى ثلاثة طوابق، ويبلغ عمقه 12 مترا، وترتفع من أرضيته أعمدة صخرية ضخمة تسند سقف المبنى بشكل قبّة. فمن صمّم وبنى هذا المبنى السري الذي





آثار من العصور القديمة



أحد شوارع فاليتا



مطار مالطا في لوقا

يرجع تاريخه إلى العصر الحجري، ولماذا؟ لم يجد علماء العالم الجواب حتى الآن !!.

رغم أن مساحة جزيرة مالطا 246 كيلومترا فقط؛ غير أن العلماء اكتشفوا على سطح هذه الجزيرة الصغيرة أكثر من 30 طللا من المباني الصخرية الضخمة منذ عام 1902. ويعتقدون أنها معابد قديمة للسكان القدماء على الجزيرة. بنيت جميع هذه المباني بحجر كلسي، وتتميز بمزايا وخصائص مختلفة. اكتشفت في أحد هذه المعابد طاولات حجرية مرتّبة على جانبي بوابة المبنى، وعدة تماثيل حجرية لآلهة أنثى. إن هذا المبنى من أكثر الأطلال تعقيداً في العصر الحجري، ويحوي الكثير من الألغاز التي لم يتمكن العلماء من فك طلاسمها بعد. وبني معبد آخر قبل حوالي 4500 سنة على جرف منحدر مطلّ على البحر الأبيض المتوسط، ويتحلى بميزات المباني الصخرية الضخمة في مالطا، حيث يشبه شكل طابقه الأرضي المروحة. وبفضل حماية الجرف لم تتعرض صخور المبنى لتعرية شديدة، وما زالت بشكل جيد.

والذي يحير الناس أكثر هو معبد اسمه (مونيادري) واسمه الآخر (معبد الشمس). يتميز هذا المبنى بتشكيل غريب وفريد يذهل الزوار والعلماء

المهمة المستحيلة لم تعد كذلك

هناك مثل يتردد على ألسنة بعض الناس في البلاد العربية يقول: (كمن يؤذن في مالطا) بمعنى يقوم بالأذان أو الدعوة للصلاة في مالطا، هذا المثل يضرب عادة للدلالة على القيام بعمل غير مفيد أو غير مقبول، الذي لا يترك أية فائدة لأنه عندما يقوم أي شخص بالأذان في مالطا. هذا أيضًا دون فائدة لأنه لا أحد سيجيء ليصلي.. الجميع مسيحيون.

منذ 29 سنة، تم زرع شجرة صغيرة، وعلى مرور السنين، نمت هذه الشجرة وكبرت وأصبحت تحمل ثماراً، ثم أصبحت تعطي ثمارا ناضجة، هذه الشجرة هي مكتب جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بمالطا، نحن المالطيين المسلمين، ثمار هذه الشجرة. الإسلام في مالطا ينموا. المسجد، الذي كان ضخمًا ومعظم الوقت فارغًا سنة 1984م، اليوم معظم الأوقات مليء، والناس تصلي بالخارج، اليوم عندما يكون الأذان في مالطا، فإن المالطيين المسلمين ينهضون لصلاتهم. فمن الممكن القول: «أذن بمالطا» أصبحت قديمة الآن، لأن الأذان في مالطا لم يعد دون فائدة أو غير معقول بعد الآن!! وهذه عظمة الله.

ويحيرهم. وقام رسّام هندسي مالطي بقياس ومسح أرضية هذا المعبد، وطرح فرضية مدهشة: كان هذا المعبد في الحقيقة ساعة شمسية دقيقة جداً! وأشار إلى أن أشعة الشمس على مذبح المعبد وأعمدته الحجرية تدلّ على الظواهر الموسمية المهمة في السنة بدقة عالية. وهناك شيء آخر مفاجئ للناس هو أن المعبد تم بناؤه في عام 10205 قبل الميلاد أي قبل 000, 12 سنة.

إذن، كيف تمكّن المشيّدون القدماء على جزيرة مالطا من بناء هذه الساعة الشمسية الدقيقة قبل 000, 12 سنة؟ هل كانت لهم حقّاً هذه المعرفة العلمية العالية المستوى لتصميم هذا المبنى العجيب؟ ولماذا لم تتطور معرفتهم في نواح أخرى إلى هذه الدرجة؟ وما هو الدافع الذي أثار حماستهم لبناء هذه المباني الضخمة؟ وكيف ضاع هذا الفن المعماري الرائع؟ لم يجد العلماء الجواب عن هذه الأسئلة. وما زالت تلك الصخور الضخمة تقف على أرض الجزيرة صامتة تنتظر يوم كشف أسرارها للعالم.



اللغة المالطية

اللغة المالطية هي إحدى اللغات السامية، نتجت عن لهجة عربية، حيث إنه وكنتيجة للأصول العربية التي شغلت تلك الجزيرة والجزر التابعة لها فترة طويلة من الزمن؛ كان الأثر العربي واضحاً جداً على اللغة المالطية الأصلية. وتوصف اللغة المالطية الحديثة من قبل اللغويين على أنها (لغة مختلطة) من (السامية والعربية والفرنسية والرومانية والإسبانية)، فيما يطلق عليها آخرون لهجة عربية. والزائر لمالطا يجد أن حوالي 40٪ من اللغة المالطية أصلها عربي. واللغة المالطية تستعمل الأحرف اللاتينية لتكون بذلك أول لغة سامية تكتب بالحرف اللاتيني بسبب الإستعمار البريطاني الطويل للبلاد، ولذلك فإن اللغة الإنجليزية منتشرة بكثرة في الجزيرة، و خاصة في الدوائر الحكومية، و تأتي في الأهمية قبل الإيطالية.

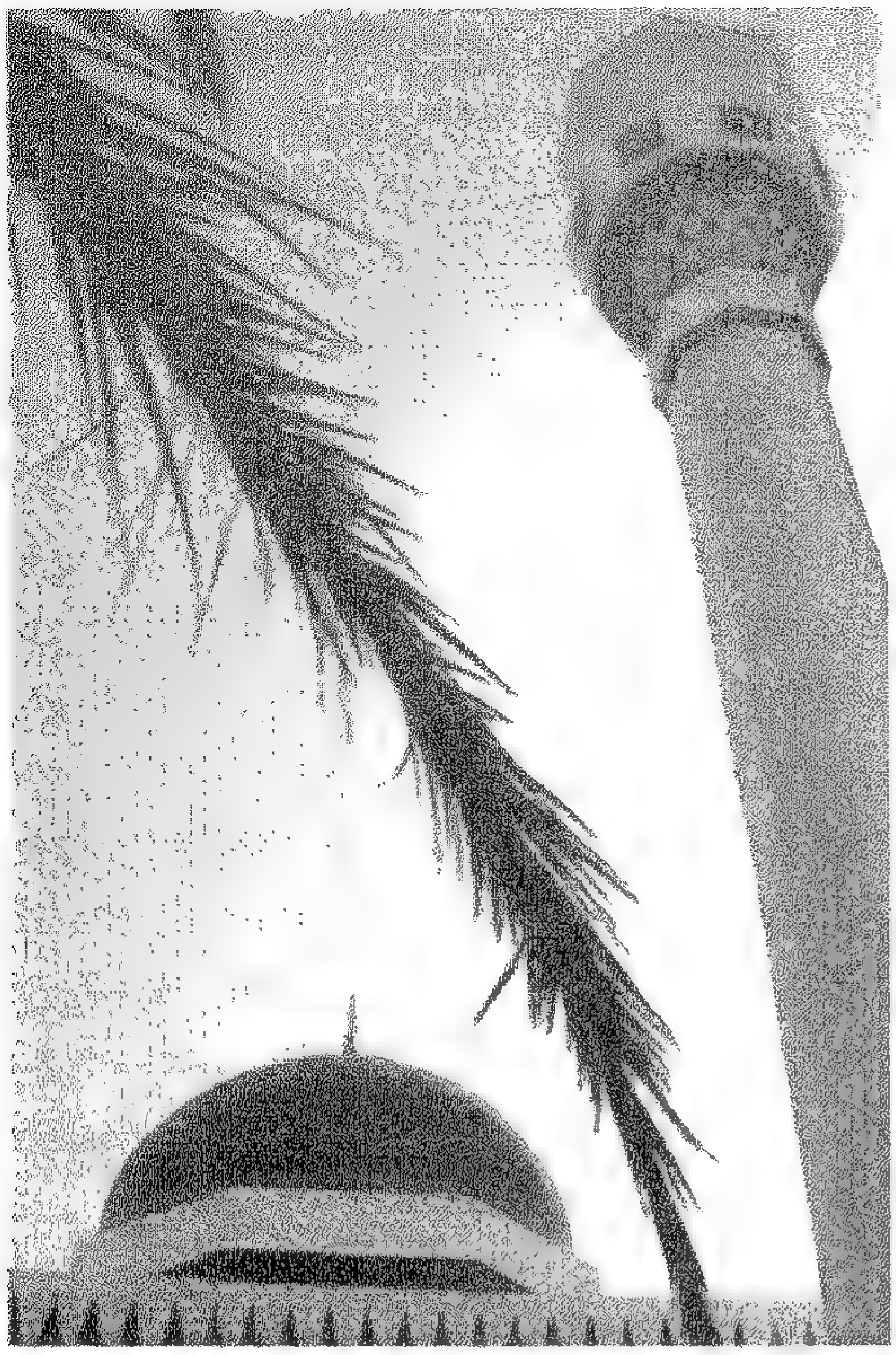
ومهما يكن، فإنه مما لا يرقى إليه الشك أنه وبانضمام مالطا إلى الإتحاد الأوروبي في شهر الماء (مايو) عام 2004 م؛ فقد أصبحت المالطية اللغة الرسمية الوحيدة ذات الأصول العربية في الإتحاد الأوروبي.

الإسلام في مالطا

يعيش في جزيرة مالطا أكثر من خمسين ألف مسلم، تتزايد أعدادهم بصورة مستمرة في إطار الحرية الدينية التي يكفلها الدستور المالطي، حتى أصبح الإسلام اليوم الدين الثاني من حيث عدد معتنقيه بعد الكاثوليكية، وهي الديانة الرسمية للجزيرة.

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وفي إطار اهتمامها بالمسلمين في كل مكان؛ كان لها حضورها في مالطا منذ العام 1978.

كان دوم مينتوف Dom Mintoff آنذاك رئيساً



وارتفع الآذان من مالطا

إرسال مالطيين مسلمين لأداء مناسك الحج

خلال سنة 2000م، قامت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بارسال مجموعة مسلمة مكونة من 40 مالطياً، لتأدية فريضة الحج، وهذه كانت مبادرة تاريخية رائعة، كانت أول مرة تتوجه خلالها مجموعة مالطية مسلمة لأداء فريضة الحج، وكان للإعلام المالطي اهتمام بهذه اللفتة الكريمة، حيث قام بتغطيتها إعلامياً، صحفيون وإعلاميون كانوا موجودين في المطار لمقابلة الحجيج قبل سفرهم، وأثناء عودتهم. ومنذ سنة 2000م، وكل سنة تقوم الجمعية بإرسال مسلمين مالطيين لأداء فريضة الحج.

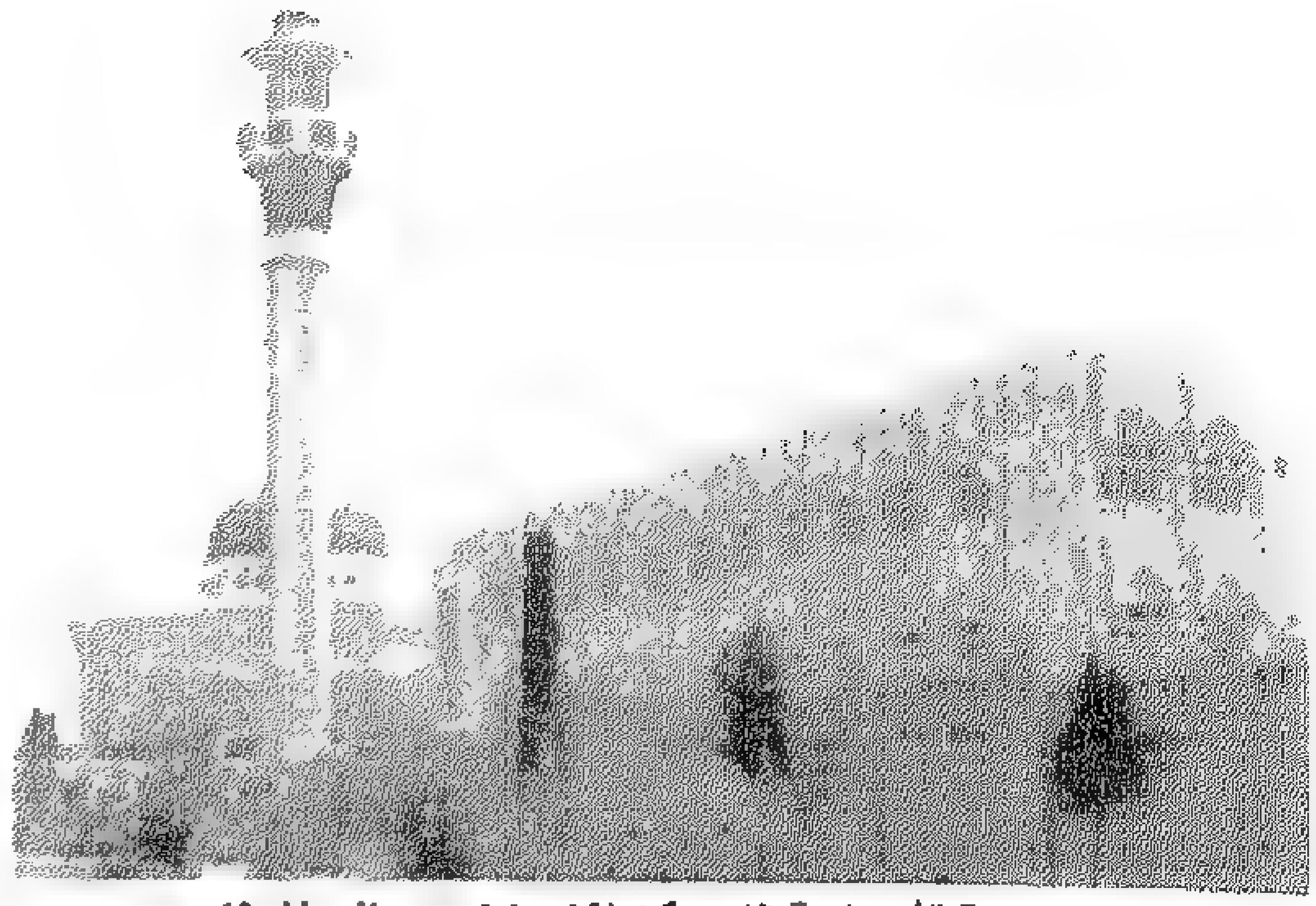


مسلمون يؤدون الصلاة في المسجد في مالطا

للوزراء، وقد شغل المنصب خلال سبعينيات وبداية ثمانينيات القرن الماضي، وكان يعمل بجد من أجل إنشاء علاقات قوية مع ليبيا وأهمها الصلات التجارية، لكن الصداقة بين الشعبين المالطي والليبي لم تكن مقتصرة على التجارة، إذا أصبحت ليبيا من الأصدقاء والحلفاء المقربين لمالطا، وكان دوم مينتوف عادة مايشير إلى الليبيين على أنهم (أبناء عمومة). بدأت التجارة مع ليبيا في تحقيق الازدهار، وكان من الطبيعي أن يزور الكثير من رجال الأعمال الليبيين مالطا بانتظام، وقد أقام عدد منهم في الجزيرة، وتزوج بعض منهم نساء مالطيات، وإلى جانب الليبيين كان هناك عدد آخر من الجنسيات العربية في مالطا، وكان معظمهم تونسيون ومصريون ومغاربة وجزائريون وسوريون وأردنيون ولبنانيون وفلسطينيون وباكستانيون.

ومن هنا كانت الحاجة أكثرمن ضرورية لبناء مسجد يكون مكاناً يسمح للمسلمين بممارسة شعائرهم، وقد قامت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بشراء قطعة أرض لبناء مركز إسلامي، وقد تم - بحمد الله وتوفيقه - بناء مركز إسلامي متكامل يتكون من مسجد ومبان إدارية ومقر إقامة للإمام ومكتبه وقاعة مؤتمرات وغرفة للألعاب وساحة للأطفال ومحطة للسيارات. بدأ العمل في المركز الإسلامي عام 1978م، وقد قام الأخ معمر القذافي قائد الثورة بوضع حجر الأساس، لقد كان بناء المركز عملاً ضخماً، واستغرق ست سنوات من البناء والتشييد، وطبقاً للمثل المالطي الذي يقول: (كل ما يبدأ لا بد وأن يتم في النهاية) فقد تم استكمال بناء المركز الإسلامي عام 1989 م، وتم افتتاحه في 11 من شهر الحرث (نوفمبر). ومرة أخرى كان القائد معمر القذافي حاضراً، وقد اهتم بصورة شخصية بموضوع بناء المركز الإسلامي.

وبفضل الجهود المباركة لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية؛ فإن الإسلام في مالطا يشهد اليوم نمواً



صورة تاريخية للمركز الإسلامي في مالطا



وصورة حديثة له

ملحوظاً وهناك عدد كبير من المالطيين اعتنقوا الإسلام والحمد لله، وهناك اشخاص يترددون على المركز الإسلامي إما للإستفسار عن الإسلام أو لاعتناقه، ويقوم المركز بتنظيم العديد من الأنشطة وذلك لتشجيع الحوار بين المسلمين والمسيحين.

الأخ ماريو عبد الرحمن فروجا أحد المالطيين الذين هداهم الله إلى الإسلام، يحدثنا عن قصة اعتناقه الإسلام قائلاً:

منذ طفولتي كنت دائمًا أحب القراءة، الكتب دائمًا كانت ترافقني أينما ذهبت. عندما كنت في سن العاشرة، الأطفال عادة كانوا يلعبون كرة القدم، أنا

خلال شهر رمضان

فرع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بمالطا نشط جدًا خلال شهر رمضان المبارك، تقام صلاة التراويح تحت إشراف وبإمامة قارئ من ليبيا، المسجد يكون مليئا معظم الوقت، وعلى الأخص خلال احتفالات العيد. ووجبات الإفطار تقدم للذين يعيشون مغتربين عن ديارهم وأوطانهم واللاجئين من الأقطار العربية والمسلمة كافة.

نشاط سنوي يقوم به المركز خلال شهر رمضان، وهو احتفال إفطار مع رئيس وزراء مالطا وبحضور وزراء آخرين ودبلوماسيين. هذا النشاط يقدم مناسبة جيدة للسلطات المحلية لزيارة المركز، ويؤكد روح التعاون والاحترام المتبادل، وأيضًا يسمح للمالطيين المسلمين بأن يلتقوا ويتحدثوا مع بعضهم ومع السياسيين. وهذا يعمل على إشاعة وترسيخ جو من الاحترام المتبادل من خلال معرفة كل الآخرين.

مثل ذلك النشاط يعد إشارة إلى أن العلاقات بين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والحكومة المالطية، والتي كانت وستبقى دائمًا على أحسن ما يرام.



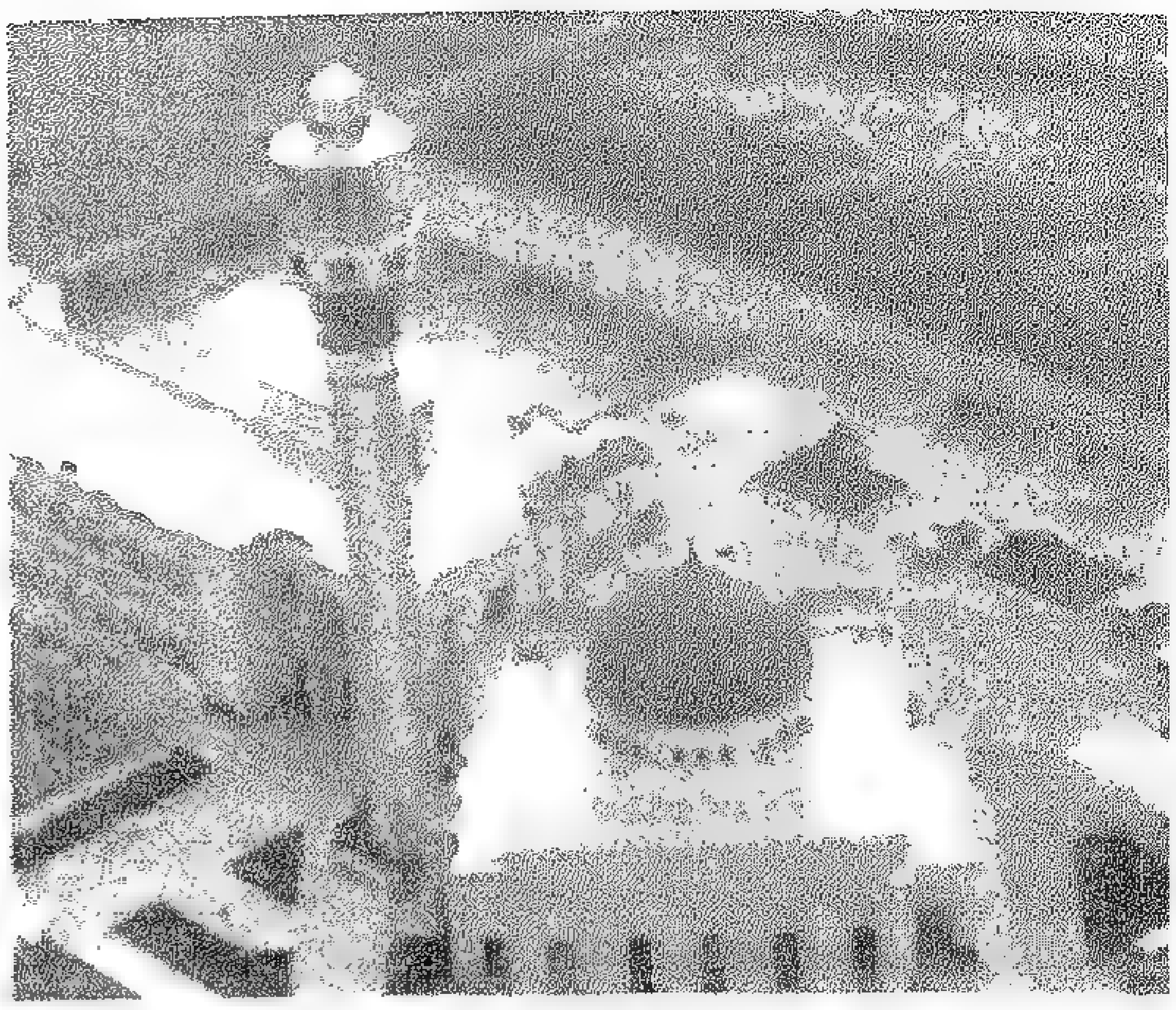
أحد الملتقيات في المركز الإسلامي

الندوات والمؤتمرات في مالطا

تعقد في رحاب المركز الإسلامي بين الفينة والأخرى ندوات وملتقيات ثقافية فكرية، معظمها بهدف تشجيع العلاقات الجيدة بين المسلمين والمسيحيين، وعادة نجد قادة ومسؤولين من مختلف الهيئات والمؤسسات والفئات (الطوائف) المسيحية يحضرون تلك الأنشطة ويشاركون فيها. ومن ذلك مثلا ندوة عقدت خلال شهر الربيع (مارس) 2006م، بعنوان: (احترام الأديان بين حرية التعبير ومسؤولية الإعلام) في سياق ما أحدثه نشر الرسوم المسيئة للنبي محمد ﷺ. عدة ضيوف مميزين ساهموا في هذه الندوة، من بينهم وزير خارجية مالطا، والرأي العام حول هذا النشاط كان حرية التعبير، التي يجب أن تكون لها حدودها، وأن لا تنتهك أو تؤثر على حرية الآخرين.

كنت أجلس وأقرأ كتاباً بالكامل. هذه العادة بقيت تلازمني حتى كبرت، تعطشي للمعرفة نما معي أيضًا. الدين أصبح واحدا من المواضيع المحببة لي قراءتها، وعلى الأخص لأنني لم أكن مقتنعا بما أنا عليه، لهذا كنت - دون وعي - أفتش عن الحقيقة، بما أنني ولدت في مالطا، طبعًا من عائلة مسيحية كاثوليكية.

حبي للقراءة قادني إلى قراءة القرآن الكريم، وخلال فعاليات معرض الكتاب في مالطا قمت بزيارة جناح رُفعت أمامه لافتة كان مكتوبا عليها (جمعية الدعوة الإسلامية العالمية - فرع مالطا)، حيث اخترت القرآن الكريم، المترجم إلى اللغة الإنكليزية من قبل Muhammad Marmaduke Pickthall (محمد مرمادوك بكتول) وتفحصت بعض الصفحات، تقدم ناحيتي شاب مسلم وسألني إذا كنت مهتما بالإسلام؟ جوابي كان تلقائيًا: لا، لكن أنا لدي فضول للاطلاع. الشاب قدم لي دعوة لزيارة المركز الإسلامي، وسألني إذا كنت أرغب في شراء نسخة من المصحف؟ ولأكون



صورة جوية للمركز الإسلامي في مالطا

صادقًا، فأنا لم أكن أريد أن أنفق مالاً على شراء كتاب ديني إسلامي، فهو كتاب دين آخر غير الدين الذي أعتنقه لكنني وعدت الشاب بأن أقوم بزيارة المركز الإسلامي. هكذا أعطاني نسخة من القرآن مجانًا. بعد أسبوع، ولفضولي، قمت بزيارة المركز الإسلامي. الباقي أصبح الآن تاريخاً. أنا - بحمد الله - مسلم منذ أكثر من عشر سنوات. خلالها تعلمت كثيرًا حول الإسلام، وأيضًا أصبحت ناشطًا في المركز الإسلامي. شخصيًا، أنا أدين كثيرًا لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية على المساعدة التي أعطتني إياها، وهي الحصول على معرفة حقة عن الدين الإسلامي.

أنا أيضًا أصبحت أثمن الأعمال العظيمة التي تقدمها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، أنشطة الجمعية موجودة في معظم بلدان العالم، مساعدة المسلمين وغير المسلمين بالتساوي، ليس فقط في المسائل الدينية، لكن أيضًا تقدم مساعدات طبية وغذائية واجتماعية...

وماذا عن الأنشطة الدعوية في مالطا ؟

أحب أن أؤكد هنا أن مكتب الجمعية في مالطا قد وطّد ورسّخ العلاقات بين المسلمين والمسيحيين، وقدّم المساعدات للجميع..

الدعوة الإسلامية في مالطا، ومن خلال المركز الإسلامي أنجزت في عدة طرق، لكن دائمًا أتذكر كلام الله:

﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [سورة النحل، الآية: 125]

وبما أنني مالطي فأنا عادة أتكلم عن المالطيين غير المسلمين الذين أظهروا اهتمامًا بالإسلام وأتوا إلى المركز للاستفسار عنه.

نحن دائمًا نركز على بناء الاختيار الأحسن للتعاليم الإسلامية في اللغة المالطية، لأنه ليس كل الشعب المالطي يتكلم الانكليزية. ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة المالطية تحت الإنجاز، وعندما يتم الانتهاء منها سيكون واحداً من المشاريع الكبيرة والمنجزة من قبل جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في مالطا.

إضافة إلى ذلك، فإن إمام مسجد المركز الإسلامي دائمًا يكتب مقالات في الصحف المحلية عن مواضيع مختلفة تخص الإسلام.

عدد المالطيين المسلمين الآن وصل إلى (250) ،

المعرض السنوي للكتاب في مالطا

تشارك جمعية الدعوة الإسلامية العالمية سنويا في معرض الكتاب في مالطا. ويزور المعرض الآلاف من الشعب المالطي، ويعد فرصة مناسبة لمقابلة الناس خارج المركز الإسلامي. بهذه الطريقة، نحن نذهب إلى الناس الذين لا يأتون إلينا، الناس تسأل كل أنواع الأسئلة لأن الدين الإسلامي أصبح معروفاً جدًا.

لمعرض الكتاب معنى خاص بالنسبة لي هذه الأيام. لأنني كما قلت في البداية، أول ما تعرفت على الدين الإسلامي كان خلال المعرض. لهذا أنا شخصيًا أحاول أن أكون موجودًا في جناح الجمعية بالمعرض وأدعوا الناس لزيارتنا في المركز الإسلامي.



أمواج البحر تعانق سليما



منظر عام لجزيرة مالطا

الذي يظهر بأنه عدد صغير، لكن بالنسبة إلى عدد سكان مالطا وهو (000, 380 نسمة)، حيث إن معظم سكان مالطا مسيحيون كاثوليك، فهذا العدد مشجع جدًا.

لقد قمت بمقابلة مالطيين مسلمين كلاهما كان مسيحياً قبل اعتناقه الإسلام، وسألتهما عن رأيهما وكيف اعتنقا الإسلام وحول حياتهما كمسلمين.

أحدهما هو (جورج شيفاي / رجل أعمال مالطي) متوسط العمر، ابتدأ بدراسة عدة أديان منها البوذية، لأنه لم يكن مقتنعًا بدياناته. كان لديه صديق فلسطيني في مالطا وكان يشرح له الإسلام وبدأ يدرك بأنه وجد الحقيقة. دام بحثه سبع سنوات ليتأكد بالكامل، حيث كان خلال هذه المدة يقوم بزيارة المركز الإسلامي باستمرار. هناك، وبمساعدة الإمام ومسلمين آخرين توصل إلى قراره. جورج، بعد اعتناقه الإسلام اختار اسم (جهاد مصطفى)، قائلاً: لو لم يأت إلى المركز الإسلامي في مالطا، لم يكن ليصبح مسلمًا.

جورج، أصبح مسلمًا، ولست سنوات مضت، لم يتم قبوله من قبل عائلته المسيحية. هو لا يقدر حتى أن يذكر الإسلام في بيته، أخوه كاهن مسيحي، لهذا فإن

المستقبل:

بما أنه قد أنجز الكثير للإسلام في مالطا منذ وصول جمعية الدعوة الإسلامية العالمية هنا، فنحن نشكر الله أولاً ثم الجمعية ثانيًا. يوجد هناك عدة حاجيات مطلوب القيام بها. أولاً، نحن بحاجة لإعلام الشعب المالطي حول عمل الجمعية هنا، لأن عدة مالطيين لا يعرفون ذلك. حقيقة، بعض المالطيين يفكرون أن الجمعية مؤسسة ليبية لخدمة الليبيين فقط. كم هم على خطأ! هم بحاجة لمعرفة أن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية تخدم المسلمين في جميع أنحاء العالم.

نحن نخطط لنستمر بالعمل على طباعة الكتب باللغة المالطية، على الأخص ترجمة معاني القرآن الكريم. كما نخطط لنستمر بمساعدة المالطيين المسلمين في حل مشاكلهم، تعليمهم الدين الإسلامي بأحسن طريقة ممكنة. ونحن نخطط ونعمل لنستمر بالعمل الدعوي لغير المسلمين، لهذا أكبر عدد ممكن من الشعب المالطي يفهم حقيقة وصدق الدين الإسلامي.

وواحد من الطموحات، أرغب بأن يكون لدينا محطة إذاعية مسموعة إسلامية يوما ما، ومن الممكن بأن يكون هناك برنامج أسبوعي في محطة إذاعية مرئية لكن هذا ما زال حلمًا ونحن يجب أن نعمل بجد لنحصل عليه.



حضور كثيف في إحدى المناسبات
التي أحياها المركز الإسلامي في مالطا

عائلته استقبلت تحوله إلى الإسلام على نحو رديء، وحرمته حتى من ميراث العائلة.

جورج، يريد أن يرى المركز الإسلامي في مالطا يقوم بتنظيم عدة أنشطة أكثر للمالطيين المسلمين، وأيضًا يرغب في أن يرى المالطيين المسلمين بأنفسهم يساعدون ويعلمون الدين الإسلامي للشعب المالطي. جورج، أو جهاد، يرغب في أن يرى المالطيين المسلمين يقومون بزيارة المركز الإسلامي باستمرار ليلتقوا مع بعض اجتماعيًا.. ويتعلمون.


جهاد مصطفى، يعرف أن الجمعية تقوم بأنشطة دعوية إنسانية في عدة بلدان في العالم، لكنه ليس لديه أي معرفة حول أنشطتها العلمية والطبية.

النموذج الآخر الذي هداه الله إلى نور الإسلام، هو (ماريو ديبونو، مهندس) ابتدأ اهتمامه باعتناق الإسلام بعد مقابلته فتاة مغربية اسمها منى، والتي هي زوجته الآن، سمع عدة أشياء حول الإسلام خلال مدة عمله في ليبيا. اعتنق الإسلام منذ ثلاث سنوات، ليس لديه أية مشاكل مع عائلته. وفي الحقيقة فقد حضروا احتفال زواجه في المركز الإسلامي بمالطا.

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ساعدته كثيرًا في الوصول إلى قراره. الموظفون في المركز الإسلامي علموه وشرحوا له الإسلام لإزالة كل شكوكه، وقُدّمت له مطبوعات ومنشورات إسلامية لتوصيل مفهوم الإسلام بطريقة مبسطة وسهلة.

ماريو، الذي اختار اسم (محمد)، يرغب من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية أن تقوم ببناء مصليين جديدين: واحد في شمال الجزيرة والثاني في وسطها (حيث إن موقع المركز الإسلامي في الجنوب)، وذلك ليتمكن المسلمون من أداء الصلاة في أوقاتها (حتى وإن كانت مالطا جزيرة صغيرة، فالمالطيون يعتبرون الإنتقال من الشمال إلى الجنوب سفراً ورحلة طويلة).





مدرسة (مريم البتول)
نموذج للتسامح

في سنة 1997م، تم تحويل جزء من مكاتب الإدارة الموجودة داخل المركز الإسلامي إلى مدرسة ابتدائية للأطفال المالطيين المسلمين، حيث إن عدد الأطفال المسلمين في نمو متواصل. العائلات المسلمة في مالطا تواجه مشكلة إرسال أبنائها إلى المدارس المالطية الحكومية والخاصة، فجميعها مسيحية، وهذه مشكلة تتمثل أولا في كيفية تعليم الأطفال الدين الإسلامي، قراءة القرآن الكريم، الحياة الإسلامية عامة.

وتم الحصول على رخصة من وزارة التعليم المالطي بافتتاح مدرسة في المركز الإسلامي لتعلم الأطفال المنهاج المالطي، ليتم اندماجهم وتحضيرهم بالنمو والعيش في مالطا، والدين الإسلامي، واللغة العربية والتي هي الأولى في قائمة المواضيع الأخرى.

يمثل أطفال مدرسة مريم البتول، - وهم الذين ولدوا وترعرعوا كمسلمين، من البحر المتوسط -، المستقبل بالنسبة لأكبر أقلية دينية في مالطا.

اليوم يوجد حوالي (150) طالبًا في مدرسة (مريم البتول) الإسلامية، وأعمارهم تتراوح من 3 إلى 11 سنة، و15 مدرسًا، ويعتبر العاملون مدرستهم (تجربة اجتماعية فريدة) فيما يتعلق بالتسامح والتنوع الديني.

تدير المدرسة سيدة مالطية كاثوليكية، وتستخدم المدرسة، مدرسين مسلمين ومسيحيين، وذلك من أجل تدريس التلاميذ، على الصعيدين: المالطي والإسلامي (بما في ذلك القرآن الكريم).

والهدف من إنشاء هذه المدرسة، هو دعم التعليم، في إطار المنهج الدراسي المالطي، في جو من الحميمية والصداقة، وتشجع التلاميذ على حب عقيدتهم، واحترام أنفسهم والآخرين، بغض النظر عن انتمائهم الديني. يتم تعليم التلاميذ، كيف يمكن لهم أن يحيوا بسعادة، وأن يشعروا بالفخر، لكونهم مسلمين مالطيين.



مديرة المدرسة

الثقافة والتعليم

الثقافة المالطية متأثرة بجيرانها ومحتليها عبر التاريخ، وخاصة إيطاليا شمالاً وبريطانيا (المستعمر السابق)، لغويا هي متأثرة أيضا بالدول العربية جنوباً. كما ذكرنا سابقا، وتأثير الكنيسة قوي في البلاد. حاولت مالطا محاربة التأثير الثقافي الإيطالي في البلاد من خلال تبني الانجليزية لغة رسمية وخاصة في التعليم. الآن تشكل القنوات المرئية الإيطالية العديدة السفير الأول لإيطاليا في البيوت المالطية، يليهم السياح الطليان الذين يزورون البلاد بالآلاف سنوياً. النظام المروري في مالطا يتبع النظام الإنجليزي، أي أن السائق يكون على يسار الشارع. الرقص (الفلكلوري) المالطي هو شبيه بالرقص الإيطالي والعربي، من خلال مجموعات رجالية ونسائية تتشابك الأيدي (الدبكة). والمطبخ الإيطالي دارج في مالطا.

هناك ثلاث مناطق في مالطا، اعتبرتها منظمة اليونسكو من التراث العالمي: العاصمة فاليتا، حيث تشتهر بأزقتها التاريخية، معبد ميغاليث، الذي يعود تاريخه إلى العصر الحجري، ومعبد حال صافليني، الذي يعود تاريخه إلى ثلاثة آلاف سنة.





طلاب من مدرسة مريم البتول في مالطا

تعتز مديرة المدرسة (ماريا كاميليري Maria Camilleri) بأن مدرستها، تعتبر من أفضل المؤسسات التعليمية في مالطا.

لقد نجح كل من أدى امتحانات العام الماضي، إنها المدرسة الوحيدة التي يتعلم فيها التلاميذ، ثلاث لغات، بدءًا من الروضة، وهي: المالطية والإنجليزية والعربية.

وتقول السيدة (كاميليري) إن سر نجاح المدرسة، هو الانضباطية، التي حثت عليها العقيدة الإسلامية. وتضيف: «لقد أعجبت بالأطفال، خلال شهر رمضان... عندما انظر إلى نفسي فيما يتعلق بديني، فإن لنا يومان مفروضان للصوم ليس إلا، وأحياناً نقوم بتجاهل هذين اليومين، أمّا هنا، فالأطفال ممتثلون، لاعتقادهم بأنهم يريدون تأدية ما يؤديه الأطفال الآخرون، إنه لشيء يجعلني أفكر في أنني، أحتاج إلى العودة إلى نفسي». «إنه انضباط ديمقراطي». وأوضحت مديرة المدرسة: إنه بالرغم من أن قبول



حفل نظمته مدرسة مريم البتول

الأقلية المالطية المسلمة، يسير ببطء، تظل تلك المسألة، المهمة الأكبر التي تواجه أطفال المدرسة، «إن الأمر لا يتعلق بقبول الإسلام، وإنما يتعلق بقبول الجميع، إن ذلك هو لب الموضوع، إن القضية بالنسبة لي، هي قضية احترام، فطالما أن الآخرين يبدون احترامًا لي، فأنا سوف احترمهم، بغض النظر عن ثقافاتهم، وعقائدهم، وانتماءاتهم العرقية، لأن الشيء المهم هنا، هو تحقيق السلام». وتقول السيدة كاميليري: لقد ترجمت منظومة القيم الإسلامية التي تدرس في المدرسة، إلى الكاثوليكية. وتضيف «لو قامت الأم (تيريزا Mother Teresa) بالإنكفاء على نفسها، بسبب اختلاف الناس، والعقائد التي خبرت، فإنها سوف لن تكون الأم (تيريزا) التي نعرف. لقد احترمها العالم، فأنا لست الأم (تيريزا) ولكنني متعلقة بشخصها، وإن تلك الشخصية مقدسة عند الله».

وحول المدرسة يقول الأخ عبد الرحمن فروجا: المدرسة تؤكد على تربية الأطفال على روح التعاون والاحترام والتسامح. المدرسة إجمالاً، وبحمد الله، أصبحت ناجحة، ومعظم الطلبة أنهوا دراستهم بنجاح ليستمروا باستكمال دراستهم في المدارس الثانوية المالطية. بينما أذكر المدارس الثانوية، أود أن أقول إن الحاجة ماسة لتطوير المدرسة لتصبح قادرة على تقديم التعليم الثانوي، بحيث يكون بمقدور الطلبة أن يبقوا في المدرسة بعد سن الحادية عشرة، لتقوية الأسس الإسلامية التي تحصلوا عليها خلال مرحلة التعليم الأساسي.

رسوم المدرسة ليست عالية، لكن الأموال المجمعة من الرسوم لا تكفي أحيانا لإدارة المدرسة، والأهالي الذين لا يسمح لهم وضعهم المالي بدفع الرسوم يقبل أولادهم في المدرسة مجانًا دون دفع الرسوم، لأن



حفل طلابي

اجتماعات المسلمين المالطيين

من بين أنشطة المركز الإسلامي، وضمن البرنامج الدعوي؛ يتم عقد اجتماعات للمسلمين المالطيين، كل يوم جمعة، وهذا منذ ما يقرب من عشر سنوات، يقوم الإمام محمد السعدي ـ خلال اللقاء ـ بالحديث حول موضوع معين، وبعد ذلك تبدأ المناقشات، والذين يحضرون اللقاء أيضًا تكون لهم فرصة لإلقاء أسئلتهم.

يقول الأخ عبد الرحمن فروجا: هذا اللقاء الأسبوعي مهم جدًا، لأن عدداً من المالطيين الذين اعتنقوا الإسلام لا يحضرون أية دراسات إسلامية، هم فقط يتعلمون الأسس الأولية لديننا. وهذا اللقاء يزيدهم معرفة دينية حيث إنهم لم يولدوا من عائلات إسلامية، لكن اعتنقوا الإسلام في فترة زمنية قصيرة من حياتهم.

المدرسة ليست مؤسسة تهدف إلى الربح. وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية تدعم المدرسة بمساعدة مالية، وعدد من المسلمين الذين يعيشون في مالطا يقدمون هبات أيضًا. مع ملاحظة أن بعض الأسر المالطية المسلمة ليست غنية.

ويضيف الأخ فروجا: يجب أن نتذكر أن المدرسة الإسلامية ستكون مستقبل المسلمين في مالطا، هذه المدرسة، إن شاء الله، ستزود الجالية الإسلامية بالأطباء، والمحامين، والمهندسين، والمحاسبين، وبمدرسيها في المستقبل القريب. الشيء غير الموجود حالياً. قادة المستقبل من الجالية المالطية المسلمة سيتم تخرجهم في هذه المدرسة، وإن شاء الله، ونحن يجب أن نؤكد على أن قادة المستقبل هؤلاء يجب أن يكونوا على دراية بالدين الإسلامي، يعرفون الإسلام جيدًا، ولهم أسس تعليمية جيدة.

تقارير



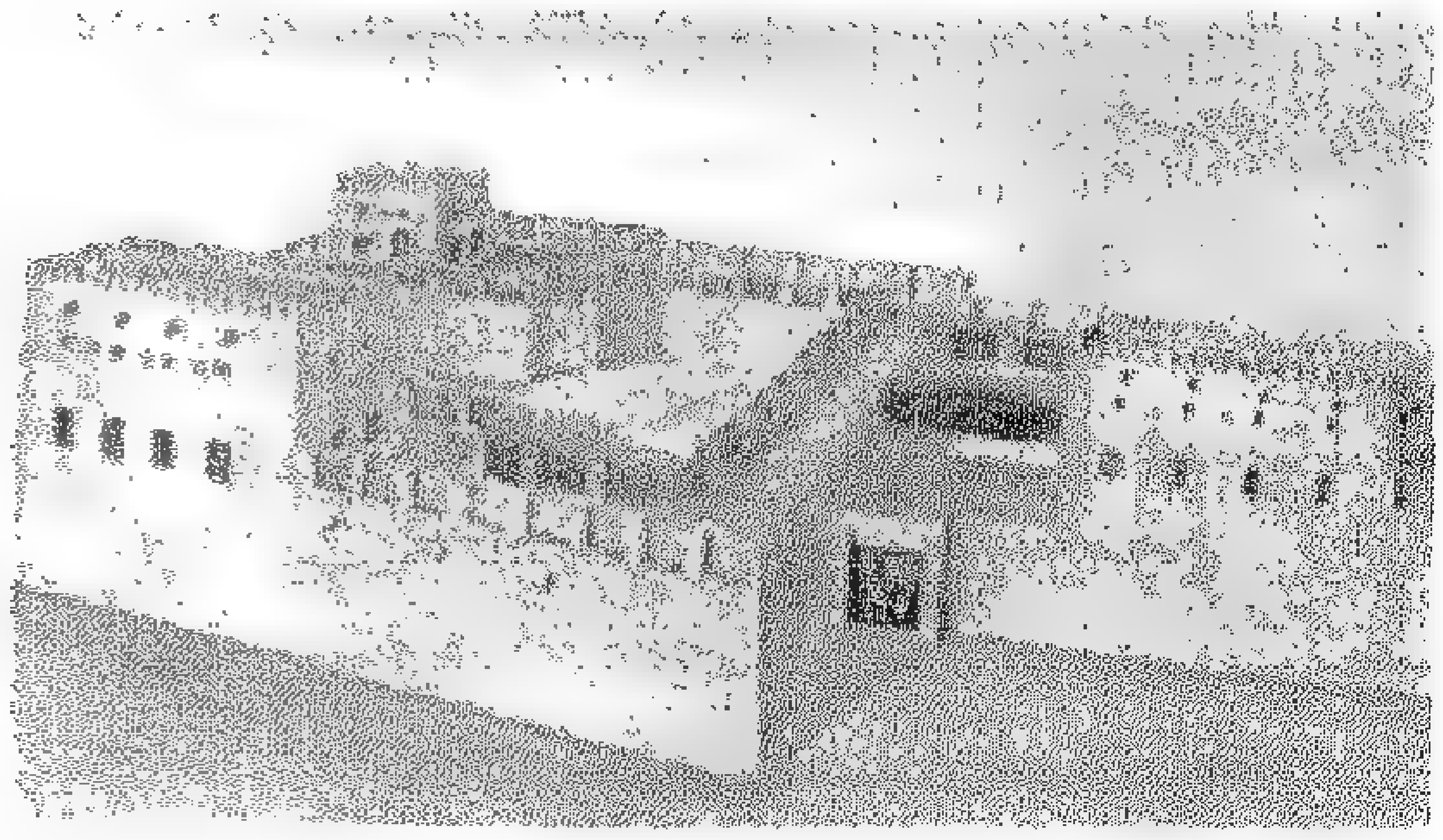
المتحف الإسلامي بالشارقة

صرح حضاري يؤكد على عمق الارتباط بالهوية الإسلامية

المتحف الإسلامي بالشارقة
صرح حضاري يؤكد على عمق الإرتباط بالهُوية الإسلامية

حسام فتحي أبو جبارة*

تعتبر المتاحف إحدى الوجوه الأساسية في العملية الثقافية، وهي تشكل أقنية رفد حقيقية للمؤسسات العاملة في الحقل المعرفي. وقد استطاعت دولة الإمارات العربية المتحدة أن تؤسس لشبكة من المتاحف المتخصصة التي تضم محتويات تقوم على مفاهيم جديدة ورؤى عصرية، وتقدم ماضي حياة السلف والخبرة المتوارثة عبر الأجيال، إلى جانب كونها تعرض نفائس من الماضي وإبداعات من الحاضر. و(المتحف الإسلامي) في إمارة الشارقة هو واحد من تلك الصروح الحضارية، الشاهدة على عمق الارتباط بالهوية الإسلامية والمحيط القريب من العالمين العربي والإسلامي.



يقع المتحف في منطقة الغرب، إحدى ضواحي مدينة الشارقة القديمة، في بيت تاريخي عريق عمره حوالي 200 سنة، تعود ملكيته إلى المرحوم سعيد محمد الشامسي، وهو أحد تجار اللؤلؤ، والذي اشتهر بطول قامته فعرف باسم (الطويل). ويتكون البيت من طابقين : الأرضي، ويضم عدداً من الغرف التي كانت تستخدم مسكنا للأسرة. والعلوي، الذي يضم ثلاث غرف كانت تستخدم مسكناً للأسرة في أيام السلم، وموقعا دفاعيا في أيام الحرب.

ويقول علي المري، مدير المتحف الإسلامي : إن بيت الشامسي ظل فريسة لعوامل التعرية القاسية بحكم تعاقب الزمن، إلى أن قرر حاكم الشارقة، الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، في بداية فترة التسعينيات من القرن الماضي، ترميم منطقة التراث وإعادتها للحياة مرة أخرى، تحت إشرافه المباشر واليومي، مضيفاً أن الاحتفاظ بالبيوت التراثية يعد موجة عالمية تجتاح العالم بأسره، وأي مكان يصلح لخدمة الحركة الثقافية تتم الاستفادة منه بأسرع وقت. ولفت المري، إلى أن أعمال الترميم بدأت من بيت (النابودة) المجاور لبيت الشامسي، حيث يقع الآن

* صحفي وكاتب فلسطيني مقيم في الإمارات العربية المتحدة.
* الصور خاصة بمجلة التواصل.

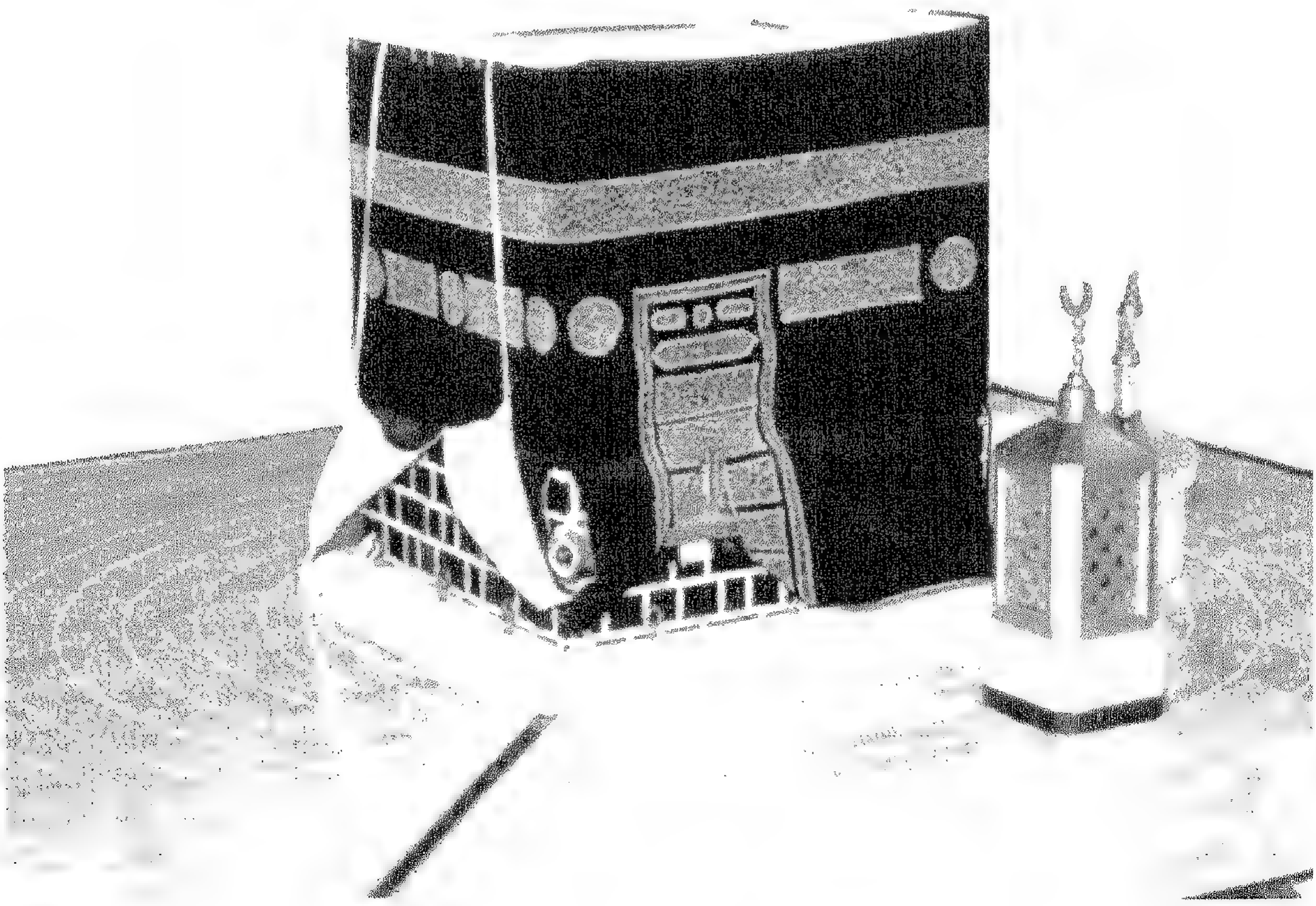
المتحف الإسلامي. ولبيت النابودة يرجع الفضل في التنبيه لما وقع من سرقات للقطع الأثرية المهملة، فقبل سنوات قريبة ارتاب رجال الجمارك الإماراتيون في حمولة قد تكون مسروقة، وكان صاحبها يأمل بأخذها معه لبلاده، واتضح بعد التحقيق معه أن تلك الحمولة هي أحد أبواب بيت النابودة. ويضيف المري: كانت تلك محاولة لسرقة قطعة من تاريخنا، ومؤشراً على ضرورة التحرك، لقطع الطريق ضد أية محاولات قادمة. وهكذا ازداد الاهتمام بالبيوت القديمة، ومنها بيت سعيد الشامسي الذي أعيد افتتاحه بعد عمليات ترميم وصيانة تحت مسماه الجديد (المتحف الإسلامي) في 25 جمادى الآخرة 1417هـ، الموافق 16 الحرث (نوفمبر) 1996م.

وجرى تقسيم غرف البيت (المتحف) إلى عدد من الدور (القاعات)، وكل دار تضم طائفة من المعروضات التراثية الإسلامية، فضلاً عن مقتنيات وقطع زجاجية وفخارية ومعدنية عثر على بعضها في مواقع مختلفة من إمارة الشارقة.

❖المدخل ودار الكعبة

قبل أن يدلف الزائر إلى أروقة المتحف الإسلامي تواجهه في المدخل شاشة عرض كبيرة تعرض شريطاً (فيلماً) تسجيلياً عن مراحل تطور المسجد الحرام بمكة المكرمة، والمسجد النبوي الشريف، والمسجد الأقصى، ويتبعه دعاء لإمام المسجد الحرام.

وتبدأ الرحلة عبر المتحف بدار الكعبة المشرفة،



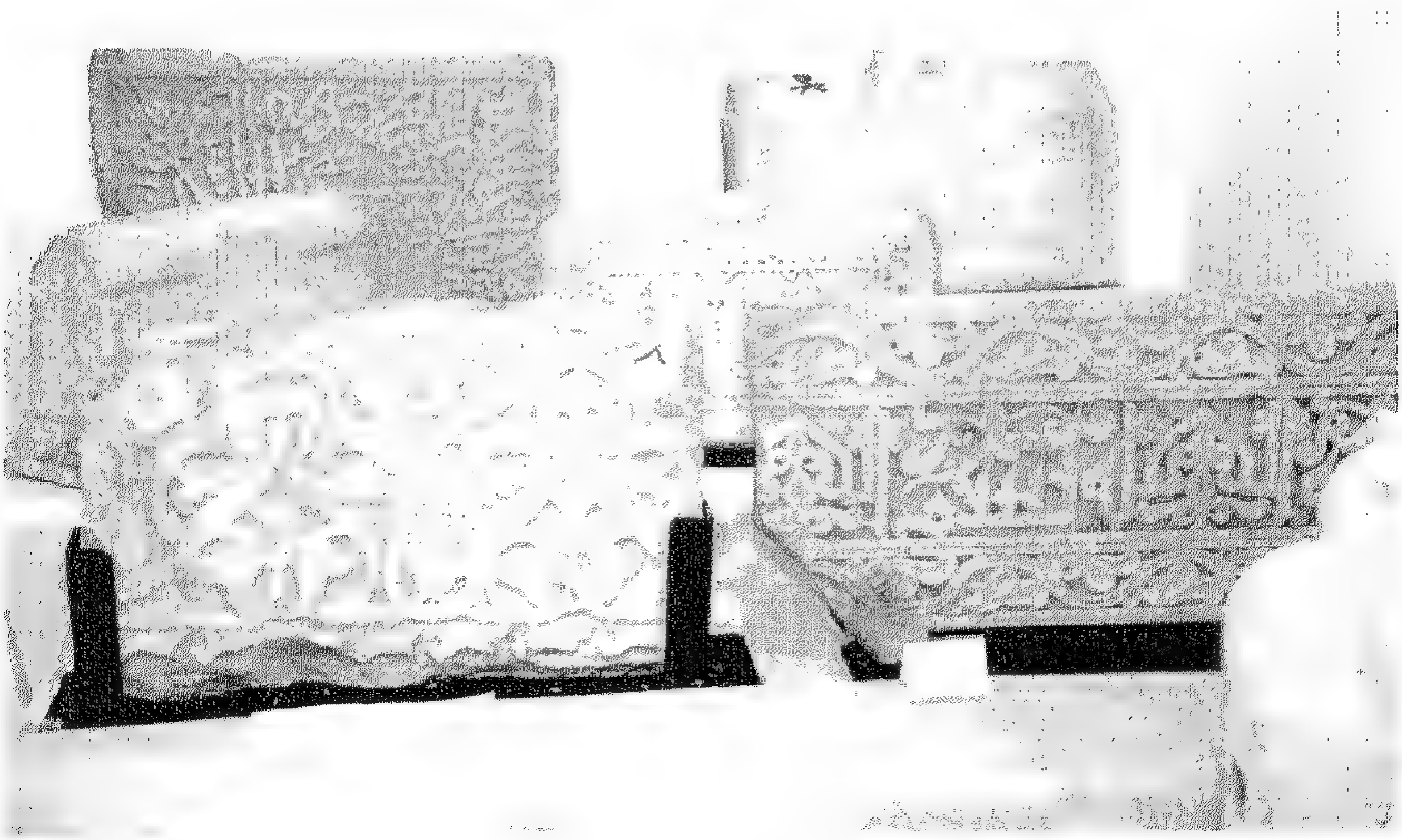
مجسم الكعبة المشرفة

التي تتوزع محتوياتها على غرفتين صغيرتين. الغرفة الأولى تقع على يمين المدخل وتحمل اسم (مناسك الحج) وتحتوي على لوحات تشرح أعمال الحج بأقسامه الثلاثة (حج التمتع، والقران، والإفراد)، وتعرض خريطة مضيئة للمواقيت المكانية (مواقيت الحج والعمرة) وصوراً للإحرام والطواف والسعي والذهاب إلى منى، ويوم عرفة، والمبيت بمزدلفة، ورمي الجمرات. وتجدر الإشارة هنا إلى أن مقتنيات المتحف كافة تتضمن شروحات بالعربية والإنجليزية، بما في ذلك الأشرطة (الأفلام) التسجيلية التي تعرض من حين لآخر. ويتوسط الغرفة مجسم للكعبة المشرفة مشغول بطريقة رائعة، مع شروحات لما تحتوي عليه من معالم لباب الكعبة، والركن اليماني، وقياسات الكعبة، والحجر الأسود.

أما الغرفة الثانية، فتحتوي على صور قديمة من مكة المكرمة وبيوتها تعود للفترة من عام 1927-1933م، وتحتها هناك مجسم للمسجد الحرام بمكة المكرمة، ومجسم للمسجد النبوي الشريف بالمدينة



مجسم للحجر الأسود



قطع مزخرفة من الحجر الرملي

المنورة، ومقابلهما توجد صور لمقام إبراهيم عليه السلام، وقطعتان من الحجر الرملي الأحمر نحتت عليهما آيات من القرآن الكريم لتستخدم في تزيين العمارة الإسلامية من الخارج، وهما من دلهي بالهند، تعودان للقرنين الثامن والتاسع الهجريين. كذلك تعرض في دار الكعبة المشرفة قطعة من كسوة الكعبة الداخلية، تخص باب التوبة، وهي آخر ستارة لباب الكعبة الداخلية، لأنها استبدلت في السنوات الأخيرة بباب من الذهب الخالص، وأهدى حاكم الشارقة هذه القطعة إلى المتحف لتكون جزءاً مهماً من معروضاته، ويبلغ طولها 285 سنتمتراً، فيما يبلغ عرضها 165 سنتمتراً، وهناك قطعة من المرجح أن تكون جزءاً من أستار الكعبة الداخلية، ويعود تاريخ صنعها إلى القرن الثاني عشر للهجرة، وهي من الحرير الأخضر المنسوج، تميزت بتشكيل لأسطر متوازية متعرجة على شكل مثلثات تناوبت فيها كتابات بخط الثلث هي ﴿لا إله إلا الله﴾، ﴿محمد رسول الله﴾، ﴿الله جل جلاله﴾.

وتوجد إلى جانب الستارة لوحة تشرح مراحل كسوة الكعبة عبر التاريخ، وتعريف بمصنع كسوة الكعبة بأم الجود في مكة المكرمة الذي افتتح عام 1977م، ويحتوي صندوق زجاجي مثبت في الحائط على محفظة مفتاح الكعبة المشرفة تعود لعام 1407هـ، وإلى جانبه توجد صورة - طبق الأصل - لمفتاح باب الكعبة المشرفة.

❖ **مسكوكات من الذهب والفضة**

بعد دار الكعبة المشرفة، ينتقل الزائر إلى (دار المسكوكات الإسلامية)، التي يبدأ مدخلها بلوحات كبيرة تقدم شرحاً مفصلاً لمفهوم النقد، وأهمية دراسة المسكوكات الإسلامية، باعتبارها وثائق تفيد في دراسة التاريخ السياسي والمالي للدولة الإسلامية، ومعرفة مدى توسعها، والسلالات الحاكمة فيها، وشخصياتها، وأحداثها، وتتبع تطور فن الخط العربي فيها، كما تقدم بعض اللوحات التي تزين جدران الدار شرحا مفصلا لكيفية صناعة المسكوكات. بعد ذلك نجد سلسلة من النصب الخشبية التي تتوسط الغرف الصغيرة التي تحتويها الدار، تتضمن كل مجموعة منها عملات لدولة أو منطقة أو عهد معين. ويضم هذا القسم أكثر من 2600 قطعة من الدنانير الذهبية، والدنانير الفضية، والفلوس النحاسية، من مختلف العصور الإسلامية.


عملة إسلامية

ففي البداية تأتي الدنانير الأموية، وبينها أول دينار ضرب في الإسلام في عهد عبد الملك بن مروان سنة 78هـ، وبعدها تأتي مجموعة من الدنانير العباسية، كذلك هناك العملات الساسانية المعربة، التي عرفها العرب قبل الإسلام وتعاملوا بها في مجال التجارة الخارجية.

وتزخر الدار بعملات قديمة جداً ونادرة، منها الفلس العربي البيزنطي الذي قلده العرب وحاولوا تعريبه بدءاً من وضع حرفي (AM) عليه كدلالة على مدينة دمشق، وضربت النقود المعربة في إنطاكية وبعلبك وحمص وطبريا. كذلك تعرض الدار فلوساً بيزنطية من فترات مختلفة من فلسطين وحمص والبصرة.

وفي غرفة صغيرة جداً تعرض عملات من الدولة المغولية من سنوات مختلفة، وعملات من الدولة

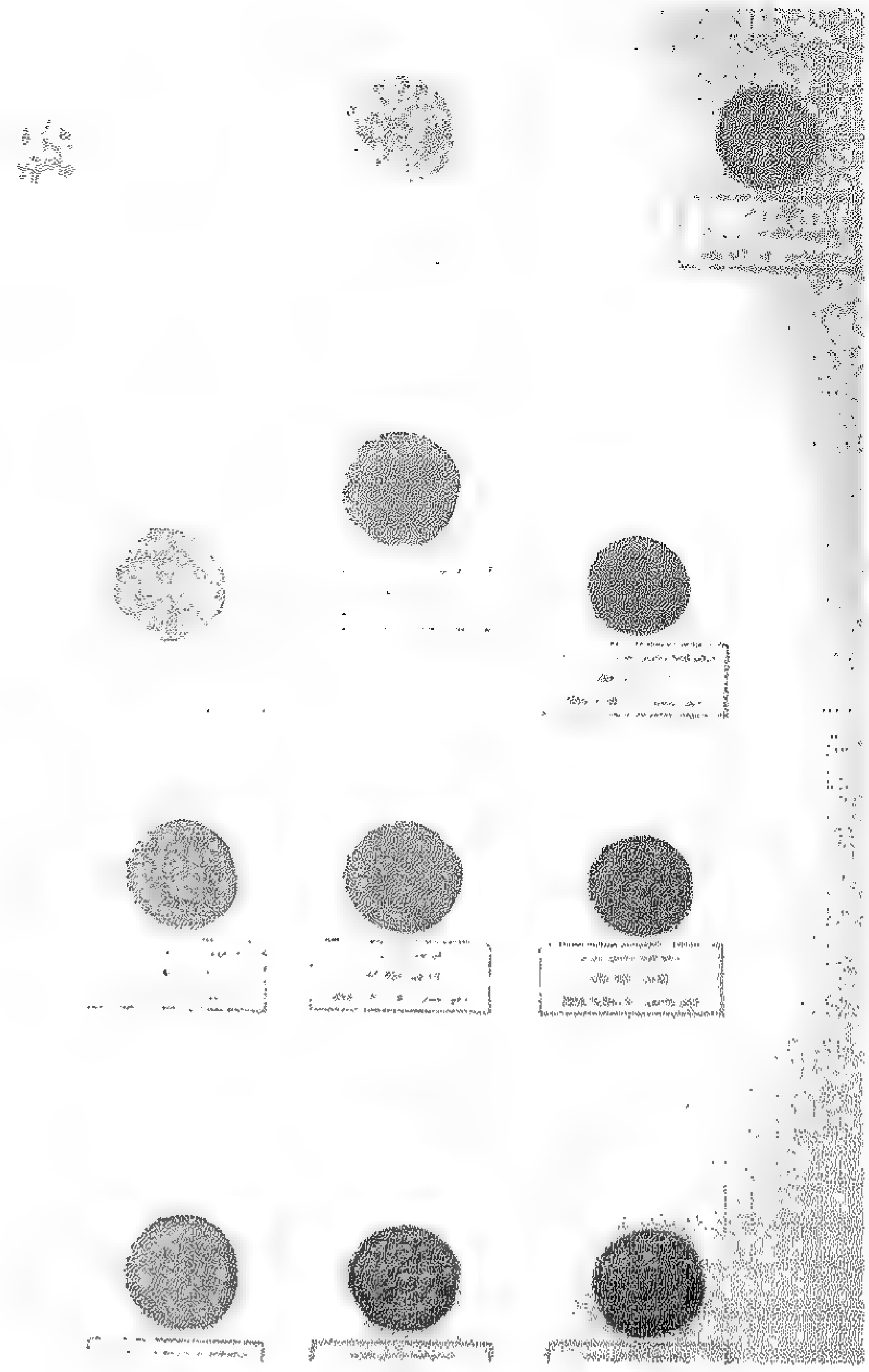
اسم الخليفة، وباستعمال الخط الديواني. وفي نقود الدولة البويهية حذف لقب أمير المؤمنين. أما الدولة العثمانية فتميزت نقودها بـ (الطغراء) وهو التوقيع الرسمي الخاص بالسلطان العثماني، ويضم اسمه ولقبه واسم والده أحياناً.

ولكن أندر وأغرب موجودات دار المسكوكات الإسلامية، هي عملة (طويلة الحسا) التي تعتبر أغرب عملة في التاريخ، كونها تشبه مشبك الشعر، وكانت تتداول قبل 300 سنة في منطقة الحسا الممتدة من شمال الكويت وحتى حدود قطر جنوباً.

❖ الإدريسي يرسم العالم

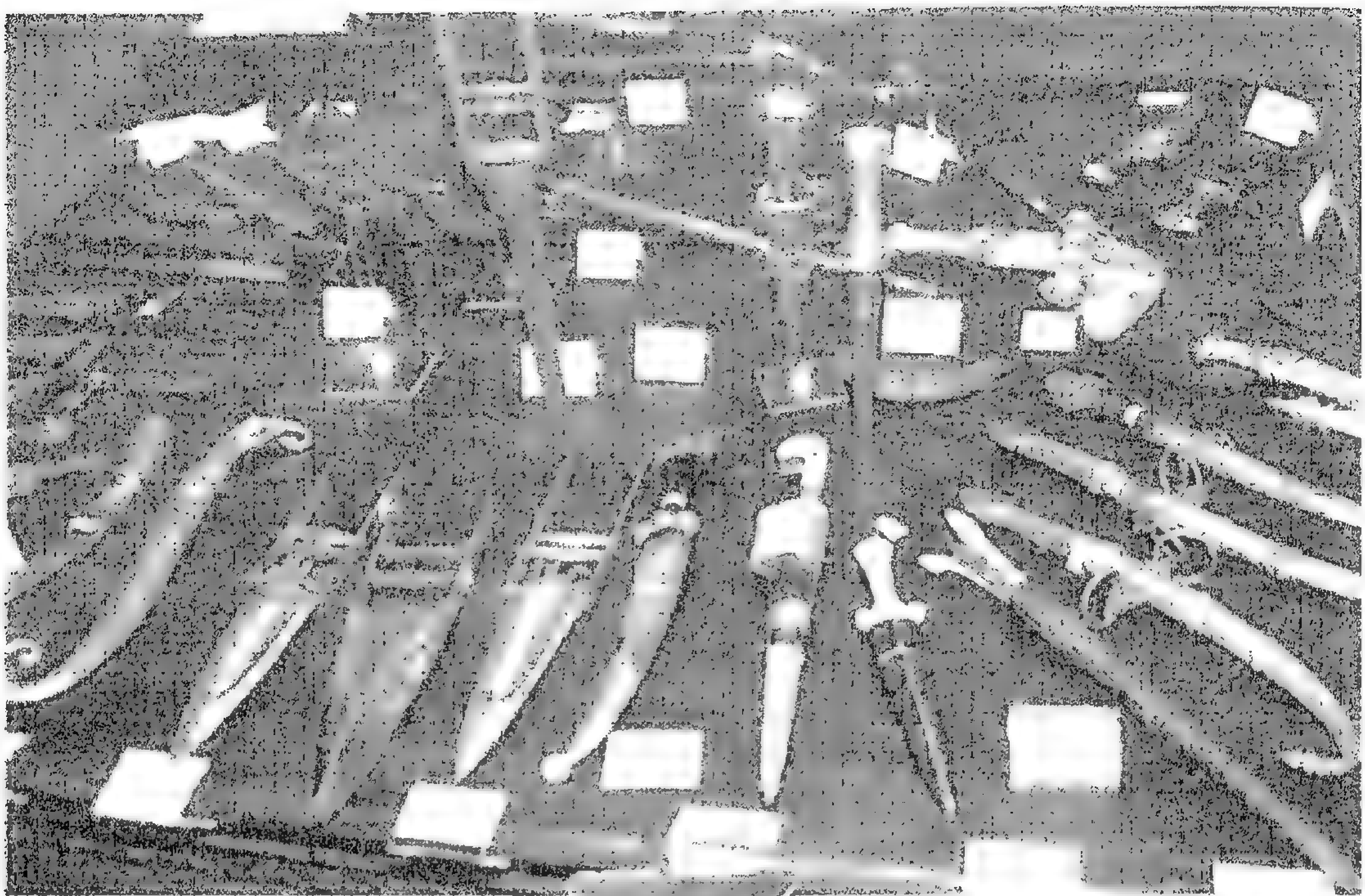
رغم التاريخ العلمي المشرف للمسلمين إلا أن (دار العلوم) في المتحف الإسلامي هي الأصغر، إذ تنحصر محتوياتها في ممر صغير جداً يصل دار المسكوكات بدار المشغولات المعدنية والفخارية. وأبرز ما تضمه هذه الدار شيئان : صورة عن خريطة الأرض التي رسمها الشريف الإدريسي الذي ولد في مدينة (سبتة) المغربية، في عام 1099م، والتي تعتبر أول خريطة في العالم، والنسخة الموجودة في المتحف من هذه الخريطة نشرتها نقابة المهندسين العراقية عام 1970م، وقد جمع أجزاء هذه الخريطة المتفرقة وألف بينها المستشرق الألماني كونراد ميلر، وأعادها إلى أصلها العربي محققها ومحررها محمد بهجة الأثري والدكتور جواد علي، بعد أن رجعا في تصحيحها إلى خمس نسخ مصورة من كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) للإدريسي، وطائفة من كتب العرب الجغرافية.

أما الشيء الآخر المهم الموجود في دار العلوم فهو آلات الرصد الفلكي، وأهمها (الإسطرلاب) الذي يستخدم كأداة لتحديد ارتفاع النجوم والأبراج في القبة السماوية، وأيضاً (الكرة السماوية) التي ترصد أبراج الفلك ومواقع النجوم، وقد صنع الكرة السماوية ناصر الدين أطوبي عام 1205هـ.



مسكوكات قديمة

الأيوبية كدرهم الملك عبد العزيز عثمان، الذي ضرب في دمشق عام 592هـ، إضافة إلى درهم ودنانير من الدولة السلجوقية التي ظهرت في بلاد ما وراء النهر وتوسعت حتى بخارى وسمرقند وأصفهان، والدولة البويهية التي ظهرت في العراق وإيران. وفي غرفة صغيرة أخرى تتوزع على جدرانها لوحات تقدم شروحاً لعملات كل دولة يعرض المتحف شيئاً منها، والفروقات بينها، فعملات الدولة المغولية تتميز بوجود مربع في الوسط في معظمها، وبكتابة الشهر بجانب سنة الضرب، وتتميز عملات الدولة الأيوبية بالأشكال الهندسية كالمربع والنجمة السداسية وظهور الشخوص الآدمية على العملات والفلوس النحاسية في الأماكن التي لها علاقة بالمناطق الصليبية، وتميزت عملات الدولة السلجوقية بظهور اسم الأمير إلى جانب



مجموعة خناجر قديمة وحديثة

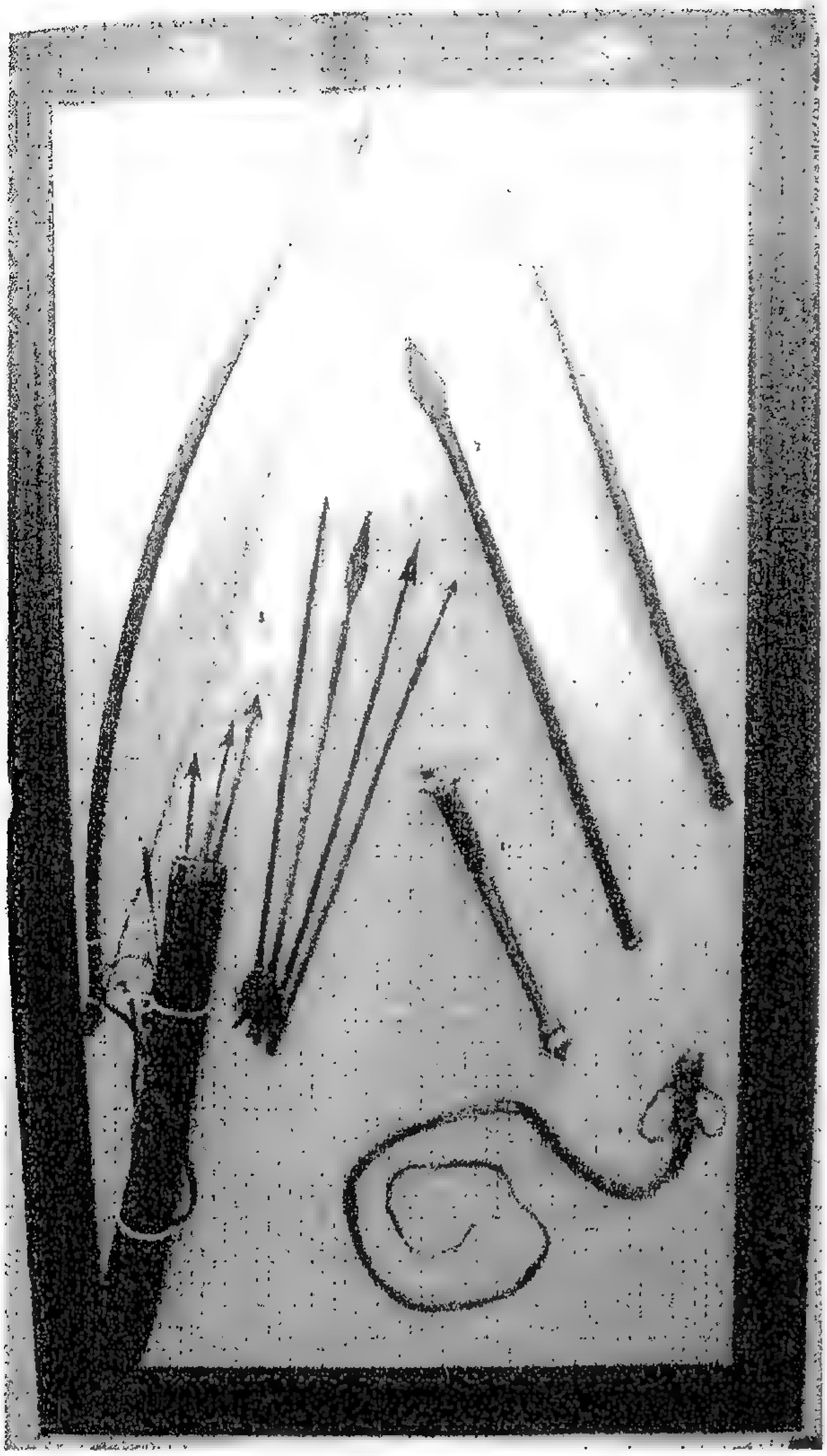


❖ مشغولات من المعدن والفخار

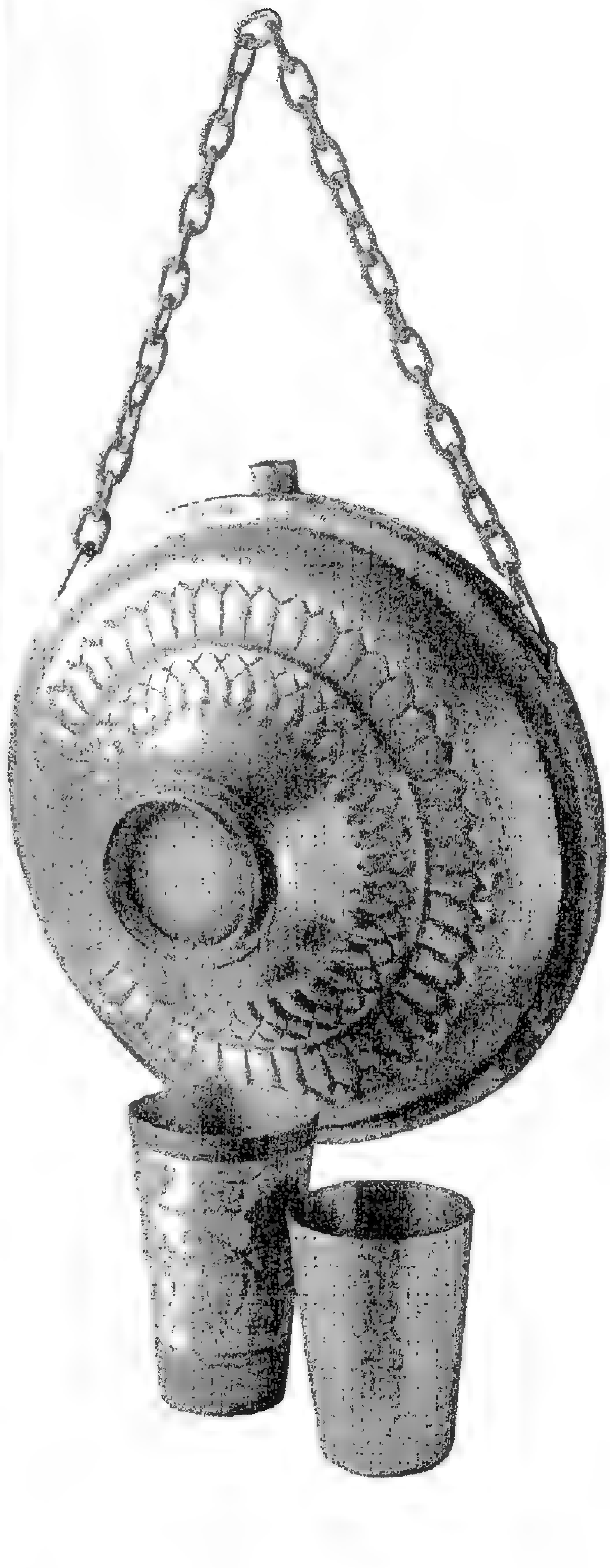
تعتبر (دار المشغولات المعدنية) والقسم الملحق بها والخاص بالفخاريات ؛ أكبر أقسام المتحف، إذ يحتوي على عدد كبير من المشغولات المعدنية والفخارية التي تعود إلى فترات مختلفة، فهناك أباريق نحاسية وشمعدانات نادرة من عصر المماليك، وأوعية وأباريق من النحاس، بعضها مكفت بالذهب من القرنين السادس والسابع الهجريين، عثر عليها في بلاد فارس وخراسان.

ولعل أول ما سينتابك وأنت تتجول بين أرجاء هذا القسم هو الشعور بالدهشة والانبهار، أمام تلك الصنعة والحساسية الجمالية العالية التي ميزت المبدع المسلم، وهو يضع بصمات مهاراته الفنية على مشغولاته وإبداعاته بذلك الصبر الدؤوب، وتلك العناية القصوى بتفاصيلها وتنويعاتها، وكأنه يسكب فيها ذلك الغنى الروحي، وإبداعه في تجريد الأشياء من خلال التوالي المتنوع الذي يفيض سمواً وصفاء ورفعة.

ويُعرض في دار المشغولات المعدنية والفخارية صندوقان زجاجيان صغيران، يحتوي الأول على قوارير زجاجية مختلفة من خراسان تعود للقرن الثاني عشر الميلادي. والآخر يحتوي على قناني من الزجاج الملون، كانت تستخدم



أدوات قتالية قديمة



لحفظ ورش ماء الورد، وهي من سوريا وإيران.

وفي الغرفة المخصصة لأدوات الحرب، توجد خوذة من العصر المغولي مصنوعة من الحديد، وأوعية لحفظ البارود على شكل قرني ثور من تركيا، ودروع لتغطية الصدر والظهر بغرض وقاية مرتديها من ضربات السيوف وطعنات الرماح ورميات السهام. كذلك هناك سيوف قديمة، منها سيف ذو غمد مزخرف من روسيا يعود لعام 1321هـ، ومجموعة من خمسة خناجر من الفضة، عثر عليها في المغرب، خلال القرن الثالث عشر للهجرة،



قلادة تركمانية من عام 1613م



تحفة نحاسية

ومجموعة أخرى من الرماح المختلفة الأشكال والأحجام، المزخرفة والمنقوشة بأشكال فنية دقيقة. ولا ننسى القؤوس، وأهمها فأس ذو حدين من الفولاذ يعود للقرن الثالث عشر للهجرة، وصولجان من الهند من الفترة ذاتها.

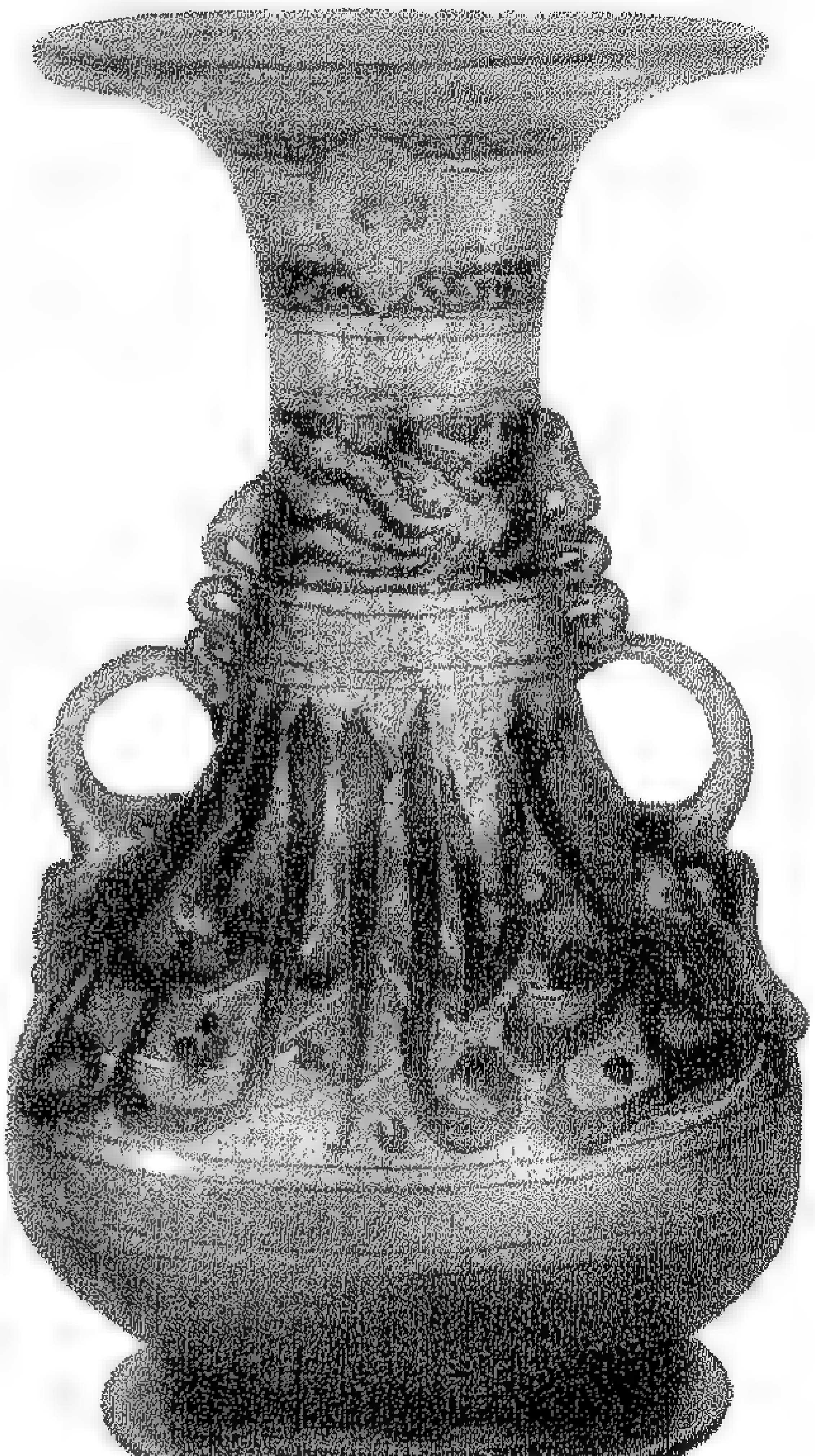
ونواصل السير إلى غرفة أخرى لنجد أنفسنا أمام أساور وخواتم فضية من عهود إسلامية متأخرة، ومنها زوج أقراط كبيرة الحجم مزركشة مصنوعة من الفضة، تعود للقرن العاشر مسيحي، وقلادة من الخرز الأحمر والنحاس من إيران تعود للقرن التاسع عشر مسيحي، وقلادة أخرى تركمانية مطلية بالذهب، ومرصعة بالأحجار الكريمة من عام 1033هـ، وحامل للقرآن الكريم من القرن الثالث عشر للهجرة.

وفي صندوق زجاجي مثبت في الحائط ثمة

شروحات لأجزاء المسبحة، وأصلها، وقد ورد في إحدى الشروحات أن أصل المسبحة يعود للديانة البوذية في الهند، ثم انتقلت إلى بلاد العرب عن طريق التجار والمستكشفين. وفي الغرفة القريبة من هذا الصندوق ثلاثة صناديق زجاجية مستطيلة الشكل، يحتوي الأول على منضدة برونزية لها باب صغير، وتحمل لقب السلطان المملوكي الناصر قلاوون من مصر عام 963هـ، ويحتوي الثاني على إبريق من النحاس من إيران (العصر السلجوقي) تعود للقرن السادس الهجري. أما الثالث فيحتوي على إناء للزهور رائع الجمال، مطلي بالذهب، وله غطاء مزخرف بنقوش نباتية وملونة بألوان بديعة.

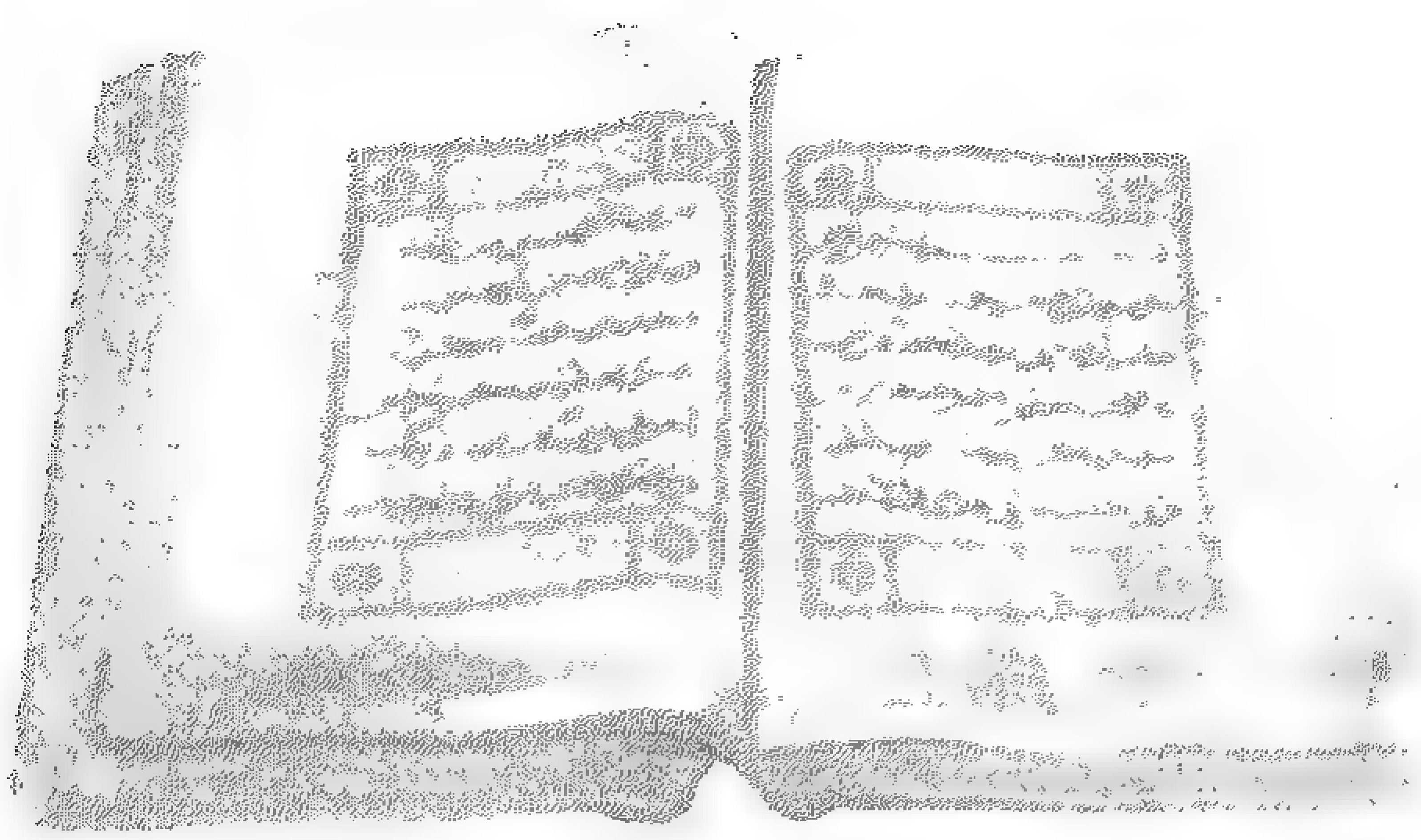
وهناك أيضاً وعاء عميق من النحاس الأصفر مزخرف بنقوش وكتابات عربية تتضمن أبياتاً من شعر الحكمة بخط الثلث جاء فيها: (لا تظلمن أحداً إن كنت مقتدراً، فالظلم آخره التبكيت والندم).

وتحتوي الدار كذلك على أواني ومشغولات نحاسية مكفتة بالفضة من الهند (القرن الثاني عشر للهجرة)، وشمعدانات نحاسية من إيران تعود للقرن الثالث عشر للهجرة. إضافة إلى أوعية فخارية من نيسابور وخراسان (القرن الرابع الهجري) ملونة بالأحمر والأخضر والأرجواني، وقرميد (بلاط) لتزيين الحائط على شكل مربع مزخرف، يحتمل أن يكون صنع في أوائل القرن الرابع للهجرة.



❖ مخطوطات نادرة

يمتلك المتحف مجموعة مهمة من المخطوطات الإسلامية والعربية حفظت في (دار المخطوطات الإسلامية) التي تحتوي على حوالي 100 مخطوط، منها ما هو معروض ومنها ما هو محفوظ، من مختلف العلوم والمعارف. وفي الطريق إلى (دار المخطوطات الإسلامية) تتوزع على الجدران نماذج أصلية وصور من بعض صفحات القرآن الكريم بخطوط من عصور

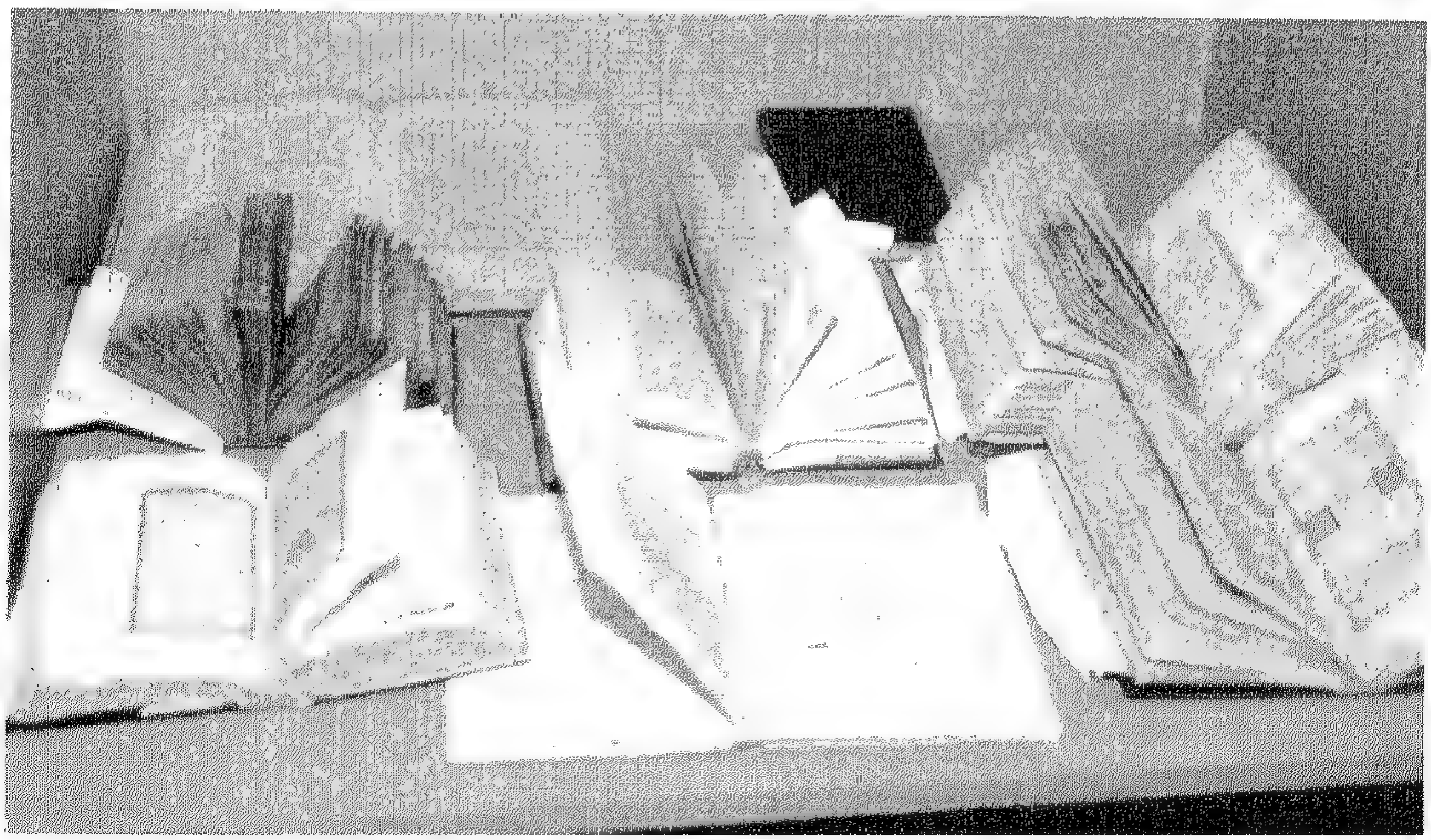


نسخة نادرة من القرآن الكريم

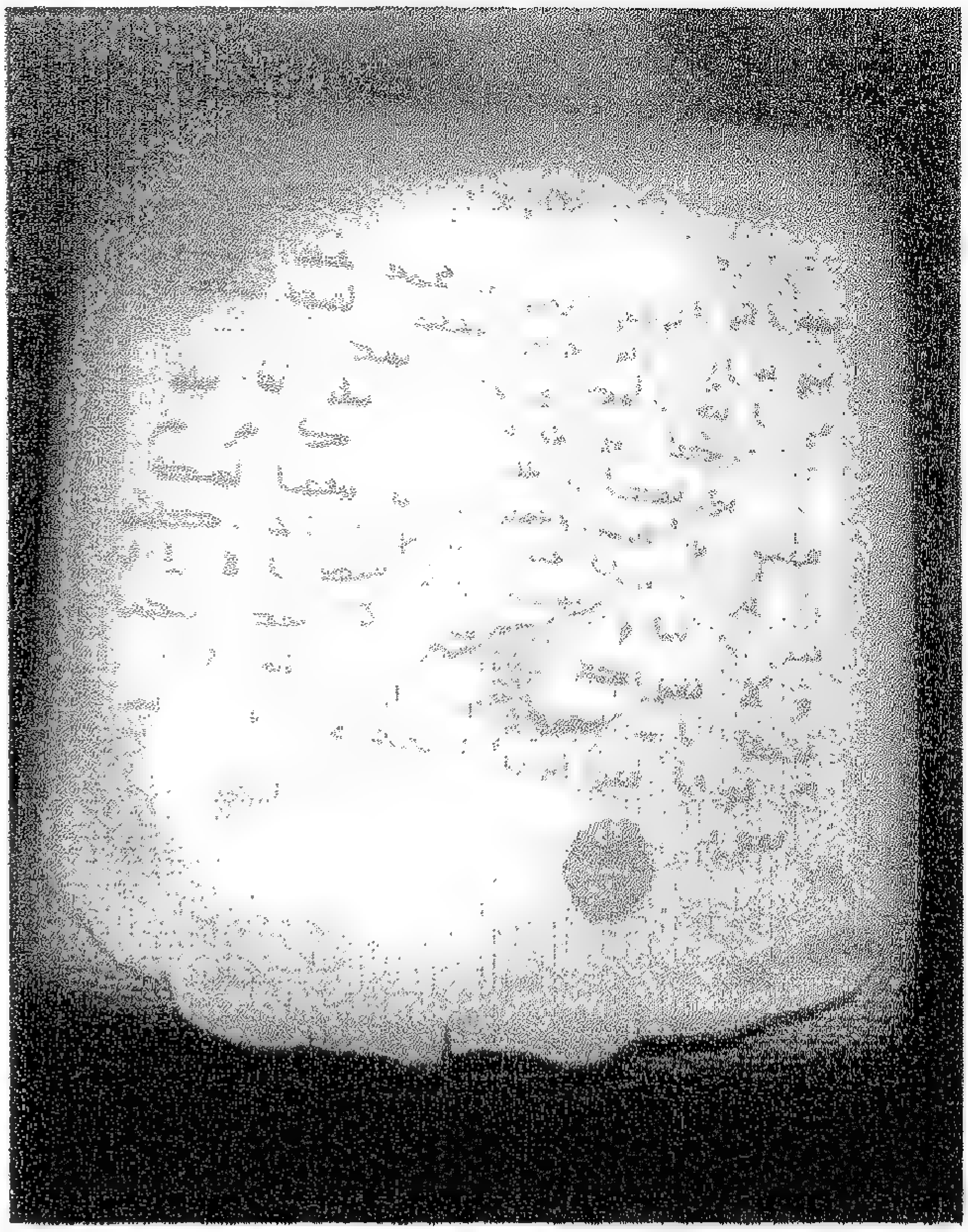
مختلفة، وهناك صندوق زجاجي صغير في الحائط يحتوي على ختم أموي صغير الحجم صنع مقبضه من الفضة، وكتبت عليه عبارة (حسبي الله ونعم الوكيل) بالخط الكوفي القديم، وهو من القرن الثاني للهجرة، ووزنه3, 3 غرام.

أما دار المخطوطات ذاتها، فهي حافلة بالنفائس والمقتنيات النادرة، حيث تتصدرها مخطوطات القرآن الكريم، ومنها مخطوط كامل للقرآن الكريم، كتبه عيسى الردي القارئ بخط النسخ في القرن السادس للهجرة، ومخطوط نادر وكامل للقرآن الكريم كتبه عبد العزيز العرياني بالخط المغربي في القرن العاشر، ومخطوط نادر وكامل للقرآن الكريم كتبه بخط النسخ حافظ حسن البلوي من سوريا عام 1254هـ، وتتميز هذه النسخة بتصميمها ضمن دائرتين متساويتين فوق بعضهما البعض وتتخللهما تحلية ذهبية رائعة.

وهناك أيضاً مخطوطة متكاملة كتبها محمد بن



مصاحف من عصور مختلفة



صورة من رسالة الرسول ﷺ إلى المقوقس

عبد العزيز العرياني بالخط المغربي، وتتميز بزخارفها البسيطة واختلاف ألوانها المميزة لعلامات الإعراب وعناوين السور، وتعود هذه المخطوطة إلى المغرب العربي، القرن العاشر الهجري. ويلفت انتباهنا مخطوط يعد من أشهر المخطوطات القرآنية في العالم، وهو مطابق تماماً لمخطوط أحمد قرة حصاري الذي يعود إلى عام 953هـ، والمخطوط منقوش بأفضل نمط تقليدي عثماني، محلى بكامله بالذهب، فضلاً عن تعدد ألوانه وزخارفه.

كذلك يحتوي المتحف على مخطوط للجزء الثاني من كتاب (الجامع الصحيح) في الحديث الشريف للإمام البخاري، بخط النسخ، وبالمداد الأسود، عدا عناوين الأبواب، من عام 860هـ، ومخطوط في الطب مترجم إلى اللغة العربية للمؤلف جالينوس اليوناني، خطه ابن عناية الله محمد داود، بخط الثلث عام 1062هـ.

كما تنتشر على جدران الدار صورة مكبرة لرسائل الرسول الكريم ﷺ إلى الملوك والأمراء، ومنها رسالته إلى كسرى أنو شروان (ملك الفرس)، والمقوقس (عظيم القبط في مصر)، وهرقل (قيصر الروم)، والمنذر بن ساوي (أمير البحرين)، والنجاشي (ملك الحبشة)، إضافة إلى صورة لختم الرسول محمدﷺ.

وتشرح لوحة مثبتة على أحد جدران دار المخطوطات عملية صناعة المخطوط، ومن خلال إظهار أدوات الكتابة ونماذج منها، مع شرح عن صانعي المخطوط ودور كل واحد منهم، كالخطاط الذي يقوم بنسخ الكتاب بالخط المناسب، والمصور الذي يقوم بزخرفة المخطوط ورسم المنمنمات، والطراح الذي يعمل على زخرفة الصفحات الأولى من القرآن الكريم، والمذهّب الذي يضع لمسات من ماء الذهب على الرسوم والزخارف، والقاطع الذي يقوم بقص الكتاب حتى يأخذ شكله النهائي، والمجلد الذي يحيك كعب الكتاب ويصنع الغلاف ويثبتهما معاً.

ويختتم الزائر للمتحف جولته بزيارة الغرفة الصغيرة المخصصة للآثار الإسلامية المكتشفة في إمارة الشارقة، والتي تتكون من حجارة وأباريق مصنوعة من طينة حمراء وبرتقالية، وهناك خريطة بالمواقع الأثرية في دولة الإمارات العربية المتحدة.

وبذلك نكون قد اختتمنا جولتنا في هذا الصرح الحضاري المتميز، الذي يشع حضارة وفكراً وعلماً ونوراً، ويحمل معه ذلك المزيج المتناسق من خصوصية المقتنيات، وجمالية المعمار والبناء.

الواحة



- لوحة جزيرة أواجي

لوبيشيدا تاكيجي

- لوحة ميناء كانكارنو

بول سينياك

- رسالة المسيح كانت لوعظ الخراف الضالة

- السعادة..

أبو القاسم الشابي

- إن شاء الله

ميخائيل نعيمة

مشهد بعيد لجزيرة أواجي

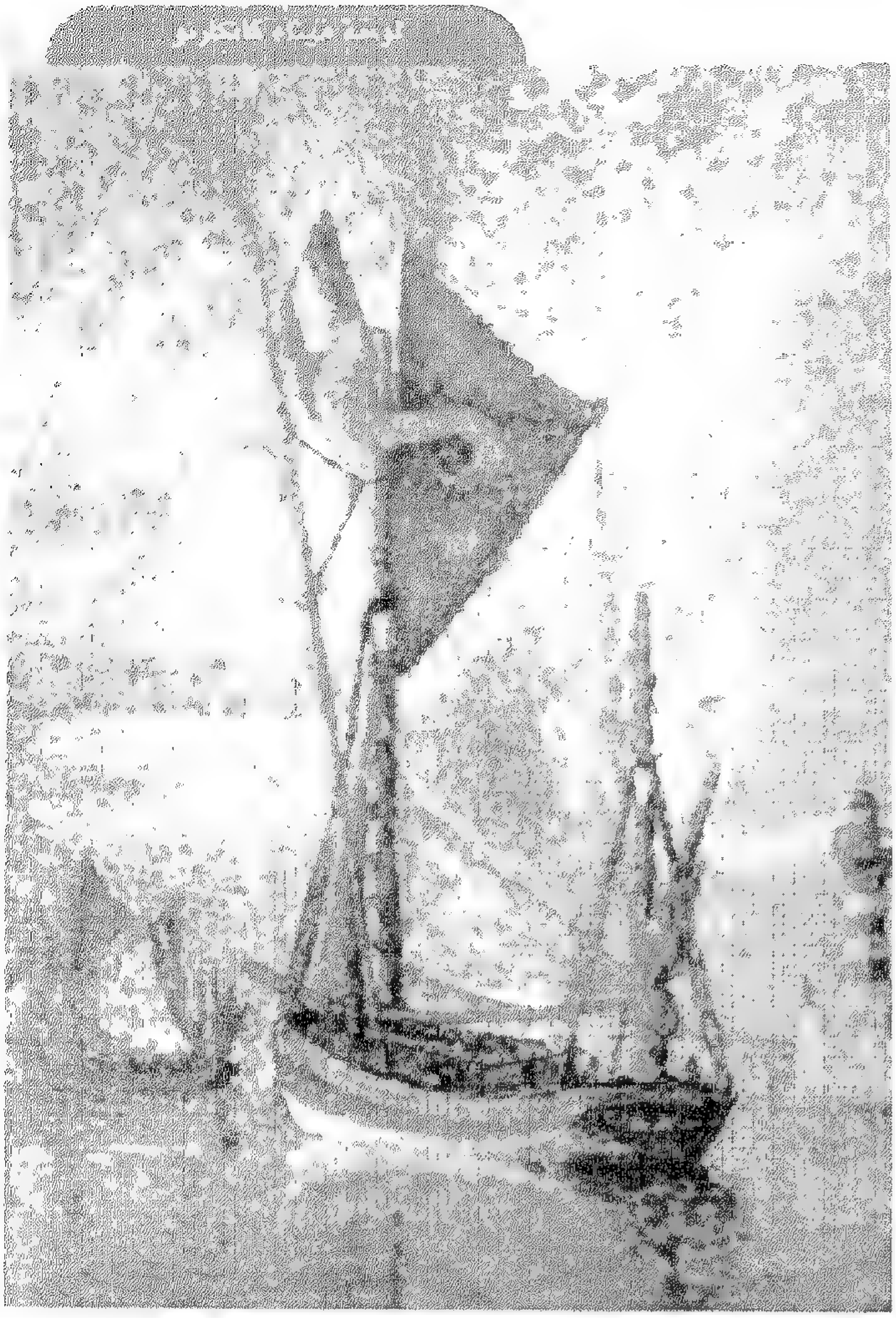


فوجيشيما تاكيجي
FUJISHIMA TAKEJI
(1943-1876)

❖ رسام غربي الأسلوب ولد في كاكوجيما، استهل دراسته بالرسم الياباني قبل الانفتاح على الأسلوب الغربي، وبانقضاء القرن أصبح عضوًا في الـ(هاكويا - كاي)، وهي مجموعة مثلت الفن الغربي في اليابان، صور فوجيشيما الموضوعات الأدبية والتاريخية في أعمال زيتية رفيعة المستوى، وذات تأثير يزيد على الفن الغربي الحالي. في سنة 1905م سافر إلى أوروبا لدراسة تقنيات الرسم الزيتي التقليدي في باريس ولندن، وبعد عودته إلى وطنه سنة 1915م، ابتكر أسلوبًا بهيجًا مشرقًا، صور فيه الموضوعات الشرقية بواسطة ضربات الفرشاة القوية، إلى حين أصبح شخصية رائدة في الأكاديمية اليابانية.

❖ المشهدُ يظهر الجزيرة كما لو كانت ترى من مقاطعة (مايكو)، وعلى مقربة شديدة من الموقع الحالي لبحر (آكاشي كايكيو). في اليابسة الأمامية شاطئ بحري ساكن لمنطقة مأهولة، ذات مزيج من بيوت تقليدية قرميدية مائلة، بالإضافة إلى بيوت غربية، ذات أسطح معاصرة. قام الفنان برسم العمل واقفًا على أحد المنحدرات المطلة على شاطئ البحر، بهذا تضم طريقة التركيب اليابسة الرئيسة في المقدمة، واليابسة المتوسطة باختزال، والبحر الممتد في الخلف بأقصى اتساع.

وظف هذا في خدمة البعدين الطبيعيين للوحة، وقد تقوى بمفتاح العناصر الأفقية الناشئة، وباستعمال الحواجز المسطحة للألوان، وتقدم الضربات البنية والخضراء لحقول الأرز نبرة خادعة للتكوين الكلي الواضح المدهش.



كانكارنو بلدة وميناء في بريتاني بفرنسا، أحب سيجناك القوارب، وأبحر بمحاذاة طول الساحل الفرنسي، بيخته الخاص، وهو يرسم شاطئ البحر، وقد رسخت هذه اللوحة في الذاكرة، لرحلة كهذه، بقارب يقبع بوضوح في مركز اللوحة، ويمكن وصفه بأنه وجه اليخت، تعود اللوحة إلى سني عمره المتأخرة، وبالتالي فقد ركبت من نقاط فسيفسائية أكبر قليلاً، تشبه ضربات الفرشاة، إنها لوحة استثمرت الماء الرقراق، الضوء الراقص، والراية الخفاقة في الريح، أشياء تجعل المرء يتوقع أنه بصدد عنصر الانطلاق السريع والعشوائية، والسكون المعجز غير المستقر.

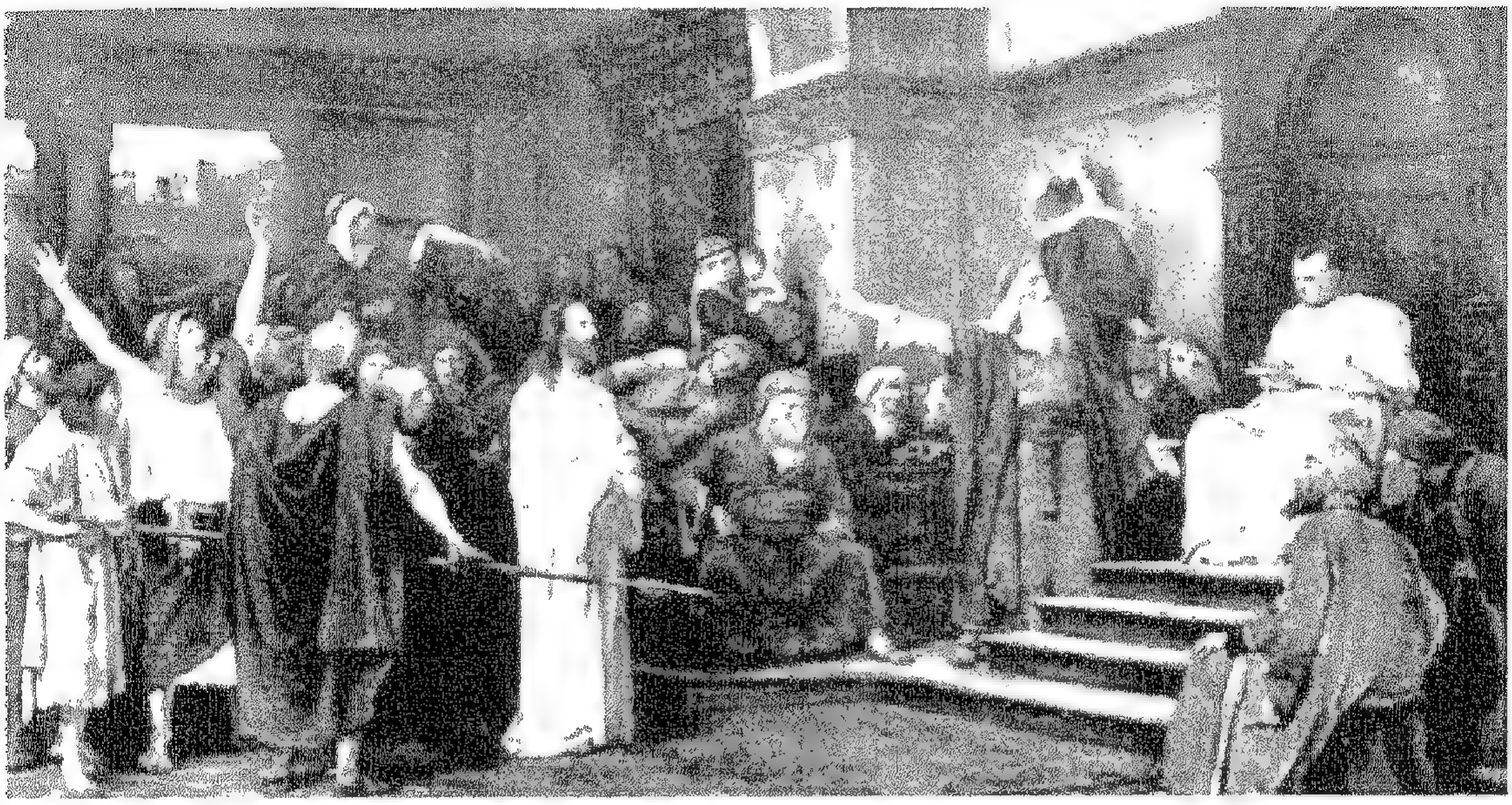
بول سيجناك

PAUL SIGNAC

(1935 - 1863)

يعود طموح سيجناك، في أن يصبح رسامًا، إلى أعمال مونيت في الأصل، وإلى الزمن الذي شارك فيه بالمعرض المستقل في العام 1884، حيث أصبح صديقًا لـ(سبوراتس)، معًا قام الاثنان بتهذيب التقسيمية الانطباعية، إلى مذهب الرسم بالتنقيط العلمي المنهج، من ذلك انطباعية التنقيط الحديثة، التي هدفت إلى ابتكار صور تنضج بالضوء، يستعمل سيجناك النقاط الصغيرة، في رسم المناظر الطبيعية والأفراد، لكن أعماله تتأثر بالضوء والماء المضطرب المائج، بنسبة تقل عن شيوع السكون الكلاسيكي لحد ما، فوق هذا فقد كان سيجناك منظرًا أيضًا، وإن أطروحته: (من ديلاكروا وحتى الانطباعية الحديثة) التي أصدرها سنة 1898م، كانت بمثابة دليل وإلهام (لماتيسه) وغيره من الرسامين الليبراليين، استحق عن جدارة لقب: ممهد الاحتمالات الحديثة، للاستخدام التعبيري باللون.

رسالة المسيح كانت لوعظ «الخراف الضالة»



رسم متخيل لمحاكمة عيسى عليه السلام

كان المؤرخ البريطاني.. أرنولد توينبي*، يرى أن على الإنسان أن يزود نفسه بأجوبة مقنعة، خلال حياته المضطربة (جسداً وعقلاً) عن الألغاز التي تضعها الظواهر الطبيعية، هذا مفروض عليه حتى ولو عجز عن الحصول على هذه الأجوبة من العلم، وحتى لو كان يعتقد بأن المعرفة العلمية هي المعرفة الوحيدة الحقة، على أن هذا الاعتقاد ليس في حرز من التشكيك فيه، ومع ذلك فإنه من الصحيح أن الأجوبة التي نعثر عليها، خارج حدود العلم، هي أفعال إيمان لا يمكن إدراكها، فهي ليست شرحاً عقلياً، إنما هي إيمان ديني، وكل تعبير ديني سابق كان يعدل، بحيث يتناسب مع النظرة العقلية للعصر والمكان، حيث صيغ ذلك التعبير بالذات، ولكن الجوهري - الذي هو ركيزة الدين - هو ولا ريب ثابت ثبات جوهر الطبيعة البشرية ذاتها.

يقول أرنولد توينبي أنه - وبحسب ما ورد في الكتب

---

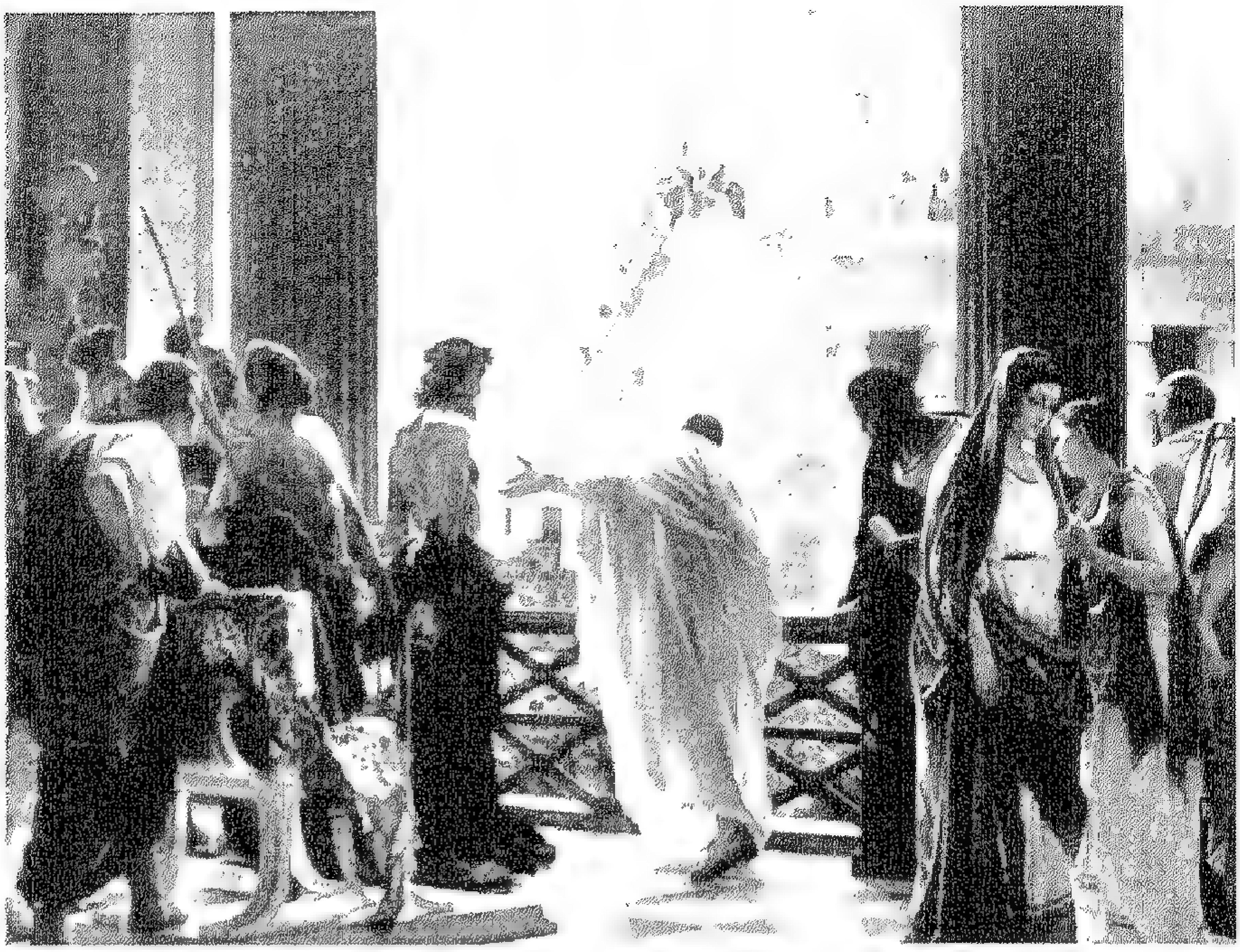
* ولد أرنولد توينبي في لندن عام 1889 وتوفي عام 1975.

- درس اليونانية واللاتينية في أكسفورد وتأثر بأعمال ابن خلدون.

- عمل لسنوات طويلة أستاذاً للدراسات اليونانية والبيزنطية بجامعة لندن.

- تعد موسوعته (دراسة التاريخ) التي استغرقته نحواً من أربعين عاماً، وطبعت في اثني عشر مجلداً من أهم المراجع لنهوض وانحدار الإمبراطوريات، وهو يعزو سقوط الحضارات إلى ظواهر مجتمعية يشخصها في ضعف القوة الخلاقة بين الأقلية وتخلي الأكثرية عن موالاتها، ومن ثم تتفكك الوحدة في كيان المجتمع.

- تعرض لانتقادات شديدة من رموز الحركة الصهيونية، الذين اعتبروا تاريخ توينبي مجرد هرطقة TOYNBEE HERESY .



رسم متخيل
لمحاكمة عيسى
عليه السلام

المقدسة المسيحية ـ فقد رفض (يسوع) نفسه فكرة الألوهية بالنسبة إليه، في أي معنى كانت، على الأقل في قولين له مدونين، يرمي (يسوع) إلى القول بأنه لا يستوي مع الله في الهوية، إلا أنه يمكن أن يكون (إلهاً) بالمعنى الهندوكي، في كونه إنساناً قضى نهائياً على ذاته EGO، ومن ثم فقد نزع جانباً النقاب الذي يغطي، في أكثر الرجال، الحقيقة الروحية المطلقة القائمة في الداخل، وبالنسبة إلى المدرسة اللاثنائية في الفكر الهندي تكون هذه الحقيقة المطلقة أساساً لجميع المظاهر، وهي تُشعُّ أنوارها ـ بالشكل والحين ـ حينما يُنزع هذا النقاب العميق، الذي يدور حول التمركز النفسي الفردي. ولعل هذه الرؤية المباشرة للحقيقة الروحية المطلقة، عبر يسوع، هي التي حملت المؤمنين به من غير اليهود إلى التصدي له؛ لكن لو أن يسوع ذاته عاش حتى دعي إليها، فمما لا ريب فيه أنه كان أنكر وضعاً لا يمكنه القبول به، ولعله كان، أسوة بغيره من أحبار اليهود، يدعو نفسه «ابن الله»؛ إلا أنه، من حيث التعبير اليهودي، تصبح بنوته لله هذه تعبيراً مجازياً، القصد منه التنويه بعلاقة ود وثقة خاصة به. كان (يسوع) من مستقيمي الرأي، ولذلك فإن أفقه الجغرافي والعنصري كان متجهاً نحو يهود فلسطين، ولما أرسل تلاميذه في حملة تبشيرية أشار عليهم بأن يكتفوا بوعظ الخراف الضالة.

وكان أتباع (يسوع) من اليهود يصدقونه، وبأنه من مستقيمي الرأي، لكن الفريسيين اختلفوا معه عندما فسر الشريعة اليهودية باعتباره صاحب سلطان، دون أن ينتظر بعض الوقت ليحصل على إجماع مسبق للأحبار حول نقطة ماء وتكاد تكون أكثر تفسيرات يسوع غير التقليدية، التي انفرد بها، نتفق تماماً مع بعض الأحبار الذين اتبعوا التقليد المألوف. أما الصدوقيون فقد وافقوا السلطات الرومانية المحلية حين حكمت عليه بالموت، لأنه سمح لليهود المقيمين في القدس أن يخاطبوه على أنه «المخلص» (أي الإنسان المحرر الملكي للشعب اليهودي). كما تمسك الصدوقيّون بموقفهم،وهو أن إعدام يهودي متطرف واحد، كان ضماناً شرعياً لمنع قيام مجموعة (مخلصية يهودية) قد يحتاج إخمادها إلى إزهاق أرواح الكثيرين من اليهود.

السعادة

أبو القاسم الشابي

ترجو السعادةَ يا قلبي ولو وُجِدَتْ ... فِي الكونِ لم يشتعلْ حُزْنٌ ولا ألَمُ

ولا استحالت حياةُ الناسِ أجمعُها ... وزُلْزِلتْ هاتِه الأكوانُ والنُّظُمُ

فما السعادة في الدُّنيا سوى حُلُمٍ ... ناءٍ تُضَحِّي له أيّامَها الأمم

ناجتْ به الناسَ أوهامٌ مُعَرْبِدَةٌ ... لَمَّا تغشَّتهُمُ الأحلامُ والظلَمُ

فهبَّ كُلٌّ يناديه وينشُدُهُ ... كأنّما الناسُ ما ناموا ولا حَلُموا

✧✧✧✧

«خُذ الحياةَ كما جاءتك مبتسماً ... في كفِّها، الغارُ أو في كفِّها العدم»

وارقصْ على الوَردِ والأشواكِ مُتَّئِداً ... غنّت لك الطيرُ، أو غنت لك الرُّجُمُ

واعملْ كما تأمُرُ الدنياءُ بلا مَضَضٍ ... والجِم شُعورَكَ فيها، إنّها صَنَم

فَمَنْ تَالَّمَ لم تُرْحَمِ مضاضتُهُ ... ومَنْ تجلَّدَ لم تَهْزأ به القِمَم

هذي سعادةُ دُنيانا، فكن رجُلاً ... إن شئتَها - أبَدَ الآبادِ - يبتسم!

وإنْ أردتَ قضاءَ العيشِ في دَعَةٍ ... شعريَّةٍ لا يُغشّي صفوَها نَدَم

فاتركْ إلى الناسِ دُنياهم وضجّتَهمْ ... وما بنَوا لنظامِ العيشِ أو رسَموا

واجعلْ حياتك دوحًا مُزْهِرًا نَضِراً ... في عزلةِ الغابِ ينمو ثم ينعدم

واجعل لياليك أحلامًا مُغرِّدةً ... إنّ الحياةَ وما تدوي به حُلُم!

إن شاء الله

ميخائيل نعيمة



ل لو تعوَّد الإنسان قول «إن شاء الله»، بقلبه لا بلسانه، لما عتمت المعرفة، أن سكبت من نورها في قلبه.. وإذ ذاك لآزرت المشيئةُ العامة مشيئته، فأسعدته بدلاً من أن تسحقها فتشقيه، لكنّه لاهٍ عن مشيئة الحياة المبصرة، وما في طاعتها من طمأنينة لا تدرك، وغبطة لا توصف بمشيئته العمياء، وما تبذره في كل يوم من مشاكل وهموم.

أوَلا ترون كيف أنّه يرهق جسدَه، بتوسيع نطاق حاجاته، إلى حدّ لا يطاق، ويخنق روحه بتضييق نطاق حاجاتها، إلى حد لا يطاق؟ ما أبسط حاجات الجسد وأقلها لمن يعقلون! فالذي وهب الإنسان الفكر، وما فيه من سحر، والخيال وما فيه من قوّة، والشعور وما فيه من جمال، لن يبخل عليه برغيف وقميص ومأوى، أوَلا ترون كيف أنّه يسعى جهده لامتلاك كل ما تصل إليه يداه، غير عارف أن المالك مملوك ما يملك؟

أوَلا ترون كيف أنّه يدأب الليل والنهار، في تحصيل ما يحسبه ثروة أو غنى، جاهلاً أن الغني من استغنى عن الشيء لا به، وأن الزيادة في ثروة المادة نقصان في ثروة الروح؟

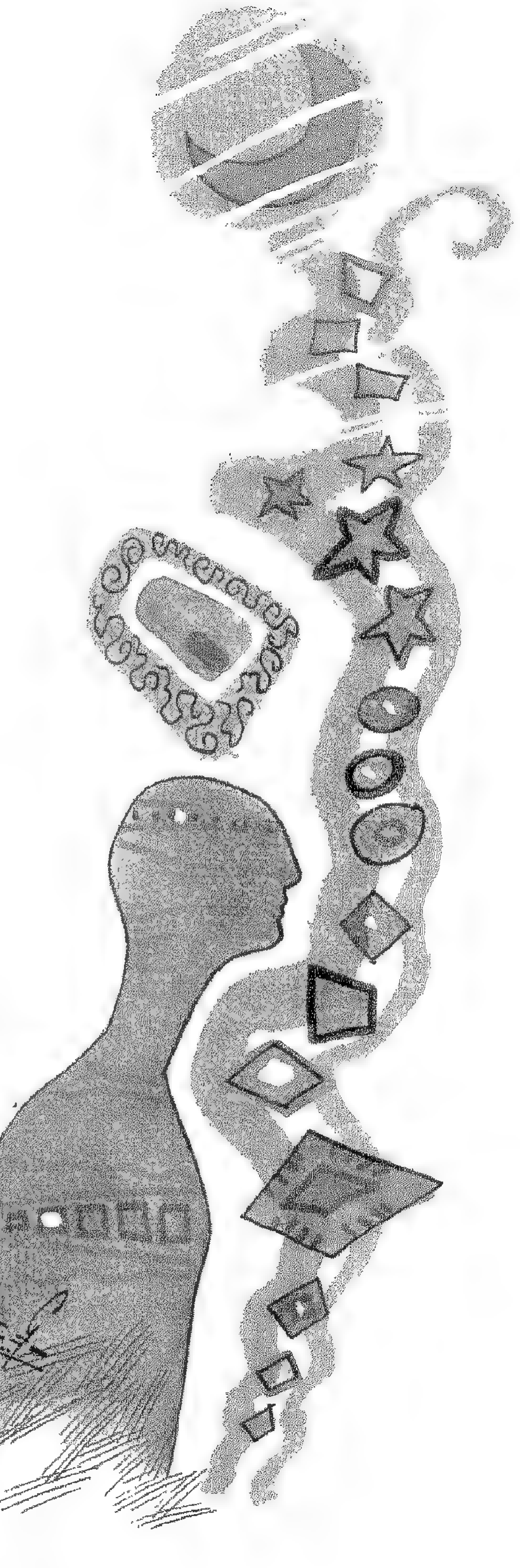
يا للعار أن يصبح مالك الكون، مملوكًا لمال أو عقار!

يا للخزي أن تغدو صورة الله، سلعة في أسواق الكسب، والخسارة والنخاسة والدعارة!

يا للهزيمة أن يهرب مثال الله من الله، إلى كهوف الهمّ ومفاوز الشكّ والشقاء! ألا فرّجوا عن صدوركم فأنتم أقوى من الفناء، لأنّكم ورثة الحياة التي تعطي أبدًا ولا تستعطي. وأنتم أشدّ من أن تخور عزائمكم، لأنّكم ذرية الحياة التي لا تعرف الملل ولا الفتور.

لا تهتموا بالأسباب، لأنّكم تجهلون أسباب أي عمل من أعمالكم، وفكر من أفكاركم، أين تبتدئ، ولا بالنتائج لأنكم لا تعرفون نتائج أي عمل من أعمالكم، ولا أي فكر من أفكاركم إلى أين تمتدّ؛ واعملوا في حقل الحياة الفسيح، مؤمنين بأنها لن تكون إلا عادلة، في كل ما تقتضيه، لكم أو عليكم، وإنها إذا ما انصرفتم عن كلّ همّ غير همّ الوصول إلى المعرفة، لن تبخل عليكم بالمعرفة، من بعد أن وهبتكم كلّ وسائل المعرفة. وريثما تدركون ذلك، قولوا في قلوبكم، كلما أقدمتم على عمل أو نويتم نية أو رغبتم رغبة: «إن شاء الله» والحياة كفيلة بأنكم لن تضلوا المحجّة، التي عندها تستطيعون أن تقولوا: «أنا أشاء لأنّني أعرف».

تلكم في اعتقادي هي محجة المحجات، والناس كلّهم مدركون يومًا ما .. إن شاء الله!



الأندلس العربية

إسلام الحضارة
وثقافة التسامح

الأندلس العربية

إسلام الحضارة وثقافة التسامح

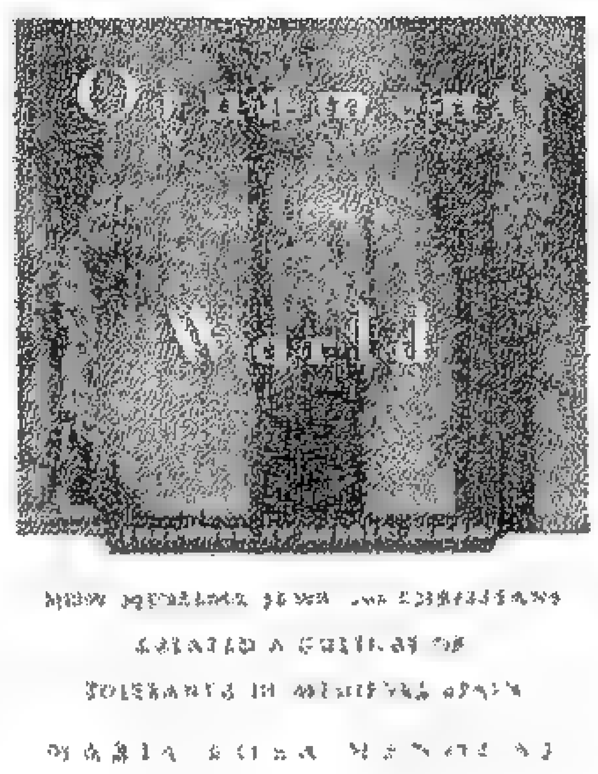
تأليف: **ماريا روزا مينوكال** *

عرض: **د. سالمة عبد الجبار** **

يبحث هذا الكتاب بنظرة مختلفة، في تاريخ الأندلس العربية، من فترة منتصف القرن الثامن الميلادي، حتى بداية القرن الثالث عشر.

ما يميز هذا الكتاب، أنه ليس كتاب تاريخ فحسب، أو هو ليس كتاب تاريخ بالمعنى التقليدي، إذ يحاول رسم المسارات الثقافية للأندلس منذ دخول العرب إليها، عبر تصوير شخصيات فاعلة، أسست لثقافة الحوار والتسامح، وبناء المعنى الاجتماعي للثقافة والإنسان، عبر تتبع تواريخ بعض المآثر، إذ تنطلق المؤلفة من افتراض أن استقرار الأمويين بأوروبا، يعد حدثًا حاسما، أسس أوروبا الحديثة وشكّلها، ولذلك تحاول أن تقف على أنماط التأثير، التي مارستها الحضارة العربية، الغنية،والمركبة، والفريدة من نوعها، في الثقافة الأوروبية الحديثة، ومن خلالها في حضارة العالم بأسره.

ومن جانب آخر يرصد هذا الكتاب، تاريخ الأندلس العربية، من منظور يغاير ما دأبت عليه خطاباتنا التاريخية عن الأندلس، وعن إسلامها وعروبتها وثقافاتها ولغاتها؛ إنه منظور تصر عليه المؤلفة، وهو يتشكل من نظرة الغرب «الذي لا يصادر الآخر ولا ينساق وراء بعض التعميمات المختزلة للثقافة العربية بالأندلس، بل يعترف بها وبمنجزاتها الإنسانية»، ومن نظرة الحاضر وضرورة الاستفادة من دروس الماضي الثقافية، القائمة على التلاقح والتعايش، في إطار ثقافة كانت تجمع دون غضاضة بين المتعارضات، بل ترفعها إلى مصاف التعبير، وهذا ما سيشكل الإرث المشترك النابع من اتساع الفكر وامتداده، ليدرج الآخر المختلف، إنه إرث يجب الوعي به، وتغذيته في الحاضر والمستقبل.



غلاف كتاب
الأندلس العربية

إن هذا الكتاب الذي يحمل تصورًا آخر للتاريخ، التاريخ بوصفه بحثًا في الظواهر الحية، والمأمولة وليس بوصفه بحثًا في الظواهر الزائلة، لهو صرخة مدوية في وجه العالم الهمجي المعاصر، الذي تلفه الأحادية والأصوليات من كل نوع، وتغلفه الأفكار الإيديولوجية الجاهزة.

---

* باحثة وأستاذة جامعية / أمريكا

** كاتبة وأستاذة جامعية / ليبيا

تكمن روح هذا الكتاب، في محاولة تقديم نماذج من الحوار والتسامح، بين الأديان الثلاثة، التي تعايشت في الأندلس، ومن التساكن الذي غلب على تجاوز القيم الثقافية المتنافرة، والمنتمية لشعوب وجماعات إثنية متباينة؛ وتبين المؤلفة، إلى جانب هذا، الإقبال الكبير، الذي كان على الثقافة واللغة العربيتين من قبل الجماعات غير العربية التي أتقنت اللغة العربية، ولبست اللباس العربي، وأقبلت على الفنون العربية، من شعر، وغناء، ومعمار، وقد كان لهذا التأثر نتائج على نهضة الفنون والآداب بأوروبا فيما بعد.

إن عمل «مينوكال» يقدم درسًا قويًا، لمن يحسن استخلاص الدروس، حول الدور الذي لعبته الترجمة، في تمرير الثقافات وسيرورات التملك المعرفي، المنشئة لأسس التسامح والحوار، وتتتبع الكاتبة المصائر المتشعبة لعينات من الذخائر العربية، المنقولة من قبل المعربين من اليهود والمسيحيين اللاتينيين، في لغات عالمية ومحلية، في حركة غير معزولة عن مخاض تشكل وتطور اللغات في أوروبا الوسيطية، وتدافعها وتجددها المتصل المفضي إلى العصر الحديث؛ مسرح شاسع خشبته طليطلة، ـ معهد الترجمة العالمية، وقبلة المنقبين عن كنوز العربية، رمز عقلانية الفكر وحداثته يومئذ، وأطرافه إشبيلة وغرناطة وصقلية ونورماندى وباريس ـ ... على هذا المسرح عبرت لغات، وتلاقحت وسكبت تراث اليونان والعرب، في أقداح بعضها البعض، في حميمية



من اثار المسلمين في الأندلس

تغذي وحدة أبناء البشرية، وتكرس التسامح الحضاري، الذي لم تتوقف عن إجهاضه، وهدر مكتسباته، النزعات الإيديولوجية، والدينية المنشطة لدورة سياسية، آلت بمستقبل التسامح إلى الاضمحلال، ثم إلى الكارثة.

ولا يتجلى انزياح هذا الكتاب عن سرد التاريخ التقليدي في الموضوع، بل إنه يتحقق كذلك في اللغة وفي التراكيب، التي تعتمدها المؤلفة في تتبعها للشخصيات والثقافات، وهي تتلاقح وتتجاور وتتحاور، فالأزمنة المعتمدة في سرد الوقائع التاريخية، أزمنة حضور، أزمنة تمكن السارد من التواجد في الواقعة، والعيش داخلها، رفقة أبطالها، ولعل هذا الانشغا هو الذي جعل جُمل «ماريا روزا مينوكال»، جملاً طويلة، جملاً تعتمد تقنية الدمج، فلا تترك المؤلفة معلومة تعرفها، دون أن تدسها في الجملة، حتى تكتمل الصورة، ويحضر معها القارئ ضمن الشخصيات. أما الوقائع المسرودة، فهي وقائع من منظورات أشخاص، عاشوا المرحلة، وبنوا فيها معالم ثقافية مادية، أو مجردة من معمار وأدب وفكر وفن.

وإذ كانت المؤلفة «ماريا روزا مينوكال»، ذات الأصل الكوبي، وأستاذة اللغتين الإسبانية والبرتغالية، في جامعة (يال) الأمريكية، قد أصبحت معروفة على المستوى الدولي، بإعادة قراءتها للتاريخ الثقافي والأدبي في الأندلس، فإن هذا الكتاب يمثل عملاً تركيبيًا للحضارة الأندلسية، ولكنه مفاجئ أيضًا باختلافه، عندما يؤكد أن الحداثة الأوروبية تعود في كثير من مظاهرها وأفكارها، إلى ما قدمته الأندلس، من نموذج حضاري وإنساني، ثم عندما تصر على أن تعايش الديانات السماوية، في ظل الإسلام، بالأندلس، يبقى حلمًا إنسانيًا مفتوحًا على المستقبل، لكل هذا نفهم لماذا اختارت المؤلفة عبارة الشاعرة الألمانية «هروتسفيتا»، في وصف الأندلس بـ«توشيح العالم» عنوانًا أصليًا لكتابها.

المؤلفة: ماريا روزا مينوكال



- ❖ كاتبة أمريكية من أصل كوبي وعالمة مشهورة في مجال ثقافة وتاريخ العصور الوسطى، تحصلت على درجات الليسانس والماجستير والدكتوراه من جامعة بينسلفانيا.
- ❖ في العام 1986 انضمت إلى جامعة يال كاستاذة للغتين الاسبانية والبرتغالية.
- ❖ في عام 2002 م، ألفت مينوكال كتابها الشهير The Ornament of the World «زينة العالم: كيف حقق المسلمون واليهود والمسيحيون تسامحًا في إسبانيا العصور الوسطى» الذي ترجم إلى عدة لغات، ومنها: العربية تحت عنوان: الأندلس العربية: إسلام الحضارة وثقافة التسامح.
- ❖ وتشغل البروفيسورة مينوكال حاليًا مديرة مركز (يال وايتنى) للدراسات الإنسانية.
- ❖ كما أنها الآن استاذ مشارك في سلسلة الادب العربي بجامعة كامبردج.

مؤلفات أخرى:

- دور العرب في تاريخ أدب العصور الوسطى.. تراث منسي
- كتاب حول مبالغة دانتي في حب الحقيقة.. من بروجيه إلى بوكاسيو.

إسلام الحضارة وثقافة التسامح في الأندلس العربية

منتصر حمادة*

يروي أحد الباحثين العرب، على هامش انعقاد قمة مدريد حول الديمقراطية والأمن والإرهاب المنعقدة بالعاصمة الإسبانية، حيث حرص على سؤال من صادفهم من العرب والمسلمين، على معرفة ما إذا كانوا قد تعرضوا، في أعقاب تفجيرات مدريد سيئة الذكر لأي تفرقة أو إساءة في المعاملة.

وكانت الإجابة من جميع من سألهم هي بالنفي، مضيفا أنه حمد الله أن العرب والمسلمين ما زالوا يحظون، في هذا الجزء من أوروبا والغرب، بمعاملة طبيعية كريمة.

هل يمكن توقع نفس الردود، من أبناء الجالية العربية والأقلية المسلمة، في باقي الدول الأوروبية؟

يصعب الجزم في الجواب، ويصعب معه نفي فرادة النموذج الإسباني في هذا الصدد، والمتجول بين ما تبقى من الماضي الأندلسي المجيد والمُتَمَيِّز، لا يسعه إلا أن يعتز بالخلاصة التي توصل إليها الباحث من جهة، وألا يستغرب من التوصل إليها.

المسألة هنا ليست تنظيراً أو كلاماً فضفاضاً، وإنما تطبيقاً على واقع مجتمعي «حضاري مُرَكَّب، مشهود له بالتميز عن باقي النماذج في الوقائع الأوروبية. ولمعرفة أهم أصول وجذور هذه الممارسات التي أثلجت صدر الباحث، نُعَرِّج في هذا العرض على الكتاب الرائع: «الأندلس العربية: إسلام الحضارة وثقافة التسامح»، لمؤلفته ماريا روزا مينوكالج(❊)، وهو كتاب يُلقِي نظرة مختلفة على تاريخ الأندلس العربية، وتمتد الفترة الزمنية التي تعالجها المؤلفة من منتصف القرن الثامن الميلادي حتى بداية القرن الثالث عشر الميلادي، وهي الفترة التي تبدأ بفرار عبد الرحمن الداخل من بطش العباسيين بدمشق، مرورًا بما بناه الأمويون من مآثر معمارية وثقافية في إطار خلافتهم الأندلسية، ثم ما تلى ذلك من مشاهد الدمار التي لحقت مناطق عديدة من البلاد في أعقاب سقوط الخلافة وما خلفها من تناحرات ملوك الطوائف، ودخول الأندلس في دولة المرابطين ودولة الموحدين بعدهم، ثم الحروب الصليبية التي سميت بحروب الاسترداد وأدت إلى سقوط الأندلس.

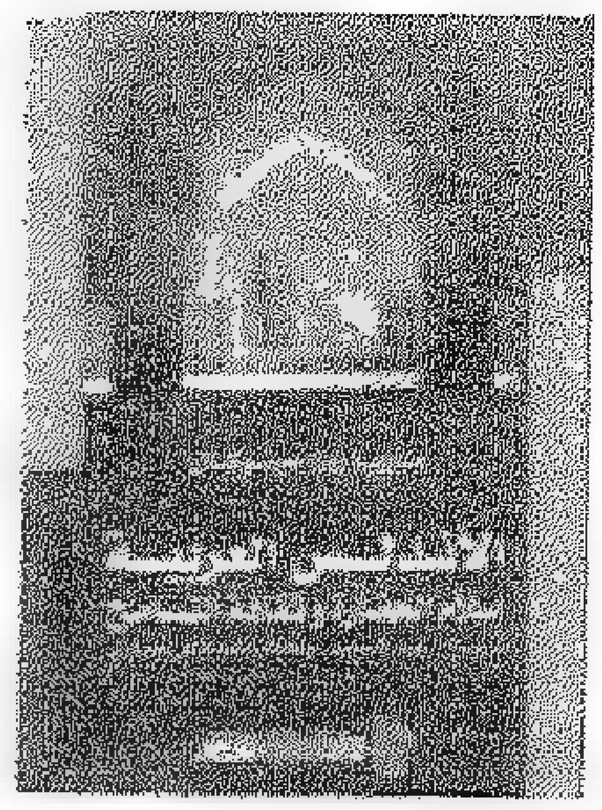
وماريا روزا مينوكال بالمناسبة، ذات أصل كوبي، أستاذة اللغة الإسبانية والبرتغالية في جامعة ييل

---

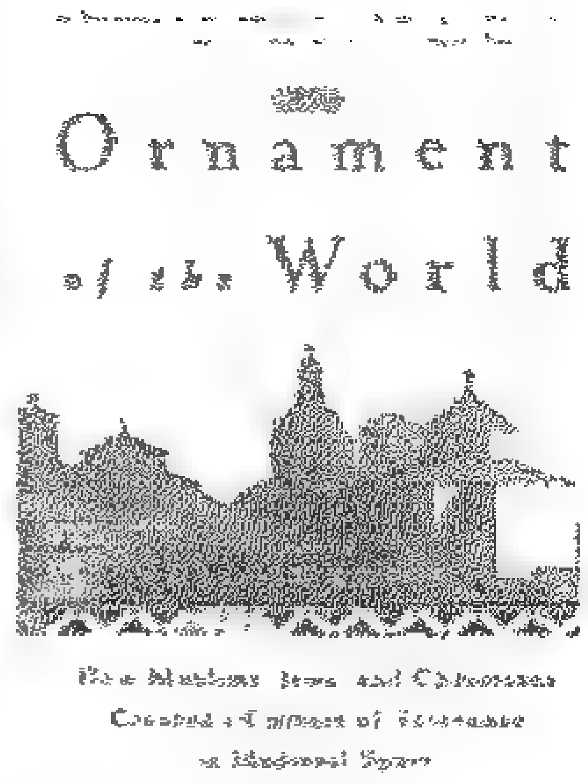
* كاتب وصحفي / فرنسا.

❊ «الأندلس العربية: إسلام الحضارة وثقافة التسامح». ماريا روزا مينوكال.

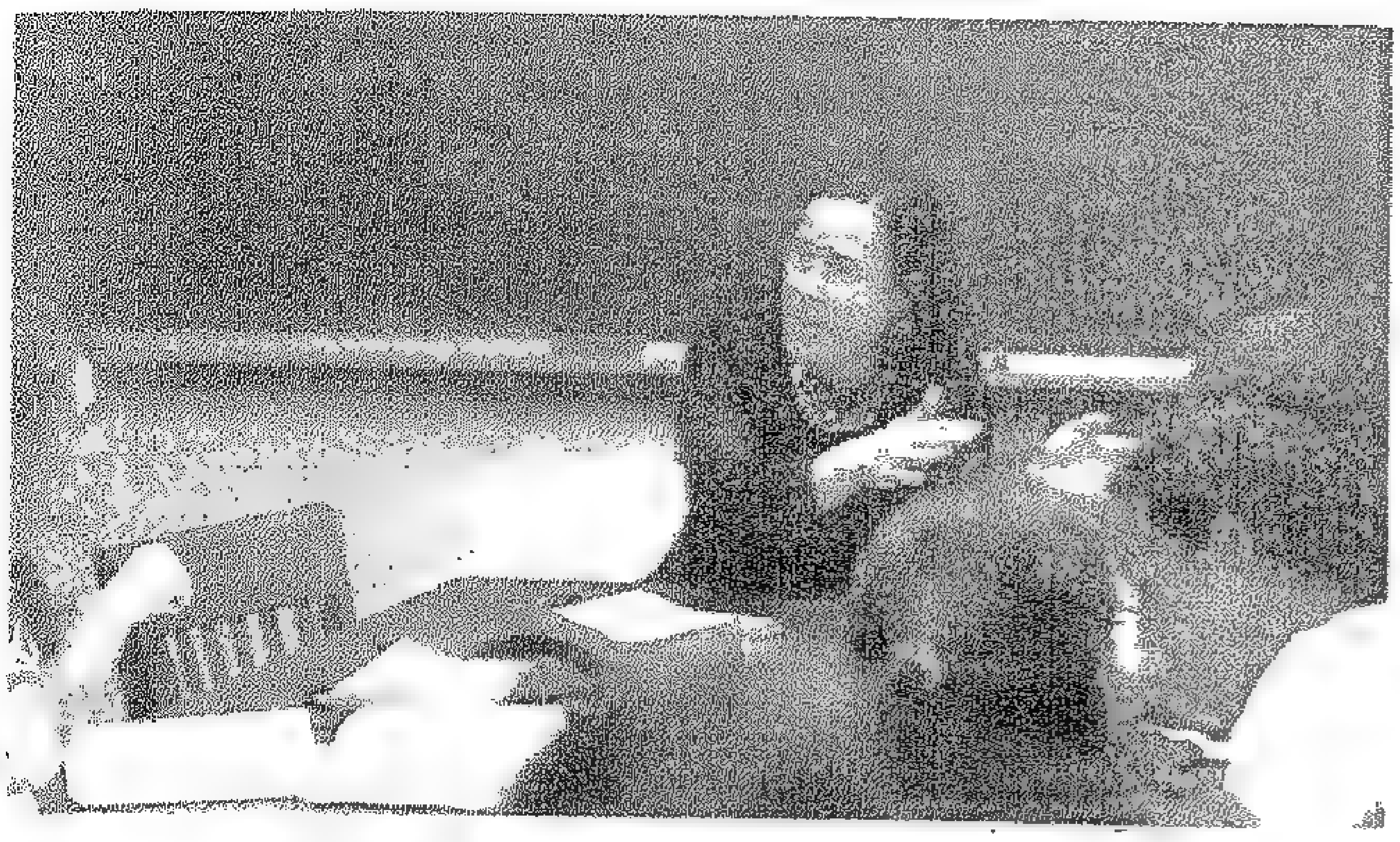
- ترجمة عبد المجيد جحفة ومصطفى جبّاري. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء. الطبعة الأولى 2006.



غلاف الطبعة العربية من كتاب الأندلس العربية



غلاف كتاب الأندلس العربية



البروفيسور ماريا روزا مينوكال مع بعض طلابها

الأمريكية، وأصبحت معروفة على المستوى الدولي بإعادة قراءتها للتاريخ الثقافي والأدبي في الأندلس.

والكتاب، كما نقرأ في التقديم، ليس كتاب تاريخ فحسب، وليس كتاب تاريخ بالمعنى التقليدي، فهو يحاول رسم المسارات الثقافية للأندلس منذ دخول العرب إليها، عبر تصوير شخصيات فاعلة، أسست لثقافة الحوار والتسامح وبناء المعنى الاجتماعي للثقافة وللإنسان، وعبر تتبع تواريخ بعض المآثر.

تنطلق المؤلفة من افتراض استقرار الأمويين بأوروبا باعتباره حدثاً حاسماً أسس أوروبا الحديثة وشكلها، ولذلك تحاول أن تقف على أشكال التأثير التي مارستها الحضارة العربية (الأموية بالخصوص) الفنية والمُركَّبة والفريدة من نوعها في الثقافة الأوربية الحديثة، ومن خلالها في حضارة العالم بأسره.

والكتاب إجمالا يُمَثِّل عملاً تركيبياً للحضارة الأندلسية. ولكنه مفاجئ أيضاً باختلافه، عندما يؤكد أن الحداثة الأوروبية تعود في كثير من مظاهرها وأفكارها إلى ما قدمته الأندلس من نموذج حضاري وإنساني، ثم عندما يصر على أن تعايش الديانات السماوية الثلاثة في ظل الإسلام الأندلسي والأندلس العربية يظل حلماً إنسانياً مفتوحا على المستقبل. وبهذا نفهم لماذا اختارت المؤلفة عبارة الشاعرة الألمانية هروتسفيتا في وصف الأندلس بـ«توشيح العالم» عنواناً أصلياً لكتابها.

دور الترجمة.. من بغداد إلى الأندلس

يُقدِّم عمل مينوكال درساً قوياً لمن يُحسِن استخلاص الدروس، حول الدور الذي لعبته الترجمة في تمرير الثقافات وصيرورات التملك المعرفي المنشئة لأسس التسامح والحوار. حيث تتبعت الكاتبة المصائر المتشعبة لعينات من الذخائر العربية المنقولة من قبل المعربين من اليهود والمسيحيين اللاتينيين في لغات عالمية ومحلية. حركة غير معزولة عن مخاض تشكل وتطور اللغات في أوروبا الوسيطية، وتدافعها وتجددها المتصل المفضي إلى العصر الحديث، مسرح شاسع خشبته طليطلة، مركز الترجمة العالمي وقبلة المنقبين عن كنوز العربية، رمز عقلانية الفكر وحداثته يومئذ، وأطرافه إشبيلية وغرناطة وصقلية ونورماندي وباريس. فعلى هذا المسرح عبرت لغات وتلاقحت ثقافات امتزج تراث اليونان والعرب لتُغَذِّي وحدة أبناء إبراهيم وتكرس التسامح الحضاري الذي لم تتوقف عن إجهاضه وهدر مكتسباته الترهات الإيديولوجية والدينية المنشطة لدورة سياسية آلت بمستقبل التسامح إلى الاضمحلال ثم إلى الكارثية.

تابعت الأندلس، مثل باقي العالم الإسلامي، تطورات الترجمة والنقل، واقتفت في البداية أثر بغداد. لكن مسار الأحداث سيكشف لدى المفكرين الأندلسيين إرادة عدم السلوك كمجرد مستوطنين وافدين. وعند وفاة ابن حزم الأفلاطوني الحديث، ذائع الصيت، سنة 1064م، كان واضحاً حتى في ظل الفوضى السياسية



التي تلت سقوط الخلافة بقرطبة وربما بسبب تلك الفوضى نفسها، أن الأندلس في ظل حكم الطوائف ستستمر في طليعة كل محاولات التجريب الثقافية. وسيتكثف النشاط الفلسفي رغم ما أسفرت عنه الدورة السياسية من أنظمة استبدادية متصاعدة، مسيحية ومسلمة، بعد نهاية القرن الحادي عشر. ومع مرور الزمن، أصبح «التعارض بين الإيمان والعقل» بمثابة المحرك الضمني لمشروع الترجمة، حاجة آنية متزايدة.

تقف المؤلفة عند الإقبال الكبير الذي كان على الثقافة واللغة العربيتين من قبل الجماعات غير العربية، التي أتقنت اللغة العربية ولبست اللباس العربي وأقبلت على الفنون العربية من شعر وغناء ومعمار وبستنة. وكان لهذا التأثر نتائج على نهضة الفنون والآداب بأوروبا فيما بعد. (وتشير المؤلفة في هذا الصدد إلى أنه في أواسط القرن التاسع، في أحد أشهر وثائق ذلك العصر، نجد بول أفار القرطبي يشكو من عجز الشبان المنحدرون من الجماعات المسيحية عن كتابة رسالة واحدة باللاتينية، في حين أنهم يكتبون ـ أو كان لهم على الأقل طموح كتابة ـ قصائد بعربية فصحى تضاهي تلك التي يكتبها المسلمون).

خلافة كانت ضحية ازدهارها

ترى المؤلفة أن الخلافة بقرطبة كانت، بمعنى مُعَيَّن، ضحية لازدهارها ونجاحها، ولكل ما ترتب عن ذلك، فخلافاً للأفكار الشائعة، لا يمكن اختزال هذا التاريخ في صراع بسيط بين كفار ومؤمنين، فحوالي سنة 900م، قام المنصور متحديا بغارات تهديمية ضد معاقل المسيحية في الشمال، وكان قد اكتسب سلطة تفوق سلطة الخليفة الشاب والشريف الذي يفترض أنه كان حاميه، غير أنه، مع منعطف الألفية، لم تكن الغارات والتحديات الموجهة إلى ممالك الشمال، هي التي أحدثت انهيار السلطة المركزية للخلافة. فقد اندلعت حروب أهلية عنيفة سنة 1009م بين عصب مسلمة متنافسة بالأندلس، وخلال العقدين المواليين، مزقت هذه الحروب «جوهرة العالم الساطعة» وقد

أطلق شهود مذهلون، بصورة جد مؤثرة، على سنوات هذا التدمير الذاتي اسم «الفتنة».

ها هي هذه الثقافة، التي كانت قد عرفت أوج قوتها، تنثني وتتراجع، ولم يكن ذلك بسبب هجوم المتوحشين على أبوابها، ولكن من فرط الضربات الهمجية لشعبها نفسه، داخل حدوده، داخل «دار الإسلام» بدأت العجرفة والانحرافات التي أحدثها الرخاء والازدهار تؤثر في الخلافة حوالي نهاية القرن العاشر. وفي نفس الوقت، خلقت رباطة الجأش التي أبداها عبد الرحمن الثالث بإعلانه الخلافة الأندلسية، خصوماً ومنافسين. وقع هذا تحديدًا في الوقت الذي بدأت فيه إمارات إسلامية قوية أخرى، معادية لتفرد الأمويين، سواء على المستوى العقائدي أو على المستوى السياسي، تبرز في إفريقيا الشمالية.

شهدت الأندلس منذ بداياتها تأسيس علاقات دينية مشهودة وفريدة. فالعشيرة اليهودية انبعثت من رمادها وخرجت من تلك الحياة الفظيعة التي كان قد أغرقها فيها الحكم القوطي.

تقر المؤلفة بأن الحداثة الأوروبية تعود في كثير من مظاهرها وأفكارها إلى ما قدمته الأندلس من نموذج حضاري وانساني.

ذلك أن الأمير الذي نصب خليفة في القرن العاشر كان وزيره في الشؤون الخارجية يهوديا. وقد تميزت الهوية الأندلسية خلال هذه القرون الأولى بزيجات بين عشائر من ثقافات متنوعة، وبحوارات ثقافية من مستوى عال مع الذميين. وفي الواقع، كان هذا كله يشكل جزءاً لا يتجزأ من الخصوصية الأموية مقارنة بباقي العالم العربي. وفي سنة 929م، تم الإعلان جهراً عما كان يحس به الكثيرون أو يؤمنون به منذ سنة 756م. لقد أعلن في كل مساجد الأندلس أن عبد الرحمن الثالث هو الحامي الحقيقي للعقيدة، والخليفة الشرعي للعالم الإسلامي كله، والمرشد الديني لكل المسلمين.

وبالنتيجة، شكل الدمار العنيف الذي تعرضت له مدينة الزهراء سنة 1009م، مباشرة بعد اندلاع الحرب الأهلية، التاريخ الذي يحدد نهاية السلم السياسي الذي عرفته الولاية الإسلامية في وسط أوروبا. ويكفي استحضار الأوصاف التي أطلقت على المدينة البلاطية الباذخة الواقعة في ضواحي قرطبة، والتي جَسَّدت برأي المؤلفة إحدى روائع الهندسة المعمارية في العالم الإسلامي.

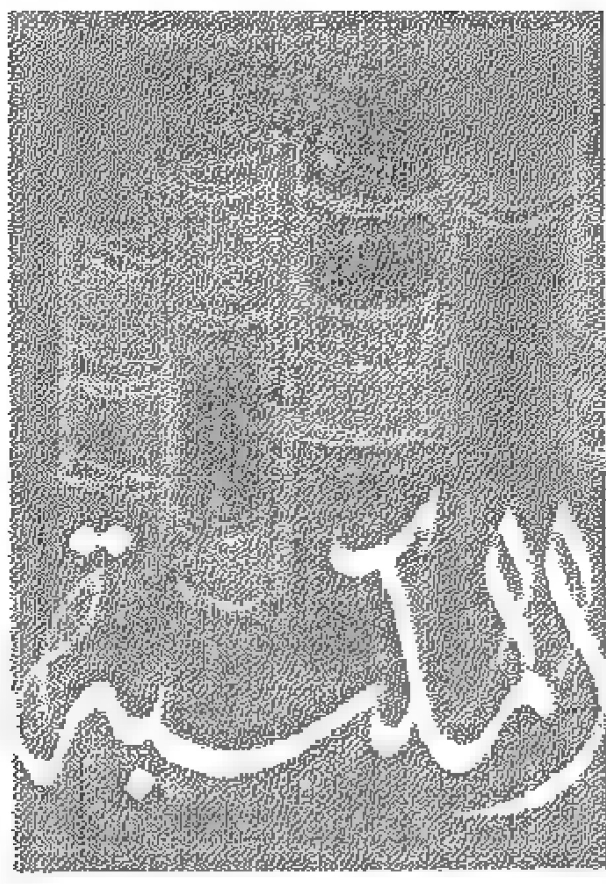
صرخة في وجه العالم الهمجي المعاصر

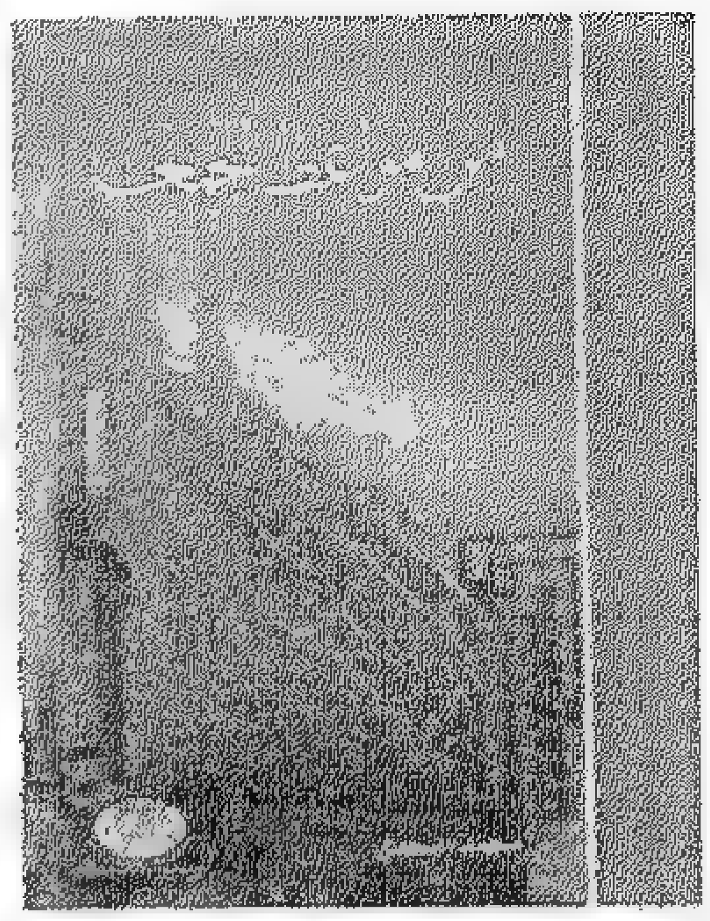
لم تبلغ حضارة أخرى، في أي مكان آخر، ما بلغته هذه الحضارة من بهاء وجلال خلال القرنين السابقين، وغالباً ما توصف الحضارة الإسلامية بأن إنجازها وتأثيرها لم يكونا بهذه العظمة إلا خلال تلك المئات من السنوات التي أعقبت عزل العباسيين للأمويين واستقرارهم ببغداد، وطنهم الجديد. فهنا أعاد اليهود، وقد تعربوا بصورة عميقة، اكتشاف العبرية وأعادوا ابتكارها وهنا تبنى المسيحيون كل مظاهر الأسلوب العربي تقريبا، والمنهج الفلسفي وحتى الهندسة المعمارية للمساجد، ولم يقتصر هذا على زمن السيادة العربية، بل تعداه إلى ما بعد انتزاع السلطة منهم.

وهنا، أيضاً لم يتردد رجال ذوو إيمان راسخ، أمثال أبيلار وابن ميمون وابن رشد، وهم يبحثون عن الحقيقة الفلسفية أو العلمية أو الدينية، في تجاوز حواجز المعتقدات، لقد أدرك هذا النموذج المثالي من التسامح ما كان يمنحه التنوع والتعدد، الفردي والثقافي من غنى ومن ثمار.

نترك مسك الختام لمترجمي هذا العمل القيم، حيث لاحظ المترجمان أننا بصدد إرث يجب الوعي به وتغذيته في الحاضر والمستقبل. فالكتاب يحمل تصورا آخر للتاريخ، أو التاريخ بوصفه بحثا في الظواهر الحية والمأمولة. نحن أمام صرخة مدوية في وجه العالم الهمجي المعاصر الذي تلفه الأحادية والأصوليات من كل نوع، وتغلفه الأفكار العقائدية الجاهزة.


التواصل
AT-TAWASUL
فصلية ثقافية شاملة





من مواعظ الجمعة

المؤلف:

محمد قاسم السعدي

الناشر:

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

400 صفحة/قطع متوسط

يحتوي هذا الكتاب على نماذج من خطب الجمعة، تعالج قضايا متنوعة، وتتناول مناسبات إسلامية عديدة، وتغطي خطب سنة كاملة. وليس قصد المؤلف تقديم خطب جاهزة، وإن كان بعض الخطب يصلح لذلك، ذلك أن لكل مكان خصوصياته واهتماماته وهمومه، وإنما المقصود تقديم مادة خطابية، إلى جانب الكتب الأخرى القيمة في هذا المجال، تساعد الخطيب في اختيار موضوعاته، وإعداد خطبه، وتقديمها بالشكل الذي يتناسب مع أوضاع وحاجات رواد مسجده وأهل منطقته. وفضلاً عن هذا، فإن الكتاب، وإن كان ديوان خطب، إلا أنه يمكن اعتباره بشكل عام بحوثا في الثقافة الإسلامية، تساهم في بيان حقيقة تعاليم الإسلام للمسلمين وغيرهم في زمن عاد فيه الإسلام غريباً في داره، وتضاعفت غربته في ديار الآخرين.

الأخلاقيات العلمية والتكنولوجية



تحرير:

أ. د. البهلول اليعقوبي

أ. د. علي بن الأشهر

أ. د. مصطفى التير

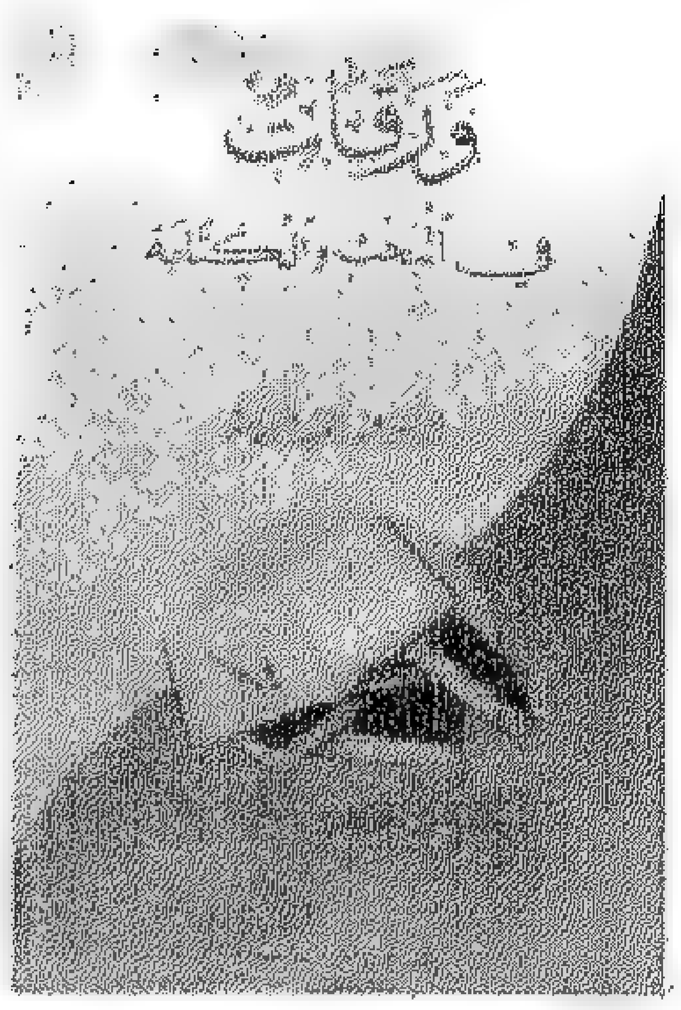
الناشر:

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

426 صفحة/قطع متوسط

تنبهت أمم العالم ـ في العقود الأخيرة ـ إلى ضرورة اقتران العلم والتكنولوجيا وتطبيقاتهما المختلفة بالأخلاق، حتى لا يكون التقدم العلمي والتطور التكنولوجي وبالاً على الإنسان. وفي إطار المساهمة في علاج تلك القضايا المترتبة على التطبيقات المنحرفة للعلم والتكنولوجيا يأتي هذا الكتاب الجاد من (الجمعية والمنظمة) في سياق الإسهام في النهضة العلمية العربية والإسلامية على أساس من الأخلاق الفاضلة والقيم السامية. ويجد القارئ في ثنايا هذا الكتاب أفكاراً عميقة ومعلومات ومعارف قيمة، يتعلق بعضها بالمفاهيم العامة للعلم والتكنولوجيا وعلاقتها بالأخلاقيات والسلوكيات والممارسات، ويناقش بعضها الآخر الأزمة الحديثة للفكر الإنساني بين البحث العلمي من جهة والوازع الأخلاقي من جهة أخرى. وتتناول دراسات أخرى يضمها هذا الكتاب الجوانب الفلسفية والاجتماعية لهذه القضية، وعلاقة كل ذلك بمجتمع المعلومات، كما تناولت قضايا محددة تتصل بالممارسات الأخلاقية، وبخاصة الجوانب الانحرافية وغير السوية، مثل غزو الفضاء، والأسلحة النووية والكيماوية والبيولوجية، والكائنات المعدلة جينياً، والسلوكيات الطبية والدوائية، وقضايا البيئة.



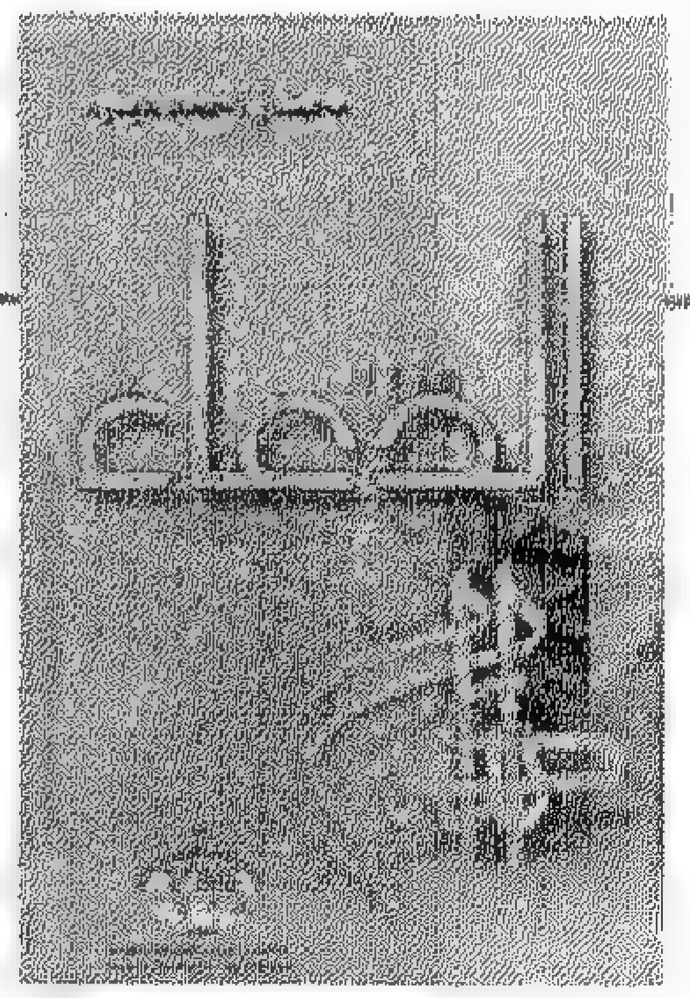
ورقات في البحث والكتابة

المؤلف: د. عبدالحميد الهرامه

الناشر: كلية الدعوة الإسلامية/طرابلس

360 صفحة/قطع متوسط

تعود أهمية البحث العلمي إلى كونه السبيل الأصح والأقرب لاكتساب المعرفة، ولما كانت المعرفة هدفاً إنسانياً سامياً؛ كان السبيل المؤدي إليها بهذا سمو والأهمية. وفي هذا الكتاب رحلة مع البحث العلمي والكتابة والمصادر أشبه ما تكون بملاحظات الممارس الذي يكتشف مواطن الصعوبة، فيحاول أن يعين الباحثين على التغلب عليها، ويلتمس مشاكلهم، ويتحسس معاناتهم، ويعرفهم بالعقبات التي قد يواجهونها على مستوى التفكير والعمل والتخطيط والتحليل والكتابة، وينقسم الكتاب إلى قسمين، يتناول القسم الأول البحث العلمي (منهجية البحث العلمي، التفكير العلمي والبرهنة، عمليات التفكير، الإجراءات البحثية، أخطاء التفكير، أدب الاختلاف الفكري، أدب الاختلاف في البحث، آداب البحث والمناظرة، الفهم ونقد النص، دوافع البحث العلمي، صفات الباحث، أغراض التأليف، أوليات البحث العلمي، خطوات البحث، الكتابة: أساليبها وأنواعها، تحقيق المخطوطات) أما القسم الثاني (المكتبة والمصادر) فيتناول فيه المؤلف (التأليف المكتبي: المكتبة ومحتوياتها، تصنيف المكتبة، نظم الفهرسة، مصادر المعرفة، أدلة المعرفة، كتب الأعلام).



الدعاء

المؤلف: د. المختار أحمد ديره

الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

63 صفحة/قطع متوسط

يبحث هذا الكتاب في موضوع الدعاء بعد الصلاة المكتوبة، فيتناول حكم الدعاء أهو سنة أم مستحب؟ أهو بعد الصلاة المكتوبة أم بعد النافلة؟ أهو جماعي أم إفرادي؟ هل يجوز رفع اليدين فيه أو لا؟ وهل يجوز فيه الجهر أو يكون سراً؟ وأسئلة كثيرة أخرى نجد الإجابة عنها في ثنايا الكتاب. كما يتناول الدعاء أو الذكر، حيث لا ينفصل الذكر عن الدعاء، فالذكر دعاء والدعاء ذكر، وليس بينهما فرق إلا في اللفظ. وما دفع المؤلف للكتابة في هذا الموضوع هو ما أثير حول قضية الدعاء بعد الصلوات المكتوبات من جدل انتهى ببعضهم إلى القول ببدعته. ويتناول الكتاب فضل الدعاء وأهدافه وفوائده وآدابه، كما يتناول الاستغفار لأهميته في حياة المسلمين.

التواصل

مجلة فصلية ثقافية تتناول بالدراسة والتحليل
عـددا من القضايا والموضوعات مثل:

- الدعوة الإسلامية: حاضرها ومستقبلها.
- الدعوة: المناهج والمعوّقات.
- الاجتهاد والتقليد.
- المسلم المعاصر في مواجهة التحديات.
- الشرق والغرب: جدلية الزمان والمكان.
- أصول الفقه الإسلامي: بين إبداع الأوائل وعجز الأواخر (الحاجة إلى تطوير علم الأصول).
- مناهج التفكير بين الخلق والاستيراد.
- علم الانسان (الانتروبولوجيا) الثقافية والاستعمار.
- الإنسان المعاصر: دعوة إلى صناعة غربية (أنسنة الآخر).
- آداب الجدل والحوار.
- المسلمون والاستعمار الجديد.
- الفتوى والفتوى المضادة.
- مرتكزات الهوية ووسائل الحفاظ عليها.
- الإعلام والدعوة.
- الاقتصاد الإسلامي.
- العولمة واستبعاد الآخر (الجانب الديني والاقتصادي، والاجتماعي والسياسي).
- بين الرعية والمواطنة: تحديث السياسة الشرعية.
- أوهام النهايات:
  - نهاية التاريخ.
  - نهاية الإستشراق.
  - نهاية الدولة.
- التغريب الجديد.
- صراع الأنا والآخر.
- الحركات الإسلامية المعاصرة: نظرة موضوعية.
- فقه الفضائيات.. إلى أين؟
- الإرهاب صناعة غربية.
- حرب المعلومات.
- خرافة العالم الجديد.
- المجامع الفقهية: لماذا؟ وإلى أين؟
- الإسلام: من الدين إلى المؤسسة.
- الإستشراق تأثره وتأثيره.
- حوار الحضارات.
- مقارنة العقائد.
- الحوار بين أتباع الرسالات.
- الصحوة الإسلامية: رؤية مستقبلية.

هذه دعوة

لجميع الكتّاب للمساهمة في مناقشة وعرض واثراء هذه المواضيع وغيرها مما يخدم (التواصل).

منتدى التواصل

من الهند: نطلب ما صدر من (التواصل)

الأخ أمين هيئة التحرير

تحية عطرة، وبعد

أنا مسلم هندي الأصل، أحب العرب لأنهم حملة الإسلام إلى جميع أمم العالم، كما أحب وأوثر اللغة العربية على جميع اللغات، حتى لغتي الأم الرقيقة العذبة (اللغة الأردية) لأن اللغة العربية هي لغة حبيبنا المصطفى ﷺ. وهذا الدافع الإيماني هو الذي بعث فينا روح العزم والمثابرة على جعل العربية اختصاصاً للدارسة، فقد أكملت مرحلتي البكالوريوس والماجستير في اللغة العربية وآدابها من إحدى الجامعات العراقية، وما أزال طالباً للدكتوراه في إحدى الجامعات الهندية وهي الجامعة الملية الإسلامية في دلهي الجديدة، وموضوع دراستي للدكتوراه (الحِرَفُ والصناعات في القرآن الكريم).

لقد كنت يوماً في حضرة المشرف الأستاذ الدكتور زبير أحمد الفاروقي (رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية سابقاً) وقد جرى الكلام حول المجلات العربية، وأثناء الحديث التفت الدكتور إلى (التواصل) وأعطاني منها العدد الثامن للاستفادة منها، فما أن قرأت مجلتكم الغراء حتى أعجبت بها إعجاباً شديداً، ما دفعني إلى كتابة هذه الأسطر إلى جنابكم الكريم..

سيدي.. إن مجلتكم الفتيه علمية قيمة مفيدة للطلبة والباحثين؛ لذا نرجو من لدنكم تزويدنا إياها مع الإعداد السابقة، إذا لم تكن نفدت.

وأرفق لكم مع رسالتي مقالة بعنوان (تاريخ الدراسات الاستشراقية للغة العربية.. دواعيها ومخاطرها) لإمكانية نشرها على صفحات التواصل إذا كانت صالحة لذلك. وفي الختام تقبلوا تحياتنا من أعماق القلوب.

أنوار أحمد خان البغدادي

دلهي الجديدة/الهند

المحرر نحييك ونكبر فيك هذا الحب للعرب والعروبة والعربية، كما نحيي فيك ذلك الدافع الإيماني الذي جعلك تختار العربية وعلومها اختصاصاً للدارسة، ونحييك على إعجابك بمجلة التواصل. ونعلمك بأن الأعداد السابقة قد نفدت، وقد أحلنا طلبك إلى قسم التوزيع بالمجلة لتلبيته. أما مقالتك المرفقة مع الرسالة فقد أحلناها إلى لجنة مراجعة وتقييم النصوص. ونرجو دوام التواصل.

من بنين:
وجدنا (التواصل) في بنين

○ **الإخوة إدارة تحرير مجلة التواصل**

حفظكم الله ورعاكم.. وبعد

فإن إدارة معهد الدراسات الإسلامية والعلوم العربية وهيئة التدريس فاطبة تغتنم هذه الفرصة الطيبة ونحن نكتب إلى فضيلتكم هذه السطور المملوءة بالتواضع والاحترام، داعين الله سبحانه وتعالى بالتوفيق لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية على ما تقوم به من أعمال جليلة وعظيمة.

يسرنا ويسعدنا أن نعبر لكم عن مدى سرورنا وفرحنا وابتهاجنا؛ لما اطلعنا عليه على صفحات مجلة التواصل في إحدى المكتبات الإسلامية بجمهورية بنين، وقد استفدنا منها فوائد جمة. ولذلك هانحن نبادر بالاتصال بكم، والكتابة إلى (منتدى التواصل) ولنا أمل ورجاء وثقة في أن ترسلوا إلينا هذه المجلة وما يتوفر لديكم من مجلات وبحوث ودراسات، ولنا رغبة في أن تكون بيننا وبينكم علاقة ود وتواصل متينة، ونحن على يقين بأنكم ستحققون رغبتنا، ونسأل الله أن يوفق جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ويحفظكم ويسدد خطاكم، وتفضلوا أيها الأفاضل بقبول فائق احترامنا وتقديرنا.

إدارة معهد الدراسات الإسلامية والعلوم العربية

إغولو ولاية بلاتو/جمهورية بنين

المحرر: نشكركم على ما تفضلتم به من كلمات طيبة، ونحييكم على مبادرتكم بالكتابة إلينا، ويسرنا إعلامكم أن بنين كانت موضوع استطلاع العدد الماضي. ونفيدكم بأننا أحلنا طلبكم إلى قسم التوزيع بالمجلة.

من اليونيسكو:
مقال للمدير العام

○ **الأخ أمين هيئة تحرير مجلة التواصل**

بعد التحية

يسرني أن أضع بين أيديكم مقالاً كتبه السيد (ماتسورا) مدير عام منظمة اليونيسكو بعنوان (لنبرم معاهدة سلام مع الأرض). وهذا المقال يلخص ما ورد في خطابه في افتتاح ملتقى (حوارات حول القرن الواحد والعشرين) الذي نظمته اليونيسكو مؤخراً. نأمل أن يجد المقال قبولاً لديكم وتأذنون بنشره في مجلة التواصل. ونحن على أتم الإستعداد لتقديم أية معلومات ترغبون في الحصول عليها.

ولكم جزيل الشكر مقدماً.. مع تحياتنا

جيروم باندي

مدير عام دائرة الدراسات المستقبلية

تحرير السيدة ناتاشا كايو

منظمة اليونيسكو

المحرر: نشكر دائرة الدراسات المستقبلية باليونيسكو على اهتمامها بالتواصل، ونحن على استعداد دائم للتعاون مع كل من يسعى إلى تعميق التعارف وتشييد جسور التواصل الإيجابي بين بني البشر.

وحول المقال الذي تم إرساله لنا فإنه نشر في هذا العدد الذي بين أيديكم، وفي انتظار مساهمات السيد مدير عام اليونسكو تقبلوا تحيات هيئة وأسرة التحرير.

من سوريا: قرأتها بشغف

○ السيد أمين هيئة تحرير مجلة التواصل

بالصدفة المحضة عثرت على العدد السابع من مجلتكم الرائدة والفريدة في اطروحاتها في وطننا العربي والإسلامي، وعكفت على قراءتها بشغف وإعجاب. الافتتاحية الممتازة (الإعلام في الدول المتخلفة) ومقال (الإنجيلية طائفة تسعى للسيطرة على العالم) الذي يمتاز بمصداقيته بكل كلمة وردت فيه، لأنني زرت الولايات المتحدة الأمريكية ورأيت دور عبادة هذه الطائفة مبثوثة في كل مدينة أمريكية. كما استرعى نظري في العدد السابع (استطلاع سورينام) وأوضاع المسلمين فيها، وعدم التواصل معهم. والتركيز الملفت للنظر على ما يكتبه الآبقون من أمثال: سلمان رشدي وإرشاد منجي، بسبب سوء التربية من جهة ووقوعهم بغبائهم بأيدي الإعلام الصهيوني لغاية تشويه صورة الإسلام، ولكن دين الله هو المنصور دائماً، والمآذن تنادي: الله أكبر، وتسبح بحمد الله في أنحاء العالم، والمساجد تغص في كل صلاة.

لقد حاولت أن أشتري هذه المجلة من المكاتب ومراكز بيع المطبوعات ولكن قيل لي إنها لا تباع هنا، فأرجوكم - إن تكرمتم - أن تشركوني بحيازة هذا السفر العظيم، وسأوافيكم ببعض كتاباتي ولكم الشكر والتقدير.

د. أحمد منصور/حلب/سوريا

المحرر نبادلك التحية بمثلها ونشكرك على كلماتك الطيبة وما سجلته في رسالتك من انطباعات عن محتويات العدد السابع من مجلة التواصل وقد نشرنا في عددنا الماضي تقريراً صحفياً عن احتفالية: حلب عاصمة الثقافة الإسلامية، ونفيدك بأننا قد أحلنا طلبك إلى قسم التوزيع بالمجلة، ونحن في انتظار أن توافينا بكتاباتك التي تساهم في مد جسور التواصل.

ردود قصيرة

الأخ حفيظ الرحمن الأعظمي

مسؤول تحرير مجلة الرباط/باكستان

نشكرك على المبادرة بالكتابة إلينا، ونفيدك علماً بأن الموضوع الذي أرسلت به غير متطابق مع معايير وأسس النشر على صفحات التواصل. وقد أحلنا طلبك إلى قسم التوزيع بالمجلة

○

الأخ ضياء/إسلام أباد/باكستان

نرحب بك قارئاً متابعاً لمجلة التواصل ومنشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ونفيدك بأنه ليس بإمكاننا إرسال عشرين نسخة إليكم من كل عدد، ويمكنك الاتصال بمكتب الجمعية في باكستان لتزويدك بما يتوفر لديه من نسخ حسب الإمكانيات.

○

الأخ خلف أحمد عبدالعليم محمد

المنيا/مصر

وصلتنا رسالتك وقد أحلنا طلبك إلى قسم التوزيع بالمجلة.

ونتواصل

محمد عبد السلام شاهين*

ضرورتان.. لتفعيل التواصل

ربما تكون ملامح هذه المجلة وتوجهاتها قد تحددت مع صدور ثلاثة عشر عدداً ـ من حيث المضمون الفكري والمعالجة التحريرية، ومع ذلك فثمة ضرورتان جرى تداولهما بين أعضاء هيئة وإدارة التحرير، خلال مناقشات التقويم للمواد والمضامين الفكرية التي احتوتها الأعداد السابقة؛ الضرورة الأولى يعرضها الأخ أمين هيئة التحرير، في افتتاحية هذا العدد، بدعوة القراء، لتفعيل شعار (التواصل) ما يعني المزيد من الحوار بين القراء والمجلة، فليس هناك من هو أصدق من المتلقي، الذي ينتظر، ويبحث عن مطبوعة بعينها من بين مئات المطبوعات من جرائد ومجلات ليقرأها، وهو حين يتوجه إليها بملاحظاته يكون بذلك قد أسهم بإيجابية في تطويرها..

الضرورة الثانية تتوجه بها إدارة التحرير إلى المتعاونين والمتعاونات، من المفكرين والباحثين الذين لم يقصروا في عطاءاتهم المتميزة، من مقالات ودراسات واستطلاعات، كان لها الفضل الأول في إنجاح هذه المطبوعة، مع التأكيد على أن ما تريد إدار التحرير من المتعاونين معها أبعد ما يكون عن الإملاء أو ما يسمى (الاستكتاب) وتلك ظاهرة نعرف جميعاً مدى انتشارها في الوسط الإعلامي والصحفي، وتغلغلها اللافت والشائن في هيئات وإدارات القنوات الفضائية، حيث تعد المواد الإعلامية وفقاً لتوجهات أصحاب تلك القنوات، وتحدد للمشارك ـ الذي يصنف ضمن المفكرين والباحثين ـ المضمون والإتجاه، وأحياناً النص الحر في مداخلته، كل ذلك يتم الإتفاق عليه قبل الطبع، أو السفر إلى مقر القناة الفضائية للتصوير، ومن المزعج حقاً الخوض في هذه الترهات!..

مجلة التواصل لا تطلب من كتابها الإشادة، لكنها أيضاً لا ترفض نشر مقال أو بحث موضوعي يثري ويواكب كل الجهود الصادقة، التي تسعى لنصرة الإسلام ومساعدة الفقراء والمظلومين من مختلف الأعراق والجنسيات..

والمجلة ـ في التنويه لا التوجيه ـ تعيد طرح محاور أعدادها الأربع لعامها الرابع على النحو التالي:

❖ التعارف والتعاون الثقافي والحضاري بين مختلف الأعراق.

❖ استطلاعات تنفتح على المناطق شبه المغفلة في أرجاء المعمورة.

❖ إعادة النظر ـ في ضوء ما طرأ على أدوات البحث العلمية من طفرات متقدمة ـ في الثوابت المعرفية المتوارثة (انظر العدد السابق والعدد الحالي ترى مثلين على ذلك في ملف ودراسة حول نظرية داروين)..

❖ يبقى التنويه إلى أن هذه المجلة لم تصدر أساساً إلا لتكون منبراً ثقافياً مستنيراً، ولعل الجميع يتفقون على أن مفهوم الإستنارة في الإسلام يدعو إلى التواصل ونبذ التعالي على غير المسلمين، والإنكفاء على الماضي، وهي حقيقة تدعو المتعاونين ـ إن شاء الله تعالى ـ إلى تجاوز (النص التقليدي) في المقال والبحث، وإمعان النظر، أكثر وأكثر، في القواسم الحضارية المشتركة...

---

* كاتب وصحفي / ليبيا


صحيفة
الدعوة الإسلامية
الآن بـ5 لغات
العربية • الهوسا • الإسبانية • الفرنسية • الانجليزية


هل تريد ان
تتواصل؟
@
www.al-tawasul.info
.net
.org
.com
مع تحيات مجلة التواصل
تنفيذ وطباعة : شركة الآن للطباعة والنشر

10

التواصل

AT-TAWASUL

فصلية ثقافية شاملة

السنة الثالثة - العدد العاشر - الصيف 1374 من وفاة الرسول ﷺ يونيو 2006 مسيحي



د. محمد سامورا / سيراليون

مساهمة الحوار في دعم السلم

ليبيا بعيون اسبانية

احمد مختار لو / السنغال

النخبة الافريقية ومعضلة البحث عن بدائل الهوية

أ. الصديق بشير نصر / ليبيا

حقيقة انجيل يهوذا

د. حسن الباش / سوريا

هل تحكم الايديولوجيا اختلاف المعايير؟

ابراهيم حياني / كندا

التطور التاريخي لانتشار الإسلام في كندا

أبعد من تمبكتو

وفوق كل ذي علم عليم

صدق الله العظيم

د. عبد العاطي محمد عبد الجليل *

هل حقاً هنالك (آخر) في المنظور الاسلامي؟!

❖ آلة الإعلام في الدول القوية نجحت نجاحاً ملموساً في مجال تصنيع وتسويق المصطلحات، واستطاعت أن تجعل عدداً من المصطلحات غير الواضحة في دلالتها شبه مسلمات، واستطاعت أن تحشد عدداً من الباحثين والكتّاب والصحفيين وربما السياسيين بهدف تعميق عدد من المصطلحات، والخروج بها من زاوية ضيقة إلى فضاء إعلامي واسع، وربما مؤثر في بعض الاحيان.

❖ آلة الإعلام في الدول القوية تعتمد إعلاماً مؤسساً على عقيدة الاقصاء، من حيث تقسيم الشعوب والأمم والحضارات والعقائد: فهناك على سبيل المثال في نظر الإعلام بالدول القوية: شعوب العالم الثالث، ولا ندري أين اختفت شعوب العالم الثاني مثلما لا ندري شيئاً عن المعايير التي تمّ اعتمادها حين وضعت شعوب معينة في المرتبة الأولى.. وعلى سبيل المثال هناك في نظر الإعلام في الدول القوية الأمم المتخلفة، دون الاتفاق على معيار واضح يحدد التخلف.. هل هو تخلف أخلاقي أم تقني أم إبداعي؟. هناك أيضاً في قاموس الإعلام في الدول القوية الحضارات الصدامية دون تحديد واضح لمعنى الصدام وأهدافه ونتائجه.. وهنالك العقائد المسؤولة عن الارهاب دون إيضاح معنى الارهاب وتحديد أسبابه، وكونه فعلاً لا يرتبط بالضرورة بعقيدة دون أخرى..

هذه بعض خطوط الإعلام الاقصائي لدى الدول القوية..

❖ وسائل الإعلام في الدول القوية صنعت وفرضت بكل الوسائل والطرق مصطلحات أصبحت لصيقة بهذه الأمة أو تلك، وبهذه العقيدة أو تلك.. وعلى سبيل المثال فإن الدين الاسلامي والعقيدة المسيحية في جوهر كل واحد منهما لا يمكن تلمس مصطلح (الآخر).. ذلك أن هذا المصطلح إقصائي في دلالته، عدائي في منهجه، سلبي في نتيجته..

(الآخر) يبقى كذلك لأنه المغاير، لأنه النقيض في بعض الاحيان، لأنه المقياس الذي بناءً عليه يقيس الطرف الأول كل مواصفاته.. فهل هناك (آخر) في الاسلام؟ أما بالنسبة للمسيحية فلا أزعم أنني أستطيع طرح السؤال ذاته لأن الأمر برمته مناط بالكاثوليك والبروتستانت والارثوذوكس والاقباط وغيرهم..

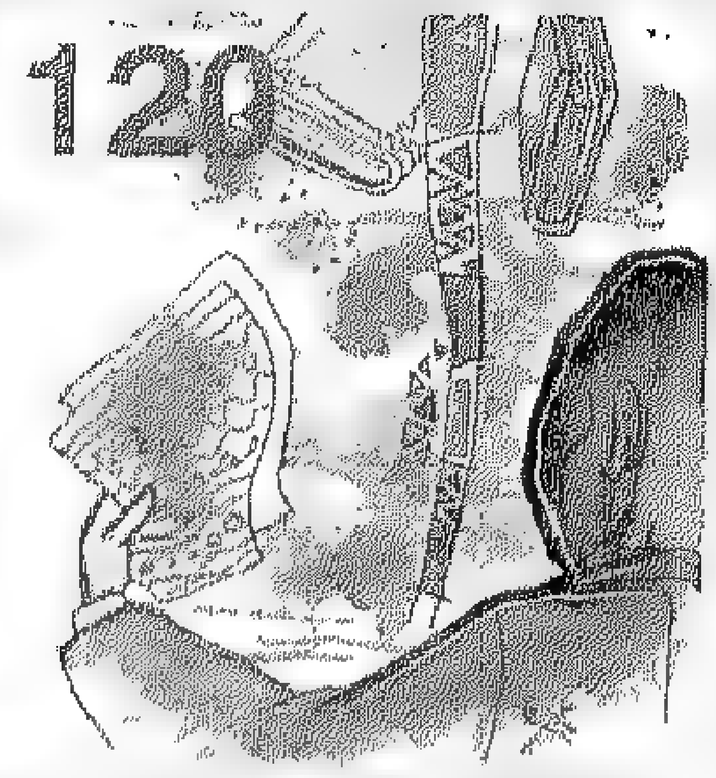
وإقدامي على طرح السؤال بالنسبة للإسلام مردّه أنني لم أجد مبرراً مقنعاً وقوياً وواضحاً يجعلني أقبل دون نقاش معمق ومنتج أن يقول مسلم هنا أو مسلمة هناك مصطلح (الاسلام والآخر).. إنه تساؤل بهدف البحث عن الحقيقة بعيداً عن آلة الاعلام في الدول القوية...

---

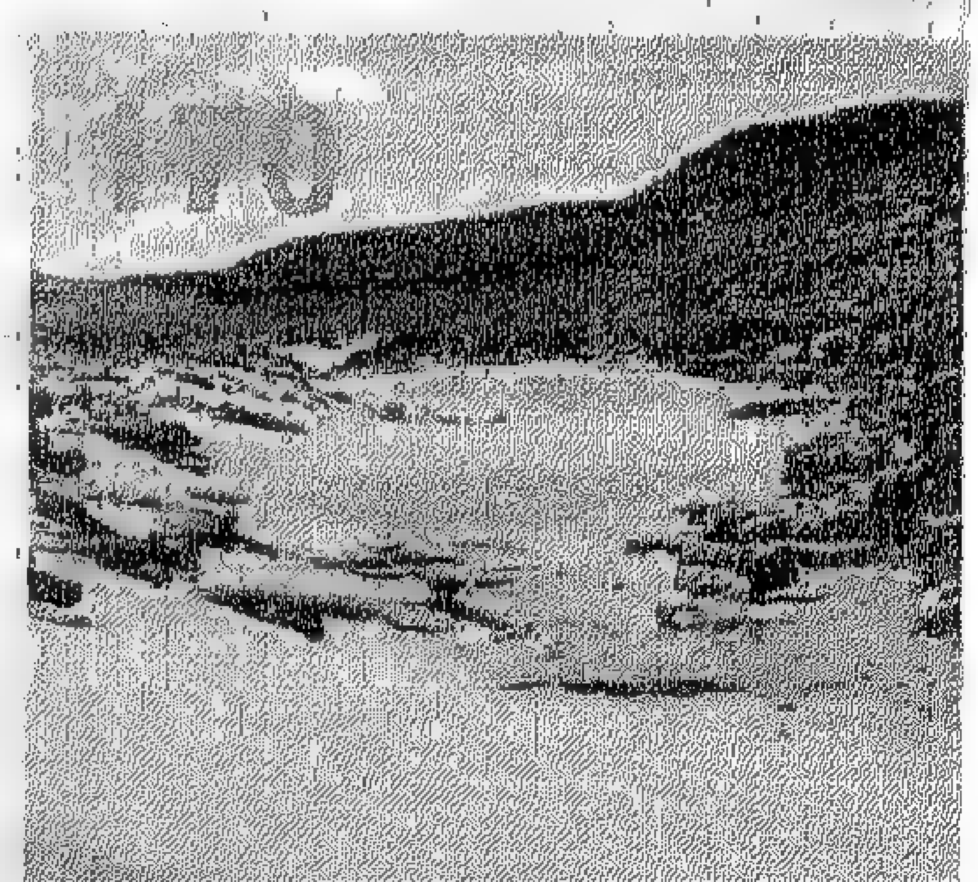
* كاتب وصحفي وأستاذ جامعي / ليبيا



في هذا العدد



دراسات



استطلاعات



تقارير

الافتتاحية

مقالات

الملف: أبعد من تبمكتو

التواصل
AT-TAWASUL

تصدر عن
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

السنة الثالثة ـ العدد العاشر
الصيف 1374 من وفاة الرسول ﷺ
يونيو 2006 مسيحي

المراسلات باسم
أمين هيئة التحرير
طريق السواني ـ كلم 5
هاتف: 4800730 / 4808461.5
بريد مصور: 4800736 – 4800730
ص.ب: 86086
طرابلس - الجماهيرية العظمى

البريد الالكتروني
INFO@AT-TAWASUL.INFO
ARAA@AT-TAWASUL.INFO

الموقع على شبكة الانترنت
WWW.AT-TAWASUL.INFO

دراسات

محاضرات

استطلاعات

تقارير

الواحة

كتب

المكتبة

منتدى التواصل

ونتواصل

شــروط النـشـر فـي مجـلـة

التواصل

ترحب مجلة التواصل بكتابات المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين وغيرهم الذين ينشدون التواصل المعرفي من خلال لغة الحوار والنقاش المستنير بعيداً عن التعصّب بجميع أشكاله، وسعياً لدرء أسباب الخلاف والفرقة، مع الالتزام بأسس العقيدة الإسلامية وثوابت الدين في المعالجات الفكرية والثقافية. وتحقيقاً لهذه الأهداف يشترط لقبول نشر البحوث والمقالات:

- ❖ أن يتسم البحث بالجدّة والموضوعيّة، وأن يتّبع في كتابته الأساليب المنهجية في البحث العلمي من تسلسل منطقي في العرض، وتوثيقٍ للمصادر والمراجع.
- ❖ أن يُراعى تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في البحوث التي تتضمنها.
- ❖ أن يكون البحث أو المقال خِلواً من الأخطاء اللغوية والإملائية، مع مراعاة علامات الترقيم وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.
- ❖ ألاّ يكون البحث أو الدراسة المقدمة للنشر في (التواصل) جزءًا من أطروحة ماجستير أو دكتوراه.
- ❖ ألاّ يكون البحث قد سبق نشره في مطبوعة أخرى.
- ❖ أن يكونَ البحثُ أو المقال مطبوعاً، أو مكتوباً بخطٍّ واضح.
- ❖ ألاّ يقلّ عدد كلمات البحث أو الدراسة عن 8000 كلمة ولا يزيد على 12000 كلمة.
- ❖ ألاّ يقلّ عدد كلمات المقال عن 4000 كلمة، ولا يزيد على 6000 كلمة.
- ❖ أن يُرفقَ الباحثُ ببحثه سيرته الذاتية.
- ❖ في حالة الترجمة لا بدّ من أن يرفق النصّ المترجم بلغته الأصلية.

ملاحظات:

- للمجلة الحق في اختيار العدد المناسب لنشر البحوث المجازة.
- ترتيب نشر البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.
- لا تردّ البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت في المجلة أم لم تنشر.
- تعرضُ الأعمال المقدّمة للمجلة على لجنة تقويم النصوص فيها لإجازتها.
- تمنح البحوث والمقالات المجازة مكافآت مالية مناسبة.



- مساهمة الحوار وتفاعل الأديان في دعم السلم والتنمية
- من مأدبة الله
- النخبة الإفريقية ومعضلة البحث عن بدائل الهوية (الزنوجة نموذجاً)
- الإسلام والغرب.. تواصل أم قطيعة
- أين إنجيل برنابا؟
- بعد 1700 عام الكشف عن إنجيل يهوذا
- حقيقة إنجيل يهوذا
- حوار الحضارات.. هل تحكم الأيديولوجيا اختلاف المعايير؟

مساهمة الحوار وتفاعل الأديان في دعم السلم والتنمية*

د. محمد سامورا **

تعيش البشرية اليوم مرحلة من عدم الإستقرار، في عالم تسوده الكثير من المظاهر غير الإنسانية، والتي تُنذر بنتائج وخيمة في تاريخنا المعاصر، وقد تضاعفت حدة الآلام والجراح عبر العالم بسبب هذه الآفة دون أن تعالج بشكل حاسم، وفي رأيي المتواضع فإن هذه الوضعية لتشكل مأساة خطيرة ومظهراً من مظاهر الظلم الصارخ.

المضطهدون والمعذبون في أفريقيا وآسيا وبلدان الكاريبي، بل حتى في ما يسمى بأوروبا وأمريكا المتحضرتين مازالوا يعانون في صمت.

ولهذا فإن نداء من أجل ثقافة الحوار بين الأديان لتحقيق السلم والتنمية الإنسانية، بدأ يجد آذاناً صاغية أكثر فأكثر، واليوم يتعين على اتباع الديانات أن يتعاونوا ويعملوا سوية حتى تتحول هذه الآلام إلى تقدم وسلم ورخاء.

كما يتعين على الجماعات الناشطة في مجال الحوار بين الأديان أن تعمل على تحقيق هذه الأهداف من الآن فصاعداً إذا نحن أردنا أن نجنب أنفسنا والأجيال القادمة هذه الويلات كما يتعين علينا مواجهة وفضح التطرف الديني والعرقي والقبلي وعلينا أن لا نخلط بين الحق والباطل، كما يتعين علينا مواصلة النضال في سبيل التسامح والحوار والعدل والمساواة التي تشكل كلها حلقات في سلسلة ظهرت قبل أن نولد وستستمر بعد رحيلنا من هذا العالم.

إن التاريخ سيذكرنا بما نتشبث به من مبادئ، وليس من خلال مواقفنا، كما لن يذكرنا التاريخ بسبب معتقداتنا وانتماءاتنا السياسية، سواءً إلى الوسط أواليسار أو اليمين، أو بإظهار تشدد ديني محافظ، بل بإيماننا بالحق ومناصرته ومناهضة الباطل.

إن مأزقاً كهذا، سواءً كان ذا طابع ديني أو غيره، من شأنه أن يستمر طيلة عقود وعقود، وإن السبيل الوحيد للخروج من هذا المأزق، يكمن في إقامة حوار صادق وشامل من أجل الاتفاق على أهداف مشتركة ومقبولة.

بيد أن هذه الأهداف المشتركة، يجب أن تأخذ في الحسبان الظروف المتغيرة التي تسود العالم ، فعلى سبيل المثال، فإن انهيار جدار برلين كان بمثابة منعطف هام، حيث ساهم في تغيير مسار السياسة الدولية وهذا في حد ذاته برهان ساطع على أن

---

* ورقة قدّمت في ندوة (حوار الأديان في خدمة التنمية) طرابلس: 2006/3/8 مسيحي.

** عضو المجلس العالمي للدعوة الإسلامية / سفير سيراليون لدى الجماهيرية العظمى.



جدران الإسمنت لا يمكن أن يحقق السلم وحسن الجوار.

بصفتي مبشراً أولاً ودبلوماسياً ثانياً أشعر دائماً بسعادة خاصة عندما يشاطرني قارئ (التواصل) تجاربي وأفكاري. ويرجع هذا إلى أني أنتمي إلى بلد فقير مسالم، يقع على الساحل الغربي للقارة الأفريقية، ألا وهو سيراليون، هذا البلد الذي قاسى الأمرين من جُرم سُلِّط علينا من قِبل الأجانب الذين نكّلوا بشعبنا ونهبوا خيراته وأتوا على البنية التحتية بشكل همجي والتي كانت جد متقدمة. وكان هذا بمثابة علقم يصعب طبعاً ابتلاعه. إن ما حدث في وطني الحبيب بين 1991 و 2001 م لم يكن حرباً أهلية كما يدّعي الإعلام الغربي ويعمل جاهداً على إقناعنا به لم يكن حرباً من أجل تحرير الشعب من الاضطهاد، بل كما كان الشأن في جنوب أفريقيا وزيمبابوي وليبيريا والموزمبيق، على سبيل الذكر لا الحصر، بل وكما قال الرئيس،، الدكتور أحمد تجان كابا،، لقد تم التخطيط لذلك تخطيطاً محكماً من الخارج بهدف واحد، ألا وهو استغلال الثروات المشروعة للشعب من أجل النهب والسيطرة على خيرات البلاد من ألماس وغيره.

كما أن هذه الحرب التي فُرضت علينا فرضاً لم تكن حرباً قبلية ولا دينية، فالتاريخ يشهد أن بلدنا كانت تسود أبناءه المحبة والوئام والتآخي والعيش في انسجام تام وتقاسم كل ما نملكه بين المسلمين والمسيحيين. وعلى عكس ما يفخر به الذين نصّبوا أنفسهم شرطي العالم فنحن المسلمون في سيراليون نتشبث بتعاليم ديننا الحنيف ومن هذه التعاليم ما جاء في الآية الكريمة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾

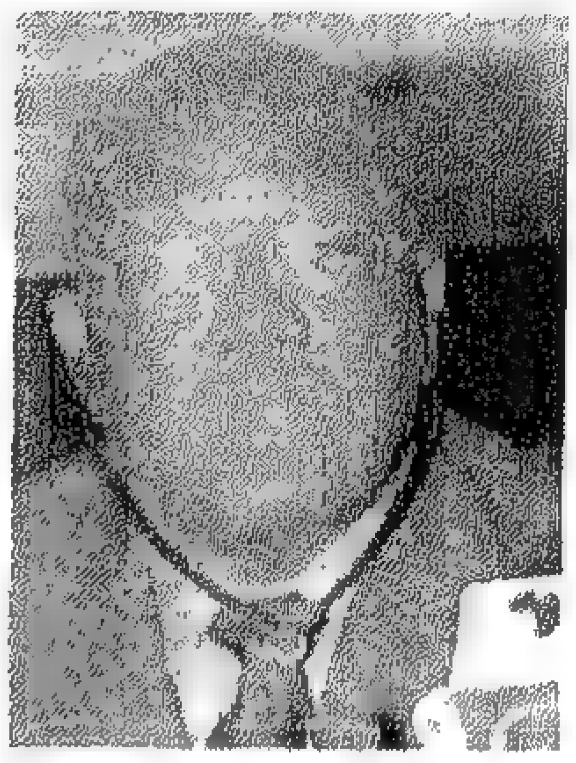
[سورة الحجرات، الآية:13]

وكما ورد في الإنجيل المقدس الذي يحثنا على معاملة الآخرين بمثل ما نود أن نُعامل به ..

إن الإسلام كان دائماً أهم دين في سيراليون، فالإحصائيات الدينية المنشورة حديثاً تؤكد على أن

عدد المسلمين في سيراليون يصل إلى 75 ٪، وهم في تزايد مستمر كما أن المسلمين والمسيحيين يحتفلون جميعاً بالأعياد الدينية دون أي تمييز كما يحدث أحياناً في جهات أخرى من العالم. إننا نحمد الله سبحانه وتعالى وندعوه أن يستمر هذا الحال جيلاً بعد جيل.

كما نحمد الله ونشكره على الدور الذي لعبه الدين في وضع حد للحرب القذرة التي كنا ضحية لها من قبل، إن الدين قادر على أن يلعب دوراً مؤثرا في دعم السلم في مناخ تسوده الحقيقة والتسامح الديني وهذا بالذات ما تعتز به سيراليون. إننا نعتبر التسامح الديني إحدى ثرواتنا الوطنية، إننا نحترم ونُكبر تعددنا الديني ومرة ثانية كما قال الرئيس كابا (إن هذا الاحترام الذي نبديه للتعدد الديني هو الذي دفع بالقادة الدينيين من مسيحيين


أحمد تيجان كابا

ومسلمين من مختلف المشارب الدينية لتنظيم لقاء بين الأديان من اجل النهوض بمساعي السلام، وكان يحدوهم في ذلك إيمانهم المشترك بوحدانية الله والسلم والنوايا الحسنة) هذه القيم التي يدعو إليها القرآن الكريم والإنجيل المقدس.

إن مجلس الديانات السيراليوني الذي أُنشئ سنة 1997 مسيحي بادر إلي إقامة حوار غير رسمي بين الحكومة والمتمردين وقد كان للمواقف الروحانية الدينية للزعماء الدينيين تأثيراً على الطرفين اللذين قبلا بأن يتحاورا ويتفقا على نقاط الخلاف.

ويحظى مجلس الأديان في سيراليون باعتراف من قبل قادة المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا وذلك نظراً للدور الفعال الذي ما فتئ يقوم به في منطقة (نهرمانو) التي تتكون من ليبيريا المجاورة وغينيا كوناكري وسيراليون ، ومن أجل دعم مبدأ التسامح الديني في سيراليون فإن معظم المسلمين الذين يحتلون مناصب نافذة في البلد والمجموعة الدولية، بمن فيهم رئيسنا الحالي، أتوا من القرى والمدن المسلمة في الشمال من أجل الدراسة في مدارس داخلية في العاصمة (فري تاون)، وأنا كذلك سبق أن درست في المدرسة الثانوية (سانت أروردز) في فري تاون وأنا فخور بالتخرج من تلك المؤسسة الكاثوليكية الشهيرة .،

إن القساوسة الذين قدِموا من إيرلندا لقنونا أحسن ما يكون التلقين في مختلف المواد بما في ذلك الرياضيات والعلوم واللغة الإغريقية والثقافة الرومانية وغيرها، وذلك دون أن يرغمونا على اعتناق الديانة المسيحية، وحتى لو كانت نيتهم كذلك فلم يبينوا عنها إطلاقاً وهذا بالذات ما أقصد به من معاني التسامح الديني كما أن جنوب أفريقيا كانت بدورها بلداً غير مستقر لعب فيها الدين دوراً أساسياً من أجل بناء السلم والتسامح بين الأغلبية السوداء والأقلية البيضاء التي كانت تضطهد السود.

إن (نلسون مانديلا) الذي يعد من ابرز قادة عصرنا والذي زُجَّ به في السجن من طرف هذه الأقلية البيضاء لأكثر من سبع وعشرين سنة قد ساهم في تحرير عقول المضطَهَدِين


نسلون مانديلا

والمضطهِدِين ، إن (لجنة الحقيقة والتصالح) التي شكلت في جنوب أفريقيا تمثل مكسباً رئيسياً من أجل تمكين الدين من لعب دوره في حل النزاعات، فقد كان للمفهومين الحقيقة والتسامح دوراً حاسماً في حل النزاع في جنوب إفريقيا، إن أهمية العدالة المستعادة كأداة من أجل تحقيق التصالح وبناء البلد، قد تم التأكيد عليها من طرف الأسقف (دزمون توتو) الذي يعتبر من أكبر الرموز والمفكرين في إفريقيا ،



فقد قال دزمون توتو: (إن شعبنا التزم بإقامة التصالح بحيث نستعمل العدالة المستعادة بدل العدالة الرادعة والتي هي شكل من أشكال العدالة التي تقول إننا نسعى إلى تضميد الجراح وإعادة العلاقات، إننا نسعى إلى فتح الجراح، نعم نريد فتحها لنتمكن من تطهيرها، حتى لا تتعفن، نقوم بتطهير هذه الجراح ثم نسكب عليها الزيت، وآنذاك يمكننا أن نمضي قدماً نحو مستقبل زاهر، مستقبل فتحه أمامنا الله سبحانه وتعالى. إن هذا الرجل المسيحي ما فتئ يضع في المقدمة صوت وقوة الدين في جميع خطاباته وذلك بهدف تضميد الجراح بشكل نهائي ليس جراح بلاده فقط بل جراح العالم ككل.

إن الديمقراطية والعدل والسلم وحقوق الإنسان التي هي بمثابة ركائز من أجل تأسيس عالم أفضل لا يمكن تحقيقها بدون تفاهم يقوم على الدين ويبنى على التسامح وينبذ الانتقام، كما قال أحد الكتاب إن مسلسل التصالح يركز على ضرورة إعادة العلاقات والبدء في مسلسل من شأنه أن يفضي إلى علاج اجتماعي، وروحي كما هو الشأن بالنسبة لجنوب أفريقيا ورواندا وسيراليون واليمن وإيرلندا ولبنان وغيرها، فإن التصالح تم تحقيقه من خلال الارتكاز على القيم الدينية التي تتمثل في الحقيقة والصفح والعدالة المستعادة من أجل تضميد الجراح وبناء السلم.

في عالمنا المعاصر وعندما يسود التسامح الديني داخل مجتمعاتنا فإننا نتساءل فيما إذا كان الدين يشكل في حد ذاته جواباً للبشرية جمعاء ؟ ففي الشرق الأوسط بصفة خاصة نقف شهود عيان كل يوم أمام مآسي تطال أبناء إبراهيم عليه السلام.. إن اليهودية والمسيحية والإسلام تدعو كلها إلى إقامة السلم وإشاعة قيم التسامح. غير أن بعض هذه الجماعات تُستغل من طرف جهات خارجية لإذكاء

الحقد والكراهية والعنف.فإذا استعملوا الحلول التي انتهجتها كل من جنوب أفريقيا وسيراليون وإلى حد ما لبنان واقتنعوا أن للدين دوراً فعالاً في بناء مجتمع مدني متسامح فبإمكانهم آنذاك أن يهزموا أولئك الذين يسعون إلي بث عوامل الفرقة بينهم .

إنني سعيد وأشعر بتفاؤل حذر لأن القادة الذين يمثلون المنظمات الدولية المعنية مثل منظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية ومنظمة الأمم المتحدة وغيرها إنهم يلتقون أحيانا من أجل دراسة هموم وانشغالات الشعوب المؤمنة.

ومن أبرز هؤلاء القادة أذكر كوفي عنان أمين عام الأمم المتحدة الذي عبر خلال اللقاء الثاني الذي جمع خبراء رفيعي المستوى من أجل تحالف الحضارات الذي نظم في الدوحة - قطر 26 - فبراير (النوار) 2006 مسيحي والذي عبر عن مساندته لضرورة إقامة حوار لتدارس الخلافات التي تتصاعد بين شعوب تتعدد فيها الديانات وضرورة التعاون من أجل تجاوز تلك الخلافات .

في عالمنا المعاصر وعندما يسود التسامح الديني داخل مجتمعاتنا فإننا نتساءل فيما إذا كان الدين يشكل في حد ذاته جواباً للبشرية جمعاء؟

وفي الوقت الذي يتزايد فيه عدد معتنقي الديانات المختلفة ، يجب أن نأخذ في عين الاعتبار القوة والتأثير الذي يمكن للدين وللقادة الدينيين وللأشخاص الدينيين أن يقوموا به في إحداث تغيير اجتماعي وسلمي إيجابي.

يجب أن يعتبر مسلسل بناء السلم على أساس الدين بمثابة حافز للشعوب لتحقيق ما هو ممكن خاصة عندما يوظف حوار الأديان من أجل خدمة السلم والتنمية، يجب أن نتذكر دوماً ما تعلمناه من التاريخ والأحداث التي ميزت عصرنا أن السلم القائم بين الحكومات لن يكون كافياً في حد ذاته بل يحتاج إلى تحقيق الوفاق والتعاون بين الشعوب ذات التعددية الدينية التي تمس حاجتها إلي هذا النوع من التلاحم الوطني وهذا السلم على مستوى الأفراد من أجل تحقيق السلم الحقيقي والدائم، ولا يخامرني أي شك في أن القادة الدينيين بما في ذلك قادة جميع المعتقدات الأخرى يتعين عليهم أن يلعبوا دوراً هاماً في بناء السلم العالمي من أجل تطبيق القانون الدولي ومحاربة الظلم ومن أجل بناء عالم تسوده الرفاهية بعيداً عن الفقر والمرض والجوع، عالم ينتصر فيه الحوار والحقيقة على الخوف، عالم يسوده الاعتدال والتسامح بدل التطرف والغلو، عالم يهيمن عليه الوفاق وتزول عنه النزاعات.

في الختام أذكّر القارئ بما قاله كوفي عنان في الدوحة - قطر - حرفياً: (إنني لآمل أن تتقدموا باقتراحات خاصة وعملية من أجل الدفع قدماً بهذا الحوار حتى نحفز شعوبنا لا لتكون فقط مجموعة من أشخاص طيبين يتفقون فيما بينهم بل أناسا يحملون رسالة ستدوي عبر العالم، إن هذه الرسالة يجب أن تقول إن حرية الخطاب تعني ذلك الإنصات والكلام، يجب على هذا الخطاب أن يقول للناس معتنقي جميع الديانات والمعتقدات أنه في تاريخنا المشترك قد فات الأوان للعودة إلى الحروب الدينية وحثهم على السؤال فيما كانوا يرغبون في أن يترعرع أبناؤهم داخل عالم من الحقد والكراهية كما يجب أن يكون خطابنا خطاباً دينياً وألا يُسمع أثناء حدوث زلزال أو حريق أو ريح عاتية فقط ، بل يجب أن يُسمع فيه على مدار الساعة .

نحن في جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، كما كنا دائماً مستعدين للمساهمة والعمل في سبيل الله سبحانه تعالى وفي سبيل البشرية، والمشاركة مع قادة المنظمات الدولية التي تسعي إلى الحوار بين الأديان ..

من مأدبة الله

1 / في المأدبة والأدب

أ. د. مهدي امبيرش *

م من المأثور عن الرسول ﷺ أنه وصف القرآن الكريم بأنه (مأدبة الله)، وهذا الوصف المرتبط بحقيقة القرآن، والمتعلق بوسائل وطرائق وأساليب الدعوة وشرائط ومواصفات الداعية، يستدعي معالجة مصطلح الأدب، وعلاقة هذا المصطلح بدلالة مصطلح القرآن، تمهيداً لعناصر هذا البحث التي اشرنا إليها، والتي تستدعي توسعاً في تناول المصطلحات والمفاهيم، وفي محاولة مقاربة منهج القرآن في الدعوة، مع ضرورة ربط هذا المنهج، أو هذه المقاربة، بمدارس الدعوة عند الأنبياء، كما عرضها القرآن، ومدرسة الدعوة عند الرسول محمدﷺ، لا باعتبار القرآن الشريعة التي اكتمل بها البناء الإسلامي، ولا باعتبار الرسول خاتم الأنبياء والرسل فحسب، بل إن منهج القرآن وأسلوب الرسول في الدعوة، هو ذاته المنهج والأسلوب الخاتم، الذي يقع ضمن السُّنة الواجبة الإتباع من الدعاة، الذين يتحملون مسؤولية الدعوة، والذين هم ورثة الأنبياء، لعلمهم بمفهوم ومحتوى الرسالة موضوع الدعوة، والمناهج والطرق والأساليب التي طبقها الرسول في سبيل نشر الدعوة.

إن معالجة مفاهيم المصطلحات العربية، لا يمكن أن تتم خارج اللسان العربي، وخارج بناء الجملة العربية، فالقرآن يؤكد أنه بلسان عربي مبين، وأن هذا اللسان غير ذي عوج، وبذلك فإن عربية القرآن تقف في مواجهة الأعجمية، التي لا يجب أن ينظر إليها بمنظور الانتماء العرقي، فالعروبة منهج تفكير إنساني، يؤسس على البيان، والله تعالى اقتضت حكمته ورحمته، كما أكد على ذلك في (سورة الرحمن)، أنه أي:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۞ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۞ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۞ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۞ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۞ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۞ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾

[سورة الرحمن، الآيات 1ـ9]

علَّم القراءة، وأنه خلق الإنسان، كل الإنسان، وعلَّمه البيان، ثم يأتي بعد البيان الحسابات والأرقام، التي يستدل عليها من خلال الحركة، أي من خلال حركة الشمس التي تحدد حسابات الزمن النهاري، والقمر الذي يحدد مع الشمس حسابات الزمن الليلي من خلال التعاقب، ومن خلال الولوج والإيلاج، وسنعود إلى تناول هذه الأطروحات في حينها.

---

* باحث، كاتب، أستاذ جامعي، الأمين المساعد لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية/ ليبيا

إن مصطلح الأدب، هذا إذا نظرنا إلى أن المصطلح، هو صلاحية اللفظ لتأدية المعنى، والصلاحية مرتبطة بالصلاح، ومفهوم الصلاح يعطي هذه القابلية لامتداد الأثر والتأثير، إلى ما بعد المحدود الظرفي، الإنساني، الزماني، المكاني، ومن ثم يرتبط الصلاح والفلاح بالأيمان، مثلما يرتبط الأيمان، الذي يضع الإنسان في الغيب، الذي تحقق والذي سيتحقق، بحيث يتأكد الوعي في أعلى درجاته، ويرتفع الإنسان إلى أعلى مكانات التكريم، فالغيب يستوعب الحاضر، أو الواقع، أو الآني، ولكن الحاضر لا يستوعب الغيبي، وبذلك فإن دلالة مصطلح العمل في العربية، أبعد من دلالة مصطلح الفعل، الذي يرتبط بالظرفية، كما أن العمل يقتضي العلم، الذي يرتبط بالغيب، وإذا كان الفعل تحدده المعرفة، فإن العمل يوسع مداه العلم، وكلما تقدم الإنسان في المعرفة، أدرك مدى جهله ومحدودية ما عنده من العلم، فاتجه إلى الله، إلى الغيب، إلى كلي العلم، طالباً الاستزادة: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [سورة طه، الآية:114] حيث:

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الإسراء، الآية:85]

وخشية العلماء تأتي من إدراكهم وعلمهم بجهلهم ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [سورة فاطر، الآية:28]

إن دلالة المصطلحات وفق هذا المفهوم تنتقل بداهة من الآني والحسي إلى ما هو أبعد من ذلك، فالإنسان يبدأ حسياً، تقع ضمن مداركه المدركات الحسية المادية، وبالتعبير القرآني (الدنيا)، أي الدانية والقريبة، والعاجلة، ثم يتقدم الإدراك والوعي...، إلى الآتي والأبعد، أي إلى الآخرة، فالآخرة مرتبطة بتقدم في المعرفة والإدراك والوعي، وهذا يستدعي بداهة، تقدماً في دلالة المفاهيم والمصطلحات، وهذا يخرجنا من التعريف السائد أن للفظ دلالة لغوية وأخرى اصطلاحية، كدلالة الصلاة، أو الصوم، أو الزكاة، وغيرها من الفرائض والعبادات، بل دلالة مصطلح الفريضة والعبادة، وفي



اللسان العربي، وبنعمة هذا التقدم المعرفي الذي وضع القرآن الإنسان فيه، كان من البيان أن يتقدم المعنى، من الحسي إلى ما هو ابعد، ومن الدنيا إلى الآخرة، وهذا لا يعني أن الآخرة تلغي الدنيا، بل إن الآخرة هي التي تحدد نهاية الحياة الدنيا بدخول الإنسان الخلد.

﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [سورة القصص، الآية:77]

وعلى مستوى دلالة اللفظ والتقدم في الصلاحية، فإن المعنى الأبعد لا يلغي المعنى القريب، بل إن المعنى القريب يظل ماثلاً، ودليلاً على هذا المعنى البعيد، والأبعد، والغيبي.

إن هذا المفهوم هو ما نتوخاه، عند معالجتنا لمصطلح الأدب، بل وغيره من المصطلحات، يضاف إلى ذلك ظاهرة هامة في اللسان العربي قد تجد لها مظاهر في الألسنة الأخرى، مع الفرق بين الظاهرة، وهو التكرار الذي يمكن أن نضع له قواعد، وبين المظهر، الذي هو العرض، الذي قد يتكرر وقد لا يتكرر، ونقصد بذلك ما يسمى بظاهرة (الجناس التصحيفي)، والذي يتم من قلب الأصوات، من خلال قلب الحروف التي هي رمز هذه الأصوات، وهي الظاهرة التي سوف نطبقها عند تناول المصطلحات.

معالجة مفاهيم المصطلحات العربية لا يمكن أن تتم خارج اللسان العربي، وخارج بناء الجملة العربية

مصطلح أدب في اللسان العربي، بدأ ذا دلالة حسية، فالأدب، الدعوة إلى الطعام، والآدب، هو من يدعو الآخرين للطعام، وبهذا فإن الأديب هو صيغة تعبر عن المبالغة في الدعوة، فالأديب هو الإنسان الكريم، الذي يكثر من دعوة الضيوف إلى الطعام، بل قد يتوسع في هذه الدعوة لتكون مشاعة للجميع، ومن هذا المفهوم جاء قول الشاعر العربي القديم، طرفة ابن العبد:

نحن في المشتاة ندعو الجفلى
لا ترى الآدِبَ فينا ينتقر

ومعنى البيت الذي هو في الفخر، أن طرفة وقومه يدعون في فصل الشتاء القارس البرد، وما يعطي هذا من دلالات مشقة إعداد الطعام، ومن صعوبة الحصول عليه، سواء عند الداعي، أو الآدب، أو المدعو، فطرفة وقومه في هذا الظرف، يدعون الجفلى، أي أنهم لا يخصون نفراً، أو أضيافاً بالدعوة، وهذا المعنى يؤكده قوله (إن الآدب لا ينتقر) أي لا يختار من يدعوهم للطعام في المشتاة، فإذا أضفنا إلى ذلك بيتاً آخر للشاعر نفسه، طرفة بن العبد، وفي هذا السياق - أي سياق الدعوة إلى الطعام - أدركنا بعد المفهوم والدلالة، فهو يقول:

ولست بحلال التلاع مخافةً
ولكن متى يسترفد القوم أرفد

والمعنى، أنه لا يفهم من اتخاذ طرفة بيته في أعلى التلال، أنه يخاف طوارق الليل وعاديات الليالي، ولكن ذلك حتى يمكن أن يراه الناس من بعيد، فيقصدونه طلب الرفادة، التي لا يقصر في القيام بها (ولكن متى يسترفد القوم أرفد).

على أن هذه الدلالة الحسية لمفهوم الأدب، بمعنى الدعوة إلى الطعام، تتقدم لتصير الدعوة إلى مكارم الأخلاق، ويمكن أن نلحظ العلاقة بين دلالة المكارم، ودلالة الكرم، في ثقافة الإنسان العربي، وتقدم دلالة الأخلاق على دلالة الخلقة، ومن ثم فإن الأدب يأخذ هذا المضمون القيمي والأخلاقي، الذي لا يغادره الكرم، حتى في الدلالة الحسية، بمعنى الدعوة إلى الطعام، ويتسع مفهوم الأدب، ليشمل الخطاب الشعري والنثري، وبذلك يبتعد مصطلح الأدب، عن أن يوضع مقابلاً للمصطلح الإنجليزي مثلاً، الذي هو (Literature)، فالأخير يدل على العمل النثري والشعري المكتوب، ولا علاقة له بمفهوم الأدب في المصطلح العربي، وهنا نحذر من أن كثيراً من ترجمات معاني الألفاظ العربية القرآنية، إلى غير

العربية، قد فقدت الكثير، وأحياناً كل المعنى، عند عملية النقل والترجمة، مما يستدعي نهوضاً جديداً، في تناول القرآن، تناولاً عربياً بمقتضى دلالات المصطلح وبناء الجملة العربية، خاصة وأن الكثيرين يحاولون إجراء خصائص الألسن الأعجمية التركيبية، على اللسان العربي البنائي البياني، وهذا ذاته ما سنعالجه في مقالات أخرى، تحت عنوان هذا المبحث.

إن الجناس التصحيفي لمصطلح أدب، سيعطي مفاهيم أبعد لهذا المصطلح، فمادة أدب هي (الألف، والدال المهملة، والباء ـ أ، د، ب)، وبهذا التصحيف نصل إلى كلمة (بدء)، وكلمة (دأب)، وكلمة (أبد)، وكلمة (آبد)، فالأدب بدء، أي ابتداء وشروع، ومن هذا المفهوم يكون (المبتدأ)، والذي وفق النحو العربي، انتقال الإسم من الدلالة العامة، أي من أنه إسم عام، إلى الإبتداء، أو إلى المبتدأ، الذي يقتضي إخباراً، هذا الإخبار الذي يتنوع بتنوع أحوال ومقتضيات الخبر، دون أن يحدث تغييراً في المبتدأ، ومن المبتدأ يكون المبدأ، فالمبتدأ والمبدأ بمعنى، والحفاظ على المبدأ هو ضمن الأدب.

نحذر من أن كثيراً من ترجمات معاني الألفاظ العربية القرآنية، إلى غير العربية، قد فقدت الكثير

على أن هذا المبدأ، أو المبتدأ، أو الإبتداء، يقتضي دأباً، أي استمراراً، فالانقطاع، حتى ضمن الدلالة النحوية للمبتدأ، سيخرج المبتدأ من حالة ابتدأ، إلى حالة الإسم العام، والأديب لا يكون أديباً إلا بهذا الدأب والاستمرار، إن الدأب والاستمرار، يقودنا إلى دلالة مفهوم الأبدية، فالأديب، سواء بالمفهوم الحسي، من خلال الدعوة إلى الطعام والكرم، أو من خلال العمل الأدبي الإبداعي، سيكتب لنفسه الشهرة والأبدية، وربما هذا هو المفهوم، الذي كان في ذهن (حاتم الطائي)، الذي يضرب به المثل في الكرم، وهو يعلل سر كرمه، الذي وصل إلى حد الإسراف «ويبقى من المال الأحاديث والذكر».

على أن هذا كله ليس بالأمر السهل، إذ فيه مشقة تقتضي قوة وغلبة، أي قوة تقضي على نوازع البخل في النفس الإنسانية، الأمّارة بالسوء، والتي كما صورها القرآن، تحب المال حباً جما، وترغب في القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والأنعام المسوّمة والحرث، وفي شأن الأدب بمعنى الدعوة إلى مكارم الأخلاق، فإن هذا يقتضي مشاهدة ويقتضي كرماً، وأريحية تؤسس على حب الناس، إذ لا يدعو إلى الخير إلا ذووه، ومن هذا تأتي دلالة (الآبد)، وفي العربية فإن الأوابد هي الحيوانات العُصم، التي تستعصم بالأعالي من الجبال، والتلال، والتلاع، حيث يكون من الصعب اقتناصها، وهذا هو المعنى الذي قصده (إمرؤ القيس الكندي)، وهو يصف حصانه، ويمتدح ضمناً نفسه، باعتباره الفارس لهذا الفرس، ثم لا يلبث أن يصرح بذلك في الأبيات التي تلي هذا البيت، يقول إمرؤ القيس:

وقد أغتدي والطير في وَكَناتها

بمنجرد قيد الأوابد هيكل

إن خصائص الأدب، هي ما يمكن أن نجملها في هذه الدلالات، التي يقدمها لنا الجناس التصحيفي، والذي يؤسس على الدلالة الأصلية لكلمة أدب، ذات المضمون الحسي القيمي، والذي تقدم ليصير دلالة قيمية تقتضي أساليب للدعوة، وطرائق، ومقتضيات مكان وزمان، فلا غرو أن صار الأدب يقتضي من ضمن دلالاته هذا الخطاب الشعري النثري، والذي يجعل من وصف الرسول للقرآن، الذي هو خطاب للناس كافة، دون انتقار، مأدبة الله، مع وضعنا في الاعتبار، أن مصطلح المأدبة ما يزال يستخدم في اللسان العربي، بدلالة ما يقدم للضيوف من طعام، وإن كان هذا نفسه يقتضي أدباً وخلقاً وقيماً.

(يتبع)

النخبة الأفريقية ومعضلة البحث عن بدائل الهوية
الزنوجة نموذجاً

أحمد مختار لو *

شهدت العلاقات الدولية غداة الكشوف الجغرافية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر المسيحيين توازنات جديدة على مختلف الأصعدة، وتحولات دقيقة في موازين القوى والتحكم، سهلت الاحتكاك المباشر بين الحضارات والثقافات، وقضت - إلى حد بعيد - على معوقات الاتصال والتواصل بين الشعوب، الأمر الذي كان من الطبيعي أن يقود إلى سيادة قيم بديلة في التسامح والمثاقفة وقبول الاختلاف والتنوع. غير أن لغة الحوار والتعاون السلمي تبدو أكثر وقعاً لدى الحلقة الأضعف في المعادلة، ولا يكاد القوي يفقهها قولاً ولا عملاً.. وبالتالي أفرز هذا الاحتكاك غير المتوازن بين إفريقيا كمنظومة سياسية واقتصادية هشة، و(الميتروبوليات) الكبرى في ما وراء البحر الأبيض؛ تفككاً واهتزازا شديدين في بنى الأولى الاجتماعية والثقافية، سيما وأن الطرف الأقوى ظل على مدى قرون عديدة - ولا يزال - يختزن في مخيلته أنه بصدد التبشير بمشروع تنويري حضاري، ينهي الفوضى الدينية والاجتماعية والسياسية المتجذرة في عموم إفريقيا، ويمهد لربط بلادها بالمنظومة الرأسمالية المتقدمة، كما تؤكد الدراسات الاستفراقية في علمي الإناسة والتاريخ، وحملات التدجين والتنويم التي مارستها الكنيستان الكاثوليكية والبروتستانتية لتبرير الاسترقاق والاستعمار، وسياسة التفرقة العنصرية المطبقة بأعتى صورها في الطرف الجنوبي من القارة.

وبما أن التعليم ظل لفترة طويلة في قبضة الاستعمار، والإرساليات المتحالفة معه؛ فقد وظف توظيفاً مقنعاً لتمرير هذه الأفكار والرؤى التيئيسية، وتنمية مركب التبعية والشعور بالذنب والنقص في العقلية الأفريقية، حيث تجد نفسها في النهاية مترددة متمزقة، غريبة وضائعة في عقر دارها دون هوية ولا انتماء؛ مما يقود حتماً إلى بروز ردة فعل عكسية، ورحلة طويلة نحو تعزيز الوجود، والبحث عن الهوية والجذور، بحثاً قد لا يقود في نهاية المشوار إلى شاطئ النجاة، وتحقيق الذات، بما يحفظ الذاكرة ويصون الشخصية من التشرد والضياع والغربة، كما هو واضح في مختلف البدائل التي تطرحها النخبة

* مدير ومؤسس المركز الأفروعربي للدراسات والبحوث، دكار / السنغال

الإفريقية لمواجهة الذوبان واللاانتماء، كالإفريقانية الأنجلوفونية، والإسلام المتأفرق، والزنوجة التي هي: محل حديثنا الآن..

أولاً: الزنوجة مفهوما ومرجعية

ثانياً: موقفها من الدين والعقيدة

ثالثاً: موقفها من اللغة والثقافة

رابعاً: الزنوجة وقضايا التحرر

أولا: الزنوجة.. مفهومها ومرجعيتها

تصنف الزنوجة ضمن الدعوات العرقية التي عرفتها البشرية أيام كان للقومية وقعها وصداها في آذان الرأي العام العالمي،حيث ولدت وترعرعت في الحي اللاتيني بباريس مع ولوج العقد الرابع من القرن العشرين المسيحي على أيدي رواده الثلاثة «إيمي سيزار وليون داماس المارتينيكيين» و «ليوبولد سيدار سنغور» السنغالي.. ويعزى سبب ظهورها كحركة أدبية وسياسية إلى العداء المرير الذي كانت فرنسا تكنه للثقافات الإفريقية، وسياسة الاستيعاب التي ركزت عليها سلطاتها السياسية لإلغاء الآخرين وتمييعهم في المشروع الفرانكفوني الكبير.



ليوبولد سيدار سنغور

في ظل هذه الظروف القاتمة، ولد هذا الاتجاه الجديد في الثقافة والسياسة، والذي عرفه منظره الرئيس (سنغور) بأنه ينأى بنفسه عن العنصرية والإلغاء، ويسعى لإبراز الوجه الإنساني للحضارة الأفريقية، فالزنوجة لديه لا تتعدى «إدراك القيم الثقافية الإفريقية» والدفاع عنها وتطويرها وأنها المجموع الكلي لحضارة العالم الأفريقي فهي ليست عنصرية، وإنما ثقافة[1].

ويبني سنغور تعريفه للزنوجة أو الشخصية الإفريقية على فرض أن إفريقيا ما قبل الديانات السماوية الوافدة، شهدت وحدة القيم الثقافية والروحية بين مجتمعاتها، وتفردت بخصوصيات ميزتها عن غيرها، وبقيت عنوانا لها وللسمات الأساسية للشخصية الأفريقية الزنجية، وخصائصها النفسية والروحية، والتي تتلخص في الآتي:

1 / وحدة العقيدة الدينية والقيم الروحية (الروحانية الزنجية).

2/وحدة العنصر، كالاشتراك في لون البشرة، وفصيلة الدم، والخصائص (الفيزيولوجية) المشابهة.

3/ وحدة الشعور، والنفسية، والتفكير، أي الوعي اللاشعوري والعقل الجماعي[2].

وتشكل هذه المكونات في نظره العقلية الزنجية المقابلة للهيلينية الأوروبية التحليلية، أي أن الزنجي طبيعي عاطفي حدسي، بينما الأوروبي عقلاني تحليلي، يميل الأول نحو الرقص والطرب، والألعاب البهلوانية، ترويحاً للآخر الذي يصرف جل وقته في التفكير الدقيق المنظم للوصول إلى حل ألغاز الكون والحياة، وهي أوصاف تعبر عن احتقار شديد للعقلية الزنجية، وحط من كرامة الشخصية الإفريقية، ونتاجها الذي يتشدق به سنغور، كما أنها تكرار صريح للأطروحات العرقية التي بلورها الخطاب الاستشراقي والاستفراقي المعني بقضايا الإناسة والتاريخ البشري العام،

1 ـ علي شلش، الأدب الأفريقي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، رقم 171، ط 1993 م،ص :71.

2 ـ خالد عبد المجيد مرسي، التيار الإسلامي في الأدب السنغالي الحديث، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، سبها، ليبيا، ط1989، ص :111.

بالإضافة إلى جهله قوانين العلم التجريبي؛ إذ أن فصيلة الدم ليست معيارا دقيقا لتصنيف البشر وفرزهم لوناً أو عرقاً.



مرجعيتها:

اتضح فيما سبق أن الزنوجة لا تتعدى ردة فعل عكسية تجاه الاحتقار الثقافي الذي عانى منه الرعيل الأول من النخبة الفرانكفونية، نمت وربت في حضن الفكر الفرانكفوني، فتأثرت به كثيرا في الطرح والمعالجة، واستلهمت من أدبياته الكثير من المعاني والأطروحات؛ مما أوقعها في تذبذب واضطراب، ومحاولات توفيقية يائسة؛ إذ يعترف أبو الزنوجة (سنغور) في إحدى مقالاته بأنهم ظلوا عالة على المستفرقين الأوروبيين الذين أناروا لهم درب البحث عن المخزون الثقافي الأفريقي، أي: « أن الزنجية ـ كما نفهمها ـ تعني الشخصية الجمعية الزنجية الإفريقية التي كشف عنها أوروبيون مرموقون قد صدقوا فيما ذهبوا إليه، أمثال موريس ديلافوس، وليوفردينوس، وقد اكتفينا نحن بدراستها، بل ومعايشتها ومنحناها اسماً هو الزنجية [3].

ولا يتورع سنغور عن وصف هؤلاء بالأساتذة والمعلمين الذين كشفوا عن ثروات إفريقيا الثقافية المخبأة، في الوقت الذي يتجاهل فيه دور العلماء المسلمين في تطوير وتهذيب التصور الأفريقي، وتوثيقهم الدقيق لمختلف أحداث القارة ووقائعها من خلال مصادر اعتمد عليها (ديلافوس) ورفاقه في كتاباتهم التاريخية و(الأنثربولوجية)؛ ككتاب (تاريخ السودان) للمؤرخ المالي عبد الرحمن السعدي، ومخطوطة (زهور البساتين في تواريخ السوادين) للشيخ موسى كمار، والذي ضيع (ديلافوس) النسخة الأصلية منه في باريس، مما اضطر الشيخ لإعادة كتابته لاحقاً.

3 ـ نفس المرجع، ص :112

إن هذا التوكؤ المفرط للزنوجة على المدرسة الاستشراقية الفرنسية، قد حولها بمرور الزمن إلى أداة طيعة لخدمة مصالح وأطماع الاستعمار الغربي، وساقها نحو الانجراف خلف نظريات (رينان) وتقسيمه المعوج للسلالة البشرية، ومن ثم تصنيف العقليات إلى ابتكارية تحليلية، وعاطفية انفعالية.

ثانياً: موقفها من الدين والعقيدة

بما أن الزنوجة كانت تمثل ردة فعل عكسية غير ناضجة، أو عنصرية مرتدة، حسب وصف الفيلسوف الوجودي الفرنسي (جان بول سارتر)؛ فإن تقييمها للدين والعقائد ظل غامضاً مشوشاً، وخصوصاً فيما يتصل بالإسلام الذي أضحى أحد أهم مكونات العقلية الإفريقية، وعنصراً رئيساً يصعب تجاهله في معركة الحضارة والثقافة، إذ ينظر إليه على أنه عنصر غريب ودخيل يمكن الاستغناء عنه والاكتفاء بقيم الحضارة اللاتينية على حد تعبير الزنوجي السنغالي (على جوب) في قوله: «إن الحضارة اللاتينية هي أشهر تلك الحضارات وأغناها، خاصة وأن إرثها هو الذي انبثقت عنه العلوم السياسية والتاريخية والفلسفية الحديثة، كما انبثق عنه نمط الثقافة المسيحية الحديث. فتاريخها هو اليوم أكبر تاريخ للحضارات هيبة ونفوذا، كما أنها أكثر الحضارات وأعلاها وعياً بذاتها واعتداداً بنفسها، هل أقول بأنها أكثرها زهوا بنصرها كذلك؟» (4).

هل حقاً أن الحضارة اللاتينية هي أشهر الحضارات وأغناها؟

وبعد هذا المدح المسهب لما أسماه بالحضارة اللاتينية ذات القيم المسيحية؛ يدعو بطريقة ملتوية إلى اعتبار الإسلام عقيدة عربية صرفة يستحيل على الزنوجة استلهام قيم حضارية منها قائلا: «... بيد أن الزعامة الروحية للإسلام تقع في حيز الإسلام، وتنجم عن ذلك مسؤوليات تقع بالضرورة على عاتقها، ومن بينها ـ على وجه الخصوص ـ أن نقر بأن الإسلام ليس حضارة لكل المسلمين وإنما هو دينهم...»(5)

وهكذا تبدو الزنوجة بمفهومها السنغوري مضطربة وغير منصفة في موقفها من الإسلام الذي يعد الآن أهم عامل محرك لتاريخ إفريقيا السياسي والاقتصادي والاجتماعي، والعنصر الحضاري الأعمق أثرا بالنسبة للإنسان الأفريقي على حد تعبير المؤرخ الغيني (إبراهيم بابا كاكا كي) حتى إن عميد المؤرخين الأفارقة في هذا العصر (كي زيربو) يصف فترة حكمه في الممالك بالعصور العظمى والمضيئة، ويتأسف كثيراً عن تأخر مجيء الرحالة العرب الذين كانوا السباقين إلى تدوين التاريخ الأفريقي.

إذن يهدف هذا الطرح الزنوجي الأحادي لمركز الإسلام في التصور الأفريقي إلى اغتيال الذاكرة، وتأكيد غربة الزنوجة، وصولاً إلى محاصرتها في عمقها الاستراتيجي، وتحويلها إلى محل سخرية واشمئزاز من عدد كبير من المواطنين والمفكرين السود. فها هو ذا (الشيخ حامدو كان) السنغالي في روايته المشهورة (المغامرة الغامضة)، يشكك في مدى صدق هذه الدعوة، وقدرتها على تمثيل القيم النبيلة للمجتمع الإفريقي المسلم، حيث يرد بطل الرواية (سمبا ديللوا) على الملاحظة المثارة تجاه

4 ـ خالد عبد المجيد مرسي، التيار الإسلامي، مرجع سابق، ص :126

5 ـ نفس المرجع، ص :126

شخصيته: «أعتقد أنك متمسك بزنجيتك» (6) معترضاً بعنف «أنا لا أحب سماع هذه الكلمة التي أجهل حقيقة مغزاها... ناظرا إلى الفتاة المتسائلة بعين حرقي وقلب مشمئز، مخاطبا إياها: « أنا أعتقد أنني أفضل الله على أمي»(7)، وكأنه يستشعر قوله تعالى:

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [سورة التوبة، الآية:24]

وهكذا استطاع (كان) - في روايته التي اكتسبت شهرة عالمية - تأكيد انتصار الإسلام وقيمه على كل بدائل الهوية التي يراد توطينها في أفريقيا، وإشغال النخبة بها لاحبا للثقافة الإفريقية، وحرصا على الأصالة والقيم، بقدر ما هو سعى تلفيقي، وتمييع مقنع، يرمي بها في النهاية إلى أحضان الفرانكفونية، والانتماء المتذبذب، والأطروحات الخاوية عن مدعمات واقعية.

مقصودٌ للغات الوطنية في الإبداع والتعليم، والفرز الوظيفي، بل تجاوز بالبعض الحد إلى اعتبار الفرنسية إنجيل أفريقيا المقدس، والظهور أمام العالم بمظهر يعبر عن سواد بشرة مغلفة بأقنعة بيضاء، على حد وصف الدكتور (فرانز فونان) في كتابه الشهير (معذبو الأرض). وهكذا اعتبرت الزنوجة - في نظر الثوار الأفارقة - مهزلة فكرية مستهجنة، سيما وأنها تعبر بنفسها بلغة مستوردة أو مستعارة، دون أن تشعر بحرج أو ضيق من ذلك المثال، وتخاطب قومها بأدبيات هم في غنى عنها.


فرانز فونان

ولعل سر هذا التعلق، والارتماء المخجل بالفرانكفونية، يكمن في عمق تأثير الثقافة الفرنسية في هذه النخبة، وهي ثقافة لا تعترف بمركز الآخر المختلف المخالف، وليست مستعدة للحوار المفضي إلى الاعتراف بالحق في التعدد والتنوع، بل يتمادى لتمييعه واستيعابه ضمن ما أسماه بسياسة الاندماج الثقافي الاجتماعي في المنظومة الفرانكفونية الكبرى.

ثالثاً: موقفها من اللغة والثقافة

رغم أن اللغة هي العنصر الأبرز والأعمق مركزية لدى العديد من الدعوات القومية؛ فإن خطاب الزنوجة جنح نحو تجاهلها، وعدم التطرق إليها إلا على استحياء؛ نفاقاً أو حذراً من إحراج حليفتها التقليدية التي وصفها (سنغور) بإنسانية القرن العشرين، ودافع باستماتة عن تعليم اللغة اللاتينية القديمة في المدارس السنغالية، باعتبارها لغة كلاسيكية لا غنى عنها، في وقت توالى فيه إهمالٌ

رابعاً: موقفها من الاستعمار وقضايا التحرر

رغم تظاهر الزنوجة بالإفريقانية، والدفاع عن قضايا السود الثقافية والسياسية؛ فإن موقفها من الاستعمار ظل مهادناً مستسلماً. فقد تحاشت التطرق للمسألة الإفريقية ومعالجتها نضالياً، بل فضّل تمجيده والتماس العذر والمغفرة له، كما يصرح (سنغور) في كثير من قصائده التي يمتدح فيها باريس ونيويورك(8). ما جعل العديد من الأدباء والكُتّاب الأفارقة يبدون توجسا وريبة منها، معتبرين

6 - Cheikh Hamidoucan 1 avnture ambigue, Paris: 2002, p155

7 - Ibid, pp 155-156

8 - ينظر Leopold Sedar Senghor, œuvre poetique, editions du seuil, 1990, p.16



إياها مجاملة فارغة لا ضرورة لها، وتنصلا من المعركة الإفريقية الكبرى من أجل التحرر، وقطع أية صلة بالاستعمار القديم والجديد. و قد اتخذ الأدباء الأفارقة (الأنجلوفون) موقفًا مشابهاً ينم عن استغراب من زنوجة تتغنى بالقشور والثانويات، وتنأى بنفسها عن دائرة المواجهة الشاملة، وبالتالي: «رفضوا هذه الدعوة، واعتبروا تكشر الزنجي عن أنياب العرقية مجرد هراء لا طائل تحته، يقول الشاعر (وول سوينكا): «النمر لا يتبختر هنا وهناك مفتخراً بمزيته، بل ينقض على فريسته، وعليه فلا داعي للزنجي أن يعرض عضلاته الثقافية، بل يعبر عنها مباشرة» (9).



وول سوينكا

وبعد هذا التتبع المتسلسل للزنوجة ومواقفها المترددة تجاه محاور عديدة، نستخلص أنها تواجه مستقبلاً غامضًا ومعقدا،لاعتبارات عديدة، أهمها:

❖ غربة الخطاب في البيئة الإفريقية التي لا تكاد تفقهه إلا بشق الأنفس، وتتعاطى معه بسلبية وازدراء.

❖ عدم إنصافها في تقويم العقائد وتصور الكون والحياة؛ وضعها في موقع التيارات الفكرية الهدامة المضادة لدعوة الإسلام التي تخطت حواجز اللون والجنس.

❖ اعتمادها الكبير على مرجعية خارجية؛ أثار حولها شكوكًا وريبة، ونقاط استفهام، وساهم إلى حد كبير في إضعاف شوكتها مع أفول الوجودية ومدارس اللامعقول في فرنسا.

ونعوذ بالله من فتنة الخنا والزلل.

9 ـ امباي لو بشير، قضايا اللغة والدين في الأدب الأفريقي، مركز دراسات المستقبل الأفريقي، القاهرة، ط 1996 م، ص.ص: 58 ـ 59

أهم المراجع :

1 ـ امباي لو بشير: قضايا اللغة والدين في الأدب الأفريقي، مركز دراسات المستقبل الأفريقي، القاهرة، ط 1996م

2 ـ خالد عبد المجيد مرسي، التيار الإسلامي في الأدب السنغالي الحديث، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، سبها، ط 1989 م

3 ـ علي شلش، الأدب الأفريقي، عالم المعرفة، الكويت، رقم 17،ط 1993 م

4 ـ Cheikh Hamidoucan; l avnture ambigue , imprime en francParis: 2002, p 155.

5 ـ Leopold Sedar Senghor ,oeuvre poetique, éditions du seuil ,1990, p.16.

الإسلام والغرب.. تواصل أم قطيعة؟

الدين الحق ليس ظاهرة فكرية أو اجتماعية

د. سالمة عبد الجبار *

لقد مر الفكر الإنساني بمراحل تاريخية محددة، اتسمت بخصوصيات، وكانت انعكاسًا طبيعيًا لواقع الإنسان في كل تلك المراحل، لذلك جاء التاريخ الإنساني، مرتبطًا ارتباطًا قويًا بتلك المعطيات البيئية، وتلون التاريخ بلون العقل الإنساني، أثناء تحديد عصوره، فكان ما يعرف بالعصر الحجري، والعصر الجاهلي - نسبة إلى ما وصلت إليه البشرية من تطور - وكذلك عصر الفتوحات الإسلامية، والعصر المدرسي عند المسيحيين، وعصر التصنيع، وعصر النهضة والتنوير، وهناك عصور الظلام، وعصر الحرب الباردة، وكذلك الساخنة؛ وفي ضوء هذه المعطيات، يمكن وصف عصرنا هذا بعصر التديّن، أو عصر الصحوة، وهو عند البعض عصر نهاية التاريخ، أو عصر صدام الحضارات عند آخرين، أو هو عصر العولمة، أو النظام العالمي الجديد، أو النظام الأحادي الجديد، وأيًا كانت النعوت والمسميات، فإن الدراسات التاريخية والفكرية، الراصدة لتطور المجتمع الإنساني، تؤكد موقع التدين عمومًا كظاهرة بارزة في الفكر الإنساني، كذلك مكانة الإسلام كحركة فاعلة في الخارطة العالمية.

والإسلام - على العكس مما يذهب البعض - ليس ظاهرة فكرية واجتماعية قد تبرز وتختفي، شأنها في ذلك شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى، بل هو حركة قوية تنمو وتتزايد، متجاوزة حدود ما يعرف بالعالم الإسلامي إلى كل أرجاء المعمورة.

ولعل ما يفسر هذه الحقيقة، الاهتمام المتزايد الذي يوليه مفكرو العالم «للمد الإسلامي وللحركة الإسلامية»، في محاولة لفهمها واستبطان جوهرها، بغية التعامل معها، وسهولة احتوائها، ومن هنا برز هذا الجمع الكبير من الباحثين والمفكرين الغربيين، في دراسة الحركة الإسلامية، بتعليل عوامل النشأة وأسباب الانتشار، وجوانب القوة والضعف فيها، كما أثروا القاموس السياسي المعاصر، بمعجم من المصطلحات تصب كلها في إطار الإسلام، مثل: الأصولية الإسلامية، والتطرف، والإسلام السياسي، والتاريخي، والتقدمي، والتحديث... إلى غير ذلك من المفاهيم.

* كاتبة وأستاذة جامعية/ ليبيا



إن القراءة المتأنية لهذه المصطلحات، تؤدي بنا إلى إفراز جملة من المفاهيم التي فرضت على الثقافة الإسلامية، فأحدثت ما يمكن وصفه بصراع القيم والمفاهيم، ذلك لأنها مصطلحات نحتت في مصانع الغرب، وصيغت على قوالب محددة وجاهزة، تتمشى مع الثقافة الغربية، ذات الفكر (الأيديولوجية) اليهودية والمسيحية، ولما أرادوا تطبيقها على العقل العربي الإسلامي، حدث هذا التوتر، ما أدى إلى أشكال مختلفة من الصدام، بسبب تعارض المفاهيم.

لقد جاءت هذه المفاهيم بنوع من التزاوج بين الإسلام وشتى أنواع النعوت، فهناك الإسلام الأسود والإسلام الأصفر، والإسلام الاشتراكي، والإسلام البرجوازي، والإسلام المتطرف، والإسلام المعتدل.

والحقيقة أنه لا مكان لمثل هذا المزج الغريب، بين الإسلام ونعوت أخرى، ذلك لأن الدين عند الله الإسلام، وهو القاسم المشترك، بين كل بني البشر في معتقدهم، ضمن الشمولية التي هي الخاصية الرئيسة للإسلام.

فلا يمكن القول بإسلام يتجه للأغنياء دون غيرهم، ولا إسلام خاص بالملونين، وغير ذلك من التمايز الطبقي، بل إن الخاصية الأساسية للإسلام، هي محو الفوارق بين الناس، وإزالة كل أنواع الطبقية المادية، وبذلك فالتمايز لا يتحقق بالإسلام كدين، وإنما ينصرف إلى درجة الفهم لهذا الإسلام من معتنقيه، وطريقة ممارسة الشعائر، والقدرة على تأويل النصوص، واستنباط الأحكام، والربط بينها وبين واقع الناس في تكاملية رائعة، وهي التي تجعل من الإسلام على خلاف باقي الديانات الأخرى دينًا ودنيا، يحقق في واقع الناس تعادلية متناسقة ومنسجمة تبدو غريبة على العقل الغربي، وذلك ما يثير إشكاليات حضارية، حول التواصل بين الغرب والإسلام، مما يصعب قبوله فكريًا.

من هذه الازدواجية، تبدأ معاناة الإسلام مع الغرب، وتبدأ معاناة المسلمين مع التصور الغربي للإسلام.

إن عقدة الغرب المستعصية على الحل، تتمثل في تعامله مع الإسلام، من منطلق اختزالي يحيل الإسلام إلى حركة تنشر العنف، وتشيع التطرف، وتغدو مجرد فكر (أيديولوجيا) أو برامج وألوان من الأنشطة، تصنع هذا الخطر الإسلامي الذي يخوف الغرب به نفسه والآخرين.

إن هذا الاختزال للإسلام - من جانب المفكرين الغربيين - هو الذي حدا ببعضهم إلى التحذير من الخطر الإسلامي القادم، على حد تعبير (فرانسوا أيوغارت FRANCOIS BURGAT) في دراسته التي تحمل عنوان: الإسلام الذي نواجهه، الخطر الإسلامي القادم. وهو ما جعل باحثًا مثل (جون اسبوزيتو JOHN EXPOSITO) يتحدث هو أيضًا، عن التهديد الإسلامي، ضمن كتابه المعنون: «الخطر الإسلامي بين الأسطورة والواقع.

The Islamic Meanace Mith or Reality.

OXFORD UNIVERSITY

إن فرنسوا بوغارت - وهو من المفكرين الغربيين المنصفين للإسلام - هو الذي يطرح تساؤلاً جريئًا عندما يقول: هل سيكون هذا الإسلام الخطير هو المفاوض الوحيد، أمام أوروبا في مستقبل قريب؟!

من هذه المقدمة يصل (بوغارت) إلى بعض النتائج التي يصوغها في الأحكام الآتية:

1 - ينبغي التنبيه إلى العنف الإستئصالي، ودوره في تغذية التطرف الإسلامي.

2 - كما ينبغي الإعتراف بالإسلاميين كترجيح سياسي بدهي، يقوم على قراءة التصاعد الإسلامي، والذي يتم بأدوات معرفية جديدة، وبعيون لا شرقية ولا غربية، وإنما بنظرات إنسانية عالمية وواقعية.

إن نقطة الضعف في رؤية الغربيين للإسلام هي: أنهم ينظرون إليه بمنظار كاثوليكي، ويحكمون على شعائره وقيمه من الرؤية الغربية، التي تقوم على مصلحة الغرب واستراتيجيته في بسط نفوذه، ومحاولة إخضاع ما سواه لهيمنته، ومن هنا كان التباين واضحًا بين رؤيتنا للدين عمومًا، وللإسلام على وجه الخصوص.

ففي حين يتعامل الغرب مع الإسلام كخطر قادم، يبشر بالعنف وينذر بالحرب، ويرفع لواء العصيان في وجه مخططاته التوسعية، العَلْمانية، الاستئصالية، ننظر نحن للإسلام كحصن نلوذ به لحماية الذات، وإثبات وجودها وصيانتها من الذوبان والتلاشي.

هل هناك مكان لمثل ذلك المزج الغريب بين الإسلام ونعوت أخرى؟

وإذا كان الغرب يحاول تطبيق المنطق الكنسي على الإسلام، فإن صراع المفاهيم بيننا وبينه يبدأ من هذه النقطة، التي تعتبر العَلْمانية تعطيلاً أو إلغاء للشريعة، ومحاولة إبعادها من الحياة اليومية، في التعامل مع المواطن، أي: فصل الدين عن الدولة؛ فالأصل في المسيحية أنها تفرق بين الدين والدولة، تجسيدًا لشعار السيد المسيح -عليه السلام- القائل: أعطوا ما لله لله، وما لقيصر لقصير، ولذلك لا يمكن التلاقي والحالة هذه، مع الغرب المنزعج من مكونات الذات، التي قوامها العروبة والإسلام، والمحصنة بالدين. في هذه العلاقة القائمة بين الغرب والإسلام، تبرز حقيقة هامة هي: الفراغ الفكري (الأيديولوجي) لدى العقل المسلم، الذي فشل الغرب. بمنهجه الغريب عن الفكر الإسلامي - في ملئه في حين نجح الإسلام، من خلال القيم والمبادئ التي يقدمها للعقل المسلم، في محاولة الإجابة عن مختلف تساؤلات الشباب، العقائدية والسياسية والاقتصادية والثقافية، فكانت قوة الإسلام الأصلية وضعف المناهج الغربية الوافدة.

إن المعطيات النظرية لتصور الغرب للإسلام،

تلقي على العالم مسئولية كبيرة، تتمثل في المنهج التغييري للنظرة من الجانب الغربي، والمنهج التفسيري للإسلام، من حيث عرضنا له على الناس، إذ ما زالت الإشكالية قائمة بالنسبة لنا نحن المسلمين، في تبني أفضل الطرق وأنجع الأدوات المعرفية، لتقديم الإسلام أداته من خلال الطرق المتبناة التي تمكن من عرض الإسلام في قوالب متعددة: إما أنه الرافض لكل ما حوله ومن حوله، والكافر بعلوم الغرب وتقدمه المادي، في مجال التقنية، والمتقوقع المنغلق على أتباعه ومريديه، وهذا ما يمثل خيانة لروح الإسلام. أو هو دين المسلمين الخائفين الخاضعين المنسحبين من الواقع والمجتمع الإنساني، لا هدف لهم إلا الفناء في الله، وهو ما يجسد المفهوم الخاطئ لجوهر الإسلام ومبادئه.

هل يمكن تقديم الإسلام للناس على أنه دين القتل الجماعي، والإرهاب الأعمى وترويع الآمنين من البشر؟!... إن ألدّ أعداء الإسلام هم بعض من المنتسبين إليه الذين يلصقون به هذا الفهم الخاطئ ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

[سورة آل عمران، الآية: 78]

مشكلة الإسلام مع بعض أتباعه إذن، تتمثل في جهلهم بالإسلام أصلاً، سواء من حيث ممارستهم الخاطئة لشعائره، أو فصلهم لأحكامه، وهو ما قد يحسبه غير المسلمين جزءًا من الإسلام، فيحملونه تبعات كل ذلك..

والحقيقة أن في المجتمع الإسلامي ماضويين تقليديون في خطابهم، يقدمون الإسلام للناس بطريقة تؤكد عجزهم عن مسايرة تقدم الفرد والمجتمع معًا، وفي المقابل نجد اليوم في المجتمع الإسلامي دعاة منهج تبليغي، يقلدون الآخر في



احتكاكهم بالإنسان داخل الأسرة وفي كل مكان، للتعايش مع مشاكلهم ومساعدتهم في حلها، لدعوتهم بعد ذلك للعودة إلى الدين، وإبلاغهم كلمة الله، وعيب هذا المنهج يكمن في عجز من يتطوعون للقيام به، فصاروا مثل الساعي إلى الهيجاء بدون سلاح، والحامل للرسالة دون امتلاك الاستعداد أو القابلية للتبليغ.

وهناك فريق آخر، يرفع شعائر تحرير الإنسان من كل القيود، المادية والسياسية، وبالتالي تحرير المجتمع نفسه، من عقدة الخوف والخضوع والتسلط، القائم على الظلم والقمع والإذلال.

إن هذا اللون من الفهم للإسلام في ممارسة الشعائر، هو القائم على تسييس الدين أو الإسلام

وهدفه تحرير الأرض والمجتمع، أو الأمة الإسلامية من التبعية للغرب، والعمل على التقليل من الفوارق الاجتماعية، بإثارة الأغلبية للضرب سياسيًا، على أيدي الأقلية التي تمتص خيرات الأمة، على حساب تنميتها وسعادتها. لقد خرج أنصار الإسلام (التغييري كحركة نابعة من رحم المجتمع) تترجم عمق أصالته، رافضة أن تكون حركة مستوردة أو تنفذ أوامر الغرب، تحت أي لون من ألوان التبعية أو العمالة، إنها تعتبر نفسها ترديداً لأصوات الجيل الجديد، الحائر المأزوم ضمن التوتر الذي يطبع علاقات الأجيال، ويبرز أزمة القيم في المجتمع الإسلامي.

لذلك هل يمكن اعتبار الحركة الإسلامية السياسية أقرب إلى المشاعر، لأنها تعبر أحيانًا عن تجسيد لعقم الأنظمة المتعسفة في ممارستها، بحيث أحدثت صدمة حضارية بين طموحات القوى الحية في الأمة وخاصة الشباب، وبين ما يعرض على هذه القوى من قشور حضارية غربية مستفزة لشعور وأخلاق وقيم المجتمع؟.

غير أن نقطة الضعف الجامعة بين مختلف أنصار المنهج التغييري الإسلامي، تتجلى فيما يمكن تسميته (عقدة المنهج) حيث لا يزال دعاة الحركة الإسلامية يعانون تمزقًا، أمام المنهج الذي ينبغي الأخذ به في تطبيق الشريعة.

هل يأخذون نصِّية الخطاب في التطبيق؟ أم مقصدية هذا الخطاب في الهدف؟ هل يتبنون الفقه الحركي المنفتح والمتفاعل مع مشاكل الإنسان في الحياة؟ أم يأخذون الفقه المقاصدي الرافع لشعار: (حيث مصلحة الجماعة فثمة شرع الله)؟.

وعندما نخضع تجربة أصحاب هذا المنهج لعملية التحليل والنقد، في عرضه على الواقع النابع منه والهادف إلى تغييره، نصل إلى استخلاص النهج التكاملي الشمولي، الذي لا يؤمن بالتجزئة في العلاج، ولا بالاختزال في التشخيص، وإنما يكون منهجًا متكاملاً، ينظر إلى الإنسان نظرة كلية شاملة.

أين يقف فقه الفكر وفكر الفقه من أزمة المنهج، التي يعانيها الفقه الإسلامي اليوم، وسط حملات التشويه التي تستهدف الإسلام، وتنعت الحركة الإسلامية بشتى أنواع النعوت، كالإرهاب والعنف والغلو والتطرف؟ وهل يسلم دعاة الحركة الإسلامية بما ينعتون به، من عنف وإرهاب وتطرف وغلو؟

إن الغلو موجود لدى الطرفين، والعنف يمارس بطريقتين مختلفتين: الخطاب الإسلامي المعاصر من جهته يعاني عنفًا موجهًا ضد فئات معينة في المجتمع، مثل العلماء والمثقفين، وحتى الأغنياء والنساء، معتبرهم السبب المباشر في انحراف المجتمع، عن طريق الله، وعقبة في سبيل تطبيق الشريعة.

> **ما زالت الإشكالية قائمة بالنسبة لنا نحن المسلمين في تبني أفضل الطرق وأنجع الأدوات المعرفية لتقديم الإسلام**

وعندما يناصب بعض الإسلاميين المرأة العداء، ويحرمونها من ممارسة حقها الاجتماعي في العمل والدراسة، وحرية اختيار الشريك، فإن ذلك تعطيل لطاقات مهمة في المجتمع، وقد ينصب هذا العنف لدى أصحاب هذا الخطاب على قضايا جزئية من حياة المجتمع، كالاختلاط بين الجنسين، ومسألة النقاب أو الحجاب، ومصافحة المرأة للرجل، وتحريم التصوير والفنون بأنواعها، وهي كلها قضايا أقل ما يقال فيها إنها قضايا فقهية خلافية، وقصارى القول فيها فتوى يصدرها مجمع فقهي، أو دار إفتاء أو عالم في مجال فقه العبادات والمعاملات.

ويتخذ الغلو في مواضع أخرى، طابع العنف حينما يعمد إلى تسييس الدين، فيحل التكفير محل التقدير،

ويتحول الدعاة إلى قضاة للحكم على إيمان العامة والبسطاء، وبذلك يوظف النص الديني لصالح النص السياسي.

أما الأسلوب الآخر للعنف، فهو الذي يمارس من طرف الحكام في شكل القمع والظلم، ومصادرة الحق في التعبير، أو المشاركة في اتخاذ القرار السياسي. إن هذا اللون من العنف قد أدى إلى رد فعل أعنف، تمثل في غلو الحركة الإسلامية في تكفير الحكام، واعتبار حكمهم حكم طواغيت، بل اتهام العلماء بموالاة الحكام ومساعدتهم في صياغة وممارسة إسلام تبريري يكون رهن النظام السياسي، يصدر الأحكام والفتوى حسب المقاس والطلب، ليؤدي إلى استيراد نموذج من التعامل مع الحكام، بمنهج يسالم ولا يهدد ويساوم ولا يقاوم.

وإلى عنف الحاكم يضاف العنف الإعلامي، ممثلاً في الإعتداء على عقول الناس، وتدمير قيمهم، وذلك ما يعتبر أخطر أنواع العنف ضد الإنسان المسلم في مجتمعه.

إن هذا العنف والعنف المضاد، قد أنتج في القاموس السياسي الذي وصفه (جيل كيبيل KIBEL GILLEA) في كتابه: مثقفو ومناضلو الإسلام المعاصر-

Intellectuels et militant de L'Islam cotemporain

بصراع المستضعفين والمستكبرين، ووصف (الشيخ القرضاوي) أتباعه بالظاهريين الجدد.

إن عجرفة المستكبرين وحلفائهم الذين أحلوا لأنفسهم إهدار المال العام، والتسبب في تبعية دولة غنية بمواردها، في خبزها على الاستيراد من الخارج، هذا العنف هو الذي ولد العنف المضاد، وكون طبقة في المجتمع من العلماء والفقهاء لخدمة أفكار أولئك المستكبرين... من هنا ضاع البحث عن فهم صحيح للإسلام، يقود إلى ممارسة سليمة للشعائر، تكون في مستوى الصفاء والنقاء والحكمة، التي جاء بها الإسلام... هذا الدين السماوي الذي يمزج الشريعة بالحياة، فيكون الإسلام هو المزاوجة بين الدين والحياة.... الدين بقيمة وأحكامه وقوانينه، والحياة بكل أشكالها وأنماطها في التنمية، والعلوم، والتقنية.



إنجيل برنابا وثقافة السلام العالمي

أين إنجيل برنابا؟

عمر بن محمد المجدوب*

هذا الإنجيل كان معروفاً بين المسيحيين وغيرهم بالشرق، أواخر القرن الخامس لميلاد المسيح ـ عليه السلام ـ، عندما أصدر البابا «اجلاسيوس» الأول، منشوراً يحظر فيه على المسيحيين قراءة هذا الإنجيل، الذي يكاد أن يختفي نصه من تاريخ المقروءات بين الناس، وعندما ظهرت أول نسخة منه خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر في أوروبا أثار ظهورها ضجة بين الكنائس، والمفكرين باللاهوت، وأوروبا يومذاك في ولع فكري بكل جديد، كلازمة من لوازم الفكر وليد النهضة الأوروبية، وقد يكون هذا الفكر وقت ظهور نسخة الإنجيل في حال اهتمام بظاهرة التنظير الفلسفي عن الحياة ومتعلقاتها العلمية، لذلك يحفل المفكرون الأوروبيون بما في إنجيل برنابا من تميز مرجعي لفكر وثقافة ذات طابع إنساني تجمع البشرية في وحدة المعتقد الديني.

قراء تاريخ الأديان المعاصرون قد لا يعلم غالبيتهم ما يجب أن يعلم عن إنجيل «برنابا» وصاحبه، لأن الاهتمام به صار من «المحرمات الكنسية» فاستقر هذا التحريم بهامش شعور



* باحث/ ليبيا

الشخصية العامة لنصارى الغرب، وكان هذا التحريم محموداً بين مفكري اللاهوت اليهودي، ومع ذلك أبيح لفكر وفلسفة الإلحاد الشيوعية، أن تعتمل مع غيرها من نظريات الفلسفة الغربية، حتى أصبح «كارل ماركس» اليهودي الألماني، معروفاً بالإعلان الشيوعي والذي كان بمثابة إنجيل الانفلات الأمني ضد الدين وكرامة البشر وحريتهم.

وأجاز غير واحد من المفكرين الأوروبيين قبول نظرية «أصل الأنواع» وغيرها من النشاط الفكري حتى تنكّر بعضهم لمنظور منطق المعرفة العلمية في بعض ما ذهبوا إليه، والكثير من ذلك مدون بتاريخ الفلسفة الأوروبية وتراجم حياة المفكرين بالغرب.

ورغم أن إنجيل «برنابا» قد تُرجم إلى اللغة الانجليزية سنة 1784 مسيحي وهي فترة عُرفت بأنها بداية النشاط الفكري، وعلمية النظر إلى المعاني والأشياء، رغم كل ذلك فلم ينتظر من يدرك نمطية المنظور الفكري للغرب سوى مفهوم «الأنا» الديني المتعارف عليه بينهم في وحدة جمدت على تأليه البشر، أو أفضلية عرق على بقية البشر، وهو ما يُنكره إنجيل «برنابا» وينفيه بأقوى الأدلة نقلاً عن السيد المسيح (عليه السلام).

وفي الشرق وبين قرائه حدث سنة 1908 مسيحي أن وُفق الأستاذ محمد رضا[1] في الحصول على نسخة الإنجيل المترجمة عن اللغة الإنجليزية، واتفق مع صديقه الدكتور«خليل سعادة» بأن يُترجم الدكتور هذه النسخة إلى العربية، ونُشرت الترجمة في كتاب[2] فعرف قراء العربية إنجيل «برنابا» وأن صاحبه «برنابا» كان من أقرب المقربين في حواريي المسيح إليه، وقبل ذلك لم يكن معروفاً سوى الأناجيل الأربعة وإنجيل بولس[3].. إلخ.

جاء بالمقدمة أن «برنابا» من حواريي المسيح، وأقربهم إليه، وأنه حمل على «بولس» فيجوز أن تعتبر هذه الحملة هي سبب منع قراءة إنجيل «برنابا» منذ أواخر القرن الخامس مسيحي، وليس اتفاق ما جاء بالإنجيل البرنابي مع القرآن الكريم، لأنه عندما منع البابا «إجلاسيوس» الأول قراءة هذا الإنجيل لم يكن قد وُلد النبي ﷺ الذي نزل عليه الوحي بالقرآن الكريم.

وقد وصف «بولس» في هذا الإنجيل بـ «الضلال» لأنه هو الذي دعا المسيح (إلهاً أو مع الله) أو (التثليث) وكلها تُصوّر دعوة إلى تأليه المادة، أو الشرك، أو غير ذلك، وهو ما نفاه المسيح (عليه السلام) بقوله :

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [سورة المائدة، الآية:72]

ولقد قال أيضاً:

﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة المائدة، الآية: 73]

❖❖❖

تبين بسبب تدوين الإنجيل وتداوله بين الناس في نص الإنجيل نفسه كما يلي :

«بأن المسيح قد أوصى بأن يكتب الإنجيل درءاً لما قد يحدث من تقوّل ضد الحق، وبعد أن غاب يسوع تفرّق التلاميذ في أنحاء العالم المختلفة، أما الواقع المكروه من الشيطان فقد قهره الحق كما هي الحال دائماً، فإن فريقاً من الأشرار الذين ادعوا أنهم حواريون بين الناس، بأن يسوع مات ولا يقوم، وأن الآخرين أذاعوا بأنه مات حقيقة ثم قام، وآخرين قالوا ولا يزال يقولون بأن يسوع ابن الله، وكان ضمن هؤلاء

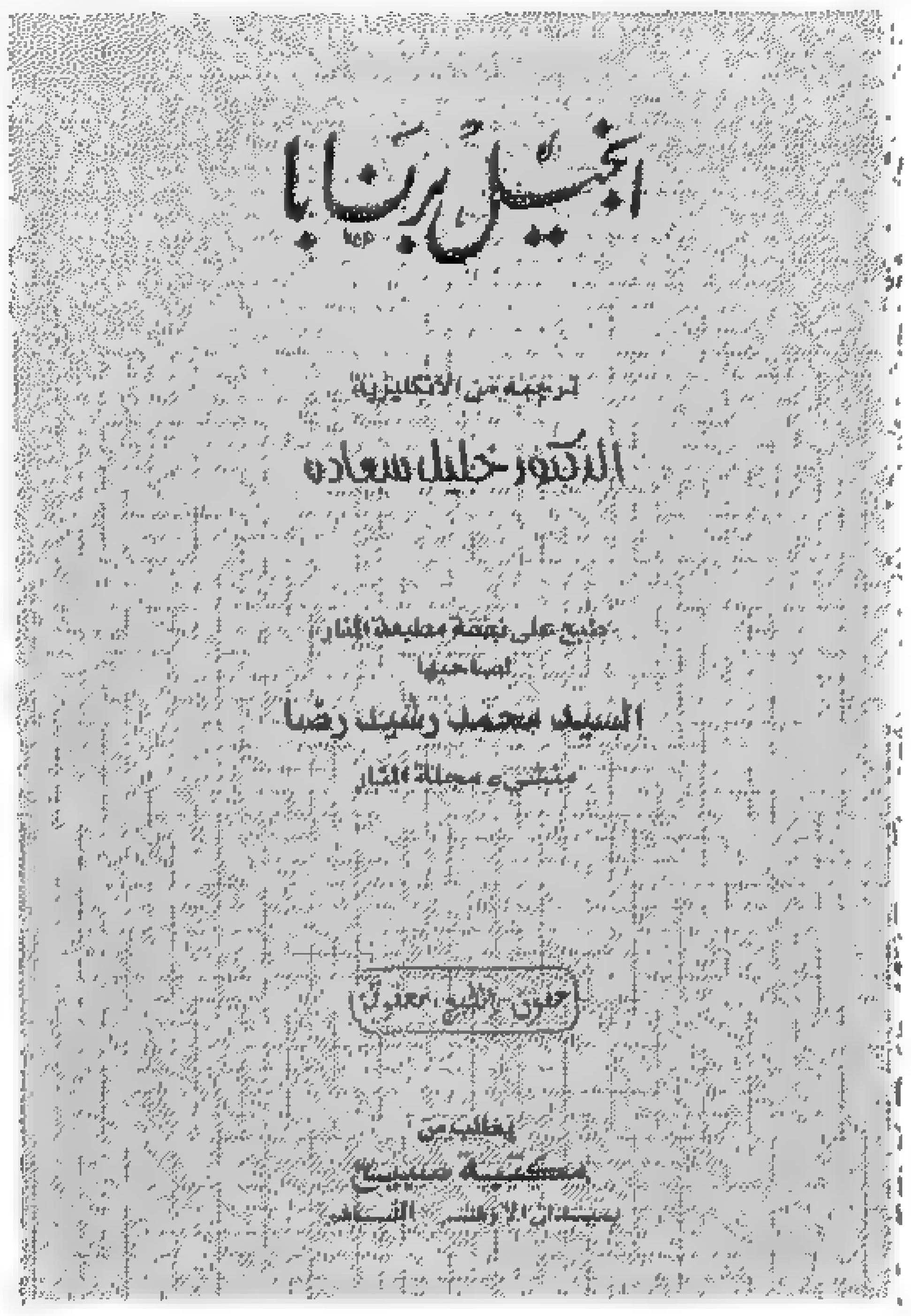
1 ـ الاستاذ : محمد رشيد رضا صاحب جريدة المنار.

2 ـ كتاب انجيل برنابا ترجمة الدكتور خليل سعادة: نشر محمد رشيد رضا سنة 1908 مسيحي.

3 ـ مقال بمجلة الحكمة الصادرة عن كلية التربية جامعة الفاتح سنة 1979 بقلم الدكتور عبد القادر محمود.

«بولس» أما نحن فإننا نُبشّر الذين يخافون الله ـ فيما كتبت ـ ليخلصوا في اليوم الآخر لدين الله ـ آمين».

بالعهد الجديد «برنابا» رسول يسوع الناصري المسمى المسيح يتمنى لجميع سكان الأرض سلاماً، أيها الأعزاء إن الله العظيم قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة ـ بنبيه ـ رحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، الذين ضل في عدادهم أيضا «بولس» الذي لا أتكلم عنه إلا بأسف، وهو الذي من أجله أسطر هذا الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع حتى تخلصوا فلا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دين الله وعلى ذلك فاحذروا، احذروا كل من يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه فتخلصوا خلاصاً أبدياً ولكن الله العظيم معكم، وليحرسكم من الشيطان ومن كل شر ـ «آمين» ـ انتهى نص الترجمة من الانجليزية إلى العربية في كتاب «إنجيل برنابا» المنشور سنة 1908 مسيحي، بالقاهرة.



هذا الإنجيل اتفق ـ فيما يخص عقيدة الإيمان بوحدة المعبود سبحانه وتعالى ـ مع دعوة رُسل الله من أولهم حتى آخرهم ـ صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين إلى البشر حتى يوم الدين.. والعقل الغربي في إنسانه وهو يعيش عصر العلم أحوج من غيره إلى أن يتخذ هذا الإنجيل ـ على الأقل ضمن مرجعيات التفكير – لبناء مركب ثقافة السلام لصالح أمن حياة أجياله وإنقاذهم من ويلات مركب ثقافة الماضي فيما يخص صورة نتائجها على تاريخ علاقة دول الغرب بشعوب أمة الإسلام، وعلى أمن حياة شعوب أوروبا ذاتها جراء كوارث الحروب التي لا يدل قرار قيامها إلا على شيء واحد وهو قصور الإدراك لقيمة معنى حياة الإنسان وقيمة معنى رموز الحضارات التي تزيلها معارك الحروب من الوجود.

في قراءة لمراحل تطور الفكر الديني لدى الغرب ما يستشعر حيرة فكرية وعقلية أيضاً، فقد تحكمت مرجعيات فكر التثقيف والتعليم في توجيه أجيال أمم الغرب وجهة غير آمنة على حياة البشر طوال قرون حتى تعايش معها الناس فكونت مزاجهم العقلي، وكان أساس تلك المرجعيات فكراً لاهوتياً مفارقاً بوضوح لأصول التوراة والإنجيل كما يُوضح هذه المفارقة «إنجيل برنابا» ثم القرآن الكريم.

ورغم تعايش المزاج العقلي للغرب مع ويلات نتائج ذلك التدين الصامت أمام الكوارث وظهور مرجع ديني يشجبها في نص إنجيل «برنابا» منذ ثلاثة عشر قرناً تقريباً، وما فيه من دعوة إلى الحق في المعتقد الديني والعدل، والأخوة الإنسانية بين البشر وكلها الموضوعية عينُها للأمن والسلام في منهج دعوة سيدنا المسيح ـ عليه السلام ـ وفكر اللاهوت النصراني واليهودي في ضلال التفاضل العرقي، والثالوث، أو غيره في عقيدة العبادة ونكران الرُسل، ولو لم يكن بتاريخ الحياة الفكرية عند الغرب إلا ما جاء بالتصوف العقلي بفلسفة «برتراند رسل» لكفى ممارسة التنظير الغربي رادعاً من الوقوع في جريمة وضع الأسباب لقيام الفتن، بل وإشعال نار الحروب في حياة البشر، وافتعال مبرراتها، دينياً، وعرقياً، وحتى باسم الحضارات ليصبح النزوع إلى الشر من القضايا المألوفة في حياة الأمم والشعوب ويتبع ذلك تدمير الحضارات وطمس قيمة معانيها في التاريخ وينتهي الوجود الآمن لحياة الناس.

وقرّاء عصر العلم يتساءلون اليوم، هل إن مستوى حرية المعتقد الديني، والفكر، بنظر اللاهوت النصراني الآن، هو نفس المستوى الذي كان بآخر القرن الخامس للميلاد، عندما حرم البابا «جلاسيوس» الأول قراءة «إنجيل برنابا»..؟

عندما تُرجم هذا الإنجيل من الإيطالية إلى الإنجليزية أول مرة كانت الحياة الفكرية في أوروبا تمر بمرحلة نشاط حيوي ويُصدّق من يشبهها بمجرى الأنهار في موسم الفيضان، لأنها قد أخذت بمأخذ القبول بكل مطبوع يُنشر بين القراء، ولكن لم تكن ترجمة الإنجيل البرنابي على سمو معانيه ضمن المستجدات المقبولة، وقد استقبل الناس بأوروبا المنشور الأول لـ «كارل ماركس» استقبالاً حافلاً وهو ذو صبغة سياسية ودعوة إلحاد، ومع ذلك اتحد الفلاسفة والأدباء الأوروبيون حينذاك مع اللاهوت الكنسي في أوروبا في اتخاذ موقفهم معاً من إنجيل «برنابا» والمنشور الأول للشيوعية سلباً من الأول إيجاباً من الثاني، أي: استمرار تحريم قراءة الإنجيل، والسماح بتداول المنشور الشيوعي حتى أصبح فيما بعد إنجيلاً جديداً، وخاصة بمركزية القرارات الدينية بالفاتيكان فكانت هذه المركزية أرطب يداً مع الشيوعية منها مع إنجيل «برنابا» وهو منسوب إلى سيدنا المسيح ـ عليه السلام ـ..!!

تحكمت مرجعيات فكر التثقيف والتعليم في توجيه أجيال أمم الغرب وجهة غير آمنة على حياة البشر طوال قرون حتى تعايش معها الناس فكونت مزاجهم العقلي،

كيف ظهرت نسخة الإنجيل..؟

أسعف مترجم نص الإنجيل من الإيطالية إلى الإنجليزية قراء هذه الترجمة بمعلومة فقال: «أول من حصل على النسخة الإيطالية هو «كريمر» مستشار بروسيا، وكان مقيماً حينذاك في «امستردام» فأخذ النسخة سنة 1709م من مكتبة أحد وجهاء المدينة، وقد رأى أنها لا تُقدر بثمن، وأنه قد أهداها بعد أن أعارها إلى مكتب البلاط الملكي بفينيا سنة 1738م، حيث ترجمت إلى الإنجليزية مع نسخة إسبانية عُثر عليها بمطلع القرن الثامن عشر مسيحي، على أن النسخة الوحيدة المعروفة بالعالم إنما هي نسخة إيطالية في مكتبة بلاط فيينا، وهي التي تُعد من أنفس الذخائر بالآثار التاريخية، وتقع في مائتين وخمس وعشرين صفحة، يغطيها جلدان لونهما أدكن وضارب إلى الصُفرة النحاسية، ويُحيط بها على الحواف خطان مذهبان، وفي مركز الجلد نقش بارز عاطل من الذهب تُحيط به حافة مزدوجة من نقوش ذهبية متباينة الأشكال يُسميها الغربيون«الطراز العربي» ويستدلون من مجمل التجليد على أنه من طراز شرقي، إلا أن البعض منهم يذهب إلى أن التجليد قد يكون من صنع باريزي ماهر أرتأي «الدوق سافوي» الذي يملك هذه النسخة الفريدة، أن تكون في أجمل حلة، فجلب لها أمهر الصناع فجلّدها على هذه الصورة»[4].

هكذا كانت صورة تراكيب الحديث عن تجليد غلاف النسخة الفريدة للإنجيل البرنابي وفي ترجمة الدكتور «خليل سعادة» من نصارى العرب، حيث كانت من النسخة الإنجليزية كما تقدم ذكره، وقد ظهر في أسلوب الدكتور «سعادة» في مقدمة ترجمته الإنجيل إلى العربية سنة 1908 في كتاب إنجيل «برنابا» الذي نُشر بدار المنار للأستاذ «محمد رشيد رضا» آنذاك، وصياغة بعض الكلمات نالت من وجوب الحيدة، وقللت من ظل الهيبة التي تُضفيها معاني الكلمات المنسوبة إلى رُسل الله ـ عليهم السلام ـ، تركيب ألفاظ كلمات، وصف غلاف النسخة، قد جمع عناصر الإيحاء التشكيكي بمدخلية إسلامية في الإنجيل، ويبدو أن شيئاً من مضامين هامش شعور شخصية الدكتور «سعادة» أو سهو عن ذكر سبب غياب هذا الإنجيل في الزمن الذي مر ذكره، وأيضا عن تاريخ انتقال فنون الشرق إلى الغرب ومنه زخرفة أغلفة الكتب منذ أوائل القرن الثاني عشر وهو مما اختلف عن زخرفة المعمار الروماني، كل أو بعض ذلك،

4 ـ مجلة الحكمة المقال سابق الذكر ص 55.

قد لا يغيب عن ذاكرة أحد العلماء من أبناء الشرق، فيُكلف نفسه حشر هذا الكم من الاحتمالات من القول ويُسميها الغربيون بـ«الطراز العربي» ويستدلون على مجمل التجليد على أنه من طراز شرقي..!! إلا أن تاريخ منع قراءة هذا الإنجيل، وتاريخ ترجمته وخلو تاريخ علاقة الفكر الإسلامي بالفكر اللاهوتي، من ذكر هذا الإنجيل كل ذلك وأجمعه يدل عقلاً على أنه لا مدخلية لفكر إسلامي في نص إنجيل «برنابا» أما موضوع صحة إسناده فذلك أمر آخر.

وبينما أُجهد عقل الأجيال غرباً وشرقاً في البحث عن مدى مصداقية خير الإنسانية، في ذلك الكم من التنظيرات على زمن ظهورها ونشرها بين الناس، لم يُكتب لتلك الجهود أن تناولت بالبحث قضايا هذه المرجعية، ضمن الكتب التي وُصفت بالقداسة في تاريخ الأديان فيما قرأته بالموضوع.

ومما يُسيء إلى سلامة إدراك المفكرين ببناء ثقافة السلام العالمي أن يتجهوا باهتمام إلى قبول الإعلام الفكري بتنوع حملاته الممهدة لأعمال زعزعت وتزعزع أُسس الأمن للإنسانية في العالم. وقد كُتب لإنجيل «برنابا» أن تظهر بشائر السلام فيه منذ أوائل القرن الثامن عشر متزامناً مع طفرة الفلسفة الغربية، ثم نُشرت ترجمته إلى العربية في الشرق أول القرن العشرين، فإن لم يُسئ لسلامة الإدراك فإنه يدل على عدم الرغبة في بناء ثقافة سلام، ولأن الفكر الإعلامي كان يمثل مقدمة جيش الغزو وفساد الحياة الثقافية، وحتى الفكر الثقافي وهو سيد الحياة الثقافية لأنه يمثل حركة اللاسلم عالمياً والتعريف بهذه الحركة، موضوعه تاريخ الماسونية، وهي ذات هدف حكماء اليهود يعرفونه، والسلام العالمي هو العقبة في طريق الهدف وهو أن يحكم «شعب الله المختار» العالم، باختصار فهذه الكلمات عبّرت عن الكثير.

وكل مرجعيات فكر وثقافة السلام العالمي، وحتى الحضارة ذات المبنى الإنساني والاخوة، في وحدة نوع البشر «إرهابية»، يجب اقتلاع جذورها من حياة البشر لأنها الخصم المجسم في حياة البشرية، أمام هاجس الفكر اليهودي بأن يحكم وحده عالم البشر مستقبلاً، بعد أن يسقط الإجهاد «حصان طروادة»، الذي تمثله الآن لليهود، قوة الولايات المتحدة الأمريكية بحروبها، وسوق أبنائها لمذابح الحروب، ووصم تاريخهم بالجريمة.

تلكم هي بعض ملامح الأسباب الموضوعية لاستمرار العمل بإشعال نار العداء بين المسلمين والنصارى، وهي نفسها القاضية على سماع حقيقة، ما دعا إليه المسيح (عليه السلام) في إنجيل «برنابا»، وهو نفسه ما جاء في القرآن الكريم، فكان ابتكار مصطلحات العدوان على المسلمين والإسلام، ابتداء من الحروب الصليبية، «المشكلة الشرقية» و«صراع الحضارات»، وتخصيص المسلمين بالإرهاب، رغم وجود منظماته بأكثر من إقليم في العالم، وبأزمان مختلفة، فلم تدفع الجيوش إلى أوطانهم، ربما لأنهم غير مسلمين، كل ذلك افتعالاً مادياً ومعنوياً لتبرير الغزو المسلح، لمصادرة حق الإنسان في أن يعيش الحياة أو يطورها نحو الأفضل.

صياغة بعض الكلمات نالت من وجوب الحيدة، وقللت من ظل الهيبة التي تُضفيها معاني الكلمات المنسوبة إلى رُسل الله

في إنجيل «برنابا» كما في القرآن الكريم تناقض مع معنى الشر، ودعوة مستمرة الإلحاح، إلى الخير والأخوة في الإيمان والإنسانية، المسلمون مجتمع خير، لأن حياته دينه، وهذا الدين يُحرم الشر لأنه من أمر الشيطان، وإنه لأمر متناقض مع الحق أن يدعي شخص أو جماعة أو شعب في أمة، أنه من أتباع رسول من رُسل الله، ومع هذا الإدعاء تجري ممارسته لأعمال الشر، هذا تناقض مع ما جاء به الأنبياء بكل معيار تقييم للأسباب والنتائج.

وإذا ما صدق التأكيد بأن الخطاب الديني يُمثل نشأة وتطور ثقافات البشر، وأن الثقافة نتيجة لظاهرة حركة الفكر في النفس فإن مرجعيات الدين هي مُعامِل التقييم لآثار الفكر والثقافة في الحياة، وإن منطقية المعرفة العلمية لتسمح بتوجيه السؤال الآتي: «لماذا لم يكن إنجيل «برنابا» ضمن مرجعيات الخطاب الديني، أو حتى القضايا الفكرية بين المفكرين باللاهوت النصراني؟ وقد جرى تداول مستجدات فكرية اعتبرت لدى البعض نشاطاً فكرياً مثل البيان الأول الذي صاغه وأعلنه أحد اليهود الألمان «كارل ماركس» مؤسس الشيوعية في أوروبا، وهذا السؤال جوهري بمجال البحث عن مرجعية ثقافة سلام لدى الغرب.

نحن الآن بأول القرن الواحد والعشرين، وبيننا وبين أواخر القرن الميلادي الخامس خمسة عشر قرناً تقريباً، عند ذاك التاريخ حُرّمت قراءة إنجيل «برنابا» ، ويفصلنا عن نهاية القرن 16 حقبة أربعة قرون وخمس سنوات عندما أعدمت محكمة التفتيش الكاثوليكية العالم الإيطالي «جورداني برونو» - أعدمته حرقاً بالنار وهو حي -، وكذلك ما لقيه على يد المحكمة عالم إيطالي آخر بنفس التهمة وهي إعلان رأي علمي في علم الفلك وهو «جاليليو» حيث عُذّب بالسجن مدة سبع سنين ثم حُددت إقامته في بيته حتى توفي عام 1632 مسيحي.

جميع رُسل الله - تعالى - وأنبيائه - عليهم الصلاة والسلام- جاءوا من لدن رب الناس بدعوته إلى الخير لجميع الناس، يعبدون الله وحده، والصالح يعملون، ولا يُفسدون في الأرض، وقد تمثل هذا في المزاج العقلي لأجيال علماء الأمة الإسلامية، فتغذى به فكر ثقافة الأمة على مدى تاريخ الإسلام، حتى أنقذوا أوروبا من دركات الإنحطاط بسبب جهلها لحقيقة قيمة، ما دعا الله الناس إليه في كتبه على ألسنة أنبيائه، ذلك لأن مرجعية المعقول الثابت لثقافة المسلمين، مستمد من القرآن الكريم وهو :

﴿لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾
[سورة فُصّلت، الآية:42]

وهوكتاب من الله إلى الناس جميعاً، أي: أنه دعوة من رب الناس إلى وحدة نوعهم البشري في وحدة عبادتهم لربهم ووحدة عملهم الخير التي جمعت البشر من آدم حتى انتهاء وجودهم من على سطح الأرض.

ويجوز القول أن هذا التأصيل كان وراء استمرار عدم انتفاع أوروبا بما في نص إنجيل «برنابا» من تأصيل عقيدة دينية تدعو للسلام في الأرض، والأخوة في الإنسانية للجميع، ومع هذا صار كما كان محظوراً على المتدينين بالمسيح اسماً، أن يقرأوه بعد ترجمته وحفظ نسخ منه بمكتبات المراجع الدينية، والسياسية بأوروبا وأمريكا.

في وقت شعوب الغرب أحوج ما تكون إلى نشر هذا الإنجيل، كمرجعية أصيلة لثقافة السلام، فهو مرجعية تُعبّر بصدق عن دعوة المسيح - عليه السلام - الناس إلى مطلوبات الله رب الناس جميعاً، وقد تكون ثقافة العصر كلها بحاجة إلى نشر هذه المرجعية، ولكنها مرجعية متناقضة مع ثقافة دعوى التفاضل العرقي، والتفاضل الديني، وفرض ذلك على الناس بالعنف المسلح والتدمير، حتى كاد استمراره في الحياة أن يصبح معتاداً.

إن ضمير الإنسانية، ليدعو العلماء الأوفياء بأمانة الخير في العالم، والأدباء والفنانين، أن يعملوا على تحرير هذا الإنجيل، لتنعم به الحياة الفكرية والثقافية في الغرب والعالم، فلعل ذلك يساهم في إضافة مرجعية تدعم ثقافة السلام العالمي.

ولعل في عصر العلم هذا بقية من رغبة في الخير لجميع الناس في العالم.

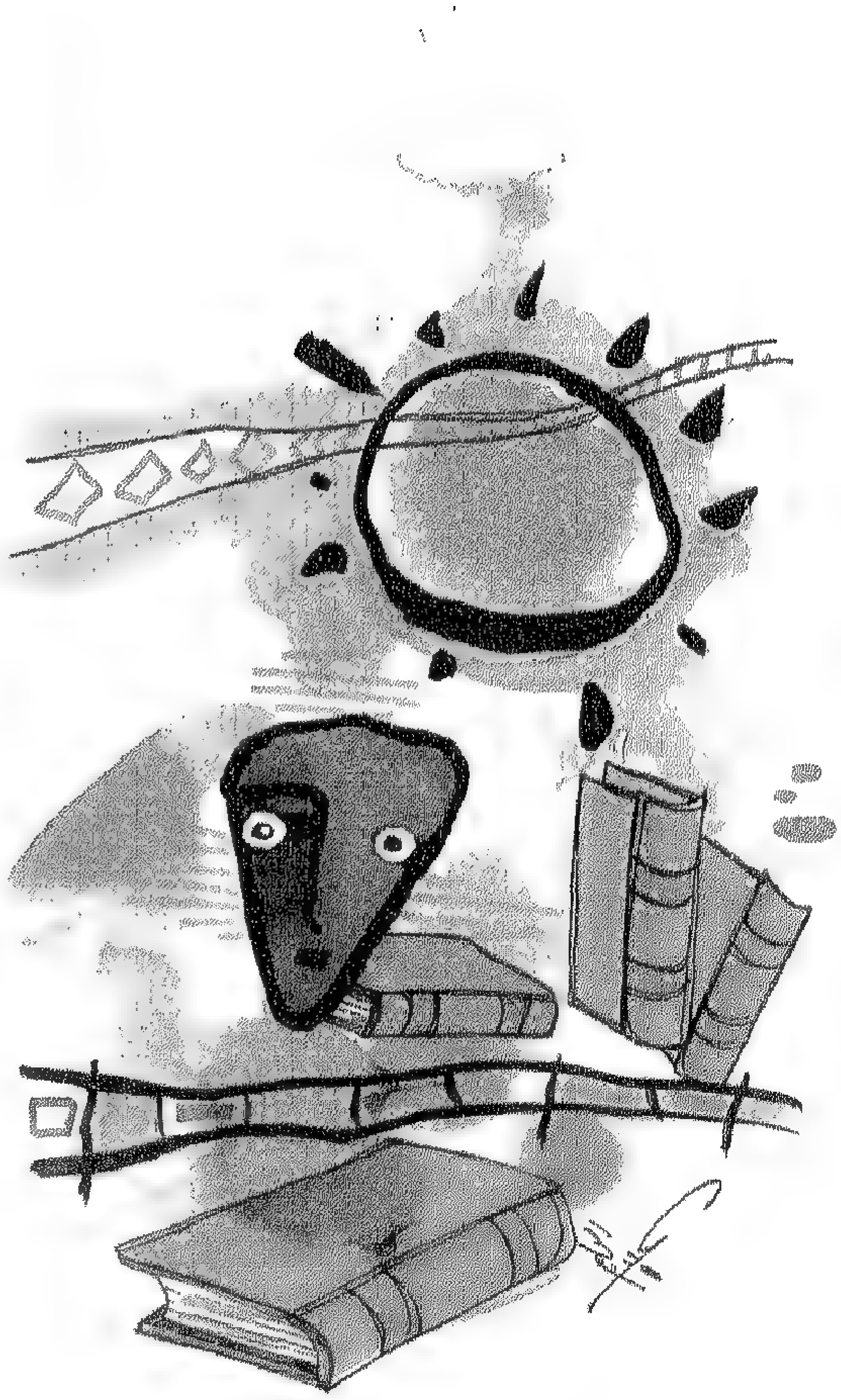
﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [سورة الزلزلة، الآيتان:7 و8]

(وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين).

بعد 1700 عام

الكشف عن إنجيل يهوذا

د. محمد السماك*



في عام 1978 مسيحي اكتشف فلاح مصري، في قبر مهجور، بصحراء مصر، قرب مدينة المنيا، كتاباً مخطوطاً باللغة القبطية القديمة - لغة مصر قبل الإسلام - محفوظ داخل إطار جلدي.

باع الفلاح المصري، الكتاب بدريهمات معدودة، إلى أحد تجّار الآثار المصريين، الذي حاول بدوره بيعه - بعيداً عن مراقبة مديرية الآثار المصرية - إلى مهتمين بالآثار القديمة، ليجد المخطوط طريقه إلى الولايات المتحدة الأميركية.

هناك طلب التاجر المصري بيعه بثلاثة ملايين دولار، ولكنه لم يجد مبتاعاً فاحتفظ به في صندوق أمانات بأحد المصارف في انتظار الوقت المناسب.

مرّت عدة سنوات دون أن يعرف التاجر ولا الذين عرض عليهم بيعه مضمون هذا المخطوط، إلى أن اشترته سيدة أميركية، تدعى: فريدا نوسبرغر، وهي محترفة التجارة بالآثار) بمبلغ 300 ألف دولار، ليس لأنها عرفت مضمونه، ولكن لأنه كان مجرد نص قديم جداً.

خلال السنوات التي قضاها المخطوط في صندوق

(*) كاتب / رئيس لجنة الحوار الإسلامي ـ المسيحي ، لبنان

الأمانات بالمصرف، ازداد وضعه سوءاً، فهو مخطوط يتألف من (13 ورقة) من أوراق البَرْدى، تحمل كتابات على الوجهين.

لا أحد يعرف عمر هذا المخطوط ولا مضمونه، حاولت السيدة فريدا، بيعه إلى جامعة «يال» الأميركية، ولكن الجامعة رفضت العرض.

وفي عام 2001 مسيحي وافق تاجر تحف من مدينة أوهايو الأميركية، على شرائه بمبلغ (2,5 $ مليون دولار)، إلا أنه لم يتمكن من تأمين كامل المبلغ، فألغيت الصفقة، واستعادت السيدة Maecenas نوسبرغر المخطوط، وعقدت صفقة مع مؤسسة «ماسينس» البرازيلية، للفن القديم، لتحصل بموجبها على مبلغ (2,5 $ مليون دولار) من Foundation for Ancient Art إستثمارات المخطوط.

حُمل المخطوط إلى مدينة «بال» في سويسرا حيث تم تحديد عمره بواسطة الكربون 14، فإذا به يبلغ 1700 عام، أي أنه يعود إلى السنوات الأولى بعد المسيح.

وبدأت عملية تجميع الأوراق المهترئة والمفتتة والتي وصلت إلى حوالي الألف قطعة.

وقد قام بها أستاذ العلوم القبطية «رودلف كاسر» Rudolf Kasser في جامعة جنيف بترجمتها بمساعدة البروفسور الأميركي تشارلز هيدريك Charles W. Hedrick أما عنوان المخطوط فكان إنجيل يهوذا الأسخريوطي.

وكانت المفاجأة الكبرى: كيف يكون ليهوذا إنجيل، وهو الذي خان المسيح، وسلمه إلى الرومان الذين حاكموه وصلبوه، كما تقول المسيحية؟

ثم تتالت المفاجآت: فالإنجيل يعطي يهوذا دوراً متقدماً على كل تلامذة المسيح الإثني عشر. وأن المسيح اختاره بنفسه لثقته به ولشدة محبته له ليقوم بالدور الذي ما كان لأي من التلامذة الآخرين أن يقوم به. وهذا الدور هو كما جاء في إنجيله على لسان السيد المسيح «ستتخطاهم جميعاً، ستضحي بالإنسان الذي يلبسني» وهذا يعني أن يهوذا لم يخن المسيح ولم يبعه بثلاثين من الفضة، كما تقول الأناجيل الاخرى، بل لبّى طلب المسيح في تحرير روحه من لباسه الجسدي عبر تسليمه إلى الموت لاكتمال الإرادة الإلهية.

يبقى إنجيل مريم المجدلية أشدّها إثارة وأكثرها اهتماماً لا سيما أنه الإنجيل الوحيد المنسوب إلى امرأة، ولأن هذه المرأة بالذات دار ويدور حولها لغط شديد لم يتوقف منذ أيام المسيح وإلى يومنا هذا.

ويروي إنجيل يهوذا أيضاً: رؤيا يقول فيها «إنه - أي يهوذا - فتح عينيه فرأى الغمام المضيء ودخل فيه»، علماً بأن الأناجيل الأخرى، تروي كيف أن يهوذا تاه على وجهه وهو يعاني من عذاب الضمير بسبب خيانة المسيح، إلى أن وضع حداً لحياته بالانتحار شنقاً.

ومن الملاحظ هنا أن إنجيل يهوذا لا يشير من قريب أو من بعيد، إلى ذكر الصليب.. وقيامة المسيح في اليوم الثالث من القبر، الأمر الذي يطرح كثيراً من التساؤلات في الأوساط الدينية المسيحية. مع ذلك فقد نشرت مجلة جمعية «ناشيونال جيوغرافيك ماغازين» الأميركية في عددها الصادر في الخامس من أبريل 2006 النصّ الكامل لإنجيل يهوذا الأسخريوطي باللغة الإنجليزية، مع قصة اكتشافه. وتجري الآن ترجمته إلى اللغتين الفرنسية والألمانية.

ومن المعروف أن المسيحية تعتمد أربعة أناجيل فقط هي: متى ومرقس ولوقا ويوحنا. إلا أنه كانت هناك عدة أناجيل متداولة في العهد الأول للمسيحية مما يدل على تنوّع في الفكر اللاهوتي. ولكن في العشرين من مايو عام 325 بعد المسيح دعا قسطنطين الأول، الامبراطور اليوناني الذي اعتنق المسيحية إلى عقد مؤتمر في مدينة نيقية (أو مدينة أزنيق بتركيا حالياً) كان المؤتمر المسكوني الأول، وخُصّص لبحث قضية تعدد الأناجيل التي بلغت في ذلك الوقت العشرات، منها إنجيل برنابا أحد تلامذة المسيح، ومنها إنجيل توماس، وإنجيل يهوذا، ومنها أيضاً إنجيل مريم المجدلية.

ورغم الحظر اللاهوتي المفروض على هذه الأناجيل، فقد أصبح شائعاً «التأمل» في أناجيل: فيليبس وبطرس وتوما المعروف باسم إنجيل الهند الموجود الآن في ضريح ترما بمدينة مادراس في الهند. والذي يعتقد أن بعض نصوصه ربما تكون سابقة لظهور المسيحية، ويبقى إنجيل مريم المجدلية أشدّها إثارة وأكثرها اهتماماً لا سيما أنه الإنجيل الوحيد المنسوب الى إمرأة، ولأن هذه المرأة بالذات، دار ويدور حولها لغط شديد لم يتوقف منذ أيام المسيح وإلى يومنا هذا.

لقد ظهرت مخطوطة إنجيل مريم في برلين بعد أن هرّبها في العام 1896 مسيحي، من مصر، العالم الألماني «رينهاردت». ويعتقد أن النص المخطوط في القرن الخامس، منقول عن نص سابق له يعود إلى 150 سنة بعد المسيح، وهو مكتوب مثل إنجيل يهوذا المكتشف اليوم باللغة القبطية القديمة (الصعيدية).

إن الموقف السلبي من مريم المجدلية، ينعكس بوضوح في إنجيلي: مرقس، ولوقا اللذين يؤكدان: «أن يسوع طرد منها سبعة شياطين».

ويبيّن النص الإنجيلي التالي، نظرة تلامذة المسيح إليها.

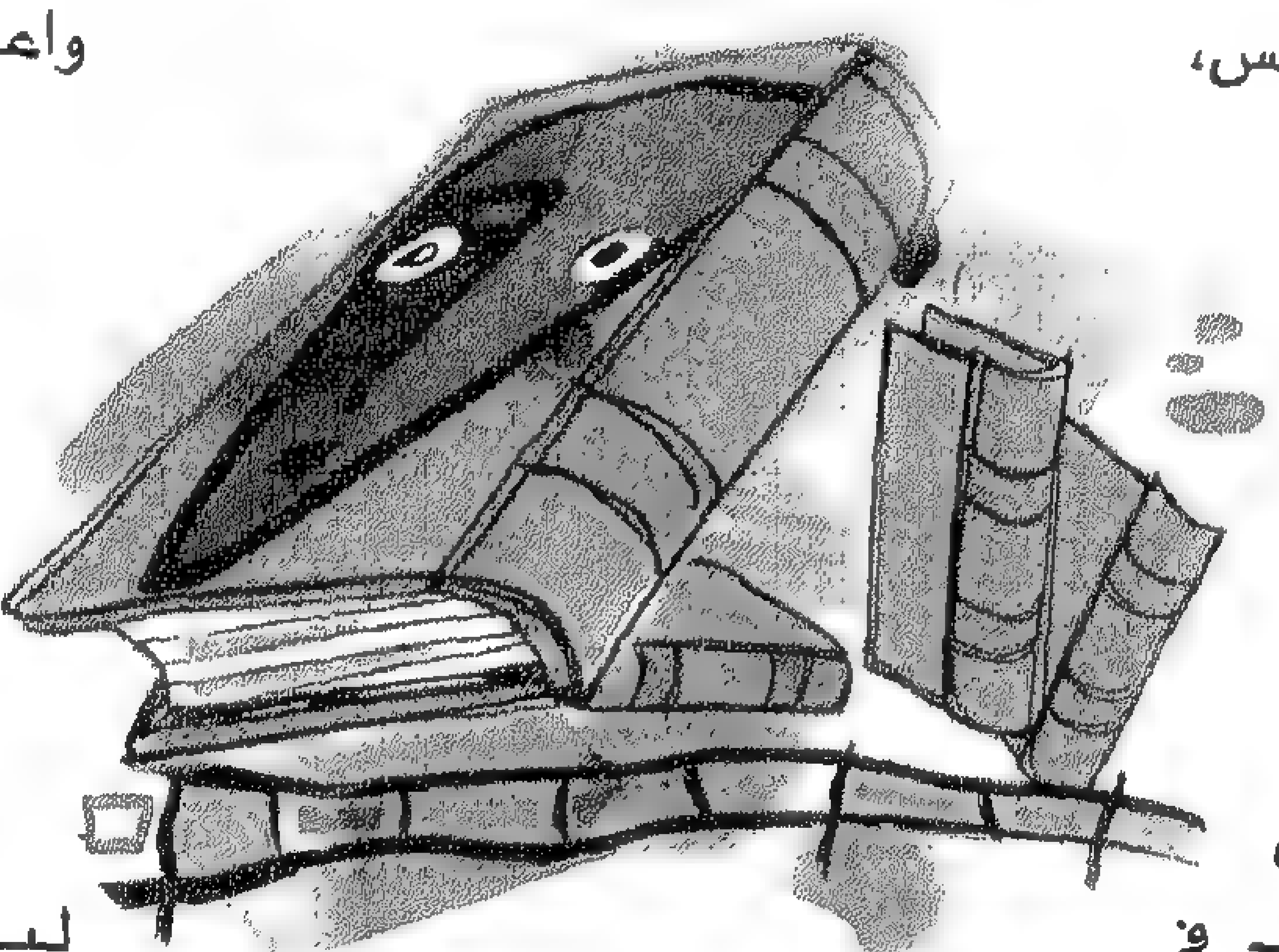
«وتكلم اندراوس متوجهاً إلى إخوته».

«ماذا تفكرون وهي تروي لنا كل ذلك؟ بالنسبة لي لا أصدق أن المعلم تكلم هكذا. أفكارها مختلفة عما عرفناه».

ويضيف بطرس: «هل من المعقول أن يكون المعلم باح بكل ذلك إلى إمرأة، وبأسرار نجهلها، هل علينا أن نغيّر عاداتنا ونصغي إلى هذه المرأة. هل هو اختارها وفضّلها علينا؟».

أما في إنجيل مريم المجدلية، فنقرأ النص التالي:

«وبكت مريم المجدلية وسألت بطرس: أخي بطرس ماذا يجول في رأسك، أتظن أني من مخيلتي اخترعت هذه الرؤيا؟ وهل حين أنقل تعاليم المعلم أتفوه بكلام كاذب؟ وتكلم لاوي: بطرس كنت دوماً غاضباً. وأراك اليوم تصبّ غضبك على المرأة كما يفعل أعداؤنا. فإذا المعلم جعلها مستحقة لنقل تعاليمه، فمن أنت لتنكرها؟ «المعلم أحبها أكثر منا لأنه أدرك ما فيها. فلنندم ونغدو متكاملين بأنسيتنا. دعوا المعلم يتجذر فينا ويعلو كما طلبه منا««. ثم قال ««فلنذهب ونبشر بالإنجيل دون أن نضع سنناً خارج تلك التي أرادها شاهدة».



وفي مؤتمر مدينة نيقية الذي أشرنا إليه سابقاً تقرر تحريم تداول حوالي 14 إنجيلاً واعتبارها منحولة، واعتماد الأناجيل الأربعة فقط المعروفة اليوم على أنها الأناجيل الشرعية الوحيدة.

في ذلك الوقت أعطي أحد كبار آباء الكنيسة ايرانيوس أسقف ليون في القرن الثاني (130-208) وصفاً للأناجيل المرفوضة، ومنها أناجيل: برنابا، ويهوذا، ومريم المجدلية، بأنها أناجيل هرطقة. وكان من تعاليم إيرانيوس أن المسيح لم يعلم أي أحد من تلامذته بصورة سرية (علماً بأن إنجيل مرقس يقول إن المسيح كان أحياناً يشرح أموراً لبعض تلامذته بصورة منفردة). ولم يكشف رؤى سرية لأي منهم. وأن من يقول غير ذلك هرقطة: «إنهم يعلنون أن يهوذا الخائن هرقوطي. ويقول في كتابه أنه وحده كان يعرف الحقيقة كما لا أحد قد أتم سراً، كان على اطلاع بهذه الأمور الخيانية لأنه كان يعرف الحقيقة التي كان غيره يجهلها. لقد استنبطوا Le mystere قصة خيالية من هذا النوع دعوها إنجيل يهوذا».

في عام 1945 اكتشف في نجع حمادي في مصر

حوالي الخمسين نصاً مسيحياً لم تكن معروفة من قبل. وكانت من النصوص التي حرمت واعتبرت نصوصاً هرطوقية، أيضاً في مؤتمر نيقية. وكان لأسقف الاسكندرية أثاناسيوس دور أساسي في التأكيد على تحريم هذه النصوص التي كانت متداولة على نطاق واسع، وذلك في رسالة رعوية وجهها إلى مسيحيي مصر بمناسبة عيد الفصح، وطلب منهم فيها رفض ما أسماه «الكتب السرية وغير الشرعية». ولم يبق أثاناسيوس إلا على 27 نصاً حددها النص الشرعي للعهد الجديد المعتمد وحده ودون غيره في الكنائس. وقد لاحظ علماء اللاهوت أن أسلوب إنجيل يهوذا اللغوي المكتوب باللغة القبطية القديمة - الصعيدية - والنظريات التي أوردها تتلاقى مع المعطيات اللغوية ومع النظريات اللاهوتية التي كشفت عنها مخطوطات نجع حمادي الخمسين، والتي تعود إلى القرن الأول بعد المسيح.

ولكن خلافاً لما قال ايرانيوس، فإن إنجيل يهوذا يقول غير ذلك. إنه يقول إن المسيح أسرّ له بما لم يطلع عليه أحداً آخر من تلامذته، وانه كلفه بدور جعله الرسول الأقرب إليه والوحيد الذي فهم دون الآخرين معنى الرسالة وأبعادها الإلهية.

وفي الواقع فإن اتهام يهوذا الاسخريوطي بخيانة المسيح أثار جدلاً لاهوتياً طويلاً... قبل إن يصبح أساساً من أسس العقيدة نفسها. فانجيل يهودا الجديد - القديم - يبرزه وفياً ومتفوقاً على باقي الرسل لأنه كان يعلم أن لا غنى عن ذبيحة يسوع في افتداء العالم ولأنه كان الأقرب إلى المسيح فقد اختاره المسيح للمهمة الأصعب وهي أن يسلمه إلى الرومان ليكون الذبيحة، كما يقول أستاذ العهد الجديد في جامعة أكاديا في كندا، البروفسور غريك ايفنز Graig Evans، إلا أن أستاذ اللاهوت ومؤلف كتاب Daily Study Bible البروفسور وليم باركلي William Barclay أمّا فإنه يقدم تبريراً لخيانة يهوذا والتبرير هو أن يهوذا الذي ضاق ذرعاً بمضايقات الرومان والذي يعرف القدرات الخارقة التي يتمتع بها المسيح، أراد أن يحشره في وضع يضطر معه المسيح إلى التخلي عن مهادنة الرومان وقلب الطاولة على رؤوسهم، ولكنه فوجئ باستسلام المسيح لهم إلى حدّ تقبّل التعذيب والصلب.

ويقول باركلي: إن يهوذا كان يتطلع إلى إله يبادر إلى الانتقام فإذا به أمام إله يقبل أن يُعذّب؟!

وبذلك ينفي باركلي عن يهوذا تهمة الخيانة وسوء النية من دون أن يبرئه من تهمة تسليم سيده إلى الرومان؟!

السؤال الآن: هل يفتح نشر انجيل يهوذا.. وانجيل مريم المجدلية الباب أمام إعادة نشر الأناجيل الأخرى المصنفة هرطوقية، بما فيها انجيل برنابا؟

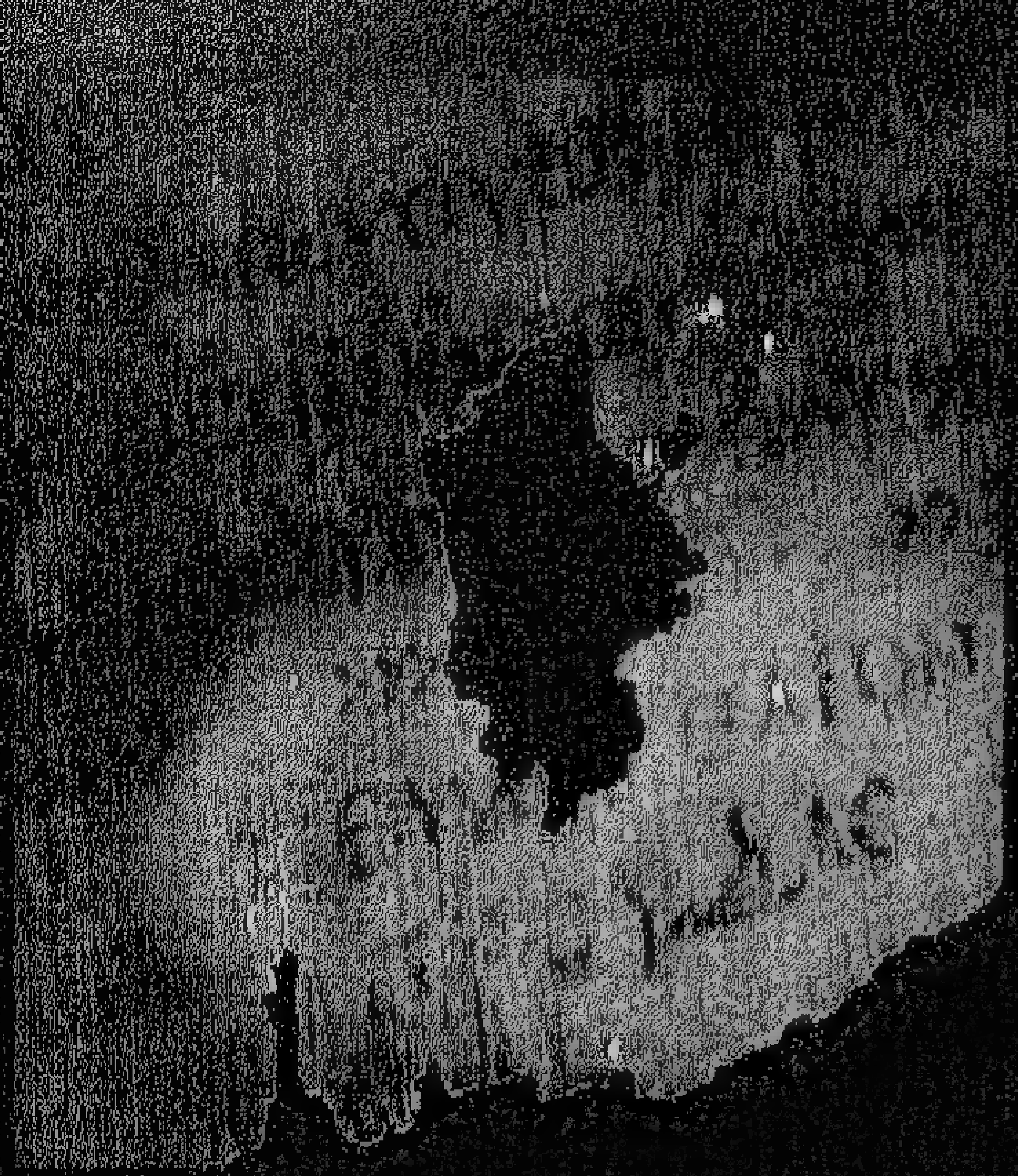
يبقى السؤال الكبير وهو إذا كان يهوذا خان المسيح من أجل أن يحصل على رشوة تجعل منه غنياً.. فلماذا تقول عنه الأناجيل الأربعة بأنه هام على وجهه ثلاث سنوات قبل أن يشنق نفسه؟.. بل لماذا شنق نفسه كما يروي إنجيل متى، الذي يُعتقد أنه كُتب قبل إنجيل يهوذا؟!

إن تلميذ المسيح يهوذا الإسخريوطي الذي احتل في الضمير الديني المسيحي موقع الخائن للمسيح، يبدو من خلال الإنجيل الجديد في موقع الأقرب إليه من كل تلامذته الآخرين. وهذا الانقلاب التصويري لا يتعلق بشخص يهوذا إنما بالمبدأ وبالدور الذي قام به على أساس هذا المبدأ. ومن هنا تأتي أهمية الجدل اللاهوتي الذي يدور حالياً منذ ترجمة النص ونشره بعد 1700 عام!!

والسؤال الآن: هل يفتح نشر إنجيل يهوذا.. وانجيل مريم المجدلية الباب أمام إعادة نشر الأناجيل الأخرى المصنفة هرطوقية، بما فيها إنجيل برنابا؟... وهل إن حدوث ذلك يعود بالمسيحية إلى ما قبل مؤتمر نيقية؟..

مقالات

حقيقة إنجيل يهوذا



الصديق بشير نصر*

❖ إنجيل يهوذا: الحقيقة والزيف
❖ إنجيل يهوذا: صناعة غنوصية؟
❖ لماذا رحب اليهود بإنجيل يهوذا؟
❖ الأناجيل الأبوكريفية: مكتبة نجع حمادي
❖ من شفرة دافنشي إلى إنجيل يهوذا
❖ إنجيل يهوذا يتحول إلى أعمال أدبية

«إن من أول واجبات الفكر الذي تمتد جذوره في الواقع ويتجه إلى الواقع أن يصرف جهده دون لف أو دوران إلى إقامة الحقيقة الواقعية التي تزوّدنا اليوم بالمعيار الذي نحتكم إليه والسند الذي نعتمد عليه ليحمينا من اختلاط الآراء والظنون».

إنجيل يهوذا: الحقيقة والزيف

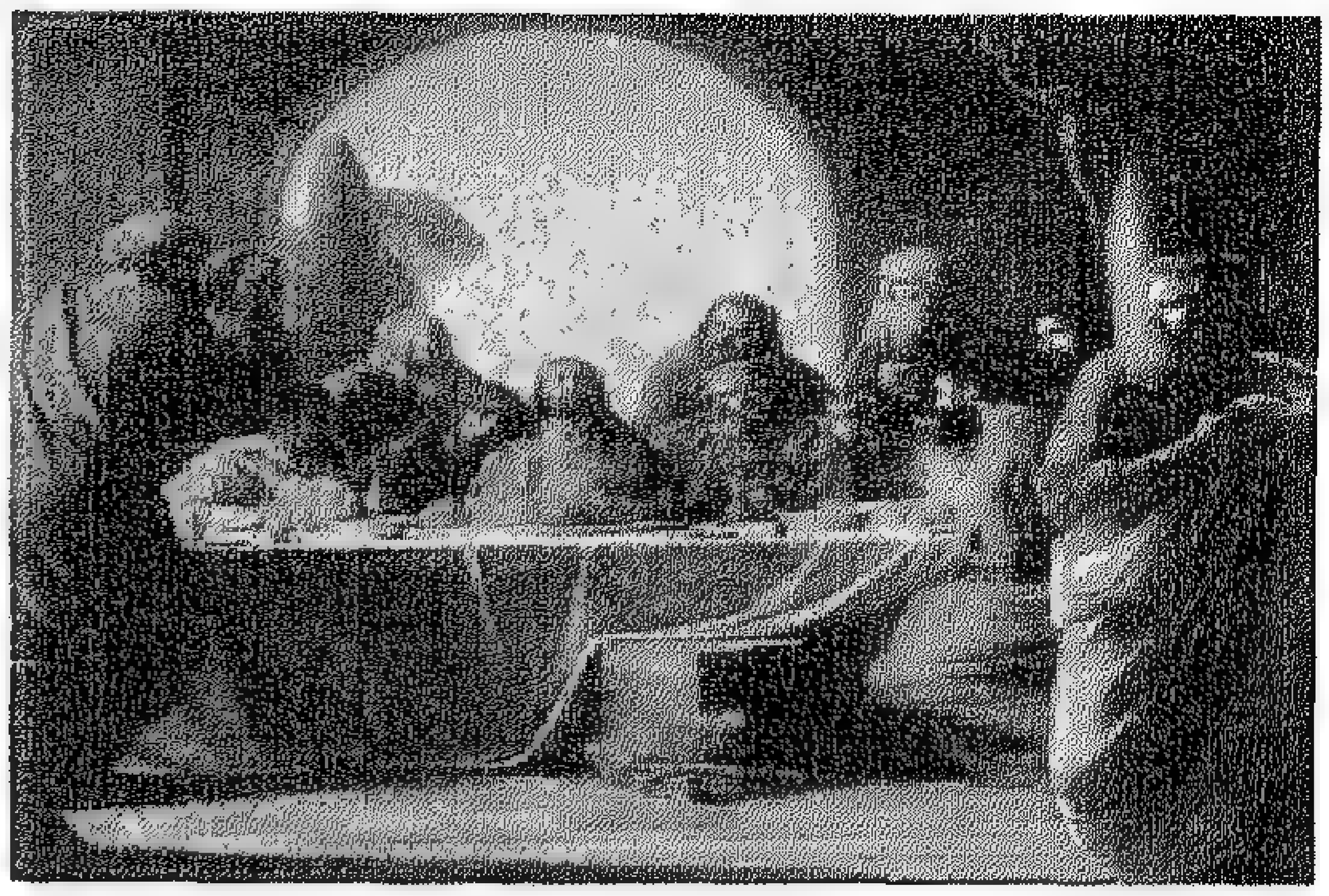
حكاية يهوذا الإسخريوطي

يهوذا الإسخريوطي Judas Iscariot رمز الخيانة والغدر كان أحد تلاميذ السيد المسيح الاثني عشر، وهو الذي تآمر على معلّمه مع رؤساء الكهنة، وقام بتسليمه إليهم نظير 30 قطعة من الفضّة.

وهو يهودي يُنسب إلى قريوت التي ورد ذكرها في سفر إرميا (48 - 24) وليس ثمة خلاف بين الأناجيل الأربعة في خيانة يهوذا.

وإسخريوط (Ish Kerayoth) عبرانية وتعني

* كاتب وباحث وأستاذ جامعي / ليبيا



لوحة العشاء الأخير

رجل قريوت. جاء في انجيل متى: «عندئذٍ ذهب واحدٌ من الاثني عشر، وهو المدعو يهوذا الإسخريوطيّ إلى رؤساء الكهنة، وقال: كم تعطونني لأسلمه إليكم؟ فوزنوا له ثلاثين قطعة من الفضة. ومن ذلك الوقت أخذ يهوذا يتحيّن الفرصة لتسليمه» (متى 16،14:26).

«وفيما هو يتكلّم، إذا يهوذا، أحد الاثني عشر قد وصل ومعه جمع عظيم يحملون السيوف والعصيّ، وقد أرسلهم رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب وكان مُسَلِّمُه قد أعطاهم علامةً قائلاً: الذي أقبله فهو هو. فاقبضوا عليه» (متى 26: 47 ـ 48).وقد ورد مثل ذلك في إنجيل مرقس (14: 43 ـ 46)، وفي إنجيل لوقا (22: 47) وفي إنجيل يوحنا (18: 1 ـ 6).

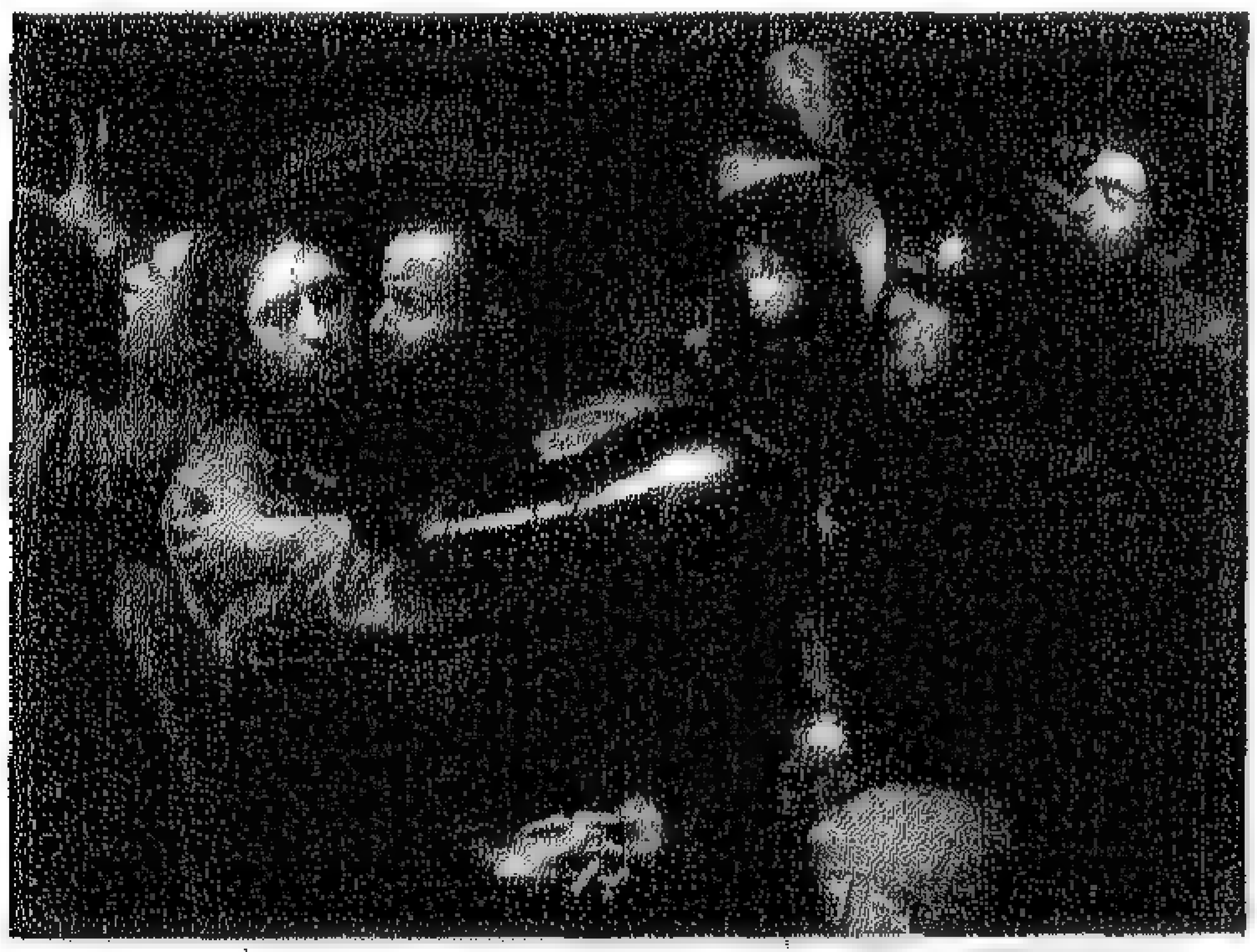
وصورة يهوذا الخائن الملعون هي عينها في إنجيل آخر لا تعترف به الكنيسة، وهو إنجيل برنابا (2:214 10).

وانتهى الحال بيهوذا بأن شنق نفسه. متى (27: 3. 10)، وفي أعمال الرسل: «وكان يهوذا يعتبرُ واحداً منّا، وقد شاركنا في خدمتنا. ثم إنه اشترى حقلاً بالمال الذي تقاضاه ثمناً للخيانة، وفيه وقع على وجهه، فانشقّ من وسطه، واندلقت أمعاؤه كلّها. وعلم أهل أورشليم جميعاً بهذه الحادثة، فأطلقوا على حقله اسم» حقل دَمَخَ «أي حقل الدمّ بلغتهم» أعمال الرسل (1: 17. 20). هو ذا يهوذا الملعون في التراث الكنسي المسيحي، خيانة وغدراً. فهل جاء الإنجيل المفقود (المزعوم) ليعلن براءته من دم المسيح؟

يهوذا الإسخريوطي: القبلة المميتة

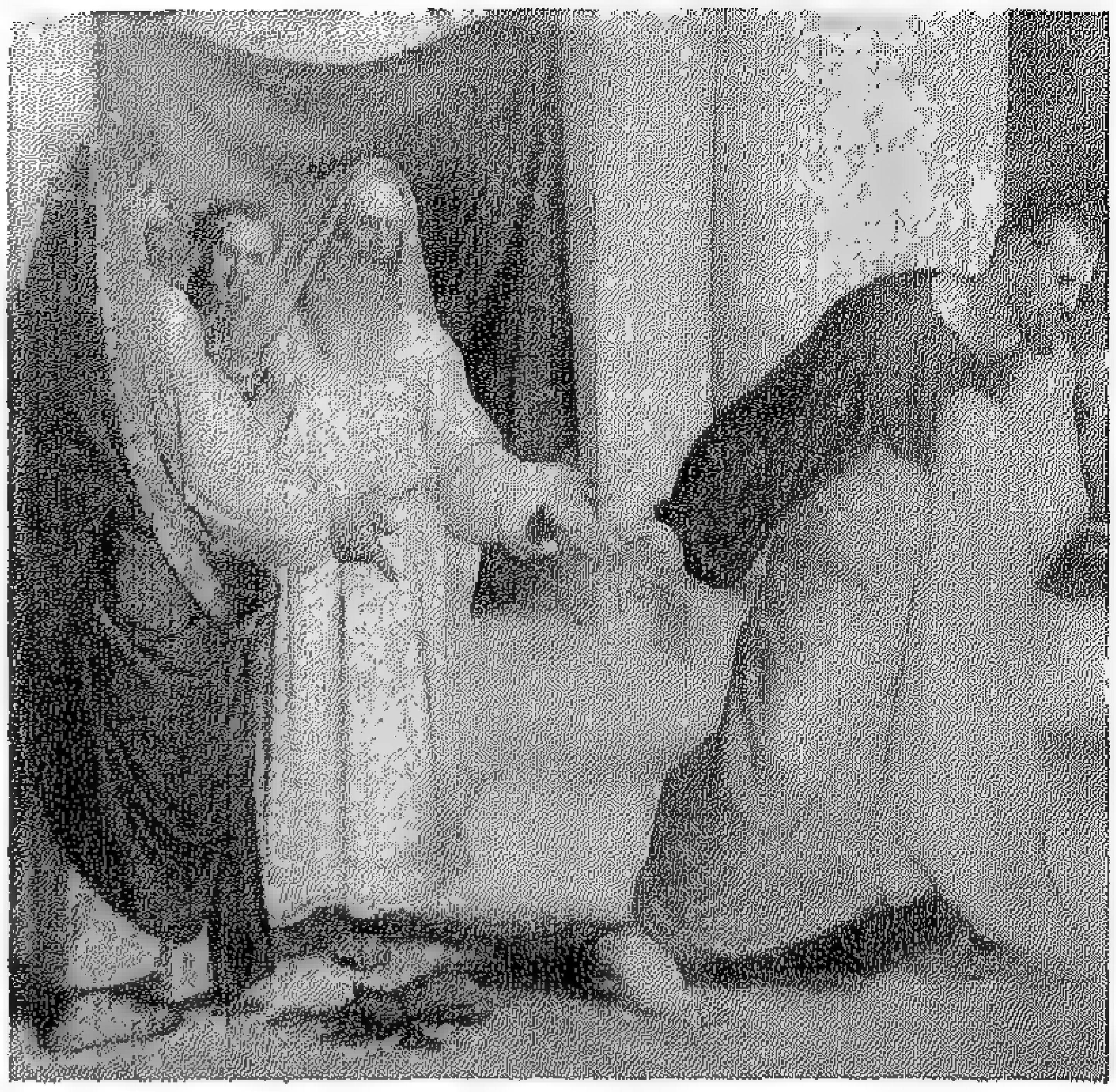
لقد تجذرت لعنة يهوذا، ولم تقف عند التراث الديني المسيحي، بل وجدت طريقها من قديم إلى الفنّ والأدب.

لقد أصبحت تلك القبلة المسمومة رمزاً لكل غدر وخيانة. فرسوم عصر النهضة، والقرن التاسع عشر تصوّر تلك القبلة المميتة لتعبّر عن مبلغ الجرح الغائر الذي تركته لا على جبين يسوع المسيح فحسب، بل على جبين كلّ إنسان شريف يعرف معنى الصدق والوفاء. ولعلّ رسومات الرسام الإيطالي Caravaggio، وتمثال (يهوذا يقبل يسوع) الموجود بمدينة برشلونة في إسبانيا توضح شيئاً من ذلك. وقد جعله دانتي Alighieri Dante في الدرك الأسفل من جحيم الكوميديا الإلهية La divina commedia, Inferno وقد كتب الشاعر روبرت وليامز بوشنان Robert Williams Buchanan (1901-1841)





يهوذا يقبل المسيح ـ لوحة الرسام Caravaggio



يهوذا يرد القطع الفضية للكهنة بريشة اليساندرو مانتوفاني

ملحمته الرائعة التي تحمل عنواناً هو: The Ballad of Judas Iscariot.

قصة اكتشاف إنجيل يهوذا

تبدأ الحكاية في سبعينيات القرن الماضي عندما عثر أحد الفلاحين من قرية بني مزار إحدى قرى محافظة المنيا في صعيد مصر على حقيبة تحتوي على قطع من أوراق البَرْدي مكتوبة باللغة القبطية القديمة مدفونةً في أحد المقابر وقيل إنها وُجِدت في أحد الكهوف. باع الفلاح تلك الأوراق لأحد تجار الآثار.



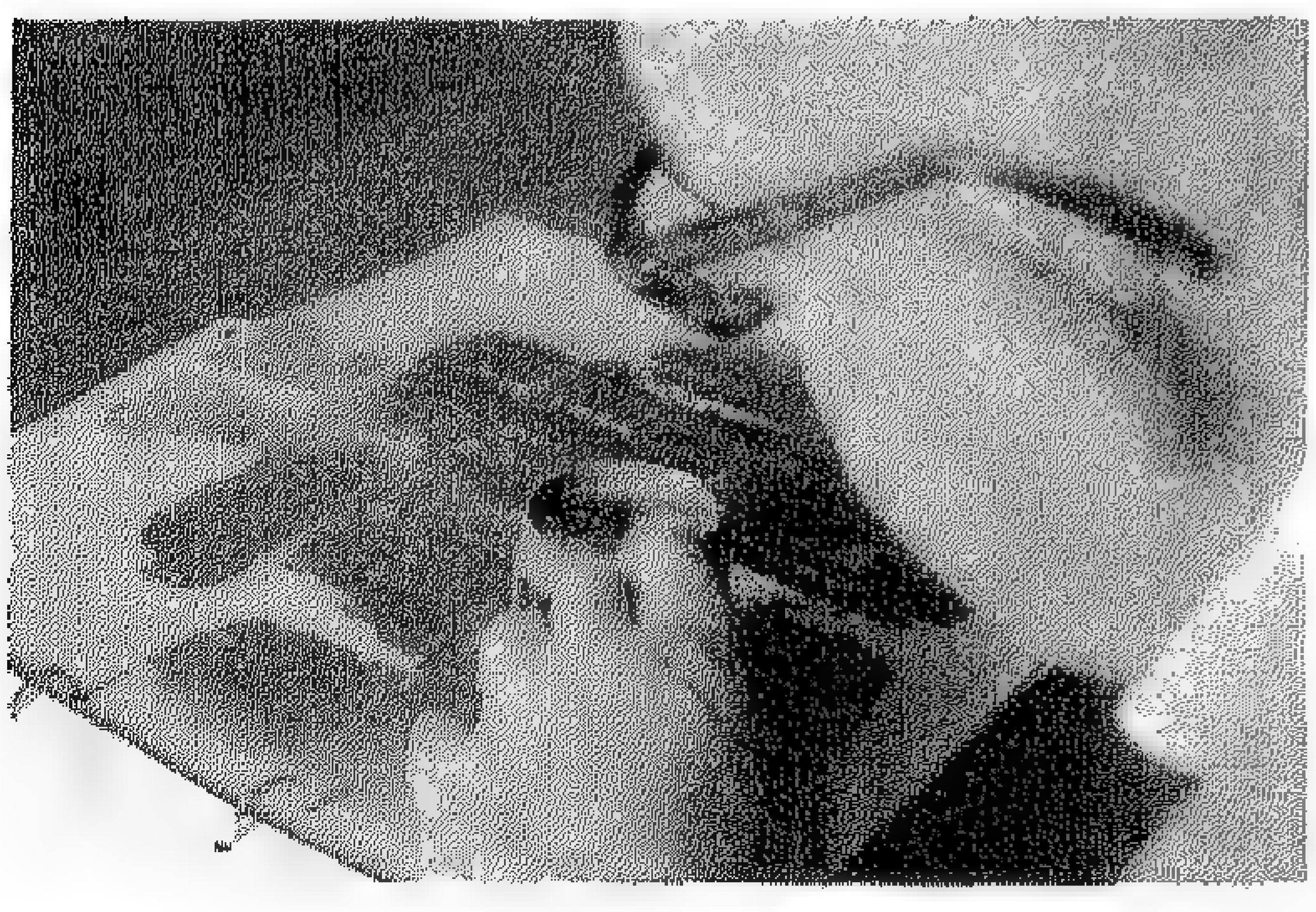
وظلّت تلك الأوراق تدور بين تجار التحف القديمة من مصر إلى أوروبا فأمريكا. وانتهى بها المطاف في صندوق الودائع في Long Island بنيويورك لتستقرّ فيه ستة عشر عاماً قبل أن تضع تاجرة التحف القديمة فريدا نسبرجر Frieda Nussberger من زيوريخ سنة 2000 يدها على المخطوطة وقد أخفقت في بيعها، بعد أن حصلت عليها بشكل غير قانوني من مصر، لتاجر آثار أمريكي في أوهايو اسمه بروس فيريني مقابل 2،5 مليون دولار.

بعد انكشاف المسألة تزعم، مايكل فان رين حملة تطالب بإعادة هذا الإنجيل إلى مصر، لأنها الدولة الوحيدة التي تمتلك الحق في تلك المخطوطات التي تم اكتشافها في أراضيها. وأمام تلك الحملة قدمت المؤسسة السويسرية المخطوطات إلى جمعية ناشيونال جيوجرافيك العلمية المعروفة. ولم تتردد من ثمّ في تشكيل فريق بحث كبير من الخبراء، والمؤرخين، والمترجمين، لمعرفة ما في ذلك الإنجيل المثير، ولكن آثارها ما أصاب المخطوط من تلف بسبب طول التخزين، فحولتها في فبراير 2002 إلى مؤسسة ماسيناس Maecenas Foundation للفن القديم في بازل بسويسرا من أجل ترميمها وترجمتها.

وُظّف أشهر عالم باللغة القبطية القديمة الدكتور رودلف كاسر Rodolphe Kasser لمعالجة المخطوطة

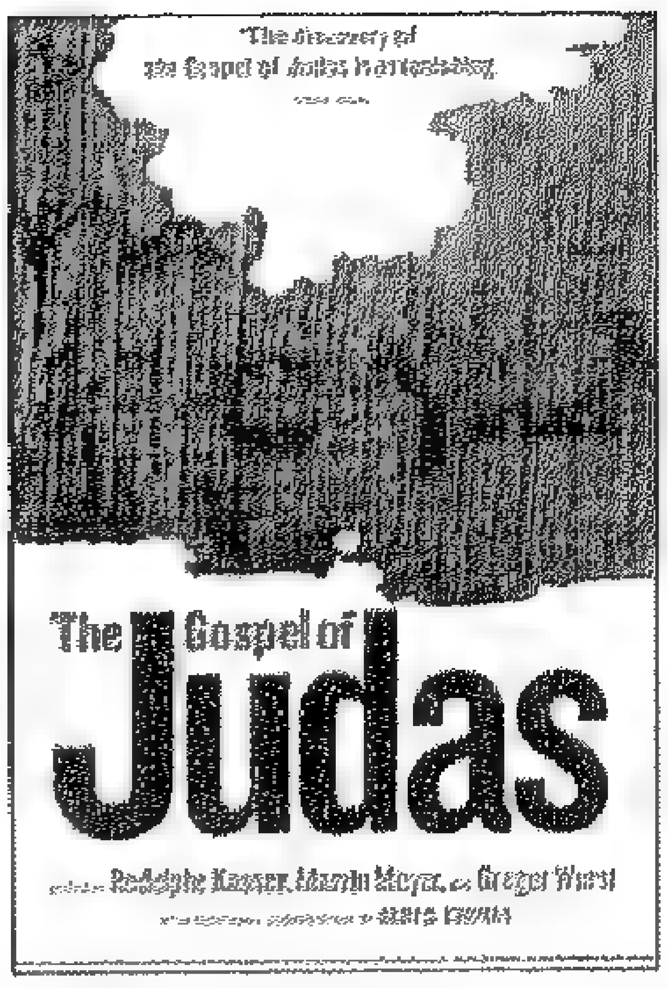


د. جريجور ورست



رودلف كاسر

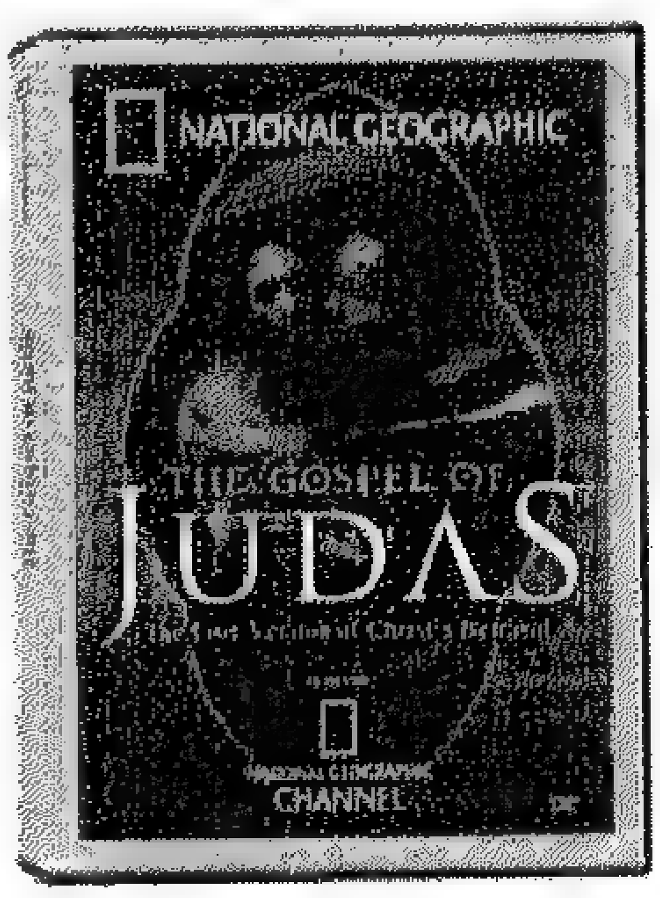
وترميمها ومن ثم ترجمتها من لغتها الأصلية للتعرف على ما فيها ولم تكن المخطوطة التي تتكون من ست وستين صفحة تتضمن فقط إنجيل يهوذا،



بل أيضاً قطعة مما يُعرف برؤيا جيمس الأولى، ورسالة بطرس إلى فيليب، وقطعة مما يُعرف في الوقت الحاضر بكتاب الألوجين .Book of Allogenes

وفي عام 2005 وقعت الجمعية الوطنية الجغرافية National Geographic Society عقداً بقيمة مليون دولار مع المؤسسة السويسرية المذكورة لنشر الإنجيل المذكور.

وفي السادس من أبريل 2006 كشفت الجمعية الوطنية الجغرافية National Geographic Society لأول مرة عن هذا الاكتشاف والانتهاء من ترميمه.، وأعلنت أن هذا الإنجيل سيكون حدثاً كبيراً في تاريخ المسيحية حيث سيظهر صورة جديدة ليهوذا الخائن الذي باع المسيح نظير ثلاثين قطعة من الفضة. وقيل إنّ الإنجيل المذكور يعود إلى القرن الثالث بعد الميلاد من خلال التعرّف على عمره التاريخي بمعالجته بالكربون المشع بجامعة أريزونا سنة 2004 والذي أثبت أن عمر المخطوط يبلغ نحو 1700 سنة.



غلاف الشريط الوثائقي الذي أعدته ناشيونال جيوغرافيك عن إنجيل يهوذا

وفي هذا العام طُبع إنجيل يهوذا عن الجمعية الجغرافية الوطنية الأمريكية باللغة الإنجليزية، كما أصدرت الجمعية المذكورة شريطاً سينمائياً بُثَّ في قناتها لمدة ساعتين يحكي قصة هذا الإنجيل المفقود. والإنجيل والشريط المذكور يباع كلاهما الآن في الأسواق.

كما سارعت مؤسسات ومواقع على الشبكة الدولية للمعلومات بنشر ترجمات للإنجيل المذكور عن الإنجليزية إلى لغاتٍ أخرى.

هل يُعد إنجيل يهوذا تهديداً للدين المسيحي؟

تحت عنوان (هل يُحسِّنُ نشر إنجيل يهوذا سمعة التلميذ الخائن؟) كتبت BBC في موقعها العربي على الشبكة الدولية:

«قرار الجمعية الوطنية الجغرافية الأمريكية بترجمة ونشر ما يعرف بإنجيل يهوذا الإسخريوطي، التلميذ الذي سلّم يسوع المسيح، قد يساهم في تحسين سمعة يهوذا الذي يعتبر من أكثر الشخصيات التاريخية التي ترمز إلى الخيانة.. ومنذ ألفي عام حتى اليوم، تصف الديانة المسيحية يهوذا بالخائن معلمه بقبلة، وسلّمه إلى السلطات التي صلبته، وذلك مقابل «ثلاثين من الفضة» حسب ما ورد في الأناجيل الأربعة التي تعتمدها الديانة المسيحية وهي: إنجيل متى، ومرقص، ولوقا،

ويوحنا. وتقول هذه الأناجيل إن يهوذا مات بعد وقت قليل من خيانته يسوع،

إذ شنق نفسه بشجرة تين. في المقابل، يُظْهِر إنجيل يهوذا هذا التلميذ بصورة مختلفة فيصفه بالتلميذ المفضل لدى يسوع، ويضع خيانته في خانة استكمال المهمة السماوية التي تقود إلى «موت يسوع على الصليب لانقاذ البشرية»، وأسس لوجود أحد أهم المبادئ في الديانة المسيحية، وهو ما تسميه الكنيسة «سر القيامة»».

وقد جاء في مقالة جيني بوث Jenny Booth في عدد (2006/4/6): من مجلة تايمز أون لاين Times Online: «إنّ أوّل إشارة إلى إنجيل يهوذا وردت في

سنة 180م عندما اعتبره المطران الشهير إيرينايوس Irenaeus أسقف ليون ضرباً من الهرطقة. وما ورد في إنجيل يهوذا يتعارض مع الرواية المعتمدة في الأناجيل الأربعة المعروفة حيث يجعل يهوذا الخائن في تلك الأناجيل أقرب الحواريين إلى السيد المسيح، ويحوله من خائن إلى مطيع».

وتقول Elaine Pagels من مؤسسة Harrington Spear Paine Foundation وأستاذة العلوم الدينية في جامعة برنستون: «سواء اتفق المرء مع هذا الإنجيل أم لم يتفق، وسواء أكان مقبولاً أم مستنكراً، فإنه رؤية مؤثرة إلى حد بعيد تبين أن أحد أتباع يسوع المسيح في بواكير الحركة المسيحية كان له أثر ودلالة.»

ويقول جيمس كاتفورد James Catford الرئيس التنفيذي لجمعية الكتاب المقدس في أبردين بأسكوتلاندا:

«حقاً ستكون معجزة إذا كان يهوذا هو مؤلف هذه الوثيقة، لأنه مات قبل كتابتها بمائة عام على الأقل. ربما كان ذلك نوعاً من البصيرة، ولكن ليس ثمة ما يُقوّضُ ما آمن به المسيحيون عبر القرون».

وإذا كان ثمة خطر يتهدد المسيحية على رأي بعضهم، فأين يكمن هذا الخطر؟

إن تبرئة يهوذا من خيانته للسيد المسيح سيقوّض الأساس التاريخيّ للكنيسة الذي قام على ما ورد في الأناجيل الأربعة باعتباره خائناً. والكنيسة بذلك أمام خيارين: قبول ما يُسمى بإنجيل يهوذا، وهو عدد قليل من الورقات لا تُكوّن إنجيلاً حتى إذا قيس بإنجيل آخر غير معترف به من الكنيسة وهو إنجيل برنابا، وهي بذلك ستتراجع عما جاء في الأناجيل الأربعة، أو أن ترفض هذا المسمى إنجيلاً باعتباره من الوثائق المحرّفة أو الأبوكريفية، وهي بذلك ستتصادم مع الحقيقة العلمية، إن ثبتت، باعتبار ذلك المخطوط يعود تأليفه إلى نحو 1700 سنة.

وكتبت الـBBC في موقعها العربي بتاريخ 6 / 4 / 2006: «يهوذا لم يكن خائناً، وإنما صديقاً مقرّباً ليسوع المسيح وعندما أسلمه للرومان لم يكن يفعل ذلك إلا استجابة لرغبة صديقه الحميم.

قد يكون هذا النبأ بمثابة الصدمة للمتدينين... لكن المؤتمر الحاشد الذي دعت إليه الجمعية الوطنية الجغرافية في واشنطن تعرّض بالشك لكثير من المفاهيم. فماذا يُقدّم هذا الإنجيل الجديد؟ يقول (جريج إيفانز) أستاذ الأديان وأحد الذين شاركوا في تحقيق المخطوط: إنّ هذا الإنجيل الجديد يصوّر ما فعله يهوذا على أنه أبعد ما يكون عن الشرّ، بل على أنه أعظم ما كان بوسع يهوذا أن يقدّمه للمسيح. كان المسيح مثلنا روحاً محبوسة في جسد ماديّ، وأنّ الخلاصَ لا يأتي إلا عندما نهرب من تلك الكينونة المادية. وكان يهوذا هو الذي سمح ليسوعَ بالخلاص من الصورة المادية عندما ساعده على قتل الجسد.».



فلورنس دارر والدكتور جريجور



الكهف الذي يزعم أنه وجد فيه مخطوط إنجيل يهوذا

ما المثير في إنجيل يهوذا؟

الصفحات القليلة التي يتكوّن منها الإنجيل المزعوم لا

تحتوي على شيءٍ ذي بال، فضلاً عن فكره الغنوصيّ، إلا قدْراً ضئيلاً من المعلومات التي ترفع من شأن يهوذا وتضعه في مرتبةٍ أعلى من مراتب الحواريين الآخرين، وتبرئه من خيانة المسيح الذي اصطفاه من بينهم ليعجّل برغبته في الخلاص من الجسد تكفيراً عن آثام البشر. فكأن ما فعله من خيانة كان بطلب المسيح.

❖ ولأن يسوع كان يعرف أن يهوذا يفكّر متأملاً في شيء ما كان مرتفعاً، قال له: «تعالَ بعيداً عن الآخرين وسأخبرك بأسرار الملكوت. فمن الممكن أن تصل إلى ذلك. ولكنك ستحزن كثيراً، لأن آخر سيحل محلك ليبلغ الأثنا عشر (حوارياً) الكمال مع إلههم».

❖ وقال يهوذا: «أيها سيد، أيمكن أن يكون نسلي تحت سيطرة الحكام؟ أجاب يسوع وقال له: «تعالَ، إنه أنا (... سطران مفقودان...) لكنك ستحزن كثيراً عندما ترى الملكوت وكل أجياله».

❖ وعندما سمع ذلك قال له يهوذا: «ما الخير الذي تسلمته أنا؟ لأنك أنت الذي أبعدتني عن ذلك الجيل؟». أجاب يسوع قائلاً: «ستكون أنت الثالث عشر، وستكون ملعوناً من الأجيال الأخرى، ولكنك ستأتي لتسود عليهم. وفي الأيام الأخيرة سيلعنون صعودك؟».

❖ قال يهوذا ليسوع: «انظر!! ماذا يفعل أولئك الذين تعمّدوا باسمك؟. قال يسوع:» حقاً أقول (لك) هذا التعميد [..] اسمي] تسعة أسطر مفقودة تقريباً (لي. حقاً أقول لك يهوذا) أولئك الذين (يقدمون القرابين إلى ساكلاس..) الرب (ثلاثة أسطر مفقودة) كل شيء أنه شرّ. ولكنك ستتجاوزهم جميعاً لأنك ستضحي بالإنسان الذي يتلبسني».

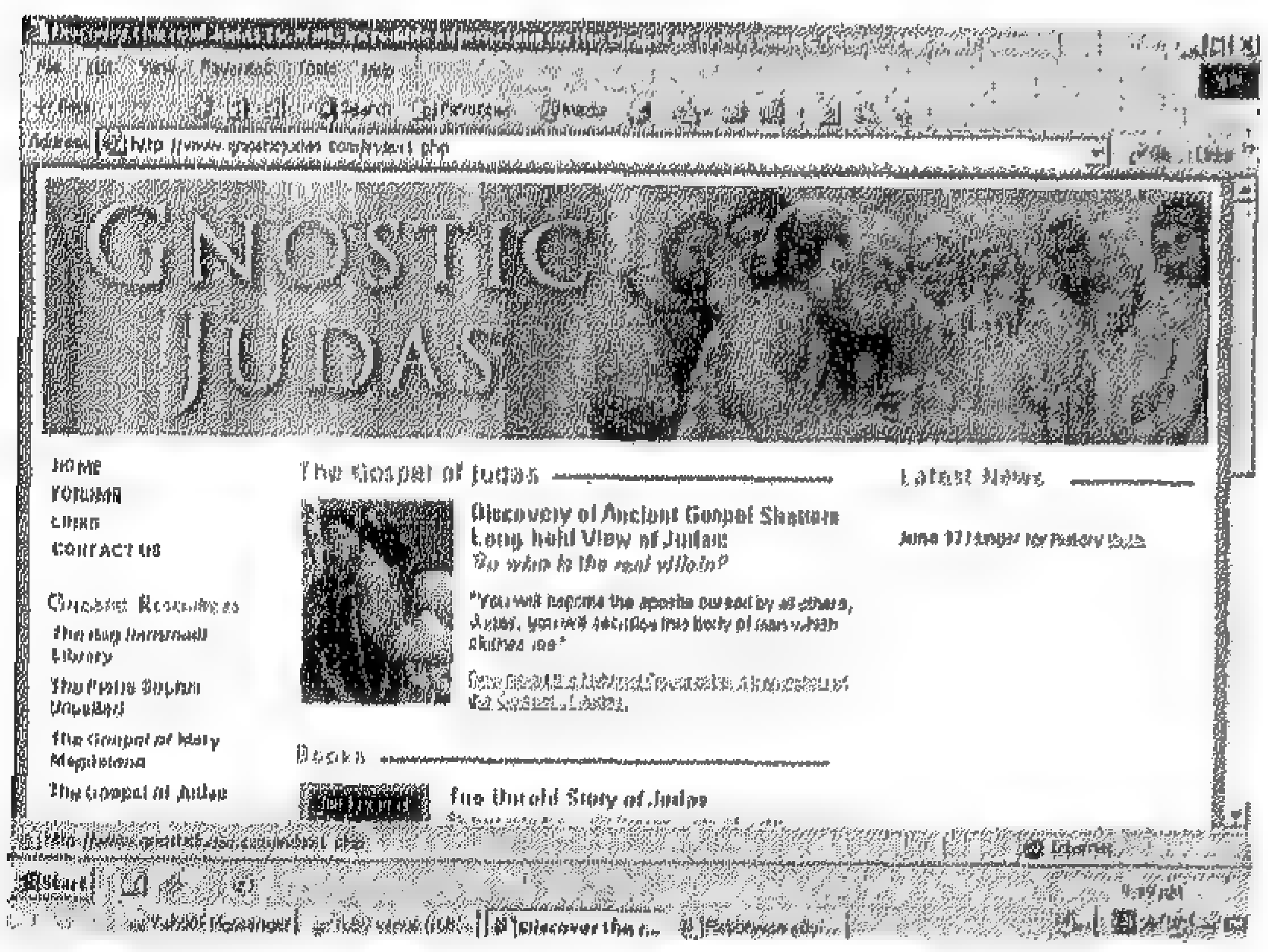
وبالفعل رُفِعَ مجدك.
وأضرِمَ عقابك الإلهي.
ولمع نجمُك.
وقلبك [...]

إنجيل يهوذا: صناعة غنوصية؟

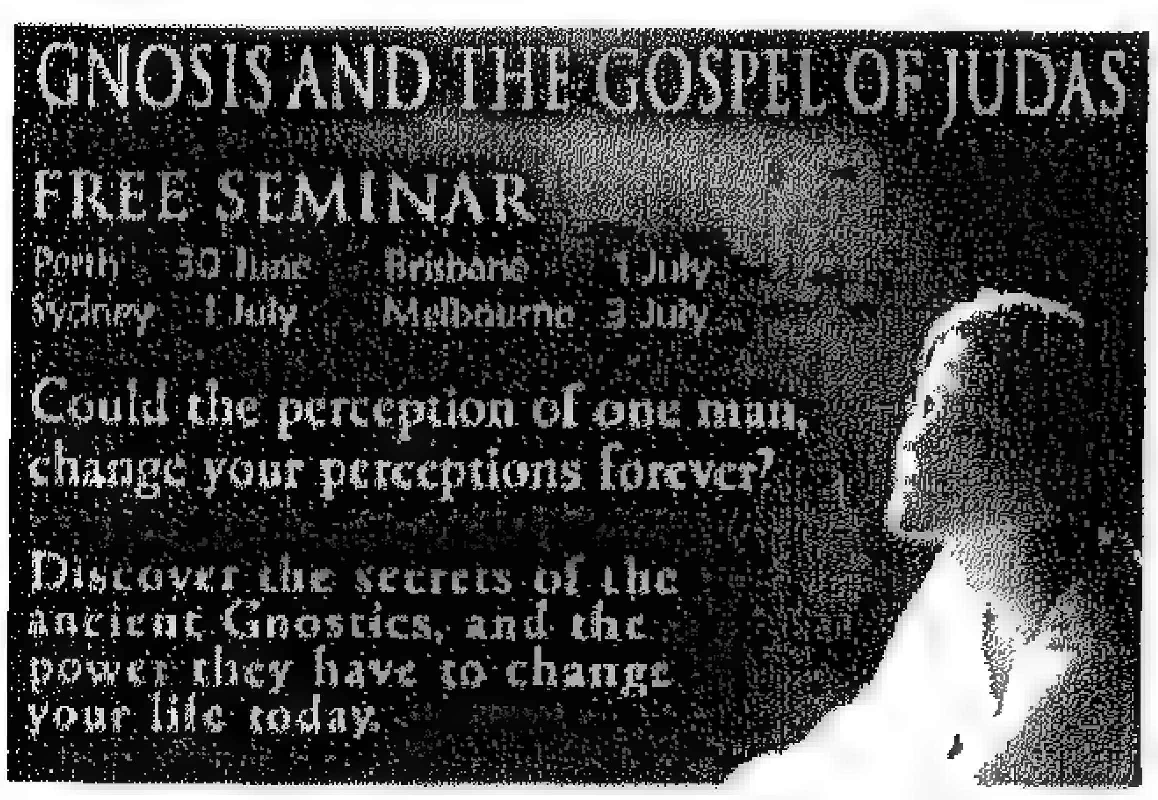
يذهب كثير من الباحثين من اللاهوتيين من الكنيستين: الكاثوليكية والارتوذكسية، وكذلك آخرون من غير اللاهوتيين إلى أنّ ما يُسمى بإنجيل يهوذا هو نصّ ينتمي إلى الفكر الغنوصي الذي كان سائداً في القرن الأول المسيحي.

والغنوصية Gnosis كلمة يونانية تعني المعرفة، أو العرفان، والغنوصي Gnostic هو العرفاني، أو العارف.

والغنوصية خليط من الأفكار الثيوصوفية السرية. وهي في الأصل حركة وثنية امتزجت بأفكار مسيحية، وترجع جذورها إلى ما قبل المسيحية بعدة قرون. وكان أتباعها يخلطون بين الفكر الإغريقي ـ الهيلينتسي ـ والمصري القديم مع التقاليد الكلدانية والبابلية والفارسية (الزرادشتية)، والأفلاطونية المحدثة، مع خليط من الفكر اليهودي.



موقع يهوذا الغنوصي على الشبكة الدولية



إعلان عن حضور ندوة مجانية عن الغنوصية وإنجيل يهوذا

والغنوصية لا تؤمن بالمادة، وتؤمن بإله مطلق انبثقت منه قوى أُطلق عليها اسمُ الأيونات Aeons، ومن هذه الأيونات طهرت الحكمة Sophia، ومن هذه الحكمة انبثق كائنٌ واعٍ خلق العالم الماديَّ، وخلق كلَّ شيءٍ على صورته. ومن الغنوصيين من يقول بالثنائية الإلهية: Dualism إلى الخير وإله الشر، أو مملكة النور ومملكة الشرّ.وقد خلق إله الخير الروح فحبسها إله الشرّ في الجسد البشري، فكان الجسد سجناً لها.

ولذا صار الهدف الأسمى للكائن البشري هو أن تتحرر الروح من سجن الجسد، أن تنطلق الروح إلى عليائها التي انحدرت منها تاركة الهيكل الترابي وراءها.

وتصف الغنوصية المسيح بأنه كائن ميتافيزيقي، آتٍ من عالم ما وراء الطبيعة متمثلاً في صورة كائن بشري أو في صورة جسد نجميّ أو أثيريّ، أو أنه توحد مع يسوع الناصري. وتقول بوجود ما يسمى بالمنيرين الأربعة: هارموزيل (Harmozel) وأورويائيل (Oroieal) وداوايثاي (Daueithai) وإيليليث .(Eleleth) وهم أيونات وكائنات روحية. ولأنهم عوالم روحية فهم الأماكن التي تقطنها النماذج الرئيسة (Geradama) أو آداماس، أي آدم السماوي؛ وشيث الذي هو النموذج السماوي لابن آدم، والذرية السماوية لشيث، ونماذج الكنيسة الغنوصية. ومن عقائد الغنوصيين الإيمان بأن يهوذا هو أعظم العرفانيين لأنه آمن بالغنوص وسارع في تحقيق الإرادة العليا لتخليص الروح السماوية من براثن الجسد، وهي الغاية الكلية التي نزل بها يسوع.

ولذلك يجعل الغنوصيون شخصية يهوذا رمزاً يتحلّقون حوله.



مقر الجمعية الغنوصية في لوس أنجلوس

وهناك عدد من المواقع الغنوصية على شبكة المعلومات الدولية تروّج لمثل هذه الفلسفات الباطنية.

ولا يحتاج المرء إلى كثير من العناء للتأكد من الأصل الغنوصي لإنجيل يهوذا المزعوم. ومن يقرأ النص الإنجليزي لهذا الإنجيل وكذا ترجمته العربية لا يملك إلا أن يقرّ بهذه الحقيقة.

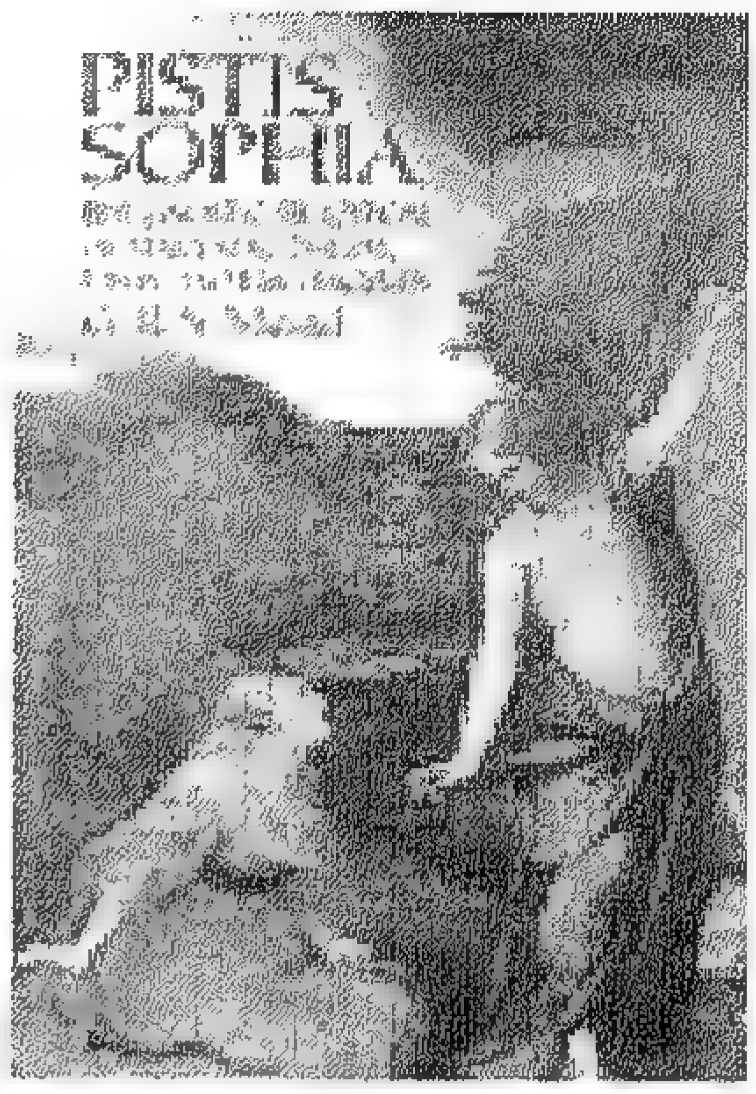
(انظر النص العربي لإنجيل يهوذا في آخر هذا الملف).

والفكر الغنوصي يقوم على الأسرار التي ينفرد بها أتباعه ولا يجيزون الإفصاح عنها، والرسالات النبوية تتنافى مع مثل هذه الهرطقة، لأن دعوات الأنبياء الأصل فيها العلن لأنها تقوم على التبشير، ولا يُعقل أن يكون التبشير سراً أو أن يكون مقصوراً على طائفة بعينها من الناس. وهذا الحكر يفسد معنى النبوة والرسالة. ولذلك فإن قول المسيح ليهوذا في هذا الإنجيل المزعوم: «تعال بعيدا عن الآخرين وسأخبرك بأسرار الملكوت. فمن الممكن لك أن تصل إلى ذلك». يتنافى تماماً مع قول المسيح لحوارييه:

«الذي أقوله لكم في الظلمة قولوه في النور. والذي تسمعونه في الأذن نادوا به على السطوح»

(متى 10: 27)، وقوله: «وقال لهم: اذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها» (مرقص 15:16).

وفي العصر الحاضر تحوّلت الغنوصية من اتجاه يكتنفه الغموض وله أسراره الخاصة إلى جمعيات معروفة تعقد اجتماعاتها علناً، وتنظّم حلقات علمية وتدريبية للترويج لفلسفتها مجاناً (انظر الإعلان عن عقد حلقات علمية في استراليا بمناسبة صدور إنجيل يهوذا).



وقبل اكتشاف مكتبة نجع حمادي، كانت مجموعة Pistis Sophia الحكمة الإيمانية أو قوة الحكمة من أشهر مصادر التعاليم الغنوصية. وهذه المخطوطة الملحمية اشتراها المتحف البريطاني سنة 1795 من طبيب تحصّل عليها من مصدر مجهول. وبطبعها أخيراً تكون قد تحررت من اعتبارها من النصوص المحرّمة كنسياً. ويعود تاريخ هذا النص إلى ما بين 150 ـ 300 م. والنص يحكي وقائع حدثت خلال إحدى عشرة سنة من قيامة المسيح. وفي غضون هذه الفترة كان يسوع يرشد تلاميذه. ويتضمن هذا النص آخر تعاليم المسيح لتلاميذه عند جبل الزيتون.

ومن أشهر المواقع الغنوصية موقع Agnostic Judas. وهو موقع يحمل اسم يهوذا كما هو واضح، وهذا يعني أنّ يهوذا رمزٌ للغنوصيين.

ومن الجمعيات الغنوصية الجمعية الغنوصية الأمريكية التي تأسست في سنة 1928 ومقرها في لوس أنجلوس، وشعارها:

(من له أذنان، دعه يسمع). وجمعية إكليسيا نوستيكا Ecclesia Gnostica.



بالإعلان عن إنجيل يهوذا، هللت الصحف الإسرائيلية ومنها صحيفة معاريف وتوقعت أنّ ذلك سيعقبه تبرئة يهوذا من خيانة المسيح كما برّأ الفاتيكان اليهود من دمه.

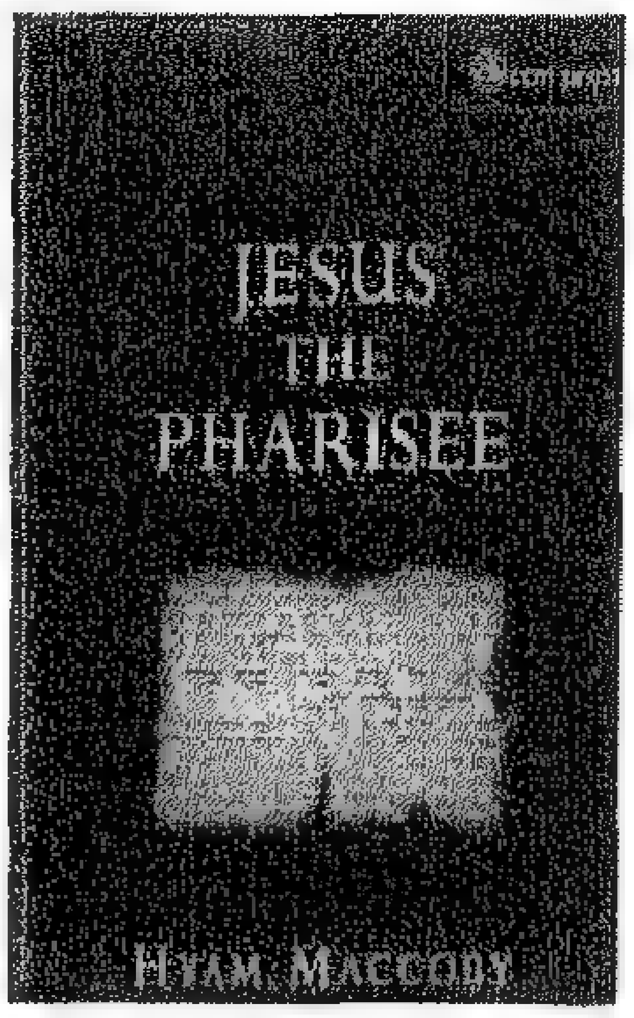
صرّح البروفيسور مارفن ماير Marvin Meyer أستاذ الديانة المسيحية والكتاب المقدّس بجامعة تشابمان Univ. of Chapman بكاليفورنيا وأحد المشتركين في تحقيق المخطوطة، قائلاً:

«إنّ شخصية يهوذا غالباً ما تصور على أنها اليهوديّ الشرير الذي أسلم المسيح لكي يعتقل ويقتل. إنّ يهوذا في هذا الإنجيل قد يستطيع الردّ على هذا التوجّه المعادي للسامية».

خطاب مارفن هذا توظيف علني مقصود لخدمة اليهود، وربما ذلك ما جعل البعض يذهب إلى أن أصابع يهودية وراء هذا الإنجيل خاصةً وأن خطابه هذا كان في المؤتمر الذي عقدته ناشيونال جيوجرافيك للإعلان عن صدور إنجيل يهوذا.

ولم تتأخر آلة الدعاية في الترويج إلى فكرة إعادة الاعتبار ليهوذا، وتهيئة الجو العام لذلك. فسارعت بالإعلان على لسان رئيس اللجنة البابوية للعلوم التاريخية السيد براندموللر Brandmueller بأنه يرغب في إعادة الاعتبار Rehabilitate ليهوذا وتقديم عمله على أنه تنفيذ لخطة الرب. وتطاير هذا التصريح كالشرر في المواقع المختلفة حتى إنّ تورنتو ستار Toronto Star اليومية كتبت في أحد أعدادها مقالة بعنوان: جاهزون لإعادة التفكير في

الواشي الوغد؟.(Ready to rethink the fink (villain
والعجيب أنّ هذا التصريح محض افتيات فقد كذّب السيد براندمولر ما سيق على لسانه. يقول السيد براندمولر كما في صحيفة هيرالد صن الأسترالية :Herald Sun



«ليس لهذا الخبر أساس، ولا أستطيع أن أتخيل من أين جاءت هذه الفكرة» وقد ذكر ذلك لوكالة الأنباء الكاثوليكية في روما.

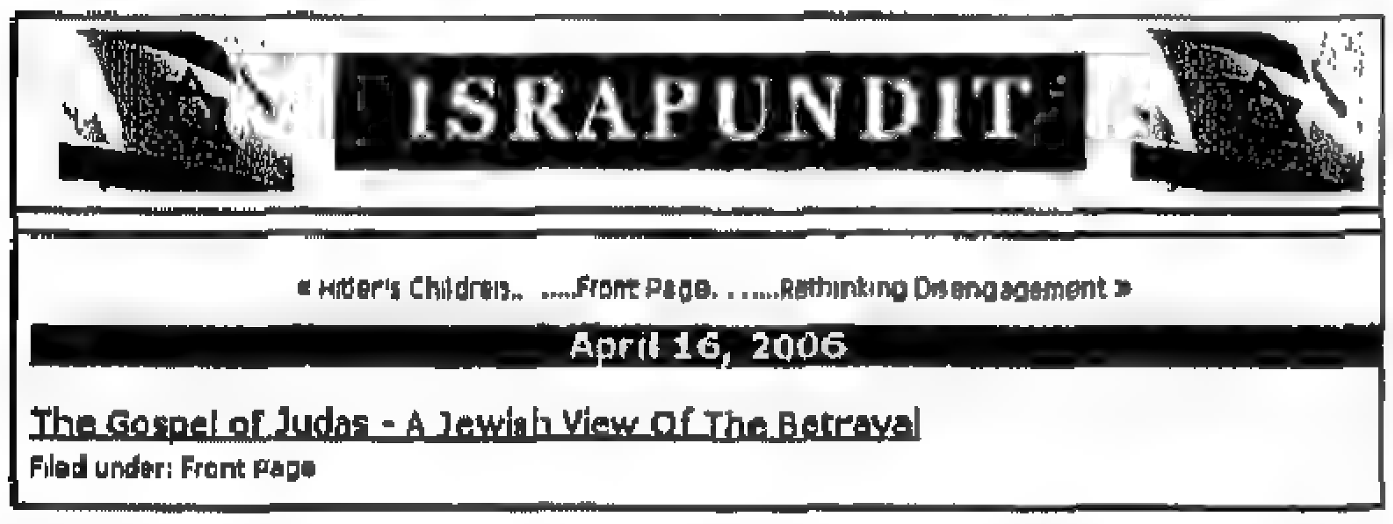
وفكرة إعادة الاعتبار ليهوذا ليست جديدة، وقد أخذت حظاً في كتابات هيام ماكوبي Hyam Maccoby ففي سنة 1992 أصدر كتابه (يهوذا الإسخريوطي وأسطورة الشراليهودي) Judas Iscariot and the Myth of Jewish Evil، وتحصّل هذا الكتاب على جائزة Wingate Prize للأعمال غير القصصية لسنة 1993. والكتاب محاولة لتنظيف صورة يهوذا في الفكر الغربي، تلك الصورة التي يصفها الكاتب بأنها نمط بدائي من التصوير Archetypal لا يعدو كونه خيالاً صنعه الأدب والفن على مرّ العصور.



يصف أحد النقاد هذا الكتاب بأنه يمثل أستاذية في الكتابة، أو بعبارة أخرى هو عمل أستاذ ماهر محترف. إنه محاولة لتخليص التاريخي من القصصي في شخصية يهوذا.

فهيام ماكوبي، يتتبع أثر تطوّر الأسطورة من الأناجيل نفسها - حيث تتبدل صورة يهوذا الخائن من إنجيل إلى آخر ويتحوّل إلى رمز يمثل شعب اليهود - إلى العصور الوسطى حيث تتطور العلاقة بين يهوذا واليهود وانتهاءً بالدور المميت الذي لعبته الأسطورة في الحركات المسيحية المعادية للسامية في العصر الحديث.

ويناقش الكاتب أيضاً تأثير قصة يهوذا على الخيال الإنساني وسحرها المستمر على الكتاب والفنانين عبر العصور. والأهم في هذا الكتاب مناقشة مسألة السبب الكامن وراء الحاجة إلى هذه الأسطورة والدور الذي لعبته في المسيحية، وكيف صاغت الموقف من اليهود الذي تحوّل فيما بعد إلى معاداة السامية. إنه باختصار، كما يقول أحد ناقديه، كتاب جدل عاطفيّ سَيُحْزِنُ بعض قارئيه، ويثير بعضَهم الآخر. والمؤلف هيام ماكوبي يهودي ألف كتاباً آخر هو (يسوع الفريسي) يزعم فيه أن يسوع المسيح هو من فرقة الفريسيين اليهودية. ويمكن للقارئ أن يقف على تهليل اليهود لهذا الإنجيل في موقع ISRAPUNDIT.

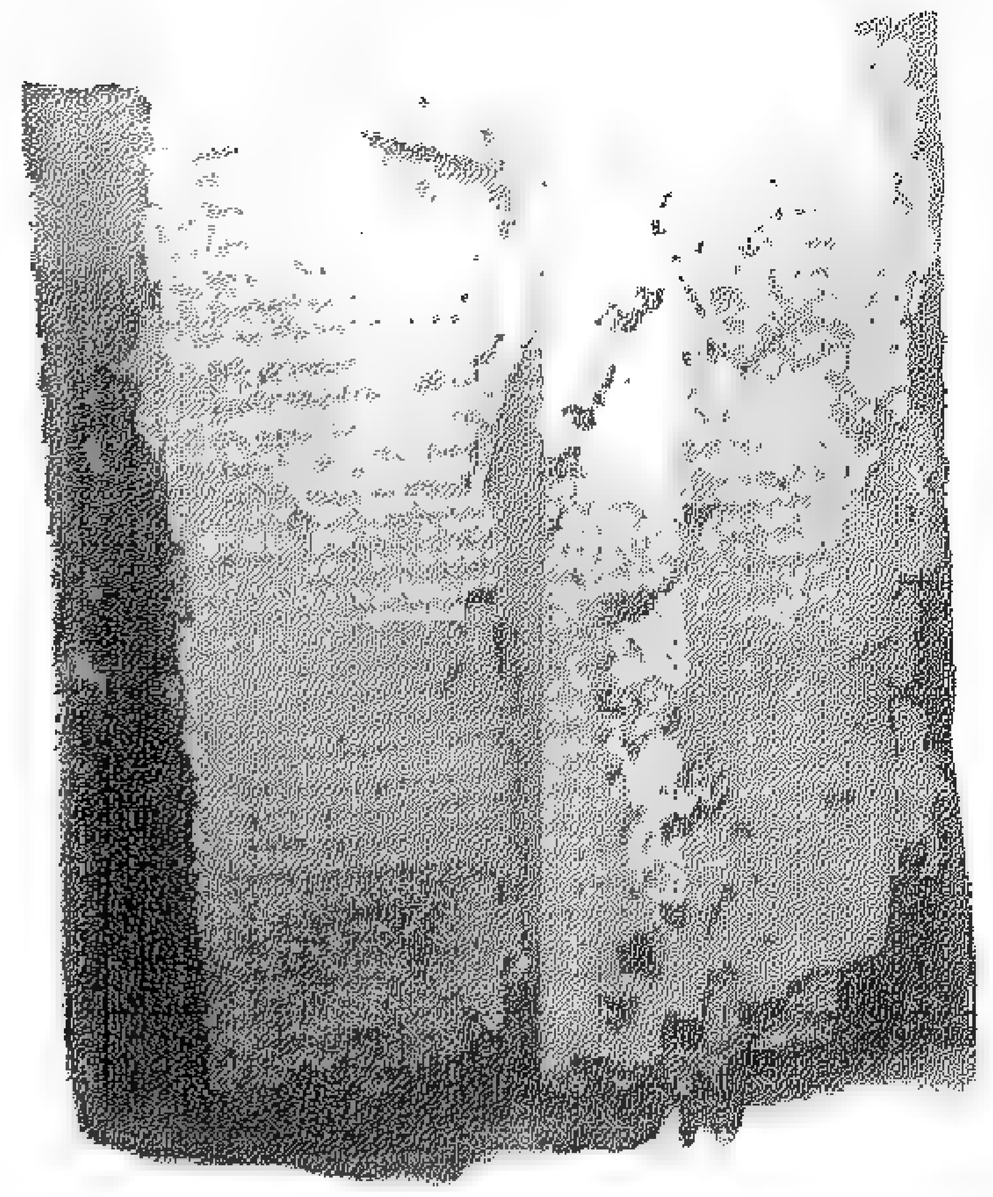


الأناجيل الأبوكريفية: مكتبة نجع حمادي*

لا يتم الحديث عن إنجيل يهوذا دون الكلام عن الأناجيل التي يُطلقُ عليها علماء اللاهوت المسيحيون اسم الأناجيل الأبوكريفية Apocryphal Gospels ولفظة Apocrypha يونانية تعني النصوص المنحولة المزيفة.

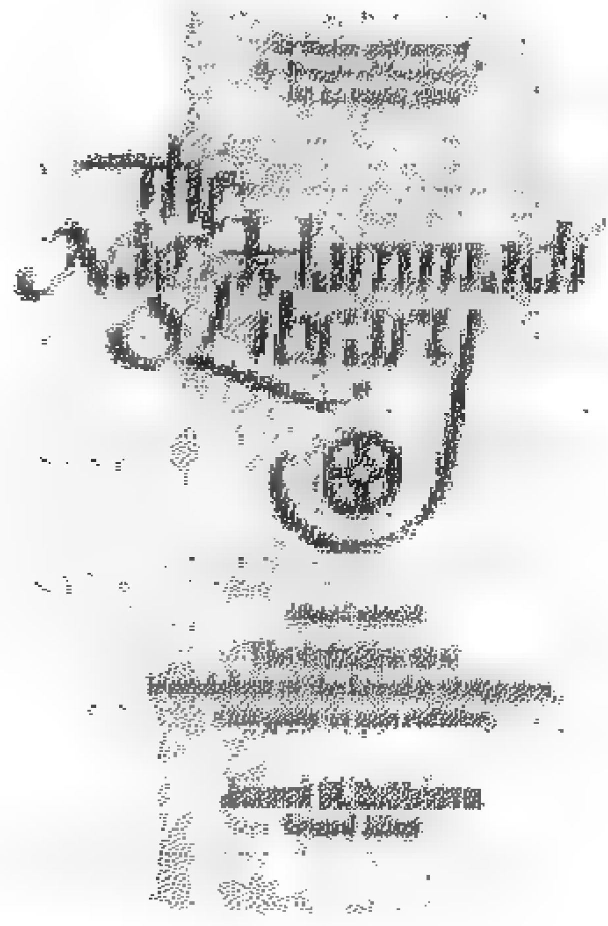
وقصة هذه النصوص تنتمي إلى حقب زمنية قديمة تعود إلى القرون الأولى من تاريخ المسيحية.

* مدينة مصرية في الصعيد تتبع محافظة قنا.



ففي سنة 367م أصدر مطران الإسكندرية رسالة الفصح، أمر فيها الرهبان المصريين الذين يمتلكون نسخاً، مما يُعرف اليوم بمكتبة نجع حمادي، أن يقوموا بإتلاف ما يعتقد أنه غير مقبول ومخالف للعقائد المسيحية المعروفة. ويبدو أن منهم من قام بحفظ بعض تلك النصوص المقرر حرقها، وذلك بوضعها في جرة يبلغ طولها ستة أقدام ودفنها في تلة بقرب نجع حمادي بصعيد مصر. وظلت هناك لأكثر من 1500 سنة. وفي شهر الكانون (ديسمبر) 1945 عثر أخوان مصريان على تلك الجرة، بينما كانا يحفران في حقلهم، وكانا يظنان أنها تحتوي على ذهب فوجدا أنها تحتوي على أجزاء من كتب.

وانتهى المطاف بتلك الكتب الموجودة في حقائب جلدية، بعد تطواف هنا وهناك، بين أيدي التجار، وبعد تدخل السلطات المصرية وقيامها بشراء ما كان يتداول بين الأيدي، ونظراً لارتفاع الأسعار المعروضة مقابل بعض المجلدات قامت سلطات الآثار بمصادرة كل ما تجده من مكتبة نجع حمادي، وبلغ مجموع ما

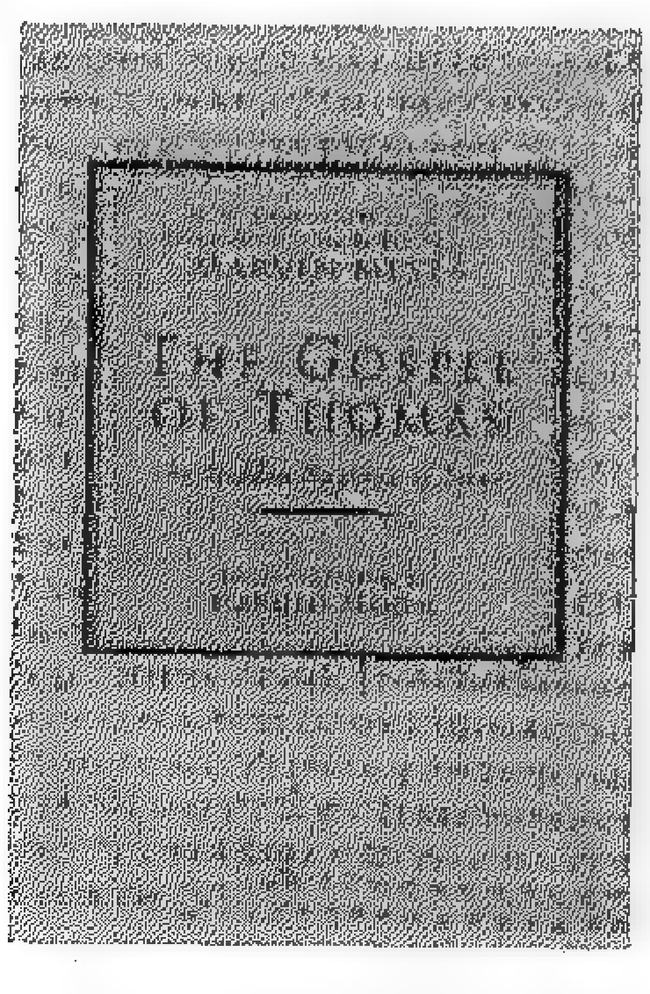


غلاف مكتبة
نجع حمادي بالإنجليزية

وضعت السلطة المصرية يدها عليه 13 مجلداً تتضمن 52 كتاباً. وقام رجال الآثار بحفظ المجلدات التي في حوزتهم بالمتحف القبطي، إلا أن التجار تمكنوا من تهريب جزء كبير من المجلد رقم 13 ـ الذي يتضمن خمسة نصوص ـ إلى خارج البلاد، وعرضوه للبيع في الولايات المتحدة الأمريكية، وبعد سعي حثيث تمّ جمع ما تناثر من المخطوطات. اثر دراستها اكتشف الباحثون في اللغات القبطية القديمة، أنها ترجع كلها إلى القرون الأولى للتاريخ الميلادي. وكان من بينها أناجيل لم تكن معروفة من قبل، مثل: إنجيل توماس، وإنجيل مريم، وإنجيل فيليب، وإنجيل الحق، وإنجيل المصريين، إلى جانب بعض كتابات منسوبة للحواريين، مثل كتاب جيمس، ورؤيا بولس، وخطاب بطرس إلى فيليب، وأعمال بطرس، وحوار المخلّص، ورؤيا جيمس الأولى والثانية، والعقل الكامل. وقد تُرجمت مكتبة نجع حمادي إلى الإنجليزية وجمعت في مجلد واحد يقع في نحو 530 صفحة.

إنجيل توما؟

إنجيل توما لا يقوم هذا الإنجيل على البناء السردي كما هو الحال في الأناجيل الأربعة المعترف بها في الكنيسة، ولكن ما يرد فيه هو أقوال وتعاليم مباشرة تصدر عن يسوع،



غلاف كتاب إنجيل توماس

فيأتي الخطاب فيه بعبارة «قال يسوع». وفي هذا الإنجيل عبارات كثيرة تتفق مع ما جاء في الأناجيل الأربعة. هذه هي الكلمات الخفيَّة التي نطق بها يسوع الحيُّ ودوَّنها يهوذا توما التوأم.

قال يسوع:

❖ من يكتشف تأويل هذه الأقوال لن يذوق الموت.

❖ مَنْ يطلب فلا يستنكف عن الطلب إلى أن يجد. وحين يجد سوف يضطرب. وعندما يضطرب سوف يَعْجَب ويسود على الكل.

❖ إذا قال لكم قادتكم: «هو ذا الملكوت في السماء،» فسوف تسبقكم طيور السماء. إذا قالوا لكم: «إنه في البحر،» فسوف تسبقكم الأسماك. الملكوت بالحريّ في داخلكم وهو في خارجكم.

❖ وازنوا بيني وبين شيء ما وقولوا لي ماذا أشبه.

قال له سمعان بطرس: أنت تشبه ملاكاً باراً.

قال له متى: أنت تشبه فيلسوفاً حكيماً.

وقال له توما: يا معلّم، إن فمي أعجز من أن يقول ماذا تشبه.

قال يسوع: لستُ معلّمك لأنك شربتَ وسكرت من النبع الفوّار الذي أرقتُه.

ثم أخذه وتنحّى، وقال له ثلاث كلمات.

وعندما عاد توما إلى رفاقه، سألوه: ماذا قال لكَ يسوع؟

أجابهم توما: إذا أخبرتكم بواحدة من الكلمات التي قالها لي ستتناولون حجارة وترجمونني، فتخرج نار من الحجارة وتُحرقكم.

❖ قال التلاميذ ليسوع: قلْ لنا مَنْ يُشبِه ملكوت السماوات. قال لهم: يشبه حبة خردل أصغر البذور كلّها، لكنها عندما تسقط على تربة خصبة، تُنتِج نبتة كبيرة وتصبح مأوى لطيور السماء.

❖ لا يُجتنى من الشوك عنب، ولا يُقطَف من الحسك تين، فهي لا تعطي ثمراً. إن المرء الصالح يُخرِج الخير من مخزنه، والمرء الطالح يُخرِج الشر من مخزنه الفاسد في قلبه، ويقول أشياء طالحة. فمن فيض القلب يُخرِج هذا المرء الأشياء الطالحة.

❖ قال لهم سمعان بطرس: على مريم أن تغادرنا، فإن الإناث لسن أهلاً للحياة.

فقال يسوع: أنظر، فإني سوف أرشِدها لأجعلها ذكراً، حتى تصير هي الأخرى روحاً حيَّة تشبهكم أنتم الذكور. فإن كل أنثى تجعل نفسها ذكراً تدخل ملكوت السموات.

إنجيل مريم المجدلية



إنجيل مريم المجدلية

ومن الأناجيل الأبوكريفية إنجيل مريم المجدلية. ويعتقد أنه كُتِبَ في القرن الثاني للميلاد بلغة يونانية في الأصل، وقد تُرجم في القرن الخامس إلى اللغة القبطية.

وقد أبصرت هذه الترجمة النور حينما اشتراها من القاهرة رجلٌ يُدعى كارل رينهارت Carl Reinhardt ونقلها إلى برلين سنة 1896، ولم يُطبع هذا الإنجيل حتى سنة 1955. وفي أوائل القرن العشرين، أثناء القيام بحفريات في شمال مصر تم العثور على قطعتين صغيرتين من ذلك الإنجيل، كتبتا باللغة اليونانية، ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث. والصفحات الست الأولى من إنجيل مريم مفقودة.

والنص المترجم إلى الإنجليزية يقع في ثلاث صفحات. والحوار الذي يجري في هذه الصفحات بين يسوع المخلص ومريم، يوحي بأن الكاتب ليست مريم، لأن الخطاب يحكي عنها، فيقول مثلاً: «وقفت مريم»، و«عندما قالت مريم ذلك»، «وقال بطرس لمريم» ،ولو كانت هي من كتبه لقالت كما في الأناجيل الأخرى، بما فيها المنحولة بحسب رأي الكنيسة،: «فقلتُ له»، «وقال لي»، «وقال لي بطرس»..

ومما جاء في هذا الإنجيل:

❖ قال المخلّص: «من كانت له أذنان فليسمع. كل الطبائع، كل المخلوقات موجودة في الآخر ومعه، وسوف تتحلل في جذوره. لأن طبيعة المادة أن تذوب في جذور طبيعتها وحدها.».

❖ وسأله بطرس: «وإذ فسّرت لنا كلّ الأشياء.

فاخبرنا ما هي خطيئة الدنيا؟ أجاب المخلّص: الخطيئة في حدّ ذاتها ليست موجودة. لكنك ترتكب الخطيئة عندما تفعل شيئاً هو من طبيعة الفسق الذي يُسمى إثماً. لذلك دخل الخيرُ في جوفك، إلى جوهر كلّ طبيعة ليردّها إلى جذورها».

❖ ما تركت وصايا إلا ما أوصيتك به، فلم أعطك شريعة، كما فعل أصحاب الشرائع، خشية أن تُلزم بذلك.

❖ قال بطرس لمريم: «أختاه. نحن نعلم أن المخلّص أحبّك أكثر من أيّ امرأة أخرى. فأخبرينا عن كلمات المخلّص التي تحملينها في عقلك حيث تعلمين ولا نعلم، ولا حتى سمعنا بذلك»

❖ أجابت مريم قائلةً: «ما خفي عنك سأفصح لك عنه. ثم شرعت تقول لهم:» رأيت السيّد في رؤية فقلت له: يا مولاي، لقد رأيتك اليوم في رؤية. فأجابني: مباركة أنت إذ لم تضطربي عند رؤيتي لأنه حيث يكون العقلُ تكون الرزانة.

❖ فقلتُ: يا مولاي. العقل الذي يبصر الرؤية، هل يبصرها من خلال النفس أم الروح؟ أجاب المخلص قائلاً: لا يبصر لا من خلال النفس ولا من خلال الروح. ولكن العقل الذي هو بينهما والذي يبصر الرؤية، هو.. (سقط). وقالت الرغبة: لم أرك تتدنى، لكنني الآن أراك في صعود، فلماذا تتكلم بالباطل وأنت تنتمي لي؟.

❖ أجابت النفس قائلةً: لقد رأيتك ولم ترني ولم تتعرّف عليّ. لقد كنت لك كالثوب ولم تعرفني. بعد أن قالت ذلك انصرفت بعيداً في بهجة وحبور.

❖ أقبلت ثانيةً للقوة الثالثة، الجهل. سألت هذه القوة النفسَ قائلةً: أين أنتِ ماضية؟ أنت مربوطة بالأذى، لقد رُبطت فعلاً. ولم تُحاكمي. أجابت النفس: لماذا تحاكمني إذا لم أحاكِم؟ أنا مربوطة بالرغم من أنني لم أربط. أنا لم أُعرف، مع أنني عرفت أن الجميع سيمضون بحرية، كل الأشياء سماوية أو أرضية.

❖ بعد أن خلّفت النفس القوة الثالثة وراءها، وصعدت إلى أعلى أبصرت القوة الرابعة التي لها سبعة أشكال: الشكل الأول هو الظلمة، والثاني: الرغبة، والثالث: الجهل، والرابع: النهوض من الموت، والخامس: مملكة الجسد، والسادس: حكمة حماقة الجسد، والسابع: الحكمة الحانقة. وأولئك هم السبعة المشتركون في الغيظ.

الحوار الذي يجري في هذه الصفحات بين يسوع المخلص ومريم، يوحي بأن الكاتب ليست مريم، لأن الخطاب يحكي عنها

❖ سألوا النفس: متى تأتين يا قاتلة البشر؟ أو إلى أين تمضين يا فاتحة الفضاء؟ أجابت النفسُ: ما يحاصرني يُقتَل. ما يُحوّلني عن وجهتي يُقهر. رغبتي بلغت النهاية والجهل مَيْتٌ. وفي دنيا نجوت من دُنيا، وفي مثال، من مثال أعلى، ومن أغلال المعرفة الواهنة. إذ ذاك سأبلغ الراحة في اللحظة التي يبلغ فيها (الأيون) Aeon السكون.

❖ لما قالت مريم ذلك، كانت صامتة، بينما كان المخلص يتكلم طويلاً معها.

❖ قال أندراوس لأخوانه: ما ظنكم فيما قالت. لأنني لا أظنّ أنّ المخلّص قال ذلك.

❖ بطرس عارضها أيضاً في ذلك، وسألهم عن المخلّص: هل أفضى بأسراره لامرأة؟ وفضّلها علينا؟ ولم يصارحنا بذلك؟ هل نرجع جميعنا ونسألها هل قدّمها علينا؟

❖ حزنت مريم وقالت لبطرس: أخي بطرس! ماذا تظن؟ هل تحسب أنّ ذلك كان يدور في خلدي أو أنني أكذب على المخلّص؟

❖ قال ليفي لبطرس: بطرس. أنت دوماً غضوب. وأراك الآن تناضل ضد المرأة مثل الأعداء. ولكن إذا جعلها المخلّص جديرة بذلك فمن أنت لتعترض عليها؟ لا ريب أن المخلّص عرفها حقاً.ولذلك أحبها أكثر منا. وينبغي أن نخجل ونتظاهر بالكمال كما أمرنا، وكما صرّح الإنجيل، ودون نشر وصايا جديدة، أو شريعة أخرى غير التي نطق بها المخلّص.

❖ ولما قال ليفي ذلك، انصرفوا لوعظه وتبشيره.

ولا شك أنّ ما جاء في هذا المسمى إنجيلاً هو فلسفةٌ غنوصية واضحة، وليس أدلّ على ذلك من ذكر الأيون Aeon وهو رمز غنوصي نراه قاسماً مشتركاً بين جميع الأعمال الغنوصية.



مريم المجدلية: إمرأة مومس أم محبوبة يسوع؟

تصوّر الأناجيلُ الأربعةُ المعترفُ بها مريمَ المجدليةَ بأنها ليست أكثر من إمرأة مومس، طهّرها المسيح ولم يُذكر فيها أنها من حواريي المسيح، مع أن هذه الأناجيل تذكر أن المجدلية ومريم أخرى كانتا أوّل من جاء بعد السبت، من صلب المسيح لتفقّد قبره. وكانتا أوّل من علم بقيامة المسيح من قبره، وقد راعهما ما سمعا من الملاك، وانطلقتا تزفان البشرى إلى باقي التلاميذ. وبينما هما منطلقتان التقاهما يسوع في الطريق، وباركهما وأمرهما قائلاً: «لا تخافا! اذهبا قولا لأخوتي أن يُوافوني إلى الجليل، وهناك يرونني» متى (28: 9-10)، ومرقص (16: 9)، ويوحنا (20: 1 - 18) وأكثر من تكلّم عنها بما يرفع شأنها من الأربعة لوقا، وإن ولم يُسمّها مكتفياً بوصفها بالمرأة الخاطئة. لوقا (7:36 ـ 50)، (24: 10 - 11). وهذا السياق العام الذي ورد فيه ذكر المجدلية في الأناجيل الأربعة، لا يمكن فهمه على أنه تصوير لمجرّد إمرأة خاطئة، بل امرأة تجاوز ايمانها بيسوع المسيح الحواريين الآخرين. وهذه الدرجة الإيمانية هي التي تصورها الأناجيل الأبوكريفية حتى جعلتها وريثة تعاليم المسيح وليس بطرس. وذلك ما جعل بطرس يأمر بأن تغادر مريم مجلس يسوع. جاء في إنجيل توما (مقطع 114): «قال لهم سمعان بطرس: على مريم أن تغادرنا، فإن الإناث لسن أهلاً للحياة. فقال يسوع: أنظر، فإني سوف أرشدها لأجعلها ذكراً، حتى تصير هي الأخرى روحاً حيَّة تشبهكم أنتم الذكور. فإن كل أنثى تجعل نفسها ذكراً تدخل ملكوت السموات».

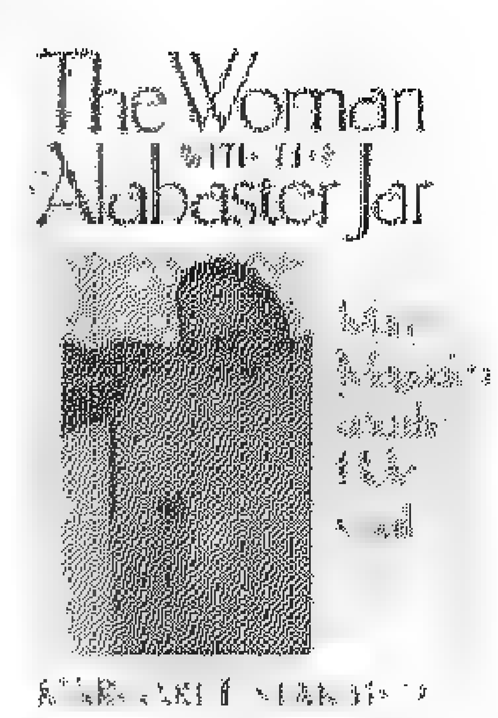
كما ورد في مكانين من إنجيل فيليب ما يُفهم منه أنّ مريم المجدلية كانت زوجاً للمسيح. جاء في الإنجيل المذكور مقطع رقم (36):

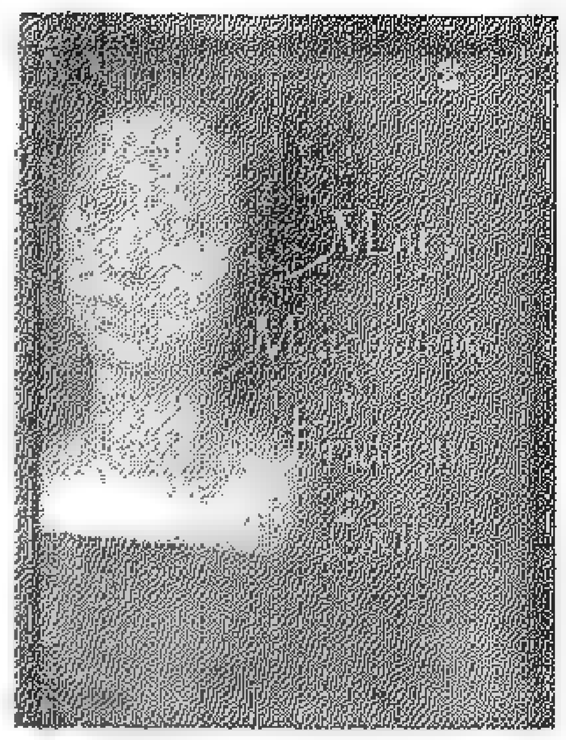
«ثلاث نسوة كلهن أسماؤهن مريم مشين مع السيد طول الوقت: أمه، وأخته، والمجدلية. وهذه تُدعى رفيقته (Consort تفسّر بالرفيقة والزوجة).

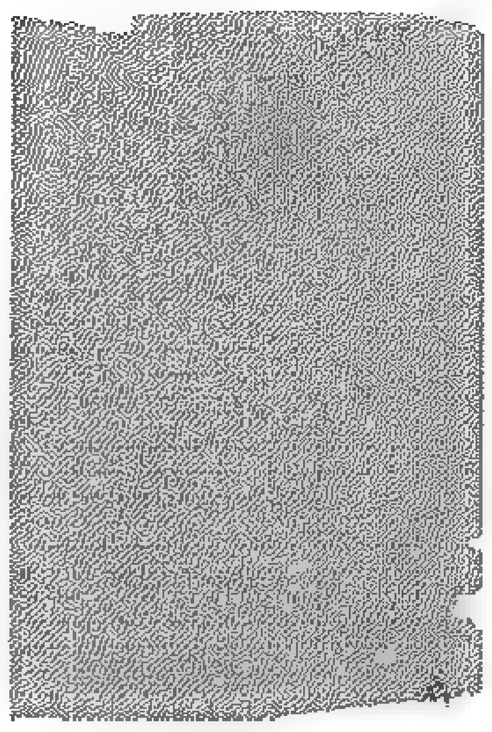
وجاء في المقطع رقم (59):

«الحكمة التي يتطلبها البشر هي أم الملائكة. ورفيقة المسيح (Consort) هي مريم المجدليّة، وقد أحبها السيّد أكثر من جميع حوارييه الآخرين. وعندما رأت النسوة حبه لمريم فقلن له: لماذا تحبها أكثر منّا جميعاً؟ أجاب المخلّص: لماذا لا أحبكم مثلها؟. فالأعمى والبصير كلاهما في الظلمة سيان. وإذا أقبل النور شاهد المبصر النور، وظلّ الأعمى في الظلمة».

ومن خلال إنجيل توما، ومريم، وفيليبس، والأناجيل المنحولة الأخرى تطوّرت، صورة مريم المجدلية، فنُسجت حولها خرافات وأساطير. وقد أصبحت في العقدين الأخيرين مادة خصبة للكتابة، فألفت حولها مؤلفات اختلطت فيها الحقيقة بالخيال.







غلاف المرأة وقارورة المرمر

غلاف كتاب مريم المجدلية عروس في المنفى

غلاف كتاب قيامة المجدلية

ومن المؤلفات التي ظهرت مؤخراً: قيامة مريم المجدلية من تأليف جين تشابرج:

Resurrection of Mary Magdalene: Jane Schaberg Testament. Legends, Apocrypha, and the Christian

وقد وضعت الكاتبة (مارجريت ستاربيرد) Margaret Starbird كتابين عن المجدلية أثارا اهتمام الباحثين منها كتاب: مريم المجدلية: عروس في المنفى Mary Magdalene: Bride in Exile وكتاب (المرأة وقارورة المرمر: مريم المجدلية والكأس المقدسة) The Woman with Alabaster Jar

وقارورة المرمر هي قارورة الطيب، التي دهنت بها المرأة يسوع المسيح، والتي وصفت مرّة بالمرأة كما في (مرقص 14: 1 – 9)، ومتى (26: 6 – 13)، ومرّة بالخاطئة (لوقا 7: 37 – 05).



إنجيل فيليب

إنجيل فيليب

ومن الأناجيل الأبوكريفية التي وجدت في مكتبة نجع حمادي إنجيل فيليب، وهو نصّ يتضمن 143 مقطعاً. وليس في هذه المقاطع ما يشير إلى أنها من أقوال يسوع المسيح. يبتدئ المقطع الأول هكذا: «عبراني يهدي عبرانياً، ويسميه مترهباً مهتدياً. ومع ذلك لا يصنع المترهب مترهباً آخر» وهذا الإنجيل، خلافاً للموروث الكنسي، ينفي ألوهية المسيح، ويزعم أنه تزوّج من المجدلية كما مرّ ذكره في الكلام عن إنجيل مريم. وهذا ما جعل الكنيسة تعده من الأعمال المنحولة (الأبوكريفية)، فضلاً عن الأفكار الغنوصية التي فيه. وقد جاء في المقطع رقم (128): «هناك ابن الإنسان، وهناك حفيد الإنسان. والسيّد هو ابن الإنسان، وحفيد الإنسان. هو ذلك الذي خُلقَ من ابن الإنسان. فابن الإنسان أخذ القدرةَ على الخلقِ من الربّ، وهو أيضاً كانت له القدرة على الإنجاب» نص إنجيل فيليب الذي يقع في 17 صفحة مشحون بالرموز والأسرار.

ففي المقطع رقم (3):

❖ «أولئك الذين يرثون الموتى هم أنفسهم موتى يرثون الميّتَ. والذين يرثون الأحياء هم أحياء، ويرثون الأحياء والموتى معاً»

وفي المقطع رقم (6):

❖ «عندما كنا عبرانيين في تلك الأيام خُلِقْنَا أيتاماً. ليس لنا من أمٍّ إلا الروح وحين أصبحنا ميسانيين أقبل الأب ليكون مع الأم».

وفي المقطع رقم(7):

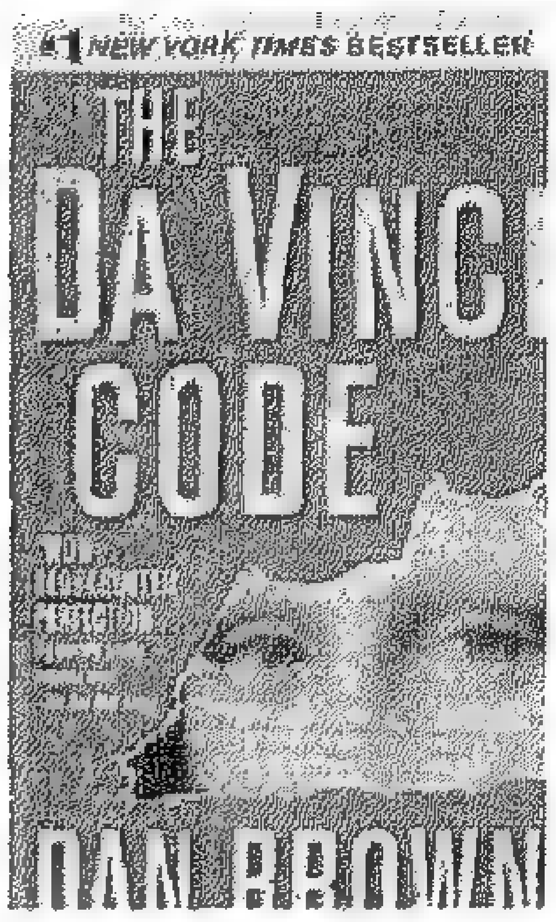
❖ «مَنْ يبذر في الشتاء يحصد في الصيف. والشتاء هو الدنيا، والصيف هو الأيون الآخر (الآخرة). فدعونا نزرع في الدنيا لنحصد في الصيف. وليس مجدياً أن ننشغل بالصلاة في وقت الشتاء، فما ينبعث من الشتاء هو الصيف، ولذلك إذا حصد المرء في الشتاء فإنه لا يحصد، ولكنه يجتث. وبهذه الطريقة لن يجنيَ ثمرا»

وفي المقطع رقم (9):

❖ «النور والظلمة، الحياة والموت، اليمين واليسار إخوة بعضهم لبعض. ومن العسير أن ينفصل أحدهما عن الآخر. ولهذا السبب لا الخير خيراً ولا الشرّ شراً، ولا الحياة حياة، ولا الموت موتاً».

وقد مرّ آنفاً عند الحديث عن إنجيل مريم، أن إنجيل فيليب هو من تكلّم عن زواج المسيح بالمجدلية.

من شفرة دافنشي
إلى إنجيل يهوذا



شفرة دافنشي Da Vinci Code للكاتب الأمريكي Dan Brown رواية صدرت في عام 2003 وصاحب صدورَها ضجةٌ كبيرةٌ لم تنقطع بعد. فما سرّ هذه الضجّة؟ وما هو المثير في هذه الرواية حتى تترجم إلى ثمانين لغة؟ هل هي عبقرية أدبية؟ هل تنامى مستوى الذوق الأدبي عند العامة حتى يتسابق الملايين من جميع أنحاء العالم لقراءة هذا العمل الأعجوبة؟ بالتأكيد لا هذا ولا ذاك. فالكاتب ليس بذي مكانة مرموقة بين أدباء أمريكا، فضلاً عن أدباء العالم. ولا الذائقة الأدبية عند الجمهور ارتفعت في جميع أنحاء العالم فجأة، بعد أن هجر الناس القراءة إلى بدائل أخرى. باختصار شفرة دافنشي، هجوم على مألوف الناس، والناس بطبعهم فضوليون، ولا سيّما فيما يخص ما نشأوا عليه. والسبيل الأيسر للشهرة اليوم هو المخالفة.

الذي أثار الناس في هذه الرواية، ليس الأحداث التي تدور حولها، ولا حبكتها الفنية، بل زعم المؤلف أنّ يسوع المسيح كان متزوجاً من مريم المجدلية، وأنه أنجب منها ذرية لا تزال سلالتها تعيش بيننا، غير



معروفة، وتلك هي شفرة دافنشي التي أودعها لوحته الشهيرة (العشاء الأخير). فالجالس على يمين السيد المسيح، في اللوحة ليس رجلاً بل إمرأة، هي مريم المجدلية بشعرها الأحمر، وهي تتكيء على الجالس إلى يمينها، مكونة فراغاً بينها وبين السيد المسيح، يشبه حرف V، وهو رمز للكأس المقدسة. يقول المؤلف: «إنّ أكبر سرّ في تاريخ الإنسانية جمعاء، ليس كون المسيح متزوجاً فحسب، بل لكونه أيضاً أباً. وكانت مريم المجدلية الوعاء المقدّس.. كانت الكأس الذي حملت سلالة يسوع المسيح، والرحم التي حملت ورثة المسيحية، والكرمة التي أنتجت الثمرة المقدسة».



دان براون
مؤلف شفرة دافنشي

❖ تبدأ الرواية بـ «جاك سونيير» مدير متحف اللوفر، وهو يجري داخل المتحف هارباً من شخص يحاول قتله. يُصابُ الرجلُ بطلقة رصاص تخترق معدته وظلّ يصارع الموت. ولم يكن أمامه إلا 15 دقيقة ليقضي بالسرّ الذي يحمله.

❖ يتولى البحث في القضية النقيب «بيزوفاش»، الذي يرى الاستعانة ببطل الرواية «روبرت لانجدون»، أستاذ علم الرموز الدينية في جامعة هارفارد. والسبب الفعلي لاستدعائه، أنه أولاً كان على موعد مع القتيل، وثانياً: الوضع المثير لجثة سونيير الذي عثروا عليه فيه عارياً، ممدداً بصورة عجيبة وقد رسم على صدره نجمة خماسية. وبعد تأمّل عميق في محاولة فهم لغز مقتل سونيير وبمساعدة «صوفي نوفو» حفيدته خبيرة الشفرات يتبيّن أن جاك سونيير كان قائداً لجماعة «سيون» التي فقدت هذه الليلة أربعة من قادتها للحصول على سر الكأس المقدسة منهم.

❖ كان جاك سونيير يعرف سرّ الكأس المقدسة، واستعان بشفرات دافنشي العجيبة ليحمي ذلك السرّ

وهي شفرات لا يقدر على حلها سوى صوفي وروبرت لانجدون مجتمعين. كان دافنشي عضواً في دير صهيون وأنه كان من عبدة الإله الأنثى، ولوحته الشهيرة موناليزا بابتسامتها الحزينة المعروفة تعبر عن ذلك. واسم (موناليزا) مركب من لفظتين: «آمون» و«إيزيس»، الإله الذكر والأنثى. وقد لعب دافنشي دوراً كبيراً في حفظ أسرار دير صهيون، من خلال الشفرات التي وضعها لها. وقد تأسست هذه الجماعة عام 1099 على يد «جودوفرادي بويون»، أول ملك للقدس اللاتينية، وكان الغرض منها حماية أسرار عائلة بويون ذاته، حتى سمع أعضاء هذه الجمعية بوجود وثائق سرية تحت أنقاض معبد هيروديت، المبني بدوره على هيكل سليمان، فأنشأوا فرقة عسكرية للبحث عن هذه الوثائق، وأسموها باسم «فرسان الهيكل».



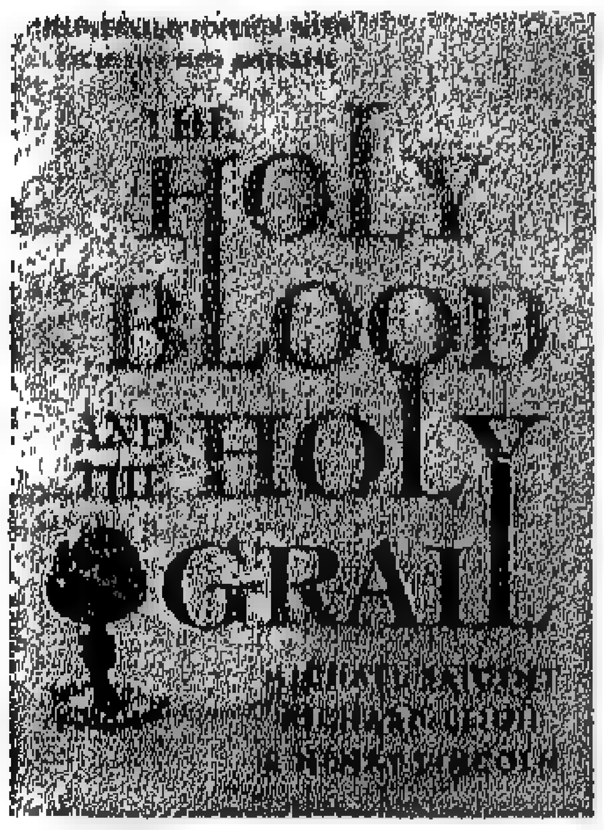
استمر الحفر والبحث تسع سنوات كاملة، ثم عثر فرسان الهيكل على الوثائق، ليعودوا بها إلى أوروبا، للحصول على سلطة مطلقة من البابا اينوسنت الثاني.

ولكن البابا كليمنت، قرر التحالف مع ملك فرنسا (فيليب الرابع) للتخلص منهم، وفي يوم الثالث عشر من أكتوبر لعام 1307 اغتيل أعضاء فرسان الهيكل،

وظلّ السرّ محفوظاً مع من نجا. يفلح لانجدون وصوفي في الحصول على مفتاح السر من خزانة جاك سونيير في المصرف، ثم يستعينان بالمؤرخ اللاهوتي (لاي تيبينج) ليكتشفا أنّ السرّ الذي كان يحتفظ به سونيير ليس إلا خريطة، تقود إلى الكأس المقدسة التي يبحث عنها الجميع، وهو قبر مريم المجدلية ذاته.

يستطرد دان براون في توضيح عقائد دير صهيون، وبيان أنّ المسيح كان بشراً عادياً، ولم يكن إلها كما يدعي الفاتيكان، والدليل على ذلك أنّ يسوع المسيح تزوج مريم المجدلية!!

يقوم المؤلّف بتفسير غريب للوحة العشاء الأخير لدافنشي، باعتبار أنها تحوي الشفرة المقصودة، ويخلص في تحليله إلى أنّ الجالس إلى يمين المسيح، ليس رجلاً من الحواريين، بل هي مريم بشعرها الأحمر، وتشبه ألوان ملابسها ملابس السيد المسيح. ثم يتحوّل الحديث في الرواية إلى جدل لاهوتي، ينتهي عند المؤلف بأن يسوع تزوّج مريم المجدلية، لأنه مجرد بشر وليس إلهاً. ونصل بعد ذلك إلى أن للمسيح نسلاً يعيشون بيننا حتى اليوم، وأن جماعة سيون تسعى للحفاظ على سريتهم، لمنع الفاتيكان من الوصول إليهم والتخلص منهم.



وأكثر ما ورد في شفرة دافنشي ليس جديداً، فالكأس المقدسة التي تمثل رمزاً كبيراً في الرواية ليس إلا إعادة صياغة، لما جاء في رواية أخرى سبقتها صدرت في سنة 1982 بعنوان: الدم المقدس والكأس المقدّسة The Holy Blood and the Holy Grail قام بتأليفه ثلاثة من الكتّاب هم:

مايكل بيجينت Michael Baigent و ريتشارد لي Richard Leigh وهنري لينكولن Henry Lincoln، وتتشابه الأفكار في الروايتين تشابهاً مثيراً، حتى إن مؤلفي رواية الدم المقدس والكأس المقدسة، رفعا دعوى قضائية ضد دان براون بتهمة الانتحال.

الخلاصة، أنّ هذه الرواية التي صاحبتها زوبعة كبيرة تحوّلت في النهاية إلى شريط خيالة «سينيمائي» تظافرت أجهزة الإعلام العملاقة على الترويج له، بكلّ ما أوتيت من قوة وتأثير، إلا أنه لم يحقق الضجة المتوقعة.



ملصق فيلم شفرة دافنشي

وقد تساءل كثير من الباحثين، عمن يقف وراء كلّ هذا. ولمعرفة ذلك لم يتحرّج القس تيد بايك Ted Pike أن يكتب مقالة بعنوان: (اليهود وراء شفرة دافنشي) The Jews behind Da Vinci Code وهي منشورة في موقع :

http://www.davidduke.com

بتاريخ 2006/6/3. يقول في فاتحتها: «يدرك الجميع تقريباً، أن شفرة دافنشي هجوم غير مسبوق على السيد المسيح والمسيحية. ولكن أغلب الناس لا يعلمون أنّ عمالقة الإعلام، الذين يديرون هذا الهجوم، هم من اليهود» ثم يعدّد أسماء دور النشر، التي جنت الملايين من توزيع شفرة دافنشي، وأن الذين يمتلكونها هم يهود. ولا يغيب على الفطن، أنّ شفرة دافنشي وبعدها إنجيل يهوذا، يجريان في نفس الوادي. يقول تيد بايك في المقالة نفسها: «في إنذار إليكتروني سابق، ذكرت بالوثائق كيف ساعد اليهود جمعية ناشيونال جيوجرافيك لإظهار هرطقة إنجيل يهوذا إلى العالم. وقد بينت كيف أنّ المجلس الاستشاري للكتب المخطوطة بجمعية ناشيونال جيوجرافيك، وهو القوة الدافعة التي كانت وراء نشر المخطوط، يتكون أكثرها من أسماء يهودية. وقد سبق ذلك بستة أشهر، حملة منظمة ضد المسيحية قام بها نشطون يهود. ففي نوفمبر من العام الماضي يشن آبي فوكسمان Abe Foxman رئيس رابطة مكافحة التشهير، في بناي بريث Anti-Defamation League of B'nai B'rith حملة ضد المحافظين المسيحيين متهماً إياهم بأنهم يشكلون تهديداً للحرية. وأن كتاب العهد الجديد كذب، وكراهية، وهو المسؤول إلى أقصى حدّ عن قتل 6 ملايين يهودي في الحرب العالمية الثانية. وفي ديسمبر الماضي وُصِفَ المسيح في برنامج 48 Hours special الذي تبثه قناة CBS بأنه كان ابن زنا. وفي شتاء العام الماضي صدر كتاب دانيال عن NBC وفيه وُصِفَ المسيح والعائلة المسيحية بأنهما قمامة. فانظر من وراء هذا الكتاب؟».

إنجيل يهوذا يتحول إلى أعمال أدبية

بشكل مثير للاهتمام صدرت أعمال فكرية وأدبية بُعيد أسابيع فقط من صدور إنجيل يهوذا عن الجمعية الجغرافية الأمريكية في شهر أبريل الماضي. ولعلّ من أهم ما صدر بهذا الخصوص، كتاب (أسرار يهوذا: حكاية الحواري الذي أسيء فهمه وإنجيله المفقود) The Secrets of Judas: The Story of the Misunderstood Disciple and His Lost Gospel وهو من تأليف جيمس م روبنسون James M. Robinson. والكتاب يتكون من مقدمة وستة فصول، هي:

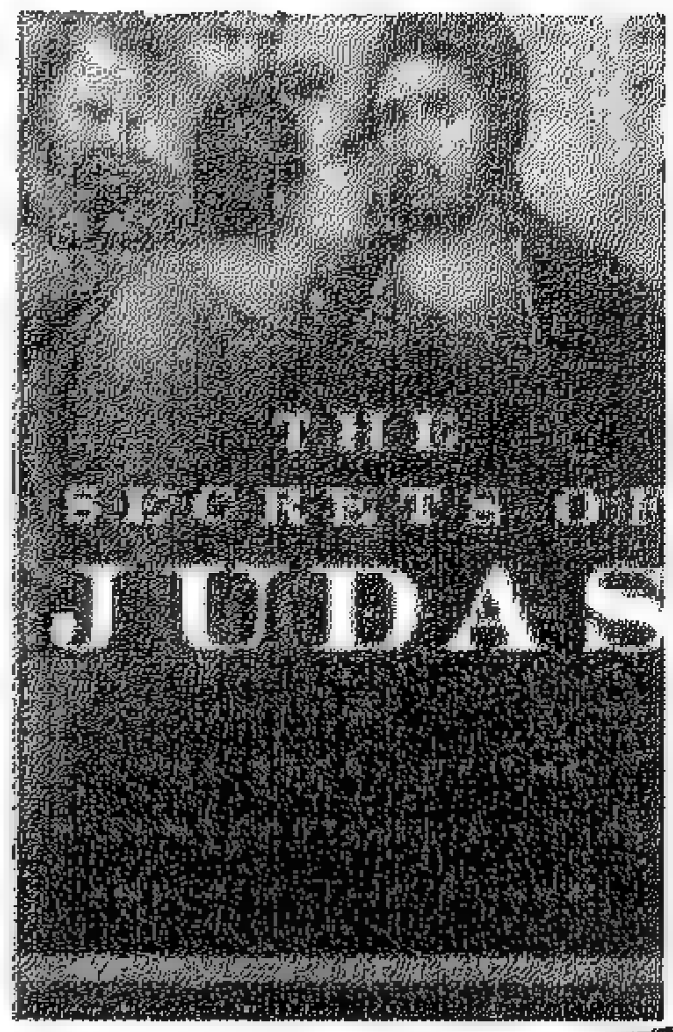
- ❖ يهوذا العهد الجديد
- ❖ يهوذا التاريخي
- ❖ يهوذا الغنوصي
- ❖ ظهور إنجيل يهوذا في جنيف
- ❖ تجوال إنجيل يهوذا
- ❖ إنجيل يهوذا: نشره ومغزاه

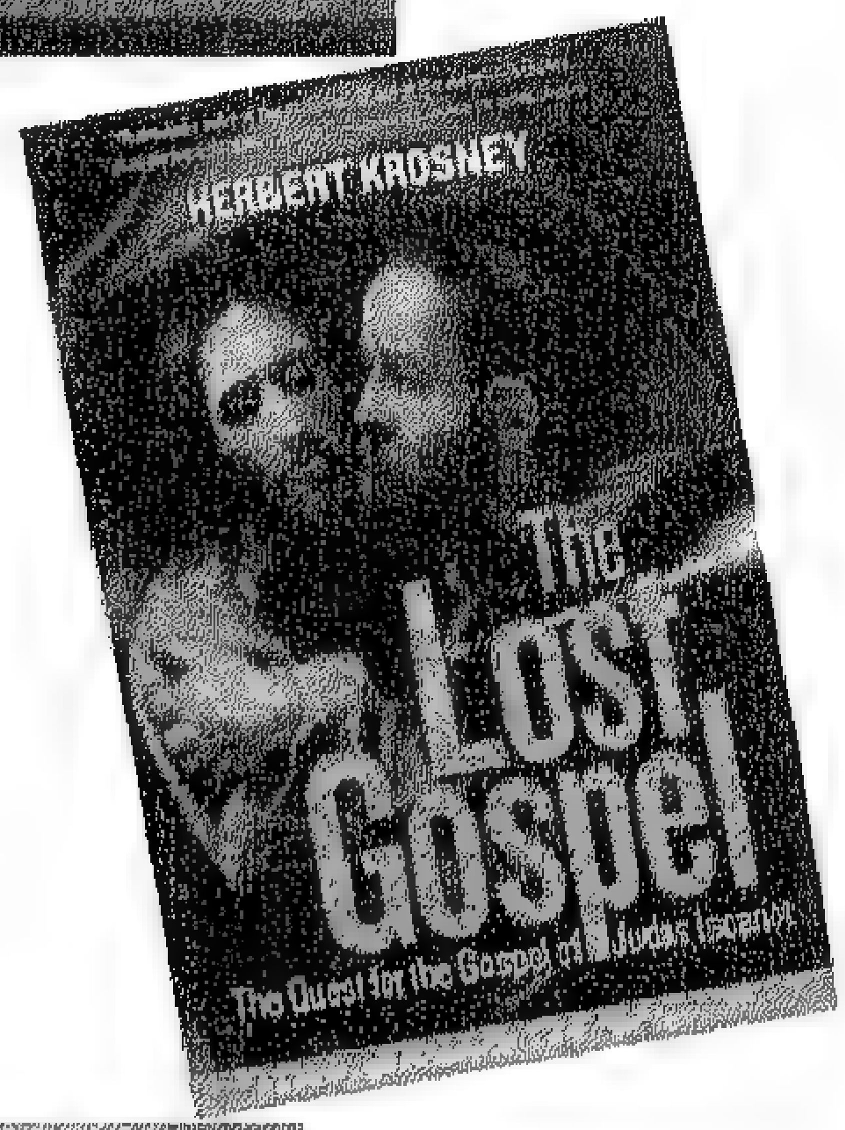
ومن تلك الكتب التي صاحبت ظهور هذا الإنجيل كتاب المؤلف اليهودي هربرت كروسني Herbert Krosney (الإنجيل المفقود: البحث عن إنجيل يهوذا) The lost Gospel: The Quest for the Gospel of Judas Iscariot) وقد قامت بنشره

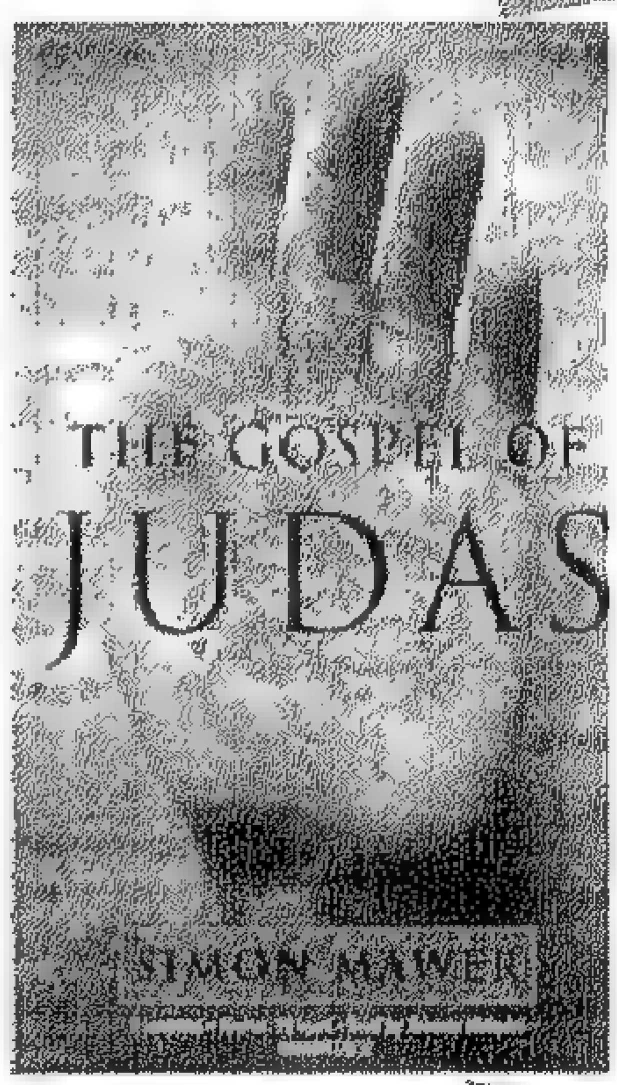
الجمعية الجغرافية الأمريكية، أصدرته في اليوم نفسه الذي أعلن فيه عن صدور إنجيل يهوذا. والمؤلف هو صاحب كتاب (القنبلة الإسلامية: التهديد النووي لإسرائيل والشرق الأوسط) وضعه بالاشتراك مع ستيف وايزمن Steve Weissman سنة 1981.

وثمة رواية تحمل عنواناً هو (إنجيل يهوذا) The Gospel of Judas لمؤلف يدعى سيمون ماور Simon Mawer وهذه الرواية تقوم على فرضية تقول: ماذا لو تحاورنا اليوم مع يهوذا؟ فماذا سيقول اليوم؟ ماذا لو حدث حوار، بأي أسلوب، مع الرجل الذي ساعد الرومان في إعدام ابن الله؟ ماذا لو أن لفائف البحر الميت التي كُتبت في القرن الأول قبل زمن طويل من كتابات متى، ومرقص، ولوقا، ويوحنا تكلمت عن حياة يسوع من وجهة نظر يهوذا؟ كيف ستتلاءم هذه الوثيقة مع بنية الكنيسة؟ كيف ستؤثر على رأينا نحن لا في يهوذا فحسب، بل في المسيح والكنيسة ذاتها أيضاً؟ هذه هي المقدمات المنطقية المثيرة للغضب التي تنساب في رواية سيمون ماور.

ومن الأعمال الأدبية المثيرة والتي تعدّ إرهاصاً لصدور إنجيل يهوذا رواية الكاتب الأسباني أرماندو كوساني Armando Cosani طيران الأفعى المجنحة El Vuelo de la Serpiente Emplumada التي صدرت طبعتها الأولى باللغة الأسبانية سنة 1953، وصدرت طبعتها السادسة في المكسيك سنة 1993، وقد ترجمتها إلى الإنجليزية باتريشيا أتكينسون Patricia Atkinso سنة 2003. بعنوان: The Flight of Feathered Serpent عن دار نشر Absolute Publishing والمؤلف كان يعمل مراسلاً حربياً أثناء الحرب العالمية الثانية. وأثناء القيام بمهامه التقى بشخصية غامضة قصت عليه هذه الحكاية وتركت خلفها روايات مثيرة للدهشة عن يسوع ويهوذا.









حوار الحضارات ..
هل تحكم الأيديولوجيا اختلاف المعايير؟

د. حسن الباش *

منذ أن خرج شعار (صدام الحضارات) على يد الأميركي هنتنغتون، طرح بالمقابل شعار (حوار الحضارات) كي يصبح هناك توازن أقرب إلى المنطق الإنساني. وبدا أن تيارين عالميين يتبنيان شعارين متناقضين. وراح كل تيار يطرح موجبات الصدام والحوار ونتائجه المتوقعة أو المتأملة.

ويبدو أن التيار الذي يدعو إلى صدام الحضارات مرهون بقوة الولايات المتحدة العسكرية والاقتصادية والهيمنة على العقل الغربي بشكل عام. وهذا الامتهان أودى بالموقف الأميركي إلى الصدام المسلح مع عدة قوى في العالم الإسلامي: كالعراق وأفغانستان وفلسطين، وكذلك إلى الصدام الفكري والسياسي مع عدد من القوى الرافضة للمنطق الأمريكي في المنطقة العربية وبعض القوى الرافضة للمنطق الامريكي في أمريكا اللاتينية.

ويبدو أيضًا أن التيار الذي يدعو إلى حوار الحضارات يريد أن يقول للعالم إن الشرق الإسلامي ليس إرهابيًا وليس منغلقًا، وقد رأينا العديد من الشخصيات السياسية والفكرية الإسلامية تتصدر هذه الدعوة.

وإذا كان دعاة صدام الحضارات قد طبقوا بعض نظرياتهم في حروب ضد المسلمين فإن دعاة الحوار فرشوا السبل بالكلمة الطيبة وحوار الأنداد ولم يغلقوا على أنفسهم الأبواب، بل راحوا يجوبون بلدان العالم ـ ومنها الفاتيكان ـ داعين إلى فهم الشرق الإسلامي ومن ثم إلى إيجاد آليات لحوار صحيح مفيد على مستوى العالم.

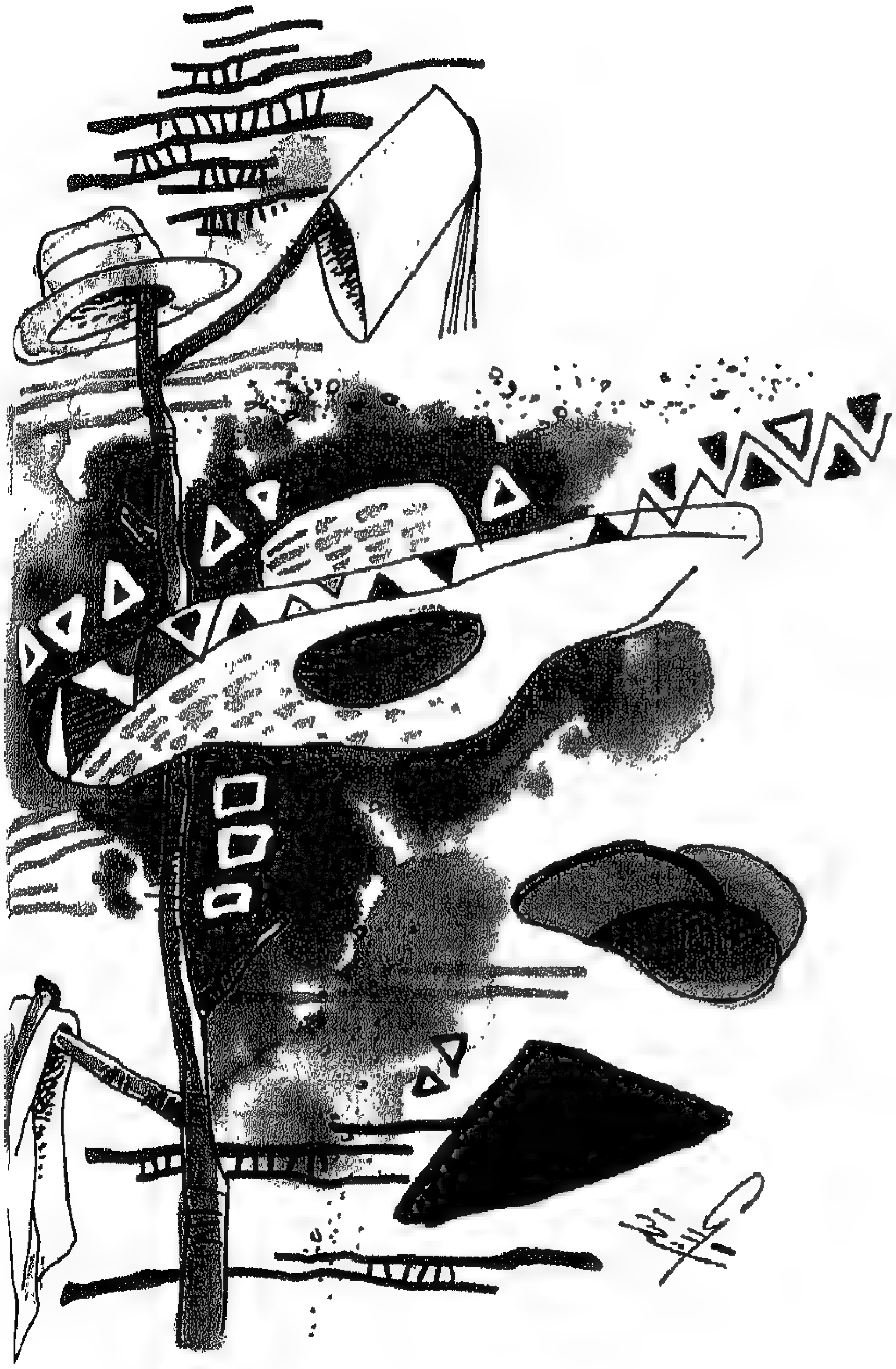
وفي كل الأحوال فإن شعار صدام الحضارات لم يجلب منذ بدايته سوى الكوارث والدمار والقتل والعداء بين الشعوب، وتلوث الأجواء الدولية بفيروسات الحقد والعمل المضاد، الذي لم يجلب سوى مزيد من الخسائر على المستوى البشري أو العسكري أو الاقتصادي.

* باحث وأستاذ جامعي فلسطيني/ سوريا.

وكذلك فإن شعار حوار الحضارات ما يزال يلقى آذانًا صماء وعقولاً متعصبة متحجرة لا تريد الخير للبشرية، إنما تريد أن تكون الشعوب إمّا غالبة وإمّا مغلوبة في عقيدتها وفكرها وتراثها وشخصيتها وتاريخها ومستقبلها.

وإذا كان الخلاف الجذري قد بدأ يدبُّ بين دول أميركا اللاتينية والولايات المتحدة فإن جذور الخلاف الجذري بين أميركا والغرب من جهة وبين العالم الإسلامي من جهة أخرى، لا يتوقف عند مسألة المصالح المتضاربة فحسب، وإنما هو خلاف إيديولوجي ليس من السهل إزالته أو تجاوزه.

وإذا كنا فعلاً نريد حوارًا حضاريًا مجديًا فإن عقبات شتى تحول دون تحقيق النتائج في السرعة التي نتمناها، ولعل هذه العقبات جميعها ترتبط بالموقف الإيديولوجي الذي يفرض نفسه على المعايير الفكرية والثقافية والاجتماعية التي ترسّخت في الفكرين المتناقضين اللذين يعبران عن ثقافة الغرب وثقافة الشرق الإسلامي.



كيف تحكم الأيديولوجيا اختلاف المعايير؟

من الواضح جدًا أن التيار الذي يسيّس الولايات المتحدة باتجاه صدام الحضارات هو تيار المحافظين الجدد، أو لنقل بصراحة أكثر: المتعصبين من البروتستانت الأمريكيين، ومن الطبيعي جدًا أن التيار الإسلامي بغض النظر عن تشتت أصواته يريد حوارًا حقيقيًا مع الغرب على أساس النّدية وليس الدونية، ويرى في التطرف البروتستانتي الأميركي نقيضًا كبيرًا من الصعب التحاور معه لأنه ظل مرهونًا لعقلية صدامية معتمدة على أيديولوجية دينية متحجرة.

وللحقيقة نرى أن تيار المحافظين الجدد، أي البروتستانت المتعصبين، يستند في رؤيته للعالم

إلى خلفية أيديولوجية لا يمكن أن تتطابق أو تتماشى مع الإسلام والمسلمين، لا في الأهداف ولا في الآليات.

فالحوار يصبح أكثر تعقيداً مما هو عليه مع أي طرف غربي آخر، وهناك من الأسباب ما يدفعنا للحكم على هذا الحوار حكماً قائماً.

إن الولايات المتحدة دولة حديثة ليس لها بعد حضاري ولذلك لا وجود لعلاقات حضارية بينها وبين الشرق الإسلامي إلا منذ قرنين من الزمان. وهذه العلاقات اتسمت بالعداء كون البروتستانتية الغربية تحكمت بها. وعليه فإن نظرة الولايات المتحدة للعرب والمسلمين وحتى بقية شعوب آسيا وإفريقيا هي نظرة دينية عنصرية ترى جميع شعوب العالم الإفريقي وكذلك الآسيوي واللاتيني الأمريكي متخلفة تستحق أن تُستعمر.

الولايات المتحدة محكومة بقوانين اقتصاد المنفعة وليس قوانين الحوار الأخلاقي والثقافي الديني

وبشكل عام فإن عقلية المحافظين الجدد محكومة بأساطير دينية تربط الرؤية التوراتية الصهيونية بالسياسة الخارجية، ولذلك نجد الولايات المتحدة تدافع عن اليهود الصهاينة أكثر من دفاعهم عن أنفسهم، وهذا الدفاع المستميت عن المشروع الصهيوني أدى إلى تحالف مصيري بين أميركا وإسرائيل ثم أدى إلى عدم الاعتراف بحق العرب والمسلمين بفلسطين والمسجد الأقصى.

ونرى أن الولايات المتحدة محكومة بقوانين اقتصاد المنفعة وليس قوانين الحوار الأخلاقي والثقافي الديني، وهي بذلك تنظر إلى منطقة الخليج على أنها منبع الثروات البترولية وحسب.

وقد جسّدت رؤيتها العدائية بغزوها لأفغانستان والعراق ودعم الغزو الصهيوني لفلسطين وتهديد الدول الإسلامية الحرة، وقد بدا أن الولايات المتحدة لا تلجأ إلاّ لطريق واحد للتفاهم مع الشعوب هو طريق العصا الغليظة، وبمعنى أوضح فإن سياسة الدولة تقوم على فرض رؤيتها بالقوة المسلحة مهما كانت الضحايا ومهما كانت النتائج، لأنها تنظر إلى نفسها على أنها القوة الوحيدة في العالم التي تستطيع أن تضرب هنا وهناك دون أي رادع أو أي حساب، فكيف يمكن أن يُصنّع حوار حضاري مع الولايات المتحدة إذا بقيت هذه الأسباب حية موجودة لدى الولايات المتحدة وقيادتها المتعصبة؟

قد يرى بعضنا أن التطور التقني الحاصل في الولايات المتحدة مؤهلاً ليكون باباً من أبواب الحوار بين أمريكا والمسلمين، فإذا افترضنا صحة ذلك فإننا نقف أمام الأسباب الأخرى وقفة طويلة تحتاج لتمعن، وإعادة نظر، وتحتاج لإعادة تقييم من قبل الشعب الأمريكي نفسه.

فالنظرة العنصرية الفوقية التي رسخها زعماء المحافظين الجدد في عقول الأمريكيين تجاوزت حدود الفهم الحقيقي بين الشعوب، فكثيرة هي التنظيرات الامريكية التي قال بها هنتنفتون وغيره حول صراع أميركا مع الحضارة الإسلامية والإسلام بحد ذاته، وقد اخترعوا عدوًا منذ 11 سبتمبر ولقد حدثت جرائم وهجمات على المساجد، وحتى معبد السيخ لم يسلم منها، وفي جامعة كولورادو، هنا في بلدر وهي مدينة ذات سمعة ليبرالية وجدت عبارات كُتبت على الجدران تقول: «أيها العرب عودوا من حيث جئتم. أقصفوا أفغانستان. عودوا إلى أوطانكم أيها العبيد الصحراويون».

وبغض النظر من تقييمات بعض المفكرين المضادين لسياسة الولايات المتحدة.. إلا أن هذه الدولة جسدت الحقد على الإسلام - العدو المفترض - من خلال تغذية الشعور بالعداء للمسلمين ومن ثم شن الحرب عليهم في أفغانستان والعراق. ودعم إسرائيل للقضاء على الشعب الفلسطيني وتهديد الدول الإسلامية والعربية المتعاطفة مع القضية الفلسطينية العادلة.

إن التعصب البروتستانتي بات واضحًا لدى المحافظين الجدد الذين تبنوا الانحياز للصهيونية وإسرائيل، لقد أغرقوا الشعب الأمريكي في بحر من الأساطير الدينية التوراتية التي يقود ترويجها نخبة من المفكرين المتعصبين البروتستانت.

لقد قادهم هذا التفكير وهذه الأيديولوجية إلى مزاجية المعايير تجاه القضايا الدولية الحساسة مما كان له أكبر الأثر على الموقف المحتج والرافض لسياسة الولايات المتحدة حتى من قبل مواطنيها. فالسياسيون الأمريكيون الذين يناورون بالشعارات هم أنفسهم الذين يفصحون عن ذلك التعصب المرفوض والمعادي للشعوب.

وإذا كانت المصالح الاستعمارية تدفع أميركا إلى هذا المستوى الأخلاقي المتدني فإن الخلفيات الدينية والاسطورية تلعب الدور الأبرز في تحديد الأعداء وغير الأعداء.

فالولايات المتحدة بقيادة المحافظين الجدد تبلغ الذروة في الولاء للأيديولوجية الصهيونية، وهذا ما يحتم عليها أن تكون معادية للإسلام وللمسلمين الذين انتهكت حقوقهم في فلسطين على يد الوجه الأبشع لهذه الصهيونية.

وإذا نظرنا اليوم إلى التفكير الأمريكي المحافظ نجده ينطلق في مواقفه تجاه قضايا المسلمين من مبدأ التحالف العقدي مع الكيان الصهيوني ونظريته العنصرية. وهذا التحالف يرجع إلى دوافع وأسس دينية عميقة الجذور في البنية الثقافية المسيحية، وإلى الخلفية التوراتية في العقل الأمريكي، ومن المعروف والبديهي أن الفكرة الصهيونية قد ولدت في أحضان المسيحية البروتستانتية قبل هرتزل بثلاثة قرون على الأقل.

والسؤال المطروح المفترض على ضوء الموقف الأيديولوجي الذي تتبناه المنظومة الأمريكية هو: هل التوجه الأمريكي يقبل بحوار الحضارات ويدعو له؟ وهل البنية الفكرية الأمريكية تسمح لنفسها بالتقدم نحو حوار حقيقي للحضارات؟

عندما نحلل التوجهات السياسية والفكرية الأمريكية وكذلك آلية التحرك في العلاقات الدولية ندرك سلفًا أن هذه التوجهات لا تؤمن بالحوار الحضاري، وذلك بالاستناد إلى منظومات فكرية عقائدية توراتية بروتستانتية تستند إلى نظرية التفوق الديني والعرقي (الانكلو - ساكسوني) وهذه النظرية يدافع عنها اليوم في الولايات المتحدة أكثر من ثمانين مليون بروتستانتي.

ولها قادتها ومنظروها وزعماؤها الكهنوتيون من جيري فولديل إلى ساكسفيلد وجون داربي وهول لندسي المؤسس الحقيقي لنظرية حرب هرمجدون النووية.

فهذه الفئة التي يعتبرها ريغن الرئيس الأسبق لأمريكا وكذلك جورج بوش الأب وبوش الابن ومن لف حوله من المحافظين الجدد المعلّمة الأولى للأصولية البروتستانتية، وتعتقد هذه الفئة من أساتذة وتلاميذ أن النبوءة الإنجيلية تقضي بأن على اليهود أن يدمروا المسجد الأقصى ويبنوا الهيكل على أنقاضه. وتعتبر زعامة هذه الفئة أن الإرهابيين الذين حاولوا مرارًا تدمير الأقصى أبطالاً، وتدعم الحركات الصهيونية الإرهابية التي

تخطط للعدوان على المقدسات الإسلامية، كما تعتبر هذه الفئة أن قيام الكيان الصهيوني وإعادة بناء الهيكل وبناء ما يسمى إسرائيل الكبرى شرط لعودة المسيح ليحكم الأرض ألفا سنة في جنّة أرضية تنعم بالسلام المطلق.

وتورد الكاتبة الأمريكية غريس هالسل على لسان الداعية البروتستانتية جيري فولويل وزعيم ما يسمى الأكثرية الأخلاقية الأمريكية وأحد أقطاب محبّة الجمار النووي في هرمجدون قوله: (أنت وأنا نعرف أنه لن يكون هناك سلام حقيقي في الشرق الأوسط إلى أن يأتي يوم يجلس الإله المسيح على عرش داود في القدس. إن هذا اليوم مقبل وستكون أنت وأنا جزءًا منه).

ومن أهم التنظيرات التي يسوّقها جماعة الأصولية الأمريكية إعادة بناء الهيكل اليهودي على اعتبار أنها نبوة توراتية، بل إرادة إلهية، وعلى المسيحيين أن يساعدوا اليهود لهدم الأقصى وبناء الهيكل، ويرون أن الله يريد بناء معبد حقيقي من الاسمنت والحجارة وليس كما قال المسيح ببناء معبد روحي في النفس.

وعندما ننظر إلى تصريحات القيادة السياسية الأمريكية اليوم نجدها غير بعيدة عن التنظيرات الأساسية للأصولية البروتستانتية، فهي وتلك تنهلان من نبع واحد ومشرب واحد هي في مجملها تتناقض كليًا مع حوار الحضارات.

إن حوار الحضارات المفترض ليس في تفكير تلك الأصولية وليس في برامجها، فكافة المبادئ الأساسية التي تتبناها هذه الأصولية لا تتماشى مطلقًا مع مفهوم حوار الحضارات، ونعتقد أن الخلفية الأيديولوجية التي تتحكم بهذه الأصولية تنفي أي حوار صادق مع الآخرين، وخلال مراجعة دقيقة لكافة تصريحات زعماء الأصولية البروتستانتية، نجد أن الذين يطرحون حوار الحضارات في العالم الغربي ليسوا من تلك الفئة، على الرغم من أن شعار حوار الحضارات يُعرض في جميع المحافل الدولية وتعرفه شعوب الأرض كافة كشعار يُطرح للتفكير والمناقشة، أما عن الممارسات التي يشهدها المجتمع الأمريكي والغربي بشكل عام تجاه المسلمين المهاجرين والمستوطنين والمواطنين الذين حصلوا على الجنسية الأمريكية، تنم عن عداء سافر للإسلام كعقيدة ودين وللمسلمين كأتباع لهذا الدين.

(الحرب الصليبية) هل تعني حملة يشترك فيها أبناء المسيحية ضد كل من هو غير مسيحي؟!

ففي أوج الرد النفسي والإعلامي للإدارة الأمريكية على أحداث الحادي عشر من سبتمبر خرج الرئيس بوش بقوله: «إن هذه الحرب ستكون مختلفة عن كل الحروب، إنها حرب صليبية على الإرهاب».

فمصطلح حرب صليبية يعني تحديدًا حملة يشترك فيها أبناء المسيحية الغربية ضد من هم غير صليبيين أو مسيحيين، فإذا كان الطرف المسيحي الغربي برمته هو الذي يشنّ هذه الحرب الصليبية فإن ذلك يعني أن هذه الحرب هي حرب دينية، وبما أن الطرف المتهم بالإرهاب هو طرف إسلامي، فإن ذلك يعني أن هذه الحرب الصليبية هي ضد المسلمين باعتبارهم الطرف المقابل.

وإذا تساءلنا عن دواعي هذه الحرب الصليبية الجديدة وأسبابها، وقلنا هل هي ترجمة عملية لما روّج بعد انهيار الشيوعية من أن الإسلام هو العدو القادم للغرب؟ أم أنها استمرار لإرث غربي قديم يتجدد كلما أفلست السياسات الغربية في الضغط

على المسلمين وقهرهم أو تدجينهم وغسل أدمغتهم ونفوسهم، أم هي حتمية الصدام بين الحضارات؟

قد يرى بعض المحللين أن دواعي الحرب الصليبية الجديدة الثروات البترولية والمواقع الاستراتيجية ولكننا نرى أن معظم ثروات المسلمين هي بيد الشركات الأمريكية خاصة ثروة النفط والمواقع الإستراتيجية تسيطر عليها قوى موالية لأمريكا، ولهذا فإن الحرب الصليبية ليست حربًا من أجل الثروات إنما هي حرب ضد الإسلام والصحوة الإسلامية وضد الرافضين للهيمنة الأمريكية، الصهيونية على المنطقة الإسلامية.

وإذا نظرنا إلى الواقع العالمي بعد انهيار الشيوعية وأنظمتها تبرز لنا فكرة أميركية غربية شمولية لتغيير العالم الإنساني في اقتصاده وفكره وعقائده وعلاقاته الاجتماعية، وبهذا التوجه خرجت من الغرب مقولات ومصطلحات كالعولمة والثقافة العولمية المشتركة، ولا مكان للضعيف في هذه الأرض، وما إلى ذلك من شعارات كبرى وراح الغرب يطبق هذه المقولات، ولا شك أن الطبيعي في مسار البشرية أن تتعارض الأفكار والفلسفات والمجتمعات، ولكن العولمة تعني لدى الكثيرين سحق طرف كبير وسحق ثقافات برمتها وسحق عقائد وأديان ومعتقدات، ولا يمكن للغرب أن يحرر أفكاره العلمية دون أن يواجه من يرفضها.

يرى الغرب أن الذين يتصدون لمشروعه العولمي ليسوا سوى أشرار وأصوليين إرهابيين

ولا ريب أن الإسلام بما فيه من دعوة إلى هُوية إسلامية مستقلة تقوم على الإيمان يعني للغرب أن العولمة في الجانب الفكري والعقدي هي طريق مسدود، وهذا ما يجر إلى الاصطدام معه.

في هذا السياق يرى الغرب أن الذين يتصدون لمشروعه العولمي ليسوا سوى أشرار وأصوليين إرهابيين، والواقع أن الغرب نفسه يدرك أن الواقع الإسلامي على ما فيه من سلبيات يفرز جهتين متناقضتين جهة المسلمين الرسميين الذين يريدون الإسلام شكليات ليس من ورائها حفاظ على الهوية، وجهة الإسلام الجماهيري الشعبي الذي يرى الإسلام الملاذ الأول والأخير للحفاظ على الهوية في مواجهة العولمة والتغريب ومع تنامي المد الإسلامي الجماهيري الضاغط أصبح الغرب يرى نفسه وقد فُضحت أهدافه وأهداف عولمته وغايات سيطرته.

إن ردة الفعل الأمريكية والغربية على ما حدث في 11 سبتمبر وما حدث في مدريد ولندن ليس مجرد رد اعتبار أو مجرد انتقام إنما هي نتيجة مخزون نفسي وفكري بدأ منذ أكثر من خمسة عقود، وجاء ما حدث ليرفع الستار بشكل كامل عن المخططات الأمريكية الداعية للحرب على الإسلام باعتباره المعوق العقدي والفكري الأول في وجه العولمة وأمركة العالم.

وإذا كان منطق الأصولية الأمريكية في الإطار العالمي يقوم على فكرة سيادة الأيديولوجيا البروتستانتية فكيف يمكن أن يكون في إطار المواجهة مع الإسلام؟ إن الولايات المتحدة تريد أن يكون الإسلام في دائرة التعايش المجتمعي في ظل منظومة الفلسفة الأمريكية: التوراتية أو منظومة العظمة الأمريكية المتسيِّدة، ولا تريد هذه الفلسفة إسلامًا يرفض التبعية ويحقق للشخصية الإسلامية حضورًا لا يقل عن أي حضور آخر، والذي ترفضه الايديولوجيا الأمريكية هو أن يكون هذا الإسلام انموذجًا يُحتذى في كافة شعوب العالم لأنه بذلك يعرض الفلسفة الأمريكية للاهتزاز والتداعي ومن هنا فإن ما طرحه بوش بأن هذه حرب صليبية ليس إلا تجسيدًا لهذه الفلسفة الأمريكية التي تأبى أن ترى عقيدة سامية تفرض نفسها في الفكر العالمي الإنساني ووجدانه وعلاقاته الإنسانية.



أبعد من تمبكتو

- تمبكتو.. أبعد من الزمان والمكان
- تظاهرة التحدي الإسلامي الكبرى.. التاريخ.. المنهج
- رؤية الغرب للإسلام.. معالجة التحريفات والتشويه
- ميثاق رابطة قبائل الصحراء الكبرى
- الإعلان عن ميثاق تمبكتو خطوة تاريخية
- خطاب تمبكتو: رؤية موضوعية معاصرة لقضايا المسلمين
- نحو استراتيجية أكثر تأثيراً وفاعلية
- منطلقات لتعزيز حضور الأمة وتأكيد مكانتها

أبعد من تمبكتو؟

المكان: مدينة تمبكتو

الزمان: يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول 1374 من وفاة الرسول/ 2006 مسيحي.

المناسبة: إحياء مولد محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ

المشاركون: رؤساء جمهوريات ودول وسلاطين وملوك وأمراء، وعُمد قبائل الصحراء الكبرى، وشيوخ الطرق الصوفية، والمريدين والأتباع، وفعاليات وأحزاب ومنظمات ومؤسسات إسلامية، وعلماء وفقهاء المسلمين من شرق وغرب وجنوب إفريقيا، وقيادات ورموز إسلامية من آسيا الوسطى، ومن غرب وشرق أوروبا، ومن أمريكا وكندا، ونائب رئيس وزراء الشيشان، وزعيم أمة الإسلام في أمريكا لويس فرقان، والمفوض العام لدى رئيس الإتحاد الروسي، وجمع من أبناء الشعب المالي من الطوارق والتبو والعرب والسنغاي، ومواطنون بلا حصر توافدوا من دول الجوار يمتطون الجياد والمهاري حين علموا بوجود الأخ معمر القذافي في تمبكتو.

وكانت صلوات جامعة لكل هؤلاء أمها الأخ معمر القذافي وبعد أن أمهم جميعاً خاطب من هذه الواحة التاريخية الأمة الإسلامية والعالم كله في هذا اليوم العظيم في تاريخ البشرية وأوضح أننا نصحح تاريخ البشرية اليوم من تمبكتو، وأن هذا تحدٍ وزلزال جديد يسمعه العالم وقال معمر القذافي إن الإسلام هو قدر البشرية ودينها، لأن هذه هي كلمة الله وإرادته.

وقد تضمن الخطاب تحديين:

التحدي الأول: يتعلق بالدين والحج للكعبة والمنهج الذي يحتاج إلى التغيير في أوروبا وأمريكا. التحدي الثاني: يتعلق بالتحدي القومي الاجتماعي للمؤامرة الاستعمارية الجديدة في الصحراء الكبرى.

مجلة (التواصل) في مواكبتها لردود فعل خطاب الأخ معمر القذافي تقدم للقارئ الكريم هذا الملف الذي يتضمن نص الخطاب، وجانبا من القراءات والتحليلات التي وردت إليها، وحلقات الحوار التي عقدت حول أبعاده الدينية والفكرية والحضارية.

إعداد: التحرير



تمبكتو

أبعد من الزمان والمكان*

أ.د. محمد أحمد الشريف **

تقع مدينة (تمبكت) أو (تمبكتو) أو (تينبكتو) على طرف أقصى المنحنى الشمالي لنهر النيجر قبل أن ينحدر إلى الجنوب الشرقي عبر الصحراء. وتبعد المدينة حوالى عشرة كيلومترات عن النهر، وتنتشر على رقعة صحراوية رملية، وهي الآن عبارة عن مدينة صغيرة، وتوجد بها المساجد الأثرية التي عرفت بها، وبها أيضًا معهد (أحمد بابا التمبكتي) وخزانته الشهيرة بالمخطوطات.

وطمست الرمال آثار تلك العاصمة التجارية والثقافية العظيمة التي كانت حاضرة الصحراء على مدى قرون عديدة.

ويقال إن تمبكتو تأسست في نهاية القرن الخامس الهجري (الحادي عشر مسيحي) أسسها الطوارق، وأعطوها اسمها، حيث كان هؤلاء يقصدون هذه البقاع قرب النهر بحثًا عن المراعي لمواشيهم، وكان المسافرون القادمون بالطرق البرية عبر الصحراء أو الذين يأتون عبر النهر، يلتقون عند تمبكتو لتبادل المنافع الاقتصادية.

وقد زار الرحالة (ابن بطوطة) هذه المدينة في أثناء رحلته إلى بلاد السودان الغربي، وتحدث عن

---

* هذا النص في الأصل محاضرة ألقيت ضمن الموسم الثقافي الذي نظمته رابطة الأدباء والكتاب الليبيين، بمقرها في طرابلس/شهر رمضان المبارك / أي النار (يناير 1999 مسيحي).

** أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

تظاهرة التحدي الإسلامي الكبرى.. التاريخ.. والمنهج

خطاب القائد معمر القذافي في تمبكتو.. احتفالاً بذكرى مولد خاتم أنبياء الله محمدﷺ

يومان يجب أن نؤرخ بهما

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾
[سورة الأحزاب، الآية:56]

نخاطب من مدينة تمبكتو التاريخية الأمة الإسلامية والعالم كله في يوم عظيم في تاريخ البشرية، هذا اليوم يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول، هذا اليوم يوم تاريخي عظيم في تاريخ البشرية، في يوم الاثنين الثاني عشر من هذا الشهر القمري وُلد محمد خاتم النبيين ﷺ، وفي مثل هذا اليوم أيضا توفي خاتم النبيينﷺ.

للبشرية يومان تؤرخ بهما أو يجب أن تؤرخ بهما، يوم وُلد عيسى ـ عليه السلام ـ لأن مولده كان معجزة وآية من آيات الله، أما اليوم الثاني فهو هذا اليوم، وهو اليوم الذي وُلد ومات فيه خاتم النبيينﷺ، ويجب علينا أن نؤرخ بهذين التاريخين جنباً إلى جنب، ميلاد عيسى ـ عليه السلام ـ لأنه معجزة ووفاة محمد لأنه خاتم النبيينﷺ.

مرّ من السنين 1374 عاماً على وفاة خاتم النبيين محمد ﷺ، ففي مثل هذا اليوم يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول بالتقريب عام 633 بعد ميلاد عيسى، توفي



تمبكتو.. صورة جوية

النشاط الثقافي والاقتصادي والسياسي لهذه المدينة، وكان ذلك في عام 754هـ، كما زارها (الحسن بن محمد الوزان الفاسي) المسمى (ليون الإفريقي) في رحلته إلى بلاد السودان التي صحب فيها عمه في مهمة سفارة بين ملك فاس (محمد الوطاطي) وملك السنغاي (محمد أسكيا الكبير) في عام 917هـ - 1511 مسيحي، وجاء في كتابه الشهير (وصف إفريقيا) أن اسم هذه المدينة حديث، وأن (منسي سليمان) قد بناها عام 615 هـ، على بعد نحو 12 ميلاً من أحد فروع نهر النيجر. والمقصود هنا هو توسيع وإعمار هذه المدينة في عهد ملوك أمبراطورية مالي.

أما بُعد المدينة أو قربها من النهر - الذي جاء في روايات متعددة عنه في كتب الرحالة والمؤرخين - فيرجع للتغيير الطفيف الذي كان يطرأ على مجرى النهر عبر القرون.

ويصف (حسن الوزان) ما رآه في المدينة أيام حكمها من قبل ملوك السنغاي، فيقول: «في وسط المدينة مسجد كبير بالحجر المركب بالطين والجير، وبني على يد مهندس أندلسي، وهو المهندس الذي بنى فيها قصر الملك، وهناك دكاكين كثيرة للصناع والتجار لا سيما دكاكين نسّاجي أقمشة القطن، وتصل أيضًا إلى تمبكتو أقمشة أوروبا، والسكان أغنياء مترفون، وفي تمبكتو العديد من الآبار ماؤها عذب، فضلاً عمّا يصل إلى المدينة من ماء في قنوات عند فيضان النهر.. والحبوب والمواشي كثيرة جدًا، لكن الملح قليل جدًا، ويستورد من بعيد».

ويضيف الوزان: « وكنت في تمبكتو عندما كان الملح يساوي هناك ثمانين مثقالاً، وللملك خزينة كبيرة من النقود والسبائك الذهبية، والبلاط الملكي على قدر كبير من النظام والأبهة، وهذا الملك عدو لدود لليهود، وهو لا يريد أن يقطن أحد منهم في المدينة، وإذا علم أن تاجرًا يخالطهم ويتاجر معهم صادر أمواله. وفي تمبكتو عدد كبير من القضاة والفقهاء والأئمة، وتباع أيضًا فيها مخطوطات كثيرة، وتدر أرباحًا تفوق أرباح

سائر البضائع، وتستعمل قطع الذهب الخالص بدلاً من العملة المسكوكة في المعاملات التجارية».

انتهى حديث (الحسن الوزان) وهو نموذج لما تحدث به الرحالة والمؤرخون عن هذه المدينة التي يجمعون على أنها بنيت وأسست في عصور الإسلام، وأن علماءها يفخرون بأنها المدينة التي لم يذكر فيها غير اسم الله.

وقد كانت تمبكتو مركزًا تجاريًا وثقافيًا وسياسيًا مهمًا لعدة قرون، خاصة أثناء حكم ملوك أمبراطورية مالي والسنغاي، وقد ذاع صيت المدينة أثناء حكم (منسي موسى الأول) من ملوك مالي الذي حكم من عام 1307 إلى 1332 مسيحي، وكانت رحلته إلى الحج (في عام 1325 مسيحي) ذات أثر كبير على تمبكتو، حيث عرف الناس عن ثرائها ونشاطها الاقتصادي عن طريق مظاهر البذخ الذي ظهر به موكب (منسي موسى) أثناء إقامته في القاهرة، وصرفه للذهب، حتى إنه يقال إن ذلك أدى إلى انخفاض سعر الذهب لوقت طويل.

كما كان لهذا الحج نتائج كثيرة بالنسبة لتاريخ السودان الغربي اللاحق بصفة عامة، ومدينة تمبكتو بصفة خاصة، ومنذ تلك الفترة شغل السودان الغربي الأذهان، وتزايد اهتمام مصر والمغرب والشمال الأفريقي والبرتغال والمدن التجارية الإيطالية بامبراطورية مالي ومدينة تمبكتو.

وعندما عاد (منسي موسى) إلى بلاده من رحلة الحج، اصطحب معه المهندس المعماري الشهير (أبا إسحاق) فبنى المسجد الجامع في مدينة (غاو)، وفي مدينة تمبكتو بنى هذا المهندس الجامع الكبير (جنتغير بير) وقصرا للملك فيها..

وقد اجتذب (منسي موسى) إلى بلاطه أعدادًا كبيرة من العلماء والمثقفين، وكان هو نفسه على ثقافة عربية رفيعة، وقرّب منه القضاة والكتّاب، وافتتح الدواوين والمدارس لتحفيظ القرآن، واقتنى أعدادًا كبيرة من الكتب أثناء رحلة الحج، وأصبحت تمبكتو-

محمد خاتم النبيين ﷺ، ومن ذلك اليوم انقطع الوحي وصمتت السماء عن مخاطبة الأرض وأهلها، ولن يكون هناك وحي ولا خطاب من السماء إلى يوم القيامة:

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ * لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ * لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ﴾

[سورة المرسلات: الآيات 11-13]

والبشرية خُوطبت عن طريق محمد ﷺ الخطاب الأخير من السماء.

محمد ﷺ نبي للناس كافة

للأسف إن التاريخ والمنهج الذي نقرؤه الآن مغلوط، غير صحيح، يعتقدون خطأ أن محمدا ﷺ هو نبي العرب أو المسلمين فقط، هذا خطأ، لأن محمداً نبي للناس كافة، وهو ناسخ لكل الأديان التي قبله، ولو أن عيسى - عليه السلام - كان حياً عندما بُعث محمد ﷺ لأصبح عيسى يتبع محمدا، كل الناس مطلوب أن يكونوا مسلمين، هكذا يريد الله، ولكن لن يكونوا مسلمين بسهولة.

الله يقول:

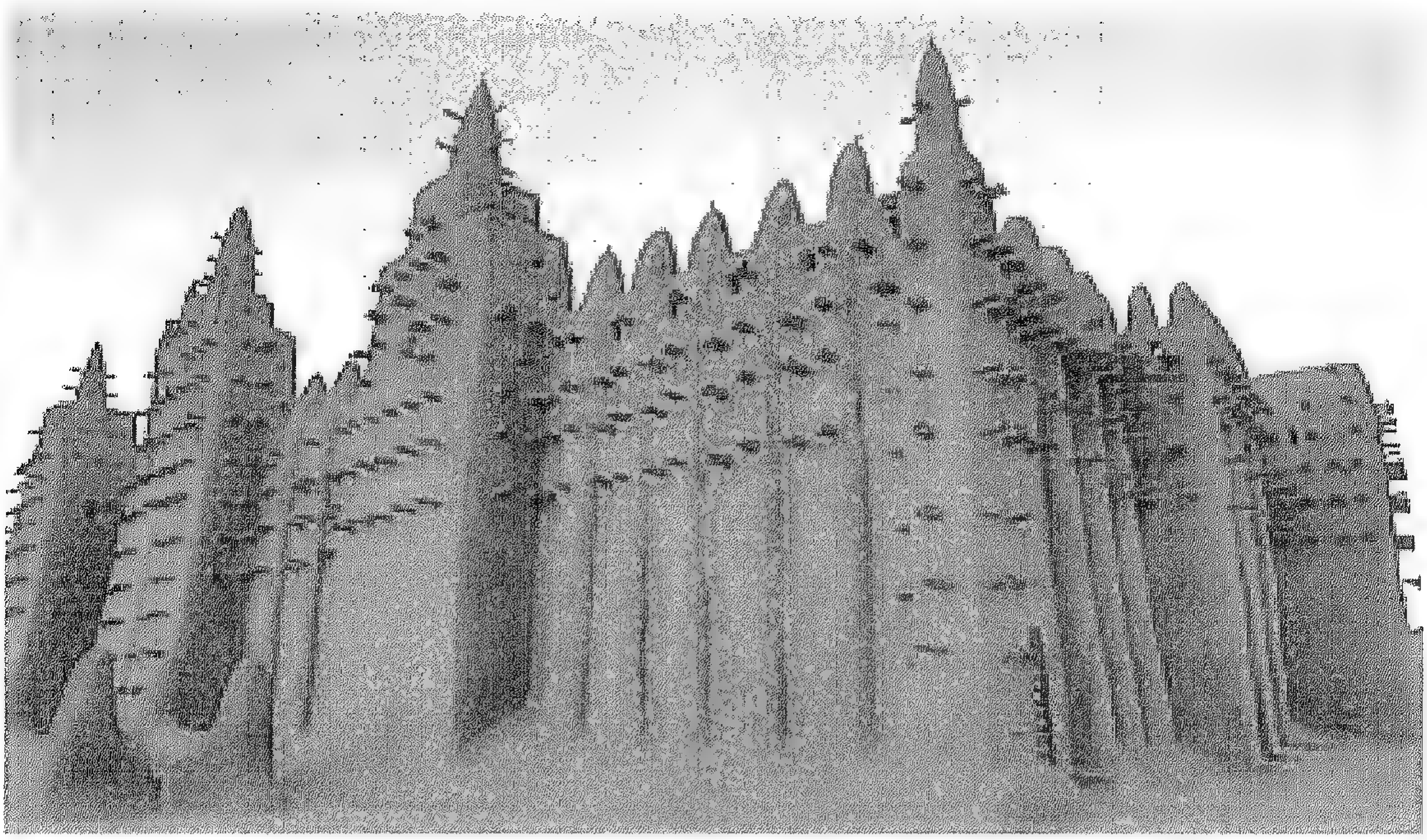
﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾

[سورة آل عمران، الآية: 19].

﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾

[سورة آل عمران، الآية: 85]

إن إبراهيم كان مسلماً، ويعقوب وإسحاق كانا مسلمين، وكذلك إسماعيل والأسباط كانوا مسلمين، وكل الأنبياء كانت دعوتهم الإسلام، وكان محمد ﷺ خاتم هؤلاء الأنبياء.



مسجد تمبكتو

بفضل ذلك - مركزًا حضاريًا كبيرًا في المنطقة وفي العالم، وأصبح مسجد تمبكتو الجامع الذي بناه موسى نموذجًا لما سمي بالطراز المعماري السوداني.

وقد عبّر (منسي موسى) نفسُه عن هذا الازدهار العلمي والاقتصادي والسياسي لمدينة تمبكتو في عهد أمبراطورية مالي بصفة عامة، في تصريح له عندما كان في القاهرة أثناء رحلة الحج، قائلا : إن سلفه قد توفي في بعثة بحرية لأنه أبى أن يصدق بأنه يتعذر بلوغ نهاية البحر المحيط (المقصود المحيط الأطلسي) الذي كان هو الحدود الغربية لأمبراطورية مالي، فصمم على بلوغ هدفه، حيث جهز بعثة بحرية مكونة من 200 سفينة مزودة بالمال والرجال، ومن بينهم عدد من علماء تمبكتو، الذين جاء بعضهم من الأندلس ومن المغرب ومن الشمال الأفريقي واستقروا بها، وعندما لم تعد سفن هذه البعثة، تولى الملك بنفسه قيادة بعثة بحرية أكبر مجهزة بعناية ضمت ألفي سفينة، ورحل ولكنه لم يعد.

إن بعض الكتّاب الذين أرّخوا لمدينة تمبكتو، وكتبوا عن علمائها وعن السودان الغربي، قد أثاروا مشكلة اكتشاف شعب (المالينكا) للقارة الأمريكية، وبذلك يكون هؤلاء قد بلغوا السواحل الأمريكية قبل (كولومبس) بقرنين من الزمان، وقد ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين، دراسات عن آثار ولقيات أثرية في أمريكا تتصل بامبراطورية مالي ومدينة تمبكتو.

لقد تواصل ازدهار هذه المدينة على يد خلفاء (منسي موسى الأول) من ملوك امبراطورية مالي، ومرت بفترة تدهور لمدة أربعين عاما، عندما غزاها (سني علي) في سنة 1468 مسيحي، وهو الغازي الذي عاث فيها فسادًا وتخريبًا، وكان من السنغاي، ولكن خلفاءه من ملوك السنغاي أقاموا حضارة كبيرة فيها، وكان لأسرة (الإسكيا) التي حكمت من سنة 1492 إلى 1592 مسيحي على مدى قرن كامل؛ أثر كبير على زيادة إعمار المدينة وإعطائها الدور الثقافي الذي عرفت به. وكان (أسكيا محمد) من أصل سوننكي من عشيرة (توري) المنحدرة من (التكرور). وعلى الرغم من كونه أميًا، فقد كان مسلمًا ورعًا وسياسيًا بعيد النظر، وكان انتصاره في السودان الغربي انتصارا للإسلام.

وهو الآخر قصد الحجاز للقيام بأداء فريضة الحج مثلما فعل (منسى موسى) قبل قرن ونصف من الزمان، وكان ذلك في عام 1496 / 1497 مسيحي، وكان حجه هذا بدافع التقوى، وكذلك بدوافع سياسية.

وفي القاهرة التقى علماء الأزهر، وبصفة خاصة الشيخ السيوطي، وعاد إلى السودان مزودًا بالشرعية الإسلامية وباعتراف عالمي بسلطانه. ويقال إنه هو الذي حفر قناة تمبكتو المعروفة، وكانت له عناية كبيرة بالزراعة، وفي عهده وعهد أسرة (الأسكيا) ازدهر العلم والقضاء في المدينة، وكان للقاضي فيها شأن كبير، كان يعيّنه السلطان مدى الحياة، وكان منصب القضاء طوال القرن السادس عشر المسيحي في أسرة القاضي (محمود بن عمر الأقّيت) من 1499 إلى 1548 مسيحي، كما قدمت هذه الأسرة الأئمة لمسجد سونكوري، واستمر في هذه الفترة دور تمبكتو - كحاضرة تجارية عبر الصحراء الكبرى - على صلة بالأسواق الكبيرة في الصحراء وفي الشمال الإفريقي من غدامس إلى طرابلس إلى تونس، ومن ثم بلدان أوروبا المطلة على البحر المتوسط، كما كانت هناك طرق تجارية أخرى إلى مصر والمغرب ومراكش والسودان.

وازدهرت المبادلات الاقتصادية في المدينة، وأمّها التجار والصناع من كل مكان، وكانوا أحيانًا أثناء إقامتهم في المدينة يسكنون في مناطق عرفت بأسماء المدن والبلاد التي جاءوا منها. ومن بين الأحياء التي عرفت قديمًا وما زالت باقية حتى الآن (حي الغدامسية) وتؤكد المخطوطات - التي يحتفظ بها معهد أحمد بابا التمبكتي حتى الآن - أن المدينة كانت على صلات كبيرة بالمراكز المعروفة، وأن عددًا كبيرًا من هذه الوثائق والسجلات المخطوطة تعود إلى غدامس وطرابلس. وبلغ عدد سكان المدينة في ذروة مجدها في القرن السادس عشر المسيحي ثمانين ألف نسمة في عهد (الاسكيا داود) الذي حكم في الفترة من عام 1549 وحتى 1583 مسيحي، وكانت يومها العاصمة

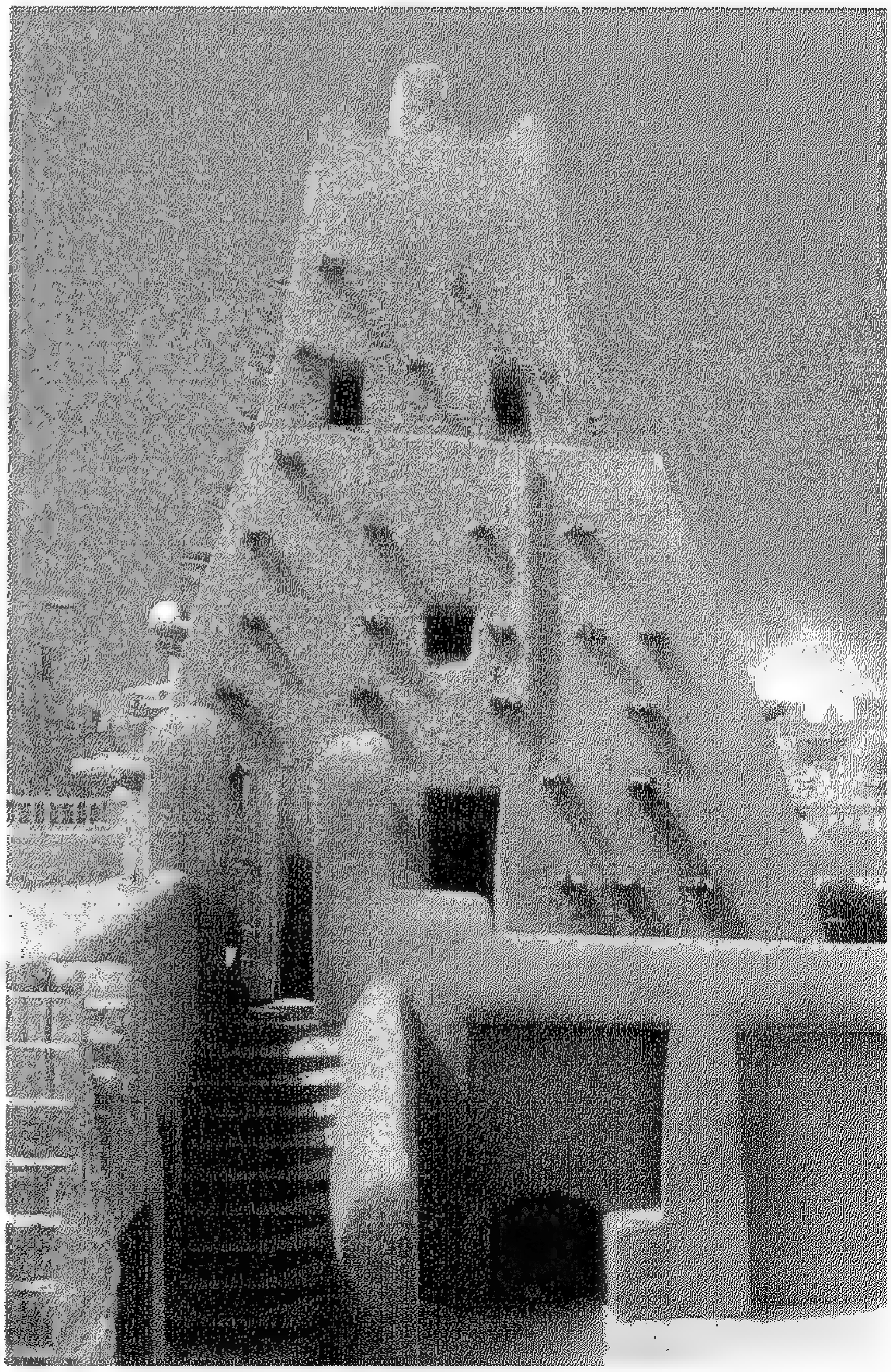
سمعنا أن هناك من تهجّم على النبي محمد ﷺ، غضبَ المسلمون واعتقدوا أن هذا قدح في نبيهم، لكن الذي قدح في محمد، قدح في نبيه هو ذاته، لأن محمداً ﷺ نبي البشر الذين في اسكندنافيا والذين في أوروبا والذين في أمريكا والذين في آسيا والذين في إفريقيا، ولكن لأن المنهج الذي يقرؤونه في اسكندنافيا منهج مُزوّر ويدعو إلى الكراهية؛ اعتقدوا أن محمداً ﷺ ليس نبياً لهم، بينما محمد ﷺ موجه لكل البشر.

حرية التعبير

وإذا كنا ندّعي حرية التعبير فنتوقع أن تظهر صورة عيسى وفوق رأسه قنابل ذرية لأن أتباع عيسى صنعوا القنابل الذرية، وهم رسموا محمدا ﷺ وعلى رأسه قنبلة يد صغيرة يدوية، طبعاً محمد ﷺ بريء من القنبلة، ولكن المقصود أن أتباع محمد ﷺ يستعملون هذه القنبلة، فكذلك عيسى - عليه السلام - بريء من القنبلة الذرية، ولكن أتباع عيسى هم الذين صنعوا القنبلة الذرية، وتمسكاً بحرية النشر والرأي مثلما صُور محمدٌ ﷺ وعلى رأسه قنبلة يدوية، نتوقع أن يُصوّر عيسى وعلى رأسه قنبلة ذرية، رغم أن محمداً ﷺ بريء من القنبلة اليدوية وعيسى بريء من القنبلة الذرية، ومثلما صوروا محمداً ﷺ وحوله نساء محجبات باعتبار المسلمات محجبات، نتوقع أن تُصوّرَ حول عيسى نساء عاريات، لأن المسيحيات عاريات.

الاقتصادية والمدينة المقدسة للسودان كله، لشهرة علمائها وأوليائها وجامعاتها، فقد كانت النموذج للمكانة التي حظي بها العلماء وطلاب العلم وما أغدقه عليهم السلطان والسكان من تبجيل وتكريم..

وكان بالمدينة ثلاثة مساجد جامعة كبيرة (مسجد جننغير) الذي أشرنا إليه في السابق، و(مسجد سيدي يحيى) و (جامع سنكوري) وهو مسجد بني على نفقة سيدة في شمال المدينة من منطقة يقال لها (سنكوري) وقد بُني المسجدان الأخيران في النصف الأول من القرن الخامس عشر المسيحي، وأصبح الأخير (جامعة سنكوري) العريقة التي اشتهرت بها المدينة.



معمار تمبكتو

وكثيرون هم العلماء الذين عُرفت بهم المدينة، منهم الشريف سيدي يحيى، الذي توفي عام 1464 مسيحي، والقاضي محمود بن عمر أقّيت، الذي توفي عام 1548مسيحي، والقاضي العاقل، وأحمد بابا التمبكتي، الذي أرّخ لعدد من علماء المدينة وفقهائها في كتابه (نيل الإبتهاج بتطريز الديباج) وتوفي عام 1626 مسيحي.

لكل هذه الأمور اكتسبت المدينة لقب (المدينة المقدسة) في السودان، وعملت جامعاتها على نشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية في كل مناطق السودان الغربي، بل إن تأثير علمائها، وصل إلى بقية أنحاء العالم الإسلامي في إفريقيا الشمالية، وفى المشرق الإسلامي، كما وصل تأثير هؤلاء العلماء إلى أوروبا، حيث تسجل لنا الروايات، أن أحد أطباء تمبكتو قام بعلاج أحد أمراء أوروبا.

وتزخر المصادر التاريخية والشفوية، بالكثير من المعلومات عن مظاهر النشاط الفكري والعلمي والديني، لمدينة تمبكتو، ففضلاً عن جامعاتها فإن المدينة في نهاية القرن السادس عشر المسيحي كان بها عدد 180 مدرسة قرآنية، والآلاف من الطلاب القادمين من جميع أنحاء السودان والساحل.

بعد حكم السنغاي، فتح المغاربة مدينة تمبكتو أيام السلطان أحمد المنصور الذهبي، ومع مرور الأيام أصابها الوهن والضعف والخراب، ويسجل عالمها أحمد بابا التمبكتي- الذي اقتيد مع الأسرى إلى مراكش - آثار الخراب الذي لاقته المدينة، بعد هذه الكارثة كما يعبر هو، وبالرغم من ضعف المكانة الاقتصادية التي لحقت بمدينة تمبكتو، نتيجة لعوامل عديدة عصفت بالمنطقة، كان من بينها النزاعات المحلية بين القوى المتنافسة في السودان الغربي، وأحيانًا داخل المملكة الواحدة، بل الأسرة الواحدة؛ فإن تمبكتو صمدت في وجه كل المحاولات الخارجية حتى سقطت عام 1894 مسيحي في يد الاستعمار الفرنسي.

ولأن الفرنسيين يدركون المركز الحضاري، الذي تحتله هذه المدينة في المنطقة، فقد تعمّدوا إهمالها، وحرموها من الطرق والخدمات، وتشرد معظم سكانها في مناطق أخرى.

إن الذي تجدر الإشارة إليه ـ في الحديث عن هذه المدينة العظيمة ـ هو أن ذيوع صيتها في التجارة وما يتعلق بامتلاء أسواقها بالسلع النفيسة والمطلوبة، وخاصة الذهب والنحاس، وشهرتها الثقافية التي طبقت الأفاق؛ كل ذلك قد جذب إليها أنظار المغامرين والطامعين، والباحثين عن الذهب، والمجد والشهرة، واستكشاف مجاهل ما وراءها من بلاد كان يتحدث عنها الرحالة الذين زاروا المدينة والتقوا أهلها، فجاءها هؤلاء من كل حدب وصوب.

اقترن الأوروبيون بتمبكتو في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر مسيحي) حيث كان يتم التعامل الاقتصادي بين المدن التجارية الإيطالية ـ فلورنسا بصفة خاصة ـ وبين تمبكتو عن طريق الشمال الإفريقي ـ طرابلس وتونس ـ ثم عن طريق القوافل إلى المدينة. ومن الذين زاروا تمبكتو من الأوروبيين في ذلك القرن (فلورنتين بيناديتو داي) وذلك في عام 875 هـ 1470 مسيحي، وانقطعت الصلة بين تمبكتو وأوربا بعد القرن السادس عشر مسيحي.

وكان الأوروبيون يتحدثون عنها آنئذ، حديثهم عن مدينة عزيزة المنال، تكتنفها الأسرار، جميلة بالغة الجمال، وافرة الثروة باتجارها في الذهب وريش النعام والعاج، وظلت محجبة بالأسرار، وخاب سعي الكثيرين في جلاء سرها، وقتل في سبيل ذلك الميجر (لينغ) ثم أخيرًا استطاع أن يصلها المغامر الفرنسي (رينيه كاييه) في عام 1828 مسيحي، وبالرغم من أنه بقي فيها فترة قصيرة جدًا من ذلك العام (من يوم 4/20 إلى يوم 1828/5/4 مسيحي) في ضيافة أحد أعيان تمبكتو، بعد أن ادعى الدخول في الإسلام؛ فإن الفرنسيين سجلوا اسمه في التاريخ الفرنسي المعاصر كأحد كبار المستكشفين، لأنه كان يبحث عن اكتشاف

اسكندنافيا.. النساء فيها عاريات ويدّعين أنهن من أتباع عيسى، طبعاً عيسى بريء من النساء العاريات، ومحمدﷺ بريء من النساء الملثمات، لكن حرية النشر التي استندوا عليها، تستلزم أن يُرسم عيسى وحوله نساء مثلما رُسم محمدﷺ وحوله نساء.

على أي حال منهج الغرب.. أوروبا وأمريكا، منهج يدعو للكراهية ما في ذلك شك، وهو منهج فاسد ولا إنساني، ومنهج مبني على الخطأ، وما يُسمى بالعهد القديم والعهد الجديد، ليس بالعهد القديم وليس بالعهد الجديد.

إنجيل برنابا هو الصحيح

لأن هذين العهدين منسوخان مزوران وكتبا باليد بعد عيسى بمئات السنين، وفي (البايبل*) كلام لا يليق بعيسى ولا بموسى (عليهما السلام)، وإذا أردنا أن نُصحح وضع البشرية، وأن نعيش في قرية كونية بسبب العولمة؛ فيجب أن نبحث عن (البايبل) الصحيح، لأن (البايبل) الموجود الآن مزور.

هذا (البايبل) الموجود الآن ليس فيه ذكر محمدﷺ، مع أن(البايبل) الذي وضعه ربنا مذكور فيه محمدﷺ مراراً وتكرارا.

يجب أن نبحث عن إنجيل برنابا (القديس برنابا) لأن هذا الإنجيل هو الصحيح ومذكور فيه محمدﷺ بالتفصيل، وأنه سيأتي بعد عيسى، وأنه سينسخ دين عيسى، وأن محمداً ﷺ سيُرسله الله نبياً للناس كافة.

عيسى يقول في (البايبل) الصحيح ـ ليس في (البايبل) المزور الموجود الآن.

❖ البايبل: الكتاب المقدس

أيسر الطرق عبر الصحراء إلى هذه المناطق لتسهيل مهمة جيوش فرنسا.

وبعد استعمار فرنسا المدينة أصبح البيت الذي أقام فيه هذا المغامر معلمًا أثريًا من معالم تمبكتو، زاره الرئيس الفرنسي السابق (ميتران) قبل أعوام أثناء توقفه بالمدينة.

وحرصت الكثير من (بعثات الصداقة) في أوقات ضعف هذه المدينة أن تأتي إليها من بعض الدول الطامعة في ثرواتها، ومن بينها بعثات الصداقة من البرتغاليين الذين كانت لهم صلات ومراكز على الساحل الأفريقي الغربي. وتسجل كتب التاريخ أن الاستعمار المباشر لإفريقيا قد بدأ حوالي العام 1880 مسيحي، واستمرت هذه المرحلة في إخضاع إفريقيا حتى عام 1919 مسيحي. ويسمي الأوروبيون - من منظورهم - هذه المرحلة (مرحلة التهدئة) أو (إحلال السلام) وهذه هي الفترة التي تم فيها تنفيذ تقسيم إفريقيا على أرض الواقع بعد أن تم ذلك على الورق في مؤتمر برلين عام 84/1885 مسيحي، وكان الأوروبيون بحلول عام 1880 مسيحي - بفضل نشاط المستكشفين والمبشرين الأوروبيين - يعرفون عن إفريقيا وأصقاعها الداخلية الكثير، وهذا لا يعني أنه لم يكن هناك نفوذ للدول الأوروبية في مناطق كثيرة من القارة قبل ذلك التاريخ؛ فقد كان هناك الكثير من التعامل التجاري والسياسي وبسط النفوذ عن طريق اتفاقيات الصداقة ودبلوماسية السفن الحربية.

جوهرة الصحراء العجيبة

تلك كانت مدينة تمبكتو ومكانتها التاريخية اقتصادًا وتجارة، وثقافة، وعلما، كانت جوهرة الصحراء، أو المدينة العجيبة، أو المدينة الغامضة.

وكان الحديث عنها يلهب خيال الباحثين عن الثروة والمغامرة والمجد، كتب عنها الكثيرون، وتحدث عنها الناس في أوج عظمتها أحاديث فيها الكثير من الحقيقة، وفيها الكثير من الأساطير التي تحرك دوافع الشوق إليها والرغبة في الوصول إلى عجائبها، وكان الوصول إليها صعباً ودونه أهوال الصحراء ومخاطرها، وخاصة بالنسبة لأولئك الذين لم يتعودوا هذه المخاطر من الذين هم وراء عالم الإسلام في أوروبا.

لذلك جرت في لغات الأوروبيين - حتى عهد قريب - عبارات تتصل بالإشارة إلى بُعد تمبكتو عن كل شيء معروف في العالم، وإلى غموضها. يقول الرجل: «إنه سيصل إلى بغيته حتى ولو كان ذلك في تمبكتو» و«إن أمرًا ما، هو بعيد المنال بُعْدَ تمبكتو».

كان الحديث عن تمبكتو يلهب خيال الباحثين عن الثروة والمغامرة والمجد، فيحرك دوافع الشوق اليها والرغبة في الوصول الى عجائبها. ولكن دون ذلك أهوال الصحراء ومخاطرها.

والخيال الأوروبي معروف في إضفائه هالة خاصة على بعض مدن الإسلام بقصد توجيه الأنظار للوصول إليها، وتتشابه الأدبيات التي تعرضت لذلك بين كل من (تمبكتو) و(سمرقند) في منطقة ما وراء النهر في المشرق الإسلامي (جمهورية أوزباكستان الحالية)، ومعروفة القصائد الشعرية التي كان يحفظها الإنجليز عن الطريق الذهبي إلى سمرقند.

وكل هذه الأدبيات والخيالات تتصل دائمًا بالذهب والحرير والقطن والنحاس والتجارة، وتتصل أيضًا بالكتب والمخطوطات والعلم، ووصف البلدان، والمسالك والممالك. يشجع على ذلك الدول والمؤسسات التجارية والكنائس التي تريد الوصول إلى مراكز الذهب والثروة ومواطن المواد الخام، ومعرفة المسالك والطرق إليها.

وقد تكوَّن نتيجة لهذه الأدبيات تراث كبير في جامعات أوروبا ومعاهدها التي أصبحت في خدمة

الرحالة والمستكشفين، وبعد ذلك ساعدت على تسهيل مهمة الاستعمار المباشر.

أبعد من الزمان والمكان

إذا كنا نحاول أن نتعرف على مدينة من مدن الإسلام، وحاضرة من حواضر إفريقيا؛ فإنه لا يمكننا أن نتوقف فقط عند معرفة تاريخها وجغرافيتها، والتوسع في ذلك، على الرغم من أهمية هذا الأمر، وبإمكان أي منا أن يرجع إلى القواميس والكتب حيث سيجد هذه المعلومات التي حاولنا أن نلخص بعضها فيما تحدثنا عنه حتى الآن، ولكن الذي نريده هو أن نطل على أشياء ومعان وراء هذه المدينة، ونتعرف على أمور أبعد من تمبكتو، بأن نستشرف الآثار الفكرية والنفسية لهذه المدينة، فكأننا نريد أن نبحث عن شيء هو أبعد من هذه المدينة، أبعد من تاريخها، أبعد من جغرافيتها، وأن نسبر أغوار هموم تقع وراء تمبكتو.

فكأننا هنا نبحث عن الذي هو أبعد من هذه المدينة، وعما وراءها زمانا ومكانا ومعنى. وطبيعي أن هذا ليس هو البحث الذي يخرج به المتأمل في هذه المدينة، الدارس لدورها الحضاري والثقافي..

نحن قد رأينا انبهار الناس والغربيين بصفة خاصة بذلك الازدهار الحضاري لتمبكتو، وكيف تعاملوا معه، وأعدوا الوسائل للوصول إليها، وتجاوزوها إلى ما وراءها، فهؤلاء قد فتنتهم هذه المدينة بخيراتها، وبأنها قصية في آخر العالم المعروف لديهم في ذلك الوقت، فهي بوابة المجهول من أراضي السودان. وإذا كان هناك تعامل للأوروبيين مع أجزاء أخرى من عالم الإسلام، ومواجهة مع أجزاء نائية في جهة ثانية، إبان ازدهار تمبكتو؛ فإن هذه المدينة البعيدة كانت مطمع الاستراتيجيين منهم، الذين يريدون تطويق هذا العالم من الخلف، وقطع صلاته مع ذلك العالم المجهول فيما وراء أرض السودان.

ولا يحتاج المرء هنا أن يطيل في الحديث عن النظريات التي تؤكد على الجوانب الاقتصادية

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [سورة الصّف، الآية:6]

هذا كلام الله (يخاطب بني إسرائيل) يعني أن عيسى نبي مُوجه لبني إسرائيل فقط، وليس موجهاً لأي أمة أخرى، وأوروبا ليست معنية، وأمريكا ليست معنية، وإفريقيا ليست معنية بدين عيسى، قال لهم:

﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ [سورة الصّف، الآية:6]

يعني إلى بني إسرائيل، عيسى لم يأتِ بالتوراة لكنه يتكلم عن كتاب موسى، معنى هذا أن أتباع موسى يجب أن يتركوا شريعة موسى ويتبعوا عيسى بعد ما جاء عيسى، وأتباع عيسى يجب أن يتركوا دين عيسى ويتبعوا دين محمد ﷺ بعد عيسى.

لو كان موسى موجوداً عندما جاء عيسى لأصبح موسى مسيحياً، والذين بقوا على دين موسى ولم يتبعوا عيسى هم على خطأ، ولو كان عيسى موجوداً عندما بُعث محمد لأصبح عيسى مسلماً، والذين بقوا على دين عيسى بعد ما جاء محمد ﷺ هم على خطأ.

نحن نُصحح تاريخ البشرية اليوم من تمبكتو.. قال لهم عيسى عليه السلام:

﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾

[سورة الصّف، الآية:6]

أين هذه الجملة في البايبل الموجود الآن؟ غير موجودة، مع أن عيسى قالها لبني إسرائيل، إذن هم شطبوا على هذا الكلام الذي قاله عيسى، الله هو الذي

❖ برنابا: هو أحد تلاميذ المسيح عليه السلام وحوارييه والمرافقين له الذين كان يطلب منهم أن يدونوا ما يسمعونه منه.

والعوامل المادية في تفسير أطماع الغربيين وتطلعاتهم التي جعلت رحالة الغرب ووفودهم تجمع المعلومات اللازمة لتحقيق بلوغ تلك الأهداف، فهذه الأمور أصبحت معروفة، وتعج بها كتابات المؤرخين والساسة، لكن العناية هنا لا بد أن تتجه إلى اهتمام الغربيين في التعرف على ثقافة المسلمين في مواقعها المختلفة والمتنوعة، والتي تمثل تمبكتو مركزاً من مراكزها، وقد تأكد ذلك فيما بعد، حيث يقول أحد الباحثين الأوروبيين وهو (مايكل كرورد) في كتابه عن (غرب إفريقيا تحت الاستعمار) كان فرض حكم البيض يعني بالنسبة للمجتمعات الإسلامية في غرب إفريقيا خضوعها للكفار، فإن تلك الشعوب عمدت إلى مقاومة الأوروبيين بحماس وإصرار زائدين، كان يفتقر إليها معظم من لا يدينون بالإسلام.

لماذا عمدت الشعوب الافريقية الى مقاومة الاوروبيين بحماس وإصرار؟

هنا بدأنا نقترب من الدرس المستفاد من تاريخ تمبكتو، وبدأت تتضح ملامح الصورة التي ترتسم فيها الخطوط والدوائر التي تشابكت وتقاطعت حول الرمز الذي يمثله هذا المركز الحضاري الإسلامي، هذه الصورة تعكس لنا ظلالاً وتقاسيم عن الآخر، الذي هو بالنسبة لعالم الإسلام أوروبا والغرب.

وعندما يحاول الباحث أن يبرز معالم هذه الصورة، ويتعرف على أبعادها، ليس فقط في عصور ازدهار تمبكتو، ولكن في الأزمات اللاحقة وحتى الآن؛ فإنه لابد أن يتوخى الصدق والموضوعية، وأن يبتعد عن التعصب والإفراط في الذاتية، وأن يتجنب - في عرض ذلك - الخطابة والمواعظ التي تدعو بالويل والثبور على هذا الآخر الذي تربص ويتربص بنا الدوائر.

الغربيون لهم تاريخ طويل في القدرة على التعرف على ثقافة الآخر الذي يكون في مواجهتهم أو من الممكن أن يكون في مواجهتهم، وقدرة على استيعابها والانتقاء والاستفادة منها، كما أنهم ذووا خبرة طويلة في تشويه ثقافات الآخرين بما يفيد أهدافهم الإستراتيجية، وحتى عندما تتلمذ الأوروبيون على العلم والفلسفة والفكر الإسلامي، واستوعبوا علوم العرب التي خلصتهم من ظلام العصور الوسطى، ونقلتهم إلى عصر النهضة، ومن ثم إلى العصر الحديث؛ فإنهم مارسوا كل ما يتصل بالانتقاء والسطو والتشويه، وظهرت آثار ذلك جلية حتى بعد عصر التنوير.

قبل فترة من الزمن كنا في احتفال لتأبين أستاذ فاضل هو المرحوم الدكتور محمد ياسين عريبي، وهناك تحدثنا عن جهد قام به لإجلاء جانب من هذا الموضوع، فهو بدراسته المقارنة لفلاسفة القرن الثامن عشر، وجد أن كبار الفلاسفة وعلى رأسهم (مانويل كانط)، لا ينقلون أفكاراً ولكن ينقلون صفحات كاملة من الغزالي ومن غيره من علمائنا ولا ينسبونها إليهم، على الرغم من أن الغزالي قد ترجمت كتبه بعد أربعين عاماً من وفاته.

فهنا الغربيون لا يشعرون بالإحراج، ولا يشعرون بالذنب عندما يتبنون أشياء هي ليست لهم ويعتبرونها أصيلة في ثقافتهم، من أجل بناء الشخصية الخاصة بهم.

أما عملية تشويه تراث المسلمين والإسلام كدين، فذلك من الأدبيات الشائعة والمعروفة في العصر الوسيط، فالدكتور علي خشيم والدكتور صلاح الدين حسن السوري ترجما كتاباً عن اللغة الانجليزية حول التشويه في المبادئ الإسلامية في العصر الوسيط وكيف كان يتم ذلك.

هذا التشويه الذي تم في العصر الوسيط، بالنسبة للدين الإسلامي وللثقافة الإسلامية بصفة خاصة، كانت مادة ووقوداً للحروب الصليبية، ثم أصبح في إطار حركة (الاستشراق) حركة أكثر عمقاً، لتدخل في برامج الإعداد للمواجهة مع العالم الإسلامي، وتطور بعد ذلك في شكل مناهج دراسية لمعاهد الاستعمار،

وانتهى أخيراً في محددات تفصيلية في مؤسسات الاستخبارات والتجسس التي أفرزتها الصليبية والصهيونية المعاصرة.

وهذا التشويه الديني للإسلام - من الخارج ومن الداخل - ما زال موجوداً على مستوى الحكومات والمؤسسات العلمية الغربية، على الرغم من إدعاءات العلمية والموضوعية في التعامل مع ثقافات العرب والمسلمين .

فمثلاً جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، قامت في الثمانينات - مع عدد من العلماء المسلمين والكاثوليك والبروتستانت - بدراسة مناهج التعليم العام في دولة أوروبية كبرى صديقة للعرب، في كتب التاريخ والحضارة والجغرافيا، وما يكتب عن الإسلام وعن العرب، ووجدت معلومات مغلوطة مهولة، وأشياء غريبة جدًا، أشياء لا يمكن أن تتم كتابتها بشيء من السهو أو بشيء من عدم المعرفة، أو بشيء من الجهل، لكنها أشياء تكتب من طرف مجموعة العلماء والدارسين لتغيير أذهان الأجيال القادمة، ونحن اعتبرنا هذا عدواناً على عقل الأطفال في هذه الدولة وعلى عقل الإنسان، لأنك أنت لا تستطيع أن توقع اتفاقية سلام مع إنسان بني على أساس أنه يعتبرك خارج نطاق الإنسانية أو خارج البشر (لأنك عربي) وهو معذور في هذا، لأن الثقافة التي صُبّتْ في ذهنه من الابتدائي إلى نهاية التعليم العام هي أفكار غير صحيحة، وتمت الإشارة إلى كل نص من النصوص والتنبيه عليها، وطبع الكتاب في مؤسسة تُعنَى بالكتب الثقافية والتربوية في تلك البلاد.

ثم عندما أعلنا عن ذلك اتضح أن دولاً كثيرة في أوروبا وأمريكا تقوم بذلك، وأنا هنا لا أتحدث عن كاتب كتب كتاباً، بل أتحدث عن برامج محددة، تعطى لتكوين أجيال وأفراد وعناصر وأشخاص، تشوه فكرة الحضارة الأخرى في أذهانهم. المثل الآخر (سلمان رشدي) وآياته الشيطانية. هذا الكتاب، فيه أكثر من رأي حول الطريقة التي تمت مواجهته بها من طرف بعض الدول الإسلامية، مواجهة فيها نظر. ولكن الذي أخبرنا بأن الإنجيل مشطوب منه هذا الكلام، لأن عيسى قال لهم:

﴿يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [سورة الصف، الآية: 6]

الذي هو محمد ﷺ، إذن ما يُسمى بالكتاب المقدس هذا ليس الكتاب المقدس الذي أنزله الله على موسى وعلى عيسى (عليهما السلام).

إعادة النظر في المناهج

وإذا كانوا يريدون السلام معنا يجب أن تُشكل لجان لإعادة النظر في المنهج الغربي وفي (البايبل) نفسه لأنه مزور.

لقد شُكلت لجان أمريكية وإسلامية لإعادة النظر في المنهج المدرسي في البلاد الإسلامية، يجب أن تُشكل لجان إسلامية أمريكية لإعادة النظر في المنهج الأمريكي والأوروبي.

موسى لعلمهم مذكور في القرآن 136 مرة، لماذا نحن لم نشطب على هذا..؟ هذا كلام الله لا نستطيع شطبه وإلا نصبح كفاراً، لكن هم شطبوا على كل ذكر لمحمد ﷺ في التوراة والإنجيل، نتحداهم أن ينشروا إنجيل القديس برنابا.

مريم - عليها السلام - مذكورة في القرآن 33 مرة، لماذا لم نشطب على هذا..؟ هذا كلام الله لا نقدر أن نغيره.

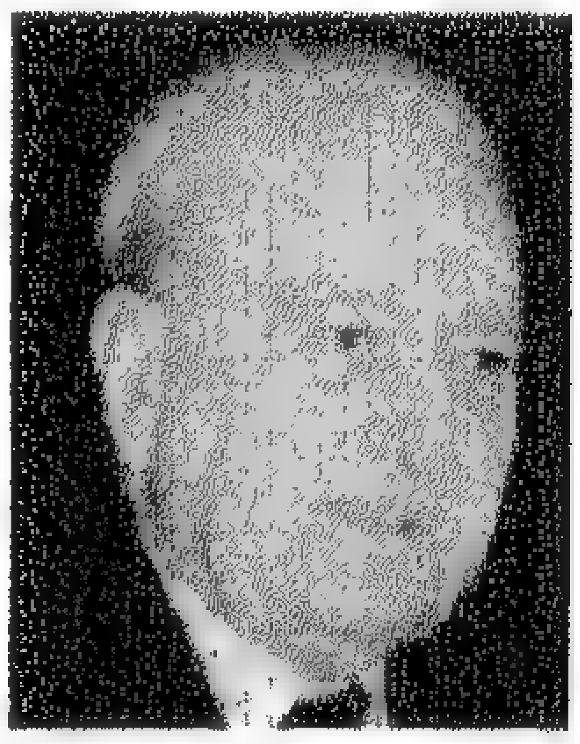
عيسى - عليه السلام - مذكور 25 مرة في القرآن، لا نستطيع أن نشطبه لأن هذا كلام الله، والقرآن يذكر مريم وموسى وعيسى، كل هذا تمجيد واعتراف بنبوتهم وتقديس لهم وسلام عليهم، لكن في (البايبل) محمد ﷺ غير موجود، مع أنه كان موجوداً، ذكره الله، معنى هذا أن (البايبل) مزور، القرآن فقط غير مزور.

يهمنا هو ما وراء الكتاب، التوزيع الهائل، والترجمة الهائلة، والتغطيات الكبيرة، والتجهيز الإعلامي، ثم استقبال الرؤساء الأوروبيين والأمريكيين كلهم لهذا الرجل، كرمز للنيل من نبي الإسلام، وتشويه الدين الإسلامي، وتشويه هذا الآخر بالنسبة لهم.

فهم (الآخر) الذي يشوهنا بقصد، وليس كاتباً من الكتاب، له رأي، له مدرسة، ويحاول أن يكتب وجهة نظر.

الصورة المعكوسة (روجيه غارودي) عندما كتب عن أساطير بني إسرائيل؛ اضطهد الرجل وحوكم ولم يستقبله أحد، ولم يُترك ليهنأ بعيشه. أعني صورة (الآخر) بالنسبة لنا الذي التقيناه هناك في تمبكتو.

وحتى لا نبتعد عن تمبكتو كثيرا، فإنه قد ظهرت في العقد الخير من القرن المسيحي الماضي دراسات وبرامج إعلامية، تحاول أن تبرز دور اليهود في حضارة تمبكتو، وتذهب إلى أبعد من ذلك، بإغراء بعض سكانها للإدعاء بأنهم من أصول يهودية، وهناك أشخاص موجودون الآن يدّعون أنهم يتسلمون بعض الهبات والمساعدات، ويؤكدون أن أسرهم قد اضطرت - في فترة ما في الماضي - للدخول في الدين الإسلامي، وبالتالي هم يعودون إلى أصولهم اليهودية.



روجيه غارودي

لا بد أن تتجه العناية الى اهتمام الغربيين بالتعرف على ثقافة المسلمين في مواقعها المختلفة والمتنوعة، وتمثل تمبكتو مركزاً من مراكزها.

وهذا الأمر يقع في دائرة المحاولات الصهيونية لتشويه حضارة العرب، وتطويق الأمة العربية، وهذا التطويق يتضح - بجلاء أكبر وأكثر- إذا عرفنا أن ندوة كبيرة عقدت في عام 1998 مسيحي في جمهورية مالي، تبحث في (أصول قبائل الفلاني) وتدّعي أنها ترجع في أصولها إلى القبيلة الإسرائيلية الثالثة عشرة، وهو نفس الادعاء الذي تم به حشد قبيلة (الفلاشا) من قبل، من أجل تغلغل الإسرائيليين في إفريقيا.

هذا (الآخر) الذي نحاول أن نتعرف عليه في هذا الإطار الصحراوي البعيد، يفلت منا دائما، وهو يتخفى في غابات من ادعاءات البحث العلمي، وفي أحراش القول بالدراسات الموضوعية، ويفر منا في حقول فرق السلام والجمعيات غير الحكومية، والمؤسسات الإنسانية، ومنظمات حقوق الإنسان، ولكننا - بشيء من تدقيق النظر - نجده دائماً هناك، يتربص في جحافل الغزو الفكري الذي يغيب عقولنا، ويلغي شخصيتنا، ويغري البعض الآخر بالتطرف والشعوذة، فيخربون ديارنا من الداخل لتدوسها سنابك خيول الغازين لربوعنا.

منارة للإشعاع الحضاري

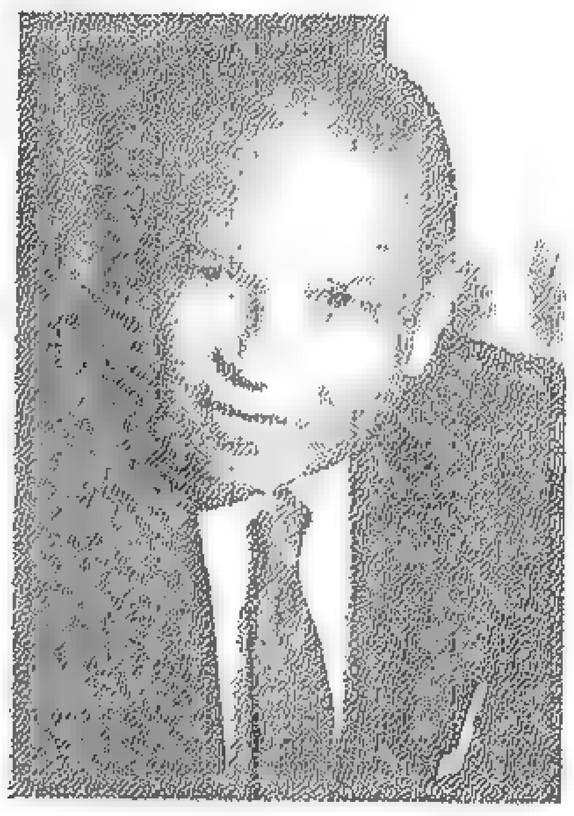
من هنا كانت (الصلوات الجامعة) التي قادها وأمّها الأخ معمر القذافي في نيامي، وكانو، وأنجامينا، هي الرد على هذا (الآخر) الذي يشوه التاريخ ويزيف الواقع، وهي استنهاض لمسلمي إفريقيا لتعود تمبكتو من جديد مركزاً للإشعاع الحضاري للثقافة والعلم، والفكر لكل الناس، لا للذين يبحثون عن الذهب والماس، وعن مسالك ومسارب إفريقيا من أجل استعمارها واستغلالها.

ولعل العرب، والمسلمين بعامة، لم يدركوا أبعاد تلك الصلوات التي احتشد فيها الملايين من مسلمي إفريقيا، واجتمع بمناسبتها المئات من الزعماء وأئمة المسلمين في هذه القارة، لم يدركوها الإدراك الحقيقي الصحيح، ولكن الذي أدركها - وحسب أبعادها - هو ذلك (الآخر) الذي رأى فيها الخطر على مخططاته في إفريقيا وفي الوطن العربي، فجعلت مؤسساته الإعلامية الموجهة توحي - حتى لبعضنا - كيف أن الجماهيرية تتدخل في الشأن الاقتصادي والسياسي

والتحرري والثقافي في افريقيا منذ قيام الثورة.

ويكفي أن نشير في مجال الثقافة إلى أن الجماهيرية، هي التي وقفت مع أول مدير عام إفريقي لليونيسكو وهو (أحمد مختار إمبو) الذي جاء من قرية (جلخار) إحدى مناطق أمبراطورية مالي التي ازدهرت فيها تمبكتو، وهو المدير العام الذي حاول أن يقدم عملاً إنسانيًا للثقافة والحرية، ووقف سداً منيعاً ضد برامج التدفق الإعلامي من جانب واحد، فكان أن انسحبت أمريكا من اليونيسكو، وعملت مباشرة - وعن طريق مؤسساتها مثل (مؤسسة التراث) - على التشكيك في جدوى اليونيسكو التي أصبحت - على حد زعمها - يتحكم فيها الهمج !!

لقد عاشت إفريقيا دونما تاريخ عام لها، أقصد دونما تاريخ مكتوب لها، هناك تواريخ لبعض مناطقها ولبعض دولها، ولبعض مراحل مناطق منها، تواريخ للمستعمرين لها، وهي تواريخ من وجهات نظر المستعمرين، ولكن الجماهيرية، هي التي أعطت إفريقيا هذا التاريخ بالتعاون مع (اليونيسكو) وأصبح (تاريخ إفريقيا العام) في ثماني مجلدات بثلاث لغات؛ حقيقةً وواقعًا، بعد أن عمل فيه المؤرخون والعلماء على مدى أكثر من عشرين عاماً، حتى يخلصوا تراث هذه القارة من تأثير هذا (الآخر) الذي يزعم أن مرحلة استعمار إفريقيا هي مرحلة التهدئة وإحلال السلام.



أحمد مختار إمبو

إن الدراسات العلمية الغربية عن إفريقيا تزيف تاريخ وثقافات شعوب القارة، بل تزيف حتى الإحصائيات السكانية للدول الإفريقية لتظهرها نسباً متدنية فيما يتصل بالمسلمين، من أجل تهميشهم في الحياة العامة. وأنا أذكر أنه في لقاء سنة 1998 مسيحي مع رئيس جمهورية مالي - آنذاك - (آلفا عمر كوناري) قال لي: إنه سعيد لأن الإسلام بدأ ينتشر بسرعة، ففي

النبي محمد ﷺ، الله قال له:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة الأعراف، الآية: 158]

والله يقول لهم يجب أن يتبعوا الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، لكن التوراة والإنجيل الموجودان الآن لم نجد فيهما هذا الكلام، معنى ذلك أنهما مزوران.

لكن لا تنزعجوا لأن الله قال:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية: 33]

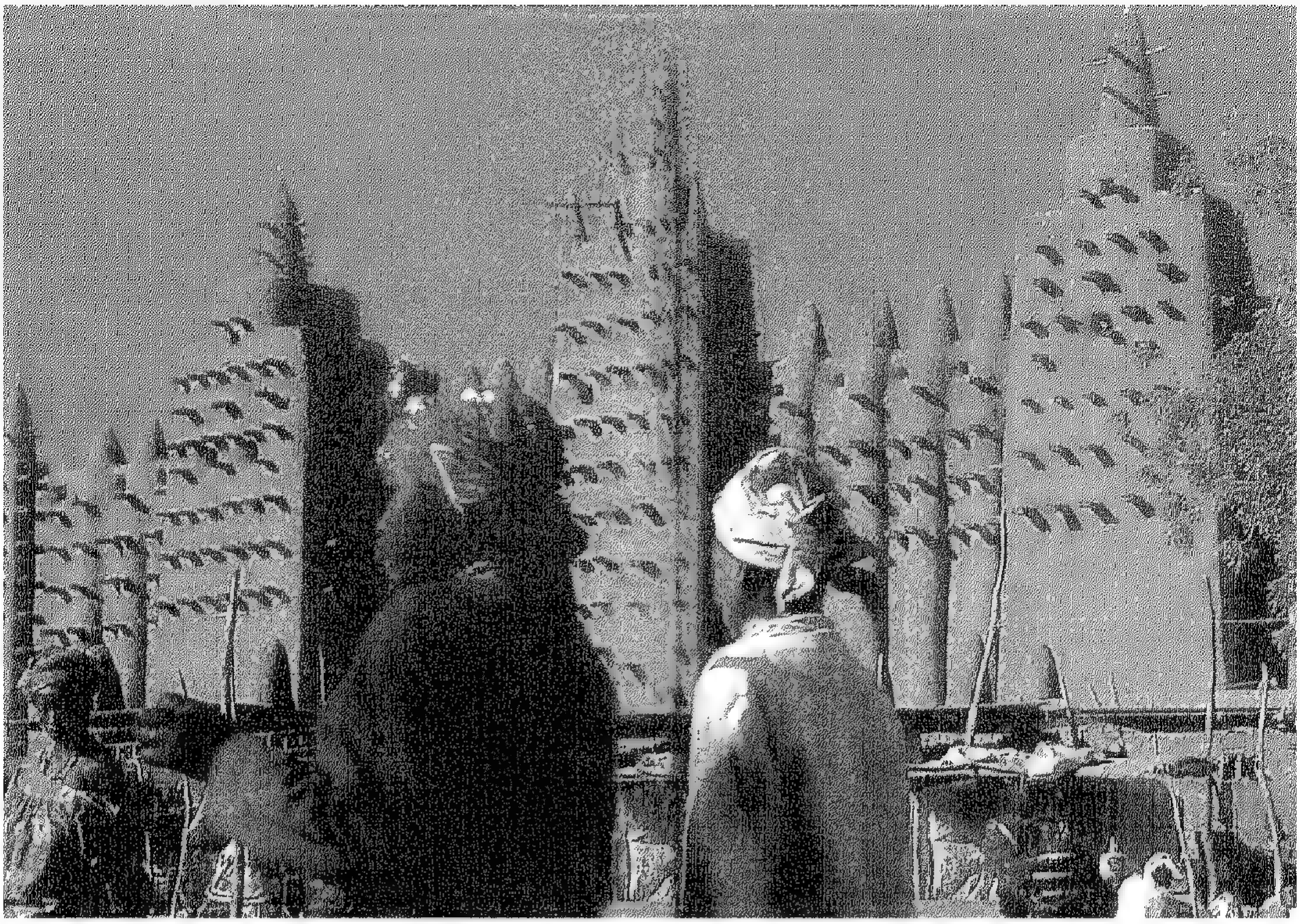
وكررها في سورتين في القرآن:

﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية: 33]

لا تنزعجوا فدين محمد ﷺ سينتصر على كل الأديان، كرهوا أم أحبوا، الله قال هكذا.

الإسلام ينتشر في أوروبا

لسنا محتاجين للسيف أو القنبلة لنشر الإسلام، عندنا الآن خمسين مليون مسلم في أوروبا، وهناك علامات أخرى تدل على أن الإسلام سيظهره الله في أوروبا دون بندقية ودون فتح، الخمسون مليون مسلم في أوروبا بعد عشرات السنين سيحولون أوروبا إلى قارة مسلمة، الله سخَّر أمة مسلمة، وهي الأمة التركية، لتدخل الاتحاد الأوروبي، وهذه خمسون مليون مسلم سيكونون مائة مليون مسلم في أوروبا، ألبانيا دخلت الاتحاد الأوروبي وهي دولة مسلمة، البوسنة دخلت الاتحاد



جمهورية بوركينا فاسو ـ كما يقول ـ تضاعف عدد المسلمين في عشر سنوات من 35٪ من عدد السكان إلى 65٪، وأنا قلت له: طبعاً هذا لا يحدث عادة، وبصفة خاصة لم يحدث في بوركينا فاسو.. الذي حدث هو أن الإحصائيات الرسمية التي كانت تعلنها فرنسا وتعلنها الأنظمة التي كانت تابعة لفرنسا في بوركينا فاسو أو في غيرها، هي إحصائيات غير صحيحة، وبالتالي.. الآن عندما قامت الحكومة في بوركينا فاسو بإحصاءات صحيحة ظهر العدد الصحيح والحقيقي للمسلمين.



ألفا عمر كوناري

طبعاً نحن هنا لا نتعصب للمسلمين أو للعرب أو لغيرهم، ولكن نحن نتحدث عن أسطورة أو عن حقيقة البحث العلمي، وأنا حاولت أن أقيد نفسي بأننا لا يجب أن نخطب، ويجب أن نتحدث بموضوعية عن هذا الأمر، وأنا مستعد لإعطائكم أسماء المراجع والأرقام فيما يخص هذه الأمور.

وحتى العام 1999 مسيحي، أنا شخصياً كنت أعتبر أن الإسلام غير موجود في مالاوي، وعندما جاءنا علماء من مالاوي، وجاءوا بأوراقهم، وذكروا لي أن مالاوي فيها على الأقل 80٪ من السكان مسلمين، ولكن عندما جاء الاستعمار الانجليزي ـ في أقل من قرن من الزمان، 70 سنة تقريباً ـ غيبهم بالكامل، وأتى بإداريين من الخارج، وغيّر أديان بعض الناس، وفرض الأمية الكاملة والفقر الاقتصادي على كل المسلمين، ومنع عنهم التعلم والحج ومجيء العلماء إليهم.

الآن الدعوة القائمة هناك، بسهولة تعيد إلى أذهان القبائل والسكان تراثهم فيشعرون بأن هذا هو دينهم الذي فرّ منهم وغيبه المستعمر عنهم، وعندما تكلم القائد معمر القذافي في كانو، تكلم عن مجموعة

من هذه النقاط، عن التشويه من الخارج والداخل، وتكلم عن التسامح الإسلامي، وتكلم عن تعصب الآخرين.

لأول مرة يجتمع خمسة أو ستة ملايين من المسلمين في منطقة متسعة ويشعرون بالاعتزاز بدينهم، وهذا أمرٌ كل الإخوة الذين زاروا إفريقيا يستطيعون إدراكه، وبالإمكان إدراكه، أعني الإنسان المسحوق ثقافياً، والمغيب ثقافياً، الذي يقرأ لغة في أحسن الظروف تسخر من تراثه، عندما يشعر هذا الإنسان بأن تراثه عظيم، وأن دينه متسامح، وأن دينه أساسي، وأنه يصنع الحضارة، وأن له أمجاداً كبيرة، وأن له دوراً في العلم والثقافة والحضارة... الخ؛ هذا الإنسان.. شباب الجامعات والموظفون وكبار الناس ينطلقون.

ذلك اللقاء في كانو أحدث موجة كبيرة، و(الآخر) الذي لا يمكن أن يسمح بفرصة مثل هذه أن تفر منه؛ عمل على اتخاذ مجموعة من الإجراءات منها دعوة البابا (وأنا بالمناسبة لست ضد البابا) وقد قابلته وأحترمه وأستمر في احترامه، وحتى القائد في حديثه عن البابا في الخطبة تكلم عنه باحترام ، ولكن أصر (الآخر) أن تتم دعوة البابا إلى نيجيريا، ليلغي التأثير النفسي الذي أوجده هذا التجمع وهذا اللقاء في كانو.

في المرة الماضية استقبل (البابا) ملايين المسلمين، والإعلام الغربي قال : إن هؤلاء هم مسيحيو نيجيريا، وإن عدد المسيحيين أكثر من المسلمين، وفي هذه المرة سلاطين وعلماء نيجيريا تنبهوا وطلبوا من المسلمين أن لا يأتوا لاستقبال البابا، لنرى المسيحيين الذين يستقبلونه، وعندما أصر رئيس الدولة أن يكون السلاطين موجودين في الاستقبال الرسمي ليتحدثوا مع (البابا)[1]، واجهوا (البابا) وقالوا له نريد أن تحدثنا عن نيجيريا، هل الغالبية مسلمون أم الغالبية مسيحيون؟ وقد تحدث (البابا) بكل وضوح وقال: «أنا أقول أمامكم إنكم الأغلبية».

1ـ البابا يوحنا بولس الثاني (التحرير)

الأوروبي وهي دولة مسلمة، أو خمسون في المائة منها مسلمون، لدينا إحصائية تبين عدد المساجد بالآلاف في أوروبا، عندنا آلاف المنظمات الإسلامية والجمعيات الإسلامية في أوروبا. أوروبا الآن في ورطة وكذلك أمريكا: إما أن تقبل بأنها ستصبح مسلمة بمرور الزمن أو تعلن الحرب على المسلمين.

الحج إلى مكة لكل الناس

مادام محمدﷺ هو نبي لكل الناس حسبما جاء في القرآن؛ إذن فكل الناس مدعوون إلى تلبية نداء محمدﷺ، الله قال لمحمدﷺ:

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [سورة الحج، الآية:27]

قال له: ادع كل الناس أن يأتوا للحج في مكة، ليس العرب فقط، ليس المسلمين فقط، لماذا؟ لأن محمداًﷺ نبي لكل الناس، ولأن مكة هي أول بيت وضع للناس لعبادة الله فوق الأرض.

الله يقول في القرآن:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 96]

يعني للعالمين ليس العرب فقط، ليس المسلمين فقط، للعالمين أي كل العالم، وهذا أول بيت وضع فوق الأرض لعبادة الله، وضع لكل الناس:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [سورة آل عمران، الآية:97]

لم يقل للعرب أو المسلمين، قال للناس

وطبعًا نحن هنا لا نعد رؤوس المسلمين ولا رؤوس المسيحيين، ولكننا نتكلم عن الوضع الحضاري الذي تغير، ولقاء القائد كان يوم 2 محرم الموافق التاسع من شهر الماء من العام 1997 مسيحي، وبعد ذلك التاريخ بأقل من شهر في مدينة كانو جاء (سفير إسرائيل) وعرض مساعدات على التجار، وكان قد بعث برسائل لأن يتم استقباله من طرف السكان والعلماء، فرفض هؤلاء، فاستعان بسفيري دولتين عربيتين كبيرتين ليأتيا به إلى كانو وليقولا لسكانها وعلمائها إن هذا السفير الإسرائيلي لا غبار عليه وهو يساعدكم، وطبعًا رفض العلماء لقاءه، واستقبله الحاكم العسكري، وقد سجلت الإذاعة شريطًا عن الزيارة وهو موجود لدينا في جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، يمكنكم مشاهدة السفيرين المحترمين اللذين كانا يحاولان تمرير السفير الإسرائيلي، أعني أن البيادق من الداخل هي التي تأتي بالآخر ليمرر، ولذلك فإن (أسكيا داود) عندما منع اليهود ومن يتاجر معهم من الدخول إلى تمبكتو، لم يكن متعصبًا لدين معين وضد دين معين، ولكن كانت له نظرة (الآخر) وهذا هو معنى (المدينة المقدسة) بالنسبة لتمبكتو عندما يقولون عنها إنها المدينة المقدسة.

لا أريد أن أتوسع كثيرًا في تتبع خيوط هذه الصورة التي تعكسها مدينة تمبكتو عن (الآخر) الذي كان يتربص بها، فالشواهد الواقعية الجلية هي أكثر من أن تحصى، ويكفي أن ندرك هنا أن الحضارة العربية الإسلامية قد تعرضت في الماضي إلى مثل هذه المحاولات من هجمات الغزو الفكري، إلا أن هذه الهجمة حشدت لها المؤسسات الصليبية والصهيونية كل الوسائل للوصول إلى العقل العربي والإسلامي للإجهاز عليه، لأنه يشكل عقبة رئيسة على طريق (العولمة) التي يريدونها بسطا لثقافة الغرب وتلوين كل شيء بألوان الغرب وثقافته وعاداته.

إعتزاز بالتراث الإسلامي

لقد سجل المتابعون، الملايينَ من الشباب الإفريقي الذين أصبحوا يعتزون بالتراث الإسلامي بعد الصلوات الجامعة في عامي 1997 / 1998 مسيحي، وأصبحوا يتصدون لبرامج التغريب ومحاولات مسخ الهوية، وأصبحت تمبكتو بالنسبة لهم من جديد رمزًا للاعتزاز بثقافتهم وبناء مستقبل أفضل لهم، ومستقبل أفضل لهذا العالم الذي يجب أن يشارك الجميع في بنائه وصون الحياة الإنسانية الكريمة فيه، وهذه هي المبادئ التي تبرزها ثقافتنا نحن، الثقافة المتسامحة التي تنظر للناس جميعًا على أنهم أبناء آدم، وأنهم إخوة، بإمكانهم أن يعيشوا في عالم واحد مسالمين متعاونين من أجل تنمية حقيقية.

بعد الصلوات الجامعة أصبح الملايين من الشباب الإفريقي يتصدون لبرامج التخريب ومحاولات سلخ الهوية، وأصبحت تمبكتو رمزاً للاعتزاز بثقافتهم وبناء مستقبل أفضل لهم وللعالم.

وفي تاريخنا، هناك أعمال قام بها أفراد أو ملوك... لكنني لا أتحدث هنا عن الهنات، ولا عن التوجهات التي تقع دائما عندما تصادفنا في الهامش؛ ولكنني أتحدث عن الأشياء المبرمجة، ولا أريد أن أذكر أمثلة، رغم أن هذه الأمثلة موثقة. وبالمناسبة.. في الشهر الأخير من العام 1999 مسيحي وصلتني دراسة من ثلاثة أعداد متتالية في صحيفة سيارة في كندا، وتطبع هذه الدراسات أيضاً في أمريكا، ولعلها تطبع أيضاً في أوروبا، وهي دراسات عن القرآن، وهذا الأمر كان موجودا عند المستشرقين، وتطور عند المدارس المعاصرة في محاولة لزعزعة هوية العرب والمسلمين، على اعتبار أن القرآن هو الذي يوحدهم جميعا على مختلف مشاربهم ومذاهبهم، والعرب كما تعرفون يعتبرون حتى من يشكك في الشعر الجاهلي مشككًا في

القرآن، فكيف الأمر وهؤلاء بدأوا يشككون في القرآن، وفي آياته، وفي طريقة جمعه. وهناك مؤسسات صهيونية وإسرائيلية كثيرة تشتغل على هذا الأساس، ولسوء الحظ، والأمر الذي يزعج ولا يسر، هو أن بعض الذين تعاونوا مع هذا (الآخر) تحت غطاء البحث العلمي!!. دراساتهم الآن ـ حتى باللغة العربية ـ تشكك في تراثنا بالكامل، وإننا ـ في أحسن الظروف ـ عشنا على أساطير كتبها محمدﷺ وأخذها من المصريين القدماء، أو أخذها من الأديان القديمة، وعملنا بها عملاً سياسيًا لفترة معينة، وساعدنا فيها اليهود، وساعدتنا بعض الأديان الأخرى. ولكن آن الأوان لأن نسير في قالب الحياة الحديثة ونعمل كـ (سفرجية)[2] جيدين في المطبخ الغربي، وهذا الأمر يحتاج إلى وقفة علمية جادة.. وللأسف النظر الذي تم هو نظر عاطفي، نظر يعتمد الخطابة والشتم، ويعتمد ـ في كثير من الأحيان ـ التكفير والتجريح، وهذا يستفيد منه الغرب.

والآن... أعداد كبيرة من بعض هؤلاء الذين شككوا في تراثنا وزيفوا هويتنا أصبحوا أساتذة كراسي في الجامعات الأمريكية.. نحن ـ أنا وبعض الإخوة الموجودين هنا ـ درسنا في أمريكا، ونعرف أن الدارس هناك يعيش ويتعب قبل أن يصل إلى منصب محاضر أو أستاذ مساعد أو أستاذ في الجامعات الأمريكية، بينما من يشتم الإسلام ـ ولو قليلاً ـ في الجامعات الغربية، وثارت من حوله هالة في بعض الصحف، ترتب له الأمور، وبعد شهر أو شهرين تجده (أستاذ كرسي) مبجل للدراسات العربية أو الأوروبية أو الفلسفية أو الاجتماعية، ويصبح يشار إليه بالبنان. وهناك طبعًا دور للنشر، وهي دور معروفة جدًا في بريطانيا مثلاً، حيث هناك أكثر من دار تظهر علينا بكتب الأدب العربي في طبعات صقيلة وأنيقة، وكلها تشكك في تراثنا، والآن لها فروع في عواصمنا العربية والإسلامية.

كل الناس، يقول:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾

[سورة البقرة، الآية:125]

يعني مثابة وملتقى لكل الناس، كل الناس من حقها أن تحج إلى مكة وتطوف بالكعبة وتسعى بين الصفا والمروة وتقف على جبل عرفات وترجم تمثال الشيطان في العقبة بالجمرات.

كل الناس مدعوة للطواف حول الكعبة، ليس العرب أو المسلمين فقط، لأن هذا بيت الله، لكل الناس، كل الناس مدعوة للسعي بين الصفا والمروة، ليس العرب أو المسلمين فقط، كل الناس مدعوة للوقوف بجبل عرفات ليس العرب أو المسلمين فقط، كل الناس مدعوة لرجم تمثال الشيطان بالجمرات.

الموجود الآن خطأ من جانبنا، من الذي يمنع الناس من أن يحجوا إلى بيت الله؟ ما هو السبب؟، لماذا لا يأتي اليهود والنصارى ليطوفوا حول الكعبة وهم مدعوون لأن يتركوا اليهودية والنصرانية ويلبوا نداء محمدﷺ؟.

الله قال لمحمد ﷺ: يا محمد ادع الناس ليطوفوا حول الكعبة، قال له: هذا حقي على الناس، أن يأتوا ويطوفوا حول البيت العتيق، ليس عندنا مبرر في أن نمنعهم.

إذا جاءك الرئيس الفرنسي أو الأمريكي أو الإيطالي، وقال أنا لبيت النداء وسأطوف حول الكعبة، ماذا سنقول له؟ ليس عندنا حجة، عندنا آية واحدة في القرآن إذا انطبقت عليهم إذن لا يحجون،

(2) سفرجية: خدم المقاهي والمطاعم



تمبكتو: المعمار المميز والعلم الذي لا ينقطع

استجلاء أبعاد الصورة

ونحن عندما نتحدث عن مدينة إفريقية في الرمال كان لها شأن وأي شأن؛ فلا بد أن يثير هذا الأمر فينا ما أثارته هذه المدينة في خيال هذا (الآخر) الغربي الذي أراد منها أن ينظر إلى الأمة أو الثقافة التي تواجهه، وأن يتعرف عليها، وأن يتخذ منها موقفًا، وللأسف الموقف الذي اتخذ من ثقافتنا موقف معادٍ لأسباب عقدية أو غير عقدية يمكن دراستها، ويمكن حتى أن نلوم عليها هذا (الآخر). ولكن.. هذا الموقف اتخذ.. نحن أيضًا ننظر إلى تمبكتو، ننظر إلى الصورة التي ترسمها لنا هذه المدينة، وهذا الماضي، وهذا الشوق لهذه المدينة. علماؤنا أيضًا اشتاقوا لهذه المدينة كثيرًا، وخرجوا منها وتحدثوا عنها، ولكننا اليوم لا بد أن نستجلي فيها هذه الصورة. اليوم أحد الإخوة كتب عن هذه المدينة، وتأسف عليها عندما زارها، ونادى بأن نرمم المساجد فيها، وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية والجماهيرية والجهات الأخرى ساهمت في ترميم المساجد وبقية الآثار الموجودة في المدينة، ولكن المطلوب هو ترميم الصورة التي وجدت في أذهاننا، والتعرف على هذه الصورة بكل أبعادها، والتعرف على ثقافة (الآخر)، وأن نقول له نحن لسنا موضوعًا للبحث الثقافي الذي تريد به ومن خلاله أن تتشكل ثقافتنا، ونحن موجودون بثقافتنا، ومستعدون لأن نشارك في تكوين صورة لهذا العالم الذي نحياه بمساهمات من تراثنا، فنحن منفتحون وغير منغلقين، ونقبل بكل الثوابت وبكل الاكتشافات، وبكل الإبداعات والإنتاج العظيم الذي قدمه كل الناس، ليس فقط في الغرب ـ لأنه غالب ـ ولكن في الهند وفي الصين وفي غيرهما من الأماكن، وتراثنا نحن يحترم كل هؤلاء.

لم يكن الذين قاموا بزيارة مدينة تمبكتو منبهرين فقط ـ خاصة علماءنا المسلمين ـ بحلقات الدراسة في المساجد وفي الجامعة، وبحلقات الذكر وبمدارس القرآن؛ بل كانوا منبهرين أيضاً بالفن في تمبكتو،

والمحاضرات والمناقشات والفنون الإفريقية. هذا التسامح الكبير، وهذه النظرة الواسعة؛ تعطي دائما في هذه المدينة وفي غيرها - سمرقند أيضاً - الصورةَ الإسلاميةَ الصحيحةَ لاستعمال فنون الآخرين الذين دخلوا في أمة الإسلام، حيث لم نُغَيّبْ نحن فنونَ الآخرين أو ثقافتهم، نحن ذهبنا أبعد من ذلك، حتى الفقه الإسلامي استوعب عادات الآخرين وجعلها في إطار التشريع الإسلامي والمبادئ القرآنية والسُّنَّة النبوية.

نحتاج إلى روية وبعد نظر

إذًا.. نحن عندنا موقف إيجابي في بناء عالم جديد، نحن لا ننكفئ على أنفسنا عندما نتحدث عن تراثنا، وعندما نعتز بشخصيتنا وأصالتنا، نحن نقول للذين يتحدثون عن عالم واحد وفيه ثقافة واحدة، نقول لهم : إنه لا يمكننا أن نبني عالمًا للإنسان الأوروبي فقط، ولا نبني عالمًا للإنسان الأمريكي فقط، ولا نبني عالمًا للأبيض فقط، ولا نبني عالمًا للمسيحيين فقط، ولا نبني عالمًا لليهود فقط . لا بد أن يكون عالماً لكل الناس.

الصهاينة يقولون إن العالم سوف يسوده السلام عندما تصبح الأمم المتحدة أداة فاعلة، بعد أن تنتقل إلى (أورشليم) إلى القدس عاصمة أبدية لهم. وهذا الكلام قيل قبل أكثر من أربعين سنة.

هذه برامج تضعها مؤسسات كبيرة، وهذه المؤسسات تستعمل كل شيء، تستعمل الفن والإبداع والموسيقى والعلم، والجامعات والبحوث العلمية ومكافآت الأساتذة والمؤتمرات، كلها تحتاج منا إلى نظر وإلى تقييم. واتحاد الأدباء والكتّاب هو المكان الذي رأيت فيه أنني أعطي كلمة عامة عن مدينة تمبكتو وما تعنيه بالنسبة لثقافتنا ولنا، وأنبه نفسي وإخوتي وعلماءنا إلى أن الأمر ليس أفكاراً شاردة تجرحنا بين الحين والآخر في أيامنا هذه، الأيام

ما هي هذه الآية؟ انتبهوا جيداً لهذه الآية.

الآية الوحيدة في القرآن التي تمنع من أن تنطبق عليه من أن يقترب من البيت الحرام، تقول:

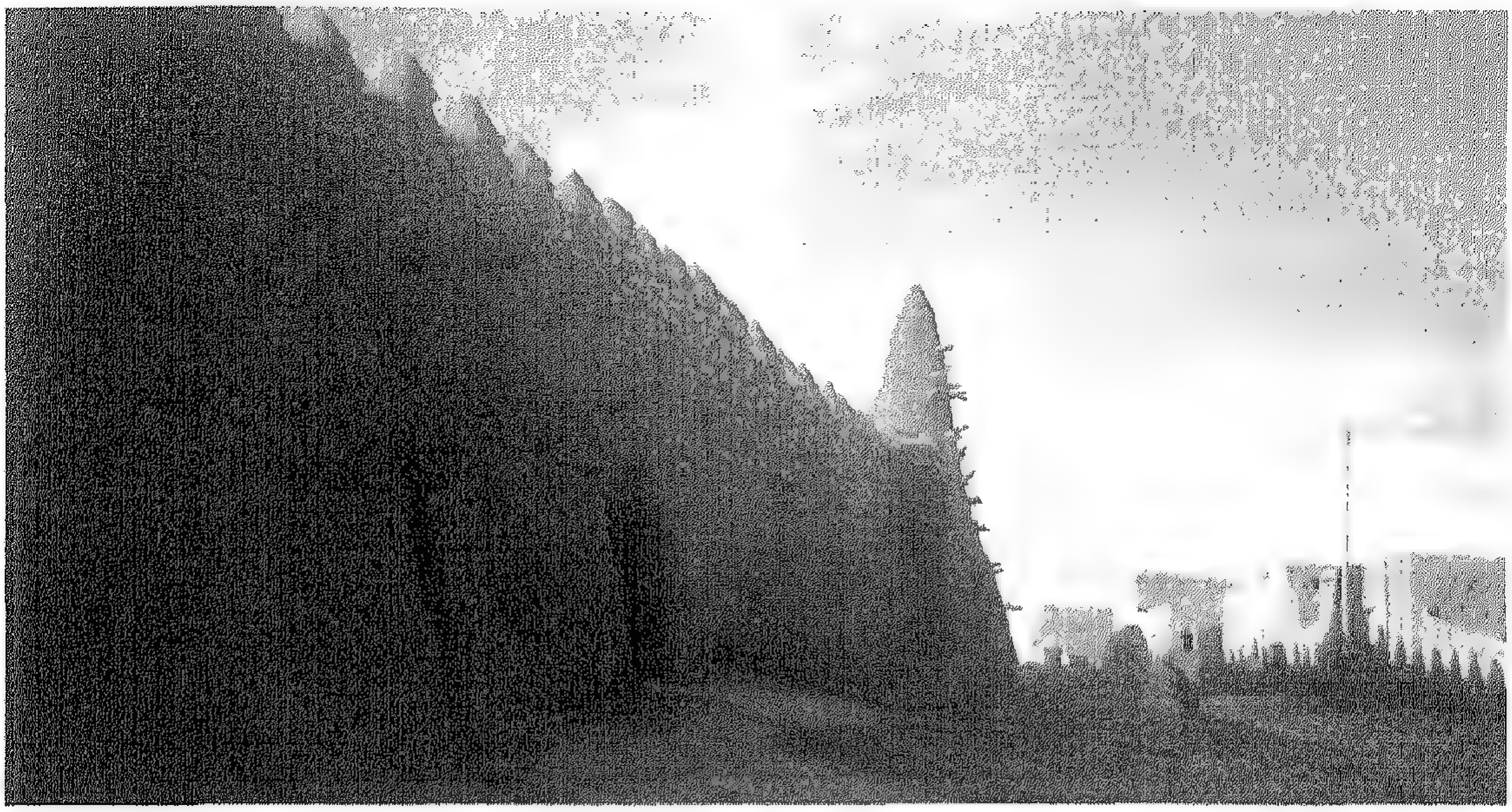
﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [سورة التوبة، الآية:28]

هل نقول لهم أنتم نجس ومشركون؟ نتحداهم عندما يأتي الرئيس الأمريكي ليحج أن يقولوا له أنت نجس ومشرك.

يرد علينا: أنا لست مشركاً، وأنا لست نجساً، كيف تتهمونني هذه الاتهامات الخطيرة؟ إذا كنت نجساً لماذا تصافحونني وتأكلون وتشربون معي، وكيف تصادقونني وتحالفونني وتصاحبونني؟ إذا كنت نجساً لا تلمسوني، يقول لهم أنا لست نجساً، وأنا غير مشرك، ويخرج لنا الدولار الذي تتعاملون به، ويقول تفضلوا اقرؤوا المكتوب على الدولار الذي أنتم تتعاملون به مكتوب - كما قال المترجم - نثق في الله.

إذن المشرك والنجس هو فقط ممنوع عليه الاقتراب من المسجد الحرام، لكن من هو المشرك؟ من هو النجس؟ لا أحد من أهل الكتاب يقول أنا مشرك أو نجس، يقول الحج ممنوع في القرآن على المشرك النجس، لكن أهل الكتاب ليسوا مشركين وليسوا نجسين في النهاية.

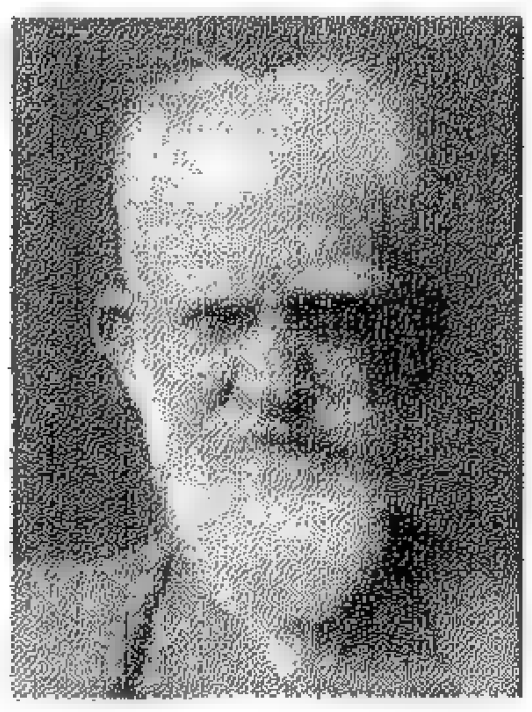
هذه إشكالية.. تحد جديد ينطلق في هذا اليوم العظيم من تمبكتو، والعالم اليوم يعيد النظر في معطيات مسلم بها بعد يوم تمبكتو هذا.



تمبكتو: تاريخ عريق

التعيسة للعرب الذين يرون هزائم متواصلة لكل شيء في حياتهم، ولكن هذه أمور مدبرة ومنظمة، وفيها تدفق إعلامي وفكري من جانب واحد.

هذا التدفق اليوم هو تدفق فكري وصل لاستخدام الخيالة والأشرطة ضد الإسلام والعرب، فالمسلم الآن - والعربي بصفة خاصة - هو الإنسان الشرير في كل الأعمال الإبداعية التي يكتبها وينشرها ويطورها الغربيون، وليس هذا فقط، بل حتى الأعمال الإبداعية القديمة التي كتبها مفكرون غربيون منصفون وتحدثوا فيها عن عظمة الإنسان العربي زيفت وغيرت عندما حولت إلى أعمال إبداعية (سينمائية).



جورج برنارد شو

تذكرون (برنارد شو) عندما تحدث عن الإنسان العربي الذي لا يأبه للمال والذي يحب الكرامة والعزة، غيروا في شريط الخيالة هذا الشخص بشخص هندي حتى لا يفهم الغربي أن الإنسان العربي فيه الخير والسلام.

إنني أتحدث عن أشياء وشواهد حقيقية وواقعية عن (ثقافة الآخر) الذي نحيا معه، ولا نستطيع أن نغالط أنفسنا لأنه قوي، أو نغالط أنفسنا لأننا ضعفاء ونقبل هذا الأمر دون تمحيص ودون نقد.

نحن نريد أن نكون جزءًا من هذا العالم، ولكننا نريد أن نكون جزءًا من هذا العالم على شروطنا، وأن نقبل شروط الآخرين التي تتفق وشروطنا نحن. نحن لم نأت من الغابة، ولم نأت من الفضاء الخارجي، ولم نأت من جزر المحيطات النائية، نحن شاركنا في بناء هذا العالم على مدى أكثر من ألف سنة، ولنا بصماتنا في الأدب، وفي الفن، وفي القانون.... نحن الذين اخترعنا العلاقات الدولية، واخترعنا القانون البحري، والقوانين التجارية، وأشياء كثيرة... وهم أخذوها، واعترفوا بجزء منها، ولم يعترفوا بالأجزاء الكثيرة، وقام شبابنا وعلماؤنا بتجلية هذا الأمر للتاريخ وللناس جميعًا.

علاقات إنسانية فاعلة

وأختم هذا الحديث بالتأكيد على أن تمبكتو هي مدينة عظيمة، ونفخر بها نحن عرباً ومسلمين

وأفارقة، وأنها تثير في نفوسنا شجوناً كثيرة تتصل بهموم الإنسان وبثقافته وإبداعه، وتثير فينا أيضا التقييم الحقيقي لما فعله ويفعله (الآخر) بنا.... إنسان يستعمرك ويقول إنه يقوم بعملية تهدئة وإحلال للسلام.

لا أحد يمنعه، يستعمرك، ويقول ذلك، ويقول إنه يحتلك، أحيانًا لتمدينك !! وأحيانًا تحت مسميات أخرى.

نحن نريد أن نعيش في عالم فيه فهم حقيقي وموضوعي وتأسيس حقيقي للعلاقات الإنسانية يكون للجميع فيها دور، وتكون المشاركة لكل الشعوب، ويكون فيها الحق لكل الناس، ونحن دائما نقول إنّ في القرآن الكريم خطابًا عامًّا للناس جميعًا، وهذا الخطاب له علاقة بكرامة الإنسان:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [سورة الإسراء، الآية:70]

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [سورة الحجرات، الآية:13]

وبالتالي لا يستطيع أن ينافسنا أحد عندما نقول إن تراثنا ليس انكفاء وعنصرية، وإنما هو اتصال حقيقي بالناس جميعًا، بالإنسان في كل مكان. ذلك الإنسان الذي كرمه الله بصرف النظر عن دينه وثقافته الخاصة، وشكله ولونه وأهله وترابه... فنحن جميعًا أبناء آدم، وجميعًا لا بد من أن نقوم بإعمار هذه الأرض الإعمار الصحيح.

❖❖❖

تمبكتو.. مركز في صحراء قاحلة، لم تكن موجودة قبل الإسلام، بناها وأسسها المسلمون العرب، والأفارقة، والمسلمون من كل حدب وصوب، أوجدوا فيها حضارة بلغة القرآن، لغة العرب، تراث عظيم يحتاج منا إلى البحث والتنقيب، وإدراك لهذه العلوم الكبيرة..

مدينة في الصحراء.. لكن فيها سعر الكتاب أغلى من سعر الذهب، هذه هي الحضارة الحقيقية، وهذا هو الأمر الذي يثير في نفوسنا أهمية الثقافة، وأهمية التعرف على الآخرين.

المسلمون في أوروبا بالأرقام

هذه الإحصائية عندي بالأرقام، عدد المسلمين في أوروبا كما قلنا: 50 مليوناً، و14 ألف مسجد ومركز إسلامي، و1500 منظمة وجمعية وهيئة إسلامية، وهذه سيزيد عددها بمرور الزمن، إلى جانب تركيا والبوسنة وألبانيا، أي أن الكلام الذي قاله الله في القرآن بدأ في التحقق:

﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية:33]

الإسلام قدر البشرية.. دين البشرية.. هذه كلمة الله.. هذه إرادة الله.. الله أكبر.

هذا تحدٍ وزلزال جديد
يسمعه العالم من تمبكتو.

في هذا اليوم العظيم، يوم ميلاد ووفاة خاتم النبيين ﷺ، يجب على البشرية أن تؤرخ بهذين التاريخين، ميلاد عيسى لأنه معجزة ووفاة خاتم النبيين، الآن مر على ميلاد عيسى المعجزة 2006 من السنين، ومر على وفاة خاتم النبيين 1374 عاماً، يجب على البشرية كلها أن تكتب من الآن أن 2006 مسيحي الموافق1374من وفاة الرسول، هذه قضية أصبحت واضحة الآن أمام العالم.

لكن لماذا اخترنا هذا التحدي من تمبكتو دون العالم الإسلامي كله؟ لأن هذه القرية أو هذه الواحة تاريخية من الناحية الدينية ومن الناحية الاجتماعية.

رؤية الغرب للإسلام

معالجة التحريفات والتشويه

د. حسن مصطفى *

حين نتناول خطاب القائد معمر القذافي الذي ألقاه في جموع المسلمين في مدينة تمبكتو، لا يمكن أن نراه منفصلاً عن منهجه الفكري الذي راح يخطه منذ عقود طويلة، ولا يمكن أن نجده منفصلاً عن خطاباته الاستراتيجية الأخرى التي ألقاها في تشاد، أو نيجيريا، أو بوركينا فاسو، أو غيرها.

وللحقيقة نقول إن تركيزه مراراً على بعض المسائل وإلحاحه عليها إنما يعني ترسيخ مفاهيم كثيرة تقلب أفكار ما اعتاد عليه بعض الغربيين وحتى بعض المسلمين.

ولعل في التركيز على هذه المفاهيم، كالتأريخ، وصحة العقائد أو انحرافها، لا سيما اليهودية والنصرانية، والكتب الدينية المتداولة كالأناجيل والتوراة، أو الحوار الإنساني والديني ؛ يدل دلالة واضحة على عمق نظرته إلى هذه المسائل الأساسية ،في حياة الأمم والشعوب المعاصرة.

فقد اعتاد العرب والمسلمون أن يسمعوا من الملوك والرؤساء كلاماً في السياسة أو الاقتصاد، واعتادوا ألا يسمعوا منهم بعض الأمور الجوهرية في الأديان والأفكار، وحين يطرح القائد تلك المسائل المرتبطة بالتأريخ أو العقائد أو الحوار فإنه يفاجئ الجميع.

لكننا لسنا مندهشين لما يطرحه، لأنه ينبع من تفكير مفكر، وليس من تفكير زعيم لبلد أو قطر من الأقطار. وهو في نفس الوقت قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية. وهذا يعني أن مسئوليته تتميز كثيراً عن غيره من قادة العالم.

وهو فيما يطرحه يمثل مئات الملايين من العرب والمسلمين الذين شوه الاستعمار تفكيرهم وضغط عليهم الحكام حتى تشوهت نفوسهم وقلقت وجداناتهم.

دعوة إلى تصحيح المغالطات

وهو في جميع الأحوال يؤسس لرؤية جديدة من الفهم العميق لمشاكل الأرض والأمم وخاصة تلك المرتبطة بتزوير الحقائق الدينية ولاسيما تلك التي بثها المؤلفون في كتب التوراة والأناجيل وغيرها.

إن مئات الملايين من المسلمين يتسلحون اليوم

* باحث وأستاذ جامعي فلسطيني/ سوريا

بتلك الرؤية وتلك الجرأة في صد الشبهات عن الإسلام كما يتسلحون بمعرفة جوهرية لكيفية الرد على هؤلاء الغربيين الذين يروجون لمزاعم التفوق الديني أو العنصري، خاصة هؤلاء اليهود الصهاينة الذين يعتنقون فكرة عنصرية مفادها، أنهم شعب الله المختار، وهؤلاء الذين يعتقدون بفكرة تفوق العنصر، الأنجلوساكسونية البروتستانتي، ويبثون مقولات مشوهة للإسلام على اعتبار أن هذا الدين دين الإرهاب كما يزعمون. وما يطرحه القذافي من أمور، يعيد إلى الأذهان النظر العميق في هذه الثقافة الدينية التي زورت الحقائق وشوهتها.

وهذا الخطاب الجامع الذي ألقاه القائد معمر القذافي في تمبكتو له من الدلالات ما تعجز عنه الصفحات، لأنه في حقيقة الأمر يفتح الآفاق أمام العقول النيرة لتبحث عن معنى ختم النبوة، ومعنى تحريف الإنجيل والتوراة، ومعنى البحث عن إنجيل (برنابا) الذي يتقارب مع الإنجيل الحقيقي للسيد المسيح عليه السلام، ولتبحث عن معنى أن محمداً ﷺ نبي العالمين والإنسانية، وهو رحمة لبني البشر. ولتبحث عن معنى الحج الإنساني، ودعوة الناس كافة إلى زيارة هذا البيت، الذي اختاره الله سبحانه، وأوحى إلى نبيه إبراهيم عليه السلام أن يقيم قواعده، ومن ثم يؤذن داعياً كافة الناس لتأدية فريضة الحج وزيارة البيت الحرام، ومن هنا فإن من يفعل ذلك يكون قد لبى النداء واستجاب للأمر القرآني، وهو ما يعني الاهتداء والإيمان برسالة خاتم الأنبياء محمدﷺ. وعلى أية حال، فإن هذه المقدمة الموجزة المكثفة ليست سوى مفتاح لما سنراه من تحليل للأفكار والمفاهيم التي طرحها القذافي في خطابه في (تمبكتو) المدينة الإسلامية التي لعبت دوراً مهماً جداً في نشر الإسلام في أفريقيا، وصانت تراثها، فاحتفظت بمخطوطات غنية عن التعريف. وكل ذلك يبدأ من نقطة ولا تتوقف آفاقه، ويبدأ من فكرة لا تفارقها مئات الأفكار الأخرى.

مجد عظيم لأهل تمبكتو

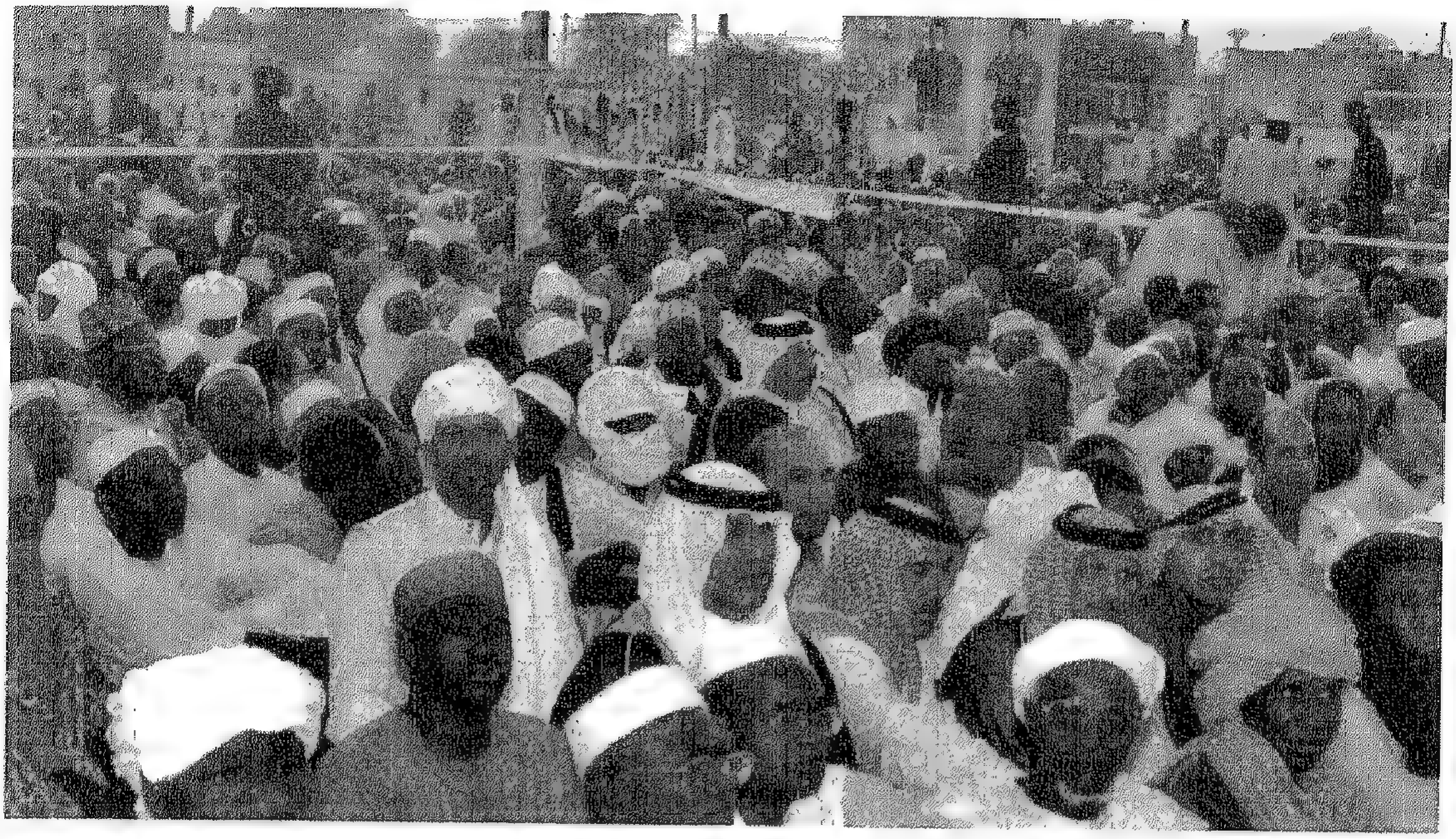
هذا المكان في يوم ما هو الذي شع منه الإسلام على القارة الأفريقية، وامتد في جميع أنحاء العالم الإسلامي، مجد عظيم لأهل تمبكتو، شرف تاريخي، تمبكتو كانت صورتها تخرق الآفاق، كانوا علماء كرسوا حياتهم في هذه الواحة في قلب الصحراء لنشر كلمة الله، لكن ما الذي حصل؟ أعداء الله، أعداء محمد خاتم أنبياء الله، أعداء كتاب اللهﷺ، القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هذا محفوظ بأمر الله لا يمسه التغيير، لكن الكتب الأخرى الله قال إنها غُيرت وأتاها الباطل، أين ألواح موسى؟ أين زبور داود؟ أين شريعة شعيب؟، شريعة صالح؟، إدريس، نوح ذو الكفل، اليسع، ذو النون؟، أين شرائعهم؟ مسها الباطل، انتهت، أين إنجيل برنابا؟ أحرقوه، لكن الله قال في القرآن:

﴿لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾

[سورة فصلت، الآية:42]

هل هناك مسلم شتم عيسى أو موسى أو مريم؟ لا يمكن، لأننا لو فعلنا ذلك كأننا شتمنا نبينا وشتمنا أنبياءنا المعترف بهم.

- أحد هؤلاء المواطنين بعث لي هذه الورقة ردا على هذا التحدي، أن كل مولود في هذا الشهر إذا كان ذكراً يسمى: محمداً أو أحمد، وإذا كان أنثى تسمى: فاطمة - بنت النبيﷺ - أو عائشة زوجة محمدﷺ.



الصلاة في تمبكتو

ماذا يعني مولد رسول الله ﷺ ؟

تأتي خطبة القائد معمر القذافي في ذكرى مولد رسول الله ﷺ بتاريخ 12 من شهر ربيع الأول / العاشر من شهر الطير 1374 من وفاة الرسول ﷺ 10/ 4/ 2006 مسيحي. وذلك في مدينة تمبكتو الإسلامية في جمهورية مالي، لمخاطبة الأمة الإسلامية والعالم كله في يوم مولد رسول الله ﷺ. (فهذا اليوم يوم تاريخي عظيم في تاريخ البشرية، لأن فيه مولد الرسول ﷺ وكذلك توفي في يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول. وهذه إشارة للمسلمين والعالم، إلى علاقة ذلك بالاختيار الرباني. وهذه بحد ذاتها إحدى الكرامات التي أرادها الله لرسوله الكريم ﷺ.

وانتقل القذافي إلى مسألة مهمة تخص البشرية جمعاء فقال: (للبشرية يومان تؤرخ بهما: يوم ولد عيسى عليه السلام لأن مولده كان معجزة. وأما اليوم الثاني فهو اليوم الذي ولد ومات فيه خاتم النبيين ﷺ. ويجب أن نؤرخ بهذين التاريخين جنباً إلى جنب).

وتكمن أهمية هذه الفكرة في عدة اتجاهات :

1 ـ احترام المسلمين للنبي عيسى عليه السلام، لأنهم يعتبرونه نبياً لهم. واحترام المسلمين لميلاده لأنه بحد ذاته معجزة إلهية أشار إليها القرآن الكريم في سور: مريم وآل عمران وغيرها من السور الكريمة.

ويحترم المسلمون رغبة كل من يؤرخ بميلاد المسيح. ونحن ـ المسلمين ـ نعتبر أن التأريخ بوفاة النبي محمد ﷺ حق لنا. ويستند إلى معطيات منطقية. وقد أشار القائد لهذه المعطيات. فمنذ وفة النبي ﷺ انقطع الوحي فلن يكون هناك وحي أو خطاب سماوي. وبخاتم الأنبياء ختمت الرسالات ودور الأنبياء، لأن رسالة الإسلام أكمل الرسالات وأعمها ولأن النبي محمد ﷺ بُعث للناس كافة، ورحمة للعالمين.

ويشير معمر القذافي إلى مسألة في غاية الخطورة وهي قراءة التاريخ بشكل مغلوط، فما هو هذا الشكل المغلوط ؟

الغربيون يعتقدون أن محمداً ﷺ هو نبي العرب والمسلمين فقط، وهذا خطأ لأن محمداً ﷺ نبي للناس كافة، وهو ناسخ لكل العقائد التي جاءت قبله، ولو أن عيسى كان حياً عندما بُعث محمد ﷺ لأصبح عيسى تابعاً لمحمد ﷺ، كل الناس مطلوب منهم أن يكونوا مسلمين، هكذا يريد الله.

وفي هذه الفقرة ـ كما هو واضح في أفكارها ـ تبرز عدة نواح جوهرية، فالنبي محمد ﷺ نبي العالمين أرسله الله للناس كافة، وآيات القرآن الكريم تشير إلى أن كل الأنبياء بُعثوا لأقوامهم إلا محمد ﷺ فإنه بعث للبشرية جمعاء وهذا ما تؤكده العديد من الآيات الكريمة، يقول تعالى:

﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [سورة النساء، الآية: 79]

ويقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [سورة النساء، الآية: 170]

ويقول تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سورة سبأ، الآية: 28]

أما موسى وكذلك عيسى، عليهما السلام، فقد بعثهما الله لبني إسرائيل فقط، وقد بين القرآن ذلك في العديد من الآيات ـ يقول تعالى:

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 49]

ويؤكد القائد معمر القذافي أن الإسلام جاء ناسخاً لكل الأديان التي جاءت قبله، وهذا ما يؤكده الاستناد الواضح على ما جاء في كتاب الله عز وجل ـ يقول تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [سورة المائدة، الآية: 3]

ويقول سبحانه:

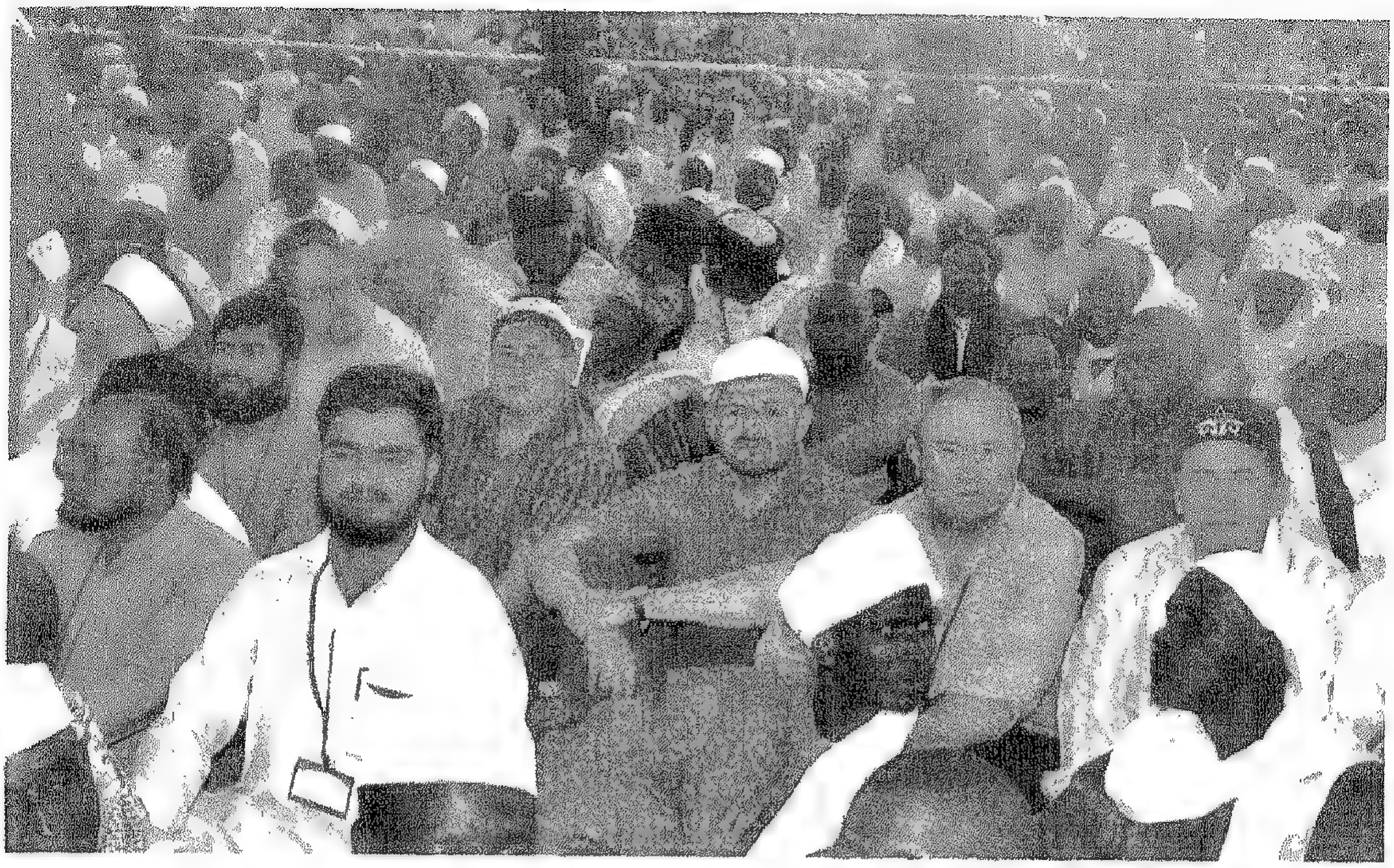
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 85]

ويقول تعالى:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 19]

فهذه الآيات تؤكد بكل وضوح أن الإسلام نسخ كل العقائد السابقة. ويؤكد القائد معمر القذافي أن الله سبحانه ـ ومن خلال آيات القرآن الكريم ـ يريد من البشر جميعاً أن يكونوا مسلمين، ويشير في هذه الفقرة

الذين يكرهون كتاب الله سمعوا بأنه توجد منارة في الصحراء الكبرى اسمها تمبكتو، قرروا أن يطفئوا هذا النور، ذهبوا يبحثون عن تمبكتو أين هي؟ أوروبا كلها تبحث عن تمبكتو، ولكن لم يحددوا مكانها لأنه لا توجد خارطة في ذلك الوقت، احتلوا تونس واحتلوا قبلها الجزائر، احتلوا السنغال، احتلوا تشاد، وبعثوا دوريات الاستطلاع في الصحراء الكبرى، بعثة جاءت مع نهر النيجر حتى وصلوا هنا إلى تمبكتو، وقالوا لهم ماذا تعملون هنا؟ قالوا: جئنا نتتبع نهر النيجر، وهذا كذب، لأنهم يستطلعون تمبكتو، وبعثوا فرقاً سموها جغرافية وأعطوها عدة تسميات، وهي متكونة من ضباط استطلاع وضباط مخابرات، لكي يحتلوا تمبكتو ويطفئوا هذه المنارة، لكي لا ينتشر دين الله!! هؤلاء هم فريق من أهل الكتاب الذين قال عنهم المقرئ الآن.. استطلعوكم هنا، ودخلوا هذه القرية، وكتبوا أسماء القبائل، وتعرفوا على شيوخ القبائل، وتعرفوا على التجار، ورسموا الطرق التي تؤدي إلى تمبكتو، ووجدوا أن الناس ليس لديها سلاح، أناس طيبون ليس لديهم إلا الكتب والعلم والقرآن. ورسموا الخطة في أوروبا، وزحفوا من هذه الاتجاهات، من تونس والسنغال وتشاد، زحفوا على تمبكتو، احتلوها وانتقموا منها ودمورها، وأخذوا الكتب وألقوها في نهر النيجر، وحولوا مساجدها إلى اسطبلات للخيول، وأخيراً ردموا الترعة التي توصل المياه



إلى مسألة مهمة وهي لو أن عيسى عليه السلام كان حياً عندما بعث محمد ﷺ لاتبعه.

وهذا هو الحق بعينه، لأن آيات القرآن الكريم أشارت إلى ذلك بالتصريح - يقول تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة الصف، الآية:6]

وينتقل القائد إلى قوله: إن إبراهيم كان مسلماً، ويعقوب وإسحق كانا مسلمين، وكذلك إسماعيل والأسباط كلهم كانوا مسلمين. وكل الأنبياء كانت دعوتهم الإسلام، وكان محمدﷺ خاتم هؤلاء الأنبياء).

وفي هذه الفكرة عدة نقاط مهمة، حيث استندت النقطة الأولى، على فهم عميق لآيات القرآن الكريم المؤكدة على أن الأنبياء جميعهم كانوا مسلمين. يقول تعالى:

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ

وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ
وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية:68]

كما تثير النقطة الثانية مسألة مهمة وخطيرة، وهي أن الأنبياء - وخاصة الأنبياء الذين بعثهم الله لبني إسرائيل - لم يكونوا يهوداً قطعاً وإنما كانوا مسلمين.

فالأنبياء الذين طبقوا التوراة الصحيحة هم موسى، وداود، وسليمان، وعيسى عليهم السلام، وهؤلاء الأنبياء جميعهم مسلمون. وفي النقطة أن رسول الله محمد ﷺ كان خاتم الأنبياء، فلا نبي بعده وليس بعد رسالته رسالة. فالأنبياء مسلمون جميعاً يرتبطون بسلسلة قوية، روحها النبوة، وتختم هذه السلسلة ببعثة محمد بن عبد الله ﷺ. وحتى الأنبياء الذين جاءوا تباعاً بعد إبراهيم، إسماعيل، إسحق، يعقوب، ويوسف، عليهم السلام، وكذلك الأسباط؛ لم يكونوا يهوداً أو غير ذلك، إنما كانوا مسلمين على ملة إبراهيم عليه السلام، وكل من يدعي أنهم كانوا يهوداً فهو

جاهل بالتاريخ وجاهل بالدين على السواء.

ومن هنا فقد بين القائد أهمية ولادة رسول العالمين ووفاته، وأهمية ختم النبوة، وكذلك أهمية معرفة أن الأنبياء جميعاً مسلمون. وأهمية معرفة أن النبي محمد ﷺ بعث للعالمين وللناس كافة، وأن الإسلام نسخ ما قبله من العقائد، فليس هناك دين للأنبياء جميعاً وللبشر جميعاً سوى هذا الدين: الإسلام.

يسيئون إلى نبيهم وهم لا يشعرون

واستناداً على هذه الأسس انطلق القائد إلى التفصيلات، معرجاً على الحدث الجلل الذي وقع في (الدانمارك) وبعض الدول الغربية. عندما نشرت صور مسيئة للرسول الكريم ﷺ، وكيف كان رد فعل المسلمين عليها.

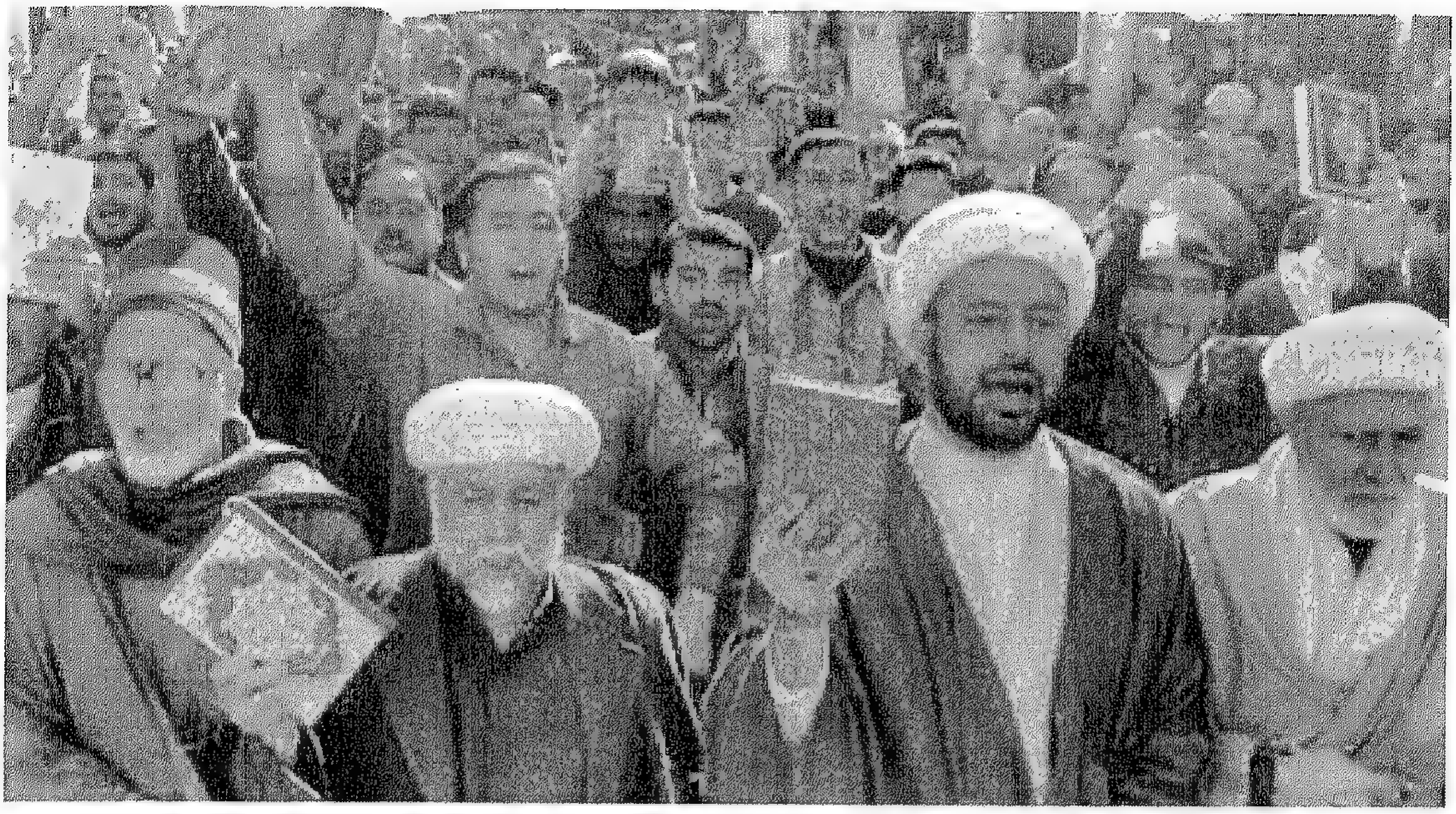
يقول القائد: «سمعنا أن هناك من تهجم على النبي محمد ﷺ، غضب المسلمون واعتقدوا أن هذا قدح في نبيهم، لكن القدح في محمد ﷺ قدح في نبيهم ذاته، لأن محمداً ﷺ نبي البشر الذين في اسكندنافيا وفي أوروبا وفي أميركا وفي آسيا وفي أفريقيا. ولكن لأن المنهج الذي يقرءونه في اسكندنافيا منهج مزور ويدعو إلى الكراهية؛ اعتقدوا أن محمداً ﷺ، ليس نبياً لهم، بينما محمد ﷺ موجه لكل البشر». ما يثيره القذافي هنا مسألة جديدة تواجه العقل الغربي وتجعله يعود إلى نفسه ليشكك في كل ما تعلمه عن الدين وهو مشوش ومحرف غير حقيقي. ونعتقد أن هذه المسألة سوف تصدم هذا العقل الغربي. لأن القائد حشرهم في زاوية لا يُحسدون عليها. وتركهم ليفكروا في حقيقة خطيرة ومهمة وهي أن محمداً ﷺ هو نبي للعالمين، وهذه هي الحقيقة التي أقرها القرآن الكريم. فإذا كان الجهلة الغربيون يسيئون للرسول محمد ﷺ؛ فإنهم يسيئون إلى نبيهم وهم لا يشعرون، لأن هذا النبي ﷺ هو لكل البشر في أوروبا وآسيا وأفريقيا وكل العالم. فمن المفترض أن يحترموا الرسول محمداً ﷺ لأنه يستحق الاحترام كونه نبياً لجميع الأمم، ومن واجب

من نهر النيجر إليها، الترعة التي زرتها اليوم، وإخوانكم الليبيون قرروا أن يعيدوا حفر هذه الترعة لكي توصل المياه من النهر إلى تمبكتو، المياه ستصل إن شاء الله من النهر عبر الترعة التي ردمها الاستعمار، ستصل إلى تمبكتو.

المؤامرة التاريخية القديمة على تمبكتو

هذه هي المؤامرات التاريخية القديمة على تمبكتو، ومن الممكن أن تتعرض تمبكتو إلى مؤامرة جديدة، لكن سنراجع خطة المؤامرة القديمة، فهم لكي يستعمروا الصحراء من جديد، من الممكن أن يبعثوا فرق استطلاع جديدة، ويعطوها تسميات إنسانية، ممكن يسمونها فرق السلام وهي متكونة من مجموعات استعمارية جديدة، من ضباط مخابرات وضباط استطلاع، ممكن يسمونها صحفيين بلا حدود، ممكن يسمونها أطباء بلا حدود، ممكن يسمونها أنصار البيئة، يسمونها جماعات التبشير، فرق التبشير، يعطونها أي أسماء عصرية لكي يستعمروا الصحراء الكبرى من جديد، لكن نحن نعلن من تمبكتو التحدي الثاني، تكلمنا عن التحدي الأول، الذي يتعلق بالدين والحج للكعبة والمنهج الذي يحتاج إلى التغيير عندهم، الآن التحدي القومي الاجتماعي للاستعمار.

نقول لهم: إذا كانت عندكم نية بأن تحتلوا الصحراء الكبرى ـ نريد أن ننبههم قبل أن يتورطوا ـ نقول لهم: إن هذه الصحراء صعبة جداً، وإن أهلها أسود، وإن أهلها صقور جارحة وأسود مفترسة،



متظاهرون ضد الرسوم المسيئة

الأمم الاعتزاز بانتمائهم لمنهج النبي محمد ﷺ لأنه النبي الخاتم الذي بشّر به عيسى وبشر به موسى عليهما السلام، وهذا النبي لو فهم الغربيون منزلته ولم يخضعوا للتشويش والتزوير وغسل الأدمغة لاتبعوه واحترموه واعتزوا به، لأنه صاحب المنهج الإلهي الشامل الكامل العالمي الإنساني.

ويؤكد القائد تبعاً لذلك (أن الغربيين خضعوا لمئات السنين من التزوير والتعصب والإبعاد عن حقيقة عالمية الإسلام وعالمية دعوة الرسول محمد ﷺ. وهذا الخضوع الغربي للتزوير والإبعاد أودى بهم إلى الكراهية والتعصب الأعمى، وظنوا أن محمداً ﷺ فقط نبي المسلمين وليس نبي العالمين).

حرية التعبير التي ينادي بها الغرب زوراً وبهتاناً

وينتقل القائد إلى فكرة مهمة تأتي في إطار التوجه للعقل الغربي المتعصب الذي أساء للرسول الكريم ﷺ.

جاء في الخطاب: «وإذا كنا ندعي حرية التعبير فنتوقع أن تظهر صورة عيسى وفوق رأسه قنابل ذرية لأن أتباع عيسى صنعوا القنابل الذرية، وهم رسموا محمداً ﷺ وعلى رأسه قنبلة يد صغيرة يدوية. طبعاً محمد ﷺ بريء من القنبلة، ولكن المقصود أن أتباع محمد ﷺ يستعملون هذه القنبلة، فكذلك عيسى عليه السلام بريء من القنبلة الذرية، ولكن أتباع عيسى عليه السلام هم الذين صنعوا القنبلة الذرية، وتمسكاً بحرية الرأي والنشر فمثلما صُوّرَ محمد ﷺ وعلى رأسه قنبلة يدوية نتوقع أن يصور عيسى عليه السلام وعلى رأسه قنبلة ذرية. رغم أن محمداً ﷺ بريء من القنبلة اليدوية وعيسى عليه السلام بريء من القنبلة الذرية».

ففي هذه الفقرة يبدأ القائد بتناول ما يسمى بحرية الرأي والتعبير التي ينادي بها الغرب زوراً وبهتاناً. فعلى مقياس الغرب في حرية التعبير، يجوز لكل شخص أن يصور السيد المسيح وعلى رأسه قنبلة نووية، بمعنى أنها ترمز إلى المسيحيين في الغرب الذين هم من صنعوا القنابل الذرية الفتاكة، قياساً على ما صوروا به الرسول محمد ﷺ وعلى رأسه قنبلة يدوية.

فإذا كانوا يريدون أن يرمزوا إلى أن محمداً ﷺ إرهابي والمسلمون إرهابيون؛ فإن حرية الرأي تمنح أي شخص حق تصوير المسيح وعلى رأسه قنبلة ذرية

رمزاً للإرهاب الغربي النووي. وهذا الإرهاب أخطر بكثير من إرهاب قنبلة يدوية. فالقنبلة اليدوية قد تقتل بضعة أشخاص، ولكن القنبلة الذرية تقتل الملايين في لحظة واحدة.

لكن الحقيقة تقول إن النبي محمدﷺ بريء مما يدعون وبريء من هذا الإرهاب الملفق، وعيسى عليه السلام بريء أيضاً من الإرهاب النووي الغربي.

ويتابع القائد في نفس الإطار حين يقول: «ومثلما صوروا محمداً ﷺ وحوله نساء محجبات باعتبار المسلمات محجبات نتوقع أن تصور حول عيسى عليه السلام نساء عاريات لأن المسيحيات في الغرب عاريات. النساء في اسكندنافيا عاريات ويدعين أنهن من أتباع عيسى. طبعاً عيسى عليه السلام بريء من النساء العاريات. ولكن حرية النشر التي استندوا عليها، تستلزم أن يرسم عن عيسى عليه السلام وحوله نساء مثلما رسم محمد ﷺ وحوله نساء».

فحرية الرأي كما يزعمون تفتح المجال لأي شخص أن يصور المسيح عليه السلام وحوله نساء غربيات عاريات، لأن المجتمعات الغربية أباحت أن تتعرى النساء. إن المسيح عليه السلام بريء من التعري والعاريات. لكن نساء الغرب اللواتي يدعين اتباعهن للمسيح هن كاذبات، لأن المسيح لم يسمح بالعري بل دعا إلى الستره كما هو الدين الحق، فادعاؤهن باتباع المسيح بهتان وكذب، لأن المسيح بريء منهن.

ونحن المسلمين لا نقبل أي تشويه لا لمحمد ﷺ ولا للمسيح عليه السلام لأنهما نبيان من أنبيائنا، ونحن أولى بالدفاع عنهما وعن رسالتيهما، لكن الغرب الذي يدعي حرية الرأي والتعبيرلا يعرف حدود هذه الحرية، وهو مشوش تجاهها، لأنه لو فهم حقيقة حرية التعبير لما أقدم على تشويه صورة نبي العالمين الذي يخص الغرب كما يخص الشرق، ولكنهم للأسف غافلون متعصبون وحاقدون.

وإن رملها ممكن أن يتحول إلى رمضاء، وحجارتها تتحول إلى جمر، وهواؤها يتحول إلى لهب ونار.

ننبهكم قبل أن تتورطوا في الصحراء، إذا كنتم ستعملون قواعد في الصحراء، إذن ستهينون أهل الصحراء، إذن ستستعمرون الصحراء، إذن ستعبثون بالصحراء، إذن تريدون أن تستغلوا ثروات الصحراء، إذن ستقوضون السلام والاستقرار والأمن في الصحراء؛ فنحن سكان الصحراء سنتحول إلى أُسُود وإلى صقور، وتتحول الصحراء إلى رمضاء وإلى جمر وإلى نار.. وقد أُعذر من أنذر.

نحن سكان الصحراء المجتمعين في تمبكتو، في هذا اليوم العظيم، ذكرى ميلاد ووفاة خاتم النبيين؛ نسالم من يسالمنا ونعادي من يعادينا، والقرآن يقول:

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾

[سورة الأنفال، الآية: 61]

إذا أرادوا السلام فنحن أهل سلام، إذا اعتدوا علينا وعلى استقلالنا وعلى صحرائنا فسنتحول إلى قوة رهيبة تشتعل فيها الصحراء كلها من موريتانيا والسنغال إلى العراق وبادية الشام.

نحن سكان الصحراء الكبرى عندنا هوية واحدة، هوية سكان الصحراء الكبرى، نحن عشنا آلاف السنين في هذه الصحراء، وعشنا أحراراً في هذه الصحراء، ونريد أن نكون أحراراً في هذه الصحراء، من السنغال وموريتانيا إلى الهلال الخصيب.

هذه أرضنا، هذا بيتنا الكبير، نحن

أين إنجيل برنابا ؟

بعد هذه الفقرة ينتقل القائد إلى مسألة تعتبر من أخطر المسائل التي يجب أن يصدم بها الفكر اللاهوتي الغربي وخاصة المؤسسات الدينية، هذه المسألة تتعرض لموثوقية التوراة والإنجيل.

يقول في نص الخطاب: «ما يسمى بالعهد القديم والعهد الجديد ليس بالعهد القديم وليس بالعهد الجديد، لأن هذين العهدين منسوخان وكتبا باليد بعد عيسى، وفي (البايبل) ـ أي الكتاب المقدس ـ كلام لا يليق بعيسى ولا بموسى. وإذا أردنا أن نصحح وضع البشرية وأن نعيش في قرية كونية بسبب العولمة يجب أن نبحث عن (البايبل) الصحيح، لأن (البايبل) الموجود الآن مزور. هذا (البايبل) الموجود الآن، ليس فيه ذكر محمد ﷺ، مع أن (البايبل) الذي وضعه ربنا مذكور فيه محمدﷺ مراراً وتكرارا. يجب أن نبحث عن إنجيل برنابا (القديس برنابا) لأن هذا الإنجيل هو الصحيح ومذكور فيه محمدﷺ بالتفصيل. وأنه سيأتي بعد عيسى، وأنه سينسخ دين عيسى، وأن محمداً ﷺ سيرسله الله نبياً للناس كافة).

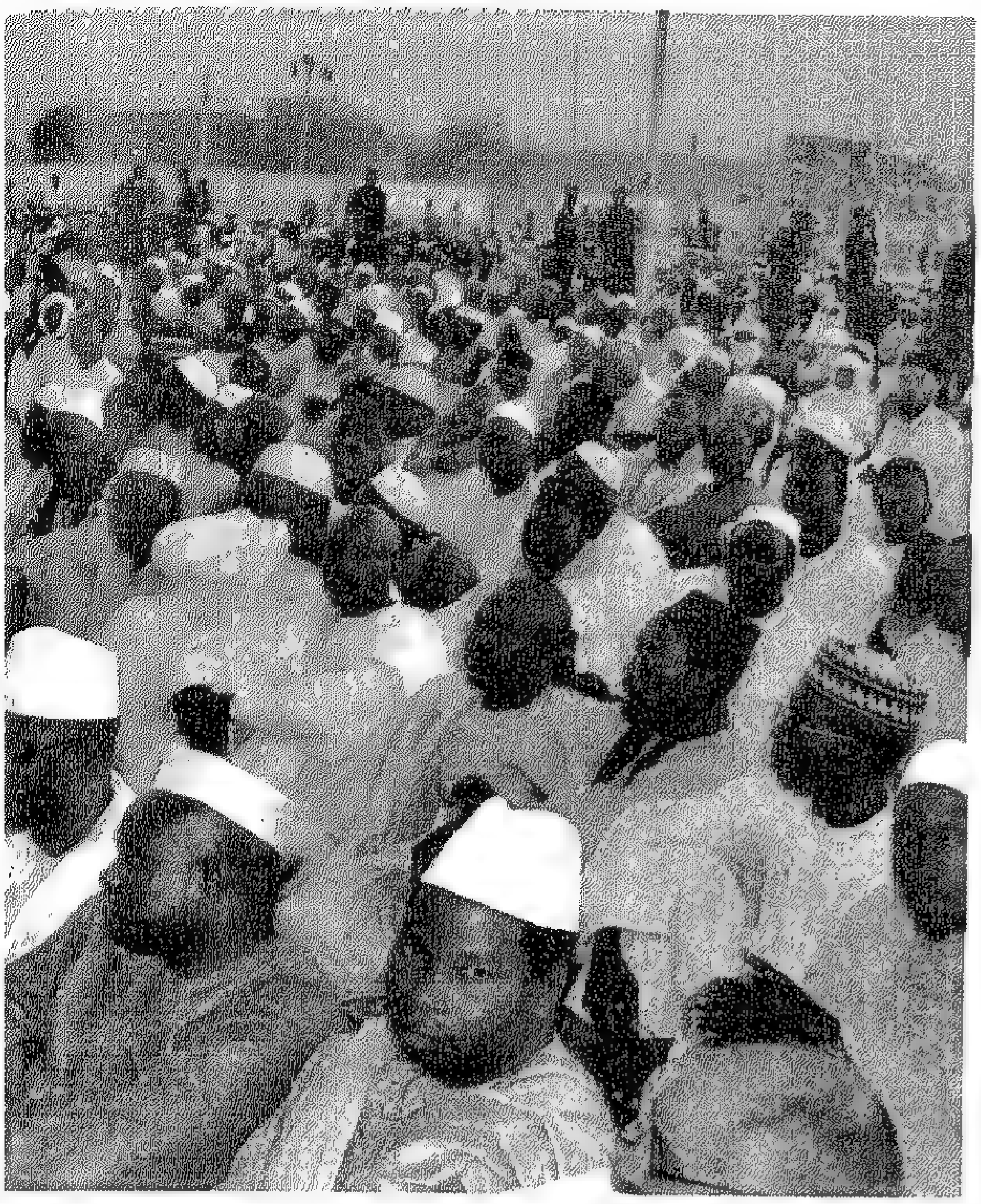
النبي عيسى يقول في (البايبل) الصحيح، وليس في (البايبل) المزور الموجود الآن.. هذا كلام الله:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم﴾ [سورة الصف، الآية:6]

يخاطب بني إسرائيل، يعني أن عيسى عليه السلام موجه لبني إسرائيل فقط، ليس موجهاً لأي أمة أخرى. وأوروبا ليست معنية وأميركا ليست معنية وإفريقيا ليست معنية بدين عيسى، قال لهم:

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [سورة المائدة، الآية:46]

يعني إلى بني إسرائيل. عيسى لم يأت بالتوراة لكنه يتكلم عن كتاب موسى. معناها أتباع موسى يجب أن يتركوا شريعة موسى ويتبعوا عيسى بعد ما جاء عيسى، وأتباع عيسى يجب أن يتركوا دين عيسى ويتبعوا دين محمد عليه الصلاة والسلام بعد عيسى عليه السلام، فإذا ناقشنا مجمل الأفكار التي جاءت في هذه الفقرة الطويلة ؛ نرى أن القائد يدخل أعماق الفلسفة الدينية.



فالتوراة والإنجيل المعتمدان لدى اليهود والمسيحيين مزوران محرفان، وهذه حقيقة، وجميع الدراسات التاريخية والدينية تشير إلى التزوير والتأليف، وقد نقد هذين الكتابين معظم الباحثين والفلاسفة الغربيين والشرقيين وعلى رأسهم الفيلسوف اليهودي (سبينوزا)، والكثيرون من الاختصاصيين الذين تناولوا ما يسمى «الكتاب المقدس» توصلوا إلى نتائج مفادها أن الكتابين مزوران ومحرفان، وقد ثبت من خلال تحليل نصوص هذين الكتابين أن المؤلفين وضعوا كلاماً فيهما لا يليق لا بعيسى ولا بموسى ولا بالأنبياء الآخرين.

فقد ذكروا في كتاب التوراة، في سفر التكوين، أن لوطاً عليه السلام زنى بابنتيه وأنجب منهما بعدما أسكرتاه وذهبتا بعقله، وفي التوراة كتبوا عن داوود (عليه السلام) أنه زنى بامرأة بعد أن قتل زوجها، وهو

قائد عسكري اسمه أوريا. ولم يتركوا نبياً إلا وشوهوه وألصقوا به التهم.

فهل يعقل أن يكون هذا كلام الله ؟ وهل يليق بالله أن يقول عن أنبيائه إنهم زناة منحرفون؟ الحقيقة أن التوراة والإنجيل زورا وحرفا، فلذلك ليسا هما بالتوراة الصحيحة ولا بالإنجيل الصحيح.

ويشير القائد إلى مسألة مهمة، وهي: أن مقياس صدق الكتب التي سبقت الإسلام هو الإشارة الواضحة لمحمد ﷺ. ويشير إلى إنجيل برنابا الذي ينفرد عن الأناجيل بالحديث صراحة عن مجيء النبي محمد ﷺ. واستكمالاً للفكرة، نرى من الأفضل، أن نعرف بشكل مختصر بالقديس برنابا وبإنجيله، فبرنابا هو أحد تلاميذ المسيح عليه السلام، ويعترف بذلك المسيحيون وحتى أناجيلهم، وبرنابا هو الوحيد الذي كان يطلب منه المسيح عليه السلام أن يدون ما يسمعه منه، وبرنابا أيضاً كان ملاصقاً للسيد المسيح وصاحباً له ومخلصاً.

أما إنجيله فهو الذي يشير عشرات المرات إلى رسول الله محمد ﷺ وهذه بعض الفقرات منه:

«أجاب يسوع إن الآيات التي ينقلها الله على يدي تظهر أني أتكلم بما يريد الله ولست أحب نفسي نظير الذي تقولون عنه لأني ليست أهلاً أن أحل رباطات جرموق أو سير حذاء رسول الله الذي تسمونه مسيّا. الذي خلق قبلي وسيأتي بعدي وسيأتي بكلام الحق ولا يكون لدينه نهاية»، إنجيل برنابا ص65.

«ما أسعد الزمن الذي سيأتي فيه إلى العالم، صدقوني إني رأيته وقدمت له الإحترام كما رآه كل نبي لأن الله يعطيهم روحه نبوة ولما رأيته امتلأت عزاء قائلاً يا محمد ليكن الله معك وليجعلني أهلاً أن أحل سير حذائك». برنابا: ص69.

«ولكن سيأتي بعدي مسيّا المرسل من الله لكل العالم الذي لأجله خلق الله العالم، حينئذ يُسجد لله في كل العالم وتُنال الرحمة» برنابا : 83

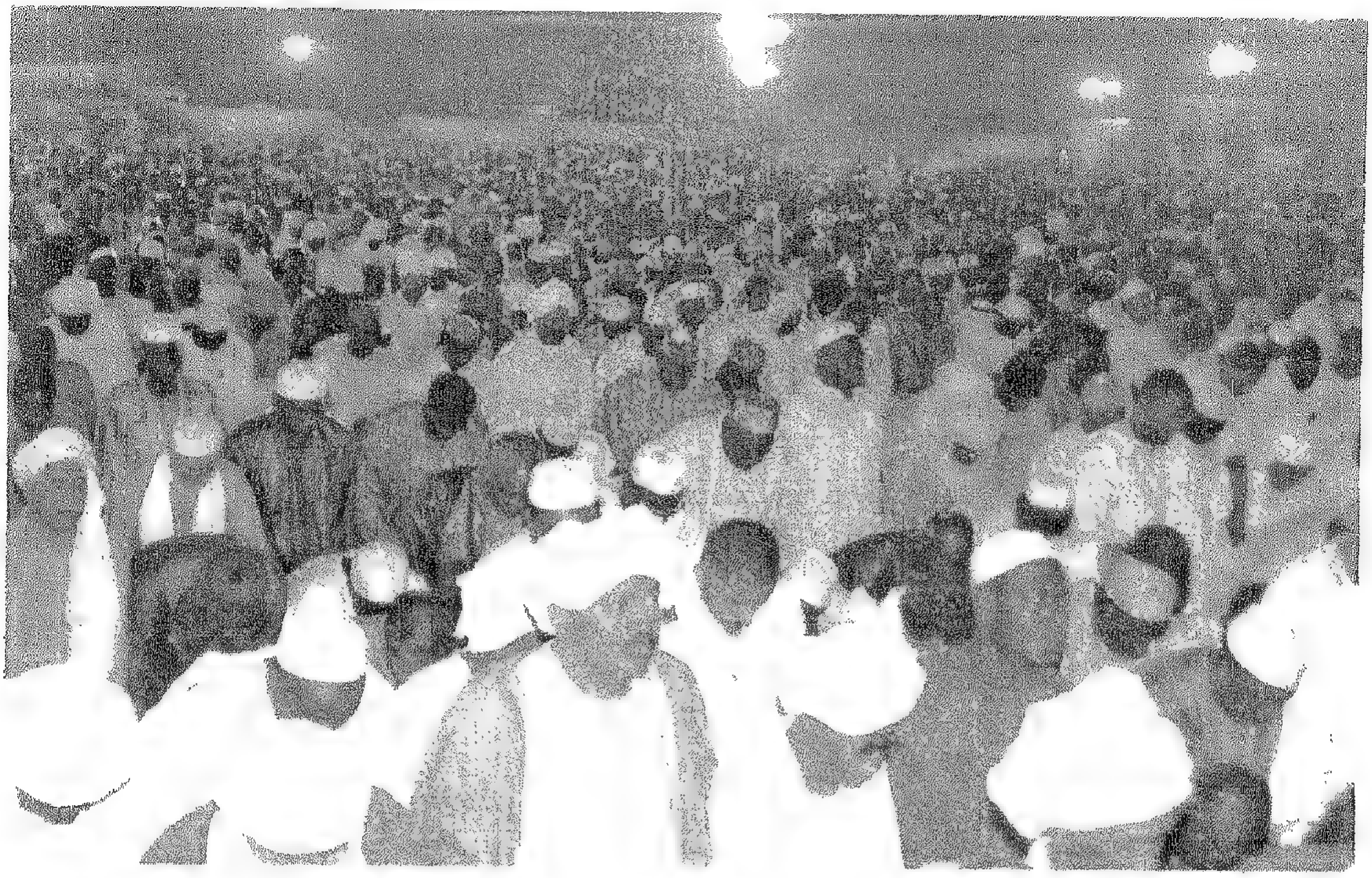
«إن إسم مسيّا عجيب لأن الله نفسه سماه لما خلق

أسرة واحدة، الأسرة تتكون من عدة أفراد وكل فرد من أفراد الأسرة عنده اسم: واحد اسمه الطوارق، وواحد اسمه البرابيش، وواحد اسمه السنغالي، وواحد اسمه الفولاني، بمباره، تبو، أولاد علي، قبائل السودان، قبائل تشاد، قبائل النيجر، قبائل صحراء النيل الشرقية والغربية، قبائل سيناء، قبائل الأردن وبادية الشام، قبائل الجزيرة العربية، قبائل العراق والهلال الخصيب؛ هذه أسماء لأفراد الأسرة الواحدة، هذه الأسرة هي سكان الصحراء الكبرى.

ونحن سننجد بعضنا البعض، وسوف ندافع عن بعضنا، ولن نتخلى عن بعضنا، ولن نحمل السلاح ضد بعضنا. نحن نتصافح ونتعانق ونتعاون في الحرب، ونعمر صحراءنا ونعيش في سلام وأمان واستقرار، هذه هي الأسرة الكبيرة الواحدة، سكان الصحراء، نحمل السلاح في حالة واحدة ضد العدوان الخارجي، سنموت من أجل الصحراء ونرويها بالدم ولن نفرط في حبة رمل منها.

وقبائل الصحراء من الهلال الخصيب إلى نهر السنغال؛ هذه القبائل دمها محرم على بعضها، لن نحمل السلاح ضد بعضنا، نحن نعيش أسرة واحدة نحمي الصحراء.

هذه الصحراء يطمع فيها الطامعون في كل عصر، ولابد أن نتحد ونكون رابطة اجتماعية واحدة لقبائل الصحراء الكبرى، وسنعمل ميثاقاً نوقع عليه جميعاً (ميثاق تمبكتو). معنا الآن ملوك



نفسه ووضعها في بهاء سماوي قال له: اصبر يا محمد لأني لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم... إن إسمك المبارك محمد. حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين يا الله أرسل لنا رسولك، يا محمد تعال سريعاً لخلاص العالم» برنابا: 98.

فهذا هو إنجيل برنابا الذي لا يؤله المسيح ويبشر بالنبي محمد ﷺ منقذاً للبشرية كلها ورحمة للعالمين.

وينبه القائد إلى مسألة موجهة للغرب المسيحي، وهي أن عيسى بُعث لبني إسرائيل بنص الأناجيل والقرآن ولم يرسل إلى أوروبا أو آسيا أو أفريقيا، بينما بُعث محمد ﷺ للناس كافة.

وفي فكرة أخرى، يرى أن على أتباع موسى أن يتركوا عقيدتهم السابقة وأن يلحقوا بعيسى وعقيدته لحين مجيء رسول الله محمد ﷺ، عندها يجب على أتباع عيسى أن يتركوا عقيدتهم السابقة ويتبعوا النبي محمداً ﷺ.

يقول تعالى:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[سورة الأعراف، الآية: 157]

ويؤكد القائد في سياق حديثه، أن الكتبة الذين كتبوا التوراة والإنجيل خلافاً للإنجيل الصحيح شطبوا كل ما يشير إلى نبوة محمد ﷺ، وقد أخبرنا الله سبحانه أنهم حرفوا في هذين الكتابين تحريفاً كبيراً. ويخلص بنتيجة أن التوراة والإنجيل ليسا مقدسين لأن الإنجيل المزور لم ينزل على عيسى.

لجان لتصحيح الأخطاء في مناهج الغرب

ويجب أن تشكل لجان بيننا وبينهم حتى نعيد النظر في المنهج الغربي وفي الإنجيل نفسه. وفي الفقرة اللاحقة، يطرح القذافي مسألة في غاية الحساسية، وهي مسألة معاصرة، بدأت تعاني منها بعض الدول العربية، وهي مسألة تغيير المناهج في المدارس الإسلامية.

لقد فرضت الولايات المتحدة الأميركية على بعض الدول العربية تغيير مناهجها التربوية، وقد استجابت بعض الدول، فحذفت آيات الجهاد، وبعضها حذف الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل، وهذا مؤسف ومخجل.

لكن القائد تنبه لمسألة حساسة وهي أنه إذا كان الغرب يريد تغيير مناهج العرب والمسلمين فعليه أن يعيد النظر في مناهجه، يجب أن تشكل لجان أميركية إسلامية لإعادة النظر في المنهج الأمريكي والأوروبي.

نحن المسلمين لم نحذف ما جاء عن موسى وعن عيسى وعن مريم عليه السلام في قرآننا، لقد ذكر موسى في القرآن 136 مرة، وذكرت مريم 33 مرة، وذكر عيسى 25 مرة، ونحن لا نستطيع أن نشطبه لأنه كلام الله، وإذا حاولنا نصبح كفارا، وهذا مستحيل.

«وكل هذا اعتراف بنبوة الأنبياء وتقديس لهم، وعليه فلماذا هم حذفوا كل ما يشير إلى محمد ﷺ من إنجيلهم. إن الإنجيل الذي شطب منه ذكر النبي محمد ﷺ محرف ومزور، والقرآن وحده هو الصحيح، والإنجيل الذي ينكر أن محمداً ﷺ مبعوث للعالمين هو إنجيل مزور، وكذلك التوراة مزورة، لأنهما ينكران رسالة محمد ﷺ التي جاءت للعالمين».

ويؤكد القائد للمسلمين وللعالم، أنه على الرغم من كل هذا التزوير والتحريف فإن الإسلام سيعم الكون وسينتشر في المعمورة لأن الله سبحانه بشر بذلك.

جاء في الخطاب: (لكن لا تنزعجوا لأن الله قال:

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾

[سورة التوبة، الآية: 33]

وكررها في سورتين في القرآن ـ ليظهره على الدين كله ـ لا تنزعجوا دين محمد ﷺ سينتصر على كل الأديان كرهوا أم أحبوا لأن الله قال هكذا).

ففي هذه الفكرة تطمين للمسلمين جميعاً، لأن الله سبحانه، هو الذي أقر ذلك ولا مبدل لكلمات الله، سينتصر دين الإسلام وإن كره المشركون والمنافقون، لأن هذا الدين هو الدين الذي لم يحرف قرآنه، فهو الدين الشامل الكامل الذي تحتاجه البشرية كلها.

وسلاطين وشيوخ وعمداء كل قبائل الصحراء الكبرى، ومعنا قادة دول إسلامية، ومعنا منظمات وأحزاب وجمعيات ومؤسسات إسلامية من جميع أنحاء العالم، ومعنا أخونا لويس فركان زعيم أمة الإسلام في أمريكا.

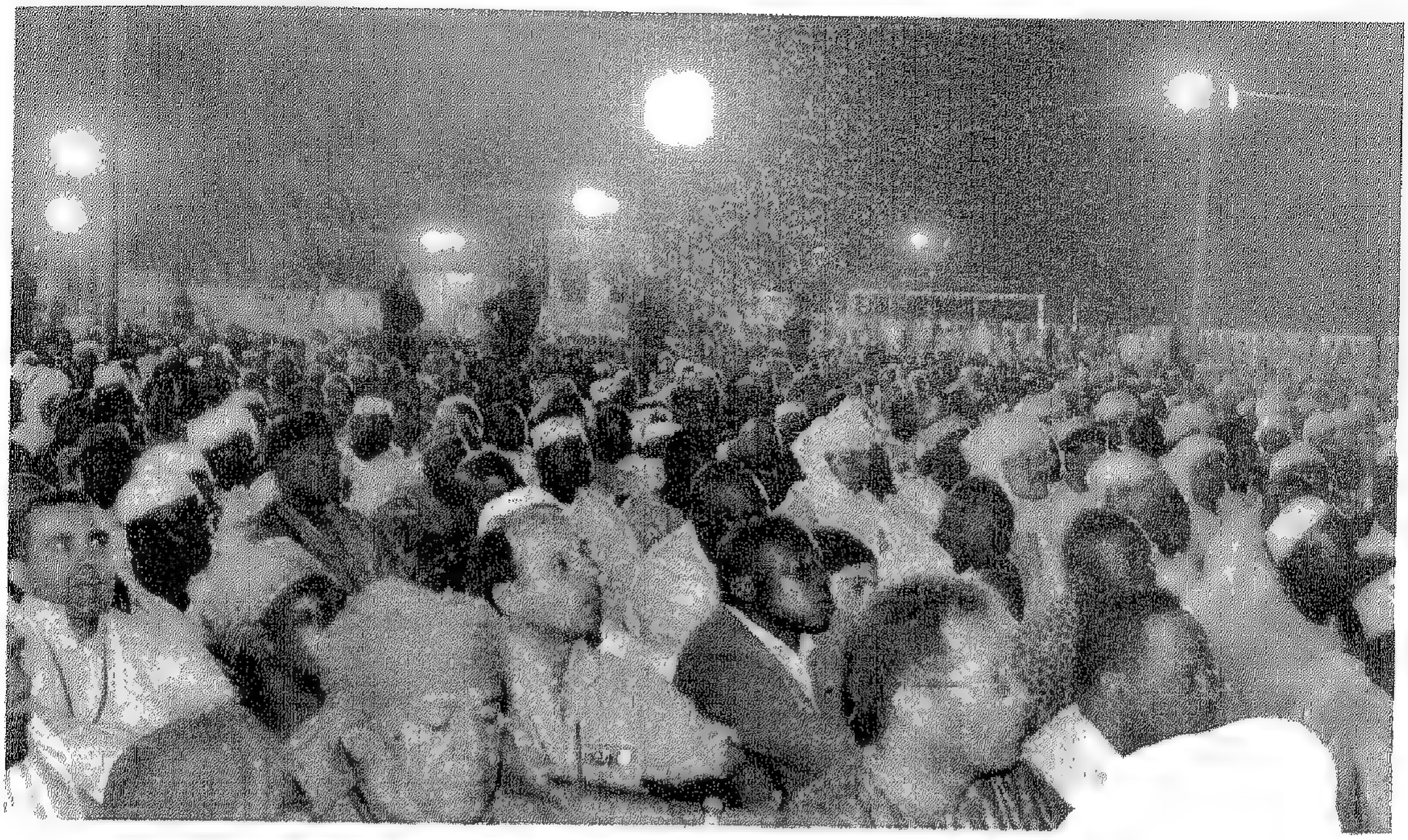
***

ميثاق الرابطة الشعبية الاجتماعية لقبائل الصحراء الكبرى

إن تجمع قبائل الصحراء الكبرى، من السنغال وموريتانيا غربًا، إلى العراق شرقا، مروراً بشمال إفريقيا ووادي النيل، وبادية الشام والجزيرة العربية والقرن الإفريقي والسودان وتشاد والنيجر، التي وطنها التاريخي وبيتها الكبير «الصحراء الكبرى» تعي أن ليس لها وطن آخر، غير هذه الصحراء الكبرى، وتدرك أن هذه الصحراء كانت وما زالت هدفا للقوى الخارجية، طمعا في ثرواتها وموقعها العالمي في وسط العالم، وجسراً لعبورها للاستعمار أو التجارة أو السياحة، وتعي أن أي انتصار لهذه القوى الأجنبية على أي جزء من الصحراء، يهدد بقية أجزاء الصحراء الأخرى وساكنيها.

هوية واحدة وتاريخ وواقع ومصير ومستقبل مشترك

ولذلك تعي أن أمن الصحراء لا يتجزأ، وأن هذه القبائل التي تملك هذه الصحراء، هي أمة صحراوية واحدة، ذات تاريخ مشترك، وواقع مشترك



ويؤكد القائد أن هذا الدين لا يحتاج لا لسيف ولا لقنبلة حتى ينتشر. ويقول: «عندنا الآن خمسين مليون مسلم في أوروبا، وهناك علامات أخرى تدل على أن الإسلام سيظهره الله في أوروبا دون سيف، دون بندقية، الخمسين مليون مسلم في أوروبا بعد عشرات السنين سيحولون أوروبا إلى قارة مسلمة، الله سخر أمة مسلمة وهي الأمة التركية لتدخل في الاتحاد الأوروبي، وهذه خمسون مليون مسلم، سيكونون مئة مليون مسلم في أوروبا).

(ألبانيا دخلت الإتحاد الأوروبي وهي دولة مسلمة، البوسنة دخلت الإتحاد الأوروبي وهي دولة مسلمة، لدينا إحصائية تبين أن عدد المساجد بالآلاف في أوروبا، لدينا الآن آلاف المنظمات الإسلامية والجمعيات الإسلامية في أوروبا، أوروبا الآن في ورطة، وكذلك أمريكا، إما أن تقبل بأنها تصبح مسلمة بمرور الزمن أو تعلن الحرب على المسلمين).

وفي ذلك يعلن القائد حقيقة لابد من الأخذ بها، وهي أن أوروبا مقبلة على الإسلام، وأن المعطيات لذلك كثيرة، منها أن الأوروبيين المسيحيين يدخلون في الإسلام عن قناعة، وأصبحوا بالملايين، وأن الله سبحانه أراد أن يكون الأتراك والبوسنيون والألبان ضمن مجموعة الاتحاد الأوروبي لينتشر الإسلام بسرعة.

وانتشار الإسلام ليس حرباً ولا قتالاً، فالإسلام دين الحق، والعقل البشري اليوم يميل إلى كشف الحقيقة وتبنيها، ولذلك سيكون الإسلام دين الله الذي يعم الكون والبشرية، ومهما حاولوا إيقاف زحف مسيرة الدين الإسلامي فلن يستطيعوا، لأن أمر انتشاره منوط بإرادة الله سبحانه الذي يريد أن يعم الدين ويدخل فيه البشر عن قناعة ورضا.

ونجد أن معمر القذافي، طرح بشكل واضح علاقة الحج بالناس جميعهم، وهذه الفكرة ترتبط بما قبلها من أفكار، فالحج أحد أركان الإسلام، وهو في نفس الوقت دعوة لكل الناس كي يسيروا على منهج واحد هو منهج الإسلام الذي جاءت به الرسالة الخاتمة، حيث يقول : «ما دام محمدﷺ هو نبي لكل الناس حسبما جاء في القرآن الكريم؛ إذن كل الناس مدعوون إلى تلبية النداء، نداء إبراهيم وهو نداء محمد عليهما الصلاة والسلام:

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [سورة الحج، الآية:27]

قال له : أدع كل الناس أن يأتوا للحج في مكة ليس العرب فقط. ليس المسلمين فقط.. لماذا ؟ لأن محمداً ﷺ نبي لكل الناس، ولأن مكة هي أول بيت وضع للناس لعبادة الله فوق الأرض».

الله يقول في القرآن الكريم:
﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية:96]

يعني للعالمين، ليس العرب فقط، ليس المسلمين فقط، للعالمين كل العالم. وهذا أول بيت وضع فوق الأرض لعبادة الله، وضع لكل الناس
﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾
[سورة آل عمران، الآية:97]

لم يقل للعرب أو المسلمين، قال: للناس، كل الناس).

ويقول:﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ [سورة البقرة، الآية:125]

يعني مثابة ملتقى لكل الناس، كل الناس من حقها أن تحج إلى مكة، وتطوف بالكعبة، وتسعى بين الصفا والمروة، وتقف على جبل عرفات، وترجم تمثال الشيطان في العقبة بالجمرات.

كل الناس مدعوة للطواف حول الكعبة، ليس العرب أو المسلمون فقط، لأن هذا البيت بيت الله.. لكل الناس، كل الناس مدعوة للوقوف بجبل عرفات، ليس العرب أو المسلمون فقط، كل الناس مدعوة لرجم تمثال الشيطان بالجمرات.

الموجود الآن خطأ من جانبنا، من الذي يمنع الناس من أن يحجوا إلى بيت الله؟ ما هو السبب؟ لماذا لا يأتي اليهود والنصارى، ليطوفوا حول الكعبة، وهم مدعوون لأن يتركوا اليهودية والنصرانية، ويلبوا نداء محمد ﷺ ؟، الله قال له يا محمد أدع الناس ليطوفوا حول الكعبة، قال له هذا حقي على الناس، أن يأتوا ويطوفوا حول البيت العتيق، وما عندنا مبرر في أن نمنعهم.

ومصير مشترك ومستقبل مشترك وأن حريتها وأمنها لا يتجزآن، وأن التفريط في حريتها واستقلالها وأمنها يلحق الضرر الشديد بهذه القبائل التي تسكنها وبجيرانها.

مرجعية اجتماعية

إن قبائل الصحراء الكبرى إذ تستلهم دروس وعبر تاريخها القديم والحديث، وما اكتسبته من رصيد تاريخي كبير، من خبرة الحياة ومغالبة الزمن ووعياً بمطامع القوى الخارجية في هذه الصحراء ووعياً بالأساليب والطرق والتبريرات الإستعمارية، التي أدت في الماضي وتؤدي في المستقبل، إلى تعريض حياة سكان الصحراء للخطر، تقرر - في هذا اليوم التاريخي المبارك العظيم، يوم مولد خاتم النبيين وإمام المرسلين رسول الله ﷺ، محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب، الذي أرسله الله للناس كافة، وفي مدينة تمبكتو التاريخية التي استوعبت حضارة وعظمة قيم الصحراء الكبرى عبر العصور، وجسدت إرادتها في الوحدة والتعاون والعيش المشترك - تكوين وتشكيل قيادة شعبية اجتماعية لقبائل الصحراء الكبرى انطلاقا من رباطها الاجتماعي غير المصطنع، وبعيداً عن السياسة والدبلوماسية والنظام الرسمي لأي دولة، لتكون هذه القيادة مرجعية اجتماعية، ومظلة اجتماعية، وضمانة لاتحاد قبائل الصحراء، على المستوى الاجتماعي، وترسيخاً وتأكيداً على أن

في هذه الفكرة الموسعة يطرح القائد مسألة هي في صلب المسائل المعاصرة التي لم تجد لها حلاً عبر ألف سنة مضت، فالقرآن الكريم يؤكد أن الدعوة للحج عندما أمر النبي إبراهيم (عليه السلام) بها هي دعوة لكل الناس، إذ يقول تعالى:

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ﴾ [سورة الحج، الآية:27]

لم يخص العرب والمسلمين، فهذه دعوة مستمرة إلى يومنا هذا، لكافة الناس أن يؤدوا فريضة الحج.

وطالما أن دعوة محمد ﷺ دعوة إنسانية؛ فعلى جميع البشر أن يلبوا دعوته ويتركوا عقائدهم المنسوخة البائدة. فكما هو محمد ﷺ نبي للعالمين، فإن الحج دعوة للعالمين أيضا، لأن هذا النبي الإنساني العالمي كُتب عليه الحج فرضاً مثل: الصلاة والزكاة، ومن المفترض أن يلبي الناس كافة دعوته لأنه نبي العالمين، ولا يستطيع اليوم أي مسلم أن يمنع أحداً يريد تأدية فريضة الحج من الوصول إلى مكة وعرفات والصفا والمروة. إن الذي يرغب بالحج ويقتنع به فإن ذلك يحتم اقتناعه بالإسلام ديناً وحيداً يجب السير في طريقه وعلى منهجه.

الإسلام هو الأصل في الرسالات السماوية

ولو كان اليهود أو النصارى يؤمنون حقاً بدين موسى ودين عيسى لجاءوا إلى الحج، لأن الأنبياء جميعاً مسلمون ويجب اتباعهم واتباع خاتمهم محمد ﷺ، ولكن اليهود والنصارى يخالفون موسى وعيسى وإبراهيم وإسماعيل (عليهم السلام)، وينكرون أن الأنبياء مسلمون جميعهم.

ويتابع القائد خطابه قائلاً: «إذا جاءك الرئيس الفرنسي أو الأميركي أو الإيطالي، وقال: أنا لبيت النداء وسأطوف حول الكعبة ماذا سنقول له ؟. ليس عندنا حجة، عندنا آية واحدة في القرآن الكريم إذا انطبقت عليهم إذن لا يحتجون، ما هي هذه الآية ؟ انتبهوا جيداً لهذه الآية : الآية الوحيدة في القرآن الكريم التي تمنع من تنطبق عليه من أن يقترب من البيت الحرام تقول:

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾ [سورة التوبة، الآية:28]

هل نقول لهم أنتم نجس ومشركون؟ نتحداهم إذا جاء الرئيس الأميركي ليحج أن يقولوا له أنت نجس ومشرك ؟».

«يرد علينا: أنا لست مشركاً وأنا لست نجساً، كيف تتهمونني هذه الإتهامات الخطيرة؟ إذا كنت نجساً لماذا تصافحونني وتأكلون وتشربون معي؟. وكيف تصادقونني وتحالفونني وتصاحبونني؟ إذا كنت نجساً لا تصافحوني ولا تلمسوني، يقول لهم أنا لست نجساً وغير مشرك».

وفي هذه الفكرة دعوة لأبناء العالم كافة كي يدخلوا في الإسلام، ونحن المسلمين متسامحون ومدركون لروح الإسلام، فلسنا نمنع أحداً من الحج إذا كان مؤمناً به كفريضة على الناس.

> **الإسلام دين الحق، والعقل البشري اليوم يميل الى كشف الحقيقة وتبنيها، ولذلك سيكون الإسلام دين الله الذي يعم الكون والبشرية.**

لكن الأخطر في هذه الفكرة أن أناساً يتصادقون مع أميركا وبريطانيا، يأكلون مع زعمائهم ويصادقونهم، بل ويتحالفون معهم، فكيف يمكن أن يمنعوهم من الحج ؟. وعندما يقولون إنهم نجس ومشركون فمن المفترض ألا يجالسوا النجس أو يصافحوه وألا يتعاملوا معه حتى يتطهر، ولا يكون طاهراً إلا بالإسلام، لكن هناك ازدواجية في المعايير، فمن جانب يتذرعون بالآية، ومن جانب يتحالفون مع هؤلاء الغربيين.

ويرى القائد أن هناك إشكالية، تكمن في قول البعض إن أهل الكتاب ليسوا مشركين وليسوا نجسين وليس حراماً التعامل معهم، إذاً فليدخلوا المسجد الحرام ولا يمنعون من هذا الحج وهذا الدخول.

ويلمح القائد، إلى أساليب الغربيين الذين يدعون أنهم مؤمنون حين يقول عنهم «يخرج الدولار الذي يتعامل به العرب وغير العرب وهذا الدولار مكتوب عليه حسب الترجمة:« نثق بالله».

إذاً المسيحيون واليهود يقولون عن أنفسهم إنهم ليسوا مشركين وليسوا نجسين، ولو كانوا كذلك لآمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام ولآمنوا بالحج وبالإسلام.

الإسلام قدر البشرية

بعد هذه الأفكار التي تجتاح عمق الفكر الغربي، وخاصة الفكر اللاهوتي، وتصدمه وتحرجه، وتضعه على مفترق الطرق، في الاختيار بين الإسلام والبقاء على الكفر؛ ينتقل القائد إلى مسائل أخرى. يقول: «تحدٍ جديد ينطلق في هذا اليوم العظيم من تمبكتو، العالم اليوم يعيد النظر في معطيات، مسلّم بها بعد يوم تمبكتو هذا. الإسلام قدر البشرية، دين البشرية، هذه كلمة الله، هذه إرادة الله، الله أكبر، هذا تحدٍ وزلزال جديد يسمعه العالم من تمبكتو»، متساءلاً: لماذا تم الإعلان من تمبكتو من دون العالم الإسلامي كله، عن هذا التحدي؟ مبينا أن هذه القرية، أو هذه الواحة التاريخية، من الناحية الدينية ومن الناحية الإجتماعية، وهي المكان الذي شع منه نور الإسلام على القارة الأفريقية، وامتد في جميع العالم الإسلامي، والذي يعني مجداً عظيماً وشرفاً لأهل تمبكتو..

ومن هنا فإن زيارة القائد مدينة تمبكتو وحديثه عنها يعيد النظر كثيراً في هذه المدينة ودورها في نشر الإسلام، ويكشف محاولات الاستعمار تزويرَ هذه الحقائق، فهذه المدينة كانت منارة الإسلام، وما تزال المخطوطات الإسلامية تحتضنها هذه المدينة تحتضن المخطوطات على الرغم من كل المحاولات لسرقتها وتشويهها.

وعندما يقول القائد: «اخترنا هذا التحدي من تمبكتو»؛ فإنه يدرك ما يقول، ويعني ما يقول، لأن الناس عرفوا دور بغداد ودمشق وطرابلس والقاهرة، ولم ينتبهوا إلى دور هذه المدينة في نشر الإسلام في كل ربوع إفريقيا، حيث إن كثيراً من المسلمين لا يعرفون شيئاً عن هذه المدينة، مع أنها لا تقل عن عواصم الخلافة أيام الأمويين والعباسيين وغيرهم. وكم عانت

قبائل الصحراء جسد اجتماعي واحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

وتؤكد في هذا اليوم العظيم على أن أمن واستقلال واستقرار الصحراء دونه الموت الزؤام.

وتعلن أنها لن تفرط في حبة رمل من رمال صحرائها الكبرى، وأنه لا حياة بدون حرية قبائل الصحراء الكبرى، وأن حرية الصحراء وأهلها لاتتجزأ.

ونعلن أننا نعادي من يعادينا ونسالم من يسالمنا، وأن أي محاولة جديدة من أي جهة كانت، لتهديد أمن واستقرار واستقلال وحرية الصحراء وأهلها، ستتصدى لها قبائل الصحراء الكبرى كلها، وستتحول رمالها الى رمضاء وحجارتها إلى جمر وهواؤها إلى نار لكل من تسول له نفسه استعمار الصحراء أو اختراق أمنها أو النيل من حريتها أو المس باستقلالها وتهديد استقرارها.

التزام بالسلام والإستقرار

ونؤكد على أهمية المحافظة على عاداتنا وتقاليدنا وأعرافنا، وثقافتنا الصحراوية العريقة، والحفاظ على روابط وعلاقات وأنماط الحياة الصحراوية وتقاليدها، بكل ما تحمله من أصالة وتنوع وخصوصية، في مواجهة كل المخططات والهجمات التي تستهدف احتقارها وتشويهها، ومسخها وتخريبها وفرض وتعميم عادات وتقاليد وأعراف وثقافة المستعمر الوافدة مكانها.



مكتبة دار الكتب في تومبكتو

هذه المدينة من الويلات والاستعمار حتى يمحى ذكرها، وتطمس معالمها، ويلغى دورها الحقيقي، الذي قامت به على مر التاريخ، فهي مدينة العلماء والمؤرخين المسلمين، وما تزال آثارهم باقية شاهدة على جهودهم.

«والذين يكرهون كتاب الله سمعوا بأنه توجد منارة في الصحراء الكبرى إسمها تمبكتو قرروا أن يطفئوا هذا النور، ذهبوا يبحثون عن تمبكتو أين هي؟، أوروبا كلها تبحث عن تمبكتو، ولكن لم يحددوا مكانها، لأنه لا توجد خارطة في ذلك الوقت، احتلوا تونس والجزائر والسنغال وتشاد، وبعثوا دوريات الاستطلاع في الصحراء الكبرى، بعثة جاءت مع نهر النيجر حتى وصلوا هنا إلى تمبكتو».

وأشار القائد إلى وسائل الاستعمار لاحتلال تمبكتو، فبعثوا البعثات، واستطلعوا الجغرافيا والقبائل المسلمة هناك، حتى وجدوا أن هذه القبائل مسالمة وادعة فزحفوا من كل الاتجاهات إلى تمبكتو، احتلوها وصبوا حقدهم على المسلمين فيها، ودمروها، وأخذوا الكتب وألقوها في نهر النيجر، تماماً مثل فعل المغول والتتار في بغداد، وردموا الترعة الواصلة بين نهر النيجر والمدينة حتى يموت الناس عطشاً.

وقد بشر القائد أهل تمبكتو، بأن الترعة التي هدمها الاستعمار وردمها سيقوم الإخوة في ليبيا بإعادة فتحها حتى يسعد الناس بالمياه ويبدءون حياة جديدة أراد الاستعمار ألا تكون.

وقد حذر من أساليب الاستعمار المعاصرة، فقد يفكر الاستعمار بالعودة إلى تمبكتو بأسلوب جديد، وتحت شعارات إنسانية خادعة، وحتى لا ينخدع الشعب المسلم بهم فقد أوضح القائد أنهم قد يأتون تحت اسم فرق السلام، أو صحفيين بلا حدود، أو أطباء بلا حدود، أو ما شابه ذلك من تسميات، لكن على تمبكتو وشعبها أن يتحديا هؤلاء المستعمرين.

وأشار إلى أن التحدي الديني الذي تحدث عنه في تناوله قضايا الدين والكتب السماوية والنبوات والحج وغير ذلك؛ ليس وحده، فهناك التحدي القومي الاجتماعي، فإذا كان الاستعمار يفكر باستعمار تمبكتو من جديد، فإننا نقول له إن تمبكتو عصية عليهم، لأن أهلها أسود ضارية، وطيور جارحة، وأن رملها يتحول إلى جهنم، وحجارتها تتحول إلى جمر، وهواءها يتحول إلى لهب ونار.

ويشير القائد - منبهاً كل قوى الاستعمار - إلى أن الصحراء وتمبكتو عصيتان على الاستعمار، ولن يسمح شعب الصحراء المسلم لأي مستعمر أن يدنس أرض الإسلام في تمبكتو. ثم إن القائد أوضح أن الأمة

المسلمة تسالم من يسالمها وتعادي من يعاديها، فإذا أحبوا السلام فنحن أهل السلام، وإذا حاولوا الاعتداء على استقلالنا سنتحول إلى قوة تشتعل فيها الصحراء من موريتانيا والسنغال وإلى العراق وبادية الشام.

موطننا العربي والإفريقي هو بيت لأسرتنا الواحدة

ويؤكد القائد مرة أخرى أن أرض الأمة واحدة، وأن هويتها واحدة، فنحن أحرار، ونريد أن نكون أحراراً في هذه البلاد الواسعة، في السنغال وموريتانيا والهلال الخصيب، الذي يعني سوريا وفلسطين والأردن ولبنان والعراق وغيرها.

ويؤكد القائد على قضية هامة يجب أن يتنبه لها كل العرب والمسلمين، وهي أن موطننا العربي والإفريقي المسلم هو بيت واحد وأسرة واحدة، فكل القبائل من طوارق وبرابيش وقبائل تشاد والنيجر والسنغاي والفولاني ويمبارة وتبو وأولاد علي وقبائل السودان والأردن وبادية الشام والجزيرة العربية والعراق والهلال الخصيب؛ كلها أفراد قبيلة واحدة. وأكد القائد أننا سننجد بعضنا، وسندافع عن بعضنا، ولن نحمل السلاح في وجوه بعضنا.

إن تأكيد القائد، على وحدة القبائل هذه، ليست إلا تنبيهاً للجميع بأن الجزيرة العربية هي منبع هذه القبائل العربية المسلمة، وأن هذه القبائل جميعها من الهلال الخصيب إلى السنغال أمة واحدة، محرم عليها حمل السلاح في وجه بعضها. وإشارته لهذه المسألة دعوة للشعوب التي تتشكل منها الأمة العربية والإسلامية، حتى تتوحد بصدق وتتصدى للطامعين من المستعمرين، وفيها أيضاً دعوة للتوقيع على ميثاق شرف يطلق عليه ميثاق تمبكتو حتى نتوحد يداً بيد.

وهذا الكلام قاله القائد بحضور ملوك وسلاطين وشيوخ وزعماء قبائل الصحراء الكبرى، وبحضور قادة من العالم الإسلامي والمنظمات والجماعات والمؤسسات الإسلامية.

ونعلن للعالم أن قبائل الصحراء الكبرى العظيمة، تلزم نفسها بالسلام والاستقرار ونبذ الممارسات المشينة والابتعاد عنها، مثل: التسلل خفية عبر الحدود، أو تهريب السلع والبشر والحيوانات والعملات، أو الاتجار في الممنوعات كالمخدرات والسلاح، ،وأنها تكافح الزندقة وإرهاب المدنيين، وترويع الآمنين، وتحمي المرأة والطفل والمسنين والعاجزين، والأهداف المدنية، وفي ذات الوقت تتمسك ولن تتنازل عن حقها الطبيعي في الحركة بحرية وعلانية ومشروعية، عبر صحرائها الكبرى، دون حاجز أو قيد لبضائعها أو حيواناتها أو أفرادها، وتلزم نفسها مقابل هذا بحمل هُويتها الصحراوية فقط، ولا تخضع في وجودها وحركتها عبر الصحراء الكبرى لأي شهود غير ذلك.

الإعلان عن (ميثاق تمبكتو) خطوة تاريخية

قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية:

نحن أمة جديرة بأن تحيا في حرية وكرامة

ألقى قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية في الاحتفال الذي أقيم بمدينة تمبكتو مساء الإثنين العاشر من شهر الطير، 1374 من وفاة الرسول ﷺ 2006 مسيحي بمناسبة الإعلان عن (ميثاق تمبكتو) ميثاق الرابطة الشعبية

خطاب تمبكتو

رؤية موضوعية معاصرة لقضايا المسلمين

عبد الرحمن شيو علاوي*

إن المتتبع لتاريخ مسيرة دعوة الإسلام، يستطيع أن يدرك بجلاء أنه منذ انبلاج فجر الإسلام، قبل ما يزيد عن أربعة عشر قرناً، لم يتوقف رجال الدعوة، عن التصدي للمؤامرات التي تحاك ضد الدعوة الجامعة، التي جاءت للناس كافة، مضحين بأموالهم وأنفسهم في سبيل نصرة هذا الدين الحنيف؛ وقد تطور هذا العدوان بتطور التاريخ، مرورا بمكائد قريش في مكة، وعدوان اليهود والمنافقين في المدينة، ومؤامرات الزنادقة في خلق النعرات العنصرية والضغائن بين أبناء هذه الأمة، إلى الحملات الصليبية، ومكر الصهيونية في هذا العصر والتي لم يكن الهدف من ورائها سوى إطفاء نور الله، وكسر شوكة أتباعه.

لقد استطاع المسلمون الأوائل - بفضل صدق نيتهم، وتحليهم بالإخلاص، والبُعد النظري في قضاياهم المختلفة - أن يبنوا سدوداً منيعة، وحصوناً قوية، لم تترك للأعداء الطامعين فرصة النيل من الإسلام حتى انتشر، وعمّت دعوته مشارق الأرض ومغاربها، وقد حان اليوم ونحن في المائة الخامسة عشرة من مجيء هذا الدين، ومع تزايد تكالب الحاقدين للحيلولة دون انتشار تعاليم الإسلام السمحة، وتفننهم في حياكة المؤامرات لتشويه صورته وحقيقته، وبعد أن أصبح المسلمون ضعفاء، وقد تداعت عليهم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها، وصدق الله إذ يقول:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية:32]

وقال :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [سورة الأنفال، الآية:36]

وبعد أن أصبحت الديار الإسلامية محتلة، ومقدساتها مُدنسة، تعالت الصرخات والنداءات طالبة النجدة والنصرة؛ وفي خضم هذه الأوضاع المؤسفة، وهذه المواقف المأساوية، في واقع عالمنا الإسلامي الحالي، تأتي المبادرات الدعوية القوية، التي اتخذتها القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، بفضل جهود قائدها الحكيم، داعية العصر، الذي كرّس كل جهوده للدفاع عن الإسلام بالنفس والمال، منذ قيام ثورة الفاتح الإسلامية من أجل تغيير واقع المسلمين المؤسف.

المتتبع للمواقف الشجاعة التي اتخذها القائد

---

* باحث / بوركينا فاسو

المسلم معمر القذافي، دفاعاً عن الإسلام والمسلمين يُدرك بجلاء حيوية هذه الأمة، وقدرة أبنائها على صنع الأحداث.

وتأتي الصلوات الجامعة في العديد من الدول الإفريقية، وأحاديث القائد في أنجامينا، ونيامي، وكانو، وخطاب تمبكتو التاريخي، لتشكل علامات بارزة في تاريخنا المعاصر، ومعلنة عن قوة الإسلام والمسلمين، في أسلوب منطقي يعتمد الحجة والبرهان، والوضوح، في التعاطي مع القضايا، وهو ما نستشفه بجلاء في خطاب تمبكتو التاريخي، حيث تناول الأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية في دفاعه عن سماحة الإسلام، الإفتراءات والتشويه المتعمد لرسالة الدين الخاتم، منبهاً إلى الأسباب، ومبيناً حقيقة المنهج الغربي في اعتماده على التضليل.

داعية العصر

ففي الوقت الذي تناسى فيه معظم قادة العالم الإسلامي وحكامه، أو تكاسلوا عن أداء مهمة الدعوة والإرشاد التي بها نُثبت خيرية هذه الأمة، وأفضليتها على سائر الأمم، نجد القائد معمر القذافي، قد جعل همه الأول والأخير، لنصرة الحق، والدفاع عن الإسلام والمسلمين، والدعوة لدين الله، وذلك بمنهجية وأسلوب منطقي، يراعي واقع العصر ومتغيراته، وفق رؤية واضحة تنطلق من جوهر الإسلام ونظرته، لأهمية الحوار والتعايش السلمي، والدعوة إلى نقطة التقاء بين الحضارات، لتحقيق الغرض الأسمى من الوجود الإنساني على الأرض، فيا حبذا لو اقتفى أثره بقية قادتنا، واقتدى به الحكام والملوك والرؤساء في العالم الإسلامي؛ وهنا لا بد أن نتساءل : أي ملك من ملوكنا أو رئيس من رؤسائنا، يستطيع أن يجوب الصحراء ويتجه إلى أدغال إفريقيا، ويتفقد أحوال المسلمين، ويدعو إلى الإسلام، ويُلقي الخطب والدروس الدعوية، مبيناً للعالم حقيقة الإسلام، فيُسلم على يديه الآلاف من المهتدين، ومنهم الملوك والسلاطين، مقدماً النموذج والقدوة والمثل الحسن؟

الاجتماعية لقبائل الصحراء الكبرى، كلمة أوضح فيها أن قبائل الصحراء الكبرى، تجمعها هوية اجتماعية واحدة، مبينا أن الحدود المصطنعة قد جزأت هذه القبائل، مؤكدا أن الروابط الاجتماعية أقوى من الروابط السياسية والإدارية، وهي الرابط الأساس بين قبائل الصحراء الكبرى.

وقد حضر الإحتفال، الذي أقيم بمقر إقامة قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية في تمبكتو، ملوك وسلاطين وشيوخ وعمد قبائل الصحراء الكبرى من السنغال وموريتانيا غربا إلى العراق شرقاً، مرورا بشمال إفريقيا ووادي النيل وبادية الشام والجزيرة العربية والقرن الافريقي والسودان وتشاد والنيجر التي وطنها التاريخي وبيتها الكبير الصحراء الكبرى.

ومما جاء في ذلك الخطاب: أعتقد أننا قمنا بخطوة تاريخية الليلة بالصلاة، واللقاء، وبهذا الميثاق، أقول لكم إن هذا هو وضعنا الطبيعي الموجود، لأننا نحن سكان الصحراء الكبرى منذ تاريخنا أصلاً هكذا.. يعني إندماج وإنصهار.. حتى الذين يسكنون هنا في تمبكتو ويعتبرونهم سكان تمبكتو نجد أصولهم ليست من تمبكتو فقط، نجد اليمني والشامي والأندلسي ومن شمال إفريقيا ومن القرن الإفريقي، هم الذين عمروا هذه الصحراء.

الحقيقة التاريخية تقول إن سكان الصحراء من أصل واحد، والحقيقة

خطاب تمبكتو التاريخي
وأوجه دفاعه عن الإسلام

ويأتي المشهد الإيماني الذي عاشته مدينة تمبكتو التاريخية، يوم الإثنين، الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام 1374 من وفاة الرسول ﷺ الموافق 2006 مسيحي ـ ليشكل أهم حدث عرفه تاريخ هذه البلدة التاريخية الصغيرة، وذلك بمناسبة المولد النبوي الشريف، حيث تجمع رؤساء وعلماء وفعاليات العمل الإسلامي، من جميع بقاع العالم، لإحياء هذه المناسبة العظيمة تحت لواء القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، دفاعاً عن الإسلام، وتعبيراً عن موقف الأمة الإسلامية الوحدوي، تجاه قضاياها المختلفة.

والمتأمل في خطاب الأخ القائد لأبناء الأمة ـ في يوم تاريخي.. وحدث تاريخي.. ومدينة تاريخية– يُدرك أهمية هذه الخطبة في طرح مختلف قضايا هذه الأمة، وتحليلها تحليلاً علمياً منطقياً دفاعاً عن الإسلام والمسلمين، وبأساليب معاصرة، تناسب واقع الناس ومتغيرات الزمان، فالقراءة المتأنية والملتزمة بالموضوعية، لا بد أن تقود المنصف إلى إدراك عمق المضامين، في هذا الخطاب والتي تعلن مباشرة وفي وضوح : الإقرار بوحدة الدين، وإن كان الواقع خلاف ذلك.

لا شك أن موقف الأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية ـ من الحوار ومبدأ التعارف والتعايش السلمي بين الشعوب والحضارات، والتواصل الدائم بين الثقافات، موقف رضا وقبول ومساندة، وذلك لما له من أهمية قصوى وفوائد جمة في تأصيل الاستقرار والأمن والطمأنينة في المجتمع الإنساني، والمجهودات الكثيرة الجبارة التي بذلها في سبيل تجسيد هذا المبدأ الإنساني العظيم، قد يعجز الإنسان عن إحصائها، فالتاريخ يشهد بذلك لا محالة.

فإذا كان الغرب قد ظن أن وضع العالم الإسلامي الراهن هو الذي فرض عليه المبادرات الإنسانية الطيبة، فقام بدلاً من الإلتزام بالمبادئ والقيم الإنسانية التي تُجسد الإحترام المتبادل بين أبناء المعتقدات بمضاعفة هجومه على الإسلام من خلال التشويه المتعمد للمعتقدات، والسخرية من المقدسات، وهو ما يُبينه بجلاء ما حصل في الدنمارك مؤخرا.

جاءت هذه الصلوات الجامعة في ذكرى المولد النبوي الشريف، لتبين أن الدعوة للحوار لم تكن موقفاً عن ضعف، وأن الحوار لا يعني الإستسلام، مقدمةً درساً عملياً في الرد على تلك الحماقة، وكما يلزم هذا الموقف التصريح عن الحقائق الواقعية، التي حجب وصول نورها إلى الشعوب الغربية بصفة عامة منذ زمن بعيد، نتيجة سوء نيتهم نحو الإسلام، والكراهية التي يسببها منهجهم في التعليم، وهو ما نبه إليه هذا الخطاب.

سلسلة الرسالات السماوية عبر التاريخ الإنساني مراحل متكاملة للخروج بالإنسانية من ظلمات الشرك والجهل، إلى نور التسليم الكامل لله تعالى، والخضوع التام لأوامره، وقد اكتملت هذه الرسالة برسالة محمد ﷺ.

يقول القائد: «للأسف إن التاريخ والمنهج الذي تقرؤه الآن مغلوط.. يعتقدون خطأً أن محمداً ﷺ هو نبي العرب أو المسلمين فقط.. وهذا خطأ، لأن محمداً ﷺ نبي للناس كافة وهو ناسخ لكل الأديان التي قبله.. والله يقول:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 85]

فالإسلام في الحقيقة دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهي حالة إنسانية واحدة لا تتعدد ولا تتنوع، والدين نظام حياة متكامل، وأسلوب تشريعي توجيهي لا يتعلق بالذوق ولا بالجمال والعاطفة، وبعيد عن النسبية حتى يخضع للتعدد والكثرة.

إن سلسلة الرسالات السماوية عبر التاريخ الإنساني، مراحل متكاملة للخروج بالإنسانية من ظلمات الشرك والجهل، إلى نور التسليم الكامل لله تعالى، والخضوع التام لأوامره. وقد اكتملت تلك

الرسالات برسالة محمد ﷺ، فتلك حقيقة قاطعة زلزل بها خطاب تمبكتو التاريخي تراكمات مناهج التضليل والتشويه المعادية للسلام والأمان.

الدفاع بتصحيح منهج الفهم عند الغرب (مفهوم الحرية)

وإذا كان تداول مصطلح الحرية بكافة أنواعها، قد شغل العلماء والفلاسفة وقادة الفكر قديماً وحديثاً، وتزايد الإهتمام به في الفكر الإنساني، بعد قيام عديد الثورات في الغرب، وبخاصة الثورة الفرنسية ـ 1739 ـ التي كانت سبباً مهماً في خروج الشعوب الأوروبية من سيطرة الكنيسة وهيمنتها، التي دامت قروناً عديدة، إلا أن هذا المفهوم يُعد من القضايا التي أُسيء فهمها، وتم استعمالها بفوضوية وعدم منطقية، فهل تعني الحرية الفكرية مثلاً، في الفكر الغربي المعاصر، التهجم على عقيدة معينة أو شريعة معينة أو ثقافة معينة، والاستخفاف بمعتقداتها ومقدساتها؟ وكيف نُسلّم بأن الحرية الشخصية تعني عمل الإنسان ما يشاء، ومتى يشاء، وارتكابه المنكرات دون أدنى قيود ولا حدود؟.

من هنا فإن النظرة الفاحصة لواقع الإنسان المعاصر تجعلنا ندرك إدراكاً تاماً خطأ هذا الفهم لمصطلح الحرية، ونقف على كنه التزييف الواضح، وهذه الحقيقة ليست نتيجة منطقية فحسب وإنما محصلة إدراكنا لما يعانيه المجتمع الإنساني، من فوضى وفساد واضطراب في جميع جوانب الحياة، بسبب الفهم السيء والمنهج الخاطئ.

والمتتبع لهذا الخطاب التاريخي، يرى كيف عبّر القائد عن هذه الفكرة بأساليب تدل على رؤية مستقبلية، وعمق تفكير وبُعد نظر، حيث نلحظ أن الفكرة التي طرحها، تحمل في طياتها توقعات خطيرة يجب على الإنسانية أن تدرك نتائجها، في حالة استمرار هذا الفهم للحرية في العالم الغربي، وفي هذا يقول الخطاب: «إذا كنا ندعي حرية التعبير، فنتوقع أن تظهر صورة عيسى وفوق رأسه قنابل ذرية، لأن أتباع

أصلنا كلنا من الجزيرة العربية، عبر أكثر من خمسة آلاف سنة كل القبائل التي في الصحراء الكبرى، وجوانب الصحراء الكبرى أصلها قبائل جاءت من الجزيرة العربية، فكل الممالك والسلطنات التي تكونت في الصحراء الكبرى كونها السلاطين العرب.

حقائق تاريخية

اللهجات التي تتكلمون بها الآن هي لهجات عربية قديمة.. أسماء المناطق وأسماء المعالم الجغرافية في الصحراء الكبرى هي الأسماء العربية القديمة.. كل الأسماء المؤنثة تبدأ بالتاء من تعز إلى تمبكتو إلى تمرسن إلى تاورغاء إلى تامزغن إلى تامنهنت إلى آخر الأسماء التي في الصحراء الكبرى. فكل مؤنث يبدأ بالتاء، هذه هي اللغة العربية القديمة، والمذكر يبدأ بالياء، يعرب، يمجد، يدمر، يخلف، إلى آخره.

إذاً سكان الصحراء كلنا أصلنا واحد، ويجب أن نعتز بهذا الأصل الواحد ونحافظ عليه.. إلى جانب أن المستعمرين هم الذين فرقوا بيننا، والآن سنعيد تاريخنا، نحن محتاجون لبعضنا من أجل أمننا ومن أجل استقلالنا وحريتنا، بل من أجل حياتنا في الصحراء الكبرى، لا توجد صحراء كبرى في الكرة الأرضية إلا صحراؤنا، فنحن سكان هذه الصحراء من بداية البشرية كنا نتحرك بحرية في الصحراء الكبرى من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها، المشاكل جاءت

عيسى صنعوا القنابل الذرية، وتمسكاً بحرية النشر والرأي مثلما صوروا محمداً ﷺ وعلى رأسه قنبلة يدوية نتوقع أن يُصوّر عيسى وعلى رأسه قنبلة ذرية..» ويتبين لنا من هذه الفقرة ضرورة التفريق بين الحرية الحقيقية التي تجلب السعادة والطمأنينة والأمان للإنسانية جمعاء، وبين الفوضى التي تسبب الهلاك والدمار.

الكشف عن الأخطاء في تراث الآخر

إن لبعض المواقف ـ أحياناً ـ حكمها الفعلي، وأثرها الكبير على الخطابات الدعوية في هذا العصر، وذلك بالرغم من أن عدم المساس بالجوانب العقدية يعتبر مبدأ أساسياً وشرطاً مهماً في نجاح عملية حوار الأديان، إلا أن خطاب «تمبكتو» برؤيته الشاملة ونظرته البعيدة، التي يقوم عليها، ولاعتبارات مهمة وأسباب معقولة ومبررات منطقية، لا تخفى على أحد، توجه القائد مباشرة في دعوة جادة وحقيقية لصالح الإنسانية لمعالجة القضية، مبيناً سبب كل ما يحدث في العالم اليوم، من سوء المعاملة، وعدم الإحترام، وتعد على المقدسات، خالصاً إلى أن تغيير تعاليم العهدين حسب الأهواء والأغراض، وفساد منهجية الغرب في تبني البرنامج التعليمي، هما السبب في تشويه الصورة، وتزييف الحقائق.

ويعتبر ـ في الحقيقة ـ السبب الأول لازماً للسبب الثاني، لأن الأول هو الشيء الأساس، وإذا بطل الأساس أو الأصل تفقد الفروع أي سند صحيح تعتمد عليه، وهو ما تؤكده نتائج الدراسات النقدية الحديثة التي قام بها بعض علماء الغرب أنفسهم، حول الكتب المقدسة، والتي تعترف بالتدخل الإنساني في كتابة ما يُسمى بالعهدين القديم والجديد، مبينة ذلك بالأدلة العلمية القوية، والبراهين المنطقية الحقيقية، مستعرضة التعديلات التي وقعت على الصيغ الأولى التي تمت بالإعتماد على التراث الشفهي، ثم توضيح التحريفات التي حدثت للنصوص بعد ذلك إلى أن وصلت إلينا، مبينة أن كل ذلك من شأنه أن يُخفف من الشعور بالدهشة أمام عبارات مبهمة غير مفهومة ومتناقضة لا يدركها العقل.

وكما يذكر المؤرخون فإن المسيحية عرفت في القرنين الأول والثاني من التقويم المسيحي الجريجوري مجموعة من الأناجيل لكنها استبعدت جُلها في أواخر القرن الثاني، لتُبقي أربعة فقط مع مجموعة من الرسائل، ومن تلك الأناجيل المُبعدة إنجيل (برنابا) وهو أحد حواريي عيسى عليه السلام، مع العلم بأن هذا الإنجيل تعرّض لأخبار مجيء محمد ﷺ، وكان ذلك من أهم أسباب إلغائه من الأناجيل المعتمدة، وقد وُجدت نسخة من هذا الإنجيل في المكتبة الامبراطورية بفيينا مُترجمة من المخطوط الأصلي، وهو ما أشار إليه القائد في خطابه عندما قال: «وما يُسمى بالعهد القديم والعهد الجديد ليس بالعهد القديم وليس بالعهد الجديد، لأن هذين العهدين منسوخان مزوران، وكُتبا باليد بعد عيسى بمئات السنين....»

> **تؤكد شهادات عدد من علماء الغرب على إنسانية الإسلام، ومكانة تعاليمه، وسمو أخلاق الدعاة في تاريخ الدعوة الإسلامية.**

البرهنة على عدم انتشار الإسلام بالسيف

ولعل من أهم القضايا التي عالجها هذا الخطاب الدعوي التاريخي، وحللها بالموضوعية والإنصاف، قضية افتراء انتشار الإسلام بالسيف وسفك الدماء، التي التصقت بالإسلام زوراً وباطلاً منذ زمن بعيد، ومن بين تلك الأقاويل المفتراة على الإسلام ما ذهب إليه (ماكدونالد) في دائرة المعارف الإسلامية، زاعماً أن نشر الإسلام بحد السيف والقوة هو الواجب الديني عند كل مسلم.

والمتأمل في خطاب «تمبكتو» يُدرك تمام الإدراك قوة أسلوب البرهنة على دحض هذا الزعم الباطل الذي لا يستند على أساس علمي يُذكر، وهو ـ بكل تأكيد

ـ نابع من سوء النية والكراهية التي تُكنها القوى الغربية ضد الإسلام والمسلمين، فالخطاب يؤكد لنا وبأسلوب ـ زاد من بلاغته قوة الحجة ومنطقية الإستدلال ـ أن الإسلام لم ينتشر إلا بعوامل ذاتية، والقيم والمبادئ الإنسانية والمعاملات الحسنة التي يتلقاها المخاطبون من المسلمين.

وفي هذا يقول القائد: «لسنا محتاجين للسيف أو القنبلة لنشر الإسلام.. عندنا خمسون مليون مسلم في أوروبا، وهناك علامات أخرى تدل على أن الإسلام سيظهره الله في أوروبا بدون سيف وبدون بندقية وبدون فتح» أي لو انتشر الإسلام بالسيف وسفك الدماء ـ كما يزعمون ـ فكيف يُفسرّون لنا سرعة انتشاره الفائقة بين الغربيين أنفسهم ونحن في القرن الواحد والعشرين، حتى أصبح عدد المسلمين والمراكز والمؤسسات والهيئات الإسلامية يُعد بالملايين، ألا يعتبر هذا الواقع المشاهد دحضاً وتكذيباً لهذه الإفتراءات التي لا تستند على أي أدلة علمية منطقية؟.

وهنا لا بد لنا من تبيان مسألة هامة وهي الجهاد، فالجهاد لم يكن الهدف منه في يوم من الأيام الإعتداء والعدوان، والقتل الوحشي، وإنما كان هدفه دفع الظلم وصد العدوان، وتدل على ذلك نصوص كثيرة في الكتاب والسُنة، وأخلاقيات الجهاد الإسلامي، حيث يقول سبحانه وتعالى:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحج، الآيتان:39 و40]

ويقول أيضاً:

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية:190]

وتؤكد شهادات عدد من علماء الغرب على إنسانية الإسلام، ومكانة تعاليمه، وسمو أخلاق

بعد أن قامت الدول الحديثة المستقلة، هذه ليست المستقلة من الإستعمار، المستقلة عن بعضها.

نحن أمة واحدة

هذه الحدود هي التي خلقت حواجز بين أبناء الصحراء الكبرى.. أصبح واحد موريتانيا ووجد نفسه أنه موريتاني.. واحد مالي.. واحد جزائري.. وواحد ليبي ومصري وأردني، يمني، تشادي، سوداني.. هذا هو الشيء الجديد الذي حدث، وهذا هو الذي فرقنا عن بعضنا وجعل الإستعمار يضربنا ببعضنا.. يقول له أنت ليبي، وأنت جزائري ضد بعضكم.. أنت سوداني، أنت تشادي، ويضربهم ببعضهم.

نحن الآن سنعود للأصل.. نحن أمة واحدة تسكن الصحراء الكبرى الآن، وسبب مشاكلنا هي الحدود التي عملوها بيننا.

زمان كان اسمنا باسم القبيلة والآن أصبح اسمنا باسم الدولة التي وجدنا فيها..

الهُوية الاجتماعية

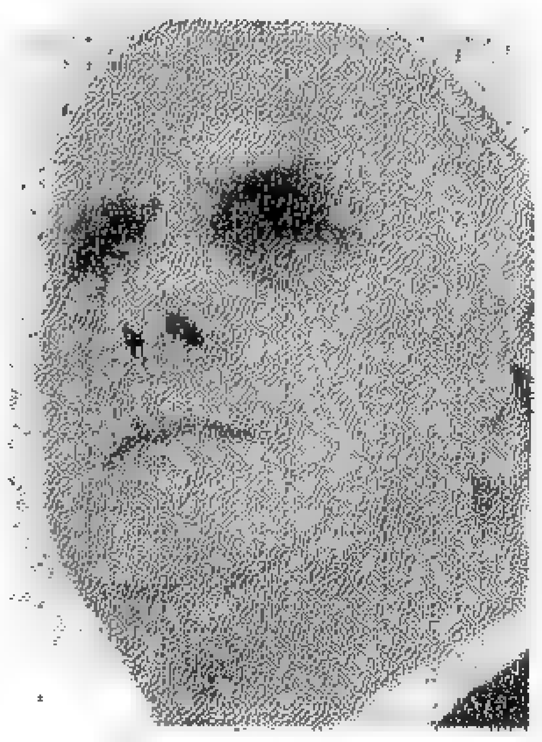
على سبيل المثال قبيلة الطوارق وهي أهم قبيلة في هذه الصحراء.. هذه يمتد وجودها من ليبيا إلى النيجر إلى الجزائر إلى موريتانيا.. أينما يتحرك هو تارقي.. الآن هذه القبيلة لم تستطع التحرك بحرية مثلما كانت، لأنهم خلقوا لها حدوداً قطعت أجزاء هذه القبيلة.. أصبح يوجد تارقي ليبي.. تارقي جزائري.. تارقي نيجري..

الدعاة في تاريخ الدعوة الإسلامية، حيث يقول (جوستاف لوبون) في كتابه (حضارة الإسلام): «سيرى القارئ حين نبحث في فتوح العرب، وأسباب انتصاراتهم، أن القوة لم تكن عاملاً في انتشار


جوستاف لوبون

القرآن، وأن العرب تركوا المغلوبين أحراراً في أديانهم، فإذا حدث أن انتحل بعض من الشعوب النصرانية الإسلام واتخذ العربية لغة له، فذلك لما كان يتصف به العرب الغالبون، من ضروب العدل الذي لم يكن للناس عهد بمثله، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم تعرفها الأديان الأخرى»، ويستطرد قائلاً: «وقد اعترف بذلك التسامح بعض علماء أوروبا المنصفين القليلين الذين أمعنوا النظر في تاريخ العرب»، ويقول (روبرتسون): إن المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين الجهاد والتسامح نحو أتباع الأديان الأخرى الذين غلبوهم وتركوهم أحراراً في إقامة شعائرهم الدينية».

شفافية ووضوح تجسدان مشروعية الموقف


ديغول

ومع تعاظم الهجمة على الإسلام واعتمادها على توظيف أساليب الحرب النفسية، باعتبارها من أهم الوسائل الحربية، والأساليب الإستراتيجية، لما لها من أهمية كبيرة في بث اليأس والقنوط في نفسية الخصم، وإضعاف معنوياته، حيث يقول (شارل ديغول 1890 ـ 1970): «لكي تنتصر دولة ما في حرب، فإن عليها أن تشن الحرب النفسية قبل أن تتحرك قواتها إلى ميادين القتال، وتظل هذه الحرب


تشرشل

تساند هذه القوات حتى تنتهي من مهمتها»، وكما يقول (ونستون تشرشل 1874 ـ 1965): «كثيراً ما غيّرت الحرب النفسية وجه التاريخ»، وهي كما عرّفها الفكر الإنساني المعاصر: «استخدام مخطط لأي شكل من أشكال الإعلام، بقصد التأثير في عقول وعواطف مجموعة معادية أو محايدة أو صديقة، وذلك لتحقيق غرض استراتيجي أو تكتيكي معين».

يأتي خطاب «تمبكتو» ليحدد المعالم ويكشف الأبعاد ويُعلن القدرة على التحدي، والمتأمل في شريعتنا السمحة يجد مجموعة من النصوص والمواقف التي تؤصل هذا المبدأ، وتحث على الأخذ به، يقول الحق ـ تبارك وتعالى:

﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾

[سورة الأنفال، الآية: 12]

ويقول تعالى:

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [سورة الحشر، الآية: 2]

والمتتبع للشأن الإسلامي يلاحظ أهمية هذا الحدث، وعمق المضامين الفكرية التي قدمها القائد معمر القذافي في خطابه للأمة، خاصة في إبرازه الدلائل الواضحة، على شرعية اتخاذ هذا المبدأ العظيم في الدفاع عن النفس، وهو ما نجده في المواقف النبوية أثناء قيامه بالدعوة، مثل خطابه إلى يهود خيبر، والذي جاء فيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم.. من محمد رسول الله صاحب موسى وأخيه والمُصدّق لما جاء به موسى ألا إن الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة، وإنكم لتجدون ذلك في كتابكم (مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ)**.

والملاحظ في هذا الخطاب النبوي أسلوب التهديد الخفيف، وذلك لإشعارهم بمدى أهمية الخطاب الموّجه إليهم من جهة، ومن جهة أخرى لتظهر ـ ضمناً ـ قوة الإسلام والمسلمين، وإمكانياتهم المعنوية والمادية، والذي يُسمى بلغة العصر الحرب الإعلامية أو النفسية.

إبراز قوة المسلمين

وللحقيقة لم أر في تاريخ الدعوة الإسلامية بعد العصر النبوي والذي يليه من العصور النيرة، من اتخذ هذه الوسيلة المهمة في الدفاع عن الإسلام ومقدساته، وفي نشر عقيدته وتعاليمه إلا معمر القذافي الذي عرف كل العالم مواقفه الشجاعة تجاه قضايا الدعوة الإسلامية منذ زمن بعيد، وذلك عبر خطبه المتعددة، ولقاءاته مع الوسائل الإعلامية في العالم، وهو يدافع عن الإسلام، بإبراز قوة الإسلام والمسلمين، وبيان الأُسس الروحية التي تستند عليها الأمة الإسلامية، وإذا أمعنا النظر في خطبه الجامعة، التي ألقاها أمام جموع المسلمين في العديد من الدول الأفريقية، وبخاصة خطبة «تمبكتو» التاريخية، نجد هذا الأسلوب واضحاً جلياً، حيث يقول: «هذه الإحصائية عندي بالأرقام.. عدد المسلمين في أوروبا 50 مليونا، و14 ألف مسجد ومركز إسلامي، و1500 منظمة وجمعية وهيئة إسلامية.. هذه سيزيد عددها بمرور الزمن إلى جانب تركيا والبوسنة وألبانية، مؤكداً: نقول إذا كانت عندكم نية بأن تحتلوا الصحراء الكبرى، نريد أن ننبهكم قبل أن تتورطوا، إن الصحراء صعبة جدا، وأن أهلها أسود مفترسة وصقور جارحة، وأن رملها يمكن أن يتحول إلى رمضاء، وحجارتها إلى جمر وهواؤها إلى لهب ونار». وهكذا يؤكد الخطاب أن الإسلام قوة وعزيمة وإرادة.

ومن هنا نخلص إلى أهمية هذا الحدث في الانتقال بالمسلمين من خانة الإنفعال والتأثر إلى خانة الفعل والتأثير، وهي حقيقة يمكن إدراكها في سياق الصلوات الجامعة والتي يأتي خطاب «تمبكتو» ليعلن بوضوح وشفافية أن الآخر (الغرب) لديه أخطاء، وعليه تصحيحها، ليتسنى تغيير وجه التاريخ، وتوجيهه إلى ما فيه صلاح البشرية، والشيء المؤسف حقاً، أن الفكر الإسلامي المعاصر تنقصه الموضوعية والإنصاف في النظر إلى قضاياه وتحليلها، ألم يحن الوقت لأن نشجع مثل هذه المبادرات الدعوية الطيبة؟ ومن هنا أدعو الأمة إلى مراجعة نفسها، عسى أن يغير الله ما بها وما هي فيه.

تارقي موريتاني، هذه هي التي نحن لا نعترف بها.. أنا أريد التارقي يتحرك من موريتانيا إلى ليبيا.. الهُوية، جواز السفر، التعريف، البطاقة هو الذي يكون تارقياً فقط، مجرد أن تقول تارقي.. تتحرك بحرية في الصحراء، ترفض أن يمنعوك من دخول ليبيا أو دخول النيجر أو دخول الجزائر أو دخول مالي أو دخول موريتانيا، لأن هذا وطنك، هذه صحراؤكم.

نأتي لقبيلة أخرى مثل قبيلة «التبو» هذه أرضها ليبيا تشاد النيجر.. أفراد هذه القبيلة يجب أن يتحركوا بحرية داخل هذه الأوطان الثلاثة.

الآن الحدود المصطنعة قطعت هذه القبيلة إلى ثلاث قطع، أصبح هناك تبو ليبي وتبو تشادي وتبو نيجري.. هذه قبيلة واحدة.

نأتي إلى قبائل أولاد علي، هؤلاء وطنهم ليبيا ومصر، الآن لا يستطيعون التحرك بحرية بين ليبيا ومصر، لأن هناك حدودا وبوابات.. يوجد جواز السفر الليبي أو المصري، التأشيرة الليبية أو المصرية.. هذه القبائل يجب أن يكون جواز سفرها هو أنها تنتمي إلى قبائل أولاد علي.. مجرد أن تقول أولاد علي يجب أن تتحرك بحرية بين ليبيا ومصر.

نأتي إلى قبيلة أخرى كبيرة، مثل قبيلة (شمّر) هذه القبيلة وطنها وأرضها سوريا الأردن العراق الجزيرة العربية.. الآن هذه القبيلة لا تستطيع أن تتحرك بحرية في وطنها، أرض أجدادها، يقال له أنت سوري لا تدخل العراق، أنت

نحو استراتيجية أكثر تأثيراً وفاعلية

علي محمد الأحمر*

في مشهد عظيم يمر بتاريخ الدعوة المعاصر، وبحضور الآلاف المؤلفة من المسلمين ـ قيادة وقاعدة ـ وفي حاضرة الإسلام التاريخية (تمبكتو) يوم 12 من شهر ربيع الأول 1374 و.ر من وفاة الرسول ﷺ 2006 مسيحي)، ألقى الأخ معمر القذافي، خطاباً طرح فيه رؤيته لعدة قضايا ذات أبعاد إستراتيجية وحضارية، تتصل بواقع الإسلام والمسلمين ـ حضارةً وقيماً ووجودًا ـ.

ولا شك أن هذا الخطاب بالنظر إلى ظرفيه ـ زماناً ومكاناً ـ كان عملاً كبيراً، وانجازاً هاماً، جاء في حينه المناسب، تلبية لمقتضيات الواقع ومتطلبات هداية الإنسان ، ما جعله خطوة متقدمة في مسار الدفاع عن الإسلام بأسلوب حديث رائع وحضاري، في هذا الجزء الحساس من القارة الأفريقية، وكعادته في حُسن توظيف الظروف التي تمر بالإسلام، ونظرته الإستراتيجية البعيدة المدى، للقضايا التي تعرض لواقعها بما يسهم في صياغة مستقبلها، على نحو أكثر فاعلية وتأثيراً، فقد جاء الخطاب متصلاً بجملة قضايا، يجب الوقوف عندها بشيء من التروي والموضوعية لاكتشاف مضامينها الإستراتيجية وأبعادها الحضارية والدعوية، على أن الفهم الصحيح للأمور، يقتضي منا استيعاب ووعي الدور العالمي، الذي اضطلع به الخطاب للدفاع عن الإسلام، وذلك من خلال عرض القائد في مطلع حديثه لموقع المسيح (عليه السلام) ووجوده المعجز، وطبيعة ما مثلها من مهمة تاريخية، مع إشارة بارزة إلى ضرورة التأريخ بهذه المعجزة، مضافاً إلى التاريخ بوفاة النبي محمد ﷺ الذي هو خاتم الأنبياء، ولا شك أن هذه الرؤية تضع حدث وفاة الرسول ﷺ الذي اقترن زماناً بحدث ميلاده، في موقعه اللائق به في سياق التاريخ الإنساني، فقد اختتمت النبوة، وانقطع الوحي، واستدار الزمان كهيئته، يوم خلق الله

هذه الرؤية تضع حدث وفاة الرسولﷺ الذي اقترن زماناً بحدث ميلاده، في موقعه اللائق به

* باحث / نيجيريا

السموات والأرض، وتلاشى اتصال الأرض بالسماء، بهذا الحدث التاريخي، حيث قال: «يجب علينا أن نؤرخ بهذين التاريخين جنباً إلى جنب، ميلاد عيسى لأنه معجزة، ووفاة محمدﷺ لأنه خاتم النبيين».

ومن منطلق الحرص على سعادة الإنسانية، نبه القائد إلى ضرورة تصحيح رؤية الغرب للإسلام والمسلمين، مبيناً خطأ المنهج والتاريخ الغربيين الذي يدعي الموضوعية والعلمية، مؤكداً أن الإسلام استوعب كل الأديان السابقة، موضحاً أن عالمية رسالة محمد ﷺ تؤكد استيعابها ونسخها لكل ما تقدم من الرسالات - منهجاً وشريعة - فقال : «للأسف إن التاريخ الذي نقرأه الآن مغلوط.. غير صحيح.. يعتقدون خطأ أن محمداًﷺ هو نبي العرب أو المسلمين فقط.. لا: إن محمداً ﷺ نبي للناس كافة، وهو ناسخ لكل الأديان التي قبله، ولو أن عيسى كان حياً عندما بُعث محمد ﷺ لأتبع محمداً ﷺ»، مبيناً في أسلوب يقوم على الحجة: أن دعوة الإسلام للناس كافة، وأن عليهم أن يكونوا مسلمين، لأن حكمة الله سبحانه وتعالى اقتضت أن يكون الإسلام آخر الرسالات السماوية.

ومن هنا فإن هذه الرؤية، تنطلق من أن مهمة الرسل من خلال عرض القرآن الكريم تمثل كلاً متكاملاً، بما يؤكد تراكم رسالات الله عبر الأمم:

﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [سورة فاطر،الآية:24]

فرسالة موسى عليه السلام ليست إلا مقدمة لرسالة عيسى عليه السلام، ونهايتها تعني انطلاقة لرسالة عيسى - عليه السلام - مصدقاً لما بين يديه من التوراة، ومتمماً لشريعتها، كما أنها بشارة بمقدم خاتم النبيين ﷺ الذي جاء مصدقاً لما بين يديه أي لما تقدمته من أديان، ومؤكداً لما تضمنته كتبها من حقائق وقواعد وسلوك، كما جاء مهيمنا على تلك الكتب، ومصححاً لما أصابها من تحريف، فقد احتوت رسالته، أصول العقيدة ومبادئ الشريعة، ومكارم

عراقي لا تدخل السعودية، أنت أردني لا تدخل سوريا.. المفروض أول ما تكون هويتك أنك أنت من قبيلة شمر، تتحرك بحرية في هذه الأقطار الأربعة، أينما تكون لأنك هذه أرضك.

نأتي إلى قبيلة أخرى، هي قبيلة الرشايدة، هذه موجودة في الجزيرة العربية.. موجودة في إرتيريا في القرن الإفريقي موجودة في السودان، لا تستطيع هذه القبيلة أن تتحرك بحرية في وطنها.

هذه أمثلة فقط لبعض القبائل في الصحراء الكبرى.

عندنا أخلاق ومبادئ

الذي نريد أن نفرضه، هو أننا نحن نتحرك في وطننا في الصحراء الكبرى بحرية تامة ونعيش في أمان واستقلال.. الذي نريده أن هذه القبائل تأخذ حريتها الكاملة في الصحراء الكبرى.

زمان كان مواطن الصحراء الكبرى يخرج من موريتانيا أو المغرب يذهب إلى مكة بدون جواز سفر، لكن يوجد إلتزام وواجبات علينا.. يجب أن نثبت للدول السياسية، التي قسمتنا أننا نحن عندنا أخلاق وعندنا إلتزام وعندنا مبادئ، نحن لا ندخل خفية من بلد إلى بلد.. بل نأتي علنا ونثبت وجودي أنني من هذه القبيلة من مواطني الصحراء فقط.

نثبت لهم أننا نحن لا نقوم بعمليات التهريب، لا نهرب البضائع، لا نهرب البشر، لا نهرب العملة، لا نتاجر في الممنوعات، لا نتاجر في السلاح، لا نتاجر في المخدرات، لا

الأخلاق، التي دعا إليها الرسل، حتى تبلغ غايتها بعد أن بلغت البشرية رشدها واستكملت رسالات الهداية مسيرتها.

ويعرض القائد إلى مسألة التهجم على النبي محمدﷺ واستنكار المسلمين لهذا الموقف، إلا أنه من أجل التصدي لما يطرحه الفكر الغربي المتزمت بسبب خطأ المنهج الذي يقوم عليه ذلك الفكر، وهي المسألة التي يجب التعامل معها بمصداقية ووضوح، لإزالة الجهل والغموض اللذين يكتنفان رؤية الإنسان في المجتمعات الغربية للإسلام والمسلمين، ومن ثم النظر بموضوعية لموقع النبي ﷺ من هذه الديانة، باعتباره متمماً لرسالة عيسى ومن هنا فـ«إن الذي قدح في محمد ﷺ قدح في نبيه هو ذاته، لأن محمداً ﷺ نبي البشر الذين في اسكندنافيا، والذين في أوروبا وأمريكا».

ولإلزام الطرف الآخر بالحجة ينطلق القائد في الدفاع عن النبي ﷺ من حرية التعبير عن الرأي التي يتشبثون بها، فيقول لهم: «إذا كنا ندعي حرية التعبير فنتوقع أن تظهر صورة عيسى وفوق رأسه قنبلة ذرية، وهم رسموا محمداً ﷺ وعلى رأسه قنبلة يدوية،طبعاً محمد ﷺ بريء من القنبلة اليدوية، ولكن المقصود أن أتباع محمدﷺ يستعملون هذه القنبلة، فكذلك عيسى -عليه السلام ـ بريء من القنبلة الذرية، ولكن أتباع عيسى هم الذين صنعوا القنبلة الذرية..»، وهنا نجد أن عرض الحجج يعبّر عن أسلوب حضاري في الرد على الخصم من واقع الأدلة التي يحاجج بها، فهو يسردها ليدحضها، ولذلك يسترسل في المزيد من المقارنة بين عيسى ـ عليه السلام ـ والنبي ﷺ من واقع ممارسات أتباعهما في موازنة بين التعاليم وبين التطبيق القائم اليوم لتلك التعاليم، وذلك للوصول إلى ما تّولده المقارنة من استنتاج عقلي، يدلل بوضوح على زيف الإدعاءات الغربية من جهة، ومن جهة أخرى ضرورة تصحيح هذه الرؤية الغربية الخاطئة.

وحيث إن القائد خبير في دراسات الكتاب المقدس وعلم اللاهوت، فإنه يجود على الواقفين على خطابه بإسعافهم بالقضايا العقدية التي تكتنف ما يُسمى بـ«العهد القديم والعهد الجديد» لأن هذين العهدين منسوخان مزوران وكتبا باليد بعد عيسى بمئات السنين، منبهاً إلى أن العهدين يحتويان كلاماً لا يليق بعيسى ولا بموسى ـ عليهما السلام ـ .

وهذا الرد من منظور أخلاقي ينطلق مما ورد في هذين العهدين من تقريرات تسيء لعيسى نفسه ويستعصي حتى على علماء اللاهوت إنكارها.

العهدان (القديم والجديد) يحتويان كلاماً لا يليق بعيسى ولا بموسى عليهما السلام.

ومن هنا يكشف سياق المقارنة بين القرآن الكريم والكتاب المقدس في موضوع المسيح، المفارقة بين ما يُنسب إليه وهو منه بري، مثل ندائه أمه بلفظ «يا إمرأة مالي ومالك..»! طبقاً للوارد في الإنجيل، وذلك في مناسبة عرس أقيم بمدينة (قانا) بالإضافة إلى ذمه وقدحه كبار السن من قومه بوصفه إياهم «أيها المنافقون الأشرار.. يا أبناء الزناة.. يا أبناء الأفاعي..» وهذه من السلوكيات التي تتنافى مع ما يُوصف به من وداعة وتسامح في القرآن الكريم، وما يُوصف به من أنه كان بأمه باراً:

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [سورة مريم، الآية: 32]

ومن هذا المدخل يلج القائد معمر القذافي ليثبت المكانة المرموقة التي تحظى بها شخصية المسيح وموسى ـ عليهما السلام ـ في القرآن الكريم، سارداً الإحصائية بالأرقام التي ورد فيها ذكر كل من موسى وعيسى ومريم العذراء عليهم السلام، وتتجسد مكانة المسيح بالذات بوروده خمساً وعشرين مرة مقابل خمس مرات ورد فيها إسم محمدﷺ في القرآن الكريم.

موضحاً بالقول: «موسى لعلمهم مذكور في القرآن 136 مرة.. لماذا نحن لم نشطب على هذا.. لأن هذا كلام الله، ولا نستطيع شطبه.. مريم مذكورة في القرآن 33 مرة، لماذا لم نشطبه، وعيسى مذكور 25 مرة في القرآن.. والقرآن يذكر مريم (عليها السلام) وعيسى وموسى، وهذا تمجيد واعتراف بنبوتهم وتقديس لهم وسلام عليهم».

ومن هنا تأتي هذه اللفتات القوية لينير بها القذافي الفكر الإنساني وخاصة الغربي، لرؤية القرآن لموسى والمسيح وأمه، بما يشكله هذا الأسلوب من عوامل استقطاب فعالة، إذ تتسم بجاذبية أخاذة من شأنها أن تقدم للآخرين مؤشرات هادية تقود خطاهم إلى الطريق المستقيم، إلى الإيمان الصحيح.

وعلى هذا النمط المتكامل يسير القائد على امتدادات القرآن الكريم والكتاب المقدس بعهديه، مقدماً إلى جانب السرد والوصف مقارنات تجعلنا نقف على معطيات وحقائق تكشف بجلاء مضامين الخطاب والتي يميزها عمق الرؤية وصدق التوجه.

ومن هنا تتجلى أهمية القراءة الشمولية لهذا الخطاب بما يُسهم في فهمه الفهم الصحيح، لاستيعاب ووعي الدور العالمي الذي يضطلع به الأخ القائد للدفاع عن الإسلام، وهي مطالب ملحة من أجل دعم التوجه الحضاري في هذه المرحلة من تاريخ الدعوة، وذلك وفق الثوابت، من خلال رؤية وطرح حضاري يساهم في التعرف أكثر على مكامن النجاح، ومداخل هداية الناس، والارتقاء بخطابنا الإسلامي لمستوى هموم الأمة وتطلعات الغيورين من أبنائها على شرفها وكرامتها، وحتى نتعرف على مزالق الإخفاق التي سقط فيها المتقدمون بقصد أو بغير قصد، بما يمكننا من استئناف مسيرة العطاء الفكري والمنهجي.

نحمل السلاح داخل الصحراء الكبرى إلا ضد الأجنبي، الذي يريد أن يحتل الصحراء الكبرى.. الهدف الذي يمكن أن نحققه، هو أن نعيش بحرية في الصحراء الكبرى، نتحرك بحرية في الصحراء الكبرى، نحس أن الصحراء الكبرى عادت لنا، وأن وحدتنا عادت، وأننا عرفنا أصلنا من جديد.. هذا سيحقق حياة جيدة لسكان الصحراء، لأنهم يعيشون في المكان الذي يرتضونه ويتحركون في المكان الذي يريدونه.

هذا إن شاء الله سيتحقق، سنفرضه، لكنه لا يتحقق فورا وبسرعة.. هذه الأشياء التي سنفرضها لأنها تهمنا ومن مصلحتنا ومتعلقة بحياتنا.. لكن إن شاء الله سوف تتحقق، جزء منها يتوقف علينا نحن، وجزء منها يتوقف على الدول التى الآن هى مقسمة للصحراء.. نحن لا بد أن نثبت لهم أننا نستحق هذه الحرية.. أننا لسنا لصوصاً، ولسنا قطاع طرق، ولسنا مهربين، ولسنا متسللين، ولسنا مقوضين لاستقرار هذه الدول.. هذا سلوك لا بد أن نتحلى به حتى تطمئن هذه الدول، ولا تعود للخوف من حركتنا ولا تخاف من حريتنا.

عندما نثبت لهذه الدول هذا الأمر يجب عليها أن لا تقف في طريقنا، ولدينا شرط على هذه الدول، أن لا تستخدم صلاحياتها لتمكين الإستعمار والأجنبي من أن يضع أقدامه في الصحراء الكبرى، ودول الإستعمار يجب أن تفهم أنها لا تستطيع أن تضع قاعدة أو رِجلاً لها في الصحراء الكبرى بدون موافقتنا.

منطلقات لتعزيز حضور الأمة وتأكيد مكانتها

الحاج موسى فال *

يأتي خطاب القائد معمر القذافي، الذي تحدث فيه لجماهير الأمة، من مدينة تمبكتو الإسلامية بجمهورية مالي، في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، الموافق لـ 10 من شهر الطير (أبريل) 2006 مسيحي، بمناسبة ذكرى مولد الرسول ﷺ، ليؤكد مرة أخرى عمق رؤية القائد، لقضايا المسلمين.

حيث تناول بحضور عدد من قادة العالم الإسلامي، ورؤساء المنظمات والمؤسسات الإسلامية من مختلف دول العالم، بالإضافة إلى شيوخ وزعماء قبائل الصحراء الكبرى، في معرض حديثه الهام عددا من القضايا المعاصرة التي تشغل اهتمام العالم الإسلامي، ليهز ضمائر المسلمين، كما دفع الأوساط الغربية إلى الشعور بضرورة إعادة النظر في أمور كانت تحسبها من المسلمات.

ولعل مما يزيد من أهمية هذا الحدث التاريخي، أنه يأتي في ظروف دولية صعبة، بدءا بما نشاهده اليوم من حرب على العراق، واحتلال لفلسطين، ومن أحداث وحروب مروعة، واغتيالات وهتك لحقوق الإنسان، ومحاولات إهانة شخص الرسول الكريم ﷺ، بواسطة رسوم ساخرة، ومن تفجير للمؤسسات والمرافق العامة، وتشريد الملايين من النساء والأطفال.

ومن هنا فإن الرؤية الموضوعية لهذا الخطاب، تفرض على المتابع النظر لمضامينه بشمولية وهو منطلق لا بد منه للوقوف على دلالاته واستخلاص النتائج بما تشكله من رؤية منهجية متكاملة لقضايانا المعاصرة.

ومن هذه المضامين:

1ـ تعريف الخطاب: وهو كما يعرفه بعض المفكرين والفلاسفة هو «السياق الذي تتطور من خلاله مواقف سياسية وثقافية ودينية»، حيث يقول العالم (بينيفيت) معرفاً الخطاب بأنه: هو الظاهرة اللغوية المتجسدة في الاتصال الحي المباشر، فالممارسة الخطابية هي مجموعة من قواعد لغوية وتاريخية محددة بالزمن والمكان، والوضع الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي والجغرافي للمستهدفين من الخطاب.

وقد حدد المفكرون ونقاد الخطاب ـ تحت مصطلح

* باحث / السنغال

الاستراتيجية الخطابية - عدة شروط لنجاح أي خطاب، وهي تتلخص في:

أ - الموقف: أي الوضع الذي يلقي فيه المتحدث خطابه من حيث ظروف الزمان والمكان، ووضعية المخاطب بالنسبة للمتلقين، والظروف التي استدعت هذا الخطاب...).

ب - معرفة الشرائح المتلقية للخطاب، ومن ثم تحديد نوع الخطاب المتوجب إلقاؤه.

ج - الهدف من وراء إلقاء الخطاب.

د - الخطة الخطابية: وفيها يتم تنظيم الأفكار والجمل، بحيث تكون في تسلسل وتوافق منطقي يصب في مصلحة الهدف المنشود من وراء الخطاب، فمثلاً تنوير الشعوب والجماهير بمخاطر حالة معينة، التي قد تترتب عليها عواقب وخيمة عليهم.

ويأتي خطاب معمر القذافي، ليكشف زيف المزاعم الغربية المغلفة بشعارات جذابة، مثل: التباكي على حقوق الإنسان، فما يعيشه العالم اليوم من جريمة منظمة تجاه الإنسانية، بدءا من التجهيل المتعمد، وصولا إلى ما نشاهد اليوم من مآسي.

مقدماً الدليل على خطأ مناهج الغرب، مبيناً أنه السبب في الرؤية الخاطئة للإسلام والمسلمين، مؤكداً على ضرورة تصحيح تلك المناهج، من أجل بناء علاقات تقوم على الاحترام والتعاون.

ولعل أكثر ما يشد الانتباه في هذا الخطاب المهم، أنه يأتي في ظروف صعبة يمر بها العالم الإسلامي، وهي نقطة لا بد أن تحسب للقذافي، ففي الوقت الذي يموت أبناء الأمة مادياً من الجوع والفقر، ومعنوياً من الجهل والأمية، نجد القائد يعيد لهذه الأمة روح المبادرة، من خلال هذا الطرح المتميز، منتقلاً بالإنسان المسلم من خانة الانفعال إلى موقع الفعل والتأثير.

فبعد أن تعود البعض على حياة التقليد، باعتبار أن

ونحن لايمكن أن نوافق على وجود الإستعمار في الصحراء الكبرى.

ميثاقنا يرتبط بيوم مقدس

إذن حتى دول الإستعمار، لو كانت الحكومات توافق معها، وتسهل لها دخول الصحراء، تعرف أن سكان الصحراء هم الذين يستطيعون أن يقرروا كل شيء.

إذن الهدف أصبح واضحاً وكُتب في الميثاق وسنلتزم بهذا الميثاق.. لأنه صدر في يوم مقدس.. يوم الإثنين الثاني عشر من الربيع الأول يوم ميلاد ووفاة النبي محمد ﷺ.. هذا الميثاق مربوط بهذا اليوم المقدس، وبالتالي هذا الميثاق سيكون مقدساً.

ويجب على الدول التي تقع في الصحراء أن تفهم هذا الميثاق.. أوروبا ستسمع وتقرأ هذا الميثاق.. أمريكا ستقرأ هذا الميثاق.. الصين ستقرأ هذا الميثاق.. كل العالم سيعرف هذا الميثاق.. وهذا حقنا الطبيعي في الصحراء الكبرى، لأن هذه صحراؤنا.. هذه أرضنا.. هذا بيتنا.. وهي صحراؤنا نعيش فيها ونموت فيها وليست لأحد غيرنا. يجب أن نعيش فيها بحرية.. ونحن ناس ملتزمون وعندنا أخلاق ونحترم الحرية.. ولايمكن أن نستخدم حريتنا في العبث.. لا نريد في هذه الصحراء أي مشكلة.. وأي مشكل نحله بأنفسنا.

الدول نطمئنها ونقول لهم اطمئنوا لا تتعبوا أنفسكم، لا تعملوا شرطة، لا تعملوا جيشا لا تعملوا أي إجراءات، نحن سنقوم بكل شيء بأنفسنا، نحن لن نعمل تمرداً، لن نعمل تهريبا، لا تسلل، هذا يتعلق بحياتنا المعنوية



كل شيء يستورد من الغرب، بدءا من نظمنا وأفكارنا، وحتى أموالنا تدار في الغرب، بمعنى أن قرارنا ينتهي إلى الغرب، حتى أن أكثر حكامنا وجل علمائنا يلزمون الصمت والسكوت أمام جبروت الغرب، رغم كوننا نردد دائما قول الرسول ﷺ: (الساكت عن الحق شيطان أخرس). ففي هذه الظروف الصعبة جاء خطاب القائد بجرأته المعروفة وشجاعته المعهودة ليرد بأسلوب حضاري، على الغرب الذي يحاول الاستعلاء على الأمم والشعوب، مروجاً لمبدأ التفوق العنصري والحضاري على الآخرين.

ومن هنا فإن التاريخ ليشهد للقائد هذه الجرأة، في وقت نجد فيه أن أكثر الزعماء المسلمين لم يعودونا إلا الحديث عن السياسة والاقتصاد، حيث إنهم لا يحدثوننا عن الدين وعن ضرورة الدفاع عن مبادئه. يضاف لذلك اختيار القائد معمر القذافي للزمان والمكان المحددين الأساسيين لنجاح الخطاب، وهو ما يعزز هذه الرؤية الواضحة ويزيد من أهمية هذا الحدث، فتمبكتو بما تشكله من أبعاد اجتماعية وثقافية وتاريخية، وذكرى مولد الرسول ﷺ، لا بد أن يجعلنا أمام رسالة واضحة وقوية، بقدر ما هو لفتة حضارية لاستنهاض همم أبناء الأمة من جهة، ومن جهة أخرى تذكير العالم بعطاء الحضارة الإسلامية.

لماذا تمبكتو، يقول القائد في خطابه المهم إلى الأمة: «تحد جديد ينطلق في اليوم العظيم من تمبكتو، العالم اليوم يعيد النظر في معطيات مسلم بها بعد يوم تمبكتو، موضحاً أن الإسلام قدر البشرية، لأنه الدين الذي اختاره الله سبحانه وتعالى للبشرية، مبيناً أن هذه الكلمة هي كلمة الله وإرادته.

ولأن الناس عرفوا دور الحواضر والمدن الإسلامية في نشر الإسلام، اختيرت مدينة تمبكتو، للإعلان عن هذا التحدي والزلزال الجديد الذي يسمعه العالم من هذه الحاضرة بالذات، من تمبكتو دون سائر الحواضر الإسلامية الأخرى، لأنه يريد أن يذكر بتاريخ هذه الحاضرة الضاربة في أعماق الصحراء الكبرى، التي قيل عنها (مدينة إسلامية لم يسجد فيها لغير الله).

كما اختير المولد النبوي الشريف لأنه في مثل هذا

> **ضرورة تشكيل لجنة لمراجعة مناهجهم التي تبعث في نفوس أبناء الغرب الكراهية والبغض ضد الإسلام والمسلمين.**

اليوم ولد الرسول ﷺ وتوفي فيه، وانقطع الوحي وختمت النبوة.

يقول معمر القذافي معللاً سبب اختيار هذا اليوم لإلقاء خطابه التاريخي: «فهذا اليوم يوم تاريخي عظيم في تاريخ البشرية لأن فيه مولد الرسول ﷺ، وكذلك توفي في يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، وفي ذلك إشارة للمسلمين والعالم، إلى علاقة ذلك بالاختيار الرباني وهذه بحد ذاتها إحدى الكرامات التي أرادها لرسوله الكريم ﷺ، ولا يتسع لنا المقام لتحليل وتفصيل جميع النقاط التي تناولها القائد في خطابه بل نجمل ونقول، بأنه تحدث عن عالمية نبوة محمد ﷺ وضرورة إتباعه من قبل اليهود والنصارى والبشرية كافة، كما أشار إلى حتمية الدفاع عن موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام لأنهم جميعاً أنبياء الله، وإن كان الأولان أرسلا إلى أقوام معينة وفي زمان محدد، فإن محمداً ﷺ قد بعث إلى الناس كافة، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كما دعا القائد في معرض حديثه الغرب إلى أرضية مشتركة تتصافح فيها الأمم والشعوب والثقافات والحضارات، بدون أن تستعلي إحداها على الأخرى، وذلك في حوار إنساني وحضاري، بخلاف ما يدعو إليه هنتغتون: حتمية صراع الحضارات.

ورغم هذا الموقف السلمي الحضاري، فإن القائد لا يقبل أن تداس بالأقدام كرامة المسلمين وعزتهم، لذلك يدعو بإصرار إلى ضرورة تشكيل لجنة إسلامية أمريكية لمراجعة مناهجهم التي تبعث في نفوس أبناء

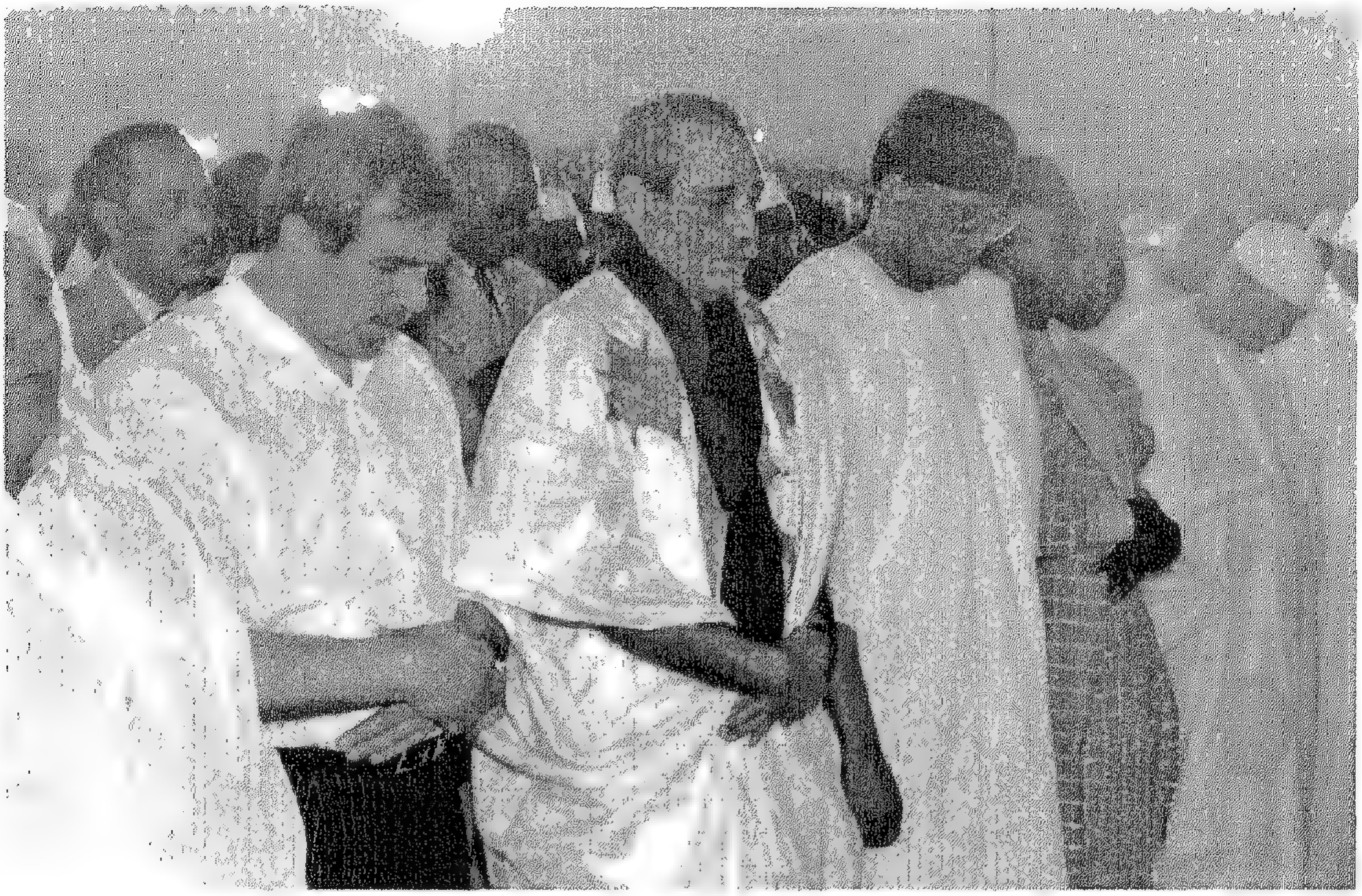
والمادية، حياتنا المادية ستتحسن ونستفيد، وأهم شيء حياتنا المعنوية نحن سُكَان الصحراء (بطوننا ليست كبيرة) لا نحتاج كالآخرين لحياة برجوازية ولترف ولبذخ، أغلى شيء عندنا: الحرية والكرامة.

هذا الكلام التاريخي لا نقوله وننساه. من الليلة سنتابع كل كلمة قلناها وكل كلمة كتبناها في هذا الميثاق، وسوف يشهد العالم على أننا كنا جادين، وأننا أمة جديرة بأن تحيا بحرية في الصحراء الكبرى.

علاقاتنا الإجتماعية هي الرابط الأساسي بيننا وهي أقوى من الروابط السياسية والإدارية التي تربط الآخرين، حتى لو نتفرق من الآن كل واحد يرجع لمكانه لكن عملنا رابطة، عملنا ميثاقا أعلنا عن تشكيل قيادة شعبية إجتماعية، أعلنا عن تشكيل رابطة لقبائل الصحراء الكبرى.

سنعمل كل الترتيبات لكي ننفذ ذلك، وإذن إن شاء الله، أنا سأتابع كل قبيلة منكم، ولا سمح الله لو قبيلة من قبائل الصحراء الكبرى، تخالف هذا الميثاق سنبلغ كل قبائل الصحراء الكبرى، نقول إن القبيلة الفلانية أساءت لكم وعملت لوحدها.

سندافع عن بعضنا، سنحمي بعضنا، سنقدم المساعدة لبعضنا.



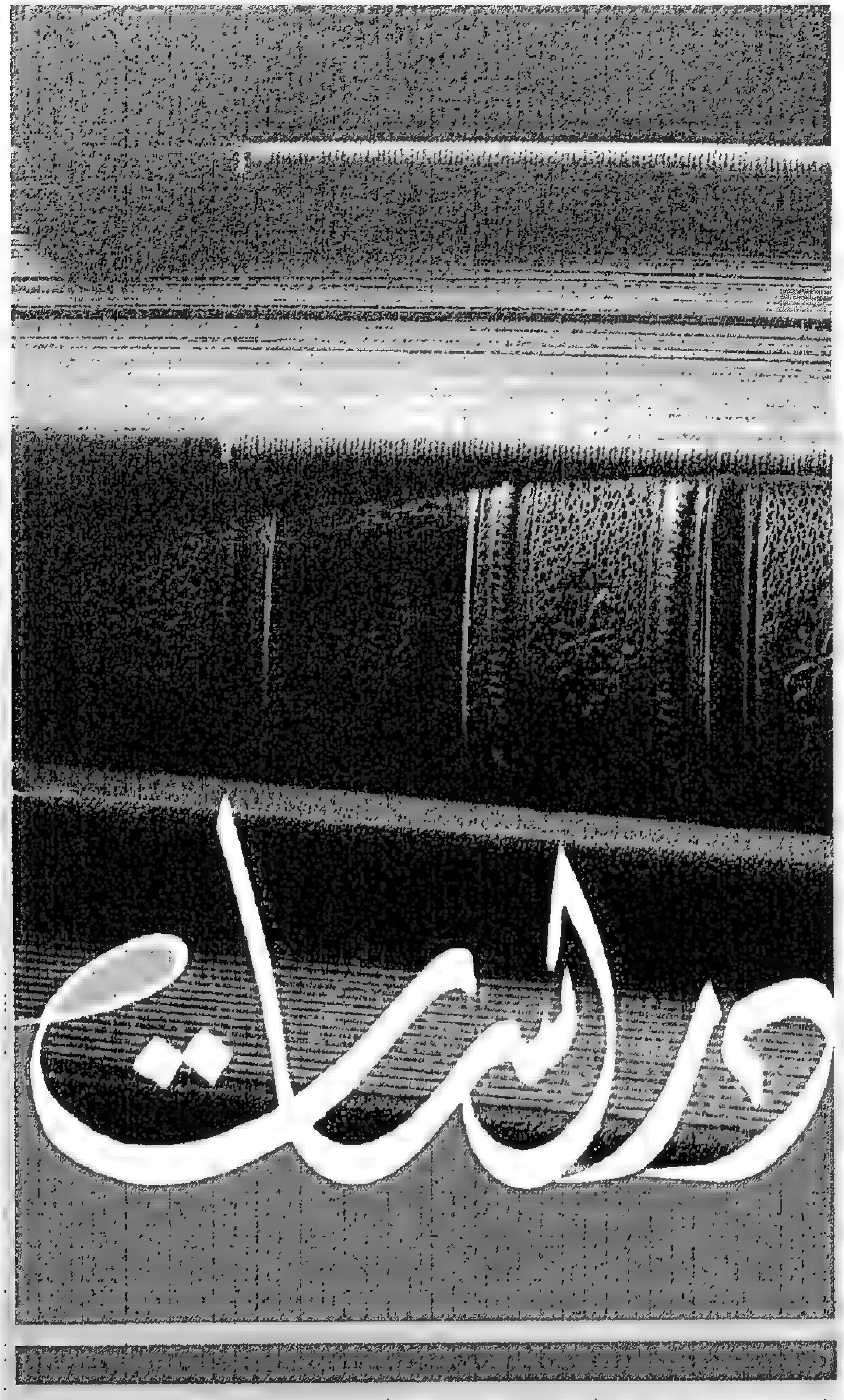
الغرب الكراهية والبغض ضد الإسلام والمسلمين، وتحجب عن الشعوب الغربية نور الحقيقة، وذلك في إطار المعاملة بالمثل، حيث إنهم عملوا على تشكيل لجان أمريكية إسلامية لمراجعة المناهج في بعض الدول الإسلامية.

ومن أهم ما تناول القائد في خطابه قضية تزوير الأناجيل المعمول بها حاليا، مشيرا إلى الأناجيل التي حذفت، محدداً إنجيل برنابا، مشددا على ضرورة إظهاره على وجه المعمورة، لنرى ما ذا قال هذا الكتاب عن الرسول ﷺ.

منطلقات لا بد منها

ولعلنا نخلص هنا إلى نتيجة منهجية، وهي ضرورة فهم المعاني والوقوف على دلالات كل خطاب نريد تحليله، حتى نتمكن من إدراك ما جاء فيه، وهذا شرط أساسي للوقوف على الحقيقة، حيث إن عناصر الموضوع ترتبط ببعضها البعض إرتباطا وثيقا، فهو يقدم القضايا وفق رؤية شاملة ترتبط عناصرها، وعليه لا يمكن تجزئة بعضها عن بعض، و بدونها جميعا يصعب فهم وإدراك ما يرمي إليه صاحب الخطاب، يضاف لذلك أن تجنب منهجية الشمولية والتكاملية في أي عملية تحليل أو دراسة، يعتبر إخلالاً بالموضوعية والعلمية، ونقصا في السلوك العلمي، وإخلالاً بالآداب الإسلامية، وهروباً إلى الأمام عند خوض نقاش علمي بناء، ولعل ذلك ما ذهب إليه النقاد والمفكرون حينما يقولون: إن معنى الكلمات والمصطلحات ينبغي أن يفهم بحسب موضعها، وبحسب قائلها أو كاتبها وظروفه.

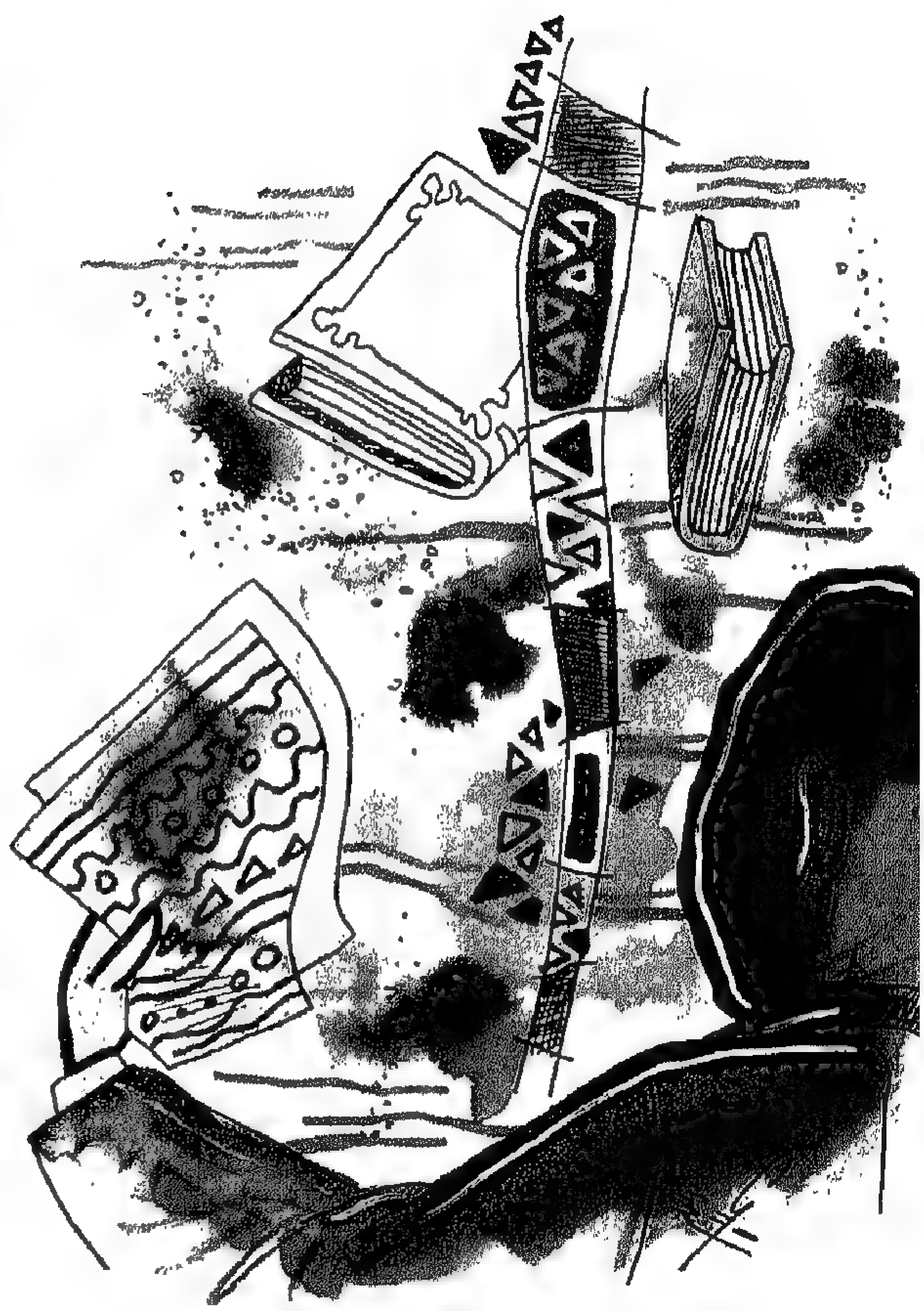
ومن هذه النقطة نقول إن خطاب تمبكتو يؤكد من جديد كون معمر القذافي رجلاً قيادياً من الطراز الأول، فهو يقوم دائماً بتشخيص الواقع العربي والإسلامي، والمشكلات التي يعاني منها المسلمون، لطرح حلول ناجعة برؤية استراتيجية واضحة المعالم.



* أركون والقرآن
* حقوق الأقليات وواجباتها في المجتمع الإسلامي

أركون والقرآن

الدكتور محمد إسحاق الكنتي*



في دراساته العديدة حول الفكر الإسلامي، وحول القرآن بشكل خاص، لا يترك (محمد أركون) فرصة تمر دون أن يلح على أنه يعتمد على ما يسميه «مكتسبات العلوم الإنسانية»[1] وأنه افتتح حقلاً معرفياً جديداً يسميه «الإسلاميات التطبيقية»[2]. ظل (أركون) يكتب باللغة الفرنسية، وللقراء الفرنسيين تحديداً، ليقدم لهم تصوراً للإسلام مبنياً بمناهج العلوم الإنسانية الرائجة في الجامعات الفرنسية. وبذلك ظلت أفكار (أركون) بعيدة عن الساحة الفكرية العربية... لكن مع قيام الثورة الإسلامية في إيران، وتنامي ما اصطلح على تسميته بالصحوة الإسلامية في البلدان العربية، وفي الجزائر خصوصاً، قرر (أركون) توسيع مجال نشاطه إلى الثقافة العربية، فظهرت في الثمانينات ترجمات لبعض مؤلفاته، ثم ما لبث أن اتخذ له مترجماً رسمياً ،ينقل أفكاره من أصلها الفرنسي إلى العربية.

تمتاز أعمال (أركون) عن غيرها من المشاريع الفكرية، التي تناولت التراث العربي الإسلامي، بأنها تتناول هذا التراث بمنهجية، تمثل قطيعة مع المسار

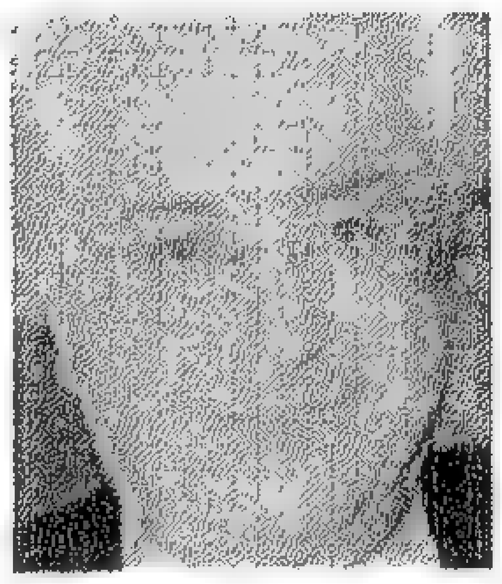
*باحث وأستاذ جامعي عراقي/ ليبيا

1ـ أركون: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط 1 ـ 1999، ص: 143.
2ـ المرجع نفسه، ص: 156.

التاريخي الذي سار فيه الفكر العربي الإسلامي. فإذا كانت بعض المشاريع تقترح تأويلاً ماركسياً (حسين مروة، طيب تيزيني) [3]، وأخرى تحاول دراسة بنيوية (الجابري) [4] تبحث في آليات ذلك التراث، فإن (أركون) يصب جهوده على إقصاء التراث العربي الإسلامي، عن مجال الفعل في الحاضر.

بمعنى أن التأويل الماركسي، والمحاولة البنيوية يهدفان، كل من منطلقاته، إلى إعادة تفعيل التراث العربي الإسلامي في حاضر الأمة.

لكن (أركون) يجتهد في تبيان أن التراث العربي الإسلامي قد تم تجاوزه، ومن ثم فإن أعمال (أركون) تحاول إقناع المسلمين، بشتى الطرق، بأن منفذهم الوحيد إلى الحداثة ـ كما يراها ـ هو الخروج من «السياج الدوغمائي»[5] الذي يقيمه حولهم التراث العربي الإسلامي...



محمد أركون

يعتقد (أركون) أن أي محاولة لإحياء التراث تمثل سعيا عكس اتجاه التاريخ. فقد تم تجاوز المرحلة التاريخية، التي كان يمكن للتراث الإسلامي فيها أن يكون فاعلاً اجتماعياً، بمعنى أن التراث العربي الإسلامي (بما في ذلك القرآن) نتاج بنيات اجتماعية [6] لم تعد قائمة منذ عصور، وهو بالتالي لا يستطيع أن يؤثر بشكل إيجابي إلا في تلك البنيات والبيئات التي أنتجته، وحين يراد تفعيله في بنيات اجتماعية مغايرة تماماً، فإن دوره سيكون سلبياً حتماً. [7]

يجتهد (أركون) إذن في أن يحرر المسلمين من «وهم» حافظت على جذوته تصورات أسطورية غذتها رؤى فكرية (أيديولوجية) أفادت من غياب النقد العلمي للتراث الإسلامي، فشادت خطاباً تبجيليا حول التراث الإسلامي، جعله في منأى عن أي نقد، وأخرجه بذلك من سياقه التاريخي[8]. وسيتكفل (أركون) بإعادة ذلك التراث إلى سياقه التاريخي، من خلال قراءة نقدية لنصه المؤسس (القرآن)...

القرآن: الصلة بين الخطاب والنص

يقيم (أركون) تعارضا يعده جوهرياً، بين ما يسميه «الخطاب القرآني» و «النص القرآني». يستند هذا التعارض - في رأيه - إلى أن الخطاب الشفوي حين يصبح نصاً مكتوباً، يفقد الكثير من حيثياته، مما يؤثر بشكل كبير على المعنى الذي لا يمكنه أن يتطابق في حالة الخطاب الشفوي، وحالة النص المكتوب.

يقدم (أركون) تعريفا للقرآن لا يختلف عما نجده في المدونات الإسلامية التقليدية (الكلاسيكية) «... معنى كلمة قرآن، التي هي في اللغة العربية مصدر للفعل قرأ، وفي القرآن نفسه نجد أن جذر المادة قرأ يدل بالأحرى على معنى التلاوة، وذلك لأنه لا يفترض مسبقاً وجود نص مكتوب أثناء التلفظ به للمرة الأولى من قبل محمدﷺ... فالفكرة الأساسية تكمن في التلاوة المطابقة للخطاب المسموع، لا المقروء»[9]

لا خلاف بين المسلمين على أن القرآن خطاب شفوي كان النبي ﷺ يتلوه على أصحابه، لكنهم لم

3ـ مروة، حسين: النزعات المادية في الفلسفة الإسلامية، دار الفارابي، بيروت.

4ـ تيزيني، طيب: مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط، دار دمشق، سوريا.

5ـ الجابري، محمد عابد: نقد العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

6ـ يقول أركون: «... ما الذي أقصده بالسياج الدوغمائي المغلق ؟ أقصد مجمل العقائد الدينية والتصورات، والمسلمات، والموضوعات التي تتيح لنظام من العقائد واللاعقائد، أن يشتغل بمنأى عن كل تدخل نقدي، سواء من الداخل أو من الخارج » الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ص: 65 ـ 66.

7 يرى أركون ،أن «الضرورة العلمية» تدعو إلى «... النظر إلى المجتمعات أولاً، لا إلى الدين الذي أنتجه المجتمع، أكثر مما أنتج هو نفسه المجتمع» أنظر: أركون: نافذة على الإسلام، ترجمة صباح الجهيم، دار عطية، بيروت ط2 ـ 19878ـ ص: 171.

8ـ أركون: الفكر الأصولي، ص: 56 ـ 75.

9ـ أركون: الفكر الإسلامي (نقد واجتهاد)، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط2 ـ 1998، ص: 77.

يستنتجوا من ذلك أن كون القرآن في الأصل خطاباً شفوياً، يحتم اختلافه عن القرآن المدون في المصحف.

ذلك أن عملية التدوين، كانت تتم بشكل فوري مما منع تعدد الروايات، ولكون القرآن ذاته - في اعتقاد المسلمين - معجزة لا يمكن أن يلتبس بغيره من الخطابات. فلم تكن هناك إمكانية لإنتاج خطاب مطابق له، لذلك ظل فريداً في صيغته الخطابية والكتابية.

لكن هذا الإيمان الذي درج عليه المسلمون لم يمنع (أركون) من إثارة إشكاله حول اختلاف مزعوم بين الخطاب القرآني والنص القرآني. في هذا الاتجاه يقدم (أركون) تعريفا للخطاب القرآني يجعله يسير حتما في اتجاه الاختلاف مع النص.. «وعندما نقول الخطاب القرآني، نقصد العبارات الشفهية التي تلفظ بها النبيﷺ ضمن حالات الخطاب وحيثياته التي لم تنقل كلها بحذافيرها وبأمانة (أسباب النزول)» [10].

تقوم أولى حالات الاختلاف بين الخطاب القرآني والنص القرآني - حسب (أركون) - في أن عملية النقل من الشفهي إلى الكتابي، أدت إلى غياب بعض العناصر المصاحبة لبنية الخطاب، وهي عناصر لم تنقل «بحذافيرها وبأمانة» وهو ما يشير إلى أنه ربما كان هناك فعل قصدي، عمل على تغييب تلك العناصر... يذكر (أركون) من هذه الحالات أسباب النزول، وقد ألف المسلمون كتبا عديدة فيها[11]، ولا يخلو كتاب تفسير من ذكرها ! ومن الطريف أن السيد (أركون) يجد اتفاقاً بين الخطاب القرآني، والنص القرآني في عملية الحذف هذه. فالخطاب القرآني يمارس حذفا هو الآخر لبعض الوقائع والتحديدات كما يقول (أركون): «سوف نسجل هنا إحدى السمات الحاسمة للبلورة البلاغية والمعنوية للخطاب. نلاحظ أن التحديدات الزمنية، والمكانية، والوقائعية - الأحداثية، وأسماء الأشخاص، كلها تحاشاها الخطاب القرآني بشكل منظم، وعلى طول الخط، فجماعات المتنافسين أو المتحاربين، حولت إلى أبطال لدراما روحية»[12].

لعل القارئ للقرآن الكريم يستغرب مثل هذا القول، إذ يحفل القرآن بالتحديدات المكانية (مكة - يثرب - تحت الشجرة - مصر - حنين - بدر...) [13] والزمانية (ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً - بضع سنين، سبع ليال وثمانية أيام - الفجر - الظهيرة - العشاء - أربعة أشهر وعشراً...) [14].

أما التحديدات الوقائعية - الأحداثية، ففي قصص القرآن خير دليل عليها، وقد ساقها القرآن للعبرة والإعجاز (قصة يوسف - أهل الكهف - قوم نوح - عاد وثمود - موسى وفرعون...) [15]، بل إن الوقائع التي حدثت أثناء نزول الوحي تسجل بتفاصيلها (المجادلة - اللعان - أخبار المنافقين...) [16] وقد ذكرت الأسماء في القرآن بإسهاب كبير، خاصة في قصص القرآن، ومن مجتمع الجزيرة أيام النبي ﷺ (محمد - زيد - مريم - قارون - هامان...) [17].

---

10 - المرجع نفسه، ص: 98.

11 - كتب فيها علي بن المديني ،شيخ البخاري من المتقدمين، كما كتب الواحدي كتابا سماه «أسباب النزول» طبع في مصر عام 1315هـ. وللسيوطي «لباب النقول في أسباب النزول » طبع بهامش تفسير الجلالين في بولاق 1280هـ. كما اهتم الأصوليون بأسباب النزول، حيث خصص لها الزركشي الفصل الأول من كتابه «البرهان في علوم القرآن»، وكذلك فعل أبو الوليد الباجي، في كتابه «إحكام الفصول في أحكام الأصول» حققه عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي ط2 - 1995.

12 - أركون: الفكر الأصولي، ص: 141.

13 - الفتح الآية 24 وورد لفظ بكة، آل عمران 96 - الأحزاب 13 - الفتح 18 - يونس 87، يوسف 21، يوسف 99، الزخرف 51 - التوبة 25 - آل عمران 123.

14 - الكهف 25 - يوسف 34، الروم 04 - الحاقة 7 - البقرة 187، الإسراء 78، النور 18 - الفجر 01 - القدر 05 - النور 58 - يوسف 16 - النور 58 - البقرة 234.

15 - وردت هذه الأخبار في أكثر من سورة، وأكثر من آية.

16 - المجادلة 10 - النور 6، 7، 8 - ترد أخبارهم كثيرة في القرآن ،خاصة في سورتي التوبة، والمنافقون.

17 - الأحزاب 40 - الفتح 29 - آل عمران 144 - الأحزاب 37 - ورد اسمها في أكثر من سورة، وأكثر من آية (مثال: البقرة 87 - آل عمران 36 - النساء 156 - المائدة 17 - التوبة 31 - مريم 16 - المؤمنون 50 - الأحزاب 07 - الزخرف 57 - الحديد ..27.) العنكبوت 39 - غافر 24 - القصص 6، 8، 38 - العنكبوت 31 - غافر 24، 36.

كل هذه التحديدات، وغيرها كثير، لم ير منها (أركون) شيئاً ليقول إن «جماعات المتحاربين حولت إلى أبطال لحكاية (دراما) روحية»!

فأين هي الحكاية (الدراما) الروحية في وصف القرآن لحصار الأحزاب للمدينة، وحالة الذعر التي انتابت بعض أهلها؟! وأين هي في وصفه لانتصار المسلمين في بدر، وهزيمتهم في أُحد؟! لقد كان الخطاب القرآني - في هذه الحالات وغيرها - يصف أحداثاً عينية واقعية عاشها الذين يتلى عليهم، ولم يكن يصور حكاية (دراما) روحية، وإنما يستثمر الأحداث الدنيوية جداً ليستخلص منها المؤمنون دروساً تفيدهم في دنياهم، ففي أحد يعاتبهم على عصيانهم أوامر النبي ﷺ، وتهافتهم على جمع الغنائم ولما يتم لهم النصر بشكل نهائي.

وفي حُنين يعلمهم عدم الاستخفاف بالعدو... كل هذه وقائع دنيوية أبعد ما تكون عن الحكاية (الدراما) الروحية.

هكذا، لا يجد (أركون) اتفاقاً بين الخطاب القرآني والنص القرآني إلا في حالات الحذف، وبذلك فإن الخطاب والنص، كليهما عرضة للطعن، فالأول يحذف أشياء مهمة بفعل صياغاته وبلورته البيانية، والثاني بفعل قصدي من أولئك الذين دونوه في ظروف يراها (أركون) غامضة.

وإذا كان السيد (أركون) يستطيع أن يحكم على نص القرآن، فيتهمه بالحذف، فكيف تسنى له ذلك في حالة الخطاب القرآني، وهي الحالة الشفهية الأولى للنص التي لم تصلنا ! ولا يستطيع السيد (أركون) أن يعتمد على النص لإصدار حكم على الخطاب لأن محاججته تقوم على الفصل بين الخطاب والنص، فصل يقوم على أن النص لا يطابق الخطاب، وإنما يختلف عنه ! هذا الاختلاف هو ما يلح عليه (أركون) محاولاً تتبع عملية تحول الخطاب القرآني إلى نص، وما رافق تلك العملية من حيثيات ساهمت في تمكين الاختلاف بين الخطاب والنص. فالقرآن «مجموعة من العبارات الشفهية في البداية. ولكنها دونت كتابة ضمن ظروف تاريخية لم توضح حتى الآن، أو لم يكشف عنها النقاب. ثم رفعت هذه المدونة إلى مستوى الكتاب المقدس، بواسطة العمل الجبار والمتواصل لأجيال من الفاعلين التاريخيين»[18].

القرآن معجزة لا يمكن أن يلتبس بغيره من الخطابات. فلم تكن هناك إمكانية لإنتاج خطاب مطابق له، لذلك ظل فريداً في صيغته الخطابية والكتابية.

يعود منطق التشكيك مرة أخرى، هناك عبارات شفهية نقلت إلى مدونة نصية، في ظروف غامضة مما يبرر التساؤل حول الصلة بين هذا النص - الذي تمت بلورته عبر التاريخ - وبين العبارات الشفهية التي تلفظ بها النبي ﷺ أول مرة. ما يريد (أركون) أن يقوله هو أن المدونة النصية تعود إلى «أجيال من الفاعلين التاريخيين» الذين رفعوها إلى مستوى «الكتاب المقدس»، بينما تعود العبارات الشفهية إلى النبي ﷺ. «مجمل هذه العبارات الشفهية سوف تسجل في ما بعد في كتاب بالمعنى الثقافي والعادي للكلمة هنا، وليس بالمعنى المتعالي للكتاب المقدس»[19].

بذلك نصل إلى الغاية من هذا الإلحاح على التفرقة بين الخطاب القرآني والنص القرآني. تتمثل هذه الغاية، في محاولة نزع القداسة عن المصحف بوصفه كتابا «بالمعنى الثقافي والعادي للكلمة».

ما دام المصحف في حقيقته «مجرد كتاب عادي، فإن «الأمة المفسرة»[20] تحاول أن ترفعه إلى مستوى الكتاب المقدس، عن طريق تقديمه على أنه يحوي نفس العبارات الشفهية التي تلاها النبي ﷺ لأول مرة. هذه

18- أركون: الفكر الأصولي، ص: 41.

19- أركون: العلمنة والدين الإسلام المسيحية، الغرب، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط2 - 1993، ص: 46.

20- المرجع نفسه، ص: 57.

الدعوى هي التي ينبغي دحضها من خلال الإلحاح على أن الخطاب الشفهي حين يصبح نصاً مكتوباً يفقد الكثير من حيثياته المصاحبة لحالته الشفهية، بحيث لا يعود هوهو، في حالة المدونة النصية...

لقد تلفظ النبي ﷺ بتلك العبارات الشفهية لأول مرة ضمن حيثيات الخطاب، وضمن ظروف تاريخية واجتماعية، لا يمكن إعادة إنتاجها. ومن ثم فإن تلك العبارات الشفهية. لا يمكن «تقييدها» في نص مكتوب، وإنما النص المكتوب، مادة مختلفة تماما تنسب إلى مدونها، الذي يدعي أنها تؤيد تلك العبارات الشفهية. وما يوسع الشقة بين الخطاب والنص، هو أن النص قد تبلور ضمن شروط غامضة ترقى عند (أركون) إلى حد التلاعب. «وعلى إثر هذه السلسلة المتتالية من الخلط والتشويش، فإن القيم الخاصة بأم الكتاب، وميزاته الأزلية التي لا تختزل، وكذلك قيم الخطاب القرآني الشفهي وميزاته، وقيم المدونة النصية الرسمية المغلقة، ثم مجموعات التفسير المعتاد (الكلاسيكي)، كل هذه القيم راحوا يسقطونها على المصحف، ويزعمون احتواءه عليها وهكذا أصبح المصحف مادة للتلاعب اللامحدود» [21].

المصحف إذن «مدونة نصية مغلقة» تمت بلورتها من خلال عمليات تلاعب لا محدود! وبذلك فهو ـ حسب (أركون) ـ نص وضعي ليس أهلاً للثقة، وليس حرياً أن يكون كلام الله. إنه وثيقة مشوشة اختلط فيها الحشو بالحذف، بحيث لم يعد من الممكن تحديد معالم النص الأصلي وفصله عن الزيادات.

يخلط (أركون) هنا بين مستويين، النص في ذاته، واستثمار النص. « فمنذ أن تم جمع القرآن في « مدونة رسمية مغلقة» لم يتغير النص إطلاقاً، ولم يتعرض لأي شكل من أشكال التلاعب. ولا يستطيع السيد (أركون) إقامة دليل واحد على عكس ذلك. لكن هذا النص المؤسس لعقيدة وحضارة في نفس الوقت كان لابد من أن يتم استثماره في اتجاهات مختلفة، بل ومتعارضة أحياناً كثيرة. فقد ضمت الأمة الإسلامية أجناساً مختلفة، واستوعبت حضارات غير متجانسة، فنجم عن ذلك مصالح متضاربة أراد أصحابها الحفاظ عليها، ولم يكن ذلك ممكناً إلا عن طريق اكتساب الشرعية لهذه المصالح من خلال تأويل نص القرآن بما يخدم تلك المصالح...

لكن التلاعب بمعنى النص يختلف عن التلاعب بالنص ذاته، فالمعنى صيرورة تاريخية ومفهوم ثقافي، بينما النص وثيقة منجزة. ومن ثم فإن اختلاف المعنى ضرورة مرتبطة بالمفهوم ذاته، بينما اختلاف النص يعني أن الوثيقة لم تعد هي هي. فاختلاف التفاسير، وإسقاطات المعنى ـ النفسية والاجتماعية ـ لا تغير في بنية النص شيئاً، بحيث نقول إنه تعرض للتلاعب. ما يفعله (أركون) قريب من «اختلاق» خلاف بين الخطاب القرآني والنص القرآني، لأن ذلك يخدم أغراضه، ويتغاضى عن الفرق بين معنى النص الذي يستخرجه مستثمرون مختلفو الأهداف والإمكانات، والنص ذاته.

ما يوسع الشقة بين الخطاب والنص، هو أن النص قد تبلور ضمن شروط غامضة ترقى عند أركون إلى حد التلاعب.

وإذا عدنا إلى محاججة (أركون) حول اختلاف الشفهي والكتابي في حالة القرآن نجد أنها ـ هي الأخرى ـ تقوم على خلط بين الاختلاف الذي تقيمه الألسنية بين مفهومي الخطاب والنص، وهو المرتكز الذي يستند إليه (أركون)، حين يقول «... ولا ريب في أن التمييز بين مفهومي الخطاب / والنص يتخذ أهمية أكبر على ضوء الألسنيات الحديثة »[22].

تقيم الألسنية هذا الاختلاف بين خطاب شفوي، أو تراث شفوي حين ينقل إلى لغة عالمة تفرض عليه

21 ـ أركون: الفكر الإسلامي (نقد واجتهاد)، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط2 ـ 8991، ص: 88.

22 ـ أركون: الفكر الإسلامي، ص: 77.

قواعد وتصورات لا تعود إلى مجاله. فحين ينقل الشعر العامي إلى لغة فصيحة، أو تكتب اللهجات الإفريقية بالحرف اللاتيني، فإننا سنكون أمام اختلاف كبير بين الخطاب الشفهي والنص المكتوب. ذلك أن كليهما يعود إلى مستوى معرفي مختلف، وينتمي إلى بنية ثقافية خاصة. فالشعر العامي له قواعده وجمالياته الخاصة التي تختلف عن قواعد وجماليات الشعر الفصيح. وحين يتم نقله إلى لغة فصيحة يتم استبدال هذه بتلك. من هنا اختلاف الخطاب الشفهي عن النص المكتوب لاختلافهما في البنية والتكوين وقل الشيء نفسه عن اللهجات الإفريقية، التي تكتب بحرف لاتيني، فخطابها الشفهي سيختلف كثيراً عن صيغتها المكتوبة. ذلك أن الحرف اللاتيني نتاج ثقافة وحضارة، وبنية مختلفة تماماً عن تلك التي نجمت فيها اللهجات الإفريقية. ومن ثم لا يستطيع الحرف اللاتيني التعبير عن الشحنة العاطفية والتصورات الذهنية للأفارقة، لأنه وضع أصلاً للتعامل مع ثقافة مختلفة تماماً. في هذه الحال لابد أن يكون الاختلاف كبيراً بين الشفهي والكتابي.

أما في حالة الخطاب القرآني والنص القرآني، فإن هذه الاختلافات غير ذات موضوع. فلم ينقل الخطاب القرآني ـ حين أصبح نصاً ـ من لهجة عامية إلى لغة فصيحة، ولم ينقل إلى لغة غريبة عن أصله الشفهي، ولم يمض عليه وقت طويل وهو رواية شفهية ثم تم تدوينه، مما يسوغ إمكانية الاختلاف، بمعنى أنه ليس هناك فاصل زمني بين حالته الشفهية وحالته الكتابية، وهذا ما يعترف به (أركون) نفسه[23].

مما سبق يتضح لنا أن تحليلات (أركون) ترتكز على دراسات في مجالات لا تماثل الحالة التي هو بصددها، ورغم ذلك يسحب نتائج تلك الدراسات على موضوعه، محاولاً بشتى الطرق (المشروعة!) أن يجعلها ملائمة له. وبذلك، فإنه يطوع موضوعه ليتلاءم مع نتائج دراسات، أنجزها غيره لأغراض غير أغراضه، وضمن شروط معرفية وثقافية مختلفة. فالفصل الذي تقيمه الألسنية بين الشفهي والكتابي لا ينسحب على حالة القرآن ـ للأسباب التي ذكرناها ـ لكن (أركون) يجهد في جعله ينسحب عليه، بدل أن يخضع القرآن الكريم بجهده الخاص للدراسات الألسنية ليحصل على نتائج ذات صلة مباشرة بموضوعه.

لقد استمرأ (أركون) هذه العادة في دراساته، إضافة إلى عادة أخرى لا تقل عنها خطورة، تتمثل في جعل النصوص تنطق بما يخدم أغراضه... ذلك ما فعله في نقده للتفاسير، خاصة تفسير الطبري، الذي يرى أنه يكتسي نفس القداسة التي يكتسيها القرآن عند المسلمين...

تحليلات أركون ترتكز على دراسات في مجالات لا تماثل الحالة التي هو بصددها.

قداسة التفاسير

يكتب (أركون) ـ في نصوصه الفرنسية الأصلية ـ لجمهور فرنسي بعيد الصلة بالإسلام فكراً وثقافة. لذلك يتساهل كثيراً في إطلاق أحكام يوجد لها شواهد، يعلم أن القارئ الفرنسي لن يتتبعها في أصولها، وأن نفس القارئ لا يملك معرفة دقيقة بالإسلام، تمكنه من مراجعة أحكام (أركون)...

أضف إلى ذلك أن السيد (أركون)، يقدم نفسه لقرائه الفرنسيين على أنه مسلم متخصص في الدراسات الإسلامية، ثم يقدم لهم صورة ملائمة جداً لتخيلهم عن الإسلام، عقيدة وثقافة. كما يصور لهم المثقفين المسلمين (الفقهاء خصوصاً) في صورة رجال الكنيسة القروسطية محدودي الأفق، المتعصبين لعقائدهم الإيمانية التي بنوها على سوء فهم لنصوصهم المقدسة...

---

23 ـ يعترف أركون بتدوين القرآن بشكل فوري على مضض، وبأسلوب مليء بالتشكيك. يقول: ز تقول رواية التراث الإسلامي... إن جمع القرآن قد ابتدأ إثر موت النبي مباشرة عام (632)، بل ويبدو أنهم دونوا في حياته بعض الآيات...س أركون: الفكر الإسلامي، ص: 85.

سوء الفهم هذا سيمحوه محمد (أركون) المتسلح بنتائج العلوم الإنسانية المعاصرة، لذلك يطلق أحكامه القاسية على الفقهاء بكثير من التعالي فيقول: «الشيء الذي ينبغي أن يحظى باهتمامنا هنا، وينبغي التركيز عليه هو ذلك المزعم المفرط والمغرور والمتبجح الذي يدعيه الفقهاء بأنهم قادرون على التماس المباشر بكلام الله وقادرون على الفهم المطابق لمقاصده العليا، ثم توضيحها وبلورتها في القانون الديني، ومن ثم تثبيت القانون الإلهي أو المؤله الخاص بالأحكام الشرعية التي ينبغي أن تتحكم أبديا بكل تصرف، أو كل تفكير يقوم به المؤمن الخاضع لامتحان الطاعة لله»(24).

تحدث جمهرة الأحكام هذه، تأثيراً قوياً في القارئ الفرنسي العَلْماني، الذي ينظر إلى المسلمين وثقافتهم ودينهم، من على برج إيفل، لكنها بالنسبة للقارئ المسلم لا تثير سوى الشفقة على كاتبها، لأنها تجانب الواقع بإسراف غريب. فلم يدع فقيه قط، أنه قادر «على الفهم المطابق لمقاصد كلام الله». ولو أدعى ذلك، لعد مخبولاً ينبغي اطِّراح أقواله. فأصل كلمة الفقه الفهم والفهم ملكة تختلف من شخص لآخر. فالفقه محاولة بشرية لفهم كلام الله. وهذه المحاولة تتعدد بتعدد الفقهاء. والدليل على ذلك أن أئمة الفقه في المذهب السني تلمذ أحدهم للآخر، فلو كان مالك بن أنس يعتقد أن أستاذه الفقيه أبا حنيفة قادر على الفهم المطابق لمقاصد كلام الله العليا، لما أنشأ مدرسة فقهية، يختلف منهجها تماماً، عن منهج أستاذه! والشيء نفسه فعله الشافعي مع مالك، ولم ينكر أحد منهم على الآخر. ولم يعترض أحد منهم على الآخر بقوله: أنا قادر على الفهم المطابق لمقاصد كلام الله العليا. لقد كانوا ـ وغيرهم من الفقهاء ـ يدركون أنهم يبذلون جهدهم، وهذا الجهد ـ ككل الجهود البشرية ـ يصيب ويخطئ. وقد عبر الشافعي عن ذلك خير تعبير في قوله المشهور «كلام غيري خطأ يحتمل الصواب وكلامي صواب يحتمل الخطأ»، وقول الإمام مالك « كل قول ابن آدم منه مأخوذ ومتروك إلا قول صاحب هذه الروضة» يعني النبي محمداً ﷺ.

من ذلك يتضح أن الفقهاء ـ على عكس ما يؤكده (أركون) ـ كانوا مدركين لحدود قولهم المعرفية، وشروطه الفكرية والثقافية.

أما وصف (أركون) للشريعة، فهو وصف غير مطابق إطلاقاً، فهي لا تتحكم أبديا بكل تصرفات، أو كل تفكير يقوم به المؤمن. والمؤمن بدوره ليس «خاضعاً لامتحان الطاعة لله».

الفقه محاولة بشرية لفهم كلام الله. وهذه المحاولة تتعدد بتعدد الفقهاء.

لعل (أركون) يريد من هذه العبارات المهولة، التجاوب مع الصورة المخيفة التي ثبتها العَلْمانيون «في المتخيل الأوربي عن الشريعة الإسلامية، ومن ثم، فإن (أركون) لا يفعل أكثر من تعزيز هذه الصورة مستخدماً سلطته الفكرية والعقدية ليروج ما تروجه العَلْمانية (الأيديولوجية).

فالشريعة الإسلامية ليست كلها «قانوناً إلهياً، أو مؤلهاً»، وإنما تتضمن مستويات عدة، بسطها الأصوليون، ولخصها الشافعي في رسالته بطريقة منهجية، لكن المسلمين عموماً يدركونها، فأصولها الكتاب والسنة والإجماع والقياس، والأصل الوحيد الذي عليه إجماع هو الكتاب. والآيات المتعلقة بالتشريع (آيات الأحكام) قليلة جداً بالنسبة إلى مجموع القرآن. أما السنة والإجماع والقياس، فهي أصول موضع خلاف بين المذاهب، بل داخل المذهب الواحد. فمالك يقدم عمل أهل المدينة على الحديث، وإن صحت روايته حسب المعيار المالكي. وأبو حنيفة يقدم رأيه على خبر الآحاد وأحمد بن حنبل يتساهل في ضبط الرواية ما لا يتساهل غيره.

24 ـ أركون: من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط1 ـ 1991، ص: 16 .

أما المذهب الجعفري، فله أسانيده الخاصة، المختلفة تماماً عن أسانيد المذهب السني.

أما الإجماع فإن الخلاف حوله - داخل المذهب السني - يتركز حول تحديده، فهل المقصود منه إجماع عموم علماء الأمة، وهو ما لم يحصل عبر التاريخ! أم إجماع صحابة النبي ﷺ ،وقد انفض ذلك الإجماع بنشوب الفتنة بين علي وعائشة، ثم بينه ومعاوية؟ أم هو إجماع علماء كل مصر في حقبة زمنية محددة ؟ ذلك جدل لم يحسم حتى الآن داخل المذهب السني.

أما بالنسبة للمذهب الجعفري، فالإجماع هو إجماع علماء آل البيت حصراً. ويمتد الخلاف إلى القياس، فلا يعترف به المذهب الظاهري (ابن حزم) من السنة، وترفضه الشيعة بمختلف أطيافها.

من كل ما تقدم يتضح أن الشريعة الإسلامية بطبيعتها، لا يمكن أن «تتحكم أبدياً بكل تصرف أو تفكير يقوم به المؤمن». وليس في الشريعة ما يدل على طموح كهذا، على الأقل من وجهة نظر الفقهاء الذين يرددون أن «الشريعة تدور بدوران الزمن»، وأن «الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً»!

فليست الشريعة قالباً جامداً يتحكم بكل شيء، كما يريد أن يصورها (أركون). ولو كان الأمر كما يقول لما عطل الخليفة الثاني عمر رضي الله عنه، حكم السرقة في سنة المجاعة، ولما نص القرآن على أن المضطر لا حرج عليه(25)، وهو ما صاغه الفقهاء في قاعدتهم «الضرورات تبيح المحظورات»، ولما كان المبدأ الشرعي أن «الأصل في الأشياء الحلية»، وهو أصل فقه النوازل.

فتخويف الناس من الشريعة بتصويرها سيفاً مسلطاً على رقابهم، يحصي عليهم أنفاسهم ليس نتاج عمل علمي رصين، وإنما هو دعاية مذهبية.

ومن نفس الطراز الدعائي المذهبي، تصوير المؤمن على أنه «خاضع لامتحان الطاعة لله». فاستعمال عبارة «التحكم الأبدي» عند الحديث عن الشريعة، وعبارة «الخضوع» عند الحديث عن الإيمان، في صيغته الإسلامية، استعمال انتقائي للغة منفرة تحدث تأثيراً سلبياً في مخيال القارئ الفرنسي اتجاه الإسلام...

فالطاعة لله ليست امتحانا، وإنما هي خيار: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [سورة الكهف، الآية:29]

فليس الإيمان - كما يصوره (أركون) - حالة مفروضة من قبل قانون إلهي، أو مؤله، يجد الإنسان نفسه خاضعاً لها، كما يخضع لامتحان عسير، بل هو الفطرة عينها. ولا أدل على ذلك من تاريخ البشرية الذي لم يعرف حضارة بلا إيمان. لكن (أركون) هنا يتحدث عن الإيمان الإسلامي حصراً، ليربطه بهذه الصورة، صورة الإكراه والإخضاع الداعي إلى التمرد، وهي صورة تلبي حاجات قارئه أكثر مما تصور واقعاً.

يستمر (أركون) في هجومه اللاذع على التفاسير، لكنه - هذه المرة - يتهم المسلمين بالعجز عن الفصل بين التفاسير والقرآن ذاته»... أقول ذلك وأنا أفكر مثلاً بطريقة تلقي المدونة النصية التفسيرية، كتفسير الطبري مثلاً، من قبل جماعة المؤمنين الذين ينتهي بهم الأمر إلى حد خلطه بمضمون المصحف نفسه، أي بمضمون «القرآن» بصفته فضاءً تتكثف فيه، وتتصهر كل المستويات الدلالية المتمايزة... بمعنى أن تفسير الطبري، يصبح مقدساً كالقرآن في وعيهم».(26)

هذا تأكيد آخر لا يجد له سنداً من الواقع. فأنت لا تجد مؤمنا يخلط مضمون تفسير الطبري، بمضمون القرآن، أو يقدس تفسير الطبري كما يقدس القرآن. ذلك أن تفسير الطبري لا يجاوز النخبة المثقفة. فملايين المسلمين ربما لم يسمعوا لا بالطبري ولا بتفسيره، بينما ليس هناك مسلم لا يحفظ شيئاً من القرآن. من هنا انتفاء التداخل بين تفسير الطبري، وبين القرآن في وعي المؤمنين. أما النخبة المثقفة، التي قد تطلع على تفسير الطبري، فهي تعلم أنه غير القرآن، ولا يحظى عندها بأي قداسة خاصة، فهو ليس سوى تفسير ضمن تفاسير عديدة...

25- البقرة 173 - المائدة 3 - الأنعام 145 - النحل 115 - الأنعام 119.

26- أركون: الفكر الإسلامي، ص 90.

صحيح أن بعض النخب قد يفضله على غيره (كما فضله (أركون)) لكن ذلك التفضيل لا يرقى به إلى مستوى القداسة المكفولة للقرآن وحده.

كما أن تفسير الطبري لا يحظى بإجماع المسلمين داخل المذهب السني[27]، حيث يفضل عليه المالكية تفسير القرطبي، وربما مال المعتزلة إلى كشاف الزمخشري وآخرون إلى ابن كثير... أما الشيعة، بأطيافها، فلها تفاسيرها الخاصة، ولا تعترف بتفسير الطبري مصدراً موثوقاً لفهم القرآن...

يستمر السيد (أركون) في الحديث عن التفسير بهذه الطريقة الغريبة «... الفكرة المهيمنة على كلية الوعي الإسلامي هي: أولاً، أنه توجد إمكانية لتفسير القرآن بشكل كامل وصحيح، بشكل مطابق تماماً لمعانيه المقصودة. وثانياً، أنه يمكن تطبيق المبادئ المستخرجة عن طريق التأويل في كل زمان ومكان».[28]

يقول القرآن نفسه: إن الله أنزل آيات محكمات، وآيات متشابهات، لا يعلم تأويلها إلا الله، يؤمن بها الراسخون في العلم، بينما يحاول الذين في قلوبهم زيغ تأويلها لأغراض غير أمينة.[29] إذا كان القرآن نفسه يقول ذلك، فمن أين جاءت للمسلمين هذه الفكرة المسيطرة، في زعم (أركون) ! ثم إننا لا نكاد نجد مجتهداً يزعم أن تأويلاته صالحة لكل زمان ومكان، ولم يصرح أحد المفسرين أنه يعطي المعنى المطابق الصحيح لمعاني القرآن !

يعود (أركون) إلى الطبري، ليضربه مثلاً لما ذهب إليه: «لتوضيح هذه النقطة أكثر أضرب لك المثل التالي: عندما يكتب الطبري في تفسيره العبارة الشهيرة التالية، التي تتكرر باستمرار بعد أن يورد آية قرآنية معينة، يقول الله تعالى: (نقطتان على السطر) ثم يعطي تفسيره بكل سهولة وارتياح بصفته التفسير الحقيقي لكلام الله كما أراده الله بالضبط...»[30]



من فضل الله على القارئ أن تفسير الطبري لا يزال موجودا، ويمكن الإطلاع عليه لمعرفة مدى مطابقة ما يقوله (أركون) مع واقع التفسير... اهتم (أركون) بما يقول الطبري بعد أن يورد الآية، لكنه يتجاهل العبارة التي ترد باستمرار قبل الآية، وهي أهم بكثير لمعرفة مقاصد الطبري، ووعيه بحدود تفسيره. فهو يقول قبل كل آية: «القول في تأويل...»، فهو إذن يورد قولاً في تأويل. ولو رجع (أركون) إلى معنى التأويل

27 ـ كان الحنابلة شديدين على الطبري، حتى أنهم كانوا يمنعون الناس من الدخول عليه. أنظر: ترجمة الطبري في تاريخ بغداد، ج2، ص: 162.

28 ـ أركون الفكر الإسلامي، ص: 235.

30 ـ المائدة، الآية 7.

في لغة العرب لعلم أنه يعني تدبر الكلام وتقديره. ورد في لسان العرب «أول الكلام وتأوله: دبره وقدره»[31] والتقدير يخالف الضبط والمطابقة. وتدبر الأمر يعني إعمال الفكر فيه بقدر الوسع مع الوعي بغياب اليقين فيه. فلم يكن الطبري ـ والمفسرون عموماً ـ يعتقد أنه يقدم في تفسيره المعنى الذي أراده الله بالضبط. أضف إلى ذلك أن الطبري لا يعطي تفسيراً واحداً توصل إليه بجهده الخاص، ويعتقد أنه التفسير الصحيح المطابق لمقاصد الله، بل يعطي تفسيرات مختلفة تعود في الغالب إلى كبار الصحابة كابن عباس، أو التابعين كمجاهد وقتادة. وفي إيراده لتلك التفاسير المختلفة للآية الواحدة دليل على إدراكه أن التفسير جهد بشري لا يمكن أن يرقى إلى حد أن يوصف بأنه مطابق للمعنى الذي أراده الله بالضبط. فنسبة تفسير الطبري إليه لا تعني أن كل ما فيه من بنات أفكار الطبري، وأن الطبري يفرض معانيه الخاصة على القرآن، وهو يعتقد أنه يتوصل بجهده الخاص، إلى معرفة مقاصد الله بالضبط. والدليل على ذلك أن الطبري في تفسيره ـ يهاجم القول في القرآن بالرأي مستندا إلى ما يروى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، من استعظام ذلك الفعل. يقول الصديق ـ كما يروي الطبري ـ «أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني إذا قلت في القرآن برأيي، أو بما لا أعلم». ثم يعلق الطبري على هذا القول: «وهذه العبارة شاهدة لنا على صحة ما قلنا، من أن ما كان من تأويل آي القرآن الذي لا يدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله ﷺ، أو بنصبه الدلالة عليه، فغير جائز لأحد القيل فيه برأيه، بل القائل في ذلك برأيه، وإن أصاب الحق فيه فمخطيء فيما كان من فعله بقيله فيه برأيه لأن إصابته ليست إصابة موقن أنه محق، وإنما هو إصابة حارص وظان. والقائل في دين الله بالظن قائل على الله ما لم يعلم». [33]

يتفق المسلمون عموماً على هذا التقسيم، الذي يجعل من القرآن ـ كما نص القرآن نفسه ـ محكماً، وهي الآيات واضحة المعنى، كآيات الأحكام مثلاً، ومتشابها، وهو ما يحتمل أكثر من معنى، لكن معناه المطابق لا يعلمه إلا الله. وإذا كان المفسرون ـ ومنهم الطبري ـ قد حاولوا تأويله، فإنهم يدركون أن معناه المطابق مما استأثر الله به. يقول في لسان العرب « وأنزل آيات أخر متشابهات، تكلم فيها العلماء مجتهدين،وهم يعلمون أن اليقين الذي هو الصواب لا يعلمه إلا الله. وإلى هذا ذهب ابن الأنباري، وروي عن مجاهد». [34]

أبعد هذا يمكننا أن نقول إن الطبري «يعطي تفسيره بكل سهولة وارتياح بوصفه التفسير الحقيقي لكلام الله، كما أراده الله بالضبط» ! على العكس من ذلك تماماً، يقدم لنا الطبري نصا آخر يظهر جلياً إدراكه حدود تفسيره ـ فهو يقسم وجوه التأويل إلى ثلاثة أوجه»... أحدها، لا سبيل إلى الوصول إليه، وهو الذي استأثر الله بعلمه وحجب علمه عن جميع خلقه... والوجه الثاني: ما خص الله بعلم تأويله نبيه ﷺ دون سائر أمته... والثالث منها: ما كان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن وذلك علم تأويل عربيته وإعرابه...». [35]

ما يفعله الطبري إذن هو تأويل عربية القرآن وإعرابه معتمداً بشكل كبير على ما يقوله المثقفون المسلمون الضالعون في هذا المجال، وهو يعي الحدود التي يفرضها ذلك، بشكل تام.

لكن (أركون) يتجاهل كل ذلك ليؤكد «بكل سهولة

---

31 ـ أركون: الفكر الإسلامي، ص: 235.

32 ـ لسان العرب، مادة أول.

33 ـ الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان في تفسير القرآن، دار الجيل، بيروت (د.ت) ج1،ص:27.

34 ـ لسان العرب، مادة تحكم.

35 ـ الطبري، ج1، ص: 31 ـ 23.

وارتياح»: «... إن الطبري لا يعي إطلاقاً أن التفسير الذي ينتجه مرتبط بنوعية ثقافته وحاجيات مجتمعه (القرن الثالث الهجري) وبالمواقع الفكرية (الأيديولوجية) والعقائدية (أي المذهبية) التي اتخذها هو بالذات كفقيه مجتهد... إنه لا يرى كل هذه المسائل والقضايا ولا يأخذها بعين الاعتبار... »[36]

يبدو أن (أركون) رسم لنفسه صورة عن الطبري وتفسيره، يتبغي أن يكونا مطابقين لها ليبني تحليلاته على أرض صلبة. لذلك سيمعن في تحديد معالم هذه الصورة اعتماداً على خياله - غالباً - خاصة أنه يخاطب جمهوراً، لا يستطيع أن يكتشف تفسير الطبري بنفسه، وإنما يعتمد على الصورة التي يقدمها (أركون) عنه. فالقارئ الفرنسي، بل المثقف الفرنسي، غير المستعرب يعتمد على (أركون) في مقاربته للثقافة العربية الإسلامية كما يعتمد صغار المستثمرين في أسواق الأسهم والسندات المالية (البورصة) على آراء المحللين،

اهتم أركون بما يقول الطبري بعد أن يورد الآية، لكنه يتجاهل العبارة التي ترد باستمرار قبل الآية، وهي أهم بكثير لمعرفة مقاصد الطبري، ووعيه بحدود تفسيره.

ومثلما أن هؤلاء يسدون نصائح تتماشى مع مصالح مستخدميهم من كبار المستثمرين، كذلك فإن (أركون) سيقدم صورة عن الإسلام تخدم، وتبرر أعماله أولاً. تلك الأعمال، التي ستخرج المسلمين من العصور المظلمة (قارن العصور الوسطى الأوروبية)، قائمة على النقد والإضاءة التاريخية، ومن ثم فهي «... ذات طاقة تحريرية بمعنى أنها محررة للعقول... لأنها تبين لنا من خلال ضرب الأمثلة التطبيقية» رأينا نماذج منها «حجم المسافة المقطوعة بين النص المؤسس (أي القرآن)، وبين النص التفسيري المنتج من قبل المسلمين (مثلاً تفسير الطبري، أو الطبرسي أو غيرهما). هذه المسافة غير مرئية من قبل المسلمين، وغير معترف بها من قبلهم»[37].

يحاول (أركون) أن يقنع قراءه، وربما نفسه، أن الفكر الإسلامي، يتردى في ظلمات رهيبة، لدرجة أن المسلمين لا يستطيعون التمييز بين نصهم المؤسِّس، والشروح التي كتبت حوله! ومهمة (أركون) النبيلة هي تحرير عقولهم من هذا الوهم! لكن الواقع أن (أركون) يحز في غير مفصل، فليس في وعي المسلمين خلط من هذا القبيل، لأنهم يؤمنون أن معجزة دينهم - التي لا تزال صامدة حتى الآن، رغم أوهام (أركون)، هي أن نصهم المؤسِّس الذي لم يستطع أحد عبر التاريخ - رغم المحاولة - أن يخلطه بغيره، نص فريد. أما التأكيد على أنه يختلط، في وعيهم، بتفسير الطبري، أو الطبرسي أو غيره من التفاسير، فهو تأكيد لا يجوز على المسلمين، ولا على مستعرب ملم بثقافتهم، لكنه قد يجوز بكل سهولة على قراء (أركون) من متعلمة الفرنسيين الذين يعدونه مسلما متخصصا في الدراسات الإسلامية، كما يقدمها معهد العلوم اللاهوتية (السوربون).

لكن (أركون) - كما يعترف هو نفسه - لا يؤسس دراساته «التطبيقية» على تماس مباشر مع الثقافة العربية الإسلامية، وإنما يعيد اكتشافها من خلال نتائج العلوم الإنسانية التي يؤمن بها إيمان العجائز...

إضاءات العلوم الإنسانية

ينتسب السيد (أركون) - بكثير من الحماس - إلى ما يسميه «نتائج العلوم الإنسانية» والتسمية ذات دلالة. فالسيد (أركون) لا يطبق مناهج، وإنما يتبنى نتائج، وفرق بين الاثنين. فالمناهج تتمتع بمرونة تسمح بإدخال تعديلات عليها، لتلائم مواضيع متقاربة في جوهرها، وليعاد استخدامها بشكل مبدع من قبل باحثين مختلفي الثقافة والتوجهات أحياناً.

لكن النتائج تفتقد مثل هذه المرونة، فهي حصيلة

36 أركون: الفكر الإسلامي، ص 235.

37 - أركون: الفكر الإسلامي، ص: 234.

تطبيق المناهج في مجال معين، وضمن شروط فكرية وثقافية وتاريخية متغيرة، بينما النتائج قارة.

وحين يتم استخدام النتائج من قبل باحث آخر، وضمن شروط مختلفة، فإن التحوير والاجتهاد سينصب على موضوع الباحث ليلائم النتائج الجاهزة. وبذلك تصبح النتائج هي القالب الذي يفرض على الموضوع، فلا يعالج من الإشكال إلا ما تلاءم مع القالب، النموذج المستورد جاهزاً.

الغريب أن السيد (أركون) يعي هذا الفرق بشكل تام في حالة النشاط السياسي. فهو ينعي على حكومات العالم العربي، استيرادها نماذج سياسية جاهزة.. «... لقد استعارت (الدولة الوطنية) الصيغة القومية المركزية من أوربا دون أن تتساءل عن مشروعية هذه الاستعارة، وعن ظروفها وحيثياتها... لم تتساءل أنظمتنا السياسية، وأحزابنا الأيديولوجية عن الكيفية التي تشكلت بها تاريخيا الأمة الفرنسية الحالية، ولا كيف مهد لها. راحت تستعيد النموذج هكذا جاهزا وتطبقه تعسفياً على واقع آخر دون أي تمهيد أو تعديل لكي يتلاءم مع الواقع الجديد»[38].

هذا وصف دقيق لما حدث في عالم السياسة عندنا. لكن هل اقتصر الأمر على الجانب السياسي، أم أن حمى استيراد النماذج طالت كل المجالات، بما فيها المجال الفكري؟

إذا كان السيد (أركون) يستهجن استيراد النماذج السياسية في كتابه «الفكر الإسلامي»، فإنه يمارس استيراد النماذج الفكرية بشكل واسع، ويصرح بذلك في كتاب يشن فيه هجوماً لاذعاً على «الفكر الأصولي». ورغم هذا الهجوم يستعرض (أركون) أصوله الأوربية بإسهاب: «ولكي نقيس حجم أو نوع النقص العلمي والفكري الذي آسف عليه هنا،... فإني أعتقد أنه من المفيد أن أقوم بتعريجة مضيئة عن طريق معالجة المعتقد في فكر التنوير الأوروبي (فبالمقارنة تتوضح الأشياء)»[39]

ذاك هو منهج (أركون)، أو لنقل تلك هي النتائج التي يعتمد عليها ليعالج المعتقد الإسلامي في ضوء «المعتقد في فكر التنوير الأوروبي». يبدو ذلك شبيها بمن يهتدي بشعلة تمثال الحرية، في الربع الخالي! إذ كيف يمكن لمعتقد فكر التنوير الأوروبي أن ينير المعتقد الإسلامي موضع الدراسة! ألا يفعل السيد (أركون) ما نعاه على النخبة السياسية من استيراد النماذج الجاهزة! فهو سيعرض المعتقد في فكر التنوير الأوروبي بصفته نموذجاً يعتمد عليه في دراساته حول المعتقد الإسلامي دون أن يتساءل عن «الكيفية التي تشكل بها تاريخياً» أما تبريره هذا الفعل بأن «المقارنة توضح الأشياء» فيحتاج إلى تبرير. ذلك أن المقارنة تقوم على شروط لا تتوفر في هذه الحالة. فقديما تمسك فقهاؤنا بمبدأ «لا قياس مع الفارق»، وفي هذه الحال هناك فوارق، لا فارق واحد. فطبيعة المعتقد في فكر التنوير الأوروبي تختلف عن طبيعة المعتقد في الإسلام. أضف إلى ذلك اختلاف الثقافة، والشروط التاريخية العزيزة على محمد (أركون).

ومن غرائب (أركون) أنه يبيح لنفسه ما يحرمه على المستشرقين. فهو يلاحظ أنهم «ينتمون إلى ثقافتهم الخاصة عندما يراقبون الإسلام، ثم يتحدثون عنه انطلاقا من فرضيات مسبقة ومسلمات فلسفية ولاهوتية وأيديولوجية خاصة بهذه الثقافة...»[40] وهذا ما يفعله (أركون) بالضبط. فهو ينطلق من «فرضيات مسبقة ومسلمات فلسفية ولاهوتية وأيديولوجية خاصة» بثقافة المستشرقين، ويصرح بذلك علناً.

فأي فرق علمي بين أن تطبق نفس المناهج اعتماداً على نفس المرجعية الثقافية والفكرية، من قبل

38 ـ أركون: الفكر الإسلامي، ص: 286.

39 ـ أركون: الفكر الأصولي، ص: 169.

40 ـ أركون: العلمنة والدين، ترجمة هاشم صالح.

مستشرقين، أو مسلمين منتمين إلى الثقافة العربية الإسلامية! قد يكون الفرق في أن مستوى الدقة، ودرجة النجاعة عند المستشرقين سيكون أعلى منه عند المسلمين المترسمين خطاهم. وربما كان هذا هو الفرق الوحيد بين دراسات (أركون) ودراسات المستشرقين: فهو يستخدم - مثلهم لغة لاتينية (الفرنسية) في دراساته ويحاول أن يطبق نفس المنهاج والإستراتيجيات التي طبقوها، ويصدر عن نفس الرؤية حين يقول: «إن التركيبات المعرفية للعقل الديني (من أنظمة لاهوتية، وتفاسير، وتواريخ) سوف تفكك وتتحول إلى ورشة عمل، مثلها في ذلك مثل الأنظمة والإستراتيجيات المعرفية والمواقع الفكرية التي أنتجها العقل الحديث ودافع عنها. هذا هو المنظور الواسع والعريض الذي أنطلق منه».(41)

هل اقتصر الأمر على الجانب السياسي، أم أن حمى استيراد النماذج طالت كل المجالات، بما فيها المجال الفكري ؟

لا يشتغل (أركون) - كما يبدو من نصوصه - إلا ضمن أشباه ونظائر. فهناك دائما مثال غربي يحتذيه: «المعتقد في فكر التنوير الأوروبي، العقل الحديث». إنه متبع غير مبتدع، اختار أطراً جهزها غيره ليتحرك داخلها. ولأن غيره أعدها على مقاس يختلف عن مقاس السيد (أركون)، يتململ هذا الأخير من ضيق الإطار أحياناً..» .. أقول ذلك على الرغم من أن هذه السيادة (سيادة العلوم الإنسانية) ليست راسخة إلى الحد الذي تتوهمه هذه العلوم، خاصة فيما يتعلق بتأويل الظاهرة الدينية».(42) لكن ألفة الإطار، والاستكانة للقوالب الجاهزة ما تفتأ تطيح بهذه الرؤية النقدية العابرة.

فرغم وعي (أركون) بحدود العلوم الاجتماعية، وقصورها في تناول الظاهرة الدينية، إلا أنه يسارع - في نفس النص - إلى إعلان ضرورتها لدراسة نفس الظاهرة. «إنه لصحيح القول بأن قلب الساحة الدينية، أو تفكيكها من أجل إعادتها إلى حواسها الخاصة ووظائفها التي لا تختزل لا يمكن أن يحصل بشكل صحيح بدون تدخل العلوم الاجتماعية».(43)

العلوم الاجتماعية إذن ليست علوما دقيقة، وليست ناجعة بشكل خاص في تعاملها مع الظاهرة الدينية، ورغم ذلك لا يمكن فهم هذه الظاهرة إلا بالاعتماد عليها ! ولنا أن نتساءل عن مدى دقة ذلك الفهم، ما دام ليس فهما علميا دقيقا، وحدود علاقته بجوهر الظاهرة ما دامت العلوم الاجتماعية تعاني قصورا واضحا في تعاملها مع الظاهرة الدينية بالذات!

يعود (أركون) إلى رؤيته النقدية للعلوم الإنسانية التي يعتمد على نتائجها «لقلب الساحة الدينية وتفكيكها». يقول (أركون) «... أرى أن المعركة داخل كل تراث ينبغي أن تستطيل وتمتد عن طريق حوار الثقافات والمقارنة بين الساحات الفكرية المختلفة... أقول ذلك وأنا أفكر هنا بجوانب الضعف والمحدودية التي تحيط بالعلوم المختلفة كالأدب العام والمقارن، والتاريخ المقارن للأديان، وتاريخ العالم المتوسطي المتصور بصفته أنتروبولوجيا للماضي».(44)

وليست الألسنيات أحسن حالا، فهي «محصورة بالتحريات التاريخية والنحوية والفونولوجية (الصوتية) والشكلية الصرفية...» (45) وقل الشيء نفسه عن الدراسات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية، فهي «تعاني

---

41 - أركون: الفكر الأصولي، ص 87.

42 - المرجع نفسه، ص: 94.

43 - المرجع نفسه، ص 94.

44 - العلمنة والدين، ترجمة هاشم صالح، ص: 104.

45 - أركون: الفكر الأصولي، ص: 297.

46 - المرجع نفسه، ص: 297.

من صعوبات التوصل إلى الأرضية العلمية».(46)

تلك هي مساوئ العلوم الإنسانية من منظور أركوني، فكيف ركن إليها لإضاءة المعتقد الإسلامي، موضوع بحثه !

لا يبدو أن السيد (أركون) يهتم كثيرا لموضوع دراساته، فهو منبهر بالقوالب التي استعارها، ويريد أن يشكل موضوعه ليتلاءم معها، إنه شبيه بمن يشكل الطين في قوالب جاهزة، فلا يهمه من الطين إلا ما تلاءم مع القوالب، أما الباقي فهو مجرد طين!

يصل السيد (أركون) أخير إلى نتيجة تمثل مفارقة صارخة مع جميع أعماله فهو يجزم أن الباحثين المعتمدين على العلوم الإنسانية (وهو أهمهم) لا يستطيعون تقديم دراسات علمية عن الظاهرة الدينية. «وهكذا أقول بأنه لا يوجد اليوم باحث واحد، في أي اختصاص علمي كان، يقدر على أن يقدم لنا مقاربة علمية، وموضوعية، ومقنعة عن ماهية الظاهرة الدينية. وعلى الرغم من توافر كل أنواع الدراسات الوصفية والتقسيمات والتحديدات والتعريفات، فإنه لا توجد حتى الآن أي طريقة للتحدث عن الظاهرة الدينية».(47)

تلك هي النتيجة التي توصل إليها السيد (أركون) في كتابه «العلمنة والدين» وهي نتيجة تعبر عن طبيعة الدراسات الأركونية التي تمتاز بأحكام حاسمة، ووعود كثيرة غير منجزة، مثل وعود الأيديولوجيا تماماً، وآراء تختلف باختلاف قراءات (أركون) لما يستجد من نتائج العلوم الإنسانية. فهو متحفز دائماً لتطبيق آخر النظريات في الدراسات الألسنية والأنثروبولوجية، والاجتماعية والتاريخية على الإسلام، دون أن يتساءل كثيرا عن مدى ملاءمتها لموضوعه... يكفي أن يكون (أركون) السباق إلى تطبيقها في هذا المجال !

هذا السعي الحثيث وراء مستجدات العلوم الإنسانية أفقد الدراسات الأركونية وحدتها الفكرية. فليست هناك رؤية واضحة تنتظم مؤلفات (أركون)، وإنما تبدو هذه المؤلفات كجزر متباعدة يأتيها رزقها من مصادر مختلفة.

فالسيد (أركون) يحاول أن يقلب الساحة الدينية ويفككها «لكنه غير واثق من أدواته»، لذلك يغيرها كلما أعلنت شركة (إنتروود) عن منتوج جديد!

فأي فرق علمي بين أن تطبق نفس المناهج اعتماداً على نفس المرجعية الثقافية والفكرية، من قبل مستشرقين، أو مسلمين منتمين إلى الثقافة العربية الإسلامية !

وبذلك تبدو أعماله اختباراً لنجاعة أدواته، بدل أن تكون عملاً فكرياً رصيناً ذا طابع نقدي.

صحيح أنه يترسم خطى الدراسات النقدية الغربية، لكنه يفعل ذلك بشكل غير نقدي، فهو يتقبل نتائج العلوم الإنسانية كما هي، فيحاول أن يخضع القرآن لها، وكأن هذه النتائج لم تأت ثمرة لتطبيق مناهج في مجالات بعيدة الصلة بالقرآن.

لهذا السبب تظل دراسات (أركون) معلقة في انتظار نتائج جديدة تتمخض عنها العلوم الإنسانية، وحين يطلع على هذه النتائج الجديدة يحاول تطبيقها على نفس الموضوع دون أن يتساءل عن الصلة بين كتابه الجديد القائم على نتائج العلوم الإنسانية الجديدة، وكتابه القديم المكرس لنتائج العلوم الإنسانية القديمة...

المهم أن يظل متتبعا لنتائج العلوم الإنسانية، ومطبقاً لها في مجال يعد أرضاً بوراً يتملكها من أحياها في عرف المسلمين .

47 ـ أركون: العلمنة والدين، ترجمة هاشم صالح، ص: 12

حقوق الأقليات
وواجباتها في المجتمع الإسلامي

أ. د. محمد الدسوقي *

يتعرض الإسلام في العصر الحاضر لهجمة باغية لم يتعرض لمثلها عبر تاريخه الطويل، وتسعى هذه الهجمة إلى تشويه صورة الإسلام، وتنفير غير المسلمين منه، وزعزعة ثقة المسلمين بدينهم، وتتخذ من إثارة الشبهات والأباطيل وسيلة إلى ما تسعى إليه. ومن هذه الشبهات: أن الإسلام يرفض الآخر، ولا يعرف في علاقته بغير المسلمين إلا العنف والإرهاب، والكراهية والنفور، واشتدت وطأة تلك الهجمة بعد الحادي عشر من سبتمبر سنة 2001 مسيحي، فقد كثر الكلام في كل أجهزة الإعلام الغربية، وعلى ألسنة بعض المسؤولين في الدول الأوروبية وأمريكا، حول ما أطلق عليه الخطر الأخضر، وهو الإسلام، وأنه خطر يهدد الحضارة الغربية والمصالح الاستعمارية، وقد عقدت مؤتمرات وندوات، وألفت كتب، ونشرت أبحاث ومقالات، تفند تلك الشبهات، وترد على ما يثار من أباطيل وافتراءات، وتؤكد أن الإسلام يؤسس علاقته بالآخر على الحق والعدل والإنصاف والتسامح والحرية الدينية، قال الله تعالى:

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (سورة الممتحنة الآية: 8، 9).

وهذه الدراسة الموجزة عن حقوق الأقليات وواجباتها في المجتمع الإسلامي، محاولة لإلقاء الضوء على هذه الحقوق والواجبات، ولبيان أن تلك الحملة الباغية لا تعرف الموضوعية ولا الأمانة العلمية، وتهيمن عليها المفاهيم الخاطئة والمواريث الثقافية والتاريخية الفاسدة، وتحرص أشد الحرص على إماتة روح الإسلام في نفوس المسلمين، ليتاح لها أن تنشر ما ترغب في نشره من قيم زائفة، تزحزح الأمة شيئًا فشيئًا عن دينها وأصالتها الحضارية.

* أستاذ جامعي، باحث في الفكر الإسلامي / مصر

مفهوم الأقليات:

إن مصطلح الأقليات من المصطلحات المستحدثة التي راجت في العصر الحاضر؛ نظرًا لكثرة الهجرات، وتيسر وسائل الانتقال والاتصال بين الشعوب، والانتشار في الأرض طلبا لأنعم الله، وقد تعددت تعريفات هذا المصطلح، ومنها: أن الأقليات جماعة غير مسيطرة من مواطني دولة أقل عددًا من بقية السكان، يرتبط أفرادها ببعضهم البعض عن طريق روابط عرقية أو دينية أو لغوية أو ثقافية، تميزهم بجلاء عن بقية السكان، ويتضامن أفراد هذه الجماعة فيما بينهم للحفاظ على هذه الخصائص وتنميتها[1].

كما عرفت الأقليات أيضًا بأنها: كل مجموعة بشرية في قطر من الأقطار تتميز عن أكثرية أهله، في الدين أو المذهب أو العرق أو اللغة أو نحو ذلك من الأسباب التي تتميز بها المجموعات البشرية بعضها عن بعض[2].

كذلك عرفت الأقليات بأنها: الأفراد الذين يعتبرون أنفسهم أو يعتبرهم الآخرون مشتركين في بعض السمات والخصائص التي تميزهم عن التجمعات الأخرى، في مجتمع يستطيعون في إطاره تطور سلوكهم الثقافي الخاص[3].

ويتضح من تلك التعريفات، أن المعايير التي من خلالها تُصنّف الأقليات، مردها إما إلى قلة العدد، مادامت هذه القلة على درجه تسمح لها بتكوين خصائصها المميزة لها عن الأكثرية ، وإما إلى عدم هيمنتهما وضعف سلطانها؛ لأن هذا ما يسوغ توفير الحماية والرعاية لها، وإما إلى التفاوت في الهوية الثقافية والقومية، بحيث يكون للأقليات سمات لغوية أو ثقافية تختلف عن سمات أغلبية السكان، وإما إلى الاختلاف في الدين، وتعتبر الأقليات الدينية هي أظهر الأقليات في العالم، وهي التي تدور حولها المشكلات.

والجدير بالإشارة إليه أن الإسلام، لم يعرف مصطلح الأقلية بهذا المفهوم الوافد، وإنما عرفه فقط بمعناه اللغوي، أي القلة العددية، في مقابل الأكثرية العددية، دون تفضيل أو تمييز بسبب هذه الكثرة أو القلة في الأعداد، ومن ثم لم يرد في الفقه الإسلامي، أو تاريخنا الحضاري بوجه عام، تعريف لمصطلح الأقليات بنفس مفهومه الذي تطرحه العلوم الإجتماعية المعاصرة، والذي يعطي اختلافًا بين الأقلية والأغلبية في بعض المقومات الطبيعية أو الثقافية، ويترتب على هذا أن يكون نصيب الأقلية في القوة السياسية والإجتماعية ضعيفًا، يحملها على ممارسات تدفع أفرادها إلى التضامن فيما بينها لمواجهة الأكثرية، مما ينجم عنه توتر العلاقات أو تمزقها بين الأقلية والأغلبية في المجتمع.

> **يؤسس الإسلام علاقته بالآخر على الحق والعدل والإنصاف والتسامح والحرية الدينية**

فالأقلية والأكثرية في الفكر الإسلامي، يعبران عن الكثرة العددية والقلة العددية فقط لا غير، دونما أي ظلال أو مفاهيم ترتبط باستخدام المصطلح في الفكر الغربي، وإنما العبرة دائمًا بالمعايير التي تجتمع

1 ـ حماية حقوق الإنسان في القانون الدولي للدكتور/ وائل علام ط دار النهضة العربية ص 8 القاهرة .

2 ـ في فقه الأقليات المسلمة للدكتور/ يوسف القرضاوي ص 15 ط دار الشروق القاهرة.

3. الإسلام والأقليات للدكتور/ محمد عمارة ص7 مكتبة الشروق الدولية القاهرة.

عليها وتؤمن بها وتنتمي إليها، الأكثريات والأقليات، فالمدح والذم والإيجاب والسلب والقبول والرفض، إنما هو للمعايير والمكونات والهويات والمواقف، و لا أثر في ذلك للكثرة أو القلة في الأعداد[4].

قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (سورة الحجرات الآية:13).

فهذه الآية الكريمة، نداء من الخالق سبحانه إلى الناس كافة، يقرر هذا النداء المقدس وحدة الأصل البشري، فالكل من ذكر وأنثى، كما يقرر الغاية من جعل الناس شعوبًا وقبائل، إنها ليست التناحر والخصام، وإنما هي التعارف والوئام .

فأما اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطبائع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات، فالتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات، وليس للون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني، من حساب في ميزان الله، فالميزان واحد تتحدد به القيم، ويعرف به فضل الناس:

﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾

فالكريم حقًا هو الكريم عند الله، وهو سبحانه يزن منازل الناس عن علم وعن خبرة بالقيم:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾

وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض، وترخص جميع القيم التي يتكالب عليها الناس، ويظهر سبب ضخم واضح للألفة والتعاون، ألوهية الله للجميع، وخلقهم من أصل واحد، كما يرتفع لواء واحد يتسابق الجميع ليقفوا تحته، لواء التقوى في ظل الله.

أنواع الأقليات في البلاد الإسلامية:

إن الإسلام لعالميته يعتبر الأرض كلها دارًا واحدة، ومن ثم كان دعوة للناس كافة، وكانت شريعته لا تعرف في تطبيق أحكامها حدودًا مكانية أو زمانية، فأحكامها تسري في كل مكان وفي كل زمان، ونظرًا لأنه لا إكراه في الدين، وأن الحرب في الإسلام ليست لقهر الشعوب ونهب ثرواتها، وإنما لتحقيق الحرية الدينية لكل إنسان، فمن شاء بعد ذلك فليؤمن، ومن شاء فليكفر، اقتضت الظروف أن يسود الإسلام في بعض أرجاء الأرض دون بعضها الآخر، وأن يكون إقليميًا حتى ينتشر الدين في كل مكان، ويشمل العالم بأسره[5].

> تعتبر الأقليات الدينية هي أظهر الأقليات في العالم، وهي التي تدور حولها المشكلات

فالظروف والضرورة هي التي جعلت من الشريعة شريعة إقليمية، وإن كانت في أساسها شريعة عالمية، فالعالم كله مخاطب بها إلى يوم الدين، وهكذا تصبح الشريعة عالمية، إذا نظرنا إليها من الوجهة العلمية، وإقليمية إذا نظرنا إليها من الوجهة العملية[6].

وقد راعي الفقهاء ـ وهم يدرسون تطبيق الأحكام من حيث المكان ـ تلك الظروف وهذا الواقع العملي،

4. أنظر: الإسلام والأقليات للدكتور/ محمد عمارة ص8.

5 أنظر: من الفقه الجنائي المقارن للمستشار/ أحمد موافي ص 99 ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة .

6 أنظر: التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالتشريع الوضعي للأستاذ/ عبدالقادر عودة ج1 ص 275 ط دار التراث بالقاهرة .

ولذلك قسم بعضهم العالم قسمين:

القسم الأول : يشمل كل بلاد الإسلام.

القسم الثاني: يشمل كل البلاد الأخرى.

والأصل المجمع عليه، أنه لا يعترف إلا بسيادة واحدة في دار الإسلام، وهي سيادة التشريع الإسلامي، وإن تعددت السيادات التنفيذية؛ ما دام ذلك لا يخالف نصًا من القرآن الكريم والسنة النبوية، ويقوم على أساس الشورى، ولا يتعارض مع القواعد العامة للتشريع، ولا يؤدي إلى إضعاف القوة الإسلامية، وإنما يحكمها وينميها، لا بأس به شرعًا[7] ما دام وسيلة للتعاون والتكافل، وبناء القوة واستغلال كل الطاقات والموارد استغلالاً أمثل، ليصب كل ذلك نحو هدف فرد وغاية واحدة وهي عزة المسلمين.



وتعدد الحكومات والدول في دار الإسلام، نجم عنه فيما بعد ـ وبخاصة في ظل الاستعمار ـ ترسيم الحدود بين هذه الدول، وما ترتب على ذلك من الصراعات على هذه الحدود، وبث روح الإقليمية بين الشعوب الإسلامية، بحيث أصبح دخول أي مسلم في دولة لا يحمل جنسيتها، يخضع لضوابط صارمة ـ فإن هؤلاء الذين يسمح لهم بدخول دول إسلامية، وهم مسلمون لا يعدون أقلية لأنهم قد انتقلوا من إقليم إسلامي إلى إقليم آخر، وإن وضعت قواعد قانونية تنظم جواز الانتقال والإقامة.

أنواع الأقليات في البلاد الإسلامية، فهي كما يلي:

أولاً: أقلية تعد جزءًا من المجتمع الإسلامي أو

7. إن الفقهاء حينما أفتوا بجواز تعدد الدول، لاحظوا أن تباعد الأقطار، قد لا يتيح المجال بصورة عملية للقيام بشؤون كل إقليم، على نحو سليم، إذا كانت الأمة واحدة (أنظر: آثار الحرب في الفقه الإسلامي) للدكتور وهبة الزحيلي ص180ط دار الفكر – بيروت .

رعية إسلامية، فهي تتمتع بالإقامة الدائمة، وهذه الأقلية قد تكون جزءًا من أبناء الأمة التي ارتضت أغلبيتها الإسلام دينًا فآمنت به، وظلت الأقلية على عقيدتها التي نشأت عليها، وقد تكون وافدة على المجتمع الإسلامي بإذن من ولي الأمر، وتمنح جنسية الدولة الإسلامية، وهذه الأقلية يطلق عليها فقهاء الإسلام: أهل ذمة، وهو إطلاق تاريخي، وليس له في العصر الحاضر وجود.

ثانيًا: أقلية تدخل البلاد الإسلامية بإذن من ولي الأمر لفترة محدودة أداء لمهمة، كطلب العلم أو التجارة أو السفارة، وهؤلاء لا يعدون جزءًا من المجتمع الإسلامي، فهم أجانب يسمح لهم بإقامة لفترة محدودة.

وهذه الأقلية يطلق عليها فقهاء الإسلام مستأمنون، وهو إطلاقًا تاريخي ويطلق عليها في العصر الحاضر الأجانب.

موقف الإسلام من غير المسلمين :

يجدر قبل الحديث عن حقوق الأقليات وواجباتها في البلاد الإسلامية، الإشارة إلى أهم المبادئ التي تتصل بموقف الإسلام من غير المسلمين، فهذه المبادئ تلقي بظلالها الوارفة الندية على حقوق هؤلاء وواجباتهم في المجتمع الإسلامي.

وأول هذه المبادئ، وحدة الرسالات الإلهية، من حيث الأصول والقواعد العامة، ولذا يجب على المسلم أن يؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين، بل إن هذا الإيمان جزء من العقيدة الإسلامية، ومن يقرأ أطول سورة في القرآن الكريم وهي الثانية في ترتيب المصحف، يلاحظ أنها تحدثت في الآيات الأولى منها، عن صفات المتقين، فبينت في الآية الرابعة :

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (سورة البقرة الآية: 4).

وجاء في الآية قبل الأخيرة من هذه السورة:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (سورة البقرة الآية: 258).

فبداية سورة البقرة ونهايتها، بيان صريح بوحدة الرسالات الإلهية، ووجوب الإيمان بها، وعدم التفريق بين رسل الله، فهم جميعًا يدعون إلى الإسلام بمفهومه العام.

ويتعلق المبدأ الثاني، بحرية العقيدة، فالقرآن الكريم يؤكد حق حرية الاعتقاد للناس جميعًا، وإن كان يدعو إلى الإيمان بالإسلام، الذي بعث به محمد ﷺ، ولكن الدعوة إلى هذا الإيمان لا تعني إكراه أحد عليه، فلا إكراه في الدين، ولأن الإكراه يتنافى مع الاختيار الذي هو شرط المسؤولية والتكليف، ويتفرع عن هذين المبدأين، وجوب احترام كل العقائد وأماكن عبادتها، وحماية تلك الأماكن والدفاع عنها.

> **يؤسس الإسلام علاقته بالآخر على الحق والعدل والإنصاف والتسامح والحرية الدينية**

أما المبدأ الثالث فهو الإيمان بالأخوة الإنسانية، فالناس كافة لآدم وآدم من تراب، فالبشرية من حيث النشأة مصدرها واحد، وهي أيضًا مصيرها واحد، فالجميع إلى الله راجعون، وهذه الوحدة تعني المساواة المطلقة في الحقوق والواجبات، وتنفي كل مزاعم العنصرية والطائفية والتفريق بين الناس بسبب العقائد واللغات والأوطان والألوان.

ويعرض المبدأ الرابع للإختلاف بين الناس في

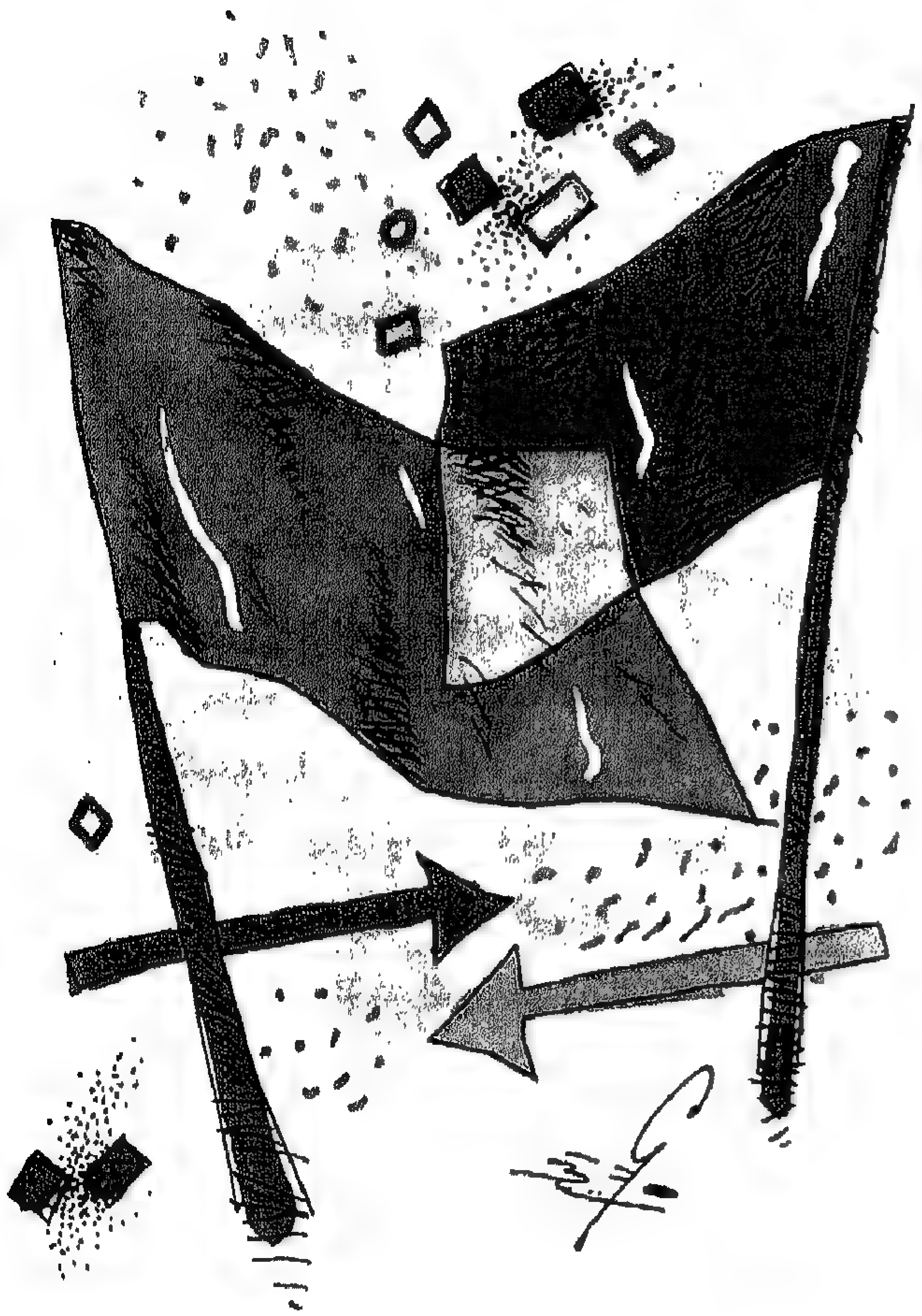
العقائد فهذا الاختلاف ليس مسوغًا للشقاق والصراع، ويجب رده إلى الله ليفصل بين الناس فيه يوم القيامة:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (سورة البقرة الآية:113).

فحكم الله هو العدل، وهو وحده المجدي في مواجهة قوم لا يستمدون من منطق، ولا يعتمدون على دليل بعد دحض دعواهم العريضة في أنهم وحدهم أهل الجنة وأنهم وحدهم المهديون.

ويتفرع عن هذا المبدأ، وجوب التعاون بين الناس كافة، على البر والخير، وقيام الصلة الطيبة بينهم، والمجادلة في كل الأمور وبخاصة أمور العقائد بالتي هي أحسن.

والمبدأ الخامس يتعلق بالاعتداء على الأمة الإسلامية، في دينها وحريتها، فهذه الأمة ذات رسالة وريادة، ولن يتسنى أن تكون كذلك إلا بالعزة والكرامة، وعدم الرضي بالدنية، ومن هنا كان واجبًا عليها إعداد القوة دائمًا للذود عن العقيدة والكرامة، وحماية الأهل والوطن، ومع هذا يأمر الإسلام بعد رد الاعتداء، بعدم اضطهاد غير المسلمين وإجبارهم على ترك عقائدهم، ويكفي أنهم ألقوا إلينا السلم هذه في إجمال أهم المبادئ التي ترشد المسلمين إلى ما يجب عليهم قِبَل غيرهم(8)، سواءً كانوا يعيشون معهم أم يعيشون في بلاد خاصة بهم، وهذا الذي يجب بالنسبة لمن يعيشون في يلاد خاصة بهم، يدور في فلك الاحترام وحسن المعاملة، والمجاملة في



8- أنظر: من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعي فصل التسامح الديني.

المناسبات المختلفة حتى الدينية منها كالأعياد ونحوها، كما أباح الإسلام الإصهار إلى أهل الكتاب، وفي هذا تأكيد لوشائج الأخوة الإنسانية والعلاقات الطيبة .

على أن غير المسلمين في البلاد الإسلامية، يشمل كل من لا يؤمنون بالإسلام سواء أكانوا أهل الكتاب أم ليسوا أهل الكتاب، من أصحاب العقائد المختلفة حتى الوثنية منها، وهؤلاء يعاملون معاملة أهل الكتاب.

حقوق الأقليات في البلاد الإسلامية:

إن الأقليات التي تتمتع بجنسية البلاد الإسلامية، تعد جزءًا من هذه البلاد، ورعيّة إسلامية، ومن ثم كان لها من الحقوق مثل ما للمسلمين، فهي سواء في حماية الأنفس والأموال، ووجوب القصاص والديات والضمانات والتعازير، ولها حق العلم والعمل والحياة الإنسانية الكريمة، كما أن لها حق إحسان عشرتها ومبادلتها الهدايا والضيافة والتهنئة بالأعياد.

التنوع لا يقتضي النـزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات

وقد بلغ من احترام الإسلام لهذه الأقليات أن جعلها شريكة مع المسلمين في عقد المعاهدات الخارجية، وقد روى أبو يوسف في كتاب الخراج : لما صالح عبد الله بن أبي السرح، ملك النوبة، تقرر في الصلح، أنه أمان وهدنة جارية بينهم وبين المسلمين، ممن جاورهم من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة، وأخذ الذميون على أنفسهم العهد بحماية من نزل بلدهم أو طرقه من مسلم أو معاهد[9].

وجاء في وصية أبي يوسف القاضي، إلى هارون الرشيد، ينصحه بقوله: وقد ينبغي يا أمير المؤمنين - أيدك الله- أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد ﷺ، والتفقد لهم، حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم، ولا يؤخذ شيء من أموالهم، إلا بحق يجب عليهم[10].

وما دام للأمة في نبيها محمد ﷺ، أسوة حسنة، فإنه عليه الصلاة والسلام، كان يحضر ولائم أهل الكتاب، ويغشى مجالسهم ويواسيهم في مصائبهم، ويعاملهم بكل أنواع المعاملات، التي يتبادلها المجتمعون في جماعة يحكمها قانون واحد، وتشغل مكانًا مشتركًا، فقد كان يقترض منهم نقودًا، ويرهنهم متاعًا، ولم يكن ذلك عجزًا من أصحابه عن إقراضه، فإن بعضهم كان ثريًا، وكلهم يتلهف على أن يقرض رسول الله ﷺ، بل كان يفعل ذلك تعليمًا للأمة، وتثبيتًا عمليًا لما يدعو إليه من سلام ووئام، وتدليلاً على أن الإسلام، لا يقطع علاقات المسلمين مع مواطنيهم من غير دينهم[11].

وإذا كانت هذه الأقليات جزءًا من الدولة الإسلامية، فإن لها حق الرعاية والحماية، وكفالة مستوى كريم من العيش لها، وبخاصة في حالات الضعف والعجز والشيخوخة.

ويروى أن عمر بن الخطاب، مر برجل يسأل على

9ـ أنظر: التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام للشيخ/ محمد الغزالي ص40 ط القاهرة .

10ـ الخراج ص149 ط السلفية بالقاهرة .

11ـ أنظر: سماحة الإسلام للدكتور/ أحمد محمد الحوفي ص60 ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة .

الأبواب، وكان الرجل شيخًا ضريرًا، فقال له عمر: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال يهودي «قال عمر: فما الذي ألجأك إلى ما أرى؟ قال: الجزية والحاجة والسن. فأخذ عمر بيده. وذهب به إلى منزله، وأعطاه مما وجده، ثم أرسل إلى خازن بيت المال، وقال له: انظر هذا وضرباءه، فو الله ما أنصفناه، إن أكلنا شبيبته ثم نخذ له عند الهرم، ووضع عنه الجزية»[12].

وتتمتع تلك الأقلية إلى جانب ما أومأت إليه آنفًا، بالحرية الدينية، فالإسلام قد كفل لها الحرية في العقيدة والعبادة وإقامة الشعائر في الكنائس، كما أن لهذه الأقلية أن تجدد ما تهدم من كنائسها، وأن تبني جديدًا منها، ولها حق دق النواقيس إيذانًا بالصلاة، كما أن لها إخراج الصلبان في يوم العيد، ولها مع هذا حرية ما يتناولونه من أطعمة وأشربة يؤمنون بأنها أبيحت لهم، كالخمر والخنزير، وتعد أموالاً قيمية في حقهم، ومن تمتد يده إليها بالإتلاف أو السرقة من المسلمين أو غيرهم، فإنه يعاقب شرعًا.

كذلك لها فيما يتعلق بالأحوال الشخصية، حرية الزواج والطلاق وفقًا لأحكام النكاح فيما بينها، غير أنها إذا طلبت من القاضي المسلم أن يحكم بينها أجرى عليها أحكام الشريعة الإسلامية، دون غيرها.

هذا بإجمال ما يتصل بحقوق الأقليات التي تتمتع بالمواطنة، وتحمل جنسية الدولة الإسلامية، أما الأقليات التي تدخل البلاد الإسلامية، على غير نية الإقامة المستمرة فيها، ويسمح لها بذلك لمدة معلومة يجوز تجديدها، فإن الإسلام وهو دين الإخاء الإنساني، عامل الوافد على دياره معاملة كريمة، فهو مادام محافظًا على شروط الإذن بالإقامة المحددة في ديار الإسلام، له الحرية الكاملة في التنقل ومباشرة نشاطه الذي وفد من أجله، وهو آمن على نفسه وماله، حتى ولو كان ينتمي إلى دولة نشب قتال بينهما وبين المسلمين.

ويذهب جمهور الفقهاء إلى أكثر من هذا، فيرون أن مال الوافد أو المستأمن الذي اكتسبه في دار الإسلام، يبقى على ملكه، ولا تزول عنه ملكيته، ولو عاد إلى بلده وقاتل المسلمين[13].

وحدة الأصل تعني المساواة المطلقة في الحقوق والواجبات، وتنفي كل مزاعم العنصرية والطائفية والتفريق بين الناس بسبب العقائد واللغات والأوطان والألوان

قال ابن قدامة: وإذا دخل حربي دار الإسلام بأمان، فأودع ماله مسلمًا أو ذميًا أو أقرضهما إياه، ثم عاد إلى دار الحرب، نظرنا: فإن دخل تاجرًا أو رسولاً أو متنزها أو لحاجة يقضيها ثم يعود إلى دار الإسلام، فهو على أمانه في نفسه وماله؛ لأنه لم يخرج بذلك عن نية الإقامة في دار الإسلام، فأشبه الذمي في ذلك، وإن دخل (أي إلى دار الحرب) مستوطنًا بطل الأمان في نفسه، وبقي في ماله؛ لأنه بدخوله دار الإسلام بأمان ثبت الأمان لماله الذي معه، فإذا بطل الأمان في نفسه بدخوله دار الحرب بقي في ماله[14].

فمال المستأمن أو الوافد، بحكم الأمان مصون، ولو ترك الوافد دار الإسلام وحارب المسلمين، ويترب على هذا، أن مال المستأمن يبقى على ملكه ولو عاد إلى دار الحرب، ونوى الاستيطان بها، وأنه إذا مات أو

---

12. المصدر السابق ص61.

13. أنظر: العلاقات الدولية في الإسلام للشيخ/ محمد أبوزهرة ص65 ط دار الفكر العربي.

14. أنظر: المغني ج8 ص400 ط مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.

قتل في دار الإسلام أو دار الحرب، فماله وديته لورثته، فإذا لم يكن له وارث صار المال فيئًا لبيت المال...

والوافد أو المستأمن، يتمتع بكل ما يتمتع به المواطن غير المسلم، أو الذي يقيم في دار الإسلام إقامة غير مؤقتة، اللهم إلا حق العمل والعلم، وما سوى هذين الحقين، فإن المستأمن لا يختلف عن المقيم إقامة مستمرة في الحقوق.

إن الوافد الذي يتمتع بالحماية والرعاية، وحرية التنقل في دار الإسلام، وممارسة نشاطه الذي وفد من أجله، كما يتمتع بحرمة ماله، يخضع لأحكام الشريعة فيما يتعلق بالمعاملات المالية، أما فيما يتعلق بالعقوبات، فيرى الإمام الأوزاعي، وجوب إقامة الحدود كلها على المستأمن[15].

وإذا كان بين الفقهاء اختلاف، بالنسبة لتطبيق الحدود على الوافدين إلى ديار الإسلام، وإذا كان الإمام أبوحنيفة يذهب إلى أن الوافد يجب أن يعامل معاملة ترغبه في دخول هذه الديار؛ ليرى محاسن الإسلام فيسلم، فضلاً عن أن العقوبات أساسها الولاية الكاملة، وليس للحاكم المسلم ولاية كاملة على المستأمن؛ لأن إقامته لمدة معلومة ـ فإن الرأي الذي أخذ به جمهور الفقهاء، هو أن المستأمن يخضع لأحكام الشريعة في جميع الحدود.

وهذا الرأي أكثر اتساقًا مع المبادئ الإسلامية، لأنه يتفق مع ما ينبغي أن تكون عليه أمور الدولة من منع الفساد، ومن كمال السيادة على كل من يقيم في ربوعها[16].

وبهذا يكون المستأمن كالذمي في وجوب تطبيق أحكام الشريعة عليه، فيما يتعلق بالمعاملات المالية والحدود، ولا فرق بينهما، إلا أن الذمي أمانه مؤبد، والمستأمن أمانه مؤقت، وبديهي أن له حريته الكاملة فيما يدين به دون أن يكون في هذا فتنة للمسلمين.

ومن الوافدين طائفة تتمتع ببعض المزايا الخاصة، التي تكفل لها القيام بمهمتها التي وفدت من أجلها، وهي طائفة الممثلين السياسيين، أو ما كان يطلق عليهم قديمًا الرسل.

هذه الطائفة أعطاها القانون الدولي المعاصر حصانة في أمور ثلاثة:

أولها: الحصانة لشخص الممثل، فلا يتعرض له ولا يعتدى عليه حتى يستطيع أداء عمله السياسي من غير حرج، ولا يتعرض لسكنه أو أمتعته الشخصية.

غير المسلمين في البلاد الإسلامية، لهم حق الحماية والرعاية وكفالة الحياة الكريمة، فضلاً عن الحرية الدينية وممارسة الشعائر الخاصة بهم

ثانيها: حصانة تتعلق بالمال، فيعفى من الضرائب والرسوم في حدود معينة.

ثالثها: الحصانة القضائية، ومن شأنها حماية البعوث السياسية من الملاحقات الجنائية، ومن الملاحظات المدنية الخاصة بعمله الرسمي[17].

فهل هذه الأمور الثلاثة، التي أعطاها القانون الدولي المعاصر للمثلين السياسيين، يقبلها الفقه الإسلامي أو يرفضها؟

إن تقدير العرف في منهج البحث الفقهي، يقضي بأن كل ما يتعارف عليه المجتمع الدولي من وسائل التعاون والتآلف، لا يرفضها الفقه ما لم يعارض نصًا

15. أنظر: الأم للشافعي ج 7ص 325ط بولاق.

16. أنظر: العلاقات الدولية في الإسلام ص 71.

17. أنظر: التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالتشريع الوضعي، للأستاذ/ عبد القادر عودة ج1 ص285.

أو قاعدة معلومة من الدين بالضرورة، فالحصانة الشخصية والمالية، ما دامت تقوم على أساس المعاملة بالمثل، ولا يوجد من أحكام الشريعة ما يعارضها، فإن تطبيقها على الممثلين السياسيين لا حرج فيه، ولكن الحصانة القضائية ليست كالحصانة الشخصية والمالية، فكل من يرتكب حدًّا في دار الإسلام، ينبغي أن يعاقب وفقًا للأحكام الشرعية، ولا يجوز أن يترك ليحاكم على أساس قانون آخر، ففي هذا تعطيل لأحكام الله في أرض الإسلام.



أما الذين يرتكبون ما يوجب عقوبة تعزيزية، وهي العقوبة غير المقدرة في الكتاب والسنة، ويتولى ولي الأمر تقديرها، أو يترك تقديرها للقاضي المختص، فهذه في نظر بعض المعاصرين، يصح أن تدخل ضمن حصانة الممثلين السياسيين، وحجته في ذلك أن تقديرها من حق ولي الأمر، أو من ينوب عنه كالقاضي، فيجوز أن يدع العقاب عليها لدولة الممثل أو الرسول، ولكن ما الذي يضمن أن تطبق دولة الممثل هذه العقوبة، وهل تطبيقها سيكون وفقًا لأحكام الله ؟.

إن التفاوت في القوانين، والتفاوت في النظر إلى أنواع الجرائم والعقوبات، يمكن أن يجعل ما هو جريمة في دار الإسلام، ليس جريمة في غير هذه الدار، وأن يكون العقاب مختلفًا في حالة وحدة الجريمة في الفقه الإسلامي والقوانين الوضعية، ولهذا أرجح الرأي الذي يذهب إلى أن الحصانة القضائية لا ينبغي أن تكون على حساب شرع الله، وأن العرف الدولي لا يتبغي أن يكون حاكمًا على هذا الشرع، وإنما يجب أن يكون محكومًا به[18].

إن الإسلام دين الإنسانية، يحترم الإنسان، لذاته دون نظر إلى دينه، ولهذا عاشت الأقليات في المجتمع الإسلامي حياة كريمة، ومن ثم كانت الوظائف في هذا المجتمع تعطى للكفء المستحق، بقطع النظر عن عقيدته ومذهبه، فلا غرو أن كان الأطباء غير المسلمين، محل الرعاية في الحضارة الإسلامية، وكان لهم الإشراف على مدارس الطب في بغداد ودمشق زمنًا طويلاً، وقد اعترف بسماحة الإسلام وعدالته ورعاية حقوق كل من يستظل براية هذا الدين، كل المنصفين من المؤرخين الغربيين قديمًا وحديثًا، يقول أحدهم: وكان المسيحيون والوثنيون واليهود والمسلمون على السواء، يعملون في خدمة الحكومة. ويقول آخر: إن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا دينًا سمحًا مثل دينهم[19].

واجبات الأقليات في البلاد الإسلامية:

إذا كان كل حق يقابله واجب، فإن الأقليات في البلاد الإسلامية، كما تتمتع بالحقوق التي سبق إجمال القول فيها، فإن عليها في مقابل ذلك بعض الواجبات والالتزامات، وإن تفاوتت بالنسبة للذين يقيمون إقامة دائمة، عن الذين يفدون إلى هذه البلاد لفترة محدودة.

فالذين يقيمون إقامة مستمرة فإن ما عليهم من

18. أنظر: العلاقات الدولية في الإسلام ص73.

19. أنظر: من روائع حضارتنا الدكتور/ مصطفى السباعي، فصل: التسامح الديني.

واجبات يجمعها الشرطان التاليان:

أولهما: أن يلتزم هؤلاء إعطاء التكاليف المالية على القادرين، لكي يسهموا في بناء الدولة ويشتركوا في تكوين ميزانها المالي.

ثانيهما: أن يلتزموا أحكام الإسلام في المعاملات المالية وفي الخضوع للعقوبات الإسلامية، ليكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين[20].

أما الشرط الأول، فإن غير المسلمين الذين يقيمون إقامة دائمة في البلاد الإسلامية، لا تجب عليهم الزكاة، كما تجب على المسلمين، ولأنهم جزء من المجتمع الإسلامي، ويتمتعون بالحقوق المشروعة التي تكلف الميزانية العامة أعباء ليست يسيرة كان عليهم أن يسهموا في تحمل جزء من هذه الأعباء، وكان هذا الإسهام في الماضي، في صورة فريضة مادية يسيرة، تجب على القادرين من الرجال، دون النساء والأطفال والكهول والفقراء والمرضى، وهي فريضة الجزية، وهذه الفريضة ليست بديلاً عن إسلامهم، وإنما هي مقابل ما يجب لهم على الأمة من الحماية وكفالة الحياة الإنسانية الكريمة، بحيث إذا عجزت عن تحقيق ما يجب عليها نحو أهل الذمة، ردت إليهم ما أخذته منهم، وقد روي أن المسلمين لما جمعوا جموعًا للقاء الروم، عند وقعة اليرموك، واضطروا إلى مغادرة جميع البلاد المفتوحة في الشام، ليستجمعوا قوتهم في مقام واحد، كتب أبو عبيدة ابن الجراح إلى أمرائه، أن يردوا إلى الذميين كل ما أخذوه منهم من الجزية والخراج، ويقولوا لهم: قد شغلنا عن نصرتكم والدفاع عنكم، فهذه أموالكم التي أخذناها، لذلك ترد إليكم[21].

فرد جميع أمراء الجنود، كل الذي جمعوه منهم من الأموال، وقد ذكر المؤرخ البلاذري في هذا المقام، ما غمر نفوس غير المسلمين من المشاعر، حينما رد المسلمون أموال الجزية إليهم، واعترفوا بعدل المسلمين، وأقسموا بالتوراة أن يدافعوا مع المسلمين، وألا يمكنوا الروم من دخول البلاد[22].

وهؤلاء الذين يحملون جنسية الأمة الإسلامية، من غير المسلمين لا يطالبون بالجهاد مع المسلمين، ولكنه ليس محظورًا عليهم، ولولي الأمر أن يشرك هؤلاء في صفوف الجيش، إذا رأى في ذلك مصلحة للأمة، وفي هذه الحالة لا يطالبون بفريضة الجزية، ولكن إذا اقتضت ظروف الأمة أن يفرض ولي الأمر على الأغنياء بعض الضرائب، علاجًا لمشكلة من المشكلات، فإن غير المسلمين الذين يقيمون في البلاد الإسلامية إقامة مستمرة، يسهمون في هذه الضرائب، فهم جزء من الأمة، وكما ينعمون بخيرها ورخائها، عليهم أن يتحملوا بعض أعبائها المالية.

التشريعات الإسلامية التي يرجع تاريخها، إلى أكثر من أربعة عشر قرنًا، هي عبر هذا التاريخ الطويل كانت للأقليات درع حماية ووقاية، لأن الالتزام بها جزء من العقيدة التي يؤمن بها المسلم

ويتعلق الشرط الثاني، بوجوب تطبيق التشريع الجنائي على كل من يقيم في دار الإسلام، وكذلك الالتزام بالأحكام الإسلامية في المعاملات المالية، والنصوص الفقهية في هذا كثيرة، منها ما قاله الإمام

20. أنظر: مقدمة تحقيق كتاب السير الكبير ص102 جامعة القاهرة.

21. أنظر: الخراج ص166.

22. أنظر: فتوح البلدان ص7 ط القاهرة.

السرخسي: الذمي ملتزم أحكام الإسلام فيما يرجع إلى المعاملات[23].

وجاء في مقدمات ابن رشد الجد: و لا يجوز بين المسلم والذمي في التعامل، إلا ما يجوز بين المسلمين[24].

فغير المسلمين في البلاد الإسلامية، والذين لهم حق المواطنة كالمسلمين، يخضعون للأحكام الإسلامية في الحدود والمعاملات المالية، ولا يتعارض هذا مع الحرية الدينية التي كفلها الإسلام لهم، لأنهم حين رضوا بالإقامة مع المسلمين، فقد أصبحوا جزءًا من الدولة الإسلامية،

ولهم ما للمسلمين من حقوق الرعاية والحماية، ومن شأن هذا أن تجري المعاملات بينهم وبين المسلمين، وليس من المعقول أن ينحاز غير المسلمين إلى محلة يتعاملون فيها دون سائر الناس، الذين يجاورونهم أو يعيشون معهم، وإلا كانوا دولة داخل الدولة، وهو ما لا يتفق مع الاندماج الذي قبلته الأمة بالنسبة لهم، فهؤلاء ماداموا قد قبلوا أن يكونوا جزءًا من الدولة، وجب عليهم أن يعتبروا أنفسهم جزءًا من كيانها فيما يتعلق بالنظام المالي والاقتصادي والاجتماعي، ومن ثم كانت العقوبات الإسلامية واجبة التطبيق عليهم[25].

وإذا كان الوافدون على البلاد الإسلامية بإذن، لمدة مؤقتة، لا يجب عليهم الإسهام في ميزانية الأمة، لأنهم ليسوا جزءًا من كيانها، ولكنهم كغير المسلمين الذين يتمتعون بحق المواطنة في البلاد الإسلامية، يخضعون للأحكام الشرعية في العقوبات والمعاملات المالية.

وعلى غير المسلمين في البلاد الإسلامية، أن يحترموا تقاليد وعادات المسلمين، وألا يكون لهم سلوك تترتب عليه فتنة المسلمين في دينهم، وأن يكون لهم إسهام عملي في التنمية الاقتصادية، وألا يتعاونوا في صورة من الصور مع أعداء الأمة، بل عليهم أن يعملوا وفق القوانين الإسلامية للحفاظ على استقلال وكرامة البلاد التي يعيشون فيها، وأن يكون حرصهم على سلامتها من كل سوء، مبدءًا لا يفرطون فيه، ولا يقتصرون في العمل به.

عرفت البشرية في حروبها (حديثًا) انتهاكات صارخة لحقوق الإنسان بوجه عام، وحقوق الأقليات بوجه خاص، مما كان سببًا في نشأة القانون الدولي الإنساني

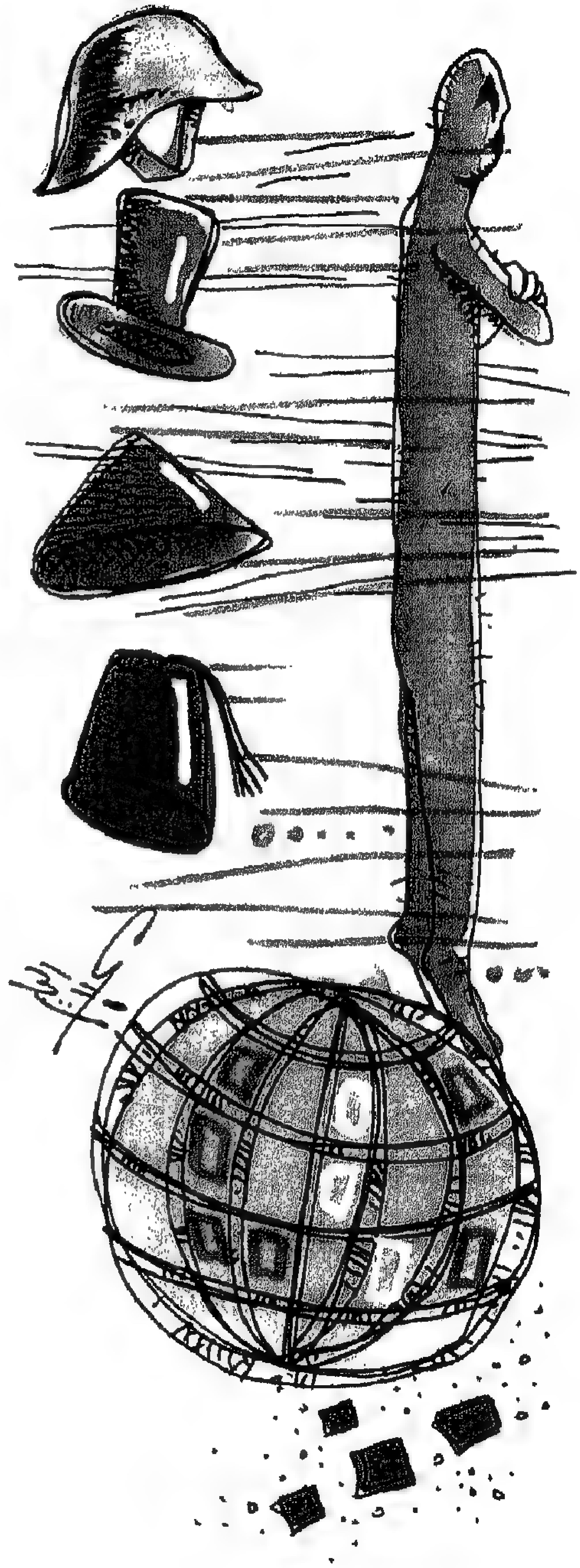
إن غير المسلمين في البلاد الإسلامية، لهم حق الحماية والرعاية وكفالة الحياة الكريمة، فضلاً عن الحرية الدينية وممارسة الشعائر الخاصة بهم، وحسن معاملتهم ومجاملتهم، وعليهم في مقابل ذلك واجب الإلتزام بحق المواطنة والإقامة، وهو حق يفرض عليهم أن يكونوا أمناء على كل ما يكفل للأمة استقرارها وأمنها واحترام تشريعاتها.

حقوق الأقليات بين التشريعات الإسلامية والقوانين الوضعية:

إن الموازنة بين موضوعين، تقتضي أن تكون هناك أوجه التقاء بينهما، في المصدر والخصائص

23. المبسوط ج10 ص84 السعادة.
24. مقدمات ابن رشد ج3 ، ص462 ط الغرب الإسلامي..
25. أنظر: العلاقات الدولية في الإسلام ص63.

العامة، ولكن لا مجال لهذه الأوجه بين التشريعات الإسلامية والقوانين الوضعية، لاختلاف المصدر من جهة، وللتفاوت الواضح في السمات والخصائص من جهة أخرى، فهذه التشريعات مصدرها الوحي الإلهي، بيد أن القوانين الوضعية، مردها إلى الفكر البشري، والتشريعات تتسم بالكمال والصلاحية الدائمة للتطبيق، فضلاً عن الجانب الروحي والأخلاقي الذي تتفرد به، ولكن القوانين الوضعية لا تتسم بالكمال، فهي عرضة للنسخ والإلغاء. كما أنها ليست صالحة للتطبيق الدائم، ولا تقيم، فيما تأمر به وتنهي عنه، وزناً للأخلاق والقيم الروحية، ومع هذا جرى العرف المعاصر على عقد الموازنات بين التشريعات الإسلامية وغيرها من القوانين، لتأكيد أن هذه القوانين لا ترقى إلى مستوى تلك التشريعات، وأن هذه أجدى للإنسان من كل فكر بشري، وكان ذلك رد فعل لما كان يبذل من محاولات، لإقصاء التشريعات عن الحياة في كل مجالاتها المختلفة، وإحلال القوانين الوضعية محلها.



لمحة تاريخية عن قوانين الأقليات:

إن القوانين الوضعية لحقوق الأقليات وواجباتها، لم تعرف إلا في العصر الحديث، فقد صدرت بعد الحرب العالمية الأولى، في القرن الماضي، اتفاقيات بين بعض الدول، وكانت هذه الاتفاقيات - وإن لم تنص على حقوق الأقليات- هي بداية التنظيم الدولي لهذه الحقوق، ثم جاء ميثاق الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، ولم يرد في هذا الميثاق ذكر للأقليات، وإن وردت في الفقرة الثالثة من المادة الأولى، إشارة إلى حقوق الإنسان، والحريات الأساسية للناس كافة، وكانت دولة المجر،

قد قدمت مشروعًا لحماية الأقليات، في مؤتمر السلام الذي عقد في لندن سنة 1946مسيحي، ولكنه رفض، كذلك لم تنجح كل الاقتراحات الداعية إلى إدراج موضوع الأقليات في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، كما لم تنجح المحاولات بالنسبة للاتفاقيات الإقليمية الخاصة بحقوق الإنسان.

وإذا كانت قد صدرت في ديسمبر (الكانون) سنة 1965مسيحي، عن الأمم المتحدة، اتفاقية دولية لإزالة جميع صور التمييز العنصري، إلا أن كل دول العالم لم تلتزم بها، وإن كان لها أثرها في محاربة هذا التمييز، وفي تحقيق المساواة بين الناس، دون نظر إلى اختلاف الأصل واللون والدين والوطن. وفي سنة 1992مسيحي، صدر عن الأمم المتحدة إعلان حقوق الأشخاص المنتمين إلى أقليات قومية أو دينية أو لغوية.

وأصدرت الجمعية العامة في سنة 1993مسيحي، قرارًا بإعلان محاربة العنصرية والتمييز العنصري، وأنشأت في سنة في 1995مسيحي، مجموعة من خمسة أعضاء، لتنظيم الحوار بين الحكومات والأقليات، لبحث المشاكل وإيجاد حلول لها(26).

ويتضح من هذه اللمحة التاريخية، لتطور قوانين الأقليات، أن هذه القوانين حديثة النشأة، وأنه مع كثرة المواثيق والإعلانات والقرارات، التي تصدر عن الأمم المتحدة، لم يكن لها أثر في حماية الأقليات بوجه عام، فليس لها قيمة إلزامية للدول، ومن ثم يمكن تجاهلها أو الأخذ بها؛ ولكن التشريعات الإسلامية التي يرجع تاريخها، إلى أكثر من أربعة عشر قرنًا، وهي عبر هذا التاريخ الطويل كانت للأقليات درع حماية ووقاية، لأن الإلتزام بها، جزء من العقيدة التي يؤمن بها المسلم، فهو حريص على عدم التفريط فيها أو الاستهانة بها، فلا غرو أن عاشت الأقليات في البلاد الإسلامية، منذ فجر الإسلام وحتى الآن، حياة آمنة كريمة دون تعرض لأذى أو اضطهاد.

ومن الصور التي تكشف عن إنسانية التشريعات الإسلامية، ما سبق الحديث عنه، عن مال المستأمن إذا عاد مالكه إلى وطنه وحارب المسلمين، فإن أمانه في ماله باق، ولا تزول ملكيته عنه، كما أن المستأمن نفسه مادام محافظًا على شروط الأمان، إذا قامت الحرب بين وطنه والبلد الإسلامي الذي يقيم فيه لا يجوز طرده بمجرد نشوب الحرب أو اعتقاله، ولكن القوانين الوضعية كانت قبل القرن الثامن عشر، تبيح للدول اعتقال رعايا العدو الموجودين في إقليمها، بمجرد قيام الحرب، وتحجزهم كأسرى حرب، كما كانت تصادر أموالهم، ثم جنحت تلك التشريعات إلى منع أسر رعايا العدو، وكذلك إلى منع مصادرة أموالهم، ومع ذلك ظل القانون الدولي يجيز طرد رعايا العدو من إقليم الدولة بمجرد نشوب الحرب، حتى وإن لم تكن هناك جريرة منهم(27).

> **التشريعات مصدرها الوحي الإلهي، بيد أن القوانين الوضعية، مردها إلى الفكر البشري، والتشريعات تتسم بالكمال والصلاحية الدائمة للتطبيق، فضلاً عن الجانب الروحي والأخلاقي الذي تنفرد به، ولكن القوانين الوضعية لا تتسم بالكمال، فهي عرضة للنسخ والإلغاء**

ولأن القوانين الوضعية، لا تقيم للأخلاق والقيم الروحية وزنًا، عرفت البشرية في حروبها (حديثًا) انتهاكات صارخة لحقوق الإنسان بوجه عام، وحقوق الأقليات بوجه خاص، ما كان سببًا في نشأة القانون

26. أنظر: حماية الأقليات في القانون الدولي العام، للدكتور/ وائل علام ص35، 36.

27. أنظر: آثار الحرب في الإسلام للدكتور/ وهبة الزحيلي ص507، 520.

الدولي الإنساني[28]، ومع ذلك لم يقض هذا القانون، على ما تمارسه كثير من الدول، من امتهان لكرامة الإنسان؛ ولا مجال لتفصيل القول في تميز التشريعات الإسلامية، الخاصة بحقوق الإنسان، عن القوانين الوضعية، وفيما أومأت إليه آنفًا، دلالة على أن هذه القوانين، وإن أخذت في السنوات الأخيرة، تحاول التخلص من أوزار العنصرية، لكنها حتى الآن لم تحقق حماية للإنسان من الظلم والطغيان، إذْ زال للقوة الباغية سلطانها الجائر على الضعفاء، وسعيها المدمر للشعوب، التي لا تخضع لإرادتها ولا تستجيب لما تمليه عليها.

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، فإنه لا سبيل للمقارنة بين حياة الأقليات الإسلامية، في الدول الأخرى، فما عاشت هذه الأقليات في الماضي والحاضر، إلا حياة الذل والقهر والتعصب والحرمان والصراع الدموي، في بعض الأحيان، والإسلام يرفض الإساءة والإهانة لغير المؤمنين به، ماداموا لا يسيئون إليه ولا يعادونه، ولهم حق الحياة الكريمة كالمسلمين، لا تمييز بين هؤلاء وهؤلاء، فالكل في حق الحياة الإنسانية سواء.

الخاتمة:

وبعد فما هي أهم النتائج، التي انتهت إليها هذه الدراسة المجملة، وما الذي توحي به من توجيهات وتوصيات؟.

أما النتائج فهي:

1 ـ إن مفهوم الأقليات في الإسلام يعول على القلة والكثرة العددية، دون اعتبار لشيء آخر.

2 ـ إن الإسلام لعالميته، كان دين الفطرة والأخوة الإنسانية، يحترم الإنسان لذاته ويجعل معيار التفاضل بين البشر هو التقوى فحسب.

3 ـ إن الأقليات في البلاد الإسلامية، سواء كانت جزءًا من الدولة أم وافدة عليها، تتمتع بالحرية الدينية، وكفالة الحياة الكريمة، وإن كانت الوافدة لا تتمتع بحق العلم والعمل.

4 ـ على الأقلية التي تعد جزءًا من الأمة الإسلامية، أن تسهم في تحمل الأعباء المالية للأمة، وعليها وعلى الوافدة احترام قوانين البلاد الإسلامية، ويخضع الجميع لأحكام الشريعة، في الحدود والمعاملات المالية.

5 ـ سبق الإسلامُ القوانين الوضعية، في تقرير حقوق وواجبات الأقليات، وكان بتشريعاته أهدى سبيلاً وأقوم قيلاً.

6 ـ إن ما يثار من شبهات، حول امتهان حقوق الأقليات في البلاد الإسلامية، باطل من القول ويدحضه الواقع العملي منذ فجر الإسلام وحتى الآن.

7 ـ لا وجه للمقارنة بين حياة الأقليات في البلاد الإسلامية، وحياة الأقليات الإسلامية في البلاد غير الإسلامية.

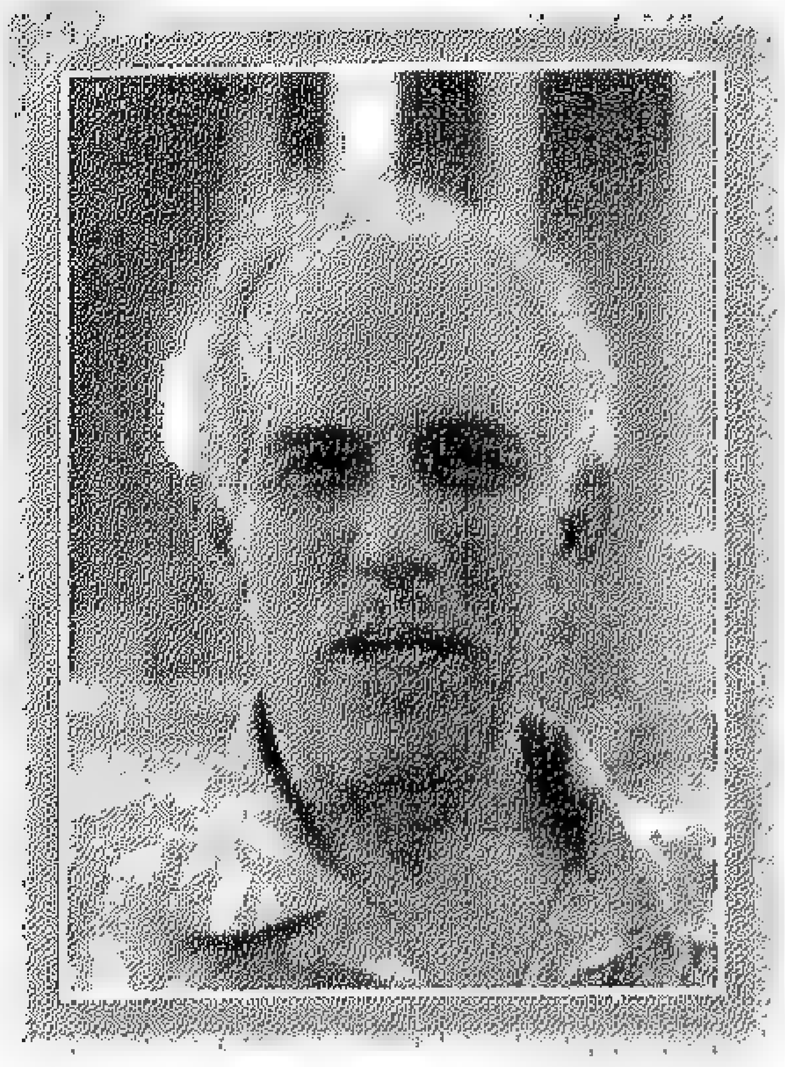
8 ـ ليس الدفاع عن الحق المشروع إرهابًا، ولا صحة لما يزعمه الغرب من إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام والمسلمين.

وما توحي به الدراسة من توصيات، يتمثل في وجوب أن تعد أبحاث موجزة، حول القضايا التي يتخذ منها الآخرون حجة، على التخلف الإسلامي في شتى المجالات، وتكون هذه الأبحاث علمية منطقية، تخاطب بالتي هي أحسن، ثم تترجم إلى اللغات العالمية الحية، وتوزع على كل المهتمين بالإسلام، وتاريخه وحضارته في الدول الأجنبية.

28 ـ أنظر: القانون الدولي الإنساني في الدكتور/ عبد الغني محمود ط دار النهضة العربية ـ القاهرة .



التطور التاريخي لانتشار الإسلام في كندا



التطور التاريخي لانتشار الإسلام في كندا *

الدكتور إبراهيم حيّاني **

أنا سعيد جداً أن أتيحت لي الفرصة لكي أكون في الجماهيرية، وفي رحاب جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وسعيد بشكل خاص أن أتيحت لي الفرصة لأتحدث إليكم، لأنني أرى في وجوهكم مستقبل الإسلام في العالم، فأنتم مسؤولون عن تحمل هذه المسؤوليات، لأن الإسلام ـ فعلاً ـ يتعرض لهجمات شرسة جداً من أعدائه، لا لشيء إلاّ لأنه فعلاً هو الدين الصحيح، الدين الذي يعمل على تحرير الإنسان من عبودية الإنسان. وأحمل لكم في نفس الوقت تحيات إخوتكم وأخواتكم في كندا الذي يعملون جاهدين ليس فقط للحفاظ على الإسلام وإنما لنشر الدعوة الإسلامية في تلك البلاد القصية. والموضوع الذي سأتحدث إليكم حوله يدور عن (الإسلام والتحديات التي يواجهها المسلمون في كندا) وأعتقد أن التحديات ليست هي التحديات التي يواجهها المسلمون في كندا فقط، وإنما تنطبق على كثير من مناطق العالم التي يعيش فيها المسلمون كأقلية، أو حتى في المناطق التي يعيش فيها المسلمون كأكثرية.

احتمالات وتحديات

قصة الإسلام في كندا مليئة بالاحتمالات والتحديات، فصولها مكتوبة بحماس المغامرات وأحزان العبودية والعنصرية العرقية والدينية، وأفراح الحرية والانعتاق، بداياتها تكتنفها الكثير من الأسرار والتكهنات، إذ إن بعض المؤرخين من أمثال الأمريكي (ثيري فيلد) صاحب كتابي (أمريكا قبل الميلاد Amereca BC) و(الملحمة الأمريكية Sega Amerecana) قد ذهب إلى القول بأن المسلمين الأفارقة قد أبحروا عبر المحيط الأطلسي، الذي أطلق

---

* محاضرة ألقيت في كلية الدعوة الإسلامية / طرابلس، بتاريخ: 25 الفاتح 1371 من وفاة الرسولﷺ (2003/9/5 مسيحي).

** أستاذ بجامعة تورونتو / كندا.

عليه العرب والمسلمون إسم بحر الظلمات، ووصلوا إلى الأمريكيتين، وأقاموا علاقات تجارية مع السكان الأصليين قبل أن تطأ أقدام الكشافة (كولومبس) ومن جاء معه من البحارة الإسبان والإغريقيين



كولومبوس

قديما، إلى ما يسمى بالعالم الجديد عام 1492 مسيحي، وهو نفس العام الذي شهد سقوط مملكة غرناطة آخر الممالك الإسلامية في الأندلس، ورحيل أميرها عبد الله الأحمر الملقب بعبد الله الصغير آخر ملوك الطوائف.

ولكن التاريخ المكتوب والمسجل حول وصول الإسلام إلى أمريكا الشمالية هو تاريخ مأساوي، يرجع إلى عصر تجارة الرقيق، حيث إن غالبية الأفارقة الذين كان من سوء حظهم أنهم قُبض عليهم من مناطق غرب ووسط أفريقيا، ثم رُحِّلوا من أراضيهم ليُباعوا في أسواق العبيد الأمريكية؛ كانوا من المسلمين، وليس لديّ أي شك في أن هؤلاء المسلمين التعساء الذين مات الكثيرون منهم خلال عهود الأسر والعبودية؛ سيصابون بالدهشة المفعمة بالإعجاب والسرور لو أتيح لهم أن يروْا آلاف المساجد المنتشرة الآن على امتداد الأمريكيتين، وخاصة أمريكا الشمالية، بما في ذلك كندا، حيث يوجد الآن أكثر من ألف جامع في كندا، وفي تورنتو- البلد الذي أقيم أنا فيه - حتى الآن يوجد أكثر من أربعين جامعاً. ومنذ ثلاثين سنة كان هناك جامع واحد فقط، وأول جامع بني في كندا بناه المهاجرون من لبنان في 1938 مسيحي، واسمه (جامع الرشيد)، ولكم أن تتصوروا التقدم السريع في انتشار الإسلام في الأمريكيتين، وخاصة في كندا والولايات المتحدة.

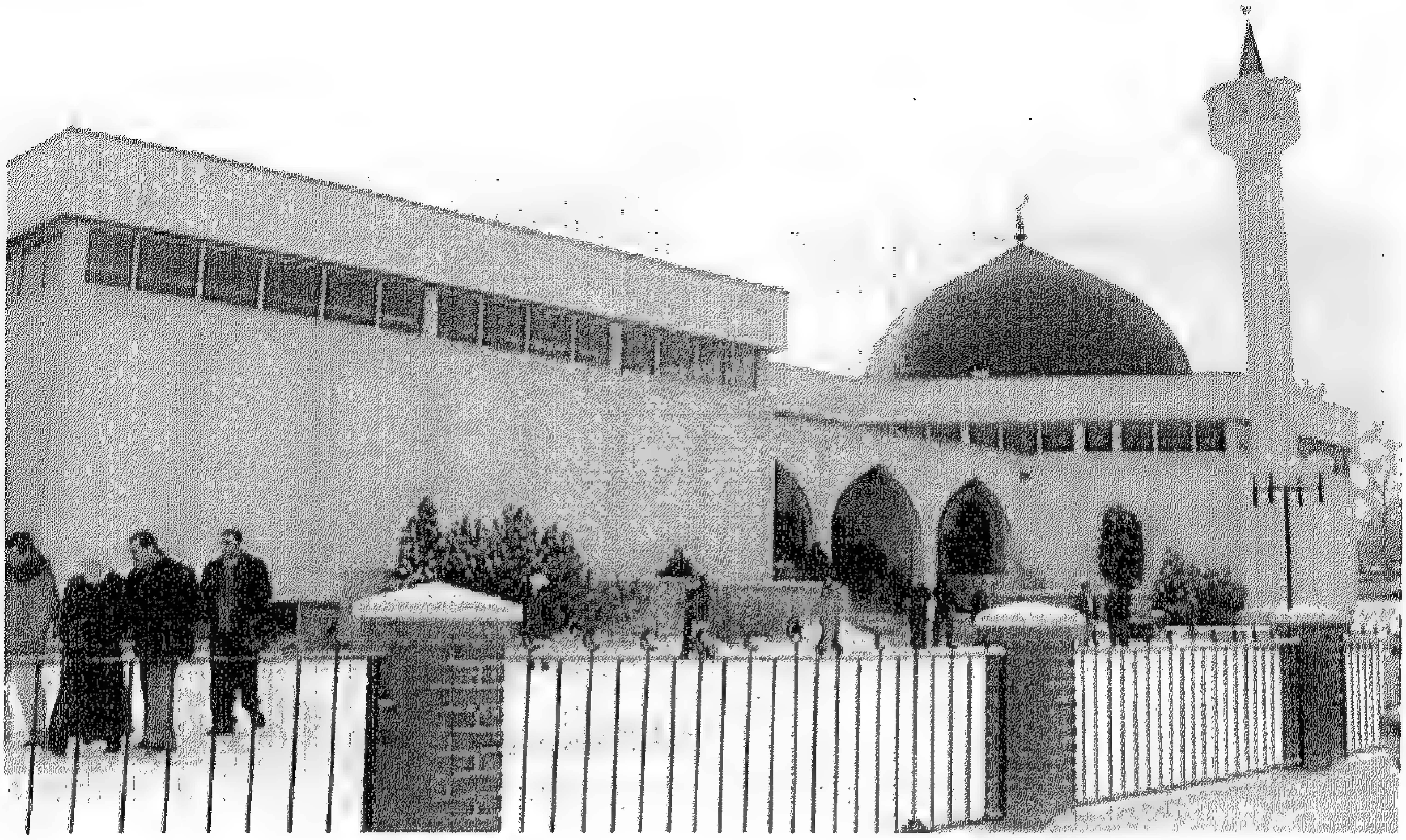
وأرجع إلى النقطة التي أتحدث عنها فأقول: إن أولئك الأوائل سيصابون بالدهشة المفعمة بالإعجاب

المحاضر الدكتور إبراهيم حياني

- ولد وترعرع بالشام.
- هاجر إلى كندا عام 1968 مسيحي حيث واصل دراساته العليا، ثم استقر هناك إلى الآن.
- أستاذ مادة التنمية الاقتصادية بجامعة رايسون / تورونتو.
- متزوج وله ولد واحد.
- له عدد من الإسهامات في المناشط الإسلامية بقارة أمريكا الشمالية.
- ناشط في مجال الحوار، وعضو في عدد من الجمعيات الفكرية والثقافية والدعوية.

والسرور لو أتيح لهم أن يروا آلاف المساجد المنتشرة الآن على امتداد الأمريكيتين، وخاصة أمريكا الشمالية التي فيها كندا، والتي بنتها وغذتها وما زالت تبنيها وتغذيها سواعد ومساعدات الموجات المستمرة من المهاجرين المسلمين، فضلاً عن إخوانهم وأخواتهم من الأمريكيتين الشمالية والجنوبية الذين اعتنقوا الديانة الإسلامية. تلك هي قصة البطولة الإسلامية، أو الملحمة البطولية للإسلام، الذي برهن دائماً وأبداً على قدرة فائقة على الصمود والانتشار والتأقلم ومجابهة التحديات، وذلك هو قدر الإسلام دين الفطرة التي فطر الله عليها الناس جميعاً.

حديثي إليكم اليوم ينقسم إلى قسمين: يعالج الأول التطور التاريخي لإنتشار الإسلام في كندا، بما في ذلك السمات الأساسية للمسلمين الكنديين من النواحي «الديموغرافية» والاجتماعية والتنظيمية. ويعالج القسم الثاني التحديات الأساسية التي يواجهها الإسلام والمسلمون في كندا خاصة، وفي أمريكا الشمالية عامة. وقد حاولت إيجازها في أربع تحديات: الأول: تحدي بناء المؤسسات بما في ذلك الجوامع والمؤسسات الاجتماعية والتعليمية الأخرى. والثاني: هو تحدي تفعيل دور المرأة المسلمة في المجتمعات الغربية. والثالث: هو تحدي الحوار مع معتنقي الديانات أو



مسجد أدمنتون بكندا

الشرائع الأخرى. والرابع هو التحدي الإعلامي ومواجهة الحملات المسعورة لتشويه صورة الإسلام والمسلمين.

لمحة تاريخية

لعله من الصعوبة بمكان إعطاء تقديرات إحصائية دقيقة حول التطور التاريخي لأعداد المسلمين الكنديين، سواء خلال الفترة التي سبقت إنشاء كندا كدولة اتحادية فدرالية عام 1867 مسيحي (تاريخ إنشاء كندا كدولة اتحادية فدرالية) أو الفترات التي جاءت مباشرة بعد إنشاء الاتحاد، وذلك لأن التعداد السكاني آنذاك كان غالباً ما يشمل المسلمين ضمن قائمة ما يسمى المجموعات الدينية الأخرى غير المسيحية أو اليهودية. ومع ذلك فإنه بالإستناد إلى الإحصائيات والبيانات الموثقة والمنشورة فإن أول تعداد سكاني رسمي جرى في كندا الاتحادية كان في العام 1871 مسيحي، أي بعد أربع سنوات فقط من قيام الدولة الكندية ؛ يشير إلى وجود ثلاثة عشر مسلما فقط، ثم ارتفع هذا العدد إلى سبعة وأربعين مسلما حسب التعداد السكاني الكندي الذي جرى في بداية القرن العشرين أي عام 1901 مسيحي. (تجدر الإشارة إلى أنه في كندا يُجرى تعداد سكاني كل خمس سنوات: 1901.. 1906.... إلخ، كل خمس سنوات) ووصل عدد المسلمين الكنديين إلى 797 عام 1911 مسيحي (ثلثهم من العرب والثلثان الآخران من الأتراك). وبسبب دخول الامبراطورية العثمانية إلى جانب ألمانيا في الحرب العالمية الأولى ضد بريطانيا وفرنسا وروسيا، وباعتبار أن كندا كانت تابعة للتاج البريطاني ؛ فإن المسلمين الكنديين (الأتراك خاصة) قد تعرضوا للطرد والتعذيب بعد وصفهم بأنهم أعداء أجانب Enemy.. وهذا ما أدى إلى انخفاض أعداد المسلمين الكنديين إلى 478 عام 1921 مسيحي، وإلى 645 عام 1930، والزيادة من 478 عام 1921 مسيحي إلى 645 عام 1931 مسيحي، كانت بسبب الزيادة الطبيعية،

أي تفوق الولادات على الوفيات. وبقيت أعداد المسلمين الكنديين ضئيلة خلال فترة ما بين الحربين العالميتين، بسبب القيود التي وضعتها السلطات الكندية آنذاك، والتي أدت إلى منع دخول المهاجرين غير الأوربيين بما في ذلك المسلمين وغيرهم من آسيا وأفريقيا. ومع ذلك فإن النمو الطبيعي للسكان المسلمين قد أوصل العدد إلى حوالي 2500 عام 1951 مسيحي، ولكن هذا العدد الضئيل يشير إلى أن التواجد الإسلامي في كندا حتى منتصف القرن العشرين كان تواجداً هامشياً إلى حد كبير، ولكن أنضر وأبهى جانب في هذا التواجد الهامشي، هو قدرة حوالي عشرين عائلة فقط من المسلمين الكنديين المنحدرين من أصول لبنانية وسورية على بناء أول جامع في كندا في مدينة (إدمنتون) العاصمة الإقليمية لمقاطعة ألبرتا في غرب كندا عام 1938، وهو نفس المسجد الذي أعلنت الحكومة الكندية عام 1978 اعتباره موقعاً تاريخياً في تلك المدينة، وجزءاً من التراث التاريخي الكندي، والآن يعتبر مركزاً للزوار، وهو قسم أو جزء من التراث الكندي التاريخي. وفي الواقع فإن إمرأة مسلمة هي التي كانت المحرك الأول لإنشاء هذا الجامع أولا، ثم لإقناع الحكومة الكندية باعتبار هذا الجامع قسماً من التراث الكندي، لأن هذا يعني أنه يستطيع الحصول على مساعدات من الحكومة الكندية من وزارة التراث من أجل الصيانة والتوسع والمكتبة وكل شيء يتعلق بتطور تاريخ المسلمين.

واعتباراً من عام 1967 مسيحي، ومن نفس العام الذي شهد مأساة حرب الأيام الستة، بين العرب وإسرائيل؛ فإن قوانين الهجرة الكندية قد تعرضت لتغيرات جذرية بحيث تم إلغاء أي تمييز قائم على أساس الأصل العرقي أو القومي للمهاجر. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه قبل 1967 كانت الهجرة إلى (الكندية) مبنية بشكل عام على أساس إعطاء الأفضلية للبيض للقادمين من أوروبا ـ سواء أوروبا

> **حوالي عشرين عائلة فقط من المسلمين الكنديين المنحدرين من أصول لبنانية وسورية عملت على بناء أول جامع في كندا في مدينة (إدمنتون) العاصمة الإقليمية لمقاطعة ألبرتا في غرب كندا عام 1938، وهو نفس المسجد الذي أعلنت الحكومة الكندية عام 1978 اعتباره موقعاً تاريخياً في تلك المدينة، وجزءاً من التراث التاريخي الكندي.**

الغربية أو الشرقية ـ وبعد 1967 تغير تماماً نظام الهجرة في كندا، بحيث تم إلغاء أي تمييز قائم على الأساس القومي أو العرقي للمهاجر، وأصبح هناك ثلاث فئات من المهاجرين أو المتقدمين للهجرة، وهي: أولاً: فئة المكفولين من قبل الأقرباء المباشرين المقيمين في كندا سواء كان أمّاً أو أخاً أو أختاً أو زوجاً أو زوجة، أي فئة توحيد العائلات وهم يسمونه Unescation Family ثانياً: فئة المستقلين ويسمون Endependente الذين تُقيّمُ طلباتهم للهجرة على أساس نظام مبني على ما يدعى بنظام النقاط (Point system) والقائم على معايير موضوعية مثل التحصيل العلمي والخبرات والمهارات العلمية والعملية والفئات العمرية والمهارات اللغوية في اللغتين الإنجليزية والفرنسية وما إلى ذلك. وثالثاً: فئة اللاجئين الذين يسمح لهم بدخول كندا والإقامة فيها لأسباب إنسانية تتمثل بالهروب من الاضطهاد السياسي والاجتماعي، أو النجاة من العنف والإرهاب والحروب الأهلية.

إن هذه التغييرات الإيجابية في قوانين الهجرة الكندية، والتي واكبت الهزات أو النكسات والنكبات السياسية والعسكرية الكبرى التي عصفت وما تزال بدول العالمين العربي والإسلامي، سواء النكبة في فلسطين أو الحروب الأهلية في لبنان والجزائر وأفغانستان والصومال والسودان، وطبعاً الحرب

العراقية الإيرانية وحروب الخليج التي يبدو وكأنها بلا نهاية، أو مآسي الشعب المسلم في البوسنة والهرسك والشيشان وكشمير؛ كلها ساهمت في زيادة الهجرة العربية الإسلامية إلى كندا، وبوتائر متسارعة، ما أدى إلى تزايد سريع لم يسبق له مثيل في أعداد المسلمين الكنديين، إذ إن إحصائيات الهجرة الكندية تشير إلى أن 15٪ من المهاجرين إلى كندا خلال السنوات العشرة من عام 1991 إلى عام 2001 كانوا من معتنقي الدين الإسلامي. فكندا تسمح كل سنة بحوالي 250 ألفاً إلى 300 ألف من المهاجرين، 15 ٪ من هؤلاء كانوا من المسلمين أو من دول إسلامية. وهذه العوامل المجتمعة أدت إلى وصول أعداد المسلمين الكنديين ـ حسب إحصاء عام 2001 مسيحي وهو آخر إحصاء سكاني جرى في كندا ـ وصل هذا الرقم إلى (600 ألف). وفي الواقع فإن هذا رقم قليل، لأن الإحصاء السكاني فيما تعلق بالدين مبني على أساس عينة إحصائية مؤلفة من 20٪، فكل خامس بيت يستلم (استمارة) تسأل عن الدين، ولما كان المسلمون منتشرين وغير مركزين في مكان معين؛ لذلك فإن هناك اعتقاداً صحيحاً بأن أعداد المسلمين حالياً تصل إلى مليون أو مليون ومائتين ألف نسمة، بمعنى أنهم 4٪ من سكان كندا. ونتيجة لذلك فإن الإسلام يحتل حالياً المركز الثاني بعد المسيحية، ويكاد عدد المسلمين الكنديين يفوق ضعف اليهود الكنديين. في يوم من الأيام كان اليهود الكنديون يأتون مباشرة بعد المسيحيين، أما الآن فاليهود الكنديون ـ حسب الإحصاء السكاني الأخير ـ هم 330 ألفاً. وتجدر الإشارة هنا إلى أن إحصائيات التعداد السكاني ـ كما ذكرت ـ تنحو نحو تقليل عدد المسلمين لعدة أسباب. أما إذا أخذنا أعداد المهاجرين من الدول الإسلامية ؛ فعلى أساس هذه التقديرات فإن عدد الآن المسلمين لا يقل عن مليون ومائتي ألف.

التحديات التي يواجهها المسلمون في كندا متعددة ومختلفة، لعل أبرزها : بناء المؤسسات، وتفعيل دور المرأة، والحوار مع أتباع الديانات الأخرى، والإعلام والتشويه الإعلامي.

سمات وخصائص

فيما يتعلق بالخصائص أو السمات فإنني ألخصها فيما يلي :

❖ **أولاً** : إن الجاليات الإسلامية الكندية شابة نسبيا وذات هياكل عمرية تسودها الشرائح العمرية المنتجة، مقارنة ببقية سكان كندا، إذ أن متوسط العمر للمسلمين الكنديين حسب التعداد السكاني الأخير كان 28 سنة، وهو أقل من متوسط العمر لدى المجموعات الدينية الأخرى (بالنسبة للمسيحيين متوسط العمر بين 40 و46 سنة، اليهودية 42 سنة، البوذية 38 سنة، الهندوكية 32 سنة). وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن حجم العائلة المسلمة الكندية يفوق عادة حجم العائلة الكندية عموما، وأن متوسط عدد الأولاد الذي تنجبه المرأة المسلمة، أو معدلات الخصوبة لدى النساء المسلمات يزيد عادة عن معدلات الخصوبة لدى بقية المجتمع، وذلك لأسباب متعلقة بالقيم والتقاليد؛ فإنه من المتوقع أن تستمر أعداد المسلمين بالتزايد السريع، سواء عن طريق الزيادة الطبيعية أو عن طريق الهجرة. لذلك فمن المتوقع عند سنة 2020 مسيحي ـ حتى حسب التعداد ـ أن يصل عدد المسلمين إلى أكثر من مليون ونصف. وإذا كانت أعداد المسلمين الكنديين قد شهدت زيادة بنسبة 129٪ خلال السنوات العشر (بين عام 1991 وعام 2001) وهي أكبر معدلات زيادة شهدتها أية مجموعة دينية أخرى على امتداد كندا كلها ؛ فإن نسب الزيادة هذه ستستمر، وربما بوتائر عالية، لأن القوة الحركية (أو ما يسمى Dwmografek Montele)



نساء مسلمات في كندا يتلقين دروساً ومحاضرات دينية

للهياكل العمرية لدى المسلمين الكنديين كفيلة بتحقيق نمو سريع للسكان المسلمين حتى ولو جرى انخفاض ملحوظة في معدلات الخصوبة للمرأة الكندية المسلمة.

❖ ثانياً: تعكس الجاليات الإسلامية الكندية في خلفياتها الوطنية وتوجهاتها الفكرية وفئاتها الاجتماعية والثقافية وعاداتها وتقاليدها؛ كل ما يحتضنه العالم الإسلامي من التعددية والغناء الثقافي أو الحضاري، وبما أن كندا هي رسمياً وفعلياً دولة متعددة الثقافات، (أو Molley Coltior Sosaity)؛ فإن المسلمين الكنديين ساهموا وما زالوا يساهمون في إغناء هذه التعددية - أو هذه الفسيفساء الكندية - ورفدها بالعديد من الألوان والأطياف والنكهات، ولحسن الحظ فإن تواجدهم في كندا قد أتاح للمسلمين الوافدين من شتى أرجاء المعمورة، أن يتقابلوا ويتعارفوا ويمارسوا شعائر دينهم معاً - كما هي الحال في هذه الكلية المعمورة - وأيضاً أن يقوموا بتنظيم نشاطات اجتماعية وثقافية يتعرفون من خلالها على بعضهم البعض، ويمارسون بحق قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾

[سورة الحجرات، الآية:13]

ومثل هذه التعددية العرقية والوطنية والثقافية والاجتماعية مليئة بكل احتمالات التشدد والاختلاف والتسامح والتعاون معاً، بالإضافة إلى قدرتهم على إقامة علاقات مع غير المسلمين، وهذا ما يتيح لهم أن يعرفوا الآخرين بدينهم الحق عوضاً عن أن يتركوا الآخرين يطوروا أفكارهم غير الصحيحة عن الإسلام. وبهذا الخصوص فإنني إن نسيت فلا أنسى أبداً ذلك المنظر الجميل الذي يصنعه المسلمون كل عام عندما يتوافدون بالآلاف المؤلفة لتأدية صلاة العيد (عيد الفطر السعيد أو عيد الأضحى المبارك) في أكبر قاعة للمؤتمرات أو في أكبر ساحة ألعاب في مدينة تورنتو يسمونها: Stediom أو Combation Center والتي تضم نسبة كبيرة من المسلمين الكنديين سواء في مقاطعة أونتاريو أو في كندا عموماً. واسمحوا لي أن أقول لكم إنه في العيد الماضي كان في القاعة خمسون

ألف مسلم، صلوا صلاة العيد مع بعضهم، وكان النهار جميلا جدا، فعندما تنظر إلى صور ذلك الحشد، وكل آتٍ من خلفياتٍ مختلفة، نساء ورجال وأطفال وشيوخ يلبسون ألبسة مختلفة، وأشكال وألوان مختلفة ؛ فإن ذلك يعكس فعلا التمازج والتوهج الحضاري لوجود الإسلام في العالم.

❖ **ثالثاً:** هناك تحسن واضح وسريع في المكونات والمؤهلات المهنية والتعليمية والخبرات العملية والعلمية لموجات الهجرة المتعاقبة من المسلمين، وهذا يعود ـ بالدرجة الأولى طبعاً ـ إلى المستلزمات المطلوبة لتأهيل المهاجرين لدخول كندا والإقامة فيها، لأن الإسلام نفسه يحث أتباعه على طلب العلم والبحث على المعرفة من المهد إلى اللحد. إذ بينما كانت الغالبية العظمى من المهاجرين المسلمين الأوائل تتميز بمستويات تعليمية منخفضة، وكان أفرادها يمارسون مهنا تحتاج إلى القوة العضلية والمثابرة والذكاء الفطري، مثل البيع بالتجوال أو العمل اليدوي في المصانع أو إدارة البقاليات والمحلات التجارية الصغيرة؛ فإن موجات الهجرة العربية أو الإسلامية خلال العقود الثلاثة الماضية، بما في ذلك العقد الحالي، يتميز بمستويات تعليمية وكفاءات مهنية عالية نسبياً. ولهذا السبب فإن غالبية المسلمين الكنديين يعيشون في المدن الكندية الكبرى مثل (تورنتو) و(مونتريال) و(أوتاوا) عاصمة كندا حيث تعتبر اللغة العربية الثالثة ـ بعد اللغتين الإنجليزية والفرنسية ـ وكذلك (إدمنتون) و(لندن) و(هاملتون) و(كالجاري) (هاليفاكس)، وغيرها من الحواضر الكندية التي تستقطب المهاجرين من ذوي الكفاءات التعليمية والمهنية العالية، لأن أسواق العمل فيها تستدعي توفر مثل هذه الكفاءات. وبسبب هذه التغيرات الكمية والنوعية الهائلة التي شهدها الوجود الإسلامي في كندا؛ فإن تحديات الاندماج في المجتمع الكندي، وبناء المؤسسات القادرة على تفعيل دور المسلمين الكنديين في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ؛ قد ازدادت أهمية وحساسية وخطورة.

❖ **رابعاً** : إن عملية التأقلم الثقافي أو الحضاري للمسلمين الكنديين في المجتمع الكندي هي عملية معقدة، وليست وقفاً على المسلمين وحدهم، لأن كندا نفسها توصف عادة بأنها أمة المهاجرين أي (Elation of Emmegrinte) لأن الشعوب أو الأقليات الإثنية الكندية تتكلم العديد من اللغات. وعلى سبيل المثال ففي المدينة التي أعيش فيها (تورنتو) والتي يبلغ عدد سكانها تقريباً أربعة ملايين، توجد هناك مئة وخمسون لغة. وهنا طبعاً أعطيكم فكرة عن التعددية الثقافية الموجودة في كندا. كما أن قضية التأقلم الثقافي ترتبط بشكل مباشر بمسألة التواصل أو الامتداد الحضاري للجماعات الدينية والإثنية، ومدى إمكانية خلق نوع من التوازن المبدع بين الأصالة الثقافية والانتماء والتفاعل البنّاء مع المجتمع الكندي. وبهذا الخصوص فقد ميّز علماء الاجتماع بين أربعة أنماط من التأقلم الحضاري للأقليات الإثنية والدينية:

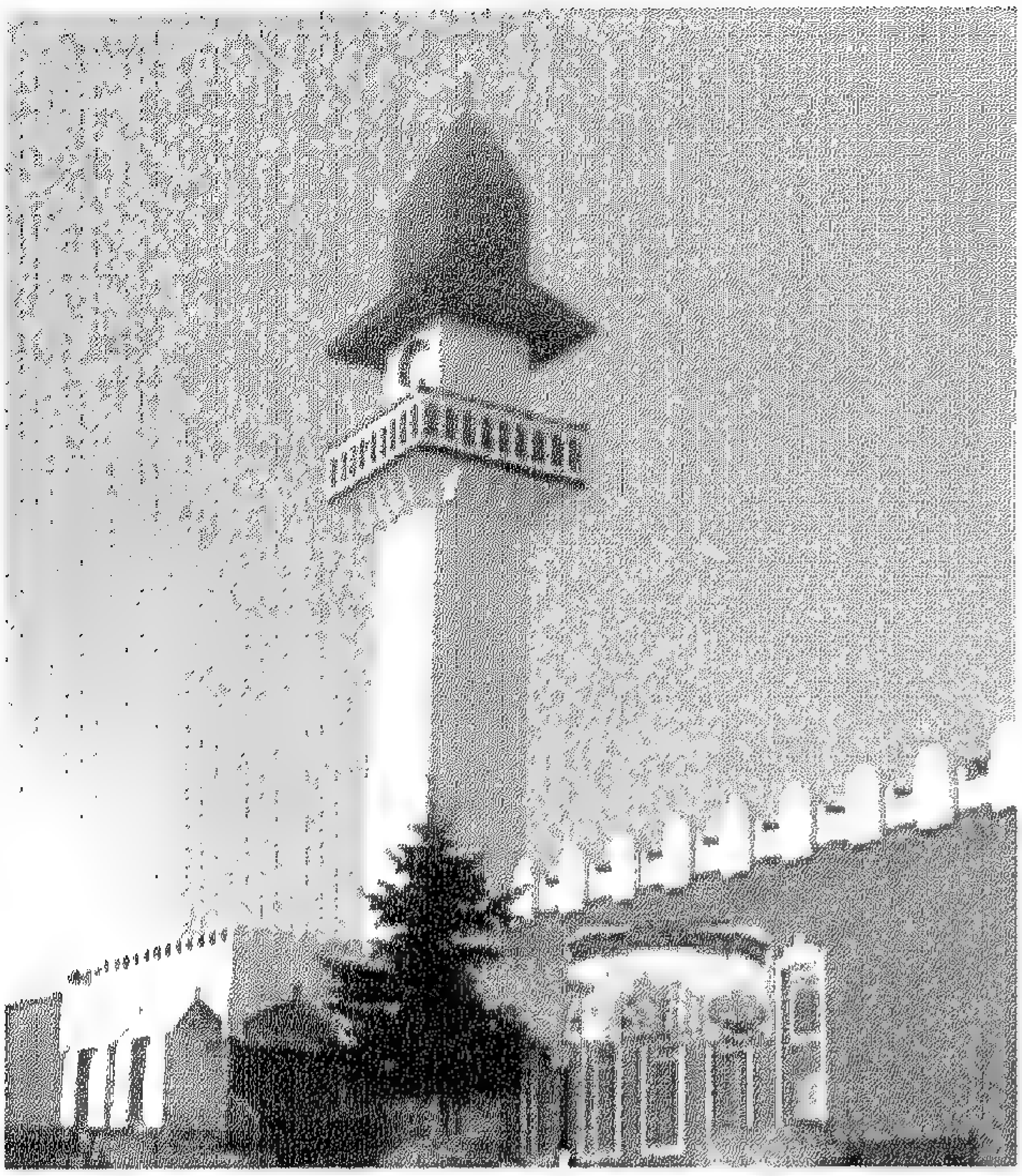
> **تعكس الجاليات الإسلامية الكندية في توجهاتها الفكرية والثقافية وعاداتها وتقاليدها ؛ كلما يحتضنه العالم الإسلامي من التعددية والغناء الثقافي أو الحضاري**

النمط الأول: الذوبان، أو ما يسمى: Estemelation وسِمتُه الأساسية هي محاولة المهاجر الهروب من جلده واستبداله بجلد آخر، حيث يصبح (محمد = مايكل) و (فاروق = فرانك) و(عبد الله = ألبرت) وما إلى ذلك. فضلاً عن إقامة علاقات اجتماعية وعائلية بما في ذلك الزواج خارج المجموعة الدينية التي ينتمي إليها المهاجر أصلاً، والتحول من دينه أو دينها إلى دين آخر، وفي هذه الحالة اعتناق الديانة المسيحية والارتباط بطائفة معينة، كما حدث

وما يزال يحدث حالياً للعديد من المهاجرين وخاصة من الصين التي تعتبرها المؤسسات التبشيرية المسيحية في أمريكا الشمالية حالياً أكبر سوق أو خزان للتبشير المسيحي، بالإضافة إلى أفريقيا. ولذلك فأنتم - يا إخوان ويا أخوات - عليكم مسؤولية كبرى، ولأنني أعرف وأعيش هذه الحالة؛ فلا تتصوروا مدى التركيز على الصين التي يوجد فيها خُمس سكان العالم، وإفريقيا لأنها القارة الوحيدة في العالم التي غالبيتها من المسلمين، ولذلك فإن البعثات التبشيرية تركز على هاتين المنطقتين (إفريقيا والصين). وما أشرت إليه (الذوبان) حدث للعديد من المهاجرين الأوائل من السوريين واللبنانيين، لأنه لم تكن هناك مؤسسات فتعرضوا لعملية الذوبان الكامل.

النمط الثاني: الإنعزال، أو ما يسمى: (Aizolation) وهو نقيض النموذج الأول، ويتميز معتنقوه بالانفصال الكامل عن المحيط الاجتماعي والثقافي والسياسي للمجتمع الكندي، ومحاولة العيش في قوقعة منعزلة تماماً، وفي مناطق خاصة لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالمجتمع الكندي الكبير، وعندما يحدث الانعزال بشكل اختياري فإن النتيجة هي الانفصال الكامل كما حدث بالنسبة للكثيرين.

النمط الثالث: التهميش والذي يتسم بإجبار المهاجر على اتخاذ موقف يشبه موقف المتفرج على مسرحية تجري فصولها ويتم إخراج أدوارها على نحو بعيد كل البعد عن حياة أو اهتمام المهاجر. ونتيجة لذلك يعاني المهاجر مما يمكن تسميته بأزمة الهُوية، حيث يتم تغريبه عن ثقافته وتاريخه وديانته، فضلاً عن تهميشه من قبل المجتمع الذي فُرض عليه العيش فيه. وتلك حالة العبيد عموماً الذين جاءوا إلى أمريكا الشمالية. وكما ذكرت فقد كانت نسبة كبيرة منهم؛ من المسلمين، لأن الغزاة الإسبان والبرتغاليين مارسوا عمليات التهميش العنصري ضد السكان الأصليين في أمريكا اللاتينية أيضاً، وكذلك الأوروبيين الذين جاءوا



مسجد كالغاري

من بريطانيا وألمانيا وفرنسا قاموا بنفس الشيء في أمريكا الشمالية (أي كندا والولايات المتحدة).

النمط الرابع: الاندماج (أو ما يسمى بـ Entegration) والذي يسمح للمهاجر بالمشاركة الفعلية والكاملة وعلى جميع الأصعدة والمستويات في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع الكندي، ويمكّنه - في نفس الوقت - من الاحتفاظ بثقافته - بل ويشجعه على تنمية الشخصية الحضارية للمهاجر، بما في ذلك اللغة ومنظومة القيم والدين والعادات والتقاليد المتعلقة بالهوية الإثنية أو الدينية للمهاجر.

وأذكر هذه الأنماط لأنني أجريت دراسة عن المسلمين فيما يتعلق بهذا الخصوص، واكتشفت من خلالها أن المسلمين عموماً يفضلون النموذج الرابع وهو الإندماج (Entgration) بمعنى أنهم يريدون التفاعل الكامل والفعال مع المجتمع الكندي، ولكنهم في نفس الوقت يحبون أو يحبذون الاحتفاظ بشخصيتهم الدينية. وهذا التوجه صحي، لأن الإنسان - من خلال

الاندماج - يعيش بشكل كامل في هذا المجتمع، ويساهم بشكل كبير على جميع المستويات، وكمثال على ذلك لدينا الآن في منطقة (كويبك - وغالبيتها من الفرنسيين) من أكثر النواب نشاطاً سيدة من أصل مغربي إسمها «فاطمة هدى بيان» كما يوجد في البرلمان الكندي عدد من المسلمين (ثلاثة نواب) ربما ليسوا كثيرين ولكننا نأمل أن يكون لدينا أكثر. ولذلك - أعود فأقول - إن هذا التوجه الذي يفضله غالبية المسلمين، هو توجه فاعل في المجتمع الكندي، ولكن في نفس الوقت الاحتفاظ بالشخصية والهُوية الدينية والثقافية، وهذا لا يعني أن الكندي المسلم يعكس في تصرفاته دائماً سمات وخصائص هذا النمط الاندماجي، أو أنه أميل تماماً لمضمونه، على العكس، فمن الممكن أن يعكس هذا المهاجر المسلم - خلال فترات مختلفة من حياته وفي تعامله مع المجتمع الكندي الكبير - بعضاً من سمات الأنماط الأربعة، ولكن الأمر الأساسي هنا هو أن التوجه العام للمسلمين الكنديين - بما في ذلك أنماط التفكير والتصرف المسيطر على حياتهم كأفراد وجماعات - تشير نحو توجه اندماجي فاعل ومتفاعل مع المجتمع الكندي. ومن هنا تبرز أهمية التحديات الأساسية التي يواجهها المسلمون في كندا عموماً، في سعيهم لتطبيق هذا النمط الاندماجي، وهذا ما سنناقشه في القسم الثاني.

هناك تحسن واضح وسريع في المكونات والمؤهلات المهنية والتعليمة والخبرات العملية والعلمية لموجات الهجرة المتعاقبة من المسلمين.

تنوع التحديات وتعددها

التحديات التي يواجهها الإسلام والمسلمون في كندا متعددة ومختلفة كتعدد المسلمين الكنديين أنفسهم، ومع ذلك فأنا هنا سأركز على أربعة منها وهي : بناء المؤسسات، تفعيل دور المرأة، الحوار مع أتباع الديانات الأخرى، والإعلام والتشويه الإعلامي.

فيما يتعلق ببناء المؤسسات فإنه ليس من المبالغة القول: إن التعامل الفعال مع المجتمع الكندي - أو مع أي مجتمع - يستدعي بناء الهيكل المؤسساتي القوي والمتكامل، وبهذا الخصوص فإنه يمكن الإشارة هنا إلى أن أول عمل أو مشروع قام به الرسول محمد ﷺ بعد وصوله إلى المدينة المنورة مهاجراً مع أصحابه من مكة المكرمة، هو بناء جامع، مؤسسة، أي إقامة المؤسسة الأولى في الأمة الإسلامية الوليدة. ولقد كان الجامع منذ بداياته الأولى ليس فقط لممارسة أو أداء الشعائر الدينية فحسب؛ وإنما كان أيضاً مؤسسة تعليمية واجتماعية فاعلة ومتفاعلة مع المجتمع، لأنه كان مدرسة ومركزاً اجتماعياً وبرلمانا، أي جامعاً بكل النشاطات المتعلقة بحياة المؤمنين الاجتماعية.، وإذا كان هذا هو حال المجتمع في بدايات الدعوة الإسلامية؛ فإن إقامة مجتمع إسلامي فاعل ومتفاعل مع المحيط الكندي، يستلزم إقامة مؤسسات متعددة الأسماء متكاملة الوظائف إبتداء من رياض الأطفال وانتهاء بمراكز ثقافية وأكاديميات علمية لتخريج العلماء المحليين، ومروراً بمؤسسات رعاية الشباب، ومعالجة المشاكل والقضايا التي تواجه العائلات المهاجرة، بما في ذلك طبعاً بيوت لرعاية كبار السن أو العجزة، لأنه إلى حد الآن لا يوجد لدينا في كل كندا أي مركز للعجزة، وكأننا سنكون شباباً إلى ما شاء الله.. !!. وإذا كانت الأجيال الإسلامية الشابة حالياً هي التي ستقرر مصير الإسلام والمسلمين في كندا وغيرها من الأمصار التي يعيش فيها المسلمون كأقليات ناشطة ؛ فإنه من الضروري تزويدهم ببناء مؤسسي متكامل يتيح لهم توجيه طاقاتهم المبدعة واستخدامها لتعميق الوجود الإسلامي وتوسيع آفاقه، خاصة وأنه يوجد لدينا بعض الكنديين الذين أصبحوا مسلمين - رجال أو نساء -



مسجد الرشيد أقدم مساجد كندا (1943م)

وهؤلاء يحتاجون إلى دعم مؤسسي، لأن هؤلاء يواجهون صعوبات عديدة جدا، عائلية واجتماعية وعملية؛ فلابد أن يكون هناك دعم، وهذا يستدعي بناءً مؤسسياً متكاملا على شكل ما أقامته الأقليات الأخرى.

وفي هذا السياق أشير إلى أن الجالية اليهودية استفادت من الأموال الهائلة التي أخذتها من ألمانيا كتعويضات عن ما يسمى (الهولوكوست) لبناء مؤسسات متكاملة، كي تتيح لأفرادها أن يكونوا أكثر فعالية في المجتمع الكندي. ومن ناحية أخرى فإن بناء أو وجود هذه المؤسسات لن يكفي في حد ذاته، لأن فاعلية هذه المؤسسات تعتمد على توافر عناصر أساسية أربعة:

أولاً : إدارة فيها كفاءة عالية.

ثانياً: الالتزام، لأنه دون الالتزام - في العمل الإسلامي خاصة وفي عمل فعال آخر - لن يكون هناك عمل مجد.

ثالثاً: المعرفة، ولا تتصورون كم رأيت في حياتي بكندا من أعداد لأبناء المسلمين، خاصة الجيل الشاب، لا يعرفون عن الإسلام أشياء كثيرة، وطبعاً هذا خطأ، فكيف يمكن أن تقاوم العلم الخبيث إذا لم يكن لديك علم جيد؟.

رابعاً: التمويل - وهذا مهم جداً - ففي ذلك المجتمع (الغربي بالذات) المال هو الذي يتكلم، طبعاً في كل العالم المال يعتبر مثل البنزين بالنسبة للسيارة، فمهما كانت السيارة جميلة والمحرك رائعا والكفاءة عالية ؛ فلا يمكن أن تتحرك السيارة دون بنزين.

وهذه العناصر الأربعة كلها متوفرة وإن بدرجات مختلفة. وبالنسبة للمسلمين فلكم أن تتصوروا كم من الأموال الهائلة والضخمة التي جُمعت من وفي البلاد الإسلامية، وذلك لمساعدة شعوب فلسطين والعراق والصومال والشيشان وكشمير.... الخ، ولولا وجود تلك المشاكل والأزمات لتمّ توظيف تلك الأموال لبناء مؤسسات ممتازة جدا.. !! ومع ذلك فقد استطاع المسلمون في كندا

بناء مؤسسات جيدة لكنها ما زالت ضعيفة نسبياً ولا تتناسب مع تطلعات المسلمين بشكل عام.

دور المرأة

وفيما يتعلق بتفعيل دور المرأة المسلمة فإنني أشير أولاً إلى أن من الأشياء التي يهَاجم بها الإسلام دائماً أنه عدو المرأة. وأحياناً تبرز تصرفات بعض المسلمين ـ للأسف ـ هذا القول. ودعوني أشير أولاً إلى أن دور المرأة مهم جداً، وخاصة في الجامع الذي يعتبر مركزاً إسلامياً، في بلد مثل كندا أو الولايات المتحدة، بمعنى أن المرأة يمكن أن تلعب دورا مهماً جداً في الحياة الإسلامية. وفي هذا السياق إسمحوا لي أن أروي لكم ما يلي:

منذ حوالي خمسة عشر عاماً كان هناك أستاذ رياضيات إسمه بروفسور (جفري لانج) أصبح مسلما، ويعتبر من الشخصيات الإسلامية المعروفة، وكتب عدة كتب، منها كتاب إسمه (حتى الملائكة تسأل Even Angels Ask) وقد كتبه لبناته، ويذكر فيه أنه خلال أربعة عشر عاما، أي منذ أن أصبح مسلماً وهو يشاهد الأعداد الهائلة من الأمريكيين الذين لديهم الاستعداد فعلاً لتقبل الإسلام، والشيء الوحيد الذي منعهم من اتخاذ الخطوة الأخيرة (اعتناق الإسلام)



ملتقى لتعارفوا

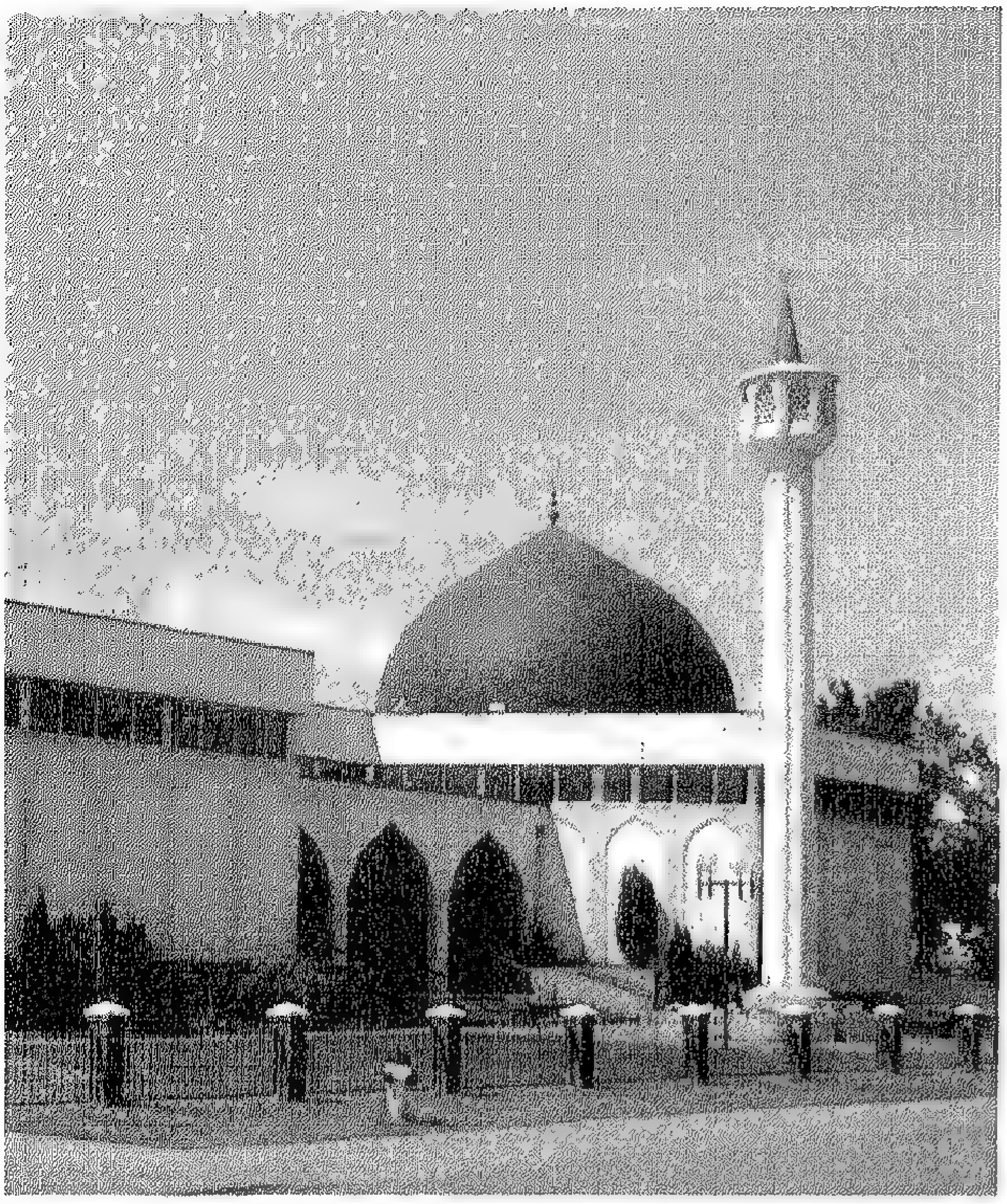
هو الوضع غير المرضي للمرأة المسلمة في المجتمع (في كندا والولايات المتحدة الأمريكية) أي أن دور المرأة المسلمة إلى حد الآن ليس دوراً فاعلاً، مع بعض الاستثناءات طبعا. نعم هناك حضور متزايد للمرأة مع الأيام ـ في المجتمعات الإسلامية ـ إلا أنه ـ إلى حد الآن ـ ليس فعالاً أو ليس كبيرا خاصة على مستوى الإدارة مثلاً، مع أنها في أمريكا الشمالية (كندا والولايات المتحدة الأمريكية) يمكن أن تلعب المرأة دورا هائلا ومهما جدا. وتاريخ الإسلام يثبت ذلك، لأن خديجة رضي الله عنها قامت بدور مهم جداً في دعم الرسول ﷺ، وفي دعم الدعوة الإسلامية. إذن لنا في تاريخنا أمثلة هائلة على نساء مسلمات قمن بدور فعال في تنشيط الدعوة الإسلامية.

العلاقة مع الآخر

وفيما يتعلق بالعلاقة مع الآخر (أتباع الديانات والعقائد الأخرى) فإن كندا ـ كما ذكرت ـ هي بلد متعدد الثقافات والأعراق، وباعتبار أن الإسلام أصبح الديانة الثانية؛ فهناك جمعيات مختلفة، وأنا مسرور جداً من أن الشعار العام أو الموضوع الأساسي للقاء الفكري العالمي الذي نظمته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في طرابلس خلال شهر الفاتح 1371 من وفاة الرسول ﷺ (2003/9/25 مسيحي)؛ كان شعاره ﴿لتعارفوا﴾. فهذا ما نحاول القيام به، وقد نجحنا لأول مرة في إقناع الكنيسة الرسمية في كندا بأن تصدر وثيقة في شهر النوار (فبراير) 2003 مسيحي، تعلن فيها وبصراحة كاملة، وحتى تعتذر، عن الحروب الصليبية، وعن التشويه الذي قامت به الكنيسة في تاريخها الطويل، سواء في الأندلس أو أثناء الحروب الصليبية؛ تعتذر عن كل هذه الحروب، وتعلن أن الإسلام هو دين سماوي، وأن الرسول محمد ﷺ هو نبي مرسل. وهذا يعتبر تقدماً كبيراً، طبعاً هذا لا

يكفي، ونحن مستمرون في هذا السبيل. وأنا عضو في جمعيتين: (جمعية إسمها MLSOM NAITSERK (GOLAID) الحوار الإسلامي المسيحي وجمعية أو مؤسسة ثانية إسمها (C. L. G. M جمعية التواصل بين المسلمين واليهود).

وفيما يتعلق بالتشويه الإعلامي فإنه من الأهمية بمكان الإشارة والتأكيد على أن الإسلام هو دين الفطرة، الإسلام جاء ليسود لا لكي يساد، الإسلام جاء للسيادة لأنه دين الفطرة، أراده الله أن يكون دين الإنسان، لذلك فإنه من الطبيعي أن هناك قوى ـ سواء داخل العالم الإسلامي أو خارجه ـ تعمل جاهدة لمنع الإسلام من السيادة وممارسة دوره في تحرير الإنسان من الظلم والعبودية لغير الخالق ونشر العدل والإخاء بين الشعوب، سلاح الإسلام هو العقل واليقين، أما سلاحهم فهو التزوير والتشويه والتشهير. إن الحرب الإعلامية الدائرة ضد الإسلام تحاول إبراز هذا الدين السمح والمتسامح على أنه دين معادٍ للمرأة، دين معادٍ للحرية، ودين يشجع الإرهاب. هذه هي النقاط الثلاثة التي دائماً تركز عليها حملات التشهير بالإسلام. دين معادٍ للمرأة. فبعد زوال الخطر الشيوعي كان لا بد من اختلاق عدو جديد، لذلك قرّ القرار على الخطر الأخضر وهو الخطر الإسلامي، ولهذا تم استبدال الخطر الأحمر بالخطر الأخضر، وجاءت الأحداث المأساوية التي جرت في نيويورك وواشنطن يوم 11/ 9/2001 لتعطي دفعاً جديداً وزخماً قوياً لحملات إعلامية مسعورة ضد الإسلام ديناً وحضارة، وضد المسلمين أفرادا وجماعات. فالحملة الإعلامية الموجهة ضد الإسلام والمسلمين في أمريكا الشمالية، والتي تمولها وتقوم بها أصلاً المنظمات اليمينية متمثلة باليمين المسيحي والمنظمات الصهيونية؛ قد اتخذت من أحداث الحادي عشر من سبتمبر تبريراً لكي تضرب بعرض الحائط كل الضوابط الأخلاقية والأدبية، بل وحتى الضوابط القانونية التي كانت تمنعها سابقاً من الكشف عن



مسجد في أدمنتون

حقدها الدفين وعدائها المزمن نحو الإسلام والمسلمين وأنا أعيش هذا أربعة وعشرين ساعة في أمريكا الشمالية وكندا، وأرى التشويه والتزوير والحقد وخير دليل على ذلك هو العداوة اللامتناهية للإسلام التي أبرزتها بعض المنظمات المسيحية التبشيرية، وخاصة البروتستانتية في أمريكا الشمالية، بما في ذلك الكنائس الإنجليكانية التي ينتمي إليها ويتحدث باسمها أمثال القس (فرانكلين غراهام) و(جيري فالويل) و(باث روبرتسون) إذ وصلت الصفاقة بالقس (فرانكلين غراهام) وهو إبن (بل غراهام) الذي يعتبر أكبر شخصية دينية في أمريكا، وكان الصديق الحميم لثلاثة رؤساء متعاقبين في أمريكا، والآن (فرانكلين غراهام) هو الذي يقوم بالصلاة في البيت الأبيض مع الرئيس بوش. بعد أحداث سبتمبر مباشرة وصف ذلك القسُّ الإسلامَ بأنه دين شرير. وهذا غير مسموح، أقصد أن أي إنسان غير مسموح له أن يتكلم عن أي دين بالدنيا بهذا الشكل، وخاصة أن في أمريكا

يوجد حوالي عشرة ملايين مسلم، بينما هناك فقط ستة ملايين يهودي. إذن نحن عددنا أكبر. كما أنه وصف الرسول محمد ﷺ بأنه إرهابي، والأكثر من ذلك فإن وزير العدل الأمريكي السابق (أشكروفت) الذي يعد أحد الأركان الأساسية للنظام القائم حالياً بالولايات المتحدة الأمريكية قد وصل به جهله وصفاقته إلى القول (بالحرف الواحد) إن ربهم ـ أي رب المسلمين ـ يطلب منهم الاستشهاد والموت من أجله، بينما ربنا يسوع المسيح قد مات من أجلنا.

وفي مواجهة هذه الحرب الإعلامية المسعورة والضاربة يحاول المسلمون في كندا والولايات المتحدة مكافحة الجهل بالعلم، وتحدي ما يمكن وصفه بالفكر القذر أو الرديء بفكر نظيف ومبدع. ويسرني أن أقول لكم إن هناك أعدادا كبيرة من المسلمين يقاومون، وخاصة النساء المسلمات، يقومون بعمل رائع للدفاع عن الإسلام والمسلمين والقضايا الإسلامية، لكننا لا نملك الإمكانيات الإعلامية التي يملكها الآخرون.

الخلاصة والاستنتاج

إن العوامل التي دفعت العديد من المهاجرين المسلمين إلى مغادرة بلادهم والتوجه نحو شواطئ كندا وأمريكا الشمالية، هي نفس العوامل التي كانت وما تزال تدفع بالآلاف من أبناء العالمين العربي والإسلامي للرحيل عن أوطانهم، إما سعياً وراء آفاق أوسع للرزق، وفرص أكثر للعمل والعيش، وأملاً بالاستقرار في مجتمعات يفترض أنها تحترم حريات الإنسان وكرامة المواطن (أي عوامل الجذب) وإما هرباً من الظلم والاحتلال، وقلة الاستقرار والأمن، وضيق سبل الكسب (أي عوامل الدفع). ومن هنا تبرز أهمية معالجة ـ أو بالأحرى مواجهة ـ التحديات التي تواجه الوجود الإسلامي في كندا أو الولايات المتحدة أو في أي بلد توجد فيه أقليات إسلامية. وبالنسبة لكندا بالذات فإن الوجود الإسلامي هو وجود مليء بالاحتمالات: احتمالات تأسيس قرطاجنة جديدة، أو أندلس جديدة، جنباً إلى جنب مع احتمالات تحطيم قرطاجنة وضياع الأندلس!! وبالتالي ضياع الهُوية الحضارية والدينية للمسلمين الكنديين. وأنا واثق تماماً من أن الإسلام لديه قدرة ذاتية على الصراع وعلى البقاء، ومثلما قال بعض المفكرين المسلمين في أوروبا، أنا لا أخشى على الإسلام، لأن الإسلام تكفل ربنا سبحانه وتعالى بحفظه، لكنني أخشى على المسلمين وليس على الإسلام، وكما أثبتت تجربة الحضارة الإسلامية في الأندلس على امتداد ما يقرب من ثمانية قرون؛ فإن العطاء الحضاري للمسلمين كان يرتكزا أساساً على قدرتهم على الانفتاح والتسامح وبناء المؤسسات التي ترفد التوهج الحضاري، كما أن غياب شمسهم من سماء الأندلس كان نتيجة لسيادة القبيلة السياسية متمثلة بممالك الطوائف المتناحرة، وانحسار التسامح، وبالتالي انحسار التفاعل الإنساني المبدع والخلاق، وسيادة التعصب القبلي أو الطائفي الأعمى الذي يحوّل الإخوة إلى أعداء، ويوجه طاقات الشعوب لتحطيم مقدراتها، وما يترتب على ذلك من فقدان الحرية والأمن والاستقرار والعيش الكريم ـ كما حدث في أفغانستان، وللأسف ـ كما يحدث حالياً في العراق وفي فلسطين ـ.

التأقلم الثقافي يرتبط بمسألة التواصل أو الامتداد الحضاري للجماعات الدينية والإثنية، ومدى إمكانية خلق نوع من التوازن المبدع بين الأصالة الثقافية والانتماء والتفاعل البناء مع المجتمع الكندي


إن وجود المسلمين في كندا وفي الولايات المتحدة يحتوي على كل هذه الاحتمالات كما أن نجاحهم أو إخفاقهم ـ في التحليل الأخير ـ هو رهن بمدى قدرتهم على استخدام طاقاتهم البشرية والمادية والفكرية المتاحة بكفاءة وذكاء وحكمة، لما فيه خيرهم وخير الإسلام وخير المجتمع الذي يعيشون فيه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



ليبيا

بعيون إسبانية



ليبيا بعيون إسبانية

خوليو هرنان*

* مصور وجيولوجي / إسبانيا

نظمت مجلة التواصل، بالتعاون مع المكتبة القومية المركزية بطرابلس، ليبيا، معرضا للصور (الفوتوغرافية)، للمصور الإسباني (خوليو هرنان)، وذلك خلال الفترة من الثاني عشر إلى العشرين من شهر النوار (فبراير) 1374 من وفاة الرسول (2006 مسيحي) وقد اشتمل المعرض على أكثر من خمسين صورة - لوحة - وبعد انتهاء المعرض قام السيد خوليو هرنان بزيارة لمقر صحيفة التواصل بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وفي أثناء هذه الزيارة كانت له انطباعات استعاد خلالها وقفات ومحطات في مسيرته الفنية الإبداعية.





بداية علاقتي مع آلة التصوير، وكيف نمت هذه الموهبة ؟ فيمكنني القول:

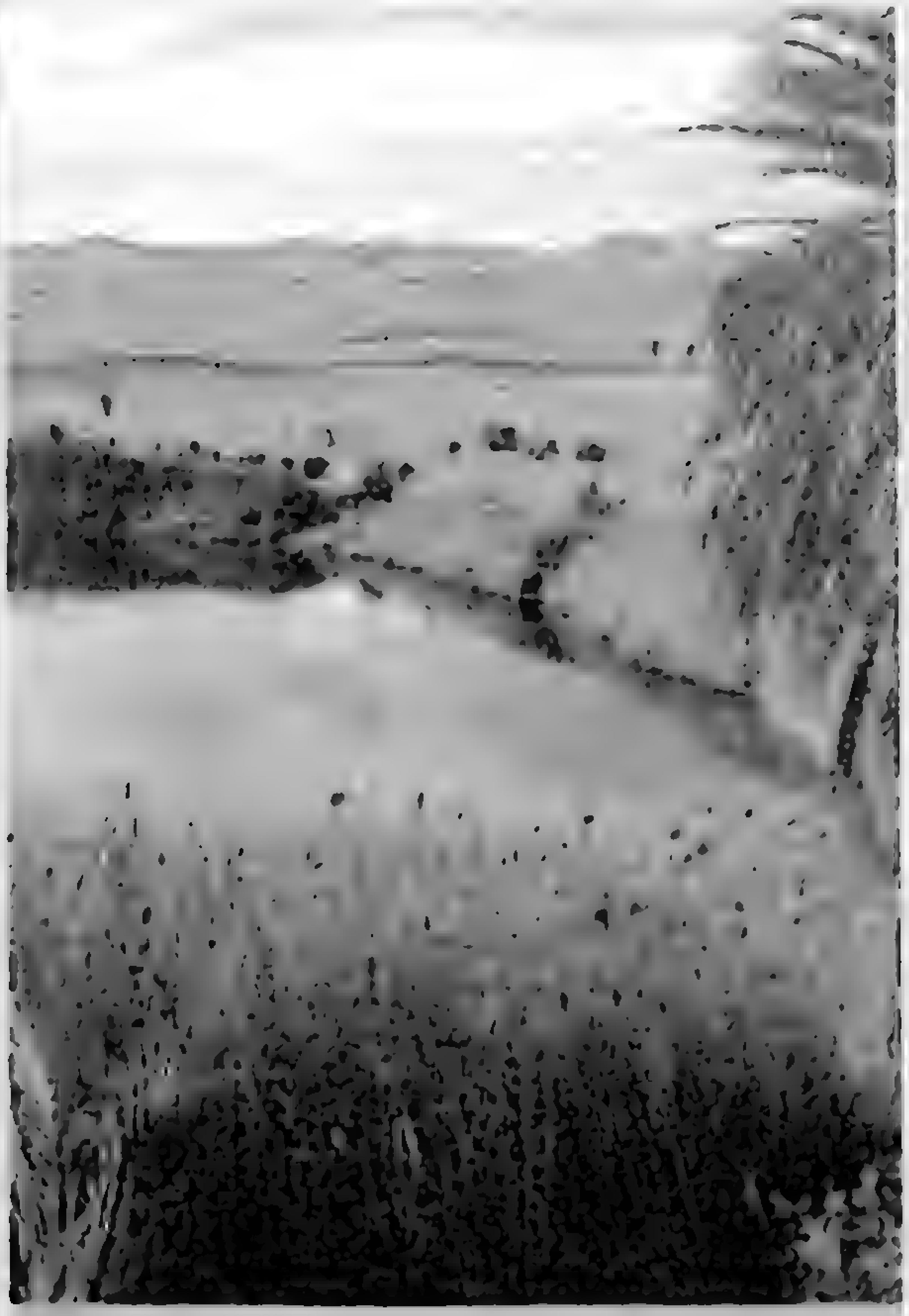
إن التصوير بالنسبة لي هواية وليس مهنة، وأتذكر أنني مذ كنت صغيرا استهوتني هذه الآلة العجيبة، فكنت أحملها معي أينما توجهت، وألتقط صورا لما تقع عليه عيناي من مناظر، خاصة الطبيعية، وهكذا ظلت آلة التصوير رفيقتي حيثما كنت وأينما حللت، ونمت هذه الهواية بشكل تلقائي.

مضى على وجودي في ليبيا أربع سنوات. وقبل أن أحضر إلى هنا للعمل في إحدى شركات النفط. لم تكن ليبيا معروفة بالنسبة لي. وقد اغتنمت فرصة وجودي في ليبيا لكي أتعرف عليها وعلى شعبها عن قرب. فكنت أخرج من حين لآخر إلى الشارع لألتقي بالناس. ليس في طرابلس فقط. بل سافرت إلى أماكن أخرى. فوجدت الليبيين طيبين جدا. منفتحين. كرماء. يحبون إقامة صداقات وعلاقات جديدة مع الآخرين.



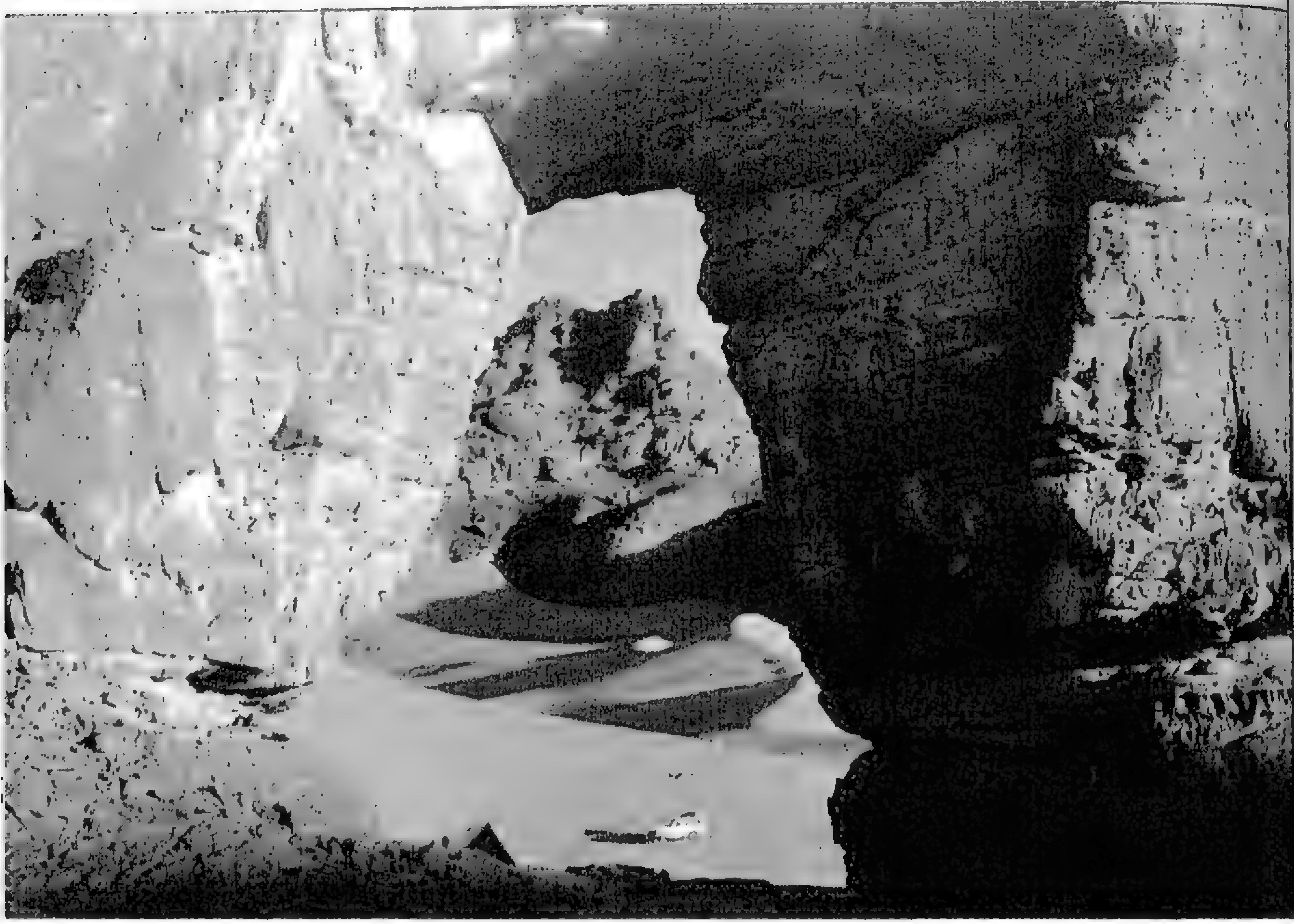






لم تكن في ذهني أية صورة عن ليبيا. عندما التحقت للعمل بالشركة قبل عشر سنوات. وعندما أتيحت لي فرصة العمل بأحد فروع الشركة خارج إسبانيا ؛ خُيِّرتُ بين عدة بلدان. فاخترتُ ليبيا لأنني لا أعرفها. وكل ما كنت أعرفه عنها أنها بلد عربي منتج للنفط. سكانه عرب مسلمون. وعندما أتيت إلى ليبيا وجدتها بلدا هادئا جذابا. أهله كرماء وطيبون.





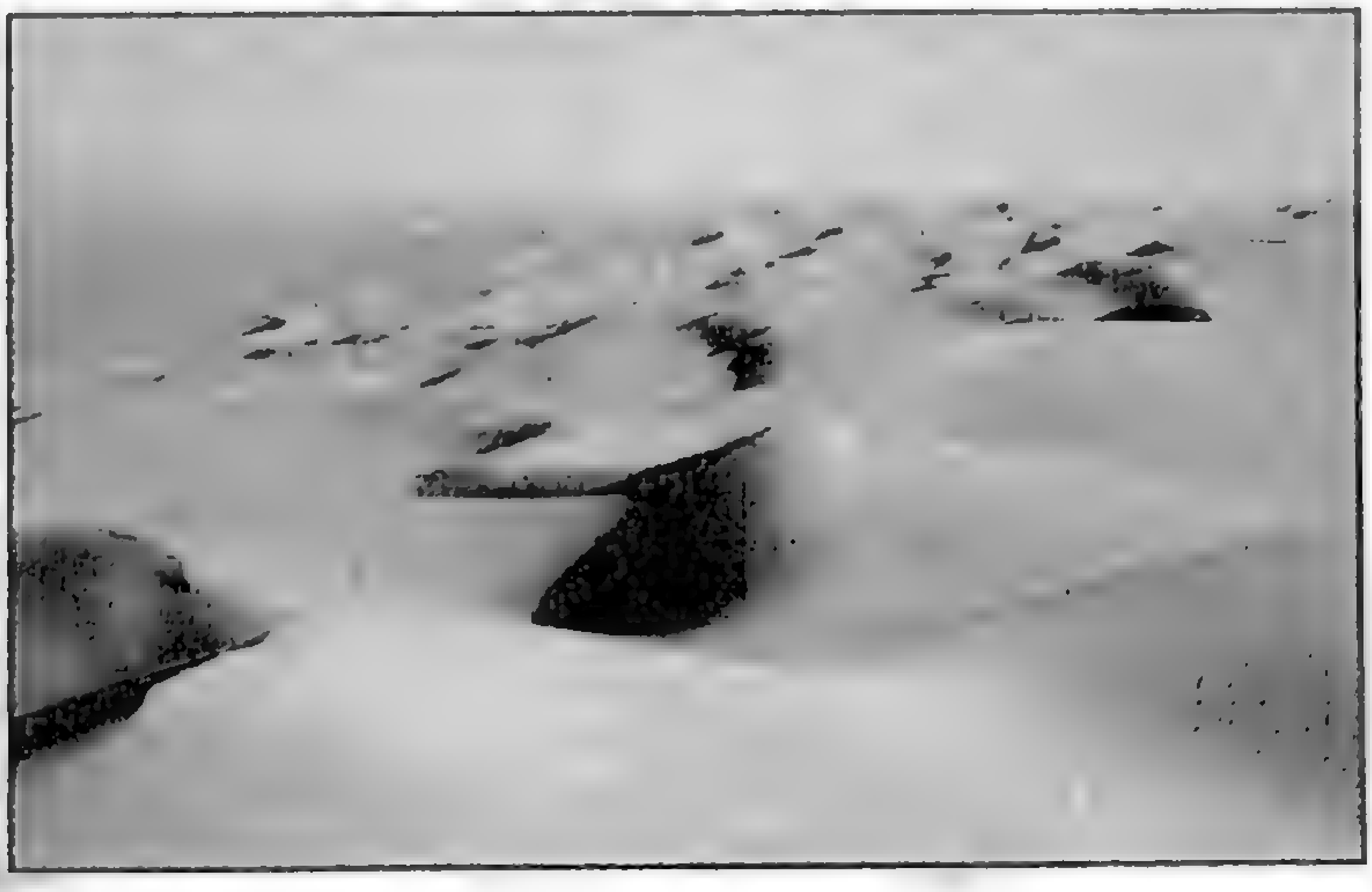


أهم ما أثار اهتمامي. وشد انتباهي هو الصحراء. والمساحات المفتوحة. ربما لأنني مدريدي. ولدت ونشأت في مدريد. وهي مدينة مزدحمة لا تعطيك فرصة الانطلاق ببصرك وأفكارك نحو الفضاء المفتوح. وقد أتاحت لي الصحراء الليبية الرائعة ما تتوق إليه نفسي.



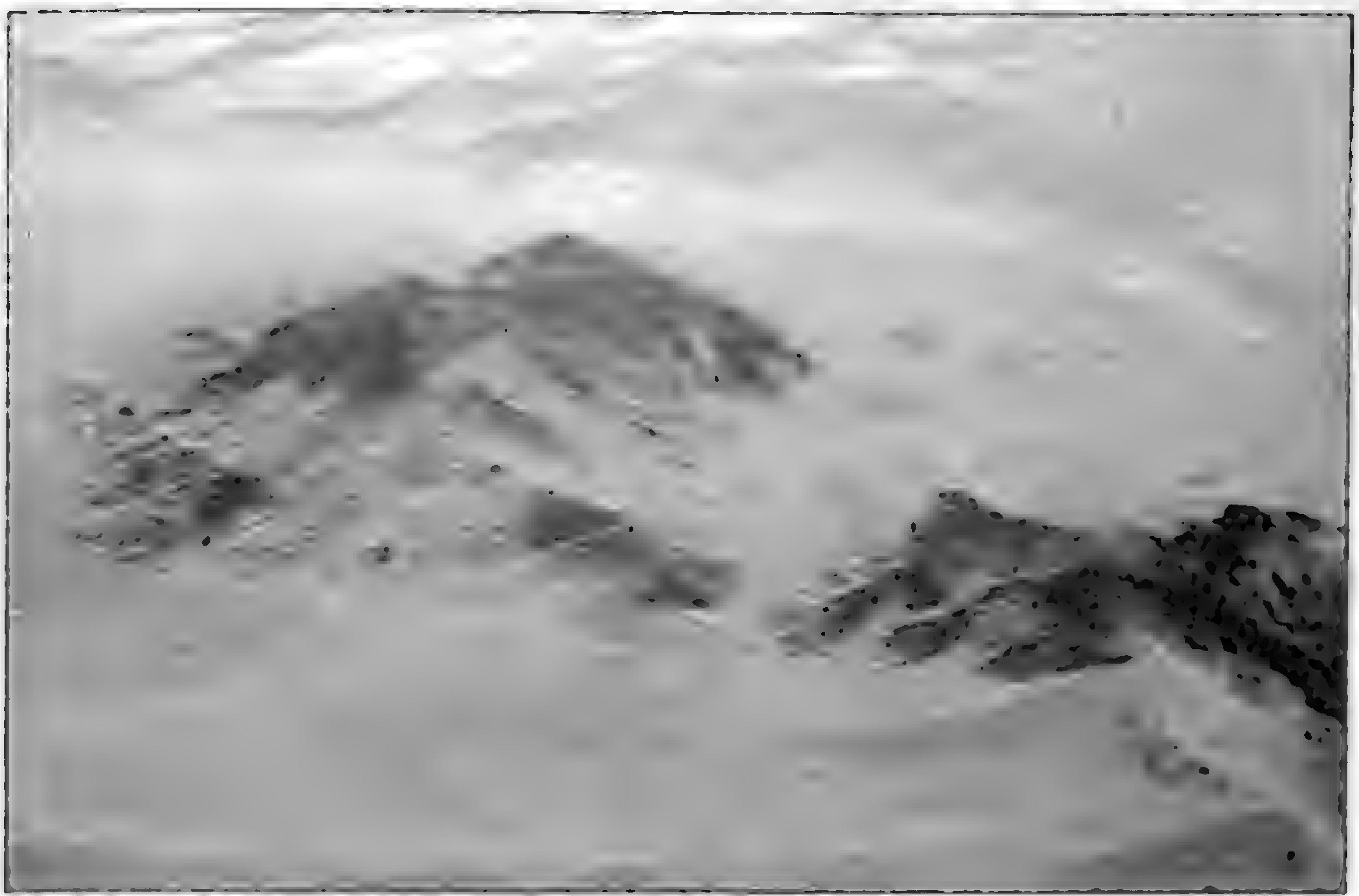


صـدقـوني عـنـدمـا أقـول إن منتهى متعتي وغاية نشوتي عندما أكون في الصحراء. حيث الفضاء المفـتـوح أمـام بصـري وأفـكـاري. لاشـيء يـحـجـب الأفـق. لا صـوت يعكر صفو مزاجك.



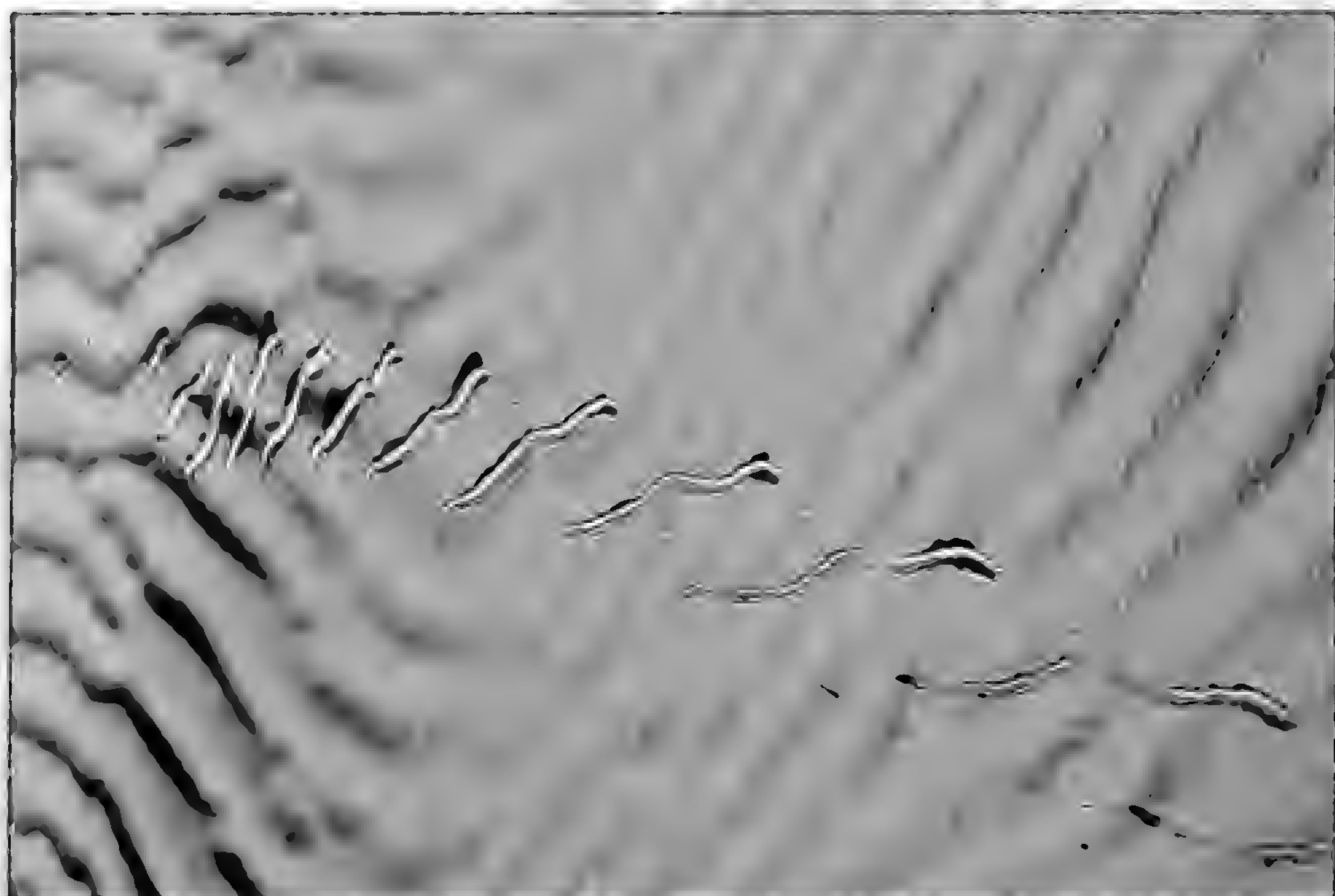


عندما أذهب - مثلاً - إلى منطقة (واو الناموس) أو (الكمرة) أو غيرها من مناطق الصحراء الشاسعة الجميلة؛ فإنني أجد نفسي في بحر من الرمال عظيم ورائع، خصوصا في الليالي المقمرة الجميلة، وهذا يعطيني الإحساس بالأمان، وتملأ كياني السكينة والطمأنينة، وأشعر بالنشوة وراحة النفس.



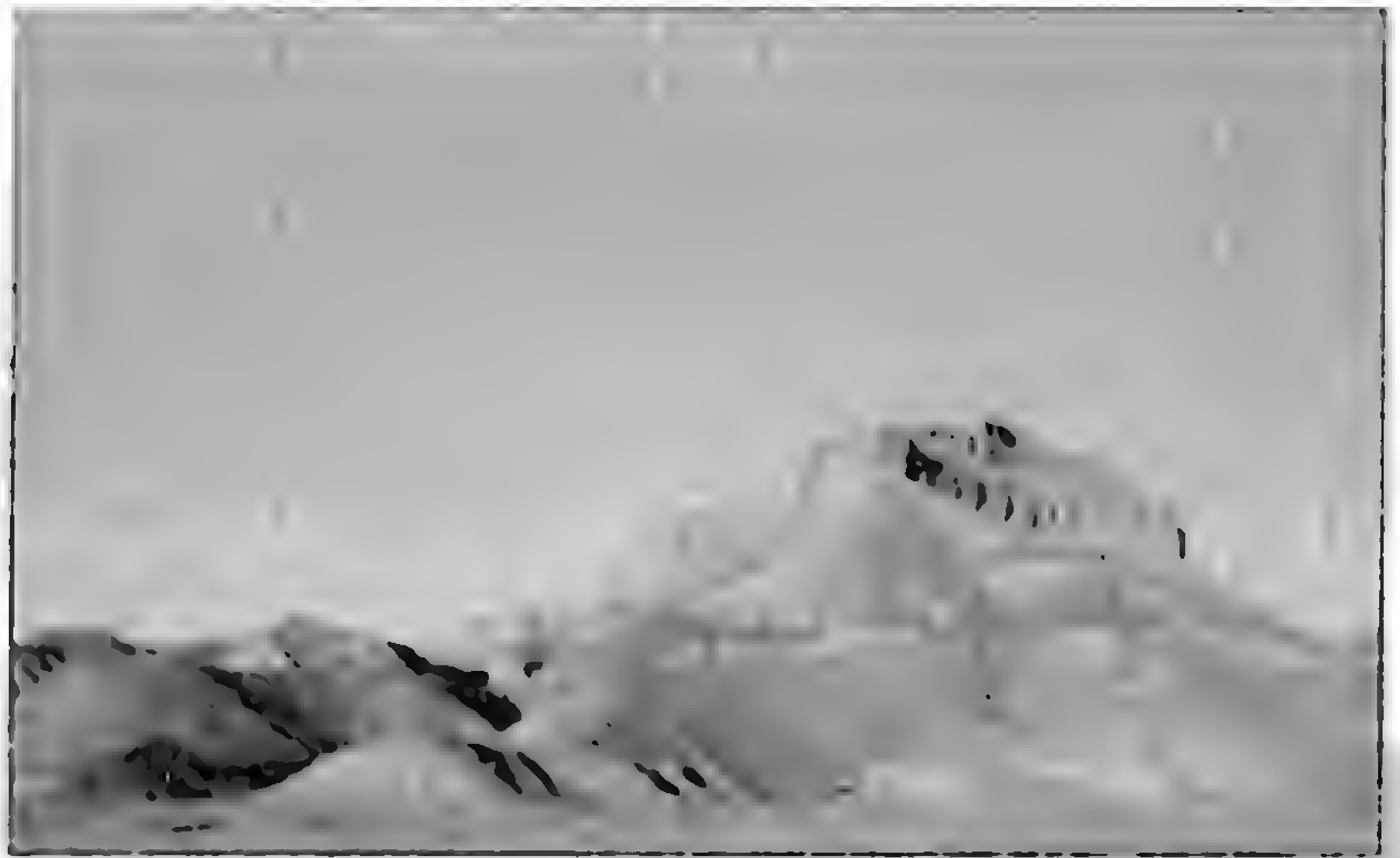


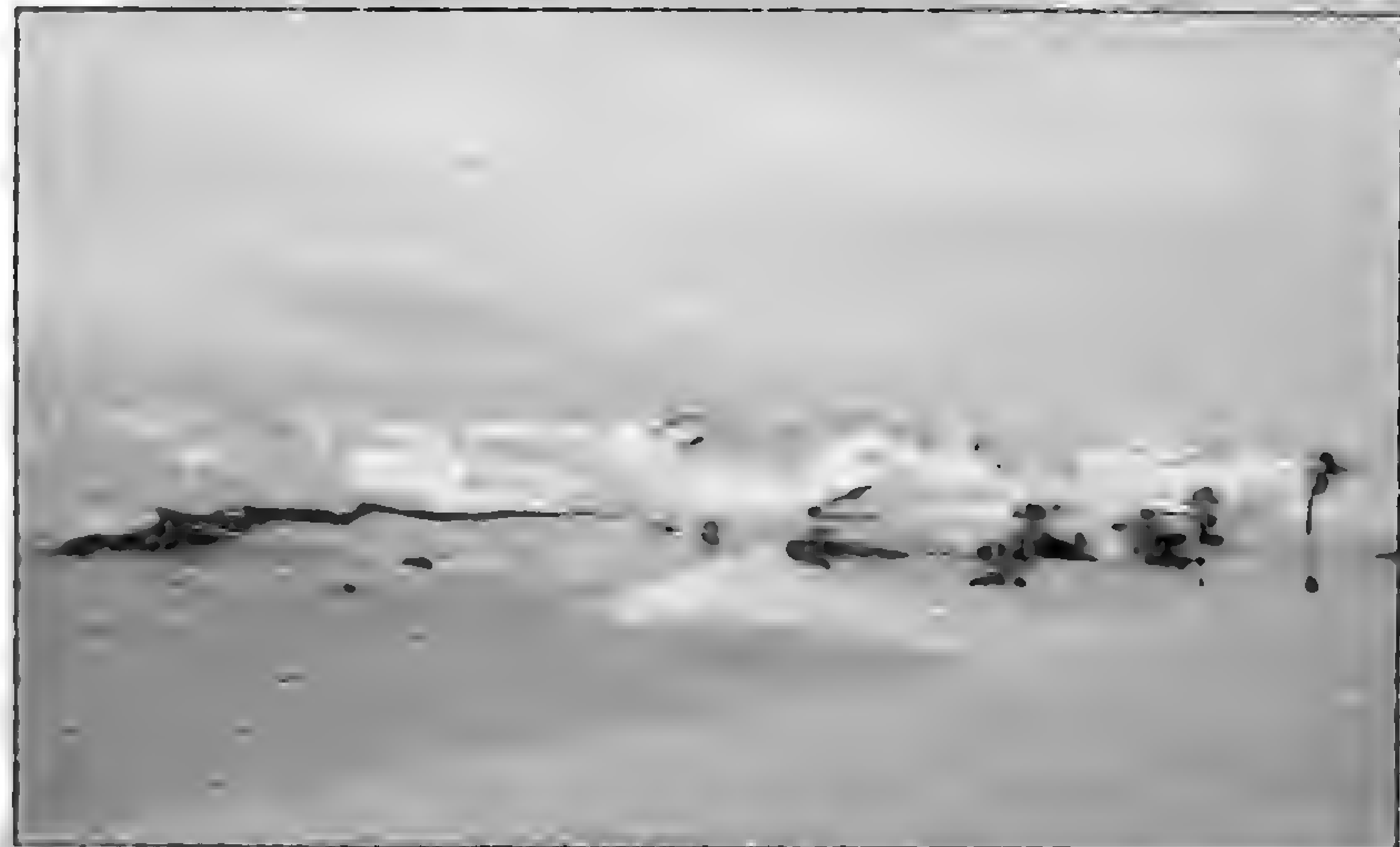






أقمت - في السابق - عدداً من المعارض بالاشتراك مع مصورين آخرين. وفيما يتعلق بالصور التي التقطتها في ليبيا فقد أقمت ثلاثة معارض، وكانت كلها في مدريد، في مقر الشركة التي أعمل فيها، وفي مقر جمعية الجغرافيين الإسبان. في أحد هذه المعارض لاحظت مدى استغراب الزوار ودهشتهم وإعجابهم بالصور المعروضة، والمعظمهم - إن لم أقل كلهم - لا يعرفون إلا القليل عن ليبيا. ومنهم من لا يعرف شيئاً عنها. وربما استطعت أن أنقل إليهم عبر عدسة التصوير ما كوّن لديهم فكرة هي مزيج من الدهشة والإعجاب، ثم الرغبة في زيارة هذا البلد، خاصة في الصحراء، حيث بحر الرمال العظيم، والكثبان الرملية، والصخور السوداء... الخ









وفضلا عن هذا فهناك أشياء رائعة نقلتها بالعدسة، وهي تلك المتاحف الأثرية وما تضمه من كنوز ومقتنيات ولقيات لحضارات شهدتها الأرض الليبية، عمرها آلاف السنين. ومنها الآثار الفينيقية والاغريقية والرومانية والاسلامية. وهناك حضارة (الأكاكوس) التي تضرب بجذورها في أعماق التاريخ البعيد جدا.



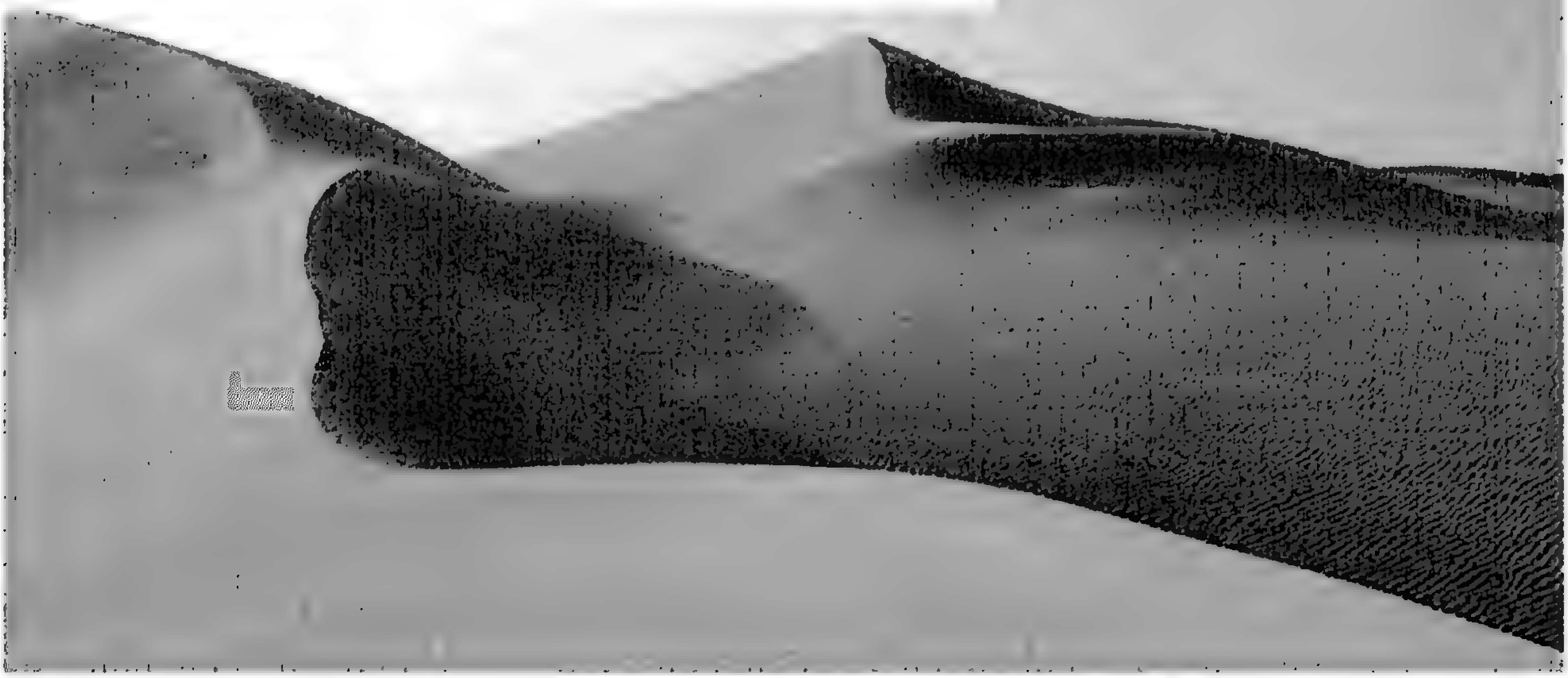




الناس في ليبيا وجدتهم كرماء جدا، وطيبين. ومن السهل أن ترتبط بعلاقات ودّ ومحبة، وصداقات مع عدد من الناس. وأنا أتحدث من خلال تجاربي الكثيرة. فقد كانت لي ما يمكن أن أسميها (مغامرات) من خلال السفر وحيدا (أقصد الأجنبي الوحيد بين مجموعة من المسافرين الليبيين، في السيارة أو في الطائرة). فأتعرف على واحد أو اثنين، وأحيانا أكثر، فتنشأ صداقات بيننا. ويضيفونني في بيوتهم، أتناول الأكل الليبي، والشاي الليبي، ويكون التعامل بيننا في منتهى الرقة والأدب والاحترام.



هناك تجارب عديدة لي من هذا النوع، في المدن والقرى، وفي المناطق والواحات في الصحراء، وفي عدد من المدن في ليبيا. وأذكر هنا مثالين : مرة كنت مسافرا بالطائرة إلى بنغازي فتعرفت على رجل ليبي، وتحول التعارف إلى صداقة، فأخذني إلى بيته واستضافني، وتجولنا معا في المدينة وما حولها عدة مرات، وامتدت صداقتنا إلى اليوم. ومرة أخرى توقفت في مدينة سبها للراحة كي أنطلق بعدها إلى موقع عملي في الصحراء، فتعرفت أثناء ذلك على إنسان في منتهى الرقة والأخلاق، ونشأت بيننا صداقة متينة، وصادف ذلك مناسبة عيد الأضحى، فأخذني الرجل إلى بيته حيث تعرفت على إخوته وأقاربه، وقضيت معهم كل أيام العيد، حيث الذبح والنحر، وكالعادة وثّقت كل ذلك بآلة التصوير.













فعلا. ودون مجاملات أو تزلف؛ الليبيون شعب طيب ورائع وكريم. وسأنقل كل هذه الانطباعات. وأكثر. إلى الشعب الإسباني. وإلى كل الذين يزورون معارضي الفنية من الأوروبيين وغيرهم.

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى مجلة التواصل. والمكتبة القومية المركزية. على إقامة هذا المعرض. الذي كنت - قبل مبادرة التواصل بإقامته - حائرا ومرتبكا حول إقامته. لأنه أمر مهم جدا بالنسبة لي.



تقارير

- ❖ العاصمة البريطانية لندن تشهد اجتماعات المجلس العالمي للدعوة الإسلامية ..
- ❖ لماذا تمبكتو؟

العاصمة البريطانية لندن تشهد اجتماعات المجلس العالمي للدعوة الإسلامية ..

ضيوف من أوروبا وآسيا وأمريكا والوطن العربي وإفريقيا يحضرون اجتماعات المجلس

إعداد: التحرير

باسم الحكومة البريطانية أشاد مستشارها القانوني المحامي (مايكل أوبراين) باختيار المجلس العالمي للدعوة الإسلامية العاصمة لندن لعقد دورته العادية السابعة عشرة، وقال في كلمته بالجلسة الافتتاحية مرحباً بأعضاء المجلس وضيوفه: إن هذا الجمع من العلماء والمفكرين ومسؤولي المؤسسات الإسلامية في لندن، في



مايكل أوبراين

اجتماعهم الدوري السنوي، يعد إسهاما في بناء جسور التفاهم والحوار، ويعزز التواصل الديني والثقافي بين أتباع الديانات المختلفة.. ونوه المستشار (أوبراين) في كلمته بإسهامات المسلمين البريطانيين في الحياة العامة بالمجتمع البريطاني بكل قطاعاته الاقتصادية والعلمية والدينية، وهو ما أثرى التعددية التي تمثل سمة هذا المجتمع، معدداً في كلمته المظاهر والسلوكيات التي أنتجت أشكالا من الإرهاب، وأشاعت ثقافة الكراهية والصدام الحضاري، ومع ذلك كان هناك تقدير من الحكومة البريطانية للموقف الإسلامي الرافض للأحداث المؤسفة التي تعرضت لها لندن في السابع من شهر ناصر (يوليو) 2005 مسيحي، الذي تمثل في إدانته الإرهاب وبراءة الإسلام منه..

وفي ختام كلمته تقدم مستشار الحكومة البريطانية (مايكل أو براين) بشكره وتقديره لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومجلسها العالمي، على تأبين الراحل: محمد أبو الخير زكي بدوي،، عضو المجلس الذي كان رمزا للعالم المسلم، العامل من أجل تفاهم إنساني وحوار ديني يؤدي إلي أن يعيش الجميع بسلام وحرية وأمن..

وكانت هذه الدورة عقدت خلال يومي السابع عشر والثامن عشر من شهر الربيع 1374 من وفاة الرسول ﷺ (مارس 2006 مسيحي) بمشاركة عدد من الضيوف، من أوروبا، وأمريكا، والوطن العربي. وقدم الأخ المقرر العام للمجلس في كلمة افتتاحية معلومات عن هذه الدورة والموضوعات التي ستناقشها، مبينا موقع المجلس العالمي للدعوة الإسلامية في الهيكلية التنظيمية للجمعية، والمهام المناطة به، والتي تتمثل أساسا في برمجة التوصيات والقرارات التي يصوغها المؤتمر العام للجمعية..

الاعتزاز بالهُوية ومتطلبات المواطنة

السيدة (البارونة أودين) الناشطة في الحوار بين



السيدة البارونة أودين (يمين) ويوسف اسلام (يسار)

الأديان، تقدمت في مستهل كلمتها بالجلسة الافتتاحية بالشكر والتقدير للجمعية ومجلسها العالمي على اختيار لندن مكانا لهذا الاجتماع، وهو ما أتاح لها فرصة اللقاء بأعضاء المجلس وضيوفه الذين جاءوا للمشاركة في تأبين المرحوم الدكتور محمد أبو الخير زكي بدوي، وعبرت عن تقديرها للعمل الثقافي والإنساني الذي تضطلع به جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، مشيرة إلى أنها حظيت بالمساهمة في بعض فعالياتها ومناشطها، ومنها مشاركتها في ملتقى (لتعارفوا) الذي نظمته الجمعية بطرابلس في شهر الفاتح (سبتمبر) 2003 مسيحي، وأكدت في كلمتها على أهمية التربية في أوساط المسلمين البريطانيين، بما يمكّن أبناءهم من معرفة حقيقة دينهم والاعتزاز بهويتهم، والقيام بكل متطلبات المواطنة في إطار المجتمع البريطاني المتعدد الثقافات، مشيدة بأجواء الحرية التي يتمتع بها مسلمو بريطانيا، وإسهامهم في التنمية الشاملة لبلدهم، مذكرة بأن ذلك الإسهام لا بد أن يتعزز بانخراط المسلمين في العمل المؤسساتي والمشاركة الفاعلة في الحياة السياسية البريطانية، وأثنت في ختام كلمتها على المرحوم، «الدكتور زكي بدوي»، لخدماته الجليلة للإسلام والمسلمين في بريطانيا على مدى عقود، وعلى دوره في بناء جسور التفاهم والحوار بين مختلف الأديان والثقافات..

وتحدث بعد ذلك الداعية المسلم (يوسف إسلام) فشدد على ضرورة فهم الدين فهماً مبنياً على ثوابت وأسس العقيدة، والإسهام في تنمية المجتمع في المناحي الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وأشار إلى أنه وجد في الإسلام القيم التي تؤسس للخير وتؤكد على كرامة الإنسان، وأشاد في ختام كلمته بجهود جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ودورها التربوي في بريطانيا من خلال الكلية الإسلامية والتي تولى عمادتها المرحوم،، زكي بدوي،، مشيراً إلى أنه استفاد كثيراً من علمه وانفتاحه وإسهامه في إثراء الحياة الثقافية في بريطانيا..

أهمية الدين في حياة الناس

تناول الكلمة بعد ذلك الأخ الأمين العام للمجلس فرحب بالمستشار (مايكل أوبراين) الذي يمثل الحكومة البريطانية في افتتاح هذا الاجتماع، وتقدم من خلاله بشكر وتقدير جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومجلسها العالمي إلى بريطانيا : ملكة وحكومة وشعباً، لترحيبها بعقد دورة المجلس في هذه العاصمة الأوروبية الكبرى وقال الأخ الأمين العام : إن ضيوفنا من أوروبا، وآسيا، وأمريكا، والوطن العربي، وإفريقيا، يحضرون معنا أعمال اجتماعنا هذا، الذي استعرضت فيه العديد من التقارير عن نشاط الجمعية، في المجالات التعليمية والثقافية والإنسانية.. وإن الجهل بالدين يقدم نماذج لا تمثل الإسلام في بعده الإنساني،



ويقتطع من الدين ما يتناسب مع الميول السياسية أو الطائفية أو المذهبية، وهو ما يقود إلى التطرف والعنف والانكفاء على الذات وحجب الحقيقة عن الناس، وفي ختام كلمته شدد الأخ الأمين العام للمجلس على أهمية الدين في حياة الناس فهو مصدر المنظومة القيمية التي تعزز ثقافة التعاون من مختلف الأديان على عمل الخير. مؤكدا على أن الإسلام يرفض الإرهاب والعنف والتطرف، ويتعارض مع فكرة الصدام بين الحضارات والثقافات، ويحث على التعاون في المشاريع الإنمائية لتطوير المجتمعات التي تمس حاجتها للمساعدات، وهو في ذات الوقت يقف ضد العدوان والحروب الظالمة، وتضليل الرأي العام بتزييف الحقائق والتعدي على حرية الفكر.. ورحب بضيوف المجلس شاكراً لهم إسهاماتهم في مجال الفكر والثقافة، والتعريف بالإسلام في بعده الإنساني.

ثلاث جلسات عمل

في جلسة العمل الأولى تم عرض مشروع جدول الأعمال الذي اعتمد على النحو التالي :

1 ـ تقرير اللجنة التنفيذية عن أنشطة الجمعية عن الفترة من الفاتح (سبتمبر) 2005 مسيحي إلى النوار (فبراير) 2006 مسيحي ..

2 ـ تقرير عن كلية الدعوة الإسلامية وفروعها..

3 ـ تقرير عن برنامج تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية في دول الساحل الإفريقي (ما بعد كانو)..

4 ـ عرض لبرامج وأنشطة الحوار الديني والثقافي..

5 ـ متابعة خطة عمل الجمعية لعام 2006 مسيحي..

6 ـ تقارير الأعضاء عن العمل الثقافي والإنساني في مناطقهم..

وتم الاتفاق على أن يصدر عن الاجتماع بيان يسمى بيان لندن، يوضح موقف المجلس حيال بعض المستجدات على الساحة الإسلامية والعالمية.



جانب من اجتماعات المجلس

ووفقاً لذلك فقد استعرض المجلس تقرير لجنته التنفيذية عن أوجه النشاط المختلفة في الفترة الواقعة بين شهر الفاتح (سبتمبر) 2005 مسيحي، والربيع (مارس) 2006 مسيحي، وبعد مناقشات مستفيضة من قبل جل الأعضاء تم اعتماد التقارير المدرجة في جدول الأعمال، مع التأكيد على ما يلي :

1 ـ العمل على تحقيق التوازن الجغرافي في أنشطة الجمعية وخاصة في القارة الإفريقية، والتنسيق في أنشطتها الدعوية والثقافية والإنسانية مع المؤسسات الإسلامية التي تعمل في تلك الساحة..

2 ـ إيلاء مزيد من الاهتمام بتأهيل الأئمة من خلال المؤسسات التربوية والثقافية التابعة للجمعية بما يوسع مداركهم ويجعلهم أكثر قدرة على الإسهام في تنمية مجتمعاتهم وإشاعة ثقافة الحوار والتعارف فيها، والانفتاح على المستجدات العالمية والتعامل معها بروح إسلامية تعيش العصر وتتمسك بالهوية..

3 ـ الاستمرار في الجهود الهادفة إلى تنظيم حوارات إسلامية ـ إسلامية، تهدف إلى التقريب بين المذاهب، وتعزز الالتقاء على الثوابت المرجعية للإسلام وهي القرآن الكريم والسنة الصحيحة، والتعاون في كل ما من شأنه أن يحول دون إثارة الفتن الطائفية والمذهبية..

4 ـ استثمار الرصيد الحضاري والثقافي والتاريخي

الكبير الذي يجمع المسلمين بالمسيحيين الشرقيين ومؤسساتهم الدينية والثقافية من أجل تفعيل الحوار مع الغرب وتقديم نماذج للتعايش والتعاون من أجل غد أكثر أمنا وسلاما للمجتمع الإنساني..

5ـ تفعيل قنوات الاتصال والتعاون مع المؤسسات الإسلامية في منطقة المحيط الهادئ ومنطقة الكاريبي بما يساهم في تعزيز الهوية الإسلامية لسكان تلك المناطق ويوصل فيهم روح الانتماء للأمة ويمكنهم من الإسهام الثقافي والحضاري في مجتمعاتهم..

6 ـ الاستمرار في العمل على تطوير عمل الجمعية في مختلف مناحيه والاستفادة من كل ما تطرحه تقنية المعلومات والاتصالات لتحقيق ذلك الهدف واستثمار خبرات الأعضاء في هذا الشأن..

7ـ مضاعفة الاهتمام ببرامج كفالة الأيتام ودعم المؤسسات الأهلية والحكومية التي تضطلع بمثل تلك البرامج وخاصة في المناطق التي تتعرض للحروب والصراعات الطائفية.

ضيوف الدورة

في بداية جلسة العمل الثانية تحدث الإخوة الذين حلوا ضيوفاً على المجلس العالمي للدعوة الإسلامية في دورته هذه، وهم :

ـ الدكتور فوزي الزفزاف الكاتب الإسلامي والرئيس السابق للجنة الحوار بالأزهر (مصر).

ـ الشيخ راشد الفرحان العضو السابق للمجلس العالمي وأحد الباحثين في الفكر الإسلامي (الكويت)

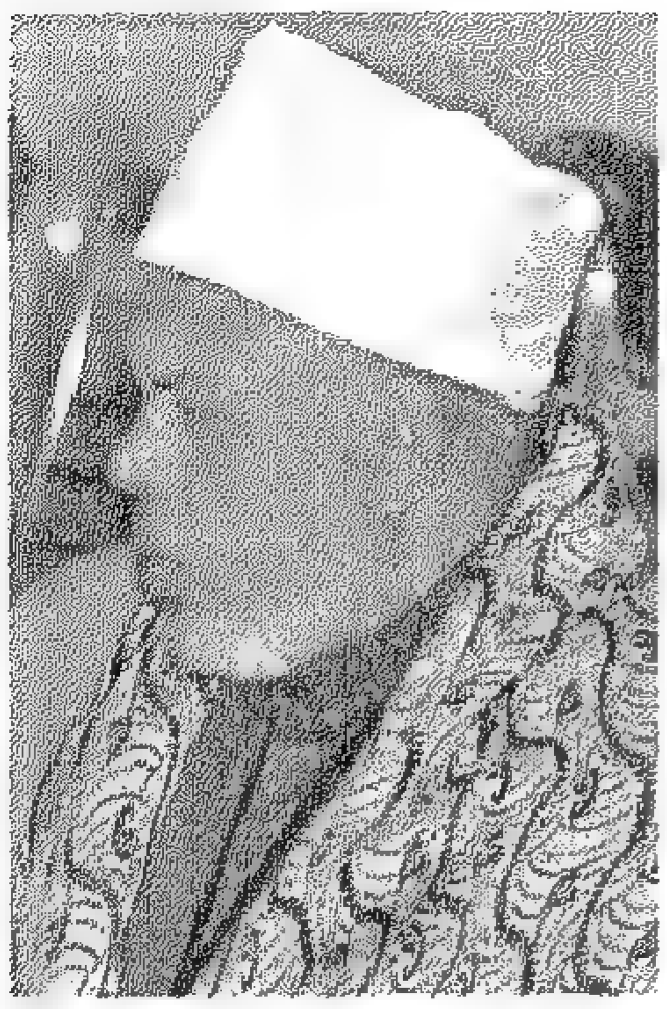
ـ الشيخ صلاح الدين المستاوي من علماء تونس المعروفين والباحثين في التراث الإسلامي.

ـ الدكتور تشارلز باترسون العميد الأكاديمي بجامعة نورث بارك (شيكاغو / أمريكا).

ـ الدكتور دونالد واجنر مدير مركز دراسات الشرق الأوسط جامعة نورث بارك (شيكاغو/ أمريكا).

ـ الدكتور عبد الله الأشعل الخبير القانوني والمتخصص في العلاقات الدولية (مصر).

ـ الدكتور محمد عبد الحليم عضو مجلس الكلية الإسلامية في لندن وأستاذ الدراسات الإسلامية في مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن..



الشيخ تاج الدين الهلالي ـ مفتي استراليا



الشيخ صلاح الدين المستاوي

وقد حيا جميعُهم أعضاءَ المجلس، وأثنوا على الجدية في مداولاته، وعبروا عن غبطتهم لدعوتهم حضور أعمال هذه الدورة للمجلس، وهو ما مكنهم من أن يطلعوا على أنشطة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في مختلف أنحاء العالم، مبدين استعدادهم للتعاون معها في شتى ميادين الثقافة والتربية والحوار والعمل الإنساني في مناحيه المختلفة..

متابعة خطة عمل الجمعية

بعد ذلك شرع أعضاء المجلس في مناقشة البند الخامس من جدول الأعمال وهو متابعة خطة عمل الجمعية لعام 2006 مسيحي، حيث جرت مناقشات معمقة حول عناصر تلك الخطة، وتم على إثرها اعتماد خطة الجمعية مع العمل على التركيز من خلالها، ومن خلال خطة عام 2007 مسيحي على القضايا التالية :

ـ الاستمرار في تنظيم دورات في اللغة العربية والدراسات الإسلامية لاختصاصيين في العلوم التطبيقية من خلال كلية الدعوة الإسلامية

وفروعها، حتى يضطلع هؤلاء بمهام التعريف بالإسلام، إضافة إلى ما يقدمونه من خدمات إنسانية..

- دراسة إمكانية تأسيس فرع لكلية الدعوة الإسلامية في شرق إفريقيا على غرار فرعي الكلية في غربها، وذلك خدمة للدعوة والثقافة الإسلامية في المنطقة..
- مضاعفة الاهتمام بالشأن التعليمي وخاصة في منطقة القرن الإفريقي ودوله الكبرى، وتشجيع المبادرات التي تحيي الإسهام التاريخي الحضاري للإسلام في هذه المنطقة..
- توسيع دائرة الحوار لتتجاوز الحوار مع المسيحية إلى أتباع الديانات الأخرى وخاصة الشرقية منها، وذلك للتعريف بالإسلام من ناحية، وللوصول إلى (قواسم مشتركة) بشأن المشكلات الكبرى التي تواجه عالمنا المعاصر، مع دراسة إمكانية تكوين لجنة للحوار تنبثق عن هذا المجلس..
- توسيع دائرة الاهتمام بالشأن الإعلامي، وإعداد



الشيخ،، مصطفى شيرتس



الأمير تشارلز

حفل تأبين المرحوم الدكتور محمد زكي بدوي

جرى حفل تأبين المرحوم الدكتور زكي بدوي في (قاعة بروتاي) بمركز الدراسات الإفريقية والشرقية بجامعة لندن.

وقد حضر حفل التأبين ولي العهد البريطاني الأمير تشارلز، ووزير الداخلية تشارلز كلارك، وكبير أساقفة كانتربري، وأعضاء المجلس العالمي، وعدد من القيادات الدينية والأكاديمية والفعاليات الإسلامية في بريطانيا والمئات من أصدقائه وطلابه الذين غصت بهم القاعة..

وتحدث في الحفل الأخ أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، فنقل إلى أسرة المرحوم وأصدقائه وإلى أعضاء المجلس العالمي للدعوة الإسلامية ـ الذي اختير عضوا فيه منذ عام 1982 مسيحي، واستمر كذلك إلى حين وفاته ـ نقل لهم تعازي الأخ القائد معمر القذافي الذي تعرف على المرحوم في عدد من المناسبات، وناقش معه العديد من القضايا الإسلامية والعالمية..



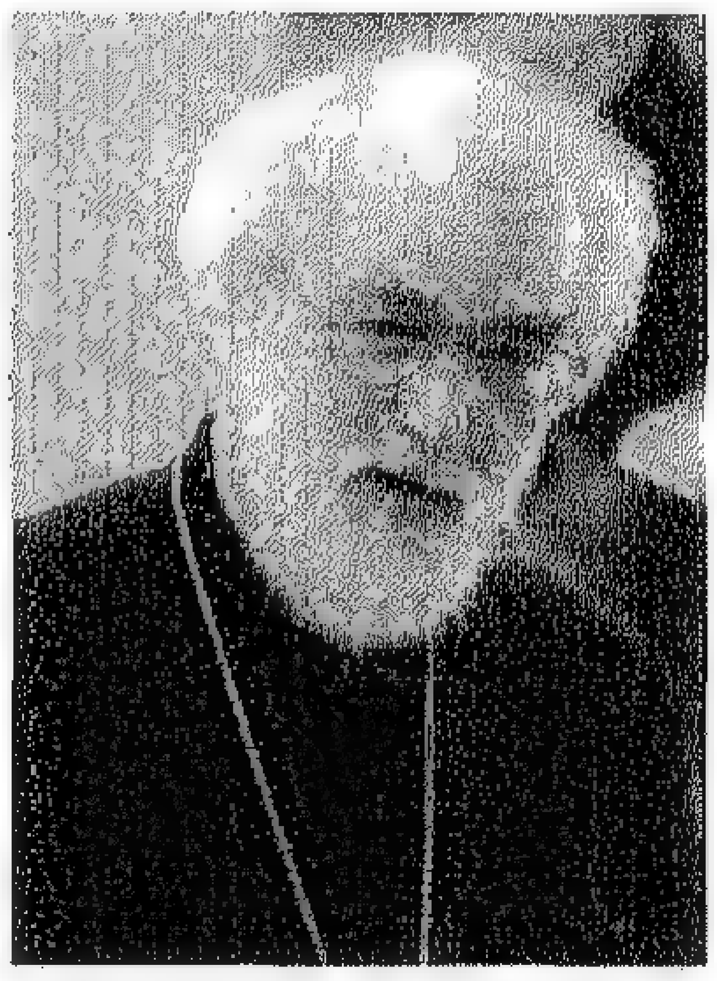
وأشار الأخ الأمين إلى الإرث الكبير الذي خلفه،، الدكتور بدوي،، في مجال العلم والحوار، وإلى دوره في إثراء الحياة البريطانية ثقافياً ودينيا، كما أشاد الأخ الأمين بدور الراحل في المجال الأكاديمي، وذلك من خلال تكليفه بعمادة الكلية الإسلامية بلندن التي أنشأتها الجمعية عام 1986 مسيحي، وكلفه المجلس العالمي بإدارتها والتي كانت منبراً إسلاميا تخرّج فيه العشرات من طلاب الدراسات العليا، وساهم في الحياة البريطانية من خلال تنظيم عدد من الدورات التأهيلية للعشرات من العاملين في مجالات الخدمات العامة..

وقدم الأخ أمين الجمعية للحضور،، الأمير تشارلز،، ولي عهد بريطانيا، الذي حث المسلمين

البرامج المسموعة والمرئية والكتيبات والمطويات التي تشرح مبادئ الإسلام، وتوضح بعض المصطلحات التي يثار لغط كبير حول مضامينها، على أن يكون ذلك في إطار فهم معاصر للإسلام، وإدراك واعٍ لمستجدات العصر..

في جلسة العمل الثالثة تم الاستماع إلى تقارير أعضاء المجلس عن العمل الثقافي والإنساني في مناطقهم، حيث غطت عروضهم المناشط الثقافية والاجتماعية، وتواصلهم مع المكونات الثقافية والسياسية في بلدانهم، وتقدم بعضهم بمقترحات وأفكار ضمنت جلها في التوصيات التي أشير إليها. وقد عبر أعضاء المجلس في ختام أعمالهم عن شكرهم للمملكة المتحدة التي التقوا في عاصمتها لندن، وشاركوا في عدد من المناشط الثقافية والاجتماعية والتي يأتي في مقدمتها التأبين الذي نظمته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لعضو مجلسها العالمي وعميد كليتها في لندن المرحوم ،،الدكتور زكي بدوي،، بحضور ولي العهد البريطاني،، الأمير تشارلز،، ووزير الداخلية،، تشارلز كلارك،، والعشرات من القيادات الدينية والأكاديمية، ورجال الصحافة والإعلام، والفعاليات الإسلامية في بريطانيا..

وقد فوض المجلس أمينه العام لتوجيه رسائل شكر إلى كل الذين ساهموا في إنجاح اجتماعاته من الأوساط الرسمية والشعبية في المملكة المتحدة، كما تقدم المجلس بالشكر لعضوه فضيلة الشيخ،، مصطفى شيرتس،، مفتي البوسنة لدعوته استضافة المجلس في دورة قادمة في البوسنة..



كبير أساقفة كانتربري



جانب من حضور التأبين

البريطانيين على عدم تضييع إرث المرحوم «الدكتور زكي بدوي»، وأكبر فيه انفتاحه على قضايا الحوار والعمل الثقافي المشترك.

وأشار،، الأمير تشارلز،، إلى زيارته السنة الماضية إلى الكلية الإسلامية بلندن، وإعجابه بالدور الثقافي الذي تضطلع به.

وألقي وزير الداخلية البريطاني كلمة أوضح فيها جانبا من الجهود التي تبذلها وزارته، خدمة للقضايا الإسلامية والوطنية البريطانية على حد سواء، مشيراً إلى أن الحكومة كانت تستشيره حول الكثير من القضايا المتعلقة بالجالية الإسلامية.

كما تحدث في حفل التأبين عدد من الضيوف من بينهم مفتي استراليا، ومفتي البوسنة عضوا المجلس العالمي للدعوة الإسلامية، وكبير أساقفة كانتربري، وعدد من قيادات الجالية الإسلامية في بريطانيا.

وقد أثنى المتحدثون على الجمعية لتنظيمها هذا الحفل، معبرين عن تقديرهم لدورها في ترسيخ قيم الحوار والتعارف، وإشاعة ثقافة الحوار، وإبراز الإسهامات الحضارية للإسلام.

لماذا تمبكتو؟

إعداد: التحرير

في كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس، نظم عدد من طلاب الدراسات العليا من جنسيات وقارات متعددة، ندوة موسعة بعنوان (أبعد من تمبكتو.. رسالة عالمية جديدة) حول خطاب الأخ معمر القذافي في التظاهرة الإسلامية الكبرى، التي عاشتها مدينة تمبكتو، بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف..

خلص الباحثون، بعد الحوار، إلى أن هذه التظاهرة، تشكل حدثاً سيكون له مردوده في تاريخ هذه الواحة. بموقعها المتميز في غرب أفريقيا. وفي المنطقة بعمومها، التي تتفاعل بحكم خصوصيتها الإسلامية وتميزها بتجاوب ملوك وسلاطين القبائل وقادة وزعماء الطرق الصوفية، مع طرح معمر القذافي التجديدي والتنويري للخطاب الديني..

وقامت عمادة وهيئة التدريس بالكلية، بتأطير الندوة، ومشاركة الطلاب في أوراقها البحثية، وكان السؤال المتداول بين الطلاب: لماذا تمبكتو؟ وما هو الأبعد من تمبكتو؟ ولماذا وقع اختيار معمر القذافي على هذه المدينة، دون غيرها من الحواضر الإفريقية الأخرى؟ ليشارك، ويُفعل احتفاءها بالمولد النبوي الشريف، ويؤم في صلوات جامعة الرؤساء وجموع المسلمين، الذين توافدوا على تمبكتو من دول الجوار ومن خارج القارة الإفريقية، حين علموا بوصول الأخ معمر القذافي قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية إلى جمهورية مالي، تواصلاً مع مسيرته وقيادته ومواكبة لرحلاته الدعوية، لاستنهاض همم المسلمين وفتح آفاق جديدة للحوار الحضاري نبذاً للجمود والتعصب، واستناداً للثوابت الإسلامية..

ويجمع الباحثون في محاوراتهم بالندوة، على أن زيارة «معمر القذافي»، تعد لفتة حضارية تعيد لهذه الحاضرة الإسلامية مجدها، ولأهل تمبكتو شرفهم التاريخي، من أجل استئناف دورها الحضاري، مشيدين بما تضمنه الخطاب الذي ألقاه بمدينة تمبكتو، ومعالجته لقضايا حاول البعض لحين من الوقت التعامل معها كمسلمات، من بينها قضية المناهج الغربية، وما تتضمنه من مغالطات ساهمت في حجب الحقيقة عن أبناء المجتمعات الغربية، وأعاقت بناء علاقات تعاون وتوسيع آفاق الحوار بين أبناء المجتمعات الإنسانية..

كما نوه المتحدثون في مداخلاتهم بالأسلوب الدعوي للخطاب، الذي فند مزاعم المتربصين والمغرضين، عارضاً بالتحليل العلمي وبالحجة والبيّنة: أن الإسلام رسالة نسخت الرسالات السماوية السابقة.



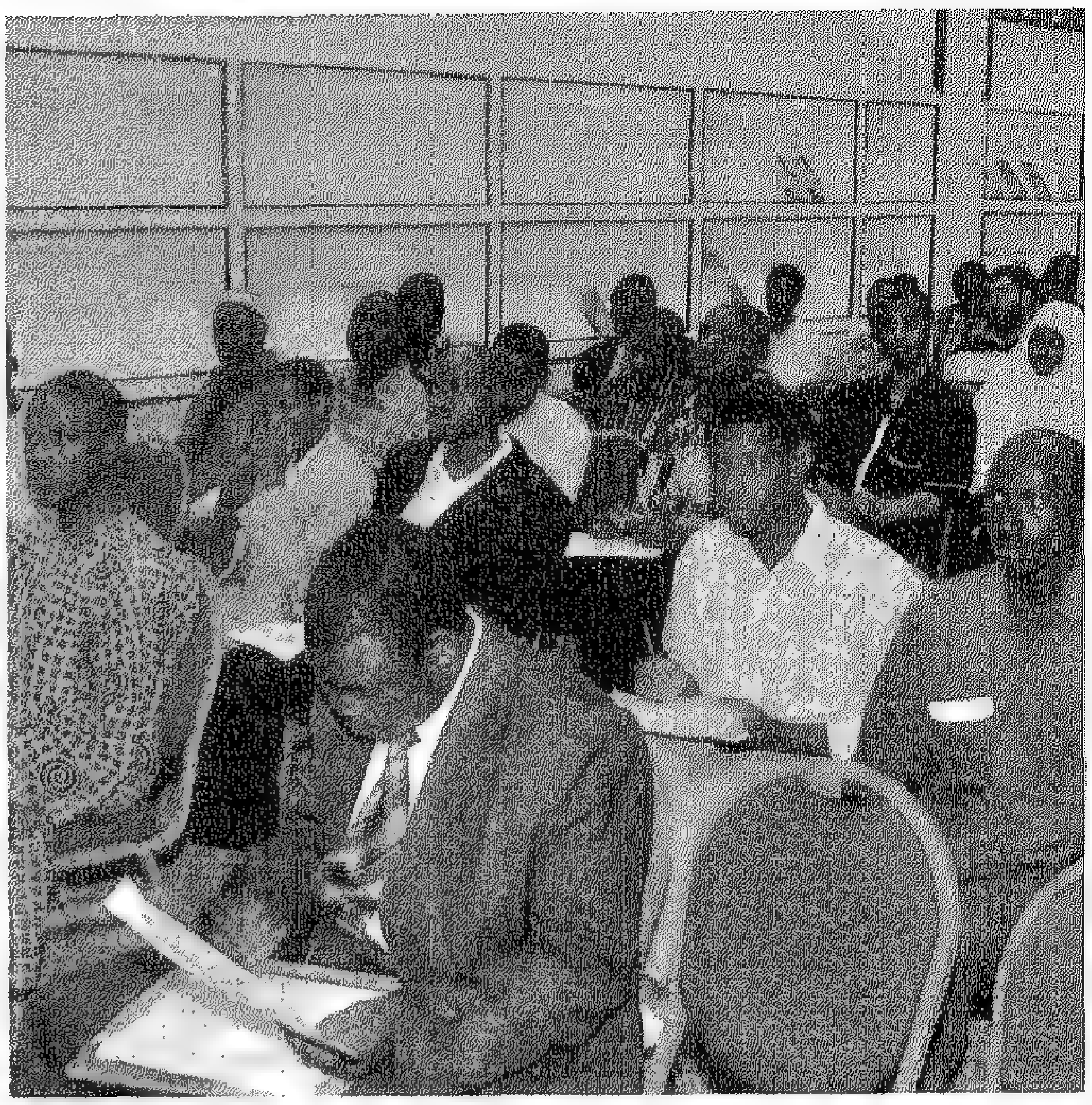
المناهج الخاطئة
للمؤسسات التعليمية في الغرب

وكان الأخ عميد كلية الدعوة الإسلامية، قد افتتح أعمال الندوة بكلمة أكد فيها، على أن هذه الندوة تأتي في حينها المناسب، لاتصالها بحدث الملتقى الإسلامي الكبير، الذي التأم بمدينة (تمبكتو) على مستوى العالم الإسلامي قيادة وقاعدة، واتصالها كذلك بخطاب القائد معمر القذافي، الذي طرح فيه رؤاه لمستجدات الواقع الإسلامي الراهن، وعلاقة المسلمين بالآخر، التي تسعى بعض القوى إلى حصرها في دائرة الصراع والعداء وارتباط الخطاب بذكرى مولد خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، الذي اقترن زماناً مع حدث وفاته، كما أن هذا الحدث اكتسب بعداً آخر، لتزامنه مع جريمة التطاول والإساءة إلي شخص خاتم النبيين محمدﷺ، أما اختيار مدينة تمبكتو لتكون المكان للملتقي، فإن ذلك هو أحد المحاور التي تنعقد عليها الندوة..

استمع المشاركون بعدها إلى ورقة بحثية، حول وسائل الإعلام وتوظيفها في تطوير الخطاب الإسلامي والرقي به إلى مستوى هموم الأمة الإسلامية، وتطلعات الغيورين من أبنائها، ومن هنا جاءت الورقة مستعرضة المناهج الخاطئة، التي اعتمدتها المؤسسات التعليمية في الغرب، وما يكتنف الإنسان الغربي من جهل عن صلة الديانة المسيحية بالديانات الأخرى، ومن ثم اختلطت مفاهيم النبوة، ومسؤوليتها عن الإنسانية، في والدنيا والدار الآخرة، وموقعها الحضاري المتميز في سياق التاريخ الإنساني.

وجاءت الورقة الثانية حول «موقع الحج في المنظور الإسلامي» ومن خلال طرح معمر القذافي، الذي وضع الحج في سياقه التاريخي، من حيث خاتميته وعالميته، ومن مراجعة كتب التراث وآراء الفقهاء، رجحت هذه الورقة، أن الإسلام شرط صحة وليس شرط وجوب.

ثم توجت هذه الورقات بتعليقات مستفيضة من قبل عدد من الأساتذة والباحثين، وقد استمع المشاركون إلى ورقة بحثية، اشترك في تقديمها الباحث: سيسي سليمان من غينيا كوناكري، والباحث سعيد حمدوص من الكاميرون، والباحث عثمان حسن من تشاد، استعرض الباحثون في مقدمتها منطلقات



الفكر الغربي تجاه الإسلام والمسلمين، منبهين إلى خطورة المزاعم التي تقوم عليها هذه الرؤية الغربية، ومحاولتها إلصاق كل ما هو سلبي بالإسلام، من خلال نعته، بالإرهاب والعنف والقسوة والتخلف، بهدف تصويره بشكل منحرف، وتقديمه كنقيض للتقدم، ومن ثم عدم صلاحيته لمواكبة ركب العلم والتقدم، وهي المزاعم التي تنطلق منها، دعاوى المطالبة بضرورة تغيير المناهج الدراسية في العالم الإسلامي، على أساس أن الفكر المنحرف، منبثق من مصدره، ومنهج التفكير المنحرف، وبالتالي إذا أريد لهذا العالم، أن يعيش في أمن وسلام وطمأنينة واستقرار، يستلزم القيام بتغييرات جذرية وأساسية، لبنية المناهج الإسلامية؛ إما بحذف بعض النصوص وإبعادها عن التداول نهائياً، أو بتأويلها وتفسيرها تفسيراً يتواءم مع الفكر الغربي وثقافته، أو وضعها في واجهات المتاحف على أحسن الأحوال، ليتفرج عليها الزوار، إن ذلك يعني القيام بمثل ما فعل أهل التوراة والإنجيل، بتحريف نصوص الكتاب المقدس، وإخفاء بعضها، وهو ما لا يمكن أن يقبله المسلمون بأي حال، حيث لا يقبل المسلمون، التصرف بالحذف أو التحريف أو التأويل الباطل ،المبني على الهوى والمصالح الذاتية، أو السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، وهو ما أكده معمر القذافي ، في خطاب تمبكتو في إشارته،، أن موسى لعلمهم مذكور في القرآن 136 مرة، لماذا نحن لم نشطب على هذا..؟؟ هذا كلام الله لا نستطيع شطبه وإلا نصبح كفاراً، لكن هم شطبوا على كل ذكر لمحمدﷺ في التوراة والإنجيل.. نتحداهم أن ينشروا إنجيل القديس برنابا.. مريم عليها السلام مذكورة في القرآن 33 مرة، لماذا لم نشطب على هذا..؟؟ هذا كلام الله لا نقدر أن نغيره.. عيسى عليه السلام مذكور 25 مرة في القرآن لا نستطيع أن نشطبه لأن هذا كلام الله،،...

وهذا محفوف بكل الاحترام والتقدير والاعتراف، والإيمان بهم رسل الله إلى الخلق، لإخراجهم من الظلمات وهدايتهم، إلى طريق الحق والخير والسعادة في الدارين.

دوافع وأسباب رؤية الفكر الغربي تجاه الإسلام والمسلمين

ونبهت الورقة البحثية إلى أن هناك تساؤلات تحوم حول مغزى وحقيقة مطالبة الغرب للعالم الإسلامي، بتغيير مناهجه مع التساؤل: هل إذاً تمت الاستجابة لهذا التجاوز، ستتوقف الحملة ضد الإسلام والمسلمين؟؟ هل يتركون العالم الإسلامي، يعيش في أمن وأمان وسلامة وحرية وكرامة واستقلال؟؟ ثم هل الأزمة بدأت من جانب المسلمين، أم أن موقفهم كان مجرد رد فعل على الحملة الغربية؟؟ أليست مناهجهم التعليمية وخطابهم السياسي أيضاً في أمس الحاجة إلى المراجعة وإعادة النظر؟.

ولاحظت الورقة أن الغرب له مرام بعيدة المدى، لا تتوقف عند المطالبة بتغيير المناهج التعليمية العربية والإسلامية، وجاء في الورقة: وعند التدقيق وإمعان النظر في دوافع الفكر الغربي، نجد أن نزعة كراهية الآخر ورفضه وعدائيته، هو المستحوذ والمتجلي في سلوكياته ونزعاته العدوانية، لأنه لا يوجد مبرر غير

ذلك، وهذا ما أكده معمر القذافي بالقول: «،، على أي حال منهج الغرب، أوروبا وأمريكا منهج يدعو للكراهية ما في ذلك شك، وهو منهج فاسد ولا إنساني، ومنهج مبني على الخطأ، وما يسمى بالعهد القديم والعهد الجديد ليس بالعهد القديم ولا بالعهد الجديد، لأن هذين العهدين منسوخان مزوران..»

وبعد أن تساءلت الورقة عن سبب هذه الكراهية، أوضحت أنه بات معروفاً، أن المجتمعات الغربية بقيمها الاجتماعية والروحية، وظروفها الاقتصادية والسياسية، على خلاف ما هو شائع، تعاني من مشاكل داخلية، تهدد بنيتها الاجتماعية ونظمها، ما يهدد بانهيار تلك البنية وتفككها، كما تتخوف من دعايات إعلامية غربية، تلوّح بوجود مخاطر خارجية، قد تداهمهم في عقر ديارهم، وتهدد وجودهم، وهذا الخطر المزعوم، يتمثل في النمو المتعاظم للمد الإسلامي، على الرغم من واقع العالم الإسلامي، بما يكتنفه من تخلف وفقر، ويتم التعتيم على أن سبب تعاظم مد الإسلام، هو أن هذا الدين يمثل القيم الإنسانية، ومبادئ العدالة الاجتماعية، والتوازن والتكافؤ، كما أن منظومته العقدية والأخلاقية والتشريعية، تكفل للإنسان السعادة الشاملة والعدالة، العاجلة والآجلة، الدينية والدنيوية، وهو ما جعله يمثل قوة صلبة وصارمة، لا مجال للغرب بقيمه أمامها، ولا قبل لهم بها، وليس لديهم وسيلة لمقاومتها وردعها، فالقوة الحضارية للإسلام، تؤهله لكسب الريادة، بمعنى أن روح العداء في جانب منها، هي حالة من الشعور بالضعف والخوف، على الذات والهُوية والقيم والشخصية، وأمام هذه الحالة من العداء، كان لا بد أن يؤكد الخطاب على روح الطمأنينة، موضحاً أن المسلمين ليسوا في حاجة للقنبلة أو السيف لنشر الإسلام، «لسنا محتاجين للسيف أو القنبلة لنشر الإسلام»، عندنا الآن خمسون مليون مسلم في أوروبا، وهناك علامات أخرى، تدل على أن الإسلام سيظهره الله في أوروبا بدون سيف، وبدون بندقية، وبدون فتح: هذا ماجاء في خطاب «معمر القذافي» لدينا إحصائية تبين عدد المساجد بالآلاف في أوروبا، عندنا آلاف المنظمات الإسلامية والجمعيات الإسلامية في أوروبا، أوروبا الآن في ورطة وكذلك أمريكا: إما أن تقبل بأنها ستصبح مسلمة بمرور الزمن، أو تعلن الحرب على المسلمين.

تحكمت مرجعيات فكر التثقيف والتعليم في توجيه أجيال أمم الغرب وجهة غير آمنة على حياة البشر طوال قرون حتى تعايش معها الناس فكونت مزاجهم العقلي.

مصطلح المناهج ودور المسلمين في بنائها وتطويرها

كما قدمت الورقة البحثية لمحة عن المنهج وتطوره، ومدى مساهمة المسلمين في بنائه وتطويره، متتبعة معاني مصطلح المنهج، من الناحية اللغوية والاصطلاحية، في التراث العربي الإسلامي، والغربي الأوروبي، الأمريكي، مبينة أن المنهج في اللغة العربية، حسب الاشتقاق يأتي على ثلاث صور: نهج، والمنهج، والمنهاج، أما النهج، فيعني: الطريق المستقيم الواضح، والمنهاج هو الخطة المرسومة، والمنهج: هو الطريق البين إلى الحق في أيسر سبله، وردت في القرآن الكريم:

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾
[سورة المائدة، الآية:48]

فالمنهج هنا يعني الطريق الواضح المحدد لمعرفة دين الله، فمن الناحية اللغوية هذا هو مفهوم المنهج في التراث الإسلامي.

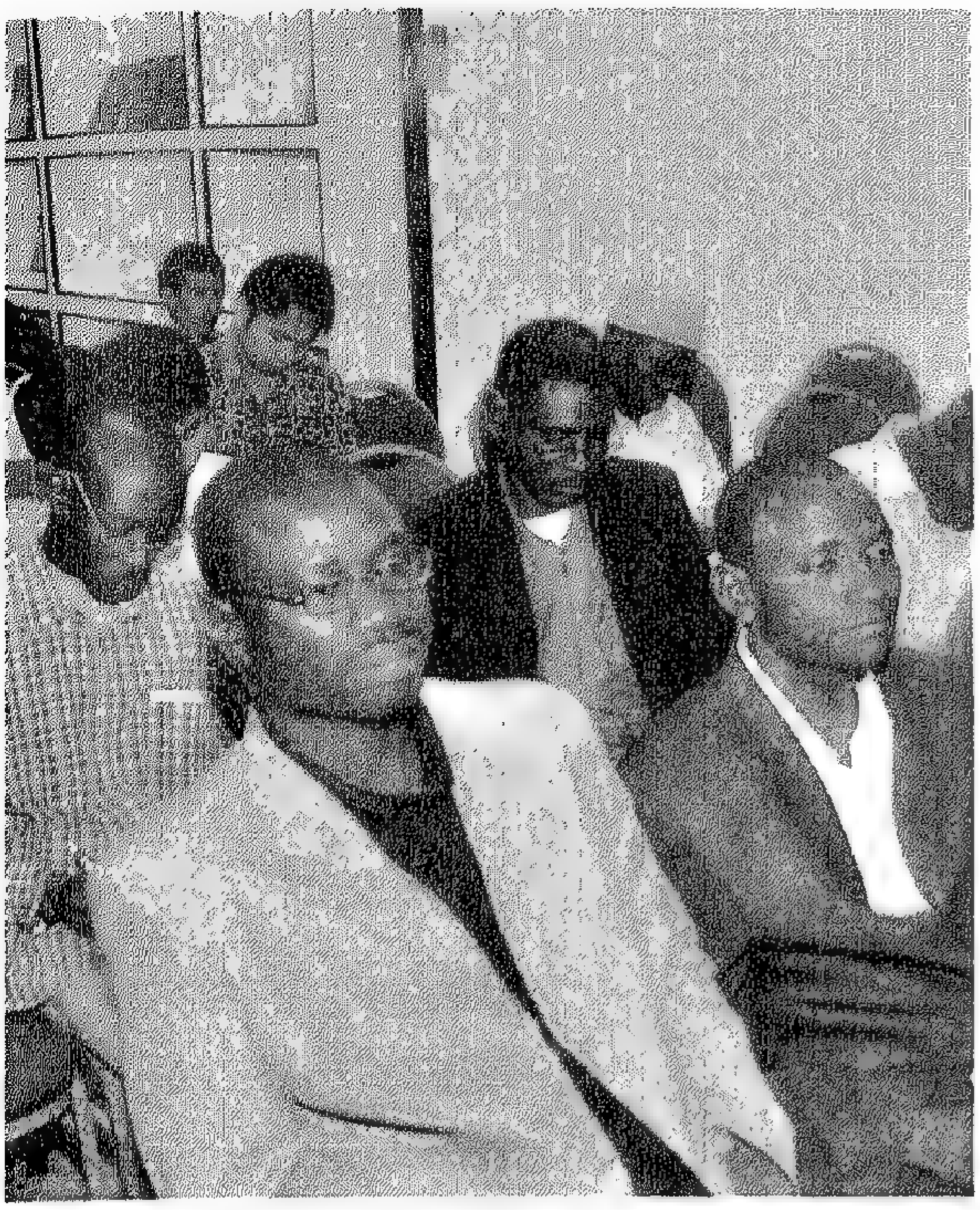
وأما مفهوم المنهج عند الغربيين، فلا نجد عندهم إلا مادة واحدة وهي: المنهج وتكتب باللاتينية: (Method)، ولها صور متقاربة في الكتابة، وهي مأخوذة في الأصل من اليونانية، وكان أفلاطون يستعملها بمعنى: البحث أو النظر، أو المعرفة. وأرسطو أراد بها: البحث، ومعناها في الأصل: «الطريق أو المنهج الذي يؤدي إلى الهدف المقصود، بعد التغلب

على عقبات ومصاعب، أو إجراء أو عملية لإحراز شيء أو لتحقيق هدف، أو خطة نظامية لعرض مادة للتعلم أو التوجيه، أو فرع من المعرفة والدراسة؛ إن الغربيين استعملوا المصطلح لعدم وجود كلمة غير (Method) لتدل على المنهج، وهكذا تكونت فكرة المنهج بالمعنى الاصطلاحي المتعارف عليه اليوم، ابتداء من القرن السابع عشر على يد (فرنسيس بيكون، وجون ستيوارت ميل، ودور كايم ورسل، وجون ديوي، وديكارت، وموريانو) وغيرهم، فأصبح المعنى الاصطلاحي طريقا يؤدي إلى الكشف عن الحقيقة..

ومن هنا تأتي أهمية خطاب معمر القذافي بمدينة تمبكتو، لما يتضمنه من كشف عن مخططات استراتيجية استشراقية، استعمارية خطيرة، تُتخذ من أجل طمس هُوية الشعوب المسلمة كافة، ومن هنا تتم مواجة العالم الغربي، ولأول مرة في العصر الراهن، بالعيوب المنهجية في منطلقاته الفكرية، و بأن المساعي الغربية (أوروبا وأمريكا) في مطالبة الدول العربية والإسلامية، ليست إلا مغالطات تتستر خلفها هذه الدول، خشية انكشاف أمرها، وأن مظاهر الكراهية والعدائية والعدوانية، هي نتيجة الخطأ الذي ينبني عليه المنهج الغربي في التفكير، بينما ينطلق الفكر الإسلامي، من مبادئ إنسانية سامية، ويسعى نحو السمو بالإنسان، إلى أعلى مراتب القيم النبيلة التي خلق من أجلها.

تطوير علماء المسلمين للمناهج الغربية

ومن هذا المنطلق اهتم العرب والمسلمون، بالبحث العلمي، لأن الحكمة ضالة المؤمن، يأخذها أنى وجدها، فقرؤوا منطق أرسطو وترجموه، وقاموا بشرحه وتلخيصه في مصنفات عديدة، حتى اهتدوا إلى أن القياس المنطقي الأرسطي، قياس رياضي، حيث يبدأ من العام إلى الكلى ويطلبه، في المفردات الجزئية، فتطرد صحته تلك في الرياضيات، أما في العلوم الطبيعية والإنسانية، فلا بد من الانتقال العكسي، أي من الأفراد والمفردات، إلى الكلي العام لكي يكون



القياس صائباً، وكان لهذا أثره البعيد إذ عد الاستقراء والملاحظة أصلين أساسين في العلوم العربية، وضمت إليهما العلوم الطبيعية والتجريبية، وتمكنت العلوم الطبيعية من أن تنهض نهضتها الكبرى في كل مجال، وهي نهضة أعادت ازدهار علوم الطب والصيدلة، بفضل التجارب الكثيرة التي كان يجريها الصيادلة والأطباء، وكذلك في علوم الكيمياء والفلك.

وتساءل الباحثون في ورقتهم، حول دور الكنيسة السلبي في إحياء العلوم الإنسانية والطبيعية، وما حدث لبعض العلماء المسيحيين، الذين حاولوا أن يبدعوا أو يبتكروا أو أن يبدوا رأياً في قضية كونية طبيعية، من منظور علمي، يقدم الإجابة عن هذا الافتراض أو غيره، حيث عارضت الكنيسة، ولم تكتف بإجهاض تلك المحاولات، وإنما تعدى الأمر إلى قتل البعض، فقد اتخذت السلطات الدينية الكنسية من العالم (كوبر نيكوس) موقفا عدائياً، لقوله بدوران الأرض حول الشمس، كما أحرقت الكنيسة بروما، عالماً إيطاليا هو (جيوداً نوبرونو) عام 1700 مسيحي، من أجل إصراره على أن الأرض تدور حول الشمس، ومن هنا نجد

بداهة أن الكنيسة لم تسهم في تطوير المناهج العلمية ولا في توجيهها..

«إذا كانوا يريدون السلام معنا، يجب أن تشكل لجان لإعادة النظر في المنهج الغربي، وفي الأناجيل نفسها لأنها مزورة» نعم إن الكتب السماوية ينبغي أن تكون، كما قال النجاشي، ملك الحبشة، عندما وفد إليه الصحابة بقيادة جعفر بن أبي طالب، فسألهم عما جاء به النبي المصطفى ﷺ فقرأ عليه آيات من سورة مريم، فقال النجاشي: إن هذا، والذي جاء به عيسى، ليخرج من مشكاة واحدة، ففعلاً يدرك الإنسان هنا مدى أهمية موضوع المنهج، الذي أشار إليه معمر القذافي منذ بداية خطبته: « للأسف إن التاريخ والمنهج الذي نقرؤه الآن مغلوط.. غير صحيح».

من يتصدى لمهمة أفلاطون أو ديكارت في العصر الراهن؟!

إذا كان المسلمون بحاجة إلى تجديد المناهج فان الغرب هو الأشد حاجة إلى تغيير مناهجه، لأن الشأن بالنسبة للعرب والمسلمين أخف: فالقرآن الكريم يبقى محفوظاً إلى قيام يوم الدين:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر، الآية:9]

أما الأحوج في الحقيقة، فهو الغرب، الذي تلح حاجته إلى إثبات صحة مصادر معتقداته، وإلا كيف يصح أن نفتح لهم مناهجنا العلمية لكي يصلحوها، مع أن المسلمين هم من نقلوا منابع الفكر اليوناني بترجمتها وتلخيصها للغرب، مع ازدهار الحضارة الإسلامية، في كل مجالات المعرفة، وإذا كانت العلاقة كذلك، فان تشكيل لجان لإعادة النظر في المناهج الغربية تبدو مسألة منطقية، فكما كانت هناك حاجة في عصر سالف، إلى أفلاطون والأخذ بالأقيسة الأرسطية، فإن الحاجة اليوم تبدو ماسة، إلى من يكون أفلاطون هذا العصر، ليقود اللجان المشكلة «لقد شكلت لجان أمريكية لإعادة النظر في المنهج المدرسي في البلاد الإسلامية، ويجب أن تشكل لجان إسلامية أمريكية لإعادة النظر في المنهج الأمريكي الأوروبي » هذا ما يقترحه معمر القذافي.

تشكيل لجان لإعادة النظر في المناهج الغربية تبدو مسألة منطقية

ترسيخ الفكر الغربي وتضليل الرأي العام

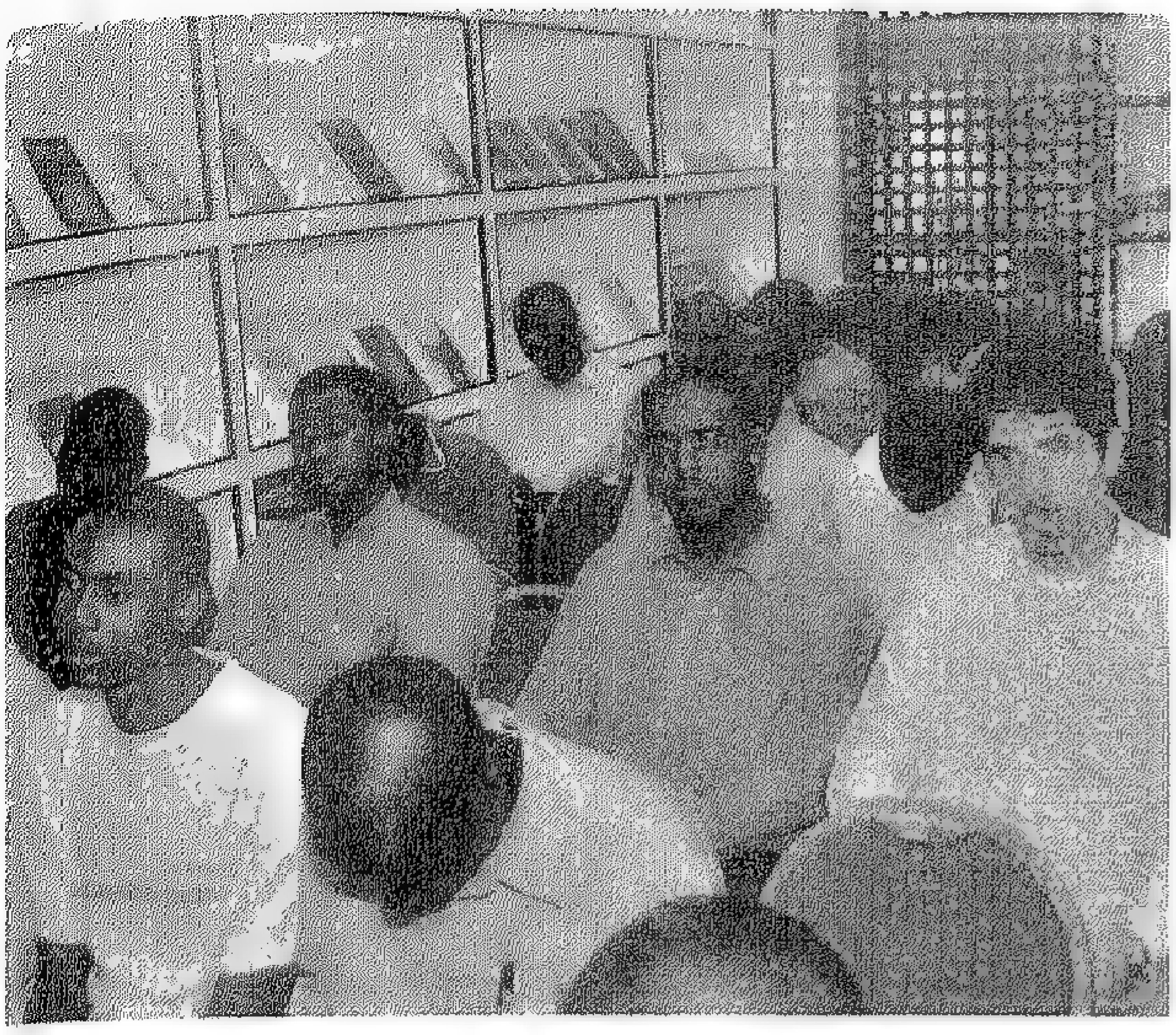
واستعرضت الأوراق البحثية في مجملها بعض طرق تضليل الرأي العام، مشيرة إلى أن الغرب استعمل وسائل منوعة وأساليب مختلفة، لصد الناس عن الإسلام وتشويه صورته، ومن أبرز تلكم الوسائل:

أولاً: وسائل الإعلام بأصنافها الثلاثة المقروءة والمسموعة والمرئية، بما فيها شبكات المعلومات الدولية (إنترنت)، والتي تم من خلالها التركيز على القيام بمهمة الدعاية والترويج، للفكر السياسي الغربي المعادي للإسلام والمسلمين، بصور متلونة وأشكال متعددة، ونشر تلك الأفكار، وبث سمومها في أوساط الرأي العام، وهذه الوسيلة من أخطر الوسائل بحكم سرعة انتشارها وسهولة تداولها، وقدرتها على التأثير في الرأي العام، بالإضافة إلى العمل على توجيه الرأي العام و (تضليله) طبقاً لأهداف النخبة القليلة المتحكمة في زمام الدولة، والعمل على ترسيخ تلك الأفكار المشوهة وتدعيمها، بهدف توظيف الرأي العام وتسخيره لتحقيق مخططات سياسات النخبة القليلة المتحكمة في الثروة والقرار، وذلك من خلال ترويع الرأي العام، باختلاق عدو وهمي على شكل حيوان متوحش، متمثل في الإسلام والمسلمين، والذي يُسمى في الغرب (الإسلاموفوبيا) أي الخوف من الدين الحق

ثانياً: أسلوب اختلاق الذرائع للوصول إلى أهداف ذاتية نفعية عاجلة، ومن أبرز تلك الذرائع المستحوذة على الساحة العالمية اليوم، ما صار يُعرف بالحرب على الإرهاب، يُضاف إلى ذلك عرض صورة مشوهة للإسلام في كتب التاريخ، حيث يقدم للتلاميذ

منذ المراحل الدراسية الابتدائية، صورة الإسلام والرجل المسلم في صور وأشكال تعكس الكراهية المتأصلة في الفكر الغربي، والعدائية المتجذرة في النخب المتسلطة، من خلال التشويه المباشر أو إخفاء الحقائق، وتزوير التاريخ، بهدف ترسيخ صورة سيئة ومشوهة عن الإسلام والمسلمين، في أذهان الناشئة ليتربوا على هذا منذ نعومة أظفارهم، وتتعدد مظاهر الكراهية للإسلام في المناهج الغربية من خلال تجاهل الغرب للطرف الآخر ونبذه، وإغماض العين عن دوره وانجازاته، ولعل من أكثر المظاهر تجهيلاً، أن كُتّاب الغرب لم يتخلصوا من ربقة الأنانية والعنصرية، ليعترفوا بفضائل الغير، فكتبهم ممتلئة بذكر ما قام به المستشرقون الأوائل، تحت عنوان اكتشاف إفريقيا، الذي أعقبه الاستعمار والاحتلال ونهب الخيرات، بينما لا يتطرقون إلى ذكر من كان لهم فضل الأسبقية في ذلك، وهم الرحالة الجغرافيون والمؤرخون العرب المسلمون، الذين بسبب كتاباتهم عرف الأوروبيون مدينة إسلامية تسمى (تمبكتو)، فلا يذكرون أمثال: إبن بطوطة، وابن حوقل، وليون الإفريقي، مع أنهم يرجعون إليهم في مصادرهم التاريخية والجغرافية.

ومن بين أكثر الأمثلة دلالة، على ظاهرة الاحتقار والإغفال المتعمد، عدم اعتراف المناهج الدراسية الأوروبية بفضل الفلاسفة والعلماء العرب والمسلمين، على النهضة الأوروبية، في القرن الخامس عشر مسيحي، حيث يلاحظ أن المناهج الدراسية الأوروبية نادراً ما تذكر اعتراف أوروبا بعلماء المسلمين، والذين كانوا منذ القرن التاسع مسيحي، أساتذة ومعلمي أوروبا بأسرها، كما تُبيّن دراسة عن صورة الإسلام في المناهج الدراسية في الغرب، أن كتب التاريخ المدرسية للمرحلتين الإعدادية والثانوية الأوروبية، تهتم بالإسلام في العصر الحديث وخاصة بظاهرة الصحوة الإسلامية، لتمهد لمفهوم الخطر الإسلامي، كما تعتمد على تصوير الفرائض الإسلامية، كالصلاة والحج والصوم وغيرها، على أنها مضيعة للوقت، وإسراف للمال، في غير مواضعه الصالحة له، ألم يكن من



الأجدر بالكتاب المدرسي الغربي، أن يتحدث عن أهمية أداء فريضة الحج بالنسبة للمسلمين، وروحانية هذه المناسك، التي يتحرر خلالها المسلمون من كل القيود والأرقام والتكنولوجيا والبذخ، وأن الحاج يطوف ويسعى في الأماكن المقدسة عارياً إلا من إزاره حباً في الله.

القرآن الكريم في المناهج الغربية

كما تعرضت تلك الحملات المعادية للقرآن الكريم من عدة زوايا، ففسروا القرآن الكريم طبقاً لما يتماشى مع أهوائهم ومصالحهم، وهذا ما يسميه البعض بالحرب على القرآن، وفي الحقيقة أن هذه الحرب ليست جديدة، وإنما هي قديمة متجددة، فقد بدأت منذ عهد النبوة، ولكن إعجاز القرآن ظل صامداً في وجه أعدائه، بعد ما استخدموا كل الحيل والسُبل المتاحة لهم، ثم أعقب ذلك موجات متلاحقة ومكثفة شرسة، فظهر ما يُعرف بمدعي النبوة أمثال مسيلمة الكذاب، وسجاح بنت الحارث.

ثم تبع ذلك حملات المستشرقين أمثال (تيودور نولدكه) في كتابه (تاريخ القرآن)، و(اجينتس جولدتسيهر) في كتاباته: (مذاهب التفسير الإسلامي) و(دراسات محمدية)، وآيات شيطانية لسلمان رشدي وغيرهم.

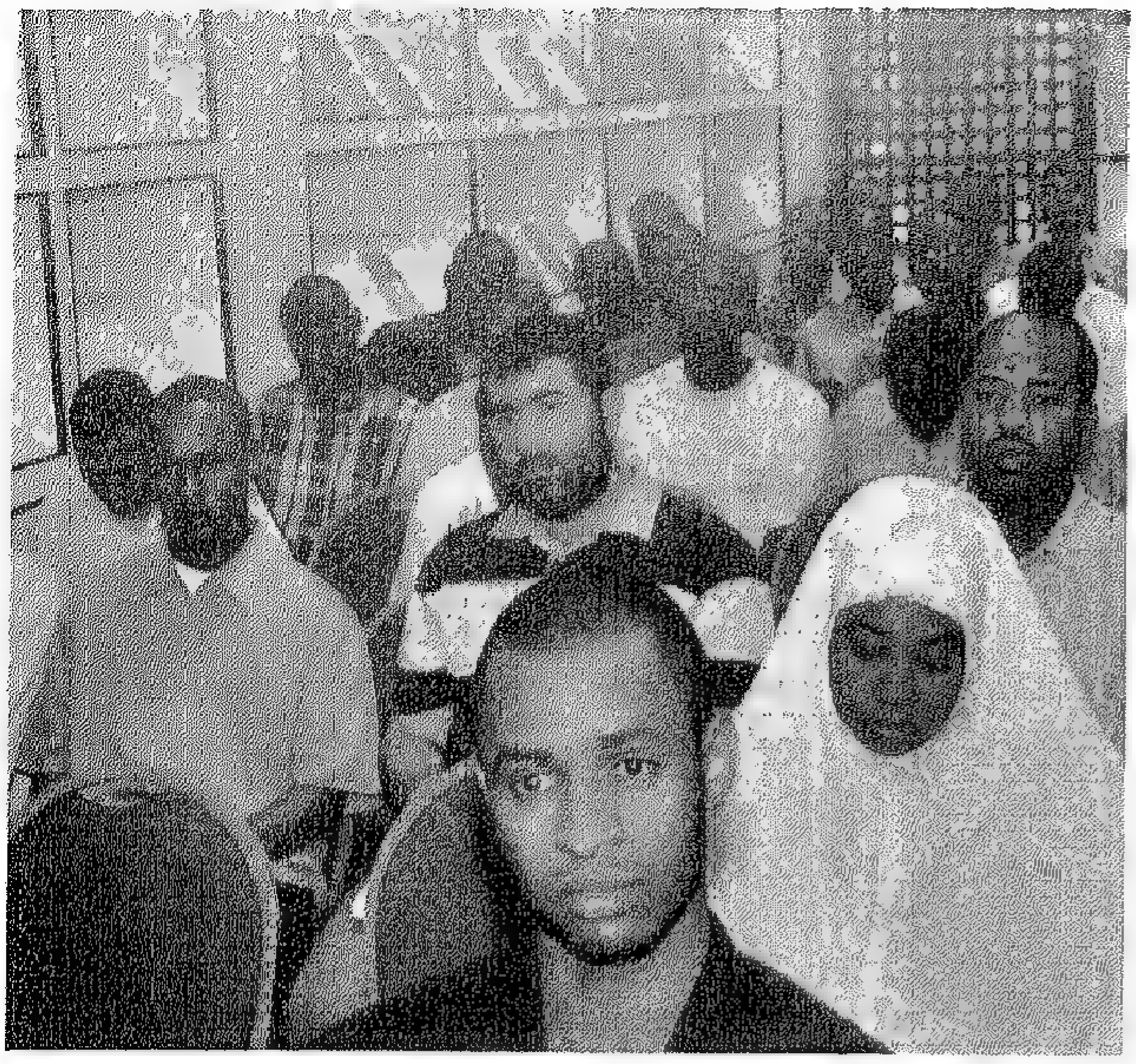
إضافة إلى الكتب المدرسية، في كثير من الدول الأوروبية، ومن الإنصاف أن نقول: إن الحضارة العربية والإسلامية تعرض في بعض الأحيان، في تلك الكتب المدرسية بشيء من التقدير والاعتراف، وتحمل صوراً إيجابية، حيث تقدم تلك الحضارة العربية والإسلامية، على أنها حضارة ساطعة دامت لعدة سنوات، فهي لم تستطع فقط، أن تحتفظ بالتراث الثقافي والعلمي اليوناني والفارسي، وإنما قامت أيضاً بتطويره، وتذكر هذه الكتب أن كثيراً من المصطلحات مأخوذة عن العلماء العرب والمسلمين، وإذا كانت صور الحضارة إيجابية فإن صورة الإسلام تظل سلبية، ففي جميع كتب التاريخ المدرسية الفرنسية، نجد الكثير من الأخطاء والتفسيرات السلبية، مستندة بصفة خاصة على آيات قرآنية مترجمة ترجمة خاطئة أو مقتضبة.

كما أنها تقدم للطالب تاريخ ظهور القرآن، من خلال مجموعة من الأساطير، غير المنطقية مستوحاة من صور الطبيعة كصورة النبي محمد ﷺ بين أجنحة سيدنا جبريل عليه السلام، كتاب «هاتيه» للصف الخامس، عام 2001 مسيحي، الصفحة رقم 31.

ونستطيع أن نستخلص الصورة السيئة السلبية عن القرآن، من خلال ما يقولونه عن الوحي، على أساس أنه حالة مرضية، وإنكار أن يكون منزلاً من الله تعالى، ويستتبع ذلك إنكار نبوة محمد ﷺ: ،، أما في مسائل النسخ والآيات المنسوخة، وجمع القرآن وكتابته، فيرمون من وراء ذلك، إلى إلصاق تهمة التدخل والتحريف للقرآن من قبل كتابه ونساخه، ووضع الشبهات والمغالطات حول القراءات الشاذة، والزعم بتعدد المصاحف والادعاء بتناقض القرآن، ووجود أخطاء تاريخية...،،

صورة الرسول ﷺ في المناهج الغربية

أما عن خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلي الله عليه وسلم، فهو مقدم في تلك الكتب وغيرها على أنه محارب، وليس رجل سلام، متناسين أن النبي ﷺ



وكافة المسلمين لم يلجأوا إلى الحرب إلا للدفاع عن النفس:

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية: 190]

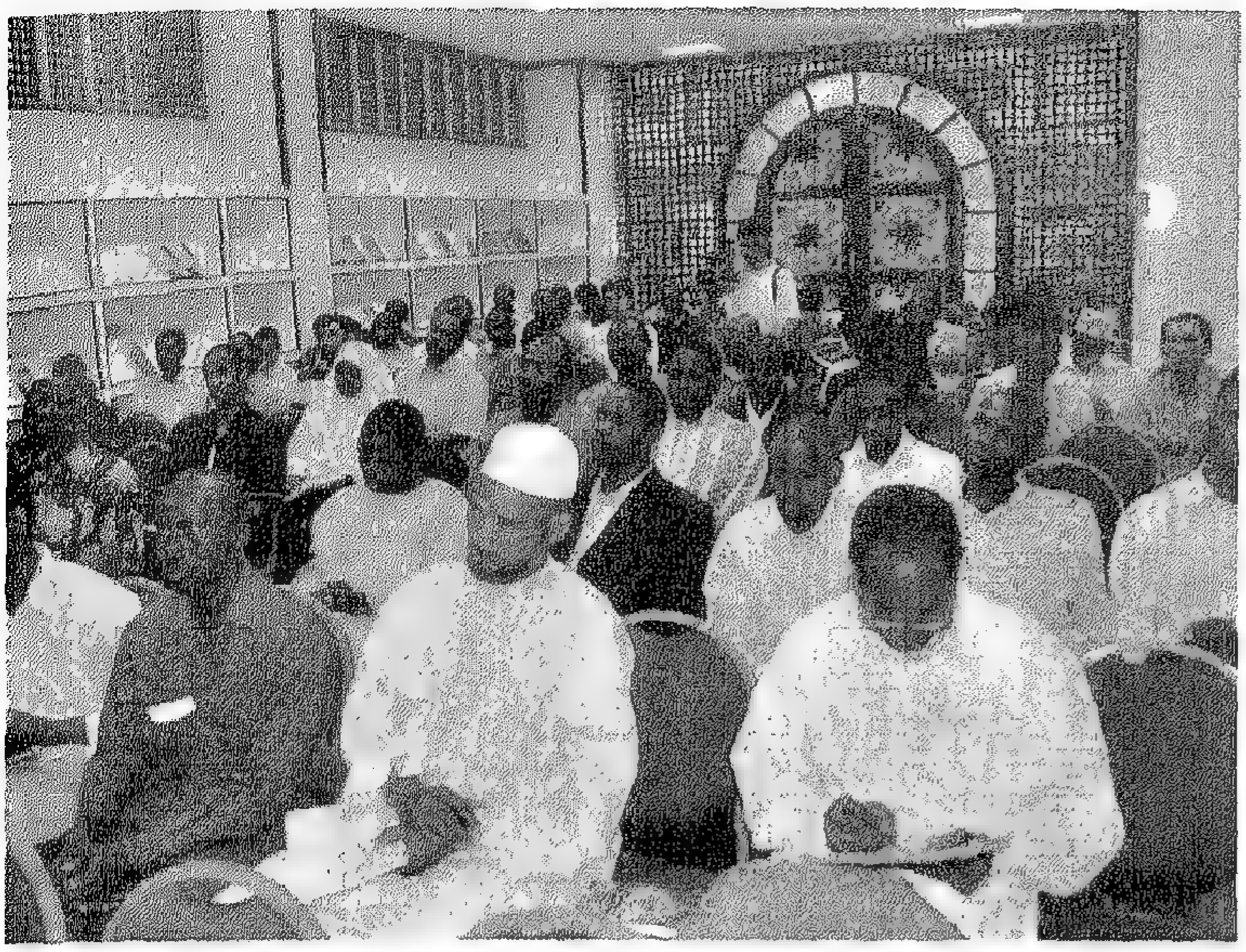
وهكذا يُعمد إلى إعطاء صورة للإسلام متطرفة، بينما الإسلام يُدين العنف ويعتبر من يقتل بشراً:

﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ [سورة المائدة، الآية: 32]

أحدث هذه الصور، ما حصل في الرسوم الساخرة (الكاريكاتورية) التي نشرت في بعض الصحف الدانماركية، وتبعتها بعض نظيراتها الأوروبية، حيث صوروا النبي ﷺ وعلى جبهته قنبلة..

الشريعة الإسلامية

أما الشريعة، فهي مقدمة على أن مصدرها الوحيد هو القرآن والسُّنة، فهي تعتبر إذن، كقانون جاهلي قديم، أو تعاليم مأخوذة من اليهودية والنصرانية أو الصابئة، فالصلاة والصوم والحج، وحتى لفظ الإله، والله، معروف لدى الناس في الجاهلية ولدى الأديان المختلفة، فقالوا بأن محمداً ﷺ اطلع على الكتب المقدسة، ومما جاء فيها صاغ تعاليم دينه الجديد، فهؤلاء يتجاهلون المصادر الأخرى، كإجماع الفقهاء، والقياس، والاستحسان، والعُرف، والرأي، والاصطلاح.



رؤية مغلوطة للجهاد

أما الجهاد فيصورونه، على أنه يعني فقط الحرب المقدسة عند المسلمين، للدفاع عن الإسلام أو نشره، ويبدو أن مؤلفي هذه الكتب المدرسية، قد نسوا أو تجاهلوا أن الجهاد في اللغة العربية وفي الإسلام هو في الأصل نضال داخلي، ضد الذاتية بهدف أن يصبح الإنسان نافعاً لوطنه، بالإضافة إلى ذلك تُحرّم الآيات القرآنية العنف، وتحلل الدفاع ضد المعتدين بصفة فردية، أو على مستوى المجتمع، وذلك باستخدام الوسائل الملائمة:

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية:190]

كما تقدم المناهج الدراسية في الغرب، آيات قرآنية يتم تحريفها، وهنا يجب أن نذكر أيضاً، أن المسلمين لا يعرفون الحرب المقدسة، وهو المصطلح الذي درج المسيحيون على استخدامه أثناء الحروب الصليبية، فالكتب المدرسية، تُعرّف الجهاد بشكل خاطئ على أنه الحرب المقدسة.

ويساعدنا التعريف العربي لكلمة (إسلام) على فهم معناه الصحيح، حيث يرجع أصل كلمة (إسلام) إلى الجذور العربية السامية (سلم) والتي تعني بكل اللغات السامية، سلام وأمن، أيضا كلمة (سلام) هو اسم من أسماء الله الحسنى، كما أن الليلة التي نزلت فيها الآيات القرآنية تُعرّف في القرآن بليلة (السلام) هذا بالإضافة إلى أن أحد مسميات الجنة هي (دار السلام) ويوضح الإسلام أن مبدأ العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين يستند على السلام، وليس على الحرب، كما يُحرّم القرآن العنف، خاصة فيما يتعلق بالدين:

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [سورة البقرة، الآية:256]

أما وضع المرأة فيصورونه أيضا بطريقة سلبية، إذ يستند الكتاب الغربي، على الآية القرآنية الخاصة بالميراث:

﴿لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ [سورة النساء، الآية:11]

دون الأخذ في الاعتبار وضع المرأة قبل ظهور الإسلام، إذ لم يكن للإناث أي حق في الحصول على الميراث، وكان الأب له الحق في بيع بناته أو قتلهن أو تزويجهن رغماً عنهن، إذن الإسلام هو الذي حرر المرأة بمنحها الحقوق مثلما فرض عليها الواجبات.

كذلك يتم تحريف مصطلح تعدد الزوجات فهو أيضا يُفسر بطريقة خاطئة، مع تجاهل الظروف التاريخية والجغرافية والاجتماعية والثقافية والدينية، التي نزلت فيها الآيات، التي تتصل بوضع المرأة كما قاموا بحذف كل تعليق عن وضع المرأة قبل وبعد الإسلام..

وإذا كانت هذه المبادئ الأساسية للحضارة العربية والإسلامية، لا تزال تفسر في الكتب المدرسية الغربية الحالية بطريقة خاطئة وسلبية، لذا أصبحت هناك حاجة ملحة لتصحيح تلك الأخطاء، في إطار من الاحترام المتبادل والحوار المشترك، من أجل تصحيح هذا المفهوم والفكر الخاطئ، الذي يخرج به الطلاب في الغرب، ويُسيء إلى الطلاب العرب والمسلمين المهاجرين.



أطباء ومهندسون.. ولكنهم شعراء

أطباء ومهندسون.. ولكنهم شعراء

إعداد: التحرير



1

علي محمود طه

(1901 - 1949م)

ولد علي محمود طه في الثالث من هانيبال «أغسطس» سنة 1901 في مدينة المنصورة عاصمة الدقهلية لأسرة من الطبقة الوسطى وقضى فيها صباه . حصل على الشهادة الابتدائية وتخرج في مدرسة الفنون التطبيقية سنة 1924 م حاملاً شهادة تؤهله لمزاولة مهنة هندسة المباني . واشتغل مهندساً في الحكومة لسنوات طويلة، إلى أن يسّر له اتصاله ببعض الساسة العمل في مجلس النواب .

وبصدور ديوانه الأول «الملاح التائه» عام 1934 احتل علي محمود طه مكانة مرموقة بين شعراء الأربعينات في مصر. وفي هذا الديوان نلمح أثر الشعراء الرومانسيين الفرنسيين واضحاً لا سيما لامارتين شاعر الحب والجمال . وتتابعت دواوين علي محمود طه بعد ذلك فصدر له: «ليالي الملاّح التائه» (1940)، «أرواح وأشباح» (1942)، «شرق وغرب» (1942)، «زهر وخمر» (1943)، «أغنية الرياح الأربع» (1943)، «الشوق العائد» (1945)، وغيرها.

وعلي محمود طه من أعلام مدرسة «أبولو» التي أرست أسس الرومانسية في الشعر العربي.. وهو شاعر مفعم بالعاطفة، مسكون بالجمال، ترك أثراً واضحاً في الشعر العربي الرومانسي، وهو، فضلاً عن ذلك، مهندس الشعر العربي الحديث . ولا يخلو شعره من أثر الصنعة التي قد تعكس العقل الهندسي الذي يتمتع به ، وترى ذلك جليّاً في النسيج الشعري الذي يقوم عليه بناء قصائده، حيث إنك تكاد تجزم بأنك تنشد لشاعر تملكته الحرفة من جهة وأرخى العنان لخياله الجامح الطبّع والسّجيّة، وليس مهندساً تملّكته الأرقام والمقاييس.

الأمسية الحزينة

من ديوان (الملاّح التائه)

جددّتِ ذاهبَ أحلامي ولـيلاتي ... فهل لديك حديثٌ عن صَباباتي

يا كعبة لخيالاتي وصومعةً ... رتّلتُ في ظِلّها للحُسن آياتي

للحبّ أوّلُ أشعارٍ هتفتُ بها ... وللجَمَال بها أولى رِسَالاتي

عليكَ واديَ أحلامي وقفتُ أرى ... طيفَ الحوادثِ تمضي بعد مَأساتي

آوي إلى جَنَبَاتِ الصّخر مُنفرداً ... أبكي لأمسيةٍ مرّت وليلاتي

قد غيّرتنا الليالي بُعدها سِيَراً ... وخلّفتنا العوادي بعضَ أشتاتِ

تَلَفّتَ القلبُ في ليلاءَ باردةٍ ... يبكي لياليكَ الغُرَّ المُضيئاتِ

وذكريَاتٍ من الماضي يُطالعُها ... بين الحُقولِ وشُطآنِ البُحيراتِ

يا طولَ ما نَفَمتْ للصخرِ أنّاتي ... وشدّ ما رجّعت للموجِ آهاتي

يا قلبُ وادي الصّبا حالت مَسارحه ... وأقفرَت من صباياه الجَميلاتِ

فلا الجداولُ تحدوها مُسلسَلةً ... ولا الخمائلُ تهفو بالنّضيراتِ

صَوّحن من مشرقِ الوادي لِمغربِهِ ... فَما بِهِنّ مُطيفٌ من خَيالاتي

ما في حيَاتِكَ مِن سَلْوى تلوذُ بها ... لكنّه الحُبُّ ذاك القَاهِرُ العاتي

قد فاجأتكَ غَواشيهِ التي سكَنَتْ ... إنّ الليالي ملأى بالمُفاجاتِ

يا للبُحيرةِ: مَن يَرتادُ شاطئَها ... وَمَن يُسِرُّ إلى الوادي مُناجاتي

وَمَن يُعيدُ لنا أطيَافَ ليلَتِها ... وما غَنِمْنَا عليها من أُوَيْقاتِ

وخُلوةٍ في حَفَافِها وقد عَبَثَتْ ... يَدُ الصَّبَا بِحواشيها المُوشّاةِ

يَضُمُّنا بَاسِقٌ في الشّطّ مُنفردٌ ... ضَمٌّ الشّتيتينِ في علْيَاءِ جَنّاتِ

ولِلقلوبِ أحاديثٌ يُجَاوِبها ... تَنَاوحُ الطّيرِ في ظِلِّ الخميلاتِ



2

إبراهيم ناجي
(1953 - 1898)

ولد الشاعر إبراهيم ناجي في حي شبرا بالقاهرة في شهر الكانون (ديسمبر) عام 1898، وكان والده مثقفاً مما أثّر كثيراً في تنمية موهبته وصقل ثقافته، وقد تخرج الشاعر من مدرسة الطب في عام 1922، وعُيّن بعد تخرجه طبيباً في وزارة المواصلات، ثم في وزارة الصحة، ثم مراقباً عاماً للقسم الطبي في وزارة الأوقاف.

قرأ الشعر العربي القديم وتأثر بفحوله، مثل: المتنبي، وأبي تمام، وابن الرومي، وأبي نواس، وآخرين غيرهم. كما عبَّ من ينابيع الشعر الغربي، فهام بأشعار (بايرون)، و(شيلي)، و(كيتس)، من أعلام الشعر الرومانسي الإنكليزي.

وتأثر بالشعر الرومانسي الفرنسي حيث شرع في بواكير حياته الشعرية في ترجمة أشعار (ألفريد دي موسيه) و(توماس مور) حوالى عام 1926، وقام بنشرها على صفحات «السياسة الأسبوعية». وفي عام 1932 انضم إلى جماعة أبولو التي كان لتأسيسها أثرٌ كبيرٌ في الشعر العربي الحديث.

ولفرط اهتمامه بالاتجاه الشعري لمدرسة أبولو أصبح وكيلاً لها، كما تولّى رئاسة رابطة الأدباء في مصر. وقد عُرِف الشاعرُ عند العامّة بقصيدته الشهيرة «الأطلال» التي غنتها كوكب الشرق أم كلثوم، فذاع صيتها في الآفاق، وظلّ يترنم بها الناس حتى اليوم.

وقد خلّف إبراهيم ناجي وراءه عدداً من الدواوين الشعرية، هي :

«وراء الغمام» (1934)، «ليالي القاهرة» (1944)، «في معبد الليل» (1948)، «الطائر الجريح» (1953)، ودواوين أخرى. كما صدرت أعماله الشعرية الكاملة في عام 1966 بعد وفاته عن المجلس الأعلى للثقافة بمصر.

السّرابُ على البحر

من ديوان (ليالي القاهرة)

لا القومُ راحوا بأخبارٍ ولا جاءوا ... ولا لقلبِكَ عن ليلاكَ أنباءُ

جفا الربيعُ لياليـنا وغادرها ... وأقفرَ الرّوضُ لا ظلٌّ ولا ماءُ

يا شافيَ الدّاءِ قد أودى بيَ الدّاءُ ... أما لِذَا الضّمأ القتّالِ إرْواءُ

ولا لطائرِ قلبٌ أن يستقرّ ولا ... لِمركَبٍ فَزعٍ في الشّطِ إرساءُ

عندي سَماءُ شِتاءٍ غيرُ مُمطِرَةٍ ... سَوداءُ في جَنَبَاتِ النّفس جَرْداءُ

خرساءُ آونةً، هوجاءُ آونةً ... وليس تَخدعُ ظني وهي خرسَاءُ

وكيفَ تخدَعني البيْداءُ غافيةً ... وللسّواقي على البَيْداءِ إغْفَاءُ

أأنتِ ناديتِ أم صوتٌ يُخَيّلُ لي ... فلي إليكِ بإذنِ الوَهْمِ إصْغاءُ

لبّيكِ لو عند روحي ما تطير به ... وكيف يَنهضُ بالمجروحِ إعيَاءُ

تفرّق الناسُ حول الشّطِ واجتمعوا ... لهم به صَخَبٌ عَالٍ وضَوضاءُ

وآخرون كُسالى في أماكنِهم ... كأنهم في رِمالِ الشّطِ أنْضاءُ

هم الورى قبل إفسادِ الزمان لهم ... وَقَبلَ أن تتحدّى الحُبَّ بغضَاءُ

ضَاقت نفوسٌ بأحقادٍ ولو سَلِمَتْ ... فإنها كسماءِ البحرِ رَوْحاءُ

تألّقت شمسٌ ذاك اليوم واضطرمت ... كأنها شُعَلٌ في الأفقِ حمراءُ

ما لي بهم، أنتِ لي الدنيا بأجمعها ... وما وعَتْ ولقلبي منكِ إغضَاءُ

لو أنه أبدٌ ما زاد عن سَنَةٍ ... ومُدّةُ الحُلْمِ بالجفنينِ إغْفَاءُ

أرنو إليكِ وبي خوفٌ يُساورُني ... وأنثني ولِطَرْفي عنكِ إغْضاءُ

إذا نطقتُ فما بالقولِ مُنتفعٌ ... وإن سكتُّ فإنّ الصمتَ إفشاءُ

يا مَن تنفّسُ حرَّ الوجدِ في عُنُقي ... كما تنفّسُ في الأقداحِ صهباءُ

يا نائياً عن خاطري بالبعدِ مبتعِدِ ... ولن تواريكَ عن [illegible]



عدنان علي رضا النحوي

(1928 -)

ولِد الشاعر الدكتور عدنان علي رضا النحوي في صفد بفلسطين سنة 1928. تحصّل على دبلوم في التربية والتعليم وأصول التدريس من فلسطين، ثم تحصّل على درجة البكالوريوس في هندسة الاتصالات من مصر. وفي التخصّص نفسه تحصّل على درجتي الماجستير والدكتوراه من الولايات المتحدة الأميركية.

إلى جانبِ عمله الهندسيّ عمِلَ في حقل الدّعوة الإسلامية قرابة نصف قرن. وقد عُرِف بشعره الإسلاميّ والوطني. وقد خلّد مدينته (صفد) في أشعاره الجميلة، ولا يكاد ديوانٌ من دواوينه يخلو من ذكرها.

وهو شاعر الملاحم بحقّ، لطول نَفَسِه الشّعريّ الذي يميزهُ عن غيرِه من الشعراء. ولعلّ ملحمته الرائعة (دويّ التاريخ) في ديوانه «جراح على الدرب» التي تقع في 273 بيتاً تعكس هذه الحقيقة، وكذا ملحمة (فلسطين) و(ملحمة الأقصى)، وملحمة (الغرباء) وجميعها تشكّل دواوين مستقلة. وعدنان النحوي شاعر متوهّج، تملّك ناصية اللغة، فأسلمت له قيادها، وهو ذلك الشاعر الذي يشدك إليه ويأسرك بفيض إيمانه وحبه لدينه وذوده عن وطنه وأمته. وهو فضلاً عن ذلك ناقدٌ متميّز تشهد لذلك دراساته النقدية في الأدب الملتزم، مثل : (النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء)، و(الحداثة في منظور إيماني)، و(تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها)، و(الأسلوب والأسلوبية)، و(الشعر المتفلّت. بين النثر والتفعيلة وخطره). وفي دراسته (الشعر المتفلت) يكشف النحويّ عن ناقد حصيف ذي خبرة واسعة في نقد الشعر. وللنحوي عدا الشعر مؤلفاتٌ عديدة تتجاوز الأربعين مؤلّفاً، وقد تُرجمت بعض تآليفه إلى التركية، والإنكليزية، والأوردية.

بغداد

«بغدادُ»! أسفاه! هذا حَالُنا　　　لمّا ابتُليتِ! فَمنْ تُراهُ الجاني؟

ضاعت معالِمهُمْ! وكلٌّ يدّعي　　　شَرَفَ البطولةِ أو يَدَ الإحسانِ

ضاعَتْ موازينُ العَدالةِ واختفتْ　　　وَيحي! فأين عدالةُ الميزانِ

لَهْفي عَلى «بَغْدَادَ» بَيْنَ دِيارِها　　　حممٌ تفجَّرُ في لظىً ودخانِ

لهفي على بغدادَ وهي أسيرةٌ　　　من ظالم عادٍ ومن خَوّانِ

هذا العَدوُّ عَرفْتِ شِدَّةَ مَكره　　　ما بال أهلكِ في شَتاتِ هَوانِ

كم من بَنيكِ تألّبوا وتناثروا　　　فِرَقاً مشتَّتَةً وهوجَ أمانِ

ومذاهباً وعصائباً وطوائفاً　　　شتّى ممزَّقَةً بغيرِ أمانِ

لا الدينُ يجمعها ولا وطنٌ يلُـ　　　ـمُّ شتاتها! نَفَروا إلى طغيانِ

ضمّوا صُدورَهُمُ عَلَى أحقادِهم　　　وعلى مُراوغَةٍ، على كتمانِ

فإذا هُمُ ساحٌ لكلِّ منافقٍ　　　مُتَسلِّلٍ عادٍ خفيِّ الشانِ

يَرْمي شِباكَ خَديعةٍ فيلُمُّ مِن　　　شَتَتِ الهوى بزخَارِفِ الألوانِ

فَسَلِ «المُسَادَ» وكم رمى بِشبَاكِه　　　وكم الذين هوَوْا إلى قيعانِ؟

وسَلِ القُوى الكُبرى؟ فكم من جاهل　　　ألقى إليهِمْ حُزمَةَ الأرسانِ؟

فتسلَّلوا فِتناً تثورُ وخُطّةً　　　تسري على مكْرٍ لها فَتّانِ

وسَرَوا بأرْضِكِ خُفْيةً! كمْ ثعلَبٍ　　　مُتَربّصٍ ومُداهِنٍ ثُعبانِ

بغدادُ مَهْلَكِ! والكنوزُ غنيّةٌ　　　والمجرمون تحفّزوا لطِعانِ

فعلى رباك من الكنوز ذخائِرٌ　　　تهَبُ الوفاءَ لسائلٍ ومُعَانِ

وعلى مدى التاريخ كفُّكِ جودُه　　　بِرٌّ اليقينِ وصَفْوةُ الإحسانِ

حتّى تفجَّرَ بطنُ أرضِكِ نعمةً　　　كُبْرى وفيضاً من يدِ الرحمنِ

نُعمى أحَلّتِ لهيبَها نَوراً بفضـ　　　ـلِ الله! نُعمى الواحدِ الديّانِ

فأبى عَليكِ المجرمون ليجعلوا　　　منها لظىً مُتوقِّدَ النيرانِ

بغدادُ جُنّ المجرمون فأقبلوا　　　زحفاً على جَشَعٍ وغَدْرٍ جبانِ

واحسرتاه عليك يا بغدادُ كَمْ　　　حَرْبٍ تُشنُّ عَليكِ أو عُدوانِ

يتفجَّرُ التاريخُ بَيّنَ ملاحمٍ　　　دارتْ ودَفّقٍ مِن دمائِكِ قانِ



4

عبد المعطي الدالاتي

(1961 -)

عبد المعطي الدالاتي شاعرٌ جمع بين الطب، والأدب، والشريعة. وُلد في حمص سنة 1961، ونال شهادة دكتوراه في (الطب البشري) من جامعة دمشق عام 1985م. ونال شهادة ماجستير في (الأحياء الدقيقة) من جامعة دمشق عام 1989م، وشهادة الاختصاص في (الدمويات) من دمشق عام 1996م. وتحصّل على شهادة الإجازة في (اللغة العربية وآدابها) من جامعة حلب عام 1993م. كما درّس (الشريعة الإسلامية) في كلية الشريعة بجامعة دمشق، ودرّس (اللغة الإنجليزية وآدابها) في كلية الآداب بحمص، وهو يعمل الآن طبيباً مخبرياً في مدينة حمص.

له عدد من المؤلفات،منها: «ربحت محمداً ولم أخسر المسيح»، و«عطر السماء»، و«أحبك ربي، نجاوى شعرية»، و«إليك حواء: قصائد للمرأة المسلمة»، «لحن البراءة» و«عيون القمر» وهما ديوانا شعر للأطفال.

عبد المعطي الدالاتي، شاعرٌ رقيقٌ يتدفّق شعره عاطفةً وإيماناً .

أروَيْتُ أم دمعي روى؟

يا ليلُ ما عندي سوى ... أحزانِ قلبٍ قد هوى

ويحَ النَّوى. لم أحتمل ... يا ليلُ آهاتِ النوى

يا ليلُ طالتْ محنتي ... طالَ انتظارُ هدايتي

في غربتي عن إخوتي ... يا ليلُ عمري قد ذوى

لما دَنَا منا السَّنا ... وأحاطَتِ البشرى بنا

ورجعتُ أبغي موطِنا ... عادت حكاياتُ الهوى

عادت رواياتُ اللقا ... عادت نجاوى المُلتقى

والدمعُ قبلي أشرقا ... أروَيْتُ أم دمعي روى؟

لما ابتدا دربُ المدى ... في رحلتي نحو الهدى

وبَدا لروحي ما بدا ... قلبي على النُّعمى استوى

حجبتِ الجمال

أتدرينَ أنكِ بُشرى لنا ؟! وأنكِ خيرٌ يفيضُ هنا ؟!

أتدرينَ أنكِ نبعُ الحياةِ يجوبُ الزمانَ ويروي الدُّنا ؟!

أتدرين أنّك أمُّ الجمالِ وبنتُ الدلالِ و أختُ السّنا ؟!

وأنكِ حين ارتديّتِ الحجابَ سموتِ ، علوّتِ على المنحنى!

حجبتِ الجمالَ فحُزتِ الجلال وحُسنكِ للطّهر قد أعلنا

صنعتِ الرجولةَ، أمُّ الرجالِ بنيتِ .. فأعليتِ مَنْ قد بَنى!

حضنتِ الطفولةَ في مهدها وكنتِ الخميلةَ والمَسكنا

فقلبكِ ينشرُ دفءَ الحنانِ وكفّكِ تمسحُ عنّا الضَّنا

إذا ما رضيتِ سترضى الحياة وتضحكُ إذ تضحكينَ لنا

لأجلكِ غنّى وطارَ النشيدُ يرفرفُ حولكِ حتى دَنا

إليك تهاجر كلُّ الحروفِ وتهوي عليك كرامُ المُنى

تحومُ عليكِ .. وتأوي إليكِ وتبغي لديكِ هُنا موْطنا

تعاليْ لِنبنيَ بيتَ القصيدِ بشطرينِ: منكِ.. ومنّي أنا

تعاليْ نصلّي لربِّ الوجودِ ليغمُرَ بالدين أعمارَنا

لأنكِ أنتِ .. لأنّي أنا تسيرُ الحياةُ رخاءً بِنا

ظلمناكِ دهراً فهل تغفرينَ ؟! ومِثلُكِ يصفحُ عمَّنْ جَنا

مَن أخبرَ الروحَ أن المصطفى فيه ؟!

أُهدي إليكَ نشيداً رحتُ أُخفيهِ ... بين الدموع ، حلاواتُ الهوى فيهِ

أهدي إليك فؤاداً راح يسكنهُ ... عطرُ الحبيب، فما أزكى معانيهِ

بين الصِّحاح تجوبُ الروحُ سائلةً ... عنه الحروفَ ، وكم جلّتْ مغانيهِ

لو كنتُ أدري حديثَ الركب إذ رحلوا ... نحو الحجاز هوىً .. لو كنتُ أدريهِ

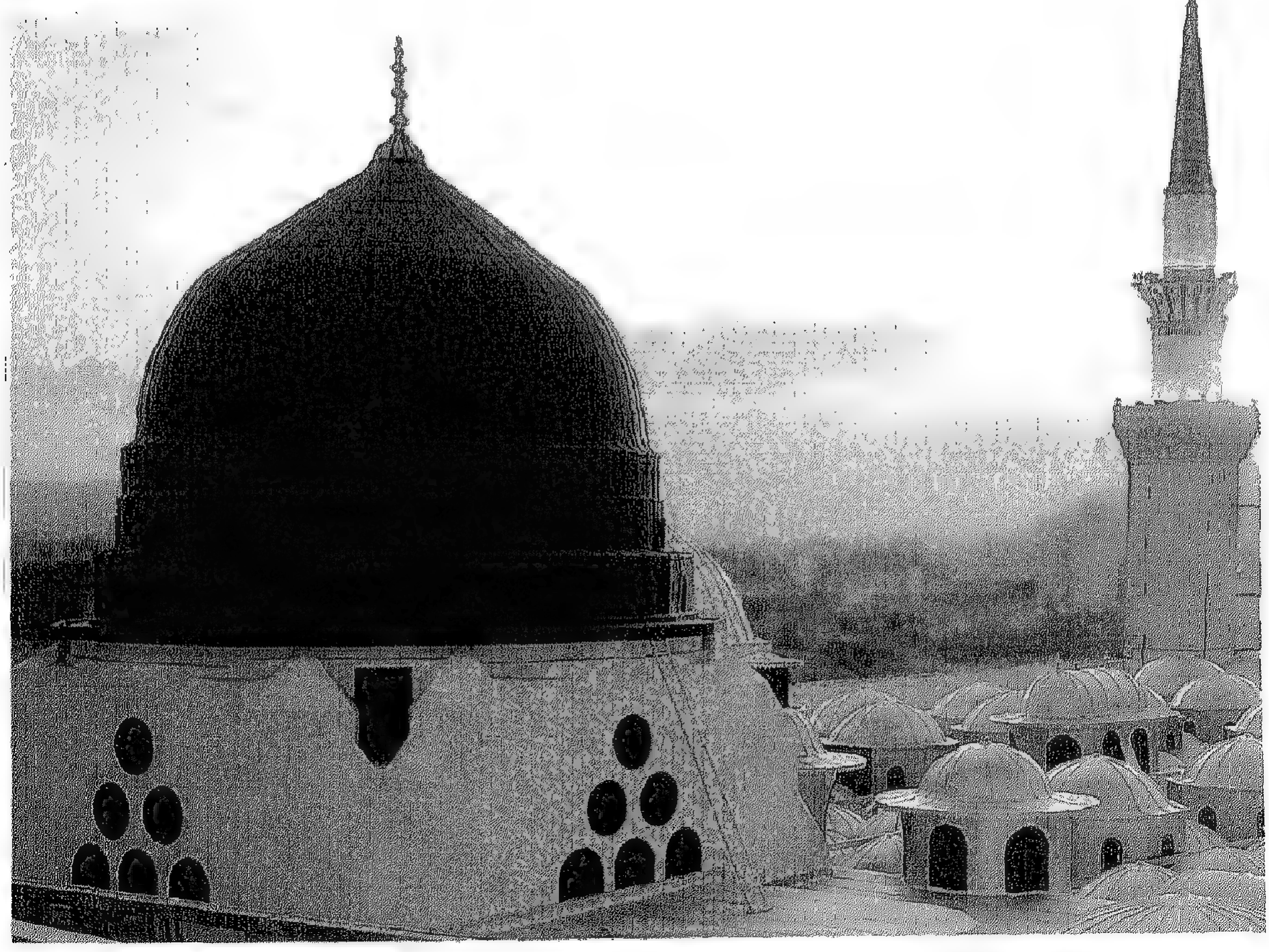
شدوا الرحالَ وفي أرواحهم طربُ ... يحدو الجِمالَ ، فيطوي الدربَ حاديهِ

ساروا إليكَ وكان الشوقُ يحملهمْ ... لكنّ شوقي أنا حارتْ أمانيهِ

ساروا إليكَ وراح القلبُ يسألهمْ ... لو يعلمُ القلبُ أن الدربَ يبغيهِ !

أو يعلمُ الركبُ أن الروحَ تسبقهمْ ... نحو الحبيبِ ، فهل حقاً تلاقيهِ !

روحي تطير وتهوي عند مسجدهِ ... من أخبرَ الروحَ أن المصطفى فيهِ ؟!



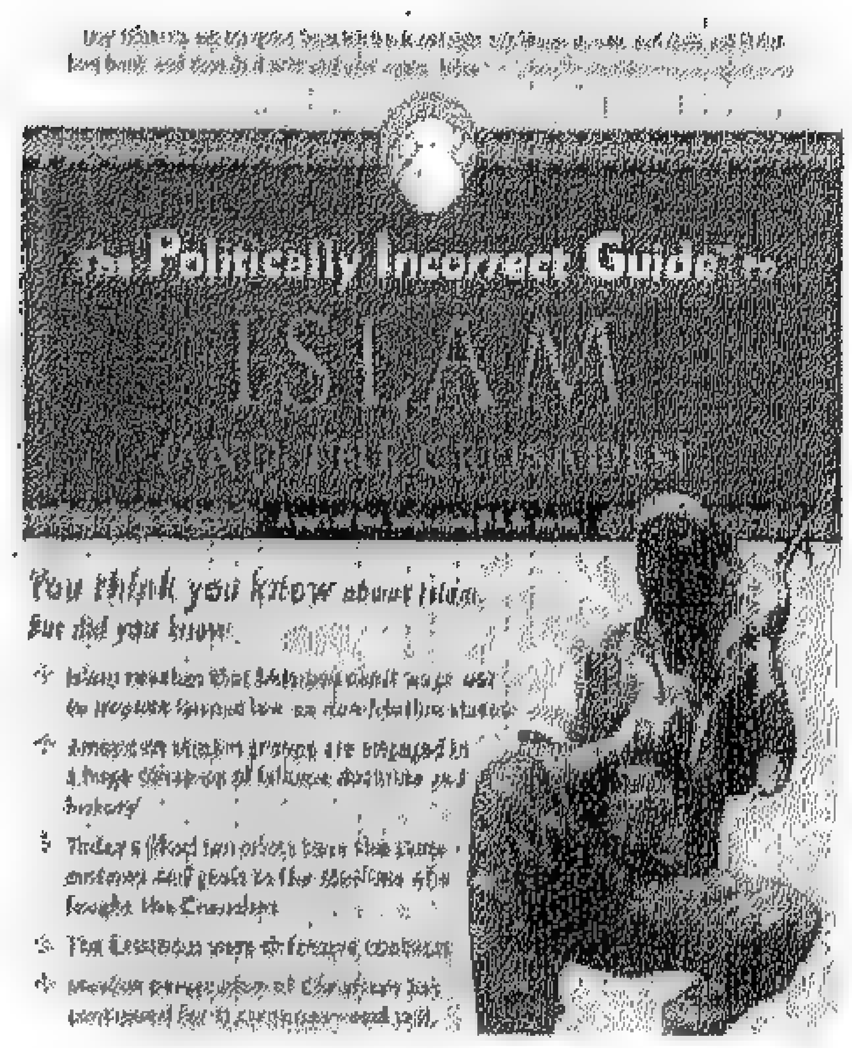


عرض: أ. الصديق بشير نصر*

- المرشد الباطل سياسياً إلى الإسلام
- بعث المقبور.. أحوال المرأة في الإسلام
- المكتبة

* باحث وأستاذ جامعي / ليبيا

المرشد الباطل سياسياً إلى الإسلام



المرشد غير الصحيح (المشوب)
سياسياً إلى الإسلام

The Politically Incorrect
Guide to Islam

كتاب من تأليف روبرت سبنسر

Robert Spencer

قامت بنشره مؤسسة

Regency Publishing, Natl Book Network

في أغسطس 2005، ويقع في 270 صفحة.

يتكون الكتاب من مقدمة و قسمين، ويحتوي كلّ قسم على تسعة فصول، مرتبة على النحو الآتي:

❖ المقدمة

❖ القسم الأول: الإسلام

- الفصل الأول: محمد، نبي الحرب
- الفصل الثاني: القرآن: كتاب الحرب
- الفصل الثالث: الإسلام: دين الحرب
- الفصل الرابع: الإسلام دين التعصب
- الفصل الخامس: الإسلام يضطهد المرأة
- الفصل السادس: الشريعة الإسلامية: كذب، سرقة، قتل
- الفصل الثامن: كيف قتل الله العلم
- الفصل التاسع: هل انتشر الإسلام بالسيف ؟ أتراهن ؟

❖ القسم الثاني: الحملات الصليبية

- الفصل العاشر: لماذا كانت الحملات الصليبية ؟
- الفصل الحادي عشر: الحملات الصليبية: الأسطورة والحقيقة.
- الفصل الثاني عشر: الحملات الصليبية: ماذا حققت ؟ وفيم أخفقت ؟
- الفصل الثالث عشر: ماذا لو لم تحدث الحروب الصليبية ؟

ـ الفصل الرابع عشر: الإسلام والمسيحية: تراث متكافئ ؟

ـ الفصل الخامس عشر: الاجتهاد يتواصل.

ـ الفصل السادس عشر: الإسلاموفوبيا والجهاد الأيديولوجي اليوم.

ـ الفصل السابع عشر: نقد الإسلام قد يكون خطراً على حياتك.

ـ الفصل الثامن عشر: الصليبية التي ينبغي أن نقاتل بها.

ومؤلف الكتاب معروف بكراهيته للإسلام، ومعاداته للمسلمين، وترويجه للمفاهيم الفاسدة عن الإسلام التي تفصح عن جهله به. وهو يدير موقعاً على الشبكة الدولية اسمه جهاد ووتش Jihad Watch ينضح حقداً وتحريضاً وتشويهاً لكل ما يتصل بالإسلام ونبيه.

والنظر في عناوين كتابه هذا يكاد يكشف عن مضمونه.

وقد سبق كتابه الأخير هذا عدة كتب أخرى هي: (إماطة اللثام عن الإسلام: مسائل مزعجة عن أسرع عقيدة نمواً في العالم)، و(الجنود المسلمون يتقدمون: كيف يهدد الجهاد أمريكا والغرب)، و(خرافة التسامح الإسلامي: كيف تهدد الشريعة الإسلامية غير المسلمين).

وقد قوبل هذا الكتاب، شأنه شأن الكتب الأخرى المعادية للإسلام، بالتقريظ والثناء.

وفي مقابلة مع المؤلف روبرت سبنسر أجرتها معه Frontpage يقول إنّ كتابه الأخير هذا هو ردّ على من يزعم أنّ الإسلام دين التسامح أمثال: جون ايسبوسيتو John Esposito في كتابه: (التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة ؟)، و كارين ارمسترونغ Karen Armstrong في كتابها: (مختصر تاريخ الإسلام)، ويحيى إميريك Yahiya Emerick في كتابه: (الدليل الكامل لفهم الإسلام). ومن عنوان كتاب إيميريك استمد روبرت سبنسر عنوان كتابه الأخير.

ويقول في هذه المقابلة: «أخبرني كثير من المحافظين المعروفين أن التركيز على عناصر الإسلام سيزيد من حدّة العنف والتعصب، وأنني بذلك سأنفّر المسلمين المعتدلين الذين يمكن أن يكونوا حلفاءنا في محاربة الإرهاب الإسلامي. وهم بقولهم ذلك يزعمون أنّ الإسلام في جوهره دين سلام، وعلى أمل أننا سنكسب بهذا الخطاب بعض الأصدقاء في العالم الإسلامي.



مؤلف الكتاب روبرت سبنسر

ونحن إذا رفضنا الاستكشاف الصحيح لما يدفع المسلمين اليوم نحو العنف بمعرفة بذوره في الإسلام فإننا بذلك لا نقدّم عوناً للمعتدلين من المسلمين.

نحن في الواقع نكسر الأرضية التي يقفون عليها بإنكار أنه لا شيء في دينهم يستحق أن يحاربوا من أجله إذا شاءوا أن يقيموا إطاراً لوجود سلميّ بين المسلمين وغير المسلمين.

وسئل أيضاً: «إذا كان الإسلام دين سلام وتسامح حقاً فلماذا هو خطير إلى حدّ أن تقول فيه ما قلت ؟ فأنت مثلاً تعرضت للتهديد بالموت قبل سنوات. هل لك أن تحدثنا قليلاً عن ذلك ؟» فأجاب: «نعم. كانت تلك التهديدات تريد مني أن أقول إن الإسلام دين تسامح وسلام، وإلا سأقتل. ولكنني لن أتوقف عن قول الحقيقة بسبب تهديداتهم، وإذا امتنع المرء عن قول الحق لأن الآخرين لا يريدون ذلك فماذا سيكون شكل العالم ؟».

إنّ موقع Jihad Watch الذي يديره المؤلف يلخّص بوضوح المدرسة الفكرية والسياسية التي

يتمي إليها روبرت سبنسر.

إنّ الكتاب، موضوع العرض، هو من أسوأ ما خرج من كتب وأردأها، إن لم يكن الأسوأ، في منظومة الكتب المعادية للإسلام.

والمؤلف تنتابه مجموعة من الهواجس، ويخيّل إليه أنه متهم من القرّاء بسبب تحامله المفضوح في كتاباته، وهو بذلك يعبّر صراحةً عن مدفون صدره. فتحت عنوان (أسئلة متكررة) في موقعه يوجّه أسئلةً إلى نفسه ويجيب عنها. وهذه الأسئلة والأجوبة خير مفتاح لفهم عقلية هذا الكاتب الذي يقول إنه درس الشريعة والفقه الإسلامي وتاريخ الإسلام بعمق في جامعة نورث كارولاينا في Chapel Hill منذ سنة 1980.

يقول المؤلف: «لقد طُلِبَ مني بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر أن أميط اللثام عن الإسلام من أجل تصحيح سوء الفهم للإسلام الذي انتشر في ذلك الوقت، وجواباً عن أحد (الأسئلة المتكررة) التي يفترضها ويجيب عنها، قال:

«ليس لي أجندا دينية. والناس يظنون أن مسيحياً لا يمكنه الكتابة عن الإسلام بدقة، مع أنهم لا يستطيعون إظهار المواضع التي لا تتسم بالدقة في كتبي. فـ (جهاد ووتش) فرصة لكل ضحايا الجهاد والمضطهدين من اليهود، والنصارى، والهندوس، والبوذيين، والمسلمين العَلْمانيين، والملاحدة لأن يتجمعوا من أجل الدفاع عن حقوق الإنسان العالمية. وربما كانت هنالك مسائل كثيرة نختلف فيها، ولكننا عند هذه المسألة (محاربة الجهاد) ينبغي أن نتحد من أجل البقاء، ويمكننا أن نسوي خلافاتنا فيما بعد. وأكثر الناس نشاطاً في (جهاد ووتش) هم من الكاثوليك واليهود والملاحدة». وسئل: «قرأنا أنك يهوديّ بالفعل» أجاب: «كلا. الجهاديون يصفون خصومهم بأنهم يهود. ويشرفني أن أقف مع اليهود والآخرين من أجل الدفاع عن حقوق الإنسان ضد الفكر الشمولي وأيديولوجيا الجهاد».. وسئلَ: «لماذا يتحوّل كثير من الناس إلى الإسلام ؟» فأجاب: «هنالك عناصر كثيرة جذابة في الدين (لاحظ أنه استنكف أن يقول في الإسلام) وأظن أن حقائقه الصلبة تروق لكثيرين من الناس الذين اشمأزوا من واقعية العالم الغربي وأخلاقياته. وثمة كذلك مظاهر كبيرة وغنية في التاريخ الإسلامي والثقافة الإسلامية ما يجعل الدين اليوم جذاباً. والجهاد العالمي ضد الغرب اليوم يساعد الإسلام في جمع مهتدين من الغرب من بين مجموعات تشعر بأنها مضطهدة أو مهمّشة. وقد نشط التحوّل إلى الإسلام بفعل الجهود الإسلامية في تقديم الإسلام باعتباره ديناً خالياً من آثام الغرب وخطاياه ولا سيما التمييز العنصري.وسئلَ: «قرأنا أنك تؤيد التهجير القسري للمسلمين الأمريكان» أجاب: «ليس صحيحاً إذا كانوا ملتزمين بالدستور الأمريكي، والتعددية الأمريكية، والدفاع عن أمريكا عن تعرضها لأي هجوم».

ان هذا الكتاب لا تتوفر فيه أدنى معايير المنهجية ولا البحث العلمي لأنه باختصار يقوم على فلسفة النفي المطلق التي ما أصابت مؤلفاً أو كتاباً إلا قضت عليهما.

تلك الأسئلة المفترضة التي كانت تدور في ذهن المؤلف، وأجابته عنها في موقعه، تنفع أن تكون مفاتيح لدراسة كتابه. ولعله ليس من غلوّ الكلام أن نقول ها هنا إن هذا الكتاب لا تتوفر فيه أدنى معايير المنهجية ولا البحث العلمي لأنه باختصار يقوم على فلسفة النفي المطلق التي ما أصابت مؤلفاً أو كتاباً إلا قضت عليهما. فكل محاسن الإسلام مساوئ، مع أنه يصرح في كلامه عن المهتدين إلى الإسلام في الغرب بخلاف ذلك، اللهم إلا إذا كان أولئك المهتدون من البله والسذج والأغبياء الذين يستبدلون الإسلام بدياناتهم.

بعث المقبور..
أحوال المرأة في الإسلام



Mansour Fahmi: La Condition de la Femme dans la Tradition de L'Islamisme, Paris, 1913

أصل الكتاب رسالة دكتوراه بجامعة السوربون قدمها منصور فهمي بإشراف ليفي بريهل Lévy Bruhl سنة 1913.

وهي رسالة أثارت في حينها زوبعة فكرية كبيرة في الجامعة وعلى صفحات المجلات والصحف وأشهرها (المؤيد) التي كان يرأسها الشيخ علي يوسف.

أسفرت تلك الزوبعة على رفض الجامعة المصرية الاعتراف بدرجة الدكتوراة التي تحصل عليها منصور فهمي، ومنعه من التدريس فيها، ليعود إليها في سنة 1921.

ظلّ كتاب منصور فهمي مقبوراً من سنة 1913 إلى سنة 1990 حتى جاء من أخرجه من لحده ونشر نصه الفرنسي عن Post de H. Manna, Allia, Paris, 1990 أي بعد سبع وسبعين سنة من الطبعة الجامعية التي نوقشت في السوربون، وليس لها ناشر. ثم أعاد الناشر طبع الكتاب سنة 2002. قدّم لهذه الطبعة الفرنسية الجديدة شخص يُدعى محمد حربي. وتقع هذه الطبعة في 144 صفحة.

والمثير للانتباه أن عنوان الرسالة في الطبعة الأخيرة قد حُرّف بشكل مخالف للأمانة العلمية، حيث إن عنوان الرسالة الأصلي هو:

La Condition de la Femme dans la Tradition et l'évolution de L'Islamisme

وترجمته الحرفية: حالة المرأة في تراث الدين الإسلامي وتطوره.

فأصبح La Condition de la Femme dans L'Islam وترجمته: حالة المرأة في الإسلام.

ولا ريب أن الفرق كبير عند من له عناية ومعرفة عميقة بالإسلام والتراث الإسلامي.

كما أنّ القارئ قد يقف كثيراً أمام غلاف الكتاب الذي يصور هلالاً وصليباً ليتدبّر في مغزاه.

وفي سنة 1997 قامت دار (منشورات الجمل) ومقرّها في كولونيا، بألمانيا بنشر ترجمة عربية له على يد سيدة تسمى (رفيدة مقدادي) يقول الناشر إنها من مواليد برلين سنة 1937، وتقيم الآن في فلسطين المحتلة. وهذه السيدة مغمورة فلا نعرف هل هي عربية أم يهودية؟. وقد راجع الترجمة المدعو هاشم صالح وهو سوري يقيم في باريس له عناية بترجمة أعمال محمد أركون.

وأما الناشر العربي فهو (خالد المعالي) شاعر وناشر عراقي مقيم في ألمانيا، اضطرته الظروف إلى أن يغادر بلده ومدينته السماوة إلى لبنان في عام 1979،

ثم إلى فرنسا غير أنه لم يستقر فيها، فغادرها إلى ألمانيا وحطّ رحاله في مدينة (كولونيا) وهناك أسس داراً للنشر أطلق عليها اسم (منشورات الجمل) عام 1983. وقد قامت هذه الدار بنشر كتب في الأدب والشعر، وعناوين في الفكر الإسلامي لكتّاب لهم مواقف فكرية مناوئة للإسلام، مثل:

عبد الكريم خليل، صاحب المؤلفات المثيرة للجدل. وقد نشرت له دار (منشورات الجمل) كتابه (النصّ المؤسس) الذي روّج فيه لأفكار فاسدة ومفاهيم منحرفة عن القرآن.

المواقع المعادية للإسلام ترحب بالكتاب

ما معنى أن تحتفي بالكتاب مواقع على الشبكة الدولية معروفة بمعاداتها للإسلام؟

إنّ الترويج لهذا الكتاب في ترجمته العربية وتوزيعه مجاناً في مواقع صليبية حاقدة، ومواقع أخرى تجاهر بالإلحاد، أمر يدعو إلى الريبة. ولا يمكن بحال من الأحوال، أن يتم ذلك دون الحصول على الإذن من الناشر، وإلا جرّ تلك المواقع إلى المقاضاة القانونية، كما هو معروف، لا سيما أن كثيراً من دور النشر، تسعى إلى تحقيق أكبر ربح من منشوراتها، وهي بالتأكيد لا تقوم بطبعها حسبةً ونيلاً لرضوان الله.

ومن المواقع الصليبية والإلحادية والعَلْمانية التي تروّج للكتاب:

- http://www.answering-islam.org
- http://www.yassar.freesurf.fr
- http://atheisme.free.fr.

يقع الكتاب في أربعة فصول:

- التمهيد.
- المقدمة.
- الفصل الأول: محمدﷺ والمرأة.
- الفصل الثاني: الحجاب والعزلة.
- الفصل الثالث: العبودية في القانون.
- الفصل الرابع: المرأة ومبادئ القانون الإسلامي.


د. منصور فهمي


خالد المعالي
صاحب منشورات الجمل

حكاية كتاب منصور فهمي

ولد منصور فهمي في محافظة الدقهلية بمصر عام 1886، ودرس في كتّاب القرية. وعندما أتم دراسته الابتدائية بالمنصورة التحق بإحدى المدارس الفرنسية بالقاهرة، وحصل منها على شهادة البكالوريا عام 1906، ثم التحق بكلية الحقوق. وبعد عامين من الدراسة بها وفي سنة 1908 اختير ضمن أحد عشرة طالباً للدراسة بالجامعات الأوروبية،



وهم الدفعة الأولى التي أريد أن تكون نواة الجامعة المصرية التي تأسست في ذلك العام.

لم ينل منصور فهمي حظاً من المعرفة بالشريعة الإسلامية، فكان فريسة سهلة لتأثير المفكرين الماديين في فرنسا، وعلى رأسهم عالم الاجتماع الفرنسي اليهودي، ليفي لوسيان بريل Lévy Lucien Bruhl، وهو الأستاذ الذي اختاره ماسبيرو orebsaM, عرّاب جامعة فؤاد ليكون مشرفاً على منصور فهمي. وكان ليفي بريل متأثراً بالفيلسوف الفرنسي أوجست كونت Auguste Comte، ويظهر ذلك في كتابيه: العقلية البدائية، و(الميثولوجيا) البدائية. واختير لمنصور فهمي أن يدرس الفلسفة بدلاً

من الحقوق، ثم انتهى به المطاف إلى دراسة الإسلام على يد رجل ينكر الأديان ويعدّها أساطير.

قدّم منصور فهمي أطروحته المذكورة للدكتوراة، ونوقشت في سنة 1913 بجامعة السوربون وأجيزت بالرغم من اعتراض جامعة القاهرة على موضوعها. ويتحدث الباحث دونالد مالكولم ريد Donald Malcolm Reid في بحثه القيم عن دور المستشرقين في جامعة القاهرة (Cairo University and the Orientalists) والمنشور بالمجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط International Journal of Middle East Studies عدد فبراير 1987، فيقول:

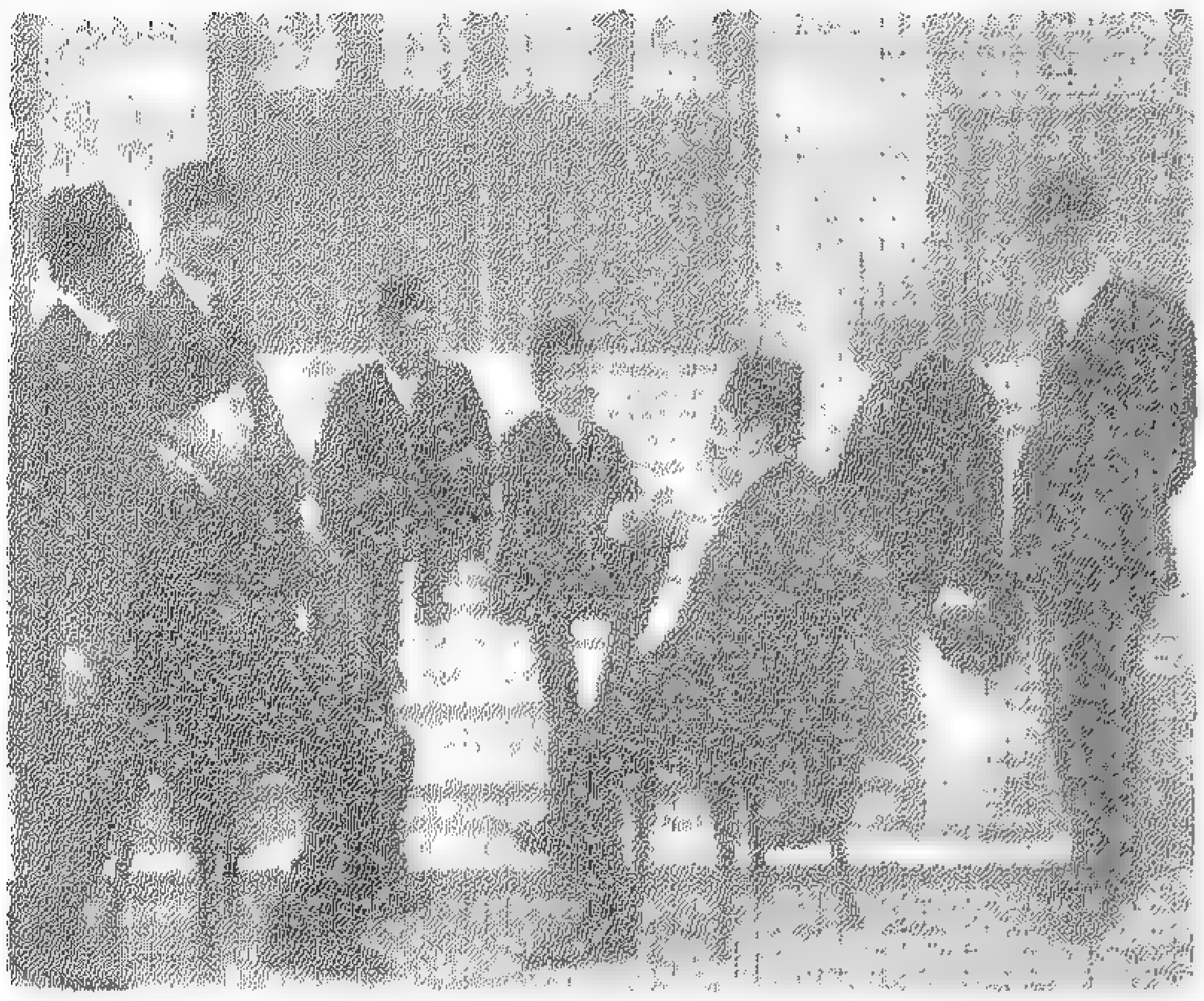
«بلغَ جامعة القاهرة أن أطروحة منصور فهمي عن (حالة المرأة في التراث الإسلامي) شوّهت الإسلام، فأبرقت إدارة الجامعة المصرية إلى باريس لتعليق مناقشة الأطروحة، التي حُدّد لها اليوم الأول من شهر ديسمبر 1913 لمناقشتها. ولكن المناقشة تمت في موعدها المحدد، ونال فهمي درجة الدكتوراه بامتياز. وبعد أربعة أيام اجتمعت هيئة الجامعة لتقويم الضرر الحادث. وكان من بين الحاضرين في الاجتماع السيد ماسبيرو وعالم الآثار الإسلامي علي بك بهجت، وغاب عن الاجتماع حسين رشدي الذي أصبح رئيساً للوزراء بعد ذلك، وعبد الخالق ثروت.

وتقرّر في الاجتماع الإبراق إلى باريس تطلب فيها إرسال ما تبقى من نسخ الأطروحة إلى جامعة القاهرة مباشرة وهي التي أنفقت على بعثة منصور فهمي وطباعة أطروحته. وأصدرت أمرها بعودة فهمي إلى مصر. كما أصدر مجلس الجامعة أمراً يوجب ضرورة الحصول على موافقة الجامعة المصرية مستقبلاً على موضوعات البحوث، واطلاع الجامعة على الأطروحات قبل أن يقدمها الطلاب المصريون إلى الجامعات الأوروبية. وفي يناير سنة 1914 فصلت الحكومة المصرية منصور فهمي من خدمتها، وألغت قرار تعيينه الوظيفيّ».

ويُقرّ هذا المستشرق في هذه الدراسة بأن منصور فهمي اتبع في تحليلاته مناهج غربية صنعها



المجموعة الأولى من طلبة جامعة فؤاد (القاهرة) المبعوثين إلى أوروبا سنة 1908 وعددهم 11 طالباً ويظهر منصور فهمي في الصورة وهو الثاني من الواقفين يميناً



مسابيرو أحد أعضاء المجلس الإداري بالجامعة المصرية القديمة يبدو في الصورة واقفاً (الثاني إلى اليمين) ويبدو الأمير فؤاد جالساً (إلى اليمين)

مستشرقون عُرِفَ بعضهم بعدائه للإسلام، أمثال: رينان، ولامانس، وغيرهما.

يقول منصور فهمي في مقدمة كتابه واصفاً بحثه هذا: «وهذا البحث، بالنسبة لنا، هو مناسبة للإشارة إلى التأثيرات الإيجابية التي أثرت على دراستنا العلمية: وُلدت مسلمًا، ونشأت في وسط مسلم وبعدها جئت إلى باريس لإتمام دراستي. وفي باريس، وتحت إشراف الأستاذ القدير ليفي بريهل. اكتسبت المناهج الضرورية للبحث الدقيق. وبحثنا هذا توخّى الحقيقة ولا شيء آخر».

ويبدو أنّ المؤلف كان يتوقع ابتداءً ما ستحدثه دراسته من أثر سلبي في نفوس المسلمين، فقال:

«ولهذا آمل من أهلنا وأصدقائنا أنْ لا يستاءوا منّا وأنْ لا يثير عملنا هذا ابتسامات السخرية والتعليقات اللاذعة بسبب غرابة دراستنا المطبقة على بعض التقاليد والمؤسسات، فلا مبرّر للتهكّم أو للغضب الذي إنْ دلّ على شيء فهو يدلّ على عقليّة ضيّقة أو مُغلقة. فالعالم يتجاهل هؤلاء لأنّه يبحث عن الحقيقة. فهل هناك من شعب يخلو من تقاليد شاذّة أو غريبة، إنْ حكمنا عليها من وجهة نظر عصرية أو حديثة؟».

كما لم يفت منصور فهمي أن يتوجّه في مقدمة الكتاب بالشكر للأساتذة الذين انتفع بتوجيهاتهم، فقال:

«.. وأنْ نذكر سني الدراسة في السوربون، وذكرياتنا الحلوة في الحي اللاتيني والانتظام المفيد الذي خلق منا عقولاً متفتّحة، فإننا ننتهز الفرصة لنقدّم خالص شكرنا وتقديرنا للجامعة المصرية، وإلى سمو الأمير أحمد فؤاد الذي شجّعنا كثيراً، وأرتن باشا، والبروفيسور ماسبيرو الذي عرّفنا إلى البروفسور ليفي بريهل الذي أظهر اهتمامًا كبيرًا بعملنا.

ولقد أشرنا سابقًا للتأثير الإيجابي الذي مارسه ليفي بريهل على تطوّرنا العلمي ولهذا نحن له شاكرون. و شكرًا أيضًا للسيد Picaet الذي اهتمّ في الماضي في عملنا لنيل الدبلوم.

وأخيراً لا ننسى البروفيسور Snouck-Hurgronje المستشرق الهولندي اللامع لنصائحه المفيدة أثناء إقامتنا في Leyden وعرفاننا بالجميل لمكتبة هذه البلدة».

> **لقد ابتلاني الله بالانحراف الذي سميته ردّة، ولكنّ الله الذي اختبرني بالانحراف هداني بالإيمان.**
>
> **منصور فهمي**

منصور فهمي
يتراجع عن الآراء الواردة في أطروحته

بالرغم من أن منصور فهمي تراجع عما جاء في كتابه، ولم يأذن بطبعه في حياته إلا أنه يُطبع ويوزّع مجاناً.

جاء في مجلة لواء الإسلام (عدد شوال 1378 هـ) بمناسبة وفاة الدكتور منصور فهمي:

«ولقد ذاكرناه مرّةً: كيف دخل الإيمان قلبك؟ فقال: لقد ابتلاني الله بالانحراف الذي سميته ردّة، ولكنّ الله الذي اختبرني بالانحراف هداني بالإيمان، ولقد كان انحرافي فكرياً، ثم اشتدت بي اللجاجة عندما رُميتُ بالكفرِ، واستمررت على ذلك حتى لقيتُ المرحوم الشيخ الأكبر حسونة النواوي حيث زرته في بيته في سنة 1925».

وبفضل نصح ذاك الشيخ أخذ منصور فهمي يقرأ القرآن والسنن فاكتشف مبلغ ما وقع فيه من خطأ. ولذلك لم يؤلف كتاباً بعد أطروحته تلك إلا كتاباً صغيراً بعنوان (أبحاث وخطرات)، ودراسة صغيرة عن مي زيادة.

وقد كتب في مجلة (حياتك) في ديسمبر 1958، يقول:

«.. وكانت رسالتي في الدكتوراة عن المرأة في الإسلام، واندفعت أكتب بحرارة الشباب المندفع، ويظهر أني انحرفت قليلاً حيث كانت معلوماتي عن الإسلام طفيفة. وحين قوبلت، في مصر، بضجة كبرى ازددت عناداً، ولكن الله كتب لي أن أجلس طويلاً مع بعض مشايخ العلماء من ذوي الأفق الواسع والصدر الرحيب، من أمثال: الشيخ حسونة النواوي، والشيخ مصطفى عبد الرازق، والشيخ علي سرور الزنكلوني. هؤلاء الذين يمثّلون «عالِمَ» الدين الحقيقيّ في عقولهم وعلومهم، فبدأت أتخلّص من الزيغ لأعود إلى حظيرة الدين».

وقد استفاض الأستاذ المؤرخ أنور الجندي في بسط هذه الحقيقة في كتابه الرائع (المعارك الأدبية).

هل ورد في كتاب منصور فهمي ما يسيء للإسلام؟

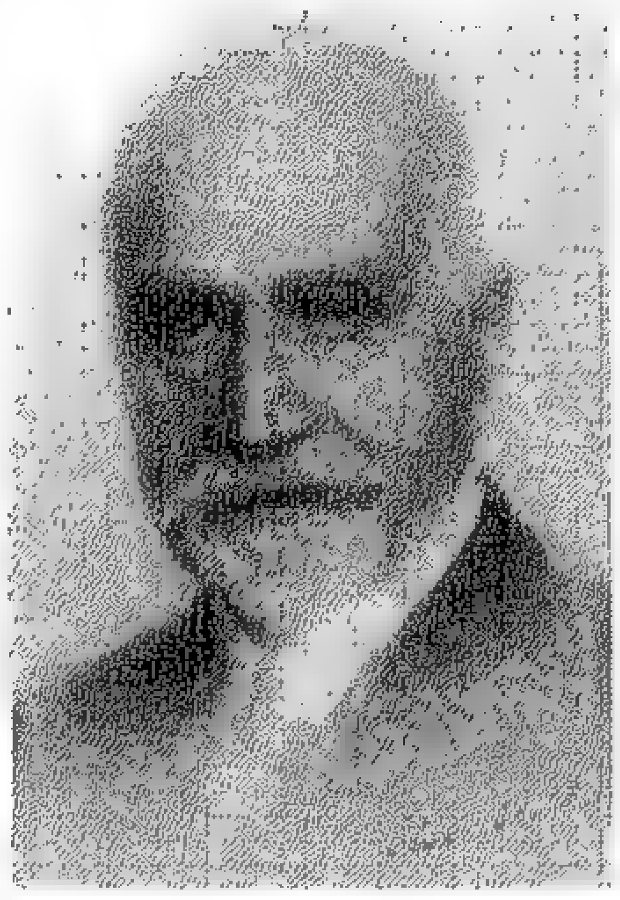
يزعم بعض العلّمانيين، أنّ منصور فهمي لم يوجه إساءةً في كتابه للإسلام. ويزعم فريقٌ آخر منهم، أنه لم يتجاوز الحقيقة، وكلّ ما ذكره حقٌّ وصواب. فما حقيقة ما جاء في هذا الكتاب؟ وما الذي دعا أعداء الإسلام إلى الترويج له؟

الكتاب، للأسف، مملوء بالأوهام والأخطاء. وليس من رأى كمن سمع. فبعد ترجمة الكتاب إلى العربية ظهر ما فيه من أخطاء وزلل.

ولعلّ التقديم الذي وضعه المدعو محمد الحربي للكتاب في طبعته الفرنسية الثانية يفصح عن هذه العقلية المعادية للإسلام باسم الدفاع عن حرية التفكير. فاقرأ قوله:

«هذا الكتاب ليس مقالة هجائيّة موجهة ضد وضع المرأة في المجتمعات الإسلامية من أجل إدانته والتشهير به أمام الغرب. وإنّما هو عبارة عن أطروحة دكتوراة نوقشت في السوربون عام 1913 وقت كانت فيه أطروحات الدكتوراة تمثل عملاً علميًّا جادًّا يتمتع بكل مواصفات الدراسات الأكاديمية الصارمة. وكان يمكن لهذه الأطروحة أن تختفي تحت أنقاض الدراسات الجامعية الأخرى، لولا أنّ حراس النظام التقليدي القديم قد هاجموها وصبّوا عليها جام غضبهم. وهم بذلك أشهروها على غير علمٍ منهم، وأتيح لها بالتالي أنّ ترى النور وتنتشر بين الناس.

في الواقع إنّ منصور فهمي كان قد تعرّض للهجوم فور عودته إلى مصر. فقد شهّر به بعض الصحفيّين الذين لا ضمير لهم. وحرّضوا عامة الناس عليه لكي ينتقموا منه. وممّا يؤسف له أنّ السلطات الجامعية قد انحنت بكل عار أمام هذه الحملات الصحفيّة الكاذبة، ولم تفعل شيئًا للدفاع عن أحد أعضائها: الدكتور منصور فهمي. وقد تمّت محاكمته بناء على تقرير لئيم ومغرض يقول ما معناه: إنّ المدعو منصور فهمي قد ناقش فى فرنسا أطروحة دكتوراة مضادة للإسلام ونبيّه، وذلك تحت إشراف «أستاذ يهودي» يُدعى ليفي بريهل! وهكذا اضطهد منصور فهمي وأزيح عن التدريس الجامعي في مصر، ولم يعد إلى الجامعة إلا بعد ثورة 1919. ولكن يمكن القول بأنّه قد نسي من قبل الناس ولم يعد موجودًا كمفكر بعد عودته تلك. فقد حطمته الرقابة الصارمة والضغوط الاجتماعية وقضت على آماله وأحلامه في التقدم والبحث العلمي. إنّ من يجهل الإكراهات اليوميّة الممارسة على الوعي في المجتمعات الإسلامية لا يمكنه أنّ يفهم مسار منصور فهمي ولا مصيره. والواقع أنّه تأثّر كثيرًا من الناحية النفسية بعد أنّ أنكروا عمله واحتقروه ولم تقم له قائمة بعدئذ. نقول ذلك على الرغم من أنّه كان باحثًا صاعدًا يعد بعطاء كبير. إننا ننبش هذا الكتاب من تحت الأنقاض اليوم وننشره باللغة الأصلية التي كتب بها: أي الفرنسية.ولكننا نرفق هذه الطبعة الفرنسية بترجمة عربية سوف تصدر قريبًا. إننا ننشره ليس فقط كنموذج على الفكر النقدي المطبق هنا على وضع النساء المسلمات في المجتمع، وإنّما نهدف أولاً إلى كسر جدار الصمت الذي أحاط به منذ ظهوره. إننا نريد أنّ نكشف عن مضمونه الحقيقي ونعلنه على الملأ بعد أن طُمس طيلة سبعين سنة!. ونحن نهدف من وراء ذلك إلى محاربة أعداء الفكر اليوم، أي أحفاد مضطهدي منصور فهمي بالأمس». هذا قدر صغير من تلك المقدمة، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق.



ليفي بريهل
أستاذ منصور فهمي

والحقيقة التي غابت عن المدعو محمد الحربي أن ترجمة هذا الكتاب كشفت عن مخبأته ولم يعد الكلام فيه مجرد ظنون كما كان قبل أكثر من سبعين سنة. وإذا كان حظه من معرفة الإسلام لا يبلغه القدرَ الذي يحكم به للكتاب أو عليه فإن في الأمة علماء قادرون على ذلك.

وها هو ذا بعض مما جاء من أباطيل في كتاب

منصور فهمي:

يقول منصور فهمي: «فيما بعد جاء الإسلام، بمؤسساته المختلفة، وقوانينه الثيوقراطية والعواقب التي أسفرت عنها، جاء وغيّر المفاهيم والسلوك وهكذا شُلّت حركة المرأة».

ويقول: «وعلى الرغم من أنّ محمداً ﷺ أراد حمايتها، أي المرأة، إلا أنّ الإسلام ساهم في انحطاط المرأة». ويقول: «فقبل مجيء الإسلام، كانت المرأة خاضعة لسلطة الأب أو الابن أو الزوج، وهذه السلطة، كما قلت سابقًا، كانت تُلطفها المحبة والعاطفة. أمّا الآن، ومع الإسلام، فقد وجدت المرأة نفسها خاضعة لسلطة الله، الله العادل، الذي حسب عدالته الفائقة، راح يصفع المرأة بالدونيّة».

ويقول: «نظريًا، أراد محمدﷺ أنْ ينهض بشأن المرأة، هذه التي بمفاتنها، أثّرت على إحساسه الشاعريّ، إلا أنّ الإسلام على نقيض نواياه حطّ من مكانة المرأة».

ويقول في الفصل الأول من كتابه:

«شرّع محمدﷺ القوانين للجميع واستثنى نفسه. فبينما يقدّم الدين المسيحيّ بطله يسوع في إطار مقدس، طبيعة فوقيّة عن البشر، فإنّ الإسلام يقدّم نبيهﷺ في شكل مختلف. فهو إنسان بكلّ ما في الكلمة من معنى: رجل حسّاس طيّب. رجل ذو نزوات وعواطف ورجل اجتماعي من الطراز الأوّل. لكن محمداًﷺ، الرجل الذي سنّ القوانين ليخضع نفسه والآخرين لها، منح لشخصه بعض الامتيازات. ففي اللحظة التي كان يسترجع وعيه فيها أدرك محمدﷺ أنّه من الصعب عليه أنْ يُلزم نفسه بالقوانين الصادرة عن الله، ومع هذا كان عازمًا كرسول أنْ يفرض هذه القوانين على الأمّة التي أراد تأسيسها، وبسرعة وجد حلاً للمعضلة: الاحتفاظ للرجال المبشرين برسالة سماوية حق التمتع بامتيازات لا تتمتّع بها عامّة الناس».

ويقول أيضاً: «وكل زواج يجب أنْ يعقد بوجود شهود ودفع المهر للزوجة. وأما محمدﷺ فإنّه تزوّج أكثر من أربع وأعفى نفسه من الشهود والمهر».

وزعمه أن رسول الله ﷺ لم يمهر نساءه فذلك محض افتراء، ففي الجزء الرابع من سيرة ابن هشام ذِكْرٌ لأزواجه ﷺ، وفيه أنه قدّم صداقاً للسيدة خديجة رضي الله عنها قدره عشرين بكرة، وأصدق عائشة أربعمائة درهم، وأصدق سودة بنت زمعة، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وزينب بنت جحش، وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، وميمونة بنت الحارث، وجويرية بنت الحارث، وزينب بنت خزيمة بمثله، وأصدق أم سلمة (رضي الله عنهم جميعاً) فراشاً حشوه ليف، وقدحاً، وصحفة، ومجشة.

آفة منصور فهمي التي لم ينبهه إليها أستاذه الفذ ليفي بريل اعتماده على روايات تاريخية تالفة، لا تقوم بها حجة ولا ينبغي لطالب علم أن يستشهد بها، ولو فعل ذلك تلميذ مبتدئ لما سلم من النقد والتعنيف

وعن الوحي، يقول منصور فهمي: «في سنّ النبوّة ـ أربعون عامًا ـ كان محمدﷺ يحبّ الانفراد بنفسه وغالباً ما كان يذهب إلى الوديان البعيدة باحثاً عن العزلة. وفي يوم وكان بعيداً عن بيته، تقول الأسطورة(!!)، يرى النبي في عزلته الملاك جبريل (عليه السلام) الذي يحجب عنه الأفق. «جعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته».

ويقول عن ما أسماه نزوات النبي: «فمحمد، مُشرّع القوانين الكبير، كان ينقاد لنزوات وتقلبات عائشة، فكان يعمل جهده ليرضيها فينزل إلى مستواها الطفولي، يركض ويلعب معها. والمثل الآتي يكفي للإشارة إلى مدى تأثيرها على القوانين القرآنيّة. كانت عائشة برفقة زوجها النبي في طريق عودتهما من غزوة عسكرية، وكانت الطريق التي عبروها ممراً قاحلاً جافاً وهناك تفقد عائشة قلادتها ويبدأ مرافقوا النبي بالبحث عنها لأن عائشة أصّرت على إيجاد القلادة. وطال البحث وأخذ المؤمنون يشعرون

بالقلق بسبب قرب موعد الصلاة وتواجدهم في مكان لا ماء فيه، وهنا يبادر محمد يطمئن مرافقيه المؤمنين بعد أنْ طلب الإذن من الله أنْ يسمح لمرافقيه بالصلاة دون الوضوء. كل هذا لخاطر عائشة وهذه الحادثة هي أصل القاعدة القرآنيّة التي يعمل بها في الظروف حيث يتواجد المؤمنون في مكان بلا ماء فيه.»

ويقول أيضاً:

«ومحمد الرجل غاو (كذا في الترجمة العربية) النساء والعطور كان غالباً يستقبل الوحي السماوي في عزلته مع ابنة أبي بكر.

ويقول: «تمّ زواج محمد بزينب دون مهر أو شهود ودون تصريح من أحد. وما من شكّ فيه أنّه كان حقًّا فريدًا أنعمه الله به على رسوله وإنّ زينب كانت فخورة باهتمام العناية الإلهيّة بشخصها».

وقد رأينا بطلان هذا الكلام وأنه محض افتيات، وأن النبي ﷺ أمهر زينب صداقاً قدره أربعمائة درهم.

ويقول: «وحسب الروايات المتناقضة والغامضة التي تقول إنّ الرسول تزوج من ريحانة التي اختطفت كأسيرة حرب ولكنه ليس من الثابت عن ماهيّة العلاقة بين محمد وريحانة، البعض يقول إنّه فعلاً تزوجها والآخرون يقولون إنّها كانت خليلته فقط».

لم يَقُل أحدٌ من المؤرخين قط أن ريحانة هذه كانت خليلة للرسول، وهذا افتراء لا يليق بتلميذ، والمصدر الذي أشار إليه وهو طبقات ابن سعد لم يرد فيها ما ذكر. بل إن ابن سعد ساق كل الروايات التي تتعلّق بريحانة هذه وهي إمرأة يهودية وقعت في السبي، فاعتقها الرسول ﷺ وتزوجها. وقد صرّح ابنُ سعد بأن هذه الرواية هي أصح الروايات، وأن الروايات الأخرى التي تقول بأن الرسول كان يطأها بملك اليمين ضعيفة. يقول ابن سعد في الطبقات الكبرى: «وهذا ما روي لنا في عتقها وتزويجها وهو أثبت الأقاويل عندنا وهو الأمر عند أهل العلم» (8: 131). وواضحٌ أن مقصود المؤلف الإساءة إلى النبي ﷺ.

وآفة منصور فهمي التي لم ينبهه إليها أستاذه الفذ ليفي بريل اعتماده على روايات تاريخية تالفة، لا



جامعة القاهرة 1945

تقوم بها حجة و لا ينبغي لطالب علم أن يستشهد بها، ولو فعل ذلك تلميذ مبتدئ لما سلم من النقد والتعنيف، خاصةً وأن بحث منصور فهمي يقوم على الروايات التاريخية وتحليلها، وهذه أقلّ ما يُطلب فيها الصحة. ولكنه مع ذلك يُصرّح في موضعٍ من الفصل الأول تحت عنوان فرعي: حياة محمد العائلية، بفساد رواياته ومع ذلك لا يرى ضرراً من الاستشهاد بها فيقول: «ولكن علينا أنْ لا ننسى أنّ هذه الحكايات لا تملك دقة الحقائق التاريخية إلا أنّها تعطي فكرة عن البيئة الحياتية التي في نظر المؤمنين كانت المثل الأعلى لأنّ يقتدوا بها». والطريف أنّ منصور فهمي إذا وجد أحاديث نبوية ترفع من مقام المرأة عدّها موضوعة، وإذا وقف على أحاديث في ذم المرأة وهي مكذوبة نسبها إلى النبي، ولذلك يقول:

«لا شكّ أنّ جميع هذه الأقوال تكفي لتبرهن على وجود تراث آخر يظهر فيه النبي كحام للمرأة. لكن هذه الشواهد هل هي فعلاً أصيلة وهل نطق بها النبي؟ لقد سبق وأن لاحظنا أنّ ظاهرة التاريخ المقارن تعرض لنا عدّة أمثلة وأنّ الروايات تنسب إلى النبي أعدادا كبيرة من الأحاديث والتصرّفات التي من المؤكّد أنّه ليس بصاحبها أو قائلها. وهذه – أي الروايات – إنْ عبّرت عن شيء فإنّها تعبّر عن المجتمع الإسلامي في حقبة تأسيسه».

وهكذا يمضي المؤلف في كلّ أطروحته التي لا تتجاوز 160 صفحة يخبط خبط عشواء، أو كمن يضرب في بيداء مقفرة من غير هادٍ يهديه. وأما الترجمة فحدّث ولا حرج!!

الحضارة العربية الإسلامية

المؤلف : شوقي أبو خليل
الناشر : كلية الدعوة الإسلامية
448 صفحة / قطع متوسط



التواصل والعطاء قديم بين الحضارات، فما من حضارة قامت إلا وأخذت ممن سبقها، ثم أضافت وأبدعت، فحركة الحضارة حركة تناوبية، تأخذ وتعطي، تتأثر وتؤثر، وشرقنا أول من أعطى، ثم أخذ، ثم أعطى.

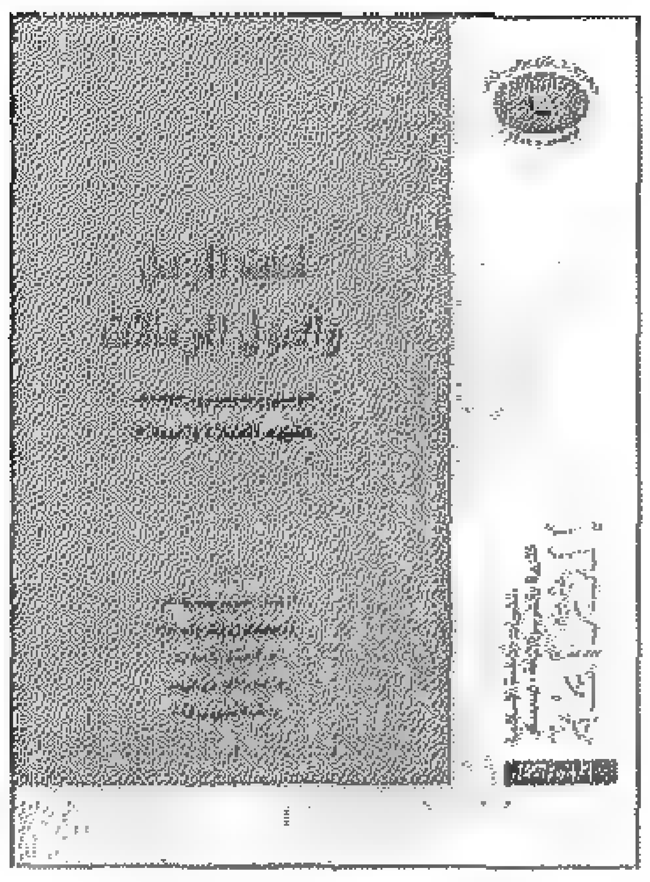
ولمّا جاء دور أمتنا في بناء صرح الحضارة قامت بالدور المطلوب منها بإتقان، قامت بعمل إنقاذي له مغزاه الكبير في تاريخ الإنسانية، فترجمت وصححت وصوّبت، ثم أضافت وأبدعت، كل ذلك بدقة وأمانة، ولو وجد الأوروبيون انتحالاً لفضحوا وهولوا، مستصرخين الأمانة العلمية، مع أنهم لم يكونوا أمناء على تراثنا عندما ترجموه واقتبسوه، لتبدأ نهضتهم العلمية بعدها مباشرة، فنسبوا قسما مما نقلوه إلى أنفسهم.

وللحضارة رموز تُعرف بها، وركائز تقاس عليها، وأهمها الجانب الأخلاقي والإنساني والروحي، لذلك جعلت حضارتنا العربية الإسلامية أهم وأثمن ما تملكه (الإنسان) فهو غاية في ذاته، سُخّرت له المادة، وضمنت له حريته وطمأنينته وكرامته :

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [سورة الإسراء، الآية:70]

والكتاب في الأصل مجموعة محاضرات ألقيت على طلاب كلية الدعوة الإسلامية / فرع دمشق، يقدم المؤلف فيها لمحات سريعة عن الحضارات التي سبقت الحضارة العربية الإسلامية، ثم يدرس حضارتنا من جميع جوانبها تقريباً، ويتوقف مع أثر هذه الحضارة في النهضة الأوروبية وقنوات انتقالها وتسربها إلى أوروبا.

لغات الرسل وأصول الرسالات

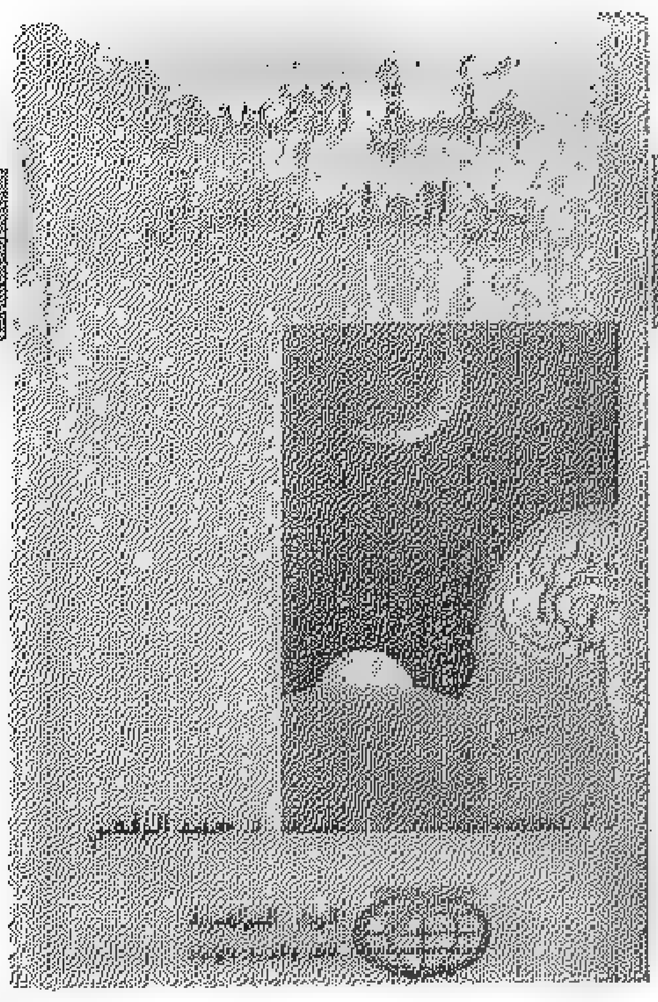


تأليف: مجموعة مؤلفين
الناشر: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)
237 صفحة / قطع متوسط

يتضمن الكتاب خمسة أبواب تتناول: الوحي في حياة البشر، لغة موسى عليه السلام ورسالته، لغة عيسى عليه السلام ورسالته، لغة محمدﷺ ورسالته، وخاتمة تقدم إجابة عن التساؤلات التالية: من أين جاء التناقض فيما بين أيدينا من علم بالرسالات السماوية؟ بأي لغة بلغت الرسل؟ وماذا دوّن الناس عنهم؟ لماذا نبحث عن تلك الأصول؟. كما يتضمن الكتاب نماذج من المصاحف والمخطوطات القرآنية.

ولا يخفى ما ترتكز عليه هذه الموضوعات من أهمية، ذلك أن البحث في أصول الرسالات السماوية وتوثيقها هو حق للناس كافة، لأن الوثائق التي تمثل أصول الرسالات التي نزلت على الأنبياء تهم شعوب الأرض جميعاً، وكذلك الحفاظ عليها هو فرض على البشرية، إذ أن ضياع أصول تلك الرسالات يؤدي إلى ضياع معالم الدين، وتفرق الناس عن الصراط المستقيم. ولكي تكون الأصول لبلاغ الرسل ذات فائدة بين الناس؛ يجب أن تكون قد سجلت خطاب الرسل مباشرة وكاملاً كما بلغوه، وأن تكون اللغة التي دونت بها تلك الأصول لا تزال من اللغات الحية، كي لا يكون على الناس مشقة في فك رموزها والتعرف على مضمون المكتوب.

ولا يخفى أن مرور الزمن وما ينتاب المجتمعات من ظروف متقلبة ؛ أدى إلى فقدان الوثائق الأصلية الأولى للرسالات السماوية قبل الإسلام، ولم يبق لرسالات السماء وثائق أصلية مدونة سوى الأصول القرآنية، فالقرآن يمثل أصح وأكمل وثيقة لرسالة سماوية دونت مباشرة كما سمعها الكتّاب من الرسول محمد ﷺ الذي بلغها، بل غنه يمثل الوثيقة الأصلية الوحيدة الباقية لنص سماوي لم يصبه تغيير بزيادة أو نقصان. تلك هي الرسالة الخاتمة التي هي ملك للإنسانية كلها وتخاطب كل الناس والمجتمعات..



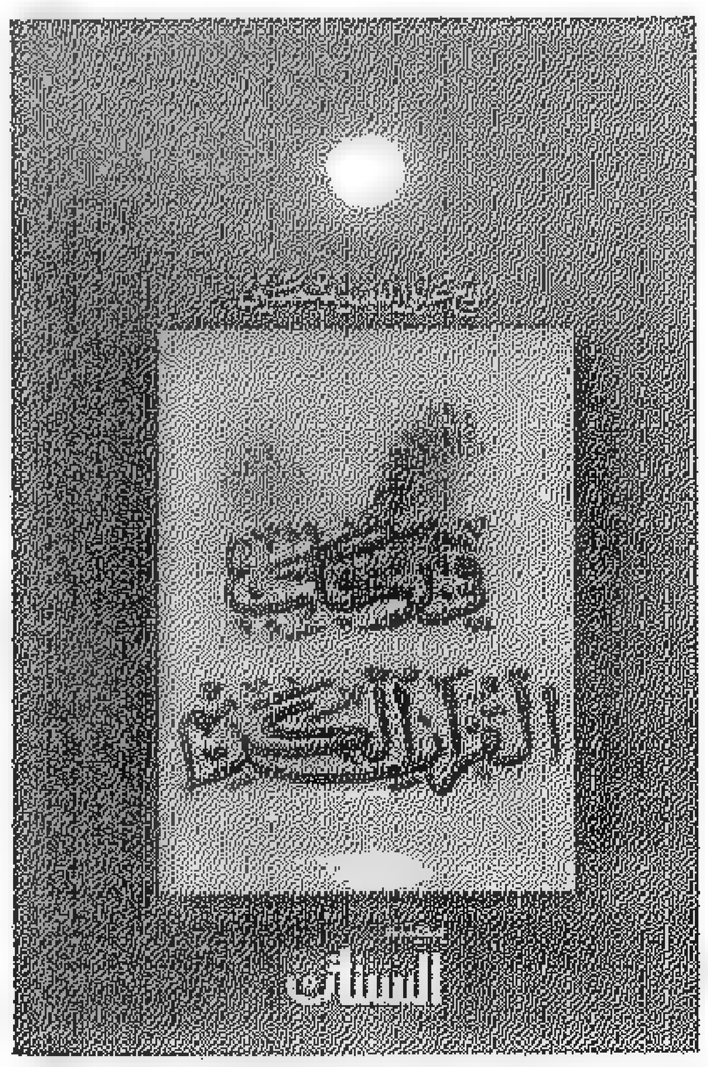
خلق الإنسان.. بين العلم والقرآن

المؤلف: د. حمد الرقعي
الناشر: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان
136 صفحة / قطع صغير

شهد علم الأجنة تطوراً ملحوظاً خلال العقود الأخيرة، ويرجع هذا التطور إلى ظهور العديد من الأجهزة السمعية والبصرية، التي ساعدت العلماء في الوصول إلى حقائق جديدة، إلا أن السبب الرئيسي وراء هذا التطور كان رغبة الإنسان الدائمة في الوصول إلى حقائق جديدة، ودأبه المتواصل في سبيل الربط بين ما يتوفر له من هذه الحقائق. ولا يخفى أن الاهتمام بدراسة الأجنة وتطورها، ليس حديث عهد، بل إنه يرجع إلى القرن الخامس قبل ميلاد المسيح، فأبو قراط ألف كتاب (الأجنة)، الذي احتوى على ثلاث مقالات، في تكوين الجنين وأعضائه، كما أن أرسطو اهتم بالموضوع، وبعده بأزمنة أتى ابن طبري، والأهوازي، وابن سينا، والقرطبي، وابن مسكويه ؛ الذين قدموا الكثير للحضارة الإنسانية، وساروا على هدي القرآن الكريم، الكتاب الذي تحدث عن العديد من الحقائق العلمية قبل أن يطالها العقل الإنساني بما يُجاوز الأربعة عشر قرنا، فكان علم الأجنة أحد العلوم التي طالها هذا الإعجاز، حيث احتوى القرآن الكريم على الكثير من حقائق هذا العلم، إلا أن الإعجاز الأكبر تمثل في أن القرآن وما احتواه من حقائق حول خلق الإنسان ؛ قد أنزل على النبيﷺ في وقت سادت فيه الخرافة، والنظريات التي تفتقر إلى أساس علمي، إذ أن المرحلة الحاسمة من علم الأجنة لم تبدأ إلا بنهاية القرن السادس عشر من ميلاد المسيح عليه السلام، وفي هذا الكتاب (خلق الإنسان بين العلم والقرآن) يحاول المؤلف أن يبين أن العلماء الذين ساروا على هدي القرآن الكريم تجنبوا نظريات الأسبقين التي افتقرت إلى الأسس العلمية، وفي ذلك إعجاز للقرآن، سواء من حيث إدراكه لعلم الأجنة، أو من حيث ما احتواه من حقائق توافق ما توصل إليه العلم بصدد خلق الإنسان، والمراحل التي يمر بها أثناء تكونه.

في رحاب القرآن الكريم

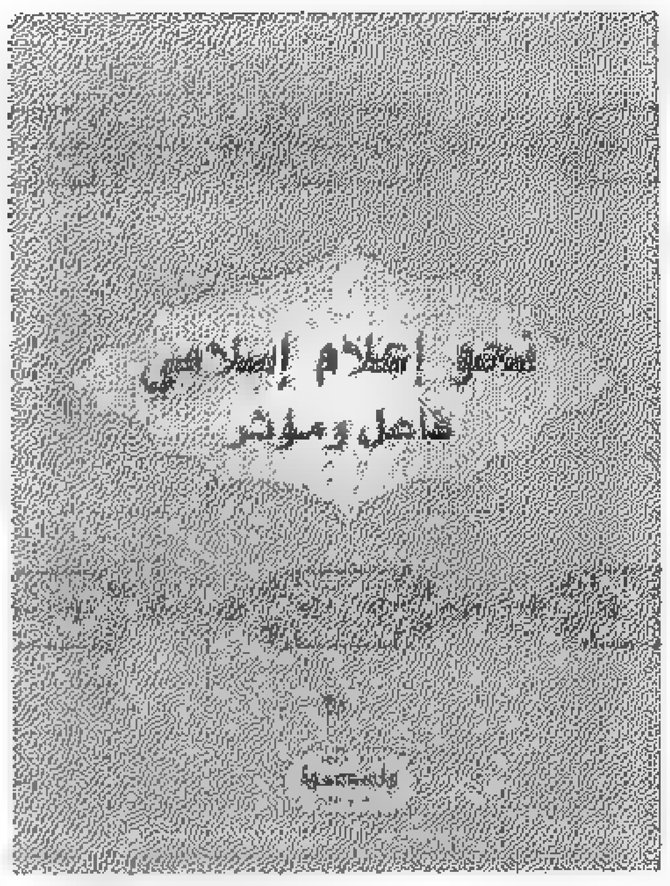
المؤلف: فرج علي الفقيه حسين
الناشر: مكتبة البستان / طرابلس
224 صفحة / قطع صغير



منذ أن خلق الله الأرض، وأنزل إليها آدم ليعمرها، أرسل ـ سبحانه وتعالى ـ الأنبياء والرسل لهداية الناس، مدعمين بمعجزات مختلفة تتناسب مع الزمان وحالة وطبيعة القوم، فمنهم من صدّق وآمن، ومنهم من زاد في غيه. آخر هذه المعجزات القرآن الكريم الذي أنزل على خاتم الأنبياء والرسل محمدﷺ ولكنه يتميز عن غيره من المعجزات بأنه عام للبشر كافة، ثم هو معجزة قائمة دائمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها. في هذا الكتاب إشارات إلى بعض وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ابتداءً من معجزة الإخبار بالغيب، إلى معجزة أسلوبه وبلاغته، إلى انسجامه مع ما وصل إليه العلم الحديث من اكتشافات، كما يحتوي الكتاب على بعض الأدعية في القرآن الكريم والمأثورة عن النبيﷺ، إلى جانب الدروس والعبر المستخلصة من قصص القرآن الكريم. وقد أراد المؤلف ـ كما يقول في المقدمة ـ أن يكون الكتاب صغير الحجم لسببين: أولهما : أننا في عصر نسابق فيه الزمن، ويكاد الكثيرون منا ممن يرغبون في الاطلاع لا يجدون وقتاً كافياً للرجوع إلى المطولات، فيكتفون بكتاب صغير الحجم يستطيعون قراءته في وقت قصير. وثانيهما : أن القراء صنفان : صنف يكتفي بما يجد من إشارات سريعة موجزة، وصنف يطلب أشمل مما يقرأ وأوسع وأعمق. وكلا الصنفين يستفيد من هذه التأملات في الكتاب. وفي هذا الكتاب إشارات إلى بعض وجوه الإعجاز في القرآن، ابتداءً من معجزة الإخبار بالغيب، إلى معجزة أسلوبه وبلاغته، إلى انسجامه مع ما وصل إليه العلم الحديث من اكتشافات. يدرس المؤلف موضوعه في خمسة فصول فضلاً المقدمة والتمهيد والخاتمة.

نحو إعلام إسلامي فاعل ومؤثر

المؤلف: مجموعة مؤلفين
الناشر: القيادة الشعبية الإسلامية العالمية
463 صفحة / قطع كبير



إن عصرنا هو عصر الإعلام، الكلمة فيه تكمن في تكوين الرأي العام وتعميم الأفكار والقيم والأفكار (الأيديولوجيات)، فبقدر تطور وتقدم وسائله المختلفة يكون انتشار هذه الأفكار (الأيديولوجيات) وقوة التأثير والتأثر بها.

وكلنا يشاهد الطفرة الكبيرة التي يعيشها الإعلام المعاصر في ضوء التطور التقني العلمي، وكلنا يلمس دور الإعلام في حملات التضليل والغواية التي يمارسها الإعلام الغربي على العالم الثالث عامة، وعالمنا الإسلامي خاصة، لغرس قيمه ومثُله، وتسفيه قيم ومثل وعقيدة الآخرين، في محاولة محددة الأهداف والمسار، ومحكمة الحلقات، لاستلاب هوية الأمم، وفرض الهيمنة والتبعية عليها، وسلبها ثرواتها وأرضها.

تدرس أوراق الكتاب وبحوثه إمكانية وضع استراتيجية إعلامية موحدة وتتناول المحاور والنقط التالية:

- ❖ مجالات الإعلام الإسلامي وإمكانات الإبداع:
  دور الإعلام الإسلامي في توعية المسلمين وترشيد صحوتهم الإسلامية.
  دور الإعلام في مواجهة حملات التغريب.
  دور الإعلام الإسلامي في مجال توحيد رؤى المؤسسات العاملة في حقل الدعوة الإسلامية.
- ❖ منهجية الإعلام الإسلامي في ضوء التقنيات الحديثة:
  الثورة التقنية (التكنولوجية) في الإعلام وأثرها على تطور الأداء الإعلامي.
  كيفية الاستفادة من هذا التطور في إرساء دعائم إعلام إسلامي فاعل ومؤثر.
  العقيدة الإعلامية في ضوء التقنيات الحديثة.
  تقنية (تكنولوجيا) الاتصال والإعلام الإسلامي في مواجهة العولمة.
  الإعلام الإسلامي وتقنية (تكنولوجيا) الاتصال.
- ❖ مهمة الإعلام الإسلامي في ضوء التقنيات الحديثة:
  الإعلام الإسلامي في القرن الحادي والعشرين.
  الفصحى ووسائل الإعلام.
  استخدام الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت) في مجال الدعوة الإسلامية.

رؤية حضارية في أزمة الهُوية

تأليف : مجموعة مؤلفين
الناشر : القيادة الشعبية الإسلامية العالمية
160 صفحة / قطع متوسط

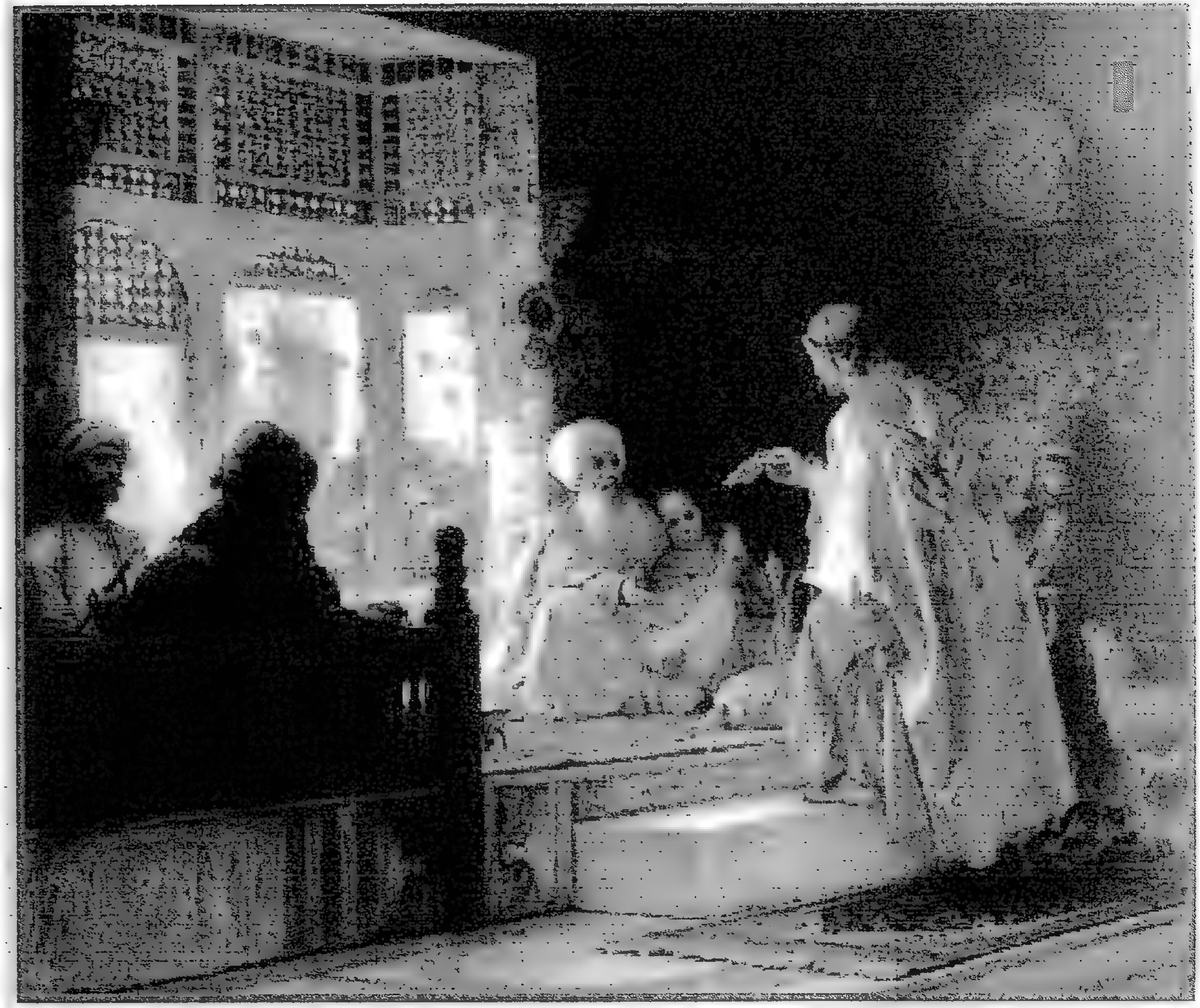


ارتبطت نشأة التقاويم في التاريخ الإنساني ومسارات الحضارات البشرية؛ بسعي الذاكرة الإنسانية إلى ضبط وتنظيم الزمن، ومخزون التاريخ، وسبل المعاش، ومواقيت الشعائر الدينية، وغيرها من شؤون العمران. وهذا الكتاب يضم بين دفتيه أعمال ندوة (التقويم وأزمة الهوية.. رؤية حضارية) التي عقدتها القيادة الشعبية الإسلامية العالمية بالقاهرة، وشارك فيها عدد كبير من العلماء والباحثين، وكان الهدف هو بلورة الرؤية الحضارية العامة للتقاويم المختلفة، أي إلقاء الأضواء على الأبعاد الحضارية، والرسالات الحضارية لكل تقويم من التقاويم التي عرفتها الأمم والحضارات، قديماً وحديثاً. وذلك ـ وهذا هو المقصد الأهم ـ لتوظيف هذه الرؤية الحضارية للتقاويم، في الإجابة عن سؤال معاصر ومستقبلي يقول: ما هو التقويم الأنسب لأمتنا العربية الإسلامية؟ اليوم.. وغداً؟

وأهم الأفكار التي طُرحت في الندوة، والتي يتضمنها الكتاب:

- ❖ التقويم هو تعبير عن هوية الأمة ورمز ثقافتها وتاريخها وحضارتها.
- ❖ ضرورة إحياء التقويم القمري لأنه جزء من الهوية الثقافية للأمة، ولأن عليه وبه تقوم الشعائر الدينية.
- ❖ أصبح من الضروري اليوم إيجاد تقويم يعبر عن هوية الأمة وثقافتها، وأن تكون بدايته مناسبة إسلامية عظيمة، وأن تختار أسماء الأشهر من مناسبات وأحداث تعبر عن مواقف الأمة وأمجادها وتاريخها.
- ❖ أخذ النموذج الليبي في استحداث تقويم كمثال يمكن الأخذ به، أو تطويره، بما يتناسب مع حاجة الأمة واتفاق علمائها.

لوحة الرسول بريشة بريدجمان



فريدريك آرثر بريدجمان Frederick Arthur Bridgman رسام أمريكي ولد في الأباما في العاشر من نوفمبر سنة 1847. وعمل متدرباً بقسم النقش في الشركة الأمريكية لأوراق العملة. وفي سنة 1866 سافر إلى باريس وكان من أوائل الذين دخلوا إلى محترف الرسام الفرنسي الشهير جيروم Gerome متدرباً. ودرس في مدرسة الفنون الجميلة Ecole des Beaux Arts بباريس لمدة خمس سنوات. في سنة 1873 سافر إلى مصر وعمل هناك بعض الوقت، وأوحت له إقامته في مصر بلوحته الرائعة جنازة مومياء).

تحوّل بريدجمان إلى الفن الاستشراقي وترك بصمة واضحة فيه حتى عُدّ واحداً من أكبر رموزه الفنية. ولوحته (الرسول)، و(ساحة القضاء)، و (القاص النوبي)، و(زهرة الحريم) تعكس الروح الشرقية الصافية.

منتدى التواصل

مجلة الإبداع والحوار الجاد

الأخ أمين هيئة التحرير:

كان من دواعي سروري وامتناني أن اطلعت على أحد أعداد مجلة كل الليبيين، بل كل المسلمين (التواصل).

وباسمي شخصياً، وباسم كل متطلع إلى تنمية الثقافة لديه ؛ أتقدم إليكم وإلى كل أسرة التحرير بهذه المجلة، بتحية حب وتقدير، معبراً عن إعجابي بإصداركم هذه المطبوعة، التي سمعت بها وعنها من خلال الإذاعة المرئية الليبية.

وليس بالغريب أن تصدر مجلة الإبداع والحوار الجاد في قضايانا عامة، عن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وأستسمحكم عذرا وأطلب منكم أن تبعثوا لي مصحف الجماهيرية، وكتبا ومنشورات ومطبوعات من إصدار هذه الجمعية المباركة، وإن إسهامها في نشر العلم والمعرفة يأتي من اسمها الرائع (جمعية عالمية .. وللدعوة الإسلامية).

كما أطلب منكم تزويدي بأعداد مجلة التواصل .

أبو بكر محمد الأمين

مصراتة / ليبيا

المحرر :

الأخ الكريم: نبادلك التحية بمثلها، ونشكرك على المبادرة بالكتابة إلينا . وفيما يتعلق بما طلبت فنفيدك بأننا سنرسل إليك هذا العدد، وبإمكانك الحصول على الأعداد السابقة والقادمة من أحد مراكز توزيع المطبوعات، وإن أردت أن تصلك (التواصل) على عنوانك البريدي، وبشكل منتظم، فعليك ملء قسيمة الاشتراك، مرفقة بقيمة الاشتراك، وإرسالها إلى إدارة التحرير .

وفيما يتعلق بطلبك الحصول على بعض منشورات الجمعية فبإمكانك مراسلة مكتب البحوث والإعلام والنشر بالجمعية.

الحقيقة من شأنها أن يُشاد بها

الإخوة / أسرة تحرير مجلة التواصل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في البداية أتقدم إليكم بأسمى آيات الشكر والعرفان، وأقدم لكم أزكى التحيات على ما تبذلونه من رعاية كاملة وفوائد جمة متنوعة تقدمونها على صفحات مجلة التواصل، داعياًالله عز وجل أن يمدكم بتوفيقه وعونه، ويزيدكم من فضله وكرمه، وأن يوفقنا وإياكم لما فيه خير الإسلام والمسلمين .

إن الحقيقة من شأنها أن يشاد بها، ويعلَنَ عنها، لكي يتعرف عليها سائر الناس . ومن هذه الحقيقة الثابتة لدى الكثيرين، ولا بد أن يعرفها المتبقون، هي أن مجلة التواصل ليست إلا جزءاً من كل، وقليلاً من كثير، من الشواهد القاطعة، والأدلة الساطعة، على الاهتمام الكبير والجهود العظيمة التي تبذلها الجماهيرية من أجل خدمة الإسلام والمسلمين .

ومن هنا أتقدم إليكم بطلبي هذا راجياً منكم أن تكرموني بمداومة إرسال مجلة التواصل بشكل منتظم، وأن أكون موزعاً لها في نيجيريا، نظراً لأهميتها الثقافية والدينية .

وجزاكم الله خيراً عن الإسلام والمسلمين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يوسف أحمد معاذ / كادونا / نيجيريا

المحرر :

نشكرك على ما تفضلت به من كلمات طيبة عبرت فيها عن شعورك نحو (التواصل) وأسرتها، وإذ نشكرك على اقتراحك القيام بتوزيع (التواصل) في نيجيريا، فإننا نطلب منك تزويد إدارة التحرير بالمستندات الرسمية التي تخولك القيام بذلك، حتى تتولى مهمة التوزيع بشكل رسمي وقانوني .

جهد متميزة في نشر الثقافة الإسلامية

الأخ / أمين تحرير مجلة التواصل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يطيب لي أن أتقدم إليكم بعاطر التحية، وفائق الاحترام والتقدير، مثمنا جهودكم الكبيرة والمتميزة في نشر الثقافة الإسلامية، من خلال مجلة (التواصل) التي ذاع صيتها في مختلف ربوع العالم، وأبدي رغبتي الأكيدة في نيل شرف المشاركة في مجلتكم الكريمة بموضوع عنوانه (الثقافة العربية في إفريقيا الغربية وآليات إحيائها وتطويرها) ونشره في أي عدد ترونه مناسباً.

د. عبد الرحيم شئت ثاني

الجامعة الإسلامية بالنيجر

المحرر: نشكرك على ما تفضلت به من كلمات طيبة تجاه التواصل وأسرتها، ونرحب بك كاتبا في التواصل، مساهما في إثراء مادتها.

ونفيدك بأن الموضوع الذي بعثت به إلينا قد أحيل إلى لجنة المراجعة والتقييم، ومتى أجيز سيُنشر في الأعداد القادمة.

ردود قصيرة

◉ الأخ / معالي عبد الحميد حمودة

الإسكندرية / مصر

نرحب بك كاتباً على صفحات التواصل، ونحن في انتظار ما سترسله إلينا للنشر، سواء عبر البريد المسجل أو عبر البريد الإلكتروني. مرحباً بك، ونرجو دوام التواصل.

◉ الأخ / أبو بكر محمد تيرا

سان سيقو / مالي

نرجو الاتصال بمكتب الجمعية في مالي لتسهيل عملية الاشتراك ولك الشكر.

◉ الأخ / بدر الدين المعداني

كعام / المرقب / ليبيا

سنعمل على تلبية طلبك قريباً، ونرجو دوام التواصل.

خدمة الواقع والعمل الإسلاميين

الإخوة بمجلة التواصل

تحية الإسلام الخالدة

يشرفنا أن نبلغكم بأن مجلتكم (التواصل) قد نالت إعجابنا بما تطرحه من أفكار عميقة تعالج جملة من حاجات عصرنا الملحة، وليس غريباً أن تصدر هذه الفصلية الفكرية الثقافية الشاملة عن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي نذرت نفسها - فيما يزيد عن ثلث قرن - لخدمة الواقع والعمل الإسلاميين.

وعليه فإننا نأمل أن تزودوا معهدنا بالأعداد التي سبقت، والأعداد التي ستصدر لاحقاً، حتى نستفيد من هذا البعد الحضاري الذي دُشّنَ في رحاب الجمعية.

وفقكم الله وسدد على درب الخير خطاكم

أخوكم / شمس الدين عمر إلياس

مدير معهد الإيمان الإسلامي

كانو / نيجيريا

المحرر: شكراً على كلمات الإطراء والإعجاب التي جاءت في رسالتك، ونفيدك بأننا لن نتمكن من تزويدكم بالأعداد السابقة، أما لاحقاً فسنرسل إلى مكتبة معهدكم ثلاث نسخ من كل عدد مساهمة منا في إثراء محتوياتها، وحتى تكون (التواصل) بين أيدي طلبة المعهد ورواد مكتبته.

..ونتواصل

(التواصل) بين: التوثيق والتحكيم..

❖ تتسلم (التواصل) بين الحين والآخر بحوثاً ودراسات ومقالات ذات صبغة تخصصية تصلح لأن تنشر في مجلات ومطبوعات ذات تخصص محدد، مثل المجلات ذات الصبغة البحثية من اللغة العربية وعلومها والمجلات ذات الصلة بالقانون وفروعه وعلومه أو تلك التي تهتم بالطب أو الجغرافيا أو التاريخ..

وأحياناً تصلنا مقالات وبحوث ودراسات تدور حول جزئيات دقيقة تهم باحثين دون غيرهم..

في الوقت ذاته تصلنا مقالات وبحوث ودراسات تبتعد وبشكل واضح عن مفهوم (التواصل) الثقافي والحضاري إما لأنها تغرق في قضايا فقهية أو لغوية أو قانونية، وإما لأنها لا تراعي أن قراء (التواصل) متنوعو الثقافات والعقائد...

ولذا نجد أنفسنا أمام خيار صعب، فإن نحن نشرنا تلك المقالات والبحوث والدراسات فإننا سنحول (التواصل) إلى مطبوعة ثقافية خاصة ومتخصصة وهو أمر لا ينسجم مع كونها (ثقافية شاملة).. وإن نحن أهملنا تلك المساهمات فان بعض الكتّاب سيفكر في أن (التواصل) لا تتواصل معهم..

إلاَّ أنَّ الأغرب من كل ذلك أنَّ بعض الكتّاب وهم قليلون لحسن الحظ. يرسل لنا انتاجاً أو يتجشم مشاق السفر وعناء الطريق ليسلمنا إياه لنشره بهدف وظيفي ضيق خاص..

❖ لكن ما يلفت الإنتباه أنَّ قارئاً للتواصل التقيته، سألني: إذا كانت (التواصل) ليست (محكّمة) فهل يمكن أن تُنقل عنها معلومات في بحث جامعي؟!

❖ لا أخفي عليكم، استغربت كثيراً، وجال بخاطري تساؤل عميق وكبير.. تساؤل جعلني أتوقف كثيراً أمام ظاهرة باتت تتصاعد وتنتشر على مستوى الكتابة والنشر وعلى مستوى البحث والإنتاج العلمي والأدبي.. هل من الضرورة أن يكون (المصدر) محكّماً حتى يعتمد عليه في توثيق معلومة أو رأي؟!

وجدت مفتاح المعضلة بعد زمن ليس بالقصير، ما حجم الفرق بين (التوثيق والتحكيم)؟!

هل كانت (المصادر) كلّها محكّمة؟ وهل ينبغي أن تكون كذلك حتى تكون لها مصداقية علمية؟!

إلا أن (التحكيم) أقرب إلى (الوظيفة) منه إلى (الثقافة)، ولا أظنّ - بل ولا أقبل - أن (التواصل) مطبوعة غير موثقة وإن كنت أقبل أن تكون غير (محكّمة)..

ومع كل ذلك فإننا نصرّ على (التواصل) الثقافي والفكري والحضاري مع كل من يرى أن الكلمة مسؤولية قبل أن تكون وظيفة، ومع كل من يؤمن بأن الإنتاج العلمي والأدبي قضية ولم يكن وظيفة ولن يكون..

لنتواصل معكم كيفما شئتم شرط أن لا نغرق في خضم حوار حول (التحكيم) و(التوثيق).

أمين هيئة التحرير



صحيفة
الدعوة الإسلامية
الآن بـ5 لغات
AL-DAWA AL-ISLAMIYA
Ad-dawa Al-islamia







مع تحيات مجلة

تنفيذ وطباعة : شركة الآن للطباعة والنشر


11

التواصل

AT-TAWASUL

فصلية ثقافية شاملة

السنة الثالثة - العدد الحادي عشر - الفاتح 1374 من وفاة الرسول ﷺ سبتمبر 2006 مسيحي



مساجد من أرض الابتسام

إيان ليندل / بريطانيا

أفكار حول احترام كرامة الإنسان

د. عارف علي النايض / ليبيا

الإيمان والعقل والجامعة

إبراهيم الحلبي / سوريا

البابا وجحيم دانتي

أ.د. مهدي امبيرش / ليبيا

من مأدبة الله

محمد القاضي / المغرب

ثقافة الحرية وتجسيد قيم التواصل

أكبر وأجدى من الاعتذار

ن وَالقلم وَمَا يَسطرُونَ

بسم الله الرحمن الرحيم

د. عبد العاطي محمد عبد الجليل *

إساءة للقيم والمثل والأخلاق

هل صحيح أن الإساءة إلى القيم والمثل العليا تعتبر (حرية تعبير)؟

وهل صحيح أن النيل من دعاة الخير والعدل والسلام تصنف من باب (حرية الرأي)؟

هل صحيح أن الانتقاص من قيمة الحضارات من خلال النيل من رموزها ومؤسسيها وبناتها يمكن أن يعتبر (حرية رأي وتعبير)؟.

هل صحيح أن استفزاز أتباع عقيدة ما - بغض النظر عن موقف غير المؤمنين بها منها - يعتبر (حرية رأي وحرية تعبير)؟.

وهل صحيح أن النيل من خصوصيات أمة ما يعتبر (حرية رأي وتعبير)؟.

في المقابل: هل صحيح أن الدفاع عن القيم والمثل يعتبر حجرا على (حرية الرأي وحرية التعبير)؟، وهل صحيح أن الدعوة إلى احترام دعاة الخير والعدل والسلام يعتبر انتقاصا من (حرية الرأي وحرية التعبير)؟.

هل صحيح أن احترام التراث الحضاري واحترام رموز ذلك التراث ومؤسسيه وبناته يعتبر حجرا على (حرية الرأي والتعبير)؟.

وهل صحيح أن التعبير السلمي عن المشاعر التي يثيرها استفزاز أتباع عقيدة ما يعتبر انتقاصا من (حرية الرأي وحرية التعبير)؟.

وبين هذا وذاك: هل يجوز في عالم يسعى إلى الحوار والتعارف والتواصل أن يجبر المسلمون دون غيرهم على تقبل كل إساءة أو انتقاص دون أن يكون لهم الحق في التعبير عن شعورهم بالألم الذي تلحقه بهم تلك الإساءة وذلك الانتقاص؟.

هل تجوز الإساءة إلى الحضارات والأمم والشعوب والعقائد في عالم هو في أمس الحاجة إلى التعاون من أجل التنمية، والحوار من أجل فهم متبادل، والتعارف من أجل فهم أكثر عمقا ووضوحا، والتواصل عبر جسر لا تعلق فوقه لوحة الإقصاء؟

هل يجوز شن حرب إعلامية لا هوادة فيها ضد الحضارة الإسلامية والشعوب المسلمة والعقيدة الإسلامية تحت شعار (حرية الرأي وحرية التعبير) بينما لا يجوز لكائن من كان أن يتساءل حول أحداث تاريخية لم يتفق عليها المؤرخون الأحياء؟!

وبعد هذا وذاك: أليس خطأ وخطرا أيضا أن تتكاتف أيد وتتوحد أصوات وتتراص كلمات وجمل من رموز ثقافية وسياسية ودينية من أجل وضع الحضارة الإسلامية والشعوب المسلمة بين مطرقة الإساءة وسندان الاتهام تحت عنوان (حرية الرأي وحرية التعبير) دون أن يكون للمسلمين والمتعاطفين معهم والذين يدركون حقيقة حضارتهم الحق في إيضاح الصورة بله تصحيحها؟!

أليس من الخطأ غض البصر عن جرائم وأعمال عنف وتفرقة عنصرية واضحة المعالم والشخوص والوقائع، عانت منها شعوب وأمم وحضارات في فترة زمنية لم يلفها النسيان بستائره؟

أليس من الخطأ والخطر أيضا، التوجه بالإساءة إلى الحضارة الإسلامية والانتقاص من قيمتها، وأثرها الإيجابي على الإنسانية جمعاء، ومنع كل من يحاول أن يصحح الصورة السلبية التي يتم رسمها، رغم كل العيوب التي تعاني منها تلك الصورة التي يراد رسمها؟

إن الإساءة لأي نبي، أو التطاول عليه هو في الحقيقة إساءة وتطاول على القيم والمثل التي يدعو إليها، وليس نبيا ولا رسولا ولا مصلحا ولا حكيما كل من دعا أو يدعو إلى القتل والتدمير والإقصاء والتعالي والاستعباد والاستغلال.

لقد غضب المسلمون كثيرا حين أسيء إلى خاتم الأنبياء والرسل محمد ﷺ، لكنهم لم ينتبهوا إلى أن الإساءة التي لحقت به هي في الحقيقة إساءة لقيم ومثل وأخلاق رفيعة وسامية، ولم يدرك المسيئون أنهم - بعملهم ذاك - قد أساءوا لقيم نبيلة ومثل عليا، وأخلاق سامية.

وحين يتم التنكر للقيم النبيلة والمثل العليا والأخلاق السامية، بحجة (حرية الرأي وحرية التعبير) فإن ذلك يعني بداية النهاية لكل من أغمض عينيه عن رؤية الحق، ومن أصم أذنيه عن سماع الحق، ومن أقفل فاه عن قول الحق...

---

* صحفي، كاتب، أستاذ جامعي / ليبيا



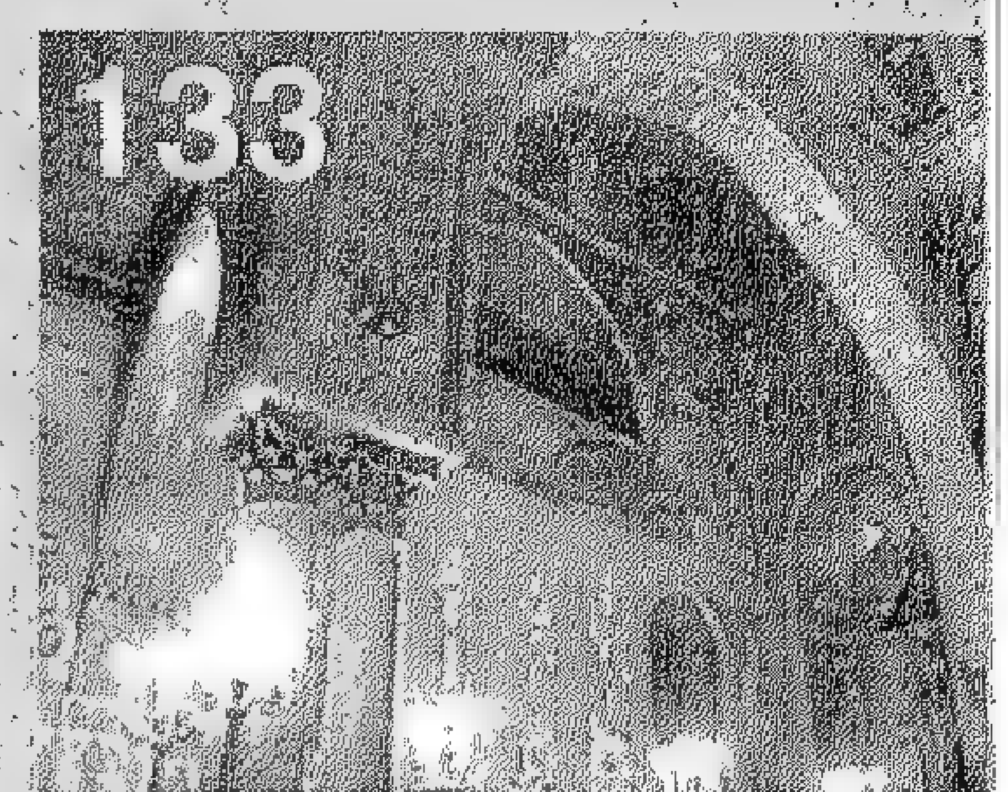
في هـذا العـدد

الافتتاحية

مقالات

قضايا وآراء

أكبر وأجدى من الإعتذار

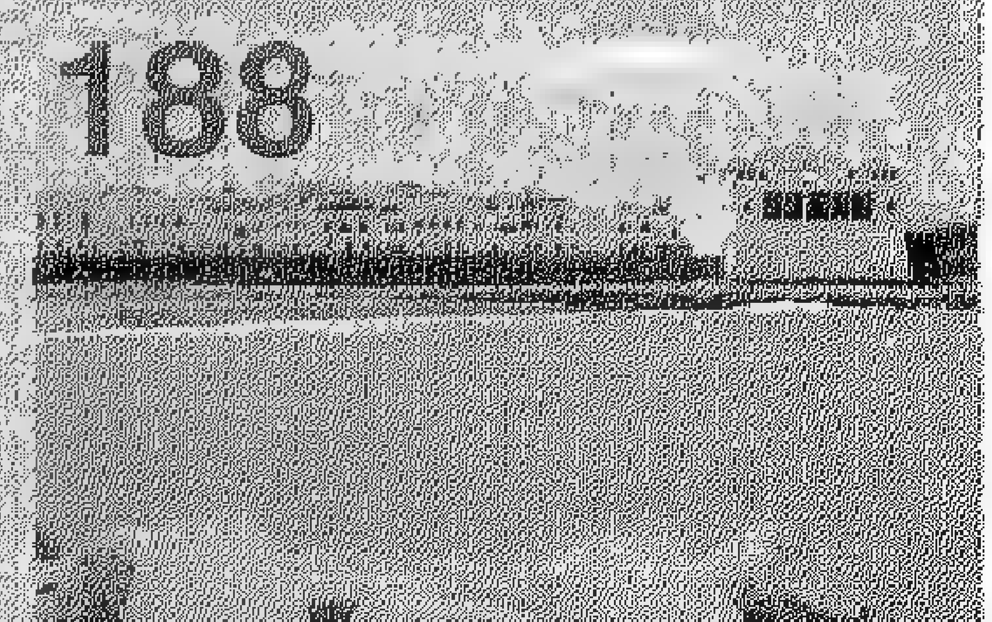


دراسات

أثر الحضارة العربية الإسلامية على الحضارة الأوروبية في مجال الفنون



مساجد من أرض الابتسام



نقد

حركة التحديث في عالم الإسلام اليوم

التواصل
AT-TAWASUL

تصدر عن
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

السنة الثالثة ـ العدد الحادي عشر
الفاتح 1374 من وفاة الرسول ﷺ
سبتمبر 2006 مسيحي

المراسلات باسم
أمين هيئة التحرير
طريق السواني ـ كلم 5
هاتف: 4800730 / 4808461.5
بريد مصور: 4800736 – 4800730
ص.ب: 86086
طرابلس. الجماهيرية العظمى

البريد الالكتروني
INFO@AT-TAWASUL.INFO
ARAA@AT-TAWASUL.INFO

الموقع على شبكة الانترنت
WWW.AT-TAWASUL.INFO

شــروط النشـر فـي مجـلة

التواصل

ترحب مجلة التواصل بكتابات المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين وغيرهم الذين ينشدون التواصل المعرفي من خلال لغة الحوار والنقاش المستنير بعيداً عن التعصّب بجميع أشكاله، وسعياً لدرء أسباب الخلاف والفرقة، مع الالتزام بأسس العقيدة الإسلامية وثوابت الدين في المعالجات الفكرية والثقافية. وتحقيقاً لهذه الأهداف يشترط لقبول نشر البحوث والمقالات:

- ❖ أن يتسم البحث بالجدّة والموضوعيّة، وأن يتّبع في كتابته الأساليب المنهجية في البحث العلمي من تسلسل منطقي في العرض، وتوثيقٍ للمصادر والمراجع.
- ❖ أن يُراعى تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في البحوث التي تتضمنها.
- ❖ أن يكون البحث أو المقال خِلواً من الأخطاء اللغوية والإملائية، مع مراعاة علامات الترقيم وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.
- ❖ ألاّ يكون البحث أو الدراسة المقدمة للنشر في (التواصل) جزءًا من أطروحة ماجستير أو دكتوراه.
- ❖ ألاّ يكون البحث قد سبق نشره في مطبوعة أخرى.
- ❖ أن يكونَ البحثُ أو المقال مطبوعاً، أو مكتوباً بخطٍّ واضح.
- ❖ ألاّ يقلّ عدد كلمات البحث أو الدراسة عن 8000 كلمة ولا يزيد على 12000 كلمة.
- ❖ ألاّ يقلّ عدد كلمات المقال عن 4000 كلمة، ولا يزيد على 6000 كلمة.
- ❖ أن يُرفقَ الباحثُ ببحثه سيرته الذاتية.
- ❖ في حالة الترجمة لا بدَّ من أن يرفق النصّ المترجم بلغته الأصلية.

ملاحظات:

- للمجلة الحق في اختيار العدد المناسب لنشر البحوث المجازة.
- ترتيب نشر البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.
- لا تردّ البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت في المجلة أم لم تنشر.
- تعرضُ الأعمال المقدّمة للمجلة على لجنة تقويم النصوص فيها لإجازتها.
- تمنح البحوث والمقالات المجازة مكافآت مالية مناسبة.



- من مأدبة الله.. في المأدبة والأدب (2)
- إسرائيل والخيار الصليبي
- ثقافة الحرية وتجسيد قيم التواصل
- حوار الثقافات بين الإمكان والاستحالة
- التواريخ المستحيلة
- سنن الفطرة.. ومنطق التجديد الحضاري
- أفكار حول احترام كرامة الإنسان
- كيف نحاكم قوانين الإبادة البشرية؟
- علاقة الهوسا باللغة العربية

من مأدبة الله

في المأدبة والأدب (2)

أ. د. مهدي امبيرش *

القول بالمصطلح، ونحن نعالج العلاقة بين مفهوم الأدب والمأدبة، هو القول بالصلاحية، على اعتبار أن دلالة الصلاحية يفهم منها امتداد هذا الذي نصفه بالصالح، والصالح في دلالته أبعد من المفيد والمربح والنافع والممتع، وغيرها من المصطلحات التي تدور ضمن المتظرف، أي الذي يقع داخل الظرف، والقابل للقياسات الحسية والمادية الواقعية والوضعية، ولنا أن نشير هنا إلى العلاقة بين الصوت والمفهوم والمعنى في اللسان العربي، إذا اعتبرنا اللسان ليس هذه الجارحة التي تساهم في إظهار الأصوات، بل اللسان على أنه منهج التفكير، أو نحو التفكير، وعلى النظر إلى النحو على أنه ابعد من القواعد، فالقواعد محاولة تقنين الظاهرة الصوتية، والظاهرة الصوتية هي تعبير عن المعنى، ومن ثم فإن القواعد تدخل ضمن ما يطلق عليه الفلاسفة (المنطق)، الذي غايته الوصول إلى الأحكام، وإن كان الوصول إلى الأحكام يرتبط بالفهم والمفهوم، والفهم والمفهوم أدنى من المعنى، ولهذا نبهنا إلى أن القرآن لا يمكن أن يفهم دون النحو العربي، أي منهج التفكير العربي، ودون اللسان العربي، حتى الأحكام، أو القواعد المنطقية، لا يمكن إدراكها إلا ضمن النحو، وضمن منهج التفكير، ولهذا يقول البعض، بقواعد النحو، وهم يعترفون بأن القواعد ليست كل النحو، وإدراك الأحكام يقع ضمن البيان، الذي هو أبعد من المنطق، مثلما اللسان أبعد من اللغة، والنحو ابعد من القواعد.

على أن المفهوم ليس المعنى، والقول بمعاني القرآن، هو قول فيه مبالغة وإغراق، كأن نجد في بعض المحاولات الاجتهادية لفهم نصوص القرآن، وصف هذه المحاولات بأنها معاني القرآن، أو تفسير القرآن، أو إلى أبعد من ذلك، في القول بترجمة معاني القرآن. إن المفهوم هو ما ندركه، أو نلحق به، أو نفهمه من المعنى، فالمفهوم، إذا ارتبط بالمعنى، هو بعض المعنى لا كله، ولهذا يكون الاختلاف والخلاف، اللذان يحتدمان إلى حد الصراع والاقتتال، إنما يدور حول المفاهيم، وحول ادعاء البعض أن فهمه الجزئي والمحدود هو المطلق، وهذا تمامًا مثل القول بأن المعرفة هي العلم، والقرآن الكريم يؤكد أن الإنسان بحكم محدوديته لا يمكن أن يصل إلى إدراك المطلق واحتوائه، والمعنى هو العلم الذي هو نهاية المعرفة، حيث لا يصل الإنسان إلى

* باحث، كاتب، أستاذ جامعي، الأمين المساعد لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية/ ليبيا.

العلم إلا إذا اكتملت مسيرة الإنسان في حياته الدنيا، وهذا ما يؤكده الحق تبارك وتعالى في قوله:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الإسراء: الآية 85]

فهذه الآية دليل محدودية الإنسان على إدراك المطلق، أي مطلق الحقيقة، أو العلم الذي يمتد إلى الغيبي، وإلى المجهول، فما عند الإنسان محدود قياسًا بالعلم.

على أن هذه المحدودية إذا لم يعترف الإنسان بها، أو إذا استخدم وسائل وأساليب لا تعترف بهذه المحدودية والعجز، أي إلى وسائل وأساليب تتقدم نحو العلم، فإن الإنسان سيقع في متاهة الظن، وبالتعبير القرآني، سيدخل صحراء التيه، ولهذا يحاول البعض القول بالمنهج العلمي، أي وصف هذا المنهج أو ذاك بالعلمية، لإعطاء شرعية لما يصلون إليه من مفاهيم، وفي نظري فإن المنهج العلمي، هو ذلك المنهج الذي يؤكد هذه المحدودية، وأن ما عندنا هو بعض العلم لا كل العلم، وأن علم الإنسان بنفسه هو الذي يوصله إلى إدراك كم هو جاهل، ومصداق ذلك قوله تعالى، في الآية التي أشرنا إليها، من أن الإنسان لم يؤت من العلم إلا قليلاً، وأن الفعل (يُؤتى)، قد نسب إلى المجهول، أو بالأحرى إلى الغائب، أي إلى الله المطلق، الذي هو خالق المكان والزمان، والذي لا يدرك حقيقة علمه، الإنسان المحدود، ولا العلم به على وجه التأبيد، لأنه الحق، وهذا يظهر الفرق بين الحق والحقيقة، فالحق اسم معنى، أي أنه أكبر من المحدود والمتظرف، والحقيقة تمظهر الحق، والحقيقة في العربية جاءت على وزن فعيل بمعنى مفعول، أي أن الحقيقة تحمل إمكانية التحقق منها، أو إمكانية إدراكها، وإن كانت هذه الإمكانية قد تمتد إلى ما هو أبعد من المحدود المكاني والإنساني والزماني.

إن ما يدركه الإنسان المسلم من القرآن، إذا فهمنا القرآن بالمفاهيم التي يقدمها مصطلح القراءة، والتي هي أبعد من هذه التي تعلمناها في المدارس، والتي أشرنا إلى طرف منها عند الحديث عن العلاقة بين القرآن والمأدبة، والقرآن والقِرى، والقِرى هو ما يقدم للضيف، فالقراءة رقي نحو المعنى من خلال المفاهيم، والقراءة قِرى، والقراءة رقية، أي شفاء للنفوس المريضة، وهو ما عبر عنه القرآن في قوله تعالى:

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [سورة الإسراء: الآية 82]

ولنا أن ندرك العلاقة بين التنزيل والقرآن والشفاء والرحمة والإيمان، بين هذا القرآن الذي هو شفاء للناس في الدنيا والآخرة، بين هذا الغيبي الذي ندرك مظهره لا حقيقته، وبين هذا الظلم، والظلام، والضلالة، التي تأتي من ادعاء القدرة على إدراك المطلق، فإذا عجز البعض لجؤوا إلى التأويل، أي إلى ادعاء معرفة قصد الأول الذي هو الله الأول والآخر والظاهر والباطن، والتأويل ابتغاء الفتنة.

مناط التكليف في الشريعة هو الوسع، أي مدى الوسع البشري، على مستوى الإنسان الفرد، ومستوى الإنسان الجماعة

من هنا يتضح مدى الخطل والادعاء من قبل البعض أنهم قادرون على إدراك المعنى، وفي هذا المقام، إدراك المعنى القرآني، أو القول: بتفسير القرآن، دون معرفة مفهوم دلالة (فسّر) في العربية، هذه الدلالة الحسية التي يستخدمها العرب في قولهم: (فسّر اللبن)، إذا أزال الغشاوة التي قد تعلو اللبن، والقرآن كتاب فصلت آياته، كتاب بين في ذاته، مبين لما سواه، والقول بغير ذلك هو ادعاء وتمحل، أما إدراك المعنى، أو بالأحرى إدراك المفاهيم المرتبطة بالمعنى، فهذا يتعلق بالوسع، لا وسع المعنى، ولكن وسع الإنسان، ومناط التكليف في الشريعة هو الوسع،

أي مدى الوسع البشري، على مستوى الإنسان الفرد، ومستوى الإنسان الجماعة :

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾

[سورة البقرة: الآية 286]

فالله ذو الرحمة اقتضت مشيئته أن يخلق كل شيء بقدر، وأن يخلق الإنسان على هذا القدر، أو على هذا الوسع، ولأنه ليس بظلام للعبيد، فهو لا يحمل الإنسان فوق طاقته، ويبقى لهذه النفس الإنسانية ما كسبت، وعليها ما اكتسبت، ضمن محدودية الإدراك والمعرفة والفهم والوعي والإرادة والفعل، حيث يتحول الفعل لذلك إلى فعل إنساني، ضمن الإيمان بالله، بهذا العلم الغيبي الذي هو فوق المحدود، ويكون من مقتضيات الإيمان أن الفعل المتظرف والبشري لا يقع إلا ضمن الغيبي والإلهي، أي لا يفعل الإنسان فعلاً إلا ضمن المشيئة الإلهية

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾

[سورة الكهف:الآية23]

فالغد زمن يقع في الغيبي، والحاضر والآني محيط بالغيبي، هو دليله لا هو، ومن يدرك حقيقة نفسه، يدرك أن المحدود ليس المطلق، وأن المعرفة ليست العلم، وأن المفهوم ليس المعنى، أن الواقع ليس الحقيقة، كما أن الحقيقة ليست الحق، وهذه كلها لا تخرج عن سياق الأدب، الأدب في معرفة القدر، وأن كل شيء بقدر، ومنتهى الأدب أن يعرف الإنسان قدره، فلا يهبط إلى ما دونه، ولا يظلم فيتجاوز حدوده، وإن مقتضيات الرحمة الإلهية أن يجعل للإنسان حدوداً، ومحاولة الخروج عن الحدود والقدر، هي تاريخ الظلم، وتاريخ التجاوز، والعلاقة بين الظلم والظلام، والظلام والضلالة، لا تخفى على كل من ألقى السمع وهو عليم بنفسه، بحدوده وقدرته، أي بحدوده وقدره، ويكفي أن نشير إلى أن القرآن نزل في ليلة القدر، أي ليلة المقادير، فالقرآن يضع الإنسان ضمن المعرفة بالمقادير والقدر، ونزول القرآن في الليل، هو إشارة إلى هذه الظلمة والضلالة التي يعيشها البشر، وإن كانت هذه الليلة سلام هي حتى مطلع الفجر، حيث الفجر هو لحظة انفجار النور، وبداية الصباح، أي بداية تاريخ انقشاع الغشاوة، وزوال الظلمة، إذا قرأ الإنسان باسم ربه الأعلى، أي إذا نفّذ الأمر الإلهي في قوله تعالى:

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [سورة العلق:الآية 1]

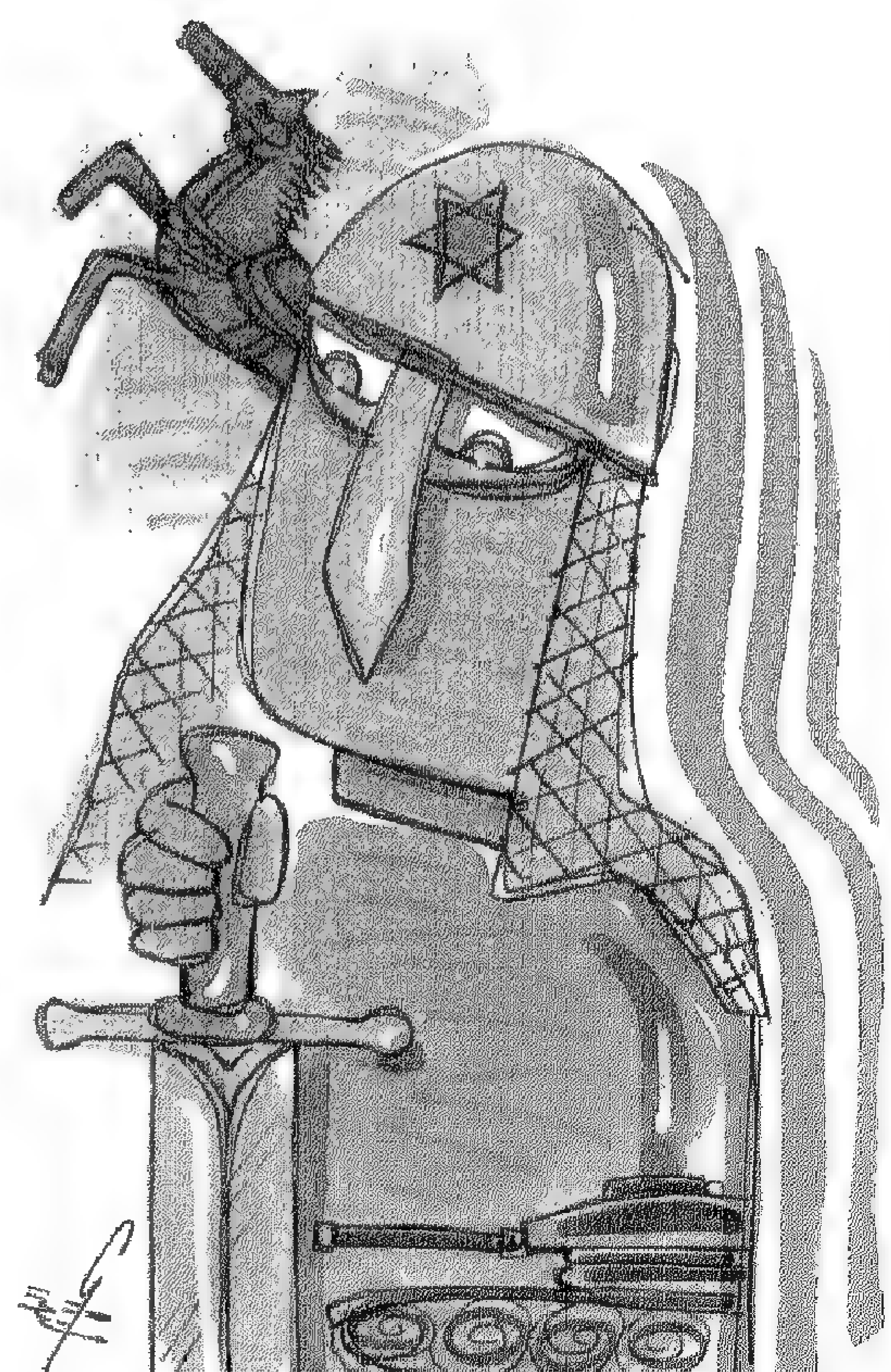
فالقراءة لا تكون إلا باسم الله، والاسم غير الفعل، فالاسم خارج المكان والزمان، والفعل داخل المكان والزمان، أي أن القراءة هذا الفعل المحدود بقدر للقرآن، لا يتم دون وعينا بعجزنا على إدراك الاسم، وإضافة الاسم إلى الرب، ووصف الرب، على قياس الاستخدام البياني العربي غير الحسي، أنه الأعلى، هذا ما يجعل القراءة موضوع وسع، وموضوع قدر، وأن مسيرة الإنسان عبر التاريخ، هي مسيرة فعل حتى الآخرة، مسيرة إما نحو السمو والتعالي، أو نحو الهبوط أسفل سافلين، والنجاة تكون، كما أشرنا، في القراءة باسم الله، الأعلى، الذي خلق الإنسان الذي لن يكون الأعلى، أو المطلق، ولكنه يمكن أن يكون قادراً على القراءة باسمه تعالى، وهذا ما يجعلنا نربط بين القراءة، والقرآن، وبين الدعوة إلى القرآن، والدعوة، ضمن الحكم العربي، إلى الطعام، وبين الآدب الذي هو الداعي إلى الطعام، والآدب، الداعية، الذي يدعو الناس إلى مأدبة الله، وكل ذلك لا يتم إلا بالأدب، بالمفهوم القيمي والأخلاقي.

منتهى الأدب أن يعرف الإنسان قدره، فلا يهبط إلى ما دونه، ولا يظلم فيتجاوز حدوده

إسرائيل والخيار الصليبي

(الانعزال والاستعلاء والعداء)

عمر سعادة *



لم تخلف الغزوة الأوروبية الصليبية لبلاد الشام، والتي استمرت أكثر من قرنين من الزمن، سوى بعض الحصون والقلاع الخربة، وروايات المعارك والمجازر، التي لونت تاريخ تلك الحقبة بلون واحد، هو اللون الأحمر. لقد انسحب الصليبيون من تاريخ المنطقة وجغرافيتها وحضارتها، دون أن يتركوا شاهداً واحداً، يؤكد تفاعلهم الإيجابي مع إنسان أو ثقافة البلاد، التي سيطروا عليها بقوة السلاح.

أصر الصليبيون على أن ينظروا لوجودهم في المنطقة، باعتباره تجسيداً لواقع أنهم منتصرون أمام مهزومين، أقوياء يتسلطون على ضعفاء، متحضرون في مواجهة بدائيين، مؤمنون يحاربون كفاراً، ولعل هذه الثنائيات المتناقضة، تختصر كامل مفردات الوجود الصليبي، الذي انكفأ عن المنطقة بالطريقة نفسها التي جاء بها إليها.

لقد كان الانفصال المادي والمعنوي عن المنطقة والاستعلاء عليها، والعداء لشعوبها، هي المقومات الأساسية للوجود الغربي الصليبي في المنطقة. كما

(*) كاتب وباحث/ سورية.

كانت في الوقت نفسه، العوامل التي مهدت وسهلت لعملية مواجهتها ومن ثم اقتلاعه من المنطقة.

حظيت الحروب الصليبية باهتمام بالغ، من مؤرخي الشرق والغرب، على امتداد القرون الماضية وحتى اليوم، إلا أن نصف القرن الماضي، شهد اهتمامًا غير عادي، بدراسة التجربة الصليبية من قبل البحاث الصهاينة، الذين انكبوا على تتبع دقائق وتفاصيل الحملات الصليبية، والممالك التي أنشأها الصليبيون في بلاد الشام، والأسباب التي أدت إلى إخفاق التجربة الصليبية، واندحارها الشامل عن بلاد العرب والمسلمين.

إن النهاية التي آلت إليها الغزوات الصليبية، تشكل هذه الأيام هاجسًا مرعبًا لمفكري وقادة المشروع الصهيوني الجديد في المنطقة، وتبدو أوجه الشبه العديدة بين التجربتين: الصليبية والصهيونية، وكأنها تقرع ناقوس الخطر باستمرار، حول حتمية النهاية المشابهة لنهاية التجربة الصليبية.

ومن هذه الزاوية، فإن مجموع الدراسات الصهيونية للتجربة الصليبية، تأخذ طابع الدراسات المقارنة بين التجربتين، سعيًا للوصول إلى استنتاج مسبق، يؤكد على عناصر الاختلاف بين التجربتين، من حيث الدوافع والخصائص، وصولاً إلى نفي حتمية أن يصل المشروع الصهيوني إلى النهاية نفسها، التي وصلتها التجربة الصليبية من قبل.

غير أن مقاربة موضوعية للتجربتين: الصليبية والصهيونية، تضع الباحث أمام كم كبير من أوجه الشبه، التي تبلغ حد التطابق أحيانًا، بين دوافع وخصائص وأهداف كل من التجربتين، مع الأخذ بعين الاعتبار، الفاصل الزمني والتطور التاريخي، وللعالم بصورة عامة.

ومع التحرر الكامل من منطق الحتميات التاريخية، فإن رصد مسارات النشأة والتطور والتوجهات الراهنة، للمشروع الصهيوني، يفضي إلى حقيقة ملموسة وواضحة، وهي أن هذا المشروع يتجه بثبات نحو تعميق انفصاله عن محيطه الحضاري والثقافي، واستعلائه عليه، وترسيخ طابعه ووظيفته العدائية له، بمعزل عن الشعارات الدعائية، والسياسات المرحلية، بما فيها الاتفاقات السياسية مع بعض الأنظمة الحاكمة في المنطقة.

الانفصال والانتماء الوهمي:

ظل الصليبيون غرباء في بلاد الشام، على امتداد قرنين كاملين، رغم عشرات الاتفاقات العسكرية والسياسية، التي عقدوها مع دول المنطقة، والتي لم تكن من المنظور الصليبي، سوى تكتيكات لتشتيت قوة أعدائهم في المنطقة، بما يسمح لهم باستمرار الصراع ضد الجميع من جهة، وينقل جزءًا من هذا الصراع، إلى داخل الجبهة العربية الإسلامية من جهة أخرى.

إنها الوظيفة نفسها، التي يعيشها الكيان الصهيوني، منذ بداية وجوده في المنطقة، ففلسطين اليوم، هي أرض غربة اليهود، أكثر من كونها وطنًا لهم، وهي وضعية إرادية صهيونية، ولدت من صلب العقيدة الصهيونية، وترسخت كطبيعة سياسة ثابتة، للكيان الذي خططت له الحركة الصهيونية، وصاغته على مثالها ووفق قوالبها الفكرية المسبقة.

أسست الحركة الصهيونية منذ نشأتها، لحالة من الانفصال النفسي والثقافي اليهودي، عن العالم غير اليهودي(❖)، ولم تكن مقولة «العداء للسامية»، أكثر من ذريعة لهذا الانفصال، فاللحظة التاريخية التي

❖ يرجع بعض مفكري الصهيونية الدينية، النزعة الانفصالية اليهودية، إلى أصول الدين اليهودي نفسه، ويقول الفيلسوف الصهيوني (جاكوب كلاتزكين): «إن الانعزال القومي جزء لا يتجزأ من قوانين وأنظمة ديننا؛ وليس من وحي أخلاقنا؛ ديننا المتناقض مع الأخلاق المجردة».

أنشأت فيها الحركة الصهيونية في أوروبا، كانت تتسم بانفتاح الطوائف اليهودية على المجتمعات الأوروبية، واندماجها اقتصاديًا وثقافيًا في تلك المجتمعات، وكما يتفق العديد من مؤرخي الصهيونية، فإن الصهيونية في جانب هام من جوانبها، جاءت ردًا على حركة الاندماج الثقافي والاقتصادي والاجتماعي ليهود أوروبا، في مجتمعاتهم.

ويمكن للمرء أن يلمس بسهولة، مدى الجهد الذي بذلته الصهيونية، على المستويين: الثقافي والسياسي، في محاربة الاتجاه الاندماجي ليهود أوروبا، ومدى الحقد الذي كان الصهاينة وما زالوا، يحملونه لدعاة الاندماج اليهودي، والذي يفوق كثيرًا، حقدهم على أعدائهم التقليديين اللاساميين.

ومن هذه الزاوية، فقد مثلت الصهيونية. منذ نشأتها. حلاً انهزاميًا لما أسمته بالمسألة اليهودية، والتي أسست على مقولة: إن العداء للسامية هو ظاهرة كونية وأزلية؛ فبدلاً من أن تدعو هذه الحركة الطوائف اليهودية في أوروبا، إلى التماثل مع مجتمعاتها ومقاومة الأسباب الحقيقية لما أسمته باللاسامية، والكفاح مع الشعوب التي يعيش اليهود بينها، من أجل المساواة والتقدم؛ فقد دعت الحركة الصهيونية تلك الطوائف اليهودية، إلى الانسحاب من مجتمعاتها الطبيعية والانعزال عنها، والتجمع في (غيتو) كبير تقيمه الصهيونية لليهود، بعيدًا عن الشرق الأوسط.

ما هي عناصر الاختلاف بين التجربتين الصليبية والصهيونية وما هي أوجه الشبه بينهما؟!

استهلكت الصهيونية نصف جهدها الفكري على الأقل، لإقناع يهود أوروبا باختلافهم عرقيًا عن الشعوب الأوروبية، وبتناقض ثقافتهم اليهودية مع الثقافة الأوروبية، وبالمخاطر المترتبة على اندماجهم الثقافي بالشعوب الأوروبية، وكانت الغاية من كل هذا الجهد الصهيوني الوصول إلى الاستنتاج، الذي يشكل الركيزة الأساسية لمحتوى العقيدة الصهيونية، وهو استحالة التعايش الاجتماعي والثقافي والاقتصادي بين اليهود، وبين محيطهم الأوروبي المسيحي، ولم يكن التغني الصهيوني الدائم، والمبالغ فيه بالخصال والمزايا الروحية والثقافية الفريدة لليهود، إلا وسيلة لخلق حالة من الانفصال والاستعلاء، تجاه الشعوب الأوروبية وثقافتها، وذلك سعيًا لإقناع يهود أوروبا بجدوى المشروع الصهيوني، القائم على ضرورة تجميع اليهود في دولة يهودية خاصة بهم.

لكن التناقض التكويني الأول، الكامن في صلب الفكرة الصهيونية، تمثل في دعوتها إلى أن تكون دولتها العتيدة في فلسطين، جزءًا من البنية السياسية والثقافية لأوروبا، مع انفصال مطلق، عن المحيط الثقافي والحضاري للعالم العربي والإسلامي.

يقول هيرتزل في كتاب يومياته:

«إذا ما قيض لنا أن نقيم دولة لنا في فلسطين، فسوف نكون ممثلين للحضارة الغربية، بما فيها من نظام وترتيب ونظافة».

وفي المنظور الصهيوني، فإن الانتماء إلى الحضارة الغربية، لا يعني مجرد هوية ثقافية للمشروع الصهيوني في المنطقة، بل يجسد حالة من الانفصال، عن المحيط الحضاري والثقافي، وتأسيسًا لصراع شامل، في مواجهة هذا المحيط، فهيرتزل نفسه، وفي موضع آخر من كتابه السابق، يؤكد على أن الدولة العتيدة ستكون «حصن الحضارة الغربية في مواجهة الهمجية»»

فالحضارة الغربية لا تعني ـ في الرؤية الصهيونية ـ فضاءً ثقافيًا وإنسانيًا، قابلاً للتفاعل الإيجابي مع الحضارات الأخرى، بل هي ميدان صراع مادي، ينهض فيه الكيان الصهيوني بدور الحصن، وهو ليس صراعًا بين حضارات متكافئة، بل هو صراع

الحضارة الغربية في مواجهة الهمجية!، الأمر الذي يضفي على الصراع منذ بدايته، طابعه التناحري.

لكن التناقض الصهيوني في حقيقته، أعمق من ذلك بكثير، فالصهاينة دعوا، وما زالوا يدعون يهود العالم، وخاصة في الغرب، إلى الانفصال عن مجتمعاتهم الغربية، والانتقال إلى الشرق، حيث الكيان الصهيوني، وحجتهم في ذلك، أن اليهود يختلفون عن محيطهم الغربي، لأنهم ساميون، يتتمون في ديانتهم «القومية» وثقافتهم، إلى الشرق الأوسط موئل الجنس السامي (وفق التصنيف التقليدي للأعراق البشرية)، وأن الغرب معاد للجنس السامي.

وبمجرد انتقال اليهودي إلى الكيان الصهيوني، يجد نفسه فجأة وسط كيان ثقافي واجتماعي، يعتبر الحضارة الغربية مثله الأعلى، ويعتبر نفسه ممثلاً لهذه الحضارة ومدافعًا عنها، في مواجهة الخصوم الشرقيين الساميين (العرب والمسلمين).

العداء للسامية ذريعة للانفصال النفسي والثقافي اليهودي

وهكذا، فعلى اليهودي، وفق الرؤية الصهيونية، أن يكون شرقيًا في الغرب، وأن يصبح غربيًا في الشرق؛ بحيث تظل حالة الانفصال الاجتماعي، والنفسي، والثقافي، هي التي تحكم حياته وسلوكه، حيثما وجد.

لم يكن الدين اليهودي عنصرًا أساسيًا في تحديد هوية المشروع الصهيوني، فالحركة الصهيونية التي ولدت في الغرب، وجسدت منذ انطلاقتها، نقطة تقاطع المصالح الاستعمارية في العالم العربي، كانت في جوهرها حركة علمانية أوروبية، حاولت جهدها، إضفاء طابع قومي على الدين اليهودي، لتسهيل تجنيد الطوائف اليهودية، في مشروعها الاستعماري. ولم يكن الدين اليهودي بحد ذاته، يمثل أكثر من هوية لتعريف العناصر، القابلة للانخراط في هذا المشروع الاستعماري الغربي.

لقد جرد الصهاينة الثقافة اليهودية، من كامل عناصرها الشرقية الأصيلة، المرتبطة بنشأة وتاريخ الديانة اليهودية، وبتعايش اليهود لقرون طويلة، وسط البيئة العربية الإسلامية، حيث شهد اليهود أزهى عصروهم الحضارية والثقافية، وخاصة في زمن الدولة العربية في الأندلس. وعوضًا عن ذلك، تم استعارة العناصر الثقافية الغربية التي اكتسبها اليهود الأشكناز في أوروبا. واعتبرت الثقافة الغربية الإطار الوحيد لتعريف الثقافة اليهودية، وتحديد سماتها، وأصبح مصطلح «اليهودية العالمية» ينصرف إلى اليهودية الغربية حصرًا.

الوجه الآخر للانتماء للثقافة الغربية، كان يعني من المنظور الصهيوني رفض كل ما هو شرقي والاستعلاء عليه. حتى اليهود الشرقيون، لم يشفع لهم دينهم اليهودي أن يكونوا جزءًا من اليهودية العالمية، وقد لخص بن غوريون موقف الحركة الصهيونية من اليهود الشرقيين بالقول: «لقد فقد اليهود الشرقيون قداستهم الدينية على مر العصور»(1).

أما غولدا مائير فكانت ترى أن «اليهودي الذي لا يتكلم لغة البيديش ليس يهوديًا كاملاً»(2).

والبيدش هي رطانة من لغات أوروبية عديدة، كانت تستخدمها الطوائف اليهودية في أوروبا الشرقية والوسطى.

إن القطيعة الحضارية والثقافية، التي كرسها الصهاينة بين كيانهم وبين المحيط العربي

---

1 ـ مجموعة من الباحثين السوفيات: «الصهيونية عدو السلام والتقدم الاجتماعي»، دار دمشق، 1987 مسيحي، ص: 204.

2 ـ إسرائيل الثانية (المشكلة السفاردية) مجموعة من الكتاب اليهود، ترجمة فؤاد شديد، منشورات فلسطين المحتلة، 1981 مسيحي، ص: 23.

والإسلامي، الذي يتواجدون في وسطه، تكاد تكون الثابت الوحيد، الذي حكم سلوك الكيان الصهيوني تجاه العالم العربي والإسلامي.

فمنذ بداية الهجرة الصهيونية إلى فلسطين، بدأ الصهاينة بتأسيس وجودهم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، على أرض فلسطين، كمحاولة منفصلة ومعادية لأصحاب البلاد الشرعيين(❖❖).

وكانت المستعمرات الصهيونية الأولى، المحاطة بالسور والبرج، تجسد هذه الحالة الانفصالية العدائية تجاه المحيط الفلسطيني، وكان شعار «العمل العبري» الذي رفعه الصهاينة، منذ مطلع العشرينات يعني استبعاد العمال الفلسطينيين من العمل في المشاريع اليهودية، ويؤسس لبناء كيان اقتصادي يهودي مستقل، داخل المجتمع الفلسطيني.

ومع تصاعد وتيرة الصراع على الأرض والموارد بين الفلسطينيين والصهاينة، منذ مطلع العشرينات، رفض الصهاينة بإصرار كل الحلول والتصورات، التي كانت تقوم على مبدأ التعايش المشترك ضمن دولة ديمقراطية، ونبذوا من بين صفوفهم الأصوات القليلة، التي أيدت مبدأ التعايش بين الفلسطينيين والمستوطنين اليهود(❖❖❖)، وأصروا على المطالبة بكيان يهودي مستقل.

وكان هذا المطلب الصهيوني ينطوي ضمنًا، على نية استبعاد الفلسطينيين وإجلائهم عن أية مساحة من فلسطين، تتحقق عليها السيطرة للصهاينة.

كتب الزعيم الصهيوني يوسف فايتس عام 1940 مسيحي: «بيننا وبين أنفسنا يجب أن يكون واضحًا أنه لا يوجد مكان في البلاد للشعبين معًا.. فمع وجود العرب لا نتمكن من تحقيق هدفنا.. إن الحل الوحيد هو أن تصبح أرض إسرائيل، على الأقل ارض إسرائيل الغربية (كل فلسطين زمن الانتداب) بدون عرب، ولا توجد طريقة أخرى لتحقيق ذلك، غير نقل العرب من هنا، إلى الدول المجاورة. نقلهم جميعًا. بحيث لا تبقى هنا قرية واحدة أو قبيلة واحدة، ويجب أن يتم النقل إلى العراق وسوريا وشرق الأردن..»[3].

وكان مشروع التقسيم لعام 1947 مسيحي، هو المشروع الأول الذي حظي بموافقة الصهاينة، بعد أن بيتوا النية لطرد أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين من حدود القسم المخصص لليهود، وفق قرار التقسيم، كما بيتوا النية لتجاوز هذه الحدود بالقوة العسكرية، وهو ما تحقق للصهاينة في حرب عامي 1947-1948 مسيحي.

ومع إعلان قيام الكيان الصهيوني، على أرض فلسطين المغتصبة، كان لابد من إعلان هوية هذا الكيان وانتمائه، حيث أعلن بن غوريون منذ مطلع الخمسينات: «إن ما يربطنا بهذه المنطقة هو العنصر الجغرافي فقط، وهو العنصر الجامد الوحيد من بين العناصر المكونة للحضارة. أما من حيث العناصر الديناميكية الحية، مثل أنماط التفكير والطاقات الإبداعية والإنمائية الثقافية فنحن ننتمي للغرب»[4].

وهكذا فإن بن غوريون، بقدر تأكيده على «غربية» المشروع الصهيوني، فإنه يؤكد على عمق انفصاله

❖❖ في العام 1908 مسيحي، كتب إسرائيل زانغفيل، زعيم الصهيونية الاقليمية: «فلسطين المطلوبة مكتظة بالسكان، والبدائل المتاحة أمام الصهيونية، محصورة في الحصول على فلسطين بقوة السيف أو التورط بعدد كبير من السكان الغرباء، ومعظمهم من المسلمين المعادين».

❖❖❖ من الأمثلة العديدة على ذلك، ما أورده آرون كوهين في كتابه: «إسرائيل والعالم العربي» حيث يقول: «أرغم المؤتمر الصهيوني السابع عشر، الدكتور حاييم وايزمن، على الاستقالة من رئاسة الاتحاد الصهيوني، بعدما عبّر في خطابه الافتتاحي أمام المؤتمر، عن الاستعداد للترحيب بالاتفاق بين اليهود والعرب، على أساس المساواة السياسية، أما حاييم أرزولوف، الذي رفع شعار: «التعايش بين الشعبين» فقد أقدم الصهيونيون التصحيحيون، أتباع جابوتنسكي، على قتله عام 1933 مسيحي.

3- حبيب قيرجي، استراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين، منشورات مؤسسة الأرض 1977 مسيحي، ص: 109.

4- إسرائيل الثانية (المشكلة السفاردية) مجموعة من المؤلفين الإسرائيليين، ترجمة قسم الدراسات في حركة فتح 1980 مسيحي، ص: 20.

عن المحيط العربي الإسلامي الذي زرع هذا المشروع في وسطه.

حرب التغريب :

عشية إعلان قيام دولة «إسرائيل» كان اليهود الأشكناز يشكلون 87 بالمائة من مجموع اليهود المستوطنين في فلسطين، ولم تكن الأقلية اليهودية الشرقية، وغالبيتها من يهود اليمن، تشكل أي تهديد للطابع الغربي للمشروع الصهيوني. فلقد قنعت الأقلية اليهودية الشرقية بوضعها الجديد في الكيان الصهيوني في أسفل الهرم الاجتماعي والاقتصادي. وكان أفراد هذه الأقلية الشرقية قد تم استجلابهم منذ مطلع القرن الماضي بنفس الروح والكيفية التي تم بها استجلاب الزنوج الأفارقة إلى القارة الأمريكية الجديدة.

غير أن الفترة التالية لقيام الكيان الصهيوني، شهدت موجة واسعة من الهجرة الجماعية للطوائف اليهودية من البلاد العربية، فخلال السنوات الخمس من 1948 ـ 1953 مسيحي، هاجر قرابة 650 ألف يهودي غالبيتهم العظمى من يهود البلاد العربية، الأمر الذي شكل تهديداً جديًا للطابع الغربي للمشروع الصهيوني، واستدعى، بالتالي، سياسات حازمة من قبل النخبة الأشكنازية الحاكمة.

لقد تعامل الصهاينة الغربيون مع اليهود الشرقيين تمامًا، مثلما تعامل الصليبيون مع مسيحيي المشرق العربي، فاليهود الشرقيون لم يكونوا، في نظر الأشكناز، يهودًا، بل كانوا مجرد عرب ينتمون في لغتهم وثقافتهم إلى المحيط العربي الإسلامي، وقد مورست ضد هؤلاء اليهود سياسة فصل عنصري، تمثلت في عزلهم جغرافيًا عن المجتمع اليهودي الغربي، وجرى توزيعهم على المدن والقرى الفلسطينية المهجورة، وعلى المستعمرات الحدودية النائية، وتم النظر إليهم كبدائيين «ينبغي على رسل الحضارة الغربية أن يأخذوا بيدهم على طريق المدنية».

وعلى الصعيد الثقافي، فقد تم التنكر لثقافة هؤلاء اليهود الشرقيين ونبذها، وتم فرض المعايير الثقافية الغربية باعتبارها الخيار الوحيد المتاح أمام اليهود الشرقيين للصعود الاقتصادي والاجتماعي في الكيان الصهيوني، فإما البقاء في أسفل الهرم الاقتصادي الاجتماعي في حال التمسك بالقيم الثقافية والحضارية الشرقية، وإما الصعود اقتصاديًا واجتماعيًا بالتخلي عن كل ما يمت إلى العالم العربي والإسلامي من روابط ثقافية وحضارية.

على اليهودي أن يكون شرقياً في الغرب وأن يصبح غربياً في الشرق

لم يبد اليهود الشرقيون مقاومة شديدة لعملية الطمس الثقافي، التي مارسها اليهود الغربيون ضدهم، لأن الحرب لم تكن متكافئة بحال من الأحوال، فبينما كان الأشكنازيون يتسلحون بأجهزة الدولة الغربية، التي أنشأوها وبإمكاناتها الضخمة، وبالدعم اللامحدود من الغرب، الذي ينتمون إليه، فإن اليهود الشرقيين كانوا عزلاً تمامًا. إضافة إلى كونهم ينتمون ثقافيًا وحضاريًا، إلى محيط يعيش في حالة حرب مع الكيان الصهيوني.

وهكذا، تم إلباس هؤلاء اليهود الشرقيين، بالإكراه أو التضليل، الزي الثقافي الغربي، وسلخهم، ولو بصورة مؤقتة، عن جذورهم الثقافية الأصلية، بل إن قسمًا من هؤلاء اليهود الشرقيين، لا يتنكر اليوم لأصوله الثقافية الشرقية فحسب، بل يبالغون في تقمص الشخصية الغربية السائدة في الكيان الصهيوني، ويزايدون على الأشكنازيين في عدائهم الشديد للمحيط العربي والإسلامي، وذلك سعيًا لمشاركة الإشكنازيين في مغانم وامتيازات السلطة.

غير أن ما تحقق للأشكناز، من إنجازات على صعيد تغريب اليهود الشرقيين، لم يكن ليتحقق إلا في أجواء الصراع المستمر، وحالة العداء الشديد تجاه المحيط العربي والإسلامي، بل إن استمرار وجود هذه الإنجازات، يرتبط عضويًا باستمرار حالة الصراع والتوتر.

ولعل هذا ما يفسر إلى حد كبير، حرص النخبة الحاكمة في الكيان الصهيوني، على استمرار حالة العداء مع المحيط العربي والإسلامي، لتتمكن من صهر الطوائف اليهودية المختلفة، في بوتقة المشروع الصهيوني الغربي.

وقد أشار بن غوريون إلى هذه الحقيقة عندما قال: «إن العداء المستمر من جانب العرب قبل إنشاء الدولة، أدى إلى قيام مجتمع يهودي أكثر تماسكًا في البلاد... ومنذ ذلك الحين كانت العداوة العربية المتواصلة، حافزًا لتطوير إسرائيل»(5).

إن انتفاء حالة الصراع بين المشروع الصهيوني، ومحيطه العربي والإسلامي، تنطوي على خطر جسيم، عمل مؤسسو المشروع الصهيوني على تداركه، وهو خطر ذوبان التجمع البشري اليهودي، في محيطه العربي الإسلامي، وهم ينظرون إلى اليهود الشرقيين، باعتبارهم المؤهلين للقيام بدور جسر التواصل الثقافي والحضاري، مع المحيط العربي والإسلامي. وأن حالة الصراع مع هذا المحيط، هي الضمانة الوحيدة لتعطيل مثل هذا الدور، ومنع انحلال التجمع البشري اليهودي في المحيط العربي الإسلامي، وهو ما تعكسه المقولة الصهيونية، التي تكررت على لسان أكثر من زعيم صهيوني.

أما اليهود الشرقيون، فإنهم من جانبهم يدركون أن الأشكناز، قد استغلوا أجواء الصراع، وعمدوا إلى تصعيده ومواصلته، لطمس الهوية الثقافية لليهود الشرقيين، باعتبارها ثقافة تنتمي للأعداء.

وقد ترافقت عملية الطمس الثقافي، مع تكريس حالة من التمييز العنصري ضد اليهود الشرقيين، على كافة الصعد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، رغم حقيقة أنهم يشكلون الأكثرية العددية في الكيان الصهيوني.

استجلبت الأقلية اليهودية الشرقية بنفس الروح والكيفية التي تم بها استجلاب الزنوج الأفارقة الى القارة الأمريكية

وتعلن زعامة اليهود الشرقيين على الدوام، أنها إذا كانت قد رضخت لهذه الوضعية الدولية في ظل ظروف الصراع المحتدم مع المحيط، فإنها لن تقبل بها في حال زوال التهديد الخارجي للمشروع الصهيوني، وبالتالي فإن كل ما أنجزه الأشكناز طوال العقود الماضية، هو تأجيل الصراع بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين، وليس إلغاء هذا الصراع.

يقول إيلي الياشار، رئيس مجلس الطائفة السفاردية في الكيان الصهيوني: «إذا ما تحقق السلام يومًا في الشرق الأوسط، فستتفجر لدينا حرب أهلية...»(6).

وبغض النظر عن الصورة التي ستتخذها هذه الحرب الأهلية، فإنها ستقوم على مبدأ استعادة اليهود الشرقيين لهويتهم الثقافية والمطالبة بتحقيق

---

5 ـ إبراهيم أبو لغد: تهويد فلسطين، ترجمة أسعد رزوق، مركز الأبحاث، بيروت 1982 مسيحي، ص: 260.

6 ـ مؤسسة الأرض، دمشق نشرة الأرض نصف الشهرية السنة الخامسة العدد (4) 7/10/1977 مسيحي، ص: 3، نقلاً عن:
Israel: Social Structure and Change eds Michal Curtis and Others (New jersey 1973) P.330

المساواة الكاملة مع اليهود الغربيين، الأمر الذي يعني انقلاباً شاملاً لأسس ومعايير ووظيفة المشروع الصهيوني، وبالتالي فقدانه لمبرر وجوده الأساسي في المنطقة.

معركة الانفصال عن المحيط:

إذا كان ما تقدم هو موقف اليهود الأشكناز، من أبناء دينهم من الطوائف اليهودية الشرقية فإنه يمكن للمرء تصور موقفهم من الشعب الفلسطيني، والأمة العربية والإسلامية، التي تختلف عنهم في كل شيء.

فلقد سعى الصهاينة منذ بداية مشروعهم، إلى الانفصال الثقافي والحضاري عن العالم العربي والإسلامي، بشتى السبل، وعلى كافة المستويات، وتكريس حالة من العداء تجاه الحضارة العربية والإسلامية والاستعلاء عليها.

ما هي مظاهر التمييز العنصري داخل اسرائيل بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين؟

يقول أربيه الياف، أحد أقطاب حزب العمل السابقين: «كانت تجتاحنا، نحن الأشكنازيين، موجة عاتية من الاحتقار العميق والغطرسة الشديدة حيال العالم العربي، وقد بلغت هذه الموجة ذروتها كما نعلم غداة حرب الأيام الستة 1967 مسيحي، ولكنها كانت قد بدأت مع هزيمة العرب عام 1948 مسيحي، ولم نر أنه من المفيد في شيء أن نعلم اللغة العربية لأطفالنا في المدارس، لقد جعلنا اللغة العربية والثقافة العربية أشياء مكروهة ومحتقرة»(7).

ومن المثير أن بن غوريون، قد تباهى في مذكراته، بأنه قد تعلم اللغة اليونانية ليتمكن من قراءة أفلاطون، وتعلم الإيطالية لكي يقرأ دانتي، واللغة الألمانية كي يقرأ غوته، ولكن هذا «المثقف» الذي عاش نصف قرن على أرض الفلسطينيين، وفي محاربتهم، لم يحاول تعلم اللغة العربية، بل كان يفاخر بأنه لا يعرف حتى كلمة واحدة من اللغة العربية.

وبصورة عامة، فإن الحركة الصهيونية، منذ نشأتها، لم تقم بأي محاولة لخلق أساس للمصالح أو المفاهيم المشتركة، مع المحيط العربي والإسلامي، بل اعتمدت دائماً على دعم القوى الأجنبية لفرض وجودها على المنطقة رغم إرادة أصحابها، وهي تقاوم بشدة أي نزعة للتعايش أو الانفتاح الثقافي على المحيط العربي والإسلامي.

فالتعايش الوحيد، المقبول بالنسبة لها، هو ما حدده في مطلع السبعينيات وزير الحرب الصهيوني الأسبق موشي ديان، عندما قال: «إن التعايش بين العرب واليهود غير وارد إلا في ظل حراب الجيش الإسرائيلي(8).

أما بعض الدعوات للانتفاع والتعايش السلمي، التي تنطلق بين فترة وأخرى من داخل الكيان الصهيوني، فلا تعدو كونها رسائل دعائية صهيونية، تهدف إلى تجميل صورة الكيان الصهيوني، لدى حلفائه في الغرب، خاصة في موازاة السياسة العدوانية التي ينتهجها الكيان الصهيوني، تجاه الشعب الفلسطيني والمحيط العربي والإسلامي.

فالدعوة التي أطلقها شمعون بيرس، منذ مطلع ثمانينيات القرن الماضي لإنشاء «شرق أوسط جديد» والتي انطلت حتى على بعض المثقفين العرب، تفتقر في حقيقتها إلى أي أساس موضوعي يجعلها قابلة

---

7 ـ إسرائيل الثانية، ص: 38.

8 ـ مؤسسة الأرض، دمشق، نشرة الأرض نصف الشهرية، العدد (11) 1981/4/21 مسيحي، ص: 28، نقلاً عن هآرتس 1973/11/30 مسيحي.



للتحقق. بل إن قسمًا من الصهاينة أنفسهم، سخروا من تلك الدعوة للتعايش، لكونها كما يرى «شلومو بن عامي» الذي ترأس الوفد الصهيوني في مفاوضات أوسلو «تفتقر إلى فضاء مؤسساتي وثقافي مشترك، بين إسرائيل والعالم العربي. فمثل هذا الفضاء غير موجود الآن، ولن يكون موجودًا في المستقبل القريب»(9).

بل إن ما يجري على أرض الواقع داخل الكيان الصهيوني، هو على النقيض تمامًا، من أي توجه يدعو إلى الانفتاح الثقافي والحضاري على المحيط العربي والإسلامي؛ فالمؤسسات الثلاث الأكثر أهمية وفعالية في الكيان الصهيوني، وهي: المؤسسة التعليمية، والمؤسسة الدينية، والمؤسسة العسكرية، تعمل بصورة متناسقة ومتكاملة، على تعميق حالة الانفصال والاستعلاء والعداء، تجاه كل ما هو عربي وإسلامي.

وبالعودة إلى استقراء التجربة الصليبية، فإن ما نجح فيه الصليبيون فعلاً، هو أنهم حافظوا على حالة الانفصال والعداء للمنطقة، خلال مائتي عام، انتهت بالنهاية المعروفة.

يقول يوفال نتمان، وزير التعليم الأسبق في الكيان الصهيوني: «إن اليهود عاشوا هنا دون سلام مائة عام. وهم الآن يستطيعون البقاء، دون سلام لمدة مائة عام أخرى...»(10).

لكن ناحوم غولدمان، الزعيم السابق للمنظمة الصهيونية العالمية،لم يكن على نفس القدر من تفاؤل نتمان، فقد قال: «ليس هناك أي أمل لدولة يهودية يكون عليها أن تحارب خمسين سنة أخرى ضد العرب»(11).

9 ـ شلومو بن عامي، أي مستقبل لإسرائيل؟، المستقبل العربي، العدد 25 حزيران 2002 مسيحي.

10 ـ نشرة الأرض، العدد (17) 1991/5/14 مسيحي، ص: 32، نقلاً عن يديعوت أحرنوت 1991/5/9 مسيحي.

11 ـ ناحوم غولدمان، المفارقة اليهودية، ترجمة قسم الدراسات في حركة فتح 1982 مسيحي.

ثقافة الحرية وتجسيد قيم التواصل

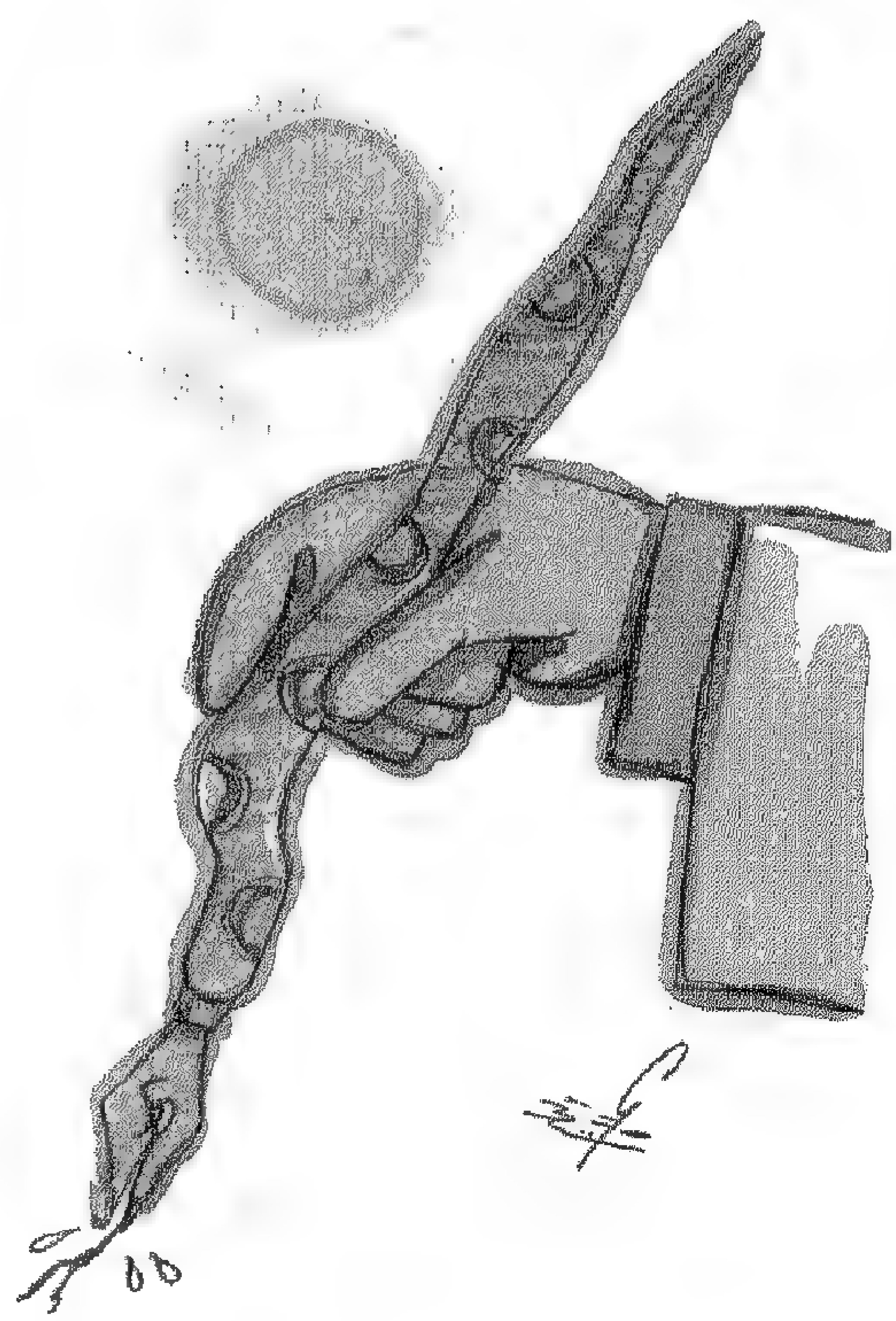
محمد القاضي *

«لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متدين من أبناء هذا العصر أن يصغى إلى من يظن أن دين الإسلام كذب، وأن محمداً خداع مزور، وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإن الرسالة التي أداها ما زالت السراج المنير»..

تتنوع جبهات التحدي التي يقودها الغرب ضد الإسلام والمسلمين من يوم لآخر، ويمكن القول بأن النيل من الإنسان المسلم، لا زال المحور الأساسي لاستراتيجية كل هذه الجبهات، التي تعمل بتناسق وانسجام.

يرى المفكر الإسلامي الألماني (مراد هوفمان) «بأن الإسلام يواجه بحملات معادية في الغرب، شملت حتى الذين هداهم الله لاعتناق الإسلام، أو الذين يقدمون دراسات موضوعية عن الإسلام كدين، وقد امتد العداء إلى العديد من المستشرقين، الذين اعتنقوا الإسلام، وطالبوا الغرب التخلي عن الإرث المعادي لهذا الدين القيم...

إن الغرب مطالب باحترام الإسلام والمسلمين،



*باحث و أستاذ جامعي / باحث / المغرب.

وعدم اتخاذ مواقف معادية من الدين الحنيف»[1].

ولم يدخر الإعلام الغربي بكل فروعه، وطيلة مختلف مراحله، أي جهد في إلصاق التخلف والدونية بالإنسان المسلم، كخاصية تاريخية وحضارية وبشرية. وتحت مبررات حرية التعبير تنتهك المعايير الأخلاقية للعمل الإعلامي، وتداس تحت الأقدام مواثيق شرفه، بشعارات زائفة من حرية التعبير وحرية طرح الرأي، والرأي المضاد.

إن الحق في حرية التعبير، الذي تكفله القوانين الغربية (الأوروبية بالخصوص) يمكنه أن يتحول إلى «حق» في الإساءة إلى الآخرين وإلى مقدساتهم.

النبي محمد ﷺ في الكتابات الغربية:

استهوت شخصية النبي محمد ﷺ، العديد من المستشرقين والباحثين في الغرب منذ القرن العاشر الميلادي، وحظيت بتقدير كبير عند بعضهم، فدرسوها وأنجزوا عنها أبحاثًا عديدة يصعب حصرها وإحصاؤها، تناولوا فيها جوانب كثيرة من حياة الرسول ﷺ، كما عقدت ندوات حولها، شارك فيها باحثون من الشرق والغرب؛ بالرغم مما تكلفه مثل هذه اللقاءات من مجهود مادي ومعنوي. فلماذا هذا الاهتمام بشخصية الرسول محمد ﷺ وحياته؟ وإلى أي مدى يمكن التعامل مع هذه المنجزات؟ الدكتور عبدالغني أبو العزم، يرى أن الدراسات الإسلامية بأوروبا المسيحية، كانت تتم تحت إشراف الكنيسة، ويقوم بها رجال الدين، واحتكروها لسنوات طوال، وغدوا بذلك المرجع والمبادر في ميدان الترجمة، حيث انحصرت رؤيتهم للأشياء في العقيدة المسيحية، باعتبارها ديانة الحق والعدالة، وأن كل الديانات الأخرى ما هي إلا تشويه للحقيقة، مع العلم أن دراسة شرائع القرآن والفلسفة الإسلامية، قد ساهمت كما يقول (مونتغمري واط) في خلق وعي ديني بالهوية الأوروبية، وعلى حساب الإسلام، مما أعطى إمكانية تأسيس نظام فلسفي منطقي ورؤية فلسفية جديدة للعالم.

وكان ينبغي انتظار عدة قرون لكشف هذا الواقع؛ ومما يلاحظ أن الصورة الوهمية الخيالية التي تكونت في أوروبا، عن النبي محمد ﷺ، لا يمكن فصلها عن الرؤية الفكرية الأوروبية اللاهوتية للقرآن؛ وترجمة القرآن لم تكن في الواقع إلا مدخلاً لمعرفة السيرة النبوية، وهذا ما عبر عنه (جان دي سركوفي) و(نيقولا دو كوس) في دراستهما.. إذ في ضوئها شاعت كل خرافات القرون الوسطى التي ظلت مهيمنة، وقد تغلغلت في الوسط الشعبي الأوروبي، ومن بين هذه الخرافات، اعتبار النبي محمد ﷺ رجلاً مسيحيًا ضالاً وهرطقيًا ادعى النبوة، لأنه لا يستطيع تحقيق طموحه الأدبي، في أن يصبح بابا بعد أن وصل إلى مرتبة كاردينال[2].

وضمن هذا السياق ظهرت مجموعة من المقالات والروايات، التي لا حصر لها، تتعرض إلى شخصية الرسول ﷺ. ولنقرأ ما كتبه توفيق الحكيم في كتابه (تحت شمس الفكر - ص17 و18) عن فولتير وقصته التمثيلية (محمد):



توفيق الحكيم

«قرأت لثلاث عشر سنة خلت، (1925) قصة (فولتير) التمثيلية (محمد)، فخجلت أن يكون كاتبها معدودًا من أصحاب الفكر الحر، فقد سب فيها النبي العربي سبًا قبيحًا عجبت له، وما أدركت له علة!... لكن

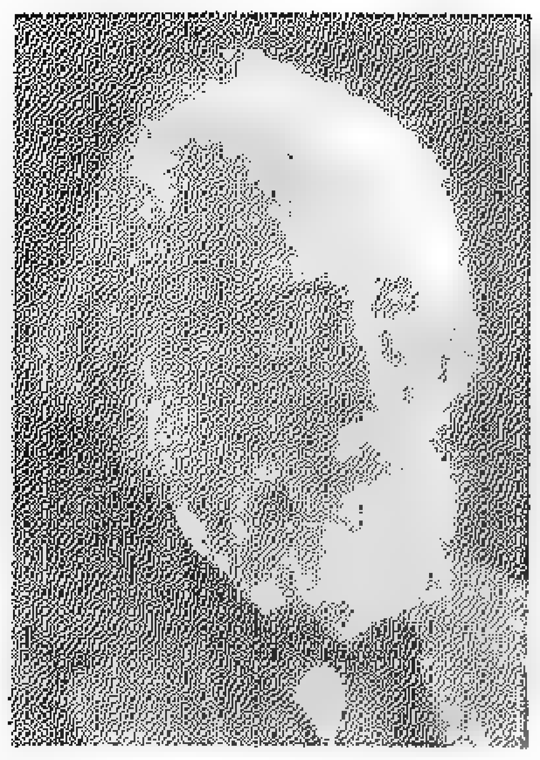
1- أنظر حوارًا معه في صحيفة (الشرق الأوسط) عدد: 19/8/1996 مسيحي، ص:10 (أجراه من القاهرة محمد بيومي).

2 - بتصرف عن الملحق الثقافي لجريدة (الاتحاد الاشتراكي)، عدد: 17/2/2006 مسيحي، ص:6 (الرؤية الغربية لصورة النبي محمدﷺ في أدبيات القرون الوسطى).

عجبي لم يطل، فقد رأيته يهديها إلى البابا (بنو الرابع عشر) بهذه العبارات: «فلتستغفر قداستك لعبد خاضع، من أشد الناس إعجابًا بالفضيلة، إذ تجرأ فقدم إلى رئيس الديانة الحقيقية، ما كتبه ضد مؤسس ديانة كاذبة بربرية، وإلى من غير وكيل رب السلام والحقيقة، أستطيع أن أتوجه بنقد قسوة نبي كاذب وأغلاطه! فلتأذن لي قداستك، من أن أضع عند قدميك الكتاب ومؤلفه، وأن أجرأ على سؤالك الحماية والبركة، وإني مع الإجْلال العميق أجثو وأقبل قدميك القديستين». فولتير 17 غشت 1745 مسيحي)».

ومن المفيد أن نشير هنا، إلى الانعطاف الذي حصل في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر المسيحي، حيث دخل علم الإستشراق مرحلة جديدة، في محاولة جديدة لفهم عالم الشرق، وفهم الذهنية الشرقية والعقيدة الإسلامية، وفي هذا الإطار ترجمت أمهات الكتب التي تتناول الإسلام وحياة الرسول محمد ﷺ. وتعتبر سيرة ابن هشام، المصدر الأول والأهم، الذي حفظ لنا المعلومات الخاصة بالنبي ﷺ، ونشاطه وأصحابه وزمانه، وقد ترجم في البداية إلى اللغة الألمانية سنة 1858 مسيحي، تلاه كتاب «تاريخ الأمم والملوك» للطبري، الذي ترجم سنة 1879 مسيحي، وكتاب «المغازي» للواقدي سنة 1882 مسيحي، وتاريخ اليعقوبي سنة 1883 مسيحي، وانتهت هذه المرحلة بترجمة كتاب «البخاري» سنة 1895 مسيحي.

ويقسم الأستاذ حسين أحمد أمين، كتابات الغربيين حول سيرة الرسول ﷺ، منذ منتصف القرن التاسع عشر، إلى اتجاهات ثلاث: هذه الاتجاهات واضحة وتكاد تكون متعاقبة الاتجاه... والذي يهمنا هو الاتجاه الثاني، وخيرة ممثليه هو: (جولدزيهر)



جولدزيهر

و(لين بول) و(فرانتس بول) و(تور أندري) و(مارجوليوت) و(ريتشاردبيل) و(نودلكه) و(فلهاوزن) و(هاملتون جيب).

فقد كان لأصحاب هذا الإتجاه، فضل إيضاح الكثير مما كان غامضًا في تاريخ الإسلام والسيرة، وتسهيل فهم التاريخ العربي في الجاهلية والإسلام. وإن موقف هؤلاء من السيرة موضوعيًا، قدر ما في وسعهم من الموضوعية، رأوا فيه شخصية قوية مؤثرة، استطاعت أن توفر الحل لمشكلة بالغة الصعوبة والتعقيد، ألا وهي بناء دولة وإمبراطورية عظيمة، من لبنات القبائل العربية المتفرقة المتنازعة، وإيجاد المنفذ للعبقرية العربية الخلاقة، حتى تساهم مساهمة إيجابية في تاريخ العالم وحضارته. وقد أنصفوا في بيان جوانب عظمة النبي ﷺ ورجاحة عقله»[3].

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية، بدأ الدارسون يفضلون دراسة شخصية النبي محمد ﷺ، وذلك بظهور العديد من الأعمال الهامة.

فالدراسة الوافية التي قدمها المستشرق الإنجليزي، (مونتغمري واط) عن حياة النبي ﷺ، قد أبرزت الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية وخلفية نشاطه. وأوضحت ذكاء علاقته بالقبائل، كما أبرزت السؤال المعقد، عن جدارة المواد التي تعتبر مرجعًا لدراسة حياة الرسول ﷺ ومجراها. ودافع في دراسته عن زيادة الاعتماد على المصادر التقليدية للمعلومات المتعلقة بذلك، بأكثر مما رآه الجيل السابق للدارسين.

وأهم سمات مؤلف (مونتغمري واط)، هو

3 ـ أنظر دراسته عن (تأملات في تطور كتاب سيرة النبي ﷺ في الشرق والغرب) مجلة (العربي) الكويتية/ عدد: 215/ 1976 مسيحي، ص:112-113.

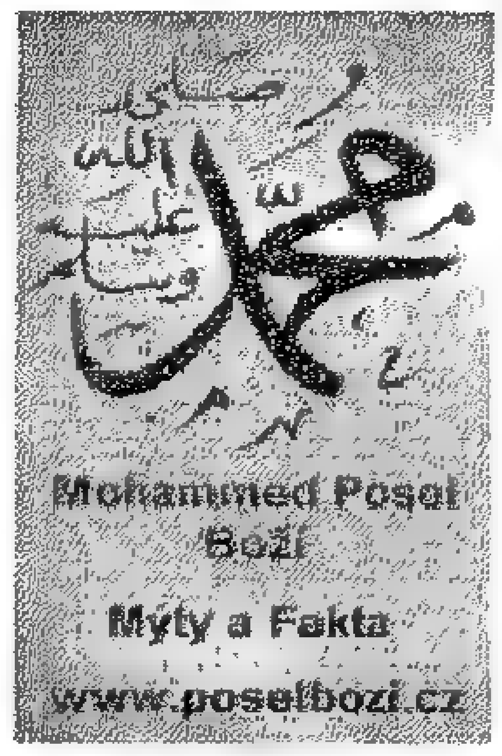
حساسيته للمسائل الأخلاقية التي يواجهها بالضرورة أي شخص غير مسلم، يدرس النبي محمد ﷺ، وأراد أن يتفادى أية مبالغات، وحتى أية لغة من شأنها ولو ضمنيًا، أن تصدر حكمًا على المعنى الديني، الذي يراه المسلمون في النبي محمد ﷺ. وقد غطت دراسته كل حياة النبي ﷺ ولمست معظم المشاكل المطروحة؛ ولهذا اعتبرت أهم دراسة كتبت عن النبي منذ السيرة التي كتبها (فرانتز بول) والتي كانت المعيار السابق في الوسط العلمي الغربي[4].

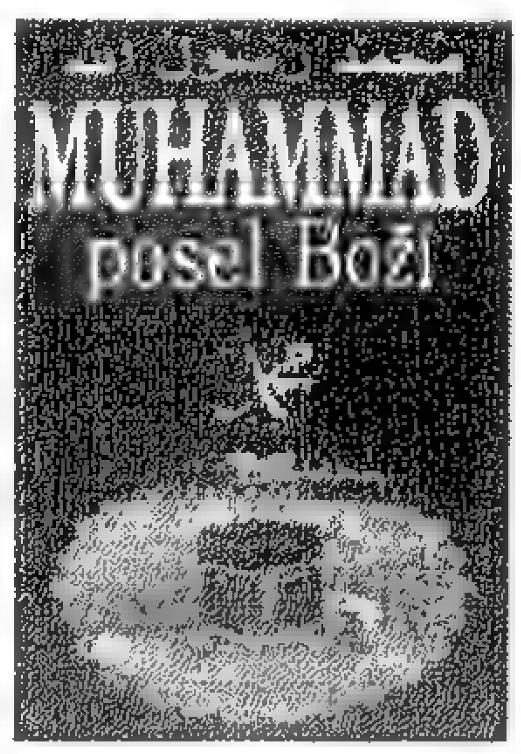
أما المستشرق الفرنسي (مكسيم رودنسون)، فيرى أن الكثير من كتب المستشرقين حول النبي محمد ﷺ، قد قومت شخصية الرسول بشكل إيجابي، وفيها الكثير من التمجيد له، ولكنها بالطبع ليست كتبًا دينية، لأنها كتبت من طرف مستشرقين غربيين، وقام بإنجاز دراسة قدم فيها جردًا بالدراسات المحمدية، وقد نشرها في المجلة التاريخية (عدد: يناير ـ مارس 1963 مسيحي/ ص:169-220). وأعلن بأنه كان مولعًا كثيرًا بحياة الرسول ﷺ فيقول: «فضمنت ولعي في كتاب عنه، وأعلنت بأنني معجب بعظمة هذا الرسول وعبقريته، لكنني عندما أدرسه، أدرس حياته وفق منظور تحليلي مادي، أعتبره المنظور الصائب الذي يمكن عبره فهم حياة الرسول ودوره التاريخي الهام، أو إنسانية الرسالة التي أثر بها».

الكتاب يحمل الكثير من التمجيد لشخصية



مونتغمري واط





الرسول ﷺ، باعتبارها واحدة من تلك الشخصيات الهامة، التي غيرت تاريخ العالم.. ويضيف قائلاً: منذ البداية ظهر الرسول محمد ﷺ، كزعيم ديني وسياسي ومشرع في نفس الوقت، معطيًا السلوك والحياة للمجتمع الصغير الذي يحكمه، والذي سيصبح فيما بعد، ذا أبعاد عالمية»[5]. ويجب التذكير هنا، بأن بعض كتابات هؤلاء، مع ما فيها من مجهود جبار وموضوعية، لا تخلو من هفوات، ولهذا وجب التصدي لها بعد فحصها ودراستها وتصحيحها، بدلاً من انتقادها ورفضها «لأنهم أثروا المكتبة الإسلامية بالدراسات والبحوث والتحقيقات التي استفادت منها السنة من حيث لا يريدون طبعًا.

لقد نبشوا وفتشوا وأثاروا قضايا، ما كان لها أن تثار، وحملوا على السنة حملة شعواء. فكان أن شمر الباحثون المسلمون عن سواعد الجد، وانبرت الأقلام وشحذت الأذهان، للدفاع عن السنة المطهرة»[6].

الفتيل الدانمركي لحرب الحضارات :

عاش العالم الإسلامي خلال شهري (أي النار والنوار) يناير وفبراير 2006 مسيحي، على إيقاعات الغضب العارم، جراء الرسومات المسيئة للرسول محمد ﷺ والتي نشرتها الصحيفة الدانمركية (يُولند بوسطن)، بعدما طلب محررها الثقافي من مجموعة من الرسامين إنجاز هذه الصور، وبقدر ما كانت الإساءة للنبي شديدة، بقدر ما كانت الاحتجاجات

---

4 ـ أنظر ما كتبه في هذا الموضوع عبدالمحمود نور الدائم الكرنكي في صحيفة (القدس) عن (فصل الإسلام عن سياقه الديني والحضاري للشرق القديم) عدد: 25/ 26 نوفمبر 1995 مسيحي، ص:14.

5 ـ أنظر حوارًا معه في مجلة (رسالة الجهاد) / ليبيا عدد: 70 ص:61 والملحق الثقافي لصحيفة (الأنباء) الكويتية عدد: 10/3/1982 مسيحي، ص:5.

6 ـ أنظر مجلة (المنهل) السعودية عدد: 484/1990 مسيحي، ص:125 (مناهج المستشرقين في دراسة الحديث النبوي) محمد رضوان صالح.

والمظاهرات قوية وشديدة، بلغت في بعضها حد إحراق السفارتين الدانمركيتين (دمشق ولبنان) والنرويجية (دمشق)، وتم إضرام النار في العلم الوطني الدانمركي، في العديد من العواصم الإسلامية، وبادرت العديد من الدول الإسلامية، بسحب سفرائها من كوبنهاكن، ودعت مواطنيها لمقاطعة البضائع والمنتجات الدانمركية وطالبت الحكومة الدانمركية بتقديم الاعتذار إلى العالم الإسلامي، وكل مسلمي العالم أينما وجدوا.

ولا يسع أي مسلم إلا أن يناهض كل من سولت له نفسه الإساءة إلى النبي الأكرمﷺ، سواء بإعادة نشر الرسومات الساخرة (الكاريكاتورية) الدانمركية، أو بنشر أي كلام يستهدف شخص الرسول ﷺ، أو الدين الإسلامي الحنيف عمومًا.

لقد كان مستهجنًا أن تعيد الصحف الغربية نشر الرسوم المسيئة للرسول ﷺ، في فعل تضامني في الإساءة للمسلمين ونبيهم، كما كان مستغربًا أن يفاخر رئيس وزراء الدانمرك (أنديرزفوخ راسموسين)، بتضامن الرئيس الأمريكي جورج بوش مع بلاده!!...

وصرح محرر القسم الثقافي بالصحيفة (فليمنج روسه)، على شاشة القناة الثانية الدانمركية، يوم الأحد 2006/1/29 مسيحي، تعليقًا على مطالب الاعتذار قائلا: «إذا كان المسلمون يطلبون اعتذارًا من صحيفة (بولند بوسطن) فإنهم يطرقون الباب الخاطئ»[7]. كما عبر رئيس تحرير الصحيفة (كارستن جيست) في رسالته الإعتذارية الثانية قائلاً: «دعوني أولاً أؤكد أن صحيفتنا تؤمن وتثمن حرية الانتماء الديني، وتساند الديمقراطية وتحترم حرية كل فرد. الذي حدث ـ مع الأسف الشديد ـ هو سوء تفاهم كبير، لا أكثر ولا أقل، حول الرسومات التي شبهت الرسول الكريم ﷺ.. ومن المهم جدًا هنا، الإشارة إلى أن هذه الرسومات لم يكن القصد منها النيل من شخص النبي بتاتًا»[8]. كلام غير مقنع ولا يرقى فعلاً لمستوى الاعتذار المطلوب تقديمه للمسلمين عبر العالم. فكيف يمكن تصديق ما يزعمه المعتذر. وهو الذي (يؤمن ويثمن) حسب زعمه حرية الانتماء!

إن استفزاز مشاعر المسلمين، من طرف غيرهم ليس أمراً جديداً، لكن الجديد هو هذا النفاق الصارخ، الذي يحمل بيد شعار الانفتاح وحرية التدين وحوار الحضارات والأديان، وباليد الأخرى رسومات وإساءات بالتصريح والتلميح بالجملة

إن استفزاز مشاعر المسلمين، من طرف غيرهم، ليس أمرًا جديدًا، لكن الجديد هو هذا النفاق الصارخ، الذي يحمل بيد شعار الانفتاح وحرية التدين وحوار الحضارات والأديان، وباليد الأخرى رسومات وإساءات بالتصريح والتلميح بالجملة، وتأكد بما لا يدع مجالاً للشك، أن بين المسلمين والغرب، هوة سحيقة يبدو أن التقريب بين طرفيها أمر شاق. وتأكد كذلك أن كلاهما يحمل أفكارًا مغلوطة عن الآخر، وتأكد فضلاً عن هذا وذاك، أن المنعطف والحكمة والتروي والحلم، لم تعد سوى مفاهيم يُستأنس بها في دروس الفلسفة، والتربية الوطنية تختزلها الذاكرة!

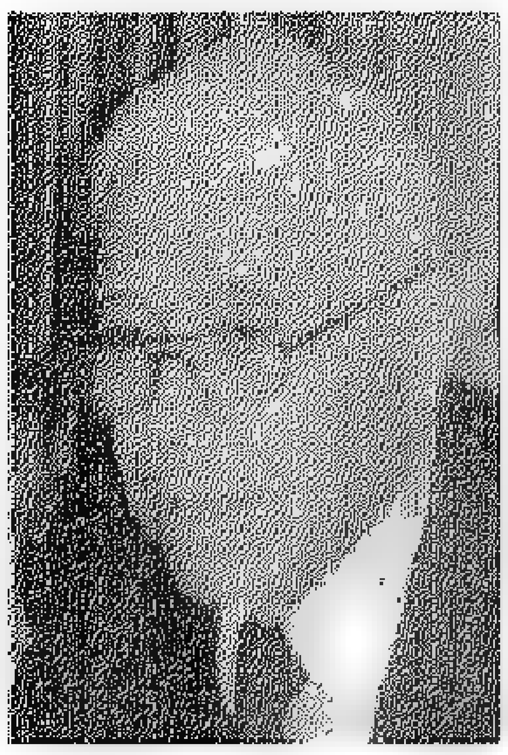
إن الرسومات بكل ما تعكسه من كراهية، وحقد وتحقير وافتراء، تثير الكثير من الأسئلة حول حوار الحضارات، أو (صدام الحضارات) الذي يتمنى تحقيقه كثير من عشاق (صمويل هنتنغتون)، والذين

7 ـ نقلاً عن صحيفة (الدعوة الإسلامية) / ليبيا عدد: 2006/2/1 مسيحي، ص:4.

8 ـ أنظر صحيفة (الصحراء المغربية)، عدد: 2006/3/1 مسيحي، ص:14.

لا يصدمهم في الواقع، إلا عشاق فيلسوف أكثر رزانة وحكمة، هو (وليام جيمس) المؤسس الحقيقي للفلسفة النفعية (البراغماتية)، التي تنبني على أنه لا وجود لحقائق مطلقة، وأن المستقبل مفتوح أمام الإبداع، والإنسان يمتلك الإمكانيات لخلق عالم أفضل. أما الدين فقد استخدمه استخدامًا نفعياً (براغماتيًا) حيث اعتبر أنه «طالما أن الدين يحقق الراحة للإنسان ولا يؤذي الآخرين فهو نافع»، البراغماتيون طالبوا باعتذار الصحيفة والصحف التي التحقت بركبها، والحكومة الدانمركية ومن سار على طريقها في أوروبا. إنهم يعلمون أن الدين قد يكون صمام أمان للتماسك الاجتماعي داخل المجتمعات الأوروبية، وأيضًا على المستوى العالمي، كما يمكن أن يكون جذوة تذهب بالقليل من (حوار الحضارات)، الذي جرى إلى اليوم. وكان المفكر الفرنسي (أندري مالرو) الذي توفي في شهر نوفمبر سنة 1976 مسيحي، قد تنبأ (بأن القرن الواحد والعشرين سيكون قرن تدين أو لا يكون) ومنذ ذلك الحين تغير كل شيء ولكن النبوءة تحققت(9).

صحيح أن علاقة العالم الإسلامي مع العالم الغربي، تتميز بالتوتر والاضطراب واللاثقة منذ ما قبل أحداث 11 سبتمبر 2001 مسيحي، إلا أن هذا التوتر تصاعد بعد اتهام الإسلام بالإرهاب والمسلمين بالإرهابيين. وبدا للمسلمين أن هذه التهمة لم تعد تخص فئة قليلة فهمت دينها خطأ، بل إن الغرب أصبح ينظر إلى الإسلام في حد ذاته، باعتباره فكرًا (إيديولوجية) دمويًا إرهابيًا هدفه الوحيد القتل والتدمير ولا شيء غيرهما، فجاءت القطرة التي أفاضت كأس الأمة الإسلامية من الدانمرك، لينفجر بعد ذلك بركان غضب المسلمين، ويكبر شيئًا فشيئًا إلى أن انفلتت الأمور، ببعض الدول العربية والإسلامية.



الدكتور طيب تيزيني

وفي ذلك السياق وفي حمأة الحدث، يرى الدكتور طيب تيزيني «ظهر الحديث عن ضرورة التميز الدقيق بين خطابين اثنين: خطاب في حرية الرأي النقدي العقلاني، وخطاب في الإنسان والإنسانية، وفي ضرورة احترام مقدساته، كما في النظر إليها بمثابة خط أحمر، لا يجوز اختراقه هجاءً أو هزلاً أو قدحًا أو غمزًا، وقد لقي هذا التمييز إقرارًا ضمنيًا ومعلنًا من قبل جل الناس، وجدير بالإشارة، أن المسألة المطروحة هنا تجد جذورًا عميقة لها في التاريخ البشري وفي صراع البشر، فكريًا ودينيًا وسياسيًا، ولعلنا نجد هذه الجذور ماثلة في تاريخ العالم كله، ومن ضمنه التاريخ العربي والآخر الأوروبي الوسيط والحديث، وظهر ذلك خصوصًا، في معضلة العلاقة بين الخطابين الديني والعلمي، الشرعي والفلسفي، وتعاظمت هذه المعضلة، حين انتقلت إلى مستوى الحياة السياسية، بحيث أخذت تسهم في إشعال العواطف الدينية، وتحويلها إلى مطالب ومبادئ واستحقاقات سياسية، تتصارع حولها الخناجر(10).

ويبقى الأهم في كل ما جرى هو ما بعد هذا الحديث، هل تتجه العلاقات بين المسلمين والغرب إلى القطيعة والمواجهة؟ أم أن كل ما جرى يعتبر فرصة للحوار؟

أهمية الحوار والتفاعل بين الثقافات والحضارات:

لقد أضحى واجبًا اليوم، على مختلف دول العالم ومنظماته المدنية، أن تتعاون معًا لنقل الحوار حول

9 ـ أنظر صحيفة (الصحراء المغربية)، عدد: 2006/2/19 مسيحي، ص:15.

10 ـ أنظر صحيفة (الصحراء المغربية)، عدد: 2006/2/12 مسيحي، ص:14.

تلك النوعية من الأزمات، التي تعكس وتمس اختلاف الثقافات والأديان والقيم، بين شعوب العالم إلى المستوى العالمي، وما يعبر عنه من منظمات وبخاصة منظمة الأمم المتحدة.

إن التوافق على فتح حوار موسع، بداخل الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة، حول كيفية التوفيق بين قيم العالم الحديث، وفي مقدمتها حرية الرأي والتعبير، وبين احترام تعدد الثقافات والأديان والقيم، واحترامها، سيكون البداية الجادة لحل الأزمة الحالية، ووضع أساس صلب لمنع تكرارها، بشأن أي دين أو ثقافة أو شعب في أي مكان من الأرض.

ونظرًا لما للحوار من مكانة في التثقيف والتواصل الإنساني المعرفي، فقد أولاه المسلمون قسطًا من اهتماماتهم. ومما جاء عن المسلمين، أن رجلاً نصح ابنه قائلاً: (تعلم حسن الاستماع قبل أن تتعلم حسن الحديث) بالعودة إلى الماضي، نجد أن دعوة الإسلام إلى الحوار تتمثل في العودة إلى الأرومة الإبراهيمية، موحدًا بذلك بين الأديان السماوية الثلاثة، فقد جاء محددًا الحنيفية، مزيلاً ما علق بها من أساطير وطقوس رهبانية في الديانتين السابقتين، ولا علاقة لها بدعوة التوحيد البسيطة، التي بشر بها إبراهيم الخليل. وتواصل الحوار في المستوى الحضاري والتعايش، بين مختلف الأديان والطوائف داخل المجتمع الإسلامي، أما ما ظهر هنا وهناك من موجات تعصب ورفض للآخر، فقد كانت أسبابه سياسية، كما هو الشأن اليوم، ولا علاقة له بالإسلام. إن كتب التراث العربي الإسلامي، زاخرة بمظاهر التعايش السلمي بين المسلمين وأصحاب الديانات السماوية الأخرى، بل حتى مع من لم يكن من أهل الكتاب كالمجوس مثلاً، فقد عوملوا في فترة الفتوحات الكبرى معاملة أهل الكتاب[11].

دعوة الإسلام إلى الحوار تتمثل في العودة إلى الأرومة الإبراهيمية، موحداً بذلك بين الأديان السماوية الثلاثة

إن الحوار والتفاهم والتعاون أصول ثابتة في الإسلام وثقافته، ويلتزم بها المسلمون منذ أمد بعيد، ولكن هذه الأصول لا يمكن أن تثمر إلا مع وجود حسن النية والرغبة الحقيقية لدى الطرف الآخر، والذي يظهر من التصرفات والمواقف أنه لم يدرك بعد، أن الحوار والتفاهم يقتضيان تجاوز إرث الأساليب القديمة.

يقول الدكتور طارق البشري: «..والحوار الحضاري يقوم في ظني على اعتراف طرف بأن للطرف الآخر «مرجعية مختلفة»، أي موقف ثقافي مختلف، وأسس مختلفة تقوم عليها أصول شرعية، ومعايير الاحتكام لديه، ذلك أن الوضع الحضاري في ظني، هو في النهاية (وجهة نظر) حاكمة، هو (شرعة) بالمعنى اللغوي للفظ الشرعة أو المشرع، أي نقطة البدء، على أن يرتبط كل ذلك بجماعة ممتدة في صيرورة تاريخية، فتمثل هذه الوجهة، قوة التماسك الجمعي والتاريخي لهذه الجماعة، وتشكل لها لغتها الذهنية ومعايير قيمها، من حيث السلوك الفردي والقيم والتعامل بين الناس، وبناء هياكل نظمهم ومؤسساتهم...»[12].

إن العالم الواحد يقوم على حضارات إنسانية متميزة عن بعضها بعضًا، تشترك في أشياء وتختلف في أخرى، كما أن كل حضارة واحدة تقوم على

---

11 ـ أنظر ما كتبه الدكتور: الحبيب الجنحاني في صحيفة (الحياة)، عدد: 1998/1/26 مسيحي، ص:11 عن: (الحوار بين الأديان: عقبتنا السياسة واللاهوتية).

12 ـ أنظر صحيفة الشرق الأوسط. عدد: 1996/4/30 مسيحي، ص:17 (ملاحظات حول الحوار بين الإسلام والغرب).

ثقافات قومية متميزة عن بعضها، بخصائص تختلف من أمة إلى أخرى.

فالمصدر الواحد للخلق ـ الله تعالى ـ، هو الذي جعل الناس شعوبًا وقبائل ليتعارفوا، ومن تعددهم واختلافهم وتبادل المعرفة بينهم، يزدادون تطورًا وتقدمًا، في جدل اجتماعي يتميز به الإنسان منذ بدء الخليقة.

﴿...وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾
[سورة المائدة: الآية 48]

علمًا بأن هناك جهودًا متواصلة، تبذل منذ سنوات للتقريب بين الثقافات والحضارات والديانات، ولبناء علاقات الاحترام المتبادل بينها، إعلاء لمصالح الشعوب، ومن أجل إزالة أية مواقف، تحرض على الكراهية على أساس ديني وعنصري أو قومي، أو تزكي الصراعات التي تهدد مصالح الشعوب جميعًا، إلا أن هذه الجهود تواجه أحيانًا بمواقف وأحداث سلبية، فتعود بها إلى نقطة الصفر، وهو ما يمثل تهديدًا فعليًا لعلاقات الاحترام المتبادل بين الثقافات والأديان المختلفة.

يقول المفكر والسياسي الدانمركي (أوله فولورز) -اعتنق الإسلام منذ سنة 1986 مسيحي- «هناك أغلبية في أوروبا، وأنا منها، تؤيد الاتصال والحوار مع الأجانب، لأنه مفيد، ونرى أن فتح حوار مع الآخر، هو أفضل طريقة للاتصال والتفاهم معه. وقد تعلمنا نحن في أوروبا، ومن خلال تاريخ علاقتنا التي تمتد لقرون طويلة مع العرب والمسلمين، أن الحوار يؤدي للتفاعل والتطور والرقي العالمي، ونرى اليوم توجهًا لفتح حوار هادئ بين الجميع في عالم اليوم»(13).

ودعا عبدالله أحمد بدوي، رئيس الوزراء الماليزي، الرئيس الدوري لمنظمة المؤتمر الإسلامي، العالم الإسلامي والغرب، إلى تغيير المفاهيم السلبية عن الجانبين، وتشجيع المزيد من الجماعات الساعية إلى جسور التقارب بين الحضارتين، معتبرًا أن المفاهيم السلبية بين بعض الجماعات من الحضارتين، قد تأصلت وانتشرت على نطاق واسع، حاثًا على تغيير



عبدالله أحمد بدوي،

الوضع بالحوار وليس بمجرد الكلام، وطالب وسائل الإعلام الرئيسة بأن تولي مزيدًا من الاهتمام، لأصوات الساعين إلى مد جسور التقارب بين الحضارتين، الذين يعملون تجاه تحول حقيقي في العلاقات، مما ينهي عداء وخصومة الماضي والحاضر... وأضاف: أنه حينما يصل الساعون إلى مد جسور التقارب إلى مرحلة مهمة، فإن قوتهم الجماعية ستساعد على تدمير الجدران، التي أقامها من يعكفون تمامًا على الفصل بين الإسلام والغرب(14).

إن خير الإنسانية لا يقوم إلا بالحوار الثقافي والحضاري الجاد، والاستعداد الجاد لقبول الحق الذي لا يتصادم مع فطرة الإنسان ومتطلباته التكوينية، وعلى الغرب أن يصغي للمسلمين بكل جدية وموضوعية، ليفهم نظرتهم ويدرك معيارية التعامل معهم، ونحن نعيش قرن تواصل وتعايش وتحاور، لأن التقدم البشري في مختلف المراحل والمجالات، ليس إلا حصيلة الإبداع الفكري والتعاون والاحتكاك بين المجتمعات، وبالحوار المفتوح الجاد والمؤدي إلى صيغ ممكنة ومعقولة، تتوجّه نحو التفاهم البناء والتعايش السلمي، والتعاون بين الطرفين سوف يصنع مستقبلاً منشودًا خاليًا من الصراعات والمصادمات المدمرة، وحافلاً بالتعاون بين المسلمين والغربيين لما فيه مصلحتهم ومصلحة الإنسان حيثما كان.

13ـ أنظر حوارًا معه في جريدة الشرق الأوسط. عدد: 3/12/2004 مسيحي، ص:15.

14ـ أنظر صحيفة (الصباح) المغربية، عدد: 11-12/2/2006 مسيحي، ص:13.

ندوة

حوار الثقافات
بين الإمكان والإستحالة

محمد الشحومي *

تنبأ الكثير من العلماء والباحثين بأن الألفية الثالثة ستنطلق ـ ككل بدايات القرون السابقة ـ بفظاعات ووحشيات، لا تمت إلى الأخلاق الدينية والثقافية بصلة، وهذا ما نعانيه من تردد خطير في العلاقات الدولية، وفي انتشار حركات تعصب وتطرف، تدفعنا إلى التساؤل عما يحدث؟! وما الذي يحكم تصرفات الدول والجماعات والأفراد؟!

هل نحكم على بني البشر بالتخلف، وقد بلغ تقدمهم العلمي والمعلوماتي، أعلى مراتبه، وكيف أن هذا التقدم، يوازيه شيوع أشكال من العنف، والتعصب والصراع؟! مصحوبًا لَغَوي، يلوك عبارات مثل: الصليبية، والجهاد، والإرهاب، والمقاومة والعنف، ينبعث من عقول تطغى عليها أحاسيس، ومواقف عدائية وعنصرية، ولم يتوقف ذلك الصخب عند حدود اللّغو، بل تجاوز ذلك إلى التنظيرات، التي تقرع طبول حرب عالمية ثالثة.

في هذا الجو المشحون بالتأزم في العلاقات الدّولية، وإفلاس النظام الدّولي التقليدي، ومؤسساته التي تتهمش، واضمحلال خطابات التعايش والتسامح، تبرز مفارقة عجيبة بين دعاوي الديمقراطية، في تنظيم علاقات الأفراد داخل المجتمع، وغيابها على مستوى العلاقات، بين الدول والمجتمعات، الأمر الذي يفسح المجال واسعًا، للكيل بمكيالين.

النتيجة المنطقية لهذه الأوضاع، هي: استحالة شيوع السلام العالمي، الذي أصبح حلمًا بعيد المنال، بعد أن انزلقت العلاقات الدولية إلى مأزق خطير جدًا، يتجاوز فضائع العنصرية، التي يصفها (حنا أرندت) بأنها: «القوة الإيديولوجية للسياسات الإمبريالية، خلال القرن العشرين»، ومن ذلك يتضح لكل باحث أن القرن الحادي والعشرين، مطبوع بنزعة عدوانية، ترجعنا إلى حالة من الهمجية، تمتلك أعتى أسلحة الدمار الشامل، وتسيطر على الملعب الدولي، سياسات العداء، والعداء المضاد، وقد أدمجت في منطقها الجميع، وبات من المستحيل إقامة حوار حقيقيّ وصادق.

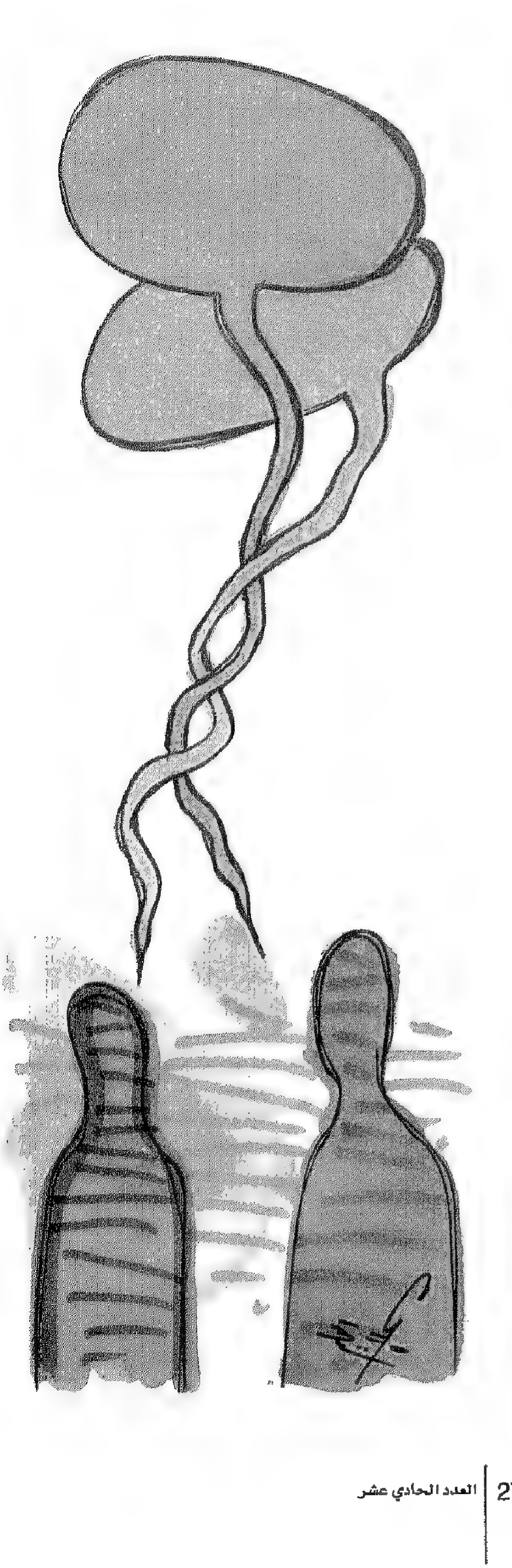
(*) كاتب / ليبيا.

1 ـ الرجاء :

يعلمنا التاريخ، أنّ لا شيء يبقى على حاله، وأن الأوضاع لا تدوم وأن الأيام دُول، وأنه مهما طال ليل الظلام، لابد أن ينجلي على ضياء الصباح، واليأس يعقبه أمل، وبالتالي فإن الحكمة المؤسسة على معارف العقل، تضعنا في حالة من الرجاء المتفائل، الذي يرى من زاوية أن الاختلاف بين البشر لا ينبغي أن يؤدي حتمًا إلى العداوة التي تستفز العصب السلبي، الذي يفرز الحروب العسكرية، أو الفكرية (الإيديولوجية) أو الإعلامية، أو الاقتصادية، وهذا لن يكون، إلا إذا رأينا أن الاختلاف حالة سوية في إطار ثقافة التنوع، وأن التدافع الفكري ضروري للتطور البشري والرقي الحضاري، الأمر الذي يفرض على دعاة الحوار تشكيل فرق خبراء السلام في مواجهة «خبراء الرعب الجدد» الذين يروجون لدعاوى الصراع.

إن الحكمة العاقلة تقول بامكانية الحوار، ولكن ليس بين المجردات: «ثقافات، حضارات، أديان...»، بل بين المشخصات والأعيان، والمقصود الحوار بين المثقفين في سياق متحضر، بعيد عن السلوكيات الهمجية المتخلفة، لذلك فإن فضاءات الحوار تتأسس على منتديات التعارف، وتبادل المعارف والخبرات، ونقل التقنية، والعمل على استنباتها دون حدود أو قيود، لتحقق الإنجازات الحضارية المشتركة التي تصون الأفراد والشعوب، وتخدم المواطنين والأوطان.

إن الحكمة تعلمنا وبصريح العبارة، أن الأديان والثقافات والحضارات لا تتحاور، وإنما الحوار يتم بين الأشخاص الذين يمثلون واقعًا ثقافيًا يغطي الثقافات العالمة، والثقافات العامّة والشعبية، وأعيان وأشخاص ينتمون لمختلف الفئات المجتمعية، وما يعزز صلاحية هذا الطرح أن المعرفة المعاصرة بكل فروعها تأسست على معطيات جديدة، من أخص



خصائصها، أن مفهوم الحقيقة تحت لواء الفكر التنويري، استقر على أن الحقيقة الكاملة، لا يمكن لفرد أو أمة، أو ثقافة، أن تدعي امتلاكها لوحدها، كيقين مطلق، فالكل يمتلك جزءًا من الحقيقة، التي تقترب من الكمال، بتجمع أكبر عدد من أجزائها، ولا يمكن لأحد أن يدعي بأن ما يتملكه من حقائق هو الصحيح المنفرد.

إن الحوار الإيجابي، هو: ذلك الذي يتم بين أعيان مستوعبة لماضيها، ملامسة لحاضرها، ممتلكة لناصية المعارف المعاصرة، والخبرات العلمية المتراكمة المستجدة، مع ملاحظة أن الحوار لا يعني المناقشة والجدال، أو السجال أو التناظر، وهي أشكال حوارية مارسها الفكر الإنساني منذ «سقراط» قبل ميلاد المسيح، إلى الفكر العولمي المعاصر، مرورًا بفلاسفة ومتكلمي اليهودية، والإسلام، ومفكري العصور الوسطى وعصر النهضة والتنوير الأوروبي، بل إن الحوار الذي نعنيه، هو ذلك الذي يمارسه الإنسان المعاصر، والذي لم يعد يعبر فقط بصوته، بل تراه يعبر عن نفسه بالحضور الجسدي، ويفهم غيره بالكلمات، والحركات، والإشارات، والسلوكيات، والأحاسيس، والملابس، وكل ما يؤثث وسطه الطبيعي، إنه الحضور الإنساني بكل تجلياته، يبث المعنى المباشر، الذي يكشف عن الحقيقة والواقع، دون تدجيل أو تزييف، في وقت قد تخدع فيه الكلمات وتكذب، أو تعجز عن التعبير عن القناعات والإرادات، إنه عصر الحضارة المباشرة، بكل أشكالها السياسية والاقتصادية، والاجتماعية، الأمر الذي يفرض ضرورة تجاوز المعنى اللغوي للحوار إلى الدلالة الاصطلاحية والتقنية، لتتوافق مع اللحظة الراهنة، وهي دلالة تحيل إلى اعتبارات نفسية وقيمية، وجودية وأخلاقية، إلى هوامش فكرية وسياسية، وبالتالي تجيب عن سؤال محوري هام: كيف نجوّد تبادل المعلومات ونفعلها، في عصر العولمة التواصلية، لتوجيه الاختلاف نحو إنتاج توافقات مشتركة حاسمة؟!

فضاءات الحوار تتأسس على منتديات التعارف، وتبادل المعارف والخبرات، ونقل التقنية

2 ـ التعارف أولاً:

كثيرًا ما تسيطر على منتديات الحوار التقليدية رغبة كل طرف، إثبات أن غيره على خطأ دون الإنتباه لحقيقة أن إثباته خطأ الغير، لا يعني أنه على حق، وكثيرًا ما تكون الصورة التي يحملها كل طرف عن غيره لا تمت إلى الواقع بصلة، ولكنها صورة مشوهة بفعل تدخلات مصلحية تاريخية، ليتورط الجميع في حالة عبثية، يحاور فيها غيره غير الموجود، ولن يستقيم توجيه الحوار دون أن يعرف كل طرف غيره على حقيقته، وهذا لن يكون إلا إذا قدم كل طرف نفسه، التي لا يعرفها أحد أفضل منه، وأن يعمل الجميع على البحث عن القواسم المشتركة، لتشكيل مرجعية يؤسس على قاعدتها الحوار التواصلي المنشود، والعمل على حل اشكالية المفهومية، والتأسيس لنظرية ايجابية للحوار التواصلي، تمكن في تحليل واقع الخطاب ورسائل التواصل، تحليلا ناجحًا، الأمر الذي يفرض أن يكون المُحاور متوفرًا على كفاءة حوارية، تمكنه من الوفاء بمهمته، وبأسلوب منطقي، على نسق المدرسة الوجودية، حين اهتدت إلى نسقية الحوار التي تعتبر فيها أن (الغير) أو (الآخر) يعتبر شرطًا وجوديًا للذات، أو الأنا (جدلية الأنا والأنت)، حسب تعبير الوجودي (مارتان بوبر)، وتمييزها بين الحوار المغلوط «المونولوجات المتبادلة»، والحوار الصحيح، «الحوار التفاوضي، الذي يؤدي إلى توافقات وضوابط محددة»، الأمر الذي يقتضي التكافؤ والمسؤولية

للإقرار والاعتراف المتبادلين، وعلينا هنا أن نقر بأن طرح مشكلة العلاقة بين الأنا والأنت، بين الذات والغير، يعود الفضل فيها إلى الفلسفة الوجودية القائلة: «إن إدراك الغير، يكون انطلاقًا من الذات، أو أن إدراك الأنا يتحقق انطلاقًا من معرفة الآخر».

إن الواقع الذي أبرزته فتوحات (تكنولوجيا) المعلوماتية وإظهارها لوجه الحداثة المتواصلة، برهن على فعالية العقول الحوارية، الداعية للتواصل، وأكد انتشارها في الشرق والغرب، والشمال والجنوب، والعقل التواصلي الحواري هو: «العقل الذي لا يجبر أي طرف، من الأطراف المتحاورة، على التنازل عن رأيه، أو قبول رأي غيره، إن لم يكن مقتنعًا بذلك»، وهذا الموقف يحاكي النسق (الكانتي)، في رؤيته للعقل العملي وتداعياته التي أسست لفكر التنوير الغربي، التي كانت أشد بروزًا في اجتهادات، (يورغن هابرماس)، المؤسس الفعلي لفلسفة التواصل، التي أكدت على الحقيقة التالية: «إنه بحكم الانخراط في حوار ضمني، بهدف التوافق، يكون الشخص قد نزع إلى ممارسة فضيلة عرفانية للحياد العاطفي تجاه الاختلافات المتبادلة، والتي تظهر في إدراك الأوضاع المتناظرة»، هذا الموقف الذي وصفه (كارل بوبير): «بأخلاقية المناقشة العقلانية النقدية»، ومن هذه الدلالات التواصلية يلتزم (هابرماس) بتأسيس معقولية ترى الشخص المنتمي إلى أي شكل ثقافي، لابد له من أن ينخرط في ممارسات تواصلية، ومن ذلك لا بد أن يعزز فرضيات عملية تدل على التوافق العام، ذلك ما يصطلح عليه بالوعي التواصلي، الذي ينمو ويزدهر بالنقاش الحر، ويتوافق مع عصر العولمة التواصلية، ويؤسس لالتزام أخلاقي، ليس فيه أي انحياز للذات، أو للغير، بل ينصفهما بما يتوافق مع قيمهما المتناظرة، وهو في الوقت نفسه، ضرورة وجوبية، بحيث لا يمكن تصور وجود الذات، إلا بالغير، وإذا عملنا على البحث عن هذا العقل التواصلي، نجده في كل الثقافات والحضارات والأديان، خاصة إذا كان البحث على قاعدة إدراك ضرورة التنوع والتعدد، بحيث لا نعمل على تذويب الاختلافات، بل إقامة خط انسجام أفقي بينها، مثل ما يعرف بالهارموني في علم الموسيقا.


كانط

3 ـ النقيض :

ليس من الغريب، أن يفهم بعض الملتهمين للأفكار، دون نقد أطروحات سطحية، مثل ما طرحه (صموئيل هانتنجتون) من أن الثقافات نماذج مغلقة، تزرع العداء المتبادل بينها، وأن حروب العصر ستكون حروبًا ثقافية، وبالتالي حروبًا دينية وحضارية، هذا المنطق السطحي، الذي يأخذ بفكرة الصدام، بدل التركيز على التفاعل التاريخي البطيء والمستمر، بين الثقافات والحضارات، وما تكون فيما بينها من استعارات متبادلة وتعايش، وما ينتج عنها من تشابهات، ليبرز الفرق بين القراءات الواعية لحركة التاريخ وما تقول به النظريات التبسيطية المزيفة، التي تطرح النقيض الفعلي للحوار، في دلالته الاصطلاحية، الذي لا يكون إلا العداء المفضي إلى المنازعة، المفضية بدورها، في أغلب الأحيان، إلى الحروب المسلحة والمواجهات الفكرية (الإيديولوجية).

تأصيلاً لهذا التوجه، لابد من وقفة تفصيلية، للحديث عن نقيض مفهوم الحوار، في أكبر تجل له، وهو الحرب كمفهوم مركزي، وقضية أساسية، وبصفة عامة يمكن القول بأن الحرب، هي: المواجهة العنفية المسلحة، بين طرفين أو أكثر، داخل الدولة، أو بين

دولتين أو أكثر من الدول، في إقليم أو أكثر، يسعى كل طرف من الأطراف المتحاربة إلى تحقيق أهداف سياسية، أو اقتصادية، أو عقيدية؛ ويمكن تصنيف الحروب التي عرفها التاريخ البشري، ماضيًا وحاضرًا، إلى عدة أصناف أهمها:

1 - **الحروب العالمية**، وهي نزاعات مسلحة بين مجموعتين من الدول متحالفة، أو غير متحالفة، تقع جغرافيًا في إقليم، أو أكثر من إقليم، ونماذجها الواضحة، هي: الحرب العالمية الأولى (1914/1918 مسيحي) والثانية (1939/1945 مسيحي)، وحرب الخليج الثانية (1991 مسيحي)، والحرب الراهنة، على ما يسمى بالإرهاب التي بدأت عقب أحداث 2001/9/11 مسيحي بأمريكا.

2 - **الحروب الإقليمية**، وهي نزاعات مسلحة بين دولتين أو أكثر، داخل إقليم جغرافي واحد، ومعظمها ناتج عن مخلفات الاستعمار، أو بسبب السعي إلى توسيع مناطق النفوذ السياسي أو الفكري (الإيديولوجي)، أو فرض هيمنة عرقية أو دينية.

3 - **الحروب الأهلية**: وهي نزاعات مسلحة تنشب داخل الدولة الواحدة، في إطار الصراع على السلطة، أو بسبب نزاعات طائفية، أو عرقية أو دينية.

ولقد قام «المعهد الفرنسي لعلم الحرب» بحصر الحروب التي نشبت، بين عام (1470 و1974مسيحي) فوجدها (336) نزاعًا مسلحًا، منها (114) بين دول، و(174) أهلية و(36) بدأت أهلية، ثم تحولت إلى حرب بين دول، و(3) حروب بدأت حربًا بين دول، ثم تحولت إلى نزاع ضمن دولة، وأن (246) حربًا، من الحروب المشار إليها كانت نزاعات حدود، أو لاكتساب أراض جديدة، والحرب المتبقية كانت

الوعي التواصلي، ينمو ويزدهر بالنقاش الحر، ويتوافق مع عصر العولمة التواصلية، ويؤسس لالتزام أخلاقي، ليس فيه أي انحياز للذات، أو للغير

نزاعات سياسية، أو اقتصادية، وقد عمت تلك الحروب جميع أنحاء العالم، وكان ربعها حروبًا وقعت في مناطق المضائق البحرية، وبقيتها كانت في مناطق لها علاقة بالنفط، أما الضحايا من الأرواح البشرية فإنها تتراوح بين بضع عشرات إلى ثلاثين مليون نسمة، كما هو الحال في الحرب العالمية الثانية، وفي الغالب تنتهي الحروب والنزاعات باتفاقية سلام، أو بإعلان شفوي للصلح، دون اتفاقية، ومنذ عام 1945 مسيحي تجنبت القوتان العظميان (أمريكا وروسيا)، التدخل في النزاعات المسلحة، باعتبار الردع النووي إبان القطبية الثنائية، مع أنهما يتحملان نصيبًا من المسؤولية في كثير من الحروب، التي تمسهما مباشرة، ولم تقع بينهما مجابهة إلا في برلين (1946 مسيحي) وفي كوبا (1962 مسيحي)، وبعد انهيار الإتحاد السوفييتي وسقوط جدار برلين، دخل العالم في قطبية أحادية شرسة، زادتها شراسة أحداث نيويورك وواشنطن في 9/11 عام (2001 مسيحي)، والنتيجة أن طبول حرب بدأت تدق باسم الحرب على الإرهاب، وما يهمنا في ضوء هذا التوصيف المختصر، أن الحرب ظاهرة اجتماعية، وإنسانية، متأصلة منذ بدء الخليقة، أو كما قال (هيرقليطس) (النزاع أبو الكائنات) وعزز (هوبز) هذه الحقيقة مؤكدًا: «أن الكون هو كون الحرب، يشنها الكل ضد الكل»، ومرد هذا التجذر الوجودي للحرب هو شيوع العداوات، وتعارض المصالح، وتصادم المطامح، بين الأفراد والجماعات، ونزعة الغلبة والسيطرة، وقد فصل (سيجموند فرويد) القول في تجذر الحرب، اجتماعيًا ونفسيًا، مبرهنًا على أن الحروب، لا يمكن أن تتوقف، ما دامت الأمم تعيش تحت ظروف الاختلاف، وما دامت قيمة الحياة الفردية، تحسب بطرق متباينة،

ومادامت العداوات تمثل قوى غريزية في العقل، إذ يبرهن البحث النفسي (السيكولوجي) على أن الجوهر العميق للطبيعة الإنسانية، يقوم على الغرائز التي هي مشتركة بين جميع الناس، والتي تهدف إلى إشباع حاجيات ضرورية معينة، وقد وضع (فرويد) مبحثًا في شكل رد على خطاب وصله من (البرت اينشتاين)، في إطار مشاورات، نظمها المعهد الدولي للتعاون الفكري، تحت رعاية منظمة عصبة الأمم عام (1933 مسيحي)، واختار العنوان التالي للمبحث: (لماذا الحرب؟)، وللإجابة على ذلك السؤال المحوري يقول: (فرويد) من بين ما يقوله: «إنّ صراعات المصالح مقرونة دائمًا باستخدام العنف، وتحدث أحيانًا صراعات في الرأي، قد تصل إلى أعلى نقطة من التجريد، فتبدو أنها تتطلب نوعًا من الأساليب لتسويتها، وكانت القوة العقلية الأكثر تفوقًا هي التي تقرر من يملك الأشياء، وإرادة من هي التي تسود، وقد أضيفت الأدوات إلى القوة العضلية، حتى أضحى الفائز هو من يملك الأسلحة الأفضل، أو من يستخدمها بطريقة أمهر، ومن اللحظة التي شرع فيها الإنسان باستخدام الأسلحة بدأ التفوق العقلي يحل محل القوة العضلية»، ومن هذا العرض التحليلي يتضح أن مواجهة نقيض مفهوم الحوار (الحرب والعداء)، هو مفهوم الحوار ذاته بين الأعيان أي أولئك المنتمين إلى العقل التواصلي، المبني على المعرفة والحكمة معًا.



فرويد

4 ـ شروط الحوار :

تقول الحكمة الكونفشيوسية[1]:

«ما أشقى ذلك الذي يملأ بطنه بالطعام، دون أن يجهد عقله في شيء، ولا يفعل في حياته شيئًا خليقًا، بأن يأخذه الغير عنه، ثم يعيش إلى أرذل العمر، إن هذا الكائن وباء»، ويقول كذلك «إن الذي لا يصحح خطأه إذا عرفه، إنما يرتكب خطأ أفدح منه».

من مثل هذه القراءات يتشكل الوعي الحواري التواصلي، الأداة الرئيسة، لكل حوار حقيقي وصادق، الذي لا يضع أمامه سوى معرفة الحقيقة، والتزام الحق والتواصي به لتجنب الخسران الذي يهدد كل إنسان.

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾

(سورة العصر الآيات : 1-3)

ولا يمكن أن يكون للمعرفة قيمة، ما لم يتبعها موقف عملي، يلتزم بمعارفها، كما أنه لا يمكن أن يكون للتواصي بالحق معنى دون الإقرار بالاختلاف مع الغير، المراد التواصي به ومعه، بالتواصل المبني على احترام الغير، المختلف والمستقل، وقراءة موضوعية في محيط من الحرية التامة، دون أحكام مسبقة، أو مواقف متحيزة، والابتعاد الكلي عن كل نزوع ذاتي أو ذوقي (نرجسي)[2]، ودون فرض الرؤية الشخصية على الغير، وإلزامه في الوقت نفسه بالامتناع، عن فرض رؤاه على الذات المحاورة، المتصلة والمتواصلة.

---

1 ـ الكونفشيوسية، نسبة إلى الفيلسوف الصيني الشهير الذي عاش خلال الفترة (551-479ق.م) والذي أسس مذهبًا أدبيًا يدعو إلى حياة عائلية واجتماعية مثالية.

2 ـ النرجسية: مصطلح ومذهب فكري، تعود جذوره إلى أسطورة يونانية قديمة، ومن ضمن معانيها في التحليل النفسي المبالغة أو الإغراق في حب الذات، وإنكار أو نفي الآخر. (التحرير)

إن الحوار بين الذات والغير، والأنا والأنت، هو التواصي الذي يفضي لإدراك الحقائق، حسب فرضيات تاريخية، لعلوم الكلام التي تؤكد أن للفكر مظهرين: ظاهر عام، وباطن خاص، والحوار التواصلي، لا يهتم بالإقناع، إنما همه الأساس، هو: إدراك الحقائق والتواصي بها، وبعبارة أوضح، ليس المهم في الحوار الموصل للتواصي، مجرد الاستماع، وإن كان ذلك ضروريًا، وإنما الأهم، هو التحليل، والتأويل، وإنتاج أنماط من التفاعلات، إن التواصي بالحق، هو أن يحاور الإنسان، حتى يعبر المسافة التي تفصله عن محاوره، ليتحد معه في إدراك الحقيقة، وتنشأ العلاقات الحوارية، عندما تحتد مظاهر التأزم، في فترات التفاعل السلبي للأحداث، واشتعال الفتن والمواجهات، بين الأديان، أو الثقافات أو الأفكار (الأيديولوجيات)، أو المصالح السياسية والاقتصادية، عندها يصبح الحوار ضروريًا، لتخفيف حدّة التأزم، ولا تكون له جدوى، إلا إذا كان بين عينين، تتجسدان في شخصين، هما نتاج سياقات فكرية واجتماعية مختلفة.

من هذا الفهم، يتضح جليًا، أنني ممّن يرون، بأن القول بحوار الحضارات، أو حوار الثقافات، هو من قبيل الوهم، إذ لا يصح عند عاقل أن يكون هناك حوار بين مجردات، مع التأكيد الشديد، على أن الحوار التواصلي الحضاري، لا يتأسس إلا على قواعد أخلاقية، وفكرية وروحية، وذلك شأن الإنسان الحضاري المتمدن، الذي يطلب الحقيقة بالتواصي، ويقف مواقفها بالصبر، وهذه الحقيقة، هي التي تجعل أفق الإنسان العاقل، متميزًا عن أفق البهائم، حيث إن الحوار ظاهرة إنسانية، والعراك ظاهرة بهيمية، والحوار التواصلي، المفضي إلى التواصي بالحق والصبر، لا يمكن أن يكون، إلا بين عارفين وعلماء يتغيئون التفاهم، انطلاقًا من بدهيات ومسلمات فطرية، وبصدد قضايا محددة، وباعتماد ما هو مشترك، للوصول إلى توافق يتواصى به، وتتمخض عنه في نهاية المطاف، أشكال من المواقف، يكون من الأهمية بمكان، العمل بموجبها، بالتعايش، والتعاون والتعاضد، والصبر عليها، والتواصي بها.

لا يمكن أن يكون للمعرفة قيمة، ما لم يتبعها موقف عملي، يلتزم بمعارفها، كما أنه لا يمكن أن يكون للتواصي بالحق معنى دون الإقرار بالاختلاف مع الغير

عليه فإن الأصل في الحوار التواصي، وهو اختلاف الرؤى وفي قبول هذا الاختلاف، يتجلى التفاهم والتواصي، الذي يمليه احترام الغير، المختلف والمستقل، عملاً بحرية الفكر، كمعطي وجودي وأخلاقي:

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾

(سورة البَقَرَة الآية: 256)

وهذا ما يميز الإنسان الحضاري (المكرم)، على عكس التعصب والتعنيف الوحشي الهمجي، الذي يتسم به سلوك البهائم.

إن الحوار الاتصالي، المفضي إلى التواصي بين أعيان، تسبح في سياقات تاريخية واجتماعية، يتأسس على قواعد، تؤطرها أصول وتقاليد، وتحكمها أخلاقيات؛ إذا لم يؤخذ بها جميعًا، يفقد الحوار حقيقته، ولا ينتج تواصلاً، ويصبح الأمر مختلفًا، يتعلق بمقاصد أخرى، وقد تكون التحامل، أو التهافت، أو التشنيع، أو الهيمنة، وقد أثار التراث الفكري العربي مبكرًا، متعلقات الحوار بمفهومه التواصلي، مثل ما قاله ابن حزم في كتابه: مراتب العلوم: «ولقاء المتنازعين، وحضور المتناظرين، فبهذا تلوح الحقائق، فليس من تكلم عن نفسه وما يعتقد، كمن تكلم عن غيره، وليست الثكلى كالنائحة المستأجرة، ومن لم يسمع إلاّ من عالم واحد، أو شك

أن لا يحصل على طائل، وكان كمن يشرب من بئر واحدة، ولعله اختار الملح المكدّر، وقد ترك العذب، ومع اعتراك الأقارب ومعارضتهم، يلوح الباطل من الحق...».

وقد أكد ابن حزم هذا الإقرار الواضح، بضرورة الغير المختلف في رسالة أخرى هي: (التقريب لحد المنطق)، إذ يقول: «اعلم أنه لا يوصل إلى معرفة حقيقة بالاستدلال، إلا بالبحث، والبحث يكون عن تذاكر، إما من معلم إلى متعلم، وإما من متناظرين مختلفين، وهذا الوجه هو آخر ما يتوصل به إلى بيان الحقائق بكثرة التقصي فيه».

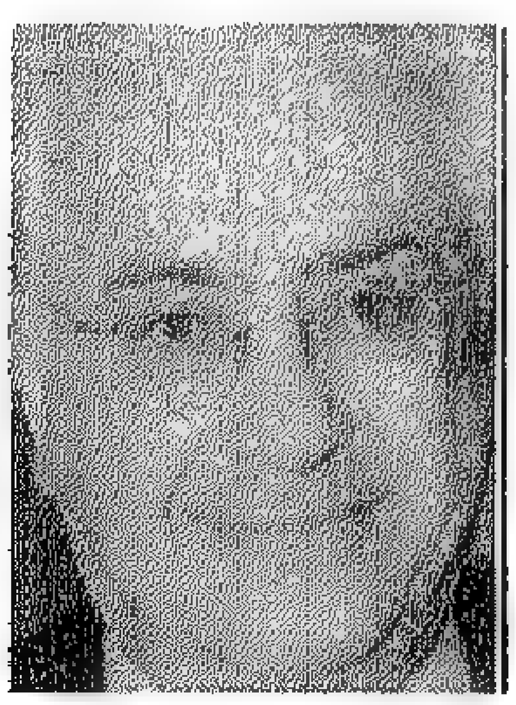


ابن رشد

ونجد تدقيقًا لهذه الفكرة عند ابن رشد في كتابه (تهافت التهافت) إذ يقول: «لابد أن يسمع الإنسان أقاويل المختلفين في كل شيء يفحص عنه، إن كان يجب أن يكون من أهل الحق، ومن العدل: أن يقام بحججهم من ذلك وينّاب عنهم، إذ لهم أن يحتجوا بها، ومن العدل أن يأتي الرجل من الحجج لخصومه بمثل ما يأتي لنفسه».

لا أعتقد أن هناك من يعترض على حقيقة، أن الحوار يؤدي إلى المعرفة، عن طريق إعداد الأسئلة الجوهرية، الهادفة إلى الحصول على التصورات الموضوعية الدقيقة، وبذلك يكون التصور الصحيح للحقائق، ومن المعلوم كذلك أن السؤال ابن المعرفة، كونه يستهدفها، ويصدر عنها في نفس الوقت، ويكون ذلك بفحص آراء المحاور، أو بنقد معاييره وفق معايير ملكة العقل، والسؤال مسؤول، لأن المحاور يسأل ويُسأل، وبذلك فإن الحوار كونه معرفة وأخلاقًا، يكون كذلك اختلافيًا ونقديًا، للإجابة عن أسئلة تتطلب جهودًا تبريرية، بأدلة معقولة ومقبولة من طرفين، ليتم التواصل والتواصي، دون تعنيف أو استبعاد للإختلاف، إنها ضوابط وجدت مصادرها، في الفكر الذي أنتجه، الأدباء والفلاسفة العرب المسلمون، وقد عبر عن ذلك أبو حيّان التوحيدي قائلاً: «لكل أمة فضائل ورذائل، ولكل قوم محاسن ومساوئ، ولكل طائفة من الناس، في صناعتها وحلّها وعقدها كمال وتقصير»، ليؤكد أن قيمة الحوار في الإيمان بالنسبية الفكرية، وأنْ لا أحد يملك الحقيقة المطلقة متفردًا، أو على حد تعبير ابن خلدون، في مقدمته عندما قال: إن الحقيقة لا يملكها طرف واحد.

ويذهب الأمر بالمفكرين العرب المسلمين إلى اشتراط النقاوة في لغة الحوار، مما يسبغ عليه أجواء الاحترام والتعاطف، من خلال العبارات الراقية النبيلة، وهذا ما يشترطه الجاحظ في المناظرة السليمة، التي ينبغي أن تكون خالية من التشادق في الكلام، والإغراق في غريب اللغة، والتكرار والحشو، وغير ذلك ما من شأنه أن يؤدي إلى شرود الفكر عند المتحاورين، وكل ما ورد على لسان مفكرينا من اشتراطات واحتياطات، كما جاء على لسان محمد أركون، في كتاب: «الفكر الأصولي واستحالة التأصيل» عندما قال: «يؤطر الحوار تأطيرًا أخلاقيًا، للخروج من السياجات الدوغمائية(*) المغلقة»، والانفلات من هذه السياجات إلى روح التفتح على الغير واحترامهم، والتعاون معهم، من أجل بناء عالم أفضل، يليق بالإنسان (المكرّم) بالعقل، وكما قال (يوحنا بولس الثاني) في كلمة ألقاها في اليوم العالمي، من أجل



محمد أركون

---

* الدوغمائية أو الدوغماتية: نهج فكري يقوم على التزمت والإيمان بامتلاك الحقيقة . (التحرير)

السلم، عام 1992 مسيحي: «إن العلاقات بين الأديان، تبدو الآن كطريق لا محيد عنه، لكي لا تتكرر العديد من التمزقات المؤلمة، التي عرفتها القرون الماضية، ولكي تلتئم الجروح التي ما زالت قائمة.

والقرآن الكريم يأمرنا:

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾

(سورة الأنفال الآية:61)

ويأمرنا بالتعاون على البر والتقوى، وأن لا نتعاون على الإثم والعدوان، ويأمرنا بأن ندفع بالتي هي أحسن، والكثير من آداب الحوار التواصلي، الذي يحتاجه عالمنا المعاصر، للخروج من دائرة الخسران المحقق، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، ولن يكون ذلك إلا بالحوار التواصلي وكما يقول حكيم الكونفشيوسية (كونج) في حكمته: «كلما سرت مع رجلين وجدت لنفسي أستاذين، من له فضائل يكون قدوتي، ومن له رذائل يكون عبرتي»، ويقول كذلك: «إن الفضيلة الإنسانية الصحيحة، تتطلب قدرة جبارة، والطريق إليها صعب المنال، ولا يمكن تلمسها بالأصابع، أو الوصول إليها بالأقدام، ومن يستطع أن يقترب منها أكثر من الآخرين، يعتبر أفضلهم، والأفضل يعتبر مقياسًا لغيره، أما بالمقياس المطلق للفضيلة فيكون من المستحيل أن تجد شخصًا فاضلا».

إن المفاهيم التي عولجت بها مواضيع التفاعل الحواري بين الثقافات، أو بمعنى أصح بين الدوائر الثقافية المتقاطعة، والتي تفوق في كميتها الدوائر الحضارية، باعتبار أن الحضارات لا تتعاصر بل تتناوب، في حين أن الثقافات تتعاصر داخل فضاءات جغرافية متعددة، وتدخل في علاقات تفاعلية فيما بينها، دراسة وتأويلاً، محاكاة وترجمة، بحيث يتفاعل الأشخاص، كحاملين للثقافة بين دوائر ثقافة متنوعة ومختلفة، ومن شأن التفاعل أن يضعف أو يقوي أطرافه، ومنه يحدث التغير نحو الأحسن، أو نحو الأسوأ، وقد اتضحت صورة هذا التفاعل في عصر العولمة، المحمول على جناحي ثورة الاتصالات، وثورة المعلومات، حيث تجسد الحوار بين الأعيان، على أرض الواقع، بعد أن تواجد في مدينة واحدة، ودولة واحدة، بل وحي واحدة، شتى الأنماط والأشكال الثقافية، العالمية والشعبية اللباس التقليدي، إلى جانب الملابس العصرية، واللغة الوطنية، إلى جانب اللغات الأجنبية، وعدة أنماط من الموسيقا، إلى المعمار، غيرت الواقع السمعي والبصري، وتحولت المحمولات الثقافية المتعددة والمتنوعة، إلى سلع إستهلاكية، حتى اتسعت فضاءات التفاعل، في إطار النظام العولمي، واحتدت درجة هذا التفاعل، وتنوعت تجلياته، وكانت النتيجة، المساس المؤثر بنظرية النقاء العرقي، والمعرفي والثقافي، وبات السؤال المؤرق هل يستطيع أيّا كان، أن يقول بأن هويته ثابتة متفردة، لم يدخلها أي خليط ثقافي مختلف، لقد أصبحت الهوية مرتبة، تبني وتشيد وليست جوهرًا ثابتًا، الأمر الذي دفع (هابرماس)، إلى القول: بأن قيمة الإنتماء لثقافة واحدة، تعرقل وجه التحرر الفعلي للفرد.

يذهب الأمر بالمفكرين العرب المسلمين إلى اشتراط النقاوة في لغة الحوار، مما يسبغ عليه أجواء الاحترام والتعاطف، من خلال العبارات الراقية النبيلة

لقد أصبحت المواطنة بذلك متعددة المشارب الثقافية، ولم يعد للمثقف باطن وظاهر، بل شفافية معرضة للإنجذاب، دون حدود أو قيود، وأصبح الحوار غير منطوق وغير مفكر فيه، بل هو حياة ومعيشة، ومن هنا يمكن الجزم بانقطاع تام بين حوار المجردات، وحوار الأعيان، بين الثقافات والأشخاص، ومن ذلك تستجد ثوابت ومتغيرات، وتنصب الرهانات

الكبرى للمستقبل من أجل أن يقوم النظام التربوي والتعليمي والإعلامي، بتنمية وتحفيز العقل الحواري التواصلي، لإنسان العولمة بالمعرفة العميقة، لكل أنماط وأشكال الدوائر الثقافية، من أجل القضاء على الجهل المتبادل مع الغير، الذي هو السبب الحقيقي والأساس في حالة الإضطراب، التي تعرفها العلاقات بين المجتمعات، ولا سبيل لإنقاذ البشرية مما تتخبط فيه من حروب، وكوارث مأساوية، وما قد يحدث من مواجهات أعنف وأشد، إلا بتقديم الأشياء على حقيقتها المجردة، لينتهي الجهل الثقافي المنتشر، خاصة عند النخب السياسية الموجهة لأحداث العالم، والأمل كل الأمل، في العقل الجماهيري التواصلي، المسلح بالمعرفة، الذي يسلك سبيل الحوار التواصلي، المفضي للتواصي بالحق، من أجل إدراك الحقيقة، والوقوف مواقفها، والتواصي بالصبر عليها، وإرساء دعائم ثقافة السلام، بدل ثقافة الحرب، وإدراك بأن الحروب تنشأ في عقول البشر أولاً، لذلك يجب انتزاعها من تلك العقول بالتربية والعلم والمعرفة والتواصل والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

5 ـ أدب الحوار :

يزخر التراث العربي الإسلامي بأدبيات وقواعد توصل لما يجب أن يكون عليه المتحاورون، وفي هذا الصدد تصدّى الفيلسوف الأندلسي ابن حزم في كتابه: «الأخلاق والسير في مداواة النفوس»، مؤسسا لمجالس الحوار، التي كانت تعرف بمجالس العلم، قائلاً: «إنّ حضرت مجلس علم، فلا يكن حضورك إلا حضور مستزيد علمًا وأجرًا، لا حضور مستغن بما عندك، طالب عثرة تشيّعها، أو غريبة تشنّعها، فهذه أفعال الأراذل الذين لا يفلحون في العلم أبدًا»، وفي كتابه الشهير: «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، يضع منهجًا للمناظرة، فيقول: «كتب كثيرون في افتراق الناس في دياناتهم ومقالاتهم كتبًا كثيرة جدًا، فبعض أطال وأسهب، وأكثر وهجر، واستعمل الأغاليظ والشغب، فكان ذلك شاغلاً عن الفهم، وقاطعًا دون العلم، وبعض حذف وقصّر، وقلل واختصر، وأضرب عن كثير من قوى معارضات أصحاب المقالات، فكان في ذلك غير منصف لنفسه، في أن يرضى لها بالغبن في الإبانة، وظلمًا لخصمه في أن يوفه حق اعتراضه، وباخسًا حق من قرأ كتابه، إذا لم يغنه عن غيره، ومنهم من عقّد كلامه تعقيدًا يتعذر فهمه على كثير من أهل الفهم، وحلق على معاني من بعد، حتى صار ينسى آخر كلامه أوله، فكان هذا منهج غير محمود في عاجله وآجله»، أما «الشهرستاني» في كتاب (الملل والنحل) فيقول: «شرطي على نفسي، ألا أفاوض الخصم بغير صنعته، ولا أعانده على لفظ توافقنا على معناه وحقيقته، فلا أكون متكلمًا جدليًا، ومعاندًا سوفسطائيًا»، وفقًا لهذه القواعد جادل ابن رشد في كتابه: (تهافت التهافت)، كتاب (تهافت الفلاسفة) الذي كتبه قبل عصره بكثير شيخ الإسلام أبو حامد الغزالي، وكان في مجادلته موضوعيًا، ومنصفًا، لأنه ملتزم بما أكده في كتاباته عن قصد الحوار، إذا كان «ليس هو معرفة الحق، وإنما هو إبطال الأقاويل، واظهار الدعاوى الباطلة، فقصد لا يليق بالإنسان، بل بالذين هم في غاية الشر» يقول: «هبك إذا أخطأ المحاور في شيء، فليس من الواجب أن يذكر فضله في النظر، وما كان يمكن أن يسهم في إغناء العقول».

الحضور الإنساني بكل تجلياته، يبث المعنى المباشر، الذي يكشف عن الحقيقة والواقع، دون تدجيل أو تزييف.

إن المتابع للتراث العربي الإسلامي، يجد دون شك تأصيلاً راقيًا لفن الحوار وآدابه، ويجد

المحصلة كلها أصول وقواعد تجنب الأسلوب التهديمي، وتحول دون أن يصدر عن غير الجاهل قول جاهلي، وليتضح كذلك أن الفكر العربي الإسلامي الصحيح، أبعد ما يكون عن التطرف والغلو، والتحيز والتعصب، بل إنه يستنكر هذه السلوكيات ويستهجنها، على لسان الجاحظ في رسائله، التي تستنكر «العصبية التي هلك بها عالم بعد عالم، والحمية التي لم تبق ديناً إلا أفسدته، ولا دنيًا إلا أهلكتها»، ومن ذلك يثبت أن الحوار الحضاري الراقي، يقف ضد كل تعصب، ويمنع أي تطرّف، وعلينا أن نعي ونفهم، أنه إذا أردنا حوارًا بناءً ومنصفًا، لا بد من الاصغاء الذكي، لمثل النصوص، التي أوردها القرآن الكريم عن أدب المجادلة، وما سنة الرسول الكريم ﷺ الذي أوحي له النص وفهمه، وما يزخر به تراثنا العربي الإسلامي، من نصوص، التي لا نشك في أن ليس لها مثيلاً في فكر الغير من الأمم، إذا تمكنا من تتبعها وإبرازها للخروج من السياجات (الدوقمائية) المغلقة، والانفلات منها إلى روح التفتح على الغير، المختلف، واحترامه والتعاون معه، من أجل بناء عالم أفضل يليق بالإنسان المكرّم، وتشكيل قناعة مشتركة تمكننا من تجاوز أحقاد الماضي، وتراكماته السلبية، التي شوهت الصور وحرفت الحقائق، وهذا ليس بالأمر السهل أو الهين، بل إنه في غاية التعقيد، ولكن طرّق مجالاته بات ضروريًا للتخلص من منطق الصدام والحروب والصراعات، وصولاً لمجالات التفاعل والتعايش، والتسامح والتضامن، وما علينا سوى أن نستوحي من التراث الفكري المشترك نسقًا قيميًا عالميًا، يضع أسس التحاور والتعامل والتفاعل بين المثقفين والمفكرين، تكون غايته معرفة الحقيقة والتواصي بالحق، والتزام الفعل الصالح الناتج عنه، والتواصي بالصبر عليه، لأنه حتمًا لن يكون بالأمر الهين، وهذا ما يؤكد أن الحوار الحقيقي، الباحث عن الحقيقة، والمفضي للتواصي بالحق، لم يبدأ بعد، ونكون قد جانبنا الموضوعية، إذا لم نقر بوجود معوقات ما زالت قائمة لعدم وضوح الغايات والأهداف، وغياب المنهجية الواضحة للقواعد المشتركة، ناهيك عن الصور المشوهة والحقائق المحرفة، والتي لا زالت تحرف دون توقف، ولكن هذا يجب أن لا يفت في عَضُد المخلصين، حتى يواصلوا الجهد المعرفي المعمق في زمن العولمة لمعرفة الغير، معرفة صحيحة ومعمقة، فكرًا وعقيدة، وأسلوب حياة، ومذاهب فلسفية، وأساليب سياسية، ومصالح مادية ومعنوية، وأن يرادف ذلك التزام يتمثل الغير ويفهمه، والإمتناع عن إصدار الأحكام المسبقة عليه، التي غالبًا ما تكون مغلوطة وفاسدة، وهذا لن يكون إلاّ بتجاوز الظرفيات، والتفكير فيما يمكن أن يكون إنسانيًا، ومستمرًا وشفافًا، ومعمقًا ومرسخًا لعلاقات التعايش والتشبث بمفاهيم نسبية الحقائق، المؤسسة لمفاهيم التعددية والتكامل، مع الإصرار على توظيف كل ما هو مشترك، دون إنكار لمواضع الاختلاف، وتجنب التفاخر المبنى على فكرة التراتبية الحضارية، أو الأفضلية العرقية، مع تحييد النزاعات التي تعمل على إدامة أجواء التوتر، ومقاومة مروجيها والعاملين على الاستفادة منها، والتأكيد الموضوعي على أنه من المستحيل وجوديًا، أن ينفصم (الأنا) عن (الغير المختلف)، لأن كلاً منهما ضروري لتألق التميز عند الآخر، الذي يغتني دون شك بالتناظر والتشابه.

الرهانات الكبرى للمستقبل أن يقوم النظام التربوي والتعليمي والإعلامي بتنمية وتحفيز العقل الحواري التواصلي بالمعرفة العميقة

ملفات

التواريخ المستحيلة

بقلم: إدوارد سعيد *
ترجمه عن الإنجليزية: محمد العالم **
راجع الترجمة وأعدها للنشر: الصديق بشير نصر ***

يناقش هذا المقال كتابين هما :

- **الإسلام : تاريخ قصير، بقلم كارين آرمسترونغ، المكتبة الحديثة 2002 مسيحي.**
- **ما الخطأ الذي حدث؟ التأثير الغربي ودور الشرق الأوسط. بقلم برنارد لويس، مطبعة جامعة أوكسفورد 2002 مسيحي.**

اتسم تاريخ محاولة إيجاد تفاهم مع الإسلام المقولب روائياً أو (المُركب) في أوروبا، وبعدها في الولايات المتحدة، دوماً بالأزمة والصراع، أكثر من الرصانة وتبادل وجهات النظر. وهناك عامل آخر يضاف الآن، وهو نشر الكتب التجارية، حيث يجد المراقب كتابًا لخبير ماهر، يقفز إلى قائمة الأكثر مبيعًا، وهو يخبرنا عن كل ما نحتاج إلى معرفته حول الإسلام، ومشاكله وأخطاره، وآفاقه المستقبلية. وقد برهنت في كتابي (الإستشراق) أن السبب الحقيقي للمحاولات الأوروبية للتعامل مع الإسلام، كما لو كان كيانًا ضخمًا، هو ضرب من الجدل اللاّهوتي... أي أن الإسلام قد اعتبر تهديدًا لأوروبا المسيحية، وأنه يجب تحديده أيديولوجيًا، مثلما حدد (دانتي) محمدًا على أنه في الدرك الأسفل من جهنم.

وبمرور الوقت ومع تطور الإمبراطوريات الأوروبية، ارتبطت معرفة الإسلام، بالسيطرة والنفوذ والحاجة إلى فهم «العقل»، والطبيعة الجوهرية لثقافة مقاومة، إلى حد ما، كطريق إلى التعامل، تنفيذًا مع ذلك الغريب القامع في قلب الإمبراطوريات المتمددة؛ وخاصة البريطانية والفرنسية.

---

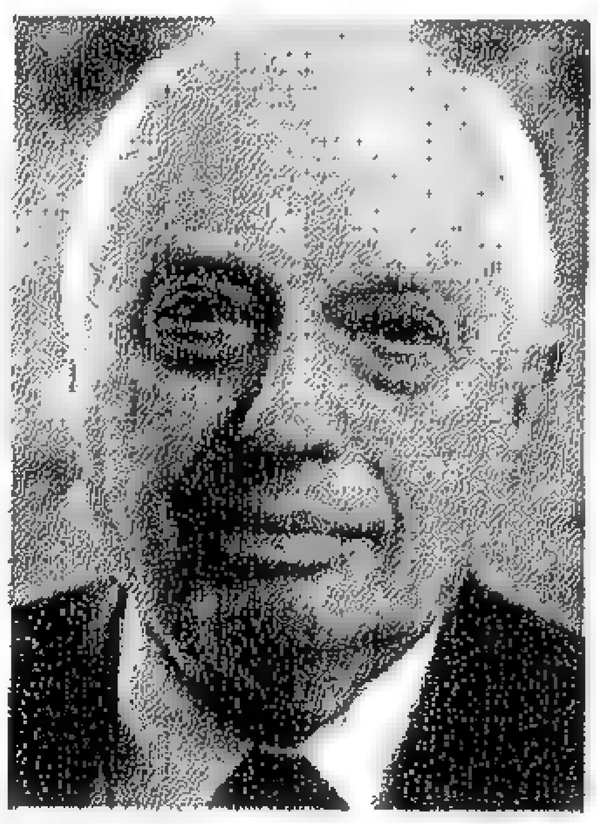
* باحث أمريكي من أصل فلسطيني.
** صحفي / ليبيا.
*** كاتب وباحث وأستاذ جامعي/ ليبيا.

وأثناء الحرب الباردة وعندما كانت الولايات المتحدة في خصومة مع الإتحاد السوفييتي، حول السيطرة، أصبح الإسلام بسرعة يمثل قلقًا أمنيًا أمريكيًا. حدث ذلك أثناء تفجر الثورة الإيرانية (وبعدها إبّان الغزو السوفييتي لأفغانستان) عندما انتهجت الولايات المتحدة سياسة تشجيع وتأييد فعلي للجماعات السياسية الإسلامية، والتي كانت بالتحديد مناوئة للشيوعية، وهي ذات فائدة في معارضة الحركات الوطنية الثورية (الراديكالية) والتي كان يريدها السوفييت. وبعد انتهاء الحرب الباردة، وبروز الولايات المتحدة «كقوة عظمى وحيدة في العالم» سرعان ما بدا جليًا أنه في البحث عن توازن دولي وأعداء خارجيين كان الإسلام المرشح الأول، وأبرزت من جديد (الكليشيهات) الدينية القديمة عن الإسلام الذي يتبنى العنف والمناوئ للحداثة والمتسم بالرتابة. ولقد كانت (الكليشيهات) ذات فائدة لإسرائيل ولمؤيديها، من السياسيين والأكاديميين في الولايات المتحدة، وخاصة بسبب ظهور حركات المقاومة الإسلامية، للاحتلال العسكري الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية واللبنانية.

وفجأة حدثت فورة لمعلومات وافية، وتسربت إلى الصحافة، يخلص معظمها إلى إيجاد صلة «للإسلام» بتلك الإنفعالات الدنيا والمنافية للعقل، على شاكلة الغضب ومعاداة الحداثة، ومعاداة المبادئ الأمريكية، ومعاداة العقلانية والعنف والإرهاب. ولم تكن بمفاجأة، عندما بالغ (صموئيل هنتينغتون) في تقديره بمقاله حول صدام الحضارات والذي ظهر عام 1993 مسيحي، وكان الطرح موضوعًا للصراع بين «الغرب» و«الإسلام» (والذي حذّر بحكمة من أنه يمكن أن يصبح أكثر خطراً عندما يتحالف مع



ادوارد سعيد



برنارد لويس

الكونفشيوسية) وما لم تتم ملاحظته فورًا في ذلك الوقت، هو كيف استُعير عنوان (هنتنغتون) وأطروحته من عبارة وردت في مقال كتب عام 1990 مسيحي، بقلم الأكاديمي البريطاني، الذي كان يعيد أفكاره وهو: (برنارد لويس) بعنوان: «جذور الغضب الإسلامي» وكان لويس، خبيرًا بشؤون تركيا الحديثة، منذ حوالي أربعين عامًا، إلا أنه حَلّ بالولايات المتحدة، في منتصف السبعينيات، وأصبح من أقطاب الحرب الباردة، يطبق مبادئه الإستشراقية، على مواضيع كبيرة، والتي كان لها هدفٌ آنيٌّ وهو: اظهار الصورة «الأيديولوجية» للإسلام والعرب بما يتناسب مع مواقف السياسة الخارجية الأمريكية، المؤيدة للإمبريالية والصهيونية. ولا بد من ملاحظة أن المعرفة الإستشراقية نفسها، كانت مقدمة منطقية تأسست في غيبة، أو صمت صاحب الشأن، والذي مَثَّله خبير غربي، يتكلم من على عرش أسقفية سابق، نيابة عن ذلك المواطن (المسلم)، ويتم تقديم ذلك المخلوق غير المحظوظ، على أنه متخلف وناقص وغير متحضر، ولا يستطيع تمثيل نفسه. ولكن، وكما أصبح الآن من غير اللائق للعلماء البيض، التحدث نيابة عن السود.. فإنه منذ انتهاء الاستعمار الأوروبي (الكلاسيكي) لم يعد مطابقاً للحداثة ولا مقبولاً الحديث عن العقلية الشرقية (من مسلمين أو هنود أو يابانيين) باسلوب كهنوتي.

واستثناءً من المفارقات التاريخية مثل: لويس، وفي سياق الكتب والمقالات ذات الوتيرة الواحدة، والتي تحتوي على عبارات لاذعة، لا يفل عزمها تجاهل التقدم المعرفي، الذي حدث مؤخرًا في (الانثربولوجيا) والتاريخ والنظريات الإجتماعية، والدراسات الثقافية؛ ويُصِرُّ على الخدع المستقاة من

فقه اللغة التاريخي، كاستنباطه جزئية ولوع الإسلام العربي المعاصر، بالعنف الثوري طبقًا لمواصفات بدوي يربي الإبل. وبالنسبة للقارئ فإنه لا يفاجأ ولا يكتشف جديدًا في أي شيء يكتبه (لويس) ما دام كل ما يضاف إلى رؤاه، هو تأكيد للنزوع الإسلامي للعنف والغضب، ومعاداة الحداثة، بالإضافة إلى ضيق أفق الإسلام (وخاصة العرب) وولوعه بالرق وعدم قدرة المسلمين على الإهتمام، إلا بأنفسهم وما شابه ذلك.

و(برنارد لويس) قابع الآن في عليائه ببرنستون، (وهو في الوقت الحالي، متقاعد وفي أواخر الثمانين من عمره، ولكنه لا يزال يعمل بدون كلل، من أجل الدعاية الدينية السياسية الناتجة عن الجدل). ويبدو أنه لم يتأثر بالأفكار والرؤى، بالرغم من أن معظم خبراء الشرق الأوسط، قد أهملوا أعماله وضعفت ثقتهم بها) جراء التقدم العربي الأخير حول الأشكال الخاصة للخبرة الإسلامية.

وكان (لويس) المعروف بمظهره الخادع، في استعماله للغة الإنجليزية، واستعداده التام لعدم التشكيك فيما يقوله، وهو الآن المشارك المناسب في مناقشات، ما بعد سبتمبر، وإيضاحاته الفجة، بإفراغه القديم في قالب جديد، في كل من صحف: «نيويوركر The New Yorker» و«ناشيونال ريفيو National Review»، وكذلك في برنامج تشارلي روز Charlie Rose، ويبدو أن حضوره يسعد محاوريه ورؤساء الصحف.

ويقابل أسلوبه اللاذع، وقصصه ونوادره عن التخلف الإسلامي، ومعاداة الحداثة، بكل تلهف. أما وجهه نظره فيما يتعلق بالتاريخ، فهي داروينية فجة، تتصارع من خلال الثقافات والسلطات، من أجل السيطرة، وبعضها ينجو وبعضها الآخر يغرق. ويبدو أن نزوات (لويس) (وهي قلما تكون أفكارًا) تشوبها أفكار (اشبنغلريه)❖❖ غامضة، بالرغم من أنه ليس له صلة بفلسفة (شبينغلار) أو طموحاته وآفاقه. ولم يبق الكثير أمام (لويس) ليقوله من أنه يمكن قياس الثقافات بشروطها المرعبة: (أن ثقافتي أقوى.. أي بمعنى تملك قطارات أفضل، وبنادق أفضل، و(سمفونيات) أفضل و(أوركسترا) أفضل، مما عندكم) ولأسباب واضحة إذ ظهر كتابه الأخير: What Went Wrong ماذا حدث من خطأ؟ والذي كُتب قبل الحادي عشر من سبتمبر، ولكنه نشر بعده.

> المعرفة الإستشراقية نفسها، كانت مقدمة منطقية تأسست في غيبة، أو صمت صاحب الشأن

وقد أحدث الكتاب رواجًا في قائمة الكتب الأكثر مبيعًا وسدَّ نقصًا يشعر به الكثير من الأمريكيين الذين يريدون التأكد بأنفسهم، لماذا هاجمهم «الإسلام» بهذا القدر من الوحشية والعنف، في الحادي عشر من سبتمبر؟ ولماذا استحق ذلك الذي حدث خطأ بالإسلام، هذا العمل المخزي المثير للاشمئزاز؟ وموضوع الكتاب الحقيقي هو ما الخطأ الذي حدث مع (لويس) نفسه؟ موضوع حقيقي أكثر منه ملفق.

أما بالنسبة للكتاب، فهو كارثة أخلاقية وفكرية وأنه الصوت المرعب المبحوح والمثير للأعصاب، والخالي من أي رأي أكاديمي، هو خالٍ تمامًا من أية خبرة مباشرة عن الإسلام، فهو يقولب القديم في صيغ جديدة، ويعيد معالجة الإستشراق جزئيًا (نصف الحقيقة أو أقل).

ولنتذكر أن لويس، يدعي أنه يناقش «الإسلام» ككل، ليس فقط المقاتلين المجانين في أفغانستان أو مصر أو إيران، هو يحاول أن يجادل في أن كل شيء

❖❖ نسبة إلى اشبنجلر، فيلسوف الحضارة، صاحب كتاب (تدهور الحضارة الغربية).



سار على نحو «خاطئ»، كما لو أن كل الشعوب، وكل اللغات، وكل الثقافات، قد تم الحكم عليها بصورة مطلقة، من قبل شخص ليس لديه أية خبرة عن أي مسلم، (عدا حفنة من الكتاب الأتراك الصغار). كما لو كان التاريخ موضوعًا سهلاً للحقوق، كما تضع السلطة تعريفًا لذلك.

إن الأمر في الحقيقة أسوأ من ذلك، مع وجود استثناءات، حيث كانت جميع حواشي الكتب التي ألّفها لويس، والمصادر الراسخة (بالرغم من ندرة إشارته إلى مصادر راسخة يمكن للشخص أن يقرأها) كانت تركية. كل تلك المصادر كانت عدا النزر اليسير، من المصادر الأوروبية والعربية، فكيف يسمح له ذلك بالإشارة إلى أن مصادره تلك تكتسي أهمية، وعلى سبيل المثال، لم يتطرق إلى الدول العربية التي تبلغ إحدى وعشرين دولة، أو أندونيسيا أو الباكستان أو المغرب، أو إلى ثلاثين مليون مسلم صيني، وهؤلاء جميعًا جزء متكامل من الإسلام، ولم يذكر لويس في الحقيقة، تلك الجماعات التي تحمل بشدة على الإسلام، والتي تدعمها مصادر تركية.

وبالرغم من حقيقة أنه حمى نفسه، أولاً: بقوله إن جدله (بشكل خاص وليس حصريًا) يهتم بمنطقة يسميها بغموض الشرق الأوسط، فقد قام بإلقاء التحفظ في مهب الريح، وبإعلانه أن المسلمين كانوا يسألون منذ زمن طويل ماذا حدث؟. شرع بعد ذلك في إخبارنا ماذا يقولون، وماذا يعنون؟ ولم يذكر اسمًا واحدًا إلا نادرًا، لا في حلقة من سلسلة أو حقبة،

عدا في العموميات. إن المرء لا يسمح لشخص غير خريج بالكتابة بشكل عرضي، هكذا مثلما يفعل هو في القرن التاسع عشر. إن المسلمين كانوا «قلقين» حول فنون الحرب، وفي القرن العشرين، وأكثر وضوحًا في الشرق الأوسط، وعبر جميع بلاد الإسلام، أصبحت الأشياء تنحى منحى سيئًا للغاية. إن كيفية تأثير (برنارد لويس) على رجل الشارع الأمريكي بشكل عام، لا يمكن أن تمرر في أي مجال آخر، أو دين آخر، أو بلد آخر، أو على شعب آخر، وهذه علامة على ضحالة المعرفة عن البلدان الإسلامية، وكم كان لويس مجردًا من المبادئ الخلقية في ترويجه لذلك التجهيل. إن أي قارئ متعقل لا يمكن أن يقبل البتة تلك الجمل اللاعقلانية من قبيل: (اختارهم عشوائيًا) والتي تتحدى التفكير البديهي.

«لقد كان القرن التاسع عشر برمته ومعظم القرن العشرين، مجالاً للويس، للبحث عن الطلسم الخفي (وهذا من مخترعات لويس)

وكان المفترض أن يكون هذا نزوع المسلمين لمحاولة تفسير السلطة الغربية» وهذا الطلسم يتركز في شيئين: الاقتصاد، والسياسة، أو كما وصفها بطريقة مختلفة «الثروة والسلطة».

فما هي الحجج التي قدمت في بحر مائتي سنة من «البحث» والتي شغلت جميع أنحاء العالم الإسلامي؟ بيان واحد صدر في بداية القرن التاسع عشر من قبل السفير العثماني في باريس، أو اعتبار تلك دقيقة على حد سواء وأنها كانت عموميات أنيقة.

«قدمت إيطاليا وألمانيا خلال عقد الثلاثينيات (أيديولوجية) ونماذج سياسية جديدة ومع ازدياد الإغراء لمعارضة النفوذ الغربي (ناهيك عن إهدار الوقت في «المعارضة»، ولويس لا يأبه لأن يخبرنا إلى من وُجهت تلك النماذج، وبأية طريقة، وطبقًا لأية براهين؟. إنه يمشي بإعياء شديد على أي حال، ولقد نال ذلك تأييدًا كبيرًا، حتى بعد هزيمتهما العسكرية في الحرب العالمية الثانية. وبقيتا تعملان كنماذج. خفية، في كل من: الأيديولوجية وفن إدارة شؤون الدولة».

وبما أنها كانت نماذج غير معلنة، فإن المرء لا يحتاج لسَوْق أية براهين على وجودها كنماذج وفي الواقع فإن لويس لم يقدم شيئًا، أو اعتبار ذلك أكثر جلالاً ونفاسة، والذي يراد منه أنه عندما تتم ترجمة الكتب من اللغات الأوروبية فإن المسلمين البائسين لا يقومون بعملهم بجدية، «لاحظ المقدمة الباهرة» الترجمة تحتاج إلى مترجم. «وأنه ينبغي على المترجم أن يعرف كلتا اللغتين» اللغة التي نقل منها واللغة التي نقل إليها. (من

هل من الحكمة إبطال العمل بالبراهين التاريخية عندما يكون الإسلام موضوع البحث؟

الصعوبة عليّ اعتقاد أن لويس كان يقظًا، عندما كتب هذا الهراء الغريب، أو أن ذلك مجرد حقيقة بديهية ثاقبة؟ وهذه المعلومة مثلما تبدو غريبة كانت على نحو كبير من الندرة في الشرق الأوسط حتى وقت متأخر نسبيًا.

وكان هناك القليل من المسلمين الذين عرفوا أيًا من اللغات المسيحية، حيث اعتبر ذلك غير ضروري وإلى حدٍّ ما حَطّاً من القدر. وبالنسبة للمترجمين فعندما تمس الحاجة إلى ترجمة تجارية أو دبلوماسية أو عسكرية، فإنهم يعتمدون أولاً على اللاجئين والمتمردين من أوروبا. إن كلا الطرفين قد فقد الإهتمام أو القدرة على انتاج عمل أدبي مترجم إلى لغات الشرق الأوسط.

ولا يوجد دليل ولا أسماء ولا إثبات أو وثائق ملموسة، على عدم قدرة أو أهلية المسلمين وأهل الشرق الأوسط. أما بالنسبة للويس فإن ما يكتبه عن «الإسلام» هو بديهي وبيّن بذاته، حيث سمح لنفسه

بمجافاة أعراف الخطاب الفكري، بما في ذلك الإتيان بالبراهين.

وعندما عرض كتاب لويس، في مجلة نيويورك تايمز، من قبل الألمعي بول كينيدي، من جامعة (بيل) كان هناك إطراء مبني على رؤية نقدية ضعيفة، كما لو أنه قد اقترح أن الحكمة من البراهين التاريخية، وجوب إبطال العمل بها، عندما يكون «الإسلام» موضوع البحث. ولقد تأثر كينيدي خصوصًا بجزم لويس، في فصل غلب عليه الخروج عن موضوع الدراسة، وهو: «أنماط التغيّر الثقافي» واختار لويس الإسلام، دون ثقافات العالم حيث قال: إن الإسلام لا يعير اهتمامًا إلى الموسيقا الغربية.

وبدون أية مبررات البتة، بدأ كينيدي بالمراوغة ونفي الحقيقة عندما قال: إن أهل الشرق الأوسط يحرمون أنفسهم حتى من موزارت! وهذا في الواقع ما أوحى به لويس ـ بالرغم من أنه لم يذكر موزارت ـ. وباستثناء تركيا وإسرائيل فإن «فن الموسيقا الغربية» يلقى آذانًا صماء في العالم الإسلامي. وهذا شيء كما يبدو الآن أعرفه، ولكن ثمة حاجة إلى بعض الخبرة المباشرة العملية، أو لحظات الممارسة الحياتية الحقيقية في العالم الإسلامي، لإدراك أن ما يقوله لويس، هو باطل في مجمله ومجانب للحقيقة لكونه لم تطأ قدماه البلدان العربية، أو لم يمض وقتًا ذا أهمية في هذه البلدان.

هل يمكن للمرء أن يقرأ ويفهم الإسلام بالطريقة التي انتهجها الكثير من الكتاب الخدام؟

إنّ عدة عواصم عربية تملك معاهد ممتازة للموسيقا الغربية مثل القاهرة وبيروت ودمشق وتونس والرباط وعمان، وحتى رام الله في الضفة الغربية. وقد خرّجت تلك المعاهد آلافاً من الموسيقيين المرموقين والمتخصصين في الموسيقا الغربية، والذين اشتركوا في عزف عديد من السيمفونيات في حفلات نفذت تذاكرها، حدث هذا في جميع أنحاء العالم العربي. ويوجد العديد من حفلات الموسيقا الغربية، هناك وفي القاهرة (حيث أمضيتُ جزءًا كبيرًا من المراحل الأولى لحياتي، قبل أكثر من خمسين عامًا مضت). توجد العديد من الأماكن المرموقة للدراسة والإستماع ولمشاهدة الموسيقا الصامته، وتلك المغناة والتي يتم أداؤها على قدر كبير من الجودة. لقد كانت دار (الأوبرا) في القاهرة رائدة في أداء العروض (الأوبرالية) باللغة العربية وفي الواقع تحصلت على قرص مدمج تجاري يحتوي موسيقا موازات «زواج فيغارو» وقد تم أداؤه بصورة جيدة باللغة العربية. أنا أعزف عزفًا متواضعًا على البيانو ولقد عزفت ودرست وكتبت ومارست التدريب على تلك الآلات الفائقة، وأن السواد الأعظم من تعليمي الموسيقي قد تلقيته في القاهرة، على أيدي مدرسين عرب، والذين ألهمتهم الموسيقا الغربية حبًا ومعرفة (ولموزارت أيضًا) والذي لم يفارقني أبدًا، إضافة إلى ذلك، يجب أن أقر بأنه خلال السنوات الثلاث الماضية، رافقت (دانيال بارنبويم) في الإشراف على مجموعة من الشباب العرب والموسقيين الإسرائيليين، الذين حضروا لمدة ثلاثة أسابيع خلال فصل الصيف، للتدريب على موسيقا (الأوركسترا) أو موسيقا الحجرات. وكان المتدربون من العرب قد تلقوا تعليمهم في معاهد الموسيقا العربية. كيف استطاع بارنبويم وأنا أن نكون أعضاء هيئة تدريس في ورشة عمل، إذا لم يكن هناك مؤيدون للموسيقا الغربية بين المسلمين؟ أضف إلى ذلك لم اتخذ لويس وكينيدي الغياب المفترض للموسيقا الغربية، منبرًا للتحامل على الإسلام. ألم يكن هناك أنماط كثيرة من أنواع الموسيقا الفنية عند المسلمين

التي يمكن أن نأخذها في الإعتبار، عوضًا عن الأغراض في ذلك العبوس المثير للضحك؟

ولقد عرضت كل تلك التفاصيل لاعطي شعورًا بعدم الراحة للهراء، الذي ورد في كتاب لويس، والذي من المفترض ألاّ يخدع مؤرخًا على شاكلة بول كينيدي، وهذا مؤشر كم كانت توقعات الناس منخفضة عندما تأتي المسألة إلى مناقشة الإسلام، جراء الخيالات (الأيديولوجية) العبثية التي كان يروج لها الخبراء الزائفون، أمثال برنارد لويس والذي قام بخداع رجل الشارع بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، عوضًا عن توفير فرصة للناس لتعليم أنفسهم، لقد فسد الجدل العام القائم (بالكليشيهات) المقتضية التي تضمنت الشكوك التي ساقها لويس. إن أسوأ جزء في هذا النهج أنه ينزع الصفة الإنسانية عن الناس، بطريقة منهجية، ويحولهم إلى مجرد شعارات لأغراض عدوانية ميالة إلى القتل. هذا ليس شيئًا عقلانيًا يمكن تفهمه. إن دراسة الثقافات الأخرى هي في الواقع متابعة إنسانية ولا تخصّ الإستراتيجية أو الأمن.

لقد أفسد لويس الجمهور وتظاهر بأنه يخبر بالحقيقة، استنادًا إلى مصادر عليا. وفي الواقع إن قراءة خاطئة لكتابه تظهر أنه نجح فقط في تحويل المسلمين إلى أعداء، ناهيك عن الإهانات وعبارات الإزدراء التي كالها لهم.

وسواء كان ذلك لجهل منه، أو لعدم الفهم الكافي بأن ذلك شأنه، أن يضع جهده في فئة الأعمال المنحطة لدفع الناس المترددين من القراء إلى التفكير في «الإسلام» والدفع بهم إلى الحكم عليه بالطبع بالرفض.

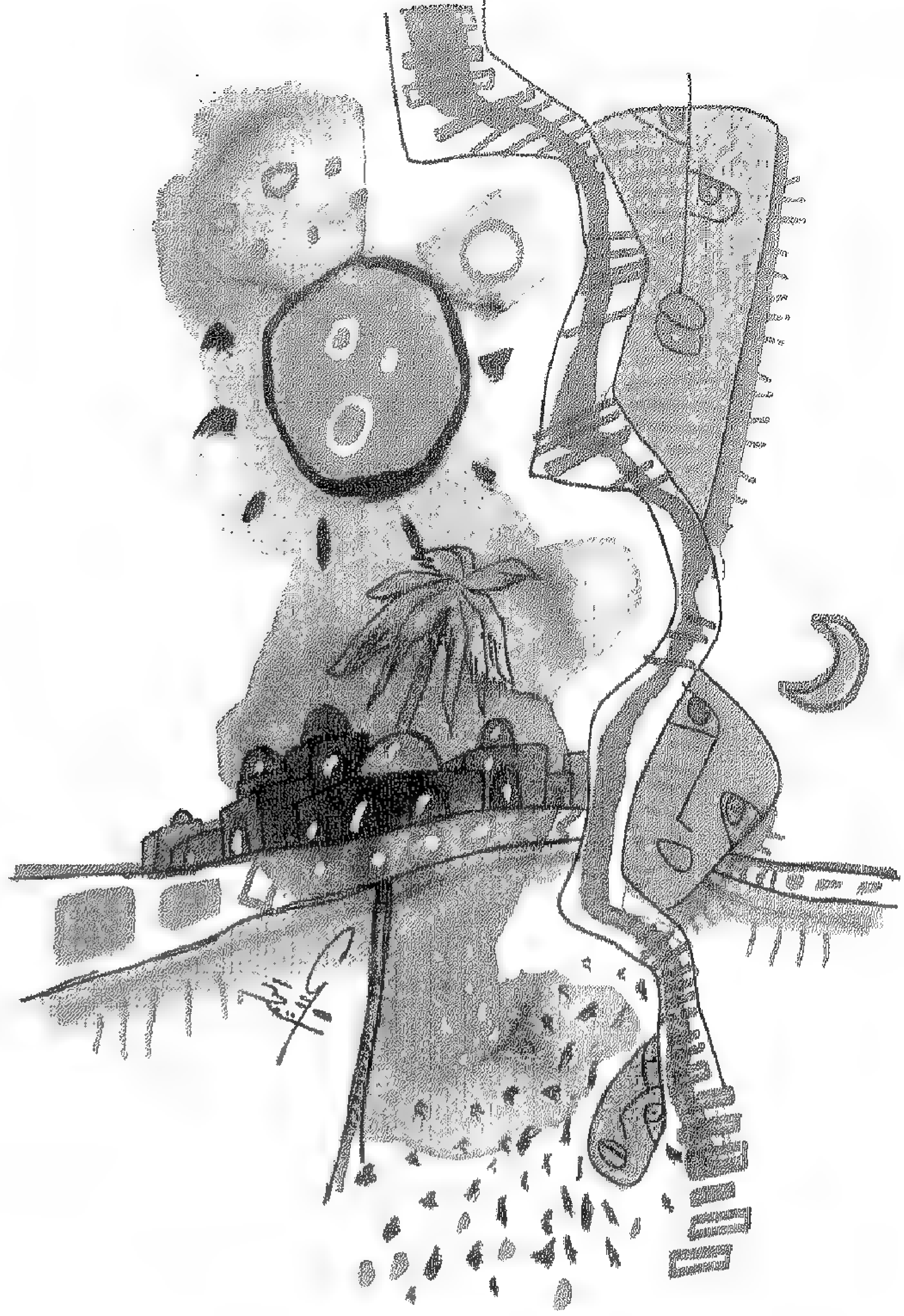
كاتبة أخرى هي (كارين ارمسترونغ) حققت كتاباتها مبيعات كبيرة، وقد اهتمت أجهزة الإعلام بها خلال الأشهر الأخيرة. وشأنها شأن لويس، قامت بتأليف كتابها The Battle for God، منذ وقت طويل قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر وكل الناشرين قدسوه على أنه حل لمشاكل وقتنا الحالي، آمل أن أتمكن من القول بحماسة أنه بالرغم من تواضعها فإن كتابها مفيد، ولكن يا للحسرة على الوقت الطويل الرتيب الذي انتابني في قراءته.



كارين ارمسترونغ

إن نواياها تبدو مخلصة بما فيه الكفاية، ان معظم أجزاء الكتاب كان يطلق النار على التاريخ وسرد الأحداث التاريخية منذ مولد محمدﷺ بدون نظرة فاحصة أو معرفة. ويمكن للقارئ أن يخرج من موسوعة جيدة عن «الإسلام» بمثل ما جاءت به المؤلفة. وتبدو ارمسترونغ مجدة بالرغم من أنها ليست ملحة بما فيه الكفاية فعربيتها ليست جيدة بالقدر المطلوب، فضلاً عن التشويش الذي غلب على سردها. وفوق كل ذلك فإن المرء يقرأ سطورها بدون شعور بالإثارة والتشويق. إن كتابها على شاكلة لويس يباعد الشقة ويسبغ عدم الإنسانية أكثر من التقارب فيما يتعلق بالإسلام.

وخلافًا للويس، أولت اهتمامًا بالنواحي الملموسة للحياة في الدين الإسلامي، وهذا الجزء من حججها يجعل كتابها، يستحق القراءة. إن الفصل الأكثر قيمة في كتابها ذلك الذي ناقشت فيه جميع أنماط الأصولية الحديثة بدون إثارة الحسد المعهودة عن الإسلام وبدون النظر إليه كظاهرة سلبية، وهي تقدم هدية مثيرة للإعجاب لفهم الأصولية من خلاله. وذلك بالإلتزام بعقيدة مهددة من الديكتاتورية العلّمَانية. وباعتباري مفكراً علمانياً، أجد نفسي مع ذلك متأرجحًا بين حججها العاطفية، والمقنعة في هذا الفصل وتمنيت لو أنها عوضًا عن الوقوف في نهج السرد التاريخي العقيم، منحت لنفسها الفرصة بايراد مختلف مناحي الحياة الإسلامية الروحانية،



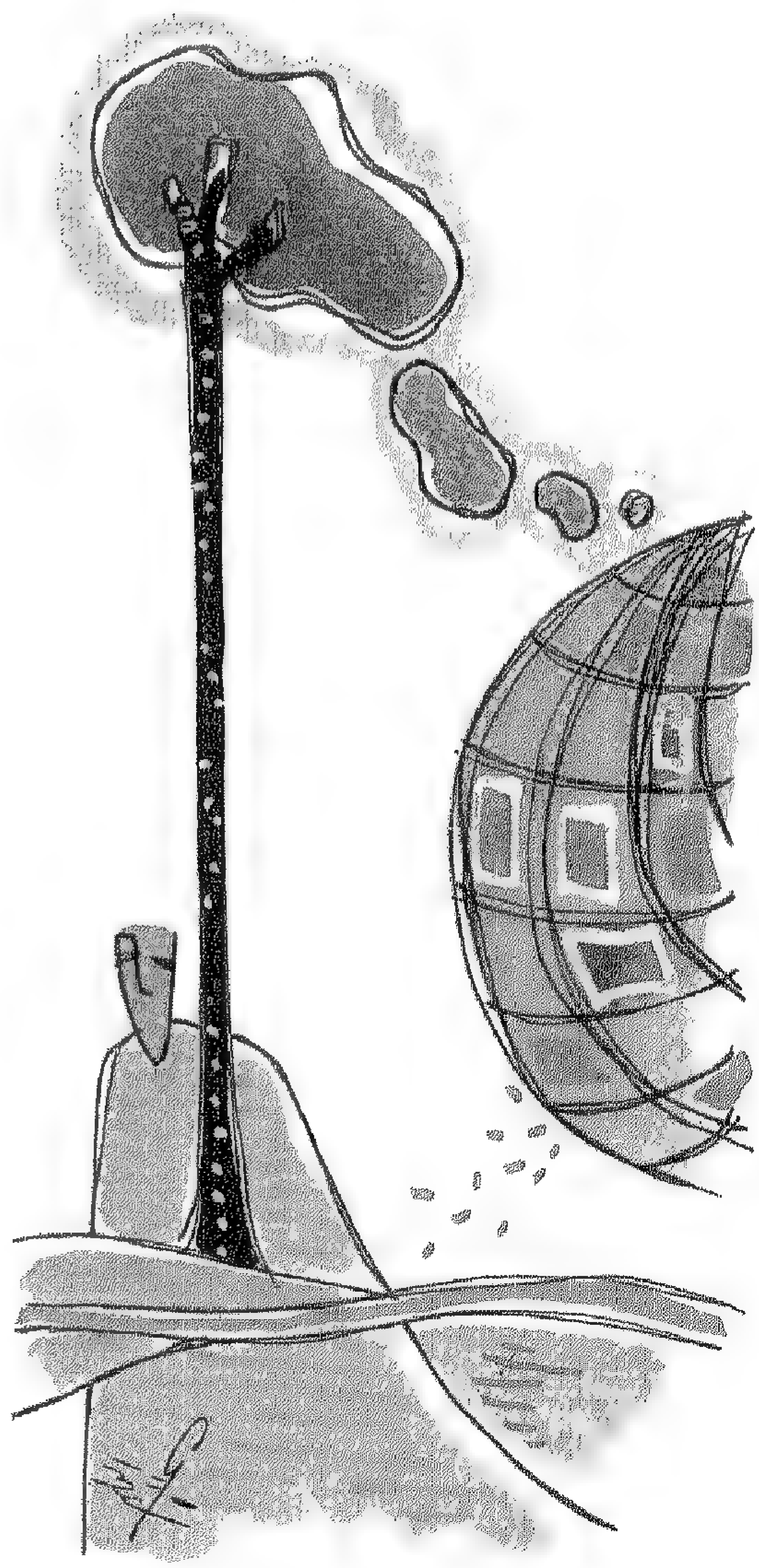
والتي هي بصفتها راهبة سابقة سوف تجده أكثر مجانسة لها.

بالطبع يمكن للمرء أن يقرأ ويفهم الإسلام ولكن ليس بالطريقة التي انتهجها الكثير من الكتّاب الحذاق، والذين يفعلون ذلك بطريقة خاطئة، ولفهم أي شيء عن التاريخ الإنساني، من الضروري أن تتم رؤيته من وجهة نظر أولئك الذين وضعوه، وليس التعامل معه على أنه سلعة مغلقة، أو استخدامه كوسيلة عدوانية. لماذا عالم الإسلام مختلف؟ أود القول إن المرء ينبغي أن يبدأ بالأعمال الكثيرة للأوائل باللغة الانجليزية والتي تصف، ما معنى أن تكون مسلمًا؟ كما في كتاب محمد أسد، الرائع «الطريق إلى مكة» والذي يمثل وصفًا يشد الإنتباه لقصة اعتناق ليوبولد نايس (1900 ـ 1992) الإسلام والمولود في لفوف Lvov والذي أصبح سفيراً لدولة باكستان في الأمم المتحدة. أو في رواية مالكوم إكس المتمثلة في مذكراته، أو في رواية طه حسين العظيمة «الأيام» والتي هي سيرة ذاتية له. إن الفكرة بأسرها، هي إيلاج عوالم الإسلام فيما يتعلق بالحياة، لا بالإنغلاق ووضعه في صندوق مشفّر مكتوب عليه «خطير».

وفوق كل ذلك فإننا لا نستطيع المضي في التظاهر بأننا «نعيش في عالم خاص بنا، وبالتأكيد وباعتبارنا أمريكيين، فإن حكومتنا لها نفوذ في جميع أنحاء العالم، من النواحي العسكرية والسياسية والاقتصادية، فلماذا نفترض أننا نقول إن ما نفعله حيادي؟ في الواقع إن له عواقب وخيمة على بقية الجنس البشري. وفي مجابهتنا مع الثقافات والأديان الأخرى. يبدو أن الطريق الأمثل لإنجاز شيء ما، هو ليس بالتفكير على شاكلة الحكومات أو الجيوش أو المؤسسات، ولكن بالتذكر والفعل طبقًا للخبرات الفردية، والتي تشكل حياتنا. وللتفكير بطريقة إنسانية ومجردة، والإبتعاد عن الشكلية فإنه من الأفضل قراءة الآداب القادرة على تبديد الأفكار (الأيدلوجية) الضبابية، والتي عادة تحجب الناس بعضهم عن بعض. وتجنب التراجم الحرفية والكتيبات المختزلة، والابتعاد عن الهواجس التي يطلقها خبراء الأمن، وفكرة أننا ضدهم. وفوق كل ذلك أنظر بعين الشك إلى كل شخص يريد أن يخبرك الحقيقة المثلى، عن الإسلام والإرهاب والعصيان العسكري، والتعصب الخ.... يمكن أن تكون قد سمعت ذلك من قبل. لماذا لا يتم البحث عن محتوى لمختلف أنواع الخبرات البشرية. وترك بقية المواضيع الأخرى للخبراء.

سنن الفطرة ومنطق التجديد الحضاري

عطية فتحي الويشي *



في سياق الاجتياحات المادية لعديد من وجوه الحياة المعاصرة، وما تسبِّبه من شيوع ظواهر التسرب الأخلاقي والقِيَمي والحضاري، وما ينذر به من مخاطر هائلة قد تضع مستقبل الأجيال الإنسانية المعاصرة على شفير سنن الاستبدال، التي تمضي في الناس جزاء التولي عن مقتضى الفطرة والشرود عن سواء السبيل، والعوث فساداً وتهديداً لحق الناس في الحياة، وفق منطلقات الحق والعدل والبر والمعروف والإحسان!.

تأتي أهمية تجديد الرؤية الإنسانية لسنن الفطرة، من حيث كونها واحدة من أهم فروض التجديد الحضاري، التي تعيد كثيراً من مجريات الأمور في هذا الكون إلى نصابها الموزون على منهج الله - سبحانه وتعالى -.

وبادئ ذي بدء، نعرِّج على بعض المعاني الحيوية للفطرة، التي تخدم ذلك الاتجاه التجديدي في بيئتنا الحضارية بوجه عام، من منظور الفكر الإسلامي، فالفطرة ابتداء، هي «الخِلقة التي يكون عليها كل موجود أول خلقه، وهي الطبيعة السليمة التي لم تُشبْ

---

* باحث، كاتب/ مصر.

بعيب»[1]. وهي: مجموعة الصفات والخصائص المركوزة في النفس الإنسانية لدى أصل الخلقة وتركيب الجبِلّة. وكما أنها تعبيرٌ عن الاستعدادات الذاتية والميول الطبيعية للذوق السليم التي تعمل مع السُّنن الربانية والاجتماعية جنبًا إلى جنب بمنهج الناموس الإلهي في إطار مختلف الدوائر المتعلقة بنشاط الإنسان؛ فهي كذلك بمثابة المجال الحيوي للحراك النفسي والجسماني للإنسان باتجاه التعاطي مع الكون والحياة والعمران من منطلق أخلاقيٍّ أصيل، فقد جعل الله - سبحانه وتعالى - البشر جميعًا مَفْطورين على «محبة الخير وإيثاره، وكراهة الشر ودفعه، وفَطرَهم حُنفاء مستعدين لقبول الخير والإخلاص لله، والتقرب إليه»[2]. وقد جُعلت شرائع الفطرة على نوعين؛ بعضها يرجع إلى أصول الإيمان وأعمال القلوب، حيث يُطهر القلبَ والروح، وهو الإيمان بالله وبتوابعه: من خوفٍ ورجاء، ومحبّة لله والإنابة إليه .. فهذه تُزكّي النفس، وتطهر القلب وتنميه، وتُذهب عنه الآفات المرذولة، وتحليه بالأخلاق الجميلة والسّجايا النّبيلة، وتعمُرُه بقيَم الفضيلة !. والنوع الثاني: ما يعود إلى تطهير الظاهر ونظافته، ونحو ذلك مما يُعنى بتنظيف أعضاء البدن وصيانتِها، لتتم صِحتُها وتكون مستعدة لكل ما يراد منها»[3]. والطريف أن هذه المعاني هي التي جاءت بها الرسل على تواتُرِهم في العالمين، وتواضعت عليها المناهج الإلهية..!

ولقد ذهب أكثر العُلماء إلى أن «الفِطرة هي السُّنة»[4]. أي الطريقة التي جاء بها الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وقد أمر الله سبحانه نبيه المصطفى ﷺ بالاقتداء بهم في قوله تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾

[سورة الأنعام، الآية: 90]

وقالوا: إن «المراد بالفِطرة في هذا الحديث: الدين. وقال البيضاوي: الفطرة المُرادَة هنا هي السنة القديمة التي اختارها الأنبياء واتفقت عليها الشرائع وكأنها أمر جِبِلّيٌّ فُطِرُوا عليه»[5]. إنها إذًا طريقة الله وشريعته، وهي صراط الله المستقيم، وهي أسلم سبل الوصول وآمَنُها وأيسرها إلى الله - سبحانه وتعالى -. وهذه السنن هي التي تهدي الإنسان بصورة تلقائية إلى الطرق التقليدية للتفاعُل الإنساني داخل المحيط البيئي للإنسان بغير تكلُّف. فهي المجال الحيوي للحراك النفسي والجسماني الإنساني باتجاه التعاطي مع الكون والحياة والعُمران!

ما أهمية الرؤية الإنسانية لسنن الفطرة؟ وكيف نوظف ذلك في بيئتنا؟

وهذه السنن، غالبًا ما تشُد الإنسان في سياق تفاعُله - سلبًا وإيجابًا - مع الكائنات من حوله إلى قواعد هداياته الأولى، مهما عرض له من صوارف وملهيات عن مقتضى وجوده وسواء فطرته! المهم هو: تحقيق توازن القوى الإيمانية التي تمده بأسباب انتشاله من حضيض الآثام والمنكرات المزريات، فيرتفع ويرتقي في مراقي فطرته التي فطره الله عليها، وذلك انطلاقًا من مرتكزات أخلاقية وقِيَمِيَّة

1. سعدي أبو حبيب. القاموس الفقهي لغة واصطلاحًا. دار الفكر دمشق. 1419هـ. ص:288.
2. عبدالرحمن ناصر السعدي. بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار. منشورات الرئاسة العامة لإدارات الدعوة والإفتاء والإرشاد. الرياض. د.ت. ص:64.
3. عبدالرحمن ناصر السعدي. بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار. المرجع السابق. ص:64. بتصرف.
4. الخطابي معالم السنن. بهامش مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري. تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي. دار المعرفة. بيروت. د.ت. 6/ 100. وانظر كذلك : سعدي أبو حبيب. القاموس الفقهي لغة واصطلاحًا. مرجع سابق. ص:289.
5 - يقول النووي : جزم الماوردي وأبو إسحاق وقالت طائفة : المعنى بالفطرة الدين، وبه جزم أبونعيم في المستخرج. وقد استشكل ابن الصلاح ما ذكره الخطابي وقال معنى الفطرة بعيد من معنى السنة، لكن لعل المراد أنه على حذف مضاف أي سنة الفطرة. وتعقبه النووي بأن الذي نقله الخطابي هو الصواب (نقلاً عن: ابن حجر. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. دار الحديث. القاهرة. 1419هـ. 10/ 409).

جميلة كلها، أجمل ما فيها أنها بمثابة قواسم فطرية مشتركة بين سائر البشر، لا تحتاج في تعاطيها إلى لغة ولا إلى مذهب ولا إلى خلفية دينية أو معينة فكرية (أيديولوجية..!) كذلك هي بعيدة تمامًا عن مجرد التعصب الديني والجمود والغلو والتطرف، وحتى في وسائلها لا تكلف الداعين إليها عنتًا أو مشقة أو رهقًا، فقط تحتاج من الإنسان أن يسلم نفسه لله رب العالمين، ملتزمًا الحنيفية التي تعد في منطق التوصيف بمثابة الرافد الأساسي لسنن الفطرة، ما يكون مناسبًا للتدافع بما فيه من حوار وصراع، أو مد وجزر.

دعونا الآن نتأمل قول الله تعالى:

﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ﴾

[سورة البقرة، الآيات: 135ـ138]

ولعلنا نلاحظ مدى التركيز القرآني والنبوي، على جوهر الحنيفية ومنطقها التجريدي، الملائم لاستفتاح القلوب التي تصدُّها التوعكات الحضارية، على امتداد مسيرتها في هذه الحياة؛ وإن آيات الذكر الحكيم، دائمًا ما تشد حالات الجموح والتهور والانفلات إلى مرتكز أخلاقي وحضاري، لا يختلف عدلان من أهل الأرض بشأنه!!

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ * فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة الروم، الآيات 28ـ30]

أي فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها» [6].

ولقد كانت وظيفة الرسل في كل أمة، هي العودة إلى حظيرة الإيمان وإلى خط الفطرة الأصيل، كلما ران على قلوبهم ما يقدح في إنسانيتهم ويتحول بها عن مقتضاها الأخلاقي والحضاري. ولقد جاءت رسالة عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ في موعظة الجبل متممة في هذا السياق «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل»[7]. وها هو يقول: «لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة»[8]. ويقول تعالى:

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾

[سورة الأحزاب، الآية:38]

فانتفاء الحرج، يعني ملاءمة منهاج النبوة لسائر تفاعلات الحياة، بعيدًا عن اعتبارات الانتماء العقدي أو الموقع الفكري، فالفطرة قاسم وأرضية مشتركة لحركة الجاذبية الحضارية والحوار بين مختلف الثقافات والشعوب والأمم والحضارات!

وقد نوه الله ـ عز وجل ـ بأن وسيلة الوصول إلى تحقيق خيري الدنيا والآخرة هي : الفطرة السليمة، التي لم تتغير ولم تتبدل بالبيئة الفاسدة وسوء التربية، ولم تنطمس بجموح الأهواء وهوس المراء والمجاملات. كما قرر الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن أشد الناس عجزًا عن فهم الحق واستيعاب مقاصده، وأكثرهم تعثرًا عن إدراك حقائق الخليقة، واستكناه أسرارها؛ هم الحمقى والغلاة والمتعصبون الذين يفهمون الدين وفقًا لمعطياتهم الفئوية وأفقهم الضيق ورؤاهم القاصرة، التي كلت عن إدراك الخير الذي

6ـ سعدي أبو حبيب. القاموس الفقهي لغة واصطلاحًا . مرجع سابق . ص288. وانظر كذلك: بن حجر . فتح الباري صحيح البخاري . 3/ 303.
7ـ العهد الجديد . متّى . 5/ 17.
8ـ العهد الجديد . متّى . 5/ 25.

تنزل من قبل الله - سبحانه وتعالى - ليلتمس الناس سبيل الفطرة في التعرف إلى حقائق الكون الأخرى.

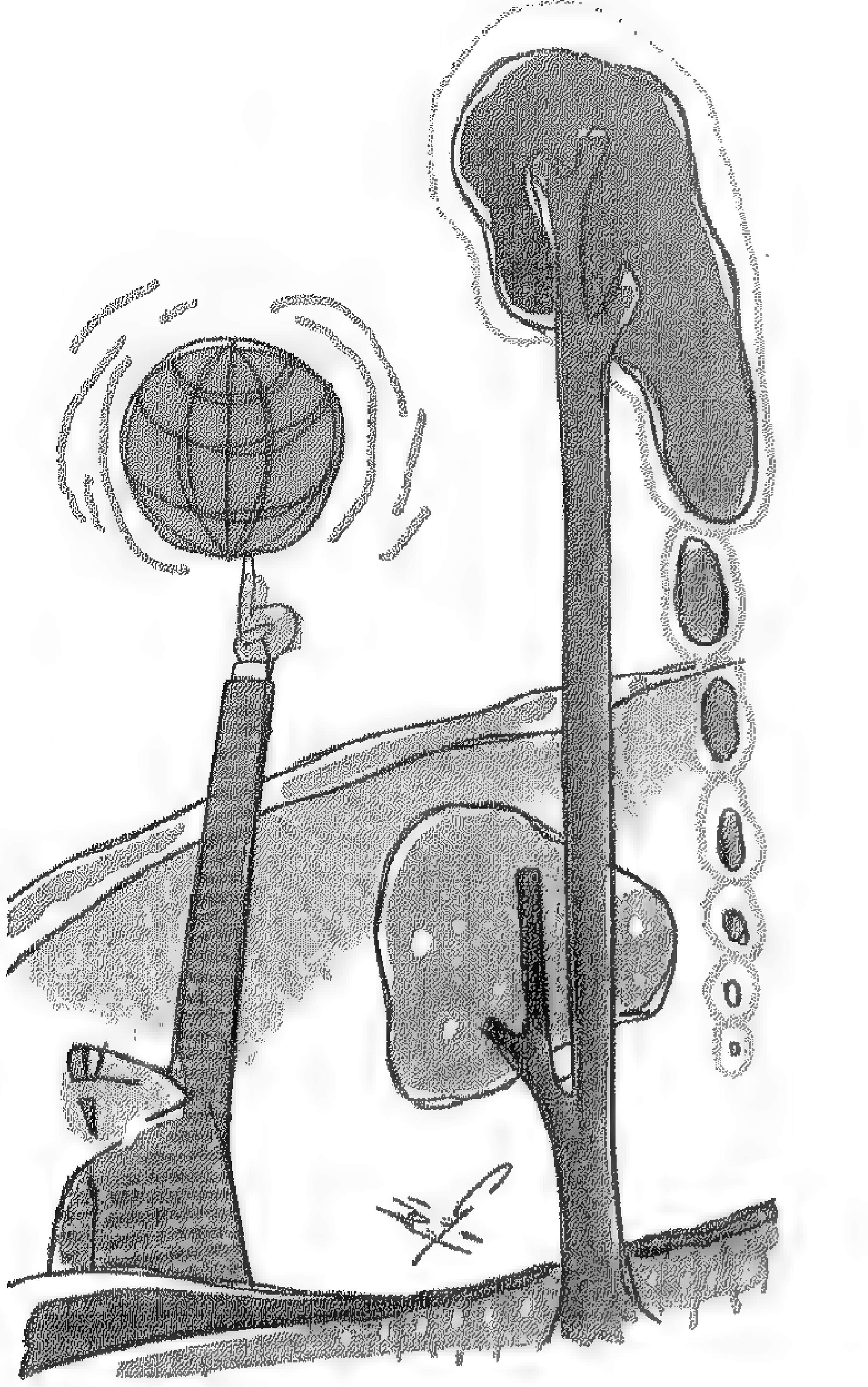
وإذا كنا نتفق على أن الدين - ابتداءً وانتهاءً - هو وسيلة الإنسان إلى بلوغ حالة الاكتمال الإنساني في الفكر والعقيدة، في العبادات والأخلاق وسائر المعاملات؛ فلنا أن نقرر بغير تكلفٍ ولا تعسف أن الدين في معناه الواسع ومفهومه الشامل الكامل هو الفطرة سواءٌ بسواء. بل كانت توجهات القرآن الكريم متسقة مع منهج الفطرة، انطلاقًا من تأكيد المولى - جل جلاله - على وجوب إيجاد صيغة للتعايش الإنساني، بعيدًا عن نزق الأهواء وعصبية الثقافات والعادات البيئية المكتسبة، التي قد تكون مجافية لعرف الناس وعاداتهم وتقاليدهم، فقال سبحانه وتعالى:

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾
[سورة الأعراف، الآية: 199]

ثم إنه في سياق التماس الوسائل الدعوية لإصلاح وجوه الحياة وصيانتها من التشوه والفساد ؛ اعتمد القرآن ما تعارف عليه أهل الخير عبر تطور الأزمنة والأمكنة وهو منهج الفطرة. يقول تعالى:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 110]

وسنن الفطرة - من حيث كونها منهجًا للاستقراء أو الاستدلال أو القياس - هي: حزمة من المعايير المنصوبة على موازن الضمير الإنساني. فتمتثل في آفاقه الوجدانية نجومًا هادية إلى البر والمعروف والإحسان الجالب للسعادة في الحياة! ومن حيث كونها طريقة فهي إضاءاتٌ ومعالم على طريق الحياة الإنسانية المتوعّرة بالأشواك والعوائق والمطبّات...!



وفي الحالتين كلتيهما رؤية نموذجية للحياة الإنسانية السعيدة بعيدًا عن التكلف والتعسف في استجلاب حظوظ الحياة !

وسنن الفطرة آلية لتحسين صورة الإنسان من خلال تفعيل خصال الخير فيه وتحبيبه إلى تنظيف بدنه ومظهره إلى درجة التأنق. يقول ﷺ: (عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظافر، وغسل البَراجِم(*) ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء) (**). قال الراوي: ونسيت العاشرة، إلا أن تكون المضمضة)[9]! هذا ويأتي تطهير المظهر في سياق ما يسمى بـ (الفطرة العملية) التي «تشتمل على كل ما كان متعلقًا بجمال المظهر عند الإنسان المسلم وحسن سمته»[10]. كذلك تأتي «التوجيهات الإسلامية

(*) عُقَدُ الأصابع.

(**) الاستنجاء.

9 - رواه مسلم في باب/122. حديث 261. (النَوَوِيُّ. المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج. دار الكتب العلمية. بيروت. 1418هـ. 2/122).

10 - صالح أبو عرّاد الشهري. سنن الفطرة وآثارها التربوية..

في الطهارة والوضوء والغسل، والنظافة في المسكن والملبس وأماكن التجمعات، والتوجيهات في المأكل والمشرب، والسلوك الخلقي العام والخاص؛ لتشير كلها - بطريق أو بآخر - إلى هذه العوالم الخفية، وإلى مسببات الأمراض الأخرى، التي تضعف البدن وتوهن الصحة، وتصيب الجسم بالعلل والأمراض التي قد تودي به إلى الهلاك»[11].

وهكذا كانت عناية الإسلام بتدشين علاقة حب ذات انعطاف جارف نحو الزينة والنظافة والجمال، مؤسسة على ثقافة الفطرة ومأثوراتها النبوية من لدن آدم - عليه السلام - حتى محمد ﷺ. ولنتأمل كيف أن في خصال الفطرة مراعاة للذوق العام، واحتراما لمشاعر الآخرين وتقديرهم، وفيه أيضًا تحقيق «مصالح دينية ودنيوية تدرك بالتتبع... منها تحسين الهيئة، وتنظيف البدن جملة وتفصيلاً، والاحتياط للطهارتين، والإحسان إلى المخالط والمقارن بكف ما يتأذى به من رائحة كريهة»[12]. بل إن مجرد الأمر النبوي بمخالفة المجوس والمشركين، إنما جاء ابتداء من أجل الترفع عن إهمال كمالات الجوهر والمظهر، والتي من شأنها أن تكون من عوامل الجاذبية والالتقاء والتفاهم والحوار والتآلف، بل إن كثيرًا من السلف الصالح كانوا يعتبرون مجرد تعاطي خصال الفطرة، ذلك أن «الإنسان إذا بدا في الهيئة الجميلة، كان أدعى لانبساط النفس إليه، فيقبل قوله، ويحمد رأيه، والعكس بالعكس»[13].

كما أن سنن الفطرة آلية لتحسين وتطهير جوهر الإنسان وتنوير جنانه، وتعويده على المعروف، وتنمية وجوده الأخلاقي إلى درجة التألق والتأنق. فطهارة الجوهر تتعلق بالتوبة والرجوع إلى قواعد الفطرة الأولى، وإلى براءة المواليد في طفولتهم يقول ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة)[14]. وذلك بتخليص القلب من الشرك، وسد مداخله ومنافذه بالتوحيد الخالص..

﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾

[سورة الحُجرات، الآية: 7]

حفظًا له من العادات السلبية.! وهكذا، كلما كان الإنسان مشدودًا إلى فطرة الله - جل جلاله - كلما كان ممسكًا بأسباب الحياة الكريمة.

وطالما أن هناك منهجًا للفطرة ؛ فإن فرصًا عديدة يمكن أن تتوالى بين يدي واقعنا العالمي المعاصر، الذي تتشابه أزماته ومشكلاته إلى حد كبير. ولعل منطق الرجوع إلى منهج الفطرة قد يجعلنا نلتقي العديد من التيارات البشرية عند غير نقطة على طول خط هذه الحياة، التي أحوج ما تكون إلى روح الحوار والتدافع بالتي هي أحسن، حتى نتوافر على صيغ ربانية للتعاون والتعايش على بيّنات من هدي الفطرة التي فطر الله جميع الخلق عليها. وإن مجرد دعوة الناس إلى الفطرة يمكن أن يحقق للإنسانية أسباب وجودها الحر المحترم الكريم.

الفطرة قاسم وأرضية مشتركة لحركة الجاذبية الحضارية والحوار بين مختلف الثقافات والشعوب والأمم والحضارات!

إن سنن الفطرة هي سبيل الوسطية التي تتعب الإنسانية كثيرًا في تحريها، بعيدًا عن مقاصد الشرع وأسرار الوحي دون جدوى.! إذ إن تلك الوسطية، هي نقطة الجاذبية الحضارية، التي يتاح للإنسان من خلالها رؤية الأشياء، وتقدير الحقائق على طبيعتها، فضلاً عما تتيحه للإنسان من فرص اتزان الشخصية واستوائها على مراد الخالق، وهو ما يجعلها أكثر قدرة على الإبداع والانطلاق في مسيرة الاستخلاف بثقة واقتدار.

11 - مجهول - من إعجاز القرآن الكريم والسنة المطهرة في الطب الوقائي والكائنات الدقيقة www.aleijaz.net.

12 - ابن حجر العسقلاني - فتح الباري بشرح صحيح البخاري - مرجع سابق - 409/10.

13 - ابن حجر العسقلاني - فتح الباري بشرح صحيح البخاري - مرجع سابق - 409/10.

14 - رواه البخاري عن أبي هريرة - في كتاب الجنائز - حديث / 1385.

أفكار حول احترام كرامة الإنسان*

إيان ليندل**

تترسّخ جذور فهم المسيحيّة لكرامة الإنسان في عقيدة الخلق الواردة في كتاب: التكوين. يصف هذا الكتاب كيف أنّ الإنسان أو «آدم»، بالرّغم من أنّه خَلْق الله هو «على صورة الله ومثاله». ولأن فهم فكر (الإيديولوجيّة) الشرق أوسطيّة المعاصرة للملوكيّة، يعتبر أنّ الملوك وحدهم يكونون على صورة الله ومثاله، شكّلت هذه الفكرة اتّجاهاً ثوريّاً غير مسبوق. ويتعجّب كاتب المزامير قائلاً: «دون الإله حَطّته قليلاً، بالمجد والكرامة كلّلته» (مزمور 8 الآية 6).

غير أنّ فهم «صورة الله» لا يزال عسيراً لأيّ (أنثروبولوجيا) مسيحيّة. فلطالما شغل اللاهوتيين المسيحيين طيلة قرون، وولّد مجموعة غنيّة من التفسيرات. وتشكّل هذه المسألة أساساً حيويّاً للاّهوت الأخلاقي في كتاب القدّيس (توما الأكويني) «الخلاصة اللاهوتيّة» وهو اتّجاه الفكر الكاثوليكي الذي سنعتمده هنا.

يرى القديس توما الأكويني، أنّ العقل والإرادة الحرّة والأفعال الفاضلة والقوّة الأخلاقيّة الإنسانيّة، هي الخصائص الجوهريّة التي تصف الإنسان كخلق الله وتميّزه عن باقي الأحياء، وتقيمه سيّداً على باقي المخلوقات. [1] يترافق موقع الإنسان هذا و«حقّه» بالسيادة، مع واجب الوصاية على الخليقة والاهتمام بها، على صورة اهتمام الله المحب. ففي التراث السرياني، اعتبر (تيودوريطوس المبسوسطي)، أحد الآباء الأنطاكيين، أنّ البشريّة، كونها نائب الله الوصي ـ بمعنى أنّها تشكّل الرابط وعهد الصداقة بين الله وعالم الأحياء بأسره، تقع عليها مسؤوليّة كبيرة وتضامن مع الخلق. [2]

ويوضح (توما الأكويني) أنّ الإنسان ليس صورة

---

* ورقة قدّمت في ندوة (حوار الأديان في خدمة التنمية) طرابلس، 2006/3/8 مسيحي.

** قسم الشؤون الدّوليّة ـ مؤتمر أساقفة إنكلترا وويلز.

1. De Iustitia et Jure 4.1.107b 47; Summa Theologiae 2a 2ae, Q.66, art. See Fergus Kerr After Aquinas: Versions of Thomism, Oxford Blackwell, 2002, 124

2. Robert Murray "The Image of God: delegated and responsible authority" in Priests and People February 2000, 51. Likewise St. John Chrysostom wrote of the "gentleness and mildness" of God as being the key qualities understood in the imago. Homilies on Genesis 8:6-8 translated R.C. Hill in Fathers of the Church Catholic University of America Press, 1990, 109

الله، بل مخلوقاً «على صورة الله». ليست المسألة بالطّبع مسألة شَبَه في الجسد، قد يجوز اللجوء إلى استعارة العملة الحجريّة التي تحمل صورة الحاكم، لكن التشبيه الأفضل يكون في التحفة الفنيّة التي تبرز طابَع الفنّان الفريد. يظهر هذا التشبيه جليّاً في العبارة المسيحيّة «صانعو البشريّة الجديدة» المستعملة على نحوٍ متزايد منذ ستينات القرن الماضي، لوصف المسيحيين كمعاوني الله في عمله الخلاصي المحرِّر. إن المسيحيين إذ يشاركون في هذا العمل، يستمدّون من الله شيئاً من قوّته المحبّة على الخلق والخلاص.

لكنّ المفهوم المسيحي لـ«صورة الله» لا يقلل من درجة إساءة الخطيئة للإنسان كونه تحفة الله، وإساءتها لعمله كصانع الخليقة الجديدة. وقد يصعب ذلك بعد ما اختبره الفاشيّون، والشيوعيّون العلمانيّون، في القرن العشرين. فالإنسانيّة التي يصفها الفيلسوف (جاك ماريتين) بالقداسة القادرة على «ملامسة هدب الله» هي أقرب إلى الوقوع في هاوية الشرّ.

يصرّ المجمع الفاتيكاني الثاني، على أنه لا يمكن فهم «صورة الله» خارج تجليّها الكامل في علاقتها بألوهية يسوع المسيح، أي تماماً كما يصفها التشبيه: صورة الله الكاملة، صانع البشريّة الجديدة المُخلِّصة ومثالها. [3]

لذلك، لا يمكن للمسيحيين أن يفصلوا مشروع الخلق عن مشروع الخلاص. [4] فالكرامة الإنسانيّة هي الثمرة التي ينالها الإنسان لكونه خُلِقَ وخُلِّص على حد سواء - وفي الحالتين يسكب الله محبّته ويمنح الإنسان قدرة على السّعي إليه ومعاينته والتعرّف إليه في النهاية. وعليه، نفهم لماذا قد تحمل دراسة (أنثروبولوجيّة) مسيحيّة، محض معاني الإمتنان وخوف الله. نذكر في هذا السياق ما كتبه قداسة البابا يوحنّا بولس الثاني «وفي الواقع أن هذا الإعجاب الكبير بقدر الإنسان وكرامته يسمّى الإنجيل: البشرى السّارّة ويُدعى أيضاً المسيحيّة». [5]

إلاّ أن القدّيس توما الأكويني، كان بالطّبع لا يزال متأثّراً بروح القرون الوسطى والهرميّة التي كانت سائدة آنذاك في فهمه «للكرامة» التي كانت تُنسب فقط «للأشخاص» أصحاب «المقامات الرفيعة». كانت هذه الصفة تشير بشكل خاص إلى الحكمة الفائقة التي يمنحها الله هؤلاء من أجل العمل في ما يُسَمّى اليوم إدارة الكنيسة والمجتمع.

طاعة الله تقتضي احترام الكرامة الإنسانية وبالتالي «تبجيل» واجبات الشرائع الدينيّة أي «تبجيل» الله

فالكرامة بحسب روح القرون الوسطى تشكّل جزءاً من هبات العناية الإلهيّة وتجعل الحاصلين عليها «ملائمين للمهمّة». لذلك، كانت «الكرامة» صفة محترمة من قبل الجميع. أمّا اللقب المستعمل آنذاك فكان Observantia أي «المبجَّل». وهو في الواقع لا يزال مستعملاً في اللغة الإنكليزيّة في اللقب المشرّف Worshipfuz أو «المُبَجَّل» المنسوب لأصحاب المناصب والمواقع الموروثة من القرون الوسطى. [6]

---

3. Roger Ruston Human Rights and the Image of God Canterbury SCM Press, 2004, 55; Rowan Williams in Grace and Necessity: Reflections on Art and Love Morehouse, USA, 2005 takes up the theme from the position of the artist's openness to transcendence.

4. Evangelii Nuntandi لا يمكن فصل مشروع الخلق عن مشروع الخلاص. فالأخير يشمل إدانة حالات الظلم الصارخة وإحقاق الحق - البابا بولس السادس، عام 1974.

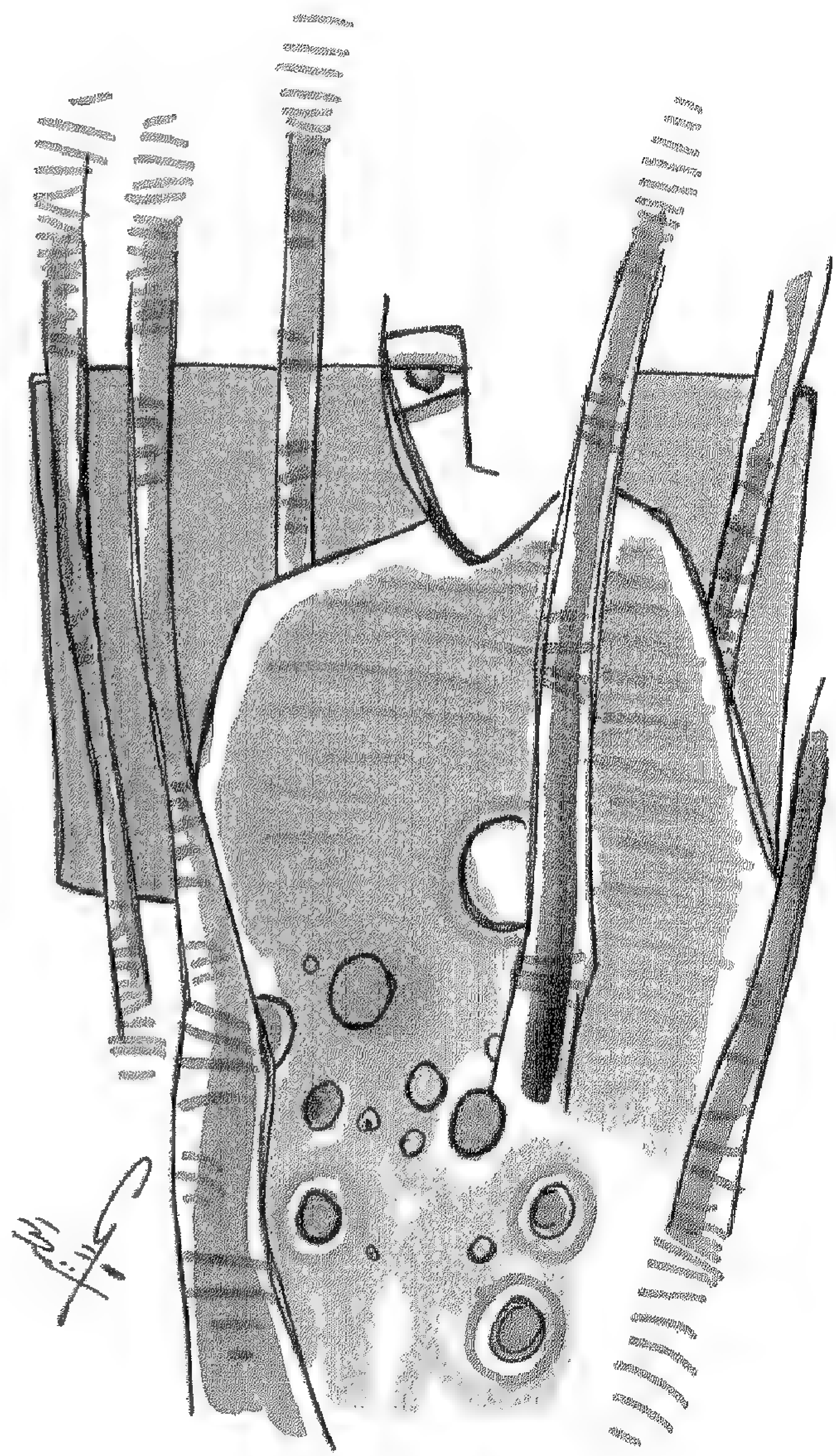
5. فادي الإنسان 10، البابا يوحنّا بولس الثاني، 1979.

6. Rushton Human Rights, 113 n.8

على أثر اكتشاف العالم الجديد، في القرن السادس عشر، وما نتج عنه من تطوّر في مفاهيم المساواة بين البشر و«العالميّة»، اتّسع الحق الموضوعي بالكرامة ليشمل كل الناس والأمم، أصبح احترام هذا الحق واجباً عليهم، فطاعة الله القائمة على الطبيعة البشريّة الفريدة كخلقٍ من صنع الله، أصبحت تقتضي احترام الكرامة الإنسانيّة عالميّاً وبالتالي «تبجيل» واجبات الشرائع الدينيّة أي «تبجيل» الله.

حقوق الإنسان

حتّى القرن السادس عشر، وقبل أن يبرز مفهوم «الكرامة الإنسانيّة» العالميّة، ساد مفهومان أساسيّان آخران متطابقان جزئيّاً، هما «الحقوق الطبيعيّة» و«العدل». قام الأخوة: أنطون مونتيسينو وفرانسيسكو دو فيتوريو وبارتولوم دي لاس كاس، وهم من الرهبان الدومينيكان، الذين استنكروا الفتح الإسباني العنيف على أميركا اللاتينيّة، بالمطالبة بحق السكّان الهنود الخاضعين، بالحريّة والملكيّة الخاصة. لا شك أن أفكار هؤلاء الرّهبان كانت مرسّخة في اللاهوت الذي اكتسبوه. ويظهر ذلك في قول (لاس كاساس): «إذا أردنا أن نكون أولاداً للمسيح وشاهدين لحقيقة الإنجيل، يجدر بنا الإيمان بأن هذه الشعوب ولو كانت همجيّة بالكامل، تبقى خليقةً صنعها الله على صورته.[7] نتيجة لهذه المطالبة اكتسبت الشعوب المماثلة حق تقرير مصيرها، إلى جانب حق ضمني بمواصلة ممارسة دينها الوثني من دون أي إكراه - إذ يرفض لاس كاساس إنتقادات الإكليروس (رجال الدين) الواضحة - فقد بيّن البابا بولس الثالث في رسالته Sublimis Deus الصادرة عام 1537



---

7. Bartolome de las Casas In Defence of the Indians (1552) quoted in Rushton Human Rights 146

وتوجيهاته الرعويّة، لأسقف توليدو خوان دي تافيرا أنّ تعاليم الكنيسة قد اعترفت رسمياً بحقوق الحريّة والملكيّة وتقرير المصير. في العام نفسه برزت عبارة Jura Hominium في نص معاصر وفي دلالة أكثر ذاتيّة لـ «حقوق الإنسان»، وهي الدلالة التي تدور في إطارها مواضيع حقوق الإنسان في ايّامنا هذه. (8)

كان من المتوقّع ربّما من شهادة مدرسة دومينيكان سالامانكا ـ المسمّاة تيمّناً بالجامعة التي كان فرانسيسكو دو فيتوريا أستاذاً فيها ـ أن يتطوّر تعزيز الكنيسة للحقوق الطبيعية الموضوعيّة بطريقة واضحة وصريحة نحو المفهوم الحديث والذاتي لحقوق الإنسان «غير القابلة للتصرّف». إلاّ أنّ ذلك لم يتم لأسباب شتّى. أوّلاً: لم يلقَ الدّفاع عن الهنود، من خلال اللاهوت، ترحيباً كاملاً في الكنيسة. لا بل واجه العديد من التحدّيات. ثانياً: إنّ طروحات «حقوق الإنسان» قد انبثقت عن طريق حركة التنوير الفلسفيّة الأوروبيّة المعادية للإكليروس والاضطراب السياسي العنيف الذي ولّدته الثورة الفرنسيّة. أدّت الأولى إلى سحب اعتراف الدول الليبيراليّة بالكنيسة، في معظم الدّول الأوروبيّة، أمّا الثانية فأثارت عنفاً جماهيرياً وموجات قتل الأساقفة والكهنة والراهبات. فكان قول دوني ديدورو المشهور: «لا تتحقّق الحريّة إلاّ بخنق آخر ملك بأمعاء آخر كاهن».

تنيجة لهذه الأسباب، جاءت مواقف الكنيسة، لجهة حقوق الإنسان خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر متّسمةً «بالتردّد والمعارضات والتحفّظات، بالإضافة إلى ردود فعل عنيفة لدى الطرف الكاثوليكي في بعض الأحيان عند أي تصريح ليبيرالي أو علماني الطابع حول حقوق الإنسان».(9) وحده الفيلسوف البروتستانتي جون لوك المقيم في أميركا بعيداً عن أوروبا تمكّن من فهم هذا التحوّل ضمن التقليد المسيحي بشكل سهل نسبيّاً. لم تر الكنيسة الكاثوليكيّة في طروحات حقوق الإنسان إلاّ لغة أعدائها التي تنوي تدمير الكنيسة عبر تمسّكها بالفرديّة المفرطة و«الحداثة». غير أن بعض أنصار هذه الحركة الذين اطلق عليهم اسم «المحدثين الإجتماعيين» رفضوا الفرديّة في الدولة الليبيراليّة، فأرادوا التركيز على الواجبات بدل الحقوق.(10)

> **لا يجوز لأحد أن ينتهك كرامة الإنسان، ويفلت من العقاب. المسألة لا تتعلّق بحقوق يتمتع بها الإنسان بل بواجبات تجاه الله**

وهكذا، حين بدأ تعليم الكنيسة الكاثوليكيّة الاجتماعي يشكّل مرجعاً أساسيّاً يحدّد العقيدة ويتطوّر عبر الزّمن، أي بعد صدور رسالة قداسة البابا ليون الثالث عشر Rerum Novarum، أو «الشؤون الحديثة» في العام 1891، تجنّبت الكنيسة وأدانت، من وقت إلى آخر، الحديث الليبيرالي حول «حقوق الإنسان» وركّزت في مواقفها على حقوق وواجبات شرائح معيّنة من المجتمع لا سيّما العمّال، أو تحدّثت بشكل عام عن «كرامة الإنسان». فكتب قداسة البابا ليون، واصفاً أوضاع الطبقة العاملة الأوروبيّة: «لا يجوز لأحد أن ينتهك كرامة الإنسان، ويفلت من العقاب، فالله نفسه يعامل هذه الكرامة باحترامٍ فائق». لكنّه عاد وأصرّ على أن المسألة لا

---

8. In column 4759 of Volmenus's Historia diplomatica regum Bataviarum 1537 quoted by M. Villey Le Droit et les Droits de l'homme PUF, Paris 1983, 174

9. The Church and Human Rights Pontifical Commission "Justitia et Pax", Vatican City, 1975, 18

10. Rushton Human Rights 236-266: Peter Bernardi "Social modernism: the case of the Semaines Sociales" in Catholicism Contending with Modernity (ed.) Darrell Jodock Cambridge 2000, 295. According to Henri Lorin, indivi dualism "falsifies the idea of right by detaching it from the idea of duty, its source and raison d'etre" (1909)

تتعلّق بحقوق يتمتع بها الإنسان بل بواجبات تجاه الله». كان يكتب عن «الحق» بالراحة يوم الأحد لأداء الواجبات الدينيّة، ويهتمّ بإثبات طبيعة الإنسان الإجتماعيّة المتناقضة مع الفرديّة الليبيراليّة في الأخويّات التقويّة في القرون الوسطى، مثلاً أكثر من اهتمامه بدعم الاتّحادات العمّاليّة الحديثة والجمعيّات المهنيّة التي كانت في أوج نشأتها. [11]

لذلك، كان على الكنيسة أن تصقل هذا التركيز على الجماعات في ظل التوتاليتاريّة السائدة، لتمييزها عن الشيوعيّة والفاشيّة، فأعلن قداسة البابا بيّوس الحادي عشر، في رسالته «الفادي الإلهي» Divini Redemptoris الصادرة عام 1937 والتي تدين الشيوعيّة، لائحةً أساسيّة للحقوق التي يمنحها الله للبشر. أمّا خليفته البابا بيّوس الثاني عشر فدعا في رسالة عيد الميلاد الإذاعيّة للعام 1942 والعام 1944 إلى استعادة كرامة الإنسان، في وجه الفاشيّة، كما سلّط الضوء على الحقوق المدنيّة للمشاركة في الحياة العامّة والحكم. فكانت الغاية من الحياة الاجتماعيّة «تطوير القيم الشخصيّة لدى الإنسان، كونه يحمل صورة الله». هذا، ودعا الشباب إلى النضال في سبيل «كرامة الإنسان وتحقيقه لمصيره» [12].

إلاّ أن التأثير الإيجابي لميثاق الأمم المتّحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، عام 1948، على الفكر الكاثوليكي، كان العامل الوحيد الذي سمح باستكمال التحوّل والتوصّل أخيراً في أوائل الستّينات إلى تفكير عميق وموسّع، حول أهميّة حقوق الإنسان. لم يكن الفرق ما بين رسالة البابا يوحنّا الثالث والعشرين Mater et Magistra أو «أم ومعلّمة» في العام 1961 ورسالة «سلام بين الأمم كلّها» Pacem in Terris في العام 1963، فرقاً في المحتوى بل في الجمهور المعني. فالأولى كانت موجّهة إلى الكنيسة، أمّا الثانية فكانت موجّهة إلى «ذوي النيّة الصّالحة» وكانت تحمل روح المجمع الفاتيكاني الثاني، الذي كان قد باشر أعماله بروح «التحديث» أو aggiornamento في الفترة ما بين صدور الرسالتين.

كشفت رسالة «سلام بين الأمم كلّها» عن موقف الكنيسة الكاثوليكية الكامل، لجهة حقوق الإنسان حتّى يومنا هذا، ولم يكن هذا الموقف محصوراً بها، إذ اعتمده العديد من غير المسيحيين أيضاً. فكما كتب القدّيس بولس في رسالته إلى أهل روما (15:2) أن الطبيعة الإنسانيّة «تثبت أن ما تأمر به الشريعة مكتوباً في قلوبهم»، ويكافح الضمير ليستجيب للقيم، أي «للشريعة الطبيعيّة». باختصار، يمكن القول: إن الشريعة الإلهيّة مطبوعة في عمق كيان الإنسان وتظهر جليّة من خلال ضميره. وأعطت التعاليم الرسميّة اللاحقة أهميّة بالغة للضمير إذ تصفه «بالجوهر والصميم الأكثر سرّيّة في الإنسان، حيث يكون (الإنسان) وحده مع الله ويكون لصوت الله صداه في أعماق الإنسان». [13] شكّل هذا التقييم لأهميّة الضمير اللاهوتيّة والعميقة، العامل الأساسي لإعلان الكنيسة الذي جاء متأخّراً عام 1965 للحريّة الدينيّة، في رسالة «الكرامة البشريّة» Dignitatis Humans .

لم تر الكنيسة الكاثوليكيّة في طروحات حقوق الإنسان إلاّ لغة أعدائها التي تنوي تدمير الكنيسة عبر تمسّكها بالفرديّة المفرطة والحداثة.

توضح رسالة Pacem in Terris أن لكلّ إنسان

11. الشؤون الحديثة 57-58 البابا ليو الثالث عشر، عام 1891، ومعالجة الموضوع نفسه في رسالة «أم ومعلّمة» عام 1961 (284-253)
12. سلام بين الأمم كلّها، 9، 10، 11-27
13. فرح ورجاء CTS 1966، 16

«حقوقاً وواجبات، تنبع كنتيجة مباشرة من طبيعته، وهي الميزة الإنسانيّة الأبرز في البشريّة. وتكون هذه الحقوق والواجبات عالميّة، غير قابلة للانتهاك وغير قابلة للتصرّف». لكن أن نفهم الكرامة الإنسانيّة من منطلق تجلّي الله، وليس التحلّي بالذكاء والإرادة الحرّة، أي من منظور خارق للطبيعة وليس طبيعياً، «لا شكّ يزداد تقديرنا لها بشكل لا يضاهى». هذا وتشرح الرسالة أصناف حقوق الإنسان بما في ذلك الحقوق الإقتصاديّة، وبذلك تكشف عن نيتها اعتبار الحقوق قبل اعتبار الواجبات المقابلة لها.[14]

إن تأمّلاً في الأحداث الماضية قد يظهر أن نشر رسالة Pacem in Terris كان بمثابة نقطة تحوّل. فخلال المجمع الفاتيكاني الثاني، عبّرت الكنيسة صراحة عن موقفها تجاه مجمل حقوق الإنسان، ومعظم الحقوق المنصوص عليها في إعلان الأمم المتّحدة، غير أن الدّافع لذلك لم يتغيّر، إذ كانت الكنيسة لا تزال تحاول التعبير عن متطلّبات الكرامة الإنسانيّة كما جاء في الإعلان عن الحرية الدينيّة Dignitatis Humanae أو (كرامة الإنسان): إن هذه المتطلّبات قد فهمها المنطق الإنساني عبر قرون من الخبرة» [15]. في الواقع، من المهم الإشارة إلى أن هذه المتطلبات لم تكن محصورة بالكنيسة الكاثوليكيّة فقط، بل كانت متاحة للجميع: أي أن الكنيسة كانت تدعو لتحقيق هذه المتطلبات معتبرة نفسها شعب الله، وليس جماعة منغلقة تتمتّع حصريّاً بمعرفة خاصّة ولا ديناً خاصّاً لبعض المختارين، بل «كسرٌ للإنسانيّة كلّها» التي تتشارك ميراث البشريّة.

غالباً ما ركّز البابا يوحنّا الثالث والعشرون، على أنه لا يمكن فصل التفاؤل عن تقديره للمطالب المنتشرة لحقوق الإنسان وادراك كرامة الإنسان، خارج الكنيسة، والتي شهد على تناميها وتعاظمها خلال السنوات الأخيرة من خدمته.

التنمية الكاملة

تشكّل الوثيقة المجمعيّة تحت عنوان «الدستور الراعوي في «الكنيسة في عالم اليوم» (فرح ورجاء) (Gaudium et Spes) التّي انتهت بها أعمال المجمع الفاتيكاني الثاني، عام 1965، نظرة شاملة للعالم اعتبرها البابا يوحنّا قراءة «لعلامات الأزمنة». فجاء النص على شكل حوار مع العالم الحديث، ويمكن اعتباره مقالة في سياق (أنتروبولوجيّ) مسيحيّ معيّن.[16]

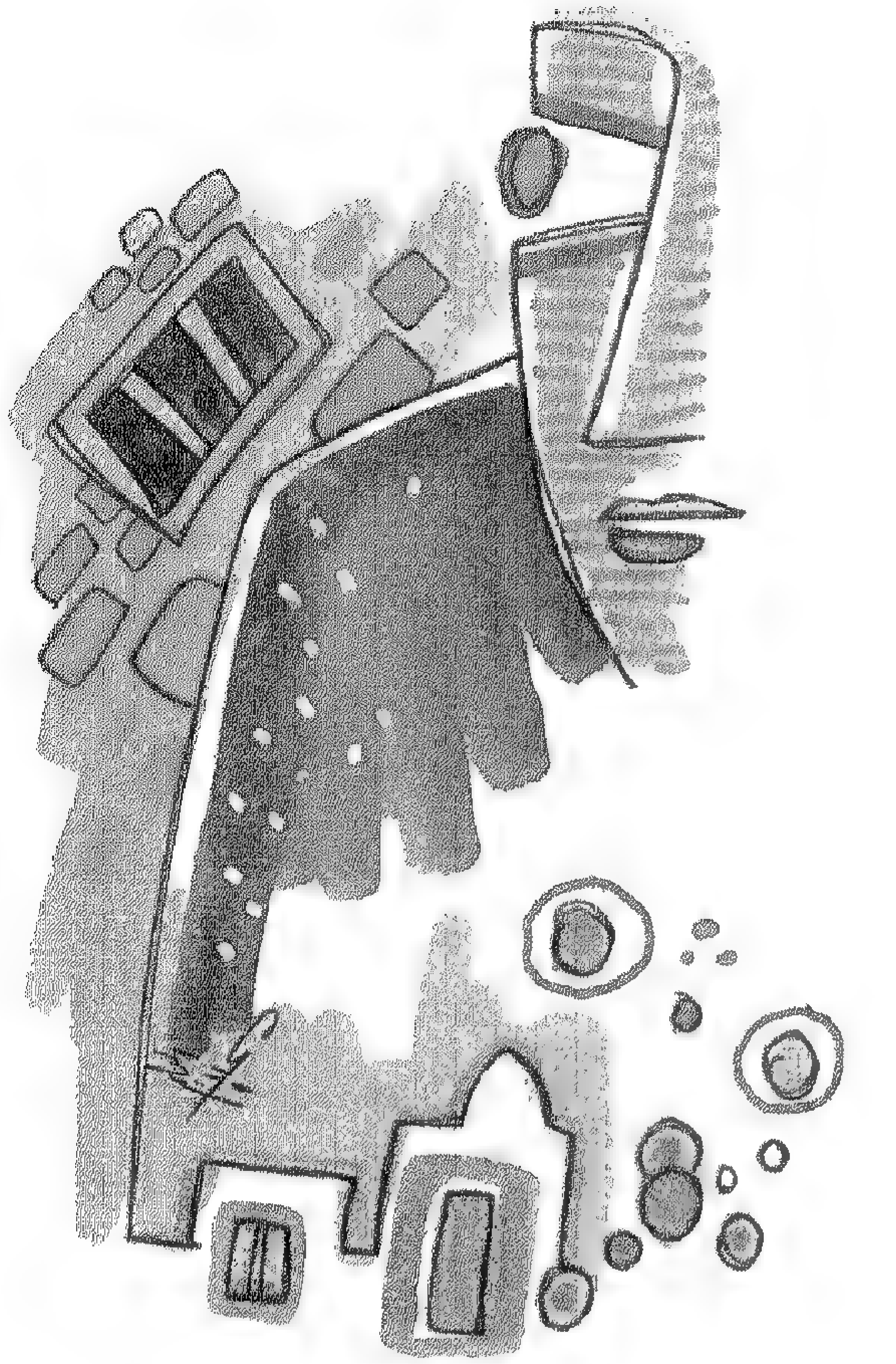
تطوّر الشعوب نفسها بنفسها ولا يمكن لأي طرف غيرها أن يطوّرها

وتشرح الوثيقة «سيكون محور طرحنا هذا الإنسان بحدّ ذاته، جسداً وروحاً، قلباً وضميراً، عقلاً وإرادة». ولأن الإنسانيّة تعيش ضمن الزمان والتاريخ، ولا يمكن أن تكون ثابتة كمفهوم مجرّد أو نظري، سرعان ما تثير فكرة الإنسانيّة الكاملة مسألة التنمية المتكاملة، لكن بما أن نظريّة «الشريعة الطبيعيّة» كانت ولا تزال موضوع التباس، إذ اعتبرها البعض صفة ثابتة و(بيولوجيّة) لدى الإنسان، ممّا أدّى بالكثيرين إلى رفضها منذ ذلك الحين، لا يسعى الدستور الرّاعوي إلى إقامة روابط بين المؤمنين وغير المؤمنين، عبر الوسائل التقليديّة التي لجأ إليها البابا يوحنّا، انطلاقاً من «الشريعة الطبيعيّة». فنقطة الإنطلاق تكون في إيمان الكنيسة بأن ربّها وسيّدها الكريم، هو الجواب لكل سؤال، وهو ارتكاز التاريخ البشري كلّه وهدفه».[17]

---

14. Joseph Gremillion " The Gospel of Peace and Justice" Orbis Books 1975, 10-13
15. كرامة الإنسان 1965، 9
16. Cardinal Walter Kaspar "The Pastoral Constitution 'Gaudium et Spes', paper presented at Worth Abbey, Conference on Gaudium et Spes 40 Years On, 4-7 July 2005
17. المرجع ذاته

تقدّم وثيقة فرح ورجاء Gaudium et Spes فكراً (أنتروبولوجيّاً) مسيحيّاً رفيعاً، وواقعياً يتعامل مع مسألة الثقافة بكل جديّة. فهي ترفض الإزدواجيّة الرّوحيّة في الدّفاع عن كرامة الجسد الذي يبرز فرادة الإنسان من جهة، والتشديد على أن روح الإنسان مترفّعة عن العالم المادّي، من جهة أخرى، ولا شكّ في أنّ هذه الوثيقة قد سبقت عصرها في تسليطها الضوء على «الترابط الإنساني»، ما تصفه التحليلات على نحو متزايد اليوم بالعولمة. فبالنسبة لتعليم الكنيسة الكاثوليكيّة الإجتماعي، تكمن ميزة الإنسان الجوهريّة في كون كرامته أساساً وطيداً، يقوم عليه المجتمع، والإنسان كائن اجتماعي لا محال. ويتّخذ هذا الطابع الاجتماعي بُعداً عالميّاً جديداً تتمنّى الكنيسة مواكبته. وقد قال البابا بولس السادس: «إن الحقيقة الرئيسيّة التي على جميعنا الاعتراف بها، هي: أن المسألة الاجتماعيّة قد أصبحت عالميّة».(18) هذا وتوضح الكنيسة شيئاً فشيئاً أن هذه الروابط الاجتماعيّة العالميّة بين الأسرة البشريّة بطبيعتها (الأنتولوجيّة) والأخلاقيّة، تتجلّى كاملة بفضل التضامن.



لم يبقَ هذا الأمر مجرّد إرشاد أخلاقي، ففي أواخر الستينات بدأت الدّول الحديثة الاستقلال المنضمّة إلى الأمم المتحدة بإطلاق مطالب قويّة في وجه البلدان الغنيّة لإحقاق العدالة الدّوليّة. هكذا بدأت تنجلي الرؤية وتبرز الحاجة إلى نظام إقتصادي دولي جديد. وفي العام 1964 عقد مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية اجتماعه الأوّل، في جنيف حيث أعرب ممثلو الأمم الحاضرة، عن ترحيب حماسي لما قدّمه رجلان فقط، هما: شي غيفارا ولويس جوزف لويري، وهو كاهن دومينيكاني من مقاطعة بريتاني الفرنسيّة، مُرسل من قبل قداسة البابا بولس. كان لويري من مناصري حركة التطوّر، وقد كان نشيطاً جدّاً في شبابه في نضال صيادي السمك في بريتاني، ضد جهات الضغط المعادية في مجال الصيد، نذكر من أقواله: «في مجتمع إنساني يعي أهمية التضامن يجب الإعتراف بحق الشعوب بالتنمية واحترامه»(19). طلب قداسة البابا من لويري صياغة رسالة بابوية تتناول العدالة الإجتماعيّة الدّوليّة والعلاقة بين الأمم الغنيّة والفقيرة. فجاءت رسالة «ترقّي الشعوب» Populorum Progressio

18. ترقّي الشّعوب، البابا بولس السادس، 1967، 3

19. Paroles de l'Eglise catholique sur le developpement French Justice and Peace Commission, 1990, 75

خطوة جديدة منطقيّة في تفكير الكنيسة حول متطلبات الكرامة البشريّة، في إطار التنمية الدّوليّة المعاصرة المتّجهة نحو الغرب، كما برزت كموجة جديدة وأوّليّة للعولمة وهيمنة نظريّة التحديث.

أقرّ المجمع الفاتيكاني الثاني أن «للمخلوقات وللمجتمعات قوانينها وقيمها التي يجب أن تُكتَشف وتُطبّق وتُنظّم من قبل الإنسان تدريجيّاً، بتعابير أخرى يجب الإعتراف بالإستقلاليّة الصحيحة للعلوم والإقتصاد والثقافة والسياسة.[20] تقدّم وثيقة «ترقّي الشعوب» طرحاً أوّليّاً انتقادياً يحاول تحليل الأسباب قبل اقتراح الحلول. من أهم الأسباب المذكورة، تلك التي تتعلّق بالهيكليّات. فدعا قداسة البابا بولس السادس إلى إحداث تغيرات هيكليّة و«تحوّلات جريئة تجدد الأطر التنظيميّة وتعيد بناءها بالكامل»[21]. لا يفوتنا هنا أن نلاحظ أن السبب وراء المطالبة بتغييرات مماثلة يكمن في أن «الإقتصاد يجب أن يكون بخدمة الإنسان» وأن الروابط الإجتماعيّة العالميّة بين الأسرة البشريّة تتطلب من الجميع الإلتزام بتعزيز التنمية.[22]

الإنسانية تعيش ضمن الزمان والتاريخ، ولا يمكن أن تكون ثابتة كمفهوم مجرّد أو نظري، سرعان ما تثير فكرة الإنسانيّة الكاملة مسألة التنمية المتكاملة

لا شك أن ما يجعل وثيقة «ترقّي الشعوب» وثيقة واعدة بالتطوّر في المستقبل، هو توضيحها الجلي لمسؤوليّة الجماعة المسيحيّة، في العمل لتحقيق التنمية ورفضها التام للمقاربات المعاصرة الخاطئة للتنمية كمقاربة «الإكونوميّة» Economism. كان الرّد سريعاً على هذا الضوء الأخضر لانتشار الهيئات الكاثوليكيّة لشؤون التنمية ولجان العدل والسلام، الذي توسّع فيما بعد، وأصبح تحرّكاً علمانيّاً عالميّاً. وأثّرت هذه الهيئات بشكل متزايد على حياة الكنيسة عبر تعزيز وتفعيل العقيدة الإجتماعيّة بدل الإكتفاء بتلقينها.

تشير الرسالة البابويّة أيضاً إلى: رفض صريح للحلول الإستعماريّة والإستعماريّة الجديدة لمشاكل الفقر والظلم. فيسلّط البابا بولس السادس، الضوء على حق الشعوب والأمم كلّها بـ«صنع مصيرها». وينقل عن لوبري قوله: «لا نؤمن بفصل الإقتصاد عن الإنسان ولا التنمية عن الحضارات»[23] إذ يمكن وصف الحياة «بدعوة» للتطوّر وتحقيق الإنجازات ـ لكن في مجتمعات معيّنة فقط. بتعابير أخرى، تطوّر الشعوب نفسها بنفسها ولا يمكن لأي طرف غيرها أن يطوّرها، لذلك تحتاج إلى تعلّم الكتابة والقراءة وتحصيل العلم. في الرسالة البابويّة المذكورة، تشرح الفقرات 14-23 تحت عنوان: «الإنسانيّة السّامية» تصوّر الكنيسة الكاثوليكيّة للتنمية الكاملة. ويتوضّح هذا التصوّر أكثر من خلال الأمثلة الملموسة التي تصف «الأوضاع الأقل إنسانيّة» و«الأوضاع الأكثر إنسانيّة» للإشارة إلى أن التطوّر هو مسار تحوّل للاشخاص والشعوب والأمم. أمّا نهاية المسار وهدفه فواضحان: «نظراً لاتّحاده مع المسيح، ينبوع الحياة، يتوصّل الإنسان إلى ملء كيان جديد له، إلى إنسانيّة سامية تمنحه أفضل كمال ممكن، هذه هي الغاية الأرفع من تطوّر الإنسان».[24]

---

20. فرح ورجاء 36
21. Donal Dorr, Option for the Poor, Gill & Macmillan 1983, 139-143
22. Giorgio Filibeck, The Right to Development, Vatican City 1991, 7
23. Louis-Joseph Lebret-Dynamique concrete de developpement - Economie et Humanisme, Paris, 1961, 28
24. ترقّي الشعوب 21

عددٌ كبيرٌ من المسائل المذكورة في رسالة «ترقّي الشعوب» كالتركيز على العلاقات التجاريّة غير المتساوية والتجارة العادلة، مثلاً، يبدو اليوم غير مثير للنزاع. في الواقع، تتناول الحملة الأخيرة لوكالات التنمية للتجارة العادلة إجعل من الفقر تاريخاً، هذه المسائل بالذات. لكن يجدر بنا أن نعي دائماً أن ثلاثين سنة قد مضت على صدور أحكام الدستور الرّاعوي وهي لا تزال دقيقة ومواكبة للواقع. أمّا الناحية التي تبقى حتى اليوم «نبويّة» فهي تكمن في فهم هذه الوثيقة المرسّخ في التقليد الكاثوليكي لفكرة «الكفاية» في الإقتصاد، ممّا يطرح مشكلة «الكثير الفائض» و«القليل غير الكافي». أمّا الأوضاع الأقل إنسانيّة فيمكن أن تكون: الفقر المادّي للذين لا يملكون ضروريات الحياة، والفقر الأخلاقي للذين تشوبهم الأنانيّة»[25]. لكن حالة صعبة واحدة قد تُظهر ما يعني هذا التحدّي عمليًّا: «فهل نحن حاضرون لدفع ضرائب أعلى، هل نحن حاضرون لدفع المزيد، لقاء السلع المستوردة الخاضعة للتجارة العادلة؟»[26]

إلى ذلك، من الواضح أن فهم الأكويني للفائض أو الثراء المفرط على حساب الفقراء وحقّهم يدعو إلى تشريع نداء «إعادة التوزيع» (هذا لأن خيرات الخلق هي ملك للجميع). وتبرز هذه الفكرة في إشارة الكنيسة المتكررة إلى «ميراث البشريّة كلّها» وإلى أن «خيرات الأرض، في الأصل معدّة للجميع» مما يضع حدّاً جذريّاً لحق الملكيّة الخاصّة المعترف به في التقليد الكاثوليكي. [27] تظهر أصداء مماثلة، في مفهوم أطلقه قداسة البابا يوحنّا بولس الثاني، وهو «النمو المتطرّف» القائم على «توافر جميع أنواع الخيور الماديّة لبعض طبقات المجتمع بطريقة مفرطة يجعل بسهولة من الناس عبيداً لغريزة «التملّك» والمتعة الفوريّة لا هدف لهم سوى تكديس الأشياء، أو السعي المستمر للاستعاضة عمّا يملكون بأشياء أخرى أكثر تطوّرا»[28].

ربّ أهمّ تفسير للتصوّر الكاثوليكي للتنمية، جاء في المفاوضات التي جرت بين أساقفة أميركا اللاتينيّة في ميديلين عام 1968 وبويبلا عام 1979. فقد سلّطوا الضوء على أولويّتهم الرعويّة التي تقضي بمساندة الفقراء بالمحبّة والتضامن، ورفض الظلم والطغيان، وعبّروا عن ذلك في مؤتمر بويبلا في مقولتهم الشهيرة التي كان لها صدى قويّاً في أنحاء العالم كافّة: «نؤكّد الحاجة لتحوّل الكنيسة كلّها نحو الإيثار أو الحب المفضّل للفقراء، ويهدف هذا الخيار إلى تحريرهم الكامل».[29] إن هذا الحب المفضّل المترسّخ في الإقتداء بحياة يسوع الناصري، وخدمته وتعاليمه بين المُهمّشين في المجتمع، يتطلّب مقاومة ما يسمّيه، البابا يوحنّا بولس الثاني «بنيات الخطيئة» إلى جانب القضاء على الفقر من خلال تدابير وبرامج ملائمة [30]. ونظراً

يمكن اعتبار المهاجرين واللاجئين الذين فقدوا حقوقهم المدنية كلها، حالات اختبار للايمان والإلتزام بحقوق الإنسان إذ أنهم يتمتعون بحق عام وعالمي وذاتي فقط لكونهم إنسان

---

25. المرجع ذاته
26. المرجع ذاته 47
27. Ian Linden A New Map of the World DLT, London, 2004, 151-152
28. الإهتمام بالشّأن الإجتماعي 38
29. Puebla Conclusions, Evangelisation at Present and in the Future No.1134, Catholic Institute for International Relations, CIIR, London, 1980
30. الإهتمام بالشّأن الإجتماعي 36

للظروف القاهرة التي تعاني منها أعداد هائلة من الشعوب، تعتمد محاولات تحقيق الخير العام والتنمية البشريّة، بشكل أساسي، على ديناميكيّة أوّليّة هي مسار «التحرير الكامل».

شكّلت رسائل البابا يوحنّا بولس الثاني، مساهمة قيّمة في هذا المجال، إذ توسّعت في شرح المترتّبات الأخلاقيّة لمبدأ الترابط. ففي موضوع تدنّي أسعار السلع المستوردة في العالم الصناعي، يرى يوحنّا بولس الثاني مسئوليّة المستهلك الأخلاقيّة من خلال الإستعارة التالية: «رب العمل غير المباشر» الّذي يحمل جزءاً من المسؤوليّة دفع أجور منخفضة للعمّال الموظّفين ـ من قبل «رب العمل المباشر» ـ في البلد المنشأ للمنتج.[31] بهذه الطريقة، طوّر قداسته مبدأ التضامن. «عندما يتم الإعتراف بهذا الترابط فالجواب المناسب، كموقف خلقي واجتماعي «وكفضيلة»، هو التضامن. هذا التضامن ليس إذاً شعوراً بتعاطف مبهم، أو بتحنّن سطحي إزاء الشرور التي يعاني منها أشخاص عديدون، قريبون أو بعيدون. بل إنّه العزم الثابت والمثابر على العمل، من أجل الصالح العام، أي من أجل صالح الكل وكل فرد، لأننا جميعنا مسؤولون حقّاً عن الجميع»[32]. لذلك يرى القدّيس (توما الأكويني) أن التضامن هي «عادة» ككلّ العادات تقضي بمقاومة بنيات الخطيئة.

غير أن التضامن يستلزم الحوار، إذ أنّه لا يقوم في بشريّة عالميّة غير منظورة، بل بين أفراد المجتمع وبين الثقافات والديانات المختلفة. وبالرّغم من أن الحجّة التي نسمعها مراراً وتكراراً، أنه على الكنيسة أن تكون «صوتاً لمن لا صوت له»، هي صحيحة إلى حدّ ما، لكنّها في بعض الأحيان تتخطّى الحدود. فللفقراء صوتهم المدوّي إن يُسمح لهم بالتعبير عنه، وأن يتم اعتماد برنامج قويّ يلبّي نداءهم وينتبه لحاجاتهم. لكن عندما يُسأل الفقراء عن حاجاتهم بدل أن تُقرر عنهم، غالباً ما يكون جوابهم مختلفاً عمّا يتمنّى خبراء التنمية سماعه. في الواقع، إن مشروع المصرف «البنك» الدّولي «أصوات الفقراء» الذي يحاول الإصغاء إلى حاجات الجماعات الفقيرة على اختلافها، قد جمع بعض الإجابات التي أدهشت الكثيرين في المصرف الدّولي. على سبيل المثال، كانت أولى مطالب النساء المسلمات الفقيرات «الصحّة» و«تعلّم الصّلاة». لا شكّ في أن الكثيرين سيفاجأوا من اعتبار هذه المطالب بحد ذاتها مدهشة[33].

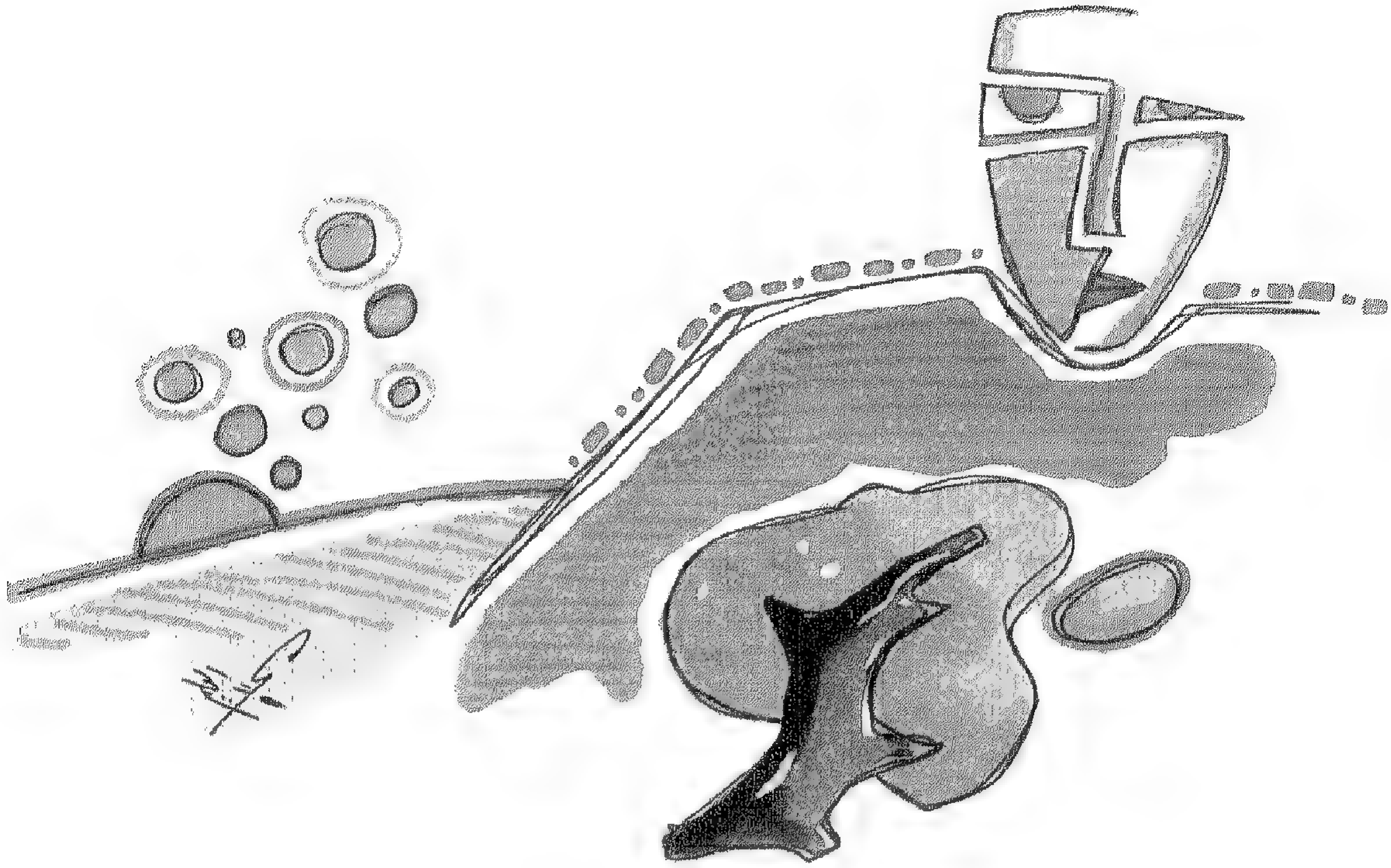
تكمن ميزة الإنسان الجوهريّة في كون كرامته أساساً وطيداً، يقوم عليه المجتمع، والإنسان كائن اجتماعي لا محال، ويتّخذ هذا الطابع الاجتماعي بُعداً عالمياً جديداً

باختصار، يشمل مفهوم الكنيسة الكاثوليكيّة للتطور الكامل، الطرح القائم على حقوق الإنسان واللاهوت عبر الإيمان والمنطق. أي يمكن وصفه بالسّعي لتحقيق الصالح العام في أخلاقيّة إنسانيّة واجتماعيّة (كنظريّة السلوك الأخلاقي، لموريس بلونديل، الذي تأثّر به (ماريتان) واللاهوتيون الفرنسيون في المجمع الفاتيكاني الثاني) وبروحانيّة العدالة التي اشتهر (غوستافو غوتييريز) بشرحها. بالفعل كان هذا التوجّه مصدر غنى في إيمان الكنيسة الكاثوليكية المعاصرة وحياتها.

إلى ذلك، يستوجب مفهوم الكنيسة الكاثوليكيّة للتطور الكامل وصفات أو توصيات «مستقلّة» تشرح كيفية تحقيق النمو بأفضل الوسائل وفي مختلف المجتمعات. يمكن أن تكون هذه الوسائل على سبيل

---

31. مزاولة العمل البابا يوحنّا بولس الثاني، 1981، 17
32. الإهتمام بالشأن الإجتماعي 38
33. Sabina Alkire "Culture, Poverty and External Interevention"en V. Rao & M. Walton (eds.) Culture and Public Action Stanford University Press 2004, 190



المثال، القضاء على عبء الدّين الوطني المتأزّم، أو إطلاق مشروع لإصلاح المؤسسات الماليّة، أو تعزيز دور المرأة كونها عنصر تغيير ونمو. تشكّل توصيات التحرّك هذه أساساً للتطوّر النظري والعملي، وتعتمدها أيضاً هيئات التنمية العلمانيّة. لا شكّ في أن الكنيسة قد اضطلعت بدور إيجابي رائد وناجح نسبياً في سعيها لتخفيض الديون، إلاّ أنّها في أوضاع استثنائيّة تأخّرت عن بعض الوكالات العلمانيّة في مجال تعزيز دور المرأة كقائدة في التنمية. بالرّغم من ذلك لا يمكن إنكار الدور الاساسي الذي اضطلعت به وكالات التنمية التابعة للكنيسة الكاثوليكيّة، في تنمية ثقافات البلدان المتواجدة فيها ولا سيّما شهادتها القيّمة لإيثار الكنيسة أو حبّها المفضّل للفقراء. لكن بالطّبع لم تشارك الكنيسة كلّها الرّؤية نفسها.

التطور والهجرة

نظراً لموجات هجرة العمّال، من جنوب الأرجنتين والبلدان الصناعيّة، في شمال إيطاليا ـ التي تسارعت وتيرتها بعد الحرب العالميّة الثانية ـ لم تكن الكنيسة الرومانيّة الكاثوليكيّة بمنأى عن تحرّكات الشعوب. فقد حصل ذلك تحديداً على عتبة الفاتيكان، فكان الجواب العملي المباشر قيام اللجنة الكاثوليكيّة الدوليّة للمهاجرين أو ICMC بالفعل، لطالما كان الحق بالهجرة لتأمين الحاجات الأساسيّة للعائلة من الثوابت الأساسيّة في تعليم الكنيسة الكاثوليكيّة الإجتماعي.

وفي إشارة إلى رسالة «الشؤون الحديثة» حول حقوق العمّال، تصف رسالة «أم ومعلّمة» الحق بالهجرة كحق أساسي. في هذا السياق، تشدد الكنيسة على أهميّة الدّول التي تستضيف المهاجرين، واحترامها لحقوق العمّال وعدم التمييز ضد العمّال «الأجانب». يكون هذا الإحترام مثلاً، عبر السماح لعائلات المهاجرين بالإنضمام إليهم ودمجهم في الحياة الإجتماعيّة من خلال تأمين المسكن وظروف العمل اللائقة بهم، لكن شرطاً يفرض نفسه دائماً: «أن تكون فرص العمل متوافرة لهم بالأماكن الأقرب

إلى مناطق سكنهم بالقدر المستطاع».[34]

وعليه، ارتأت الكنيسة أن تعترف في موقفها أنّ الفشل في التنمية يجعل الهجرة «شرّاً ضروريّاً» ومحاولة لضمان خير المهاجرين وكرامتهم الإنسانيّة وحريّة تحرّك العمّال. بالطبع لا يمكن الإستخفاف بفقدانهم عملهم في بلدهم الأمّ، إذ قد يفسح ذلك المجال للاستخفاف بالأهميّة الثقافيّة الأوسع للجماعات المهاجرة في البلدان المستضيفة وأهميّة مساهمتهم الكبيرة عن طريق التحويلات المالية للأصدقاء الاحرار في البلد الأم. لا شك أنّ للهجرة نواحٍ إيجابيّة يمكن اكتشافها من خلال تاريخ الولايات المتحدة الأميركيّة في القرن التاسع عشر وما لحقه من نمو إقتصادي وثقافي.

وتنطبق هذه المخاوف والمشاكل على ظروف اللاجئين، فالفقر والظلم والعنف في بلدهم الأم يجبرهم على الهروب. لكن غالباً ما يكون هربهم مدعاةً للمزيد من الضيق الشديد وأحياناً «معاناة لا تصدّق». ركّزت الكنيسة في هذا الإطار على واجب البلد المستضيف، الإعتراف بالمهجّرين كأشخاص ذوي حقوق ولو فقدوا جنسيّتهم، والترحيب بهم «بقدر ما يتّفق ذلك وخير شعوبها الحقيقي».[35] أي أن الترحيب لا يدوم عملياً لوقت طويل. فأزمة اللاجئين الخطيرة والواسعة التي عرفها العالم في الثمانينات أدّت (بالأب بيدرو أروب) وجمعيّة «مجتمع يسوع» إلى تأسيس المركز اليسوعي لخدمة اللاجئين بهدف تلبية حاجاتهم. إلى ذلك، قام عدد ملحوظ من الكاثوليكيين بمبادرات هادئة وحثيثة لا سيّما على مستوى مؤتمرات الأساقفة أو ضمن جماعات علمانيّة محليّة صغيرة بهدف دعم ملتمسي اللجوء والعمّال المهاجرين الواصلين لتوّهم إلى البلد المستضيف. ولطالما عبّرت مؤتمرات الأساقفة عن دعمها للاجئين والمهاجرين وحمايتها لهم في المواقف العنيفة المعادية للأجانب، لكن الوضع لا يزال يتفاقم حتّى يومنا هذا لا سيّما في أفريقيا.

تظهر مسألة الهجرة وهروب اللاجئين اليوم كجزء من الوجه المظلم للتنمية الفاشلة. بتعابير أخرى، إنّها ثمرة الإنتهاك الصّارخ لحق الإنسان بالتنمية. بالرّغم من ذلك، لا يمكن أن تنحصر بالدّولة وحدها، المطالبة بحق التقدّم الذي تؤكّده الكنيسة، في حين يبقى غير مقبول به على الصعيد العام، وبالكاد صالح لتنظر به المحاكم[36]. ذلك لأن جهات عديدة غير الدولة تحدد وتحكم التنمية الوطنيّة في العالم «المترابط» الذي نشهده اليوم. فالشركات والأسواق العالميّة، تلعب دوراً مهمّاً إلى جانب الحكومات في هذا المجال. نظرياً، يمكن للدول أن تتحكّم بالجهات المؤثّرة المذكورة، لكن الواقع قد أثبت أن الدّول الضعيفة لا تستطيع أن تسيطر بشكل حازم على مصيرها الإقتصادي.

ماذا تعني الحقوق غير القابلة للتصرّف إلا تأكيداً على أنتروبولوجيا دينيّة، على فعل إيمان في بشريّة خلقها الله، أي الايمان بطيبة الله ومحبّته التي تمكننا من بناء عالم أكثر إنسانية

من المهم أن نسلّط الضوء على هذا الموضوع، حيث إن ميثاق الأمم المتّحدة وإعلانها بالإضافة إلى الأحكام الأخرى المؤيّدة لحقوق الإنسان، كلّها تُطَبّق لأنّها تُوجَّه كمطالب إلى الحكومات. بذلك، تصبح الحقوق مؤمّنة أوّلاً لمواطني بعض الدّول المعيّنة. لا شك أن «القانون» الإنساني هو دوليّ بيد أن إقراره يعتمد على اعتراف الدّول به كقانون. تجدر الإشارة إلى أن عدداً قليلاً من الدول الغنيّة قد وقّع على الإتفاقيّة الدّوليّة حول المهاجرين وعائلاتهم. لكن حتّى عندما توقّع هذه الدّول على اتّفاقيات دوليّة كاتفاقيّة جنيف لأوضاع اللاجئين وما تبعها من «بروتوكولات» عام 1967، يبقى السؤال حول مدى

34. أم ومعلّمة 45، فرح ورجاء 1، 66

35. سلام بين الأمم كلّها 106

36. Giorgio Filibeck The Right to Development Pontifical Justice and Peace Commission, Vatican City 1991

سعيها للمراوغة في تطبيق الأحكام المتعلّقة بحقوق الإنسان. نتيجة لذلك، تغدو حقوق الإنسان عملياً وإلى حدٍّ بعيد، في «العالم المتقدّم» أقلّه، شبه موازية للحقوق المدنيّة في كونها مشروعاً أخلاقيّاً. فالإتفاقيّة الأوروبيّة لحقوق الإنسان مثلاً تصبح «نافذة» (أي أن الحقوق المذكورة فيها قابلة للتنفيذ) بقدر ما يسمح بذلك القانون الوطني للدول الأعضاء، أو بتعابير أخرى، بقدر ما يتوصّل المواطنون، عند الضرورة، إلى المطالبة بحقوقهم عبر القانون. لا يغيب عنّا أن المملكة المتّحدة في حمايتها لملتمسي اللجوء الّذين لم يسددوا موجباتهم الماليّة، اعتمدت على تطبيق القانون الأوروبي لحقوق الإنسان لأن التشريعات الحكوميّة التي تحرم هؤلاء من ضروريات البقاء على قيد الحياة قد اعتُبِرَت خرقاً لأحكام الإتفاقيّة الأوروبيّة لكونها «معاملة وحشيّة ومهينة وغير إنسانيّة».

لهذه الأسباب يمكن اعتبار المهاجرين واللاجئين الّذين فقدوا حقوقهم المدنيّة كلّها، حالات اختبار للإيمان والإلتزام بحقوق الإنسان إذ أنّهم يتمتعون بحق عام وعالمي وذاتي فقط لكونهم إنسان. فكما أظهر في الماضي النضال ضد الإستعباد وكما تظهر اليوم عودة الجدال حول مسألة بداية الحياة وانتهائها، أيّ طرحٍ في موضوع حقوق الإنسان يشترط إجماعاً مسبقاً حول ماهيّة الإنسان والإنسانيّة.

باختصار، إن نتائج فشل التنمية وسقوط الدّول والحروب الداخليّة وسلطة أسياد الحرب والجوع، كلّها عوامل تؤدّي إلى الهجرة والهروب وطلب اللجوء. صحيحٌ قول «حنّا أريندت» إن الإنسان عندما يفقد حقوقه المدنيّة يفقد حتماً حقوقه الإنسانية. ذلك لأن «الّذين يُجرّدون من كل الصفات الأخرى ويفقدوا علاقات معيّنة، لا يبقى لهم سوى كونهم إنساناً» [37] فتضحي حالتهم «حالة الطبيعة» التي يصفها الفيلسوف الإنكليزي (توماس هوبز)، وهي بعيدة كل البعد عن الرؤية المسيحيّة لما هو «طبيعي» في البشريّة. فحالة كهذه قد تضع الإنسان في مخالب مصير غير إنساني.

يُبرز طرح (أريندت) المنطقي مفارقة غريبة: «فأنا أُجَرّد من حقوقي كإنسان كل مرّة أفقد فيها كل شيء ما عدى إنسانيتي - بشكل عام - وبذلك أصبح الشخص الأكثر استحقاقاً «لحقوق الإنسان العالميّة» التي أمتلكها بمعزل عن مهنتي وجنسي وجنسيّتي وديانتي وهويّتي الإثنيّة...»[38] قد يلقى هذا الطرح الوجودي ترحيباً شديداً وموافقة أكيدة من قِبَل مُلتمسي اللجوء والمهجّرين البسطاء، إذ يدعم سعيهم للكرامة البشريّة المُصانة في البلد المستضيف.

إن الأوضاع التي يعيشها اللاجئ والمهجَّر والقروي الأفريقي المُعدَم كلّها تثير حتماً مسائل عميقة حول المفاهيم العلمانيّة للحقوق. ماذا تعني الحقوق غير القابلة للتصرّف التي يتمتّع بها هؤلاء إلا تأكيداً على أنثروبولوجيا دينيّة، على فعل إيمان في بشريّة خلقها الله، أي الإيمان بطيبة الله ومحبّته التي تمكّننا من بناء عالم أكثر إنسانيّة؟ انطلاقاً من هذه الروحيّة العميقة، يكون للكنيسة رؤية وتصوّراً تأمل أن تشرك فيهما المجتمع الدّولي والأمم المتّحدة الّذين يستمرّان بمواجهة هذه الحقائق بمواقف فيها من القلق والسخرية في آن واحد.

يشكل تطلّعنا هذا، لأفق يتخطّى الأمّة والدولة، ولنداءات الأسرة البشريّة العالميّة وكرامتها التي هي «على صورة الله» (ضمن عبادة الكنيسة وحياتها)، ضرورة ملحّة في ظل العولمة السريعة التي نشهدها. على هذا التطلّع أن يكمّل ويدعم طروحات الكرامة الإنسانيّة وحقوق الإنسان المستنبطة من المفاهيم العلمانيّة للتنمية.

---

37. Hannah Arendt The Origins of Totalitarianism New York, 1958, 297

38. .38 Slavoj Zizek "Against Human Rights" in New Left Review July-August 2005, 127

كيف نحاكم قوانين الإبادة البشرية؟

د. حسن الباش *

هل ما تزال بعض الشعوب والأفراد، يعيشون رهائن لنصوص عنصرية دموية دينية؟

ماذا يفعل هذا الانفتاح الكوني، لمواجهة الإسترهاب المقنن، الأسير للأهواء المنحرفة، المنغلق في التصنيف العرقي البغيض؟

يفترض بشعوب العالم اليوم، أن تستبصر العلاقات الإنسانية المتساوية، على ضوء التعامل المتشابك واليومي، بين الشعوب كافة.

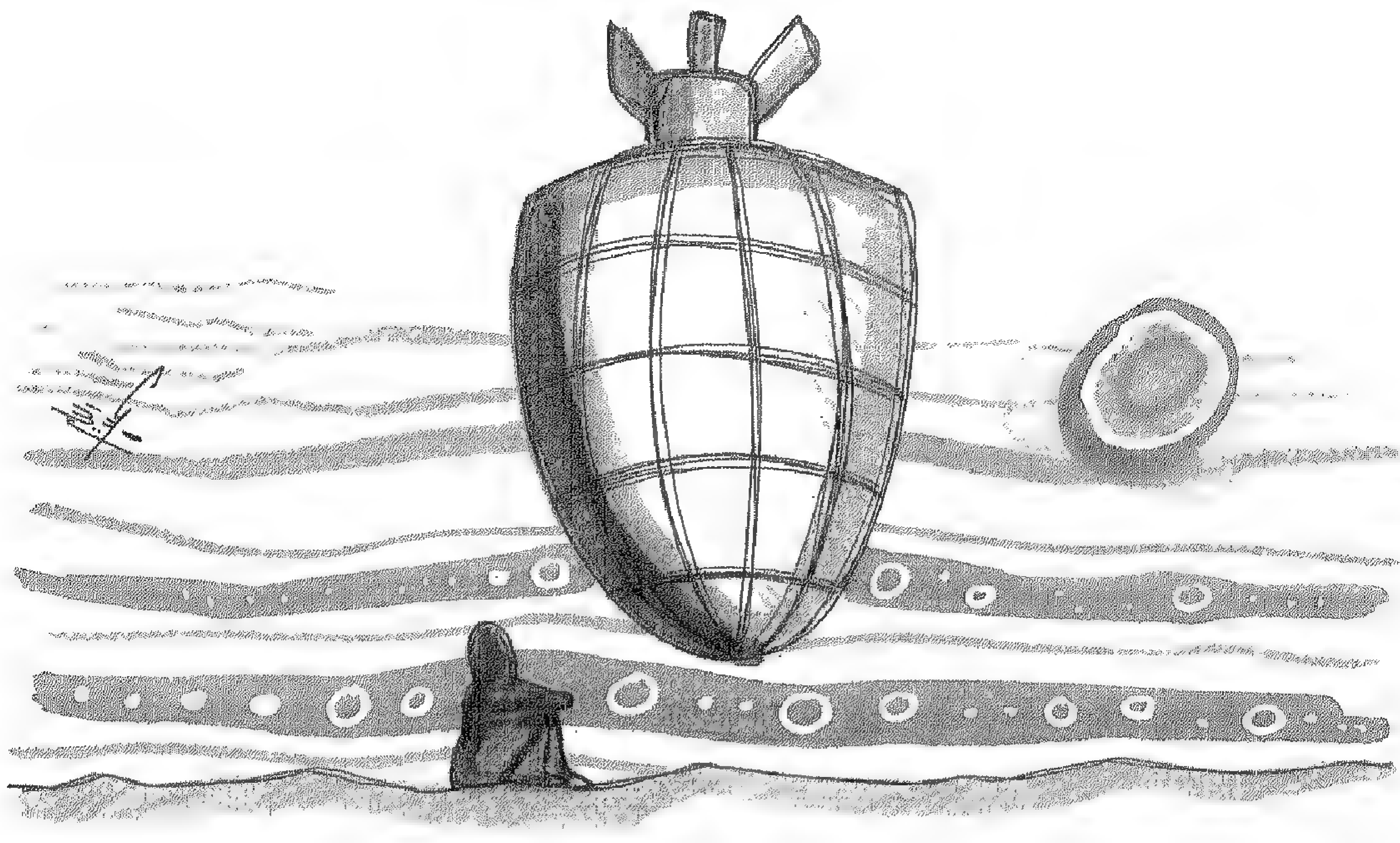
فهذا العصر الذي نراه، هو عصر ترسيخ التفاهم والتعارف، وليس عصر الإبادة والعنصرية ونفي الآخر، وإذا كان بعض الشعوب والأفراد ما يزالون يفكرون بعقلية الانحراف، فإن المجتمعات الإنسانية الواعية تتحمل عبء تخليص الكون من ذلك الشذوذ، وإعادة أصحابه إلى عقلية الاستقامة، أو حصارهم فكريًا أو إنسانيًا أو نبذهم، بل ومقاطعتهم حتى لا يظلوا عقبة في وجه التفاهم الإنساني، المتوقع والمنشود، فالعصر الجديد لا يحتمل أن يرى أناسًا يقننون للحرب، وإبادة الإنسان، وإهراق دمه، ومحو هويته وتراثه وثقافته، وأهدافه الوطنية والإنسانية.

من هنا كان لزامًا علينا - ونحن ندعو إلى الحوار الإنساني - أن نشير بشكل واضح، إلى أهم عقبة من عقبات الوصول، إلى حالة كونية من التفاهم والتعارف الإنساني، وليس غريبًا أن نقول: إن تلك العقبة، هي: تطبيق القوانين الدينية العنصرية، لإبادة البشرية، صحيح أن بعض هذه القوانين تطبق هنا أو هناك، ولكن هذه القوانين تأخذ طابع القداسة، حتى ليبدو لنا أن بعض المجموعات البشرية، تتماهى تمامًا معها ولا تحيا دونها، فهي في اعتبارها أوامر إلهية، يجب أن تنفذ، وإن لم تنفذ فإن ذلك يعني معصية الرب ورفض أوامره.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن بعض القوانين الداعية للقتل، والإبادة البشرية، تصدر عن قائد أو زعيم، أو منظر لفلسفة وطنية، أو قومية، كهتلر مثلاً، زعيم النازية الألمانية (1889-1945 مسيحي).

ومع مرور الزمن، وانقلاب الوضع الوطني أو القومي، تنفذ أفكاره، وتنفصل العرى بين أوامره وأفكاره الدموية، وجماهير وطنه وقومه، وبمعنى آخر، لا تأخذ أقوال البشر مكان القدسية، التي لا تمس ولا تناقش، فكل فلسفة وضعية قابلة للتغيير والتغير، فما كان بالأمس جيدًا، قد يصبح اليوم

(*) كاتب وباحث فلسطيني / سوريا.



سيئًا، وما كان بالأمس صحيحًا، قد يصبح اليوم خطأً.

لكن الأوامر ذاتها، حين يتخيل منفذوها، أنها صادرة عن الله الخالق، فلا مجال لرفضها ولو تقادم الزمن، فهي وحيٌّ من الله، دونت أو ظلت دون تدوين، وحفظت في الأذهان والنفوس، إلى أن سنحت الفرصة وكتبت، وأصبحت كتابًا مقدسًا، يجب التقيد به.

النموذج الصهيوني

قد نكون في مرمى النقد، أو الإتهام من قبل الآخرين حين نختار النموذج الصهيوني، كمثال كبير على القوانين الدينية، الداعية للإبادة البشرية، فتحت شعار اللاسامية المضلل، قد نتهم بالعداء لليهود، إن نحن أظهرنا مساوئ هذا النموذج، الفريد من نوعه.

لكن هذا الشعار يسقط ويتهاوى، إن نحن استطعنا مقاربة النصوص التوراتية والتلمودية، بأساليب القتل، والإبادة الجماعية، المستخدمة في فلسطين وغيرها، والتي كانت وما تزال عرضة لتنفيذ أبشع الجرائم على مر التاريخ.

وحين نخاطب العقل الآخر، ليس بالإمكان أن نظل نجتر شعارات عاطفية غير مجدية، فلدينا وثائق العنصرية الصهيونية شاهدة حية، ولدينا أدوات المقارنة بينها وبين السلوك الصهيوني العملي، الجاري على الأرض.

ولعلنا ونحن نشهد أوروبا وشعوبها، تعيدان النظر في الحركة الصهيونية، لابد لنا أن نتعامل مع هذا التطور، بجدية وعقلانية، حتى نستطيع أن نحقق عودة الأمور إلى نصابها، وتخليص البشرية من خطأ ارتكب، وقد آن الأوان لتصحيحه.

قوانين الإبادة المقدسة:

دُونت التوراة حسب كافة المصادر التاريخية، في القرن التاسع ق.م، وكذلك في القرن السابع ق.م، ويشير الحبر، السموأل بن يحيى المغربي، إلى ذلك بقوله: «فهذه التوراة التي بأيديهم، على الحقيقة كتاب عزرا، وليست كتاب الله، وهذا يدل على أنه رجل فارغ، جاهل بالصفات الإلهية»[1].

فـ(عزرا)، هو مدوّن التوراة أيام السبي البابلي،

1ـ السموأل بن يحيى المغربي: غاية المقصود في الرد على اليهود: مخطوط ص:49.

كما تشير التوراة في سفر عزرا، وكما تشير غالبية المصادر التاريخية، وتدخل قوانين الإبادة التوراتية، ضمن هذا التدوين والتأليف، وإذا نظرنا إلى الوضع النفسي، والاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي الذي كان حال المسبيّين من اليهود عليه، أدركنا الأسباب التي دعت عزرا الكاتب، أن يسن تلك القوانين الدموية العنصرية، وهذا ما يسمى في علم النفس، الارتداد العكسي للنفس، فالمسبيون كانوا مستعبدين مقهورين أذلاّء، فبدافع الحقد والانتقام الشديدين، كتب عزرا هذه القوانين لينفس عن حالة القهر الشديدة التي عاشها أتباعه.

وليست هي قوانين إلهية، ولا أنزلت على موسى (عليه السلام)، لكن عزرا ومن أتى من بعده، كرسوا مقولة: إن ما دونه عزرا، هو التوراة الموصى بها من الله لنبيه موسى (عليه السلام)، وهكذا ومنذ القرن السادس ق.م، وحتى الآن يُعمل بهذا الكتاب، على أنه مقدس مُنزل من الله، ويجب احترامه والتقيد بأوامره.

القتل يطال الرجال والنساء والأطفال، دون استثناء، وهذا من تعاليم الرب التوراتي، الذي اخترعه عزرا وبقية كهنة اليهود

يأتي القانون الأول، في التوراة المكتوبة، ليوحي بأن أتباعه أقوياء، لا يقف أمامهم مخلوق، بينما كتابة هذا القانون على يد عزرا أيام السبي تمت وهم في أقصى وأسوأ حال من الاستعباد والضعف.

تقول التوراة: «حين تقترب من مدينة، لكي تحاربها استدعها للصلح، فإن أجابتك إلى الصلح، وفتحت لك فكل الشعب فيها يكون للتسخير، ويستعبد لك، وإن لم تسالمك بل عملت معك حربًا، فحاصرها وإذا دفعها الرب إلهك، إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم، وكل ما في المدينة، كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدًا، التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا، وأما مدن هؤلاء الشعوب، التي يعطيك الرب إلهك نصيبًا، فلا تستبق منها نسمة مّا، بل تحرمها تحريمًا، الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والجويين واليبوسيين، كما أمرك الرب إلهك» سفر التثنية 20 : 10-18.

فهذه القوانين، لا تخرج عن دائرة الأمنيات الحاقدة، في ذلك العصر الذي أُلفت فيه، وحسب النص، فإن الهدف الأساسي لاتباع التوراة المكتوبة، إما إبادة الشعوب، أو استعبادها، والمدينة التي تصالحهم يستعبد سكانها، ويُسخرون بشرط أن تكون من المدن البعيدة عن تخوم هؤلاء الأتباع والمدينة التي تحاربهم يجب أن يُباد رجالها، وأما نساؤها وأطفالها فهم غنيمة أعطاها الرب لهم، وأما مدن القبائل العربية، من كنعانيين و فرزيين ويبوسيين ومن شابههم فيجب أن يُبادوا رجالاً ونساءً وأطفالاً.

وليس في هذه القوانين، ما يخص الأسرى فلا أسرى في القانون الحربي اليهودي، لأن الإبادة هي الأساس.

كيف يُطبق هذا القانون اليوم؟

عندما بدأ تنفيذ المرحلة الحاسمة في احتلال فلسطين، طبق قانون الإبادة البشرية، في عشرات القرى والمناطق الفلسطينية، وإذا اقتصرنا على رواية المؤرخين اليهود الجدد، فإننا نرى اعترافات إسرائيلية، بعشرات المذابح التي ارتكبت، في فترة لا تتجاوز الستة أشهر، ومنها مذبحة «الطنطورة»، التي راح ضحيتها، حوالي 260 شخصًا ومذبحة «قِبية»، وفيما بعد مذبحة «السموعي»، وبعدها مذبحة «الدوايمة»، وقس على ذلك فيما بعد مذبحة «كفر قاسم»، والمجازر التي ارتكبت في المسجد الأقصى، والمسجد الإبراهيمي في الخليل.

طبق قانون التوراة المكتوبة بحذافيره، حيث اعتبر الفلسطينيون أحفاد الشعوب الستة، التي ورد



مشهد من النموذج الصهيوني للإبادة

ذكرها في النص التوراتي السابق ((وأما مدن هؤلاء الشعوب، التي يعطيك الرب إلهك نصيبًا، فلا تستبق منها نسمة ما)).

كان القتل يطال الرجال والنساء والأطفال، دون استثناء، وهذا من تعاليم الرب التوراتي، الذي اخترعه عزرا وبقية كهنة اليهود.

وفي الحروب التي خاضها الصهاينة ضد العرب، عام 1956-1967 مسيحي، طبق الجزء الآخر من القانون، فقد أباد الجيش الصهيوني الآلاف من الأسرى المصريين والسوريين والفلسطينيين ((وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف)).

وعندما يرتكب شارون، مجازره فإن كثيرًا من القادة الصهاينة، وخاصة زعماء الأحزاب اليهودية المتعصبة، يرون فيه يشوعًا جديدًا، وقد يظن المرء أن ذلك يأتي للتماهي بين شخص وشخص، ولكن المدقق بهذا الوصف، يجد له أبعادًا عنصرية دموية كثيرة.

فيشوع هو شخصية السفر السادس، من التوراة المكتوبة، وحسب هذا السفر، فإن يشوع طبق قانون الإبادة البشرية في أكثر من ثلاثين قرية ومدينة فلسطينية، وهذه بعض الشواهد التي وردت في التوراة.

تقول: ((وحرموا كل ما في المدينة من رجل وإمرأة من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم، والحمير، بحد السيف)) يشوع 21: 6.

((وكان لما انتهى إسرائيل من جميع سكان عاي)) يشوع 8:24 .

((وأخذ يشوع «مقيدة» وحرم ملكها وكل نفس بها لم يُبق شاردًا)) يشوع.

((ثم حارب لبنة وضربها بحد السيف، وكل نفس بها لم يُبق شاردا، ثم اجتاز إلى لخيش وضربها بحد السيف، وكل نفس بها ومن عجلون إلى حبرون، حاربوها وضربوها بحد السيف، وحرم يشوع كل نفس بها، ولم يُبق شاردًا ثم رجع يشوع إلى دبير، وحاربها وحرموا كل نفس بها ولم يُبق شاردًا)) يشوع 11: 7-9.

وهكذا كانت عبارة مثل حرم كل نفس، ولم يُبق شاردا، بمثابة القرار أو اللازمة، في كل نشيد يمجد عملية فتك أو إبادة[2].

قوانين الإبادة في شريعة التلمود:

ما هو التلمود؟ هو: مجموعة التعاليم التي ألفها أحبار اليهود وربانيوهم، وفقهاؤهم المنتمون إلى فرقة الفريسيين، وهو عبارة عن ثلاثة وستين سفراً؛ ألفت في القرنين الأول والثاني، بعد ميلاد المسيح (عليه السلام)، وأطلقوا عليها «المشنا» بمعنى المثنى أو المكرر، انها تكرار وتسجيل للشريعة، ثم شُرحت هذه المشنا فيما بعد، وأطلق على هذا الشروح إسم الجمارا، أي الشرح أو التعليق، وامتد تأليفها حوالي خمسة قرون، بدءاً من الثاني وحتى السادس بعد الميلاد[3]، ومن أهم الأسفار في هذا التلمود، ما يُطلق عليه رسالة الوثنيين، وفيه جميع القوانين التي وضعها حاخامات يهود عن العلاقة بين اليهودي وغيره.

في سنة 214 بعد ميلاد المسيح قتل اليهود مائتي ألف مسيحي في روما وكل نصارى قبرص

يعتقد الربانيون اليهود، أن أصل التلمود، قد أنزل على موسى (عليه السلام)، وتعتبر القوانين المبثوثة في التلمود، أكثر قداسة من نصوص التوراة.

يُنقل عن الحاخام روسكي قوله: التفتْ يا بني إلى أقوال الحاخامات، أكثر من التفاتك إلى شريعة موسى[4].

وجاء في أحد كتب الأحبار الربانيين، المسمّى (همار): الإنسان لا يعيش بالخبز وحده، والخبز هو التوراة بل يلزمه شيء آخر هو قواعد وحكايات التلمود[5].

والقوانين الإرهابية الدموية، التي يبثها التلمود أكثر تشدداً وأكثر وضوحاً، من نصوص التوراة فيما يتعلق بالقتل الفردي أو الجماعي.

جاء في التلمود: مباح قتل غير اليهودي -القتل أمر واجب، عند التمكن من إجرائه.

اقتل للصالح غير الإسرائيليين، ومحرم على اليهودي أن ينجي أحداً، من باقي الأمم، من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها، لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين.

وجاء في التلمود: من العدل أن يقتل اليهودي بيده، كل كافر، لأن من يسفك دم الكافر يقرب قرباناً لله.

وجاء أيضاً: إن الكفار، كما قال الحاخام أليعازر، هم يسوع للمسيح ومن تبعه.

لكن الرابي (يهوذكيا) قال: إن هذه اللفظة تشمل الوثنيين على العموم.

ويفسر التلمود أول وصية من وصايا موسى (عليه السلام)، (لا تقتل) بأن الله نهى عن قتل شخص من بني إسرائيل.

ومن المفروض عندهم قتل كل من خرج عن دينهم وخصوصاً النصارى، لأن قتلهم في هلاكهم، في أي وقت، وعلى أي وجه كان، ويعدون ذلك من العدالة، لأن التسلط على بني إسرائيل سيدوم، ما دام واحد من هؤلاء الكفار، ولذلك جاء في التلمود: إن من يقتل مسيحياً أو أجنبياً أو وثنياً يكافأ بالخلود في

2. جرجي كنعان: سقوط الإمبراطورية الإسرائيلية ص:65.

3. د. علي عبدالواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص:24.

4. الكنز المرصود الفصل الثاني.

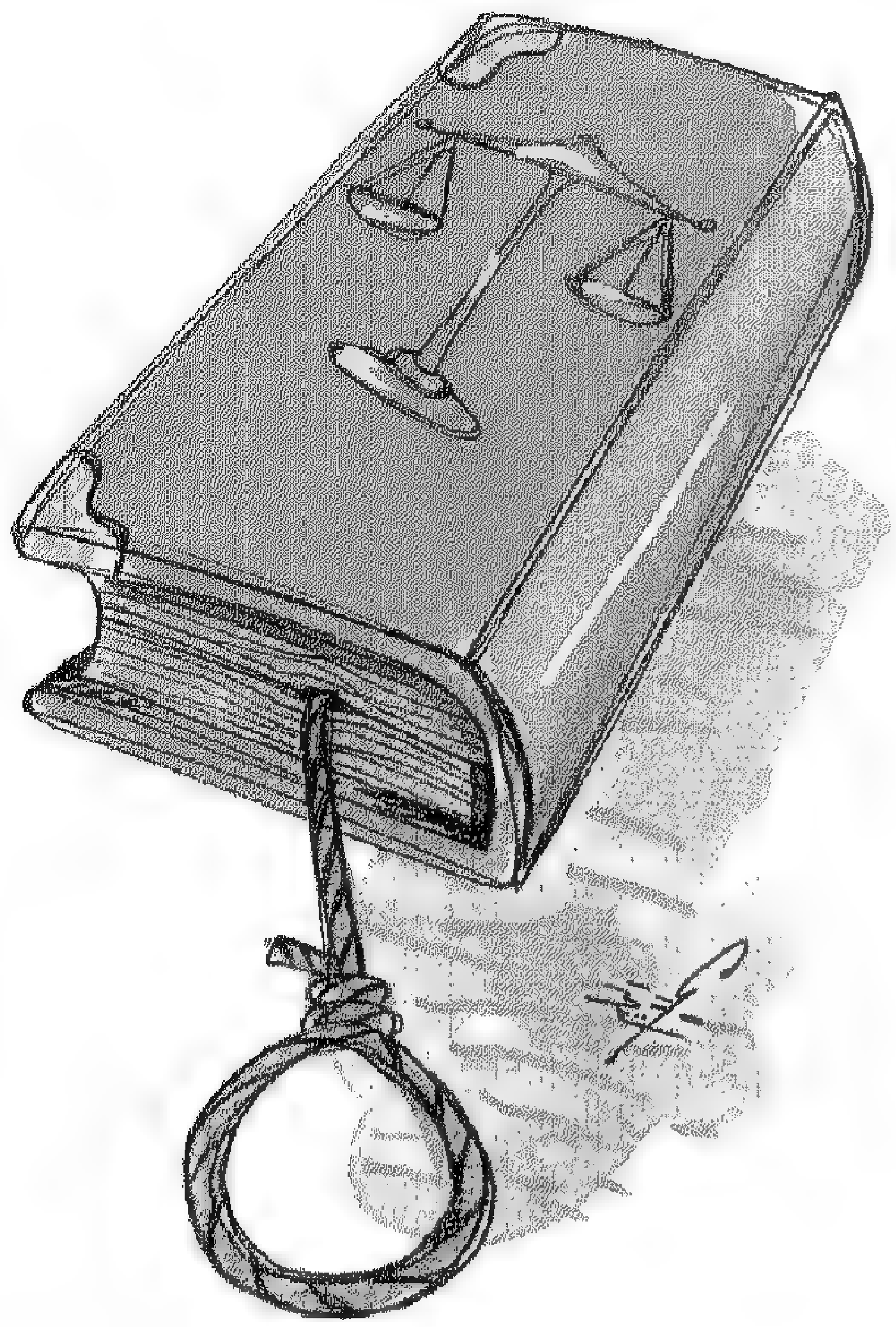
5. طبع هذا الكتاب سنة 1544 مسيحي، وهو يحتوي على تعليقات تاريخية وإشارية على التلمود.

الفردوس، والجلوس هناك في السراي الرابعة، أما من قتل يهوديًا فكأنه قتل العالم أجمع، ومن تسبب في خلاص يهودي فكأنه خلص الدنيا بأسرها، ولذلك قال موسى بن ميمون: يصفح عن الأمي، إذا جدف على الله تعالى، أو قتل أو زنا بامرأة يهودية، ثم صار يهوديًا(6).

وقد ذكر الكاهن الروسي «برانايتس» في كتابه (فضح التلمود)، أن حب سفك الدماء لدى الحاخامات، ثابت في التاريخ العام، لأنه جاء فيه: إن (شارل) بولس خرج لمحاربة المسيحيين وهو لا يقصد إلا القتل، أو الفتك بهم فتكًا ذريعًا، ومذكور في رسائل الرسل: أن اليهود كانوا يهيّجون سكان المدن التي يسكنونها ضد المسيحيين، وقالت اليهود في كتابهم المسمى (سدرحادوروت) إن الحاخامات تسببوا في روما، في قتل جملة من النصارى.

وقد اثبتت شواهد التاريخ القديم والجديد، أن اليهود تسببوا في قتل مئات الآلاف من النصارى، الذين آمنوا برسالة المسيح -عليه السلام- في بدايتها.

وقد جاء في كتاب (سترحادوروت) في الصفحة 127: أن الحاخام الرباني يهوذا كان محبوبًا من الإمبراطور الروماني، عام 155 بعد الميلاد، وقد أطلع هذا الحاخام صديقه الإمبراطور، على حيل الناصريين (النصارى) قائلاً له: إنهم سبب وجود الأمراض المعدية، وبناء على ذلك حصل على أمر بقتل كل هؤلاء الناصريين الذين يسكنون روما سنة 155 بعد الميلاد، وجاء في الكتاب نفسه بعد هذه العبارة: أن الإمبراطور مارك أوريل قتل جميع الناصريين، بناء على إيعاز من اليهود، وقال في الصفحة 125: إنه في سنة 214 بعد ميلاد المسيح قتل اليهود (200,000) مائتي ألف مسيحي في روما، وكل نصارى قبرص، وذكر في كتاب سفر يوكاسين المطبوع في مدينة امستردام 1717 مسيحي، أنه في زمن البابا كليمان، قتل اليهود في روما وخارجها جملة على النصارى كرمال البحر، وإنه بناء على رغبة اليهود، قتل الإمبراطور ديوكليسين جملة من المسيحيين، ومن ضمنهم الباباوين (كاييس ومرسليلون)(7).



ويظل هاجس هذه القوانين يسيطر على العقلية اليهودية، حتى جاءت تنظيرات زعماء الحركة الصهيونية، لتضيف قوانين جديدة أشد مغالاة وأكثر دموية.

فحتى قبل «هرتزل» نظر زعماء صهاينة للإبادة الفلسطينية، إذا ما تم استعمار فلسطين، فمنذ عام 1845 مسيحي، ظهر عدد من الحاخامات اليهود في

6 ـ التلمود: سنهدرين ص:17، نقلاً عن الكنز المرصود في فضائح التلمود.
7 ـ الكنز المرصود في فضائح التلمود ص: 224-225.

أوروبا الشرقية، الذين يدعون إلى احتلال فلسطين وإبادة أهلها، وكان على رأسهم الحاخام يهودا القالي والحاخام موشي لايب وعندما ألف «ثيودور هرتزل» زعيم الحركة الصهيونية السياسية كتابه: يوميات هرتزل وكتابه: الدولة اليهودية، سئل عن كيفية التعامل مع سكان فلسطين من العرب فقال: يجب أن نقوم بحملة صيد كبيرة، ونجمع فيها الحيوانات ونلقي في وسطهم القنابل القاتلة.

فبنظره، يرى أن العرب في فلسطين حيوانات، يجب إبادتهم حتى يتم قيام الدولة اليهودية الصهيونية[8].

ويستخدم منظرو الحركة الصهيونية وقادة إسرائيل، التاريخ التوراتي كدليل على شرعية القوانين الخاصة بإبادة العرب، لا سيما هؤلاء الذين يقودون حملات الإستيطان، في أراضي الضفة الغربية.

فحسب النص التوراتي، ولا ندري مدى صحته، أن الله أمر بني إسرائيل، أن يحاربوا قبيلة العماليق، وقد وعدهم الرب أن يمحو أي أثر لهم، من على وجه الأرض، ويأتي المنظرون الصهاينة ليقولوا: إن العرب اليوم هم من العماليق، ويجب إبادتهم، فالحاخام إسرائيل هس، مفتي جامعة بار إيلان سابقًا كتب مقالاً عام 1980 مسيحي، في نشرة طلاب الجامعة بعنوان: فريضة الجينوسايد في التوراة يقول: قريب اليوم الذي سنطالب فيه جميعًا بأداء فريضة إبادة عماليق، ويفسر الحاخام هس الأمر الذي يطالب بمحو ذكر عماليق بقوله: إن الأمر لا يترك مجالاً للرحمة فهو - النص - يأمر بإبادة الأطفال والرضع؛ وعماليق هو: كل من يقدس الحرب على شعب الله.

وجاء في المقال المذكور: «فما دامت ذرية عماليق موجودة في العالم، فلا الرب راض ولا العرش وإذا أبيدت ذرية عماليق، فالرب راض، والعرش راض، أما الحاخام إبراهام أفدان مفتي جيش إسرائيل، في المنطقة الوسطى، فقد قال في مقال نشر له عام 1980 مسيحي، إن الشريعة اليهودية تتيح لنا قتل المدنيين من غير اليهود، وقت الحرب بما فيهم النساء والأطفال لأن أطيب الأغيار هم الأموات منهم[9].

وقد نظّر لفكرة إبادة العماليق الجدد أي الفلسطينيين، الحاخام «يسرائيل أرئيل» الذي نشر عام 1980 مسيحي، مقالاً في مجلة نيكودا: (النقطة) لسان حال المستوطنين في الضفة الغربية يقول فيه: «عملقة عصرنا تتمحور في كراهية العرب العميقة لبعثها القومي، في بلاد أجدادنا»، وقد برر هذا الحاخام جرائم عصابات الإرهاب الصهيونية ضد العرب، أوضح فيه أن إهلاك نفس من غير اليهود، لا يعتبر جريمة قتل، وقال: الواقع أن خلاصة تعاليم «موسى بن ميمون» تؤكد أن اليهودي الذي يقتل أجنبيًا لا تسري عليه شرائع النفوس، ولا تنطبق عليه وصية (لا تقتل)، حيث جاء في نصوص إبن ميمون المتعلقة بالقاتل (اليهودي الذي قتل أجنبيًا مواطنًا لا يعاقب بالموت) لقد استند منظرو العقيدة اليهودية المعاصرون على نصوص توراتية تلمودية، وردت في سفر يشوع، وكذلك في سفر التثنية، ونصوص التلمود التي فسرها الربانيون اليهود. وقد أدى هذا إلى تراجع الأصوات الحاخامية الإصلاحية، أمام المتطرفين، كون الأخيرين يتمسكون بنصوص توراتية تلمودية مقدسة، حسب

الاستفتاء الذي جرى في عدد من الدول الأوروبية أثبت أن نسبة 60٪ من الأوروبيين يعتبرون دولة إسرائيل تمثل الخطر الأول على الإنسانية

8- يوميات هرتزل.

9. درويش ناصر: الفاشية الإسرائيلية ص:47.

رأيهم ولا يحق لأحد أن ينتقدها. وقد علق على ظاهرة التطرف الدموي لدى منظري اليهودية المعاصرين، القاضي حاييم كوهين، قاضي المحكمة العليا، وذلك في محاضرة ألقاها في المؤتمر اليهودي الأميركي عام 1963 مسيحي، بقوله: (في تصوري أن إحدى مهازل القدر المّرة أن النزعة (البيولوجية) أو العنصرية التي روجت لها النازية واتسمت بها قوانين (نيرنبيرغ) البغيضة قد تنقلب بسبب تقاليد يهودية يدّعى أنها مقدسة، وتصبح أساسًا لتشويه يهودية الإنسان في إسرائيل، أعتقد أن في هذا أحد الإسقاطات المذهلة للدولة).

كيف تجابه الإنسانية قوانين الإبادة الإسرائيلية مثلما واجهت قوانين الإبادة النازية؟

حينما انتهت الحرب العالمية الثانية، أجمع العالم على محاكمة النازية كنظرية؛ ومحاكمة النازيين كمجرمي حرب، ولسنا هنا بصدد الحديث عن محاكمة (نورنبرغ) التي حكمت عددًا كبيرًا من النازيين بالموت أو النفي أو السجن الأبدي، فهذه المحاكم يعرفها الجميع ولا تخفى ملابساتها عن أحد.

لكن محاكمة النظرية النازية، القائمة على العنصرية والتفوق العرقي، بدأت من المفكرين والفلاسفة الأحرار، توقفت عند السياسيين والعسكريين المنتصرين في الحرب، ولم يمض وقت طويل حتى انتعشت في ألمانيا والنمسا وغيرها من البلدان، وبتنا نسمع عن النازيين الجدد هنا وهناك، وما يقومون به من أعمال إرهابية، ضد بعض الأقليات والجاليات المسلمة في أوروبا.

وبالمحصلة فإن انبعاث النظرية النازية من جديد، بأت واضحًا مؤكدًا، والعالم يشهد ذلك بعيونه.

والنظرية الصهيونية التي أججت عدة حروب في الحوض العربي، وسفكت دماء الآلاف من العرب والمسلمين، لم تلق من يحاسبها، حتى هذه اللحظة، بل إننا نجد من يتبناها أو يباركها في العالم الغربي وغيره.



لكننا حين نطرح الحوار الإنساني، كسبيل لتخفيف التوتر في العالم، لابد لنا أن نشير إلى أن الإنسانية كلها بحاجة إلى إزالة القوانين العنصرية المشبوهة، فهي بالدرجة الأولى العقبة الأكبر في طريق التفاهم الإنساني أو التعارف الإنساني.

لقد أعلنت أوروبا، أن إسرائيل تشكل الخطر الأول على الإنسانية، وكان الاستفتاء الذي جرى في عدد من الدول الأوروبية أثبت أن نسبة 60» من الأوروبيين يعتبرون دولة إسرائيل تمثل الخطر الأول على الإنسانية.

لكن الشعوب الأوروبية التي لا تملك القرار، بحاجة إلى مزيد من تعميق البحث في أسباب هذا الخطر، من الطبيعي أن امتلاك إسرائيل الأسلحة النووية، يشكل أحد هذه الأسباب، لكن البحث في مكونات هذا الخطر، سيوصل العقل الأوروبي والعالمي بشكل محايد، إلى تلك النصوص الدينية التي تقدس القتل والإبادة الجماعية، وعندها سيدرك العقل الغربي، أن خطر إسرائيل والحركة الصهيونية، يكمن في تلك النصوص التي تحكم العقلية الصهيونية، وتتحكم بنوازع النفس الإرهابية المتطرفة، بل إن الممارسات الدموية وحروب الإبادة، التي تشنها إسرائيل ليست إلا تطبيقًا لتلك النصوص الدينية المقدسة، المبثوثة في التوراة المكتوبة والتلمود.

كيف تتم محاكمة النصوص الدينية العنصرية الدموية التي تقر الإبادة البشرية؟

من الطبيعي أن مواجهة هذه النصوص ورفضها، يتطلب في الأبعاد الدينية، رفض كل ما هو مناقض لمفهوم السلام عند المسيح -عليه السلام-، وعند أتباعه الصادقين، صحيح أن المسيحيين بشكل عام يطلقون اسم الكتاب المقدس على التوراة والإنجيل، باعتبار الأول هو العهد القديم، والثاني العهد الجديد، ولكن هذا الدمج يحتاج إلى مراجعة أخلاقية إنسانية

أولاً، فما جاء في الإنجيل يتناقض مع كثير مما جاء في التوراة، فلم نجد نصًا إنجيليًا يدعو إلى الإبادة البشرية، ولا إلى القتل لمجرد القتل، أو لأن الضحية عدو مفترض، افترضه مدونو التوراة في عصر بائس، بالنسبة لليهود، ولعل تطور العقل الإنساني وما وصل إليه من انفتاح بلا حدود، يرفض أو هو يستهجن وجود جماعات من البشر، ما تزال تتمسك بالحس العنصري ضد الآخرين، وتعتبر أن قتل الآخر، هو تنفيذ لرغبة الإله، ورغبة رجال الدين، الذين يتحكمون بتوجيه النفوس والعقول، من اليهود توجيهًا عنصريًا.

> ليس هناك نص انجيلي يدعو الى الإبادة البشرية، ولا إلى القتل لمجرد القتل، أو لأن الضحية عدو مفترض

فمحاكمة هذه النصوص، تقتضي محاربتها وتعريتها، ومحاكمة من يدعو لها، محاكمة أخلاقية إنسانية قانونية، حتى يتخلص العالم، بل حتى تتلخص الإنسانية، من عقبة كأداء، تقف في وجه التفاهم الإنساني والتعاون بين الشعوب لأجل مستقبل إنساني محترم.

مصادر ومراجع استفيد منها:

1ـ السموأل بن يحيى المغربي: غاية المقصود في الرد على اليهود، مخطوط ص:49.

2 ـ التوراة العهد القديم، طبعة دار الكتاب المقدس، بيروت ـ دمشق 1980 مسيحي.

3ـ الكنز المرصود في فضائح التلمود، د. محمد عبدالله الشرقاوي، مكتبة الوعي الإسلامي دون تاريخ.

4ـ يوميات هرتزل، مركز الأبحاث، بيروت 1978 مسيحي.

5ـ د.علي عبدالواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام، دار نهضة مصر 1956 مسيحي.

6ـ جرجي كنعان، سقوط الامبراطورية الإسرائيلية، بيروت دار النهار 1982.

7ـ درويش ناصر، الفاشية الإسرائيلية، دمشق دار الفكر 1998 مسيحي.

علاقة الهوسا باللّغة العربية

مالم لولي بطر *

الهوسا، كلمة تطلق على الشعوب والقبائل، الواقعة في منطقة واسعة، تمتد من مملكة «برنو» شرقًا، إلى حدود نهر النيجر غربًا، ومن حدود نهر البتوي جنوبًا إلى حدود مملكة «آير» شمالاً؛ وكذلك تطلق كلمة «الهوسا»، على اللّغة التي تتحدث بها تلك الشعوب والقبائل[1].

وتعد لغة الهوسا، إحدى أقدم اللغات الإفريقية السودانية، - ماندنغ؛ سنغاي - وأكثرها انتشارًا على نطاق واسع، في غرب إفريقيا؛ فكانت لغة الاتصال، والتخاطب، والتجارة، والمعاملات، والعلاقات الدبلوماسية؛ حيث استخدمها حكام الدويلات السودانية، في مراسلاتهم وعلاقاتهم[2]؛ وهي الآن لغة تخاطب واتصال، في أكثر من دولة إفريقية، نذكر منها: نيجيريا، النيجر، غانا، الكاميرون، السودان.

وكانت الهوسا، تدرس في أكثر من عشر مؤسسات جامعية، أوروبية منها بريطانيا؛ وألمانيا، وهولندا، وبولونيا، ورومانيا، وسويسرا[3]، كما كانت الهوسا، إحدى اللغات الأفريقية المستعملة، في الإعلام العالمي، في بريطانيا (BBC LONDON) والصين الشعبية، وروسيا، وألمانيا، وأمريكا، وإيران، ومصر، وغيرها.

نبذة تاريخية
عن أصل شعب الهوسا وإماراته الحضارية

لا يزال الحديث عن أصل الشعب الهوسوي، يتسم بالغموض والضبابية، والأساطير، كما هو حال تاريخ أصول القبائل الإفريقية الكثيرة، وذلك نظرًا لعدم وجود الآثار والوثائق التاريخية، المكتوبة حول هذه القبائل.

فعلى هذا الأساس، لم تتفق كلمة الباحثين والمؤرخين، حول أصل شعب الهوسا، حيث اختلفوا على أقوال وآراء متعددة، ولعل أهمها ما يلي:

1 - يرى بعض الباحثين، أن أصل «الهوسا» من سكان

(*) باحث / نيجيريا.

1- حركة اللغة العربية وآدابها في نيجريا - د. شيحو أحمد سعيد غلادنث - دار المعارف.

2- تاريخ العلاقات العربية الأفريقية - د. إمحمد مصباح الأحمد.

3- أفريقيا المسلمة - د. الخليل النحوي، نقلاً عن العربية في اللغات الأفريقية - أحمد الهايد.

الصحراء، شرقي نهر النيجر، أخرجتهم قبائل الطوارق من مواطنهم، فأخذوا يهاجرون نحو الجنوب، إلى أن استقروا في المنطقة، الواقعة حاليًا في شمال نيجيريا، وجزء كبير من جمهورية النيجر الحاليّ، حيث أقاموا سبع دويلات أساسية، وسبع أخريات فرعية(4).

2. يرى أصحاب هذا الرأي، أنه ليس هناك جنس، أو عرق، أو قبيلة تسمى الهوسا؛ وهي ليست جنسًا، أو عرقًا قائمًا بذاته(5)، بل هي شعب يضم أصول جنسيات، تتحدث بلغة مشتركة، ظهرت ونشأت، نتيجة اختلاطها مع بعضها البعض، خلال قرون عديدة(6)، ويرجع هذا الرأي، أصل الهوسا، إلى اندماج شعب إفريقي، من أصول زنجية، مع البربر، استنادًا إلى بعض أوجه التشابه اللغوية، بين اللغة البربرية، واللغة الهوسوية، لأن نظام الخلافة، في الحكم عند البربر، يقوم على أساس الصلة من جانب الأم(7)، إلا أن العادة في المجتمع الهوسوي، يخالفه، حيث إن جانب الأب، أقوى في نظام الحكم والخلافة، ويحتمل أن يكون هذا الرأي، مستوحى من الأسطورة القائلة، بانحدار أصل الهوسا من ملكة دورا (DOURA) التي تزوجت بأبي يزيد، ذلك الفارس الأسطوري، كما سنرى فيما بعد.

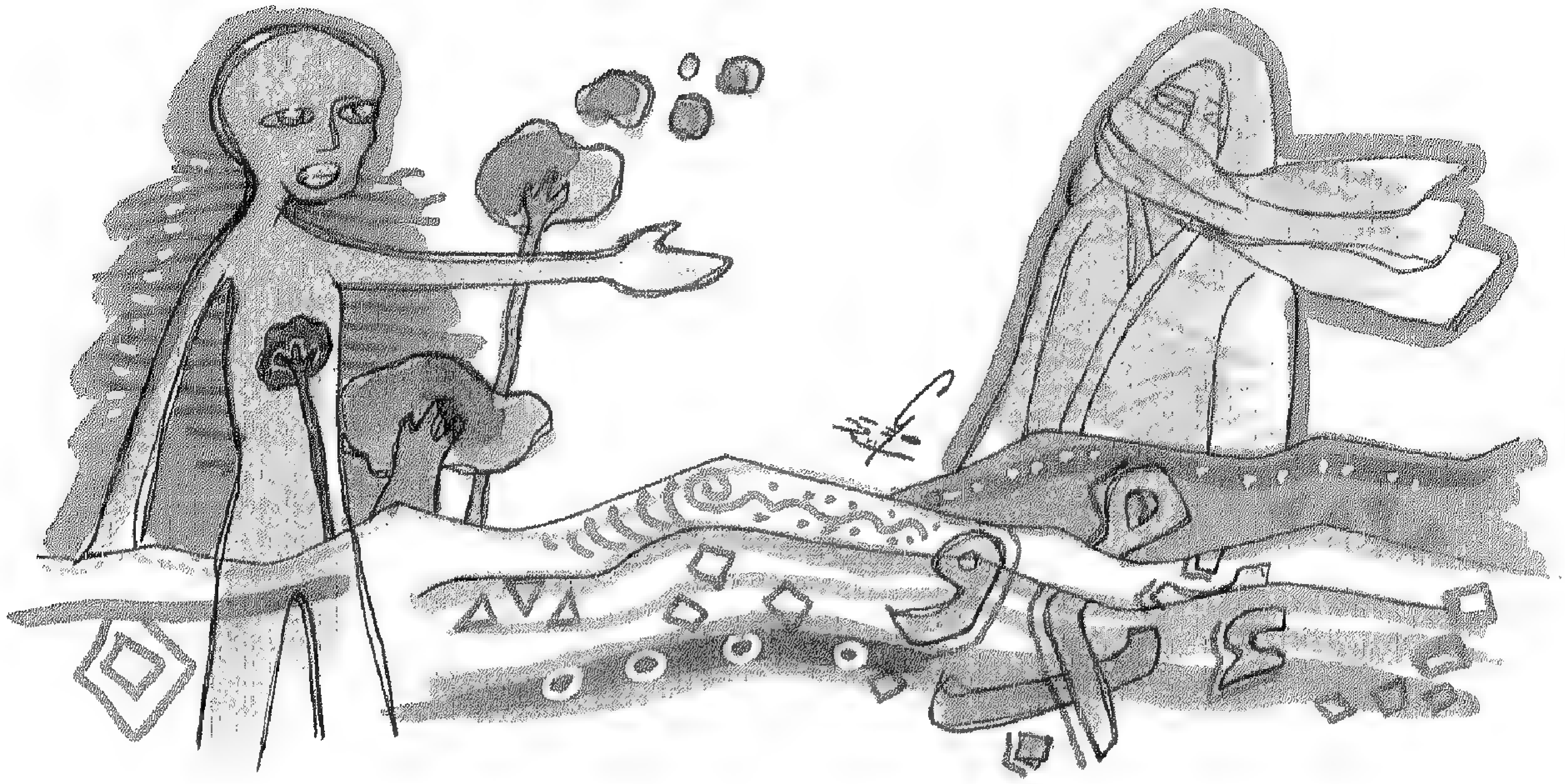
3. إن الأساطير الشائعة، في مجتمعات الهوسا، ترجع أصول شعب الهوسا، إلى شعوب ذات جذور آسيوية، وعليها استند كثير من الباحثين في حديثهم عن أصول الشعب الهوسوي، فمنهم من يرى أن شعب الهوسا، ينحدر من الشعوب الأفروآسيوية، في حين يرى بعض آخر، أن الهوسا، من العرب، وهذا اعتقاد شائع، في مجتمع الهوسا، ويرجع أصل أسطورة الفارس أبي يزيد أو القائد العربي الذي قدم من الشرق (بغداد) واسمة بياجد (Bayajida) أو أبا يزيد، نزل بدورا (Doura) فتزوج بملكتها، التي أنجبت له سبعة أبناء الذين أسسوا بدورهم، سبع دويلات أساسية للهوسا.

المدن والإمارات الحضارية، المتميزة عن غيرها، بخصائص هوسوية متعددة أصبحت أهم المراكز التجارية في السودان الأوسط وعماد الدولة الإسلامية التي أسسها عثمان بن دان فوديو، في القرن التاسع عشر

ولعل الرأي الراجح، في هذه المسألة، هو القائل: بأن شعب الهوسا من سكان الصحراء الكبرى، نزحوا نحو الجنوب، تحت ضغط وقسوة الطوارق، فأقاموا في منطقة «آير» إلى أن جاءت قبائل (لمتا) من شمال أفريقيا، وطردتهم إلى الجنوب، حيث أقاموا في المستوطنات التي أسسوها فيما بعد، كما يضعف احتمال ظهور الهوسا، نتيجة اختلاط الجنسيات المختلفة، كما أشار إلى ذلك (كارلتون إس وكون إدوارد) في السلالات البشرية، من أن البربر حيثما سكنوا أو عاشوا، يرفضون الزواج من الطبقة الزنجية، التي يرونها أدنى منهم، وإن وجدت بعض ملامح الإتصال، بين الشعبين، إلا أنها غير كافية لايجاد شعب له لغة ذات قواعد نحوية وصرفية محكمة كالهوسا.

وتجدر الإشارة هنا إلى المدن والإمارات الحضارية، المتميزة عن غيرها، بخصائص هوسوية متعددة والتي أصبحت أهم المراكز التجارية في

4. تاريخ العلاقات العربية الإفريقية ـ د. إمحمد مصباح الأحمد.
5. الشعر العربي في النيجر ـ رسالة ماجستير ـ يوسف منكيلا.
6. موسوعة التاريخ الإسلامي، د. أحمد شلبي ج (6) ص:128، ط(4) 1983 مسيحي.
7. المرجع السابق.



السودان الأوسط وعماد الدولة الإسلامية التي أسسها، عثمان بن دان فوديو، في القرن التاسع عشر. 1754: 1817 مسيحي، صاحب امبراطورية سوكوتو الفلاّنية، ومن الطبيعي جداً، أن يختلف الباحثون والمؤرخون، في تاريخ تأسيس هذه المدن، وذلك لاختلافهم، في تحديد أصول شعب الهوسا، فالذين يرون أن الهوسا ليست جنسًا، أو عرقًا قائمًا بذاته، بل هي لغة، تولدت نتيجة اختلاط البربر، بالقبائل الأصلية في شمال أفريقيا، ويذهبون إلى أن تدفق الهجرات العربية، من شبه الجزيرة العربية، إلى شمال أفريقيا في القرن الأول الهجري، إلى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، حيث جاءت موجة عربية، من قبائل بني سُليم، وبني هلال، التي دخلت في حروب مع البربر، الذين اضطروا تحت وطأة هذه الظروف القاسية، إلى الهجرة نحو جنوب الصحراء، حيث حدث التزاوج والإندماج مع سكان هذه المنطقة، ونتج من هذا التزاوج شعب الهوسا، الذي نزح نحو الجنوب حتى وصلت به الهجرة، إلى شمال نيجيريا، وأنشأ مستوطناته هناك، ولعل هذا الإتجاه هو الأصلُ الذي لم تذكره بعض المصادر التاريخية، وأن ولايات الهوسا تأسست على يد قوم من المهاجرين البربر، الذين توغلوا نحو الجنوب (آير) فعاشوا وتناسلوا، حتى ضاقت بهم المنطقة أو الواحدة، فنزلوا منها إلى مهجر جديد (شمال نيجيريا وجنوب النيجر) وكونوا لأنفسهم مدنًا وإمارات، بلغ عددها سبعًا.

ويرى بعض آخر، أن جماعات الهوسا، كانت تسكن في هذه المنطقة منذ زمن سحيق، فهي عبارة عن مجموعات زراعية، تسكن في أراض خصبة، كل واحدة منها مستقلة عن أخرى، تجمعها لغة واحدة، وبعد مرور فترة طويلة من الزمن، تكاثرت وتجمعت ثم تطورت إلى ولايات.

والأسطورة الشائعة، ترجع تأسيس هذه الولايات على يد القائد العربي سالف الذكر الذي تزوج بملكة «دورا» كما أشرنا إليه آنفًا، فأنجبت له سبعة أبناء، تولوا الولايات السبع الأصلية، وهي: كانوا، زكزك،

دورا، غوبر، كاتشة، غارن غيس؛ وسبع ولايات فرعية هي: كيب، نفي، يريا، باويه، كوفا، يرغو، زنفرا. أما الصناعات فكانت قبائل الهوسا، تختلف منذ القدم عن بقية الشعوب، والقبائل السودانية، وذلك بتفوقهم في مختلف أنواع الصناعات، خاصة صناعة المنسوجات، وقامت كذلك بنشاط تجاري، مزدهر، بمواطنهم، ومع الشعوب الأخرى.

صلة الهوسا بالعربية: قبل الإسلام وبعده

صلتها بالعربية قبل الإسلام.

لم تكن الصحراء الكبرى، المترامية الأطراف، حجابًا عازلاً، عن تواصل شعبي شمال أفريقيا وجنوبها، حيث يذكر لنا البحاث والمؤرخون بأن هناك علاقة تجارية قديمة، تربط بين البلاد، التي كان العرب يطلقون عليها اسم المغرب، وبين البلاد الواقعة جنوب الصحراء الكبرى.

> لم تكن الصحراء الكبرى، المترامية الأطراف، حجاباً عازلاً، عن تواصل شعبي شمال أفريقيا وجنوبها

ويرجع تاريخ هذه العلاقة إلى ماض سحيق، قبل القرن السابع الميلادي أي قبل دخول الإسلام في القارة الأفريقية، ويقال: إن هذه العلاقة التجارية بدأت منذ عدة قرون، بأيدي الإغريق والفنيقيين والرومان، قبل دخول العرب والمسلمين إلى أفريقيا، ثم تولاها العرب، بعد الفتح ودخول الإسلام(8).

ولقد اشتهرت عدة طرق للقوافل التجارية، تربط بين أهم المدن في هذه المناطق، جنوبًا وشمالاً، فتبدأ من مراكش، وتلمسان، وتونس، وطرابلس، ومصر، متجهة إلى الجنوب، فتجاوز الصحراء الكبرى، وتصل إلى المراكز التجارية في غرب إفريقيا، مثل: غانا، وتمبكتو، وولايات الهوسا، وكانم برنو، وغيرها(9)، وقد ذكر (غلادنث) نقلاً عن المؤرخ فيج (Faje)، الصلة التجارية القائمة بين المغرب وغربى أفريقيا فيما بين القرن الخامس، والثامن عشر الميلادي، كما ذكر بعض الباحثين(10)، أربعة طرق رئيسة، كانت تربط بين الشمال والجنوب، وهي:

1 ـ طريق يمتد من سجلماسة، إلى ولات، ثم تتجه إلى بلاد السنغال وأعالي نهر النيجر، حيث الذهب.

2 ـ من غدامس إلى بلاد الهوسا، الغنية عن طريق غات و«آير».

3 ـ من طرابلس إلى «برنو» ونهر تشاد، مارّة بفزان، وكوار.

4 ـ من قورين بالجبل الأخضر إلى واداي عن طريق الكفرة.

وقد استغل المسلمون العرب والبربر، هذه الطرق التجارية القديمة، في نشر العقيدة الحنفية الصحيحة.

صلة الهوسا بالعربية بعد الإسلام:

لقد أشرنا آنفًا، إلى أهم الطرق التجارية، التي تربط بين جانبي الصحراء الكبرى، رغم وعورة مسالكها وقسوة طقسها؛ وتشمل تلك التجارة، استيراد العاج، والذهب وغيرهما، مقابل المنسوجات والعطور والأسلحة.. الخ(11).

---

8. حركة اللغة العربية وآدابها في نيجريا د. شيحو أحمد سميد غلادنث.
9. المرجع السابق.
10. المرجع السابق والعرب وأفريقيا. مركز دراسات الوحدة العربية باحث / يوسف فضل حسن.
11. العرب وأفريقيا. يوسف فضل حسن مركز دراسات الوحدة العربية.

ونتيجة لهذه المصالح الطبيعية المتبادلة، بين الطرفين، ازدهر الإتصال الثقافي، والتجاري، والاجتماعي، والسياسي بينهما، وارتفعت معدلات الهجرة، من الشمال إلى الغرب، وقويت هذه العلاقة، حين دخل الإسلام في المنطقة، وأخذ ينتشر.

هذا ويجدر بنا، قبل الخوض في هذه العلاقة، التي بدلت الطابع التجاري بالطابع ثقافي، الذي ترك بصماته في لغة شعوب المنطقة، وعاداتهم، وتاريخهم، وحضاراتهم، أن نعرض عرضًا موجزًا، لكيفية دخول الإسلام، وانتشاره في المنطقة بصفة عامة، وفي بلاد الهوسا خاصة.

تكاد تكون كلمة الباحثين والمؤرخين واحدة عن كيفية دخول الإسلام في المنطقة وانتشاره، والتي أساسها، أن الصحابي الجليل عقبة بن نافع ـ رضي الله عنه ـ الذي قاد حملة الفتح على عدة مدن، من شمال افريقيا، فلم يزل يفتح مدنا تلو أخرى، إلى أن وصل إلى «موار» ففتحها، حتى انتهى إلى أقصاها[12]، وذلك سنة 46 هـ الموافق 666 مسيحي، وتقع «كوار» في حدود الصحراء الكبرى، شمال غربي بِلْمَا ـ الواقعة في النيجر الحالي ـ حيث تتفرع إحدى طرق القوافل، التي كانت تأتي من طرابلس، فتتجه، إما جنوبيًا نحو مملكة «كانم برنو»، أو إلى الجنوب الغربي نحو بلاد الهوسا، على هذا الأساس، فإن السودان الغربي، اتصل بالإسلام، منذ القرن الأول الهجري، وهذا يبعد الرأي القائل، بأن الإسلام دخل إلى المنطقة في القرن السابع، أو الثامن الهجري، كما ذهب إليه كثير من الباحثين[13]، وذلك إذا فرقنا بين اعتناق الشعوب الإسلام، واعتناق الملوك، الذي حدث متأخرًا، كاعتناق ملك «برنو» في القرن الحادي عشر، المسمى (بمي جلمي) وسمى نفسه بعد إسلامه محمداً، وملك «كانو Kano» على يد الونغار، خلافًا للشعوب التي اختلطت بالعرب المسلمين، وتعاملت معهم في الأسواق والمصاهرة، ولا شك أن هذا الإندماج، له أثر كبير في لغات المنطقة الأصلية.

تأثير اللغة العربية في الهوسا:

لم ينتشر الإسلام في بلاد الهوسا، عن طريق الفتح، والضغط والقوة، بل انتشر عن طريق سلمي عبر التجارة والمصاهرة، واندماج الشعوب مع بعضها البعض، حتى أصبح دينًا رسميًا، في بعض ولايات الهوسا «ككتو»، فور اعتناق ملكها الإسلام، وفي بعضها بعد قيام الدولة الإسلامية الإصلاحية، على يد عثمان بن دان فوديو، في القرن التاسع عشر.

الحرف العربي ما يزال يستعمل في المدارس الإسلامية والمراسلات بين علماء الدين والمثقفين

إن هذا التحول الديني، (من الوثنية إلى دين الإسلام الحنيف) ترك آثارًا وبصمات واضحة، في لغة شعوب المنطقة، وآدابها، وحضاراتها، فضلاً عن اتصالها، وارتباطها القديم بالعرب، قبل دخول الإسلام، ولما كان الإسلام لا ينفصل عن اللغة العربية، التي هي لغة العقيدة، وآداة نشره وفهمه فهمًا صحيحًا، ألهم الشعوب المهتدية إلى تعلمها واستعمالها، إلى جانب لغاتهم الأصلية، في جميع مجالات الحياة، حتى جعلوها، لغة مقدسة، ولغة العلم والتعليم، وافتخروا باستعمال ألفاظها البحتة، في لغاتهم، بعد إخضاعها لقواعدهم اللغوية، الصوتية

12ـ حركة اللغة العربية وآدابها ف نيجيريا د. أحمد فلادنث نقلاً عن البكري ص:13.

13ـ تاريخ العلاقات العربية الأفريقية ـ د. امحمد مصباح، وحركة الله العربية ـ غلادنث.

والنحوية، واقترضوا من ألفاظها، ألفاظًا عديدة، واضحة الجذور والأصل في لغاتهم، فلا يكاد الهوسوي اليوم، يتحدث باللغة الهوسوية، أكثر من خمس دقائق، إلا استعمل لفظًا مقترضًا من العربية، على الأقل.

وتنحصر أهم عوامل تأثير العربية، على الهوسا في:

1 ـ الخط العربي، وهو من أهم الآثار الثقافية، التي تركها العرب في بلاد الهوسا، حيث كانت لغتهم تكتب بالخط العربي المغربي، وظلّت تكتب به حتى وصل الإستعمار، وبدله بحرف لاتيني، وأنشأ دارًا للنشر، في مدينة «زاريا» شمال نيجيريا، وظهرت عشرات الكتب بالحرف اللاتيني، وازدحمت الترجمة، إلا أن هذا لم يقض على الحرف العربي، الذي لا زال يستعمل في المدارس الإسلامية، والمراسلات بين علماء الدين، والمثقفين منهم[14].

2 ـ إبدال العربية بالهوسا، إذا عزّ التفاهم بين القبائل المختلفة المسلمة، في المنطقة، وفي المراسلات مع من لا يفهم الهوسا، وفي كتابة المعاهدات والمواثيق، عند بعض الأمراء والملوك، وفي العلاقة الدبلوماسية، كما حدث مع المستعمر البريطاني، كما كانت العربية وسيلة اتصال وحيدة، بين القادة العسكريين في الحرب العالمية الأولى، مع الجنود الأفارقة.

3 ـ هجرات القبائل العربية، إلى تلك البلاد واستقرارها فيها، مثل مجموعة القبائل المعروفة في إمبراطورية (برنو) باسم (شُوَا).

4 ـ حاجة المسلمين إليها في أداء فرائض الدين وفهمها.

5 ـ احترام المسلم الأفريقي هذه اللغة، احترامًا يقرب إلى التقديس، لأنها لغة القرآن الكريم.

6 ـ العلاقات التجارية بين مدن الجنوب والشمال في القارة.

هذا التحول الديني، (من الوثنية إلى دين الإسلام الحنيف) ترك آثارًا وبصمات واضحة في لغة شعوب المنطقة وآدابها وحضاراتها، فضلاً عن اتصالها وارتباطها القديم بالعرب قبل دخول الإسلام

لقد اقترضت الهوسا من اللغة العربية، عدة ألفاظ، منها: الدينية، والسياسية، والتجارية، وأخضعتها لنظامها اللغوي، الصوتي والصرفي، الأمر الذي أدى إلى حدوث كثير من التغيرات في بنية الكلمة المقترضة، حتى تتلاءم مع النظام البنيوي الهوسي، ومنها ظاهرة الحذف الصوتي، وإبدال أصوات الحلق والإطباق، والأصوات التي تخرج من بين الأسنان الأمامية، فيبدلون صوت الهمزة بالعين، نحو: Saaa ساعة، والهاء بالحاء، نحو: ALHALI (الحال)، وفي الإطباق، يبدلون صوت السين بالهاء، نحو: snaa الصناعة، والزاي بالظاء نحو: azzalumi الظالم، والتاء بالثاء نحو: tabbaia بمعنى ثبت؛ ويرجع سبب هذه التغيرات البنوية، إلى عدم وجود أصوات في هذه الحروف، أو صعوبة نطقها، لذا نرى الهوسوي، يستبدل بعض الأصوات الصعبة، أصواتًا خاصة لنظامه اللغوي، فيقول في ث، ــ سا، أو ت، وفي ذ، ــ ز، وفي ظ ــ ز، وح ــ هـ، وخ ــ أو ك، ويقول في ع ــ أ، وغ ــ ك، وفي ض ــ د، وفي ص ــ س، وفي ط ــ ت[15].

---

14. مجلة اللغة العربية الجزء 52 ص:85، الأثر العربي في لغة الهوسا د. مصطفى حجازي.

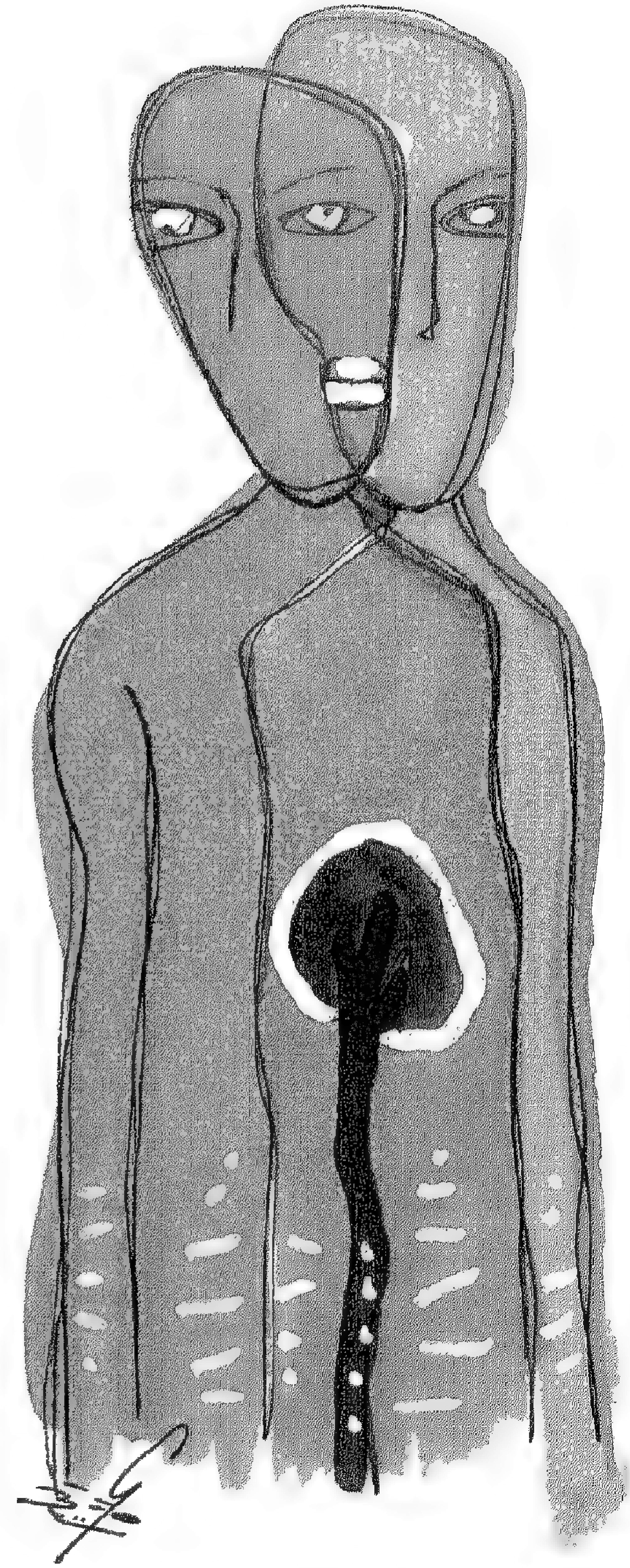
15. الدراسات الدلالية للكلمات المقترضة في لغة الهوسا د. مصطفى حجازي ـ مجلة مجمع اللغة العربية ـ القاهرة ـ الجزء 50.

وتجدر الإشارة، إلى أن لغة الهوسا تعتمد كثيراً على الإلصاق الصوتي، في تراكيبها اللغوية، ولما كان الإلصاق هو: إضافة شيء إلى شيء آخر، أو إلصاق شيء إلى الكلمة، سواء كان في بداية الكلمة (السابقة)، أو في وسطها، (داخلية antixe) أو في نهاية الكلمة (اللاحقة suthixe)، تجلت الكلمات المقترضة من اللغة العربية، وإنْ حدث تغيير في بنتها اللغوية، وعلى هذا الأساس، يعثر المتتبع للأثر العربي، في لغة الهوسا بكل سهولة، على مئات بل الآلاف من الكلمات العربية، منها على سبيل المثال:

Hasada حسد، salla صلى، sutra ستر، حكم hukumci، محكمة mahukumta، الظلم Zalumci، الظالم mazaluma، أمانه amana، آمن maminci، آمنة maamamiuya، درجة davaja؛ درجات darajoji، كلمات kalmomi، أسرار assiray؛ النبي annabi، الأنبياء annabawa، خبر labari، أخبار labaru، صحفيون (جريدة) yanjarida، سياسي dansiyassa، تلك هي بعض الكلمات القليلة جداً، على سبيل الإستشهاد، من ضمن آلاف الكلمات التي لا تعد ولا تحصى، ولم يقف التأثير العربي في الهوسا، على الكلمات، بل تعداها إلى الأمثال، aili zato zanubine (العمل بالظن ذنب)، وهو مأخوذ من قوله تعالى:

﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (سورة الحُجرَات الآية: 12)

masoyinka baganin aibinka (حبيبك لا يرى عيبك) وهو مأخوذ من الحديث: (حبك للشيء يعمى ويصم) وغيره.



الخاتمة:

وبعد..

لا يسعني في ختام هذه الدراسة المتواضعة إلا أن أشير إلى أن هذا الموضوع واسع الأرجاء، وكثير الآراء، وقد بذلت ما بوسعي أن أفعله ولا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها، ولا أعتقد ولا أدعي، بأنني أحطتُ بجميع أطراف الموضوع.

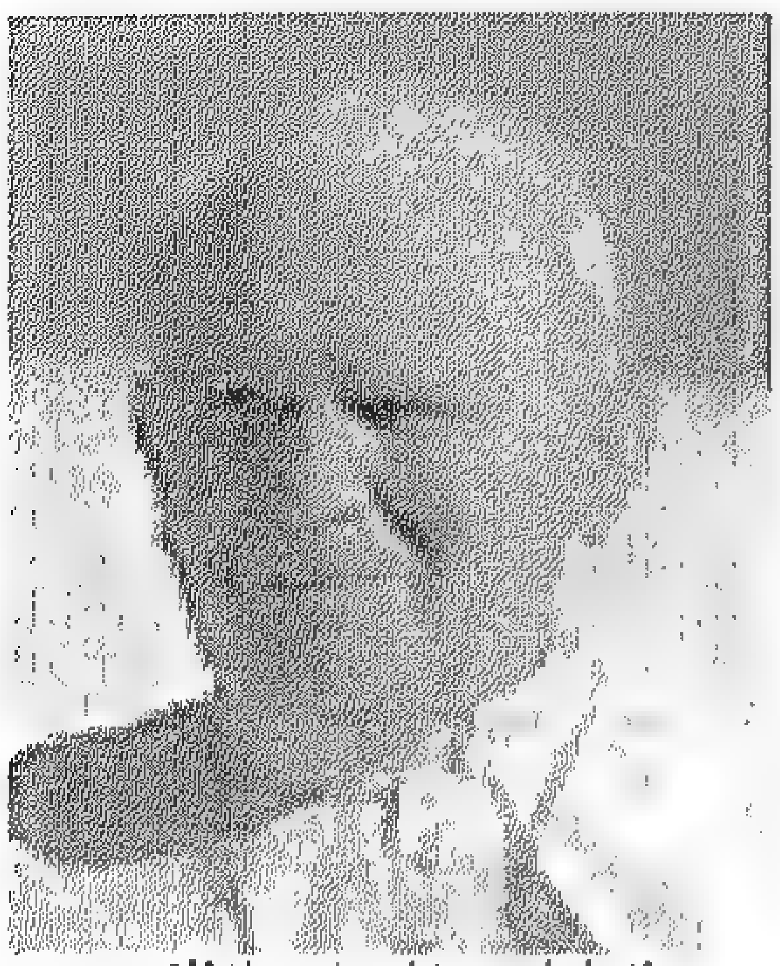
وأرجو أن تكون هذه المحاولة المتواضعة، بداية لي ولغيري للخوض في هذا الموضوع نحو دراسة مستفيضة.



أكبر وأجدى من الإعتذار

- في الرد على البابا
- ملاحظات على محاضرة البابا وتعديلاتها
- الجذور الفكرية العقدية لموقف البابا من الإسلام
- الإيمان والعقل والجامعة.. ذكريات وتأملات
- البابا وجحيم دانتي.. وحوار الحضارات
- بنديكت السادس عشر وإمانويل الثاني
- حقيقة الدين اللاعقلاني
- بيان القيادة الشعبية الإسلامية العالمية
- بيان منظمة المؤتمر الإسلامي
- خيال أم حقيقة؟
- رجال دين مسيحيون...

أكبر وأجدى من الاعتذار


البابا يوحنا بولس الثاني

ا (التواصل).. وهي تعرض في صفحاتها التالية جوانب من ردود فعل عالمية، حول تصريحات بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر، تود التنويه إلى أمرين:

- ❖ عدم نشر الكثير من بيانات الفاعليات والهيئات والتنظيمات الإسلامية من مختلف بقاع العالم، ومن بينها رموز تستقطب مئات الملايين من المسلمين ، وذلك نظراً لضخامة وتنوع تلك البيانات والتصريحات ، وبالتالي يصعب إدراجها جميعا في هذا الحيز.
- ❖ إبراز مواقف أتباع المسيحية على مختلف مذاهبها وتعليقات الصحف الغربية والتي لم يكن تنديدها بتلك التصريحات نابعاً من «انفعال ديني» بقدر ما كان صادراً عن تحليل عقلاني، كالقول أن البابا بنديكت يزرع الخلافات بين المسلمين والمسيحيين.. و .. إن البابا الجديد يقدم نفسه دائما كمبشر في أوروبا التي يهيمن عليها عدم الإيمان !

ولعل هذه الإشارات الصريحة من وسائل الإعلام الأوروبية وغيرها تدعو إلى استرجاع مواقف البابا بنديكت السادس عشر، منذ كان كاردينالاً يُنادى باسمه الحقيقي «ريتسينغر» وكان منعزلاً بالتأكيد عن أنشطة سلفه البابا يوحنا بولس الثاني، وربما معارضاً في صمت لجهوده ورحلاته الكثيرة حول العالم، لدعم الحوار البنّاء بين الشعوب والحضارات.

في تلك المرحلة كان الحوار الإسلامي المسيحي يقطع أشواطاً مشهودة، في مسيرة بدأت قبل ثلاثة عقود من الزمن برعاية المسلمين والكاثوليك بداية من المؤتمر العالمي الكبير في مطلع الشهر الثاني من عام 1976 بمدينة طرابلس/ ليبيا وكانت تلك العقود هي حقاً عقود الازدهار والتعاون والعيش المشترك بين المسلمين والمسيحيين، وكان سلفه البابا يوحنا بولس الثاني يبارك بإخلاص ويدفع بإصرار تلك الأشواط من مسيرة الحوار عن قناعة ورؤية مستقبلية صائبة.

من هنا ترى (التواصل) أن هذا التجاوز من البابا بنديكت السادس عشر لن يستطيع - إزاء هذا الانجاز التاريخي لمسيرة الحوار - سوى تقديم ما هو أكبر وأجدى من مجرد الاعتذار عما صدر عنه من تجاوزات تمس الإسلام وتسيئ إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ وذلك بالعودة إلى إرث سلفه يوحنا بولس الثاني والانخراط في حوار المؤمنين من مختلف العقائد، سعياً إلى التقارب والتعارف ومعالجة سلبيات راكمتها عصور الاستعمار بين الشعوب عبر القرون..!

التواصل

في الرد على البابا

د. محمد السماك *

من الطبيعي جداً أن يبادر علماء ومفكرون مسلمون للرد على ما ورد عن الإسلام في المحاضرة التي ألقاها البابا بنديكت السادس عشر في ألمانيا .

فالبابا ليس مجرد أكاديمي متخصص في اللاهوت، كان رئيس مجلس العقيدة في الفاتيكان في عهد البابا الراحل يوحنا بولس الثاني ولكنه المرجع الاول للمسيحية الكاثوليكية، وهو رمزها والناطق باسمها، ولذلك لا بد من الاهتمام بما يقول أو يقرر، وكذلك لا بد في الرد على ما تضمنته محاضرته من الالتزام بأداب الرد وأصوله.

فإذا كان الرد موجها إليه بصفته العلمية الأكاديمية، فلا بد أن يكون رداً علمياً أكاديمياً، أي أنه لا بد أن يكون مجرداً من الانفعالات ومن ردود الفعل الجياشة التي تعبر عن نفسها بكلمات قد تفتقر إلى اللياقة أو قد تخلو من الاحترام للرأي المخالف.

أما إذا كان الرد موجهاً إلى البابا بصفته الدينية فلا بد من اعتماد الأسس والقواعد التي قال بها الإسلام في محاورة أهل الكتاب، فالإسلام لم يقل بالمجادلة بطريقة حسنة فقط، بل بالتي هي أحسن، كذلك فإن الإسلام قدم من خلال سيرة النبي ﷺ نموذجا يجب أن يحتذي به المسلمون في أي حوار.

وقد ورد هذا النموذج في الآيتين 24 و 25 من سورة سبأ في الآية الأولى يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿...وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة سبأ: الآية 24]

بمعنى أن الرسول عليه الصلاة والسلام في حواره مع أهل الكتاب، وضع نفسه ووضع محاوريه في المستوى ذاته هدى أو ضلالا، كمنطلق للحوار، أي أنه لم ينطلق من الحكم على الآخرين بالضلال، وعلى نفسه بأنه على هدى وهو يعرف أنه على هدى .

أما الآية الثانية فيقول فيها الله سبحانه وتعالى:

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة سبأ: الآية 25]

وفي هذا النص القرآني سمو في الحوار يبلغ الذروة في احترام الآخر المختلف معه، حتى نكران الذات، ويبدو ذلك من خلال وصف ما يقول به غير المؤمنين بالعمل، ووصف ما يقوم به المؤمنون بالإجرام على أن يكون الحكم في ذلك إلى الله وحده .

وفي الحالتين أي في حالة الرد العلمي الأكاديمي وفي حالة الرد الديني الفقهي: فإن الرد على ما ورد في محاضرة البابا يجب أن يراعي أمورا أساسية ثلاثة:

الأمر الأول: هو عدم تقويل البابا ما لم يقله، صحيح أن المضمون سيئ، وأن التوقيت سيئ، وأن العرض سيئ، وأن الإيحاء سيئ، ولكن الصحيح أيضاً أن البابا لم يشأ أن يعطي كل هذا السوء أي غطاء

* كاتب / رئيس لجنة الحوار الإسلامي - المسيحي / لبنان

بابوي، سواء من حيث الاجتهاد اللاهوتي أو من حيث التحليل الفكري، إن كل ما في الأمر هو أنه قد قدم مطالعة ضد الإسلام منسوبة إلى عدو للإسلام منذ القرن الرابع عشر، ويأخذ هذا السوء بعداً أسوأ لاستشهاد البابا به، وفي هذا الوقت بالذات الذي يتعرض فيه الإسلام إلى حملات افتراء وتجن خاصة بعد جريمة العصر التي ارتكبت في 2001/9/11 في نيويورك وواشنطن بالولايات المتحدة.

الأمر الثاني: هو وجوب عدم توفير الفرصة أمام المصطادين في المياه العكرة لتوسيع رقعة الحملة على الإسلام بزج الفاتيكان فيها واستعدائه، وعدم منحهم مجانا ومن خلال ردات الفعل المتشنجة، مادة إضافية لتبرير حملات الافتراء والتجني.

فليس أسوأ من الخطأ سوى الرد عليه بخطأ مماثل.

أما الأمر الثالث: فهو أن الرد يجب أن يأخذ بالاعتبار ضرورة المحافظة على العلاقات الإسلامية المسيحية، أولاً العلاقات مع المسيحيين العرب، وثانياً مع مسيحيي العالم، ويجب أن يحرص على عدم توجيه أي إساءة إليهم، إن تعميم التهمة وتعميم الإدانة خطأ عانى ويعاني منه المسلمون، وليس من المعقول أن يمارس المسلمون هذا الخطأ بحق غيرهم، فكيف إذا كان هذا الغير إخواناً لهم في الوطن وفي المصير الواحد، إن من غير الجائز ومن غير المفيد على الإطلاق في معرض الدفاع المشروع والمبرر عن الإسلام، التعرض إلى المسيحية وإلى رموزها بسوء، ومن غير المعقول منطقياً ومصلحياً تعميم تهمة الإساءة إلى الإسلام على المسيحية وعلى المسيحيين بحجة المعاملة بالمثل.

ولكن لأن مضمون ما نُسب إلى البابا يعكس فهماً غير سليم وغير صحيح للإسلام، ولأن من المهم ومن المفيد تصحيح هذه المفاهيم الخاطئة، فإن الرد هو أكثر من ضروري، إنه واجب، هو واجب علمي أكاديمي من جهة، وهو واجب ديني من جهة أولى، هو واجب على علماء المسلمين، وحق للعلماء غير المسلمين الذين يجهلون الإسلام شرعة ومنهاجاً.

فعلى قاعدة العلمية الأكاديمية فإن الإسلام والعقل صنوان، وليس صحيحاً ما نُسب إلى البابا من قول أن المشيئة الإلهية ليست مرتبطة حتى بالعقل.

ولو تسنى للبابا بنديكت السادس عشر أن يقرأ القرآن الكريم لوجد أنه يوجه خطابه إلى ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة الرُّوم: الآية 24] و﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الزُّمَر: الآية 42]

وأن أول سورة وأول آية من القرآن الكريم أوحى بها إلى النبي محمد ﷺ كانت:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾

[سورة العلق: الآية 1-5]

فالإيمان في الإسلام ليس وراثياً أو طقوسياً، ولكنه إيمان عقلاني لا إكراه فيه، لذلك فإن ما نُقل على لسان بنديكت يحتم الرد شكلاً وأساساً.

الإيمان في الإسلام ليس وراثياً أو طقوسياً.. إنه إيمان عقلاني لا إكراه فيه.

فمن حيث الشكل كان التوقيت خاطئا، وكان الاستشهاد بأحد أعداء الإسلام خاطئاً أيضاً، ونقول ذلك أولاً لاعتقادنا بأن الفاتيكان نأى بنفسه عن الحملة الظالمة على الإسلام وأنه وبمبادرة من البابا الراحل يوحنا بولس الثاني عمل على ذلك الارتباط بين الدين والإرهاب خاصة بعد جريمة 2001/9/11 مسيحي ولا يوجد لدينا ما يبرر الاعتقاد أو مجرد الظن بان البابا الحالي تخلى عن هذا الموقف المبدئي الأخلاقي والروحي.

ونقول ذلك ثانياً لاعتقادنا أيضاً بأن التوقيت جزء من المضمون فالكلام المنسوب إلى البابا حول الإرهاب والعنف ونشر الإسلام بالسيف واللاعقلانية.. وإن كان بعضها كان نقلاً عن أقوال ومزاعم وافتراءات رددها آخرون، فإن العودة البابوية إليها ليست عملاً حميداً في الوقت الذي تنهال الافتراءات على الإسلام من كل حدب وصوب.

في الأساس نعرف أن البابا عندما كان الكاردينال ريتسينغر وعندما كان يشغل منصب رئيس مجلس العقيدة في الفاتيكان، أبدى آراء واجتهادات لاهوتية سلبية عن الإسلام وعن المسيحية الارثوذكسية، حتى إنه نفى عن الكنائس الانجيلية الصفة الكنسية وقال إنها مجرد حركات لا كنائس .

وقد أثارت آراؤه تلك في حينها ردود فعل سلبية حتى من داخل الدوائر الفاتيكانية نفسها، ولا نعرف أن البابا الراحل كان مرتاحا لها، ولذلك حجبت عنها الأضواء حتى أصبحت ـ أو كادت نسياً ـ منسياً.

الآن تنكأ أقواله ـ في المحاضرة غير الموفقة التي ألقاها في ألمانيا ـ الجراح مرة ثانية. وتضع العالم الإسلامي في حيرة من أمره بالنسبة لنظرته إلى الفاتيكان، وإلى مستقبل علاقاته معه، هل تقوم هذه العلاقات على أساس ما ورد في تلك المحاضرة المتعثرة وعلى ما سبقها؟.. أم أنها تقوم على أساس ما ورد في وثائق مجمع الفاتيكان الثاني 1965 وكذلك على ما ورد في وثيقة الإرشاد الرسولي 1995 حول العلاقات الإسلامية المسيحية ؟

فالمجمع الفاتيكاني الثاني «21 تشرين الثاني، نوفمبر 1964 ـ 28 تشرين الأول اكتوبر1965» المحطة الأبرز في مسيرة الحوار الإسلامي ـ المسيحي ـ ذلك إن



بنديكت السادس عشر

المجمع تحدث في القسم الثالث من الوثيقة التي صدرت عنه عن الإسلام بايجابية وانفتاح مناقضا بذلك ما ورد في رسالة البابا الأسبق بيوس الثاني عشر في عام 1957 مسيحي والتي وصفت انتشار الإسلام في افريقيا بأنه خطر على الكنيسة كما وصفت الحضور الإسلامي العالمي بأنه حضور كارثي لا يقل عن الشيوعية .

❖❖❖

وقد جاء في دراسة أعدها الأب جوزف كوك ولويس غارديه وقدم لها الكاردينال ماريللا المسؤول عن أمانة شوؤن غير المسيحيين في الفاتيكان.

«يجب أن نعترف وبكل شجاعة وصدق أن المسلمين لم يلاقوا من العالم المسيحي إلا القليل من التعاطف

ما كان شيء في العالم ليقنعني بأن أي دين من الأديان يدعو إلى المساواة بين الناس ، ولو أن بعضها يتظاهر بهذه الدعوة، ولكن ما كان أشد دهشتي حينما رأيت الشعور بالمساواة على أتمه بين المسلمين في عيد الفطر في مسجد (ووكنج) بلندن، وجدت أجناساً مختلطين على اختلافهم في المراتب اختلاطاً لك الحق أن تسميه أخوياً، ولم أكن شاهدت مثل ذلك.

ترى في المسجد نوبياً من بلاد ممباسا يصافح عظيماً من رجال الأعمال في مصر، أو سياسياً من بلاد العرب، وقد ارتفعت الكلفة بين الجميع، فلا يأنف أحدهم مهما عظم قدره من أن يجاوره في الصلاة أقل الناس شأناً، وإنك لا تجد أقل محاولة لتخطي الصفوف إلى مكان ممتاز بالمسجد، لأنه ليس هناك أي مكان ممتاز، فالكل عند الله سواء.

لا فضل لأحد عن سواه، وعندما صرّح لي إمام المسجد بأن المسلمين يعتقدون برسالة جميع الأنبياء ويؤمنون بما أنزل إليهم... كدت لا أصدق أذني، وكان هذا جديداً استفدته عن الإسلام.

لذلك لم أعد أشك في أن هذا الدين يصلح لأن يكون ديناً عالمياً .

ليفا

والود.. وقليلون هم الذين أولوهم العناية الكافية، بالرغم من أن الرهبان والراهبات اظهروا اهتماماً أكبر في مجالات التعليم والمساعدة والرعاية، ولكن جهودهم بقيت جزئية أمام اتساع الاحتياجات، كما أن الغربيين المستشرقين منهم والعلماء المتخصصين بالإسلاميات أظهروا تعاطفاً وتفهماً لكل ما يتعلق بأهداف دراستهم، ولكن تفهمهم للإنسان وتعاطفهم معه كان أقل وهذا ما يأخذه المسلمون عليهم في أيامنا هذه، مع شيء من اللوم والعتاب، وحتى اليوم وفي أكثر الأحيان عرف المسلمون العالم الغربي من خلال الأنظمة الاستعمارية، وباختصار يجب أن نعي بكل موضوعية أن المسيحيين لم يحققوا بعد كمجموعة الشرط الأول الذي يؤهلهم لأن يكونوا موجودين وحاضرين في عالم المسلمين كما هو، وعلى حقيقته.

في النص القرآني سمو في الحوار يبلغ الذروة في احترام الآخر.

عكس هذه الروح لأول مرة البابا بولس السادس في رسالة وجهها تحية أخوية إلى المسلمين، وذلك أثناء زيارته للقدس وعمان (مروراً ببيروت) في كانون الثاني - يناير - 1964 مسيحي، حيث أكد على «احترام أولئك الذين يعتنقون الأديان التوحيدية والذين يعبدون معنا إلهاً حقيقياً وواحداً» أما الترجمة العملية الأولى لبيان المجمع الفاتيكاني الثاني فتمثلت في إنشاء الأمانة العامة لشؤون الديانات غير المسيحية والتي حدد البابا بولس السادس مهمتها في رسالة كنسية جامعة وهي «إجراء الحوار مع كل المؤمنين لإرساء علاقات جديدة بين الكنيسة والديانات الأخرى، وعلى ضرورة التقارب بصفة خاصة مع المسلمين» دلت تلك الرسالة - لأول مرة - على أن ثمة مؤمنين بالله غير مسيحيين، وأن ثمة أدياناً غير المسيحية، كما دلّت على توجه من رأس الكنيسة (البابا) حتى قاعدتها (المجمع) على ضرورة الحوار والتقارب مع المسلمين، مع ذلك لم يصدر الموقف الأكثر جرأة والأكثر وضوحاً إلا في عهد البابا يوحنا بولس الثاني الذي اعترف بأن الخلاص ليس وقفاً على المسيحية وحدها، وأن الخلاص يمكن أن يتحقق من خلال أديان أخرى مستنداً في ذلك على دراسة أعدتها مجموعة من علماء اللاهوت أمثال «رانير» و «فون بالتزار» و «دي لوباك» و «دانيال».

❖❖❖

في ضوء ذلك يقلقنا كثيراً الردة أو مجرد الإيحاء بأن ثمة ردة عن هذه المواقف التأسيسية للعلاقات الإسلامية-المسيحية، مع ذلك فلست هنا في معرض الرد على ما نُسب إلى البابا، فالرد حتى يكون مرجعياً وموثقاً وشاملاً يفترض أن يصدر عن هيئة علمية إسلامية متخصصة، ويفترض بهذه الهيئة أن تطلع على النص الرسمي والكامل لمحاضرة البابا وليس على نتف مما نقلته وكالات الأنباء ونشرته الصحف، وبعد ذلك توضح ما يجب توضيحه بأسلوب علمي أكاديمي إيماني راق، ويمكن أن يقوم بهذه المهمة إما مجلس الفقه الإسلامي، أو جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، أو جامعة الأزهر، أو منظمة المؤتمر الإسلامي، أو.. أو.. فالمراجع والمؤسسات العلمية الإسلامية المختصة كثيرة وغنية بالعلماء.

أما أن يُترك الرد لذوي النوايا الحسنة والألسن اللاذعة، فذلك أمر قد يزيد الطين بلة، إذ أنه يعالج الإساءة بإساءة مثلها، وهو ما يتناقض مع القيم الإسلامية في الحوار مع الآخر، كما يتناقض مع المصالح الإسلامية العامة.

إن العالم الإسلامي اليوم يتمنى أن يحترم البابا بنديكت السادس عشر إرث البابا الراحل يوحنا بولس الثاني.. وهو لا يتمنى أبداً أن يعمل على إعادة بعث إرث البابا أوربان الثاني.

إن العالم الإسلامي يتطلع إلى دير أسيزي 1986 من حيث أطلق يوحنا بولس الثاني حركة الحوار الأخوي بين المؤمنين من الأديان المختلفة، وليس إلى دير كليرمون 1095 من حيث أطلق أوربان الثاني حملات الفرنجة «الحملات الصليبية» المشؤومة.

ملاحظات على محاضرة البابا وتعديلاتها

د. عبد الحميد عبد الله الهرامة *

ألقى البابا بنديكت السادس عشر محاضرته الشهيرة بجامعة ريجنزبرج يوم 2006/9/12 مسيحي، فلقيت شجبًا كبيرًا من العالم الإسلامي لما فيها من حملة ظالمة على الإسلام ونبيه، وقد تمّ الرد عليها لتصحيح بعض المعلومات في قنوات ثقافية متعددة، ثم كتب البابا تعديلات في موقع الفاتيكان على الإنترنت استهلها بعبارة تستحق التقدير هي أنه يتفهم موقف المسلمين الغاضب من المحاضرة، وهي عبارة جديرة بالتنويه والثناء، لأن بعض أبناء جلدتنا حمل على موقف المسلمين واعتبره غير حضاري بالرغم من أنه في مجموعه خالٍ من العنف والتطرف، وطلب بعضهم من هذه الجماهير أن تحلل المحاضرة علميًا ليكون ردها لائقًا، وفاتته أهمية الرد العفوي السريع في التعبير عن حساسية الموضوع وشعور الجموع بالانتماء، وأهمية انتشار الرد الشعبي للتعبير عن الوحدة الدينية للعالم الإسلامي، على أن يتولى خاصة المسلمين مهمة الرد العلمي والحوار الفكري، ولعل هذه المقالة تعطي للقارئ فكرة عن المحاضرة وتعديلاتها.

1 ـ يقول البابا في أثناء تعليقه على محاورة بين إمبراطور بيزنطي ومسلم فارسي: «إن سورة البقرة التي جاءت فيها الآية ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ هي إحدى السور القرآنية المبكرة عندما كان النبي ما يزال دون قوة ونفوذ وواقعًا تحت التهديد، لكن من الطبيعي أن يكون الإمبراطور عارفًا بالتعاليم الإسلامية التي تطورت فيما بعد وسجلها القرآن بشأن الحرب».

وهذه معلومة خاطئة، لأن سورة البقرة كلها ـ بما فيها هذه الآية ـ سورةٌ مدنية، ورقم نزولها هو 87، أي أنها نزلت في أخريات حياة الرسول ﷺ، وهو عزيزٌ مهاب، وليست من بواكير القرآن الكريم، ولا يحمل الإمبراطور وزر هذه المعلومة الخاطئة، ولكن البابا الذي كنا نحسن الظن به فنقول إنه نظر إلى ترتيبها في المصحف فقطع أولاً أنها من السور المبكرة، وسيتراجع عند وضوح الحقيقة، لكنه قال بعد تنبيهه إلى خطئه أن سورة البقرة مكية على الأرجح، فأساء إلى مصداقيته بهذا التعديل، لأن كون هذه السورة كلها مدنية ثابت بأدلة قاطعة، ولا أحد يقول إن هذه السورة مكية، ليس فقط من قِبل مصادر علوم القرآن، ولكن باستقراء الإشارات التاريخية والأحكام التي نزلت فيها كفرضية الصوم بعد الهجرة، وتفصيل أحكام الحج، وكتبديل القبلة من

* كاتب وباحث وأستاذ جامعي / ليبيا ـ خبير في المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو).

بيت المقدس إلى البيت الحرام وغير ذلك مما يؤكد أن هذه السورة مدنية، ولا احتمال آخر يناقض هذا الاحتمال حتى يمكن الترجيح بينهما كما يُفهم من تعديل الفاتيكان.

ولما كان الداعي للقول بأن سورة البقرة مكية ومبكرة في حياة الرسول ﷺ هو وجود آية:

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ التي تنفي نظرية انتشار الإسلام بالسيف فإننا نسوق أدلة أخرى مشابهة لها وردت في سور مدنية أخرى تؤكد حقيقة عدم الإكراه في الإسلام، أو تدعو إلى السلم، أو تؤكد أن مهمة النبي ﷺ هي الإبلاغ والإنذار والتبشير وليس الجبر على اعتناق الدين، فهل نشكك في مدنيتها جميعًا وهي تُفَصِّلُ جوانب من تاريخ الإسلام بعد الهجرة؟ ومن هذه السور المدنية سورة آل عمران التي ورد فيها قوله تعالى:

﴿...وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [سورة آل عمران: الآية 20]

وفي سورة الأحزاب المدنية جاء قوله تعالى:

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [سورة الأحزاب: الآية 48]

أي لا تُطعهم ولا تؤذهم. وورد في سورة الأنفال المدنية قوله تعالى:

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾ [سورة الأنفال: الآية 61]

والحجة القاطعة في هذا السياق أن أكثر الآيات دعمًا لفكرة عدم الإكراه في الدين نزلت في أواخر سنوات حياة الرسول ﷺ ضمن سورة الممتحنة، وفيها يقول الله تعالى:

﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ﴾

[سورة المُمتَحنة: الآية 8]

إذ من أبرز معاني البر في المعاجم العربية هو المودة والعدل والإحسان، وهذه أقوى الأدلة على عدم جواز حرب المسالمين، فلا عدوان في الإسلام إلا على الظالمين، وأين إذن هي التغييرات التي حدثت في أحكام الحرب في آخر حياة الرسول ﷺ؟ ولو شئنا أن نأتي بالآيات التي تقصر مهمة الرسول ﷺ، على التبليغ لا ستغرق ذلك حيزًا كبيرًا، وهو موزع بين السور المكية والمدنية(1).

2 ـ ينقل البابا عن الإمبراطور قوله في حواره مع الفارسي المسلم «ومن أجل إقناع روح عاقلة لا يحتاج المرء إلى ذراع قوية ولا إلى سلاح من أي نوع كما لا يحتاج إلى تهديد أي شخص بالموت» وهذا هو رأي الإسلام وليس حجة ضده، قال تعالى:

﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [سورة النحل: الآية 125]

وقال تعالى:

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾

[سورة يُونس: الآية 99]

ولهذا المنهج أساس في الديانات الإلهية السابقة بلا ريب، ولكنه أوضح ما يكون في القرآن الكريم، وآياته في هذا المعنى كثيرة تنفي عن الإسلام صفة الإكراه.

«أرى أن الدين الإسلامي متين، مؤسس على قواعد راسخة، تدعوا إلى كل ما يؤدي إلى منفعة الناس. الإسلام دعوة شريفة قوامها معرفة الله الخالق، والحض على الخير، والردع عن المنكر، بل كان من جاء فيها يرمي إلى الصلاح والإصلاح، أنشودة المؤمن وهذا هو الدين الذي أدعو إليه جميع البشر».

لوبون

---

1 ـ انظر ذلك في سورة الرعد الآية: 7، وسورة القصص الآية: 56، وسورة المائدة الآية: 99، وسورة الأعراف الآية: 184، وسورة النحل الآية: 82، وسورة الإسراء الآية: 105، وسورة النمل الآية: 92، وسورة الأحزاب الآية: 45 و46، وسورة سبأ الآية: 46، وسورة ص الآية: 65، وسورة الأحقاف الآية: 9.

3 ـ ينقل البابا عن البروفسور عادل خوري قوله: «أما في تعاليم الإسلام فإن الله متعال علوًا مطلقًا، كما أن إرادته ليست مقيدة أو متعلقة بأي مبدأ بما في ذلك مقاييس العقل نفسه «وجاء في استشهاد آخر أن ابن حزم ذهب إلى أن الله» ليس مقيدًا بكلمته (أي بوعده ووعيده) وينهي اقتباسه بالقول: «وبمقتضى هذا الفهم فقد تكون عبادة الأوثان داخلة ضمن المشيئة الإلهية».

وبقدر استغرابنا من محاولة التخفّي وراء نصوص الآخرين لا يمكن أن يُخفي تبني البابا لهذه النصوص، وذلك أنه لم يسق النصوص للرد عليها ولكن لتدعم أفكاره حول ما قدمه عن التعاليم اللاحقة بشأن الحرب في الإسلام. والقول بعلو الله المطلق هو ضد الضعة والانحدار إلى منطق المشركين من تصوير الله في أصنام وأوثان، وفي ذلك يقول سبحانه:

﴿...فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الأعراف:الآية 190]

ولكن هذا السمو لا ينفي أنه قريب من عباده مجيب لدعائهم، وأن من صفاته تعالى أنه «ودودٌ، ولطيف، وحليم، وكريم، وغفور، ورحمن، ورحيم، ورؤوف، ووهاب، وشكور» فهل تتناسب هذه الصفات مع التعالي بمعنى الغرور الذي فهمه المتحدث:

﴿...سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة المؤمنون:الآية91]

ثم إن المحاضرة تنقل عن ابن حزم المسلم أنه يضع الله في صورة «تجيز على الله سبحانه أن يفعل ما لا يتفق مع الخير والحقيقة». وإنك لتعجب أن يقال هذا عن مسلم موحد، فهل يقول الله تعالى:

﴿...وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[سورة الحج:الآية77]

ثم يجيز لنفسه أن يفعل ما لا يتفق مع الخير؟!. ولسنا بصدد الدفاع عن كلام ابن حزم، ولكننا أمام نصوص قرآنية كثيرة تناقض هذه الصورة التي وضعتها المحاضرة لله، فهي تنزهُهُ عن الظلم ومخالفة الحقيقة في مثل قوله:

﴿...وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف:الآية49]

وقوله في بيان مهمة الرسل

﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [سورة الأنبياء:الآية73]

فهل يوحي لهم فعل الخيرات ثم يجيز لنفسه ما لا يتفق معها؟ وهل يقول الله:

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾

[سورة الأنفال:الآية8]

ثم يجيز لنفسه مناقضة الحقيقة؟ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا....

أما قوله «وليس هناك ما يوجب عليه حتى إنزال الوحي وإرسال النبيين» فجوابه قوله تعالى:

﴿...وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾

[سورة الإسراء: الآية15]

> محاولة التخفي وراء نصوص الآخرين لا يمكن أن يُخفي تبني البابا لهذه النصوص

فالله قد ألزم نفسه بذلك إلزامًا ذاتيًا بإرسال الرسل وإنزال الوحي عليهم بما لا يقبل الجدل، وعبر عنه في آيات أخرى بألفاظ مثل

﴿... كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [سورة الأنعام: الآية12]

وبعث الرسول﴿رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ ولم يوجب عليه أحدٌ شيئًا مثل هذا الأمر، وفرق في الفضيلة بين الإلزام والالتزام.

4 ـ ومن الغرائب أن يقول المحاضر: «قد تكون عبادة الأوثان داخلة ضمن المشيئة الإلهية». إذ ليس على الأرض ديانة إلهية توافق على ذلك، ومحاربة الأوثان في الإسلام أوضح وأظهر، لأنه جاء في بيئة تعتمد عبادة الأوثان، فركز على تحطيمها في العقول وفي الواقع، ولا تشابه صورة الرسول ﷺ في تحطيم الأصنام إلا صورة النبي إبراهيم(عليه السلام) الذي حطم الأوثان وأشاد بفعله القرآن الكريم في قوله تعالى

﴿...فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾

[سورة الحج:الآية30]

5ـ والزعم بأن إرادة الله ليست مقيدة حتى بوعده ينقضه القرآن الكريم في آيات كثيرة وصريحة، منها قوله تعالى:

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾

[سورة إبراهيم:الآية47]

وقوله تعالى:

﴿...وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [سورة الحج:الآية47]

وقوله تعالى:

﴿...إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [سورة الرعد:الآية31]

وقوله عز وجل:

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الرُّوم:الآية6]

والأمثلة على ذلك كثيرة، ولكن أقواها قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾[سورة التوبة: الآية111]

فهل بقي لذلك الزعم بقية مصداقية؟ وهكذا فإن الحجج الدامغة التي ترد ما ورد في المحاضرة كثيرة ولا سبيل إلى نقضها، ولكن رد الجماهير على عفويته وشعبيته أسرع وأقوى في تنبيه العالم إلى هذه الأخطاء التي تحتاج إلى التصحيح إذا أردنا للعلاقات الإنسانية بين شعوب الأرض أن تتواصل في تفاهم وسلام.

بيان صحفي

بشأن العبارات المسيئة للإسلام التي أوردها قداسة بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر في محاضرة في جامعة ريجنسبرغ الألمانية يوم 12 الفاتح (سبتمبر) 2006م

أعرب وزراء خارجية الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي ـ أثناء اجتماعهم التنسيقي المنعقد على هامش اجتماع الدورة الحادية والستين للجمعية العامة للأمم المتحدة ـ عن شديد دهشتهم وأسفهم لما ورد في محاضرة قداسة بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر يوم 12 الفاتح (سبتمبر) 2006م من عبارات تمس بالنبي محمد ﷺ، والتي ألقاها في جامعة ريجنسبرغ الألمانية.

واعتبر الوزراء أن تلك العبارات تنم عن الافتقار للمعلومات الصحيحة عن القرآن الكريم والنبي محمد ﷺ في العقيدة الإسلامية، في وقت كان يتوقع فيه العالم الإسلامي من قداسة البابا الجديد أن يواصل عملية تعزيز العلاقات الودية التي سادت خلال فترات أسلافه ومع الفاتيكان منذ عقود عديدة.

وقد أعرب الوزراء عن قلقهم وخشيتهم من أن تؤدي تلك العبارات التي استخدمها قداسة بابا الفاتيكان بينيدكت السادس عشر إلى خلق حالة من التوتر بين الفاتيكان والعالم الإسلامي، بما لا يخدم المصالح الحقيقية للطرفين.

وإيماناً من الوزراء بأن الإسلام هو دين الوسطية والتسامح وقبول الآخر واحترام جميع المعتقدات السماوية؛ فإنهم يعتقدون بأنه يجدر بالفاتيكان سحب أو تصويب تلك العبارات بشكل ينم عن الروح الصحيحة للديانة المسيحية في التعامل مع القضايا الإسلامية.

وأعرب الوزراء عن تقديرهم للأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي لما يبذله من جهود لإبلاغ الفاتيكان بالقلق الذي يساور الدول الإسلامية وطلبوا منه متابعة هذا الموضوع.

الجذور الفكرية العقدية لموقف البابا من الإسلام

نبيل شبيب *

تقول الكنيسة الكاثوليكية في روما منذ بضعة قرون بعصمة البابا على رأسها، ولهذا لا تصدر عنه وثيقة مكتوبة، أو كلمة مرتجلة، أو تصريح بموقف، دون جمع معلومات ودراسة ومناقشة وصياغة ومراجعة، فلا يُعلن شيء إلاّ بعد ضمان - بحدود قدرة البشر وإن قيل ما قيل عن عصمتهم - ألاّ تضطر الكنيسة لاحقاً إلى الرجوع عنه، ناهيك عن الاعتذار بسببه، وليس مجهولاً أنّ بعض أخطاء الكنيسة التاريخية الكبرى لم تجد طريقها إلى اعتذار رسمي، إلاّ بعد مرور مئات السنين عليه. ولهذا لا ينبغي أن يتّجه الحديث عن الإساءة البابوية إلى الإسلام نحو محاولة تفسيرها وتأويلها بأنّها غير مقصودة، كلمة كلمة، وفي هذا التوقيت بالذات، كما لا تصحّ المبالغة في تحميلها أكثر ممّا تقول به في نطاق سياق المحاضرة التي تضمّنتها، وفي الحالتين لا يفيد الجدل حول اعتذار شكلي، فعلى افتراض صدوره لن يعني تبدّل أسس موقف بابا الفاتيكان.

من هو بنديكت السادس عشر؟

اسمه الأصلي يوزيف آلويس راتسينغر، ولد يوم 16 ـ 4 ـ 1927م في عائلة كاثوليكية متديّنة، في منطقة باڤاريا، الأشهر من سواها في ألمانيا من حيث انتشار الكاثوليكية والتمسّك بها قديماً وحديثاً، ولا يزال يفخر بأنّ تعميده جرى سريعاً في يوم ميلاده ليكون من «ماء عيد الفصح».



بنديكت السادس عشر

كان في السادسة عشرة من عمره عندما أعرب عن رغبته في أن يصبح قسيساً، ومَن يذكر أنّ له «ماضياً نازياً» يستشهدُ على ذلك بعمله في خدمة الجيش النازي لإنشاء حواجز ضدّ الدبابات في النمسا المجاورة لباڤاريا، وذلك حتى الأيّام الأخيرة من الحرب العالمية الثانية، وكان منذ عام 1941م من «شبيبة هتلر»، والواقع أنّ الانتماء إلى هذه المنظمة كان واجباً قسريّاً على الناشئة من التلاميذ في معاهد معيّنة، مثل «سانت ميشائيل» الذي درس فيه.

والتحق راتسينغر فيما بعد بالجامعة لدراسة «علم الأديان» الكاثوليكي والفلسفة، وأظهر مبكّرا اهتمامه بالكتابات الفلسفية ـ الدينية، لا سيّما ما خلّفه الفيلسوف الديني (آوجوستينوس)، الذي كان في

* كاتب / مصر.

القرن الرابع الميلادي الركنَ الأساسي لتنظير تعاليم التثليث الكنسية وتثبيتها لدى الكاثوليك والأرثوذكس، قبل انفصال الفريقين نتيجة خلافات على تفاصيل تلك التعاليم لاحقاً.

حصل راتسينغر على الدكتوراه عام 1953م في العلوم الدينية، وعلى درجة الأستاذية عام 1957م في فرع «أسس علم الأديان»، وبدأ بالتدريس في العام التالي، لما يُسمّى الإملاءات العقدية الكنسية/ الدوجما وتاريخها، وفي عام 1959م بدأ التدريس في جامعة بون بمحاضرة عنوانها «إله الإيمان وإله الفلسفة»، ثم عام 1969م في جامعة ريجينسبورج (وهي الجامعة التي ألقى فيها محاضرته يوم 2006/9/12م، التي تضمّنت الإساءة إلى الإسلام) وفي عام 1977م أصبح كبيرَ الأساقفة في المدينة نفسها، وبعد شهر واحد تمّ تعيينه برتبة «كاردينال»، وفي تلك الفترة كان لقاؤه الأول مع سلفه يوحنا بولس الثاني، قبل أن يصل الأخير إلى كرسي البابوية في روما بفترة وجيزة.

في الفترة التي جمعت بين دراسته الجامعية ومناصبه الكنسية، بدأت اتجاهاته الكنسية بالظهور، ومن بينها التأكيد أنّ على البابا الكاثوليكي أن يأخذ في قراراته الحاسمة مجموع الكنيسة في الاعتبار، منتقداً الانفراد والمركزية في اتخاذ القرار الكنسي. ولكنّ (إصلاح الكنيسة) باتجاهٍ (ديمقراطي) لم يستمرّ طويلاً، بل اضمحلّ نسبياً في مواقفه وكتاباته لاحقاً، ويعلّل هو ذلك بتأثره بمصادماته سابقاً مع أنصار ما يسمّى «ثورة الطلبة»، وأصبح في هذه الأثناء يُصنّف بين «المحافظين» في نطاق الكنيسة، والمقصود بهذا التصنيف في الدرجة الأولى مواقفه على الصعيد الاجتماعي، أي رفضه المطلق لتمييع موقف الكنيسة في قضايا العلاقات الجنسية، لا سيّما ما انتشر من تقنين الشذوذ في كثير من البلدان الغربية في هذه الأثناء، بالإضافة إلى رفضه انخراط النساء في المراتب الكنسية الكاثوليكية العليا.

في فترة وجود (الكاردينال راتسينغر) في الفاتيكان بات يوصف باليد اليمنى للبابا يوحنا بولس الثاني، ومن أسباب ذلك مسئوليته عمّا يسمّى (مجمع شئون الإيمان)، وهو الاسم الذي اختير لمجمّع كان يحمل سابقا المسئولية عن تثبيت تهمة الهرطقة على مَن تقرّر الكنيسة محاكمتهم . وعزّزت تلك الفترة الجانب (العقلاني) في قناعات راتسينغر الذاتية، وارتبط باسمه إصدار الكنيسة عام 1998م قراراً بفتح الملفّات الوثائقية القديمة عن تاريخ المحاكمات التي أودت في القرون الوسطى بحياة العديد من العلماء والمعارضين.

> ❖ لا يفيد الجدال الذي يثيره الناقدون لردود الفعل الإسلامية بدعوى أنّ بنديكت السادس عشر لم يستخدم كلماته الذاتية عن الإسلام

اعتلى كرسي البابوية يوم 2005/4/19م، ليواجه عدداً من المهامّ المقترنة بالتساؤلات عمّا ستكون عليه سياسة الكنيسة في عهده، بعد أن اكتسبت صبغةً جديدة وحركةً دائبة في عهد سلفه يوحنا بولس الثاني، الذي بقي في كرسي البابوية أكثر من ربع قرن. وأهمّها ثلاثة:

1- إنعاش القيم الكنسية في السياسات الرسمية على حساب العلمانية بعد انتشار ظاهرة «التديّن» الشعبي عالمياً.

> «زاد الإسلام في أفكاري وتصوراتي كثيراً مما يرجع إلى الشؤون البشرية والوداد الإنساني مما لم أجدها في مجالات أخرى، إن التوحيد الإسلامي عقيدة قدسية منزهة عن الخرافات التي لا تتلاءم والعلوم الحديثة، ولذلك لا مضادة بين العقيدة والعلم في الدين الإسلامي، فهو امتياز عظيم في الإسلام يهتدي به رجل صرف مقدرته واستعداداته في سبيل العلوم».
>
> **ماركوس**

2 ـ التعامل مع تبعات حملة الهيمنة الأمريكية وعسكرتها عالميا، والمقترنة بتصوّرات «الصهيونية المسيحية»، والعداء للإسلام تخصيصا.

3 ـ مركزية موقع الكنيسة الكاثوليكية في روما (وكان من أوائل قراراته إلغاء كلمة (الرومي) من لقب البابا الكاثوليكي الرومي)، وبالتالي مركزية دورها على خارطة الطوائف والمذاهب المسيحية وخارطة الحوار مع «الآخر» عقدياً وثقافياً.

بنديكت السادس عشر والإسلام

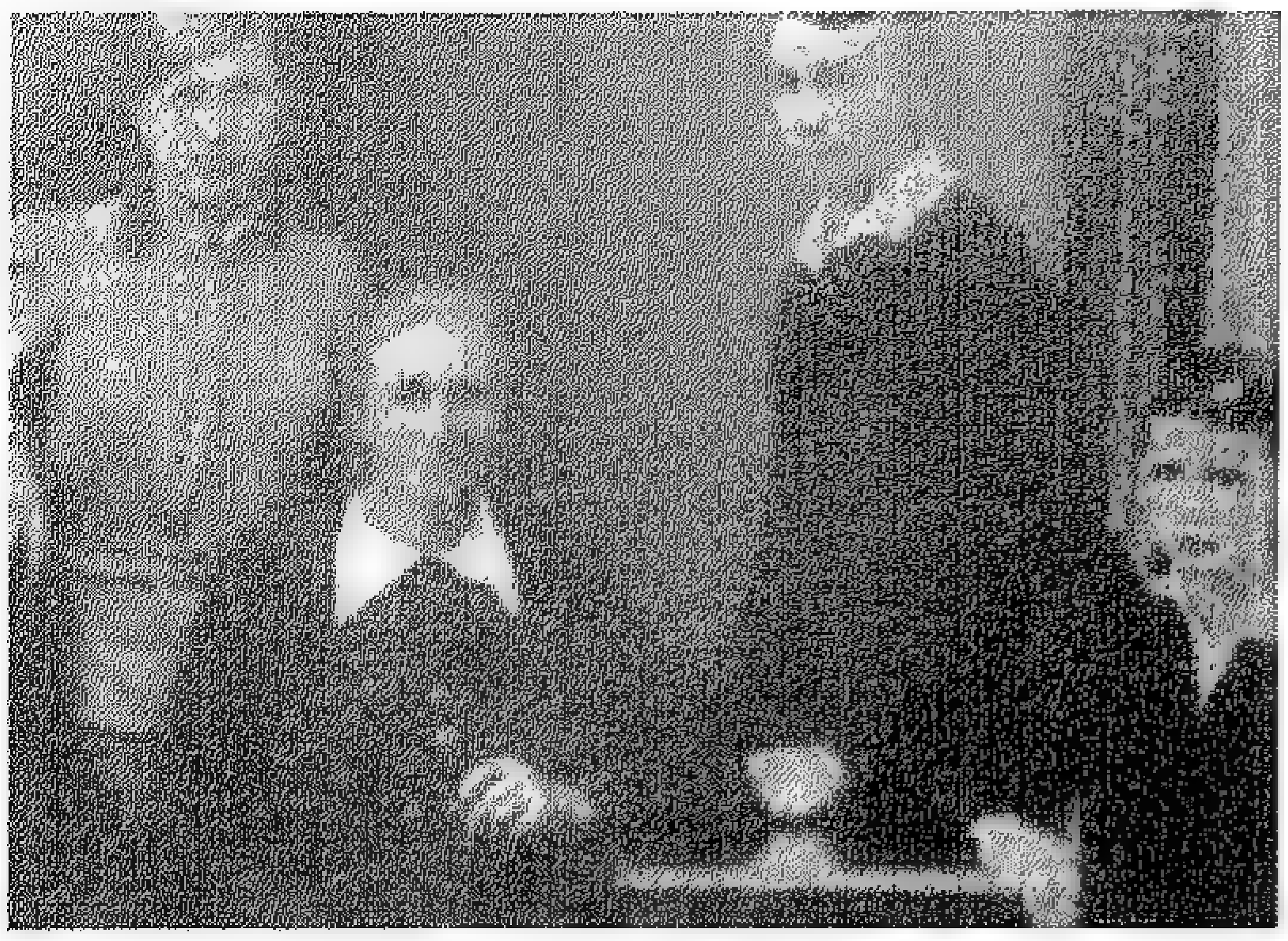
صدرت عن البابا الكاثوليكي كلمةُ مجاملةٍ عابرة في أثناء لقاء مع قيادات دينية عالمية، عقب تنصيبه على رأس الفاتيكان بأيام، فأعرب فيها عن امتنانه لوجود مَن يمثّل الإسلام بينهم، وتقديره للحوار بين المسلمين والمسيحيين.

باستثناء ذلك مرّت الشهور التسعة الأولى على وجود يوزيف كاتسينغر في منصب البابا الكاثوليكي باسم بنديكت السادس عشر دون أن يصدر عنه ما يوضّح مواقفه من القضايا الأساسية التي يواجهها مع كنيسته ودولة الفاتيكان، بما في ذلك مسألة الحوار عموما، ومع الإسلام تخصيصاً.

ومعظم ما يُنشر عن توجّهاته يأتي نتيجة دراسات قامت بها جهات أخرى، تستقرئ سياساته البابوية في الفاتيكان من أفكاره ومواقفه قبل حمل هذه المسئولية، وهنا ينبغي التمييز بين:

1 ـ **موقف رسمي** يصدر عن مسئول في الكنيسة الكاثوليكية، فلا يخرج به عادة عن الموقف المقرّر من جانبها، بغضّ النظر عن موقفه الشخصي واحتمال تناقضه مع الموقف الرسمي أو تمايزه عنه قليلاً أو كثيراً.

2 ـ **موقف ذاتي شخصي**، يظهر عادة في أثناء المناقشات أو في مناسبات معينة، فيعبّر عن توجّه قائم بذاته عند صاحبه، يمكن أن يؤثّر على صناعة القرار الكنسي على حسب موقع المسئولية لصاحبه، وهو ما يعني ازدياد تأثيره على صناعة القرار عبر الوصول إلى كرسي البابوية.



جوزيف كاتسينغر في صغره

من أبرز الأمثلة على الموقف الرسمي على صعيد التعامل مع الإسلام، صدر عن راتسينغر وهو يشغل المرتبة الثانية في الفاتيكان؛ إذ صرّح بأنّ الإسلام كان لفترة زمنية طويلة متفوّقا على المسيحية في الميادين العلمية والفنية، وقد أعرب بذلك عن ردّ دولة الفاتيكان وكنيستها على مقولة رئيس الوزراء الإيطالي السابق (سيلفيو بيرلوسكوني) بشأن تفوّق الحضارة الغربية، والتي أثارت ضجّة في حينه، وصدرت في حمئة الحملة التي أطلقها الرئيس الأمريكي جورج بوش ضدّ الإسلام والمسلمين، عقب تفجيرات نيويورك وواشنطن، إلى درجة قوله في وصفها إنّها «حرب صليبية».

ومن الأمثلة الأخرى قول راتسينغر في مقابلة صحفية : «إنّ الإسلام كثير التنوّع، ولا يمكن حصره فيما بين الإرهاب أو الاعتدال».

بغضّ النظر عن الاقتناع الذاتي كانت مواقف راتسينغر العلنية آنذاك تمثّل الاتجاه الذي قرّرته الكنيسة الكاثوليكية لنفسها في عهد يوحنا بولس الثاني، وهو ما تضمّن معارضة الحملات العسكرية الأمريكية ونشر الهيمنة الأمريكية من خلالها عالمياً، بحجّة «الحرب ضدّ الإرهاب»، وفي تلك الفترة بالذات، أي في السنوات الثلاث الأولى عقب تفجيرات نيويورك وواشنطن، تبنّت الكنيسة في روما الدعوة إلى حوار

الأديان، الإبراهيمية على وجه التخصيص، بعد أن بقي التعامل مع «الإسلام» ضمن إطار حوار الأديان عموماً.

أمّا الموقف الشخصي الذاتي، المعبّر بالتالي عن رؤية ذاتية واقتناع، فليس سهلاً العثور عليه في متابعة حياة مسئول كنسي، وقد نجد الكثير لراتسينغر/ بنديكت السادس عشر بصدد قضايا كنسية كانت مطروحة للبحث، ولكن ما يتعلّق بالإسلام وكيفية التعامل معه، أو استيعاب الإسلام والموقف منه، لا نجد إلا القليل النادر، ومن أهمّه ما يتحدّث عنه دانييل بايبس في «نيويورك صن» يوم 17 ـ 1 ـ 2006م، نقلاً عن القسيس يوزيف ديسيو، الذي شارك مع البابا ـ الجديد آنذاك نسبياً ـ في ندوة كنسية حول الإسلام في شهر الفاتح (سبتمبر) 2005م ويقول إنّه لم يشهده في ندوات مشابهة (تعقد بإدارته منذ 1977م)، يدخل في النقاش ولكن بصورة هادئة وبعد الاستماع إلى الآخرين، أمّا في تلك الندوة فقد اعترض اعتراضاً سريعاً ومباشراً على فكرة «قابلية الإسلام للتطوّر» التي طُرحت في الندوة نقلا عن وجهة نظر أحد علماء باكستان المسلمين؛ إذ قال بنديكت السادس عشر معترضا من بداية النقاش، ما مؤدّاه « إنّ كلمة الله عند المسلمين كلمة أبدية كما هي، غير قابلة للتلاؤم مع المستجدّات أو التأويل، وهذا فارق أساسي مع المسيحية واليهودية، فكلمة الله عندهما أوكلت إلى البشر، وأوكل إليهم أن تتعدّل لتتلاءم مع المستجدّات».

الإساءة إلى الإسلام

أما الموقف الشخصي الذاتي المنسوب إلى البابا فقد صدر قبل أشهر في إطار (ندوة كنسية داخلية)، أي محرّرا من وضع ردود الفعل الإعلامية والشعبية والسياسية في الحسبان، هو الموقف الأقرب إلى معرفة نظرته إلى الإسلام، فعندما يقول فيه إنّه «غير قابل للتطوّر»، يمكن أن نجد ذلك الفهم المبتسر والخاطئ

القيادة الشعبية الإسلامية العالمية:

هل يأخذ بنديكت السادس عشر الفاتيكان بعيدا عن الحوار مع المسلمين؟!

بعد ساعات من إدلاء بابا الفاتيكان بتصريحاته المسيئة للإسلام ونبيه الكريم في ألمانيا يوم الثاني عشر من شهر الفاتح الجاري، والتي تطاول فيها على الإسلام ونبيه، بدأت القيادة الشعبية الإسلامية العالمية تتلقى اتصالات من مئات الشخصيات والقيادات والفعاليات والهيئات والتنظيمات الإسلامية، من مختلف أنحاء العالم.

كما تلقت القيادة أيضاً اتصالات من شخصيات وهيئات مسيحية تربطها بالقيادة علاقات تعاون مشترك خاصة في مجال الحوار الإسلامي المسيحي، وقد دان كل المتصلين واستنكروا بشدة هذه التصريحات التي تعرقل مسيرة الحوار بين العقائد والحضارات والشعوب، وتعمق روح العداء، وتعمل على تقويض ما تم تشييده عبر سنين طويلة من الحوار والتقارب.

وفيما يلي نص البيان :

إن القيادة الشعبية الإسلامية العالمية التي عقدت اجتماعها الاستثنائي بمدينة تمبكتو التاريخية في صلاة جامعة في ذكرى مولد رسول الله ﷺ حضرها مئات الآلاف من المسلمين، واستحضرت في هذا اللقاء التهجمات على نبي الإسلام وعلى المسلمين.

تعود من جديد لتستغرب بكل الأسف تصريحات البابا بنديكت السادس عشر التي وردت في محاضرته بإحدى

للإسلام منسجماً تماماً مع الخطّ العام لمحور ما قال به «أستاذاً محاضراً» في جامعة ريجنسبورج، التي عرفته متخصّصاً بدرجة الأستاذية ؛ أي إنّ المفترض به أنّه لا يلقي الكلام على عواهنه أو جزافاً.

من هنا لا يصحّ التساؤل : ماذا تقصد الكلمات من حيث معناها، فهي واضحة، تعبّر عن رؤية مرفوضة إسلامياً.

ولا يعني ذلك أن تقترن بالرفض المطلق لما حاول المتحدث باسم الكنيسة الكاثوليكية أن يعتذر به اعتذاراً غير مباشر.. عندما قال مثلاً: إنّ البابا الكاثوليكي لم يقصد الإساءة، فالواقع أنّ المشكلة في البداية لا تتمثّل في «قصده» بل في مضمون كلماته .

ـ أو قال أيضا إنّ فهم الكلمات يجب أن يكون باعتبارها وردت في «محاضرة» على مستوى علمي، وهذا صحيح، ولهذا لا يمكن اعتبارها غير «مدروسة».

إنّ موضوع المحاضرة هو الموضوع المفضّل قديماً وحديثاً لدى بنديكت السادس عشر، أي التوفيق بين «العلم والدين» أو «العقل والعقيدة»، وتلك «مشكلة كنسية» قديمة جديدة، ومن هنا كان حديثه عن الإسلام في المحاضرة ـ على أفضل التفسيرات ـ من باب «المثال»، الذي أراد ذكره للقول إنّ التناقض (في زعم القائل) بين الدين والعقل يمنع الحوار مع الآخرين.

واستشهاده بمقولة قيصر بيزنطي من حقبة القرون الوسطى ومقدّمات فتح القسطنطينية آنذاك له مغزاه، ولا يعني عدمَ تبنّيه هو لمضمون الاستشهاد، فلا يفيد الجدال الذي يثيره الناقدون لردود الفعل الإسلامية بهذا الصدد، بدعوى أنّ بنديكت السادس عشر لم يستخدم كلماته الذاتية عن الإسلام، فاختيار الاستشهاد هو المهم، وكان باستطاعة البابا الكاثوليكي ذي الأصل الألماني، المتحدّث بالألمانية، لجمهور ألماني، على الأرض الألمانية.. كان باستطاعته لو أراد شيئاً

الجامعات الألمانية، والتي تعتبر تطاولاً غريباً على الإسلام ونبيه محمد ﷺ ينم عن جهل بالإسلام ونبيه الذي أرسله الله رحمة للعالمين.

إن القيادة الشعبية الإسلامية العالمية التي تضم في عضويتها الفاعليات والهيئات والتنظيمات الإسلامية من مختلف بقاع العالم، تستنكر بشدة ما ورد على لسان بابا الفاتيكان من إساءة للإسلام ونبيه.

وتعبر عن انزعاجها من هذه التصريحات التي صدرت من أعلى سلطة دينية كاثوليكية مسيحية كان يجب أن تدعم مسيرة الحوار بين الأديان والتقارب والتعارف بين أتباعها بدلاً من إشاعة روح العداوة المثيرة للتعصب والتطرف.

إن الحوار الذي رعاه المسلمون والكاثوليك على مدى ثلاثة عقود في إطار الفاتيكان، والذي كان مؤتمره الكبير في مطلع الشهر الثاني من عام 1976 مسيحي، مهد لعقود من الازدهار والتعاون والعيش المشترك بين المسلمين والمسيحيين.

وقد ساهم في تعميق روح هذا الحوار على مدى ربع قرن من الزمان البابا «يوحنا بولس الثاني» الذي وصفه القائد معمر القذافي قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية في صلاة الجمعة الجامعة بمدينة (كانو) بنيجيريا وهو يؤم أكثر من ستة ملايين من المسلمين، بأنه رجل سلام.

والسؤال هنا ما الذي تغير في موقف الفاتيكان؟ هل أن البابا بنديكت السادس عشر يأخذ الفاتيكان بعيداً عن الحوار مع المسلمين ؟

ولا نريد هنا أن ندخل في جدل حول دور العقل في العقيدة الإسلامية التي أعلت من شأن العقل والإيمان، ونقل المسلمون احترام العقل لعلماء أوروبا، ودور العقل في الفاتيكان التي شهدت ساحاتها تشريد العلماء وقتلهم، ولا عن

آخر سوى «مضمون» الاستشهاد، أن يأتي مثلاً ببعض ما قال عن الإسلام القيصر الألماني غليوم الثاني قبل أقلّ من قرن واحد، بدلاً من القيصر البيزنطي إيمانويل الثاني قبل ستة قرون، أو مثل آخر ما قال به غوته، أشهر شاعر وأديب ألماني، أو سواهما ـ وسواهما كثير ـ من مشاهير الفلاسفة الألمان وغير الألمان في حقبة «التنوير» الأوروبية.

لا ينبغي أن يأخذ الحديث عن الإساءة البابوية إلى الإسلام منحى التساؤل: هل وقعت أم لم تقع؟. وهل كانت مقصودة أم غير مقصودة؟.. بل ينبغي:

1 ـ الاستيعاب الهادئ والموضوعي لما قال به البابا الكاثوليكي الرومي بنديكت السادس عشر، كما هو، بنصه ومعناه الظاهر للعيان، وبموازين مجمل خلفيّاته الفكرية والعقدية والسياسية.

2 ـ تثبيت الموقف الإسلامي المطلوب على المدى البعيد، وفق موازين المصلحة الإسلامية، والتعبير عنه وفق ما تقتضيه المصلحة الإسلامية، بما يتجاوز حدود الردود الآنية المتفاعلة مباشرة مع الحدث، هذا ما يحتاج إلى حديث آخر.

❖ **المصلح العظيم:**



«إن محمداً رسول الله لأعظم مصلح ثوري عرفه التاريخ، مؤيد بوحي من عند الله. ونحن مأمورون أن نفهم تعاليمه ونطبقها على شؤون حياتنا الدنيوية مع الإيمان بن ما أوحى به إليه ، إنما هو أساس لا يهتز ولا يتعثر لكونه إلهياً».

جرمانوس

استشهاده بكلام الإمبراطور إمانويل الثاني ليثبت أن الذي جاء به نبي الإسلام ليس فيه إلا الشر والعنف، ولا عن دور الكنيسة الكاثوليكية تاريخيا في محاكم التفتيش والحروب الصليبية، ولكننا نريد أن نؤكد على أن هذه التصريحات قد استخفت بكل الجهود المخلصة التي ساهمت في تفعيل مسيرة الحوار الإسلامي المسيحي طوال العقود الماضية والتي كانت محل تقدير من الجميع.

إننا نذكر بما نبه إليه الأخ القائد معمر القذافي قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية في صلاة مدينة تمبكتو بأن الإساءة إلى الإسلام ونبيه التي ترد من العالم الغربي إنما هي نتاج جهل بالإسلام ونبيه وما قدمه الإسلام للبشرية من قيم سامية.

والقيادة الشعبية الإسلامية العالمية تؤكد أن تصريحات البابا (بنديكت السادس عشر) ترتب وضعاً خطيراً يعصف بجهود المسلمين والمسيحيين من أجل عالم يسوده السلام والتعاون والاستقرار الذي هو مطلب جميع محبي الخير من الناس جميعاً.

وهي تنتظر من الفاتيكان توضيحًا وتصحيحاً لهذه المواقف التي تشير كل القرائن أن فيها مجاراة للتوجهات التي تستهدف الإسلام والمسلمين.

إن القيادة الشعبية الإسلامية العالمية ستتابع بحرص كامل كافة التطورات حتى تعود الجهود الخيرة إلى مسارها الصحيح، ويبتعد إلى الأبد شبح الكراهية والجهل والتعصب.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [سورة يونس: الآية 108-109]

صدق الله العظيم

الإيمان والعقل والجامعة .. ذكريات وتأملات

د. عارف علي النايض *
نقلها عن الإنجليزية: د. نجيب الحصادي **

في الثاني عشر من سبتمبر، عام 2006، ألقى بابا الكنيسة المسيحية الكاثوليكية، بنديكت السادس عشر، محاضرة في جامعة ريجنزبرج، عنوانها «الإيمان والعقل والجامعة: ذكريات وتأملات».[1] وقد سببت محاضرة البابا صدعا عميقا ومؤلما في علاقة الكاثوليكيين بالمسلمين على الصعد الدبلوماسية، والسياسية، والشعبية بنحو خاص. التغطية الإعلامية المسطحة للمحاضرة، وردود الأفعال الشعبية الإنفعالية لهذه التغطية، حالت إلى حد كبير دون اعتبار محتوى المحاضرة ونقدها بالشكل اللازم. الغاية من هذه الورقة إجراء دراسة معمقة لهذه المحاضرة.

يحدوني أمل في أن يمهد الاعتبار المتوازن والمنصف للمحاضرة لحوار لاهوتي فلسفي بين العلماء المسلمين والعلماء الكاثوليك، بمن فيهم البابا الكاثوليكي نفسه. الراهن أن الحاجة إلى مثل هذا الحوار ماسة لإصلاح الاختلالات التي طرأت على علاقة الكاثوليك بالمسلمين، ولإشفاء جراحات جديدة عمقت آلام عالم ممزق وموجع أصلاً.

محاضرة بنديكت عمل مركب يتوجب التعامل معه على عدة مستويات ومن زوايا مختلفة: لاهوتية، وفلسفية، وسياسية؛ وبودي أن تدشن هذه الورقة المزيد من التأملات والنقاشات الإسلامية لها.

وخشية تشويه دلالة محاضرة بنديكت السادس عشر، عبر إعادة صياغة نصوصها، سوف أسرف في الاقتباس من الترجمة الفاتيكانية الرسمية التي نشرت في موقع الفاتيكان على شبكة المعلومات والتي تحفظ مكتبة Editrice Vaticana حقوق طبعها.

من اللازم أن نقدر أن بنديكت السادس عشر، إلى حد ما على أقل تقدير، أستاذ سابق يعود إلى جامعته

---

* كاتب وباحث وأستاذ جامعي / ليبيا.

** باحث وأستاذ جامعي / ليبيا.

1 ـ كل الاقتباسات من هذه المحاضرة، ما لم يشر إلى خلاف ذلك، التي نشرت تحت عنوان:
Published under the title: "Faith, Reason and the University Memories and Reflections", Libreria Editrice Vaticana, Vatican, 2006. http://www.vatican.va/holy_father / benedict_xvi/speeches/2006/september / documents/hf_ben-xvi_spe_20060912_university-regensburg_en.html.

الأثيرة كي يتحدث، مرة أخرى، بوصفه أستاذا. وبطبيعة الحال، فإن خطاب المرء، والطريقة التي يستقبل بها، إنما يرتهنان إلى حد كبير بالسياق الذي يلقي فيه هذا الخطاب. الخطابات المختلفة إنما ترتبط بمعايير قيمية مختلفة، ما يلزم الحكم عليها وفق المعايير التي تناسبها.

اعتبار المحاضرة محاضرة لجوزيف راتزينغر بوصفه بنديكت السادس عشر، بابا الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، وقائد الكاثوليكيين في العالم بأسره، شيء، واعتبارها محاضرة لجوزيف راتزينغر بوصفه أستاذ لاهوت ألماني، شيء آخر. النغمة النوستالجية التي استبينت في فقرات المحاضرة الاستهلالية والإشارة إلى محاضرات كانت ألقيت في خمسينيات القرن الفائت، إنما تبين أن راتزينغر يتحدث إلى حد بوصفه أستاذ لاهوت ألماني. على ذلك، بحسبان أن راتزينغر قد «تخلق من جديد» في صورة البابا بنديكت السادس عشر، فإنه من الطبيعي تماماً، رغم النوستالجيا الآسرة، أن يستحيل على متلقيي المحاضرة تعليق الدور الكنسي الذي يقوم به راتزينغر.

محتم إذن أن تستقبل المحاضرة على أنها تلقى من قبل البابا الكاثوليكي الروماني، ولا تلقى فحسب على يد أستاذ في الجامعة. الراهن أن الفاتيكان افترض هذا حين أعلن أنها محاضرة يلقيها «الأب المقدس» جزءا من «رحلة بابوية».

وكما أشار الفيلسوف الروماني شيشرون والفيلسوف البريطاني برادلي، فإن واجبات المرء ترتهن إلى حد كبير بدوره في الحياة. من المهم إذن أن نلحظ أنه تماما كما أن الأستاذ راتزينغر كان يتحدث في جامعته السابقة، فإن البابا بنديكت السادس عشر كان ماثلا أمام متلقي محاضرته[2].

في عالم متوحش يعج بحروب وصراعات، تدور رحى كثير منها بين المسيحيين والمسلمين (أياً كانت الرايات والتسميات التي تنضوون تحتها)، يلزم أن يتحدث ويتصرف القادة الدينيون في كل الأديان على نحو مسؤول. عمق المسؤولية إنما يطرد مع أهمية المنصب الديني الذي يتولاه المتحدث. ثمة العديد من أساتذة الجامعات الذين يصدرون مختلف الأحكام المسيئة للإسلام ومعتنقيه. غير أنه غالبا ما يتم تجاهلهم، وعلى نحو محق. لقد كانت محاضرة الاستاذ راتزينغر إلى حد كبير محاضرة يلقيها البابا بنديكت السادس عشر، وهذا ما يبرر عدم تجاهلها ويوجب التعامل معها على مختلف المستويات الممكنة.

محتم أن تستقبل المحاضرة على أنها تلقى من قبل البابا الكاثوليكي الروماني، ولا تلقى فحسب على يد أستاذ في الجامعة.

من المهم أيضا للمسلمين، التزاماً بروح الإنصاف التي يؤثرها الإسلام، أن يقدروا ويعززوا كل ملمح إيجابي اشتملت عليه المحاضرة. من ضمن هذه الملامح الخطاب المهم، الذي ورد لسوء الحظ في نهاية المحاضرة، والذي يؤكد أهمية تعميق وبسط مفهوم العقل الغربي بحيث يشمل ويستوعب الإسهام الذي يمكن للدين الموحى به أن يشارك به. كثير من المسلمين يقدرون النقد ضد الوضعي لتصور الجامعات الغربية للعقل ويعتبرونه وجيها. وبطبيعة الحال، فإن هذا النقد ليس أصيلاً، فأصوله ترجع إلى تطورات ضد ـ وضعية طرأت على فلسفة العلم منذ أن أنجز كارل بوبر وأشياعه أعمالهم المهمة. على ذلك، فإن توظيف مثل هذا الخطاب

(2) Cicero, Marcus Tullius: De Officiis. Translated by Walter Miller. Loeb Editions. Harvard University Press, Cambridge, 1913. See also: Bradley, Francis Herbert. ،My Station and Its Duties، in Ethical Studies. Oxford University Press, Oxford,1988.

> [نيويورك تايمز] الأمريكية
> في افتتاحية لها:
> تصريحات البابا تعتبر «مفجعة وخطيرة».. «العالم يصغي دائماً بانتباه إلى كلمات كل بابا.. وعندما يزرع أحدهم الألم عمداً أو بسبب الإهمال فإن الأمر يصبح مفجعاً وخطيراً.. إن على الحبر الأعظم تقديم اعتذارات عميقة ومقنعة، وأن يبرهن على أن الكلمات يمكن أن تهدئ الأوضاع أيضاً.. بعد أن وصف الإسلام بأنه «شر وغير إنساني».

المناوئ للوضعية في تمهيد الطريق للخطاب الموحى به يظل مفيدا للجميع.[3]

لو أن بنديكت السادس عشر بدأ بآخر فقرات محاضرته وقام بتطويرها، ولو أنه قدر تماما التزام الإسلام التاريخي عبر العصور بالعقلانية والحوار المجدي، لكان خطابه يبعث على الأمل ويسهم في تعايش إسلامي ـ مسيحي ومقاومة مشتركة لدعاوى العقل العلموي المتبجحة. الراهن أنه بمقدور الإسلام أن يكون أفضل حليف للمسيحية ضد مزاعم الوضعية العلموية الصلفة، كونه يدافع عن عقل أكثر عمقاً وروحية. المؤسف أن بنديكت السادس عشر لم يقم بذلك. فدعونا إذن نتقصى كيف بدأ بالفعل، ثم نعاين أجزاء محاضرته، الجزء تلو الجزء، مقتبسين بعض الأجزاء المهمة.

يستهل بنديكت السادس عشر محاضرته، بطريق أنيقة بما يكفي، بتذكر عهده في جامعة بون عام 1959، حيث «كنا نتقابل قبل وبعد تلقي الدروس في حجرات الأساتذة. كانت هناك نقاشات حية تدور مع مؤرخين، وفلاسفة، وعلماء في فقه اللغة التاريخي، وبطبيعة الحال مع أساتذة علم اللاهوت.»

يستبان أن بنديكت السادس عشر ينزع إلى حد كبير، بل ويبجل النقاشات الفلسفية، واللغوية، واللاهوتية. إنه يخوض في كل هذه المستويات، وكما يتضح من محتوى محاضرته، فإنه يستطيع أن يفيد من نقاش أكثر وجاهة مع علماء إسلام جادين.

الحال أنه لا تساورنا أدنى شكوك في أنه معني بالإسلام وأنه يحمله محمل الجد. على ذلك، فإن المواد والحلقات الدراسية التي يشارك فيها تبدو خاصة ومن النوع الضيق. ولأنه عالم كاثوليكي يحترم التخصص الدقيق، يبدو أنه يركن بشكل مكثف إلى أعمال مستشرقين كاثوليك، بعض منهم لا يتعاطف بوجه خاص مع الإسلام.

في نهاية العام الفائت، كرّس بنديكت السادس عشر الملتقى السنوي، الذي اعتاد عقده مع طلابه السابقين الذين كانوا يحضرون رسائل الدكتوراه على يديه، لدراسة مفهوم الله في الإسلام. نحن لا نعلم سوى القليل عما دار في هذا الملتقى، غير أننا نستطيع أن نتعرف على شذرات مما حدث من تقريرين، متعارضين أحياناً، أعدهما في وقت لاحق اثنان من

> «يمتاز الإسلام بأنه يمثل فكرة مساواة صحيحة ... وللإسلام ماض بديع من تعاون الشعوب وتفاهمها، وليس من مجتمع آخر له ما للإسلام من ماضٍ كلله التوفيق في جمع كلمة مثل هذه الشعوب الكثيرة المتباينة، على بساط المساواة في الحقوق».
>
> **ماسينيون**

---

3 ـ أشير هنا إلى فلسفة العلم بعد الوضعية التي قال بها كارل بوبر، تومس كون، إمر لاكتوش، وآخرون. بخصوص دلالات العقل والعقلانية المتعددة وإمكان الفهم المتعمق لها، أنظر أيضاً:

Whose Justice? Which Rationality? by Alasdair Macintyre. University of Notre Dame Press, Notre Dame, 1988.

المساهمين الأساسيين. موضوع الملتقى ومحتواه متعلقان بشكل مباشر بمحاضرة بنديكت السادس عشر التي ألقاها في روزنبرج، ولو نشرت أعمال حلقة النقاش «الخاصة» تلك، لتعمق فهمنا لموقف بنديكت السادس عشر الحقيقي من الإسلام.[4]

لقد كان أجدر لبنديكت السادس عشر أن يستمع إلى علماء الكلام الإسلامي أنفسهم فيما يتعلق بمعتقداتهم بخصوص الله. غير أنه آثر أن يستضيف تلاميذه، كي يستمعوا ويناقشوا عالمي لاهوت كاثوليك متخصصين في علاقات المسيحيين بالمسلمين: اليسوعي المسيحي الألماني كريستيان ترول، واليسوعي المصري سمير خليل سمير. صحيح أن كليهما مسيحي يحظى بشهرة في مجال الدراسات الإسلامية؛ غير أنهما ينزعان إلى إثارة الشكوك فيما يسمى بـ«الإسلام التقليدي». ترول مقتنع أساساً أنه يتوجب الإصلاح من شأن الإسلام، وهو خبير ومناصر نشط «للإصلاح الحداثي». سمير أقل احتفاء بالإسلام، أكان تقليديا أم «إصلاحياً»، وغالبا ما يتخذ مواقف عدائية منه. كلاهما، صحبة مستشارين آخرين مقربين لبنديكت، يعاني بشكل واضح من حالة «رهاب ـ إسلامي» قد تعين على تفسير توجه محاضرة بنديكت.

من المهم للمسلمين، التزاماً بروح الإنصاف التي يؤثرها الإسلام، أن يقدروا ويعززوا كل ملمح إيجابي اشتملت عليه المحاضرة.



ميشيل فتزجيرالد

من المهم أن نشير إلى أن بعض مستشاري بنديكت المقربين في المسائل الإسلامية يتخذون مواقف عدائية من الإسلام ويخشون من انتشاره لأنهم يرون أن هذا الدين ـ على الأقل في وضعه الراهن ـ عنيف بطبعه . ثمة العديد من الخبراء الكاثوليك أو العلمانيين الأكثر حرصاً من أن يروعوا قلب البابا من رهاب ـ إسلامي ، غير أنه تم بوجه عام تهميشهم ، أو تجاهلهم كلية ، فيما تقاعد بعض آخر منهم. من هؤلاء الأسقف الموقر ميشيل فتزجيرالد، الذي أحيل إلى مناصب أقل أهمية، وإن ظلت محترمة. ضم «المستشارية البابوية للحوار بين الأديان» إلى «المستشارية البابوية للثقافة»، وحالة التفاقم المستمرة التي يعاني منها «المعهد البابوي للدراسة العربية والإسلامية»، إنما يجعلان البابا يحصل دوما على استشارته بخصوص الإسلام من أقل علماء الكاثوليك تعاطفا مع هذا الدين[5].

من المهم إذن أن يبذل علماء الإسلام جهودهم لإجراء حوارات فكرية ولاهوتية مع بنديكت السادس عشر، بحيث لا يستقي رؤاه عن الإسلام عبر مصفاة مستشرقين كاثوليك مصابين برهاب ـ إسلامي. أيضا

---

4 ـ بخصوص حلقة النقاش المهمة هذه، انظر:

،When Civilizations Meet: How Joseph Ratzinger Sees Islam، by Samir Khalil Samir, S.J. www.chiesa, Roma, September 25, 2006. Originally published by Asia News.http://www.chiesa.espressonline.it/dettaglio.jsp?id=53826&eng=y

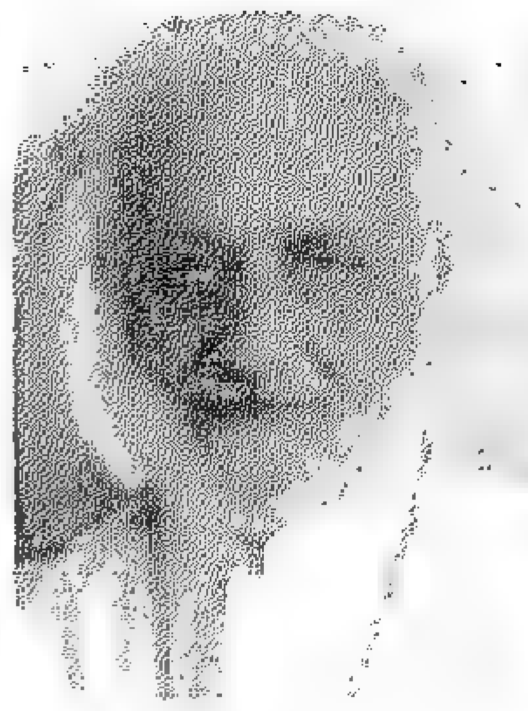
،Islam and Democracy, a Secret Meeting at Castel Gandolfo: The synopsis of a weekend of study on Islam with the pope and his former theology students by Sandro Magister. www.chiesa, Roma, September 25, 2006.http://www.chiesa.espressonline.it/dettaglio.jsp?id=45084&eng=y

5 ـ للتأكد من هذا التصور، انظر الدراسة الممتازة التالية:

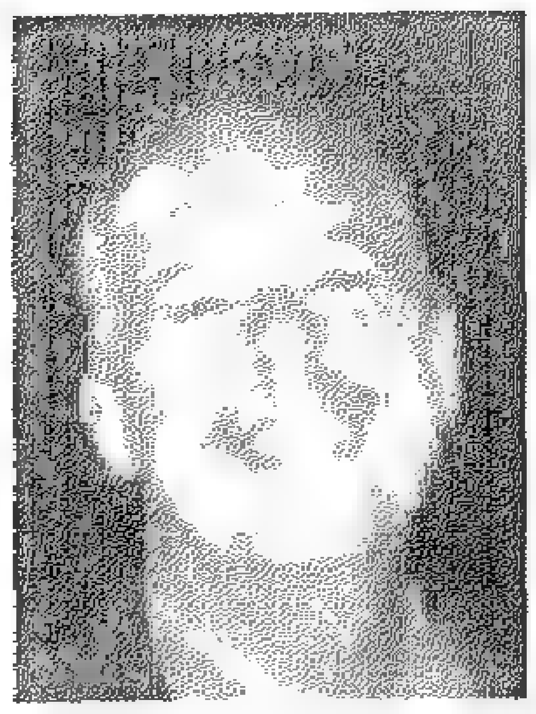
For confirmation of this account, see the excellent ،Benedict XVI and Islam: the first year، by Abdul Hakim Murad. First appeared in Q News. http://www.masud.co.uk/ISLAM/ahm/AHM-Benedict.htm



ميشيل صباح



جورج خضر



توماس ميشيل

من المهم لبابا الكاثوليك أن يوسع الحلقة التي يختار منها مستشاريه، وأن يحذر من الرؤى الضيقة والمغرضة، حتى إن تصادف أن كان أصحابها يوصفون بـ«الخبراء» في الدراسات الإسلامية. يتوجب عليه أيضاً أن يحذر من الثقة في المزاعم الإثنية الصرفة التي يقول بها بعض العلماء الكاثوليك العرب. في أحيان كثيرة، بعض أعضاء الأقليات التي تعيش في ثقافة أوسع هم الأقل دراية بثراء هذه الثقافة، وغالبا ما يعانون من مشاعر الانزعاج والخوف من القضاء عليهم. ثمة متخصصون عرب في الدراسات الكاثوليكية ـ الإسلامية يذهبون مذاهب مشكوك في أمرها في الإسلام والمسلمين، فيما تحمل آراؤهم الرهاب ـ إسلامية محمل الجد لمجرد أنهم عرب.

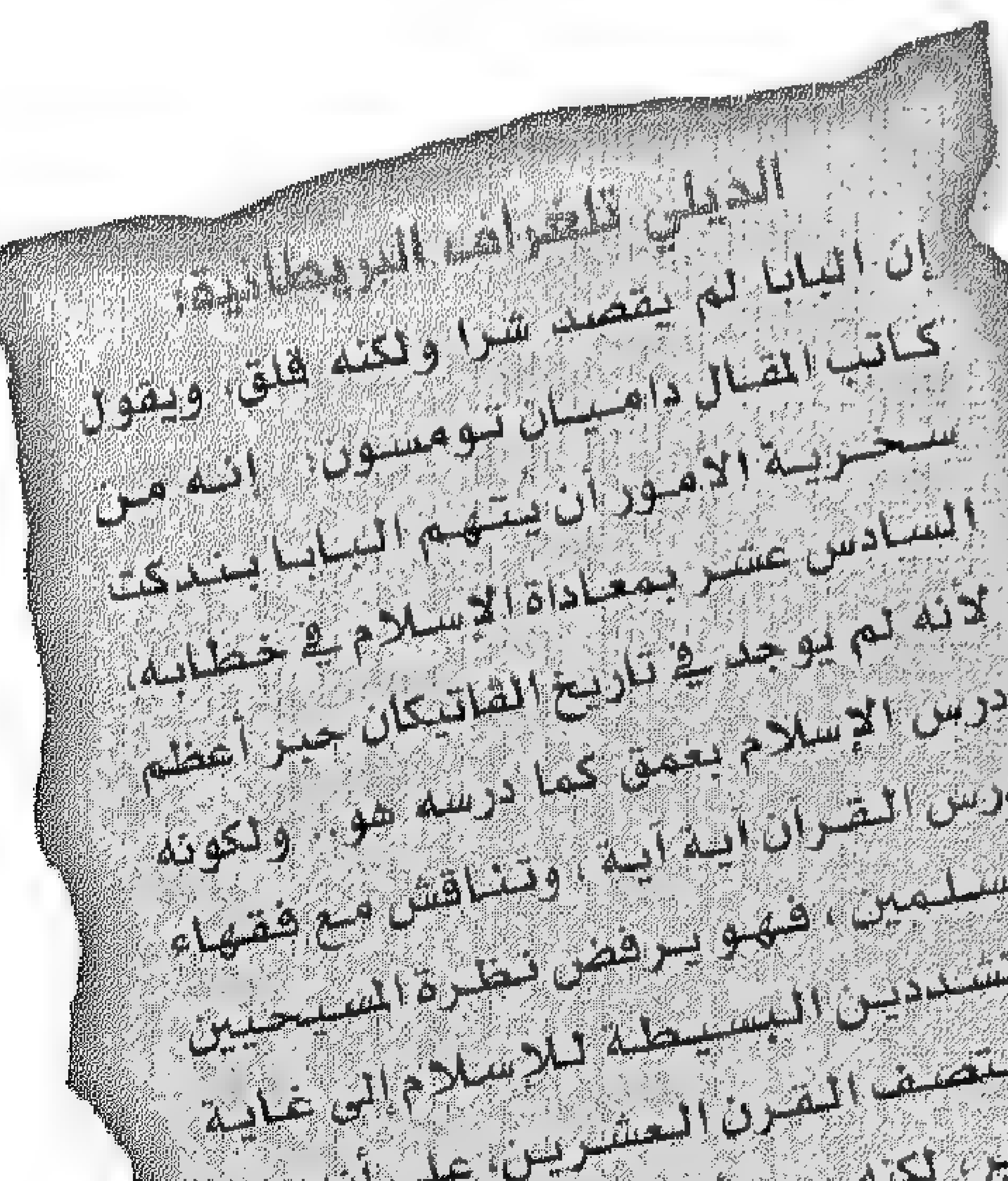
من منحى آخر، لدى بعض المسيحيين العرب، كاثوليك وغير كاثوليك، فهم معمق وتقدير كبير للإسلام والمسلمين، وبمقدورهم أن يسدوا للبابا نصائح مجزية. في وسع شخصيات موقرة ومنصفة مثل الأسقف ميشيل صباح والمطران جورج خضر أن يمنحوا بنديكت السادس عشر فهما معمقا للإسلام والمسلمين. هناك أيضاً مستشرقون كاثوليك من غير العرب يستطيعون أن يؤمّنوا له عوناً مفيداً في المسائل الإسلامية. من ضمن هؤلاء، أذكر موريس بورمانس، ميشيل لاجارد، إتيان رينو، وتومس ميشيل.

في أزمنة الحروب والصراعات، ينزع البشر إلى الثقة في آراء من يدفعهم إلى خشية أعدائهم ويعينهم على حشد طاقاتهم ضد هؤلاء الأعداء. غير أنه لا يعين بنديكت السادس عشر، كما لا يعين عالماً موجعاً، أن يقول واحد ممن يثق فيهم في مسائل الإسلام أشياء من قبيل:

«يريد بنديكت أموراً أكثر أساسية: ليس المهم هو اللاهوت، أقله ليس في هذه المرحلة من مراحل التاريخ؛ المهم هو حقيقة أن الإسلام الدين الأكثر نمواً، وأنه يغدو تدريجياً خطراً يهدد الغرب والعالم. مكمن الخطر ليس في الإسلام بوجه عام، بل في رؤية بعينها في الإسلام لا تصرح إطلاقاً بمناوءة العنف بل تولد العنف والتعصب.»(6)

أو، يقول، وهذا أسوأ:

«يتعرض الغرب ثانية للحصار. إنه يتعرض له بشكل مزدوج. ذلك أنه فضلاً عن الهجمات الإرهابية، هناك شكل جديد من أشكال الغزو: هجرة مصاحبة



(6) When Civilizations Meet: How Joseph Ratzinger Sees Islam It was written for and published by ‹Asia News‹, by Samir Khalil Samir, S.J. www.chiesa, Roma, September 25, 2006.
http://www.chiesa.espressonline.it/dettaglio.jsp?id=53826&eng=y

بخصوبة عالية. دعونا نأمل، تأسياً بمثال الأب المقدس الشجاع في هذه الأزمنة الصعبة، أن يكون هناك حوار موضوعه مذاهب المسيحية والإسلام الحقيقية.»[7]

هذه رؤى غاية في الخطورة، وهي لا تورث سوى المزيد من الحروب والصراعات. إنها الطرف المقابل والصورة المنعكسة لآراء الإرهابيين الزاعمي الإسلام.

يتوجب على المسيحين والمسلمين على السواء الحذر من مثل هذه الرؤى المانوية المستقطبة، وعليهم العيش وفق رؤية واضحة معمقة وعادلة بحيث يسهمون في تحسين الموقف المؤسي الذي يعاني منه كلاهما.

لكل هذا، من المهم أن يقوم علماء المسلمين والعلماء غير المسلمين الجادون والمنصفون بالخوض مع البابا في نقاش أكاديمي وفكري من الضرب الذي يشيد به في مستهل محاضرته:

كان أجدر لبنديكت السادس عشر أن يستمع الى علماء الكلام الإسلامي أنفسهم فيما يتعلق بمعتقداتهم بخصوص الله.

«في كل فصل دراسي، كان هناك يوم جامعي، يمثل فيه أساتذة من كل كليات الجامعة أمام طلابها، يمارسون خبرة جامعة حقيقية ـ شيء ذكرته لتوك أنت أيضاً، أيها المهيب ريكتور. إنها خبرة لحقيقة أنه رغم تخصصاتنا التي تصعّب أحيانا من عملية التواصل المتبادل، فإننا نؤلف كلاً واحداً، يجعلنا نعمل كل شيء تأسيساً على عقلانية مفردة ذات جوانب متعددة ونتحمل مسؤولية التوظيف الصحيح للعقل. لقد أضحى هذا الواقع خبرة معاشة.»

يستبان أن بنديكت السادس عشر يثمن الخبرة «الجامعة» عبر مواجهة الآخرين بشكل دوري. إنه يرى بوضوح كيف أن التخصص قد يفضي إلى تضييق خطر يغلق آفاق التواصل الحقيقي. وتماماً كما أن هناك «جامعات» مؤسسة على بشرية وعقلانية مشتركة، ثمة أيضاً جامعات موحدة مؤسسة على اعتقاد مشترك في الله الواحد الحق. من المهم أن يبدي المسيحيون والمسلمون، رغم (بل بسبب) تفانيهم المكرس لدينهم، احتراماً متبادلاً ويسهمون في حوار من أجل الله الواحد الحق. يتعين أن يصبح هذا الحوار خبرة معاشة تقرّب من السلام العالمي.

بعد ذلك ينوه بنديكت السادس عشر بأهمية البحث والنقاش حول عقلانية الإيمان، وأهمية أنه حتى في مثل هذا البحث والنقاش، يتعين أن نذهب إلى حد اعتبار الارتيابية المتطرفة والخوض فيها. «حتى في مواجهة مثل هذه الارتيابية المتطرفة، يظل من الضروري والعقلاني أن تثار مسألة الله عبر استخدام العقل، والقيام بذلك في سياق موروث الإيمان المسيحي: لقد كان هذا، ضمن الجامعة ككل، أمرا مسلما به دون جدل.»

التسليم بأهمية مثل هذا البحث والنقاش إنما يشكل ذات أساس مجال الدراسات الإسلامية المكثف والمعمق الذي يسمى «علم الكلام»، أو اللاهوت الإسلامي المنتظم. الحال أن الكثير من أعمال علماء الكلام تبدأ باعتبار مكثف لموقف المرتابين عبر تكريس صحة البحث عن مبررات تعزز الإيمان الديني. لقد لاحظ كل علماء الكلام العظام حقيقة أن النقاش والحجاج والخلاف مع الآخرين أمور لا تستقيم إلا

(7) Is Dialogue with Islam Possible? Some Reflections on Pope Benedict XVI's Address at the University of Regensburg, by Joseph Fessio, S.J.. Ignatius Insight. September 18, 2006
http://www.ignatiusinsight.com/features2006/jfessio_reflections_sept06.asp

تأسيساً على عقلانية بشرية مشتركة تشكل كينونة «جامعة علمياً».

تعج كتب علم الكلام بالنقاشات المكثفة والمبررة مع المرتابين، والملاحدة، وأشياع النزعة الطبائعية، والمسيحيين، واليهود، والزرادشتيين، والبوذيين، والهندوس، والأرسطيين، الأفلاطونيين، وجمع آخر من الأديان والمذاهب الفلسفية. المؤسف أن تثمين بنديكت للنقاش المؤسس على «جامعة علمياً» لا يسري فيما يبدو على الإسلام والمسلمين. فرغم حقيقة أن الكثير من العلماء المسلمين والمؤسسات الإسلامية استجابوا بشكل إيجابي لانفتاحية الكنيسة الكاثوليكية التي تكرست حديثاً للحوار معهم (كما عبّر عن ذلك في وثائق الفاتيكان II)، وبذلوا جهداً متميزاً في الكثير من الحوارات، يبدو أن بنديكت السادس عشر يعتقد (وفق ما يستبان في أجزاء لاحقة من محاضرته) أن مثل هذا الحوار العقلاني ليس ممكناً إلا ضمن تدابير أوربية/مسيحية/هلينستية.

بعد استهلاله المنصف إلى حد، يركن بنديكت فجأة إلى تركة جد مقلقة:

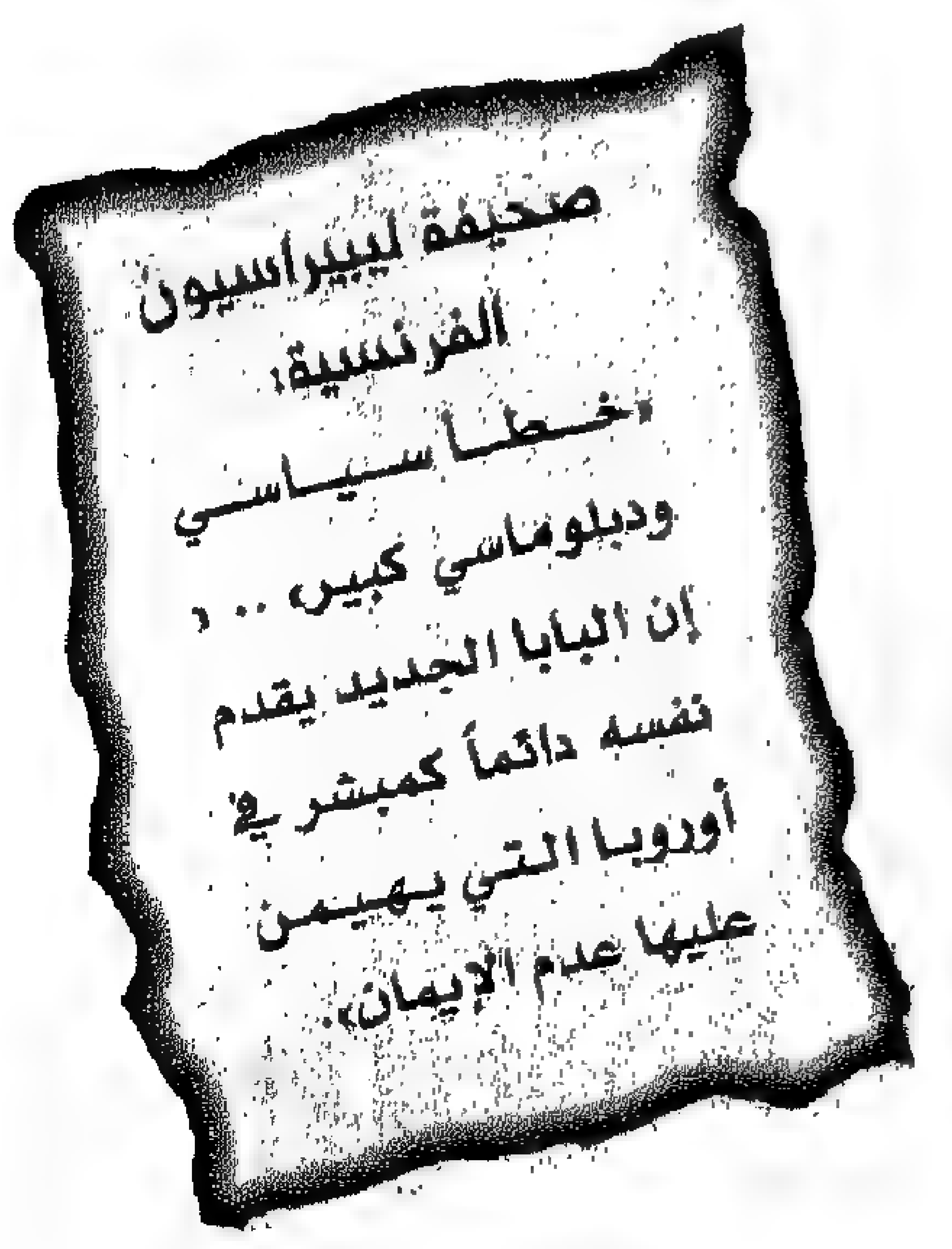
«لقد ذكرت بكل ذلك في فترة متأخرة حين اطلعت على منشور البروفيسور ثيودور خوري (من جامعة مونستر) لجزء من حوار - ربما جرى عام 1391 في الثكنات العسكرية الشتوية على مقربة من أنقرة - بين الإمبراطور (البيزنطي) العالم مانويل الثاني باليولوغوس، ومثقف فارسي حول موضوع المسيحية والإسلام، والحقيقة المتضمنة في كل منهما.»

لا يتضح كيف «ذكّر» حوار باليولوغوس البابا «بكل ذلك». لقد كان بودي أن أعتقد أنه ذكّره بقيمة النقاش العقلاني، المؤسس على بشرية مشتركة، وبحقيقة أن مسيحياً ومسلماً كانا يجريان حواراً عقلانياً حتى أثناء الحصار. غير أن المؤسف أن التأويل الأرجح هو أن بنديكت السادس عشر قد ذكّر بالعلاقة الحميمية المفترضة بين الإيمان المسيحي والعقل عبر فرضية أن مسيحياً، واجه مسلماً عنيفاً، يظل يركز على مماهاة إيمانه بالعقل.

استهلال بنديكت السادس عشر بحالة «حصار» إنما يبعث مشهد حصار القسطنطينية، بكل تداعياته الرمزية:

«لعل الإمبراطور نفسه هو الذي سجل ذلك الحوار خلال حصار القسطنطينية بين عامي 1394 و1402؛ ولعل هذا يفسر علة التركيز على تفاصيل حججه، دون اهتمام لافت بحجج محاوره الفارسي. يتسع الحوار بحيث يتطرق إلى البنى العقائدية في الإنجيل والقرآن، غير أنه يتمحور خصوصاً حول صورة الله والإنسان، ناكصاً حال الضرورة إلى العلائق القائمة بين ما كان يسمى بـ«الشرائع الثلاث»: العهد القديم والعهد الجديد والقرآن. ليس بودي في هذه المحاضرة سوى مناقشة أمر واحد - كان هامشياً نسبة إلى مجمل الحوار؛ إنه سياق «الإيمان والعقل»، الذي أجده مثيراً ويمكن توظيفه نقطة بدء لتأملاتي في هذه المسألة.»

الغريب أن بنديكت السادس عشر ينتقي أمراً يسلّم «بهامشيته» من حوار وسيط يكتنفه الغموض، دوّن في لحظة تاريخية استثنائية وموتورة، كي يعثر على «نقطة بدء» لتأملاته في «العقل والإيمان». غير أنه



بمقدور المرء أن يتخيل عدداً لا يحصى من نقاط البدء الأكثر مباشرة ووجاهة.

لقد كان في وسع بنديكت السادس عشر أن يفيد من العديد من نقاط البدء البديلة لتبليغ رسائله الأساسية عن الإيمان والعقل، دون الحديث عن إسلام مشوه أشبه ما يكون برجل القش. الرابط بين الحوار الوسيط ومفاد المحاضرة الأساسي واه وقصي؛ الحال أن إثارة هذا الحوار إنما تفسد بالضرورة علاقة المسيحيين بالمسلمين. يحدث ذلك في وقت نحن في أمس الحاجة إلى توثيق عرى هذه العلاقة.

بعد ذلك، ومن بين كل أجزاء كتاب الإمبراطور، يؤثر البابا التركيز على الجزء المتعلق بالحرب المقدسة أو الجهاد:

«في المحادثة السابعة (من الجدل) التي حررها البروفسور خوري، يتطرق الإمبراطور إلى موضوع الحرب المقدسة. من المؤكد أن الإمبراطور كان يعرف الآية القرآنية التي تقول:

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [سورة البقرة: الآية 256]

صحيفة [الموندو] الإسبانية:

«في الحادث نكسة للتسامح بين الديانات، وقد تطلب الأمر وقتاً قبل أن يتوصل البابا السابق (يوحنا بولس الثاني) إلى التخفيف من حدة التناقضات بين الديانات الرئيسية، وفي ما يتعلق بالإسلام، فإن البابا الحالي أفسد في كلمة واحدة كل عمل سلفه».

وفق رأي الخبراء، هذه إحدى السور القرآنية المبكرة، حين لم يكن لمحمد حول ولا قوة وكان واقعا تحت طائلة التهديد. وبطبيعة الحال، فقد كان الإمبراطور يعرف التعاليم التي تطورت لاحقا ورصدها القرآن فيما يتعلق بالحرب المقدسة.»

من المثير أيضا أن بنديكت، بالركون إلى سلطة «خبراء» مجهولي الهوية، ينكر الحكم القرآني البين والقيمي، والذي يقر «لا إكراه في الدين»، عبر الزعم بأن محمداً ﷺ لم يتبن هذا الحكم إلا في عهد الهوان.

وعوضا عن الاحتفاء بهذا الحكم، وتحدي المسلمين بأن يسموا إليه، ينكر البابا مصدراً إسلامياً مهما للعقلانية والسلام بأن يعتبره موقفاً إسلامياً متكلفاً لم يتم تبنيه إلا بسبب حالات ضعف مؤقتة. هذا أمر جد مؤسف. ذلك أنه لم يتم التخلي إطلاقاً عن الآية التي تقول إنه لا إكراه في الدين، بل ظلت دائماً ملزمة.

لدى بعض المسيحيين العرب، كاثوليك وغير كاثوليك، فهم معمق وتقدير كبير للإسلام والمسلمين، وبمقدورهم أن يسدوا للبابا نصائح مجزية .

الحال أنه لم يحدث إطلاقاً عبر تاريخ التشريع الإسلامي إجازة إرغام الناس على دين لم يكونوا يدينون به. لقد كانت هذه الآية الحاسمة أساسا للتسامح الذي جسده المسلمون عياناً إزاء المسيحيين واليهود الذين عاشوا بين ظهرانيهم. خطر جداً إذن أن ينكر البابا آية قرآنية شكلت في واقع الأمر، وتظل تشكل، ضماناً تشريعياً وتاريخياً.

فضلاً عن ذلك، فإن الزعم المثبط الذي يقره بنديكت السادس عشر، أن محمداً ﷺ كان يغير بطريقة نزوية مبادئ وتعاليم تشريعية، وفقاً على حال ضعفه وقوته، ليس سوى صدى لرؤى متغرضة ظلت تظهر المرة تلو الأخرى على السطح في الخطابة المسيحية والغربية ضد الإسلام. لقد كان بمقدور نصيحة أكثر حكمة وإنصافاً أن تربأ ببنديكت عن تبني مثل هذه المواقف المغرضة.

ولا ريب أن صورة النبي الانتهازي، التي يثيرها بنديكت السادس عشر على نحو عابر، موجعة ومسيئة للمسلمين. ماذا كان له أن يشعر لو أن المسلمين قالوا إن الكنيسة المسيحية لم تبد تسامحا إزاء المسلمين واليهود إلا بعد أن فقدت سلطتها في أوربا، وأن هذا التسامح أقرته دول علمانية ولم تضمنه الكنيسة، وإن زعمت الكنيسة بشكل انتهازي خلاف ذلك. من المرجح أن يثير هذا القول مواجع وإساءات أحسسنا بها نحن المسلمين حين زعم أن نبينا انتهازي لا يدعو إلى شيء حال هوانه، إلا كي يدعو إلى خلافه حال سطوته.

بعد ذلك، يضيف بنديكت السادس عشر قوله: «ودون خوض في التفاصيل، هذا ما يشكل الفرق في التعامل مع «أهل الكتاب» و «الكفار»...»

مرة أخرى، ينكر بنديكت السادس عشر بطريقة غريبة، وعلى نحو عابر، مصدراً إسلامياً آخر للتسامح مع المسيحيين واليهود. لقد ميز الإسلام دوما بين «أهل الكتاب» (المسيحيين واليهود)، والوثنيين، حيث ضمن دوماً لأهل الكتاب الذين يعيشون في مجتمعات إسلامية حق العبادة في سلام تأسيساً على هذا التمييز الحاسم. من المهم أن نلحظ أن بعض خطابات الكره التي تبناها إرهابيون يزعمون الإسلام قد بذلت جهدا مضنيا في تقويض التمييز بين المسيحية والوثنية (بوصف المسيحيين «عبدة الصليب») بغية إزالة الحصانة التشريعية التي تحظى بها المسيحية واليهودية في ظل التشريع الإسلامي. يبدو أن بنديكت السادس عشر يضمّن أن مثل هذه التمييزات ليست أساسية، وأنها لا تسهم إلا في التعتيم على روح الإسلام المعادية للتسامح.

بعد ذلك، يقتبس بنديكت السادس عشر أحد أكثر

«الإسلام في تصوري وكما يراه أحد الأوروبيين المسلمين كمثل نموذج هندسي بديع كامل يكمل كل جزء من أجزائه بقية الأجزاء الأخرى ، ويكمن سر جماله في انسجام هذه الأجزاء وتلاؤمها . وهذه الخاصية الإسلامية هي التي تمارس تأثيرها العميق في النفس الإنسانية . فإذا تأملنا تصور الإسلام العميق لعموم الأشياء والأهداف والدوافع والأفعال وتفسيراته للحكمة الإسلامية فإن ذلك يثير دهشتنا ، وإذا نظرت إلى أحكام الإسلام وتفصيلاته وجدت فيها خير هاد لحياة اجتماعية نظيفة تنبثق من قيم خلقية صحيحة . فالمسلم مثلاً يذكر اسم الله في مبدأ كل عمل، ومن هنا يتم الترابط بين حياته اليومية ودينه فتتزن الحياة وتنسجم».

«يعيش العالم الغربي اليوم في ظلام ، وليس هناك أي بصيص من الأمل في قيام الحضارة الغربية بتوفير سبيل لتخليص الروح والنفس ، فكل من يراقب الوضع الحقيقي للمجتمعات يلمس هذا القلق والحيرة العالمية التي تختفي خلف بريق التقدم والإبداع المادي الزائف . فالناس في الغرب (والشرق) يبحثون عن مخلص من العقبات التي تحيط بهم . ولكنهم لا يرون منها مخرجاً ، وليس أمامهم إلا أن يواصلوا سيرهم نحو جحيم الفناء والكارثة. والانسجام اللطيف في الإسلام بين مستلزمات الجسد ومتطلبات الروح يمكن أن يمارس تأثيراً قوياً في أيامنا هذه. وبوسعه أن يبين للحضارة الغربية السبيل المؤدي إلى الفلاح والخلاص الحقيقيين ، وأن يقدم للرجل الغربي التصور الحقيقي للحياة ، وأن يقنعه بالجهاد في سبيل مرضاة الله ، مما من شأنه أن يضمن له الفوز في الآخرة .. نسأل الله أن يقدر لنا النجاح في الحياة الدنيا والآخرة».

اللورد هولي

فقرات خطاب الإمبراطور مدعاة للقلق:

«... يوجه الإمبراطور إلى محاوره بأسلوب فظ مروع، وعلى نحو أدهشنا جميعاً، السؤال الأساسي حول العلاقة بين الدين والعنف بوجه عام؛ قائلاً: «أرني ما جديد محمد؛ إنك لن تجد سوى الشرير وغير الإنساني، من قبيل أمره بنشر الإيمان الذي يبشر به بحد السيف.»

التراجيدي أن بنديكت، بإيقاظه نص الكره هذا من سباته التاريخي، إنما يفشل في النأي بنفسه عن رأي المؤلف الأصلي. إنه يستخدم هو نفسه ألفاظاً من قبيل «فظ»، «أدهشنا»، و«عبر عن نفسه بقوة». غير أنه لا واحد من هذه التعبيرات يشكل حكماً سلبياً أو رفضاً لرأي المؤلف الأصلي. الحال أنها قد تفهم على أنها تشي بدعم خفي لشجاعة مفترضة قد تكون متهورة بعض الشيء.

التايمز:

«العالم يسمع بحرص الكلمات التي يقولها البابا، وأنه لأمر مأساوي وخطير عندما يبذر أحدهم الألم سواء كان بقصد أو بلامبالاة.. إنه في حاجة أيضا لتقديم اعتذار قوي ومقنع يظهر أن الكلمات يمكن أيضا أن تعالج الجروح.. إن هذه لم تكن هي المرة الأولى التي يزرع فيها البابا بنديكت الخلافات بين المسلمين والمسيحيين، فهو عندما كان كبير علماء اللاهوت في الفاتيكان صرح عام 2004 م ضد انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي لأنها دولة مسلمة.. ويبدو أن أكثر ما يخيف (البابا) كعقائدي محافظ هو ضياع الهوية الكاثوليكية الموحدة، وهو بالتحديد ليس أفضل نقطة تساعد على التسامح أو الحوار بين الأديان»

لدى بعض المسيحيين العرب، كاثوليك وغير كاثوليك، فهم معمق وتقدير كبير للإسلام والمسلمين، وبمقدورهم أن يسدوا للبابا نصائح مجزية.

حين يقوم شخص بإشارة غير مبررة لنص يكتنفه الغموض يعبر عن أشياء بغيضة، يلزمه أخلاقياً أن يفسر لماذا استطرد فأشار إليه، قدر ما يلزمه الرد عليه، وإنكار البغض المعبر عنه فيه. خلافا لذلك، لنا أن نفترض أن الشخص الذي يشير إلى النص المسيء يعنيه تماما، بل ويشارك في تبني رؤيته.

الزعم بأنه لم يكن هناك قصد للإساءة، وأن المسلمين لم يفهموا النص، إنما يجعل الأمور أكثر سوءاً. هذا هو السبب الذي جعل الكثير من المسلمين يعتبرون «شبه الاعتذار» الذي قدمه بنديكت السادس عشر غير مناسب. كل التصريحات التي صدرت، حتى عن الفاتيكان، بما فيها خطاب بنديكت السادس عشر نفسه، إنما تأسف لحقيقة أن المسلمين أساءوا فهم محاضرة البابا واستجابوا بشكل سيئ لها.

إن هذا الأسلوب إنما يتهم المسلمين بعوز الفهم والغلو في الاستجابة؛ وعوضاً عن أن يعترف بالإساءة التي سببها، فإنه يلقي باللائمة على المساء إليهم لكونهم أخطأوا في فهم الإساءة! ولسوء الحظ، اعتبر الكثير من المسيحيين الخلص رفض المسلمين «لشبه الاعتذار» وردود أفعال المسلمين العاطفية لما قيل في حق نبيهم ﷺ دليلا على صحة رأي البابا وموقفه الشجاع.

يضيف بنديكت:

«وبعد أن عبَّر الإمبراطور عن نفسه بقوة، يشرح

بالتفصيل الأسباب التي تجعل من نشر الإيمان بحد السيف مسلكاً تعوزه العقلانية. إن العنف لا يتسق بحال مع طبيعة الله، ولا مع طبيعة الروح؛ «فالله لا يحب سفك الدماء»، يقول الإمبراطور، «والتصرف غير العقلاني مُناقض لطبيعة الله». إن الإيمان ينبع من الروح لا الجسد. بيد أن الذين يرغبون في نشر الإيمان، «يحتاجون إلى قدرة على الفصاحة، والتأمل العقلي، دون عنف أو تهديد فمن أجل إقناع روح عاقلة، لا يحتاج المرء إلى ذراع قوية، أو سلاح من أي نوع، كما لا يحتاج إلى تهديد حياة أي إنسان».

المثير أنه لو أننا رجعنا إلى أي تفسير للقرآن جدير بالثقة كي نبحث عن معنى الآية «لا إكراه في الدين»، سوف نجد تفاسير تشبه إلى حد كبير ما يقره الإمبراطور بخصوص كون القلب أو الروح منزل الإيمان. في كل رسائل علماء الكلام المسلمين جزء يخصص للحديث عن الإيمان، وثمة إجماع على أنه يكمن في القلب أو الروح، وأنه لا إكراه جسدي يمكن أن يؤثر فيه.

من المثير أيضاً أن نلحظ أن بنديكت السادس عشر كان لعدة سنين «ولي الإيمان» في الكنسية الكاثولوكية. غير أن «ولي الإيمان» ليس سوى صيغة حديثة لمحاكم التفتيش، التي يندر احترامها لقداسة القلب البشري في مسائل الإيمان. المؤسي أن الكنيسة، خصوصاً في أسبانيا، استخدمت ضد المسلمين واليهود أساليب تعذيب واعتداءات جسدية لتنصير المسلمين واليهود، وإكراههم على دين غير دينهم. الراهن أنه لم يحدث إطلاقاً أن قامت محاكم التفتيش بالعمل بنصيحة الإمبراطور التي تقول إنه «من أجل إقناع روح عاقلة، لا يحتاج المرء إلى ذراع قوية، أو سلاح من أي نوع، كما لا يحتاج إلى تهديد حياة أي إنسان.» يبدو أنه بمقدورنا جميعاً أن نفيد من هذه النصيحة.

إن القرآن يلزم المسلمين بأن يدعوا إلى طريق ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يجادلوا بالتي



ايزابيلا وفرديناند يدخلان غرناطة (رسم تاريخي)

هي أحسن. ليس هناك في الإسلام ما يبرر تعذيب البشر كي يدينوا بغير دينهم. في أندونيسيا وماليزيا من المسلمين ما يفوق عددهم في البلدان العربية مجتمعة. غير أنه لم يدخل إلى أي منهما جيش عسكري واحد. فكيف انتشر الإسلام فيهما؟

على ذلك، لن نكون صادقين بل سذجاً لو قلنا إنه لم يقم جيش إسلامي بغزو أي أرض. بيد أن فتح أرض يمكن أن يعبد فيها الله بحرية لا يعني إرغام أهلها على الإيمان «بحد السيف». آية ذلك أنه نادراً ما ترجمت غزوات المسلمين إلى إكراه في الدين. البينة على هذا بينة: فلقد هيمن المسلمون على أراض تعيش فيها أقليات مسيحية. فكم مسلم أو يهودي بقي في أسبانيا

> «ليس الإسلام مجرد شكل، ولا هو مجرد شعائر دينية تتفاوت درجات أصحابها في العمل بها، ولكن الوصف المميز للإسلام هو أنه دين عالمي معمول به أكثر من أي دين غيره».
>
> **المسيو جورج رو**

بعد أن استعادها الكاثوليكيان فرديناند وإيزابيلا؟

المثير أن المسلمين، بوصفهم مهاجرين، لم يتمكنوا من دخول أوروبا إلا بعد قيام دول علمانية متعددة الثقافة في بلدانها. أكان لهذا أن يحدث لو كان الأمر بيد الكنيسة الكاثوليكية؟ الحال أن بنديكت السادس عشر اشتهر هو نفسه برفض طلب تركيا أن تصبح جزءاً من أوروبا لمجرد كونها تفتقد المؤهلات الدينية والثقافية المناسبة.

في تصريحات فاتيكانية سابقة، كان يطلب من المسلمين أحياناً أن يتغاضوا عن الماضي (حين يتعلق الأمر بمحاكم التفتيش أو الحملات الصليبية). في الإسلام، الاعتراف والندم شرطان مسبقان للتوبة والغفران. غير أن بنديكت السادس عشر، بإثارته، على نحو يفترض تفوقا أخلاقياً، تهماً مفتراة وجهها إمبراطور غبر عهده، لا يأبه إطلاقا لاستخدام التعذيب، والسلوكيات الوحشية، والعنف عبر تاريخ الكنيسة الكاثوليكية، ليس فقط ضد المسلمين، بل ضد اليهود، وحتى إخوانهم المسيحيين.

الواقع أن العنف الذي مارسته الكنيسة الكاثوليكية، أو قامت بدعمه، يتواصل حتى الأزمنة الحديثة عبر دعم الغزو الاستعماري الأوربي لبقية العالم. الحملات التبشيرية، خصوصاً اليسوعية، ترافقت يداً بيد مع المستعمرين في الأمريكتين، وأفريقيا، وآسيا. في موطني ليبيا، كانت الجيوش وفرق الموت الفاشية الإيطالية تحظى بمباركة السلطات الكاثوليكية المحلية في المربع الكاتدرائي قبل أن تقوم بالبحث عن رجال المقاومة الليبية للقضاء عليهم. حدث هذا في عهد قريب، قرب ثلاثينات القرن الفائت. الجنود الإثيوبيون الذين جندهم الفاشست على جبهة الجيوش الإيطالية كانوا يحملون صلباناً حمراء كبيرة على صدورهم، تماماً كما فعل فرسان القديس يوحنا حين هاجموا سكان طرابلس في القرن السادس عشر.

صورة المسيحية الهلينستية «العقلانية»، التي لا تمارس العنف والتي تقابل بالإسلام العنيف غير العقلاني، مركزية في محاضرة بنديكت السادس عشر. إن هذه الصورة عن الذات إنما تفترض بشكل مدهش تفوقاً أخلاقياً، وتتغاضى عن حقائق تاريخية موجعة كثيرة. من المهم جدا لعالمنا أن نشرع في رؤية القذى الذي تعاني منه أعيننا، عوضاً عن التركيز على شوائب أعين الآخرين.

يضيف بنديكت السادس عشر:

«القضية الحاسمة في هذه الحجة ضد الإرغام على الإيمان باستخدام العنف هي التالية: عدم التصرف وفق ممليات العقل مسلك يناقض طبيعة الله. وكما يلاحظ المحرر، البروفيسور خوري: عند الإمبراطور، كونه بيزنطيا تربى في كنف الفلسفة الإغريقية، هذا قضية بينة بذاتها. أما في تعاليم الإسلام فإن الله سبحانه متعال علواً مطلقاً. إرادته ليست مقيدة بأي شيء آخر بما فيها قيود العقل نفسه. هنا يقتبس خوري من عمل العالم الإسلامي الفرنسي الشهير ر. أرنالديز، الذي ذكر أن ابن حزم (الأندلسي) ذهب إلى حد القول بأن الله ليس مقيداً حتى بكلامه، وأنه لا يلزمه شيء بتبليغ الحقيقة لنا. لو كانت مشيئة الله أن نعبد الأوثان، للزمتنا عبادتها.»

يبدو أن بنديكت السادس عشر يعتقد أن مثل هذا الحوار العقلاني ليس ممكناً إلا ضمن تدابير أوروبية / مسيحية / هلينستية.

قضية بنديكت السادس عشر الحاسمة: «عدم التصرف وفق ممليات العقل مسلك يناقض طبيعة الله». هذه قضية غاية في التركيب، وهي حمالة أوجه وقابلة للعديد من التأويلات والنقاشات. المدهش هو يسر استخدامها في عقد تقابل باطل، ومقلق إلى حد

كبير، بين مسيحية عقلانية محبة للسلام وإسلام لاعقلاني محب للعنف!

مبرر هذا اليسر أن مثل هذا التقابل شهير ومقتبس مما يمكن تسميته «بجداول التقابل» التي يركن إليها غالباً وعلى نحو يسرف في التبسيط في بعض السياقات التبشيرية والخطابية. مفاد فكرة هذه الجداول وضع المسيحية على رأس قائمة ووضع الإسلام على رأس أخرى. بعد ذلك يملأ الجدول بمثنويات من قبيل: الحب/القانون، السلام/العنف، التحرير/الاستعباد، تحرير المرأة/اضطهاد المرأة، وهكذا.

تذكرنا مثل هذه الجداول كما تتعلق بجداول الإثينيين، والرومان، وحتى المثاليين الألمان (الذين أثروا في البابا البافاري) التي غالبا ما تطور بحيث تعقد مقابلة بين «المتحضرين» و«الهمج»، بين «الأوروبيين» و«غير الأوروبيين».

لسوء الحظ، لم تسعف هذه الجداول أشياعها. إنها تمعن في التبسيط وتستحدث تقابلات على حساب الحقيقة والإنصاف. في الإسلام، تماماً كما في المسيحية، المخلّص الحقيقي ليس العقل البشري الحكيم، بل رحمة الله التي قدرها بمشيئته. ذلك أن هبة العقل واحدة من رحائم الله التي منحها للبشر.

بيد أنه يستحيل على العقل الذي وهبه الله أن يتعالى على الله. هذا مفاد مذهب ابن حزم، وهو مذهب أعيدت صياغته على نحو مشوه على أيدي المصادر التي تعلم منها بنديكت السادس عشر. إن ابن حزم، شأنه في هذا شأن علماء الكلام الأشاعرة الذين تجادل غالبا معهم، يصر على حرية الله المطلقة في فعل ما يريد. غير أن ابن حزم يلحظ، مثل معظم علماء الكلام المسلمين، أن الله يختار بحرية، رحمة بخلقه، أن يسلك بشكل عقلاني متسق، الأمر الذي يمكننا من توظيف عقولنا في الامتثال لترشيده وهديه.

إن ابن حزم، مثله مثل معظم علماء الكلام المسلمين، يقر أن الله لا يحده شيء، بما في ذلك العقل. غير أنه لم يزعم إطلاقاً أن الله لم يلزم نفسه، بمشيئته، بهذه الإلزامات. إن القرآن يعبّر صراحة عن هذا الإلزام الإلهي الذاتي حين يقول:

﴿... كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾
(سورة الأنعام، آية 54)

لا مدعاة لأن يتعالى العقل على الله، ولا لأن يكون العقل ملزماً له بشكل خارجي. قد يكون من رحمة الله أن يكون العقل ملزماً، بسبب مشيئة الله الحرة بالالتزام به.

لا مدعاة إذن لأن يكون المعتقد في هذه القضية الأخيرة كائنا تعوزه العقلانية أو الوجاهة، يؤمن بإله

الخطاب الذي نحن بحاجة إلى سماعه

« حتى منتقدو البابا يرون أنه لم يقصد الإساءة إلى المسلمين، لكن الخطأ الذي وقع فيه أنه لم يبد أي تحفظ تجاه نص الامبراطور الذي استشهد به .. كما أن البابا قال إن الآية التي أوردها تعود إلى الحقب الإسلامية الأولى، والأصح أنها تعود للسنة الرابعة والعشرين من النبوة، عام 624 أو 625 ، حيث كان الإسلام في المدينة ذا قوة وسلطة، وليس في موقف ضعف ».

ويقول البروفيسور كلاوس كونج الذي كان أحد زملاء البابا في جامعة توبينغن: إن راتسينغر (بنديكت) لم يقصد إيذاء المسلمين، فهو مهتم جدا بالحوار مع كل الديانات ، ومن حقه الاستشهاد بمن يشاء ، لكنه فعل ذلك دون القول إن كلام الامبراطور خطأ ، وهذا يبين قدراته المحدودة في علم الدين .

كما يرى القس جوزيف فيزيو من جامعة أفي ماريا في نابولي أن (بنديكت السادس عشر) يؤمن بأن الإسلام لا يقبل التغيير، وبالتالي لا يتلاءم مع الديمقراطية ».

روث جليدهيل / التايمز

لاعقلاني أو نزوي! إن مقابلة المسيحية مع الإسلام على هذا الأساس ليست جائرة فحسب، بل مشكوك في أمرها كلية.

لنسلم بأن البابا يحاول جاهدا إقناع جامعة علمانية بأن لعلم اللاهوت موضعاً في مشهد مؤسس على العقل. لكن هذا لا يبرر بحال جعل الله عرضة لعقل ملزم بشكل خارجي. لقد حرص أغلب علماء اللاهوت المسيحيين المبرزين، بمن فيهم توما الأكويني المغرم بالعقل، على أن ينأوا بأنفسهم عن وضع العقل منزلة تعلو المنزلة التي يتنزلها الله.

وفق ذلك، حين يقوم علماء الكلام المسلمون بنقلة مشابهة، يتوجب ألا يتهموا باللاعقلانية أو عوز الوجاهة. إن سوء الفهم نتيجة مباشرة لجداول التقابل الممعنة في التبسيط التي يبدو أن علماء من أمثال ثيودور خوري مغرمون بها.

يتعين على بنديكت إذن ألا يثق بخصوص آرائه في علم الكلام الإسلامي بأمثال خوري وسمير خليل سمير. ذلك أن رؤاهم في الإسلام والمسلمين غالبا ما تحيد عن جادة الإنصاف. قد لا يحبذ البابا استشارة مسلمين، وقد لا يثق حتى فيهم، كي يتعرف على تعاليم دينهم؛ بيد أنه يتوجب عليه على أقل تقدير أن يستشير علماء جادين ليسوا ضرورة من الأقلية المسيحية العربية أو من طائفة ضيقة من المستشرقين الكاثوليك.

يواصل بنديكت قائلا:

«في هذه المرحلة، فيما يتعلق بفهم الله ومن ثم فهم الممارسة الفعلية للدين، نواجه مأزقا لا مناص منه. هل الاعتقاد بأن السلوك غير العقلاني يناقض طبيعة الله مجرد فكرة إغريقية، أم أنها فكرة صحيحة دائماً وبشكل أساسي؟»

مرة أخرى نجد أن أسلوب بنديكت السادس عشر في صياغة المسألة حمال أوجه وقابل لعدد كثير من أساليب التناول. المقام لا يتسع لتفكيك سؤال مشحون من هكذا قبيل، غير أنه يكفي أن نقول إن الحديث عن «طبيعة» الله حديث إشكالي في ذاته.

بنديكت السادس عشر ينتقي أمرا يسلّم (بهامشيته) من حوار وسيط يكتنفه الغموض، دون في لحظة تاريخية استثنائية وموتورة

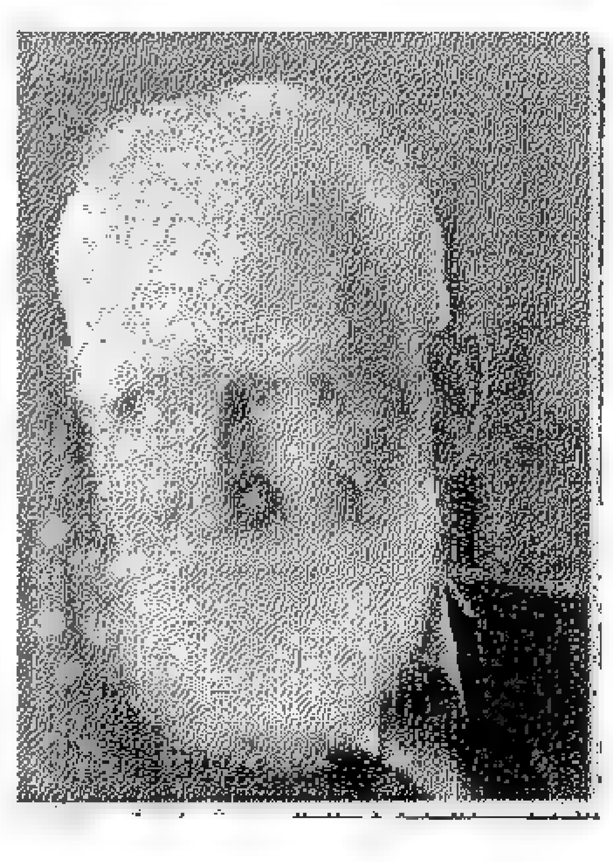
يسري هذا أيضاً على الحديث عن العقلانية واللاعقلانية. أي عقل هذا الذي نتحدث عنه؟ هل هو ملكة بشرية وظيفتها الفهم؟ إذا كان ذلك كذلك، فأي نوع من الفهم نقصد؟ من منحى آخر، هل العقل إدراك معرفي؟ هل هو عاطفي أو روحي؟ أم تراه نوعاً من الفاعلية أو الفيض يحظى بأسبقية أنطولوجية، كما حسب الأفلاطونيون المحدثون؟ أي نوع من العقل والعقلانية نتحدث عنه؟

تحتاج مثل هذه الأسئلة إلى المزيد من التأملات الأكثر عمقا. على ذلك، فإن غموض وإبهام كلمة «العقل» يمكنان بشكل مثير من القفزة المدهشة التي توحد بين اليوناني والمسيحي عبر الركون إلى الاستهلال الهلينستي في إنجيل يوحنا. وعلى حد تعبير بنديكت السادس عشر:

«أعتقد أننا نستطيع أن نستشعر هنا تناغما معمقا بين ما يشكل في اليونانية أفضل معاني الكلمة والفهم الإنجيلي للإيمان بالله. معدلا أول جمل سفر التكوين،

❖ **أوروبا ومحمد ﷺ :**

« إن أوروبا بدأت تحس بحكمة محمد ﷺ وبدأت تعشق دينه ..... وسيكون دين محمد ﷺ هو النظام الذي يؤسس عليه دعائم السلام والسعادة ..... » .



برنارد شو

يستهل يوحنا إنجيله بقوله: «في البدء كانت الكلمة (اللوغوس)». هذه هي اللفظة نفسها التي استخدمها الأمبراطور. الله يعمل باللوغوس. اللوغوس يعني في آن واحد العقل والكلمة ـ العقل القادر، بوصفه عقلاً، على الخلق والتواصل مع الذات.»

نقترب هنا من الحصول على تعريف لما يعنيه بنديكت السادس عشر من العقل: «العقل القادر على الخلق والتواصل مع الذات». الراهن أن هذا قريب لما يتحدث عنه يوحنا. ولكن، هل هذا هو العقل الذي يتحدث عنه فلاسفة اليونان؟ في تقديري أنه ليس كذلك. لقد كان العقل عند معظمهم أكثر ارتباطا بالتأمل الخالص (theoria) منه بنشاط الخلق (poesis). فضلاً عن ذلك، عند معظم فلاسفة اليونان، فإن كونه كذلك هو ما يجعله حقيقة «تواصلاً مع الذات». العقل عند معظمهم قدرة بشرية لتلقي هذا الكائن المتواصل مع ذاته.

لذا، فإن رؤية بنديكت الموحدة الكلية، التي تؤلف بين اليوناني والمسيحي، لم تكن سوى نقلة مكنت منها كلمات ثرية ومشحونة من قبيل «اللوغوس» و«العقل». وبطبيعة الحال، فإن القيام بمثل هذه النقلات دأب غبر عليه الأقدمون ضمن مواريث اليهودية والمسيحية والإسلام، اللاهوتية، والتفسيرية والروحية على حد سواء.

لا ريب أن قدراً عظيماً من الخطاب الوسيط يرتهن على وجه الضبط بهذا النوع من القفزات التي تستثمر الألفاظ المشتركة. المفارق أن هذا التكتيك الوسيط يستخدم لتجسير هوة تفصل بين عقل الجامعة الألمانية العقلاني غير المشبوب بأية عاطفة، ولوغوس الكنيسة الكاثولوكية!

بعد ذلك يقر بنديكت السادس عشر حكماً هيجليا على نحو مدهش: «هكذا يقول يوحنا كلمة الإنجيل الفصل في مفهوم الله، وفي هذه المقولة تتلاحم على نحو مجهد ومضن كل خيوط الإيمان الإنجيلي في مركب يتوجها.»

> صحيفة [لا ليبر بلجيك] في افتتاحية لها: «هل يمكن للبابا أن يتخيل ـ مع عدم تأكيده في الآن نفسه على رفض الخلط بين الإسلام والتطرف الإسلامي ـ أن تظل تصريحاته بلا تبعات؟».

هكذا يزعم بنديكت السادس عشر أن يوحنا قد قال «الكلمة الفصل» في المفهوم الإنجيلي لله. أيضاً فإنه يقر زعماً هيجلياً مؤداه أن الإيمان الإنجيلي اتخذ سبيلاً «مجهداً» و«مضنياً» كي يتوج في مركب يوحني.

سوف أترك أمر التعليق على هذا الزعم لعلماء اللاهوت المسيحيين من مختلف الطوائف والمشارب. في ضوء القرائن المتراكمة للأبحاث التاريخ ـ نقدية في الأناجيل، من الغريب أن يظل في الإمكان إقرار مثل هذه الأحكام الخلافية بخصوص الإيمان المسيحي، الذي يفترض أنه قطع شوطاً طويلاً كي يتوج في مركب يونان ـ مسيحي.

إنني على يقين من أن علماء اليهود سوف يجدون بدورهم صعوبة في فهم الزعم الضمني بأن خيوط الإيمان التوراتية «مجهدة» و«مضنية»، وأنه لولا يوحنا ما كان لها أن تتوج في إيمان حقيقي نهائي. وفي حين يبدو التركيب والتتويج الهيجليان مثيرين عند أرباب النتائج التي تقوم بفعل التتويج، فلا ريب أنها تقلق من يمارس عليهم هذا الفعل.

بعد ذلك، مرة أخرى، ينتقل الحجاج إلى تأمل هيجلي، غير أنه هذه المرة يعرض دعاوى «أوروبية» على نحو خطر تطالب بمصادرة المسيحية:

«في البدء كان اللوغوس، واللوغوس هو الله» يقول القديس بولس. التقارب بين الرسالة الإنجيلية والفكر اليوناني لم يحدث مصادفة. بالمقدور تأويل رؤية القديس بولس، الذي وجد أن الطريق إلى آسيا قد سدت، ورأى فيما يرى الرائي في المنام أن رجلاً مقدونياً توسل إليه «أن يأتي إلى مقدونيا كي يساعدنا» (cf. Acts 16: 6-10)، على أنها «تجسيد» للضرورة الحتمية للتقارب بين الإيمان الإنجيلي والبحث اليوناني.»

يستخدم التقابل بين آسيا ومقدونيا هنا لتبرير الزعم الغريب بوجود «ضرورة حتمية» للتقارب بين الإيمان الإنجيلي والبحث اليوناني.

هكذا، فمع العقل الأوروبي وليس العقل الآسيوي توحدت المسيحية مع «البحث اليوناني». إن هذه اللغة الهيجلية إنما تعاني من نزعة المركزية الأوروبية التي تميز كثيراً من الفلسفات المثالية الألمانية، وهذه نزعة جد خطرة تقلل من شأن صيغ مسيحية غير يونانية وغير أوروبية (كما في لاهوت أمريكا الجنوبية وأفريقيا وآسيا).

أيضا فإنها تعرض دعوى بامتلاك العقل بوجه عام، والعقل اليوناني بوجه خاص، بحيث تجعله مسيحياً خالصاً. وهكذا تنكر الحقائق التاريخية في الأنساق اليهودية ـ الهلينستية الخالصة، ناهيك عن غير الخالصة، (كما عند فيلون الإسكندرية)، والأنساق الإسلامية ـ الهلينستية (كما عند الفارابي، أخوان الصفاء، وابن سينا) بوصفها مستحيلة. وحدها المسيحية تتوحد مع اليوناني في تتويج أوروبي هيجلي يوحتي.

لقد شيد المسلمون، مثل المسيحيين واليهود، من قبلهم ومن بعدهم، العديد من الأنساق الفلسفية واللاهوتية العميقة التي استهدفت التوفيق بين مزاعم العقل البشري وحقائق الوحي الإلهي. لم يكن ذكر الفلاسفة الذين أشرنا إليهم لتونا إلا على سبيل التمثيل. هكذا حاول علماء كلام المدارس المعتزلية، الأشعرية، الماتريدية، الإثنى عشرية، الإسماعيلية، الإباضية، وحتى الحنبلية التعبير عن إيمانها بأسلوب عقلاني قدر الإمكان. حتى كتب التدريس التمهيدية في الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام الإسلامي تبين هذا. الأعمال الجدلية والمنطقية التي أنجزها عبد الجبار، والأشعري، والباقلاني، والجويني، والغزالي، والرازي، الماتريدي، والنسفي، وابن رشد، وابن سبعين، فضلاً عن آخرين، إنما تشهد على انشغال المسلمين المعمق بالعقل والعقلانية حين يتطرق الأمر إلى التفصيل في المسائل الإيمانية. حتى أكثر الحنابلة تشدداً، ابن تيميه، أنجز أعمالاً مهمة في الأنساق المنطقية غير الأرسطية وقال بحجج ضد ـ أرسطية قريبة بتلك التي قال بها سكتوس إمبيركوس[8].

> **خطر جدا أن ينكر البابا آية قرآنية شكلت في واقع الأمر، وتظل تشكل، ضمانا تشريعيا وتاريخياً.**

وفي ختام فقرة طويلة، تصلح ، تكون تقديماً لكتاب هيجل في «فلسفة الأديان» أو «فلسفة التاريخ»، يزعم بنديكت السادس عشر أنه:

«قد حدث تقارب معمق هنا بين الإيمان والعقل، تقارب بين التنوير الحقيقي والدين. لقد تسنى لمانويل الثاني، من صميم الإيمان المسيحي، وفي الوقت نفسه من قلب الفكر اليوناني، أن يقول: «ألا تسلك وفق ممليات «اللوغوس» هو أن تسلك ضد طبيعة الله.»

هكذا تضفى على الترجمة السبعيتية اليونانية

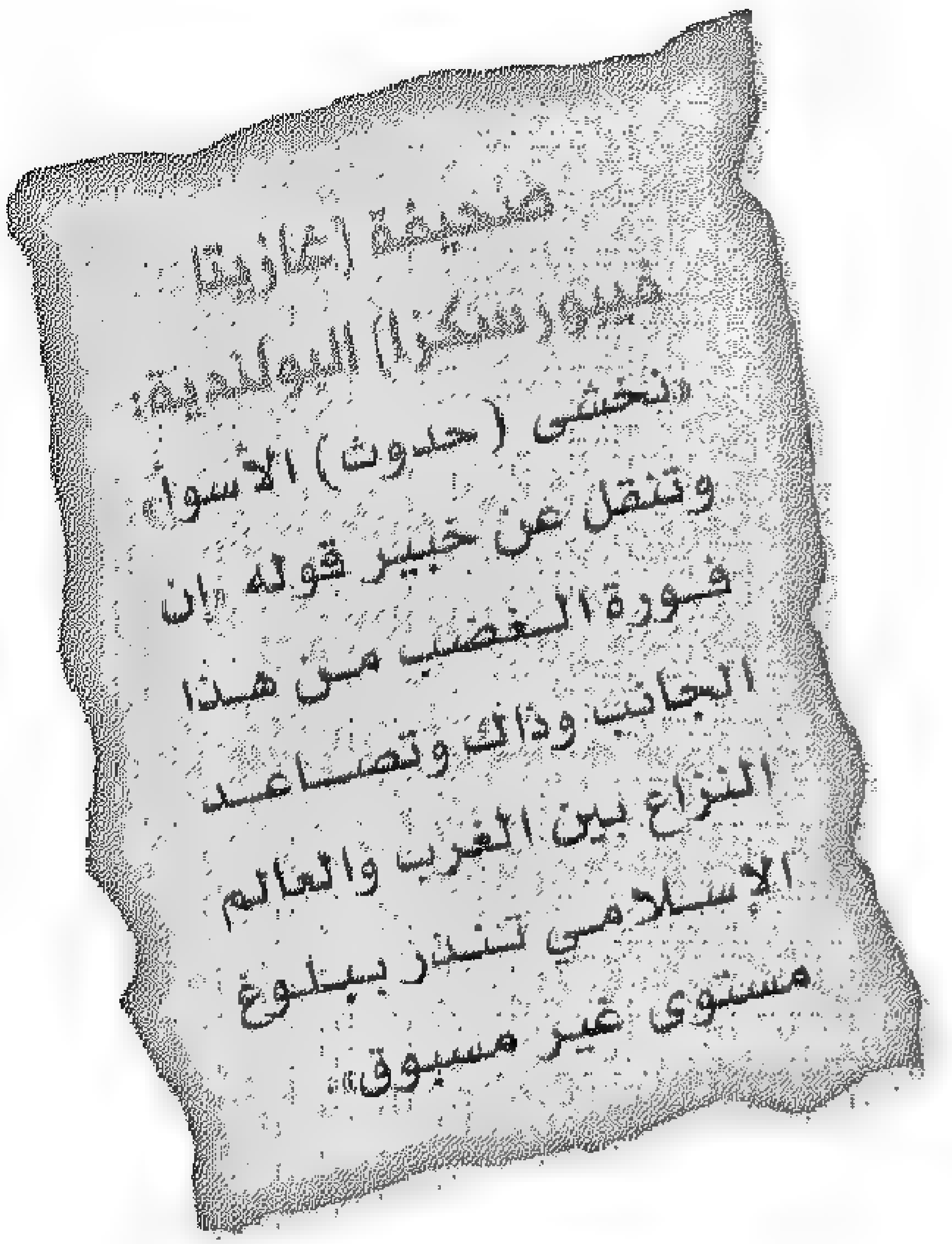
8 ـ التالي كتاب تدريسي قياسي في الفلسفة الإسلامية وعلم اللاهوت الإسلامي:

Fakhry, Majid. History of Islamic Philosophy. Columbia University Press, 2004.

للعهد القديم أسبقية أوفق من أنها غريبة على أسماع الكثير من المسيحيين. إن مركّب الإيمان الإنجيلي مع العقل اليوناني توهب ببساطة قيمة نهائية بوصفها تتويج عملية تنضوي تحت لوائها كل سبل التدين الأخرى عبر إخضاعها وتجاوزها.

على ذلك، فإن بنديكت السادس عشر، كونه عالم لاهوت وسيط، يعرف أنه ليس بمقدوره أن ينكر بعض الحقائق:

«وبكل أمانة، يتوجب على المرء أن يلحظ أنه في نهاية العصور الوسطى كانت هناك توجهات في اللاهوت تتنكر لهذا التلاقي بين الروح الإغريقية والروح المسيحية. فبخلاف ما يسمى بعقلانية أوغسطين وتوما الأكويني، نشأت مع دنس سكوتس نزعة إرادوية أفضت، عقب تطورات لاحقة طرأت عليها، إلى زعم مفاده أننا لا نستطيع معرفة إلا مشيئة الله المرادة. خلف هذا النطاق، يكمن مجال حرية الله، التي يستطيع بفضلها أن يقوم بخلاف كل ما قام به. إن من شأن هذا أن يفضي إلى مواقف تقترب بوضوح من مواقف ابن حزم وقد تقود إلى صورة إله نزوي، لا يقيده حق ولا خير. هكذا يعد تعالي الله وآخريته من السمو بحيث لا يعود عقلنا، فهمنا للحق والخير، مرآة حقيقية لله، الذي تظل أعظم إمكاناته غير متحققة إلى الأبد ومتخفية وراء قراراته الفعلية.»

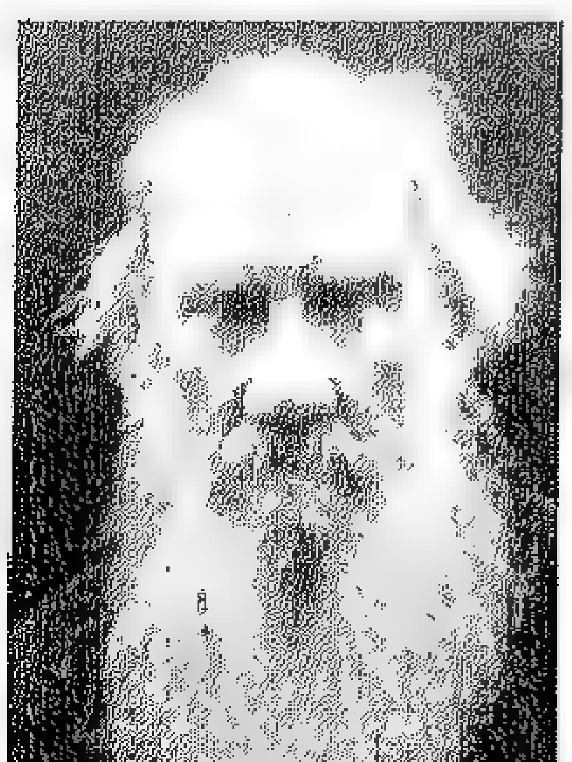


إن هذه الفقرة، وإن كانت تخدم غاية مؤلفها في تقويض الأنساق اللاهوتية التي يأتي على ذكرها، إنما تبرهن على أقل تقدير أن بنديكت السادس عشر يعي بطريقة ما أن ثمة أنساقاً لاهوتية أخرى ممكنة، وأن علماء الكلام المسلمين لم يكونوا منشغلين وحدهم بإثبات سيادة الخالق إزاء دعاوى البشر بتقييده وفق معايير بشرية.

غير أنه لسوء الحظ يقتصر على إنكار هذه الأنساق لمجرد كونها لا تعبّر عن «إيمان الكنيسة» الحقيقي. المثير أنه في فقرة لاحقة، يؤكد للحظة عاطفة المحبة التي تتجاوز المعرفة، لكنه يعيد تأويل

❖ **من عظام الرجال :**

«مما لا ريب فيه ، أن النبي محمد ﷺ من عظام الرجال المصلحين ، الذين خدموا الهيئة الاجتماعية، خدمة جليلة، ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح للسكينة والسلام، وتفضل عيشة الزهد، ومنعها من سفك الدماء، وتقديم الضحايا البشرية ، وفتح لها طريق الرقي والمدنية ... والتقدم ، وهذا عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص أوتي قوة وحكمة وعلماً، ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال».



تولستوي

هذا التأكيد عبر إقرار أن اللوغوس هو الذي يمارس هذه العاطفة. على هذا النحو يتم التوليف بين اللوغوس والعقل، وهكذا يستبان أن العقل هو الذي تنتابه عاطفة المحبة.

بعد ذلك، وبألفاظ واضحة لا إبهام فيها، نعثر على الزعم الأساسي الذي يقول به بنديكت السادس عشر، والمبرر النهائي لاعتراضاته على الإسلام.

«إن التقارب الداخلي بين الإيمان الإنجيلي والبحث الفلسفي اليوناني، كان على قدر كبير من الأهمية ليس فقط من منظور تاريخ الأديان، بل وأيضاً من منظور تاريخ العالم. إنه حدث مهم حتى يوم الناس هذا. وبالنظر لهذا التقارب، لا غرو أن المسيحية، رغم أصولها ورغم التطورات الحاسمة التي طرأت عليها في المشرق، اتخذت صبغتها الحاسمة تاريخياً في أوروبا. بمقدورنا أن نعبّر عن هذا بطريقة عكسية: لقد قدر لها التقارب، بعد إضافة الموروث الروماني في عهد لاحق، أن يخلق أوروبا، كما يظل أساس ما نستطيع أن نسميه أوروبا حقيقة.»

هكذا يزعم بنديكت السادس عشر بوضوح أن أوربا هي المكان الوحيد الذي تتوجت فيه المسيحية والعقل في مركب عظيم هو الحضارة الأوربية.

صحيفة اندبندنت البريطانية:
«كان يجدر بالبابا حذف المقطع الذي اعتبر مسيئاً للمسلمين، وإن كان هدفه الدعوة إلى الحوار، لكان أمكنه ربما اعتماد وسائل أخرى قد لا تثير هذا القدر من سوء الفهم».

وفق هذا، فإن أوروبا يونانية ـ مسيحية وعقلانية، والمسيحية أوروبية ـ يونانية وعقلانية. إذا أردنا أن تكون المسيحية ـ الأوروبية خالصة، يتوجب علينا استبعاد كل العناصر غير الأوربية وغير المسيحية منها. هذا ما يحول دون أن يكون للإسلام والمسلمين موضع في هذا المركب الهيجيلي العظيم! إن هذا المشهد الخطر لأفكار كولونية محدثة إنما يعزز مقولة الطبيعة الوحشية (غير اليونانية) وغير الأوروبية التي يوصم بها الإسلام. الإسلام، وفق هذا الضرب من التفكير، «آسيوي»، «لاعقلاني» «عنيف»، ولا مكان له في أوروبا «اليونانية»، «العقلانية» و«الوجيهة».

وبعد أن يبلغ بنديكت السادس عشر مبدأ المركب اليوناني والمسيحي في لوغوس مفرد، يشرع في تقويض كل محاولة لإنكار هذا المركب. هكذا يوجه نقداً إلى المراحل الثلاثة لما يسميه «استلاب الهلينية».

«إن هذه المقولة التي تذهب إلى أن الميراث الإغريقي المنقى نقدياً يشكل جزءاً جوهرياً من الإيمان المسيحي قد واجهت دعاوى «استلاب الهلينية» من المسيحية، وهي الدعاوى التي هيمنت تدريجياً على النقاشات اللاهوتية منذ بدء الأزمنة الحديثة. وحين نمعن النظر في هذه المسألة، يمكن ملاحظة ثلاث مراحل في عملية الاستلاب هذه. ورغم ترابطها، فإنها تتمايز بوضوح من حيث دوافعها وأهدافها.»

أجدر بالمسلمين أن يتركوا التعليق على مدى إنصاف ودقة تقويم بنديكت للموروث المسيحي لعلماء اللاهوت المسيحيين. على ذلك، فإنه يبدو لي، أنا المسلم، أنه من المدهش أن بنديكت يدرج مجمل جهود الإصلاحيين المسيحيين تحت عملية نزع الهلينية التي تقوض المركب الحقيقي الذي سبق له أن احتفى به. سوف أترك أيضاً لعلماء اللاهوت البروتستنت الرد على هذه مزاعم الجارفة.

بعد ذلك ينحو بنديكت السادس عشر باللائمة على عالم اللاهوت فون هارناك لكونه المسؤول عن

عملية استلاب هلينية ثانية. مرة أخرى أترك أمر الرد على مزاعمه لأشياع هارناك. غير أنه يدهشني أيضاً أن أجد هارناك يتهم باستلاب الهلينية. إنني، متأسياً بكارل بارث، أذهب إلى أن فون هارناك يمارس في واقع الأمر عملية تكريس للهلينية، عوضا عن القيام باستلابها، بل أن مذهبه قد يعد محاولة لاختزال علم اللاهوت إلى «حكمة عملية» أرسطية.



فون هارناك

بيد أن نمط استلاب الهلينية الثالث الذي يتحدث عنه بنديكت السادس عشر جدير بأن يحظى بقدر أكبر من الانتباه.

«وقبل أن أستنبط النتائج التي يفضي إليها كل ذلك، يتعين عليّ أن أشير باختصار إلى المرحلة الثالثة من مراحل «استلاب الهلينية» التي تظل في طور التشكل. في ضوء التعددية الثقافية، غالباً ما يقال في الوقت الراهن إن الاندماج مع الهلينة الذي أنجز في عهود الكنيسة المبكرة كان مبدئياً منحازاً ثقافياً، ويتعين من ثم ألا يكون ملزماً لكل الثقافات. من حق هذه الثقافات العودة إلى رسالة العهد الجديد في صيغتها البسيطة قبل أن تنحاز ثقافياً، كي تتبيأ ثقافيا من جديد في عصره الخاص بها. هذه مقولة ليست باطلة فحسب، بل فجة وتعوزها الدقة. لقد كتب العهد القديم باليونانية وهو يحمل بصمة روحها، التي نضجت بتطور العهد الجديد. صحيح أن هناك عناصر في تطور الكنيسة المبكرة لا مدعاة لدمجها في كل الثقافات. غير أن القرارات الحاسمة التي اتخذت بخصوص علاقة الإيمان باستخدام العقل البشري جزء من هذا الإيمان؛ إنها تطورات تتجاوب مع طبيعة الإيمان نفسه.»

مرة أخرى، نواجه مصادرة للمسيحية ذات نزعة مركز ـ أوروبية ومركز ـ يونانية. غير أنني هذه المرة سوف أترك أمر تناول هذه المصادرة الغريبة لعلماء اللاهوت المسيحيين الأمريكيين الجنوبيين، والأفارقة، والآسيويين.

نسبة إلى كنيسة أضحت اليوم دولية، يتجاوز البابا حده حين يقوم بتغريب كل ثقافة ليست يونانية ـ أوروبية. إنه يزعم أساساً أن مثل هذه العناصر اليونانية والأوروبية أساسية للإيمان المسيحي نفسه. غير أنني أجد هذا الزعم برمته متبجحاً على نحو خطر. إن تهديده لا يطال الإسلام والمسلمين وحدهم، بل ينذر بالخطر المسلمين والمسيحيين واليهود على حد السواء.

يصبح هذا النذير أشد خطراً بسبب حقيقة أن الموقف المعني لا يتبناه مجرد أستاذ أو عالم لاهوت، بل بابا كاثوليكي روماني يقود الملايين من البشر. لذا فإنه من الملح والضروري أن يخوض علماء الإسلام والمسيحية واليهودية وحتى البحاث غير الملتزمين بأي دين في جدل مع البابا وأن يتحدّوا رؤاه ليس فقط في الإسلام، بل أيضاً فيما يعنيه من الكائن البشري العقلاني، وما يعنيه من أن يكون المرء أوروبياً.

يتعين أن يصبح الحوار خبرة معاشة تقرّب من السلام العالمي

أما بخصوص الإسلام ونبيه ﷺ، فإن قروناً من الحملات الشريرة الموجهة ضدهما، اللفظية والعسكرية على حد سواء، لم تنجح إلا في جعلهما أصلب عوداً. وفي نهاية المطاف، سوف تشرق الشمس، مهما حاولت السحب السوداء حجبها.

فلندع الله ختامًا من أجل عالم أفضل، عالم يسوده السلام، عالم جدير بالاحترام. ودعونا نخض في حوار مؤسس على الاحترام المتبادل، ويسمو عن الخطابة. إن الله الواحد بارئنا جميعاً، وقد شاء أن نختلف، كي نتعارف، فدعونا نشيد معاً عالماً أفضل من أجله.

البابا وجحيم دانتي.. وحوار الحضارات

إبراهيم الحلبي *

حين أرادت دولة الفاتيكان التخفيف من آثار إساءة البابا للإسلام في «محاضرته الأكاديمية» قدّم رجالها صياغات تزيد (الطين بلة) فهم ذهبوا إلى توصيف ردات الفعل على موقف البابا بنديكت بأنها (إساءة فهم) وقع فيها المسلمون في تفسيرهم للنص الذي جاءت به العبارات المسيئة، والبابا لم يُضف جديداً حين أبدى أسفه، لأنه لم يتراجع عن أقواله، بل قام بتثبيت العبارة مكتفياً بأنها «نص قديم لا يُعبر عن رأيه الشخصي». أما شفاعة الإعلام الفاتيكاني لأقوال البابا بنديكت السادس عشر بالإعلان عن خلفية ما تضمنه نص محاضرته على أنها «تهدف إلى نبذ العنف، والحوار بين الأديان»، فهو الأمر الذي يحتاج إلى إثبات المصداقية ، وذلك حتى يحوز البابا على الأهلية المطلوبة لقيادة العالم المسيحي الكاثوليكي في عملية الحوار هذه.

سنفترض أن نية البابا التصدي للعنف المتفشي في عالم اليوم، ومن أجل محاصرته وتخليص كوكبنا من شروره، كان الأجدى أن يرى عنف أمريكا، ليس في سلوك المحافظين الجدد فحسب، إنما أيضاً في أطروحات المبشرين الإنجليكانيين الأوائل بعد اكتشاف أمريكا، تلك الأطروحات التي حضّت على إبادة السكان الأصليين في القارة، باعتبارها تنفيذاً لوصية الرب، وخطوة على الطريق إلى (أورشليم)، وهي أطروحات سبقت الفكر الصهيوني الذي استمد مبرراته من التوراة في تسويغ عملية الاقتلاع والإبادة الفلسطينية، ومن أجل «أورشليم» أيضاً حسب الإدعاء الصهيوني.

في الإسلام وبين صفوف المسلمين يوجد من يرفع رايات العنف والقوة طريقاً إلى «تجسيد» الإيمان و(نشر الإسلام) لكن هؤلاء ليسوا سوى قلة قليلة، لم يكن لها أن تبرز بهذا التضخيم لولا الجور والظلم والعنف الذي لحق بالشعوب المستضعفة على يد المستبدين الكبار، وهؤلاء ينالون النقد والإدانة يومياً في خطابات القوى الإسلامية الواسعة التي تتصف بالوسطية والاعتدال ونبذ العنف بين الأديان وباسمها.

وطالما أن البابا حاضر في التاريخ، وهذه ليست مهمته اليوم، إلا إذا أراد أن يحفظ دوره كأستاذ كرسي في علم اللاهوت، فهو لم يكن موفقاً في قراءة التاريخ، إذا افترضنا حُسن النوايا، ذلك أن العصر الذي استعار منه عبارة على لسان الإمبراطور البيزنطي كان أقرب إلى مرحلة «الحروب الصليبية»

* كاتب / سوريا.

وهو على مسافة قصيرة من الحروب الدينية في أوروبا المسيحية.

وإذا كان البابا في استخدامه سجالاً لإمبراطور بيزنطي في مواجهة عالم إسلامي في ذلك العصر، فما أورده من عبارة ألصقها بنبي المسلمين تضعه في قائمة الشريرين وتتهمه بنشر الدين «بحد السيف» هي من صنع الإمبراطور وليس من حقائق السيرة النبوية ولا من نصوص القرآن والحديث، لكنه بما ذهب إليه أراد حسم الموقف «بأي إله نؤمن» وهو يسعى لإظهار الفرق بين «الإسلام والمسيحية».

بهذا العقل عاد البابا بالبشرية، ليس إلى ثقافة الإمبراطور البيزنطي الذي اعتمده مرجعاً له إنما أيضا إلى (جحيم دانتي) حين قام الأخير بوضع نبي الإسلام محمدﷺ وابن عمه الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في الخندق التاسع من الحلقة الثامنة في الجحيم الدانتي الذي يضم مثيري الصراعات والانشقاقات الدينية والسياسية «الذين يزرعون الفتن فيحصدون الأوزار».

لا أحد يصدق أن ما ورد على لسان البابا في محاضرته يخدم ما يُدعى بحوار الحضارات أو الأديان، لا سيما الحوار الإسلامي المسيحي ، فطالما أن البابا قال :« إن المشيئة الإلهية في الإسلام منقطعة عن العقل» فالحوار لا يصلح طريقاً للعلاقة مع الشعوب الإسلامية إذن..!

المؤسف هو العودة إلى روح (المركزية المسيحية) بوجه الأديان الأخرى، وأن نكون بحاجة ـ من أجل حوار الحضارات ـ لإثبات مصداقية البابا أولاً بعد ما أورده في محاضرته من إساءة لرمز حضارة تلخص علاقة الشرق بالغرب، وعلاقة الحضارتين ببعضهما ، وعلى دولة الفاتيكان وعلى رأسها البابا أن يأسفوا لما قِيل ويعتذروا عنه لا أن يأسفوا لحجم ردود الفعل ، وإن كنا نشجب ونُدين كل رد فعل أهوج ومنفلت لأنه لا يخدم معالجة الإشكالية.

نظرية الدكتور روزيه

يتذكر الدكتور روزيه رئيس جامعة لوزان في سويسرا سابقاً ويقول: إنني طفت بلاد الأندلس ورأيت آثارها الباقية من عهد العرب ، فأعجبت بها كل الإعجاب ، ومما شاهدته السدود القائمة إلى اليوم في ولاية بلنسية ، فإن أهل هذه الولاية من الإسبان اليوم يعيشون بفضل هندسة مهندسي العرب لهذه السدود، ولم يتيسر لمدينة القرن العشرين أن تقيم أرقى مما أنشأه المسلمون في القرون الوسطى . ولحسن الحظ لم يقو التعصب الديني الذي دك كثيراً من المعالم في أرض أندلس على نسف هذه السدود على وادي الأحمر وغيرها ، وإلا لهلك أهل ذاك الإقليم عطشاً . ومن الأسف أن مدنية هذه بعض آثارها تذهب ولا يبكيها غير المسلمين، فقبح من قضوا عليها..

فهذا العالم السويسري رئيس جامعة لوزان يأسف على ذهاب حضارة العرب ويقول بكل صراحة: ولم يتيسر لمدنية القرن العشرين أن تقيم أرقى منها. ويقول أذناب الإلحاد والتبشير: لو وجد محمد ﷺ في هذا العصر الذي هو عصر العلم والمدنية فماذا كان يصنع ؟ فإذا كان رئيس جامعة لوزان يعجب من صنع بعض المسلمين في القرون الوسطى، فما بالك لو أن محمداًﷺ كان موجوداً في هذا العصر، إذاً لصنع بما أرشد به القرآن الذي أهمله المسلمون، ولأصبح المسلمون غرشاده سادة العالم أجمع كما كانوا في القرن الأول بعد وفاته ﷺ، ولأراح أهل الأرض من وقاحة أمثال هؤلاء الذين ملأوا الجو عواءاً دون جدوى؛ لأن جهلهم وغطرستهم قد علمها حتى بسطاء المسلمين، وأصبحوا منبوذين من الإنسانية وملعونين أينما ثقفوا.

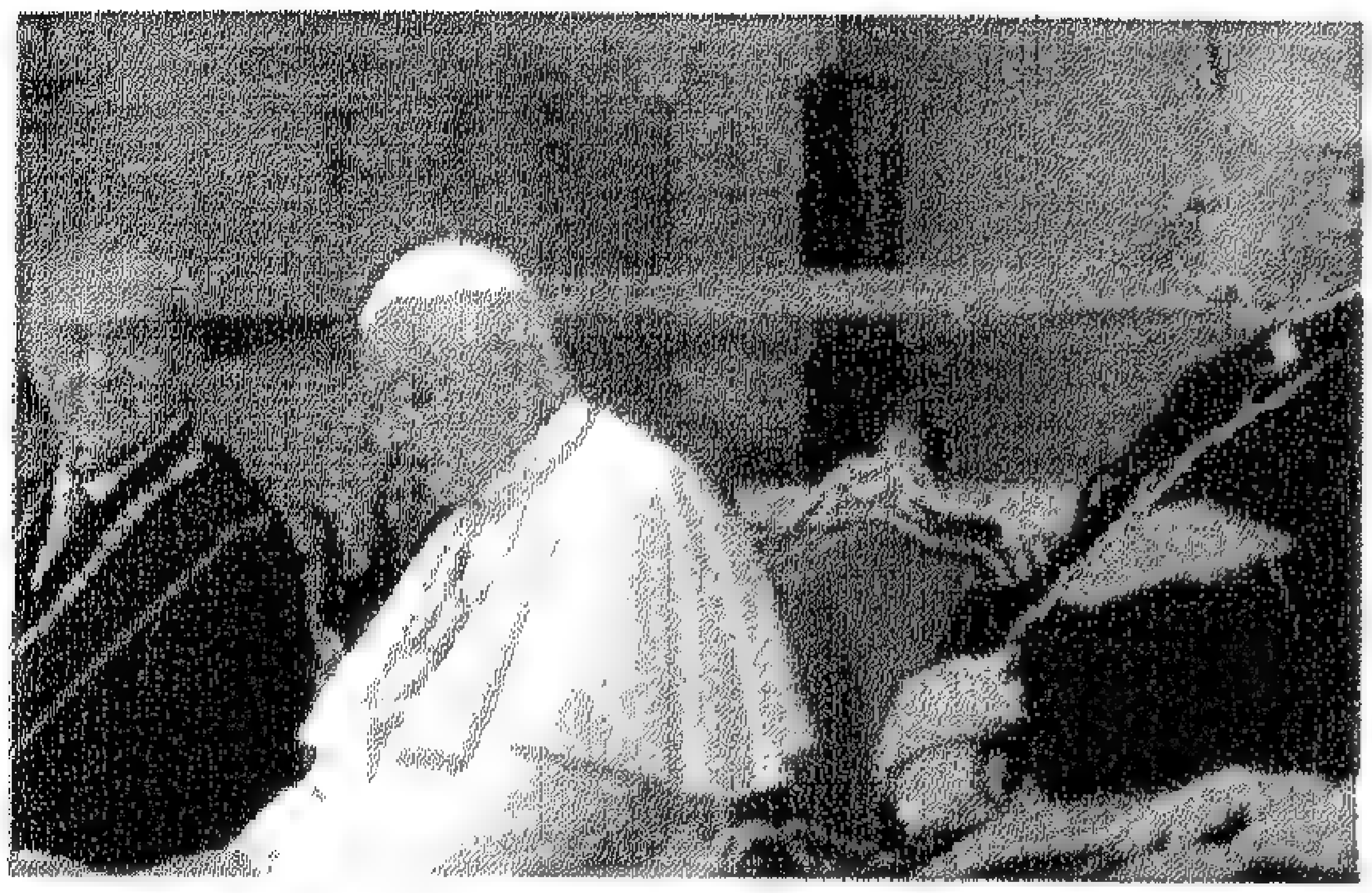
بنديكت السادس عشر وإمانويل الثاني

عبد الرحمن فروجا *
ترجمة: محمد محمد العالم **

شكلت المحاضرة التي ألقاها البابا بنديكت السادس عشر في جامعة ريجزنبورج University of Regensburg الموضوع الأكثر إثارة للجدل في مالطا مؤخراً، لقد وضع الإسلام في دائرة الضوء بسبب تلك المحاضرة حيث أتى البابا على ذكر الإسلام في محاضرته فيما فسّر الكثيرون كلماته كتأكيد على أن الإسلام قد انتشر بحد السيف.

ويثير الكثير من المالطيين المسيحيين العديد من التساؤلات مثل : لماذا بالغ المسلمون في الاحتجاج على كلمات البابا؟ وكيف يفهم المسلمون الديانة المسيحية؟ أما أهم الأسئلة فهي كيف يؤثر كل ذلك على العلاقات الإسلامية المسيحية في وقتنا الحالي؟.

وبناءً على ذلك قام صحافيون بالاتصال بنا عديد المرات يطالبون بإجراء مقابلات لصالح الصحف ومحطات «التلفزة» الذين يعملون معها، وكانوا يركزون بصورة خاصة على ردود فعلنا فيما يتعلق بمحاضرة البابا وكانوا أيضاً يثيرون الأسئلة السالفة الذكر.



بنديكت يلقي محاضرته

المحاضرة ... والاعتذار

دعنا نبدأ من النص الأصلي للمحاضرة، فقد ألقى البابا محاضرته في جامعة ريجزنبورج بالمانيا حيث كان نفسه أستاذا لعلم اللاهوت لسنوات طويلة.

كانت المحاضرة تحمل عنوان: «العقيدة والعقل والجامعة، ذكريات وتأملات» لقد كانت المحاضرة مفعمة بالفلسفة بالرغم من بدئه إياها بذكرياته عن تدريس اللاهوت والتي من المفترض أن تكون نتيجة للحنين إلى الوطن والتوق إلى الماضي، لقد حاول البابا الدفع بفكرة أن العنف لا يتطابق مع طبيعة الله، وهنا

* باحث / مالطا.

** صحفي ومترجم / ليبيا

بالضبط حدث اقتباسه الشائن والذي نسب إلى امبراطور بيزنطي عاش في القرون الوسطى وهو مانويل الثاني باليولوغوسي (Manuel Paleologos) لقد نسب إلى هذا الإمبراطور قوله في إحدى المناسبات محدثا أحد علماء فارس «أرني ماذا أتى محمد بجديد وعندها سوف تجد الشر واللاإنسانية مثل قيامه بنشر الدين الذي يدعو إليه بحد السيف»، إن البابا لم يقم باقتباس مماثل لرد العالم الفارسي والذي كان من الواضح أنه كان مسلماً لرد تلك التهمة، وفي الحقيقة فإن محاضرة البابا لم تأت على ذكر الإسلام أو الرسول ﷺ فيما عدا ذكره للآية القرآنية:

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [سورة البقرة:الآية256]

يقول البابا: «إن هذه الآية تعود للأيام الأولى عندما كان محمد ضعيفاً ويخضع للتهديد»، وفي رأيي فإن هذه تمثل إهانة أخرى للإسلام ، وارتكب البابا خطأ بسبب أن الآية المشار إليها قد نزلت في المدينة عندما كان الرسول ﷺ قد تم قبوله كزعيم وكان في وضع قوي يمكنه من فرض الإسلام على أي أحد إذا ما أراد ذلك.

إن الرسول في الواقع لم يكن ضعيفاً، إذ حدثت غزوة بدر بعيد نزول هذه الآية، والجميع يعلم من حقق النصر في تلك الغزوة.

وعلى أية حال، لم يذكر البابا الإسلام كثيراً بعد هذه النقطة وشرع في مناقشات فلسفية عميقة عن طبيعة الله، فهل قصد البابا الهجوم على المسلمين؟ أو أنه لم يدرك أن مثل الإشارات يمكن أن تفسر على أنها كذلك ؟

ينبغي على الإنسان أن يضع في اعتباره أن البابا قد اختار الاقتباس من امبراطور عاش في القرون الوسطى، وكان متبنياً لفكرة أن الإسلام قد انتشر بحد السيف، ونزع بعد ذلك إلى تجاهل حقائق وأحداث تاريخية هامة، وفشل في الإتيان باقتباسات أخرى ترد على ما ذكر.

لقد أوضح البابا لاحقاً أن هذا الاقتباس لا يعكس رأيه الشخصي، ففي كتاب ألفه قبل أن يرتقي سلم البابوية يحمل عنوان «بدون جذور «Without Roots» قال البابا في إشارة إلى أوروبا «يحدث أيضا ضعف كبير في تركيبتها الإثنية» وبفهمنا لكلمة «إثنى» على أنها تخص جماعة عرقية، فإن الكثيرين يعتبرون هذا عنصرية صرفة ويظهر الرغبة التي تعتمل في نفس هذا الرجل لتبقى أوروبا «طاهرة»، ليس فقط فيما يتعلق بالشؤون الدينية وكأن الأمر يتعلق بالشأن العرقي أيضاً، ولقد تبلورت وجهة النظر تلك أكثر عندما تحدث عن تركيا وسعيها الانضمام للاتحاد الأوروبي، قال البابا «ينبغي على تركيا أن تبحث عن مستقبلها في منظومة الدول الإسلامية، وليس في الاتحاد الأوروبي ذي الجذور المسيحية، واستطرد قائلاً: «لقد كانت تركيا دائماً في تباين مستمر مع أوروبا «وأن ارتباط تركيا بأوروبا يمكن أن يكون خطأ».

وفيما يتعلق بالاعتذار، فمن المعروف أن الرجل يجد صعوبة في تقديم اعتذار بالرغم من أن سلفه يوحنا بولس الثاني John Paul II والذي نال حب واحترام ملايين المسلمين في جميع أنحاء العالم قد فعل ذلك، فقد اعتذر البابا الراحل عن الحملات الصليبية السيئة السمعة والتي شنت من خلالها

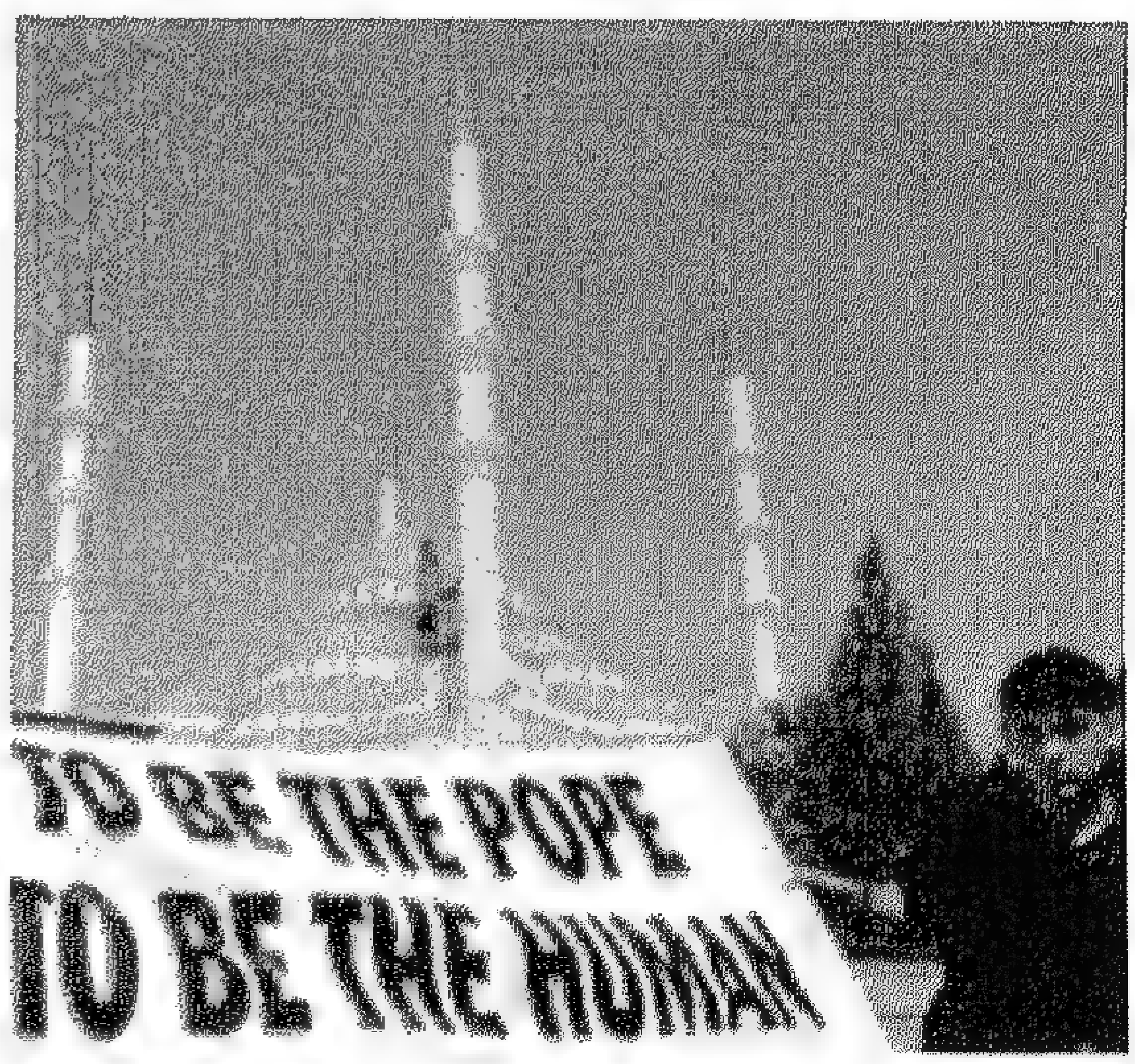
> صحيفة
> (دياريو دي نوتيسياس)
> البرتغالية:
> «إذا كان بنديكت السادس عشر يعتقد أنه من خلال اتهامه وإثارته للحساسيات الدينية يشجع على التسامح فإنه مخطئ».

الكنيسة حرباً لاسترداد الأراضي المقدسة، لقد وقف الكاردينال - راتزينغر Cardinal Ratzinger ضد ذلك الاعتذار، وفي وقت لاحق قام بزيارة لبولندا حيث تفقد أوشفتز Auchwitz وهو معسكر اعتقال إبّان الحكم النازي، ومرة اخرى لم يفعلها ويقدم اعتذاراً، واكتفى بالقول أن الشعب الألماني كان ضحية للنازية.

عندما ينظر المرء في تاريخ هذا الرجل، فإنه يكاد يصاب بالدهشة، فلقد حان الوقت أخيرا لشن هجوم على الإسلام من قبله ! إن هذا يتعارض مع ما نهج عليه سلفه يوحنا بولس الثاني، والذي قام بخلع حذائه عندما هم بدخول المسجد بل إنه صلى بالمسجد أثناء زيارته لسوريا عام 2001 مسيحي، وفي الرابع عشر من شهر مايو عام 1999 مسيحي قبّل مصحفاً كان قد أهدي إليه من قبل وفد عراقي زائر.

العالم الإسلامي .. مبالغة في ردود الفعل

يسود رأي عام هنا في أوروبا مفاده أنه لا ينبغي على البابا بنديكت السادس عشر أن يقول ما قاله ،وأن المسلمين غير ملامين لشعورهم بالأذى، ومن ناحية ثانية يرى الكثير من الأوروبيين أيضا أن المسلمين قد ذهبوا بعيداً في ردود الفعل، مستذكرين ما حدث في



أزمة الرسوم المسيئة للرسول ﷺ، وعلى سبيل المثال: لماذا تم تخريب الكنائس الأرثوذكسية في فلسطين؟ إن المسيحيين الأرثوذكس لا يقبلون سلطة البابا، ولا يشكلون جزءاً من المسيحية الكاثوليكية، لماذا تم قتل راهبة مسيحية كاثوليكية في الصومال؟ ألم تكن امرأة بريئة؟ ثم أليس من الإثم أن يتم قتل الأشخاص الأبرياء في الإسلام ؟.

وفي أزمة نشر الصور المسيئة فإن العنف قد قلب الطاولة على رؤوسنا، في الوقت الذي كان يمكن لنا أن نستغل الحدث كفرصة لتوضيح الإسلام، وإثبات أنه لم ينتشر بحد السيف، لقد أغضبنا المجموعة الدولية بالتحول إلى العنف والذي يخدم زيادة سوء الفهم في الغرب من أن الإسلام دين يدعو للعنف.

وفي الحقيقة فإن الكثيرين هنا - في مالطا - لا حظوا انه كان هناك دليل على أن ما قاله البابا عن الإسلام كان صحيحا، إننا لو جادلنا بعقلانية لتمكنا من إظهار حقيقة أن الإسلام دين ينادي بالتفكير المنطقي، وأنه لا بد من احترامه، وأن الإسلام لا يحتاج لحد السيف كي ينتشر.

وعوضاً عن ذلك لقد أخذ العنف بالإسلام أكثر، إن هذا يستلزم طرح بعض الأسئلة، لماذا لم يظهر البابا بنديكت السادس عشر عدم موافقته على الاقتباس عند إلقائه لمحاضرته؟ لماذا كان عليه أن ينتظر نقمة في العالم الإسلامي ليخبرنا أنه لا يتفق مع الإمبراطور البيزنطي؟ وهل كان سيقول أن ذلك الاقتباس لا يعكس وجهه نظره إذا ما أطبق المسلمون أفواههم ولم يحتجوا؟ هل لنا بأن نفترض بأنه يعتقد مثلما نفعل نحن أن الإسلام انتشر عن طريق الإقناع والقدوة الحسنة؟ وإذا كان لا يتفق مع الإمبراطور، لماذا اقتبس منه أصلاً؟

لا بد أن يذكر المرء أيضاً أن البابا قد تجاهل تماما في محاضرته حقيقة أنه خلال حقب التاريخ حدثت مذابح ارتكبها الكاثوليك، والذين حاولوا نشر

النصرانية في مختلف أنحاء العالم، وكانت تلك بمباركة من الكنيسة الكاثوليكية، ولعله من نافلة القول أنه ومن المعروف للجميع أن الحروب الصليبية غنية عن التعريف، ولا تحتاج منا لتفاصيل أكثر، فإذا كان يريد أن يؤكد على حقيقية أن الله لا يدعو للعنف، وأن طبيعته متعارضة مع مبدأ العنف، فلماذا إذن يذكر اقتباساً يدعى أن الإسلام انتشر بحد السيف؟ أليس من الحري أن يذكر أن الكاثوليك أنفسهم قد أخطأوا في هذا الصدد؟ ألم يكن من الأجدى له أيضاً أن يذكر أخطاء الكنيسة؟ أليس من الأجدى أيضاً أن يأتي على أحداث معينة في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية عندما كان العنف السمة السائدة؟.

وعود على بدء، لماذا وجد البابا بنديكت السادس عشر أنه من الصعوبة بمكان تقديم اعتذار؟ إن ما فعله لم يكن اعتذاراً حقيقياً حيث قال «إنه يأسف لأن اقتباسه قد فسر بهذا الشكل» ولم يقل إنه يأسف: لأنه آذى المسلمين، والأهم من ذلك هو الأسف لتأجيج سوء الفهم عن الإسلام.

إن ذلك هو الاعتذار الذي يود المسلمون سماعه لكن شيئا من ذلك لم يحدث.

وأخيراً هل هو في الحقيقة لم يدرك أن ذلك الاقتباس يمكن أن يتسبب في إهانتنا؟ للبابا الكثير من المستشارين والبعض منهم يملكون معرفة جيدة بالإسلام، وأن خطب البابا تعد سلفاً وتقرأ من قبل خبراء قبل إعلانها، فهل من الممكن أن أياً من أولئك المستشارين قد أسدى نصيحة له بشأن الاقتباس المضمن في محاضرته؟ أجد صعوبة بالغة في تصديق ذلك .

❖ من هو ذلك الرجل ؟

لقد ذاع صيت اسم البابا بينيدكت السادس عشر في أوروبا قبل أن يعتلي سدة البابوية عام 2005 مسيحي، لقد كان يعرف بالكاردينال جوزف رايتسينغر ويمثل الكرادلة أقوى رجال الكنيسة، ويطلق عليهم «أمراء الكنيسة» Princes of the Church، وعندما ينتخب كاردينال إلى منصب البابا يقوم بتغيير اسمه ويعرف باسمه الجديد بعد ذلك، يعتبر جوزف رايتسينغر من قبل المسيحيين الكاثوليك أنفسهم كأحد أكثر المتشددين بين رجال الكنيسة.

أهم الدروس هو أن أقوى سلاح هو المعرفة وليس العنف.

لقد أصيب عدد من القساوسة الكاثوليك وانتابهم قلق من انتخاب الكاردينال رايتزنغر إلى منصب البابوية، حيث ساورتهم مخاوف من الأسلوب الذي سينتهجه في تسيير شؤون الكنيسة الكاثوليكية.

وفيما يتعلق بالهجوم على الأديان والثقافات الأخرى، لم تكن محاضرة جامعة ريجزنبورج الأولى من نوعها ولم يكن الإسلام العقيدة الوحيدة التي يهاجمها البابا في مؤلفاته عندما كان في مرتبة الكرادلة، فلقد أبدى تصريحات مثيرة للجدل فيما يتعلق بالكنائس المسيحية الأخرى على أنها «ليست كنائس بالمعنى الحقيقي».

ولقد أثار ذلك التصريح انتقاداً من قبل الكنائس غير الكاثوليكية مثل جورج كيري George Carey رئيس أساقفة كانتربيري Canterbury، لقد وصف أيضاً

❖ محمد ﷺ والمعجزة :

«والحق أننا نرى من بين جميع الأنبياء الذين أسسوا ديانات ، أن محمداً هو الوحيد الذي استطاع أن يستغني عن مدد الخوارق والمعجزات المادية معتمداً فقط على بداهة رسالته ، ووضوحها ، وعلى بلاغة القرآن الإلهية ، وأن استغناء محمد عن مدد الخوارق والمعجزات لأكبر معجزة على الإطلاق».

هيدلي

الديانات غير المسيحية مثل الإسلام والهندوسية والبوذية بأنها «قاصرة» وقال عن البوذية إن هذه العقيدة هي مجرد «شبق ذاتي».

لقد كنت أتصفح بعض المواقع الإسلامية عبر شبكة الانترنت وكنت بصدد نفس الموضوع، وكان مسموحاً لكل واحد بأن يعلق ويقرأ آراء الآخرين، كانت هناك تعليقات صحيحة، ولكن وبالمقابل كانت أخرى غير ذات أهمية بالمرة، مثل ربط البابا بالصهيونية ،وبالرئيس بوش، وبالحرب على العراق وأفغانستان، اعتقد بإخلاص بأن مثل تلك الملاحظات هي نتيجة لعملية غسيل دماغ شديدة، وللجهل.

صدام الثقافات

لقد أصبح المسلمون واعين وأكثر حساسية منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر من أن الإسلام يفهم في الغرب كدين يدعو للعنف، وكنتيجة للحرب في كل من أفغانستان والعراق أصبح المسلمون شديدي التشكيك. ولحد بعيد. من أن الغرب يريد أن يخوض «حرباً صليبية» عليهم وعلى الإسلام .

ومن جانب آخر تعمل الأحداث التي تقع في العالم الإسلامي - والتي هي ضد روح الإسلام - على تقوية الفكرة الموجودة لدى الغرب من أن المسلمين يريدون خوض «جهاد» ضدهم ويحدث ذلك حتى لدى المثقفين من الغربيين، لأن القليلين منهم يعرفون المعنى الحقيقي «للجهاد ».

ولهذا فنحن خائفون من بعضنا البعض، ولهذا نقوم بردود أفعال شديدة لأحداث على هذه الشاكلة.

الحل

إذن هل يوجد حل، أم أن صدام الثقافات شيء حتمي؟

- إن الطريق الوحيد لمكافحة الجهل بيننا هو معرفتنا لبعضنا البعض.
- إن عبارة «معرفتنا لبعضنا البعض» ذكرتني بالمؤتمر الذي نظمته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية تحت شعار «لتعارفوا» والذي حظيتُ بشرف حضوره، لقد كان الحدث أسلوباً عظيماً لاجتماع المسلمين والمسيحيين بعضهم البعض في جو مفعم بروح التسامح والسلام، لقد فعل ذلك المؤتمر الكثير من الخير لصالح العلاقات الإسلامية المسيحية.

إن هذا هو ما نحتاجه لتجنب تصادم الثقافات وليس التذكير بما قاله امبراطور بيزنطي عاش في القرون الوسطى.

لماذا لم يظهر البابا بينيدكت السادس عشر عدم موافقته على الاقتباس عند إلقائه لمحاضرته؟ ولماذا كان عليه أن ينتظر لقمة في العالم الإسلامي ليخبرنا أنه لا يتفق مع الإمبراطور البيزنطي؟

- ينبغي أن نوضح للمسيحيين أننا نحترمهم ولكن ننتظر منهم أن يحترمونا كذلك، ليس هناك من مسلم يجرؤ على التهجم على عيسى عليه السلام لأن ذلك يجعله في خانة الكفار.

وأخيراً ينبغي على المسلمين أن يضعوا هذه الحادثة وراء ظهورهم وان يستشرفوا المستقبل، ولا بد للمسلمين أن يعوا الدروس المستفادة من هذه الحادثة، وأن أهم الدروس هو أن أقوى سلاح هو المعرفة وليس العنف، دعونا نعلم المسيحيين كم هو جميل ديننا، لنعلمهم الإسلام الحقيقي، وآنئذ يمكن ننال احترامهم.

لعل الأهم من ذلك كله أنه وحتى لو لم يرق لنا البابا بنديكت السادس عشر وحتى لو كان من الصعب نسيان مثل هذه الحادثة فلا ينبغي علينا أن ننسى كلمة الله، والذي يقول في القرآن الكريم:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة المائدة: الآية 82]

حقيقة الدين اللاعقلاني!

عمر لطفي العالم *

أ أحد المُهتمين - عقب التصريحات الخشنة لقداسة البابا - وجّه السؤال الآتي: بماذا ستردون على رأس الهرم المسيحي، هل ستذكرونه كمادتكم بعد كل صفعة بمحاسن الإسلام، أم ستقولون فوق ما قالوا؟ قلت: لا هذا ولا ذاك، فشخصيةٌ روحية مثله لن تنعم بالجلوس على قمة الهرم قبل أن تُلم إلمامة كافية بالديانات السماوية وغير السماوية. من هذه الناحية لك أن تطمئن، فهو ليس بالمعمي الجاهل. وأما أن تقول في المسيح عليه السلام ما ليس فيه، فكأني بك لا تعرف شيم المسلم، ولا قرأت التمجيد والتعظيم اللذين أسبغهما القرآن على المسيح وأمه؟ لا أخفي عليك يا صديقي أن الدنيا تسير نحو الهاوية. يتملكني هذا الشعور كلما عدتُ بذاكرتي القهقرى، فما أن تنطفىء ذبالة شر في شمال الكرة حتى تستعر بلهيب الكراهية ذبالة أخرى في جنوبها. ولا أزعمُ أن الفتيل سينطفئُ أو كاد أن ينطفئ، وأن الصراع الذي يزكيه حبُّ المسيح والغيرة على تعاليمه بات قاب قوسين أو أدنى من النهاية!!

إن القيصر شاهد زور، وقصة القياصرة مع التعاليم المسيحية قصة مضحكة مبكية، وكان من سوء طالع هذا الدين أن اقترن اسمه بهم واسمهم به، فعلى أيديهم شهد نهايته كدين قويم، وما هذا الذي نسمع ونرى سوى بعض دين.

لمّا وقعت الجفوة والفرقة بين أتباع عيسى - عليه السلام - واليهود، انفصل كتابهم (العهد الجديد) عن كتاب اليهود (العهد القديم) وبانفصالهما انفصلت الشريعتان كذلك. وأصبحت النصرانية بهذا الانفصال بدون شريعة تنظم الحياة وشؤونها كما في شريعة بني إسرائيل. إن الذي حدث هو أن عهداً طويلاً من الاضطهاد أظل أتباع عيسى - عليه السلام - سواء جاء ذلك من طرف اليهود المنكرين أو الرومان الوثنيين. اضطر الحواريون - تلاميذ المسيح - وأتباعهم إلى التخفي والتنقل والدعوة سراً، واضطرهم كذلك إلى تداول نصوص الإنجيل وتاريخ عيسى - عليه السلام - وأحداث الفترة تداولاً عاجلاً في ظروف لا تسمح بالدقة والتواتر. كان من نتيجة ذلك نصوص إنجيلية بروايات مختلفة فيما

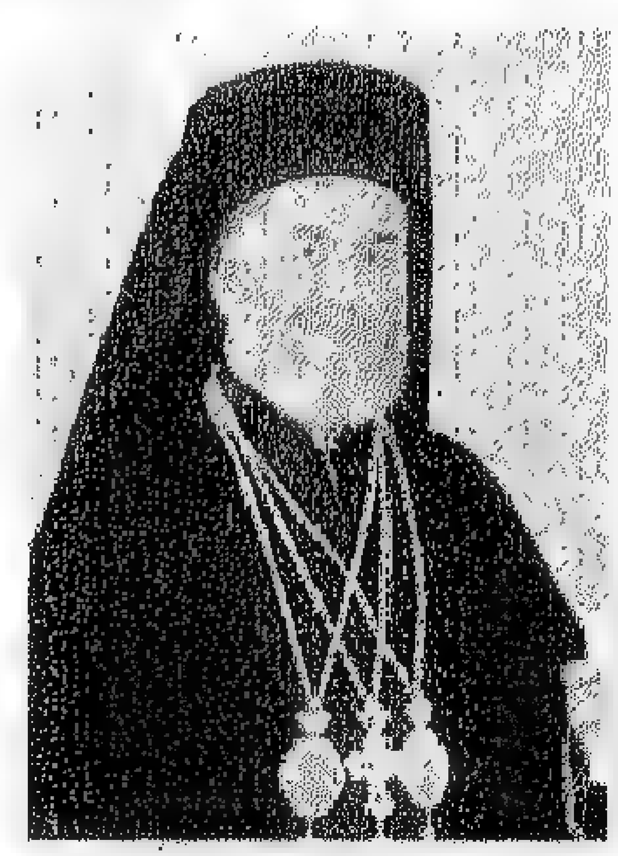
(*) كاتب وباحث/ ليبيا.

أطلق عليه إسم الأناجيل. والأناجيل كلام التلاميذ ورواياتهم، وما أُثر عن حياتهم من حكايات، وقد كتب أقدم إنجيل بعد المسيح ـ عليه السلام ـ بجيل كامل. ويختلف مؤرخو النصرانية اختلافاً شديداً في تحديد تاريخه الذي تراوح بين 40 و60 سنة، كما يختلفون في اللغة التي كتب بها، إذ لم يعثر على أصل قط، بل على ترجمة له.

يجدر أن نشير إلى أن الدين الذي قال عنه (نيافته) إنه يجافي العقل كتب قرآنه في حياة قائله ودوّن وروجع: (ضعوا الآية كذا في مكان كذا... والآية كذا في مكان كذا).

ولقد قُدر لبولس الذي لم يرَ المسيح ـ عليه السلام ـ أن يتولى نشر النصرانية في أوروبا بإضافات وزيادات وثنية رومانية وفلسفة إغريقية. كتب بولس رسائله بعد القرن الأول الميلادي، لتكون شاهداً على اختلاط الأمثلة الدينية بالفلسفة. كان يقول: إن المسيح جالس عن يمين الرب، يدعو لمن يطلب لهم الخير أن تسكن فيه كلمتهم، ويسأل لهم الغفران منه، ويبشرهم بأنهم سيبلغون المجد متى عاد إلى الأرض، ويُفهم من كلامه أنه كان ينتظر عودته في زمن قريب.

إن النبي الذي جاء بالدين المخالف للعقل ـ كما يزعم ـ نهى عن كتابة الحديث كي لا يلتبس بكلام الله، لكن الكارثة العظمى تمثلت في اعتناق الإمبراطور الروماني قسطنطين النصرانية، إذ أصبح الحزب النصراني حزباً حاكماً سنة 355م. وقد وصف الكاتب الأمريكي درابر هذه الحادثة النكرة بالقول: (دخلت الوثنية والشرك في النصرانية بتأثير المنافقين الذين تقلدوا مناصب حساسة وخطيرة في دولة الروم. وعلى هذه الشاكلة كان قسطنطين الذي قضى عمره في الظلم والجور، ولم يكترث بالكنيسة إلا في آخر أيامه سنة 337م)، ولم تتخلص الديانة الجديدة من أدناس الوثنية وأرجاسها إذ بقيت متلبسة بالأساطير والتصورات الوثنية: خرج مجمع خلقيدونية سنة 451م بإعلان يعترف للمسيح بطبيعتين لا اختلاط بينهما ولا تغيُّر،



اغناطيوس الرابع في رسالة إلى البابا :

مقاربة الدين كقضية فكرية تمس المعتقدات

وجه بطريرك إنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس اغناطيوش الرابع رسالة إلى البابا بنديكت السادس عشر، هذا نصها الكامل:

قداسة الحبر الأعظم البابا بنديكت السادس عشر الجزيل الاحترام، بعد التحية والتمنيات بصحتكم ..

تابعنا بقلق بالغ تصريحاتكم وردود الفعل الغاضبة التي رافقتها على مدى الأيام الماضية، وفي هذا الصدد نود أن نوضح لقداستكم بعض النقاط الجوهرية التي يعيشها ويؤمن بها مسيحيو الشرق، وهم الأكثر معرفة ودراية وفهما للمسيحية والإسلام معاً أكثر من أي جهة أخرى في هذا العالم، وهم في حالة تعايش وتعاون وانسجام منذ بداية الدعوة الإسلامية حتى يومنا هذا .

وقد أقمنا أفضل العلاقات القائمة على احترام الأديان، وحرية ممارسة الشعائر، كل كما يشاء، وبحسب تعاليم دينه، وقواعد شريعته، انطلاقاً من أن العلاقة الجوهرية السامية بين المسيحية والإسلام، وثقافة التعايش الفريدة انطلقت من

ولا تجزؤ، ولا انفصال، ولا يمكن أن ينتفي خلافهما بسبب اتحادهما، بل الأحرى أن تحتفظ كل طبيعة منهما بخصائصها، وتجتمع في أقنوم واحد وجسد واحد، هو ذلك الابن، والله، والكلمة. وقد رفض اليعاقبة هذا القرار، وكانوا لا يعترفون في المسيح إلا بطبيعة واحدة، وقالوا: إنه مركب الأقانيم، له كل الصفات الإلهية والبشرية. لكن المادة التي تحمل هذه الصفات لم تعُد ثنائية ،بل أصبحت وحدة مركبة الأقانيم. لقد لاحقهم الإمبراطور تيتوس وصلبهم وحرقهم بالنار. هذه الخلافات وغيرها الكثير عاجلت النصرانية منذ نشأتها، وامتزج التصوري الاعتقادي فيها بعناصر غريبة كل الغرابة على طبيعتها وطبيعة الدين الإلهي في أصوله الأولى. ولم يعُد التصور النصراني بما أدخل من تحريفات متوالية وصياغات من المجامع المقدسة العامة قادراً على تقديم التفسير الإلهي الحق للوجود، وصلة الوجود بخالقه، وحقيقة هذا الخالق وصفاته.

ما بال هذا الإسلام يخرج عن الصف فلا يريد إلا إلهاً واحداً، أولٌ بلا بداية، آخر بلا نهاية، له الأسماء الحسنى التي يشتق هذا الوجود صفاته منها؟ ولما بلغت الدولة الرومية أوجها، ووصلت الحضارة أقصى درجات سُلَّمِها، هبطت الأخلاق وانهارت القيم، وانغمس الناس حتى شحمة الأذن في الملذات، أرادت الكنيسة تدارك الأمر، والوقوف في وجه الشعار الجامح والتردي المكامح، فكانت ردَّة الفعل نحو اليسار.. أقصى اليسار، شمخت الرهبنة، وأصبح الزهد والتقشف والحرمان عنوان الرجوع إلى الفضيلة. لم يكن ذلك في الواقع علاجاً بقدر ما كان خروجاً عن جادة الفطرة وطبائع الأشياء. لقد

❖ لقد نشر العرب معلومات عن مناطق من العالم، كان الأوروبيون يشكون أصلاً في وجودها فضلاً عن عدم وصولهم إليها، مما ترتب عليه تقدم مهم لعلم الجغرافيا بعد أن فاق العرب أساتذتهم اليونان.

لوبون

هذا الشرق ومن هذه الأرض التي هي أرض الديانات المقدسة، وقد أشاد قداسة البابا يوحنا بولس الثاني ـ كما تعلمون ـ بهذا التعايش وهذه العلاقة التي عرفها، وقرأ عنها، واطلع عليها خلال زيارته التاريخية لسوريا، ووقائع الزيارة وما كتب عنها وما قيل فيها صار جزءا من تاريخ الفاتيكان، ومرحلة من مراحل التطور الذي أراده قداسة البابا الراحل .

ولا نريد الخوض في تفصيلات تتناول علاقة المسيحية بالإسلام، والإسلام بالمسيحية، تلك العلاقة الزاخرة بالمواقف التي تكرس التعايش والاحترام المتبادل، فنحن في غنى عنها في هذه الظروف، كما لا نريد التذكير بأن أطول السور الواردة في القرآن الكريم هي التي تتحدث باحترام وتقدير شديدين عن المسيحية، ولكننا نريد الإشارة إلى أن الحديث عن الدين كموضوع وبحث أكاديمي لا يستقيم مع حقيقة أن الدين عقيدة وإيمان يمارسه المؤمنون، فلكل الحق حق في ممارسة شعائره الدينية كما يشاء، ولا مجال هنا للاجتهاد واعتبار الدين قضية فكرية بمقدار ما هي قضية عقائدية، وأن تناولها بهذا الشكل يمس المفاهيم والمعتقدات .

آملين أن تساهموا في رفع جوهر الأديان من على مائدة الحوارات والاجتهادات والاستشهادات التي عفاها الزمن، وإن تقارب هذه الثوابت العقائدية للأديان من منظور معاصر لا من منظور العصور الوسطى، مؤكدين أن الدين ليس لممارسة الترف الفكري والفلسفي بمقدار ما هو للعيش والتعايش بالمحبة بما ينسجم مع المعتقدات والشرائع والشعائر أيضا، وهذا ما يتسم به الشرق الذي فيه نعيش منذ بداية الرسالات السماوية. نطلب أدعيتكم، وندعو لقداستكم بكل خير.

عجز نظام الرهبنة عن أن يشكل أساساً لنظام أخلاقي بديل. صدّ الناس عن الدين، مهّد لحوافز الانقضاض عليه، وكان سبباً مباشراً في خلق الفصام بين الدين والدنيا.. فصاماً أبدياً غير قابل للتقارب وإصلاح البين.

ثم كانت الطامة الكبرى يوم اكتشف الناس الذين أخذتهم الكنيسة بهذا الحرمان القاسي الذي كان شرطاً لا بد منه لدخول الجنة؛ أن الكنيسة صديق حميم للإقطاع، وأن الحياة الشخصية لرجال الكنيسة تعج بالفواحش والمنكرات وما يحرم على المؤمنين حلالٌ مباحٌ لهم.

يقول الراهب جيروم: (انحطت أخلاق البابوات، واستحوذ عليهم الجشع وحب المال. كانوا يبيعون المناصب والوظائف بَيْع السلع، ويؤجرون أرض الجنة بالوثائق والصكوك وتذاكر الغفران. ينقضون القانون ويمنحون شهادات الخلاص كأوراق النقد وطوابع البريد). وقد أورد (درابر) في كتابه «الصراع بين الدين والعلم» النص الكامل لصيغة الصك الذي جاء في بعضه: «ربنا يسوع يرحمك يا فلان، ويملّك باستحقاقات آلامه الكلية القداسة. وأنا بالسلطان الرسولي المعطى لي أحُلُّك من جميع القصاصات، والأحكام والطائلات الكنسية التي استوجبتها، وأيضاً من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها ـ مهما تكن عظيمة وفظيعة ـ ومن كل علة ـ وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس الباب والكرسي الرسولي ـ وأمحو جميع أقذار الذنب وكل علامات الملامة.. أردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كانا لك عند معموديتك، حتى إنه في ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذي يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب، ويفتح الباب الذي يؤدي إلى فردوس الفرح...».

لكنَّ الأدهى والأنكى أن الكنيسة احتفظت لنفسها بحق فهم الكتاب المقدس وتفسيره، وحظرت على أي عقل من خارج الكهنوت أن يحاول فهمه وتفسيره، وأدخلت معميات في العقيدة لا سبيل لإدراكها أو تصورها أو تصديقها لحين أصبحت جزءاً من الشعائر التعبدية.

> ❖ الدين الذي قال عنه نيافته إنه يجافي العقل كتب قرآنه في حياة قائله ودوّن وروجع.
> ❖ النبي الذي جاء بالدين المخالف للعقل ـ كما يزعم ـ نهى عن كتابة الحديث كي لا يلتبس بكلام الله.

يأتي (العشاء الرباني) في مقدمة الأمثلة، وهو الذي ثار عليه مارتن لوثر وكالفن وزنجاتي، العشاء الرباني من المستحدثات التي لم يجيء بها الكتاب المقدس ولا عرف به النصارى الأولون ولا المجامع وخلاصته: «إن النصارى يأكلون في الفصح خبزاً، ويشربون خمراً، ويسمون ذلك «العشاء الرباني»». وقد زعمت الكنيسة أن ذلك الخبز يستحيل إلى جسد المسيح، والخمر يستحيل إلى دم المسيح المسفوك، فمن أكلهما وقد استحال هذه الاستحالة فقد أدخل المسيح في جسده بلحمه ودمه.

ختاماً إن معلوماتنا هذه ليست مقتبسة ولا منقولة على لسان إمبراطور كان يتلذذ بمشهد الأسود التي تفتك بأجساد المصارعين الأسرى. إنها مأخوذة من كتب وشهادات من القرن العشرين والحادي والعشرين.

وبين القرن السادس عشر والقرن الحادي والعشرين خمسة قرون، مسافة زمنية قصيرة، أليس كذلك؟

خيال أم حقيقة ؟!

إعداد: التحرير

الآراء التي اقتبسها رئيس الكنيسة الكاثوليكية في محاضرته الثلاثاء 12ـ9ـ2006 مسيحي، جاءت في إطار جدل بيزنطي أرثوذوكسي معادٍ للإسلام، كما أنها هي ذات الآراء التي رسمت صورة الإسلام السلبية والمجافية للحقيقة في مخيلة مارتن لوثر مؤسس البروتستانتية.

وكان بابا الفاتيكان أشار إلى أن الحرب المقدسة أو الجهاد الإسلامي «مفهوم غير مقبول ويخالف الطبيعة الإلهية»، وفي محاضرة ألقاها بجامعة ريجينسبورغ التي كان يدرس فيها علم اللاهوت بين عامي (1969 و1977 مسيحي)، قال بنديكت السادس عشر: «إن المسيحية ترتبط بصورة وثيقة بالعقل، وهو الرأي الذي يتباين مع أولئك الذين يعتقدون في نشر دينهم عن طريق السيف، في إشارة غير صريحة إلى الإسلام والمسلمين».

> صحيفة [تاجيسزيتونغ] الألمانية:
> «بعض الاستشهادات التي أسيء فهمها حول الإسلام استخدمت من قبل متطرفين إسلاميين لصب الزيت على النار».

ثم عرج البابا في سياق شرح وجهة نظره في الفقرة الثانية مباشرة في حديثه واقتبس كلاماً مدوناً عن الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني باليولوجوس (1391 ـ 1425 مسيحي)، جاء فيه أن «محمداً جلب أشياء شريرة لا إنسانية، مثل أمره بنشر الدين الذي يدعو إليه بالسيف». واقتبس البابا عدة مرات من مدونات الإمبراطور باليولوجوس التي قال إنه كتبها إثر حوارات جرت بينه وبين مثقف فارسي مسلم.

وبحسب مراجع غربية وتاريخية، فإن ما أسس بابا الفاتيكان حديثه عليه اقتباساً من مدونات الإمبراطور باليولوجوس مبنية على كثير من التناقضات ومشكوك في حقيقة نسخها من الأصل، وإن كانت تعكس في نهاية الأمر رؤية لاهوتية معادية للإسلام.

ووفق الحقائق التاريخية، فإن تلك الحوارات جرت بين الإمبراطور باليولوجوس في الفترة بين شهري أكتوبر وديسمبر عام 1391 وبين قاض مسلم مثقف ومطلع، وبلغت نحو 26 حواراً، أول اثنين منها حول الإسلام، وأهدى الإمبراطور هذه الحوارات التي دوّنها لأخيه ثيودور الأول عام 1399 فقام بكتابتها.

وتقول موسوعة أباطرة الرومان على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) في محاولة لتفسير الفارق الزمني الكبير بين الحوارات وزمن انتهاء الكتابة: «ربما كان الإمبراطور يقوم بكتابة تدوين فقط في أثناء إجراء الحوار مع القاضي المسلم». لكن الموسوعة التاريخية ترجح على الأقل أن بعض هذه الحوارات لم يتم أصلاً، وأنها نتاج خلط الحقيقة بالخيال.

ويعزز الشكوك المثارة حول هذه الحوارات التي قيل إنها مع «فارسي» مسلم أن الموسوعة ذكرت هذا المسلم باعتباره فارسياً، بينما المعروف تاريخياً أنه كانت بين الدولة الصفوية (في فارس) والدولة العثمانية سجال سياسي وعسكري؛ وهو ما يضعف تلك الرواية؛ حيث يفترض منطقياً أن يكون الحوار مع شخصية عثمانية وليست فارسية.

وتشير موسوعة أباطرة الرومان إلى أن الإمبراطور اعتمد ضمن هذه الحوارات في سياق دفاعه عن المسيحية ضد الإسلام على آراء جده لأمه جون السادس، والتي تتبني أصلا على نقد القرآن (Confutatio Alchoraniz) لراهب الدومنيكان (Ricoldo of Montecroce) وريكولدو أوف مونتيكروسي المتوفى عام 1320 مسيحي.

وخلصت الموسوعة إلى أن رؤية الجد (جون السادس) والحفيد (مانويل الثاني) ورأيهما التقليديين يظلان كلية في الإطار العام للجدل البيزنطي المعادي للإسلام.

وساهمت هذه الرؤية في تشكيل صورة ذهنية سلبية عن الإسلام وعن نبيه ﷺ في الثقافة السائدة في التراث الغربي، مفادها أن المسلمين نشروا دينهم «بالسيف والدم».. وأن تعاليم الإسلام الآن تغذي «الإرهاب» الذي يشيعه في العالم أتباعه من «الإرهابيين»!.

لكن الموسوعة لم تغفل في الوقت نفسه كون تلك الرؤية غذاها واقع سياسي كان يعد واقعاً أسود للدولة البيزنطية في ذلك الحين؛ ما يمكن أن يفقدها الكثير من الموضوعية، وربما كان انعكاساً لمأساة عاشها الإمبراطور؛ حيث فرض السلطان العثماني بايزيد الأول - وهو رابع قادة العثمانيين والمعروف بالصاعقة لشدة بأسه وسرعة بطشه بأعدائه - على الأباطرة البيزنطيين السابقين زيادة الجزية المفروضة عليهم، وإنشاء محكمة إسلامية وتعيين قضاة مسلمين بها للفصل في شئون الرعية المسلمة.

❖ نظرية هنري دي شامبون

وجاء في (الحديقة) في الجزء السابع صحيفة (246) تحت عنوان (**الانتصار الهمجي على العرب**) قول هنري دي شامبون مدير (ريفو بارلمنتير) الفرنسية : لولا انتصار جيش «شارل مارتل» الهمجي على تقدم العرب في فرنسا لما وقعت فرنسا في ظلمات القرون الوسطى، ولما أصيبت بفظائعها ولا كابدت المذابح الأهلية الناشئة عن التعصب الديني والمذهبي ، ولولا ذلك الانتصار البربري على العرب لنجت أسبانيا من وصمة محاكم التفتيش ، ولولا ذلك لما تأخرنا في المدنية ثمانية قرون ، ونحن مدينون للشعوب العربية بكل محامد حضارتنا في العلم والفن والصناعة ، مع أنا نزعم اليوم أن لنا حق السيطرة على تلك الشعوب العريقة في الفضائل ، وحسبها أنها كانت مثال الكمال البشري مدة ثمانية قرون ، بينما كنا يومئذ مثال الهمجية . وإنه لكذب وافتراء ما ندعيه من أن الزمان قد اختلف ، وأنهم صاروا يمثلون اليوم ما كنا نمثله نحن فيما مضى.

❖ نظرية مستر كنورثي

وجاء في كتاب (الحديقة) جزء (11) صحيفة (67) عن مستر «كنورثي» الكاتب البريطاني الشهير أنه قال في مقالة نشرها في جريدة «هرالد تريبون» التي تطبع في نيويورك بأمريكا تحت عنوان (**ضغط العالم المسيحي ستة قرون على روح الحرية الإسلامية**): عندما حكم الخلفاء بغداد أداروا أمورهم بروح الحرية فارتفعت العلوم في أيامهم ، وازدهرت الحكمة ، حتى أخذ الغرب علومهم عنهم ودرسها في جامعاته ، وقد بقيت هذه الروح بعد سقوط بغداد ستة عصور كاملة تئن من ضغط العالم المسيحي المستمر عليها .

رجال دين مسيحيون..

ماذا قالوا عن إساءة بنديكت للإسلام؟!!

المسيحية لا تسيء أبداً للديانات السماوية


البابا شنودة الثالث

أكد البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية إثر تصريحات البابا بنديكت المقتبسة من القرن الرابع عشر، والتي كانت عبارة عن حوار مقتبس دار بين الإمبراطور البيزنطي ومثقف مسلم فارسي، حيث أوضح البابا شنودة أنه كان يتعين على بابا الفاتيكان أن يضع نصب عينه ردود فعل الشعوب الإسلامية، وما تثيره تلك الكلمات التي جاءت في تصريحاته، وأن يتجنب ما يثير غضب المسلمين من شيوخ وأطفال ونساء ورجال دين وعلماء مسلمين، مؤكداً أن هذا النص لا يصلح أن يقال في هذا العصر الذي نعيش، وأن المسيحية تؤمن بالأديان السماوية، معرباً عن أمله في عدم تفاقم ردود الفعل وضرورة ضبط النفس، حيث إننا نعيش في مصر في مودة وإخاء.

الدين يجمع ولا يفرق

قال الأنبا أنطونيوس نجيب بابا الكاثوليك في مصر: إنني قرأت ورأيت كثيراً من الكلمات والأعمدة التي ذكرت أن بابا الفاتيكان أساء للإسلام، وأنا لا أخاف من مواجهة الواقع بل أواجه الواقع، وإن كان لنا أسف عميق، ولكنني أعلم أن الدين يجمع ولا يفرق، الدين يرفع ولا يغرق، وأنا واثق أن البابا لم يكن يقصد أبداً الإساءة، وأريد أن أكرر أن البابا بنديكت بنية صادقة لم يكن يقصد أن يتسبب في إساءة الأقلية المسلمة ومعاملتهم على أحسن ما يكون، فلا أستطيع أن أتصور أن البابا يريد أن يسيء إلى الشرق ولا حتى أن يسيء إلى دين له الاحترام العظيم في قلب الكنيسة الكاثوليكية، فلقد وضعت دستوراً كاملاً من أجل الحوار مع الأديان غير المسيحية في فتره طويلة مع الدين الإسلامي والثوابت المشتركة بيننا وبين الإسلام. وأضاف الأنبا أنطونيوس أن بابا الفاتيكان أعلن احترامه وتكريمه ومودته للدين الإسلامي، ودعا إلى حوار الحضارات والى العمل البناء للمستقبل. وقال إنه يجب أن نعمل معاً بالعقول المستنيرة، ولا نجعل أحدا يفرق بيننا.


الأنبا أنطونيوس نجيب

نتعلم من المسيح مدح الإنسان وليس ذمه


الأنبا مرقس

قال الأنبا مرقس المتحدث باسم الكنيسة الشرقية إنه عندما ظهر ماكس ميشيل على الساحة وحدث الجدل حوله فإن المسلمين هم الذين تصدوا له، وعندما صدرت تصريحات البابا ظن الناس

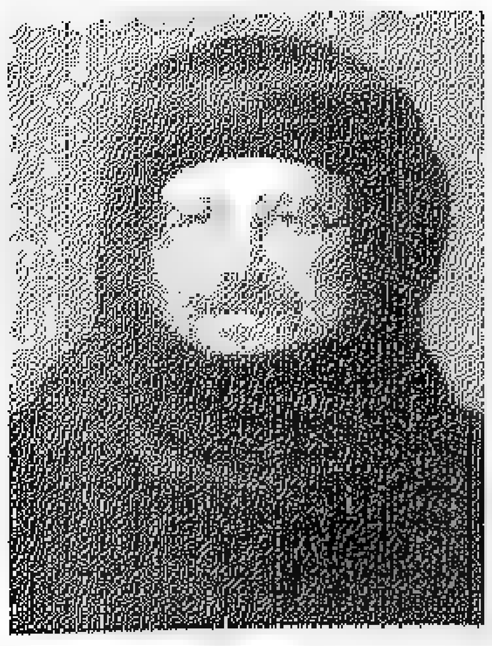
خارج مصر أن المسيحيين هم المسلمون، وأن معدن الشعب المصري الأصيل يظهر دائماً في الشدائد، ويظهر الجميع كشعب واحد في الضيقات، ولا يمكن أن يستغل مهما حدث وهو ما انطبق عليه قول الكتاب المقدس (كل الأشياء تعمل معاً للخير).

وعن تصريحات بابا الفاتيكان أشار الأنبا مرقس إلى أنها فرصة طيبة للعالم كله أن يعلم مدى الصلة بين المسلمين والمسيحيين، وكذلك أن يعرف العالم أخطاء اللسان، وهذه النقطة خاصة بالصوم، فالمسلمون يصومون، وهكذا المسيحيون، وهم بذلك يتعلمون فضائل كثيرة، فالصوم هو تعبير عن حب الإنسان لله، إذ يقدم الإنسان جسده ذبيحة حب لله، وفي الصوم حفظ اللسان، فيأخذ الإنسان في اعتباره رد فعل هذه الكلمات هل هو صحيح أم خطأ ؟ تسيء أم تضر؟ مدروسة أم مقتبسة بطريقة صحيحة أم خاطئة؟.

وأكد الأنبا مرقس أنه عند الاستشهاد بكلمات من الإسلام فلا بد من أخذ رأى الأصدقاء المسلمين وهم يحضرون المراجع ويقولون ما يتحدث وما لا يتحدث فيه، والعتاب هنا هو أن البابا بنديكت عندما استشهد بهذه الأجزاء لم يعرف رأى المسلمين : هل سيضايقهم؟ وهل هذا الكتاب المقتبس منه النص مصرح به وتمت الموافقة عليه ؟ فالإنسان يصون اللسان، ونتعلم من المسيح مدح الإنسان وليس ذمه. إنه يجب أن يكون هناك تواصل وفتح حوار ولقاءات كثيرة بين المسلمين والمسيحيين، وليس في الأوقات الطارئة فقط.

التعاطف مع اليهود على حساب العقيدة الإسلامية

أبرز أسقف دمياط وكفر الشيخ وسكرتير المجمع المقدس الأنبا بيشوي أن البابا بنديكت السادس عشر رئيس الكنيسة الكاثوليكية كان يحاول عند إلقائه المحاضرة الأخيرة بالجامعة الألمانية في ظل المناخ السائد بألمانيا والذي يهدف إلى التعاطف مع اليهود على حساب العقيدة الإسلامية، بعد الحرب على لبنان وقيام حزب الله بإطلاق صواريخ على المدن الإسرائيلية التي قتل فيها نساء وأطفال، متسائلاً : لماذا يكيل بابا روما بمكيالين ؟ ولماذا لم يشر إلى العنف اليهودي ضد الفلسطينيين والعرب في حرب 1956، 1967.



الأنبا بيشوي

وأضاف أنه كان يسعى للدخول في تحليل خاص بأسباب الإرهاب، ولكن من الواضح أنه دخل في متاهة (هو في غنى عنها) لأنه أخطأ بالإساءة للإسلام، وكان عليه أن يتذكر أن هناك آراء متنوعة بخصوص هذه الظاهرة. كما كان عليه التذكر أنه رئيس أكبر كنيسة قديمة في العالم، وأن يضع ذلك في الاعتبار حتى لا يضع الكنيسة في هذا الموقف المحرج.

وينتقل الأنبا بيشوي إلى نقطة دعم الغرب لإسرائيل من خلال الضغوط التي وجهت أصابع الاتهام لألمانيا أو ما يعرف بـ (عقدة الذنب) والتي كلفت الألمان أموالاً طائلة لدفع تعويضات لليهود بعد الحرب العالمية الثانية، وترويج مصطلح (محرقة الهولوكست) وبما أن بابا روما ينتمي للجنسية الألمانية فهو يسعى لدعم الكيان اليهودي.

وأشار الأنبا بيشوى إلى أن القضية أكبر بكثير من محاضرة ألقاها بابا روما، وربما تكون هذه المحاضرة مفتاحاً لدخولنا في حوار حقيقي حول كل هذه القضايا المختلفة، ومنها ضرورة إقناع الغرب بأن دعم الفكر اليهودي شيء غير مقبول، كما أنه لا يجب الكيل بمكيالين، في وصف عنف الأشخاص أو إرهاب الدولة.

ويضيف أنه قام بتوضيح تلك الأمور لمجلس الكنائس العالمي، وتم طرح عدة حلول منها أن يتم إقناع اليهود بأن بناء الهيكل ليس من مقاصد الله، وأن تسليم المسجد الأقصى بكامل السلطة للمسلمين سيكون حلاً لإنهاء الخلافات الطويلة وتحقيق السلام للطرفين.

وطالب الأنبا بيشوي بأن لا يندفع الشارع الإسلامي في الغضب، وأن يسعى لضبط النفس ويعطي وقتاً للتفكير، بعيدا عن أشكال العنف المختلفة، و لاسيما بعد اعتذار بابا روما. مؤكداً أن الأزمة لن تستمر طويلا، وستعود الأوضاع للاستقرار. وتمنى الأنبا بيشوي العودة للحوار بين الأديان لخلق تقارب يساعد على قبول الآخر وتحقيق التعايش في سلام بين الشعوب.

تأمل النصوص القرآنية والأحاديث النبوية



عاطف فهيم

ذكر عاطف فهيم (صحفي قبطي من مؤسسة جود نيوز) أن البابا بنديكت السادس عشر المفترض فيه أن يجسد ويترجم على أرض الواقع كل تعاليم المسيح الداعية للمحبة والإخاء؛ ينتقد علناً - وإن كان بلغة غير صريحة أو مباشرة - الإسلام والمسلمين، معتبراً أن كل عمليات العنف والإرهاب في العالم تعتمد في انطلاقها على ركائز دينية يدعو لها الإسلام ويحض عليها. وإنني أتعجب حقاً كيف لبابا الفاتيكان المفترض فيه وفي دولته الصغيرة أن يكون راعياً للحوار والسلام؛ يحض بتصريحاته الغريبة هذه على الكراهية والعنف، وكأن العالم الذي يموج بالحروب والمجاعات والأوبئة في حاجة لمزيد من الحرائق تشتعل بسبب الدين.وأدعو البابا بندكت لأن يتأمل النصوص القرآنية والأحاديث النبوية؛ لكي يتأكد له - بما لا يدع للشك - أن الإسلام مع المسيحية واليهودية عقائد سماوية سامية تدعو للسلم والسلام والتنمية والحوار والتعايش المشترك. يقول الإسلام بوضوح وشفافية وبما لا يدعو للشك أو المواربة:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾

[سورة النّحل:الآية125]

﴿...وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [سورة المائدة:الآية2]

و ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح.

هكذا الإسلام، يؤمن بالتنوع في الجنس والدين واللغة والعرق، ويؤمن بالتعايش المشترك والتعاون من أجل مستقبل أفضل للبشرية. ولو أن الإسلام جاء بغير ذلك ما كان نصراني واحد يعيش حتى اليوم في بلاد العرب والمسلمين.

عصر التجريح للديانات انتهى



يوحنا قلتة

اعتبر الدكتور يوحنا قلتة نائب البطريرك الكاثوليك في مصر، أن تصريحات بابا الفاتيكان فاجأت المسيحيين الكاثوليك في المشرق العربي قبل أن تفاجئ المسلمين في شتى أنحاء العالم، منوها في الوقت نفسه بأن البابا لم يتعمق بما فيه الكفاية في دراسة وفهم الإسلام.

وأضاف قائلاً: «لا أخفي القول إن تصريحات بابا الفاتيكان فاجأت المسيحيين الكاثوليك في مصر، والمشرق العربي قبل أن تفاجئ المسلمين في العالم»، معرباً عن استغرابه لهذه التصريحات من البابا؛ موضحاً: إننا لم نتعود - كمسيحيين كاثوليك - على هذا الأسلوب منذ زمن طويل، وحيرتي منشؤها أيضاً أن الفاتيكان والكنيسة الكاثوليكية لها علاقات طيبة، وعقدت معاهدات مع المسلمين منذ وقت طويل». ودلل على ذلك بالقول: «لقد سلّم القائد صلاح الدين الأيوبي - وكان بوسعه، وهو المنتصر، أن يفعل أشياء كثيرة - مفتاح القدس إلى ريتشارد قلب الأسد الكاثوليكي، ومنذ ذلك الحين وللكنيسة الكاثوليكية في القدس أكبر مساحة من الأديرة والكنائس».

واستطرد قائلاً: «في العصر الحديث، وتحديداً عام 1964م أطلق الفاتيكان وثيقته حول الإسلام أشاد

فيها بروح الإيمان والتقوى عند المسلمين، حتى إنه مع البابا الحالي ثبتت لجان للحوار مع العالم الإسلامي.
وحول دوافع وخلفيات تصريحات البابا، قال قلتة: «علينا أن نعي أولاً أن البابا (بنديكت السادس عشر) لم يتعامل مع المسلمين في مشوار حياته، ولم يقترب من المسلمين والإسلام بما فيه الكفاية». وأشار قلتة في هذا الصدد إلى أنه « ينبغي أن نعترف في المقابل بأن هناك غيابا للفكر الإسلامي المعتدل عن العالم، بل الأكثر أننا أصبحنا ـ سواء المسيحيين أو المسلمين في المشرق العربي ـ متهمين بالتطرف والإرهاب». وأردف قائلاً: «إنني كقس حين أذهب للغرب ينظرون إليّ بريبة وشك باعتباري عربياً». وشدد على أن «عصر التجريح للديانات انتهى، فكما أن المسيحية ديانة عالمية تبشيرية فإن الإسلام أيضا ديانة عالمية ولكل منهما خصوصيته التي تحترم».
من جهة أخرى قال قلتة: «أعتب على الإخوة المسلمين وأعتبرهم مقصرين في التواصل مع الغرب والفاتيكان في التعريف بتعاليم الإسلام السمحة». ودعا «العلماء المسلمين في العالم إلى مقابلة البابا وطلب تفسير منه؛ لكي يصلح ما جرح المسلمين، ويمكن اقتناص هذه الفرصة في توضيح موقف البابا».

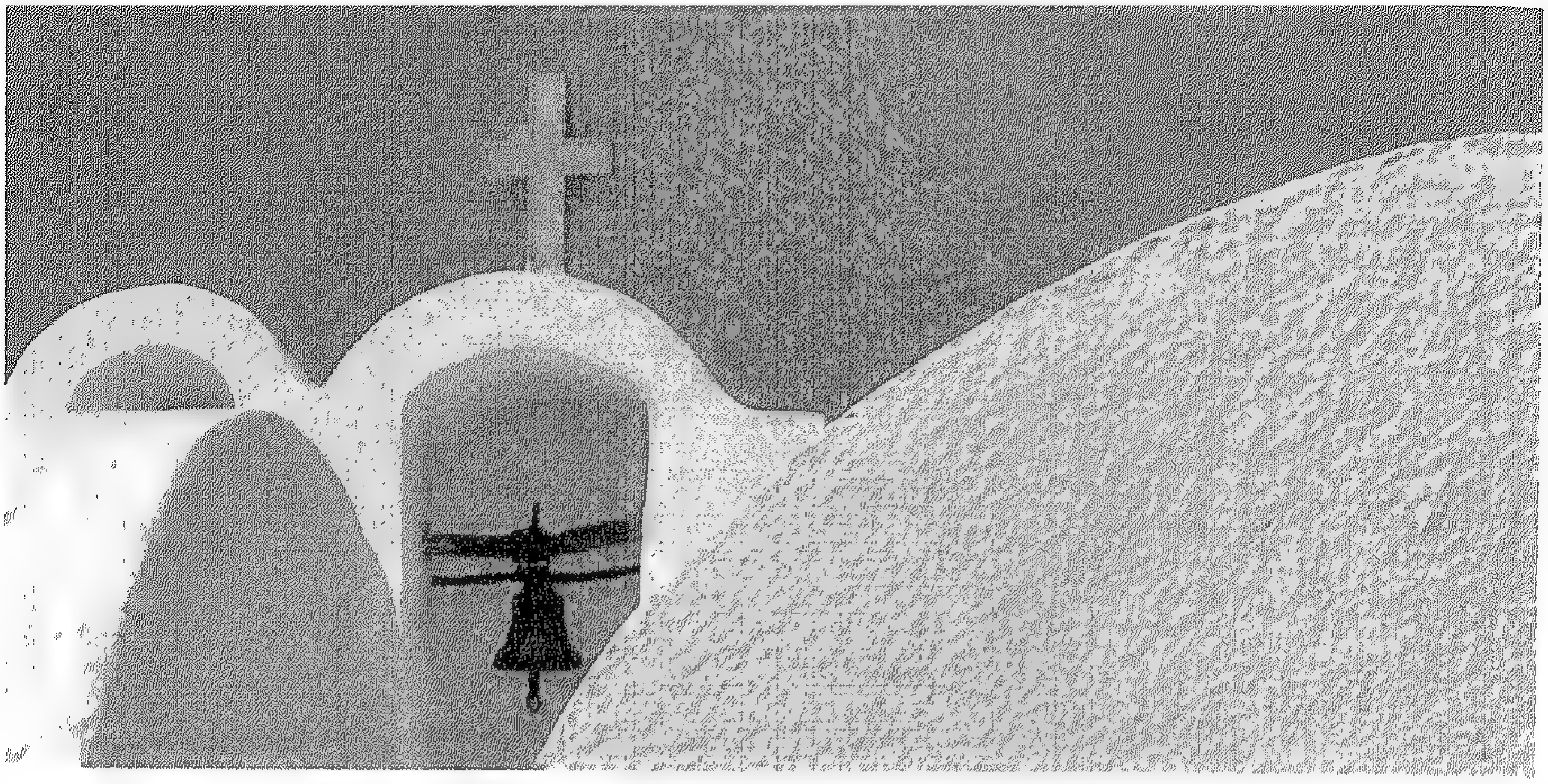
اعتماد الحوار والبحث عن نقاط لقاء تجمع ولا تفرق

قال الأب يوسف شحادة راعي كنيسة مارجرجس «توقفت عند محاضرة قداسة البابا وما ورد فيها من عبارات على لسان الإمبراطور وصفها البابا نفسه بالفظة، وتابعت ردود الفعل العربية والإسلامية والدولية، ويمكنني الجزم بأن البابا ـ كما قال ـ لم يكن يمس مشاعر المسلمين، وقد أعلن أسفه واحترامه لكل من يؤمن بالعقيدة الإسلامية». وشدد الأب شحادة على إدانته « لأي هجوم على المعتقد الديني لأي كان»، وطالب بـ «اعتماد الحوار والبحث عن نقاط لقاء تجمع ولا تفرق في هذا العالم المليء بالشرور، والذي يحتاج إلى المحبة التي دعا إليها الإنجيل المقدس»، مشيراً إلى أن البابا وقف مع المسلمين والإسلام عندما رفض الرسومات التي أساءت لرسول المسلمين. إلا أنه توقف ـ كمسيحي عربي ـ عند (هذا الغرب) الذي «هدم المقدسات وأزال صفة التقديس عن كثير من مقدساتنا المسيحية قبل أن يتطرق إلى الإسلام والمسلمين».
وأوضح الأب شحادة «في الغرب أفلام وكتابات ورسومات كثيرة تسيء للمسيح وللعذراء وللإله، ولكل معتقد ديني يخص المسيحيين، إلا أن أحداً لا يجرؤ على المساس باليهودية، لأن جهات نسجت شباكها حول الإعلام والكتابة وباقي الفنون».
وأضاف «إنهم يستغلون مفهوم الحرية المقدس للإساءة للحرية فأي حرية هذه؟ أليست فتنة ومدعاة للفتنة؟».

المسيحية ليست في خصومة وصراع مع الإسلام

أكّد البطريرك زكا الأول عيواص بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس أن المسيحية «ليست في خصومة وصراع مع الإسلام»، مؤكداً أن الدين المسيحي «يكرم» الإسلام. وقال في بيان أصدره حول تصريحات البابا التي أثارت الشارع الإسلامي والعربي «إن الصراعات الدائرة حالياً ليست بين الإسلام والمسيحية بل بين أعداء الشعوب ومثيري الحروب وبين الشعوب التي تريد حريتها واستقلالها وكرامتها»، معبراً عن أمله أن «يوضح بابا الفاتيكان مواقفه من الأديان الأخرى»، وأن « يبرئ المسيحية من أعمال مثيري الحروب في فلسطين والعراق ولبنان وأفغانستان»، معبراً من منظور معاصر لا من منظور العصور الوسطى.

الطوائف الأرثوذكسية ترفض خطاب البابا وتدعو إلى توضيحات



ندد رؤساء الطوائف المسيحية الشرقية الأرثوذكسية في العراق بخطاب بابا الفاتيكان المتضمن انتقادات وجهها إلى الفكر الإسلامي. ورفض رؤساء الطوائف المسيحية في بيانهم ما ورد على لسان البابا بنديكت السادس عشر، وأعربوا عن مشاعرهم قائلين «أحزننا وآلمنا ما ورد على لسان بابا الفاتيكان الرئيس الأعلى للكنيسة الكاثوليكية من أمثلة حول الإسلام، فإننا لا نرضى بما تضمنه كلامه من تجاوز على الشعور الديني لإخوتنا المسلمين»، مؤكدين في بيانهم على أنهم يقفون « في الوقت ذاته، متضامنين مع أخوتنا المسلمين أينما وُجدوا، معلنين محبتنا لبعضنا البعض وتعايشنا السلمي والأخوي، ورأينا الود المتبادل في الدين وعبادة الخالق الواحد، لا يفرق بيننا أيا كان مهما كان انتماؤه أو موقعه».

ودعا رئيس أساقفة كنيسة المشرق في العراق المطران كيوركيس صليوا ومطران بغداد والبصرة لطائفة السريان الأرثوذكس المطران سيوريوس حاوا، ورئيس الكنيسة الشرقية القديمة في العراق والعالم البطريرك أدى الثاني، ورئيس طائفة الأرمن الأرثوذكس في العراق المطران آفاك أسادوريان، والقس يونان ألفريد عن غبطة المطران قسطنطين بابا ستيفانو رئيس طائفة الروم الأرثوذكس في العراق في بيانهم؛ دعوا «جميع العقلاء والحكماء والمؤمنين إلى ضبط النفس والتعاون معاً لمعالجة الأزمة». كما طالب رؤساء الطوائف المسيحية «الفاتيكان بتفسير وإيضاح للأمثلة الصادرة عن البابا وبالسرعة الممكنة»، على حد وصف البيان.

مفكر قبطي:
البابا مرجعية فكرية لتقسيم المنطقة

أكد المفكر القبطي الدكتور سمير مرقص، أن تصريحات بنديكت السادس عشر، بابا الفاتيكان، التي عبَّر فيها عن موقف مسيء للإسلام وللرسولﷺ تخدم المخططات الغربية الرامية لتقسيم المنطقة عبر تأليب المسلمين على المسيحيين، وزرع بذور الكراهية بينهما؛ باعتبار الإساءة صادرة عن أحد رموز المسيحيين المهمة في العالم؛ وهو ما يجعلها تشكل

«مرجعية فكرية» لأصحاب هذه المخططات. وشدد مرقص على أن تصريحات البابا لم تكن موفقة من حيث مضمونها وتوقيتها وتداعياتها المستقبلية على العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في العالم.



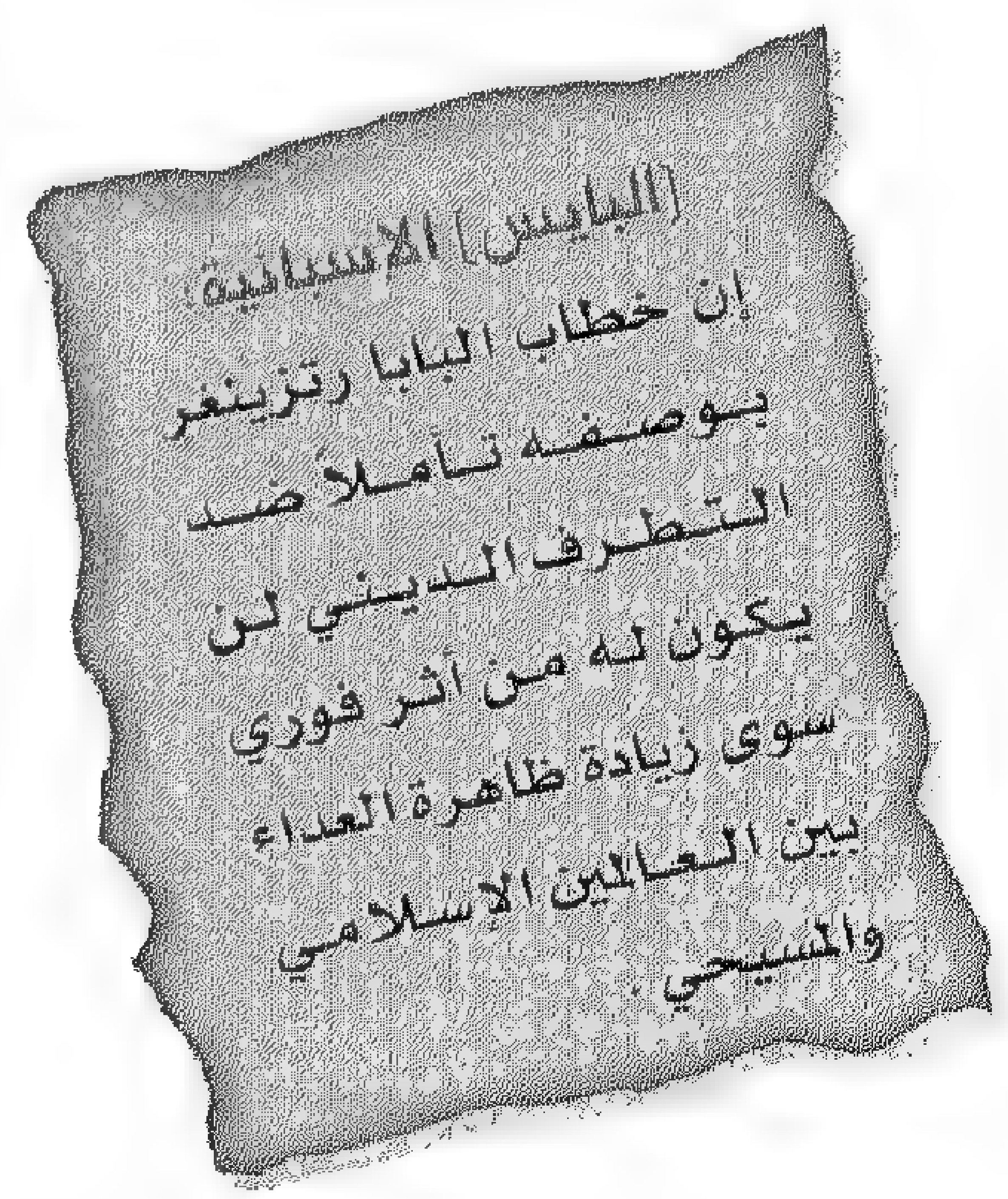
سمير مرقص

ورأى المفكر القبطي أن تصريحات البابا جاءت على «خلفية محافظة ومتشددة للعقيدة الكاثوليكية».

وقال مرقص: إن «تصريحات البابا جانبها التوفيق من حيث المضمون والتداعيات السلبية حيث ستسهم لا شك في نجاح مخططات خارجية ترمي لتقسيم المنطقة وتفكيكها إلى دويلات صغيرة على خلفيات طائفية أو عرقية بهدف إحكام السيطرة عليها».

وبيّن أن السيطرة تتم من خلال «إنتاج آليات للتفكيك الداخلي عبر إثارة النعرات الدينية والمذهبية والقومية من وقت لآخر»، كما أشارت مراكز بحثية أمريكية في الآونة الأخيرة.

وأشار مرقص إلى أن تصريحات البابا «تهيئ لعمل مرجعية فكرية تعمل على التفكيك». وأوضح قائلاً: «إن التصريحات المسيئة للإسلام خرجت من أحد رموز المسيحيين المهمة؛ وهو ما سيؤدي إلى استنفار مسلمي المنطقة في مواجهة المسيحية في العالم».



وأوضح قائلا: «ربما تحدث بعض المشاحنات في الداخل بنظرة البعض لمسيحيي الداخل باعتبار أنهم امتداد للخارج، وهذا غير صحيح؛ لأن التهديدات الخارجية لا تفرق بين مسلم ومسيحي».

واعتبر مرقص أن تصريحات البابا لا تعبر إلا عن توجه خاص وفردي يمثله البابا ولا يعبّر عن مجموع التوجهات التعددية بالفاتيكان. وقال: «الفاتيكان مؤسسة لها آلياتها الحوارية ولديها توجهات متنوعة من عقول ومراكز بحثية هيكلية قادرة على تدارك الأمر، واستيعاب التصريحات».

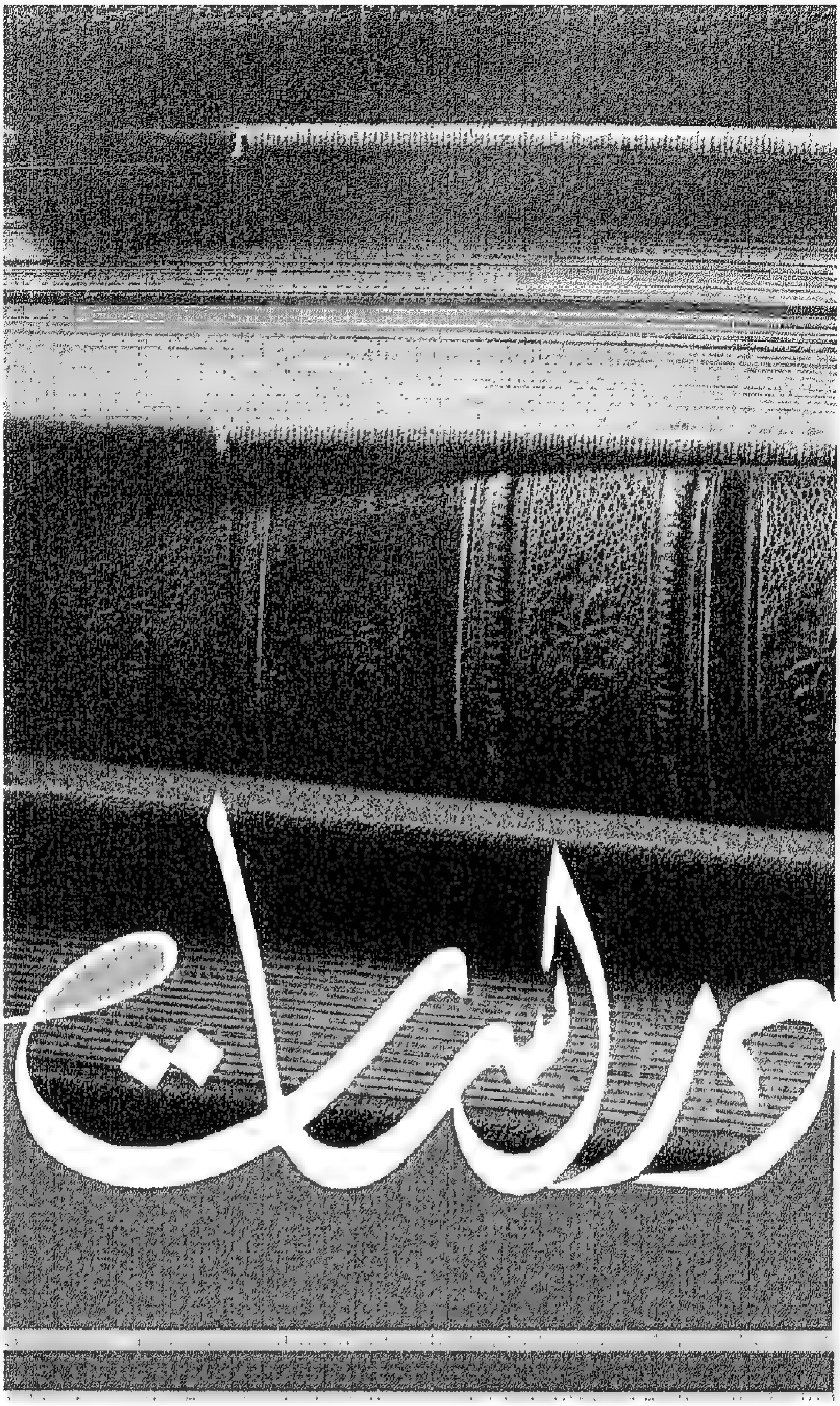
وحول خلفية تصريحات البابا قال مرقص: «إن تصريحات البابا المسيئة للإسلام ربما جاءت وفقا لمسيرته الفكرية، حيث كان يشغل موقع المسئول عن الإيمان والعقيدة بالفاتيكان» وأضاف: «ربما بحكم الموقع يميل البابا إلى المحافظة والتشدد للعقيدة الكاثوليكية».

ودلل مرقص بموقفه من حركة لاهوت التحرير في أمريكا اللاتينية، وكيف واجهها بشكل حاد وعنيف في داخل الإطار الكاثوليكي في منتصف الثمانينيات.

يشار إلى أن (لاهوت التحرير) هو القراءة الثورية للمسيحية التي من خلالها أعاد بعض آباء الكنيسة الكاثوليكية في أمريكا اللاتينية قراءة المسيحية لمصلحة الفقراء والمعدمين والمظلومين والمهمشين، في ضوء اتجاه الكنيسة لإعادة تكييف علاقتها مع المجتمع.

وكانت تصريحات البابا المثيرة للجدل في محاضرة بألمانيا عن الإسلام ونبيه الكريم قد استندت إلى رؤية لاهوتية قديمة عمدت إلى تشويه الإسلام، غذاها صراع سياسي بين الدولتين العثمانية والبيزنطية، كما تشير المراجع الغربية التاريخية.

ولم يفت مرقص التأكيد على أن المسيحيين الشرقيين بالمنطقة لهم موقف مغاير من تصريحات البابا، حيث إن «لهم جذوراً متأصلة في المنطقة وأي تهديد للمنطقة هو تهديد غير مباشر للمسيحيين».



* أثر الحضارة العربية ـ الإسلامية على الحضارة الأوروبية في مجال الفنون

أثر الحضارة العربية الإسلامية على الحضارة الأوروبية في مجال الفنون

د. إيهاب أحمد إبراهيم *



يجدر بنا قبل أن نناقش أثر الحضارة الإسلامية على الحضارة الأوروبية، أن نتحدث عن المعابر والجسور، التي انتقلت من خلالها هذه التأثيرات إلى أوروبا، والتي بدونها ما كان من الممكن أن تنتقل هذه التأثيرات الحضارية، ولكن قبل أن نتناول مناقشة هذا الموضوع، أحب أن ألفت الانتباه في أول الأمر، إلى مسألة غاية في الأهمية، بدونها لم يكن من السهل انتقال التأثير الحضاري الإسلامي إلى أوروبا، وهذه المسألة تتعلق بشكل مباشر، بطبيعة الحضارة العربية الإسلامية، والدرجة التي بلغتها من النضج والازدهار، والتطور والتقدم، الأمر الذي فرض واقعًا، يستوجب نوعًا من الهيمنة والسيطرة التي أدت في النهاية، إلى انتشار نظم هذه الحضارة في بقية أنحاء العالم، ثم يأتي بعد ذلك دور هذه المعابر والجسور، الذي يقتصر على تحديد مسارات هذا الانتشار، بشكل خاص إلى أوروبا، وهو ما أملته أوضاع سياسية واقتصادية وجغرافية،

* باحث وأستاذ جامعي/ مصر.



قصر الحمراء في غرناطة

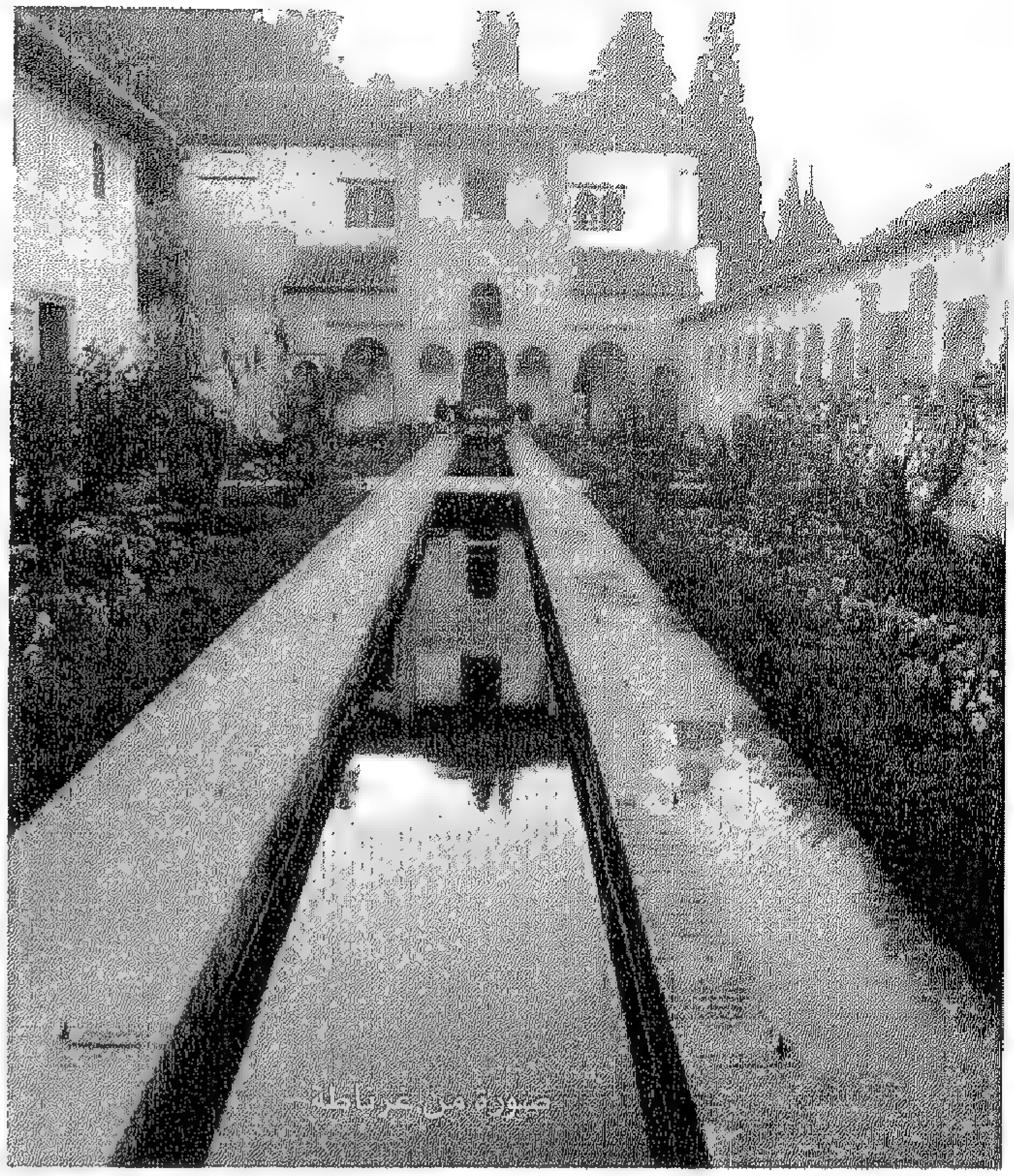
وغيرها الكثير، ومن ثم فقد كان للحضارة الإسلامية، قوة دفع ذاتية، هي التي فرضت انتقال تأثيرها، إلى غيرها من حضارات العالم.

هذا بالإضافة، إلى أنه توافرت للحضارة العربية الإسلامية، أمور أفضت إلى حتمية انتقال تأثيرها، إلى غيرها من حضارات العالم، وأقصد بها الموقع الجغرافي، الذي نمت عليه هذه الحضارة، وهو موقع تشغل معظمه منطقة قلب العالم، أو وسط العالم ومركزه، وهذا وفر له مزية، أن يقع في منطقة تلاقي طرق التجارة العالمية، ولعب دور الوسيط التجاري، الذي تجتمع لديه روافد حضارات العالم لتصب فيه، وبشكل معاكس تنهل منه، لترفد مرة ثانية تلك الحضارات، حيث كانت طرق التجارة العالمية، من أهم المعابر التي انتقلت عليها، التأثيرات الحضارية بشكل عام، مما يعمل على إحياء الثقافات وازدهار العلوم، والآداب والفنون.

الأندلس:

كان لفتح العرب للأندلس في سنة 711 مسيحي، دور مهم في انتقال الثقافة العربية الإسلامية إلى أوروبا، وذلك باعتباره كان بمثابة اقتطاع العرب لجزء من أوروبا المسيحية، وظل العرب يحكمون تلك المنطقة إلى سنة 1492 مسيحي، حيث اختلط العرب بأبناء شبه الجزيرة الأيبيرية، وتعايشوا معًا سلميًا، وخلقوا من هذا التعايش حضارة عربية إسلامية، على الحدود الجغرافية لأوروبا، وأصبحت الأندلس بذلك مركزًا حضاريًا يشع على أوروبا من علوم وآداب وفلسفات وفنون العرب[1].

1ـ كريست ـ أرنولد ـ بريجل، تراث الإسلام، ترجمة: زكي محمد حسن، ج1، لجنة الجامعيين لنشر العلم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1936 مسيحي، ص ج-د؛ ج.ب. ترند.
أسبانيا والبرتغال، ترجمة وتعليق: حسين مؤنس، ضمن كتاب: تراث الإسلام، ج2، ص 1 ـ 78.



صقلية وجنوب إيطاليا:

لقد حكم المسلمون صقلية مدة، قاربت على خمسة قرون من الزمان (212 ـ 699هـ/827 ـ 1300 مسيحي)، حيث حظيت تلك المنطقة بحكم مزدهر، في عصري الأغالبة والفاطميين، انتشرت خلاله الحضارة الإسلامية في بقاعها المختلفة، حيث المساجد والقصور، والحمامات، والمستشفيات، والأسواق، والقلاع، وكانت صقلية معبرًا مهمًا، انتقلت عليه الثقافة والحضارة العربية الإسلامية، إلى أوروبا[2].

بلاد الشام والحروب الصليبية:

لقد استمرت الحروب الصليبية من عام 1097، إلى عام 1291 مسيحي، وبغض النظر عن نتائجها الحربية والسياسية، وما ألحقته من خسائر على الجانبين، فقد نشأت صلات تجارية وحضارية، بين الشرق الإسلامي والغرب الأوروبي، حيث مثلت تلك الحروب في النهاية، جسرًا انتقلت عليه المدنية العربية الإسلامية، إلى أوروبا[3].

حتى الأسرى المسلمون في الحروب، كانوا عاملاً لنقل الحضارة العربية الإسلامية، وكذلك الأسرى الأوروبيون قاموا بنفس الدور أيضًا[4].

حركة الترجمة:

لعبت حركة الترجمة دورًا مهمًا في تعرف أوروبا، على الحضارة العربية الإسلامية، فما أن أفاقت أوروبا من عصور ظلامها، وفطنت إلى ما حققه المسلمون، في مجال المعارف والعلوم المختلفة، حتى أخذت بأسباب التعرف على تلك الإنجازات العلمية، ومن ثم صارت هناك، حركة محمومة من الترجمة، في مجالات الكيمياء، والطب، والرياضيات، والفلك، والجغرافيا، والفلسفة، والأدب، والموسيقا، وغيرها من العلوم، وكانت هذه الترجمات هي الأساس الحقيقي، للنهضة الكبيرة التي شهدتها أوروبا[5]، وكانت كل من: جامعة قرطبة، ومدرسة طليطلة، ومدرسة

---

2 ـ كريست، تراث الإسلام، ج1، ص د ـ هـ.
ايرنست باركر، الحروب الصليبية، ترجمة: علي أحمد عيسى، ضمن كتاب: تراث الإسلام، ج2، ص 79 ـ 147؛ علي حسني الخربوطلي، العرب والحضارة، ص 274 ـ 282.

3 ـ مصدر سابق، تراث الإسلام، ج1، ص هـ ـ و.

4 ـ أحمد الشامي، الحضارة الإسلامية، ص 202.

5 ـ مونتجومري وات، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ص 83 ـ 87.
عبدالمنعم الجميعي، دور الحضارة العربية الإسلامية، ص 34 ـ 36.
توماس جولد شتاين، المقدسات التاريخية للعلم الحديث، ص 120 ـ 126.
عبدالرحمن بدوي، دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ص 6 ـ 9.
إيناس حسيني، أثر الفن الإسلامي على التصوير في عصر النهضة، ص 118 ـ 119.

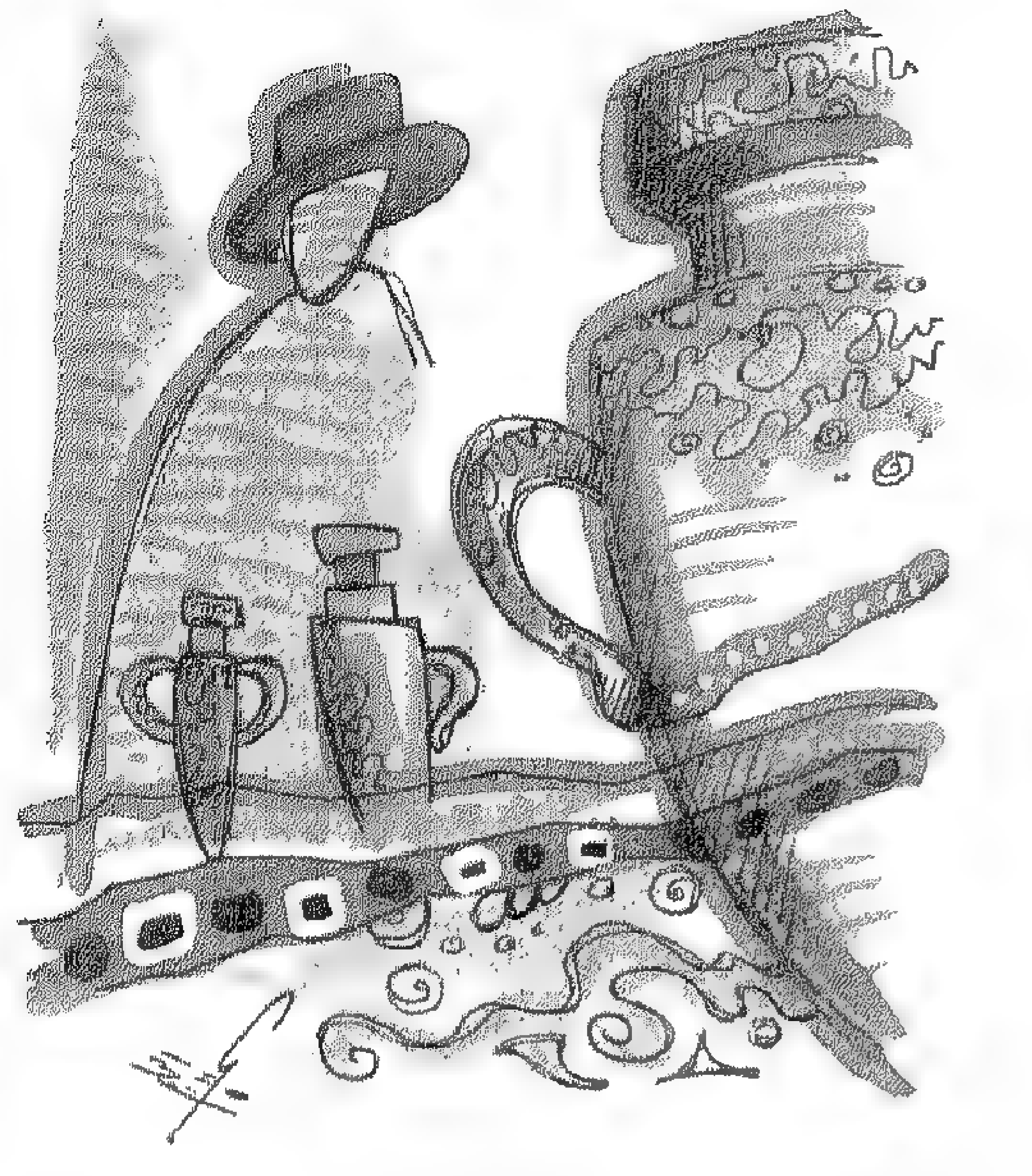
سالرنو، في صقلية من أبرز مراكز الترجمة الأوروبية(6).

السفارات والجاليات العربية في أوروبا :

كان للسفارات والجاليات العربية في أوروبا، أثر هام في تكشف أوروبا لمدنية وثقافة وحضارة الإسلام، حيث لم تقتصر العلاقات والصلات بين العرب وأوروبا، على الفتوحات أو الغزو الحربي، بل كانت هناك علاقات أكثر عمقًا، وشهدت القارة الأوروبية قدوم سفارات عربية، تحمل نفائس عربية أطلع الأوروبيون من خلالها على نتائج الحضارات العربية الزاهرة، وأقامت جاليات عربية في مدن أوروبا، وأصبحت منارًا للمدينة العربية، ومثال ذلك: السفارات التي كانت بين الدولة العباسية، ودولة الفرنجة، وبين الأندلس والدولة البيزنطية، وبين الفاطميين ومدن إيطاليا، وبين النورمانديين بصقلية، والدولة الأيوبية، وبين دولة المماليك ودول أوروبا(7).

العلاقات التجارية بين العرب وشمال أوروبا :

لعبت العلاقات التجارية بين الغرب وشمال أوروبا دورًا مهمًا في توثيق العلاقات الحضارية بين الطرفين، وكانت هذه الصلات، تتم عبر ثلاثة طرق، هي: طريق جبال البرانس، وطريق البحر المتوسط، وطريق (الفلجا) المؤدية إلى شمال أوروبا باجتياز بلاد روسيا، أما الطريقان الأولان، فكان يسلكهما عرب الأندلس، والطريق الثالث كان يسلكها عرب المشرق(8).



البعثات العلمية :

هذا، ولا يمكن إغفال الدور الذي لعبته البعثات العلمية، في نقل المعارف الإسلامية إلى أوروبا، حيث اهتمت الدول الأوروبية، بإرسال بعثات علمية، إلى بلاد الأندلس العربية الإسلامية، لدراسة العلوم والفنون والصناعات، في معاهدها الكبرى، ومن أشهر هذه البعثات، تلك التي أرسلتها فرنسا وإنجلترا وأسبانيا وإيطاليا والأراضي الواطئة(9).

الفتوحات العربية في أوروبا :

لقد نجح المسلمون في إقامة كيانات عربية إسلامية، على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا في القرن الثالث الهجري/ التاسع المسيحي، وما كان هذا النجاح إلا حلقة من الحلقات، التي انتقلت عبرها التأثيرات الإسلامية إلى أوروبا، حيث استولى

6- محمد غريب جودة، عباقرة علماء الحضارة العربية والإسلامية، ص 20 ـ 24.

7- علي حسني الخربوطلي، العرب والحضارة، ص 282 ـ 294.

حياة ناصر الحجي، أضواء على العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين دولة سلاطين المماليك وأوروبا أواخر العصور الوسطى، ضمن حصاد 7 (العرب وأوروبا عبر عصور التاريخ)، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة 1420هـ/ 1999 مسيحي، ص 133 ـ 143.

8- مصدر سابق، علي حسني الخربوطلي، العرب والحضارة، ص 295 ـ 296.

9- علي حسني الخربوطلي، العرب والحضارة، ص 310 ـ 314.

المسلمون على جزيرتي صقلية وكريت، والأرخبيل المالطي وجزر البليار(10).

وكذلك كان استيلاء الأتراك العثمانيين على القسطنطينية وامتداد سلطانهم على أمم البلقان، وسكان جزائر بحر الأرخبيل، واتصال ملوك أوروبا ببلاط الخلافة، كان لذلك كله أكبر الأثر، على طبع فنون تلك الأقاليم، بطابع شرقي لا يزال ظاهراً حتى اليوم، كما كان مصدر كثير من الأساليب الفنية الإسلامية، التي انتشرت من العالم التركي، إلى سائر أنحاء القارة الأوروبية(11)، كما نفذ العثمانيون إلى أجزاء أخرى من أوروبا، مثل بلجراد، ورودس والمجر ووصلوا إلى النمسا وحاصروها(12).

وكان للتأثير الكبير، الذي أحدثته الفتوحات الإسلامية، في نهضة البلاد المفتوحة، سبباً في جعل المنصفين من أبناء الغرب، يعدّون إخفاق الفتوح الإسلامية لبعض البلاد، بمثابة كوارث حلت بها(13).



الرحالة والرحلات :

لقد كان للرحالة الأوروبيين، الذين زاروا المناطق العربية الإسلامية، فضل كبير في الإسهام، بنقل التأثيرات العربية الإسلامية، إلى أوروبا، وذلك من خلال ما دونوه في رحلاتهم، عن المناطق التي زاروها(14)، وقد قام بنفس الدور، الرحالة العرب والمسلمون الذين قاموا برحلات إلى الغرب وأوروبا(15).

10- أحمد محمد الدسوقي المنوفي، الكيانات العربية الإسلامية على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا، ضمن حصاد 7 (العرب وأوروبا عبر عصور التاريخ)، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة 1420هـ/ 1999 مسيحي، ص 241 ـ 266.

11- كريست، تراث الإسلام، ج1، ص و. (مصدر سابق)، كمال سوكيتش، فن العمارة الإسلامية في منطقة البلقان والبوسنة والهرسك، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ ايسيسكو، سلا/ المغرب 1424هـ/ 2003 مسيحي، ص 19 ـ 38.

12- محمد حمزة إسماعيل الحداد، العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، المجلد الأول، لجنة التأليف والتعريب والنشر، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الكويت 1423هـ/ 2002 مسيحي، ص 55 ـ 86.

13- محمد غريب جودة، عباقرة علماء الحضارة العربية والإسلامية في العلوم الطبيعية والطب، سلسلة الأعمال الفكرية، مكتبة الأسرة، مهرجان القراءة للجميع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2004 مسيحي، ص18.

14- إبراهيم حركات، مصر في كتب الرحلات والجغرافيا الغربية الوسيطة، ضمن أبحاث ندوة: العلاقات المصرية المغربية الثانية، القاهرة 25 ـ27 يناير 1990 مسيحي، إصدارات بريزم، القاهرة 1992 مسيحي، ص 130 ـ 147.

أحمد محمد محمود الطوخي، غرناطة الإسلامية في نظر الرحالة الأجانب، مجلة أوراق، المعهد الأسباني العربي للثقافة، ع4، 1981 مسيحي.

15- أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد حماد، رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة 309هـ/ 921 مسيحي، تحقيق: سامي الدهان، ط2، مكتبة الثقافة العالمية، بيروت/ لبنان 1987 مسيحي.

وهناك الكثير من الشواهد، التي تؤكد تأثر الفكر الأوروبي، بتراث العرب في مجالات: الأدب(16)، والفلسفة(17)، والجغرافيا(18)، والتاريخ(19)، والموسيقا(20)، والتصوف(21)، هذا فضلاً عن تراث العرب العلمي، وأثره في الفكر الأوروبي في مجالات: الرياضيات(22)، والفلك(23)، والتنجيم(24)، والكيمياء(25)، والفيزياء(26)، والطب(27)، والصيدلة(28)، و(التكنولوجيا) الهندسية(29)، والمصطلحات العربية(30)، والصناعة(31)، والزراعة(32).

وإذا كان المقصد الأساسي من وراء هذه الدراسة، هو تبيان أثر الفن الإسلامي، على فنون أوروبا، فإنه يلزم التنويه، إلى أنه بجانب ما ذكرناه آنفًا، عن المعابر التي انتقلت عن طريقها التأثيرات الإسلامية إلى أوروبا، توجد معابر أخرى انتقلت من خلالها التأثيرات الفنية على وجه خاص، منها:



الفنانون المستشرقون :

منذ عام 1480 مسيحي، وفد إلى عاصمة الدولة العثمانية الفنان الإيطالي الشهير (جنتيلي بلليني)، قادمًا من البندقية، بناء على طلب السلطان محمد الثاني، وأقام عامين في القسطنطينية، حيث اكتشف فنون حضارات شرقية غريبة عليه، أصبحت مصدر إلهام له، ولكثير من الفنانين الذين جاءوا من بعده، أمثال (كارباشيو) و(فيرونيز) و(جيروده) و(جرو)(33).

---

16 - هـ. آر. جب، الأدب، ترجمة وتعليق: عبداللطيف محمود حمزة، ضمن كتاب: تراث الإسلام، ج2، ص 148 ـ 221.

17 - ألفرد جيوزم، الفلسفة والإلهيات، ترجمة وتعليق: توفيق الطويل، ضمن كتاب: تراث الإسلام، ج2، ص 222 ـ 323.

18 - عبدالمنعم الجميعي، دور الحضارة العربية الإسلامية، ص 50 ـ 54.

19 - المرجع نفسه، ص 54 ـ 57.

20 - أحمد الشامي، الحضارة الإسلامية، ص 211 ـ 212.

21 - عبدالرحمن بدوي، دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، ص 23 ـ 29.

22 ـ مونتجومري وات، مرجع سابق، ص 49 ـ 51، 87 ـ 89.
عبدالمنعم الجميعي، دور الحضارة العربية الإسلامية، ص 69 ـ 75.
توماس جولد شتاين، المقدمات التاريخية للعلم الحديث، ص 135 ـ 142.
عبدالرحمن بدوي، مرجع سابق، ص 17 ـ 18.

23 ـ مونتجومري وات، مرجع سابق، ص 51 ـ 53، 89 ـ 90.
عبدالمنعم الجميعي، مرجع سابق، ص 75 ـ 78.
توماس جولد شتاين، مرجع سابق، 130 ـ 131.
عبدالرحمن بدوي، مرجع سابق، ص 18 ـ 20.

24 ـ تشارلز بورنيت، طريقة إسلامية في التنجيم بأسبانيا العصور الوسطى، ضمن كتاب: ديونيسيوس آجيوس ـ ريتشارد هيتشكوك، التأثير العربي في أوروبا العصور الوسطى، ص 135 ـ 146.

25 ـ مونتجومري وات، مرجع سابق، ص 57 ـ 58.
عفيف البهنسي، أثر الجمالية الإسلامية، ص 63.
عبدالمنعم الجميعي، مرجع سابق، ص 79 ـ 83.
عبدالرحمن بدوي، مرجع سابق، ص 20 ـ 21.

26 ـ عبدالمنعم الجميعي، مرجع سابق، ص 83 ـ 86.
توماس جولد شتاين، مرجع سابق، ص 131.

27 ـ مونتجومري وات، مرجع سابق، ص 53 ـ 57؛ 90 ـ 94.
عفيف البهنسي، مرجع سابق، ص 63.
أحمد الشامي، مرجع سابق، ص 213 ـ 215.
عبدالمنعم الجميعي، مرجع سابق، ص 87 ـ 93.
توماس جولد شتاين، مرجع سابق، ص 116 ـ 119.
عبدالرحمن بدوي، مرجع سابق، ص 21 ـ 22.

28 ـ أحمد الشامي، مرجع سابق، ص 213 ـ 216.
عبدالمنعم الجميعي، مرجع سابق، ص 93 ـ 95.
توماس جولد شتاين، مرجع سابق، ص 117.

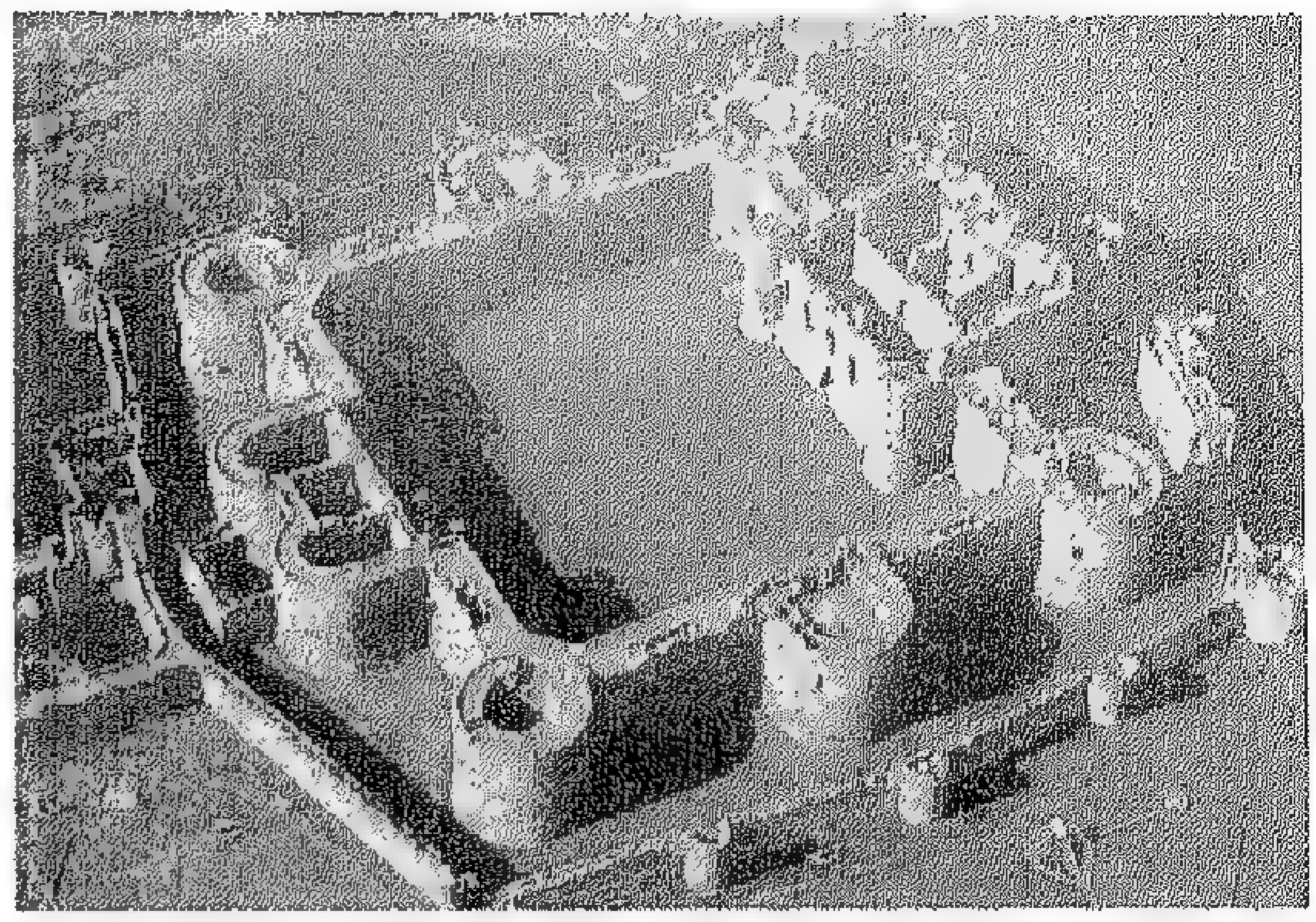
29 ـ دونالد ر. هيل، التكنولوجيا العربية الراقية وتأثيرها على الهندسة الميكانيكية الأوروبية، ضمن كتاب: ديونيسيوس آجيوس ـ ريتشارد هيتشكوك، التأثير العربي في أوروبا العصور الوسطى، ص 43 ـ 62.

30 ـ مونتجومري وات، مرجع سابق، ص 115 ـ 125.
أحمد الشامي، مرجع سابق، ص 200.
عبدالرحمن بدوي، مرجع سابق، ص 39 ـ 40.

31 ـ حسن الباشا حسن محمود، نقل صناعة الورق من العالم الإسلامي إلى أوروبا وأثره في اختراع الطباعة، ضمن: موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، م2، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة 1420هـ/ 1999 مسيحي، 352 ـ 354.
عبدالرحمن بدوي، مرجع سابق، ص 37 ـ 39.

32 ـ عبدالرحمن بدوي، مرجع سابق، ص 39 ـ 40.

33 ـ عفيف البهنسي، أثر الجمالية الإسلامية، ص 74 ـ 75.



قلعة أوروبية اسلامية الطابع

معارض الفن العربي والإسلامي في أوروبا:

وقد كان لمعارض الفن العربي والإسلامي في أوروبا[34]، أثر واضح وأكيد، في وضع فناني أوروبا بشكل واضح وصريح، أمام إبداعات الفن الإسلامي، مما مهد لهم الطريق، إلى التعرف على ذلك الفن واقتباس الكثير من أفكاره[35]، ومن أهم هذه المعارض، المعرض الذي أقيم في باريس بفرنسا سنة 1903 مسيحي، والمعرض المقام في ميونخ بألمانيا سنة 1912 مسيحي، وغيرهما الكثير[36].

العمارة الإسلامية:

لقد كان للحروب الصليبية أثر كبير، في نقل معالم الحضارة والفنون الإسلامية إلى أوروبا، في مجال العمارة بصفة عامة والعمارة الحربية على وجه الخصوص، حيث عرف الأوروبيون عمارة القلعة الملموسة Concentric Castle، وهي طراز من القلاع، يتميز بأن جميع أبراج القلعة وأبهائها الدفاعية، تؤدي إلى مركز واحد، أو بقعة في وسط القلعة سميكة الجدران، منافذها عبارة عن شقوق ضيقة، تسمح بدخول الهواء وبعض النور، ومدخلها من أسفل أحيانًا، وانتشر بناء هذه القلاع في إنجلترا، أثناء حكم الملك إدوارد الأول (النصف الثاني من القرن الثاني عشر المسيحي)، ومن المعتقد أن هذا الطراز، نموذج من فن العمارة العسكرية، الذي نشأ في المملكة اللاتينية في القدس، التي سارت بدورها في عمارتها على نهج التعديلات، التي أدخلها المسلمون على القلاع البيزنطية في سوريا، وتتضح هذه التأثيرات في إدخال عناصر معمارية جديدة، من أهمها: الحوائط المزدوجة، تشييد برج إضافي بين الجدارين المزدوجين[37].

بالإضافة إلى اضطرار اللاّتين في سوريا، في كثير من الأحيان، إلى تشييد مبانيهم وفق قواعد البناء العربي نظرًا للظروف المحلية، وكانت بيوت الأعيان في مملكة بيت المقدس، تبنى على الطراز الإسلامي، فيما يختص بفناء الدار والفسقية والمياه الجارية[38].

34ـ المرجع نفسه، ص 84.

وللتعرف على دور الاستشراق بشكل عام في تعريف أوروبا بالحضارة العربية الإسلامية، أنظر: محمد عيسى صالحية، المستشرقون ودورهم في التواصل الحضاري بين الحضارتين العربية الإسلامية والأوروبية، ضمن حصاد 7 (العرب وأوروبا عبر عصور التاريخ)، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة 1420هـ/ 1999 مسيحي، ص 315 ـ 341.

ثروت عكاشة، الشرق في عيون غربية، ضمن كتاب: التعبير بالألوان، آفاق من الفن التشكيلي، كتاب العربي، ع39، الكويت 15 يناير 2000 مسيحي، ص 106 ـ 131.

35ـ إحسان فتحي، الفنانون الرحالة في العراق، مجلة فنون عربية، ع3، 1402هـ/ 1981 مسيحي، ص 24 ـ 30؛ 7 لوحات.

عبدالله مشاري النفيسي، حين يكون الرحالة فنانًا، جون لويس رحلة تصويرية في أعماق مصر، مجلة الكويت، ع212، الكويت 9 ربيع الأول 1422هـ/ 1 يونيو 2001 مسيحي، ص 107 ـ 107، 3 لوحات.

محمود قاسم، عرض لكتاب: الرسامون الرحالون إلى الشرق، تأليف: لين تورنتون، مجلة الفيصل، ع227، السعودية جمادى الأولى 1416هـ/ سبتمبر وأكتوبر 1995 مسيحي، ص 93 ـ 97، 5 لوحات.

36ـ عفيف بهنسي، مرجع سابق، ص 101 ـ 104.

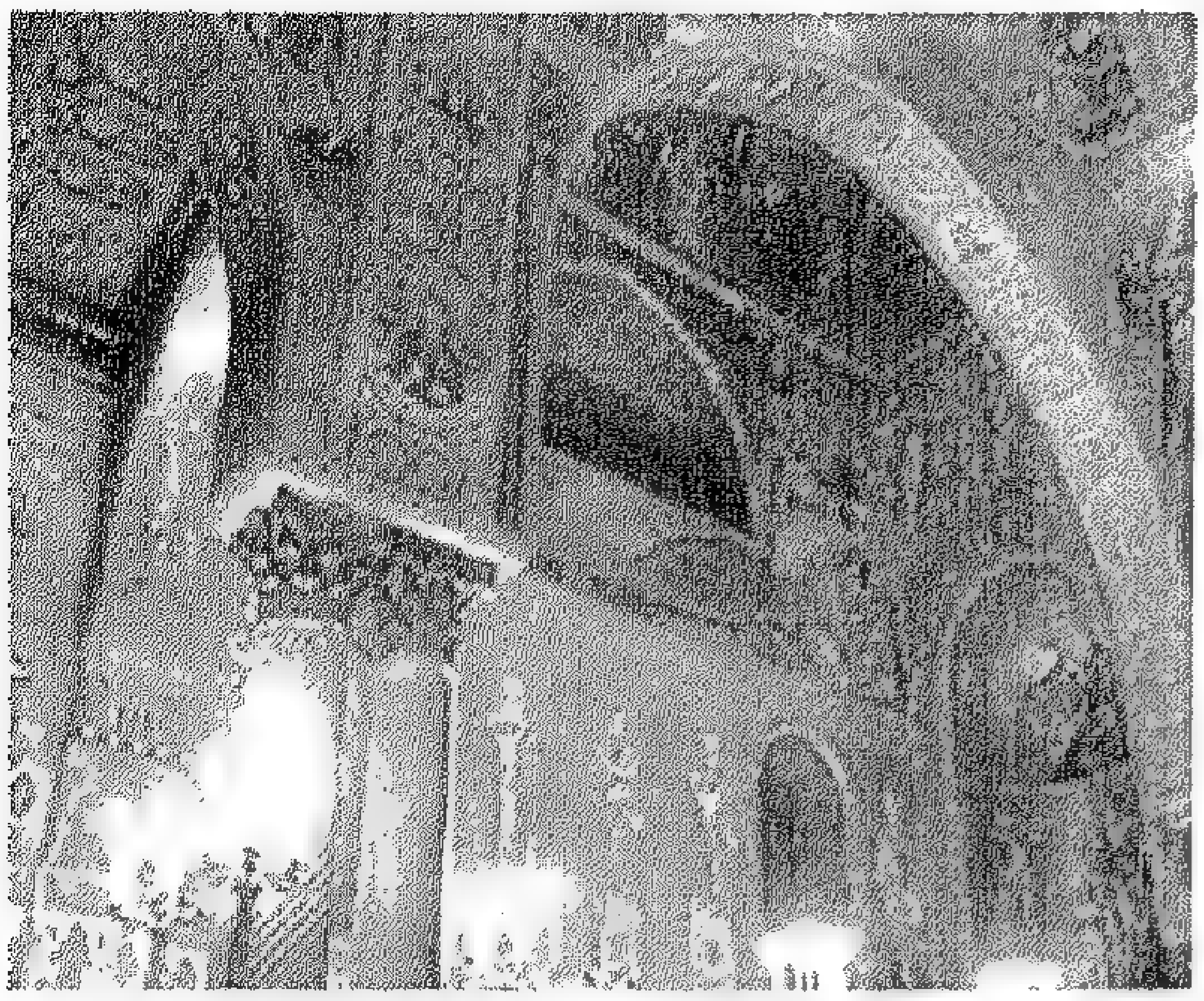
37ـ حسن الباشا، مرجع سابق، ص59 ـ 60.

38ـ المرجع نفسه، ص 60 ـ 61.

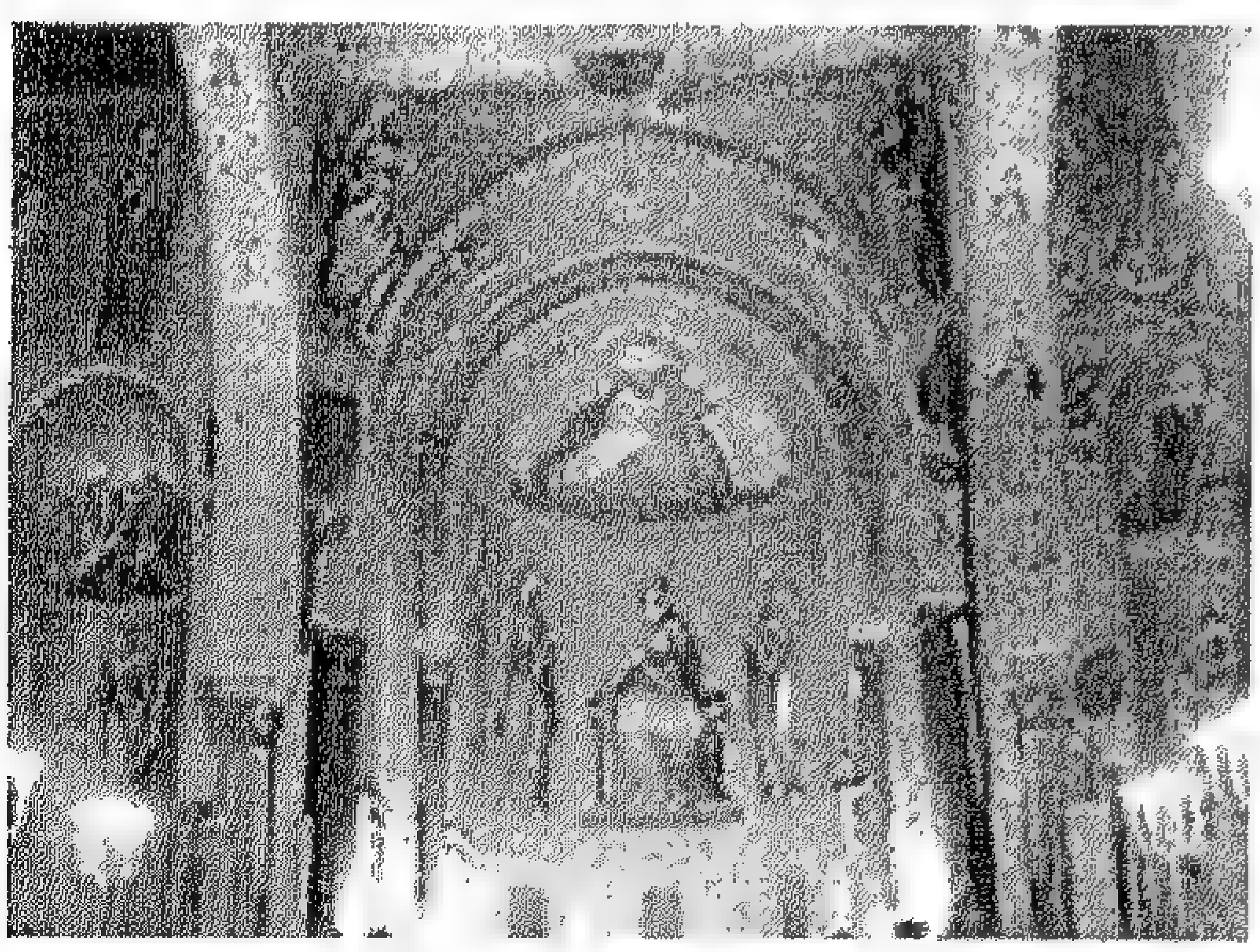
هذا فضلاً عن بعض العناصر المعمارية، مثل: العقد المدبب، الذي كان له أثره في العمارة القوطية، والعقد على هيئة حدوة الفرس، والعقد المفصص والنصف دائري(39).

كما تأثرت العمارة الإيطالية في بعض ملامحها، بالفنون الإسلامية، ومن الأمثلة على ذلك، أبراج الأجراس، في الكنائس التي تأثرت من غير شك، بالمآذن الإسلامية، ولا سيما حسب الطراز السائد في شمال أفريقيا، كما أنه من المعروف، أن قمة كاتدرائية فلورنسا، التي صممها المهندس (برونليسكي) متأثرة بعنصر معماري إسلامي، يعرف باسم المنور أو الشخشيخة في مصر(40).

ولم يقتصر التأثير الإسلامي على العمارة الأوروبية، في مجال التخطيط والعناصر المعمارية، بل تعدى ذلك إلى زخرفة العمائر في أوروبا، وربما كان من أشهر هذه العمائر، الكابلا بلاتينا في باليرمو، التي شيدها الملك النورماندي (روجر الثاني) فيما بين سنة 1151 و1154 مسيحي، ويزخرف سقف هذه الكابلا، صور كثيرة داخل مناطق مختلفة الأشكال، تحف بها أشرطة من الخط الكوفي، ذي الأسلوب الفاطمي(41).







من مظاهر التأثير الإسلامي

الصناعات والفنون التطبيقية:

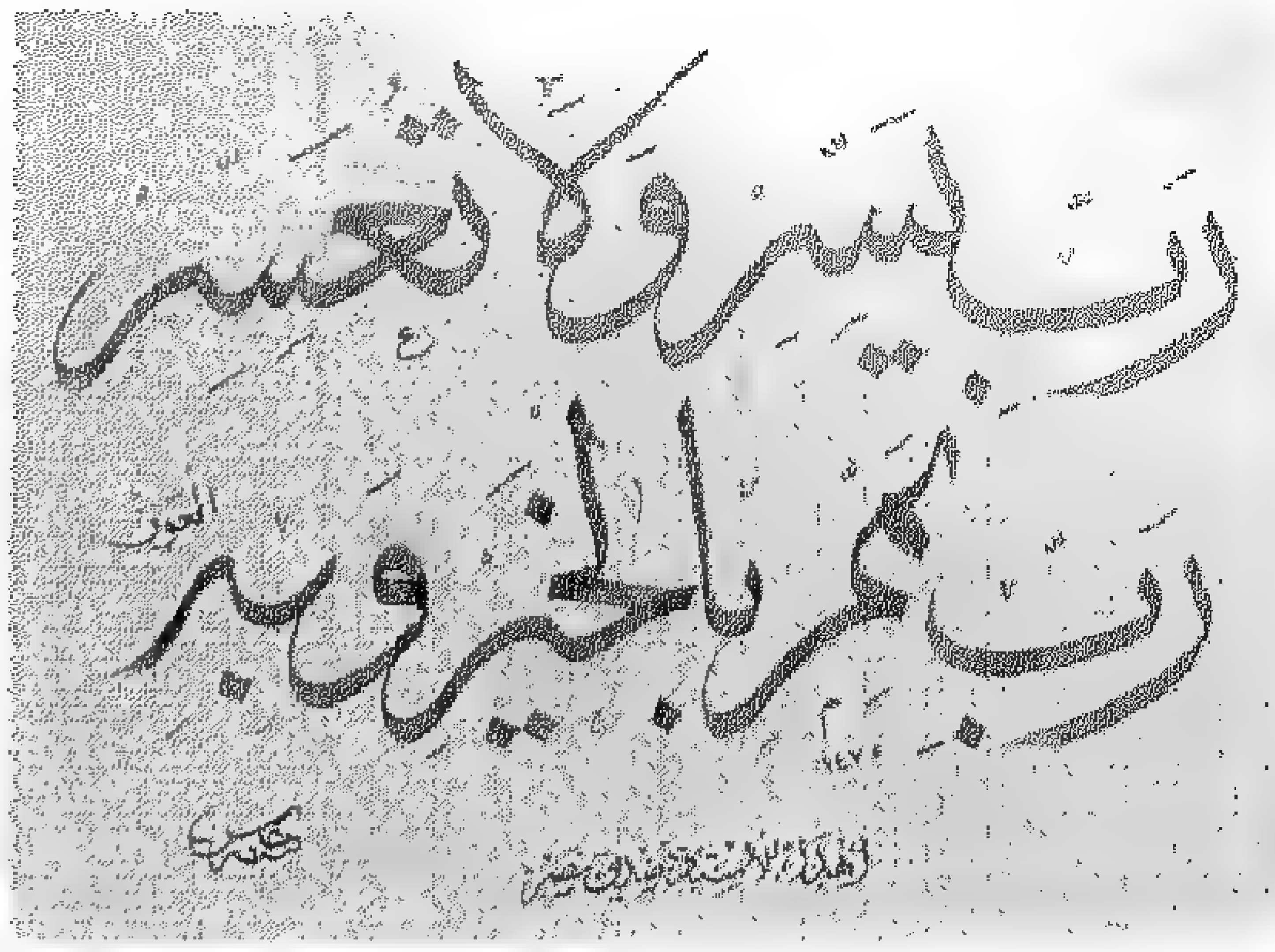
ظهرت تأثيرات واضحة، في مجال الصناعات والفنون التطبيقية، مثل: إقبال الأوروبيين على استخدام المنسوجات الحريرية، المطرزة بالزخارف والكتابات العربية، والأدوات النحاسية، المكفتة

39- المرجع نفسه، ص 60.

حسن الباشا، أثر العمارة والفنون الأندلسية في أوروبا، ضمن: موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، م2، ط2، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة 1420هـ/ 1999 مسيحي، ص 81 ـ 82.

40- حسن الباشا، أثر الفنون الإسلامية بصقلية وإيطاليا في أوروبا، ضمن: موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، م2، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة 1420هـ/ 1999 مسيحي، ص 89، لوحات 704 ـ 706، 708.

41- حسن الباشا، أثر الخط العربي في الفنون الأوروبية، ضمن: موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، م3، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة 1420هـ/ 1999 مسيحي، ص 227 ـ 228، لوحات 709 ـ 710.





بالذهب والفضة، وأواني الخزف والزجاج، وأشغال المينا والبلور الصخري، والأدوات العاجية، والأبواق المصنوعة من قرون الحيوانات، والمخطوطات الإسلامية المزوقة بالتصاوير، وغير ذلك من منتجات الفنون الإسلامية، المزينة بالزخارف المختلفة، من صور وكتابات وحليات، هندسية ونباتية وحيوانية، وبفضل ما تميزت به هذه التحف، من جمال الزخرف وجودة الصنعة، حظيت الفنون الإسلامية بصيت ذائع في مختلف دول أوروبا، وأقبل على اقتنائها كثير من الأسر، من مختلف الطبقات الدينية والمدنية، كما عمد الفنانون الأوروبيون إلى تقليدها، سواء من حيث الصنعة والأسلوب الزخرفي، ومن ثم



نقلوا أساليبها وزخارفها، واستخدموها في أعمالهم ومنتجاتهم الفنية، وبفضل هذه التأثيرات ظهر في أوروبا إصطلاح (الأرابيسك) Arabesque وكان من نتيجة ذلك أيضًا، ظهور التأثيرات التالية:

1 - إدخال أنواع جديدة من الأقمشة، كالمنسوجات القطنية و(الموسلين) نسبة إلى الموصل، و(البلدكان) نسبة إلى بغداد، و(الدمقس) نسبة إلى دمشق، والسميتي والدمياطي، نسبة إلى دمياط والأطلس العربي، وهو نوع من الحرير (الساتان) كان يصنع في بلاد الشرق، والفستيان Fustian قد اشتق إسمها من كلمة الفسطاط، أولى عواصم مصر الإسلامية، وفي العصور المتأخرة، كان يطلق



على أقمشة الملابس المستوردة من غرناطة Grenada اسم (جرينادين) Grenadines، وعرفت بهذا الإسم في المتاجر الأوروبية، حيث كانت السيدات يعرفنها بهذا الاسم نفسه، وهو Taffeta، وكان حي العتابية Atabiyah ببغداد، وهو الحي الذي كانت تقطنه سلالة عتاب، حفيد أحد صحابة الرسول ﷺ معروفًا بشهرته في القرن الثاني عشر المسيحي، بنوع من المنسوجات، قلده القوم في أسبانيا، وصار يعرف فيها باسم الحرير العتابي، وعرفه الفرنسيون والإيطاليون باسم (تابس) Tabis، ثم أصبح معروفًا بهذا الإسم التجاري في أنحاء أوروبا جميعها.

2 - إدخال أزياء شرقية مثل (الكاملت) Camelt وهو لباس يصنع من وبر الجمل أو الخملة، و(الجوب) jupe من الجبة العربية، ومثل الحزام الشرقي ذي الصدر والجيوب الذي ربما ارتداه الحاج في عودته.

3 - أدوات الزينة مثل المرايا الزجاجية، وعلب المجوهرات، والمساحيق والعطور.

4 - المسبحة التي يقال إنها انتقلت من البوذيين، إلى أوروبا عن طريق سوريا[42].

وكانت مصانع النسيج، التي أسسها أمراء المسلمين في القصر الملكي، في (بليرمو) تمد الأسر الأوروبية النبيلة بالثياب الرسمية، وقد طرزت عليها الكتابات العربية، ومن (صقلية) استمد صناع النسيج الأول في إيطاليا، معرفتهم وخبرتهم الفنية ونماذج الرسوم، والزخارف على المنسوجات، وفي أوائل القرن الثالث عشر المسيحي، كانت حياكة الحرير قد أصبحت الصناعة الرئيسة في عدة مدن إيطالية،

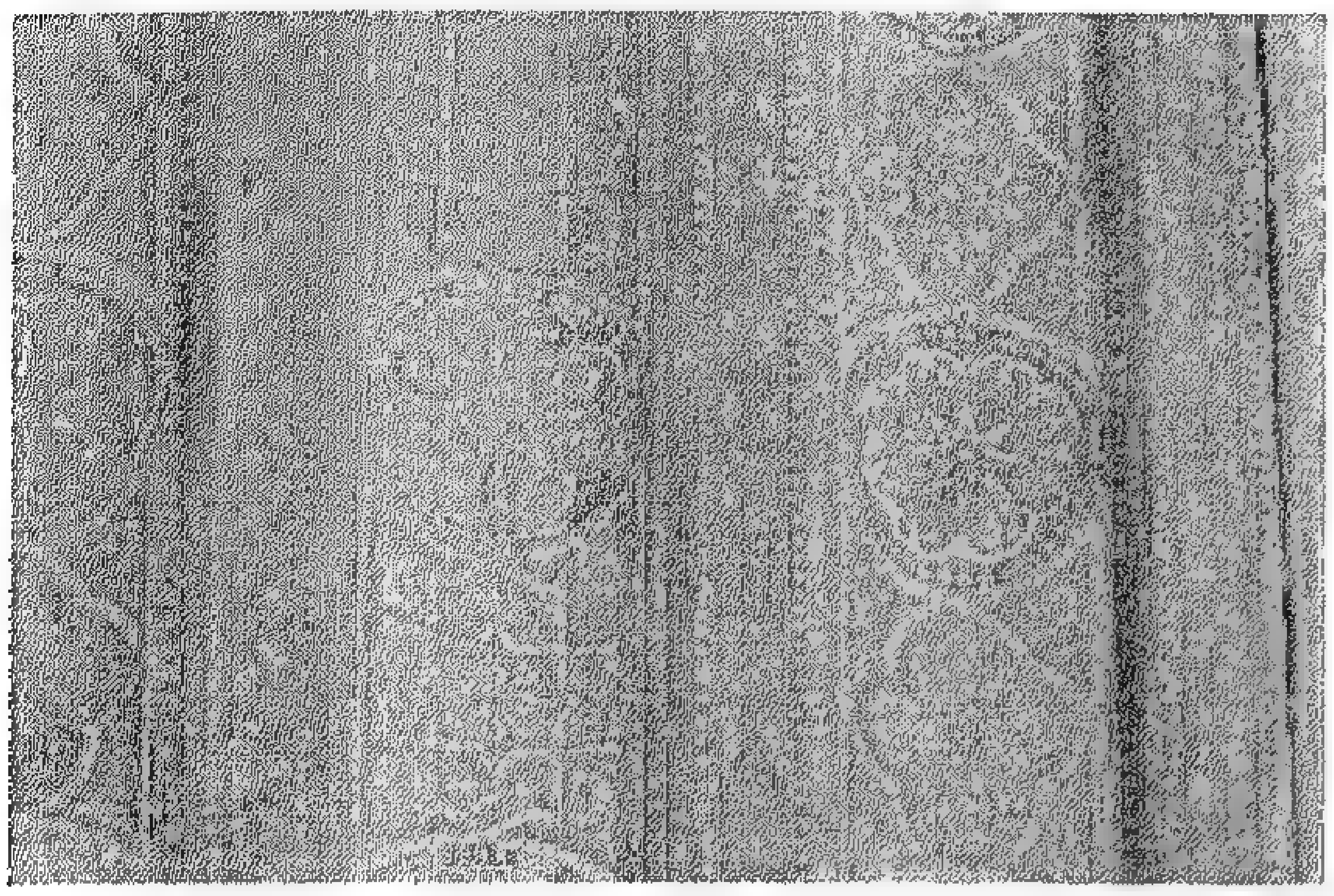
---

42 ـ أ. هـ. كريست، الفنون الإسلامية الفرعية وتأثيرها في الفنون الإسلامية، ضمن كتاب: كريست، أرنولد، بريجز، تراث الإسلام، ترجمة: زكي محمد حسن، م1، لجنة الجماعيين لنشر العلم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1936 مسيحي، ص 61 ـ 63.
حسن الباشا، مرجع سابق، ص 61.

وأخذت هذه المدن تصدر المنسوجات، تقليداً للمصنوعات الصقلية، إلى أنحاء مختلفة من أوروبا، وكان في البندقية وفي (فرارا) و(بيزا) كما كان في (بليرمو) جماعات من الصناع الشرقيين العرب، يسهمون في العمل ويعلمون أبناء البلاد أسرار صناعتهم، وبلغ الطلب على المصنوعات الشرقية، درجة عالية بحيث إن الأوروبي لم يكن يحسب نفسه حسن الهيئة والهندام، ما لم يكن في حوزته ثوب شرقي واحد على الأقل، وكان ملك صقلية (روجر الثاني) يلبس الزي العربي، حتى إنه أغضب معاصريه من النصارى، وقد وصلتنا عباءة تتويجه، وعليها زخارف ذات طابع عربي إسلامي، وتشمل حافتها أدعية باللغة العربية، بالإضافة إلى تاريخ صنعها الهجري، وهو سنة 528 هـ/1133 مسيحي، وهي محفوظة حاليًا في متحف الكنوز في (ڤيينا)، ولم يكن الملك (روجر الثاني)، وحده هو الذي يرتدي زيًا عربيًا، بل إن الشعب الصقلي أيضًا، حتى النساء كانت ترتدي هذا الزي، وقد ذكر إبن جبير، أنه شاهد في سنة 1184 مسيحي، في عهد (وليم الثاني) حفيد (روجر الثاني) النساء النصرانيات في صقلية، يرتدين زي المسلمات أثناء خروجهن من منازلهن(43).

وفي أوائل القرن الثالث عشر المسيحي، كان نسج الحرير قد أصبح أهم الصناعات، في كثير من المدن الإيطالية الغنية، حيث ظهرت منسوجات قلدت المنسوجات الصقلية، تقليداً يصعب معه التفرقة بين النوعين، وكانت تصدر بوفرة من تلك المدن الإيطالية إلى البلدان الأخرى، وفي القرن الرابع عشر المسيحي، ظهر في المنسوجات الحريرية الإيطالية، أثر عوامل جديدة، كانت في ذلك الوقت تؤثر في الفن





الإسلامي، ففي قطعة من الديباج موشاة بالذهب، ترجع إلى إيطاليا في ذلك القرن، ومحفوظة في متحف (ڤيكتوريا وألبرت) بلندن، نرى الأسد والمراوح النخيلية، والفروع النباتية والكتابات العربية، وغير ذلك من تلك العناصر الشرقية الأخرى، التي كانت ذائعة في المنسوجات الإسلامية، في ذلك العصر(44).

وفي مجال فنون الخزف كانت (بلنسية) من المراكز التي ازدهرت فيها فنون الخزف المطلي، وكانت تصدر بعض إنتاجها إلى (بواتييه) التي صارت من مراكز صناعة الخزف في أوروبا، وانتشر تقليد الخزف الإسلامي في أوروبا في القرن الخامس عشر المسيحي، حتى وصل هولندا، كما انتقلت هذه الصناعة إلى إيطاليا، وعلى الرغم من استيلاء

43 ـ حسن الباشا، مرجع سابق، ص 85 ـ 86، لوحات 800 ـ 803.

44 ـ أ. هـ. كريست، الفنون الإسلامية الفرعية وتأثيرها في الفنون الإسلامية، ص 66 ـ 67، شكل 33.

النصارى على أسبانيا، فقد ظل كثير من مراكز صناعة الخزف بها، ينتج خزفًا ذا طابع إسلامي، رغم ما كان يرسم عليه من رموز نصرانية[45].

هذا وقد تأثر الإيطاليون بالخزف الإسلامي، من النوع المعروف بالجابري، حيث نجحوا في القرن الخامس عشر، نجاحًا كبيرًا في استخدام هذه الطريقة، ولعلهم اقتبسوها من مصادر إسلامية، أفادوا منها في إحياء الفنون الخزفية، في عصر النهضة، وقد أثارت الأواني الخزفية الأندلسية، ذات البريق المعدني، غيرة ناجحة في نفوس الإيطاليين، حتى استطاع صانعو الخزف الإيطاليون، في القرن السادس عشر، أن يكسبوا زخارف عصر النهضة، ذلك البريق الذي لا ينطفئ سناه، وذلك بأساليب صناعية، تخالف كل المخالفة، ما كان معروفًا في إيطاليا قبل ذلك العهد، وقد وصلت إلى أوروبا من إيران ـ وفي أغلب الأحيان عن طريق تركيا وسوريا ـ، رسوم بعض الزهور التي شاعت الآن في الحدائق الأوروبية، والتي كان الأوروبيون في وقت من الأوقات لا يعرفونها، إلا على الفخار والخزف الواردين من الشرق الإسلامي[46].

ومنذ القرن الثالث عشر، ذاعت في أوروبا شهرة صانعي زجاج من البندقية، وفي القرن الخامس عشر، وجه هؤلاء الصناع، اهتمامهم إلى الأساليب الشرقية، وأجادوا عملية تمويه الزجاج بالميناء، إلى درجة لم يعد بعدها هذا الفن احتكارًا في أيدي المسلمين، وانتشرت هذه الصناعة من البندقية إلى غيرها من المراكز الأوروبية، ولم تلبث أن ظهرت فيها أنواع جديدة، على أن قوارير الكحول ذات الميناء الزاهية الألوان، والتي كانت شائعة في القرنين السابع عشر والثامن عشر بعد الميلاد، لم تكن إلا صورًا مشوهة للنماذج التي أنتجتها،



ولكن التحف التي قلد بها الغربيون فنون الشرق الأدنى، وإن كانت لا تخلو من متعة طيبة، إلا أنها لا تضارع النماذج الشرقية، التي نقلت عنها جمال شكل ودقة صنع وسلامة هذه الزخرفة[47].

ولقد أدخل الفنانون التطبيقيون في أوروبا، الزخارف العربية الإسلامية، حيث شجعتهم القيمة الزخرفية الكامنة في الخط العربي، على استخدامه في تزيين وزخرفة منتجات الفنون التطبيقية، من مختلف المواد، من أخشاب، ومعادن، وزجاج، ورخام، ونسيج، كما وجدت على أدوات مختلفة مثل: مطارق الأبواب، والأطباق، والأرفف، والنوافذ، ذات الزجاج الملون، والأبواب والثياب وغيرها، وكانت الحروف العربية، تمثل إحدى الزخارف الرئيسة على الأطباق القوطية؛ ومن المعروف أن لويس ملك أنجو، كان لديه

45 ـ حسن الباشا، مرجع سابق، ص 83.

46 ـ أ. هـ. كريست، الفنون الإسلامية الفرعية وتأثيرها في الفنون الإسلامية، ص 43 ـ 44، 48، 53.

47 ـ المرجع نفسه، ص 55 ـ 56.

أكثر من مائة طبق تزخرفها حروف عربية، وعلى الرغم من أنه لم يصلنا نماذج من أطباق لويس، فقد وصلنا غطاء إناء من الخشب المتين، يرجع إلى حوالي العصر نفسه، ويشتمل هذا الغطاء على زخارف محفورة من الخط العربي، الوثيق الصلة بخط النسخ المملوكي، واستخدمت أيضًا زخارف الخط الكوفي على أبواب بعض الكنائس الأوروبية، مثل: كنيسة نوتردام في لابوي، وكنيسة لافوت شلهاك، وكنيسة سان بيترو في البا، وتشتمل أبواب كنيسة لابوي على زخارف مستمدة من الخط الكوفي، محفورة في الخشب، وتمتد هذه الزخارف في أعلى الأبواب وجوانبها، وتنسب هذه الزخارف، إلى حفار مسيحي، يدعى جوفريدس، ويرجح أنها تكرار لعبارة بالخط الكوفي نصها: «الملك لله» منقولة بقليل من التصرف عن تحفة إسلامية، هذا وقد وجدت زخارف مستمدة من الخط العربي، على تحف أخرى من الفنون التطبيقية، مثل مطرقة باب من البرونز، في كابلة بوهيموند الجنائزية، في كانوسا، ورف خلف المذبح، في كنيسة وستمنستر، وشبابيك قديمة من الزجاج الملون، ولوحة من الرخام بالشيون في أثينا[48].

وقد تعلم الصناع الأوروبيون، من المسلمين نسج السجاد ذي الوبر، وكانوا يتبعون في أول الأمر، الطريقة الشرقية اليدوية، التي تظهر فيها خفة اليد، وسرعة الحركة، ولكنهم استخدموا في الأزمنة المتأخرة، طرقًا آلية (ميكانيكية) بحتة، ونحن نرى على السجاد المصنوع بالآلات، والذي ذاع استعماله الآن، كثيرًا من الرسوم المأخوذة عن الأصول الإسلامية، ولكنها رسوم اقتضاها الذوق السائد[49].

وازهرت في مدينة البندقية، صناعة التجليد، تقليدًا للتجليد الإسلامي، حيث استخدم اللسان، لحفظ أطراف الورق، بالإضافة إلى زخرفة الغلاف، وطبع الرسوم عليه، حسب الطراز الإسلامي، وانتشر هذا الأسلوب في مدن إيطالية أخرى، ولقد أوحى الصناع المسلمون، إلى صناع الغرب، طريقة جديدة في زخرفة جلود الكتب، ففي العصور الوسطى، كان المجلدون الأوروبيون، غالبًا ما يزخرفون الكتب بطبع رسوم عليها، مستعينين في ذلك بمكابس معدنية، وقد تيسر بهذه الطريقة، الوصول إلى موضوعات زخرفية جليلة الأثر، فبعد أن كبرت المكابس، وزادت زخارفها، كمالا وإبداعًا، ذاع استعمال زخارف دقيقة الصنع، وفيها حافات (كنارات) ورسوم متكررة، وكانت الزخارف التي تصنع بهذه الطريقة، بارزة فقط، حتى بدأ الصناع الشرقيون يزينون الرسوم المطبوعة، بملء أجزائها المنخفضة بصبغات ذهبية، وقد أدخل هذه الطريقة، إلى أوروبا، المجلدون المسلمون، الذين أقاموا في البندقية، وفي أواخر القرن الخامس عشر، استبدلت بهذه الطريقة، طريقة جديدة، كان التذهيب فيها يثبت تثبيتًا قويًا، بضغط الآلات المحماة على صفائح من الذهب، ويظهر أن هذه الطريقة الجديدة، نشأت في قرطبة، ثم أصبحت في القرن عشر شائعة الاستعمال، بين المجلدين المسلمين والمسيحيين على السواء، وذلك بالرغم من أن الطريقة الشرقية القديمة، لم تندثر تمامًا، وما يزال التذهيب والكتابة، شائعين في عصرنا هذا، على جلود الكتب الجميلة، ولم يزل الأوروبيون يؤدونها بوسائل، كان للصناع المسلمين فضل إبلاغها درجة الكمال، وفي القرن التاسع عشر، بدأت الطرق الآلية، تحل في صناعة تجليد الكتب،

48. حسن الباشا، أثر الخط العربي في الفنون الأوروبية، ص 226 ـ 227، لوحات 800 ـ 804، 958 ـ 961، 1023، 1181، 1238.

49. أ. هـ. كريست، مرجع سابق، ص 76.

محل الطرق اليدوية القديمة، ولكن الطرق الآلية في صناعة الكتب، كانت إلى حد كبير تنتج زخارف، وتتبع أساليب ترجع إلى أصول فنية إسلامية[50].

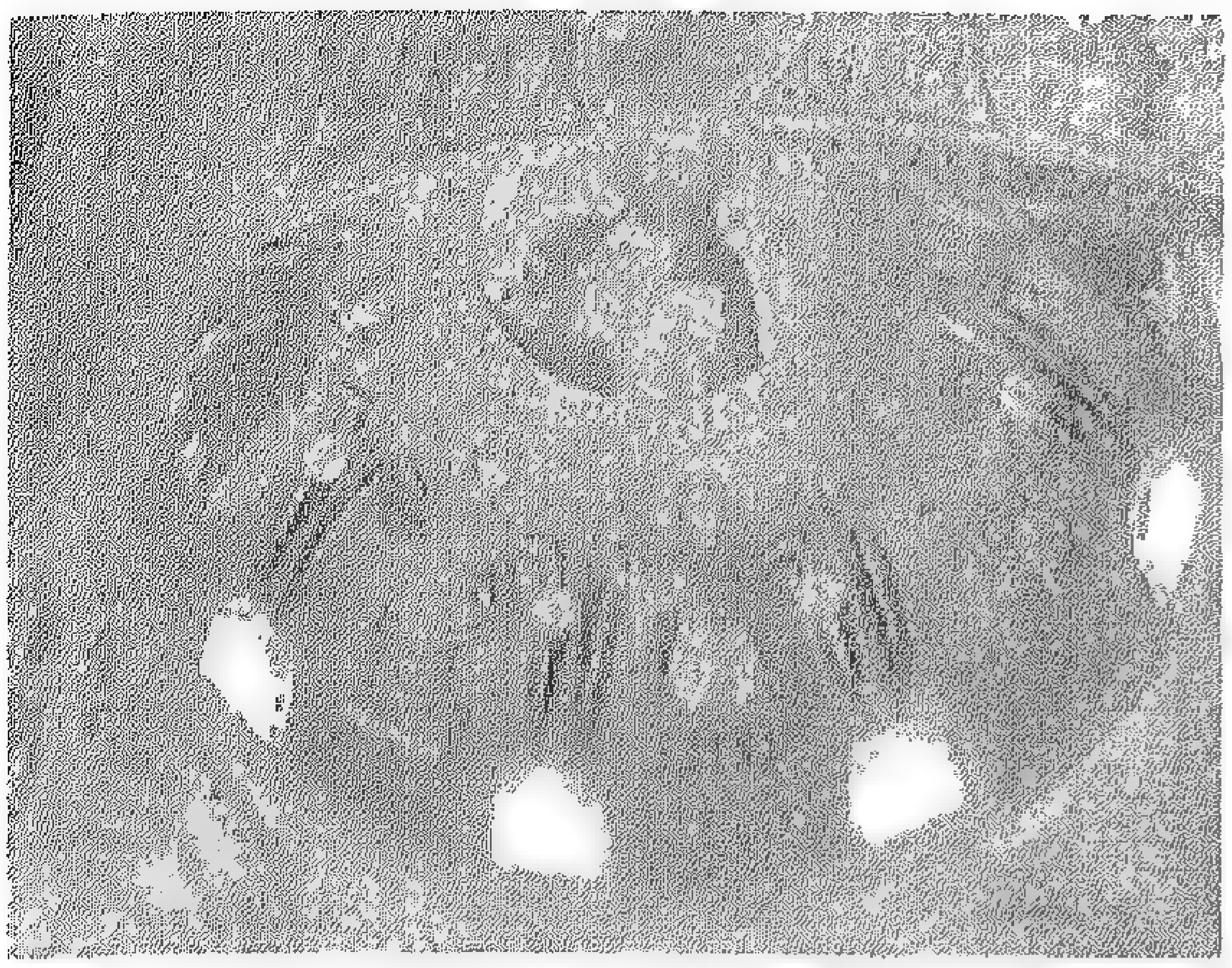
وربما كان أهم ما أخذه الأوروبيون في الأندلس، هو الورق الذي انتقلت صناعته إلى الأندلس، من الشرق الإسلامي، حيث عرفها العرب، منذ أوائل القرن الثاني الهجري، الثامن المسيحي، وسرت صناعة الورق من مراكش إلى أسبانيا، وربما كانت شاطبة مركز هذه الصناعة في أسبانيا، وكان الأوروبيون في أول الأمر يشترون الورق من الأندلس، ثم تعلموا فيها صناعة الورق، ونقلوها إلى أوروبا، وقد بقي أثر العرب في صناعة الورق الأوروبية، متمثلاً في استخدام ألفاظ عربية، مثل: كلمة رزمة العربية، التي ظهرت في اللغة الأسبانية Resma وفي الفرنسية Rayme وفي الإنجليزية Ream؛ وإذا كانت صناعة الورق، قد انتقلت إلى فرنسا من أسبانيا، فإن هذه الصناعة انتقلت إلى إيطاليا حوالي 1268-1276 مسيحي، عن طريق آخر هو صقلية، التي ازدهرت فيها الحضارة العربية الإسلامية، في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ومن فرنسا وإيطاليا، انتقلت صناعة الورق إلى دول أوروبية أخرى، ومن المعروف أنه بفضل معرفة الغرب لصناعة الورق، صار في الإمكان استخدام آلة الطباعة، ذات الحروف المنفصلة والمتحركة، وظهر هذا الإختراع في ألمانيا، حوالي القرن الخامس عشر، وبفضل الورق والطباعة تقدم العلم في أوروبا، وتأسست المدنية الحديثة؛ هذا ويبدو أن العرب في الأندلس، كانوا قد توصلوا لنوع من الطباعة، إذ يقال إنه كان لعبد الرحمن الناصر، ثالث الخلفاء الأمويين في الأندلس 890 – 961 مسيحي، كاتب يرسل الرسالة، التي ينشئها



تعلم فنانو الغرب المسيحي من الفن الشرقي الإسلامي

50- المرجع نفسه، ص 88 – 91، أشكال 56 – 58.
حسن الباشا، مرجع سابق، ص 89 – 90.

إلى ديوان خاص، حيث يصير فيه إظهارها على الورق، فتصدر منها نسخ كثيرة توزع على عمال الدولة[51].

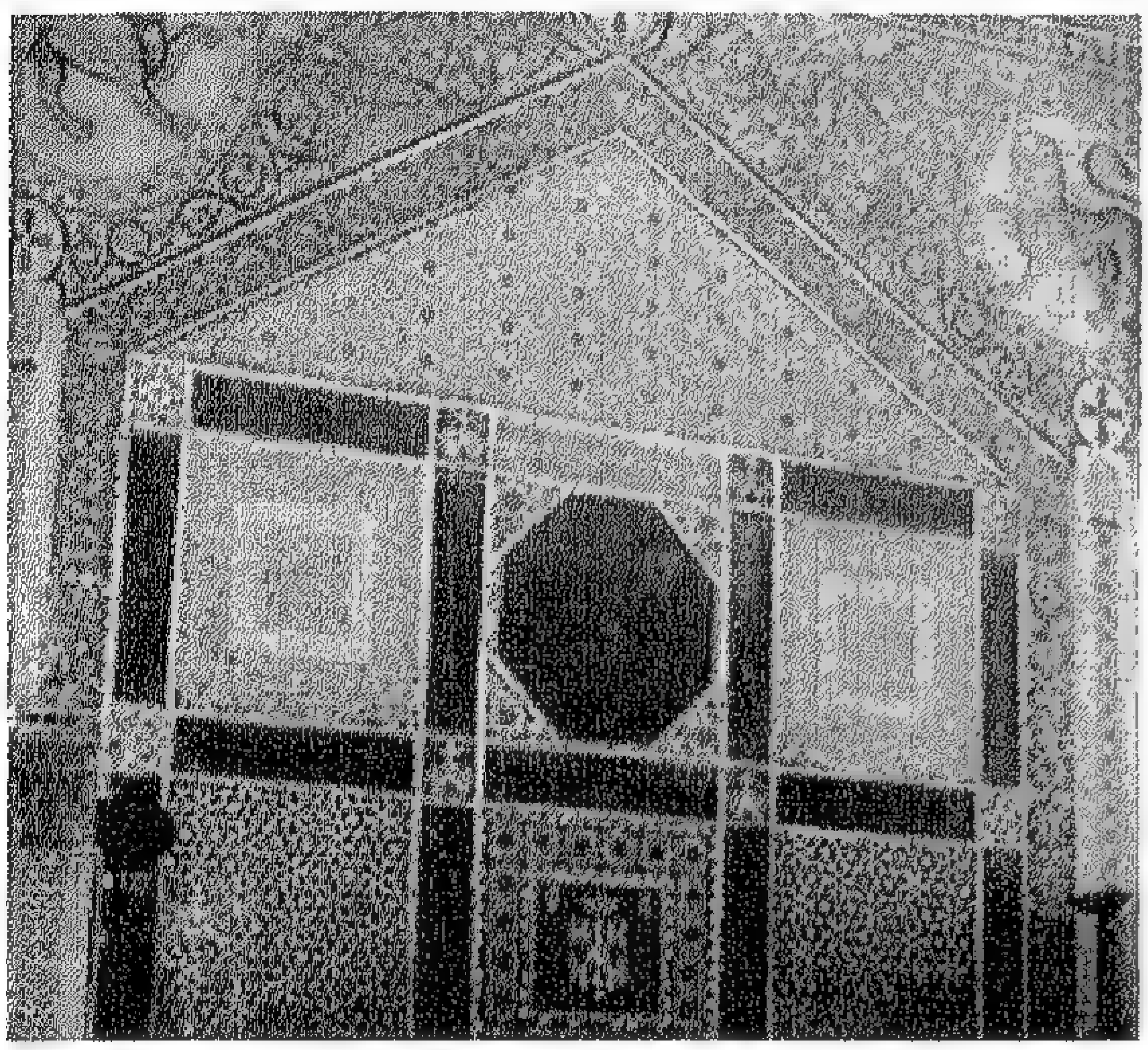


أسلوب الفن الإسلامي في رسومات أسقف الكنائس

التصوير :

لقد اشتمل سقف كنيسة القصر في (بليرم كابلا بلاتينا Capella Palatine) التي بناها (روجر الثاني) على صور مرسومة حسب الأسلوب الفني الإسلامي، وذات موضوعات مدنية من النوع الذي شاع تصويره في الفن الإسلامي، ولا سيما في مصر الفاطمية، بالإضافة إلى كتابات باللغة العربية، تمثل أدعية بالأسلوب الإسلامي، ومن المعتقد أن هذه الكنيسة بنيت وزخرفت، على يد صناع مسلمين، أو على الأقل صناع، نشأوا حسب التقاليد المهنية الإسلامية، ومن المرجح أن مثل هؤلاء الصناع أسهموا في تشييد عمائر أخرى، في صقلية وصلتنا آثارها، مثل: قصر القبة، وقصر العزيزة، اللذين شيدا وزخرفا حسب الطرز الإسلامية[52].

وهذه الرسوم البديعة الرخامية الشكل، التي ترى كثيرًا جدًا، على غلف الورق وعلى الأوراق الختامية في الكتب، وعلى حافات الكتب المجلدة، في أوروبا إبان القرن الثامن عشر، كلها مأخوذة عن مصادر شرقية، ونحن نرى أمثلة دقيقة من هذه الرسوم، على أشرطة الورق التي كانت تلصق على هوامش الصور الإسلامية، والنماذج الخطية، وقد كان الورق الرخامي الشكل، معروفًا في إنجلترا في عصر الرسام الإنجليزي فرنسيس بيكون 1909 ـ 1992 مسيحي، وهو يذكر: «أن عند الأتراك طريقة غير معروفة عندنا،



رسوم مسيحية غربية وأصل هذا الفن شرقي إسلامي

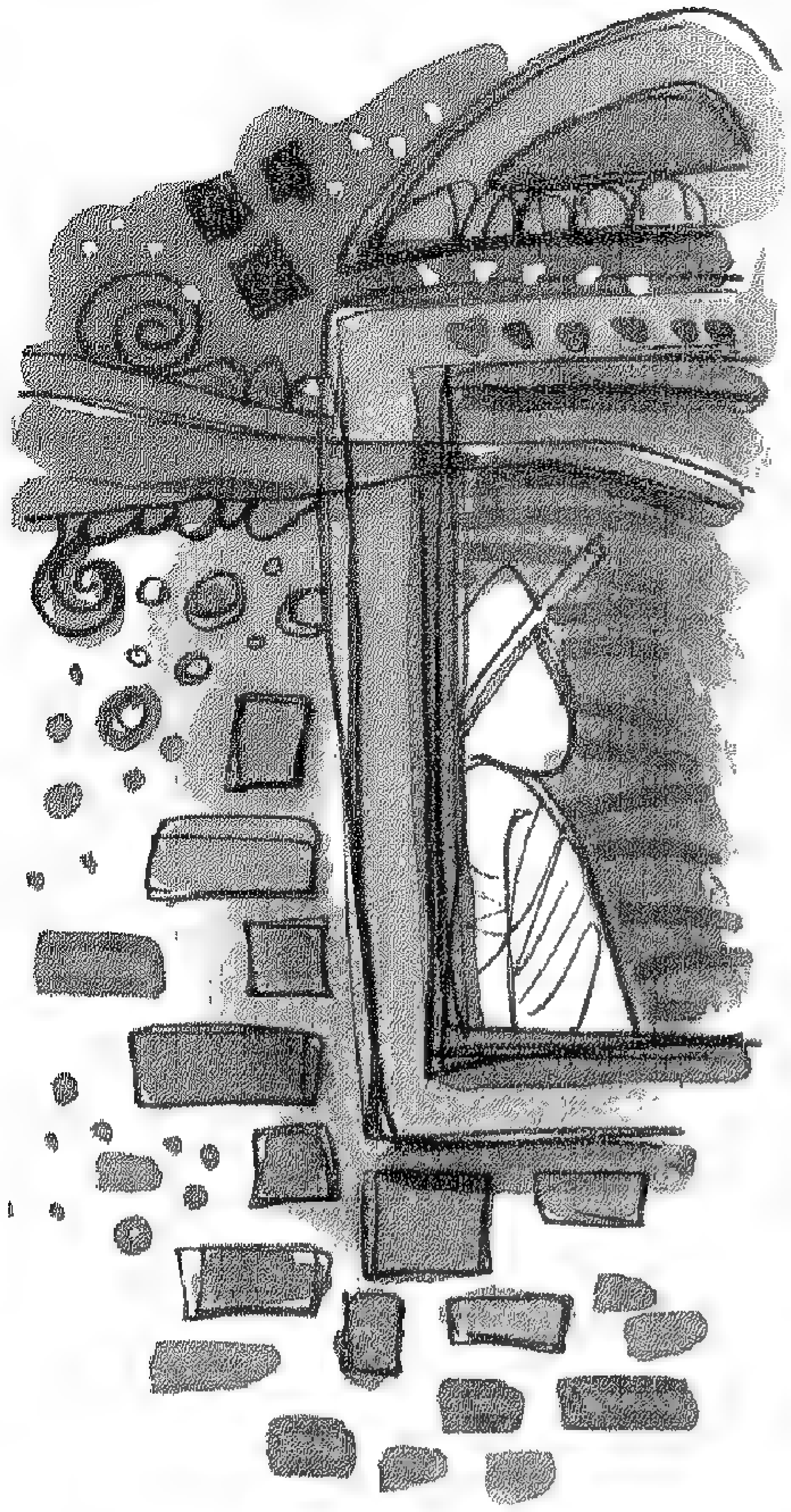
يكسبون بها الورق شكل المرمر، فهم يستحضرون ألوانًا زيتية مختلفة، ويضعونها في الماء قطرة قطرة، ثم يحركون الماء تحريكًا رقيقًا، وبعد ذلك يبللون الورق ـ وهو سميك بعض السمك ـ في هذا المزيج، فيكتسب الورق هذه التموجات والتعرجات، التي تجعله شبيهًا بالرخام»[53].

---

51. حسن الباشا، مرجع سابق، ص 81 ـ 83.
حسن الباشا، نقل صناعة الورق من العالم الإسلامي إلى أوروبا، وأثره في اختراع الطباعة، ص 352.
52. أ. هـ. كريست،مرجع سابق، ص 86 ـ 87.
حسن الباشا، مرجع سابق، ص 86؛ لوحات 709 ـ 719.
53. أ. هـ. كريست، مرجع سابق، ص 92 ـ 93.

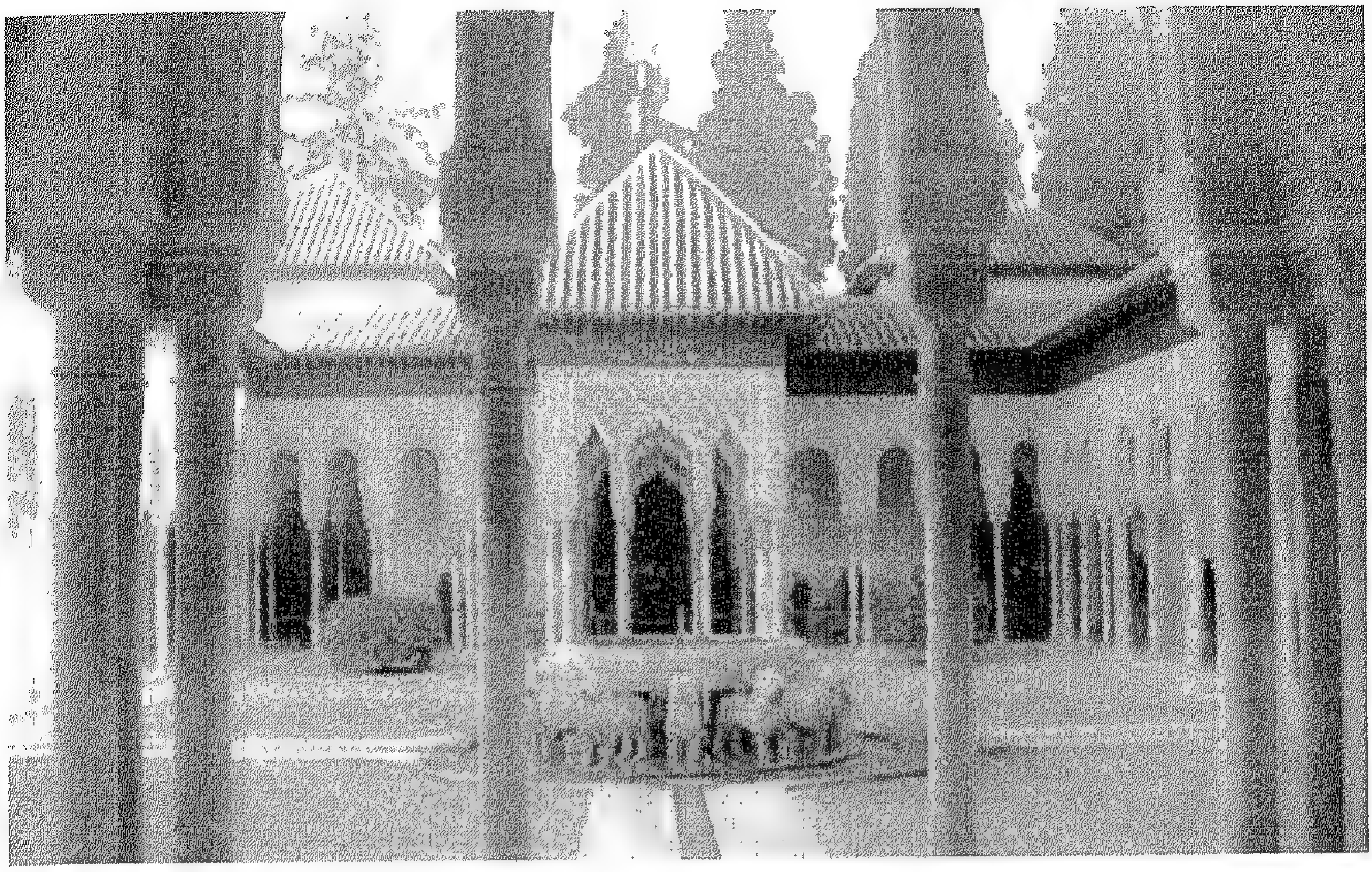
ويتضح التأثير الإسلامي، في أسلوب المصور جنتيلى دافبريانو (من حوالي سنة 1370ـ 1427 مسيحي) أحد مصوري الطراز القومي الدولي، والذي استخدم الخط العربي، في زخرفة وشاح يرتديه أحد السياس، في لوحته المشهورة «تبجيل المجوس» التي ترجع لسنة 1423 مسيحي، والمحفوظة حاليًا، في الأوفيتسى في فلورنسا، ومن الملاحظ أن الخط من نوع النسخ المملوكي، وهو عبارة عن حروف لا تكون معنى مفهومًا، ولم يقتصر التأثير الإسلامي، على فناني الطراز القوطي الدولي، بل عرفه كثير من فناني عصر النهضة، حيث يظهر في أعمال منشئ التصوير الحديث، الرسام الإيطالي والمصور الشهير «جيوتو» (1266ـ 1337 مسيحي)، الذي يعتبر أهم رواد النهضة الأوروبية، في مجال التصوير، وقد حرص «جيوتو» على أن يزخرف بعض الثياب، التي يرتديها الأشخاص، في الصور التي رسمها في كابلا أرينا، في مدينة بادوا، فيما بين سنة 1303ـ 1305 مسيحي، بزخارف مستوحاة من حروف عربية؛ كما يبدو التأثير الإسلامي في بعض أعمال المصور الفلورنسي فيليبو ليبي (حوالي 1406 ـ 1469 مسيحي)، إذ نجد أن ثياب بعض الأشخاص في لوحة تتويج العذراء، في فلورنسا، تزخرفها أشرطة من الخط العربي، ومن المرجح أن (فيليبو ليبي) قد أتيحت له فرصة دراسة الخط العربي، حين وقع في أسر المسلمين، في بلاد المغرب، حسب ما جاء في تاريخ فزاري[54].

لقد أرسلت حكومة البندقية الفنان جنتيلى بلينى 1429 ـ 1507 مسيحي، إلى القسطنطينية، أو استانبول، في سنة 1479 مسيحي، بناء على طلب السلطان محمد الفاتح، ومكث هناك سنة، رسم فيها بعض الصور، و(الاسكتشات) والدراسات التي استغلها في أعماله الفنية، فمثلاً في صورته المتقدمة، في الأوفيتسى في



فلورنسا، وفي لوحته، موعظة سانت مارك، في الاسكندرية، في متحف بريرا، في ميلانو، حيث نلاحظ صورة مئذنة وأزياء إسلامية، بالإضافة إلى بعض الحيوانات، والنماذج المألوفة في الشرق الإسلامي، وبالإضافة إلى أعمال ـ جنتيلى بلينى)، تركت هذه الرسوم أثرها في أعمال كثير من المصورين الإيطاليين، ولا سيما في مدينة البندقية، أمثال (مانسويتى) 1470 ـ 1530 مسيحي، وجيرولامو دا سانتا كروتشى، الذي كان يزاول نشاطه الفني من سنة 1503 ـ 1556 مسيحي، وفيتورى كارباتشيو 1455 ـ 1526 مسيحي، ولم يقف تأثير دراسات (بلينى) عند حد فناني البندقية، ولكنه امتد خارجها، ومن أوضح الأمثلة على ذلك المصور (بنتوريكيو) 1454 ـ 1513 مسيحي، وهو من فناني مدرسة أمبريا، وكان له نشاط

54 حسن الباشا، مرجع سابق، ص 228 ـ 229، لوحات 1584 ـ 1585، 1590 ـ 1592.



الطابع الإسلامي لم يندثر في العمارة الأوروبية

فني كبير في مدينة: بيروجيا، وروما، وسينا، وامتدت تأثيرات رسوم (جنتيلى بلينى) خارج إيطاليا نفسها، إذ مجد مثلاً المصور الألماني ذائع الصيت، ديرر[55].

ويمثل هانس هولباين الصغير 1497 ـ 1543 مسيحي، أحد هؤلاء الفنانين الأوروبيين الذين استهوتهم الفنون الإسلامية، وعنوا عناية خاصة باستخدام بعض عناصرها ووحداتها، ويتمثل الفن الإسلامي في إنتاج (هولباين) بصورة واضحة في ناحيتين: الأولى: زخارف الثياب، ذلك أنه يلاحظ على ثياب الأشخاص التي يرسمها، تزخرفها في كثير من الأحيان وحدات فنية إسلامية، ولا سيما تلك الوحدات الزخرفية التي يسميها البعض، بالزخرفة العربية المورقة، والتي اصطلح المستشرقون على تسميتها (بالرابيسك)، ويتضح هذا التأثير في صورة نصفية

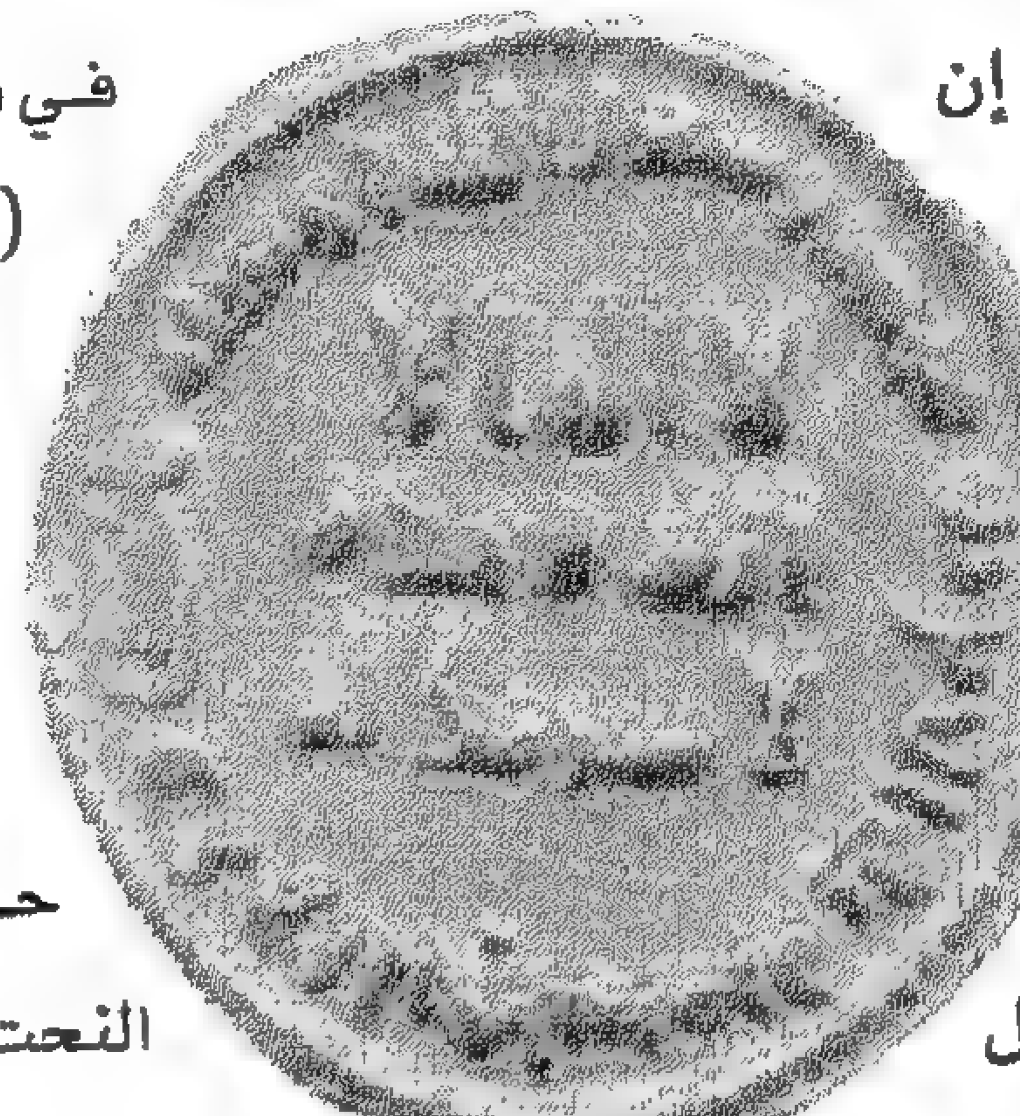


(لهنري الثامن) 1491 ـ 1547، ملك إنجلترا من مجموعة (كونت سبنسر) في الثورب، ترجع إلى سنة 1537 مسيحي، حيث تظهر الزخارف العربية المورقة (الأرابيسك) على ثوب الملك الرمادي، والمطرز بخيوط سوداء ومرصعًا بالياقوت المطعم بالذهب، أما الناحية الأخرى، التي تتضح فيها صلة (هولباين) بالفن الإسلامي، فتتعلق برسوم السجاجيد التي تظهر في صوره، إذ فطن علماء الآثار الإسلامية،

55 حسن الباشا، أثر الفنون الإسلامية في آسيا الصغرى والبلقان في التصوير الأوروبي، ضمن: موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، م3، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة 1420هـ/ 1999 مسيحي، ص 118 ـ 120، لوحات 1595 ـ 1610.

إلى أن (هولباين) قد اعتاد أن يرسم في صوره سجاجيد من نوع إسلامي معين، كمفارش على الأرض، أو على الأثاث، وقد عرف هذا النوع من السجاجيد في آسيا الصغرى، في الفترة ما بين أواخر القرن الخامس عشر والقرن السابع عشر مسيحي، ولشيوع ظهوره في صور (هولباين) اصطلح على تسميته بسجاجيد (هولباين)، ويبدو ذلك التأثير في صورة التاجر (جورج كيز) المؤرخة بسنة 1532 مسيحي، حيث إن السجادة المفروشة على الخوان، من طراز السجاجيد الإسلامية المعروفة بسجاجيد (هولباين) (56).

وكان تقدير الغربيين للخطوط الشرقية بعامة، وجمال الخط العربي بخاصة، من العوامل التي أدت إلى أن صارت صنعة الخط في الغرب، قسمًا من أقسام التصوير، وصار الخط صورة تتذوق لجمالها، بصرف النظر عن مضمونها، وقد استوحى بعض الرسامين الأوروبيين في العصر الحديث، الخط العربي في رسم لوحاتهم، ومن أشهر هؤلاء (باول كليه) الألماني الذي زار تونس سنة 1914 مسيحي، وقام برحلة إلى مصر فيما بين عامي 1928 ـ 1929 مسيحي، ومن أهم صوره الرسوم التي أطلق عليها اسم الصور الرمزية، أو الصور بالكتابة النباتية، ويتضح فيها تأثره الكبير بالخط العربي وباتجاهه من اليمين إلى الشمال، واستدارة حروفه، ومنهم أيضًا الفنان (كارل جورج هوفر) الذي ولد في سنة 1914 مسيحي، في ولاية سيلسيا، وقد تأثر بقوة الحركة الجميلة في الخط العربي عمومًا، والخط النسخ خصوصًا، ويتضح ذلك في رسومه التي عرضت في متحف (كلنجشبور) في (أوفنباخ) على الراين(57).





نموذج لدينار إسلامي
صكت منه العملة المسيحية

النحت :

ولم يقف التأثير الإسلامي عند حد التصوير، بل نجده يمتد إلى فن النحت، حيث استخدم فنانو عصر النهضة، زخارف الخط العربي في تزيين منحوتاتهم، ويظهر ذلك في تماثيل الفنان (فيركيو) (1435–1488 مسيحي)، مثال ذلك: تمثاله البرونزي «داوود» المخطوط في (البارجيلو) في فلورنسا، وذلك على هيئة أشرطة من خط النسخ المملوكي، تزخرف حواف الثوب الذي يرتديه داوود(58).

المسكوكات :

حرص بعض الملوك الأوروبيين، على

---

56. أ. هـ. كريست، الفنون الإسلامية الفرعية وتأثيرها في الفنون الإسلامية، ص 73 ـ 74.

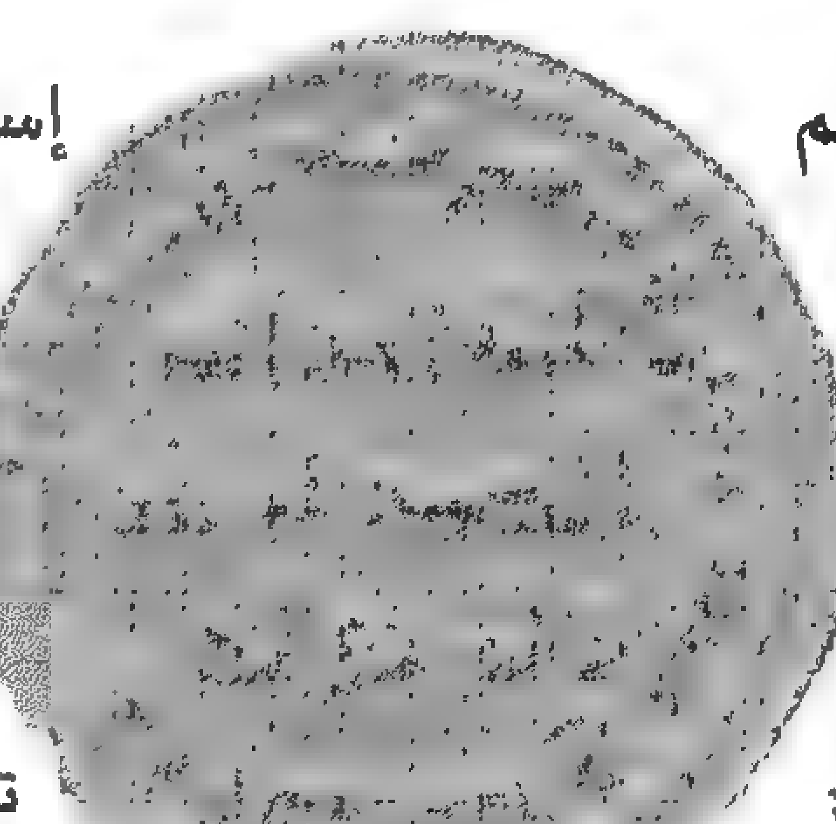
حسن الباشا، أثر الفن الإسلامي في صور هولباين، ضمن: موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، م3، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة 1420هـ/ 1999 مسيحي، ص 114 ـ 117، لوحات 1607 ـ 1609.

57. حسن الباشا، أثر الخط العربي في الفنون الأوروبية، ص 230، لوحات 1611 ـ 1614.

58. المرجع نفسه، ص 229، لوحات 1055 ـ 1056.



تأثر النورمانديون بالنمط الإسلامي في الكتابة على عملاتهم



الكتابة بالخط العربي على عملاتهم النقدية في القرن الثامن الميلادي، ويتضح ذلك على قطعة من العملة الذهبية، باسم الملك (أوفا) ملك مرسية 757 ـ 796 مسيحي، ويلاحظ أن تلك العملة تشتمل على كتابة نصها: «لا إله إلا الله، وحده لا شريك له» على أحد الوجهين، و«محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» على الوجه الآخر، وذلك بالإضافة إلى تاريخ 157هـ، ويستدل من صيغة هذه الكتابات، ذات الطابع الإسلامي الصرف، أنها منقولة دون وعي، من دينار إسلامي، كان هو نفسه النموذج الذي سكت منه العملة المسيحية(59).

ومما يسترعي الإنتباه أن النورمانديين، سكوا نقودًا متأثرة في طرزها بالنمط الإسلامي، حتى أنها كانت تحمل تاريخًا مكتوبًا بالأرقام العربية، بالإضافة إلى نقش عربي، وقد وصلنا من عهد الملك روجر الثاني، نقد من هذا القبيل، يرجع إلى سنة 1138 مسيحي(60)، هذا بالإضافة إلى ربع دينار باسم الملك (غليالم) ملك صقلية 548-561هـ/ 1154ـ 1166 مسيحي، جاء على وجهه كتابة بالخط الكوفي نصها: «الملك غليالم المستعين بالله»(61).

59ـ أ. هـ. كريست، مرجع سابق، ص 17، شكل1.

حسن الباشا، مرجع سابق، ص 225.

60ـ حسن الباشا، أثر الفنون الإسلامية بصقلية وإيطاليا في أوروبا، ص 85، لوحات 1100، 1101.

61ـ حسن الباشا، أثر الخط العربي في الفنون الأوروبية، ص 225، لوحات 1100ـ 1101.



العلاقات المسيحية - اليهودية

والعلاقات المسيحية - الإسلامية

تاريخياً ولاهوتياً



العلاقات المسيحية ـ اليهودية والعلاقات المسيحية ـ الإسلامية تاريخيًا ولاهوتيًا *

د . عبدالرحمن عَطبة **

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسله وأنبيائه أجمعين، إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وإخوانهم ممن حملوا رسالة الله وأدوا الأمانة:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ (سورة الشورى الآية: 13)

تمهيد

الحديث عن العلاقات بين المسيحيين واليهود، وبين المسيحيين والمسلمين، ترافقه كثير من الحساسيات، بسبب ما يتداوله عامة أبناء هذه الملل من روايات حولها، قد يتداخل فيها الصحيح بغير الصحيح، بحيث تبقى الحقيقة غائمة تجاه غير المدقق، ولذا كان من واجب كل باحث في مثل هذه الموضوعات، أن يتوخى الحذر لئلا يجنح به الهوى، أو تزل به عثرات اللسان إلى غير الحق، الأمر الذي يقتضي أن يكون كل كلام في هذا الموضوع، متسمًا بالدقة وبالصحة، ولا يتأتى ذلك، إلا لمن يلتزم الموضوعية في بحثه، ويدعم كل رأي بالدليل الذي لا يقبل النقض.

وأنا، في هذه المحاضرة ملتزم بهذه الضوابط، ومتمثل بالقاعدة الإسلامية في مناهج البحث: «إذا كنت ناقلاً فالصحة، أو مدعيًا فالدليل»؛ المصادر التي اعتمدتها في هذا البحث هي المراجع الأصلية في كل من اليهودية والمسيحية والإسلام: العهد القديم (التوراة) والعهد الجديد (الإنجيل) و(القرآن الكريم) وهي الأصول المعتمدة، لدى رعايا الملل الثلاث، أضفت إليها بعض المراجع الإسلامية والمسيحية.

---

* هذا الموضوع صدى لتصريح البابا الجديد بنديكت السادس عشرالذي أعلن بعد أيام من تنصيبه على كرسي البابوية أن العلاقات المسيحية اليهودية قديمة وقوية ومتجددة، وألقاه الكاتب (محاضرة) في صالة معاوية بمدينة حلب السورية بتاريخ 2005/5/19 مسيحي.

** أستاذ جامعي، كاتب/ سورية.

العلاقة مع الآخر

العلاقة بين المسيحيين واليهود، والعلاقات بين المسيحيين والمسلمين، علاقات ثنائية الأطراف، وهناك طرف ثالث هو (الآخر)، يحسن أن نعرج إلى الحديث عن العلاقة معه بالنسبة لكل من هذه الأطراف، وبكثير من الإيجاز.

الآخر بالنسبة للمسيحية، مهما كان انتماؤه أو اعتقاده، مُكرم، مُحسن إليه حتى في أشد حالات عدوانه على المسيحي، مثال واحد من أمثلة كثيرة، تعج بها صفحات الأناجيل، يترجم عن الروح العامة للتعامل مع الآخر في المسيحية، وهو قول السيد المسيح (عليه السلام)، ننقله عن الإصحاح السادس، من الإنجيل الذي رواه القديس لوقا ـ الفقرات من 27-32: «أما أنتم أيها السامعون، فأقول لكم: أحبوا أعداءكم وأحسنوا إلى مبغضيكم، وباركوا لاعنيكم، وادعوا للمفترين الكذب عليكم... افعلوا ما أردتم أن يفعل الناس لكم، فإن أحببتم من يحبكم، فأي فضل لكم؟». فهل هناك تسام في التسامح وفي الحس الإنساني أروع مما سمعنا؟.

من هو الآخر بالنسبة للمسيحيين؟ ومن هو الآخر في الإسلام؟ ومن هو الآخر لدى اليهود؟

هذا في المسيحية، أما في الإسلام، فإن الله يؤكد لجميع البشر أنه ربهم جميعاً، لا رب فئة منهم، فكان مفتتح أول سورة في المصحف الشريف قوله تعالى:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (سورة الفاتحة الآية: 2)

وكان مفتتح آخر سورة فيه قوله تعالى:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ (سورة النّاس الآية: 1)

وكان مقياس الإسلام في التعامل بين البشر جميعاً، لا بين المسلمين وحسب، هو العدل، حتى في أشد حالات العداوة وذلك في قوله تعالى:

﴿...وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (سورة المائدة الآية: 8)

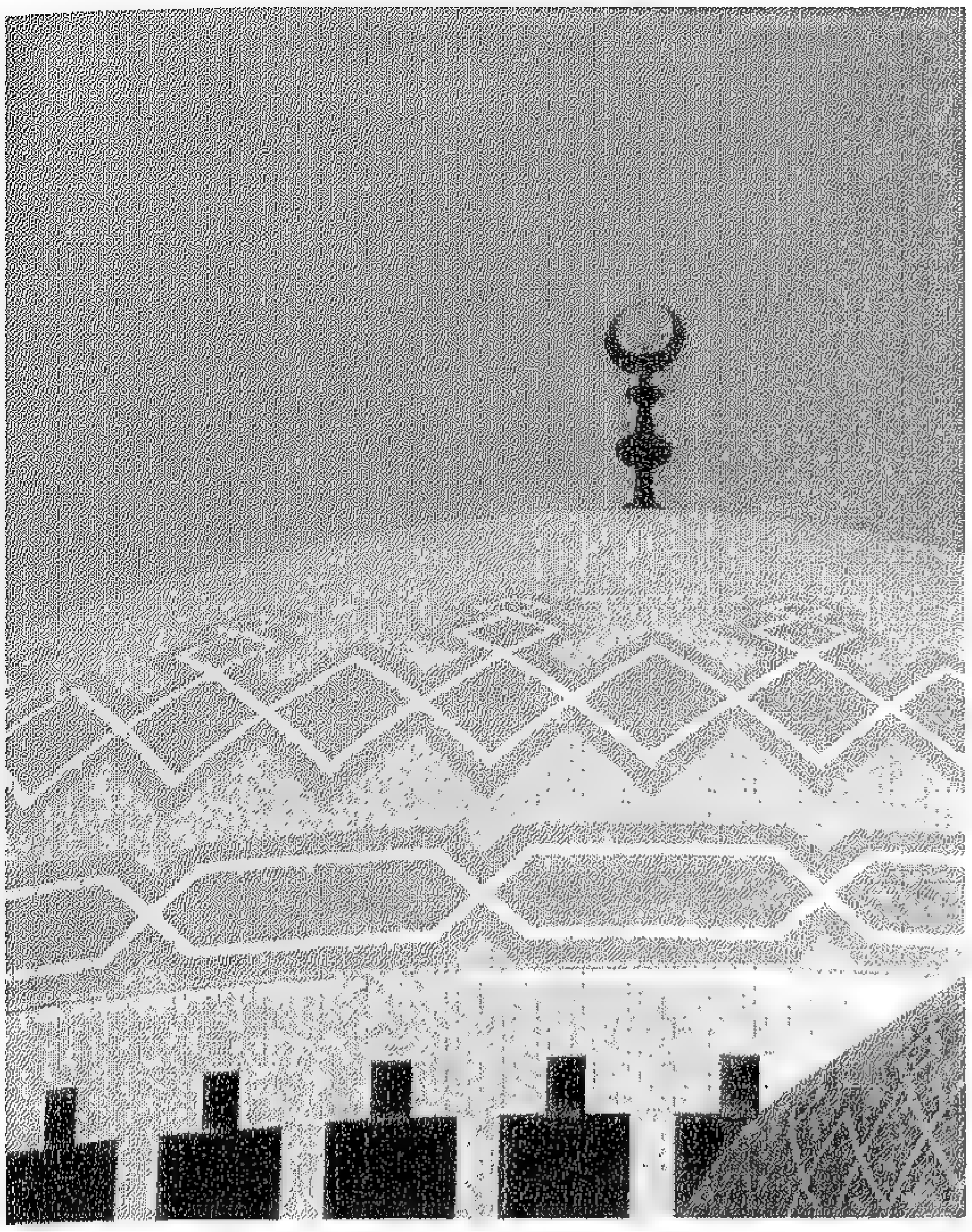
وأيضاً أترك لكل منكم التعليق على الروح التي تملي هذه العلاقات مع الآخر.

هذا في المسيحية، وهذا في الإسلام، أما في اليهودية، فقد قسم البشر إلى قسمين: (يهود) و(جوييم)، وهم الذين تسميهم أسفار العهد القديم (الأمم) والذين يطلق عليهم حديثاً اسم (الأمميين)[1]، أي جميع الأمم غير اليهودية.

الأمم، أو الأمميون، هم (الآخر) عند اليهود، والنظرة إليهم في معظم أسفار العهد القديم نظرة ازدراء، وهم يستحقون القتل، ومن لا يقتل منهم، يجب أن يكون تابعاً ذليلاً لليهود، والنصوص في ذلك كثيرة، نجتزئ بعضها في هذه المحاضرة.

ورد في سفر القضاة (1و2) في الإصحاح الثالث ـ الفقرة (1) أن بعض سكان مدينة جبعون تظاهروا بأنهم غرباء فقراء، ولما كشف يشوع أمرهم، سألهم عن السبب، فأدلوا له بسبب مخاوفهم، وقالوا: «أخبر عبيدك (أي سكان جبعون)، إخباراً بما أمر به الرب موسى عبده، أن يعطيكم كل الأرض، ويبيد جميع سكان الأرض من أمامكم» وفي سفر يشوع ـ الإصحاح الثامن ـ الفقرتان (34 و35)، ورد حول حرب إسرائيل لشعب (عاي): «أن جميع إسرائيل رجع

1ـ «جوييم» اسم لشعب غير اليهود هو (تدعال) ـ انظر العهد القديم/ سفر التكوين ـ الإصحاح 14 الفقرة 1و2، ثم أصبح يطلق على كل شعب من غير اليهود، وهم الذين يسميهم العهد القديم (الأمم) كما ورد في سفر القضاة (1و2)، الإصحاح 2 ـ الفقرة (1و2): «فأنا أيضاً لا أعود أطرد إنساناً من أمامهم من (الأمم) الذين تركهم يشوع» وكما ورد في سفر القضاة (2ز3)، الإصحاح 3 الفقرة (1): فهؤلاء (الأمم) الذين تركهم الرب ليمتحن بهم إسرائيل».



المحاضر في سطور

- ولد في حلب عام 1927.
- أستاذ جامعي في جامعة قطر.
- عضو جمعية الدراسات والبحوث.
- درّس في قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية لكلية التربية بجامعة الفاتح لسنين طويلة.

من مؤلفاته:

1 ـ الصنوبري شاعر الطبيعة.

2 ـ تطور الشعر في بلاد الشام.

3 ـ مع المكتبة العربية.

4 ـ في رحاب اللغة العربية.

5 ـ صفحات من دفتر الإسلام.

إلى (عاي)، وضربوها بحد السيف، فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء، إثني عشر ألفاً، جميع أهل (عاي)».

في النص الأول، إشارة إلى إذن الرب بإبادة جميع سكان الأرض، وفي النص الثاني إبادة شعب مدينة (عاى) رجالا ونساء.

اغتصاب الأرض وتخريبها، وتحليل القتل والإبادة لغير اليهود، ممن يقفون ضدهم، أو لا يقفون معهم، هي قيم سلبية لا إنسانية، تعجّ بها صفحات العهد القديم، ومنها، وغير النصين السابقين، نسمع أيضًا في سفر الخروج ـ في الإصحاح 23 والفقرات 23، 24 خطاب الرب لموسى: «إن ملاكي يسير أمامك، ويجيئ بك إلى الأموريين، والحثيين، والفرزيين، والكنعانيين، والحويين، واليبوسيين، فأبيدهم. لا تسجد لآلهتهم، ولا تعبدها، ولا تعمل كأعمالهم، بل تبيدهم وتكسر أنصابهم»[2].

الإبادة هنا لشعوب كثيرة لم تكن من اليهود، لا لشعب واحد يحاربهم، حتى ولو كان الأمر مع شعب واحد محارب، فهل يجوز ـ إنسانيًا وأخلاقيًا ودينيًا، إبادتهم جميعًا؟

وفي المزمور السابع والثلاثين بعد المائة نسمع في الفقرتين 8 و9: « يابنت بابل المخربة، طوبى لمن يجازيك جزاءك الذي جازيتنا، طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة»[3].

صحيح أن شعب بابل سبى اليهود وشردهم، ولكن هل يجوز، وفي أي عرف من الأعراف، سحق الأطفال لأن شعبهم تغلب على شعب آخر؟!

وفي الإصحاح الثالث من سفر الملوك الثاني ـ الفقرة 18 و19 جاء ما يلي: «فيدفع ـ أي الرب ـ موآب إلى أيديكم فتضربون كل مدينة مصحّحة، وكل مدينة مختارة، وتقطعون كل شجرة طيبة، وتطمون جميع عيون الماء، وتفسدون كل حقلة جيدة بالحجارة»[4].

2 ـ العهد القديم: ص 115 ـ طبعة بيروت 1891 مسيحي.

3 ـ المصدر نفسه: ص 846.

4 ـ المصدر نفسه: ص52.

وفي الفقرات من 13 إلى 26 من الإصحاح التاسع من سفر التكوين ذكر لأبناء نوح الذين خرجوا من الفلك سام وحام ويافت، وأن حام أبوكنعان، جاء فيه «ملعون كنعان عبدالعبيد يكون لأخوته»[5].

أظن أن هذه الأقوال، وهي قل من كل، لا تحتاج إلى أي تعليق، وينبني عليه أن ما جاء في (البروتوكولات)، تمليه الروح نفسها، التي سمعنا ببعض آثارها في النصوص السابقة. ومن وحي هذه التوجهات والمواقف مع الآخر، ستتحدد أيضًا علاقة اليهود بالمسيحيين، هذه العلاقة التي هي إحدى مادتي البحث في محاضرتنا هذه.

العلاقة الثنائية بين المسيحية واليهودية، وبين المسيحية والإسلام، كثيرة ومتشعبة، وتضيق كثير من الكتب عن استيعاب تفصيلاتها؛ الأمر الذي حملني على تركيز محاضرتي حول نقطتين أساسيتين فقط، هما من أهم ما يتصل بمحاضرتنا، من أصول العقيدة في الملل الثلاث، وتعني بهما الموقف من السيدة مريم، ومن السيد المسيح (عليهما السلام) عقديًا، أي من وجهة النظر اللاّهوتية، ومن ثم تداعياتهما في التعامل مع الآخرين تاريخيًا، ومع التساؤل، هل بقيت المواقف اللاهوتية التي جاءت في أصول العقائد على حالها؟ أم داخلها شيء من التغيير؟ وإذا حصل ذلك، فما هي المسوغات التي اقتضت ذلك، وهل بمستوى تلك الأصول؟

هل بقيت المواقف اللاهوتية التي جاءت في أصول العقائد على حالها؟ أم داخلها التغيير؟

علاقات اليهود بالمسيحيين:

المسيحية جاءت زمنيًا بعد اليهودية بفترة طويلة، وكان طبيعيًا غياب أيّ ذكر لها في نصوص العهد القديم، لأنه سابق لها. ولكن لما كان مجيئها إلى مجتمع يهودي، فقد كان طبيعيًا أن يتعامل معها هذا المجتمع بالأساليب نفسها، التي ألفها في تعامله مع الآخرين، وقد تجلى هذا التعامل في غاية الوضوح، مع أول رمزين أصيلين ومعتبرين في المسيحية، وهما السيدة مريم والسيد المسيح (عليهما السلام).

موقف اليهود من السيدة مريم:

السيدة مريم، أم السيد المسيح (عليهما السلام) عذراء، ولدت به بمعجزة، وقد جاءت أخبار هذه الولادة شديدة الإيجاز في المصادر المسيحية، أشار إليها باقتضاب إنجيل (متّى)، وبقليل من التفصيل إنجيل (لوقا) بينما أفاض المصدر الإسلامي ـ القرآن الكريم ـ في قصة الولادة، وفي تكريم السيدة مريم، إفاضة واسعة ستأتي في موضعها من هذه المحاضرة.

جاءت رواية إنجيل (لوقا) في الإصحاح الأول على الصورة التالية:

«أرسل الله الملاك جبرائيل، إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود، اسمه يوسف، واسم العذراء مريم، فدخل إليها وقال: السلام عليك أيتها الممتلئة نعمة الربُّ معك.

فاضطربت لهذا الكلام، وقالت في نفسها: ما معنى هذا السلام؟ فقال لها الملاك: يا مريم لا تخافي، قد نلت حظوة عند الله، فستحبلين وتلدين إبنا تسميه (يسوع) فيكون عظيمًا، وابن العليّ يدعى، ويوليه ربنا عرش أبيه داود، فقالت مريم للملاك: أنى يكون هذا ولا أعرف رجلاً، فأجابها الملاك. إن الروح القدس يحل بك، وقدرة العليّ تظللك، لذلك سيكون المولود ذكرًا وابن الله يدعى».

5ـ المصدر نفسه: ص13 و14.

السيدة مريم، فتاة عذراء، حملت ووضعت طفلاً، ومألوف الناس في عالم الأسباب، أن الطفل وَلَدُ سِفاح، وأن أمه زانية. هذا ما وقر في أذهان المجتمع اليهودي حينذاك، بل إن خطيبها الذي ذكرته الأناجيل، والذي لم يكن قد دخل بها بعد، راودته الشكوك أيضًا، لولا أن صحح له الأمر ملاك الرب في الحُلم، فقد جاء في الإصحاح الأول من إنجيل (متّى): «ولمّا كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف، وُجدت قبل أن يتساكنا حاملاً من الروح القدس، وكان يوسف زوجها بارًا، فلم يرد أن يشهر أمرها، فعزم على تركها سرًا. وما فكر في ذلك حتى تراءى له ملاك الرب في الحلم وقال له: يا يوسف بن داود لا تخف أن تجئ إمرأتك إلى بيتك، إن الذي تحمله هو من الروح القدس، وستلد إبنًا فسمّه يسوع».

الزانية في التشريع اليهودي ترجم حتى تموت، جاء هذا في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر تثنية الاشتراع في العهد القديم[6]، ومريم اتهمت بالزنا، وظاهر أمرها يقتضي التصديق بذلك، فلماذا لم يرجموها؟ أو على الأقل لماذا لم يعاقبوها؟ لابد أن هناك مانعًا حال دون ذلك، ولا بد أن يكون هذا المانع دليلاً لا يقبل النقض، فما هو هذا الدليل الذي برأها ثم حماها؟

المراجع القديمة لم تذكره، والمصادر المسيحية سكتت، ولم تأت حوله بشئ يشفي الغلة، ولكن القرآن الكريم، المصدر الإسلامي الأول، هو الذي كشفه، وهو دليل رباني لا يقبل النقض، وسيجيء تفصيله في موضعه من هذه المحاضرة أيضًا.

وعلى الرغم من وجود الدليل الذي جبّ أيدي اليهود عن السيدة مريم، فإن ألسنة السوء لديهم، ما زالت وحتى اليوم، تلهج بالتعريض بها، وبقذفها بأشنع التهم.

موقف اليهود من السيد المسيح (عليه السلام):

السيد المسيح آية من آيات الله، وحياته كلها تشهد بذلك، صرّح بذلك رجل تقي صالح اسمه سِمْعان، وكان روح القدس قد نزل به وبشره بالسيد المسيح قبل أن يولد، ولما رآه بعد ولادته بين يديّ أمه، وعمره أربعون يومًا، حمله ثم خاطبها بقوله: «إنه جُعل لسقوط كثير من الناس، وقيام كثير منهم، من بني إسرائيل، وآية ينكرونها»[7]، ويقول شارح هذه النسخة من الإنجيل: «يسوع آية الله الكبرى، بَيْدَ أن رؤساء اليهود أنكروها»[8].

اضطلع السيد المسيح بحمل رسالة الله، وهو في الثلاثين من العمر، كما يروي إنجيل لوقا: «ولما اعتمد الشعبُ كله، اعتمد يسوع أيضًا، وبينما هو يصلي، انفتحت السماء، ونزل الروح القدس عليه، في صورة جسم كأنه حمامة، وأتى صوت من السماء يقول: (أنت ابني الحبيب عنك رضيت[9]، وكان عمر يسوع عند بدء رسالته في نحو الثلاثين من عمره»[10].

كان السيد المسيح (عليه السلام)، قبل تكليفه بالرسالة متحنثًا، يتعبد الله، ويخدم الناس، ويعمل الخير، ويدعو إلى المحبة والتسامح، وهي قيم تخالف ما ألفه اليهود في تعاملهم، من أنماط الظلم

6ـ العهد القديم: ص:287ـ طبعة بيروت 1891 مسيحي.

7ـ انظر «الإنجيل» الذي رواه القديس لوقا/ الإصحاح الثاني ـ الفقرات 25 إلى 35. «الكتاب المقدس وأعمال الرسل» ص:176ـ منشورات المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة 3/4/1973 مسيحي.

8ـ المصدر نفسه ص:177.

9ـ المصدر نفسه، الفقرات 21 و22 و23، ص:181.

10ـ إنجيل متّى: الإصحاح 16 الفقرات 18.

والاستغلال والتعالي حتى مع شعبهم اليهودي، وحين كلف (عليه السلام) بالرسالة جهر بالدعوة وأعلن إنشاء الكنيسة: «على الصخر سأبني كنيستي، فلن تقوى عليها أبواب الجحيم[11] وأمعن في أعمال البر، وعزز الله سبحانه نشاطه بالمعجزات من إحياء الموتى وشفاء المرضى، فالتف حوله الناس وكثر محبوه، واصطفى مجموعة من تلاميذه توسم فيهم الخير، هم الحواريون الإثنا عشر؛ الأمر الذي أحدث خلخلة في البناء الديني والاجتماعي في المجتمع اليهودي والذي ثارت ثائرة المتنفذين فيه، من الأحبار والكتبة والشيوخ، ومعظمهم من الفريسيين والصدوقيين.

الأحبار هم رؤساء الكهنة، وكبيرهم حينذاك (قيافا)، والشيوخ هم وجهاء اليهود وأعيانهم، والفريسيون وكانوا يتبعون مذهبًا دينيًا متشددًا وكان أكثر الكتبة منهم.

والصدوقيون هم حزب ديني سياسي، أكثر أعضائه من الأحبار والكهنة، أما الكتبة فهم علماء الكتاب المقدس، وأكثرهم من الفريسين، وقد أخذ السيد المسيح على معظمهم رياءهم وكبرياءهم[12].

ولعلاقتهم العنيفة والعميقة بإيذاء السيد المسيح، نشير إلى بعض أقواله فيهم، فمما قاله لتلاميذه محذّرًا من هؤلاء الكتبة: «إياكم والكتبة، يحبون المشي في الجُبب، ويتوقون إلى تلقي التحيات في الساحات، وإلى صدور المجالس في المجامع، والمقاعد الأول في المآدب، يأكلون بيوت الأرامل، وهم يظهرون أنهم يطيلون الصلاة. هؤلاء سينالهم العقاب الأشد»[13]، ومما قاله أيضًا في الكتبة وفي الفريسيين: الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون، تؤدون عُشر النعنع والشبث والكمون، بعدما أهملتم ألزم ما في الشريعة: العدل والرحمة والوفاء... يا أيها الذين يُصفقون الماء من البعوضة ويبتلعون الجمل... أيها الحيات أولاد الأفاعي، أنّى لكم أن تهربوا من عقاب جهنم. هأنذا أرسل إليكم من أجل ذلك أنبياء وحكماء وكتبة، ففريقًا تقتلون وتصلبون، وفريقًا في مجامعكم تجلدون، ومن مدينة إلى مدينة تطاردون حتى يقع عليكم كل دم زكي، سفك على الأرض، من دم هابيل الصدّيق، إلى دم زكريا بن بركيا، الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح، الحق أقول لكم: هذا كله سيقع على هذا الجيل»[14].

ما أسباب ومظاهر تعاطف النصارى مع المسلمين؟ وكيف تعامل المسلمون الأوائل مع النصارى؟

هذه الإفاضة في التعريف بحقيقة هؤلاء الناس من وجوه المجتمع ممن ناصبوا السيد المسيح أشد العداء، قد تكون ضرورية، لتفسير مواقفهم العنيفة تجاهه، لأن هذه المواقف تمثل نموذجًا لا يغاير سلوكهم العام وحسب، بل هو جزء من لحمته ومن طبيعته نفسها.

الأناجيل كلها تحدثت عن ألوان الإضطهاد، التي مارسها قادة اليهود ضد السيد المسيح، كما تحدثت عن المؤامرة التي أدت إلى القبض عليه ومحاكمته، ومن ثم اتخاذ القرار بقتله، وانتهت به إلى الصلب والقتل كما يعتقدون.

بدأت المؤامرة باختراق الصف المحيط بالسيد المسيح، على عادة جميع المؤامرات، بالبدء باختراق داخل صفوف الجبهة المعادية، وذلك بعد أن باعهم

11ـ انظر قسم (فوائد) من فهرس (الكتاب المقدس ـ الإنجيل وأعمال الرسل) ص:460 وما بعدها.

12ـ إنجيل لوقا: الإصحاح 20ـ الفقرات 45 إلى 47.

13ـ إنجيل متّى: الإصحاح 23ـ الفقرات 24 إلى 35.

14ـ إنجيل متّى: الإصحاح 26 الفقرات 53 إلى 55.

أحد الحواريين، وهو يهوذا الإسخريوطي، ضميره مقابل مبلغ من المال، على أن يسلمهم السيد المسيح، واهتبل يهوذا إحدى الفرص، وجاء بصحبة عصابة مدججين بالسلاح، فقبضوا عليه وساقوه إلى دار (قيافا) عظيم الأحبار؛ وقد يتساءل سائل، كيف يقبضون عليه وكيف يسلمه الله، وهو رسوله، وهو ابنه في اعتقاد من يؤمنون به؟، وقد أعطى هو الجواب على ذلك في قوله لواحد ممن حاولوا الانتصار له: «أو تظن أني لا أستطيع أن أسأل أبي، فيمدني الساعة بأكثر من اثني عشر فيلقاً من الملائكة؟ ولكن كيف تتم آيات الكتب التي تقول: إن هذا ما يجب أن يحدث؟[15]...

وجرت المحاكمة برئاسة (قيافا)، وجيء بكثير من شهود الزور، ثم وجّه إليه (قيافا) سؤالاً قال فيه: «أستحلفك بالله الحي لتقولن لنا: أأنت المسيح ابن الله؟ فأجاب يسوع: أنت قلت. وأنا أقول لكم: سترون بعد اليوم ابن الإنسان جالسًا عن يمين القدرة، وآتيا على غمام السماء. فشق عظيم الأحبار ثيابه وقال: (لقد كفر، فأي حاجة بنا إلى الشهود، وقد سمعتم كفره، فما قولكم؟) فأجابوه: (يستوجب الموت) فبصقوا في وجهه ولطموه، ومنهم من لكمه[16].

كان الرومان يحكمون البلاد سياسيًا، وكان الحاكم حينذاك هو (بيلاطس)، وكانت هذه المحاكمة دينية، ولا بد لتنفيذ حكم الموت، من موافقة السلطة التنفيذية، وحُمِل يسوع ومعه قرار المحكمة، إلى الحاكم الروماني (بيلاطس) ليصدق الحكم، وكان بيلاطس على شيء من الإنصاف، ولم يقتنع بالحكم، وحاول دفع الأمر أكثر من مرة، ولكنهم كانوا يصرون على التنفيذ، وعبّأوا الشعب حول دار الحكم، وهم يبالغون في الصياح: (ليُصلب) «فلما رأى بيلاطس أنه لم يستفد شيئًا. بل تفاقم الإضطراب. أخذ ماء وعسلاً بمرأى من الجميع وقال: أنا بريء من هذا الدم. أنتم وشأنكم فيه. فأجاب الشعب بأجمعه (دمه علينا وعلى أولادنا)، فجلد يسوع ثم أسلمه للصلب[17].

لماذا لم يعاقب اليهود (مريم)؟ ولماذا لم يعلنوا براءتها؟ ولماذا سكتت المصادر المسيحية ولم تشر الى ذلك الموقف؟

وفي الطريق إلى الصلب، تبعه جمع كبير من الشعب، ومن نساء كن يضربن الصدور وينحن عليه، فالتفت يسوع إليهن وقال: «يا بنات أورشليم، لا تبكين عليّ، بل ابكين على أنفسكن، وعلى أولادكن، فسوف تأتي أيام يقال فيها: طوبى للعواقر، وللبطون التي لم تلد، والثدي التي لم ترضع، ويقال للجبال انهدي علينا، وللتلال ادفنينا»[18].

وكان الصلب والموت يوم الجمعة، واستأذن أحد الوجهاء الصالحين، واسمه (يوسف الرامي) بيلاطس في حمله ودفنه، فكفنه ودفنه في قبر حفر بالصخر، وأغلق القبر، وجاء بعض النسوة يوم الأحد يحملن الطيب للقبر، فوجدنه مفتوحًا وخاليًا[19]. وكانت قيامة السيد المسيح بعد الموت، كما في روايات الأناجيل.

وهذه هي المأساة التي نفذها اليهود، تجاه المسيحيين الذين يتجرعون غُصصها حتى اليوم، فقد قتل اليهود رمزهم الذي هو نبي الله، والذي هو

---

15 ـ إنجيل متّى: الإصحاح 26 الفقرات 63 إلى 78.

16 ـ المصدر نفسه الإصحاح 27 الفقرات 23 إلى 26.

17 ـ إنجيل لوقا، الإصحاح 23 الفقرات 27 إلى 31.

18 ـ إنجيل مرقس، الإصحاح 16 الفقرات 1 إلى 6.

19 ـ انظر كتاب «من يحمي المسيحيين العرب» ص:29 لفيكتور سحاب، دار الوحدة، بيروت.

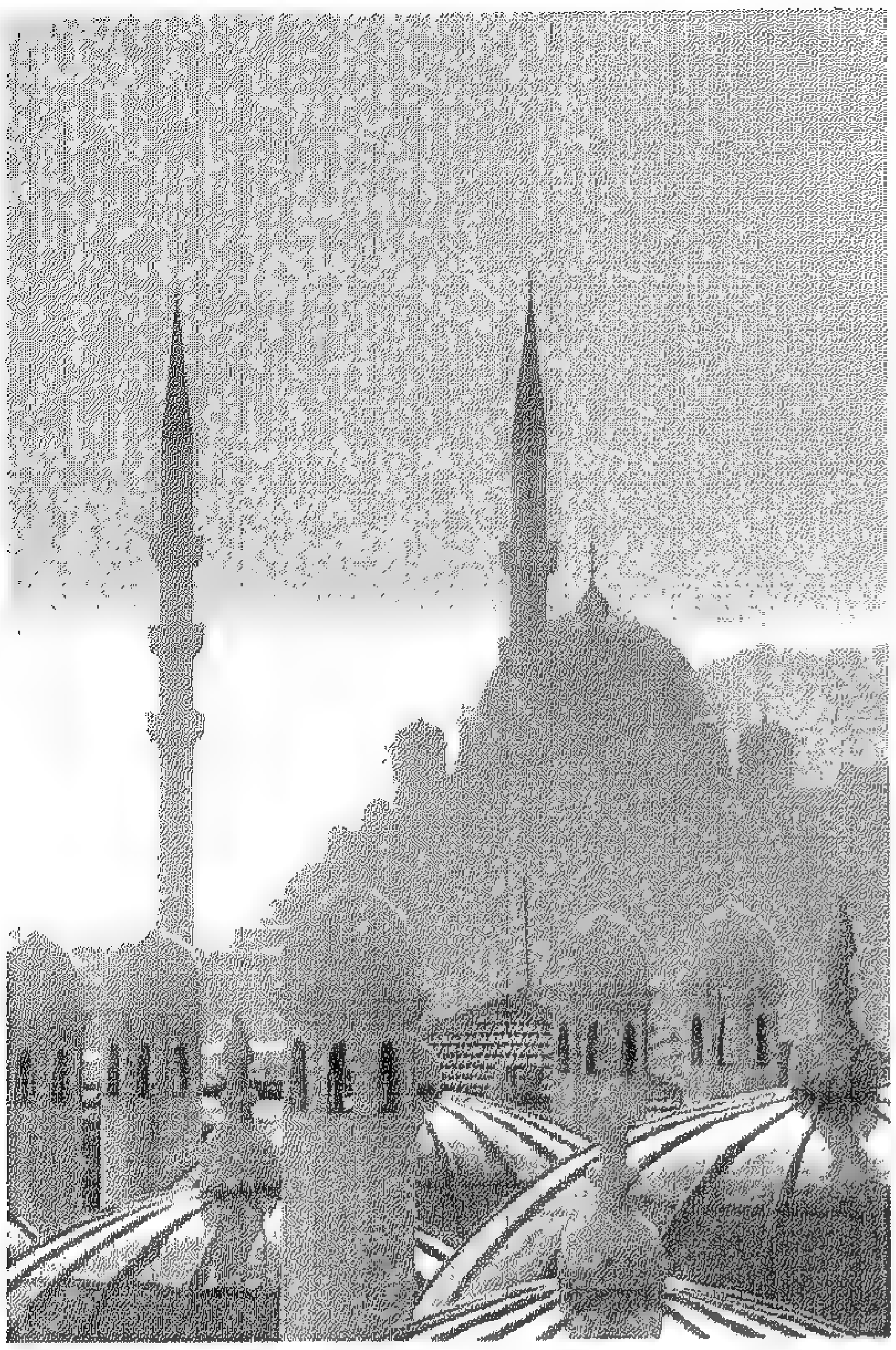
في اعتقادهم ابن الرب، وهل هناك أقسى من هذه الفاجعة التي ارتكبها اليهود جميعًا، عبر كل طوائفهم، وخلال جميع فترات التاريخ وحتى اليوم؟ وهل هناك من يجرؤ على الإدعاء بأن اليهود قريبون من المسيحيين، سواء على مستوى اللاّهوت أو على مستوى مجريات الأحداث في التاريخ؟

وإنني أترك لكم أيها المستمعون، مسيحيين ومسلمين، الحكم على هذه المقولة!!

علاقات المسلمين بالمسيحيين :

الإسلام جاء بعد المسيحية بمدة طويلة، وكان المجتمع في الجزيرة العربية آنذاك، وفي جوارها، يضم أشتاتًا من الملل، منهم اليهود والنصارى والصابئة والمشركون وعبدة النار. وعبر موضوع محاضرتنا، نذكر أن اليهود، كعادتهم، وكما فعلوا مع المسيحيين من قبل، ناصبوا الدعوة الجديدة العداء، وتعاملوا معها بأفانين من المكر ومن الإيذاء، ولا حاجة بنا لتفصيل ذلك لأن الخوض فيه خروج عن منهجية البحث.

أما المسيحيون، فقد كان تعاملهم مع المسلمين، ومنذ اللحظات الأولى، موسومًا بالتعاطف، جريًا على سنن المسيحية في الحب وفي التسامح، وسجل التاريخ لهم مواقف كريمة تجاه الإسلام والمسلمين، ويقف المسلمون منها دائمًا موقف الإجلال والتقدير، ونذكر بإشارات عجلى بعضًا منها، مما أفاضت بتفصيلاته كتب السيرة وكتب التاريخ، وفي بداياتها كان تنبيه الراهب (بحيرا) لأبي طالب عم الرسولﷺ، في تجارته إلى الشام، والرسول صغير، تنبيه إلى المخاوف من غدر اليهود بابن أخيه، وبعدها، وبعد إعلان الرسالة، هناك مواقف البر والعدل من (النجاشي) للمسلمين في هجرتي الحبشة، وهناك أيضًا المعاملة الكريمة من ملوك النصارى في الجوار للرسل الذين بعث بهم الرسولﷺ، إلى هؤلاء الملوك يحملون إليهم رسائله،



وهم: النجاشي في الحبشة، والمقوقس في مصر، وهرقل في بلاد الروم.

وفي المقابل، فإن المسلمين، بدوافع من إيمانهم برسالات الله، ومن القيم التي أرساها دينهم الجديد، ومن الوفاء الذي فطرت عليه جبلة العرب، حملة الرسالة آنذاك، كانت لهم مواقف مماثلة تجاه المسيحيين، ففي مكة حين كان المسلمون في غاية الضعف، وفي أشد حالات الضنك، تعاطفوا في كثير من الحزن مع الروم النصارى، في خسارتهم في إحدى المعارك إزاء الفرس المشركين من عبدة النار، وكان مصدر حزنهم إيمانهم بأن هزيمة الروم هي هزيمة للإيمان أمام الشرك، في الوقت الذيانعكست فيه الآية مع مشركي مكة الذين أعلنوا فرحتهم بانتصار الشرك على الإيمان، ونزلت بهذه المناسبة آية في القرآن الكريم تسجل الحدث وأصداءه، ثم تبشر المسيحيين بنصر قريب على الفرس، يفرح به المؤمنون، وكانت هذه الآية مطلعًا لسورة كاملة،

سميت باسم سورة الروم، والآية هي:

﴿ الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (سورة الرُّوم الآيات: 1-6)

وبالفعل تحقق وعد الله وتحقق هذا النصر، بعد مدة قريبة، في سنة 628 مسيحي، ونجح المسيحيون في استرداد الصليب الكبير الذي كان الفرس قد سلبوه منهم، وهذا ما جعل المسيحيين يفرحون بذكرى استرداده شفويًا في عيدهم المسمى (عيد الصليب) [20].

ومن ذلك توجيه الرسول ﷺ بعض المسلمين في الهجرة إلى الحبشة، وكانت على المسيحية، دفعًا لأذى قريش عنهم قائلاً: «إنَّ بها ملكًا لا يظلم أحد عنده»، وهي أرض صدق، ومن ذلك أيضًا، استقباله لوفد نصارى نجران، في مسجده، وطلبه منهم أن يقيموا صلاتهم فيه، واستقباله لعدي بن حاتم الطائي المسيحي، في مسجده وفي بيته.

هذه بعض نماذج من التعامل الواقعي مع المسيحيين في مطلع الرسالة الإسلامية، والذي استمر على النهج نفسه على امتداد التاريخ الإسلامي كله.

وأما في أصول العقيدة التي يفرض على كل مسلم الالتزام بها، وعدم اجتراحها في أي زمان ومكان، فإن برّ النصارى ومودتهم تمثل جزءًا منها، وآيات كثيرة من القرآن الكريم، ونصوص كثيرة من الحديث الشريف، تؤكد هذه القيمة بكل قوة وبشكل لا يحتمل أيّ لبس، ونكتفي منها بنموذج واحد يمثل أجلى صورها، وهو قوله تعالى:

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾
(سورة المائدة الآية: 82)

موقف المسلمين من السيدة مريم:

الحديث عن السيدة مريم، لم تفض فيه المصادر المسيحية كما أفاضت فيه المصادر الإسلامية، قرآنًا وسنة، وقصة حملها وولادتها التي وردت في القرآن الكريم، تضم تفصيلاً لجميع المراحل الزمنية والواقعية، التي استغرقها هذا الحدث العظيم، ورواية المسلمين لها في نفوسهم دائمًا كل مشاعر الغبطة، والابتهاج، كما أن اطلاع المسيحيين على هذه الرواية، يثير في نفوسهم المشاعر نفسها المكونة لدى المسلمين، ولدي شواهد من أقوال بعض كبار رجال الكنيسة، وعلى مستوى العالم، تشيد بموقف الإسلام والمسلمين من مريم ومن عيسى (عليهما السلام)، وأرجو أن تعذروني، إذا أغفلت ذكرها أو ذكر بعضها، في هذه المحاضرة لضيق الوقت.

لقد بدأت قصة مريم في القرآن الكريم، من قبل أن تخلق مريم نفسها، وذلك عبر الحديث عن أمها (حنة) زوجة عمران، وكانت من العابدات الصالحات، وكانت قد أسنّت، واشتهت الولد، ونذرت لله إن حملت لتجعلن ولدها محررًا ـ أي حبيسًا ـ في خدمة بيت المقدس[21]، وجاءت رواية هذا النذر في القرآن:

﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾
(سورة آل عمران الآية: 35)

وتساوقت الآيات في عدد من المواضع من القرآن

---

20 ـ انظر البداية والنهاية: 56/2.

21 ـ صحيح البخاري 318/4 (كتاب الأنبياء.

الكريم تتابع الحدث خطوة خطوة، لقد وضعت أم مريم، ولكن المولود جاء على غير ما نذرت، لم يكن المولود ذكرًا كما كانت تتمنى، بل كان أنثى، وسلمت المرأة الصالحة أمرها إلى الله، وسمتها مريم وحصّنتها بإعاذتها بالله من الشيطان الرجيم قال تعالى:

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾

(سورة آل عمرَان الآية: 36)

وأحسن الرب الكريم قبولها وأحسن إنشاءها، وكفلها زكريا ليرعاها، وخصّها بكرامات لم تكن مألوفة عند الناس قال تعالى:

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (سورة آل عمرَان الآية: 37)

وزادها الله سبحانه كرامة، وأغدق عليها صفات الطهر والتعبد، وفضلها على نساء العالمين، وأبلغها بذلك عن طريق الملائكة، تهيئة لنفسها للحدث العظيم المرتقب قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ۞ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾

(سورة آل عمرَان الآيات: 42-43)

واستجابت مريم لأمر ربها، وابتعدت عن الناس، وخلت بنفسها للعبادة قال تعالى:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۞ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ (سورة مَريَم الآيات: 16-17)

ولكن هذه الخلوة التي اختلتها للتعبد اهتزت حين فوجئت بمن يقتحمها عليها، وكان هذا المقتحم هو الروح الأمين جبريل (عليه السلام)، الذي تمثل أمامها بصورة البشر قال تعالى:

﴿...فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾

(سورة مَريَم الآية: 17)

ولنتصور نحن الآن حالة الروع النفسية التي اعترت مريم (عليها السلام) حين رأت ـ وهي منفردة عن الناس في مكان قصي ـ بشرًا ينتصب أمامها، ولكنها تجلدت، وتجرأت، ودار بينهما الحوار التالي الذي صوره لنا القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۞ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۞ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۞ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾

(سورة مَريَم الآيات: 18-21)

وجاءتها الملائكة بعد جبريل تحدثها بتفصيل عن هذا الولد وصفاته وعمّا سيكون له من شأن قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۞ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (سورة آل عمرَان الآيات: 45-46)

وناجت مريم ربها ضارعة إليه، مكررة عذريتها، مستغربة ما تبشر به من الولد قال تعالى:

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾

(سورة آل عمرَان الآية: 47)

وجاءها الجواب الحاسم في قوله تعالى:

﴿...قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (سورة آل عمرَان الآية: 47)

لقد نال مريم من الذعر ما ينال كل بكر طاهرة بتول، حين ينسب إليها حمل ووضع، ولكنها صبرت

لأمر الله... ثم أحست بالحمل وشعرت بالحرج وازدادت بعدًا عن الناس قال تعالى:

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾
(سورة مريم الآية: 22)

وبعد الحمل مخاض، لجأت معه إلى جذع نخلة تستند إليها، وتناجي نفسها متمنية الموت على الفضيحة المحتملة قال تعالى:

﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾
(سورة مريم الآية: 23)

ولكن رحمة ربها لم تتركها في هذا القلق، وجاءها صوت يطمئنها، صوت جبريل ـ عليه السلام ـ أو صوت الوليد ـ على اختلاف لدى المفسرين ـ يطلب منها أن تدع الحزن جانبًا، وأن أمر معاشها مؤمن من خلال جدول ماء بقربها ورطب جني تساقطه عليها النخلة التي لجأت إليها قال تعالى:

﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۞ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۞ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ (سورة مريم الآيات: 24-26)

وجاءها التوجيه بالاستعداد للرد على هجوم الناس، إذا رأوها وطفلها، وذلك بأن تمتنع عن الكلام معهم قال تعالى:

﴿...فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾
(سورة مريم الآية: 26)

وحدثت المواجهة، وابتدأ الهجوم، وروعت بأقسى اتهام، قال تعالى:

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ۞ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ (سورة مريم الآيات: 27-28)

هذا، الاتهام صريح، ولابد معه من عقاب، ولكنهم لم يعاقبوها، ولا شك أن الحائل دون ذلك كان دليلاً قاطعًا لا يقبل النقض فما هو؟ لقد كف اليهود عن العقاب، ولكنهم لم يعلنوا البراءة، ولم يذكروا الدليل الذي منعهم من العقاب، كما أن المصادر المسيحية، سكتت ولم تشر إليه ولكن القرآن الكريم وهو المصدر الإسلامي الأول، كشف هذا الدليل وهو دليل رباني جاء على شكل معجزة، حين تكلم الطفل الرضيع يقول القرآن الكريم:

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾
(سورة مريم الآية: 29)

ولكن الصبي، ابتدر الجواب عن أمه معرفًا بنفسه في قوله تعالى:

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۞ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۞ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۞ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (سورة مريم الآيات: 30- 33)

إنه عيسى كما يقول القرآن الكريم:

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾
(سورة مريم الآية: 34)

وأخرس الله ألسنتهم بهذه المعجزة، وهي كلام الطفل الرضيع، فكفوا عن العقاب كما أسلفنا، ولكنهم بحكم طبيعتهم، لم يكفوا عن العدوان.

كفى بمريم فخرًا لدى المسلمين ولدى النصارى، ـ على السواء ـ أنها أم لنبي عظيم. ذلك الإجلال الذي كرمها الله ورسوله به، فحيثما ذكرت في القرآن الكريم ذكرت موصوفة بالطهر والعفاف كما في قوله تعالى:

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾
(سورة التحريم الآية: 12)

وهي صديقة ..

﴿...وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ (سورة المائدة الآية: 75)

وقد كذّب الله اليهود أبلغ تكذيب حين افتروا عليها وعلى عفتها بالبهت والكذب في قوله تعالى:

﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾

(سورة النِّساء الآية: 156)

وسجل لها رسول الله ﷺ مكانة لا تداني حين نعتها بأنها من خير نساء الدنيا: «خير نسائها مريم ابنه عمران وخير نسائها خديجة»[22].

وحين قال عنها: «لم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية إمرأة فرعون»[23].

وحين قال أيضًا: «ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخًا من مس الشيطان غير مريم، وابنها»[24]، ويتلو أبو هريرة راوي هذا الحديث الآية الكريمة على لسان أم مريم في قوله تعالى:

﴿...وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾

(سورة آل عِمران الآية: 36) [25].

ولعل من طريف العادات عند مسلمي مدينة حلب بالذات، أن يقدموا لكل نُفَساء صبيحة ولادتها، هدية تتمثل في مائدة عامرة بالطعام ـ وبالحلوى منها بشكل خاص ـ ويسمونها «سفرة مريم» وتعليلها لديهم أن السيدة مريم حين وضعت طفلها كانت وحيدة، وحزينة، ولم يفرح لها أحد بالمولود، فهم يعوّضونها، وبعد آلاف السنين، ما فقدته من البر، وأنهم يشاركونها فرحتها بمولودها العظيم.

موقف المسلمين من السيد المسيح (عليه السلام):

أما عيسى (عليه السلام)، فهو نبيّ الله ورسوله، وقد أشاد الإسلام بذكره، وبسيرته، والآيات التي تحدثت عنه كثيرة، منها قول الله تعالى:

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ (سورة الحديد الآية:27)

ومنها:

﴿...إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾

(سورة النِّساء الآية:171)

ومنها:

﴿...وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ (سورة البقرة الآية:87و253)

ومنها:

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾

(سورة مَريَم الآية:34)

ومنها قوله تعالى:

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾

(سورة الأنعام الآية:85)

أما محمد رسول الله ﷺ فقد قال معظمًا شأن عيسى (عليه السلام): ((من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل))[26].

وكان يعطي عيسى (عليه السلام) من بين الأنبياء مكانة خاصة، فيقول في موضع: «أنا أولى الناس

---

22 ـ المصدر نفسه والصفحة نفسها.

23 ـ صحيح البخاري 4/317 (كتاب الأنبياء) وصحيح مسلم، كتاب الفضائل 7/96.

24 ـ المصدران نفسهما والصفحتان نفسهما.

25 ـ صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم 4/319.

26 ـ صحيح البخاري: كتب الأنبياء 4/323.

بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات[27]، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[28]، كما يقول في موضع آخر: «أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد علات ليس بيني وبينه نبي»[29].

ولا بد من التأكيد ـ صونًا للحقيقة والتاريخ ـ بأن المسلمين حين يحيطون عيسى وأمه (عليهما السلام) بهالات من التقدير، وإنما يفعلون ذلك، لا من باب المجاملة، وإنما يفعلونه بدافع من إيمانهم، واستجابة منهم لأمر الله، وإثباتًا لعلمهم اليقيني به.

وأخيرًا:

إن أذى اليهود للمسيحيين لم يتوقف، بعد أن فعلوا ما فعلوه بالسيد المسيح (عليه السلام)، وبقي اضطهادهم لهم وللكنيسة مستمرًا لأزمان طويلة، فقد نقموا منهم استمرار دعوتهم، وإقبال الناس عليهم، وناصبوهم العداء دائمًا، والأحداث كثيرة، ويشهد بها التاريخ، ونشير منها إلى حدثين قريبي عهد من أيام السيد المسيح (عليه السلام)، أحدهما نقمتهم على القديسَين: بطرس، ويوحنا؛ لالتفاف الناس حولهما، ثم زجهما بالسجن، ولكن الله سبحانه يسر لهما الخروج منه[30]، وثاني الحدثين محاكمة مَجمع اليهود للقديس اسطيفانوس محاكمة جائرة، ثم قتله رجمًا بالحجارة، واشتد بعدها اضطهادهم للكنيسة[31].

ونسمع في العصر الحديث المفكر المسيحي ميشيل حايك يقول: «فما أبعدناها هنا عن الأقاصيص المجحفة التي ما زال اليهود منذ ألفي سنة يتداولونها في كتاب (توليدات يشوع)، فيهينون فيها ذكر الابن، ويتهمون أمه بالشيء الفريّ قائلين إنها بغيّ، فاحتج محمد أولاً، والمسلمون من بعده، وأكثروا من الاحتجاجات، ضد هذا البهتان العظيم»[32].

وأخيرًا: المسيحيون والمسلمون، ومنذ بدء رسالة الله لدى كل منهم، كانوا مؤمنين بطهر مريم وبصدق عيسى (عليهما السلام)، واستمروا، وسيبقون مستمرين على معتقدهم هذا، حتى يرث الله الأرض وما عليها.

ما حقيقة (سفرة مريم) التي يقدمها المسلمون من مدينة حلب لكل امرأة تنجب؟!

أما اليهود فهل بقوا مستمرين على معتقدهم فيما نسبوه إليهما؟ أم عدلوا عنه؟ كل المعطيات التي عرفها العالم عن اليهود تؤكد أنه لم يصدر عنهم ما يغير هذا المعتقد، وبالتالي فإن رأيهم فيما نسبوه إليهما من إفتراء، هو لم يتغير، وعليه فأية علاقة على المستوى الديني واللاّهوتي يمكن أن تقوم بين المسيحيين واليهود؟.

إن ما حدا بي إلى التساؤل ما نشهده في هذه الأيام، وفي الولايات المتحدة الأمريكية بالذات من أناس يدّعُون إلى (الصهيونية المسيحية) ويسمون أنفسهم «المسيحيين الصهاينة»، وهم شريحة من

---

27 ـ العلات، بنو أمهات شتى من رجل واحد (القاموس المحيط، مادة علل).

28 ـ صحيح البخاري: كتاب الأنبياء 4/323 وصحيح مسلم، كتاب الفضائل 7/143، وسنن أبي داود، الحديث رقم:4675.

29 ـ انظر مسند أحمد بن حنبل 2/411، وسنن الترمذي، الحديث رقم:223، وسنن ابن ماجه، الحديث رقم:4077.

30 ـ أعمال الرسل، الإصحاح 4، الفقرات 1ـ4 ص:374 (الكتاب المقدس، الإنجيل وأعمال الرسل، وانظر «تاريخ الكنيسة المسيحية» ص:22، لسمير نوف، تعريب المطران الكسندر بن جحا، حمص 1964.

31 ـ انظر الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة، ص:86 للبطريرك أفرام الأول برصوم، حمص 1940 مسيحي، وانظر «تاريخ الكنيسة المسيحية» ص:23 و24.

32 ـ المسيح في الإسلام لميشيل حايك، نقلاً عن بحث «الأسس المشتركة بين الديانتين في المعتقدات ومواطن الإلتقاء بينهما» ألقي في ندوة الحوار الإسلامي المسيحي، طرابلس 1976مسيحي، ونشر في كتاب «بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي» ص:284، ليبيا 1977 مسيحي.

المسيحيين هناك، ارتهنت نفوسها لخدمة الصهيونية، التي هي تكريس لمطامع اليهود لهذه الشريحة، حتى غدا عدوُّ المسيحيين التاريخي واللاهوتي صديقًا حميمًا؟ ثم هل سمع عن اليهود أو عن أي واحد منهم، وحتى يومنا هذا أي تصريح يغاير ما يعتقدونه في السيد المسيح وفي أمه؟ وهل اعتقدوا، تصريحًا على الأقل، بطهرهما؟ حتى يقبل الناس، ولو على الرغم منهم، مثل هذه الصداقة المسيحية الصهيونية الجديدة؟

إن الأمور لو سارت طبيعية في فهم الناس لبعضهم، وإعطاء كل ذي حق حقه، لكان المسلمون هم الأصدقاء الحقيقيون للمسيحيين، ولكان النصارى في العالم أشد اتصالاً بالمسلمين وصداقة لهم.

إن الإسلام هو الدين الوحيد في العالم، الذي يدعم النصارى ويؤكد معهم باعتقاد جازم، ويقول لهم: الحق معكم، وإن سيدنا المسيح لم يكن له أب.

إن وصف القرآن الكريم لعيسى (عليه السلام) بأنه ﴿كلمة الله﴾ تأكيد على أنه خلق بتقدير من الله بكلمة ﴿كن﴾، وذلك على غير سنن التوالد الناجم عن لقاء زوجين، وإذا كان ذلك عجيبًا في عالم الأسباب، فإنه ليس بعجيب أمام قدرة الله سبحانه، فإن خلقًا سابقًا له، هو أشد عجبًا منه، ذلك هو آدم بكلمة ﴿كن﴾ أيضًا، ولكن بدون أب أو أم.

المداخلات:

مداخلة سيادة المطران يوحنا إبراهيم

مطران السريان الأرثوذكس بحلب:

أولاً: شكرًا للسيد الدكتور عبدالرحمن عطبة على هذه المحاضرة القيمة جدًا.

عندما كنت أسمعك، كنت أفكر ما هو الجديد في هذه المحاضرة؟ فوجدت فيها أشياء كثيرة جدًا. وأهم شيء في المحاضرة هي هذه اللغة الجديدة في التحادث مع الآخر؛ هذا الشيء ربما لم نسمعه في الماضي من شخصية مهمة لها مكانتها في الإسلام.

اليوم أعتقد أننا بحاجة إلى هذه اللغة، لغة الحوار الحقيقية التي نتحدث عنها، والسبب أن لغتكم هذه جديدة علي، وربما على الآخرين؛ لأنكم اعتمدتم على مصادر معتمدة من هذه الديانات التي تكلمت عنها.

عندما يتحدث المسلم عن المسيحي ويستشهد بالإنجيل المقدس، وعندما يتحدث المسيحي عن الإسلام ويستشهد بالقرآن الكريم، وعندما يتحدث المسيحي عن اليهودية ويستشهد بالتوراة؛ يعني أنه من الصعوبة جدًا أن يخطئ، لأن المصادر التي تعتمد عليها هي التي تشهد بأن قولكم هو قول الحق، وهذا ما وجدته أولاً في المحاضرة.

> **المسيحية اخترقت منذ زمن بعيد من فئات وفرق ومجموعات حسبت نفسها على المسيحية وهي ليست مسيحية.**

المحاضرة في أكثرها لا هوتية، لقد شبعنا من التاريخ، وحسنًا فعلتم بعدم سردكم لأحداث تاريخية مهمة تؤكد على هذه العلاقة المميزة بين المسلمين والمسيحيين.

هذا الذي سمعناه وقرأناه ورأيناه في المحاضرة.

ولكننا من الناحية اللاهوتية نحن بحاجة ماسة إلى من يستطيع أن يسلط الأضواء على آيات مهمة جدًا وردت سواء في الإنجيل أو القرآن الكريم؛ فأنا أرى أن هذه المحاضرة موجهة أولاً إلى المسيحيين الذي قد يسيئون الظن بأن المسلمين لا يعرفون شيئًا عن المسيحية الحقيقية.

هذا الموقف الصحيح من الإسلام نحو المسيحية نريده دائمًا نحن المسيحيين.

والمحاضرة موجهة للمسلمين - واسمحوا لي أن أقول - بأن هذه المحاضرة تشكل جزءًا مهمًا مما نطالب به دائمًا في الخطاب الديني.

حسبت نفسها على المسيحية، وهي ليست مسيحية، ويسمون أنفسهم مسيحيين، ولكنهم ليسوا مسيحيين.

هذه المحاضرة موجهة للغرب لأن الغرب دائمًا يتساءل ويسمع من هؤلاء الذين يأتون من بلدان مختلفة. ما هي العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في هذا الشرق؟، هل حقًا أن المسيحيين ليسوا مضطهدين؟!! هل حقًا أن المسيحيين يحصلون على حقوقهم، ولهم مكانتهم عند المسلمين؟! هل هناك تساو بين الجامع والكنيسة؟!

أسئلة كثيرة، وكما قرأتم في كتاب (من يحمي المسيحيين؟) أخطار كثيرة تتعلق بأولئك الذين يخافون في بعض الأحيان من حوادث تقع.

الغرب يجب أن يسمع هذه المحاضرة، لكي يعرف حقيقة كيف يفكر الإسلام بالمسيحيين.

وعندما يسمع ويقرأ، يستطيع أن يضع حدًا لتساؤلاته، دون أن يعود إليها، لأنكم فعلاً وجهتم هذه المحاضرة إلى من يريد أن يعرف رأي الإسلام في المسيحية.

أعتقد أن هذه المحاضرة يجب أن تترجم إلى لغات أخرى، وترسل إلى جهات معنية، خاصة تلك التي تعتني بشؤون الحوار الإسلامي المسيحي، فتبقى مصدرًا مهمًا من المصادر التي تحدثتم عنها.

وشكرًا.

مداخلة سيادة المطران بطرس مراياتي
مطران الأرمن الكاثوليك بحلب

استمعت اليوم إلى هذه المحاضرة، وما علمت أن الدكتور قرأ الإنجيل والتوراة من مصادرها، وهي دعوة لنا نحن المسيحيين أن نقرأ القرآن، ودعوة للمسلمين أن يقرءوا الإنجيل وأن يقرءوا التوراة، ليكتشفوا ما يجهلون؛ ولكي نكتشف أيضًا ما نجهل في الديانة الإسلامية.

أما الأمر الثاني، فإن ما يجمعنا، أكثر مما يفرق



في كثير من الأحيان أسمع أشياء كثيرة تصدر عن بعض رجال الدين، ليست معتمدة من المصادر الصحيحة، ولهذا يخطئون عندما يقولون ما يقولون، ويظهر أن هناك أشياء كثيرة عند المسيحية والمسلمين.

هذا الخطاب الديني الذي يجب أن يأخذ مكانه الصحيح في حياتنا، سواء أكان بين المسيحيين أم المسلمين، وأعتقد أنه يستطيع أن يعتبر أن هذه المحاضرة مهمة.

الموضوع الأخير: هذه المحاضرة موجهة للغرب؛ وهذا الأمر مهم جدًا.

أولاً: عندما قلتم إن المسيحيين، هم مسيحيون، أعتقد أن هذا الكلام ليس صحيحًا مئة بالمئة، فنحن نعرف أن المسيحية اخترقت ـ منذ زمن بعيد، كما قرأتم بالمصادر ـ من قبل فئات وفرق ومجموعات

بيننا نحن المسلمين والمسيحيين، فلماذا هناك بعض التيارات المغرضة التي تبرز الفروق بين الديانتين ولا تسعى إلى إبراز ما يجمعنا لاهوتيًا وعقائديًا؟

والأمر الثالث والأخير، ربما يجب أن نسير معًا إلى ما يوحد الديانتين في شأن الانفتاح العالمي، فالديانة اليهودية ديانة عرقية تعصبية منغلقة، وبالنسبة إلينا نحن معشر المسيحيين، نقبل بالتوراة؛ ولكن نسمي هذه الكتب بالعهد القديم، أما الإنجيل فهو العهد الجديد، وهذا ما يشير إلى أهمية هذا الموضوع، إن الماضي بالنسبة إلينا قد انتهى، ومع السيد المسيح (عليه السلام) فتحت صفحة جديدة في ديانة عالمية منفتحة.

ونحن مع إخواننا المسلمين ندعو إلى هذه الديانة الكونية المسكونية العالمية التي تدعو إلى الخير، تدعو جميع الناس إلى عبادة الله الواحد.

وشكرًا.

مداخلة الدكتور الشيخ أحمد بدر الدين حسون
مفتي سورية

ثلاث كلمات، ثلاث من الكلمات، محاضرٌ ومحاضرة وواقع.

أما المحاضر: فهو اليوم حجة على جيل الشباب ليقول لهم: إن العلم والعطاء لا يحده عمر، ولا زمن من المهد إلى اللحد.

المحاضرة: لماذا الآن؟ وأكثر ما تحدث به أستاذنا مكتوب عندنا كمسلمين ومسيحيين؟ هناك بعضكم وبعض الاخوة الآخرين الذين قرأوا عنوان الدعوة يقولون لماذا، هذا الذي سيتحدثه معنا؟ وهنا ننبه سيادة المطران إبراهيم إلى أن الخطاب خطاب ثلاثي: مسيحي، إسلامي، غربي.

ولكن تعالوا لنربط هذه المحاضرة بالواقع..

أنا طالب درست الثانوية الشرعية، وهناك من درس في كلية الشريعة، وهناك طلاب درسوا اللاهوت في اليسوعية، وغيرها، والسؤال: هل كانت مدارسنا تدرسنا الآخر أم تدرسنا نحن فقط؟!!

الحقيقة أنها كنت تدرسنا. بل تدرسنا المذاهب، حتى وليس الدين فقط!! تضيق علينا الساحة حتى ندرس مذهب الأستاذ الذي يدرسنا!!.. ومن هنا تحولنا من العالمية إلى القطرية، إلى العشائرية، إلى العائلة، إلى الأسرة إلى الفردية!!... فدراستنا دراسة فردية، والدليل عندي يوم كنت طالبًا في الثانوية الشرعية، تحول طالب من مذهب إلى مذهب؛ واذكر أن هذا الطالب - رحمه الله - (توفاه الله)، تحول من المذهب الحنفي إلى المذهب الشافعي، ففصل من المدرسة.

> **أي علاقة على المستوى الديني واللاهوتي يمكن أن تقوم بين المسيحيين واليهود رغم أن هؤلاء لم يعدلوا عما قالوه في حق مريم وعيسى عليهما السلام؟!**

هو داخل ساحة الدين، وداخل ساحة الطائفة كما نسميها ولكن الواقع أنا قرأنا أنفسنا، ولم نقرأ الآخرين.

وأتساءل: هل قرأنا أنفسنا؟!!!

هذا كلام يحتاج إلى محاولة جديدة، ومحاضرة جديدة.

هل نعرف من نحن؟!....

أعتقد أننا ضائعون تائهون لا نعرف من نحن، من كثرة ما وجد في أفكارنا، لا نعرف من نحن؟!..

الواقع: ما حدث في السنوات العشر الأخيرة، حروب سياسية ارتدت ألبسة دينية.

ما حدث في البوسنة والهرسك، وفي صربيا، وكرواتيا، أقدم المساجد والكنائس أحرقت، وما اتعظ العالم، إنما اتجهوا باتجاه العراق.

ما يحدث في فلسطين، منذ سبعة وثمانين عامًا حتى الآن، من تدمير كل شيء لاهوتي وحضاري والعالم يتفرج، ونحن نمتلئ حقدًا وقهرًا!....

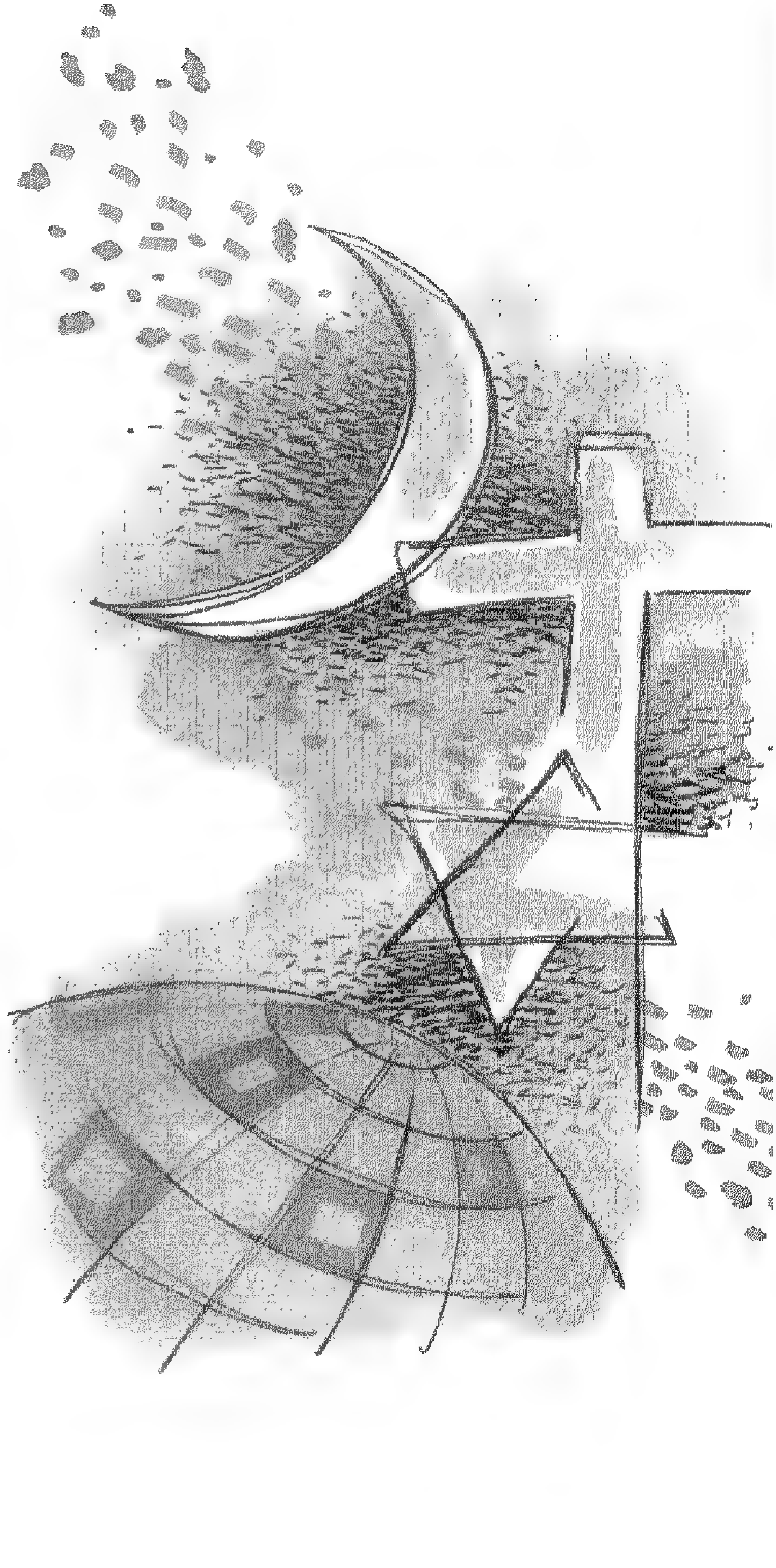
كيف تخاطب العالم؟ الخطاب متعدد الأركان، قد يكون خطاب طائرة وسلاح!... لكن فقدنا الخطاب الأقوى، خطاب العقل، واستعمل الصهاينة هذا الخطاب فجلبوا العالم إليهم ونحن خسرنا هذا الخطاب مع الآخر، وفيما بين بعضنا البعض، فخسرنا بعضنا أولاً؛ ثم خسرنا الآخر.

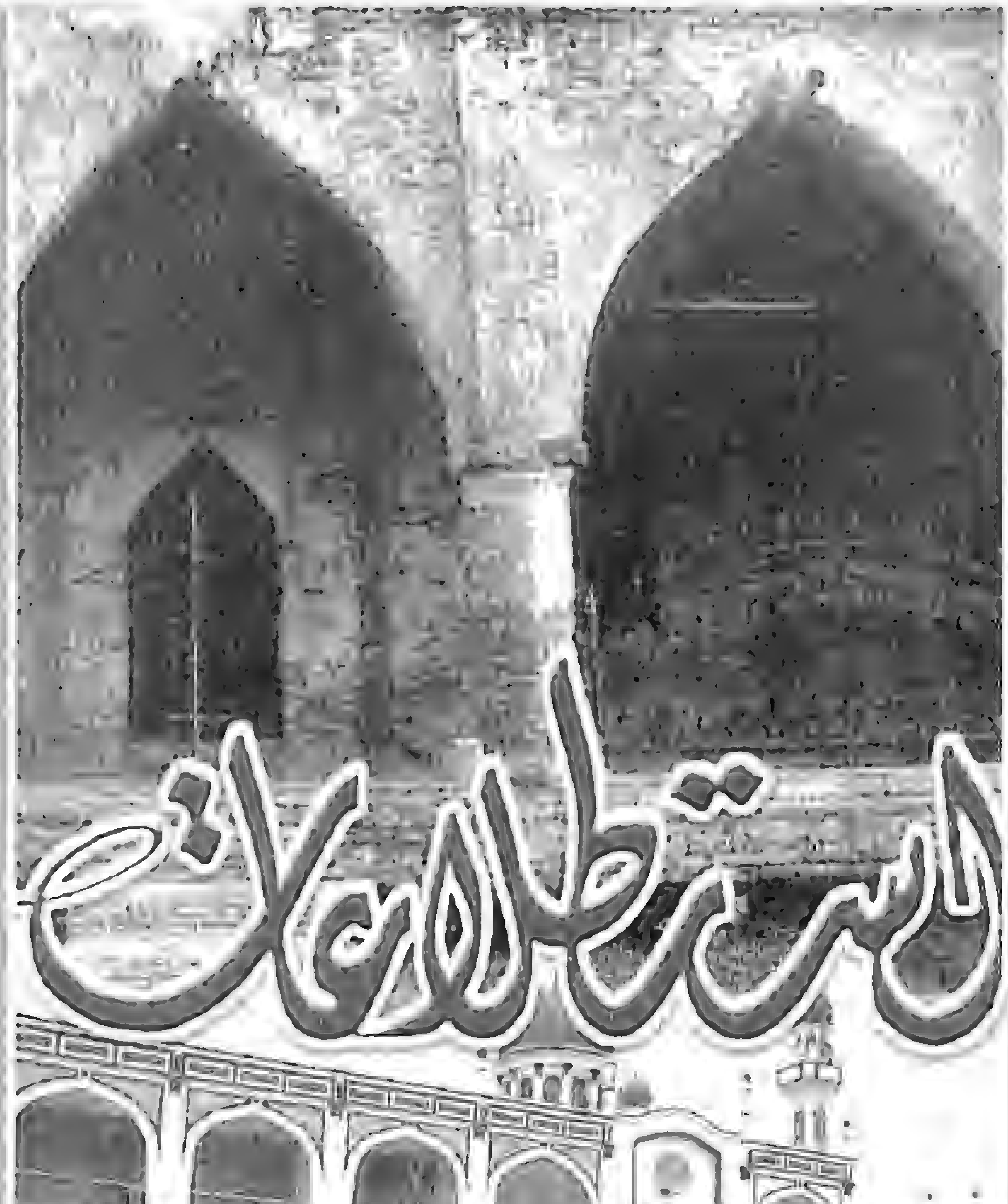
إن ما يحدث في العراق، أخطر مما تتصورون.

أن نرى كل يوم بين الستين والسبعين جثة مربوطة الأيدي، ومعدمة بطلقة في الرأس هذا شيء جديد، شيء عجيب، إذن الآخر بدأ يقتل الآخر، وليس يحاور العربي المسلم، المسيحي، الجندي صار لا يدري لِمَ يُقتل، ولم يقتل!!... يخرج من بيته هو وزوجته... الطبيب الذي قتل هو وزوجته وطفله يا ترى من قتله؟ هل يدري لم قتل؟ ويا ترى، من قتله هل يدري لم قتله؟!

تحرق الكنيسة الكلدانية في الموصل، أحرق كل ما فيها من كتب ومخطوطات التي تعود إلى ثمانمئة سنة، ثم وضع فيها مفرقعات ودمرت، من دمرها؟ لا ندري! نحن ننظر إلى تماثيل بوذا حينما دمرتها طالبان، عقدت الأمم المتحدة (12) جلسة من أجل تماثيل بوذا، ومتحف العراق الذي يضم أكثر وأكبر كنوز عالمية، لم تجتمع الأمم المتحدة اجتماعًا واحدًا لأجله!!... إذاً هناك مستهدف، وهو نحن، وحضارتنا، وقيمنا.

هذا الخطاب يبعد عنا جزءاً من الخطر، ولا يبعد الخطر كله، إنما العمل بهذا الخطاب هو الذي يبعد الخطر عنا، أن نبدأ العمل به، فرقوا بين سياسة أمريكا وبين شعبها، أمريكا مظلومة ممن يسمون أنفسهم المسيحيون الجدد، الذي أخذوا الإسم زورًا وبهتانًا، فالمسيحي لا يكون جديدًا لأن عمره ألفي عام، والدين لا يجدد، إنما يجدد الدين قيم وثوابت جاءت مع آدم، وهي سائرة إلى يوم القيامة.






مساجد في أرض الابتسام

تايلاند

مساجد من أرض الابتسام

تايلاند

إعداد: د. عبد العاطي محمد عبد الجليل*



* صحفي كاتب وأستاذ جامعي / ليبيا

مراحل من التاريخ

يقول التايلانديون إن أجدادهم هاجروا من جنوب الصين منذ أمد بعيد، وتشير المكتشفات إلى أن شعباً عريقاً عاش في منطقة تعرف حالياً باسم (بان شينج) في محافظة (أودون تاني) على بعد 560 كيلومتراً من العاصمة بانكوك.

وقد اكتشفت عدة مقتنيات في هذه المنطقة من بينها أدوات منزلية وأدوات حديدية وبعض الأدوات المستخدمة في صناعة الخزف تعود إلى فترة تقدر بستة آلاف سنة، وهي فترة تتزامن مع حضارات قديمة في الصين ..

أشياء كثيرة يفخر بها أهل تايلاند - أو بلد الابتسام - من أهمها أن أرضهم لم تقع تحت الاحتلال خلافا للدول المجاورة..

يقسم التايلانديون تاريخ بلادهم إلى عدة مراحل، أهمها :

1 ـ **عصر سؤختاي:** وهو العصر الذي شهد بداية تجمع شعب تايلاند الذي هاجر من جنوب الصين ليستقر في الجزء الأعلى من نهر (جاويرأيا)، وتم تأسيس (سؤخوتاي) عاصمة في تلك الفترة، وهي حاليا منطقة سياحية شمال العاصمة بانكوك وتبعد عنها بمسافة 427 كيلومتراً.

2 ـ **عصر آيوتيا:** بدأ عام 1359 م. على يد (أمير أوتونج) الذي اختار مدينة (أيوتيا) عاصمة للبلاد، وتبعد هذه المدينة عن العاصمة بانكوك بمسافة 67 كيلومتراً، واستمرت هذه الفترة قرابة 417 عاما.

وتعتبر هذه الفترة من أهم فترات تاريخ تايلاند، حيث شهدت أهم التحولات السياسية والاجتماعية والدينية، وفي مقدمتها دخول الاسلام.

3 ـ **عصر راتنا كوسين:** بدأ سنة 1782 م. ويستمر حتى الآن، وفي هذه المرحلة تم نقل العاصمة إلى بانكوك.



خارطة ليست رسمية

تايلاند:

المساحة: 514,000 كيلومتر مربع.

ثاني أكبر دولة في جنوب شرق آسيا.

الترتيب الدولي من حيث المساحة: 49.

عدد السكان: 63 مليون نسمة.

عدد المحافظات: 76 محافظة.

الإسلام في تايلاند

تذهب بعض المصادر التاريخية - ومن بينها الدراسات التي نشرها معهد دراسات الشرق الأوسط والعالم الإسلامي وكلية العلوم السياسية بجامعة جولالونج كورن - إلى أن القرنين السادس عشر والسابع عشر شهدا بداية انتشار الاسلام في تايلاند، وتقول هذه المصادر أن رجلاً يسمى (الشيخ أحمد) وفد إلى تايلاند أواخر القرن السادس عشر ومارس نشاطا تجارياً ملحوظاً، وقدم خدمات جليلة للدولة ما دفع بالملك (سرونج تهام) إلى اختياره رئيساً للوزراء، منعما عليه بلقب (جاوبر أيا شيخ أحمد) تأكيداً على المكانة الرفيعة التي بات يتبوؤها.

ولم تمض سنوات كثيرة حتى بدأ الاسلام ينتشر في ربوع البلاد، وقد استقبل الملك (سوم ديج برأناراي الكبير) بعثة إسلامية تدعوه لاعتناق الاسلام..

ويعتبر (الشيخ أحمد) الجد الأكبر لعدد من العائلات التايلاندية التي لا تزال تنتسب إليه تاريخياً ورسمياً.



المنبر والمحراب في مسجد (شاكفونج)
المعروف باسم مسجد (تونج بؤ)

المسلمون في الجنوب

المسلمون في جنوب البلاد مواطنون تايلانديون تعود جذورهم إلى شعب استوطن المنطقة منذ أكثر من ألفي عام، حيث أقاموا دولة عرفت باسم (مملكة لانكا شوكا)، وفي سنة 220 م. أقاموا دولة أخرى عرفت باسم (تامبورن لينج)، وفي سنة 675 م. قامت دولة جديدة باسم (مملكة سري ويشاي) التي انقرضت لتحل محلها دولة عرفت باسم (مملكة ماثيا هيت) التي اضمحلت سنة 1401 م.

في القرن المسيحي الثامن توطدت دعائم الاسلام جنوب تايلاند ما حدا بـ(برأياتوانكوانترا) إلى تأسيس مملكة (فطاني) الاسلامية ..

ويشكل المسلمون في تايلاند نسبة تتراوح بين 5 و8٪ بينما تذهب بعض المصادر إلى أن النسبة تصل إلى 18٪، أما في مناطق : فطاني وجالا وناراتيواس وستول فإن نسبة المسلمين تفوق 80٪ ...

ومنذ سنة 1946 م يطبق مسلمو الجنوب الشريعة الاسلامية، خاصة ما يتعلق بالأحوال الشخصية والإشراف على المساجد ..

واعتباراً من سنة 1955م تأسست الهيئة الإسلامية التايلاندية والهيئة الإسلامية للمحافظات للإشراف على شؤون المسلمين في 26 محافظة من بينها 10 محافظات في المنطقتين الوسطى والشمالية، واثنتين في المنطقة الشرقية وثلاث عشرة في المنطقة الجنوبية.

ويجدر بي أن أشير هنا إلى أن إلى أنني منذ أكثر من ثلاثين عاماً التقيت في طرابلس شابين، أحدهما أوغندي والثاني تايلاندي، كنت آنئذ طالباً في المرحلة الثانوية، كانا حديثي عهد بالعرب واللغة العربية، وعلى الرغم من أن كل واحد منا ينتمي إلى حضارة ولغة



أهالي قبيلة موصور الجبلية

مختلفة إلا أن علاقة طيبة ربطت بيننا، كان كل منا يحاول أن يعرف من الآخر شيئاً عن بلده وحضارتها ولغتها، ومع أنهما وفقا في استيعاب العربية، إلا أن الحظ لم يحالفني لأتعلم شيئا يذكر من لغاتهم الإفريقية والآسيوية، اللهم ألا كلمات قليلة تلاشت مع الزمن ..

كان عبد الرحمن من تايلاند، ومن محافظة (فطاني) وكان كثيراً ما يقول لي مداعباً: لم لا تزيل حرف (الميم) من لقبك (فطماني) حتى تنتسب إلى (فطاني)؟ وكنت أجيبه: ولم لا تضف أنت حرف (الميم) إلى (فطاني)؟ وكانت هذه المفارقة كفيلة بتعميق أواصر الصداقة بيننا، لم يبخل عبد الرحمن بما لديه عن بلده تايلاند، وخاصة إقليم (فطاني)، أهدى لي بعض الصور، وكان يجيب أي سؤال أطرحه، حتى خيل إلي أنني زرت تلك البقاع ..

ومثلما التقينا صدفة افترقنا صدفة، ثم التقيت طلاباً آخرين من جنسيات مختلفة في الجامعة، كان من بينهم طلاب وطالبات من إفريقيا وآسيا، جمعت بيننا أوجه النشاط الجامعي المتعدد والمتنوع،

* **التنوع السكاني:** تاي، لاو، الملايو، تايلانديون من أصول صينية .

الديانة: البوذية، الإسلام، الهندوكية، المسيحية، وعقائد أخرى .

* **اللغة الرسمية:** التايلاندية، وتتكون من 44 حرفاً، مع 21 حركة، درجة الصوت خمس درجات، تكتب من اليسار إلى اليمين.

* **اللغة في الأقاليم الجنوبية الأربعة:** البهاسا، وتكتب بالأبجدية العربية .



يوم مفتوح لشباب وفتيان من مسلمي تايلاند

مهرجانات فنية، ثقافية، رياضية، كان الأفارقة أبطال الرياضات القوية، خاصة العدو بكل أنواعه، كان الصينيون أبطالا في تنس الطاولة، وكان الروس أساتذة في الشطرنج، وكان التايلانديون متميزين في فن الديكور والزينة، صهرتنا المهرجانات الثقافية والفنية، تبادلنا الخبرات، ومن بين أولئك الطلاب كان بعض التايلانديين الذين كانوا يمدونني بصور عن بلادهم، وللمرة الثانية ربطت بيني وبين بعضهم صداقة متميزة خاصة منهم من ينتمي إلى (فطاني) وتذكرت تلك المفارقة التي كان يتمسك بها عبد الرحمن، والتي بسببها أيضا توطدت بيننا صداقة

التاريخ في تايلاند يبدأ بدخول البوذية إلى البلاد، والفرق بينه وبين التاريخ الغريغوري 543 سنة، ولذا فسنة 2006 مسيحي عند التايلاندي هي سنة 2549.



مسجد (سلوك المتقين) القديم



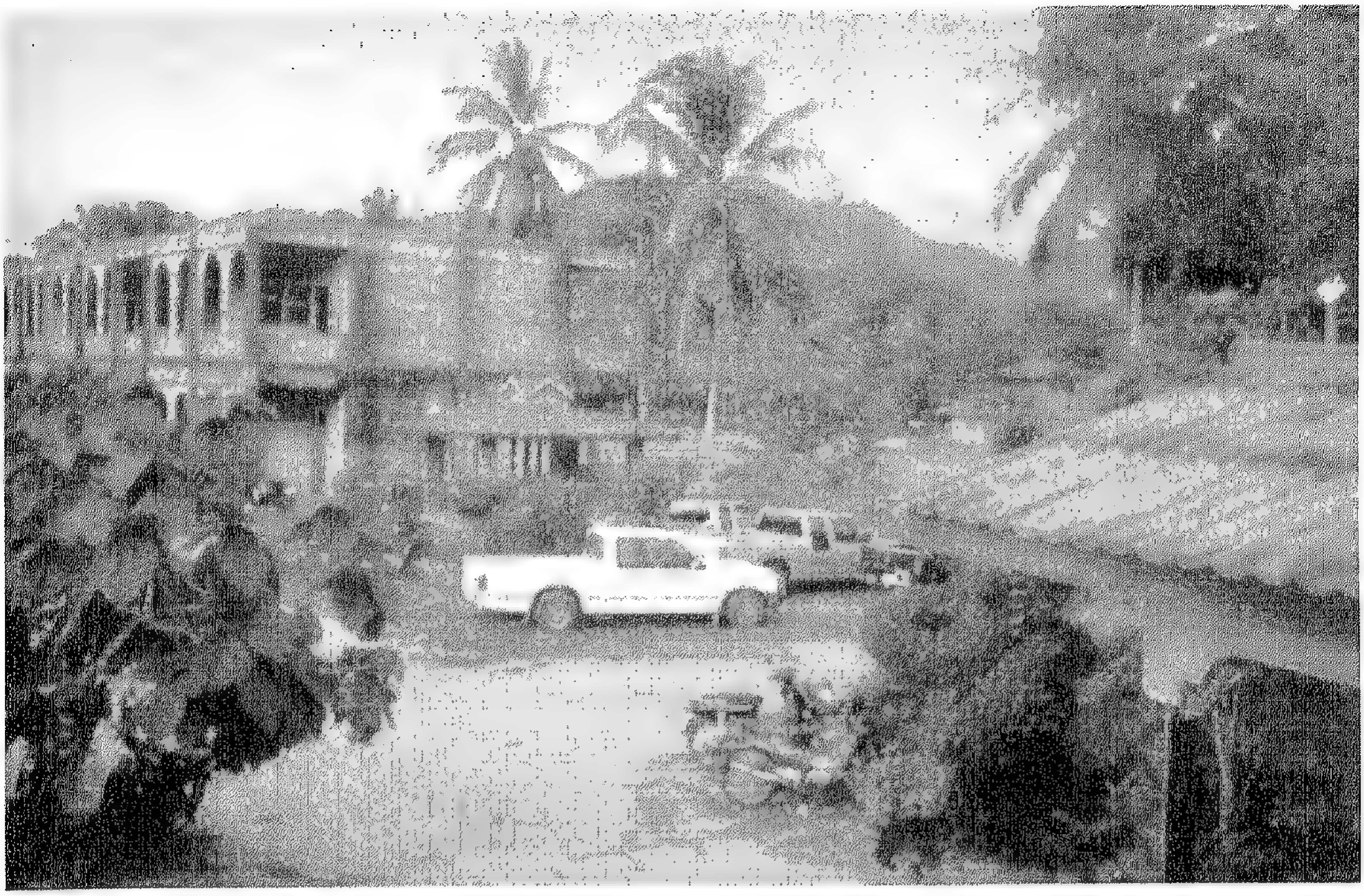
قوية خاصة مع الطلاب القادمين من (فطاني)..

من بين الطلبة والطالبات كانت: نورية أرشد الأكثر نشاطاً وحيوية، لم تكن من (فطاني)، كانت من بانكوك، كان نشاطها ومساهماتها في تنظيم المهرجانت وتمكنها من إضفاء مسحة من الجمال على كل شيء يقع أمامها جعلتها من الطالبات المتميزات، أمدتني بكثير من المعلومات والصور عن بلدها..

غادرت نورية أرشد ليبيا بعد تخرجها من الجامعة لتكرس حياتها للعمل الخيري والدعوي في بلدها، أسست معهدا، ودارا للأيتام، ومدرسة..

وحين عدت إلى أوراقي القديمة وجدت بعض الصور عن معالم تايلاند، تاريخية وسياحية ومناظر طبيعية ... ونظراً لأن العلاقة مع نورية لم تنقطع عبر المراسلات وعبر علاقاتها مع بعض أفراد أسرتي الذين كانت تزورنا كلما تأتي إلى الجماهيرية، فقد كانت تمدني دائماً بمقتنيات من بلدها، ومنذ سنة تقريباً التقيتها في مدينة طرابلس، تحدثنا عن نشاطها وعملها، كانت دائماً تلومني لعدم زيارتي بلدها، سامحها الله فهي تعتقد أن الأمر سهل!! وكنت أقول لها ها نحن نلتقي في بعض المؤتمرات والملتقيات التي تنظمها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وفجأة وجدت نفسي أقول لها: لديَّ صور عديدة عن تايلاند، جبالها، مدنها، سهولها، قصورها، حدائقها، وصورة أو اثنتين عن شيء يهمني كثيراً وهو: مساجدها..

نظمت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية العام الماضي 1373 من وفاة الرسول ﷺ 2005 مسيحي دورة تثقيفية استفاد منها 800 طالب وطالبة من عدد من محافظات تايلاند، كما نظمت بمسجد (دار النصيحة) بالعاصمة بانكوك دورة تثقيفية لمائة ممن أشهروا إسلامهم من الرجال والنساء.



من أوراق داعية

تخرجت من المعهد العالي للدعاة بطرابلس/ الجماهيرية العربية الليبية عام 1973 م وكنت ضمن الفوج الأول الذي تخرج من ذلك المعهد.

عدت إلى بلدي تايلاند وبدأت عملي في مجال الدعوة والتدريس في مدرسة (نهضة الشبان فداو) بمديرية روسو، محافظة ناراتيوات.

قبل التحاقي بتلك المدرسة كان عدد طلابها حوالي 170 طالبا وطالبة، ومنذ التحاقي بها تنامى عدد الطلاب ليتجاوز 800 طالب وطالبة في الموسم الدراسي 2004- 2005 مسيحي.

وطيلة ثلاثة عقود استطعنا أن نطور مدرستنا، وإضافة إلى العلوم الدينية بدأنا ندرس العلوم التطبيقية والتكنولوجيا.

وعدتني بأن توفر لي ما يمكن أن تحصل عليه من صور لمساجد تايلاند..

افترقنا على أمل أن تفي أختنا نورية أرشد بوعدها، وما هي إلا أشهر قليلة حتى أتحفتني بصور لعدد كبير من مساجد تايلاند التقط معظمها المصور التايلاندي الفنان السيد: سوتيب سودويلاي المصور بمجلة (هاي كلاس) إضافة إلى صور أخرى أحتفظ بها منذ سنوات الدراسة ..

وضعت أمامي هذه الصور، وعدت إلى ما بحوزتي من معلومات عن تايلاند، خاصة ما يتعلق بالإسلام في تلك البلاد القصية، بعض الكتب والنشرات وقصاصات بعضها من صديقنا عبد الرحمن وبعضها من نورية أرشد، وغيرها من طلاب آخرين .. وما وجدته شجعني لأضع بين يدي القارئ الكريم هذه الأسطر ... ولا بد من تسجيل شكري العميق لنورية أرشد من بانكوك، وعبد الرحمن من فطاني وغيرهما ممن كانوا زملاء دراسة ...

بعض مساجد تايلاند

تقول بعض المصادر أن أول مسجد أسس في تايلاند يعرف باسم (كودي تونج) أسسه الشيخ أحمد الذي عرف بـ (شيخ الإسلام) في القرن السابع عشر، إلا أن مصادر أخرى تذهب إلى أن أول مسجد أسس سنة 1514 م. وتوالى تأسيس المساجد في مختلف المناطق حتى فاق عددها 2400 مسجد...

تتميز مساجد تايلاند بتنوع نمطها المعماري لعدة أسباب، من أهمها تنوع مؤسسيها الذين ينتمون إلى أعراق متعددة من صينيين وفرس وتايلانديين وغيرهم ..

ولاستحالة التحدث عن معظم مساجد تايلاند فإن اختيار بعضها كنماذج من شأنه أن يعطينا صورة عنها وعن نمطها المعماري..

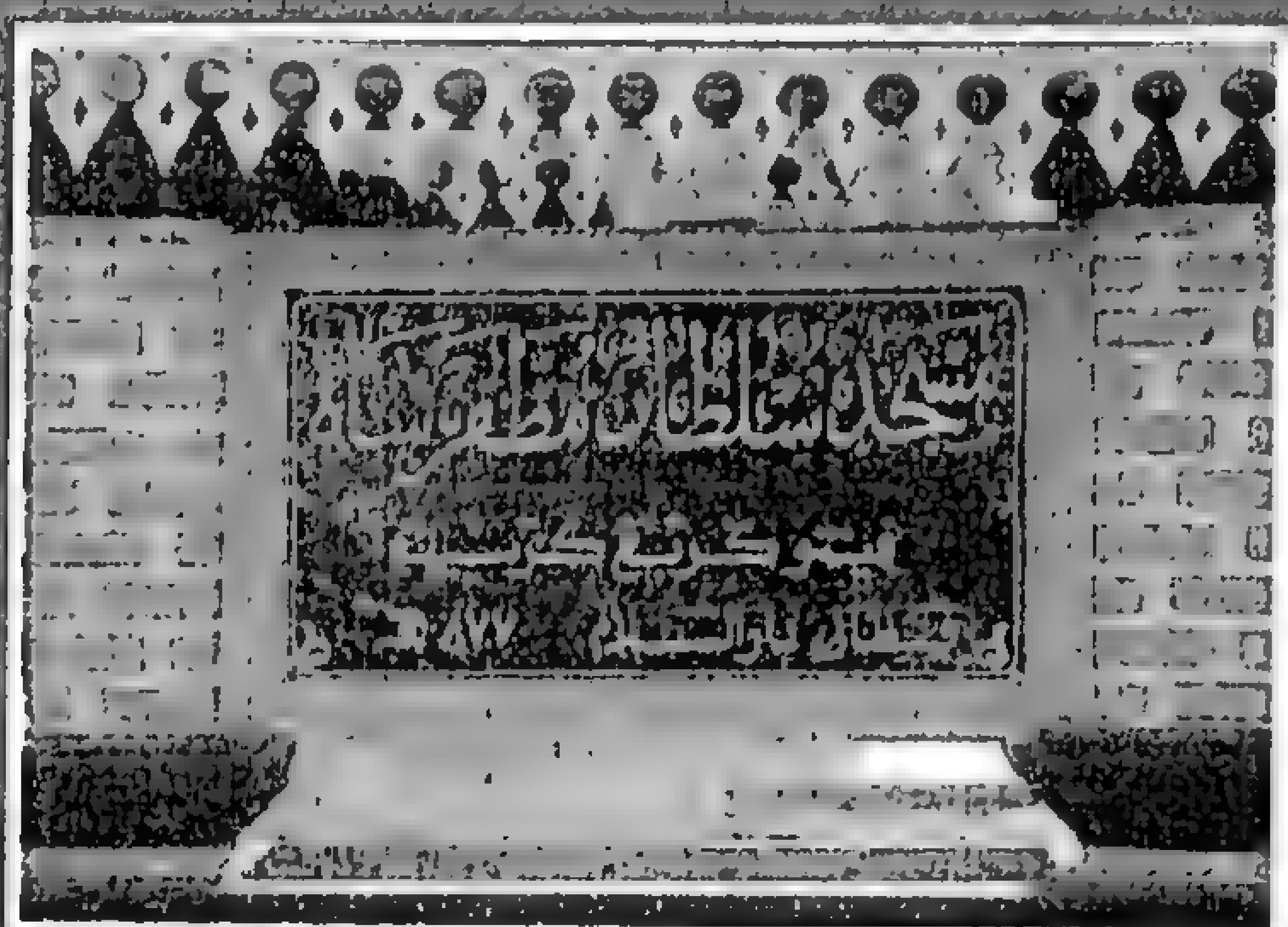
مسجد تونسون

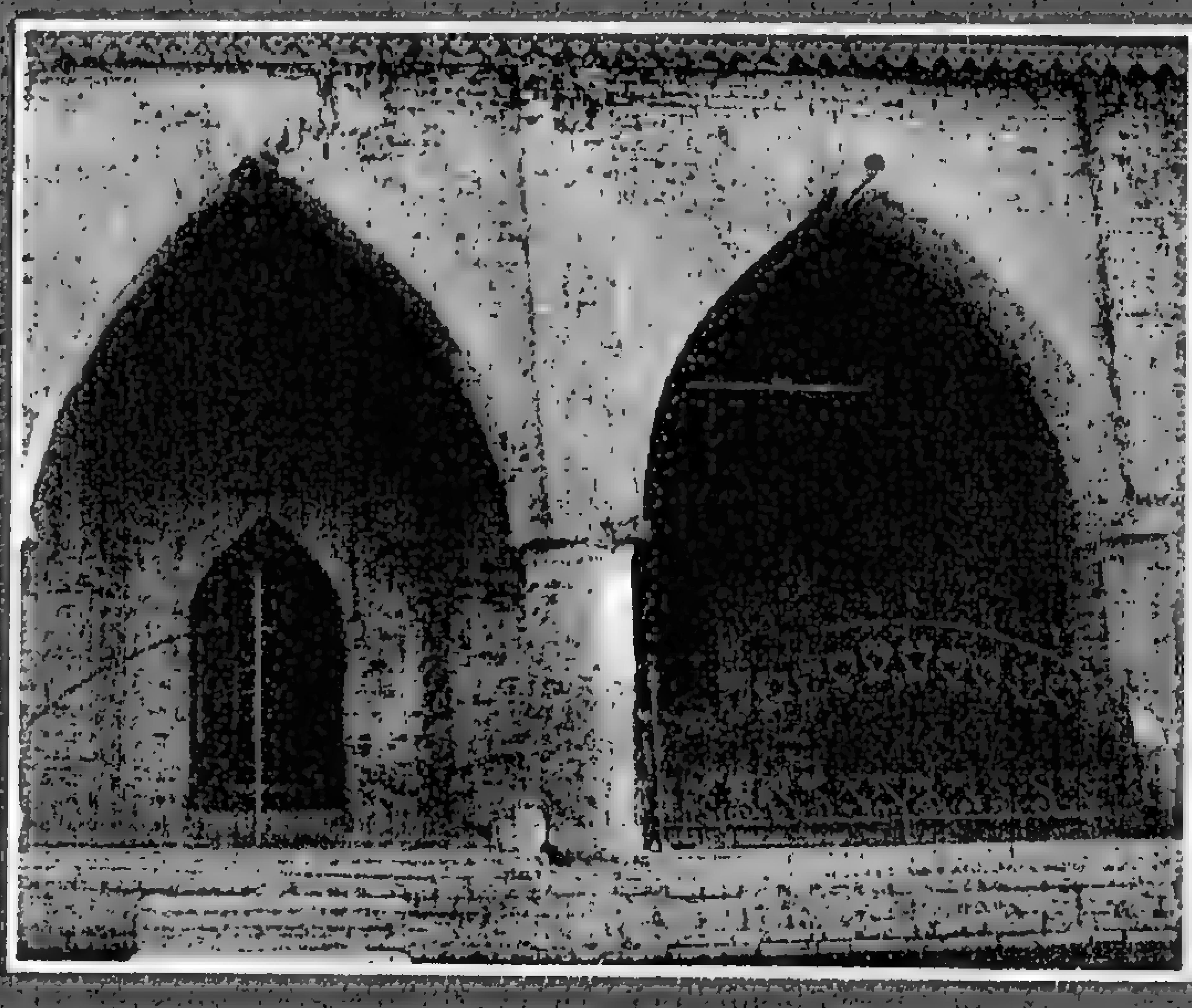
شيد سنة 1644م بناؤه مقتبس من قصر (بورن ستان مونجكول) الخاص بنائب الملك في تلك الفترة، بجواره مبنى خشبي كان مخصصاً لتقديم الطعام للفقراء..

محراب المسجد ومنبره يجسدان مهارة ودقة فائقتين، وبالمسجد قطعة خشبية عمرها 300 سنة تقريباً، نقشت عليها صورة الكعبة المشرفة وآيات من

مسجد كرسيك

أقدم المساجد الباقية هو مسجد (كرسيك) الذي بني سنة [illegible]م في ولاية فطاني، وهو متأثر بالمعمار الفارسي، وقد احترق منذ فترة طويلة، ويحاول مسلمو فطاني إعادة ترميمه بالتنسيق مع مصلحة الفنون للحفاظ على طابعه المميز.

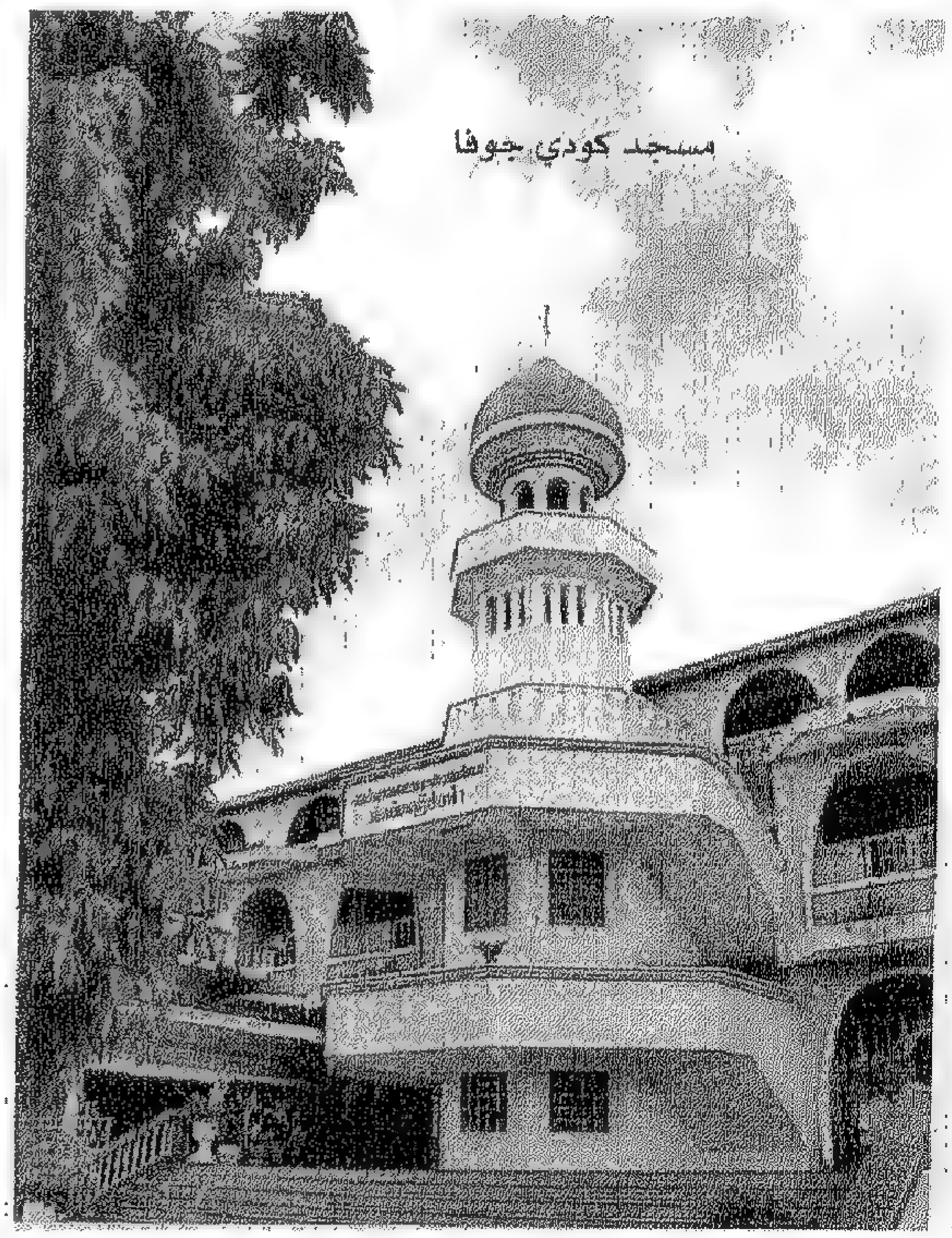




القرآن الكريم، وتذكر بعض الروايات أن المياه جلبت هذه القطعة إلى جوار المسجد..

مسجد كودي جوفا

أنشئ قبل سنة 1700م وقد تهدم المبنى القديم للمسجد، ولم يتبق منه إلا المنبر والمحراب، وقد أعيد بناؤه مرة ثانية، يغلب على المسجد اللون الأخضر والزخارف والنقوش الخشبية في المنبر، وأعمال الجص في النوافذ ..



مسجد كودي جوفا

عدد المساجد في بعض المدن والمحافظات التايلاندية:

بانكوك	150
فطاني	438
ناراتيواس	372
جالا	203
ستول	126
سونجكلا	256



دورة تثقيفية للمسلمات في تايلاند

تحت إشراف جمعية الدعوة الإسلامية العالمية وبرعايتها نظمت في الشهر الثامن (أغسطس) سنة 2000 مسيحي دورة تثقيفية علمية للنساء المسلمات التايلانديات بقاعة مسجد (خير الدين) ومدرسة (عمر المختار) بالعاصمة بانكوك.

وأخرى للأئمة والخطباء والمؤذنين

توجد مساجد عديدة في العاصمة بانكوك وشمال تايلاند، وبتلك المساجد أئمة وخطباء ومؤذنون، ما حدا بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية إلى تنظيم دورة تعليمية تثقيفية لهم بمدرسة (عمر المختار) ومسجد (خير الدين) بالعاصمة بانكوك خلال شهر الحرث / نوفمبر سنة 2000 م بهدف التثقيف المتجدد ومواكبة المتغيرات التي يشهدها العالم، وأُلقيت في تلك الدورة محاضرات ألقاها عدد من العلماء، من بينهم: شيخ الإسلام في تايلاند، والدكتور عمران مألوليم والأستاذ شريف سري، والسيدة نورة أرشد منسقة العمل الإسلامي في بانكوك وشمال تايلاند.



مسجد تالو مانق

يعرف أيضا باسم (مسجد وادي الحسين). بني سنة 1616 م يتميز هذا المسجد بأنه تجسيد الفن المعماري التايلاندي القديم، وتظهر فيه براعة فن الملايو والصين، والمسجد مبني بخشب تاكيان. سقفه مكون من طبقتين على هيئة (جملون) حسب المعمار التايلاندي.



مسجد تقيا يوكين

شيد سنة 1625 م من قبل الشيخ أحمد التيمي وبعض أتباعه، عرف أولاً باسم (كوديجاي تقية)، ثم أصبح باللغة التايلاندية (تقيا)، أرضه مبلطة بالرخام، ونوافذه مزينة بالزجاج الملون.



مسجد لوانج كوشا إسحاق

أسس هذا المسجد الذي يعرف أيضاً باسم (واد كؤ) قبل سنة 1800م ويعد من المساجد القديمة في بانكوك، يقع على شاطئ نهر شاوبرايا بمنطقة سام بانتا وونج، ويقال إنه المسجد الوحيد الذي يقع في منطقة (شاينا تاون) بتايلاند.

أسس المسجد (لوانج كوشا إسحاق) الذي كان يتولى منصب مراقب التجارة البحرية في عهد الملك الأول في عصر راتنا كوسين، ويعود سبب تأسيسه إلى أن التجار المسلمين القادمين من ماليزيا واندونيسيا لا يجدون مكاناً يؤدون فيه الصلاة، ولذا جمعوا الأموال وفوضوا (لوانج كوشا إسحاق) بشراء الأرض التي تم تشييد المسجد عليها.

يتميز هذا المسجد بنمط معماري لايوحي بأي ملمح من الملامح التي من شأنها أن تدل على كونه مسجداً..

قاعة الصلاة تتميز بأرضيتها الخشبية وأعمدتها الضخمة ذات قواعد ضخمة مربعة الشكل، وأقواس تتسع أحياناً وتضيق أحيانا أخرى، ولا توجد بقاعة الصلاة أي زخارف أو نقوش ..

المنبر الخشبي الصغير موضوع داخل محراب خشبي ضخم، وهو عبارة عن قوس خشبي تزينه نقوش زهرية مطلية بالذهب، ويعتبر المحراب من القطع الأثرية المهمة..







مسجد دار السنة

أنشئ حوالي سنة 1816م ويقع في قرية قديمة يسكنها مسلمون من أصول كمبودية، يتميز هذا المسجد بنمطه المعماري الخارجي الذي تلعب فيه الألوان والأقواس دوراً واضحاً، أرضيته مكسوة بالخشب، وتحتل النوافذ مساحة كبيرة من جدران بيت الصلاة ضماناً للتهوية والإضاءة، ويخلو المسجد تماماً من الزخارف.



مسجد أوساستا إسلام

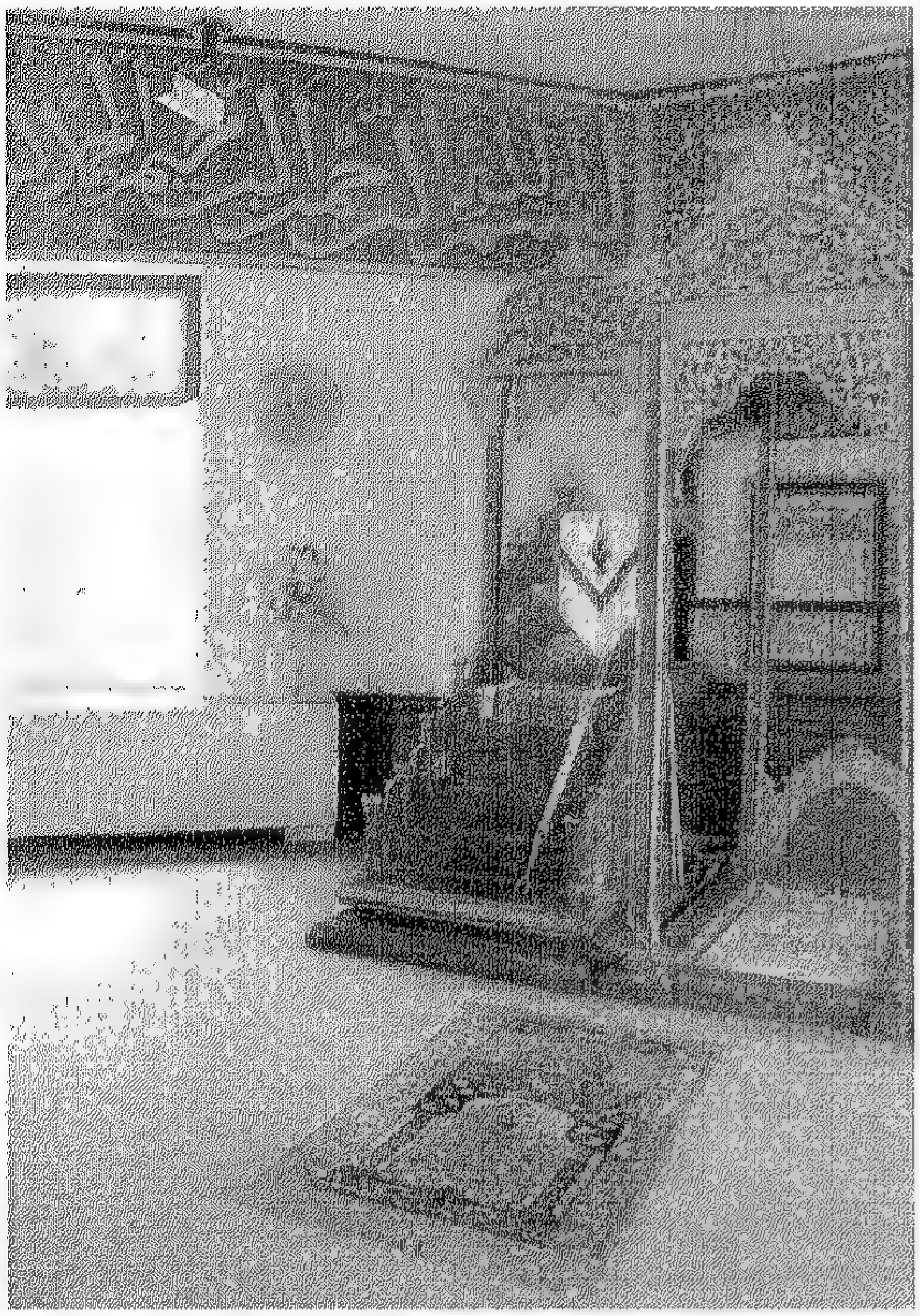
يعرف أيضاً باسم (بالنبون)، تم بناؤه سنة 1817م يتميز هذا المسجد بأن بناته كانوا منتدبين لبناء معبد بوذي، وهم خليط من المسلمين والبوذيين، ولذا فإن شكله الخارجي لا يعطي إيحاء بكونه مسجداً باستثناء المئذنة المنفصلة عن مبنى المسجد، يخلو من النقوش والزخارف، كما تم دمج المحراب والمنبر الذي زين بقوس مذهب، تعلوه الآية القرآنية الكريمة:

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾

(سورة التوبة: الآية 18)

إضافة إلى ثلاث قباب مذهبة.



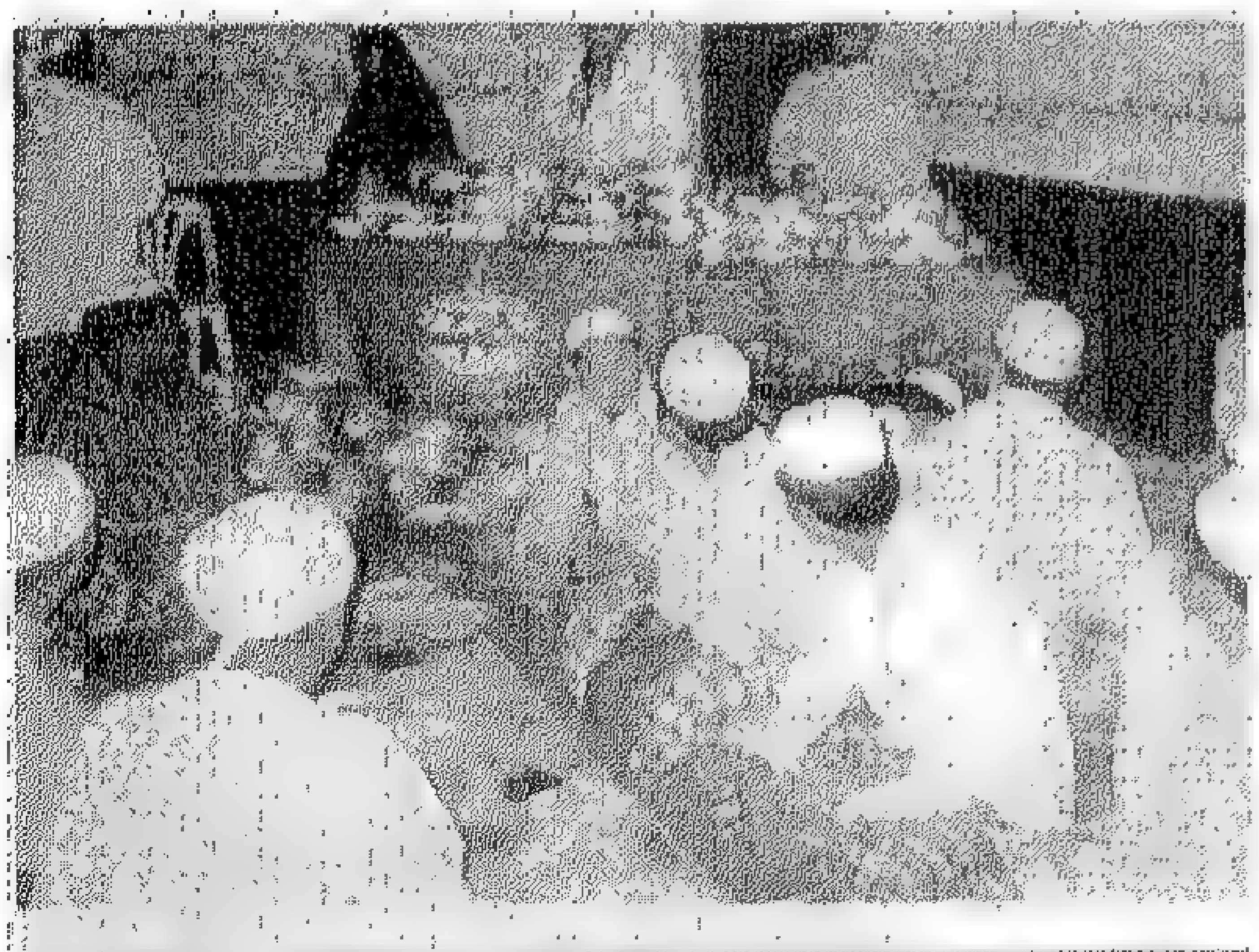


مسجد هارون

أسس للمرة الأولى سنة 1846م. على شاطئ نهر (شاو برايا)، وكانت به مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم.

تمَّ هدمه لتحتل مكانه مصلحة الجمارك، وتمَّ تخصيص قطعة أرض أخرى بشارع (رونج باسي) ببانكوك، وتمت توسعته ليستوعب عدد المصلين الذين يتزايدون باستمرار، وهو المسجد الوحيد الذي تلقى فيه الخطب باللغتين التايلاندية والإنجليزية ..

يشكل اللون الأخضر العنصر الأساس داخل المسجد، ويلاحظ أن آيات قرآنية كتبت على شريط أخضر، ويمكن قراءتها من اليمين إلى اليسار بدءاً من يمين المحراب، وكتبت بشكل معكوس بدءاً من يسار المنبر المحاذي للمحراب، تمت زخرفة المحراب والمنبر بنقوش خطية ونباتية ذهبية اللون على أرضية خضراء..





إفطار الصائم

تنظم جمعية الدعوة الإسلامية العالمية مشروع (إفطار الصائم) في عدد من بقاع العالم، ومن بينها: تايلاند، حيث نظمت عدة موائد (إفطار الصائم)، وخلال سنة 1368 من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم 2000 مسيحي شملت قوافل (إفطار الصائم) التي قدمت الغذاء والكساء للرجال والنساء والأطفال في عدة مناطق، من بينها: منطقة مسجد (الهدى)، منطقة مسجد (صراط الجنة)، منطقة مسجد (خير الله)، منطقة تونغ شوك، منطقة منبوري، وعدد آخر من أحياء العاصمة بانكوك.

وقامت منسقة العمل الإسلامي في بانكوك وشمال تايلاند السيدة نورية أرشد صحبة طلاب المعهد العلمي الديني بتنظيم موائد (إفطار الصائم) في منطقة شينغ ماي شمال تايلاند.

مسجد باهي سيفي

أسس من قبل مسلمين هنود سنة ١٨٢٦م، ويعرف أيضاً باسم (تولك كاو) بمعنى المبنى الأبيض، بسبب طلائه باللون الأبيض.

يتكون المسجد من طابقين، ومع انه يخلو من النقوش والزخارف الا أن أعمال الخشب والزجاج الملون يلعبان دورا بارزا في اضفاء التنوع الفني داخل المسجد.



مسجد شاكفونج

يعرف أيضا باسم (مسجد تونج بو)، يقال انه حين قدم الملك الأول (برأبو ديو دفا) مع اتباعه ورعاياه المسلمين من فطاني إلى العاصمة بانكوك بدئ في تشييد هذا المسجد سنة ١٨٢٦م. وهو المسجد الوحيد الذي يقع في قلب العاصمة بانكوك القديمة، على مقربة من القصر الملكي وميدان (سنام لوانج). تم تجديده وتوسعته سنة 1966م.



المنبر والمحراب من خشب بلي بهما زخارف مذهبة، تعلو المنبر بعض الآيات من القرآن الكريم المذهبة، أما المحراب فهو مزين بقوس على الطراز القوطي.

يغلب على المسجد اللون الأخضر بما في ذلك طلاء الجدران الداخلية اضافة إلى تغطية الأرضية بالسجاد الأخضر، تحتل نوافذ التهوية مساحة كبيرة وتعلوها قطع من الزجاج الملون.



مسجد نور الجمال



أسس في القرن الثامن عشر، وكان مبنياً بالخشب، وسمي من قبل الملك السادس في عصر راتنا كوسين باسم الإمام الثاني للمسجد (محمد نور)..

جدد بناؤه من قبل عمال ومهندسين صينيين سنة 1896م، وأصبح مكوناً من طابقين..

المنبر الخشبي الجميل تتجلى فيه المهارة والدقة في النحت على الخشب من قبل الفنان المسلم الحاج (إسحاق بن يحيى)..

سقف المسجد من الخشب، وأعمدته مزينة بقطع صغيرة من السيراميك البني، تعلوها تيجان منقوشة، بيت الصلاة مستطيل الشكل به نوافذ كبيرة وقريبة من الأرض..



مسجد نور الجمال
من الخارج

مسجد هداية الاسلام

يعرف أيضاً باسم (بان هوا). بني للمرة الأولى بالخشب سنة ١٩١٦م، ثم جدد بناؤه سنة ١٩٦٩م. يعتبر أكبر مساجد محافظة شينجماي شمال تايلاند. وفيه تتجلى المزج بين الفنون الصينية والعربية، معظم رواده من المسلمين الصينيين، واللوحة التي تعلو مدخله مكتوبة باللغات التايلاندية والعربية والصينية، وهي ميزة يختص بها المسلمون في شمال البلاد..

يتميز ببساطة واضحة في التصميم، ويتجلى ذلك في المنبر الخشبي الصغير، استعيض عن المحراب بلوحة نقشت عليها سورة الفاتحة وآية الكرسي علقت في اتجاه القبلة، وهي مكتوبة بخط عربي بأسلوب صيني، وهذا النوع من الكتابة ينتشر لدى المسلمين في شمال تايلاند..





مسجد صلاح الدين

أقدم مساجد محافظة ناخون سري تامرانش، جنوب البلاد، سمي أولاً باسم (تاشانتج)، واعتباراً من سنة 1947م عرف باسم مسجد (صلاح الدين)، ظل المسجد غير مسجل رسمياً بسبب تشييده فوق أرض لم تكن مسجلة باسمه، وبعد جهود من قبل اللجنة التنفيذية للمسجد تبرع ملك تايلاند بدفع تعويض لمصلحة الأديان، واعترافاً بهذه البادرة وجهت له دعوة لزيارة المسجد ولبى الدعوة سنة ١٩٦٧م..

يتميز المسجد بوجود بعض الزخارف البسيطة في سقف بيت الصلاة والأروقة، أرضيته من الرخام، تكثر به الأبواب التي تقوم بدور النوافذ..

أعمدته دقيقة، منبره بسيط، شأنه في ذلك شأن معظم مساجد تايلاند..







المسجد الجامع / فطاني

افتتح سنة 1963م ليكون مركزاً إسلامي جنوب تايلاند، يعد من أهم وأجمل مساجد تايلاند، يتميز بتصميم معماري أقرب إلى التصاميم الحديثة للمساجد في العالم الإسلامي، ولذا ليست به تأثيرات من المعمار المحلي السائد في غيره من المساجد، إلا أن مدخله متأثر بالطابع الفارسي.. سقف المسجد مزين بعدة قباب مختلفة الأحجام، طليت من الخارج باللونين الأخضر والأحمر، ساحات المسجد مبلطة بالرخام على شكل مربعات باللونين الأبيض والأسود، أقواس الأبواب والنوافذ مزينة بالزجاج الملون..

للمسجد مئذنتان تقعان في واجهته الأمامية، تعلو كل واحدة منها قبة شبيهة بتلك التي تعلو بيت الصلاة..

وباستثناء الزجاج الملون الذي يعلو الأبواب والنوافذ فإنه يخلو من التطويل والزخرف، أعمدة بيت الصلاة تتكون من ثلاث كتل، القاعدة أسطوانية كبيرة ثم عمود أسطواني أقل حجماً ثم تصبح مربعة الشكل..

المنبر مصنوع من الخشب ورغم بساطته تعلوه قبة كبيرة [illegible] اللون..



المسجد الجامع بمحافظة جالا
(روضة الجنة)

المسجد الجامع
بمحافظة جالا

يعرف باسم (روضة الجنة)، بدئ في تشييده يوم 27/9/1979م، وافتتح بتاريخ 24/10/1987م، وهو من المساجد الكبرى في تايلاند، يتكون من ثلاث طوابق بارتفاع يفوق أربعة أمتار ونصف المتر، يتسع لألفي مصل..

المسجد يجمع بين المعمار الحديث والمعمار التايلاندي التقليدي..

يتميز بمئذنته التي يعتقد أنها مستوحاة من المئذنة الملوية في سامراء وهي منفصلة عن مبنى المسجد وتتصل به عن طريق جسر صغير في الطابق الثالث..

مدخل المسجد يقع في الطابق الثاني، ويتم الصعود إليه عبر سلم ضخم..

القبة مخروطية الشكل مقسمة إلى قسمين، أحدهما أصغر من الآخر لضمان الإضاءة، وهي تشبه قبة مسجد عمر المختار في شمال قبرص.

❖❖❖

ختامًا: ربما لم يكن من السهل التحدث عن مساجد أخرى، إلا أن ما قدمناه من شأنه أن يعطينا صورة لعدد من المساجد ذات الأنماط المعمارية المتنوعة، تم تشييدها في فترات زمنية مختلفة ومتباعدة، بدءًا من القرن السادس عشر المسيحي وحتى أواخر القرن العشرين..



مع شعب فلسطين

يتفق معظم التايلانديين على وصف ما يعانيه الشعب الفلسطيني بأنه ظلم فادح، لا يختلف في ذلك البوذيون والمسلمون وغيرهم من التايلانديين، إلا أن المسلمين في مختلف أنحاء البلاد يعلنون وبشكل مستمر رفضهم كل الأفعال التي يقوم بها محتلو فلسطين، وتنظم في سبيل إيضاح ذلك الموقف المؤتمرات والندوات والمسيرات التي تستنكر ما يتعرض له الشعب الفلسطيني.

ويختار المسلمون المناسبات الدينية على وجه الخصوص ليؤكدوا وقوفهم مع الشعب الفلسطيني وقضاياه العادلة.

ولعل المخيمات التي تنظم خلال ليلة القدر في شهر رمضان المبارك صورة من صور التضامن مع شعب فلسطين، حيث تلقى الكلمات والخطب وتعلق اللوحات المنددة بكل الأفعال التي توجه ضد الشعب الفلسطيني، ويحضر تلك الاحتفالات عدد كبير من المسلمين يتقدمهم أعضاء البرلمان والأساتذة وأئمة المساجد والطلاب ..

وخلال هذه المهرجانات التضامنية يتم التأكيد وبشكل مستمر على المكانة السامية للمسجد الأقصى في قلوب المسلمين، والرفض القاطع لكل أنواع القهر التي يعانيها الشعب الفلسطيني.



تقارير

* حركية التحديث في عالم الإسلام اليوم

حركية التحديث في عالم الإسلام اليوم

عرض وتلخيص: **جمعة محمود الزريقي***

عقدت تحت هذا العنوان ندوة علمية، بمدينة أصيلة في المغرب، خلال يومي 10 - 11 من شهر هانيبال (أغسطس) 2006 مسيحي، برئاسة الأستاذ محمد بن عيسى، وزير خارجية المملكة المغربية، وأمين عام مؤسسة منتدى أصيلة، وقد شارك في هذه الندوة العلمية أساتذة وعلماء من المغرب وليبيا والبحرين والكويت والسعودية وماليزيا ومالي، وقدم بعض المشاركين ورقات تعلقت بمحاور الندوة التي كانت على النحو التالي:

1ـ الاجتهاد وعلاقته بالتحديث في الإسلام.

2ـ دور المذاهب في الاجتهاد والتحديث.

3ـ نموذج المذهب المالكي في علاقته بحركية التحديث.

تطرق الأستاذ محمد بن عيسى عند افتتاح الندوة إلى إفراط المفكرين المسلمين في التركيز على الصراع بين الانغلاق والتجديد، معتبرا أن النقاش ليس حكراً على الإسلام، بل هو ظاهرة عابرة لجميع الديانات السماوية، وأن العالم الإسلامي يعاني من صعود تيار التطرف الديني، الذي تقوّى في الدول الإسلامية، بسبب البطالة والفقر والظلم الاجتماعي، مما يفرض على المسلمين ضرورة مواجهة هذه التيارات المتطرفة التي تسيء إلى سمعة الإسلام، ودعا إلى ضرورة توسيع مجال حوار الديانات، وإخراجه من حدوده التقليدية التي تعوّد المسلمون أن يتحدثوا بها، وضرورة الانفتاح على ثقافات العالم ودياناتها، ومنها البوذية على سبيل المثال.

كما ألمح إلى أن ندوة (حركية التحديث في عالم الإسلام اليوم) هي ندوة الساعة، مشيرا إلى أن الإسلام دين حنيف تعرض لكثير من الإشكاليات، إلى جانب التهجم المستمر عليه، وهو التهجم القائم الآن في عدد كبير من الدول لعدة أسباب، وشدد الأستاذ بن عيسى على القول إن الهدف من الندوة، هو دراسة سبل التحديث في عالم الإسلام على أن يكون ذلك في نطاق الثوابت الإسلامية ونظامه الشرعي.

ثم انطلق الحاضرون إلى المحور الأول الذي يدور حول الاجتهاد وعلاقته بالتحديث في عالم الإسلام، نظرا إلى أن الظروف الحالية تتسم بكثير من المغالطات والتهجم من طرف الأخر، الأمر الذي يجب معه مراجعة ما يعتقد أنه فقه إسلامي، مع ضرورة فتح باب الاجتهاد، ذلك أن الواقع الحالي يفرض علينا التساؤل عما إذا كان باب الاجتهاد قد أغلق، واستنفد كل أغراضه، أم أن التحديات الراهنة تفرض على المهتمين والمتخصصين في الشأن الديني بلورة اجتهاد

* باحث وأستاذ جامعي / ليبيا.



جديد بدلاً من السابق، على أن يأخذ الاجتهاد المستحدث بالتطورات الحالية في نطاق المعرفة الإنسانية وتطورها، ولم يمنعهم تخصصهم الديني في الاستفادة من علوم الآخرين، فاستفادوا منها، بل وطوروها.

وفي هذا النطاق، طرح الكاتب البحريني ضياء يحيى الموسوي، إشكاليات البحث في هذا المجال، وتساءل هل بإمكاننا اليوم خصوصاً بالنسبة للخطاب الإسلامي، ونحن نعيش مأزق السياسة، أن نتعاطى مع هذا الواقع، دون أن نلغي ثوابت الإسلام ؟، وأشار إلى أن المفكرين الإسلاميين لم يقدموا حتى الآن نظرية واضحة عن الإسلام، سواء على المستوى الاقتصادي أو السياسي أو الاجتماعي، وقال: «إن معظم النظريات الصادرة عنهم هي نظريات تلفيقية وتجسيدية»، وضرب لذلك مثلاً على هذا الفراغ، فقال: «عندما يأتي إلينا الشباب اليوم ليسألوننا عن النظرية الإسلامية في الاقتصاد، فإننا نقدم لهم كلاماً إنشائيا وخطاباً رومانسياً».

وإذا كان الموسوي، قد طرح مداخلته في شكل أسئلة تضمنت عدة إشكاليات، أثار بها شعور بعض المتدخلين، إلا أن الدكتور أحمد الخمليشي، عميد دار الحديث الحسنية بالرباط، قدم ورقة للندوة تناول فيها الواقع الإسلامي، والأفكار التي تسيطر عليه، فأشار إلى أننا لن نخرج من هذه الوضعية إلا بنشر الوعي في المجتمع الإسلامي، على أن يتحمل كل فرد فيه مسئوليته، ومن خلال الواقع المعاش، فإن الكلام السطحي الباطل العاطفي هو الذي يتلقفه الناس ويؤمنون به، ويضحون بأنفسهم في سبيل الضلال الذي يتلقفونه، وبالتالي فمن الضروري أن ينتشر الوعي بين المسلمين، ذلك أننا ما زلنا نجد مستوى الأمية مرتفعاً، وما دام ذلك موجوداً، فإننا لن نتخطى هذه المرحلة التي نحن قابعون فيها منذ أمد بعيد.

تناول الكلمة بعد ذلك الأستاذ الدكتور إسماعيل الشطي، نائب رئيس مجلس الوزراء الكويتي، فتحدث عن موضوع الاجتهاد، وأشار إلى أن العقل البشري له مساحات شاسعة، لا يشغل النص الديني إلا مساحة قليلة منها، أما بقيتها فهي مخصصة للإبداع والفكر والبحث، وأن الإسلام هو الذي منح هذه المساحات

التي منها انطلق المسلمون الأوائل، وانشئوا حضارة عظيمة شهد لها التاريخ، غير أن الفكر الإسلامي المعاصر، جعل تلك المساحات مشغولة بالتراث الذي زحف عليها، وضيق الخناق على انطلاقتها، ذلك أن الإسلام لم يأت بكل التفاصيل تاركا للعلم والعقل البشري القيام بذلك، وبدلاً من أن ينطلق العقل من خلال تلك المساحات، تقوقع في أنماط قديمة من التفكير، دون أن يجتهد في ابتداع أساليب أخرى، موضحا أن ما يعانيه المسلمون الآن إنما كان بسبب غلق باب الاجتهاد والاكتفاء بما قام به المصلحون الأوائل، ولم يسعفهم التراث إلا في مجال الأحوال الشخصية، لذلك يجب فتح باب الاجتهاد، وبناء آلية جديدة لاستنباط الأحكام، وليست الآلية التي صنعها الفقهاء قديما، خلال القرون الثلاثة الأولى، أعني أصول الفقه، التي أصبحت آليات مقدسة، لأن الأمة تلقفتها بالقبول، لذلك يجب تحرير المساحات المخصصة للتفكير والبحث، وإبقاء المساحة التي جعلها الله للنص.

يبدو من خلال مداخلة الأستاذ الشطي أنه يعزو سبب تخلف العالم الإسلامي إلى سيطرة التراث على العقل، وبالتالي لم يعد بإمكانه أن ينطلق لكي يجتهد في الوصول إلى حلول لما يعانيه المسلمون الآن، أو يتطور حتى يواكب العصر.

ومن هنا ساهمتُ في هذا الموضوع بالتعليق على ما بدأ به الصحفي البحريني، ضياء يحيى الموسوي، من أن الإسلام لا توجد به نظرية اقتصادية أو سياسية متكاملة، فأوضحت أن ذلك من مميزات الدين الإسلامي، ذلك أن الله تعالى لم يفرض على المسلمين نمطا معينا من أساليب الحياة التي يعيشونها، بل ترك لهم حرية الاختيار، وذلك مدعاة للاجتهاد على مر العصور، فلو حدد لنا الدين نمطا معينا لما استطعنا أن نخالفه، ونظل فيه إلى أبد الآبدين، ولكنه - أي الإسلام - لم يترك الأمر بدون ضوابط معينة، بل وضع قواعد في السياسة وفي الاقتصاد، منها على سبيل المثال لا الحصر: تحريم الربا، الوفاء بالعقود، حسن الجوار بين المسلمين وغيرهم، المعاهدات بين الدول، معاملة الأسرى، تحريم الاستغلال والسرقة، والاعتداء على الأموال، إلى غير ذلك من الضوابط الكثيرة، فهذه الضوابط هي التي يحرص عليها الإسلام، أما شكل النظام الاقتصادي أو السياسي فهو متروك لاجتهاد المسلمين في كل عصر ومصر.

أما من حيث التراث الإسلامي، فنحن أمة تفتخر بهذا التراث، بل وتعتز به، وهو يمثل اجتهاد علماء المسلمين منذ خمسة عشر قرنا، فهل يجب علينا أن نرمي به وراء ظهورنا، لنقوم بالبحث عن غيره ؟، إن الواجب يقتضي أن نقوم بتحليل ودراسة هذا التراث، ونتأمل فيه، ونأخذ من سمينه ونرمي بغثه، ولكن لا يجب علينا أن نتشرنق فيه بحيث لا نخرج عن نطاقه، وإنما يجب أن نواكب العصر، ونستفيد من تجارب الشعوب في كل ما يفيد المسلمين، وخاصة في مجال العلم والتقنية.

النقاش ليس حكراً على الإسلام، بل هو ظاهرة عابرة لجميع الديانات السماوية.

ذلك فيما يخص التراث الإسلامي، أما من حيث البحث عن آليات جديدة للتفكير، فإن ما وضعه علماء المسلمين من أصول وقواعد، اجتهدوا من خلالها في الوصول إلى أحكام تتعلق بمعاملاتهم وعباداتهم، بل وكل ما يتعلق بهم، فهي قواعد يستخدمها العقل لمعرفة الأحكام الشرعية، وهي جامعة لكل أساليب التفكير، وإذا حاولنا أن نفكر بآلية جديدة، فلن نخرج - إذا تركنا الأصول المتعارف عليها، من إجماع، وقياس، واستحسان، واستصحاب، وشرع من قبلنا.. ألخ - فلن نخرج عن مقاصد الشريعة، بمعنى أن نجعل أسلوب بحثنا يتركز فيما يقصده الشرع لفائدة الإسلام



والمسلمين، ويعود عليهم بالنفع، وهذا الأصل قال به الفقهاء في السابق ، ومن ثم فلا نخرج عن الأصول المتعارف عليها.

وفيما يتعلق بالمذاهب، فهي في حقيقة الأمر مدارس فقهية، وهي لا تختلف عن العلوم الأخرى، فكل علم له دراسات وبحوث ونظريات، كما له مدارس للتفكير، والمذاهب الإسلامية لا تخرج عن ذلك ، وبالتالي لا يجب إهمالها، بل إن وجودها يدل على تنوع الفكر وشرعية الاختلاف، ويمكن للمجتمع الإسلامي أن يأخذ بأي مدرسة منها، وبما يوافق مصالحه والعصر الذي يعيش فيه، لأن الخلاف لا يكون في الأصول بل في المسائل الفرعية.

وخصصت الجلسة الصباحية لليوم الثاني لتناول (دور المذاهب في الاجتهاد والتحديث) وقد ترأس هذه الجلسة السيد مونتغى تال، نائب رئيس الجمعية الوطنية في مالي، حيث تناول الكلمة الأستاذ أحمد ماهر، وزير خارجية جمهورية مصر العربية السابق، فأشار إلى أن المناقشات تلتقي في نقطة مهمة، وهي أن الإسلام دين العقلانية، ولا يقبل أن يظل أسيرا لمفاهيم قديمة، وأنه لا يمانع في مواكبة العصر، ومن ثم لا بد أن يتفاعل مع القضايا التي تواجهه.

تناول بعدها الكلمة، الأستاذ عبد اللطيف آل محمود، من علماء البحرين، فأشار إلى أن الإسلام دين يدعو إلى الوسطية، فلا غلو فيه ولا شطط، ويجب أن يعود إليها الإسلام إذا حاد عنها، وإذا أردنا التحديث، فعلينا مسايرة العصر، مع الاحتفاظ بالثوابت التي لا يمكننا القضاء عليها.

تدخل بعد ذلك الشيخ سلمان بن فهد العودة من السعودية، فأشار إلى ضرورة التحديث، بالنظر إلى ما يواجهه الإسلام من تحديات في الوقت الحاضر، وتطرق إلى ما طرحه بعض المتدخلين حول أصول الفقه، ومحاولة التقليل من أهميتها باعتبارها عائقا للاجتهاد، فقال إن ذلك غير صحيح، لأن هذه الأصول كانت حصيلة اجتهاد علماء الإسلام، وهي أدوات للتفكير، ولاستخلاص الحكم الشرعي، فلا يمكن إهمالها أو التقليل من أهميتها.

وشارك الباحث أشرف محمد، الأستاذ بالجامعة الإسلامية ماليزيا، فأشار إلى أن الأحكام الشرعية تدور مع عللها وجودا وعدما، وأن في اختلاف المذاهب الإسلامية سعة ومرونة في اختيار الأحكام المناسبة للأمة، ونحن في ماليزيا نستعرض أقوال المذاهب، وندرسها عن طريق لجان تضم علماء الدين إلى جانب

العلماء المتخصصين في مجالات أخرى، ثم نأخذ بالآراء التي تتلاءم مع البيئة والعصر، على سبيل المثال، فإن حديث رسول الله ﷺ: «من أحيا أرضاً مواتاً فهي له...» هناك اختلاف بين العلماء في تفسيره، وذلك مما يساعد على اختيار الرأي المناسب، وهناك مثال أخر، وهو بيع المعدوم، فكثير من الفقهاء لا يجيزون ذلك، غير أن بعضهم أجازه إذا لم يكن في ذلك غرر، ونحن في ماليزيا نأخذ بهذا الرأي.

تدخل بعد ذلك الدكتور فريد يعقوب المفتاح، وكيل وزارة الشؤون الإسلامية بالبحرين، حيث بين وجود مذاهب أربعة هي مذاهب أهل السُّنة، ولكن بعض الباحثين يقول: إن المذاهب خمسة، أي بإضافة المذهب الجعفري، إلا أن الأمر المثير للجدل، هو التعصب لهذه المذاهب، فهناك فقهاء لا يرون التجديد، ويتمسكون بالآراء السابقة، وهناك من يرى التحرر من هذه المذاهب بالعودة إلى الكتاب والسنة، وهناك موقف وسط لا يؤيد هؤلاء أو هؤلاء، وجمعوا بين الرأيين مع التحرر مطلقا من الآراء السابقة، فحدث الترهل، وأدى ذلك إلى ضياع الفكر، ولو نظرنا إلى بعض الفقهاء السابقين الذين درسوا علوم الأوائل، كالفلسفة اليونانية، لم نجدهم منغلقين بل كانوا منفتحين، فانكبوا على دراسة علم من سبقهم، ثم انطلقوا يشيدون صروح العلم والحضارة، أما نحن فما زلنا الآن نناقش الموضوع، هل نجدد أو نغير، فينبغي علينا أن نتجاوز هذا السجال ونعمل وننطلق.

خصصت الجلسة الأخيرة، التي عُقدت مساء الجمعة 11/8/2006م، للمحور الثالث (نموذج المذهب المالكي في علاقته بحركية التحديث) وقد تميز هذا المحور بوجود ثلاث ورقات مقدمة من المغرب وليبيا والبحرين، قدّم الورقة الأولى الأستاذ الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري، مدير عام وكالة بيت مال القدس الشريف، ووزير الأوقاف السابق في المغرب، فذكر أن مصطلح التحديث قد لا ينسجم مع المراد به في الندوة، وإنما قصد به التجديد، فهو الذي ورد به النص، إذ يحتاج أمر الدين إلى تجديد مستمر، أما إذا قصد بالتحديث إدخال أمور أخرى على الدين، وتغيير الأحكام لمسايرة التطور والتجاوب مع المجتمع الحداثي، فإننا سنكون متجاوزين لحدودنا.

إن بعض الدارسين يطالبوننا بالتغيير والتحديث، كشرط أساسي وضروري من شروط التقدم والاندماج في المجتمع العالمي الحديث، ويتهمون علماء الإسلام بقفل باب الاجتهاد، واختيار الجمود والتقوقع، ويجب أن نعترف أولا بأننا أمة متخلفة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وسياسيًا، وهذا التخلف ظاهر للعيان، ونحن نرغب في الخروج من التخلف، ولكن دون التخلي عن ديننا، ولا سبيل إلى ذلك إلا بتحديث الدين عن طريق قراءة جديدة للنصوص، تأخذ بعين الاعتبار واقع الحال، وترفع الحرج عن الناس، وتحقق المصالح، وتدرأ المفاسد، في إطار المقاصد الضرورية والحاجية والتحسينية، التي جاءت الشريعة لحفظها، وسبيلنا إلى ذلك هو النظر في آليات التحديث والتجديد في الفقه.

يجب أن نواكب العصر، ونستفيد من تجارب الشعوب في كل ما يفيد المسلمين، وخاصة في مجال العلم والتقنية.

ثم تطرق في الورقة المقدمة إلى آليات التحديث في المذهب المالكي، والتي تظهر بوضوح في منهج الإمام مالك، وهو منهج له خلفية إيمانية علمية، تتجلى في التقوى والإخلاص والإتقان والصدق، مشيراً إلى أن من ملامح المذهب المالكي، كثرة أصوله وتنوعها، فهي تمتاز بالتنوع والدقة العلمية، وبإمكانها أن تجعل المذهب قادرا على مسايرة التطور والتلازم مع تغييرات الزمان والمكان.

وختم حديثه بالقول: «إن أصول المذهب وأدواته



الجانب القديم لمدينة أصيلة وقصر الثقافة من الميناء

تعتبر أداة ناجعة في التحديث والتطوير والتجديد، وقد استخدمها فقهاء المذهب على مدى قرون عديدة، وكان لها دور فعال في إغناء الفقه والتوسع فيه، وأفسحت المجال لاجتهادات بديعة في جميع المجالات، وحسبنا من القلادة ما أحاط بالعنق».

قُمت بعد ذلك بعرض ورقتي المشارك بها في هذه الندوة وهي بعنوان (أصول المذهب المالكي وعلاقتها بتحديث المجتمع الإسلامي، عمل أهل المدينة نموذجاً) حيث ورد فيها تعريف بالإمام مالك مؤسس المذهب، ثم الأصول التي اعتمد عليها في مذهبه، ومفهوم عمل أهل المدينة، والأدلة التي يقوم عليها هذا الأصل، ومواقف العلماء منه، مبيناً موقف كل من الإمام الشافعي، والإمام الليث بن سعد، والإمام ابن القيم، مستعرضا الآراء التي أبدوها حول هذا الأصل، والتي لا تتعارض في مجملها مع عمل أهل المدينة، إذا كان يعتمد على النقل عن رسول الله ﷺ، وإنما في عملهم الذي لم يكن محل اتفاق مع غيرهم.

أما فيما يتعلق بأثر هذا الأصل - أي عمل أهل المدينة - بمواقف الإمام مالك، رضي الله عنه، فقد أشار الباحث إلى موقفه من محاولة الخليفة أبي جعفر المنصور، الذي أراد أن يعتمد كتاب الإمام مالك (الموطأ) ويجعله مقدماً على غيره من كتب الحديث الأخرى في كافة الأمصار، إلا أن مالكا رفض ذلك بحجة انتقال صحابة رسول الله ﷺ إلى العديد من الأقطار التي وصلها الإسلام، فنقلوا الحديث، وكانت لهم اجتهاداتهم في الوقائع التي واجهتهم، واستخلص الباحث من هذا الموقف حقيقتين:

الحقيقة الأولى: احترام الإمام مالك للحرية الفكرية، وهو في ذلك تبع لما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ، فما كان أحدهم يرى رأيه هو الصواب الذي لا ريب فيه، وإنما كان يقول: هذا رأيي، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني واستغفر الله، وقد نقل الإمام ابن القيم قول الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «السُّنة ما سَّنه رسول الله ﷺ، لا تجعلوا خطأ الرأي سُنة للأمة»، فكتاب الموطأ، كتاب حديث وفقه، وفيه اجتهاد، لذلك لم يرض الإمام مالك فرضه على

المسلمين المنتشرين في الأمصار الأخرى.

الحقيقة الثانية: مراعاة اجتهاد فقهاء الأمصار، وما جرى عليه عملهم وأحكامهم في المسائل التي وقعت لديهم، جاء ذلك واضحا في رده على الخليفة «إن الناس سبقت لهم أقاويل، وسمعوا الحديث، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم وعملوا به» وهو بذلك يشير إلى ذهاب بعض الصحابة إلى مناطق عديدة، فنشروا علمهم، واجتهدوا في الوقائع التي ألمت بهم، ولم يرد بها نص، فأصبح لديهم عرف يجب مراعاته إذا كان لا يصادم نصاً قاطعاً، وفقاً لأحكام التشريع الإسلامي، لذلك قال الإمام مالك للخليفة: «فدع الناس وما هم عليه، وما أختار أهل كل بلد لأنفسهم»، وفي رواية ابن قتيبة: «وإن لكل قوم سلفاً وأئمة، فإن رأى أمير المؤمنين إقرارهم على حالهم، فليفعل».

فالإسلام لا يقول بتأليه الإنسان، بل بتكريم الإنسان، كما أن الإسلام لا يقول بتقديس العقل، وإنما بتحرير العقل من السيطرة

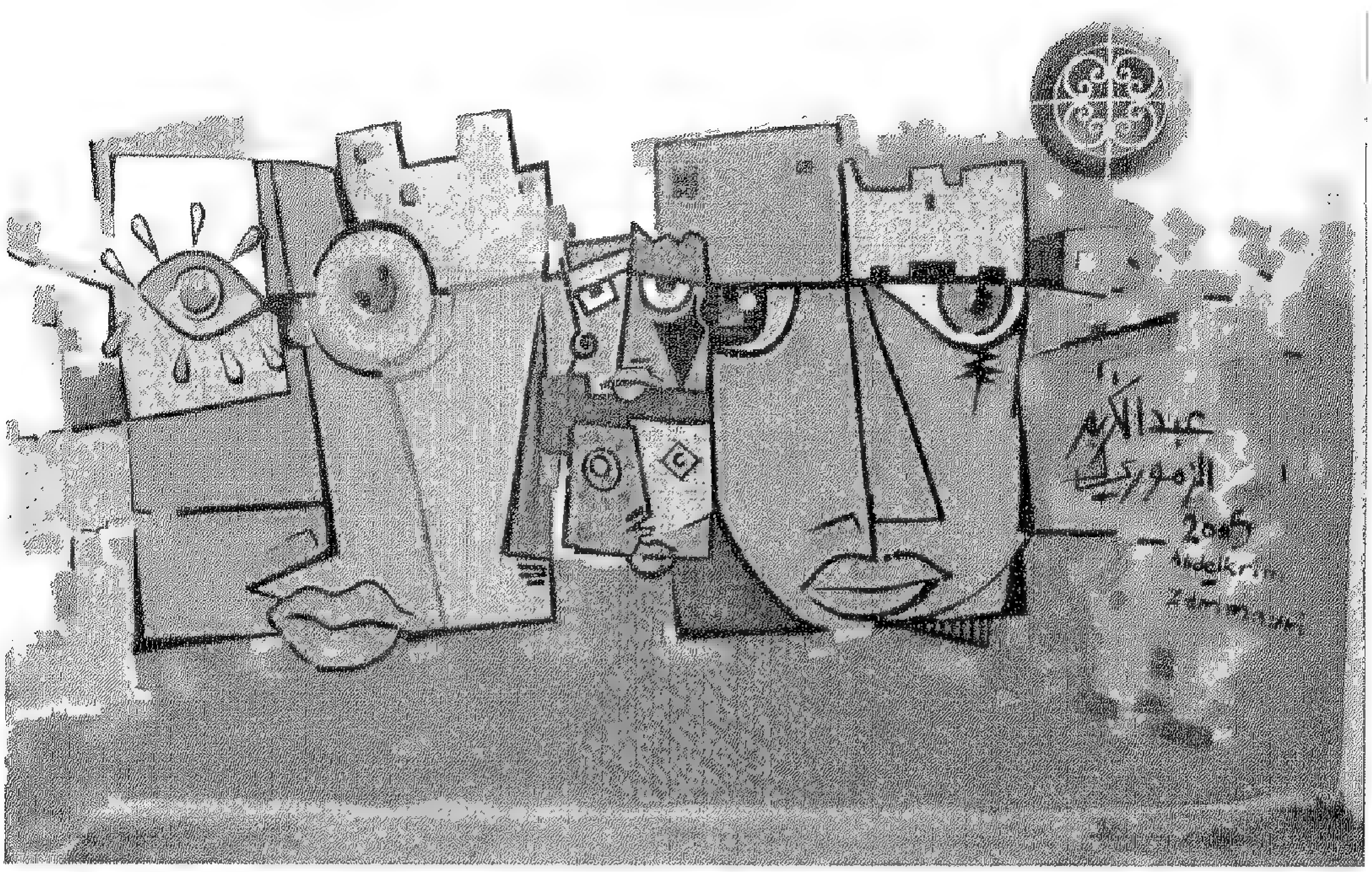
انتقلت بعد ذلك إلى الموقف الثاني الذي اشتهر به الإمام مالك، وهو محنته في الفتوى، ذلك أن أبا جعفر المنصور، أخذ البيعة من الأمصار، ومن بينها المدينة المنورة، وجعل الناس يقسمون عليها، فنقل للخليفة أن مالكا يفتي الناس بأن أيمان البيعة لا تحل ولا تلزمهم لمخالفتك، واستكراهك إياهم عليها، وزعموا أنه يفتي بذلك أهل المدينة أجمعين، لحديث: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه) فهذا الموقف كما ورد في الرواية، كان سبباً في قيام والي المدينة بتعذيب الإمام مالك وضربه حتى يرجع عن فتواه، إلا أن موقف الإمام كان ثابتاً، ويستخلص منه مبدأين هامين، كان لهما الأثر في تاريخ المسلمين عامة:

المبدأ الأول: هو موقف المفتي إذا أفتى بما يعتقده من رأي الشريعة في المسألة التي عرضت عليه، فالواجب هنا، يتمسك بموقفه طالما كان يعتقد أنه على حق، ويستند رأيه إلى أصل شرعي ثابت، ومن ثم فلا يأبه بأية ضغوط ترد عليه كي يتراجع عن موقفه، ولو تعرض للهلاك من جراء ذلك، وقول الإمام مالك: «لا خير فيمن لا يؤذى في هذا الأمر» إنما تعني ذلك دون شك، فهو اقتدى بمن سبقه من الأئمة الذين ذكرهم.

المبدأ الثاني: عدم جعل الفتوى لصيقة بالسلطان، بعيدة عن كل المؤثرات، وعندما يكون المفتي يحلل ما قرره الحاكم، ويحرم ما حرمه، فيستند الحاكم إلى الفقهاء في كل ما يقوم به، سواء أكان ذلك موافقا لأحكام الشرع أم مخالفاً له، وفي ذلك فساد للمجتمع، إنما يجب أن تكون الفتوى لعلماء المسلمين، وفقا لأحكام الشريعة الغراء، دون ضغوط أو إكراه أو تزلف، ذلك ما يدل عليه موقف الإمام مالك رحمه الله.

واستعرضت التطور الذي صاحب عمل أهل المدينة لدى علماء الأمصار، فأشارت في البداية إلى أن هذا الأصل لم يكن مبتكراً من الإمام مالك، بل قال به بعض الفقهاء قبله، وإنما اشتهر به الإمام مالك لأنه ابتلي به، وفي بعض فتاواه ما يخالف الخبر الذي رواه هو، لكنه اشهر من أخذ به، فنُسب إليه، وقد انبثق عن هذا الأصل أصل آخر، وهو ما جرى به العمل في مصر من الأمصار، ويعتمد هذا الأصل الفرعي على أنه إذا حكم حاكم في قضية، وأخذ فيها بالقول الضعيف دون المشهور، بناء على ضرورة أو حاجة، وجاء بعده من أخذ بهذا الحكم، واستمر ذلك حتى أصبح عرفاً، فيطلق عليه العمل، وينسب إلى المنطقة التي ظهر فيها، فيقال عمل فاس، عمل تونس، عمل طرابلس، وهكذا.

وترتب على ذلك ـ كما ورد في الورقة ـ أن عمل أهل المدينة الذي انبثق عنه عمل الأمصار وجود العديد من النوازل التي استند فيها الفقهاء إلى ما جرى عليه العمل، وتميز الفقه المالكي بهذه النوازل التي أصبحت



جدارية الفنان المغربي عبد الكريم الزموري ـ أصيلة

كالسوابق القضائية، يعتمد عليها الحكام والمفتون في القضاء والفتوى، فكان له الأثر في مواكبة الوقائع والمستجدات التي تحدث في المجتمع الإسلامي، وبانتشار الفقه، أو الأحكام الفرعية، التي استنبطها المجتهدون من منبع الشريعة، القرآن والسُّنة، خلال القرون الأولى، ووسع دائرتها فقهاء القرون التالية قام الفقه بدور كبير وحاسم في حياتهم، لأنه كان حياً متحركاً، يلائم بيئتهم ويستجيب لحاجيات مجتمعهم، ويأتي بالحلول لكل النوازل التي تقع بينهم، وفي ذلك دليل قوي على أن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، وأنها تحمل في طياتها عوامل تجديدها ومواكبتها للعصر.

قدَّم الدكتور فريد يعقوب المفتاح، وكيل وزارة الشؤون الإسلامية بالبحرين، الورقة الثالثة في هذا المحور، وهي تتعلق بعمل أهل المدينة، كأصل من أصول المذهب المالكي، استعرض فيها سيرة الإمام مالك، وذكر أن عمل أهل المدينة، هو أصل تشريعي يمكن الاعتماد عليه، واستعرض من خلال ورقته رسالة الإمام مالك إلى الإمام الليث بن سعد، وانتهى إلى أن عمل أهل المدينة يعتبر أصلاً يجب أن يتم التقيد به، مبيناً أن الإمام مالكاً يعتمد على الأعمال أكثر من الأقوال، وبذلك فهو يمثل النقلة النوعية في إمكانية أن يتم التجديد والتحديث في التشريع من خلال هذا الأصل.

تناول الكلمة بعد ذلك، الشيخ سلمان بن فهد العودة، فقال: عندما نتحدث عن مصادر التشريع، وهي كثيرة وتتكون من ثلاثة أقسام، منها الكتاب والسُّنة والإجماع والقياس والاستصحاب وغيرها، ولكن ثمة فرقاً بين الكتاب والسُّنة، وبين غيرهما من المصادر، فالقسم الأول: الكتاب والسُّنة وقع الاتفاق على حُجيتهما، ولا يوجد أحد من المسلمين إلاَّ ويأخذ بهما، أما القسم الثاني من المصادر، فهناك من يأخذ بها، وهناك من يتركها، فقد وجد ما يعرف بالشغب على الإجماع، إذ لا يوجد إجماع كامل، ولكنه قول الجمهور، والقسم الثالث منها ليس بالمصادر، ولكنه آلية للاستنباط، وأمثلتها كثيرة، منها سد الذرائع، وكذلك

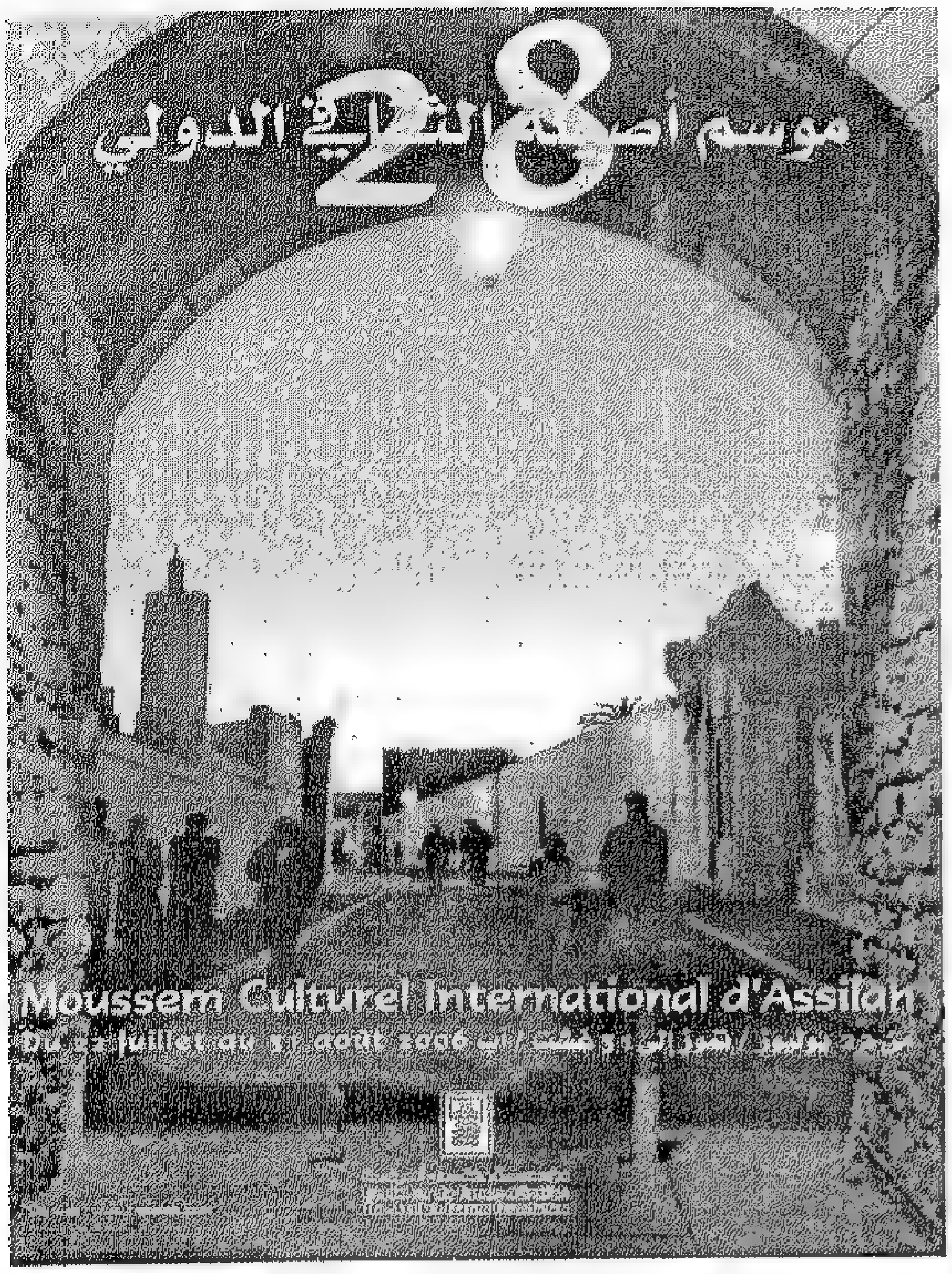
قولهم ما يتم الواجب إلا به فهو واجب، وإذا نظرنا إلى الوقت الحاضر، فإن ثمة أشياء لا تتغير، كالعبادات، فهي باقية على حالها، وهناك أمور يقع فيها التطور كالعادات، ومع ذلك فإن الحاجة إلى فهم الإسلام على حقيقته تعتبر حاجة ماسة في الوقت الحاضر.

كان أخر المتحدثين في هذا الموضوع، الأستاذ عبدالله باها، النائب في مجلس الأمة المغربي، فقال: إن الحداثة الغربية تعتمد على مرتكزات تختلف مع الإسلام، وهي ثلاث مرتكزات: ـ المرتكز الأول ـ إنها تعتمد على تأليه الإنسان، فالإنسان هو كل شيء، بل هو أحق الأشياء التي تسبق عبادة الله، أما المرتكز الثاني، فهو تقديس العقل، أي لا توجد سلطة فوق سلطة العقل، وهنا يكون المعنى أن الوحي لا يرشد العقل، أما المرتكز الثالث، فهو الانكباب على الدنيا، وما يرتبط بها من الإنتاج والاستهلاك والاستمتاع، ويصفها بعض الغربيين بأنها حضارة المتعة.

هناك قدر مشترك بين الإسلام والحضارة الغربية في هذه الأمور، ولكن بمفهوم مختلف، فالإسلام لا يقول بتأليه الإنسان، بل بتكريم الإنسان، والإنسان في وضعنا الحالي غير مكرم، كما أن الإسلام لا يقول بتقديس العقل، وإنما بتحرير العقل من السيطرة مهما كان موضوعها، كما أن الإسلام لا يقول بعبادة الدنيا، وإنما بعمارة الأرض، وأن تكون الدنيا مطية الآخرة.

❖❖❖

وإذا أردنا أن نلخص ما دار في هذه الندوة، فيمكن القول باتفاق الحاضرين على ضرورة التحديث في الفكر الإسلامي، وقراءة النصوص قراءة لا تخالف الأصول التي قام عليها الدين الإسلامي، دون أن يسيطر علينا التراث بطريقة لا تمكننا من الانطلاق نحو التقدم، مع ضرورة فتح باب الاجتهاد للعلماء والمفكرين، وتحرير الفتوى من الانغلاق في التأويلات



القديمة، واستعمال آليات حديثة في الفكر، تحاول تقديم الحلول لما يعانيه المسلمون اليوم، دون أن نخرج عن الإطار الإسلامي وثوابته المتفق عليها، كما أن الانفتاح على الآخر شيء ضروري للمسلمين، والأخذ بالعلم والتقنية لا يشكل بالضرورة تدخلاً سياسياً من الغرب، بل لا يعتبر مؤامرة يجب الابتعاد عنها، فالأفكار الإنسانية، والتقدم العلمي لفائدة البشرية جميعاً، فنحن لا نريد التغريب ولكن نريد التحديث في مجتمع تسوده العدالة والحرية، وأن ينطلق العقل البشري ضمن إطار النص الديني دون سيطرة التراث القديم بكافة صوره وأنماطه، وإنما بكيفية تجعل المسلمين يعيشون عصر التقدم والتكنولوجيا دون مسخ صورتهم ضمن إطار التغريب.

وعلى هامش الندوة شهدت مدينة أصيلة مشاركات إبداعية وفنية من مختلف مناطق العالم، دعماً للتواصل بين الشعوب التي تتوق بالفطرة والضرورة إلى السلام والمحبة ونبذ الحروب.



- الأرملة المرضع
- الراعية الصغيرة (لوحة)، بائعات الفاكهة الصغيرات (لوحة)
- غرفة الشاعر
- خيّام العصر في غرفة البؤس
- المجانين العقلاء، أو الحد الفاصل بين العبقرية والجنون

1 الأرملة المرضع



معروف الرصافي

لقيتها ليتني ما كنت ألقاها ... تمشي وقد أثقل الإملاق ممشاها

أثوابها رثة والرجل حافية ... والدمع تذرفه في الخد عيناها

بكت من الفقر فاحمرت مدامعها ... واصفر كالورس من جوع محياها

مات الذي كان يحميها ويسعدها ... فالدهر من بعده بالفقر أشقاها

الموت أفجعها والفقر أوجعها ... والهم أنحلها والغم أضناها

فمنظر الحزن مشهود بمنظرها ... والبؤس مرآه مقرون بمرآها

كر الجديدين قد أبلى عباءتها ... فانشق أسفلها وانشق أعلاها

ومزق الدهر، ويل الدهر، مئزرها ... حتى بدا من شقوق الثوب جنباها

تمشي بأطمارها والبرد يلسعها ... كأنه عقرب شالت زباناها

حتى غدا جسمها بالبرد مرتجفاً ... كالغصن في الريح واصطكت ثناياها

تمشي وتحمل باليسرى وليدتها ... حملاً على الصدر مدعوماً بيمناها

قد قمطتها بأهدام ممزقة ... في العين منشرها سمج ومطواها

ما أنس لا أنس أني كنت أسمعها ... تشكو إلى ربها أوصاب دنياها

تقول يا رب، لا تترك بلا لبن ... هذي الرضيعة وارحمني وإياها

مَا تَصْنَعُ الأُمُّ فِي تَرْبِيبِ طِفْلَتِهَا … إِنْ مَسَّهَا الضُّرُّ حَتَّى جَفَّ ثَدْيَاهَا

يَا رَبِّ مَا حِيلَتِي فِيهَا وَقَدْ ذَبُلَتْ … كَزَهْرَةِ الرَّوْضِ فَقْدُ الغَيْثِ أَظْمَاهَا

مَا بَالُهَا وَهْيَ طُولَ اللَّيْلِ بَاكِيَةٌ … وَالأُمُّ سَاهِرَةٌ تَبْكِي لِمَبْكَاهَا

يَكَادُ يَنْقَدُّ قَلْبِي حِينَ أَنْظُرُهَا … تَبْكِي وَتَفْتَحُ لِي مِنْ جُوعِهَا فَاهَا

وَيْلُمِّهَا طِفْلَةً بَاتَتْ مُرَوَّعَةً … وَبِتُّ مِنْ حَوْلِهَا فِي اللَّيْلِ أَرْعَاهَا

تَبْكِي لِتَشْكُو مِنْ دَاءٍ أَلَمَّ بِهَا … وَلَسْتُ أَفْهَمُ مِنْهَا كُنْهَ شَكْوَاهَا

قَدْ فَاتَهَا النُّطْقُ كَالعَجْمَاءِ، أَرْحَمُهَا … وَلَسْتُ أَعْلَمُ أَيُّ السُّقْمِ آذَاهَا

وَيْحَ ابْنَتِي إِنَّ رَيْبَ الدَّهْرِ رَوَّعَهَا … بِالفَقْرِ وَاليُتْمِ، آهًا مِنْهُمَا آهَا

كَانَتْ مُصِيبَتُهَا بِالفَقْرِ وَاحِدَةً … وَمَوْتُ وَالِدِهَا بِاليُتْمِ ثَنَّاهَا

هَذَا الَّذِي فِي طَرِيقِي كُنْتُ أَسْمَعُهُ … مِنْهَا فَأَثَّرَ فِي نَفْسِي وَأَشْجَاهَا

حَتَّى دَنَوْتُ إِلَيْهَا وَهْيَ مَاشِيَةٌ … وَأَدْمُعِي أَوْسَعَتْ فِي الخَدِّ مَجْرَاهَا

وَقُلْتُ: يَا أُخْتُ مَهْلًا إِنَّنِي رَجُلٌ … أُشَارِكُ النَّاسَ طُرًّا فِي بَلَايَاهَا

سَمِعْتُ يَا أُخْتُ شَكْوَى تَهْمِسِينَ بِهَا … فِي قَالَةٍ أَوْجَعَتْ قَلْبِي بِفَحْوَاهَا

هَلْ تَسْمَحُ الأُخْتُ لِي أَنِّي أُشَاطِرُهَا … مَا فِي يَدِيَّ الآنَ أَسْتَرْضِي بِهِ اللهَ

ثُمَّ اجْتَذَبْتُ لَهَا مِنْ جَيْبِ مِلْحَفَتِي … دَرَاهِمًا كُنْتُ أَسْتَبْقِي بَقَايَاهَا

وَقُلْتُ يَا أُخْتُ أَرْجُو مِنْكِ تَكْرِمَتِي … بِأَخْذِهَا دُونَ مَا مَنٍّ تَغَشَّاهَا

فَأَرْسَلَتْ نَظْرَةً رَعْشَاءَ رَاجِفَةً … تَرْمِي السِّهَامَ وَقَلْبِي مِنْ رَمَايَاهَا

وَأَخْرَجَتْ زَفَرَاتٍ مِنْ جَوَانِحِهَا … كَالنَّارِ تَصْعَدُ مِنْ أَعْمَاقِ أَحْشَاهَا

وَأَجْهَشَتْ ثُمَّ قَالَتْ وَهْيَ بَاكِيَةٌ … وَاهًا لِمِثْلِكَ مِنْ ذِي رِقَّةٍ وَاهَا

لَوْ عَمَّ فِي النَّاسِ حِسٌّ مِثْلُ حِسِّكَ لِي … مَا تَاهَ فِي فَلَوَاتِ الفَقْرِ مَنْ تَاهَا

أَوْ كَانَ فِي النَّاسِ إِنْصَافٌ وَمَرْحَمَةٌ … لَمْ تَشْكُ أَرْمَلَةٌ ضَنْكًا بِدُنْيَاهَا

هَذِي حِكَايَةُ حَالٍ جِئْتُ أَذْكُرُهَا … وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَى الأَحْرَارِ فَحْوَاهَا

أَوْلَى الأَنَامِ بِعَطْفِ النَّاسِ أَرْمَلَةٌ … وَأَشْرَفُ النَّاسِ مَنْ بِالمَالِ وَاسَاهَا

لوحة الراعية الصغيرة

وليام بوجيرو William Bouguereau (1825 - 1905)

وليام بوجيرو رسام فرنسي، أحد أشهر الرسامين في القرن التاسع عشر.

وُلد في La Rochelle سنة 1825 ودرس في مدرسة دي بو للفنون Ecole des Beaux-Arts. وتحصّل على جائزة روما للفنون سنة 1850. وتنتمي أغلب رسوماته إلى ما يُعرف بالمدرسة الميثولوجية (الأسطورية)، حيث تلعب الأساطير والخرافات دوراً في هذا النوع من الرسومات، فتراه يميل إلى رسم الآلهة المجنحة، والملائكة، والحيوانات الأسطورية النصف بشرية (الساتيرات). ومن أشهر لوحات بوجيرو:



- ❖ دانتي وفرجيل في الجحيم Dantel and Virigil in Hell
- ❖ القبلة الأولى The First Kiss
- ❖ الحوريات والساتير Nymphs and Satyr
- ❖ الراعية الصغيرة Young Shepherdess
- ❖ مولد ڤينوس The Birth of Venus



وليام بوجيرو بريشته

(❖) صور الشاعر معروف الرصافي الأرملة المرضع بكلماته ووليام بوجيرو يصور الراعية الصغيرة بريشته، ومع ذلك كم هي قريبة تلك الصورة الشعرية من هذه اللوحة الفنية!! رسم الرصافي بكلماته صورة ورسم وليام بريشته صورة، ولو كانا متعاصرين لقلنا أنهما اتفقا على ذلك.. لكنه الابداع هو الذي جعل انتاجهما متقاربان رغم اختلافاتهما التي لا تكاد تحصى.

لوحة بائعات الفاكهة الصغيرات

برثولومي إيستيبان موريللي Bartolomé Esteban Murillo (1617 - 1682)

برثولومي إيستيبان موريللي، رسام أسباني وُلد في إشبيلية (1617) وتوفي فيها (1682).

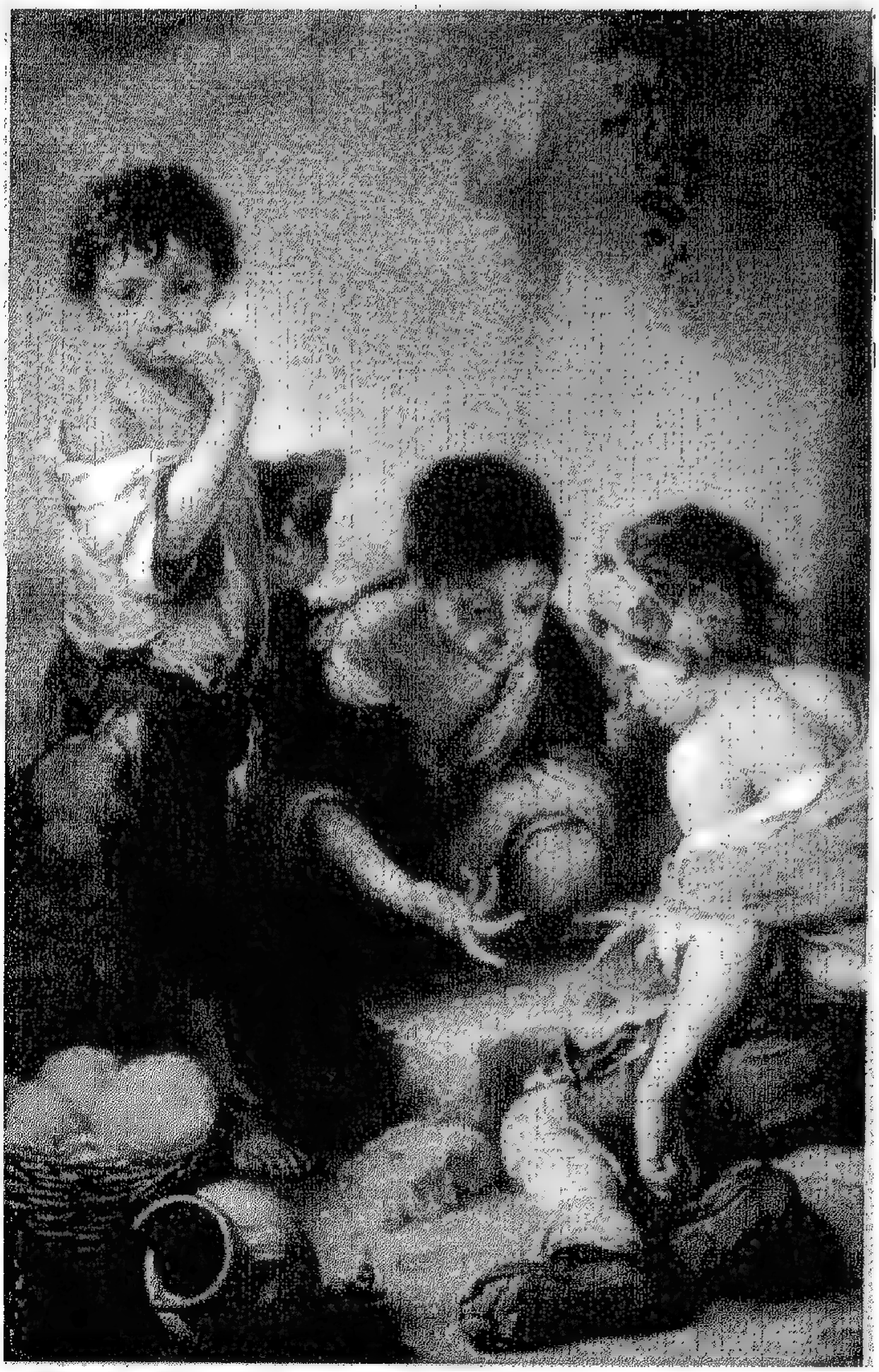
يعد موريللي من أعظم الرسامين في القرن السابع عشر.

ومن أشهر لوحاته :

- يوحنا المعمدان طفلاً
- بائعات الفاكهة الصغيرات
- طفلان فقيران يتناولان العنب والبطيخ



موريللي بريشته



2 غرفة الشاعر

عبد الحميد الديب

الشاعر البائس في غرفة البؤس

أفي غرفةٍ يا ربّ أم أنا في لحد … ألا شدّ ما ألقى من الزمنِ الوغدِ

أرى النّملَ يخشى الناسَ إلا بأرضِها … فأرجُلُه أمضى من الصّارمِ الهندي

تُساكِنُني فيها الأفاعي جريئةً … وفي جَوِّها الأمراضُ تفتِكُ أو تعدِي

ترَاني بها كلَّ الأثاثِ، فمِعْطفي … فِراشٌ لنومي أو وِقاءٌ مِنَ البَرْدِ

وأمّا وِسَاداتي بها فجَرائِدٌ … تُجدَّدُ إذ تبلَى على حَجَرٍ صَلْدِ

تعلّمتُ فيها صَبْرَ أيوب في الضّنى … وذُقْتُ هُزَالَ الجوعِ أكثَرَ من غَنْدي

❖❖❖

ثمانونَ قرشًا أهلكَتْني كأنها … ثمانون ذنْبًا في سِجِلِّ عَذابي

طَوَيْتُ لها الدنيا سُؤالًا وكُدْيَةً … فما ظَفِرَتْ نفسي بِرَدِّ جَوَابِ

لُعِنْتَ كِراءَ البيتِ كَمْ ذا أهَنْتَني … وأذلَلْتَ كِبري بين كلِّ رِحَابِ

ففي كلِّ شهرٍ لي عُوَاءٌ بموقِفٍ … يُبَاعِدُ عني أسْرَتي وَصِحَابي

وطول ليالي الشهرِ يهتاجُ مَضْجَعي … مخافةَ ربِّ البيتِ يغلقُ بابي

يُطَالبني في غِلْظةٍ، فأجيبُه … إجابَةَ مَنْ يرجو يَدًا ويحابي

❖❖❖

صحوت على قصف الرياح وصوته … وما أحدث الطرق الخليع من الجرس

يطالبني بالأجرِ في غَيْظِ دائنٍ … تَصَيّدَهُ المحتالُ بالثمنِ البَخْسِ

وقالَ يُداري ظُلْمَةً: أيُّ ضامنٍ … لِسَكْنِي تَعَرَّتْ عن سريرٍ وعن كُرْسي؟

أراكَ بها كلَّ الأثاثِ ولا أرَى … سوى قَلَمٍ ثاوٍ على الأرضِ أو طِرسِ

فقلتُ له: هذي جُدودي كما ترى	فما سَكني في البيتِ بل أنا في رَمْسِ
وقلتُ مَعاذَ الدّين ما كنتُ مَرّةً	غريمًا ولا أذللتُ يومي ولا أمسي

❖❖❖

إذا كانت السُّكنى بأجرٍ مَذلّةً	فما أرحبَ المجان في غُرَفِ الحبْسِ
فإني أرى فيها الطعامَ، ولا أرى	غريمًا، يلاقيني بعارضة النّحسِ
وإنْ لم أجدْ فيها الطّعامَ ميسرًا	فإني رَخِيُّ البال.. أطعمُ من حِسّي



أحمد الصافي النجفي

3 خيّام العصر في غرفة البؤس

أُكافِحُ البَردَ في سِراجٍ	يَكادُ مِن ضَعفِهِ يَموتُ
في غُرفةٍ مِلؤها ثُقوبٌ	أو شِئتَ قُلْ مِلؤها بيوتُ
يَسكُنُ فيها بلا كِراءٍ	فأرٌ وبَقٌّ وعنكبوتُ
للفأرِ مِن مأكلي غِذاءٌ	والبَقُّ جسمي لديهِ قُوتُ
واعتزلَ العنكَبوتُ أمري	وفي بَقاهُ معي رَضيتُ
فهو معي مثلُ فيلسوفٍ	مُعتَزِلٍ دأبُه السّكوتُ
مُشتغِلٍ بالنّسيجِ عنّي	يَبني شِباكًا بها حَميتُ
فكم بِها صادَ مِن ذُبابٍ	قَد كُنتُ في أمرِهِ عَييتُ
انْعِمْ بهِ صائداً قَديراً	ذُبابةٌ منه ما تَفوتُ
كم صادَ في الصّيفِ من بَعوضٍ	قد كُنتُ من لَدغِه خَفيتُ
يَنسِجُ فوقَ الثّقوبِ بيتاً	به مِنَ الشّمسِ قد وُقيتُ
يوقِظُني الفأرُ حين أغفو	بالقَرضِ إنْ طابَ لي المَبيتُ

والبقُّ بالقرْص رامَ مَزحي | لكنّهُ مَازحٌ صَموتُ
أغُرفةٌ للمَنام هذي | أم هِيَ مَنفىً له نُفيتُ
أم تلك قبرُ الحيَاةِ فيهِ | عُذّبتُ من قبلِ مَا أموتُ
أبيتُ ليلاً بها كأني | لِلبردِ تحتَ السّما أبيتُ
جَمُدتُ من بَردِهَا ولكن | في الصّيفِ من حَرّها شُويتُ
يُنثَرُ مِن سَقفِهَا تُرابٌ | لولا غِطائي به عُميتُ
كَأنّ ذاك التّراب رزقٌ | بِه من اللهِ قد حَييتُ
أمشي بها خائفاً لأني | أخشى انْخِسَافاً إذا مَشيتُ
لها كشُبّاكها ثقوب | انظُرْ منها حيثُ شِيتُ

4 المجانين العقلاء أو الحد الفاصل بين العبقرية والجنون

حفظ لنا التاريخ الأدبي والثقافي أخباراً عن أناسٍ اتهموا في سلوكهم بالجنون، وفي الوقت نفسه تصدر عنهم إشراقات لا تنبعث إلا من أعظم الحكماء وأعقلهم.

ولا تكاد ثقافة من الثقافات تخلو من صور لهذا النمط من الناس الذي يُطلق عليه (المجنون العاقل أو العاقل المجنون). وربما هذا ما دعا فيلسوفاً كبيراً مثل ميشيل فوكو أن يكتب أهم وأخطر دراسة لتاريخ الجنون، وهي دراسته المسماة تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي Histore de la Folie a l'age Classiique، وقد صدرت في مطلع الستينيات من القرن الماضي.

لقد حيّر ذلك السلوك المثير العلماء والباحثين قديماً وحديثا. وللمسلمين في هذا الموضوع حظٌ وافر، بل ربما كان حظ الثقافة الإسلامية في بحث هذا الموضوع أكثر وفرة من غيرها، فضلاً عن كونها من أسبق الثقافات مناقشةً لهذا الموضوع وإن كانت في شكلٍ أدبيّ، حيث خرجت لنا بمصنّفاتٍ مثل : كتاب (عقلاء المجانين) لأبي القاسم بن حبيب النيسابوري، وكتاب (أخبار الحمقى والمغفلين) لابن الجوزي.

وقد أوذي المجانين قديماً إيذاءً عظيماً، وألصقت بمرضهم خرافات وأساطير، حتى عُدّوا في المجتمعات أجساماً مسكونة بالشر والشياطين. فنُبِذوا وسُجنوا وحُرّقوا.

ولم يتحرّر الغرب من هذه الرؤية القبيحة للمجنون إلا في النصف الأخير من القرن التاسع عشر.

والجنون كما يكون مرضاً، يمكن أن يكون حالة من التفرّد والتوحد يعيشها المرء حينما يخفق في التواصل

مع المجتمع المحيط به، فتعتريه حالات من الذهول والخلط فيرى ما لا يُرى ويسمعُ ما لا يُسمع. وقد وُصِف بهذا السلوك الشعراء والفلاسفة، بله الأنبياء والرسل.

والجنون الإبداعي غير الجنون المرضي، ولذلك ذهب الكثيرون إلى القول بأنه « بين الجنون والعبقرية خيط رفيع » لا يلبث أن ينقطع، وحينئذٍ تغيب الحدود وتضمحلّ الملامح، ولا يعود بالمقدور التفريق بين المجنون والعبقري.

ومن تاريخ الجنون في الثقافة الإسلامية سيقت لنا أخبار تحكي عن أنماطٍ من الناس قد يحكم المرء عليهم للوهلة الأولى بأنهم مجانين، أو دراويش، أو مخبولون، أو مهووسون. ولكن بالتأمل في كلامهم الذي يجري على ألسنتهم يبصر المرء اللبيب ضروباً من الحكمة والفهم لا يمكن أن يصدر إلا عن عقلٍ متميّز.

أسماء المجنون في لغة العرب

الجنون في اللغة: الاستتار. تقول العرب: جنّ الشيء يَجِنُّ جُنوناً: إذا استتر. وأجنّه غيرُه إجناناً: إذا ستره.

وقد أنشد أبو عبد الله محمد بن الحسين الوضّاحي :

يا غافلاً عمّا تَجِنُّ ضلوعي

أنسيتَ ويحك عَبْرتي ودموعي ؟

وجنّ الليلُ يجِنُّ جنوناً وجِناناً: إذا دخل. ومنه قوله تعالى :

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾

(سورة الأنعام الآية: 76)

وقد سُميت الجنُّ جِنّاً لاستتارهم وخفائهم عن أعين الناس.

وفي العربية يُسمى المجنون أحمق، ومعتوها. وقيل إن المعتوه مَن وُلِدَ مجنونا. ويُسمى : الأخرق، والمائق ويُجمَع على مُوق، والممسوس، والمخبول، ويُسمى أيضاً : بُوهَة، والهائم، والدرويش. والعامة يسمون المجنون بُهلولاً وهو خطأ، لأن البُهلول في اللغة هو السيّد الجامع لكل المحامد، ويُجمع على بهاليل.

طرفٌ من أخبار المجانين العقلاء

إن أكثر من يُنعت بالمجانين العقلاء هم بعض من المتصوفة، والعشّاق لما يصدر عنهم من حكمٍ وأشعارٍ من خلف أسمالهم البالية. ومما يُؤثر عن أبي زيد البسطامي قوله :

«جننتني بي فمت،ثم جننتني به فعشت، ثم جننتني عني وعنه فغبت، ثم أوقفتني في درجة الجنون، وسألتني عن أحوالي الثلاث، فقلتُ : الجنونُ بي فناء، والجنون بك بقاء، والجنون عني وعنك ضنى،وأنت في كلّ الأحوال أولى بنا».

وقيل إن رجلاً قرأ بين يدي معاذ بن نصر

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾

(سورة مَريَم الآية: 39)

فجعل الرجل يتمرّغ في التراب، ويضطرب، ويصيح، ثم هام على وجهه، ولم يوقف له على أثر.

ومن أخبار حيّان بن خيثم المجنون، قال عطاء مررت به يوماً وهو في المقبرة واقفٌ على قبرٍ يُخاطبه، فقلتُ : من تُخاطِبُ ؟ قال: صاحبَ هذا القبر، فإنه كان صديقي ورفيقي. قلت: وما قُلتَ له ؟ قال: قلتُ له:

يا صاحبَ القبرِ يا مَنْ كان يَأنسُ بي

وكان يُكثرُ في الدنيا موافاتي

قلت: وبم أجابك ؟. قال: قال لي:

شُغِلتُ عنك بشيءٍ لستُ واصفَه

من الغُمومِ ولوعَاتٍ وبرحاتِ

ومن أخبار سمنون المجنون أنه قيل له: أيُّ منزلٍ

إذا نزله العبد قام مقام العبادة ؟ قال: إذا ترك التدبير. قال ابن فاتك: سألت سمنون يوماً عن المحبّة، فقال لي: عن محبة الله إياك تسأل ؟ أو عن محبتك إياه ؟ قلت: عن محبّة الله لي. قال: لا تُطيق الملائكة أن تسمع ذلك. فكيف تُطيق أنت ؟!! ثم طفق ينشد:

لا لأني أنساك أُكثرُ ذكراكَ
ولكن بذاك يجري لساني
أنت في النفسِ والجوارح والفكر
وأنت المنى، وفوق الأماني
فإذا أنتَ غِبْتَ عني عيَاناً
أبصَرتكَ المنى بِكلِّ مكانِ

وسأله أحد الخلفاء: يا سمنون. كيف وصلت إليه؟ قال: ما وصلتُ حتى عملتُ ستة أشياء:

أمَتُّ ما كان حيّاً وهو النفس،وأحييتُ ما كان ميّتاً وهو القلب.

شاهدتُ ما كان غائباً وهي الآخرة، وغيّبتُ ما كان شاهداً وهي الدنيا.

وأبقيتُ ما كان فانياً وهو المراد، وأفنيتُ ما كان باقياً وهو الهوى. واستوحشتُ مما تستأنسون، وآنستُ مما تستوحشون. ثم أنشد:

روحي إليك بكُلّها قد أجمعت
لو أن فيك هلاكها ما أقلعت
تبكي عليك بكُلّها في كُلّها
حتى يقالَ من البُكاءِ تقطّعت
أنظُر إليها نظرةً بِمودّةٍ
فلرُبّما متّعتُها فتمتّعت

ومن أخبار عبدان المجنون أنه مرّ يوما بقومٍ من بني تيم الله بن ثعلبة، فعبثوا به، وآذوه. فقال: يا بني تيم الله، ما أعلمُ في الدنيا مَن هم خيرٌ منكم. قالوا: وكيف ذاك ؟ قال: بنو أسد ليس فيهم مجنون غيري، وقد قيّدوني وسلسلوني، وكلّكم مجانين وليس فيكم مقيّد واحد.

وكان من المجانين رجلٌ يُدعى بكّار العريان، قال أبو يعقوب السوسي: رأيت ببلدٍ مجنوناً يُقال له بكّار العريان، على سوأته خرقة، وبيده قصبة، على رأسها كالعلم، وهو يعدو ويقول:

كفى حُزناً أني مُقيمٌ بِبلدةٍ
أحِباءَ عنها نازحون بعيدُ
أُقلّبُ طرفي في البلادِ ولا أرى
وجوهَ أحِبائي الذين أريد

ومن المجانين محمد بن القاسم المعروف بماني الموسوس الشاعر الظريف (وهو غير ماني مؤسس مذهب المانوية)، وأصله من مصر رحل إلى بغداد أيام المتوكّل فكانت له فيها أخبار. ومن أخباره:

دعاه مرةً محمد بن عبد الله بن طاهر صاحب شرطة الحسن بن طالوت لمجلسه، وأمر جاريته (بثوسة) أن تغني، فغنت من شعر أبي العتاهية:

حجبوها عن الرياحِ لأني
قلتُ للريح بلّغيها السّلاما
لو رضوا بالحجابِ هان ولكن
منعوها يومَ الرّحيلِ الكلاما

فقال ماني الموسوس: ما ضرّ قائل هذا الشعر لو زاد فيه هذين البيتين:

فتنفست ثم قلتُ لطيفي
ويكَ لو زرتَ طيفَها إلماما
حَيّها بالسّلامِ سرّاً وإلاّ
منعوها لِشِقوتي أن تَناما



عرض: أ. الصديق بشير نصر*

- الفكر الإستشراقي في خدمة البنتاغون
- الإسلام ألف سنة من الإيمان والقوة
- المكتبة

* باحث وأستاذ جامعي / ليبيا.

الفكر الاستشراقي في خدمة البنتاغون

كتاب (العقل العربي) ودوره في جرائم سجن أبي غريب

كتاب (العقل العربي) من تأليف المستشرق المجري رفائيل باتاي Raphael Patai صدرت طبعته الأولى سنة 1973 في نيويورك عن دار نشر Charles Scripner's Sons وقد قوبل عند صدوره لأول مرة بتقريظ من المجلات والصحف الأمريكية، ووصف بأنه «مساهمة متميزة في فهم إحدى أشهر الثقافات في العالم»، وأنّ «كلّ من يرغب في الحصول على فهم أعمق لمشاكل الشرق الأوسط لن يجد أفضل من كتاب: «العقل العربي».

وقد طُبِعَ الكتاب مرة أخرى في سنة 1976 .

ظلّ الكتاب محصوراً في دائرة المثقفين الضيقة لنحو ثلاثين سنة ، ثم فجأة بدأ الاهتمام به يظهر بشكل مثير، حيث أعيد طبعه بعد أحداث سبتمبر 2001 أكثر من مرة، آخرها كانت سنة 2002 عن دار نشر W. W. Norton & Co. Inc. وهي عن الطبعة المنقحة التي سبقتها في سنة 1983 التي كان قد وضعها المؤلف قبل وفاته في عام 1996 .

ويقع الكتاب في طبعته الأولى في 376 صفحة ، وفي طبعته الأخيرة المنقحة في 466 صفحة .

لقد كان إدوارد سعيد في كتابه (الاستشراق) أوّلَ من أشار، بشكلٍ عَرَضيّ ، للكتاب بالنقد بعد صدور طبعته الأولى .

بدأ رفائيل باتاي الفصل الثامن (عالم الجنس

يقع الكتاب في تمهيد وستة عشر فصلاً، وخاتمة.

❖ تمهيد

1 ـ العرب والعالم

2 ـ مظاهر العقل الجماعي

3 ـ تنشئة الطفل العربي

4 ـ تحت هيمنة اللغة

5 ـ الأساس البدوي للشخصية العربية

6 ـ القيم البدوية

7 ـ الروح البدوية والمجتمع العربي الحديث

8 ـ عالم الجنس

9 ـ المكوّن الإسلامي للشخصية العربية

10 ـ تطرف وعواطف/ حقيقة وخيال

11 ـ الفن، والموسيقى، والأدب

12 ـ تعدد اللغات، والهامشية، والازدواجية

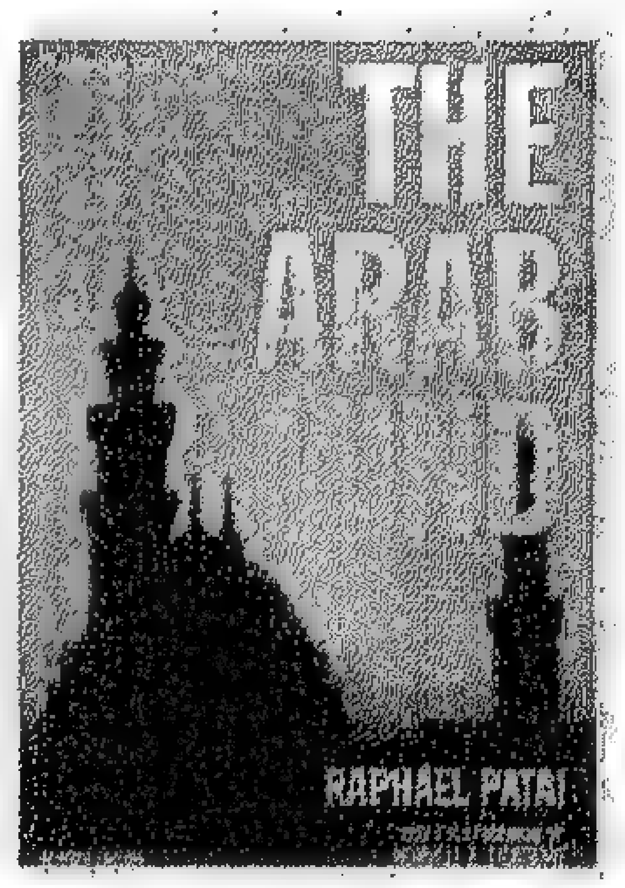
13 ـ الوحدة والنزاع

14 ـ قرار النزاع والمواجهة

15 ـ مسألة الجمود العربي

16 ـ علم نفس التغريب

❖ خاتمة



The Realm of Sex) من كتابه بسوق حكاية التلميذ والفيل الوردي ، ليعبّر عن أثر الكبت الجنسي في تكوين شخصية العربي . وأنّ هذه الشخصية التي هي نتاج للعقل العربي الذي يخضع لقانون (كلّ ما هو ممنوع مرغوب) يمكن تطويعها من خلال فهم (هذا الميكانيزم) الذي يحكمها .

يقول في مطلع هذا الفصل:

«تذكرني مسألة الجنس في العالم العربي، بالقصة القديمة عن تلميذ كان يتدرب عند ساحر مشعوذ sorcerer وحكايته مع الفيل الوردي pink elephant فبعد أن يشرح معلم الكيمياء إلى تلميذه ، الخطوات المعقدة التي يجب اتباعها في صناعة الذهب، يضيف قائلاً: (إن أكثر الأمور أهميةً ، خلال العملية كلها، هو أنه ينبغي ألا تفكر بالفيل الوردي أبداً) وبعد أن انطبع التلميذ تماماً بهذا التحذير، حاول بشدة أن يحترس من التفكير فيه . غير أنه لم يستطع أن يمنع نفسه من التفكير في الموضوع المحرّم . وفي الأخير ، كان عليه أن يتخلى عن محاولاته لصنع الذهب ، وأخذ يلوم سيده في أسىً قائلاً: « لماذا يا سيدي طلبت مني ألا أفكر في الفيل الوردي ؟ ولولا أنك طلبت مني ذلك لما فكّرتُ فيه»، ويستطرد قائلاً:

«إن (الفيل الوردي) في كيمياء الحياة العربية the alchemy of Arab life يعني تحريم الجنس . وقد صبغ الآباء والسلطات الأخرى الطفل العربي بفكرة خطيئة الجنس ، وثقافة شاملة تحيط بالفرد وتضعه في جوّ يذكّره باستمرار بالموضوع نفسه. إن فصل الجنسين ، وحجاب المرأة ، والقواعد الدقيقة الأخرى التي تحكم الاتصال بين الرجال والنساء وتقييده ، لها تأثير قوي على جعل الجنس المادة الأولى التي يُسْتَحْوَذُ عليها ذهنياً في العالم العربي . إن التحريم الشديد للجنس يخلق نوعاً من ترسيخ التفكير فيه».

وتحت عنوان فرعي في هذا الفصل، وهو (الشرف الجنسي) يحاول الكاتب أن يحلل مفهوم الشرف عند العرب ، واختلاف هذا المفهوم عند الغرب . والشرف مسألة حساسة عند العربي ، وله مفهوم ثقافي وسوسيولوجي مؤثر .

ولذلك فإنّه في « الثقافة السائدة في العالم العربي يكون الموقف مختلفاً جداً، فالروابط العائلية قوية إلى درجة أن كل أعضائها يتألمون من (تسويد الوجه) بسبب الفعل غير المشرف لأي فرد فيها».

كتاب (العقل العربي) لرفائيل باتاي أصبح «الكتاب المقدس للمحافظين الجدد Neocons في معرفة السلوك العربي»

وحاول المؤلف أن يفسر حساسية العرب المفرطة من مسألة الجنس ، فقال متسائلاً:

«ثمة سؤال أخير يظلّ متعلقاً بمفهوم العرض، وهو: ما تفسير هذه الحساسية المفرطة من الشرف الجنسي الأنثوي التي يمارسها المجتمع البدوي على وجه الخصوص، والمجتمع العربي التقليدي بشكل عام؟ لماذا تتطلب الأعراف الشعبية تنفيذ عقوبة الموت بسبب انتهاك تقوم به امرأة ؟ والإجابة عن السؤال يمكن أن تكون فقط بالإشارة إلى عوامل متعددة في الثقافة العربية التقليدية .

إن تنفيذ عقوبة الموت بالنسبة لجريمة الزنا التي ترتكبها المرأة تراث جاهليّ .وهي في الحقيقة ترجع إلى العصر التوراتي وإلى فكرة أن الزنا يسبب العقم، وأنه حقاً خطيئة كبيرة إلى درجة أنها تجعل جميع الناس أو الجماعة التي ترتكبها آثمين أيضاً، وأنهم سيفنون من الأرض الصالحة. وحيث إنّ المجتمع العربي، كمجتمعات الشرق الأدنى التي

انبعث منها، تميز بظهور السلطة الأبوية في العائلة، والنظام القبلي، وتعدد الزوجات، وأنجب رجلاً كانت له حرية جنسية واسعة، وأن حالته الزوجية لم تضع حداً لنشاطه الجنسي بأي حال من الأحوال . ولا يزال هذا الموقف قائماً إلى الآن . وحتى إن كان الرجل متزوجاً، وحتى إن كان له أربع زوجات ـ بحسب العدد الذي حددته الشريعة الإسلامية ـ فانه يستطيع أن يكون علاقات جنسية مع خليلات (الإماء اللائي يملكهن الرجل)، أو مع المومسات، أو مع أية امرأة أخرى ليست تحت كنف رجل آخر».

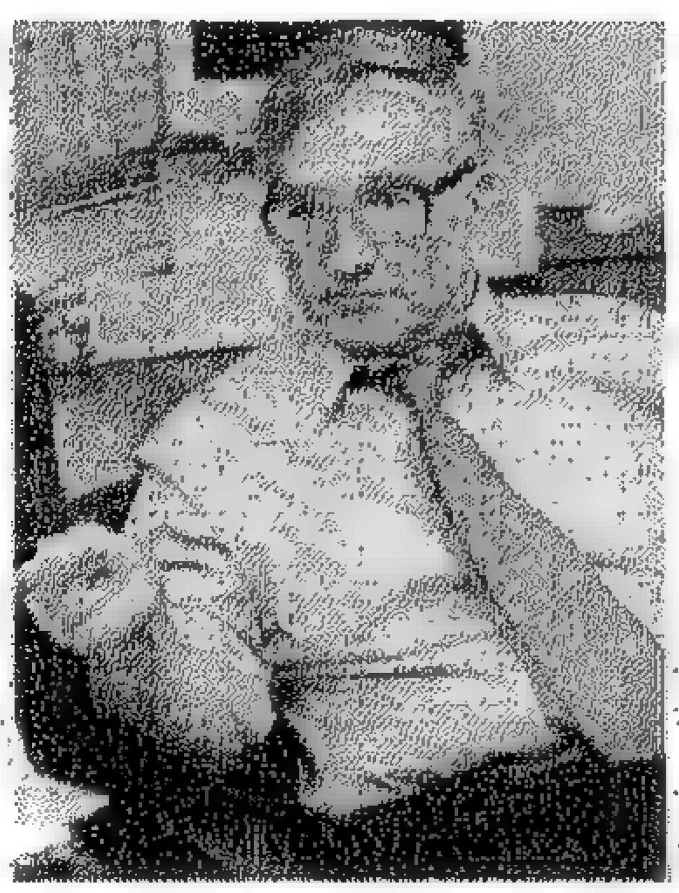
وبصرف النظر عما في هذا الكلام من الخلط والتشويش، فإن المؤلف يريد أن يصل إلى نقطة جوهرية في نظره، وهي أنّ العربي بسبب هوسه الجنسيّ تتعطل مداركه، فينحصر كلّ تفكيره وخيالاته في هذا النطاق ، وإن كان يُبدي خلاف ذلك في ظاهر سلوكه . وبسبب براكين الشهوة المكبوتة فيه، ما أيسر استعباده !!

ويلخّص باتاي هذا الأمر بقوله:

«إن كلّ ما يتعلّق بالجنس في العقل العربي يتمثل جلياً في مظهرين يلونان العالم العربي كله (مع بعض الاستثناءات المحلية) الأول: هو أن الرجال والنساء كليهما يرون أفراد الجنس المقابل بشكل أساس بواعث جنسية. والثاني: أن جميع نشاطات النساء يُنظر إليها في أعين الرجال على أنها نوع من أنواع الجنس المبطّن ولا سيّما إذا كانت تلك النشاطات تخل بالقواعد التقليدية لعزل الإناث».

لم تَخْلُ صفحة من هذا الفصل من تشويه، وتصوير نمطيّ لا يختلف عن تلك الصور الباهتة التي خرجت من رحم ثقافة القرون الوسطى، فالعربي مهووس بالجنس، وهو قذر، عفن، وهو

مؤلف الكتاب: رفائيل باتاي



رفائيل باتاي عالم انتروبولوجي وإثنوجرافي، يهودي، مجري، ولد في بودابست سنة 1910. كان والده جوزيف باتاي أستاذاً جامعياً معروفاً بكتاباته عن الصهيونية ،وبكتابه عن سيرة تيودور هرتزل، وهو أيضاً مؤسس المنظمة الصهيونية في المجر التي لعبت دوراً كبيراً في توطين اليهود في فلسطين أثناء الانتداب البريطاني.

تلقى رافائيل باتاي دروسه الأولى في معاهد أحبار اليهود ،ثم درس في جامعة بودابست ،وجامعة برسلاو التي تحصل منها على درجة الدكتوراه في اللغات السامية والتاريخ الشرقي انتقل إلى فلسطين سنة 1933، وتحصل على درجة دكتوراه ثانية من الجامعة العبرية في سنة 1936. لم يلبث باتاي أن عاد إلى بودابست ومُنح درجة لاهوتية من محفلها الربّي.

في أواخر الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات درّس باتاي في جامعة حيفا،والجامعة العبرية، وفي سنة 1944 أسس المعهد الفلسطيني للفلكلور والاثنولوجيا. تزوّج وأنجب بنتين هما جينفر Jennifer (1940) ودافني Daphne (1944). وفي سنة 1947 رحل باتاي إلى المكسيك بمنحة علمية من Viking Fund for Anthropological وذلك لدراسة أحوال اليهود في المكسيك. ثم أقام في الولايات المتحدة وتحصل على الجنسية في سنة 1952. وعمل أستاذاً زائراً بجامعة كولومبيا، وجامعة بنسلفانيا، وجامعة نيويورك، وجامعة برنستون، وجامعة ولاية أوهايو. كما تحصّل على الأستاذية

أشبه بالحيوان ينزو على أنثاه . وهو بالرغم من إقراره بنمطية تلك الصور stereotypes لم ينفكّ يروّج لها وكأنها حقائق ومسلمات . فتحت عنوان فرعي آخر من هذا الفصل (الكبت الجنسيّ) Sexual Repression، يقول باتاي:

«هناك صورتان نمطيتان للحياة الجنسية عند العرب وهما غالباً ما تواجهان في العالم الغربي. وتصور الأولى العرب بأنهم ضحايا التضييقات الشديدة في المسألة الجنسية بفصل النساء المحجبات بصرامة عن الرجال. وتصوّر الثانية العرب رجالاً مسنين قذرين Dirty Old Men، حتى عندما كانوا شباباً. يستمتعون بحركات شهوانية فيها تكسّر وإثارة، ويرقصون بملابس شبه عارية بهزّ البطون أمام الجمهور علناً، ومنغمسين في مجالس خاصة بالعربدة والمجون في حريم بيوتهم.

وكما هو معتاد في الصور النمطية فإن هاتين الصورتين تحملان الوجه الأضعف للحقيقة ».

وقد ربط باتاي بين الكبت الجنسي والسلوك العدوانيّ ، واعتبر أن « فيما يتعلّق بكلٌ من النظرية الفرويدية Freudian Theory وعلماء النفس التجريبيين Experimental psychologists هناك رباط محدّد بين العدوانية والنشاط الجنسي. وليست العدوانية هي وحدها الأكثر بروزاً عند الذكور، ولكن شدتها مرتبطة بقوة بالدافع الجنسي الذكري. وبالرغم من أن هذا النزوع العدواني يكبح منذ الطفولة المبكرة، وعلى طول حياة الفرد، إلا أنه يظلّ جزءاً من عقله الباطن، كما يظهر ذلك من حقيقة أن «إنتاج الرغبات الصبيانية ونزوات الطبيعة الجنسية، يستمر خلال الكبر» وأنّ آلة الكبت في الطفولة المبكرة هي التأثير الأخلاقي للبيئة».

الكاملة في مجال الانتروبولوجيا من كلية دروبسي Dropsie College وجامعة فيرلي ديكنسون Fairleigh Dickinson University. وفي سنة 1952 عهدت إليه الأمم المتحدة بإدارة مشروع بحث عن سوريا ،ولبنان،والأردن،من أجل ملف العلاقات الإنسانية لتلك المناطق.

وفي بواكير حياته العلمية ركّز باتاي على دراسة التطور الثقافي للعبرانيين والإسرائيليين القدامى، وعلى انتروبولوجيا الشرق الأوسط بشكل عام.

في سنة 1996 توفي رافائيل باتاي مخلفاً وراءه عدداً كبيراً من المؤلفات، منها:

- ❖ الحكايات الشعبية من فلسطين وإسرائيل.
- ❖ أطفال نوح: الخوف اليهودي من ركوب البحر في العصور القديمة.
- ❖ جديد الإسلام.
- ❖ العقل اليهودي.
- ❖ يهود المجر: التاريخ،الثقافة،النفسية.
- ❖ أرواح وأسرار.
- ❖ وقائع وحركات في اليهودية الحديثة.
- ❖ الكيميائيون اليهود.
- ❖ مفكرون وعلماء في اليهودية الحديثة.
- ❖ يهود كردستان.
- ❖ الآلهة العبرية.
- ❖ أسطورة العرق اليهودي.
- ❖ العقل العربي.
- ❖ ناحوم جولدمان: مهماته إلى الأمميين.
- ❖ بذرة إبراهيم: اليهود والعرب: التواصل والنزاع.
- ❖ الأساطير العبرية: سفر التكوين.
- ❖ بوابات إلى المدينة القديمة: كتاب الخرافات اليهودية.
- ❖ الجنس والعائلة في الكتاب المقدس والشرق الأوسط.

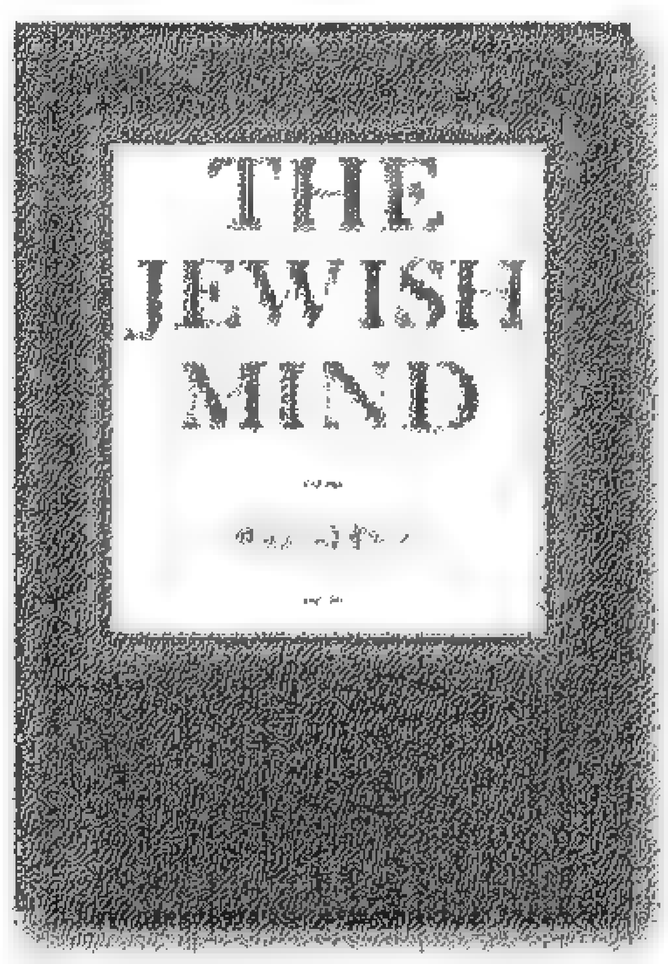
(التوظيف الاستخباراتي لكتاب (العقل العربي)

لقد كان أول من فجّر هذا الموضوع الكاتب الأمريكي سيمور هرش Seymour Hersh في صحيفة النيويوركر The New Yorker في عددها الصادر بتاريخ 24 مايو 2004 في مقالته التي تحمل عنواناً (المنطقة الرمادية) The Gray Zone وذلك في معرض حديثه عن فضائح سجن أبي غريب في العراق . حيث يقول: إنّ كتاب (العقل العربي) قدّم الخلفية الفكرية للتعذيب والإهانة الجنسية في سجن أبي غريب . ويقول إنّ باحثاً أكاديمياً لم يرغب في ذكر اسمه أخبره بأنّ كتاب (العقل العربي) لرفائيل باتاي أصبح « الكتاب المقدس للمحافظين الجدد Neocons في معرفة السلوك العربي»، وقال إن هذا الأكاديمي نفسه أخبره عن نقاش جرى بينه وبين أحد المفكرين المحافظين المؤيدين للحرب، قال فيه هذا المفكّر: « إنّ هناك مسألتين . الأولى: إن العرب لا يفهمون إلا القوة فقط، والثانية: إن أكبر نقطة ضعف عند العرب هي الشعور بالعار والإذلال».

لقد نال الكتاب في طبعته الأخيرة حظاً كبيراً في الدوائر الدبلوماسية والعسكرية. ويقول العقيد المتقاعد نرفل دي اتكين Norvell De Atkine مدير دراسات الشرق الأوسط بمركز JFK Special Warfare في مقدمته للطبعة الأخيرة:

«يُشكّلُ كتابُ (العقل العربي) الذي يُدَرَّسُ في المعهد الذي أتولى فيه تدريس مادة الشؤون العسكرية الأساس الذي تقوم عليه توجيهاتي الثقافية. وعلى مدى الاثنتي عشرة سنة الماضية ، قمت بتدريب مئات من الفرق العسكرية التي تنشر في الشرق الأوسط». وقد ذكر بعض المعلقين مبرراً ما حدث في سجن أبي غريب بأنّ اللوم فيه ينبغي أن يوجّه إلى ثقافة الضحية وليس للجلاد، وهذا من أبشع ما قيل في الموضوع. وحينما يصير الكاتب والمؤلف والصحفي والمراسل بوقاً لمؤسسات استخباراتية وعسكرية، لا يصدر منه إلا كلّ نشاز، تنقلب المعايير وتضيع الحقائق، بل يُقلبُ الحق باطلاً والباطل حقاً .

وربما لم يكن ليدور بخلد باتاي أن يُوظّفَ كتابه هذا التوظيف المريع الذي سوف تلاحقه لعناته، حتى إن ابنتيه دافني Daphne وهي أستاذة الأدب بجامعت إمهرست ، وجينيفر Jennifer وهي طبيبة في توكسون أصدرتا بياناً للدفاع عن كتاب أبيهما بسبب ما ألصق به من كونه إنجيل الجلادين الأمريكيين في العراق، وأن كتاب أبيهما لا يعدو كونه دراسة في مكونات العقل العربي شأنها شأن الدراسة التي وضعها باتاي عن العقل اليهودي . وبصرف النظر عن نوايا باتاي، على رأي أحد الناقدين، فإن الكتاب فعل فعله السيئ وترتبت عليه عواقب مشينة. وفي الواقع إنّ مقارنة كتاب (العقل العربي) بنظيره (العقل اليهودي) للمؤلف نفسه فيها إجحاف ظاهر. فكتاب (العقل اليهودي) لباتاي مخصص لإظهار تفوق العرق اليهودي على غيره من الأعراق، ولعلّ العناوين الفرعية داخل الفصل الثالث منه الذي يحمل عنوان (رحلة داخل العقل اليهودي) توضح هذا الأمر . فمن بين تلك العناوين: الذكاء اليهودي، والهبة والعبقرية، والمواهب الخاصة.



غلاف كتاب العقد اليهودي لرفائيل باتاي

ولعله من الإنصاف مع ذلك أن نقول إن الكتاب، مع وقوعه في التعميم الذي جرّه إلى أحكام غير منصفة، يظلّ محاولة لا تخلو من فائدة في دراسة العقل العربي.

الإسلام

ألف سنة من الإيمان والقوة

الإسلام: ألف سنة من الإيمان والقوّة.

Islam: A Thousand Years of Faith and Power

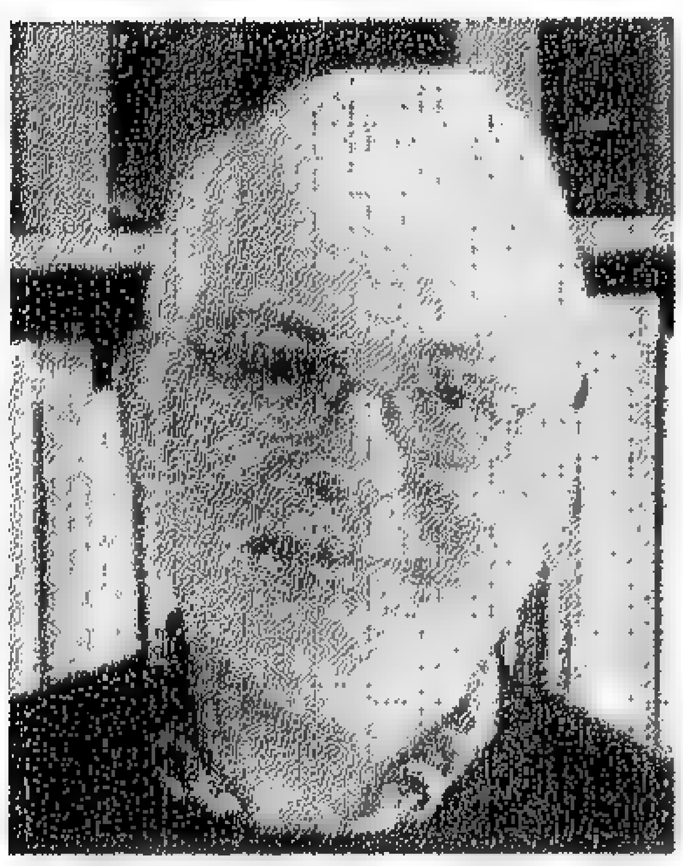
كتاب اشترك في تأليفه أستاذان جامعيان: جوناثان بلوم Jonathan Bloom، وشيلا بلير Sheila Blair، وصدر عن مطبعة جامعة يال Yale University Press سنة 2002 .

المؤلف الأول جوناثان بلوم، هو أستاذ تاريخ الفن الإسلامي والعمارة الإسلامية، ويقوم بإلقاء المحاضرات والحلقات العلمية على طلبة الجامعة في الفن الأسباني (الأندلسي) في القرون الوسطى ، وفي تاريخ مدينة القدس.

وقد استكشفت بحوثه تاريخ المنارات وتطورها في العالم الإسلاميّ، بالإضافة إلى تاريخ الورق. وقد ألّف عدّة كتب بالاشتراك مع زوجته الكاتبة شيلا بلير، ومنها هذا الكتاب الذي نستعرضه. ومن مؤلفات جوناثان بلوم:

(تاريخ الفن والعمارة في العصر الفاطمي)

و(الورق قبل الطباعة: تاريخ الورق وتأثيره في العالم الإسلامي) وقد نال هذا الكتاب عدداً كبيراً من الجوائز التقديرية، مثل: Charles Rufus Morey Award، وجائزة ألبرت حوراني لدراسات الشرق الأوسط، وجائزة جمعية الصداقة البريطانية الكويتية



جوناثان بلوم

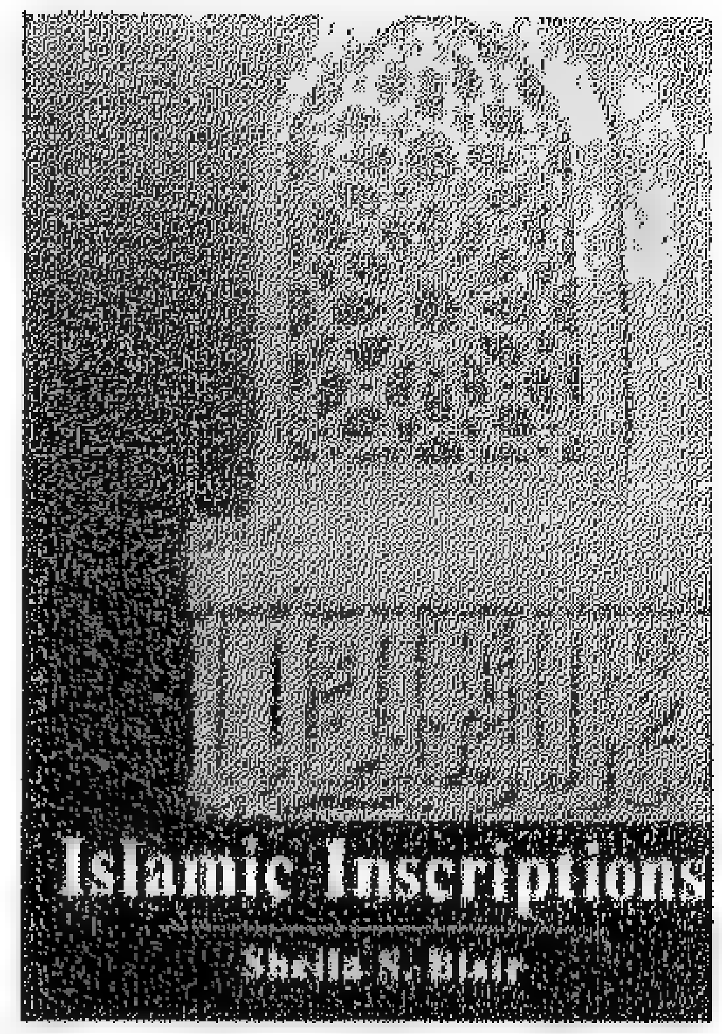


شيلا بلير

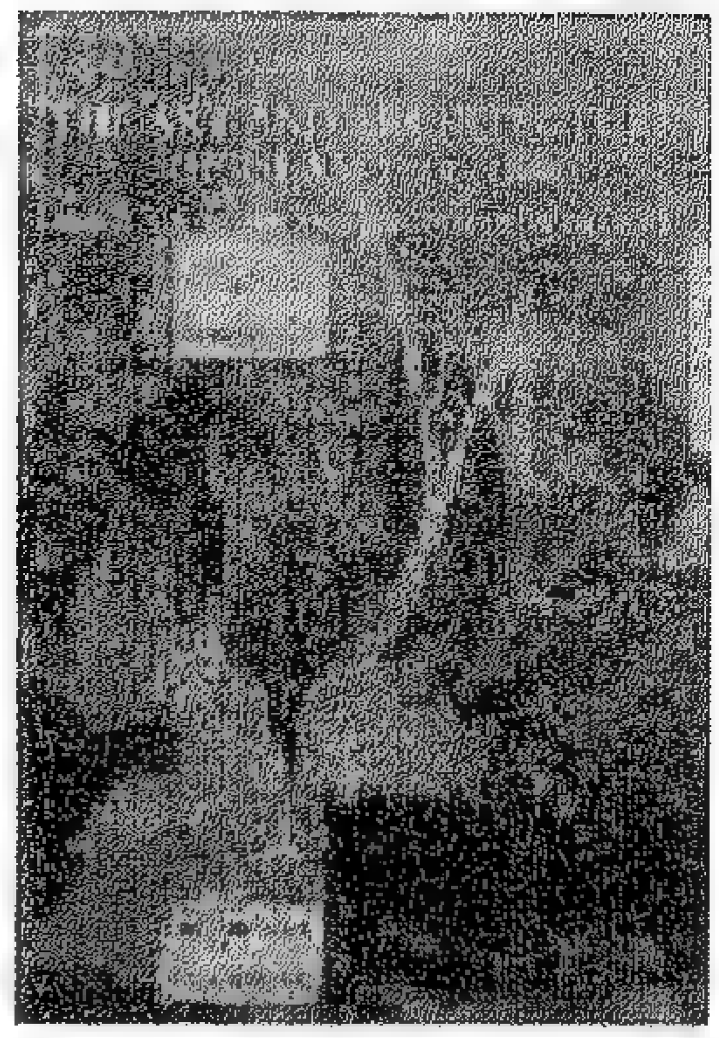
للدراسات الشرق أوسطية، وجميع تلك الجوائز مُنحت في سنة 2002.

ومن مؤلفاته الشهيرة كتابه (المنارة: رمز الإسلام) وهو من مطبوعات جامعة أكسفورد 1989.

والمؤلف الثاني للكتاب هو الباحثة المشهورة شيلا بلير. وهي أيضاً باحثة في تاريخ الفن الإسلاميّ، ولا سيما الفن في إيران ووسط آسيا، والفن المعماري في العصر المغوليّ، وتلقي محاضرات حول مظاهر الفن الإسلاميّ من القرن السابع إلى العصر الحديث، ولها عشرة كتب وأكثر من مائتي مقالة مبثوثة في المجلات والموسوعات العلمية. ومن كتبها المشهورة (النقوش الإسلامية)، وكثير من مؤلفاتها تمت بالاشتراك مع زوجها جوناثان بلوم، كما عملت معه مستشارة فنية



غلاف كتاب النقوش الإسلامية لشيلا بلير



غلاف كتاب الفن والعمارة في الإسلام

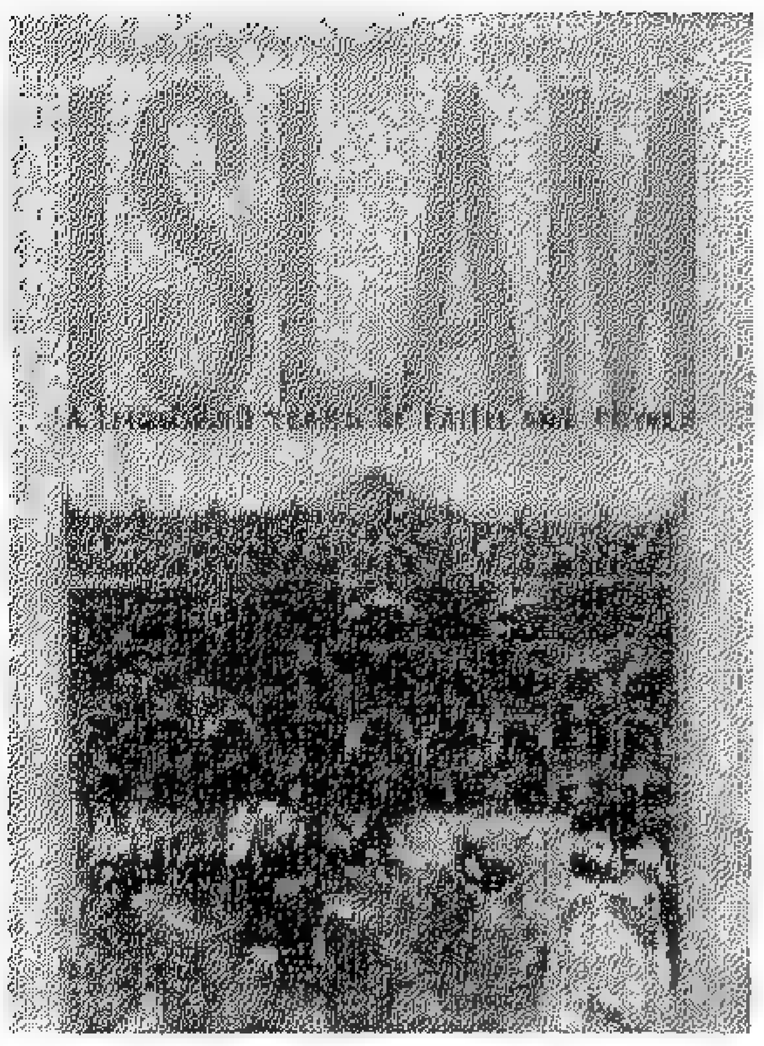
لبرنامج وثائقي عن الإسلام يستغرق ثلاث ساعات تم عرضه بقناة PBS.

يحتوي كتاب (الإسلام: ألف سنة من الإيمان والقوة) على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، ويقع في 269 صفحة.

يقوم الكتاب على فكرتين مبدئيتين: التغيير التاريخي، والمآثر الثقافية. وتتضح الأولى من خلال التسلسل التاريخي للمعلومات، وظهور الدول وسقوطها الواحدة إثر الأخرى.

والكتاب نال اهتماماً طيباً من الدارسين حيث اتصف بكثير من الموضوعية والحيدة العلمية، وإن كان قد تعرّض لبعض النقد، مثل ذلك الذي وجهه إليه مارشال هدسون Marshall Hodgson، وهو نقدٌ في المنهج وليس في الموضوع، حيث يأخذ على المؤلفين أنهما لم يستوعبا الكلام عن موضوعاتٍ مهمة مثل: الفقه الإسلامي، والتصوف. حيث كان نصيب الأول صفحتين، ونصيب الثاني ست صفحات. والكتاب في رأي الناقد «أثريٌّ أكثر من كونه تاريخياً». وهذا رأي صحيح إلى حدٍّ بعيد، وربما يرجع ذلك في رأينا إلى طبيعة تخصّص المؤلِّفَين في تاريخ الفن والعمارة.

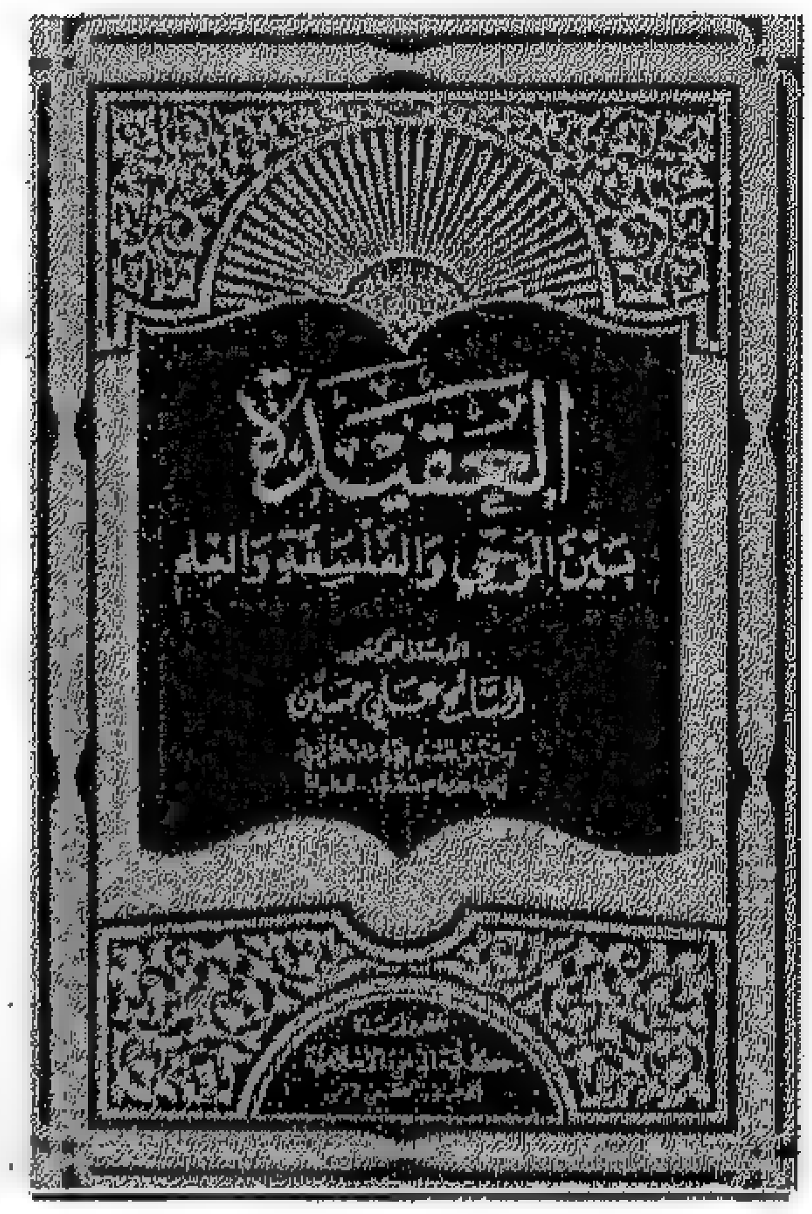
وبالرغم من التجرّد الكبير الذي اتصف به الكتاب، إلا أنه وقع في المأزق الاستشراقي حينما يصف الفاتحين لبلاد المغرب والأندلس بالبرابرة.



محتويات الكتاب:

العقيدة بين الوحي والفلسفة والعلم

المؤلف : أ. د. / السائح علي حسين
الناشر : كلية الدعوة الإسلامية / طرابلس
485 صفحة / قطع متوسط



يتخطى المؤلف في هذا الكتاب الرتابة المعهودة في بحوث العقيدة التي ظلت تحيا في بيئة علماء الكلام، دون تجديد في الشكل أو المضمون، وآثر أن يشق لنفسه منهجاً انفرد فيه بمعالجة هذه القضية من واقع الرسالات السماوية والفلسفة والعلم، موضحاً في ذلك دور المؤثرات الاجتماعية والثقافية والسياسية في تأويل بعض النصوص، وفرض أنماط من العقائد تقوم على الاستجابة للرغبات والأهواء والسياسات الآنية في مراحل تاريخية معينة، ثم تحولت بفعل التلقين والتقليد والسطحية في التفكير إلى متعلقات قلبية ووجدانية كبلت العقل بقيود صارمة أصيب على أثرها بالخمول والجمود. ويقدم المؤلف للقارئ العقيدة من حيث هي عقيدة، سواء أكانت لربط الإنسان بربه وهي العقيدة الدينية، أم التي تربط الإنسان بمجتمعه سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وهي التي تسمى (الأيديولوجيا) وهي عقيدة يُدافَع عنها بكل السبل شأنها شأن العقيدة الدينية. ويتناول المؤلف الإسلام الذي تكفل الله بحفظ مصدره قرآناً يتلى وبوضوح ما جاء فيه عن عقيدة التوحيد التي طرحت بصورة لا يحتاج العقل فيها إلى طرائق استدلالية، لعلاقة الإيمان بوحدانية الله من ناحية، والانجذاب الشعوري الذي يجده الإنسان في معارفه الفطرية والقلبية من ناحية أخرى.

يد الله

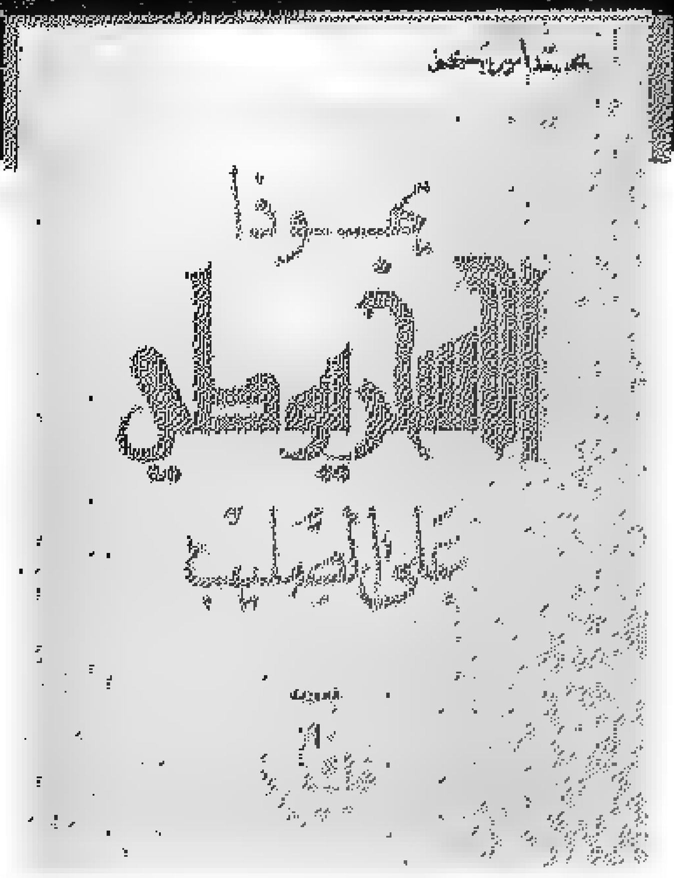
تأليف : غريس هالسل
ترجمة : محمد السماك
الناشر : دار النفائس / بيروت
136 صفحة / قطع صغير



يشكل هذا الكتاب صدمة للقارئ الذي لا يعرف شيئاً عن (الصهيونية المسيحية) لما يحتويه من معلومات مذهلة وأفكار غريبة ترقى إلى مستوى القدسية عند كثير من القابضين على زمام الأمور في الولايات المتحدة الأمريكية!! ولكنه يفسر للقارئ لماذا تضحي الولايات المتحدة الأمريكية بمصالحها الخاصة خدمة لـ(إسرائيل) . فاختلاط السياسي بالديني لدى قادتها يجعل التفوق للديني، لأن إرادة الله فوق كل اعتبار. والكتاب يكمل سابقه (النبوءة والسياسة) لنفس المؤلفة (صدر ضمن منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ثم - في طبعة ثانية - عن دار النفائس) ويزيد عنه بما احتواه من معلومات وأسماء شخصيات ومراكز وكهنة يبشرون بالصهيونية المسيحية، ويعملون على تسريع معركة (هرمجدون) التي سيأتي بعدها المسيح فينشر العدل في العالم ألف سنة.

والمؤلفة أحد المرتدين عن (الصهيونية المسيحية) عملت في البيت الأبيض، ومارست الصحافة، وزارت إسرائيل وعاشت مع اليهود، فهي تتحدث عن خبرة ومعرفة ، وتكشف أسرارا تخفى عن معظم الناس.

يهوذا الإسخريوطي على الصليب



المؤلف : محمد أمير يكن

منشورات : جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

342 صفحة / قطع كبير

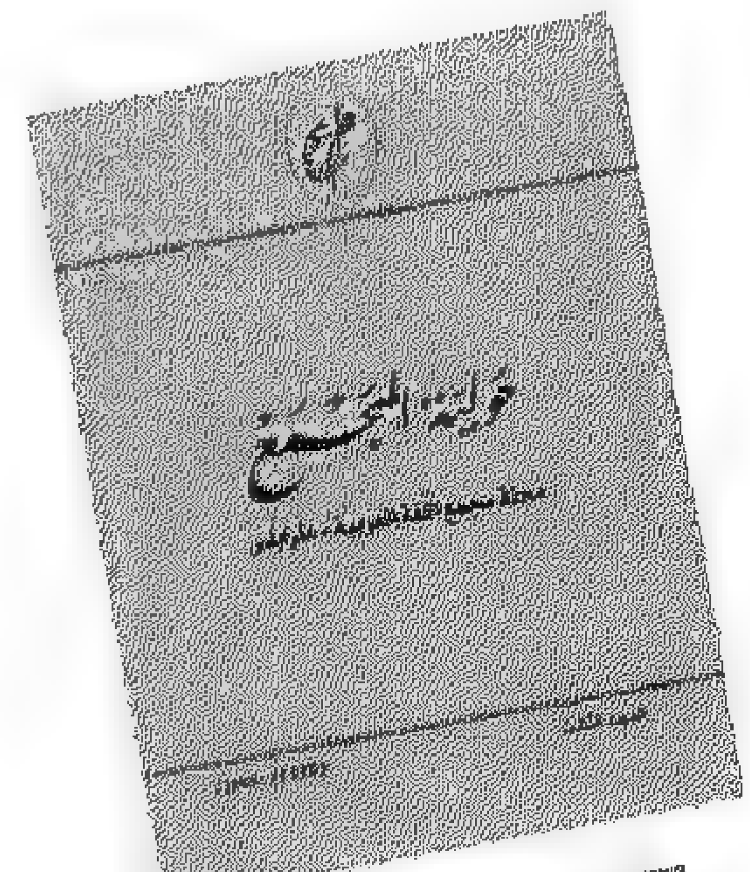
حملات التشكيك بالأديان السماوية، وأصولها، وصدق الأنبياء؛ أصبحت اليوم طوفاناً من الكتب والمقالات، التي تريد أن تنسف ما بناه الأنبياء منذ فجر البشرية حتى اليوم. وينساق كثير من الناس وراء هذه الأكاذيب، ويضيعون في متاهات الكفر والضلال، مصدقين كل ما ينشر تحت عنوان العلم والحقيقة . وباسم حرية الرأي والتعبير ينشر أولئك الكتّاب كل ما يشيع الفوضى ويضيع الحقيقة، وعلى رأس هؤلاء الصهيونية العالمية، التي تدس أنفها في كل مجال، لتزور التاريخ، ولتترجم بشكل خاطئ ومتعمد ما جاء في الرقم، وما اكتشفته الحفريات، خدمة لمصالحها وأغراضها العدوانية التوسعية.

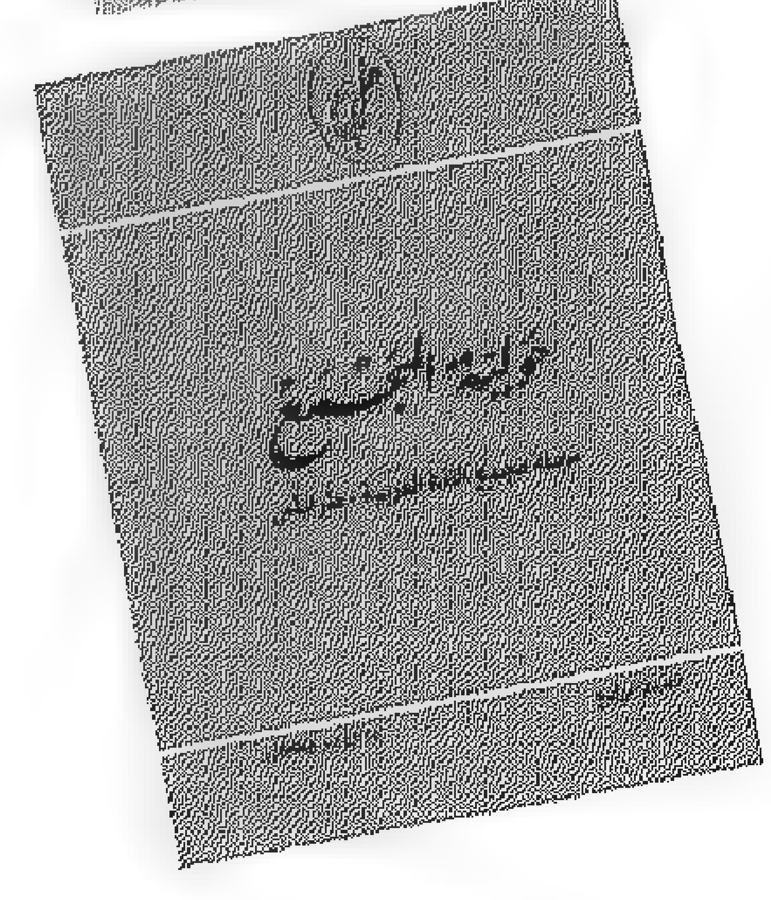
ومضمون هذا الكتاب هو إظهار عظمة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وبيان الأسباب العلمية والتاريخية التي دعت المسلمين لتبني وجهة نظر معينة مخالفة لما جاء في الأناجيل المتداولة والمعتبرة في نظر المسيحيين. كما يبين هذا الكتاب الأسس والقواعد العامة التي تتطابق فيها وجهات النظر عند كل من المسلمين والمسيحيين، والتي يمكن الاستناد إليها لخلق جو من التقارب والتفاهم بين كلا الطرفين.

حولية المجمع

مجلة مجمع اللغة العربية / طرابلس

تسلمت إدارة تحرير التواصل نسخة من العدد الثالث وأخرى من العدد الرابع، من (حولية المجمع) التي يصدرها مجمع اللغة العربية في طرابلس. وقد تضمن العدد الثالث مجموعة من الدراسات والأبحاث في اللغات القديمة، وفي العربية الفصحى ولهجاتها. الدكتور نائل حنون يكتب عن (بلاد الرافدين القديمة: ثنائية لغة في النصوص المسمارية ـ ووحدة قوم على الأرض) ويقدم الدكتور محمد شريف علي (قراءة في النقوش السينائية تبعاً لأماكن العثور عليها بمصر). الدكتور عبد الحفيظ الميار يكتب دراسة تاريخية وأثرية حول (النقائش الفينيقية اليونانية في ليبيا). وفي الدراسات في العربية الفصحى ولهجاتها نطالع للأستاذ طارق دعوب دراسة حول (حركات العربية في الاستخدام اللغوي بين الأسبقية والتثليث) ويكتب الدكتور موسى زنين عن (حرف الظاء) ويعقد الأديب الأستاذ علي مصطفى المصراتي دراسة مقارنة تتناول (الأمثال والتعابير الشعبية بين دارج وفصيح) ويقدم الدكتور الصيد أبو ديب دراسة مقارنة أيضا عنوانها (بين المثل والخرافة). أما في العدد الرابع فتطالع في (العروض والمناقشات اللغوية) موضوعاً بعنوان (تعقيبات وردود) للأستاذ عبد اللطيف الشويرف، ويقدم الدكتور علي بن الأشهر دراسة عن (الكتابة العلمية باللغة العربية) ويتناول الدكتور صالح بلعيد (الخطأ والصواب في لغة الصحافة والإعلام). وفي جانب الآفاق الثقافية نطالع دراسة للدكتور عماد حاتم بعنوان (نحو قراءة جديدة في أدب العصرين المملوكي والعثماني) ويتناول الدكتور عبد الحميد الهرامة (اكتشاف روضة الأزهار أو البرموني الكبير) ويناقش الدكتور محمد مسعود جبران (التفاعل العلمي والمعرفي في الغرب الإسلامي والسودان الأوسط) ويقدم الأستاذ عمار جحيدر نبذة عن (الحياة الثقافية في ليبيا في العهد العثماني الأول، من خلال عبد السلام بن عثمان التاجوري وتراجم شيوخه نموذجاً). كما يتضمن العدد ملفاً توثيقياً عن أخبار المجمع.





الإيمان
وحقيقة العبادة في الإسلام

المؤلف: عبد الفتاح أبو زائدة
منشورات: جمعية الدعوة الإسلامية/ طرابلس
295 صفحة / قطع صغير



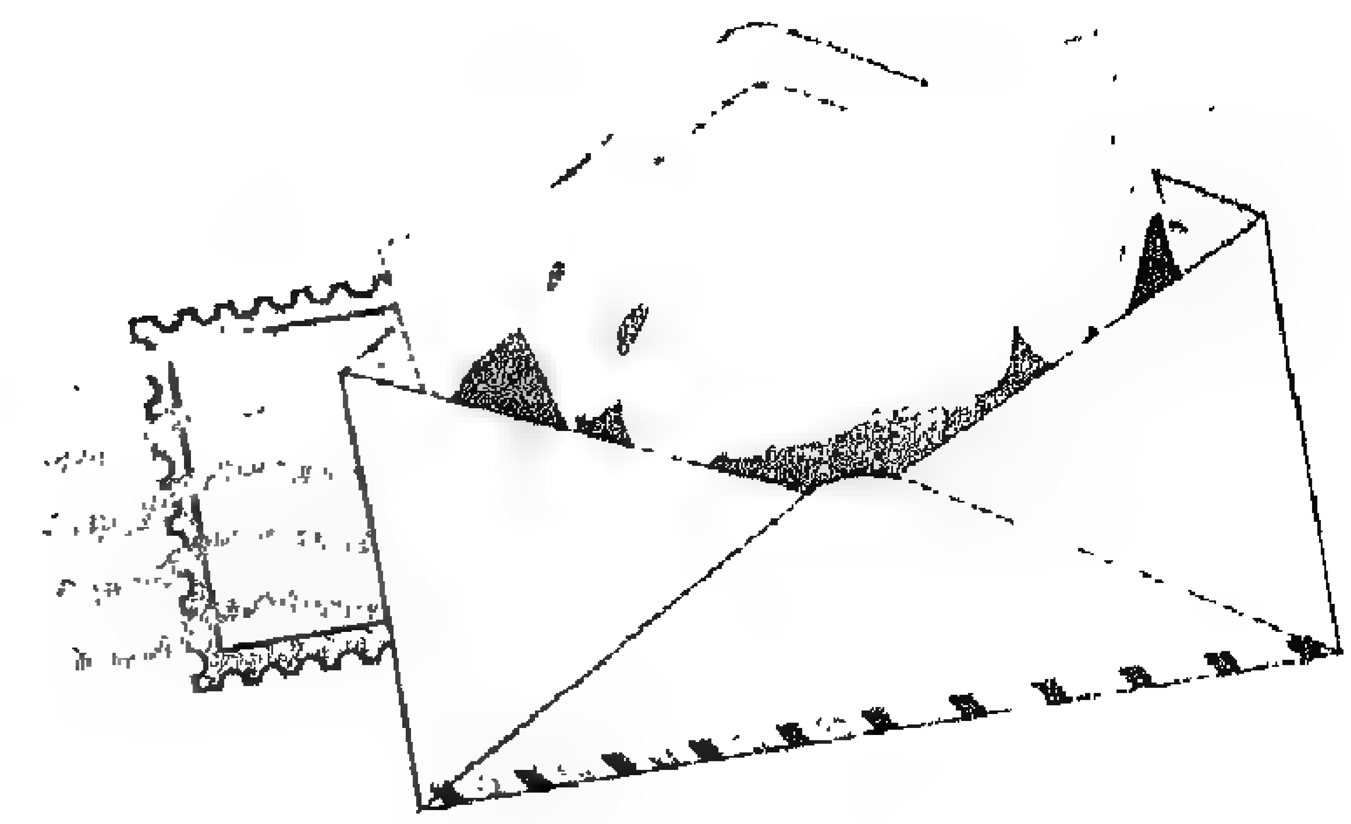
تنصب موضوعات هذا الكتاب على بيان أهمية الإيمان باعتباره حقيقة وجودية أبدية، وتوضيح القيم والمبادئ التي نستقيها من حقيقة العبادة في الإسلام . وينطلق المؤلف من أن عقيدة المسلم تقوم على الإيمان الكامل، ويترتب على هذا الإيمان مسؤولية التنفيذ العملي لأحكام الدين، حيث الإيمان لا يتجرد من العمل، ويوضح المؤلف بيان القرآن للمسلكيات والأخلاقيات التي يجب أن يكون المسلم عليها كأمر طبيعي يترتب على الإيمان، فيكون المسلم نموذجاً في حياته، يقدم للناس حقيقته من خلال سلوكه وتصرفاته التي تنبثق من آداب العبادة في الإسلام. ولأن العبادة ليست فقط حركات تؤدى أو أقوالاً تردد؛ فلا ينبغي أن تقف عند هذا الحد، بل يجب أن يمتد تأثيرها إلى شعب الحياة الإنسانية، فتترسخ العقيدة، وتؤسس النظام الاجتماعي الذي يفترض أن يقوم على العدل والحق والمساواة . وعندما يعي المسلم الحقائق التي تقف وراء العبادة في الإسلام ؛ فإن التغيير سوف يصل إلى الجوهر، وكون المسلم مؤمنا يلزمه أن يعمل جاداً على تمكين الدين من إصلاح الحياة، فالإسلام بكل ما فيه من شرائع ومبادئ منهاج قويم يبني الحضارة الإنسانية على الأسس العلمية الصحيحة بحيث يجد الإنسان راحته فيها، ويعمل من خلال حياته للدار الآخرة.



حديث المنابر

المؤلف : محمد السعدي
منشورات: صحيفة الدعوة الإسلامية/ طرابلس
352 صفحة / قطع متوسط

خطبة الجمعة إنما جُعلت لتساهم في تحقيق رسالة المسجد، فتذكر المسلمين بربهم، وترغبهم في الجنة وترهبهم من النار، وتحض المؤمنين على طاعة الله، وتحثهم على التوبة من المعاصي، وتدعوهم للطهارة والتقوى، وترغبهم في الخير والمعروف، وتنفرهم من الفحشاء والمنكر . وهذا الكتاب يتضمن نماذج لخطبة الجمعة تعالج قضايا متنوعة، ومناسبات مختلفة، مساهمة من المؤلف في إثراء مواضيع الدعوة والإرشاد، وأساليب التوجيه والبلاغ، وطرق الحشد والتعبئة، وتتصدى للدجل والشعوذة، والانحرافات والخرافات التي تشوه الدين، وتكبل العقل . وفي هذه النماذج دعوة للمسلمين إلى وحدة الصف والتكاثف والتعاون، وتحريض على ممارسة الشورى، وتوجيه للسلوك والمواقف على هدي القرآن الكريم، ودعوة إلى العمل والإنتاج من أجل تحقيق الكفاية وضمان الاستقلال والحرية. وفي الخطب أيضاً تبصير للمسلمين بواقعهم، والأخطار المحدقة بهم، ليكونوا على حذر، ويتسلحوا بالقوة لحماية عقيدتهم وأوطانهم، والحفاظ على دينهم وهويتهم، وزرع الأمل والثقة بالله في قلوبهم . كل ذلك في إطار الفكرة الواعية التي تبدد ظلمات الباطل وتنير درب الحق وتفتح سبل الإبداع أمام العقل، وفي أسلوب يتوخى الموعظة الحسنة التي تقوي الإيمان، وتشحذ العزيمة، وتدفع إلى العمل البناء.



الأخ / أمين هيئة التحرير

تحية طيبة.. وبعد

في إطار توطيد علاقات التبادل الثقافي الوثائقي بين مؤسستينا، وخدمة لمصلحة المعرفة والبحث العلمي؛ يشرفنا أن نرسل إليكم العددين 43 و44 من المجلة التونسية لعلوم الاتصال، ونسخة من كتاب (التفكير في مجتمع المعلومات).

نرجو أن تمثل هذه الوثائق إضافة ذات قيمة علمية لمخزونكم الوثائقي، وأن يجد فيها الباحث المرجع القيم في مجال الصحافة والإعلام والاتصال.

ويسرنا أن نعلمكم أن من مصلحتنا أن نرحب بربط صلات التبادل بين مؤسستينا، وذلك من خلال تمكيننا من منشورات تكون من إصداراتكم لتوضع في المكتبة، وفي المقابل نتعهد بإرسال كل منشوراتنا الجديدة بصفة منتظمة.

نرجو أن تكون هذه المبادرة مؤسسة لعلاقة تبادل للوثائق بين مؤسستينا.

وتفضلوا بقبول فائق التقدير والاحترام

محمد حمدان

مدير معهد الصحافة وعلوم الأخبار / تونس

المحرر: نرحب بالتواصل معكم، وتوطيد علاقات التبادل الثقافي، ونشكركم على ما تفضلتم بإرساله إلينا من مطبوعاتكم التي لاقت كل قبول وتقدير من جميع أعضاء أسرة تحرير التواصل. ونفيدكم بأننا سنرسل إليكم نسختين من كل عدد، فضلا عما يصدر عن التواصل من مطبوعات في المستقبل.

الإخوة بمجلة التواصل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نتشرف بالكتابة إليكم باسم جمعية الثقافة لمسلمي بكين الشرقي بالسنغال، لنحييكم على اهتمامكم بشؤون المسلمين في كل مكان، وندعو الله لكم بالتوفيق والسداد. ونود أن نفيدكم بأن جمعيتنا هدفها نشر الدعوة والثقافة العربية الإسلامية في المجتمع السنغالي، ونحن بحاجة للاتصال بالمؤسسات والمراكز الثقافية الإسلامية، وخاصة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، لما لها من أياد بيضاء في خدمة الإسلام والمسلمين.

إننا نرغب في الحصول على إصدارات الجمعية، وخاصة مجلة التواصل، وهذا ما دفعنا للكتابة إليكم. كما نرجو منكم التكرم بتزويدنا بالعناوين البريدية للمؤسسات والجمعيات الإسلامية، وخاصة مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية.

وإننا لواثقون من استجابتكم لهذا الطلب، وجزاكم الله عنا خير الجزاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

جمعية الثقافة لمسلمي بكين الشرقي / السنغال

المحرر: نشكركم على مبادرتكم بالكتابة إلينا، ونحيي ما تقوم به جمعيتكم من جهود لنشر الثقافة العربية الإسلامية. وبخصوص طلبكم الحصول على إصدارات الجمعية فيمكنكم مخاطبة مكتب البحوث والإعلام والنشر بالجمعية مباشرة. ونحن من جانبنا نعدكم بتزويد مكتبة جمعيتكم بثلاث نسخ من كل عدد من مجلة التواصل، وبشكل مستمر.

أعانكم الله، وسدد على طريق الخير خطاكم.

الأخ أمين هيئة تحرير مجلة التواصل

بعد التحية،

يطيب لفرع المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر بسبها؛ الإشادة بهذا المشروع الثقافي الذي يعد إضافة قيمة للمكتبة العربية، والليبية خاصة، بما يحتويه من موضوعات ذات قيمة علمية مهمة. ورغبة من فرع المركز في التواصل معكم من خلال هذه المطبوعة المباركة، وذلك باقتناء نسخ من أعدادها السالفة واللاحقة، لتزويد مكتبة الفرع بهذه الإضافة العلمية الجديدة.

عليه نأمل منكم تزويدنا بثلاث نسخ من كل عدد من الأعداد التي صدرت من هذه المجلة القيمة، كما نامل منكم ترتيب آلية اشتراك مستقبلاً في هذا الإصدار العلمي.

نشكر لكم تعاونكم.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير.

د. صالح معيوف مفتاح

أمين فرع المركز العالمي

لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر بسبها

المحرر:

شكراً على هذه الإشادة بالتواصل وما ينشر على صفحاتها من موضوعات، وبخصوص تزويدكم بالأعداد السالفة واللاحقة فإننا نفيدكم بأن معظم الأعداد السالفة قد نفد، وسنزودكم بما يتوفر لدينا منها. أما الأعداد اللاحقة فيمكنكم ضمان وصولها إليكم من خلال ملء قسيمة الاشتراك وإرسالها إلينا مع المبلغ الذي يغطي الفترة التي ترغبون في الاشتراك فيها.

لكم جزيل الشكر والتحية، وسنظل على تواصل.

الإخوة بمجلة التواصل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وبعد،

يطيب لمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث أن يهديكم أطيب تحياته، وفي إطار تعاوننا الثقافي، ونتيجة لحاجة الباحثين والمستفيدين من مكتبة المركز؛ يسرنا أن نبلغكم رغبتنا في الحصول على العددين (5، 8) من مجلتكم الغراء (التواصل) وذلك على سبيل الإهداء، وليكون معيناً لمكتبة المركز على أداء مهمتها الجليلة في خدمة روادها من الباحثين والدارسين.

وإننا إذ نقدر لكم تعاونكم الأخوي والكريم معنا؛ لنتمنى لكم دوام التقدم والنجاح.

وتفضلوا بقبول فائق تحياتنا، مع وافر الشكر والتقدير.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

دبي / الإمارات العربية المتحدة

المحرر:

أسرة التواصل يسرها إقامة وتوثيق جسور التواصل الفكري والثقافي مع مركزكم الكريم، ونعدكم بإرسال نسخ من العددين (5، 8)، كما نرجو منكم تزويدنا بإصدارات المركز بشكل دوري، إسهاماً منكم في إثراء مكتبة التواصل.

نجدد لكم الشكر والتحية، ونرجو دوام التواصل.

..ونتواصل

جسر التواصل

❖ محمد عبد السلام شاهين(*)

تسعى هذه المطبوعة إلى تجاوز المفاهيم المتداولة للتواصل بين الحضارات، وتفعيل لغة الحوار بين الأديان، وتوسيع سبل التعارف بين الشعوب، وهي في هذا تقيم جسراً دائرياً متعدد الاتجاهات، ليس فيه وقفات سلبية للأنا أو الإغفال والتهميش لإسهامات وإضاءات مختلف الحضارات والأديان والعقائد في أرجاء المعمورة.

يأتي هذا السعي من جوهر الحضارة الإسلامية التي تتأثر بقدر ما تؤثر، تعطي وتأخذ، تقبل وتعمل صالحاً ليكون قبولها من غير المسلمين عن قناعة، بضرورة التعاون بين الشعوب.

من هنا الدعوة إلى التوازن ـ حتى مع طرح الأنا ـ فلا بأس من أن يقدم طرف من أطراف الحوار ما يراه صائباً عبر مسيرة حضارته أو مفردات عقيدته وثوابت ديانته، لكن من غير المقبول أن يشوب طرح الأنا استعلاء، أو نفي وإقصاء لطرف بعينه، كما أصبح من المستهجن التوقف عند مقولات ومفاهيم تؤطر لثقافة متجاوزة، لا يزال الخطاب الإسلامي في بعض مفرداته متشبثاً بها، ومنها القول أن شمس الحضارة الغربية عربية المنشأ فقط، وأن حصادها الذي يتجلى اليوم في العديد من الإنجازات العلمية إنما يعود إلى ما حبرته أقلام العلماء والعرب ـ دون غيرهم ـ في العصور الإسلامية السالفة، وهذه حقائق تاريخية في سياقها المرجعي، ولكن لا مفر من الاعتراف بالتعديدية الحضارية على جسر التواصل، فإذا ما قدم الباحث المنصف دراسة عن أثر الحضارة الإسلامية في الحضارة الغربية، سواء كان هذا الأثر علمياً أو فكرياً، أو في مجالات الفنون والعمارة والأدب والشعر ورقص الباليه، فإننا نهيب به عدم إغفال ما قدمته ـ وتقدمه ـ الحضارة الغربية للحضارة الإسلامية، وللإنسان في كل مكان، من اكتشافات تصل اليوم في الفضاء والكون إلى ما بعد المجموعة الشمسية، واجتهادات في شتى مجالات الحياة. ونحسب أنه أصبح من السذاجة الفكرية عند الإعلان عن إنجاز علمي جديد، مثلما تحقق في علم الجينات التعلل بالقول إن كل ذلك جاء ذكره في القرآن الكريم.

التواصل في آفاقه المنشودة لا ينغلق على الذات.. يفتح النوافذ على الثقافات الأخرى.. يتجاوز الإنتماءات.. يتفاعل مع إسهامات الأطراف الأخرى ما دامت تتميز بأصالة، تشكل القاسم المشترك لكافة الحضارات.. عندما نختار التعاون عبر هذا الجسر فإننا نسمو فوق سلبيات الانتقاص والإقصاء والتهميش.. من حق، بل من واجب كل ذي فكر بناء أن يشارك ويتواصل دعماً للتعارف والحوار.

---

* كاتب وباحث / ليبيا.



هل تريد ان
تواصل
www.at-tawasul.info


صحيفة
الدعوة الإسلامية
الآن بـ 5 لغات
الدعوة الإسلامية
AD-DAWA AL-ISLAMIYA
AL-DAWA AL-ISLAMIYA
El presidente de Bosnia Herzegovina visita la AMDI
Ad-daawa Al-Islamia
Une année de réalisations dans les divers domaines concretisées par la Révolution Islamique d'Al-Fateh
Sri Lanka : estime et gratitude pour le Guide
مساجد
من أرض
الانقسام
مع تحيات مجلة

النواصر



كويشيرو ماتسورا - مدير عام اليونسكو

تبادل المعرفة هل سيظل موجلا الى الغد؟

اندرو هيهير / امريكا

الانجيليون الامريكيون وعين على هرمجدون

د. عبد المجيد القاضي

الارهاب بين الدلالة والاطلاق

د. عبد العاطي م. عبد الجليل

كيف يكتب الالمان تاريخ الامريكان؟

بنين مزيج من العقائد والأعراق



رأي هيئة التحرير

غزو أم تهجير أم تدجين؟!

منذ سنوات ... تكونت حملة لا ... بها ... تقدير عالمنا بصناعة يهسر وسهولة، ويمكن القول عنها انها معارك فكرية شرسة لم تخرج من ... وتلك تدخل ما كان يعرف بـ "الغزو الثقافي".

جملة علامات ... وتسلك الطرق، سواء منهم من كان يعتبرها حالاً سلبياً أم من كان لا يرى فيها خطراً حين بات تساقط الأقلام وتراجع الكلمة ... اتجاه ... المعركة دون أن يصل ذلك "الغزو الثقافي" إلى الاستمرار ولو ... في المناطق التي يستطيع الاعتماد بها.

ولأن الأمر لم تلمسه ... الحسابات على الأقل بالنسبة للمعنيين بشؤون الفكر والثقافة، على ... لا تزال باحثة أو ... ويمكن ... بعضهم للتذكير على مدى القوة التي كانت كامنة في ذلك المصطلح ... ومن ... من المعارك التي لا ... لها وأوقات التي لم ... وجرى الذي استخدامه ... بها كل هذا!!

ولأن الأحزاب ... حملة ... فلا ... من القول أنني كنت واحداً من عشرات الملايين الذين كان (الغزو الثقافي) يشكل لهم كابوساً ... منه.

لكن أمراً ما قد حدث، في القول إن ... قد حدث واستطاعت أقلام تلك المعايير التي كان يخشى "الغزو الثقافي" أن تهزم ... ذلك الغزو، الأمر الذي حدث وبمساحة غير محدودة.. هو ... تلك الحملة ... من المعركة بعد أن ... من ... استحالة ... الذين كانوا يخشونه ... من أبناء ... بطاقة كاسحة، ... عن ... أن ... عن المعارك الفكرية قد انقضت لتأتي ...

***

لا أدري حقيقة ما حدث، هل فشل الغزو الثقافي في ... المستهدفين منه حقيقة؟ أم أن أسلحة ذلك الغزو الثقافي لم تكن قوية بما يكفي ...

لم أعرف حتى الآن حقيقة ما حدث ... التي لم تتكرر أن ... كانت له حدود مشتركة مع ... الولايات المتحدة الأمريكية وأن النصف الآخر من الكرة الأرضية ... بالطبع ... ولا أعرف ... لكن ما أعرفه أن ... مصطلح (الغزو الثقافي) على ساحة الفكر والثقافة والاستراتيجيات عبر أكثر ... ليحل محله ... (التهجير الثقافي).

... الغزو الثقافي، في حين كانت "الهجرة الثقافية" ... تحت أقدام ... الغزو الثقافي.

***

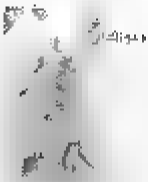
ولأن الأمر لم ... التساؤل ... لابد ... المفكرين تلك المؤتمرات والندوات وحلقات النقاش ... وتلك ... والكتب التي كانت تدور ... حول "الغزو الثقافي"، حتى ... أن يكون (الطبل) الذي ... هو ... من ... ذلك ... من ...

لم ... "الهجرة الثقافية" ... بالغزو الثقافي، ... خطورة ... كان ذلك ... من ... خطيرة أم أنه كان جهلاً ... على ...؟

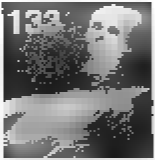
لا يمكن لأحد أن ... حين ... في ... الغزو الثقافي، ... بعد ... الأولى أن الهجرة الثقافية هي ما ...

ولعل أخطر ما في الأمر أنك ... الطرف.. ... متحمسين عن "التهجير الثقافي" ولا أظن أن ... بالحماسة حين ... أن المعركة ... في ... (... فيها)، ولم ... من ... غير ذلك.

... هذا ... أو هذا الاستنتاج ... أسمع عن مؤتمر أو ندوة ... (الهجرة الثقافية) أو (التهجير الثقافي) أو "التدجين الثقافي" ... الأدلة ... على مصطلح "الغزو الثقافي" كان ... من ... الحياة الفكرية التي ... في ... من الذين كانوا قد ... بمصطلح "الغزو الثقافي"، ولكنهم لم يدركوا أن (الهجرة الثقافية) والتهجير الثقافي والتدجين الثقافي كانت هي الأشد ... والأكثر ... والأدلة التي ... لا ...



في هذا العدد



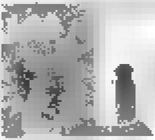
حوارات

الإرهاب بين الدلالة والإطلاق



استطلاعات

بحث ... من العقائد والأعراق



ثقافة

حلب ... على الماضي وانفتاح على المستقبل

الافتتاحية

مقالات

الملف ...

التواصل

تصدر عن

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

السنة الثالثة - العدد الثاني عشر

… من وفاة الرسول ﷺ

…

محمد … الكريم

الهادي مصباح …

إبراهيم … المجبر

د. محمد السماك

محمد …

عبد الإله …

… الرزوقي

د. عبد اللطيف محمد … الطيب

إبراهيم علي الربو

د. محمد فتح الله الزيادي

… بشير …

محمد حسن …

محمد عبد السلام شاهين

المراسلات باسم

أمين هيئة التحرير

طريق السواني …

هاتف … 4800736

بريد مصور … 4800736 …

ص. ب …

طرابلس - الجماهيرية العظمى

البريد الإلكتروني

INFO@AT-TAWASUL.INFO

…@AT-TAWASUL.INFO

الموقع على شبكة الإنترنت

WWW.AT-TAWASUL.INFO

شروط النشر في مجلة

التواصل

ترحب مجلة **التواصل** بكتابات المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين وغيرهم الذين يعتقدون التواصل معرفة من خلال لغة الحوار والتسامح مستنيرة بعيدة عن التعصب بجميع أشكاله وسعياً لدرء أساليب الخلاف والفرقة مع الالتزام بأسس العقيدة الإسلامية وثوابت الدين في معالجات الفكرية والثقافية وتحقيقاً لهذه الأهداف يشترط لقبول نشر البحوث والمقالات

- أن يتسم البحث بالجدة والموضوعية وأن يتبع في كتابته الأساليب المنهجية في البحث العلمي من تسلسل منطقي في العرض وتوثيق للمصادر والمراجع
- أن يُراعى تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في البحوث التي تتضمنها
- أن يكون البحث أو المقال خالياً من الأخطاء اللغوية والإملائية مع مراعاة علامات الترقيم وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبطها
- ألاّ يكون البحث أو الدراسة المقدمة للنشر في التواصل جزءاً من أطروحة ماجستير أو دكتوراه
- ألا يكون البحث قد سبق نشره في مطبوعة أخرى
- أن يكون البحثُ أو المقال مطبوعاً أو مكتوباً بخطٍ واضح
- ألاّ يقل عدد كلمات البحث أو الدراسة عن 8000 كلمة ولا يزيد على 2000 كلمة
- ألاّ يقل عدد كلمات المقال عن 4000 كلمة ولا يزيد على 6000 كلمة
- أن يُرفق الباحثُ ببحثه سيرته الذاتية
- في حالة الترجمة لا بدّ من أن يرفق النص المترجم بلغته الأصلية

ملاحظات:

- للمجلة الحق في تحديد العدد المناسب لنشر البحوث المجازة
- ترتيب نشر البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية
- لا ترد البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت في المجلة أم لم تنشر
- تعرضُ الأعمال المقدمة للمجلة على لجنة تقويم المختصين فيها لإجازتها
- تمنح البحوث والمقالات المجازة مكافآت مالية مناسبة



- تبادل المعرفة .. هل سيظل مؤجلاً إلى الغد؟
- من ماهية الله (3) في القرآن
- التسامح الإسلامي وسيلة للسلام العالمي
- المسلمون في الغرب
  حقوقهم وواجباتهم ومستقبلهم
- المسلمون بين تحدي الأمن الفكري والأمن الروحي
- الإنجيليون الأمريكيون يحتضنون إسرائيل رغم على هرمجدون
- لسان الزمان .. مطربو سوريا

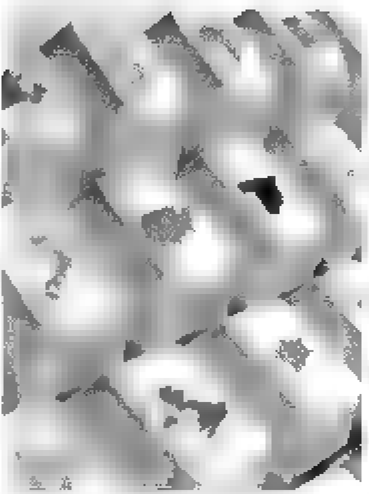
تبادل المعرفة:
هل سيظل مؤجلا إلى الغد؟

د. كريستوفر ماسور *
نقله من الفرنسية إلى العربية: عبد الحميد غرجي **

هل يعتبر تبادل المعرفة العلمية والتقنية ضرباً من الأحلام غير قابلة للتحقيق؟ هل هو وهم يسري على مستوى المجتمع الدولي؟ إنني لا أعتقد ذلك. ولعل بعض الأمثلة التي أود أن أسوقها فيما يلي أبلغ من أي تحليل بهذا الشأن.

في سنة 1963م كانت سنغافورة محاطة بالأكواخ وكان اقتصادها متخلفاً. وبعد ذلك التاريخ شرعت الحكومة في انتهاج سياسات اقتصادية جادة، ترتكز على تكثيف الاستثمار في مجال التعليم من جهة، وتطوير الكفاءات المهنية لأجل تحسين الإنتاجية من جهة أخرى. الأمر الذي أدى إلى إنشاء صناعة متطورة ذات قيمة مضافة عالية. ويكفيه أن نعلم أن دخل الفرد الإجمالي في سنغافورة يعادل دخل الفرد في عدد من دول الشمال المتقدمة صناعياً.

إن أي اقتصاد مبني على تبادل المعرفة العلمية والتقنية وتطويرها يملك فرصة حقيقية للانعتاق من التخلف وتحقيق الرفاهية لجميع السكان.



* مكتب علم اليونيسكو
** مترجم وصحفي - ليبيا

وكذلك تعتبر ولاية (كيرالا) الهندية نموذجاً ناجحاً، الذي يمكن أن تحققه كثير من الدول الصغيرة التي تعوض نقص الموارد الطبيعية بالعمل على الاستثمار في مجالي التقنية المعينة والتنمية (العلمية) على المستوى الشعبي، وصاحب ذلك كله مجهود واسع في مجال التنمية البشرية، الأمر الذي جعل من ولاية (كيرالا) أهم رواد التنمية في الهند، ويكفي هذه الولاية شرفاً أنها جعلت من الهند الدولة الثانية على مستوى العالم في مجال نشر المعرفة العلمية وكل جديد في مجال التنمية المستدامة.

ومن المؤشرات الدالة على تقدم تلك الولاية، والنمو الذي تحقق فيها هو ارتفاع نسبة فرص الحياة لسكانها إلى 73% ونسبة الذين يجيدون القراءة والكتابة إلى أكثر من 90%.

في سنة 1971 استقر بضعة آلاف من المهاجرين في البحر في سهل لا يبعد أكثر من 20 كيلو متر عن العاصمة (اليمن) وأنشأوا قرية سموها (البلا آل سلقادي).

ومن الاعتماد على أنفسهم في مسير حياتهم أوجدوا مراكز تعليم المهني وجمعيات تبادل المعرفة العلمية معتمدين في ذلك على مبدأ المشاركة والتبادل في مجال اكتساب المهارات والمعلومات الفنية، وساهمت النساء في تلك الجهود بالمشاركة في مجال التنمية البشرية والاجتماعية، وخلال السنوات الماضية تحولت (البلا آل سلقادي) من مجمع أكواخ إلى مدينة عصرية يشيدون المعترف بها منذ سنة 1980م وقد أنشئت بها أول جامعة سنة 1987م.

ولقد نسبة الأمية الأقل في البلاد، بل أصبحت لا تزيد عن 3% وعدد سكان المدينة يناهز الأربعمائة ألف منهم خمسة عشر ألف طالب وطالبة جامعيين.

ومن منجزات (البلا آل سلقادي) أنها توفر مصارف معلوماتية يمكن لأي مواطن أن يدخل إليها بسهولة، تدرس المشاريع الخاصة بتنمية المدينة.

إن تبادل المعرفة العلمية والتقنية هو الأساس الأقوى لإخراج المجتمعات الفقيرة من الفقر والتخلف، وثبت بالتجربة أنه مفتاح الازدهار العلمي والاجتماعي وتحقيق أكبر قدر من القيمة المضافة وهو الذي يمكّن المجتمعات الفقيرة للموارد المادية أو الطبيعية من تعويض تلك الموارد إلى حد كبير بإنتاج المهارات العلمية والتقنية، في إطار جهد تنموي عام.

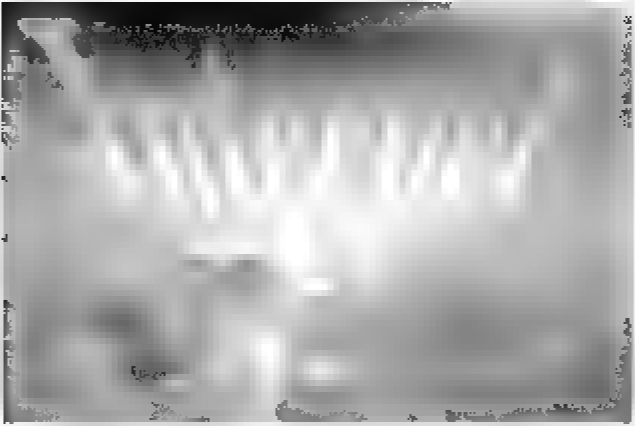
> ❖ بات من المسلم به أن مستقبل التنمية لأي مجتمع يعتمد على قدرته في استخدام المعلومات التقنية الحديثة، وعلى التنمية البشرية أكثر من اعتماده على الموارد الطبيعية فقط

ننتقل من النموذج الهندي الذي يؤكد بوضوح مصداقية العمل التنموي التقني الذي يعتمد على تبادل ونشر المعرفة العلمية الذي نحن بصدد الحديث عنه.

واجهت (فنلندا) أزمة اقتصادية خانقة عقب انهيار الاتحاد السوفيتي ولكنها استطاعت أن تتجاوز محنتها في سنين قليلة نسبياً، وتقدم تجربتها كمثل يحتذى به.

كيف حدث ذلك؟ أول ما يلفت الانتباه في التجربة الناجحة لتلك الدولة، هو استثمار حوالي 3% من دخلها الإجمالي العام في مجال البحث العلمي.

ومن الناحية التقويمية تعتبر المنظمة الأوروبية للتعاون والتنمية الاقتصادية أن نظام التعليم الفنلندي من أحسن النظم في الدول المتقدمة، ولاحظت المنظمة أن الفوارق في أداء التلاميذ في فنلندا هي الأقل في أوروبا، الأمر الذي يؤكد نجاح العملية التعليمية والتكوينية بأفضل ما يمكن توقعه



الأمثلة التي سنعرضها تؤكد ذلك، لا تنتمي إلى مناطق معزولة، فالكثير من الدول والمناطق في جميع القارات تبذل حاليا جهودا كبيرة للتغلب على المعوقات التي تواجهها بابتداع أساليب جديدة تحقق تنميتها الذاتية بالاعتماد على رأسمالها المتجدد المتمثل في المعرفة العلمية والقدرات العقلية الإبداعية.

نعتقد أنه بات من المسلم به أن مستقبل التنمية لأي مجتمع يعتمد على قدرته في استخدام المعلومات التقنية الحديثة وعلى التنمية البشرية أكثر من اعتماده على الموارد الطبيعية فقط.

هل يستطيع الجسر بين الفقر المادي والمعرفي ... سنشهد نموا كبيرا للمجتمعات التي تعتمد سياسة تعميم المعرفة وإيصالها إلى جميع مواطنيها بحيث تصبح جامعاتها ومؤسساتها حاضنات تخرج مبدعين وموهوبين يؤثرون في تطورهم الاقتصادي والاجتماعي؟

إن الأهمية ... لا ... عن الأخذ في الاعتبار بعض الإشكاليات الجديدة وهي أن أسلوب تبادل المعلومات والمعارف بالوسائل الحديثة السريعة عبر الشبكات الإلكترونية وعلى وجه الخصوص شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) لا تقدم إلا حركة أفقية لتدفق المعلومات وتقدمها مبتورة في عدد من الأحيان، ولكن تعميقها يحتاج إلى تنظيمها وضبطها من خلال استخدامها الأفقي بحيث تصبح ما يمكن تسميته المعلومات عبر شبكة من المجتمعات تعبرها حركة متنوعة وحرة في المعلومة المستجدة في مختلف المجالات المعرفية.

لذلك فإننا سنشهد ظهور أشكال وأنماط جديدة في نظم الإنتاج وتطوير الأنشطة والفاعلية بكل أساليب التبادل والتشارك في الانتفاع بكل ما يستجد وما يكتشف من تقنيات وما عداها، تعتبر كل معلومة مهما تعددت المجتمعات التي تشكلها ضمن فضائها ... من أهم مولدات معلومات المجتمعات التي

تتشكل حالياً، وستتشكل مستقبلاً، أنه سينهي الصراعات والحروب الاقتصادية بين الدول المكونة له لسبب بسيط وهو أن (التبادل المعرفي) يحمي بطبيعته نوعاً من الاستقرار، ويساوي الفرص للجميع ويحمي تلك الدول من التنافس ويمنعها من التقوقع والنزوع إلى أساليب المواجهات والصراع الاقتصادي وما ينجم عنه من مخاطر أخرى.

وقد تحتاج مجتمعات المستقبل إلى وضع أطر قانونية لتنظيم حقوق الملكية الفكرية والثقافية وفقاً لما تسفر عنه تجارب المستقبل.

ومع ذلك يبرز أسلوب التبادل المعرفي الحر هو المشاركة الجماعية لكل المجتمعات في البحث والاستكشاف، كلٌّ حسب قدراته لإحداث تكامل يؤكد حاجة الجميع إلى الجميع.

ومن محاسن حرية التبادل المعرفي داخل كل مجتمع على حدة أنه يحرر المجتمع ويعمم المعرفة بين جميع أفراد الشعب الواحد، ويخفف من هيمنة المؤسسات السياسية على مصادر المعرفة الإنسانية والعلمية، وذلك على غرار ما يحدث على المستوى الدولي. ومن ثم تبرز في الأفق أهمية وحتمية تطوير مؤسسات المجتمع المدني والجمعيات غير الحكومية لكسر احتكار المعرفة وإشاعتها بين الناس، لكي يشترك الجميع في صنع القرارات بعد دراسة المعطيات، على ضوء ما تتيح لهم حرية التبادل المعرفي ضمن تلك المؤسسات، ويكونون بالتالي على علم بما يريدون وما يستطيعون تحقيقه من التقدم والازدهار الاقتصادي والاجتماعي والإنساني.

ولعل بعض معالم ما نتوقعه بدأت تتشكل في الكثير من المجتمعات الحالية، ولاشك في أنها ستفرض نفسها في المستقبل المنظور.

ومن المؤكد أن مبدأ "التبادل المعرفي"(*) بواقعه مراحل بقدر ما يحمل من حلول لمشكلة التنمية. ويمكن للقارئ أن يرجع إلى التقرير الذي أعده السيد (جيروم بيندي) ضمن التقرير السنوي لمنظمة (اليونسكو) بعنوان: (نحو مجتمعات حرية التبادل المعرفي) الذي تم نشره خلال الأشهر الماضية. وللمزيد من الاطلاع يمكن الرجوع إلى أدبيات المنتدى الذي نظمته (اليونيسكو) تحت مسمى ملتقى القرن الحادي والعشرين حول محور "التبادل المعرفي" بالإضافة إلى مشكلة الاستقطاب المعرفي في مجال المعلوماتية وعدم تساوي الحظوظ في الحصول على المعرفة عبر وسائل التعليم على المستوى القطري، وأحياناً بين الرجال والنساء على المستوى الأسري.

> التبادل المعرفي ليس مشكلة بل هو الحل، لأنه لا ينقص من رصيد المعرفة لأي كان، وإنما ينميها ويضاعفها للجميع.

والمسار الصحيح لتنمية معرفية هو البدء بالاستثمار المكثف في مجال التعليم العام، ثم في البحث العلمي والمعلوماتي، ويتبعه تطوير أساليب التنمية البشرية المتكاملة ليطل المجتمع على مجالات أوسع من المعرفة بأنواعها، والثقافات والمستجدات في مناحي العلوم والتقنيات.

لا بد من الاعتقاد أن التبادل المعرفي ليس مشكلة بل هو الحل، لأنه لا ينقص من رصيد المعرفة لأي كان، وإنما ينميها ويضاعفها للجميع.

(*) الترجمة الحرفية "تقسيم المعرفة"، ولكن كلمة "تقاسم" في اللغة العربية لا تعني بالضرورة معنى انطلاقاً كما توحي به كلمة "partage" المستعملة في سياق المقال، أما كلمة "التبادل" فهي الأكثر استعمالاً في اللغة العربية الملائمة.

من مأدبة الله

في القراءة (3)

▲ مهدي البيرش *

1 العلاقة بين القرآن والقراءة علاقة تبادل محكم، فالوحي مشروع للقراءة، والقرآن هو قدرة الإنسان على القراءة، فالله تعالى اقتضت رحمته أن يعلم الإنسان القرآن، أي يعلمه القراءة

﴿الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان * الشمس والقمر بحسبان﴾

[سورة الرحمن، الآيات 1-5]

فأي الإنسان علمه الله القرآن، وعلمه البيان، أي القدرة على القراءة والقدرة على الإبانة، وعجز الإنسان عن القراءة والإبانة هو هبوط وارتكاس فيما هو دون مستوى الإنسانية، ومن ثم يمكن أن نفرق بين البيان والمنطق من حيث نفرق به النحو والنمو عند. فالبيان هو هذا الفهم الإنساني، والمنطق هو حالة التقعيد أو حالة الأحكام، ومن ثم فإن المنطق والقواعد هو ما ينطبق على الإنسان وغيره في حدود هذه القوانين التي تحكم ما خلق عليه الكون. فالله تعالى الذي علّم الإنسان البيان، جعل بعضًا من هذا البيان مرتبطًا بالمنطق والقوانين والأحكام، بعضها عام لكل المخلوقات، وبعضها خاص به. فكل ما خلق الله له منطق أو يخضع لمنطق وضمن سياق الأحكام، والإنسان في بعضه هو كذلك، إلا أنه بحكم الإنسانية قد يتجاوز القوانين والأحكام الجبرية التي تخضع لها المخلوقات الحية المتحركة والجامدة، ولكنه بحكم البيان يتقدم عليها. والقرآن يطلب أن تتطهر منطلق، حيث يقول الحق تبارك وتعالى على لسان سليمان عليه السلام:

﴿وورث سليمان داوود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين﴾ [سورة النمل، الآية 16]

فالطير له منطق ولكن ليس له بيان، ومن ثم فإن البيان يدخل ضمن منهج التفكير أي النحو، في حين أن المنطق يتعلق بالقواعد، أي باستخراج الأحكام من الظاهرة البيانية، ومن ثم فإن فهم هذه الظاهرة يجعل القواعد والأحكام مفتوحة أمام مشروع للفهم أي مشروع للاستفهام. وهو ما يمكن أن نطلق عليه مشروع الفلسفة، حيث الفلسفة هي مشروع للفهم، من خلال طرح الأسئلة، مع اعتبار مفهوم الطرح بمعنى الإنتاج والإخراج من الحاصل أو المحصل، هذه الأسئلة التي تسبب قلقًا بسبب الجهل أو قلة المعرفة أو كما يقول المختصون في البحوث المنهجية المنسجمة بين الأسرار والحقيقة، والأسرار والحقيقة هما مفتاح هذا التعريف الدقيق، وهذا المفهوم الذي يدفع الإنسان إلى الفهم. هذا القلق يسميه البعض إزالة للقلق، في حين يسميه الفلاسفة الكاثوليك بالحب، الحب الذي يدفع إلى الوصول أو تحقيق الوصال بالمعرفة أو الحكمة، والحكمة ترتبط بالإحكام، والمحكم هو الذي لا يقبل التناقض فيه، في حين يقدم الرسول الكريم هذه الحكمة بأنها مطلب

* باحث، كاتب، أستاذ جامعي، الأمين المساعد لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا

او بتعبيره [illegible] شيئا ما يحدث بطريقة اليد او شكل صريحا كيف [illegible] او [illegible] مشروع للفن »» هو الذي يفضي الى النسق [illegible] [illegible] الحكمة [illegible] الزمن [illegible] وجدها فهو [illegible].

هنا نعود الى جوهر العلاقة بين المفهوم والنص هذه العلاقة التي اوجد عدم ادراكها وتحديدها [illegible] معرفية حادة في الفكر الإنساني عامة فالإنسان [illegible] محدوديته ويتحكم به في جوهره النفسي [illegible] بالقدر [illegible] القدر هو توسع [illegible] خلق كل شيء [illegible] الإنسان قد يتجاوز [illegible] من الخلق [illegible] التطهر ويبدد [illegible] والتنظير والاعتقاد [illegible] الإنسان نفسه بتحميله نفسه ما لا طاقة له به [illegible] ثم يتوهم هذا الإنسان انه قادر على الادراك [illegible] في حين أن وسعه وقدرته هي في حدود المفهوم [illegible] المفهوم هو [illegible] او [illegible] الكلمة [illegible] على [illegible] مصطلح [illegible] يتضمن [illegible] حدود النظرية للمكان فالإمكانية قابلية للتحكم في [illegible] في حدود الظرف المكاني الزمني ومفهوم الإدراك [illegible] [illegible] الآفاق الى [illegible] الوصول [illegible] والإمساك [illegible] [illegible] الإنسان فإنه [illegible] الذي يقوم مقام [illegible] والإدراك يرتبط [illegible] اي [illegible] موضوعه [illegible] [illegible] للإدراك حيث [illegible] الإنسان في [illegible] [illegible] وهنا [illegible] من المفهوم [illegible] [illegible] المعرفة الى [illegible] الكشف والاكتشاف [illegible] بالغيبي الذي [illegible] حيث [illegible] دليله لا هو.

لقد توهم الفلاسفة [illegible] امكانهم إدراك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإدراك [illegible] [illegible] الشيء بذاته وهذان مصطلحان [illegible] من مصطلحات الفلسفة الأوروبية [illegible] [illegible] [illegible] الكلاسيكيين [illegible] ومن [illegible] كان [illegible]

> ان [illegible] هذه القوى وهيمنة البيان [illegible] على [illegible] والقدرة على البيان وعجز الإنسان عن القراءة [illegible] هو [illegible] الإنسان [illegible] مستوى الإنسانية

وهو [illegible] من [illegible] مفهوم [illegible] [illegible] حيث [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والواقع الذي [illegible] [illegible] [illegible] التركيب او الفصل [illegible] [illegible] الغيبي هو التجسد [illegible] [illegible] وحدة الوجود Pantheism والتي نجدها في [illegible] الصوفية [illegible] الشرقية وفي التوحيد [illegible] [illegible] ما يسمى باتحاد اللاهوت [illegible] [illegible] [illegible] الحلول القديمة بحيث [illegible] حلولا للمطلق في [illegible] [illegible] او حلولا مطلقا في الكون [illegible] [illegible] [illegible] الصوفية [illegible] [illegible] [illegible] اليهودي باروخ سبينوزا [illegible] التركيب والفصل [illegible] بالوحدية [illegible] [illegible] الفلاسفة [illegible] الإغريق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الهواء [illegible] او النار او المطلق الأميروني [illegible] [illegible] ماركس [illegible] [illegible] [illegible] يقول بالأصل المادي [illegible] للكون [illegible] الفكر [illegible] الإنسان فيحاول الهروب اما بالفصل او التركيب [illegible] [illegible] الواحدية [illegible] [illegible] والفوز بالسكون [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] واحد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الوحدانية لا كواحدية [illegible] التوحيد الذي هو مصطلح التركيب والذي يتضمن [illegible] [illegible] التقسيم الذي لا [illegible] [illegible] الا [illegible] او مركب [illegible] وحدانية واحدية في حين ان مصطلح التوحيد [illegible] [illegible] [illegible] التركيب [illegible] [illegible] بين [illegible] او [illegible] او الكلمة هو [illegible] موضوعي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عليه [illegible] الكلمة كما جاء في [illegible] [illegible] [illegible] او هو [illegible] التركيبي في [illegible] [illegible]

عقيدة الأب والابن والروح القدس وهو ما يراه الكثيرون حتى من المسيحيين يستخدمون مقدمة إنجيل يوحنا: في البدء كان الكلمة دون الانتباه إلى أن الإنجيل يتكلم عن يسوع عيسى وليس عن الكلمة في معرض الاستخدام اليهودي وبهذه التعرية واضحة في مفهومهم في البدء كانت الكلمة في حين أن الإنجيل يستخدم كان الذي هو المسيح أو اللوغوس الذي كتبي ثم يستطرد ليقول إن الكلمة صار لحمًا أو … وهو ما يذكرنا بشطحات تحول المسيح القتيل والذي وجدناه عند غلاة الصوفية ممن يؤمنون بأنهم مسكونون بالله، كالبسطامي والجنيد وغيرهما.

إننا هنا نتمسك بالفهم والمفهوم ضمن مشروع الذكر الذي يتقدم نحو المعنى والمفهوم بذلك هو موضوع المعرفة والمعرفة هي بعض العلم لا كله والبشر لم يؤتوا من العلم إلا قليلا والعالم الحقيقي هو العالم بجهله حيث الجهل هو مجهول أو حقل هي للمجاهل التي يستخدم الإنسان فيها مستعينًا بنور الله وكلما تقدم الإنسان شعر بالحقيقة لا بنعمة العلم، بل بثقله وبجهله كما أشرنا. وهنا يقول الحق تبارك وتعالى

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ سورة فاطر الآية 28

لقد توهم هؤلاء المتطرفون من أتباع الصوفية أو … في عليهم الملاحمة بالمفهوم الإغريقي الذي أقصده هيراقليطس أو غلاة … المرقار والاتحاد الصوفي أنهم قادرون على إدراك المطلق بذاته ولذاته … كأنه الشيء المعيني … باعتبار … في مفهوم الفلسفة اليوناني في الأصل أو أنهم قد أدركوه بدافع العشق كما يتجه إلى ذلك المتطرفون في التشيع والصوفية والذين يقولون بالاتحاد: فالجمال والخير والحق

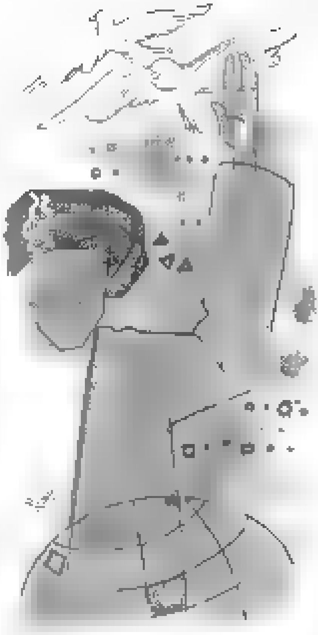
التي هي … معاني الإمكان لا يدركها هؤلاء أو أنهم أدركوها بالعدم في حين أن ما نحتفي به هو أن الإنسان قد يدرك الجميل والإنسان الجميل ولكنه لن يدرك الجمال؛ لأنه اسم معنى حتى إدراك المفهوم … فثمة خلاف واختلاف بسبب الاختلاف في المعرفة والاختلاف في مرجعيات الأحكام وكما أشرت فإن الحكم على الجميل موضوع منطقي في حين أن الجمال مشروع بيان بل مشروع إبداع يدخل الإنسان فيه الغيبي ويطلب الوصول إلى المطلق مشروعًا إنسانيًا لا ينتهي إلا بنهاية الحياة على هذه البسيطة فالإنسان يتقدم نحو المعنى ونحو العلم في حين أن ما يدركه هو المفهوم ومحدود العلم أو قليله الذي هو المعرفة ولو قلنا بتحقق المطلق في المحدود … المعنى هو مطلق أو محدود غير محدود … قصة القلم الصوفي والفلسفي … محدودًا … أي أن الجمال قد … في الإنسان محدود … الإنسان فإن معنى ذلك أن الجمال قد … كذلك

> الإنسان قد يتجاوز قدره فيتوهم أنه المطلق، وهنا يبدأ الطغيان، ويبدأ تاريخ الظلم والتعدي والاعتداء، حتى يعد الإنسان نفسه بالتسمية نفسه ما لا علاقة له به

إن قصة العلم هي قصة التقدم نحو الغيبي والقرب الذي هو مشروع … هو من يقصد معنى هذا الغيبي ولكنه ليس عيبًا عندهم كمتطرفي القائلين بالفناء والاتحاد والمرقار والسكون ولكنه عند … يؤسس على الإيمان بالعمل، العمل الذي يستحق أو يوجب الصلاح حيث الصلاح صلاحه وامتداد … من المعنى المتطرف والعدد إلى … الإنسان ونهاية … ونهاية التاريخ … يخرجون عن هذا المنطلق فالقول بالقطب الواحد والإنسان الأخير لا … مشروع الصوفي … الذي يعبر عن أزمة مشروع القائلين به … الحياة لا … التي … مظهرها الحركة والعمل والصيرورة … وأن الإنسان … إدراك … أو … محدوده والإنسان الذي يملك الوعي … محدود الذي هي … هو وحده الذي يستطيع … على الأحرف …

التسامح الإسلامي وسيلة للسلم العالمي

د. فارزو كاه الحبيب *



إن هذا الموضوع العلمي الذي سندرسه جاء في وقته المناسب حيث يظن بعض ذوي النفوس الضعيفة أن الإسلام قد عرف الشدة، وأن المسلمين لا يتماشون مع متطلبات العصر الحديث، ويصفونهم بأوصاف هم بريئون منها، كبراءة الذئب من دم نبي الله يوسف - عليه السلام - لأن دعاة العولمة وصفوا المسلمين بأنهم إرهابيون متشددون، وأنهم يقومون بأعمال تخريبية في العالم المعاصر.

وهذا الظن ظن آثم، مخالف للواقع التاريخي وإن كان الغرب ومن والاه يتهم المسلمين بالغلو والتطرف في العقيدة والمعاملات الدينية والإنسانية، فبعض المسلمين يرون في غيرهم نفس الرؤية معتقدين إنهم على دين صحيح، ومن يخالفهم في العقيدة كافر مشرك، يجازى يوم القيامة بعذاب أليم(1) فإن كان موقف هؤلاء المسلمين أشد وأكثر عجباً من موقف الغرب من الإسلام والمسلمين فيحفزني في الوقت نفسه لتحديث أسلوب الخطاب والمواجهة وتغيير عناوين الندوات والملتقيات العلمية وتوجيهها إلى مثل هذا الموضوع، الذي ندرسه الآن

* باحث وأستاذ جامعي - السنغال

أشكر منظمات مجمع الجمعيات والمنظمات [illegible] ت برامج دعوية [illegible] ما يؤكد [illegible] في هذا الغرض المرموق

بالوصول إلى السلام العالمي الدائم، والتعايش السلمي المستمر بين المتجاورين بلداً وجنسية وديناً، تيمناً بالسلم في ظل التسامح الإسلامي.

وعندما نزل الوحي الإلهي في شبه الجزيرة العربية، كان العرب في ذلك المجتمع الجاهلي، يعتنقون معتقدات عديدة باطلة، ويختلفون فيما بينهم في مفهوم الدين والعقيدة والمذهب والاتجاه العاطفي، بذلك كان الهم الشاغل للإسلام في بداية عهد البعث وبداية الدعوة الإسلامية، توجيه الناس إلى عقيدة واحدة، ونادى سكان المجتمع بأسلوب ليس فيه عنف ولا تعصب ولا إجبار،

بل خاطبهم بأسلوب تتجلى فيه حرية الاعتقاد والمساواة بين بني البشر. قال تعالى:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

سورة آل عمران، الآية 64

وقال:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ سورة البقرة، الآية 256

ومن هذا المنطلق المنهجي، استمرت الدعوة بأسس حضارية، وأفهم الناس بأن اختلافهم في المعتقدات هو من سنن الحياة في الدنيا وفي خلق الله، وعبر عن ذلك القرآن الكريم بقوله:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

سورة هود، الآيتان 118-119

وبيّن الله تبارك وتعالى لحامل الوحي، محمد بن عبد الله ﷺ بأنه لا يستطيع أن يجعل كل أفراد المجتمع مسلمين مؤمنين بدعوته، ولذلك يوجهه البشر بقوله:

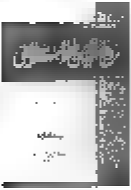
﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾

سورة يوسف، الآية 103

وكانت سماحة الإسلام في العقيدة ظاهرة اجتماعية تتنافى مع التعصب الديني، وتنادي إلى المعاملة الحسنة، وأن المرء حر في اعتناق الدين الذي يراه مناسباً له من غير إجبارهم على ذلك. وورد في ذلك قوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾

سورة يونس، الآية 99



غلاف كتاب روح الدين الإسلامي

وفي ظل هذه الحرية الدينية المطلقة، يقول عفيف عبد الفتاح طبارة، مؤلف كتاب روح الدين الإسلامي، «ونحن نرى أنه بينما كان رؤساء أكثر الأديان يأمرون أتباعهم باستعمال أشد الطرق الإكراهية لحمل الناس على الدخول في دينهم، ولو أدى ذلك إلى قتل عشرات الآلاف، نرى أن الإسلام يطلب من متبعيه بأن لا يجبروا أحداً على ترك دينه واعتناق الإسلام»[2].

وعلى ضوء هذا التسامح الإسلامي، استطاع حامل لواء الدعوة، سيدنا محمد ﷺ، توحيد سكان الجزيرة كلهم، في ظل عقيدة إسلامية سليمة، وترك الأوثان وهجر الأصنام، وكثير منهم اعتنق الدين الإسلامي باختيار من عنده، وبعضهم خالف المسلمين واعتدى عليهم.

ومنذ ذلك الوقت، وضع الإسلام جميع أسس التسامح الديني، والحرية المطلقة في الدين، وذلك منذ ما يقارب خمسة عشر قرناً. وجاء في الفتر

(2) عفيف عبد الفتاح طبارة، روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين، بيروت، ط [illegible]، [illegible] مسيحي، ص [illegible]

> سماحة الإسلام في العقيدة ظاهرة إنسانية تتنافى مع التعصب الديني وتنادي إلى العلاقة الطيبة

ومن والاهم يقتلون فيه يتكتمون، ويطلبون الحروب الدينية ضد مخالفيهم في العقيدة والتوجه الديني وظهرت مذابح ضد القوم الذين ليسوا منهم ونظرت برمتها للحقد بينهم. ومن نتيجة ذلك تشويه التاريخ وإسقاط سمة الناس المتمسكين بالأديان. وقال في ذلك جون سيمسون في كتابه "حرية الاعتقاد" ما أدخلته ترجمته في كتاب روح الدين الإسلامي: "إن حرية الأديان ليست بحديثة العهد، فإن تاريخ العالم هو عبارة عن تاريخ التعصب الديني وضد التعصب الديني الذي هو أقدم من الحرية بتصاعد إلى بعد عصر التاريخ"[3]. وبما سبق قوله في هذا العرض يدل على أن الإسلام دين تسامح وتعايش دون إكراه أو إجبار في المعتقدات الدينية.

مظاهر التسامح الإسلامي في علاقة المسلمين مع أهل العقائد الأخرى

عندما تمت الهجرة إلى المدينة المنورة والاستقرار فيها، أعلن صاحب الدعوة وحامل لوائها محمد بن عبد الله ﷺ إباحة العبادة في الدولة الإسلامية لغير المسلمين مع أداء الجزية كحق مقابل لحمايتهم ضد أية اعتداءات على نفوسهم وأموالهم وممتلكاتهم، مثلهم في ذلك مثل المسلمين. ومعاهدة عمر بن الخطاب مع أهل القدس نوع آخر في الأمثلة الملموسة على هذا التسامح الإسلامي. ويقول في ذلك محمد عبد الغفار الشريف موجزًا مثالًا على ذلك العهد الذي قطعه عمر بن الخطاب على نفسه لأهل القدس: "حيث أعطاهم الأمان لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود"[4].

ومن التسامح الإسلامي أيضًا أن المسلم لو رأى غير المسلم أو قتل شريرًا، فإنه تجب عليه ذلك. وعند المناقشة والمجادلة مع غير المسلم، وضع القرآن الكريم منهج ذلك النقاش بقوله:

﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (سورة العنكبوت، الآية 46)

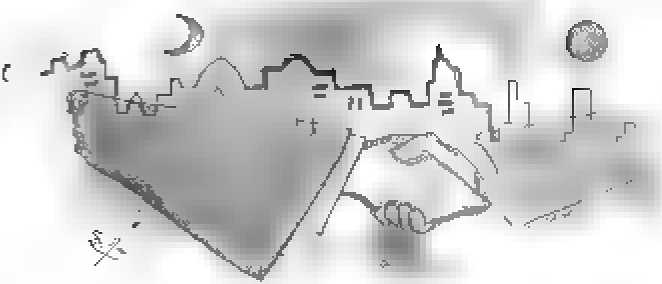
ودعى إلى تحسين طرق الدعوة إلى الله بأسلوب رائع مقبول، فيقول الحق تعالى في ذلك:

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ (سورة النحل، الآية 125)

كما دعى إلى البر والعطف والعفو وإرادة الخير والترجيح طريق الصلح على طريق الصراع وترجيح المودة على العداوة والبغضاء. وقال جل وعلا:

﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (سورة الممتحنة، الآية 7)

3. نفس المصدر السابق، ص 180.
4. روح الدين الإسلامي، مرجع سابق، ص 288.
5. تاريخ الأمم والملوك، ج



ومن التسامح الإسلامي أنه دعا إلى بر الوالدين على قدم المساواة بين الوالد المسلم، والوالد غير المسلم، ما بقيا على قيد الحياة. قال الله تعالى:

﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنًا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير * وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفًا﴾ [سورة لقمان، الآيتان ١٤ - ١٥]

وسمح القرآن الكريم أن يأكل المسلم طعام أهل الكتاب ما لم يدخل فيه محرم كالخمر مثلاً، وذبائحهم كذلك حلال له، كما في القرآن الكريم.

﴿...وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم﴾ [سورة المائدة، الآية: ٥]

وأباح الزواج بين نسائهم ورجالنا، قال تعالى في معرض ذلك:

﴿...والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ [سورة المائدة، الآية: ٥]

ومن التسامح الإسلامي حسن المجاورة، وتوقيع السلم والمعاهدة معهم، وعدم إيذائهم تلبيةً لأمر النبي ﷺ: «من آذى ذميًا فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة»(*)

وفي تكريمه بني البشر كل الناس سواسية، مسلمهم وغير مسلمهم. قال الحق تبارك وتعالى:

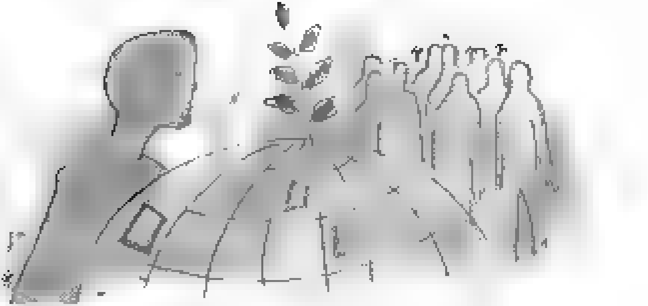
﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ [سورة الإسراء، الآية ٧٠]

حسن المعاملة مع غير المسلم

يحث الإسلام في تعاليمه السمحة مع غير المسلم، بحسن الجوار، ويكون عن طريق عيادته إذا مرض، ومساعدته إذا كان في حاجة إلى العون، والوقوف بجنبه عند الشدائد، وتقديم الهدايا. ونقلاً عن ابن عباس (رضي الله عنه) قوله لغلامه حين ذبح شاة: لا تنس جارنا اليهودي، ثم كررها حتى قال له الغلام: كم تقول هذا؟ كم مرة؟ فقال ابن عباس (رضي الله عنه): إن النبي ﷺ قد أوصانا بالجار حتى ظننا أنه سيورثه.

ومن التسامح الإسلامي توفير حقوق أهل الذمة

(*) حديث متفق عليه



بوجوب الرفق بهم، وقال فيمن حرم ذلك: «من آذى ذمياً فأنا خصمه». (إن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم، ونموت دون ذلك صوناً لمن هو في ذمة الله تعالى وذمة رسوله) [3]

والأمثلة كثيرة جداً نتجه إلى أن المسلم يتعايش مع غير المسلمين في سلم وحماية كاملة، ونذكر من المثل على ذلك تعايش العرب المسلمين مع العرب المسيحيين في مدينة واحدة وحي واحد، والأمثلة كثيرة في افريقيا، حيث نجد عائلة واحدة تنقسم إلى قسمين، قسم مسلم، وآخر مسيحي أو وثني، دون أية مشاكل، بل يتعاملون ويتجاورون من غير أن تسجل حسن الحوار بينهم، ويشارك بعضهم بعضاً في المناسبات الاجتماعية والعائلية والوطنية، وكلما دعت الحاجة إلى اجتماع يجتمعون بدراسة قضية مشتركة للجميع، وهذا النوع من التسامح يتحلى به الإسلام، وهو منتشر في قارتنا الإفريقية.

• تجربة التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم في افريقيا مثال واضح وإيجابي

إن التسامح الإسلامي، شامل لكل جوانب الحياة البشرية فوق الأرض، وكل المعاملات الحسنة والرعاية الطيبة مطلوبة من الطرفين، ورسالة الإسلام رسالة رحمة وهداية موجهة إلى كل البشرية «ارحموا من في الأرض يرحمكم الله، الراحمون يرحمهم الرحمن».

والمعاملات التي تخص المجتمع خاصة ... أكثر ... مستوياتهم وطوائفهم وانتماءاتهم، لأن الناس كلهم شركاء في الحياة الاجتماعية، وبعضهم على بعض حق عظيم على الجميع، وتبادل العطف والرفق موجب المودة، والبر إلى الغير يريد الرحمة والمخاطبة بأسلوب لين رفيق يريد التقبل.

لذلك كله فإن التسامح الإسلامي، من أهم وسائل السلم الدائم في العالم كله، ووجدت تجربة في مجتمعاتنا الإفريقية بين أسر مختلفة المعتقدة يتعايشون تعايشاً سلمياً ناجحاً، ويجب تعميم ذلك في العالم كله.

---

[3] روح الدين الإسلامي، مرجع سابق، ص 281

المسلمون في الغرب:
حقوقهم وواجباتهم ومستقبلهم

د. مراد ويلفريد هوفمان*
ترجمة وتلخيص: أيمن رياض**

كان من بين التأثيرات الأساسية للعولمة الاقتصادية والثقافية انتشار الأديان في العالم. وهذه الظاهرة أثرت بصورة خاصة في سرعة انتشار الإسلام في أوروبا. فهناك في أمريكا اليوم حوالي ستة ملايين مسلم وكلهم تقريبا أمريكيون، ومسلمو أوروبا مهاجرون، ودارسون، ولاجئون من الحروب، وباحثون عن فرص العمل، منهم حوالي أربعة ملايين مسلم في فرنسا، وقريب ثلاثة ملايين مسلم في بريطانيا، ومليون ونصف المليون في ألمانيا. أضف إليهم مسلمو البوسنة والهرسك. والخلاصة هي وجود حوالي عشرين مليون مسلم في أوروبا.

تسامح الإسلام

بكرة بمبدأ التسامح والتعايش السلمي الذي ينادي به الإسلام مع أهل الكتاب ويحث عليه في القرآن الكريم ولأن العالم الإسلامي عالم متعدد الأديان، ولهذا السبب أيضاً انتشر الإسلام في المناطق المسيحية منذ زمن بعيد في الشرق الأدنى، وفي شمال إفريقيا وصقلية وفي بيزنطة والبلقان بدون أن يتخلص من الشعوب والمعتقدات المسيحية في تلك المناطق.

في هذا العصر أصبح التسامح مع أهل الكتاب أكثر وضوحا في أرجاء المعمورة: في مصر ودمشق واسطنبول وحتى في السودان وصربيا، هذا الوضع سببه حقيقة أن القرآن الكريم حثَّ على ما يطلق عليه بالتعايش الإسلامي المسيحي منذ بزوغ نور الإسلام، إن تواجد الشعوب اليهودية والإسلامية في زمان ومكان واحد جنباً إلى جنب، في الشرق الأدنى وشمال إفريقيا، والإمبراطورية العثمانية هو في الحقيقة ناتج من تركيز القرآن الكريم المتكرر والراقي على أنبياء بني إسرائيل بصورة عامة وعلى موسى (عليه السلام) بصورة خاصة. وعلى هذه الأسس تكونت القوانين الإسلامية أول قانون متسامح للتعامل مع الذميين من أهل الكتاب.

أوروبا والإسلام

أما هنا في الغرب فإن التطور أخذ منحى مختلف كلياً حيث أصبح التعصب متفشياً بين الكاثوليك

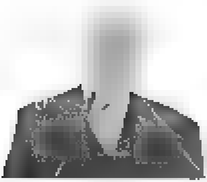
* كاتب ودبلوماسي ألماني
** مترجمة - ليبيا.

المسيحية بسبب تعرضها إلى العديد من الطوائف خرجت عن القانون (مثلما حدث عند انعقاد مجمع نيقيا سنة 325 بعد الميلاد) ولابعت بمحاكمة طوائف مثل الدوناتيست في شمال إفريقيا في القرن الخامس الميلادي والبلجيين والكاثار في القرن الثالث عشر الميلادي أو بعدد طوائف أخرى مع (الأرثوذكس في شرق أوربا) أو بسبب انحراف مثل (القسطنطينية في سنة 1205) وفي أعقاب حدث بعض الحروب الـ 30 سنة بين البروتستانت والكاثوليك أمسكت معظم بسكاني تحت وطأة هذه الظروف وبروز العداوة المتشددة كانت الكلمة العامة للكنيسة تحت شعار (لا مهرب ولا نجاة إلا بالكنيسة ولا نتوقع منها أدنى مقدار من التسامح نحو الإسلام)

إن طرد المسلمين واليهود من إسبانيا في القرن السادس عشر كان من أول حالات التطهير العرقي في العصر الحديث وكان نتيجته أن أصبحت أوروبا خالية تقريباً من المسلمين ورغم وجود تفاعل علمي وتبادل تجاري بين المسلمين وأوروبا إلا أن وجود المسلمين في هذه القارة لم يبدأ من جديد إلا في العصر الحديث.

وعلى هذا الأساس تعجباً المسلمون بعدم قبولهم هنالك كمواطنين في الغرب في العصر الحديث وما زاد الأمر تعقيداً الذكريات المستمرة عن الحروب الصليبية وأيام الحملات العسكرية العثمانية على وسط وجنوب أوروبا.

الكنيسة الكاثوليكية هي أيضاً لم تصنع بالكامل وجهة نظرها تجاه الإسلام وعلى الرغم من أنها قد أقرت منذ انعقاد مجمع الفاتيكان الثاني بالإسلام كطريق للخلاص إلا أنها لا زالت ترفض الاعتراف بـ محمد ﷺ رسولاً خاتماً للرسل والأنبياء ولم تعترف مطلقاً بالقرآن الكريم تنزيلاً من الله تعالى. هذا الرأي للكنيسة ازداد سوءاً بظهور أمثال سلمان رشدي واندلاع حرب الخليج ولقد أتى بشيء ارتكبت في الجزائر باسم الإسلام ولهذا فإن ما يظهر في صورة اضطهاد للمسلمين في أوروبا ما هو إلا تعبير



• الكاتب والمفكر مراد ويلفريد هوفمان هو ألماني مسلم ولد في مدينة قرب فرانكفورت في ألمانيا سنة 1931 ودرس القانون الأمريكي والألماني وعلم الاجتماع والاقتصاد في الكلية المتحدة في سكنيكتادي في ولاية نيويورك كما نال درجة الماجستير في القانون الألماني من جامعة هارفارد ودرجة الدكتوراه من جامعة ميونخ كان سفير ألمانيا للمغرب والجزائر ما بين سنتي 1987 ـ 1994 وكان مسؤول معلومات الناتو في مدينة بروكسل.

اعتنق الإسلام في سنة 1980 وأدى فريضة الحج سنة 1992 وسنة 2004 يعيش حالياً مع زوجته التركية في اسطنبول بتركيا ولديه ابن يعمل أيضاً في السلك الدبلوماسي.

له مؤلفات عديدة مشهورة عن الإسلام مترجمة لأغلب اللغات مثل (يوميات ألماني مسلم) و(الرحلة المختارة لمكة المكرمة) و(الإسلام في الألفية الثالثة).



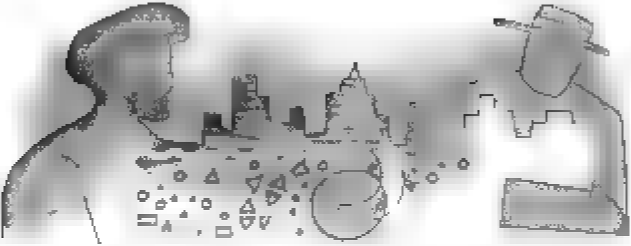
غلاف كتاب الرحلة المختارة لمكة المكرمة



غلاف كتاب الإسلام والألفية الثالثة



غلاف كتاب سنا الدين



عن الخوف من نمو وانتشار الإسلام الذي يختلف في العادات والتقاليد والثقافة عن المجتمع المسيحي بمزيد من التوضيح. لنسأل الشارع في مدينة مثل كولون: لا يرى الإسلام ديانة ترفض التثليث (فهو لا يهمه ذلك أبداً) ولكنه يرى فيه حضارة مختلفة هي التي جعلت من الأتراك أتراكاً.

الإقامة في دار الكفر

في ظل هذه الظروف، فإن المسلمين المعاصرين يمكن أن يطرحوا قضية هامة للنقاش وسؤالاً طالما طرح في ألمانيا منذ 300 سنة مضت وهو: هل يسمح للمسلمين المعاصرين بالإقامة في ما تم تسميته فقهياً دار الكفر أو دار الحرب؟

لقد اختار بعض المسلمين البقاء في أسبانيا مستندين في ذلك على ما حدث في أول هجرة للمسلمين عندما أرسل الرسول الأكرم ﷺ مع مطلع نور الإسلام بعض الصحابة للعيشة الحبشية هرباً من الاضطهاد، ولم يعتبر العيشة آنذاك دار حرب.

بعض علماء الأئمة الإسلامية مثل الإمام أبي حنيفة لا يوافق على إقامة المسلمين في غير بلد إسلامي. وعلى عكسه يرى الإمام الشافعي بقاءهم ويحثهم على ذلك معتبراً ذلك سبيلاً لنشر الدعوة الإسلامية. ويخالفنا أحد وجهة النظر هذه الإمام جعفر الصادق مشيراً إلى أن هذه أفضل طريق لخدمة الإسلام والمسلمين من بقائهم في بلدانهم الإسلامية، ثم لاحقاً أيده هذا الكلام العلامة المودودي في القرن الحادي عشر ولكن لم تقبل هذه الفكرة أبداً في المذهب الحنفي الأكثر شيوعاً بين المسلمين رغم حماس المسلمين واستعدادهم.

اليوم وعبر الثورة الصناعية الثالثة (ثورة الاتصالات) يجد المسلمون المقيمون في بلدان غير إسلامية حرية أكبر بحرية الإقامة في الغرب. فاليوم لا يواجه أغلب المسلمين في الغرب صعوبات في ممارسة العبادات والشعائر الإسلامية الأساسية لسببين:

1- الغرب المسيحي غير متدين لدرجة جعلته يتسامح مع مختلف الأمور التي تتعلق بالدين باعتبار أنها من خصوصيات الفرد.

2- إن حرية اعتناق الأديان وممارسة الشعائر أصبحت جزءاً لا يتجزأ من وثائق حقوق الإنسان العالمية.

واليوم تنتشر مؤسسات البحوث الإسلامية في الغرب وتنمو بدون رقيب، والمساجد تشيد في أوروبا ابتداءً من مدينة زغرب في كرواتيا وروما في إيطاليا إلى ليون في فرنسا. كما نجد أن المؤسسات الإسلامية دخلت في علاقات تسامح وتعاون مع البلدان المقيمة فيها.

هل سيستمر هذا الحال مثلما أمل وائل طوال القرن الواحد والعشرين؟ عندها سوف يصبح الإسلام في أوروبا جزءاً مهماً من المجتمع الأوروبي أو ما نطلق عليه (الوضع الاعتيادي).

الاندماج في الغرب

إن إمكانية الاعتراف بالوجود الإسلامي في الغرب تنشأ عنه قضية الاندماج والهوية الإسلامية: فإلى أي مدى يمكن للمسلمين الاندماج في المجتمع الأوروبي بدون فقدان هويتهم وعقيدتهم الإسلامية؟

إن المسلمين سواء كانوا مواطنين مسلمين أم جالية ولدوا داخل أوروبا أو خارجها يواجهون ظروفا تتجلى في أربع نقاط:

تتكون صورة المسلم في نظر الغرب من رجال ذوي لحى كبيرة يرتدون عباءات واسعة وجلابيب أو أزياء تقليدية ونساء يرتدين الزي الشرعي الإسلامي تتكون نسبة من المحجبات والمنقبات منهن نساء من الجيل الثاني يمكثن البشرة الصحيحة وإن فاتهن بالكثرة

> فرض الرسول الكريم ﷺ مع مطلع نور الإسلام بعض الصحابة الهجرة للحبشة هربا من الاضطهاد ولم يعتبر الحبشة آنذاك دار حرب

- عادات الأكل: المسلمون يرفضون الكحول ويمسكون عن لحم الخنزير ويتناولون اللحم المذبوح على الطريقة الإسلامية وبهذا هم غالبا ما يصطدمون مع القوانين والشرائع الغربية

- العبادة: المسلمون يطالبون بتعطيل وقت العمل لتأدية الصلوات المفروضة والاحتفال بأعيادهم ومناسباتهم الدينية الخاصة بالصيام والحج والعمرة خلال أيام محددة وبناء المساجد ذات المآذن العالية وتشييع موتاهم بطريقة خاصة وبهذا هم كذلك يصطدمون بالقوانين والشرائع المحلية

- الإيمان: المسلمون يرفضون الإيمان بالمعتقدات الأساسية للديانة المسيحية كالتثليث وألوهية المسيح وصلب المسيح، بالإضافة إلى ذلك هناك المبادئ الإسلامية المختلفة عن نظرة الغرب للعلاقات الخاصة بين الرجال والنساء داخل وخارج مؤسسة الزواج كما أن لدى المسلمين أفكارا مختلفة عن الديمقراطية وحقوق الإنسان في الغرب

العادة والعبادة

تعتبر عادة من عادات التطبيق وعلى الأخص الاندماج مشكلة صارخة سواء بالنسبة للزي الشرقي الذي يتميز في الغرب أم لا وبغض النظر عن مدى تقبله لها من عدمه وبالنسبة للمسلمين هنالك مساحة من اللين والمرونة يمكن أن يتنازلوا فيها ودون أن يعتبر ذلك إرثا إسلاميا أو يعني قانونا إسلاميا.

فإذا ناقشنا النقاط السابقة نجد أنه لا يمكن التسامح على الإطلاق فيما يخص العبادات والمعاملات لأن التخلي عن بعض أوامر الشريعة للمسلمين القاطنين في البلدان غير الإسلامية هي فكرة مرفوضة في معظم المذاهب بسبب عدم وجود سياسة تنسيق للتشاور إذا فتح بابها الأمر الذي يؤدي حتما إلى انحلال المسلمين من الالتزام بتعاليم دينهم وكمثال نأخذ مسألة التعامل مع الربا فهل يسمح به للمسلمين فقط بحيث أن يدعوا إلى النظام الإسلامي الذي يشجع على المشاركة في الربح والخسارة كبديل للاقتصاد الأوروبي المبني على الفائدة المفروضة على أموالهم؟ وهذا الأمر يقودنا إلى مسألة تكوين مذهب جديد قد يطلق عليه اسم "المذهب الأوروبي" مبني على فتاوى العلماء المسلمين في الغرب حول مشاكلهم الخاصة بهم مثل مسألة الفائدة.

ولكن بالنسبة إلى عادات الأكل والمظهر فهناك حقا مساحة كبيرة من اللين والمرونة تتيحها الإسلام باعتبارها عادات حضارية أكثر منها دينية لذلك فالمسلمون في الغرب ليسوا مجبرين بالضرورة على الجلوس أرضا والأكل باليد أو ارتداء الملابس المحلية حسب كل جهة كما أنهم غير مجبرين كذلك على ارتداء الزي المتعارف عليه في بلدانهم

الإسلامية. وإن تسامحهم غير مشروط بالولاء الفكري الوطني ولا يفرض عليهم تعلمهم أبداً أن يستعملوا كلمات عربية بعينها.

يجب أن ننمي فكرة أن الإسلام هو دين العرب فقط، بل الإسلام هو دين عالمي يعتنقه بشر من مختلف الثقافات والأجناس دون المساس بشخصياتهم القومية، فهناك المسلم المغربي والمسلم المشرقي، فلم لا يكون هناك مسلم ألماني ؟

من أجل عملية مساعدة الغرب على تقبل الإسلام فإن المفكرين المسلمين لهم دور كبير بالغ الأهمية وهو توضيح أن الإسلام ديانة لا تدعو للظلام والجهل كما يعتقد معظم الغربيين، وإنما هو دين العلم والمعرفة والعقلانية. وهل هنالك أي نص ديني ينسجم مع تحرير الإنسان ويساير تطوره ويدعو للتعمق أكثر من القرآن الكريم؟ أليس أول كلمة نزلت من القرآن هي «اقرأ» ؟

على النقيض من الإسلام قام العقيدة المسيحية تعتمد على الخرافات والأساطير بينما يلتقي الإسلام الفلسفة الأوروبية الحديثة خاصة (فلسفة هوم وكانت) والتي دائماً ما أنكرت وجود قانون قسري يحكم الطبيعة ؟

المسلمون في الغرب ليس مجبرين أو مرغمين على الجلوس أرضاً والأكل باليدين أو تنظيف الأسنان بالسواك عقب كل وجبة كما أنهم ليسوا ملزمين كذلك بارتداء أزياء تقليدية خاصة في بلدانهم الإسلامية

الدعوة للإسلام

إن المفكرين العالميين المسلمين يجب عليهم تقديم الإسلام بطريقة بتقديمها بطريقة تناسب وتقديرها فلاسفة الغرب. سيعم استقرار الإسلام هناك. كثير من المسلمين يمارسون شعائر دينهم بروتين تقليدي وبدون أي حس روحي ولم يؤثروا في البيئة المسيحية ويصوروا الإسلام كمعتقد روحي للفرد الغربي.

كما أن المفكرين العالميين المسلمين لديهم مهمة أخرى تتمثل في تطوير وسائل تعليمية ضرورية للمسلمين تتواصل المسلمين مع الثقافات المحلية وبطرق تعويضية ومن طريق نصوص علاقية رفيعة المستوى وتوظيف الإمكانيات الأساسية للدعوة الإسلامية.

وقد أثبتت التجربة أن الكتب الإسلامية القادمة من العالم الإسلامي عادة ما تكون غير مناسبة لاستحسان الغرب لعدة أسباب منها الطباعة الرديئة والترجمة الركيكة. ولأن المسلمين الغربيين الذين ترعرعوا في محيط الثقافة الغربية هم أكثر معرفة ودراية بالفكر الغربي لذلك كان من الضروري على هؤلاء أن يتحركوا مهمة تأليف الكتب لعرض موقف الإسلام وبصورة خاصة حول النقاط التالية:

حقوق المرأة

حقوق الإنسان بصورة عامة

الديمقراطية

بالنسبة للنقطة الأولى عن دور الرجل والمرأة، فالمسلمون مطالبون بتوضيح سبب أن يتخلوا عن أوامر الله تعالى فيما يخص سبب قوامة الرجال على النساء (سورة آل عمران الآية رقم 34). وأما بالنسبة لحقوق الإنسان والديمقراطية فهنالك مسلمون وضحوا لا يوجد تبرير له أي بيان الموقف الإسلامي المؤيد لحقوق الإنسان. وبالنسبة لموضوع الديمقراطية في الإسلام فقد استند علماء إسلاميون كثيرون على القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة، وعلى هذا الأساس بنت الجمهوريات الديمقراطية الإسلامية المبنية على الهيئات التشريعية القانونية، والبرلمانات، ومواثيق حقوق الإنسان، ومجالس الشورى، ولكن في نفس الوقت نجد اختلافاً بين فقهاء المسلمين بين مؤيد ورافض لفكرة الديمقراطية من أساسها. ومن أبرز فقهاء المسلمين الغربيين الذين يدافعون عن هذه الفكرة محمد أسد، ولكن هنالك من يرفضها ويراها غير مفهومة انطلاقاً من نظام طبيعي، ولهذا فالمسلمون

الأوروبيون والأمريكيون هم عالة من يخضع لهم عن الاختلاف

مستقبل الإسلام

يحدونا قلب يتسع ساس للخلفية التاريخية لتحول الإسلام المعاصرة في الغرب اليوم. السؤال الآن هو في ظل هذه الظروف والإمكانيات، هل سيصبح الإسلام هو الديانة المسيطرة والمهيمنة في القرن الحادي والعشرين؟ أم هل سيتلاشى كما في عملية اندماج الجيل الثالث للمهاجرين في الغرب الذين هم مثل من سبقهم قد عبروا تجربة الذوبان الثقافية؟ أم سيتم طردهم من أوروبا كما طُرد أسلافهم من قبل؟

إن كل هذه ممكن حدوثه، ولكن الإحصائيات تدلنا على جهود جادة لمستقبل الإسلام في الغرب، والبعض في ذلك يرجع إلى انسجام الإسلام مع المذاهب والأيديولوجيات المعاصرة!

إن الحداثة هي عقيدة قائمة على أساس أن الإنسان هو المقياس والمعيار لكل شيء، وأن تفكيره قادر على حل كل مشكلة. ولأن الثقافة الغربية مبنية على هذه العقيدة، كل شيء لكل إنسان أو ما يسمى بمنظومة هوكوياما، فمنذ التي كانت ولا تزال معادية لكل سلام، فإن هذا النوع من التفكير يهدد بتحويل العالم الإسلامي لنوع شبيه بحديقة الحيوانات، بسبب تهميش الإنسان المسلم والظلامية والتعصب الأعمى.

إيجابيات

على النقيض من هذا فإن عصر ما بعد الحداثة وهي أيديولوجيا تنادي بها حركة الخضر تحافظ على الخصوصية التي يتصف بها العالم الثالث، وبدأت اتجاهات أخرى تنسجم مع الإسلام. لقد أصبحت الشعوب الغربية اليوم مثلاً أكثر إدراكاً من قبل لأهمية تناول الغذاء الصحي والابتعاد عن تناول الخمور، حتى إن شركة التدخين وشركات المخدرات بكل أنواعها باتت تفرغ العديد من النقود، وحتى أكبر مصانع التبغ الأمريكي تعرضت لأزمات اقتصادية من جراء هذا الأمر. كل هذا من العوامل التي يساهم في تقديم الإسلام من الخمر والمخدرات.

وقد أدركت الفتيات الغربيات اليوم كثيراً من مطالبتهن بالمساواة مع الرجال كانت خاطئة وخطيرة، بل إنه أمر مستحيل، من مطالبتهن بالمساواة في الاعتداءات والتحرش الجنسية التي تقع من الرجال، فهي الغاية السامية التي يصفها الإسلام في المقام الأول.

وأخيراً ليس في الولايات المتحدة فقط، ولكن أيضاً في أوروبا هناك اليوم اتجاهات مسيحية تعترف بالمعاصرة والإلحاد، وفي نفس الوقت نجد أن عقيدة تجسيد المسيح وعقيدة التثليث قد هجرت عند الكثيرين اليوم حتى من داخل الكنائس المسيحية نفسها، كلا هذين العاملين يخلق وجهة نظر حميمية ومتقدمة تجاه الإسلام.

> الكتب الإسلامية القادمة من العالم الإسلامي خالية من تكوين جهد مناسبة لاستحسان الغرب لها بسبب تلك الطبيعة الرديئة والترجمة الركيكة

سحب قاتمة

ونحن بالرغم من حال الإسلام الواضحة مثل الشمس في الأفق إلا أنه توجد العديد من السحب القاتمة، ويحزن للأسف أن كل الأقليات قد استفادت من حركة ما بعد الحداثة إلا المسلمين الذين يبدون في نظر البعض من الأقليات الوحيدة الخطيرة والعدوانية والمتطرفة.

وفي الوقت الذي ازداد فيه الاهتمام بمشكلة الجوع ومجاعة ومآسي المخدرات، يعرف المسلمون كدولي بخسارته في الحرب ضدهم، حركة ذات الخضر المناهضة بالحداثة تؤيد السماح عمداً بتناول المخدرات وهو الأمر الذي يرفضه الإسلام.

وبالرغم من أن النساء أكثر من الرجال عقلاً

للإسلام الآن المرأة العربية بصور ... عامة أكثر عداوة للإسلام من الرجل خوفاً من فقدان حقوقها وحريتها بسبب المفهوم الخاطئ أن المرأة تفقد حقوقها وحريتها في ظل الإسلام

وفي حين أن اتهامات الأديان هو أمر جيد في ذاته إلا أنه قد نتج عنه أيضاً عداوة من قبل جماعات مسيحية متعصبة ضد الإسلام تشترك كلها في نفس النية وهي التخلص من الوجود الإسلامي في أوروبا فمثلاً نجد ... الكنيسة البروتستانتية الألمانية في ولاية هيس الدكتور ... يؤكد في وسائل الإعلام التلفزيونية والمقروءة باستمرار على أن المسلمين والمسيحيين ليس لهم رب واحد وإنما يعبد المسلمون مجرد وثن.

الإسلام والتراث الأوروبي

أي مرحلة من هذه المراحل المستقبلية سوف تسود؟ هذا بالتأكيد يعتمد على مدى تقبل الإسلام كدين مواز في أوروبا وللأسف عندما يتحدثون عن تراث أوروبا الإنساني فإنهم يقصدون اليهودية والمسيحية وكلهم يكاد يتناسى الإسلام

ولهذا يجب على الأساس أن يتذكر الغربي أن الأديان الثلاثة في أساسها ... عبادة الله الواحد ... التوحيد وأنها جميعها قد نشأت في الشرق الأدنى وأن المسيحية قد ... العديد من العناصر والعلوم من الشرق، كما يجب أن يتذكر الغربي أن:

أكبر مدينة في القارة الأوروبية وهي اسطنبول مسلمة

2. الأسبان كانوا مسلمين لمدة أطول من بقائهم مسيحيين كاثوليك

3. إن عصر النهضة الأوروبية لم يكن ممكناً لولا ... الحضارة الإسلامية

4. غياب الكنيسة في العالم الإسلامي ...

> هل سيصبح الإسلام هو الديانة المسيطرة والمهيمنة في القرن الحادي والعشرين؟ أم هل سيتلاشى كما هو مصير اندماج الجيل الثالث للمهاجرين في الغرب؟

التصادم بين العلم والدين ولهذا فإن العالم الإسلامي لم يمر بالتجربة الأوروبية المريرة التي عهدتها العصور الوسطى

... إن المسيحيين الغربيين يجب عليهم أن يتذكروا أنه ليس عليهم فقط البحث هناك في الغرب في أمريكا وأوروبا بل أيضاً أن الإسلام يرجع جذوره إلى هناك كالمسيحية تماماً كما يجب عليهم أن يوضحوا ... عن الإسلام ليس دين عربي أو تركي إنما هو دين عالمي مبني ... لله الواحد الأحد كما ... إبراهيم عليه السلام أبو الأديان الثلاثة

صعوبات وتحديات

وفي هذا الوضع، للأسف فإن هذا الهدف سوف يواجه صعوبات وتحديات كبيرة بسبب تأثيرات العولمة الاقتصادية على طلبات ... في أوروبا ... الصعوبات الناتجة من السباق ... رأس المال والتقنيات الحديثة والمنتجات الصناعية والعمال. كل البلدان الأوروبية تواجه حالياً أزمات مركبة ... في مجالات الحياة الطبيعية وتمتد إلى مختلف نواحي الحياة الاجتماعية بتعبير أكثر تحديداً، إن غالب أسباب ارتفاع مستوى البطالة في العصر الحاضر سوف تصبح ... ويبدو كما لو ... الديمقراطيات الغربية ... تستطيع حل المشكلة بسبب المعايير السائدة في العصر الحاضر والتي لم تعد مرغوبة ...

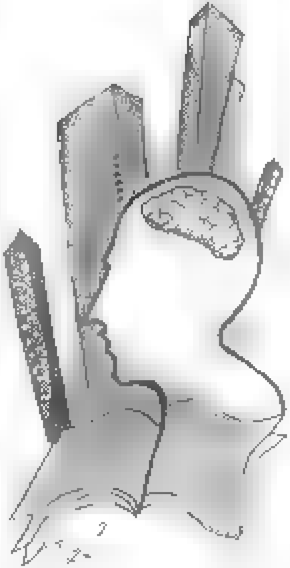
كل هذا من الممكن أن يشكل كارثة ... للقوى ... المسلمة في أوروبا التي تم اتهامها ... بأنها أخذت الأعمال والوظائف المختلفة من الأوروبيين ... أن يقوم زعيم شعبي مثلاً ... Le Pen ... بإثارة المخاوف القومية والقلق الاقتصادي بجعل الإسلام هو كبش الفداء ... هذا هو ... الاحتمالات والله أعلم.

ملف

المسلمون

بين تحدي الأمن الفكري والأمن الروحي

أ.د. محمد بشاري *



يوماً من يوم تتضح ملامح الأزمات العميقة التي يواجهها المسلمون سواء على الصعيد السياسي أو الفكري أو الديني، وتبدو الأحداث التي تتابعت وتتلاطم بنا خلال السنين الأخيرة، وخاصة بعد تاريخ 11 سبتمبر 2001 ليست سوى الأمثلة التي عرّت عن خوالج القلق.

على أن هناك نقطة هامة يجب التوقف عندها، ونحن نتحدث عن تحديد الأمن الفكري الذي نحن بصدد تقييمه.

فنحن نتحدث عن مسلمات واستحقاقات سبتمبر، فليس معنى ذلك أن الأمور كانت سوية وسليمة قبل هذا التاريخ، بمعنى أن تحديد المسؤوليات يجب أن يشمل السياسات التي تم انتهاجها في الدول العربية والإسلامية قبل هذا التاريخ، وخاصة على المستويين الديني والفكري.

أسئلة الأمن الفكري

لا بد لنا من تحديد مجموعة من الأسئلة المؤطرة لاستحقاقات الأمن الفكري المطروحة اليوم

* كاتب وباحث - المغرب

وبداية نتساءل:

- من هم المؤهلون لتحديد المهام الكفيلة بتحصين الأمن الفكري للأمة الإسلامية؟
- ما علاقة ظواهر العنف والإرهاب والتطرف بسياسة الأمن الفكري والأمن الروحي على الخصوص؟
- كيف نوفق بين مختلف وجهات النظر القائمة بخصوص تحقيق الأمنين الفكري والروحي المذكورين؟

الأمن الفكري وسؤال التأهيل

يرد على السؤال الأول بتحديد أهمية المؤسسات أو الأفراد المعنيين والمسؤولين عن ضمان الأمن الفكري للأمة الإسلامية ويرى أن الجواب لن يخرج عن أهل الاختصاص ونجد في مقدمتهم المفكرين المسؤولين الذين يجتهدون انطلاقاً من ثوابت الأمة، ويضاف العلماء المسؤولين الدينيين إلى جانب اشتغالهم بالقضايا الأصولية والفقهية يهتمون أيضاً بالقضايا الفكرية. وعلى الرغم من قلة عدد هذا الصنف من العلماء اليوم في الوطن العربي والعالم الإسلامي، فإن الجمعية الفقهية التي تضمهم تجعلنا في حاجة إلى اجتهاداتهم الفكرية للمساهمة في تحديد الخطوط العريضة لمهام الأمن الفكري الذي نتحدث عنه.

ولكن على صعيد آخر فإن الحديث عن مسؤولية المفكر يتطلب كذلك الوقوف عند طبيعة هذا المفكر وطبيعة هذه المسؤوليات. ولكي نتحدث عن ذلك تحدى الباحثات يجب أن نتساءل: من هو المفكر؟ وبمن يسمى المفكر مسؤولاً؟ وما هي مجالات عمل المفكر؟ وهل المفكر العربي يفكر فعلاً؟ وإذا كان لا يفكر فما هي الموانع التي تقف وراء هذا المأزق؟

ورداً على هذه الأسئلة ترى الباحثة بأن المفكر هو الشخص الذي وصل إلى المستوى التركيبي وليس التجزيئي، ولا يصل إلى هذه الدرجة إلا عبر المرور بمراحل عدة منها التخصص في مجال معين ثم الانفتاح على علوم أخرى مما يؤهله فكرياً وعقلياً ومنهجياً لأن يتعامل مع الظواهر، وذلك انطلاقاً من القاعدة التمهيدية والإعداد الكافي في التكوين.

ويبدو أن الضرورة الشديدة على شروط تحقيق المفكر التركيبي مرده أولاً إلى تشابك القضايا والعلاقات والظواهر والمطلوب في المفكر الاشتغال بشكل جماعي حتى يصل إلى مرتبة المفكر الجماعي، ويرتبط ثانياً بنوع من الاستدلالات والنسب العامة في إبداء الرأي، حيث يصبح البعض منسياً أو يصدر أحكاماً عامة لا تؤثر على الرأي العام.

> دور المفكر المسلم على مستوى مواجهة الاختراق الأجنبي أصبح منحصراً في إعادة إنتاج ما ينتج في الدول الأخرى

وتكمن أهمية وثقل هذا المفكر في ظل الظروف الراهنة التي نعيشها اليوم وخاصة بفعل تضافر عوامل خارجية تؤثر بشكل مباشر في صنع القرار السياسي ومعه القرار الفكري والديني في الواقع العربي والإسلامي. يجب الوقوف عند دور المفكر على مستوى التعاون بين الدول، وخاصة عند دور المفكر المسلم على مستوى مواجهة الاختراق الأجنبي حيث أصبح منحصراً في إعادة إنتاج ما ينتج في الدول الأخرى.

وما دامت الدول العربية والمسلمة تستورد الخطاب أو ترغم على ذلك، ولأن المفكر لا ينتج نظريات معرفية جديدة أو نظريات خاصة، أصبح المفكر يعيد إنتاج النظريات الأجنبية كما يرتضيها للسلطة، ومن ثم عدم تحكمها أو إسهامها في الحفاظ على علاقة الود بين الدول الغربية والدول التابعة، ومن النتائج الخطيرة لهذه العلاقة المختلة تصدير الرأي نتيجة مصيرية وهي أن المفكر في العرب

بشكل سلمية والمصالحة ويمكن لمن يشاء ويعرض عليه ما فكر فيه وما انتهى إليه من أفكار ويمكن للمنتجين الفكريين أن يجيبوا على عادة نتاج الأفكار النظرية التي عرفت في الغرب والشرق. بعيدة الأفكار التي نتجت في بيئة خاصة وتجيب عن حاجات خاصة وتوفر لها نصيبها ووسائل التطبيق وحينما تطورت بشكل محدود تبقى أفكار مبتورة

الأمن الروحي وأسباب العنف

تكمن أهمية التوقف عند تحدي الأمن الفكري والأمن الروحي في أهم الأزمات وأكبر التحديات التي تعيشها الأمة الإسلامية من انتشار أعمال العنف والتطرف والتشدد والإرهاب الذي يمتد إلى العديد من الدول العربية والإسلامية ويصل إلى خارج العالم الإسلامي

وإن كانت التفجيرات الدموية التي تمت في دول عربية تعرف بعوامل خارجية وتغفل مواجهة الأسباب الحقيقية التي تقف وراء هذه التفجيرات فإنه في المقابل هناك العديد من التفجيرات التي وقعت في دول عربية وإسلامية بل وقعت حتى في الأرض التي تضم قبلة المسلمين المقدسة مكة المكرمة والمدينة المنورة إضافة إلى التفجيرات التي وقعت في أندونيسيا والمغرب وتونس وتركيا وغيرها من الدول العربية والمسلمة وهذا يتطلب منا التوقف مع أسباب هذه التفجيرات وسبل مواجهتها

نحن لا ندعي أننا نملك مفاتيح سحرية تجعلنا نعلن عن نهاية هذه التفجيرات ولا أننا أدرى من المسؤولين والباحثين بمختلف هذه الأسباب والسياسات التي تجعلنا نتصدى بشكل نهائي وقطعي لهذه الظواهر ولكننا نزعم أننا نمثل هنا الآن جهة تمتلك وجهات نظر نعتقد أنها قد تساهم في توضيح مجموعة من النقاط الخاصة ببعض أسباب هذه الظواهر

وبالعودة إلى السؤال الخاص بعلاقة ظواهر العنف والإرهاب والتشدد والتطرف بسياسة الأمن الفكري وسياسة الأمن الروحي يجب التذكير بأنه بخصوص التفاسير التي تبرر ظهور العنف والتشدد إلى أسباب اقتصادية أو مادية وهذا هو النموذج الناظم لتفاسير المادية وخاصة الماركسية وتكمن أزمة هذه التفاسير في أنها تتغافل عن أبعاد فكرية وعقدية ومذهبية تسقط أنها تستحضر في حساباتها أسبابا غير مادية تتعلق بالدين والغيب مما يجعلها قاصرة عن الوصول إلى مكمن الداء وأولوية الدواء

> أكبر أزمة يعاني منها التفسير المادي لهذا النمط من التفكير البسيط يكمن في أن الأمور تحسم ماديا فقط

وسوف نتوقف مع مثال بسيط يعكس قصور التفاسير المادية في تفسير ظواهر العنف والتشدد والتطرف وينطبق بخصوص تسمية حكومية غربية للأمين العام للأمم المتحدة ما سمي بالبيان الدولي ضد الإرهاب

وكما تعلمون فإن هذا البيان يدعو مجلس الأمن والأمم المتحدة إلى إقامة محكمة دولية لمن أطلق عليهم فقهاء مجموعة من علماء وفقهاء يصدرون فتاوى الإرهاب والقتل بحق المدنيين من النساء والأطفال الأبرياء

إن هذا المثال البسيط يحمل الكثير من الدلالات ويمثل نموذجا في تفسير هذه الظاهر الاجتماعية المعقدة والمركبة التي هي حالة أسباب العنف والتطرف لم يجد الموقعون على البيان المعني الجذري لهذه الأسباب سوى محاكمة الشيخ يوسف القرضاوي ومجموعة من الفقهاء والعلماء الذين قد نتفق أو نختلف مع اجتهاداتهم ولكن ليس إلى درجة تقديم أسمائهم على أن لائحة ومطالبة مجلس الأمن بمحاكمتهم



مجلس الأمن الدولي

إنه أكبر أزمة يعاني منها التفسير المادي، فهذا النمط من التفسير المبسط يرى بأن الأمر المحسوم مادياً فقط، عبر محاكمة هؤلاء الشيوخ والعلماء حتى تنتهي ظاهرة العنف والتشدد.

سنحاول في هذه المقالة الوقوف عند إشكالية الترابط بين تباين وجهات النظر الناشئة بخصوص تحقيق الأمن الفكري والروحي المرجوين، ونحيل هذه الإشكالية إلى إشكالية أكبر وأعمق، وتتعلق بموضوع المرجعية.

إن تأملنا طبيعة الخطاب السائد حول أهم قضايا الساعة من قضايا الإصلاح والديمقراطية وحقوق الإنسان والتجديد الديني... إلخ، نجد شيئاً واحداً يتصل بطبيعة ما يمكن أن يصدر عن محاوري هذا الخطاب، سواء كانوا مؤمنين، مسلمين أو مسيحيين أو يهوداً، أو مؤمنين ولكن علمانيين، أو حداثيين أو تقليديين... إلخ، ما يجمع ويفرق بين ثنايا هذه التجليات هو المرجعية: إنها أهم القضايا الغائبة في ثنايا هذا الخطاب. لهذا السبب، يحتم علينا سؤال المرجعية: أن نحدد أي مرجعية تتعلق بنا، مرجعية الله عز وجل، أم مرجعية أخرى، لن تخرج غالباً عن مرجعية الإنسان، إن قضية العجز عن حماية الإنسان، حقوق العدالة الإنسانية الشاملة، هي من يستأثر هو بحق التشريع ورعاية حقوق الإنسان، ليست جديدة، بل هي قديمة قدم الإنسان، الذي ركبت فيه نوازع الأنانية وحب الذات.

لهذا نرى أنه لا بد من التفاهم على أرضية تلتقي فيها جميعاً، حتى نساهم عملياً في تقريب وجهات النظر، وقطع الطريق على ذرائع التدخل الأجنبي، الذي لم يجد له سوى أن يتدخل في الأماكن التي من المفروض أن تدرس في المناهج الدراسية.[1]

مرة أخرى، سوف نتوقف عند مثال عملي، يبرز أهمية المرجعية في تحديد أهم معالم الأمن الفكري والروحي اللذين تحدثنا عنهما.

ففي قراءة الكاتب السوري هاشم صالح في كتاب حول الحركة الإسلامية، حرره الباحث الفرنسي جيل كيبل، وهو باحث ومختص غالباً ما يركز على التحليل المادي الماركسي، يتفق هاشم صالح مع المحلل الفرنسي على طبيعة الحركة الدائرة في



جيل كيبل

أوروبا حاليا، بين إسلام التنوير والحداثة من جهة وإسلام الأصوليين من جهة أخرى، التي ستكون لها انعكاسات كبرى، على البلدان العربية والإسلامية ذاتها، وليس فقط على المسلمين في أوروبا». كما طالب الكاتب العربي جيل كيبل بضم إعمال «دور التيارات التحديثية والتنويرية داخل العالم العربي والإسلامي نفسه، فهي أيضا موجودة، وإن يكن صوتها أقل ضجيجاً وصراخاً من صوت الأصوليين، وليس مستبعداً أن يأتي الإنقاذ - أو الخلاص - من الخارج: أي من باريس وبرلين ولندن ومدريد وبروكسل وأمستردام وكوبنهاجن وحتى نيويورك... التي قد ... الديمقراطيون* العرب ... في ... العالم تقع على كاهلها مهمة تحرير تيار ... التيار ...(3)

ونحن نلاحظ تركيزاً ... على ضرورة خطاب إسلامي جديد، يرى بأنه ينسف المرجعية المميزة لهوية الأمة المسلمة. ويدعو هذا الخطاب، تارة إلى «تطبيق النقد التاريخي على النصوص الإسلامية من قبل بعض الباحثين العرب المقيمين المتمركزين في أوروبا، مستنتجاً أن «التنوير سوف يأتي على العالم الإسلامي في أوروبا» ويدعو تارة أخرى إلى اعتبار أن القرآن الكريم لم يعد مناسباً لحقيقة اليوم، كما تحدث عن ذلك الباحث التونسي المنصف بن عبد الجليل المقيم في بريطانيا، في ندوة اهتمت بالنقد الديني، حول موضوع «القراءات الحديثة للقرآن».

خاتمة

نحن أمام ثلاثة أسئلة جوهرية أساسية فيما يتعلق بتحديد معالم الأمن الفكري والروحي الذي نصبو إليه، ويتعلق أولاً بتحديد أهمية النصوص بمجال الأمن الفكري للأمة الإسلامية، ويتعلق ثانياً بعلاقة ظواهر التعصب والتطرف بمسألة الأمن الفكري والأمن الروحي على الخصوص، ويتعلق أخيراً بإشكالية التوفيق بين تباين وجهات النظر القائمة بخصوص تحقيق الأمنين الفكري والروحي، أي بإشكالية المرجعية التي تعتبر بحق أكبر سؤال مؤسس وجوهري، يجب أن نتفاعل معه ونحسم فيه حتى نضمن الاتفاق على مقومات الأمن الفكري والروحي للأمة الإسلامية، وهذا هو التحدي الأهم.

مراجع

1. من خلال الباحثة المغربية ... ضمن أشغال الندوة التي نظمها منتدى الحكمة للباحثين والمفكرين بالتعاون مع جامعة محمد الأول بوجدة، وذلك يومي الأربعاء والخميس 11 و12/2005 ... تحت شعار «إشكالية العلاقة بين الفكري والسياسي» ... مجلة «حوار العرب» المغربية، العدد ... فبراير 2005 ...
2. المثاني المفاهيمي ... المرأة بين المنظور الإسلامي والمنظور العلماني ... محمد ...
المرأة
3. قراءة في كتاب «الفتنة: حرب في قلب الإسلام» جيل كيبل، أنجزها هاشم صالح، جريدة الشرق الأوسط، 2004.09.22.

* الديمقراطيون العرب: المقصودون أو المتنورون في العالم ... والتعبير ... التحرير

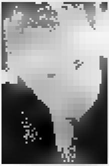
الإنجيليون الأمريكيون يحتضنون إسرائيل وعين على هرمجدون *

إ. الترو هيلير**
ترجمة: محمد محمد لعالم ***

عندما قصفت إسرائيل طائراتها الحربية المفاعل العراقي عام 1981 فضمن اجتماعات الجنوبي بث جون هاجي وهو أحد المتلفزين في شبكة تكساس التلفزيونية التبشيرية رسائل إلى 50 من ملايين المشاهدين المسيحيين وذلك لحشد الدعم للدولة العبرية.

ولم يكن هاجي الأول إيجابياً واحداً، وعندما مضى قدماً مخططه لجمع مؤيدي إسرائيل في أحد مسارح سان أنطونيو، تلقى تهديداً بالقتل عبر مكالمة هاتفية فيما قام أحدهم بإطلاق نيران نارية على سيارته المركونة في أحد المحطات.

وفي الوقت الذي كانت فيه الصواريخ المسيحية الإسرائيلية تنهال على لبنان وسط تصاعد المعارك من الصراع، أثره المريق ترأس جون هاجي ما سماه به معجزة الرب، والتي تمثلت في تجمع 3500 من المسيحيين الصهاينة الذين عبروا أحد فنادق واشنطن وذلك لحشد الدعم لإسرائيل وحملتها العسكرية على لبنان.



جون هاجي

كان هاجي واقفاً على خشبة المسرح الذي يبث بعلم ضخم لإسرائيل فيما قوبل بعاصفة من التصفيق وسط هالة تدعو (أمين). وقد امتدح إسرائيل سعيدة بقيادة الرب في حربه الشر ضد الشر، وقال:

إن الدعوات لإسرائيل لإظهار ضبط النفس حرق ما تعاليم: السياسة الخارجية للرب نحو اليهود، مستشهداً بنص من العهد القديم يعد بمباركة أولئك الذين يباركونه ويلعن أولئك الذين يلعنونه.

وقد عقد الملتقى برعاية اتحاد المسيحيين من أجل إسرائيل وهي منظمة وطنية أسسها هاجي المبشر المعمداني الذي يبلغ 66 عاماً في ولاية تكساس في العام 2006.

* نشر مقال لمقدمة صحيفة (أوريت هوز) في ملحقها الصادر يوم الخميس 2006/ ميلادي
** كاتب أمريكا
*** صحفي ومترجم ليبيا
يعمل في ... الطفل من ... الكلي ...

وقامت المجموعة بحشد تأييد السياسيين في واشنطن، وحشد الدعم الأساسي لإسرائيل. وترى أن لدى المسيحيين على ما تسميه «الواجب التوراتي» لدعم الدولة العبرية.

ويعتبر جون هاغي شخصية بارزة فيما يسمى الحركة الصهيونية المسيحية. إن هذه الفلسفة السياسية الدينية متجذرة في النبوءات التوراتية حيث يعتقد أن الكفاح الذي تخوضه إسرائيل هو علامة على قرب رجوع المسيح*.

يؤيد مؤلفو المجموعة بقوة البيت الأبيض في دعمه المطلق لإسرائيل في حربها على لبنان.



جورج بوش

لقد بعث الرئيس جورج دبليو بوش رسالة إلى الملتقى مثنياً على جون هاغي ومؤيديه من أجل [illegible] والعملية الإلهية للمسيحيين، وأرسل رئيس وزراء إسرائيل بتحية كلمات شكر. وحضر الملتقى السفير الإسرائيلي ووزير الأركان السابق وثلة من الساسة الأمريكيين البارزين.

فهم يقترب السيد بوش بوضوح من الإنجيليين لم يكن مطلقاً بالنبي الكامل بحسب معاييرهم ولا بأهدافهم، وإن كانت رؤاهم على وجه العموم متوافقة مع أهداف صانعي استراتيجية الأمن القومي، والذين خضعوا إلى نضج السياسة عن طريق مخططات مختلفة. لقد كانوا يروجون طويلاً إلى ما أسموه «الاستقرار الزائف» كما يراه مستشارو السياسة الخارجية الذين ينتمون إلى مدرسة «المحافظين الجدد» ذات النفوذ. أيضاً الذين ينتمون هذا النهج محاججين أنه ينبغي على الولايات المتحدة أن تعطي دفعة قوية للديمقراطية في الشرق الأوسط.

ويقوم هاغي رفقة [illegible] من الإنجيليين بالضغط، وضغط نفوذ أكبر على التوجهات والسياسات الأمريكية فيما يخص المنطقة.



غلاف كتاب القدس العد التنازلي

فهم يرون في أحيان كثيرة وبشكل متكرر صراعاً بين الإسلام والغرب المسيحي اليهودي. فقد يعتبر الكثير من المسيحيين المتزمتين

هذه حرب دينية ولا يمكن ولا ينبغي للإسلام أن يظفر بها.

هذه عبارة وردت في كتاب صدر مؤخراً لجون هاغي بعنوان «القدس العد التنازلي» (Jerusalem Countdown)

يقول الكاتب «إن نهاية العالم كما نعرفها على وشك [illegible] تقترب حثيثاً [illegible] افرحوا وكبروا في سعادة غامرة [illegible] الخير [illegible]».

لقد بيعت حوالي 700,000 نسخة من الكتاب منذ أن تم إصداره في مستهل شهر [illegible] حسبما صرحت به [illegible] دار النشر فرونتلاين Frontline [illegible] ومقرها في ولاية فلوريدا.

لقد تعايشت الصهيونية والمسيحية منذ وقت، ولكنها الآن تشهد بروزاً قوياً وحصلت على دفعة قوية من تسويق هاغي ورعاية المروجين. ولقد جمع جون هاغي موارد كبيرة من أجل ضمان التأييد لإسرائيل. وهو يرأس كنيسة ضخمة في سان أنطونيو ويدعي أن عدد أعضائها يربو على 18,000 عضو ويقوم بإدارة محطة تلفزيونية، وله علاقات وثيقة مع صانعي

* هرمجدون: [illegible] في فلسطين [illegible] شرقي [illegible] بحوالي عشرين كيلومتر [illegible] من فلسطين [illegible]
[illegible]

الأكبر في الحزب الديمقراطي. واستناداً إلى منظمي الحدث فإن مأدبة طعام عقدت في واشنطن قد كلفت 300،000 دولار. ولقد قامت الشبكة الإذاعية المسيحية الكبيرة «ديستار Daystar» بنقل الحدث على الهواء.

وفي اليوم التالي قام بحشد مجموعة من الإنجيليين يمثلون خمسين ولاية في حملة ضغط أمام مبنى الكونجرس. لقد كانوا مزودين بحجج كتبها جون هاغي وفريقه. وأمطروا مجموعة من أعضاء مجلس الشيوخ والكونجرس بمناقشات عن إسرائيل وأعدائها.

يقدر عدد الإنجيليين المسيحيين الذين وجدوا طريقهم السياسي لأول مرة إبّان ولاية الرئيس رونالد ريغان، في عقد الثمانينيات بنحو 30 مليوناً ويشكلون الآن سنداً وطيداً من المؤيدين للرئيس بوش.

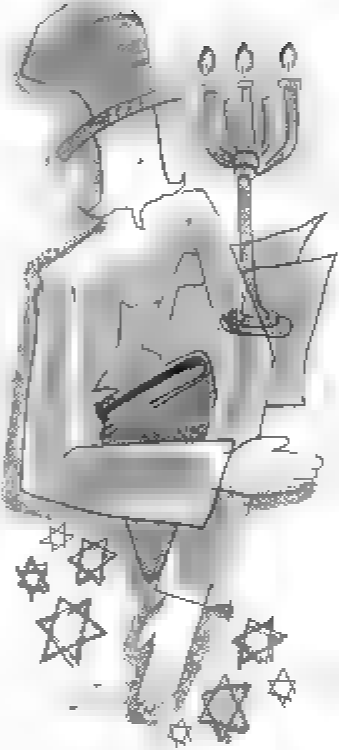
يعرف عنهم مناهضتهم للإجهاض وزواج المثليين، وغير ذلك من قضايا خلافية دينية أخرى. وهم أيضاً يولون حرصاً شديداً فيما يتعلق بالسياسة الخارجية خاصة بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001.

«اتركوا إسرائيل وحدها، يعرف شعب الشهداء» هذه كلمات قالها جون هاغي لمؤيديه في التجمع، وهو الحدث الذي حضره عدد من السياسيين المرموقين كان أغلبيتهم من الحزب الجمهوري. وقال إليوت انجيل Eliot Engel وهو عضو في الكونجرس عن الحزب الديمقراطي في معرض كلمته إن أعداء إسرائيل يمثلون محور الشيطان.



جورج بوش

يعتبر المراقبون الأمريكيون السابقون والحاليون إن هذا المزيج بين السياسة الخارجية والدين، قد طور قوة واسعة



السلطة. ويقول دينيس روس Dennis Ross – مبعوث الإدارة الأمريكية إلى الشرق الأوسط في فترتي حكم الرئيسين بوش الأب وكلينتون – إن مؤيدي إسرائيل من الإنجيليين كانوا موجودين من قبل، لكنهم في الواقع لم يظهروا علناً رغم الأثر المهم من المشهد. وكانت إدارة الرئيس جورج دبليو بوش، قد أجرت اتصالات رسمية ومنظمة مع زعماء الأمريكيين الإنجيليين، أكثر من أية إدارة سابقة حلت البيت الأبيض.

لكن البيت الأبيض يسارع إلى القول إنه لا يخضع لنفوذ أي من المجموعات. تقول ذلك دانا بيرينو Dana Perino نائبة السكرتير الصحفي: إن الرئيس يتخذ قرارات وفق سياسات لصالح البلاد، تقوم على ما هو أصلح لمواطنيه. وتعد الولايات المتحدة حليفة لإسرائيل منذ إنشائها، وقد عمل الرئيس بوش بشخصية على ذلك التحالف.

> إدارة الرئيس جورج دبليو بوش قد أجرت اتصالات رسمية ومنظمة مع زعماء الأمريكيين الإنجيليين أكثر من أية إدارة سابقة حلت البيت الأبيض

عندما كانت كنيسة سان أنطونيو هي المسرح الأول الرئيسي لنشاطات جون هاجي المؤيدة لإسرائيل، كانت تسمى كنيسة كاسل هيلز Castle Hills، وكانت بركته مهمة ... عدداً ضئيلاً من المصلين ومثقلة بديون كبيرة. ولقد انضم إليها جون هاجي عام 1975 بعد أن تخلى عن كنيسته الأولى في نفس العام الذي جرى فيه طلاق غير مرتب من قبل من زوجته ... هاجي ... تتردد على الكنيسة الجديدة. ولقد أراد ... هذه الطائفة ... جون هاجي على المسرح ... الخطب النارية والدعاية.

ولد جون هاجي وهو ابن لأب مبشر ...

إسرائيل لأول مرة عام 1978، وقال إنه ذهب إلى هناك: كسائح وعاد كصهيوني. وأثناء وجوده في إسرائيل، زار جدار الحائط الغربي، وقال إنه شعر بخطر ... من قرب حقاً لم يشعر به في مكان آخر على سطح الأرض. وفي تلك اللحظة تذكر أن الرب يطلب منه أن يفعل ما بوسعه من أجل توحيد المسيحيين واليهود.

وبعد العودة إلى تكساس، قال جون هاجي، إنه انكب على دراسة مسألة استمرت زهاء ثلاث سنوات لاكتشاف الجذور اليهودية للمسيحية. وترامن ذلك مع سلسلة من الاتصالات مع الإنجيليين الأمريكيين والحكومة الإسرائيلية المنتخبة حديثاً آنذاك برئاسة مناحيم بيجين. وهو عالم توراتي وعد ... عن حق إسرائيل في الأراضي التي احتلت عام 1967. لقد عمل بيجين بجد لكسب ود الإنجيليين الأمريكيين والذين شاطرهم الاعتقاد بأن ولادة إسرائيل عام 1948 وما تبع ذلك من ... كان إنجازاً للنبوءات التوراتية.

وقال إنه التقى بيجين ثلاث مرات.

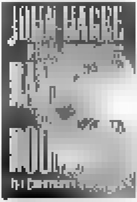
وكان هو الذي أصدر أوامره لسلاح الجو الإسرائيلي بقصف المفاعل النووي العراقي. ... جون هاجي من الانتقادات الواسعة النطاق التي تلت الضربة، ... صحيفة تصدر في سان أنطونيو والتي وصفت الهجوم على أنه عمل من أعمال ... العربية ... مؤيداً لإسرائيل.

أظهر المسيحيون المحليون في البداية مقاومة ... للفكرة ... الجالية اليهودية في سان

معلوم تماماً من الأنبياء . ولكن يوجد قدر كبير من الشكوك، يقول أرنولد شاينبرغ Arnold Scheinberg وهو حاخام أرثوذكسي شارك في الاجتماعات مع الزعماء اليهود وذلك لدراسة الرد على مشروع جون هاغي «إن كل شخص يريد أن يعرف ماذا كانت نية جون هاغي ولقد قلت لمساعدي الرئيسي فرصة وبجلاء أنشطة الحاخام شاينبرغ».

وعند الملتقى المؤيد لإسرائيل بحضور يهودي ومسيحي وبعد ما أعطى جون شاينبرغ المنصة لأداء الصلوات، حذر رجال الأمن جون هاغي بالإنذار عن وجود قنبلة ... فقال: «إن الرب قد طلب أن يجعل الحاخام يصلي ليس مثلما فعل موسى ولكن مثلما يصلي مسيحي آخر من ملائكة المدن»، لقد كان التهديد مزيفاً، ومنذ ذلك الوقت أصبح الحدث يحكي سنوياً بالرغم من أن بعض زعماء اليهود يبقون الحضور ويرفضون أي تحالف مع جون هاغي. إن كثيراً من ... يقول باري بلوك Barry Block وهو حاخام إصلاحي بارز في سان أنطونيو اتهم


باري بلوك


غلاف كتاب من دانيال إلى يوم الحساب


غلاف كتاب بداية النهاية

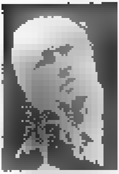
هاغي بتحويل المسلمين إلى شياطين، وبالترويج ... أعمال ... مثير للشقاق والذي يصدع الحاجز بين الكنيسة والدولة. ويشعر بعض اليهود بقلق شديد جراء تصريحات هاغي المتكررة إلى هذا ... ويتجنب جون هاغي عموماً ذكر هذه الشبهة عند الحديث مع اليهود. لكن أحد كتابيه اللذين يحملان العنوانين «بداية النهاية» Beginning of the End ومن دانيال إلى يوم الحساب From Daniel to Doomsday، مليئان بالموت والأذى. وإن مساحة المعركة سوف تعطي دولة إسرائيل، يكتب جون هاغي كتابه «القدس العد التنازلي»، ويصور في آخر أعماله جهنم من الدماء البشرية تراق من أوردة أولئك الذين اتبعوا الشيطان».

... توجه هاغي ... الصهيونية بعد ذلك إلى التلفاز ... وإسرائيل ولنفسه أيضاً. ولكن منبره الرئيسي لتحقيق ذلك هو الشبكة العالمية التبشيرية المحدودة Global Evangelism Television Inc، وهي هيئة لا تسعى لتحقيق الربح رأت النور لأول مرة عام 1979 وبدأت الشبكة ... بإعادة بث برامج لمحطات أخرى إلى المشتركين وفي الثمانينيات بدأت في بث برامجها الخاصة بها ميزة جون هاغي وهو يلقي خطبه في الشبكة المسيحية الوطنية. أما الآن فتظهر مواعظه وأحاديثه في 220 محطة ويقول إنه وصل إلى أكثر من 90 مليون منزل.

ويقول منتقدو ... الثمانينيات تم مد كنيسة سان أنطونيو لتسع العدد الكبير من المؤيدين. وفي عام 1987 انتقلت الكنيسة الرئيسة إلى الضواحي على مساحة تغطي 14 هكتاراً، بحجم زودت بقاعة تتسع لـ 5000 شخص وكذلك قاعات لتسجيل مسموع ومرئي.

وهكذا كثر ظهور هاغي وكثر معه الجدل المثار

برغم حملة ضد أحد مسارح سان انطونيو لعرضها شريط «الإغواء الأخير للمسيح» وهو شريط خيالة أنتج عام 1988 ظهر فيه المسيح في مشهد فاضح مع مريم المجدلية وعقد [illegible] السابق في البيت الأبيض أوليفر نورث وهو الآثم المصفوح عنه وكذلك المخبر [illegible] والذي يعمل بمحطة تلفزيونية تبشيرية جيمي سواغارت Swaggart Jimmy وشغل جون هاجي بحثاً في [illegible] خدمات البريد الأمريكية لعدم موافقتها على توفير رسوم بريدية مخفضة للنشرة التي يصدرها.



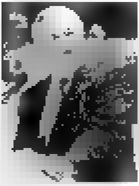
جيمي سواغارت

وأزعج هاجي الزعماء السود أيضاً فمن أجل مساعدة الطلبة السود في إيجاد فرص عمل [illegible] حملت النشرة التي تصدرها الكنيسة «كلاريون The Clarion» إعلاناً من [illegible] الرقيق حيث تم التعليق عليه [illegible] الرق في أمريكا [illegible] إلى الكنيسة الرئيسية فاعتبروا [illegible] واعتذر جون هاجي [illegible] على الضحية التي [illegible] من قبل أن يكون [illegible] سياسياً.

ثم توقف [illegible] والتي كانت متعددة الأعراق. إن [illegible] التي [illegible] وإسرائيل [illegible] وكذلك المسيح [illegible] يقود حملات التبرع لصالح إسرائيل. يقول إنه جمع [illegible] ملايين دولار لصالح المستشفيات [illegible] الأطفال وبرامج إعادة توطين اليهود الروس.

ومع زيادة بروزه [illegible] انتبه جيري فالويل Jerry Falwell رائد حقوق المسيحيين [illegible] آخر [illegible] إسرائيلي. ورغم كل ذلك فإن علاقة الرجلين قد شهدت بداية صعبة

وفي عام 1994 وصفت صحيفة ناشيونال ليبرتي جورنال National Liberty Journal وهي شهرية يصدرها جيري فالويل جون هاجي بأنه «مهرطق» لتأييده ما يسمى نظرية العهد المزدوج، وهو معتقد يقول إن لليهود والمسيحيين تعاملات منفصلة مع الرب مما يسمح للطرفين بدخول الجنة. ترى النظرة المسيحية التقليدية بأنه ينبغي على اليهود وغيرهم [illegible] المسيحيين [illegible] وإلا [illegible] في معركة هرمجدون.



جيري فالويل

وبمجرد ظهور المقال قام جيري فالويل بالتحضير للقاء جون هاجي في [illegible] وقال هذا الأخير إن الأول قد اقتنع أنه لا يؤمن بالعهد المزدوج. ويقف جيري فالويل إلى جانب مجلس توحد المسيحيين مع إسرائيل [illegible] لانتصار جورج بوش في انتخابات عام 2000 وسيطرة الحزب الجمهوري على مجلس الكونغرس الإنجيليين المسيحيين في مكان أقرب إلى السلطة أكثر من أي وقت مضى. واجتمع جون هاجي مع جورج بوش عدة مرات عندما كان حاكماً لولاية تكساس، ودعم جون هاجي مسعى بوش نحو البيت الأبيض، فكان الأقرب إلى بوش برغم وجود جمهوري [illegible] من تكساس وهو توم ديلي Tom Delay الذي [illegible] في مجلس النواب والقى خطابه المشهور في التجمع المؤيد لإسرائيل والذي نظمه جون هاجي عام 2002 في سان انطونيو.

وفي عام 2003 نشرت صحيفة سان انطونيو اكسبرس نيوز San Antonio Express News رواية مفصلة للموارد المالية لجون هاجي حيث دعم المقال


San Antonio Express News

Iraq boils, 3 years later

صحيفة سان أنطونيو اكسبريس نيوز

أنه لا توجد أخطاء. ولكن هاغي تلقى أكثر من 35 مليون دولار عام 2001 بتطوير عمله في الشبكة التلفزية العالمية التبشيرية. ومن ممتلكاته التلفزية الخاصة به ومن كنيسة كورنرستون، وتفيد الوثائق المهيأة من طرف هيئة خدمات الدخل المحلي أيضاً عن وجود وديعة جهامي والتي تضم مزرعة تربية الحيوانات تبلغ مساحتها 3000 هكتار.

ومع ذلك بالرغم أن معظم مدخراته تجنى من الربح المتأتي من بيع كتبه الإحدى والعشرين وليس من تبرعات المترددين على الكنيسة. ويعتقد أنه سوف يكسب أكثر هذه السنة إذا استمر بيع الكتب بنفس الوتيرة.

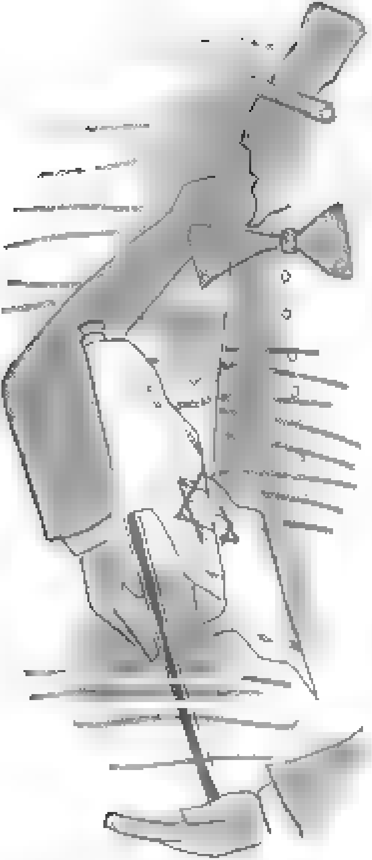
وقام بإعادة تنظيم مصادره المالية وممتلكاته وجميعها تحت الأضواء بطريقة تسمح له بتجنب الإعلان عنها على الملأ. وفي شهر سبتمبر 2004 أعيد تسمية الشبكة العالمية التبشيرية على أنها كنيسة تحت اسم "غريس تشيرش أوف سان أنطونيو" (Grace Church of San Antonio).

وبخلاف شركات القطاع وباقي المؤسسات غير الساعية للربح فإن الكنائس معفية من الإفصاح عن الكشف بالتفصيل عن مواردها المالية أمام هيئة خدمات الدخل المحلي. ثم قام بإعادة تنظيم أخرى حيث نقل من خلالها جميع الأصول إلى كنيسة كورنر ستون Cornerstone Church ولا تتوفر أية سجلات مالية للكنيسة للعموم. ويقول هاغي إن محاسبيه قد أوصوا بهذه التغييرات من أجل أعمال خيرية عظيمة.

تخلى الرئيس بوش عن مساعي الرئيس كلينتون بإعطاء دفعة قوية لإيجاد تسوية للصراع الإسرائيلي الفلسطيني، لكنه حث بريطانيا ودولاً أخرى على دعم خطة سلام بطيئة الوتيرة عرفت بخريطة الطريق. ومع تعثر مبادرات السلام الأمريكية في المنطقة، ألّف جون هاغي كتاب «القدس العد التنازلي» محذراً فيه من الخطر المحدق. ويقول: «إن خريطة الطريق تخرق بوضوح كلمة الرب، ولا يمكن أن توقف الحرب المسيحية القادمة في الشرق الأوسط والتي ستغمر العالم حول هرمجدون».


جون هاغي

وجد أيضاً هاغي بعض حلفاء المسيحيين ليعملوا من أجل إسرائيل على عمل أن يتم دمج أغلب المجموعات المسيحية المؤيدة لإسرائيل في المنظومة الوطنية. كما قام بالاتصال بجيري فالويل الذي قال بدوره إنه أعطى تأييده في الحال. ومن ديفيد بروغ David Brog وهو



محام شهير في إسرائيل وفي الكونجرس ولقد أشاد به رئيس وزراء إسرائيل السابق إيهود باراك كمدير تنفيذي للهيئة الجديدة.

ويظهر ملامح خطط جون هاجي شكلت لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية AIPAC وهي الهيئة المؤيدة لإسرائيل وحدة استشارية تعمل للتأثير على الأنشطة المؤيدة لإسرائيل مع المسيحيين وبقية الطوائف. ولقد عين هاجي ابن الوحدة أحد أصدقاء سان أنطونيو الذي كان في السابق من رواد كنيسة جون هاجي، وهو محامي أرلوفسكي يهتم أحد المؤيدين المتحمسين لجون هاجي. عقدت جمعية توحد المسيحيين من أجل إسرائيل أول اجتماعاتها في سان أنطونيو في شهر فبراير وبدأت على الفور في تنظيم المؤتمر في واشنطن، ومن أجل استغلال التأييد ونزع التشكيك في بعض الجماعات ودوافعه. سافر هاجي عبر البلاد عاقداً اجتماعات مع المسيحيين وزعماء اليهود. وقد انتاب بعض اليهود قلق من أن المسيحيين الصهاينة يريدون استمالة اليهود إلى المسيحية وهو التحيز الذي كان دائماً يرفضه جون هاجي.

ومع ذلك يقول إن القتال الدائر بين إسرائيل وحزب الله يظهر أنه لا ينبغي على إسرائيل أن تتخلى عن أرض بحثاً عن السلام وأن المسيحيين واليهود على جبهة واحدة.

إن كان الرب يرفض التخلي عن الأرض، وإذا كانت الفكرة غير ذات جدوى تأتي بصلة أخرى ويقول متوسماً: لا تتنازلوا عن الأرض لأنها تخصكم، إنها ميراث الرب لكم.

المزمار مخرجا صوتيا

د. خالد العيساوي *

يذهب [illegible] البحث في هذه السطور القليلة إلى تحديد معنى المخرج، وصولاً إلى معرفة ما إذا كان للسان المزمار أثر في إنتاج صوت من أصوات العربية أو لا. ذلك أن الناظر في كتب التراث العربي المتعرض منها للصوت اللغوي بالدراسة يكاد لا يرى صوتاً منسوباً من حيث المخرج للسان المزمار، وهو ما يطرح الاستغراب والدهشة وإن كان بعض الدارسين المحدثين ينسب الهمزة إلى هذا العضو النطقي، وفي رأيي فإن في هذا [illegible] بعضو ذي أهمية بالغة في إنتاج بعض أصوات اللغة.

وقبل أن نقرر ما لهذا العضو من أهمية، يجدر بنا تحديد المراد بمصطلح مخرج. فالمخرج هو مكان خروج الصوت، هذا من حيث اللغة. أما من حيث الاصطلاح فقد عرفه ابن الجزري [illegible] بقوله: «هي مقاطع تعرض للصوت الخارج مع النفس ممتداً مستطيلاً فتمنعه عن اتصاله بمادته، فيسمى عرض ذلك المقطع حرفاً، ويسمى ما يسامته ويحاذيه من الحلق والفم والشفتين مخرجاً»[1]. ويعرف بعضهم المخرج بأنه: «موضع [illegible] فيه الهواء أو يضيق مجراه عند النطق بالصوت»[2].

وإذا ما وضعنا ذلك نصب أعيننا ومضينا نراقب ما يضطلع به لسان المزمار من دور في عملية النطق وجدنا أن هذا العضو سبب في إنتاج صوتين لغويين، بحيث يمكننا مع شيء من الطمأنينة أن نقرر أن مخرج هذين الصوتين هو لسان المزمار، الأمر الذي يكاد لا يراه أحد من القدامى، وإن كنا نرى جزءاً منه عند بعض المحدثين. [illegible] تفسير ذلك:

[illegible] الهمزة: عند غالب القدامى ممن عنوا بالدرس الصوتي، صوت يخرج من أقصى الحلق. ويكفي أن نراجع القصيدة الجزرية في علم التجويد لنجد ذلك البيت الذي يقول:

[illegible] لأقصى الحلق همز هاء [illegible]

[illegible]

وقد عدّ ابن يعيش مخرجها وهو يتحدث عن حروف الحلق فقال: «وهي [illegible] في الحلق ثلاثة مخارج:

فأقصاها من أسفله [illegible] يلي الصدر مخرج الهمزة»[3] كما يحسب الكثير من المحدثين الهمزة

* أستاذ جامعي - ليبيا

1. التمهيد في علم التجويد لابن الجزري، تحقيق الدكتور غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، ط. [illegible] السنة [illegible] ص [illegible]
2. مصطلحات في علم اللغة والأصوات، مجلة مجمع اللغة العربية، ج [illegible] القاهرة [illegible]
3. شرح المفصل لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، الطبعة [illegible] ج [illegible] القاهرة [illegible]

إلى المجهورة يقول الدكتور تمام حسان: «الهمزة صوت حنجري...»[4]

وما نرجحه هو أن الهمزة تنسب مخرجاً إلى لسان المزمار، ذلك أن هذا العضو النطقي ينطبق منه بشكل تام ما يشكل حاجزاً يمنع الهواء معه من الخروج، وقد سبق أن [illegible] من خلال تعريف ابن الجزري للمخرج بأنه هو المكان الذي يحصل عنده للهواء الخارج من الرئتين ما يمنع خروجه، إما بشكل كلي وإما بشكل جزئي، وهو ما يحدث مع الهمزة عند غلق المزمار مصحوباً [illegible] وحيث نسبة الهمزة إليه، وقد ذهب إلى ذلك الدكتور أنيس حين قال: «أما مخرج الهمزة المحققة فهو من المزمار نفسه، إذ عند النطق بالهمزة تنطبق فتحة المزمار انطباقاً تاماً فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق، ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة، فيسمع صوت انفجاري هو ما نعبر عنه بالهمزة»[5]

وذهب الشيخ الرئيس من قبل إلى مثل هذا، فقال متحدثاً عن مخرج الهمزة: «أما الهمزة فإنها تحدث من حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير ومقاومة الطرجهالي الحاصر زمناً قليلاً لحصر الهواء، ثم اندفاعه إلى الانقلاع بالعضل الفاتحة وضغط الهواء معاً»[6] والطرجهالي هذا الذي يشير إليه ابن سينا، والذي يمنع الهواء من الخروج عند نطق الهمزة، ثم ينقلع فجأة، هو ذلك العضو الذي يسميه المحدثون لسان المزمار، فابن سينا إذن كان من أوائل القدامى الذين ينسبون الهمزة إلى المزمار كما فعل بعض محدثي اليوم، إن لم يكن أوسعهم.

وإذا ما تقرر ذلك فإنه أمكن لنا القول أن يقول إن [illegible] طالب القيسي وأكثر المحدثين جانبوا الصواب وهم يحسبون الهمزة من الحلق وهي الحنجرة، غير أنه سبقنا نقد هذا الرأي في الفرعين بعده. وإنما نشير إلى أن القدامى والمحدثين اختلفوا في المصطلح، فالحلق عند القدامى يعني ما يشمل الحنجرة، وعنده يحوي لسان المزمار، ويؤكد ذلك عندي أن مكي بن أبي طالب يقول وهو يتحدث عن مخرج الهمزة: «وهي تخرج من أول مخارج الحلق من آخر الحلق مما يلي الصدر»[7]. فإذا ما علمت أن الحلق عند المحدثين هو الفجوة المحصورة بين التجويف الأنفي والحنجرة[8] وأن الحنجرة هي التي تقع في أسفل الفراغ الحلقي وتكون الجزء الأعلى من القصبة الهوائية[9] فهمنا أن المقصود من قول مكي «آخر الحلق مما يلي الصدر» يطابق تماماً ما يقصد به المحدثون الحنجرة. وقد شعر بهذا الدكتور بشر فقال: «يقرر هؤلاء -أي القدامى من علماء الأصوات- أن الهمزة تخرج من أقصى الحلق... ويمكن التوفيق بينهم وهذا بالتراضي واحد، هو أنهم ربما أطلقوا الحلق على منطقة واسعة تشمل فيما تشمل الحنجرة وغيرها، وتكون الحنجرة حينئذ هي المقصودة بأقصى الحلق»[10]

2- يتحدث القدامى والمحدثون عن مخرج النون فيجعلونه من طرف اللسان مع ما يحاذيه من أعلى الحنك، يقول الداني: «والنون من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا العليا»[11]. ويقول الدكتور بشر: «تنطق النون بأن يعتمد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثة»[12] وهو ما نتفق فيه مع الفريقين، بيد أنهم يحسبون صوت الغنة إلى الخياشيم فيجعلون [illegible] المخرج السادس عشر مخرج النون، وهو

4- مصطلح الصوت في اللغة [illegible] ص 15
5- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الخامسة، سنة 1975، ص 90
6- [illegible] الطبعة [illegible] 1976، ص 18
7- الرعاية لتجويد القراءة، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق الدكتور [illegible] ص 140
8- الأصوات العربية [illegible] عبد الحميد عبد الفتاح [illegible] منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، الطبعة الأولى، سنة 1992، ص 81
9- علم اللغة العام - الأصوات، للدكتور كمال بشر [illegible] الطبعة [illegible] سنة 1980، ص 94
10- علم اللغة العام - الأصوات، ص 88
11- التحديد في الإتقان والتجويد، ص 103
12- علم اللغة العام - الأصوات، ص 146

يخرج من الخياشيم خالصاً[13] ويقول مكي وللغنة صوت يخرج من الخياشيم والحرف الذي فيه الغنة، إن كان ميماً فمن بين الشفتين يخرج، وإن كان نوناً، فمن طرف اللسان وأطراف الثنايا يخرج، [illegible] الغنة [illegible] الصوت واحد [illegible] بصحبة ضرورية ويقوى في المثلة[14]، ويقول ابن الجزري في مقدمته[15]:

للشفتين الواو باء ميم وغنة مخرجها الخيشوم

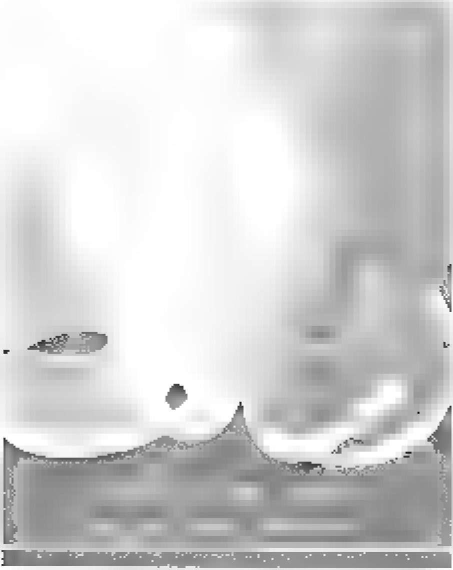
فإذا جعلنا في الخيشوم فمن مخرج الغنة، وإن المخرج هو [illegible] المزمار إذ أنه هو المخرج الذي يقوم [illegible] مجرى الهواء [illegible] الأنف [illegible] ولا يُسمع له [illegible] إلا بعد [illegible] وكان قد تبين لنا من قبل أن المخرج هو الموضع الذي يتحبس أو يضيق عنده الهواء، والخياشيم لا يحدث عندها شيء من ذلك، وما جعل القدامى والمحدثين يحسبون الغنة للخياشيم هو انتشار صدى صوت الغنة في الخيشوم، إذ هي صوت ثني وليست صوتاً فموياً، وفي هذا [illegible] فهي [illegible] في [illegible] مثلاً إلى التجويف الفموي وإن كان صداها ينتشر في الفم كله، وما يحدث مع الغنة هو أنها تخرج من فتحة المزمار الذي يسد الطريق أمام الهواء المنبعث من الرئتين، ثم إن صدى هذا الصوت ينتشر في الخيشوم فيتوهم السامع أن الخياشيم هي مخرج الصوت. [illegible] إلى مكي بن أبي طالب وهو يقول موضحاً صحة ذلك: أي صحة خروج الغنة من الخيشوم أنك لو قطعت السمك بالسين المخفية أو النونين، وأمسكت أنفك لم يمكن خروج الغنة التي في النون وعرفت النون بغير غنة، مع تغير الصوت بالنون عند عدم الغنة، فتبين ذلك على أن مخرج الغنة من الخيشوم[16] وما أذهب إليه هو أن الصوت ينتج عند

التقاء الأعضاء [illegible] لا يعني كونه في تجويف الأنف، فالصوت الموسيقي عند العزف على آلة العود يتكون ويولد عند ملامسة أحد الأوتار، ثم إن صدى هذا الصوت ينتشر في تجويف صندوق آلة العود، وهذا لا يعني خروجه من تلك الصندوق.

وقد أجاد ابن جني حين شبه الصوت الفموي بالصوت الخارج من الناي، وتشبه [illegible] النطق بالأماكن التي يضع عليها العازف أصابعه لتكوين صوت ما في جهاز النطق فهذا شبيه بآلة الناي صوت فالهواء يجري في كل من جهاز النطق والناي مستطيلاً مساماً، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة وراوح بين عمله اختلفت الأصوات، وسمع لكل خرق منها صوتاً لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة[17]

وبعد هذا يتراءى لنا أن [illegible] المزمار هو أحد أعضاء النطق إذ منه تخرج الهمزة وكذا الغنة [illegible] نون يشغله شيء معه بحسب أنه ذو أهمية، فالنون وإن اختلف مخرجها عن مخرج الغنة فإن هذا لا يعني بطلاقاً أن الصوتين مختلفين فهما صوت واحد، ذلك أنه إذا نظرنا إلى مبدأ الصوت من خلال نظرية الفونيم، وجدنا أنه يقوم بذات الوظيفة، فكلمة مثل [illegible] [illegible] الدلالة سواء نطقت النون من طرف اللسان ثم أخرجناها من فتحة المزمار، بيد أنها مخفية يكون نطقها السليم من المزمار ومظهرة كما في (أن) يكون نطقها السليم من طرف اللسان، ومن هنا أمكن القول أن صوت النون ثنائي المخرج، وهو ما جعلني أورد مخرج النون الأصلي قبل إيراد مخرج النون الخفية (الغنة) في سير حديثي، والله وحده ولي التوفيق.

13. التعريف في الإتقان [illegible] التجويد ص 104
14. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، سوريا، الطبعة [illegible] السنة [illegible] ج [illegible] ص [illegible]
15. في البيتين المستشهد بهما انظر [illegible] المقدمة الجزرية المسمى [illegible] للشيخ [illegible] تعليق عبد السلام [illegible] الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، السنة 1996 ص 61
16. الرعاية ص [illegible]
17. سر الصناعة لأبي الفتح بن جني، تحقيق الدكتور حسن هنداوي [illegible] القلم، دمشق، الطبعة الأولى، السنة 1985 ج 1 ص [illegible]

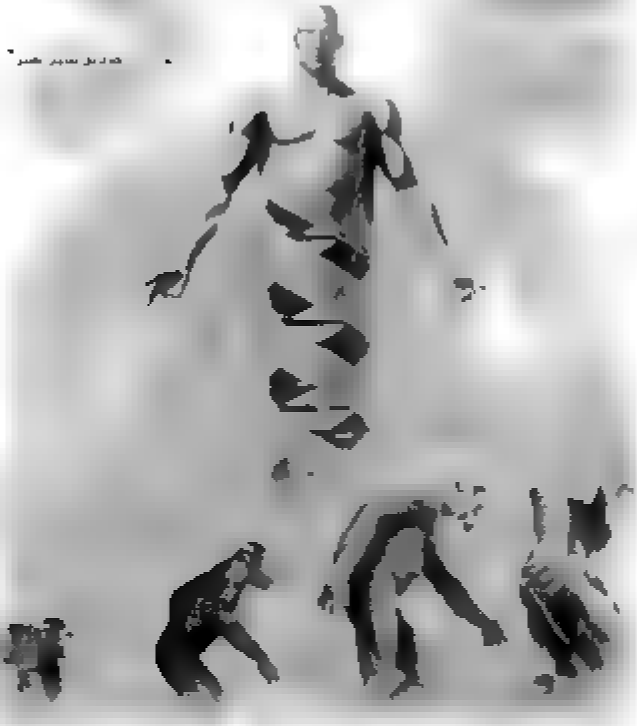


- أسس الإيمان بين الخلق والتطور (الجذور التاريخية)
- المناخ الإلحادي في أوروبا في القرن التاسع عشر بيئة للداروينية
- الجانب الإلحادي في نظرية التطور
- الداروينية من العلم إلى الأيديولوجيا
- أعمدة التطور الثلاثة
- النزعة الإلحادية عند التطوريين المعاصرين
- قوانين التطور عند داروين
- معضلة الحفريات والمتحجرات في نظرية التطور
- داروينيون جدد يعترفون بضعف الداروينية
- بطلان قانون المصادفة
- من أخطاء منظومة التطور الحديثة
- نظرية التصميم الذكي
- المواجهة الفكرية بين نظرية التطور ونظرية التصميم الذكي
- نظرية التطور والتصميم الذكي في الرسوم الساخرة
- نظرية التطور في الفكر العربي المعاصر
- لقاء مع د. هارون يحيى

داروين يموت مرة أخرى..

التصميم الذكي يعصف بالداروينية

د. عادل سمير عمر*



* باحث وأستاذ جامعي - ليبيا

أصل الإنسان بين الخلق والتطور



تنازع القول في أصل الخليقة مدرستان: مدرسة القائلين بالخلق المستقل، ومدرسة القائلين بأن النشأة الأولى للإنسان تمت بفعل التطور ونواميس الطبيعة.

ومدرسة الخلق المستقل موغلة في القدم حيث ابتدأت مع المعارف الإنسانية الأولى وانتهت بالرسالات السماوية.

* الجذور التاريخية لمدرسة الخلق

لقد ذكرت قصة الخلق في الأساطير القديمة حيث ورد ذكرها بصور مختلفة عند الفراعنة والسومريين والبابليين والكنعانيين والهندوس كما نجد شيئاً من ذلك في عقيدة (الشنتو) اليابانية والزرادشتية.

جاء في تسابيح فرعونية وُجدت في مقابر تل العمارنة تمجد نور الله الشمس:

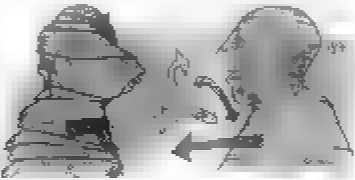
"أنت الذي تعطي الروح لمن تخلقه حتى تحييه أنت تخلق ملايين الكائنات منك وحدك" (أدولف إرمان: ديانة مصر القديمة ص 121)

وقد جاء في نشيد لأخناتون (أمنحوتب الرابع):

"أنت الإله الأحد لا شريك لك في الملك، خلقت الأرض بإرادتك وأنت كنت وحيداً في هذا الكون، خلقت الإنسان والحيوان، الكبير والصغير منها"

وفي أسطورة خلق الإنسان السومرية، التي يعدها أكثر الباحثين أول أسطورة معروفة عن الإنسان، تصوير صريح لخلق البشر من طين، حيث يخاطب الإله (إنكي) أمه (نمو):

إنّ الكائنات التي قررت خلقها ستظهر للوجود
وسوف نعلق عليها صورة الآلهة
امزجي حفنة طين من فوق مياه الأعماق
وسيقوم الصناع الإلهيون المهرة بتكثيف الطين وعجنه
ثم كوّني أنت له أعضاءه.



وجاء في اللوح السادس من ملحمة التكوين البابلية المعروفة باسم الاينوما إيليش

فلما انتهى مردوخ من سماع حديث الآلهة

عزم على خلق مبدع

فاسر لإيا بما يعتمل في نفسه

واطلعه على ما عقد عليه العزم

سأخلق دماً وعظاماً

منها سأشكل اللولو وسيكون اسمه الإنسان

نعم سوف أخلق اللولو الإنسان،

كما ورد في نص بابلي آخر مكتوب على لوح عثر عليه في أنقاض مكتبة آشور قصة خلق آدم وحوا جاء في هذا النص

عندما خلق الآلهة في مجمعهم كل الأشياء

كونوا السماء وشكلوا الأرض

وأخرجوا للوجود المخلوقات الحية

قام آنو بخلق جنس خاص

عاليا من شأنهم فوق جميع المخلوقات



شكل: الخلق عند البابليين

* الجذور التاريخية و الفلسفية لنظرية التطور

التطور عند اليونانيين

ترجع الجذور التاريخية لنظرية التطور الى عهود سحيقة الى ما قبل الميلاد الأول ميلاد وقد ارتبطت باسم الفيلسوف اليوناني هيراقليطس Heraclitus الذي لم تتبقى من آثاره إلا بعض النصوص التي حفظها لنا الفلاسفة بعده في ثنايا كتبهم، وقد خالف هيراقليطس مع طاليس وانكسمانس وفيثاغورس في طبيعة المادة



هيراقليطس - لوحة يوهانس موريلس

وقد قال هيراقليطس القول بالتغير وعدم الثبات والكثرة معارضة حقيقية لمذهب الإيليين الذي يقول بالوجود الثابت والقول بالوحدة. فالوجود عند هيراقليطس في حالة حركة دائمة

وهي التي عبر عنها بقوله المشهور

«كل شيء يتحرك، لا شيء يتوقف، فأنت لست أنت قبل ساعة، ولا أنت أنت بعد ساعة. كالنهر الذي يجري أمامك ليس هو نفسه الذي رأيته أمس، ولا هو نفسه الذي ستراه غدا. وهو صاحب المقولة الشهيرة: لا يستحم المرء في نهر واحد مرتين»

وقد عُرف هيراقليطس بأنه أحد أوائل فلاسفة الديالكتيك لقوله بكلية التغير والتطور عبر التناقض الداخلي للأشياء، وهو القائل بأن النار أصل الأشياء، في مقابل الأيوني طاليس أن الماء أصل الأشياء

وقد فسرت آراء هيراقليطس بشكل دعوة لفكرة الارتقاء فهو لم يقل بالتطور Evolution ولكنه قال بالتغير Change وهما مصطلحان متغايران، فالتغير من حال إلى حال لا يعني التطور كما يتحول الماء وهو

مادة سائلة إلى ثلج وهو مادة صلبة بفعل البرودة، ويتحول الثلج وهو حالة صلبة إلى ماء بفعل التسخين، ويتحول الماء إلى بخار وهو حالة غازية بفعل التسخين، ثم يعود البخار ماء بفعل التكثيف، كل هذا يتم في حال المادة وليس تطور لها.

وتنسب فكرة تطور الكائنات الحية إلى عهد الإغريق بمجرد حدس ضعيف، ولم يتحدث عن تطور الكائنات الحية من فلاسفة اليونان إلا أنكسيماندر Anaximander الذي يزعم أن الإنسان نشأ عن سلالة تشبه السمك وهذا الحدس حاول أن يبرهن عليه البيولوجيون علماء الأحياء بعد نحو ألفين وخمسمائة سنة من حدسه.

وقال أمبيدوقليس Empedocles أهم فيلسوف يوناني حتى أن يضع صورة لتطور الكائنات الحية البشرية والحيوانية إلا أنها صورة خيالية بعيدة كل البعد عن التفكير العلمي حيث يزعم أن الأجسام البشرية والحيوانية ظهرت في أول الأمر وكأنها أعضاء منفصلة: الرأس والذراع والجذع ثم تجمعت تلك الأعضاء بالصدفة بعد أن تلتقي كي تشكل هذه الأجسام المعروفة.

• التطور عند الرومان

لقد ظهر من بين فلاسفة الرومان من ينحى إلى إمبيدوقليس فذهب مذهبه لوكريتيوس Lucretius في نزعة الصدفة، وهذا المذهب يشبه تماما بعض شارحي العلم الحديث الذين أسرفوا في استخدام قياس التمثيل analogy أو التشابه الجزئي لكي يثبتوا مبدأ الانتخاب الطبيعي.

• التطور عند الآباء الكنسيين

كان من بين آباء الكنيسة Church Fathers القائلين بالتطور القديس أوغسطين Augustine الذي قام بتأويل قصة الخلق التي وردت في سفر التكوين من كتاب العهد القديم بإعتبارها قصة رمزية وتبنى القول بأن المخلوقات التي وجدت في البدء يمكن أن تكون بذورا للتطور.

وفي القرون الوسطى لم يبحث علماء اللاهوت المسيحي فكرة تحول المخلوقات إلى غيرها عبر عمليات طبيعية ولكن حدث أن نبه إلى شيء من ذلك بعض الآباء مثل ألبرتوس ماجنوس Albertus Magnus وتلميذه توماس الأكويني Thomas Aquinas وكان هذا الأخير يرى أن نشأة المخلوقات الحية مثل الديدان Maggots والذباب Flies من مادة غير حية مثل اللحم المتعفن لا يتنافى مع العقيدة المسيحية أو الفلسفة ولكنه ترك حسم هذه المسألة للعلماء.


توما الأكويني

• التطور عند المسلمين

عرف المسلمون تطور الكائنات قبل تشارلز داروين بنحو خمسة قرون بسبب تأثر فلاسفة المسلمين بالفلسفة اليونانية.

ورد في مقدمة ابن خلدون مبحث تفسير حقيقة النبوة ص 67 طبعة دار الكتاب اللبناني.

ثم انظر إلى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدريج. آخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش وما لا بذر له، وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف ولم يوجد لهما إلا قوة اللمس فقط، ومعنى الاتصال في هذه

المكوّنات إن آخر أفق منها متصل بالاستعداد القريب الذي يصير أول أفق الذي بعده وأتمّ ما تمّ الحصول، وتعدُّد أنواعه. وانتهى في تدريج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر والرؤية ترتفع إليه من عالم القردة الذي اجتمع فيه الحس والإدراك، ولم ينته إلى الرؤية والفكر بالفعل وكان ذلك أول أفق من الإنسان بعده وهذا غاية شهودنا.

وقد تكرر ذلك منه في الباب السادس الفصل الرابع عشر (في علوم الأنبياء).

فقد تقدم لنا الكلام في فوحي أول الكتاب على فحص المدركين للترتيب وبيّنا عبارات أن الوجود كله في عوالمه البسيطة والمركبة على تركيب طبيعي من أعلاها وأسفلها متصلة كلها اتصالاً لا ينخرم. وأن الذوات التي في آخر كل أفق من العوالم مستعدة لأن تنقلب إلى الذات التي تجاورها من الأسفل والأعلى استعداداً طبيعياً كما في العناصر الجسمانية البسيطة، وكما في النخل والكرم من آخر أفق النبات مع الحلزون والصدف من أفق الحيوان، وكما في القردة التي استجمع فيها الكيس والإدراك مع الإنسان صاحب الفكر والروية، وهذا الاستعداد الذي في جانب كل أفق من العوالم هو معنى الاتصال فيها.

وجاء في كتاب (البدء والتاريخ) المنسوب إلى أبي زيد أحمد بن سهل البلخي وقيل إنه لمطهر بن طاهر المقدسي (2: 75)، عند كلامه عن ظهور آدم مستعرضاً الخلاف الفلاسفة في تولّد الحيوانات:

فهذا جملة قولهم في ظهور الحيوانات، وآدم حيوان. فعند بعضهم أن آدم تولّد من رطوبة الأرض كما يتولّد سائر الهوام، وكان جثة كجثة السمك ثم نما أتى الزمن عليه حتى وسقط عنه وعند ... ثم يظهر بكماليه وأنه ظهر شيئاً بعد شيء ثم تركّب والتصق على مرور الزمان وصار إنساناً تاماً.

وتعد مقدمة الشيخ الشهرزاني (ت 1150 هـ) أكثر من تكلم عن تطور الأجناس في السفر الثاني من كتابه (الأسفار الأربعة)، حيث يذهب إلى ترقي الأجناس من الخسيس إلى النفيس، وإن كان كلامه هذا هو نتيج لآراء أخوان الصفاء كما ورد في رسائلهم.

● قصة الخلق في العهد القديم

جاء في كتاب العهد القديم (الإصحاح الثاني من سفر التكوين):

«وجبل الربُّ الإلهُ آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حيّة. وغرس الربُّ الإله جنة في عدن شرقاً ووضع هناك آدم الذي جبله».

لقد وردت قصة الخلق الإنساني في التوراة بشكل مقتضب جداً على خلاف قصة خلق الكون.

● قصة الخلق في القرآن الكريم

لا تختلف قصة الخلق في القرآن عنها في سفر التكوين من حيث إن مادة الخلق هي الطين، وإن الخالق هو الله. يقول الباري سبحانه وتعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ (سورة الحجر الآية: 26)

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ (سورة الحجر الآية: 28)

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ (سورة الأنعام الآية: 2)

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ (سورة المؤمنون الآية: 12)

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ (سورة السجدة الآية: 7)

المناخ الإلحادي في أوروبا في القرن الثامن عشر يمهد لمذهب التطور

كانت أوروبا في القرن السابع عشر تعج بالشكاك حتى بعدوا عن الملة، وكان الصراع بين من يُسمّون بالمفكرين المتحررين والكنيسة على أشده. وقد ترك الفيلسوف اليهودي باروخ سبينوزا Baruch Spinoza (1632-1677) أثرًا على فلاسفة القرن الثامن عشر وعلى رأسهم فولتير الذي علق على سبينوزا بأن العهدين القديم والجديد شيئًا جديرًا[1] بالاحترام وهو الأخلاق ... من رواياته من قصص وأمور غيبية ليست قابلة للتصديق، وهناك جمل لفولتير يقول: الأخلاق صادرة عن الإله لأنها متشابهة في كل مكان، والعقائد صادرة عن البشر ولذلك فهي متفاوتة في كل مكان، وهي مدعاةٌ للسخرية.

لقد أمعن فولتير في الاستخفاف بالله ... حتى إنه وصف القرآن بقوله: إن القرآن لا يوحي بأنه كتاب أوحاه الله، بل لا يوحي بأنه كتاب وضعه مفكر حاذق في مكان من أمكنة الشرق. يقول هندريك كريسون في كتابه تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطى حتى العصر الحديث: من ذا الذي يهتم حقًا بالهجوم ... هذه الحكيمة التي ... به الفيلسوف الوضعي أوجست كونت ... فلاسفة القرن الثامن عشر، فلا ينبغي أن نهدم المعتقدات الدينية التقليدية، بل يجب أن نستبدل شيئًا آخر بها، فماذا نضع محلها؟ لقد تفرقوا مختلفين في الإجابة، فبعضهم أمثال فولتير وروسو اعتقد العقل ... على عرش كل ديانة يشركها، فإنه يُسوّغ وجود ديانة طبيعية، وذهب آخرون أمثال ديدرو ودولباخ وغيرهم إلى أن الإلحاد التام هو البعد الوحيد للعقلاني حقًا.



تولاند

ولعل فكر دولباخ الإلحادي هو الأكثر تأثيرًا في فلاسفة القرن الثامن عشر، ومنهم انتشرت أفكار فلاسفة القرن الثامن عشر وفلاسفة عصر التنوير الماديين ولا سيما أن التطوريين Evolutionists وجدوا في هذا الفكر ما يدعمهم.

وقد كان دولباخ (1723-1789) فيلسوف ألماني عاش في باريس، تأثيرًا[1] كبيرًا في فلاسفة التنوير، وقد ذهب إلى القول بأن المادة متحركة بذاتها، وأن كل شيء يفسر بالمادة والحركة، وأنهما لا يحتاجان إلى خالق، وأنها تخضع لقوانين ضرورية، وليس العالم محكومًا للمصادفة، وليس مُدبَّرًا بإله، وكل الأدلة على وجود الله مرفوضة، ولا غائية في الطبيعة، وليست الحياة مسوغة بالرؤية ولا العدم يعني شيئًا، ولكنّ معنى الرؤية تتجلى لاجتماع أجزاء مادة.

وفي أحد نصوص محاكمة دولباخ التي كتبها يقدمه يخلص إلى أن كلمة الله وكلمة خلود، تفشل في الذهن أي فكرة حقيقية، ولذلك يجب حذف هاتين الكلمتين من اللغة، وهذا يفسر بجلاء سهولة أتباع نظرية التطور ولا سيما الداروينية محببة.

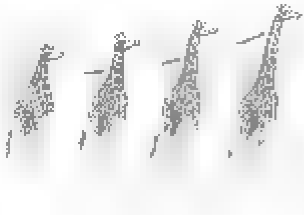
الجانب الإلحادي في نظرية التطور

لم تكن فكرة نظرية التطور جديدة، فقد سبق القول بتطور الأجناس ونشأتها بفعل التولّد الذاتي، بل تعدت ذلك إلى القول بنفي الخالق، وهو ما يروج له ... والفلاسفة الملاحدة لا يزالون يتمسكون بأنهم وجدوا في هذه النظرية ضالتهم. ولم يكن داروين الذي عُرفت النظرية باسمه ... في أول أمره.



جان باتيست لامارك

ويعد جان باتيست لامارك Jean Baptiste Lamarck (1744 – 1829) من أوائل القائلين بالتطور قبل داروين، درس في أول حياته علم اللاهوت ولم يكمل ذلك، والتحق بالجيش الفرنسي وخاض معه حرب السنين السبع ضد الألمان.



زرافة لامارك

وانتهى إلى نهاية ملائمة، ثم شرع فيه بسبب مرضه فالتحق بكلية الطب ولم يستمر فيها طويلاً وتركها لدراسة علم النبات وبرع في الطبيعيات وصار له شأن في علم الحيوان، وفي عام 1809 أصدر كتابه (فلسفة الحيوان)، وشرح فيه مذهبه في التطور والارتقاء، ويتلخص مذهبه في التطور أن الحياة الأولى تولّدت من الماء تولداً ذاتياً ومن غير تدبير من مدبر أو صانع.

ومذهب لامارك يقوم على مبدأين: قانون الإهمال والاستعمال، وقانون وراثة الصفات المكتسبة. والقانون الأول يزعم لامارك أن أعضاء الكائن الحيّ تضمحل بالإهمال حتى تختفي، وتنمو بالاستعمال حتى تشتدّ. والقانون الثاني تُورث الصفات المكتسبة.

ويزعم أن عنق الزرافة استطال بسبب ملاحقتها لأوراق الأشجار العالية. وقد ... ولو صحّ لطالت أعناق الناس والجواميس والوعول، لكنّ هذا لم يحدث أبداً.

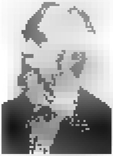
ولو صح أن الصفات المكتسبة تُورَّث كالموروثة لجاء ابن الحداد مفتول العضلات قويّ الساعد.

وجاءت قوانين مندل Gregor Mendel في الوراثة لتوجه أكبر صفعة إلى نظرية التطور. ومن أكبر المنظرين لنظرية التطور والداعين إليها بعد داروين العالم الألماني إرنست هيكل



جريجور مندل

هيكل Ernst Heinrich Haeckel (1834 - 1919) معاصر بالإلحاد وقد صنف هيكل أكثر من تصنيف في مسألة التطور كان من أهمها وأخطرها: نشوء الإنسان، و أصل الخلق، و تاريخ الخليقة، وألغاز الكون [illegible] الأخيرة، وكان قد التقى مع داروين في سنة 1866.



إرنست هيكل

يعتبر هيكل أن الخلق سلسلة من المادة ومادة مؤلفة من الذرات وأن هذه المادة ظهر كل ما في الكون من جماد ونبات وحيوان وحركة العالم هي حركة تطور دائم يبتدئ من أبسط الذرات وينتهي إلى أرقى الكائنات، فهذه الكائنات كلها حيها وجمادها تتألف من عناصر واحدة، لا فرق في ذلك بين حي وغير حي، لأن عناصر المواد العضوية موجودة بذاتها في المواد غير العضوية، وأن بالإمكان تحضير بعض مركبات عضوية بطريقة صناعية.

وعلى هذا الأساس يقول هيكل إن أبسط أنواع الحيوان نشأت من مادة غير حية بطريق التولد الذاتي.



لودفيج بوخنر

ومن غلاة علماء الطبيعة الملاحدة الذين أفنوا عمرهم في نصرة المادية العالم الألماني لودفيج بوخنر Ludwig Büchner (1824 - 1899) وقد اتهم بوخنر داروين بأنه لم يكن صريحاً في نفي الخالق لأنه في نظره كان يداهن رجال الدين والكنيسة.

وقد عرفه العرب بعد نشر كتابه "القوة والمادة" الذي ترجمه د. شبلي شميل إلى العربية تحت عنوان "شرح بخنر على مذهب داروين".

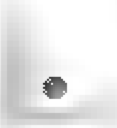
ومن أعلام المذهب التطوري الذين لا غنى عنه وهو أكثرهم تعصباً وجهاداً توماس هكسلي Thomas Huxley (1825 - 1895).



توماس هكسلي

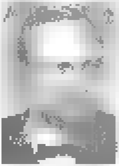
وقد صنف كتابه الشهير في العالم من الداروينية الذي يحمل عنوان "مكانة الإنسان في الطبيعة" سنة 1863.

ولفرط تعصبه أطلق على نفسه لقب "كلب حراسة داروين"، وهو صاحب العبارة الشهيرة التي ألقاها في جمع مؤتمر تقدم العلوم البريطاني بمدينة أكسفورد حينما سأله أسقف أكسفورد (هو يتحدث السيد هكسلي) بأن يخبره هل كان القرد جداً لأبيه أم لأمه؟ فأجاب هكسلي:

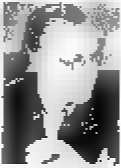


غلاف كتاب
توماس هكسلي

ولن يكون العار أن يكون القرد جدي لفضي علمي من أن يكون جدي أسقفاً مظلماً. وهو أيضاً صاحب أشهر كذبة إذ زعم اكتشاف سر التولد الذاتي في مادة هلامية وجدها بعضهم في قاع البحر، فأسرع هكسلي وقال إنها بروتوبلازما، ثم اتضح أنها مجرد مادة كيميائية بلا حياة، ولم يجد هكسلي إلا أن يصرح بذلك في غاية لقيام مؤتمر علمي انعقد في مدينة شيفيلد في سنة 1879، وفيه على هكسلي نفسه لأنه كان سبباً في تضليل الكثيرين ممن اعتمدوا على شهرته لتأييد فكرة التولد الذاتي وهي أحد المبادئ التي قامت عليها نظرية داروين.


أوبارين

وفي روسيا كان هناك من يدعو إلى نظرية التطور بمذهب الإلحادي، منهم الكسندر إيفانوفيتش أوبارين Aleksander Ivanovich Oparin (1894 - 1980) الذي زعم أن الإنسان بمقدوره أن يصنع إنساناً كاملاً حياً عن طريق مزج عناصر مخصوصة بأوزان محددة تتفاعل بذاتها تفاعلاً كيماوياً وبيولوجياً كما حدث - برأيه - عند ظهور الحياة الأولى منذ ملايين السنين. ولما سئل عن امكانية القيام بذلك اليوم، فأجاب مستطرداً: يمكن ذلك ولكن في غير كوكب الأرض.

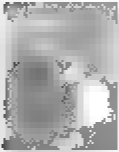

جوليان هكسلي

ومن معاصري نظرية التطور أيضاً العالم الإنجليزي جوليان هكسلي Julian Huxley (1887 - [illegible]) حفيد توماس هكسلي.

كان هكسلي في أول حياته العلمية مشتغلاً في جامعة أكسفورد بدراسة علم الأجنة embryology والكائنات الوحيدة الخلية Protozoa وبعد شغل كرسي البيولوجيا في معهد رايس Rice Institute بولاية هيوستن في الولايات المتحدة الأمريكية في سنة 1913.

وفي عام 1925 انتقل إلى كلية كنغز بجامعة لندن أستاذاً في علم الحيوان.

وفي سنة 1935 عين أميناً للجمعية العلمية للحيوان في لندن، وبعد التنقل العلمي بين المناصب المتعددة انتهى به المطاف في منظمة اليونسكو التي ساهم في تأسيسها وكان أول مدير عام لها في سنة 1946.

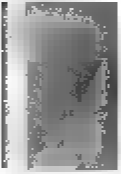

جوليان هكسلي مع [illegible] جده توماس هكسلي

وقد اشترك مع أينشتاين وجون ديوي وتوماس مان في تأسيس الجمعية الإنسانية الأولى في نيويورك.

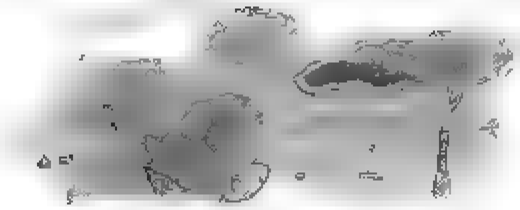
ولجوليان هكسلي عدد كبير من المؤلفات في المذهب الإنساني Humanism الذي يعدّ أحد دعاته المشاهير، وله في دراسة التطور عدة مصنفات أهمها:

- التطور: التركيبة الكيميائية الحديثة (194[illegible])
- علم الأخلاق التطوري (1943)
- الإنسان في العالم الحديث (1947)
- التطور عملياً (1953)

اتخذ جوليان هكسلي من الإلحاد مذهباً بنصرة التطور ووجدانه، يسميه بالمذهب الإنساني Humanism بديلاً عن الدين، فألف كتابين للترويج لهذه الفلسفة الإلحادية المتأثرة بنظرية التطور وهما: الإنسان يقف وحده Man Stands Alone والدين بلا وحي Religion Without Revelation.

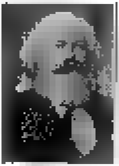

غلاف كتاب الإنسان يقف وحده

وقد ترك كتابه الأول صدى بين العلماء في تلك الحقبة وعد دعوة صريحة لنفي الخالق، وكان من أشهر المتصدين في الرد عليه العالم الأمريكي الشهير كريسي موريسون Cressy Morrison رئيس الأكاديمية الأمريكية للعلوم في كتابه القيم الذي يحمل عنوان هو: الإنسان لا يقف وحده Man does not stand alone، وقد تُرجم هذا الكتاب إلى العربية تحت عنوان: "العلم يدعو إلى الإيمان".



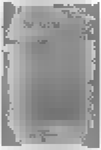
الداروينية من العلم إلى الأيديولوجيا

عندما صدر كتاب أصل الأنواع لداروين تلقفه كارل ماركس بترحيب شديد ووجد فيه ما ينسجم مع فلسفته الجدلية التي كان يروّج لها والتي كانت في أمس الحاجة إلى تأييد علمي.



كارل ماركس

لقد وجد كارل ماركس في نظرية التطور سلاحاً فتاكاً في محاربة الدين الذي يراه أفيون الشعوب. ولفرط إعجابه بكتاب أصل الأنواع أهدى كتابه رأس المال، الذي صدر في سنة 1867 لداروين.



إهداء كارل ماركس بخط يده إلى داروين

ولا تزال النسخة التي كتب عليها ماركس الإهداء إلى داروين بخط يده محفوظة [illegible]

وقد أفرط إنجلز Engels في تعظيم داروين في كتابه ديالكتيك الطبيعة Dialectics of Nature حتى إنه جعل فصلاً في هذا الكتاب بعنوان: الدور الذي لعبه العمل في الانتقال من القرد إلى الإنسان The Part Played by Labour in the Transition from Ape to Man. كما وجدت الماركسية في مبدأ الصراع من أجل البقاء والبقاء للأصلح ما يؤيد دعواها في صراع الطبقات الاجتماعية.



فريدريك إنجلز

وبذلك توسع القول بالتطور من نظرية تفسر نشأة الكائنات إلى أيديولوجيا تُسمى الداروينية الاجتماعية.

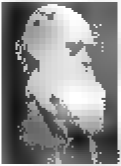
ووصل ذلك إلى مدرسة في البحث الاجتماعي تركت تأثيراً كبيراً في الفكر الأمريكي تدعى الاستئصالية التي تحتقر الطبقات الدنيا في المجتمع وتعدها عبئاً ثقيلاً عليه.

أجنحة نظرية التطور الثلاثة

ترتبط نظرية التطور بثلاثة أسماء مشهورة: داروين، والاس، سبنسر.

تشارلز داروين (Charles Darwin 1809 - 1882م)

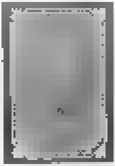
به ارتبطت النظرية وعُرفت باسمه، وصارت مذهباً علمياً وفلسفياً يعرف بالداروينية Darwinism وكان كتابه (أصل الأنواع) Origins of Species الذي صدر في سنة 1859 أكبر زلزال هز المعتقدات السائدة بخصوص نشأة الإنسان. وقد أحدث صدور الكتاب دوياً هائلاً في الأوساط العلمية، وانقسم الناس في هذه النظرية إلى فريقين: مؤيد ورافض. ولم يتوقف الجدل الذي أحدثته نظرية التطور التي تعرف أيضاً باسم النشوء والارتقاء حتى يومنا هذا.



تشارلز داروين

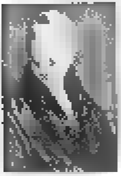
بالرغم من أن داروين بدأ بدراسة الطب إلا أنه لم ينجح في ذلك، فانتقل إلى دراسة اللاهوت في كمبردج ولكنه أيضاً لم يجد فيه ما يشبع نهمه.

تحول بعد ذلك لدراسة الأحياء، فخرج في رحلته البحرية الشهيرة في سنة 1830 التي دامت خمس سنوات. وفي



غلاف كتاب أصل الأنواع

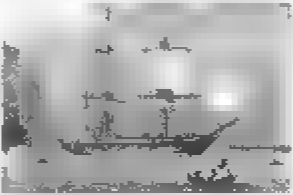
تطوف بالخليج الغربي لأمريكا الجنوبية وجزر الباسيفيك على ظهر السفينة بيجل Beagle التي [illegible] التاريخ الطبيعي. وبعد عودته إلى انجلترا عكف على بحوثه ودراساته لمدة عشرين سنة. وقبل أن ينشر نتائجه في كتابه (أصل الأنواع) تسلم رسالة في عام 1858 من عالم شاب له عناية بتطور الأحياء هو ألفرد رسل والاس. وقد تضمنت تلك الرسالة بياناً كاملاً لأفكاره في التطور.



ألفرد والاس

ومما شجعه على القول ببعض قوانين التطور التي كانت تمس في ذهنه وتقلقه ولا سيما قانون البقاء للأصلح قراءته لفكر توماس مالتوس Thomas Malthus 1834 عالم الاقتصاد الإنجليزي في كتابه الشهير (مقال عن مبدأ السكان An Essay on the Principle of Population) وهو الكتاب الذي أثر أيضاً في هربرت سبنسر، حيث يقرر مالتوس أنّ تزايد السكان مع تناقص الغذاء يتسبب في مشكلة كبيرة، ولذلك فإن ملايين المرضى والفقراء سيؤول حل مشكلتهم بالمقاومة وفق قانون البقاء للأصلح. وقد صرح داروين بذلك في أول كتابه (أصل الأنواع) فقال

غلاف كتاب [illegible]



سفينة بيجل، التي أبحر داروين على ظهرها

في أكتوبر عام 1838 تصادف أن قرأت على سبيل التسلية كتاب مالتوس عن السكان، ولما كانت ملاحظاتي الطويلة مستمرة لعادات الحيوانات والنباتات قد هيأت ذهني لتقدير أهمية الصراع من أجل الوجود، وهو الصراع الذي يدور في كل مكان، فقد بادر إلى ذهني على الفور أن تبقى التغيرات المناسبة وتتلاشى التغيرات غير الملائمة، فتكون نتيجة ذلك تكوين نوع جديد، وهنا توصلت إلى نظرية أستطيع أن أبدأ منها.

وفي سنة 1871 أصدر كتابه تسلسل الإنسان Descent of Man الذي تدارك فيه نقصاً في كتابه أصل الأنواع، حيث لم يبحث داروين مسألة أصل الإنسان مستقلة، فجاء في كتابه الأخير هذا فرأى أن ليس ثمة موجب لاستثناء الإنسان من قانون التطور.

ويقول في كتابه (أصل الأنواع) ص 772 من ترجمة إسماعيل مظهر للعربية: إن الكائنات العضوية التي عاشت على سطح الأرض قد تسلسلت من أصل ذاتي واحد، وهناك أدلة كثيرة من الأجنة والعضويات والأعضاء الأثرية، ما يدل على أن الأفراد جميعاً قد تسلسلت من أصل واحد.

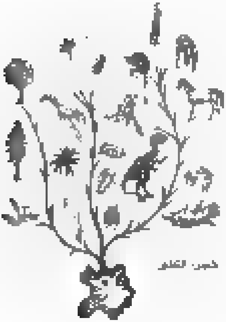
ويكرر داروين تمسكه بضعف نظريته، وبوجود نقاط ضعف فيها بحيث لا تتجاوز حد الظن، فهو يقول في "أصل الأنواع ص 280" بخصوص السجل الجيولوجي Geological records:

"لا تعطونا الرتب زمناً للاختبارات التي قديمة بها من قبل، في أن السجل الجيولوجي إذا أخذ في مجموعه ظهر على جانب عظيم من النقص... إن السجل الجيولوجي بوصفه تاريخاً لهذه الدنيا إنما هو سجل ناقص، ومكتوب بلهجات متغايرة على التراخي، ولسنا لا نملك من هذا السجل إلا المجلد الأخير، ولم يبق كاملاً من هذا المجلد غير فصول قصار تناثرت هنا وهناك، ثم لم يبق من كل صفحة منها إلا بضعة سطور"

ويعترف في أصل الأنواع معترفاً بالشكوك والطعون التي يتعرض لها مذهبه فهو يقول مثلاً في صفحة 264: يعتقد عقلاً ثابتاً أننا نجهل الجهل كله سبب تبادل الصلات بين الكائنات العضوية علمه، ويكاد يكون هذا الاعتقاد من الضروريات.

ويعترف داروين في نص كتابه في صفحة 146:

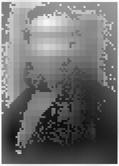
وأن لا أنكر أن هنالك اعتراضات خطيرة، وكثير يمكن أن توجه ضد نظرية التطور.



شجرة التطور

2. ألفرد راسل والاس (Alfred Russell Wallace: 1823 - 1913)

وُلد والاس في مقاطعة ويلز من المملكة المتحدة وكان ثامن تسعة أولاد.



ألفرد رسل والاس

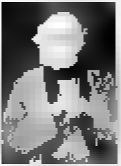
التحق بمدرسة ثم في أول حياته وتركها بسبب ضائقة مالية ألمّت بأسرته وبدأ حياته العملية مساحاً مع أخيه الأكبر وليام، وأتقن رسم في عمليات مسح أجرياها في غرب إنجلترا وويلز. وفي سنة 1844 وظف معلماً في مدرسة Collegiate بمدينة ليستر. وبعد موت أخيه ترك التدريس وانصرف إلى الإشراف على شركته.

في سنة 1848 سافر إلى البرازيل برفقة أحد علماء الطبيعة يُدعى Henry Walter Bates لجمع عينات من غابات الأمازون بحثاً عن معضلة أصل الأنواع، ولكن، لم يكن الحظ حليفاً لوالاس إذ ضاع قدر كبير مما جمعه بسبب حريق شب في سفينته ومن ثم غرقها أثناء عودته إلى إنجلترا في سنة 1852. ولقد أمضى السنوات ما بين 1854 - 1862 في السفر عبر أرخبيل الملايو لجمع العينات ولدراسة الطبيعة. وقد قادته ملاحظاته عن الفوارق الحيوانية في منطقة شبكة من الأرخبيل إلى فرضيته عن "الحدود الجيوحيوانية (الجغرافية الحيوانية)" وهو ما يُعرف الآن بخط والاس Wallace. وكان من أهم ملاحظاته في تلك الرحلة ما كتبه عن الضفادع الطائرة. وقد نشر كل ذلك في كتابه عن أرخبيل الملايو.

في سنة 1855 نشر والاس بحثاً بعنوان On the Law Which Has Regulated the Introduction of Species اعتماداً على عمله الشهير في جبل سانتوبونج الذي يُردّد فيه الملاحظات العامة عن التوزيع الجغرافي والجيولوجي للأنواع (وهو ما يُعرف اليوم بالجغرافيا الحيوية) مستنبطاً في هذا البحث أن كل الأنواع جاءت إلى الوجود متصادفة في الزمان والمكان مع أنواع قريبة ومرتبطة بها.

التقى والاس بداروين مرة لوقت قصير، وكان واحداً من العديدين الذين يراسلونه من أرجاء العالم، وقد كانت المقالة التي أرسلها إلى داروين في سنة 1858 من قبيل التوقعات إلى تحريك مخطوطه الأساسي بشكل غامض، وبالرغم من أن مقالة والاس لم تستخدم مصطلح الانتخاب الطبيعي الذي ذكره داروين فيما بعد، إلا أنها بينت آليات التشعب التطوري للأنواع من أشكال مماثلة بفعل الضغط البيئي، وهو الشيء نفسه الذي عمل عليه داروين طيلة عشرين سنة ولم ينشره.

لقد كتب داروين إلى تشارلز لايل (Charles Lyell) "لم أر توافقاً أكثر إدهاشاً من هذا، ولو أنه كان لديه مخطوطي لما استطاع أن يختصره أفضل مما فعل، إن مصطلحات والاس تكاد تكون هي عناوين فصول كتابي".



سير تشارلز لايل

وبالرغم من أن والاس لم يسع إلى طبع بحثه إلا أن تشارلز لايل وجوزيف هوكر قررا نشره مع مقتطفات من ورقة كتبها داروين، وقدمت معاً[2] إلى جمعية Linnean بلندن في أول يوليو من عام 1858، تحسباً عن أولويات داروين.

لقد شجعت مقالة والاس داروين على نشر آرائه في التطور والانتخاب الطبيعي وبسبب هذه الثقة في اكتشافاته.

بعد ذلك ألّف ألفرد والاس عدداً من الكتب والبحوث في مذهب التطور إلا أنه لم يتورع في تزمته بنزعة المادية واتسمت بحوثه بكثير من التمعن

والتربية. تعتبر مقالته الشهيرة مساهمات في نظرية الانتخاب الطبيعي Contributions to the Theory of Natural Selection التي صدرت في سنة 1870 من أهم أعماله في مسألة التطور.

ويعرف صاحبه داروين كتب مؤلفه الشهير الداروينية Darwinism في سنة 1889، وقد أعيد طبعه مؤخراً في عام 2004، وهو كتاب ضخم حاول أن يجيب فيه عن الاعتراضات التي وجهت لكتاب داروين (أصل الأنواع).

يقول والاس في مقدمة الطبعة الأولى لكتابه الداروينية:

«من الضعف الذي يوصف به كتاب داروين دائماً كونه مبني نظريته الهامة على أصل التنوع في الحيوانات المحلية والحيوانات المزروعة. وقد حاولت أن أحرص منذ البداية على أن أضع النظرية في تنوع الكائنات في مملكة الطبيعة.

ولقد أمل أن يظهر لي أنه يقدم مثيراً مهماً في تنظيم الموضوع، فضلاً عن معالجته أولاً التفصيلات الصعبة عبر المناقشة في التنوع ذات الصراع من أجل الوجود، الذي هو بحق الظاهرة الأساسية التي يتوقف عليها الاصطفاء الطبيعي.

وبالرغم من أنني بينت ما اختلف فيه مع بعض أنصار داروين الآن، فإن عملي برمته يميل بشكل قوي إلى توضيح الأهمية القصوى للاصطفاء الطبيعي، وأنه يتجاوز جميع العوامل الأخرى لإنتاج أنواع جديدة، وأزعم أن عملي هذا هو دفاع عن الداروينية بحق».

3- هربرت سبنسر Herbert Spencer (1820 - 1903)

هربرت سبنسر فيلسوف إنجليزي، قدم في كتابه الفرد في مواجهة الدولة The Man Versus the State (1884) آراء فلسفية متطرفة في الليبرالية. وكان سبنسر وليس داروين هو الذي أوجد مصطلح «البقاء للأصلح» رغم أن البعض ينسبه إلى داروين.


هربرت سبنسر

وقد ساهم سبنسر في ترسيخ مفهوم الأصلح، وأعطى له أبعاداً اجتماعية فيما عرف لاحقاً بـ (الداروينية الاجتماعية)، ولذلك يعد سبنسر واحداً من مؤسسي علم الاجتماع الحديث. ولد سبنسر في ديربي Derby، وتلقى معظم تعليمه في المنزل. عمل مهندساً مدنياً، لكن كتاباته المبكرة 1841 أظهرت اهتمامه بالمسائل الاقتصادية حيث عمل محرراً في جريدة الإيكونومست Economist التي كانت كما هي الآن جريدة اقتصادية مؤثرة ومهمة. عام 1851 انضم إلى مجموعة جون تشابمان التي كانت ترعى الفكر الحر والإصلاح، وبالذات مروجي لفكرة التطور والارتقاء. طلب تشابمان من سبنسر أن يبحث نظرية توماس مالتوس، ويعرضها في العدد الأول من مجلة ... ونشر سبنسر في نظريته مالتوس ... يصبح منطبقاً كما للحيوانات، حيث تمنع الحروب والكوارث والأوبئة على تصحيح الزيادة السكانية. من هذه اللحظة فصاعداً اعتبر سبنسر كاتباً مهماً، ووجد تعبيره البقاء للأصلح رواجاً كبيراً، وتوالت كتبه التي شملت مواضيع مختلفة، وكانت ترى مسألة التطور والارتقاء في شتى الجوانب الاجتماعية، حيث لا مكان للضعيف في سباق الأقوياء. وقد قدمت الداروينية الاجتماعية في تلك الفترة على أنها قانون الطبيعة التي لا محيد عنه.

ترك سبنسر وراءه عدداً من المؤلفات أشهرها: مبادئ علم النفس، والمبادئ الأولى، ودراسة علم الاجتماع.

النزعة الإلحادية عند التطوريين المحدثين

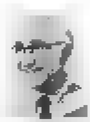
يعترف الملحدون من أنصار نظرية التطور بضعفها، ولكنهم يصرون على القول بها لأن نفيها يفضي إلى القول بنظرية الخلق الإلهي وهذا ما يكرهونه.

يقول عالم الأحياء الأمريكي بجامعة هارفارد د. جورج والد George Wald:

«ثمة احتمالان لا غير لظهور الحياة: الأول التولد الذاتي الذي يظهر في التطور، والثاني: فعل الله الخالق.

والتولّد الذاتي للحياة من مادة غير حية رُفض علمياً منذ 120 سنة من قبل لويس باستور وآخرين، فلم يبق أمامنا إلا الاحتمال الثاني وهو أن الحياة ظهرت بفعل خالق.

ولن أقبل بذلك فلسفياً لأنني لا أريد أن أؤمن بالله، لذلك أختار الإيمان بما أعتقد أنه مستحيل علمياً، وهو ظهور الحياة بفعل التولد الذاتي وأغلب علماء الأحياء المعاصرين لا يعترفون بافتراضات التولد الذاتي ومع ذلك لا يقبلون الإيمان بالخلق الخاص بديلاً عنها».



د. جورج والد George Wald (ت 1997) من أشهر البيولوجيين المعاصرين الأمريكيين، حائز على جائزة نوبل سنة 1967 بالمشاركة مع آخرين، وعضو بالأكاديمية الوطنية للعلوم والجمعية الفلسفية الأمريكية للفنون والعلوم والرابطة الأمريكية لتقدم العلوم والجمعية الأمريكية للكيمياء.

ويقول عالم الأحياء الكبير البروفيسور د. م. واتسون D.M.Watson:

«لم تقبل نظرية التطور لقوة براهينها أو ترابطها المنطقي، بل لأن البديل الوحيد عنها هو القول بالخلق الخاص وذلك ما لا يمكن تصديقه». ويقول أستاذ علم الحيوان والنباتات السويدي الدكتور نيلس هربرت نيلسون Nils Herbert Nilsson:

«بعد تجاربي الشخصية التي استمرت أكثر من أربعين سنة لإثبات التطور فإنه ليس من بالإمكان أن نرسم صورة كاريكاتورية للتطور بمثال من الوقائع البيولوجية، وفكرة التطور تقوم على الإيمان بمحض لا العلم».

ويقول أستاذ الطاقة الذرية د. نيوتن تامسيان Newton Tahmisian:

«إن العلماء الذين يدرّسون التطور باعتباره حقيقة الحياة هم رجال قصة، والقصة التي يقصونها هي أكبر خديعة Greatest hoax عرفت وفي تفسير التطور ليس لدينا مقدار ذرة من الحقيقة».



السير آرثر كيث

ويقول أحد أشهر علماء الداروينية السير آرثر كيث

Arthur Keith 1866 - 1955 وهو عالم تشريح وعالم أنثروبولوجي اسكوتلندي وله عدد من مؤلفات منها: نظرية جديدة في التطور البشري A New Theory of Human Evolution، الأسس القديمة للإنسان Antiquity of Man.

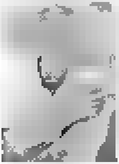
التطور لم يثبت ولم يكن قابلا للإثبات بالبرهنة ونحن نؤمن به فقط لأن البديل الوحيد عنه هو الخلق الخاص وذلك شيء غير قابل للتفكير.

يقول هيرالد ديلبيك Harold Dilbeck في بحث له منشور في Firm Foundation بتاريخ 1978/10/3 تحت عنوان: تطور إيماني أم إلحادي؟:

والحقيقة الثابتة هي أن نظرية التطور أدت إلى الإلحاد أو إلى اللاأدرية agnosticism في حياة أولئك العلماء الذين قبلوها. وقبل بضع سنوات قدم جيمس هـ. ليوبا James H. Leuba مجموعة استبانات Questionnaires إلى مجموعات بعض أبرز علماء الأحياء في أمريكا، سألهم فيها سؤالين: الأول هل يؤمن العالم برب يصغي إليه عند سؤاله؟ والثاني هل يؤمن العالم بالخلود أي باستمرار الشخص بعد الموت في عالم آخر؟ لقد أظهرت النتائج أن الغالبية العظمى من العلماء المتميزين يرون استحالة الجمع بين الإيمان بالله والقول بالتطور، فجميع الملاحدة واللاأدريين من بين أولئك العلماء يؤمنون بالتطور وذلك يجعل الإيمان بالله مستحيلا، ويستطرد الكاتب قائلا:

إن الخطوة الأولى لإيجاد ملاحدة تكون بجعلهم تطوريين، وأن نظرية التطور ميكانيكية هي حجر الزاوية في الإلحاد.

والاستبانات التي قام بإعدادها الدكتور ليوبا كانت موجهة لمختصين من العلماء النفسانيين، والسوسيولوجيين، يقومون بتدريس مادتي علم النفس والسوسيولوجيا في جامعاتهم.



داود بدوان

ولقد أسفرت نتيجة بحثه عن أن 290 من علماء النفس ملاحدة، وأن 275 من علماء الاجتماع هم إما ملاحدة أو لا أدريين.

ويضيف أحد ملاحدة التطور، وهو باحث أمريكي في تاريخ العلوم ولا سيما عالم الأحياء التطوري يُدعى وليام ب. بروفاين William B. Provine: التطور أعظم آلة تم صنعها لنشر الإلحاد حتى الآن Evolution is the greatest engine of atheism ever invented.

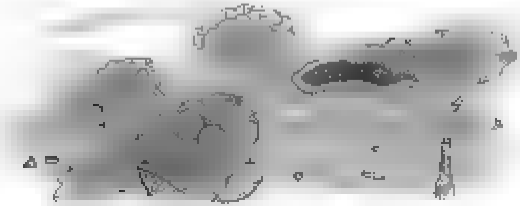
وفي مقالة بعنوان "التطور ديانة وليس علماً" كتب عالم الجيولوجيا الدكتور هنري موريس Henry M. Morris مؤسس ورئيس معهد بحوث الخلق في مجلة Impact في فبراير 2001:



هنري موريس

لا توجد هناك تحولات تطورية لوحظت لا في التاريخ الإنساني ولا في سجل متحجرات الماضي، وقانون الانتروبي (أحد قوانين الديناميكا الحرارية) يذهب إلى استحالة حدوث ذلك على أي مقياس من المقاييس.

ويزعم التطوريون أن التطور حقيقة علمية ولكنهم نادراً ما يحضرون في المناظرات العلمية مع العلماء القائلين بالخلق، وبناء على ذلك فإن علماء التطور الآن يرفضون المناظرة العلمية ويحتجون بدلا من ذلك بمواجهة أنصار نظرية الخلق، وهم يرفضون المناظرة الرسمية لأنها في نظرهم نصر



أكثر منه علم، ولكنهم مع ذلك لا يجدون مفرًا من مواجهة مسألة ابتداء الخلق، والسؤال الذي ينبغي أن يثار هو: لماذا يحتاج التطوريون إلى مواجهة مسألة الخلق؟ ولماذا يصادمون بنظرية الخلق؟ إن أنصار نظرية التطور يؤمنون في الواقع بالتطور لأنهم يريدون ذلك، إنها رغبتهم التي تدفعهم لتفسير كل شيء بعيدًا عن الخالق، فمذهب التطور إذن هو المادية، ويمكن لبعضهم أن يسميه المذهب الإنساني (هيومانيزم). ومن أنصار التطور في العصر الحديث من يسمونه في سياق [illegible] أكثر من مذهب التطور السائد أمر مذهبيًا أساسيًا أو هي وجهة [illegible] طار القصد منه هو نفي أي دور مؤثر للخالق في أصل الكون وجميع مكوناته بما فيها الإنسان. إن جوهر الفلسفة الإنسانية هو المذهب الطبيعي الذي يفترض أن العالم الطبيعي يتقدم وفقًا لديناميكا الداخلية الكامنة فيه دون تحكم إلهي أو سيطرة قوى من وراء الطبيعة أو توجيه، وليس بمقدور أي محاولة [illegible] علمية، وحيث إن المذهب الطبيعي والمذهب الإنساني يستشهدان كلاهما بالرد المطلق من العلم [illegible] فإنه [illegible] العلم [illegible] الواضح [illegible] كل ذلك لا يعني شيئًا إلا الإلحاد [illegible] نوع من [illegible]

وقال [illegible] هذا الإلحاد عند أستاذ علم الأحياء بجامعة ولاية كانساس بقوله:

"حتى لو أشارت كل الدلائل على وجود مصمم ذكي، فإن هذا الافتراض يخرج عن دائرة العلم لأنه ليس طبيعيًا". ومعروف تمامًا في دنيا العلم اليوم أن قادة التطوريين الحاليين مثلًا: ستيفن جاي جولد Steven Jay Gould، إدوارد ويلسون Edward Wilson وكلاهما من جامعة هارفارد، وريتشارد داوكينز Richard Dawkins من إكسفورد، ووليام بروفاين William Provine من كورنيل Cornell، وغيرهم هم ملاحدة ودهريون. وقد عرف الفيلسوف العالم الدارويني الملحد الملقب بحامي الداروينية مايكل روس Michael Ruse في مقالة [illegible] الداروينية [illegible] الداروينيين [illegible] في [illegible] مايو 2000 بأن التطور هو دينهم.

والتصريح بالإلحاد في نظرية التطور والدفاع عنه [illegible] في مؤلفات [illegible] أنصار الداروينية، وهو الدعو ريتشارد داوكينز Richard Dawkins الذي سنتكلم عنه وعن آرائه [illegible] تثير [illegible] في [illegible] الداروينية الحديثة.

قوانين التطور عند داروين

اعتمد تشارلز داروين في نظريته في التطور لتفسير أصل الأنواع على أربعة قوانين:

* قانون البقاء للأصلح Survival of the fittest أو التنازع من أجل البقاء Struggle for survival
* قانون الانتخاب (الاصطفاء) الطبيعي Natural Selection
* قانون المطابقة (التكيف) Adaptation
* وقوانين الوراثة Inheritance

فالقانون الأول وصاحبه هربرت سبنسر تبناه داروين في كتابه أصل الأنواع وحوله الداروينيون إلى السلاح الأقوى. وليس للأصلح مع توظيفه السياسي لتبرير الحروب وقتل الشعوب الضعيفة ونهب ثرواتها لأنها الأضعف. والقانون الثاني هو البند الذي يُقسم عملية التطور في رأي أنصار التطورية التركيبية وهو يشكل مع الطفرة الاعتباطية ميكانيزم التوحيد والتوجيه الذي يفسر عملية التطور والقانونان الأول والثاني كلاهما يفسران انقراض بعض الأنواع وتولد أنواع جديدة بحسب رأي داروين وأن الكائنات الحية في تنوع مستمر" وقد تطور مفهوم الاصطفاء الطبيعي عند بعض التطوريين مثل ماير وسيمبسون، إلى ما أطلق عليه: التوالد التفاضلي Differential reproduction ويظل مفهوم الاصطفاء الطبيعي غامضاً ومحيراً فضلاً عن إثباته تجريبياً. وقانون المطابقة أو الملاءمة أو التكيف مقتضاه أن الكائنات الحية تتوافق مع البيئة التي تعيش فيها. فالأسد مثلاً حيوان مفترس له أنياب حادة وبراثن قوية يمزق بها فريسته لأكله من اللحوم، ولو وجد الأسد نفسه في بيئة لا تسدّ حاجته من اللحوم فليس أمامه إلا الموت والانقراض أو التكيف مع البيئة الجديدة فيتحول إلى حيوان نباتي، وبهذا تختفي أنيابه وتتحول إلى حوافر ولثاياه الحادة إلى أضراس تطحن الأوراق والبذور.

وقوانين الوراثة، وهو أضعف حجج داروين، يراد به توريث الصفات المكتسبة Inheritance of acquired characteristics كما يروج له لامارك وهو ما نفته الطفرة، بحر والأمر نفسه وهو شريك داروين في النظرية.

وهذه النواميس التطورية الأربعة لم تكف لتفسير التطور فجهد أنصارها من الباحثين في البحث عن أدلة تؤيدها، وبذلك ظهر ما يعرف بالداروينية المحدثة.

النيو داروينية والداروينيون الجدد

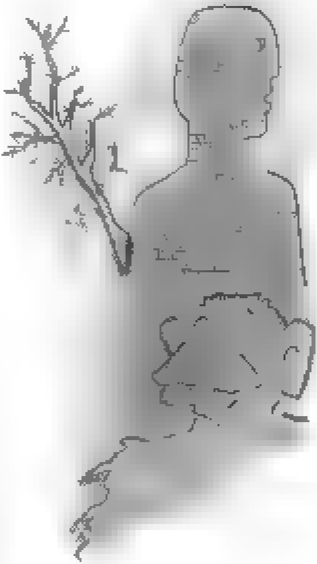
ظلت نظرية التطور تعرف باسم الداروينية لفترة من الزمن، تعرضت خلالها لانتقادات عنيفة من خصومها أنصار نظرية الخلق، ولأن أدلة التطور التي ساقها داروين كانت أدلة وصفية ضعيفة لا يمكن أن ترقى إلى التسمية، تهاوت تحت مطارق النقد العلمي التي وجهها إليها علماء، وكمثال لامارك كان من السهل على الداروينيين أن يتهموا خصومهم بأنهم ميتافيزيقيون أخيليون يبتعدون عن منطق الكشف

العلمي ولكن خاب ظنهم لأن السواد الأعظم من خصوم التطورية كانوا فيزيائيين وكيميائيين وأحيائيين وجيولوجيين ورياضيين وفلكيين.

بعد ذلك ظهرت جماعة من العلماء تُعرف بالداروينية الحديثة Neo-Darwinism سعت بأدوات علمية حديثة للدفاع عن نظرية التطور.

حاولت الداروينية الحديثة أن تثبت صحة قوانين التطور: الانتخاب الطبيعي، البقاء للأصلح، مطابقة الوراثة. ثم انتهت إلى القول بالمصادفة Chance تارة وبالضرورة Necessity تارة ثانية، وبالقول بهما معاً تارة أخرى. وكان الداروينيون الجدد يطمحون كلما تم اكتشاف حفريات قديمة جديدة أو هياكل عظمية تعود إلى حقب ما قبل التاريخ ظناً منهم أنها قد تؤيد نظرية التطور وتحمل الداروينية الحديثة في مقابل التسمية أسماء أخرى، فهي التركيب التطوري الحديث Modern Evolutionary Synthesis، والتركيب الدارويني الحديث Neo-Darwinian Synthesis والداروينية الحديثة عموماً تقوم على التآلف بين نظرية داروين في تطور الأنواع بالاصطفاء الطبيعي ونظرية جورج مندل في الجينات الوراثية باعتبارها أساساً للوراثة البيولوجية والطفرة الجينية الاعتباطية random genetic mutation باعتبارها مصدراً للتنوع، وتعود صياغة مصطلح الداروينية الحديثة إلى جورج جون رومانس George John Romanes

ولم تقف التسمية عند الداروينية الحديثة والتركيبية التطورية بل تعدتها إلى أسماء ومصطلحات بدأت تنتج بها مجتمعات التطوريين في العقود الأخيرة لتقديم الدفاع عن نظرية التطور مثل الانتقال الجيني الأفقي Horizontal gene transfer ويعرف أيضاً بالنموذج (البراديم) الجديد لعلم الأحياء New Paradigm for Biology





معضلة التخمين والحدس في نظرية التطور

مسألة الحدس والتخمين A Matter of Conjecture هو عنوان الفصل الثاني من كتاب حقائق الحياة: تحطيم أساطير الداروينية The Facts of Life Shattering the Myths of Darwinism ريتشارد ميلتون Richard Milton. وهذه المعضلة من أن توصف به نظرية التطور بسبب [illegible] علمائها من [illegible] الأدلة العلمية على [illegible].



هارولد يوري

ونجد ذلك على شدة في [illegible] من [illegible] باحثين [illegible] كبيرين هما هارولد يوري Harold Urey وتلميذه ستانلي ميلر Stanley Miller، فكلاهما قام ببعض التجارب [illegible] وادعى أنهما عرفا سر تولد الحياة في الكائنات [illegible].

ونجد يوري وميلر [illegible] في الأوساط العلمية كأنهما من [illegible] التي لا تقبل النقض [illegible] جعل باحثاً مثل جوناثان ويلز Jonathan Wells يصف [illegible] في كتابه المشهور أيقونات التطور Icons of Evolution والمقصود بأيقونات التطور [illegible] في نظرية التطور التي لا تقبل الجدل عند أنصارها [illegible] كأنها [illegible] لا [illegible] أن [illegible] برعم هارولد يوري وستانلي ميلر من جامعة شيكاغو في سنة 1953 أن الحياة [illegible] من خطوات ثلاث:

الأولى: أن تقوم المواد الكيماوية [illegible] في البحر [illegible] الحامض الأميني وربما تحت تأثير الأشعة فوق البنفسجية أو التفريغ الكهربائي في [illegible].

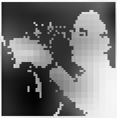


غلاف كتاب أيقونات التطور

الثانية: [illegible] الحوامض الأمينية لتكوّن [illegible] سلسلة [illegible] موغلة في القدم لتكوين مادة الحياة أو جزيئات البروتين وهذه الجزيئات معقدة هي التي تكوّن الحياة النباتية والحيوانية. وبالرغم من الجهود [illegible] التي تقدم [illegible] هذا الأمر، وأنها لم [illegible] إلا أنه ليس من المستحيل أن يتحقق ذلك في زمن كاف.

الثالثة: [illegible] بحدوث التحول [illegible] جميع الأشكال [illegible] البروتين من [illegible] إلى [illegible].

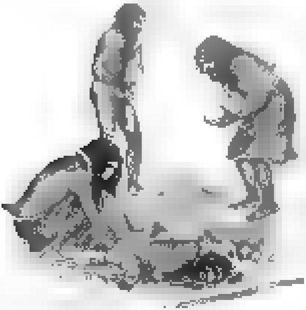
الخطوتان الأولى والثانية في [illegible] يوري ستانلي لا [illegible] [illegible] ولكن من وجهة نظر داروينية [illegible] [illegible] أمر [illegible] وهذا التحول [illegible] حدوثهما [illegible] منهج علماء التطور [illegible] الطريقة العلمية التجريبية لا [illegible] فإنهم لا يعرفون [illegible] الحدس والتخمين [illegible] وكذا هذه [illegible] الثلاثة على درجة [illegible].



ستانلي ميلر

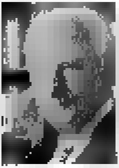
وبالرغم من أن العلماء الماديين يعتبرون أن التولد الذاتي لجزيئات البروتين مجرد عملية عشوائية أشبه بالتصور الميتافيزيقي (الغيبي) الذي ينكرونه على عملية الخلق بواسطة خالق حكيم مُدبر وهم بذلك يقعون في الفخ نفسه الذي يأخذونه على خصومهم إلا أنه من ناحية نظرية من يمكن أن تقدير كم من الزمن تحتاج عملية التولد تلك لتحدث بواسطة مصادفة.

وبحسب تعقّد هذه الجزيئات وتجمعها قام البروفيسور موري إيدن Murray Eden أستاذ الهندسة الكهربائية بحساب الزمن اللازم لحدوث أبسط تركيب بواسطة المصادفة فوجده نحو 000, مليون سنة (بحث كتبه إيدن [illegible] معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا سنة 1967 تحت عنوان: عدم ملاءمة بعد النظرية الداروينية الحديثة في التطور عن كونها نظرية علمية) ولم يزعم أحد أن عمر الكائن الحي وهو عمر افتراضي يصل إلى ألف مليون سنة فإذا كان عمر الأرض الافتراضي 4600 مليون سنة وكان أول ظهور افتراضي للقرود الشبيهة بالإنسان Apes في العصر الجيولوجي المايوسين Miocene الذي يمتد من 26 إلى 12 مليون سنة مضت وقد ظهرت أشكال متقدمة من الكائن القردي في عصر البلايوسين Pliocene التي امتد من 12 مليون سنة إلى مليون سنة. ولو أوغلنا في التاريخ الجيولوجي السحيق نجد بأن الحقب الجيولوجية [illegible] حرارة الأرض [illegible] وتشكل القشرة الأرضية هي حقبة الباليوزويك Paleozoic التي حدثت منذ 570 مليون سنة وهي الحقبة التي بدأت تتكون فيها البحار والمحيطات. وبناء على حسابات إيدن موري فإن الحياة لا يمكن أن تكون ظهرت على الأرض في بسيط



سنوات وهو جزء ضئيل [illegible] أحد قبل ألف مليون سنة خلافاً لرأي ستانلي ميللر وهيرالد يوري الذي لا [illegible] كونه ضرباً من الحدس والتخمين اللذين لا يمتّان إلى منهج البحث العلمي.

وعند البحث الذي [illegible] الداروينيون [illegible] بسؤال من خصومه [illegible] عن الإجابة [illegible] حدسهم بالهواء. وهو البروفيسور فرانسيس كريك Francis Crick وإن كان جوابه لا يخرج عن الحدس والتخمين كما هي عادة التطوريين كلما ضاقت بهم السُبل.



فرنسيس كريك

يزعم كريك وهو أستاذ أمريكي بجامعة واشنطن في بحث له سنة 1986 تحت عنوان: الجزيئات والبشر [illegible] الظروف التي نشأت فيها الحياة غريبة [illegible] قد تكون في [illegible]

داروينيون جدد يعترفون بتصدع الداروينية

- يقول روبرت ميليكان Robert Millikan، وهو عالم فيزيائي متحصل على جائزة نوبل، في حفلة العشاء أمام الجمعية الكيميائية الأمريكية: "الشيء المحزن للشعبية في نظرية التطور هو أن العديد من العلماء يحاولون البحث عن مذهب التطور، وليس ثمة عالم يستطيع أن يحصي ذلك".

- يقول د. كولن باترسون Colin Patterson، وهو أحد علماء التطور وكبير علماء الإحاثة المتحجرات التاريخية في المتحف البريطاني للتاريخ الطبيعي: "التفسير الوحيد للنظام الذي نبصره في العالم البيولوجي هو مذهب الخلق".

- يقول إدوين كونكلن Edwin Conklin، العالم التطوري وأستاذ البيولوجيا في جامعة برينستون: "احتمال نشأة الحياة بالمصادفة يشبه احتمال تكون قاموس من انفجار في مطبعة".

- يقول أستاذ التشريح البشري والفسيولوجيا راندي ويسونغ Randy Wysong في كتابه "الجدل بين الخلق والتطور" ص 418: "والتطور يمكن أن يُنظر إليه على أنه سحري، والسحر شكل خاص من التأثير بلا مادة ... على الأقل عدة كافية، فالمصادفة والزمن والطبيعة آلهة سحرية مقدسة محفوظة في معابد التطور، وهذه الآلهة غير قادرة على تفسير أصل الحياة، وبذلك فإن التطور سيؤكد لا محالة أنه وهو لذلك تفسير سحري لوجود الحياة".

- يقول البروفيسور ألبرت فلايشمان Albert Fleischmann أستاذ علم الحيوان والتشريح المقارن بجامعة إيرلانجن Erlangen University: "تعاني النظرية الداروينية في تطور الإنسان دليل يثبتها في عالم الطبيعة، فهي ليست نتيجة بحث علمي، ولكنها نتاج خيال محض".

- يقول مايكل دنتون Michel Denton المختص في الكيمياء الحيوية في كتابه "التطور: نظرية في أزمة": "نظرية التطور أكبر خرافة كونية في القرن العشرين".

- يقول الدكتور ديفيد بيرلينسكي David Berlinski: "نظرية داروين في التطور هي آخر أعظم أساطير القرن التاسع عشر الأسطورية، ولنقل إنها تلحق الفرويدية والماركسية في مستويات النسيان، وأتمنى أن يأتي يوم يكون فرويد وماركس وداروين بجانب بعضهم الآخر في قبر ... حيث تجتمع الآلهة المنبوذة".

- يقول عالم الأجنة د. سورين لوفتروب Lothrup Soren السويدي: "أعتقد أن الأسطورة الداروينية سوف تذكر يوماً أنها أكبر خدعة في تاريخ العلم، وعندما يحدث هذا سيتساءل كثير من الناس كيف وقع هذا".

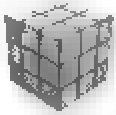
- يقول د. طومسون W.R Thompson عالم الحشرات الشهير: "لقد تم نجاح الداروينية بحمل النقص في الأمانة العلمية".

- يقول مؤلف كتاب "أيقونات التطور" (Icons of Evolution) جوناثان ويلز Jonathan Wells:

أعتقد أن نظرية داروين في التطور ستختفي من المناهج التعليمية في غضون خمسين عاماً، وأظن أن الناس سيهبون للتكفير عنها، وسيتساءلون كيف صدقها الكثيرون مع أنها غير قابلة للتصديق.

- يقول عالم الحفريات وخبير التطور دانيال إي. ليبرمان Daniel E. Lieberman من قسم الأنثروبولوجيا بجامعة هارفارد بخصوص العثور على الكهف [illegible] في مقالة نشرها في مجلة الطبيعة Nature: إن التاريخ التطوري للبشر معقد وغير محسوم، وهو الآن كما يبدو يوشك أن يقع في مزيد من الفوضى بسبب اكتشاف نوع وجنس جديد، يرجع تاريخه إلى 6 - 7 مليون سنة مضت، وتثير طبيعة الكهف [illegible] تساؤلات كثيرة حول تطور البشر عموماً وسلوك هذا النوع خصوصاً. لماذا؟ على سبيل المثال يجمع هذا النوع بشكل غير عشوائي بين أسنان الرجعة الصغيرة والوجه المسطح الكبير الذي يوجد فيه قوس عظام الوجنة في الناحية الأمامية، فكل أنواع الهومينين (hominin species) الأخرى المعروفة التي تتميز بأوجه كبيرة وعظام وجنة في مواضع مشابهة لديها أسنان كبيرة [illegible] الرئيسي للكشف [illegible] خلال السنوات القليلة القادمة سوف يكون بمثابة هادم للذات لأنه يؤكد على الفوضى التي تواجه البحث في العلاقات التطورية بين أنواع الهومينين.

مكعب الجلي



بطلان قانون المصادفة

الحصن التطوريين في تفسير [illegible] الذي يسمى به الانتخاب الطبيعي، وهو ما يعترف به أعلام علماء التطور، وذلك ما يجعل هذا الناموس موضع إشكال عند العلماء، والخروج من هذا المأزق لم يعد إلا القول بالمصادفة Chance.

كل شيء حسبه في زعمهم موغل في القدم الكون جاء مصادفة، والحياة وُجدت على الأرض مصادفة، ثم أخذت تتطور من خلية حية أولية التركيب، التي كانت حية أكبر مصادفة. هكذا تزعم أيضاً نظرية التطور هروباً من القول بوجود منظم مدبر حكيم وراء الموجودات والمخلوقات. إن التطوريين يقولون بالمصادفة ويصرون على القول بها مع أنها أوهن من خيوط العنكبوت.

وقد صرح مؤرخ العلوم الأمريكي وهو ممن ذكره أنه هنري فيرفيلد أوزبورن Henry Fairfield Osborn والمهتم بتاريخ البيولوجيا التطورية وهو أحد ملاحدة المناوئين لنظرية التصميم الذكي، في كتابه أصل الحياة وتطورها The Origin and Evolution of Life قائلاً: «المصادفة جوهر التطور الحقيقي».

لقد برهنت نظرية الاحتمالات Probability في الرياضيات على بطلان القول بالصدفة في مسألة وجود الإنسان. والعجيب مع كل البراهين الرياضية على بطلان الصدفة نجد من التطوريين من يركن إليها لتفسير خلق الإنسان، إن زعم أنصار التطور أن الحياة وُجدت مصادفة لا يزعمه حتى طفل صغير تعوّد اللعب بمكعب الجبري Crazy cube ذلك المكعب الذي ترجمه في عالم الرياضيات يفوق مسائل الاحتمالات في أواخر السبعينيات من القرن العشرين.

ومع ذلك يزعم التطوري William Bennet في بحثه المنشور بمجلة American Scientist سنة 1977 مجلد رقم 65 الذي يحمل عنواناً هو How Artificial Intelligence? أنه لو وُضع عدد كافٍ من القرود أمام آلات طابعة لوقت كافٍ لكتبوا أحسن المصنفات الأدبية.

هذه الفرضية استخف بها العلماء وعدّوها مبعث سخرية.

كتب أحد العلماء بحثاً طريفاً في هدم القول بالمصادفة في منتدى The Fallacy Brett Watson بتاريخ 1998/11/20 بعنوان: الرياضيات والقردة وشكسبير أو شر مطالب بتحقيق النشر في تأليف مسرحية هاملت لشكسبير.



جاء في هذا البحث رداً على من يزعم ويؤمن بها:

ولا أعرف من هو أول من تحدث عن إمكانية أن يطبع القرود بشكل عشوائي على آلات طابعة مسرحية (هاملت) لشكسبير بمحض المصادفة، وأن ذلك ممكن الحدوث شرط أن يتوفر الوقت الكافي والعدد الكافي من القرود. وهذا الكلام من ناحية جدلية صحيح: فمع وقت كافٍ، وعدد كافٍ من القرود يمكن إنتاج مسرحية (هاملت). وفي الواقع أن ما يبدو ممكناً من ناحية حسابية افتراضية هو نفسه المعضلة الأكبر؛ لأن ذلك يعني أن الناس لا يحسبون صحيحاً بمحض الأرقام الدقيقة. معرفة هو الذي يقع بعد مجالات التخمين الناجحة التي يمكن حساب أرقامها.

لنتخيل آلة كاتبة من النوع البسيط تحتوي على 26 مفتاحاً (من المفاتيح الحرفية)، وفي مفاتيح لعلامات الترقيم، ومفتاح واحد للمسافة (الفراغ بين الكلمة والتي تليها)، فيكون مجموع المفاتيح 32 مفتاحاً، ولا يوجد بها ذراع يدوي لنقل العربة من نهاية السطر إلى أول السطر الذي يليه وإنما تقوم بذلك آلياً. وبافتراض أن الآلة الطابعة المذكورة مزودة بحزمة لا نهائية من الورق للطباعة عليها، وأن لدينا قرداً يعرف كيف يضغط على المفاتيح، وأنه يقوم بذلك بشكل عشوائي. ففي هذه التجربة (المفترضة) يكون لدينا قرد من الآلية ولكن من غير ذكاء حقيقي في النظام. نحن نريد من هذا القرد أن يطبع هذه العبارة المشهورة فقط من مسرحية هاملت لشكسبير:

(تكون أو لا تكون، تلك هي المسألة)

"TO BE OR NOT TO BE, THAT IS THE QUESTION"

فاحتمال حدوث هذا يسهل معرفته بالحساب، وهذا بدوره سوف يعطيك فكرة عن عدد القرود والآلات الطابعة اللازمة لتحقيق فرصة معقولة للنجاح. والآن جميع ... القرود يطبعون بسرعة، ويمكن أن يطبعوا العدد المطلوب من العلامات في ثانية ... وهي عدد أحرف جملة شكسبير بما فيها الفراغات بين الكلمات وعلامة التنصيص (")، فهي المسألة. ثم كم يستغرق ذلك من الوقت قبل أن ينجح قردنا في إنتاج سطر ينطبق على الجملة المطلوب طباعتها؟ هناك 32 مفتاحاً، ولذلك فإن فرص قردنا في الحصول بنجاح على المفتاح الأول هي واحد في 32 ولكي ينجح في الحرف الأول (T)، فإنه يحتاج إلى النجاح في الحرف الثاني (O)، ثم الثالث (B)، وهكذا حتى ينجح في كتابة عبارة شكسبير الشهيرة وتكون فرص تحقيق ذلك على النحو الآتي:

المفاتيح	الفرص
2	1024 = 32 × 32
3	32768 = 32 × 32 × 32
4	1048576 = 32 × 32 × 32 × 32
5	33554432 = 32^5
6	1073741824 = 32^6
7	34359738368 = 32^7
8	1099511627776 = 32^8
50	[illegible] = 32^{50}
104	[illegible] = 32^{104}

ويبدو من هذا العرض أن الأرقام تعجز عن عد الآلاف الحسابية العادية، ولو حولت هذه الأرقام إلى زمن فإن هذه الفرص المحسوبة تحتاج إلى وقت لا يستوعبه المخ.

ويصل البحث في النهاية إلى استحالة أن يطبع القرد عبارة شيكسبير فضلاً عن أن ينجح بالمصادفة في طبع مسرحية هاملت كاملة! وإذا كان هذا الحال مع عبارة واحدة من مسرحية واحدة كتبها وليام شيكسبير فكيف يمكن أن مؤلف المسرحية نفسه جاء إلى هذا العالم مصادفة وليس بفعل خالق؟

ويختم الباحث دراسته الرياضية ... المعلومات نتاج ... وليس مصادفة.

ولم تتوقف الدراسات والبحوث في البرهان على بطلان القول بالمصادفة في حدوث الخلق.

يقول الدكتور جيمس كوبيج James Coppege إن احتمال تكون جزيء واحد من البروتين بمحض المصادفة هو 1 من 10^{161} واحتمال تكون 239 جزيئاً بروتينياً وهو الحد الأدنى المطلوب لوجود أصغر حياة من الناحية النظرية يبلغ 1 من 10^{119879} (أي ...

كتاب The Farce of Evolution p. 71 . ومطلع ارتفاع ... بلا رب.

يقول عالم الرياضيات والفلك الإنجليزي الشهير السير فريد هويل Sir Fred Hoyle:

إن القول بأن أعقد أشكال الحياة تكونت بمحض المصادفة من خلال عمليات تطورية كالقول بأن إعصاراً عصف بخردة وصنع من المواد المتناثرة طائرة بوينغ 747.

ويقول البروفيسور إميل بوريل Emile Borel مكتشف قوانين الاحتمالات:

إن أي حدث في واقعة بمصادفة واحدة في ... مرة ... يكون مستحيلاً.

ويقول عالم التطور وأستاذ البيولوجيا في جامعة برنستون إدوين كونكلين Edwin Conklin:

إن احتمال تولد الحياة بالمصادفة كاحتمال تكون قاموس متكامل من انفجار في مطبعة.

ولم يقف الأمر بالمصادفة عند حدود وجود الإنسان بل عند التطوريين حتى إن ... البشر جاءت أيضاً بمحض المصادفة ولذلك تهكم ... الداروني للتفكر وهو ريتشارد ميلتون قائلاً: كيف نصدق أن السود أصبحوا بالمصادفة؟ وأي نوع من المصادفة تلك؟ ولماذا لا نرى مثل هذه المصادفة تحدث اليوم؟ ولماذا لا يمكننا تسجيل مجريات حدوث هذه المصادفات في الماضي؟ ... الكثير من الأسئلة لو تطلق لم تعرف من يوقفه.

لقد انبرى عدد كبير من علماء الرياضيات للرد على مزاعم التطوريين في مسألة وجود الكون والإنسان بمحض المصادفة.

ومن أشهر الأبحاث المخصصة للرد على القائلين بالمصادفة كتاب الدكتور لي سبتنر Lee Spetner ليس بالمصادفة Not by Chance.



غلاف كتاب ليس بالمصادفة

من أعلام مدرسة التطور الحديثة

إرنست والتر ماير Ernst Walter Mayr



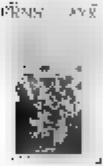
إرنست ماير

إرنست ماير، أحد أبرز علماء القرن العشرين، كما يطلق عليه أستاذ علم الأحياء التطوري بجامعة هارفارد لأكثر من نصف قرن. ولد سنة 1904 في ألمانيا بمدينة درسدن Dresden، وتوفي سنة 2005 في بدفورد Bedford بالولايات المتحدة، وبذلك يكون عمّر قرنا من الزمن.

تحصل في أول حياته العلمية في سنة 1923 على درجة في الطب من جامعة جرايفسفالد Greifswald بعد عام من ... سنة انتقل إلى دراسة علم الطيور وتحصل على درجة الدكتوراه في هذا العلم من جامعة برلين بعد ستة عشر شهرا فقط من حصوله على شهادة الطب.

في سنة 1927 وفي مؤتمر علم الحيوان الدولي المنعقد في بودابست، التقى مع والتر روتشيلد Walter Rothschild الذي كان يبحث عمن يسافر إلى غينيا لجمع طيور الجنة، فوقع الاختيار على ماير حتى رست سفينته للقيام بالمهمة.

فمضى ماير في المهمة سنتين ونصف، وفي هذه الرحلة قام بجمع معلومات كثيرة عن مجموعات الطيور وحيواناتها، بذلك أتيح له جمع فيه دروس ومعارف في كتابه "النظامات التصنيفية وأصل الأنواع" Systematics and Origin of Species وقد كتب ماير أكثر من عشرين كتابا، من أشهرها وأكثرها تأثيرا: الأنواع الحيوانية والتطور، في سنة 1963. عمل أستاذا في علم الحيوان بجامعة هارفارد، ومديرا لمتحف هارفارد لعلم الحيوان المقارن من سنة 1961 إلى سنة 1970.



غلاف كتاب النظامات وأصل الأنواع

وفي الستينيات والأربعينيات من القرن العشرين، وكان وقتها ينتمي للمتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي، مسيرته، أعماله وبشكل سريع الشخصية المركزية في الداروينية الحديثة التركيبية، فضلا عن دوره في بعث البيولوجيا التطورية باعتبارها أهم التطورات العلمية في القرن العشرين، وهو الذي جعل أصل تشكّل الأنواع المسألة المركزية في البيولوجيا التطورية اليوم.

وفي مقابلة معه بجريدة هارفارد الرسمية Harvard Gazette في سنة 1998 يقول: "كان لتقدم معارفي من أجل الداروينية" تحصل ماير على عدد كبير من الجوائز، منها: الأكاديمية الوطنية للعلوم، والجائزة العالمية للبيولوجيا. ومن أشهر بحوثه في التطور: التطور وتنوع الحياة Evolution and Diversity of Life، كتاب ونمو الفكر البيولوجي The Growth of Biological Thought، ونحو فلسفة جديدة للبيولوجيا Toward a New Philosophy of Biology، وكتابه ما هو التطور؟ What is Evolution

ريتشارد داوكينز Richard Dawkins
أعتى ملاحدة الداروينية



ريتشارد داوكينز

وُلِد ريتشارد دوكينز العالم بسلوك الحيوان Ethologist في نيروبي بكينيا سنة 1941 حيث كان والده يعمل موظفاً ومجنداً سابقاً في وقت الحرب، انتقل برفقة والديه الى انجلترا وهو في الثامنة من عمره. درس علم الحيوان بكلية باليول Balliol College في مدينة أكسفورد حيث تتلمذ على يد نيكولاس تينبرجن (Nikolaas Tinbergen 1907 - 1988) العالم الحائز على جائزة نوبل في الفسيولوجيا سنة 1973 وحصل على الدكتوراه في علم الحيوان سنة 1966. عمل ما بين سنة 1967 وسنة 1969 أستاذاً مساعداً في علم الحيوان بجامعة كاليفورنيا - بركلي، وفي سنة 1970 عمل بجامعة أكسفورد. ألقى عدد من المحاضرات عن شخصيات علمية مثل (أرازموس داروين - جد تشارلز داروين) وروبرت ميكل، ومايكل فاراداي، وهنري سيدجويك.

عمل ريتشارد داوكينز مستشاراً في تحرير بعض الموسوعات، مثل موسوعة إنكارتا Encarta Encyclopedia، وموسوعة علم التطور Encyclopedia of Evolution. كما تولى رئاسة قسم العلوم البيولوجية في الرابطة البريطانية لتقدم العلوم BAAS.



غلاف كتاب الجينة الأنانية

وكان أول ظهور له من خلال نشره كتابه الجينة الأنانية The Selfish Gene، ثم شرع بتقديم مؤلفات يطلب عبرها التحرر من الماضي والترويج للإلحاد من خلال الدفاع عن نظرية التطور الداروينية.



غلاف كتاب وهم الرب

ومن هذه الكتب كتابه وهم الرب The God Delusion، وكتابه الساعاتي الأعمى The Blind Watchmaker وهو رد على القائلين بنظرية الخلق ويعد من أشهر كتبه انتصاراً للداروينية في محاربة الدين من خلال إنكار وجود خالق مدبر لهذا الكون.



حكايا السلف

وقد نال هذان الكتابان حظهما من التعريف والنقد على حد سواء لما يمثله من تنظير حديث لنظرية الداروينية.

ويزعم داوكينز أن آفة الحياة هو الدين، لأنه يؤجج الحروب، ويشجع على التعصب، والخوف من الأجنبي والغريب، ويدمر التقدم العقلي للأطفال، وأن الإيمان بالله ليس مجرد لا عقلانية بل إنه شر مؤذٍ ومؤلم.

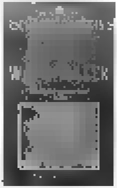
ويحاول داوكينز أن يثبت أن منشأ الأخلاق له أساس دارويني، فيتساءل:

هل تريد حقاً أن تقنعني بأن السبب الوحيد الذي يجعلك صالحاً هو كسب الأجر من الله ونيل رضوانه والخوف من غضبه وعقابه؟ هذا ليس من الأخلاق في شيء، إنه مجرد تملق. والذين يريدون أن يؤسسوا أخلاقهم على الكتاب المقدس، إما أنهم لم يقرؤوه أو أنهم لم يفهموه.

ولم يكتف داوكينز بنشر كتابه بل حوّل مادته

فتحسبه الى شريط وثائقي عرض في القناة الرابعة في المملكة المتحدة ويبيع حتى مرحلة لاحقة

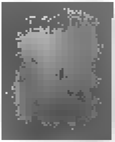
وكتاب الساعاتي الأعمى يعد من أهم كتب داوكينز التي احتفى بها علماء التطور في العقد الأخير حتى إن فرنسيس كريك أحد مكتشفي الشفرة الوراثية DNA والذي مر ذكره في موضع سابق يعول فيه



غلاف كتاب
الساعاتي الأعمى

وإذا كنت تشك في قوة الانتخاب الطبيعي فإني انصحك من أجل إنقاذ روحك، أن تقرأ كتاب داوكينز هذا. ويقول جون جريبين John Gribbin لعل هذا الكتاب هو أهم كتب التطور منذ داروين.

يبدأ داوكينز في الفصل الأول من كتابه هذا وهو بعنوان (تفسير بعيد الاحتمال) بنقض كلام وليام بالي William Paley الذي ينسب إليه ما يُعرف بدليل صانع الساعات الساعاتي في اثبات وجود الخالق الصانع



وليام بالي

وبالي هذا فيلسوف انجليزي (1743-1805) وهو صاحب الكتاب الشهير (اللاهوت الطبيعي Natural Theology) يقول بالي في كتابه هذا:

لابد من صانع لكل مصنوع، وكل دليل أو شاهد للتصميم كالذي نراه في الساعة نراه موجوداً في أعمال الطبيعة مع الفارق وهو أن الطبيعة أكبر وأكثر تعقيداً إلى درجة تتجاوز كل حساب. يعني داوكينز

لقد صاغ برهان بالي من قبله عصره ولكنه برهان خاطئ خطأ فيما يرى داوكينز، ذلك أن الساعاتي الوحيد في الطبيعة هو القوى الفيزيائية العمياء.

ويقول في الفصل الثاني وهو بعنوان التصميم الجيد Good Design

الانتخاب الطبيعي هو صانع الساعات الأعمى وهو أعمى لأنه لا يبصر قُدماً إلى الأمام، ولا يخطط العواقب وليس له هدف وبالرغم من أن النتائج الحية للانتخاب الطبيعي تبهرنا بشكل كبير بمظهر التصميم كما لو أنه جاء من صانع ساعات عظيم تغرينا بوهم التصميم والتخطيط. والغرض من هذا الفصل هو أبعد من كل ذلك أنه إقناع القارئ بقوة وهم التصميم. ويستطرد في الفصل الثالث وهو بعنوان (تجميع تغيرات صغيرة) قائلاً:

ليس للتطور غاية طويلة الأجل، ولا هدف بعيد المدى، ولا شيء نهائي يرمي بمعنى تمييز الذي يصطفيه الانتخاب وبالرغم من أن العين البشرية تعتبر نموذجاً متميزاً للعقل إلا أن العين البشرية هي الهدف النهائي للتطور.

وهذا الكلام يعني ضمناً أن عملية التطور قد توقفت وانتهت، حتى يقلك لتطوريين من الحرج عن السؤال المزعج المهم وهو: لماذا لا نرى الانتخاب الطبيعي يعمل عمله في الأنواع من حولنا ويخرج لنا نوعاً بشرياً جديداً متطوراً؟

ويقول داوكينز أيضاً:

إذا لم تكن تعرف أي شيء عن الكومبيوتر فقد تظن أنه مجرد آلات لا تعمل إلا ما يبرمجها به ولكنها تمتلك ستالجنيها، وهذا الكلام من داوكينز يتضمن في طياته الدليل على فساد قوله لأن الطبيعة الصماء المطلقة في رأي التطوريين قد تأتي بأشياء غير منظمة وقد لا تخضع للقوانين الطبيعية نفسها

ولكن السؤال الأزلي الذي لا يجد له الداروينيون إجابة: من من أوجد هذه الطبيعة ؟ لعلها أوجدت نفسها بنفسها من العدم !!!

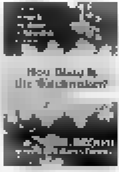
والعجيب حقاً أن داوكينس لا يقدم البراهين العلمية على التطور بقدر ما يعتمد على الاستنتاجات والتخمين، وهو بذلك لا يختلف عن أنصار مذهب الخلق، فهو يقول في الفصل الرابع: «كثير من الناس يشق عليهم الإيمان بأن شيئاً معقداً ومركباً بشكل معقد مثل العين ظهر ببدايات صغيرة يمثل سلسلة من التغيرات التدريجية. ولنسلط الضوء أكثر على هذا سل نفسك هذين السؤالين الآتيين:

- هل ظهرت العين البشرية مباشرة من غير عين مطلقاً في خطوة واحدة ؟
- هل ظهرت العين البشرية مباشرة من شيء يختلف قليلاً عنها، شيء ما يمكن أن نسميه × ؟

الجواب عن السؤال الأول وبشكل قطعي هو: لا

والجواب عن السؤال الثاني وبشكل واضح هو نعم بشرط أن يكون الفرق بين العين الحديثة وسلفها × هو خلاف صغير».

هذا نمط من تفكير الداروينيين على لسان أحد علمائهم، منطق فاسد لا يمت لا للاستنباط العقلي ولا للعلم التجريبي، وهذا ما دفع بعض العلماء للرد عليه ونقض دلالته المتقمصة برداء العلم وهي لا تعدو كونها ضرباً من ضروب التخمين.



غلاف كتاب كم يكون الساعاتي أعمى

ورداً على كتاب (الساعاتي الأعمى) لداوكينس ألف البروفيسور نيل بروم Neil Broom كتابه (كيف يكون الساعاتي أعمى ؟ How Blind is the Watchmaker?) وعنوان كتاب بروم هو نقد جلي لعنوان كتاب داوكينس لأنه يستهجن عقلاً أن يكون الساعاتي أعمى، وهذا ما يعني أن داوكينس يقر بوجود الساعاتي (الصانع المبدع)، من حيث لا يدري وإن وصفه بالعمى. وكتاب بروم رحلة إيمانية مؤيدة بالعلم والتجربة وليس محض تخمينات كالتي جاء بها داوكينس.

نظرية التصميم الذكي Intelligence Design Theory

يعرف مركز العلوم والثقافة بمعهد ديسكفري Discovery Institute التصميم الذكي بأنه «التصميم الذي يرى أن أفضل سبيل لتفسير مظاهر الكون والكائنات الحية هو العلة الذكية أو التعليل الذكي وليس العملية غير الموجهة مثل الانتقاء الطبيعي». وأكثر العلماء المناصرين لنظرية التصميم الذكي ينتسبون إلى هذا المعهد، وهم يرون أن التصميم الذكي نظرية علمية مساوية للنظريات العلمية التي تبحث في أصل الحياة إن لم تكن أفضل منها.

والغالبية من العلماء والمؤسسات العلمية لا ترى التصميم الذكي نظرية علمية صحيحة، بل يرونه علماً زائفاً Pseudoscience. وقد ذكرت الأكاديمية الأمريكية الوطنية للعلوم The U.S. National Academy of Sciences أن التصميم الذكي وغيره من الادعاءات عن تدخل قوى ما وراء الطبيعة في نشأة الحياة ليست علوماً لعدم إمكانية اختبارها بالتجربة ولا تولد أي تنبؤات ولا تقدم فروضاً جديدة.

وقد حكم القاضي الفيدرالي جون جونز الثالث



وليام دمبسكي

ID عند John Jones بأن التصميم الذكي ليس علماً وإنما هو مجرد مفهوم ديني.

لقد صنعت نظرية التصميم الذكي بديلاً عن التفسيرات الطبيعية بعرض لفكرة التطور والهدف المقصود منها بحقيق من إمكان الدليل التجريبي لوجود بحث أن الحياة على الأرض تبرهن أن تصميم بفعل ذكي Intelligent Agent أو غيره.

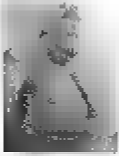
ويعد من وليم دمبسكي William Dembsky أحد المؤيدين الكبار للتصميم الذكي ب الدعوى الأساسية للتصميم الذكي هي أن هذه الأنظمة طبيعية لا يمكن تفسيرها بشكل كاف بدلالة قوى طبيعية غير موجهة وأن ملامح الظاهر للحياة لا يمكن عزوها إلا إلى الذكاء. ومناصرو التصميم الذكي يبحثون عن دليل أو برهان يسمونه علامات الذكاء Signs of Intelligence في الخواص الفيزيائية للشيء يحسبون أنها تلك ضرورة التصميم.

وتتضمن القواعد الطبيعية تمهيداً لا يمكن تجاهلها أو تغيرها وآليات ميكانيزمات يصعب تفسيرها. ولذلك يرى أنصار التصميم الذكي أن الأنظمة الحية تُظهر واحداً أو أكثر من تلك التعقيدات التي تبين أن بعض مظاهر الحياة قد صنعت تصميماً ولم تأت بفعل التطور. وتقف هذه النظرية في مواجهة التيار الرئيس على الأحياء الذي يُصر على التجربة وجمع معلومات غير قابلة للدحض والتحقق من أجل تفسير العالم الطبيعي من خلال مراقبة العمليات الميكانيكية للبعض من الطفرات Mutations والانتقاء الطبيعي Natural Selection ويقول أنصار التصميم الذكي أنه بينما تشير الأدلة إلى طبيعة التدخل الذكي أو العامل الذكي قد لا تكون قابلة للملاحظة بشكل مباشر إلا أن تأثيرها على الطبيعة يمكن حسبانه.

يقول دمبسكي Dembsky في كتابه علامات الذكاء عندما العلماء كـ تصميم ينظر أنصار التصميم الذكي إلى هذه النظرية باعتبارها برنامج بحث علمي يستقصي تأثيرات العقل الذكي ويبرر العلل الذكية نفسها.

ويرى أنه لا يستطيع القيام باختبار تصاديق التأثيرات الموجهة مع نظام مفصل من الدعم ولذلك فإن الأسئلة التي تتعلق بهوية المصمم تقع خارج نطاق عالم التصميم. ولقد برهن الفلاسفة منذ أكثر من ألفي سنة على أن تعقد الطبيعة يشير إلى وجود مصمم أو خالق مبدع عبقري أو رباني.

ولقد افترض أفلاطون Plato بوجود قوة خلاقة طبيعية تتمثل في الحكمة المتعالية Natural demiurge والذات of supreme wisdom باعتباره خالق الكون في رسالته تيماوس Timaeus كما طوّر أرسطو أيضاً فكرة وجود خالق طبيعي للكون، ويشير إليه في فلسفته بالمحرك الأول Prime mover في كتابه ما بعد الطبيعة. وقد ذكر شيشرون Ciceron في رسالته عن طبيعة الآلهة De Natura Deorum أن القوة الإلهية موجودة في مبدأ العقل الذي ينتشر في الطبيعة كلها.



تمثال أفلاطون

واستخدام هذا النمط من التعليل كما هو مُعلن عبر مصمّم العصر الذي عرف بالبرهان الغائي Teleological argument على وجود الله.

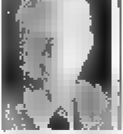
تاريخ الاصطلاح

ظهر مصطلح (التصميم الذكي) وإن لم يكن بمفهومه الحديث في عدد سنة 1847م من مجلة Scientific American وفي كتاب مدرسي للجغرافيا سنة 1868، وفي محاضرة ألقاها عالم النبات جورج جيمس ألمان George James Allman في سنة 1873 بالاجتماع السنوي للرابطة البريطانية لتقدم العلوم British Association for Advancement of Science.

وقد ورد هذا المصطلح أيضاً عند فرديناند كانينج سكوت شيلر Ferdinand Canning Scott Schiller في كتاب له سنة 1897 جاء فيه: «ليس من الممكن الحكم على الافتراض الذي يذهب إلى أن عملية التطور يمكن أن توجه بتصميم ذكي».

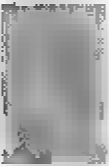
وفي مطلع الثمانينيات بُعِث المصطلح من جديد في هذا المصطلح على يد السير فرد هويل Fred Hoyle وتكرر وروده في قضية إدواردز ضد أجيلارد Edwards Aguillard أمام المحكمة العليا للولايات المتحدة (1987) التي قضت بعدم تدريس مذهب الخلق في المدارس الأمريكية لعدم دستوريته.

ويُعدُّ كتاب (الباندا والناس) Pandas and People لنخبة من المؤلفين هم: دين هـ. برسيفال ديفيس Dean H. Percival Davis ودين كينيون Dean H. Kenyon الصادر في سنة 1989 أول كتاب عن التصميم الذكي، ومن ثم تعزز هذا الاصطلاح أكثر فأكثر على يد العالم القانوني المتقاعد فيليب جونسون Phillip Johnson في كتابه محاكمة داروين Darwin on Trial الصادر في عام 1991 وجونسون هو أب حركة التصميم الذكي.



فيليب جونسون

يُعدُّ فيليب جونسون أحد مؤسسي حركة التصميم الذكي، وهو المهندس الرئيس لما يُعرف باستراتيجية الإسفين Strategy Wedge وهو أيضاً مؤسس ومستشار سابق في مركز العلوم والثقافة بمعهد ديسكفري CSC. قد دافع جونسون في الدوائر الأكاديمية والسياسية باستماتة عن تعليم التصميم الذكي في المدارس في مواجهة نظرية التطور التي يصفها بالإلحاد. وقد لخص في كتابه إبطال الداروينية بالعقول المتفتحة Defeating Darwinism by Opening Minds الصادر في سنة 1997 فلسفة الدعوة عن التصميم الذكي فقال:



«لو فهمنا أرقامنا، فسوف نعلم أنه ينبغي علينا أن نثبت حقيقة الرب بتحدي هيمنة المادية والنقد الطبيعي في عالم الفكر وبمساعدة أصدقاء كثيرين طورت استراتيجية لتصميم ذلك».

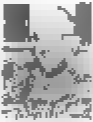
وقد أطلق على هذه الاستراتيجية اسم (الإسفين). ويعترف جونسون بأن هدف حركة التصميم الذكي هو تعزيز فكرة الإيمان بالله وتقديمها على أنها مفهوم علمي، وأنه ينبغي المبادرة بالهجوم والتوقف عن الدفاع. وجونسون خلافاً لبعض أنصار التصميم الذكي مثل مايكل بيهي، يرفض القول بفكرة النسب المشترك، وليس له موقف من مسألة عمر الأرض. ولم يسلم جونسون من النقد، فقد وصف عالم البيولوجيا براين سبيتزر Brian Spitzer كتابه محاكمة داروين بأنه «أكثر الكتب التي قرأتها تضليلاً على الإطلاق».

ويقول جونسون موضحاً استراتيجية دق الإسفين بين العلماء والتطوريين:

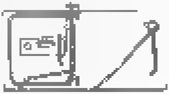
«هدف استراتيجية الإسفين إقناع الناس بأن الداروينية هي إلحاد موروث، وهذا ينبغي تحويل المناظرة من الخلق في مواجهة التطور Creationism vs. Evolution إلى وجود الله في مواجهة نفيه The

Existence of God vs The Non-Existence of God

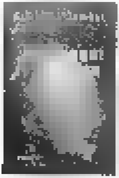
ومن المفاهيم الأساسية التي يدور حولها التصميم الذكي: التعقيد غير القابل للاختزال Irreducible complexity الذي وضعه مايكل بيهي Michael Behe أحد علماء [illegible] ويعرفه بيهي بأنه: نظام مفرد مكون من أجزاء متداخلة متناسقة متفاعلة يشكل نظاماً [illegible] وإذا [illegible] أي جزء من تلك الأجزاء فإن ذلك النظام لا يقوم بوظيفته. ويقوم مايكل بيهي بتبسيط هذا المفهوم الذي ابتدعه باستخدام مصيدة الفئران Mousetrap التي تشكل نظاماً يقوم فيه كل جزء بوظيفة محددة تتوقف عليها الأجزاء الأخرى، وإزالة أي جزء من هذه المصيدة سوف يفقدها وظيفتها. وأنصار التصميم الذكي يؤكدون أن الانتخاب الطبيعي لا يمكن أن يخلق أنظمة في غاية التعقيد وغير قابلة للاختزال. ومن الأمثلة التي ساقها بيهي على الميكانيزمات البيولوجية المعقدة غير القابلة للاختزال البكتيريا ذات الزوائد السوطية وتجلط الدم وجهاز المناعة.


مايكل بيهي

ومن مفاهيم التصميم الذكي ما يُعرف بـ التعقيد المعين Specified complexity الذي طوره الرياضي الفيلسوف وليام ديمبسكي William Dembski. يقول ديمبسكي: عندما يبدو الشيء معقداً [illegible] يكون معقداً ومحدداً في الآن نفسه [illegible] فإننا نستنتج أنه قد أُنتج من عامل ذكي، أي قد تم تصميمه بدلاً من أن يكون قد حدث بفعل عمليات طبيعية. ويسوق ديمبسكي


مصيدة الفئران

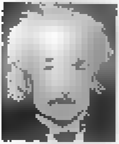
مثالاً على ذلك، فيقول: الحرف المفرد من الأبجدية هو محدد ولكنه غير معقد، والجملة الطويلة المكونة من حروف عشوائية معقدة ولكنها غير محددة، وأي سونيت من سونيتات شكسبير معقدة ومحددة. وعلى هذا النحو يمكن وصف الكائنات الحية ولا سيما [illegible] التسلسل الجيني في الجزيئات البيولوجية الوظيفية مثل الشفرة الوراثية DNA. ويحدد [illegible] احتمال حدوث معلومات نوعية معقدة [illegible] للصدفة الطبيعية أقل من 1×10 أس [illegible].


غلاف كتاب التصميم الذكي لوليام ديمبسكي

هل يوجد مصمم ذكي وراء هذا العالم؟

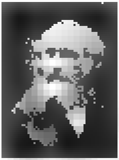
يرى كثير من عباقرة علماء الطبيعة وعلماء الرياضيات بضرورة وجود خالق مدبر [illegible] الكون، والأمر الذي لا يعرفه الكثير [illegible] أنهم وجدوا أنفسهم في مواجهة علماء يستعملون نظريات علمية هي عينها التي يزعمون أنهم يستخدمونها في جدال القول بوجود خالق (التصميم الذكي). وكانوا قد تعودوا في الماضي مواجهة الأصوليين ممن ليس لهم معرفة بالعلوم التجريبية، وليس لهم من براهين إلا ما ورد في الكتب المقدسة، ولكن يصعب عليهم هزيمتهم بمنطق العلم التجريبي، وتلك أكبر خيبة أمل يمنى بها الداروينيون الجدد. وفيما يلي مجموعة من أقوال [illegible] العلماء الأفذاذ في [illegible] دعاوى الداروينيين:

* يعتبر ألبرت أينشتاين Albert Einstein أشهر عالم في العصر الحديث


أينشتاين

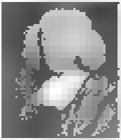
[illegible] نظرية النسبية التي أحدثت انقلاباً في العلوم الكلاسيكية: (إنني أشعر على من يُنكر وجود كائن أعلى Supreme Being مفكر من أنه ارتباط حقيقي بالعلم مفهوم تماماً به [illegible] في هو بديع الكون. [illegible] عظيم يكثر من الإنسان يحس به مواجهة تلك الروح شعور بضآلة، ولذلك فإن ملاحظة العلم تقود إلى شعور ديني من نوع خاص، وهو [illegible] مختلف تماماً عن الدين الساذج والأكبر منه).

- ويقول فرانسيس بيكون Francis Bacon: (إنه كان [illegible] اعتقاد للبحث نستفي لهوجع في كتابين الأول الكتاب المقدس الذي يُعبر عن وحي الله، والكتاب الثاني كتاب المخلوقات الذي يُعبر عن قدرة الله).



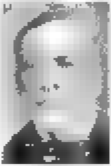
جيمس ماكسويل

- يقول جيمس كلارك ماكسويل James Clark Maxwell مؤسس الديناميكا الحرارية: (ليس ثمة نظرية من نظريات التطور قادرة على تفسير تماثل الجزيئات لأن التطور يتضمن بالضرورة تغيراً مستمراً).



جون راي

- يقول جون راي John Ray أبو التاريخ الطبيعي الإنجليزي وأحد مؤسسي الجمعية الملكية وأحد أكبر علماء النبات والحيوان في عصره: (حكمة الرب تتجلى في عملية الخلق).



لويس باستور

- يقول لويس باستور Louis Pasteur: (إن أكثر شيء [illegible] هو الطبيعة، وأكثر شيء أثار حسي هو صنعة الخالق، والعلم يقرب البشر من الله).

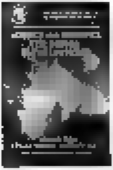
- يقول بول ليموان Paul Lemoine مدير الجمعية الجيولوجية الفرنسية ومدير المتحف الطبيعي في باريس في مطلع القرن العشرين: (إن نظرية التطور مستحيلة ولن يستمر الإيمان بها بعد العصر طويلاً).

- يقول عالم الأحياء الدقيقة الشهير جون إيكلس Sir John Eccles: (إن ظهور البشر يبقى معضلة والعلم دليل على العجز، وسعى إلى التوجه بأمر إلهي، والهداية الإلهية مسألة تجيب على سؤال حياتنا. وعند مماتنا ينتهي الدماغ ويبقى الهدي الإلهي، وكل واحد منا كائن واع فريد إنه خلق إلهي).

- يقول عالم الأحياء هنري شيفر Henry Schaefer: (من دونه لا أفهم شيئاً ومن دونه كلُّ شيء ظلام... [illegible] والإلحاد مرض وهو مرض العصر، ولأن تنزع عني شيئاً أيسر لك من أن تنزع مني إيماني بالله).

- يقول اللورد وليام كلفن طومسون Lord William Kelvin Thompson وخصوصاً لمن الحياة: (يُثبت العلمُ بشكل قاطع قوة خلاقة، والبراهين القوية على سيطرة الذكاء والتصميم تحيط بنا من كل جانب، والفكر الإلحادي [illegible] إلى [illegible] أعجز عن التعبير عنه).

لقد قام معهد ويذرسفيلد Wetherfield Institute بنشر كتاب يثبت بالعلم والبرهان وجود التصميم الذكي في الكون، شارك في تأليفه ثلاثة من أشهر العلماء من أنصار نظرية التصميم الذكي، وهم وليام ديمبسكي، وما يكل بيهي، وستيفن ماير، والكتاب بعنوان (العلم والدليل على وجود التصميم في الكون).

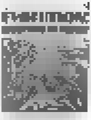


غلاف كتاب العلم والدليل على التصميم في الكون



التطور علم أم خرافة؟ Evolution: Science or Myth

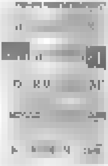
اشتدت في العقود الأخيرة الانتقادات الموجهة للبرنامج البحثي المعروف بالداروينية، حيث صدرت عشرات الكتب التي تنتقد بالشكل النقدي الذي لم تتوقف سيله بعد. والذي يثير الانتباه في هذه الكتب أن أكثرها من تأليف علماء



التطور في أزمة

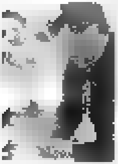
في البيولوجيا والرياضيات والجيولوجيا والأركيولوجيا وعلم الأجنة، وقليل منها من تأليف فلاسفة ولاهوتيين وأصوليين. وقد جعل نظرية التطور في موقف دفاعي حرج، أدى ببعضهم أن يسميه أزمة.

فقد قام مايكل دنتون بوضع كتاباً سماه: التطور نظرية في أزمة Evolution: A Theory in Crisis. يقول دنتون في كتابه هذا: إن النظرية الداروينية وبشكل نهائي أكبر أسطورة عالمية مؤثرة في القرن العشرين لا أكثر ولا أقل، ومن أصل الحياة مثلاً تمثل هو يوم ينقض على ظهر النظرية برمتها.



تحطيم أساطير الداروينية

ويؤلف ريتشارد ميلتون Richard Milton كتابه الشهير تحطيم أساطير الداروينية Shattering The Myths of Darwinism. وبالرغم من أن ميلتون لا يحسب في عداد العلماء، إلا أنه صحفي متخصص في الأصل ويعمل في مجال الصحافة العلمية وتاريخ التكنولوجيا، إلا أنه عُرف بكونه متابعاً جيداً لتطور النظريات العلمية، وذلك ما جعل كتابه يُعد من أكثر الكتب الصحفية مبيعاً في مقطع التصنيفات من القرن العشرين.



ريتشارد ميلتون

وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه يحمل من الآراء والتحليلات المرتبطة على قدر كبير من المعلومات والنظريات والنتائج العلمية التي جعلت الباحث المتتبع لأسس الداروينية قد أتاح له فرصة الاطلاع على عمق مزاعمها.

وقد اعترف الكثير من المعنيين هذه الأسطورة بأنها كبيرة، حيث إن ريتشارد داوكينز الذي عُرف بأنه الوالد الروحي يكون هذه الكائنات لا تعني غير هياكل روحها عارية مسيرة، والجسد الوحيد لعمل تصميل عشوائي.

ويقول عالم الأجنة السويدي الدكتور سورين لوفتروب Soren Lovtrup متحدثاً عن الأسطورة الداروينية: ستكشف في يوم ما على أنها أكبر خديعة في تاريخ العلم، وعندما يحدث هذا سيتساءل كثير من الناس كيف حدث ذلك؟

ويقول دافيد بيرلنسكي David Berlinski: إن نظرية داروين هي من الأنواء الجميلة في القرن التاسع

عشر، وهي الأدلة الترويجية والتركيبية، والتي ستؤكد من أن فرويد وماركس وداروين ونيتشه [illegible] الأمر [illegible] براءة مطلقة تجمع فيها الاتجاه للنبوءة.

ثم يستكمل الباحث جوناثان ويلز [illegible] التطور بأنه مجموعة من الأيقونات التي لا تختلف عن الأيقونات الدينية التي تثير من التقديس الذي يحرم مسه أو الاقتراب منه باعتباره من الأمور القطعية التي لا يرقى إليها شك، فما الفرق بينه وبين المعتقدات الخرافية التي يصفها أنصار التطور بالخرافة المسيحية والخزعبلات والأسطورة، وبذلك جعل لكتابه عنواناً مثيراً هو: (أيقونات التطور: علم أم خرافة؟)



أيقونات التطور

وأيقونات التطور أو أساطير التطور كما يراها جوناثان ويلز عشر هي:

1) تجربة ميللر يوري وستانلي ميللر، وقد سبق الحديث عنها.

2) شجرة الحياة عند داروين، حيث يزعم أن جميع الكائنات العضوية الحية انحدرت من سلف مشترك.

3) تماثل المفقريات.

4) أجنة إرنست هيكل.

5) الأركيوبتركس: الحلقة المفقودة بين الديناصورات والطيور الحديثة.

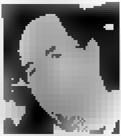
6) سوس عثة التوابل.

7) عناقيد الحسون.

8) ذباب الفواكه ذو الأجنحة الأربعة.

9) الخيول المتحجرة.

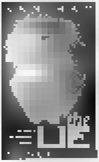
10) من القرد إلى الإنسان.



جوناثان ويلز

والأيقونات العشر التي تضمنها جوناثان ويلز هي الأدلة التي يتشبث بها الداروينيون لإثبات صحة مذهب التطور.

يصور جوناثان ويلز التشبث بنظرية التطور مختفي في نفوس كثيرين منا من مناهج التعليم، ويظل أن الناس سيتطورون وهم يرون ويستمعون، كيف أن الناس من ذوي العقول [illegible] بمعارفهم الناقدة بها؟.



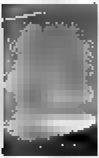
أكذوبة التطور

وقد ذهب كينيث هام Kenneth Ham إلى أن التطور مجرد كذبة، فوضع كتابه أكذوبة التطور The Lie: Evolution

كما وصفت نظرية التطور بأنها الخديعة الكبرى Evolution: The Big Hoax

والوهم الكبير Evolution: The Great Illusion

ولم تعد أدلة الداروينية تقنع أحداً، فهي لم تصمد براهينها [illegible] أمام محك المنطق العلمي، وقد جعل توماس هاينز Thomas Heinze وهو أحد النقاد عنواناً لأحد كتبه التي يتضمن [illegible] وهو: براهين التطور المتلاشية The Vanishing Proofs of Evolution



براهين التطور المتلاشية

وساق كتاب (انهيار التطور The Collapse of Evolution) وهو من تأليف سكوت هويس Scott Huse الأدلة على إثبات تداعي الداروينية، فهو يهدم أدلة التطوريين بسوق حشد من الأدلة البيولوجية والجيولوجية والفيزيائية والأنثروبولوجية والرياضية والتصرية والفلكية.

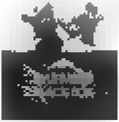
وقد نال الكتاب من التقريظ حظاً كبيراً، وقد

كتب الدكتور جيمس كيندي بعض ... كتاب تنبيه ... التطوريون ... حسب نظرية التطور. وقد جاء في الوقت الذي يحرك فيه التطوريون نحو المحاكم ... بعد تبييض نظريتهم، بالرغم من تصدع ... الداروينية.

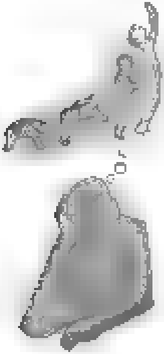
ومن أهم الكتب العلمية التي قصمت ظهر الداروينيين كتاب أستاذ الكيمياء الحيوية مايكل بيهي Michael Behe (صندوق داروين الأسود: تحدي الكيمياء الحيوية للتطور) Black Box: The Biochemical Challenge Darwin's to Evolution

وقد أحدث كتاب مايكل بيهي على حد تعبير (أي ...) يوهيني Ray Bohlin أستاذ البيولوجيا الجزيئية والباحث في مركز تجديد العلم والثقافة التابع لمعهد ديسكفري عاصفة نارية Firestorm في الجبهة داخل الدوائر العلمية.

يقول بوهلين في عرضه لكتاب (صندوق داروين الأسود): قد يكون كتاب بيهي الجديد هو القشة التي قصمت ظهر البعير. والكتب التي من هذا القبيل يقوم بتأليفها عادة مفكرون مسيحيون أو على الأقل مطبعة علمانية مشهورة تهتم في نشرها. كما أن الكتب التي تدعو إلى نظرية الخلق نادراً ما تُباع في المكتبات العلمانية أو تُعرض في المطبوعات العلمانية. لقد أثار (صندوق داروين الأسود) اهتمام التطوريين، مع أنه ليس من تأليف المعرضين للأفكار المعادية للتطور في المحافل العلمية. وقد كتب علماء تطوريون كبار أثرة على كتاب بيهي مثل نيلز إيلدريدج Niles Eldredge من المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي، ودانيال دينيت Daniel Dennett مؤلف كتاب أفكار داروين الخطيرة Darwin Dangerous Ideas وريتشارد داوكينز Richard Dawkins من جامعة أكسفورد ومؤلف كتاب (الساعاتي الأعمى)، وجيري روبيسون Jerry Robison من جامعة هارفارد، والفيد هال David Hull من جامعة شيكاغو، والذي دعا أولئك العلماء للاهتمام بهذا الكتاب، أن مؤلفه البروفيسور مايكل بيهي ذو سمعة علمية محترمة ويعمل في معهد مرموق، وأن بحثه وجدته في التطور أكثر موضوعاته من منظار نظرية الخلق. ويزعم بيهي ببساطة أن عندما كتب داروين كتابه أصل الأنواع كانت الخلية صندوقاً أسود تكتنفه الألغاز، قد يبصرُ ما يوجد خارجه ولكن لا يعرف كيف يعمل ما بداخله. ويرى بيهي أنه سبع الصندوق الأسود للخلية خلال الأربعين سنة من البحث في البيولوجيا الجزيئية والبيوكيميائية الحيوية، ظهرت أمثلة عديدة على آلات جزيئية معقدة تتحدى كلياً نظرية الانتخاب الطبيعي في تفسير نظم الحياة.



صندوق داروين الأسود



الحسابات الجديدة لعمر الأرض تهدد الداروينية

يعتمد الداروينيون في الترويج لنظرية التطور على حساب عمر الأرض وهو 4600 مليون سنة وهو حساب تم تقديره منذ أمد بعيد. وهذه الحقبة الطويلة جداً من الزمن بحسب التطوريين لنشأة الحياة العضوية دائماً ما كانت غير مقنعة، وإذا ثبت أن عمر الأرض هو أصغر بكثير من ذلك فإن نظرية التطور ستتداعى واحدة تلو الأخرى وهذا ما يعتمد عليه أنصار التصميم الذكي، ونظرية الخلق في مهاجمة الداروينية.

تحت عنوان (دليل الخلق وأسطورة التطور Creation Evidence and Evolution Myth) كتب الطبيب ماثيو ماكجي Matthew McGee مدير ومؤسس معهد دراسات الخلق مقالة جاء فيها:

«تشترك كتب المدرسة والتلفزيون والصحافة جميعها في تعليمنا أن عمر الأرض من 4 إلى 5 بلايين سنة باعتبار أن ذلك حقيقة مسلّم بها. ولكن ما لا يشتركون فيه من تعليم هو كيف حدد العلماء هذا العمر؟ وما هي الافتراضات التي وضعوها؟ وما الدليل الذي استعملوه؟ وما الدليل الذي طرحوه؟ وسنرى في هذه المقالة أن العلماء افترضوا بعرض أنّ:

أ) نظرية التطور العامة صحيحة

ب) الخلق باطل

ولم يصل العلماء إلى هذه الاستنتاجات بناء على اختبار الدليل، وهم ببساطة وضعوا هذه الافتراضات منذ البداية. وسوف نرى أنهم أيضاً استعملوا بعض المقاييس غير المقبولة والتحيزة لديهم باعتبارها أدلة على مذهبهم بأن الأرض قديمة جداً وعمرها طويل، في الوقت الذي طرحوا فيه أغلب الأدلة المهمة والتي تبين أن الأرض صغيرة في العمر جداً. وهم يحاولون أيضاً أن يعرضوا أسطورتهم بأنه يمكن للتعقيدات البيولوجية المتنوعة تستغرق ملايين السنين لتتكون»

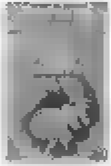
ثم يشرح الكاتب في تعريف المصطلحات بسبب الحاجة الضرورية لذلك فهو يفرق بين ما يُعرف بالنظرية العامة للتطور، والنظرية الخاصة للتطور، فالنظرية الخاصة للتطور وتُعرف بالتنوع الأفقي Horizontal variations هي التغيرات الصغيرة التي تحدث في النباتات أو الحيوانات على طول الزمن، وهي ليست تغييرات من نوع واحد إلى نوع آخر. وهذه التغيرات الطفيفة يمكن ملاحظتها من خلال التجربة ويمكن إثباتها، ولذلك فإن النظرية الخاصة للتطور تقع داخل حدود العلم، والكاتب هنا يشير إلى



التطور. وهذه يريد النظرية العامة للتطور التي تقول ان جميع أنواع الحياة تولدت من أشكال بسيطة، والتي بدورها تولدت من مادة غير عضوية عبر ملايين من السنين، وهي خلافاً للنظرية الخاصة لا يمكن ملاحظة التطور فيها ولا إثباته بالتجربة، ولذا تكون نظرية التطور العامة تقع خارج دائرة العلم.



هنري موريس



الميلاد المذهل لكوكب الأرض

كيف يؤرخ لعمر الصخور؟

يقوم كثير من الناس بل العلماء يُصدقون أعمار الصخور بالتاريخ الإشعاعي او الراديومترية Radiometric وتعميمه ان تاريخ الصخور الى فترة زمنية محددة في الماضي لم يتم بأي نوع من القياس الموضوعية.

والمقياس الذي يعتمد عليه في التأريخ للحياة العضوية من خلال عمر الصخور يتم بتاريخ كثافة الحفريات والمتحجرات الموجودة في الصخور.

والعلماء يؤرخون المتحجرات Fossils بتحديد الزمن الذي يظنون ان تلك المتحجرات وُجدت فيه موافقة للنظرية العامة للتطور، واي مفترض سواء أكان إشعاعي أو غير ذلك لا يتفق مع النظرية العامة للتطور فهو باطل بلا شك، وإن كان متفقاً معها فهو صحيح وعلمي، والقائلون بالتطور يقعون في الدور المنطقي Circular reasoning لأنهم يُصححون فروضهم بتاريخ المتحجرات ويُصححون تاريخ المتحجرات بناء على فرضياتهم. وفي الواقع ... بخصوص عمر الأرض فهناك عدة عمليات يمكن استخدامها لتحديد عمرها الافتراضي وقد وضع هنري موريس Henry Morris من معهد دراسات الخلق كتابه الشهير في ... حتى أوضح الداروينيين عن العمر الطويل ... The Remarkable Birth of Planet Earth وهو كتاب ... فيه نتائج البحوث والدراسات التي قامت بها المراكز العلمية لتحديد عمر الأرض، وقد ذكر حوالي ٧٦ عملية مختلفة في الطبيعة يمكن استخدامها لتحديد عمر الأرض مثل تدفق العناصر الطبيعية في المحيطات وتشكل ... حقل المغناطيسي للأرض وتراكم المواد العضوية (البلازما والسهب) فوق ٧٠ ... ومن هذه العمليات الست والسبعين تبين ان:

- ٨ عملية تظهر ان عمر الأرض اقل من 10,000 سنة
- ٦ عمليات تظهر ان عمر الأرض أكثر من 10,000 سنة الى 100,000
- عملية تظهر ان عمر الأرض أكثر من 100,000 سنة إلى مليون سنة
- عمليات تُظهر أن عمر الأرض من مليون سنة الى 10 ملايين سنة
- ١٢ عملية تظهر ان عمر الأرض اكثر من 10 ملايين سنة إلى 100 مليون سنة
- ٦ عمليات تظهر ان عمر الأرض أكثر من 100 مليون سنة إلى نصف بليون سنة

ولم تُظهر ايُّ عملية من العمليات الست والسبعين ان عمر الأرض يتجاوز النصف بليون سنة، واكثر من نصف هذه العمليات تبين ان عمر الأرض اقل من 100,000 سنة.

وإذا تبين ان عمر الأرض ليس 4.6 بليون سنة كما ندرس في المدارس وانها اصغر من ذلك بكثير فإن الداروينية تتلقى ضربة قاصمة لأنها تحول على طول الزمن حتى يقوم الانتخاب الطبيعي بدوره.

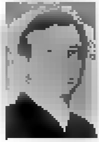
حفريات الإنسان القديم وأكاذيب الداروينية

إنسان جاوه The Java Ape Man



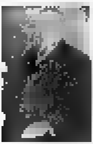
تمثال رأس إنسان جاوه

في سنة 1891 عثر طبيب عسكري هولندي يدعى يوجين ديبوا يقيم في جاوه على اكتشافه "متحجرة المفقودة بين الإنسان والحيوان" حيث وجد قسماً علوياً من جمجمة وفكاً به ثلاث أسنان وجزءاً من عظم فخذ، ولم يعثر على هذه الأجزاء كلها في مكان واحد وإنما عثر عليها في مسافات متباعدة تبلغ 50 قدماً. احتفظ ديبو بتلك البقايا في صندوق ببيته، ولم يسمح لأحد برؤيتها [illegible] الرصاص إلى حد من علماء التطور المتحمسين وإلى [illegible] ذلك [illegible] وقد أطلق على تلك البقايا الهزيلة اسم بيثيكانثروبوس إيركتوس "الإنسان القرد المنتصب القامة" Pithecanthropus Erectus يقول كين هتشسون Ken Hutcheson



كين هتشسون

[illegible] التطوريون العظام وسعوا [illegible] سؤالاً وأعلنوا على العالم [illegible] هذا الإنسان [illegible] 750.000 سنة. وقد حاول كثير من علماء التطور [illegible] ديبوا رؤية تلك البقايا ولكنه [illegible] عنهم وبعد [illegible] سنة طالب العلماء بمشاهدة تلك العظام [illegible] بأنفسهم، [illegible] 24 [illegible]



يوجين ديبوا

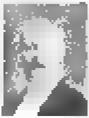
أوروبا وفحص البقايا العظمية فقال عشرة منهم إنها عظام قرد وقال سبعة إنها عظام إنسان وقال سبعة إنها تمثل الحلقة المفقودة وقد قال [illegible] صاحب كتاب [illegible] في التاريخ إنها عظام قرد حتى ديبوا نفسه اعترف في الأخير أنها عظام قرد. ولكن إنسان جاوه [illegible] في المتاحف والمدارس والكتب الجامعية في أرجاء العالم باعتباره الحلقة المفقودة بين الإنسان والحيوان، التي تثبت صحة التطور.

خديعة إنسان بلتداون Piltdown Man [illegible]

بلتداون موقع للحفريات في قرية بلتداون بجوار مدينة سسكس Sussex في انجلترا اكتشف بها في سنة 1908 وسنة 1912 بقايا لكائن قردي وحفريات أخرى وفي سنة 1913 [illegible] عثر على [illegible] ومن [illegible] الجمعية [illegible] الحفريات الإنجليزية إلى قبول فكرة أن تلك البقايا من الحفريات تنتمي إلى مخلوق له [illegible] جمجمة آدمي وفك قرد وفي سنة 1953 أعلن عن فضيحة تسمى إنسان بلتداون، [illegible] خصوص تلك الحفريات



بلتداون

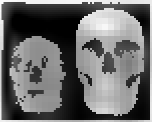


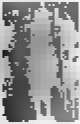
تشارلز داوسن

التي زُعم أنها لإنسان قديم ليس إلا خديعة، وإن نصف تلك الجمجمة ليست إلا لإنسان حديث، وإن الفك التي عثر عليه ليس إلا لقرد سُحلت من فك ذلك القرد. وقد قام باختراع هذه الأكذوبة الكيميائي تشارلز داوسن Charles Dawson، فهل كان العلماء مغفلين إلى هذا الحد حتى صدقوا هذه الأكذوبة؟ ومن التفسير لهذا ما يجيب ستيفن جي غولد Stephen Jay Gould عن ذلك مقدماً عدة تفسيرات، من بينها ما يُعرف بالتفكير الرغائبي wishful thinking وهو أن يرغب المرء في أن يكون ما يُعثر عليه صحيحاً، أو بسبب الوقوع تحت تأثير التحيز الثقافي cultural bias وهل السبب الأخير لعب دوراً كبيراً في نقص التفكير النقدي بين علماء الحفريات الإنجليز وخضوعهم لأوهام خديعة بلتداون حتى هيمن عصبية المعرفة العلمية. كما تبين أيضاً الطريقة التي ترتبط بها النظريات والحقائق في العلم. كما أن ثمة سبباً آخر تَرَدَّ إليه انطلاء هذه الأكذوبة على معظم العلماء وهو أنه لم يسمح لهم بالاطلاع على الأدلة الأحفورية التي حُفظت في المتحف البريطاني.

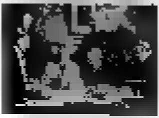


ستيفن جي غولد





المتحف البريطاني للتاريخ الطبيعي



تشارلز داوسن مع بعض العلماء يدرسون حفريات بلتداون

إنسان نبراسكا Nebraska Man

في سنة 1922 أعلن هارولد كوك Harold Cook عن اكتشاف الحلقة المفقودة في نبراسكا بالولايات المتحدة الأمريكية، وذلك بالعثور على إنسان نبراسكا.

لم يكن إنسان نبراسكا هذا إلا سنّاً واحدة، واحدة فقط. وبعد خمس سنوات من الإعلان الأول عن هذا الاكتشاف، أي في سنة 1927، قامت الجامعة نفسها التي عُثر فيها على تلك السن أصلاً عن العثور على تلك السن تحتوي على بقية الأسنان، تبين فيما بعد أنها لنوع من الخنازير المنقرضة. وقد شاع خبر هذا الاكتشاف الذي عُدّ مذهلاً في الأوساط العلمية ولا سيما في الدوائر الداروينية، وكان الناس يظنون، إلى زمن قريب، أن بقايا إنسان نبراسكا المتحجرة التي تم العثور عليها يمكن أن تشكل هيكلاً عظمياً أو جمجمة أو جمجمة على الأقل وليس مجرد سنٍّ واحدة، وكذلك لخنزير منقرض. والعجيب أن هذا الضرب من التدجيل لا يجد من يصححه في أوساط الداروينية.

إنسان تشاد Chad Man



غلاف مجلة الطبيعة

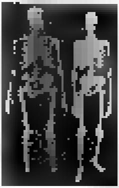
لم يتوقف البحث عن الحلقة المفقودة بين القرد والبشر، وظلت الأخبار تطالعنا من حين إلى آخر باكتشاف بقايا عظمية لكائنات شبيهة بالإنسان، وكلها يُزعم أنها الحلقة المفقودة.

وآخر ما طالعتنا به مجلة (الطبيعة) Nature إعلانهم عن العثور على جمجمة لإنسان في تشاد عمرها 7 ملايين سنة بحسب زعمهم.

وقد ظهر خلاف كبير بين العلماء بشأن أهمية اكتشاف هذه الجمجمة التي أُطلق عليها اسم توماي، ووصفت الجمجمة بأنها أهم اكتشاف في الخمسين

سنة الماضية، وذلك عندما أعلن عنه في وسائل الإعلام في شهر يوليو 2006 الماضي.

وقال العالم الفرنسي ميشيل برونيه الذي اكتشف توماي في تشاد: إن الجمجمة تعود لأحد أسلاف الإنسان الحالي، وقال إن توماي عمره 7 ملايين سنة. ولكن كثيراً من العلماء أعربوا عن شكوكهم في عمر توماي ونشروا انتقاداتهم.



وقال علماء ومنهم بروفيسور ميلفورد ولبوف في مقالة في مجلة Nature إن الجمجمة المكتشفة ليست جزءاً من الشجرة التطورية للإنسان على الإطلاق.

وقالوا: إن الجمجمة الجديدة ربما تكون تابعة لأحد أنواع الغوريلا أو بعض حيوان انقرض في مرحلة من مراحل التاريخ.

ووضع العلماء وصفاً يختلف اختلافاً واضحاً عن الوصف الذي وضعه مكتشف الجمجمة، ويقولون إن الوجه القصير والأنياب الصغيرة تدل على أن الجمجمة لأنثى، ولا تدل على أنها لأحد أسلاف الإنسان الحالي.

وقال ولبوف، العالم بالأجناس البشرية في جامعة ميشيغان: لا أعرف كيف نصنف الجمجمة، ولكنها بالتأكيد ليست جمجمة إنسانية.

أما مكتشف الجمجمة فيقول إن العلماء المعارضين لا يقدمون أي دليل على أنها ليست جمجمة غوريلا، ولا يقدمون أدلة على أنها ليست للإنسان.

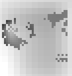
وقال كريس سترينجر من متحف التاريخ الطبيعي في لندن: بغض النظر عن أي شيء آخر فإن الجمجمة المكتشفة تتمتع بأهمية عظيمة.

وقال: في رأيي إن برونيه محقٌّ في البت فيه إن كانت الجمجمة ذات علاقة بالخط التطوري، وأضاف: من الخطأ أن نعتقد أن ملامح الغوريلا والشمبانزي والإنسان لم تتغير عما كانت عليه في الأزمان السحيقة.

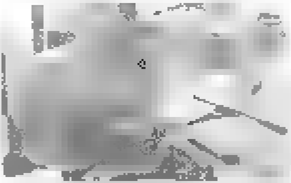
إنسان نياندرتال ليس جداً لنا

جاء في صحيفة بريطانية بتاريخ 16/7/2002م:





أعلنت مؤخراً مجموعة من علماء الجينات الألمان والأمريكيين برئاسة البروفيسور تابو Tabo من جامعة ميونيخ عن اكتشاف جديد وهو أن إنسان نياندرتال الذي كان يُعدُّ الحلقة الوسطى بين إنسان بيتكانتروبوس Pithecanthropus والإنسان الحديث لا يمكن أن يكون الحلقة المفقودة في التطور، وأن مقارنة الحمض النووي DNA لبقايا إنسان نياندرتال مع الحمض النووي للإنسان الحديث تثبت أن إنسان نياندرتال لا يمكن أن يكون سلفاً للبشر. وهذا الاكتشاف الذي ذكره علماء الجينات يؤيده علماء الأنثروبولوجيا مثل سميث وتيسين Smith and Tassen من ألمانيا والعالم البريطاني سترينجر Stringer، وكان إنسان نياندرتال سائداً بشكل كامل في أوروبا منذ 200.000 سنة، وقد ظهر على المسرح منذ 40.000 سنة مضت مخلوق جديد أزاح إنسان نياندرتال، عُرف بإنسان كرومانيون Cro-Magnon الذي عُثر عليه في كهف كرومانيون بفرنسا، وهو في مستوى عقلي أعلى من إنسان نياندرتال، وأدواته وأسلحته أكثر تطوراً. ... الكائنات الشبيهة بالإنسان الشرقي وأسيا في ظل النسل نياندرتال، ومن بقي منهم حيا هرب إلى أماكن نائية من العالم، ولقد كانت تلك ملحمة كبيرة تشهد لها المدافن التي ضمت جماجم



[illegible]

هيكل عظمي لإنسان نياندرتال. وقد أثبت العلماء من خلال المقارنة التي أجروها على البقايا العصرية أنه لا يمكن أن يحتوي سمة تجمع بين إنسان نياندرتال وأسلاف الإنسان الحديث، وما لم يعثر على مومياء مماثلة فإن كل الدعاوى تبقى مجرد ظنون.

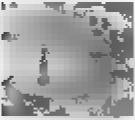
وفي سنة 1993 عُثر على مومياء في كتلة جليدية بمنطقة جبلية في وسط أوروبا يعود عمرها إلى 4000 سنة ... وكان للمومياء شعر ... طويل يصل إلى الكتفين ... على ...

والغريب في ... أنه مصنوع من مواد اصطناعية مجهولة وبها خلايا ... عصبية معقدة ... بمستوى عال من التكامل ... اليوم. وقد قام الباحثان جوستين مانيرز Jason Manners من الولايات المتحدة، وكين جيننجز Kent Jennings من بريطانيا ... وقالا إن ... ميكانيكية ... على المومياء ... تخلق إنسانا ... Cyborg ويقول العلماء ... كانت في حياتها شبيهة بالإنسان الآلي الروبوت ... في الوقت الحاضر ... العصر الحديث ... تلك الكائنات التي تذكر في ... UFOs القادمة من كواكب أخرى.

خدع وأكاذيب من عيار ملفقة لحفريات قديمة

في مطلع سنة 2005 أجبر على الاستقالة ... البروفسور راينر رودولف بروتش Reiner Rudolph Protsch أستاذ الأنثروبولوجيا في جامعة فرانكفورت لمدة ثلاثين سنة، وقد أجبر بعد هذه الفضيحة على الاستقالة في ...

وقد زعم بروتش أنه عثر على بقايا جمجمة في مستنقع يعود عمرها إلى [illegible] ألف سنة تعتبر في نظره الحلقة المفقودة بين الإنسان الحديث وإنسان نياندرتال. وقد تبين أن عمر تلك الجمجمة لا يتجاوز [illegible] سنة حسب التحليل الذي ... بجامعة أكسفورد ... حيث أرسلت لها



[illegible]

حفريات أخرى لمعرفة عمرها الحقيقي. والبروفسور بروتش متهم بوضع أعمار ... طويلة لحفريات كثيرة بشكل خادع. فهو مثلا يزعم أنه عثر على هيكل عظمي لأنثى كانت تعيش قرب قرية سبير Speyer بجنوب غرب ألمانيا قبل [illegible] سنة قبل الميلاد، وقد تبين أن عمر بقايا هيكل المرأة المذكورة لا يتجاوز [illegible] سنة قبل الميلاد. كما ادعى أيضا ... عمر جمجمة اكتشفت قرب بادربورن Paderborn في سنة 1976 ... [illegible] سنة، وقد يُعد أقدم بقايا بشرية وُجدت في تلك المنطقة، وقد تبين الآن أن تلك البقايا ترجع إلى منتصف القرن الثامن عشر.

وصرحت ... لجنة ... مكلفة من جامعة فرانكفورت بالتحقيق مع بروتش بأنه يجهل استعمال أداة التأريخ الكربوني ... مما دفع بروتش إلى الاستقالة من الجامعة فإن الشرطة الألمانية ...

لا تزال محفوظة معه في بيع 218 جمجمة للزرافة وسبعين من مقتنيات الجامعة لأحد العلماء الأمريكيين

العمود الجيولوجي يدحض مزاعم التطوريين

أحد البراهين الشائعة عند التطوريين لإثبات صحة نظرية التطور قولهم إنه كلما حفرنا لعمق داخل الطبقات الصخرية، نجد أن المواد العضوية الأبسط تتزايد بشكل أكبر، وهذا ما يسمونه بالعمود الجيولوجي Geological Colomn، ولكن في الواقع العلمي الحقيقي لا يوجد هذا العمود بشكل دائم في كل مكان على الأرض، وفكرة العمود الجيولوجي أن التطوريين يفترضون وجود أنواع معينة من المتحجرات في كل طبقة من الطبقات الصخرية، وتختلف تلك المتحجرات من طبقة إلى أخرى، ولذا وُجدت مثلاً متحجرة في طبقة ما، ووجدت المتحجرة نفسها في طبقة أخرى في مكان آخر فإن الجيولوجيين يعتبرون المتحجرات في الطبقتين ترجعان إلى تاريخ جيولوجي واحد.

ولكن بسبب التصدعات والانكسارات والزلازل التي حدثت في الطبقات الأرضية للسطح، تبعثرت الطبقات المتلاصقة والمتشابهة، والذي يدل على ذلك وجود المتحجرات في كهوف.

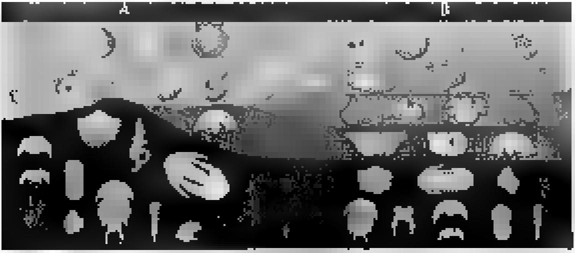
والواقع العلمي يثبت فساد هذه الافتراضات، فقد وجدت كائنات حية راقية في طبقات دنيا، وكائنات بدائية في طبقات عليا.

كما وُجدت بقايا وآثار بشرية في طبقات صخرية وُجدت فيها بقايا عظام ديناصورات، والتطوريون يزعمون أن الديناصورات وجدت على الأرض قبل وجود الإنسان بملايين السنين، والذي يترتب على هذا أحد أمرين: إما أن يُسلم التطوريون بظهور الإنسان في عصر الديناصورات، أو أن يُسلموا بفساد العمود الجيولوجي الذي افترضوا وجوده، والخياران أحلاهما مر.

طائر الأركيوبتركس Archaeopteryx والديناصورات

يدعي علماء التطور أن الطيور التي نراها اليوم هي كائنات منحدرة من الديناصورات.

كما يزعم التطوريون أن متحجرة الأركيوبتركس Archaeopteryx التي يبلغ عمرها 150 مليون سنة أعظم دليل حفري على التطور منذ القرن التاسع عشر، وأنها تحمل بعض خصائص الزواحف، ولذلك اعتبر هذا النوع من الطيور الحلقة المفقودة الواقعة بين الزواحف والطيور.





وعلى الرغم لم يثبت حتى حين من خلال طيور حالية أن الأركيوبتركس هو طائر مجنح كامل، وفضلاً عن ذلك فقد وجدت ديناصورات Crataeon وهي الشبه الأقرب عرضوه للطيور هو حتى عصر من طائر الأركيوبتركس بحسب ظهورها في سجل المستحاثات، وهو ما يعني أن ينتمي إلى الثيروبودات.

والسبب في عدم ... أن طائر الأركيوبتركس مختلف عن الزواحف وجود أعضاء وصفات مشتركة ليست موجودة في الطيور وهي:

1. وجود ذيل عظمي طويل مثل الزواحف، وقد ثبت أن بعض الطيور لها ذيل طويل.
2. وجود مخالب في أرجله ومخالب في أطراف أجنحته، وقد تبين أن بعض فصائل الطيور الموجودة اليوم لها مخالب في أجنحتها، فضلاً عن وجود مخالب في أرجل الطيور المعروفة مثل طائر الهواتزين Hoatzin الموجود في فنزويلا والتوراكو Touraco في أفريقيا. وفي سنة 1983 عرض المتحف البريطاني للتاريخ الطبيعي أنواعاً حديثة من عائلات الطيور التي تحتوي أطراف أجنحتها على مخالب.
3. وجود أسنان في مناقيرها، والطيور الحديثة لا توجد أسنان في مناقيرها، ولكن الطيور القديمة ولا سيما في العصر الجوراسي لها أسنان ولكن الأسنان لا تظهر فقط في الأركيوبتركس والحيوانات الأخرى لأن بعض الأصناف المندرجة تحت أصناف أخرى من الحيوانات الفقرية بعضها فيه أسنان وبعضها لا يوجد فيه أسنان.



طائر الهوتزين

4. عظامه مثقبة وليست مجوفة كالطيور، وهذه الفكرة مرفوضة لأن عظام الأركيوبتركس الطويلة عرفت الآن أنها مجوفة.



حفرية الأركيوبتركس



طائر الأركيوبتركس في رسم تخيلي



النزاع بين أنصار التطور وأنصار التصميم الذكي أمام المحاكم الأمريكية

انتقل النزاع مؤخراً بين الداروينيين أنصار نظرية التطور وأنصار نظرية التصميم الذكي ولقد انتقل النزاع من الوسط العلمي إلى ساحات المحاكم والقضاء.

في أغسطس 1999 جرت منظمة جالوب Gallup Organization استطلاعاً عن رأي حول تدريس نظرية الخلق في المدارس العامة فكانت النتيجة على هذا النحو:

الموضوع	مؤيد	ضد	لا رأي
تعليم نظرية الخلق والتطور معاً	68%	29%	3
تعليم نظرية الخلق بدلاً من التطور	40%	55	5%

وقامت مؤسسة DYG Inc. وهي شركة تقوم باستطلاعات للرأي بإجراء استطلاع للرأي بين البالغين في أعقاب القرار الذي اتخذه مجلس التعليم بولاية كانساس الذي يقضي بعدم الحاجة إلى تعليم نظرية التطور في مدارس العامة بالولاية وقد أسفر التصويت عن النتائج الآتية:

- معظم الأمريكيين البالغين لم يسمعوا مطلقاً عن معلمي الخلق.
- 60 ضد قرار مجلس ولاية كانساس بسبب التشكيك في مصداقية نظرية التطور من المناهج العلمية بالولاية.
- 83% يعتقدون أن التطور ينبغي أن يُدرس في المدارس العامة من بين هؤلاء:
- 13 يقولون إن التطور فقط ينبغي أن يُدرس في المدارس
- 17% يقولون إن التطور فقط ينبغي أن يُدرس في الفصول العلمية وعلم الخلق ينبغي أن يُدرس في الفصول الأخرى غير العلمية
- 29% يسمحون بتدريس النظريتين كلتيهما داخل الفصول العلمية نظرية التطور باعتبارها نظرية علمية ونظرية علم الخلق باعتبارها عقيدة
- حوالي 70% يعتقدون بأن نظرية التطور ونظرية علم الخلق متسقتان معاً.
- أقل من 40% يرون تدريس علم الخلق في الفصول العلمية كاعتقاد علمي
- 13% يريدون تدريس تلك النظريتين باعتبارهما علم
- 16% يريدون تدريس نظرية علم الخلق باعتبارها وحدها النظرية العلمية

وفي يناير 2002 جرت القناة الأولى للأخبار Channel One News استطلاعاً شمل 12,000 مدرسة عامة في الولايات المتحدة حول السؤال الآتي:

أي نظرية ينبغي أن تُدرَّس في المدارس؟ نظرية الخلق؟ أم نظرية التطور؟ أم نظرية الخلق والتطور معاً؟ فكانت النتيجة على النحو الآتي:

تدريس نظرية الخلق فقط	تدريس نظرية التطور فقط	تدريسهما معاً
8%	17%	72%

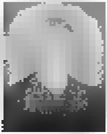
وفي الثامن عشر من شهر أكتوبر (تشرين الأول) 2004 صدر عن مجلس مديري المدارس بمقاطعة دوفر قرار بناءً على تصويت أعضاء المجلس ... بأصوات مقابل ... يقضي بما يلي:

"سيتم توعية الطلاب في المدارس إلى وجود فجوات ومشاكل في نظرية داروين وفي نظريات التطور الأخرى بما فيها نظرية التصميم الذكي. ملاحظة: أصل الحياة لا يُدرَّس".

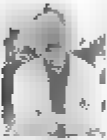
وفي التاسع عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) 2004 أعلن المجلس أنه ابتداءً من أول يناير 2005 يُطلب من المعلمين قراءة العبارة الآتية على تلاميذ الصف التاسع في مادة البيولوجيا في مدرسة دوفر الثانوية:

"تقتضي المعايير الأكاديمية في ولاية بنسلفانيا تدريس الطلاب نظرية التطور لداروين وإجراء الامتحان فيها. ولأن نظرية التطور مجرد نظرية فإن اختبارها والتأكد من صحتها يستمر كلما اكتُشف دليل جديد. والنظرية ليست حقيقة، والفجوات موجودة في النظرية لانعدام الدليل. ونظرية التصميم الذكي هي تفسير لأصل الحياة يختلف عن تفسير داروين. ويعتبر كتاب Pandas and People مرجعاً للطلاب الذين قد يرغبون في فهم ما يدور على نظرية التصميم الذكي. ومع احترام أي نظرية يُشجَّع الطلاب على فتح عقولهم وأذهانهم. وتترك المدرسة مناقشة أصل الحياة للتلاميذ الذين يريدون ... وأسرهم".

وفي 14 كانون الأول (ديسمبر) 2004 أقيمت دعوى ضد هذا القرار أمام محكمة المقاطعة بوسط بنسلفانيا التي أصدر قاضيها جون جونز John Jones في 20 ... 2005 حكماً بناءً على المواد 2201-2202 ... S.C.A و 1983 و 42 U.S.C لمصلحة المدعي يقضي بأن سياسة تدريس نظرية التصميم الذكي التي يتبعها المدعى عليه تنتهك التعديل الأول لدستور الولايات المتحدة والبند رقم 1 من دستور الكومنولث لبنسلفانيا.



القاضي جون جونز



كينيث ميلر

وكان من الشهود الذين استمعت المحكمة إليهم من المدافعين عن التطور البروفسور كينيث ميلر Kenneth Miller أستاذ الكيمياء الحيوية بجامعة براون Brown University الذي قال في شهادته:

"ليس هنالك خلاف في الدوائر العلمية حول جوهر نظرية التطور وإن نظرية التصميم الذكي ليست نظرية قابلة للفحص، والجدل حولها ... من غير العلماء".

أنصار نظرية التطور في أمريكا يقرعون أجراس الخطر

لم ترفض نظرية التصميم الذكي من التدريس في المدارس الأمريكية بموجب الحكم الذي أصدره القاضي جون جونز بناءً على أنها لا تقوم على أسس علمية كما يزعم أنصار الداروينية، ولكنها رُفضت لمخالفتها لدستور الولايات المتحدة الأمريكية الذي يقضي بعلمانية الدولة وبفصل الدين عنها، وذلك ما جاء صراحةً في منطوق الحكم القضائي المشار إليه والوارد في ... صفحة من ... المضبطة من 139.

ولذلك تساءل أنصار التطور في حذر كبير لمنافسة نظرية التصميم الذكي، حيث ... منهم بأن نظرية التطور ليست مجرد فرضية وليست معركة علمية.

ففي إعلان وقّع أكثر من 70 000 من العلماء الأمريكيين والمعلمين طُلب من المدارس عدم تدريس

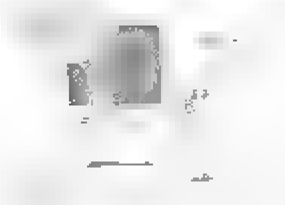
نظرية التصميم الذكي على أنها علم، لأنها طبقت في البيان كونها نظرية علمية. وفي 20 تشرين الأول/أكتوبر 2005 ظهرت رسالة مفتوحة نُشرت في كبريات الصحف الأسترالية، تم بالتوقيع عليها نخبة من الأساتذة والباحثين على رأسهم عميد كلية العلوم بجامعة نيو ساوث ويلز البروفيسور مايكل آرتشر Michael Archer والبروفيسور سو سيرجينسون Sue Serjeanson النشرة العلمية لأكاديمية العلوم الأسترالية، وبرادلي سميث Bradley Smith مدير التنفيذي لجمعية المعلمين الأسترالية والجمعيات التكنولوجية. وقد جاء في خاتمة هذه الرسالة ما يلي: نحن نهيب بالحكومة الأسترالية ومؤسساتها التعليمية ألا تسمح بتدريس نظرية التصميم الذكي والقبول بتدريس هذه النظرية يعني القبول بتدريس وجهات نظر غير علمية مماثلة كالتنجيم وكون الأرض مسطحة.

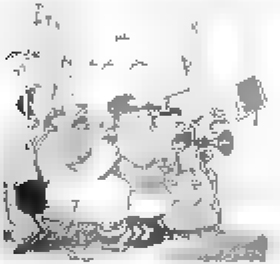
نظرية التطور ونظرية التصميم الذكي في الرسوم الكاريكاتورية

لم يكن الإعلام في أمريكا بعيداً عن الصراع الدائر بين أنصار النظريتين، لا سيما بعد صدور الحكم القضائي في ولاية بنسلفانيا بحظر تدريس نظرية التصميم الذكي في المدارس. وقد حفلت الصحافة ووسائل الإعلام المختلفة بمظاهر هذا الصراع، حيث عكست رأي الفريقين. ولعل الرسوم الكاريكاتورية أكثر تعبيراً عن عمق هذه الأزمة التي ستواجهها في المستقبل، وأنها ستؤدي في نهاية المطاف لا محالة إلى تحول جوهري في التصور الأمريكي الذي يقضي بفصل الدين عن الدولة، بسبب التناقض الذي وقع فيه بعض دفاع المؤسسات القضائية عن نظرية التطور ذات النزعة الإلحادية مع تصدعها العلمي وتهاوي أركانها يوماً بعد يوم بسبب التطور العلمي المتسارع الذي بات يقترب شيئاً فشيئاً من نظرية العقل المستقل، ويسمى الغرض الخلقي، وذلك ما يتعارض مع الفلسفة التي تتبناها الدساتير العلمانية.

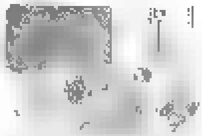


بعد صدور الحكم بمنع دراسة التصميم الذكي
ولكنك ما زلت حراً في دراسة التصميم الذكي

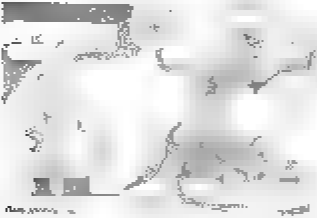




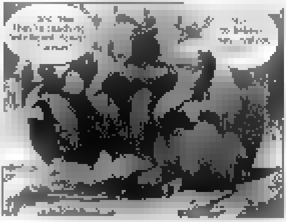
[illegible] نظرية التطور [illegible]
[illegible] على الأرض [illegible] التصميم الذكي [illegible]



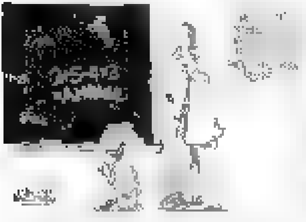
[illegible]



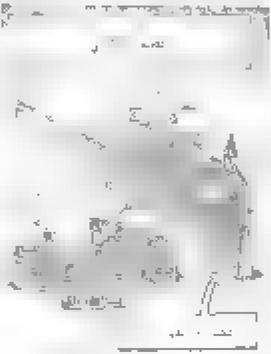
هناك نظرية داروين للتطور ولكن هنالك [illegible]
[illegible]



[illegible] الأن [illegible] التصميم الذكي في كانساس!!



[illegible] التصميم الذكي [illegible]
2 + 5 [illegible]



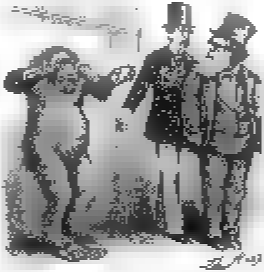


- داروين معلق
العلم: مكيدة إلحادية
- العلماء: رجل

هنري موريس أبو حركة الخلق العلمي يقابل خالقه

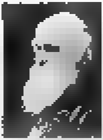


الغوريلا المسكين: هل هذا الرجل يدعي أنني جده؟
فلنرى انه المحترم جدا
والآن يا سيد داروين، كيف تبرر فعلتك؟



أحسنت صنعا هنري لديك كثير من الخلق الجديد لتريه إياه

نظرية التطور في الفكر العربي الحديث



داروين في أواخر أيامه

لم يكن العالم العربي بعيداً عما يجري في العالم من جدل حول نظرية التطور التي عرفت عند المفكرين العرب باسم نظرية النشوء والارتقاء، ولم يكن من المصادفة أن يتناول المفكرون هذه النظرية بعد فترة قصيرة من صدور كتاب "أصل الأنواع" لتشارلز داروين في العقد الأخير من القرن التاسع عشر واستمر الجدل محتدماً إلى ستينيات القرن العشرين ولم ينته بعد.

وقد أشار الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه "الإنسان في القرآن الكريم" ص ٢٥٢ حيث قال: "يتصور القارئ العصري أن مذهباً كمذهب التطور يشيع في الشرق العربي قبل مائة سنة ويتصدى للرد عليه عدد من الكتاب كذلك العدد الذي بقيت لنا بعض كتاباته واستوى كثيرها في رأي المطبوعات المهجورة من الصحف والنشرات الصحفية. لأن القارئ العصري يحسب أن مذهب التطور قد وصل إلى الأمم الشرقية وهي في جاهلية لا يبلغها صوت عالم أو مفكر من أبناء الأمم الأجنبية ولكن الواقع أن جاهلية القرن التاسع عشر لم تكن بالمشرق العربي حجاباً دون المذاهب الفكرية التي يطلع عليها الأوروبي المثقف في عصره، ولم يكن مذهب كمذهب التطور ليعزل في حيز محدود بين جدران وطن واحد وهو يتحدث عن نسب الإنسان حيثما كان".

صدى نظرية التطور في الشرق العربي والإسلامي

شبلي شميل (1853 - 1917)

شبلي بن إبراهيم شميل، ولد في بيروت وعاش في مصر، ويعدُّ أشهر المدافعين عن التطور في الشرق والمتحمسين له، ولعله أول من عرّف العرب بداروين ودعا إلى نظريته في النشوء والارتقاء. تعلم في الكلية السورية الإنجيلية التي أسسها البروتستانت الأمريكان، وتخرج طبيباً عام 1871 فسافر في عام 1875 إلى باريس لمواصلة دراسته في الطب ثم عاد إلى مصر ليمارس مهنة الطب حيث نشر مجلة "الشفاء". وقد أثر عليه كتاب داروين في كتابه آراء النهضة العلمية وعده أحد حلقات السلسلة الذهبية في النهضة الحديثة. يقول مارون عبود: في سنة 1867 ترك شبلي المدرسة ثم صار طبيباً جهبذاً، ثم عالماً مريداً



شبلي شميل

فيلسوف غريب لا يُجاري أحد، كان حاد الذهن سريع التصور، حاذقاً في التعبير، لعب في اكتشاف المعاني. وكان أشهر الأطباء في التشخيص الطبي فكانت يُوصى إليه. وبلغت منه الشهرة أنه لا حوادث كثيرة بالاستشهاد الذاتي قبل شيوع مذهب النشوء في أوروبا. وهو التابعة العظيم هو عميد مذهب التطور والنشوء والارتقاء في عالم الضاد، على شهادة العقاد، يوم كانت معركة النشوء والارتقاء حامية الوطيس في الغرب فلم يعد إلى الشك فيه.

في سنة 1885 صدرت الطبعة الأولى من كتابه التطور «فلسفة النشوء والارتقاء»، أي بعد خمس وعشرين سنة من صدور كتاب «أصل الأنواع» لداروين (1859). وفي سنة 1910 أعادت طبعه مجلة «المقتطف» التي يرأسها صديقه يعقوب صروف الذي كان يتلقى العلم معه في الكلية السورية الإنجيلية في بيروت، والتي عُرفت فيما بعد باسم «الجامعة الأمريكية». وقد ضمت هذه الطبعة مقدمة الطبعة الأولى والثانية وكتابه «شرح بخنر على مذهب داروين»، ورسالته «الحقيقة» التي رد فيها على منتقديه. وقامت مؤسسة دار الجيل بإعادة نشر كتابه «فلسفة النشوء والارتقاء».

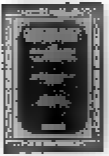
وقد وصفه الأستاذ العقاد في كتابه «الإنسان في القرآن الكريم» بقوله: «إن أنصار مذهب النشوء في الشرق العربي كان أشهرهم وأفصحهم بياناً الدكتور شبلي شميل، وقد كان يتبع داروين وأصحابه إلى الأخذ بالنظريات التطورية على علاتها. وقد سبق داروين الغربيين إلى نفي كل صفة روحية أو غيبية في الإنسان». إذ قال في مقدمة ترجمته لشرح بخنر على مذهب داروين: «إن الإنسان على أي حال مذهب طبيعي هو وكل ما فيه مكتسب من الطبيعة، وهذه الحقيقة لم يبق سبيل للريب فيها اليوم ولو من قبل إنكارها من لا يزال معصوب الطالبين القديمة، سابحاً في عالم الخيال [illegible] بعيداً عن نور العقل في العصر».

جمال الدين الأفغاني (1838 ـ 1897)


جمال الدين الأفغاني

يعد السيد جمال الدين الأفغاني أيضاً من أوائل الكاتبين الذين تناولوا نظرية داروين بالرد في كتابه الشهير «الرد على الدهريين» وهو وإن لم يخص مخصصاً للرد على نظرية التطور بتمامها إلا أنه تناولها بالنقد بشكل عام قد يخلو أحياناً من الدقة مما يوحي بأن الأفغاني لم يطّلع على كتاب «أصل الأنواع» وإنما عرف شيئاً يسيراً من محتوياته مما نُقل إليه. ويرد الأفغانيُّ على داروين معتمداً على العقل والاستنتاج المنطقي وليس على نتائج العلوم التجريبية كعلم الأحياء والجيولوجيا والكيمياء التي لم يكن على دراية بها. ومع ذلك فإن بعض ردوده لا تخلو من وجاهة، وتدل على عقل كبير كشفه لفكرة أن الأجسام تتغير وتنتقي الأصلح وعدم الاستمرار.

حسين الجسر الطرابلسي (1845 ـ 1909)


غلاف كتاب الرسالة الحميدية

حسين محمد الجسر عالم ديني من لبنان، عرف بمؤلفاته المهمة في الدفاع عن الإسلام، ومن أشهرها كتابه «الرسالة الحميدية». وكان رحمه الله من أوائل المسلمين العرب الذين درسوا نظرية التطور، وكان من أكثر العلماء عدلاً في حكمه [illegible] وفي

سنة 1888 ألف حسين الجسر كتابه المشهور "الرسالة الحميدية" في الرد على المذاهب المادية، وعرض فيها للداروينية باعتبارها من المذاهب المادية الحديثة. وقد لخص العلامة الشيخ محمد الجسر ابن حسين الجسر أقوال أبيه في كتابه "الدلائل العلمية" (قصة الإيمان). وكان يتساءل عالم ديني هو الشيخ حسين الجسر، يقول بأن مذهب داروين عند ثبوته لا يتناقض مع فكرة وجود الله الخالق لكل شيء، والجسر لا يرفض مذهب النشوء والارتقاء، وما جاء فيه عن أصل أنواع الإنسان والحياة ينطوي على أمور بعيدة عن الحقيقة ومتعارضة مع أحكام الدين تعارضاً يتطلب كما يحسب البعض. فالجسر يرى أن الأمر المهم الصحيح هو أن نعتقد بأن الله تعالى هو الخالق للعالم وما فيه من أنواع، ويرى أنه لا فرق بين القول بمذهب الخلق أو القول بمذهب النشوء والارتقاء، من حيث أصلية خلقه لله تعالى، ثم تكون منها الأنواع بعد ذلك بطريق النشوء والارتقاء وفق نواميس وضعها الله في هذا الكون. ومع ذلك يرى الجسر أن مذهب النشوء والارتقاء لا يزال مذهباً مختلفاً في صحته، ولم تقم عليه الدلائل القاطعة التي من شأنها أن تحمل على تأويل ظاهر النصوص المنزلة، وأنه متى قامت الدلائل القاطعة على صحة هذا المذهب جاز القول به ووجب تأويل النصوص والتوفيق بينهما، حتى من قام عليه الدليل القاطع. واليوم، وبعد انقضاء قرن ونصف على صدور كتاب "أصل الأنواع"، لا تزال نظرية التطور مجرد نظرية بل أكثر منها وهماً.

إبراهيم الحوراني (1844 – 1916)

بعد سنة من صدور كتاب شبلي شميل "فلسفة النشوء والارتقاء"، وفي سنة 1885 نشر إبراهيم بن عيسى الحوراني من علماء حمص والذي كان في الرد على شبلي شميل بعنوان "مناهج الحكماء في نفي النشوء والارتقاء"، واعتبره كثيرون من أهم البحوث في الرد على مذهب داروين.

جرجس فرج صفير ([illegible] – 1928)

في سنة 1881 أصدر السوري جرجس بن فرج صفير الماروني، أحد مدرسي الفلسفة في قرية عينطورة، كتاباً بعنوان "رسالة في أصل الإنسان والكائنات" في الرد على الدكتور شبلي شميل، نهج فيه منهج الحوار بين شخصين: أحدهما ينتصر للإنسان الفردي، والآخر للإنسان الآدمي، ويسمي الجدل بين هذين الكائنين أن يحتج الإنسان الفردي على الأدلة الدينية على تحدر الإنسان الآدمي من سلالة متطورة من القرود، ويسعى أيضاً لإبطال صحة دعوى التطور التي يلهج بها شبلي شميل حين أغار على آراء داروين.

محمد رضا آل العلامة التقي الأصفهاني (1870 – 1943)

بعد نحو ثلاثين سنة من صدور كتاب "الرد على الدهريين" للأفغاني صدر كتاب "نقد فلسفة داروين" لمحمد رضا بن محمد حسين بن محمد باقر الأصفهاني من علماء الإمامية بالنجف. يقول العقاد: هو باحث فاضل من علماء الشيعة يحري النظر في مجموعة واسعة من مراجع مذهب النشوء الغربية والإفرنجية التي وصلت إلى الشرق الإسلامي بعد كتاب (الرد على الدهريين)، ولم يقتصر بعد اطلاعه عليه من قبله أن جمع من أرسل في طلب غيرها من المراجع المستحدثة، ولكنه أتم الكتابة ولم ينتظر وصولها إليه لولا الباعث الديني كما جاء في مقدمة الكتاب. ويرى

للإله في هذا الكتاب أن مذهب التطور ليس من مذاهب الإلحاد، لأن القول بالتطور لا يقتضي إنكار الخالق، وإنما ينصرف إليه الإلحاد من تفسيرات الماديين للمسألة على الوجه الذي يوافق نتائجهم المقررة عندهم قبل ظهوره. ويرى أنه لم يرد نص صريح من الكتاب ولا متواتر من السنة في كيفية الخلق، أو في هذه الأنواع كلها خُلقت خلقاً مستقلاً ووجدت من العدم ابتداء، وسواء كانت هذه الجمل جملاً أو كانت متدرجة تنشأ في الماء، فإن أدلة الصنع عليهم في الحالين ظاهرة، ويبقى على وجود الصانع الحكيم آيات باهرة، وإنّ طريقة ملاحظة تؤيد الأول وتجعلها أساساً للإلحاد من أقرب الأشياء.

الأسقف خير الله اسطفان

من مفكري الشرق الذين ترجموا نظرية التطور الأسقف خير الله أسطفان الذي نشر كتاباً بعنوان (صمود علم اليقين في حقيقة مذهب داروين) في سنة 1929، وقد ساق جملة من البراهين على رفض تحول الإنسان عن غيره من الحيوان، وطالب بالحلقة المفقودة التي توصل بين الإنسان والحيوان التي لم ير منها أثر، لو ميّز بين الأحياء ولا بين الأموات لا في الأحافير ولا في الحفريات، ويرى الأسقف أن مذهب التطور لا يلتقي مع الدين أو قيمته.

إسماعيل مظهر (1891 - 1962)

إسماعيل مظهر باحث مصري، صاحب مجلة (العصور) الشهيرة، درس في أول حياته العلمية علوم الأحياء، ثم تحول إلى الأدب والفلسفة، اقترن اسمه بنظرية التطور لأنه أول من قام بترجمة كتاب (أصل الأنواع) لداروين سنة 1918 وأعيد طبعه في سنة 1928، ومن مؤلفاته (قاموس النهضة 1954) و(قاموس الجمل والعبارات الاصطلاحية الإنجليزية والعربية 1950)، وله مؤلفات عديدة أخرى، وكان إسماعيل مظهر يميل إلى التوفيق بين نظرية التطور والدين.

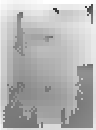
سلامة موسى (1887 - 1958)


سلامة موسى

سلامة موسى كاتب مصري ليبرالي وأحد دعاة الاشتراكية الفابية في مصر، وأحد طلائع العلمانية فيها، تخرج في مدرسة يعقوب صروف التي تمثلها مجلة (المقتطف)، ومدرسة فرح أنطون التي تمثلها مجلة (الجامعة)، ومدرسة جورجي زيدان التي تمثلها مجلة (الهلال)، تأثر ببرنارد شو وجورج ويلز وفريدريك نيتشه، وقد أثنى بإعجاب على هؤلاء وآخرين في كتابه (هؤلاء علموني)، ولم يخف تأثره في مؤلفاته التي كان أولها (مقدمة السوبرمان) التي صدرت طبعته الأولى سنة 1910 عن دار الهلال، وكتابه (نشوء فكرة الله) الذي صدر عن دار الأخبار سنة 1912، وكتابه (الاشتراكية) الذي صدر عن الدار المصرية الأهلية سنة 1913، وقد تميزت مؤلفاته الأربعين من بينها كتابه (نظرية التطور وأصل الإنسان) الذي صدرت طبعته الأولى عن المطبعة العصرية سنة 1927، وقد توسع سلامة موسى في مفهوم التطور كما فعل هربرت سبنسر حيث تجاوز التطور عالم الأحياء إلى عالم الاجتماع الإنساني، وقد بلغ به الإفراط في الإيمان بنظرية التطور أن قال في كتابه (اليوم والغد): "وأني أؤمن بنظرية التطور، وربما كان أكبر ما يدفعني إلى الإيمان بها أنها ليست من المنطق الذهني فقط، بل

إلى نظرية الرجاء والتواضع ومعنى ذلك أنني أؤمن بها للعقيدة السببية التي في نفسي. ويقول في كتابه نظرية التطور وسر الانتشار ... إن الأجسام بحقيقته التطور هو نوع من الديانة الطبيعية ... لنا وجميع الأحياء ... مشتركة ... وحدة وجودية

جميل صدقي الزهاوي (1863 ـ 1936)


جميل صدقي الزهاوي

جميل صدقي الزهاوي شاعر عراقي بغدادي من أصول كردية له شعر كثير يعده بعضهم الطامح الفلسفي وإن لم يكن الرجل فيلسوفا بالمعنى الحقيقي، وكان مضطرباً في تفكيره متناقضاً في آرائه. وقد أثار جدلا كبيراً في الأوساط العلمية والثقافية في مصر والعراق، ورُمي بالإلحاد والزندقة، ولم يكن له حظ من اللغات إلا معرفته بالعربية والتركية، وقد كان أكثر ما اطلع عليه من تآليف ... في الفكر والأدب ... ثم في وقته ... للمتنبي. وله عدد من المصنفات المطبوعة والمخطوطة من أشهرها كتابه «الكائنات» قامت بطبعه مجلة المقتطف في سنة 1896 وهو يقسم إلى ستة أقسام ويقع في نحو 210 صفحة، عالج فيه موضوعات علمية بمنطق الشعر كماهية الفضاء والزمان والمادة والقوة والحياة. وله رسالة صغيرة في الرد على منكري التوسل والكرامات والمواقف عنوانها «الفجر الصادق» كتبها بتكليف من السلطان عبد الحميد، ونكاية في أتباع الوهابية لا لموضوعها لا ينسجم مع فلسفته المادية التي يدعو إليها والتي تستخف بالغيبيات، ولذلك عُثر بها ... من ...

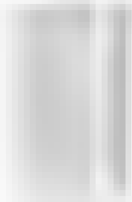
وقال عنه رزاق ... إنه اضطر إلى ذلك اضطراراً والمجيء ... للرسالة الشاعر ... الكتاب ينبئ عن ... على علاقته. وله من المؤلفات عدد من الدواوين الشعرية كالكلم المنظوم والأوشال والرباعيات واللباب والثمالة ... الذي جمع ... ملاحمه ... بعد وفاته جزءاً من آثاره في ... ومن المؤلفات أيضاً رسالة (العقد الجوهري) نشرت في الجزء العاشر من السنة العشرين من مجلة المقتطف (1/10/1896) عالج فيها ... العقد الجوهري بحجج ... وقد أثارت هذه الرسالة زوبعة فكرية كبيرة.

والزهاوي من ... بنظرية النشوء ... بها كذلك قصيدته الشهيرة (سجن الخلود) التي نشرتها مجلة الرسالة في سنة 1936 قبل وفاته بقليل، وفيها يقول:

مات في ... الشرود ... طويلا
قبل أن ... سبيلا
وبدا ... من ...
... فلا ... طويلا
... بالسجود ...
... والمستحيلا
... العقل كان ...
وبه الحياة ...
... بعد ...
... طويلا
... الصخر ...
... أو ...

[illegible]

عباس محمود العقاد [1889 - 1964]

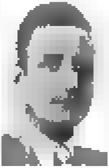


غلاف كتاب الإنسان في القرآن الكريم للعقاد

أشهر كتّاب العرب في العصر الحديث بلا منازع. كان من المكثرين في التأليف، ولم يترك حقلاً من حقول المعرفة الإنسانية إلا كتب فيه: الأدب، اللغة، الفلسفة، التاريخ والسير، التصوف، الفقه، الاجتماع. وكان العقاد رحمه الله من أحسن من تكلم عن نظرية التطور في كتابه "الإنسان في القرآن الكريم" بسبب اطلاعه الواسع على المؤلفات التي كتبت بالإنجليزية في وصف موضوع النظرية ومعارضيها.

وبعد أن استعرض العقاد الآراء المختلفة في نظرية التطور وأقوال مؤيديها والمعارضين لها خلص إلى التوقف وعدم إصدار حكم له أو عليها ريثما تسفر البحوث اللاحقة عن صحتها أو بطلانها. ينقل عن [illegible] الكتّاب الذين تناولوا [illegible] مجموع من

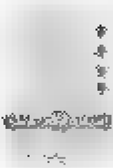
الوجهة الدينية فقد خطأوا دينياً وعلمياً في إنكارهم باسم الدين أموراً لا تزال قيد البحث بين الإثبات والنفي ويجب أن تنزه حقائق الدين عن الالتزام بما يقطع العلم فيه كي يكون [illegible] بما يرتبط موضوع الخلاف فيه بين حقائق الدين وحقائق العلوم وليت النقاد أدركوا ما [illegible] للنزاع اليوم التي ما استهلكت [illegible] الداروينية بأتم [illegible] وحدوده واسطورة [illegible]



عباس محمود العقاد

محمد حسن آل ياسين (1931 - 2006)

كاتب عراقي شيعي له مؤلفات عديدة في الدفاع عن الإسلام في مواجهة الاتجاهات المادية ومن مؤلفاته رسالة فيه [illegible] تساؤلات حول [illegible] الإلحاد والجحود و هوامش على نقد الفكر الديني ويرد على صادق جلال العظم [illegible] (الإسلام والسياسة) و(الإسلام والرق) وقد اهتم بدراسة نظرية التطور فصنف في ذلك رسالته الموجزة (الإنسان بين الخلق والتطور) التي طبعت طبعتها الأولى في بغداد سنة 1976 وقد أعيد طبعها بعد ذلك مرتين في القاهرة 1977 وفي بيروت 1983 وهي تقع في [illegible] وهو بعد أن يسوق أقوالاً لبعض العلماء [illegible] على فساد القول بالتطور يخلص في نهاية الرسالة [illegible] إلى القول بأن التطور الداروني كما شرحه داروين قد انهار تماماً تحت ضربات علم الوراثة الحديث [illegible] التطور القائم على الطفرة [illegible]



غلاف كتاب الإنسان بين الخلق والتطور

محمد أحمد باشميل (1915 - 2005)

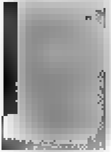
كاتب داعية له مصنفات قيمة منها سلسلة معارك الإسلام الفاصلة عرض بها [illegible] الأحزاب وبني قريظة [illegible] وله كتاب صراع مع الباطل وكتاب [illegible] وكتاب [illegible] العصر [illegible] وكتاب الإسلام ونظرية داروين، وقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة 1964 استعرض بالتفصيل الجوانب الإلحادية في نظرية التطور عند لامارك وهيكل وداروين، نقلاً عن بعض العلماء فساد القول بالتولد الذاتي وبطلان قوانين التطور الأربعة: الانتخاب الطبيعي، تنازع البقاء، المطابقة، الوراثة [illegible] كتاب الإسلام ونظرية داروين [illegible] وصل إليه العلماء [illegible] في هذه النظرية التي لا تتعدى محض الافتراضات ولا ترقى إلى القطع، لا [illegible]



غلاف كتاب الإسلام ونظرية داروين

أنور عبد العليم

أنور عبد العليم، [illegible] مصري، وباحث في علوم البحار بكلية العلوم بجامعة الإسكندرية له كتابان في نظرية التطور هما: قصة التطور وهو الكتاب رقم 4 من سلسلة المكتبة الثقافية وكتاب قصة [illegible]



غلاف كتاب قصة الحياة وتطورها على الأرض

الحياة ونشأتها على الأرض. وهو الكتاب رقم 600 من السلسلة نفسها التي تصدرها مؤسسة مصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. وقد صدر هذا الكتاب الأخير في يناير 1964، يقول مؤلفه في مطلع كتابه (قصة الحياة ونشأتها على الأرض) ظل أمر التفكير في أصل الحياة ونشأتها يدور حول عقيدة على مدى العصور مختلفة وفقاً لازدهار الفكر والثقافة الإنسانية في تلك العصور أو ركودها ولا ريب في أن بعض الآراء التي تواترت الينا كانت فلسفية محض أو جدلية عقيمة. كما كان من هذه ثم من أيضاً التطور العلمي التجريبي بغية إثبات نشوء الحياة من مادة عديمة الحياة، ولا يرى الكاتب أن البحث في أصل النشوء يتنافى مع الدين، بل يذهب إلى أن الإيغال في مثل هذه الموضوعات يفضي في النهاية إلى إثبات الخالق بلغة الدين أو الصانع بلغة الفلسفة.

ولم يفت الكاتب أن يعرض عن لبعض النظريات التطورية مثل نظرية أوبارين ونظرية برنال

هارون يحيى

أكبر عالم مسلم ينتقد الداروينية

ولد عدنان أوكطار في أنقرة عام 1956 وهو ينحدر من رجال الفكر الفارسي في مركب ويولي عدنان أوكطار أهمية كبيرة للقيم الوطنية والأخلاقية ويرى أن تبليغ هذه القيم المقدسة إلى الآخرين يعد رسالة إنسانية. وقد بدأ نشاطه الفكري منذ عام 1979 عندما كان طالباً في كلية الفنون الجميلة بجامعة المعمار سنان، وطوال فترة الدراسة كانت الفلسفات والإيديولوجيات المادية هي المسيطرة على الساحة من حوله. وفي هذا المناخ قام بأبحاث مفصلة حول تناقضات هذه الإيديولوجيات، وتوصل في النهاية إلى أن الداروينية القائمة على نظرية (النشوء والارتقاء) هي التي تمثل تهديداً حقيقياً للقيم الوطنية والأخلاقية وهي الأساس الذي يغذي هذه الإيديولوجيات المدمرة. فأعد لذلك مجموعة من الكتب بين فيها الكوارث التي جلبتها هذه النظرية على تركيا والعالم، وأجاب فيها بشكل علمي على ادعاءاتها الواهية وفضح تناقضاتها الصارخة.

وقد نشرت مجلة New Scientist في عددها الصادر في 22 أبريل 2000 مقالاً ذكرت فيه أن عدنان أوكطار أصبح بطلاً عالمياً بفضل كشفه زيف نظرية التطور وإثباته بالبراهين والحجج بطلان هذه النظرية. وقد ركز الكاتب في مؤلفاته كذلك على موضوعي الماسونية والصهيونية بما لهما من تأثير سلبي على تاريخ الإنسانية والسياسة العالمية. وقد ألف عدنان أوكطار كتباً دينية أخرى في مواضيع مختلفة مثل الإيمان والخلق القرآني، وقد تجاوز عدد مؤلفاته المائة كتاب.

استعمل عدنان أوكطار الاسم المستعار مجاهد يالتين في بعض كتبه، ولكن القسم الأكبر منها نشره بالاسم المستعار هارون يحيى. وهذا الاسم المستعار يتكون من اسمي نبيين كريمين في إشارة إلى ذكرى النبي هارون والنبي يحيى عليهما السلام اللذين ناضلا ضد أفكار الإلحاد والجحود.

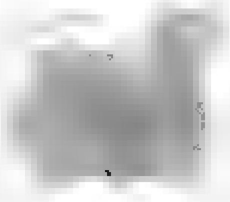
وأما ختمُ النبي عليه الصلاة والسلام الذي وضعه الكاتب على غلاف جميع كتبه فهو يشير إلى محتويات هذه الكتب وهو يرمز إلى أنّ القرآن الكريم هو آخر

الكتب السماوية وأن النبي ﷺ خاتم الأنبياء. ويسعى المؤلف في جميع كتبه إلى أن يكون القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما النبع الذي يتحرك على ضوئه. وكان هدفه دائما هو زعزعة الأسس التي قامت عليها النظم الفكرية التي تتسم بالإلحاد والجحود وتقضي الواحدة تلو الأخرى وإسكاتها بتبيين كلمة الحق.

والهدف الثابت في جميع مؤلفات الكاتب هو إيصال رسالة القرآن إلى الناس كافة ودعوتهم إلى التفكر في وجود الله تعالى ووحدانيته وتنبيههم إلى عاقبة المصير في الآخرة وهي من المواضيع الإيمانية الأساسية في القرآن.

ويوجد إقبال كبير على قراءة كتب هارون يحيى في دول كثيرة من العالم، من الهند إلى أمريكا ومن إنجلترا إلى أندونيسيا ومن بولونيا إلى البوسنة وإسبانيا والبرازيل. وقد تمت ترجمة هذه الكتب إلى أغلب اللغات العالمية مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية والأوردية والعربية والألبانية والروسية والبوسنية والإيغورية والأندونيسية وغيرها من اللغات. وقد أصبح هنالك متابعون كثيرون في شتى أنحاء العالم يحرصون على قراءة كل كتاب جديد يكتبه المؤلف.

وكانت هذه المؤلفات التي تلقى تقديرا منقطع النظير في أرجاء الأرض كلها ... بعض الكثير من الناس ... أو سببا في تثبيت الإيمان عند كثير ... منهم، وكل شخص يقرأ هذه الكتب ويتأمل فيها يشعر بوقعها عليه ويدرك ... الحكمة البالغة التي هي ... يحس بحلاوة العمق الإيماني الكامن فيها ويتمتع بجمال أسلوبها ويقتنع بصدق مضمونها. ومن خصائصها أيضا سرعة تأثيرها في القلوب والعقول ... لا ... فيها فلا يمكن دحضها أو ... ويحتوي كل كتاب من هذه الكتب على حقائق دامغة ... فلا يمكن لأحد أن ينكرها



ويستطيع بذلك فكره عن ما يتمتع به الكاتب من كمال الحكمة ورجاحة العقل وصدق الإيمان ... يقف على ... ويتأمل التصاميم الإلهية في الخلق.

وقد ... المعهد العلمي للأبحاث الإسلامية مقالا مطولا حول هارون يحيى.

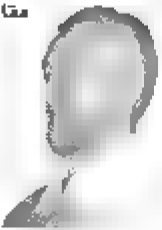
وقد ... المعهد الذي ... بالاشتراك مع الجامعات الهولندية ينشر ... عن المجتمعات الإسلامية في مختلف المناطق.

كما كتب الدكتور ... مقالا بعنوان هارون يحيى وعملية بعث الإسلامية. وقد جاء في مقدمة هذا ... المؤلفات المسلمين ... بالرد على نظرية التطور حيث ... عام 1980 ... الانتقال الكبير في هذا الموضوع ... في تركيا حيث ... هارون يحيى ... في ... المؤلفات ... وخضع ... التي ... نظرية التطور ... عدد الكتب التي ألفها هارون يحيى قد تجاوزت ... كتابا ... في ... كما أن هارون يحيى ... وقد ... العلمية. وقد ... منذ عام 1998 ... بلقاءات علمية حول موضوع حقيقة الخلق ... أن هذه المؤتمرات قد انتشرت بسرعة في جميع بلدان العالم.

نظرية التطور خديعة اتخذت مظهراً علمياً..

مقابلة مع أكبر نصير لعقيدة الخلق في العالم الإسلامي

البروفيسور هارون يحيى



أجرى المقابلة بالإنجليزية وعربها د. [illegible] بشير نصر

وقد التركيز لإجراء هذه المقابلة [illegible] الأستاذ هارون يحيى على استبدال عبارة حقيقة الخلق بنظرية الخلق، إيماناً منه بأن مسألة الخلق ليست مجرد نظرية قابلة للنقاش لاسيما بعد أن غدت البراهين العلمية تتزايد بشكل مطرد ما يجعل مسألة الخلق حقيقة واضحة لا ريب فيها.

س: [illegible] هارون يحيى، ثمة من يعتقد أن حقيقة الخلق صارت محل نظرية التطور في غضون بضعة عقود قادمة؟ ما رأيكم في ذلك؟

ج: في الواقع نحن نشهد مع [illegible] إدراك الناس [illegible] تحول تاريخي. فالفلسفات الإلحادية التي سيطرت على العالم لعدة قرون [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible]. و[illegible] العوامل [illegible] التي [illegible] في هذه الأثناء قيام البرهان الجلي على فساد نظرية التطور التي [illegible] الأساس [illegible] [illegible] للفلسفات الإلحادية. إن نظرية التطور عقيدة [illegible] [illegible] [illegible] بفعل المكتشفات العلمية في القرن العشرين.

إن المكتشفات التي أظهرتها فروع العلم المختلفة مثل علم المتحجرات Paleontology والكيمياء الحيوية وعلم الجينات قد [illegible] نظرية التطور من جوانب مختلفة ومتعددة. وقد [illegible] تلك الحقائق النظرية الداروينية في [illegible] [illegible] [illegible] نهاية القرن العشرين.

وتنتشر حقيقة الخلق بين العلماء في كثير من البلدان الأوروبية الكبيرة ولا سيما في الولايات المتحدة ويعد العلماء الذين يؤمنون بحقيقة الخلق النظرية الداروينية بأنها أكبر خطأ في تاريخ العلم وأنها وُلِدت نتيجة خديعة مرتكبي [illegible] [illegible] على العلم.

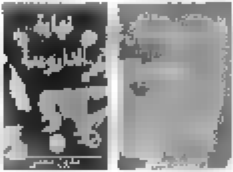
إن المكتشفات العلمية تبين أن ثمة تصميماً [illegible] في الموجودات الحية [illegible] بدوره [illegible] مسألة الخلق [illegible]. [illegible] العلم [illegible] حقيقة أن الله قد خلق كل موجودات الحياة ومع ذلك لا تزال بعض الدوائر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عن الداروينية وإيمانها [illegible] ولم [illegible] تلك محاولات إلا الأنفاس الأخيرة للداروينية قبل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] انتصار نظرية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بإذن الله وعونه. وقد [illegible] كثير من التطوريين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في الأشهر الأخيرة مثلاً [illegible] [illegible] علماء التطور [illegible] [illegible] في مجلة [illegible] [illegible] [illegible] في ولاية [illegible] بالولايات المتحدة الأمريكية قائلاً: «لا [illegible] بعد اليوم مع القائلين بالخلق، لقد [illegible] [illegible] في سنة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أعضاء الأكاديمية التركية [illegible] [illegible] [illegible] الخلق واليوم من [illegible] [illegible] أي واحد [illegible] الإلحاد الذي ظلّ

تفرض تُعنى بأنه سهم العقل والعلم بحث في جو من الجهل واللاعقلانية البحتة.

س: إن الدفاع عن نظرية التطور لم يبن على مناهج علمية، وإنما بُني على محض افتراضات تدعمها المحركات الإلحادية، ولذلك نرى أن أنصار نظرية التطور هم بالفعل ملاحدة لا يؤمنون بقوة فوق الطبيعة تكمن وراء الحياة. وقد قال أحد التطوريين: إن التطور هو أعظم محرك للإلحاد تم العثور عليه. ونتيجة لذلك فإن وجود أنصار نظرية التطور ضد حقيقة الخلق كان سياسياً إلى أبعد حد، ولم تكن علمية. فمسألة التشريعات المسيحية التي تشجع الأفكار الإلحادية في أمريكا وأوروبا، فهل يستطيع أحد أن يقول إن نظرية التطور هي دفاع عن مقاصد السامية أكثر من كونها دفاعاً عن العلم.

ج: بالطبع، فنظرية التطور خديعة اتخذت مظهر علمي ولم يكن الدفاع عنها إلا من أجل الإبقاء على الإلحاد حتى وهي لم تتأسس على العلم، وتقوم على مسخ الخداع والدعاية والخدع، وبالرغم من عجزها عن تفسير الكيفية التي … إلى الوجود بمحض الصدفة، فإن التطوريين يزعمون أن هذه البروتينات تجمعت مع بعضها البعض … عبر خلال ملايين … وإن ملايين … من تلك الخلايا تجمعت … كانت حية … بمحض الصدفة … وإن تلك الكائنات الحية جاءت لتكون سمكاً، وإن الأسماك خرجت إلى اليابسة لتكون … وهكذا جميع … من الأنواع المختلفة على الأرض.

و… الزعم … من الصحة وليس له مثيل ولا تفسير علمي، و… الوحيد … هو التأكيد على … اللاديني المادي والفكري، لأنه … نظرية التطور فلا يبقى إلا الإيمان



من مؤلفات البروفيسور هارون يحيى

بالخلق، والإيمان بالخلق يستلزم بالضرورة الإيمان بالدين والقيم … عبودية لله وحده … التوجهات الدينية، ولهذا … هو الحال خلال حقب التاريخ … الناس يبتعدون عن الدين، والأمر الوحيد لتلك الدوافع هو نظرية التطور … فإنهم يعملون … لكي لا تُمس النظرية …

س: لكن … هل يمضي إلى إثبات نظرية التطور؟

ج: لقد وصفتم نظرية التطور بأنها خديعة كبرى، وجعلتم ذلك عنواناً لأحد كتبكم، وقد وصفتها بأنها (وهم) (خرافة). ومع ذلك فإن هذه الخرافة ما تزال تلقى الاحترام والتعظيم في بعض المؤسسات العلمية ومراكز البحوث. فمن يقف وراء هذه الخرافة؟

ج: … مؤسسات مادية ذات تنظيم عالي … هذه الخرافة … الماسونية في العقود التي … أكبر جهد لفرض نظرية التطور على المجتمع والقوى … الماسونيون … كانت وسائل الإعلام. وقد قامت … بمحاولات لإثبات نظرية التطور وفرضها على المجتمع باستخدام الأكاذيب والأدلة الزائفة … تلك الخدع العلمية … فضحها … الذين … نظرية التطور … رأوا أنها …

مهمة للمسوبية كان يهدفون الى إنجاز ذلك مهمة بواسطة وسائل الإعلام.

والإعلام بما إضافة يوظف مجموعات قوية للسيطرة على سائر التفكير في المجتمع.

وبمكننا ملاحظة أن بعض المجلات والصحف الكبرى التي تؤمن بالتطور ولا سيما في العالم العربي قد أتت بتقارير سماها مع نظرية التطور في مراحل متلاحقة وقد أنشأت تلك التقارير عموماً المجال القصصي التطورية وقد ظهر ذلك في عناوين رئيسية مثل تقدم جديد لنظرية التطور أو اكتشاف كبير في التطور أو إثبات مهم يؤيد الداروينية وإن لم يكن ثمة شيء لا جديد إلا كبير عن الإطلاق كما أنها تميل إلى التعامل مع قصص علمية لا تمت بها تتعلق بالتطور أو لا تشكل جزءاً مع نظرية من النظريات لا تثبت التطور.

وفضلاً عن ذلك هنالك نقطة جديرة بالاهتمام في هذه التقارير وهي أنها كتبت بأسلوب يتحدث عن التطور بموجب نظرية وكأنه حقيقة مطلقة ثابتة وعلى الناس الذين يقرأون التقارير لو يخفى عليهم نظرة يكونون أمثالها أن التطور حقيقة مطلقة أثبتت منذ عقود مضت.

وبالإضافة إلى الإعلام يمكن لنحو ما يرى الجمهور ضمن عدد من يصل إلى درج ودوائر معارف وكتب علوم الأحياء وكل تلك بمثابة تقرير نحو نظرية التطور بأنها حقيقة مطلقة.

باحتضار الإعلام والمصادر الأكاديمية تحت سيطرة القوى اللادينية حاد على عاتقهم القيام بمهمة تلبي تجتمع هذه النظرية بعيداً عن وجهة نظر في التطور وقد كان تقديم فعالاً إلى درجة أن نظرية التطور تحولت بشكل تدريجي الى شيء مقدس ومحرم فإنكار التطور بوصفه أمراً مضاداً للعلم وتجاهل الحقائق، ولهذا السبب وبالرغم من ظهور ثغرات كثيرة في التطور والأسلوب الذي سعه به عن

التطور تلك الثغرات منذ منتصف القرن الماضي وحتى الوقت الحاضر فإنه بات أقرب إلى المستحيل إيجاد أي آراء معتدلة تتعلق بين الدوائر العلمية ومؤسسة النشر سواء كان الرسالة أم جنبه وأكثر الأساليب انتشار في مواجهة الاعتراضات العلمية المخالفة لنظرية التطور عدم فهمها وعدم حكي استمسابها من المناصب الجامعية وما تزال هذه حالة مستمرة.

وبعون من الله وبقوة الإرادة خدمت هذه الحال تتغير بشكل سريع وهي ستنتهي قريباً إن شاء الله.

من يرسم خصوم حقيقة تحقق أن الظهور النظرية هو رؤية ووقوع في حماة للخرافة ويعتبرون من حق أن نظرية الخلق تؤسس لإلحاد علمي. ومن جهة أخرى يصفها أنصارها بأنها انتصار للعلم. فما رأيكم في هذا؟

ج. حقيقة الخلق حقيقة ساطعة وهي جلية وواضحة حتى أن كل ذي عقل يمكنه فهمها ورؤيتها في كل شيء حوله والنظام محكم في خلية مثلاً يشير بوضوح إلى وجود الله وقدرته ووظائف الخلية تكفيه تماماً مجتمعاً يجمع ذات عمل البروتينات داخلها وآلات ستستخدم الإنزيمات في تصنيع البروتينات وحركتها في غشاء الخلية ستستم في الدخول إليها والخروج منها فهل من المكن أن يحدث كل هذا في مصنع صغير جداً لا يرى بالعين المجردة بمحض الصدفة؟ ولا وعيه تتجمع مع بعضها البعض بمحض المصادفة؟ كل من يتصور بل مصنعاً مثل هذا يأتي إلى الوجود تلقائياً يقع في مغالطة منطقية كبيرة.

وثمة حقيقة مثبتة جداً وهي أنه بعد محاولات نظرية التطور أن تحافظ على مكانتها بالخديعة والدعاية فإن البراهين على الخلق تظهر أكثر فأكثر مع كل يوم يمر والانتصار سيكون بالطبع إلى جانب فكرة الخلق وذلك هو الوعد الإلهي الذي جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى

﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾ [سورة الأنبياء، الآية 18].

س: هل تعتقد أن نظرية التصميم الذكي ونظرية التطور يمكن أن تدرسا في المدارس جنباً إلى جنب؟

ج: يمكن أن تُدرّس نظرية التطور في المدارس بشرط واحد فقط: التحذير منها، وكشف الحقائق حولها من أجل أن تُخبر التلاميذ كيف خدعت نظرية التطور جميع البشر نحو مائة وخمسين سنة، وكيف أحدثت تأثيراً مدمراً في الإنسانية بإيديولوجياتها الفاسدة وأساليبها الدموية، وكيف خدع أكثر الناس ذكاء من أساتذة وعلماء يتعصبون لهذه النظرية. وفضلاً عن ذلك فإنه من الخطأ أن تدرس باعتبارها بديلاً عن الخلق لأنه لا تمتلك الدليل ولا التفسير المنطقي المقنع للتلاميذ.

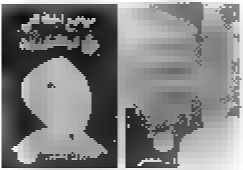
س: هل تتوقع من وجهة نظرك الخاصة، أن نظرية التطور ستنتهي قريباً؟

ج: بالتأكيد أتوقع ذلك، وكما ذكرت فإن الله بقدرته سيظهر الحق على الباطل، وأن ذلك بات قريباً جداً. وهناك علامات على انكسار نظرية التطور. وإن شاء الله سيسود نور الإيمان في العالم.

نظرية التطور في طريقها إلى الاندثار

س: تضع المؤسسات الأكاديمية العراقيل في طريق خصوم نظرية التطور، وأنصارها يحاولون استخدام تلك العراقيل، وهذا يعني أن المعركة بين الأنصار والخصوم أصبحت قضائية، ولا سيما في الولايات المتحدة الأمريكية. فما هي الخطوة القادمة؟

ج: لقد حدث تقدم هائل وسريع في العقود الأخيرة على وجه الخصوص، ولن يكون بمقدور أحد أن يصمد طويلاً أمام الحقائق التي سيفضي إليها العلم والعقل، حيث هنالك تقدم ملحوظ في الولايات المتحدة، وتطور في الموضوع نفسه في تركيا أيضاً.



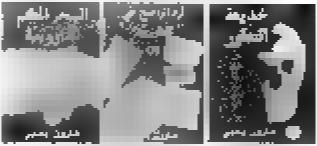
من مؤلفات البروفيسور هارون يحيى

من هذه التطورات ظهور حقيقة الخلق في الكتب المدرسية، وتعرف عامة الناس على حقيقة الخلق هو أجدى وأهم من تدريسها في المدارس. وفي أغسطس نشرت مجلة العلم Science تحليلاً يتعلق بنظرية التطور في 34 بلداً، وبحسب ما جاء في هذا التحليل ظهر أن تركيا هي أقل البلدان قبولاً للنظرية التي يأتي بعدها في المرتبة الولايات المتحدة.

وقد جاء في تقرير نُشر بصحيفة الجارديان البريطانية بتاريخ 15 أغسطس 2006 تحت عنوان (كيف وصلت إلى هنا؟) أن 30% من الطلاب الإنجليز لا يؤمنون بالتطور، وأن هذه النسبة جاءت أعلى من الماضي، ويستنتج المخبر من ذلك أن «نظرية التطور في طريقها إلى الاندثار».

وإذا أدرك الجمهور هذه الحقيقة، فإن القوى الملحدة لن تؤثر فيهم، ولن يكون للدعاية ولا لوسائل الإعلام التي تستخدمها أي تأثير. ويمكن القول إن المسألة تتعلق في عقل الجمهور، وهم الآن يقدرون على التمييز بين الحق والباطل إذا نظروا في الترويج عن التطور، وسوف يكون من المستحيل بعد هذا بإذن الله أن يتقبلوا التلقين من دعاة التطور. وببساطة حري بأن حقبة جديدة بدأت لن يكون معها مجالات لأنصار التطور فيها تأثير إن شاء الله.

س: في الماضي جابه رجال اللاهوت نظرية التطور، وهي اليوم تُجابه بالعلماء، فهل تعتقد أن العلم اليوم أدرك وجود الله؟



من مؤلفات البروفيسور هاني رزق

ج: كل من يفكر، ويستخدم العقل والوعي يمكنه أن يبصر وجود الله بوضوح. فظهور الخلية الحية بهذه الدقة الرائعة الكيميائية من ذرات جامدة مظلمة، دليل ساطع على وجود الله سبحانه.

والعين البشرية علامة على وجود الله، وكيف يمكن للعين أن تتكون من ذرات غير متحركة أن يفكر ويستمتع بالمنتج ويحب؟ كل هذا لا يمكن أن يفسر بمعنى مادي، ومجرد التفكير في تلك الأشياء يكفي للإيمان بوجود الله.

س: ماذا يتوجب على علماء الطبيعة وعلماء الدين القيام به لمجابهة الإرهاب الإلحادي مثل نظرية التطور؟

ج: إن أهم ما ينبغي القيام به إقامة الأدلة والبراهين على وجود الله عز وجل باستخدام لغة سهلة وملموسة كالصحف والمجلات، وبرامج التلفزة والأفلام والإعلانات التجارية وغيرها للترويج لفكرة مادية العالم وإنهائها والتغلب على هذا التفكير السلبي يجب أن نوظف الأساليب نفسها لإثبات وجود الله ووحدانيته. إن صالات السينما والكتب والعروض الوثائقية دور كبير في هذا المجال، وشبكة المعلومات الدولية وسيلة عظيمة، وهي نعمة من الله، ويجب أن نستغلها الاستغلال الأمثل.

ومن المهم جدا توظيف أسلوب ممتع وسريع بعيد عن الدعاوى السطحية لتفسير وجود الله ووحدانيته، وعدم تعمية البحث بالقيم الأخلاقية الدينية، ومعنى الموت والحياة الأخروية، ونحن مسلمين بتغيير ما يمكن، خدمة لا تقدر بثمن وعلى سبيل المثال نقوم بطبع كتيب ولوضعه مجاناً على موقعنا بالانترنت ويمكن لكل راغب الحصول على معلوماته ومقالات الوثائقية مجاناً، وبذلك يمكننا الوصول إلى أكبر عدد من القارئين من قرية في ... إلى مدينة مشهورة في ... ويجب على كل أسرة ألا يستخف بأهمية العون الذي يقدمه رجلاً كان أم امرأة، كما ينبغي عليهم تفسير وجود الله ووحدانيته بهذه الاستطاعة مبتدئين من الوسط الذي يحيط بهم، والله وحده يتولى النتائج، وما نقوم به من عمل لا يعدو كونه فريضة دينية، والجهاد[1] في سبيل الله ورب جل شأنه هو من يتولى نصر المؤمنين.

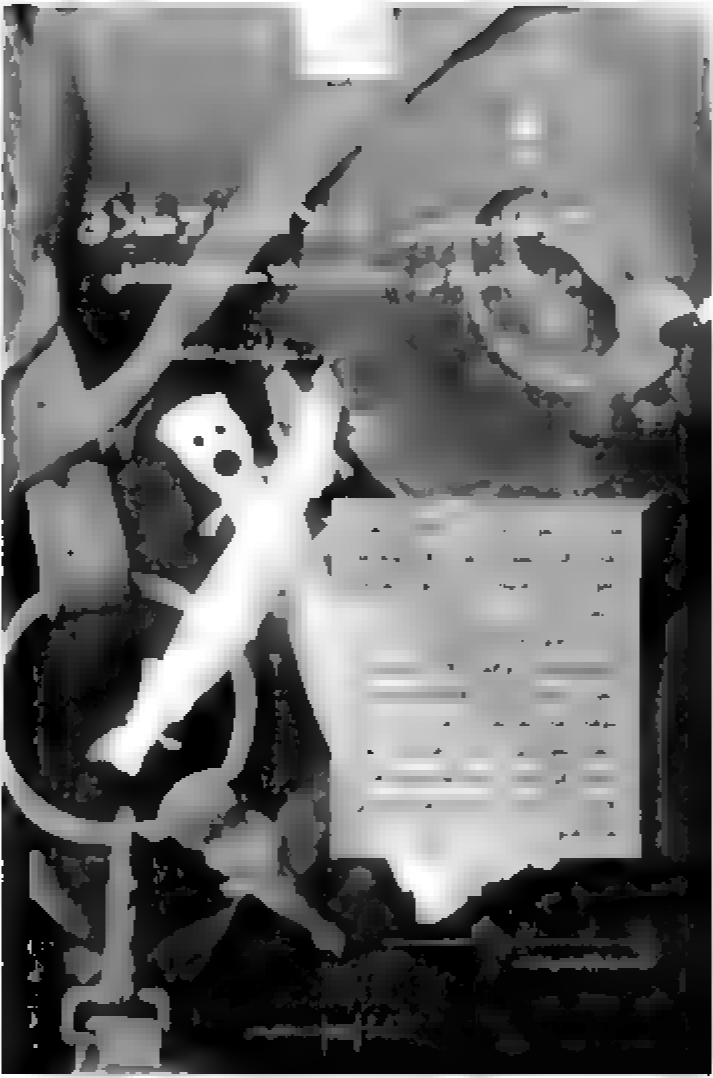
س: ... ما هي ... المرحلة القادمة؟ وهل تعتقد أن ... نظرية التطور وخصومها سينتقل من المجتمعات الغربية إلى مجتمعاتنا الإسلامية؟

ج: في الواقع إن تلك المناظرات قد انتقلت بالفعل إلى المجتمعات الإسلامية، وقد نتج عن تلك المناظرات التي جرت في تركيا في هذا الموضوع خلال العقد الماضي تسليم التطوريين بهزيمتهم، وقد ذكرت أنه عرف التطوريون الاعتراف بنهاية الصراع وأن العصر ... عصر الخلق، والمرحلة المقبلة إن شاء الله هي ... نظرية التطور والأيديولوجيات المادية من العالم. وسوف نشهد ... الجيل بإذن الله ورحمته ... عالماً ملؤه السلام والأمن والمحبة، وكل ذلك بفضل الإيمان بالله وبالقيم الدينية الأخلاقية، وسواء أحب غير المؤمنين أم كرهوا فإن الله سيمضي ... إن الدعم الكبير لنظرية التطور وانتشارها، والمحفز على نشر الإلحاد يتسم بالأهمية القصوى والعجلة، وسوف نرى جميعاً إن شاء الله التحول الذي سيحدث في جميع أنحاء العالم في المستقبل القريب.



الإرهاب بين الدلالة و الاحتلال

دراسة لغوية في ضوء واقع الاحتلال الصهيوني



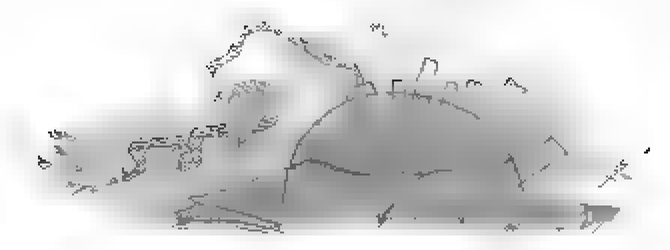
لم تشهد الكلمات في مراحل التطورات الدلالية لمفرداتها من تضافر العوامل الخارجية والزمنية فيسمند قسراً وجبراً مثل ما شهدت اللغة العربية تجربته في كلمة الإرهاب خلال الآونة الأخيرة.

كانت المادة اللباسة مكريمة الهنر والظهور في القواميس وفي عصور السياقات اللغوية المعنية قبل أن يلم متشظاتها وتتيه ملامحها وتشويه معالمها ومن ثمّ صعدت الى أسواق الإعلام وقنوات الأذهان الصحفية والقنوات الواعية، بالقبول والرعب، وضمن سياقها مجرد من خيوط الدلالية التي توارثتها على مدار تاريخها المعلوم واستمر منذ ذلك تطوافها في أرجاء المعمورة حاملة معها كثيراً من الهوية المعلنة.

كثرت الأقاويل في الإرهاب، مصطلحاً ومدلولاً وطال فيه الحديث، واتسع نطاقه حتى تكلم فيه كل من هب ودب، ويندد به القاصي والداني ويتبرأ منه كل من يحسب به ومن لا يحسب، عن طواعية أو مكرها فهو حقاً كابوس مطبق الجنس البشري وخطر داهم يهدد المعمورة حتى أن السلام والسعادة والرخاء أصبحت بلا مدلول ما دام المجتمع البشري محاطاً بهذه الظاهرة. ورغم مخاطر المجريات الكارثية لهذا الاسم الرائد بهذه الظاهرة على صعيد الواقع، فإن حلة الكلمات المرافقة لهذا التطور حدث غريب جداً في تاريخ الدلالات اللغوية، وهي تجعلنا نحس بحاجة ملحة، إلى دراسة المادة من المنظور اللغوي، وجوانبها الدلالية على الساحة اللغوية، وتتبع مواطن التلاعب على محيط الواقع، حتى يمكن إعادة الأمور إلى نصابها، في تحليل مدلول الكلمة في ضوء الوضع اللغوي، وتتبع مراحل التطور في دلالتها، حتى ندرك تماماً كيف استطاعت هذه الكلمة ضبطها مع ضجيج الحس الإعلامي، والرعب العسكري، آخذين بعين الاعتبار ما تضمنت الظاهرة من ضمد سائر الثوابت العقدية والرموز الحضارية.



التعبير عن الحالات الذهنية والنفسية مجال معقد بحكم كونها وراء مقابل المحسوس الظاهر، وأما التعريف بوحدة تعبيرية تغطي حالة من تلك الحالات فهو أمر صعب بالتأكيد لأنه لا يمكن رسم صور الدلالة التجريدية بألوان الحس الظاهرة وبالتالي يضطر الباحث الى الاستعانة بالوحدات التعبيرية الأخرى، التي تدل على حالات شبيهة أو مقاربة للكشف عن حقيقة تلك الحالة. ومع كون هذا الأخير فإن هذه العملية تبعد الدارس عن نقطة تركيزه وتحدث خلطاً وخلافاً بين التصورات والمفاهيم. وذلك لأن كل كلمة تأتي بدلالة تخصها دون غيرها. فإذا قمت بتفسير الأبعاد الدلالية لكلمة بكلمة أخرى، بحجة كونها ذات دلالة مشتركة، فإن ذلك ربما يحصل لدى حدود الفهم إذا كان مجال الفهم من المعاني المدركة بالحواس أو كان من قبيل المألوف والمبتذل، لكن الأمر يختلف كثيراً إذا كانت المواد اللغوية ذات صلة بالمجالات التجريدية المعقدة. لأن كل خطوة في ذلك الاتجاه سوف تفضي إلى المتاهات التي لا مخرج منها. ولكي نفهم فحوى ذلك المنهج، نفترض على سبيل المثال أنك بصدد تعريف شخص من خلال أنسبه أمام مجموعة من الناس الذين لم يروه ولم يعرفوه من قبل، فإذا بدأنا بالقول بأنه محمود مثلاً، وبالمناسبة يكون الأخير معروفاً لدى الجميع، فهل يكون ذلك مجدياً في كشف هوية هذا الشخص، وهل يكفي هذا في إعطاء صورة



واضحة عن شخصيته بحجة كونه يشترك مع مخلوق في خصائص، لا تحدد ولا تحصى؟ كلا وألف كلا فإنهما شخصان مستقلان، ولكل منهما شخصية تنفرد بمميزات لا يأتي عليها الحصر.

انطلاقاً من هذه النقطة حاولت اقتفاء آثار هذا الشخص، أنظر حركاته ولو بالنظرة العجلى، وأعيش معه مع زملائه، وأتمسك في صراحه وبرهاته، لكي أعرف عاداته في المشي والحديث والمعاملة، وأتابع ظله في الأسواق والمكتبات والملاعب، ولم أترك مظنة من مظان وجوده إلا التمست فيها، لأتمكن من جمع أكبر كمية ممكنة من المعلومات حول شخصيته، وفي نهاية المطاف ذهبت إلى المادة المعجمية الكافية لإثبات هويته وشخصيته المتميزة.

بعد هذه الجولة السريعة توصلت إلى تصور دلالي واضح للرهبة والإرهاب، فسألت الأسئلة اللغوية عنهما، فأجابت بحماس شديد بأنهما الخوف والتخويف، لم تكن الإجابة كافية فلم أقتنع بها، لأن مجرد وجود الكلمة الأخرى يدل على تباين المساحات الدلالية، فالتجأت إلى الطريقة الميدانية، وحاولت تتبع السياقات التي وردت المادة فيها، لأن السياقات اللغوية أدل دلالة على تحديد الدلالات والخصائص المعنوية. كما حاولت أن أتعامل مع الكلمة وقفات متأنية لاستجلاء التطور الدلالي الذي حصل فيه، متجاوزاً العرض التاريخية، تلمساً للاستيضاح الموضوعي، عن الإيحاءات الدلالية التي ظلت تساير سياقاتها. وطالما جاءت الأساليب النحوية التي تطورت بالسياقات المختلفة بصورة واضحة عن الخصائص الدلالية لمادة الرهبة والإرهاب

في رحاب الكتاب الكريم

لقد وردت المادة بمشتقاتها اثنتا عشرة مرة في القرآن الكريم.

فلاحظها مجرداً، في قوله تعالى:

﴿...وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾

سورة البقرة، الآية 40

وفي قوله سبحانه

﴿... إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾

(سورة النحل، الآية 51)

وفي قوله جل وعلا

﴿...وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ (سورة الأعراف، الآية: 154)

ومن باب الفعل في قوله تبارك وتعالى

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾

(سورة الأنفال، الآية 60)

ومن باب استفعل في قوله سبحانه:

﴿...وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾

(سورة الأعراف، الآية: 116)

كما وردت مصدراً في الآية:

﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾

سورة القصص الآية 32

وفي آية أخرى:

﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾

سورة الحشر الآية 13

وفي قوله:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ سورة الأنبياء الآية 90

وكما ورد الاسم المشتق منه، ثلاث مرات في قوله تعالى:

﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ سورة التوبة الآية 34

وفي قوله سبحانه:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ سورة المائدة الآية 82

وفي قوله تعالى:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ سورة التوبة الآية 31

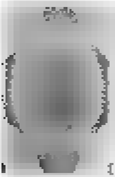
وفي قوله جل وعلا:

﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾

سورة الحديد الآية 27

الرهب في اللغة:

اكتفت معظم القواميس بذكر الخوف في بيان معنى المادة، يقول ابن منظور: رهب بالكسر يرهب رهبة ورُهباً بالضم ورَهَباً بالتحريك أي خافه، ورهب الشيء رهباً ورهباً ورهبة خافه، والاسم الرُّهب والرهبوت ورجل رهبوت، وترهب غيره إذا توعده، وترهب الرجل، إذا صار راهباً يخشى الله، والترهب التعبد، وأرهبه ورهّبه واسترهبه أخافه وفزّعه(1)



من الظواهر اللغوية الثرية التي عجزت الكلمات عن وصفها، هي المواد اللغوية التي تشترك مع غيرها في تغطية مساحات دلالية أو ظلال معنوية، ومنها توزيع الأبيات التي تساعد في وضع الخط الفاصل بين اللفظ المشترك والجزء المفترق، ومن شأن محاولات التفسير أنها قد تزيد المشكلة تعقيداً؛ لأن المعاجم التجريدية عموماً تنطلق من سيطرة اللفظ، فتبقى مقتصرة بمسمياتها، التي تتسم بنوع من الغموض.

فإذا قمنا بمقاربة: الرهبة، والخوف، والخشية، والفزع والرعب، وما إلى ذلك من الكلمات الدالة على أنواع الاستجابات النفسية، حيال المواقف المخيفة فليس إلى ذلك من سبيل إلا من خلال تتبع سياقاتها واستقراء ظروف الكلام التي وردت فيها؛ لأن الترادف الحقيقي مستحيل في اللغة، حيث إن كل كلمة تنفرد بالدلالة التي لا تشاركها فيها كلمة أخرى مهما تقاربت أو تماثلت أو تداخلت، في تغطية أجزاء المساحات الدلالية المشتركة.

نعود من الاستطراد إلى موضوعنا مادة (الرهب)، لنستكشف كنه دلالتها من خلال سياقاتها في النصوص القرآنية المعروفة بموثوقيتها ومصداقيتها تاريخياً ولغوياً، فقد استوعب النص القرآني الكريم، أشكال المادة بصيغها العديدة، حيث وردت ثلاثياً مجرداً ثلاث مرات، وثلاثياً مزيداً فيه بحرف مرة ومزيداً فيه بثلاثة أحرف مرة كذلك، كما ورد مصدراً ثلاث مرات، وورد الاسم المشتق من المادة أربع مرات.

وإذا رجعنا إلى الظروف الكلامية التي سايرت سياقاتها، فإنها في إيرادها مصدراً، وثلاثياً مجرداً

---

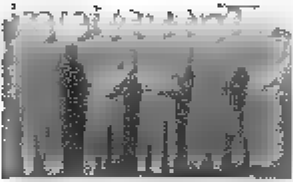
(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (رهب)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3، 1999، ص 337-338، والجوهري إسماعيل بن حماد، الصحاح، بيروت، دار العلم للملايين، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط2، 1979، ص 140.

لم ترد إلا في سياق الحالة المرعبة المتوجسة في علاقة الإنسان بربه، والتي تنظم مسيرة سلوكه داخل الصورة المرسومة. فهي كلمة واحدة تحدد الكيفية النوعية للاستجابة الإنسانية في تعامله مع ربه على المستوى السلوكي والفكري والعاطفي. فالرهب في حقيقته المستخلصة من أفعال القلوب التي تتجلى في السلوك وليست حالة نفسية طارئة مثل الخوف، أو ممزوجة بالعاطفة والانفعال السلوكي والتعليل الآمد مثل الخشية. إن هنالك ظلالاً متحركة، تواكب المادة اللغوية وتسهم في تكوين الأجواء الدلالية المثيرة فإذا حاولنا رسم المشهد الدلالي الذي يلائم هذه المادة والظلال التي تواكبها والأجواء التي تحيط بها والإيحاءات التي لا تنفك عن مسيرة المشهد فإن المنطقة الدلالية التي ترمز إليها المادة هي الوضع الانفعالي المشوب بالإجلال والهيبة والوعي بالمصير، تفكير والالتزام في السلوك على النحو المطلوب شرعاً، والكف عن انتهاك المحظور قانوناً وإلا وصفنا مادة رهب مقابل ضعف رهب، في ضوء المسح النصي القائل، وبحسب تكون الأشد مستمداً من جانب المصير والوقوف لدى الحد المرسوم خائفاً من الخسر والعقاب المستلزم تجاوز الحد.

ويوجد لدى علماء اللغة إجماع بأن نوع الاستجابة التي تدل عليها الكلمة تنبع خاصة بالله دون غيره استنباطاً من العبارة السائرة «الرهبة من الله والرغبة إليه»(2)

الراهب والرهبان والرهبانية:

يقول القاضي محمد عبد الجبار السماوي اليماني: «الرهبان جمع راهب، واشتقاقه من الرهبة التي هي بمعنى الخوف من الله تعالى»(3)



ما علاقة: (الرهاب ... الرهبة) والراهب والرهبان

انطلاقاً من هذه النقطة نستطيع أن ندرك الأبعاد الدلالية في كلمة الراهب المشتق من المادة ذاتها، حيث إن مجرد تصور الرهبة يستلزم طرف المتلقي وطرف المصدر، فيما أن طرف المتلقي، أو المتصف بالصفة يعيش في الموقف الإيجابي الذي يمتدح به والذي أصبح رمزاً للالتزام الكلي بل يتعدى بمجاوزة إلى أبعد من هذا بالتزام ما لم يلزم، فإن الطرف المصدر يختص بمصيره الشرعي، وهو الأمر في الموقف الإيجابي عقلاً وعرفاً وشرعاً. ونستخلص في ضوء هذه الظاهرة الدلالية أن الرهب وصف إيجابي، بالنظر إلى مصدره وتأثيره لأنه يعبر عن حالة تنظيم العلاقة بين طرفين في إطار حدود مرسومة المعالم.

ويستوقفنا وجود صيغة المادة، من باب الفعل في قوله سبحانه:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾

سورة الأنفال: آية 60

ويستوقفنا أخيراً أن هذه الكلمة التي تذكر على ألسنتنا صباح مساء، وتثير الروع على النطاق الدولي ويجد أنفسنا أمام علامة استفهام كبيرة، فلابد من التوفيق بين موقف الكلمة في سياق الآية، وموقعها في سوق الإعلام المعاصر. ولقد سبق أن استعرضنا بعض

(1) الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين ج/4 ص/47 عن القرص المدمج مكتبة المعاجم والغريب والمصطلحات، مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي، الأردن، عمان، الإصدار الأول 1999 www.turath.com

(2) القاضي محمد عبد الجبار السماوي اليماني: الموسوعة العربية في الألفاظ الضدية والشذرات اللغوية، بيروت، دار الآفاق، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط1، 1999م، ج/2، ص/189.

مصطلحاتي، التعمق في تحديد مسحة تحقيقية الدلالية
وقد عرفنا من خلال ذلك أنها لا تحمل السلبية التي
مزج الإعلام الحديث على تصنيفها إياها.

ولقد شهدت النصوص اللغوية عبر مراحل تاريخ الكلمة أن الإرهاب دوماً تضمن دلالة الردع والتخويف كمفهوم مشترك للمشهد الدلالي الواسع، كانت العرب تقول «أرهب الإبل عن الحوض» أي: أبعدها عنه، وأرهب عنه الناس أبعده وبجلته. يقول الشاعر:

إن بالمحرب تسعاً الشهب السبال ... وجياداً سلهقات ثم تختال
يرهب عنها السرب طعن وينهار ... تترى كأفواه الشحر اللثغال[4]

ويقول أحمد بن فارس في معجم مقاييس اللغة: «الترهيب التعبد، ومن باب الإرهاب، وهو قدع الإبل من الحوض وذيادها»[5]

السياق القرآني

أما السياق القرآني، فهو أوضح على انطباق الدلالة المتوارثة، حيث سمى الأمر من الاستعداد والأخذ بأسباب القوة، حسب المستوى المطلوب على مختلف المواقع، حيث تضمن تأمين الحرية والبقاء بالعز والشموخ، ويضمن مجرد الاستعداد ردع الأعداء عن التفكير في الاعتداء. ولا تتعدى دلالة الإرهاب والتخويف (Deterrence) الذي هو حق مشروع يحكم العقل والمنطق على مستوى الفرد والأمة والدولة. وهي الحقيقة التي كانت ولا تزال مبدءاً لتنظيم العلاقات بين وحدات المجتمع البشري، حتى الدول، وهي الحقيقة التي تلم بها إنتاج الأسلحة وامتلاكها.

ولم يقتصر الأمر على تلازم دلالة الردع بكلمة الإرهاب فحسب، وإنما أصبحت بلفظة تعبير عن التفكير العربي والحكمة الشعبية السائرة، حيث كانت العرب تقول «مرهوب خير من مرحوم»[6]، أي كونك مرهوباً خير من كونك مرحوماً، لأن الأول يقتضي العزة والقوة والثاني يقتضي البؤس والذلة، فهي إذن تمثل قيمة من أهم القيم الاجتماعية التي تعكس وجهة الأمة العربية عن القوة ومدى ارتباطها بالمكانة الاجتماعية حسب مفاهيمها.

وإذا رجعنا إلى ما تضمنت كلمة الإرهاب في الآية الكريمة، وفي المثل السائر من رؤية أخرى لتحليلها منطقياً، وجدناها تحتوي على أهمية القوة المادية التي تحدد مستوى تجاوب الآخرين، كما تحدد مستوى المعاملة على صعيد الواقع، وهي حقيقة مادية من أهم الحقائق الكونية.

السياق الأدبي

حاولت تصفح النصوص الشعرية القديمة، وبطون كتب اللغة والأدب، فوجدت أني التزمت جانب الحيطة والحذر، ورأيت نادراً ما استخدمت كلمة الإرهاب، لخصوصية مجالها الدلالي.

جاء في كتاب قرى الضيف لعبد الله بن محمد بن عبيد (ت ٢٨١ هـ):

من تابعت سر أسراره نفسه ... فنيت من الحسرات والأفكار
لا تكشفن سرى إلى نطف الحجا ... يبرم بخرب الصبعب المهدار
موفي بالسر جهلك دائباً ... ويجت في الإرهاب والإنذار[7]

وردت الكلمة في البيت، في سياق التنبيه والإنذار

4. الزمخشري، أساس البلاغة، ص ...
5. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت، قم، مركز النشر، مكتب الإعلام الإسلامي، ط ١، ١٤٠٤، ج ...، ص ...
6. ابن منظور، لسان العرب، ج ...، ص ...؛ وبطرس البستاني، محيط المحيط، بيروت، مكتبة لبنان، طبعة جديدة ...، ص ...
عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان، قرى الضيف، الرياض، أضواء السلف، ١٩٩٧، ط١، تحقيق عبد الله بن حمد المنصور، ج ...، ص ...

بالعواقب، فدلالة التخويف هنا تحيل إلى التهديد [illegible] لا آتي ناعت من النواهي الطبيعية

وترد الكلمة في سياق عبارة طويلة في وثيقة أمان على ما يبدو عند القلقشندي (ت 821هـ) في كتابه صبح الأعشى في صناعة الإنشاء [illegible] ولما [illegible] من [illegible] صراحة [illegible] في الحكومة [illegible] ساعة ولما [illegible] من [illegible] [illegible] ذلك [illegible] الطاعة التي توجبت [illegible] الإرهاب [illegible] من الملوك [illegible] وتحبب لا [illegible] التمرد [illegible] وعدم يخشى عواقب البرية[8] [illegible] الكلمة واضحة على معنى [illegible] والطاعة والانقياد [illegible] بسلطة [illegible] الخوف من [illegible] [illegible] أو الخضوع في المحظور

ويرد عند ابن المقري التلمساني في كتابه نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب عبارة جاء فيها: «وقال في المسجع في حق بني عباد [illegible] الرحمن أبو القاسم محمد بن عباد [illegible] [illegible] في [illegible] إلى [illegible] وجدهم [illegible] ماء السماء [illegible] من جو تلك السماء، وبنو عباد ملوك [illegible] بهم [illegible] عن الرفد [illegible] الملك [illegible] بالحيلة والدهاء [illegible] من [illegible] وأشد [illegible] كأهل الإرهاب [illegible] من عرينه [illegible] من مكايد فريسته»[9] الإطلاق هنا يتضمن دلالة القوة والشجاعة والبأس، الذي يكفل ردع الثوار والأعداء

وهكذا [illegible] المادة [illegible] على [illegible] متقارب على مدار ألف [illegible] سنة تقريبا من تاريخها المعلوم، وتنسجم في كافة [illegible] وسياقاتها وإيجابية جوانبها الدلالية، ولا [illegible] [illegible] [illegible] المتعلق السلوكي بين الطرفين، طرف المصدر وطرف المتلقي كجزء لا يتجزأ من الإيحاء الدلالي.

الفرق بين الرهب والترهيب:

يتضح من خلال الدراسة السابقة في ضوء السياق القرآني والنصوص اللغوية الموثوقة بها أن الإرهاب يتضمن دلالة الردع المشروع عن موقف مشروع، ويتجلى جمال [illegible] [illegible] إمكانياته التعبيرية والاشتقاقية في قوله تعالى:

﴿ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾

سورة الأعراف الآية 116

حيث [illegible] على [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] دلاليا آخر، وذلك لأن الموقف الذي جاء السحرة [illegible] لم يكن له نصيب من الشرعية [illegible] [illegible] [illegible] الفرعونية [illegible] [illegible] ضد بني إسرائيل، وجاءوا [illegible] عظيما [illegible] من [illegible] [illegible] وهم [illegible] بالحبال والعصي [illegible] [illegible] [illegible] كلمة [illegible] كافة هذه الآفاق الدلالية كما [illegible] أنها كانت محاولة [illegible] فاشلة [illegible] كذلك أن موقف السحرة لم يحظ بالشرعية، كما أن الموقف الفرعوني الذي جاءوا للدفاع عنه لم يكن له نصيب من الشرعية هو الآخر

وقد كشفت السحار عن هذه الإمكانيات الدلالية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من باب [illegible] ومن [illegible] هذا الباب أنه يدل على [illegible] [illegible] والمكلف[10] [illegible] كلمة استرهب [illegible] مجموعة الردع [illegible] وفقه شرعية الموقف المدافع عنه

> المعروف الوهمية في مجال تقنية المعلومات والإعلام عرضت الشعب والمجتمعات [illegible] الأعمال الأدوات والإنسانية

8. محمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دمشق، دار الفكر 1987م، تحقيق د. يوسف طويل ج/13 ص 49
9. أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، [illegible] بيروت 1968 تحقيق [illegible] عباس ج/4 ص 222
10. [illegible] المنجد في اللغة والأعلام، بيروت، دار المشرق [illegible]



إن ترجمة الكلمة الإنجليزية Terrorism بالإرهاب ترجمة يبدو أنها تنطبق على الكلمة، ولكنها لا تعبر عن مدلولها بصورة دقيقة، وينعكس ذلك بصورة عشوائية، وعلى افتراض المعنى المشتبه فهي محاولة غير مشكورة لخلط المفاهيم وإثارة الشبهات حول الثوابت العقدية والحضارية، ويدل ذلك على مدى عجزنا عن الدفاع عن قضايانا اللغوية والثقافية، وإخفاقنا في التعبير عن الواقع اللغوي من المنظور الموضوعي.

الإرهاب بين التطور الدلالي والتحسين الدلالي

يقول أحد علمائنا: د. علي عبد الواحد وافي: "إن التطور الدلالي ظاهرة لغوية معروفة، وإن العادة كانت تقتضي دلالة الألفاظ والحدود، ثم حصل فيها تطور دلالي، حتى أصبحت تعرف الدلالة الحديثة المتعارفة.

لا شك أن من الميادين اللغوية التي بدأت تكتشف الدراسات اللغوية الحديثة أن التطور الدلالي في المفردات اللغوية يخضع لقوانين لغوية صارمة، وهي تلقائية لا تقبل التدخل، والتطور الدلالي له عوامل كثيرة، منها لغوية وأخرى اجتماعية وثالثة اجتماعية نفسية"[1]

ومن خصائص التحسين الدلالي أنه لا يحدث بصورة فجائية سريعة، بل يستغرق مدة طويلة، فيكون المعنى الجديد قريبًا من المعنى الأول ويتدرج عادة بالانتقال إلى معنى آخر قريب منه، وتظل الدلالتان متعايشتين جنبًا إلى جنب حتى تتراجع كلمة الأخيرة، ثم تنتقل إلى مفهوم ثالث متصل، وهكذا دواليك"[2]

أما التطور الدلالي المفاجئ، وبالأحرى التحسين الدلالي الذي حدث في مادة الإرهاب بجعلها البديلة العربية لمصطلح Terrorism الإنجليزية، فإنه لا يستوعب المقومات التلقائية المعروفة الآنفة في عملية التطور الطبيعية، ولذلك فهو أمر غير معقول، إنه حدث غريب من نوعه في اللغة العربية، ويشكل بعدًا خطيرًا في تشويه الدلالات التي تعبر عن أفكار مسلم بها، كما أنه يمثل ظاهرة تطيل جانب كبير من مساحة قدراتنا التعبيرية ومواهبنا التفكيرية.

إن التطورات الراهنة في مجال تقنية المعلومات والإعلام الجماهيري، والشبكة العنكبوتية التي وسعت إمكانيات المطلقة لحرية التعبير قد عرضت اللغات وثقافتها للتبعية لأخطار الذوبان والانصهار. وربما يعتبر علماء اللغة هذا التطور أخطر شأنًا من كافة الأحداث الكونية الأخرى التي حدثت في تاريخ البشر، لأنه سوف يحدد مصاير اللغات والثقافات والحضارات في عالم خالٍ من الحدود، حيث تتصدر التوجهات السياسية والاقتصادية والثقافية حول ذلك التقدم متجاهلة كافة النظم والقيم.

يعتبر هذا التطور الدلالي لكلمة الإرهاب حقيقة لغوية، تشهد بضخامة الدور الذي يملكه الإعلام بأجهزته المتنوعة في ترسيخ جذور الآراء والأفكار مهما كانت معادية أو مضادة، وكان ابتداء ...

[1] د. علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، القاهرة، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، شارع كامل صدقي، ط ، ص 280
[2] علي عبد الواحد وافي، المصدر نفسه، ص 180

تطلب النسخة الإلكترونية على القرص المدمج بالتفاصيل الآتية:
مكتبة الشعب العربي بالإصدار الأول 1419 هـ / 1999م

مرحلة جديدة تسري في منطق القوة كمنطق مبرر له وطغى جبروته على النواحي الكونية التي كانت منصرفة في التحاور السوية وهي حريات مجرى الطبيعة.

وإذ حاولت التصحيح من المنطق الثقافي وعلى مستوى المشهد العالمي وبين القوى المتصارعة فيه وجدناها حركة بسيطة تلتقي عندها بيانات العولمة السياسية والاقتصادية والثقافية تدفع مشروعها الموحد نحو أهدافه.

صنعت العولمة الثقافية في شمس المظاهر الثقافية متشابهة ومتكاملة مع رحم العولمة السياسية الموحدة، فكانت ناطقة باسمها في مجالاتها التي التقت بالمظاهر المسندية لسياستها الكونية المطلقة والعولمة الثقافية تواكب مسيرة العولمة الاقتصادية بإسهاماتها الموضوعية، بتمهيد المسار وتسويغ الأفكار وتجسيد المنقول، والتحديد منهجية التنميط الثقافي، نمطاً ذا صيغة واحدة، تتجاهل قيم التعددية والتنوع، التي هي بمثابة حجب الرؤية لإستقلالية الثقافات وكياناتها المتفردة.

تعبر القصد الراعي بالسيطرة الإعلامية ذات البعد الواحد وكرست بمضمون السلطة وحمايته طرحها وخطابها الموقف كله على الزمن بمثالية تواجد الخطاب الآخر وتعويضه بمستوى الموقف المطلوب وأصبح العالم كله في موقف المتلقي المجبول على التلقي دون أن يكون له نصيب من الإسهام بفكر ولو رمز على وجوده على الساحة الرسمية.

ويشهد المهتمون بالشأن اللغوي ظاهرة تعري، لا نقل غرابة وشرود عن ظاهرة التلبس الدلالي ونفي انتقالية الإطلاق ودالي هذه الانتقالية إسم الهجمة علامية تدمج عبرها مقاومة شعب الاحتلال بالإرهاب، وتعبر عن الاعتداءات الإجرامية بالإجراءات الأمنية المشروعة، وهنا تتأكد فكرة موضوعية العولمة في عتبة المواقف المبدئية حيث أن تسير الشرعية مع من كان قوياً، بينما تعبير الضعيف مجرماً وخارجاً على القانون فقط لأنه ضعيف.

كانت الانحرافات الفكرية والسلوكية موجودة على مستوى الأفراد والحكومات في تاريخ البشر ولكن الطغاة لم يتستروا بستائر البيانات الجميلة بدعو لأسمائهم السمحة والمثالية، وكان الاستعمار استعماراً رغم تبنيه مقولة نظام كوني جديد، وكان الغزو غزواً ولم يكن حرباً استباقية (pre-emptive war)، وكانت الحرب حرباً، ولم تكن حملة إحلال تحرر. وتتجلى الثورة المنهجية التي أحدثتها العولمة في نحت المصطلحات الأحادية، بتسنى لها ترسيخ أسسها الفكرية، وتثبيت المفاهيم، وتبنيع النبعية السياسية والثقافية، المستوى الذي تتحد فيه الشعوب حقيقتها في تسمية الأشياء بمسمياتها.

> تتجلى الثورة المنهجية التي أحدثتها العولمة في نحت المصطلحات الأحادية، بتسنى لها ترسيخ أسسها الفكرية، والتبنيع المستوى الذي تتحد فيه الشعوب حقيقتها في تسمية الأشياء بمسمياتها.

ختام الجولة

- اتضح لنا من خلال الدراسة السابقة في مادة الإرهاب، لا تتضمن التسمية دلالته في كافة تشكيلاته الاشتقاقية تلتزم بموقف الشرعي بمسار يكتفي بالفهم لا السور الاشتقاقية الواحدة بالإرهاب، فهي تصور موقف الرعب والخشية والخروج على القانون.
- مع ... سير التطورات الدلالية لا تغير التلقين والتصويب ذو خطورة ستهدد الثوابت والرموز الحضارية لأنه ضرورة هذه التطور في استخدام المادة في سياقها الحديث.
- انطلاقاً من خصوصيتها الدلالية، التي حددت لها مجالاً خاص حين استعمالها في كتب اللغة والأدب على مدى التاريخ.
- البديل العربي الصحيح لكلمة Terrorism هو الاسترهاب، إذ أنه يتضمن عدم شرعية الموقف وقلة جدوى الوسيلة كما أنه يحتوي على الطابع السلبي

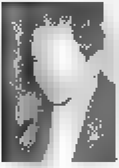


الحكم الرشيد و لنظام العالمي الجديد

في القرن الحادي والعشرين

الحكم الرشيد والنظام العالمي الجديد في القرن الحادي والعشرين *

البروفيسور فرانسيس فوكوياما **
نقلها من الإنجليزية: محمد محمد مكّي ***



البروفيسور فوكوياما

هذه المحاضرة المهمة التي نقدمها للباحث والمفكر الأمريكي (فرانسيس فوكوياما) أمام عدد من الباحثين والمفكرين وأساتذة الجامعات والكتاب العرب، تلبي طموح القراء ممن تابعوا لسنوات طروحات فوكوياما، ويتوقون إلى معرفة التغيرات التي طرأت على منهجيته ومنطلقاته باعتباره أحد الذين قاموا بالتنظير واستشراف مسارات النظام العالمي الجديد.

ومن المعروف أن البروفيسور (فرانسيس فوكوياما) هو مؤلف كتاب (نهاية التاريخ) الذي صدر قبل ثلاثة عشر عاماً، وكان له أثر كبير على المفكرين في العالم، وبعد ذلك بتاريخ قام بتأليف كتابين عن (الثقة العامة) و(المضائل الاجتماعية)، وتبع ذلك بكتابين آخرين عن (بناء الدولة) و(رموز الحكومات)، أما حديث كتبه فهو عن السياسة الخارجية الأمريكية، وخصوصاً الحرب في العراق، وهو في كتابه الأخير ينتقد بشدة توجهات الإدارة الأمريكية في أعقاب أحداث الحرب الاستباقية، وكيف أن هذه الإدارة وضعت كل الأخطار في سلة واحدة تحت مسمى (الإرهاب)، وفي هذا السياق يخلص (فوكوياما) إلى القول بالمعرفة.

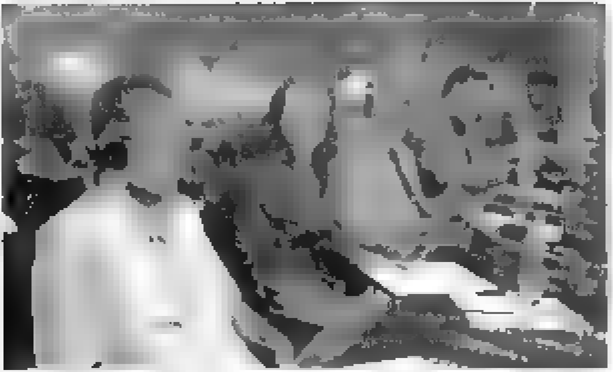
كذلك فإنني أعتقد أن الإستراتيجية العامة للإدارة الأمريكية تضمنت جملة من الأفكار والمعايير، لكن تلك الأفكار كانت للأسف تعكس طبيعة بصورة أساسية.

وتبقى الإشارة إلى أن الخلافات التي تضمنتها البروفيسور (فوكوياما) من اعتبارات كانت موضع التقدير البالغ، وربما تسهم مستقبلاً في دفعه إلى المزيد من إعادة النظر في المرجعيات الفكرية التي شكلت منهجيته، وكان من بينها كتاب (صدام الحضارات) للبروفيسور صموئيل هنتنغتون الذي يعد أستاذه.

* محاضرة ألقيت بقاعة الجمع الاستكمالي لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية بتاريخ 28 مايو 1374 من وفاة الرسول ﷺ (الموافق 2005 مسيحي).

** باحث ومفكر وسياسي - أمريكا

*** مترجم - ليبيا



البروفيسور فرانسيس فوكوياما

نود أن تحدثنا باختصار عن بعض الأفكار والمواضيع التي وردت في كتبك المختلفة والتي يصب مجملها في مسار واحد. ونريد في البداية أن تحدثنا قليلاً عن كتاب (نهاية التاريخ) وماذا حدث لتلك الفكرة بعد أن طرحتها. وسوف أتحدث عن مشاكل التنمية والديمقراطية والدولة، وأخيراً سأتحدث عن السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، لأنه خلال السنوات الأخيرة كانت السياسة الخارجية الأمريكية مبنية على استنتاجات نظرية عن العلاقة بين النظم الليبرالية والإرهاب والاستقرار، وهي أفكار تطرقت إليها في كتابي (نهاية التاريخ) وكتبي الأخرى. ونبدأ بالأطروحة حول (نهاية التاريخ).

تاريخ إنساني عالمي متطور

إن مفهوم (نهاية التاريخ) بالطبع مألوف بالنسبة لأتباع ماركس، وكان كارل ماركس قد أخذ الفكرة من الفيلسوف الألماني (هيجل) بما في ذلك فكرة (نهاية التاريخ)، وهذا المفهوم مبني على أساس أن هناك تاريخاً إنسانياً عالمياً متطوراً، ابتداءً من مجتمعات الصيد مروراً بالمجتمعات الزراعية ووصولاً إلى المجتمعات الصناعية.

إن نقطة التحول في هذا التطور الإنساني بالنسبة لكارل ماركس ونهاية التاريخ تكمن في بناء المدينة الشيوعية الفاضلة، وقد كتبت (نهاية التاريخ) في الأشهر الأخيرة من سنة 1989م، وفي ذلك الوقت كان الاتحاد السوفييتي يمر بسياسات الانفتاح وتحرير الاقتصاد المركزي، وبذلك فإن النظرية الماركسية لنهاية التاريخ سقطت لم تر الحياة، لأن العالم لم يتطور باتجاه المدينة الشيوعية الفاضلة المبنية على التخطيط المركزي للاقتصاد، وإن كانت هناك نقطة [illegible] في العالم [illegible] الديمقراطية الليبرالية الحرة واقتصاد السوق، وكان ذلك هو الأطروحة التي أنه كان هناك تقدم وتطور وعصرنة وفي جميع المجتمعات فإن عملية [illegible] كانت في معظمها شبيهة ببعضها البعض.



كتاب نهاية التاريخ

نعتقد أنه ليست كل مظاهر

الحداثة في المجتمعات العصرية مجهدة، فهنالك سياسات التعليم والعمل والجريمة والمخدرات من المشاكل الاجتماعية في الدول الديمقراطية المتقدمة، ولكن في الجانب الآخر هنالك مستويات معيشية عالية، الرعاية الصحية، ومعدلات مرتفعة لمتوسط العمر المتوقع، وفرص التقدم عبر التعليم ... الخ. وهي أمور تفتقدها الشعوب في مختلف أرجاء العالم الثالث لأطفالها، وكمثال على ذلك بالنسبة لي فإن الرغبة الموجودة لدى الكثير من السود في الدول الأقل نموا في حرية الحركة بين السود والسمر إلى البلدان المتقدمة يشير إلى أن هذه الرغبة هي طموح جامح لدى تلك الشعوب.

ومن وجهة نظري فإن ثمة نوعاً مستمراً أو متزمناً للأفكار حول أمر محدد سيصبح بمرور التاريخ، مثله هو الحال مع الماركسيين. فأنا أعتقد أن عمليات التحديث والعصرنة والتنمية هي عمليات غير مستمرة وتعاني العديد من العقبات والأزمات، وهنالك طرق بديلة للحداثة. فعلى سبيل المثال قامت كل من ألمانيا واليابان بتطوير وتحديث اقتصادهما بوتيرة أسرع مما كان الحال عليه بالنسبة للولايات المتحدة وبريطانيا. وكانت هناك أزمات وعودة إلى الوراء خلال عقد الثلاثينيات من القرن الماضي كان هنالك ابتعاد وتخل عن الديمقراطية، ولذلك فإن هنالك انقطاع في هذه العملية الكلية وفي تطور الأحداث التاريخية.

> معلوماتية ووسائل الاتصال بين الثقافات سوف يعمق مفهوم القيم ويؤدي إلى الصدام

الحداثة والتنمية

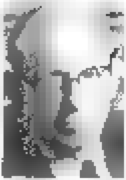
ويمكن في النهاية فإن الحداثة والتنمية عملية مستمرة، وإذا ما نظرنا حول العالم اليوم فإن قصة العصرنة والحداثة بادية للعيان في كل من الصين والهند، وهما أكبر بلدان العالم من حيث السكان، جزء لا يتجزأ من هذه العملية، فقد سجلت الصين على مدى عدة سنوات أعلى معدلات نمو اقتصادية مقاساً بالناتج المحلي الإجمالي تراوحت بين معدلات تقارب 10٪ سنوياً، وقد تضاعف اقتصادها مرتين خلال عقدين من الزمان، وارتفعت مستويات معيشته بها، وتم إنقاذ مئات الملايين من سكانها من الفقر. ونفس القصة تنطبق على الهند خصوصاً منذ العام 1991م، فإن انفتاح الاقتصاد الهندي قد ساعد في العديد من الجوانب على دخول الأسواق العالمية بحيث أصبحت الهند مركزاً تكنولوجياً متطوراً على المستوى العالمي وتسبب الكثير من القلق للأمريكيين، كما أن الهند دخلت عصر المعلوماتية على الرغم من حقيقة أن معظم سكانها لا يزالون تحت مستوى خط الفقر، إلا أن الهند لا تزال من بين الدول المتنامية. لقد شهدت هاتان الدولتان (الصين والهند) والتي يشكل سكانهما نسبة كبيرة من سكان العالم، تطوراً مشابهاً لما شهدته اليابان وكوريا الجنوبية وتايوان وبعض دول جنوب شرق آسيا التي تحولت من دول عالم ثالث إلى دول عالم أول خلال فترة تراوحت بين أربعين وخمسين سنة، وهي فترة أسرع بكثير مما شهدته بريطانيا والولايات المتحدة.

ومن وجهة نظري فإن الرغبة في الحداثة والتنمية هي رغبة عالمية، ولا يوجد سوى القليل من الدول التي لا ترغب في المشاركة في هذه العملية، لكنني أعتقد أن الرغبة في العيش في ديمقراطية حرة مثلما هو الحال في أوروبا الغربية والولايات المتحدة واليابان، ليس بالضرورة مرغوباً على مستوى العالم بصفة مطلقة. فهنالك في الواقع العديد من المجتمعات ذات الأنظمة الاستبدادية التي قامت بتحديث اقتصادياتها، مثلما هو الحال مع سنغافورة وكوريا الجنوبية، وكذلك اليابان في مرحلتها الأولى حيث كانت محكومة من قبل دكتاتوريات عسكرية، وفي حالة الصين التي تقوم حالياً بتحديث اقتصادها في ظل حكم الحزب الشيوعي الصيني، لذلك ليس هنالك بالضرورة أي رابط بين التحديث والتنمية من جهة

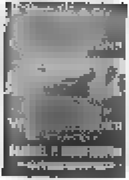
بالديمقراطيات السياسية من جهة أخرى.

نعتقد أن الترابط بين التحديث والعصرنة والديمقراطية يحدث فقط عند مستويات عليا من التطور، لذلك عندما تصل إلى مستويات دخل فردي تقارب ستة آلاف دولار مقاس بالناتج المحلي وهو المستوى الذي حققته كل من تايوان وكوريا الجنوبية خلال الثمانينيات من القرن الماضي، حينها تحدث تغيرات في المجتمعات تخلق طلباً متزايداً على التمثيل السياسي وعلى محاسبة المسؤولين وعلى مزيد من المشاركة السياسية، لأنه عند تلك النقطة تكون هنالك طبقة متوسطة داخل مجتمع تنشأ عن مستويات عالية من التعليم، وتكون هنالك تنظيمات خاصة بالعمالة وبالمجتمع المدني، وهي التي تتبنى مطالب بوجود قدر أكبر من المحاسبة للمسؤولين السياسيين. إن الاختبار الكبير سوف يأتي من بلد كبير مثل الصين، فحالياً يبلغ متوسط دخل الفرد من 2000 إلى 2500 دولار مقاساً بالناتج المحلي، لذلك ما زال أمامها الكثير قبل أن تصل إلى ذلك المستوى الذي تحدثت عنه، لكن هناك مؤشرات على أن هنالك مطالب بقدر أكبر من المشاركة السياسية.

كانت تلك الفكرة العامة لمفهوم نهاية التاريخ لدى أصحاب النظريات والمفكرين من أمثال صديقي البروفيسور صموئيل هنتنغتون الذي ألّف كتاب "صدام الحضارات" منذ عدة سنوات، والذي يجادل فيه بأنه لا توجد عملية عالمية للتحديث والعصرنة، ولكن هنالك أنظمة ثقافية متوازية ومتميزة مثل المسيحية الغربية والعالم الإسلامي والمجتمعات الكونفوشيوسية في شرق آسيا والمجتمع الهندي، فتلك ستكون الوحدات الأساسية المستمرة، وفي النهاية سيكون هنالك تحول في المؤسسات، وسيكون هناك تحديث في ظل هذه الثقافات السائدة. وأعتقد أن من بين الأشخاص الذين يتبنون هذه النظرية مثال أسامة بن لادن، والعديد من الإسلاميين الراديكاليين الذين يؤمنون بأن النمط الغربي في التطور المدني مرتبط بالثقافة ويبنى على الغرب، وأن هنالك مسارات



البروفيسور صموئيل هنتنغتون



من طبعات كتاب صدام الحضارات

متميزة تمثل مجموعة ثقافية، لذلك فإن محاولة وسائل الاتصال بين تلك الثقافات سوف يخلق سوء الفهم ويؤدي للصدام. أما من وجهة نظري فإنني لا أعتقد بأن هنالك ثمة عوائق تمنع المجتمعات الإسلامية من التحديث ومن التحول نحو الديمقراطية، مثلما هو الاعتقاد السائد لدى العديد من شعوب شرق آسيا أنه من الممكن للمجتمعات الكونفوشيوسية أن تواكب التحديث والعصرنة والتحول نحو الديمقراطية.

هذه الملاحظة الواضحة من خلال تاريخ القرون الماضية، وهذا هو محور التفاعل والجدل القائم حالياً، فهنالك العديد من الناس الذين يجادلون بأن الثقافة ببساطة ليست من بين عوامل أو معايير التطور، وتنتج المؤسسات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المتكررة، لذلك فإن جميع تلك المؤسسات الثقافية يجب ... .

وسأعطيكم مثالاً على ذلك يتمثل في دور المرأة في المجتمع، فمن الواضح أن هنالك عدم مساواة وتفرقة بين الجنسين في العديد من المجتمعات، بما في ذلك المجتمعات الغربية الديمقراطية، وفي اعتقادي فإن الفرق بين مجادلة هنتنغتون ومجادلتي أنا الشخصية، هو أنه سيجادل بأن الدين والنزعات الثقافية الداخلية تحدد دور المرأة في المجتمعات، بينما أنا أجادل بأن الدور المتطور والمتشكل خلال عملية التحديث، فإذا كان للبلد نظام اقتصادي يمنع نصف عدد سكانه من المشاركة ومن الإبداع واستخدام المهارات في دفع عجلة

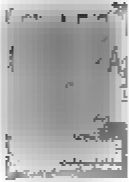
الاقتصاد عليها سيطرة من ذلك الوضع مجتمع فارغ في جانب من جوانبه من خلال حرمان المجتمع من ميزة مشاركة النصف المعطل لذلك وفي وجود نظام عالمي تنافسي فإن تلك المجتمعات سوف تتخلف عن الركب.

وإذا نظرنا إلى تجربة عربية اسمها سعيدة توضح أثر التنمية على دور المرأة، نجد مثلاً منذ عقدين لم تكن المرأة في شرق آسيا ضمن القوى العاملة وكان دورها ينحصر في إنشاء ورعاية العائلة، أما اليوم فإذا نظرنا إلى اليابان أو الصين أو كوريا فسنجد مستويات عالية من العمالة النسائية تشارك في عملية التحديث لتلك البلدان.

بناء الدولة

أما الآن فسوف نتحدث عن الملاحظة التي ذكرتها في كتاب لي عن بناء الدولة منذ ما يقرب من أربع سنوات وهو ينصب أساساً على دور الدولة في التنمية لأنني أعتقد أن هناك سوء فهم لهذا الدور ليس فقط في الدول النامية ولكن أيضاً في واشنطن والعديد من المؤسسات المالية الدولية التي تمول التنمية العالمية.

لقد شكلت الدولة عاملاً مناسباً في الحياة الاقتصادية عبر القرون وخصوصاً القرن الماضي. وإذا ما نظرنا إلى دولة مثل الولايات المتحدة أو بريطانيا في بداية القرن الماضي فإن القطاع العام لكل منهما لم يمثل سوى 3% من الناتج المحلي الإجمالي وهو تماماً أيضاً في بريطانيا في العام 1900 م ولكن بحلول العام 1960 م كان القطاع العام في الولايات المتحدة يمثل (40%) من الناتج المحلي الإجمالي وفي الدول الاسكندنافية كان الرقم من 60 إلى 65% وهناك بالطبع الدول الشيوعية حيث كان القطاع العام يمثل ما يقرب من 80 – 90% لأنه في الواقع كان هناك قطاع خاص من الأفراد العاملين



غلاف كتاب

بناء الدولة لفوكوياما

بعمله لحسابهم وفي الاتحاد السوفيتي فإن 90 – 95% من النشاط الاقتصادي يخضع لسيطرة الدولة وفي الصين الشيوعية كانت النسبة 80 – 85%.

لقد كان هناك دور كبير للدولة في عقدي الستينيات والسبعينيات كما كانت هنالك برامج واسعة على أن تلك البرامج المفرطة من تدخل الدولة في الاقتصاد أصبحت تشكل عاملاً معوقاً للنمو الاقتصادي، ونتج عن ذلك ركود اقتصادي وبالنسبة للدول الشيوعية فإنه لم يتمكن من الانتقال إلى مرحلة ما بعد الاقتصاد الصناعي.

> هناك لا مساواة وتفرقة بين الجنسين في العديد من المجتمعات بما في ذلك المجتمعات الغربية الديمقراطية

وحتى في العديد من الدول الغربية في أوروبا التي تبنت سياسة الرعاية الاجتماعية مثل بريطانيا التي قامت بتأميم العديد من الصناعات كان هناك مزيج من التضخم ومعدلات نمو منخفضة لكن ذلك أدى إلى ثورة مضادة قادها سياسيون من أمثال مارغريت تاتشر بهدف تقليص دور الدولة وخصخصة الصناعات التي كانت تخضع للقطاع العام وإلغاء بعض القيود وفرض معدلات أقل من الضريبة بهدف مساعدة القطاع الخاص وخلال الثلاثين عاماً الماضية أعتقد أن هذا هو الإطار العام المعتمد في بريطانيا.

بالنسبة لليبيا وبالطبع فإن الكثير من المشورة والنصيحة تأتي من المؤسسات المالية الدولية وتدعو إلى تبني نحو تقليص القطاع العام والتوجه نحو الخصخصة وإلغاء بعض القيود وما شابه ذلك وهذا بالطبع ما يقدمه صناع القرار في تلك المؤسسات.

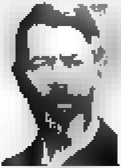
ويبدو أن خوضي في التفاصيل التاريخية للسياسات

التي اتخذتها والمتمثلة بحل أزمة الديون في أمريكا اللاتينية والسياسات التي تبنتها استجابة لتلك الأزمة في بداية الثمانينيات والتي تمثلت في حل جملة من المشاكل بكل من الأرجنتين والبرازيل والمكسيك وكانت المشكلة الرئيسية تتمثل في كيفية تقليص الإنفاق الحكومي وكانت هناك حاجة لتبني سياسات تقشفية فعالة توسع ذلك موضوع التسليم لكن ذلك التوجه تم تجاهه ليصبح سياسة عامة لتشجيع التنمية بطرق أدت في بعض الأحيان إلى عدم فعاليته وفي أحيان أخرى ساهمت في تأخير آفاق التطور والتنمية عند تطبيقه

مجالات الدولة ونشاطها

وأعتقد أن المشكلة الأساسية هي أن هناك بعدين مهمين لقدرة الدولة على انخراطها في الاقتصاد أسميهما سعة مجالات الدولة وهي ببساطة عدد من الأنشطة التي تستطيع الدولة أو التي تستطيع السيطرة عليها وفي حالة الأنظمة الشيوعية السابقة فإن مجالات الدولة كانت نسبية ١٠٠٪ من كل الأنشطة الاقتصادية أما فيما يتعلق بالأنظمة المتطورة التي تخضع لسيطرة السوق فإن تلك النسبة تنخفض عن ٢٥٪ من الاقتصاد الذي يخضع للقطاع العام لكن المسألة المهمة هي ما مدى النسبة التي تتحكم فيها الدولة في الاقتصاد؟ أما البعد الآخر فهو بعد رأسي لكل نشاط يمكن للدولة أن تقوم به على الوجه الأفضل إلى حد بعيد وسمي بعد مقدرة الدولة على فرض القوانين والدساتير ضمن حدودها الإقليمية

عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر حدد مفهوم الدولة على أنها احتكار للقوة الشرعية أو القوة القسرية التي لها القدرة على فرض سلطة القانون على منطقة إقليمية محددة وكان ذلك هو المفهوم التقليدي للدولة خلال فترة التنمية التي شهدتها أوروبا وإن اعتقد أن ذلك التعريف ينطوي على الكثير من الحكمة لأنه إذا لم تستطع الدولة أن تفرض سلطة القانون فلا يمكنها أن تخلق الشروط الأساسية للتنمية الاقتصادية وأنا أعتقد أن معظم علماء الاقتصاد الكلاسيكيين بجامعة شيكاغو سيعترفون بصعوبة بأنه في مثل الدولة في توفير الاحتياجات الأساسية للمواطنين مثل الأمن على الأرواح والممتلكات والأمن الخارجي وسيادة القانون وحقوق ملكية عقارية ثابتة ونظام قضائي قانوني قادر على حل النزاعات ومنح البنية التحتية الأساسية وتنظيم نشاطات المعلومات فإنه من الصعب جداً أن يحدث أي نشاط اقتصادي للقطاع الخاص


ماكس فيبر

إذاً فإنه ليس على الدولة الاهتمام فقط بمجالات الأنشطة للنشاط الاقتصادي بل أن تركز على البعد الرأسي لقدرتها على فرض القوانين في أي مجال تختاره وفي العديد من الجوانب إذا كان الهدف هو التنمية الاقتصادية السريعة فإن الهدف التهائي للإصلاح هو أنه إذا كان لديك مجتمع به الكثير من الفساد بالمرحلة التي تعرضها الدولة فمن عليك ليس فقط تقليص مدى تدخل الدولة في الاقتصاد ولكن أيضاً زيادة قدرة الدولة على القيام بالأنشطة التي يتوجب على جميع الدول القيام بها

خلال عقد التسعينيات من القرن الماضي كانت العديد من الدول النامية الانتقالية التي تأخذ السوق من واشنطن ومن العديد من المؤسسات المالية الدولية قد استوعبت جيداً مفهوم تقليص تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي لكنها لم تتلق الرسالة حول الحاجة إلى زيادة قدرة الدولة في بقية المجالات التي ظل دور الدولة فيها مهماً

وأعتقد أنكم توافقون أن المشكلة الكبرى في روسيا هي أنهم كانوا تحت إغراء تقليص حجم تدخل الدولة في الاقتصاد بصورة سريعة دون قدرة المؤسسات الحكومية على إدارة بعض الأشياء البسيطة مثل سيادة القانون في شوارع موسكو وكذلك عندما تعلق الأمر

بالخصخصة فإذا تمت تلك العملية دون قدرة الدولة على حماية حقوق صغار المساهمين فإن الشركات تتعرض بطريقة خفية وتتسم بالضبابية فإن ما ينتج عن ذلك هو أن توزيع الإدارات العليا لأسهم الشركات العامة سيتجه ببساطة إلى الكبير ممن يملكون معلومات داخلية والعديد منهم في الحكومة أو في المجالس التي تشرف على تلك الإدارات.

عندها ستصبح عملية الخصخصة مرتبطة بالفساد وسوف تؤدي إلى فقدان الدعم لكل شرعيتها وهذا ما حدث على سبيل المثال في قطاع النفط والغاز الروسي حيث تمت خصخصة القطاع وشابت عملية الخصخصة بمثل أولئك المسؤولين القائمين والمشرفين على عملية الخصخصة شركات ومؤسسات القطاع، ولذلك فإن هذه المشكلة تكررت في العديد من الاقتصاديات النامية الانتقالية وقد أدت إلى فقدان الثقة فيما يسمى في أمريكا اللاتينية باسم الليبرالية الجديدة.

علاوة على ذلك فإن الحسابات المعقدة مشكلة في التسعينيات بحيث في الاتجاه العام نحو تقليص دور الدولة وإفساح المجال أمام القطاع الخاص لكي تقوم في حسابات من على الدولة أن تمارس بعض الوظائف الأكثر أهمية والحاجة في تستمر الدولة في توفير بعض مستلزمات الضرورية والملحة لعامة الشعب وبالتالي عند تطبيق هذه الإصلاحات سوف يتوسع مجال نطاق القطاع الخاص إلى السوق.

وعند الحديث عن أماكن أخرى في العالم وخصوصا في إفريقيا هنالك مسائل هامة فيما يتعلق بقدرات الدولة فقبل ظهور الاستعمار الأوروبي لم يكن هنالك ما يشبه الدولة الأمة في هذا الجزء من العالم وعندما أن العديد من المجتمعات الإفريقية عرفت الاستعمار الأوروبي وارتمت في دائرة الفوضى وأن الاستعمار في العديد من الحالات لم يشترط في عملية بناء الدولة؟ مثلما حدث في حالة الهند مثلا لذلك ترك الاستعمار هذه القارة في إرث مضطرب فهي لم تحظ بقدرة مؤسسات الدولة على توفير الخدمات الأساسية والضرورية.

فضلا عن مشكلة التنمية بالنسبة لبعض من البلدان هي مشكلة متراجعة من حيث عجز الدولة وتوقفها عن النمو الاقتصادي والذي يأتي بمسائل هندسية علم الاقتصاد وفي نفس الوقت بإعادة قدرة الدولة على توفير الخدمات القانونية وسيادة القانون والتأسيس لاقتصاد مبني على سيادة الإجراءات والنظام العام.

السياسة الخارجية الأمريكية

سوف نعبر المحدد بصورة مختصرة عن السياسة الخارجية الأمريكية لأن العديد من المسائل التي طرحتها والتي كانت محل نقاش لدى العديد من الأكاديميين هي مسائل نظرية ولكن في العديد من جوانبها دخلت إلى السياسة كقضايا خلال فترة السنوات العشر الأخيرة وهي الفترة التي أعقبت حادث 11 سبتمبر ومثل تأثيرها في عادة صياغة السياسة الخارجية الأمريكية.

نعتقد أنه من الصدق القول بأن الولايات المتحدة قد نالت من الهجمات التي حدثت خلال العام الماضي وقت نحن لإدارة بوش العديد من الوقت في صياغة سياسة للرد على الاستفزاز وبصورة كلية وشاملة. لقد التحضير المتعلق بتحديد ماهية مشكلة الأساسية وفي العديد من الجوانب فإن ذلك التحليل تمثل في فكر العديد من السياسيين الذين أطلق عليهم المحافظين الجدد وهؤلاء مجموعة من المفكرين الذين يرجع تاريخهم الفكري إلى الثلاثينيات من القرن الماضي، حيث بدأ معظمهم حياته السياسية في أقصى اليسار في السياسة الأمريكية وكانوا إلى حد بعيد خارج النخبة السياسية في أمريكا.

وحدد نشر هؤلاء العديد من الأفكار الهامة

والتقدمية تكفي أعتقد أنه زال حدثين وقيجة تجربتهم خلال الحرب العالمية الثانية فقد تحركوا باتجاه يمين الوسط تصميم الأول يتعلق بتجربة ستالين في الاتحاد السوفيتي السابق والاعتراف منه أن تم السير بإفراط نحو تحقيق مجتمع مساواة شيوعي قاد الى نتائج جماعية سيئة جدا مثيرة نقوض منجزات الشعوب التي اتبعت تلك بسبب والعقلية المثالية بالطبع أنتجت سجون الجولاج ومعسكرات الاعتقال والمجاعة والعديد من النتائج المخيفة والتي أدت في النهاية إلى انهيار الاشتراكية

أما بالنسبة للتجربة الثانية وهي متعلقة بالحرب الفيتنامية الدامية حيث كان الصورة الأمريكية العسكرية العامل الحاسم في هزيمة جانب السياسة والإمبراطورية اليابانية وفي خلق نظام ديمقراطي بعد الحرب في كل من أوروبا الغربية وشرق المحيط الهادي في ذلك ... لم يعرف بعد الحرب الباردة التي سادت العلاقات بين الشرق والغرب

لذا فإن هؤلاء المحافظين الجدد آمنوا بأهمية القوة العسكرية الأمريكية في المحافظة على نظام عالمي مستقر أولا وثانياً التشكيك في قدرة نجاح ما يسمى الهندسة الاجتماعية لتلك المفكرين وخصوصا فكرة القوة العسكرية الأمريكية لذا إن ... ما يسمى ... يوش السياسي والاستجابة ... لأحداث سبتمبر لقد قامت الإدارة بوضع إطار عام نظري يشرح وبسط الأسباب والمبادئ والأسس للعقلية سياستها

وفي معظم الإدارات الأمريكية هناك استراتيجية للأمن القومي يصدرها البيت الأبيض تسبق إعلان الحرب وفي تلك الاستراتيجية عرضت الإدارة مزيج من البرامج والمبادئ لتبرير ما قامت وما ستقوم به ولقد بدأت تلك الاستراتيجية بمقدمة عن أنواع الهجمات الإرهابية التي تعرضت لها الولايات المتحدة متمثلة بأيديولوجيا مجموعة من المفاهيم متطرفة يسميها أفراد وليس دولا لقد كانت غير قابلة للتخطي حدود التنظيم بما لا يمكن استخدام عبر الموارد التقليدية لاحتواء ذلك الخطر وردعه مثل تلك التي استخدمتها الولايات المتحدة خلال الحرب الباردة ضد الخطر النووي السوفيتي حيث إن مبادئ من الآن والقاعدة لا يمكن أن ... عبر التهديد بالرد النووي

الحرب الاستباقية

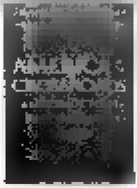
أعتقد أن تلك المقدمة مبررة لكي ... في التوسع في التفاصيل حول مذهب الحرب الاستباقية رغم أنه ... أمريكا لم تتمكن من الدفاع عن نفسها ضد تلك الهجمات فإن عليها نقل الحرب الى أماكن تواجد الإرهابيين والتي من وجهة نظرهم هي ... فقد نقلوا الحرب إلى أفغانستان وبعد ذلك أيضا الى العراق وأعتقد أنهم بعملهم هذا قد قاموا بالخلط بين تهديدين مختلفين الأول وهو الخطر الإسلامي الذي مثله السلفيون المتطرفون القادمون من مناطق مثل السعودية وباكستان والمرتبطون بأسامة بن لادن من جهة ومن جهة أخرى الخطر الذي مثله صدام حسين والنظام البعثي في العراق والتي كان مشكلة بالنسبة للعراقيين وللمنطقة ككل لكنه كان مختلفا تماما عن الخطر الإرهابي الذي تمثل في هجمات 11 سبتمبر

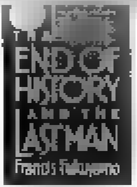
> الاستراتيجية العامة للإدارة الأمريكية تضمنت جملة من الأفكار والمبادئ لكن تلك الأفكار كانت تقوم على خاطئة بصفة أساسية

حتى الإدارة الأمريكية وضعت كل تلك الأخطار في سلة واحدة تحت مسمى الإرهاب ثم واصلت تبرير الحرب على العراق تحت مسمى مذهب الحرب الاستباقية وأعتقد أنهم بالغوا في تصوير درجة الخطر الذي مثله صدام حسين حيث إن العراق لم يمثل خطرا وشيكاً بل خطرا ربما يتطور خلال سنوات طويلة قادمة لكن الإدارة طرحته كخطر وشيك بهدف الحصول على الدعم الشعبي لتلك الحرب

أما الجزء الآخر من السياسة الأمريكية والذي







ستجد أنه على علاقة بما ذكرته في كتابي (نهاية التاريخ) والتطور والنماء الفكري الذي تم ذلك يتعلق بدور الديمقراطية في جلب السلام إلى الشرق الأوسط، فقد ذكرت إدارة بوش بوضوح أنها تعتقد أن السبب الأساس وراء التهديد الإرهابي الإسلامي في الشرق الأوسط هو غياب الديمقراطية في هذا الجزء من العالم، وبذلك وكجزء من استراتيجية الإدارة الأمريكية بعيدة المدى لاجتثاث الإرهاب ... تقوم بتشجيع الديمقراطية في المنطقة بدءاً من إنشاء عراق ديمقراطي، وبطبيعة ذلك، تنطوي على الأفكار التي طرحتها في كتابي (نهاية التاريخ). وعلى الرغم من أنهم لم يستخدموا نفس الألفاظ بصورة مباشرة إلا أنهم استخدموا مفردات جعلت الكثير من الناس يربطون بينها وبين الحجج التي استخدمتها في كتابي (نهاية التاريخ) مثل: إن الرغبة في الديمقراطية رغبة عالمية، وإن العراقيين على وجه الخصوص سوف يرحبون بالغزو الأمريكي، وأن ذلك الغزو هو فرصة لبناء ديمقراطية حديثة.

وأعتقد أن أحد الأسباب وراء ذلك هو أن العديد من مسئولين في إدارة بوش اعتقدوا أنه بمجرد القضاء على صدام حسين سيكون هناك تحول سريع، وإلى حد ما عبر عراق ... إلى ما يشبه الديمقراطيات الغربية في تلك البلاد، وأنا أجد كل ذلك غريباً ومؤسفاً؛ لأنني أعتقد أن هذه ... والأفكار مضللة وخادعة لم تكن موجودة في كتابي، وكما ذكرت فإن الرغبة في التطور والتنمية والتحديث عالمية ... الرغبة في الديمقراطية فليست بالضرورة عالمية، وإنما تظهر بعد مرور وقت، وعلى المدى القصير فإن التطوير والحداثة يمكن أن ينتج عنه أنظمة استبدادية، وفي بعض الظروف قد ينتج عنه ... بعض القوى، ولقد رأينا ذلك في بعض أجزاء الشرق الأوسط.

كذلك فإنني أعتقد أن الاستراتيجية العامة للإدارة الأمريكية تضمنت جملة من الأفكار والحجج لكن تلك الأفكار كانت تسودها أخطاء خاطئة بصفة أساسية ومن خلال التحليل الجيد، ونتيجة لذلك فإنهم قد شجعوا سياسات إسرائيل فيما يتعلق بلبنان، ومحاولاتها زعزعة الاستقرار في هذا البلد من خلال الحرب الأخيرة، وكذا السياسيين بالثقة في قدرة القوة العسكرية على إنجاز أهداف سياسية في هذا الجزء من العالم، ولسوء الحظ معاً فإنني أعتقد أن ذلك قد جعل الموقف أسوأ مما كان عليه فيما يتعلق بالمصالح الأمريكية والديمقراطية والاستقرار العام في هذه المنطقة. وأعتقد أنني سوف أنهي محاضرتي عند هذه النقطة، لأنني على يقين أن هناك العديد من الملاحظات والتعقيبات والأسئلة.

ولا أريد أن أتحدث عن موقفي في الوقت الحاضر؛ لأنني شخصياً غير واثق مما سيؤول إليه الوضع في المنطقة، خصوصاً في ظل التعقيدات الموجودة، والتي ... نتيجة لمزيد من الخطأ من طرف السياسة الخارجية الأمريكية.

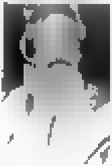
شكراً لكم جميعاً على حضوركم واهتمامكم وأنا أرحب بأية أسئلة.

أ.د. مهدي امبيرش *

الأمين المساعد لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية

السيد فوكوياما أو المخضب أستاذ فلسفة تاريخ، وأعد الآن كتاباً موسوعياً بعنوان "نهاية الليبرالية وإنسانها الأخير" مشروع عند فوكوياما. إن ما لاحظه الكثيرون ممن قرأوا كتابه "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" والذي تعرضت إليه في هذه المحاضرة، أنه اعتمد الأسلوب الانتقائي في الدفاع عن أطروحاته وأفكاره. لقد وضع السيد فوكوياما أطروحته متكئاً على التصور الأفلاطوني للشكل السياسي والذي قسمه حسب نظرته للجسد البشري، إلى ثلاث: القوة المفكرة، أو (الثيموس)، وهي تكمن في الرأس حيث الثيموس هو العقل وبالمفهوم الأفلاطوني هو الأعلى يعبر في الشكل السياسي وفق التصور الأفلاطوني الرئيس أو القوة التشريعية التي تصدر إملاءاتها على الجزء السفلي أو الديموس "الجماهير أو الرعية" المحكومة بالغرائز. وبين الثيموس، ومنها (Theory) النظرية، وبين الديموس ومنها (Democracy)، تأتي القوات المسلحة أو الشرطة التي يقابلها في الجسد "الثيموس" أو القوة الغضبية التي تحقق دون أن يصعد الجزء الشهواني أو الجماهير إلى مستوى الرأس أو الرئيس. وهو الجزء الذي يطلق عليه السيد فوكوياما "الكرامة" أو تأكيد الذات، حيث يرى أن الشكل الليبرالي المؤسس على الفلسفة الأفلاطونية، قد نجح في تحقيق ثنوية الثيموس والديموس، ويكون التاريخ كان في ظل الليبرالية في تحقيق الثيموس الذي يقدمه أفلاطون باعتباره في الصدر حيث القوة الغضبية. ويعقد فوكوياما في كتابه المشار إليه فصلاً بعنوان "رجال بلا صدور". فوكوياما يريد أن يصحح الشكل الجمهوري وفق التصور الأفلاطوني، أي أن يملأ الفراغ، فيكون الإنسان الأخير أو الإنسان المتحقق في تصور أفلاطون. والذي يقسم المجتمع إلى طبقات ثلاث، أو إلى قوى ثلاث، يكون الاعتدال والعدل في أن يبقى كل طبقة في مكانها وأن تؤدي وظيفتها التي خلقت لها.

لقد أصبح السيد فوكوياما من يتصدى لترجمة التاريخ ولفلسفة التاريخ أن يقرأ كل التاريخ، وهذا مهم جداً، خاصة أنه ينظر إلى التاريخ على أنه سجل الوعي والإرادة والفعل الإنساني الذي يؤكد كينونة الإنسان دون تجزئة أو قطيعة. أي تحقيق الكينونة ضمن واقع الصيرورة والتغير والتحول. إلا أن السيد فوكوياما لا يعطي المعنى بهذه الصبغة، وهو يتحدث عن الإسلام مثلاً وعن المسلمين، في أسطر معدودة، ولا يولي أية أهمية لعلماء ومفكري العرب المسلمين، خاصة الذين اهتموا بموضوع التاريخ وفلسفة التاريخ وبالعلاقات الاجتماعية التي تنتج التاريخ بالمفهوم الإنساني، والليبرالية التي يدافع عنها، بدأت تعقد عداء للتاريخ المسير الذي حققته البشرية، والذي تراه الإنجلوسكسونية تاريخاً ميتافيزيقياً، وأنه وهم، وعلى أي أساس يكون هو تاريخ الكهوف والأصنام الذي يجب تجاوزه. وأن التاريخ الحقيقي هو التاريخ الوضعي، فوحده في نظرهم هو التاريخ العلمي. أي أن الإنجلوسكسون أعلنوا القطيعة مع التاريخ الذي سبقهم، ومن حقهم اليوم وقد امتلكوا القوة أن يصدروا الحكم على حركة التاريخ، وأن يقرروا نهايته. إن الموقف المادي الوضعي والواقعي من التاريخ، هو



د. مهدي امبيرش

* نص الأستاذ الدكتور مهدي امبيرش [...] مكتوبة [...]

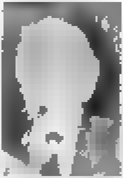
الذي صنع نهجه الليبرالية. والموقف الإنجلوسكسوني من التاريخ، أن يتبنوا الفردية وهو يتحدث مع عن غائية تاريخية الديموقراطي موقف السوفسطائيين الذين كما يرد عند أفلاطون وهو بروتاغوراس أن الإنسان الفرد هو معيار الحقيقة مع التذكير بأن المشروع التفكيكي الغربي السوفسطائي والذي دعم بميكيافيلية الغايات ديموقراطيين. هو موقف مقابل مواجهة التركيز على الأفلاطونية بصفتها تبحث عن الأنجلوسكسون كانوا مضطرين إلى نفي التاريخ ومواجهة المشروع الإيطالي الجرماني الإيطالي تحت التاريخي والجرماني العرقي وكذلك المشروع الفرنسي الذي يتجاوز الفردية إلى الشخصانية والذي هو الآخر يدافع عن المشروع والعرقية التي بدعمها إيطاليا والتي بأسس عليها الألمان مشروعهم التفوقي الذي عليه به هيمن في جمعه التركيبي الأنجلوسكسوني وبنسيانه تجاه المتمعن في التاريخ والمجد الحضاري العلمي ... كما أشرت العرفانية والتفكيك واستعدوا الخطاب وصناعة المصطلحات وتقديم مفاهيم لها واعتبار نظرية المتفاهم عليه أو ... كما ... هؤلاء نظرية الصدام بين معسكري الليبرالية الفردية والماركسية الشمولية حيث حسم أمريكا هي توجهين أو ثمة هيمن كتركيب (Synthesis) مركب الشخصين، حتى إذا ما سقط المعسكر الأول كان من الضرورة نقض هذه النظرية ومشروع الغرب لا يقسم العالم إلى شرق شرير وغرب خير وتكون الليبرالية الأمريكية هي توجهين هذا المركب، تحت اسم ما يعرف بالكوكبة أو العولمة وهي ستقود في النهاية إلى القول بنهاية التاريخ كنتيجة تمام مثلما هو الحال في مشروع هيغل عندما قدم الجرمان روح التاريخ، وأعلن نهاية الأيديولوجيا مثلما يطرح اليوم نحن نسمع موت الإنسان الذي يذكرنا بأطروحة الألماني نيتشه موت الإله إذ كان صارخ من الوجوديين وصديقه سيمون دي بوفوار قد عينا موت الإنسان وقفة بدائية عن الشرق الشخصاني الفرنسي كما تقدمه الوجودية التي جاءت تعبيرًا عن أزمة القلق نتاج الحرب العالمية الثانية وما نفرزه الفرنسيون من جراء المشروع النازي الهتلري، سعيد التاريخي الاجتماعي الفرنسي الألماني وربما يأتي هذا الإحباط بعد ما ثورة الطلاب في الستينيات في فرنسا وتداعياتها والتي نهت نهاية الوجودية.

إن أطروحة فوكوياما إنما تعبير عن أزمة وإفلاس المشروع الليبرالي بقيادة اليانكي الأمريكي والقول بنهاية التاريخ يكشف عن أزمة خفية كما عبر عنها المفكر الفرنسي اليهودي فرويد بنزعة الموت أو تناتوس أي نزعة التدمير والفتك التي تستدعي ضرورة التدمير السادية التي يكشف عنها صمويل هنتنغتون الأمريكي صاحب أطروحة صدام الحضارات والإنسان الأخير.

إن الخروج إلى التجريد والقول بالرقمية وغلبة الأرقام ومصطلح القطب الوحيد الذي يستطيع تحويل الشعوب إلى دراسة بعد تفكيكها وإزالة حدودها الثقافية تحت دعوى نهاية الجغرافيا ونهاية الحدود وأن العالم صار قرية صغيرة. كلها تكشف عن هذا الرعب الذي تواجهه الليبرالية وهي على نفسها تمام إن كان لها من يحل عودة المادية فإن التاريخ هو الحياة والحيوية وهذا كتبه فوكوياما هو الآخر عن خوفه من إعادة الاعتبار إلى الأيديولوجية والمادية الجديدة التي تنحرف لتصب في طريق المعرفة سيرورة لاكتشاف الحقيقة والذي يكشف عن وهم نهاية التاريخ والإنسان الأخير.

إبراهيم الخوري*

مقرر عام مؤتمرات الصحوة الإسلامية



د. إبراهيم الخوري

في هذه [illegible] دار [illegible] فكرية يجتمع للقصد إلى [illegible] و[illegible] الآن [illegible] ويسعد [illegible] وجهة نظر كل [illegible] طبقت [illegible] مواقف محددة مسبقاً تمثل رأياً بل هناك تنوع آراء في هذه الملا [illegible] يسمح [illegible] عن وجهة نظره [illegible] ونحن لا ننكر تيارات الفكرية والحضارية ولكن كل المؤسسات الجماهيرية هي للجميع وليست للقاعدة محددة أو فكرة محدودة [illegible] فكل من له هم للقاء من أي نوع يستطيع أن يعبر ولن يقول رأيه ويوضح رؤية وسيسمع كل ذلك في المنبر العام الذي له شرعته التي يستقل بها وصارت الواسع ورجهته [illegible] السلام والحب [illegible] كما يه وعدلاً [illegible] التعايش والتعارف ولتوسع حوار واوسع مشاركة

لقد تناولت المحاضرة نوعاً من الاستعراض لكتب المؤلف وكنت أتوقع أن (نهاية التاريخ) سيكون له أكبر البحث وكنت أتوقع أن يكون هذا لأنه هو الذي اشتهر رغم أنه يعتبر من الـ (Master Piece) للبروفيسور فوكوياما هو كتابه عن The T [illegible] حيث ضرب مصطلح حديثة وحيث أوضح الدور الأساسي للثقافة حتى في المجال الاقتصادي وأظهره رسالة أساساً

والكتاب الأخير الذي كتبه حول "America at the crossroads" إلا أنني في رؤية التاريخ لا أحصل البروفيسور فوكوياما ما انتهى إليه لأنها رؤية ضمن الرؤى التاريخية للغرب وهذه الرؤية القائمة على فكرة نهاية التاريخ قديمة كما رسمها عدد الباحثين (على أن هناك من يعود بها إلى ما قبل هذا [illegible]) إلى عصور قريبة من الزمن فقد رأى الفيلسوف الألماني هيجل أن التاريخ انتهى عام ١٨٠٦ لأنه رأى في نصر نابليون للملكية البروسية في معركة (ييَنا) انتصاراً يمثل الثورة الفرنسية ويبشر بامتداد الموجة التي تجسد مبادئ الحرية والإخاء والمساواة في العالم

ثم رأى «كارل ماركس» أشهر من روجوا لفكرة نهاية التاريخ أن التاريخ سيحسم نهايته بتحقيق اليوتوبيا الشيوعية التي ستحل في النهاية جميع التناقضات المتبعة عليها. في ما رأى عالم الاجتماع الألماني «فيبر» في الأخلاق البروتستانتية هي ذروة الرأسمالية وأن الرأسمالية هي نهاية التاريخ. وبعد أن استخدم التاريخ بنفسه نهاية ماركس جاء فوكوياما [illegible] بإعلان انتصار الغرب الرأسمالي والوصول إلى نهاية التاريخ وقد أكد أفكاره في كتابه «نهاية التاريخ والإنسان الأخير» بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وكانت غايته ليست إلا تسجيل اللحظة الأمريكية في تاريخ البشرية، أي انتصار أمريكا بعد سقوط النظم الشيوعية في الاتحاد السوفيتي وشرق أوروبا، واعتبار تلك اللحظة نهاية التاريخ. في صورة من السياق يأتي كتاب صموئيل هنتنجتون «صدام الحضارات» [illegible] بتشكيل نظام العالمي الصادر العام ١٩٩٦ معلناً بأن نهاية التاريخ هي نهاية صراع بين الحضارات، ويعني أنه صراع بين الحضارة المسيحية وبقية العالم. تقوم نظرية هذا الكتاب على فكرتين هما: حتمية الصراعات بين الدول وضرورة أن تقوم الولايات المتحدة بترويج قيمها الثقافية الخاصة، وعلى خطى هنتنجتون وفوكوياما استكمل المستشرق «برنارد لويس» السير في طريق التأسيس النظري للصراع بين الحضارات والأديان، والإعلام الأيديولوجي لانتصار الغرب المسيحي، ففي كتابه «الثقافات في صراع» يؤرخ في الصراع بين الغرب والشرق وبشكل أكثر تحديداً بين الغرب الأوروبي الأمريكي المسيحي والشرق الإسلامي فيختزل الصراع بين الحضارات

* نص الأستاذ إبراهيم الخوري [illegible] التحرير

التي تصل بين الحضارة العربية والحضارة الإسلامية، وهو بذلك قد عبر عن نظرته وعدو بينه وعدا ما يعرف عنه في بعض كتاباته وأبحاثه. فكذ قسر الغرب من خلال نظريته الاستعلائية العدوانية نهاية التاريخ وتطبيعه العلاقة بين الحضارات والشعوب على أنها علاقة ... ومفهوم ... يجب أن ... التراعات وتلك التلاقات التي نهاية للتاريخ، على ... بداية انتصار الغرب على خصومه في العالم وفي مقدمتهم أصحاب الهوية الإسلامية)

عن أي ... لنعد إلى المحاضرة

التي عجبني في هذه المحاضرة أن البروفيسور فوكوياما حاول أن يقول ... أنه في نهاية التاريخ والإنسان الأخير ... الرؤ ... لا يستطيع كثيرون أن يجدوه أو يستخلصوه من هذا الكتاب والذي ... وهو أمر يحتاج إلى مناقشة موسعة حول هذه الرؤية بالتحديد ... (رؤية) تجعل التاريخ خطا ... يربط بين الزمن والتقدم؟

وأنا أعتقد أن الرؤية التي تقوم على الدورات الحضارية وهي الرؤية التي عكست البروفيسور Toynbee في دراسته Study of History ... والقارئ المعاصر لا بد قد اطلع عليها يرى أن هنالك دورات حضارية، وقد تكون أمة سبقت في دورتها التاريخية تقدما ... وهي قادرة أن تحاول أن تسجل دورة حضارية أخرى أو مساهمة في حضارة عالمية ... إنسانية ... بالإسهامات

الحضارية لكل الناس ... ومواهب غير

إن رؤيتنا هذه للتاريخ تختلف تماما عن التصنيفات لرؤية التاريخ التي حاول أن يقدمها الذين لا يملكون مثل رؤيتنا هذه في تصورهم للتاريخ!!

فرؤيتنا هذه تقوم على نظرية محددة في المعرفة ونظرية محددة في التاريخ تحفظ للوحي دوره حتى في الوعي الإنساني وتطور هذا الوعي، وتقرن اكتمال الوعي الإنساني بتحقيق الوحي عينه في تطور البشرية ... فاكتمال النبوة والرسالة تعني اكتمال الوعي الإنساني عقلا وإرادة

فبداية التاريخ يوم أن اكتسب (آدم) المعرفة وعلم الأسماء كلها ... والنبوات والرسالات تصحيح وتقدم وارتقاء في التاريخ ... ولقد كان للأنبياء والرسل دوره ورسالته في تصحيح وتقدم وارتقاء الوعي الإنساني وكان اكتمال الرسالة إعلان لاستقلال العقل والإرادة ... اكتمال للوعي الإنساني!!

ثم ... الزمان ... الناس بين محورين[13] الزمن والتقدم والارتقاء إذا ... التاريخ ... وبذلك ... تاريخ حركة الناس ... كل الناس ... كان ... الإرث اليهودي ... مسيحي وإرث ... تجربة عربية ... إسلامية كانت في جانب من جوانبها تجربة ... قدمت ... للوحي ولكن للأسف الشديد ... علق بالإرث اليهودي المسيحي بقايا الإرث اليوناني الروماني[14] ... الإرث العربي الإسلامي ... الوحي من الفكرة إلى ... ومن ... الرسالة في الواقع التاريخي ... !!! ثم كان ما كان من تحول إلى

---

[13] إن التقدم والارتقاء في التقييم قد يتحقق عبر التداخل والتفاعل بين الوقائع والقيم ... في استخلاصه منه العملية السابقة ... الموضوعية!!!

وفي هذا ... في ... موضوع للقياس؟

على أنه في مستوى آخر ... في مجال ... قد يحصل ... فالتقدم ظاهرة في محل ... !!!

وإن ... العملية التاريخية تقع في مكان ما بين ... محور الوقائع عبر الزمن ومحور الأحكام القيمية التي ... نفسها إلى وقائع!!

[14] إننا هنا ... في طرح من جديد العلاقة بين الزمن والمكان، وهو قد يكون زمان ... ومكانه ... المرجعية ... في مستوى أكثر من مكان للزمن ومكان للموضوع!!

كل ابن آدم خليفة في الأرض... [illegible] الفرد بالخلافة [illegible] ... بل [illegible] الشورى [illegible] وإقامة: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ سورة الشورى، الآية: 38.

[illegible] تكون الشورى للبعض [illegible] وصف العرم والإجماع، [illegible] يجماع الأمة [illegible] الذي كان كعملاً [illegible] يهدم منهجاً [illegible] في التاريخ [illegible] العرم [illegible] وكان المنهج مبنياً على قاعدة [illegible] المسلمين حسنا فهو عند الله حسن [illegible] العرم أو الإجماع للبعض [illegible] بدلاً.

[illegible] لتصبح الشورى [illegible] الاقتصاص على [illegible] والذي هو [illegible] المستبد [illegible] وهم مستغلون [illegible] ثم كان [illegible] الأموي الذي [illegible] بالشعوبية والتي صارت تعني [illegible] من [illegible] شعوب وقبائل [illegible] العصور [illegible] والترهيبية [illegible]

إن المعارك الأولى في الإرث العربي الإسلامي [illegible] كانت بين [illegible] شورى وعدالة [illegible] من جهة [illegible] مواجهة [illegible] أو [illegible] ومع الاستغلال والقبلي الأموي والشعوبية [illegible] من جهة أخرى.

[illegible] هذه [illegible] التاريخ [illegible] من [illegible] التاريخ [illegible]

المحاولة الأولى في حقيقة المعاصرة لتقديم [illegible] التاريخ الحضاري [illegible] تقوم على المركزية الغربية [illegible] العرب [illegible] مركز التاريخ [illegible] حركة التاريخ [illegible] هو [illegible] الامتداد [illegible] الذي [illegible] وجعل امتداده [illegible] للتقدم [illegible] هي أكثر تقدماً وبالتالي فإن الغرب المعاصر هو الأكثر تقدماً في [illegible] التاريخ البشري.

[illegible] في [illegible] هي [illegible] في [illegible] التاريخ الحضاري؟[illegible]

وهذه [illegible] محاولة تقول إن التاريخ [illegible] بعد الامتداد [illegible] وبتحديد [illegible] هذه [illegible] العرب [illegible] الارتقاء والتقدم [illegible] وحركة التاريخ الحضاري [illegible] في شكل رسم بياني [illegible] لا يعطي [illegible] الارتقاء والتقدم [illegible] له من [illegible]

2/ وهذه [illegible] أن التاريخ الإسلامي وصل إلى قمة الارتقاء والتقدم بكمال الدين [illegible] من كمال الدين وإتمام النعمة [illegible] ختام النبوة [illegible] المرحلة التي [illegible] الأنبياء والرسل [illegible] التوحيد [illegible] والأنبياء من قبل كلمة لا إله إلا الله وكان ختامها [illegible] محمد [illegible] فلا

[illegible]

قوله عز وجل

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (سورة المائدة الآية 3)

ويومها أعلن انتهاء النسيء والتلاعب بالأشهر واستدارة الزمان كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض

(3) وهذه المحاولة توضح أن حركة التاريخ الحضاري لأمتنا، دلالة على هذين التصحيحين، قد وصلت إلى القمة بكمال الدين وتمامه والختام النبوي، وأن ما طرأ بعدها من نقص حضاري بعد إنما هو نقص قياساً إلى القمة التي قصرت عنها لا قياساً إلى الإطار التاريخي العام. وهنا يمكن من نقد تاريخي موضوعي لحركة التاريخ الحضاري لأمتنا وذلك بالمقارنة النسبية لحسب تاريخنا العربي الإسلامي بمرحلة الكمال قبله وما بعد الكمال في نقصه، ومقارنته مع المنتخب بتاريخ العالم، التي نسخت وحدة الزمن معك ← مع تمكننا من نقد الذات دون تكذيب لإيماننا أو مواجهة ما حدث من نقص لأمور الحكم والمال والاجتماع ← تمهيداً لتصحيحها.

وهذه المحاولة توضح أن النقص الذي اعترى استمرارية التجربة الكاملة وهو نقص ما بعد كمال، لم يبق التدهور منذ أول يوم بل استمرت مع النقص إلى أن وصلت إلى نقطة ملا... النقص على القوة فظهر التدهور.

(4) وهذه المحاولة توضح الخطأ الذي وقعت فيه محاولات النهضة الحديثة لأمتنا وما زالت واقعة فيه محاولات المعاصرة إذ لم تنتبه إلى أن محاولاتها يجب أن تكون للارتقاع، وليس العودة، فالعودة عبر الزمن مستحيلة إلى المستوى السابق الذي يسمونه لحظة الكمال وليس إلى مستوى أخر دونه. وعلى أن يكون على مستوى عصره ومالمه في هذا العصر.

(5) وأن أمتنا مطالبة أن تنقد نفسها وتنقد الآخرين باختيار الخير بنفسها وإلى الإنسانية كلها، يوم أن تتم الاختيار الخير وحده ما تطرحه التكنولوجيا من تساؤلات. فتكنولوجيا الحرب صارت تطرح سؤال حرب أم سلام؟ أفناء أم بقاء؟ وتكنولوجيا الزراعة والصناعة صارت تطرح سؤال استمرار نظام يقوم على الاستغلال وسوء التوزيع أم إقامة نظام عالمي جديد يحقق الكفاية للجميع والعدالة في التوزيع؟ وتكنولوجيا المواصلات، وقد صارت العالم إلى قرية، صارت تطرح سؤال استمرار العنصرية والتفرقة أم تعايش وتعارف وتآخ؟ وتكنولوجيا الاتصالات والإعلام صارت تطرح سؤال التدفق الإعلامي من جانب واحد أم تحاور وتبادل وبحث عن الحق والحقيقة؟

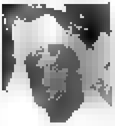
← ومجموع الاختيارات هو خيار ثقافة حضارية تؤدي إلى الحرب إذا استمر الاستغلال وسوء التوزيع والتجويع والعنصرية، أم اختيار ثقافة سلام يقوم على الكفاية والعدل والتطور والتحاور.

وإننا لنعتقد أن اختيار الخير والحق النهائي.. ولقد كان رسول الله ﷺ شهيداً علينا لنكون شهداء على الناس.

← بانتهاء الرسالة الخاتمة احتواء الماضي، واستشراف المستقبل.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى أخويه عيسى وموسى، وسائر الأنبياء والرسل، أفضل سلام.

قضايا أفريقيا



د. إبراهيم سالم

د. إبراهيم سالم

خبير اقتصادي - السنغال

سؤالي الأول لسيادتكم دكتور فوكوياما، علمت من كتابكم منذ بعض الوقت، لكن تساؤل: لم تتناولوا قضية إفريقيا؟ في كتابكم (نهاية التاريخ)، ثم أفهم موقفكم، ولكن ما هي وجهة نظركم عن التنمية في إفريقيا؟ وما هو رأيكم بحل العلاقة بين الدول المتطورة وإفريقيا؟ ولماذا

العالم التدخلي وحده ودون مصلحة يقوم بمساعدة الشعوب الإفريقية؟

وسؤالي الثاني: ما هي وجهة نظركم بشأن رؤية هنتنغتون عن الإسلام التي جاءت في كتابه "صراع الحضارات"؟

في بلاد (الصومال) تسبب مرشد الروحي الشيخ أحمد السنغالي مجلس ٢٠٠٣م. يقول بن صراع الحضارات يحدث عندما تفقد السلام. ما رأيكم في هذا التأكيد؟

السؤال الأخير: أود معرفة وجهة نظركم بشأن ١١ سبتمبر ورأيكم عندما تقول إن ١١ سبتمبر هي بداية الصراع بين الإسلام والحضارة المسيحية؟

◆◆◆

ثلاثة أسئلة عن ثلاثة مواقف

• الصديق بشير نصر

أستاذ جامعي - ليبيا



بقلم: الصديق بشير نصر

يسرني أن أرحب بالبروفسور فوكوياما الأكاديمي والكاتب الشهير ويسرني اليوم أن أسمح أن البروفسور فوكوياما قد عبر تماماً أو جزئياً في بعض أفكاره عن الرؤية الأمريكية للحرب على الإرهاب. ثمة ثلاثة أسئلة. البروفسور فوكوياما يعرف بأنه العضو المؤسس لما يسمى بمشروع القرن الأمريكي الجديد، الذي بعث برسالة إلى الرئيس جورج دبليو بوش بعد أيام قليلة من أحداث ١١ سبتمبر، وتم التوقيع على الرسالة من قبل فوكوياما واثنين وثلاثين مفكراً أمريكياً يحرضون ويحث الإدارة الأمريكية على القتال وتسخير قواتها لمقتضى المشروع الأمريكي في الشرق الأوسط أو (الإرهاب حسب التعبير الأمريكي). فهل ما يزال فوكوياما يعبر عن نفس الوضع ظالمة ضد الشعوب المضطهدة في فلسطين وأفغانستان والعراق ولبنان؟ لا أريد أن أسمع الرد الإجابة المكررة: إنها الحرب على الإرهاب؛ لأن النتائج القاتلة والدموية تمثل هذه العقلية أصبحت اليوم خارج التاريخ ومنبعه المنطق.

والسؤال الثاني: ما سبب فشل المؤسسات الثقافية وبيوت الخبرة في العقود الأربعة الأخيرة في تقديم مساندة وباحثين من معهد تشومسكي وإدوارد سعيد وجالف شابيرو وغيرهم، الذين وضعوا من رسم الوجدان الإنساني؟ بمعنى آخر لماذا كل هذه القوى الراديكالية اليوم بدلاً من القوى العقلانية التي تدعو إلى السلام العالمي والتسامح؟

السؤال الأخير: كيف يمكن تعيين نظام دولي جديد في القرن الحادي والعشرين إذا كان دعاته من المفكرين هم من المحافظين الجدد مثل برنارد لويس وصمويل هنتنغتون اللذين قدما نظريات للكراهية والحرب؟

◆◆◆

الأمن الخارجي والتحديث

أ. محمد الطاهر

باحث - ليبيا

البروفيسور فوكوياما، الترجمة إلى الإسلام والترجمة إلى مصطلح الدين - بمعنى إذاً ما يترجم هذين المصطلحين؟ لأنه يتوجب علينا أن نعطي معنى لهما، لأنني أفهم أن لكلمة "الإسلام" معنى ولكلمة "الدين" معنى ومعنى مدلول كل واحد مختلف؟

ذكرتم "الأمن الخارجي" و"التحديث"، هل هناك أية علاقة من وجهة النظر الأمريكية بين المصطلحين؟

السؤال الثالث: أود منكم توضيح أسباب فشل السياسة الأمريكية في العراق وفي لبنان؟

◆◆◆

المسؤولية الأخلاقية والديمقراطية

د. طارق السهيل

أستاذ جامعي - لبنان



طارق السهيل

إنه لشرف لي أن أسائل شخصية البروفيسور فوكوياما إذ أنني قرأت بعض كتاباته. في الحقيقة لا أسئلتي تتركز على ثلاثة مجالات الأول فلسفي وجدلي والثاني يتعلق بالمسؤولية الأخلاقية والمحاسبة، والثالث له علاقة بآفاق التوقعات من حيث: ماذا سيفعل فوكوياما خلال السنوات القادمة؟

دعوني أبدأ بالشق الفلسفي والجدلي. إنه من مسلمات كبار الأساتذة أن يكونوا متخصصين بتاريخهم ومدارسهم. وأعتقد أن أستاذنا هنا لم يكن متخصصاً بهيغل والماركسية. إنما نسمع بعض نعت من التعبير بهيغل أو الماركسية. لكن عندما رأيتكم بأن الماركسية كانت من التنبؤ الحتمي هو مبالغ فيه بصورة كبيرة. لا أعتقد أنه يمكن اتهام الماركسية الغربية بذات الأمر. لا أعتقد أن محاولتكم القول بأنكم منسلخون من فكرة الحتمية هي محاولة جدية. لأن طرحكم العام للتحديث وحديثكم عن حتميته وبالاستشهاد 40 من الإنسانية. وما إلى ذلك. في الحقيقة فإن معلوماتكم تفيد بأنكم من الحتميين. غير حيث أنه يؤدي بنا التحديث سوف ينتهي أو من حيث أنه أيضاً بدأ منتسبين للبروفيسور هنتنغتون الذي خالفه كثيراً. حيث فيه يختص بالصراع. ولكن عندما ينطلق الأمر بموضوع التنوع الثقافي والاحترام بين الثقافات المختلفة في خصوصياتها. أعتقد أنه يجب أن يكون أكثر حساسية وأكثر تسامحاً بتطوير نظرية تعود إلى احترام الآخرين بدلاً من التحديث العالمي الذي يتماشى مع الجميع.

وكون منتمون سنادكم شخص المسيحيين نحو

س: على أي حال كيف ستتعاملون على الأستاذ

والمسائل المهنية تشعر بالمسؤولية الأخلاقية عندما تجلس في واشنطن أو هارفارد أو غيرها من المراكز الأكاديمية وتقوم بالتنظير وكتابة الأوراق. بعد ذلك كتبة أوراق تدرس. وأفكاركم تقود إلى موت مئات الآلاف العراقيين وإصابتهم بالإعاقات وتدمير البلاد ثم ببساطة تكتب كتاباً جديداً يعلن تخليكم عن المحافظين الجدد. وكما لو أنه تجاوز العاطفة المكرية. لو سألتم هذا الشخص وهذا السيد اتهمت بأنه الانتهازية. هل في وقت ما عندما تكونون بصدد الحلول إلى اليوم يتابعكم الشعور بالذنب عند توقيعكم تلك الرسالة التي تدعم حرب العراق؟

لأن ذلك مهم ولأنه من مستوياتنا أكثر من المسؤولية وأن تحاسب على الأفكار التي تتقدم بها. وذلك ينقلني إلى النقطة الأخيرة. إنني سمعت منكم مقولة وأشعر بالقلق مما سيأتي من البروفيسور فوكوياما الذي جمع بين الأفكار التي ذكرتها أنت. ولا أنت تقول إن التنمية مرغوب عالمي. لكن الديمقراطية لا تعتمد أو التنمية مرغوبة عالمياً. ولكن عندما الديمقراطية الأمريكية تصبح الآن ليست مرغوبة عالمياً. ولا بد من التمييز بين الأشياء لأن الثقافات والديانات المختلفة لها طرق مختلفة للتنمية.

والأمر الثاني. إنني أشعر بالقلق من رأيكم من أنه يجب أن تقتصر نطاق الحكومات بمعنى أن تكون أكثر فاعلية من حيث الفاعلية السياسية. وإن من جعلت دائماً مع مفهومكم عن الديمقراطية ليست مرغوبة عالمياً بالإضافة إلى مفهوم حتمية التحديث. إضافة إلى كونكم كانوا من مدرسة أستاذ شتراوس. ثم المحافظين الجدد الذين يعتقدون أنهم يستطيعون إصلاح العالم. أنا قلق. ماذا يعني ذلك؟

هل تقول إن الديمقراطية انتشت إلى جماعات مثل حماس وحزب الله؟ فأنتم لم تعد تهتمون بها؛ لأنهم يحكم القانون وأنتم متصلة بالديمقراطية

- أم حجم القانون سالك؟ وكذلك التحديث الاجمو عومه الشركات الامريكية المتعددة الجنسية لأن ذلك سيؤدي الى تشريع ... كل سمعة من الرئيس بوش في الآونة الأخيرة وهو أنه يبغي استبعاد الفاشية الإسلامية من أي مشروع ديمقراطي عليه كما تم استبعاد النازية في ألمانيا. هل تعتقد أن الدهر المتاح يحمل حجم حزب الديمقراطية ولكن ليست الديمقراطية التي يشارك فيها الفاشيون.

وارد معرفة أيضاً الى اين انت ذاهب؟

***

التفاؤل الى أي مدى؟

د. صدوق المديح
استاذ جامعي – امريكا

اني اجد نفسي متفائلا مع الافكار القائلة ان المجتمعات تتجه نحو الحداثة لم تكون الديمقراطية نتاج ذلك. و اعتقد أن هناك قدر من الصحة في ذلك. وان المجتمعات تتطور بطرق مختلفة. ربما أجده مصدر القلق هو ان هناك بعض المؤشرات المزعجة الجارية في العالم الآن مثل الحرب على لبنان والوضع في العراق والمشكلة النووية مع ايران، ونهوض الأصوليين وتعزيز المحافظين الجدد والانجيلية ... التي ان الاصوليات المختلفة. السؤال هو: هل البروفيسور فوكوياما مازال متفائلا؟

بين النظرية المضادة نظرية هنتنجتون يبدو انها تتعلق بالمصداقية من ظاهرها وهو ما ربما نشهد نوعا من صراع الحضارات. هل اود معرفة وجهة نظركم بالخصوص؟ وهل تعتقد ان العراق والاثنية والطائفية ... تمحو كل السلفيات والماضي؟

***

الإسلام والمصطلحات الجديدة

د. عبد العاطي محمد عبد الجليل
استاذ جامعي – ليبيا

هناك مصطلح تعرض الدكتور فوكوياما بالنطق به ما حرصني على طرح سؤالي لقد قال في اطار حديثه عن الحضارة ... (الإرهاب الاسلامي) وأن اهتم كثير بالمصطلح الإعلامي لأنني نعمل في هذا المجال. وأتساءل هل هناك موقف سلبي جديد للعصر الإسلامي؟ يتضح ذلك عبر المصطلحات التي سادت منذ التسعينات.. في القرن الماضي والتي صنعت فيها بمعرفة ... الغرب ومنها: الإسلام الراديكالي الإسلام المتطرف، الإسلام اليساري ... ثم بدأت تسمع تسميات كلاسيكية جديدة للإسلام. فهل هذا موقف عدائي جديد لهذا الدين؟

نسمع في الأدبيات لدى الكتاب والفلاسفة المعاصرين وفوكوياما من بينهم مصطلحا غريبا أؤكد أنني لم أفهمه حتى الآن وهو: الإسلام والغرب. أولاً هل الإسلام جغرافيا؟ لا أفهم ان المقصود الغرب إنما مصطلح جغرافي. لا أعتقد أن العقيدة او الديانة يمكنها ان تصطدم بالجغرافيا.

ثانياً اذا قصد بالغرب الثقافة، فان الثقافة العربية تشكل جزءاً واسعاً لدى المسلمين كما ان الإسلام مكون اساسي في الثقافة العربية. وبالتالي فإن مصطلح الإسلام والغرب الذي تم صنعه وتسويقه وترسيخه من قبل وسائل الإعلام في الدول القوية ولا أقول المتقدمة وضعنا في دائرة لا نعرف بالتحديد هل ينظر للإسلام باعتباره مشروع صدام جغرافي؟ ام انه الخط الأول للدفاع عن عقائد الشرق؟ لذا أنا ... على هذه النقطة ... لم نسمع بمصطلح المسيحية والشرق !!

***

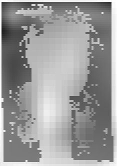
الديمقراطية والديمقراطيات والقانون

د. ميلود المهذبي
استاذ جامعي – ليبيا

سأتحدث في نقاط موجزة، على هيئة أسئلة مختصرة:

كتاب فوكوياما وهنتنجتون رغم أهميتهما التاريخية ومكانة مؤلفيهما، كان لا بد لها من تعبير ... خاصة وانهما تناولا تاريخ الحضارات الإنسانية والتاريخ

جمعالا والسبب في رأيي الشخصي أن مساعد أمه بعمال تاريخ وصدور الكتابين ومجموعة من الكتب الأخرى في كونه حديثة التاريخ مع يحس بها تواجه ما يعتبر بالمعنى العميق الحضاري كان لا بد لها أن تمضي في



[illegible] الهيدي

في إرادة التاريخ فنحن أمام ظاهرة حديثة أمة بلا تاريخ، بالمعنى العميق، بمعنى الإسهام الحضاري تواجه أمم التاريخ " وهذه الأمة حديثة التاريخ قوية وأرادت أن تغير التاريخ على حساب أمم التاريخ وعلى هذه فالكتابان من وجهة نظري لا بد أن يدرسا من هذه الزاوية

من خلال تتبع الفكر السياسي وكتابات فوكوياما وهنتنغتون، هنالك تطور غير عادي بكل يصل إلى التعقيد في الفكر السياسي في هذا كما أشار الصاحبين نعيب كتابات سياسية مقبولة لم تأتي كتابات تنظيرية في مجال يمنع التعد فيه في التمعن من المسائل المهمة لتقييم النظري؟

ومما أثار تساؤلي ولفت نظري في محاضرة فوكوياما هو بعض المصطلحات التي تحتاج إلى تدبر تحدث عن الديمقراطية ونحن جميعاً نتبنى الديمقراطية غاية قومية هنالك ديمقراطيات ولكن لا توجد ديمقراطية وكل نتفق على أن هنالك ديمقراطية أي المشاركة في اتخاذ القرار وإن اعتقد أن الديمقراطية ليست أخطرها المجتمعات الوطنية إنها النظرة غير العلمية هذي تتحدث عن ديمقراطية المجتمعات الوطنية (أي ديمقراطية) المنظمات الدولية والقرار الدولي يمثل شكلاً مركباً من أشكال التنظيم الديمقراطي، ومن الثابت ما يجري في مجلس الأمن وقد كان على الخبراء والمثقفين كما أشار بعض الأخوة الذين تطرقوا في الجامعات الأمريكية هو الإنتاج أن يتصدوا لهذه اللاديمقراطية في المنظمات الدولية

عمال القانون عبر الجدلية عمد؟ أين قانون الوطن الدستور مجموعة النظم والتشريعات تنص على أن عمال القانون من أهم واجبات الدولة

وما هو القانون الدولي؟ مثلاً اتفاقية جنيف التي انتهكت في العراق وأفغانستان وليبيا، وانتهاكها في كل مكان، بما لا نسمعه كمتكلمين عن عدم عمال القانون الدولي قتل المدنيين وتشريد النساء والأطفال وتهجيرهم وما يجري في فلسطين يعبر بوضوح مثال عن أي قانون نتحدث؟ قانون مصلحة الشركات؟ قانون تحويل مشروعات التي تملكها الدولة إلى مشروعات متعلقة؟ نعم هذا قانون لا بد من عمالة لكن بما لا يبعد عن القانون الدولي؟

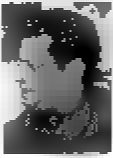
كلمة أخيرة التحدي نعم كل المجتمعات تسعى إلى التحديث لأنه سنة الحياة لكن لا بد من تحديد عملية تحديث سياسي تتماشى مع جماهير الاقتصادي والسياسي في أي صفة نريدها ان نحدث الشعب وتحسينها؟

◆◆◆

نهاية التاريخ والسياسة الأمريكية

د. إبراهيم أبو خزام

أستاذ جامعي - ليبيا



إبراهيم أبو خزام

يعتبر الكاتب العربي المعروف محمد حسنين هيكل أن المفكر يكتب مرة واحدة ثم يبدأ في شرح أفكاره وأعتقد أن السيد فوكوياما كتب فكرته الجوهرية في كتابه نهاية التاريخ، أما ما تلاه من كتب ومقالات فهي شرح وتطوير لفكرته الجوهرية في الواقع مثلما قال فوكوياما، وهنتنغتون هي كتابيهما اللذين ظهرا في وقت متقارب فوجئا بالاسم وبالصخب الشديد وأن أعتقد أن بعض المعاصرين حتى ما كتب فوكوياما وهنتنغتون كان بسبب أن قراءة العنوان كان من مصدر التكاد نفسه وأنا شخصياً كنت أدرك أن في هذه الفكرة شيء يستحق أن يقرأ

يلحق بمقص نهاية التاريخ، إذا صرفت النظر عن السؤال الذي اثبت جزئياً فكرة نهاية التاريخ وسأفسر ذلك.

التاريخ كما تذهب مدرسة نهاية التاريخ يقول إن البشرية تتطور نحو العقلانية، وهذا صحيح واعتقد أنك إذا رجعت إلى التاريخ البشري لوجدنا أنه تطور بشري عقلاني بكل الصراعات والحروب والنمو. لكن العالم يتطور نحو العقلانية. يقول الدكتور فوكوياما: إن آخر تطور عقلاني هو الليبرالية. هذا هو جوهر الكتاب، وأنا أعتقد أقبل جزئياً هذا مع قليل من التفسير. إن الديمقراطية الليبرالية بكل مضامينها في اعتقاد فوكوياما تنطوي على جانبين مهمين: هناك قيم، وهناك مؤسسات. أنا في اعتقادي قد تمثل الديمقراطية الليبرالية والديمقراطيات التي أشار إليها الدكتور محمود المهيني وفي الحقيقة هناك ديمقراطية واحدة، وأعتقد أن التاريخ انتهى على المستوى القيمي. وأرجو أن لا يتراجع عن هذه الأطروحة. فآخر تطور عقلاني هو الديمقراطية، هو المشاركة السياسية، هو حرية التعبير، هو الحرية الشخصية. هذه هي قيم الديمقراطية سواء في الغرب أو في غيره. إذن على مستوى القيم أستطيع أن أقول أن التاريخ قد انتهى مع موافقتي للسيد فوكوياما في هذا الجانب.

ننتقل إلى الشق الثاني وهو المؤسسات. فأنا أعتقد أن التاريخ لم ينته على الإطلاق بهذه المؤسسات الغربية. هناك خلل في المؤسسات الغربية، وبذلك فإن التاريخ لم ينته. ما هي المؤسسة؟ هناك مؤسسات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية. في المؤسسة السياسية يعتبر الديمقراطية هو الحل. وأعتقد أن النمط الليبي لا يمثل نهاية التاريخ، فما زالت هناك اجتهادات أخرى، وأشكال أخرى، ونحن سائرون من أجل هذه الأشكال المهمة. إذن التاريخ قد يكون انتهى على مستوى القيم، ولكنه لم ينته على مستوى المؤسسات. وفي الواقع فإن هناك تناقضاً فكرياً كبيراً في التجربة الغربية أنتجته هذه القيم المطلقة التي وصلها الغرب.

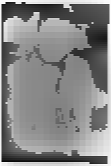
لقد أنتجت لنا هذه التجربة، في رأيي، دولة بها الكثير من الحرية، ولكن فيها قليل من الديمقراطية. وهذا بسبب التناقض بين القيم والمؤسسات. إذن فلنسع إلى تطوير المؤسسات الديمقراطية حتى نصل فعلاً إلى مرحلة نهاية التاريخ.

ملاحظة أخرى حول السياسة الخارجية الأمريكية: أرجو أن لا نؤاخذها فقط في الغرب، فهي سياسة خاطئة. وقد استخدمت أشكال القوة كافة. ولكنها لم تستخدم الشيء النافع من القوة وهو ما يسمى القوة الناعمة، أو القوة الناعمة للولايات المتحدة الأمريكية. حضارة كبيرة وتطور، وهي مجتمع الحريات، ونموذج الحياة الأمريكية جذاب للكثيرين في الغرب أو في الشرق. ولو رسمت الولايات المتحدة الأمريكية استراتيجية لاستخدام هذه العناصر لاستطاعت بالفعل أن تقود العالم، بعيداً عن تصور في ذلك على الإطلاق بالأسلوب الذي يجري في العراق أو لبنان أو فلسطين.

***

الجمهوريون والمحافظون

د. العجيلي العبري (كويت)



العجيلي العبري

هل ستمرّ أربع سنوات أخرى من الإدارة الجمهورية المتحالفة مع المحافظين الجدد وتحالفاتهم الصهيونية والإنجيلية التي يحلم معظم بأنهم يعتقدون أن الحرب في لبنان هي بداية هرمجدون، وعودة المسيح؟



شكلاً جميلاً. ولكثرة كل هذه التصنيفات، فإنه من الصعب الرد على كل مدخل

الإسلام والتصنيفات

دعوني أوضح: إن لم أكن واضحاً بشأن الإسلام والمصطلحات مثل الفاشية الإسلامية. أعتقد أن الإسلام تقليد ثقافي منتشر وعميق وثري ويحظى بقدر كبير من الاحترام

وأنا لا أعتقد أن هناك بالضرورة أي تفسير للإسلام يبرر الإرهاب أو برنامج سياسي معتمد . نظرنا إلى مختلف أرجاء العالم الإسلامي، فسنجد طرقاً مختلفة لكي يكون المرء مسلماً. هناك أنظمة مختلفة للمجتمعات الإسلامية من ماليزيا وأندونيسيا ... بلدكم

إن الجهد ... بأن هناك حضارة واحدة يجعلها يعني الكثير من التساؤلات. غير أن هناك تفسيراً صعب للإسلام مرتبط بالسلفية والوهابية وأشخاص من أمثال الزرقاوي في العراق، وهم متطرفون ويتحدثون باسم الإسلام، وهناك إسلام معتدل. ولكن هذا هو الواقع اليوم في هذه المنطقة. وعلينا أن نواجه الحقيقة بصدق بأن هؤلاء الأشخاص يستخدمون الإسلام بصورة سيئة. وعليه فإن من الطبيعي عندما تكون هناك جماعات سياسية تقوم بتصوير أنفسها لأنهم شيعة وقتل المئات من الأبرياء بدعاوى مختلفة. هذا أمر يتعين على أي مسلم أن يعارضه

أفريقيا والتدخلات الأجنبية

في مسألة أفريقيا ... لا بد أن أعترف بأن أفريقيا هي المكان المهم من العالم، بالإضافة إلى آسيا وأمريكا اللاتينية التي أتطلع أن أقضي نفسي منها

من ناحية تمثل أفريقيا أخطر تحد للتنمية. هناك تدخلات مختلفة من قبل الأجانب رغم أن النتائج لم



لكن إيجابية. وأعتقد أن المشاكل الأساسية في أفريقيا ليست ثقافية أو مسألة موارد، لأن هناك الكثير من الموارد التي تتدفق على إفريقيا. لكن المشكلة تتعلق بالمؤسسات الأساسية، فالكثير من الدول الإفريقية شهدت حالة عدم استقرار سياسي، مما يقوض أي نوع من التنمية. أنظر على سبيل المثال الكونغو الديمقراطية التي عانت من حرب أهلية.

أولويات السياسة الخارجية لأمريكا

في مسألة السياسة الخارجية لكن أوضحت في محاضرتي بأنني لست مسؤول بمسار السياسة الخارجية الأمريكية، والرد عن سؤالكم لا أشعر بالذنب على توقيع تلك الرسالة، إن الشأن الأخلاقي يستوقفني. إن الأمم المتحدة أصدرت قرارا في العام 1999م، يخول أن مجلس الأمن القومية مسؤوليات لاستخدام قواتها لحماية حقوق الإنسان عند انتهاكها. وأعتقد أن تلك الحقوق كانت منتهكة في العراق.

لكن هناك قليل من القضية المعنية بتدخل، وأعتقد إلى حد ما الشرعية بالنسبة للولايات المتحدة وتوليها دور القيادة في التدخل، في السنة السابقة للحرب أي في العام 2003م، وقعت على الرسالة، ولكن بعد كل هذه الفترة الزمنية شعرت بأن الولايات المتحدة لم تتعامل بشكل جيد مع المسألة العراقية وشعرت بأن هناك الكثير من سوء الظن بالولايات المتحدة، وعليه قررت سحب معارضة المشروع الأمريكي في العراق.

أمريكا وإسرائيل ارتكبتا أخطاء خطيرة

بصورة عامة، كما تحدثت في المحاضرة، فإن الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل ارتكبتا أخطاء خطيرة في الاستخدام المفرط لقواتهم، وأعتقد أنهم لم يكونوا ناجحين في تحقيق أهدافهم، فقد تسببا في الكثير من الأضرار وخلفوا الكثير من النتائج التي لم تكن متوقعة، وهي أمور ليست جيدة بالنسبة للتنمية.

تفاؤل وتشاؤم

وهي مسألة: هل أنا ما زلت متفائلاً؟

أعتقد أن ذلك يعتمد على الفترة الزمنية التي سننظر إليها.

نحن نشهد أن الكثير من الدول تتطور بنجاح، فالبلدان اللذان يتطوران بنجاح وهما الأكثر سكاناً ومصدر للفقر في العالم: الصين والهند، إنهما يتقدمان بسرعة. أعتقد أن العالم بصورة عامة لن يكون في وضع سيء.

أما في الشرق الأوسط وأفريقيا التي تتصف بها مختلف أشكال السياسات، فإن الآفاق ليست جيدة. إنني قلق إزاء توجهات السياسة في هذه المنطقة خلال السنوات القليلة القادمة، لأنني أعتقد أن هناك قوى خلق لها الصدام، وعليه سوف يستمر العنف في هذا الجزء من العالم.



[illegible] هيئة تحرير مجلة (التواصل) يهدي البروفيسور [illegible]
نسخة من مجلة التواصل

أنا أومن بالحتمية

إنني لا أحاول التحرر من كوني أؤمن بالحتمية فقط. أعتقد أنه لا يوجد قانون يجبر هؤلاء الناس على السير في اتجاه محدد.

الغرب والدول النامية

بالسؤال الذي طرح في وقت مبكر عن سبب فرض الرؤى الغربية على الدول النامية. لا أعتقد أن الأمر دائماً كذلك. لو نظرت إلى الصين، فإنها لم تتقيد بالنصائح التي تأتي من واشنطن. إنها تنظر إلى تجارب الغرب وخبرته، وقرروا أن عليهم تنمية أسواقهم وتأسيس القطاع الخاص وتخفيف دور الدولة، وعملوا ذلك حسب ظروفهم، مع الأخذ بعين الاعتبار بالاستقرار السياسي، وحاجتهم إلى الحفاظ على النظام في المجتمع. وأعتقد أنهم قاموا بذلك بنجاح، ونحن جميعاً على اطلاع بذلك.

الأمريكيون يزدادون كرهاً لجورج بوش

السؤال الأخير حول السياسة الأمريكية. لا أعتقد أننا سنرى إدارة أخرى مثل إدارة بوش، بصرف النظر عما سيحدث. [illegible] كانت إدارة جمهورية أو ديمقراطية في المستقبل، لأسباب مختلفة. كانت تلك السياسات غير شعبية.

وهذا هو سبب [illegible] الديمقراطي [illegible] تكون هناك إدارة تعتمد [illegible] سيئاً ولا يكون [illegible] جيداً، وتدخل الحرب وتكون النتيجة [illegible] فإن [illegible] الحق في التخلص منه.

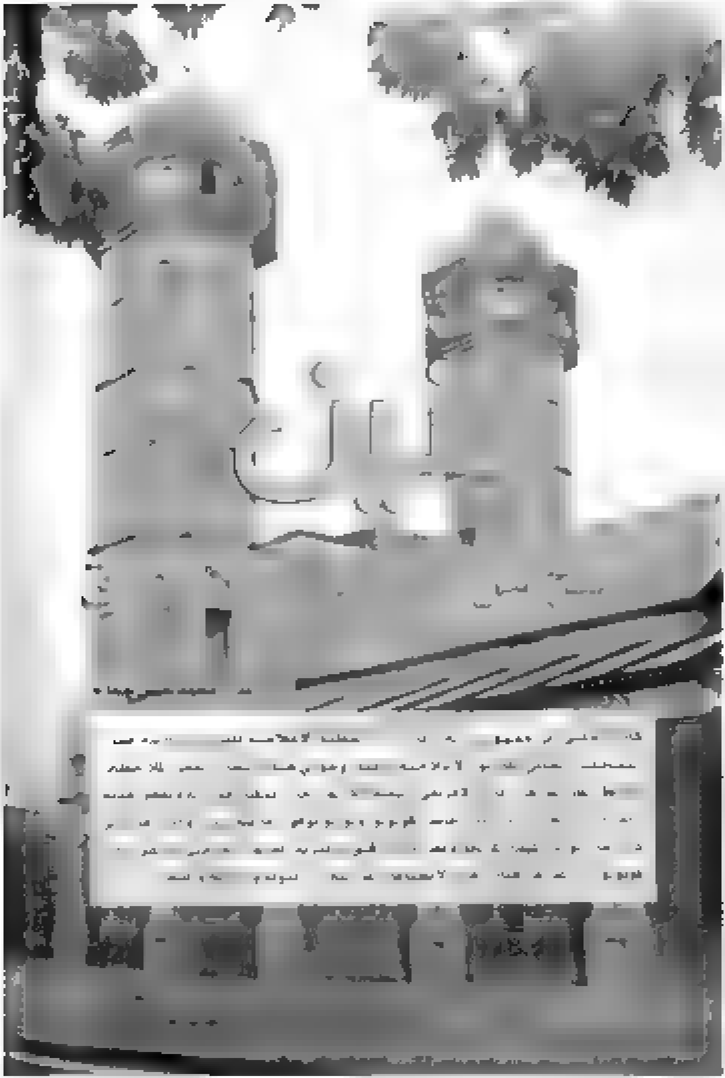
وأعتقد أن هذا ما سيحدث. فهناك حوالي (70%) من الشعب الأمريكي الآن يكره جورج بوش بشدة، وربما تزداد النسبة بمرور الوقت.



استطلاعات

لبنان

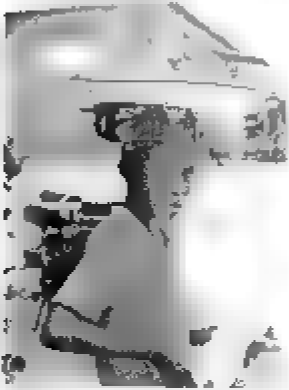
مزيج من العقائد والأعراق



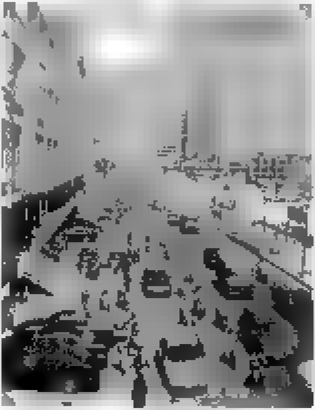
تُعدُّ توغو إحدى أصغر بلدان إفريقيا، وتقع على الساحل الغربي للقارة الإفريقية، وهي عبارة عن شريط عمودي ضيق تطل قاعدته الجنوبية على خليج غينيا، وتبلغ مساحتها (56.785 كم²) وترتسم على شكل مستطيل يمتد من الجنوب إلى الشمال بعيداً عن ذلك الخليج حوالي 600 كيلومتراً ويعرضه بين الشرق والغرب حوالي 140 كيلومتراً، تحدها من الشمال بوركينا فاسو والنيجر، ومن الشرق بنين، ومن الغرب غانا، ويتمثل الساحل في شريط رملي مستقيم في الجنوب يطل على المحيط الأطلسي. ويصل عدد سكانها إلى حوالي سبعة ملايين نسمة حسب إحصائيات العام 2009م. والشعب التوغولي يتكون مما يزيد عن أربعين قبيلة، لكل منها لهجتها وخصوصياتها في العادات والتقاليد. ومن أشهر القبائل في البلد على سبيل المثال: إيوي، وكابري، وكوتوكولي، وميناوسي. أما الشمال فإن أهم قبائله هي: باساري، وتشمبا، وكونومبا، وتشوكوسي، والاجا، وبيلا بيلا... هذه الدولة التي يعرف التسامح بين مختلف الأعراق والأديان ينتمي نصف سكانها تقريباً إلى ديانة الفودو، وهي ديانة تعتمد على فكرة التناسخ ووجود أرواح شريرة وأخرى طيبة. أما النصف الثاني من السكان فإنهم ينقسمون بين مسلمين ومسيحيين يتعايشون في وئام، ولا تكاد تلمس فروقاً بينهم في



... لومي



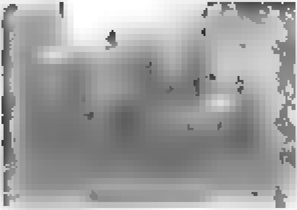
... حياة بسيطة



... كوتونو



مسجد في بنين



[illegible]

ممارستهم لأنشطة حياتهم البسيطة. ويمتلك حصائيات تجري تقدر نسبة المسلمين بـ 25% من عدد السكان، ويختلف الأمر عندما يرفع المؤذن الأذان وتنطلق كلمات الله أكبر الله أكبر ... تعلم من العربية ما يعين على إقامة شعائر الدين. في هذه اللحظة يهرع المسلمون إلى داخل المساجد ويتركون ما في أيديهم من تجارة أو حرفة بسيطة بمنازلهم ويقيموا الصلاة.

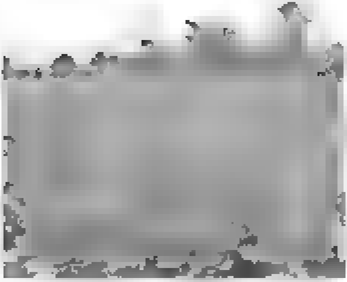
عاصمة بنين هي بورتونوفو، إلا أن معظم الأنشطة الحكومية تتم في مدينة كوتونو وهي كبرى مدن الجمهورية وميناؤها الرئيسي ومركزها التجاري الرئيسي، وتعتبر الفرنسية هي اللغة الرسمية وتسود عدة لهجات محلية تنتمي للقبائل التي تشكل سكانها.

تنقسم بنين إلى خمس مناطق طبيعية هي المنطقة الساحلية وهضبتين مكسوتين بالغابات ومنطقة مرتفعات الواقعة في الشمال الغربي وسهول



المنطقة الساحلية

النيجر الخصبة في الشمال الشرقي، وتضم الأراضي المزروعة على طول الساحل الجنوبي مساحات شاسعة من غابات النخيل ومزارع جوز الهند والكاكاو. وتتراوح التضاريس من أراضٍ منبسطة في الغالب إلى سهول متموجة تضم عدداً من التلال والجبال المنخفضة. وتشكل الأراضي الصالحة للزراعة جزءاً مهماً من المساحة الكلية للبلاد، والتي تغطي الغابات والأحراش أكثر من ثلثها. ويسود البلاد مناخ استوائي حار يتميز بفصلين ممطرين وفصلين جافين.



شيء من التاريخ

قامت في بنين خلال الفترة ما بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين العديد من الممالك. وفي بدايات القرن السابع عشر سيطرت مملكة داهومي التي كانت (أبومي) عاصمة لها على تلك المنطقة. ومع استشراء الحملات الاستعمارية الغربية بدأ الأوروبيون في إقامة مراكز لتجارة الرقيق على طول مناطق الساحل، خاصة عبر ميناء (ويداه) القريب من (كوتونو). وخلال الربع الأول من القرن التاسع عشر حلّت تجارة زيت النخيل محل تجارة الرقيق، ووجهت [illegible]

تجارية مع مملكة [illegible] الفرنسي. وفي عام 1851م [illegible] المملكة مراكز للتجارة الفرنسية، إلا أن الفرنسيين تمكنوا من هزيمتهم، واستولت فرنسا على تلك المنطقة [illegible] في عام 1894م [illegible]

[illegible]

[illegible]

التي في تلك المناطق [illegible] وبموجب الدستور الفرنسي الصادر في عام 1946م إلى أرض



1958م، وفي الأول من شهر أغسطس (آب) من عام 1960 م أصبحت بنين التي كانت تدعى في ذلك الوقت (داهومي) بلداً مستقلاً وأصبحت عضواً في الأمم المتحدة في وقت لاحق من العام نفسه، وفي عام 1975م غيّرت الحكومة اسم الدولة من (داهومي) ليصبح (بنين).

من داهومي إلى بنين

كان من بين الإخوة الذين التقيت بهم وخصّوني بمعلومات عن بنين الأستاذ هارون عبد الله الحسن الأستاذ في معهد اللغة العربية والثقافة الإسلامية (فرع كلية الدعوة الإسلامية) بجامعة أبومي كالافي في بنين، الذي حدثني حول الاسم القديم للدولة وكيف تم تغييره؟ يقول:

عرفت جمهورية بنين باسم (داهومي) حتى تاريخ 30/11/1975م، الأمر الذي يجعل قارئ كتب التاريخ الإفريقي لا يجد أثراً لكلمة (بنين) اسماً لهذا البلد إلا ما صدر عنها بعد سنة 1975م فاسم بنين القديم هو (داهومي DAHOMEY) وهو مكون من مقطعين هما (دان DAN) وهو اسم لملك من القبيلة (فون FON) و(هومي HOMEY) ويعني بطن فيصير (دان هومي) بمعنى (بطن دان)، وأصبحت الكلمة تحريفاً للأصل بسبب كثرة الاستعمال من المستعمر

ويقول عن جذور هذه التسمية يقول الأستاذ هارون: تفيدنا المصادر التاريخية بأنه في بدايات القرن السابع عشر الميلادي كان بمنطقة فون FON ملك اسمه دان DAN وكان بالمنطقة المجاورة لها رجل (ألدا ALLADA) شهير اسمه (أجوب AGOB)، يقال إن (أبي حلّ ضيفاً على (دان)، وبحكم الضيافة طلب أبي من الملك (دان) منزلاً خاصاً يقيم فيه مدة ضيافته حتى طال وقته، ثم أخذ يستحضر بعض أتباعه شيئاً فشيئاً ويستولي على بعض أراضي (دان) الذي ضاق به ذرعاً وذات يوم قابله وقال له ساخراً: ألا تريد بناء منزل على بطني بعد أن استوليت على كثير من أراضي مملكتي؟ فاستشاط أبي غضباً وأقسم أن يجعل هذا الكلام حقيقة حيث إنه كان يبحث عن ذريعة تمنحه عنوان على نية الاستيلاء على مملكته بمساندة الأفارقة للمنطقة وذات يوم حضر مواتاة فتسببت لها جيوش (دان) إلا أنه انتصر عليه وقتل (دان) نفسه في أثناء المعركة، فوضعه أبي في أراضي فسيحة وبنى على بطنه أول قصر في هذه البلاد التي عرفت باسم (داهومي).

ويرى الأستاذ هارون أن هذه ليست أسطورة كما قد يتصور البعض بل هي حقيقة في تاريخ داهومي وقد تناقلتها الأجيال جيلاً عن جيل إلى اليوم وهذا التناقل في حد ذاته يعتبر أوثق مصدر يعتمد عليه في الرواية كما أنها تعد من عناصر منهج التاريخ في



المدارس الحكومية. ومن المصادر العربية التي أوردت هذه القصة مخطوط بمركز الإسلامي في باراكو على أن ما تجدر الإشارة إليه أن ثمة ممالك أربع قد قامت في كل من ويداه وألادا وداهومي وبورتونوفو. واشتهرت هذه الممالك في القرن السابع عشر. ثم هزمت مملكة داهومي كلا من مملكة ألادا سنة 1724 م ومملكة ويداه سنة 1727 م. واغتنى ملوكهم وسلاطينهم على ما لديهم من تجارة الرقيق التي كانوا يمارسونها مع الولايات المتحدة الأمريكية حتى منتصف القرن التاسع عشر.

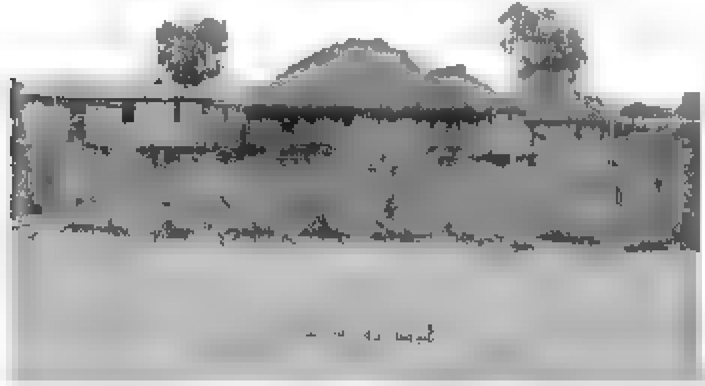
كانت مملكة داهومي تمثل منذ حوالي 1600 م ثلث المساحة الجنوبية لمساحة بنين اليوم. ولعل المميزات التي حصلت عليها مملكة داهومي دون غيرها من الممالك الأخرى عبر التاريخ أن أطلق اسمها على المنطقة الجنوبية مرحلياً، ثم في نطاق أوسع على الدولة ككل عند مجيء المستعمرين.

وفضلاً عن هذه فإن المقاومة العنيفة والأشرس التي وقفت أمام المستعمرين في تاريخ الصراع بينهم وبين الشعب البنيني في جنوب البلاد، كانت مقاومة (بيهانزين 'BEHENZIN' الملك قبل الأخير لمملكة داهومي (1889-1894) ونفي بعده عام 1894م لتصبح داهومي مستعمرة فرنسية، حيث رفع علم فرنسا على أرضها بتاريخ 22/6/1894م.

ولئن كانت بنين عرفت باسم داهومي مدة تزيد عن قرنين ونصف القرن، إلا أن هذا الاسم لم يكن ليبقى خاصة مع التطورات التي عرفتها البلاد عبر تاريخها الطويل، فكان لا بد من التخلي عن داهومي، لأسباب وجيهة ومنطقية إلى حد بعيد. ومن أهم هذه الأسباب يقول الأستاذ هارون:

اسم داهومي، يمثل معنى شخص بعينه، وهو يذكر بحدث سيئ في تاريخ (الملك دان) وقبيلته من بعده، وبالتالي فهو قد يوحي إلى الأجيال من عشيرته بالبغضاء ورئيس الأمة والحكومة الجديدة بحاجة لسلطة [illegible] على كل ما يثير التفرقة القبلية والعنصرية، بما يجعل شريحة من المجتمع تتخلص من الأحقاد وتتمسك بوحدتهم ومواطنتهم بين سكان الشمال والجنوب، وفيما بين القبائل المتصارعة من جهة أخرى، ولهذا كان لا بد من العمل على لم شمل الشعب وتوحيد كلمته. وتم ذلك على يد رئيس الدولة (ماثيو كيريكو) الذي كان قد أسس نظام الثورة الشعبية في البلاد عام 1972 م ودعا إلى الوئام الوطني والاستقرار الداخلي.

وقد تم تغيير اسم داهومي إلى بنين بشكل رسمي في 30 [illegible] نوفمبر 1975 م بمدينة بورتونوفو العاصمة الإدارية للبلاد.



وما هو أصل لفظ (بنين)؟ وما الذي يعنيه من دلالات وأبعاد حتى تمّ اعتماده اسماً للدولة؟

اسمح لي أن أشير إلى أن المقصود بـ (بنين) هنا هو جمهورية بنين، وهنا لا بد من التفريق بين ثلاثة معان دائرة في فلك لفظ (بنين) مما قد يحدث التباساً عند إطلاق الاسم دون قيد، حيث نجد في هذا الإطار:

1- مملكة بنين

يقصد ببنين هنا مملكة قديمة في غرب أفريقيا جنوب نيجيريا تحديداً، تأسست قبل العام 1180م 1300م، وبلغت أقصى مداها فيما بين القرنين الرابع عشر والسابع عشر ميلادي، عندما بسطت سلطانها على المنطقة الممتدة من دلتا نهر النيجر إلى مدينة لاغوس، وكان أعظم ملوكها الملك إيوواري الكبير "THE GREAT EWUARE" الذي حكم من عام 1440م إلى عام 1480م، واضمحلت المملكة خلال القرن التاسع عشر ثم زالت من الوجود حوالي العام 1870م.

2- مدينة بنين

وهي مدينة جميلة تقع في جنوب غرب نيجيريا على الدلتا الغربية لنهر النيجر، وتعد مركز إنتاج المطاط في نيجيريا، ولعلها كانت عاصمة مملكة بنين المنقرضة، لأن كل القرائن المتوفرة تدل على ذلك.

3- جمهورية بنين

وهنا دعني أشير إلى أنه بعد إقرار حتمية التخلي عن اسم (داهومي) للأسباب التي ذكرناها، كان لا بد من إيجاد الاسم البديل الذي ترضى به كل قوى الشعب بقبائله التي يبلغ عددها أكثر من 50 قبيلة، ولم يكن الأمر ليحسم ببساطة، إذ اجتمع المجلس الوطني الثوري بحضور عدد من كبار المؤرخين، وطرحت عدة مقترحات في مداولاتهم حول الموضوع مثل الاعتبارات التاريخية والجغرافية والحضارية والأسس الموضوعية للبلاد، وذلك بهدف اختيار اسم مناسب، وأخيراً توصلوا إلى قاسم مشترك بين تلك الاعتبارات في لفظ (بنين)، ويمكن إجمال ذلك في الآتي:



◆ عامل جغرافي: وهو أن الموقع الجغرافي للبلاد على خليج بنين أحد الخلجان في قلب غرب أفريقيا، ومع أن بنين ليست وحدها المطلة على هذا الخليج إلا أنها تقع في وسط هذه الدول، فضلاً عن مميزات أخرى.

◆ عامل حضاري: وهو أن البنين سجلت أرقى الحضارات في تاريخ المنطقة بما ازدهرت به من مجموعة آثار فنية وثقافية راقية وتراث زاخر.

◆ عامل لغوي (سيميائي) يؤكد أصالة تلك المميزات الفريدة التي عرف بها شعب هذه المنطقة تحديداً، وهو لفظ (بيني) الذي يعني بلهجة يوربا: عش داري، بما يعنيه ذلك من دلالة على الخصوصية والأصالة، وفضلاً عن هذا هناك عامل آخر مكمل وهو نفس لفظ (بنين) لكونه فرنسي هذه اللفظة في المصطلح الفرنسي (بنين BENIN) إذا وصف به إنسان فيعني أنه شخص حليم، لطيف، لطيب ... فهذا الاسم إذاً محايد، لا دلالة سيئة في معناه بل يحمل معاني لطيفة

واصيلة، ويحفظ ذكريات طيبة، وإذا وصف به الشعب البنيني فنعم الوصف هو.

هذه الاعتبارات وتلك الأسباب مجتمعة كانت وراء تسمية البلاد بـ "جمهورية بنين" بتاريخ 30/11/1975م بقرار من المجلس الوطني للثورة، وقد قبل الشعب هذا الاسم بصدر رحب.

طوبوغرافيا بنين

لو تحدثت عن بنين في الإطار الطوبوغرافي فيمكن القول إنها تنقسم إلى خمس مناطق طبيعية:

منطقة ساحلية رملية منخفضة يتراوح عرضها ما بين اثنين إلى تسعة كيلو مترات وهي محاذية لبحيرات على الشاطئ.

منطقة هضبية ذات مستنقعات متصلة.

منطقة بحرية ذات مكونات ممزوجة من الرمل والصلصال مغمورة بغابات كثيفة من الشجر والعشب وهي المعروفة بـ (السافانا 'SAVANE) وتمتد من أبومي وحتى مشارف جبال أتاكورا شمالاً.

منطقة أخرى ذات مرتفعات عالية تتراوح بين 500م و600م في الشمال الغربي من البلاد وهي المعروفة بجبال أتاكورا والجدير بالذكر أن هذه المرتفعات تعد منابع مياه لكل من بنين والنيجر.

منطقة سهلية تسمى بسهول النيجر أي نهر النيجر وهي مسطحات واسعة وخصبة ممزوج تكوينها من الرمل والصلصال.

وتغطي الأراضي البنينية غير المسكونة غابات استوائية كثيفة مع ملاحظة تصحر غير طبيعي في وسط وشمال البلاد.

وفضلاً عن أن شاطئ بنين مطلة على المحيط الأطلسي فإن بها عدة أنهار من المياه العذبة موزعة على كل مناطق البلاد جنوباً وشمالاً، ومن أشهر الأنهار:

نهر ويمي OUEMB وهو أطول أنهار البلاد ويبلغ طوله 510 كم وله فروع عدة.



جبال أتاكورا



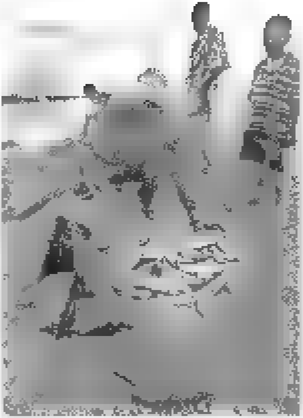
الشاطئ

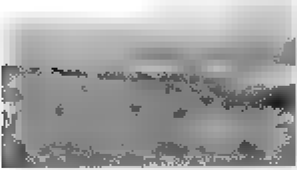


نهر زو

- نهر مونو MONO وطوله 350 كم ويشكل امتداده إلى جمهورية توجو
- نهر زو ZOU وهو متفرع من نهر ويمي ويمتد إلى أتاكورا
- نهر كوفو COUFFO وهو نهر صغير ينبع من جبال جامي ويصب في المحيط







نهر بانجاري

نهر أوكبارا

وأما أهم أنهار الشمال فيلاحظ أن ثلاثة منها تعبر لتنحدر رأسياً من النيجر وهي:

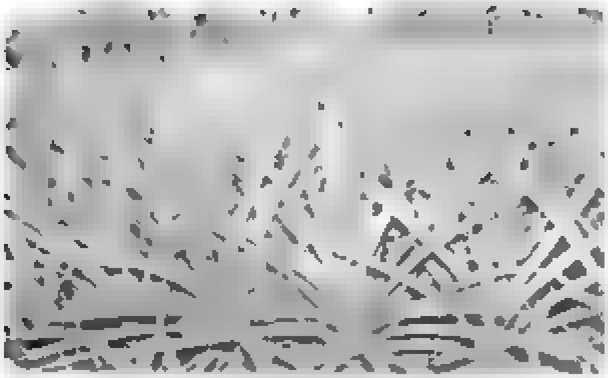
- نهر أليبوري ALIBORI الذي ينبع من نهر النيجر وطوله 131 كم.
- نهر سوتا SOTA وينبع من نهر النيجر ويبلغ طوله 250 كم.
- نهر ميكرو MEKROU ويبلغ طوله حوالي 300 كم.
- نهر أوكبارا OKPARA الذي ينبع من قرية ويمر بقرية أويير قرب باراكو ويمر كذلك عبر سنة يصب إلى نهر أويمي.
- نهر بانجاري PENDJARI وينبع من جبال أتاكورا بالتوجو عبر حدود بنين وبوركينا فاسو ويصب في نهر كبير بغانا وطوله 380 كم.

وكل هذه الأنهار تحتوي على ثروة سمكية ضخمة يتم توظيفها لانتعاش الاقتصاد الوطني، حيث ينتج من صيد الأسماك أكثر من خمسين ألف طن من السمك الطازج سنوياً، ويعمل في هذا المجال ما يزيد عن 30 ألف شخص.

الاقتصاد

وفيما يتعلق بمرتكزات الاقتصاد الوطني بشكل عام، فإن الزراعة تتبوأ مكان الصدارة من بين موارده الاقتصادية، حيث تعتبر بنين دولة زراعية أساساً كمعظم دول غرب أفريقيا. ومنذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر كانت بنين مركزاً تجارياً مهماً، كما أصبحت الطريق التجاري الرئيس بين بلاد اليوربا والأوروبيين. ومن صادراتها الرئيسية: القماش الأزرق اللون المنسوج من القطن، والقطن الخام، والفلفل، والحرير المصنوع من مرجان الذي كان كثير الاستعمال على ساحل الذهب، وزيت النخيل والذرة والفستق.

ومن المحاصيل الزراعية ذات الأهمية أيضاً:



[illegible]



[illegible]

الدخن وزيت النخيل والأرز والقمح والفاصوليا وقصب السكر والبن. ومن المحصولات الهامة والكاسافا والبطاطا بنوعيها: الحلوة والعادية. ومن المحاصيل الغلات الهامة أن غرس شجري للخشب والأكاجو ACACAJOU المنتشر في شمال ووسط البلاد بشكل [illegible]

وتأتي الصناعة في الدرجة الثانية بعد الزراعة ضمن خطط التنمية الاقتصادية البنينية وقد تم اكتشاف العديد من الإمكانات الطبيعية ومنها

طبقات كلسية بكثافة 80% من أوكسيد الكالسيوم في منطقة أونيغبولو ONIGBOLO جنوب البلاد وهي التي تنتج منها مادة الإ[illegible]

الحديد في (لوسوغومي) شمال محافظة بورغو ومناجم مترسبات على طول ساحل نهر ميكرو والذهب في منطقة [illegible] في بيارسا) بمنطقة أتاكورا. والفسفات على ضفاف نهر (مسام). وبدأ استثماره بعد [illegible] القرى للماضي

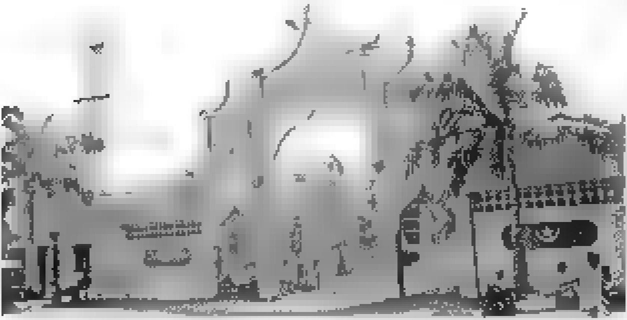
الإسلام في بنين

تذهب معظم المصادر التاريخية إلى أن دخول الإسلام محل تلك البلاد من الجهة الشمالية والشمالية الشرقية عن طريق القوافل التجارية خلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي حيث تعلق مزيج الإسلامي بعدد من امبراطوريتي مالي وسنغاي الإسلاميتين عن طريق التجار أولاً ثم عن طريق كانو وسوكوتو في نيجيريا من جانب آخر.

وهنا أعود إلى الأستاذ هارون المهدي الذي تناول هذا الجانب بشيء من التفصيل في رسالته (تطور الدعوة الإسلامية في بنين بين جهود الماضي وتحديات الحاضر) والتي استفدت بشكل أساسي من المعلومات والبيانات التي احتوت عليها، فضلاً عن معلومات التي أمدني بها أثناء وجودي في بنين. وفي هذا الجانب فإنني أعتمد بشكل أساسي على ما ذكره في أطروحته مع شيء من التصرف. يقول:

كان التجار المسلمون يمرون بتلك البقاع في طريقهم إلى غانا ومالي، فالقوافل التجارية كانت في الواقع شبه قوافل دعوية، يتمتع أصحابها بخلق رفيع وسماحة طيبة وصدق وأمانة في تجارتهم الرابحة والكثير من الناس هداهم الله إلى نور الإسلام دين الله الحنيف من خلال المعايشة والاحتكاك، وبعض المصاهرة، حيث إن التجار الوافدين كانوا يتزوجون من أهالي المنطقة الأصليين بحكم بقائهم لفترات طويلة أحياناً فتقوى الروابط الاجتماعية أكثر فأكثر ويعد هذا من أهم عوامل انتشار الإسلام هناك، كما أن بعض هؤلاء التجار كان يجمع بين التجارة والتعليم، فإذا استقر بهم المقام أنشئوا مدارس أو كتاتيب لتعليم القرآن الكريم والمبادئ الإسلامية، وأنشأوا مسجداً للصلاة، كل ذلك يسير جنباً إلى جنب مع نشاطهم الاقتصادي.

وقامت بعض التجمعات التجارية الصغيرة التي تتبع أطرافاً من دولة مالي الإسلامية، وكان هؤلاء التجار يقصدون الجنوب الغربي ويصلون حتى توغو

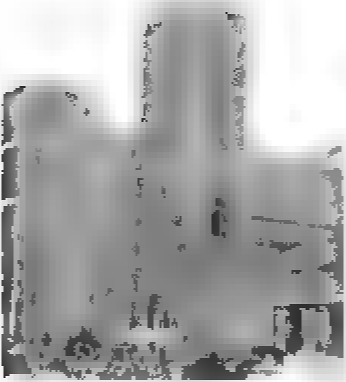


إلى بلاد اليوربا والهوسا في الشمال مجتازين شمال داهومي. وهكذا نشأت تجمعات إسلامية صغيرة في فترة قصيرة كان يطلق عليها (واسنجرا) أو (سارو) وسرعان ما انتشرت تلك التجمعات وأصبحت مراكز تجارية مهمة، ومنها على سبيل المثال: (باراكو، وجوجو، وكاندي). ونظرًا لأن مهمة أولئك التجار المسلمين كانت مزدوجة حيث تجمع بين التجارة والدعوة إلى الإسلام، فقد دخلت على أيديهم أعداد كثيرة في الإسلام، وكونوا بذلك النواة الأولى للمسلمين في شمال البلاد، ومنها انتشر في بقية أنحاء البلاد فيما بعد.

ولعل ما يجدر الإشارة إليه هنا أن تلك التجمعات (الأجنبية) استقرت بالقرب من الزعماء المحليين الذين كانت تمر ببلادهم مسالك القوافل، وبها قامت أسرهم وبواسطتهم دخل الإسلام [illegible] داهومي و[illegible] الأسر الداهومية.

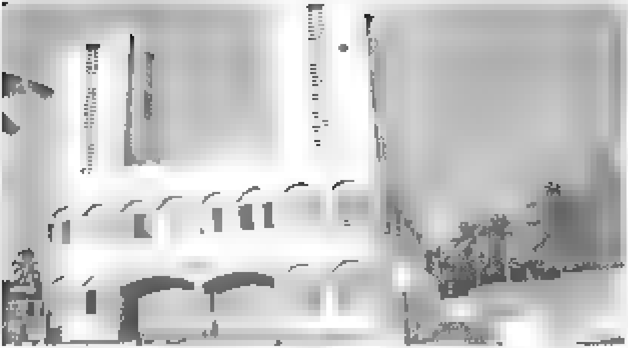
هذا ويذكر مصادر أخرى إلى أن الإسلام دخل (داهومي) في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي عند انتشاره في غرب أفريقيا على يد [illegible] والذي أدخل الإسلام إلى داهومي هو الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني، الذي شملت فتوحاته جميع الجهات المعمورة من شمال السنغال وشمال غانا وشمال داهومي وشمال نيجيريا، وظل يجاهد في بلاد السودان الغربي يفتح عواصمها وينشر بها الإسلام، ولم يزل يجاهد إلى أن قتل في إحدى معاركه سنة 480هـ - 1087م.

ويرى الأستاذ [illegible] أن ليس هناك تناقض بين رأيي الأسبقية (التجارة ثم الفتح) فالتجار سلكوا الطرق التجارية القديمة التي كانت تربط داهومي بمملكتي مالي وسنغاي اللتين تتصلان بداهومي من أقصى شمالها وجزء من شمالها الشرقي، وهذه القوافل هي نفسها ساعدت دخول الإسلام عن طريق التجار الدعاة. أما الأمير أبو بكر بن عمر فإنه كان ينتمي إلى المرابطين الذين أسسوا مملكة غانة القديمة



ونشروا فيها الإسلام وفي حوالي [illegible] من المناطق [illegible] فيها داهومي التي تتصل بغانا من جهة شمالها الغربي، وبناء على ذلك يكون دخول الأمير أبي بكر من [illegible] إلى داهومي من الجهة الشمالية الغربية من البلاد، إذ هي الأقرب لمن هو قادم من غانا. وبهذه الطريقة يمكن أن تكون الأسبقية لكليهما، كل من جهته، حتى وإن وجد فارق زمني بينهما. ثم قاد الفولانيون والكانميون حركة الدعوة الإسلامية في المنطقة [illegible] انتشار حركة عثمان بن فودي الفولاني (1168-1233هـ/1754-1817م) الذي قام بأمر الدعوة في أفريقيا الغربية أو السودان الغربي.

أما القبائل التي تلقت الإسلام مبكرًا في شمال البلاد عند أول دخوله المنطقة فهي قبائل الفلاني والدندي من سكان [illegible]، وبعد أهم قبائل شمال بنين، وهي أول من اعتنق الإسلام من الشعب البنيني، ثم انتشر في وسط البلاد وجنوبها



والمعبد الرئيسي للإسلام في جنوب بنين هو الجهة الشرقية والحدود الشرقي من البلاد حيث تقع كل من بورتونوفو وساكيتي وبوبي وكيتو حيث دخل الإسلام عن طريق اليوروبا القادمين من ... أويو و بيوكوتا من نيجيريا. وكذلك ساهم التجار الهاوسا المسلمون في نشر الإسلام هناك وفي وسط البلاد دخل الإسلام عن طريق التجار الهاوسا المسلمين في القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي وكان أول الأمر ... من الوجود الإسلامي في كل من الشمال والجنوب. ثم ... بين ... من جهة كاندي ونيكي وجوجو ... حيث كان ... المسلمين من البيني مملكة بورغو القديمة إلى البلاد ... في ... القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر ميلادي، ... من ... القصبة ... في أبومي ... بأكرامهم وحسن ... لا يوجد فيهم من سمو الأخلاق وحسن المعاملة.

ونتيجة من ... الإشارة هنا أن هناك اعتبارات ... وعوامل متنوعة جعلت ... الإسلام سهلا ... من قبل الأفارقة عامة وشعب بنين ... لم يكن خارج هذه ... الفريضة وذلك ... النبي الإسلامي من جهة ... الدعاة من جهة أخرى مصدر تلك الاعتبارات والعوامل التي ساهمت في تقبل الإسلام ... في المجتمعات الإفريقية وقد يعتز ... الإسلام أنه دين ... سهل التكاليف والتطبيق في مختلف الظروف الأمنية ... من الإسلام ... من إفريقيا في وقت لم يكن فيه أي دين يعارض الإسلام ... الوثنية والخرافات واللادينية ... الداعي المسلم ... سريعة ... وهذه النقطة ... من الأسباب الرئيسية التي دفعت الشعب البنيني إلى تقبل الإسلام ... ومن أهم هذه الأسباب أيضا فطرية الإسلام ... وبساطة عقيدته ووضوحها وقوة تأثيرها على النفوس بعيونها الدينية والنصوص الشرعية التي تؤكد ... كثيرا ومتضافرة.

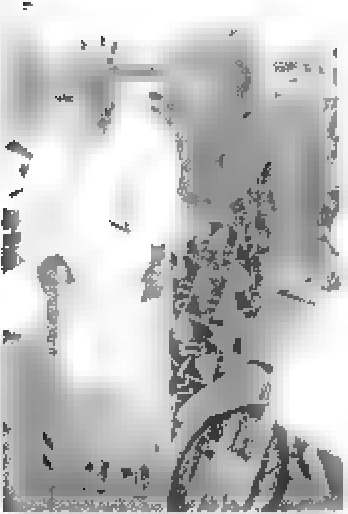
أثر الإسلام على الأعراف و التقاليد

... الشعب البنيني قد جاوب بنسبة كبيرة مع دعاة المسلمين لتقبل ... بالإسلام دينا لتلك الأسباب ... غيرها ...

وإنه من الطبيعي أن تظهر بصمات الدين الجديد على الأعراف والتقاليد التي توارثها الآباء والأجداد لأجيال الشعب التي انضوت تحت لواء الإسلام.

كل القبائل قد تأثرت بالإسلام، بعض الذين أسلموا منهم فحسب بل حتى الذين بقوا على وثنيتهم أو الذين تنصروا. وإن كانت نسبة التأثير متفاوتة من فئة إلى أخرى. فقبيلة (فين) التي تتوزع أعدادها بين أنحاء مختلفة من البلاد مثلاً تمثل الوثنية كعقيدة يعتنقها الأغلبية. وعلى الرغم من ذلك فإنها تأثرت بكثير من قيم الدين الإسلامي، حيث تحتفظ بكثير من الشعائر الإسلامية التي أخذتها من المسلمين. وقبائل الشمال هي الأخرى تأثرت بالإسلام في عاداتها بنسب متفاوتة. وهناك نماذج كثيرة من صور التأثير والتأثر بين الإسلام والأعراف الشعبية المحلية مما يدلل على مدى عمق ذلك التأثير الإسلامي في كل القبائل. وعلى سبيل المثال لا الحصر كان من أثر الإسلام على شعوب غرب أفريقيا أن ارتفع الحس الديني بين السكان بموجب الأخوة الإسلامية. كما أطل الأفارقة بواسطة الحضارة العربية الإسلامية على عالم الثقافة والنور وحب العلم للناس. فلم تلبث القبائل التي اعتنقت الإسلام إلا أن حملت لواء نشره بحماس عجيب، لأنهم علموا أن في الإسلام خيري الدنيا والآخرة، وأن الإسلام رحمة للعالمين.

فمثلاً احتفالات عيد قبيلة (باريبا) وتعرف باسم (جاني). كانت تقام في العاشر من شهر ربيع الأول قبل انتشار الإسلام. فأصبحت بمجيء الإسلام تقام في الثاني عشر من الشهر متأثرة بذكرى المولد النبوي الشريف، والتي أصبحت احتفالاً رسمياً في البلاد، حيث يعطل له يوم كامل تشريفاً للنبي محمد رسول الله ﷺ. ويشير إلى هذا الكاتب الفرنسي (... مونتالي) بقوله: يوجد مثال ساطع على حفلة باريبا التقليدية تطابق تماماً احتفال المسلمين. وهذه الحفلة القومية (جاني) في منطقة (بوركو) أصبحت اليوم إسلامية. ونظراً للعلاقات الطيبة التي تربط الملوك بالأئمة يأتي الملك في بعض الأحيان برفقة مواكب من مراسيمها لحضور الإمام في ليلة الثاني عشر من ربيع الأول في إطار حفل الاحترام الناتج عن التأثر بقيم الإسلام. ولدى شروق صبح الثالث عشر من الشهر يقود الإمام وفداً ضخماً من المسلمين لتحية الملك والدعاء له ولأسرته، للدولة والبلاد عامة. وواضح مدى تأثر الملوك بالإسلام ومبادئه رغم وثنيتهم الكبيرة. كما يحظى المسلمون في بنين بصفة عامة باحترام لصحة العقائد الإسلامية والنصارى، مما يدفع الكثيرين منهم إلى اعتناق الإسلام.



ويدخل في إطار التأثيرات الإسلامية على الشعب البنيني بصفة عامة لفظ (آمين) الذي يقال عقب الدعاء، حيث نلاحظ أن كل الشعب يتداول هذا اللفظ بغض النظر عن اللغة أو الطبقة أو القبيلة أو الانتماء العقدي، مع احتفاظ الكلمة بمعناها الأصلي العربي وهو (اللهم تقبل) أو (استجب لنا). وثمة ظاهرة تسري تحت دائرة التأثير الإسلامي حتى غير المسلمين وهي أن الشعوب الأفريقية بصفة عامة تستحب اللباس الفضفاض الأبيض، فغدا الزي الإسلامي المحتشم مصحوباً بالقلنسوة وعمامة أحياناً، فأصبح هذا الزي في المجتمع البنيني الزي المفضل الذي يفتخر الناس بارتدائه، وإذ كان بمظهر العالم الأنيق يضفي على صاحبه احترام الآخرين، فإننا نلاحظ حرص الناس في هذه البلاد على ارتداء أنسب ما يملكون ولا سيما في مناسبات الأعياد الهامة للمسلمين مثل عيد الفطر وعيد الأضحى والمولد النبوي الشريف ومواكب استقبال حجاج بيت الله الحرام



وأيام الجمعة وغيرها من المناسبات الاجتماعية المتعددة، وذلك لأن الأهالي من غير المسلمين في مجتمع يشتركون إخوتهم المسلمين في جميع مناسباتهم، فهم بذلك متأثرون إلى درجة كبيرة بطريقة المعيشة الإسلامية في مختلف سلوكياتهم. وإلى جانب هذا المظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية في هذه البلاد نلاحظ التأثير الإسلامي القوي على معظم نواحي الحياة الاجتماعية الأخرى مثل الزواج والعقيقة والمآتم والميراث... إلخ، فجميع هذه التأثيرات الإسلامية في المجالات المذكورة أنه تنبني حياة مسلمين يتمسكون بقيمة شرائع مجتمع من غيرهم بدرجات متفاوتة، كل ذلك يجعل المسلم البنيني يشعر بعزة النفس وثقة من دينه وبأنه ذو سيادة وقوة وأنه حالة وإن لم يكن دين عامة الشعب، فإنه يستقطب عناصر جديدة كل يوم.

وهنا يجب التأكيد على أنه لا ينبغي ترجيح هذا المؤشر بطريقة على الجانب العقدي والروحي والذي يترسخ في النفس لتذوب كل الاعتبارات المادية، أو تصبح شيئاً من الكماليات الثانوية.

من معالم بنين

تحتضن بنين العديد من المعالم الأثرية السياحية التي تحظى باهتمام السياح والزوار، إما لأنها شهدت حدثاً تاريخياً، أو لأنها تمثل مكانة متميزة، أو هي تحوية طبيعية تلفت النظر. ومن هذه المعالم:

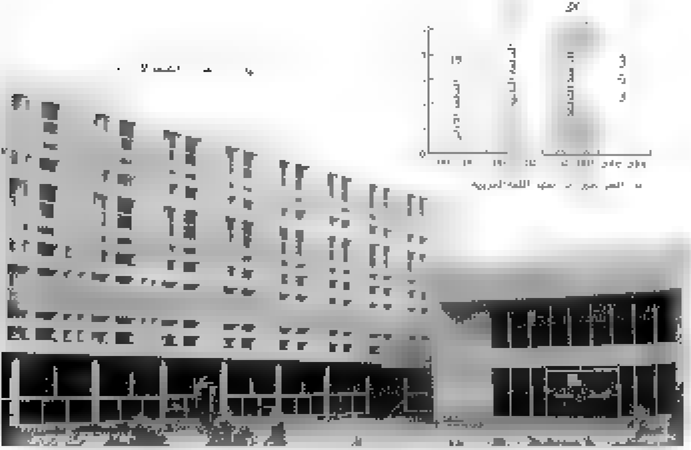
مدينة (كوتونو KOTONO) كبرى مدن في بنين وهي العاصمة الاقتصادية للدولة، وتوجد بها عشرات المساجد والزوايا، من بينها مسجد ملحق به إذاعة تبث القرآن الكريم على مدى الساعة. وهناك أيضاً معهد دار السلام العربي الإسلامي الذي يقوم بتعليم العلوم الإسلامية واللغة العربية. وبالتجوال في مدينة كوتونو تلحظ في أرجاء مختلفة منها مساجد عتيقة، وأخرى حديثة الإنشاء تنتظر دورها في استقبال المصلين

والرجعيين في تلقي العلوم الإسلامية. وبعد إقامة الصلاة يستقي سبعون رجلا ونساء وامتلأت المساجد. وفي هذه المساجد قبل رفع الأذان يتدفق المصلون إلى المساجد ويجلسون مكانهم فيها فتجلس النساء في ركن خاص بهن وقت الصلاة. ويلقي الخطيب خطبة الجمعة باللغة المحلية التي يفهمها الناس. فإن الأدعية تكون باللغة العربية ومع كل دعاء يردد المصلون وراء الإمام في صوت جماعي آمين آمين وعموما يكررونه عقب الصلاة حيث يعد مجلس في الدعاء بصوت مرتفع وبشكل جماعي

معهد اللغة العربية والثقافة الإسلامية

استقطبت كلية الدعوة الإسلامية منذ نشأتها طلبة العلم من كل أنحاء العالم ليتعلموا ويتخرجوا في رحابها ثم ينطلقون دعاة ومعلمين ينشرون مبادئ الدين الإسلامي الصحيح بوعي عميق ورؤية واضحة منفتحة على كل الثقافات والحضارات تحترم خصوصيات الآخر وتدعو إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة. وخلال ثلاثة عقود تخرجت في هذه الكلية قوافل الدعاة والقضاة والأساتذة والمربين الذين انتشروا في ربوع الأرض يحملون في طيات نفوسهم حبا وسلوكا إسلاميا متميزا وأخلاقا رفيعة وحكمة ورؤية متوازنة بين المثالية المرجوة والواقعية الأصيلة. ومن ثمار الكلية وفروعها تخرج الدعاة والمربين المتميزين بمنهجهم دعوة إسلامية خالصة من شوائب التعصب عميقة الصلة بالتراث تتماشى مع الحداثة التي لا تصطدم مع الثوابت الإسلامية الأصيلة.

ومعهد اللغة العربية والثقافة الإسلامية بجامعة ابومي كالافي بالعاصمة البنينية كوتونو هو أحد فروع كلية الدعوة الإسلامية. بدأت الدراسة في هذا المعهد بتاريخ 21/9/1998م وعلى مدى سبع سنوات تخرجت في المعهد ثلاث دفعات يصل عدد خريجيها إلى (109) خريجين.

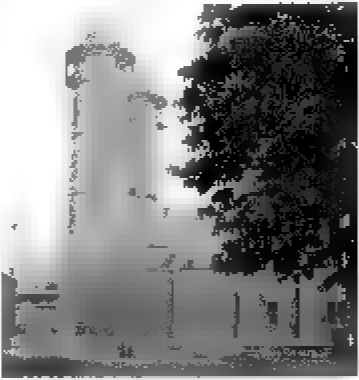




تخرجوا فيه وعملوا معلمين في مدارس البلاد.

ويبلغ أعضاء هيئة التدريس (20 أستاذاً) ينتمون إلى (6) ست جنسيات هي: بنين/نيجيريا/المغرب/النيجر/السودان/ساحل العاج). ويمكن إيجاز أهداف المعهد في:

- تخريج أو تأهيل أساتذة في اللغة العربية والثقافة الإسلامية.
- إعداد متخصصين في علم المكتبات ومترجمين وباحثين.
- إعداد وعاظ وخطباء.



مسجد ويداه

مدينة ويداه

مدينة (ويداه) OUIDAH إحدى مدن محافظة الأتلانتيك الواقعة إلى الغرب من العاصمة الاقتصادية كوتونو، وتعتبر من أقدم المدن في بنين. تتميز بموقعها المهم على ساحل المحيط، وسميت (ويداه) نسبة إلى القبيلة التي تسكنها. وهي مدينة متحفية بها العديد من الآثار، كما تعتبر نقطة الدخول الأوروبي الأفريقي في الجمهورية، فمنذ فترة مبكرة دخلها البرتغاليون والإنجليز، وفي عام 1704م قامت فرنسا بافتتاح أول ميناء في ويداه، وما زالت آثار ميناء الذي كان محطة لركاب الرقيق إلى أوروبا وأمريكا موجودة إلى اليوم. فقد كانت المدينة جسراً أو سوقاً أو ممراً لتصدير الرقيق، كما تعد (ويداه) مهد العقيدة الأرواحية في جمهورية بنين.

في الطريق الترابي الفسيح الممتد على الشاطئ وأنت عائد إلى كوتونو، تقابلك العديد من المنحوتات والتماثيل والأشكال الفنية المتنوعة والتي يشير كل منها إلى حقبة ما في تاريخ بنين، ومنها ذلك التمثال الذي يشبه عروس البحر، فعرفت على أنه هي أقرب إلى الموج الصغير، والرسام الرسمي عبد الباسط بن غزال، وكانت دائماً تصور محترقة لا يسمح له



متحف ويداه

وتنوعه مثل هذه المناطق والمحطات الطبيعية الرائعة دون أن يسجلها على ذاكرة مرافقته الدائمة الكاميرا.

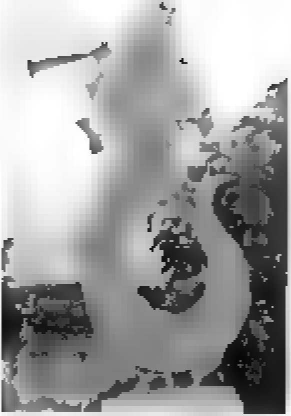
شجرة النسيان

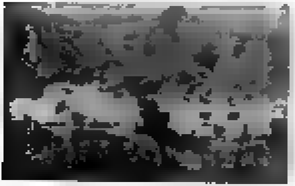
في هذا المكان كانت توجد شجرة النسيان وكان العبيد من الرجال يطوفون حولها تسع مرات أما النساء الإماء فكن يطفن حولها سبع مرات وكان يعتقد أنه بعد إتمام الطواف يفقدون الذاكرة وينسون ماضيهم وأصولهم وهوياتهم الثقافية ويصبحون كائنات فاقدة لإرادة رد الفعل والقدرة على المقاومة

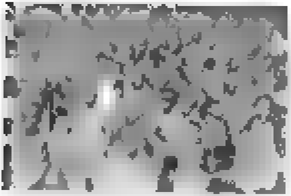
مدينة بورتونوفو

مدينة بورتونوفو PORTON-NOVO مدينة [illegible] عرفت [illegible] HOGBONOU و [illegible] ADJATCHE وتطبع بطابع إسلامي يبرز من خلال مساجدها ذات الطراز المعماري الحديث في غالبيتها كما أنها تحتضن أكبر مكتبة وطنية للبلاد. بورتو نوفو هي العاصمة الإدارية لبنين، غير أن معظم نشاط البلاد الحكومي يتم في مدينة كوتونو المجاورة، وتقع بورتو نوفو جنوبي بنين على طول بورتو نوفو وهو لسان مائي من خليج غينيا في المحيط الأطلسي يبلغ عدد سكانها حوالي 180.000 نسمة وهي مركز تجاري رئيسي للمنتجات التي تُصنع في بنين، ويربطها خط حديدي بمدينة [illegible] الرئيسي المحيطة بالأجزاء الداخلية للبلاد

وربما تكون بورتو نوفو قد تأسست في القرن السابع عشر الميلادي على يد شعب [illegible] الإفريقي الأسمر وفي وقت لاحق من ذلك القرن أسس البرتغاليون مركزاً للتجارة الرقيق في المدينة وأصبحت بورتو نوفو مركزاً لتجارة الرقيق في القرن الثامن عشر الميلادي. وفي [illegible] الاستعمار الفرنسي في [illegible]



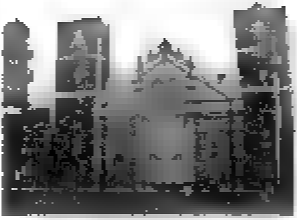


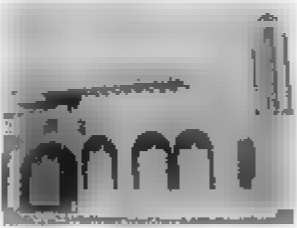


صور من مدينة بورتو نوفو

السبعينيات من القرن الثامن عشر الميلادي، وأصبحت مدينة العاصمة الإقليمية لإقليم الفرنسية الغربية بعد انتهاء هذه المستعمرة عام 1904م، ولدى حصول النيجر على استقلالها عن فرنسا عام 1960م أصبحت نيامي عاصمة لها.

ومن أبرز معالم المدينة المسجد الكبير أو المسجد المركزي الذي بدأ المسلمون تشييده منذ سنة 1930م واكتمل بناؤه سنة 1935م، وكان أول إمام هو الشيخ (مود جاجي داماكا).





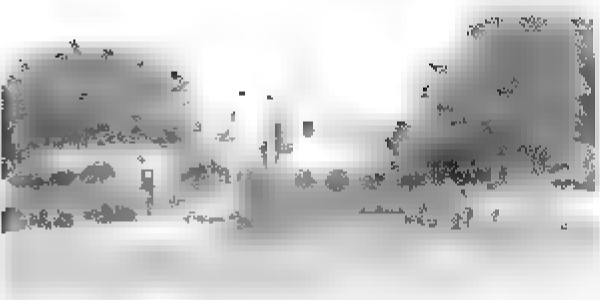


من دار الضيافة

إلى جامع والمركز المركزي

بناه الحاج (بابرو وحيدي)، وهو معروف بكرمه وسخائه في دولة النيجر، ركونو وضواحيها، كان المشروع أولاً دار عرض ضيافة (دار ضيافة) لكن أهالي المنطقة غير إمكان المنطقة طلبوا منه إمكانية تغييرها إلى مسجد يتسع لهم، خاصة في صلاة الجمعة وقد استجاب الحاج وحيدي لطلبهم وبدأ عملية التغيير منذ سنة 2001 ميلادي، وقد تحمل شخصياً كل مصاريف التحويل حتى اكتمل البناء وصار جامعاً كبيراً متكاملاً، وخصص له وقفاً لاستمراريته من متاجر ومساكن.

ومما يجدر ذكره في هذا السياق أن الشيخ وحيدي لم تقتصر أعماله الخيرية على هذا المسجد بل قام ببناء العديد من المساجد والمستوصفات ودور عرض الطفيلة والسيما ... وكذلك قسم الأطفال بالمركز الطبي بيروكونو، وكان أول مسجد بناه بالقرب من منزله هو مسجد (RE AKARI) إلى المساجد الشاسعة سنة 1958م، وتجاوزت أعماله الخيرية 20 عملاً، وقد وافاه الأجل رحمه الله في شهر ربيع ... سنة 2005م رحمه الله خير



مستشفى الفاتح في بوربوجو

مستشفى الفاتح، رائد في بوركينا فاسو

بناء على توجيه من الأخ معمر القذافي قائد الثورة الشعبية الإسلامية العالمية قامت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ببناء وتجهيز مستشفى الفاتح في مدينة بوبو ديولاسو تقديراً للعلاقة المتميزة بين الشعبين الصديقين الليبي والبوركيني. وافتتحه الرئيس كومباوري والأخ أمين جمعية الدعوة الإسلامية في العشرين من شهر الطير (إبريل) 1991 م كمستشفى متكامل، وبسعة مائة سرير. يقدم مستشفى الفاتح خدماته الطبية للمواطنين البوركينيين ومواطني الدول المجاورة مثل مالي والنيجر وكوت ديفوار وتوغو. وتقدم هذه الخدمات في جميع فروع الطب وهي الطب الباطني والجراحة والنساء والولادة والأطفال. وتوجد عيادة متخصصة في أمراض القلب والشرايين.

ويقول الدكتور حسين موسى السنوسي استشاري أمراض وجراحة القلب والشرايين، ومدير المستشفى: يستقبل المستشفى المرضى على مدى 24 ساعة متواصلة عن طريق العيادات الخارجية للمستشفى وخدمات الطوارئ والمستعجل أو الحالات المحولة من المراكز الصحية الأخرى.

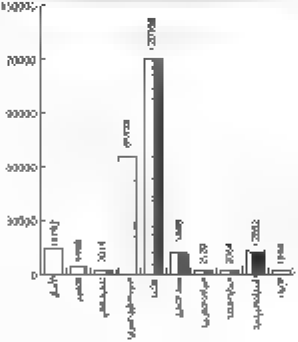


حسين موسى

المعامل الطبية والأشعة تقدم خدماتها للمواطنين والمراكز الصحية الأخرى من خارج المستشفى. والصيدلية متواصلة مما يمكن المريض من الحصول على الدواء في أي وقت، ويتميز المستشفى بخبرة في مجالات جراحة العظام وحديثاً في مجالات السرطان عند النساء. ويأمل بن تطوير هذه الأجهزة لتكون مركزاً متميزاً في بوبو لاكتشاف ومعالجة السرطان عند النساء، ويمتلك المستشفى جهازاً متطوراً في الموجات فوق الصوتية بالأبعاد الثلاثة الملونة، وهو الوحيد من نوعه في جمهورية بوركينا.

وتشمل خدمات المستشفى الإيواء والعيادات الخارجية ووحدات التشخيص والعلاج، والخدمات العامة. وتتم جميعها على مدى 24 ساعة، وتقدم هذه الخدمات لمرضى المستشفى وكذلك لبقية المراكز والعيادات الطبية في المنطقة. ويستقبل المستشفى الحالات المحولة من المراكز والمستشفيات الأخرى.





رسم بياني يوضح ما أداه مستشفى الفاتح منذ افتتاحه وحتى العام 2006 مسيحي

الخدمات الطبية التي يقدمها مستشفى الفاتح في بورتورفو

أ- الإيواء:

الأمراض الباطنية، الجراحة العامة، جراحة العظام، أمراض النساء والولادة، وحدة مراقبة الأجنة بالموجات فوق الصوتية، وحدة التشخيص ومعالجة السرطان عند النساء ووحدة أمراض الأطفال.

ب- العيادات الخارجية:

مستعجل والطوارئ

1. الأمراض الباطنية، أمراض القلب والشرايين
الأمراض الجلدية
3. الجراحة العامة وجراحة العظام.
4. أمراض النساء والولادة، وحدة تشخيص واكتشاف

السرطان عند النساء، ووحدة مراقبة الأجنة بالموجات فوق الصوتية.

6. وحدات التشخيص والعلاج:

- الموجات فوق الصوتية: الطب الباطني، وأمراض القلب والشرايين، الجهاز الهضمي، الكلية والمسالك البولية البروستات، الغدد، الصدر، النساء والتوليد، الأجنة.

7. المعمل الطبي: الكيمياء العضوية، علم الميكروبات، المناعة، الدم والفطريات.

الأشعة.

- الصيدلية: المختبرات والمستهلكات والأجهزة الطبية.

- الخدمات:

النظافة

الصيانة

ويضيف الدكتور حسين موسى موضحاً بأن المستشفى يوالي خدماته في مجال التمريض، والطب، والتقنية الطبية على المستويين العملي والعالمي، وبالنسبة لهذا الأخير فقد تدربت بالمستشفى ممرضات من فرنسا. كما بدأ المستشفى في تعميم خدماته في مجال البحث العلمي، حيث طبقت منظمة كندية التعاون في مجال البحوث الطبية والصيدلانية.

مدن من بنين

مدينة أبومي ABOMEY هي العاصمة الملكية لمملكة دان هومي التاريخية، وبها أهم المتاحف الأفريقية الشهيرة وشهرة القائمين عليه على اختلاف وتنوع هواياتهم تجاوزت الحدود البنينية.

مدينة ألادا ALLADA هي أقدم ممالك البنينية ... كل من مملكتي بورتو نوفو ودان هومي ... يسمون في (ألادا) وهم أولاد الملك ... أي عيالي TE-AGBANLIN الذين انتشروا في ربوع أرض أبيهم ... الملك ...



مدينة نيكي NIKKI في الشمال الشرقي من بنين وتمثل العاصمة التاريخية لقبائل باريبا. وبها تقام مراسم أكبر وأهم احتفال لهذه القبائل وهي مناسبة غاني (GANI) التي يتوافق موعدها مع الاحتفال بذكرى مولد النبوي الشريف من كل عام. وتجمع هذه الناحية بين سكان شمال بنين وسكان شمال غربي نيجيريا من قبائل ... ويشاركهم ... ملوك القبائل من بنين وشمال نيجيريا ... من المملكة.

مدينة ناتيتنغو NATITINGOU في الشمال الغربي وهي عاصمة محافظة اتاكورا، وتشتهر بمنازلها التقليدية المبنية من الطوب وجريد النخل والحجر القوية والمربوطة ... تسمى سومبا SOMBA (TATA) نسبة إلى قبيلة سومبا القاطنة بالمنطقة. كما تحتضن العديد من الأكواخ التقليدية المنتمية إلى قبائل ... وغيرها من القبائل القاطنة حول حدائق الحيوانات الوطنية التي تضم أنواعاً عديدة من الحيوانات، وزاد من أهميتها في استقطاب الزوار والسياح كون الحدائق والمحمية ... بندجاري (PENDJARI) عند نهر ... في شمال البلاد.

القرية العائمة

بعد أن استضافنا الأخ فتحي سعيد كانت وجهة الانطلاق إلى مدينة بورتونوفو عبر [illegible] في آخر يوم طلب مني والحاج [illegible] عدداً من الإخوة الأحباء في زيارة للقرية العائمة !! أثار الاسم دهشتي واستغرابي . قرية عائمة ؟! لقد قرأت عن [illegible] وشاهدت العديد من الصور حول [illegible] وقرى عائمة في بلاد الله الواسعة، في آسيا خاصة، لكن أن تكون هناك قرية عائمة في أفريقيا [illegible] أثار فضولي وحفزني [illegible] ومما شجعني أكثر مرافقة ثلة من الإخوة المقربين إلى النفس والقلب: إبراهيم [illegible] محمد [illegible]، محمد [illegible]، محمد [illegible] [illegible] انطلقنا [illegible] (ريشار) نحو القرية العائمة، وصلنا إلى مرفأ صغير يحتضن عدداً من مراكب الصيد [illegible] وأكثرها يعتمد المجاديف وسيلة للدفع، وفي ذلك الركن سوق للصيادين الذين يعرضون ما تجود به عليهم تلك البحيرة من أسماك، وهناك بعض الباعة المتجولين الذين يعملون جاهدين على [illegible] بل لنشتري منهم بعض السلع من المصنوعات اليدوية البسيطة واستطاع أحدهم أن يقنع إبراهيم [illegible] بابتياع غطاء للرأس، بعدما وضعه على رأسه بدا وكأنه سائح قادم من آسيا أو إحدى دول الكاريبي !!

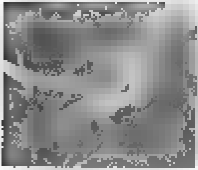
ركبنا مركباً وتوجهنا صوب القرية العائمة.

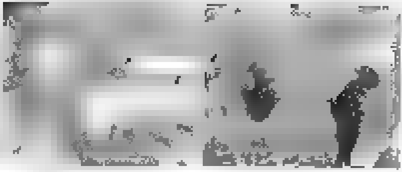
قرية غانفي GANVIE العائمة تعد القرية البحرية الوحيدة في أفريقيا كلها، ويقطنها حوالي ألف نسمة من السكان، والناس فيها يقيمون مساكنهم في وسط البحيرة فوق أعمدة أو قوائم خشبية طويلة جذورها في أعماق المياه، والغريب في الأمر أن تلك الأعمدة لا تبلى [illegible] فهي من نوع خاص من النباتات [illegible] والوسيلة الوحيدة للتنقل والتجول في [illegible] هي الزوارق، وبها يتم البيع والشراء ومعظم المعاملات التجارية اليومية [illegible] بعض الدعاة المسلمين من كوتونو من حين لآخر.

وعندما نتحدث عن بنين فلا بد أن نستحضر ثقافة الفودو [illegible] وأيضاً دولة [illegible] عبر تاريخها الطويل، وهي من الدول الأفريقية القليلة التي [illegible] نظامها الملكي [illegible] على [illegible] مع المجتمع [illegible] قرية غانفي GANVIE [illegible] (غانفي) [illegible] أثر لتاريخ زاخر [illegible] الأجداد.



التنقل من وإلى القرية العائمة (بالقارب الخاص)





المحمية الطبيعية في السمار

عندما تصل الى (غانفي) ستكتشف أنك تزور متحفاً مفتوحاً على السماء، وتبدو تلك القرية كأنها خرجت للتو من عوالم الغيب.

تقع القرية على الضفة الشمالية الغربية لبحيرة (نوكوي) عند مصب نهر (سو) على مسافة 8 كيلومتر من مدينة (أبومي كالافي) وتبعد حوالي 25 كيلومتراً من مدينة (كوتونو). لا يستغرق السفر إليها أكثر من 41 دقيقة عن طريق البر.

فغانفي ليست فقط معلماً سياحياً بل هي شاهد على تاريخ حافل بالأحداث، فهي كغيرها من العديد من الجزر والمناطق في إفريقيا مثل (سومبا) في السنغال أو (ويدا) في بنين، تعتبر من أهم أسواق النخاسة (بيع وشراء العبيد)، وكانت في الوقت ذاته مخبئاً يفر إليه العبيد المستجلبون قبل إرسالهم إلى خارج القارة الإفريقية. ويعد هذا الموقع القرية كأنها جزيرة وسط البحيرة، والمستنقعات التي تحيط بها توفر حماية طبيعية للمختبئين فيها والذين كان معظمهم من قبائل (تورقو).

وكانت (غانفي) وبعض الجزر والمناطق المماثلة توفر الحماية الطبيعية للفارين من الاقتتال القبلي، ومعظم سكان القرية الحاليين ينحدرون من سلالة (الأيي أو رجال الماء) وكانوا يسمون أنفسهم (التوفين أو الماهيين) وكان موطنهم الأصلي منطقة (...) التي رحلوا منها إلى (وهيمي) في جنوب بنين في أواخر القرن السابع عشر الميلادي ثم انتقلوا إلى (سومبا) واستقروا أخيراً في (غانفي)، وكانت تلك المنطقة تشكل خط الدفاع الأخير لسكانها في مواجهاتهم مع ممالك (الفون) و(الداهومية) التي ... بموجب عهود مع الأوروبيين في تجارة ... الأسرى.

ومن المشاكل التي واجهت سكان القرية الجدد الذين كانوا يمتهنون الزراعة في موطنهم الأصلي هي صعوبة الزراعة بسبب كثرة المياه التي تغمرها والمستنقعات المحيطة بها من كل جانب، ولذلك فقد تحولوا إلى الصيد البحري لاكتساب رزقهم، وابتدعوا طريقة ذكية لصيد الأسماك دون الإبحار إلى أعماق البحر الذي لم تكن لهم خبرة بركوب أمواجه، وتلك الطريقة ... يستخدمونها إلى يومنا هذا، وتسمى طريقة (أكادجا)، وهي بسيطة وفي ذات الوقت تؤمن صيداً وفيراً، وتعتمد طريقة الصيد بواسطة (أكادجا) على إقامة أحواض ... بأغصان الأشجار التي تجذب إليها الأسماك ... والأحشاء من الأسماك الكبيرة ... ويحصلون على أعداد أكبر من الأسماك ... الصيادون ... من الأوراق ... التي تسمح ... الأسماك ...

وبالرغم من مرور عشرات السنين إلا أن سكان القرية لم يتخلوا عن كثير من أنماط الحياة التي

ويعرف ابأ عن جد. ولكنهم استطاعوا التعامل مع متغيرات العالم المعاصر. ومن مزايا (غانتي) أنها لا تزال تحتفظ بروح وتكوين ماضيها.

ويستخدم زوار [illegible] من السياح القوارب الآلية أو القديمة للوصول الى القرية.

[illegible] لم تتغير عما كانت عليه منذ قرون. في الصباح كما في [illegible] يمكنك مشاهدة النساء يتنقلن من سوق إلى سوق على متن قواربهن، يشترين الخضار والأسماك والتوابل وما إليها في حين يتولى الرجال جلب هذه البضاعة من مدينة (أيوتي كالنغا).

أما المساكن الخشبية والمسقوفة بأوراق النخيل والبامبو فهي لم تتغير كثيراً باستثناء بعض البيوت الإسمنتية التي يقطنها الأكثر غنى وهم قليلون.

وما زالت القرية محرومة من الكهرباء، وغالب السكان يستعيرون [illegible] المصباح النفطي [illegible] الأوفر حظاً [illegible] صغيرة [illegible] القرية [illegible] قريبة [illegible] القرية [illegible] والحديثة [illegible] الأمواج العنيفة.

ومن القرى المشابهة [illegible] شمال [illegible] سوكوي [illegible] (فيجا جو) و(سوات) و(جيكي) و(سوختيا كوي) [illegible].

تحتفل هذه القرى سنوياً في مواسم محددة بأعياد (العودة) وخصوصاً غانتي التي تقيم حفلات يجتذب إليها الكثير من سكان المنطقة خلال الفترة من السابع إلى الخامس عشر من شهر [illegible] من [illegible] وتتضمن تلك الكرنفالات [illegible] الألعاب المائية والطعام [illegible] التقليدية.

وأنت على ظهر ذلك المركب تشاهد القصر الملكي القديم والمدرسة والمعبد. وبعض معالم التاريخية والسياحية [illegible] الأهرام وهناك [illegible] في طور [illegible] وهناك عدد السكان في مجال البناء غالباً ما تتوقف لفترات قد تطول.

[illegible] تتمتع بمرافق سياحية متنوعة منها حدائق وطنية للحيوانات، لعل أهمها تلك المحمية الطبيعية في الشمال التي تتربع على آلاف الهكتارات. وتشتمل برحلة على طول الشط الساحلي. وكذلك آثار سياحية لحضارات قديمة في مناطق عدة من البلاد. وزيارة البيوت والاحتكاك بأهلها والتواصل معهم يتيح لك معرفة مزيد عن تقاليدهم وأسلوب حياتهم، كما يثري رصيدك الثقافي من ذلك [illegible].



منظر سياحي خلاب



حلب ..
عين على الماضي وأخرى على المستقبل

عزيزة السبيني*

تعتبر حلب من أهم المدن التاريخية ليس في منطقة الشرق، بل في العالم، زارها وأقام في ضيافتها الكثير (بابلي ... العديد من الأدباء والمفكرين والسياسيين، منهم الكاتبة البريطانية (أجاثا كريستي) والسير ... كونان دويل، ومنهم (جمال عبد الناصر) والشاعر (الأخطل الصغير) الذي نظم في مدح حلب قصيدته المشهورة المؤلفة من (65) بيتاً والتي مطلعها:

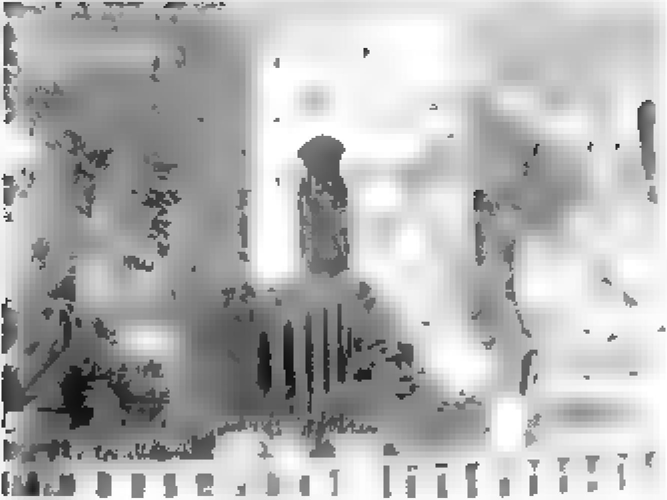
نفيت عنك العلى والظرف والأدب
وإن خلقت لها إن لم تزر حلبا

وبقاء حلب الشهباء تسمح للزائر باكتشاف مدى التسامح الديني والاعتراف بالآخر والتعايش الحضاري بين شتى المعتقدات والأعراق والمذاهب ... حضارة إنسانية عريقة، استوعبت كل الحضارات السابقة في إطار الحضارة الإسلامية عربية الطابع

الجامع الأموي الكبير أو جامع النبي زكريا



* صحفية سورية
** الصور خاصة بمجلة التواصل



قلعة حلب

إلى السوار والمكحلة. وتعتبر حلب مع القاهرة ودمشق واسطنبول من المدن الأكثر احتواء للآثار والأوابد بالعالم الإسلامية، والتي لا تزال قائمة إلى اليوم. ومن أهم هذه الآثار المساجد والمدارس والزوايا والمقابر الإسلامية. وقد بلغ عدد مساجدها (1000) مسجد منها (300) مسجد بني قبل القرن العشرين بعدة حقب تاريخية مختلفة، و(500) مسجد بنيت في القرن العشرين. كما أن مدينة لا تزال تحافظ على (200) من نسيجها المعماري الإسلامي الأصيل. ولهذا تمّ اختيارها عاصمة للثقافة الإسلامية بعد مكة المكرمة ولقد استطعنا التعرف على عدد من مساجدها وأهمها: جامع القصبة، جامع الحيان، جامع العادلية جامع الوقوية، وجامع الخسروفية، والجامع الأموي الكبير أو (جامع النبي زكريا) الذي بناه الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك على غرار الجامع الأموي في دمشق، في موقع حديقة الكنيسة هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين إمبراطور بيزنطة، والمعروفة الآن بالمدرسة الحلوية. ويتألف الجامع من ثلاثة أروقة وأربعة أبواب وفي صحنه بيران ومئذنة مربعة الشكل تعتبر رائعة من روائع العمارة العربية الإسلامية وعليها كتابات بالخط الكوفي المورق والكتابي الزخرفي. أما المنبر الخشبي في الجامع فيعود إلى القرن الرابع عشر، خشبي مزخرف ومرصع بالعاج [illegible] الأبنوس. وفي قبلة الجامع محاريب ثلاثة وعلى يسار المحراب الحجرة النبوية وفيها مقام النبي زكريا عليه السلام حيث شرع بالصلاة بسلك

قلعة حلب

وإذا كنت في حلب فلا بد لنا من الحديث عن قلعتها الصامدة التي يعود تاريخها الرسمي إلى 5000 سنة. تقوم قلعة حلب فوق تلة طبيعية استعملت كمعابد عبر العصور التاريخية، ثم حصن تحكم اليونان والرومان. وبعد فتح حلب أنشئ في القلعة مسجدان: الجامع الصغير المسمى جامع إبراهيم، والجامع الكبير الذي ترتفع مئذنته المربعة الشكل فوق القلعة بحوالي 21 متر فتطل على كامل المدينة.

حافظت القلعة على قيمتها الدفاعية في العصور الإسلامية الأولى، وزادت أهميتها في عهد الحمدانيين الذين اهتموا بإنشاء عدة أبنية دفاعية وقصور لسكن الأمراء في عهد سيف الدولة. ثم أنشأ نور الدين محمود زنكي في القلعة أبراجاً وجامعاً وأنشأ فيها ميداناً لركوب الخيل والتدريب.

ويرجع الشكل العام الذي نراه حالياً في القلعة إلى عهد الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي، الذي أنشأ فيها عدة قصور وأبراج ومخازن ومدافن، وأصلح سطح القلعة ومنحدرها وكسوها بالحجارة. وبنى فيها مسجداً ومئذنة وممرات سرية وصهاريج وأبنية للضباط والإداريين.

تبرز أهمية القلعة في تعدد الكتابات التاريخية التي يمكن منها تتبع تاريخ حلب، والاستدلال على ما تم في القلعة في العهود التاريخية. ويمكن اعتبار هذه الكتابات والزخارف المنقوشة على جدرانها سجلاً تاريخياً صحيحاً.

فنادق حلب وخاناتها

وينعكس النسيج العمراني في حلب بالخانات التي كان يأوي إليها المسافرون للراحة من عناء السفر الطويل فهي محطة القوافل التجارية على طريق الحرير، وبالإضافة إلى كون هذه الخانات مكان إقامة النزلاء فإنها تضم سوقاً تجارية وسياحية.

وقد سكنت الخانات عدة عائلات أوروبية مستوطنة في حلب، وكان لكل جالية أوروبية خان خاص بها توجد فيه قنصليتها أيضاً.

وقد بلغ عدد الخانات حوالي (190) خاناً، منها (27) خاناً في أسواق المدينة، وأشهرها: خان القاضي وخان الصابون وخان الوزير وخان النحاسين وخان الشونة وخان الجمرك وهو أكبر الخانات حيث تبلغ مساحته حوالي نصف هكتار.

عاصمة الثقافة الإسلامية

وقد تمّ اختيار حلب عاصمة للثقافة الإسلامية بعد مكة المكرمة لتوفر المعايير المعتمدة للاختيار من التراث المعماري المتمثل بالمساجد والمدارس والأبنية الأثرية كالمساجد والحمامات والأسواق المغطاة بالحجر التي يبلغ عددها (39 سوقاً).

بالإضافة إلى الدور الاقتصادي، حيث كانت هذه المدينة محطة مهمة استراتيجية للعبور التجاري والاقتصادي بين الشرق والغرب، حيث كانت تستقبل القوافل التجارية بشكل يومي بمعدل (20) ألف جمل محملة بالبضائع.

وكذلك الرصيد الثقافي والعلمي والفني إذ اشتهر بتصدر حلب بكثرة عدد الأدباء والمفكرين والعلماء فيها (الفارابي) الأول في الفلسفة (ابن جني) الأول في علم النحو (الصنوبري) الأول في شعر الطبيعة (المتنبي) الأول في الشعر، إضافة إلى عامل التراث فلا يكاد يخلو بيت في المدينة من آلة موسيقية. وكما هو معروف فإن مدينة حلب هي مدينة الطرب الأصيل والفن كما هو معروف بالكرم والتألق الإنساني. ومن يريد أن يرى الكرم والضيافة فليزر حلب، فالترحيب به لا يقتصر على الكلام المعسول ولا على القهوة بل يتعداها إلى الموائد العامرة بالأطباق الحلبية الشهيرة التي تمتاز بالبهارات الحلبية المميزة، التي تضفي على الطعام مذاقاً لذيذاً مميزاً.



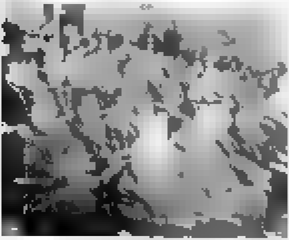
جانب من الاحتفال

دور وسائل الإعلام في إبراز صورة الإسلام في العالم ومعالجة ظاهرة الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا)

انطلاقاً من مبادئ والرسالة الهادفة إلى حماية واستقلال الثقافة الإسلامية من كل غزو فكري أو تشويه إعلامي، ووعياً بأهمية الدفاع عن الإسلام والمسلمين، وضمان موقع متميز للحضارة الإسلامية بين باقي الحضارات الإنسانية المعاصرة، وفي ظل تصاعد الحملات الإعلامية المتحاملة على الإسلام والرامية إلى تشويه صورته؛ فقد تم تنظيم الندوة العلمية حول دور وسائل الإعلام في إبراز صورة الإسلام في العالم ومعالجة ظاهرة الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا)، وذلك في إطار احتفالية حلب عاصمة للثقافة الإسلامية، وبالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، تطلعاً إلى وضع رؤية استراتيجية تبصر بالأهداف والإجراءات الواجب اتخاذها وتحديدها حسب الأولويات، والتعرف بدقة على الإمكانات الواجب توفيرها، ودراسة الظروف المحيطة ووضع البرامج والوسائل التي تحقق الأهداف المقصودة.

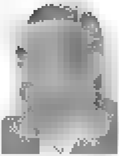
الجلسة الافتتاحية

بدأت الندوة أعمالها بجلسة افتتاحية ألقى فيها الدكتور مصطفى أحمد علي كلمة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، أشار فيها إلى أن الصورة



جانب من حفل الافتتاح

السلبية التي تعمل بها بعض الأجهزة الإعلامية الغربية ضد الإسلام والمسلمين، ليست ظاهرة حديثة، بل ذات جذور تاريخية وفكرية منذ قرون عديدة، إلا أنها تضاعفت وتحولت من عداء للإسلام والمسلمين إلى إشاعة الخوف منه، ووصمه بالعنف والإرهاب ومجافاة المنطق والعقل، وقد ترافق ذلك بالتطور التقني الهائل الذي شهده الإعلام، حيث شرعت بعض الأجهزة الإعلامية الغربية المتحاملة على الإسلام والمسلمين، في الترويج من الرؤى الاستشراقية الضالة المتراكمة عبر التاريخ، وإعادة بثها على نحو واسع وفاعل بين الجماهير، بعد أن كانت محصورة التداول في أوساط النخب.



د. مصطفى سعد

وطالب الدكتور مصطفى بخطة منظمة تسعى إلى الرصد المتواصل لمختلف مظاهر تشويه الإعلام الغربي لصورة الإسلام وحضارته، بالاحتكام إلى أنسب الطرق وأعمقها تأثيراً، وصولاً إلى تصحيح هذه الصورة عن طريق حسن استخدام تقنيات الاتصال الحديثة وإعداد الوسائل الإعلامية والتنظيمية المناسبة واستغلال ما توفره هذه التقنيات من مقدرات لتعزيز الفهم والتفاهم بين الشعوب والحضارات استناداً إلى القيم المشتركة بينها.

ثم ألقى الدكتور محمد بدر الدين حسون كلمة تحدث فيها عن الأمة الإسلامية والعربية التي حباها الله بكل رسالات السماء، وهي تتعرض اليوم لهجمة إعلامية منظمة تسعى للقضاء على فكرها وعقيدتها، والواجب علينا كأفراد وإعلاميين مواجهة هذه الهجمة بمجمع جهود التنسيق بشكل موحد في الميدان العربي والإسلامي، وتضع لها خطة استراتيجية موحدة، وأن تختلف في أسلوب طرحها أو التعبير عنها، ويجب توجيهها إلى الحوار بحوار ثقافي وفكري مع الغرب، تخرج من خلاله صورتنا الناصعة على الخير والسلام لأنه أمر لا إكراه في الدين أصلاً ولا إكراه في الفكر وحرية الإنسان. وأضاف: نحن اليوم من يملك توجيه أبناء عالمنا الإسلامي ليفهموا دور الإعلام ورسالته وليحولوا أن دور الإعلاميين في العالم هو دور الرسل عليهم الصلاة والسلام.

كما ألقى الدكتور المهندس محمد ناصر العبيد محافظ حلب كلمة راعي الندوة الدكتور رياض نعسان آغا وزير الثقافة، تحدث فيها عن دور الإعلام في إظهار صورة الإسلام السمح الحقيقي، ورأى أن للإعلام اليوم الدور الأول في العالم بكل تجلياته، فبعد سقوط المنظومة الاشتراكية أخذت سياسة القطب الواحد تبحث عن عدو جديد لها، ووجدت غايتها في الإسلام، وبهذا الصدد لا بد من التصدي لهذه الظاهرة بإيجاد طريق جاد وإعلام خارجي نظهر من خلاله حقيقة هذا الدين الذي هو بعيد كل البعد عن التهم التي يلصقونها به من قمع وإرهاب، وأكد أن على هذه الندوة مطالبة بوضع الأسس والمعايير التي تشكل البوصلة التي تحدد مسار الإعلام العربي والإسلامي، لإظهار الوجه الناصع للإسلام، في مقابل الهجمة الشائعة المنظمة التي تطالعنا كل يوم.

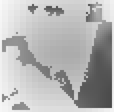
بدء أعمال الندوة

وبعد الجلسة الافتتاحية بدأت الندوة أعمالها في ورشات عمل، تمحورت الأولى حول سبل توظيف وسائط الاتصال المتعددة في إبراز صورة الإسلام في العالم، في حين تمحورت الثانية حول موضوع استثمار البث الفضائي، أما الثالثة فكان موضوعها عن دور الصحافة المكتوبة في إبراز صورة الإسلام.

مداخل للخروج من القطيعة

تحدث الدكتور علي فخرو (البحرين) بأنه ليس من المبالغة القول بأن أحد مشاكل العرب والمسلمين الكبرى

تتمثل في علاقتهم مع الآخر الغربي ... فلا بد من مشكلة كبيرة معصبية في حياة هذه الكتلة البشرية الكبيرة لا بد للغرب فيها بصورة مباشرة أو غير مباشرة ... في خلقها أو بقائها حية أو في تغذيتها عبر العقود الماضية ... حيث وجد العرب والمسلمون أنفسهم في مواجهات مع الغرب لا تنتهي، فما إن ينتهوا من حل مشكلة حتى يدخلهم الغرب في مشكلة أخرى، بحيث يبقون في دوامة التجزئة والتخلف والصراعات والحروب الأهلية وتبديد الثروات وحتى الفشل في مواجهة الاستبداد والفساد في الداخل. وأضاف أنه من الخطأ الاعتقاد بأن هذه العملية نتيجة لأحداث سبتمبر، فالواقع أن اللجنة الأمريكية العربية تشرح في تسعينيات القرن الماضي من جرائم الكره والتمييز ضد العرب، لكن أن تنقلب ذكرى الحادي عشر من سبتمبر بكائية امريكية سنوية تتزامن في كل عام مع حملات ظالمة ضد ثقافة ودين العرب والمسلمين، هو أمر لا يمكن التنبؤ بمخاطره. ويرى الدكتور خشرو أنه لا بد من خطوات عملية عاجلة تتلخص في إجراء حوار مع مكونات الدول الغربية الأساسية، حول امكانية تعديل بعض المضامين لكتبهم المدرسية في التاريخ وعلوم الاجتماع، فمن حق العرب أن يفرد لإسهاماتهم الحضارية والثقافية مكان في كتبهم المدرسية. وأيضا، لا بد من الحضور الإعلامي العربي والإسلامي في كل وسائل الإعلام الغربية من جهة، ووسائل الإعلام العربية والإسلامية المتواجدة في الساحة الغربية من جهة أخرى، وكذلك الأمر بالنسبة للجاليات العربية والإسلامية في الدول الغربية كونها تمثل خط الدفاع الأول والأساسي ضد ظاهرة التعصبية، عن طريق تحسين أوضاعهم المعيشية والثقافية والمهنية ومساعدتهم على تنظيم أنفسهم ككتلة مجتمعية فاعلة.

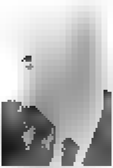


د. علي خشرو

وأكد الدكتور خشرو أنه قبل ذلك هناك الكثير من الخطوات التي تحتاج إلى تعميد داخل البلدان العربية والإسلامية، وعلى ... إجراء عملية مراجعة وتقييم جذرية للفقه الإسلامي نفسه، وخاصة مسألة تنظيم الاجتهاد ليصبح اجتهادا مؤسسيا وليس اجتهادا فرديا.

حاسوب على الأرض ومنارة فوق القمر

يحاول الدكتور مصطفى المصري (تونس) ... أسلوب ... على صورة الإسلام في الحاضر عبر ... ثم مقومات الخطاب الإسلامي الحديث وما يتضمنه إعلاميا، وأخيرا تكنولوجيا الاتصال الحديثة في خدمة الإسلام، مقترحا توظيف منهجية الإعلام الاجتماعي لتحديد الأهداف كجزء من استراتيجية شاملة تقوم على خطة عملية وتقييم مرحلي على مدى التطور، ويتطلب ذلك إيصال رسالة محددة عبر وسائل الإعلام المختلفة ... التقنيات الحديثة للتعامل مع الغرب بشكل يتناسب مع عقلياتهم. وأشار إلى أن هناك الكثير من المسائل التي يجب على الإعلام العربي والإسلامي تجاوزها، كالأخبار التي تنتقص من قيمة المرأة، داعيا إلى ضرورة ... الأمة الإسلامية ... وإلى ... بناء ثقافة ... وكيفية إيصال الرسالة إليه، وتوظيف المناهج الإعلامية الحديثة وبناء استراتيجية واضحة في جوانبها العسكرية والمهنية، والاستفادة من الحاسوب كونه يثبت المقاييس والاعتبارات لنشر القيم الإسلامية الحقة.



مصطفى المصري

تعاني من سطحية الفكر وعجز التقنية

الإعلام هو الذي يسمو بالجمهور، وليس الجمهور هو الذي يسمو بالإعلام، هذا ما تحدث عنه الدكتور

بحر محمد عبد الرزاق القاص الكويت مشيراً إلى التقصير الواضح في وسائلنا الإعلامية وخاصة القنوات التي غالباً ما تستأثر بالمرافقة الأمنية، وهو دليل على سطحية الفكر ومحدودية الأفق ودعا إلى ضرورة تقديم فكر حضاري، في تقديمه تقنية عالية، والسعي إلى تجديد خطاب الإعلامي ليكون خطاباً عاماً والابتعاد عن العنصرية والمذهبية والطائفية التي تكرسها بعض قنواتنا العربية متسائلاً: كان يمكن على أنفسنا؟ وأنت في تواصل الرسول محمد ﷺ مع الآخرين زماناً ومكاناً خير شاهد؟ فخاطب الملوك والرؤساء، وأرسل الرسل الذين كانوا موفقين بإيصال رسائلهم بكل حرفية ومهنية وأخلاقية، ونحن أمة إسلامية لدينا المؤهلات كافة ولكن لدينا تقصير واضح لأننا نركز على اتهام الغرب لنا متناسين اتهامنا لأنفسنا.

كل دعوات الحق تواجه بالهجوم

أي دعوة حق على مر التاريخ تواجه بالهجوم، هكذا بدأ الدكتور محمود عبد الله عاكف مصر مداخلته، مشيراً إلى أن التعامل مع الهجوم على الدعوة الإسلامية أيام الرسول ﷺ لم يكن بردود فعل مباشرة، وإنما كان عن طريق نشر الدعوة والتأكيد على المبادئ الأساسية لهذا الدين، وعلى عاتقنا اليوم تقع مسؤولية نشر هذا الدين من خلال وسائل الاتصال المختلفة، ملخصاً هذه الوسائل في الآتي:

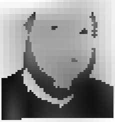
أولاً: الكتاب، فعلى الرغم من تراجع أهميته بسبب التقنيات الحديثة إلا أنه يبقى المرجع الأهم، فلا يخلو عقد مؤتمر أو ندوة منه، ونحن لم نستطع توظيف الكتاب حتى الآن بشكل مناسب لدعوتنا.

ثانياً: القنوات الفضائية (السمعية والبصرية) فهي وسيلة اتصال مهمة ذات تأثير في صياغة الفكر وتوجيهه، فصناعة السينما في أمريكا تصل حتماً إلى كل بيت في العالم، كما يجب أن نوظف التقنيات الحديثة مثل الـ CD والـ DVD لنشر ثقافتنا وقيمنا الحضارية.

ويعتبر الكلمة المباشرة، لأنك تخاطبهم بتقديم نموذج إيجابي إلى العالم لا ينعزل عن مفاهيم أساسية أهمها الحرية بطريقة يفهمها الآخر ويحترمها.

بين المرسل والرسول والرسالة

تناول الدكتور محمد بدار الخبير في سوريا إلى أن في كثير من الأحيان يختلط بين المفاهيم، والإعلام هو مرسل يوثق به، والرسول يؤدي الرسالة، والرسالة تحقق مصالح الإنسان في الكون، وإذا ما نظرنا إلى المرسل في الرسالات السماوية للإنسان فمصدرها واحد هو الخالق، لذلك لا تعدد في المصدر، وإنما ظهر هذا التعدد بسبب بعض رجال الدين وبعض الساسة عندما أعطوا الدين صبغة سياسية ومذهبية، من هنا لابد من التأكيد على وحدة الرسل التي نحتاج الكثير من الصدق في العالم، يقول الله تعالى:

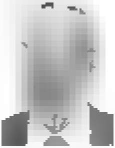


﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾

(سورة الأنعام: الآية 124)

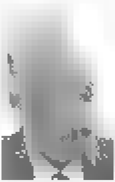
فتوجيه هذه الرسالة يجب أن تكون معبرة، والسؤال الذي طرحه الشيخ حسين هو: هل إعلامنا اليوم صاحب رسالة أم هو إعلام تجاري؟ وهل يمشي إلى إنسانية الإنسان أم إلى طائفة أو جماعة؟ أما فيما يتعلق بالرسالة فأكد على أنها هي جوهر عملية الاتصال، وهي بالتالي يجب أن تتمتع بمضمون حضاري وأخلاقي يلتقي مع الآخر كإنسان بعيداً عن التطرف والتعصب والطائفية.

الاستشراق الصحفي


جورج جبور

وتحدث في هذا المحور الدكتور جورج جبور (سورية) مشيراً إلى انتشار ظاهرة الاستشراق الصحفي، بحيث أصبح بعض الصحفيين نوعاً من أنواع المشوهين لصورة الإسلام والمسلمين في الغرب. وأشار إلى أهمية الجانب الاقتصادي وأثره على توجيه الصحافة الغربية في كل مناطق العالم من خلال الملكية، وكذلك إلى الجانب السياسي مستشهداً باستقالة رئيس تحرير مجلة (باري ماتش) حيث أجبر عليها. وتوقف الدكتور جبور عند مسألة إغفال دور العرب المسيحيين في تحسين صورة الإسلام، منوهاً بالدور الذي يستطيع العرب المسيحيون القيام به من حيث إنهم يستطيعون تقديم شهادات حية على التسامح الذي هو أهم خاصية تتحلى بها الحضارة الإسلامية. واختتم الدكتور جبور مركزاً على العلاقة بين السياسة والإعلام، وطالب بوضع مفكرة إسلامية سنوية خاصة بالمناسبات التي يمكن للإعلام تناولها ويخدم من خلالها قضايا الإسلام.

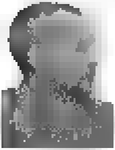
استثمار البث الفضائي في إبراز صورة الإسلام


أحمد عبد الله

عن كيفية استثمار البث الفضائي في إبراز صورة الإسلام في العالم تحدث الدكتور أحمد عبد الله (قطر) عن اهتمام وسائل الإعلام الغربية بنقل الأحداث والصور والحكايات التي تخص الإسلام، وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر. ومن هنا ركز في بحثه على حالة الإعلام بشكل عام في العالم الإسلامي، مشيراً إلى ملامح تشكيل الرأي العام الغربي بهذا الإعلام من خلال بعض المحطات العربية الإسلامية التي تبث برامج باللغة الإنكليزية سعياً منها إلى تعديل الصورة النمطية ضد الإسلام والمسلمين في الذاكرة الغربية. ورأى الدكتور عبد الله ضرورة استنباط برنامج عمل تصحيحي يقوم على:

- أولاً: قيام المنظمة بإنتاج حلقات عن دور الإسلام في العصور الذهبية بعدة لغات وإهدائها إلى المحطات العالمية.
- ثانياً: الاتفاق مع محطات عالمية أو عربية، على إنتاج برامج راقية تبتعد عن النظرة الضيقة للإسلام.
- ثالثاً: تمويل برامج في المحطات الغربية الأكثر مشاهدة حول حقيقة الإسلام، ورفض النماذج التي تشوه المجتمع العربي من صورة المسلم.

دور البث الفضائي في تصحيح صورة الإسلام


التيجاني إبراهيم

تحدث الدكتور التيجاني محمد إبراهيم (السودان) عن كيفية الحد من ظاهرة الإسلاموفوبيا، معرفاً هذا المصطلح وماهيته، الذي نشأ مع بداية الصدام الفكري والحضاري مع الغرب، وسخرت الأقلام والصحف والإذاعات والسينما وغيرها من الوسائل الإعلامية لتصوير أي صراع يجري على الشعوب الإسلامية الفقيرة، مشيراً إلى التحديات التي تواجه العالم الإسلامي (التحدي الثقافي، فلا نزال مستهلكين ولاهثين

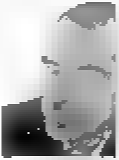
وراء تطورات التكنولوجيا، والتي لم تفلح في حسن توظيفها بما يحقق الرسالة والهدف.

(التحدي الفني): عدم التركيز على إعداد الفنيين وأكفاء المخرجين القادرين على مواكبة تطورات التقدم ويجتهدون في توظيف التقنية والعلم.

تحدي الأسلوب: فنحن نعاني من وحدة وسلامة الأسلوب الإعلامي، وتنقص برامجنا جاذبية العرض والتعبير الشكلي.

مقدماً في نهاية بحثه مجموعة من المقترحات والتوصيات التي تؤكد على ضرورة وضع استراتيجية عربية موحدة للإعلام العربي، والمبادئ الأسس والمعايير العلمية التي يقوم عليها الإعلام الإسلامي مع ضرورة الاهتمام بكل الملامح العربية والاهتمام بالواقع الإبداعي والتقني التطبيقي وأخيراً مواكبة الأحداث العالمية ومتابعة نتائج البحوث والدراسات والمؤتمرات العلمية التي تخدم المجال الإعلامي.

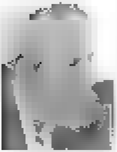
دور الإعلام في مواجهة تشويه الصورة



محمد صادق العصيلي

قدم الباحث محمد صادق العصيلي بحثاً تحدث من خلاله عن مصطلح (سوسيولوجية في عالم معاصر) بالنسبة كي شيء متحركاً حتى غدت رأسمالاً ما من يملكه هو المتحكم بالجماعة، ويستطيع توظيفه في صناعة الرأي العام الذي يريد. ويرى الباحث العصيلي أنه من المطلوب أن يصل للعولمة، أي المادة للقادم، كما هي إلى وسائل الإعلام، ومن مصدرها قبل أن يتصرف بها أهل الاختصاص، وأن نسعى إلى تصحيح ثقافة الإعلام المسؤول، وأن نتجنب المقاطع التي تهدف من التسلل الإعلامي أو الصحفي والسعي إلى استخدام الثقافة الصحيحة المركبة في الإعلام، وتيسير الخدمة ذات البعد الواحد، من أجل تصحيح الصورة الأصيلة لنا، عن حضارتنا وديننا وثقافتنا الإسلامية.

الإسلام.. تقديم الذات للآخر
فكر وآليات الخطاب نموذجاً



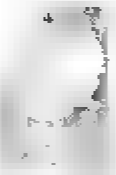
عدنان الصباح

الدكتور عدنان الصباح فلسطين قدم بحثاً عن تقديم الذات للآخر، رأى من خلاله أن العالم الإسلامي يعاني من الصورة التي يرسمها له الإعلام الغربي والتي ترسخت وتمت بعد أحداث سبتمبر، ومن يتابع للتطورات التي جرت بعدها، يرى أن الغرب، وفي مقدمته الولايات المتحدة الأمريكية، كانوا بحاجة لتعميم إثباتات على ما يقصدونه من رؤيا عن الإسلام والمسلمين، وأن المشكلة لا تكمن أبداً في الغرب بل في صورتنا كما نرسمها نحن، ونتساءل عن رؤيتنا لأنفسنا؟ وعن القناعات التي نحملها؟ وعن رؤيتنا للآخر؟ وأية صورة نحملها له؟ وما حجم المرونة لنمط تفكيرنا؟ وما هي الأدوات التي نقدمها للآخر لمواجهته للمساهمة في رسم صورتنا؟ وهل نحن نستثمر هذه الصورة لم تشترك الدوائر والجهات المعادية في رسمها؟ وأشار إلى حادثة الرسوم الكاريكاتورية، وما رافق ذلك من مظاهرات وأعمال احتجاج عمت بلادنا دون أن تؤثر على الآخر، بل إن بعض تلك الأنشطة تسببت بالدمار لمؤسسات وثروات بلادنا.

المصطلحات الإعلامية
ومرض الخوف من الإسلام

هل ساهمنا في صنع ونشر ما يتسبب من مصطلحات؟ أم أننا استعملنا واستخدمنا في وسائلنا

الإعلام هاهم لتسويقه تماماً من مصطلحات بعد التساؤل بعد الدكتور عبد العاطي محمد عبد الجليل نبيباً مداخلته مشيراً إلى أن عدد لا بأس به من المصطلحات المتعلقة بالإسلام والمسلمين هي من صنع غربي والترسيخ

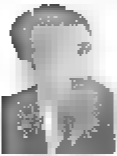


عبد العاطي محمد عبد الجليل

مرض الخوف من الإسلامي انعكس الإعلام حول التعبير الأمثل من حيث الاستخدام وإن كان الإعلام في الدول القوية مارس الهجوم فإن الإعلام في الدول الإسلامية مارس دور المدافع التبرير والدفاع عن الإسلام وكأنه في موقف ضعيف بينما يجب أن الإسلام في موقف قوي ولكن للأسف لا يشعر به المسلمون ويجب ذلك في انتشاره بكل مكان.

ويرى الدكتور عبد العاطي أن الخطاب الإعلامي الذي نحتاجه ليس مجرد قناة فضائية دينية وليس مجرد صحيفة أو مجلة دينية بل الخطاب الإعلامي الذي يقدم الصورة بوضوح وبساطة لا يعيش في الماضي ولا يقف على الحاضر ولا يصادر المستقبل ومن منهم حياة الناس يرعى مفاهيم وثقافاتهم وخصوصياتهم مع عدم التنازل عن الثوابت وأكد أن الإعلام في الدول القوية يعمل مبدأ حرية التعبير فيما يتعلق بالغير من منطلق ومنظور لا يضع في اعتباره تحديد معنى الحرية وعدم الأخذ في الاعتبار الفارق بين الحرية الشخصية والإباحية على سبيل المثال أو التحرر والإساءة للآخرين.

للغرب عبر اعتبار أنه المصطلح الأكثر تعبيراً عن مصدر الخوف والتوجس من انتشار الإسلام وصعود قوته الدينية والثقافية والبشرية داخل المجتمعات والدول الغربية وقد عزا الدكتور عزالي السبب عند الخوف من



د. حسن عزالي

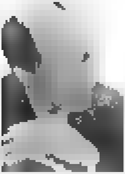
الإسلام الى قدرة الإسلام على الانتشار والامتداد وإقبال الغربيين على اعتناقه بكافة الثقافية وبطواعية وتزايد أعداد العرب والمسلمين في البلدان الغربية وحصول بعضهم على مقاعد في البرلمانات وتسلم بعضهم مناصب في مجالات حيوية بالإضافة الى العلاقة غير المستقرة بين الإسلام والغرب عموماً من هنا يأتي دور الصحافة الكويتية لما لها من دور قوي في إبراز صورة الإسلام وكذلك بعض دور المؤسسات والمراكز الثقافية والمنظمات الإسلامية في البلدان الغربية، والتفكير في توسيع فكرة استثمار صفحات أو أعمدة في الصحافة الكويتية العربية والاستفادة من جهود الكفاءات الإسلامية المهاجرة التي أخذت مكانها في منظومة العمل الثقافي والإعلامي وأخيراً دعوة وتشجيع قادة العمل الثقافي الإسلامي في الغرب إلى الإسهام بالكتابة في النشريات الصحفية بما يخدم مجال التعريف بالإسلام.

دور الصحافة في تصحيح صورة الإسلام في الغرب ومعالجة ظاهرة (الإسلاموفوبيا)

لقد أصبح مصطلح (الإسلاموفوبيا) مصطلحاً جامعاً ودالاً على عمليات التشويه والتجريح لصورة الإسلام، عند ما أشار إليه الدكتور حسن عزوزي

مصادر الرؤية الإعلامية الفرنسية للإسلام

وتحدث الدكتور صادق رابح الإمارات العربية المتحدة عن إشكالية المنظور العربي في الغرب وفرنسا بوجه ضمن



د. صادق رابح

إشكالية كبرى، وهي إشكالية المغايرة والمغايرة مفهوم حاضر في كل الثقافات وقائم على أساس ثنائية الاختلاف بين الأنا والآخر. ويعني الدكتور رابح دراسته على الرؤية الفرنسية الغربية عموما إلى الإسلام، فيرى أنها محصلة تراكمات تاريخية عدائية ولا تزال مجموعة من التمثيلات والقوالب المنمطة التي لم تخلُ المنظومة الإبستيمولوجية الغربية في تشكلها، وأشار إلى أن صورة الإسلام في الغرب حالياً وتحديداً فرنسا والتي يطلق عليها تاريخي البعث الأكبر للكنيسة ... خروج مكاتب بل إنما تتقاطع مع التجارب الأوروسطية اللاهوتية في مضمونها ومحتواها، وعلى الرغم من كل مفردات الصورة المشوهة عن الإسلام، فإن مسعى التآخي بين الأديان بدأ يستمد مشروعيته للوقوف في وجه مخطط الإقصاء الذي تمارسه جماعات الغلو والتطرف في المجتمعات، من أجل خلق تواصل حضاري مبني على قبول الآخر باختلافه الديني والحضاري.

توصيات الندوة

وبعد مناقشة أوراق العمل بين الباحثين والإعلاميين المشاركين في الندوة، توصل المشاركون إلى اعتماد التوصيات التالية:

1. الدعوة إلى صياغة خطاب إعلامي واضح يعتمد على المبادرة وليس رد الفعل.
2. دعوة الإيسيسكو مع المؤسسات التربوية والثقافية والإعلامية والتموينية إلى التعاون في إعداد مشروع رقمي متكامل يشتمل على منظومة معلوماتية ومؤسسات إنتاجية تعمل على تقديم الفكر والثقافة والقيم الإسلامية.
3. تعزيز سبل التعاون والتنسيق بين مختلف الجهات والمؤسسات التربوية والإعلامية والثقافية والتموينية لاستثمار البث الفضائي في إبراز صورة الإسلام في العالم.
4. دعم فكرة إنشاء مرصد لتجميع وتحليل المعلومات والأفكار التي تتناول الإسلام وحضارته بالتشويه.
5. تعزيز الانفتاح على مؤسسات المجتمع المدني، والاهتمام بالدبلوماسية الشعبية، وتوظيف السياحة الثقافية.
6. دعم الجاليات والأقليات الإسلامية في الغرب لتوضيح صورة الإسلام.
7. الدعوة إلى بناء جسور الحوار والتواصل مع المختصين من الإعلاميين والمفكرين.
8. دعوة الإيسيسكو للقيام بدراسات ميدانية تبحث في ظاهرة الإسلاموفوبيا.



- وصية شاعر
- عظماء ومشاهير معاقون غيروا مجرى التاريخ
- الإعصار و(ماري دل مار) لوحتان لـ هانتاس)

وصية شاعر *



إيليا أبو ماضي

إنْ أنا أغمضتُ للموت جفوني ... ودوى صوتُ نعيي في [illegible]

لا تصيحوا وا حسرتاه وا ثكلا ... يدرك السامعون ما [illegible]

وإذا [illegible] والحسرات [illegible] ... قد محى [illegible]

لا تشقّي عليّ ثوبك حزناً ... لا ولا تذرفي الدموع [illegible]

عالمي الباسم [illegible] ... يشتكون [illegible]

وإذا ما العارضان [illegible] ... ورأيت [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

***

وإذا الساعة الرهيبة حانت ... ورأيت [illegible]

وسمعت [illegible] ... غيرة الوحي [illegible]

ودنى [illegible] ... بالذي [illegible]

[illegible] ... [illegible]

***

وإذا ما جلست [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... ذلك [illegible]

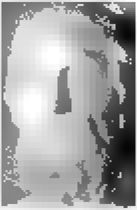
وانثري الورد [illegible] ... [illegible]

**

* عثر على الوصية ضمن الأوراق الخاصة للشاعر المهجري إيليا أبي ماضي ولم تنشر ضمن دواوينه

عظماء ومشاهير معاقون

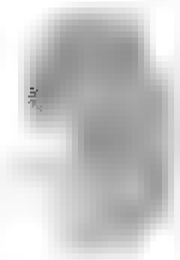
«العقل السليم في الجسم السليم» حكمة مشهورة، أو مثل قديم يسير على ألسنة الناس منذ عهد بعيد، ونجده في عدة لغات العالم، وإن بصياغات مختلفة. غير أن من يتأمل سيرة حياة العباقرة والمبدعين يجد أنهم من أكثر الناس تألماً بالمصائب والمصاعب. وفي واحة هذا العدد نقدم للقراء الكرام نماذج لعباقرة عرفتهم أمراض عدة، وشابت حياتهم أطوار حادة وعلل مختلفة.



هوميروس

الشاعر الضرير صاحب أعظم الملاحم البطولية في التاريخ

يذهب بعض الدارسين إلى أن هوميروس كان ضريراً لا يبصر، أو كان مبصراً في أوائل أيامه ثم فقد بصره، ويذهب آخرون إلى أنه كان فاقد البصر طوال حياته. ولد من أبوين فقيرين في [illegible] [illegible] بآسيا الصغرى، [illegible] في صباه [illegible] القصائد وحفظ الأناشيد، وفي شبابه بدأ يتغنى بأشعاره، فلم يلق إعجاب سامعيه الذين [illegible] ولم يشجعوه، فذاق مرارة الفقر، وعلى [illegible] [illegible] في إنشاد الشعر [illegible] [illegible] الأشراف إلى [illegible] في قصورهم والمدح [illegible]. [illegible] في [illegible] [illegible] في شعره من تمجيد لأبطالهم وإشادة بمناقبهم. وهكذا أتيحت له فرصة زيارة كثير من البلدان ودراسة معتقداتها والوقوف على أحوالها ومعرفة عادات شعوبها، فكانت مصدراً لمعلومات التي [illegible] [illegible] قصائده التي صاغها في قالب قصصي وأسطوري يوناني، يجمع بين الحقيقة والخيال. [illegible] هوميروس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بلغ بشعره أرقى شأن [illegible] [illegible] في تلك العصور، وتمثل ذلك بجلاء في ملحمتيه الخالدتين «الإلياذة» و«الأوديسة» اللتين [illegible] [illegible] صاحب أعظم الملاحم البطولية في التاريخ. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في الأدب العالمي.

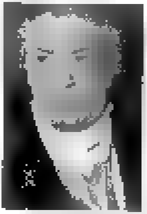


هيلين كيلر

مؤلفة عمياء وصماء وبكماء !!

تعتبر هيلين كيلر أن العمى ليس بشيء، وإن الصمم ليس بشيء، فكلنا في حقيقة الأمر عمي وصم عن الجلائل الخالدة في هذا الكون العظيم.

ولدت هيلين كيلر في ألاباما بأمريكا عام 1880 [illegible]، وعندما بلغت الشهر الثامن عشر من عمرها أصيبت بمرض تركها فاقدة للنظر والسمع والنطق، فأصبحت تستخدم في طفولتها الإشارة للتفاهم مع من حولها، وعندما بلغت سن السادسة عرضها أهلها على الطبيب الذي فحصها وما أوصى به [illegible] عرضها على [illegible] حيث [illegible] مدرسة خاصة [illegible] الطفلة لتقويم سلوكها وتعليمها، وقد بقيت معها مدة [illegible] منذ أن [illegible] صداقة [illegible] وخلال هذه الفترة الزمنية الطويلة استخدمت المدرسة طريقة خاصة لتهجئة الكلمات عن طريق [illegible] داخل الكف، ومن خلال هذا النوع من الترجمة أصبحت الطفلة تجيد القراءة والكتابة بطريقة برايل، وعندما بلغت العاشرة أصرت على تعلم الكلام والنطق فاستجابت المدرسة لطلبها بعد أن لاحظت أن هيلين بمكنتها فهم الأصوات والتعرف عن طريق لمس حنجرة المدرسة وتحسس الذبذبات الصوتية بواسطة اللمس، وفي العشرين من عمرها التحقت بكلية رادكليف بصحبة مدرستها التي كانت تترجم لها المحاضرات بطريقة اللمس على كفها، وبعد أربع سنوات تخرجت [illegible] ووهبت حياتها لمساعدة أمثالها المعاقين، وذاعت شهرتها في العالم بعد أن كتبت بعض المقالات في الصحف والمجلات حول مواضيع حساسة كانت غير مطروقة في ذلك الوقت، ثم كتبت [illegible] بعض مؤلفاتها التي منها [illegible] حياتي، وفي عام 1902 وضعت كتابا عن تاريخ حياتها، وعام 1908 وضعت كتابا عنوانه (العالم الذي أعيش فيه)، وفي عام 1913 وضعت كتابها المشهور (الخروج من الظلام).



بيتهوفن

الموسيقي الذي تغلب على صممه

وُلد في بون عام 1770 لأسرة فقيرة [illegible] الموسيقي [illegible] حين تلقى عن والده دروسه الموسيقية الأولى ثم تقدم سريعا في هذا المجال، وبالرغم من نجاحه المبكر إلا أن القدر لم يهب بيتهوفن حياة سعيدة [illegible] ولما كان عصبي المزاج فقد كانت حياته قلقة فكثيرا ما كان ينتقل من مسكن إلى آخر وكثيرا ما كان يتشاجر مع أصدقائه كما كان سيء الحظ في الحب ولهذا لم يتزوج قط ولا شك لم ينعم بلحظة بهناء البيت والأسرة ولم يكن يتمتع بالحس الجمالي الذي يشد انتباه الناس أو يجذب عطفهم إليه [illegible] قصير [illegible] ضخم، فضلا عن طبيعته الخشنة ولهجته الريفية والنوبات العصبية التي كانت تهاجمه من وقت لآخر. لكن المأساة الحقيقية التي ألمت به هي إصابة أذنيه بالصمم الذي [illegible] وله من

العمر ثلاثين عاماً. ثم عاد يشرح مع سنوات حياته تدريجاً إلى أن أصيب بالصمم كلياً في تحرمه، واضطره توقف عن التأليف الموسيقي وحفلاته عاش في عزلة وفقر مدقع، يائساً من الاستماع إلى عزف لمسامعه على البيانو. ... ورغم ... انصرف كلياً عما يحيط به، وكرس حياته للموسيقى تماماً، وأنتج خلال سنواته الأخيرة بعضاً من أجمل أعماله. توفي وعمره [illegible] عاماً



أبو العلاء المعري

الأعمى يبصر الحياة

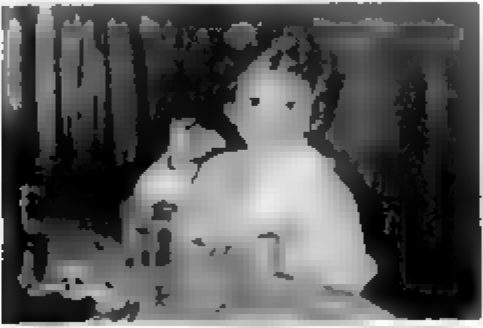
ولد وحيداً لأبويه ... مرموقاً من ... عمامة وأخواله بالعلم والوجاهة. وهو في الرابعة من عمره فقد بصره بعد معاناة طويلة مع مرض الجدري، فلم تبق ... سوى عينه اليسرى غائرة كحصاة، واليمنى ناتئة قد غطاها سواد ... وتكونت ... في بعض نواحيها. وترك الجدري ندباً متفاوتة في جلد وجهه ... إذ سخرية الصبية من أقرانه ... وارتسم ... الأسى فيه أنه عالة على الغير في كل شيء ... سراً أو جهراً صراحة أو تلميحاً، فانطوى على نفسه زاد الوحدة ... وأقبل على حفظ دروسه التي حرص أبوه على تلقينه إياها: القرآن الكريم والنحو وعلوم اللغة والأدب ... فأعجب بفكره ... محتواه الكتاب ... من ... وأشعار تتعلق بالكون والإنسان والموت والبعث. كان أبوه شاعراً ... غير ... في جادة الشعر، وكان أبوه أستاذه الأول ... بالاستعانة بالتنقل ... لا يرجح ... ميسوراً؟ بعد أن شد الرحال إلى حلب ... النحو واللغة، ثم إلى أنطاكية، ثم إلى اللاذقية، ثم إلى طرابلس ... مطالع في مكتباتها ... العربية الإسلامية وما نقلته عن الإغريق والفرس والهنود ... لتحصيله ... أكثر من ... أستاذه ... وسعة علمه وموهبة شاعريته ... وجدانه ... ولكن ... عن عالمه ... بين قد الطموح ... الوسيلة بين إرادة الحياة ... يمنى البصر ... نور البصيرة. وإن يكن عاش في سجن ... فقد ... وجدانه ... الرؤية ... البصيرة التي ... الدنيا ... إلى ... في ... ولكن ... فلا يخوض معركته في ... الدنيا وتعلقه بها ... رقص الظلم والبغي والتضليل والنفاق

الشعر كتاب ... سعيد ... عن ... الطريق
تأليف ... الشرقاوي
الناشر دار الكتاب العربي ... القاهرة

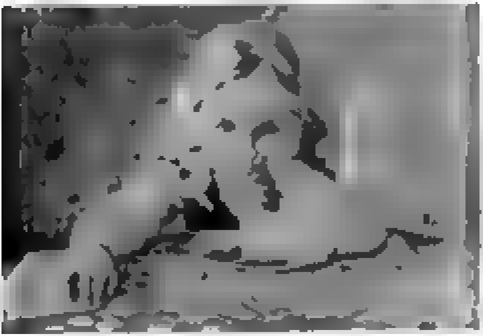


خوسي ماريا فالفاس

- [illegible] مسيحي
- [illegible]
  [illegible] سنة 1947 مسيحي، وجائزة [illegible] سنة 1947 مسيحي
  [illegible]
  إلى عدة جوائز أخرى
- [illegible]
- [illegible]



[illegible]



[illegible]

[illegible]



• كيف يكتب الألمان التاريخ الأمريكي؟!

قراءة في كتاب: رحمتك يا الله! صفحات مجهولة من تاريخ أمريكا!

• المكتبة

كيف يكتب الألمان تاريخ الأمريكان؟!

قراءة في كتاب: (رحمتك يا الله! صفحات مجهولة من تاريخ أمريكا)

عرض: د. عبد القاضي محمد عبد الجليل *

كيف يكتب التاريخ؟! سؤال ظلت أنه لا معنى له، فالتاريخ يكتبه الأقوى... وبحثت أن لهذا السؤال أكثر من جواب، وإجابات، فهناك من يكتب التاريخ حين يسرد الأحداث، وهناك من يكتب التاريخ حين يحلل الأحداث، وهناك من يكتب التاريخ حين يدرس ما جرى من زوايا متعددة.

المؤلف في سطور



ولد يواخيم فرناو سنة 1909م، وعمل صحافياً حراً معظم أيام عمره في ميونيخ في ألمانيا وفي توسكاني في إيطاليا.

جميع كتبه كانت من أكثر الكتب مبيعاً، وترجمت إلى عدة لغات، توفي سنة 1988 في فلورنسا.

(الناشر)

كيف يكتب التاريخ؟! سؤال فاجأني حين جاءت وبدأت قراءة كتاب مجمع بعنوان "رحمتك يا الله صفحات مجهولة من تاريخ أمريكا" للألماني "يواخيم فرناو" والمجتمع قد لا يكون جاداً... وهنا يطل السؤال: ما الفرق بين عرض التاريخ وسرده؟ وسؤال آخر: هل من الممكن وهل من المستطاع أن يكتب التاريخ بأسلوب عربي؟! هل كان (فرناو) منصفاً وهو يعرض تاريخ أمريكا؟ أم أنه كان ألمانياً رأى بأم عينيه الحروب المتوالية منذ الحرب الأولى وحتى العقد الثاني من القرن العشرين، والتي كانت فيها أمريكا وألمانيا على طرفي نقيض، وعاش أحداثاً جساماً جرّت ويلات عانت منها بلاده، وذاق مرارة الدمار الذي عاشته بلاده. هل كان (فرناو) مؤرخاً محايداً ومنصفاً ومتجرداً؟!

جابت كثيرة يمكن تصورها لدى أحرك معنى (الإنصاف والحياد والتجرد) ليس باعتبارها كلمات مجردة فحسب، ولكن في نفس لا طائل من ورائه، ولكن أيدينا الكتاب الذي يجيب سؤاله عن موقف المؤلف ممن يؤرخ لهم أو يستعرض تاريخهم أو يسرده أو يحلله. والحقيقة أنني وعند قراءة الصفحات الأولى من هذا الكتاب تذكرت عدداً من الكتاب من أمثال الكاتب الأمريكي الساخر "صمويل لانجهورن

* صحفي وكاتب ليبيا، جامعي ليبيا.

* الرسوم والصور المصاحبة هي مدرجة في الكتاب

• العنوان الأصلي للكتاب

Halleluja Die Geschichte der USA

• تعريب: محسن كيلو

• الطبعة الأولى سنة 2003

• الناشر: شركة تموز الثقافية

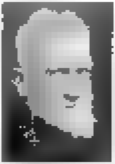
يعرض مؤلف الكتاب، بأسلوبه الخاص، وجهة نظره في عرض أحداث ما جرى في أمريكا: تلك البلاد ذات الإمكانات التي لا تعرف حدوداً، بطريقته الساخرة والمسلية. إنه يكشف للقارئ عن خفايا ما جرى في أمريكا قبل الاستقلال وبعده، ثم يبحث في تشكيل هذا التجمع من الولايات بعد الاستقلال، وكيف صنع الدستور، والمشكلات التي نشأت بين ولايات الشمال وسيطرتها على ولايات الجنوب، ومشكلات الأفارقة الذين سيقوا عبيداً إلى أمريكا، والحرب الأهلية الأمريكية ونتائجها، ويسلط الضوء على القوى الاقتصادية والنافذة التي حركت السياسة الأمريكية والتي أثرت في مجرى التاريخ الأمريكي حتى يومنا هذا.

الناشر



بعض طبعات الكتاب

كمسرحي المعروف باسم «مارك توين» والأديب الذي لا يقل شهرة «جورج برنارد شو». ولعل من بين الأسباب التي ذكرتني بهذه الأسماء هو إحساسي بأن يوخيم فرناو ينتمي للمدرسة نفسها التي ينتمي إليها (مارك توين) والتي أطل ... في أصحابها استعملوا السخرية وهم يطلون على الناس بطريقتهم الخاصة المباشرة الساخرة، وربما المتحاملة ... ولم يخف فرناو ... وجعله يذكرهما في كتابه هذا.



جورج برنارد شو

الكاتب يسهب في عرض بداية الهجرة البيضاء إلى القارة الحمراء، ويصور ما حل من إبادة بسكانها (الهنود الحمر)، ويكاد يجسد بكلماته عذابات السود منذ استعبادهم وحتى تحررهم، سواء في قاع المجتمع أم على يد الرجل الأبيض... ثم يتفرع بعد استقرار الأمور للرجل الأبيض رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية منذ (جورج واشنطن) وحتى (جيرالد فورد).

في خضم الأحداث التي يعرضها أو يسردها أو يحللها يفسح المؤلف مجالاً واسعاً لـ... الذي يراه المحرك الحقيقي لكل ما ... الفعلي مما جعلت الولايات المتحدة الأمريكية والعالم من أحداث غريبة وعميقة التأثير ليس على المستوى الأمريكي الداخلي فحسب وليس على مستوى الحاضر فحسب، بل ينسحب التأثير على المستقبل المنظور وغير المنظور.

لم ينس فرناو أن يحلل معنى الثورة والديمقراطية، يبدي رأيه أحياناً، ويسوق آراء ... لا يأمن به من الفلاسفة والمفكرين والساسة منذ سقراط وحتى منتصف القرن العشرين المنقضي، كما لم ينس غزوات ... الأوائل من إسبانيا وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا وألمانيا

وأيرلندا. الذين يرى أنهم في معظمهم كانوا مهمَّشين أكثر من كونهم مهاجرين، والحقيقة أنه استطاع أن يعيد رسم المشهد الذي اختلطت فيه عروق وثقافات مثلما اختلطت فيه دماء البيض والحمر والسود، وإن كانت دماء الحمر والسود أكثر غزارة لأنهم كانوا الهدف الذي انصبّ عليه حقد القادمين من وراء المحيط.

ثم يضع (فرنان) عناوين لأبواب كتابه كما ثم يضيف بعد عناوين تشبه تلك الأبواب.

يخيل إليك وأنت تتصفح الكتاب أن المؤلف يحاورك، يستفزك أحياناً، يثير فيك حب الاستطلاع، لكنه ينقلك كما يريد إلى حيث أراد يتلاعب بك كما يريد.

المشكلة التي تواجهك حين تقرأ الكتاب تكمن في أنك لا تستطيع أن تختزل منه ما تريد، فأنت ستجد أم أبيت مضطر لأن تقرأه دون توقف ودون تفكير في أن تختصره، وهذا ما جعلني أحجم في مرحلة بادئ الأمر بعد كلما حاولت أن أنتقي جزئية من جزئياته أحس أن الأمر غير مستقيم، لأنني لا أروج للكتاب ولا أمدح الكاتب، لكنني أقر حقيقة، وإن كانت تصور مدى عدم قدرتي على عرض هذا الكتاب كاملاً، في الوقت ذاته لا أتمنى أن يحمل الكتاب معنىً غير المتداول.

لا شك أن أهم القضايا التي يثيرها ما دفع بي إلى انتقاء تركيب ما يتعلق بكل قضية دون تفكيك النص الأصلي، وهذا يعني ببساطة ضم ما قاله فرنان في الصفحة 380 مثلاً إلى ما قاله في الصفحة العاشرة، وهكذا.

الانجليز والفرنسيون وعلم أمريكا

كان من المصطلحات التي ارتداها العسكريون في أمريكا قبل استقلالها أحمر للبريطانيين وأزرق للفرنسيين، ما علاقة ذلك بالعلم الأمريكي الحالي الذي يتكون من اللونين الأحمر والأزرق؟!

لن أزعم أنني أحلل الكتاب أو أنقده، إذ يكفي القول أنني أحاول تقديمه وعرضه.

***

بدءاً من الصفحة الأولى لا بل من بعد الأسطر الأولى يصر فرناو على وجهة نظر، يصرح أنه تسلم سنة 1945 رسالة من أمريكي كتبها صديقة قديمة، أكد لا شك في أنها أمريكية، بها جملة واحدة كانت تحتقر الآخرين جميعهم، بعد سنوات تذكر فرناو في الرد على تلك الرسالة لكن لا أتذكر وقتئذ كانتهت، فكر إليه بجملته وقال: وكلا الأمريكيون قوم طيبون في أعماق قلوبهم، ولقد رسموا لنا طريقاً مليئة بالطعم حين كنا جياعاً، فلا تنس هذا أبداً. (ص 3)

هل كان فرناو يدرك أبعاد ملاحظة صديقته الشقراء؟ أم أنه كان كذلك

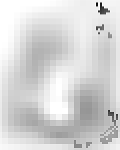
ثم مرة سأل فرناو صديقته وصفها بالبرجوازية: ألم تستمع لنتيجتها عشاء بعد عشاء الاستماع إلى موسيقى الأمريكيين وبرنامج فليمنعه تزينه كلمة زيزي؟ فأجابته الأمركة مثل من أعمال الشيطان، يمتص الشعب الأمريكي طيب (ص 5)

هل أراد فرناو حقاً أن يوهمنا منذ الوهلة الأولى بأنه مقتنع بطيبة الشعب الأمريكي؟ أن أنت وإن لقي. ويبدو أنه قد يشعر كذلك لدى بعض قرائه لذا أوصى لقارئه بضرورة تصديق هذا الأمر بقوله: وإنه شيء يبعث على الرضى أن نعرفه معجباً أمين كهذه، يجعلنا اليقين نريد البدء بقراءة تاريخ هذا الشعب الطيب. ص 6

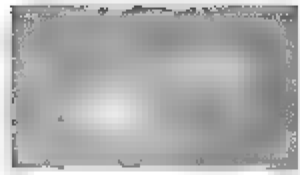
حسن، سلَّم بيرطين حين أنه يمضي ما يقول!

الحق على الألمان والانجليز

نعرف أن أمريكا أخذت اسمها من (أمريجو فيسبوتشي AMRIGO VESPUCCI)، فهل سأل أحد منا نفسه عن الشخص الذي ألصق اسمه بهذا



أمريكو فسبوتشي



خريطة فالدسي مولر تبين أمريكا قارة منفصلة

لجزيرة الطاهر والبرية من الأرض)، يتساءل فرناو ويضيف ... ولكن أمريكو لم يكن مكتشفا للعالم الجديد ولم ير أمريكا الشمالية ولو مرة واحدة. وكان كما يصفه فرناو كتاب محترفا ولم يكن لديه أية فكرة عن إطلاق اسمه عليها» (ص 6)

من المسؤول عن هذا الأمر؟ ومن تظنون أنه كان؟ يتساءل فرناو ويجيب: «إن نسبت لعمر الألمان سبب كاف لتخجل من ذلك لأن المذنب كان ألمانيا، ذلك إن الجغرافي "فالديس مولر WALDSEE EMULLER" أصدر أول خارطة عن العالم الجديد، وتحمس في الوقت نفسه فأعطى القارة اسما، فقد ترجم فالديس مولر يضيف فرناو. إلى خطيئة عبقرية هي إطلاق اسم أمبريكو فسبوتشي ... من جزء ... من الكوكب الأرضي، وهنا يصبح أن الحق على الألمان»

وأتساءل لنا من أن يحمل فرناو ثم السؤال: هل يحمل الشخص بعض صفات اسمه؟ لعصي من حمل اسمه؟!

أما القول بأن الحق على الإنجليز فإنه سيتجسد في واقعة وجود ولايات متحدة أمريكية، وهي حقيقة تغرب بها يقول فرناو: «فالإنجليز الذين لو لم يبقوا فكرة إبادة الهنود الحمر فإن أمريكا كانت ستعرف مصيرا مختلفا كل الاختلاف وكانت عشرون أو ثلاثون دولة هندية ستحتفل بتحررها من نير المستعمرين» (ص 7)، وبسبب تلبية فهم الإنجليز للأمور وسيرها بالبنت وتهديداتهم هي التي أسست الولايات المتحدة الأمريكية.

لن أقتحم تلك الحروب الكر والفر بين القادمين فيما بينهم، وبينهم مجتمعين والسكان الأصليين. ويرى فرناو ... دلك على الإشارة إلى أنه

وبينما كان الأسبان متوغلين في الجنوب كانت أسنان غيرهم تتطاول القارة في الشمال

من هم القادمون؟

تكونت المستوطنات الأولى من بضع عشرات من الإسبان الذين كانوا يحلمون أن يستقبلهم أقرانهم على سطح الشمس حين كانت تعود غالبية عربهم إلى وطنها

«كان الوقت صيفا وكانت الأرض التي يطفون عليها ... لا تعد بالحصاد كثيرا بينما كان الهواء رطبا والمستنقعات الواسعة داخلها تحولت مستنقعات تملأ القوم بالخوف في الليالي الوحيدة الأولى» (ص 9-10)

«كانت كل سفينة جديدة تأتي تلقي بحمولتها من البشر الوافدين الجدد على الشاطئ، وكان الله وحده يعلم لم تفعل هذا فعلا، وماذا كان يريد هؤلاء؟! ... ولعل هذا ما كان يريده الملك الإسباني والأمير الآن وبحارة السفن ورجال الدين وصانعو الحروب والمجازر» (ص 10)

كيف ولدت الإمبراطورية البريطانية؟

في سلام باريس سنة 1763 سلمت إسبانيا فلوريدا إلى إنجلترا، وتخلت فرنسا عن كندا ولويزيانا وجميع ممتلكاتها الهندية، وبذلك قامت الإمبراطوريا البريطانية (ص 39)

الإسبان كيف كانوا يعملون؟

يصف فرنلو، السفن التي كانت تقل أولئك الأسبان جاءتها مجرد صناديق بلا شكل الهيكل متى عيوب، لعوا صحه لأنها مجرد مضاربين وجوالين وسجين وأسرمة غبيطة فهي أشبه بقيلان لم يقبل لشعب يجري ما قل في العصر القديم ان يسمح لنفسه بتحميلها ما لا تطيقه، وحين أراد الإسبان إنزال الخيل إلى الشاطئ سنة ١٨٣٥ سهلة المعرض اصطفوا كاملا لأول مرة في تاريخهم فيصب سفنه القطيع من الخيل جانب تسبح في البحر. (ص)

الفرنسيون والإنجليز

بالإضافة إلى الإسبان فإن السفن كانت تحمل مهاجرين جدداً من فرنسا إلى العالم الجديد، فلقد عبرت مئة وخمسون سفينة فرنسية المحيط في سنة واحدة في سنة ١٧٨٦. (ص ٦٨) والرجل هلا كان يريد هؤلاء يتساءل فرنلو ويجيب بأنه ... لا يستطيع أن أقول لكم ما كانوا يريدون بذلك، كان معظم الفرنسيين القادمين إلى العالم الجديد من المجرمين الذين التقطهم الأمير روبير قائد الفكاك منهم من سجون باريس ومستشفياتها ثم شحنهم إلى أمريكا وأطلقهم هناك. لكنهم كانوا والإنجليز في جميع الأحوال بيضاً، ولربما هاربًا من المتوحشين (الهنود الحمر)، وبعض من الإنجليز الذين جاءوا أنفسهم في جماعات للمدن الهالكة هربًا ليعيش الوقت مقابل حفنة من المال هي عشرة جنيهات. أما الألمان فقد وصل منهم سبعة عشر ألفًا معظمهم من (هيس)، حملتهم إلى أمريكا سفن حملة عسكرية بريطانية، لتحق بهم قيمة بعد أحد عشر ألف الفرسين ولقد شحنهم الساقي مباشرة إلى أمريكا لأن ملوكهم انجلترا كان محظورا عليهم. (ص ٦١)

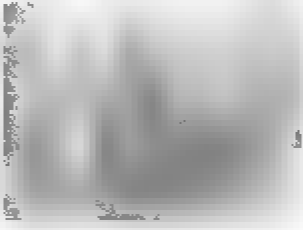
الألمان

ولكن للألماني أن يدعو رجلا مصيريًا لدى أمريكا التي أطلقت اسمه على أربع مدن، وتحتفل إلى اليوم بذكراه إنه فريدريك فلهلم فون شتوبن Friedrich Wilhelm von Steuben هاجر إلى أمريكا سنة ١٧٧٧ وكتب



فريدريك شتوبن

بصرعة قلعة (واشنطن)، ونقل خبرته العسكرية التكتيكية والعملياتية التي اكتسبها في الأركان لصالحة البروسية إلى جيش الثورة الأمريكية، وطبقها في مواجهة القوات الإنجليزية، وإليه يرجع القسم الأكبر من النصر الأمريكيين. (ص ٦٠ - ٦١) وبرغم أن فرنلو لم يفسح مساحة كبيرة للألمان إلا أنه ذكر جملا هي كميلة بوضعهم في مكانة متميزة، وإضافة لما سبق ذكره يضيف أن عدداً لا بأس به منهم قدم إلى أمريكا إبان حكم ... وهم الذين عرفوا سوف جوع مخيفة بعد الحروب النابليونية، وساق في معرض حديثه عنهم كلمات نسبها إلى الشاعر (مرسوي) حيث نقل عنه ما نصه: فالألمان هم سماد الأرض في أمريكا، إنهم يجيئون ليصلحوا يزرعون الأرض ثم يرقدون آخر الأمر ليصبحوا هم أنفسهم قطعة من تربة



الجاسوس من الهنود

والعصر. هذه هي مفاهيم الزراعة في أمريكا؟ يسمع فرنكلين سؤالاً كبيراً: «هل تتصورون أن يكون «بسمارك» مثل هذه الكلاب؟» لم أدرك في البداية سبب الحرج باسم «بسمارك»... ولم يكن أحد من الألمان يتكلم كلمة إنجليزية واحدة... انتشروا في مستعمراتهم حيث سمعوا من جديد أصوات اللغة الأوربية... ورأوا اللافتات والجرائد والإعلانات المكتوبة بالألمانية. أعطاهم ذلك انطباعاً بأن أحداً ما كان ينتظر قدومهم... وباستثناء حاكم واحد على جميع حكام بنسلفانيا... بين سنتي 1681-1739 الماضي «الوافد» (ص [illegible]-38).

حسناً. أتعد كل ما نديك من الأمثلة يا فرنكلين؟ أعرف أنه لن يجيب لأنه غادر عالمنا منذ فترة، واعتقد جازماً أنه لن يجيب إن كان لا يزال حياً حتى في مرحلة الانتظار هذه التي تسميها الكرة الأرضية. تكفي لافتة أخيرة عليها إعلان بالألمانية كان يلصق على الجدران حين قدوم الألمان إلى أمريكا نصه: «للمهاجرين المرتحلين إلى أرض يهوه في وادي جيهوفا»، بل أكثر من الإعلان لألفت نظر القارئ الكريم إلى عبارة «أرض يهوه» التي أظن أن فرنكلين تجاوزها متعمداً مع سبق الإصرار، لأنه قال في ثنايا كتابه بل أحسن أنه يدرك العلة الساكنة في جزء قلبه إلى ذلك اليهودي في أمريكا!!

من ملامح المجتمع الجديد

كان هذا خليطاً من أجناس وشعوب فرّقت بينها في بلدانها الحروب واللغة والسياسة والدين، لكن ما وحد بينهم كان أمراً جديداً في أرض جديدة آملاً في

> لقد صارت أمريكا كابوس العالم.
>
> توينبي

أمريكا.. كابوس بريطاني

عندما قامت الإمبراطورية البريطانية كانت تسيطر على ربع الكرة الأرضية، وقد كانت أمريكا أكثرها رسوخاً وولاءً وانقياداً لتقاليد التاج، حسب اعتقاد لندن، التي ما لبثت أن فاقت من حلمها الجميل على كابوس (33).

حياة جديدة... ومع ذلك لم يأت «فرنكلين» ليعطينا ملامح المجتمع الجديد. يمضي في إيضاح جذور النزعة الأمريكية والشعور بالعظمة.

إنه كالعادة في هذا الكتاب يعود إلى الجذور يستكشف الأعماق، ويرى أن القلق الذي طرأ على نفسية القادمين إلى العالم الجديد كان عبر «الآباء الحجاج» الشجعان وهم الذين جاؤوا ضمن سفينة بحرية حملتها السفن من إنجلترا... قبل أجيال فقد فقدوا الشعور بالراحة في موطنهم الأصلي لأنهم توهموا أنهم «أصفياء الله» كانت حماستهم الإيمانية الطهورية لا تعطيهم راحة إلى أن بلغوا أمريكا وهم يصرخون: «المجد لله» ويحكون على جبهتهم حتى أطسوا الأجواء باستكاناتهم المتطاولة، كان تحمسهم هو الذي أجج الصراع ضد الفرنسيين المستعمرين، وبخاصة إثر عقائد صفاتهم السابقة ضد ديني جامح ضد الكاثوليك إذ الأمر متعلق بالأسرة. نحار فيه الآن كيف لمثل «آباء الحج» هؤلاء من اكتساب شهرة لازمتهم مع أنهم كانوا: «إذا ظاهرنا حقيقياً»!! إذا وضعتم هذه الأمور في حسابكم وصلتم إلى حقيقة لا يزال المرء يحطم اليوم رأسه في محاولة فهمها، إنها جذور النزعة الأمريكية». (ص 24-25).

وفي فترة متأخرة نسبياً ونظراً لبدء تشكل أو تكوّن الولايات المتحدة الأمريكية يتحدث «فرنكلين» عن عمر الشعور بالعظمة لدى الأمريكيين فيقول: «صارت الولايات المتحدة الأمريكية تمتد من محيط إلى آخر، ولقد شعر كل أمريكي حتى من كان لا يعرف مفهوم الواقع الجديد أنه لنا عشرة



صور الجلود و الهنود الحمر

... في الدخول سلك كانت ساحة ولاية لويزي الأمريكي بالمطلقة... سيادا)

الحمل و المخاض و الولادة

عمت القارة الأمريكية الشمالية بين أصقاعها أجناساً وأقواماً اتفق معظم المؤرخين على أن أكثرهم كان عارياً أو همجياً أو متوحشاً أو ... أو ... هيئة غريبة لا تجمع بين عناصره عقيدة ولا لغة ولا ثقافة ولا عادات أو تقاليد أو أعراف.

كان الحمل عجيباً في تكوينه. وهذا سر يحير كل ... غريبة وخطيرة ... هذا وأكثر ... فإن المخاض كان عسيراً بكل المقاييس، فرحم الفتاة لا يحتمل ذلك. وإن حدث ذلك فلكم أن تتخيلوا نوع المخاض وألم الولادة ومن يكون الأمر مستحيلاً لا من قبلي ولا من قبل غيري. وأترككم كذلك حين ترسم ذلك المتصور المعلق في المخيلة. فكيف ستكون الحالة حين ... تصوراً أمر أكثر غرابة يمكن ... في أن المخاض كان دموياً ... أكثر من أي كابوس يمكن تصوره مع علمي المسبق أنه لا أحد بإمكانه أن يتصور الكابوس بقدر ما هو قادر على تصور الأحلام. ورب مرة كابوساً راود القادمين إلى أمريكا الشمالية حلماً وردياً، وكم هي شاسعة تلك المسافة بين الأحلام الوردية والكوابيس التي لا نهاية لها رغم أنها مصبوغة بالألوان عبر التصبيغ كله.

الهنود الحمر، شعب بلا اسم ولا هوية

(فرناي) تحدث كثيراً عن تلك الأقوام التي أطلق عليهم خطأ اسم (الهنود الحمر) لأنهم لم يكونوا (هنوداً) ولم يكونوا (حمراً). ومنذ الصفحة العاشرة وحتى الصفحة السابعة والعشرين يعد القاطنين يقدم سيراً أساسية أحياناً يستمر حديثه صفحات وأحياناً

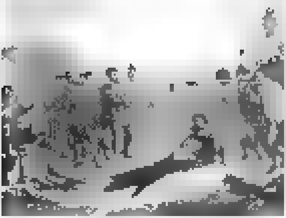
يتلخص بجملة واحدة لخطاب مساحات وصفحات إلى ربما نعجبهم، بصورهم أمثلتنا أعماق قلبه بتحضير مدحا متشاحرين وأحيانا يرافقه ودعاء بسطاء، ظرفاء، أبطالا متحمسين، أذكياء، لا يقلون تحضرا عن غيرهم من الشعوب... ولأنك لا تستطيع تتبع كل ما قاله فلا مناص حينئذ من التوقف عند بعض من كلماته حول تلك الشعوب التي امتدت من قبل من جاء ليبني حضارة لا تقل تقدما عن غيرها في أوروبا القديمة لكن الجهلاء كان بدراسة مستقلة التحضر... فمن هم أولئك البؤساء الذين ارغموا على مغادرة التاريخ والجغرافيا؟

«الهنود مخلوقات قصيرا القامة قوية، ترتدي أزرار المعدنية ولف نفسه بدثار ملون ينسدل فوق أكتافهم، وقد أصابت شعرها الأسود الحالك إلى الزرقة حبالات من الريش... ووجوههم الحليقة ذات العظام ناتئة، وصبغت جلودها الطبيعية اللون بالأحمر فبدت كأنها حمراء». (ص 15)

حسنا ما غرباء، من هنا أصبحوا ... لكننا لم نتطرق لسؤال لماذا تمت تسميتهم هنود؟

«هنود الشمال كانوا صيادين وجوالين وعابري غابات كما كانوا بدوا مزارعين لا محاربين، فقد كانوا يعيشون في عدد لا حصر له من العشائر ... والقبائل التي ارتبط بعضها ببعض بمعاهدات واتفاقات ... وكانوا متسامحين في غالب الأحيان، ولأنهم كانت لديهم مفاهيم رفيعة وغير مفهومة في أولوية نفسه عن الشرف، فإنه لم يكن سهلا قبل التلاعب بهم». (ص 21)

«استقبل الهنود الحمر كل القادمين الأوائل بالترحاب، لم يكونوا ... بل كانوا ودودين ... إلى حب الاطلاع ... إلى الطرفة ... أنه من المستبعد جدا أن يكونوا قد رأوا في الغرباء آلهة ... وهم ...



[illegible]

تاريخ لعبة..

«الألماني ... الذي يعود له الفضل في ... الأمريكيين كان ... صيادين فرنسيين ... قال ... هذه اللعبة كانت ... في القرن السابع عشر ... في روحوم ... الملك فيليب وخليفته ... فرناندو ... لم تعدت طوال مائة ... في القرن الثامن عشر ... إلى ... وقد عاد ... في حكم ... ص 83



[illegible]

* كاتب من ... بالقلم

مع ملابسهم البشرية وراء الدهن الأمر الذي كان (أوهم كولمبس :ماميش) لا يعطله قطعة كما رأوهم وهم يعانون من ألم الأسنان ويطلبون بأسنانهم كم كانوا جائعين" (ص 8)

ثم يتحدث فرنار عن شيء آخر يخص الهنود الحمر لم يحدث مثلاً من عاداتهم عقائدهم معتقدهم مراسم حياتهم كما لم يتطرق لقضية شغلت الباحثين كثيراً ولا تزال أصل بها الاختلاف الكبير حول أوائل القادمين

لنترك فرنار قليلاً ونحاول أن نعرف سبباً واحداً على الأقل دفع بالهنود الحمر إلى استقبال القادمين من مشرق الشمس بتلك الطريقة الحميمية. يقول بعض كتب التاريخ أن الهنود الحمر يؤمنون بخلاصة أسطورة هي بمثابة كتاب مقدس لديهم. تتحدث تلك الأساطير عن مجيء آلهة بيضاء من الشرق عبر أمواج المحيط ستكون مخلصة لهم من جميع الشرور والمصائب. وكانوا يجمعون قطع الذهب والأحجار الكريمة ويخصصون تلك الآلهة المقدسة حال ظهورها.

كيف ولد الحزبان الأمريكيان الجمهوري والديمقراطي

كان (جيفرسون يكره هاملتون) الذي كان يكاتب كما كان (جيفرسون) يبغضه. بينما كان الرجل الكبير واشنطن يجلس بينهما ويستمع صامتاً إليهما. لم يكن أولئك الثلاثة يدركون أنهم في جلستهم تلك سيكونون مؤسسي الحزبين السياسيين الأمريكيين. هاملتون وواشنطن للحزب الجمهوري وجيفرسون للديمقراطي (ص 112)

الحزب الجمهوري تشكل في منتصف 1854 وهو اسم كان الديمقراطيون قد أطلقوه على أنفسهم في بداياتهم. هامش ص 193



أمريكا: مشاهد الأولى

لعل هذا هو أحد الأسباب التي دفعت بالهنود الحمر إلى أن يكرموا ويحتفوا بالقادمين. حتى أن القادمين عندما كانوا يشعرون بالخوف يقدم الهنود من بأسهم وحدتهم كانوا من الهنود الحمر الذين قصدوا المعسكر الذي يقيم فيه أوائل الإسبان القادمين من الشرق وأحضر لهم الهنود الثمار وصغير الذرة وأهدوا لهم بوارق صغيرة، وغنوا فلاحيهم أمامهم ورقصوهم إلى أعشاب تشفي من بعض المستنقعات" (ص 15)

الهنود و المطامع

«لا تمسك الهنود الحمر بعد قليل أن الرجل الأبيض لم يأت في زيارة قصيرة لديهم (ص...) ففي القرن السادس عشر حدث تحول مصيري فالهنود الذين كان البيض قد بدؤوا يبيعون ببساطتهم مناطق صيدهم. تعلموا كره البيض الذي جعل انحلالهم أمراً بعد أمر حتمياً وحال بينهم وبين القتال أنفسهم والتحول بسهولة إلى مناصب أحدية وعدم مقاومة وبدلاً من أن يتخلوا عن ممتلكاتهم الطائلة بطريقة ليبرالية بعضها التسامح ويفكروا بطريقة عقلانية، ويعترفوا بأنهم فعلوا شيئاً يفضي إلى قتل من يواجه جبابرة العالم الذي يحقهم، فهل يستطيعون تحول شيء كهذا؟». ص 14

كانت الخطوة الأولى هي الانتشار في كل مكان والخطوة الثانية دق إسفين الخلاف بين القبائل والشعوب صاحبة الأرض، فناصر الإنجليز قبائل بريطانيا المتحدة (الإيروكيز) وفرنسا احتضنت (الهورونيين): وحتى لا أبحر مع (فرنكو) في بحار الدماء التي تلطخت وكانت تصبغ كل شبر من أرض الهنود الحمر بكاملها، بل حتى ذلك طويلاً أقول باختصار: إنها سنوات القتل والمخاطر، وحيث دارت الحرب الدائمة بين الإيروكيز المجبرين على صداقة الإنجليز والهورونيين المكرهين على صداقة فرنسا، تحولت حرب الغابات البكر الدامية إلى وضع دائم أطلق شرارة القتل لدى (صيد الجلود)، كانوا يحملونها معهم ربما يكون فرنكو قد حاول إطلاق تسمية جديدة على الهنود الحمر، وأكد المستكشفون الأوائل أن الهنود الذين لم يكونوا قد احتكوا بعد بالبيض كانوا لا يبدون أية علامة على تقطيع الشعور وسلخ جلدة رأس عدوهم، الذي تعلموه لاحقاً على أيدي أتباع «كالفن» من البروتستانت، والمستعمرين الذين كانوا يطلبون فروة سلخ للأمراء البيض من كل عدو يقتل، ويجلب جلدة رأسه دليلاً على قتله، لكن البريطانيين يقبلون أية جلدة سواء كانت لرجل أم لامرأة أم لطفل. (ص 37)



لا زلت في مرحلتي العصر والعاشق:

يقول فرنكو إن بعضاً من الكهنة كانوا قد قدموا من الجنوب الأسباني الكاثوليكي إلى معاقلهم، أعتقد أنه يقصد أولئك الذين طردوا الأندلسيين من ديارهم لأنهم كانوا سادة نافعين تعلموا من محاكم التفتيش. لقد قام رحالة من CHAMPLAIN يرسمهم هنا في الغرب نفسه وروبرت (DERBY) في تقريره حيث ظهر



رسم يمثل ترجال من عصر الجلود منحنين نحو قاتل

اونلك الكهنة في فرقة ميركشة، وسراب طيعلب بمهارة ولقد حلت بالروسيم. فيهت محبة العواطف وهم يقفون قرب محرك يحتوي على المسابها هدوء ثم يقيمو النهاية من أجل محمد الحرب العظيم» (ص 49)

***

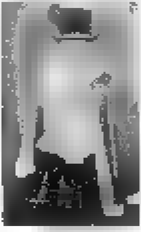
كوارث وإبادة

يقول عمر الجلوي: لقد قال فرنلو ذات مرة شيئاً غريبة يمكن أن يعرف التفصيلات كثيرة يمكن سيمر لقد يعرض كتابا ولا يكتب تاريخ من بين الأسماء قد استبعي يوسبالك ليس لانه تسم بمهارة مريكية مشهور لانه سمي خدعة عمر الجعود بالدين بذلوا جهدا كبيرا في سبيل مقاومة الحق، لقد حقق إنجاز هائلا، فقد استحصت جميع قبائل شمال المملكة بمصيبة كبيرة واستطاع نقل القبائل 1956 شهر صيف سنة 2036 سنة معصوب تقع بين مسطحة كيبيرة في شمال وكانت هو في الحدود كما متقدمة مثل المعسكرات والمستعمرات والمواقع الحصينة وقام الجميع لكن الأمر لم يستمر كما أراد يوسبالك؛ لأن هندية هات قومه وباءت بسرعة كما قال فرنلو في ص 45 أدرك يوسبالك معنى ما حدث وعرض سلام شخصية أمام الإنجليز الذين عرفوا قومه

كيف يرفعون قبعاتهم لسوقه لتعلمهم الخبر أن يستلوه في النهاية بيد طاقة ماجور ... ص 46

سيمر كلاسي عمر العمود بعده صيغ يصحب محررها ويطول ذكرها. لكن لا تأس من تشير إلى أنه كان من بينها الاقتراح الذي تقدم به الجنرال أمهيرست ينفض بكويت عملية صوفية بجراثيم وحصبات الجدري البيتي احتكاك وإلى الهنود ... هامش ص 45

ومما لم يذكره فرنلو في كتابه موضوع حقيقة لأنه يورد حالة في كتاب عنوانه «الملاق» الذي تضمن نصائح للعساكر الأنجلوساكسونية ومما جاء فيه: «إن إبادة الهنود الحمر والفلاحين منهم رخص بكثير من أي محاولة لتنصيرهم أو تمدينهم فهم همج برابرة عراة وهذا يجعل تمدينهم صعبة. إن الإبادة قانون مختصر لوقت ووسائل تحقيق الانتصار عليهم كثيرة بالقوة، بالمفاجأة، بالتجويع، بحرق المحاصيل، بتدمير القوارب والبيوت، بتمزيق شباك الصيد، وفي المرحلة الأخيرة المطاردة بالجياد السريعة والكلاب المدربة التي تخيفهم لأنها تنهش جسدهم العارية»



... ص

ومما لم يورده فرنلو كما أنه لم يذكر أن الجمعية التشريعية البرلمان، لما يسمى ماساتشوستس الاتهام أصدرت سنة 1703 قرارا بتقديم مكافأة قدرها 40 جنيها مقابل كل فروة مسلوخة من رأس هندي أحمر و40 جنيها مقابل أسر كل واحد منهم. وبعد خمسة عشر عاما ارتفعت المكافأة إلى 100 جنيه!

هل كان الكاتب الكبير أليسمر محقا حين قال: أمريكا هي التطور من البربرية إلى الانحطاط دون المرور بدور الثقافة والحضارة؟

***

«الأحزاب والدولة»

الأكاذيب والشعارات الدعائية والشتائم والتعريفات الإيديولوجية تصبح شيئية عندما ترى الأحزاب هي مؤسسة الدولة أداة سلطة تريد أن تسيطر عليها وتضعها في قبضتها ... ص 50

الإبادة والانقراض؟

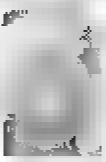
عودة إلى (فريمان) الألماني الساخر من تاريخ الشعب الأمريكي النبيل.

لم يبذل أحدٌ جهداً في سبيل القضاء على عصر الجليد ... حين حلم بأن تصبح أمريكا ممالك سيكون أسطورة الإنسان الأبيض. كان يظن أن ذلك لن يحدث إلا بتصفية حساب الهنود الحمر الذين عرفوا في ساحاته السوداوية كيف سيكون وأي أشكال سيتخذه (ص...)

لم يتوقف الهنود بعد (روبنهالد) الذي ذكرناه آنفاً عن قتال البيض، بل استمروا مرة أخرى ... الأخيرة ... (الموكوموريين) الأسطوريين الذي كان من الممكن أن يصير ... واستطاع (الهنود) لو أنه لم يولد في وقت متأخر جداً. وبعد أن سلب البيض مراعي الهنود وقتلوا حيواناتهم ... شعوبهم ... وشهوة ... حتى ... وهربوا في رحلة ... تحت رحمة بنادق البيض قبل أن يصلوا (أوهايو) على بعد ألف كيلو متر من موطنهم ... لم يكن ما حدث كافياً، فقد تبع البيض الهنود ... ورغم أن الأرض كانت كافية لهم وللهنود فقد ... الجميع ... المستكثر ... فمن كان المالك الأصلي؟

تساءل فريمان وأجاب: «أصدرت محكمة الولايات المتحدة العليا فيما بعد حكماً يقول: إن الهندي الأصلي ينتمي بالولاء إلى ... ولا يستطيع أن يكون مواطناً في ولاية من الولايات المتحدة الأمريكية» (ص ٤٠٨-٤١٠).

«أي نوع من القرارات كان هذا القرار الذي أمر المقاتلين بحمل بنادقهم وأخذ سهامهم وأقواسهم ... يقاتلون؟» (ص ١٥٠). تساءل فريمان ولم يجب، يبدو أنه شعر بالإحراج في مأساة (عصر الجليد) ... نجده يقترب رويداً رويداً من إنهاء ... قراءته



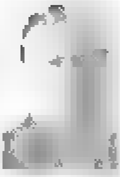
مارك توين

عندما الفريد ... سنة 1901 ... المرشح الديمقراطي براير Brayn النقيب ... الأمبريالية ... في مواجهة (ماكنلي)، ... كتب (مارك توين) ... الولايات المتحدة أن ... مجموع ... على (فريمان) على ... ساحر ... فلا يجوز ... أن يكتب الأشياء ... ببساطة ... (ص٢٤٦) ... لم تطبيق هذا المقترح على الولايات المتحدة ستحتاج إلى علم بحجم الكرة الأرضية وربما أكثر حتى تستطيع أن تضع المقترح ... موضع التنفيذ.

بالألم، يبدو أنه كان يريد ذلك، في خاتمة ... في كتابه ... يشبه من الألم ... لا تخلو من الأسف ... ممزوجة ... بما لا نهاية له من التهم الموجهة نحو البيض. يقول (فريمان) بعد أن يتساءل عن وضع الهنود الحمر ... لا ... أصدقائي ... الأخيرة ... (ص٣٥٥). لم ... ذلك ... لم تسع صفحات كلمة ... بالألم والإدانة والإشفاق على الضحية ... ليس من السهل ... لأنه ... والمشاعر ... بالدماء والدموع والضحايا.

لم يكن أمامي ... من تلك الصفحات ... وصلت قراءة ... الكاتب إلى ...

مشكلة جديدة، هي: إلى أين يذهبون بهم؟ كان (الكونغرس) يعرف الجواب: يجب تكليفهم بحل مشكلة الهنود حلاً بيولوجيا نهائيا. فقد صاروا (أي الهنود) بحاجة إلى حفر بقعة صغيرة من الأرض. وقد نطق (تيودور روزفلت)



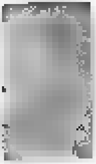
تيودور روزفلت

في فترة لاحقة بالجملة العظيمة التالية: لو تركت للهنود أراضي الصيد الخاصة بهم لوضعنا القارة تحت تصرف همج قذرين متوحشين. لذلك لم يبق أمامنا خيار غير إبادتهم. ولابد أن أذكركم أن (تيودور روزفلت) حاز على جائزة نوبل للسلام سنة 1906. (ص 198-200)

فماذا (تركوا) أماكن للهنود بقايا في أمريكا، ولو كانت قلة قليلة؟ كيف هي أحوالهم؟ لم تبق سوى بقايا ذلك الشعب الذي كان يعد بالملايين (الآن) به يصبح آلافاً قليلة. وفي فترة قصيرة لم يبق عن الغابات، حتى الحيوانات لم تسلم من المطاردة والقتل، (الثيران البرية) التي كانت بالنسبة للهنود الحمر كل شيء، لهي غذاؤهم وكساؤهم. لم تكن معهم بل عرفت نهايتها في (البراري) بعد أن قتل منها ثلاثة ملايين ونصف المليون. كان الهنود يموتون جوعاً. كتب (كارتر) يقول: إن طرد شعب بأسره من أرض آبائه وأجداده ليس مسرحية فحسب، بل هو عمل أسود. ونسب إلى (شيريدان) زعيم الحرب جملة قالها كدلالة على الحرب من حقد معروفة بحصر الهنود: هؤلاء الفعلة يجب قتلهم جميعاً. (ص 200-202)

الرصاصة الأخيرة ضد شعب بأكمله

ويتبع من بقي من حمر الجلود على قيد الحياة في معازل محددة. كانوا يموتون جوعاً. وفي مرحلة أخيرة ساق البيض أفواجاً من (المبشرين)، كما



تبين سمة شعب المسرق واستقرار ملايين البشر من السود في ... مليون هندي أحمر. لم يكن شعب أن يشعر هنا إلا عندما يكون مشبعاً بالجوع.

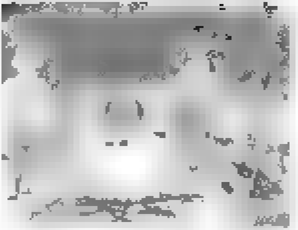
لقد قال (والتر وايتمان)، أحد أعظم شعراء أمريكا الكبار، قائلاً: إن الولايات المتحدة هي الحصن الصحيح. (ص 206-207)

ساق البيض من الشركات، لم يكن البيض معنيين بعقل ولا إنسانية، كانوا يطلقون الرصاص المتوالي على نساء الهنود الحمر وأطفالهم دون تمييز ولا اكتراث، لا لشيء ... حتى كتب الجمهور: الصمود ... إلى داخل أمريكا ... (ص 205)

في هذه المرحلة الأخيرة أرغم الهنود من جديد ... في ... جميعها ميتة بائسة. وصدر في سنة 1861 مرسوم ضد الأباتشي الذين ... مطاردة ... يقتل نفسه ... محاربو (الأباتشي) حيثما تم العثور عليهم. في عام 1884 ... أو ... وفي سنة 1877 ... الله ... الذين لم يكن قد بقي لهم ... التي كانت تستكر ... وهم في طريق الهرب إلى كندا. وفي عام 1890 كانت مجزرة

الاقتصار

من الاقتصاد أن لا ينتج فقط السلع، بل كذلك المستهلكين. لا مفر إذن من إغواء الناس هذه ... من الخراف، لحملهم على إنفاق ما لهم على أشياء لا يحتاجون إليها. (ص 290)



هل هم نفس البشر يا ترى؟

ووقعت في WOUNDED KNEE التي انطلقت خلالها فرقة الفرسان سبعة لتصيب على معسكر سيوكس الميني كونجو حيث استسلم الهنود الحمر دون مقاومة وسلموا سلاحهم، لكن عسكر امريكا هاجموا في واحدة من اشهر احداث سيرة الملاحم (المؤسفة) الرجال والنساء والاطفال ببنادقهم.

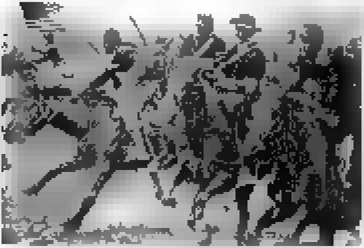
يخبرنا (دي براون) DE BROWN ان عساكر امريكا سحبوا المصابين بجراح خطيرة. لا تنس أنك تتحدث عن واقعة تمت في اليوم الرابع من عيد الميلاد. وهم اربعة محاربين وسبع وأربعون امرأة وطفلا على أرض كنيسة لرعي منابعها المقدس [illegible] عيد الميلاد. التالية: على لأرض السلام وفي الناس المسرة» (ص 204-205)

موضوع حديثه، وكأني به يفر من التاريخ لينطلق بعيدا، بعيدا جدا وهو يصرخ بصمت: لا أستطيع فهم من يبيعون البشر دون حبيب او قريب [illegible] صفحة من جنون [illegible] لقد [illegible] الانكار والارتباك ضحايا عجيب لتشبيه كوارث الطبيعة، وكأنها تنفجر بركان. لكن الهنود [illegible] من وجه الأرض [illegible] مثال [illegible] في [illegible] ويصمت من القتيل [illegible] المرة [illegible] هم المتحضرون. الذين لا يزال يوم القيامة في انتظارهم جميعاً. ص 206

من حمر الجلود إلى العبيد السود

ذلك يعني ما كان من امر حمر الجلود فكيف يا ترى هي الحال بالنسبة للعبيد السود؟

للمرة الثانية ألفت نظر القارئ الكريم إلى ان (فريدو) لم يكن مقتصرا على ما يشير إلى ترهيب الشعوب، فهو يتحدث عما يريد حين يريد وكما يريد. فإذا كان قد عرض بعضا من معاناة ومسيرة حمر الجلود منذ الصفحة [illegible] عن الصفحة مائتين وسبع وعشرين فإنه فعل الأمر ذاته بالنسبة للعبيد



فرق الفرسان [illegible]

تساءل فريدو: ماذا أراد البيض؟ وما الذي كان يحركهم؟ كيف يقتلك الناس ويقتلون المئات او عشيرتهم بعضهم على بعض دون رقيب ولا حسيب كما حدث في ذلك الوقت في امريكا؟» (ص 203) وكان قد تساءل قبل بضع صفحات: «ماذا كان ذنب الأمريكيين؟ من اجتاحهم شيء يشبه الحمى او مرض ما؟»

[illegible] (فريدو) بشيء ما يختلج في صدره وهو ينهي هذا الفصل من كتابه

السود. ولا... لا مفر من تتبع تلك المأساة بدءاً من الصفحة 20 وحتى الصفحة 365. لعلكم تقولون: هذا كثير. إنه فعلاً كثير لكنه أيضاً مرير.

الإسباني و... تجارة العبيد

(لاس كاساس) إسباني عاش في القرن السادس عشر، وصفه (فرنان) مصدراً... لا شيء إلا أنه وجد حلاً لورطة نقص اليد العاملة في أمريكا، فمن هو (لاس كاساس) هذا؟

يحكي التاريخ عنه أنه يستحق أن يدرج بين قديسي الكنيسة الأربعة عشر، سيما وأنه كان من (رجال الله)... الوصف لفرنان. كان صحيحاً في أول أمره رجل قانون، مكنته معارفه من التمييز بين الحق والباطل، فمن قضايا الآن... الرأي نفسه أيضاً... ثم حكى وقد وعى رسالة الصليب في (الهيئة الدومينيكان)، وكانت مشهورة بقربها من التخلص من الكفرة والمسحورين بالقتل، وبممارستها الدقيقة بما يرضي الله، ثم ارتقى فيها إلى مرتبة أسقف مع جملة أهلا لأن يعرف بحالة (ما يرضي الله وما يغضبه)، فأين الكنيسة الساميين في أيامنا هذه... مؤكد أنكم تدركون أن الكلام لفرنان... ولقد كان في ذمة الأسقف شيء جعله يستجلب إلى العالم الجديد حيث رأى أبوه... كولومبس دون أن يلقى حتفه... تذكر كيف حل



...الأب...

قبل عشرة أعوام بواسطة تجهيز السود بمشكلة العمل في مزرعته الخاصة، والقرب من المنزل الأمريكي بالطريقة ذاتها. وإن كان الأسلوب أكبر أعطى البابا مباركته وفرح من أعماق قلبه... الحصة حجاجاً رائجاً في البداية، وكان منخرطين قد مارسوا تجارة سابقة في (ساحل الذهب)، حيث كانوا يهاجمون قرى الأفارقة السود ويحرقونها، ويختطفون من لا تقع منهم من أطفال ونساء وشيوخ ويأخذون

كو كلوكس - كلان Ku-Klux-Klan

بدعوى حماية أنفسهم ضد البيض عصبة سرية تسمى: كو كلوكس كلان... وهو اسم اكتسب... سمعة في العالم لأنه صار الاسم الرديف للحقد العنصري. تشكلت هذه العصابة سنة 1867 والقائد... كان ماي Karl May الشاعر... تنطلق على طريقة القلب الألماني... في رواية... وينيتو الثاني Winnetou... عام 93... انتعشت هذه العصابة من جديد في بداية القرن العشرين خاصة في الجنوب، ومن بين أعمالها ما أقدم عليه البيض في ليفرمور Livermore حيث ربطوا رجلاً أسود متهماً بجريمة قتل إلى عمود على منصة مسرح وأحرقوه بالنار في حضور المشاهدين... الجالسين في مقصورات... ورصاصات عليه بينما كان ينتحب المشاهدين في القاعة... بإصابة أحدهم فقط... (ص 365)

الصحيح الباقي يتشحن بين الأعمال وصناديق البضائع في بطون السفن المتطورة التي كانت تخرج من أمريكا وبحر نحو أمريكا ... فكانت هذه التجارة تدر على أوروبا أموالاً طائلة» (ص 28-29)

«كل إسباني هو "كابايرو Caballero" فارس؛ على الأقل فارس صغير. فالعمل بتجارة السود المستعبدين عبر المحيط والسفن تجلب كل سنة أكثر من خمسمائة ألف منهم» (ص 30)

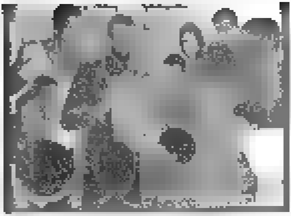
بؤس وألم وحزن وعطالة

حسب ب. فريالي "بدأت قصص تمثل هؤلاء البؤساء، أو تشعرهم، كما أصبحت أن تقول، ثم ماذا بعد؟ كيف كان أولئك السود؟ مشاعرهم، أحاسيسهم، أمانيهم، بياليهم، أطفالهم، سلوكهم، طموحاتهم، أحلامهم، إن كانت لهم طموحات وأحلام؟!"

يقول بأسلوب يشبه التخمين "ربما كان الحزن صفة عامة لهم، ولكن لنسمت ملابسهم لأنهم كانوا يارعين وقليل كل شيء محطمين. كانوا يسكنون أكواخاً متشابهة لا يزعجهم شيء أحب وكانوا يروحون ويجيئون أطفالاً كما تتنوع العصافير في أقفاصها وتزول فرحاً: وكانوا يمشون أشياءهم لحزينة ... كان الأفارقة السود يحنون حين كانوا يجلسون عند الغسق أمام أكواخهم ويطلقون من أصواته لا أعرفه يقول فريالي. فقد كانت أغانيهم شاحبة غريبة وكئيبة ومبللة بالحزن والشكوى.»

وكيف يا ترى كنت أتوقعها يا فريالي؟

«لم يكن رجال الجمعيات التبشيرية يحبون الاستماع إلى أغاني السود لذلك كانوا يعلمونهم التراتيل المسيحية ... وقد حدث أن رفض بعض السود الإيمان بالرب الكاثوليكي الطيب بعناد شديد، وعندما كانوا يبقون وحدهم بعد حفر إقامة الطقوس ويكسرون أسنانهم من الحقد والغضب وجب ... ووجب عقاب أمثال هؤلاء بعقوبات قاسية جداً تصل إلى درجة القتل على



هل أصبح العبيد مسيحيين حقاً؟

الأقل من أجل شرف "الزراعة الإلهية" رغم أن هذا كان يعني خسارة مالية كبيرة ... كان العبيد ينتمون إلى فئة متعصبين رغم أنهم لم يصبحوا مسيحيين حقاً» (ص 30-31).

تغير مأساة السود ككل زمن، يجب تغير مأساة عصر الجلود هذا المسيح ... ليس أمر ... من كل وجوده. لكنه حدث على أية حال

المتراجعة مع الصراعات

صمت فريالي عن السود طويلاً ... في الصفحة الحادية والثلاثين حتى الصفحة السادسة والثلاثين بعد المائة غرق في صراعات البيض فيما بينهم، وصراعهم مع عصر الجهود، لتحدث كثيراً عن الاتحاد والوحدة والانفصال والحروب والمفاوضات، لكنه عاد إلى العبيد السود ليحكي ما انقطع من حديثه إلا أنه ظل محسوراً بجهد يرتبط إلى بدايات يستحقونهم، كان (لاس كاساس) صاحب الوجوه المتعددة يسعى إلى حل مشكلة زراعية اقتصادية حين فكر في جلب الأفارقة، وكرر مأساتهم فيما بعد لأسباب زراعية واقتصادية.

«كان استخدام العبيد السود واجباً أو مهماً أو ضرورياً حين ... المزارع في ضواحي المدن واحتلتها، مسألة انقلاب ثان في ... إقامة مطاحن ... وتنصيب الآلات واستخدام العبيد السود» (ص 134)

السود وراء شهرة لينكولن!

لم يكن د. ابراهام لينكولن أن يصبح مشهورا جدا ومقدما في الصفوف الأولى من المشاهير لو أنه لم يمتطِ ظهور العبيد السود. في القرن التاسع عشر كان عدد سكان الولايات المتحدة الأمريكية ثلاثة وعشرين مليونا بينهم أكثر من ثلاثة ملايين عبد أسود. السيد (لينكولن) خطب ذات مرة وقال: تحت الآن ولم أكن في أي يوم مع تحقيق أي شكل من أشكال المساواة السياسية والاجتماعية بين العرقين: الأبيض والأسود. وتحت الآن ولم أكن أبدا مع إعطاء السود حق التصويت أو حق الانتماء إلى هيئة المحلفين، ولست كذلك مع السماح لهم بتولي مناصب عامة، أو بالزواج من البيض، وأود أن أضيف إلى ما قلته إن هناك فارقا فيزيولوجيا بين العرقين الأبيض والأسود سيحول دوما في رأيي بينهما وبين العيش معا على أساس المساواة السياسية والاجتماعية. (133- 134)

بعد هذا النص كيف يمكننا أن نغير ما درسناه طوال حياتنا من أن (لينكولن) كان ويعد محرر العبيد في أمريكا؟!

من أين جاءت إذن هذه السمعة؟ هل غير لينكولن قناعاته؟ هل فاجأته صحوة ضمير فأصبح قلبه رقيقا ورق لما يعانيه السود جميعا؟ إن سيطر جزءا من الأسئلة، يقتصر على شاطئ الحقيقة

اليوم الآن إلا القليل عبر دراسة وتحليل الفترة التي سبقت ورافقت ظهور العبد (لينكولن)، وهذا ما نريد الخوض فيه لأنه سيجرنا كما حدث مع غيرنا إلى الغرق في الخلافات والصراعات التي دارت بين الأمريكان الجنوبيين والشماليين وهو الصراع الذي نشب بسبب الصراع على استغلال القوى الاقتصادية.

ما الذي يريده السيد لينكولن حقا؟ هل كان مؤيدا للعبودية مطلقا ومن دعاة الفصل بين السود والبيض أم من المتعاطفين معها؟! هل كان مع تحرير السود؟! أم أنه كان يمارس لعبة خاصة به؟! يبدو أن القضية برمتها كانت أكبر منه بكثير ويبدو أنه علق بوهم كبير حين اشتهر بأنه كان المخلص والداعية إلى تحرير السود من رق العبودية!

القطن محرر السود
وليس السيد لينكولن!!

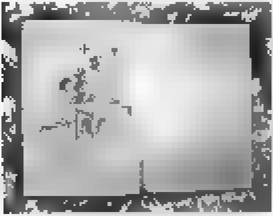
القضية برمتها تتعلق بعموم اقتصاديات الولايات الشمال، استهدفت وقف عمال الجنوب المزدهرة بمحصول القطن، لكن الشمال بمنتجه يحتاج لكل المستورد من الجنوب. كان الأقطن نوعا والأعلى ثمنا. وبسبب القطن كان الجنوب أن يتحول إلى قوة اقتصادية جديدة في أمريكا. الشمال عمليا في الجنوب ويحتاج كان بسبب العدد الكبير من العبيد



غلاف كوخ العم توم



هاريت بيتشر ستو



(كوخ العم توم) بالإنجليزية، طبعة سنة 1852



لينكولن

السود الهاربين في تلك الحقول وفي حمايتها يعتقدها الشمال. تلك كانت المسألة الحاسمة والتي كانت السبب لنكوص [illegible] ضد [illegible] السود [illegible] ولايات الشمال في دفع الكونجرس الى اتخاذ قرار يمنع منه لانتشار العبودية جنوب خط عرض 36.5 او "تحديد الجنوبيين بولاية ميسوري الحاجز الذي لا يجوز للعبودية تجاوزه (ص 151)". إثر ذلك تعالت كانساس ونبراسكا الإقليمان الجديدان اللذان تعني بينهما الزراعية [illegible] هذا [illegible] من الجهتين بحق [illegible] إراداتهما بنفسيهما حول العبيد (من هنا بدأت كرة الثلج، وستتعاظم النار من مستصغر الشرر) اطلق [illegible] [illegible] لأنه [illegible]، وكتبت السيدة هاريت بيتشر ستوس HARRIET BEECHER STOWES في القلب الرقيق الوصف [illegible] [illegible] الكاهن والجملة الى [illegible] [illegible] [illegible] كوخ العم توم وهي رواية من [illegible] حققت رواجاً كبيراً في نصف العالم و[illegible] رأى الناس (العبيد الفقراء يعيشون تحت السياط [illegible] بالأصفاد او تنهشهم الكلاب (ص 156)).

[illegible] لينكولن على الخط وألقى خطبة اشتهرت ودلت، قال فيها: "إن بيتاً منقسماً على نفسه لا يستطيع البقاء [illegible] لن [illegible] الحكومي لن يقدر على البقاء لأنه نصف مؤيد للعبيد ونصف [illegible] [illegible] جاء الرد سريعاً وكان [illegible] فقد أعلنت كارولينا الجنوبية انسحابها من الولايات المتحدة الأمريكية، [illegible] [illegible] [illegible] الاتحاد ست ولايات [illegible] فلوريدا وجورجيا والاباما والمسيسيبي ولويزيانا و[illegible] واسست "ولايات أمريكا المتحدة"، كانت الكارثة [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] الى لينكولن [illegible] [illegible] [illegible] التي [illegible] بعد [illegible] قال [illegible] تستحق التأمل لم تنل حقها من الشهرة لأنها صريحة الى حد كبير. قال لينكولن: "لا انوي التدخل بصورة مباشرة او غير مباشرة في مؤسسة العبودية حيث هي قائمة" (ص 160). [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كارولينا الشمالية وفرجينيا وتنسي انضمت الى المتمردين (ص 161).

[illegible] [illegible] بعيداً عن السود [illegible] كثيراً بين الشمال والجنوب في محاولة [illegible] [illegible] يجري. وبالرغم من ان [illegible] كان [illegible] الرئيس إلا أن أصوات طبول الحرب طغت على [illegible] [illegible] عاد (لينكولن) مرة أخرى [illegible] هذه المرة [illegible] [illegible] عندما [illegible] ان طريق العودة قد أغلق تماماً [illegible] [illegible] ليس هدفي هو إنقاذ الاتحاد وليس حماية العبودية او القضاء عليها، إذا كان باستطاعتي إنقاذ الوحدة دون ان [illegible] [illegible] واحداً، [illegible] عن [illegible] في [illegible] [illegible] (ص 164) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] السود الى الجحيم" (ص 166). لقد [illegible] عدة ولايات. وكانت تلك مشكلة لا يمكن [illegible] السبب كان [illegible] السود المستعبدين والتي ادت الى [illegible] الجنوب في زراعة القطن و[illegible] ما ادى إلى [illegible] الأخرى، بالشمال، [illegible] كان الشمال واسع [illegible] [illegible] [illegible] بروح [illegible]؟ لقد كان [illegible] منذ [illegible] [illegible] ان الصناعة [illegible] المال الكبير في الشمال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المال في [illegible] [illegible]) [illegible] [illegible] [illegible] العبيد الفقراء (ص 163-164).

[illegible] [illegible] تكون [illegible] العبيد

انطلقت الرصاصة الأولى [illegible] الجنوب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، احترقت القرى والمزارع، [illegible] [illegible] ولكن اين هم السود في هذه الحرب وأين السيد لينكولن من ملايين السود؟ [illegible] [illegible] إنه [illegible] في شهر يناير سنة

لذا رسالة من قلب المناطق بمعنى العدم الحرق في الولايات المتحدة الأمريكية ... هذه خطوة تحسب له أم تحسب عليه؟! ربما هو سؤال غريب ... لكن الغرابة ستتلاشى حين ندرك كما قال (فريدو) أن ما أقدم عليه لينكولن كان ... خطة عسكرية بحتة أراد من خلالها لينكولن ضم التحدي ... تقوى الأصولية ... الأمريكي الذي أثبت من خلال رسالة ... ليس إلا في شمال أمريكا حتى قدر كبير من الإنسانية والروح المسيحية» (ص 71) إضافة إلى ذلك فإن لينكولن ربما كان يعني ... تصريح واضح إلى أن ... (روبرت) ... بمفرده (فريدو) يقول «أعترف أن الأمر كله يعوزني وربما يعوزك أنت أيضا [illegible] تعبير هو كلمة (أبول المطلوب) في إعلان لينكولن (يشير إلى إعلان تحرير العبيد) آية سحرية وأي مرء أن يكون لتحرير السود لا ينطبق على عبيد دون الأخرى التي لم يكن [illegible] قليلة مثل تينيسي وميريلاند وديلاوير وميسوري. إن هؤلاء العبيد لدى كانت لدى لينكولن السلطة اللازمة لتحريرهم قد تركوا في الأغلال» ص 74.

إلى أين؟

أصبح الجنوب مدمرا ومقهورا، وذلك كان أمرا مقصودا، لتنتهي مزارع القطن وهو ما كان الشماليون يريدونه بأي ثمن. لكن الثمن: تحرير السود، بعدما كان العصر ينتظر الجنوب الذي ساهم السود في ازدهاره، ألا ترى أن العلاقة بين الشمال والجنوب لم تتغير؟ ولا أظن أنها ستتغير بعد حرائق وتدمير مزارع القطن، وإلى أين يجب إرسال ملايين السود المحررين؟! تساءل (فريدو) عن [illegible] العبد لينكولن، فقد ضمن له مقعداً في الصفوف الأولى

«بعد خمسين عاما من ولادتي بدأت أمريكا تستطيع رائحة شعار: العبيد أقوى من الدم والشعب أقوى من المنتج» ص 75)

التي يجلس فيها المشاهير بمجرد إعلان كان ظاهره إنسانيا للتعبير وكان في باطنه عدائي الفرصة [illegible] السود من العبودية! هل كان ذلك أمرا حقيقياً؟ «كان العبيد السابقون يقفون أمام المزارع المعادي وقد خلت نفوسهم من أي شيء غير الإحباط والتعاسة، إذ لم يبق لهم ما يفعلونه غير إمساك أيدي زوجاتهم ووضع أطفالهم على ظهورهم والهجرة إلى محرريهم في الشمال، في حين انصرفت القلة التي تمكنت من البقاء من جديد للعمل هناك» ص 82-83.

رحلات الألم

سأنتقل فيما بعد صورة رسمها (فريدو) للسود وهم متقاطرون إلى الشمال «لا أتمنى أن أنسى تلك الصورة بما يحدث إليهم بالطريقة التي يحاولون العبور إلى الشمال يتحول قطيع السود [illegible] إلى المهجر [illegible] للصراع الأمريكي من أجل [illegible] رغم أنهم كانوا لا يعرفون التسامح فغرقوا في أعماق أكثر من تلك التي سبق أن [illegible] من قبل وتحولوا إلى منبوذين [illegible] أهل الشماليين أنوفهم تفرق منهم» ص 83.

يصور [illegible] ما كان وما يجري [illegible] الحكاية كما سبق «السود الذين اقتحموا الشمال بأسمالهم وأكياسهم، ابتلعت المصانع جزءا منهم، أما جزؤهم [illegible] وهو الأكبر فقد ظل [illegible] الأبيض أن يحطم [illegible] بالسوط» ص 87. ومثلما حاول الشماليون تقديم المساعدة للسود [illegible] «النقود التي رصدت للسود قد ضلت الطريق إلى الجيوب [illegible]» ص 91.

يبدو أن (فريدو) قد سئم هذه المأساة، أحس به وهو يسطر كلماته الأخيرة حول هؤلاء البؤساء، صحيح أنه لم يمارس العبيد مثلما [illegible] الجلود التي [illegible] عديدة [illegible] إلا أنه لم يبطل على السود حين ودعهم في [illegible] عبر

ثمة رجل من (أي في أوروبا) يقول إن إرادة الشعب المستقلة بصورة تسمح لكل واحد أنه صانع سياسته، وهو زعم خاطئ بجميع المقاييس فعندما تفرض إرادة 51% من المواطنين نفسها على المساح لـ 49% الباقين بالانتخاب مجرد عزاء بالمشاركة (ص 131)

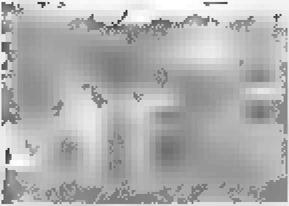
مسميات متباهية، واستمرت مأساة العرق الأسود وتحولت بعد مائة سنة إلى مأساة متفجرة في العالم بأسره، لتبدو وكأنها انقلبت اليوم إلى مأساة للعرق الأبيض (ألم نصبح نرى السود يضحكون بنا نحن المغلوبين؟)، (ص 183) ووضع السود هنا يختلف عن وضع حمر الجلود، حيث نلمس من كلمات (فرناو) أن السود بدأوا يمسكون ببعض موارد السود، ربما تكتلهم حينما يعودون بعد عناء يومهم إلى مقارهم التي يحولونها من جديد إلى ما يشبه قرى إفريقيا الحضارية المغلقة، حيث يرقصون ويشربون ويطربون ويطرحون الطبول وينفخون في الأبواق، وتسمى الضجة هذه الأمر لأول مرة بالـ AZZ... (ص 223)

❖❖❖

لم يكن مصير حمر الجلود يشبه ما آل إليه العبيد السود في أي جانب من جوانبه، لكن (فرناو) يرى أن مجموعهم في جملة عاطفية قوية حين أراد أن يتخلص ويخلصنا من الحرق في مأساة لم تمثله فصولها، ألا يبين هنا أن الهنود والسود كانوا سيحنون لو أنهم لعبوا حظاً لمعتصر وأقروا أنهم حضراتنا؟.. (ص 203)

من الجنسية (فرناو)؟!

ليس هذا عنواناً غريباً، إنه محاولة لإيضاح أمر مهم للغاية تناوله (فرناو) في كتابه كله تلميحاً، إلا أنه في الحقيقة لم يبعد به من قول ذلك. لقد صاح



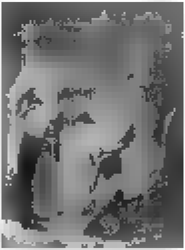
السود في أفواج للشحن

إلى ما يقرب من مائة صفحة ليقول ما حاول أن يعرب عنه. حاول (فرناو) في الثلث الأخير من كتابه الذي لا بأس من أن أذكركم بعنوانه (وحلت اللعنة...) تبرئة الأمريكيين ملف من المذابح حين تساءل وأجاب في الوقت نفسه: (من صنع ورتب مذابح الهنود؟ الإنجليز. من خاض المعارك؟ بريطانيون، جند بريطانيون. من جرجر مئات الآلاف من العبيد إلى هنا؟ البريطانيون. لقد حدث هذا كله قبل وجود الولايات المتحدة التي كانت بدايتها سليمة لا يطعنها شيء...) (ص 199)

لا أدري حقيقة ما الذي يرمي إليه (فرناو) خاصة وأن عدد من الباحثين والمؤرخين أكدوا أن ملف أمريكا مع الهنود الحمر والشعوب الأخرى ليس هو الأشد بشاعة، بل أضافوا إلى ذلك ملفها مع قضية العبيد الذين تم استيراد الملايين منهم لخدمة الشعب الأمريكي، فتحول رعاة البقر إلى بحارة يجوبون السواحل الأفريقية لاصطياد (العبيد) وحشرهم في سفن الشحن. وقد جلب الأمريكيون أول الأمر ملايين الأفارقة المسترقين في الأصفاد. فقد صدر عن منظمة اليونيسكو عام 1978 تقرير يصور فظاعة ما حصل للأفارقة، وهي الكارثة التي مرت بهم من أجل تعمير أمريكا، وتذكر التقارير أن ما لا يقل عن خمسة وعشرين مليوناً من الأفارقة الذين تم شحنهم من أنحاء القارة في أفواج من جزيرة (جوري) الواقعة في

مواجهة العاصمة الشمالية دكار قد هدأ. أكثرهم قبل أن يصلوا إلى العالم الجديد نيوان فرناو لم يطلع على تلك التقارير التي صدرت قبل وفاته أن ما فر هو ونحو عليها وبو نه كان من عام 2010 لاكتشف الأمر كان قد صحارو من سند البر ه دي مسجهم أباه حيث هبطوا في مؤتمر دوريان سطن. الاقترقة بالد ويمر عما حدث لهم من رفضو تقديم سحر اصدار

لم يكن فطرساو بوجه صلبه الأمريكيين حيث بن مسؤولينهم بشكل غير مباشر لكي دلك لم يجد نفعاً إذ كلما حاول الابتعاد عن طلاق حكم ونسج وتصريح تعديله عزيمته ويتت منه أسراره من التبرئة وقعت الكلمات منه لتعلن ما يعتمل في قلبه ولا أدري إن كان ذلك بعد أمه أم لا؟



الرجال العشرة

يشير الدستور الأمريكي

الولادة

وجدنا كثير طيب سبق الفصل والمشاهد ويشير الى نسب مجبرون على ان يفسر هذ تسلط الأمم ويسج أهل الأمم وتتحدث عن الولادة

هل نتحدث عن ولادة أمة أم دولة أم حكومة أم اتحاد أم وحدة أم ماذا؟ يمكننا أن نقدر كل ذلك لكن فرناو أبى إلا أن يغوص عميقاً في عمق يتعدى ما ذكرناه من مسميات أو مصطلحات أو كلمات لم تتفهم

وهكذا ولدت الولايات المتحدة الأمريكية من رحم معاناة شعوب عديدة عبر العصور والعبيد السود المنفيين من فرنسا والعبيد المهاجرين من أسبانيا وبريطانيا وإيرلندا والذين تم عزلهم أو إجلاؤهم من سويديين وطليان وروس والذين تم إجلاؤهم من تلك البقاع وغيرها

من حيث الأحداث ولدت أمريكا كدولة عرب

أرنوت لا سر التي خرج منها بدنا جنين لا رابط بينها

أما من حيث المصالح فقد ولدت من خلال صراع طويل ومرير بين القادمين والسكان الأصليين من القادمين إليه منهم من إنجليز وفرنسيين وأسبان ثم من الشمال والجنوب ثم بين الأتباع من العمال ثم بين الفقراء والمسكين والأحرار بعضهم لأن يكونوا من العالم الكبير

ولادة عسيرة ولا شك فكيف نرى كانت الولادة الرسمية ؟!

نعود إلى الفرنسي الذي يبدأ بداية شعوره بالملل من حشيع صفحات كتابه، لكن الأمر يستحق أن يطلع بالمرء إلى التمني بقليل من الصبر كان اليوم هو الرابع من شهر يوليو سنة 1776 يوم مولد الولايات المتحدة الأمريكية، وصل خبر الرعب من أوروبا القصر لاهتمام بالأمر حتى باريس وضجيجها حيث انتقل العاصمتان عبر إشاعة وهنا تحولان باستغراب ولايات متحدة؟ ما هذا؟ فقط نرى هذا كل هذا، لكن كانت كلمة ولاية التي تصف هذه الغريبة من معنى ذات رنين مختلف في الأذن الأوروبية على كلمة متحدة جعلت المعاصرين يحاولوا معناها في فهم معناها لقد عرف الناس الممالك متحدة هذا أمر يسهل فهمه أكثر أنه مثلا يستولي على بلدان أخرى أو يحصل عليها بالزواج أما هنا قليل حتى لم يسود وثم يتزوج، حتى لا؟ بقليل من التعمق نقترب أكثر من لحظة الولادة.

الجريمة

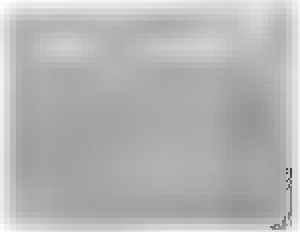
الجريمة متأصلة في جزء تكويني من طريقة الحياة الأمريكية عالم الإنسانية من إلى جانب ص 212

سيلاحظ القارئ الكريم تشابهاً ما بين ولادة أمريكا وولادة أي شيء آخر أنتم جيداً. وستلمس أوجه شبه هنا. يجلس خمسة رجال ضيوف سنة 1776 داخل غرفة صغيرة في فيلادلفيا، وهم يشحذون عقولهم ويتعاركون بمرارة باستثناء توماس جيفرسون، الذي كانت نفسه تغلي في وضاعة وحرقة». (ص 15)

دعوني أسأل (فريتس): هل مسك هذا أن أمره من العصور كان وضيعاً ومتزعزعاً؟ أم أن الأمر في حقيقته معركة خاطفة جيفرسون بهالة من الصبر والفروسية؟ أعرف أنه لن يجيب لكنه مجرد تساؤل ليس أكثر.

نعود إلى غرفة الولادة سنكتشف أن الرجال الخمسة ما إن وصلوا إلى صياغة الجملة التالية «ونحن نؤمن بحقيقة لا مراء فيها هي أن جميع البشر وُلدوا أحراراً ومستقلين» على الفور (جون آدامز وآخرون) وطلب شطب كلمة «مستقلين» [illegible] لأنه اعتبرها كذبة كبيرة مقبولة والأخطر رأى فيها تناقضاً مع الموضوع أي إرادة الشعب ... كان الجميع ينضحون عرقاً وكانت الغرفة غارقة في جلبة وضوضاء [illegible] ... وحين أرادوا تعديل الوثيقة ذات المرجعية الصحيحة طر [illegible] المحذوف المقررة والصمت مصحوباً بجملة شاعرية متبجحة [illegible] (ص 16)

بعض الجنين الوليد سيكون مختلفاً لعلي أنه لن يكون مولوداً [illegible] وقد استمعوا إلى أن نتبع صور الشكوى التي أعلنها المولود الجديد عبر الخروج من الغرفة في معرض التطرق لملك الإنجليز حقاً على السطح شيء ما يبيح حتى نفهم ما سيأتي أن نذكركم ونتسبب أن الإنجليز ساهموا وبشكل غير عادي في مراحل العمل والمخاتل بشكل أو بآخر الشكوى التي أطلقها المؤسسون من الملك الإنجليزي كانت كما يلي: «إن تاريخ هذا الملك هو تاريخ سلسلة من الاعتداءات تستهدف جميعها إقامة طغيان لا حدود له على الولايات [illegible] لقد نهب بحارنا، وخرب سواحلنا، وأحرق مدننا، وقتل أبناءنا، ونجده الآن



واشنطن يجرّ ذيلب أمريكا

يجرّ جيوشاً كبيرة من المرتزقة على شواطئك لإكمال العمل التدميري». (ص 16)

أتساءل أنا هنا: إذا شطبنا كلمتي (الملك والولايات) وقرأنا النص من جديد فماذا عسانا نكتشف يا ترى؟

عودة إلى السياق. بعدها انسلّت الغرفة بالدخان ... كانت فيرجينيا تتبع الطفل نيو ... وصار البناء قريباً لا يطلق حتى في معظم نهايات دلاوير التهويرة كان العمل قد تم تماماً،

[illegible] نشأت الولادة

لكن (فريتز) ... كالعادة صدمنا بسؤال إن قلنا: هل سنكون مضطرين لأن نطبع كل الدول التي سبقت الولايات المتحدة الأمريكية في مدى التاريخ، وهي دول عديدة لا يمكن حصرها. قال: «هل تتصورون أن دولة يمكن أن تتأسس دون سكرتيرات وآلات كاتبة؟» سؤال (فريتز) [illegible] السؤال معلق، والتركة بلا إجابة، فالحديث عن السكرتيرات لا نهاية له ولا حدود. أما الحديث عن الآلات الكاتبة فلا معنى له على الإطلاق في العصور بالسكرتيرات».

الخليج .. والولايات الأمريكية
متحدة حرة ذات سيادة

تتابعت الأحداث ... حروب صغيرة وكبيرة، انكسار وانتصار، تحالفات وانقلابات ... حتى التكريم الملك

الإنجليزي واسرف في خطبة عرفي احتفالية باستقلال "الولايات المتحدة الأمريكية" وسيادتها، حدث هذا يوم 5 ديسمبير سنة 1781، صارت الولايات حرة ومستقلة الآن. رغم روعة هذا الأمر يبقى عاقل عن ... الولايات؟ لقد ... بحسب فريدمان ... على وثيقة وكونجرس، وثيقة هي مجرد ورق وكونجرس هو مجلس لا شيء. (ص 91)

(على الدستور يوم 4 مارس سنة 1789 في كونجرس احتفالي، يطلق البعض الولادات التي شهدتها الولايات المتحدة الأمريكية هي في نظر فريدمان المطالبات. وفي اليوم ذاته انعقد اجتماع الكونجرس الدستوري الجديد لأول مرة، كيف ذلك حدث؟ لقد ارتضى الشعب حتى ... تشكيل هو انتخاب رئيس الدولة، وضمنوا بمحافظة وقوة سلطتهم الذاتية الكاملة والجمعية. جورج واشنطن، أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية. (ص 95)

ماذا حدث بعد التعاقد الدستوري؟ لا شيء، يقول فريدمان: كان الشيء الذي أعلنه المؤسسون منتصرًا القوانين عادة، وستقيم مؤسسات وتلغى مناصب، ولكن أن نقول هذا يطوع وطاعة هذا شيء بهيج دومًا، ويبسط أشياء كثيرة ... دخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحياة كما يدخلها وليد جديد يرتجف (ص 95). فهل كانت البراءة صفة ملازمة لها؟ لا تنسوا أنه هنا وليد جديد، والوليد لا يظل دائمًا كذلك.

إجرام دائم

لم يسبق منذ وجد الكوكب الأرضي أن وجدت أمة واحدة تجمعت كأمريكا في إلغاء الأخلاق والنزعة الإنسانية إلى العدوانية على كامل سطح الأرض تقريبًا، إنني أتهم الولايات المتحدة بأنها في حالة إجرام دائم ضد البشرية. مونترلان (ص 334)

عصر الهجرات الجماعية

يرى فريدمان أن موجات الهجرة الجماعية التي شهدتها الفترة الواقعة بين 1880 و1900 بأمين جديدة، لا سيما أن مشهدها كانت مختلفة عن مقدمات جميع الهجرات السابقة ... ما نعتقده في جملة واحدة مع أنني أعلم علم اليقين أنني سأقر معكم: هذه الهجرة التي تمت بأسلوب غريب كانت في ذاتها الموجة الثانية من استيراد العبيد (ص 247)

يبقى ثمة ما يوازي هذه الظاهرة لا سيما الخاصة بالأمريكيين المواطنين البيض الذين استقدموهم أمريكا في القرن الخامس عشر من إنجلترا باعتبارهم (العمالة البيضاء) (ص 243)

رياقة بيضاء تعاملت بيضاء، هما تعبيران غير مألوفين تمامًا، علاوة على من كل مقتدر لهم أن يسيروا لاحقًا ... ملايين الأمريكيين)).

هامش ص 141

وصل القوم ... من أوروبا جاءوا في سبعة عشر بين 1899 و1900 ثمانية ملايين وافد جديد وطلقوهم في الصناعة ... وانتهوا بنتائج مدهشة بالمستعمر الأمريكي كروسب وموتوب وإيطاليا وإسبانيا ... متشبعين بصور زاهية وخيال خصب. تجمع هؤلاء في شبه مهاجرين بالقدوم من أكثر العمال ثقافة التي لا تصلح للسكن. (ص 250)

مجتمع جديد، ولكن بأية مواصفات؟

لا شك أنكم أدركتم ولو قليلًا معان كثيرة لكن فريدمان يصر على تأكيد بكلمات وجمل، وأحيانًا يخفي ما يريد قوله ... التكملة، يميل إلى أنه لم يختار أن يكون وقتًا لأستلف كثيرًا، ولكن أنسى معي أن التاريخ حينما يسرد بشكل سير يكون أكثر إمتاعًا من كرونولوجيا ...

... من تشكل المجتمع الجديد حتى أدرك أن مواصفاته لا تماثل مواصفات غيره من المجتمعات، ولكن منذ متى كانت المجتمعات ذات مواصفات واحدة؟ ومنذ متى كان التاريخ تكرارًا لأحداث مضت

والتخصصة فعند منحى كتب العنف وتاريخ عنده بمجرد وحمايته؟ بين هذه الرؤى الأمريكية بعدم المساحة وبين في الوقت ذاته صلة بر عة

النسب الأمريكي الطيب هل كانت جملة لا معنى لها؟ أم أنها جملة تصور مجتمعا تتصارع في داخله قيم الخير ونوازع الشر؟ بين أصحاب شهر الخيول يبدأ الصراع بين الخير والشر. هذه سنة الله في خلقه. لكن أن تظل نوازع الشر هي السائدة في مجتمع ما من المجتمعات فإن الأمر ينبغي أن ينظر إليه لا باعتباره سنة من سنن الحياة بقدر ما ينبغي أن ينظر إليه على أنه ظاهرة تتطلب جهدا كبيرا يبذله الدارسون والمحللون على الغوص بعمق في نفسية أبناء هذا المجتمع لفهمه وتقديم الوصفة الحضارية التي من شأنها أن تنتشله من واقعه الذي ربما لا يدرك في حقيقته أنه واقع فيه.

ولدت الولايات المتحدة الأمريكية وعاشت وشبت عن الطوق ثم خطأ في البداية أن جيمس يبدأ. كانت تقتضي في داخلها من العرق في مهاد المستوطنين الذين يعيشون بها. عدا أنهم ربما كانت تقتضي أن عاشوا بعتبرونها أيضا حقا على عصف الطاقة. وهو أمر لم يكن يقبل بعدوه من قبل أوروبا للتجربة التي تم خلقها عن عروبة العالم الجديد بالرجال والسلاح، صحيح أنهم كانوا رجالا فيهم مرغوب فيهم بشكل عام، وصحيح أن أوروبا كانت تميل إلى أن تكون أكثر من قارة نظمت مواردها أو كادت، لكن الرياح بالنسبة للأوروبيين كانت تجري في أغلب الأحيان بما لا يشتهي ملاحوسفنها التي جابت الآفاق. وتاريخ أوروبا خير شاهد على ذلك. ولكن هل كانت الولايات المتحدة الأمريكية محكومة بقانون الوراثة؟ أم أنها كانت في وضع يمكنها من أن تتخلص نهائيا من كل ما يربطها بالأوروبيين؟

لقد لم يأل جهدا في أن يقدم من الأدلة ما يؤكد على أن هذا المولود الجديد لم يكن أكثر من مكابرين من نفسه وأنه لا يؤثر أي تعبير يوضح مدى شعوره بالألم وهو يرى ذلك الابن العاق. يحمل ما



يريد دون أن يراعي في أجداده وأسلافه إلاًّ ولا ذمة فكانوا أول من أنكروا بنائه.

المشكلة تكمن في أن المجتمع الأمريكي شب عن الطوق قبل أن يكون مؤهلاً لذلك. لكن ذلك لا يعني شيئا بالنسبة للذين يرون فيه نموذجا متكاملا وإن كانوا قليلين.

إنه في جميع الاتجاهات بعد هذه وبعد جيل وبعد حرب بعد الانتصار والقضاء على الحروب الانتخابات والمغامرات... كان كل ذلك مقدمة لبناء مجتمع جديد يحاول أن لا يكون نسخة مكررة من أسلافه.

◆◆◆

وبعد رؤية الحرب الثانية أوروبا التي بدأت تحطم ما سبقه أو أحدثه أو لفتته من كل أنحاء العالم، هي أمريكا البلاد الواسعة والسهوب الهائلة والبراري التي لا نهاية لها، حقول لحبوب المتموجة. الوديان العميقة. الجبال المتأججة باللون الأحمر الميسيسيبي... شلالات نياجرا الساحرة... عمال يحاكون النمل في اجتهادهم لأصحاب مصانع الفولاذ... عامي 221

لقد كانت صورة عرض بكر. ولكن الصورة لن تكتمل إلا إذا أضيف إليها الإنسان. مجموع السود حول مهر لولحماته على المسيحيين بعد هذه بيوتهم إلى مزارعهم التي يحولونها من جهد لكي ما يشبه قرى الهنود الحمر البائسة المتخلفة: حيث يرقصون ويصرخون ويغنون ويضربون الطبول

ويتخبطون في الأوحال [illegible] المزلة والوحشة [illegible] في الشمال وعلى بعد آلاف الكيلومترات وعلى رائحة أرض مستعبدة من جبال روكي، يجلس بحضرة "المخطوطات" [illegible] البالية الباقية للفرنسيين ومن العار مشاهدة "مانيبيه القبيحة"، تلك الذاكرة "بروكوكا" وبرقص الأشباح [illegible] في صالونات الغرب [illegible] الحرب "الغريبة"، فيغني الفتيان من (اليانكي yankee doodle) على أيانكي قوي وملوك القمة [illegible] (ص 227)

وكان "الأطفال يستخدمون غالبا في المصانع ثمة صور مؤثرة للغاية: أطفالا في العاشرة من العمر يعملون في المناجم، الأذكى وكان هناك مليونا طفل يعملون في الصناعة، فأمريكا لمحتكري العمل والتغيير تحت أقدام الطفل الوليد" (ص 251)

***

"جاءت أمريكا وانتزعت ما شاءت من أرض أو استعمرته أو اشترته أو استعارته أو سرقته ثم تعترف أمريكا بمحاولة الاجتياح الفكري بالسيادة إلا في اللحظة التي تولاه هي فيها، ماذا كان فيها من ذلك؟ لا شيء إطلاقاً وليس لشيء قيمة غير قيمته بالدولار وإن أكثر الولايات إثارة للإعجاب هي ما تساوي أعلى ثمن تدفعه أحد ما لشرائها" (ص 239)

***

أصبح "فرباو" مسرح الفعل، تتدافع كلماته وتتابع الصور التي يعرضها بسرعة غير معتادة، يطوي الوقائع التاريخية بسرعة، ربما كان في بعض الأحيان يأخذ قسطا من الراحة ليقدم بعض القصص، التي رأى أنها جديرة بالاهتمام، تتحدث عن كوبا، قناة بنما، الفلبين، تتحدث أيضا عن شراء ما أمكن شراؤه من أراضي [illegible] ولايات [illegible] النجوم في الجانب الأيسر من علمها الرسمي.

يمرر أحيانا في تعليقاته برامج الفعل يبدو جديرة بذلك، لكنه [illegible] وكما قال في بداية هذا العرض

الذي طال أكثر مما ينبغي [illegible] يقول ما يريد كما يريد متى يريد.

أربعة قرون في مائتي صفحة تقريباً وأقل من قرن في مائة صفحة ثم حدث ما لم يحدث من قبل، السبب بسيط بعيد، إنه القرن العشرون الذي شهد تلاحقاً في الأحداث لم يسبق له مثيل، احترق العالم أكثر من مرة، ولا يزال، من اليابان إلى أمريكا الجنوبية ومن شمال أوروبا إلى عمق إفريقيا [illegible] في واحدة من تلك الحروب "كانت وسائل القوة التي ألقت بها أمريكا على جبهات القتال، 190000 طائرة و15000 دبابة، 15 مليون بندقية و300000 مدفع [illegible] (ص 335)

ويبدو أن "فرباو" أحس أن سؤالاً سيطرحه حين يتحدث عن أولئك الأمريكيين الذين وطئت أقدامهم أرض أسلافهم [illegible] كيف سيرى الأحفاد أرض أجدادهم؟ تذكرت هنا [illegible] ولا بأس أن أذكركم [illegible] أن أمريكا كانت الأولى [illegible] بجدارة [illegible] ذلك في الفترة التالية التي [illegible] "فرباو" عن (رياتون) وهي الفترة [illegible] الجنرال [illegible] عن [illegible] الإنزال الأمريكي في إيطاليا، [illegible] حيث نزل [illegible] على الشاطئ [illegible] جنود إيطاليين وألمان، [illegible] مواجهتهم وآبائهم [illegible] واستهزاؤا [illegible] ثمة كثيرون بينهم [illegible] في [illegible] ألماني وإيطالي، [illegible] هؤلاء من أسلافهم [illegible] حتى [illegible] وأرضهم [illegible] كي يجدوا هناك إن أسلاف [illegible] لأن [illegible] على التضحية [illegible] (ص [illegible])

يعلق "فرباو" على تلك الصورة بقوله: "لم يعرف التاريخ عملية تحاكي هذه [illegible] والتنازل، بين جميع خطب الحروب التي [illegible] ببلاغة [illegible] بخطب [illegible] وصولا إلى هتلر" (ص 313)

على الرغم من أن (فرناو) لم يأل جهداً في إيضاح رأيه حول قضايا عديدة تتعلق بالعلاقة بين أمريكا وأوروبا، خاصة مع فرنسا، وبشكل خاص بلده ألمانيا، إلا أنه فجأة ودون تمهيد يخضع قلمه إلى قضية من أعقد القضايا المعاصرة (العالم الذي اصطلح على تسميته بـ(الثالث)، ورغم أنني كغيري من بعض الناس لم أعد أحتمل سماع هذه التسمية إلا أنك مضطر بشكل لا يحتمل النقاش، ولكن ماذا عن "فرناو" والعالم الثالث؟! صحيح أنه لم يبحث هذا المصطلح بوضوح كامل، لكنه قاله بشكل عابر على أية حال.

يقول: «إن قضاء استرويوف الشعوب على جهل، وتسكين جوعها أمر جيد جداً، وتأمين حياتها أمر رائع، ولكن أن تنقذ المصارف الكبرى أموال الأمريكيين في العالم لتصبح مصارف كبرى بمفردها [illegible]» (ص 32)

«ماذا أطلق (وول ستريت) هذا المشروع بحجم العالم كله؟ ماذا يجني من تقديم أموال أمريكية إلى زائير مثلاً إذا كانت زائير ستعيدها إلى أمريكا في صورة مشتريات صناعية؟!» (ص 328)

«يجب أن يكون باستطاعة من يتلقون الهدية الأمريكيين أن يعيدوا النقود إلى مهديها أو يرسلوها إلى أمريكا» (ص 327)

❖❖❖

اسمحوا لي أن أختتم معكم هذا العرض الحي لكتاب ممتع ومثير، وأفضل طريقة رأيتها هي أن أصمت وأترك المؤرخ الألماني السيد (يورغن فرناو) يودعنا جميعاً بالطريقة التي اختارها، من أسمح لنفسي أن أنقل كل ما قاله، فقط أن أختار بعضاً من كلماته المؤثرة التي تعبر فيها فضلاً عن كونه مؤرخاً ساخراً أيضاً:

«سيبقى لأمريكا .. رغم كل شيء .. ما يفخر به أمام العالم من السلام على الأرض ومن البشر والله يعلو اسمهم، ولكن من كان هنا؟» (ص 314)

«أمريكا لم تعد تجرؤ على خوض أية حرب على نفسها» (ص 316) «أمريكا اليوم موطن ومصالحه ومأكلة بسموبه وراع عنيد، وفار ومغامر ومحاربه بداعية الصراع، وأكبر مورد للسلاح، ورسول خلاص للأعراق وكبار ... في بلدان متخلفة (لزراعة الحياة) ومبتكر الأسلحة التقليدية مكتشف بمطهوة سريعة (التدريب والتاريخ المحلي) سريع لدولة، (...) دعاية حقوق الإنسان سياسيه مرفوعة، ومتسم لزماً لأي شأن «LA Y» برمته مرفوعة ...» (ص 320)

«نستطيع قلق الموضوع وأنا آسف إلى القلق برغبتنا شديدة، ألم تتلع أمريكا من صنع التاريخ السياسي؟ ... بالتأكيد، إن ولكنه لا زال مترافقاً لصحف اليومية في العالم الغربي، لكنه عنوان ومعي مسكناً له ...» (ص 321)

«تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية ... هذا الذي ما زال أشبه ... عندما نتعلم العيش مع النهج الأمريكي في الحياة، فالولايات المتحدة تشهد مائة ألف ضحية قتل كل سنة، ويسقط كل سنة خمسة ملايين أمريكي ضحايا جرائم ...» (ص 329 – 330)

الفصل الأخير (الصفحة الأخيرة) كانت بمثابة سخرية، سخرية ألماني كتب تاريخ أمريكا، ولكن هل كتبه باعتباره ألمانياً أم باعتباره مؤرخاً؟ هذا ما لا يمكن التأكد منه، المهم أنه كتبه كما يريد، وعلى القارئ أن يفهمه كما يريد، آخر ما قاله (فرناو):

«هل يبقى لنا مستقبل؟

طبعاً

ما عصوبي على هذه الكلمة التبسيطية إن عليها فقط حجب حركتي

المستقبل مضمون لنا.

إذا نهضت ...ة الأمريكا، فإنها ستصمد للبشرية خلال مائة وخمسين سنة، ستواصل الأرض بعدها دورانها في الفضاء الكوني ككوكب مريح ميت.

أما إذا ربح الغير، فإن البشرية ستعيش ما قدر الله لها أن تعيش.

...ة العالمين وحمتك يا الله» (ص 332)

فرناو وبعض من رؤساء أمريكا

لم يخصص (فرناو) مساحة خاصة بالرؤساء الأمريكيين، إلا أنه ضمّن كتابه فقرات تطول أو تقصر حول بعضهم وأحياناً يخصص صفحات عديدة لبعضهم مثلما حدث مع (أبراهام لينكولن).

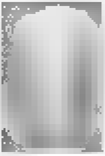
لم يكن (فرناو) ودوداً مع معظم الرؤساء بل لم أقل مع جميعهم، لم يبد إعجابه بأي رئيس أمريكي [illegible] أولئك الذين كنا نقرأ عنهم جملاً إيجابية.

لن أتتبع كل ما قاله عنهم ولن أفتش عن أي رأي إيجابي عن أي منهم لأنني لم أجد ذلك باستثناء جملة أو جملتين عن رؤساء لا يزيد عددهم عن أصابع اليد الواحدة.

جورج واشنطن: [illegible]، مترف

اسم لامع ولا ريب [illegible] فرناو [illegible] اللمعان كلمعان البرق [illegible] تخلّفه، وقد [illegible] في جملة سأوردها فيما بعد.

[illegible] فرناو [illegible] عن واشنطن، ورغم الأسطورة لم يكن [illegible] فإنه كان إنجليزياً [illegible] وعاش إنجليزياً كما يعيش لورد، كان [illegible] في المستعمرة [illegible] والعشرين من [illegible] أكثر ثروة منه [illegible] في [illegible] فرنون وهو قصر [illegible] إقطاعي [illegible] عملاقة، يعيش فيه جيش من العمال يضم خمسين من العبيد الأفارقة [illegible] كان مصيرهم يحرك مشاعره كما عرف هو نفسه بذلك [illegible] من روح الدعابة وكان غير شاعري أيضاً، كان [illegible] تستطيع أن تعد على أصابع يد واحدة [illegible] فيها أحد [illegible] من شكره له [illegible] لم يعرف [illegible] في يوم من الأيام [illegible] الجلوس في حضرته [illegible] (ص 63 - 66)



جورج واشنطن

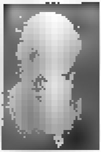
[illegible] واشنطن [illegible] خلف وراءه [illegible] فرناو [illegible] بعض النصائح [illegible] فإنه لا يجد ما تركه خلفه غير فراغ [illegible] وفي نهاية الأمر [illegible] فرناو [illegible] أسئلة ليست لها إجابات واضحة من بينها: [illegible] ألم يكن واشنطن أمريكا؟ ألم يكن أب الوطن؟ ألم يقف على رأس العالم؟ (ص 63)

باختصار [illegible] (فرناو) [illegible] لا بد من الاعتراف بأنه كان رجلاً مترفاً [illegible] صفحاته (ص 63) [illegible] هي الجملة التي جعلت [illegible] واشنطن [illegible] جورج واشنطن إلى الجحيم [illegible] ما أراد فرناو [illegible] تلميحاً لا تصريحاً.

ومع كل [illegible] من المستحيل أن ننسى أن جورج واشنطن [illegible] كان من المؤسسين [illegible] الأمريكية [illegible] قرية [illegible] عاصمة [illegible] بينها واشنطن التي كانت لا تزال [illegible] (ص 19) [illegible] الكونجرس الأمريكي وبمناسبة الاحتفال [illegible] 1976 بالذكرى [illegible] للاستقلال كرم واشنطن [illegible] (جنرال) [illegible] (ص 118)

جون آدامز: عين ما لي شأن

يستطيع فتح فصل جديد
للمراسيمي الجديد، لكنني لا
أعتقد أن ثمة جدوى في ذلك
ربح (أمامي الانتخابات) وكان
واضطر إلى مبنى تالي له. لم
يكن نجاحه إنجازاً كبيراً، ولم
يأت بمطامع أو بمخاطرات



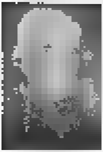
جون آدامز

جديدة». (ص 111) ويعد أن قدم وصفاً شخصياً لـ(آدامز) شعر أن قراءه ربما استغربوا شيئه هذا، فقال: «ستتساءلون أتضحكم لهذا الفصل الذي في وصف جون آدامز؟ أعترف بصراحة: لقلة ما يمكن أن أقدمه هنا، تستطيعون طبعاً أن تقرأوا في كتب التاريخ تفاصيل كثيرة عن حرب أمريكية فرنسية صغيرة قادها جون آدامز. لكنني أنصحكم أن لا تفعلوا، لأن هذه الحرب لم تحدث من لا شيء». (ص 117)

ويبدو أن (فرحان) أحس أنه ظلم الرجل قليلاً فاستدرك في ختام حديثه عنه بقوله: «في النهاية قام الرجل بشيء لكنه كان يائساً تماماً وحقق التاريخ ليبقى فيه على مر العصور. لقد نقل مقر الرئيس والحكومة الأمريكية من فيلادلفيا إلى عش صغير هو قرية بل مدينة في طور البناء التام، أو شبه على درجة من القبح». وقد سموا تلك القرية التي كانت أنذاك وضيعة إلى حد كبير «وهي اليوم حاضرة العالم باسم مؤسسها واشنطن». (ص 119)

توماس جيفرسون: نزع سلطة الاتحاد

«رجل مسالم، فعل منصب مقرر بلاده في باريس. كان يرتدي ثياباً غالية الثمن غير أنها كانت مهملة... يحسن الكتابة والعزف، مهندس صمم كثيراً من أجمل القصور الريفية في فيرجينيا. أحضر إلى بيته أول ساعة الربيع وعشرين ساعة، وأول كرسي دوار...» (ص 131). «كتاب لويس من خبر بسلطة الصحافة التي رمى من مخترع وكالة الأنباء على يد بارون يوليوس رويتر Reuter». (ص 132) اتسم منصبه بطريقة مواجهة أصحاب الشعب... تخلى عن بعض ميادينه الرئيسية. حين قرر أنه لا يستطيع الحكم دون سلطة... فما كان منه إلا أن نزع سلطة الاتحاد. التهمت الدستور وراح الخلف يعرف دون أن التعريف». (ص 132 - 133)



أندرو جاكسون

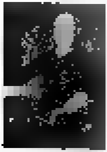
جيمس مونرو: مبدأه ضرب من البلاغة

عرفت حقبته بحقبة السنوات السعيدة. (ص 138) «وقبل أن يتوفى كتب إعلاناً، وهو نص قصير ورقيق، سطره متشابهة وبليغة، اشتهر فيما بعد باسم مبدأ مونرو، اعتبره الأمريكيون حتى القرن العشرين جوهر الحكمة. ثم اكتشفوا بعد ذلك أنه كان ضرباً من البلاغة. يقول الإعلان في كلمات قصيرة: إن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تتخذ موقفاً، لم هو عدم السماح لأية أمة أجنبية التدخل في شؤونها، وعدم التدخل هي ذاتها في شؤون أمة أخرى. بذلك أعد مونرو قيمته وذهب تصحيحه للسنوات السعيدة». (ص 143)

هل كان (فرحان) يعني تماماً ما قاله من أن مونرو ذهب لتصحيحه السنوات السعيدة؟ أعتقد جازماً أنه عنى تماماً وبدقة وبوضوح ما قاله.

كوينسي آدامز

إلى كان الرئاسة
في الوقت كثير عند هذه
الرجل، فقد كان كما قال عنه
فرحان: «وجهاً لتقالي، لكنه
كان أولاً ابن الرئيس الثاني

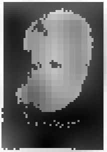


كوينسي آدامز

وكان ثالثاً قد [illegible] الحياة إلى دكان الرئاسة [illegible] عام 1946، وما أشبه الليلة بالبارحة في [illegible] البيت الأبيض الأمريكي؟!

اندرو جاكسون

قاتل الهنود الذي انتخبته أكلة لحوم البشر



أندرو جاكسون

[illegible] (الرقيص) شكل [illegible] (بزهرانه) ومن خلال [illegible] أدركت كم كان [illegible] أسمالية [illegible] جاكسون [illegible] وبطريقته المعهودة [illegible] أنه [illegible] أندرو جاكسون بأهمية كبيرة وبتأييد سكان الغابات الخلفية [illegible] الذين رأوا فيه [illegible] شجرة واختصر [illegible] أنها صفة [illegible] الرئيس الذي كانت [illegible] ألقابه (قاتل الهنود) [illegible] عن طريقه [illegible] الحياة في [illegible] الصيغة [illegible] عشرة من عمره [illegible] ولأن كان [illegible] أكلة لحوم البشر [illegible] وهو في [illegible] والعشرين [illegible] تخصص في بيع التبغ واللحم المملح، [illegible] تجارة واسعة بالعبيد [illegible] الكابيتول يوم [illegible] مجموعة كبيرة من أنصاره [illegible] الكابيتول [illegible] جديد [illegible] كبيرة للرعاع [illegible] ما كان عليها، وكسروا الآنية [illegible] السجاد [illegible] يعتبر جاكسون مؤسس ما عرف باسم (نظام الغنيمة) وهي عبارة يراد بها [illegible] أنها تعبر [illegible] عن أن جهاز الدولة ومناصبه جميعها هي غنيمة للرئيس وأعوانه [illegible] (ص 44-49)

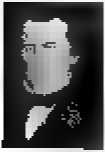
***

أنهى (هرنار) هذه الحقبة بجملة: (اعترف انني قد ارتضيت ما حصلت عليه من [illegible] من رؤساء [illegible] ومن التاريخ [illegible] فالرؤساء الذين جاءوا بعد تلك الفترة قد افتقروا إلى كل أهمية حقيقية، لدرجة يمكننا أن نتركهم يتمتعون بالراحة حيث هم في النسيان). (ص 152)

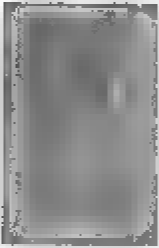
وربما كان (هرنار) محقاً في ما ذهب إليه، لكنه لم يكن منصفاً تماماً [illegible] أكثر من رئيس له حسناته بغض النظر عن نوعها، إن لم يكن على المستوى الدولي فعلى الأقل على المستوى المحلي الأمريكي.

[illegible] بضع صفحات [illegible] من كلماته تلك [illegible] حيث نجده يمر [illegible] بـ(ابراهام لينكولن) أكثر من [illegible] صفحة [illegible] لكنه يذكره في [illegible] صفحة [illegible] ربما يكون الرئيس الأكثر حظاً بالنظر [illegible] التي خصصت له وللأحداث التي تمت في عهده.

[illegible] سنعرض [illegible] من مجريات الأحداث حول الهنود الحمر والسود [illegible] لينكولن ومن [illegible] الرئاسة [illegible] أن [illegible] إليه [illegible] مع أنه كان [illegible] تعليم [illegible] بحسب المؤلف [illegible] عن (أندرو جونسون) الذي كان نائباً لنكولن والذي وصفه بأنه [illegible] كان [illegible] في القرية [illegible] القراءة والكتابة [illegible] زوجته [illegible]



أندرو جونسون



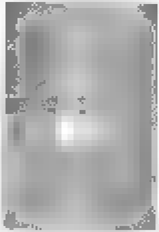
هداية البيان في تفسير القرآن

(أربعة أجزاء)

المؤلف: واصف عبد الله الفرحان

الناشر: كلية الدعوة الإسلامية - طرابلس

هذا التفسير وسط بين المطولات والمختصرات مما يحتاجه المتعلم، ولا يستغني عنه القارئ المسلم. والمنهج الذي يسير عليه المؤلف في هذا التفسير يجعل تفسير كل آية عقبها، مع إعادة ذكر كل جزء يحتاجه الشرح ليجمع القارئ بين القراءة والتفسير، مع المحافظة على [illegible] الصلة بين الآيات والسور، وتحديث اللغة العربية تحديثاً مشيراً، حيث يختار من الآراء ما يناسب سياق الآيات ويبين المعنى بسهولة، موضحاً ما في الكلمة والجملة القرآنية من بيان وبلاغة وفصاحة وإعجاز [illegible] القرآن، كما يعتني [illegible] مع [illegible] كل [illegible] التفسير، وهي من أواخر التفسير [illegible] القراءة [illegible] فهم داخلة في الأحرف السبعة، ويحاول ما استطاع جمع التفسير العلمي والكوني في مكانه المناسب بما تدل عليه الآيات مع المحافظة على المعنى اللغوي، ويذكر سبب النزول كلما [illegible] كل ذلك [illegible] بتوضيح المعنى، كما يشير إلى أسماء الأعلام والأماكن التي يرد ذكرها مع التعريف بها [illegible] ويستجلي معاني الكلمات وفهم مقاصدها والمراد منها، محاولاً [illegible] مشكل كثير من الآيات التي التبس معناها وفهمها على كثير من المفسرين، ويحرص المؤلف كذلك على إيراد وتوضيح الأحكام الفقهية من النصوص مع الشواهد والآثار المتصلة. ويعتمد المؤلف على كثير من كتب التفسير وعلوم القرآن والقراءات والحديث واللغة والعلوم والفقه والتاريخ وغيرها.



البدعة: نشأتها وانتشارها

المؤلف: د. المختار محمد ديرة

الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

يطالع في هذا الكتاب [illegible] موجز عن "البدعة" من حيث مدلولها اللغوي والاصطلاحي الشرعي [illegible] يترتب على البدعة من مخاطر تصيب المجتمع والأمة، ودور الجهل واتباع الهوى في نشأة البدع وانتشارها، ويحاول المؤلف تقديم إجابة عن سؤال مهم يقول: كيف تتصدى للبدعة قبل تفشيها؟ [illegible] انتشرت كيف نعالج مصادرها؟ كما يتناول أنواع البدع الثلاثة وفق تقسيم الشاطبي وهي المنهجية الإضافية التركية، ويعرض بعض البدع في العقائد، البدع في العبادات، البدع في العادات.

ديوان ابراهيم بن الحاج النميري

تحقيق: د. عبد الحميد عبد الله الهرامة

الناشر: المجمع الثقافي للإمارات العربية - السلسلة الأندلسية



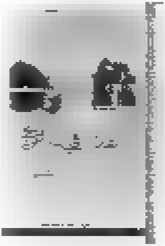
لا تكفي ضرورة أن تكون هنالك صلة للكاتب بالتراث الأندلسي حتى يستطيع تحقيق مخطوطاته، بشرط أن يعيد من هذا التراث بأصالة فنية، يعبر عن إنتاج الكاتب ... فيه بجلاء عن الأندلس من مواقع الأصالة ثم يقوم ... هذا التراث ... وفي إحياء التراث العربي وإعادة نشره وتسليط الضوء عليه يأتي تحقيق ديوان النميري ... الهجري ... الميلادي، الشاعر الذي وصفه مترجموه بأنه فقيه ومحدث ورحالة وقاص وشاعر وإمام وخطيب. ويجمل المحقق الكتاب في قسمين: القسم الأول للتقديم والقسم الثاني للديوان. وقد خص القسم الأول بالتعريف بالشاعر ... شكل هذا العصر بيئة ... في بيئته باعتبار علاقته ... بالنص وصوره بتحليل نسبه وحياته والتعريف بأسرته وآثاره الفنية ومصادر شعره ويقدم بحثه في ذلك عن ... التي جاءت غير ... بمصادر الأدبية والتاريخية. أما القسم الثاني والأخير فقد كان مخصصاً لتحقيق الديوان حيث جاءت النصوص وعددها 123 نصاً، في مجموعة 1137 بيتاً شعرياً مرقمة ومحققة ومضبوطة ضبطاً كاملاً وسليماً.

القدس في التاريخ

(زمن الاحتلال الصليبي)

تحقيق: د. سهيل زكار

الناشر: القيادة الشعبية الإسلامية العالمية



عجيب هو أمر القدس، والأعجب تاريخها المديد، سميت المدينة بأنها معظمة ومدينة سلام، لكن تاريخها عليها أقوام ادعوا الإيمان بقداستها لكنهم سفكوا فيها بحاراً من الدماء مرات ومرات حتى دخلها الخليفة العربي عمر بن الخطاب فأعادها مدينة للقداسة والسلام، وعاشت لقرابة خمسة قرون بسلام وأمن وطمأنينة حتى جاءت الحروب الصليبية فحولت مدينة السلام إلى مدينة الدماء والاغتصاب، وباسم المسيح اقترفت أعظم المذابح شناعة، وبعد قرابة القرن عاد نور الله إلى القدس بسلام مع صلاح الدين، لأن نور الله يظهر الهداية والسلام، والظلام وسفك الدماء مرتبطان بالتوحش. ولأن محنة الاحتلال الصليبي للقدس هو موضوع هذا الكتاب، حيث يبحث فيه المؤلف الحياة السياسية، أي حياة الملوك والذين تآمروا معهم، ويخرج بشيء من التفصيل بوجيز على النشاطات العسكرية لأولئك الملوك. كما يتناول بالبحث بعض جوانب الحياة الاجتماعية، والحياة الكنسية والعلاقات بين السلطة ورجال اللاهوت، كما يتضمن الكتاب بعض الأماكن المقدسة التي تحتاج إلى استعادة. وهذا الكتاب هو بشكل شبه معلق على موسوعة الشاملة في الحروب الصليبية للمؤلف نفسه وتقع في ثمانين مجلداً صدر منها حتى الآن خمسون.

دليل مجلات البحث العلمي الجامعية

الناشر: اتحاد جامعات العالم الإسلامي

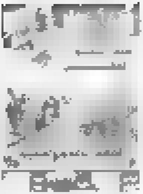


يسعى اتحاد جامعات العالم الإسلامي الذي تستضيفه المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إلى توثيق التعاون بين مؤسسات التعليم العالي في العالم الإسلامي، ويعمل على دعمها من أجل تحقيق تطلعاتها في الوصول إلى مستوى علمي رفيع وتطوير البحوث العلمية التي تضطلع بها. وتحقيقا لهذه الغاية فقد تضمنت خطة عمل الاتحاد للسنوات 1998-2000 برنامجا خاصا بتوفير المعلومات عن مؤسسات التعليم العالي، وذلك بإعداد دليل جامعات العالم الإسلامي. كما تضمنت هذه الخطة إعداد دليل مجلات البحث العلمي الجامعية، وهو الدليل الذي بين يدي القارئ في طبعته الأولى. والغاية منه تيسير تبادل هذه الدوريات بين الجامعات وتعميم الاطلاع عليها والإفادة منها.

وقد تم إعداد هذا الدليل بعد أن قامت الأمانة العامة لاتحاد جامعات العالم الإسلامي بتوزيع استبيان على جميع الجامعات الأعضاء، وتلقت إجابات من ثلاث وخمسين (53) جامعة في إحدى وعشرين (21) دولة، تتضمن معلومات عن مئتين وسبع وستين (267) مجلة. ويقدم هذا الدليل معلومات وافية عن مجلات البحث العلمي الجامعية تشمل عنوان كل دورية، واسم مديرها ورئيس تحريرها، وعنوان مقرها كاملا، ورقم هاتفها ورقم الفاكس، وبريدها الإلكتروني، واسم ناشرها وعنوانه، وسنة صدور العدد الأول منها، وعدد مرات صدورها في السنة، ولغتها وحقول تخصصها، ورقم تسلسلها الدولي، وسعر بيعها، وعدد النسخ التي تطبع من كل عدد من أعدادها، وقيمة الاشتراك السنوي فيها. وقد تم ترتيب هذه المعلومات وفقا لتوصيات المنظمة العالمية للتقييس، لتسهيل تدوين البيانات وتخزينها في قواعد المعلومات.

أنوار

مجلة فصلية نوعية تصدر في ليبيا



في عددها الأول تطل مجلة "أنوار" على القارئ بإطلالة وبعدد يحسن الأداء وشمولية للقائمة في مختلف الإبداعات العصرية، والإبداعات الثقافية والفنية في ليبيا.

ومع أن المجلة تصدر عن إدارة الإعلام بالشركة العامة للكهرباء، غير أنها تضع صفحاتها التي تجاوز المائة صفحة للمقالات والقصص ودراسات شارك في كتابتها كوكبة من الكتاب والباحثين المعروفين، فضلا عن عدد من المتخصصين في قطاع الكهرباء، مواكبة للتقنيات الحديثة، وتطبيقا للبرامج الوطنية والعالمية، ويحمل من الملامح الإخراجية والعامة على الرضا والقبول بالنسبة لجمهور كامل من الجمهور الليبي. هذه المبادرة من بينها [illegible] المجلة [illegible] المتخصصين [illegible] العدد الأول [illegible] الرسامين العرب في فن الرسم الساخر (الكاريكاتير) محمد الزواوي، في إشارة مستحقة وتكريم مبكر مع عودته إلى وطنه الجديد (2006). ويضم العدد جملة من المقالات منها: مكونة الإلكترونية تغير العالم، بلد [illegible] في دار الأوبرا الإنجليزية: عرض فني [illegible] حية البقاء للأسرع وليس للأقوى.

حصاد عام

خدمة للقارئ الكريم نقدم هذا الثبت لما نشرته مجلة التواصل في أعدادها الأربعة التي صدرت خلال سنة 1374 من وفاة الرسول ﷺ 2006 مسيحي

الافتتاحية

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
نحو عالم أكثر تسامحا	محمد عبد السلام [illegible]	العدد التاسع	الربيع 1374 و.ر/ مارس 2006	
من حوار [illegible] في المنظور الإسلامي	عبد العاطي محمد عبد الجليل	العدد العاشر	الصيف 1374 و.ر/ يونيو 2006	
أساس للقيم والعقل والأخلاق	عبد العاطي محمد عبد الجليل	العدد الحادي عشر	الخريف 1374 و.ر/ سبتمبر 2006	
[illegible] تبشير أم تنصير؟	عبد العاطي محمد عبد الجليل	العدد الثاني عشر	الشتاء 1374 و.ر/ ديسمبر 2006	

مقالات

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
◆ نحو موجهات [illegible] الوحيد التي تكون بالمشاركة	[illegible]	العدد التاسع	الربيع 1374 و.ر/ مارس 2006	[illegible]
◆ حوار الحضارات [illegible] حتى لا [illegible]	[illegible]	العدد التاسع	الربيع 1374 و.ر/ مارس 2006	7 - 16
◆ بين الإسلام والغرب [illegible]	[illegible] عبد الستار	العدد التاسع	الربيع 1374 و.ر/ مارس 2006	[illegible]
◆ الكنيسة الإفريقية [illegible]	[illegible]	العدد التاسع	الربيع 1374 و.ر/ مارس 2006	[illegible]
◆ المدرسة [illegible] الأمة	[illegible]	العدد التاسع	الربيع 1374 و.ر/ مارس 2006	[illegible]
◆ الثقافة والهوية [illegible]	[illegible]	العدد التاسع	الربيع 1374 و.ر/ مارس 2006	[illegible]
◆ التجديد العلمي [illegible]	[illegible]	العدد التاسع	الربيع 1374 و.ر/ مارس 2006	[illegible]
◆ [illegible] في [illegible] اللغة العربية	[illegible]	العدد التاسع	الربيع 1374 و.ر/ مارس 2006	[illegible]
◆ [illegible] الأخلاقي في [illegible] العلم والتنمية	[illegible]	العدد العاشر	الصيف 1374 و.ر/ يونيو 2006	[illegible]
◆ [illegible]	[illegible]	العدد العاشر	الصيف 1374 و.ر/ يونيو 2006	[illegible]
◆ النخبة الإفريقية [illegible]	[illegible]	العدد العاشر	الصيف 1374 و.ر/ يونيو 2006	[illegible]
◆ [illegible]	[illegible] عبد [illegible]	العدد العاشر	الصيف 1374 و.ر/ يونيو 2006	[illegible]
◆ [illegible]	[illegible] محمد [illegible]	العدد العاشر	الصيف 1374 و.ر/ يونيو 2006	[illegible]
◆ [illegible]	[illegible]	العدد العاشر	الصيف 1374 و.ر/ يونيو 2006	[illegible]
◆ [illegible]	[illegible]	العدد العاشر	الصيف 1374 و.ر/ يونيو 2006	[illegible]
◆ حوار الحضارات [illegible]	[illegible]	العدد العاشر	الصيف 1374 و.ر/ يونيو 2006	[illegible]
◆ [illegible]	[illegible]	العدد الحادي عشر	الخريف 1374 و.ر/ سبتمبر 2006	[illegible]
◆ إسرائيل [illegible]	[illegible]	العدد الحادي عشر	الخريف 1374 و.ر/ سبتمبر 2006	[illegible]
◆ [illegible]	[illegible]	العدد الحادي عشر	الخريف 1374 و.ر/ سبتمبر 2006	[illegible]
◆ [illegible]	[illegible]	العدد الحادي عشر	الخريف 1374 و.ر/ سبتمبر 2006	[illegible]
◆ [illegible]	[illegible]	العدد الحادي عشر	الخريف 1374 و.ر/ سبتمبر 2006	[illegible]

مقالات

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
♦ بين الهجرة وتحقيق التجديد الحضاري	[illegible]	العدد الحادي عشر	التاسع [illegible] الأول/سبتمبر 2006	[illegible]
♦ أفكار حول [illegible] كرامة الإنسان	[illegible]	العدد الحادي عشر	[illegible] الأول/سبتمبر 2006	58 - 67
♦ كيف نحاكم قوانين الإرادة البشرية؟	[illegible]	العدد الحادي عشر	التاسع [illegible] الأول/سبتمبر 2006	65 - 71
♦ علاقة [illegible] باللغة العربية	[illegible]	العدد الحادي عشر	التاسع [illegible] الأول/سبتمبر 2006	[illegible]
♦ [illegible] من [illegible] إلى أين؟	[illegible]	العدد الثاني عشر	[illegible] الأول/ديسمبر 2006	[illegible]
♦ [illegible]	[illegible]	العدد الثاني عشر	[illegible] ديسمبر 2006	10 - 17
♦ التسامح الإسلامي ومعضلة السلم العالمي	[illegible]	العدد الثاني عشر	[illegible] ديسمبر 2006	[illegible]
♦ المسلمون في الغرب [illegible] ومستقبلهم	[illegible]	العدد الثاني عشر	[illegible] الأول/ديسمبر 2006	[illegible]
♦ المسلمون بين تحدي الأمن الفكري والأمن الروحي	محمد [illegible]	العدد الثاني عشر	[illegible] الأول/ديسمبر 2006	[illegible]
♦ الإنجيليون الأمريكيون [illegible]	[illegible]	العدد الثاني عشر	[illegible] ديسمبر 2006	[illegible]
♦ [illegible]	[illegible]	العدد الثاني عشر	[illegible] الأول/ديسمبر 2006	[illegible]

دراسات

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
♦ أوروبا والإسلام [illegible]	د. [illegible]	العدد التاسع	ربيع [illegible] 2006	[illegible]
♦ [illegible] والتطبيق [illegible] للنموذج [illegible] في العصر	عبد الله [illegible]	العدد التاسع	[illegible] 2006	[illegible]
♦ مفهوم الأقلية في الثقافة العربية الإسلامية [illegible]	علي [illegible]	العدد التاسع	[illegible] 2006	[illegible]
♦ [illegible] والقرآن	[illegible]	العدد العاشر	[illegible] 2006	[illegible]
♦ [illegible] الأقليات [illegible] في المجتمع الإسلامي	محمد [illegible]	العدد العاشر	[illegible] 2006	[illegible]
♦ أثر الحضارة العربية الإسلامية على الحضارة الأوروبية في مجال [illegible]	د. [illegible]	العدد الحادي عشر	[illegible] سبتمبر 2006	[illegible]
♦ الإرهاب من الدلالة والإطلاق	عبد [illegible]	العدد الثاني عشر	[illegible] ديسمبر 2006	[illegible]

قضايا وآراء

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
♦ [illegible] الأحداث	التحرير	العدد الحادي عشر	[illegible] سبتمبر 2006	[illegible]
♦ [illegible] عن البابا	محمد [illegible]	العدد الحادي عشر	[illegible] سبتمبر 2006	[illegible]
♦ ملاحظات على محاضرة البابا وتداعياتها	[illegible] عبد الله [illegible]	العدد الحادي عشر	[illegible] سبتمبر 2006	[illegible]
♦ الجذور الفكرية العقدية لموقف البابا من الإسلام	[illegible]	العدد الحادي عشر	[illegible] سبتمبر 2006	[illegible]

قضايا وآراء

ملفـــــات

الملف: العربي القرآن الكريم — الملف: [illegible]

ملفـــات

محاضرات

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ القرآن الكريم، آفاق علمية	علي الهاشمي	العدد التاسع	الربيع الأول مارس 2006	[illegible]
❖ التطور التاريخي لانتشار الإسلام بإفريقيا	د. [illegible]	العدد العاشر	الصيف الأول يونيو 2006	[illegible]
❖ العلاقات المسيحية اليهودية، العلاقات المسيحية الإسلامية تاريخيا وحاليا	د. عبد الرحمن [illegible]	العدد الحادي عشر	الخريف الأول سبتمبر 2006	[illegible]
❖ [illegible] والنظام العالمي الجديد في الخليج العربي والمشرق	[illegible]	العدد الثاني عشر	الشتاء الأول ديسمبر 2006	[illegible]

استطلاعات

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ [illegible]	محمد [illegible] جمعا	العدد التاسع	الربيع الأول مارس 2006	[illegible]
❖ [illegible]	[illegible]	العدد العاشر	الصيف الأول يونيو 2006	[illegible]
❖ مساجد من أرض الإسلام	عبد [illegible]	العدد الحادي عشر	الخريف الأول سبتمبر 2006	[illegible]
❖ [illegible] من التقاليد والأعراق	محمد [illegible] جمعا	العدد الثاني عشر	الشتاء الأول ديسمبر 2006	[illegible]

تقارير

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ يوم حافل في [illegible]	[illegible]	العدد التاسع	الربيع الأول مارس 2006	[illegible]
❖ العاصمة البريطانية تشهد اجتماعات المجلس العالمي للدعوة الإسلامية	محمد [illegible]	العدد التاسع	الربيع الأول مارس 2006	[illegible]
❖ [illegible]	محمد عبد السلام [illegible]	العدد العاشر	الصيف الأول يونيو 2006	[illegible]
❖ حركة التصحيح في عالم الإسلام اليوم	[illegible]	العدد الحادي عشر	الخريف الأول سبتمبر 2006	[illegible]
❖ [illegible] على [illegible] للمسلمين	[illegible]	العدد الثاني عشر	الشتاء الأول ديسمبر 2006	[illegible]

الواحـــــة

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ [illegible]	التحرير	العدد التاسع	الربيع الأول مارس 2006	[illegible]
❖ [illegible]	التحرير	العدد العاشر	الصيف الأول يونيو 2006	[illegible]
❖ الأرملة [illegible]	[illegible]	العدد الحادي عشر	الخريف الأول سبتمبر 2006	[illegible]
❖ [illegible]	[illegible]	العدد الحادي عشر	الخريف الأول سبتمبر 2006	[illegible]
❖ [illegible]	[illegible]	العدد الحادي عشر	الخريف الأول سبتمبر 2006	[illegible]
❖ [illegible]	[illegible]	العدد الحادي عشر	الخريف الأول سبتمبر 2006	[illegible]
❖ [illegible]	[illegible]	العدد الثاني عشر	الشتاء الأول ديسمبر 2006	[illegible]
❖ [illegible]	التحرير	العدد الثاني عشر	الشتاء الأول ديسمبر 2006	[illegible]
❖ [illegible]	التحرير	العدد الثاني عشر	الشتاء الأول ديسمبر 2006	[illegible]

كتب

الموضوع	عرض الكتاب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
◆ الفكر: تاريخ [illegible] والمسيحية والإسلام	[illegible]	العدد التاسع	الربيع [illegible] مارس [illegible]	[illegible]
◆ رحلة إلى [illegible]	علي [illegible]	العدد التاسع	الربيع [illegible] مارس [illegible]	[illegible]
◆ [illegible] سياسي [illegible] الإسلام	[illegible]	العدد العاشر	الصيف [illegible] يونيو [illegible]	[illegible]
◆ [illegible] الإسلام	[illegible]	العدد العاشر	الصيف [illegible] يونيو [illegible]	[illegible]
◆ الفكر الاستشراقي [illegible]	[illegible]	العدد الحادي عشر	[illegible] سبتمبر [illegible]	[illegible]
◆ الإسلام [illegible] الإنسان [illegible]	[illegible]	العدد الحادي عشر	[illegible] سبتمبر [illegible]	[illegible]
◆ [illegible] تاريخ أمريكا	[illegible]	العدد الثاني عشر	[illegible] ديسمبر [illegible]	[illegible]

حصاد عام

الموضوع	عرض الكتاب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
	التحرير	العدد الثاني عشر	[illegible] ديسمبر [illegible]	[illegible]

وتتواصل

الموضوع	عرض الكتاب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
◆ الدين والدولة	[illegible]	العدد التاسع	الربيع [illegible] مارس [illegible]	[illegible]
◆ [illegible] والتحكيم	أسرة هيئة التحرير	العدد العاشر	الصيف [illegible] يونيو [illegible]	[illegible]
◆ [illegible] التراث	[illegible]	العدد الحادي عشر	[illegible] سبتمبر [illegible]	[illegible]
◆ [illegible] التواصل؟	[illegible] علي [illegible]	العدد الثاني عشر	[illegible] ديسمبر [illegible]	[illegible]

الأخ أمين هيئة التحرير مجلة التواصل

تحية إسلامية صادقة

نود أن أتوجه لكم ولجمعية الدعوة الإسلامية العالمية بأصدق عبارات الشكر والتقدير على مجهودات الجبارة التي تبذلونها في مجال نشر الدعوة الإسلامية وتحقيق توسيع وانتشار مواقعها ونشاطها في مختلف أرجاء العالم.

وأود إعلامكم بأنني توصلت للمرة الأولى بالعدد الثاني من مجلتكم الموقرة التواصل وهو أول عدد أتوصل به خلافاً لجريدة الدعوة الإسلامية التي أستفيد منها وستبقى معي غيري.

ولهذا وعدتنا بعدم التوصل دائماً بمطبوعاتكم وإصداراتكم ... أرسلوا إلي مجلة التواصل.

وتقبلوا أسمى عبارات الشكر والدعاء بالتوفيق والنجاح.

د. زكي مبارك

مدير مجلة ملتقى الرباط المغرب

تحرير: نشكرك على مبادرتك بالكتابة إلينا ولتلك التحية بمثلها. كما نفيدك بأننا سنرسل إلى مكتبة مجلتكم نسخة من كل عدد يصدر بداية من هذا العدد فقط لنفاد الأعداد السابقة. كما نرجو منكم تزويدنا بما يصدر من مجلة (ملتقى) لنكون على تواصل على طريق الكلمة الهادفة.

الأخ أمين هيئة التحرير مجلة التواصل

تحية طيبة وبعد

فقد اطلعت على عددين من مجلتكم الغراء (التواصل) أرسلهما إلي أحد الدبلوماسيين الليبيين في الهند. وقد قرأت المقالات المنشورة بمنتهى الشوق والاهتمام، وسعدت جداً باستكشاف هذه المجلة القيمة، وكانت هذه المجلة أول ما عرفت به من المجهودات الليبية في بلادنا. وكانت المقالات والدراسات وكل الموضوعات التي تضمنتها غاية في الأهمية بمواضيعها الساخنة ومعالجتها الموضوعية. وخاصة فيما يتعلق بـ (الإسلاميون) والخطاب الإسلامي بين الأصالة والتطهير والحملة الإعلامية الغربية على الإسلام.. وما إلى ذلك.

وقد كتبت بحثاً حول (الإرهاب بين الدلالة والإخلال في ضوء الإشكالات الحقيقية) وأقدم لكم التلخيص له فقد استغرق مني أو أكثر، وذلك لكي أتأكد بأنه يستوفي المقاييس العلمية، وقد أرسلته إليكم لتكرموا بنشره على صفحات مجلتكم الغراء في أقرب وقت ممكن.

بارك الله في جهودكم من أجل نشر النشاط والوعي الصحيح. ولنا أن ننتظر جوابكم الرضي قبلها مني فائق التقدير والشكر.

د. عبد الماجد القاضي - الجامعة الملية الإسلامية

نيودلهي - الهند

تحرير:

نشكرك على ما تفضلت به من كلمات طيبة معبرة عن شعورك الصادق تجاه التواصل وما ينشر على صفحاتها، وقد سرّنا كثيراً الموضوع الذي أرسلته به والذي تجده منشوراً على صفحات هذا العدد، ونفيدك بأن صفحات التواصل مفتوحة لكل من يود المساهمة فيها بالكلمة الطيبة والرأي السديد. ونرجو أن تكون على تواصل دائم معنا، وكمساهم في التطلع لصفحاتها القادمة.

وفقنا الله جميعاً لما يحقق التواصل بكل أبعاده بين الإنسانية في كل مكان.

الإخوة بمجلة التواصل

تحية طيبة

في طريقي أنني أحيي وأقدر فيه جهودكم المستمرة في سبيل نشر الثقافة الإسلامية ومبادئ الدين الإسلامي للتوعية عبر المقالات القيمة التي تحملها أقلام سادة جلاء وباحثين أفاضل، أتقدم اليكم بهذه الرسالة لأعبر لكم عن هذه الخطوات المباركة الطيبة، وعن النهج الذي تلتزمون السير عليه.

وأود أن أفيدكم بأنني من قراء صحيفة الدعوة الإسلامية التي تصدر كل أسبوع بنسختيها العربية والفرنسية منذ أكثر من سنة، وأنني لست مستفيدة الوحيدة منها، بل هناك أخرى وأخريات يحرصون على تصفح ما فيها من مقالات قيمة.

وأنني أغتنم هذه الفرصة لأطلب إليكم تزويدي بالمجلة الفصلية التي تصدرونها التواصل، وأنني اطلعت على بعض أعدادها وسررت بها وأعجبتني كثيرا.

وأكون شاكرة لكم لو تكرمتم وحققتم طلبي والتمسي

والسلام عليكم ورحمة الله

معلم رحمة / جوزكينا هاسو

تحرير:

تحية لك أيتها الأخت، وقد تلقينا كلماتك الطيبة وشعورك نحو صحيفة الدعوة الإسلامية التي نحررها، ونحن بدورنا نغتنم هذه الفرصة لنشكر فيك حرصك على متابعة إصدارات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والاستفادة منها.

كما نحيطك بأننا قد أبلغنا طلبك، وسنرسل لك نسخة من كل عدد يصدر من التواصل بداية من هذا العدد، ونرجو منك أن تكتبي إلينا وإفادتنا بوصول العدد من عدمه.

وفقنا الله جميعا لخدمة دين الحنيف ونشر القيم الإنسانية الأصيلة.

الأخ أمين هيئة تحرير مجلة التواصل، وكل الإخوة الذين يقفون وراء إصدار هذه المجلة الثقافية الفكرية الرائعة

السلام عليكم ورحمة الله

لقد وقعت بين يدي صدفة إحدى نسخ مجلة التواصل، فوجدت فيها من مقالات مفيدة تستند إلى الحقائق وتناقش العلوم والثقافة المعاصرة، وتقدم الرؤية الإسلامية الجادة.

ولأنه لا يمكنني الحصول على مجلتكم هذه (التواصل) لأنها لا تباع في الأكشاك ولا في مراكز بيع المطبوعات، لذلك أرجو أن ترسلوا إلي نسخة من كل عدد من مجلتكم التواصل، علما بأنني لا أستطيع إرسال قيمة الاشتراك لأنني غير قادر على ذلك ماليا، لأنني ما زلت طالبا على مقاعد الدراسة.

جزاكم الله خير جزاء وسدد خطاكم.

إبراهيم جبريل كوليبالي

ولاية جنوب نيجيريا

تحرير:

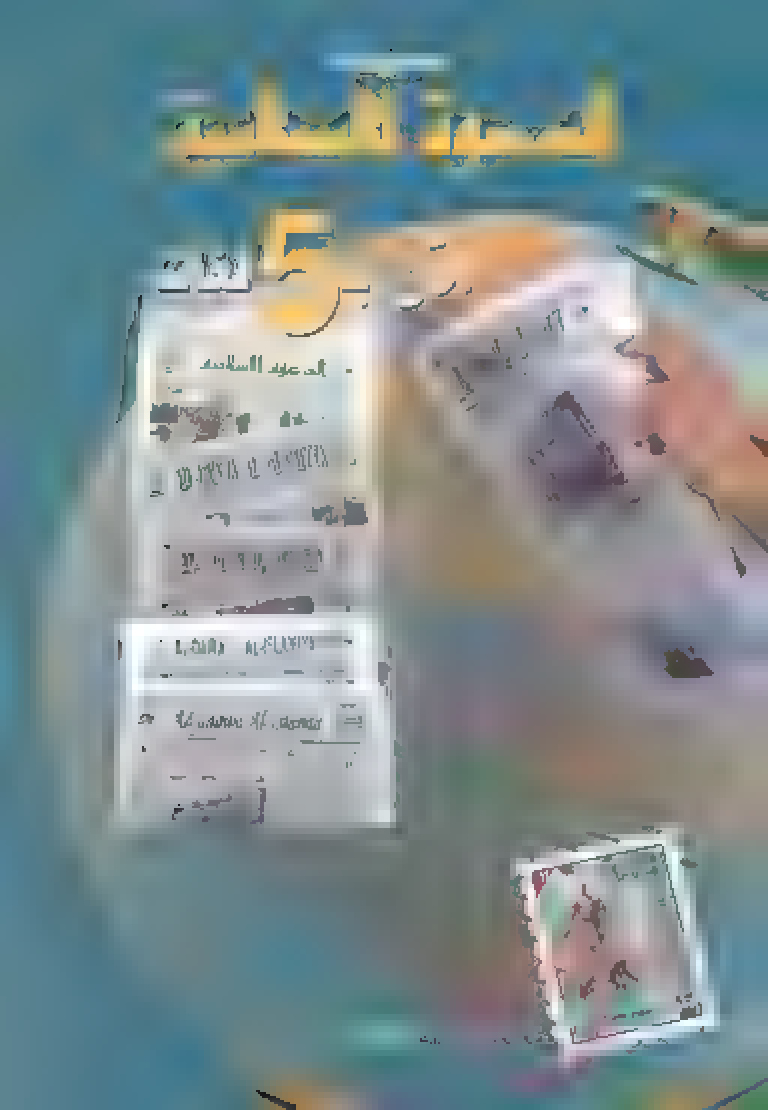
نرحب بك قارئا حريصا على متابعة مجلة التواصل، ونشكرك على مبادرتك بالكتابة إلينا، ونحيطك بأننا سنعمل على إرسال نسخة إليك من كل عدد إن شاء الله، ونرجو منك الكتابة إلينا وإفادتنا بوصول العدد من عدمه.

..ولنتواصل

فشلية من أجل الكراسي !؟

الأحزاب ... من أجل التواصل التي ... التونسية




الى عهد السلاجقة

9

التواصل

AT-TAWASUL

فصلية ثقافية شاملة

السنة الثالثة - العدد التاسع - الربيع 1374 من وفاة الرسول ﷺ مارس 2006 مسيحي



كويشيرو ماتسورا / مدير عام اليونيسكو:
نحو مجتمعات المعرفة

عبدالله مافينغ جون / الصين:
مذهب شيداو تانغ

د. سالمة عبد الجبار / ليبيا:
الإسلام والغرب .. تواصل أم قطيعة؟

علي الهاشمي / الإمارات:
القرآن الكريم .. آفاق علمية

علي يعقوب / النيجر:
إسهام الأفارقة في الثقافة العربية - الإسلامية

جوري
جزيرة الألم .. وبوابة اللاعودة

القراءة الغربية للقرآن الكريم


ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد

محمد عبد السلام شاهين *

نحو عالم أكثر تسامحاً

تدخل مجلة التواصل بهذا العدد عامها الثالث، باعتبارها مجلة فصلية حاولت بكل التواضع وبالقدر المتاح من الحرفية المهنية، إرساء القواعد الصحيحة للتواصل مع القارئ، فمع تعاقب الفصول للعامين المنصرمين، كان تداول أعداد المجلة الثمانية يعطي انطباعات إيجابية مشجعة: متخصصون مهنيّون، ونقاد وباحثون، ومفكرون، وقراء عاديّون تمنوا من جانبهم على أمانة التحرير الاستمرار في مسيرة التواصل..

كان التواصل - في مفهومه الإنساني العام - يلبي نزوعاً فطرياً للتلقي، ومع تفاعل المتلقي يستقيم التواصل ويعطي مردوده البناء، وتلك من بدهيات ومسلمات إرساء تلك القواعد الصحيحة التي دأبت المجلة على بنائها، من خلال انفتاحها على العديد من المناطق في مختلف قارات العالم ؛ تتابع وترصد، تقترح وتستكتب الأقلام من هنا وهناك، تتلقى التصورات ووجهات النظر والاجتهادات.. وفي حصادها المنشور بأعدادها الثمانية السابقة، غطت، بمنهجية فكرية مستنيرة، الدوافع والخلفيّات لتلك الأحداث، على الرغم من تسارع وتيرتها بين يوم وآخر، ما يصعب على مطبوعة فصلية مواكبتها..

نحو عالم أكثر تسامحاً.. كانت تلك دعوة المجلة في عددها الثاني الصادر في شهر الصيف / يونيو 2004 مسيحي، مع تزايد مجازر وجرائم الحرب التي لا يزال الغرب يشنها في ديار المسلمين، منطلقاً من دعاوى متشنجة تطلقها عقول تفتقر إلى الحد الأدنى من المعارف الأولية، تزعم بأن الإسلام يشجع ويتبنى الإرهاب، ويشكل الخطر الداهم على العالم بأسره..

في تفنيد المجلة لتلك الافتراءات، نشرت العديد من المقالات حول المتغيرات العالمية، والمأزق الحضاري الراهن ومعالجات للقضايا المتفجرة :

- ❖ رؤية إسلامية في مفهوم الإرهاب.
- ❖ لماذا الخوف من الإسلام ؟
- ❖ الإسلاموفوبيا - الجذور التاريخية.
- ❖ التواصل بين الإسلام والغرب ضرورة لخير الإنسانية.
- ❖ مفكرون غربيّون يناهضون الإسلاموفوبيا.

وفتحت المجلة ملفات المجامع الفقهية ما بين المتشددين بالفتوى، وأسرى الواقع مروراً بالوطن العربي عبر أوروبا إلى الهند والولايات المتحدة الأمريكية..

واهتمت بملف - لا يزال مفتوحاً - عن التعارف والحوار باعتباره محورا رئيسا علي أجندة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية منذ نحو عامين، نظمت له ملتقى «لتعارفوا» الذي شاركت في أعماله رموز من الديانتين الإسلامية والمسيحية وطُرحت فيه للبحث أوراق على جانب كبير من الأهمية :

- ❖ التعارف وحق الاختلاف.
- ❖ التعارف طريقة للعيش المشترك.

كما تابعت (التواصل) في أعدادها الأخيرة الظاهرة الغربية المؤسفة ذات الجذور القديمة والتجليّات الجديدة، ونعني محاولات تشويه القرآن الكريم والإساءة إلى خاتم أنبياء الله محمد ﷺ، ونشرت نصوصاً لمحاضرات مهمة نظمتها الجمعية لمفكرين مسلمين وغير مسلمين، ومستشرقين مشهود لهم عالمياً، ومن بين هؤلاء وأولئك الدكتور يوسف القرضاوي، والمستشرق يانوش دانسكي، والرئيس الإيطالي الأسبق فرانشيسكو كوسيجا، والدكتور محمد عمارة، والشيخ محمد الحبيب بالخوجة، والدكتور أحمد عبد الحليم، ورئيس وزراء ماليزيا الأسبق الدكتور محاضير بن محمد وغيرهم..

ويحفل هذا العدد (التاسع) بالمزيد من الإضاءات ترسيخاً لنفس المنطلق، في أهمية التواصل وحوار الحضارات وضرورتهما..

في تساؤل حول تراكم التناقضات بين الإسلام والغرب، تخلص الدكتورة سالمة عبد الجبار في مقالها (تواصل أم قطيعة ؟) إلى القول: - هل أصبح الغرب مكتفياً بذاته راضياً عن نفسه؟ مما شكل عوائق نفسية أمام الضمير الغربي تمثلت في تضخم الذات ونمو النزعة الاستعمارية واستفحالها، مما يلغي بالتالي كل شكل من أشكال التفاهم والحوار والتواصل..

يطرح الدكتور حسن الباش في مقاله (حوار الحضارات.. حتى لا يفقد الشعار وعيه) تساؤلاً آخر : - لماذا نرى مفهوم الحضارة في العقل الغربي يتناقض تناقضاً صارخاً، لا سيما إذا قارنا الشعارات بالممارسة على الأرض؟.. العقل الغربي يحرّف ويتحلل من منظومة القيم الدينية التي رسخها السيد المسيح عليه السلام..

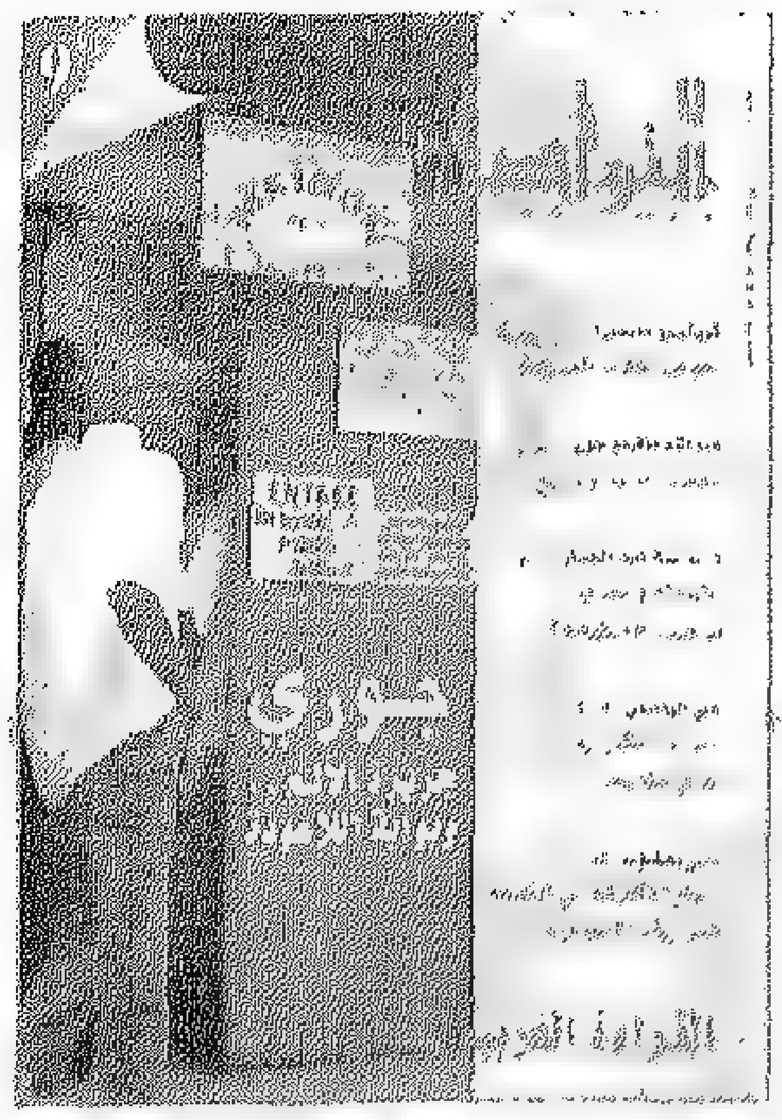
في الواحة يجد القارئ أرضاً مخضوضرة، وشجيرات من الكلمات التي لاتموت صاغها في العقود السابقة نخبة من المشاهير والمفكرين والفلاسفة: واشنطن ايرفنج..رودي بارت..ريجيس بلاشير..آرنولد توينبي.. دافيد سانتيلانا..إيتين دينيه.. وآخرون، إن هؤلاء المنصفين في انتظار القارئ الكريم ليقدم كل منهم خلاصة الخلاصة لتأملاته في شخص وصفات ورسالة ومعجزة خاتم أنبياء الله محمدﷺ، تبقى هذه الشهادات المضيئة، التي اهتدت إليها بالبصيرة عقول هي لنخب غربية، لا شرقية ولا عربية، ولكن شتان بين عقول ترى نور الهدى والحق فتقر أعينها، وأخرى تتعكس من سراديب أوكارها الرطبة المعتمة، على ساحات نور الحق والرحمة الأوهام والخزعبلات، ترى النور ظلاماً، والدعوة في سبيل الله إرهاباً !!

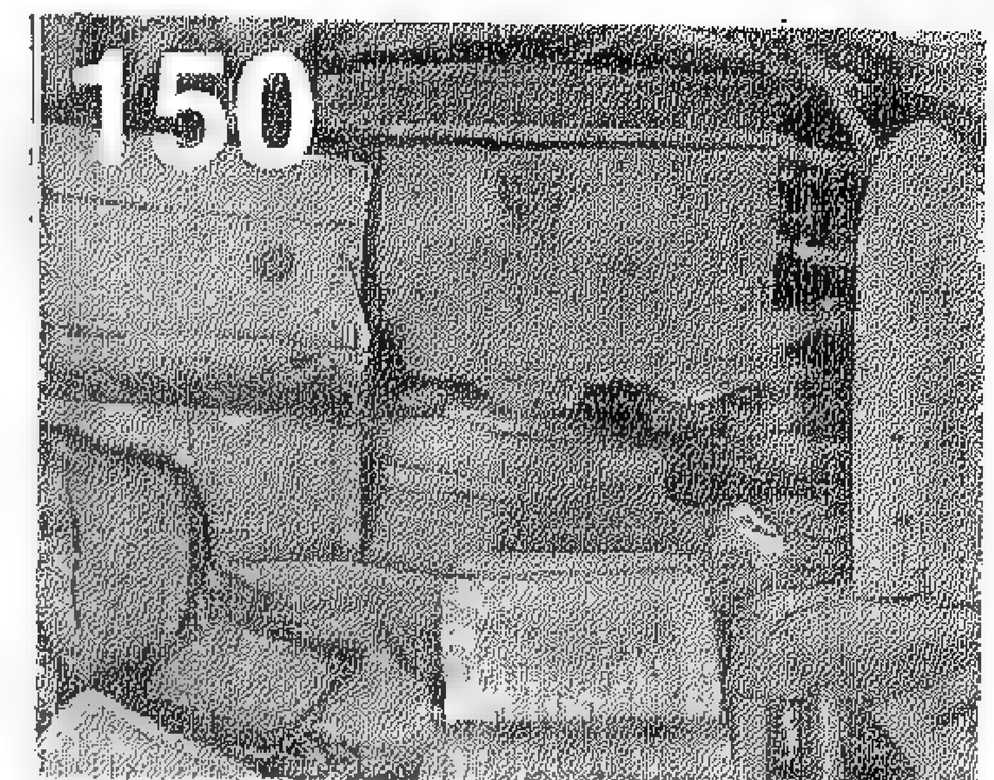
في مستهل عامها الثالث تلتزم المجلة بالحرص على شعارها المعلن، ومن ثم تدعو كتّابها إلى الاستمرار في تأصيل نهجها نحو عالم أكثر تسامحا، وتفعيل الحوار مع الآخر..

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ سورة الرعد / الآية 17..

* كاتب وصحفي مصري/ مقيم في ليبيا.

في هذا العدد

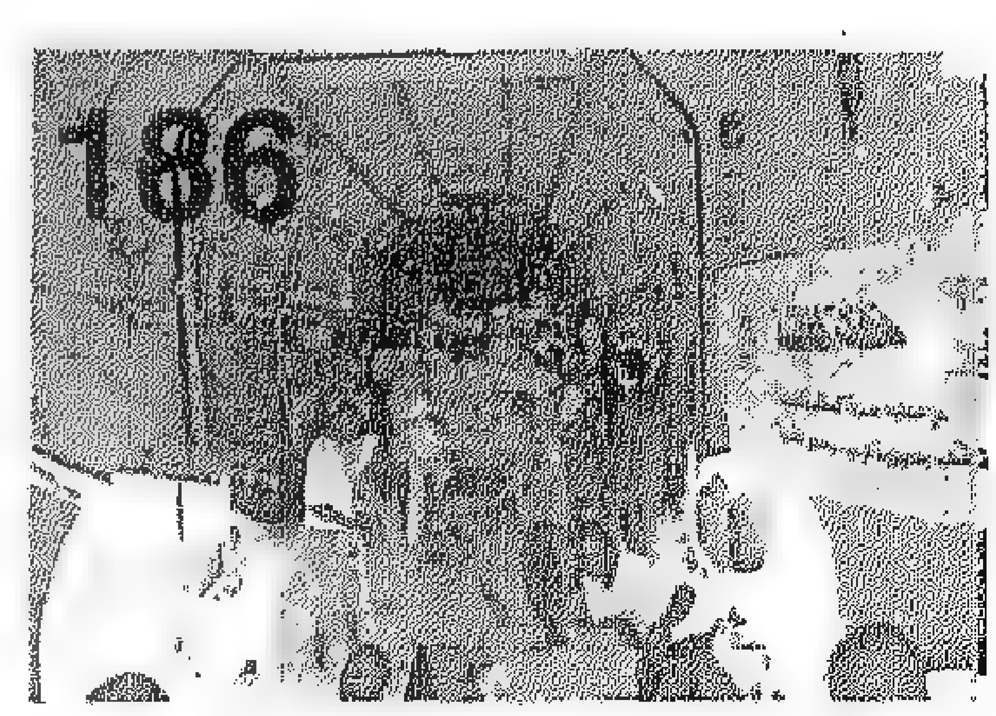




دراسات



استطلاعات



تقارير

الافتتاحية

مقالات

الملف: القراءة الغربية للقرآن الكريم؟

إعداد محمد حسن جحا

التواصل
AT-TAWASUL

تصدر عن
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

السنة الثالثة ـ العدد التاسع
الربيع 1374 من وفاة الرسول ﷺ
مارس 2006 مسيحي

المراسلات باسم
أمين هيئة التحرير
طريق السواني ـ كلم 5
هاتف: 4800730 / 4808461.5
بريد مصور: 4800736 ـ 4800730
ص.ب: 86086
طرابلس ـ الجماهيرية العظمى

البريد الالكتروني
INFO@AT-TAWASUL.INFO
ARAA@AT-TAWASUL.INFO

الموقع على شبكة الانترنت
WWW.AT-TAWASUL.INFO

شـــروط النـشـــر في مجـلـة

التواصل

ترحب مجلة التواصل بكتابات المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين وغيرهم الذين ينشدون التواصل المعرفي من خلال لغة الحوار والنقاش المستنير بعيداً عن التعصّب بجميع أشكاله، وسعياً لدرء أسباب الخلاف والفرقة، مع الالتزام بأسس العقيدة الإسلامية وثوابت الدين في المعالجات الفكرية والثقافية. وتحقيقاً لهذه الأهداف يشترط لقبول نشر البحوث والمقالات:

- ❖ أن يتسم البحث بالجدّة والموضوعيّة، وأن يتّبع في كتابته الأساليب المنهجية في البحث العلمي من تسلسل منطقي في العرض، وتوثيقٍ للمصادر والمراجع.
- ❖ أن يُراعى تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في البحوث التي تتضمنها.
- ❖ أن يكون البحث أو المقال خِلواً من الأخطاء اللغوية والإملائية، مع مراعاة علامات الترقيم وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.
- ❖ ألاّ يكون البحث أو الدراسة المقدمة للنشر في (التواصل) جزءًا من أطروحة ماجستير أو دكتوراه.
- ❖ ألاّ يكون البحث قد سبق نشره في مطبوعة أخرى.
- ❖ أن يكونَ البحثُ أو المقال مطبوعاً، أو مكتوباً بخطٍّ واضح.
- ❖ ألاّ يقلّ عدد كلمات البحث أو الدراسة عن 8000 كلمة ولا يزيد على 12000 كلمة.
- ❖ ألاّ يقلّ عدد كلمات المقال عن 4000 كلمة، ولا يزيد على 6000 كلمة.
- ❖ أن يُرفقَ الباحثُ ببحثه سيرته الذاتية.
- ❖ في حالة الترجمة لا بدَّ من أن يرفق النصّ المترجم بلغته الأصلية.

ملاحظات:

- ـ للمجلة الحق في اختيار العدد المناسب لنشر البحوث المجازة.
- ـ ترتيب نشر البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.
- ـ لا تردّ البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت في المجلة أم لم تنشر.
- ـ تعرضُ الأعمال المقدّمة للمجلة على لجنة تقويم النصوص فيها لإجازتها.
- ـ تمنح البحوث والمقالات المجازة مكافآت مالية مناسبة.



- نحو مجتمعات المعرفة.. الشيء الوحيد الذي يكبر بالمشاركة!
- حوار الحضارات.. حتى لا يفقد الشعار وعيه
- بين الإسلام والغرب.. تواصل أم قطيعة؟
- النهضة الإفريقية في كتابات الحاج أحمد سيكوتوري
- المدارس القرآنية وشخصية الأمة
- الثقافة والهوية.. بين المفهوم والغاية
- التعايش السلمي بين العقائد والثقافات
- أقوال مأثورة في شرف اللغة العربية

نحو مجتمعات المعرفة

الشيء الوحيد الذي يكبر بالمشاركة!

كويشيرو ماتسورا *

هل نعيش فجر عصر جديد: عصر مجتمعات المعرفة؟

تسببت الانقلابات العلمية التي شهدها القرن العشرون في ظهور الثورة الصناعية الثالثة، ثورة التقنيات الثقافية في أساسها. هذه الثورة التي ترافقت بامتداد جديد للعولمة، أرست قواعد اقتصاد المعارف، الذي يضع المعرفة في قلب النشاط البشري والتنمية والتحولات الاجتماعية.

هل يمكن لنا أن نقول إذن إن القرن الحادي والعشرين سيشهد بزوغ مجتمعات المعرفة المتقاسمة؟ إن التقرير العالمي لليونسكو الصادر مؤخراً بمناسبة مؤتمر قمة تونس بعنوان «نحو مجتمعات المعرفة» يؤكد ضرورة ألا يكون هناك مبعدون في المجتمعات الدارسة، لأن المعرفة ملكية عامة يجب أن تكون متاحة للجميع. فللمعرفة ميزتان رائعتان هما: لا (تنافسيتها) ولا (احتكاريتها). وانتهاء فترة الحماية التي تفرضها الملكية الثقافية، الأولى توضح صفة للمعرفة أكد عليها جفرسون، وهي أن استعمالها من قبل أي إنسان لا يمنع استعمالها من قبل إنسان آخر. أما الثانية فتعني أن كل إنسان يمكن له أن يستعمل بحرية المعرفة المنتمية للملكية العامة.

نعرف اليوم جيداً أن ظهور مجتمعات المعرفة المتقاسمة هو الطريق التي ستسمح لنا بمكافحة الفقر بنجاح، واتقاء المخاطر الصحية الكبيرة مثل الأوبئة، والتقليل من الخسائر البشرية المرعبة التي يسببها التسونامي والعواصف الاستوائية، وتشجيع التنمية البشرية المستدامة. لأننا نمتلك اليوم أساليب جديدة للتنمية: فهي لم تعد تقوم الآن على «العرق والدم والدموع»، كما كانت من قبل، بل تعتمد على الذكاء، والقدرات العلمية والتقنية في معالجة المشاكل، والقيمة الثقافية المضافة، وتوسع الخدمات في جميع قطاعات الاقتصاد لتشجيع تنمية مواطنة، وظهور ديمقراطية مستقبلية في مواجهة مجتمع الخطر.

هناك خمس عقبات تقف في وجه ظهور مجتمعات المعرفة :

* **الهوية الرقمية:** ليس هناك نفاذ من دون اتصال. من المؤكد أن عدد مستعملي الإنترنت يتزايد باستمرار، حيث وصل إلى مليار إنسان. بالمقابل،

(*) مدير عام اليونيسكو

هنا ملياران من الناس ليس لديهم اتصال بشبكة كهربائية ولا يملكون شبكات الاتصال عن بعد.

❖ **الهوية المعرفية:** وهي أكثر ترسخًا وقدمًا، وتقسم بعمق الشمال والجنوب من جهة، وتقسم كل مجتمع بذاته أيضًا .

❖ **تكاثف المعرفة:** ولا سيما المعارف المتقدمة والاستثمارات العلمية والتربوية الأساسية وتمركزها في مناطق جغرافية محدودة مما يؤدي إلى تفاقم هجرة الأدمغة من الجنوب نحو الشمال، وبين بلدان الشمال نفسها.

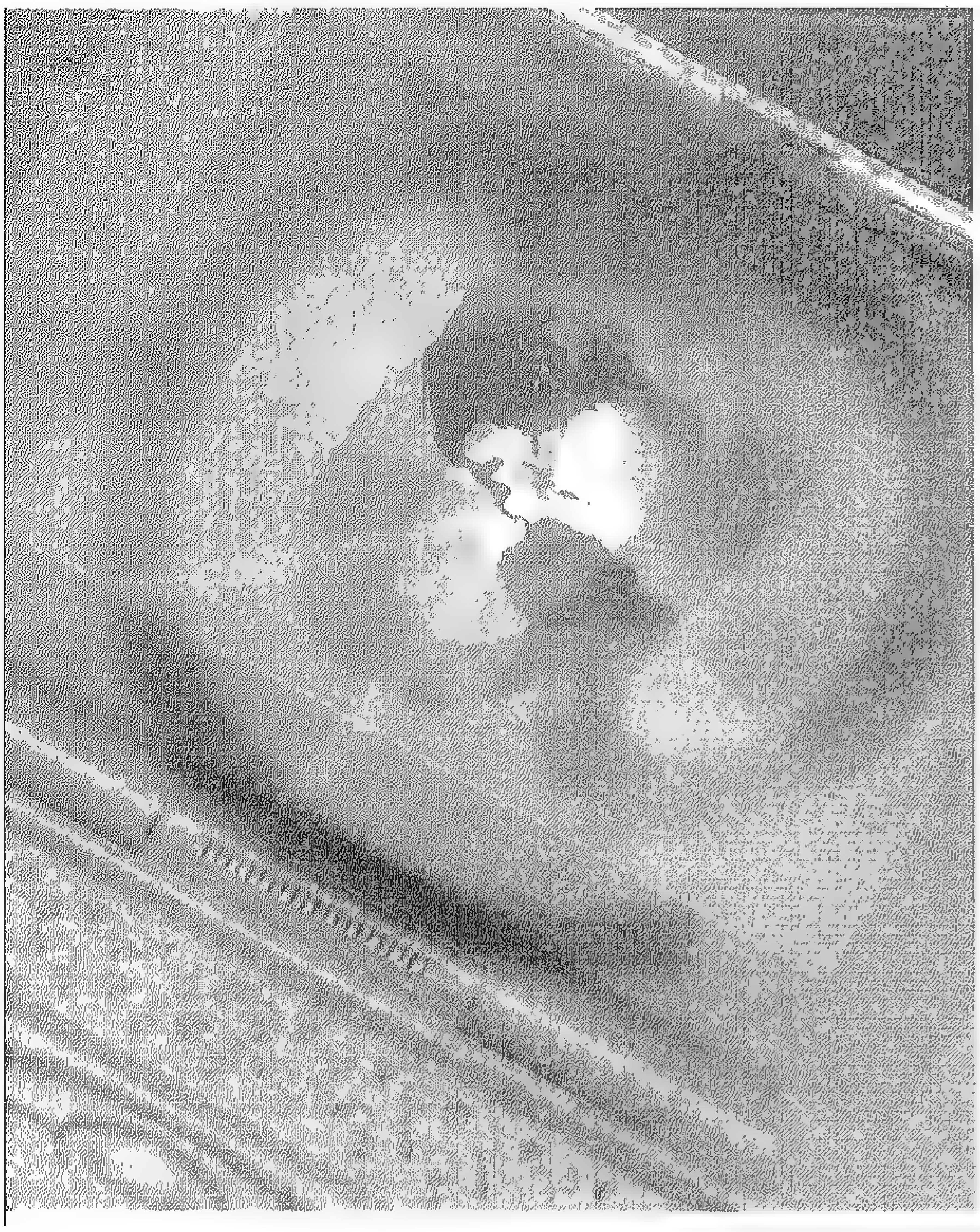
❖ **المعرفة أداة للتشارك،** من حيث المبدأ، ولكنها ما إن تتحول إلى إعلام حتى يصير لها ثمن، والسؤال هنا: أين يمكن أن يقع التنازل الضروري بين عمومية المعرفة التي تقتضي أن يكون للجميع نفاذ واحترام حقوق الملكية الثقافية؟

❖ **بزوغ مجتمعات المعرفة المتقاسمة** يعاق اليوم بتفاقم الفوارق الاجتماعية والوطنية والمدنية والعائلية والمدرسية والثقافية، التي تمس عددًا كبيرًا من البلدان، وباستمرار اتساع وعمق الهوة بين الرجال والنساء 29٪ من مجموع النساء في بلدان العالم لا يذهبن إلى المدرسة، وما زال تمثيل النساء في مجال العلوم قليلاً.

ولكي يتم تجاوز هذه العقبات، على أمم العالم أن تستثمر بكثافة في التربية، والبحث العلمي، وإعلام التنمية، وتنمية «المجتمعات الدارسة»، حيث إن مصير كل بلد متعلق بهذا، والأمم التي لا تستثمر في المعرفة، والتربية، والعلوم المتميزة النوعية، تعرض مستقبلها للخطر: كما أن هجرة العقول تهدد بتفريغها من قواها الحية.

ما هي الحلول العملية نحو تنمية مجتمعات المعرفة؟ هذه أمثلة منها:

❖ علينا أن نستثمر أكثر في تربية متميزة النوعية للجميع: إنها مفتاح المساواة الفعلية في الفرص،



وعلى بلدان العالم أن تخصص جزءًا من مردود ناتجها الوطني الخام للتربية، وأن يوجه الدعم العام للتنمية نحو التربية.

❖ على الحكومات والقطاع الخاص والشركاء الاجتماعيين أن يختبروا إمكانية وضع برنامج «رصيد زمني» للتربية، والتأهيل المهني بشكل تدريجي، يعطي النتائج في عدد من سنوات التعليم بعد انتهاء مدة الدراسة الإلزامية. وهكذا يمكن لأي متأهل الحق في أن يتابع التكوين طوال حياته، وأن يحصل على فرصة ثانية في حال خروجه المبكر من النظام التربوي.

❖ الاستثمار أكثر في البحث العلمي، ولا سيما في بحث متميز النوعية يتلاءم مع تحديات المستقبل، وتشجيع أشكال عملية ومتطورة من التشارك في المعرفة، كما في حالة «المختبر التعاوني»: هذه المؤسسة التي يفترض أن تجمع المختبر والتعاون

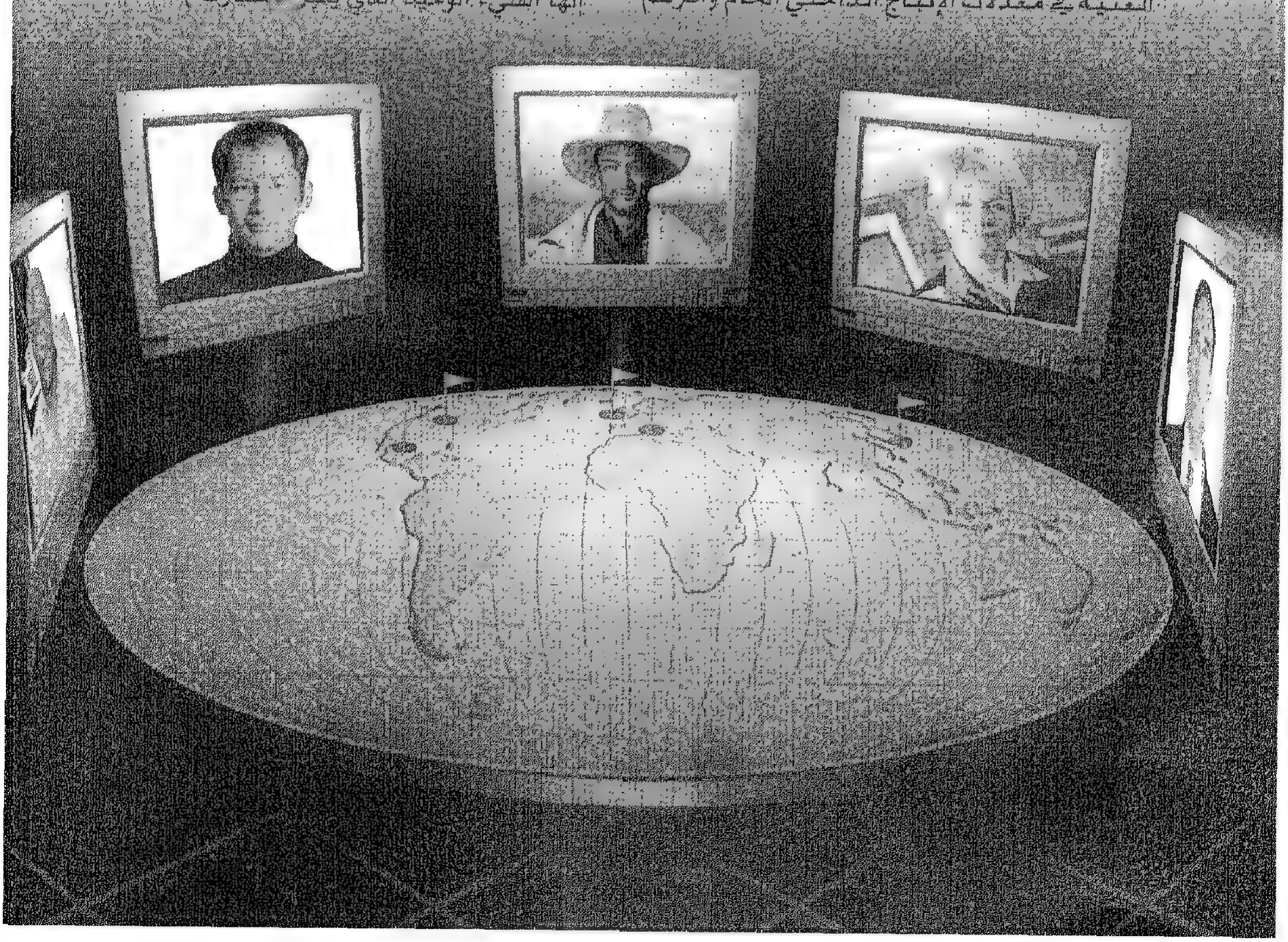
معًا، وتسمح للباحثين بالعمل معًا عبر شبكة تتجاوز الحدود. ويمكن لهذه القفزة العملية التي سمحت بفك رموز الشفرة الوراثية البشرية، أن تغير العلاقات بين الشمال والجنوب في مجال العلوم وأن تحد من هجرة العقول.

❖ علينا أيضًا تشجيع التنوع اللغوي في مجتمعات المعرفة الجديدة وإعطاء الإهتمام الواجب للمعارف المحلية والتقليدية.

ولكن هل يمكن للجنوب أن يصل إلى مجتمعات المعرفة الجديدة؟ أليست هذه المجتمعات ترفاً مقتصراً على الشمال؟ يمكن لي أن أجيب مردداً كلمة لينكوان: «هل تجدون أن المعرفة تكلف غالياً؟» أليس علينا أن نستخلص عبرة من دروس النجاح الملموس الذي وصل إليه عدد من دول العالم؟ بعض البلدان استثمرت بكثافة وخلال عقود من الزمن في التربية وفي البحث العلمي واستطاعت بذلك تقليص الفقر المطلق إلى حد كبير، بل تجاوز بعضها عدداً من البلاد الغنية في معدلات الإنتاج الداخلي الخام والرقم المقدم لكل واحد من سكانه، وهناك بلاد أخرى كانت من قبل بين البلدان الأكثر تقدمًا لكنها ضاعفت فرصها على المستوى العالمي بتحسين نسبة التطور البشري والمستدام.

ألا يملك عالم يخصص ألف مليار من الدولارات في السنة للنفقات العسكرية الاستعداد والإرادة وسائلَ لتشجيع مجتمعات المعرفة للجميع؟ وهكذا يمكن لتمويلات مهمة أن توضع من أجل التربية والمعرفة، من خلال سياسات إصلاحية شجاعة تهدف إلى تخفيض بعض النفقات غير المنتجة، وتحسين إنتاجية الخدمات العامة، وعقلنة الإدارات، وإلغاء عدد من المساعدات غير المجدية، ومكافحة الفساد.

في مواجهة عالم منقسم بعمق من خلال شروخه المتعددة، في مواجهة التناقض بين المشكلات الشاملة وتوزع المعرفة، ليس هناك من حل آخر إلا التشارك في المعرفة، وكما يقول مثل إفريقي: (المعرفة مثل الحب؛ إنها الشيء الوحيد الذي يكبر بالمشاركة)



حوارُ الحضارات..
حتى لا يفقد الشعارُ وعْيه !!

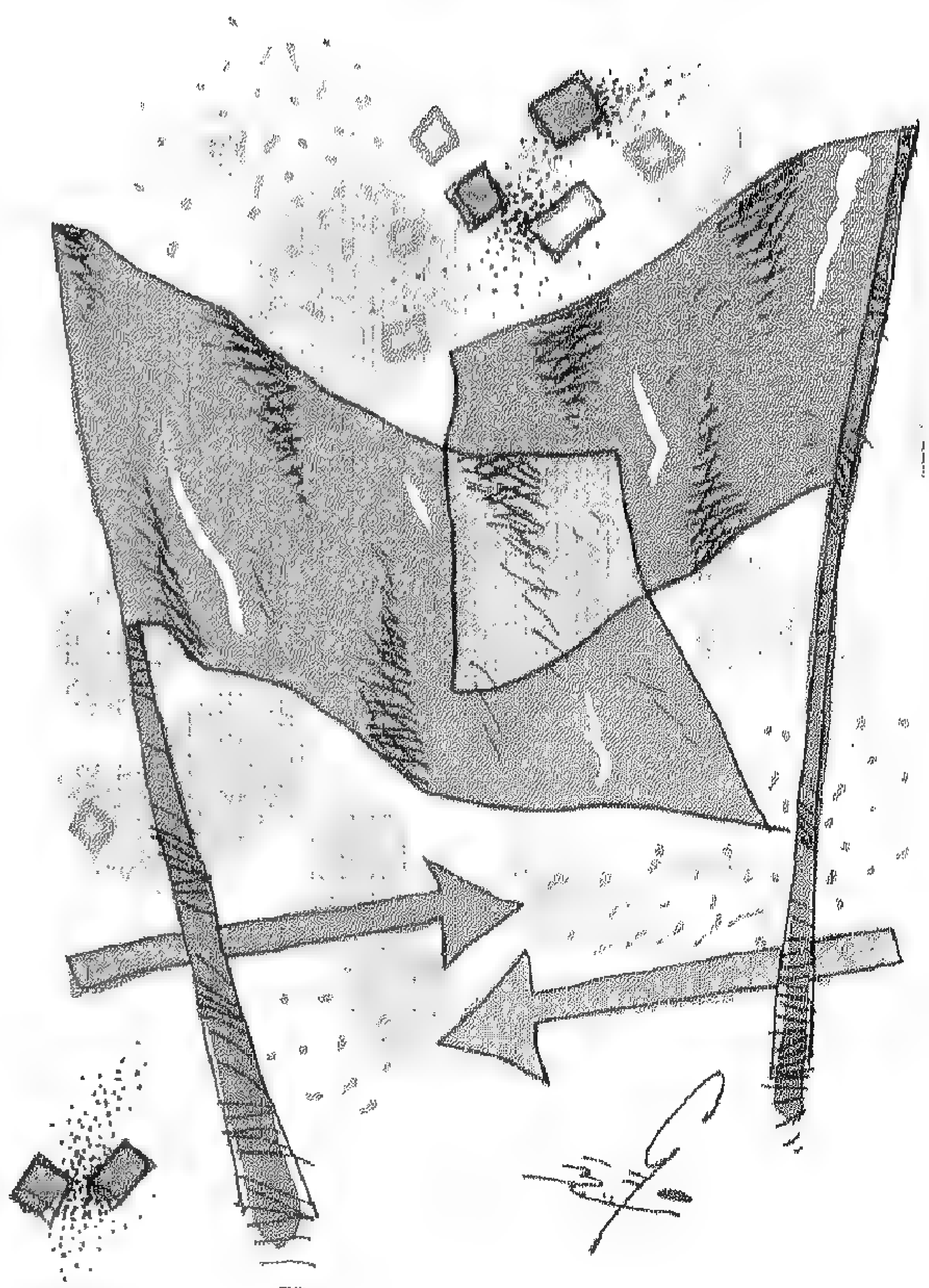
د. حسن الباش *

منذ أكثر من عقد من الزمن طرح هنتنغتون مصطلح صدام الحضارات وراحت بعض الأوساط الغربية المتنفذة تتبنى أفكاره معتبرة إياه منظرًا سياسيًا يرى المستقبل بعين المفكر الاستراتيجي الذي لا يُخطئ، والذي يجب أن يُسترشد به وبأفكاره في السياسات الخارجية.

وتتالت الشعارات المشابهة هنا وهناك، فاستمعنا إلى حوار حضارات، وحوار أديان، وحوار ثقافات، وأخيرًا توقف المجتمع الدولي عند شعار طرحه رئيس وزراء إسبانيا وهو شعار تحالف الحضارات.

ومن خلال السرعة المذهلة لانتشار هذه المصطلحات وخبوها يمكن للمراقب أن يستنتج مبدئيًا أن هذه الشعارات تحمل في جوهرها ـ حسب فهم بعض الأوساط الفكرية الغربية ـ تناقضًا، بل مقتلاً، يجعلها تنطفئ لتفسح المجال لشعار جديد عسى أن ينجح ويأخذ موافقة جميع شعوب العالم دون أي اعتراض.

على أية حال فإن مصطلح حوار الحضارات لا يزال يُطرح هنا وهناك من خلال بعض المفكرين والجمعيات الأهلية المنتشرة في العالم الغربي بشكل



* باحث وأستاذ جامعي / فلسطيني ـ سوريا

كبير، ونقصد بهذا أن الأوساط السياسية المتحكمة في بعض أهم بلدان العالم الغربي لا يعنيها الأمر كثيراً لأن معظمها لا يزال يعتمد عنصر القوة كعامل حاسم في تغيير العلاقة بين الشرق والغرب، أو بمعنى آخر في تغيير العلاقة بين الحضارات.

ولهذه الأسباب المبدئية نرى أن أهم ما في هذه الشعارات أنها مبهمة على الرغم من وضوحها لغوياً، وفيها من التناقض بقدر ما فيها من التوافق الظاهري، فماذا نعني بالحوار وماذا نعني بالحضارات؟

على ماذا يتم الحوار؟ ما هي أهم الموضوعات التي يجب أن يتحاور بشأنها المتحاورون؟

ما هي أهداف الحوار الحضاري وما هي غاياته؟

وقبل هذا وذاك، من هم المتحاورون الذين يمثلون الحضارات المختلفة، ومن يخوّلهم القيام بهذا الحوار؟

بداية نرى أن الحوار لغة إنسانية راقية، ولا يحصل الحوار بجوهره إلا بين المتصاحبين المتعارضين، ولعل الاختلاف بين المتحاورين ظاهرة إنسانية إيجابية، ولعلنا ندرك كم هو الفرق بين الخلاف والاختلاف.

فالاختلاف أمر طبيعي، كون كل متحاور يحمل ثقافة مغايرة عن الآخر، هذه الثقافة تتشعب وتتوزع بين الدين من جهة والمعتقدات والآداب والفكر والفلسفة من جهة أخرى، وتتوزع أيضاً حول المفاهيم الكبرى كالحرية، وكذلك المفاهيم التي لا تُحصى ولا تعد.

فإذا افترضنا أن الحوار أصبح أمراً واقعاً فلا بد من أن نفهم جميعاً أننا مختلفون في الأفكار والأحكام، ومختلفون في الثقافة بمفهومها الواسع الشمولي، ولذلك يمكن أن نتحاور لنصل إلى فهم بعضنا بعضاً، ومن ثم لنصل إلى مبدأ احترام هذا الاختلاف.

أمّا ماذا نعني بالحضارات، فهناك الكثير من الاختلاف حول المصطلح ذاته، فنحن نفهم الحضارة على أنها بناء مادي وثقافي تراكمي في المكان والزمان، وهذا البناء قدّم نماذج إنسانية راقية سعت إلى تقدّم الإنسان وسعادته.

ومن هذا المنطلق لا بد من الاتفاق على مفهوم الحضارات.

هل التقنية حضارة؟ يبدو أن السؤال مدهش لبعض الناس، وبدهيٌّ لبعضهم الآخر، لكننا نقول بوضوح أكبر: هل ما يقدّمه الغرب من تقدّم تقني مقياس حضاري؟ قد يجيب بعضنا بنعم، وقد يصمت بعضنا الآخر ولا يجيب.

> **الدعوة إلى حوار الحضارات أو إلى تحالف الحضارات أصبحت ترتبط بشكل واضح بالمستجدات الدولية.**

إننا نعتقد بأن هنتنغتون عندما طرح مفهوم (صدام الحضارات) كان يدرك تماماً أن الشرق يمتلك حضارة، بل وقدّم المعطيات الحضارية الراسخة من خلال الفكر الفلسفي والتقدّم العمراني بل والبناء الديني الإنساني الذي لا يزال شاهداً حتى هذا اليوم، وهو مدرك تماماً أن الولايات المتحدة الأمريكية التي أقيمت منذ أربعة قرون فقط دمّرت حضارات وحاولت إقامة ثقافة واحدة تستند إلى رؤية إنكلوساكسونية تستبعد الآخرين، ويدرك أيضاً أنه يُقحم مفهوم الحضارة إقحاماً على التقدّم العلمي والتقني، ويحاول تسويق نتاج الفكر الأمريكي المادي على أنه حضارة، وهذه الحضارة ستصطدم بحضارة الشرق، وخاصة الشرق العربي الإسلامي.

على كل حال فإن هنتنغتون يعترف بحضارات وبوجودها الفاعل في هذا الوجود، ويعتبر أن هذه الحضارات بما تحمله من قيم وثقافات لا يمكن أن تلتقي بما يسميه الحضارة الغربية، إذاً لا بد من الصدام.



ومع كل هذا الفهم التصادمي الذي يقره فإن رؤيتنا، على الأقل من منظور حضاري فلسفي وديني، تطرح نفسها محاورة وليست مصادمة، لكن معيار الحضارة الذي يقدّمه الفكر الغربي يحاول أن يضيّق الدائرة حتى تصغر كثيرًا بحيث يبقى داخلها المفهوم الواحد الذي لا يريد الآخر بل يحاول إقصاءه سلفًا.

لقد كان نتاج الحوار الحضاري القديم بين الشرق واليونان على الأقل واضح المعالم من خلال مفهوم «الحضارة الهلنستية» التي لم تقتصر على معالم العمران إنما تعدتها إلى تلاقح فكري فلسفي ظل يفعل فعله على مدى قرون طويلة.

وإذا تجاوزنا الاختلاف الواقع بين مفهومنا للحضارة ومفهوم الغرب، وانطلقنا إلى معرفة نتاج الوجود الحضاري المعاصر بيننا نجد أن مفهوم الحضارة نفسه في العقل الغربي يتناقض تناقضًا صارخًا، لا سيما إذا قارنا الشعارات بالممارسة على الأرض.

إن ذلك يتجلى في المفاهيم التي غدت الغذاء اليومي لمجمل شعوب العالم، هذه المفاهيم التي أضحت شعارات فاقدة لمضمونها بل فاقدة لوعيها.

لنر مفهوم الحرية كنتاج حضاري، ولنر مفهوم الديمقراطية الذي يسوّق اليوم أكثر من تسويق المساعدات الغذائية لشعوب إفريقيا المنكوبة ! ولنر مفهوم النموذج الغربي للحياة الاجتماعية. وكثيرة هي المفاهيم المأزومة التي يُراد بها تزييف عقل الإنسان، بل وصرعه تحت وطأة تصدير قسري لحضارات الشرق عمومًا وحضارة العرب والإسلام خصوصًا.

ونصل هنا إلى السؤال الآخر: حول ماذا نتحاور؟ ما هي موضوعات الحوار التي يتحاور بشأنها المتحاورون؟

لا شك في أن الدعوة إلى حوار الحضارات أو إلى تحالف الحضارات أصبحت ترتبط بشكل واضح بالمستجدات الدولية بعد أحداث سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية، ويبدو أن بعض الدعوات الغربية إلى هذا الحوار أو التحالف ارتبطت بما يسمى (موجة الإرهاب) التي طاولت إسبانيا وبريطانيا، ومن ثم ما حدث في فرنسا مؤخرًا، إضافة إلى ما حدث في نيويورك وواشنطن حيث تفجرت الأحداث التي كانت لها ملحقاتها، ونقصد بها ما يجري في العراق أو أفغانستان أو فلسطين أو بعض المناطق العربية الأخرى.

ولتوصيف حقيقي لوجهات النظر الغربية المختلفة ندرك أن توجهات الولايات المتحدة الأمريكية ليست هي توجهات إسبانيا مثلاً، وليست هي توجهات مجموعة دول الاتحاد الأوروبي بشكل عام.

فالولايات المتحدة الأمريكية ـ ومن خلال توجهات مسؤوليها ـ تريد القضاء على هذا (الإرهاب) الذي يتحدثون عنه دون أن تعترف بوجود أسباب منطقية يجب الحوار بشأنها، بينما ترى بعض الأصوات الأخرى أن على العالم أن يعترف بوجود الأسباب الدافعة إلى مثل ذلك الإرهاب، ومع هذا وذاك فإنه وحتى هذه اللحظة لا نرى أي توافق بين الشرق والغرب حول مفهوم الإرهاب، أو أسبابه، ونعتقد أن دعوة بعض الأطراف العربية والإسلامية إلى عقد مؤتمر دولي يحدد مفهوم الإرهاب والفرق بينه وبين المقاومة المشروعة لم يُستجبْ لها، أو أن آذان بعض الغربيين لا تريد سماع مثل هذه الدعوات.

إننا نعتقد أن من الأولويات الاتفاق على التفريق بين الإرهاب والمقاومة حتى تكون هناك أسس مبدئية لأي شكل من أشكال الحوار الحضاري بين الشرق والغرب، ونعتقد أيضًا أن عقد مؤتمر دولي بهذا الشأن يعني أن هناك حوارًا بدأ وقد ينتهي بالإيجاب.

وحتى لا نكون غافلين وتأخذنا الشعارات بعواطفها علينا أن نفهم لماذا طرح رئيس وزراء إسبانيا مفهوم تحالف الحضارات كآخر مفهوم من تلك المفاهيم التي تضاف إلى مصطلح الحضارات؟

لقد طرح هذا الشعار لإنشاء تحالف دولي ضد ما يسمى (الإرهاب)، يجمع العرب وأوروبا وكذلك آسيا وأمريكا، والمسيحيين والمسلمين والبوذيين وغيرهم، ولكن يبدو أن طرح مثل هذا الشعار في توقيت محسوب ومدروس يدفعنا إلى التوقف كثيرًا عند المفهوم نفسه، وعند المتحالفين وعند الأهداف والغايات المرجوّة منه.

فالتحالف ضد من؟ وهل نتفق جميعنا على تحديد الهدف؟ أم أن الاختلاف في الواقع وفي الثقافات وفي الأهداف يحول بيننا وبين هذا التحالف؟ فالواقع الذي يعيشه الغرب الصناعي غير الواقع الذي يعيشه العرب أو المسلمون، ومستوى دخل الفرد هو غيره في بلاد الغرب، بل إن مستوى الفهم لما يسمى (الديمقراطية) يختلف كثيرًا بين الغرب والشرق، وهذا ما ينطبق أيضًا على مفهوم الحرية السياسية والحرية الاجتماعية أو لنقل الحرية الفردية.

وإذا جاز لنا أن نفهم ـ بحسب ثقافتنا ـ تحالف الحضارات فإننا نرى أن أولويات هذا التحالف الارتفاع بالمستوى الصناعي والتقدم العلمي والصحي لدول الشرق عمومًا، والبحث عن بدائل تلغي الفقر وتقضي على الإيدز والأمراض الفتاكة في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

> **ثقافات الشعوب تتعدد وتختلف كما تختلف عقائدها وأفكارها الدينية، ولا يستطيع أحد أن يزعم أن ثقافته هي الأصح وهي التي يجب أن تسود.**

هل يريد تحالف الحضارات أن تجند الدول كل إمكاناتها للقضاء على الفقراء وإبادتهم، لأنهم بسبب فقرهم واضطهادهم وقمع عقائدهم ودينهم وثقافتهم يلجأون إلى العنف وما يسمى (الإرهاب)؟

إن ثقافات الشعوب تتعدد وتختلف كما تختلف عقائدها وأفكارها الدينية، ولا يستطيع أحد أن يزعم أن ثقافته هي الأصحّ، وهي التي يجب أن تسود، وعندما يطرح الفكر الأمريكي نموذج النمط الأمريكي ليصدره إلى الشرق فإنه بذلك يريد إلغاء كل الخصوصيات الثقافية والدينية لهذا الشرق، وهذا الطرح أصبح محل السخرية والاستهجان والاستغراب.

وإذا كان مفهوم الإرهاب يسيطر اليوم على

مقولات الجانب الغربي ويصبح الهمّ الأكبر ولا همَّ سواه فإن الغرب بذلك يتغافل عن عشرات المفاهيم التي تحتاج إلى حوار أشد وأوسع وأكثر جدية.

وفي هذا السياق لا بد من أن نطرح سؤالاً مشروعاً وهو: هل يصلح النمط الاجتماعي الغربي لحياة العرب والمسلمين في البلاد العربية أو الإسلامية؟ كيف يمكن أن نطرح ذلك على مائدة الحوار؟

وفي السياق نفسه نسأل: هل يصلح النمط الاجتماعي الشرقي والإسلامي تحديداً لحياة الغرب العلمانية، وكيف يمكن طرح ذلك على مائدة الحوار؟

وحتى لا نكون مبتعدين عن دائرة حوار الحضارات نرى أن كل طرف ربما يقول: إن نمطي هو الأفضل والأصلح.

وفي جو الحوار المنطقي المتساوي يطرح الجميع كل التفاصيل لنمط الحياة الاجتماعية في كل من الشرق والغرب، ولا شك في أن النمط الاجتماعي لأي مجتمع هو جزء مهم من أجزاء التعبير عن الحضارة، ولا نعتقد بأن أي إنسان عاقل يرفض الأفضل والأصلح بالعموم.

عندما طرح مفهوم هنتنغتون صدام الحضارات كان يدرك تماماً أن الشرق يمتلك حضارة، بل وقدّم المعطيات الحضارية الراسخة والتقدم العمراني بل والبناء الديني الإنساني.

ولكن... إذا أردنا أن نكون صادقين معبرين عن حضاراتنا فليس لنا خيار من أن نعترف بأن مجموعة النتاج الديني الأخلاقي الشرقي لا تزال تسود حياتنا كشرقيين مسلمين ومسيحيين، بينما نرى أن الغرب الذي تبنى ولا يزال يتبنى في بعض الأحيان مجموعة ذلك النتاج الديني الأخلاقي قد حرف المسارحتى بات يعيش في حل من منظومة القيم الدينية التي رسخها السيد المسيح عليه السلام، بدءاً من العلاقة الفردية ـ الفردية، والفردية ـ الأسرية، والأسرية ـ الاجتماعية.

وإذا كان التعميم من أكبر الأخطاء فإننا نرى ـ وفي هذا الوقت بالذات ـ أن بروز بعض الظواهر الاجتماعية كزواج المثليين والأسر غير التقليدية يجعلنا في حلٍّ من الاقتراب شبراً واحداً من نمط الحياة الاجتماعية الغربية.

فمفهوم الحرية الفردية ـ بحسب ثقافتنا ـ ليس فوضى فردية، وليس تمرداً على الأُسرة التقليدية المحترمة، وليس ضد القيم التي شرعتها عقائد الشرق ودينه، وإذا كنا صرحاء أكثر نرى أن الحل الاجتماعي لمسألة الجنس على سبيل المثال في الغرب أصبحت محلولة على الطريقة الغربية، طريقة سن القوانين التي تعطي المرأة والرجل حرية تجاوز الحدود والتقاليد والأعراف.

ونرى أن الحل الاجتماعي لمسألة الجنس في الشرق تستند إلى الدين الذي يهذب الدافع الجنسي ويرقى به، وعلى الرغم من ذلك يرى الغربيون في مسألة تعدد الزوجات مشكلة من المشاكل الحساسة في المجتمع الشرقي.

فهذان النمطان لا يمكن أن يتفقا، ولا يمكن للمتحاورين إيجاد حل وسط كحل لهذا الاختلاف، الشرق يرفض الفوضى الجنسية، والغرب يرفض تعدد الزوجات وهيمنة الدين على النفس البشرية.

وهنا نعود إلى القول: إن إغفال مثل هذه القضايا قد يجعلنا نقفز بعيداً إلى مشاكل أخرى كالإرهاب والعنف، علماً أن التدقيق في أسباب هذه الظواهر يدفعنا إلى القول: إنها ترتبط بعضها ببعض وجوهرها الاختلاف في الثقافات المتراكمة عبر مئات السنين، وأصبحت جزءاً من الشخصية، بل حتى جزءاً من ملامح الهوية، وحتى نبتعد عن التعميم مرة أخرى نرى أن من الحق القول إن تعدد الزوجات ليس ظاهرة متفشية في جميع أبناء المجتمع، بل هي الشاذ

بينما القاعدة هي عدم التعدد. وأيضًا نقول: هناك في الغرب أُسر تحترم العلاقة الزوجية والأسرية وترفض تلك الإباحية التي تراها هنا وهناك من بلدان العالم الغربي.

ونعتقد بأن الحوار بين الشرق والغرب سيجد القاسم المشترك من خلال هذه النماذج الشرقية والغربية التي تعترف في قرارة نفسها بأن المبالغة في الانحراف الاجتماعي يدفع الكثيرين إلى التعميم وأخذ المواقف المسبقة قبل أي حوار.

أما إذا تناولنا المفاهيم السياسية المطروحة للحوار فإن التصادم أمر متوقع لا محالة.

وفي محاولة لطرح وجهة نظرنا سألنا نماذج من أبناء المجتمعات الغربية عن المسؤولية الأخلاقية تجاه قضايانا العربية والإسلامية.

من يتحمل بروز تيار النازية في النصف الأول من القرن العشرين؟ أليست الصهيونية نتاج الفكري الغربي؟ ومن ابتدع ظاهرة العنصرية الشرق أم الثقافة الغربية؟

إن حوار الحضارات ليس حوار الأمزجة والخلفيات السياسية المتعصبة، إنما هو حوار حول أهم الشعارات السياسية والاجتماعية والفكرية المطروحة على الساحة الدولية اليوم، بحيث يؤدي الحوار إلى رسم حدود واضحة لتطبيق هذه المفاهيم. إذا كانت صالحة لتقدّم المجتمعات وخلاصها من مشاكل الفقر والمرض والجهل.

إن النموذج الغربي السياسي والفكري لا يزال واقعًا تحت تأثير التباين المفترض بين الشرق والغرب، ولا يزال يقع تحت وطأة مفهوم التفوق المتوهم، ولهذا نرى مواقف زعمائه متناقضة غريبة لا تصلح للحوار البناء.

لقد عبّر الكثيرون من المفكرين المحايدين عن قلقهم ودهشتهم لذلك التناقض الغريب في مواقف الغرب بشكل عام، ففي 2005/11/29 مسيحي، وفي لقاء القادة العالميين في دبي قال مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا السابق: (لماذا عندما يتكلم أحد بالسوء عن الإسلام لا أحد يتحرك أو يحرك ساكنًا، أما عندما ينتقد أحدهم اليهود فإنهم يتهمونه بمعاداة السامية، فهل اليهود أسمى من باقي البشر لكي لا يُنتقدوا؟!)، فهي كما يرى الكثيرون ازدواجية في الأحكام والمعايير التي تنافي أساس مفهوم الديمقراطية، والديمقراطية التي يتطلع الغرب إلى تعميمها في الشرق تصبح شعارًا أجوف لا يستحق أن يدافع عنه، ولهذا فإن الحوار حول الديمقراطية الغربية وأنموذجها لن يجدي نفعًا إن لم يكن ذا وجه واحد وذا ميزان واحد ومعايير واحدة.

> الدعوة إلى حوار الحضارات أو إلى تحالف الحضارات أصبحت ترتبط بشكل واضح بالمستجدات الدولية.

ونعتقد بأن الغرب بطرحه مفهوم الديمقراطية بحسب فهمه المزدوج والمتغير يشكل أحد أوجه ردود الفعل لدى أبناء الشرق العربي والإسلامي، وقد يتطور في لحظة من اللحظات ليكون ردًا عنيفًا بحسب التوصيف الغربي.

فهل يرى الغرب أن منبع الإرهاب هو في إعطاء جزء من أرض شعب لشعب آخر؟ وإقامة دولة على هذه الأرض؟ وهل يعترف الغرب بأن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي جوهره مشكلة أرض وليست مشكلة دينية؟

إذاً أي ديمقراطية يريدون؟ أم أن على مفكري الغرب وقادتهم إعادة النظر في هذا المفهوم ومعانيه وأبعاده وتطبيقاته حتى يكون حوار الحضارات حوارًا حضاريًا إنسانيًا مقبولاً؟

إن هذه الحيثيات تقودنا إلى طرح السؤال المفترض: من هم المتحاورون الذين يمثلون

الحضارات المختلفة، ومن يخوّلهم هذا الحوار؟

مـن يمثـل الـغـرب في هـذا الحوار؟ ومـن يمثـل الشرق؟ هل يمثل الغربَ رجالُ السياسة والقيّمون على الحكم؟ أم يمثـل الـغـربَ رجـالُ الـلاهـوت والـكـنـائس الغربية؟ ومن يمثل الشرق في هذا الحوار؟ هل هو النظام السياسي العربي أم علماء الدين والمفكرون ؟

إن طرح مثل هذا السؤال الكبير يحتاج إلى إجابة أكبر، فالمسألة ليست بهذه البساطة، ونعتقد أن الأكثر تعقيداً من طرح المفاهيم واكتشاف تباين الثقافات هو ذلك السؤال: من هم المتحاورون؟

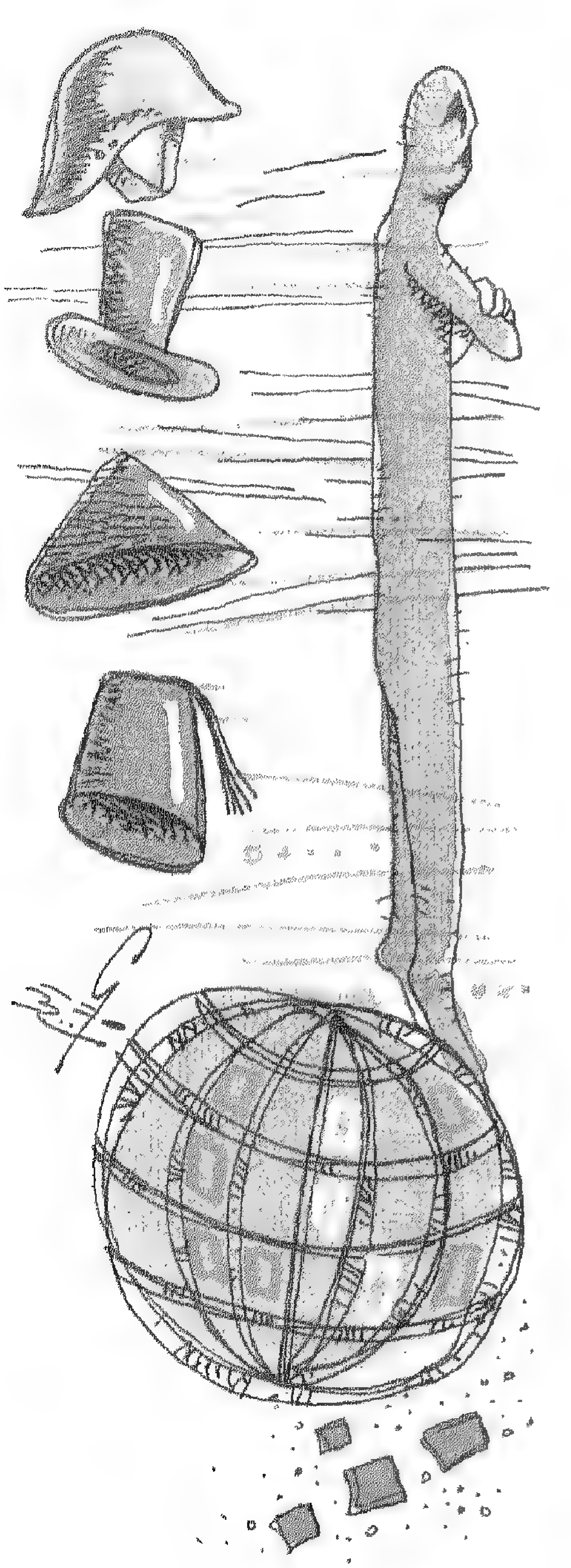
إذا افترضنا أن السياسيين الحاكمين في الغرب يمثلون العالم الغربي في حوار الحضارات فإن الآمال ضعيفة جداً في نسبة النجاح المتوقع، فالسياسيون هم الـذيـن يـرفضـون حـوار الحضـارات مـن خـلال استنادهـم إلى نـظريات الصدام الـتي انتشرت في أمريكا وأوروبا.

إذاً كيف يمكن أن نبني الثقة على حوار حضارات يـفـقـد فيـه نصف المتحـاورين مصداقيـة التـعـامـل الحقـيـقـي مع شـعـوب الـعـالم عـلـى أسـاس المصـالـح المشتركة للجميع؟ وإذا قلنا إن رجال الدين واللاهوت في العالم الغربي قد يمثلون الشعوب الغربية في حوار الحضارات فإن الوقائع لا تبشر بخير ولا توحي بحوار صادق بين الشرق والغرب.

ففي آخر مواقف الأساقفة الكاثوليك برزت وثيقة حديثة جداً عن الكنيسة الإيطالية تتضمن توصية واضحة بعدم الزواج من مسلمين.

ويأتي هذا في إطار التحركات التي تشهدها الدول الأوروبية لفرض مزيد من الرقابة على مجتمعات المهاجرين خاصة المسلمين.

وقد بررت الوثيقة الصادرة عن مجمع الأساقفة الكاثوليك هذه التوصية بالاختلاف الديني والثقافي العميق بين الإسلام والمسيحية، وتباين الرؤى بشأن دور المرأة، واستندت الوثيقة التي أبرزتها الصحف



الإيطالية إلى ما وصفته بمشكلات ظهرت في السنوات الأخيرة نتيجة زيجات بين المسلمين والمسيحيين.

وأرجع رئيس مجمع الأساقفة الكاردينال كاميلو رويني تزايد هذه الزيجات إلى رغبة المهاجرين المسلمين في الاستقرار في إيطاليا.

وقد أعربت الكنيسة الكاثوليكية عن قلقها إزاء سلسلة صعوبات مرتبطة بالهشاشة الجوهرية لهذه العلاقة العائلية، ومسألة التعليم الديني للأولاد، ويأتي ذلك متسقًا مع موقف الفاتيكان الذي تحفّظ في عام 2004 مسيحي، على هذه الزيجات التي وصلت في إيطاليا وحدها (عام 2004 مسيحي) إلى 19 ألف حالة.

وتسعى الكنيسة للحد من استكمال مراسم الزواج دينيًا، واقترحت على القساوسة أن يطرحوا أسئلة واضحة على الراغبين في الزواج في الكنيسة تتعلق بالمعلومات عن دين الشريك وخطة تعليم الأبناء.

فعندما ندعو إلى حوار الحضارات الذي يتضمن حوار الأديان من المفترض ألاّ يقتصر الحوار على قضايا هامشية غير مؤثرة، فهذه إحدى المشكلات التي تشكل عقبات مؤلمة في طريق الحوار.

وحين نطرح هذه المشكلة فإننا نذكّر بأن الإسلام لا يمانع مطلقًا من الزواج بالمسيحية واليهودية المحصنة، وهذا أمر أقره الشرع ولم نأتِ به من اجتهاداتنا.

على أية حال فإننا لا بد أن نستخلص النتيجة حسب رؤيتنا كشرقيين وعرب ومسلمين، فنحن نرى أن الحوار الحضاري بين الشعوب ينطلق من التساوي بين المتحاورين، ولكن يبدو أن الذي يفتقد المبادئ الثابتة لا يمكن أن يعطي رأيًا صادقًا يوثق به وموقفًا جديًا تجاه ما يسمى حوار الحضارات.

إننا نعتقد أن أي حوار حضاري لكي يكون ناجحًا ومؤثرًا ومجديًا لا بد له من وجود طرفين متعادلين في



قوة الفكر والتأثير، متعادلين في التأثير على المستوى الثقافي وحتى على المستوى السياسي والإقليمي.

والحقيقة أنه على الغرب معرفة أن مصلحة شعوب العالم تتطلب تعارفًا على مستوى العقائد والأفكار والسلوك الإنساني، ولعل هناك الكثير من القواسم المشتركة بين الشعوب التي تُجاذب البشر ولا تنافرهم أو تنفّرهم، لكنّ أطرافًا ترى أن مصلحتها ومصلحة وجودها تكمن في إلغاء أي تقارب بشري إنساني أو أي حوار جاد بين الجميع.

وباختصار شديد نقول: إننا نطرح مفهوم حوار الحضارات على سبيل الكشف الحقيقي لطريق الحوار، وحتى نبيّن أيضًا أننا لسنا جاهلين بهذا المنهج وآثاره وأسبابه والعقبات التي تحول دون تحقيقه، فإذا كان الطرف الآخر يقتنع بالحوار ويحاول أن يتجاوب معه وفي نفس الوقت يتغافل عن العقبات السياسية والاستعمارية والعنصرية فإن ذلك يخالف أبسط أسس التعارف والحوار، لأن تجاهل هذه العقبات يعني تجاوز أي حديث جاد عن آخر ما يواجه البشرية من أخطار وتهديد بالفناء.

نبك

بين الإسلام والغرب
تواصل.. أم قطيعة؟

د. سالمة عبد الجبار *

نقل المؤرخ الفرنسي (غوستاف لوبون) في كتابه الشهير (حضارة العرب) عن المؤرخ الراهب (روبرت) الذي شهد اقتحام الصليبيين بيت المقدس قوله: «كان قومنا يجوبون الشوارع والميادين وسطوح البيوت ، ليرووا غليلهم من (التقتيل) وذلك كاللبؤات التي خطف صغارها، وكانوا يذبحون الأولاد والشبان والشيوخ ويقطعونهم إربًا إربًا، وكانوا لا يستبقون إنسانًا... وكانوا يشنقون أناسًا كثيرين بحبل واحد بغية السرعة... وكانت الدماء تسيل كالأنهار في طرق المدينة المغطاة بالجثث».

وينقل المؤرخ ذاته عن كاهن مدينة (لوبوي) (ريموند داجل Remond Dagl) قوله: حدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها، فقد قطعت رؤوس بعضهم، وكان هذا أقل ما يمكن أن يصيبهم، وبُقرت بطون بعضهم، فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار، وحرق بعضهم بالنار، فكان ذلك بعد عذاب طويل... وكان لا يرى في شوارع القدس وميادينها إلا الأكداس من رؤوس العرب المسلمين وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا على جثث القتلى... ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض مما نالوا».

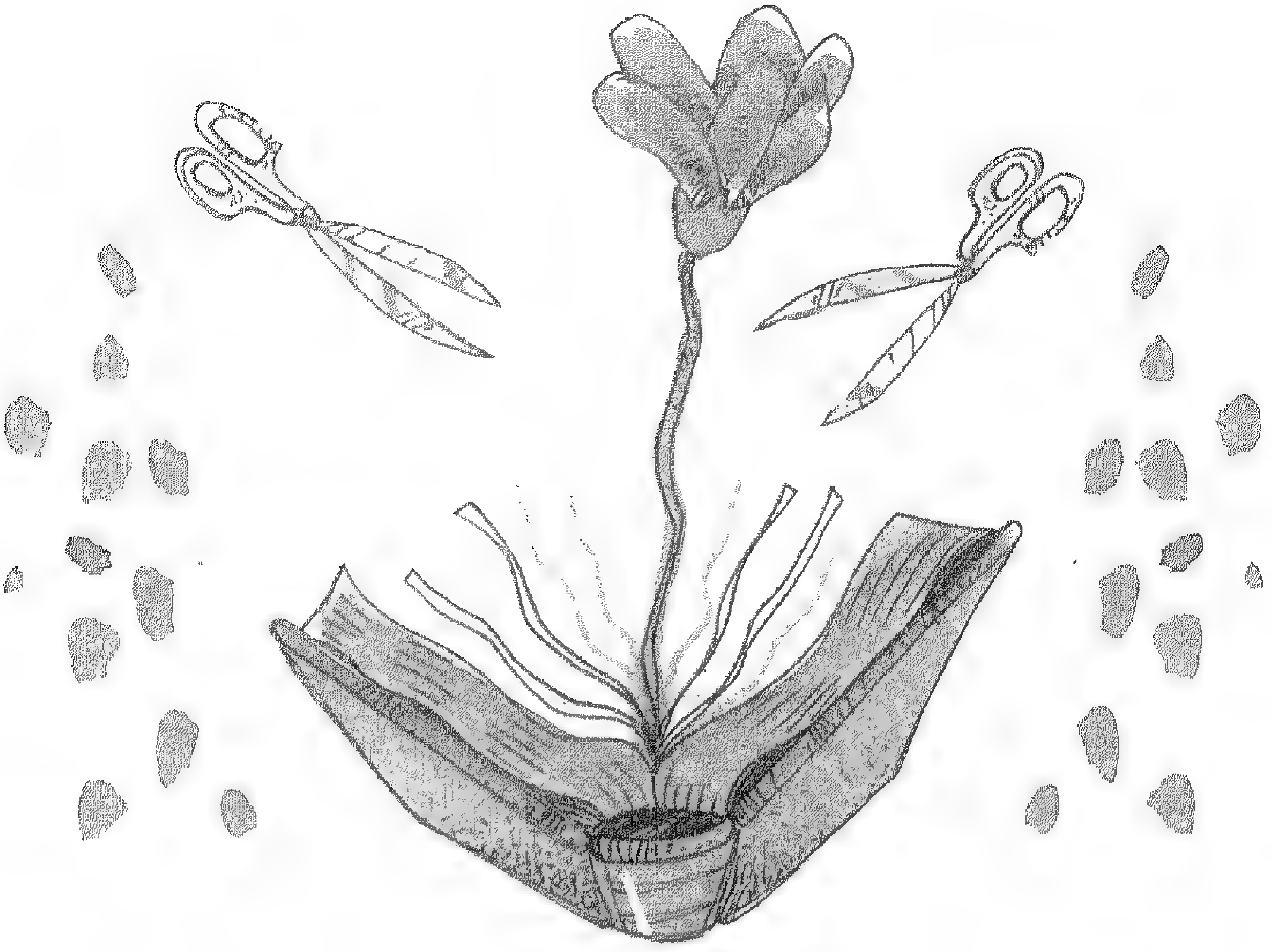
هذه المشاهد التي لا نزال نعيش نظيرها في أيامنا هذه بعد مضي مئات القرون من عمر الحضارة الإنسانية؛ إنما هي شاهد على عمق الهوة النفسية بين المسلم والمسيحي، مما تجعل العلاقة بينهما جديرة بالتأمل والدراسة والتحليل!!

وإذا كانت هذه العلاقة قديمة قدم الحضارتين، إذ تبدأ مع ظهور الإسلام وغزوتي مؤتة وتبوك، مرورًا بمعركة اليرموك وبالحرب الصليبية في مصر والشام والأندلس؛ فإنها قد اتخذت صورة جديدة بعد ركود الحضارة الإسلامية وأخذ الإنسان المسيحي بزمام المبادرة التاريخية.

هذه الصورة الجديدة هي ما سيكون لها الأثر الكبير على حاضر ومستقبل الحضارتين، بل الحضارة الإنسانية جمعاء.

لقد بدأت الجامعات الكنسية منذ بزوغ النهضة الأوربية في إيطاليا بدراسة العالم الإسلامي وتراثه دراسة موجهة، تهدف للسيطرة والتحكم أكثر مما تهدف للاستطلاع العلمي، عرفت هذه الدراسات باسم الاستشراق، وتطورت لتستقل عن الكنيسة في

* كاتبة وباحثة وأستاذة جامعية / ليبيا



إطار تحرر العقل الأوروبي من سلطانها وما تم من فصل بين العلم والإيمان.

والجدير بالانتباه في هذا الجانب أن الجهود العلمية الجبارة التي بذلها المستشرقون لم تساعد كثيرًا في تحسين صورة العالم الإسلامي في الذهن المسيحي، لما كان ينقصها من التجرد والموضوعية في أكثر الأحيان، ولم ير المستشرقون في الشرق إلا ما كانوا يريدون رؤيته[1]، وظلوا متمسكين بمسلمات أجدادهم عن الإسلام باعتباره دين العنف والتعصب الذي انتشر بحد السيف. ومن العجيب أن تظهر هذه التهمة لدى بعض رجال الفكر الذين اشتهروا بحضارتهم العلمية ودانت لهم البشرية بالكثير[2].

إن أفكارا كهذه هي التي بررت فيما بعد سياسة الاستعمار والإذلال الذي مارسه الأوروبيون على بقية سكان الأرض، خصوصًا في العالم الإسلامي. ومن الطبيعي أن يمارس المستعمرون الأوروبيون كل صنوف الاضطهاد والسلب ضد المسلمين، على أن العلاقة بين الغرب والإسلام اتخذت طابعًا جديدًا في مرحلة لاحقة مما يدعو إلى البحث عن موطن الأزمة.

فالتطور العلمي والصناعي والتقني قد خلق عالمًا موحدًا، وفرض احتكاكًا واتصالاً مباشرًا بين الأمم والحضارات كافة، وأضحى من المحتم أن ينظر البشر إلى مشكلاتهم نظرة عالمية، بيد أن الوحدة الجغرافية التي فرضتها ثورة العلم والاتصال لم تصاحبها وحدة في المفاهيم والقيم، وظلت هوة سحيقة تفصل بين عقول البشر وضمائرهم، ونظرًا لاختلاف خلفياتهم

1 ـ الاستشراق الخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود حمدي زقزوق، سلسلة كتاب الأمة 1390هجري، ص:116، نقلاً عن المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون في محاضرة له بالقاهرة عام 1969 مسيحي.

2 ـ هيجل ، العقل في التاريخ، ترجمة د. عبد الفتاح إمام. وقد أشار في هذا الكتاب إلى عبارة تصف بلاد العرب بأنها بلاد التعصب.

الفكرية والثقافية. وإذا كان الفضل يرجع إلى الإنسان الغربي في خلق هذا العالم الجديد الموحد بعبقريته العلمية والصناعية؛ فإن هذا الإنسان (الغربي) لم يستطع تجاوز ذاته في صلته بالآخرين، وفي تفهم ثقافاتهم الخاصة، ومراعاة مصالحهم الجوهرية، وتلك هي المفارقة الكبرى التي ترجع إليها أزمة التواصل بين العالم الإسلامي والغرب «إذ إن موطن الأزمة موجود في الضمير الأوروبي نفسه في علاقته بالمأساة الإنسانية»(3).

ذلك الضمير الذي لم يتسع للآخرين، ولم يستوعب تمامًا مقتضيات الوحدة الأرضية التي صنعتها يداه. لقد أصبحت الكرة الأرضية صغيرة جدًا... ولم يعد بالإمكان تجزئة المشكلات والحلول أو انتهاج سياسة أوروبية في جانب واستعمارية في جانب آخر (4).

لكن استيعاب هذا الواقع الجديد أمر يعسر على أولئك الذين حكموا البشرية قرونًا طويلة، أضف إلى ذلك الحساسيات التاريخية تجاه المسلمين، وأثرها في خلق صعوبات نفسية وثقافية صادفها الغربي من أجل التنازل عن كبريائه وإفساح المجال للآخرين، إضافة إلى حالة المسلم المعاصر وشكواه من الغرب الذي يأبى عليه - جراء معتقداته في الهمجية وفلسفته للصراع المادي والعرقي - يأبى الاعتراف بالمنهج الإسلامي، أو حتى مجرد التفهم لمفرداته ومحتواه.

ومع ذلك فإن الإنسان الغربي يتحمل العبء الأعظم في عالم صنعه هو، ويخضعه لسيطرته، إلا أنه لا يتحمل المسئولية كاملة عن سوء علاقته بعالم الإسلام؛ إلا أن المسلم بسوء استيعابه لمقتضيات العصر، وثقافة العلم، وما ينتج عن ذلك من إيحاءات سلبية، وما يطلقه من أحكام غير منصفة في حق الحضارة الغربية، والتي تظل - رغم كل سلبياتها - تجربة إنسانية متميزة حتى الآن؛ فهو يسهم إلى حد بعيد في سوء العلاقة بين الغرب والإسلام، إضافة إلى ما انطبعت به حياة المسلم من سلبية وتخلف، بغض النظر عن سمو الرسالة التي يدعي الانتماء إليها.

«إن العالم الإسلامي يعيش في غير تاريخه، وحقيقة المسلم تخفيها المظاهر الاجتماعية»(5)، من بؤس وجهل ومرض، فكيف تقنعهم باتخاذه ندًا جديرًا بالاحترام؟. كما أن تمسك بعض المسلمين المعاصرين ببعض الأفكار المنتمية إلى عهود التوسع الإمبراطوري الإسلامي، دون مراجعة لتلك الأفكار في ضوء الوحي ومقاصد الإسلام الكلية، ودون مراعاة لمستلزمات الحياة الدولية في العصر الذري؛ أصبح يثير الرعب والفزع لدى الشعوب الأوروبية التي لم تنس بعد تاريخها مع العالم الإسلامي... إن هذه العوامل السلبية لا تؤثر على سمعة المسلم فحسب، لكنها تؤثر على مستقبل الإسلام وانتشاره في الأرض.

إذ لاحظ فرنسيس فوكوياما أنه «بالرغم من القوة التي أبداها الإسلام في صحوته الحالية، فبالإمكان القول إن هذا الدين لا يكاد يكون له جاذبية خارج المناطق التي كانت في الأصل إسلامية الحضارة» (6).



فرنسيس فوكوياما

3 - مالك بن نبي، فكرة الإفريقية الآسيوية، ص:20، ترجمة عبد الصبور شاهين، الطبعة الأولى، دار الفكر دمشق 1985.

4 - مالك بن نبي، نفس المصدر ص:32.

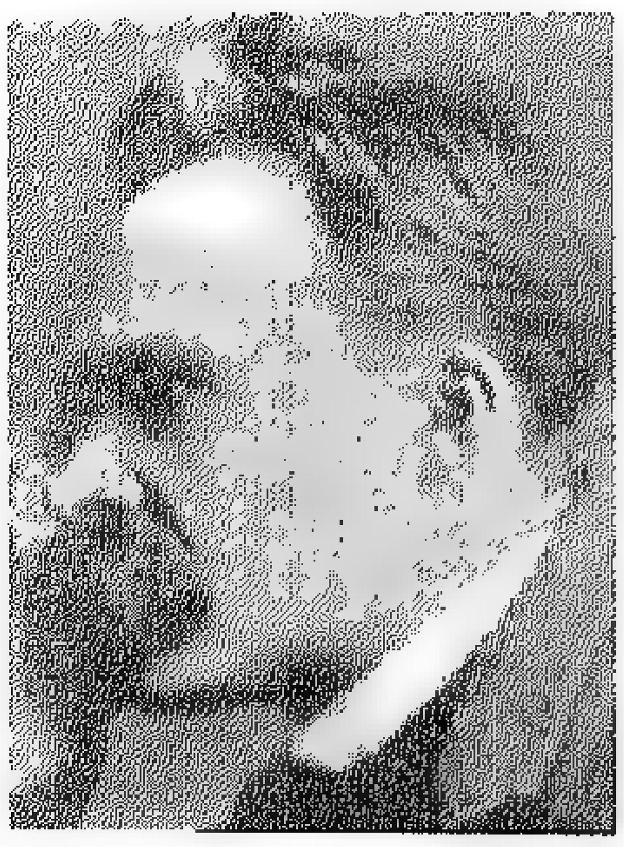
5 - مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته، في القرن العشرين، ص:52، دار الفكر دمشق، 1989. والجدير بالذكر أن مالك بن نبي يطلق مصطلح (منبوذ القرن العشرين) على الإنسان المسلم.

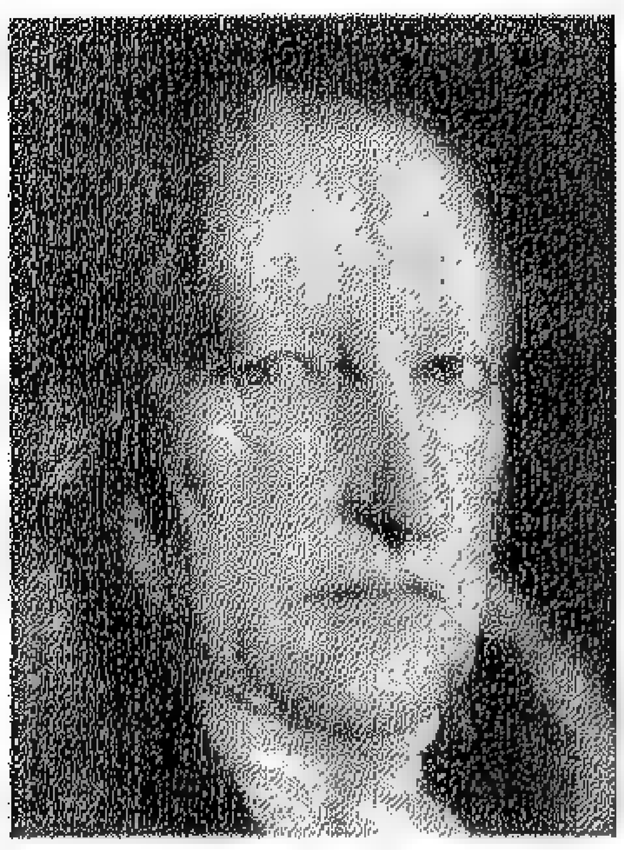
6 - فرنسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر 1993 القاهرة.

لكن ما لم يلاحظه فرنسيس فوكوياما أن للإسلام جاذبيته التي لا تقاوم، وهي التي قادت ملايين البشر إلى اعتناقه قديمًا وحديثًا دون إكراه(7).

لكن بعض المسلمين بصنيعهم وتخلفهم الحضاري شوهوا وجه الإسلام الجميل، وأحالوا حب الناس له فتورًا. ولكن مهما كان الأمر فإن المواجهة بين الغرب الذي لم يستطع حتى الآن التخلي عن أمجاده الاستعمارية في الهيمنة والتسلط، وبين المسلم الذي يعبر على التحرر والبناء انطلاقًا من قيمه الخاصة؛ أصبحت تمثل الصورة التي تحوي شرخًا كبيرًا يمزق الإنسانية من جديد. هذا الشرخ كان بتأثيرات الاتجاهات الماركسية، وتأثيراتها في الحضارة الدينية في الفكر المسيحي، وأدى بالإنسانية إلى سباق محموم في التسلح والمواجهة، وأصبح كل من المعسكرين قادرًا على إفناء البشرية، ووضع حد للحياة على الأرض في ساعات معدودة. هذه كانت إحدى ظواهر القرن الماضي، إذ أصبح بقاء الجنس البشري يمثل القضية الأولى في ذهنية رجال الفكر والأخلاق في هذا العصر.

وإذ سقطت الماركسية فإن صراعاً جديدًا بين الإسلام والغرب بدأ يلوح في الأفق، وأصبح هذا الفضاء الإيديولوجي هو الخطر الجديد على مستقبل البشرية، كما أن محاولة الاجتياح الإيديولوجي للدولة الإسلامية ومحاولة تشويه الإسلام منذ ظهور فكرة الاستعمار قد ظهر فشله الذريع. أو أن الدول التي تزعمت عملية التغريب في مطلع هذا القرن هي التي تضم الآن طليعة ما يعرف بـ (الصحوة الإسلامية). ومع أن الغرب لم يزل عاجزًا عن فهم الصحوة الإسلامية، وينعتها بنعوت شتى، ويخلط بينها وبين الأصولية الإسلامية والتطرف الديني وبين النازية الأوربية، بل يعتبر الغرب أن الإسلام يشكل خطرًا كبيرًا على الممارسات الليبرالية حتى في الدول التي لم يصل فيها إلى السلطة السياسية مباشرة. وبعد انهيار الماركسية وتحقيق المصالحة بين شقي الحضارة المسيحية شعر الغرب بنشوة النصر، ولم تعد ذاكرته تتسع لأي شريك أو قرين في التاريخ والحضارة، بل تجاوز الغرب ذلك بقوة إلى القول بنهاية التاريخ التي عبر عنها فرنسيس فوكوياما في كتابه (نهاية التاريخ) الذي يمثل قيمة فلسفية إيديولوجية نادرة، بل يمكن اعتباره أهم مرافعة إيديولوجية في الدفاع عن الديمقراطية الليبرالية الغربية، وجاء بعدا انهيار الاتحاد السوفييتي ليعبر عن نشوة الانتصار لدى الغرب، وخاصة الأمريكيين، تلك النشوة التي عبر عنها ريتشارد نيكسون في كتابه (الفرصة السانحة)، وأراد فوكوياما تأصيلها فلسفيًا وإيديولوجيًا، ويوظف فوكوياما تراث (هيغل) و(نيتشه) الفلسفي توظيفًا لا يخلو من براعة وديماغوجية، ليحيي فكرة نهاية التاريخ الهيغيلية ويطبقها على العصر، ومفادها أن التاريخ البشري يسير في خط تراكمي لا دوري - نحو المطلق، أي نحو التحقق الكامل لحرية الإنسان التي هي جوهر إنسانيته. وما هو جدير بالذكر في هذا


نيتشه


هيغل

7- جاذبية الإسلام، هو عنوان كتاب للمستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون.

السباق هو أن هذه الفكرة الهيغيلية لا تمثل أهمية في ذاتها، وإنما التأويل الأمريكي لها، وتأثير ذلك على علاقة الغرب بالإسلام. فالديمقراطية الغربية قد نجحت ـ كما يرى فوكوياما ـ في التوفيق بين أخلاقيات العبد والسيد [8]، وقضت على ذلك التناقض الذي هو المحرك الأول للتاريخ. ويوضح ذلك بقوله: «إذا كنا اليوم قد بلغنا مرحلة لا نستطيع معها أن نتخيل عالمًا شديد الاختلاف عن عالمنا، أو طريقة ظاهرة وواضحة يصبح فيها المستقبل أفضل بكثير مما نحن فيه؛ فعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار احتمال أن يكون التاريخ قد بلغ نهايته» [9].

ويبدو بوضوح ما في أفكار فوكوياما من تفاؤل مفرط وغريب ووهم لا وجود له في دنيا الواقع ولا مبرر له؛ إذ ليس ثمة ما يدعو إلى اعتبار النظام الغربي هو نهاية للتاريخ، وغاية ما بعدها غاية، إذ هو يدرك بنفسه نسبية فكرة الديمقراطية الغربية، ويقر بأنه «من الصعب أن نتخيل نجاح الديمقراطية في مجتمع معظم أفراده من الأميين غير القادرين على الاستفادة من المعلومات المتوافرة عن الخيارات المفتوحة أمامهم»[10].

كما يبدو أن أفكار فوكوياما مشحونة بالإحساس الكاذب بالكمال والرضا عن الذات، وهو أمر يمكن اعتباره انعكاسًا لنشوة النصر على الماركسية أكثر منه تعبيرًا عن الحقيقة المطلقة. وإذا كان فوكوياما يقر بأن «الاختلافات الظاهرة بين مفاهيم الشعوب عن الخير والشر قد يثبت أنها انعكاس للمرحلة المعينة التي يمر بها تطورها التاريخي» فلن يكون في وسعنا عزل أفكاره عن الأحداث السياسية الكبرى في العالم منذ انهيار الاتحاد السوفييتي.

لقد كان هيجل يرى أن جوهر الحركة التاريخية إنما يكمن في رغبة السيد والعبد معًا في نيل الاعتراف المتبادل، وهو ما يوحي بأن نهاية التاريخ التي يبشر بها البعض حاليًا لم تحن بعد في أحسن الأحوال، إذ ما تزال شعوب كثيرة تمثل دور العبد وتنتظر من السيد (الغرب) الاعتراف بكرامتها وإنسانيتها. وإذا كان فوكوياما قد خلص في خاتمة كتابه إلى أن أولئك الذين سيستمر سخطهم سيظلون دائمًا قادرين على أن يبدأوا التاريخ من جديد؛ أفلا يكفي هذا دلالة على ضعف الحجة القائلة بنهاية التاريخ في وقت لا تزال فيه العديد من الشعوب تشكو الظلم والإجحاف؟. وفوكوياما يدرك تمامًا دور المستضعفين في صناعة التاريخ، إذ يقول: كانت الرغبة المستمرة لدى العبد في نيل الاعتراف هي المحرك الذي دفع التاريخ إلى الأمام، لا رضا السيد الخامل عن نفسه وفكرته الجامدة عنها.

«الإنسان الغربي يتحمل العبء الأعظم في عالم صنعه هو، ويخضعه لسيطرته، إلا أنه لا يتحمل المسئولية كاملة عن سوء علاقته بعالم الإسلام»

إن ما يهم في هذا النمط من التفكير والتنظير هو ذلك الأثر السيء على العلاقة بين الإسلام والغرب، إذ أصبح الغرب مكتفيًا بذاته، راضيًا عن نفسه، مما شكل عوائق نفسية أمام الضمير الغربي تمثلت في تضخم الذات ونمو النزعة الاستعمارية واستفحالها، مما يلغي بالتالي كل شكل من أشكال التفاهم والحوار والتواصل.

8 ـ فرنسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة حسين أمين، مركز الأهرام 1993.

9 ـ المصدر نفسه.

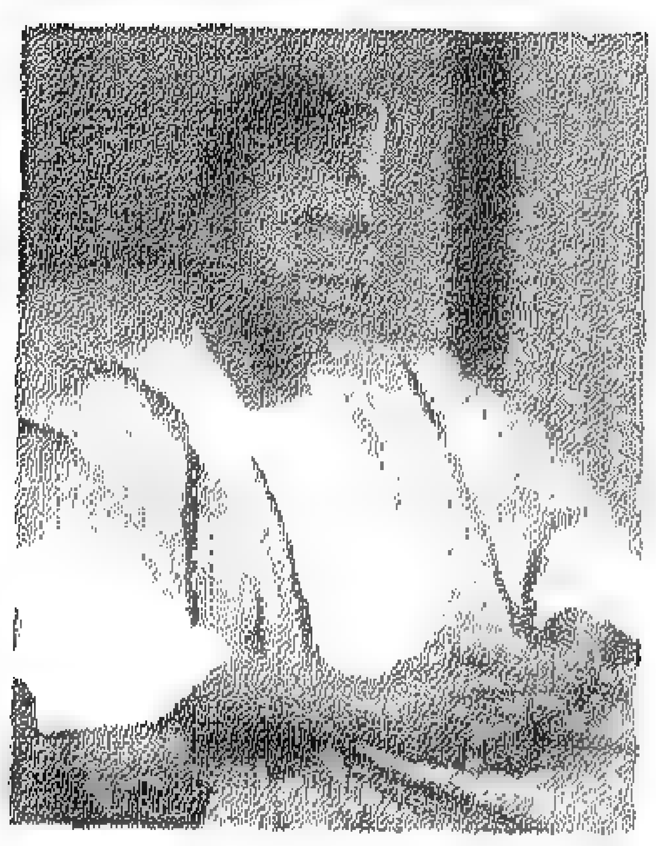
10 ـ نفس المصدر.

النهضة الإفريقية
في كتابات الحاج أحمد سيكوتوري

إعداد: سيسي سليمان *

ولد الحاج أحمد سيكوتوري الذي يعد من حكماء إفريقيا في العصر الحديث في 9 /1/ 1922 مسيحي، في مدينة (فاران Faranha) بغينيا - كوناكري، في أسرة متواضعة، وكان والده أحد أبناء الإمام المجاهد ساموري توري ألفا توري، وأمه آمنة فادقا، وقد أدخل في الكتاتيب التي كانت الأسر تبعث بأولادها إليها لتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب وتحفيظ القرآن الكريم[1]، وهكذا بدأ نشأته إلى أن التحق بالمدارس الفرنسية في بلاده، وكان من مؤسسي نقابة العمال في غرب إفريقيا عام 1945 مسيحي، وأمينها العام، وهو العام الذي أخذ فيه زمام (التجمع الديمقراطي الإفريقي Africaine Rassenblement Democratique) .

وبعد أقل من عشر سنوات، أصبح المستشار العام لغينيا ورئيسًا لإتحاد عمال إفريقيا السوداء، وتم تعيينه رئيساً لغينيا 1958 مسيحي، وانفرد في استفتاء شهر الفاتح (سبتمبر) 1958 مسيحي، بالرد بـ «لا» على اقتراح «جماعة الفرنسي الإفريقي»، ومن ثم يقود غينيا نحو استقلالها في الثاني من شهر التمور (أكتوبر)، لتصبح بذلك أول دولة مستقلة في المستعمرات الفرنسية في إفريقيا السوداء، فتزداد العلاقات الفرنسية الغينية توتراً بعد ذلك، حتى تنقطع كاملاً في عام 1965 مسيحي، وبعد عقد من الزمن قام الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان بزيارة رسمية إلى كوناكري حيث شهد عام 1975 مسيحي تصحيحاً للعلاقات الثنائية. ومن جانبه قام الرئيس أحمد سيكوتوري بزيارة رسمية إلى فرنسا في عام 1982 مسيحي. وهكذا كان الرئيس أحمد سيكوتوري شديد الاعتزاز بالوطنية والكرامة ليس لبلاده غينيا كوناكري فحسب بل من أجل تحرير واستقلال بقية



الحاج أحمد سيكوتوري

---

* باحث / غينيا - كوناكري

1 - د. مطير سعد غيث أحمد/ الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في المجتمع السوداني الغربي، دراسة في التواصل الحضاري الافريقي، دار المدار الإسلامي، نشر دار أويا، طرابلس الجماهيرية العظمى، 2005 مسيحي.



بلدان القارة ووحدتها، فيما كان كاتبًا وخطيبًا بارعًا، حتى لقب بمعلم الكلام[2]، إلى أن وافته المنية في 24/3/1984 مسيحي[3].

منهجه في الكتابة:

كانت معظم كتابات أحمد سيكوتوري تتجه نحو منهج فكري حضاري إفريقي، وكان يقدّم من خلال كتاباته رؤى جديدة في دراسة تاريخ القارة الإفريقية، إذ اعتبر فهم التاريخ ضرورة لفهم حسن تسيير الحياة في الحاضر، لأن التاريخ ينبوع الحضارة، حيث إن معرفة تجارب الحياة ضرورية، وعمر الإنسان يقصر عن الإحاطة بكل ما فيها، ولكي يبني الإنسان حياة جيدة ويتقدم يلزمه الاستفادة من تجارب التاريخ، أي تغيير الخلفية التي صنعت التاريخ السيئ، فإن الرؤية التاريخية الصحيحة هي التي تصنع شخصية الأمة، ولأجل هذا اشتهر عن المؤرخين أن كل جيل يجب أن يكتب تاريخه بيده، أي بلغة عصره، فلا أحقية لأحد في محو تاريخ الآخر لأن شعبًا دون تاريخ شعب بلا روح»[4].

مشروعه النهضوي لإفريقيا:

لا يخفى على كثير منا أن النهضة Renaissance [5] هي قيام أمة، أو هي يقظة أمة من غفوتها بعد الإطاحة بمجدها وقيمها وشرفها، وهذه النهضة في فكر سيكوتوري ظهرت مع بداية نضاله الأولى ضد الإدارة الاستعمارية الأوروبية الفرنسية الغاشمة، حيث كان قراره الشجاع الذي اتخذه في استفتاء 1958 مسيحي، برفض اقتراح «جماعة الفرنسي الإفريقي» وما استتبع ذلك من استقلال بلده المبكر، قد أعاد الثقة في نفوس قادة الدول المستعمرة من قبل فرنسا، فقد تلاه استقلال للدول الأخرى بعد 1960 مسيحي.

وكان نضال أحمد سيكوتوري نتيجة اطلاعه على

2 ـ ألفونس (كواسي) بيبوا/ نبذة عن حياة سيكو توري، تلفزيون (ساحل العاج) 24 /3 /1984 مسيحي.

3 ـ Ibrahim Baba Kake / Sekou Toure et Hero et le Tyran

4 ـ أحمد سيكوتوري، إفريقيا والثورة، ترجمة: محمد البخاري، منشورات المطبعة القومية، سورية.

5 ـ Dictionnaire Scholaire / Une Equipe de Professeurs, DAR ELCHIMALI, P.489. 2004 Beyrouth - Liban

تاريخ شعوب العالم عمومًا وإفريقيا بشكل خاص، وفهمه للتاريخ فهم الهادف المستنتج، لأن هناك من يدرس التاريخ للتاريخ، وهناك من يدرس التاريخ لهدف إعادة بناء حياة الإنسان.

يفهم من خلال تتبع كتابات أحمد سيكوتوري أنه يقسم تاريخ إفريقيا باعتبار المراحل التي اجتازها في تطوره إلى ثلاث حقب كبيرة:

الحقبة الأولى:

تتمثل الحقبة الأولى في حياة الشعوب الإفريقية - كما يراها أحمد سيكوتوري - في مرحلة ما قبل الاستعمار، وقد تميزت تلك المرحلة بعبقرية شعوبها، وارتقاء قيمها، حيث تمكنت تلك الممالك والإمبراطوريات من إدارة شؤونها السياسية والاقتصادية بكفاءة وجدارة فائقة لم يُر لها نظير إلى الوقت الحاضر(6)، كما حققت وحدة ثقافية تشكلت منها وحدة اجتماعية مترابطة قوية كمملكة (سيقو والكانم وماسينا) وإمبراطورية (غانا وسنغهاي)، كما شهدت نشاطات ضد الاستعمار الأوروبي قادها أعلام فكر ودين أمثال الحاج عمر تال الفوتي والإمام ساموري توري ومحمد الأمين درامي، وأُسّست خلالها مدن ومناطق تاريخية كتمبكتو و(جنى) و(جاو) و(أجاديس) و(ولاته) و(سيقيلا) و(دبكالا) و(دنقراي) و(طوبى) و(كولخ) و(أبتشه) و(كانو)، وانتشر الإسلام خلالها بوسائل سلمية قام بها الدعاة والمعلمون والأئمة والتجار والرحل بالقوافل من الحجاج ومشائخ الطرق الصوفية(7).

الدروس المستفادة من المرحلة الأولى:

ومن العبر التي استنتجها أحمد سيكوتوري أنه نادى من هذا المنطلق بالعودة إلى إفريقيا، أي إلى إعادة الثقة بالذات الإفريقية وعدم الخضوع لتسرب اليأس إلى نفوس الأفارقة، وهذه هي المعاني الصحيحة للأصالة، وتكون هذه العودة إلى الذات هي اعتبار الشعوب عنصرًا ضروريًا ومشاركًا في البناء الحضاري للقارة، لا منزويًا مكتوف الأيدي تجاه الأحداث، بل لا بد من أن تقرر مسيرتها بنفسها كما كان أسلافها يقومون بذلك.

العودة إلى الذات هي اعتبار الشعوب عنصرًا ضروريًا ومشاركًا في البناء الحضاري للقارة.

وهذه العودة تتطلب وعيًا شعبيًا، فالوعي الشعبي هو القدرة الإنسانية التي تسمح للفرد بأن يندمج في المجتمع وأن يكون عامل تطور وتقدم.

القائد الواعي:

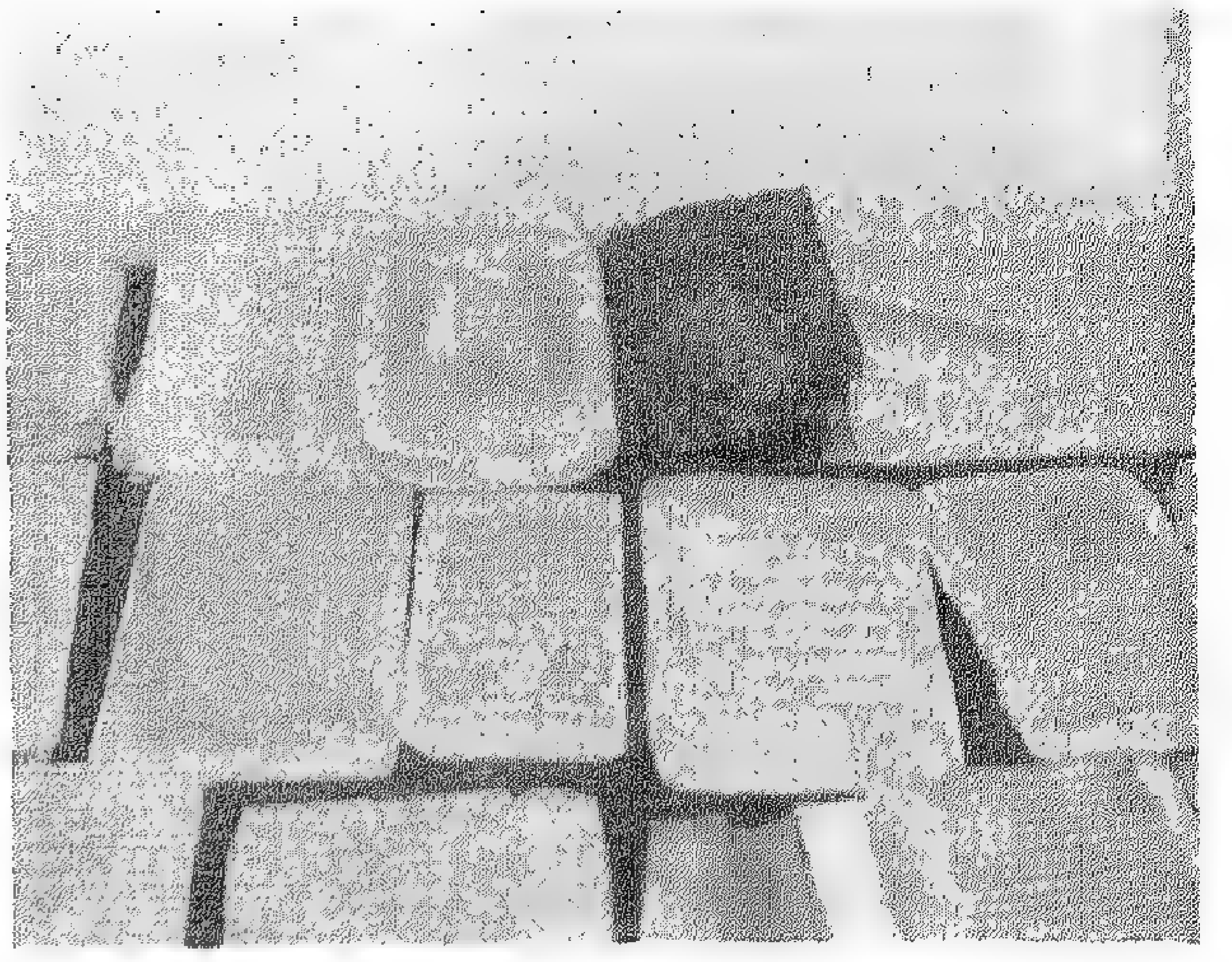
عندما يشعر الشعب بوحدة تكاملية بين أفراده، من هنا يحدث التغيير في آلية الحكم، وهذا يبين لنا مدى الارتباط بين الأمة والأنظمة التي تقودها، فهذا الوعي هو الثورة التي تحمل الشعب على التطلع إلى المستقبل ليصنع تاريخه الذاتي لا ليعانيه، وبالتالي ستسعى الشعوب لتجد ثوريًا، وهو الواعي والمستعد للبقاء في خدمة الشعب، وهو المؤمن بعملية التحويل للمجتمع، فيحث الشعب الذي تطرق إليه أحمد سيكوتوري يؤكد أهمية وضرورة تطبيق سلطة الشعب في إفريقيا، كما نادى بذلك مؤسس الاتحاد الإفريقي معمر القذافي في أكثر من تجمع للقادة الأفارقة(8).

---

6 - أحمد سيكوتوري، مرجع سابق.

7 - حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام والعروبة في ما يلي الصحراء الكبرى، ص: 33، وما بعدها، القاهرة معهد البحوث والدراسات العربية، 1975 مسيحي.

8 - الخطاب الختامي لمعمر القذافي في تجمع رؤساء دول الساحل والصحراء، بوركينا فاسو، 23 - 26 الماء 1373 من وفاة الرسول ﷺ/مايو2005.



والأمر الذي ينبغي أن يكون جليًا أنه لا يمكن معرفة حاجات الشعب ومطامحه دون أن يحياها، لأن الحدس والتحليل والنية الطيبة وحدها غير كافية لحل المشكلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تجابه الشعوب.

الحقبة الثانية:

أما هذه المرحلة فهي مرحلة التردي في التطور الإفريقي، وذلك عندما عرفت القارة ليل الاحتلال الأجنبي المظلم، وقد شاهدت إفريقيا بقدومهم عصر الغدر والنهب والسرقة والخراب والاستعباد والهدم والدمار، وأكبر شاهد على ذلك ما خلفته تلك الأيادي الغاشمة في القارة:

أ ـ حرمان القارة من تسيير وحدة مصيرها، لأنه بعدما تحولت إفريقيا إلى مستعمرات وجدت نفسها مجردة من سيادتها الذاتية وحريتها، وحتى من ممارستها الفعلية لحقها الطبيعي.

ب ـ السيطرة الأجنبية المعتمدة على استغلال خيرات الشعوب واضطهادها في كافة الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

ج ـ التوقف المفاجئ للتطور الخاص، ونضوب منابع النمو الحضاري للقارة.

الحضارة الإفريقية:

أعطى أحمد سيكوتوري المسائل الحضارية والتاريخية لإفريقيا أهمية بالغة، فبعد عرضه أصعب الحالات التي شهدتها القارة من ظلم الاستعمار، قدم للحضارة قائلاً: إنها مجموعة العلاقات الواعية القائمة بين الإنسان والطبيعة، وتتمظهر هذه العلاقات في جملة من الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية، وعلى هذا الأساس لا يوجد إنسان في العالم إلا وأقام حضارة، وقدم أحمد سيكوتوري نماذج من الأزمات التي خلفها الاستعمار.

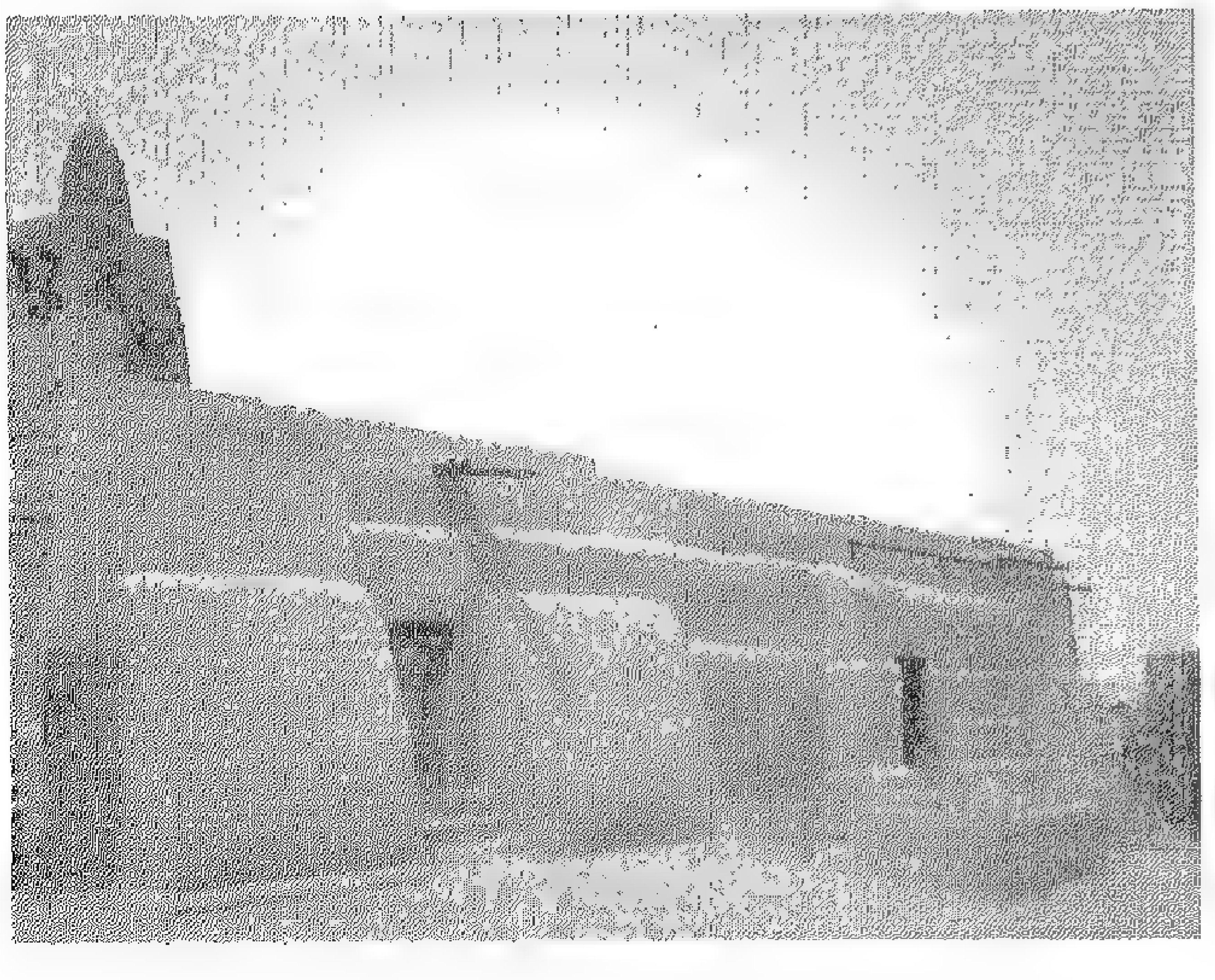
الأزمات التي خلفها الاستعمار:

الأزمة السياسية :

وتمثلت في تكوين طبقة معينة تترأس الشعوب وتراعي مصالحها، وقد حاولت ثلة من أولئك الحيلولة دون إيجاد منطقة توحد صف الأفارقة.

الأزمة الفكرية :

كانت المجموعات التهريبية التخريبية التي تخصصت في نهب الكتب والمخطوطات والتماثيل الأثرية المهمة في القارة من أهم عوامل الأزمة الفكرية.





الأزمة الخُلُقية والاجتماعية:

من أكثر الرواسب التي زرعها المستعمرون في إفريقيا المشاكل الأخلاقية والاجتماعية، فقد كانوا دائمًا يبرزون اشمئزازهم من التقاليد الدينية الإفريقية، وحاولوا استبدال ثقافتهم اللادينية الغربية بها كنموذج وحيد صالح للشعوب كافة.

الأزمة الحضارية: على سبيل المثال نجد المستعمر الأوروبي يدرس حضارة مصر كحضارة مصرية بحتة لا إفريقية، ويطلق مصطلح إفريقيا البيضاء على جزء من القارة وعلى الأخرى إفريقيا السمراء أو السوداء. والحق أن إفريقيا الجنوبية والشمالية تجمعهما قارة واحدة هي (إفريقيا) والفاصل الوهمي وهو الصحراء الكبرى ليس إلا ملتقى حضارياً عظيماً، ـ ولعل اكتشاف توماي (أقدم جمجمة بشرية اكتشفها الباحثون في الصحراء التشادية ـ الليبية) يؤكد على ذلك ـ فهل فرنسا ليست أوروبية لأنها أنجبت دنيس باين Denis Pain؟ وهل ألمانيا انسلت من نزعتها الأوروبية لأن هتلر شرب من مائها؟

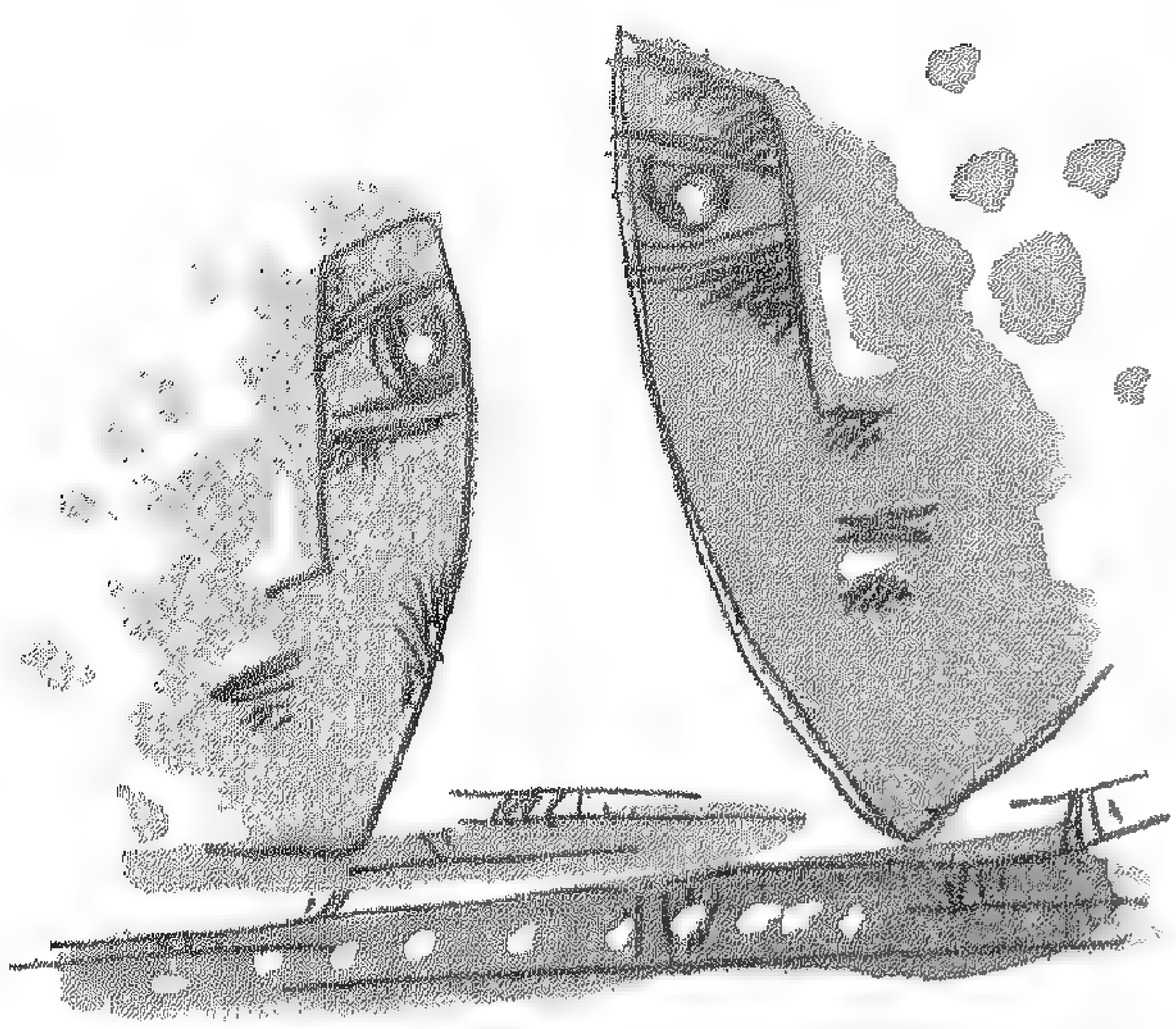
المستعمرون حين دراستهم القارة يفصلون الأفارقة عن العرب في قارة واحدة، وهذا التقسيم غير منهجي ولا موضوعي، لأنه لا يوجد ما يسمى حضارة بيضاء وعدالة سوداء وحرية سمراء.

فلو كان الشعر عندنا (الزنوج) طويلاً لقامت النظريات البيولوجية لتثبت بصورة قاطعة أن مكاننا عالم الحيوان، وإزاء هذه التحليلات أنادي الأفارقة بألاّ تتولد لديهم عقدة ثقافية لأنها أخطر لكونها تحط من قدر الفرد في نظر نفسه ولأنها تكبح مسيرة التاريخ.

الحقبة الثالثة:

هي مرحلة مقاومة الشعوب للاستغلال والاضطهاد، وتفهّم مشروعية المقاومة يسير جدًا على كل العقلاء، لو تساءلنا: هل نقل لنا التاريخ أنّ هناك شعبًا طالب بالسيطرة الخارجية؟ كلا، لقد كافحت الشعوب الإفريقية هذا الاعتداء في كل مكان، وتميزت هذه المرحلة بالانتقال من المقاومة الفردية إلى

الجماعية، وقد زاد وعي المناضلين، خصوصًا عندما انهارت فرنسا عسكريًا أمام احتلال الجيش النازي، وبعد تلك الهزيمة اتخذت فرنسا خطة جديدة، تتناسب واستراتيجيتها المألوفة الساعية لاستمرارية الهيمنة على الشعوب الإفريقية، فالشعوب الإفريقية منذ فجر استقلالها كانت طامحة إلى بناء مجتمع جديد يكون الأفارقة هم صانعوه والمستفيدون منه بآن واحد، وهذا البناء يعني إقامة السعادة والعدالة الاجتماعية. ولتحقيق طموحات هذه الشعوب لا بد من اتخاذ المعايير ومضاعفة الطاقات لحل الأزمات التي خلفها المستعمرون، وإعداد بدائل تتلاءم مع شعوب القارة وتغنيها.



المتطلبات الضرورية للنهضة الإفريقية :

1 ـ التضامن الإفريقي ـ الآسيوي:

يقع عبء التضامن الإفريقي ـ الآسيوي على أبناء كلتا القارتين، لأن بين الأفارقة والآسيويين تقاربًا ثقافيًا متينًا منذ عصور، وقد عقد مؤتمرهما الأول في غينيا ـ كوناكري 1966 مسيحي.

2 ـ التعليم :

التعليم: هو السعي لزيادة طاقات الإنسان وقدراته وسيطرته على الطبيعة، وحل المشاكل التي يطرحها نمو المجتمع، ولكن أيّ تعليم يصلح لإفريقيا؟ إنه التعليم المقترن بالتربية، لأن من شأن ذلك تحسين الطاقات التقنية والخلقية عند الإنسان، وهذا ما يفسر كون أننا كنا نتعلم في ظل الاستعمار ولا نتربى، فكان المستفيدون من تعليمهم غرباء عن شعوبهم مقتلعين من شخصياتهم، تعساء لأنهم مختلو التوازن، فكلما ارتفعت مستوياتهم التعليمية أصبحوا أكثر تشوهًا واختلالاً إلا القلة، فابن المزارع لا يعود إلى قريته، بل يسعى لإيجاد غرفة نوم في المدينة بعنوان (انتظار التوظيف).

أ ـ شرط التعليم الصحيح:

للتعليم الصحيح شروط ولعل أهمها: ارتباط المدرسة بالحياة، أي تكييف بنية التعليم مع ظروف الحياة وإمكانات البلد مهما تواضعت، وبذلك نتجنب الخطأ القائم على الاعتقاد بأن إنشاء المعاهد العلمية لا يمكن أن يتم إلا في ظل شروط عصرية كاملة، وهذا الخطأ الفادح يقودنا إلى التخلي عن توفير البرامج التثقيفية لمجموعة من الشباب الفنيين بادعاء ضعف موارد الميزانية، بينما المدرسة وسيلة وليست غاية، أليس الأحسن أن نذهب بالطالب إلى الحدّاد فيشاهد بأم عينيه صنع المطرقة، بدلاً من أن نكلف الأستاذ برسم المطرقة؟ وهكذا ننشئ مراكز مهنية وتدريبية في كل المناطق.

ب ـ اللغة الثقافية:

وهذا التعليم لا بد له من لغة، وللأسف فإن اللغة الاستعمارية التي نطلق عليها الرسمية ليست لغة الثقافة بالنسبة للأفارقة، ومما لاشك فيه أن فقدان الكتابة المعممة في إفريقيا كانت سببًا في فقدان

التراث العلمي والفلسفي والفني والأدبي الذي أبدعه أسلافنا خلال العصور الغابرة - كان جد أحمد سيكوتوري الإمام المجاهد ساموري توري يكتب دستور دولته وجميع اتفاقاته باللغة العربية لأنها كانت من صميم ثقافته الدينية - وإن أي لغة لا تعبر عن نبوغها التقليدي مهددة بالذبول والاختفاء، وعلى إفريقيا إعادة تقويم لغاتها الوطنية، وبالتالي فإن التعبير باللغات الأجنبية فقط من البراهين على نقصنا الفكري، فينبغي أن ندون لغاتنا لمحو الأمية، واللغة ليست وسيلة نقل ميكانيكية للتفكير بل هي تفاعل في التفكير وتدخل بقوة في تكويننا كأفراد.



الاقتصاد:

إنشاء سوق إفريقية مشتركة:

بعد استقلال أكثر الدول الإفريقية، لا بد من إيجاد شكل من أشكال اللقاء في النشاط الاقتصادي حتى تتجنب القارة الازدواجية في الوظائف، وتقيم العلاقات الاقتصادية والمالية الطبيعية بين مختلف الدول الإفريقية، فالسوق الإفريقية الاقتصادية المشتركة تخفف الكثير من أعباء مؤن الاستيراد الصعبة، لماذا نبيع الماس في بروكسيل بدلاً من إحدى العواصم الإفريقية؟

إنشاء منطقة نقدية أفريقية:

ولأجل أن تكسر إفريقيا آخر القيود الاستعمارية، يتوجب عليها إيجاد منطقة نقدية خاصة بها، لأن النقد الأجنبي يشكل آخر حلقة في سلسلة السيطرة المرتبطة بالنظام الاستعماري.

هذه المتطلبات من أهم الآليات المتينة التي تحقق الوحدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لإفريقيا، فالجهود التي بذلها الآباء بدءاً من منظمة الوحدة الإفريقية التي سعى من أجلها كوامي نكروما وأحمد سيكوتوري في الستينات، وانتهاء بالاتحاد الإفريقي الذي تحقق بهندسة حكيم إفريقيا القائد معمر القذافي، تعني تصفية بقايا النظام الاستعماري القديم، ثم بناء إفريقيا قادرة على البقاء، لكي تحيا القارة معززة فوق الأرض وتحت الشمس بين الأمم، لأن النية وحدها لا تصنع التاريخ، وإن التاريخ بوصفه انعكاساً للمشاريع الإنسانية، يعبر عن تحركات حياة الشعوب ويبرز قواها الحية.

المدارس القرآنية وشخصية الأمة

عمر لطفي العالم *

لا يعرف التاريخ أن حفاوة المجتمعات الإسلامية بالقرآن الكريم وما يتصل به من علوم قد توقفت أو تعطلت حتى في أشد الحقب حلكة وتأزماً.

وإن نحن أخذنا بعين الاعتبار أن هذا الكتاب كان يعني أكثر من كتاب ديني يرسم الحد الفاصل بين الحرام والحلال، فقد شكّل أيضاً وعلى المدى الطويل ظاهرة استثنائية في اعتماده مرجعاً أصيلاً لتنظيم شؤون الحياة، لا فرق في ذلك بين ما يتصل منه بالعبادة أو بالحركة اليومية لدورة الحاجيات، وبرغم الحملة الشعواء التي شنها بعض المؤرخين والنقاد على تغلغل المعايير الدينية في توجيه المسّلكين، العام والخاص، لا يبدو أن المجتمع الإسلامي عبر القرون لم يكن مجتمعاً سعيداً، أو أن التجارب مع تلك التطبيقات تمّ على مضض.

الواضح أن الدين لم يعش على جانب والخاضعون لتعاليمه على الجانب الآخر، كذلك لا تُوحي المصادر بأنواعها أن الجموع المسلمة كانت لا تتحرك باتجاه الشرع إلا بالإيعاز والإكراه، لا لم تكن الحال كذلك، ولا عرف المجتمع الإسلامي في أعتم عصوره ثنائية الشرع والتطبيق، ذهبياً كان ذلك العصر أو غير ذهبي، وأموياً أم عباسياً، فالوجه المُشرق للإسلام لم ينقطع يوماً ولم يتوقف، وإذا كانت طبيعة العصر الذي نحن فيه تقضي بأن يكون البُطء والتردد والتخمين من السمات الملازمة للقرار، فقد وفّر المجتمع الإسلامي على دولته عناء التفكير في الكثير، حين حقق بآلياته العفوية كثيراً من أعمال البِر التي قد تنوء بها الدول.

ولكي لا يبقى حديثنا حُلماً ماضوياً، نُذكّر بأن البداية كانت القرآن نفسه، فقهاً وتفسيراً وتلاوة، وبالحديث ومدارسه، وبمرافق الإطعام والإيواء والإكساء والصحة والتعليم، ولكن ليس من منطلق ربوي ولا خدمات مأجورة، فعلى صعيد الثقافة، كانت مدارس القرآن دُوراً أُنشئت ليحفظ الطلبة فيها القرآن ويُلقنوه على حرف أو حروف متعددة.

وأول مدرسة أُسست قبل جميع المدن الإسلامية كانت في (نيسابور) منذ منتصف القرن الرابع الهجري، وإن كنا لا نعرف عنها الكثير، ولا يوازيها من حيث التأسيس زمنياً إلا دار أخرى هي (الرشائية) التي أُسست بدمشق في أواخر القرن الرابع تقريباً.

(*) كاتب وباحث ليبي / مقيم في سورية

أما بغداد فلم تعرف أول مدرسة بالمعنى الذي ألمحنا إليه إلا في أيام نظام الملك السلجوقي التي عُرفت باسم المدرسة النظامية، وبُدئ التدريس فيها سنة 459هـ ـ كما يذكر ابن الأثير ـ، ولم تشهد القاهرة تأسيس المدارس القرآنية إلا في زمن صلاح الدين خلال النصف الثاني من القرن السادس الهجري، وكانت المدرسة الناصرية أول مدرسة أُحدثت في الديار المصرية وبدأ بها صلاح الدين سنة 566هـ، وربما جاء بناء هذه المدرسة لخطة بدأها نور الدين زنكي لإثبات المذهب السُّني واستئصال المذهب الشيعي، بعدها توالى تأسيس المدارس، ففي القرن السابع أُنشئت مدرسة ثانية في دمشق هي المدرسة الوجيهية، ثم العمرية التي تخّرج منها عدد لا يُحصى من القراء ـ كما يقول النعيمي ـ ، وسمّى ابن كثير ست مدارس أخرى أُنشئت في القرن الثامن حتى بلغ العدد ذروته في القرن التاسع أيام المماليك، ومن الأمور اللافتة أن أصحاب (التُّرب) وهي المساحات المخصصة للدفن، تطوع أصحابها فجعلوها مثابات لتعليم القرآن حباً في العلم وطلباً للثواب، وكان أصحابها يشترطون أن يُقرأ فيها القرآن ويُعلّم، وإن لم يُطلق عليها اسم «دار القرآن» كتُربة الملك الأشرف الأيوبي التي تولاها عالم ذاع صيته كما جاء في «طبقات القراء»، وتُربة أم الصالح التي شرط أصحابها أن يكون الشيخ القارئ بها أعلم أهل البلد بالقراءات، فإذا مات عنها الشيخ القارئ تولاها من انتهت إليه الرياسة عملاً بوصية المانح، وقد ذكر «ابن الجزري» أن المساجد الكبيرة كالمسجد الأموي ـ مثلاً ـ خرّجت أكثر من ألف نفس ختمها عليهم (إلياس بن علوان)، ومن المفيد التذكير بأن المدارس اكتسبت أسماءها وشهرتها من أسماء مؤسسيها.

لقد أُسست المدارس لتلقي الثقافة الإسلامية الدينية وما يتصل بها من علوم العربية، فكان فيها مدارس للقرآن والحديث وللمذاهب الفقهية الأربعة، وللطب أيضاً.

أما من أسسها وأشرف عليها فلم يكن من غير القادرين بالطبع، لكن هؤلاء إن اختلفوا في مواقعهم الاجتماعية كالملوك والأمراء والولاة وأزواجهم وبناتهم وأخواتهم والتجار والموسرين والخواتين والقضاة والعلماء، فقد سوّى بينهم الهدف السامي الذي يُرضي الله ويعود بالخير على الناس.

وفّر المجتمع الإسلامي على دولته عناء التفكير في الكثير حين حقق بالياته العفوية كثيراً من أعمال البر التي قد تنوء بها الدول.

أما عن الطريقة التي كان يتم بها تمويل تلك المرافق والإنفاق عليها، فلا أظن أن القلق ساور يوماً طالباً أو أستاذاً أو مستخدماً، إذ كان يتولاها نظام بديع هو الوقف الإسلامي بأغراضه ومشاريعه الاجتماعية التي شملت شُعب الحياة كافة، فقد وقف أولئك جميعاً أوقافاً وافرة من الأموال والقرى والضياع والبساتين والحوانيت والخانات «أماكن المبيت للإنسان والحيوان معاً» والقاعات، فدّرت المال الذي يُفرغ المتلقي لطلب العلم، ويُغني الشيخ عن التماس المعاش.

وبرغم أن مدارس القرآن الكريم حققت نمواً سريعاً وصولاً إلى القرن الثامن، لكنها لا تجاري نمو مدارس الحديث أو الفقه، فبينما نجد أن مدارس الفقهاء كانت تتزايد بسرعة خلال عهود النوريين والأيوبيين والمماليك، نجد تزايداً بطيئاً على مستوى المدارس القرآنية، وتعليل ذلك أن الرغبة في تأسيس مدارس الفقه كانت بمنزلة رد فعل، فقد منع الحاكم الناس إلا من الاشتغال بالتفسير والفقه والحديث كما يذكر صاحب (البداية والنهاية)، وذلك كإجراء استثنائي استهدف محو التشيع وتنفير الناس من المذهب الشيعي بعد القضاء على سلطان الفاطميين.

وكان السلاجقة أول من بدأ بتطبيق تلك الخطة

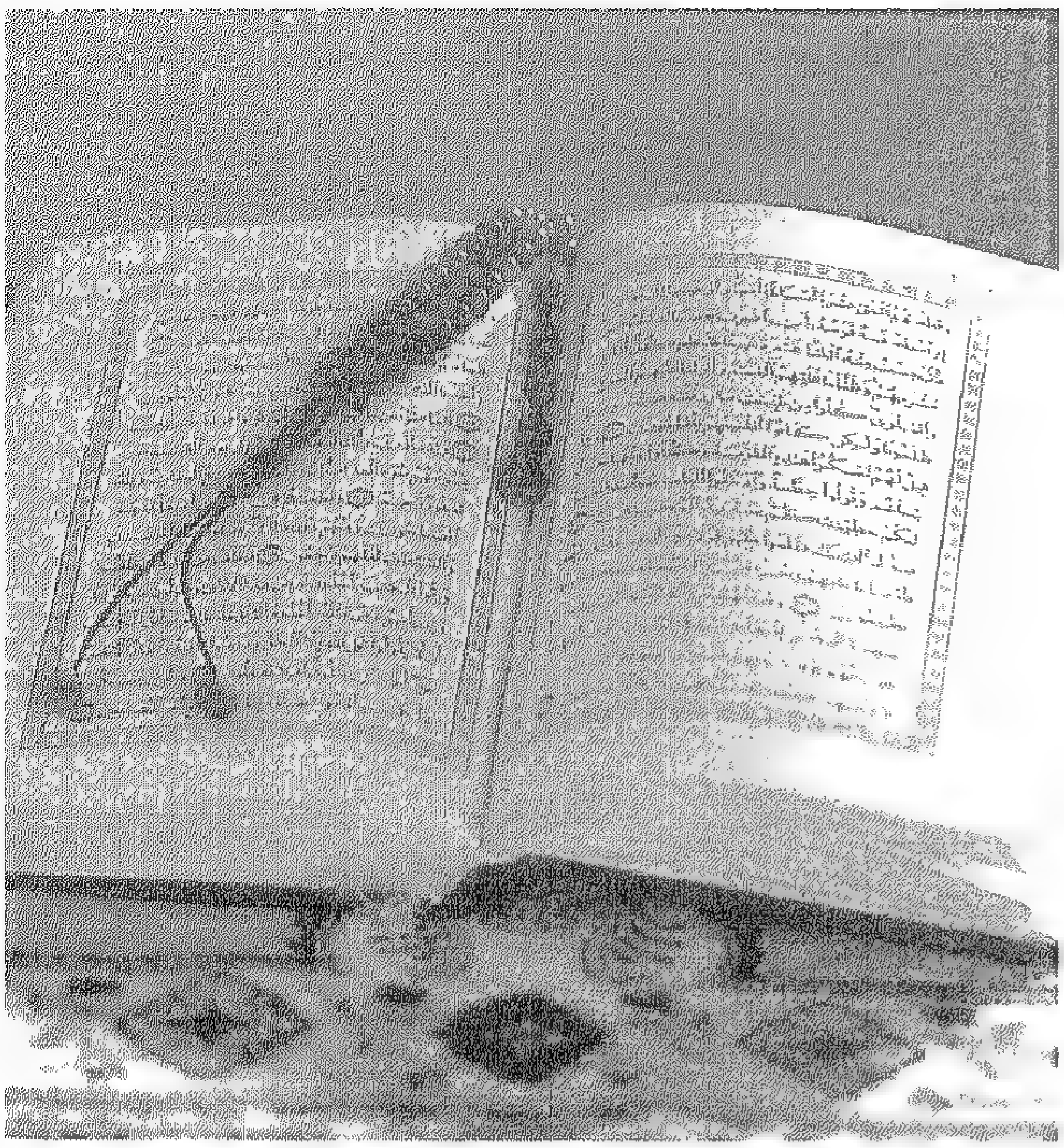
في العراق، ثم اتبعها نور الدين في دمشق، ثم الأيوبيون في مصر والشام، فلم يكن من خطة أفضل من المذاهب الفقهية للقضاء على ذلك المذهب.

وثمة سبب آخر، فمدارس الفقه هذه كانت بمثابة مدارس رسمية تُخرّج العاملين في قطاعات القضاء، وأصحاب المواريث، ووكلاء بيوت المال، وأمناء السر، وما شاكل هذه الوظائف التي كانت تتطلب معرفة تامة بالأحكام، فكان الراغبون في ذلك يُقبلون على التفقه بما سيعينهم إذا نُصبوا في وظيفة ما، لقد كانت مدارس الفقه نواة قديمة لكليات الشريعة والقانون والاقتصاد والاجتماع والإدارة.

وبلغت القراءات في هذه الدُور شأواً عظيماً، وإذا كان أهل المغرب على قراءات ورش وحفص وقالون، كانت بالمقابل قراءات ابن عامر على الجانب الآخر، وقد استمر ذلك حتى القرن الخامس تقريباً، تلاوة وصلاة وتلقيناً، ثم تحوّل الناس إلى قراءة أبي عمرو وظلوا على ذلك إلى حين ظهور الشاطبية والقراءات السبع، هذا إلى جانب قراءة أبي عمرو في الشام والحجاز ومصر.

وبرغم ما أثار النقاد الغربيون حول القراءات والفقه والسُنة والتفسير من غبار، فقد كذّب الواقع ظنهم، فتلك الدُور انتشرت في كل حي بل وفي كل زقاق على رقعة الأرض الإسلامية، فيما لم تفارق تلك الانتقادات موقعها على الورق، حتى القراءات التي كانت لا تزال موضع جدل أو كانت مهملة أو مجهولة لسبب أو لآخر، فقد أحيا ابن الجزري العمل بها وعبّر عن ذلك في كتابه (النشر) بالقول: «ولما كان من الواجب عليّ التعريف بصحيح القراءات ؛ فقد عمدت إلى إثبات ما وصل إليّ من قراءاتهم وأوثق ما صح لديّ من رواياتهم».

ومع وصول القرن الثامن، وقد خفّت حماسة الناس في المشرق وأصبح الإقبال على هذه العلوم ضعيفاً، وأصبحت الفترة الفاصلة بين القرنين الثامن والثالث عشر شبه مشلولة أيضاً، حتى تولى المصريون والمغاربة الزمام وحملوا مشعل الفقه والحديث من جديد.



يحكي المختصون أن الإدارة العربية لما فكرت في بعث منظومة تشريعية عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى وأفول نجم الامبراطورية العثمانية، حاولت الاستعانة بأكثر من مصدر للتشريع وكان من بين ما عُرض القانون الفرنسي أو النابليوني كما كان يُعرف في حينه، وما أن أنهى الفقهاء المسلمون عملهم ووضعوه أمام المجلس للنظر حتى بدت جميع التشريعات، نابليونية أو رومانية أو خلافها، باهتة ناقصة، أو عاجزة عن مناجزة الفقه الإسلامي، الذي وافق بروحه ونصه ومرونته عين الطلب.

وحين نسأل عن السبب، أو حين ينبري أحدهم للاعتراض : ولكن ما علاقة هذا بذاك..؟

يأتي الجواب: كل العلاقة !! فقد شكّلت تلك المدارس قاعدة فقهية ثقافية، وكوادر علمية قادرة على التكيف مع روح العصر ومتطلبات التغيير، أجل لم تكن تلك الكتاتيب أداة شد إلى الخلف بقدر ما كانت ثقافة شعوب وشخصية أمة.

بقي أن أذكر بأن الذين أعطوا إمضاءهم على الموسوعة الفقهية لم يكونوا رجال دين، بل رجال سياسية وقانون درسوا وتخرجوا في السوربون..!؟

الثقافة والهوية .. بين المفهوم والغاية

عمر ميلاد سلامة*

مصطلح الثقافة تعددت حول تحديد مفهومه الآراء، وتباينت وجهات النظر، عند أهل الذكر وأولي الاختصاص، بتعدد البيئات التي ينتمون إليها، والقيم التي يؤمنون بها، رغم أنه من أكثر المصطلحات الفكرية شيوعاً وتداولاً بين الناس، مثل غيره من المصطلحات الفكرية والأدبية، التي تجري عليها نواميس التطور والتبدل والتجديد، في مدلول لفظه ودلالة معناه، بتطور الزمن وتبدل حياة بني البشر؛ فالثقافة في اللسان العربي، مشتقه من مصدر فعل ثقف ـ بضم القاف أو فتحها ـ الشيء إذا فهمه وحذق فيه، حتى صار ماهرا، ثابت المعرفة فيما يحتاج إليه، فطنا ظريفاً خفيفا؛ وأصل كلمة ثقف، جاء من تثقيف الرمح، أي تسويته وإزالة ما علق به من شوائب وعقد، ومنه استعير المعنى ـ جرياً على سنة التطور الدلالي، للألفاظ والمعاني في اللغة ـ فصار يعني تثقيف الإنسان، أي صقله وتسويته وشحذ ذهنه، بعلوم ومعارف متنوعة، ليصير أسرع فهما، وأوسع إدراكاً لحقائق الأمور، ومنه جاء تثقيف الكلام أو الحديث، أي فهمه بسرعة فهماً صائباً(1)؛ هذا في مفهومه اللغوي، أما الثقافة في اصطلاح أهل



(*) كاتب /ليبيا

1 ـ أنظر: أبي الفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت ـ لبنان، ط : 2000 مسيحي.
: جبران مسعود، معجم الرائد، دار العلم للملايين، بيروت. لبنان، ط : 3/1978 مسيحي
: مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، المطابع الأميرية، القاهرة 1994 مسيحي.

الفكر والأدب، فهي مفهوم شامل يعبر عن نظرة الإنسان، للكون والحياة بكل صورهما ومكوناتهما، ومن هنا نجدها تختلف في طبيعتها من حضارة إلى أخرى، حيث لكل بيئة وحضارة خصوصيتهما الثقافية، تتحدد من خلالها هويتها، مصدراً وغاية[2]، وقد ذهبوا في تحديد مفهومها طرائق قدداً، كل عرفها من وحي بيئته، وظروف مكانه وزمانه؛ فهي تعني ـ من ضمن ما تعني ـ جملة المعلومات المكتسبة، التي تساهم في إغناء وترقية ملكات الفكر، من خلال تطويرها وتدريبها؛ كما تعني : محصلة المعلومات ومجموعة الرؤى والمفاهيم التي يكتسبها الإنسان؛ خلال مسيرة حياته، بطرق ووسائل متنوعة، ليكوّن من خلالها شخصيته المتميزة والخلاقة، إلا أنها معلومات ورؤى ليست نظرية ولا مبدعة، وإن كانت أحياناً قد تؤدي إلى الإبداع[3]؛ ويعرفها د.رجب أبودبوس، بأنها مجموعة القيم والأفكار، وأنماط التعبير، التي توجه سلوك الإنسان، وتفسر مظاهر الحياة الاجتماعية، وتبرر المواقف والأفعال؛ إنها علاقة جدلية مع الحياة والمحيط، وحوار الإنسان مع واقعه الاجتماعي والسياسي والاقتصادي[4] وهي عند الشاعرة والأديبة والناقدة العراقية الراحلة (نازك الملائكة): بصيرة وروح وقدرة على الاجتهاد والإبداع[5]. وفي بعض اللغات ذات الأصل اللاتيني[6] مثل الفرنسية، تعني : التربية والعناية ـ من فعل ربى واعتنى ـ وهي بهذا المفهوم تقترب من مفهومها في اللغة العربية؛ عكس ما نجده في لغات الإنجلو ساكسوني كالإنجليزية والأمريكية مثلا، حيث نجدها في اللغة أو اللهجة الأمريكية، تعني الحضارة، رغم أن الحضارة مفهومها أعم وأشمل من مفهوم الثقافة، إلا أن تفسيرها بهذا المعنى في اللسان الأمريكي، ربما يرجع إلى كون الحضارة الأمريكية، قد ولدت وترعرعت وتشكل جانبها المادي قبل تشكل جانبها الفكري أو المعنوي، أي قبل أن تكون لها ثقافة تجسدها، مما جعلها تعاني حالة تخلف ثقافي وروحي بين في سلوك مجتمعها.

وكون مفهوم أو معنى الحضارة أعم وأشمل من مفهوم الثقافة، فذلك لأن العلاقة بين الحضارة والثقافة، هي علاقة شامل بمشمول، أي أن الحضارة تشمل جملة المنجزات المادية والمعنوية، التي تبلغها الأمة معاً[7]. والثقافة من جهة أخرى، مسألة ذاتية يكتسبها المرء بالممارسة وكثرة القراءة والإطلاع، ومداومة التحصيل، بعد نيل قدر من التعليم، فهي كما قال الأديب الفرنسي، أندريه مالرو 1901ـ 1976 مسيحي: ما يأتي فيما بعد؛ أو هي كما قال ابن موطنه الأديب، إدوار هريو ـ 1872 ـ 1975 مسيحي : ما يبقى بعد أن ننسى كل شيء[8]؛ أي أن الإنسان يتعلم أولاً ثم يتثقف، وقد ينسى ما تعلمه، إلا أنه لا ينسى ثقافته، لأنها أكثر ثباتاً في ذاكرته، وأعمق أثراً في حياته، من العلم، فالتعلم جمود، لأنه حفظ للمعلومات دون قدرة على الابتكار، والمتعلم تابع[9]. كما أن الثقافة تتميز

2 ـ أنظر: د./أجقو علي، الثقافة العربية الإسلامية وتحديات العولمة، مجلة الدعوة الإسلامية، الجماهيرية العظمى، عدد: 21/2004 مسيحي، ص: 285ـ316.

3 ـ أنظر: د./إحسان هندي، كلمة في الثقافة، مجلة العربي الكويتية، عدد: 228/1977 مسيحي، ص : 24 ـ 27.

4ـ أنظر : د./رجب أبودبوس، مواقف 9، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الجماهيرية العظمى، ط : 1998 مسيحي، ص : 5 ـ19.

5 ـ أنظر : نازك الملائكة، التجزيئية في المجتمع العربي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط : 2/ 1980 مسيحي، ص :176 ـ 182.

6 ـ لغة الرومان القدامى، الذين ينسبون إلى مدينة روما، عاصمة إيطاليا حاليا، وحاضرة الإمبراطورية الرومانية منذ ما قبل الميلاد؛ واللاتين هم سكان إيطاليا قديما، نسبة إلى مدينة لاتينا الحالية، الواقعة بإقليم لاسيوم الإيطالي، واللاتين اسم يطلق على المسيحيين الكاثوليك. أنظر معجم المنجد في اللغة والأعلام. ط : 39/ دار المشرق ـ بيروت ـ لبنان، وكذلك المعجم الوجيز (مرجع سابق).

7 ـ انظر : د./إحسان هندي، كلمة في الثقافة. (مرجع سابق).

8 ـ انظر : د./إحسان هندي، كلمة في الثقافة. (مرجع سابق).

9 ـ نازك الملائكة، التجزيئية في المجتمع العربي، (مرجع سابق).

بالشمول والديمومة، دون أن يتعارض ذلك مع طابعها الوطني، واختصاصها بقوم أو جماعة معينة من البشر، وتلازمها مع التراث، وارتباطها به ارتباطاً عضوياً ووثيقاً، تتوارثها الأجيال، جيلاً بعد جيل، لتحمي بها هويتها وقيمها، باعتبارها حصن التراث الحصين، وخط الدفاع الأول عنه، في مواجهته لموجات الغزو العاتية، وعوامل التهميش والإقصاء، والإنكار والتغريب العديدة، ومن هنا فإن الثقافة لا تكون ولن تكون ثقافة حقيقية، إذا لم تحافظ على خصوصيتها وتميزها، وأن تكون أصيلة بيئتها وقيم قومها، متشبعة بتراثها الوطني، دون أن يتعارض ذلك مع قانون التطور، ومقتضيات العصرنة والتجديد، وتأثرها بالثقافات الأخرى، وتأثيرها فيها، وتلاقحها معها؛ وهذا أيضاً لا يلغي ولا يتعارض مع مبدأ، أن لكل حضارة خصوصيتها الثقافية، التي تتحدد من خلالها معالم هويتها؛ وقد عرف قاموس أكسفورد الثقافة بأنها : الاتجاهات والقيم السائدة في مجتمع معين، كما تعبر عنها الرموز اللغوية، والأساطير والطقوس والشعائر، وأساليب الحياة، ومؤسسات المجتمع التعليمية والدينية والسياسية، من خلال التنشئة الاجتماعية[10].

وللثقافة معان، منها : ـ

أولاً : معنى إنساني خاص، يتعلق بما ينتجه العقل أو الخيال البشري، لصقل الذهن وتهذيب الذوق والسلوك، وعلى هذا تكون الثقافة مسألة ذاتية يكتسبها الفرد وأساسها مداومة صقل الذات لتبلغ أعلى مراتب المعرفة، وهذه لا ينالها إلا الخاصة من القوم ممن لهم إرادة وطموح.

ثانياً : معنى شعبي، وهو ما يمكننا أن نسميه ثقافة الشارع أو السوق، التي ليس لها ضوابط أو اشتراطات، وليس لها أية أهداف، أو مضامين، ومع ذلك تعد الأكثر رواجا، والأسرع قبولا، لدى العامة من الناس، وعلى نطاق واسع، ومن أهم ميزاتها، أنها تعتمد على الإثارة والتشويق، ودغدغة المشاعر، ومن أمثلتها ألوان الطرب الشبابي الخفيف ـ أغاني الشباب التجارية ـ السائدة الآن في أغلب القنوات الثقافية، وكذلك الغناء الشعبي، وبعض الأعمال الفنية (الكوميدية) الفكاهية أو المهرجة، وفنون الخطابة والإلقاء الديني والسياسي، الذي يتوجه به أصحابه إلى العامة، بأسلوب لغة قضاء الحوائج (اللغة الدارجة) لكسب ودهم ونيل نصرتهم.

ثالثاً: معنى كلي عام، يشمل منظومة القيم والمعارف والمفاهيم، العرفية، والدينية والأخلاقية، والآداب والفنون، وكل ما يكتسبه الإنسان، بوصفه فرداً في المجتمع؛ وعلى هذا الأساس يكون معنى الثقافة شاملاً وبطيء التحصيل، إلى حد تكون معه الثقافة جامدة وساكنة، وبالذات في المجتمعات التقليدية المحافظة، لاعتمادها على التوارث الآلي، واكتساب الفرد لها، يكون من خلال انتمائه للمجتمع، وبالتالي فهي تمثل نقطة بداية حياته، وعليه أن يتقبلها كما هي، بكل قيمها واتجاهاتها.

❖ أما المثقف، فهو ذلك الإنسان الذي يعرف شيئاً عن أي شيء، والساعي دائماً إلى تطوير ذوقه وحسه النقدي باستمرار، المحب للمعرفة، المتذوق لكل ألوان الفنون والآداب، والمعارف والعلوم، وله القدرة على تقييمها، والتمييز بين الغث والسمين فيها، والرفيع والهابط منها، وهو المستخدم لملكة عقله وخياله، في إبداع الجديد والأفضل[11] وتتميز طبيعة المثقف عن غيره من أفراد المجتمع، بتطلعها الدائم نحو تحقيق صورة جميلة لمستقبل مجتمعه،

10ـ انظر : د./إحسان هندي، كلمة في الثقافة (مرجع سابق).
11ـ انظر : د./إحسان هندي، (المرجع السابق).

فهو الموجه له بفضل ما يملك من علم وإدراك شخصي، ونور عقلي يستنبط به المعاني، ويهتدي به إلى القيم[12].

❖ لقد أثبتت وقائع التاريخ، أن أعظم المثقفين ـ مفكرين وفلاسفة ـ، قد سبقوا بأفكارهم زمنهم، ليمهدوا الطريق أمام حصول تحولات حاسمة، في مسيرة مجتمعهم، بل في مسيرة البشرية كلها، مثلما هو الحال عند مفكري عصر الأنوار في أوروبا، الذين مهدوا الطريق بأفكارهم، لحدوث تحولات كبرى وعظيمة في مجتمعاتهم، بعد أن هيئوا العقول لتقبلها؛ وقد كان من أبرز تلك التحولات في أوروبا ثورة عام 1789 مسيحي الفرنسية. ومن جهة أخرى فإن وعي المثقف وتفكيره، كان دائماً متجاوزاً إطار واقعه، وما هو محقق فيه من الوعي، إنه متمرد على القيم السائدة، منطلق إلى ما هو أفضل وأبهى، وأجمل من الحاضر، وقد لا تتحقق تصوراته إلا بعد عقود من الزمن، وربما قرون، ومن هنا كانت إحدى صور التأزم الثقافي ـ في أي مجتمع ـ ناجمة عن عجز الواقع على مواكبة الفكر، باعتبار أن الفكر هو الأكثر مرونة، والأقدر على التحرك إلى الأمام نحو المستقبل، متجاوزاً الواقع، ولذلك ارتبط مفهوم التأزم، بمفهوم الثقافة، وتلازم معها، حيث لكل مرحلة من مراحل التاريخ الإنساني، أزمة ثقافية خاصة، ملازمة لكل المجتمعات، عبر مراحل تطورها، إلا أن ذلك لا يعني بالضرورة، عدم حصول تحولات اجتماعية أخرى، قبل حصول تحولات في عقول وأفكار الناس وقيمهم، وأساليب تفكيرهم وسلوكهم، بدليل حدوث أزمات ثقافية عميقة، غالباً ما تلازمت مع أي تطور حضاري مادي نتج عنها تصادم بين الفكر والواقع، إلا أنها تعد ظاهرة إيجابية، تدل على وجود وعي سليم بالظروف المحيطة، وإحساس مرهف لدى الإنسان[13].

الثقافة من جهة أخرى، مسألة ذاتية يكتسبها المرء بالممارسة وكثرة القراءة والإطلاع، ومداومة التحصيل، بعد نيل قدر من التعليم.

❖ أما من حيث طبيعة العلاقة بين الثقافة والعلم، فإنها علاقة الكلي بالجزئي، والعام بالخاص، والشامل بالمشمول، والغاية بالوسيلة، حيث الثقافة أشمل وأعم من العلم، فهو وسيلة وهي غاية، كما أن العلم ليس له وطن ولا جنسية، باعتباره تراثاً إنسانياً عاماً، لا ينسب لأي أمة بعينها، عكس الثقافة التي لابد أن تكون لها هوية، ووطن، وجنسية، تنتسب إليها.

والعالم غير المثقف، إنه من يعرف كل شيء عن شيء معين، وهو الإنسان المتخصص في فرع من فروع العلم والمعرفة، وليس بالضرورة، أن يكون العالم مثقفا، وإن كان الأفضل فيه أن يكون كذلك؛ ومن المفيد في هذا المقام، أن أشير إلى أن الدراسات والأبحاث العلمية، التي أجريت حول علاقة الثقافة ببعض أمراض الشيخوخة، قد أكدت على وجود صلة بين صفاء الذهن، ونشاط الذاكرة في خلايا دماغ الإنسان، وسعة ثقافية، حيث تبين للباحثين، الذين درسوا هذا الجانب من العلاقة ـ من الناحية البيولوجية ـ أن الثقافة تؤمن للإنسان المثقف قدراً من التوازن، وصفاء الذهن، وتهذب نفسه، حتى تصل بها إلى أقصى درجات السمو والكمال، الذي يمكن

---

12 ـ انظر : نازك الملائكة، التجزيئية في المجتمع العربي، (مرجع سابق).

13 ـ انظر : عبد الله باه، التأريخ وأزمة الهوية، جمعية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية العظمى، ط : 2000 مسيحي، ص : 143 ـ 148.

تصوره في الإنسان، وأن ذاكرة المثقف غالباً ما تظل محافظة على نشاطها الذهني، وتعيش أطول مدة ممكنة، عكس ذاكرة أترابه من غير المثقفين، عندما يتقدم بهم العمر، وتشيخ خلايا الدماغ عندهم، أو تصاب بداء الخرف ـ الزهايمر ـ [14].

❖ أما علاقة الثقافة بالهوية، فإن الثقافة الأصيلة، تعد هي السد المنيع والحصن الحصين، الذي يصون الهوية ويحميها من كل عوامل التشويه، والمسخ، والإقصاء؛ وهي المبرزة لها أمام الآخر، في أجمل صورها، وأبهى حللها. فإذا كانت الهوية تعني ـ في أبسط معانيها ـ الإجابة عن سؤال: من نحن؟ ومن أنت؟ ومن هو؟ ومن أنا؟ ومن هم؟! فإن الإجابة عن هذه الأسئلة، يحددها مفهوم الثقافة عند كل أمة.

لكل حضارة خصوصيتها الثقافية، التي تتحدد من خلالها معالم هويتها.

والهوية ـ من جهة أخرى ـ تعني مجموع العناصر، الداخلة في المركب الروحي والاجتماعي والنفسي للأمة، والذي من ضمنه اللغة، والمعتقد الديني، ومنظومة العادات والتقاليد.. إلخ، كما أن الهوية هي: الحقيقة المطلقة، في الأشياء والأحياء، المشتملة على الحقائق المطلقة، والصفات الجوهرية؛ يقال: هُوية النفس الإنسانية، وبطاقة الهُوية نسبة إلى الضمير هو[15]. وفي مقام العلاقة بين الثقافة والهُوية يؤثر عن الرئيس الفرنسي الراحل، فرنسوا ميتران (1916ـ1995 مسيحي) قوله: من فقد ثقافته وهُويته فقد سيادته واستقلاله. وأن طغيان ثقافة واحدة يعتبر تهديداً للدين وجوهر الهوية، كما يقول دافيد روتكويف[16]. ويرى صاحب صدام الحضارات ـ هنتينغتون ـ ونتفق معه في رأيه هذا ـ أن الهوية، تعد من أكثر الأشياء التي لها معنى عند الإنسان، ولهذا سيدور عليها الصراع، في المستقبل بين البشر[17]. كما أن الانخراط في العصر، دون هوية واضحة، يعني الضياع الحتمي، مثلما أن التأقلم، أو التمايش، مع أي ثقافة وافدة، يعني اغتراباً مشيناً، وانسلاخاً فظيعاً عن الهوية، من يقبله يصير مثل البعير الأجرب، وأي أزمة تتعرض لها أية أمة أو مجتمع تعني أنها تعاني أزمة هوية، إلا أن المبالغة في تمجيد الذات وتقديس التراث، بدعوى الحفاظ على الهوية، قد يكون سبباً في إضاعتها، من خلال إفقادها حوارها مع الواقع، ويقزم الحاضر والمستقبل، ويحقرها هي[18]؛ باعتبار أن التنوع في حياة بني البشر، بل في كل عناصر الكون، ومن ضمنها الطبيعة الصماء، والحيوانات البكماء، يعد أساس بقاء الكون كله، لأنه يحفظ توازنه، ويعطي للحياة فيه طعماً حلوا، ومذاقاً طيبا، وشكلاً جميلاً رائعا؛ وبذلك اعتبر القانون الدولي، من ضمن ما اعتبر في هذا المقام، التنوع الثقافي، مبدأ من المبادئ التي أكد عليها في المادة الأولى من إعلان مبادئ التعاون الثقافي الدولي، التي نصت على أنه: لكل ثقافة كرامتها وقيمتها، التي يجب احترامها، والمحافظة عليها، وأنه من حق، بل وواجب، أي شعب العمل على تنمية ثقافته، وبذلك فإنه، ووفق مفهوم هذا المبدأ الأممي، يصير أي

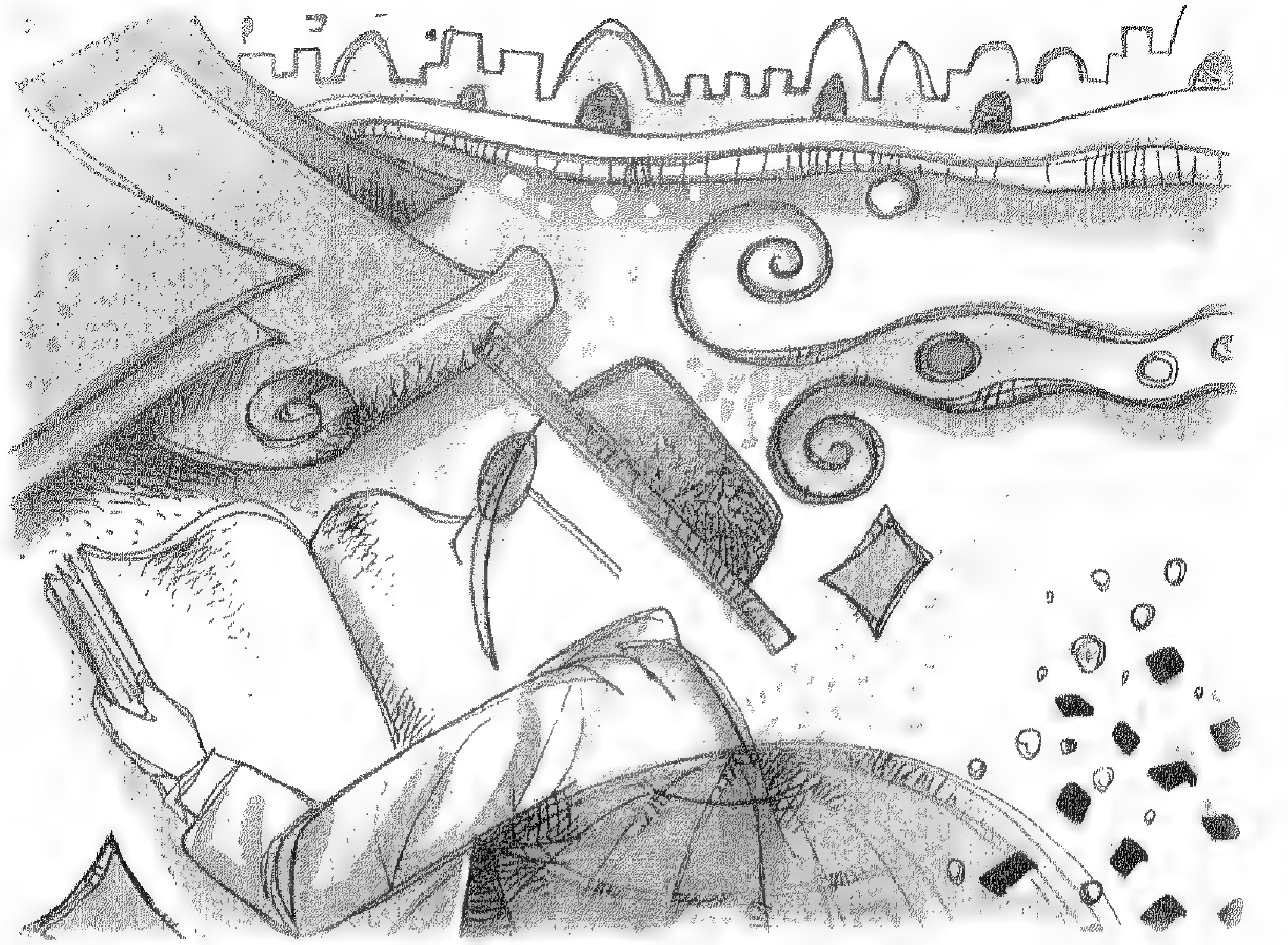
14 ـ انظر : د./إحسان هندي، كلمة في الثقافة... (مرجع سابق).

15 ـ انظر : عبد الله باه، التأريخ وأزمة الهوية، (مرجع سابق).

16 ـ أنظر : د./آجقو علي، الثقافة العربية الإسلامية وتحديات العولمة، (مرجع سابق).

17 ـ أنظر : صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الجماهيرية العظمى / 1999 مسيحي.

18 ـ أنظر : د./رجب أبودبوس، مواقف 9، (مرجع سابق).



تصرف يهدف إلى تشويه أو مسخ أو إقصاء أي ثقافة، عملاً من أعمال العدوان، على القيم والمبادئ الإنسانية[19].

إن واقعنا الثقافي، كعرب أولاً، ومسلمين ثانياً، لا شك أنه يعاني حالة تأزم، في منهجه، وأدواته، جعل الساحة الثقافية تعيش في ركود عميق، لا يمكن لأحد منا إنكاره أو إخفاؤه، وقد أخذ منذ مدة يلتف حول خنّاق ثقافتنا، حتى ليكاد يجتثها من جذورها، إذا ما ظل الحال على ما هو عليه الآن، من العبث واللامبالاة، أو عدم تقدير المسئولية، من قبل أصحاب الشأن، وأهل الذكر، الذين أراهم يتفرجون غير مبالين، أمام كل عوامل الإقصاء، أو مظاهر التغريب، ومعاول الهدم، التي تواجهها ثقافتنا، بصور وأشكال متعددة، طالت حتى المنابر، التي يفترض أنها جعلت لحمايتها، والدفاع عنها، وفي معركة شرسة ضروس، غير متكافئة، والأغرب ما فيها أن جل أعتدتها، من صنع أيدينا لا أيدي سوانا، والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى، ومن ضمنها: أننا لم نحسن اختيار أدواتنا الثقافية، وتوظيف إمكانياتنا الذاتية كما يجب، بعيداً عن الحسابات الأنانية الآنية، ومجاملات اللف الرخيص، في اختيار العناصر الكفؤة، لإدارة وتسيير مرافقنا الثقافية، ومنابرنا الإعلامية.

إن خلق ثقافة قادرة على إنتاج وعي سليم، يواكب العصر، ولا ينسلخ عن الذات، أو يخاطر بضياعها، لن يكون أبدا، بالتقوقع إلى الوراء، أو الانكفاء على الذات، والعودة إلى الماضي البعيد، ولا بالاندماج الأعمى في الحاضر، انبهاراً بأباريقه الزائفة، بلا وعي ولا ترتيب محكم، وإنما يكون باستيعاب الحالتين معا، وبعقلية مستنيرة ومتحررة من كل العقد والأحكام المسبقة على الآخر، عقلية ترى في الحاضر امتداداً للماضي، واستشرافاً لمعالم المستقبل؛ بذلك فقط، يمكن أن تعاد لثقافتنا كرامتها، التي ديست وتداس أمام أعيننا، صباح مساء، بسنابك خيل الأعداء، وأحذية أرجلنا أيضا، حيث صار بعض من الجهلة والسطحيين، من قومها، يرمونها بالعقم، وهي منه براء، تتحين فرصة يصحوا فيها قومها من

19ـ أنظر: د./أجقو علي، الثقافة العربية الإسلامية وتحديات العولمة، (مرجع سابق).

سباتهم، وتعود لهم الثقة بأنفسهم، لتسترد هي عافيتها، حتى تصير قادرة على الصمود والبقاء، أمام موجات الغزو العاتية، فتحافظ على هوية قومها، دون المخاطرة بإضاعة الذات، أو فقد التواصل مع الثقافات الحية الأخرى، كما أن مسألة تحريك الثقافة، وجعلها فاعلة، ليست مسألة أدوات فقط، بقدر ما هي مسألة تحرير العقول من أسر الانغلاق على الذات، بل إن الإكثار من الأدوات، دون السيطرة عليها، وضبطها، والوعي بها، سيؤدي إلى نتائج عكسية[20].

إن من أبرز وأهم عوامل ازدهار الثقافة أن تتوفر لها:

أولاً: وضوح المنهج، وتحديد الهدف، حول أي عقلية نريد بناءها في الإنسان؟ هل هي عقلية طيعة، وخاضعة مستسلمة، لا تسأل ولا تنتقد، بل تراوح مكانها؟ أم عقلية متمردة على الواقع، قادرة على التطلع إلى الأمام، نحو المستقبل ؟

ثانياً: إسناد أمر إدارة مؤسسات الثقافة، والإشراف عليها، ومتابعتها، إلى كفاءات متخصصة، مؤمنة بها، لا إلى أدمغة ضحلة، وعقول متحجرة، ونفوس ضعيفة، خاوية على عروشها، عاجزة حتى عن إدراك ذاتها، والتعبير عنها، لأن مثل تلك الأدمغة، والعقول، والنفوس، إن لم تشوه الثقافة، عملت على تحريفها، وانحرافها.

ثالثاً : أن لا تفرض على الناس أية قيود تحد من حرية تفكيرهم، أو التعبير عن أنفسهم، وطرح آرائهم، في إطار ضوابط موضوعية، تراعي فقط ثوابت قيم المجتمع.

إلا أن هذه العوامل الثلاثة غالباً ما تصطدم بقيود السلطة في أي مجتمع، والتي ليست سلطة السياسة وحدها، كما يتبادر إلى ذهن الكثيرين، بل قد تكون:

1 ـ سلطة العرف الاجتماعي: المتمثلة في منظومة العادات والتقاليد الموروثة، التي تعارف عليها الناس، وهذه غالباً ما تشكل عامل قمع، أو أداة كبح للثقافة، باعتبار أن العادات والتقاليد، تتسم بالثبات والمحافظة، والتمسك بالوضع القائم، الموروث عن الماضي، إلى حد يجعلها لا تشعر بوجود أزمة، أو تأزم في الثقافة، محاولة الإبقاء عليه، والتشبث به، لأنها ترى فيه زمن عز وازدهار؛ وبذلك نجدها تناصب الثقافة العداء، بل تدخل معها في صراع طويل ضد أي إبداع أو تجديد ثقافي، رغم أن الإبداع أو التجديد الثقافي، لا يتصارع مع القيم السائدة، من باب العداء لها، بل من أجل جعلها تواكب مراحل التطور نحو الأفضل.

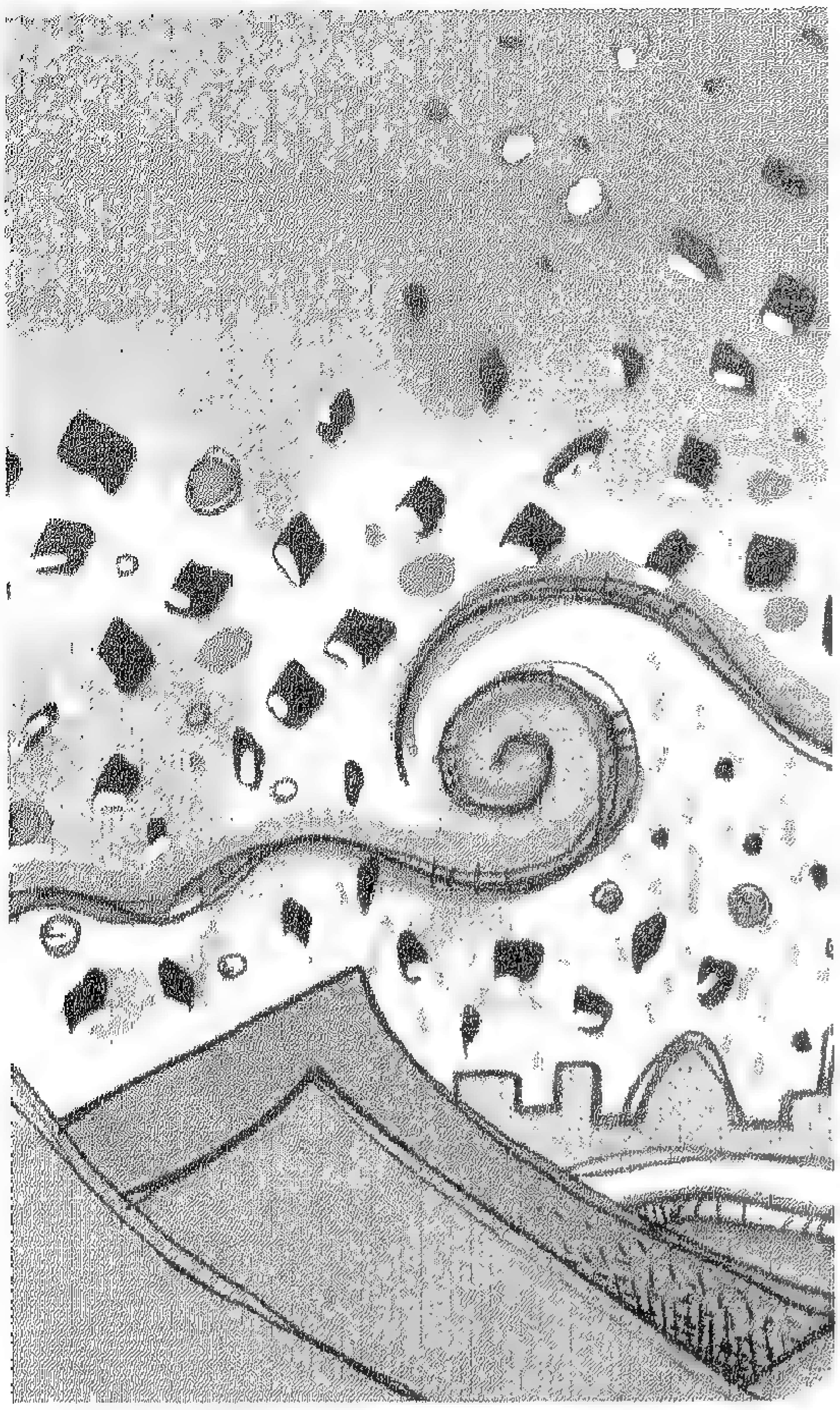
خلق ثقافة قادرة على إنتاج وعي سليم، يواكب العصر، ولا ينسلخ عن الذات، لن يكون أبداً بالتقوقع إلى الوراء، أو الانكفاء على الذات.

2 ـ سلطة رجال الدين: ـ الثيوقراط ـ، الذين يطوعون الدين للسياسة، ويحكمون الناس باسمه، ـ وهم طبعاً غير فقهاء الدين ـ وسلطتهم الدينية تلك تعد هي الأشد خطراً على الثقافة، والأكثر تأثيراً فيها، سيما وأن صراعها مع الثقافة، غالباً ما يأخذ طابعاً حاداً وعنيفاً، لأنها تحتكر لنفسها، حق تفسير الدين وفق رؤيتها له، التي لا تخرج عن إطار مصلحتها، ومفهومها للحياة، دون أن تسمح لأي رأي يخالفها، مهما كان صائبا، وهي سلطة تتسم بالانغلاق والظلامية، بزعم حماية العقيدة من الانحراف، والدفاع عن الموروث من القيم، وهي في الواقع انحرفت بالدين، وأفسدت الموروث من القيم، بقصد أو دون قصد.

20 ـ أنظر : د./ رجب أبو دبوس.

3ـ السلطة السياسية ودهاليزها: والتي غالباً ما تعمل جاهدة على فرض رأيها، ورؤيتها على الناس، وأنماط تفكيرهم، وألوان تعبيرهم الثقافي، معرقلة، بل قامعة أي رؤية تخالفها، بطرق ووسائل كثيرة، قادرة على خلقها، وتبريرها، ومن هنا كان الطغيان السياسي لا يرى من صالحه تطور الحس النقدي والذوق السليم عند الأفراد، مما نتج عنه ركود في الثقافة(21).

4ـ سلطة العلم : المتمثلة في إشكالية التوفيق بين ازدواجية مفهوم العلم، في إطاره الجزئي، ومفهوم الثقافة في شمولها، لتحقيق نمو متكامل للملكات وقدرات الإنسان، وتلك إشكالية واجهت وتواجه المجتمعات المتقدمة صناعياً، أكثر من غيرها. في محاولاتها التوفيق بين موقف العقل والروح، إزاء الآلة، وطغيان التقدم العلمي (التكنولوجي) السريع، الذي حول الإنسان إلى سلعة تجارية تباع وتشترى، أو ترس في آلة صماء(22)، ومن هنا وجدت الثقافة نفسها في صراع مع كل هذه السلطات وغيرها، القامعة لها، مثلما وجد إنسان الحضارة الغربية ذات الطابع المادي الصرف، نفسه مخلوقاً متوحشاً، وإن كان في صورة آدمي، بخدود وردية، كما يقول بعض فلاسفة الغرب نفسه، وإذا كان العرب، والمسلمون عموماً، وحدهم من يمتلك ثاني أهم عاملين أساسيين لصنع الحضارة وبناء التقدم، كما حددهما الرئيس الأمريكي الراحل، رتشارد نيكسون (1913ـ1994 مسيحي) في كتابه: انتهزوا الفرصة!، ـ والفضل، كما تقول العرب، ما شهدت به الأعداء ـ ويعني به الثقافة الروحية أو الأيديولوجيا، وهذه يقر، نيكسون، بأن قومه لا يمتلكونها. والعامل الثاني : هو التكنولوجيا(23)، فهل



عندنا من يعي هذه الحقائق كما ينبغي الوعي بها؟! هذا ما لا أستطيع أن أجزم في الإجابة عنه، بنعم أو لا، في زمن اختلت فيه عند قومي كل الموازين، وأفضل ترك الأمر للقراء الأعزاء، فالله وحده يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون، وإن كنت أعتقد أن حقيبة الثقافة، في بلادي هي الآن في يد أمينة، قادرة على تحريك الواقع الثقافي نحو الأفضل، لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، ولو في هذا الجزء من عالمنا الإسلامي، ووطننا العربي، إذا ما توفر لها الدعم اللازم، ومنحت الوقت الكافي، لإنجاز برامجها فهل يكون لها ذلك ؟!

---

21 ـ أنظر : د./ رجب أبو دبوس، تبسيط الفلسفة، ط : 1996 مسيحي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ـ الجماهيرية العظمى، ص،ص: 50ـ53.

22 ـ أنظر : د./ آجقو علي، (المرجع السابق).

23 ـ انظر : د./صلاح الدين النكدلي، قراءة في كتاب نيكسون: انتهزوا الفرصة !، الدار الإسلامية للإعلام، بون ـ ألمانيا / 1993 مسيحي.

التعايش السلمي بين العقائد والثقافات

نظرة إسلامية

محمد السعدي *

يعيش المسلمون اليوم مع غير المسلمين في كل بلاد العالم الذي تتعدد فيه العقائد والثقافات والأعراق، والذي أصبح قرية كبيرة واحدة بسبب تقدم المواصلات والاتصالات، ويشجع على ذلك أن دين الإسلام الحنيف يفظر إلى البشرية كلها ـ على اختلاف ألوانها وأجناسها وعقائدها ـ باعتبارها أسرة كبيرة واحدة، أفرادها إخوة وأخوات، أبوهم واحد هو آدم ـ عليه السلام ـ، وأمهم واحدة هي حواء، كلهم من تراب وإلى التراب يعودون.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [سورة الحجرات: الآية 13]

وفي ذلك دعوة إلى أن يتعارف المسلمون مع غير المسلمين، وأن يتعايشوا معهم كإخوة في أسرة واحدة تربطها وشائج المحبة والأخوة الإنسانية. إن البشر جميعا على اختلاف أجناسهم وعقائدهم كرمهم الله كجنس بشري، فالإسلام إذن يريد المسلمين أن يعاملوا غير المسلمين باحترام يليق بكرامة الإنسان، وفي أدب النبوة نقرأ أن جنازة يهودي مرت أمام الرسول ﷺ فقام لها واقفا، فقالوا : إنها جنازة يهودي؟ فقال عليه الصلاة والسلام : أليست نفساً؟.

ولما اعتدى ابن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ على القبطي الذي سبقه، فضربه، أمر عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أن يقتص القبطي من ابن عمرو، وأن يضربه كما ضربه، وقال لعمرو بن العاص: يا عمرو ! متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟. والمسلمون يتمنون الخير والهداية لغير المسلمين، ولا ينبغي للمسلمين أن يدعوا على غير المسلمين جميعا بالهلاك، بل على الظالمين والمعتدين منهم فقط، إن استدعى الأمر ذلك، والرسول ﷺ كان يدعو لقومه المشركين بالهداية فيقول: (اللهم اهدي قومي فإنهم لا يعلمون). والحق أن كثيرا من غير المسلمين لم يدخلوا في دين الإسلام لأنهم لم يعرفوا الإسلام الحقيقي وهم ضحايا تضليل الإعلام، وضحايا تقصير المسلمين في الدعوة إلى الدين، وممارساتهم المخالفة لهدي القرآن الكريم وسنة خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام.

الإسلام دين السلام

والإسلام هو دين السلام والتسامح يحرم العدوان، ويعلم المسلمين أن يعيشوا بسلام مع جميع الناس طالما أنهم لهم مسالمون، ولا يضطهدون المسلمين :

(*) إمام مسجد المركز الإسلامي / مالطا

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[سورة البقرة: الآية 190]

فالإسلام يحرم قتل المسالمين المعاهدين من غير المسلمين والرسول ﷺ يقول: (من قتل معاهدا في غير كنهه - أي بغير حق - حرم الله تعالى عليه الجنة) والقرآن يقرر أن الله تعالى خلق الناس أحرارا وتركهم أحراراً، يختارون الدين الذي يشاءون بإرادتهم الحرة، لأنهم مكلفون ومحاسبون، ويتحملون مسؤولية الاختيار في الدنيا والآخرة. والقرآن يحرم إكراه غير المسلمين أو تهديدهم أو الضغط عليهم ليعتنقوا الإسلام لأن ذلك معارضة لمشيئة الله الكونية في حرية الاختيار وحرية الاختلاف، والرسول ﷺ دعا الناس إلى الإسلام، لكنه لم يجبر أحدا على اعتناق الإسلام، بل عاهد يهود المدينة وتركهم على يهوديتهم، وعاهد نصارى نجران وتركهم على نصرانيتهم، وعاهد مجوس هجر وتركهم على مجوسيتهم. والمسلمون ساروا على هدي القرآن الكريم ولم يكرهوا أحدا على الدخول في الإسلام، ووجود الملايين من غير المسلمين في بلاد الإسلام خير شاهد على سماحة الإسلام. والمسلمون مكلفون أن يبلغوا دعوة الإسلام لغير المسلمين بالحكمة والموعظة الحسنة، وهداية الناس إنما هي بيد الله وحده يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وكما أن الإسلام يبيح لغير المسلمين أن يحتفظوا بعقيدتهم فإنه كذلك يبيح لهم ممارسة شعائر دينهم، ويبيح لهم بناء معابدهم وكنائسهم، ويأمر المسلمين باحترام مقدساتهم، والمحافظة على أماكن عبادتهم، بل إن الإسلام يبيح الحرب من أجل صيانة حرية الأديان وحماية أماكن العبادة لكل الديانات. والفاتحون المسلمون ساروا على هدي القرآن الكريم ولم يهدموا كنائس النصارى، وما يزال بعضها موجودا منذ الفتح وإلى يومنا هذا. ومعلوم أن عمر - رضي الله عنه - منح نصارى القدس العهدة العمرية التي جاء فيها : ز هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء - أي القدس - من الأمان: أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم ز شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان.

الإسلام هو دين المعاملة الطيبة والمعاشرة الحسنة، ودين البر والإحسان والرحمة لبني الإنسان.

الإسلام دين التعاون والتضامن

والإسلام هو دين التعاون والتكافل، يدعو المسلمين إلى أن يتعاونوا مع جميع الناس، في سبيل الخير والمعروف، من أجل تحقيق المصالح المشتركة والمنافع العامة وتحقيق السعادة لجميع الخلق على اختلاف أجناسهم ومعتقداتهم، وأن يكونوا نافعين لجميع البشر، فاعلين للخير مع المسلم وغير المسلم والرسول ﷺ شهد - وهو غلام - حلف الفضول الذي تعاهدت فيه خمس قبائل في الجاهلية على أن يأخذوا للمظلوم من الظالم، وللضعيف من القوي، وللغريب من القاطن، وفيه يقول الرسول ﷺ: (شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا لو دعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت، شهدت غلاما مع عمومتي حلف المطيبين - حلف الفضول - فما يسرني أن لي حمر النعم وأني أنكثه). والرسول ﷺ وادع يهود المدينة وعاهدهم على الدفاع المشترك عنها وعن جميع سكانها من المسلمين واليهود ومن سواهم. وملايين من المسلمين اليوم يعيشون في بلاد غير إسلامية، وملايين من غير المسلمين يعيشون في بلاد الإسلام، فينبغي أن يتعاونوا معا على تحقيق العدل ومحاربة الظلم، وتحقيق التعايش السلمي، ومحاربة التعصب والكراهية والعنصرية، وتحقيق الكفاية، والقضاء على الجهل والمرض والفقر، وعلى تعزيز الفضيلة ومحاربة الرذيلة، وتأمين الحياة

الآمنة الكريمة لكل الناس، والمحافظة على منجزات الحضارة الإنسانية.

إن الإسلام هو دين العدل والإنصاف، يأمر المسلمين أن يكونوا عادلين مع المسلمين وغير المسلمين، والقرآن يدعو إلى القسط في معاملة غير المسلمين طالما أنهم لا يعتدون على المسلمين، يقول تعالى :

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة: الآية 8]

ولقد أنزل الله تعالى آيات من القرآن الكريم دفاعا عن يهودي اتهم ظلما بالسرقة في عهد الرسول ﷺ ليعلم المسلمين في كل زمان ومكان أن يكونوا عادلين ومنصفين مع جميع الناس، وأن لا ينقادوا للعواطف ولا يميلوا للهوى. والآيات المتعلقة بهذه الحادثة في سورة النساء كثيرة منها قوله تعالى مديناً السارق الحقيقي الذي ألصق التهمة باليهودي:

﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [سورة النساء: الآية 112]

كما أن الإسلام هو دين المعاملة الطيبة والمعاشرة الحسنة، ودين البر والإحسان والرحمة لبني الإنسان، ودين الألفة والوحدة والتفاهم والانسجام بين مختلف فئات المجتمع وأتباع الأديان، والقرآن الكريم يدعو المسلمين إلى بر الذين يخالفونهم في الدين، الذين هم لهم مسالمون. ومن برهم أكل طعامهم ودعوتهم إلى الطعام والزواج من نسائهم إن كانوا من اليهود والنصارى، وكان أحد الصحابة إذا ذبح يقول لخادمه: ابدأ بجارنا اليهودي بإعطائه من اللحم. ومن برهم تقديم العون لهم وإطعام جائعهم وإكساء عاريهم، ومن برهم زيارة مرضاهم ومشاركتهم في أفراحهم ومواساتهم في أحزانهم. وقد ورد في أخبار الصحابة رضي الله عنهم أنهم شيعوا جنازة أم الحارث بن أبي ربيعة وكانت نصرانية. ومن بر غير المسلمين إكرامهم واحترام طقوسهم، فالرسول ﷺ استقبل وفد نصارى الحبشة في مسجده وقام على خدمتهم بنفسه، وقال : لقد أكرموا أصحابي وأحب أن أكرمهم. كما استقبل الرسول ﷺ وفد نصارى نجران في مسجده، وسمح لهم أن يصلوا فيه صلاتهم النصرانية، ومن برهم التعامل معهم في البيع والشراء، فقد انتقل الرسول ﷺ إلى جوار ربه ودرعه مرهونة عند يهودي، لا لحاجته له، ولكن ليعلم المسلمين كيف يتعاملون مع غير المسلمين، ومن برهم الصبر عليهم والعفو عن مسيئهم، ومن بر غير المسلمين نصيحتهم وصون أموالهم وأعراضهم والحفاظ على حقوقهم ومصالحهم. وإذا كان المسلمون يعيشون في بلاد غير المسلمين فينبغي أن يشاركوهم في كل ما فيه خير ومصلحة، وفي سائر المناشط المشروعة، وأن لا يعيشوا في عزلة وانغلاق تؤدي إلى الخوف والكراهية والتعصب والعنصرية، وتهدد التعايش السلمي المشترك بين الجميع وتعرض المسلمين للخطر، فالإسلام هو دين المنطق والحجة والحوار والجدال بالتي هي أحسن، والقرآن الكريم يحوي الكثير من الحوارات مع الملائكة ومع إبليس ومع المؤمنين والوثنيين والنصارى واليهود ومع الناس جميعا، وهو خطاب لكل عقل وقلب، ودعوة عامة لجميع الخلق:

الإسلام يدعو المسلمين إلى أن يتعاونوا مع جميع الناس، في سبيل الخير والمعروف، من أجل تحقيق المصالح المشتركة.

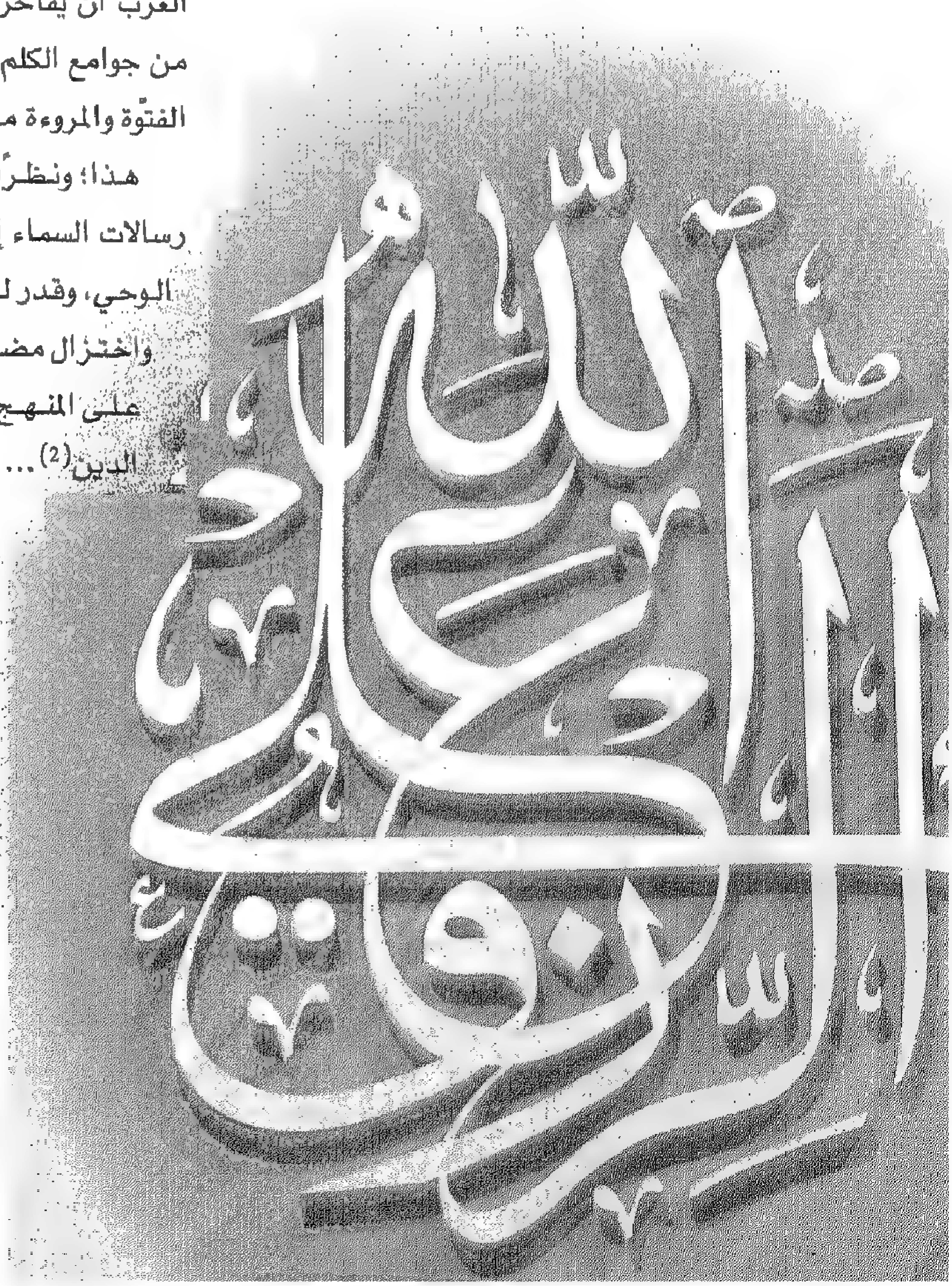
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: الآية 107]

والله تعالى يدعو في القرآن الكريم إلى محاورة غير المسلمين ومجادلتهم بالكلمة الطيبة والقدوة الحسنة.

وما أشد حاجة العالم اليوم إلى الحوار لتجاوز الهوة الكبيرة بين المسلمين وغيرهم وتحقيق التفاهم وبناء الثقة. إن التعددية الثقافية لا تمنع من الاندماج والانسجام في المجتمعات، طالما أن هناك رغبة صادقة من كل الأطراف في الاحترام المتبادل والتعايش السلمي المشترك.

أقوال مأثورة
في شرف العربيّة

أ. د. محمد بلاسي *



إنّ لغة اصطفاها الله ـ تعالى ـ من بين اللّغات جميعًا لتكون دعاءً لكتابه الخالد: (القرآن الكريم)؛ لا شك لغة تتربع على عرش الألسنة واللّغات؛ ذلك لأن لها من الخصائص والميزات ما تستحق له هذا الاصطفاء...

وتلك مفخرة لنا نحن العرب، غبطنا عليه أهل الفكر والثقافات ـ شرقيين أو غربيين ـ..

يقول المستشرق الفرنسي ماسينيون: «وباستطاعة العرب أنّ يفاخروا غيرهم من الأمم بما في أيديهم من جوامع الكلم التي تحمل من سموّ الفكر وأمارات الفتوّة والمروءة ما لا مثيل له!»[1].

هذا؛ ونظرًا لأن اللغة العربية قد حملت آخر رسالات السماء إلى الأرض، وأريد لها أن تكون لسان الوحي، وقدر لها أن تستوعب دليل نبوة الإسلام، واختزال مضامين الرسالات السّابقة، والانطواء على المنهج الذي ارتضاه الله لخلقه إلى يوم الدين[2]...

---

* كاتب، أستاذ جامعي / مصر

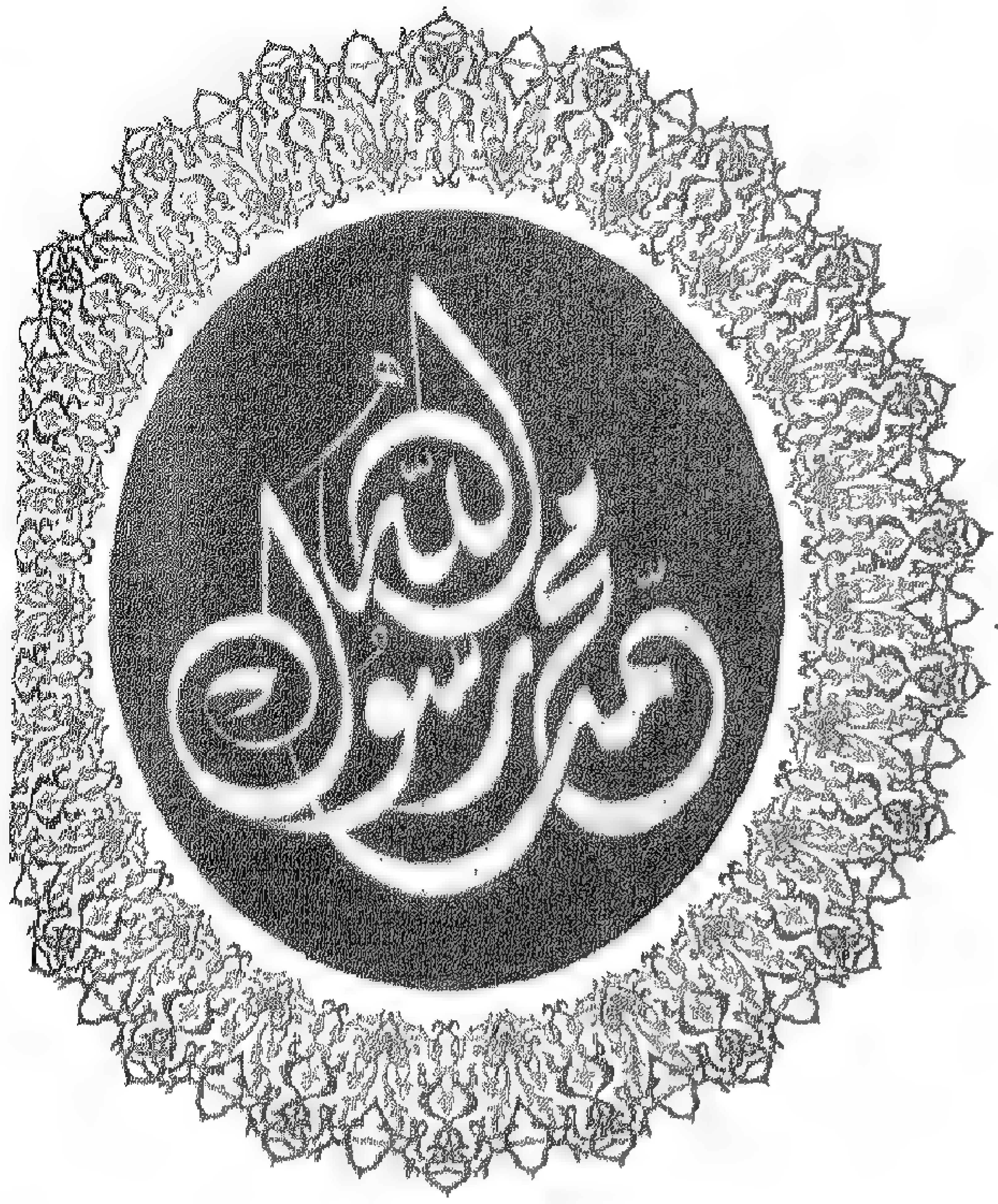
1ـ من مقالة للمستشرق الفرنسي «لويس ماسينيون» بعنوان: «مقام الثقافة العربية بالنسبة إلى المدنيّة العالمية»، نشرته له جريدة: (الأهرام) القاهرية، عدد 1949/1/26 مسيحي.

2ـ العلم بالعربية... ضرورة عقيدية: للدكتور عباس أرهيلة، ص:82، ـ بتصرّف يسير ـ، (مقال منشور بمجلة: (منار الإسلام): عدد محرم 1415 و.ر).

نظرًا لهذا؛ «فقد كانت دراسة اللغة العربية عند الأقدمين مرتبطة بالعامل الديني، ونتيجة لهذا الارتباط الوثيق فقد خلقت لنا العصور الأدبية على امتداد التاريخ اهتمامًا كبيرًا بلغة القرآن الكريم سواء فيما يتصل برصد مروياتها من الآثار الأدبية من شعر ونثر، أو فيما يتصل بإحصاء مفرداتها، وتسجيل أوابدها وغرائبها في المعجمات والقواميس اللغوية، أو فيما يتصل باستنباط القواعد والأسس التي تعني بسلامتها، والمحافظة على أصولها الموروثة، ووضع الدراسات اللغوية الخاصة باكتناء أسرارها، والكشف عن خصائصها ومميزاتها»[3].

ويقرّر هذا أبو منصور الثعالبي (429هـ)؛ إذ يقول: «من أحبّه الله ـ تعالى ـ أحب رسوله محمداً ﷺ، ومن أحبّ الرسول العربي أحبّ العرب، ومن أحبّ العرب أحبّ العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحبّ العربيّة عنى بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه؛ اعتقد أنّ محمداً ﷺ خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللّغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح الثقة في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد.

ثم هي لإحراز الفضائل، والاحتواء على المروءة، وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء والزند للضارب، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر في جلائلها ودقائقها إلاّ قوّة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة التبصر في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان لكفى بهما



فضلاً، يحسن فيهما أثره، ويطيب في الدارين ثمره»[4].

ويقول الإمام الشافعي (204 هـ): «فإذا كانت الألسنة مختلفة بما لا يفهمه بعضهم عن بعض، فلا بدّ أنّ يكون بعضهم تبعًا لبعض، وأن يكون الفضل في اللّسان المتبع على التابع، وأولى الناس بالفضل في اللّسان من لسانه لسان النبي. ولا يجوز ـ والله أعلم ـ أن يكون أهل لسانه أتباعًا لأهل لسان غير لسانه في صرف واحد»[5].

وها هو ذا ابن قتيبة (276 هـ) يقول: «وإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره واتسع علمه وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خصّ الله به لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة، والبيان، واتساع المجال ما أوتيته العرب

3ـ مقالات وآراء من اللغة العربية: للدكتور محمد بن ناصر الدخيل، ص:53، 54، الطبعة الأولى ـ دار الشبل بالرياض، سنة 1415 و.ر.

4ـ فقه اللغة وسر العربية: للثعالبي، (المقدمة)، بتحقيق السقا وآخرين، ط. الحلبي.

5ـ الرسالة: للإمام الشافعي، ص:46، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، ط. مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1940مسيحي.

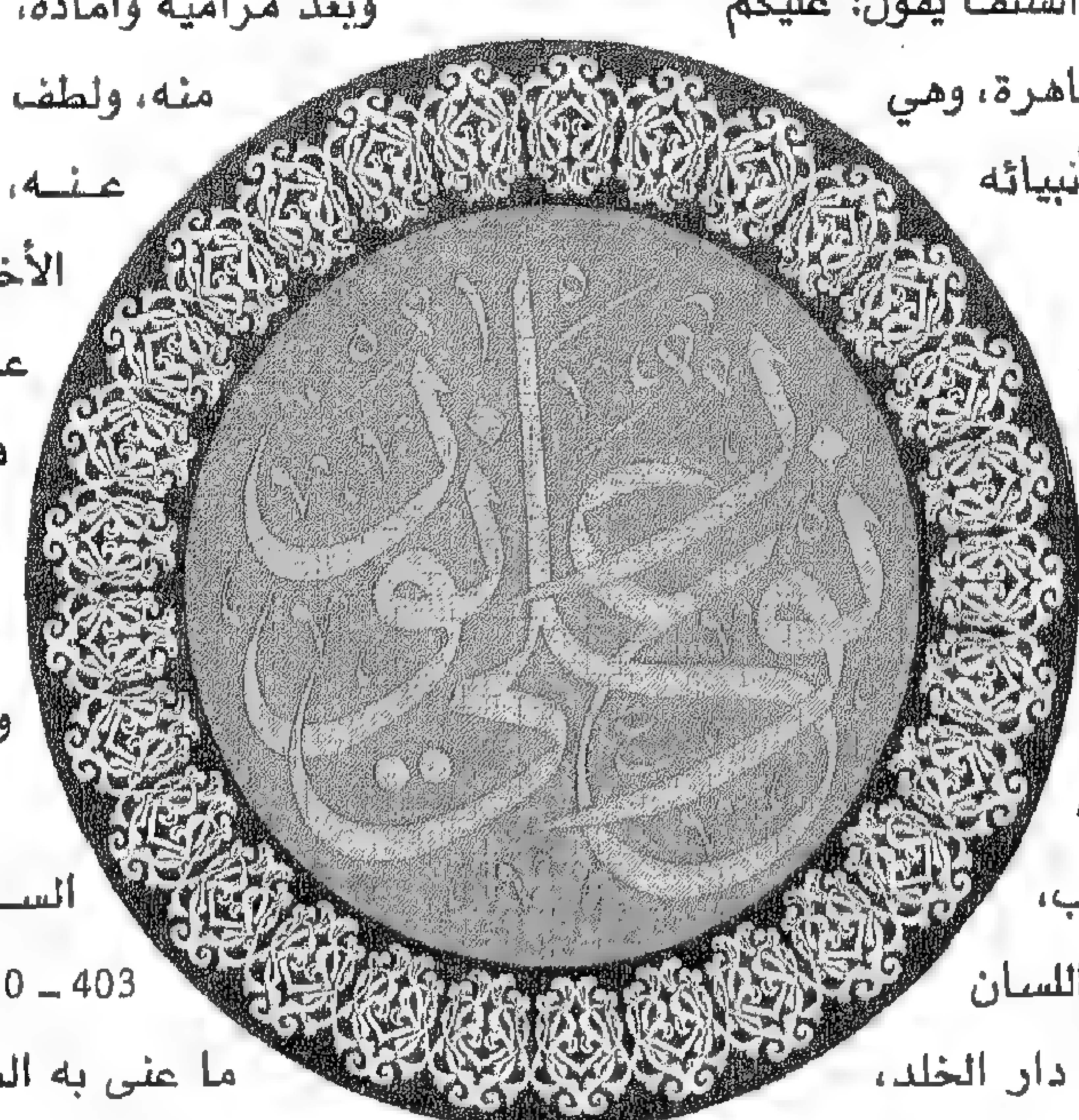
خصيصي من الله لما أرهصه في الرسول ﷺ وأراده من إقامة الدليل على نبوته بالكتاب»(6).

ويقول الزجاجي (337هـ): «وأمّا اللغة، وهي العربية - التي فضل الله - عز وجل - بها العرب، وأنطقهم بها - فهي لغتهم. كما أنّ لكل قوم لغة يتكلمون بها»(7).

ويروي عن الزجّاج (311هـ) أنه سمع أبا العباس المبرد يقول: «كان بعض السّلف يقول: عليكم بالعربية فإنها المروءة الظاهرة، وهي كلام الله - عز وجل - وأنبيائه وملائكته»(8).

وفي ديوان الأدب عدّد الفارابي (350 هـ) فضل الله على النبيّ المصطفى ﷺ بكل فاضل ونفيس من زمان، وبلد، وأصحاب، واسم، وخلق، وسمت، ونسب، ولسان..؛ فقال: «.. وأمّا اللسان فهو كلام جيران الله في دار الخلد، وهو المنزه من بين الألسنة من كل نقيصه، والمعلى على كلّ خسيسة، والمهذب مما يهجن أو يستشنع، فَبُنِيَ مباني باين بها جميع اللغات»(9).

هذا؛ ويعدّ القول بتفضيل ابن جنى (392هـ) للغة العربية من قبيل تحصيل الحاصل إزاء افتتانه بإحكام العربية وسحر أسرارها افتتانًا هزّه عن



مذهب المعتزلة في القول بأنّ اللغة اصطلاحية - وقد كان هو منهم - ليقول: «إنّني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة؛ وجدت فيها من الحكمة والدقة، والإرهاف والرقة، ما يملك على جوانب الفكر، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر.

فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا - رحمهم الله - ومنه ما حذوته على أمثلتهم، فعرفت بتتابعه وانقياده، وبعد مراميه وآماده، صحة ما وفقوا لتقديمه منه، ولطف ما أسعدوا به وفرق لهم عنه، وانضاف إلى ذلك وارد الأخبار المأثورة بأنها من عند الله - عز وجل - فقوى في نفسي كونها توقيفًا من الله - سبحانه -، وأنها وحي»(10).

ويقول العلاّمة السرقسطي (المتوفى بين 403 - 410 تقريبًا): «وإنّ أشرف ما عنى به الطالب بعد كتاب الله - عز وجل - لغات العرب وآدابها، وطرائف حكمها، لأنّ الله تبارك وتعالى اختارها بين اللغات لخير عترة، وأشرف أمة، ثم جعلها لغة أهل دار المقامة في جواره ومحل كرامته، فهي أفصح اللغات لسانًا، وأوضحها بيانًا، وأقومها مناهج، وأثقفها أبنية، وأحسنها بحسن الاختصار تألفًا، وأكثرها بقياس أهلها تصرفًا»(11).

6 - تأويل مشكل القرآن: لابن قتيبة، ص:12، تحقيق السيد أحمد صقر، الطبعة الثانية - دار التراث، سنة 1393 و.ر.

7 - الإيضاح في علل النحو: للزجاجي، ص:91، تحقيق د.مازن المبارك، ط4 - النفائس ببيروت، سنة 1402 و.ر.

8 - المصدر السابق، ص:95.

9 - ديوان الأدب: للفارابي، 1/70، تحقيق أحمد مختار عمر، الطبعة الأولى - مجمع اللغة العربية بالقاهرة، سنة 1398 و.ر.

10 - خصائص اللغة العربية... تفصيل وتحقيق: د.محمد حسن حسن جبل، ص:33، ط. دار الفكر العربي، د.ت، ويراجع، الخصائص: لابن جنّي، تحقيق الشيخ محمد علي النجار، 1/70 وما بعدها، ط. دار الكتب المصرية، نشر دار الكتاب العربي.

11 - الأفعال: لأبي عثمان سعيد بن محمد السرقسطي، تحقيق: د.حسين محمد شرف، 1/51، ط. مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1395 و.ر..

وفي مقدّمة كتاب الفائق للإمام الزمخشري (538هـ)، يقول: «الحمد لله الذي فتق لسان الذبيح، بالعربية المبينة والخطاب الفصيح، وتولاه بأثره التقدم في النطق باللغة التي هي أفصح اللغات، وجعله أبا عذر البلاغة التي هي أتم البلاغات»(12).

وبعده فهذا غيض من فيض ممّا أشاد به أئمتنا الأجلاّء، إدراكًا منهم بمكانة اللغة العربية وأهميتها بالنسبة لفهم الدين...

ولا عجب، فالعربية ـ كما قلنا ـ ليست كأية لغة من اللغات الأخرى؛ بل هي فريدة من نوعها؛ اصطفاها الله من بين اللغات جميعًا لتكون وعاء لكتابه الخالد: (القرآن الكريم)، كما اختارها لتكون لسان نبيه الأمين؛ لذا أوجب الشارع الحكيم تعلّمها؛ حتى يفهم مقاصد الكتاب والسنة.

يقول الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ : «فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ويتلو به كتاب الله. وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك»(13).

في الوقت الذي أرجع فيه أحمد بن تيمية ـ رحمه الله ـ الخلط في الدين ـ عند أهل البدع ـ إلى قلة فهم اللغة العربية؛ فيقول: «لابد في تفسير القرآن والحديث من أنّ يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ وكيف يفهم كلامه. ومعرفة العربية التي خوطبنا بها ممّا يعين على أنّ نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك ضلال أهل البدع كان لهذا السبب؛ فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون أنه دال عليه ولا يكون الأمر كذلك»(14).

إنّ أشرف ما عني به الطالب بعد كتاب الله ـ عز وجل ـ لغات العرب وآدابها، وطرائف حكمها، لأنّ الله تبارك وتعالى اختارها بين اللغات لخير عترة، وأشرف أمة، ثم جعلها لغة أهل دار المقامة في جواره ومحل كرامته، فهي أفصح اللغات لسانًا، وأوضحها بيانًا، وأقومها مناهج، وأثقفها أبنية، وأحسنها بحسن الاختصار تألفًا، وأكثرها بقياس أهلها تصرفًا.

وأوجب ابن تيمية على المسلم تعلم اللّغة، فقال: «إنّ معرفة اللغة من الدين، ومعرفتها فرض واجب، وإنّ فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»(15).

والإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ في وضعه للأصول المعتمدة في فهم النصوص وتأويلها اعتمد منطق اللغة العربية. وقد أورد السيوطي (911 هـ) قول حرملة بن يحيى: «سمعت الشافعي يقول: «ما جهل الناس ولا اختلفوا إلاّ لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطو طالي»... ولم ينزل القرآن ولا أتت السنة إلاّ على مصطلح العرب ومذاهبهم في المحاورة والتخاطب والاحتجاج والاستدلال لا على مصطلح اليونان، ولكل قوم لغة واصطلاح»(16).

12 ـ الفائق في غريب الحديث: للعلامة الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، 11/1، الطبعة الثانية ـ عيسى البابي الحلبي، د.ت.

13 ـ الرسالة: للإمام الشافعي، ص:42.

14 ـ الإيمان: لابن تيمية، ص:111.

15 ـ اقتضاء الصراط المستقيم: لابن تيمية، ص:207.

16 ـ العلم بالعربية... ضرورة عقيدية، للدكتور: عباس أرحيلة، ص:87، وانظر: صون الكلام عن فن المنطق والكلام: للسيوطي، شرح وتعليق الدكتور سامي النشار، ص:45، الطبعة الأولى ـ السعادة، سنة 1947 مسيحي.


القراءة الغربية للقرآن الكريم

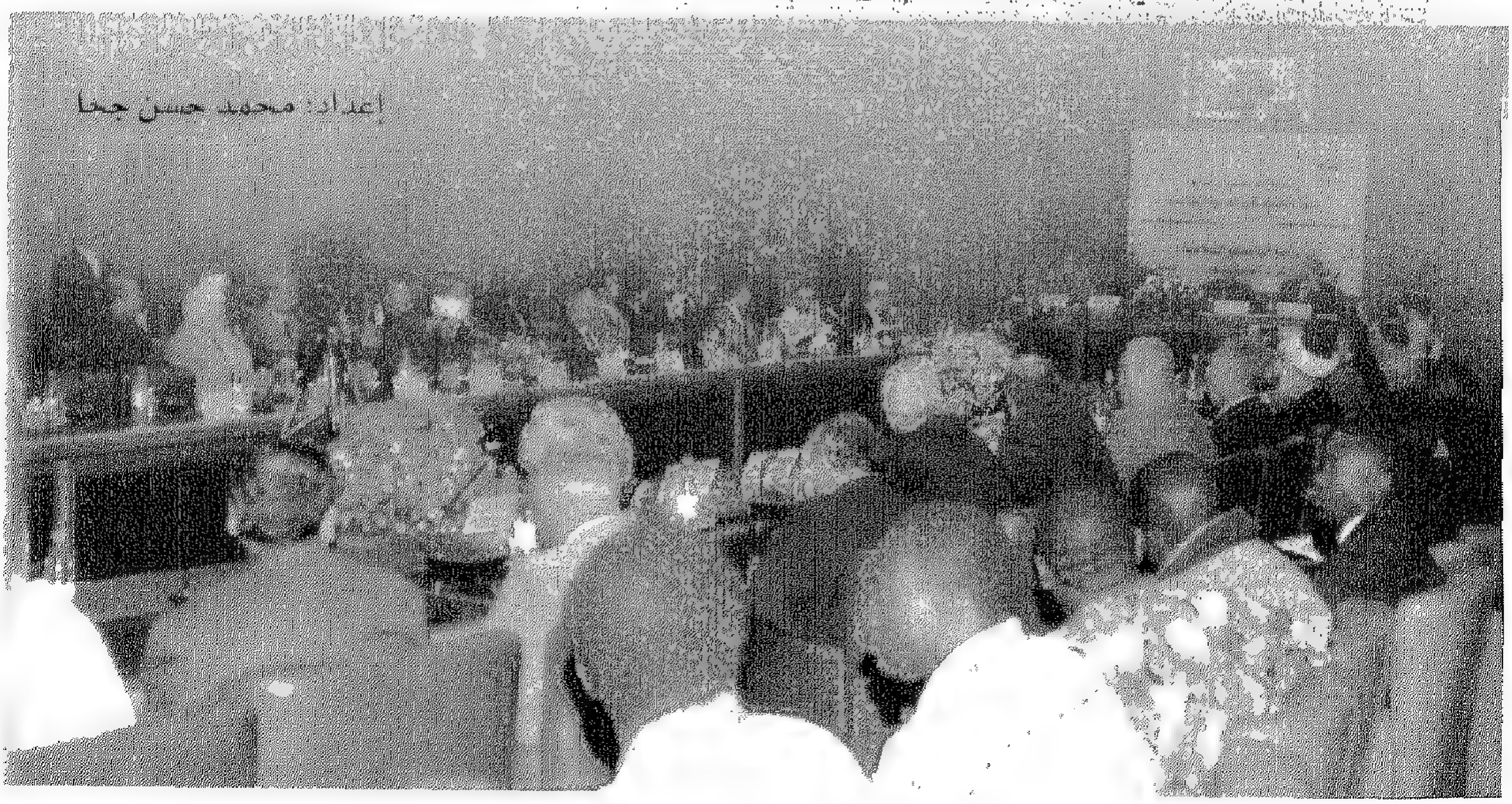
القراءة الغربية للقرآن الكريم

الرؤية أو القراءة الغربية للقرآن الكريم مسألة قديمة جديدة، وهي موجودة منذ بداية التعامل الغربي أو التراث الحضاري الغربي مع القرآن، ومع شخصية الرسولﷺ، ومع الدراسات الإسلامية. وهذا أمر وثّقته دراسات المستشرقين، ودراسات المهتمين بالشأن الديني والشأن السياسي والعسكري في أوروبا. وفي إطار الاهتمام العلمي بهذا الموضوع الذي يعتبر في غاية الخطورة في هذه المرحلة بالذات، ألا وهو تتبُّع فهمٍ صحيحٍ للقرآن الكريم، وفهم عميق من قبل المهتمين بهذا الكتاب (الوحي الخاتم) الذي أُنزله الله سبحانه وتعالى على نبيهﷺ؛ جاءت الندوة التي نظمتها كلية الدعوة الإسلامية (خلال الأسبوع الأول من شهر الكانون / ديسمبر2005 مسيحي) بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية تحت عنوان: القراءة الغربية للقرآن الكريم، والتي شارك فيها ما يزيد عن ثلاثين باحثاً ومفكراً من الوطن العربي وأوروبا، لدراسة ومناقشة هذا الموضوع، ودراسة أبعاده الآنية والمستقبلية، بهدف الوصول إلى قناعات يتم صياغتها في توصيات، من أجل تنبيه المسلمين في جميع أنحاء العالم الإسلامي، رسميين وشعبيين، إلى خطورة هذه الهجمة، وضرورة الوعي بها، والحذر منها، والعمل على حفظ الأجيال القادمة من خطورتها. وفي ذات الوقت مخاطبة ذوي العقول السليمة في المجتمعات الغربية، كي يصححوا ما عندهم من أفكار خاطئة، وكي يعملوا - سوياً - من أجل احترام الديانات والثقافات، والعيش سويا في عالم يسوده السلام والحب والاحترام.

وعلى مدى يومي (3 و4) من شهر الكانون (ديسمبر) 1373 من وفاة الرسول ﷺ (2005 مسيحي) وخلال ثماني جلسات عمل؛ عكف المشاركون الذين يمثلون خمس عشرة جامعة ومؤسسة علمية وبحثية في الوطن العربي وإفريقيا وأوروبا على استعراض ودراسة ومناقشة عدد من الأبحاث والدراسات وأوراق العمل، والتي انضوت تحت المحاور التالية:

1- القراءة الغربية للقرآن الكريم (رؤية تاريخية).
2- القراءة الغربية للقرآن الكريم (رؤية واقعية).
3- منهجية القراءة الغربية للقرآن الكريم .
4- السياسي والديني في التعامل مع القرآن الكريم.
5 - آثار التعامل الغربي مع القرآن الكريم على علاقة المسلمين بالغرب.
6 - دور الجامعات الإسلامية في تصحيح المفهوم الغربي عن القرآن الكريم.

وتعميماً للفائدة، ونظراً لأهمية الندوة وموضوعها، وللقيمة العلمية والفكرية للأوراق التي قُدّمت، والمناقشات والمداخلات التي أثيرت حولها، نقدم للقارئ الكريم - في ملف هذا العدد - قراءة في فعاليات الندوة وبعض أدبياتها.





منهجية التعامل الغربي مع الإسلام والقرآن الكريم

د. محمد السماك *

ينقسم هذا البحث إلى قسمين، يعالج القسم الأول منه ظاهرة الحذر من الإسلام كما يقدمه القرآن الكريم ورفضه وحتى تشويهه في مرحلة ما قبل 2001/9/11 مسيحي، ويعالج القسم الثاني تنامي هذه الظاهرة إلى حد الانفجار العدائي بعد هذا التاريخ.

أولاً: مرحلة ما قبل 2001/9/11 مسيحي

في منتصف القرن التاسع نشر المؤرخ البيزنطي جورج هامر تولوس كتاباً عن تاريخ الإنسانية، وفي الفصل 235 من هذا الكتاب وصف المسلمين بأنهم «رجال أغبياء مشوشي العقول». ومن بعده وجه الراهب الفرنسي هيوكلوني (1049 ـ 1119) رسالة إلى أحد الأمراء المسلمين دعاه فيها إلى الارتداد عن الإسلام واعتناق المسيحية، مبرراً دعوته بقوله:«لقد خدع الشيطان أحفاد إسماعيل، بالنسبة لإيمانهم بمن يعتقدون أنه نبي، فكان طبيعياً أن يكون عقابهم نار جهنم ». ومن خلال هذا النص فإنه يقدم القرآن على أنه عمل شيطاني، كمايقدم النبي محمد عليه الصلاة والسلام على أنه رجل مخادع، ويصوّر المسلمين على أنهم مخدوعون، مصيرهم جهنم.

وفي أواسط القرن التاسع عشر حرَّمت الحكومة الإنكليزية على رعاياها شرب القهوة. كانت حبات البن تعرف يومذاك باسم (حبّات محمد). وكان هناك اعتقاد بأن من يشرب القهوة يرتد عن مسيحيته إلى الإسلام، وأن الأتراك المسلمين يتآمرون على المسيحية في بريطانيا من خلال القهوة.

وقد تمكن رئيس أساقفة كنتربري الأسقف لاند من استصدار قانون عن مجلس العموم في عام1637 مسيحي يمنع أي بريطاني من اعتناق الإسلام ويحرم شرب القهوة. وتوجد في هانوفر بألمانيا مخطوطة من القرن السابع عشر تحمل توقيع الفيلسوف الألماني ليبنيز، المخطوطة موجهة إلى الملك الفرنسي لويس الرابع عشر تدعوه بإلحاح إلى غزو الشرق، مصر

* كاتب، رئيس لجنة الحوار الإسلامي المسيحي / لبنان

وبلاد الشام. تتضمن المخطوطة ثلاثة إغراءات للقيام بالمهمة:

كان الإغراء الأول عبارة عن دراسة ميدانية وصفية لحالة الضعف العسكري والتناحر السياسي التي كانت مستشرية في هذه المنطقة، وشمل الوصف كذلك مواقع الحصون والقلاع تسهيلاً لمحاصرتها وإسقاطها. (تقرير استخباراتي).

أما الإغراء الثاني فكان عبارة عن محاولة لاستنهاض حميّة الملك الفرنسي حتى يقوم بالمهمة التاريخية، فقد رفعه الفيلسوف الألماني إلى مصاف الإسكندر المقدوني والقيصر الروماني اللذين تمكنا من السيطرة على الشرق وإخضاعه.

وتمثل الإغراء الثالث في محاولة إثارة العصبية الدينية للملك الفرنسي عندما دعاه (ليبنيز) إلى العمل على تحقيق الهدف المقدس من الحروب الصليبية التي انتهت عام 1270 مسيحي، وهو تحويل الشرق إلى المسيحية وربطه بالغرب مرة جديدة، وإلى الأبد.

في ذلك الوقت كان الجيش الفرنسي الأقوى في أوروبة، وكان على رأس ألمانيا الملك دوشنبون ا لذي كاد يمثل حالة ألمانية استثنائية - ربما - في نزوعه نحو السلام الأوربي. اعتقد الملك لويس الرابع عشر أن رسالة صديقه الفيلسوف الألماني تستهدف إغراءه لإبعاد الجيش الفرنسي من أوروبة إلى الشرق، ولذلك رفض الاستجابة، لكن هذه المخطوطة التي انتقلت فيما بعد إلى نابليون ربما شكلت أحد العوامل التي أغرته وشجعته على تغيير أولوياته العسكرية من غزو إنكلترا إلى غزو مصر. وهكذا بدلاً من أن يُسقط نابليون إنكلترا لحقت به إنكلترا حتى مصر، حيث وجهت إليه في «أبو قير» الضربة التي عجلت بسقوطه فيما بعد في معركة واترلو.



نابليون



ريتشارد نكسون

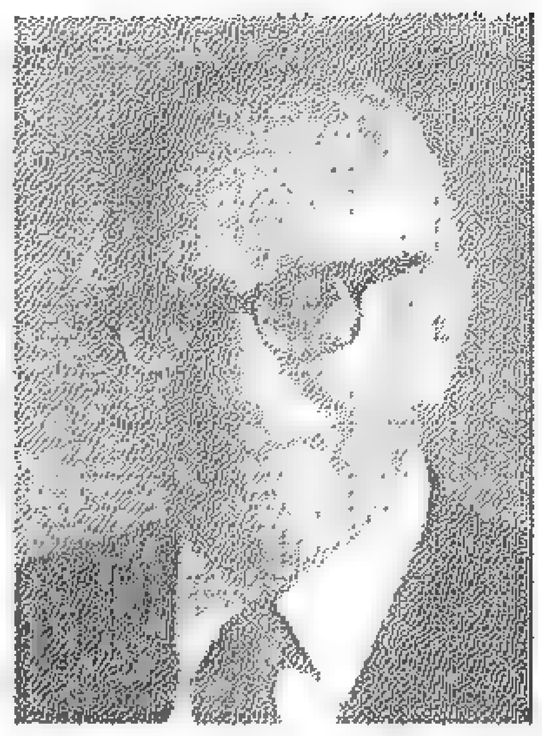
قبل وفاة الرئيس الأميركي الأسبق ريتشارد نكسون صدر له كتاب عنوانه (اقتناص اللحظة). كشف فيه بكثير من الوضوح عن ثقافة كراهية الإسلام، فقال في الصفحة (195): «يحذر بعض المراقبين من أن الإسلام سوف يكون قوة جغرافية متعصبة ومتراصة، وأن نمو عدد أتباعه، ونمو قوته المالية سوف يفرضان تحدياً رئيسياً، وأن الغرب سوف يضطر لتشكيل حلف جديد مع موسكو من أجل مواجهة عالم إسلامي معاد وعنيف. إن وجهة النظر هذه ـ يضيف نيكسون ـ تعتبر أن الإسلام والغرب على تضاد، وأن المسلمين ينظرون إلى العالم على أنه يتألف من معسكرين لا يمكن الجمع بينهما، دار الإسلام، ودار الحرب».

عكس نكيسون في كتابه صورة بشعة عن العالم الإسلامي عندما قال: (ص 194): «إن معظم الأميركيين ينظرون نظرة موحدة إلى المسلمين، على أنهم غير متحضرين، وسخين، برابرة، غير عقلانيين، لا يسترعون انتباهنا إلا أن الحظ حالف بعض قادتهم وأصبحوا حكاماً على مناطق تحتوي على ثلثي الاحتياطي العالمي المعروف من النفط».

ولا شك في أن كثيرين في الولايات المتحدة وفي الغرب يشاركون نيكسون وجهة نظره التي يقول فيها (ص 196): «إنه يوجد في العالم الإسلامي عاملان اثنان مشتركان فقط: هما الدين الاسلامي والاضطراب السياسي». وهذا يعني أنه بما أن مصدر الدين هو القرآن، فإن مصدر الاضطراب هو العمل بما جاء في القرآن.

بعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفياتي وانحلال حلف وارسو، جرى تصعيد متعمد للعدوانية الغربية ضد الإسلام، حتى إن مدير معهد بروكنغز في واشنطن Brookings Institution هيلموت

سوننفيل Helmut Sonnenfeld يقول: إن حلف شمال الأطلسي سوف يعيش، وإن الغرب سيبقى مجموعة دول لها قيم أساسية مشتركة، وستبقى هذه المجموعة متماسكة معاً من خلال الشعور بخطر خارجي: الموقف من الفوضى أو التطرف الإسلامي». ويعزى هذا التطرف الإسلامي دائماً وباستمرار إلى نصوص قرآنية، مع استبعاد أي عامل سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي آخر.

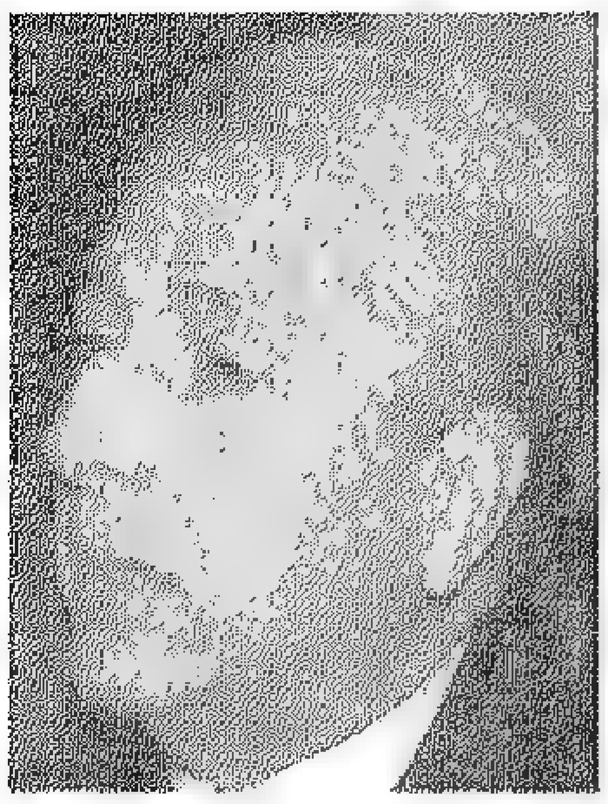


هنري كيسنجر

وفي ربيع 1990 مسيحي ألقى هنري كيسنجر وزير الخارجية الأميركية الأسبق خطاباً أمام المؤتمر السنوي لغرفة التجارة الدولية قال فيه: «إن الجبهة الجديدة التي يتحتم على الغرب مواجهتها هي العالم العربي الإسلامي، باعتبار هذا العالم هو العدو الجديد للغرب (لاحظ كلمة الجديد أي بعد سقوط الشيوعية) «وإن حلف الأطلسي باق، رغم انخفاض حدة التوتر بين الشرق والغرب في أوروبا، ذلك أن أكثر الأخطار المهددة للغرب في السنوات القادمة آتية من خارج أوروبا. وفي نهاية التسعينات فإن أخطر التحديات للغرب ستأتي من ناحيتي الجنوب (أي المغرب العربي) والشرق الأوسط».

وكانت مجلة الإيكونوميست البريطانية المعروفة برصانتها قد نشرت في الوقت نفسه على الغلاف موضوعاً بعنوان (الإسلام الأيديولوجية البربرية المعادية للغرب) هذه الأيديولوجية قائمة على القرآن الكريم وعلى التزام المسلمين به.

وجاء في دراسة أخرى نشرتها مجلة ألمانية متخصصة في الدراسات الاستراتيجية: إثر انتهاء الحرب الباردة وسقوط الشيوعية في عام 1990 مسيحي أعلن الأمين العام لحلف شمال الأطلسي ولي كلايس (تولى منصب وزير الاقتصاد في بلجيكا فيما بعد): «لقد حان الوقت الذي يجب علينا فيه أن نتخلى عن



أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية:

من أجل فهم المسلمين وقرآنهم ومن أجل فهم واضح لكل الثقافات ولكل الحضارات *

هذا اللقاء يعتبر لقاءاً مهماً، ويقع في إطار الاهتمام العلمي بشأن من شؤون المسلمين، هو في غاية الخطورة في هذه المرحلة بالذات، وهو تتبع فهم صحيح للقرآن الكريم، وفهم عميق من قبل المهتمين بهذا الكتاب (الوحي الخاتم) الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه محمدﷺ.

في الماضي - ومنذ أكثر من ثلث قرن من الزمان - عندما تحدث الأخ معمر القذافي حول أهمية القرآن الكريم وأهمية شخصية الرسول الكريم محمد بن عبد الله ﷺ، في ذكرى المولد النبوي الشريف؛ كثير من الناس، وكثير من المسلمين، اعتبروا أن في هذا الحديث شيئاً من التزيد، وشيئاً من خلط الأمور، ولكن تمر الأيام ونجد أنفسنا في وضع تناوله ذلك التحليل منذ أكثر من ثلث قرن بالإيضاح والدراسة.

نحن كمسلمين تشرذمنا وتفرقنا لأسباب كثيرة، اقتصادية واجتماعية وسياسية، وضغوط من الخارج، وضغوط من الداخل، ولكن الذي رسّخ ذلك التفرق وأصبح سببا في تفرقات أكثر هو الجهل بثوابت الدين، والجهل بمصادر هذه الثوابت. والتحليل الذي أشرت إليه يذكّر برؤية إسلامية واضحة أكد عليها رسول اللهﷺ، وهي أن القرآن الوحي الخاتم هو المرجع الأول في كل شئوننا، وفي كل شؤون حياتنا، وفي كل أساسيات الدعوة، وأن شخصية

خلافاتنا وخصوماتنا السابقة وأن نواجه العدو الحقيقي لنا جميعاً وهو الإسلام.. إن الأصولية الإسلامية هي على الأقل في مستوى خطورة الشيوعية سابقاً». ومن شأن هذه المقارنة أن تقدم للغرب القرآنَ الكريمَ على أنه مماثل للمانيفستو الشيوعي. وبالتالي فإنه كما كان كارل ماركس ولينين مصدر الخطر على الغرب والرأسمالية ؛ كذلك هو الإسلام ممثلاً بالقرآن وبالنبي محمد ﷺ.

وفي شهر الصيف (يونيو) 1994 مسيحي انتهت مهمة الجنرال جون كالفان القائد الأعلى لقوات حلف شمال الأطلسي. وفي الاحتفال التكريمي الذي أقيم له في بروكسل ألقى كلمة تحدث فيها عن الآفاق المستقبلية للحلف ولدوره، تستوقفنا من كلمته العبارة الآتية:«لقد ربحنا الحرب الباردة، وها نحن نعود بعد 70 عاماً من الصراعات الضالة إلى محور الصراع القائم منذ 1300 سنة. إنه صراع المجابهة الكبيرة مع الإسلام».

الواقع أن المشاعر المعادية للإسلام وللمسلمين هي التي تجعل من الإسلام عدواً عند الضرورة، وهي التي تجعل من صورة هذا العدو، المقررة سلفاً والمغروسة في الثقافة العامة، أسرع انتشاراً وأكثر قدرة على الاستقطاب. فإثر إحراق آبار النفط الكويتية على يد قوات الغزو العراقي في عام 1990 مسيحي طرحت جماعة من حزب الخضر في ألمانيا نظرية تجاوزت فيها الحديث عن الصراع بين الإسلام والغرب، لتقرر أن ثمة صراعاً بين الإسلام والتنوير والتحرير أيضاً. وطالب آخرون من الخضر الألمان بـ (بوليس دولي) لحماية البيئة من المسلمين العرب.

وفي أعقاب المحاولة الإرهابية الأولى التي استهدفت برجي التجارة العالمية في نيويورك في عام 1993 مسيحي نشرت مجلة نيوزويك الأميركية بتاريخ 15 / 3 / 1993 مسيحي دراسة مطولة، عنونت لها على الغلاف بما يلي:

(الرعب البارد، الإرهاب اليوم، الدور الاسلامي)، وقد تصدرت الغلافَ صورةٌ لشاب ملتح يحمل نسخة من القرآن الكريم مكتوب عليه (الله ومحمد).

في ذلك الوقت دعا رئيس مجلس النواب الأميركي السابق نيوت غينغريش إلى وضع إستراتيجية متكاملة لمحاربة التوتاليتارية الإسلامية.



صموئيل هنتنغتون

يلاحظ المفكر الأميركي صموئيل هنتنغتون في دراسة نشرتها الخارجية الأميركية ونقلت مقتطفات منها صحيفة هيرالد تريبيون الأميركية (عدد 8/6/ 1993 مسيحي) أن المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية تفصل الشعوب عن هوياتها المحلية، وفي معظم أنحاء العالم يتقدم الدين لملء هذا الفراغ على يد حركات غالبا ما تتصف بالأصولية كالمسيحية الغربية، واليهودية، والبوذية، والهندوسية، والإسلام.

وفي مقابلة أجرتها معه مجلة تايم الأميركية (28/6/1993 مسيحي) سألت المجلة البروفسور هنتنغتون: إنك تؤكد أن الصراع المقبل الذي سيواجه الغرب سوف يأتي من العالم الإسلامي.. لماذا ؟

أجاب هنتنغتون عن السؤال بقوله:«إن الإسلام هو الديانة الأشد صرامة في العالم خارج المسيحية، لا يوجد فصل بين الدين والسياسة، ثانياً، هناك شعور بأن العالم الإسلامي قد تعرض للضرب واستغل على يد الغرب، وأن ثمة نوعاً من الصحوة في طريقها إلى البروز مصدرها القرآن. إن الصراع سيأخذ عدة أشكال، والواحد منا لا يريد أن يظن بأن هذا يعني قيام حرب ماحقة بين الإسلام والغرب».

لم تتأثر هذه المواقف السلبية والعدائية بالدعوة التي أطلقها الفاتيكان في عام1965 مسيحي للانفتاح على الإسلام وإلى التعامل مع المسلمين بالحسنى. ففي ذلك الوقت صدر عن نتائج أعمال المجمع الفاتيكاني الثاني كتاب قدم له الكاردينال ماريللا المسؤول عن

أمانة شؤون غير المسيحيين، جاء في هذه المقدمة ـ التي ما كانت لتنشر لو لم يقرها البابا نفسه ـ ما ترجمته حرفياً: «يجب أن نعترف، وبكل شجاعة وصدق، أن المسلمين لم يلاقوا من العالم المسيحي إلا القليل من التعاطف والود، وقليلون هم الذين أولوهم العناية الكافية، بالرغم من أن الرهبان والراهبات أظهروا اهتماما أكبر في مجالات التعليم والمساعدة والرعاية، ولكن جهودهم بقيت جزئية أمام اتساع الاحتياجات، كما أن الغربيين، المستشرقين منهم والعلماء المتخصصين بالإسلاميات، أظهروا تعاطفا وتفهما لكل ما يتعلق بأهداف دراساتهم، ولكن تفهمهم للإنسان وتعاطفهم معه كان أقل، وهذا ما يأخذه المسلمون عليهم في أيامنا هذه، مع شيء من اللوم والعتاب. وحتى اليوم، وفي أكثر الأحيان، عرف المسلمون العالم الغربي من خلال الأنظمة الاستعمارية. وباختصار يجب أن نعي بكل موضوعية أن المسيحيين لم يحققوا بعد، كمجموعة، الشرط الأول والأهم الذي يؤهلهم لأن يكونوا موجودين وحاضرين في عالم المسلمين كما هو، وعلى حقيقته .وعلى هذا الأساس، فإن الحوار لن يكون ممكنا طالما أن مثل هذا الجهد لم يبذل بعد».

أود أن أتوقف من هذا النص أمام دور «المستشرقين الذين أظهروا تعاطفا وتفهما لكل ما يتعلق بأهداف دراساتهم». وأرسم خطا عريضا تحت عبارة «أهداف دراساتهم». وإذا كان من غير الإنصاف العلمي إطلاق الاتهامات جزافا وبالجملة ودون تمييز ؛ فإن الواقع يؤكد أن معظم تلك الدراسات استهدفت أمرين أساسيين:

أولاً: تشويه صورة الإسلام في الثقافة الغربية تعميما لظاهرة الرفض أو العداء للإسلام في المجتمعات الأوربية.

ثانياً: الطعن بصدقية النصوص الدينية الإسلامية وبصوابيتها وبثوابتها العقدية، بهدف فك ارتباط المسلمين بدينهم أو إضعافه والتشكيك به .

الرسول ﷺ هي أساس هذه الثوابت، وأن وفاة رسول الله ﷺ هي الفيصل بين الدين وبين التراث.

للأسف.. أحياناً كثيرة أصبحنا نُنَظّرُ للتراث، وهو شيء مهم طالما أنه محكوم بالثوابت، ولكن عندما يغض الناس النظر عن الثوابت من أجل تفعيل بعض رؤى التراث وقعنا ونقع في أمور كثيرة في مسيرتنا التاريخية وخاصة المعاصرة.

لا أريد هنا أن أذكر أمثلة حية في حياتنا المعاصرة تبتعد كثيرا عن التأكيد على ثوابت العقيدة في القرآن الكريم، وتنجرُّ نحو مسائل في التراث أوجدتها الصراعات بين الفرق والمذاهب، والرؤى المختلفة، ولعل التطرف والتشدد الذي عانينا منه منذ أعوام، بل منذ عقود، وأدى إلى ما أدى إليه وما ترونه الآن، وأدى ذلك إلى النتائج التي نعاني منها؛ قد جاء نتيجة للاعتماد على رؤى ضيقة أوجدتها بعض مراحل فهم التراث الإسلامي، بعيدا عن حكم القرآن وبعيدا عن فهم شخصية رسول الله ﷺ. ذلك شأن بين المسلمين والمسلمين، وهو دائما يحتاج إلى تعمق في الفهم. ونحن اليوم نلتقي على مائدة جانب آخر من جوانب فهم القرآن، وهو رؤى بعض الثقافات الأخرى حول القرآن الكريم، وما يتصل بذلك من الترجمة والفهم والتحليل، والحملات التي أشار إليها بعض الإخوة.

فنحن نحتاج إلى لقاءات علمية، مثل هذه الندوة، بمشاركة العلماء والباحثين، لفهم كثير من شؤوننا وشجوننا.

مسالة الرؤية الغربية أو القراءة الغربية للقرآن الكريم مسألة قديمة جديدة، وهي موجودة منذ بداية التعامل الغربي أو التراث الحضاري الغربي مع القرآن، ومع شخصية الرسول ﷺ، ومع الدراسات الإسلامية. وهذا أمر وثقته دراسات المستشرقين، ودراسات المهتمين بالشأن الديني والشأن السياسي والعسكري في أوروبا. وقراءتنا التاريخية توضح أن هناك ـ أحيانا ـ اجتهادات فردية، وهناك ـ أحياناً ـ حملات دينية، وهناك ـ أحيانا ـ

شجع الأمر الأول العديد من الكنائس المختلفة على العمل التبشيري بالمسيحية في الدول الإسلامية، باعتبار أن الإسلام ليس دينا، وأن القرآن هو نص كتبه مدع بالنبوة هو محمدﷺ، وأن المسلمين يحتاجون إلى الهداية من أجل النجاة يوم القيامة، وأن العمل التبشيري هو واجب على هذه الكنائس.

وهزّ الأمر الثاني ثقة بعض المسلمين بدينهم، وزرع الشك في إيمانهم بعقيدتهم، ليشكل ذلك مدخلا للحركة التبشيرية. ولما لم تحقق هذه الحركة أي نجاح يذكر، ازدادت حدة الخوف من الإسلام ومن العداء له، ومن الشعور بضرورة بذل المزيد من الجهد لتشويهه والتشكيك بأركانه وثوابته، وفي مقدمتها القرآن الكريم. حققت الدراسات الاستشراقية الهدف الأول وهو التشويه، وشكل نجاحها هذا الأرضَ الخصبةَ لإطلاق ظاهرة العداء على نطاق واسع بعد 2001/9/11، ونتيجة لها كما سنرى لاحقا.

أما الهدف الثاني - أي التشكيك - فقد أدى بدوره إلى أمرين أساسيين:

يتمثل الأمر الأول في ظهور مثقفين مسلمين متأثرين بالمستشرقين وبنظرياتهم التشويهية للإسلام.

أما الأمر الثاني فهو ظهور حركات فكرية - دينية، تجاوزت في رفضها للمستشرقين ولكتاباتهم حد توجيه الاتهامات الجماعية للفكر الاستشراقي على إطلاقيته، ومن ثم إلى الغلو والتطرف في الدفاع عن الإسلام إلى حد استعداء الغرب، وتكفير المسلم الذي لا يشاطرها مفهومها للإسلام ورؤيتها للآخر غير المسلم. ولعل حادث 2001/9/11 كان ثمرة من الثمار المرة لهذا الفكر الاستعدائي والتكفيري وترجمة له.

مرحلة ما بعد 2001/9/11

قبل هذا التاريخ، كان قساوسة الحركة الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة يعبرون عن كراهيتهم للإسلام، ويصبون جام حقدهم عليه، ومن أبرزهم: جيري فولويل، وبات روبرتسون، وفرانكلين غراهام، وهول ليندسي، وكثير غيرهم. فهم يعتبرون أن المسلمين، بوقوفهم في وجه الإسرائيليين، يعطلون المشيئة الإلهية ويؤخرون العودة الثانية للمسيح . وقد ازداد نفوذ هؤلاء القساوسة السياسي في عهد الرئيس جورج بوش، ثم بعد أحداث 2001/9/11. فالرئيس الاميركي مدين لهم بالانتقال» من حالة الادمان على المسكرات إلى الإيمان بـ(الولادة الثانية)، وبالعمل من أجل تسريع العودة الثانية للمسيح. وتحت مظلة هذه العلاقة فإن القس ليندسي حذر من«أن المسلمين لا يريدون فقط تدمير دولة إسرائيل ولكنهم يريدون تدمير الثقافة اليهودية - المسيحية التي تشكل أساس الحضارة الغربية. إنهم كالشيوعيين في أعماق فلسفتهم توق شديد لدفننا جميعاً».[1]



بات روبرتسون

كذلك فإن القس بات روبرتسون وصف الإسلام بأنه «دين الإرهاب» وبأنه «يهدف إلى السيطرة على العالم». كما اتهم المسلمين الأمريكيين بأنهم ينظمون خلايا إرهابية لتدمير الولايات المتحدة. وجاءت تلك الاتهامات من خلال برنامجه التلفزيوني الواسع الانتشار (نادي السبعمائة) . ووصف القس جيري فاين Jerry Vine النبي محمداً ﷺ في مؤتمر المحفل المعمداني الجنوبي الذي عقد في فلوريدا في عام 2002 مسيحي بأنه الشيطان نفسه[2]. وكان فرانكلين غراهام Franklin Graham وهو نفسه أيضا الذي

1- H. Lindsay, The Final Battle, P.45.

2- - Richard Vara, Texas seccesion rumor, attaks on Islam mark Baptist meeting, House Chronicle, 10 June (2002).

ترأس الصلاة الخاصة بمناسبة أداء القسم الدستوري للرئيس جورج بوش الابن، قد قال عن الإسلام إنه دين شيطاني وشرير[3]، وقال عنه القس جيري فولويل إنه دين«مزور». وهذه الأوصاف والنعوت توجه أساسا إلى القرآن الكريم باعتباره مصدر التشريع ومنبع الثقافة في الإسلام. ولم يجد القس غراهام في المسلمين«أيا تكن أصولهم سوى أعداء للديموقراطية والليبرالية ولطريقة عيشنا..»، الأمريكيون لم يتجاوبوا مع هذه الأقوال لأنها تحرض الأمريكيين الآخرين عليهم، رد غراهام بقوله: «إن الذين هاجموا الولايات المتحدة ودمروا برجي مركز التجارة الدولي في نيويورك لم يكونوا من ا للوثريين ولا من الميثوديين، بل كانوا من المسلمين، ولذلك فإن وجودهم يشكل خطرا على المجتمع الأمريكي».

تتكامل هذه الدعوات الاستعدائية مع الموقف الإسرائيلي من الإسلام، ففي مطلع شهر الربيع مارس 2003 مسيحي نشرت صحيفة هاآرتس الإسرائيلية تصريحا لوزير السياحة الإسرائيلي بنلي ألون قال فيه: «من الواضح أن الإسلام في طريقه إلى الزوال، فما نشاهده اليوم في العالم الإسلامي ليس انتفاضة إيمان قوية، بل انطفاء جذوة الإسلام». أما كيف سيزول، فبكل بساطة، بقيام حرب مسيحية صليبية ضد الإسلام في غضون بضع سنوات ستكون الحدث الأهم في هذه الألفية، وطبعا سنواجه مشكلة كبرى حين لا يبقى في الساحة سوى الديانتين الكبيرتين، اليهودية والمسيحية، غير أن ذلك ما زال متروكا للمستقبل البعيد[4].

حملات للتمهيد للاستعمار، وهناك ـ أحيانا أخرى ـ حملات أكبر للاستيطان، ولتحضير أو تحديث المجتمعات الإسلامية أو العربية، لأنها أقرب إلى أوروبا.

وبالنسبة لاجتهادات العلماء ـ بالرغم من أن التمويلات كانت تقصد أمرا آخر غير العلم ـ فإنه قد نُظر إليها من طرف المسلمين في الماضي على أنها قد تكون اجتهادات علمية فردية، وفيها أفكار تحتاج الى مناقشة وردود علمية في إطار الجامعات والمؤسسات العلمية، وهناك حوار تم في الماضي وفيه الكثير من الخير للعلم ولتقدم المعرفة الإنسانية، سواء كان من طرف المسلمين والعرب، أو من طرف الأوروبيين على اختلاف لغاتهم. هناك دراسات علمية جيدة من الكثير من المستشرقين والغربيين، وهذا شأن العلم، بمعنى أن هناك دراسات نقدية في الغرب للإنجيل وما حواه وما حوله، قد تكون لها أسباب لمجموعات الضغط أو غيرها، كما اتضح للكثير من الناس. وأحيانا تكون اهتمامات فردية علمية، وذلك أمر خبرناه نحن المسلمون والعرب، وتقبلناه ورددنا عليه وحاورنا الآخرين فيه، وهو ـ في كل الأحوال ـ مجال للبحث في إطار المؤسسات العلمية والفكرية. صحيح أنه قد وُظّفت ـ أحيانا ـ مثل هذه الرؤى في إطار سياسي أو استعماري أو عسكري أو أمني أو اقتصادي؛ وذلك أمر يتم بالنسبة لأية دراسة.

لكن المزعج ـ في الحقيقة ـ في هذه المرحلة الأخيرة هو أنه بعد سقوط الاتحاد السوفييتي أصبح الإسلام هدفا وعدوا أول، قبل كل الثقافات والحضارات الأخرى، بالنسبة للغرب ولأوروبا، وهذا أمر لا ندّعيه نحن، لأننا نعمل في جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، أو لأننا ننتسب إلى الأمة الإسلامية، بل هذا أمر معلن رسميا من طرف المسؤولين السياسيين منذ أكثر من عقد من الزمان، ومعلن رسميا في تصريحات رسمية، ومعلن عن طريق مؤسسات اقتصادية وعسكرية ومحاور إقليمية، وعن طريق مؤسسات علمية أو شبه علمية، ومعلن

3ـ Washington Post, Vol. 18, 2001.

4ـ ما هو الهدف الحقيقي لأعمال العنف في الرياض ـ باتريك سيل، جريدة الحياة 2003/5/16م.

العالم الإسلامي وتحديات المرحلة

نحو إعادة قراءة النص القرآني



د. محمد البشاري *

«لقد اختتم الله بالإسلام رسالاته للعالم، فليس لنا أن ننتظر اتصالا جديدا من السماء بالأرض يطهرها مما كاد يعمها من شرك وضلال وفساد، ولا نبيا، بعد رسول الإسلام، يخرج العالم برسالة جديدة من الظلمات إلى النور، ولا قرآنا جديدا يهدي الإنسانية الحائرة إلى سبيل الرشد والسعادة.ولكن الله الرحمن الرحيم ترك فينا بعد هذا، أو بسبب هذا، كتابا لن يضل من تبعه، وشريعة لن يشقى من عمل بها».

هذه كلمات حررت منذ أزيد من نصف قرن، وحررها فضيلة الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى في تقديمه لكتاب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟) للشيخ أبي الحسن الندوي [1] لم نجد أفضل منها في معرض افتتاح هذا العرض حول أهم التحديات التي تواجهها الأمة الإسلامية في الظروف العالمية الراهنة.

وحتى لا نتيه مع كثرة التفاصيل والجزئيات، سوف نتحدث عما نعتبره أهم هذه التحديات، دون أن نبخس حق التحديات الأخرى، لولا أن منطق الأولويات يفرض علينا أن نركز على تحديات دون أخرى.

لكن، قبل التفصيل في هذه التحديات، علينا تحديد أرضية مسلمة ومتفق عليها ، وسوف نختصرها بدورنا في نقطتين اثنتين هما: قضية الظرفية الزمنية، وقضية الأرضية المرجعية.

1- إشكالية الظرفية الزمنية:

كان ممكناً أن نستعرض نفس المحاضرة وتحت نفس العنوان في ظرفية زمنية مغايرة، على أن الفرق بين الظرفية الراهنة يختلف جذرياً عن أن يكون تاريخ هذه الكلمة مؤرخا في إحدى السنوات التي تلت البعثة المحمدية، أو في أحد أيام زمن الممالك في الأندلس، قبيل سقوط غرناطة، أو بعد في تاريخ آخر.

والقصد من هذا التفصيل أنه لا مفر من أن نأخذ بعين الاعتبار أهمية الظرفية الزمنية التي نعيش على إيقاعها اليوم. فنحن - كما هو معلوم - نعاصر السنة 1426 بعد الهجرة النبوية، والعام 2005 بعد ميلاد عيسى عليه السلام، وتحديدا ما يقرب ثلاث سنوات

* الأمين العام للمؤتمر الإسلامي الأوروبي / رئيس الفيدرالية العامة لمسلمي فرنسا / نائب رئيس المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية

1- (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟) - أبي الحسن الندوي - تقديم الدكتور محمد يوسف موسى - دار الجيل - بيروت - ص 19.

ونصف من أحداث عالمية ساهمت بشكل كبير في تغيير مجموعة من المفاهيم والسياسات والرؤى في ربوع العالمين الإسلامي والغربي.

إننا نتحدث ـ بطبيعة الحال ـ عن حقبة زمنية جد حرجة على الأمة الإسلامية، وترتبط أساسا بأهم تداعيات المتغيرات الدولية التي يشهدها العالم، والتي اندلعت أو برزت بعد العديد من المحطات الدموية، بدءا على الخصوص من تفجيرات 11 سبتمبر 2001، ونهاية بآخر عملية دموية تمت في المنطقة العربية.

أحداث ومنعطفات وصمت التاريخ، وفي طليعتها أحداث 11 سبتمبر 2001، بكل التداعيات التي تلتها، سواء كانت سياسية أو استراتيجية أو دينية أو ثقافية.. ولكن يبقى أهم هذه التداعيات بالنسبة لنا شن الإدارة الأمريكية حروبا على دول إسلامية ذات سيادة، حيث تم إسقاط نظامي أفغانستان والعراق، مقابل استمرار الضغوط على أنظمة أخرى في الشرق الأوسط، عبر ما سمي بمشروع الشرق الأوسط الكبير الذي لقي معارضة كبيرة من قبل أغلب الدول الأوروبية.


الشيخ أبو الحسن الندوي

من بين التداعيات الأخرى، هناك تصاعد الضغوط الأمريكية على الدول العربية والإسلامية من أجل تعديل وتغيير المناهج الدراسية، وخاصة المناهج المتعلقة بتدريس الخطاب الديني، إلى درجة أن قراءة الآيات القرآنية في شاشات الفضائيات العربية أصبحت تتحاشى قراءة الآيات التي تتعرض لليهود والنصارى، بل وامتد الأمر إلى درجة حذف العديد من سور القرآن الكريم في بعض المناهج الدراسية في دول الخليج العربي، حتى بدا أننا أمام ضغوط تهدف لأن يتحول الإسلام إلى طقوس وعبادات لا بد أن تسطر خطوطها العريضة وأهدافها من قبل الغرب وليس من قبل الدول والمؤسسات الإسلامية.

عن طريق التمويلات التي تُرصد لهذه البحوث، ويُستخدم فيها الكثير من (العلماء) بمن فيهم (علماء العرب والمسلمين) في هدف معلن وليس في دهاليز سرية، إنه أمر معلن: الإسلام يشكل خطرا ولابد من مواجهة هذا الخطر. والمواجسة ليست عسكرية، وليست سياسية، وليست اقتصادية، وليست اجتماعية، وليست أمنية فقط؛ ولكنها مواجهة ثقافية علمية تستهدف على قائمة مهمة ـ من بين ما تستهدف ـ القرآن الكريم..!! وأنتم تعرفون تصريحات رئيس وزراء إحدى الدول الغربية عندما كانت هناك انتفاضة إسلامية في دولة من الدول التي تستعمرها تلك الدولة حينها، حيث جاء إلى (البرلمان) رسمياً ـ في منتصف القرن الماضي ـ وأخذ القرآن ورمى به أمامهم، وقال لهم: طالما هذا الكتاب موجود عند المسلمين فهناك خطر دائم يواجهنا. علما بأن هؤلاء المسلمين مغلوبون على أمرهم، مستعمرون، وفي أقصى غايات الانحطاط السياسي والاجتماعي والاقتصادي في ذلك الوقت.

العقل الأوروبي ـ بتراكمات الرؤية الأوروبية القديمة منذ العصور الوسطى ـ لازال يرى ويفعّل رؤية تكونت عنده لعداء تقليدي نحو القرآن الكريم، ونحو شخصية الرسول محمد ﷺ، ونحو التراث الإسلامي، ويعتبر أن هذا شكل خطراً. في الماضي عندما جاءت الحروب الصليبية من أجل تطهير مكان المسيح، وتأمين طريق الحج.... الخ، وبعدها الاستعمار الاستيطاني، اعتُبِرَ أن الدين يمثل خطورة ما، ويجمع الناس، ويجعلهم يقاومون. ولكنه بالغلبة العسكرية أصبح متواريا ولا يشكل خطورة حقيقية.

الآن.. الحملة الجديدة هدفها المعلن هو ثوابت الدين، والهدف هو الإسلام ككل، وطبعا نسمع نحن مصطلحات وأوصافا مثل: المتطرفين والأصوليين.... إلخ، ونحن عانينا من التطرف في داخل العالم الإسلامي أكثر مما عانى الآخرون، لكن اتخذت الأحداث التي وقعت ـ وهي أحداث مؤسفة ونحن ضدها ـ اتخذت

2 ـ إشكالية الأرضية المرجعية:

من مميزات الحضور الذي يستمع لهذه الورقة، أنه: أولا ينحدر أو قادم من القارات الخمس، ومن مختلف الجنسيات والإثنيات، ولكن الميزة الجامعة لهذا الحضور أنه مسلم أولا وأخيرا.فلماذا نثير هذه الملاحظة، والتي نعتبرها ثاني مسلمة علينا الانطلاق منها قبل الحديث عن أهم التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية ؟

نحن نرى أن تبعات الظرفية الزمنية التي تحدثنا عنها (أي استحقاقات أحداث 11 سبتمبر 2001) أننا بدأنا نشهد تصاعد أصوات إسلامية من داخل المجال العربي والإسلامي تدعو تارة إلى إعادة قراءة القرآن، أو تطبيق منهج الإصلاح الديني على شاكلة ما حصل مع المسيحية، أو تطالب بإقامة أنظمة سياسية تكون علمانية بالدرجة الأولى، وغيرها من الرؤى والقراءات التي سنتعرض لبعضها في باب التحديات الدينية التي تواجه الأمة.

وواضح أن أهم ميزة تجمع بين جميع هذه الأصوات، تكمن في إشكالية المرجعية.إن سؤال المرجعية يحتم علينا أن نحدد أي مرجعية ننطلق منها، مرجعية الله عز وجل أم مرجعية أخرى؟ والتي لن تخرج في الغالب عن مرجعية الإنسان، ومعلوم، بل إنه مُسَلّم به، أن قصة العجز عن رعاية الإنسان لحقوق العدالة الإنسانية الشاملة، عندما يستأثر هو بحق التشريع ورعاية حقوق الإنسان، ليست جديدة، بل هي قديمة قدم الإنسان الذي ركبت فيه نوازع الأنانية وحب الذات، ومنها انبثقت الحاجة إلى أن يتدارك الله الأسرة الإنسانية بالنظام الذي يجب أن تخضع له الشرعة التي يجب أن تستسلم لسلطانها، وتلك هي الحكمة العظمى لضرورة الدين الحق، ولهذا السبب، نرى أنه من الضروري جدا الاتفاق على أرضية صارمة في النقاش، أو مقدمات متفق عليها سلفا، حول إشكالية المرجعية، وطالما لم نتفق على هذه الأرضية، فسوف يصبح من العبث التفكير في الاتفاق على تحديد أهم التحديات التي تواجه الأمة، وبالتالي الاجتهاد في طرح حلول أو مقترحات تصب في مجابهة هذه التحديات.

في تحديد التحديات الكبرى

الإصلاح السياسي، تعديل المناهج الدراسية الدينية، أوضاع حقوق الإنسان، معالجة الفقر، إشكالية التنمية البشرية، طبيعة العلاقة مع الآخر، وخاصة الغربي المسيحي واليهودي...إلخ. عناوين من بين أهم العناوين والإشكاليات التي أصبحت تقام لها ندوات ومحاضرات رسمية وجمعوية داخل وخارج العالم العربي، ولكن بشكل مكثف في حقبة ما بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، مقارنة مع ما كان سائدا في حقبة ما قبل نفس الأحداث، وهنا تتضح مجددا أهمية الانطلاق من أرضية زمنية مُسَلّم بها، تلك التي افتتحنا بها هذه الورقة.

أهم هذه التحديات:

1 ـ تحدي التجديد الديني:

يعتبر تحدي التجديد الديني أحد أهم هذه التحديات، وذلك بالرغم من ثقل مجموعة من الأسباب المنفصلة عن استحقاقات الظرفية الزمنية التي تحدثنا عنها سلفا، تدفعنا لأن يكون هذا التحدي، حاضراً دائماً، خاصة وأن هناك ضمانات ربانية لأن يكون حاضراً باستمرار، وتكون اجتهادات فقهية معاصرة، تقوم على إعمال العقل الفقهي فيما لم يرد فيه من المشكلات نص قاطع من الكتاب أو السنة، ولم يقم عليه إجماع من سلف الأمة.

والواقع أن استحضار هذه المتغيرات يدفعنا لأن نتساءل مع ما ذهب إليه الكاتب المصري نبيل عبد الفتاح، حول مصداقية الحديث عن التجديد الديني أو إصلاح الخطاب الديني في الظرفية الراهنة بالذات، كما لو أن الأمر أصبح ـ في الحقيقة ـ مجرد مشروع لهندسة أمريكية للإسلام ديناً وعقيدة وقيماً وقواعد وموجهات سلوكية وعملية ؟ وأصبح المطلوب، على نفس الأساس، أن ننصاع لمثل هذا النمط من الهندسات

الجديدة المطلوب إدخالها إلى المنطقة كجزء من خطابات الوعظ والتبشير السياسي الأمريكي لدى رموز الإدارة الأمريكية، أو ما يسمى اليوم بالرسالة الأخلاقية الأمريكية في المنطقة.

على أننا نميز هنا بين مجموعة من التحديات والإكراهات نوجزها في منحيين اثنين:

- تحدي التجديد الديني.
- تحدي إعادة قراءة النص القرآني.

قد يبدو الأمر مرتبطا أو متداخلا، ولكننا تعمدنا الفصل بينهما، لأننا ـ بالفعل ـ نفرق بين تحدي التجديد المرتبط دوما بحضور الأمة، والذي تحدث عنه حديث نبوي شريف جاء فيه «أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها [2]». وبين خلفيات هذا الترويج المريب والمفضوح لما يسمى إعادة قراءة النص القرآني، كما تطالب بذلك مجموعة من الأصوات المحسوبة ـ للأسف ـ على العالم الإسلامي، والغريب أن أغلب هذه الأقلام يقيم في دول غربية.

❖ **بين التجديد والتحديث الديني**

وتتخذ هذه الإشكالية عناوين مختلفة من قبيل الإصلاح الديني أو تحديث العقل الديني.والملاحظ هنا أنّ الدارس للكتابات العربية المتطرقة إلى الموضوع (نقد العقل الديني) أو (العقل الإسلامي) أو (العقل المسلم) ؛ لا يسعه إلا أن يقف على قاسم مشترك بين القائلين والمتكلمين والكتاب، يتمثل في اختيار العديد من الباحثين المسلمين لمنطلقات فكرية وعقدية صاغها الاستشراق، ومهدت أرضياتها أسماء لا تمت للعرب ولا المسلمين بأي صلة، وكذلك شأنها بالنسبة للإسلام ديناً وفهماً وأخلاقاً ومعاملات، وعلوماً على الأخص.وبذرة دائمة التجدد لثقافة كونية لم يستوعبها العرب والمسلمون بعد.والحال أن الباحث في المنطلقات والأرضيات أو المقدمات الاستشراقية، والغربية ؛ سيجدها قائمة على علاقة مع الديني

ذريعة من أجل شن الحملة الكبرى على هذا العالم الإسلامي وإنهائه، واتخذت الأساليب التي اتخذت نحو إنهاء الاشتراكية أو الشيوعية، وأنتم تعرفون الكتب التي ظهرت حديثا منذ نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن، وهي كتب أوضحت الأساليب التي اتخذتها جهات أمنية وسياسية غربية، واستخدمت فيها كتابا وأدباء ومفكرين كبارا، كنا نعتقد أنهم مفكرون كبار ـ استخدموا بأسماهم وأعمالهم ـ حتى في مجال الشعر ـ لمواجهة الاشتراكية والشيوعية التي هي إنتاج غربي. فإذا أعلن أن الإسلام عدو بعد الشيوعية أو الاشتراكية أو الاتحاد السوفييتي؛ إذن علينا أن نتخيل نوعية المواجهة الفكرية التي سوف تكون. ومن هنا اتضحت الأمور بشكل جلي جداً.

معظم الإخوة الموجودين الآن شاركوا مشاركة فاعلة وإيجابية في لقاءات الحوار التي تمت مع كثير من المؤسسات العلمية والدينية والسياسية الغربية، وفي الحوار نتحدث ونتبادل الرأي ونختلف ونحل المشاكل ونعلق بعض المشاكل ونتفق على مساحات تترك للمستقبل.... إلخ، لكن في نفس الوقت الذي نتحاور فيه هناك مؤسسات يقال عنها مؤسسات غير حكومية (طبعا أنتم لكم أن تقدّروا) وتمويلات ضخمة جداً ـ باعتراف الغربيين ـ من أجل تشويه الإسلام فى كل مظاهره. وأنتم سمعتم وتسمعون بالأموال التي تُدفع إلى محطات فضائية وغير فضائية، التي تعرقل أي قول محايد من أي مؤسسة إعلامية، والضغط الإعلامي الشديد، ما ينشر على الناس في منطقة لا ينشر على الناس في منطقة أخرى، آثار التعذيب التي حصلت في أماكن كثيرة، وقهر الإنسان ومصادرة حقوقه، وأن المسلم هذا يمكن أن تعمل فيه أي شيء، ولا يكون في ذلك أي اختراق لحقوق الإنسان، وهذا أمر معروف، حتى (فولتير) ومن معه من أهل التنوير عندما كانوا يتحدثون عن الإنسان، وتحصل بعض الأشياء في إفريقيا، يقول لهم: ما رأيكم في هذا؟ يقولون: نحن نتكلم عن الإنسان. بمعنى آخر إن هؤلاء

---

2 ـ رواه أبو داود في سننه (كتاب الملاحم) ـ رقم 4291.

والعقدي لا يجوز مطلقا أن نطبقها على الإسلام والمسلمين.

وبرأي أحد الباحثين، تبقى المنطلقات الاستشراقية بمثابة الجذور المؤسسة التي جعلت العقل الغربي يبدأ أول الأمر بالتنكر لكل ما هو ديني وعقدي ضدا على الكنيسة وإمعانا في مقابلة إذلالها للعقل بإذلال أنكى وأكبر، ثم يعود بعد ذلك إلى مناولة الشأن الديني - بعد أن انكسرت شوكة الكنيسة - بمنطق مادي وجودي يمليه عليه خوفه الشديد والدفين من أن يزل مرة أخرى، فيعيد إنتاج نفس التجربة الفاشلة من جديد .وطبيعي أن مثل هذا الفكر لا يسعه إلا أن يتخذ لنفسه ولرواده مسارا في الاتجاه المعاكس مع هذا الأخير، أي خارج الدين وضدا له، وبالتالي، فإن تدخله في تقييم المعتقدات الإسلامية وإبداء الرأي فيها وفي التراث الفكري المتولد عن رجالاتها وجهابذتها، من السلف الصالح ومن الكفاءات العلمية المعاصرة، والتي لا تقل عن ذلك السلف عددا وعدة، ولا تنقص عنه كماً وكيفاً ؛ ينبغي أن نرفضه نحن المسلمين، من أساسه، لا على رد الدين للغرب المستعمر، أو من قبيل تفجير عقد نقصنا أمام تفوقه وغلبته وفتوحاته العلمية المتتالية والمستمرة، كما يدعي بعض مثقفينا المتغربين، وإنما من باب توخي الموضوعية والنزاهة العلميتين اللتين يتشدق الغربيون أنفسهم باحترامهما، ويعتبرون ذلك أساس تفوقهم وغلبتهم، واللتين تخونانهم يقينا في مثل هذا الموقف، بسبب أحكامهم القيمية والمسبقة تجاه كل ما له علاقة بالدين، والوحي، بالأنبياء والرسل، وبالخلق الأول [3].

> ما مدى مصداقية الحديث عن التجديد الديني أو إصلاح الخطاب الديني في الظرفية الراهنة بالذات؟

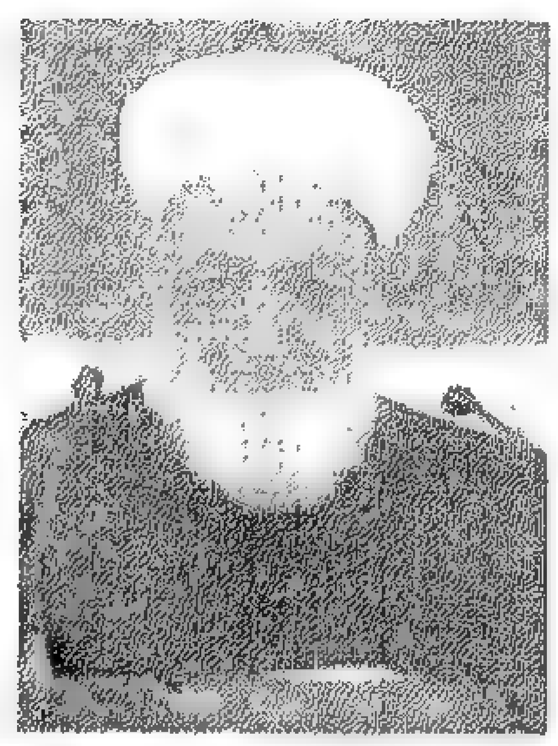
وإجمالا، يبقى التجديد الديني أقدم وأرسخ عمقا في الذاكرة الإسلامية من المطالب الغربية، وخاصة المطالب الأمريكية التي تطالب بالتجديد والتحديث والإصلاح، والتي غالبا ما تأتي في شكل ضغوط على الدول الإسلامية، ونرى أنه من الأفضل لنا أن ننخرط جميعا في معالجة سؤال التجديد الديني، انطلاقا من احترام السنة الإلهية التي تمثل ضمانا لا ضمان يعلو عليه، على رهن قضايا التجديد بضغوط سياسية عابرة، ومرتبطة بأسباب غالبا ما تكون ظرفية ومحدودة الأفق، وقد تخدم مصالح دولة أكثر من أخرى، هذا إن لم تكن رغبة غربية ملتوية تهدف إلى هندسة الإسلام بشكل يروق لهذه الجهات، تحت شعار التبشير بالرسالة الأخلاقية للأمة الأمريكية.إن خطابات الإصلاح والتطوير والتجديد الديني في إطار شامل ؛ تبقى أقدم وأرسخ وأكثر عمقا في تاريخنا الثقافي والسياسي من خطاب الإدارة الأمريكية، بل نجزم بأن مشروع التجديد الديني ليس بدعة ولا حدثا عارضا، وإنما بدأ مبكرا في القرن الثالث الهجري. فتاريخنا التجديدي والإصلاحي ولحظات تألقه وازدهاره كانت ولا تزال تعبيرا عن احتياج فقهي وروحي ومجتمعي وتاريخي، تولد من داخل البنيات الداخلية أساساً، ولم يكن محض تعبير عن ضغوط ومطالب خارجية، وإذا حدث أحيانا فقد كان استجابة لنمطين من المطالبات والمؤثرات الداخلية والخارجية، والأخيرة لم يجد أكابر الفقهاء المجددين حرجاً من التصدي لها بالإبداع الفقهي الأصيل والمتجدد. ولقد سبق للشيخ أمين الخولي أن تحدث عن شرعية اصطلاح (التجديد الديني)، عندما أشار إلى أن «الحديث عن التجديد بدأ مبكراً منذ نحو القرن الثالث الهجري، ولم يبق بعد ذلك مقال لقائل ولا اعتراض لمعترض، ولم تعد فكرة التجديد بدعا من الأمر يختلف الناس حوله فتخسر الحياة ضحايا من الأشخاص والأعراض والأوقات، مما ينبغي أن تدخره هذه الحياة لتفيد منه في ميادين

---

3 - انظر كتاب (تحديث العقل المسلم) للكاتب المغربي محمد عزيز الوكيلي - مطابع رباط نت.الطبعة الأولى - 2004 مسيحي.

نشاطها». نحن إزاء اصطلاحات وأفكار واجتهادات إبداعية كشفت عن عمق وأصالة اتجاهات التجديد في الفكر الديني الإسلامي، وقدرته علي المواكبة وإنتاج الأفكار الخلاقة اجتهادا وبحثا وتأصيلاً ونقداً .

علينا أن نحدد طبيعة التجديد الذي يصلح لعالمنا العربي والإسلامي، وأن نحدد ونتفق على الأرضية والمنطلقات التي نؤسس عليها خطاب التجديد الذاتي، وليس تجديدا مفروضا بالترهيب والتهديد والوعيد، ولهذا كان محقا سماحة الشيخ أحمد كفتارو عندما أشار إلى أن « كلمة التجديد في الإسلام لا تعني تغيير الأحكام الثابتة النابعة من الأصول التشريعية، والإسلام يدعو إلى الفضائل والحقائق الواضحة في حياة الإنسان والكون، ومن يجهل فيدعو إلى محاربة الفضائل والتخلي عن منهج البحث عن الحقائق التي يدعو إليها الإسلام؛ فقد جانب الصواب ودعا إلى الجهالة[4]».



الشيخ أحمد كفتارو

وإذا كان العديد من الباحثين يؤكدون على أن الربط بين الإصلاح والتجديد الديني بضغوط أمريكية وأوروبية، يشكل عائقا نفسيا إزاء تداخل المفكرين أو المشايخ لإعادة التوازن إلى إطار طرح مسألة الإصلاح أو التجديد في الفكر الديني، بحيث أدى إلى شيوع خوف بعضهم من الربط بين الضغوط الغربية وبين مطالباتهم بالإصلاح ؛ لا يجب أن يقف عائقا أمام فتح باب الاجتهاد الديني، والتركيز على مفهوم الاجتهاد في الدين انطلاقا من منطوق الأثر النبوي، وليس التحديث في الدين، لأن القول بالتجديد الديني لا يعني في شيء القول بالتحديث الديني، فالتجديد يكون في الدين، حيث لا توجد ولا يمكن أن تكون هناك قطيعة مع التراث، على عكس التحديث، وكما كان في القارة الأوروبية، حيث جاء

الذين في إفريقيا يحتاجون إلى وقت ليكونوا ضمن رؤية ما يسمى بالإنسان..!!

وعندما كنا نتكلم عن هذا الموضوع كان بعض زملائنا من أهل التحديث ومن أهل الفكر ومن أهل المعرفة العميقة بـ (الفكر الغربي) وما يسمى بـ (الوضع الراهن) للفكر الغربي؛ كانوا يعتقدون أننا من الطبيعي أن نقول هذا الكلام، لأننا مغلوبون على أمرنا ونُنَفّسُ عن حل مشاكلنا باتهام الآخر بهذه الأمور. نعم نحن مغلوبون على أمرنا، وعندنا مشاكل كثيرة، ومشاكل فيما بيننا، وقصور في الفهم...إلى آخر هذه القائمة. ولكن أيضا ـ وبالإضافة إلى هذا الهم ـ هناك الهم الآخر وهو اتضاح رؤية أن الكثيرين من الآخرين لا يقيمون لنا وزنا، ولا يطبقون علينا ما يسمى حقوق الإنسان، واحترام الصدق الإعلامي، واحترام الصدق في القول، والشفافية ..... إلى آخر هذا الكلام. هذه تطبّق ـ إن طبقت ـ على الإنسان (المتحضر) ولكن الإنسان الآخر من الممكن أن تعمل فيه أي شيء، حتى تلحقه ـ بعد ذلك ـ بمستوى الإنسانية المطلوبة.

هذه رؤية تحتاج إلى أن ندافع عنها، ليس من أجلنا ولكن من أجل الإنسان. بمعنى أننا لا بد أن نساهم مع إخواننا ـ في الشرق وفي الغرب ـ في إجلاء الحقيقة، حتى نعيش في مجتمع إنساني متحضر بمعنى الكلمة، وليس متحضرا بالعنوان، ثم يتم فيه الاختراق ولا يعلن عن هذا الاختراق بأي معنى من المعاني .

كتابات ضخمة وكثيرة وممولة ومجلدة وموضوعة على أفضل وأوسع وسائل النشر تقول عن الإسلام قولا لا يمكن أن يقبله أي إنسان غربي قرأ (ألف باء) الحضارة الإسلامية..!! وهم يسيرون في ذلك على أساس؛ أكتب والإنسان الذي لا يعرف شيئا عن الإسلام دعه يعرف شيئا سلبيا عنه.. وهكذا.

القرآن مستهدف استهدافا كاملا، وأنا لا أريد أن ألقي قصائد الرثاء عن القرآن، فالقرآن يحفظه الله سبحانه وتعالى، ولكن يحفظه بجهود المسلمين الذين يجب أن يقوموا بواجبهم نحو القرآن لتوضيحه للناس.

4ـ حوار مع سماحة الشيخ أحمد كفتارو أجراه مراسل جريدة الشرق الأوسط في دمشق في 24/10/1998.

ليكرس قطيعة مع الماضي، وهذا يعني أنه يجوز الحديث عن التجديد في الدين، وليس التحديث فيه.

يرتبط السؤال الثاني بطبيعة التجديد الديني الذي نحن في حاجة إليه، وهذا سؤال يتطلب منا أن نأخذ بعين الاعتبار إشكالية تعدد الخطابات الدينية اليوم، والتي تتفرق على خطابات تتبناها المؤسسة الدينية الرسمية، أو خطابات تنتجها الحركات والجماعات الإسلامية، ويمكننا أن نضيف الخطابات الدينية الخاصة بالأقليات الإسلامية في الدول غير الإسلامية.

فما هي طبيعة التجديد الديني الذي نحتاج إليه أكثر اليوم ؟ هل نتبنى خطة التجديد المؤسساتي الذي تسهر عليه الدول العربية والإسلامية ؟ أم نوفق بين هذا التجديد واجتهادات فقهاء ومرجعيات إسلامية لا تشتغل داخل هذه المؤسسات ؟ وكيف نتعامل مع فوضى الفتاوى التي يعرفها العالم الإسلامي؟

فما هو إلهي يبقى على حاله إلهيا مهما تطورت الأحوال وتقدمت الأزمنة، لأن الزمن والفضاء غيرواردين في حكم كل ما هو إلهي، ومن ذلك كلام الله عز وجل

من بين الأسئلة الحرجة التي لازالت معلقة كلما تعلق الأمر بموضوع التجديد الديني، سوف نكتفي بسرد الأسئلة التالية:

- كيف نتعامل مثلا مع الاستكشافات العلمية التي تتطلب آراء فقهية اجتهادية، منها عمليات الاستنساخ؟.
- كيف نحسم مع الاختلافات القائمة حول الموقف الشرعي من الفوائد المصرفية (البنكية) ؟.
- كيف نتعامل مع النوازل الفقهية الخاصة بالأقليات الإسلامية في الغرب؟.
- كيف نستوعب أن يكون هناك فارق بين أن نعرض أحكام الإسلام بشكل موضوعي محايد، وبين أن يكون التحليل (تعبويا) يدفع الناس إلى اتخاذ مواقف بعينها ويرفض مواقف أخرى هي بين القضايا الخلافية في الإسلام ؟.
- كيف نتعامل مع فوضى الفتاوى التي يعرفها العالم الإسلامي ؟.
- إذا كنا نقفز على هذه الأسئلة الملحة، فكيف نفكر أصلا في ضوابط ومعوقات التجديد أو مدارس التفكير؟.

إن الإعداد الحقيقي لمشروع التجديد الديني الذي نطمح إليه لن يتم - من وجهة نظرنا - خارج دائرة الاجتهاد الجماعي، فبرأي أحد الباحثين: هل من الممكن للاجتهاد في عالمنا المعاصر أن يكون اجتهاداً فرديا ؟ وبعبارة أخرى: هل في الإمكان الاطمئنان إلى جواب شرعي يكون مجموع اجتهادات فردية، وثمرة إعمال النظر الفقهي من الفقيه المجتهد يكون ملزما له، أولا وأساسا بمفرده ؟ فأصناف المعارف بلغت من التفرع والتخصص ما لم يعد في إمكان شخص واحد أن يحيط بكليات تلك المعارف، كما أنه ليس في مكنة فرد واحد أن يحصي أنواع المعارف ومجالات الدرس والبحث، ومن جهة ثانية فإن مقتضيات الوجود الإنساني المعاصر تجعل المرء أمام مشكلات وقضايا تتصل بجوانب عديدة، متداخلة، من شؤون الاجتماع والاقتصاد، وتتعلق بما يقوم بين الناس من علاقات.فإذا انتبهنا - بجانب ما نبهنا عليه - إلى حال المسلمين في عالم اليوم ؛ فإننا نجد ذلك التداخل بين المشكلات الاقتصادية والقضايا الاجتماعية قد أصبح أكثر تشابكا واختلاطا، والحل الخاص بنازلة فقهية معينة، لا يمكن أن يكون - من جهة الشرع وبموجب أحكامه - إلا حيث تكمن المصلحة الفعلية لأهل الإسلام، وذاك معنى القاعدة الأصولية الشهيرة (حيثما كانت المصلحة فثم شرع الله).

ونختم هذه الكلمة حول إشكالية أو تحدي التجديد الديني بتمرير إشارة إلى العقل السياسي

الغربي وممثليه من المفكرين المسلمين الذين يجتهدون في تمرير وجهات نظره بلغة عربية وفقه إسلامي لا يرتبط لا من قريب ولا من بعيد بالفقه الصالح بصلة، فنقول بأن العقل الغربي الذي ينظر إلى المسلمين، وإلى الإسلام من خلالهم، بتلك النظرة من الاستعلاء المصحوب بتلك الإرادة المبيتة في إظهارهم بما يليق به هو نفسه من مظاهر الهمجية والعدوانية ؛ لا يجوز أن يتخذه أي عاقل لبيب مرجعا ومصدرا يعتد بهما في فهم الإسلام وقضاياه، وفي إصدار الأحكام، على المسلمين (وعلى العقل المسلم)، والقول بالتالي إن على هؤلاء أن يتخذوا التجربة الغربية نموذجهم الأدعى بالاقتداء، والعقل الغربي دليلهم في فهم ليس الحياة والكون فحسب، بل في فهم الإسلام نفسه، وفهم الذات المسلمة، في حين أنهم (المسلمون) هم حاملو الرسالة ودعاتها الأجدر بالاقتداء والاتباع، ولكن، شريطة قبولهم ـ بعد طول تلكؤ وتردد وإحجام ـ بفكرة تجديد العقل وتحديثه بالصورة التي تجعلهم قادرين على مناطحة العقل الغربي على جميع الأصعدة.

❖ **نحو إعادة قراءة النص القرآني**

نأتي لما نعتبره بحق أهم هذه التحديات على الإطلاق، ونتحدث عن تحدٍّ يحمل عنوان (إعادة قراءة القرآن)، ونؤكد ـ لأهمية وخطورة الموقف ـ أن الأمر يتعلق بتحدٍ عظيم يعلو على جميع التحديات السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها، لأنه يمس النص الديني (القرآن الكريم) الذي يميز المسلم عن غيره، وسوف نكتفي بسرد مثال واحد فقط، يبرز خطورة ما يروج له في الكواليس الغربية والعربية ضد هذا النص المؤسس.

بتاريخ 10 و11 من شهر الكانون (ديسمبر) 2004، احتضنت مؤسسة فكرية في مدينة الدار البيضاء المغربية، ندوة فكرية دولية تحت عنوان: (من تفسير

تحفيظ القرآن من الأشياء المهمة، رغم أن بعض الناس يقول: لا تحفظ القرآن لأنه لابد أن يفهم الإنسانُ القرآنَ قبل أن يحفظه. ومعروفة أهداف هذا التوجه !! كيف ؟؟ الحمد لله أننا نجد ـ في أنحاء العالم الإسلامي، العربي وغير العربي ـ أن الذين يحفظون القرآن الكريم أكثر عددا من أي عصر من عصور تاريخ الأمة الإسلامية، وهذا فيه شيء من حفظ القرآن الكريم.

الجانب الآخر: الحرص على أن تكون هناك مؤسسات وجامعات ومدارس للمحافظة على القرآن الكريم، والمحافظة على القرآن في لغته وفي ترجمة معانيه على أوسع نطاق ممكن.

وفي تصورنا أنه لو اطلع الناس على هذا القرآن لكان ذلك أمراً في غاية الأهمية، وفي غاية الوضوح، وفي غاية الشفافية.. بالنسبة للناس جميعاً.

إخراج أي آية من القرآن خارج سياقها هو الذي أوجد التطرف عندنا (بين المسلمين) والقصور في الفهم، وعدم الوضوح، ثم يزكى ذلك الاستشهاد ببعض المواقف التراثية التي تروج لتلك الفكرة أو هذه. القرآن يؤخذ ويفسر بعضه بعضا، ولا نقتصر على كلمة واحدة أو نقطة واحدة ونقول إنه القرآن. والآن هناك كُتّابٌ عرب ومسلمون يُدافَعُ عنهم، ويُدعمون بكل أنواع الدعم؛ لكي يرددوا هذا القول الذي يقوله الغربيون، حتى يرسخ بين أجيالنا، ناهيك عن المترجمين.

ونحن ـ لحسن الحظ ـ معنا في هذا اللقاء كبار الذين ترجموا معاني القرآن للغات أوربية حية، وتحدثوا في مقدمات ترجماتهم عن الكيد الفعلي والمقصود في الترجمة لتوصيل المعنى غير العلمي لقارئ القرآن بتلك اللغة. ونراهم بعد ذلك يتحدثون عن الموضوعية العلمية !! وهناك فضائح كثيرة وكبيرة جدا من كبار أولئك الذين يكتبون عن القرآن من أجل تضليل الناس، وهنا يجب علينا أن ننقد العلماء الغربيين من هذه المتاهة التي وضعوا فيها.

وللأسف بعض الناس مثل (برنارد لويس) الذي تحدث عنه بعض الإخوة في الجلسة

القرآن إلى القراءات الحديثة للظاهرة القرآنية) [5]، وقد صنفت الكراسة أنواع التفاسير أو القراءات إلى ثلاثة أنواع:

1 ـ القراءات التي تواصل العمل بالتقاليد الإسلامية للتفسير، حيث تطلق الكراسة على هذه التفاسير التي تشمل التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي والتفسير الصوفي وغيرها ؛ وصفا آخر هو (التفسير الأرثوذوكسي).

2 ـ القراءات التي تعد امتدادا للتقليد الاستشراقي.

3 ـ القراءات التي أنتجها مسلمون مدركون لمأزق التفسير التقليدي، والذين يحاولون إخضاع النص القرآني لأدوات ومناهج القراءة الحديثة، مع الاعتراف به كنص مؤسس لدين استطاع أن يتجاوز حدود الزمان والمكان والثقافات.

اختار عدد من الباحثين المسلمين منطلقات فكرية وعقدية صاغها الاستشراق

ثم قامت الكراسة بعد ذلك باستعراض ما وصفته بـ (مآزق التفاسير التراثية)، مؤكدة أنه ـ لأسباب تاريخية ـ هيمن اتجاه تفسيري محدد على غيره، وهمشت خيارات تفسيرية من قبل التفسير الفلسفي للفخر الرازي أو التفسير الاعتزالي للزمخشري (القرن 12 المسيحي) وكذا مختلف القراءات الصوفية.وبرأي الكراسة، فقد طرح التفسير التراثي اليوم ثلاث مشكلات إبستمولوجية على الأقل:

ـ اتساع حقله المرجعي..فالتفسير التراثي لا يكتفي بإدراج النص القرآني ضمن مرجعيته، بل يضيف إليه أيضا كل الإنتاجات الثقافية التي تلته، ويتعلق الأمر على وجه الخصوص بالنصوص الثانية التي يرتبها وفق تصور كرونولوجي (الأحاديث النبوية وأخبار وأقوال الصحابة والتابعين).

ـ تتعلق المشكلة الثانية بالغاية من التفسير نفسه، فالقراءة التراثية تقعيدية معيارية، تعبىء المصادر اللغوية والأدبية والتاريخية بهدف استنباط القواعد الفقهية والعقدية بالأساس، وهذه ـ في الواقع ـ مقاربة براغماتية وظيفية، تفرض إجماعا مذهبيا مؤداه هو توظيف النص وإفقار التجربة الإيمانية التي هي محور علاقة المؤمن بالنص القرآني، وإفراغها من التوتر الناجم عن مسعى المؤمن وتساؤلاته الملازمة لكل حالة إيمانية.

ـ وفيما يتعلق بالمشكلة الثالثة، فتبقى لصيقة بمفهوم المعنى، على اعتبار أن التفسير التراثي ينطلق من فكرة وجود معنى واحد وأصلي أودعه الله في النص وأوحى به إلى نبيه. والحال أن هذه المقاربة أنتجت تفسيرا ذا مشروعية مؤسساتية، تحول مع مرور الزمان إلى عائق دون نفاذ المسلمين المعاصرين إلى النص القرآني.

نحن لا ننكر أن مجموعة من الأحداث والمستجدات العاصفة التي شهدها العالم خلال السنين الأخيرة حاضرة بثقلها في أغلب المبادرات الداعية مثلا إلى

5 ـ عرفت الندوة مشاركة نخبة من المفكرين العرب والمسلمين، وقد تمحورت المداخلات حول العناوين التالية: (البناء الاجتماعي للحقيقة: من المصحف إلى المتون الرسمية المقفلة ـ محمد أركون).و(المقاربة التاريخية النقدية في فهم النص القرآني ـ ألفريد لويس دوبريمار) و (ما الحاجة إلى تفسير جديد للقرآن؟ ـ المنصف عبد الجليل) و(الاتجاهات الحديثة للتفسير على الصعيد الدولي ـ جان دامن ماكوليف ـ جامعة جورج تاون ـ واشنطن) و (أوامر إلهية أم أخلاقية قرآنية؟ ـ عبد الفيلالي الأنصاري) و(القرآن: من النص إلى الخطاب ـ نصر حامد أبو زيد) و(فلنقرأ ـ يوسف صديق) و(القراءة المعاصرة من التساؤل الحرج إلى البناء العلمي ـ فيصل العوامي المشرف العام على مجلة «القرآن نور» القطيف) و(البحث عن المعنى الضائع للقرآن: بين أحكام المؤسسة وشؤون الفرد ـ ألفة يوسف ـ المعهد العالي لأطر الطفولة، تونس) و(في بنية ومستويات النص الديني في الإسلام ـ المختار بنعبلاوي ـ جامعة الحسن الثاني.الدار البيضاء) و(الاستخدام السياسي للنص القرآني في الفكر الإسلامي المعاصر ـ محمد الشريف فرجاني).

تعديل المناهج الدراسية أو إعادة النظر في طبيعة الاجتهاد الذي تحتاج إليه أكثر الأمة الإسلامية، وغيرها من المبادرات والدعوات التي يربطها البعض بضغوط أمريكية مباشرة على الدول العربية والإسلامية. هذه معطيات ميدانية وموضوعية يصعب تجاهلها، ولكن حتى لو تركنا جانبا ثقل هذه الأحداث وإكراهات الضغوط الأجنبية، وفي مقدمتها الضغوط الأمريكية، فكيف نتعامل نحن كمسلمين مع الأصوات سالفة الذكر التي تدعو إما إلى إحداث قطيعة مع النص الديني المؤسس عند المسلمين أي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، أو عبر تقزيم حضور هذا النص، أو بكلمة، تدعو إلى نزع القداسة عن القرآن؟!.

وكما كان منتظرا، فقد ركزت المداخلات على إبراز حاجتنا إلى ما يسمى بـ (القراءات الجديدة) للقرآن، وهي قراءات ـ كما أشارت العديد من المنابر ـ تقتفي أثر بعض المستشرقين المغرضين، الذين سعوا إلى إثبات (تاريخية النص القرآني)، والتعامل معه باعتباره نصا نشأ في ظروف تاريخية، وإخضاعه لما يسمونه بـ (المناهج الحديثة) بما يعنيه ذلك من إسقاط كل ما راكمه المسلمون من علوم وآليات منهجية في فهم النص القرآني وتفسيره. ونتيجة هذه القراءات هي نزع القداسة عن القرآن الكريم، والتعامل معه على أساس أنه نص ديني اجتماعي وجب أن يخضع للنقض والنقد، وثانيا إفراغه من أي معنى محدد أو دلالة محددة، وجعله قابلا لكل المعاني حسب رغبة كل قارئ، إذ أن لا تناهي معانيه، معناه أنه لا معنى له، وهذا عين النقد الصارم والصادر عن الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن في المحاضرة القيمة التي جاءت تحت عنوان (الآيات القرآنية والقراءات الحداثية)[6]، وقد اتضحت ذهنية نزع القداسة ونزع المعنى الذي حامت حوله ندوة الدار البيضاء من خلال حيثيات الكراسة التعريفية بالندوة، عندما نوهت بالمستشرقين الأولين

الافتتاحية، والذي كتب كتابات يقول إنه كتبها قبل الأحداث ـ وقد كتبها بعد أحداث 11 / 9، أو كُتبت له ـ وينادي فيها ليس فقط بالمواجهة الثقافية مع القرآن ومع المسلمين ولكنه ينادي بالمواجهة العسكرية، لأنه صهيوني من كبار الصهاينة، وهو الذي أشرف على تحرير الموسوعة الجديدة للعالم الإسلامي (انسكلوبيديا الإسلام)، وتعلمون أن له صفات أخرى سيئة، ولكن من بين أسوأ الصفات أن تتخذه بعض الدول الإسلامية مسؤولا عن مراجعة مناهجها وتحديثها، حتى يرضى عنها الغرب، وتدفع له الملايين من أجل ذلك، ليكون لوبي لمصلحتها. بمعنى آخر إننا يجب أن ننتبه إلى أننا لا نواجه تفسيرا للقراءة الغربية للقرآن الكريم من طرف الآخر، ولكننا نواجه اختراقا للآخر في داخل صفوفنا.

نحن في المؤتمر العام للقيادة الشعبية الإسلامية العالمية الذي عقد خلال الأسبوع الأخير من شهر الحرث (نوفمبر) 1374 ـ 2005 من بين الأمور الكبيرة التي أحسسنا بها قضية تشويه القرآن ومحاولة تغييره، وفرض ـ على المسلمين ـ عدم قراءة آيات معينة في الاحتفالات، وعدم قراءة بعض الآيات القرآنية للتلاميذ في المدارس، وشطب الكثير من المصطلحات الإسلامية... وفي واحدة من الدول حدثنا الإخوة عن أن (سورة الأنفال) و(سورة التوبة) لا وجود لهما، وإذا طبع القرآن بالنسبة للمؤسسات العلمية يجب أن لا تكون في تلك الطبعة هاتان السورتان. يعني.. هناك أشياء عجيبة..!!. وفي الحقيقة فإن هناك تشنجا كثيرا عند الرؤية الغربية.

بالنسبة للحوارات التي نعقدها مع إخواننا، وهي جيدة، ومع أناس محترمين، ولهم رأيهم، ونحن لنا موقفنا. وأحب أن أشير إلى أننا لا نطلب من الآخر أن يتوافق معنا في كل شيء، لكننا نحترم آراء بعضنا. ولا يخفى عليكم أن الحوارات جيدة، وهي أفضل من الأساطيل والتعذيب والسجون للمسلمين، واحتلال العالم الإسلامي، وإن كنا قد نُمنّى بذلك إذا كانت

---

6 ـ انظر نص تغطية محاضرة طه عبد الرحمن أنجزها منتصر حمادة في جريدة القدس العربي،لندن،20/12/2004.

الذين تجرؤوا فكسروا «الطابوهات والأفكار المسبقة التي أحاطت بقراءة النصوص المقدسة عموما والنص القرآني خصوصاً». وتضيف الكراسة أن « المعنى وفق المنظور الحديث، هو ثمرة علاقة جدلية معقدة بين القارئ والنص، ضمن محيط اجتماعي وثقافي وتاريخي ونفسي، فمعاني النص ـ سواء أكان نصا مقدسا أو غير مقدس ـ لا توجد مودعة فيه بمقتضى مقاصد مؤلفه، بل تتولد باستمرار، من خلال العملية التأويلية التي تمثلها القراءة المحكومة بنسبية مداركنا وتنوع تجاربنا، فتكون المعاني بذلك متغيرة ونسبية باستمرار». وهذه أمور متوقعة من قبل محاضرين يمثلون مدرسة واحدة، ومقاربة واحدة في النظر إلى القرآن الكريم وقراءته، ومعركتهم تكاد تكون واحدة ووحيدة هي نزع المعنى والقداسة، وذلك معناه في التطبيق نزع مركزيته ومرجعيته في حياة المسلمين، وهذا ما اتضح جليا للحضور عندما ادعى أحد المحاضرين بأن «الوحي القرآني لم يعد منتجاً للحقيقة !».

والذي نرى أنه لا يجوز بأي حال من الأحوال أن يتحول إلى شأن اجتماعي تاريخي معرفي مرهون بزمان النزول وظروفه، وبالتالي قابل للمراجعة والتعديل والتغيير متى تقدم الزمن وتغيرت الظروف، أي أن يتحول إلى مجرد تراث لمجرد ارتباطه بمصير الإنسان، واتصاله بفهم هذا الإنسان لذاته ولما حوله. وهذا هو الفهم الذي يريد البعض أن يجرنا إليه بطرق خطابية مختلفة، يعلن فيها بأن قدسية النص المنزل إنما هي من صنع العقل، وبالتالي ففي وسع العقل أن يتدخل فيها بالتخفيف ثم بالإلغاء، فيصبح النص إنسانيا اجتماعيا وتاريخيا، وبالتالي قابلا، كما التراث، للتعديل والتغيير أو النسخ أو التعطيل، وما دام قد تحول بعد الزوال إلى جزء من التراث ؛ فقد بات معرضا لأن يتجاوزه الزمن وتتخطاه تحولات المجتمع الإنساني، وتغض عنه الطرف قضايا الإنسان الحديث وانشغالاته بالغة التطور. وهذا منظور مغلوط من أساسه، لأنه أصلا قائم على مقدمة باطلة. فما هو إلهي يبقى على حاله إلهيا مهما تطورت الأحوال وتقدمت الأزمنة، لأن الزمن والفضاء غير واردين في حكم كل ما هو إلهي، ومن ذلك كلام الله عز وجل النابع من حكمة وعلم وخبرة ومشيئة ربانية، متصفة جميعها بالإطلاق. ومن ثم فما يطاله التغيير أو النسخ أو التعطيل هو تمثل العقل لكل ما هو إلهي، وهذا على الخصوص، في الأمور المحكمة التي لا علاقة لها بالحلال والحرام.

إذا كنا نقفز على الأسئلة الملحة فكيف نفكر أصلاً في ضوابط ومعوقات التجديد؟ أو مدارس التفكير؟

قواسم مشتركة

تلك إذن هي القواسم التي يشترك فيها ـ لسوء الحظ ـ المفكرون العرب والباحثون الحداثيون (7)

---

7 ـ إعلان باريس حول سبل تجديد الخطاب الديني بدعوة من مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، انعقد بباريس يومي 12 ـ 13 هانيبال (أغسطس) 2003 مسيحي، (اللقاء التشاوري حول السبل العملية لتجديد الخطاب الديني)، بين نخبة من المفكرين والباحثين والمدافعين عن حقوق الإنسان من 8 دول في العالم العربي (نحو ثلاثين مفكرا وباحثا وحقوقياً)، وعبر ست جلسات، قدمت أوراق عمل أساسية للكتّاب: أحمد عبد المعطي حجازي، د.الباقر العفيف، جمال البنا، صلاح الجورشي، د.فيصل دراج، د.نصر حامد أبوزيد. وقد دار الحوار حول هذه الأوراق شفاهة تارة وبالتعليق المكتوب تارة أخرى، في مناخ من الجدية والالتزام والعمق، والشعور بالمسئولية الحقة بين المفكرين والباحثين الذين كانت مشاركتهم تعبيرا عن ذواتهم الفكرية الفردية لا تعبيرا عن أحزاب أو هيئات أو جماعات منظمة.
وتتلخص المستخلصات الأساسية لهذا اللقاء في النقاط التالية:

والتي تجعلهم يمارسون في كتاباتهم وخطبهم أشكالا شتى من المراوغة، ليقنعوا المتلقي بنفس الأحكام المستقاة من المصادر الغربية ذاتها، مجتهدين في تقديم ذلك بلبوسات متنوعة تذهب إلى تجريد النص المنزل في قدسيته، باعتبار هذه القدسية عملا إنسانيا يضفي صفة المناعة والثبات على النص المذكور، كالقول بأن النص لا يعود إلهيا بمجرد نزوله، بل يصير عنصرا اجتماعيا وتاريخيا، وإنسانيا بالتالي، بما يضفيه عليه العقل من الفهم، وبذلك يصبح جزءاً من التراث، وقابلاً للمراجعة والتحديث، شأنه في ذلك كشأن باقي النصوص الوضعية ذات العلاقة بالإنسان والمجتمع والتاريخ.

الأمور سائرة على هذا الطريق، وهي التصريحات السياسية على هذا الطريق.

أردت أن أشير إلى أن أحد كبار المحاورين المسيحيين ـ وليس متدينا ـ قال لي: أنتم يجب أن تنظروا نظرة علمية للتراث الخاص بكم، قلت له: نحن قلنا في تراثنا أكثر مما قلتم أنتم فيه، لكن فيما يتعلق بالقرآن وشخصية الرسولﷺ فهذه أمور أنتم تبالغون فيها كثيرا. فقال: أنا أريد أن تكون منفتحا أكثر. قلت: كيف ؟ قال: القرآن الكريم مثل العهد الجديد، نحن كنا منغلقين ـ مثلما أنتم منغلقون الآن ـ قبل أن نتقدم في هذا العالم. قلت: نفترض أنكم تقدمتم. قال: ليس مطلوبا أن تشطب الإصحاحات أو الآيات، ولكن المطلوب أن يعاد تفسيرها، ولا يُنظر إليها إلا وفقا للتفسير المعاد. قلت له: وضّح.. فلست أفهم ما تعني ؟! وكنت أعرف ما ذا يقصد وإلى أين يريد أن يصل، ولكنني قلت له أوضح. قال: نحن عندنا في المسيحية مسؤولية اليهود عن دم السيد المسيح، وهذه كانت تمثل مشكلة بالنسبة للسلام العالمي والتوائم بين الثقافات.... الخ، وبُذلت جهود كبيرة من قبل المنصفين والعلماء.... وتجد المسيحي الآن يقرأ الإنجيل ويفسر في ذهنه ـ وهو يقرأ ـ أن اليهود ليست لهم علاقة بدم المسيح....

قلت: هذا ممتاز، يعني أنتم عندكم الإنجيل وهو روايات وليس كلمة الله كما جاءت لنبي الله عيسى عليه السلام، أما نحن فعندنا أن القرآن نزل على محمد رسول اللهﷺ وليس فيه إدانة لأي أحد، وإن وجدت هذه الإدانة فهي إدانة لغير الصالحين من أهل تلك الأديان، وحتى الذي تحدث فيه القرآن عن الكافرين ـ من المسيحيين أو اليهود ـ نجد أنه منسجم ومتفق مع وجهة نظر الوحي الذي جاء إلى اليهود وإلى المسيحيين، أو أنه ليس مقصودا به أمة كاملة، وليس موضوعا عدائيا عنصريا مثل ما عندكم أحيانا.

النقطة الأخيرة التي أحب أن أقولها في نهاية هذه الكلمة، وأتوجه بها ـ أنا شخصيا ـ إلى إخوتي العلماء في الغرب، وصانعي القرارات

الاتجاه الأول: يرى أن القرآن فيه كل الإجابات، وأن قراءة سليمة صحيحة للدين ستكشف عن أن القرآن زاخر بالتجديد والحرية والعقل والتقدم والعدالة والشورى واحترام الآخر، فهو عقيدة وشريعة.

الاتجاه الثاني: يقول بتاريخية النصوص، وضرورة الاجتهاد على كل مستويات قراءة النص. فالمعاني لا تعطي ذاتها للقارئ وإنما يتم استنباطها على ضوء التجربة التاريخية، حيث إن النص القرآني ذاته استعمل لغة التاريخ.ومن ثم تصبح كل قراءة ممكنة مرهونة بالتاريخ المعطى، حيث تتجلى ضرورة إخضاع التفسيرات الموروثة للنقد باعتبار أنها القراءة الخاصة بزمانها، وذلك على ضوء معاشنا الراهن ومعطيات حياتنا المعاصرة.ويدعو هذا التيار إلى الدولة العلمانية التي لا تعني نفي الدين أو التناقض معه وإنما تطلق إمكانياته الروحية الكامنة من عقال القراءات الزمنية وأسر التوظيف السياسي والانتهازي.وفي نفس الوقت تصبح المرجعية في شؤون السياسة والتشريع مدنية لا دينية.

الاتجاه الثالث: يقوم على أساس الفصل بين (الدين) و (الفكر الديني).حيث الأول مقدس إلهي لا يمس، بينما الثاني بشري يخطئ ويصيب ويتغير بتغير العصور والحاجات الإنسانية المتحولة.



قراءة في موقف بعض علماء الاجتماع وبعض المقررات الدراسية في الغرب

أ.د. نبيل السمالوطي *

القرآن الكريم هو كتاب الأمة الإسلامية والموجه للناس أجمعين، الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة الناس إلى عبادة رب الناس، ومن سيادة الظلم والتسلط والغطرسة المادية أو الطبقية أو العرقية أو الثقافية إلى ممارسة العدل والحرية والمساواة، من الصراع الطبقي والاقتصادي والسياسي والحروب العسكرية المدمرة بين البشر على مصالح دنيوية خاصة محدودة وزائلة، إلى المجتمع الذي يسوده التكافل والتراحم والمودة والرحمة.

وللإسلام بمصدريه الأساسيين (القرآن الكريم والسنة المطهرة) منهجه في إصلاح الأرض بعد فسادها، ومنهجه في مواجهة المشكلات الاجتماعية، ومنهجه المتميز في إطلاق طاقات التنمية وتحويلها إلى خطط وبرامج تحقق أقصى درجات القوة الإيمانية بمعيار الكتاب والسنة، والقوة المادية والعلمية والتقنية والاقتصادية والعسكرية بمعيار العصر، والقوة الاجتماعية والسياسية بالمزاوجة بين ثوابت الإسلام وضوابطه التي لا تتغير (البناء العقدي والقيمي والأخلاقي والتشريعي) وبين المتغيرات التي تحقق المزيد من القوة الاجتماعية والسياسية بمقياس كل عصر (مجالس تشريعية، مؤسسات غير حكومية، مؤسسات تربوية وتعليمية تتسم بالجودة الشاملة، نظم إدارة لها القدرة على تحقيق الأهداف وتحقيق العدالة وتنمية منظومة القيم الإنسانية...إلخ).

وقد تنبه الغربيون إلى عظمة القرآن الكريم، وإلى أن هذا القرآن حقق أسرع تغير اجتماعي في تاريخ الإنسانية كلها، من خلال نقله إلى عالم الناس عن طريق محمد ﷺ، وتطبيقه منهجًا وفكرًا وقيمًا وغاية. كان الرسول ﷺ قرآنًا يمشي على الأرض، ومجموعة المؤمنين الذين حرص على إعدادهم في مدرسة النبوة، سواء خلال مرحلة الدعوة الشخصية خلال السنوات الثلاث الأولي من الرسالة، أو مرحلة الدعوة الجهرية بعد ذلك وعلى مدى عشر سنوات في مكة المكرمة وقبل الهجرة إلى المدينة، ثم من خلال دولة الإسلام التي تأسست بعد الهجرة..من خلال هذا الجهاد الطويل القاسي ضد مشركي مكة ومشركي الجزيرة ويهود المدينة والمنافقين بها ؛ استطاع محمد ﷺ بالقرآن نقل الناس من قبائل متصارعة متناحرة، ومن رعاة للإبل والشاة إلى صناع

-----

* باحث وأستاذ جامعي / مصر

حضارة وصناع لأمم وشعوب متحضرة متقدمة، قادرة على إدارة العالم وقهر القوى الكبرى المتغطرسة، التي تكرس الظلم والفساد والإفساد في الأرض.

تنبه مفكرو وفلاسفة الغرب إلى أن القرآن الكريم دستور يصنع مشروعًا حضاريا إنسانيا يحقق القيم العليا، وهي قيم السماء لهداية الأرض.قيم الحق والخير والجمال والعدل والمساواة والتراحم والرحمة.هذا يعني أن المشروع الحضاري الذي يتبناه القرآن الكريم يتصادم مع مصالح دول الغرب، وهي مصالح استعمارية، رأسمالية، مؤسسة على إعلاء قيم الفردية، والنفعية، والبراجماتية، دون نظر لمصالح الآخرين، ودون نظر لمنظومة القيم الدينية كالعدالة والمساواة أو حقوق الإنسان. فالأهم في نظر منظومة الحضارة الغربية، المصالح الخاصة الفردية، ومصالح الصفوات أو النخب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الحاكمة، دون النظر إلى مصالح الجماهير. ودون النظر إلى القيم الإيمانية والأخلاقية والتشريعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي جعل منها القرآن الكريم ثوابت يجب الحفاظ عليها، والاسترشاد بها عند كل تحرك أو توجه أو تنمية أو فعل اجتماعي.

هنا بدأ الصراع بين منظومة القيم التي يرسيها القرآن الكريم وبين منظومة قيم الغرب ومصالح الطبقات العليا أو الصفوات الحاكمة والمسيطرة داخله.تمامًا كما بدأ الصراع بين منظومة القيم الحضارية التي أرساها القرآن الكريم، وبين قيم وأهداف ومصالح مشركي مكة ومشركي الجزيرة ويهود المدينة ويهود خيبر وقادة الغساسنة والفرس والروم قديمًا.

على هذه الخلفية نستطيع تحليل رؤية الغرب للقرآن الكريم وإقامة منظومة لدراسته، مع تحليل السنة النبوية والثقافة الإسلامية، بهدف فهمها والإلمام بها أولاً، ثم بهدف تشويه ما جاء بها وإيراد العديد من الشبهات والشائعات، التي تحول دون انتشار الإسلام الذي يمثل التحدي الأكبر ضد الأطماع والمصالح الاستعمارية والانتهازية والرأسمالية المتوحشة الراغبة في أمرين:

1 ـ استنزاف ثروات المسلمين والسيطرة عليها.

الثقافية في الغرب؛ هي أنه إذا كان صحيحا أنهم يقولون ما يقولون من أجل مواجهة الإرهاب والتطرف، فإن هذا الطريق الذي ارتضوه أخيرا، وهو مواجهة القرآن الكريم، هو الذي سوف يوجد تطرفا لم يأت في شكله تطرفٌ قبل هذا، وأنهم يقومون بهذا العمل وكأنهم يعملون لدى المتطرفين ولدى الإرهابيين، لأن الإرهابي إذا كان عنده فهم خاطئ للتراث الإسلامي، وتحرك وفقا لذلك خارج إطار الأمة وخارج قرارات الأمة؛ فإن مواجهة القرآن الكريم وشخصية رسول الله ﷺ من طرف الغربيين أو من طرف الآخرين؛ أقول إن هذا سوف يحول كل المسلمين إلى المواجهة العملية الواضحة، مثل ما تمت المواجهات في السابق ضد الاستعمار وضد الصليبيين وضد التتار وغيرهم....

ومعنى هذا، أن الذي يقوم بهذا العمل لا يريد ـ ولعل هذا هو الصحيح ـ حلا للمشكلة، ولكنه يريد تأزيما للمشكلة لأهداف عسكرية وأمنية تخص الغرب أو تخص آخرين في غير الغرب.

ولذلك فإننا عندما نعقد هذه الندوة العلمية، التي ليس فيها، ولا يفترض أن تكون فيها، رؤى مسبقة تكون أحادية الجانب، بالنسبة لتوضيح هذه القراءة الغربية للقرآن الكريم، ومدى مصداقيتها، ومدى إيجابيتها أو سلبيتها. هذه الندوة في تصورنا ـ ونسأل الله سبحانه وتعالى أن تكون كذلك ـ هي من أجل مساعدة كل الناس، وليست من أجل مساعدة المسلمين ضد غيرهم من الناس أجمعين. لا.. هذه لكل الناس، من أجل فهم المسلمين وقرآنهم، ومن أجل فهم واضح لكل الثقافات ولكل الحضارات. ونحن لا نستطيع في هذا العالم أن نعيش في سلام وفي استقرار، وفي فهم مشترك وعيش مشترك، وتبادل تجاري واقتصادي وسياسي مشترك؛ إلا إذا كان هناك الاحترام المتبادل الذي يقوم على فهم صحيح ومشاركة صحيحة لكل الثقافات والحضارات التي أعطت و لها ما تعطي في هذا العصر.

2 ـ منع انتشار قيم الإسلام ومبادئه وأهدافه في أوروبا وفي العالم، تلك القيم والمبادئ التي تحمل مشروعًا حضاريا يعلي من مبادئ الحق والعدل والإخاء وحقوق الإنسان.

والمشروع القرآني الإسلامي يتصادم مع مشروع الهيمنة الغربية ومحاولة استنزاف ثروات الآخر، المسلم وغير المسلم، تحقيقًا لمصالح وجشع نخب محددة في العالم الغربي.

هنا ظهرت حركة الاستشراق، كما ظهرت حركة لنقل القرآن الكريم إلى لغات الغرب، بل وتفسيره من قبل مجموعة من المستشرقين. ولهذا نجد (نكلسون) المستشرق الإنجليزي، و(ماسينيون) الفرنسي، و(جولد تسيهر) الألماني الذي قام بتفسير القرآن الكريم. كما نجد غيرهم الكثير. وهنا كان لعلماء الاجتماع في الغرب دورهم في دراسة الإسلام ودراسة القرآن والسنة. البعض كان محايدًا، والبعض الآخر كان متعصبًا ضد الإسلام ومصادره بصورة خفية، والبعض أعلن العداء الصريح للإسلام. وقد وصل الأمر بمفكري الغرب إلى محاولة القضاء على القرآن الكريم (النص الإلهي الأصلي)، وترويج كتب هزيلة على أنها بدائل عن القرآن، أو على أنها هي القرآن، ولعل أبرز الأمثلة وأحدثها ما وزع من جانب أمريكا في بعض دول الخليج، وتم الترويج له تحت ما يسمي (الفرقان الحق). هذه المحاولات هي محاولات مستمرة من جانب أعداء الإسلام والحاقدين عليه، والذين يسوءهم انتشار قيم العدل والحق والإخاء؛ لأنها تضر بمصالحهم المتوحشة، وقد بدأها مسيلمة الكذاب في نجد، ولا نتوقع أن تنتهي حتى تقوم الساعة. فالحياة كما أخبرنا عنها القرآن الكريم تقوم على التدافع بين الحق والباطل، وسوف ينصر الحق بإذن الله.

وموقف بعض علماء اجتماع الغرب من المستشرقين الذين عالجوا قضايا الإسلام تحتاج إلى تجلية وتوضيح، فمنهم المحايدون والمنصفون، ومنهم المنحازون والضالون والمفسدون: هذا سوف يمثل الجزء الأول من البحث الحالي.

أما الجزء الثاني فيتمثل في كيفية تدريس الإسلام في الغرب، وكيفية فهم آيات الذكر الحكيم، وكيفية تشكيل اتجاهات الطالب الغربي نحو الإسلام والمسلمين. وهذه قضية بالغة الخطورة، لأن العديد من كتب ومناهج التاريخ والاجتماع والدراسات الثقافية التي يدرسها الطالب في الابتدائي والإعدادي والثانوي في دول أوروبا وأمريكا؛ بها العديد من المعلومات المشوهة والمغلوطة حول الإسلام، وحول النبي ﷺ، وحول أهداف وقيم وسلوكيات المسلمين. ولا شك في أن خطورة هذا التزييف الواضح ـ سواء المقصود أو غير المقصود ـ في المناهج التي يدرسها الطالب الغربي: تتمثل في تكوين وجدانات واتجاهات ورأي عام معادٍ للإسلام والمسلمين لدى كل الناس في الغرب، دون داعٍ ودون وجه حق، الأمر الذي ينعكس سلبًا على كل قضايا وما يهم المسلمين في العالم، اعتبارًا من قضايا فلسطين والعراق وأفغانستان والعالم العربي، إلى قضايا وحقوق الجاليات الإسلامية في الغرب. ولا شك في أن هذا الموقف المعادي للإسلام والمسلمين يؤثر على العلاقات والمعاملات بين دولنا الإسلامية والغرب، وفي مقدمة هذا حوار الأديان، وحوار الثقافات، والحقوق الاقتصادية والقضايا الوطنية.

تنبه مفكرو وفلاسفة الغرب إلى أن القرآن الكريم دستور يصنع مشروعًا حضاريا إنسانيا يحقق القيم العليا.

ولعل أبرز جوانب الزيف والتشويه في كتب ومقررات التاريخ التي تدرس لطلاب أوروبا، كما عبرت عنها دراسات واقعية أجريت خلال السنتين الماضيتين. وعرضتا في مؤتمر عقد بجامعة الدول العربية في شهر الكانون (ديسمبر) 2004 مسيحي:

1ـ الإسلام ليس دينًا سماويا، وإنما هو ثقافة من الثقافات المتعددة في عالم اليوم (هذه النقطة تنسف أية محاولة للحوار).

2ـ الرسول ﷺ ليس مرسلاً من قبل الله، وإنما هو مفكر أو مصلح اجتماعي، أو في أحسن الحالات قائد مبدع

استطاع إحداث أسرع تغير اجتماعي وحضاري في التاريخ.

3 ـ القرآن الكريم ليس منزلاً من عند الله، إنما هو من تأليف محمد ﷺ، أو هو محصلة آراء سابقة عليه (إنكار للوحي).

4 ـ الإسلام انتشر بالسيف، وهنا يفسرون آيات الحرب والجهاد في الإسلام تفسيرات مشوهة، حيث يخلعونها من سياقها التاريخي والاجتماعي واللغوي، ويخضعونها لتفسيراتهم الشخصية المغرضة. مثل قوله تعالى:

﴿وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾

فهم يركزون على: ﴿وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ويهملون ﴿ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ﴾ كما يهملون ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ ومثل قوله تعالى:

﴿وَقَـٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾

فالأمر بالقتال هنا عندهم لغير المسلمين دون تمييز، مع أن الآية واضحة في الأمر بقتال المعتدين أو المتآمرين أو المفسدين الذين يضمرون شرًا بالمسلمين. ومن الثابت تاريخيا أن الرسول ﷺ لم يحارب إلا دفاعًا عن الدولة أو دفاعًا عن الدعوة، أو إحباطًا لمؤامرات القضاء على الإسلام والمسلمين. فلم يثبت التاريخ أي حرب عدوانية قام بها الرسول ﷺ.

5 ـ العداء للحضارة الغربية، ويستثمرون بعض الآيات القرآنية التي يخرجونها عن معناها الحقيقي مثل:

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾

هذه حقيقة وهذا تقرير واقعي. وهم يتجاهلون أن المشروع الحضاري الإسلامي منفتح على كل الحضارات والثقافات، بما فيها الحضارات الوثنية، بعد عرضها على ثوابت الإسلام وضوابطه، فما اتفق معها وحقق نفعًا للمسلمين قبلناه. ولعل أبلغ الأدلة على هذا دخول الرسول ﷺ قبل البعثة في حلف الفضول. وقال عنه «لو دعيت إليه في الإسلام لأجبت»، والأمثلة كثيرة في عهد الرسول وأبو بكر وعمر بن الخطاب الذي أخذ عن الروم فكرة الدواوين. . . إلخ.

6 ـ الخلافة على أنها حكم ثيوقراطي ديني. والحق أن

قد أكون أطلت عليكم، ولكنني نقلت إليكم هموم إخوتكم في القيادة الشعبية الإسلامية العالمية وفي جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ونحن سوف ننشر مداولاتنا العامة وتوصياتنا، ونأمل أن تكون هناك مناقشات ليس من علماء القرآن فقط، وليس من علماء ترجمة القرآن، وعلماء التاريخ والتراث؛ ولكن من كل العلماء الذين يستطيعون أن يقدموا رؤى حول هذه القراءة الغربية وما فيها من إيجابيات وسلبيات، وما فيها من خطورة، وما فيها من توضيح، حتى يكون هناك خيرٌ نستشهد به في الحوارات، سواء كنا مسلمين أو غير مسلمين، ليكون ذلك منطلقا لفهم أعمق، ولوضع تنبيهات واضحة لكل من يعتقد أنه بتشويه القرآن يستطيع أن ينقضّ على هذه الأمة.

وتعرفون أن في الغرب هناك ما يسمى بـ (الثنك تانكس) والمجموعات الاستشارية الثقافية. في الماضي عندما كنا أطفالا كنا نصدق أن هذه المؤسسات هي مؤسسات فكرية محضة، تستهدف الخير والفضل، وتستخدم أسس العلم، ولكن وجدنا أنها قد تستخدم كل ذلك ولكنها توَظّف لأشياء أخرى. نحن نرغب ـ حقيقة ـ في أن تكون الدراسات علمية حتى تكون النتائج علمية، وتوظف في ما توظف له، ومتأكد من أن النتائج أو الإجراءات التنفيذية سوف تكون من أجل الاستقرار والسلام إذا ما كانت النتائج علمية، أما إذا كانت النتائج معروفة مسبقا، بمعنى عقد ندوة عن القرآن لشتم المسلمين وشتم القرآن، أو ندوة عن شخصية الرسول محمد ﷺ حتى تحط من شأنه، وتحدث عن المسلمين أو الهنود الحمر أو الصينيين حتى تحط من شأنهم ليسهل الإجهاز عليهم؛ فذلك ليس فيه سلام في العالم، وليس فيه خير للناس بمن فيهم الذين يستخدمون هذه الأشياء.

ولذلك فإنني أقول لكم باسم زملائي في القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، وباسم إخواني في جمعية الدعوة الإسلامية العالمية: أنتم العلماء.. ولكم كل الحرية في إطار علمي موضوعي، وباستخدام كل وسائل البحث

الإسلام أبعد ما يكون عن الثيوقراطية. فالله لا يحكم العالم من خلال شخصية الحاكم، إنما الحكومة في الإسلام حكومة مدنية منتخبة من الجماهير، ويمثلهم أهل العلم والرأي والمشورة، وهم أهل الحل والعقد، وهناك شروطٌ يجب توافرها في الحاكم وحقوق للحاكم، وحقوق للمحكومين، ورقابة شعبية، وديمقراطية (شورى) في اتخاذ القرارات، وهو منهج واجب الأخذ به.

7 ـ المرأة في الإسلام مستعبدة مهضومة حقوقها، ليس لها حقوق. هذا كذب وافتراء، فتاريخ تكريم المرأة وتاريخ ميلاد حقوقها رسالة محمد ﷺ يقول تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ...﴾ [سورة النساء: الآية 1]

والرسول يوجهنا إلى أن (النساء شقائق الرجال). والقرآن يعطيها كل ما للرجل من حقوق، إلا حق القوامة. يقول تعالى:

﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ﴾ [سورة البقرة: الآية 228]

والمرأة في الإسلام لها ذمتها المالية وحقوقها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية تماماً مثل الرجل، ولها أن تتقلد كل المناصب عدا مركز الولاية العامة في المجتمع. والمرأة في أوروبا حتى القرن الثامن عشر كان ينظر إليها على أنها شيطان، وأنها سبب الخطيئة الأولى، وأنها تتحمل هذه المسئولية. وهي إلى اليوم يتم الاتجار في جسدها وجمالها في الإعلام ولصالح رجال الأعمال والأرباح الحرام، التي يسعى رجال الأعمال في الغرب إلى تكريسها دون نظر إلى حلال أو حرام.

8 ـ ربط الإسلام بالتطرف والإرهاب والعنف. ففي كتب التاريخ لتلاميذ المدارس الإعدادية في إنجلترا، مثل كتاب (الأديان في العالم) Religions in the world عام 2002 مسيحي يقول المؤلف : «إن الإخبار عن الإرهاب كثيراً ما تشتمل على مسلمين، مثلاً نسمع عن جماعات فلسطينية مسلحة تفجر الحافلات في إسرائيل كما نسمع عن إرهابيين مسلمين يزرعون القنابل في المطارات ويقومون بخطف الطائرات.. ويبدو أن هؤلاء المسلمين متطرفون؛ لكن الأخبار ربما أعطت انطباعاً بأن هؤلاء يمثلون التيار العام للمسلمين وأن الإسلام دين عنف.

9 ـ الإسلام دين طقوس جامدة غير مفهومة (إفعل هذا ولا تفعل ذاك، هذا حلال وذاك حرام، هذا محظور وذاك مباح).. وهو لا يحمل رسالة حضارية للعالم.

10 ـ ربط الإسلام بالتخلف. فأغلب الدول الإسلامية من العالم الثالث هم لا يفهمون أن هذا لم يحدث بسبب الإسلام، وإنما بسبب تخلي المسلمين عن قيمهم الإيمانية التي هي قيم التقدم والحضارة، وأنهم أفرزوا أكبر حضارة علمية وفكرية وثقافية عندما تمسكوا بدينهم، وأن هذه الحضارة ساعدت أوروبا على النهضة والصحوة بعد مرورها بالعصور الوسطى المظلمة.

هذا بعض من ما ورد في كتب ومناهج التاريخ والاجتماع والدراسات الثقافية في أوروبا وأمريكا عن الإسلام والمسلمين. وقد عقد في رحاب جامعة الدول العربية مؤتمر مهم، شارك في عقده اليونسكو والمعهد السويدي بالإسكندرية تحت عنوان (المؤتمر الدولي عن صورة الثقافة العربية والإسلامية في كتب التاريخ في الدول الأوروبية) في الفترة من 12ـ 14 الكانون (ديسمبر) 2004 مسيحي. وقد كانت أهداف المؤتمر كما يلي :

1 ـ تنقية كتب التاريخ في أوروبا والغرب من الصورة السلبية والمعلومات المشوهة، أو مراجعة وإزالة الأخطاء في الكتب المدرسية، مثل الصور النمطية السيئة عن الآخر، التي تحط من شأن الثقافات الأخرى.

2 ـ التمييز بين الإسلام ديناً ومبادئ وأسس وقيم، وبين سلوكيات بعض المسلمين، أو التاريخ السياسي للدول الإسلامية.

3 ـ الحوار بين الأكاديميين وواضعي المناهج لتصحيح الأخطاء التي تخلق صورة سلبية عن الآخر، وتؤدي إلى العداء والخلافات بين الشعوب.

4 ـ السعي لتربية الطلاب في الدول الإسلامية والغربية على التسامح واحترام الآخر، وقبول التعدد في المنظورات Multiperespectivity .

5 ـ بناء آلية دائمة للحوار الثقافي بين العرب وأوروبا ؛ لمراجعة الكتب المدرسية، وتصحيح ما بها من أخطاء نحو الآخر.

وقد خرج المؤتمر بعدة توصيات، أهمها :

1ـ ضرورة العمل معًا (المسلمون والأوروبيون) على تصحيح الأخطاء الواردة بالمناهج الدراسية، كل عن الآخر، بناء على معايير أكاديمية دقيقة.

2ـ إرساء مبدأ التنوع الثقافي والديني، ووجود رؤى متعددة.

3 ـ ضرورة الاعتماد على وثائق ومصادر صحيحة.

4 ـ مناقشة كيفية معالجة المسائل الخلافية.

5 ـ تبادل الطلاب والمنح الدراسية وعقد ندوات ولقاءات لتدريب المعلمين.

6 ـ إقرار خطة متوسطة المدى للتعاون المشترك ؛ لإنتاج مواد علمية تدرس، يشارك فيها أوروبيون وعرب.

7 ـ ضرورة إعداد توجيهات محايدة لتوجيه المدرسين ومؤلفي الكتب المدرسية للاسترشاد بها.

موقف بعض المشتغلين بعلوم المجتمع الغربي من الإسلام

يتضح للمستعرض لموقف علماء اجتماع الغرب من الإسلام أن هناك تناقضًا كبيرًا في المواقف وفي النظرة إلى المشروع الحضاري الإسلامي وعلاقته بالمشروع الحضاري الغربي. فهناك من يقفون موقف العداء السافر للإسلام ومشروعه الحضاري، مثل : (ماكس فيبر)، و(ماكسيم رودنسون)، خاصة في كتاباته الأولى، و (فرنسيس فوكوياما)، و(صمويل هنتنجتون) أستاذ العلوم السياسية في هارفارد.

وهناك من العلماء من أدركوا أن الإسلام ومشروعه الحضاري لا يتعارض مع العلمية والعقلانية والموضوعية، وإعلاء قيمة الإنسان، وهي الأمور التي دافعوا عنها، وكان هذا الإدراك في أواخر أيامهم، مثل: (كونت) و(سبنسر)، وهناك من يتناول الإسلام بموضوعية وحيدة إلى حد كبير وفهم لجوهر رسالته الاجتماعية التي تتصل بتحرير الإنسان، وتحقيق العدالة والمساواة

العلمي القديمة والحديثة، لتقديم قراءة صحيحة في هذه القراءة الغربية للقرآن الكريم، بما فيها من خير وبما فيها من سلبيات. ونحن لا نسمح لأنفسنا ـ لا على أساس الدين الإسلامي ولا على أساس ثقافي ـ بأن نقول لكم تعالوا في جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وفي كلية الدعوة الإسلامية، وفي رابطة الجامعات الإسلامية؛ وادرسوا لنا القراءة الغربية للقرآن الكريم لتسفهوها ولتهاجموها، ولكن نقول لكم: أدرسوا ذلك الأمر دراسة علمية، لنستفيد بما في ذلك من إيجابيات، ولننتبه إلى، ونوضح الرؤى التي تتصل بأية سلبيات إن وجدت. هذه هي الطريقة الصحيحة.

وأنتم تعلمون أن الحوار أساسي في الإسلام، والمحاور المسلم يعطي لذلك الآخر حقه في توضيح رأيه، ولا نذهب إلى التراث الإسلامي، ولا نذهب إلى أبي الحسن الأشعري أو غيره من تراثنا، ولكن نذهب إلى القرآن الكريم، حيث نجد أن الشيطان يعطى الفرصة ليقول الكلام الذي يعتقده في حوار القرآن معه، وكذلك الذين يناقضون الإسلام، والكافرين. وهذا تراثنا، وتراثنا ليس تراثاً عدوانياً، وإذا حدث ـ في مرحلة من مراحل تاريخنا ـ أن هناك من يكفّرون الناس، ومن يعتدون على الناس؛ فهؤلاء انطلقوا من لحظات معينة كان فيها الغبن والضعف، وفيها الجهل وعدم الفهم.

ونحن ننطلق من هذا القرآن العظيم، ومن معرفتنا بشخصية الرسول العظيمﷺ، ومن رؤيتنا الثقافية الواضحة، ننطلق من أجل الحق، ومن أجل الحديث الحق، والحوار الحق، للوصول ـ بإذن الله سبحانه تعالى ـ إلى الحق.

أشكركم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

❖ كلمة الأخ أمين الجمعية في الجلسة الإفتتاحية للندوة

والتنمية، وإن كان يشوبها - في بعض الأحيان - قدر من الخلط والتحيز واللاعلمية، مثل: (جاك بيرك) المستشرق وعالم الاجتماع الفرنسي، و(أوليفيه كاريه) أستاذ الدراسات الإسلامية العليا بالسوربون. وسوف نبدأ بالعرض ثم النقد والتقويم.

موقف ماكس فيبر



ماكس فيبر

يتضح موقف ماكس فيبر من الإسلام وتأكيده على أن الإسلام لا يسمح ولا يدعو إلى التنمية الاقتصادية، ولا إلى المشروع الرأسمالي ؛ لأنه دين يدعو إلى التمتع بمباهج الحياة الدنيا لدرجة أصبح معها هذا التمتع هدفًا في حد ذاته، واستدل على هذا بموقف الإسلام من النساء والملكية الخاصة، وذهب إلى أن هذا الدين لا يدعو إلى البيوريتانية أو التطهر والعفة، ولا يؤسس أخلاقًا تنسكية، ولا يفصل بين الأوامر الأخلاقية وبين الوجود والاستمتاع بمتع ومباهج الحياة الدنيا. وخرج من هذا بنتيجة مؤداها أن الإسلام لا يوفر لمعتنقيه الدافعية الكافية للعمل والجد والإنجاز وتحقيق التراكم الرأسمالي، كما لا يدعو إلى العقلانية والموضوعية. وهي أمور لابد منها لقيام المشروع الرأسمالي، ومن ثم التنمية والتقدم الاجتماعي الحقيقي أو النمو الحضاري المتميز في نظره.

ويشير فيبر إلى أنه قد ظهر نظام إقطاعي في الدول الإسلامية، إن الفلاحين كانوا يسددون الضرائب لصاحب الأرض، وأنه ظهر نظام بيروقراطي خلال بعض العصور الإسلامية كالعصر العباسي والمملوكي والعثماني، لكنه يرى أن الإقطاع الشرقي اتسم بالاستبداد، مما أدى إلى الركود الاقتصادي، ولم يتح الفرصة لظهور الرأسمالية كما حدث في الغرب. ويذهب فيبر إلى أن البيروقراطية التي ظهرت في الدول الإسلامية لم تتسم بالطابع العقلاني، الأمر الذي عوّق ظهور الرأسمالية في تلك الدول. وهو يرى أن النظام الإسلامي وطبيعة النظم الإقطاعية والبيروقراطية التي ظهرت في المجتمعات الإسلامية لم تؤد إلى نمو العقلانية والدافعية للإيجاز والإنتاج، ولم تدعم الدافع للعمل المنتج والادخار، وبالتالي لم تؤد إلى تراكم رأسمالي يسهم في ظهور النظام الرأسمالي، وهو شرط أساسي للنمو عند فيبر، وهو يرى أن هذا النظام بشكله المؤدي إلى النمو والتقدم لا يظهر إلا في ظل الحضارة الغربية، تحت تأثير البروتستانتية، وإن كانت جذورها ترجع إلى الفلسفة الإغريقية.

موقف ماكسيم رودنسون



ماكسيم رودنسون

وإذا ما انتقلنا إلى عالم الاجتماع الفرنسي (ماكسيم رودنسون M.Rodenson) نجد أنه نشر عام 1966 مسيحي دراسة بعنوان (الإسلام والرأسمالية)، كما نشر مجموعة مقالات عام 1979 مسيحي بعنوان (الماركسية والعالم الإسلامي). وقد ذهب إلى أن الإسلام لا يقبل الرأسمالية لأنه لا يحرص على العقلانية، وإلى أن الإسلام لم يوضح مسارًا اقتصاديا متميزًا ومحددًا لأتباعه، وهو بهذا يرى أنه لم يوقف انتشار الرأسمالية والاشتراكية في العالم الإسلامي، ويرى هذا المفكر أنه لا يوجد طريق ثالث، فالاقتصاد إما أن يكون رأسمالياً أو ماركسياً، فليس هناك في نظره اقتصاد إسلامي أو مسيحي أو عربي أو أوروبي.

وكرر رودنسون نفس هجوم فيبر على الإسلام بغير علم، حيث ذهب إلى أن الإسلام لا يحقق التعبئة الاقتصادية للجماهير، ولا يحفزها على العمل والإنتاج وتحقيق الإنجاز، وناقش موقف الإسلام من الربا مؤكدًا أن موقف الإسلام من الربا والفوائد وأرباح البنوك والودائع يعد معوقًا للنمو الاقتصادي. وهو يدعي أن العديد من صور النشاط الاقتصادي داخل العالم الإسلامي هي صور رأسمالية خضعت للاحتيال على تحريم الربا، وبهذا تطابقت - إلى حد كبير- مع النمط الآسيوي في الماركسية، وهو - في نظره - نمط إقطاعي.

وفي الفصل الثالث من دراسته الثانية التي أطلق عليها (الأيديولوجية الإسلامية) خرج بأن الإسلام لا يدعم النمو الاقتصادي، وكل ما يستطيعه هو التأثير العاطفي على الجماهير، لكنه لا يحقق التعبئة الاقتصادية ولا يحدد لهم طريقًا محددًا، ولا يقدم لهم توجيهات محددة، وأكد في نهاية دراسته أن الجماهير سوف تنصرف عن الإسلام إن عاجلاً أو آجلا. وقد عدل رودنسون هذه النظرية إلى حد ما في دراساته اللاحقة.

موقف فوكوياما

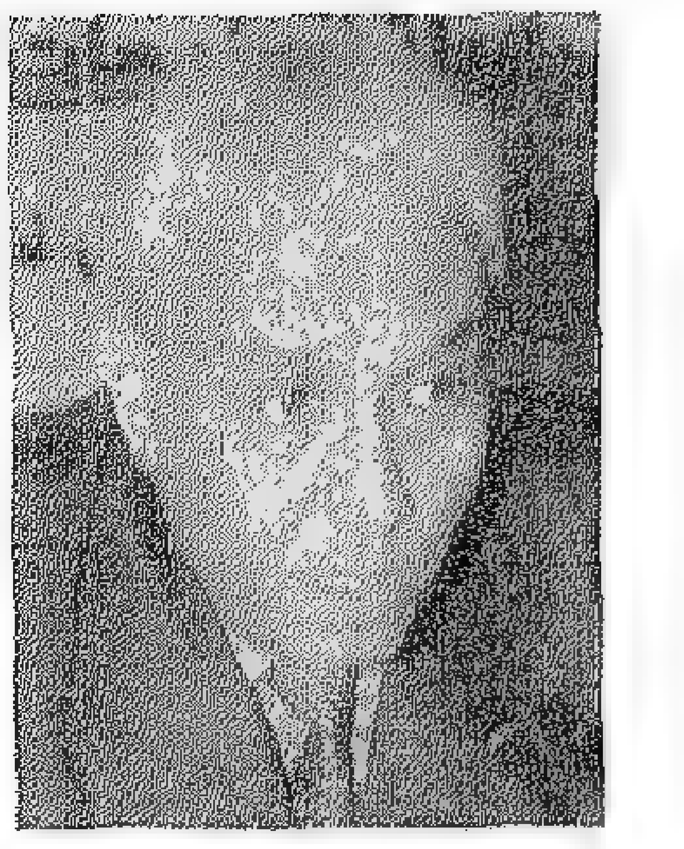


فرانسيس فوكوياما

وإذا ما انتقلنا إلى (فرانسيس فوكوياما F.Fukuyama) الذي يرى أن النظام الليبرالي الغربي هو نهاية التاريخ، وأنه هو الحل لكل تجارب التخلف للخروج من مستنقع التاريخ والتخلف، وذلك في كتابه بعنوان (نهاية التاريخ وخاتم البشر)، فإننا نجده يتساءل عن مدى وجود حركات ونظم ونماذج قادرة على منافسة النظام الليبرالي، وهو يرى أن هذا النموذج الأخير قضى على كل النماذج الهزيلة المناوئة له كالنازية والفاشية والماركسية. فقد تم القضاء على النماذج النازية والفاشية عن طريق الرفض الأخلاقي والتدمير العسكري لهذه النظم، أما النظام الماركسي فإن فشله الاقتصادي هو الذي قضى عليه، وعلى الرغم من المسيرة المستمرة والناجحة لنظام السوق ؛ فإن هناك مجموعة من التحديات التي تعترضه، أبرز أهمها في تحديين أساسيين هما :

الأول : القوميات والنزعات العرقية، وهذه ليست إلا شكلا من أشكال الارتباط الثقافي بالماضي، وهي سوف تزول مع مسيرة التاريخ.

الثاني : التيارات الدينية والصحوة الأصولية عند المسلمين والمسيحيين واليهود، وهذه التيارات تعكس ظاهرة الخواء الروحي أو القيمي، وعدم النجاح في إشباع الجوانب الروحية عند الإنسان، على الرغم من تزايد الإنتاج المادي، واتساع نطاق الاستهلاك في المجتمعات



عميد كلية الدعوة الإسلامية:

مخاطبة ذوي العقول السليمة في المجتمعات الغربية *

إنه لشرف عظيم لكلية الدعوة الإسلامية أن تحتضن هذه الندوة العلمية المهمة، والتي يتعلق موضوعها بأعز وأقدس نص عرفته البشرية ألا وهو القرآن الكريم، وإنه لشرف لهذه الكلية أيضا أن تستقبل هذه النخبة المتميزة من علماء الأمة ومثقفيها والمهتمين بالشأن الديني فيها، ولعل مشاركة هذا الحشد من العلماء من عدد من الجامعات العربية والإسلامية والأوربية، واستجابتهم لمناقشة هذا الموضوع المهم؛ يؤكد خطورة المرحلة التي نعيشها، وخطورة التوجهات التي بدأت تظهر في العالم الغربي تجاه القرآن الكريم، بعضها يستند إلى تراث أوربي كبير في التعامل مع النص القرآني، وبعضها يستند إلى آراء دينية متطرفة سيطرت على أفكار السياسيين في الغرب، وأفرزت جملة من التعاملات الغربية مع القرآن الكريم؛ تعتبر الأخطر في تاريخ اهتمام العالم الغربي بالعالم الإسلامي.

كلنا يعلم أن النص القرآني حظي بعناية أوروبية تفوق التصور، شاركت فيها أقلام من مختلف التخصصات وبمعظم اللغات الأوروبية، ترجمة ودراسة وتحليلا و إعجابا وقدحا، واستندت هذه العناية إلى دعم كنسي يأتي في إطار الرد على انتشار الإسلام السريع

الغربية. وهو يعترف بأن هذا الجانب يمثل نقطة ضعف في النظام الليبرالي، على الرغم من أن هذا النظام كان هو المخلص من الاستبداد الكنسي والديني في الغرب. وهو يرى أن هذه التيارات غير ذات بال، ولن تؤثر على مسيرة الليبرالية. وهو يركز بشكل خاص على الإسلام ؛ لأنه الدين الوحيد الذي يقدم مشروعًا حضارياً ونموذجًا سياسياً متكاملاً يمكن إحلاله محل النظام الليبرالي، لكنه يطمئن نفسه بأن الإسلام ليس له جاذبية عند غير المسلمين، وبهذا لن يتحول إلى حركة عالمية، ولن يصبح - في نظره - بديلاً عن النظام الغربي، وهكذا سيسود النظام الثقافي والاقتصادي المتجانس عالميا. ولا شك في أن هذا التحليل يعكس مخاوف الغرب الشاذة من انتشار الإسلام في الغرب، وهو ما يمكن أن نطلق عليه (اسلاموفوبيا).

موقف هانتجتون

وإذا ما انتقلنا إلى (صمويل هانتجتون) أستاذ علم الحكومات بجامعة هارفارد، نجد أنه لا يقل تحاملاً وحقدًا على الإسلام من المفكرين السابقين، فقد تبنى نظرية أطلق عليها (نظرية الصدام الدموي بين الحضارات). وهي تتضمن فكرة لها جذورها القديمة في الفكر الثقافي والسياسي، وقد ذهب هانتجتون إلى أن القرن القادم يحمل احتمال صراع دموي بين الحضارات، وأن الحرب أو الشكل الأساسي للصراع القادم هو صراع الحضارات. وهو يرى أن هناك سبع مجموعات حضارية وهي: الحضارة الغربية، والإسلامية، والكونفوشيوسية الصينية، والسلافية، والأرثوذوكسية، والإفريقية، وأخيرًا حضارة أمريكا اللاتينية. وهو في تبنيه للحضارة الغربية والدفاع عنها يؤكد ضرورة تحقيق أقصى درجات التعاون بين الدول المنتمية لها على كل المستويات، ويؤكد ضرورة الحد من التوسع العسكري والاقتصادي والسياسي للحضارات الأخرى، خاصة تلك التي يمكن أن تكون خصمًا للحضارة الغربية، وهو يركز بشكل خاص على الحضارة الإسلامية، يرى أنها تمثل خطرًا على الحضارة الغربية، وتحمل عناصر الإرهاب والعنف؛ ولهذا يرى أنه يجب استغلال الخلافات بين الدول الإسلامية والعمل على تفاقمها لإضعاف هذه الدول، حتى يمكن وضع قدراتها باستمرار تحت سيطرة الغرب وتحكمه، وهذه الدعوة العنصرية في النظر إلى الحضارات، ورمي الإسلام بالعنف والإرهاب والخوف المرضي منه، والنظر إليه على أنه البديل للعدو السوفيتي الماركسي المنهار، فالإسلام هو الخطر الأخضر الذي حل محل الخطر الأحمر في تهديد الحضارة أو المشروع الحضاري الغربي في نظره.

لا شك أن هذه الدعوة دعوة عنصرية، وهي بطبيعتها غير حضارية، وهي دعوة يحاول بها كتاب الغرب وقف زحف الفكر الإسلامي على الغرب لتخليصهم من أسر حضارة العبودية للمادة والآلة. فليس تاريخ الثقافات والنظم والفلسفات إلا تاريخ الحوار والانتشار والتفاعل، فإذا حدث الصراع كان في بعض الجوانب، ولكن الأصل هو التفاعل الإيجابي، وتاريخ حضارات العالم يشهد بذلك.

موقف جاك بيرك


جاك بيرك

هو عالم اجتماع ومستشرق فرنسي يؤكد أن الإسلام دين الوسطية، مستدلاً بالآية 143 من سورة البقرة: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطًا﴾.

وهو يرى أن صورة الإسلام في الغرب صورة مشوهة عن عمد، فهم يصفونه بالأصولية.

وعلى الرغم من أن كل الأديان لها أصول، وهذا ينطبق على اليهود والمسيحيين والمسلمين، إلا أن الغرب حين يطلقها على الإسلام يقصد بها التطرف والعنف والانغلاق، وهي خصائص منافية تمامًا لحقيقة الإسلام.

وهو يرى أن خوف الغرب من الإسلام بالذات، ومحاولة تشويهه، ترجع إلى عدة أمور منها :

1 - أن العرب والمسلمين هم أكثر الشعوب قربًا من حيث الجوار الجغرافي من الغرب.

2 - أن المسلمين والغرب بينهم عداوة تاريخية بسبب الماضي الاستعماري.

3ـ أن المجتمعات الإسلامية والإسلام هي العقبة الكبرى أمام الغرب للسيطرة على العالم واستقطابه، فهذه المجتمعات الإسلامية تقف في مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل في محاولة إخضاع كل مناطق العالم لسيطرتها ؛ ولأنها أمة لها رسالة تتصل بنشر الحق والعدل.

4ـ أن الإسلام له برنامجه الذي يتسم بالعالمية والدوام، ويتناقض مع برنامج الغرب، وهذا يضعنا أمام نموذجين اجتماعيين.

ويؤكد بيرك أن الإسلام مستهدف لحملات الدعاية المسمومة من الغرب، وقد ألف بيرك وترجم العديد من الكتب، منها: (العرب من الأمس إلى الغد)، و(الشرق ثانيا)، و(الإسلام أمام التحدي)، و(المغرب بين حربين)، و(مصر: الإمبريالية والثورة)، و(المغرب: التاريخ والمجتمع)، و(من الفرات إلى الأطلسي)، وفي عام 1987 مسيحي أصدر كتابًا بعنوان (عربيات)، وفي عام 1989 مسيحي أصدر كتابًا بعنوان : (مذكرات الضفتين)، وآخر كتاب له عام 1993 مسيحي كان بعنوان : (إعادة قراءة القرآن). وقد انقسم المفكرون المسلمون إزاء فكرة بيرك، فالبعض يرى أنه خدم الإسلام كما لم يخدمه أبناؤه ومعتنقوه، وكان صوته في السوربون وفي (الكوليج دي فرانس)، وفي كافة المعاهد والمحافل العلمية الدولية أعلى الأصوات دفاعًا عن المسلمين وصورة العرب في أوروبا، وهناك من يتهم هذا المفكر بالحقد والتجني على الإسلام، وهناك من يرى أن أعداء العرب والحاقدين على الإسلام وراء هذه الحملة ضد الرجل للإيقاع بينه وبين المسلمين، وما يزال الأمر محتاجًا لتحليل موضوعي لآراء الرجل.

موقف أوليفيه كاريه

هو مفكر فرنسي يشغل وظيفة كبير أساتذة جامعة السوربون للدراسات العليا والبحوث العربية والإسلامية. ينقسم الرأي إزاء فكره، فالبعض ينظر إليه كمستشرق، والبعض يرى أنه باحث موضوعي عرف بدفاعه عن الإسلام والالتزام بالتحليل العلمي في العالم، وتحول هذه العناية بعد ذلك لتستخدم في إطار توسيع المشروع الاستعماري للعالم الشرقي، بتقديم تفسيرات للنص القرآني تعتمد التشويه والتضليل المتعمدين، ثم جاءت المرحلة الجديدة التي نعيشها الآن، وهي التي بدأت بشكل جنوني بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، والتي يشترك فيها الدينيون والسياسيون والاقتصاديون والإعلاميون وعلماء الاجتماع، والتي جعلت القرآن الكريم الهدف الأول للحملة المعاصرة، وذلك يتم في اتجاهات متعددة أبرزها:

1ـ العمل على إزالة القرآن كليا من حياة المسلمين، باستخدام ما سموه بـ (الفرقان الحق) بديلا للقرآن الكريم.

2 ـ الضغط باتجاه نزع آيات محددة من النص القرآني، وخاصة تلك التي تدعو المسلمين إلى مقاومة العدوان والانتصار للحق ورفع الظلم عن المستضعفين في الأرض.

3 ـ تسريب تفسيرات غريبة لنصوص القرآن الكريم لا تستند إلى منطق علمي من أجل تشويه القرآن الكريم من خارج نصه.

لقد كانت المرحلة الأولى للصدام المسيحي الإسلامي تتوجه نحو احتلال المقدسات، وجاءت المرحلة الثانية لتتوجه نحو السيطرة على المسلمين أرضا وشعوبا وثروات، وها نحن نعيش المرحلة الثالثة التي تستهدف الإسلام دينا وثقافة وحضارة، وهو ما جعلنا ندق ناقوس الخطر، لأن الإنسان لا يمكن أن يحيى دون عقيدة وهوية، ولكن.. مع كل ما في هذه الحملة من شراسة وعدوانية، ومع ما فيها من أخلاقيات تستهجنها الديانات الحقيقية والحضارات العظيمة؛ فإننا لا نرغب أن نجر إلى الوقوع في ردة الفعل، لأن ذلك منطق غير علمي، بل نرغب في مناقشة الأمور بعلمية مطلقة، بعيدا عن العواطف والتشنجات، وبروح تلتزم بحرية الرأي والرأي الآخر، وتقدر للآخر ضبابية الرؤية عنده أحيانا، ووقوعه فريسة المؤامرات الخارجية أحيانا أخرى.

الأكاديمي، على الرغم من أنه لم يعتنق الإسلام.

له مؤلفات عديدة أهمها: (التاريخ العظيم للإسلام)، (الإسلام والدولة في عالم اليوم)، (المفاهيم الفلسطينية للمقاومة الوطنية)، (الإخوان المسلمون 1928 ـ 1982)، (مصر اليوم). ويؤكد هذا المفكر أنه إذا كانت مبادئ الثورة الفرنسية تتلخص في الحرية والإخاء والمساواة ؛ فقد سبق للإسلام أن أكد هذه المبادئ بوضوح وبأمانة منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان، والإسلام أكثر الديانات انفتاحًا وتسامحًا تجاه غير المسلمين، ويجعل الصلة بالله مباشرة دون وساطة على عكس الحال في الديانات الأخرى، والإسلام دين عالمي لا يرتبط بجنسية محددة، فكل الشعوب الإسلامية تجتمع على الإيمان بالعقيدة. وإذا كان الإسلام واحدًا عقيدة وشريعة ومبادئ وقواعد ؛ فإن هناك ممارسات دينية بعيدة عن المبادئ الأساسية للإسلام، تتأثر بما يطلق عليه بعض العادات العبادية أو الابتهالية المستمدة من التاريخ القديم. ويضرب أمثلة على

إذا كانت مبادئ الثورة الفرنسية تتلخص في الحرية والإخاء والمساواة ؛ فقد سبق للإسلام أن أكد هذه المبادئ بوضوح وبأمانة منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان

هذا بأنه في اليابان والفلبين تضفي البوذية والهندوسية صبغة صوفية على الممارسات الدينية لبعض المسلمين، ونفس هذا الأمر أي وجود الفرق الصوفية البعيدة عن جوهر الإسلام في إفريقيا وبعض دول الشرق الأوسط. وهو يرى أنه إذا كان الإسلام دين السلام والعدل والإخاء والمساواة ؛ فإن الجماعات التي تدعي انتمائها للإسلام وتمارس العنف ساهمت بشكل كبير في تشويه حقيقة هذا الدين لدى العقل الغربي، ذلك العقل الذي لا يعرف الإسلام إلا من خلال هذه الجماعات المنحرفة أصلاً عن الإسلام. وعلى الرغم من أن الإسلام في فرنسا هو الدين الثاني بعد الكاثوليكية، والمسلمين يصلون إلى 5, 6 مليون نسمة، ونسبة عددهم أكبر من البروتستانت واليهود ؛ فقد رفض المسئولون دخول الوعاظ إلى فرنسا في رمضان 1993 مسيحي، ويرى كاريه أن هذا خطأ في الفهم والتقدير نجم عن أن بعض الذين ينتمون إلى الإسلام شكلاً دخلوا إلى فرنسا وعملوا لصالح جهات أجنبية بعيدًا عن جوهر الإسلام، ويضرب مثلاً على هذا بأحداث عام 1985 ـ 1986 مسيحي، الأمر الذي أدى إلى اتخاذ هذا القرار، لكنه يمثل تعميمًا وبعدًا عن الصواب، وهو يرى أن العديد من الأوروبيين لا يعرفون الإسلام إلا من خلال الجماعات المتطرفة البعيدة أساسًا عن روح الإسلام الحقيقية، تلك التي تتمثل في السلام والعدل والحرية والتقدم.

علم الاجتماع والحاجة إلى الدين

على الرغم من أن أغلب علماء اجتماع الغرب (البرجوازي) وعلماء الاجتماع الماركسي يشتركون معًا في المقولة الزائفة التي تربط الفكر الديني بالتخلف، وتربط بين الموضوعية والتخلص من الأفكار المسبقة في مجال صياغة مضامين النظرية الاجتماعية القادرة على تلخيص الواقع وتفسيره، والربط بين متغيراته بعلاقات كلية أو جدلية أو وظيفية ؛ إلا أن الواقع يفيد بأنه لا يمكن بناء نظرية اجتماعية دون الاستناد إلى الدين أو القيم، خاصة بالنسبة لما يطلق عليه النظريات الكبرى Macro-Sociology، وهذا ما يؤكده بعض علماء اجتماع الغرب أنفسهم، فهذا (جنرميردال) يؤكد أنه لا يوجد شكل آخر لدراسة الواقع الاجتماعي غير دراسته من وجهة نظر المثل الإنسانية، فالعلم الاجتماعي الخالي من المصلحة لم يوجد أبدًا ولا يمكن أن يوجد مطلقًا من الناحية المنطقية، فالتوجهات القيمية هي التي تحدد لنا قضايا الدراسة، وهي التي تمنحنا توجهات محددة للتفسير، ويؤكد (ميردال) أن العلم الاجتماعي الخالي من المصلحة هو هراء فارغ.

ولا يمكن لعلم الاجتماع أن يدرس الواقع دون إطار تصوري وتفسيري ومعياري، ولا يمكن أن يشتق هذا الإطار من الدراسات الواقعية، وعلم الاجتماع محتاج إلى نماذج معيارية تحدد صورة العلاقات والسلوكيات، وأساليب تحقيق التكامل، ومضامين العدالة والحق

والمساواة والإخاء المطلوب تحقيقه من خلال خطط التنمية أو من خلال الجهود الإصلاحية التي يبذلها المسئولون. كل هذا يعني أن فكرة الحياد العلمي ومحاولة تطبيق مفهوم الموضوعية المستخدم في العلوم الطبيعية عند دراسة المجتمع والعلوم الاجتماعية ؛ ينطوي على مغالطة وتزييف للحقائق. وهذا يعني أن عالم الاجتماع لا بد أن ينطلق من إطار تصوري وتفسيري. ومن أين يؤتى بهذا الإطار؟ إما من فلسفات وضعية، وهنا نلحظ الانحياز الإيديولوجي، وهذا هو الواقع في علم الاجتماع الغربي والشرقي على السواء، وإما أن يستمد هذا الإطار من الدين، وبهذا تتحقق الموضوعية بأرقى صورها. وإذا كان الدين الإسلامي هو خاتم الديانات، وهو الدين الحق، وهو الذي حفظه الله من التحريف إلى يوم الدين ؛ كان لزامًا أن ينطلق علم الاجتماع عند الباحث المسلم من المنطلقات الإسلامية، سواء من حيث البناء العقائدي والتشريعي والقيمي والأخلاقي الموجه لحياة المسلم وفكره وسلوكياته، أو من حيث نظرة الإسلام إلى الكون والحياة والإنسان والمجتمع، ورسالة كل منهما في الحياة، وأساليب تحقيق القوة بشقيها : الإيماني، والمادي ... إلخ.

وعلى الرغم من كل دعاوى علماء الغرب والشرق إلى علم اجتماع محايد أيديولوجيا وعقائديا، فإن الواقع الذي يشهد به نقاد هذا العلم يؤكد الانحيازالإيديولوجي ابتداء من تحديد المفاهيم وتحديد المصطلحات (مفهوم المجتمع والنظام والعلم والطبقة. . . إلخ)، وحتى تحديد المناهج وأساليب الدراسة (مناهج كيفية وكمية، مناهج علوم طبيعية، ومناهج علوم إنسانية، ومناهج وظيفية، وجدلية... إلخ) وتحديد الأطر المفسرة (الليبرالية أو الماركسية، التوازن أم الصراع، الفكر والقيم أم علاقات الإنتاج والواقع الاقتصادي...)، هذا فضلاً عن الصراع حول تصور طبيعة المجتمع المستهدف التخطيط لتحقيقه (يسوده الحرية المطلقة والليبرالية السياسية والاقتصادية والاجتماعية استنادًا إلى نظرية الحقوق الطبيعية، أم المجتمع الذي تختفي فيه كل مسببات التباين كالملكية والأسرة والطبقات والدولة والدين والتنوع العرقي... إلخ). ولا شك في أنه إذا كان لابد لعلم

ولذلك كله قامت كلية الدعوة الإسلامية بدعوتكم، بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية، مؤملين أن نخرج بقناعات ترسم في توصيات ننبه من خلالها إخواننا في جميع أنحاء العالم الإسلامي، رسميين وشعبيين، إلى خطورة هذه الهجمة، وضرورة الوعي بها، والحذر منها، والعمل على حفظ الأجيال القادمة من خطورتها.

وفي ذات الوقت نأمل في مخاطبة ذوي العقول السليمة في المجتمعات الغربية، كي يصححوا ما عندهم من أفكار خاطئة، وأن يعملوا معنا سويا على احترام الديانات والثقافات، والعيش سويا في عالم يسوده السلام والحب والاحترام.

أيها الإخوة العلماء والباحثون..

يشترك معنا في هذه الندوة ثلاثون باحثا يمثلون خمس عشرة جامعة ومؤسسة بحثية من الجامعات في البلاد العربية وأوربا، بالإضافة إلى طلبة الدراسات العليا في كلية الدعوة الإسلامية. وإنني باسم زملائي الأساتذة وأبنائي الطلبة بالكلية.. يسرني أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى جميع الباحثين الذين استجابوا لدعوتنا، ونخص بالشكر رابطة الجامعات الإسلامية التي نتشرف بالتعاون معها في مجالات علمية متعددة، والتي نعتز بما تقدمه من خدمة للجامعات الإسلامية، كما نتقدم بجزيل الشكر للإخوة الضيوف على تفضلهم بقبول دعوتنا ومشاركتنا في هذا الحدث العلمي المهم.

وختاما فالشكر كل الشكر للأخ العزيز الأستاذ الدكتور محمد أحمد الشريف أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية على دعمه اللامحدود للكلية، وعلى تشجيعه لنا، خاصة في إقامة هذه الندوة. جزاه الله عنا جميعاً أحسن الجزاء.

❖ كلمة عميد الكلية في الجلسة الإفتتاحية للندوة

الاجتماع أن يستعين بإطار تصوري وتفسيري، وأن هذا الإطار إما أن يستمد من فلسفات وضعية أو دين سماوي ؛ فإن الأولى أن يستمد من الأسس والمنطلقات الإسلامية التي تختلف جذريا عن الفلسفات الوضعية في أنها إلهية المنشأ، وصالحة لكل زمان ومكان، وتحقق التكامل بين الثوابت والمتغيرات، وتستهدف تحقيق أقصى درجات القوة الإيمانية بمعايير الإسلام، والمادية بمقاييس كل عصر، وتحقق العدالة والحرية والمساواة والإخاء من خلال التحديد الإلهي، وليس من خلال تحديدات وضعية عاجزة منحازة مقيدة بقيود محدودية العقل البشري وحدود الزمان والمكان والخلفيات الأيديولوجية والمصلحية، والظروف الشخصية لكل فيلسوف. ولا شك في أن العلوم الاجتماعية في حاجة إلى موجهات ومنطلقات دينية، وأنها في غيبة هذه المنطلقات تضل الطريق لاعتمادها على فلسفات بشرية.

> فكرة الحياد العلمي ومحاولة تطبيق مفهوم الموضوعية المستخدم في العلوم الطبيعية عند دراسة المجتمع والعلوم الاجتماعية؛ ينطوي على مغالطة وتزييف للحقائق.

محاولة لتفسير العداء للدين في الفكر الغربي

نستطيع تفسير أسباب العداء السافر أو الخفي أو اللامبالاة إزاء الدين في الفكر الغربي بشكل عام، وللإسلام بشكل خاص، في ضوء عدة عوامل من أهمها ما يأتي :

أولاً : واقع التجربة الدينية الإغريقية التي تمثل العمق الاستراتيجي أو التاريخي للحضارة الغربية. فقد صور الإغريق آلهتهم بصورة مفزعة مقززة، فهم في صراع مستمر بينهم وبين بعضهم البعض، وبينهم وبين الإنسان، ودائمًا تكون النتيجة ضد الإنسان ودمارًا وعذابًا وشقاء بالنسبة له. فالآلهة لا تكترث بالإنسان ولا ترحمه ولا تساعده. ويمكننا أن نستنتج هذا الأمر من الأساطير الإغريقية أو (الميثالوجيا الإغريقية)، ونكتفي كمثال بعرض أسطورتين هما: (أسطورة زيزيف) و(أسطورة برومثييوس) وهناك العديد من الأساطير الأخرى، مثل : أسطورة (أوديب) و(إلكترا) اللتان استعان بهما فرويد في بعض استنتاجاته المنحرفة عن النفس الإنسانية.

وتصور أسطورة (زيزيف) تعنت الآلهة وظلمهم الفادح للإنسان، فقد ارتكب (زيزيف) وهو إنسان خطأ ما، فعاقبته الآلهة دون رحمة، حيث حكمت عليه بحمل صخرة ضخمة من سفح جبل حتى يصل بها إلى القمة، ثم تعيد الآلهة الصخرة إلى السفح، فيعيد الإنسان حملها، وهكذا الأمر في دورة من العذاب والانتقام الرهيب. وهذا يشير إلى بؤس الإنسان وقدره المحتوم في صراعه الأبدي مع الآلهة الأقوى والأكثر تجبرًا.

أما أسطورة (برومثيوس) فإنها تعكس الصراع الأبدي بين الآلهة والإنسان، فتروي أن (زيوس) كبير الآلهة خلق الإنسان من قبضة من طين، وسوّاه على النار المقدسة التي ترمز إلى العلم والمعرفة، وأنزل الإنسان بعد خلقه إلى الأرض وحيدًا يعاني الظلمة والجهل، وهنا ظهر كائن أسطوري يدعي (برومثييوس) أشفق على الإنسان، وقدم إليه مساعدة عن طريق قيامه بسرقة النار المقدسة من الله، وأعطاها للإنسان، وهذا يرمز إلى منحة المعرفة والعلم. وغضب (زيوس) لذلك، ولكنه عجز عن أن يسترد النار المقدسة. (لاحظ التناقض هنا : إله يسرق، وإله يعجز، وإله ينتقم).

ولهذا عاقب (زيوس) (برومثييوس) بأن أرسل إليه نسرًا مفترسًا ينهش كبده طول النهار، وينمو كبد جديد مكانه خلال الليل، ويعود النسر ينهشه نهارًا، وهكذا في دورة أبدية من الشقاء. أما انتقام الإله الأكبر (زيوس) من الإنسان (إبيمثيوس) لأنه امتلك النار المقدسة، وبالتالي عرف الأسرار التي هي من شأن الإله وحده، فتمثل في أن أرسل له أنثى تدعى (باندورا) بحجة إيناس الإنسان في وحدته، وأرسل معها هدية للإنسان عبارة عن صندوق مليء بكل أنواع الشرور والآفات التي تطايرت وملأت الأرض فور فتحه. هكذا تصور الأسطورة انتقام الآلهة من الإنسان لأنه عرف أسرار الخلود والأسرار المتعلقة بالألوهية.

ويؤكد (جوليان هكسلي) الداروني الملحد أن هذه

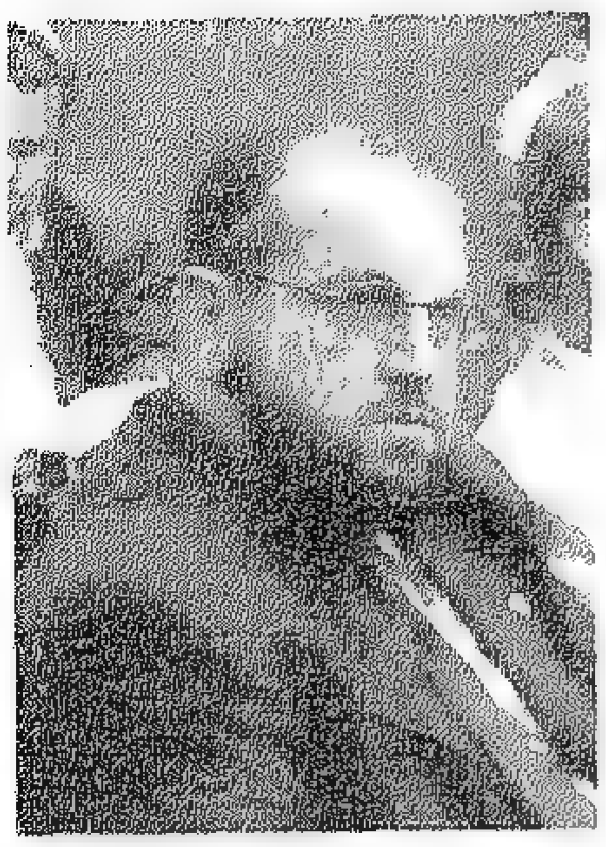
الأسطورة بمضامينها التي تعكس علاقة البغض والحقد بين الآلهة والناس، وحرص الله على تملك المعرفة، وحصول الإنسان على هذه المعرفة، ومحاولة الآلهة إفساد نجاحاته العلمية. . هذه الأسطورة لا تزال حية مؤثرة في وجدان ما وراء الفكر الأوروبي المعاصر. ونستطيع على ضوئها أن نفسر التقابل الذي يضعه العديد من المفكرين الأوروبيين بين الدين والعلم، أو بين الروح والعقل، فالجهل والعجز وحدهما هما اللذان يخضعان الإنسان للإله، وكلما تقدم العلم ونمت المعلومات وفُكّت أسرار الكون والمجتمع والإنسان؛ تراجع الدين، وقلّت حاجة الإنسان إليه حتى يحل الإنسان في النهاية مكان الإله. نلاحظ هذا التصور بارزًا في فكر (كونت) و(فيبر) و(ماركس) و(نيتشه) و(ديورانت) و(هكسلي)... إلخ.



تشارلز دارون

وفي مقابل هذه الرؤية الجاهلة الخبيثة الأسطورية، هناك الرؤية الإسلامية الصحيحة. فالإنسان محكوم بالقدر الإلهي، وقد اقتضت مشيئة الله أن يخلق الإنسان ويكرمه بالفطرة والعقل والوحي، ويتعهده بالهداية المستمرة وبالرحمة والعفو، فضله على كل المخلوقات، سخر له الكون، أسجد له الملائكة، علمه الأسماء كلها، ينزل عليه من السماء ما يشاء، يقبل منه التوبة. . كل هذه النعم من أجل أن يؤدي وظيفته كما أرادها الله من عبادة بمعناها الواسع، بما يتضمنه من فرائض ومعاملات وتعمير الأرض، وتعارف بين البشر، وإعلاء لكلمة الله، ونشر لدينه، ومحاربة أعدائه، وإرساء أسس العدالة والحرية والمساواة والحق بين البشر.

ثانيا : التجربة الدينية الرهيبة التي شهدتها أوروبا على مدى القرون الوسطى، والتي تمثلت في القهر والتسلط والظلم والاستبداد، الذي مارسته الكنيسة ومارسه رجال الدين المسحيين على جماهير الناس باسم الإله وباسم الدين. فقد زيف الدين لصالح آباء الكنيسة والإقطاعيين، وظهرت نظريات التفويض الإلهي المباشر، وغير المباشر، وطبقت محاكم التفتيش وظهرت أفكار



عبد الرحمن سعيدي

نائب رئيس حركة مجتمع السلم بالجزائر:

تحصين الأمة ورد الشبهات والأباطيل عنها

لماذا يقرأوون؟ ولماذا يريدون إعادة قراءة القرآن؟ .

عندما نقول القرآن نقول الإسلام، فالقرآن هو المصدر الأساس والمرجع الأول للإسلام. إذن لماذا يركزون على إعادة قراءة القرآن من جديد؟ ونحن نعلم أنهم منذ زمن يحاولون النيل من كتاب الله العظيم والمس بقدسيته .

ولنتساءل أولا: لماذا وكيف صمدت هذه الأمة منذ قرون وإلى الآن؟ ولماذا وكيف استطاعت أن تسترجع أراضيها وما سُلبَ من أوطانها وتتحرر من الاستعمار؟ ولماذا وكيف استطاعت أن تصمد أمام العدوان والحصار والتجويع والترويع ... إلخ؟ .

لا بد من البحث عن مصدر القوة الأساس، والغرب يعرف مصدر قوة المسلمين، ونحن نعرف مصدر قوتنا .. إنه القرآن الكريم !!

ودعني هنا أسوق هذا المثال: بعد مئة سنة من دخول المستعمر الفرنسي غازيا إلى الجزائر (1830 / 1930 مسيحي) أقيم حفل كبير في مدينة الجزائر وشربوا ما يسمونه (النخب) لأن الجزائر - في ظنهم - أصبحت فرنسية، وتتالت الكلمات والموسيقى والصخب وما إلى ذلك، وفي الأثناء قام أحد الجنرالات وأخرج من جيبه مصحفا وقال: ما دام هذا فيهم فلن ننعم ببقائنا في هذا البلد . وهي كلمة حق قيلت

صكوك الغفران. . كل هذا من أجل تسخير الناس عنوة ـ باسم الدين ـ لصالح تمتع وبذخ أصحاب الأملاك الإقطاعية، وإقناع الناس بعدم السعي لتحقيق مصالحهم المادية في الدنيا، وأن هذا يغضب الرب، وعلى قدر الإذلال والعنت والقهر في الدنيا يكون النعيم في الآخرة. ولم تسمح بأي قدر من الحرية للناس، ولا يحق إبداء الرأي، وكان مصير أي مفكر القتل أو الحرق. والنماذج على هذا كثيرة جدًا، فهناك (جاليليو) وهناك (برونو) وغيرهما. وهذا ما جعل العديد من المفكرين في الغرب يرون أن العلمانية هي الحل، وأنه يجب إقصاء الدين عن الدنيا والمجتمع والسلطة والفكر.

ومن الجدير بالذكر أن الإسلام والتاريخ الإسلامي لم يعرف شيئًا من هذه التجربة الأوروبية، وعلى العكس، فقد شجع الإسلام على العلم والتفكير والمعرفة، وجعل التفكير فريضة، وطلب العلم واجبا على كل مسلم ومسلمة، وبدأ الإسلام بـ (إقرأ)، وكرم الإسلامُ العلماء وجعلهم ورثة الأنبياء، وقد كان المسلمون هم الذين اكتشفوا المنهج العلمي التجريبي، وهم أول من بحثوا وأبدعوا في العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانية. وكان العلماء يلقون كل تكريم من الحكام، وكفل الإسلام حقوق الإنسان بشكل لا يرقى إليه أي ميثاق وضعي؛ ولهذا استقر في وجدان المسلم ـ على عكس الوجدان الأوروبي ـ أن العلم تابع للدين، وأن العلم ينمو ويتقدم وينجز بشكل أفضل في إطار المنطلقات الإيمانية: العقائدية والتشريعية والأخلاقية، وأن الفصل بين الدين والعلم أمر لا يقره الدين، وليس في صالح العلم. وبهذا الفهم أنتج المسلمون حضارة إيمانية وعلمية وفكرية، انطلقت منها الحضارة الغربية الحديثة آخذة الجوانب العلمية والفكرية تاركة الجوانب الإيمانية، وهو سر فشلتها في إسعاد الناس.

ثالثًا: النظرية الداروينية خلال القرن التاسع عشر، والتي أحدثت آثارًا هائلة على العلوم البيولوجية والاجتماعية والإنسانية، فالإنسان في التصور الداروني هو نهاية سلسلة تطور حيواني جذوره حيوانية، وقد سار التطور بطريقة آلية حتى وصل الأمر إلى الإنسان، وهذا يعني أن الظروف المادية والصدفة العمياء وقوانين التطور الآلية هي السبب في وجود الإنسان الذي لا يمكن له أن ينفصل عن أصوله الحيوانية. ومن هنا لا تكون هناك أهداف استراتيجية عليا يسعى لتحقيقها، ولا تكون هناك مبادئ عقدية أو أخلاقية ضابطة لمسيرته، لا يكون هناك التزام من الإنسان تجاه الإله الذي لا يعترف بوجوده، ولا إزاء غيره؛ لأن ما يحكم الإنسان هو نفسه ما يحكم بقية الكائنات، وهو قانون البقاء للأقوى والأصلح بالمعيار المادي الخالص. وإذا كان (دارون) يؤكد أن الطبيعة تخلق كل شيء ولا حد لقدرتها على الخلق، ويؤكد الماديون «أن المادة أزلية أبدية متطورة»، وأن الإنسان هو أعلى تطور للمادة لأنها وصلت إلى مرحلة الوعي الذاتي، فلا مجال لإيمان بالله ولا بقيم أخلاقية. ويؤكد (جوليان هكسلي) في كتابه (الإنسان في العالم الحديث) على هذه المقولات المادية الحيوانية للإنسان حيث يقول: «لم يعد الإنسان بعد نظرية دارون يستطيع التغاضي عن أصوله الحيوانية، وبدا لنفسه على أنه حيوان غريب»، وفي ضوء هذه الرؤية الدارونية التي سيطرت على الفكر الغربي ولا تزال حتى اليوم، يكون من العبث أن نتحدث عن منطلقات عقائدية أو غيبية أو أخلاقية، فهذه كلها صناعة بشرية، إذا لم تكن نتاج عقل الإنسان الفرد وليس نتاج العقل الجمعي Group mind.

وفي ضوء هذه المنطلقات الدارونية أصبح الدين والأخلاق والمعاملات والقيم أمورا بشرية، يمكن تفسيرها في ضوء وظائفها وأدوارها في الحياة الاجتماعية. . وهكذا ظهرت نظرية (سمنر Sumner) في العادات الشعبية Folkway ونظرية (دوركيم) في (الصور الأولية للحياة الدينية)، التي يرجع فيها الدين والتصورات الدينية حول القداسة والتحريم إلى حاجات المجتمع التكاملية. . وهكذا تختفي الثوابت والمطلقات العقائدية والأخلاقية والقيمية، وتتحول كل الضوابط إلى متغيرات نسبية.

وقد كان للدارونية أثر مهم في تشكيل علم الاجتماع الغربي، ففضلاً عن نمو اتجاه الدارونية الاجتماعية، الذي تزعمه (سبنسر) و (إسبناس) فإن آثارها تتضح عند أنصار الاتجاهات المتصارعة في علم الاجتماع الغربي، فقد

تمسك بها أنصار الماركسية، كما تمسك بها أنصار الليبرالية، وقد تمسك كل منهما بفكرتي الصراع والمراحل التاريخية. فالصراع استخدمته الليبرالية لتمجيد الحرية الاقتصادية المطلقة وعدم تدخل الدولة، وطبقت فكرة المراحل التي تشير إلى أن المجتمعات تسير في مراحل تقدمية بشكل تلقائي، لدرجة القول بأن أي تدخل لحماية الفئات الضعيفة أو لتنظيم الاقتصاد لن يفيد، فضلاً عن أنها سوف تؤدي إلى أوخم العواقب، وأن المشكلات الاجتماعية، مثل : التفاوت الاجتماعي الضخم، والفقر المدقع، والبطالة، وارتفاع الأسعار، ومشكلات الأجور، والصراع بين العمال وأصحاب الأعمال... كلها أمور سوف تحل طبيعيا خلال مسيرة المجتمع وبشكل تلقائي.

أما أنصار الماركسية فاستندوا إلى فكرة الصراع الداروني من أجل تجميع الطبقة الكادحة وتنمية الصراع الطبقي حتى يصل إلى أقصى درجات العنف الثوري، واعتمدوا على فكرة المراحل لوضع سلسلة من المراحل التي ادعوا حتميتها وأنها ستنتهي إلى الشيوعية.

وقد استند (سبنسر) على الداروينية في تبرير النظام الرأسمالي بأزماته المتعددة، واستند (وليم جراهام سمنر) على مبدأ البقاء للأصلح ؛ لتبرير ما يتمتع به أبناء الطبقات العليا من ترف على حساب الطبقات المحرومة، ولسد الطريق أمام الحركات الإصلاحية.

وفي ظل هذه التأثيرات الداروينية المتعددة على الفكر الاجتماعي الغربي، نستطيع تفسير موقف هذا الفكر الرافض للمطلقات والثوابت، سواء تمثلت في معتقدات وأحكام أو أخلاقيات وقيم، كذلك نستطيع أن نفسر في ضوئها التوجهات الليبرالية، والبراجماتية، والنفعية، والوضعية، والماركسية أو المادية عمومًا، التي سيطرت عليه وما تزال حتى اليوم.

وفي مقابل هذه الأباطيل، نجد أن الإسلام يؤكد تفرد الخلق الإنساني، وأن الله خلقه من طين، ونفخ فيه من روحه، واستخلفه في الأرض، وأرسى له المنهج، وحدد له الغايات والوسائل، ووضع له الضوابط والمعايير، ومنحه العقل والحرية التي تمكنه من تحقيق التقدم والنمو في إطار البناء الأخلاقي والقيمي والمعياري، وأسجد له

في مجلس باطل وعدوان . وبطبيعة الحال فلن يقوم بتلك المهمة (إبعاد المسلمين عن القرآن) العسكري ولا السياسي ولا رجل الاقتصاد، وإن كان لكل منهم أثر في ذلك بلا ريب، وإنما يقوم بها المثقف والمفكر الغربي الذي له صلة بالدراسات الشرقية والإستشراقية، ويعمل على إثارة الشبهات، أو إثارة مزاعم لا يسندها أي دليل .

ومن هنا فإنني أرى أنه بغض النظر عن أسباب ودوافع القراءة الغربية للقرآن، قد تكون العولمة أو مواكبة العصر ... إلخ، وغيرها من الأسباب التي اختلقوها ليبرروا لأنفسهم ويجدوا أعذارا لقراءتهم؛ لكن المستهدف (من) و (بالقراءة) هو محاولة كسر المناعة لدى المسلمين، وتحطيم مصدر قوتهم، وبالتالي مصدر قوة الصمود في الأمة، لأننا الآن رغم ضعفنا وقلة حيلتنا وهواننا على الناس، ورغم الظروف الصعبة والتحديات التي تواجهنا، ورغم ما بيننا من خلافات وتفرق؛ فإن الجميع يعلم، مسلمين وغير مسلمين، أنه ما دام كتاب الله بيننا فسيجمعنا حتما ويوحدنا .

واسمح لي أن أشير إلى نقطة أخرى مهمة يثيرها الغربيون، وهي ما يسمونه (تعديل الإسلام) أو ما يُعرف بـ (تهذيب الإسلام)، حيث يريدون أن يدخلوا تصوراتهم وآراءهم التي تخدم توجهاتهم في صلب هذا الدين، ولعل أبرز وأقرب مثال على ذلك الذي يسمونه (الفرقان الحق). وأيضا دعوتهم لإعادة قراءة الحديث والسيرة النبوية، ودسّهم على الطرق الصوفية . وأذكر هنا مقولة قالها أحد الذين دخلوا الجزائر في بداية الغزو مع (المارشال بومو) وهو (الكاردينال لافيجري) قال: لا بد من هدم صلة الجزائريين بالقرآن وإعادة بنائها (أي الصلة) وفق رؤيتنا، وقد جئنا لنحضّر هذا الشعب .

معنى هذا أن القرآن ليس مصدر حضارة عندهم، وإنما هم مصدر الحضارة كما زعموا، فكيف يعيدون بناء تلك الصلة؟ بلا شك من خلال تحريف القرآن .

الملائكة، وخلق له كل ما على الأرض، فالاختلاف جوهري بين الإنسان الذي كرمه الله واستخلفه وسخر له كل ما في الكون وأسجد له الملائكة وخلقه على صورته، وبين الحيوان الذي سخره الله لخدمة الإنسان.

رابعًا : إن الديانة المسيحية - التي يدين بها أغلب الغربيين - ديانة محرفة، وفضلاً عن تحريفها فإنها تتصل بالبناءات العقائدية والأخلاقية والقيمية مجردة عن الواقع، فلا توجد شريعة مسيحية تفصل القول في المعاملات الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والسياسية، وعلى العكس من ذلك فإن هناك من النصوص المنسوبة إلى الإنجيل تؤكد عدم تدخل الدين في تنظيم المعاملات الدنيوية مثل (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) ومثل (طوبي للفقراء لأنهم يعاينون الله) ومثل (ليست مملكتي على هذه الأرض ولكن مملكتي في السماء)، فقد جاء المسيح بجرعة روحية كبيرة لهداية خراف بني إسرائيل الضالة كما عبر عن هذا الإنجيل، وللحد من التطرف المادي، واقتصار كل الاهتمام بالحياة والمصالح الدنيوية. لهذا كانت رسالة السيد المسيح موغلة في الروحانية والأخلاقية والقيمية، ولم تول اهتمامًا تفصيليًا بحياة الإنسان في المجتمع.

وبغض النظر عن مدى صدق نسبة هذه الأقوال إلى المسيح - عليه السلام - فإنها تكريس للعلمانية وفصل الدين عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي المعاش للإنسان.

خامسًا: نقل صورة مشوهة للإسلام إلى الغربيين، سواء بقصد أم بغير قصد، وفي مقدمة الذين ساهموا في تشويه الإسلام مجموعة من المستشرقين الحاقدين على هذا الدين، وفي مقدمتهم (جولدتسيهر) خاصة في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي).

هذا إلى جانب الخوف المرضي من جانب الغربيين من سيادة الإسلام ؛ لأنه يحقق العدل والمساواة والأخوة الحقيقية في إطار ضوابط أخلاقية وقيمية، وفي هذا تهديد للمصالح الخاصة للشركات الغربية العملاقة والتكتلات الاقتصادية، والاحتكارات والأساليب الملتوية في المعاملات؛ لأن العديد منها يضحي بكل القيم والأخلاقيات في سبيل الربح وتحقيق التراكمات الرأسمالية المتوحشة، بما في ذلك الاتجار في المخدرات والأعراض والأسلحة وإلهاب نيران الحروب... إلخ.

وقد عرف العديد من مفكري الغرب الإسلام الحقيقي، لكنهم لم ينقلوا الصورة الصحيحة لشعوبهم، وهذا يرجع إلى محاولة وقف المد الإسلامي في الغرب، وهو ظاهرة ملاحظة وقوية. فأبنية القوة في الغرب لا تخشى على نفسها من انتفاضة المسلمين في العالم الإسلامي فحسب، ولكنها تخشى - وبشكل أكبر- من انتشار الإسلام بين الغربيين أنفسهم، كذلك فإن هناك تقصير أكيد من المسلمين في تعريف الغرب الإسلام الصحيح.

الإسلام يؤكد تفرد الخلق الإنساني، وأن الله خلقه من طين، ونفخ فيه من روحه، واستخلفه في الأرض، وأرسى له المنهج، وحدد له الغايات والوسائل

سادسًا : الإعجاب المَرَضي والتمركز الشديد حول الحضارة الأوروبية أو الغربية بمنجزاتها، سواء الاجتماعية (الحريات المطلقة والأساليب في التخطيط والتنظيم والإدارة...) أو المادية (العملية والتطبيقات العلمية)، وعلماء الغرب بحكم تنشئتهم في المناخ الغربي يتحيزون للثقافة الغربية التي تحيل الدين إلى خيار شخصي، والواقع أن العديد من مفكري الغرب - حتى أشدهم قناعة بالعلمانية - يعترفون قبل نهاية حياتهم بأهمية الدين الذي تنكروا له طويلاً في كتاباتهم، وهذا يعني غلبة الفطرة السوية عليهم حين دنو الأجل، وبعد أن تزول الغشاوة التي تصنعها الثقافة أو الحضارة الزائفة. والدليل على هذا ما أكده زعيم العلمانية الفرنسية (سان سيمون) قبيل وفاته أو في لحظات احتضاره، حيث أكد :«أنه لا يهدف إلى إحلال العلم محل الدين، وإنما يهدف إلى التوفيق والتعاون بين العلم والدين، لأن كلا منهما لازم لسعادة الإنسان». كذلك فقد أكد (سبنسر) رائد الداروينية الاجتماعية الأول في علم الاجتماع؛ أكد في مؤلفاته الأخيرة «أن العلم لا يمكنه الزعم بأنه قد كشف الغموض الذي حاول الدين أن يتكلم باسمه، ولازالت

المعرفة - كل المعرفة - نسبية، والدين له مجاله، والعلم له مجاله، ويستطيعان من خلال التصالح بينهما أن يسهم كل منهما في تطور البشرية وارتقائها».

وينطبق نفس الأمر على (أجست كونت)، الذي ربط الدين بالتخلف والعلم بالتقدم، وأكد الاختلاف الجذري بين مناهج اللاهوت، ومناهج التفكير الوضعي في فلسفتها وضعية. فقد أكد في نهاية حياته «أن الإسلام كدين للتوحيد يتمشى مع الحالة الوضعية لخلوه من الغموض ومن العبث، وتميزه بالعلمية وبساطة شعائره». .ونفس الأمر ينطبق على زعيم الإلحاد والمادية (كارل ماركس) الذي قال في مراسلاته مع البابا في نهاية حياته «إنه لم يكن أبداً الهاتف بموت الإله الذي لم يتنكر له - حسب زعمه - وإنما كان يسعى لتحرير الإنسان».



سان سيمون

وبغض النظر عن صدق ومضامين هذه الأقوال وأهدافها، فإنها تشير إلى حقيقة الفطرة الدينية وحقيقة التوجه الديني إلى الخالق، وإلى أثر المناخات الاجتماعية والثقافية والمصالح والأيديولوجيات الكاذبة في طمس هذه الحقيقة وذلك التوجه، وإنه يظهر حتى عند كبار الملحدين لحظة دنو الأجل.

سابعًا : اقتران الإسلام - في نظر الغرب - ببعض الاتجاهات التي تلتزم بالعنف والإرهاب، وهي اتجاهات تنتسب للإسلام اسمًا ولكنها منحرفة عن جوهر الإسلام الحقيقي، فمن أهم مناهج الإسلام في التغيير والإصلاح : التدرج والإقناع وليس العنف.

ثامنًا : العداء التاريخي بين الإسلام والغرب، فقد انتشر الإسلام في الغرب لاعتناق الناس عقيدته ومبادئه الأخلاقية عن قناعة وطيب نفس، ولكن الغرب المسيحي والكنيسة الغربية ظلوا يناصبون الإسلام عداءًا شديداً، وما يزال الغرب حتى الآن يخشى التوسع الإسلامي الذي امتد تاريخيا إلى إسبانيا وكاد يتوغل في فرنسا، وقد عمقت الحروب الصليبية العداء بين الغرب والإسلام، خاصة وأن الإسلام له مشروع حضاري عقدي وشرعي

وإنني أعتبر ندوة (القراءة الغربية للقرآن) رائدة وسباقة في تناول هذا الموضوع، والفضل للسابق في هذه المواجهات، وفي العمل على تحصين الأمة ورد الشبهات والأباطيل عنها .

وهناك نقطة أخرى أود الإشارة إليها؛ فقد يصاب البعض بالذهول عندما يعرف أن الغرب أقام حوالي ألف موقع لمواجهة الإسلام والدسّ عليه، فضلا عن عدد كبير من الفضائيات التي تقوم بذات الدور، وهذه وتلك تنفق عشرات الملايين من الدولارات، وهنا يتضح مدى الفارق الكبير في الاهتمام بهذه الأجهزة والأدوات التي تحقق أسرع اتصال بالناس في كل مكان . وعلى ذلك فلا بد من توجيه عنايتنا واهتمامنا إلى هذا الميدان المهم واستثماره في تحقيق أهدافنا.

وهناك اليوم ما يسميه البعض (الدعوة الإلكترونية)، وقد أشار بعض الباحثين في الندوة إلى أن المشكلة الأولى التي تصادفنا تتمثل في أنه قد يبحث أحد أبنائنا - من خلال الانترنت - عن (آية قرآنية) في إحدى سور القرآن الكريم، فيقوده (محرك البحث) إلى تلك الأباطيل التي يروجون لها مثل (الفرقان الحق) وغيره، وهنا تكمن الخطورة !! فضلا عن أنه إذا كان يبحث في قضية فكرية أو عقدية أو فقهية في الإسلام فتخرج له - عبر المواقع المضللة - مفاهيمُ منحرفة، وهنا تكمن الخطورة، لأن (الانترنت) أهم وأسرع وسائل الاتصال في هذا العصر، وإذا لم نحسن التعامل معها فنحن أميون رغم أننا نقرأ ونكتب.

لذلك فإنه لا تخفى أهمية وضرورة تشجيع المواقع الموجودة والإكثار منها، وأن نعمل على غرس الثقافة الإسلامية الأصيلة لدى أبناء المسلمين، بأسلوب يتوخى البساطة والدقة في العرض والاستنتاج . والأمر المهم الآخر هو العمل بجد مع المخلصين وتوجيه ذوي الخير والمحسنين إلى الإنفاق في هذا السبيل .

وفيما يتعلق بالإعلام وأهميته فلا يخفى الدور الذي تؤديه الفضائيات، ولهذا فإنني أؤكد على

وأخلاقي واجتماعي وثقافي، يختلف جذريا من حيث المنطلقات والأساليب والأهداف عن المشروع الغربي، وما تزال الحروب الصليبية تمارس ضد المسلمين اليوم في مناطق عديدة من العالم، وما يزال الغرب مصرًا على اقتلاع الإسلام من أوروبا.

تاسعًا : النزعة العنصرية المسيطرة على الفكر الغربي والتي تعلي من قدر الإنسان الغربي، وتحط من قدر إنسان القارات القديمة. وقد ظهرت هذه النزعة العنصرية عند عالم الاجتماع الفرنسي (لوسيان ليفي بريل) في كتابه (العقلية السابقة على المنطق Pre-Logical Mentality)، كما ظهرت في النزعة الجوبينية نسبة إلى (أرتودي جوبينو A.De Gobuneau) صاحب دراسة بعنوان : (النظام الاجتماعي ودعائمه الطبيعية 1898) و (فاشي دي لابوج V.De la Pouge) في فرنسا صاحب دراسة بعنوان : (اصطفاءات اجتماعية). ويحاول هؤلاء العنصريون فهم قضايا التقدم والتخلف والتنمية في ضوء عوامل بيولوجية عرقية لا أساس لها من العلم أو الواقع.

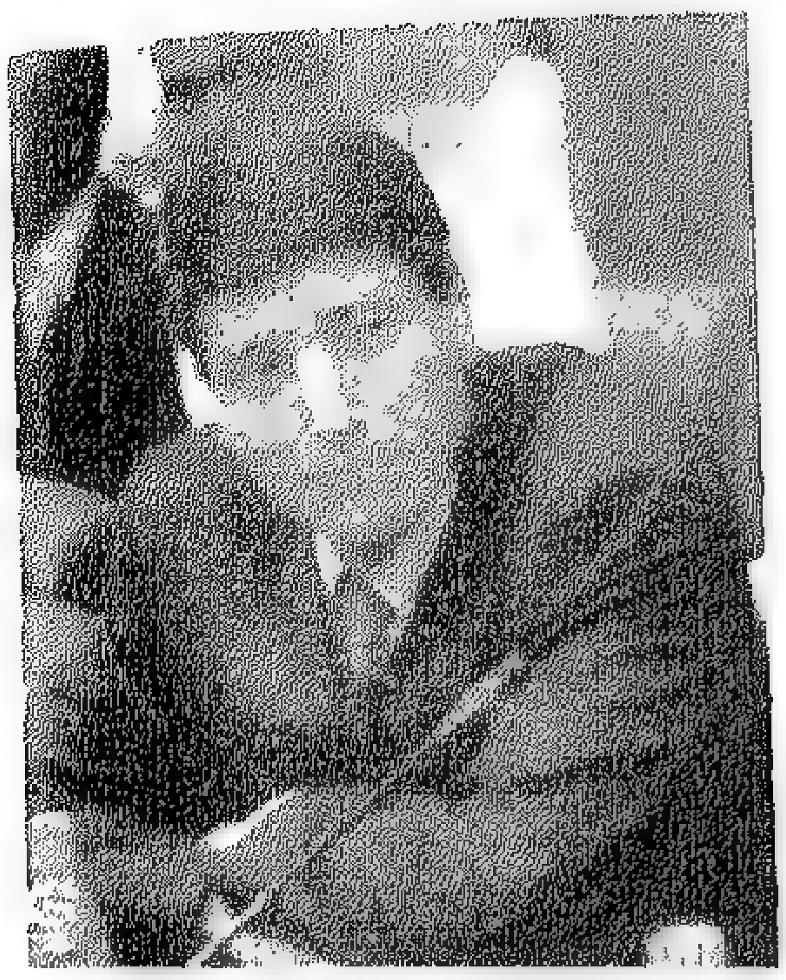
عاشرًا : ومن بين أهم عوامل العداء للدين في الفكر الغربي مجموعة قوى لعبت دورًا مهمًا في صياغة هذا الفكر وتشكيله، سواء على المستوى التاريخي أو المعاصر، فقد حرفت المسيحية في العالم الغربي، وامتزجت بعناصر وثنية وتحت تأثير عوامل عدة، منها الإمبراطور الروماني (قسطنطين) الذي فرض المسيحية على الإمبراطورية الرومانية. يقول (دوربيير) الباحث الأمريكي في كتابه (النزاع بين الدين والعلم): «دخلت الوثنية والشرك في النصرانية بتأثير المنافقين الذين تقلدوا مناصب عالية وخطيرة في الدولة الرومانية، والذين تظاهروا بالنصرانية، ولم يكونوا يحفلون بأمر الدين، ولم يخلصوا له يومًا من الأيام. وكذلك (قسطنطين) فقد قضى عمره في الظلم والفجور، ولم يتقيد بأوامر الكنيسة إلا قليلاً في أواخر عمره عام 237 مسيحي. ولقد ارتكبت كل المنكرات والمهازل من استغلال اقتصادي، وتسلط سياسي، وظلم اجتماعي، وانحراف أخلاقي، حتى داخل دور العبادة نفسها باسم الدين.

ولعل هذا هو أحد أسباب العداء الظاهر والباطن لدى العديد من مفكري الغرب للدين كدين دون تمييز. أما عن دور القوى الصهيونية، فقد استغلت سخط الناس على رجال الدين المسيحي من قساوسة وكهنة، واستطاعت أن تحول هذا السخط على ممثلي الدين المسيحي، خلال حقبة تاريخية محددة إلى سخط على الدين كدين. وقد استهدفت من وراء هذا تحطيم الأخلاق والولاءات الدينية والقيم العليا في حياة الإنسان، الأمر الذي ييسر لهم السيطرة على مقدرات العالم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية دون مقاومة تذكر. ونجد هذا واضحًا في أعمال كبار المفكرين الأوروبيين المعاصرين، مثل: ماركس، دوركيم، كونت، فرويد، دارون.. إلخ. فقد حاول ماركس إلغاء فكرة الغيب وقيادة حملة شرسة على الدين بوصفه أساس الظلم والطبقية ومدعم الاستغلال.. وحاول (كونت) إلغاء الدين بوصفه مدعما للتخلف ومضادا للعلم المادي، كما حاول إقامة دين وضعي يحل فيه الإنسان محل الإله، وهذا ما فعله (دوركيم)، الذي أرجع الدين والمفاهيم الدينية والأخلاقية إلى العقل الجمعي، وأنكر عالم الغيب، وحول الدين إلى ظاهرة اجتماعية، وهذا ما فعله (فرويد) الذي روج لفكرة إطلاق غرائز الإنسان ضمانًا لصحته النفسية، والابتعاد عن الكبت والصراعات والعقد النفسية، وهذا ما فعله (دارون) الذي حاول الترويج لفكرة أن الإنسان ليس إلا امتدادًا للمملكة الحيوانية، وأن ظهوره ليس إلا نتيجة صدفة عمياء، وأن وجوده ليس له هدف محدد. وتشير (بروتوكولات حكماء صهيون) إلى موقف الصهاينة إزاء الدين، فقد جاء فيها : «يجب أن نعمل على أن تنهار الأخلاق في كل مكان لتسهيل سيطرتنا. إن فرويد منا، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس، حتى لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح همه الأكبر إرواء غرائزه الجنسية، وعندئذ تنهار الأخلاق». كذلك فقد جاء في البروتوكولات : «لقد رتبنا نجاح (دارون وماركس ونيتشه) بالترويج لآرائهم، وإن الأثر الهدام للأخلاق الذي تنشئه علومهم في الفكر غير اليهودي واضح لنا بكل تأكيد».

حادي عشر: مهما قيل عن التعصب الديني المسيحي عند الغربيين، فالواقع أنه لا ينبثق عن انتماء عقدي وأخلاقي وقيمي، وعن قناعة بأهمية البعد الديني في حياة الإنسان، ولكنه أقرب إلى النعرات العرقية والقبلية والقومية من جهة، وإلى الدفاع عن مصالح اقتصادية ومادية وأوضاع قائمة من جهة أخرى. فالنمط الغربي للسلوك والعلاقات يخالف تماماً نمط الأخلاق والمعايير والقيم الدينية بما فيها الأخلاق المسيحية، فالإباحية والربا والاستغلال الاقتصادي والتسلط السياسي واستخدام الجنس والمخدرات وكل الأساليب الخبيثة في إدارة الأعمال. . كلها أمور لا تتفق مع النسق الأخلاقي لأي دين سماوي، ولا تحتل القيم الأخلاقية والواجبات الدينية هناك إلا ساعات خلال الأسبوع، يقضيها بعض الناس في الكنيسة يوم الأحد، والغالبية لا يذهبون إلى الكنيسة إطلاقاً. وقد مر معنا البحث الميداني الذي كشف عن أن نسبة كبيرة من المبحوثين لا يعترفون أصلاً بوجود إله، ولكن النعرة الدينية تستثار عندهم في مواجهة كل ما يهدد نمط الحياة والسلوك والمصالح المادية السائدة عندهم، وهذا ما جعلهم يخططون بكل الوسائل ضد الإسلام بالذات، لأنه يتضمن مشروعاً حضاريا يستند إلى الأخلاق والقيم التي تنبثق من العقيدة والشريعة الإسلامية، وهذا في نظري لا يعني الالتزام بالمسيحية عقيدة وأخلاقاً وقيماً، ولكن يعني الدفاع عن المصالح والخوف المرضي من الإسلام الذي يقضي على كل ضروب الاستغلال والانحراف المكرس لخدمة الصفوات الاقتصادية والسياسية والعسكرية المسيطرة في الغرب. فالتعصب المسيحي الغربي يؤدي وظيفة الحفاظ على نموذج الحياة والمصالح الغربي، في مواجهة محاولات تغييرها. ولما كان الإسلام هو الدين الوحيد الذي يتضمن إقامة مجتمع تسوده العدالة والإخاء، ويؤسس على الأخلاق والقيم أو على المنهج الإلهي الذي يحول دون الانحرافات في صورها كافة، نجد أنه هو الدين الذي يتركز ضده التعصب والهجوم الغربي من كل جانب، وقد لاحظنا هذا في فكر ماركس، وكونت، وفيبر، وفوكوياما، وهنتجتون، والعديد من المستشرقين.

الاقتراح الذي تم التأكيد عليه في المؤتمر العام للقيادة الشعبية الإسلامية العالمية، وفي هذه الندوة، حول ضرورة بعث قناة فضائية تحمل أطروحاتنا وأفكارنا وبرامج عملنا إلى العالم، وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية جديرة بأن تقوم بهذه المهمة، وقد أصبح ذلك من الضرورة بمكان، خاصة وأن الجمعية تسير وفق منهج علمي سليم يتميز بالاعتدال والوسطية والاتزان في التعامل مع قضايا الأمة، وتعمل على نشر قيم الخير والتراحم والتعارف والتعاون بين الناس جميعا . وبما أنها تعمل على نشر الإسلام الصحيح فإنها بالنتيجة تحب الناس جميعا، ومعروف المثل الذي يقول (بدل أن تلعن الظلام أوقد شمعة) والجمعية لا يهمها أن تلعن الظلام، ولا تريد أن تدخل في صراعات من أي نوع، ولكن كل ما يهمها هو أن تنشر الخير الذي يعم كل الإنسانية، وتنشر كلمة الحق باعتدال ووسطية، وبمنهجية وموضوعية، وتجادل بالتي هي أحسن . وهذا المنهج الذي تسير عليه الجمعية كفيل بأن يحقق الخير الكثير لكل الناس . وعندما نقول إن الجمعية لا بد أن تلج عالم الإعلام الفضائي، لأن هذا الإعلام له أثره السريع والمباشر، والمهم بلا شك، ولديها هذه القاعدة العريضة والكبيرة من الباحثين والعلماء والدعاة والأساتذة، فضلا عن قيادات العمل الإسلامي في كل قارات العالم الذين يمكنهم أن يساهموا في هذا المجال، وبالتالي تستطيع أن تخاطب الجميع من خلال هذا الثراء البشري والتنوع الثقافي بكل اللغات الحية، وتصل إلى كل الأقوام والشعوب، وهذا ما لا يتوفر لباقي المؤسسات والفضائيات الموجودة على الساحة اليوم .

ولا شك في أن هذا الأسلوب وهذا النمط من العمل والتعاطي مع قضايا المسلمين الذي تنهجه الجمعية - خاصة في اللقاءات الفكرية - هو الذي يخلق زخما مستمرا لأعمالنا . فليس هناك فكرة مسبقة، وليس هناك مشاريع مسبقة، وليس هناك قرارات جاهزة، بمعنى أن نأتي ونناقش ونتفق ونقرر، ثم ننفذ ما نتفق عليه .



ست طبعات جديدة
من ترجمات القرآن إلى اللغة الإسبانية
1994 ـ 2002 مسيحي

بقلم: د. ميكيل دي إبالثا *

ترجمة وتقديم: د. عبدالله الزيات **

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه، وبعد فإنني استسمح الإخوة الكرام عذرا في أنني لا أقدم شيئا هو من إبداعي أصالة، ذلك أنني أشترك في هذه الندوة بترجمة عمل قام به غيري، ولكنني أراه يمثل أنموذجاً مهما في قراءة الغربيين للقرآن الكريم، لأن هذا العمل يتناول ست ترجمات مختلفة من القرآن الكريم قام بها غربيون أصالة وثقافة، أو إقامة ومهجراً، وهم ينتمون إلى فترات زمنية مختلفة وشرائح اجتماعية وثقافية متنوعة؛ إذ منهم من كان ينتمي إلى القرن السابع عشر، وينتمي إلى شريحة مختلفة عن الغربيين المعروفين اليوم، ومنهم من هو مسلم ينتمي إلى الغرب أصالة وحضارة، ومنهم من هو مسلم يعيش في الغرب، ولكنه ينتمي إلى الشرق أصالة ومولداً، اضطرته ظروف ما أن يكون موجودا في الغرب، ومنهم من هو غربي صرف في الميلاد والحياة واللغة والثقافة والانتماء والمصير، ولعل هذا المزيج الموجود بين أصحاب هذه الترجمات ـ و هو مزيج غريب في بعض وجوهه ـ هو ما يجعل ترجمة هذا المقال طريفة ومفيدة في ندوة تهتم بالقراءة الغربية للقرآن الكريم.

إن هذا العمل الذي أترجمه جاء بحثا ضمن تكريم المستعرب الإسباني عميد الدراسات العربية الحديثة في إسبانيا الأستاذ الدكتور بدرو مار تينيث مونتابث، الذي أفرد له المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد مجلده الخامس والثلاثين من مجلته العريقة في الدراسات العربية والاستعرابية في إسبانيا.

أما كاتب هذا البحث في لغته الأصلية فهو المستعرب الإسباني الكبير الأستاذ الدكتور ميغيل دي إبالثا، وهو أستاذ جامعي بقسم اللغة العربية في جامعة أليكتني، أي القنت، بشرق إسبانيا، وهو صاحب واحدة من هذه الترجمات التي يتحدث عنها في بحثه هذا.

---

* أستاذ جامعي بقسم اللغة العربية في جامعة أليكانتي (القنت) شرق إسبانيا، وهو صاحب واحدة من الترجمات الست التي يتحدث عنها في هذا البحث.

** باحث و أستاذ جامعي / ليبيا

قال باحث قبل أكثر من ربع قرن: «وأما النمط الثاني (من ترجمة القرآن) فإنه نمط الترجمات إلى اللغات الأوروبية، ويختلف هذا النمط عن النمط السابق بأن الترجمات الأوربية لم تكن بأيدي المسلمين، ولم تكن بهدف تدبر أحكام القرآن، وبالتالي لم تكن روح التقديس والإجلال التي عرفناها في الترجمات الشرقية متوفرة هنا»[1] . وإذا تابعنا هذا البحث عن هذه الترجمات للقرآن فسنعرف أن الأمر اختلف جدا عما كان عليه الحال التي يصفها هذا الباحث الذي كان يصف ترجمة القرآن قبل ربع قرن.

وأترك التقديم والتوطيد لبحث المستعرب عن هذه الترجمات، لعلني أفلح في أن أجعل الحضور الكرام يقفون بأنفسهم على ما قاله هذا المستعرب عن هذه الترجمات التي أعتبر كل واحدة منها قراءة غربية متفردة للقرآن الكريم:


ميغيل دي إبالثا

الترجمة:

جرت العادة في نوع من التكريم كهذا الذي يقام للأستاذ بيدرو مارتينيث مونتابث أن العمل العلمي الذي يعرض لشخصية ثقافية يكون مرتبطا بسبب ما والأوساط التي يعمل بها صاحب الشخصية التي يقام تكريمها، وفي هذه الحال فإن موضوع هذا المقال هو كذلك أي ذو علاقة وطيدة بما يهتم به الأستاذ المكرم مارتينيث مونتابث؛ فترجمة معاني القرآن الكريم كانت تقع ضمن اهتمامات الأستاذ المكرم، خاصة بإشرافه على أطروحات ممتازة للدكتوراه ذات علاقة بموضوعات قرآنية؛ وذلك منذ أطروحة راجي ثامي لعجمي في عام 1971،

(1) محمود الربداوي، دراسات في اللغة والأدب والحضارة، ط1 مؤسسة الرسالة بيروت 1400 / 1980 ص91.

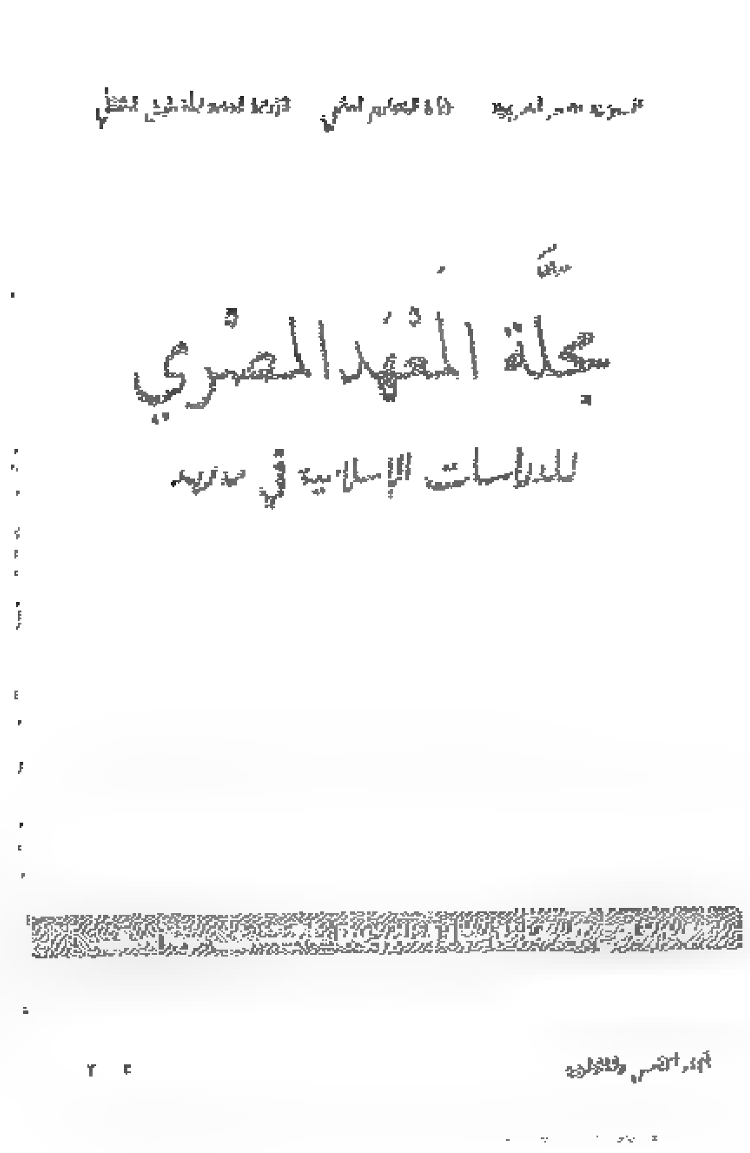
ومن الأسس التي ننطلق منها أننا ننبذ التطرف، ونرفض كل الأفكار الهدامة، ونتجه نحو الاعتدال والتوازن والوسطية، والتعامل مع كل القضايا وفق رؤية مستنيرة لا ترفض الآخر. فهذا النسق وذلك الأسلوب في العمل كفيل بأن يرفع الوعي لدى الناس في تعاملهم مع قضايا الأمة، وأيضا ـ وهذا مهم جدا ـ هو نبض الشارع، لأننا ـ في مؤتمراتنا وملتقياتنا وندواتنا ـ كثيرا ما نسمع ونستمع للخطاب الرسمي، وقليلا ما نسمع أو نستمع إلى نبض الشارع، وسوف يستمر العمل ـ إنشاء الله ـ وربما بوتيرة أسرع، لأننا نلاحظ أنه عمل نوعي يرتقي بخطواته، يخوض في قضايا عديدة تهم جميع المسلمين، ويعمل بهدوء، وبعلم وروية، وهذا سبب أساسي من أسباب النجاح، لأن الذين يعملون بصخب وارتجالية يتوقفون في منتصف الطريق، وربما قبل ذلك .

وما لاحظته أن الجمعية تعمل على أن يرتبط المسلمون بمؤسسات إسلامية فاعلة كبرى، ليتم التفكير في همّ المسلمين جميعا، أي الإحساس المشترك بين الجميع، والتداول في القضايا الكبرى بشكل جماعي، وكل مسلم يدافع عن دينه وذاته وهويته ومجتمعه الذي يعيش فيه ويساهم في تقدمه ورقيه، ويعمل على إثبات قدرته ومساهمة أمته في الحضارة الإنسانية .

كما أن الجمعية توفر الإطار الذي يعطي المسلمَ القدرة على أن يتفاعل مع قضاياه، وتعطيه ما يستجيب لحاجياته وما يريده من المسلمين في العالم، من خلال رؤى وتصورات ودعم مادي .

كما أنها تسعى إلى أن يرتبط المسلمون بالأفكار التي تخدم حاضرهم ومستقبلهم، بمعنى أنها تجسد الارتباط بالأمة بما يحقق الخير لجميع الناس، وهي تريد أن تحيي مفهوم الأمة في كل هذا المنظمات والهيئات والمؤسسات والشخصيات لتجدهم بالتالي يساهمون جميعا في نهضة الأمة وتأكيد مساهمتها في الحضارة الإنسانية، ولا يخفى عليكم أن هذا الموضوع من الأهمية بمكان.

حتى أطروحة الأستاذ المغربي محمد برادة، التي نوقشت بعد السابقة بثلاثين عاما، والأستاذ مونتابث نفسه كان قد قبل مني عملين صغيرين ذوي علاقة بالقرآن، لنشرهما في مجلته المنارة المتخصصة في العالم العربي الإسلامي المعاصر[2].



لقد كانت مجلة المنارة واحدة من البدايات الجماعية المشتركة في ميدان الاستعراب الإسباني للأستاذ مارتينيث مونتابث، وربما هي واحدة من أهم المطبوعات الطامحة إلى تجديد الدراسات العربية والإسلامية في إسبانيا، وهي دراسات كانت قد وجدت في النصف الثاني من القرن العشرين انطلاقا من المعاصرة في كل الميادين إذا ما أخذنا في اعتبارنا ما حدث في المنظر العام للعقود الثلاثة الماضية.

لقد أعاقت صعوبات اقتصادية وسياسية تلك المحاولة للتجديد الموسع الذي بوشر العمل فيه، و لكن ليشمل أيضا موضوعات أكثر قدما، قامت بها فرق أخرى من المستعربين في مجلة أوراق التي تصدرها وزارة الخارجية إلى مستقبل لم يعلم مداه.

إن موضوع القرآن مرتبط مع أعلى درجات المعاصرة التي أحبها دائما الدكتور مارتينيث مونتابث. القرآن في اللغة العربية -كما هو في تراجم معانيه التي جعلت رسالته الاجتماعية الدينية معروفة في لغات أخرى - هو ظاهرة اجتماعية ودينية، منذ ما يقرب من ألف ونصف الألف من السنين، ولكنها أيضا بمعاصرة متعددة وحيوية كبيرة.

ولهذا فإنني كنت قد اخترت أن أقدم دراسة هي تحليل نصي للاختلافات بين هذه الطبعات الستة المعاصرة لمضامين القرآن الكريم، كما تعود المسلمون أن يسموا ترجمات القرآن (تراجم معاني القرآن) إلى اللغات الأخرى [3] ، إنه موضوع إسلامي مهم بشكل خاص؛ لأن القرآن نفسه يطرح مشكلة التوازن بين الرسالة السماوية الموجهة إلى كل واحد عبر لغته، وبين لغة خاصة بالنص الإلهي؛ اللغة العربية التي جاء فيها القرآن بطريقة معجزة وفي شكل فريد.

من جهة أخرى فإنه يوجد تأكيد عام على أن رسالة القرآن قد جاءت إلى كل الناس؛ الرجال والنساء؛ كل واحد في لغته، كما أراد الله :

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[4]
[سورة إبراهيم: الآية 4]

ولكن من ناحية أخرى فإن خصوصية رسالة محمد ﷺ كانت معلنة في الكتب المقدسة السابقة له، في لغة عربية واضحة :

---

(2) ميغيل دي إبالثا M. De Epalza «Una nueva traduccion castillana del Coràn» Dos Almenara Madrid 1973 239-242 y cuentos tunicinos de tematica socio-relegiosa , Las ventanas y la llamada a la oracion del alba, de Muhammad Tachuna , Almenara 5-6 /1974 ,240-268.

(3) انظر دراسة عن إعجاز القرآن - تبين ملخص هذا الموضوع الذي كثرت أدبياته في العربية وغيرها ، كما يؤمن به كل المسلمين - في الدراسة الثالثة من الدراسات التي أرفقت لطبعتنا القطلونية للقرآن ، التي تتناول إعجاز القرآن ، و قيمة الترجمة كما يرى علماء الدين المسلمون م. إبالثا L ' Alconà.. I cinc estudist . Barcelona 2001, 2002 pp.1047-1056 ؛ إن العنوان الذي يضعه بعض المسلمين لترجمتهم للقرآن إلى لغات أخرى لذو معنى كبير ؛ ذلك لأنهم بهذا العنوان يتجنبون أن أحدا ما يستطيع أن يفكر أن تلك التراجم هي شيء من القرآن في نصه الأصلي في حين أنها شروحات، أو معاني ما فهمه بعضهم من القرآن ، أو هي بالأحرى ترجمة للمعاني فقط ، وإن كانوا في بعض الأحيان يضعون في العنوان المكمل «ترجمة» فإنهم يفعلون ذلك ليفهمه الإسباني المقصود بالترجمة ، انظر أمثلة وشروحات عند ميغيل دي إبالثا مرجع سابق ص1048.

(4) إبراهيم 4] وقد كتب المستعرب لفظ الآية في حروف لاتينية كما هو المصطلح الإسباني في النقل إلى العربية ولكنه أخطأ ؛ إذ جعل اللفظ لِيُبَيِّنَ: لِيُبَيِّنُّ، ولعله خطأ طباعي ، (المترجم).

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ * وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[سورة الشعراء: الآيات 192-196]

ولهذا فإن النص القرآني لا يمكن أن يكون مقلداً من أحد؛ لا في العربية، ولا في أي ترجمة إنسانية؛ إنه المعجزة الأولى من الله المؤيدة لمحمد ﷺ كما هو الاعتقاد عند المسلمين:

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[سورة يونس: الآيتان 37 و38]

عندما ذهبت لأعمل في هذه الدراسة المقارنة بين الترجمات الإسبانية الستة الأكثر حداثة (أي في ذلك الوقت 2003) وهو عمل كان في البداية معنونا ب «دراسة قصيرة» بدأت أبعاده في الزيادة على ماكان يتوقعه الأفاضل المنظمون لهذا العدد (المخصص من صحيفة المعهد المصري) لتكريم بدرو مارتينيث مونتابث [5]، و مع هذا جعلته مختصرا في ثلاث نقاط محددة:

1- تقديم مراجع ومصادر هذه الترجمات الستة ومعلومات موجزة عن أصحابها وعن دور النشر التي صدرت عنها، وعن بعض ظروف النشر الأخرى.

2- بعض الانطباعات عن القبول الاجتماعي، أو سيرورة هذه التراجم الإسبانية للقرآن، في المجتمع الإسباني، وهو مايشير إلى بعض التجديدات المهمة في المنظر العام المزدحم

(5) هن ثلاث أستاذات للغة العربية والإسلام بجامعة أوتونما في مدريد وهن الدكتورات : أورورا كانو، وروسا مارتينيث ليّو، وكارمن رويث برابو ، مع المدير الحالي للمعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ، الدكتور محمد أبوالعطا ، بمناسبة مرور نصف قرن على هذه المجلة العلمية.



د . محمد عبد السلام لودوزا

باحث اسلامي وداعية/ فرنسا

نحو شكل جديد من البروتستانتية !!

توفي الشيخ عبد الواحد يحيى في السابع من شهر أي النار (يناير) سنة 1951 مسيحي، بعد مسيرة إيمانية وعمل دؤوب في سبيل الله استمرت ثلاثين سنة، استقر خلالها بأرض مصر ودفن في مقبرة القاهرة الكبرى.

ويعد الشيخ عبد الواحد يحيى، وهو فرنسي الجنسية، من كبار الدعاة، وقد ألف أكثر من عشرين كتابا موجها في الأساس إلى المثقفين الغربيين، بهدف إيقاظ من يمكن إيقاظه بعد أمد طويل من الانغماس في الحضارة المادية المعاصرة .

يعرض الشيخ في كتاب ألفه سنة 1927 مسيحي، مؤشرات ومعطيات لتقييم الحالة الراهنة للعالم وما وصلت إليه الحضارة الحديثة . ومن أهم ما شد انتباهه هو أن الفردية هي التي أودت بالغرب إلى السقوط الحضاري الذي تبدّت مظاهره بوضوح، فهو يعتبر أن الفردية ليست في حقيقتها إلا إنكارا لكل مبدإ مهيمن أوسابق للفرد . ومن هنا يختزل دعاة الفردية الحضارة الإنسانية بجميع وجوهها في العنصر البشري ولا شيء غيره.

وهو يرى أن الغاء أي مبدإ سام في نمو الحضارات يترك للنزعة الفردية الإستئثار بالتحكم في مسيرة الأحداث لتحقيق أسوأ النوازع البشرية المنغلقة عن كل قيد، لغياب أية

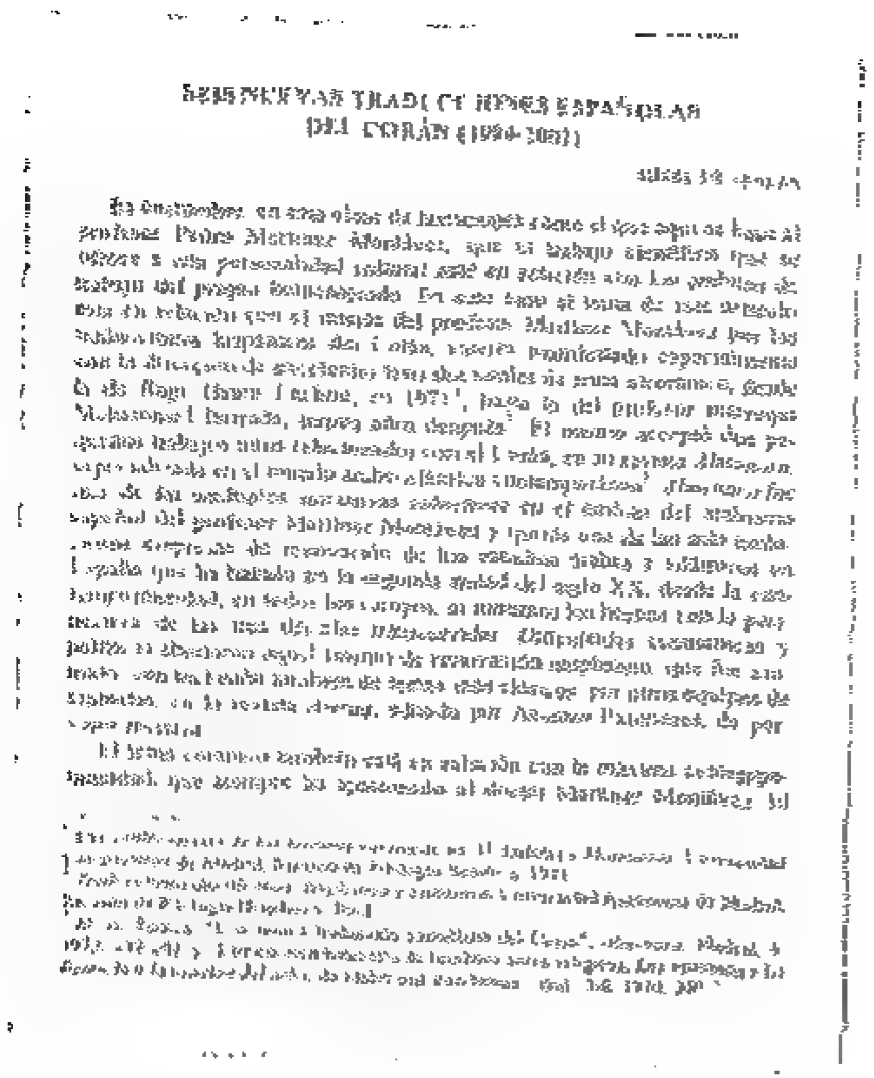
بالتراجم العديدة للقرآن إلى لغات شبه جزيرة إيبيريا (6).

3 - مقارنة نص قصير من القرآن وهو السورة الأقصر فيه؛ أي السورة ذات الرقم 108 وهي سورة الكوثر في هذه الطبعات الستة، يمكن أن يتاح عن طريقها الدراسة المقارنة لمعرفة كيف فعل في هذه الترجمات بمناهج متعددة استعملها كل من خ.ب أرياس Arias ومحمد برادة والمتحدث نفسه مع المساعدين لي من جامعة القنت Alicante وهم خوسيب فوركاديل Josep Forcadell وخوان م. بيروخو (7)

I - استعراض هذه الطبعات من ناحية المصادر ومن ناحية ظروف أخرى

استمرارا لما سبق نقدم المعلومات الأساسية في الوصف لهذه الترجمات الإسبانية للقرآن المطبوعة بين عامي 1994 و 2002، متخذين لها الأرقام من 1 – 6 لتحديدها والإشارة إليها بهذه الأرقام، وهي ترجمات إسبانية في اللغتين القشتالية أو الكتلونية، قام بها إسبان وطبعت في إسبانيا، إنها ترجمات مختلف بعضها عن البعض الآخر، وهي جميعا مختلفة عن الترجمات السابقة لها كما سنبين فيما بعد.

الترجمات الأربعة الأولى ترجمات مختصة



ترجمة سورة الكوثر

بالمسلمين؛ قام بها مسلمون وقصد بها المسلمون بالدرجة الأولى، والترجمتان الأخريان أكاديميتان جامعيتان، واحدة منهما تصحبها دراسات حديثة (وهي التي تحمل الرقم 5) والثانية يصحبها نص منقول مؤرخ ببدايات القرن السابع عشر (أي التي تحمل الرقم 6).

معلومات النقل يمكن أن يتوسع فيها أكثر بشكل واضح وهي أيضا مرتبطة بقيم جديدة كما يحدث بشكل خاص في كل بحث يقام حول المعاصرة، وخاصة عندما يكون المؤلفون والناشرون للترجمات لا يزالون على قيد الحياة، ولم يكونوا هدفا مباشرا للاستقصاء لصالح هذا البحث، وهو منهج سيعطي - بكل تأكيد - نتائج جد مهمة (8).

---

(6) إنها توسعة أو تطويل للدراسات السابقة لميغيل دي إبالثا

Traduccions hispaniques de l'Alcorà en4 L'Alcorà Traducci de Làrab al català .introducci a la lectura I cinc estudis alcoranics (con la colaboración de Josep Forcadell y Joan M.Perujo (Barcelona,2001,2002,1057-1083, Traducciones del Coràn al español. El Coràn (Quràn, Al coràn) en sus traducciones españolas desde la Edad Media hasta el presente en Escritura, individuo y sociedad en Espaàa y Las Américas Simposio en homenaje a las hermanas Luce Lopez-Barralt y Mercedes Lopez- Barralt , 19-20 de Noviembre de 1998, Universidad de Puerto Rico, en prensa ,(Traducciones catalanas del Alcoràn z en Joyas escritas. Los fondos bibliogrƒficos àrabes de Cataluña , Barcelona, 2002, 101-113) también en los volumenes en catalàn e Inglés).

(7) انظر محمد برادة في عمله المذكور سابقاً، وخوان بابلو أرياس في عمله المعنون بـ « Traductor confeso y màrtir :ocho versiones del Coràn en español مترجم معترف بجنايته وشهيد ثمانية طبعات من القرآن في اللغة الإسبانية وذلك في Esther Morillas وانظر أيضاً خ. ب. أرياس Arias El papel del traductor, Salamanca 1997 371-386 وانظر أيضا ميغيل دي إبالثا Epalza traducciones del Coràn» al espanol» وهو عمل مشار إليه سابقا في الصحف السيارة ، وانظره خاصة في الطبعة الأولى من ترجمة القرآن وبصفة خاصة في ص 1083- 1094.

(8) عليّ أن أذكر ملاحظات مهمة حول بعض المترجمين وبعض الترجمات الحديثة للقرآن يعود الفضل فيها إلى المستعرب والمختص في الدراسات الإسلامية المكون في جامعة الكمبلوتنسي بمدريد ريكاردو فيليبي البرت ريناس .

1 ـ القرآن: ترجمة أدبية وشروحات، بقلم آلبرو ما تشوردوم، مدريد 1980، وترجمة جزئية بلنسية 1995، وبلنسية 2000، 604 صفحات.

ولد المترجم في الماثورا بكاستيّون عام 1923 إنه مدير جمعية الجالية الإسلامية في إسبانيا، وهو تاجر وصحافي ومؤلف لعدة كتب ذات موضوعات دينية، وتاريخية إسلامية معاصرة، يمثل الجيل الأول من الجمهوريين المسلمين المبعدين (إلى أمريكا اللاتينية والاتحاد السوفييتي ومصر، مثل الكاتب توماس باريوس) مع مسلمين من أصل أجنبي (مغاربة وباكستانيين...) من المبشرين أوالكتاب في اللغة الإسبانية في عهد فرانكو.

2 ـ القرآن، ترجمة وتفسير بقلم عبدالغني (ميلارا نابيو)، غرناطة دار النشر الكُتُبية، 1994، 577ص .وبالما دي ميورقة، منشورات نور الدنى 1998، 599 ص المدينة المنورة، وزارة الشؤون الإسلامية 1417 هـ 1997 باللغتين (العربية والقشتالية).

ولد المترجم في بويرتو يّانو بثيوداد ريال]قلعة بني سعيد (عام 1957 وهو مقيم عادة في غرناطة، وهو عضو في جمعية الجالية الإسلامية في إسبانيا، وهي جمعية مرتبطة جداً بالمؤسسات الرسمية في المملكة العربية السعودية، حيث درس المعني بعد إنهاء دراسته في جامعة غرناطة، ولقد ساعدته هذه الجمعية (جمعية المرابطين) في أبحاثه ومطبوعاته التي نشرت، وخاصة هذه الترجمة للقرآن التي نحن بصدد الحديث عنها ، والتي نجده يزجي فيها شكره إلى مسلمين إسبان من جيله؛ أستاذ اللغة الإسبانية في كليات فقه اللغة وعلوم المعلوماتية في جامعة القطر الباسكي الدكتور إنريكي عبدالبصير أُخِمبارّينا غوثيريثلايا Inrique Abd Albasir Ojembarrena Goiricelaya وزوجته المتقنة للعربية والقرآن نعيمة القزويني، ورفيقه في المدينة سعيد ثيوداد إلخ.

الطبعة الثالثة من ترجمته المنقحة ـ كما هو الشأن في طبعاته السابقة في إسبانيا ـ طبعها في لغتين؛ النص القرآني في الحرف العربي، والترجمة الإسبانية، وقد

نية فوقية أخلاقية أوروحية، وبالنتيجة فإن النزعة العقلانية ذاتها التي لا تزدهر في الحضارات التي تحكمها النزعات الحيوانية الفردية.

ولأن الحضارة الغربية الحديثة أسست بالكامل على مبدإ (سلبي) في الأساس، أو بالأحرى على (غياب أي مبدأ حقيقي) ؛ فهي تشكل في السياق التاريخي للبشرية منذ آماد بعيدة ما يمكن وصفه بحالة كارثية، لا يمكن تفسيرها إلا بأنها الحلقة الأخيرة أو المفصلية لدورة تاريخية.

ويسهب الشيخ عبد الواحد يحيى في التدليل على أن الفردية هي النزعة التي تحكم جميع الظواهر التي تفرزها الحضارة المادية الحديثة، فهو يقول إن الفردية تلغي منذ البداية (الحس العقلاني) باعتبار أن الملكة العقلية هي في الحقيقة ملكة (فوق فردية) (Indiyiduelle Supra)، وذلك لأنها تتجاوز الحدود الفردية، ولها القدرة على التعامل مع الحقائق الذهنية والماورائية، وتمتلك ذاتياً معايير صدقيتها.

يقول (روني غينون) في هذا الشأن: إن الفكر الغربي لا يزال منذ نهاية القرون الوسطى ينحدر دون توقف، حتى ضاق الأفق العقلي العام، وانحبس الفكر الغربي في مجمله في بؤر معزولة ومظلمة، إن الرأي السائد عند المدافعين عن الحضارة الفردية هو أن الإنسان لا يستطيع استيعاب الحقائق الفوق إنسانية، وأن الإنسان هو أسمى ما يوجد في الكون، وهذه هي النزعة (الإنسانية) (Humanism) التي ميزت الفكر النهضوي الأوروبي.

ونتائج ظهور تلك الأفكار التبسيطية أثرت في كل مناحي الفكر الأوروبي، وخصوصاً في الفلسفة. فدعاة الحضارة الحديثة وضعوا ملكة التفكير العقلي المادي فوق جميع وسائل المعرفة، وأن ملكة الذكاء (الإدراك النظري للحقائق الكلية) لاوجود لها.

وهذا ما ذهب إليه (ديكارت) الفيلسوف والرياضي الفرنسي الذي أسس لنظرية (Rationalism) التي تعتمد على الاستدلال

أنجز هذه الطبعة مطبعة سعودية رسمية في المدينة، وتختص هذه الطبعة في طباعة ما يتعلق بنشر القرآن.

3 ـ رسالة القرآن، لمحمد أسد، وهي ترجمة وشروحات، وقد ترجمت عن اللغة الإنجليزية مع معرفة بالعربية والإسلام، قام بهذه الترجمة عبدالرزاق بيريث، المدوبر دلريو، قرطبة، المجلس الإسلامي، مركز التوثيق والمنشورات الإسلامية 2001، 28+975+50 ص ولكنه لم يوزع حتى عام 2002 ـ 2003.

المترجم الأصلي محمد أسد (ت 1992) مسلم من أصل نمساوي وقد درس الإسلام لوقت طويل في العربية السعودية، وضع هذه الترجمة إلى اللغة الإنجليزية مع هوامش غنية وشروحات عديدة للنص القرآني من منظور تاريخي ولغوي، وفوق ذلك توحيدي شرعي وروحي [9].

الترجمة الإسبانية لترجمته لمعاني القرآن قام بها المسلم الإسباني إميليو عبدالرزاق بيريث

الترجمة الإسبانية لترجمته لمعاني القرآن قام بها المسلم الإسباني إميليو عبدالرزاق بيريث ضمن علاقة مع الجمعية الإسلامية أو المجلس الإسلامي الذي تتبعه أيضا مجلة الإسلام الأخضر (التي بدأت في عام 1995) سواء في شكلها المطبوع على الورق أم في نسختها على شبكة الانترنيت، حيث تنشر بعض المقاطع من ترجمة القرآن لمحمد أسد [10]، وهذه المنشورات تمثل جزءا من نشاط المركز الإسلامي في قرية (المدوبر دل ريو) (قرطبة).

4 ـ القرآن: ترجمة وتفسير، لعبد الرحمن محمد معنان، إشبيلية مطبعة الجمعية الثقافية زاوية 2002، 114+128+125+139ص.

صاحب هذا العمل مسلم إسباني أصله من مدينة امليلية، وهو مقيم بشكل اعتيادي في إشبيلية، و له علاقة شبه حميمة مع الجمعية الإسلامية المدعوة بـ «الجماعة الإسلامية» في إشبيلية، وهذه الطبعة مجزأة إلى أربعة أسفار هي ترجمة لمعاني السور القصار أو الأخيرة من القرآن حيث تشمل الجزء الأخير من القرآن فقط؛ أي جزء عم.

والمترجم معنان هو أستاذ للدين الإسلامي، ولترجمته أوتفسيره تقديم تربوي مع بساطة في العلم، ولعل ذلك لسبب كونه يمارس النشاط التعليمي الذي يضطر أحيانا إلى الاختصار والإيجاز، رغم أن هذا النشاط مؤسس على المصادر الأولية المعتادة في علوم القرآن، كانت لهذا المترجم أيضا علاقة بما هو أيديولوجي وسياسي، مع الكاتب الإسباني، السياسي وصاحب الاتجاه الأندلسي أنتونيو عبدالرحمن مدينة، و مع مفسر القرآن في اللغة الإسبانية عبدالمؤمن آية، الذي يتفق معه في بعض ما يعرضه في تفسير القرآن، يمثل محمد معنان في إسبانيا فريقا نوعيا مهما يكونه مسلمون إسبان من أصل مغربي، وإن لم يكن يتمتع بمستوى جامعي نجده عند كتاب إسبان آخرين من أصل مغربي يتحدثون لغتين العربية والإسبانية، مثل محمد شكور أو عبدالرحمن شريف الترغي [11].

5 ـ القرآن: ترجمة إلى اللغة الكتلونية، مدخل إلى قراءة القرآن مع خمس دراسات قرآنية، بقلم ميكيل دي إبالثا، بالتعاون مع خوسيب فورّا كاريّل

---

(9) لقد ترجمت أعمال أخرى لهذا العالم المسلم الأوربي إلى اللغة القشتالية ، ومن بينها روح الإسلام ، الجمعية الإسلامية في إسبانيا ، مدريد 1983 ، والإسلام على مفترق الطرق ، فوينخيرولة 1995 .

(10) وياللعجب ، فقد نشر في عام 2002 ترجمة وشرح للسورة رقم 108] التي ستحلل ترجمتها أسفله[من عمل محمد أسد (ت 1992)]كذا[مترجمة من قبل بيريث ومشروحة من قبل مترجم آخر للقرآن إلى اللغة الإسبانية عبدالرحمن محمد معنان ، انظر سورة الكوثر 108 ، تفسير... الإسلام الأخضر المدوبر 6/18 2000 76–82 .

(11) هو دكتور في علوم التربية ومترجم ، وهو أيضا كاتب في الدراسات القرآنية وموضوع أطروحته للدكتوراه: الأيديولوجية الإسلامية ، البعد التربوي النفسي ، طباعة المعهد العربي الإسباني للثقافة ، مدريد 1977 .

وخوان.م.بيروخو، دار بروسا Prosa برشلونة 2001 ـ 2002، 277ص.

ميكيل دي إبالثا فيرير مولود في مدينة باو بفرنسا، وهو إسباني الجنسية، لقد كتب ونشر دراسات عديدة حول موضوعات دينية مسيحية وإسلامية وحول العلاقات الإسلامية المسيحية التاريخية والمذهبية كما يبين ذلك في كتابه (الدراسة الأولى مصادر ومراجع إسبانية عن الجزيرة العربية ومحمد والقرآن (الذي جاء في994 ص).

هو أستاذ الدراسات العربية والإسلامية بجامعة أليكانتي أي القنت (في شرق إسبانيا) وقد ذكر أنه عمل هذه الترجمة بمساعدة أستاذين للغة الكتلونية مختصين في الترجمة، موجودين بالجامعة نفسها وهما خوسيب فورّكاريّل (مجاز في التاريخ واللغة الكتلونية) وموظف كبير في الشؤون الثقافية بمقاطعة بلنسية، وخوان م بيروخو مجاز في اللغة الكتلونية وأستاذ للترجمة الأدبية إلى هذه اللغة وينجز أطروحة للدكتوراه فيها.

لقد حملت الترجمة ـ في فريق لمدة حوالي خمس سنوات ـ هؤلاء الثلاثة على أن يعدوا منشورا يشرح طريقتهم في العمل معا، لقد أرادوا أن تكون هذه الترجمة من العربية إلى الكتلونية مباشرة، وأن تكون أدبية ودينية،كاملة وواضحة، ميسرة على القراء الكتلان، ولكنها متجنبة للتمسيح الطبيعي لترجمة في لغة «ممسحة» جداً تُستعمل عند الحديث عن موضوعات دينية.

ويبرر هؤلاء المترجمون منهجهم في الترجمة في الدراسة الخامسة من الدراسات التي تصحب الترجمة للقرآن، لقد استحق عملهم هذا (أي ترجمتهم هذه للقرآن) جائزة أحسن كتاب مترجم إلى اللغة الكتلونية (وهي جائزة منحتها بلدية برشلونة عام 2002) كما استحق هذا العمل الجائزة الوطنية لأحسن كتاب مترجم إلى لغة من لغات إسبانيا لعام 2002 الممنوحة من وزارة الثقافة.

تمثل هذه الترجمة الاهتمام الجامعي التقليدي

بالمنطق الرياضي. ومن نتائج الفكر المادي النهضوي إشاعة الوهم بأن الحقيقة في الطبيعة الملموسة، وأن الإنسان لا يستطيع استيعاب ما يخرج عن نطاق حواسه، ولاطائل من محاولة البحث عن الحقيقة خارج حدود الطبيعة. يقول الشيخ عبد الواحد يحيى: إن دعاة الحضارة الفردية الحديثة يلغون قدرة الإنسان على امتلاك (الحس العقلاني) أوالقدرة على إستيعاب الحقيقة (الماورائية) التي سادت الحضارات السابقة، وهم بذلك يُلغون جميع ما ترتب عن المعتقدات الدينية والروحية، والنتيجة المنطقية لهذا النمط من التفكير هي أنه حتى كلمة الحقيقة لم تعد تعني شيئاً في رأيهم، وأن كل ما يمكن إثباته يسمى (الواقع الحالي) الذي يثبت وجوده بالمدارك الحسية، أما الحقيقة المطلقة فلم يعد لها مكان في العالم الحسي الذي لا عالم سواه، فلا شئ ثابت ولاشئ مطلق.

ونتج عن ذلك كلّه تراجع كبيرفي العقائد التي لم تصمد أمام هجمة النظريات المادية، وتجمّد الفكر الديني، وتقدم إلى الواجهة الفكرالأخلاقي كبديل لاخيار فيه للأديان الأوروبية، إذا أرادت أن يبقى لها ذكر في المجتمعات، وحصل تشوه، إذ تحول الدين إلى مجموعة من المبادئ الأخلاقية لا أساس عقائدي قوي لها، وأكبر مثل لذلك (البروتستانتية الحديثة).

إن اندثار الأساس العقائدي، وغياب العوامل الإيمانية المؤسسة في مبدئها على الضرورة العقلية لوجود حقائق أولية ؛ أدى إلى ظهور تصورات عاطفية أو نسبية، مثل القول بأن وجود إله محدود القدرة، أو مبدإ نسبي ملهم ؛ أمر غير مستبعد. ويمكن العثور على مثل هذه التصورات الغامضة في الأدب مثل أدب (وليم جيمس)، وهي سفاسف لا تسمن ولا تغني من جوع. ويقول الشيخ (حسب رواية روني غينون): إن (البروتستانتية) هي الدين الذي تشكل وفقاً للتيار الفردي الذي شكل الحضارة الحديثة في الغرب، فهي نتاجه في المجال الديني.

بمعرفة ما دعاه المسلم الجزائري مالك بن نبي بـ «الظاهرة القرآنية» كما تمثل التعريف بها، مع بعض التجديدات المنهجية المهمة.

6 ـ القرآن: مخطوط موريسكي ينتمي إلى العام 1606، وهو ترجمة للقرآن لموريسكي مجهول بمدخل لخوان بيرنيت خينيس، نقله إلى الحرف اللاتيني لويس روكي فيغولس، برشلونة، طباعة الأكاديمية الملكية للفنون الجميلة ببرشلونة والجامعة الوطنية للدراسة على بعد (سيريس مايور) 2001، 22+ 413ص.

هذه التراجم الخمس التي قام بها مسلمون إسبان تمثل جوانب مختلفة جدا بين المؤمنين بالإسلام في المجتمع الإسباني

النص المخطوط في اللغة القشتالية وفي الحروف اللاتينية مؤرخ بعام 1606 كان محتفظا به في مكتبة محافظة طليطلة، وقد درسه بعض الباحثين وخاصة الهولندي خيرارد ويـــخيرس Gerard Wiegers والأمريكية كونسويلو لوبث موريياس Consuelo Lopez Morillas المختصة في ترجمات المدجنين والموريسك للقرآن، وهم المسلمون الذين كانوا يعيشون في المجتمعات المسيحية في شبه جزيرة إيبيريا، وتعد هذه الباحثة الأمريكية طبعة علمية لغوية لهذا المخطوط الطليطلي منذ سنوات، الطبعة الحالية هي نقل حرفي كامل للمخطوط قام به لويس روكي فيغولس Lluis Roque Figuls مع مدخل موجز لخوان بيرنيت أستاذ اللغة العربية المتقاعد في جامعة برشلونة، وواضع عدة تراجم للقرآن إلى اللغة القشتالية، وهي تراجم ذات انتشار كبير منذ عام 1953، وهو مشرف على أعمال جامعية كثيرة في ترجمة القرآن قام بها المدجنون والموريسكيون، الفرق الكبير والرئيس بين هذا النص والأجزاء الأخرى التي درست من قبل أن هذا ليس مجزأ وإنما هو النص القرآني كاملا كتب في اللغة القشتالية بحروف لاتينية وليس مزدوج اللغة بحرف عربي وهو الخاميادو كما هو الشأن في المخطوطات التي درستها كونسويلو لوبث موريياس، كما أن أصل هذا المخطوط يعرض أشياء شبيهة بالرموز والشفرات وذلك من حيث عدم معرفة كاتبه والموجه إليه أو المخصص باسمه، وقد حاول الباحثان غير الإسبانيين اللذين أشرنا إليهما سابقا أن يحلا هذه الرموز والشفرات، لكن دون نجاح نهائي حتى الآن.

إن المجهول الذي وضع هذه الترجمة ليعد ـ لمجهوده اللغوي الذي اتضح فيها ـ واحدا من أكثر الكتاب أهمية، إذ هو من الكتاب الذين يمثلون المسلمين الإسبان في تلك المجتمعات الإسبانية القروسطية والحديثة، وقد كان هؤلاء الكتاب منحدرين من الأندلسيين المتحدثين بالعربية ولكنهم كانوا يندمجون لغويا وخلال طرق عديدة بالمجتمعات المتحدثة بالإسبانية.

تمثل هذه الطبعة أيضا مجهود بعض الباحثين المتخصصين ـ سواء أكانوا إسبانا أم غيرهم ـ منذ القرن التاسع عشر، لدراستهم هذا الجانب المختص بالآداب الإسبانية والترجمات الإسلامية[12].

2 ـ بعض الانعكاسات حول الانتشار الاجتماعي لهذه الطبعات من الترجمات الإسبانية للقرآن

هذه الطبعات الست من ترجمات القرآن من العربية إلى اللغات الإسبانية المختلفة (قشتالية القرن العشرين / الواحد والعشرين، وقشتالية بدايات القرن السادس عشر، إذا كانت الترجمة حقا تنتمي إلى عام 1606 كما يذكر في المخطوط الطليطلي، وليست قبل هذا التاريخ، وإلى اللغة الكتلونية الحديثة) فهي تكمل السلسلة الواسعة للترجمات المعروفة إلى اللغات الإسبانية منذ القرن الثاني عشر حتى القرن الواحد

(12) انظر لويس فرناندو بيرنابي Luis Fernando Bernabé Pons , Bibliografia de la Literatura aljamiada-morisca, Alicante (1992, 2ed, muy ampliada en preparaciòn) مصادر ومراجع الأدب الخاميادو الموريسكي .

والعشرين، ولكنها تمثل بعض التجديدات مقارنة بالمشهد السابق للتراجم الإسبانية للنص المقدس في الإسلام.

1 ـ أول هذه التجديدات أن الخمسة تراجم الإسبانية المرقمة من 1 ـ 4، 6 واضح أنه قام بها مسلمون إسبان، فقبلا كان المسلمون يمثلون متعاونين أو معاونين للمترجمين الأساسيين حينما قام بذلك بعض المسلمين من أمريكا (الأرجنتين، المكسيك، الولايات المتحدة) والمملكة المتحدة من المتضوين في بعض الأحيان تحت لواء مجتمعات ينتشر فيها القرآن مثل باكستان[13]، وبالنسبة للبرتغالية يعطى جزء أكثر تنويعا بين مسلمين برتغاليين ومسلمين من البرازيل وموزمبيق [14].

الترجمة الوحيدة المحتفظ بها في اللغة الكتلونية والمطبوعة مجزأة هي الترجمة عن االغة الإنجليزية، وهي ترجمة عملتها فرقة الأحمدية وهي جمعية تعتبر نفسها مسلمة وإن لم يعترف بها المسلمون[15]. ففي إسبانيا لم يوجد قبل ذاك بكل تأكيد تراجم للقرآن الكريم عملها مسلمون أصالة أومعتنقون جددا للإسلام، أو مسلمون من أصل غير إسباني، وذلك بسبب قلة عدد المسلمين في البلاد.

لكن الآن فإن هذه التراجم الخمس التي قام بها مسلمون إسبان تمثل جوانب مختلفة جدا بين المؤمنين بالإسلام في المجتمع الإسباني: فواحد منهم هو جمهوري بلنسي عاش في المنفى وهو صحفي وكاتب [1]، وواحد مسلم جامعي؛ حصل دراساته الجامعية في غرناطة والعربية السعودية [2] وآخر ذو ظروف

(13) انظر ترجمات رحال بيرالتا (1945) في بوينس أيرس وهي إلى اللغة القشتالية لواضعها عبود (1953) أيضا في بوينس أيرس الفريق الذي يقوده فاروقي (1986) في المكسيك ولاهو في الباكستان، كاريّو عطاء الله (1988) ف يتلفورغ بالمملكة المتحدة هلاك أو حلاك (1998) في الولايات المتحدة، وطبقا للمعلومات المجموعة في الموضوع لدى ميغيل إبالثا : القرآن وخمس دراسات ص 1080-1081.

(14) انظر المرجع السابق ص 1075-1076.

(15) انظر المرجع السابق ص 1072-1073.

إن تطبيق مبدأ الفردية في المجال الديني أدى إلى ثورة على الكاثوليكية وظهور البروتستانتية، التي يمكن اعتبارها النتيجة المنطقية لتطبيق مبدإ رفض وجود المبدإ الأول السامي لصالح الفرد الإنساني بإعتباره (القيمة الأولى والأخيرة). لذلك نرى البروتستانتية تترك مسائل العقيدة الأساسية جانباً، وتهتم بالأمور البشرية الصرفة، بالتكيف مع الواقع، ومسايرة الإتجاهات الفردية، الأمر الذي أدى إلى المزيد من الفوضى والسقوط الديني والاجتماعي.

وهذا أمر طبيعي، لأن الدعوة إلى الفردية هي في الواقع دعوة إلى رفض كل مرجعية عليا، أي رفض مرجعية ذات قدرة معرفية أعلى من قدرات الأفراد، وهاتان الصفتان متلازمتان لايمكن فصلهما، لذلك فإن الفكر الغربي المعاصر لا يقبل أية سلطة روحية ذات مرجعية عليا، وتبعاً لذلك لا يقبل أية مؤسسة روحية تستند إلى تلك المرجعية.

لذلك جاءت البروتستانية لتحل محل المرجعية العليا بعد أن الغت محتواها كمصدر للعقيدة، وأسست بدلا عنه مبدأ (الاختيار الحر) أي: لكل أن يعتقد ما يشاء حسب إمكانياته العقيلة وقناعاته الشخصية، وأن كل شيء يمكن أن يخضع للنقاش والنظر العقلي، وهذا يعني أن كل الانحرافات والاختلافات والتناقضات متاحة ومباحة. وهذا هو سبب ظهور الطوائف والبدع الدينية الكثيرة، والتشتت والضياع الذي تعاني منه المجتمعات الغربية المعاصرة.

ومع ذلك تظل البروتستانتية تحمل تناقضاً أساسياً، فهي بالرغم من إعطائها قدراً كبيراً من الحرية في الإختيار للفرد، فيما يتعلق بالعقيدة؛ إلا أنها لا تستطيع أن تتنازل ـ على الأقل نظرياً ـ عن المبدأ (فوق الإنساني) المتمثل في مصدر الوحي.

ولكن البروتستانت يتفادون هذه المشكلة بإخراجها من حيز النقاش والتفكير، وصرف الناس إلى الأمور الإنسانية المادية، حتى أفرغوا عملياً دينهم من محتواه الأصلي الذي

مشابهة لظروف السابقين، غير أن تكوينه الثقافي لم يستمر لفترة طويلة، وهو يترجم عن ترجمة مسلم أوربي آخر أي نمساوي، هو نموذج في العلوم الأوربية والعربية [3] ورابع هو من مدينة امليلة، وهو مسلم منذ الولادة، ذو أصل مغربي [4]، وخامس هو موريسكي مدجن أندلسي مندمج (اضطرارياً) في المجتمع المسيحي، مجتمع عصر النهضة الأوربية، ومجتمع العصر الذهبي في الأدب الإسباني [6]، وكل هذه الأصول الاجتماعية لهؤلاء المترجمين هي أصول جديدة إلى حد كبير في المنظر العام للترجمات الإسبانية للقرآن وإن كانت توجد لها نظائرها أو ما يوازيها في أقطار أخرى وعلاقات علمية وثقافية كثيرة مع زملائهم المترجمين غير المسلمين.

الترجمة إلى اللغة الكتلونية [5] تكتسب أصالتها من الترجمة الجامعية التي يقوم بها المستعربون المترجمون للقرآن، ليسوا فقط لأنهم يقومون بالترجمة إلى لغة «جديدة» أي الكتلونية التي لم يحتفظ فيها بمحاولات الترجمة السابقة التي عرفتها القرون الوسطى والحديثة، وإنما لأنهم قاموا بها ضمن فريق من الاختصاصيين، عملها كما تقتضي ممارسة اختصاصه (16).

إنها طريقة جديدة في العمل في المشهد العام لترجمات القرآن إلى اللغات الإسبانية، كما كان جديدا في هذه اللغات أن يترك المترجمون عنها في منتصف القرن العشرين اعتمادهم بشكل عام على لغة واسطة للترجمة إلى هذه اللغات، كما فُعل في القرون الوسطى في شبه جزيرة إيبيريا (من اللاتينية والفرنسية والإنجليزية) وقد كان واضحا أن الذين يترجمون من

النص المخطوط في اللغة القشتالية وفي الحروف اللاتينية مؤرخ بعام 1606 كان محتفظا به في مكتبة محافظة طليطلة، وقد درسه بعض الباحثين وخاصة الهولندي خيرارد ويخيرس Gerard Wiegers والأمريكية كونسويلو لوبث موريياس Consuelo Lopez Morillas المختصة في ترجمات المدجنين والموريسك للقرآن،

العربية مباشرة لم يتخلوا عن استعمال الترجمات التي توجد في لغات أخرى، و يرون أن تلك الترجمات هي الأحسن، فكانوا يستعملون لغة ثالثة أو ترجمة ثالثة أداة مساعدة على العمل، مثلها في ذلك مثل المعاجم والتفاسير والموسوعات العربية؛ الحديثة والقديمة.

يوجد أيضا وضع اجتماعي آخر جديد يمثل مطالب جديدة في بعض ترجمات القرآن، إنه الحاجة إلى التكوين الديني الإسلامي للمسلمين من متكلمي اللغة الإسبانية؛ أي المعتنقون الجدد للإسلام، وأن تقدم الترجمة في شكل تعليمي صحافي[1]، بطريقة مدرسية [4] وبطريقة حضارية مهذبة [2] وبطريقة تنمو عن علم غزير [3] بتبسيط وإغناء الأدوات الإعلامية التي يمتلكها متحدثو الإسبانية - سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين - لمعرفة القرآن والإسلام (17)؛ إذ يعترضهم بعض المشاكل الخاصة الناجمة عن الترجمة بين الاجتهاد في المحافظة على المعاني الأصلية لعربية القرآن (مبدعين ألفاظا عربية في اللغة

---

(16) نعد نحن الثلاثة بعض المنشورات التي تشرح كيف كان عملنا في النص وكيف وجدنا نحن مجتمعين أحسن المناهج التي تجعل قارئ اللغة الكتلونية يستطيع أن يفهم القرآن فهما أحسن على مستويات عديدة (صرفية نحوية ، وأسلوبية ، وكتابية وخطية ، وعلى مستوى أسماء الأعلام ، وتواتر الرواية).

(17) انظر هذه المظاهر في الانتاج المتنوع لدور طباعة الكتب والمنشورات الإسبانية ذات الموضوعات الإسلامية خاصة دور الطباعة الإسلامية في كتاب ميغيل دي إبالثا « A Bibliografa Hisphica » هو مرجع مذكور سابقاً ص 986-1013 وانظرها أيضا في كتاب ماريبيل فييرو وماريا خيسوس كانيثيرو "Las publicaciones de los musulmanes en Espana" منشورات المسلمين في إسبانيا «وفي بحث م .خ . كارنيثيرو باث وفرنناندث م. فييرو Bibliogra'a sobre los musulmanes espanoles y europeos » الذي جاء في مجلة أوراق ، في عددها 28 ، الصادر بمدريد عام 1997 ص ص 106 ــ 150 ، 207 ــ 229 .

الإسبانية أو محيين استعمال ألفاظ خمسة قرون مضت) وبين التعبير بطريقة يتفاهمون بها مع مواطنيهم الإسبان غير المسلمين مستعملين مصطلحات دينية مسيحية تقليدية في هذه اللغات المترجم إليها، وقد كان هذا الموضوع أيضا واحدا من التحديات التي واجهت الترجمة إلى اللغة الكتلونية [5]، ففي اجتهادها أو حماستها للتوضيح اللغوي والدقة الدينية (فزعت بوجه خاص إلى ترجمة صريحة أو كاشفة للنص الأصلي).

فالنجاح الحالي لإعادة الطبعات والنشرات لترجمات القرآن الأقل حداثة ـ حتى أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين ـ ذو دلالات كثيرة؛ من بينها الاهتمام الواسع الذي يبديه المجتمع الإسباني بنص المسلمين المقدس، الذي هو أيضا ثروة متاح للإنسانية جمعاء أن تستفيد منها، لكن يجب أن يقال بإنه فيما عدا دار النشر الكتلونية بروا Proa[5] النشطة في مجالها فإن دور النشر الخمسة الباقية التي قامت بنشر هذه الترجمات ذات بناء ضعيف إلى حد ما، وهي ذات قنوات توزيعية محدودة، وذلك مقارنة بالنشرات أو الطبعات المعادة سابقا (مجموعة دور الطباعة والنشر: أوسترال، بلانيتا، إيردر).

دور الطباعة عامة هي جمعيات دينية إسلامية [2]، [3]، [4] و [1] وهي تقريبا ممولة من الخارج، أو هي ممولة من قبل الكاتب نفسه الذي ينشر فيها [1] والمؤسسة الكتلونية المغمورة التي تكفلت بطباعة المخطوط الموريسكي [6] مع الجامعة الوطنية للدراسة عن بعد، ليس لها ذكر في مجال النشر الجيد، لكن يذكر لها نجاحات في مجال طباعة كتب الجيب، وهي نجاحات لا تذكر في مجال ما نتحدث عنه، إضافة إلى ذلك فإن الموضوع يتعلق بكتاب تاريخي لم يكن في أسلوب موجه لمتحدث بالإسبانية يعيش في القرن الواحد والعشرين.

وبإيجاز: يمكن أن يقال إن النصوص الستة الممثلة لمستويات مختلفة من ترجمة القرآن وتفسيره ودراسته

حلت محله التأويلات والنظريات التي يستأنس لها، كل حسب هواه...

إن خطورة (مبدأ الفردية) و(الفلسفة الإنسانية) التي نشأت عنه، والتي جعلت من الإنسان القيمة الأولى في هذا الكون ؛ تظهر في تعميم منهج قابلية النقاش والنقد على كل مناحي الفكر والحضارة، فكل شيء خاضع للإنسان، ولاشئ فوق الإنسان، ولاعلم فوق علمه.

ولونظرنا مليًا في هذا الإدعاء لوجدنا أن الإنسان باعتماده هذه المقولة إنما يعزف عن الصعود بهمته على الحقيقة العليا، ويدعي أنه ينزلها إلى مستواه، وهو لايدرك أنه يفسد بذلك كل شيء.

يمكن للبشر أن يجادلوا بعضهم بعضا في المسائل الحياتية بوسائل التفكير المنطقي المادي، وبإمكانهم طرح الادلة والأدلة العكسية. وبإمكانهم الاستمرار في النقاش دون الوصول إلى رأي مشترك، مثل ما يحدث في المناظرات الفلسفية، وفي هذه الحالة يُعزَى عدم التوصل إلى رأي يقبل به الجميع إلى عيوب في طرح أوتناول القضايا الفلسفية. فالنقاش في هذه الأمور يكون عادة السبب في تعميق الخلاف وتعقيد المسائل مهما بدت منطقية.

ومرد ذلك أن المتجادلين الذين لا يتفقون على مرجعية مشتركة يُخضِعون تفكيرهم، وبالتالي نقاشهم، إلى ختياراتهم، ويرفضون الانهزام، فيكون جدالهم ترسيخاً لاختلافاتهم.

السبب الأول في ذلك هو افتقادهم للرغبة في الوصول إلى (المعرفة الحقيقية) فلا أحد منهم يؤمن بوجود تلك (الحقيقة) المطلقة..

فما من فيلسوف من فلاسفة الغرب يهتم بمثل تلك الحقيقة المطلقة، وهمهم الأول هو وضع نظام فكري فلسفي يرتبط بأسمائهم أو يكون لهم فيه باع، وكلهم يسعون إلى طرح أفكار جديدة تجلب لهم الشهرة والصيت..

فمبدأهم هو أن طرح فكرة جديدة خاطئة خير من الدفاع عن فكرة قديمة راجحة !.

ـ وهي ما يمكن أن تتجاوب مع اهتمامات القراء المختلفة سواء أكان هؤلاء القراء مسلمين أم غيرهم ممن يهتم بمعرفة النص المقدس للإسلام ـ تتلخص مستوياتها أو ملامحها الرئيسة في الشكل التالي:

ماتشوردوم Machordom: ترجمة موجهة إلى جمهور عام للتعريف العام بالنص القرآني مع وضوح وبساطة.

ميلارا Melara: ترجمة القرآن (الطبعة الثالثة في لغتين: النص الأصلي في العربية) وهي واضحة ومشروحة بشكل مبسط لبيان المضامين الرئيسة للنص وأبعاده الدينية عند المسلمين مع مستوى ثقافي عال وميسر جداً.

أسد ـ بيريث Asad -Pérez: ترجمة القرآن مع تفسيرات كلامية وعلمية غزيرة، قديمة و حديثة، مع مستوى ثقافي عال وواضح إلى حد ما.

معنان Maanan: ترجمة ما زالت جزئية مع نقل صوتي للنص العربي في حرف لاتيني، وهو مشروح شرحاً ميسراً ومختصراً، حتى ليعد الكتاب الترجمة مدخلا للنص القرآني.

إبالثا Epalza: ترجمة أدبية تشتمل على تعريفات وشروحات لئلا تنقطع القراءة بهوامش تصرف القارئ عن متن الكتاب، وقد ختمت هذه الترجمة بخمس دراسات تحليلية.

المخطوط الموريسكي الذي ينتمي إلى العام 1606: ترجمة عملت قبل حوالي 400 سنة في لغة ذلك العصر، وهي أيضا مع تعليقات شارحة مضمنة في الترجمة الحرفية.

هذا هو التوصيف الجدولي لهذه السلسلة من الإنتاج القرآني الذي تعرضه هذه الكتب التي صدرت حديثا، ولعلها تلبي اهتمامات القراء المتعددة، فهذه الطبعات تضيف بعض التجديدات إلى الطبعات السابقة لترجمات القرآن في اللغات الإيبيرية (أي القشتالية والقتلونية والغاليسية والبرتغالية).

اهتمامات قراء هذه التراجم تعتمد أو تنطلق أساسا من الطابع الثقافي للجماعات الاجتماعية الاسلامية المتعددة في إسبانيا (كما بينا ذلك في عمل سابق) وخاصة غير المسلمين من المترجمين وهم الذين لهم الجزء الأكثر من القراء لتراجم القرآن الكريم، وإنه من غير الممكن أن يكون استقبال هذه الطبعات الست من الترجمات في مستوى واحد، إلا ترجمة ماتشوردوم وميلارا وإيبالثا، ولكننا لا نبحث عن الجدارة المنهجية في هذه الترجمة الأخيرة.

وعلى كل حال فإن ترجمة القرآن القشتالية الأكثر قبولا بين المسلمين الإسبان والأمريكان وحتى الشيعية الإيرانيين والمسلمين المهاجرين (أو اليهود) هي ترجمة خوليو كورتيس طبقاً لاتصالاتي الشخصية المحدودة، أو انطلاقا من متابعاتي لإحالاتهم التي يحيلون بها في بحوثهم أو أحاديثهم إلى هذه الترجمة.

اهتمامات قراء هذه التراجم تعتمد أو تنطلق أساساً من الطابع الثقافي للجماعات الاجتماعية الاسلامية المتعددة في إسبانيا

3 ـ مقارنة بين طرق الترجمة في هذه الترجمات الست:

يمكن أن يحلل الطابع العام للترجمات الإسبانية الست الأخيرة للقرآن الكريم، ويقارن في مثال واحد وهو السورة رقم 108 من القرآن، أي سورة الكوثر ، وربما ليس هو النص الأكثر تمثيلا للأسلوب القرآني ولكنه يمثل السورة الأقصر، و هو واحد من أكثر السور أو الآيات التي تساق لهذا الغرض، لاستعماله في ميدان التدليل على أسلوب القرآن المعجز في أقصر سورة منه، ونحن نسوقه أيضا لأنه سهل الحفظ حتى على غير العرب (80٪ من المسلمين اليوم من غير العرب فهم ناطقون بالهوسا والكردية والفارسية والتركية والأردية والوولف والقشتالية والكتلونية والغاليسية والبرتغالية).

فبعد تقديم النص العربي المكتوب في الحروف اللاتينية حسب اللغة الإسبانية سنضع عقبه نصوص الترجمة الستة[18].

لم تقصد هذه المقارنات أن تبين بالدرجة الأولى أي هذه التراجم أفضل، وإنما قصدت إلى بيان كيف حاول كل مترجم أن يحل المشاكل العامة التي تواجه مترجم النص العربي الأصلي للقرآن، والمشاكل الخاصة التي تعترض عند ترجمة هذه السورة، ومن الواضح أن هذا المنهج من الدراسة يتعلق أو يتناسب كثيرا مع قيمة الترجمات أمام النص الأصلي، لكنه يسمح بتثمين تكملة هذه الترجمات لبعضها، وأهمية أن تعطى أسبقية أو أولوية للمضمون، تمت بصلة معنوية أو نحوية إلى النص القرآني، أو تضيف إلى الحرفية أو التقليد النحوي والصرفي.

(وقد كتبت سورة الكوثر في حروف لاتينية وعلى الطريقة الإسبانية وذكر أعلاها (أي عنواناً لها ولترجمتها):

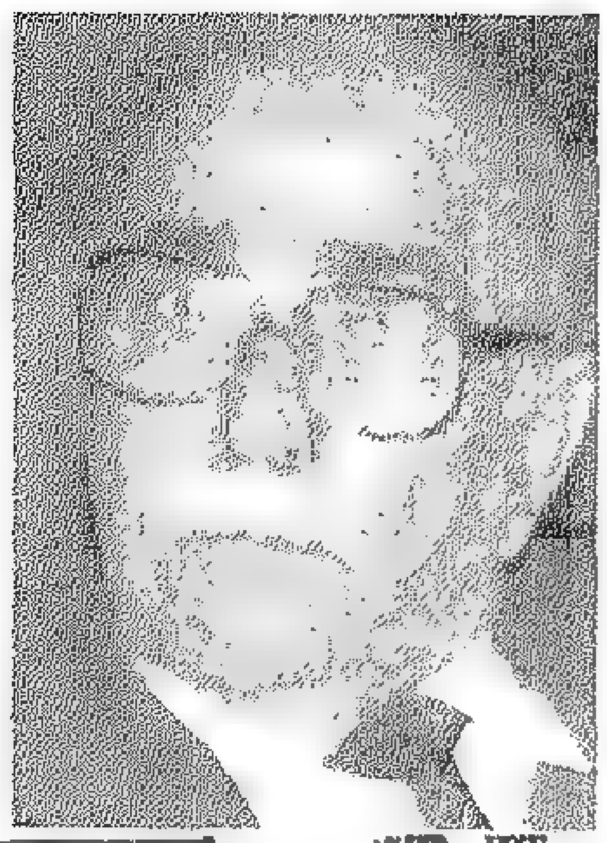
1 ـ في ترجمة ماتشوردوم الصادرة في 1995 (ص451): سورة رقم 108 الكوثر (ترجمة:الكوثر).

2 ـ في ترجمة ميلارا الصادرة عام 1998 (ص 562): 108 سورة الكوثر (ترجمة الكوثر).

3 ـ في ترجمة أسد وبيريث الصادرة عام 2002 (ص967) سورة 108 الكوثر (كتبت الكلمة العربية بالحرف اللاتيني وترجم معناها إلى الإسبانية).

4 ـ في ترجمة معنان الصادرة عام 2002 (ص 81) سورة 108]وترجم كل من كلمتي الكوثر والسورة وكتبا في لفظهما العربي بالحرف اللاتيني أيضا؛ حيث ترجمت كلمة سورة إلى مصطلح توراتي أو إنجيلي capistulo.

(18) انظر هذه الطريقة من المقارنة بين التراجم القشتالية المتعددة لسورة الكوثر (كانسينوس Cansinos ، بيرنيت Vernet كورتيس Cortes ، كاريُّو عطا الله Crrillo ata allah ميلارا Melara ماتشوردوم Machordom) وبعض النتائج التي يمكن أن تستخرج من هذه التحليلات المقارنة عند ميقيل دي إبالثا Mekel de Epalza Traducciones espanols del Coràn y estudis alcoranics 1083-1093.



د. السائح علي حسين
كلية الدعوة الإسلامية/ طرابلس

نحاسب أنفسنا قبل الآخرين ونصحح أخطاءنا!!

من خلال متابعتي للمناقشات والمداولات على مدى يومين لاحظت أن نسبة ما تحدّث به المتحدثون عن أعمال الأوروبيين أنها كانت أعمالاً تاريخية، ولأنها كانت أعمالاً تاريخية فإن ذلك لم يخطر ببالي، بل إنني دُهشت لذلك. لكنني أستطيع أن أقول وبيقين : إنني أتابع كل ما يُنشر حول ما يقوله المستشرقون، والمبشرون، وما يكتبه الأوروبيون، وما يترجمه المترجمون ؛ أتابعه يكاد يكون شهرا بشهر أو يوما بيوم، وبالتالي فإن كل ما قيل في هذه الندوة لا أحسب أن فيه واحدا على ألف لم أسمعه أو لم أقرأه، بل هذا ما أدرسه لطلابي في هذه الكلية، ونشرته في كتبي ودراساتي مذيلا بالمراجع والمصادر، ولم آت بشيء من عندي. وهذا ما جعلني لا اكتب بحثا أو ورقة للندوة، لأنني كنت أظن أن الأساتذة والباحثين المشاركين سيتناولون ما يُكتب الآن، أي ما هو حديث في هذا الجانب، وإذا بي أتابع معلوماتي ومحفوظاتي. وما دام الأمر كذلك فدعونا ـ إذن ـ نحاسب أنفسنا بوصفنا مسلمين مسئولين أمام الله ورسوله.. ماذا عملنا للدعوة ؟

الرسالة خُتمت بمحمد ﷺ لكن البلاغ مستمر، ورقابنا في الحق، ونحن مسئولون أمام الله.. ماذا عملنا لهذا الدين ؟

الرسول محمد ﷺ وضع أمامنا النموذج عندما كلف حسّانا بأن يتعلم لغة (السريان) حتى يستطيع أن يرد على الرسائل أو يكتب رسائل، وكان يبعث بالرسائل إلى الملوك في عصره، ويبعث من الصحابة من يترجم هذه الرسائل، وليبلغ ما يريد الرسول إبلاغه.. وعلى فترة من الزمن نسينا هذا

5 ـ في ترجمة إبالثا الصادرة عام 2002 (ص969): سورة 108 الكوثر (وكتبت كلمة الكوثر في النطق العربي والحرف اللاتيني على الطريقة الكتلونية مضافا إليها ترجمتها).

6 ـ في المخطوط الموريسكي الذي ينتمي إلى العام 1606 المنشور عام 2001 (ص405): سورة الكوثر (وكتبت في اللفظ العربي المحرف، والحرف اللاتيني القريب من ذلك العصر؛ أي ما يمكن نطقه اليوم: أثورا، أما الكوثر فكتبت كما تنطق في العربية في الحرف اللاتيني أيضاً».

بعض المقارنات

وإن تركنا هنا جانباً التحليل المقارن للترجمات الستة في كل نقاطها ـ رغم أن هذا التحليل أمر يمكن لنا أن نثبته للبداية ولدعوة القارئ إلى هذا العمل الفكري المفيد ـ فإنه يمكن أن ندرس أموراً مثل الخط أو الوضع الكتابي وعلامات الترقيم التي هي أدوات تعبير كتابية حديثة تسمح للصوت الإنساني بأن يؤدي دوره بطرق مختلفة تبينها هذه العلامات التي لم تكن موجودة ـ كما هي اليوم ـ في الكتابة العربية التقليدية التي كانت مستعملة في القرن السابع (المسيحي).

ترقيم الآيات ـ وهو أداة كتابية مهمة، لتيسير إثبات نص محدد ومضبوط، وهو نظام حديث جدا (القرن التاسع عشر متابعة للتوراة، وفي القرن العشرين في الطباعة العربية) ـ له أيضا أهميته، وكذلك الوقف والوصل ـ كل في وقته ـ لهما أهميتهما التي قد يختلف المترجمون في فهمها أو تقديرها، وكذلك ربط جمل مجزأة بين عدة آيات أو ترك هذا الربط هما من الأهمية بمكان.

وأيضا من الأهمية بمكان مراعاة سياق النص بين موضوع وآخر (مثال على ذلك كلمة ذات معنيين، أو كلمة أخرى قد ترى مقحمة على النص، أو يتفهم منها ما بين السطور كما يقال حتى مع علامتي الاقتباس، أو مع جملة تشير إلى المادة التي يتحدث فيها أو يبحث فيها، بين علامتي اعتراض) في نصوص أطول من سورة الكوثر، مع أنه في هذه الأخيرة يمكن أن توضح الفروق الموضوعية، أو العلاقة المتبادلة بين موضوعات هذه الآيات الثلاثة، (أسد [3]فقط هو الذي تجرأ أن يجمع بين موضوع الآيتين؛ الأولى والثانية، ليفهم معناهما بدقة ووضوح) أما إبالثا [5] فقد وضع الترقيم في نهايات الآيات مثل الطبعة العربية التي خرجت عام 1923 للإشارة إلى طابعها أو شكلها الثانوي في النص الذي ليس في حاجة إلى الوقف والوصل إذا لم يتطلبهما معنى النص.

هذا المنهج من الدراسة يتعلق أو يتناسب كثيرا مع قيمة الترجمات أمام النص الأصلي، لكنه يسمح بتثمين تكملة هذه الترجمات لبعضها، وأهمية أن تعطى أسبقية أو أولية للمضمون.

النص الموريسكي الذي ينتمي إلى العام 1606 [6] ليس به ترقيم الآيات؛ لأن هذا الترقيم نظام مساعد ظهر في الكتابة متأخراً قليلاً.

في نصوص أخرى أكثر طولا يمكن أيضا أن يدرس شكل الكتابة للتعبير عن الفروق بين الموجه إليهم الخطاب القرآني، انطلاقا من المتكلم الأول الذي هو في العادة الله ـ معبراً عنه ظاهراً أو مضمراً ـ عندما يتحدث إلى النبي محمد ﷺ، أو إلى مخاطبين آخرين، أو يقول له الذي قد قيل لمن قبله، أو يكون المتحدثون آخرين طبقا لما يقوله (الله سبحانه وتعالى).

التعبير عن الفاعلين في الأفعال، أو التعبير عما تشير إليه دوال الملكية أمر يختاره المترجم، ويعتمد على لباقته، خصوصا عندما لايقوله النص بشكل واضح، إنه اختيار يستضيء كثيراً بالنص العربي الأصلي، وهو يزيل في بعض الأحيان بعض غموض قد يبدو لأول وهلة في النص القرآني نفسه.

أسماء الأعلام (أمكنة وأشخاصا وجماعات وغيرها) يمكن أن يعبر عنها بتعبيرات مختلفة في اللغة القشتالية، والمثال الواضح على ذلك الكلمة العربية كوثر؛ فإذا أريد بها أمراً معنوياً فهو

(abundancia) طبقا لاشتقاقها الأكثر سيرورة (وسيكون دون علامة العلم؛ وهي أن يكتب الحرف الأول فيه بحجم كبير، ولكن إذا أريد منها أنها شيء خاص أو مكان خاص فسيكون بالحرف الأول مكبراً، نعم إنه يحتمل في المقابل أن يكون علما على نهر في الجنة، وعندها سيوضع مثله مثل اسم العلم الخاص للنهر الكوثر]أي في نطقه العربي وحروف لاتينية لكنه صار علما في القشتالية أيضا بعد أن انتقل إليها من العربية، ولم تعد الحاجة إلى ترجمة هذا العلم ب abundancia قائمة، مثلما هو في التراجم 2]، 5، 6 أو يجب أن توضع المعاني الثلاثة (غزارة، نهر، جنة) في متن الترجمة وفي الهامش أيضا (كما هو الحال في الترجمة رقم 2) أو توضع الثلاثة مجتمعة في المتن فقط (كما هو الحال في الترجمة رقم 5).

سورة الكوثر تسمح أيضا بتحليل الفروق في الأشكال الفعلية بين اللغة الأصلية وهي العربية، واللغات المستقبلة أو المترجم إليها، وهي الرومانثية (لاتينيات عصر قبيل النهضة وبداياتها).

الأمر نفسه يمكن تأكيده في استعمال الأشكال والأدوات اللغوية العربية مثل نوع الفعل، أو حروف الجر، أو أدوات ربط، ونستشهد هنا بالمنهج المقارن الذي نجده في أعمال برادة وأرياس وإبالثا المذكورة قبلا (19).

وعلى سبيل المثال فإن فعل الأمر العربي «وَانْحَر» يمكن أن يترجم بترجمات عديدة:

- ❖ ofrece sacrificios كما هو الحال في التراجم التي تحمل الأرقام 1، 2، 3.
- ❖ sólo a Él sacrifica كما هو الحال في الترجمة التي تحمل الرقم 4.
- ❖ haz sacrificios de ofrendads santas كما جاء في الترجمة التي تحمل الرقم 5.

(19) انظر تحليل هذه الموضوعات أو المشكلات عند ميكيل دي إبالثا 1201/1095، لمعرفة الأمور النحوية والصرفية بوجه خاص انظر ص 1128-1145.

بل ربما وضعناه جانبا، وجاء عصر ازدهر فيه التبادل الثقافي، وجاء عهد المأمون، وجاء عهد الأمويين في الأندلس، حيث قمنا بدور عظيم جدا من خلال نقل كثير من العلوم والمعارف إلى العربية، واستعنّا بتراجمة من النصارى، ثم جاء زمن سيطر فيه الأتراك العثمانيون الذين كبلوا العقل وجففوا منابع الإبداع والعطاء الفكري، وربطوا على رؤوس (الشيوخ) من الداخل والخارج، وأصبح بيع المصحف للمشرك حرام، وأخذُ المصحف إلى بلاد الحرب حرام لا يجوز، وترجمة القرآن أمر لا يجوز، بل وقفنا عند وجهة نظر لأحد الفقهاء تتمحور حول هل يجوز للفارسي أن يصلي بالفارسية أم لا ؟ وقد دار حولها جدل كثير !!..

وفي سنة 1925 مسيحي ظهرت القديانية وقامت بذلك الدور المشهور والمشبوه في باكستان والهند، وقام محمد علي القادياني بترجمة القرآن الكريم، أو ترجمة معانيه، وأضاف له حواشي وذيولا طويلة، وطلع به على الإسلام، ووصلت نسخة من ذلك المصحف المترجم إلى مصر، وأقصى ما استطاع أن يفعله دعاة الإسلام ومن يدّعون المحافظة عليه أنهم قاموا بإحراق تلك النسخة، دون أن يكون هناك تفكير في البديل، فتلك الترجمة يتم تداولها في الباكستان والهند، وفي كثير من البلاد الأخرى، فهل تم إعداد ونشر ترجمة بديلة ؟؟ الجواب : لا، لم يتم ذلك.

وظهر رجل باكستاني مسلم جريء وشجاع وهو (عبد الله يوسف علي) فأخرج للناس في العام 1934 مسيحي ترجمته لمعاني القرآن الكريم نُشرت في لاهور. وهذا الرجل العملاق لعل بعضكم يعرف كيف انتهت حياته والبعض الآخر لا يعرف. لقد مات في دار للعجزة تتبع جمعية خيرية بريطانية !! ولا أريد أن أشير هنا إلى تلك المعاناة التي عاناها نتيجة الترجمة، والحرب الشعواء التي شنّت عليه بسببها.... إلخ.

قدم الشيخ مصطفى المراغي شيخ الأزهر مذكرة إلى مجلس الوزراء في مصر يطلب فيها تشكيل لجنة من الأزهر ووزارة المعارف، والخبراء وبعض المستشرقين، ومهمة هذه اللجنة إعداد ترجمات لمعاني القرآن الكريم توزع على المسلمين غير الناطقين بالعربية. وقد تمت المصادقة على المذكرة بشروط ومواصفات. ولكن هذه اللجنة إلى اليوم لم تجلس ولم تكتب سطرا واحدا !!

وأتساءل : ما الذي قدمته الجامعات العربية

❖ acuera tu alcurbén كما هو الحال في الترجمة التي تحمل الرقم 6، مع ملاحظة الكلمة العربية التي دخلت الإسبانية، وهي كلمة القربان alcurbén التي استعملتها القشتالية في الضحية من الضأن فقط، التي يذبحها المسلمون في عيد الأضحى.

والمشكلة هي مشكلة مصطلحات دينية، قد لا يصلح بعضها الذي يعبر به في دين لبعضها الذي يبدو مشابها في الدين الآخر، مثلما هو الأمر هنا في قضية التضحية أو الضحية والنحر التي لها مفاهيم في المسيحية غيرها في الإسلام، فالتضحية في المسيحية يمكن أن تشمل أنواعا كثيرة مختلفة عما هو في الإسلام، أو بالأحرى مختلفة عما هو مقصود من الفعل «انحر» في الآية.

المشكلة هي مشكلة مصطلحات دينية، قد لا يصلح بعضها الذي يعبر به في دين لبعضها الذي يبدو مشابها في الدين الآخر، مثلما هو الأمر هنا في قضية التضحية أو الضحية والنحر

النص الإسلامي (أي النص الموريسكي الذي ينتمي إلى العام 1606) رقم 6 لم يشك في التحديد والتعيين في ترجمته وتوظيفه لفعل الأمر السابق؛ حيث نجد الإشارة إلى التضحية الدينية الوحيدة في الإسلام؛ أي عيد الأضحى فيترجم (فصل لربك وانحر) بقوله: «Y haz aççala! الصلاة / ! a tu Senor ! / el aççala de la Pascua / ! Y acuera tu alcurbén !»

وفي الترجمة إلى الكتلونية؛ التي قام بها إبالثا [5] أراد المترجم أن يحدد نوع التضحية ويميزها عن التضحية المسيحية ولكن يظل ذلك محدودا بحدود؛ أولا حتى لا تفهم التضحية التي في الآية بأنها تضحية عامة، وحتى تميز عن التضحية اليهودية والمسيحية كما تفهم التضحية في الحضارة المسيحية الأوربية، وثانيا بدون التحديد بشكل واضح للمفهوم الحضاري للضحية في العيد الإسلامي المعاصر، حتى لا يُقوَّل النص افتراضيا مالم يقله واقعياً.

لقد عمل على ترجمة العبارة «وانحر» بما يضمن نقل المعتقدات الثقافية الإسلامية الرسمية المتعلقة بهذا الشأن.

أسماء العلم الخاصة تطرح مشاكل تمييز العلم المشار إليه؛ والمثال على ذلك العلم كوثر؛ وأما أسماء الأعلام الشخصية التوراتية التي جاءت في القرآن فإنها تفرض تعريفين أو توضيحين؛ ففي عربية القرآن Ibrahim (إبراهيم) وفي لغة مسيحية الدين؛ كما هو الحال في القشتالية والكتلونية (Abraham أبرآم) فيجب أن يوضع العلم - بطريقة أو أخرى - في شكليه المختلفين؛ لأنهما يمثلان شخصيتين مختلفتين؛ لكل منهما دور مختلف في المفهوم الديني في كلا النصين، أي النص القرآني العربي، والنص الإسباني المترجم إليه [20].

أيضا فإن الآية الثالثة تفرض أو تقتضي سياقا تاريخيا لغويا لم يبينه المترجمون إلا فيما يتعلق بعدم إنجاب محمد ﷺ الأولاد، أو انقطاع نسله منهم[21] كما جاء في ترجمة ميلارا [2] ومعنان [4]، أما ترجمة إبالثا [5] فتثبت أيضا هذا المعنى المحدد لكنها دون أن تبين بيانا كافيا الظروف المحيطة بالنص، أو تذكر أسباب النزول ذكراً كافياً، وتكتفي بإعطاء المعنى العام، فيترجم معنى الآية بقوله: «هذه المشكلة المتمثلة في عدم إنجاب الأولاد، ليست هي مشكلة بالنسبة لك؛ إنما هي مشكلة من استحق اللعنة[22]».

---

(20) انظر السابق ص 1123-1127.

(21) هي ادعاءات وتخرصات الكفار ذكرت في أسباب النزول (المترجم).

(22) السابق ص 1123-1127.

رؤية تاريخية لمنهجية التعامل الغربي مع القرآن الكريم



د. فوزية العشماوي *

بدأ اهتمام العالم بالرسول محمد ﷺ وبالدين الجديد الذي يدعو إليه منذ بداية ظهور الإسلام في القرن السابع في الجزيرة العربية، ثم انتشاره في الدول المجاورة مع الفتوحات الإسلامية السريعة التي بهرت الشعوب والأباطرة، الذين لم يصدقوا في بداية الأمر أن يتمكن رجل بدوي من الصحراء من تنظيم جيش وقيادته لفتح البلاد المجاورة له والانتصار عليها، بالرغم من أنها ذات سيادة وسلطان وتاريخ عسكري طويل. ولم يكن اهتمام قادة هذه الدول ولا شعوبها منصباً على مضمون هذا الدين الجديد ولا على الكتاب المقدس الذي يحتوي على أسس هذا الدين، بل كان الاهتمام كله منصبا على شخصية ذلك القائد العسكري العربي الذي نجح في الانتصار عليهم والقضاء على جيوشهم. وظل اهتمام البلاد المفتوحة إسلاميا اهتماما بالعبقرية العسكرية للرسول محمد ﷺ، ولقادته

* باحثة وأستاذة جامعية ـ سويسرا

والإسلامية في هذا الجانب ؟ أقول هذا، وأشير باستغراب إلى أولئك الذين ينتقدون ـ مثلا ـ جورج بوش الجد الذي مات عام 1859 مسيحي لأنه لم يرجع في كتابه عن محمد نبي الإسلام إلى مصادر إسلامية معتمدة وموثوقة !! فهل قمنا نحن المسلمين بترجمة معاني القرآن الكريم، أو ترجمة أي من الكتب المهمة وقدمناها للباحثين والقراء والدارسين ليستقوا منها معلوماتهم ؟؟ الجواب تعرفونه جميعاً.

نقطة أخرى جديرة بالتوقف عندها وهي أن عددا من المفسرين أساؤوا للقرآن الكريم، وداخلت كتاباتهم الكثير من الدخيل والموضوع والإسرائيليات ما الله به عليم. قصة (الغرانيق) مثلاً التي صاغ عليها سلمان رشدي آياته الشيطانية، هذه القصة موجودة في تفسير القرطبي، فالواجب إذن أن نحاسب أنفسنا أولاً قبل الآخرين، وأن نصحح أخطاءنا. أما أن تبقى كتب التراث في وضع شبه مقدس وبعد ذلك نلوم الآخرين فذلك أمر لا يستقيم مع المنطق ولغة العلم.

وسؤال آخر: كيف نلقي بالمسئولية ـ نحن المسلمين ـ على المستشرقين ونريد منهم تولي مسئولية الدعوة إلى الإسلام بدلاً عنا ؟ في حين لا نقوم بالترجمة، ولا نكتب بلغات أخرى، ولا نتابع ونوجه من يكتبون... الخ، وعندما يخطئون نسفه وننسف كل محاولاتهم.

والأمر الذي أعتقده أننا أجرمنا في حق الإسلام ولم نقم بواجبنا كما يجب.

لقد أشارت إحدى الأخوات المشاركات إلى أنه لو اعترف هؤلاء بأن القرآن كتاب سماوي فمعنى هذا أن أديانهم نُسخت، ولذلك لا يفعلون !! ونحن قرأنا في الأزهر، وما زالت جامعاتنا تدرس أن (القرآن ناسخ لما قبله) وهي العبارة التي يردده الفقهاء، فهل القرآن ناسخ لما قبله ؟. إننا نقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى :

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾

[سورة النساء: الآية 163]

العسكريين الذين نجحوا في الانتصار على أقوى وأعتى الإمبراطوريات في ذلك العهد وهما الإمبراطورية الرومانية البيزنطية والإمبراطورية الفارسية.

وبالرغم من أن المسلمين الأوائل كانوا يحرصون على نشر الدين الإسلامي في كل بلد يفتحونه، لأن ذلك كان الهدف الأول لهذه الفتوحات؛ إلا أن القرآن الكريم لم يكن قد تم جمعه بعد في كتاب موحد فيسهل نشره وتوزيعه على شعوب تلك البلاد، بل كان القرآن محفوظا في قلوب الصحابة والمؤمنين، يرتلونه في صلواتهم واجتماعاتهم، ويتعاملون بمبادئه ومفاهيمه في جميع أوجه حياتهم. وقد بدأت أول محاولة لترجمة بعض سور القرآن الكريم إلى لغة أعجمية في عهد الرسول محمد ﷺ، فطبقا لعبد العزيز البخاري فقد كتب بعض الفرس الذين يقطنون في شرق وجنوب الجزيرة العربية خطابا إلى سلمان الفارسي يطلبون منه ترجمة سورة الفاتحة إلى الفارسية، فرجع سلمان الفارسي إلى الرسول ﷺ الذي وافق على ذلك، فقام سلمان الفارسي بترجمة الفاتحة إلى الفارسية وأرسلها لهم ليصلوا بها [1].

«الترجمة التي أنجزت في طليطلة لم تكن أبدا ترجمة مخلصة وصادقة وكاملة للنص القرآني».

وعندما بدأ المسلمون يستقرون في بعض البلاد المجاورة، وخاصة في بلاد الشام وفلسطين ومصر وبلاد فارس، ثم بعد ذلك في قلب أوروبا في الأندلس، بدأ الاهتمام يتزايد بما جاء به هؤلاء العرب من مفاهيم دينية جديدة تغاير المفاهيم اليهودية والمسيحية المنتشرة في تلك البلاد حتى ذلك الحين. وأول محاولة لترجمة سور القرآن الكريم في أوروبا كانت في طليطلة، حيث قام دون إبراهيم من طليطلة، بناء على طلب الملك ألفونس العاشر (1284 ــ 1252) بترجمة سورة المعارج إلى الإسبانية. وقد أخذت الكنيسة الكاثوليكية - وهي أكبر وأعظم الكنائس في ذلك الوقت التي كانت تسيطر على أفئدة وعقول الشعوب في تلك البلاد - تهتم بمضمون الدين الإسلامي لتتمكن من مواجهته ومحاربته، فأخذ رجال الدين الكاثوليك يهتمون بأهم المفاهيم الجديدة التي جاء بها الإسلام، ليس بهدف التعرف على هذا الدين الجديد ودراسته موضوعياً، ولكن بغرض دحض هذا الدين الجديد، ومحاربة أفكاره وقيمه ومفاهيمه، وإقناع الناس بأن الرسول محمداً ﷺ الذي جاء بهذا الدين الجديد ليس نبياً، وأنه كذاب، قام بتأليف القرآن بعد أن عاشر بعض الرهبان والأحبار المسيحيين، وتتلمذ على أيديهم، وأخذ عنهم كل ما جاء في كتابه القرآن الذي ساعده على تأليفه راهب نصراني خبير بفحوى الإنجيل والتوراة.

وهكذا انحصرت مهمة الكنيسة في تكليف رهبانها بتأليف الكتب لمحاربة محمد ودينه الجديد، واثبات كذبه وتزييفه للكتب المقدسة. فشحذت همة هؤلاء الرهبان، وأخذوا يصورون الرسول ﷺ على أنه المسيح الدجال Antechrist، ويركزون على بعض الموضوعات التي رأوا فيها نقاط ضعف حسب تقديرهم، فاهتموا أكثر ما اهتموا بالاختلافات بين المفاهيم الإسلامية والمفاهيم المسيحية، فأخذوا يفندون بعض المفاهيم الإسلامية وبعض خصائص الدين الإسلامي التي تتعارض مع معتقداتهم ليدحضوها.

أولاً: الترجمات الأولى للقرآن الكريم من مترجمين غير مسلمين إلى اللغات الأجنبية.

طبقا للمستشرق الفرنسي ريجس بلشار Regis Blachere (1900 - 1973)، الخبير في ترجمات القرآن الكريم في أوروبا، في كتابه الذي يحمل عنوان (القرآن)[2]، ويسرد فيه تاريخ القرآن الكريم وترجماته إلى اللغات الأوروبية: «منذ بداية القرن الثامن الميلادي اهتم المؤلفون البيزنطيون في نقدهم للإسلام بعدة نقاط

1) انظر محمد حميد الله / ترجمة القرآن إلى الفرنسية حيث يذكر ذلك عن عبد العزيز البخاري / ج 3 / ص 188.

2) Regis Blachere / le Coran / Presses University de France / collection que sais-je / Paris / 1969

أساسية، مثل الرؤية الإسلامية للمسيحية، وللسيدة مريم العذراء، ولنظرة الإسلام للحياة الجنسية (وخاصة حياة النبي محمد الجنسية) وغياب أية معجزات للنبي محمد».

ولعل أول الكتابات التاريخية عن القرآن وعن الرسول محمد ترجع للقرن التاسع المسيحي، وهي للراهب نيسيتاس البيزنطي Nicetas، والراهب برتليمي دي داس Barthelemy d'Edesse. وقد ركز الإثنان في كتاباتهما على النقاط الضعيفة، حسب رؤيتهما، وهي بالطبع المقولة بأن الرسول ﷺ إنما هو المسيح الدجال الذي يدعي النبوة، وأنه نقل القرآن عن الكتب المسيحية واليهودية، وأنه مزواج ويحب الملذات والنساء.

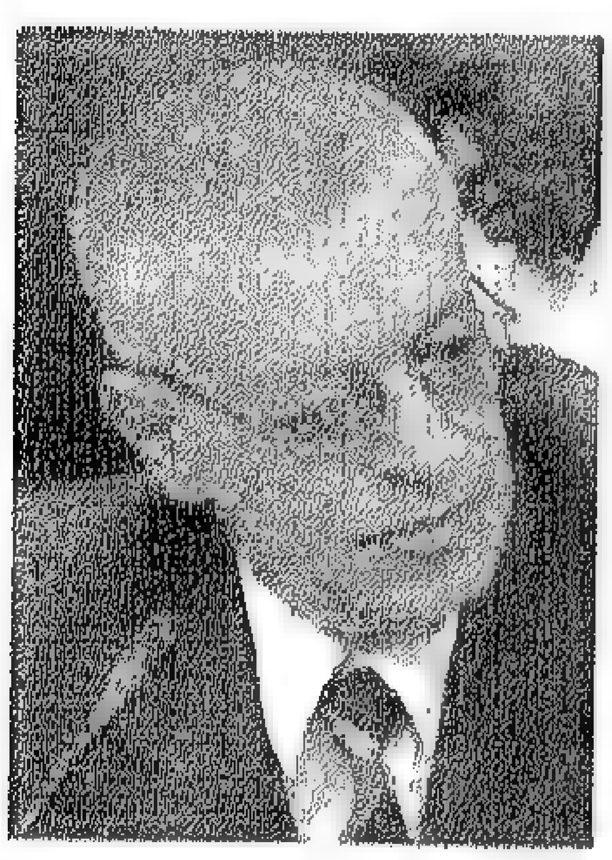
وترجع أول ترجمة شبه كاملة للقرآن الكريم إلى القرن الحادي عشر المسيحي، وهي ترجمة إلى اللغة اللاتينية، وكانت هي اللغة الرسمية للدولة الرومانية ولجميع مقاطعاتها في أوروبا، وقام بهذه الترجمة في مدينة طليطلة بالأندلس Tolede روبير دي ريتين Robert de Retines بناء على طلب رسمي من بابا الكنيسة الكاثوليكية في روما «Pierre le Venerable» بيير الموقر، وذلك خلال زيارة البابا للأندلس مابين 1141 و1143 مسيحي. وقد أرسل البابا هذه النسخة الأولى لترجمة معاني القرآن الكريم باللغة اللاتينية، المعروفة باسم (ترجمة طليطلة 1143)، إلى القديس سان برنارد، مرفقة بخطاب يحدد فيه أن الهدف الأول لهذه الترجمة هو إعلاء كلمة المسيحية، ونصرة الصليبيين، ومساعدة الناس الذين ارتدوا عن الدين الإسلامي بعد عودة طليطلة إلى المسيحية عام 1085، على إزالة ومسح كل ما علق بأذهانهم عن الدين الإسلامي.

وطبقا للخبير الفرنسي في ترجمات القرآن ريجيسر بلشار، فإن «هذه الترجمة التي أنجزت في طليطلة لم تكن أبدا ترجمة مخلصة وصادقة وكاملة للنص القرآني». وبالطبع كانت هذه الترجمة غير متوفرة، حيث لم تكن المطبعة قد اكتشفت بعد، ولم تكن في متناول إلا قلة قليلة من الرهبان. وبالرغم من ذلك فقد ظلت هذه الترجمة الوحيدة في الغرب حتى القرن الرابع عشر المسيحي، عندما قام ريمون ليل (المتوفى عام 1315 في Bougie بترجمة أخرى للقرآن باللغة اللاتينية أيضاً، ثم عثر على ترجمة في

وفي آية أخرى يقول سبحانه:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾

فالقرآن ليس ناسخا فالقرآن يصف محمد ﷺ بأنه رسول مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه، فهو مصدق لما قبله، وشاهد على ما في الكتب السابقة، وهو ناسخ لما لحقها من فساد وليس ناسخا للرسالة في حدّ ذاتها، فالدين عند الله واحد (الإسلام) والشرائع والرسالات تنوعت وتعددت.



الدكتور مسعود عبد الله الوازني
كلية الدعوة الإسلامية

الغرب يركز على معرفة تراثنا وحضارتنا

أرى أنه ينبغي علينا أن نركز - في جامعاتنا - على تدريس مادة (الأديان المقارنة) خاصة أن الغرب يركز على معرفة تراثنا وحضارتنا، ومعرفة قرآننا، في حين نرى أن كثيرا من الجامعات الإسلامية لا تدرس هذه المادة (الأديان المقارنة). وأؤكد على ضرورة تدريس هذه المادة حتى يتمكن طلابنا من معرفة ذلك التناقض الكبير في تراثهم (غير المسلمين) الذي لا أعده رسائل سماوية بالنظر إلى ما فيها الآن من تحريف ووضع.

ألا تعلمون أن (التلمود) وهو أخطر كتاب يعتمده اليهود لا توجد منه نسخة واحدة -

اسطنبول القديمة Canstantinopole عام 1543 في مكتبة القديسين المبشرين بالمسيحية، بعنوان (القرآني ابيتوم) Alcorani Epitome، ولكن على ما يبدو ظل الجهل بالإسلام وبالقرآن منتشراً في بعض الدول الأوروبية، حتى إن المصلح الألماني مارتن لوثر كتب عام 1542 في مقدمة إحدى الترجمات الأولى إلى اللغة الألمانية في القرن السادس عشر يقول: «كنت أود قراءة القرآن بنفسي، وإنني أتعجب كيف لم تتم ترجمة القرآن إلى اللاتينية قبل ذلك، وبالرغم من أن محمداً يسيطر على العالم منذ 900 سنة، وأحدث به أضراراً جسيمة ؛ إلا أن أحداً لم يهتم بمعرفة ما هي معتقدات محمد، ولكن الجميع اكتفوا بالتأكيد على أن محمداً هو عدو العقيدة المسيحية. ولكن كيف؟ وأين؟ موضوعياً فإن ذلك لم يقم به أحد، ومن الضروري جدًا القيام به» (3).

وازدادت الترجمات في عدة مدن أوروبية مهمة، وفي الأوساط العلمية في إيطاليا وفرنسا وهولندا وسويسرا: وهكذا ظهرت في فينيسيا عام 1530 ترجمة Paganini، ثم ظهرت أول ترجمة مطبوعة باللغة اللاتينية في مدينة بازل عام 1543 في سويسرا لدى الناشر Biliander للمترجم Pierre de Clony. وجاءت أول ترجمة للقرآن الكريم باللغة الإيطالية في فينيسيا لمؤلفها Arrivabene Andrea عام 1547 بعنوان (قرآن محمد) والتي نسبت تأليف القرآن إلى محمد، وقدمت تفسيرا لبعض الآيات والسور مستعينة بأحداث من حياته.

وظهرت ترجمات أخرى نقلاً عن الترجمة اللاتينية المعروفة باسم ترجمة طليطلة 1143 مسيحي التي ذكرناها، ومن هذه الترجمات التي احتفظت بروح العداء للإسلام وللقرآن نذكر ترجمة لاتينية أخرى للقس الفرانسيسكاني Germain de Silesie المنشورة بين 1650 و1665 مسيحي. ومنذ منتصف القرن السابع عشر بدأ بعض الدبلوماسيين الأوربيين الذين عاشوا في البلاد الإسلامية يهتمون بدراسة اللغة العربة، وبدراسة كتاب المسلمين في بلاد الشرق (القرآن). وهكذا نشأت الدراسات الشرقية، وبدأت تظهر مؤلفات جديدة، وأخذت تبرز ظاهرة أدبية أطلق عليها فيما بعد (الاستشراق) Orientalizme ومعظم تلك الدراسات بقلم قناصل الدول الأوروبية في بلاد الشرق، وكانت معظم مؤلفاتهم عن خواطرهم ورحلاتهم التجوالية لوصف بلاد الشرق، وبعضهم تعمق في دراسة اللغة العربية واهتم بترجمة كتاب المسلمين: القرآن.

«أن التناغم والأسلوب الثري للنص الأصلي للقرآن لا يمكن أن يصلا إلى أذن الأوروبي غير المؤمن.

وهكذا ظهرت عدة ترجمات للقرآن الكريم باللغة الفرنسية، ولعل أولها هي ترجمة دي رييه Du Ryer عام 1647 مسيحي، وقد كان قنصل فرنسا منذ عام 1630 في القاهرة، وتعتبر ترجمة دي رييه أول ترجمه كاملة من اللغة العربية رأسا إلى اللغة الفرنسية دون المرور باللغة اللاتينية. وقد تم إصدار عدة ترجمات نقلاً عن هذه الترجمة الفرنسية إلى اللغات الإنجليزية والهولندية والألمانية، وأعيدت طباعتها أكثر من 18 مرة خلال قرن كامل، وحظيت باهتمام بالغ في الأوساط العلمية، خاصة أن مؤلفها ادعى أن هدفه من وراء هذه الترجمة هو «تعريف القارئ بكل أمانة بالإسلام» ولكنه في الواقع كان بعيداً كل البعد عن الأمانة، حيث إنه نسب تأليف القرآن إلى محمد، حيث إنه أعطى لترجمته عنوان (قرآن محمد) L`alcoran de Mahomet وكتب يقول: «لقد قسم محمد كتابه إلى فصول أطلق عليها سورات (سور) وأعطاها أسماء على مزاجه، ثم قسمها إلى آيات تحتوي على تعليماته وحكاياته» وبالرغم من ذلك فإنه لم يراع في ترجمته هذه التقسيمات التي يدعي أن محمدا أجراها بنفسه، بل جعل الترجمة بدون فواصل ولا تقسيمات، ففقدت نظامها ورونقها، وبدت كأنها كلام مرصوص بلا ضوابط.

3) انظر: د. فوزية العشماوي / أحوال المسلمين في سويسرا ص- La Condition des Musulmanes en Suisse / Cera / Geneve 16.

وبعد ذلك ظهرت الترجمة اللاتينية المصحوبة بالنص العربي للقرآن والمنشورة في بادو Padoue عام 1698 للمؤلف Ludovico Marracci. وقد ادعى ماراتشي في مقدمة ترجمته للقرآن أن الرسول محمداً ﷺ كان مصاباً بمرض الصرع، وكان يصاب بنوبات شديدة من الصرع، ويهذي أثناء هذه النوبات بكلام وحكايات وروايات جمعها أصحابه في هذا الكتاب الذي أطلقوا عليه اسم (القرآن). وظلت ترجمة ماراتشي وادعاءاته الكاذبة وافتراءاته على الرسول هي التي يستعملها المصنرون المسيحيون لنشر المسيحية في بلاد الشرق، وتقديم الترجمة المشوهة للقرآن التي لم يكن بها فواصل ولا شروحات، بل سرد غير منتظم، وكلام بلا ضوابط، ليبدو النص القرآني وكأنه كلام بلا معنى ولا عمق، بل كلام مرصوص وغر موزون، والهدف من وراء ذلك هو دحض الدين الإسلامي وتقديم كتابه المقدس (القرآن) على أنه كتاب لا يستحق القراءة.

وحسب الكاتب الإنجليزي Eduard Gibbon في تحليلاته لترجمات القرآن الكريم إلى اللغات الأوروبية: «إن التناغم والأسلوب الثري للنص الأصلي للقرآن لا يمكن أن يصلا (من خلال ترجمات القرآن إلى اللغات الأوروبية) إلى أذن الأوروبي غير المؤمن، فالأوروبي يقرأ ترجمة القرآن ولا يجد فيها إلا مجموعة من الحكايات لا تنتهي دون ترابط بينها، فلا توحي إليه بأي أحاسيس أو أفكار».

وفي القرن الثامن عشر ظهرت في فرنسا واحدة من أكثر الترجمات الفرنسية انتشاراً وشهرة وهي ترجمة الكونت دي بولنفيلييه Le Comte Henri de Boulainviers والتي صدرت عام 1730 مسيحي، وظلت طوال قرنين من الزمان هي الترجمة الأكثر تداولاً وانتشاراً في فرنسا وأوروبا، بل إنها ترجمت إلى معظم اللغات الأوروبية، بالرغم من رداءتها وعدم الدقة والأمانة العلمية التي اتسمت بها، والتي ندد بها علماء عصر التنوير في أوروبا، خاصة في انجلترا، حيث بدأ ينتشر تيار علمي جديد، ونظرة أكثر حيادية للإسلام، وللقرآن، فظهرت في لندن عام 1734 مسيحي الترجمة الإنجليزية الأولى عن العربية تحت عنوان The Koran لمؤلفها George Sale، والتي

وأتحدى - في أي جامعة من جامعاتنا، وهو الكتاب الذي تكلم عنه (سلمون شختر) ووصفه بقوله : لا تقل ما هو التلمود بل قل ما ليس هو التلمود. فهذا الكتاب الشديد التنوع الذي فيه مادة في كل جوانب الحياة لا توجد منه نسخة في جامعاتنا. وفي العهد الجديد نعرف أن هناك ما يسمى بالأسفار الخفية، وهذه الأسفار الخفية عند اليهود غير تلك التي عند المسيحيين.



الدكتور محمد مسعود جبران
كلية الدعوة الإسلامية / طرابلس :

تقريب فهم القرآن لغير الناطقين بالعربية

قيمة القرآن الكريم محفوظة عبر العصور والدهور بين أتباعه وعارفيه، وأعدائه وشانئيه على حد سواء. ولا يمكن لمن ألمّ بإعجازه في نظمه البياني أو مجموع أحكامه أن يشكك في شيء من معانيه ومبانيه. عندما دخل المسلمون الأندلس تحسس القوط والنصارى أحوال الفاتحين المسلمين، وأرسلوا العيون لمعرفة سر القوة فيهم، فجاءتهم التقارير تترى بأنهم (فرسان بالنهار رهبان بالليل) وأن مساجدهم عامرة بقراءة القرآن، وأنها مثل خلية النحل بالتلاوة وتدارس الآيات. ثم في القرن المسيحي الخامس عشر الذي انتهى بسقوط الأندلس سنة 1492 مسيحي؛ بلغت طبوع فن الموشحات أربعة وعشرين طبعا، صحيح أننا نستمتع بها ونطرب لها، وهي من موروثنا أو من تراثنا، لكنها لا يمكن أن تبني حضارة، فالذي بنى حضارة الأندلس إنما هو دخول المسلمين بالقرآن الذي جعلوا به مساجدهم أشبه بخلية من خلايا النحل. وهنا أود أن أشير إلى أنه في

يمكن أن يقال إنها أول ترجمة إلى اللغة الإنجليزية تحترم النص الأصلي وتهتم بالفواصل وبتقسيمات السور والآيات، وإن كانت لا تخلو بالطبع من المغالطات، ولكنها غلطات غير مسيئة للإسلام ولا للرسول محمد ﷺ، حيث روح النص لا يتسم بالعداء ولا بالحرب على الدين الإسلامي. وظلت هذه الترجمة هي الترجمة الإنجليزية المعتمدة في معظم الأوساط العلمية والجامعية والأكاديمية لمدة قرنين من الزمان، عرفت خلالهما حوالي أربعين طبعة في انجلترا وفي الولايات المتحدة الأمريكية.

أما في فرنسا فقد صدرت ترجمة مهمة بالفرنسية لكلود سافاري Claude Savary عام 1783 مسيحي، الذي عاش خمس سنوات في مصر ليتعلم اللغة العربية ويترجم القرآن، وكان سافاري أول من نفى ادعاءات ماراتشي بأن الرسول محمداً ﷺ كان يعاني من مرض الصرع، ويملي على أصحابه القرآن أثناء نوبات المرض. وحسب تقدير المحللين الفرنسيين في القاموس العالمي (4): «فإن ترجمة سفاري هي الوحيدة التي نقلت عبقرية الأسلوب والصيغة النبوية للنص الأصلي».

وجهة النظر الغربية غير الإسلامية للقرآن الكريم كانت ولا تزال نظرة تشكيك في كونه كتاباً منزلاً، وأنه وحي من السماء

وفي القرن العشرين ظهرت كثير من الترجمات للقرآن الكريم باللغات الأوروبية، واتسم أغلبها بالجدية والحيادية، وتخلص المترجمون الأوروبيون من عقدة دحض ومحاربة الدين الإسلامي، وتشويه صورة الرسول محمد ﷺ، بل حاول أغلبهم نقل النص القرآني بأمانة وصدق مع كثير من الشروحات الجانبية لمزيد من التوضيح. كما ظهرت عدة محاولات لإعادة فهرسة القرآن الكريم، أي لإعادة ترتيب السور القرآنية حسب ترتيب النزول وليست كما جاءت في الترتيب المعروف في المصحف الشريف. ونذكر من هذه المحاولات، محاولة المترجم المستشرق الفرنسي ريجيسر بلاشار الذي أصدر عام 1947 ترجمة للقرآن الكريم من ثلاثة أجزاء حسب ترتيب نزول الآيات بعنوان (القرآن.. ترجمة طبقا لمحاولة لإعادة ترتيب السور)، ولقد بذل فيها مجهوداً جباراً، واستشهد بكبار المفسرين وبأمهات كتب التفسير والسيرة النبوية للوصول إلى الترتيب الزمني لنزول الآيات والسور القرآنية، وهذا جهد محمود يشكر عليه.

ونذكر هنا أحدث الترجمات التي ظهرت في فرنسا في نهاية القرن العشرين، وهي ترجمة المستشرق الفرنسي المشهور جاك بيرك عام 1990، وترجمة الكاتب اليهودي اندريه شوراكي1990 في نفس العام.

وقد أحدثت كل منهما ضجة في العالم العربي والإسلامي، خاصة في القاهرة، حيث أمر شيخ الأزهر جاد الحق علي جاد الحق بتشكيل لجنة علمية عام 1995 لمراجعة ترجمة جاك بيرك، وقد خلصت اللجنة إلى إدانة هذه الترجمة واعتبارها ترجمة محرفة، واتهمت جاك بيرك بعدم الأمانة العلمية وبالجهل باللغة العربية، بالرغم من أنه كان عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة لمدة عشرين عاماً.

ثانيا: ترجمات القرآن الكريم من مترجمين مسلمين إلى اللغات الأجنبية

ظلت ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية مرفوضة في البلاد الإسلامية حتى بداية القرن العشرين، وطبقا للدكتور محمد إبراهيم مهنا في كتابه (ترجمة القرآن الكريم) فإن قضية ترجمة القرآن الكريم في العالم الإسلامي مرت بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة الرفض القاطع، عندما منعت مشيخة الأزهر إدخال نسخة من ترجمة القرآن

4) Edward Gibbon / Historie de la decadence et de la chute de l'empire romain, (Traduit de l'anglais) par M. F. Guizot Paris I Maradan/ 1812.

الكريم باللغة الإنجليزية إلى مصر وطلبت من مصلحة الجمارك إحراقها.

المرحلة الثانية: مرحلة الموافقة التركية، عندما قررت حكومة كمال أتاتورك ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية.

المرحلة الثالثة: مرحلة الموافقة الرسمية في عام 1936 مسيحي، عندما أصدر مجلس الوزراء المصري قراراً رسمياً بموافقته على ترجمة معاني القرآن الكريم ترجمة رسمية تقوم بها مشيخة الجامع الأزهر، بمساعدة وزارة المعارف العمومية، وذلك وفقاً لفتوى جماعة كبار العلماء وأساتذة كلية الشريعة.

وكانت مشيخة الأزهر برئاسة الشيخ محمد مصطفى المراغي الذي كان أيضا رئيسا لجماعة كبار العلماء قد أصدرت قرارها بموافقتها على مبدأ ترجمة معاني القرآن الكريم.

وهكذا بدأ العلماء المسلمون في ترجمة معاني القرآن الكريم من العربية إلى اللغات الأجنبية، وخاصة إلى اللغة الإنجليزية، ثم إلى اللغات الألمانية والإسبانية والفرنسية والإيطالية، وفيما بعد إلى معظم لغات العالم. كان معظم هؤلاء الخبراء المسلمين من العارفين بأمور الدين الإسلامي، والذين درسوا اللغات الأجنبية وأجادوها بعض الشيء، فقاموا بترجمة معاني القرآن الكريم إلى هذه اللغات الأجنبية، بعد أن كانت الترجمة من العربية إلى اللغات الأجنبية حكرا على بعض المستشرقين من غير المسلمين من الخبراء أو المهتمين بالدراسات الشرقية أو الدراسات العربية والإسلامية. وجاءت ترجمات هؤلاء المسلمين أكثر دقة لمعاني القرآن الكريم، ولكنها أقل جودة من ناحية اللغة الأجنبية، حيث إنه من المعروف عالمياً أن المترجم يترجم إلى لغته الأم وليس العكس (أي أن المترجم العربي يترجم من اللغة الأجنبية إلى لغته الأم العربية، والمترجم الإنجليزي أو الفرنسي يترجم من اللغة الأجنبية عليه - أي العربية - إلى لغته الأم الإنجليزية أو الفرنسية)، ومن ثم جاءت ترجمات المسلمين العرب بنتيجة عكسية، لأن الأجانب الذين يقرؤونها بلغتهم الأجنبية يجدون فيها

العصر الحديث، بينما كان البرلمان البريطاني يناقش ويتدارس في أحوال المسلمين وكيفية التغلب عليهم ؛ قام أحد الأعضاء ومسك المصحف بيده وخاطب الحضور قائلاً: إنه لا يمكنكم التغلب على المسلمين والقضاء عليهم إلا إذا قضيتم على هذا القرآن.

وإذن فقيمة القرآن الكريم محفوظة في القديم وفي الحديث، وبين عارفيه وبين شانئيه.

والأصح والأصوب أن يتجه المسلمون الآن إلى عمل إيجابي نحو هذا القرآن، وذلك عبر عدة سبل ووسائل، تتمثل في أمرين :

الأمر الأول : تفعيل مقولة والد الفيلسوف المسلم محمد إقبال حينما نصحه بقوله : (يا بني.. إقرأ القرآن وكأنه أنزل عليك). فإذا أحسن المسلمون تمثل هذا القرآن، وفهم ما يدعو إليه، وتجسيده في واقعهم المعيش ؛ ضاقت الهوة بذلك بين المعتقد والسلوك، وصار كل مسلم قرآنا يمشي على الأرض.

الأمر الثاني : يتمثل في دور القدرات العلمية والجامعات القادرة على وضع تفاسير للقرآن الكريم سهلة ودقيقة، تخاطب العقل الأوروبي والنفسية الغربية بيسر، وتخرج من طور التفاسير الموجهة للعرب، فلكل مقام من مقامات المُخاطَبين أسلوبه في الخطاب الذي يقنعه.

نحن لدينا مدارس كثيرة في علم التفسير عبر تاريخنا، فهل نعمل على التوصل إلى مدارس مماثلة تقرب فهم القرآن لغير الناطقين بالعربية ؟؟

نقطة أخرى أحب أن أشير إليها وهي أنني قرأت قبل حوالي عشر سنوات لعالم الذرة الباكستاني محمد عبد السلام أن لدينا ثلاثمائة وستين مركز بحث، وواحدة وسبعين جامعة، في حين ليس عند إسرائيل سوى جامعة واحدة (جامعة تل أبيب) ومبلغ البحوث الذي وصلت إليه هذه الجامعة بلغ ضعف ما أنتجته كل جامعاتنا ومراكزنا البحثية.

ومَرد هذا كله - فيما أرى - إلى نقطتين :

الأولى : أن أعضاء هيئة التدريس والباحثين في إسرائيل لهم وضع مميز، بمعنى أنه رجل دولة، وليس متسولا على الجامعات يستجدي الحصص والمحاضرات... إلخ.

الثانية : أنهم يسمحون للعالم بالهجرة ولكن بشرط أن يكون متزوجا من إسرائيلية، لأن ذلك سيكون كفيلا بعودته إلى إسرائيل.

أغلاطا لغوية كثيرة، فيعتقدون بالخطأ أن هذه الأغلاط موجودة في القرآن نفسه، وليست من صنع المترجمين المسلمين الذين كانوا على الأغلب لا يجيدون اللغة الأجنبية إجادة تامة، بل كان اهتمامهم منصباً على المعنى والمغزى للآيات، فأهملوا الناحية اللغوية على حساب المعنى. ونحن نعيب على كثير من المترجمين العرب المسلمين الذين ترجموا القرآن الكريم إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية وغيرها تحاملهم الشديد على المترجمين الأوروبيين غير المسلمين، وكيلهم الاتهامات العنيفة لكل الذين قاموا قبلهم بنفس المجهود المضني لترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية، خاصة في القرن العشرين، حيث صدرت عدة ترجمات جيدة للقرآن الكريم باللغات الإنجليزية والألمانية والفرنسية، قام بها علماء متخصصون في علوم اللاهوت وفي العلوم الإسلامية، مع إجادتهم للغة العربية، واتسمت أعمالهم بالحيادية والموضوعية والدقة والحرص الشديد على تقديم المعنى مع شرح أسباب نزول الآيات. فكل من قام من هؤلاء العلماء بهذه المهمة الشاقة الصعبة لهم منا كل التقدير والاحترام، ولكل منهم أجر على جهده ومجهوده، حتى وإن أخطأ ولم يوفق في بعض الأحيان، عملا بالمبدأ الإسلامي المعروف (من اجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد).

من الضروري إعادة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية من قبل خبراء مسلمين متخصصين في العلوم الإسلامية، مع الاستعانة في مراجعة ترجماتهم بخبراء لغويين في اللغة الأجنبية

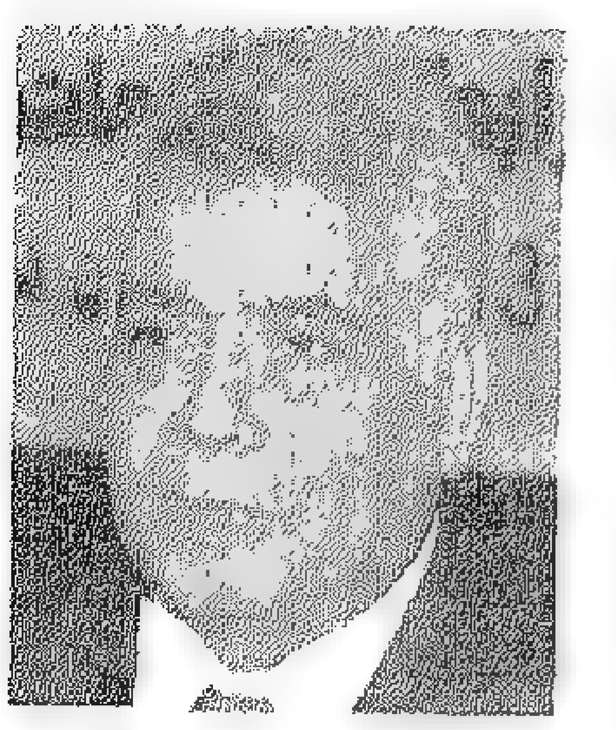
ونحن نأخذ على المترجمين من المسلمين العرب أسلوبهم في ذم المترجمين غير المسلمين ودحض ترجمتهم لإعلاء قدر وقيمة الترجمة التي قام المسلمون بإعدادها، بالرغم من أنهم استعانوا جميعا في ترجمتهم بترجمة هؤلاء المستشرقين. وهذا أسلوب في النقد لا يليق بأي باحث أو عالم، وهذا الأسلوب في النقد أسلوب غير متحضر يجب أن نبتعد عنه، وحين ننتقد ترجمة الآخرين يكفي أن نقول إننا وجدنا لديهم بعض الأخطاء، أو كثيرا من الأخطاء، وبدلاً من توجيه الاتهامات والتأكيد على سوء نيتهم وتعمدهم تشويه القرآن الكريم فمن الأجدر بنا أن نقول إن المستشرقين لم يراعوا الدقة العلمية، وإنه من الضروري إعادة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية من قبل خبراء مسلمين متخصصين في العلوم الإسلامية، مع الاستعانة في مراجعة ترجماتهم بخبراء لغويين في اللغة الأجنبية التي تنقل إليها معاني القرآن الكريم، لتكون أقرب إلى المفهوم الإسلامي، ولتكون أكثر دقة من الترجمات السابقة. ونحن نشيد هنا بالترجمة الفرنسية التي أنجزها الدكتور محمد حميد الله الأستاذ بجامعة اسطنبول، الصادرة عام 1959 مسيحي. كذلك نشيد بالترجمة الفرنسية بعنوان Le Coran Inimitable التي قامت بها المستشرقة الفرنسية السيدة دونيز ماسون عام 1967 مسيحي، والتي حصلت على إجازة طبعها من مشيخة الأزهر الشريف بالقاهرة، والتي طبعتها أيضا جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرابلس في طبعة جديدة بعد مراجعة الدكتور صبحي الصالح نائب رئيس المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى بلبنان. وتعتبر الترجمة الأخيرة من أفضل الترجمات الغربية للقرآن الكريم، وقد تم اختيارها لتصدر في السلسة المختارة لأمهات الكتب الفرنسية La Pleiade التي تصدرها دار النشر جاليمار، وقد جاءت هذه الترجمة أقرب ما تكون للنص الأصلي العربي، حيث تمت المحافظة على المعنى واللغة الأجنبية في نفس الوقت.

وبالرغم من أننا نتفهم الغيرة الشديدة على كتاب الله، والرغبة الأكيدة للمترجمين المسلمين في نقل معاني القرآن الكريم نقلاً صادقا وأمينا إلى اللغة الأجنبية، ولكن كان من الأجدر بهم احترام قواعد اللغة الأجنبية التي ينقلون إليها. بالطبع بالنسبة للإنسان المسلم فإن تشويه اللغة الأجنبية المنقول إليها معاني القرآن الكريم أقل ضرراً من تشويه معاني القرآن

الكريم، ولكن الرد على ذلك أنه يمكن الحفاظ على معاني القرآن الكريم، وفي نفس الوقت مراجعة اللغة الأجنبية بمعرفة عالم لغويات خبير بهذه اللغة الأجنبية، أي أن تكون هذه اللغة الأجنبية هي لغته الأم.

مما لاشك فيه أن وجهة النظر الغربية غير الإسلامية للقرآن الكريم كانت ولا تزال نظرة تشكيك في كونه كتاباً منزلاً، وأنه وحي من السماء أنزله الروح الأمين على خاتم الأنبياء والمرسلين الرسول محمد ﷺ، لذا نجد أن الترجمات الأولى للقرآن الكريم إلى اللغات الأوروبية كانت كلها منصبة على دحض الدين الإسلامي، وتفريغ القرآن من مضمونه الروحي، وتشويه تكامله وانسيافه ونظمه وتقاسيمه، وإظهاره بمظهر الكلام المرصوص بلا أدنى ترتيب أو تنسيق، لتطبق عليه مقولتهم بأنه مجموعة من الأقاويل والحكايات لا رابط بينها، اقتبسها محمد من الكتب المقدسة المسيحية واليهودية دون أن يستطيع تنسيقها. ومنذ الترجمات الأولى للقرآن نسب الأوروبيون تأليف القرآن إلى الرسول محمد ﷺ، واتهموه بأنه المسيح الدجال، وأن كتابه منقول عن التوراة والإنجيل. وبالرغم من التقدم المحرز في ترجمات القرآن الكريم في القرن العشرين، حيث ظهرت عدة ترجمات احترم مؤلفوها النص القرآني، وبذلوا مجهودا كبيرا للحفاظ على دقة معانيه وتناسق فقراته؛ إلا أن العلماء المسلمين الذين أنجزوا بعض الترجمات من العربية إلى اللغات الأوروبية اتهموا المستشرقين والعلماء من غير المسلمين الذين ترجموا القرآن قبلهم بالجهل وعدم الأمانة العلمية وعدم الدقة والموضوعية. ونحن ندين ونندد بهذه الاتهامات غير المبررة، خاصة أن بعض الترجمات التي قام بها غير المسلمين إلى اللغات الأجنبية تعتبر أكثر دقة وأمانة وقرباً من المعنى الأصلي من بعض الترجمات التي قام بها العلماء المسلمون، وربما يرجع ذلك إلى أن الأوروبيين ينقلون النص العربي إلى لغتهم الأصلية (اللغة الأم) بينما العلماء العرب المسلمون ينقلون إلى لغة أجنبية عنهم.

وفي رأينا أن أفضل ترجمة للقرآن الكريم إلى لغة أجنبية هي التي يقوم بها عالم عربي مسلم، ويقوم بمراجعتها خبير لغوي في اللغة الأجنبية المترجَم إليها.



الدكتور جعفر عبد السلام

أمين عام رابطة الجامعات الإسلامية :

مضامين وأبعاد ندوة القراءة الغربية للقرآن الكريم

هناك الكثير من الأفكار التي تراودني وأنا أشارك في هذه الندوة العلمية القيمة، وأيضا هناك بعض ما أريد الحديث عنه في - وحول - هذه الندوة المهمة، فهي ندوة تأتي في موعدها المطلوب تماما، والمطلوب منا كمسلمين ومفكرين لهذه الأمة وللشئون التي نهتم بها.

القراءة الغربية للقرآن الكريم نظمت ضدنا حملات الآن شديدة تحتاج إلى التآزر والتوحد، وتحتاج إلى وضع استراتيجية بين المؤسسات الإسلامية وبين الدول الإسلامية لمواجهة هذه الهجمة الشرسة.

ولا يخفى عليك يا أخي أننا الآن في مرحلة تاريخية صعبة، لا أريد أن أقول هزيمة !! لكن.. عندما ننظر في تاريخنا نجد - مثلا - أنه بعد هزيمة (أحد) نجد أن القرآن الكريم تحدث إلى المسلمين لكي لا تروعهم أي هزيمة، لكي يعتادوا على حكم الحياة، ولكي يدركوا أن الحياة دائما فيها نصر وفيها هزيمة، يقول الله تعالى:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: الآيات 139، 140، 141]



القراءات الجديدة للقرآن الكريم:

عرض للإصدارات والأطروحات

محمد صلاح الدين المستاوي*

تعددت في الآونة الأخيرة الإصدارات الجديدة حول الإسلام والمسلمين بصفة عامة والقرآن الكريم بصفة خاصّة، إذ يكاد لا يمر شهر إلا وتصل إلى أيدي الناس ترجمة جديدة للقرآن، أو إعادة إصدار لترجمة من الترجمات القديمة، يضاف إلى ذلك كمّ كبير جداً من الكتب من مختلف الأحجام موجّهة إلى مختلف فئات القرّاء المتخصصين منهم وغير المتخصصين.

ويتولى تأليف وإصدار هذه المادة حول الإسلام والقرآن كُتّابٌ فيهم المختصّ ممن اشتغل بالدراسات الإسلامية، وفيهم الساسة والإعلاميون، وفيهم ومنهم المغمورون، وحتى من تكتب لهم هذه المادة زيادة في التعتيم وإلقاء الشبه التي تتخذ من بعض الأوضاع والتصرفات تجعله ذريعة للنيل من الإسلام، ووصمه بكلّ ما يخطر وما لا يخطر على البال من الإفتراءات والترهات، وينطلق في إلقاء المزيد من الأباطيل من وقائع وأحداث تاريخية تورد مجتثة من سياقها ومشوّهة في أفهامها، تنم عن جهل مركب لتنتهي إلى أحكام خاطئة.

ومما يدعو إلى التنبه إلى مخاطر هذه الحركة تركيزها في الآونة الأخيرة على القرآن الكريم باعتباره آخر ما بقي مما يجمع المسلمين على اختلاف شعوبهم ولغاتهم ومذاهبهم وممّا يجمعون عليه ولا يختلفون حوله.

وهذا الإجماع بين المسلمين على كتاب واحد (القرآن الكريم) الذي هو كلام الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، المنقول إلينا بالتواتر، والموجود بين دفتي المصحف، والمتعبد بتلاوته؛ غاض بعض الدوائر والجهات التي ساءها أن يختلف غير المسلمين على كتبهم المقدسة فتتعدد رواياتها إلى حدّ التعارض والتناقض في نصوصها ونسخها، في حين يظل المسلمون مجتمعين ومنذ أن نزل القرآن على نصّه الموحّد، فهو لم يتغير ولم يتبدل ولم تستطع أيدي التحريف والتزييف أن تنال منه، إنه كتاب واحد في

* عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية / تونس

نصّه بسوره وآياته وكلماته وحروفه.

ولا تقبل عقول المشككين إمكانية بقاء القرآن كما نزل، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بأن وراء ذلك وعد إلهي سابق يحفظ كتابه حيث يقول جل من قائل :

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر: الآية 9]

جاعلاً لذلك أسباباً مساعدة لتحقيق هذا الهدف الذي هو الحفظ للقرآن والمحافظة عليه، منها ذلك السبر وتلك البلاغة التي يتميز بها النص القرآني بلغتهم، فقد اشتهروا بسرعة الحفظ، فكان ولا يزال الكثير منهم يحفظ من سماع واحد.

وليست هذه هي العوامل الوحيدة التي جعلت القرآن يبقى كما أنزل من عند الله، بل أضيفت إليها جهود كبيرة بذلت منذ بداية تنزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ، وتواصلت طيلة بعثته، وعلى إثر انتقاله إلى الرفيق الأعلى، حيث بدأ جمع القرآن في عهد الخليفة الأوّل، واستمرّ بعد ذلك ليكمل على يدي الخليفة الثالث، مما هو مفصّل ومدقق في أمهات المراجع والكتب التي أرخت لمراحل جمع القرآن مثل الإتقان للسيوطي والبرهان للزركشي وغيرهما.

ولقد انطلق هذا الجمع للقرآن من كل ما تهيأ من الأسباب والعوامل التي ساهمت في تحقيق الإجماع على النص القرآني واحداً في سوره وآياته وكلماته، والتي منها وجود عدد كبير من الحفاظ للقرآن الكريم من الصحابة الذين لازموا رسول الله ﷺ، وواكبوا تنزل القرآن الكريم عليه في حله وترحاله إلى أن التحق بالرفيق الأعلى، يضاف إلى ذلك تلك الصحف المكتوبة التي كان رسول الله ﷺ يأمر بتدوينها ناهيا أن يكتب عنه غير القرآن خشية أن يختلط بالقرآن غير القرآن بما فيه أحاديثه الشريفة عليه الصلاة والسلام (من كتب عني غير القرآن فليمحه).

وما كانت هذه الوسائل العملية: الحفظ والكتابة، ولا ذلك العهد الإلهي بحفظ القرآن من كل تحريف لتقنع الجهات المشككة في سلامة النص القرآني،

فهناك حوالي (28) ثمان وعشرون آية جاءت في أواخر سورة آل عمران تحدثنا عن دورات الحياة في النصر والهزيمة، وأنك لا يمكن أن تنحي الأسباب جانبا، ولابد من أن تنظر نتيجة ما تفعله، إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

وكما يقولون فالأيام دول، والحضارات ترتفع وتنتكس، وهكذا فلا ينبغي أن نستسلم لما نحن فيه الآن، وإنما يجب علينا أن نعمل من أجل وفي سبيل الخروج من هذه المحنة، ومن هذا الوضع الذي نحن فيه، بالوسائل والسبل التي تجعلنا ننتصر، ونفكر ونعمل دائما ونرسخ القيم التي ترتفع بالإنسان المسلم، والشأن الإسلامي بشكل عام.

وأود هنا أن أشير، وبإيجاز، إلى أنه خلال السنوات الأخيرة من القرن المسيحي الماضي، خاصة (من 95 إلى 2000) أعدت ونُشرت العديد من الدراسات تمحورت حول موضوع أو مسألة (التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل) أي في هذا القرن الذي نحن فيه الآن، كنا نودع قرنا ونستقبل قرنا جديدا، ومن الطبيعي أن الشعوب الحية والمتيقظة والواعية تفكر في ماضيها، وتتخذ العبر والدروس المستفادة منه، حتى يقودها ذلك إلى النجاح وإلى التقدم. وكنا أعددنا دراسات علمية عن هذه التحديات استغرقت منا حوالي خمس سنوات، ملخصها يملأ 800 صفحة من الحجم الكبير، وملخصها تمت صياغته في ما عُرِفَ بـ (إعلان عمان) في سنة 1999 مسيحي، حيث شخّصنا الأزمة، وقدّمنا وجهة نظرنا - كعلماء ومفكرين - فيما يمكن أن نتجاوز به هذه الأزمة.

وأنا أجلس في جلسات طويلة مع الكتابات الغربية عن القرآن الكريم، وقد رأيت أننا وفي آخر كتاب خرج وأثيرت حوله الكثير من المناقشات الآن، وهو كتاب بوش الجد، ولأنني أعتقد أن تأثيره ضخم جدا على المؤسسة الحاكمة الآن، وعلى التنظيرات التي جاءت بعد ذلك وتحدثت عن الإسلام والمسلمين، وخاصة عن الأصولية الإسلامية، وعن التخلف الإسلامي، كما تحدثت عن ضرورة إيقاظ هؤلاء الناس - كما قال برنارد لويس - ولو

فانطلقت تحت عناوين البحث العلمي والأمانة التاريخية والمنهجية والتجرد تثير كل ما يتصور وما لا يتصور من الشكوك، مستندة على أقوال شاذة وأحداث لم تثبت في دعوتها إلى إعادة النظر في النص القرآني الموجود بين أيدي المسلمين، ودراسته على ضوء ما يمكن العثور عليه مما لم تصله يد الإتلاف والإحراق التي وقعت على إثر الجمع النهائي للقرآن في عهد الخليفة الثالث.

ووجد هؤلاء الباحثون والدارسون للقرآن الكريم في كتب التاريخ والسيرة وفي التفاسير ما يستندون عليه وينطلقون منه، لإثارة شبهة عدم سلامة وصحة النص القرآني الموجود بين أيدي المسلمين، فأوردوا في بحوثهم نصوصا مبتورة وأقوالا شاذة وروايات وإسرائيليات لم تغب عن علم العلماء المحققين الذين اشتغلوا بعلوم القرآن قديما وحديثا، والذين أوردوها من باب الأمانة، يقيناً منهم أنها لن تصمد أمام ما انتهوا إليه وأجمعوا عليه من سلامة ووحدة النص القرآني.

ولعل استعراض بعض هذه الأعمال يعطي فكرة لما يخطط له ويراد الوصول إليه، مما يستوجب مواكبة ومتابعة تدفع الشبهات وتحول بينها وبين أن تصبح مسلمات أو قناعات، خصوصا عندما يتأخر الجواب المقنع والحجة القوية.

والأعمال التي سأستعرض عيّنات منها انطلقت من دراسات وبحوث أعدّها مستشرقون ورجال لاهوت، وظلت لعقود طويلة محدودة التأثير والانتشار، تصدى لها البعض من العلماء والباحثين ممن تهيّأ لهم الإطلاع عليها في لغاتها التي كتبت بها، وبقي الكثير منها يكتسب على مرّ الأيام الشرعية، ويتخذ اليوم منطلقا لأعمال دخلت حيّز التنفيذ الفعلي، متمثلا في نشر القرآن منتحلاً تحت عنوان (الفرقان المبين أو الفرقان الحق)، هو اليوم نص ينسخ من مواقع الإنترنت، ويعمم توزيعه على المسلمين في ديار الإسلام وخارجها، وبالخصوص على تلك الأجيال المتعاقبة من أبناء المسلمين في ديار الغرب التي تفتقر إلى أبسط المعارف الدينية الصحيحة.

كما أن طبعات عديدة للقرآن مرتبا ترتيبا زمنيا يخالف الترتيب الذي عليه سور وآيات القرآن الكريم، هي اليوم في واجهات كل المكتبات المنتشرة في الأماكن العامة، يضاف إلى ذلك تسارع وتتابع ملفت للانتباه في إصدار الترجمات الجديدة للقرآن، تعد لها المقدمات المتضمنة لكل الآراء والأفكار التي انتهى إليها وأوردها الدارسون الغربيون من المستشرقين وعلماء اللاهوت، كما تضاف إليها تعليقات وهوامش تقدم على أنها مسلمات تنقض كل إجماع حول القرآن.

وبالموازاة لذلك تصدر ولا تزال كتب تتفاوت في أحجامها ومنهجياتها باختلاف من توجه إليهم من القراء والمهتمين بموضوع القرآن خصوصا والإسلام عموما، والذين ازدادت أعدادهم في صفوف المسلمين وغير المسلمين في السنوات الأخيرة، وهذه عينات للإصدارات الجديدة حول القرآن:

❖ الدليل الصغير للقرآن: تأليف لوران لغراتم

Petit guide du Coran: Laurent Lagartempe

يقع هذا الكتاب في ثلاثمائة صفحة توزعت حول: مسارات وتاريخية وكلمات ومواضيع ومصادر القرآن الكريم، بالإضافة إلى ملحق يحشر فيه مؤلف هذا الكتاب كل ما توصل إليه واطلع عليه من شبهات المستشرقين وعلماء اللاهوت الذين اشتغلوا بالقرآن، ويقدمها على أنها مسلمات، ويوردها خالية من كل توثيق، معتبرا أنها كل ما يجب أن يعلمه القارئ مما تتضمنه حقيقة القرآن، فهو مثلا في فصل حقائق تاريخية (صفحة 199 ـ 209) يعرف بأعمال اعتبرها مستقلة وعلمية وموضوعية ينبغي العودة والاعتماد عليها:

❖ نولدكه وسكوللي في الجزء الأول والجزء الثاني من كتاب تاريخ القرآن ج 1 1909 وج 2 1919 Noldeke et Schwally

❖ الأب قبريال تبرري 1881-1959 Pere Gabriel Thery

❖ من موسى إلى محمد De Moise a Mohamed

❖ الأب جوزيف برتيال Pere Joseph Bertuel

❖ الإسلام والنقد التاريخي L'islam et la critique historique

❖ الأستاذة باتريسيا كرون Professeur Patrica Crone

❖ التأسيس للعالم الإسلامي The making of Islamic world

❖ الأب أنطوان موصولي Père Antoine Moussali

❖ الصليب والهلال La croix et la croissant

❖ اليهودية المسيحية والإسلام Judaime Christinaisme et Islam

❖ دراسات مقارنة Etude comperee

❖ إتيان كوفار Etienne Couvert

❖ أصول الإسلام Origines de l'islam

❖ قرقوار فليكس Gregoire Felix

❖ دور الناصرية في الإسلام

Nazareens et le rôle quelle a joue dans l'avenement de l'islam

❖ تأسيس الإسلام La creation de l'islam

❖ الفرد لوي دي برمار Alfred Louis de Premare

❖ أصول الإسلام es fo ndations deislam

ويمكن أن ندرج في هذا السياق الكتاب الذي أصدره فريد إسحاق:

❖ القرآن دليل استعمال:

(Farid Esak: Mode d'emploi Albin Michel)

وتتجاوز صفحات هذا الكتاب الثلاثمائة، متضمنة لمقدمة وفصولا تحمل عناوين: القرآن في حياة المسلمين - القرآن يدخل العالم - القرآن ككلام مكتوب - جمع القرآن - الرسول والقرآن - القدم والخلق - فهم تفسير القرآن - الإيمان بالقرآن - السلوك القويم حسب القرآن.

❖ مقدمة لقراءة القرآن لمراد فاهر: (Morad Faher: Introduction a la lecture du Coran).

❖ تاريخ آيات القرآن تقديم برونو إتيان preface du

بالقوة، فلا بد - في رأيهم وتوجههم الفكري - أن نُضرب حتى نستيقظ، وأن الأصولية الإسلامية لن تستكين إلا إذا خضعت لقوة. وأعتقد أن هذا ينفذ الآن بشكل أو بآخر.

ومن هنا فإننا لا بد أن نقرا هذه الأفكار جيدا، وأن نحللها ونرد عليها، خاصة وأن الباب مفتوح والمجال فسيح أمامنا للرد، بعد الشبكة الدولية للمعلومات، وبعد أن صار الكثير من الغربيين يتطلعون إلى استقبال ما لدينا من فكر.

لقد اخترت أن أقدم قراءة تحليلية نقدية لكتاب (بوش الجد)، لأهميته من الزاوية التي تهتم بها هذه الندوة، وأعني زاوية القراءة الغربية للقرآن الكريم، فالكاتب قام بدراسة القرآن الكريم، لكنه - للأسف - لم يعتمد على قراءة نصوص القرآن أو التفسيرات الصحيحة له، بل إنه اعتمد على بعض المصادر والرؤى الغربية المغرضة، التي أولاها المستشرقون عنايتهم.

وهذه القضية في غاية الأهمية، من حيث أنها تُظهر عجزنا عن إيصال التفسيرات والقراءات الصحيحة لكتابنا المقدس (القرآن الكريم) إلى الآخر، في الغرب وفي غير الغرب.

وقد حاولت أن أركز على بعض أفكار الكتاب التي تتصل بالقراءة الغربية للقرآن الكريم، خاصة وأن هذه القراءة جاءت من أحد الكهنة المرموقين، فقد تربى (بوش الجد) في إحدى الكنائس، ولعله من غرائب الأمور أن يصل ابنه، ثم حفيده، إلى أعلى المناصب في الولايات المتحدة الأمريكية. ولا شك في أن أي إنسان عادي لا بد أن يتأثر بوالده بشكل أو بآخر، خاصة إذا كان الجد له تأثير ديني على من حوله.

والواقع أن جورج بوش (حاكم الولايات المتحدة الأمريكية الحالي)، قد أخذ الكثير من أفكار جده، خاصة تلك الأفكار التي تعادي الإسلام ونبي الإسلام محمد ﷺ، لقد أعلنها حربًا صليبية ضد الإسلام والمسلمين بعد أحداث 11 سبتمبر، وإن قدم تبريرات تعطي لهذه الكلمة مدلولاً آخر.

وقد ركزت بالذات على جملة من المسائل التي تتصل بالقراءة الشاذة لكثير من آيات القرآن الكريم . فهذا الكاتب اعتمد - لأنه لم يقرأ العربية - على بعض ترجمات للقرآن الكريم،

professeur Bruno Etienne يرتب مراد فاهر القرآن ترتيبا جديدا في مائتين وخمسين صفحة، ويتبع ذلك بملاحظات واستنتاجات يحشر فيها نصوصا أوردها من كتب السيرة والتاريخ، ومن كتب التفسير.

❖ لم نقرأ قط القرآن؟ ليوسف الصديق: (Youssef Seddik: Nous n'avons jamais lu le Coran). حيث يعرض المؤلف فيما يقارب الثلاثمائة صفحة لكل ما يعتبره أساسيا، مما ظل ـ حسب رأيه ـ مستبعدا من المعطيات التاريخية والاجتماعية داخل الجزيرة العربية وخارجها، والظروف التي واكبت جمع القرآن وتفسيره.

تضاف إلى هذه العينات مجموعة من الإصدارات التي تسير على هذا النهج الجديد في التعامل مع القرآن وتدوينه، والبعض الآخر يتعلق بالقراءة الجديدة للقرآن، ومما صدر في هذا السياق:

لمحمد أركون:

1 ـ القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني.

2 ـ الفكر الإسلامي قراءة علمية.

3 ـ نقد العقل الإسلامي.



محمد أركون

ولنصر حامد أبو زيد:

1 ـ مفهوم النص.

ولمحمد شحرور:

1 ـ الكتاب والقرآن «قراءة معاصرة».



نصر حامد أبو زيد

ولعبد المجيد الشرفي:

1 ـ الإسلام بين الرسالة والتاريخ.

2 ـ الإسلام والحداثة.

ولوحيد السعفي:

1 ـ العجيب والغريب في كتب التفسير «ابن كثير».



محمد شحرور

وللصادق بالعيد:

1 ـ القرآن والتشريع.

ولألفة يوسف:

1 ـ القرآن وتعدد المعنى.

ولمحمد الشرفي:

1 ـ الإسلام والحرية «الالتباس التاريخي».

وللتهامي العبدولي:

1 ـ النبي إبراهيم في الثقافة العربية الإسلامية.

وقد أعدت ونوقشت في السنوات الأخيرة أطروحات جامعية حول القرآن الكريم وعلومه وتفسيره ونذكر منها:

1 ـ صورة القيامة في التفسير، أعدها حسن مرزوقي.

2 ـ الزمان والمكان في قصص القرآن، أعدها محمد محمد الخربي.

3 ـ الفاتحة من خلال أعمال المفسرين القدامى والمحدثين، أعدها فوزي البدوي.

4 ـ أسباب النزول علماً من علوم القرآن، أعدها بسام الجمل.

5 ـ دراسات في إعجاز البيانية في العصر الحديث، أعدها السلامي العماري.

6 ـ تقاطع مبحثي النقد وإعجاز القرآن، أعدتها نوره هذلي.

7 ـ توظيف القرآن والسنة في معالجة مسألة الحكم، أعدها عمر الهمامي.

كل هذه الأعمال ما هي إلا مجرد عينات لما يزال يصدر تباعاً من مؤلفات وما يعد من أطروحات تتصل كلها بالقرآن جمعاً وتبويباً ودراسة وتحليلاً وإعادة قراءة باللغات الأجنبية وباللغة العربية، وأقل ما ينبغي القيام به إزاءها هو المواكبة والمتابعة التي تبدأ بالإطلاع عليها، وتنتهي بتقويمها وتصحيح ما ينبغي أن يصحح منها، ولا يمكن أن يقوم بهذا الجهد فرد ولا مجموعة، بل لا بد أن تتولاه هيئات ومؤسسات علمية تجعلها أولوية من أولويات عملها.

البيان الختامي وتوصيات الندوة العلمية

حول القراءة الغربية للقرآن الكريم

كلية الدعوة الإسلامية ـ طرابلس
3 ـ 4 الكانون 1373 من وفاة الرسول محمدﷺ / الموافق ديسمبر 2005 مسيحي

في إطار التعاون المستمر بين كلية الدعوة الإسلامية ورابطة الجامعات الإسلامية، واستشعاراً للمهمة الملقاة على عاتق المثقفين والباحثين في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ومواجهة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، انتظمت بكلية الدعوة الإسلامية بطرابلس في الفترة 3 ـ 4 الكانون 2005 مسيحي ندوة علمية حول (القراءة الغربية للقرآن الكريم) افتتحت بآيات من الذكر الحكيم، أعقبتها كلمة الدكتور محمد فتح الله الزيادي عميد الكلية الذي رحب بالمشاركين الذين يمثلون خمس عشرة جامعة ومؤسسة بحثية من العالم العربي وأوروبا، وأكد على أهمية هذا الموضوع الذي يأتي في ذروة الهَجْمَة على الإسلام ديناً وثقافةً وحضارة، وهي الهجمة التي يجب مواجهتها بالبحث العلمي الموضوعي بعيداً عن التشنج والميل إلى العواطف، مستهدفين تنبيه العالم الإسلامي إلى خطورتها والحذر منها، وفي الوقت ذاته تنبيه ذوي العقول المنصفة في المجتمع الغربي للعمل في اتجاه الموضوعية العلمية المؤدية إلى احترام الديانات والثقافات والخصوصيات العقدية والحضارية.

وتحدث بعد ذلك الدكتور جعفر عبد السلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية، شاكراً لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية وكلية الدعوة

والمترجم إذا نقل وتأثر بآراء مغرضة فلا يمكن أن يأتي بالحقيقة. ولذلك فإنني حاولت أن أستدل على الصورة الذهنية لتفكير هذا الرجل كما تتضح من كتابه وسيرته ؛ لنعرف كيف يفكر الغرب الأمريكي في الإسلام ونبيه.

فهو يردد الفرية الكبرى التي سمعناها ونسمعها في كل الملتقيات الفكرية في الغرب، والتي مَفادها أن القرآن كُتِب بيد محمد ﷺ. بمعنى أن الإسلام ليس رسالة من عند الله، والقرآن ليس منزلاً من عند الله سبحانه وتعالى.

وقد أوضحت ذلك الارتباك والتناقض في كثير مما كتبه هذا الرجل، فهو لا يعرف كيف وصل النبي (إلى هذه الثروة الضخمة من الهدى والعلم ونور الدعوة.... إلخ، ثم إن لديه ما يُعرف بالازدواج في التفكير، الذي يدل على العمى الذي عاش فيه هذا الرجل (بوش الجد)، والذي يعيش فيه من خلفه في هذا الفكر الشاذ حتى الآن.

كما أوضحت في البحث القراءات الخاطئة والمغرضة لكثير من نصوص القرآن الكريم، خاصة في (حديث الإفك)، وفي زواج ﷺ، وفي قتل بعض الأسرى، وإن كان التروي أيضًا في هذه المفاهيم واضحٌ؛ لأنه يمتدح الرسول كثيراً في خُلُقه وفي تعامله مع عدوه، وفي تأثيره على طائفة واضحة من الناس الذين التفوا حوله وآمنوا به، وتحملوا المشاق والصعاب لنُصرته.

وكما ذكرت في البحث فإن قناعتي بعد قراءة هذا الكتاب هي أننا يجب أن نبذل جهداً كبيرًا لترجمة أصول ديننا بشكل واضح وجلي إلى اللغات الأخرى، ويجب أن تكون المكتبة الإسلامية باللغات الحية ثرية وواضحة. كما أن الدول والمنظمات والجامعات المنتشرة في العالم الإسلامي يجب أن تنهض بقوة لسد هذا الفراغ. إننا مدعوون جميعا إلى أن نكتب ونحلل و نرد على ما وُجّهَ إلينا.

نحن في عالم يحتاج إلى مواجهة الفكرة بفكرة، والحجة بحجة. لذلك فإنني أقول ببساطة : إننا لا بد أن نفكر في وضع استراتيجية لمواجهة هذه الكتابات وهذه الآراء التي تأتي كل يوم حاملة ما يسئ إلينا، ودون ردود سريعة و كافية من جانبنا.



الجلسة الختامية

الإسلامية جهودهما في خدمة الإسلام والمسلمين، مشيراً إلى التوقيت الجيد للندوة والموضوع المهم الذي تتناوله، ومؤكداً على ضرورة اتحاد المؤسسات الأكاديمية والبحثية والهيئات الدعوية والثقافية الإسلامية لمواجهة التحديات التي تواجه المسلمين في العالم المعاصر، والتي يجب أن تهتم أولا بإنتاج خطاب إسلامي معاصر يوجه إلى الآخر بلغته وبما يناسب ثقافته، لقطع خط الرجعة على كل المحاولات لتشويه الإسلام أو الاستخفاف بالقرآن الكريم.

واختتم حفل الافتتاح بكلمة الدكتور محمد أحمد الشريف أمين عام جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، التي رحب في بدايتها بالمشاركين، وأكد أهمية هذه الندوة، مشيرا إلى أن الأخ العقيد معمر القذافي قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية نبه قبل ثلث قرن إلى أهمية القرآن الكريم وشخصية الرسول ﷺ باعتبار أن القرآن الكريم مصدر الثوابت في الإسلام، وأن شخصية الرسول ﷺ هي الأساس الثاني للثوابت، وأن وفاته ﷺ هي الفيصل بين الدين والتراث، وأنّ غض النظر عن الثوابت يوقعنا في محاذير خطيرة، ولعل التطرف الذي عانينا ونعاني منه الآن قد أدى إلى نتائج خطيرة بسبب الاعتماد على رؤى ضيقة بعيدة عن الفهم الحقيقي للإسلام.

وقال الأخ الأمين: إننا نلتقي اليوم لنناقش موضوعاً مهما على الجانب الآخر وهو رؤى الآخرين للقرآن الكريم دراسة وبحثا، وهي قديمة جدا، وتتصف إجمالاً بالعدائية للقرآن الكريم وشخصية الرسول ﷺ، وهو أمر وثقته دراسات المستشرقين وغيرهم دينياً وسياسياً وعسكريا، وفي مقابل ذلك برزت دراسات غربية جادة وإيجابية ومعتدلة علميا، ولكن المزعج أنه بعد سقوط المعسكر الشرقي أصبح الإسلام هو العدو المعلن غربياً ورسمياً عند كل المسئولين السياسيين وذوي الشأن الثقافي في العالم الغربي، وهذا العداء المتحكم في العقل الأوربي تمثل في مراحل ثلاث :

الأولى: الحروب الصليبية.

الثانية: الاستعمار الحديث للعالم الإسلامي.

الثالثة: ما بعد 11 سبتمبر وهي مرحلة العداء الصريح للإسلام.

وختم الأخ الأمين كلمته بالإشارة إلى أنه إذا كان الغرب يبرر هذه العدائية بمواجهة التطرف؛ فإن النتيجة ستكون ميلاد تطرف أشد وأعنف لدى كافة المسلمين المعتدلين الذين لا يرضون ولا يمكن أن يسكتوا على التطاول على كتابهم المقدس أو نبيهم المرسل ﷺ.

ولذلك تأتي هذه الندوة لمساعدة كل الناس على التخلص من الجهل بالإسلام، ولنقول لكل المؤسسات العلمية الغربية : تعالوا إلى الدراسة العلمية والمنهجية والموضوعية الخالصة لمعرفة الحقيقة وليس للسب أو الشتم. وهذا اقتداء بالقرآن الكريم الذي فتح المجال لمحاورة الآخر مهما كانت حقيقته، حتى ولو كان الشيطان ذاته.

بدأت بعد ذلك الندوة في استعراض محاورها، حيث تم على مدى يومين استعراض عدد من البحوث ناقشت محاور الندوة الستة وهي:

1 ـ القراءة الغربية للقرآن الكريم (رؤية تاريخية).

2 ـ القراءة الغربية للقرآن الكريم (رؤية واقعية).

3 ـ منهجية القراءة الغربية للقرآن الكريم.

4 ـ السياسي والديني في التعامل مع القرآن الكريم.

5 ـ آثار التعامل الغربي مع القرآن الكريم على علاقة المسلمين بالغرب.

6 ـ دور الجامعات الإسلامية في تصحيح المفهوم الغربي عن القرآن الكريم.

وخلصت الندوة من خلال عروضها ومناقشاتها إلى إقرار ما يلي :

1 ـ الدعوة إلى التوسع في دعم برامج حفظ القرآن الكريم وتقرير أجزاء مناسبة منه يتم تدريسها وتحفيظها للناشئة في مختلف مراحل الدراسة، في مدارس الدول الإسلامية، مع إحياء دور المؤسسات التي كانت تهتم بتحفيظ القرآن الكريم (الكتاتيب) في مختلف الدول الإسلامية.

2 ـ دعوة الجامعات الإسلامية إلى التعاون من أجل إقامة هيئة إسلامية عالمية متخصصة في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات العالمية، ويكون من مهامها مراجعة الترجمات الموجودة حاليا.

3 ـ تشجيع الدراسات والأبحاث الجادة كافة، التي تعنى بإعطاء التفسيرات العميقة للقرآن في الكليات والمؤسسات العلمية المتخصصة في هذا الشأن.

4 ـ إنشاء مرصد إسلامي عالمي للأبحاث والدراسات كافة التي تظهر على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) والتي تتناول القرآن الكريم خاصة والإسلام عموما، وتبويبها وتحديد اتجاهاتها والرد عليها رداً علميا هادفا، وإظهار الدراسات الغربية الايجابية للقرآن والإسلام، وذلك باللغات العالمية.

5 ـ إعداد برامج إعلامية جادة (مرئية ومسموعة) تثبِّت في العقل المسلم القرآنَ الكريمَ وتوضِّحُ علومَهُ وأسسَ تفسيره.

6 ـ متابعة وكشف الدراسات التي تظهر في العالم الإسلامي والتي تدعو إلى قراءة جديدة للقرآن الكريم بغير ضوابط، الأمر الذي يؤدي إلى تفريغ المحتوى الإيماني للقرآن الكريم وجعله نصا تراثيا يمكن التحكم في تأويله، والعمل على تنبيه المؤسسات البحثية والأكاديمية إلى خطورة تأثيراتها.

7 ـ دعم برامج تعليم اللغة العربية، و تعميق القراءة باللسان العربي لتأصيل الفهم السليم للقرآن الكريم.

8 ـ توجيه الباحثين و الدارسين، وخاصة في أقسام الدراسات العليا في الجامعات الإسلامية، إلى الاهتمام بنقد و دراسة الأبحاث كافة التي تصدر عن المستشرقين والمتغربين على السواء، والتي تحاول التشكيك بالقرآن والإسلام، أو تشويههما.



9 ـ دعوة المؤسسات الأكاديمية إلى التواصل مع الفضائيات في أنحاء العالم لعرض الأخطار والمحاذير التي يحملها كتاب (الفرقان الحق) وغيره من الأبحاث التي تتناغم معه.

10ـ الدعوة إلى عقد ندوة لمراكز طباعة القرآن الكريم في العالم لبحث حصانة خاصة بالقرآن الكريم على الشبكة الدولية، حتى يمكن التمييز فيها بين المصاحف السليمة، والمصاحف التي تحمل الأخطاء أو التحريفات.

11 ـ اقتراح إنشاء جائزة دولية للباحثين الغربيين المنصفين تجاه الإسلام والقرآن الكريم.

12 ـ التأكيد على دعم التواصل بين الجامعات الإسلامية من أجل توحيد الرؤى والمواقف والجهود للوقوف أمام كل خطر يهدد الإسلام ويمس ثوابته.

13 ـ إنشاء مؤسسة ترجمة ونشر تعمل على الترجمة الدقيقة للكتب الجيدة التي تُعرّف بالإسلام وثقافته قديماً وحديثاً، باللغات الأوربية الكبرى.

14 ـ فتح تخصص الإعلام وإنشاء مراكز تدريب إعلامي عملي في الكليات الشرعية الأكاديمية، وذلك لجميع التخصصات الإعلامية.

ختاماً: يتقدم المشاركون في الندوة بالشكر الجزيل إلى جمعية الدعوة الإسلامية العالمية وكلية الدعوة الإسلامية والقائمين عليهما على عقد الندوة، وحسن تنظيمها، وحفاوة الاستقبال، مشيدين بالجماهيرية العظمى ودورها الرائد في الدفاع عن القرآن الكريم والفكر الإسلامي.

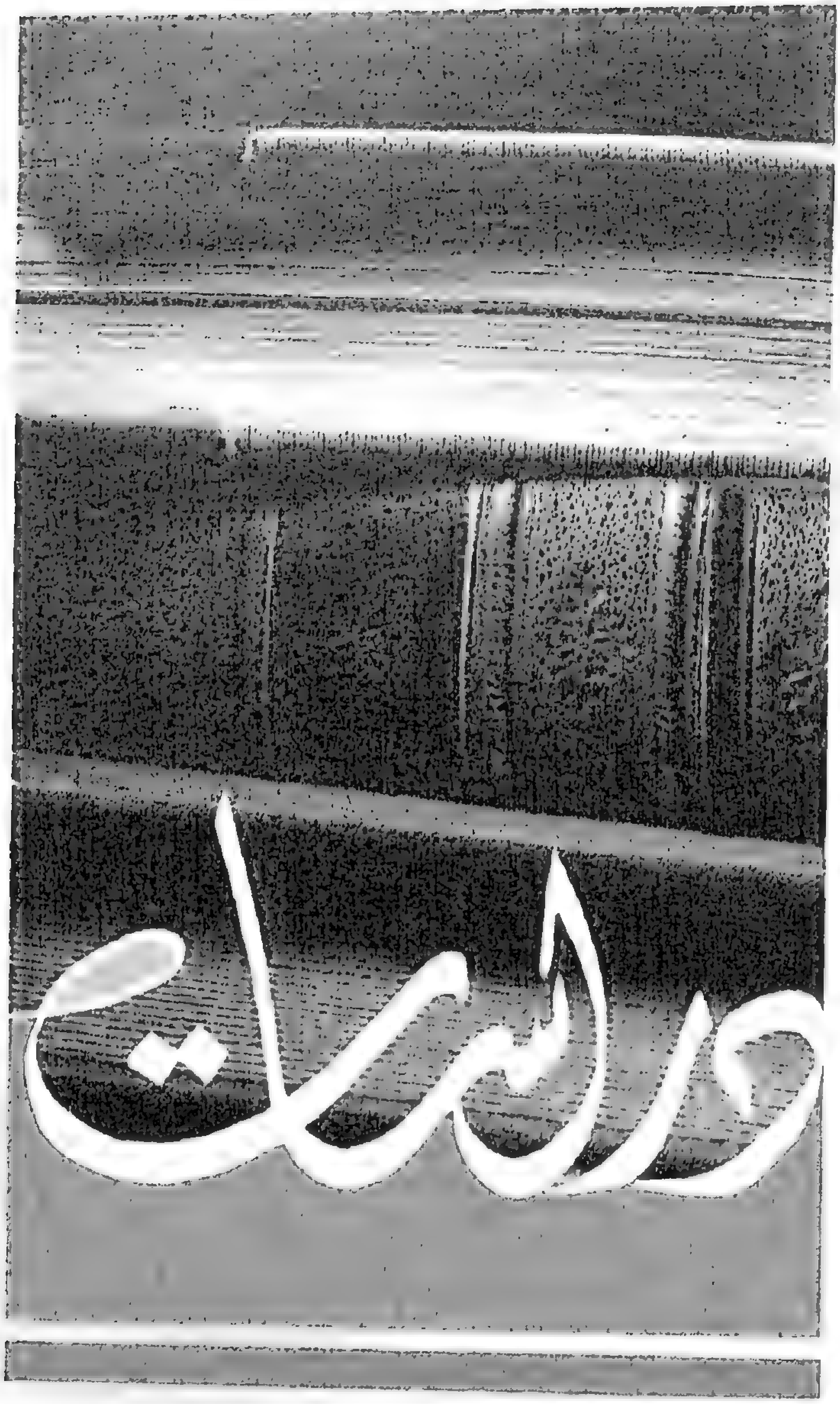
المشاركون في الندوة العلمية

(القراءة الغربية للقرآن الكريم)

مساء يوم الأحد الموافق 4/الكانون / 1373

من وفاة الرسول محمد ﷺ

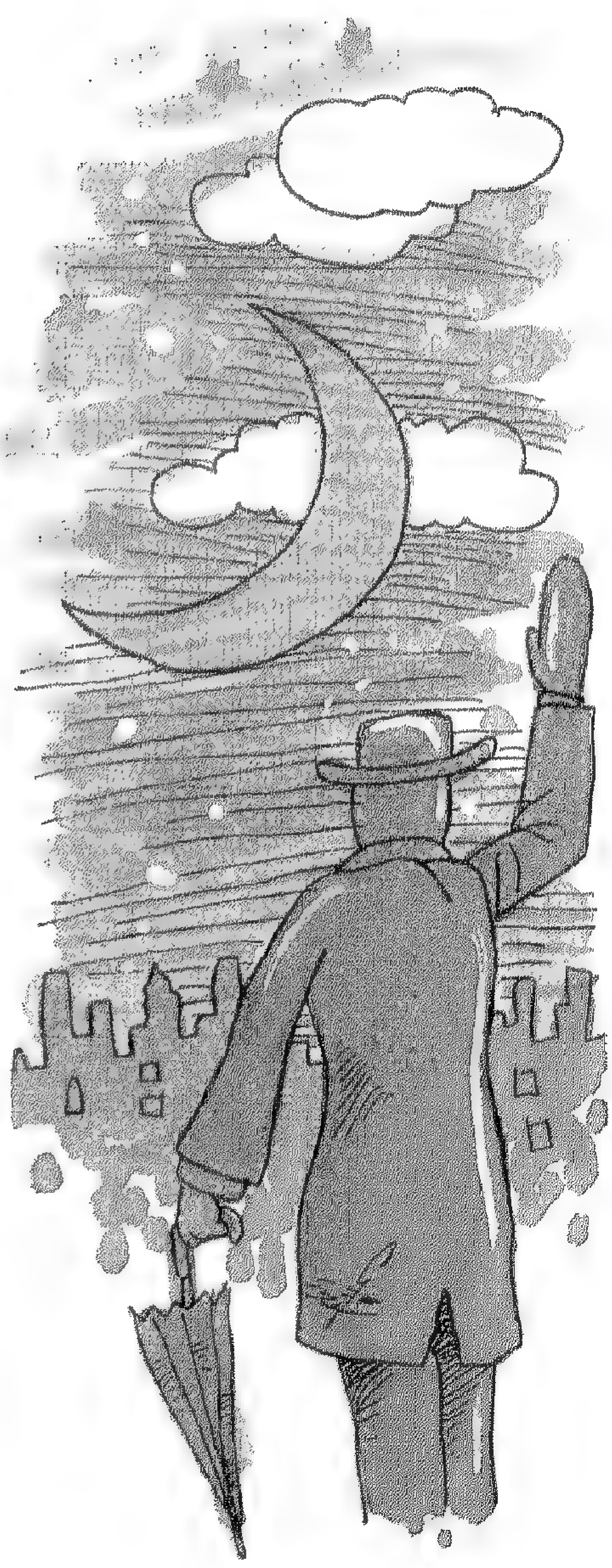
4 ديسمبر/ 2005 مسيحي



- ❖ أوروبا والإسلام واقع ثقافي
- ❖ مذهب شيداوتانغ والتطبيق الفعلي لنموذج الأمة المسلمة المثالية في الصين
- ❖ إسهام الأفارقة في الثقافة العربية ـ الإسلامية (غرب إفريقيا انموذجاً)

أوروبا والإسلام.. واقع ثقافي

د . صلاح الدين الجعفراوي *



في ظل تلك الأحداث المتسارعة.. والتي أودت بحياة العديد من الأشخاص.. فأودت بالعديد من القيم التي كانت تتمسك بها أوروبا.. وأصبحت الأقلية المسلمة في أوروبا تتلاطمها أمواج الشك والتهميش تارة.. والظلم والاقصاء تارة أخرى.. وبات الإسلام متهمًا.. وسهام الظلم والتلفيق تترى عليه موجات إثر موجات، وأصوات المدافعين عنه من أبنائه مرتجفة ومن أصدقائه خافتة.. وكان الناس في صمت وقد عقدت لسانهم المصيبة.. وأصبح لا بد من حشد طاقات المنصفين والمعتدلين من أصدقائنا فضلاً عن طاقات كل من ينتمي إلى هذا الدين العظيم.

نظرة تاريخية مختصرة:

الإسلام في أوروبا لا يعتبر ضيفًا عابرًا أو مجرد استقرار مهاجر، لقد وصل الإسلام إلى شرق أوروبا منذ مئات السنين بل قبل وصول الفاتحين بكثير وهناك العديد من الشواهد منها:

1- قومية البوماك في بلغاريا. هم مسلمون أسلموا قبل الفتوحات بكثير ويبلغ تعدادهم الآن مئات الآلاف (نحو ثمانمائة ألف)، وكلمة البوماك باللغة البلغارية معناها «الأنصار» حيث إن هؤلاء

* كاتب وباحث، عضو المجلس العالمي للدعوة الإسلامية / ألمانيا

المسلمين الذين كانوا وجدوا في بلغاريا قبل الفتح قاموا بنصرة إخوانهم الفاتحين الأتراك، وبالتالي أطلق عليهم هذا الوصف.

2 ـ توجد عدة قبور للمسلمين في بلغاريا كتب عليها تاريخ من القرن الثالث الهجري.

3 ـ وجدت أيضًا قبور في إقليم السنجق بين صربيا والجبل الأسود منذ أكثر من سبعمائة عام وقد نشر صورها في كتابه الأستاذ الدكتور راسم داليتش.

4 ـ تزيد نسبة المسلمين في كل من جمهورية البوسنة والهرسك عن النصف وأكثر من ذلك بكثير في إقليمي السنجق وكوسوفو وكذلك جمهورية ألبانيا، بالإضافة إلى نسب كبيرة في مقدونيا وتراقيا الغربية وبلغاريا وكذا تركيز في شرق رومانيا بكونستانسا وما جاورها.

5 ـ هناك العديد من القوميات والأعراق الإسلامية التي هي من أصل تلك المناطق كالبشناق والألبان والتتر والتركمان والطربش والعجر.

6 ـ كتائب الفرسان التي كان يقودها القائد المسلم إسكندر رومانوفيتش في بولندا وتعد بعشرات الآلاف والتي استردت سيادة بولندا وأعادت حدودها الأصلية مرتين من أيدي الغزاة من الألمان وروسيا البيضاء وكان ثمة تعاون وثيق وود بين شيخ الإسلام والكنيسة، إلى أن جاء المد الشيوعي فتم التخلص من قادة هذه الكتائب في ظروف غامضة كما اختفى شيخ الإسلام وتبعثر المسلمون بين المدن ولم تبق بعد انهيار الشيوعية إلا بضعة آلاف من المسلمين في مناطق الشمال في بياوستوك وغدانسك وثمانية مساجد خشبية صغيرة.

7 ـ لتوانيا التي احتفلت منذ عدة سنوات بمرور ستمائة عام على وصول الإسلام إليها.

كما أن الإسلام وصل واستقر في الأندلس غرب القارة الأوروبية إلى أن انحسر وجاءت محاكم التفتيش لتكمل على البقية، ولم يتبق إلا الأثر.

أما الوجود الإسلامي الحالي في غرب القارة فلا نستطيع الآن وصفه بالوجود الطارئ أو الزائر الغريب كما يحلو للبعض أن يصفه.

فقد كانت النماذج التي تأتي إلى غرب القارة بعد الحرب العالمية الثانية تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي :

1 ـ عمال يأتون لبناء أوروبا المدمرة لتحسين الوضع المادي لهم.

2 ـ طلبة علم يتلقون العلوم للحصول على درجاتهم العلمية العالية.

3 ـ لاجئون هاربون من أوضاع سياسية مضطربة في بعض الدول العربية والإسلامية.

الوجود الإسلامي الحالي في غرب القارة لا نستطيع الآن وصفه بالوجود الطارئ أو الزائر الغريب كما يحلو للبعض أن يصفه.

وهنا أود التأكيد على أن الوجود الإسلامي في غرب القارة لم يبدأ بعد الحرب العالمية الثانية كما يحاول البعض إشاعته، فهذا محض افتراء بسبب:

1 ـ أقر أحمد بن خلان في كتاباته بدخول المئات من أبناء الشمال (الفاكينجار) من الدول الاسكندنافية في الدين الإسلامي.

2 ـ وجود العديد من العملات الإسلامية التي اكتشفت في هذه البلاد أثناء التنقيب على الآثار.

3 ـ آلاف المسلمين الذين قضوا للدفاع عن أوروبا وإعادة الحرية إليها، ففي فرنسا على سبيل المثال لا الحصر أعطت الحكومة قطعة أرض مساحتها 73 ألف متر لبناء المسجد بباريس عرفانًا منهم باستشهاد 73 ألف مسلم في حرب التحرير ضد النازية.

4 ـ المسجد الأحمر وبعض أماكن الصلاة كانت موجودة وقت حكم القياصرة في ألمانيا.

5 ـ أكثر من ألفي جندي مسلم مغربي (2250) سقطوا

قتلى من ضمن آلاف الجنود المغاربة الذين تصدوا للجيوش النازية في معركة «جانملو» للدفاع عن بلجيكا، وقد أقيم احتفال حضره السيد أندريه فلاوت وزير الدفاع البلجيكي الذي أشاد بجهود الجنود المغاربة في مقاومة الزحف النازي.

وقد دعت جمعية «الشهداء المغاربة» إلى هذا الاحتفال الذي يذكر ببسالة الجنود المغاربة الذين شاركوا في تدمير أكثر من 300 دبابة وإسقاط عشرات الطائرات الهجومية والاستطلاعية الألمانية على مدى ثلاثة أيام هي عمر المعركة (14، 15، 16 مايو 1940).

6 ـ وجود المسلمين في ألمانيا خلال العلاقة التي ربطت بين أمير المؤمنين هارون الرشيد والامبراطور شارلمان.

وإذا افترضنا جدلاً ما قالوه فلا ينطبق الآن بعد ازدياد الجيل الثاني والثالث، بل بدأت بوادر الجيل الرابع الآن.

الوضع الحالي:

أ ـ ما قبل 2001/9/11 مسيحي:

في شرق أوروبا انهارت الأيديولوجيا الشيوعية وكان من حظ الكيانات المسلمة أن تتحرك، وإن بدأت متأنية خوفًا من عدم صدقية تلك الحرية. فلم تؤسس الأحزاب ولم تهتم بامتلاك كيانات إعلامية أو تعمل على استعادة الأوقاف التي سلبت، ولم يستثن من ذلك إلا البوسنة والهرسك التي كان لها السبق لما يوجد بها من كم كبير من المثقفين والعلماء مع نمو الوعي ووجود قيادات استطاعت أن تمسك بزمام الأمور.

وفي الغرب كادت الكيانات الإسلامية الوافدة أن تتعافى من المرض الذي انتقل إليها من صراعات فكرية لجماعات وفدت إليها، أو سياسية لحكومات أرادت أن تصفي حساباتها على أرض مفتوحة آنذاك. وتوقف مسلسل الصراعات وبدأت تستوعب القيادات الإسلامية الموجودة على الساحة ضرورة التعاون والتنسيق فضلاً عن الانفتاح على الساحة التي تعيش فيها ومد الجسور مع المؤسسات الرسمية، وتوثيق الروابط مع الدول العربية والإسلامية، ووضع استراتيجيات تتناسب وعودة الوعي ويقظة الضمير، وأصبح الاهتمام ببناء الجيل الذي نشأ على هذه الأرض وتأكيد انتمائه مع الاحتفاظ بهويته.

ب ـ ما بعد 11 سبتمبر:

وكان الزلزال الذي أوجد مناخًا لا نحسد عليه، وأصاب الزلزال كافة الجوانب التي تلمسها الأقلية المسلمة المسالمة في الغرب، وازداد نمو السلوك العنصري ضد كل ما هو آت من الشرق وإن لم يكن مسلمًا، أما إذا كان مسلمًا فيزداد الكيل ويفيض.

> **في الغرب كادت الكيانات الإسلامية الوافدة أن تتعافى من المرض الذي انتقل إليها من صراعات فكرية لجماعات وفدت إليها.**

وتتوالى بعض العمليات الإرهابية، الأحداث التي زادت الأمور تعقيداً والعلاقات اضطراباً:

1 ـ تفجيرات 11 مارس 2004 التي أودت بالعشرات في مدريد ونسبت إلى بعض الشباب المغاربة، وما لحق بها من مداهمات وتضييق وردود أفعال قد يغيب العقل عن ضبطها أو يغيّب.

2 ـ مقتل المخرج فان غوغ الهولندي على يد الشاب المغربي كرد فعل لإهانته كتاب الله الكريم والإسلام، وإن كنت هنا لا ألتمس له العذر فهذا العمل مرفوض شكلاً ومضمونًا، ونحن نعيش في بلاد تحترم العقل والقانون، وهناك العديد من الوسائل القانونية والمشروعة التي نستطيع بها أن نوقف كل مسيء، أو نتجاهله حتى لا نعلي من شأنه حيث إن الكثيرين من هؤلاء لا وزن لهم ولا قيمة علمية أو انسانية.

ـ فهولندا التي كانت ساحة للاندماج والانفتاح والتعايش انقلب فيها الأمر رأسًا على عقب، فعدد

المسلمين فيها يقارب المليون من أصل ستة عشر مليونًا هم عدد سكانها، ويوجد فيها سبعة نواب مسلمين في البرلمان وأكثر من 50 مستشارًا في المجالس البلدية وأكثر من ألف منظمة اجتماعية وثقافية و400 مسجد، بالإضافة إلى 42 مدرسة ابتدائية إسلامية رسمية، ومدرستين ثانويتين معترف بهما، وجامعتين إسلاميتين في طريق الاعتراف الرسمي بهما.

- كانت ردود الأفعال عنيفة فحرق العديد من المدارس والمساجد (أكثر من ثلاثين) وبدأت حملة عنيفة ضد الأئمة والدعاة.

3 - تفجيرات لندن الأولى 2005/7/7 التي أودت بحياة العديد من الأبرياء، ورغم أن الأصابع بدأت تشير إلى بعض من ينتمون إلى الإسلام كانت ردود الأفعال الرسمية متزنة، مستفيدة مما حدث في مدريد وامستردام، فذهب العديد من رجال الأمن إلى المسلمين في المساجد يطمئنونهم ويعلنون أن الإرهاب لا دين له، ولكن سرعان ما لحقت بها الموجة الثانية من التفجيرات 2005/7/21 التي زادت من الضغط والتضييق على الأقلية المسلمة التي كانت ترغب في أن يفي رئيس الوزراء البريطاني بتعهده في الحملة الانتخابية بتمرير قانون تجريم التمييز على أساس ديني، حيث إن حكومة العمال قد سحبت قبل ذلك هذا القانون الذي يستفيد منه المسلمون بشكل أساسي.

كنا لسنوات نواجه الإسلام محليًا وعالميًا كتحد لوجودنا ويهددنا، ولذلك يجب أن نعيد النظر في هذا الموقف بجدية.

الفصل الثاني:

- يتناول هذا الفصل صورًا من الاجراءات والممارسات السلبية وردود الأفعال التي كان لها أثر سيئ في أوضاع المسلمين في أوروبا.

- كما يتناول بعض المشاهد الإيجابية والتحركات المتزنة لبعض العاقلين والمنصفين سواءً كانوا ينتمون إلى مؤسسات رسمية أو لهم مواقع سياسية مهمة أو جهات شعبية، كما يلقي الضوء بشكل سريع على نتائج بعض الانتخابات التي زاد فيها تأثير وتمثيل المسلمين.

أولاً - المظاهر السلبية خلال المرحلة الماضية:

1 - التركيز على دور الأئمة، وأن عدم تأهيلهم التأهيل المناسب هو الذي أوصل بعض الأفكار المتطرفة والإرهابية على حد زعمهم إلى عقول بعض الشباب من أبناء الأقلية، كما ذكر أن العديد منهم يحرض على الكراهية ويدعو إلى العنف، وضربوا أمثلة لقلة لم يعترف بهم أصلاً الشارع المسلم في أوروبا وبدأوا في إجراءات عديدة منها:

أ - طرد الأئمة، كما فعلت بعض الدول منها: ألمانيا، فرنسا، النمسا، سويسرا، الدانمارك وإيطاليا، بالحجج السالفة الذكر.

ب - بعض الدول منعت دخول الأئمة من البلاد العربية، كمفتي أو إمام.

ج - سويسرا والدانمارك قامتا بسن قوانين للحد من دخول أئمة وافدين إلى البلاد، ويجرى الحديث الآن حول «هل يجب مراقبة أماكن العبادة؟».

د - أشرفت الداخلية الفرنسية على تعيين لجنة خبراء لوضع خطة لتأسيس معهد للأئمة.

هـ - دعت بعض الدول المسلمين إلى تدريب الأئمة الموجودين في الجامعات الأوروبية.

وهذا الأمر بدوره له إيجابيات وسلبيات.. فإن ترك الأمر للمتخصصين من الأوروبيين الذين لا يعرفون عن الإسلام إلا الصورة السلبية فسيكون

الناتج مشوهًا، والنتائج أسوأ مما نراه الآن.

2 ـ أرسلت هيئة الاستعلامات الحكومية التابعة لمنطقة أوتريخت تحذيرًا من تزايد الممارسات العنصرية للشباب الهولندي ذوي «الرؤوس الحليقة»، واعتبرته أكبر خطر على أمن البلاد، مقارنة بالتطرف الإسلامي كما ذكرت، ونشر هذا التحذير في 2005/4/4 مسيحي، بعد قيام هؤلاء الشباب بالاعتداء على مساجد ومدارس للأقلية المسلمة.

3 ـ أصدر المركز الأوروبي لرصد النزاعات العنصرية وكراهية الأجانب تقريرًا مفاده أن 15 دولة عضوًا بالاتحاد الأوروبي فشلت في التصدي للعنف والتمييز المتصاعدين ضد الأقليات العرقية وخاصة المسلمين منذ أحداث 11 سبتمبر، وهذه الدول هي: ألمانيا، ايرلندا، اسبانيا، إيطاليا، البرتغال، بلجيكا، الدانمارك، السويد، فرنسا، فنلندا، لوكسمبرغ، بريطانيا، النمسا، هولندا، واليونان، وقد نشر هذا التقرير في صحيفة «الإندبندنت» في 2005/4/14 مسيحي.

خمس عشرة دولة عضوًا بالاتحاد الأوروبي فشلت في التصدي للعنف والتمييز المتصاعدين ضد الأقليات العرقية وخاصة المسلمين.

4 ـ أصدرت اللجنة الوطنية الاستشارية لحقوق الإنسان في فرنسا تقريرًا أكدت فيه تضاعف الأعمال العنصرية ضد رموز الإسلام في فرنسا بنسبة 251 في المئة خلال عام 2004 مسيحي، مقارنة بالعام السابق، ودعت اللجنة في نهاية التقرير رئيس الوزراء الفرنسي إلى ضرورة سرعة التحرك لمحاصرة هذه الظاهرة التي تشكل خطورة على أمن البلاد.

5 ـ ذكر وزير داخلية ألمانيا الاتحادية السيد أوتو شيلي في حديثه الصحافي يوم 2005/5/17 مسيحي، أن الخطر الأكبر الذي يحيق بألمانيا والعالم أجمع يتمثل في نشاطات «الإرهابيين الإسلاميين»، وأشار إلى تراجع خطر الجماعات الألمانية اليمينية المتطرفة، كما خص بالذكر جماعة (مللي جوروش) على أنها أكثر المنظمات الإسلامية العاملة في ألمانيا رفضًا للواقع الغربي.

6 ـ لم تقم الحكومة النروجية بتعديل مناسب للقانون الذي يفرض تدريس الدين المسيحي في المدارس الحكومية حتى على أتباع الديانات الأخرى، ولكنها قامت بتعديله تعديلاً جزئيًا بشكل لا يمس المضمون حيث ذكر التعديل لفت نظر المهتمين إلى أخذ عدد المسلمين في الاعتبار دون أن يلزم المدارس بإلغاء المادة أو تغييرها، وتعتبر النرويج الدولة الأوروبية الوحيدة التي تجبر الطلبة على دراسة مادة الدين، رغم الانتقادات الشديدة التي وجهتها مفوضية الأمم المتحدة لحقوق الإنسان.

7 ـ ذكر السيد غونتر بيكاشتاين وزير داخلية بافاريا جنوب ألمانيا أن «الإرهاب الإسلامي» (على حد تعبيره) يمثل التهديد الأكبر للأمن الداخلي في ألمانيا، وقد نقلت صحيفة «فرانكفورتر نويه بريسه» هذا التصريح.

8 ـ كشف آخر تقرير حول الحقوق المدنية لمسلمي أميركا ارتفاع معدل جرائم الكراهية ضدهم بنسبة 50 في المئة عن العام الذي سبقه، كما زادت حوادث التمييز خلال هذه الفترة على 49 في المئة.

9 ـ طالب السيد جيرت وايلدرز السياسي الهولندي بوقف منح حق اللجوء السياسي، وإغلاق باب الهجرة أمام المسلمين، ومنع العاملات في

الحكومة من ارتداء الحجاب، وإيقاف إقامة المدارس الإسلامية التي تبث ثقافة متخلفة على حد تعبيره.

10 ـ نشرت صحيفة «برلينر مورغين بوست» تقريراً بعنوان: «مآذن جديدة في سماء برلين» بتاريخ 2005/4/16 مسيحي، إن أعمال البناء تعطلت في عدد من المساجد التي تتبع مؤسسات إسلامية نظراً للعراقيل التي وضعت، وضربت عدة أمثلة (نحو خمسة مساجد للاتحاد الإسلامي والرابطة الإسلامية الخيرية وجماعة أهل البيت).

11 ـ رفض معهد أتال في مدينة أنتويرب الذي يقدم برامج لإعادة تأهيل العاملين العاطلين عن العمل قبول طالبات يرتدين الحجاب لمتابعة دراستهن في المعهد على لسان صحيفة «غازين» البلجيكية بتاريخ 2005/5/4 مسيحي.

ثانيًا ـ المشاهد الإيجابية رغم صعوبة الوضع وتكالب الأعداء:

1 ـ قامت الحكومة الهولندية بوضع برنامج للإندماج بين الأعراق والثقافات المكونة للنسيج الهولندي، وبدأت هذا البرنامج في روتردام كنموذج، إن نجح فسوف يعمم على بقية أنحاء هولندا، بل سيكون نموذجًا للتطبيق في بقية الدول الأوروبية، وتم اختيار روتردام بالذات للكثافة السكانية للأجانب حيث يوجد فيها 165 جنسية.

وقد استغرق البرنامج أكثر من عامين شاركت فيه جهات رسمية وشعبية إسلامية وهولندية، وتوج بمؤتمر جامع يوم 2005/4/6 مسيحي، حضره السيد يان بيتر بالكوندا رئيس وزراء هولندا، وقد صوت معظم المشاركين لمصلحة اتفاق المواطنة الروتردامية الذي يعطي أولوية للتعايش بين المواطنين، بغض النظر عن الانتماء الديني أو العرقي، كما ينص على مقاومة العنصرية والإبلاغ عنها وخاصة في أماكن العمل.

وطالب المشاركون بلدية روتردام بوضع اتفاق بين البلدية ورجال الأعمال لقبول المسلمين في مؤسساتهم وكذلك تنظيم مناسبات للتواصل بين المواطنين.

وقد تأثر هذا البرنامج قليلاً بعد أحداث مقتل المخرج الهولندي ولكنه سرعان ما تعافى بحكمة المسؤولين في بلدية روتردام الذين سعوا بشكل جاد لإنجاح هذا المشروع.

2 ـ ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [سورة المائدة:الآية 8]

عمدة امستردام العاصمة التجارية لهولندا السيد جوب كوهين اليهودي ذكر «الإسلام موجود هنا كي يبقى في هذا البلد، وفي هذه المدينة، وعلينا أن نتعامل مع الإسلام كحقيقة لا أن يكون موضعًا نحبه أو لا نحبه، لذلك فالسؤال الجاد هو: كيف يمكن التعايش وقبول بعضنا البعض؟».

> **كشف آخر تقرير حول الحقوق المدنية لمسلمي أميركا ارتفاع معدل جرائم الكراهية ضدهم بنسبة ٥٠ في المئة عن العام الذي سبقه.**

كما يفتخر بأنه لم تحدث أي حادثة عنف ضد المسلمين في مدينته كرد فعل على مقتل المخرج الهولندي فان غوغ على يد أحد أبناء الأقلية المسلمة.

3 ـ لأول مرة في ألمانيا قام مستشفى «بيترا» في هانوفر بإنشاء قسم خاص بالمسلمين، وقامت بتعيين طاقم من أطباء وممرضين مسلمين، وقد ذكر الدكتور «اكسيل دوسينبرغ» أنهم يسعون من خلال هذا القسم إلى مراعاة القيم الثقافية الخاصة بالمسلمين.

4 ـ اختيار وزير آخر مسلم في الحكومة الفرنسية الجديدة السيد عزوز بقاق وزير التأهيل وتساوي

الفرص بعد حملاوي مكاشيرا وزيرًا مفوضًا لشؤون المحاربين القدامى.

5 ـ تضاعف عدد المسلمين في مجلس العموم البريطاني، ورغم أن العدد لا يتناسب مع نسبة المسلمين حيث يحق أن يكون لهم 18 عضوًا، ولكنها خطوة إلى حد ما إيجابية حيث مثلوا بأربعة نواب بدلاً من اثنين في الدورة الماضية.

6 ـ ذكرت الملكة مارغريت ملكة الدانمارك في كتابها الجديد «أننا كنا لوقت طويل لم ننظر إلى الإسلام بجدية، بل كنا كسالى وغير معنيين بالأمر، ولا نريد أن نفتح علاقة معهم، إننا كنا لسنوات نواجه الإسلام محليًا وعالميًا كتحد لوجودنا ويهددنا، ولذلك يجب أن نعيد النظر في هذا الموقف بجدية».

7 ـ تأسس اتحاد الصحافيين المحايدين في أوروبا من بعض الصحافيين السويسريين ويجرى التنسيق مع بعض الجنسيات الأوروبية الأخرى لتوسيع الاتحاد، وهذه تعتبر خطة كبيرة حيث تمت بمباركتنا ودعمنا لهم وقد دفعهم إلى هذا التوجه ما لمسوه من ظلم وتغييب للحقائق عندما يتم تناول أي قضية لها علاقة بالإسلام، ونحن نعد لهم الآن جولة لبعض الدول العربية كأول زيارة لهم للاحتكاك المباشر مع الشعوب الإسلامية، وقد نشروا بالفعل العديد من كتابات منصفة ومتزنة.

8 ـ استقبال عمدة مدينة ليل (شمال فرنسا) وفد المؤتمر الإسلامي الأوروبي والمجلس العالمي للدعوة الإسلامية وكلية الدعوة الإسلامية، في مقر المحافظة، ووعدها بتيسير كافة الإجراءات لإنشاء الجامعة الإسلامية تحت إشراف المؤتمر الإسلامي الأوروبي.

الفصل الثالث: عوائق ومقترحات:

نتناول في هذا الفصل صورًا من المعوقات التي تزيد من تفاقم وضع المسلمين وهي تنقسم إلى قسمين: داخلية وخارجية، كما سنضع بعض المقترحات العملية للخروج من هذا الواقع الشاذ الذي بدد الكثير من جهود البناء لبذلها في دفع الشبهات، وردود أفعال لأحداث تطرأ على الساحة.

أولاً ـ المعوّقات:

يوجد العديد من الأمور التي تعوق النهوض بمستوى النشاط الإسلامي، سيتم تناول بعضها في ما يلي:

1 ـ المعوقات الداخلية: وتلك هي التي توجد داخل الجسد الإسلامي وبأيدي أبنائه، وتحدث بجهل بعض منتسبيه:

أ ـ انحدار مستوى التعليم لدى العديد من أبناء الأقلية المسلمة، خاصة في أوروبا الغربية، وهذا نتيجة أن قطاعًا عريضًا منهم من العمال الذين أتوا إلى تلك البلاد لتحسين الوضع المالي، وبالتالي لم يهتموا بتحسين مستواهم العلمي، أو الاهتمام بتعليم أبنائهم إلى مستويات علمية معقولة، وهذا له مردود سلبي في التعامل مع غير المسلمين، وفي استيعاب الأحداث التي تطرأ على الساحة.

ب ـ عدم وجود العدد الكافي من الأئمة والدعاة المؤهلين للقيام بدور الوعظ والإرشاد، وبالتالي تضطر إدارات بعض المؤسسات والمساجد إلى الاستعانة بمن له قدرة على الحديث لاعتلاء المنبر دون النظر إلى ما قد يسببه من نقل مفاهيم خاطئة أو تحليل الأمور بشيء من الإفراط أو التفريط.

وهذا ما أدى بدوره إلى الحملة الكبيرة التي تقودها بعض المؤسسات الأوروبية كما ـ ذكرنا سالفًا ـ لطلب تأهيل الأئمة بما يتناسب والإسلام الأوروبي كما يطلقون عليه، وهذا الأمر إن لم توضع ضوابطه يكون الناتج أئمة ممسوخي الفكر، كما سيكون له الأثر السلبي، وظهور ردود الأفعال التي قد يكون وبالها أكثر مما نراه الآن.

ج - عدم الاهتمام بالتشديد على روح الإسلام وتعاليمه في العديد من المساجد والمراكز والمؤسسات، كالانضباط في الوقت، والنظافة والحفاظ على البيئة، وحسن الجوار مع المسلمين وغير المسلمين، وأن نخالق الناس بخلق حسن، ومراعاة مشاعر الجيران، واحترام القوانين التي تنظم حياتنا.. الخ.

وهذا ما أعطى بدوره صورة مشوهة، وأوحى للعديد من المحتكين بنا أن الإسلام دين إهمال وقذارة وتجهم وتسيب ولا مبالاة وتخلف.

هذه القضية وإن تبدو هينة ولكنها ذات أثر كبير خاصة وأنها ملاحظة مباشرة من رجل الشارع الأوروبي الذي يشحن إعلامياً، للأسف يجد ما يسمعه أو يقرأه مطبقاً على أيدي من يجهل حقيقة هذا الدين عن أبنائه.

د - التنسيق بين المؤسسات الإسلامية على الساحة لا يزال دون المستوى، ولا يتناسب مع تطور الأحداث التي تشهدها المنطقة.

هـ - عدم وجود استراتيجية محددة المعالم للمرور من هذا المنعطف الخطير الذي يمر به الوجود الإسلامي في أوروبا، وبالتالي نجد أن معظم تحركات الأقلية المسلمة عبارة عن ردود أفعال متخبطة لا تتناسب وعظم الحدث.

و - لا يزال دور المرأة داخل مؤسساتنا الإسلامية محدوداً مع تعاظم دورها على المستوى الأوروبي، وبالتالي نظهر بمظهر المتخلف عن الركب.

ز - عدم الاهتمام بتأسيس مؤسسات إعلامية تستطيع مواكبة الأحداث، والتعاطي والتخاطب مع الإعلام الأوروبي الذي استطاع أن يسلب الكثيرين عقولهم فأصبحوا يرددون ما يسمعون دون البحث والتدقيق.

ح - الواقع السياسي المؤلم للدول العربية والإسلامية الذي ينعكس بدوره سلباً على وضع الأقلية، ونظرة المجتمع الأوروبي لها.

ط - عدم التعاطي مع الواقع السياسي الذي تعيشه الشعوب الأوروبية، وعدم الاهتمام بالانخراط فيه، ما يجعل هذا القطاع العريض من المسلمين في أوروبا مهمشاً، ليس له تأثير يذكر في الانتخابات البرلمانية وغيرها.

2 - المعوّقات الخارجية:

وهي تلك التي يخطط لها من أجل إبعادنا عن مجرى الأحداث لنظل نتخبط حتى يسير الركب ويتركنا في ذاكرة التاريخ «إنهم كانوا هنا، ورحلوا» أو نحفظ في متحف الذكريات والآلام.

العديد من وسائل الإعلام العربية والإسلامية لا ترقى إلى المستوى المطلوب، بل إن البعض أصبح يردد تلقائياً ما تذكره وسائل الإعلام الأخرى دون التدقيق في المصدر، أو معرفة أبعاد نشر التقرير أو الخبر.

وبعض هذه العراقيل هي:

أ - الحملة الإعلامية المتنامية للنيل من الإسلام ومنتسبيه، وإظهار أن الإسلام دين القتل والإرهاب وقد ساعد في تأكيد هذه الصورة ما تتناوله وكالات الإعلام والانترنت لبعض الحوادث التي تقع على الساحة العراقية وغيرها، دون الإشارة إلى أسباب ودوافع الأحداث وكيفية تجنبها، كما أن العديد من وسائل الإعلام العربية والإسلامية لا ترقى إلى المستوى المطلوب، بل إن البعض أصبح يردد تلقائياً ما تذكره وسائل الإعلام الأخرى دون التدقيق في المصدر، أو معرفة أبعاد نشر التقرير أو الخبر.

ب - السيل العارم من كتابات لبعض المنتسبين للإسلام بالإضافة إلى الكثير من كتابات غير المسلمين، وتنشر شهرياً عشرات الكتب التي توزع على نطاق واسع عبر دور النشر المختلفة، وهنا أريد أن أعلق على أمرين مهمين، هما:

أولاً - دعم بعض دور النشر عددًا من المسلمين الذين ينتسبون إلى الإسلام لإصدار العديد من الكتب التي تطعن في الإسلام وسيرة الرسول ﷺ وذلك حتى يظهر الأمر وكأنه قضية داخلية، وصراعات بين المسلمين، وبالتالي فقد كفاهم هؤلاء الكتاب عناء الطعن والمواجهة، وكما لو كان الإسلام يتآكل من الداخل.

ثانيًا - من تتبع الكتابات التي نشرت في العامين الماضيين نجد أن نسبة من 60 في المئة إلى 70 في المئة تنال من المرأة المسلمة، وكم هي مضطهدة، وتعيش تحت ضغوط تتجاذبها، وحالها أقرب إلى الرق والعبودية منه إلى أي شيء آخر.

وبالتالي فإن السلعة الرائجة الآن للطعن في الإسلام من قبل المغرضين هي قضية المرأة التي لم تعط الاهتمام الكافي لإظهار الوضع النموذجي الذي تشهده المرأة في ظل الإسلام.

معظم تحركات الأقلية المسلمة عبارة عن ردود فعل متخبطة لا تتناسب وعظم الحدث.

ج - القيود المتنامية على إنشاء المؤسسات الإسلامية كالمدارس وبناء المساجد، وهذه بالطبع تساعد في انحسار التعليم الإسلامي، فبعض المدارس الموجودة بالفعل مهددة بالإغلاق، وبعض المدارس توقف نموها فلا تزيد عدد الفصول رغم الحاجة الماسة، بالإضافة إلى أن تصاريح إنشاء المدارس الرسمية الخاصة أسوة بالعديد من المذاهب والأعراق التي تملك العديد من المدارس أصبح من الصعوبة بمكان بالنسبة للمسلمين.

د - الحملات الأمنية المتتالية على المؤسسات الإسلامية بحق أو بغير حق، أوجد وضعًا من القلق والاضطراب، فعندما يقتحم المسجد وتصادر أجهزة الحاسوب وكتب المكتبة ويروع الناس، وبعد عدة شهور قد يأتي الاعتذار أو لا يأتي، ليوجِدَ مناخًا غير مناسب للتربية والبناء.

هـ - التضييق على المسلمين عبر القوانين التي سنت حديثًا، وتحد من حريتهم الشخصية وأحوالهم الاجتماعية كمنع الحجاب في بعض الدول وقوانين الزواج.. إلخ.

و - تجفيف منابع الدعم للنشاط الثقافي والاجتماعي والخيري للمؤسسات الإسلامية، بحجة تجفيف منابع الإرهاب، ولم يفرق الداعون إلى ذلك بين ما هو نافع وما هو ضار.

بعد هذا العرض لبعض المعوقات التي تحول دون نمو وازدهار المسلمين في أوروبا حتى يصبحوا عوامل بناءة بشكل حضاري في مجتمعاتهم الأوروبية نضع هنا بعض المقترحات العملية التي قد تساعد في تجاوز هذه المرحلة إن أحسن تطبيقها:

1- الاهتمام بدعم المؤسسات التعليمية، والعمل على زيادة الوعي لدى أبناء الأقلية للاهتمام بتعليم الأبناء.

2- السعي لدى المؤسسات التعليمية الأوروبية لتصحيح ما ينشر عن الإسلام في المناهج الدراسية الرسمية.

3- الاهتمام بتأهيل الدعاة والأئمة بوضع برامج خاصة مع ضرورة التعاون في ذلك مع الجهات الرسمية الأوروبية لإتمام البرنامج على أكمل وجه دون وضع العراقيل والمعوقات.

4 - الاهتمام بشكل كبير بتطوير المؤسسات النسائية وإشراك المرأة في نشاط المؤسسات الإسلامية بما يتناسب وطبيعتها وحجم وجودها، كما أنه لا بد من الكتابة بشكل واف عن المرأة كما أرادها الإسلام وترجمته والعمل على نشره.

5- التأكيد على روح التعاون والتنسيق بين المؤسسات الإسلامية.

6 - الاهتمام بالإعلام بشتى وسائله، والعمل على



دعم المؤسسات الإعلامية الإسلامية الموجودة على الساحة الأوروبية، الخاص منها والعام، وأقترح إقامة ندوة أو ورشة عمل يدعى لها بعض الإعلاميين المسلمين في أوروبا، للخروج بتصور يساعد في تطوير مؤسساتنا الإعلامية، وزيادة صلاتها بالمؤسسات الأخرى التي قد يكون فيها من المنصفين الذين يدعمون قضايا الحق والعدل.

7 ـ دعم اتحاد الصحافيين المحايدين في أوروبا ومد الصحفيين بالمواد الإعلامية التي يستقون منها رؤيتهم، واستقبالهم في العديد من الدول الإسلامية للاحتكاك المباشر والكتابة بشكل إيجابي عن المجتمعات الإسلامية، وكذلك تزويدهم بما يكتب بشكل سلبي عن الإسلام في الصحف الأوروبية حتى يقوموا بالرد عليه، وقد قاموا بالفعل بالعديد من هذه الردود، كما نرى تشجيع كل كاتب يكتب بشكل متزن وحيادي عن الإسلام وقضايا المسلمين.

8 ـ توعية المسلمين بالانخراط في العمل السياسي ونشاط الأحزاب المختلفة، حتى يكون للمسلمين تمثيل يتناسب وحجم وجودهم على الساحة الأوروبية.

9 ـ العمل على إيجاد أوقاف تغطي حاجة المؤسسات الإسلامية، فلا تقع فريسة لأي عارض أو رد فعل لأي أمر غير محسوب.

مما سبق نستطيع أن نقول إن الصورة ليست قاتمة على الإطلاق، ولكن هناك بعض المؤشرات الايجابية، فبمزيد من العمل والصبر والحكمة نستطيع أن نتخطى تلك المرحلة التي بددت الكثير من طاقات البشر، في صراعات أوجدها لهم أعداء الإنسانية.

مذهب شيداوتانغ*

والتطبيق الفعلي لنموذج الأمة المسلمة المثالية في الصين

إعداد: **عبد الله مافنغ جون** **



دخل الإسلام إلى الصين منذ أكثر من 1300 سنة، وقد تكونت 10 قوميات مسلمة من بين 56 قومية صينية، وهذه القوميات المسلمة العشر هي قوميات: هوي والويغور والكازاك والطاجيك والقرغيز والأوزبك والتتار وسالار ودونغشيانغ وباوآن. وهناك بعض الناس من القوميات الأخرى من أمثال قوميات المغول والتبت وداي وباي قد اهتدوا إلى الإسلام أيضاً.

إن تاريخ دخول الإسلام إلى الصين مرتبط بتاريخ عشر قوميات مسلمة في الصين (أما المقولة التي يرددها المؤرخون الصينيون في هذه المسألة فلا تنطبق إلا على أحوال المسلمين من أبناء قومية هوي المنتشرين في مختلف أنحاء الصين. ومن ثم توهم البعض أن تاريخ قومية هوي هو تاريخ الإسلام في الصين حتى يقال عن الإسلام هو «دين هوي هوي» نسبةً إلى قومية هوي). والواقع أن تاريخ قومية هوي لا يعني تاريخ إسلام الأقليات القومية الصينية الأخرى، فإن تاريخ أقليات شينغيانغ (تركستان الشرقية) القومية المتمثلة في قوميات الويغور والكازاك والطاجيك والقرغيز والأوزبك والتتار هو جزء مهم

* شيداوتانغك تعني «الطريق إلى مكة

** باحث / الصين

من تاريخ الإسلام في الصين كلها. إلا أنه منحصر في منطقة شينغيانغ غالباً، ولا يمثل تاريخ إسلام الغالبية العظمى، لذلك سنمرّ عليه مرّ الكرام، ثم نركز على تاريخ الإسلام في الصين (بقية أجزاء الصين غير شينغيانغ).

1 ـ دخول الإسلام إلى شينغيانغ:

في أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر مسيحي، دخل الإسلام إلى منطقة كاشغر أول ما دخل، ثم انتشر إلى يارقند وخوديان، وفي القرنين الثالث عشر والرابع عشر مسيحي ظهر عدد كبير من المسلمين المحليين في بعض مناطق شينغيانغ، وفي القرن الخامس عشر اهتدى بعض حكام المغول إلى الإسلام في هامي، وكان لإسلام هؤلاء الحكام تأثير في اعتناق الويغوريين المحليين الإسلام، وفي أوائل عهد أسرة تشينغ أصبحت شينجيانغ الجنوبية بلداً إسلامياً. وفي أوائل القرن العشرين صارت معظم أجزاء شينغيانغ الشمالية مأهولة بالمسلمين أيضاً. صفوة القول إن انتشار الإسلام وتطوره في شينغيانغ قد استغرق 7 ـ 8 قرون من القرن العاشر إلى القرن الثامن عشر مسيحي، ولقد تم هذا الانتشار بطريقتين، سلمية وعسكرية، وغالباً ما كان يجري ذلك مع تأجج نيران الحرب الدينية بين المسلمين والصينيين، لا سيما في بداية الأمر، أما في المناطق الصينية الأخرى غير شينغيانغ فقد كان انتشار الإسلام بشكل سلمي، ولم يسبق للمسلمين الصينيين في البداية أن قاموا بتبليغ الإسلام إلى غير المسلمين، وأنهم لم يكونوا يتنافسون مع سائر الديانات، ولا يهاجمون الكونفوشيوسية بصورة خاصة، لذلك فإن الكونفوشيوسيين والطاويين والبوذيين في الصين ما كانوا يعرفون ماهية الإسلام ولا يحقدون عليه أيضاً، لذلك كان تطور الإسلام في الصين بطيئاً، وكان دخوله إليها براً وبحراً، وإلى



إمرأة من التبت

شينجيانغ براً فقط، ولم يكن دخوله دفعة واحدة في شينغيانغ أو في غيرها، بل استغرق ذلك قروناً عدة.

بعد هذا الاختصار الشديد لتاريخ الإسلام في شينجيانغ سنركز على تاريخ دخول الإسلام في المناطق الأخرى من الصين.

2 - دخول الإسلام إلى الصين:

اختلفت الآراء والروايات حول تاريخ دخول الإسلام إلى الصين، ولكن أقرب الآراء إلى الصواب أن ذلك كان بعد عام 757 مسيحي، باعتبار ظهور المسلمين الصينيين الأصليين في الصين بعد هذا التاريخ، لأنه لا يمكن أن يكون الإسلام دخل الصين بمجرد وصول المبعوثين إليها للغرض السياسي. ولكنه دخل الصين على أيدي التجار العرب وليس على أيدي القوات الإسلامية. وكان تطور الإسلام في الصين بطيئاً غاية البطء، إذ لم تثبت أقدامه فيها إلا بعد مضى 700 - 800 سنة مما يشير إلى، أن نشاط المسلمين في نشر الدعوة كان ضعيفاً، لذلك نجد الإسلام في الصين قد مر بأحوال مختلفة خلال أطواره التاريخية المختلفة.

المراحل التي مر بها الإسلام في الصين:

❖ **المرحلة الأولى: في عهد أسرتي تانغ (618 - 907 مسيحي) وسونغ (960 - 1279 مسيحي):**

العلاقة بين العرب والصين تعود إلى تاريخ ما قبل الميلاد، حيث كانت العلاقة بينهما علاقة تجارية ودية. واستمرت الاتصالات التجارية الودية حتى في العصر الإسلامي، إذ كان مبعوث من الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وصل إلى تشانغآن - عاصمة أسرة تانغ -، ولقد أرسلت الدولة الإسلامية مبعوثيها إلى الصين 36 مرة خلال147 سنة امتدت من سنة 651 إلى سنة 798 مسيحي.

وبفضل ازدياد الاتصالات التجارية



أسرة من التبت



المسجد الجامع بمحافظة لينتان

بين الصين والدولة الإسلامية وتطور العلاقات الدبلوماسية والسياسية بينهما باتجاه السلام والصداقة، هاجرت أعداد كبيرة من المسلمين العرب والفرس إلى الصين واستوطنوها، وتزوج بعضهم من النساء الصينيات.

❖❖❖

تاريخ أسرة سونغ ينقسم إلى عهدين وهما: أسرة سونغ الشمالية (960 ـ 1127 مسيحي) وأسرة سونغ الجنوبية (1127 ـ 1279 مسيحي).

في عهد أسرة سونغ الشمالية ظهر في الصين أناس يدعون «الغرباء المولودون محلياً للجيل الخامس». فقد وضعت الحكومة الصينية قانون وراثة خاصاً بهم. وكانت الأماكن المأهولة بالجاليات تدعى «فانفانغ» (مناطق الجاليات)، كان «فانفانغ» عبارة عن شكل تنظيمي للمسلمين في الصين في أيامهم الأولى من دخول الإسلام إليها في عهد أسرتي تانغ وسونغ. كان هذا النظام يقوم على الجمع بين السياسة والدين، ولكنه خاضع لحكم البلاط الإمبراطوري الصيني. إذ كان لكل «فانفانغ» شيخ مسؤول عن شؤونه الدينية والدنيوية داخل «فانفانغ» واستمالة التجار الأجانب إلى الصين لغرض التجارة بتوصية من الحكومة، وأن قضاء الشيخ يتفق مع مبادئ الإسلام وأحكامه. وكان لكل «فانفانغ» دار لليتامى وسوق ومقبرة عامة إلى جانب مسجد مفتوح ليل نهار ضماناً لممارسة المسلمين عباداتهم. وكان شيخ «فانفانغ» يعد زعيماً وقاضياً للمسلمين ويؤمهم في الصلاة ويشرح لهم أحكام الإسلام، ويعالج المشاكل والنزاعات فيما بينهم.

في عهد أسرة سونغ الجنوبية، كانت هناك بعض الأسر المسلمة تتمتع بالنفوذ التجاري الواسع تمكنت من التأثير في سياسة الحكومة، فوضعت الحكومة قانوناً خاصاً بالمدن الجنوبية المطلة على البحر تشجيعاً للتجارة المتبادلة بين البلاد الإسلامية



شعب هان

والصين لما أعادت التجارة إليها من الدخل المالي الهائل. كما برزت أسرة مسلمة وهي أسرة بوشيوقان التي لعبت دوراً مهماً في إسقاط أسرة سونغ الجنوبية، حيث ساعد المغول على إسقاطها بما في يديها من النفوذ التجاري والإمكانيات المالية الضخمة، وبما كانت تملكه من أسطول تجاري.

ولكن يجب أن نشير هنا إلى أن المسلمين في الصين في عهد أسرتي تانغ وسونغ تجاراً كانوا أم غيرهم كانت نشاطاتهم مقصورة على العاصمة والمدن الجنوبية المطلة على البحر، حتى لا يتوهم البعض أن المسلمين قد انتشروا في كافة أنحاء الصين في ذلك الوقت.

❖❖❖

المرحلة الثانية: في عهد أسرة يوان (1206 ـ 1368 مسيحي):

وهو العهد الذهبي لانتشار الإسلام وتوزع المسلمين في كافة أنحاء الصين، بعد أن سحقت قوات المغول البلاد الإسلامية في الغرب، توجهت إلى جنوب الصين قاصدةً إزالة أسرة سونغ الجنوبية، والسيطرة على الصين كلها. لقد تدفق عدد كبير من المسلمين العرب والفرس وسائر القوميات المسلمة في آسيا الوسطى إلى الصين مع قوات المغول. وقد أسهم هؤلاء المسلمون في سيطرة قوات المغول على الصين كلها. وانتهى الأمر بهم إلى أن توزعوا هنا وهناك لحماية الأمن العام أو لاستصلاح الأراضي البور في نظام عسكري. وهذا هو السر في انتشار المسلمين في كافة أنحاء الصين في عهد أسرة يوان. وبفضل هذا الانتشار بث الإسلام أشعته على الصين كلها في نهاية الأمر. فمنذ هذا العهد لم يعتبر هؤلاء المسلمون القادمون أجانب في الصين، ولم يعد الإسلام غريباً لدى الصينيين كما كان الحال في عهد أسرتي تانغ وسونغ، وقد أصبح موضع الاهتمام من قبل الحكام المغول، فتأسست دار القضاء الإسلامي في الحكومة المركزية لأول مرة، على الرغم من أن القضاء الإسلامي كان ساري المفعول في عهد أسرتي تانغ وسونغ، إلا أنه كان ينفذ في منطقة الجاليات الإسلامية فقط، أما في عهد أسرة يوان فقد طبق على



مشايخ (مذهب شيداوتانغ) يتلون القرآن الكريم جماعياً

جميع المسلمين في مختلف أنحاء الصين، كذلك كانت المساجد قليلة ومنحصرة في الأماكن المأهولة بالجاليات الإسلامية في العاصمة والمدن الساحلية في عهد أسرتي تانغ وسونغ، ولكنها انتشرت في كافة أنحاء الصين بانتشار المسلمين فيها. في عهد أسرة يوان كان المغول قد قسموا المجتمع الصيني إلى أربع طبقات، والمسلمون كانوا في الطبقة الثانية بعد المغول مباشرة في المكانة السياسية، وأعلى من الأبناء الصينيين الشماليين والجنوبيين، وكان هناك عدد من المسلمين قد تولوا مقاليد الحكم المركزي والمحلي. كما كانت تخصص بعض المناصب للمسلمين، فلمعت أسماء بعض المسلمين من أمثال السيد شمس الدين واختيار الدين أحمد وماس الدين وبدر الدين وغيرهم كثر، فقد كانوا من الساسة المعروفين آنذاك.

ولم تقتصر نشاطات المسلمين على السياسة فقط، بل عمت المجالات الثقافية والعسكرية والاقتصادية وغيرها، وبرع عدد كبير من المسلمين في جميع هذه المجالات، والبعض الذين لهم تراجم خاصة بهم في تاريخ أسرة يوان كانوا أكثر من ثلاثين شخصاً، والذين ليست لهم تراجم خاصة بهم أكثر من أربعين شخصاً، من أمثال هؤلاء: جمال الدين الفلكي المشهور، اختيار الدين مصمم دادو ـ عاصمة أسرة يوان (بكين اليوم) ـ والمشرف على بنائها، وما جيو قاو الشاعر والخطّاط المرموق، وقاو كهقونغ الرسّام المبدع، وغيرهم كثير.

❖❖❖

المرحلة الثالثة: عهد أسرتي مينغ (1368/ 1644 مسيحي) وتشينغ (1616/1911 مسيحي).

ظهر بعض الشخصيات البارزة من قومية هوي في هذا العهد، كالبحار تشنغ خه (1371/1435 مسيحي) الذي يتمتع بشهرة عالمية، وهو الذي قام بالإبحار إلى المحيط الهادي والمحيط الهندي سبع مرات على

رأس أسطوله الضخم، وزار أكثر من 30 بلداً، وحج بيت الله الحرام.

وهناك لي تشي المفكر الصيني الكبير الذي هاجم سلبيات الكونفوشيوسية بجرأة لا يتمتع بها غيره.

مع ذلك فقد تشدد الحكام على المسلمين في عهد أسرة مينغ، ولم تعد لهم تلك المكانة المرموقة كما هي الحال في عهد أسرة يوان. فمنع الحكام المسلمين من التزاوج فيما بينهم، بل فرضوا عليهم التزاوج مع الصينيات، وكذلك منعوهم من ملابسهم التقليدية ولغاتهم الأصلية وأسمائهم الأجنبية، مما يؤدي إلى إخفائهم لهويتهم المسلمة. لكن ذلك ساعد في عملية التكوين لقومية هوي المسلمة على صورتها الأخيرة.

كذلك أغلقت الحكومة بابها على الدول الأخرى خوفاً من مشاغبتها، لذلك تقلصت الاتصالات التجارية والسياسية بين الصين والدول الأخرى على وجه العموم، وبينها وبين البلاد الإسلامية على وجه الخصوص.

لقد حقق مذهب شيداوتانغ في زاوية من شمال غربي الصين المجتمع المثالي الذي كان بغية كونفوشيوس ومنغ تسي.

وانتهى الأمر في نهاية المطاف إلى تصيّن المسلمين، وزوال لغاتهم الأصلية، فصارت اللغة الصينية لغتهم المشتركة ما أدى إلى انقطاع صلتهم بعلومهم الدينية، فالقرآن يتلى ولا يفهم معناه، لقد أثارت هذه الحالة المؤسفة انتباه العلماء المسلمين وآلمتهم وأفزعتهم، ولكنهم لم يقفوا مكتوفي الأيدي، بل شمروا عن سواعدهم وقاموا بالدعوة إلى إحياء العلوم الدينية، فظهرت حركة التأليف والترجمة في العلوم الدينية، وتوالت هذه الحركة لمدة قرن حتى وصلت إلى أوجها في بداية عهد أسرة تشنغ، فظهر عدد من العلماء الكبار، من أمثال وانغ داي يوي، وما جو، وتشانغ جي موي، وليو جي، وما دأ شين وغيرهم. لقد ترك هؤلاء العلماء بصماتهم الخالدة في إحياء تراث المسلمين بعد أن كان على وشك الانقراض، وأعادوا للمسلمين ثقتهم بأنفسهم وبقدرتهم على الوجود والتطور، ولم يكتفوا بالترجمة المجردة، بل قاموا في نفس الوقت بحركة تصيين الإسلام، أي جعله منسجماً مع الثقافة الصينية، كي لا يصطدم مع الثقافة السائدة، بذلك يمكن تجنب الخروج من مسرح الصين كما حدث لبعض الأديان الأخرى بعد أن فشلت في الانسجام مع الثقافة الصينية. هذه الحركة هي حركة شرح تعاليم الإسلام بالثقافة الصينية التي كان عمودها الفقري الثقافة الكونفوشيوسية. لقد وضعت هذه الحركة الأسس النظرية لمذهب شيداوتانغ الذي قام بالتطبيق الفعلي لنموذج الأمة المسلمة المثالية في الصين في نهاية القرن التاسع عشر، والنصف الأول من القرن العشرين مسيحي، أي في المرحلة الرابعة من تاريخ دخول الإسلام في الصين.

❖❖❖

المرحلة الرابعة: العصر الحديث (من 1912 مسيحي إلى الآن).

قام د. سون يي شيان بالثورة على أسرة تشينغ الإمبراطورية التي عانى المسلمون منها، والتي أخمدت ثورات المسلمين بقسوة بعد أن ثاروا عليها بسبب معاملة الحكومة العنصرية. فقد نال المسلمون من قبل الحكومة الجديدة المعاملة الحسنة والمساواة حتى تعد قومية هوي من القوميات الرئيسية الخمس، وهي قوميات هان ومنتسو والمغول وهوي والتبت. ثم قامت جمهورية الصين الشعبية التي رفعت راية حرية الاعتقاد والمساواة بين القوميات في سنة 1949 مسيحي. إلا أنه لم يُطبق ما دعت إليه بأسباب تاريخية في بادئ الأمر حتى تولى الحكم دنغ شيو بينغ الذي قام بالإصلاح والانفتاح في الصين، فنالت جميع القوميات حقوقها.

هذا موجز تاريخ الإسلام في الصين.

مذهب شيداوتانغ

أما مذهب شيداوتانغ وتطبيقه الفعلي لنموذج الأمة المسلمة، فكان في فترة ما بين عام 1891 وعام 1957 مسيحي، أي ابتدأ مع نهاية عهد أسرة تشينغ ومر بعهد حكم حزب الصين الوطني حتى أوائل عهد حكم حزب الصين الشيوعي، لقد أنشأ مجتمعاً إسلامياً في الصين، وطبق فيه شريعة الإسلام لمدة 66 سنة، فلنبدأ الآن بتعريف هذا المذهب.

نشأة مذهب شيداوتانغ

في أواخر القرن التاسع عشر اقتبس ما تسي شي (1857ـ1914 مسيحي) من نور حكمة الرسول ﷺ فأسس به مذهب شيداوتانغ، وشاد صرح الأمة الإسلامية في الصين.

أسس مذهب شيداوتانغ في لينتان (محافظة في مقاطعة قانسو) في سنة 1891 مسيحي في عصر قوانغ شيوي من أسرة تشينغ، وما زال المذهب قائماً حتى اليوم. لقد مضى على تأسيسه أكثر من مئة سنة. أتباع هذا المذهب معظمهم من قومية هوي، والبعض من قوميات سالا ودونغ شيانغ، والبعض الآخر الذين اهتدوا إلى الإسلام من قوميات هان والتبت.



امرأة من شعب باي

لم يكن هذا المذهب مجرد جماعة دينية تقليدية، بل كان مضرب المثل للأمة المسلمة المثالية التي تقوم على أسس العقيدة الإسلامية والجمع بين القوميات المتعددة تحت راية الإسلام، وتجعل منها أمة واحدة بعد أن أزالت ما بينها من الحدود والتعصب والقبلية، وتشيع بينها روح الأخوة والمساواة والتعاون والانسجام وصولاً إلى وحدة لا مثيل لها: وحدة عقدية ووحدة اجتماعية ووحدة اقتصادية، الكل يعمل لمصلحة الأمة ويسعى إلى خدمتها، الكسب جماعي، الاستهلاك جماعي كل بالمساواة بين الأفراد مستهدفين الاهتداء إلى المثل الذي صاغه الرسول ﷺ في المدينة المنورة.

كان بعض أتباع مذهب شيداوتانغ يعيشون بشكل جماعي في مقر المذهب قبل الحكم الشيوعي، كان عددهم أكثر من ألف شخص، ينتسبون إلى أربعمائة أسرة، والبعض يتوزع في بضع عشرة قرية من المحافظة نفسها، وهم كذلك يعيشون بشكل جماعي مطبقين نظام أمة الرسول الذي تمثل في كيان الدولة الإسلامية في عصر النبي ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين. أما معظم أتباعه فكانوا ينتشرون في مقاطعات أخرى كتشينهاي وسيتشوان وشينغانغ ونينشيان، وهم يعيشون بشكل فردي وأسري.

اهتمام العلماء بمذهب شيداوتانغ:

تأثر هذا المذهب بالواقع التاريخي والظروف الاجتماعية والمبادئ الفكرية المحيطة به في بداية تأسيسه، لذا فقد استدعى انتباه الناس بما يتميز به من الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية، بالإضافة إلى ما اتفق به مع المذاهب الإسلامية الأخرى من الالتزام بمبادئ الإسلام وتعاليمه. فقد سارع كثير من العلماء إلى هذا المكان

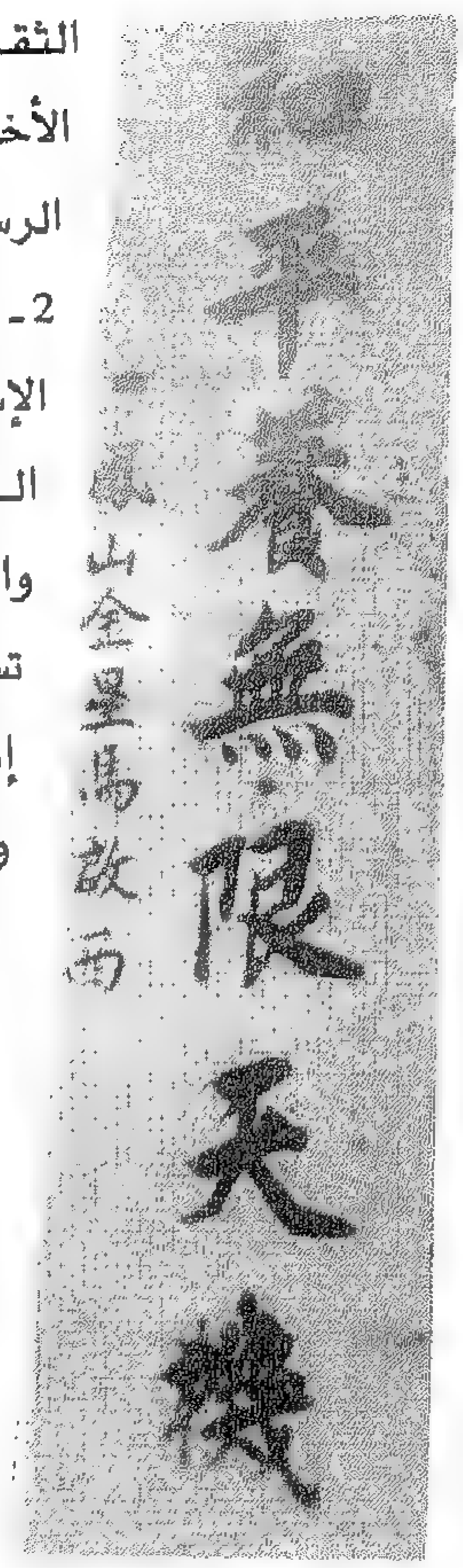
البعيد وبادروا إلى البحث في حقيقته مكابدين مشقة السفر متجاوزين الجبال والأنهار، وذلك بعدما زاره المؤرخ الكبير قو شيأ قانغ والصحافي المعروف فان تشانغ جيانغ الذي خصص بعض الصفحات من كتابه (الركن الشمالي الغربي من الصين) للتعريف بهذا المذهب حيث قال: «إن هذا المذهب جدير بأن يستأثر ببالغ الاهتمام فلسفياً ودينياً واجتماعياً»، وذلك لأنه «يشدد على أهمية الثقافة» و«يقوم بنشر التعاليم الإسلامية معتمداً على الثقافة الصينية».

عقد المؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي في الصين الذي وضع الحد للتيارات اليسارية المتطرفة والذي وضع سياسة معينة في التعامل مع القوميات والأديان المختلفة في الصين في سنة 1978 مسيحي، فتزايد الباحثون وأقبلوا على البحث في هذا المذهب بعد أن كان الحديث عن العقائد الدينية تحت المراقبة والملاحقة. ونتيجة الدراسة والبحث في ارتفاع صيت مذهب شيداوتانغ في الآفاق، وفتح المجال الجديد للبحث العلمي عن الإسلام في الصين، والعمل على البحث عن نموذج يحل المشاكل التي واجهت الأديان في عملية التكيف بينها وبين النظام الاشتراكي في الصين. قال الكاتب المسلم المرموق تشانغ تشنغ تشي عن هذا المذهب في كتابه (هضبات قومية هوي الصفراء): «لقد حقق مذهب شيداوتانغ في زاوية من شمال غربي الصين المجتمع المثالي الذي كان بغية كونفوشيوس ومنغ تسي، من منا يسعى إلى المجتمع المثالي، فإن مذهب شيداو تانغ هو منبع الإلهام في ذلك إلى الأبد».

أهم الأسباب التي استمالت الناس إلى بحثه:

1- نشأة هذا المذهب في الصين، وتركيزه على ضرورة الانسجام بين التعاليم الإسلامية وبين الثقافة الصينية التقليدية، وعمله على ترقية الأخلاق وإحياء الضمائر وتوجيهها إلى هدي الرسولﷺ الذي كان خلقه القرآن.

2- تطبيقه الفعلي في الصين نموذج الأمة الإسلامية المثالية التي شادها النبيﷺ في المدينة المنورة، والتي جمعت الأجناس والقوميات المختلفة، وصاغ منها أمة واحدة تستظل براية الإسلام. وإنشاؤه مجتمعاً إسلامياً ذا طابع صيني يطبق تعاليم الإسلام وقوانينه وأنظمته وآدابه، وهو بذلك يحاول أن يقدم نموذجاً حياً للمجتمع المسلم والأمة الإسلامية .



افسح المجال الواسع لنفسك بإخلاص وتسامح

3- دعوته إلى المساواة بين القوميات المختلفة، وبناء جسور التعاون في ما بينها، والابتعاد عن التعصب والانحياز لشعب دون آخر.

4- قدرته على حل مشكلات أتباعه في ذلك المصر العصيب، فكان أتباعه يعيشون في أمن وسلام وسعادة، لذلك تطورت هذه الأسرة الكبيرة التي تحوي قوميات مختلفة بتأييد أتباعها المخلصين لها وبحماستهم المرتفعة في توسيع دائرتها.

5- قيامه على مبدأ الاقتصاد الجماعي، فالجميع يعملون، ويشتركون في الإنتاج، ويشارك بعضهم بعضاً في السراء والضراء.

6- نشأته في الوقت الذي كان فيه المسلمون يعانون الاضطهاد والتشريد ولا يجدون من يحميهم ويؤمن

لهم سبل العيش الكريم، هذا العصر هو أواخر عهد أسرة تشينغ. يعتبر بعض الباحثين هذا المذهب بمنزلة منظمة اجتماعية اقتصادية دينية، ويرى البعض أنه مذهب ذو طابع جديد، أو هو المجتمع المسلم، أو هو مذهب إسلامي صيني إلخ. وبالنظر إلى هؤلاء وهؤلاء نجد أن كل واحد منهم نظر في هذا المذهب من جانب وأهمل الجوانب الأخرى، فالبعض نظر إليه من الناحية الدينية، والبعض من الناحية الاجتماعية والآخرون من الناحية الاقتصادية، لذلك لم يتمكن أحد من وصفه بجميع جوانبه، وذلك على سبيل المثال: أهل هذا المذهب مخلصون في عملهم، وهذا الإخلاص والاجتهاد ليس دافعهم الإلزام الاجتماعي فحسب وليس مما تفرض عليهم الظروف الاقتصادية، بل هو امتثال لأمر الله تعالى، وتمسك بطاعته أيضاً.

مذهب شيداوتانغ والثقافة الصينية:

لقد دخلت بعض الديانات في الصين، وبقيت فترة قصيرة ثم بادت بعد تصادمها مع الثقافة الصينية التقليدية، وكانت غير قادرة على التفاعل مع البيئة الصينية، كما أنها عارضت حاجة الناس الروحية، فابتعد الناس عنها.

دخل الإسلام الصين، وكان دخوله فيها سبباً مباشراً في نشأة قومية هوي، وبعد نشأتها واجهتها قضية الانتشار والتطور، وهذه القضية لا تحل إلا بالانسجام مع الثقافة الصينية، والاستفادة منها، حتى يتيسر لها القبول والانتشار، ومن ثم تُعدّ له الأرض الخصبة والجوّ المناسب لتطبيق نظام الأمة الإسلامية في الصين.

الاستعداد النظري لتأسيس المذهب:

قبل ثلاثمائة سنة، أي في نهاية عهد أسرة مينغ وبداية عهد أسرة تشينغ، تيقن علماء قومية هوي في الصين بعد معاناة كبيرة بوجوب انسجام الإسلام مع الثقافة الصينية، ليتم له البقاء ويتسنى له الانتشار، فعملوا على إخراج الإسلام من المواقف الحرجة والصعبة. لذلك نشطت حركة الترجمة التي سبق ذكرها. وظهر عدد من أقطاب العلم والفكر في هذه الحركة، وهم تركوا للمسلمين الصينيين كنزاً فكرياً لا ينفد، ومن بينهم العلامة ليو تشي (1664 ـ 1730 مسيحي)، لقد كان لكتبه أثر كبير جداً في قومية هوي، منها: (سيرة سيد الأنبياء) و(الأحكام النبوية) و(روح الإسلام) و(أحكام فرائض الإسلام). هذه الكتب بما حوته من مبادئ الإسلام وروح الدين، أعطت الأمل للمسلمين الذين كانوا يئنون تحت وطأة الحروب ومشاق العيش.



ثم موهبتك الكاملة في نفسك بسلام ولطف

دعوة ما تسي شي (1857 ـ 1914 مسيحي) مؤسس مذهب شيداو تانغ إلى شرح تعاليم الإسلام ونشرها باللغة الصينية:

بعد أن درس تعاليم الإسلام بالاعتماد على كتب ليو تشي، قال ما تسي شي: «العلم من طريق القراءة موافق لروح القرآن، الأخلاق من طريق التزكية موصلة إلى رب العالمين، ففتح مجلساً في سنة 1891 مسيحي، سماه «جينشينغ» بمعنى النجم الذهبي، بدأ يدرّس كتب ليو تشي.

ألمّ ما تسي شي بالثقافة الصينية على الرغم من كثرة مناهلها ومذاهبها، وبعد بحث عميق توصل إلى أن الفكرة الكونفوشيوسية تتضمن تعاليم



مسلمون من الأوزبك

أخلاقية سامية، إلا أنها تفتقر إلى معرفة الحقيقة الإلهية، وأن فكرة لو تسي أقرب إلى الخيال، أما الدين الإسلامي فهو دين التوحيد، وهو أسمى وأعظم وأشرف. كما أدرك ما تعانيه قومية هوي من البعد عن الثقافة، وخاصة في محافظة لينتان ـ مسقط رأسه، على الرغم من وجود بعض المثقفين فيها فإنهم كانوا يمثلون الطبقة الارستقراطية، ولا يمتّون إلى الجماهير بأية صلة. لذلك أصبحت الدعوة والتعليم أمراً صعباً جداً.

نشأ ما تسي شي في البيئة التي سادت فيها الثقافة الصينية، وتأثر بها كثيراً، هذا يشبه سابقه ليو تشي إلى حد كبير. إنّ فكرة ما تسي شي توافق فكرة ليو تشي موافقة تامة حيث إن كلاً منهما يحتوي فكرة دينية شاملة، ويرتكز على نشر الإسلام وشرح تعاليمه باللغة الصينية، وذلك مع التمسك التام بأساسيات الإسلام من غير أي تعديل أو تغيير.

إن كل عمل عظيم لا بد أن يواجه بمعارضة واضطهاد، فهذه سُنّة الله في الكون. يقول ليو تشي في كتابه (سيرة سيد الأنبياء): «النار مستعرة لاستخلاص الذهب، الافتراء موجود لاستكمال الأخلاق، كلما ازدادت الافتراءات التهاباً ازدادت الأخلاق تألقاً، وإنما وجد المبطلون من أجل رفع شأن أصحاب المبادئ السامية، وعدم وجود الاعتداء على الداعية أو الافتراء عليه يعتبر من نقصان أخلاقه».

قال الشاعر:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت

أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت

ما كان يعرف طيب عرف العود

قال ما تسي شي: «الفضيلة مصحوبة بالافتراء، والشهرة متبوعة بالإفساد، وما زال إلا ليتميز الحق من الباطل». وعندما اشتدت المضايقات عليه وعلى أتباعه، قال لهم: «لقد مر كونفوشيوس بمملكة سونغ متنكراً، وخرج لو تسي من بوابة هانقو راكباً حماره، وسأيمم وجهي شطر مكة لاجتناب هذه المشاغبات». وخرج فعلاً مع بعض أتباعه متوجهين إلى مكة، وذلك في سنة 1905 مسيحي، ولما وصلوا إلى سمرقند، أوقفت مسيرتهم الحروب التي نشبت في آسيا الوسطى، وفي نفس الوقت توفي أحد أتباعه مما اضطرهم إلى الإقامة في سمرقند، فاعتكف ما تسي شي في جبل شيواندو لمدة سنة. كان يفكر أثناء الاعتكاف في ما مضى من الزمن وما مرت عليه من الأحداث، وقام بالتحليل والمقارنة، وانتهى به التفكير إلى أن الطريق الحق هو الطريق الذي سلكه النبيﷺ في دعوته. لما طالت الحروب، رجع من سمرقند، وغير اسم المذهب من «جينشينغ تانغ» إلى «شيداوتانغ» أي «الطريق إلى مكة».

إنشاء ما تسي شي الفعلي للأمة المسلمة الصينية

دعا ما تسي شي في أسرته الكبيرة التي أنشأها إلى العدل، وطاعة الله، والتمسك بسنة النبي ﷺ.

في هذه الأسرة الكبيرة كل واحد يتجه إلى عمله المخصص له، بعد أدائه الصلوات المكتوبة، ويبذل كل جهده من أجل تطوير هذه الأسرة.

كل أفراد الأسرة متمسكون بتعاليم الإسلام في جميع مجالات عملهم، في الزراعة أو الصناعة أو التعليم أو في العلاقة الأسرية بين الأب والابن، وبين الزوج والزوجة، إلخ.

بلغ هذا المذهب في زمن مرشده الثالث ما مينغ ران (1894 ـ 1946 مسيحي) أوج نشاطه، هذا المرشد درس أفكار المؤسس فلخص تجاربه واستقرأ أهداف المذهب وتعاليمه وتنظيماته، يقول «رحمه الله»: «طبقاً للمعتقدات الإسلامية يعمل مذهبنا (شيداوتانغ) على إيضاح أصالة الإسلام، ونشر تعاليم السيد جيه ليان (أي ليو تشي، من مواليد جينلينغ)، ولشريعة الإسلام بثقافة بلادنا. والهدف من ذلك هو إحاطة المواطنين الصينيين علماً بشريعة الإسلام». وليس في الصين مذهب آخر أعلن نشر التعاليم الإسلامية بالثقافة الصينية بوضوح ما عدا مذهب شيداوتانغ، فهو مذهب واقعي، يدعو إلى مواجهة الواقع، ويهتم بالتطبيق والتجريب، قال المؤسس ما تسي شي: «يجب على الإنسان أن يعمل للحياة الخالدة في حياته المحددة، ويعمل على إنجاز الأعمال المحمودة، فالحياة ليست واهية على الرغم من أنها مجرد مزرعة للآخرة، لذلك لا بد من أن نطلب وسائل الحياة باليد والعقل عاملين على إسعاد أنفسنا والناس أجمعين، وأن نستعد ليوم اليقين، راغبين في النعيم المقيم». يعتبر مذهب شيداوتانغ كمنظمة كاملة تقوم بإدارة كل شؤونها الداخلية كالتربية وعقد الزواج والجنازة والإعالة والتكافل، وفي الوقت نفسه أن كل ما تملكه المنظمة هو لكل واحد منها، وهو يصرف في بناء المنظمة وتطويرها، وفي كل الأعمال المتعلقة بالمجتمع.

في عام 1905 مسيحي أنشأ شيداوتانغ التجارة الثابتة والقوافل التجارية المتنقلة، وفتح مركزاً تجارياً في لينتان سماه «تيان شينلونغ» بمعنى «توفيق الله»، وفتح له فروعاً كثيرة خارج لينتان، كما أن قوافله التجارية كانت تجوب مناطق الصين قاطبة، وخاصة المناطق التبتية، لقد وصل رأسمال هذه التجارة إلى مليون «لانغ» فضةً، إلا أنه نهب من قبل أحد العسكريين، وبنى به مجده بعد أن أراق من دماء المسلمين ما أراق، وحدث هذا بعد استشهاد مرشد المذهب الثاني دينغ تشيان قونغ ـ رحمه الله ـ في سنة 1917 مسيحي، وقد مضى على استشهاد المؤسس ما تسي شي ـ رحمه الله ـ ثلاث سنوات.

نشاطات مذهب شيداوتانغ في عهد المرشد الثالث ما مينغ ران (1894 ـ 1946 مسيحي)

وفي بداية عهد المرشد الثالث ما مينغ ران الذي بلغ المذهب في عهده أوج نشاطه كان شيداوتانغ في أصعب الحال، تواجهه مشاكل كثيرة، فعليه أن يستعيد الوضع الاقتصادي السابق، ويطوره، وكان ذلك من طريق تنمية الزراعة، والتحريج، وتربية المواشي، ومن طريق التجارة والتعليم، ليجمع أكبر قدر ممكن من الإمكانات المادية، ولقد كان له ما أراد، فساهم شيداو تانغ في تطوير اقتصاد منطقة قان نان وازدهاره.

لقد نجح شيداوتانغ في التجارة نجاحاً باهراً، حتى أصبحت مصدر اقتصاده الرئيسي. ويعود نجاحه هذا إلى موقع محافظة لينتان الاستراتيجي، فهي تقع بين ثلاث مقاطعات: قانسو وتشنغهاي وسيتشوانغ، وهي تمثل إحدى الأسواق الأربعة الشهيرة في عهد أسرة مينغ.

لقد كان كل فرد من أفراد قومية هوي تاجراً كما كان فلاحاً في نفس الوقت، هذه الميزة ساعدت شيداوتانغ على توسيع نطاق التجارة لتشمل المناطق المجاورة له.

كما أن معاملة تجاره الحسنة وأمانتهم وصدقهم أدت إلى ازدياد عدد القوافل التجارية حتى وصلت إلى عشرين قافلة بعد وفاة المرشد الثالث،كما بلغ عدد الأبقار 1700 بقرة، وعدد الخيول 200 رأس، ورأسمال 160 ألف يوان فضة .

يقول الصحافي فان تشانغ جيانغ السالف الذكر في كتابه (الركن الشمال الغربي من الصين): «إن نفوذ شيداو تانغ التجاري قد وصل إلى التبت غرباً وسيتشوانغ جنوباً، وتشنغهاي شمالاً، وتشاهار شرقاً، ولا نكون مبالغين إذا قلنا إنه سيطر على التجارة في كل هذه المناطق».

وإلى جانب اهتمام شيداو تانغ بالتجارة، يهتم



فلاح من شعب الويغور

بالزراعة اهتماماً كبيراً، فأنشأ ثلاث عشرة مزرعة، وبلغ عدد الفلاحين ألف شخص، وبلغت مساحة الأراضي الزراعية 7711مو (514 هكتاراً)، وعدد الأبقار 4969، وعدد الخيول 72، وعدد البغال 75، وعدد الحمير 68، وعدد الأبقار الحلوبة 143، وعدد الخراف 2212، وكان ينتج سنوياً مليون كيلوغرام من الزيت. ومما يجدر ذكره هنا أن هذه الأراضي الزراعية هي من أملاك أهل شيداو تانغ الموروثة، وحين انضموا إلى الحياة الجماعية ضموا أملاكهم إلى الجماعة ليشترك الجميع في الزراعة والإنتاج على طريقة جماعية. وتعتبر الحصيلة الزراعية جزءاً من الميزانية الاقتصادية العامة للمذهب بعد أن يترك منها ما يكفي حاجات عمال المزارع سنوياً، وما خسر فيه فهو على حساب الميزانية العامة.

لقد ساهم تطور الزراعة في ازدهار التجارة، كما أن أرباح التجارة شاركت في توسيع المزارع وتطوير الزراعة.

وساعد موقع شيداو تانغ الجغرافي على استصلاح الغابات الكثيفة المتوزعة بين الجبال الشامخة على ضفتي نهر«تو»، وهذه الغابات المتواصلة تغطي محافظات عدة، ومنها جوأني ولينتان وشياخة ولوتسو، وكذلك كفاءة العمال وهمتهم العالية التي سعوا بها إلى خدمة الجماعة من أهم أسباب نجاحه في هذا المجال.

لقد قسمت الأراضي الحرجية المستصلحة إلى مناطق، كل منطقة تختلف عن الأخرى في المساحة وعدد الأشجار. ومن هذه المناطق: منطقة ياجي التي تقع في محافظة لوتسو، وهي تضم جبلاً واحداً فقط، أما منطقة الآليتشي التي تقع في نفس المحافظة فضمت سبعة جبال، ومنطقة باتشو تضم تسعة جبال، ومنطقة لورق وهي إحدى المناطق الكبرى التي تحوي عدداً كبيراً من الأشجار، إلا أن هذه المناطق أصبحت ملكاً للحكومة بعد قيام



نساء من الأوزبك يقمن بإعداد مأكولات شعبية

جمهورية الصين الشعبية، وحاول شيداو تانغ استرجاعها في عهد الإصلاح والانفتاح، إلا أنه لم يتمكن من ذلك حتى الآن.

الثقافة والتعليم في مذهب شيداوتانغ:

لقد ساهمت قومية هوي في بناء الثقافة الصينية مساهمة بالغة في عهد أسرتي يوان ومينغ (1206 ـ 1644 مسيحي)، غير أن أثرها تضاءل يوماً بعد يوم في عهد أسرة تشينغ (1616ـ 1911 مسيحي) وضعف مستواها الثقافي وأصبحت مكانتها السياسية والاجتماعية في تراجع. لقد أحس علماء قومية هوي بهذه الأزمة، فسارعوا إلى إصلاح العملية التربوية والتعليمية، وأنشأوا مدارس تدرس فيها اللغة الصينية والعربية معاً، وكان ذلك في نهاية أسرة تشينغ. وكان شيداوتانغ في مقدمة هذه الحركة التثقيفية، حتى إن الاهتمام بالتربية والتعليم صار خاصية من خصائص شيداوتانغ، واعتبر أن رفع مستوى قومية هوي الثقافية هو أساس وجودها في المجتمع. فقد أنفق في سبيل ذلك أموالاً وجهوداً كبيرة، وأنشأ مدارس مختلفة المستوى، مثل المدارس القروية والمدرسة الكاملة والمدرسة الثانوية، كما أنشأ مدرسة للطالبات لتخريج نساء صالحات يساعدن في النشاطات الاجتماعية وتربية الأولاد، وإلى جانب اهتمام شيداوتانغ بترقية مستوى ثقافة أهله لم يكن مهملاً لتزكية الروح الدينية، ولم يكن بعيداً من الساحة الإسلامية، بل كان يعيش في وسطها، يشاركها أفراحها وأتراحها، وكان يمد لها يده كلما احتاجت إلى مساعدته، ومن المساعدات التي قدمها المذهب للمسلمين بناء مدرسة لقومية هوي في لانجو عاصمة مقاطعة قانسو.

في عهد المرشد الثالث ما مينغ ران والمرشد الرابع مين جي داو (1882 ـ 1957 مسيحي)، أنشئت مدرسة «بو تسي» في لينتان،كانت هذه المدرسة تقبل

المدرسة كسرت القيود التي كانت تحظر التعليم على النساء، وأزيحت الأفكار التي كانت تدعو إلى بقاء النساء في بيوتهن والتي تعتبر المرأة الجاهلة هي صاحبة الفضيلة. لقد تحمل شيداوتانغ الأعباء الثقيلة في سبيل النهوض بقومية هوي والمسلمين، ولكنه مع ذلك تعرض لكثير من اللوم من بعض الناس الذين اعتبروا قراءة المرأة للكتب الصينية تجاوزاً للحدود المسموح بها، وخروج المرأة من البيت مخالفاً لتعاليم الإسلام، وذهاب المرأة إلى الدراسة مخالفًا للشرع والأخلاق. ولكن شيداوتانغ لم يُصغِ إليهم وأصر على أن المرأة لها الحق كالرجل في التعلم، وصرح ما مينغ ران بأن مجتمع المستقبل مجتمع تتساوى فيه المرأة مع الرجل، وأن هذا ليس خروجًا عن تعاليم الإسلام، بل هو من صلب تعاليمه، وقال كذلك: «إننا ندعو إلى الإسلام متمسكين بتعاليم القرآن كلها متخذين الكتب الدينية المترجمة واسطة للدراسة والفهم، هذا هو أقرب الطرق».

كان المنهج الدراسي منهجاً تجديدياً يتماشى مع متطلبات العصر، متجاوزاً المنهج القديم الذي يكتفي بتعليم الأولاد القراءة فقط. وكان رفع مستوى الثقافة في قومية هوي متمشيًا مع تطورات الحياة الاجتماعية، ومرتبطاً بتطور الدولة، هذا الارتباط دليل على الوعي العميق لدى المربين، وهو ربط مصير قومية هوي بمصير الدولة، فهو محاولة واعية لإزالة التعصب القومي الذي دعا الإسلام إلى إماطته.

إن ما قام به مذهب شيداوتانغ في سبيل نهضة التعليم وما حققه من إنجازات كبيرة جدير بأن يكون مثالاً يحتذى به لمن أتى بعده حتى يومنا هذا.

أخيراً نتساءل: ما هو السر في نجاح مذهب شيداوتانغ في نشر الثقافة والتعليم؟

الجواب: إن ذلك راجع إلى توكله على الله أولاً،



شعب الداي

الأطفال من كل القوميات دون أي تمييز، وتسمح لأطفال العائلات الفقيرة بالدراسة مجاناً، وتدرس فيها المواد المقررة من وزارة التعليم في ذلك العصر، بالإضافة إلى اللغة العربية. ثم يختار بعض الطلبة الممتازين ليدرسوا العلوم الدينية في المسجد الجامع بلينتان والبعض الآخر يلتحقون بالمدارس أو المعاهد الحكومية ثم الجامعات. وفي عام 1943 مسيحي أنشأ ما مينغ ران مدرسة ابتدائية للبنات باعتبار أن تربية المرأة بمنزلة تربية العائلة كلها، تقبل الطالبات من كل القوميات مجاناً، وكل المصاريف على حساب شيداوتانغ. وبإنشاء هذه

ثم الإمكانات الاقتصادية الجيدة، والأهم من هذا: روح الأمة الإسلامية التي كانت تغمر أبناء هذا المذهب. وهم كثيراً ما يستدلون في ذلك بالحديث الشريف الذي رواه معاوية ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله عز وجل يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) «البخاري».

مصير مذهب شيداوتانغ في عهد الشيوعية (1958 ـ 1978 مسيحي):

بعد سنة 1958 مسيحي تعرض شيداوتانغ لما تعرض له المسلمون خاصة، وأصحاب جميع الأديان عامة، من اضطهاد التيارات اليسارية المتطرفة وتدميرها باعتبار الأديان أفيون الشعب، وهي مجرد خرافات، فلا قيمة لوجودها. فصودرت جميع ممتلكات شيداوتانغ بعد وفاة المرشد الرابع للمذهب، وشُرد أهله الذين كانوا يعيشون جماعياً، فصاروا لاجئين مشردين لا يملكون كسرة الخبز بين ليلة وضحاها.

نشاطات مذهب شيداوتانغ في عصر الإصلاح والانفتاح (1978 مسيحي إلى الآن):

هكذا مضى شيداوتانغ لمدة عشرين سنة، حتى تولى حكم الصين دنغ شيو بينغ في سنة 1978 مسيحي، فبدأ يعدل ويقوّم التيارات اليسارية المتطرفة ونجح في ما أراد، فسارت المياه في مجاريها. فتنفس شيداوتانغ الصعداء، وتحمل مرشده الخامس مين شنغ قوانغ على عاتقه مهمة النهضة بالمذهب، فسعى أولا إلى استرجاع الممتلكات المصادرة، واستطاع أن يستعيد البعض منها، ثم يجمع أتباعه حوله، وبدأ ينظم المراكز والقوافل التجارية من جديد، فتخلص أتباعه من الفقر في سنوات قلائل.

ولم تعد الحياة الجماعية موجودة الآن، إلا أن أهل شيداوتانغ يلتفون حول مرشدهم، يتعاونون في ما بينهم، وأعادوا سيرتهم الأولى، حينما تيسرت لهم الظروف الاقتصادية، بادروا إلى إعادة بناء المسجد والمدرسة وبنوا روضة للأطفال حاملة اسم روضة الهلال الأحمر ومستشفى سمي مستشفى الهلال الأحمر.

كما استضاف شيداوتانغ الوفود الكثيرة من الباحثين والعلماء، وهم كذلك أنجزوا إنجازات كثيرة في حقل بحوثهم، مما أثار حماسة الناس في استزادة المعرفة عن مذهب شيداوتانغ، حتى زاره بعض العلماء من أميركا، وكتب بلغتهم عنه، ولكنه لا يزال مجهولاً بالنسبة إلى الأوساط العربية، وقد حاولت أن ألقي لمحة عن هذا المذهب الذي طبق نموذج الأمة الإسلامية في الصين بالفعل، لعل الاهتمام به من الجوانب المتعددة يساعده على إعادته إلى سيرته الماضية المشرقة.

> «إن نفوذ شيداوتانغ التجاري قد وصل إلى التبت غرباً وسيتشوانغ جنوباً، وتشنغهاي شمالاً، وتشاهار شرقاً»

المصادر والمراجع:

1 ـ «الإسلام في الصين» المؤلف: إبراهيم فنغ جين يوان، المترجم: محمود يوسف لي هواين.

2 ـ «تأثير الأمة الإسلامية في مذهب شيداوتانغ في التاريخ» المؤلف: محمد نور الدين مينشانغ قوانغ.

3 ـ «المذاهب الإسلامية في الصين» ما تونغ.

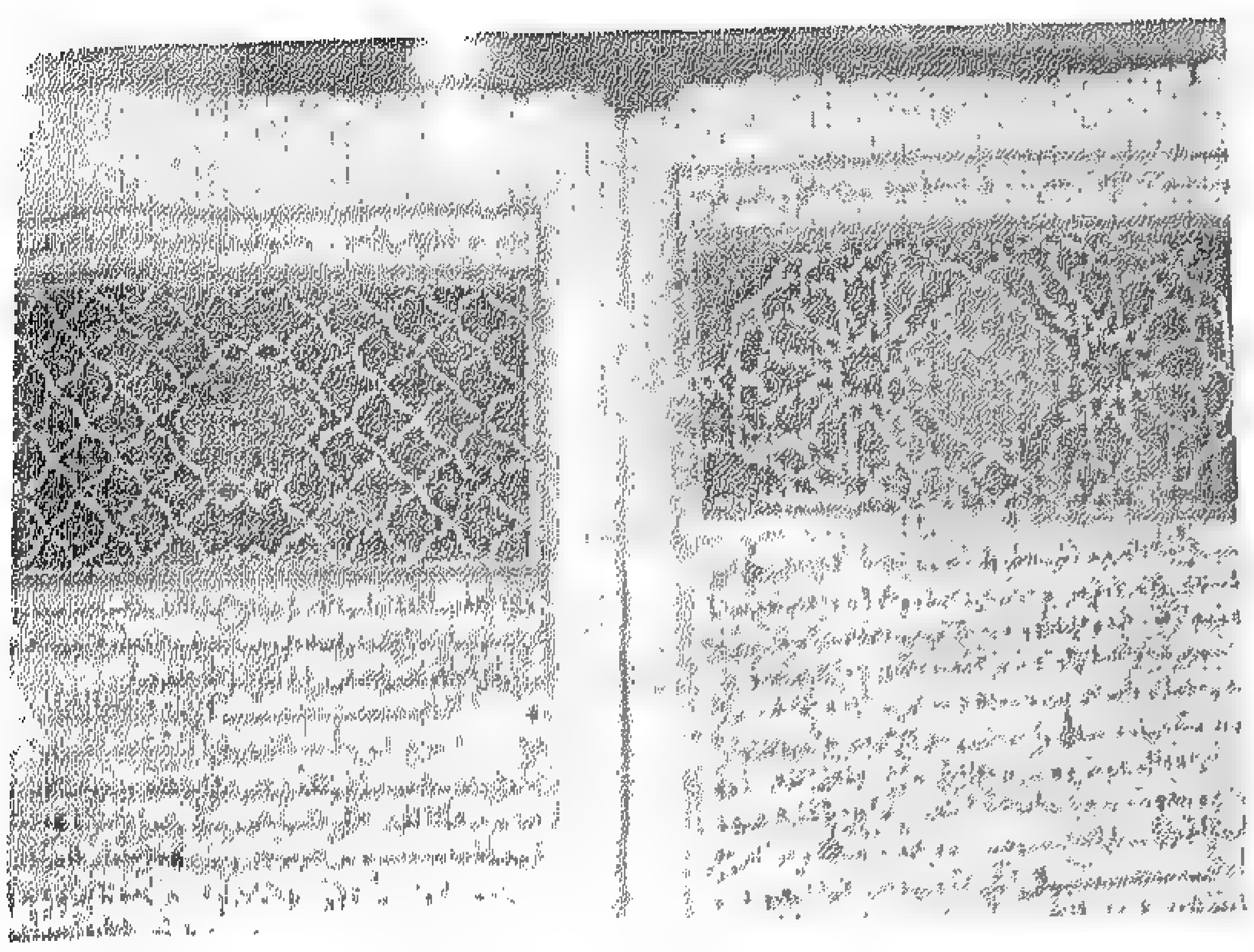
إسهام الأفارقة في الثقافة العربية ـ الإسلامية

(غرب إفريقيا نموذجًا)

إعداد : علي يعقوب *

ليس من الصعب أن نحدد متى بدأت اللغة العربية تنتشر في افريقيا، وبخاصة في غربها، وتذكر بعض المصادر أن تجار المغرب ومصر كانوا يترددون على الأسواق الرئيسية في افريقيا، وذلك في العقود الأخيرة للقرن السابع مسيحي، الموافق القرن الأول الهجري، ومن الطبيعي أن ينقل هؤلاء التجار لغتهم إلى القارة، وهذا ما كان في غربها، وأما شرقها وبخاصة الحبشة وما جاورها من البلدان مثل جيبوتي والصومال فقد عرف سكان تلك البلدان اللغة العربية منذ قرون قبل البعثة المحمدية، لصلتهم بأرض الحجاز واليمن، ولكن الذي نستطيع أن نؤكده أن انتشار اللغة العربية والثقافة الإسلامية في افريقيا واكب انتشار الإسلام، فهما متلازمان حيثما دخل الإسلام تدخل معه اللغة العربية، ولا يكاد الإسلام يستقر في مدينة أو قرية حتى يفتح الدعاة أو التجار مدرسة لتعليم القرآن الكريم ومبادئ الدين واللغة العربية التي لا يُفهم الإسلام فهمًا صحيحًا من دونها.

وكذلك كان للحج دور كبير في نقل اللغة العربية



والثقافة الإسلامية إلى القارة، وذلك من طريق جلب الكتب، وكان بعض الحجاج يبقى في الحجاز بعد الحج للدراسة، وتحصيل المعرفة والعلم، ثم يرجع إلى بلده لنشر العلم الذي حصل عليه في الحجاز، وكان بعض الأمراء والملوك عندما يحج يدعوا إلى بلده علماء لتعليم الإسلام واللغة العربية، وهؤلاء كانوا يجلبون معهم كتبًا في الفنون الإسلامية والعربية، وبهذا التواصل وصلت كتب كثيرة إلى أرض إفريقيا، وبخاصة غربها، مما ساعد على انتشار اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وأصبحت اللغة العربية هي لغة

* أستاذ جامعي / النيجر



الدين والثقافة والحياة الإدارية، وأصبح الحرف العربي هو الحرف الذي يكتب به أشهر اللغات الإفريقية؛ مثل الهوسا والفلانية والسواحلية والولفية، وأصبحت المنطقة مع انتشار الإسلام ولغته عظيمة الحضارة والتقدم، «وسرعان ما شكّل الإسلام عادات السكان وطور أحوالهم، حتى صار مستوى التفكير والثقافة يقارن بنظائره أو يفوقه في الدول المعاصرة لها في تلك الفترة في أوروبا»[1].

إسهام الأفارقة في الثقافة العربية والإسلامية:

وقد كان للممالك والعواصم والمراكز العلمية التي ذاع صيتها في غرب افريقيا مثل: تمبكتو وجني وأغاديس وكانو وكاتشنا، الفضل العظيم في نشر الثقافة العربية الإسلامية في المنطقة، وقد وصلت الثقافة العربية الإسلامية إلى ذروة ازدهارها في القرنين الخامس عشر والسادس عشر مسيحي، وذلك في عهد امبراطورية سنغي الإسلامية، التي اشتهرت بكثرة علمائها، وإنتاجاتهم العلمية التي ساهمت مساهمة فعالة في نشر الثقافة الإسلامية في غرب القارة وخارجها، وقد عرفت مدينة تمبكتو ـ العاصمة الثقافية لإمبراطورية سنغي ـ بالعديد من مشاهير العلماء الذين ألفوا في شتى الفنون الدينية واللغوية والتاريخية، ومن أشهر علمائها الشيخ أحمد بابا التمبكتي. ولم يحظ عالم في تمبكتو بمثل سعة علمه وشهرته، وكان عالما موسوعيًا، مؤرخًا، عالمًا في الشريعة، كما كان من المتبحرين في اللغة العربية وآدابها. ويذكر مترجموه أنه ألّف ما يزيد على أربعين كتابًا[2]، وقد درّس في دولة سنغي وخارجها، وذلك في مدينة مراكش المغربية لَمّا نُفي إليها. وحضر دروسه مئات من طلاب العلم في مراكش وخارجها.

1ـ إبراهيم طرخان، الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط، مجلة أم درمان، العدد الثاني، عام 1968 مسيحي، ص: 19.

2 ـ انظر «فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور»، للولاتي، ص: 36، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1991 مسيحي.



من مخطوطات التراث العربي

ومن أشهر مؤلفاته: كتاب «نيل الابتهاج بتطريز الديباج»، الذي ذيّل به كتاب ابن فرحون المالكي (الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب)، وله شرح على مختصر خليل، و«كفاية المحتاج»، و«معراج الصعود» وغيرها من الكتب.

ومن العلماء الذين ساهموا في نشر الثقافة العربية في السودان الغربي في عهد إمبراطورية سنغي المؤرخ المشهور الشيخ محمود بن كعت الكرمني صاحب كتاب «تاريخ الفتاش»، وهو كتاب يؤرخ لدولة سنغي والدول التي قبلها مثل دولة مالي، وكان المؤلف من وزراء الحاج أسكيا محمد توري، ومن الذين صاحبوه في رحلته المشهورة إلى الحج. ويُذكر أيضًا الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله السعدي صاحب «تاريخ السودان».

وقد امتدت دولة سنغي في أوج اتساعها إلى منطقة آير في النيجر، ومن أشهر مدن آير في تلك الفترة مدينة أغاديس وتيجدا، وقد أسهمتا في ازدهار الثقافة العربية الإسلامية في منطقة آير وخارجها إسهامًا بارزًا، وذلك بكثرة علمائها، وإنتاجاتهم العلمية، وقد بدأت النهضة العلمية في آير بمجيء الشيخ عبدالكريم المغيلي إليها عام 1479 مسيحي، وافتتاحه مدرسة قرآنية للصغار، وأخرى للكبار لتعليم علوم الدين والعربية، وبقي فيها فترة قبل مواصلة رحلته إلى كاتشنا وكانو، وقد تتلمذ على يديه كثيرون، ومن أشهر طلابه الذين برزوا وساهموا في نشر الثقافة العربية الإسلامية، الشيخ العاقب بن عبدالله الأنسمني الأغدسي، وقد ترجم له الشيخ أحمد بابا التمبكتي في «نيل الابتهاج» فقال: «فقيه نبيه ذكي الفهم حاد الذهن وقّاد الخاطر، مشتغل بالعلم، في لسانه حدة، له تعاليق من أحسنها تعليقه على قول خليل «وخصصت نية الحالف»[3]. وقد اختصر الشيخ أحمد بابا هذا التعليق وسماه «تنبيه الواقف على تحرير وخصصت نية الحالف»، وله جزء بعنوان: «وجوب الجمعة بقرية أنوسامان»[4]، وألفه في الرد على الذين يرون أن قرية أنوماسان لا تصح إقامة الجمعة فيها مع العدد الموجود في القرية، وقال الشيخ أحمد بابا: «فأرسلوه - أي الكتاب - إلى علماء مصر فصوبوه»[5] أي صوبوا الشيخ العاقب في ما ذهب إليه في جواز إقامة الجمعة في قرية أنوسامان. ومن إنتاجاته العلمية أيضًا: «الجواب المحدود عن أسئلة القاضي محمود»، وله أيضًا «أجوبة الفقير عن أسئلة الأمير»، وقد أجاب فيها عن أسئلة السلطان الحاج أسكيا محمد ، وهذه المعلومات القليلة عن شخص العاقب تشهد له بالمكانة التي كانت له لدى العلماء ورجال السياسة في عصره. ومن علماء آير الذين ساهموا مساهمة فعالة في نشر الثقافة العربية

3 ـ انظر «نيل الابتهاج بهامش الديباج المذهب»، ص:217، دار الكتب العلمية ـ أغاديس.

4 ـ وهي قرية تقع بالقرب من مدينة تيجدا في شمال غربي مدينة أغاديس.

5 ـ أحمد بابا، «نيل الابتهاج» ص: 218.

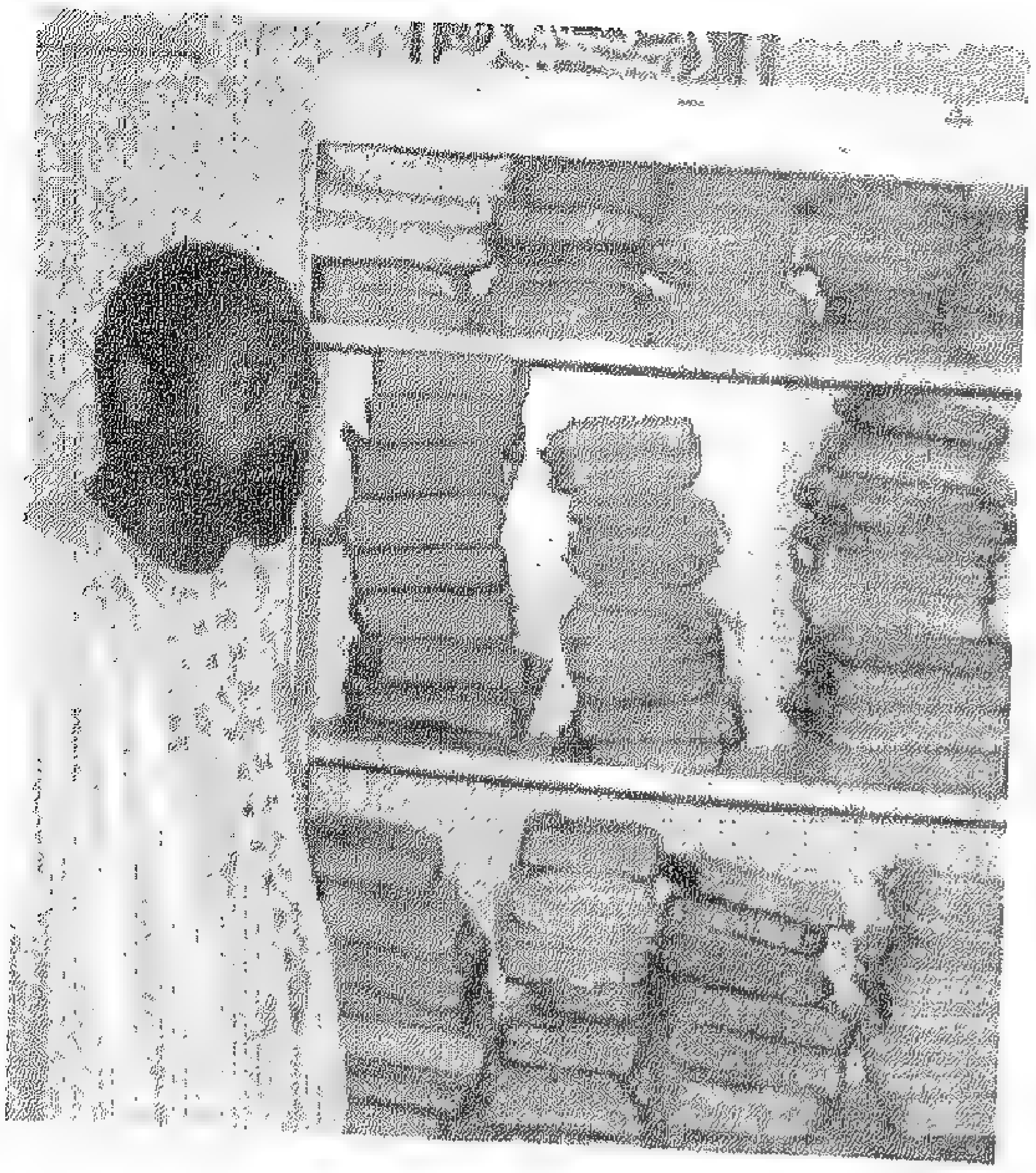
والإسلامية في تلك الفترة الشيخ شمس الدين النجيب ابن محمد التيجداواي، وقال أحمد بابا التمبكتي عنه: «أحد شيوخ العصر، معه فقه وصلاح، شرح مختصر خليل بشرحين: كبير في أربعة أسفار، وصغير في سفرين»(6)، وله تعليق على كتاب (المعجزات الكبرى) للإمام السيوطي، وشرح العشرينيات للفازازي، وله أيضًا «الطريقة المثلى إلى الوسيلة العظمى».

❖❖❖

ومن العلماء الأفارقة الذين لهم إسهامات في الثقافة العربية الإسلامية: الشيخ أحمد فرتو البرنوي، الذي كان معاصرًا للسلطان إدريس ألوما سلطان إمبراطورية البرنو من عام 1570 ـ 1603 مسيحي، وكان الشيخ أحمد فرتو حافظ سره وإمامه في الصلاة، وله كتاب في تاريخ البرنو، وكتاب آخر في حروب سلطان إدريس ألوما وسيرته والكتابان يعتبران مصدرين مهمين عن إمبراطورية كانم برنو في القرن السادس عشر المسيحي، وقد تُرجِم الكتابان إلى الإنجليزية من جانب رتشمون بالمر R.M. PALMER ونشر عام 1926 مسيحي(7).

❖❖❖

ومن أشهر علماء السودان الغربي في القرن الثامن عشر المسيحي على الصعيد العالمي الشيخ محمد الكنساوي المتوفى بالقاهرة عام 1742 مسيحي. وقد اشتهر هذا العالم عند علماء الشرق بفضل السيرة التي كتبها عنه عبدالرحمن الجبرتي في كتابه «عجائب الآثار في التراجم والأخبار»، «وحج سنة 1142/1729 مسيحي، وجاور مكة، وابتدأ هناك بتأليف «الدر المنظوم وخلاصة السر المكتوم في علم الطلاسم



والنجوم»، وهو كتاب حافل.. ومن كتبه: «بهجة الرفاق وإيضاح اللبس والإغلاق في علم الحروف والأوفاق»، وله منظومة في علم المنطق سماها (منح القدوس)، وشرحها شرحًا عظيمًا أسماه «إزالة العبوس عن وجه منح القدوس»، ومنها ـ أي مؤلفاته ـ «بلوغ الأرب من كلام العرب» في علم النحو، وله غير ذلك»(8)، وقد تلقى حسن الجبرتي علومًا مختلفة من محمد الكسناوي، وترجمة ابنه للشيخ محمد الكسناوي تعكس لنا جليًا مكانة هذا العالم الجليل.

❖❖❖

وإذا انتقلنا إلى دولة الشيخ عثمان بن فودي في القرن التاسع عشر المسيحي في شمال نيجيريا والدول المجاورة، نجد أن إسهام الأفارقة قد بلغ ذروته من حيث التأليف والتدريس، والجهاد لإعلاء كلمة الله، ففي مجال التأليف نجد أن مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي قد تصل إلى مائة مؤلف، ما بين كتاب ومقالة، ومن أشهرها كتاب: «إحياء السنة وإخماد البدعة».

6 ـ أحمد بابا، المصدر السابق، ص: 348.

7 ـ «الحضارة الإسلامية في النيجر»، من منشورات الإيسسكو عام 1994 مسيحي، ص:105.

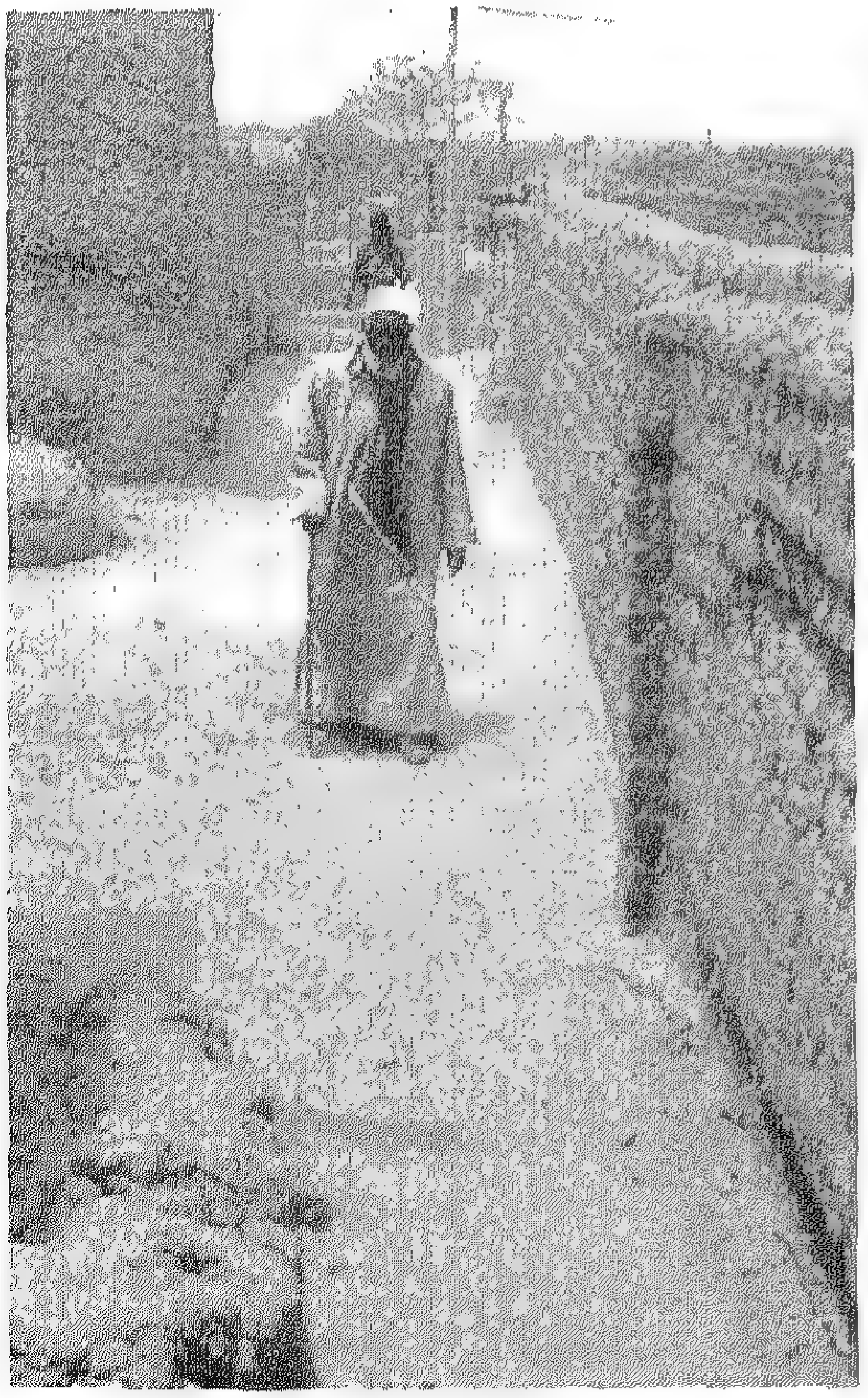
8 ـ انظر «تاريخ الجبرتي»، ص: 160.

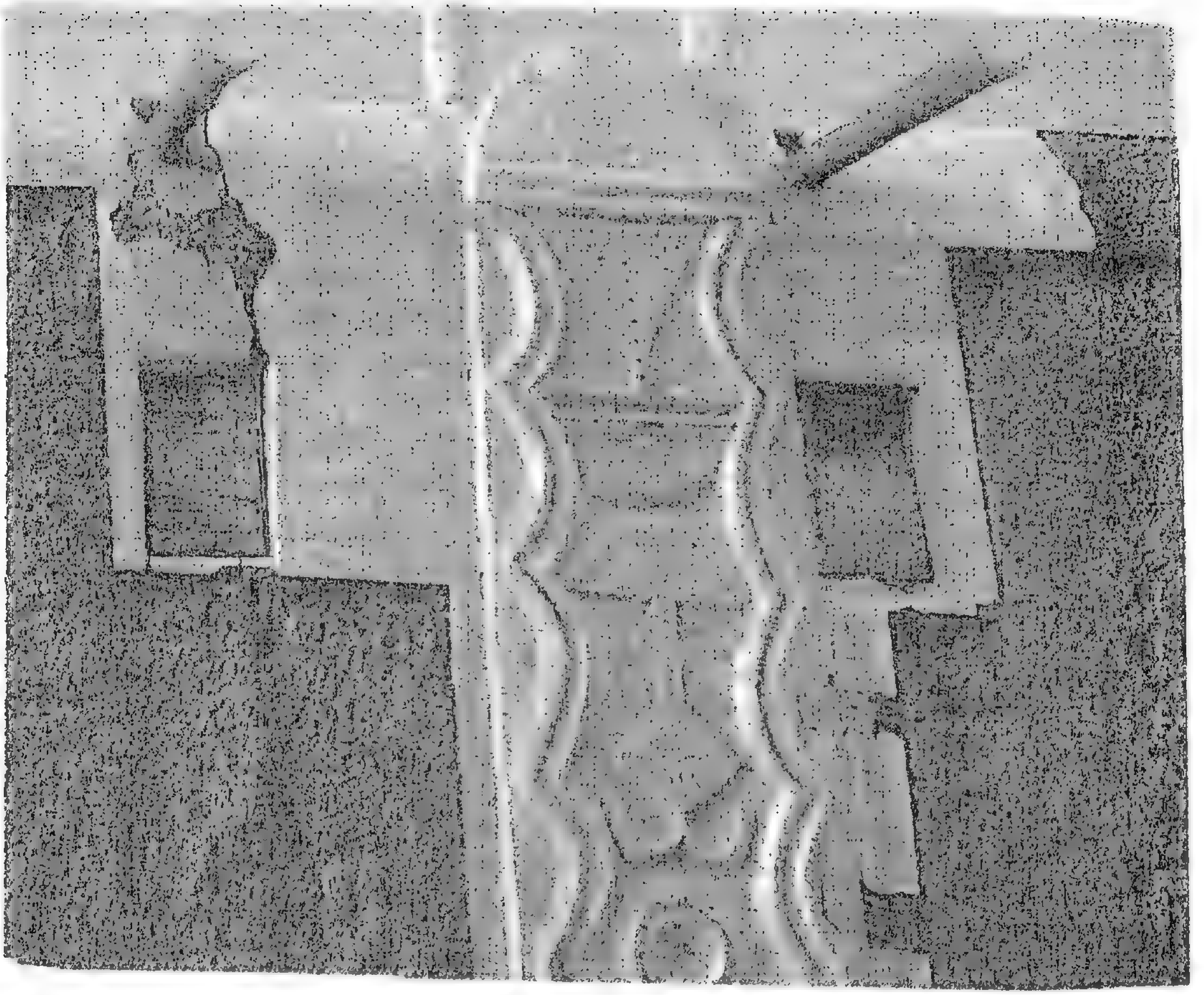
وإذا نظرنا إلى علامة السودان، أو عربي السودان، أو نادرة السودان الشيخ عبدالله بن فودي شقيق الشيخ عثمان بن فودي، نجد له مؤلفات عدة في المجال الشرعي والأدبي ومنها: (ضياء التأويل في معاني التنزيل) وهو كتاب في تفسير القرآن الكريم، وله أيضًا: (مفتاح التفسير) وهو منظومة تزيد على سبعمائة بيت نظم فيها علوم القرآن من كتابي (الاتقان في علوم القرآن والنقاية للسيوطي، وله في مجال النحو: (البحر المحيط) وهو منظومة في أربعة آلاف وأربعمائة بيت، نظم فيها (جمع الجوامع وهمع الهوامع) للسيوطي، وفي الصرف له: (الحصن الرصين) وهو منظومة في ألف بيت، وله ديوان شعري مشهور وهو: تزيين الورقات لما لي من الأبيات.

وكذلك الشيخ محمد بلو بن عثمان بن فودي له مؤلفات عدة، ومن أشهرها «إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور»، الذي يعتبر من المراجع الأساسية لتاريخ الوجود العثماني، وأهم علماء تلك الفترة وما قبلها.

❖❖❖

ومن الذين ساهموا في الثقافة العربية الإسلامية في منتصف القرن التاسع عشر مسيحي الشيخ عمر بن سعيد تال الفوتي (ت 1865 مسيحي)، وقد ولد الشيخ عمر تال في قرية حَلْوَار بالقرب من بودور (PODOR) على الحدود السنغالية - الموريتانية في عام 1797 مسيحي، ودرس اللغة العربية وعلوم الدين عند والده، فحفظ القرآن الكريم، ودرس صحيح مسلم وصحيح البخاري، ثم ترك حَلْوَار لطلب العلم في فُوتَاتُورُو ثم فُوتَاجَلُون. وفي عام 1826 مسيحي قام الحاج عمر برحلة إلى بيت الله الحرام ومر في طريقه إلى الحج بمدينة (حمدالله) عاصمة دولة ماسينا الإسلامية، ثم واصل إلى سكت عاصمة دولة عثمان بن فودي، وقضى فيها سبعة أشهر ثم غادرها إلى فزان في ليبيا، ثم مصر، ثم أخيرًا وصل إلى مكة المكرمة عام 1828 مسيحي، وقد مكث عند عودته من الحج في القاهرة بعض الوقت للدراسة في الأزهر، وفي طريق عودته عرّج على برنو ومكث فيها مدة للتدريس، ثم ذهب إلى سكت، ثم إلى ماسينا بعد وفاة الخليفة محمد بلو عام 1838 مسيحي، وقد لعب الشيخ عمر بن سعيد الفوتي دورًا مهمًا في نشر الطريقة التيجانية في السودان الغربي، واستطاع بعد عودته إلى فوتاجلون أن يقيم دولة إسلامية مترامية الأطراف، تحكمها الشريعة الإسلامية، ولغتها الرسمية اللغة العربية، وللشيخ عمر بن سعيد تال الفوتي مؤلفات عدة ومن أشهرها كتاب (الرماح حزب الرحيم في نحور حزب الرجيم) ويعتبر مرجعًا مهمًا لمريد الطريقة التجانية، وله أيضًا: (منظومة في إصلاح ذات البين)، و(منظومة سفينة السعادة)، وغير ذلك من الكتب.





ومنهم ـ أي العلماء ـ الشيخ أحمد حمد لَبّو الماسني، مؤسس الدولة الإسلامية في ماسينا ـ مالي ـ وكانت له جهود في نشر المدارس القرآنية في منطقة ماسينا وما جاورها، حيث جعل تعليم القرآن الكريم واجبًا إلزاميًا على كل صبي بلغ السابعة من عمره، وارتفعت بسبب ذلك نسبة الحفاظ وعلماء الفقه واللغة العربية وآدابها بين مختلف طبقات المجتمع، وكان للشيخ أحمد نفسه حلقة تفسير في المسجد الجامع.

وتقدر بعض المصادر التاريخية عدد العلماء والفقهاء المشهورين في دولة ماسينا بنيف وثلاثمائة عالم»[9]، ولكن وللأسف الشديد فإن إنتاجاتهم العلمية والأدبية قد اندثرت بفعل الحرب الأهلية التي نشبت بين حفيد أحمد لبو الشيخ أحمد أحمد أحمد لبو، والشيخ عمر تال والبكائي الكنتي.

ومنهم الشيخ عبدالقادر كُنْ (1728ـ 1810مسيحي) مؤسس الدولة الإمامية في حوض السنغال، وكان للشيخ عبدالقادر كن دور كبير في إنعاش الثقافة الإسلامية ونشرها في منطقة فوتاتورو «وكان أول عمل قام به لإصلاح وإنعاش الحركة الثقافية أن أقدم على بناء أربعين مسجدًا جامعًا في طول البلاد وعرضها، وعين في كل مسجد إمامًا راتبًا، ويتولى القضاء في الوقت نفسه، وفي كل مسجد حلقات لدراسة القرآن الكريم والدين واللغويات.. ولقد شجع العلماء، وأولي العلم بالاهتمام»[10]، وتعهد بنمو الحركة الثقافية في منطقة فوتاتورو وما جاورها حتى وصل بلد فوتا في

9ـ عثمان بريما باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإسلامي، ط1، 2001 مسيحي، ص: 118.

10ـ عمر باه، الثقافة العربية والإسلامية في القرن الإفريقي، ط1، 1993مسيحي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص: 139.



عهده إلى مستوى انتزع قيادة الحركة الثقافية الإسلامية من حوض النيجر، وقد استمرت الدولة الإمامية في عطائها الثقافي حتى جاء الاستعمار الفرنسي وقضى عليها.

❖❖❖

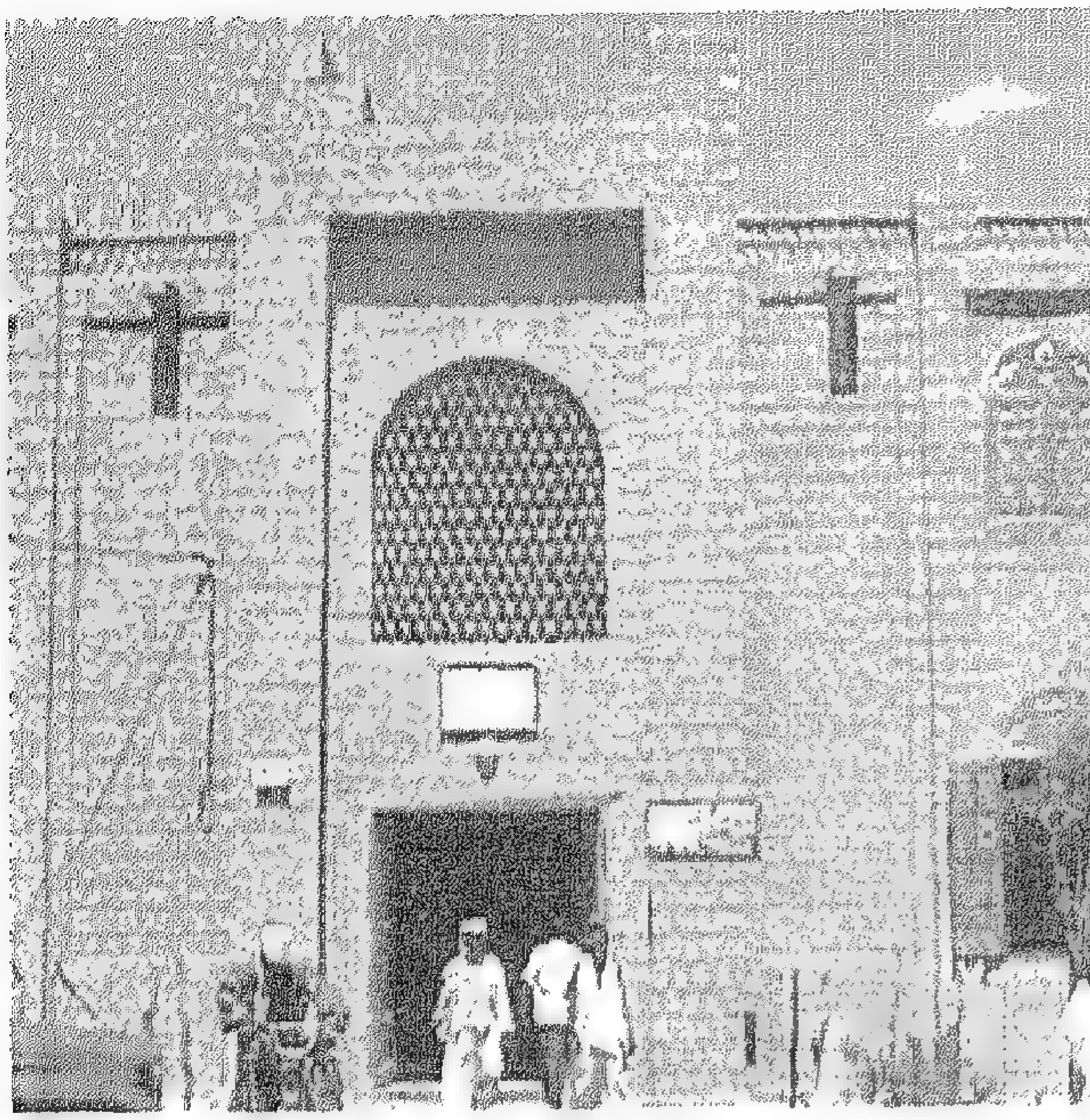
وكذلك لعبت قبائل كنته العربية في صحراء مالي والنيجر دوراً مهماً في نشر الثقافة العربية الإسلامية في الصحراء وما جاورها، وذلك على يدي الشيخ سيدي المختار الكبير (1729ـ 1811 مسيحي) وذريته من بعده، وكذلك كان له دور في نشر الطريقة القادرية في الصحراء والبلدان المجاورة، وكانت خيام الشيخ المتنقلة في الصحراء قبلة طلاب العلم، يتوافدون عليها من جميع أنحاء الصحراء لينهلوا من معينه الذي لا ينضب. وللشيخ سيدي المختار الكبير نتاجات علمية كثيرة في الفنون الشرعية واللغوية، حتى قال البعض إنه ألف من الكتب عدداً يساوي سني حياته أربع وثمانين سنة، في حين ينسب له آخرون 312 مؤلفاً[11]، ومن مؤلفاته: تفسير البسملة، وهداية الطالب، فتح الودود في شرح المقصود والمدود لابن مالك، وغير ذلك من المؤلفات.

ومنهم الشيخ المحدث الحافظ صالح بن محمد الفلاني، وهو من العلماء الأفارقة الذين اشتهروا في خارج القارة، لأن مساهماتهم الثقافية كانت في خارج القارة، وقد ولد الشيخ صالح الفلاني بإقليم فوتا جلون ـ غينيا ـ عام 1166 مسيحي، ونشأ بها وأخذ العلم عن علمائها، ثم ارتحل لطلب المزيد من العلم وعمره اثنا عشر عاماً، فدخل مدينة تمبكتو ومكث فيها فترة ثم ارتحل إلى الصحراء فمكث عند الشيخ محمد بن سنة عالم الصحراء في وقته، ومكث عنده ست سنوات، ثم ارتحل إلى المغرب، ودخل مراكش، ومكث فيها ستة أشهر، ثم ارتحل إلى تونس وأخذ عن علمائها، ثم

11 ـ بول مارتي، من عرب مالي والنيجر كنته الشرقيون، تعريب محمد محمود ولد دادا، طبع بدمشق، بدون تاريخ، ص: 53.

ارتحل إلى مصر، وبقي فيها مدة يدرس على شيخ من شيوخها يسمى الشيخ علي الصعيدي أبو الحسن، وكذلك درس على الشيخ الحافظ مرتضى الزبيدي صاحب (تاج العروس)، ثم ارتحل إلى المدينة المنورة التي استقر فيها بعد أداء فريضة الحج إلى وفاته عام 1218 مسيحي، وعقد الشيخ صالح حلقة علمية في المسجد النبوي الشريف، وتوافد عليه طلاب العلم، وبخاصة طلاب الحديث النبوي وعلومه، وحصل على شهرة في عصره حتى عده بعض العلماء من مجددي القرن الثالث عشر الهجري[12]، وقل أن تخلو بلدة من بلاد الإسلام في وقته إلا وله فيها عدد من الطلاب، وبخاصة من لهم الاعتناء بعلم الحديث، ومن أشهر تلاميذه في الهند - باكستان - الشيخ محمد عابد السندي، وفي مصر الشيخ علي بن عبدالبر الونائي، وفي بلاد شنقيط الشيخ عبدالرحمن بن أحمد الشنقيطي، وفي الشام أحمد بن عبداللطيف، وفي تركيا الشيخ محمد الكردي، وغيرهم[13]. ومن أهم مؤلفاته: (إيقاظ همم أولي الأبصار) [14]، وهو كتاب في ذم التقليد والتعصب للمذاهب الفقهية السائدة في عصره، ومن كتبه المشهورة عند المحدثين: (الثمار اليانع في رفع طرق المسلسلات والمسانيد والأجزاء والجوامع وذكر طرق التصوف وما لها من التوابع) واختصره في (قطف الثمار) وله أيضًا (الأحاديث القدسية)، وكل كتبه مطبوعة ومتداولة بين المتخصصين في الحديث وعلومه.

❖❖❖



ومن السلاطين الذين قاموا بنشر الإسلام والثقافة العربية في شمال جمهورية غانا في القرن التاسع عشر الميلادي السلطان محمد باباتو الذي ولد في قرية اندونغا (Indonga) في جمهورية النيجر، وبعد دراسته في قريته هاجر إلى شمال غانا للتجارة، وكانت هناك جماعات من قبيلته (زَبَرْمَا) قد هاجرت قبله إلى تلك المنطقة لنفس الغرض، وقد تمكنت هذه الجماعة من فرض سيطرتها ونفوذها على المنطقة، وفي عام 1880 مسيحي، قتل زعيم زبرما المجاهد لنشر الإسلام الشيخ ألفا غزاري في إحدى المعارك، وخلفه محمد باباتو الذي واصل ما بدأه سلفه، وانضمت إليه جماعات من قبائل الفلاني والهوسا الموجودة في المنطقة، وقد شهدت مناطق شمال غانا في عهد محمد باباتو تشييد المساجد والمدارس الإسلامية، واستقدام الفقهاء والعلماء من شمال نيجيريا ومالي الذين

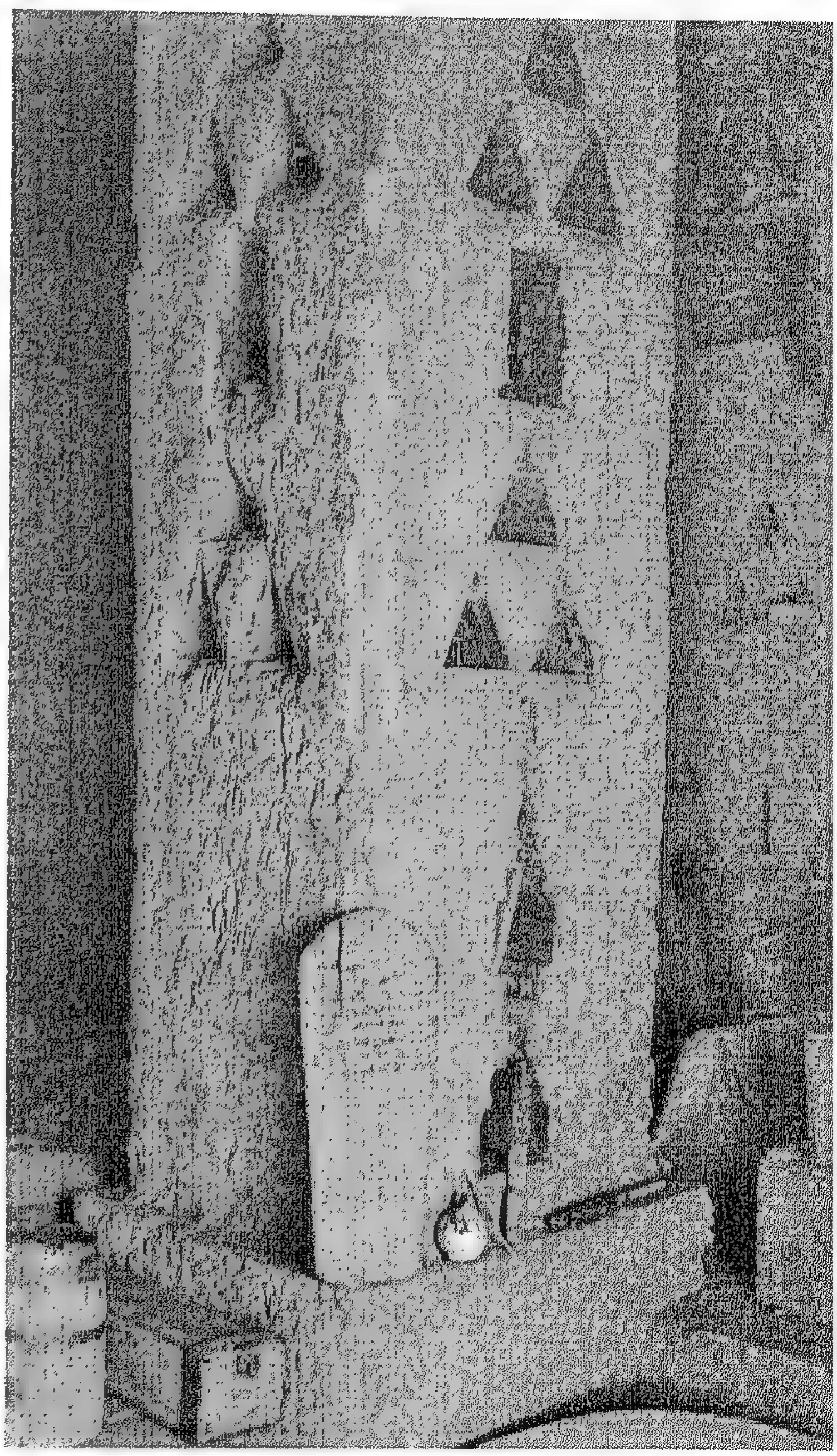
12- الشيخ عبدالحي بن عبدالكبير الكتاني، فهرس الفهارس، 2/901، دار الغرب الإسلامي، بيروت - بلا تاريخ.

13- المصدر السابق 2/902.

14- اسم الكتاب كاملاً هو: إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار وتحذيرهم من الابتداع في القرى والأمصار ومن تقليد المذاهب مع الحمية والعصبية بين فقهاء الأمصار) وقد طبع الكتاب أكثر من مرة، الطبعة الأولى 1354 مسيحي، بمصر، والطبعة الثانية بباكستان 1395 مسيحي، والثالثة بالطائف عام 1397 مسيحي، ثم اختصره الشيخ سليم الهلالي وطبع بالمكتبة الإسلامية بالأردن.

ساهموا في نشر الثقافة الإسلامية والعربية في شمال غانا[15] ومنها انتشرت إلى بعض الدول المجاورة مثل شمال توغو وجنوب بوركينا فاسو، وقد تغلبت قوات بريطانيا الغازية والفرنسية على محمد باباتو في عام 1890 مسيحي، وقسموا دولته بين توغو وغانا وبوركينا فاسو.

❖❖❖



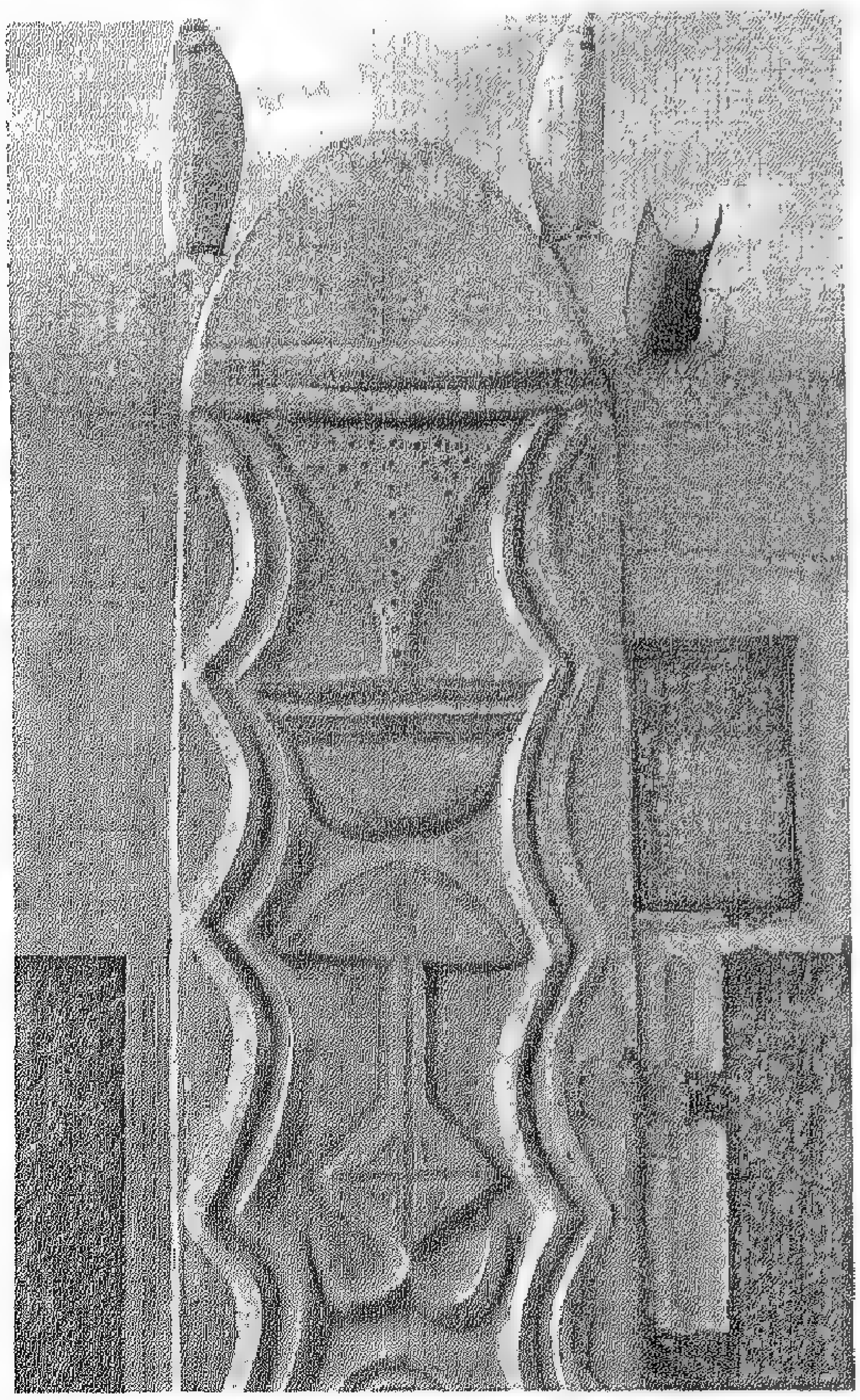
ومنهم الشيخ عبدالرحمن الافريقي، ذلك الافريقي المشهور في بلاد الحجاز المجهول في موطنه الأصلي - جمهورية مالي - وقد ولد الشيخ عبدالرحمن في قرية فَافَا (Fafa) الواقعة في جزيرة في نهر النيجر بدولة مالي» ولقد كان من حكمة الله أن وهب لهذا الفتى حظًا غير قليل من الذكاء، استرعى انتباه الفرنسي المسؤول عن مقاطعته - مقاطعة غاو Gao - وكان ذلك يوم مر هذا بقريته (فافا)، وأقبل على كتابها الأهلي الوحيد يتفقد تلاميذه، ويراقب ما في أيديهم من الكراريس، عسى أن يكون فيها ما ليس في مصلحة الاستعمار، وجعل يوجه إلى الصغار بعض الأسئلة بلغتهم السونغوية، فتأتيه الأجوبة معبرة عن مستوياتهم المختلفة حتى جاء دور عبدالرحمن، فإذا أجوبته فوق مستوى غلام في الثانية عشرة. مما أثار إعجاب المسؤول»[16]، وكان هذا سببًا في نقل عبدالرحمن إلى المدارس العصرية في مدينة غاو، حيث واصل دراسته فيها بتفوق، إلى أن نال الشهادة الثانوية باللغة الفرنسية، فعين مدرسًا للغة الفرنسية في المدرسة التي تخرج منها، ثم عين بعد ثلاث سنوات في مصلحة الأنواء الجوية، وتدرج في السلم الوظيفي حتى وصل إلى رتبة مساعد المدير، ثم سمحت له سلطات الاستعمار بالسفر لأداء الحج، وبعد الحج عزم على البقاء في مكة المكرمة لطلب العلوم الإسلامية التي كان يجهلها تقريبًا، وبعد أربع سنوات من الدراسة في الحرم المكي أراد الرجوع إلى بلده ولكن «شاء الله» أن يجمعه في فندق بأحد المسافرين الذي غير رأيه عن السفر حين اكتشف عبدالرحمن قلة معلوماته الدينية، وحزم أمتعته إلى المدينة المنورة[17]، حيث التحق بمدرسة دار الحديث، مع مواصلة الدراسة على أيدي علماء الحرم النبوي من أمثال الشيخ ألفا

15- عثمان بريما باري، المصدر السابق، ص: 36.

16- محمد المجذوب، «علماء ومفكرون عرفتهم»، دار الاعتصام، القاهرة، 1/63.

17- المصدر السابق، ص: 65.





هاشم الفلاني وغيره من علماء الحرم، ولما تخرج من مدرسة دار الحديث عين أستاذًا فيها، ومدرسًا في المسجد النبوي الشريف، حيث وفد عليه طلاب العلم من كل أنحاء المعمورة، لطلب العلم، وقد ظل في تدريسه إلى أن وافاه الأجل المحتوم في المدينة المنورة، وقد تخرج على يديه طلاب ساهموا في نشر الثقافة الإسلامية والعربية في بلدانهم، ومن أشهر طلابه الشيخ عمر بن محمد فلاته ـ رحمه الله تعالى ـ الذي تولى التدريس في مكانه بالحرم النبوي الشريف، وكان الأمين العام للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وعميد كلية الحديث فيها، والشيخ حامد بكر المدرس في الحرم النبوي ـ رحمه الله ـ، والشيخ محمد الثاني إمام الحرم النبوي وغيرهم، ومن مؤلفاته: (الأنوار الرحمانية في الرد على التيجانية).

ومن العلماء الأفارقة الذين لهم مساهمة فعالة في الثقافة العربية الإسلامية في غرب افريقيا ووسطها الشيخ محمود بن عمر باه مؤسس المدارس النظامية في غرب افريقيا، وبخاصة مدارس الفلاح، وقد ولد الشيخ محمود باه في بلدة جُوول (Jowol) في جنوب موريتانيا عام 1906 مسيحي، وبعد حفظه كتاب الله تعالى لازم الشيخ عبدالرحمن التركزي، وأخذ عنه علوم التجويد والقراءات وعلوم القرآن، وفي عام 1928 مسيحي غادر منطقته بقصد الحج، ولما وصل الأراضي المقدسة التحق بمدرسة الفلاح حتى حصل على الشهادة الابتدائية، ثم التحق بمدرسة الصولتية وكان إلى جانب دراسته في المدرسة المذكورة يلازم دروس الحرم النبوي، وبعد أربع سنوات تخرج في المدرسة الصولتية عام 1940 مسيحي، وما أن تخرج حتى عاد إلى بلاده فوتاتورو، وكان أول عمل قام به بعد رجوعه هو افتتاح مدرسة نظامية في قريته باسم مدرسة الفلاح، وذلك عام 1941 مسيحي، ثم افتتح المدرسة الثانية في مدينة كايْ (Kaye) بجمهورية مالي عام 1943 مسيحي، بنفس الاسم، وقد قام الشيخ



الحاج محمود باه بزيارات متعددة لمختلف مناطق الغرب الافريقي يلقي المحاضرات، ويفتح المدارس، وقد افتتح نحو 77 مدرسة عربية في غرب افريقيا[18]، حتى الكاميرون في وسطها، وبنى 89 مسجداً كذلك، وفي عام 1951 مسيحي، تخرجت الدفعة الأولى في مدرسة الفلاح في كاي، وكان عددها خمسين تلميذاً، وتم انتخاب تسعة منهم للدراسة بالأزهر، تحت سرية تامة، خوفًا من سلطات الاستعمار التي كانت تضايقه كثيرًا بسبب نشاطاته الثقافية، ولما علمت سلطات الاستعمار بسفر الطلاب أشاعت مع المتحالفين معها من بعض الشيوخ التقليديين الذين يخافون على مناصبهم الاجتماعية، أشاعت أنه نقل البعثة إلى القاهرة لا للتعليم، وإنما قام ببيعهم بالشرق عبيداً، ولم يجد الشيخ بداً للدفاع عن نفسه، وتفنيد الإشاعات إلا أبياتًا جادت بها قريحته، فقال:

يا عام شعث فخذ ذا الشعر مقتبطًا
من الفلاح وأبناء لها غرر
قمنا مع المجد والإيثار نستبق
للنصر والنشر والمولى لنا وزر
لأمة المصطفى المختار من مضر
علم الشريعة في الآفاق ينتشر

إلى أن قال:

محمود قد باع من أبنائنا نفر
ملء الدنانير ملء الكف ينهمر
وحاش لله ما هذا بشيمته
يا فاسق القوم يا غدار يا غدر[19]

والشيخ محمود باه يعد بحق من كبار علماء افريقيا الغربية في القرن الماضي، وقد توفي في عام

18 ـ عمر باه، المصدر السابق، ص: 505 بتصرف.

19 ـ عمر باه، المصدر السابق، ص: 510.

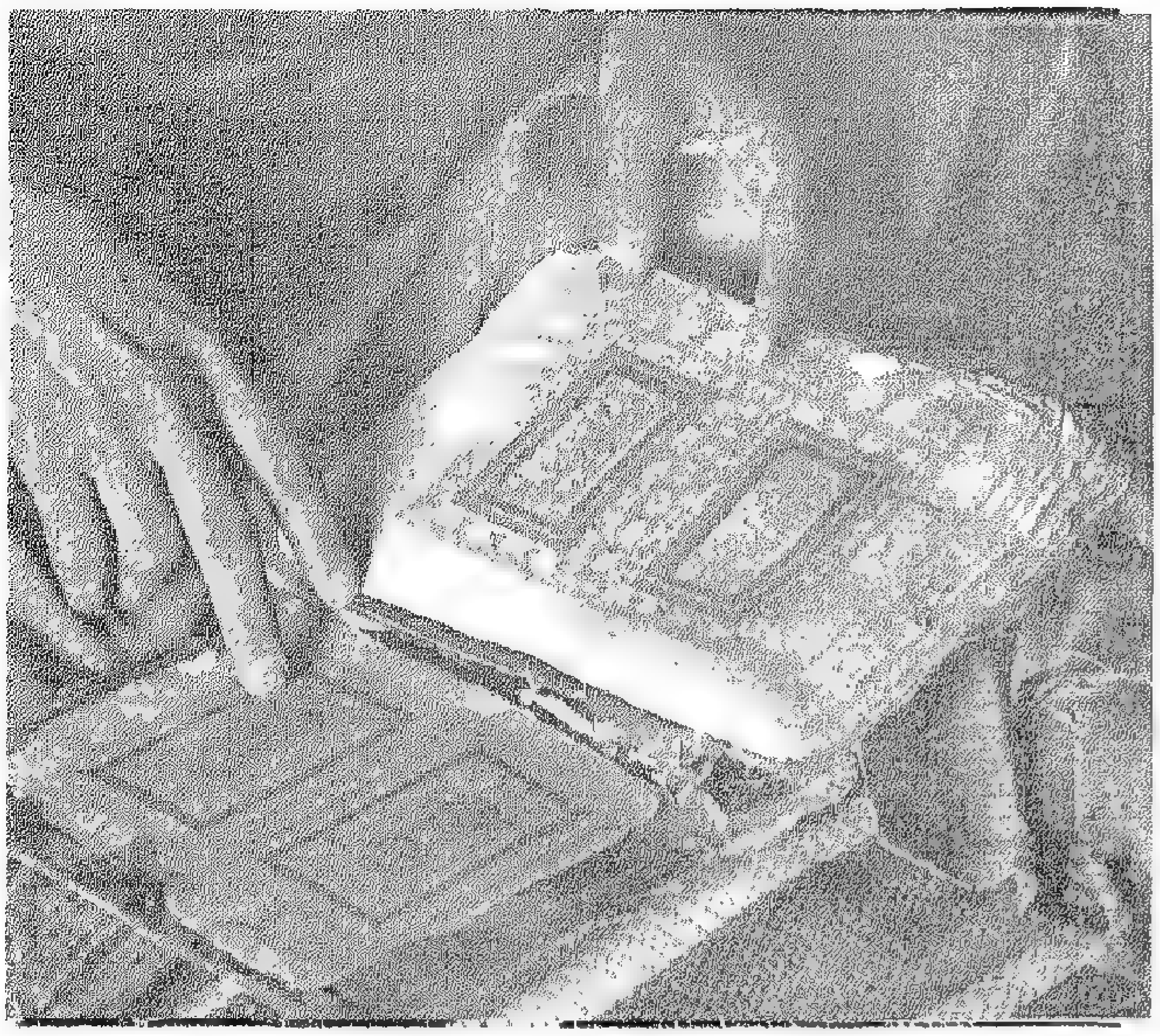
1978 مسيحي، ـ رحمه الله تعالى ـ وقد ترك طلابًا قاموا بنشر الإسلام وثقافته العربية في المنطقة، ومن أشهرهم الأستاذ أبو بكر باه، الكاتب المعروف في موريتانيا، ومن مؤلفاته: (صور من كفاح المسلمين في افريقيا الغربية، الحاج عمر الفوتي، حياته وجهاده، والحاج محمود رائد الثقافة العربية في افريقيا الغربية).

❖❖❖

ومن علماء حوض السنغال المساهمين في الثقافة العربية الإسلامية الشيخ موسى كمرا (1863 ـ 1945 مسيحي)، وقد ألف الشيخ موسى كمرا في معظم العلوم والفنون المتعارف عليها في الغرب الافريقي، ومن أشهر مؤلفاته: (زهور البساتين في تاريخ السودانيين)، وكتاب (أشهى العلوم وأطيب الخبر في سيرة الحاج عمر) وهو مطبوع في المغرب عام 2001 مسيحي، بتحقيق خديم محمد امباكي وأحمد شكري.

❖❖❖

ومن الجديرين بالذكر الشيخ الحاج محمد مَرْحَبا عالم ببوركينا فاسو، في زمانه، وكاتبها المشهور. ولد الشيخ مرحبا 1314 مسيحي، تعلم القرآن الكريم والعلوم الإسلامية على يد والده، ثم تنقل لطلب العلم من بلد إلى آخر، وارتحل إلى غانا، حيث عاش عدة سنوات، واشتغل بالتأليف والتدريس، ثم سافر إلى النيجر حيث التقى رئيس مجلس النواب آنذاك السيد بَوبَو هَمًّا، وأهدى له عدة مخطوطات هي الآن في معهد البحوث في العلوم الإنسانية في جامعة نيامي. وقد ألف الشيخ في عدة فنون، منها التاريخ والنحو والصرف والتفسير والأدب، وقد بلغت مؤلفاته أربعة وعشرين كتابًا، من أهمها: (أساس التواريخ المنقولة من كتب أهل العلم، الفتوحات الإسلامية في افريقيا)، و(تاريخ ملوك موشي وأحوالهم)، ومنها



مجموعة من الأعمال الأدبية والدينية، وكتاب (فتح الحنان المنان بجمع تاريخ بلاد السودان)، وقد توفي الشيخ محمد مرحبا عام 1974 مسيحي، بمدينة بُوبُو جُولاَسُو ـ رحمه الله تعالى ـ [20].

❖❖❖

ونذكر أيضًا الشيخ آدم الإلوري الذي يعتبر بحق من أكثر الأفارقة مساهمة في الثقافة العربية الإسلامية بكثرة مؤلفاته وشهرتها، وقد ولد الشيخ آدم الإلوري عام 1917 مسيحي، ببلدة وسا، وختم القرآن، ودرس مبادئ الفقه المالكي على يدي والده، ثم رحل لطلب العلم، فدرس على الشيخ صالح بن محمد الأول والشيخ عمر بن أحمد الأبهجي، والشيخ آدم نماج الكنوي، وسافر إلى مصر فالتحق بالأزهر، ولكن الظروف لم تسمح له بطول المكث، فرجع إلى بلاده وتفرغ للتدريس والدعوة إلى الله والتأليف منذ عام 1946 مسيحي، وقد قام الشيخ بعدة أعمال في مجال نشر الثقافة الإسلامية والعربية في نيجيريا وما جاورها من البلدان، ومن ذلك بناؤه لمركز التعليم

20 ـ الهادي المبروك الدالي، قبائل الفلان: دراسة وثائقية، ط1، 2003 مسيحي، ليبيا، ص: 102.

العربي الإسلامي بأغيغي (Agege) في لاغوس (Lagos) عام 1954 مسيحي، الذي تخرج فيه ما يزيد على عشرة آلاف طالب، وأما مؤلفاته فهي كثيرة منها مقالات ومنظومات وقصائد ومقررات دراسية، ومن أشهر مؤلفاته، (الإسلام في نيجيريا وعثمان بن فودي)، وهو من أوّل ما ألف من تاريخ المنطقة في العصر الحديث، ومنها في مجال الأدب: (مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية)، وهو أول كتاب في المنطقة يحاول تحديد العصور الأدبية في نيجريا، وقد توفي الشيخ في عام 1992 مسيحي[21].

ولا يغفل ذكر الشيخ سعد عمر توري المؤسس لمدارس سبيل الفلاح الإسلامية في مدينة سيغو (Segou) بجمهورية مالي. ولد الشيخ سعد عام 1909 مسيحي، في قرية قريبة من مدينة سيغو، ودرس على أبيه القرآن الكريم، ثم طلب العلم عند علماء بلاده من أمثال الشيخ محمد الأمين تيام، وكذلك درس في المدارس الفرنسية لمدة أربع سنوات، ودرس النحو والصرف عند الشيخ أحمد المدني، وقد ألف الشيخ سعد توري مؤلفات عدة ومن أشهرها على المستوى العالمي:

1. المبادئ الصرفية في جزأين.
2. الدروس النحوية في ثلاثة أجزاء.

وهي من الكتب المقررة في معظم المدارس بغرب افريقيا، وقد نالت قبولاً عند الدارسين والمدرسين، وتوفي في يوم 1997/7/1 مسيحي - رحمه الله تعالى -.

❖❖❖

ومن مشاهير الأفارقة في مجال الثقافة العربية الإسلامية في القرن الماضي: الشيخ الدكتور الوزير جنيد محمد البخاري، ولد عام 1906مسيحي، في مدينة سكت، وبدأ تعليمه بقراءة القرآن الكريم عند الشيخ عبدالقادر بن أبي بكر، وبعد ختم القرآن الكريم درس عليه مبادئ الفقه المالكي كالأخضري، والعشماوي، ثم انتقل بعد ذلك إلى الشيخ يحيى بن خليل، وقرأ عليه قصائد العشرينات ومقامات الحريري وملحمة الإعراب وغيرها من الكتب اللغوية، وقد اشتهر الشيخ بكونه المرجع الرئيسي في تاريخ الخلافة السكتية، وقد درّس في مدرسة العلوم الشرعية بسكت، ثم عين مستشارًا لأمور الشريعة في مجلس الأمير، وفي عام 1948 مسيحي، عين وزيرًا لأمير سكت[22]، المنصب الذي بقي فيه إلى وفاته عام 1997 مسيحي، وقد ترك مؤلفات عدة ومن أشهرها: (ضبط الملتقط من الأخبار المتفرقة)، وتبلغ أبيات هذه القصيدة ستمائة وسبعة وثمانين بيتًا، تناول فيها أغراضًا مختلفة من الشعر في المدح والرثاء والوصف وغيره.

المصادر والمراجع:

أولا- المطبوعات :

1 - أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، بهامش الديباج المذهب، دار الكتب العلمية، بلا تاريخ.

2 - إيسيسكو، «الحضارة الإسلامية في النيجر»، طبع عام 1994 مسيحي.

3 - سليمان موسى (دكتور)، الحضارة الإسلامية في نيجيريا، ط1، 2000 مسيحي، بدون ذكر مكان الطباعة.

4 - عبدالباقي شعيب أغاكا (دكتور)، «الأدب الإسلامي في ديوان الإلوري»، ط2، 2003 مسيحي، بدون ذكر مكان الطباعة.

5 - عبدالحي عبدالكبير الكتاني، فهرس الفهارس، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

6 - عثمان بريما باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، ط1، 2001 مسيحي، دار الأمين، القاهرة.

7 - عمر محمد باه (دكتور)، الثقافة العربية الإسلامية في الغرب الافريقي، ط1، 1993 مسيحي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

8 - مارتي بول، كنتة الشرقيون، طبعة دمشق - بلا تاريخ.

9 - محمد بن أبي بكر الولاتي، فتح الشكور في أعيان بلاد التكرور، ط1، عام 1991 مسيحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

10 - محمد المجذوب، مفكرون وعلماء عرفتهم، دار الاعتصام، القاهرة.

ثانيًا- الدوريات :

1- مجلة جامعة أم درمان، العدد الثاني، عام 1969 مسيحي.

---

21 - عبدالباقي شعيب أغاكا، «الأدب الإسلامي في ديوان الإلوري»، ط2، 2003 مسيحي، ص: 14، بتصرف.

22 - سليمان موسى، «الحضارة الإسلامية في نيجيريا»، ص: 31، بتصرف.



القرآن الكريم: آفاق علمية



القرآن الكريم :
آفـــاق علميـــة *

الأستاذ علي الهاشمي **

عندما أكرم الله الإنسانية بنزول القرآن الكريم؛ كان نزوله بالنسبة لها نقطة انطلاق نحو مرحلة جديدة، وخطوة عملاقة لم تعرفها البشرية في أي عصر من العصور الغابرة. لقد أكرم الله تبارك وتعالى أمة القرآن التي استجابت لله وللرسول، فاستوعبت رسالته العظمى، وبادرت إلى الاهتداء بهديه، واتخذته رائدها وقائدها ودليلها ومرشدها، وجعلت منه المفتاح الذي تفتح به أقفال المعرفة، والمصباح الذي تبدد بنوره حجب ما في الكون مما تجهله.

وبفضل توجيهات القرآن الكريم، وتربيته الفكرية والخُلقية المُثلى، وإشادته بمكانة العلم والعلماء، وتحريره العقلَ البشريَّ من الخرافات والأوهام، ودعوته الملحة إلى حلّ ألغاز الكون، والكشف عن آيات الله البينات في الأنفس والآفاق:

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [سورة الذاريات: الآية 21]

ورسمه الطريق الصحيح والمضمون لنمو العلم وتطوره إلى أقصى الغايات وبلا حدود (أطلبوا العلم ولو في الصين)؛ لم يلبث المسلمون إلا قليلاً حتى أخذوا يسيرون ويسوحون ويجولون ويصولون في آفاق العلم الواسع، والذي لم يكن للبشرية عهد به، وأصبحت لهم الكلمة العليا والقول الفصل في جميع مجالات الحياة التي خاضوها على بينة وعلى بصيرة، وبإيمان راسخ، وبمثوبة من الله عز وجل.

استمد المسلمون من سماحة الإسلام وسعة معارفه واتساع أفقه؛ إيماناً صحيحاً، وعقيدة قوية، وأمانة على تراث الإنسانية جمعاء، منذ فجر التاريخ حتى تم للمؤمنين إكمال الدين وإتمام النعمة، وأخذوا على عاتقهم - باسم الإسلام والقرآن - إحياء ما اندثر من بقايا العلوم والفنون التي كان الفكر الإنساني القديم قد وصل إليها، رغم قلتها. دونما اعتداء على تراث الآخرين، وإنما بالحرص على تنميته وصقله

* محاضرة ألقيت في كلية الدعوة الإسلامية / طرابلس، شهر الفاتح 1373 و.ر (2005 مسيحي)

** كاتب وباحث / الإمارات العربية المتحدة

حتى لا يختلط الحق فيه بالباطل، والصواب بالخطأ. فصححوا ما فيه من أغلاط و أخطاء، ووسعوا نطاقها، بعد تحريرها من شوائب الأوهام والخرافات، واستحدثوا منهجاً علمياً جديداً مستمداً من روح القرآن الكريم الذي تعتمد معارفه الحسية على المشاهدة والتجربة، ولا تقبل سوى الحجة والبرهان. وكانت المرحلة التالية أكثر أهمية عندما ابتكر المسلمون علوماً عديدة فتحت أمام البشرية آفاقا جديدة، وأصبحت تلك العلوم التي ابتكروها عماد الحضارة، ومرتكزات العلوم الإنسانية منذ ظهورها على أيديهم حتى اليوم. وهكذا رفع المؤمنون الصادقون المسلمون راية العلم خفاقة في المشرق والمغرب، وحققوا رسالة القرآن في العالم على اتساعه. ومن أراد أن يستوثق من هذه المعاني بكلام غير المسلمين؛ فلينظر ـ مثلاً ـ إلى كتاب غوستاف لوبون (حضارة العرب) ويعني بها حضارة الإسلام والمسلمين، وكذلك أعمال المؤرخ الانجليزي الشهير أرنولد توينبي.

إن كتاب الله الكريم يتوافر على أسئلة قرآنية فريدة، ومسالك للكشف عن الحق والحقيقة عديدة، سلكها وتوسل بها ولا يزال إلى أداء رسالته وتبليغها في هذا المجال، مجال الكونيات والعلميات.

فمن الواجب ـ إذاً ـ لفت الأنظار إليها، وتسليط الأضواء عليها، وهذا ما تقوم به كلية الدعوة الإسلامية في الجماهيرية الليبية ـ ولله الحمد ـ فيما شاهدته من الثراء العلمي المكتبي الذي يعتبر من نجاحاتها التي تتفوق به على غيرها من الكثير من الكليات والجامعات، ولله الحمد على كل حال.

ولا يزال الكشف عن أداء رسالة الإسلام وتبليغها في هذا المجال ـ مجال الكونيات والعلميات متواصلاً.

فمن الواجب إذاً لفت الأنظار إليها، وتسليط الأضواء عليها، عسى أن تتحرك الهمم وتنهض العزائم من جديد، لاستئناف الدور المنوط بالإسلام والمسلمين، والقيام به أحسن قيام، في ساحة الحضارة الحديثة، والعلم المتطور الحديث، فيعود العلم، في ظل القرآن وبتوجيه منه، إسلامياً عالمياً، ويساهم فيه المسلمون مساهمة فعالة، كما كانوا..

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾

[سورة التحريم: الآية 8]

إن القرآن الكريم هو أول كتاب إلهي دعا الإنسان دعوة ملحة ومتواصلة ومستديمة إلى مائدة العلم، وأغراه بالجلوس على بساطها، ودعا إلى استعمال الوسائل النافعة، والأساليب الصحيحة الملائمة لطبيعة الإنسان وتكوينه المادي والروحي، وإثارته بما هو مجبول عليه من حب العلم، والتمكن من المعرفة، وكراهية الجهل، وتنمية ما في أعماقه من حب لذاته، وحرص على استمرار نوعه سليماً معافى، مبرءاً من كل شيء، وسعى إلى التوسل بجميع الممكنات لقضاء مآربه، وتحقيق مصالحه، وتعريفه بأن الأشياء التي يطالبه القرآن الكريم بالنظر فيها، وتتبع أطوارها؛ إنما هي مخلوقة من أجله، من أجل الإنسان. فقد سخر الله البر والبحر والأرض اليابسة والماء والهواء كلٌّ مُسخَّر لمنفعته، وأن الغاية المباشرة منها هي توفير كل ما يحتاج إليه من ضروريات وحاجيات، بل وربما من كماليات.

استمد المسلمون من سماحة الإسلام وسعة معارفه واتساع أفقه؛ إيمانا صحيحاً، وعقيدة قوية، وأمانة على تراث الإنسانية جمعاء، منذ فجر التاريخ حتى تم للمؤمنين إكمال الدين وإتمام النعمة.

ولم ينتظر كتاب الله الحكيم أن تمر العصور تلو العصور على الإنسان حتى تتحرك فيه غريزة حب

الاستطلاع، بل إن القرآن الكريم قد هيأها وحركها في الإنسان منذ اليوم الأول، منذ نزول القرآن، متعبداً بتلاوته، وخصص بما عالجه من كونيات وعلميات أكثر من ربع آيات القرآن الكريم.

طبعا في هذه المحاضرة الموجزة لا نستطيع أن نأتي على كل الاستشهادات، ولكننا سنبدي إلماحات من هذا الكتاب. يقول الله تبارك وتعالى:

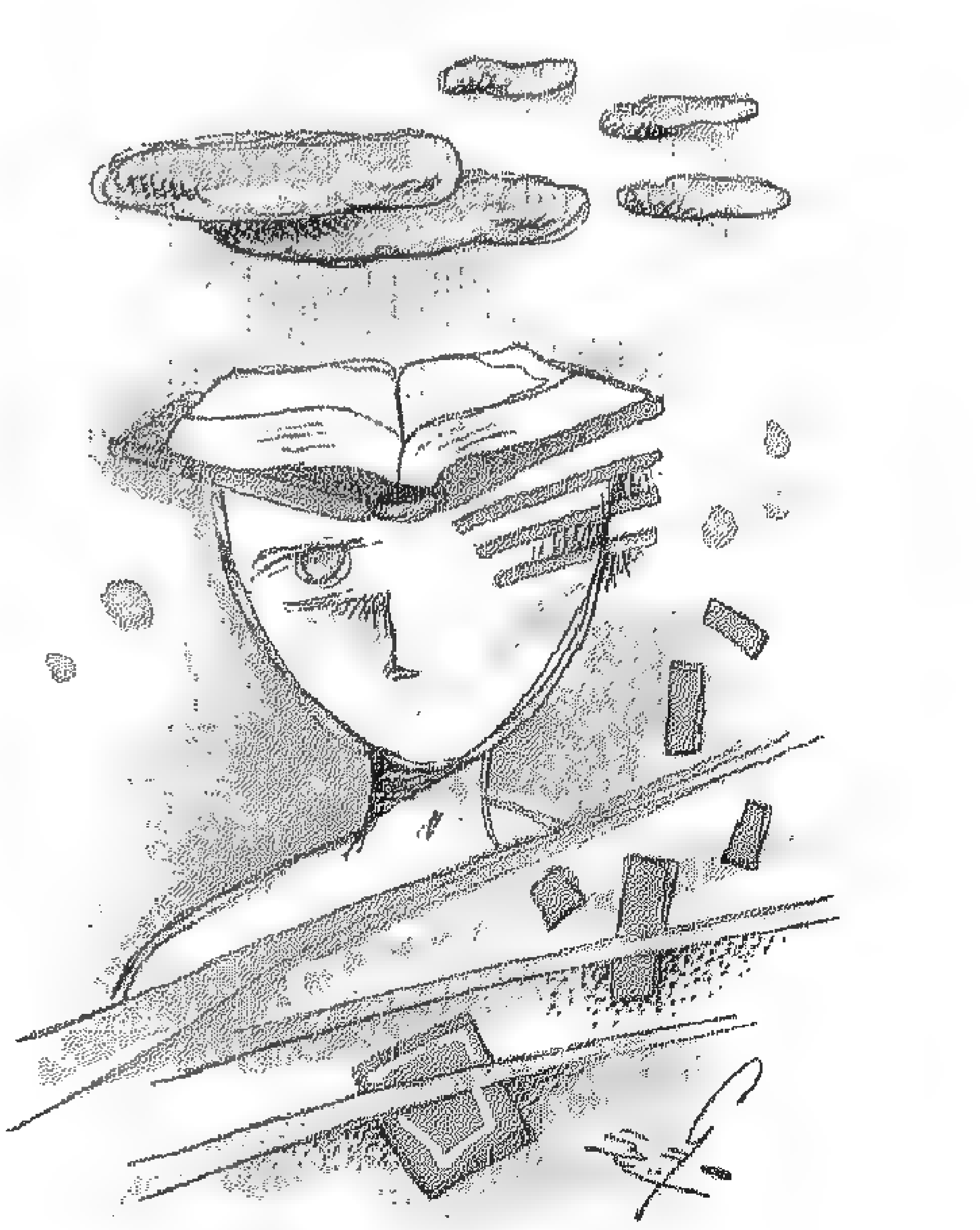
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة لقمان: الآية 29]

ويقول عز وجل في سورة الفرقان أيضاً:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [سورة الفرقان: الآية 45]

وفي قوله عز سلطانه في سورة النور:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [سورة النور: الآية 43]



وقوله عزّ وجلّ في سورة الحج:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾

[سورة الحج: الآية 63]

ويقول جل شأنه في سورة الزمر:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الزمر: الآية 9]

وفي قوله سبحانه في سورة الأنفال:

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنفال: الآية 22]

وهذا أعمق كلام بقوله - تبارك وتعالى - في التنفير من الجهل، والهروب من ساحة عدم العلم. في قوله عز وجل في سورة المجادلة:

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة المجادلة: الآية 11]

وقوله تبارك وتعالى في سورة يوسف:

﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف: الآية 76]

وقوله عز وجل في سورة العنكبوت:

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت: الآية 43]

أي: لا يستفيد منها إلا أهل العلم وأهل البصيرة وأهل الدربة وأهل العقل. وقوله عز وجل في سورة طه:

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [سورة طه: الآية 114]

وقوله سبحانه:

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾

[سورة عبس: الآيات 24_32]

وفي قوله عز وجل في سورة يس:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾

[سورة يس: الآيات 71_73]

وقوله عز وجل في سورة فاطر:

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[سورة فاطر: الآية 12]

إن كتاب الله جرت سنته في نظم آياته البينات على أن يُبرزَ بشكل قويٍ مشاهدَ الكون وظواهر الطبيعة، ويجذب نحوها البصائر والأبصار، بل ويضعها - غير ما مرة - في مكان الصدارة، ويخصها بالأولوية والأسبقية في أكثر من آية من آيات الكتاب الحكيم، وذلك كلما أراد توكيد معنى خلقي، أو تقرير مبدأ عقدي من أصول الدين والعقيدة، وكثيراً ما نجد في القرآن الكريم حديثه عن نفس المشاهد والظواهر في عدة آيات، بل عدة سور من القرآن.. مع أن المؤمنين الصادقين الذين أنزل عليهم القرآن لايكذبون بآياته، ولا يشكون في تعليماته وتوجيهاته، وقد كان في الإمكان أن يعرض عليه حقائقه ودقائقه رأساً، إنما لا بد من هذه الإشارات إلى تلك الظواهر الكونية لتكون هناك بينة العالم وبينة المسلم على غير العالم وغير المسلم.

كان بإمكان القرآن أن يعرض عليهم حقائقه ودقائقه رأساً دون تمهيد، ودون مقدمات، ودونما حاجة إلى تدعيمها بالمشاهد الكونية والظواهر الطبيعية، وكما قلنا فإنها تتوزع في ربع المصحف الشريف، وقد ذكرنا طرفاً يسيراً منها.

ما دام كتاب الله منزها عن اللغو والحشو والتكرار؛ إذاً فهو منزّهٌ عن كل نقص، وما من كلمة من كلماته أو حرف من حروفه إلا وراءه سر دفين، وحكمة بالغة.. ولهذا يصبح لزاما على الذهن الفاحص أن يتلمس الحكمة في ذلك، مستنداً إلى ما يقتضيه المقام ويدل عليه السياق، وهو أن الله - جلت حكمته - أراد أن يجعل الكون - الذي هو من صنعه جل جلاله - حاضراً دائماً أمام المؤمنين وغيرهم من الناس العقلاء، في ثنايا القرآن الكريم، وما يتلوه عليهم من كلامه العزيز، وكلامه البليغ الوجيز؛ حتى يرتبط الإنسان بالكون - الذي هو جزء منه - ارتباطاً محكماً وثيقاً، وحتى يمتد بينه وبين العالم من حوله جسرٌ متينٌ من الألفة والحب والاندماج، يؤدي بالعالم كله إلى ساحة التعارف والتآلف والسماحة والتقارب والتجاوب والتعايش الآمن، والأخذ والعطاء لخيري الدنيا والدين.

نحن نقول هذا الكلام وليس علينا ألا يفهم من لا يريد أن يفهم .

بعد هذا نقول : إن الإسلام - بوصفه دين السماحة واليسر - يكتفي من عوام الناس بما تشاهده العين المجردة، ثم يحثهم في رفق ولطف - لمن كانت له القدرة والموهبة - على أن يدققوا النظر النافذ، ويُعملوا فكرهم، ويستخدموا كافة مواهبهم وملكاتهم لاستجلاء آيات الله البيّنات في كتاب الكون العظيم، وبذلك وحده يستطيع الإنسان، أي إنسان، أن يثق من أعماق قلبه، وينادي وقد تملّى من النظر في عجائب الكون، والإعجاب به ؛ قائلاً - تمجيداً لله وتقديساً له جلّ جلاله:

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾

[سورة آل عمران: الآية 191]

تُبرز آيات القرآن بشكلٍ قويٍ مشاهدَ الكون وظواهر الطبيعة، ويجذب نحوها البصائر والأبصار، بل ويضعها في مكان الصدارة، ويخصها بالأولوية والأسبقية في كثير من آياته، وذلك كلما أراد توكيد معنى خلقي، أو تقرير مبدأ عقدي من أصول الدين والعقيدة.

إن الله ـ تبارك وتعالى ـ من نعمته علينا (نعمه جليلة وعظيمة، ولا تحصى ولا تستقصى) أنه لم يتركنا هكذا من غير بصيرة ولا إرشاد، ولكنه تكفل ـ جل جلاله ـ وأنزل لنا القرآن الكريم، على قلب النبي الأمين، وعلّمنا ما لم نكن نعلم، وفضّلنا به على سائر من سبقنا من الأمم، فقال عز من قائل:

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف: الآية 52]

(في من يطعن في القرآن وفي من يعتدي على المسلمين. وبعد ذلك فهم كذبة ومنافقون وشريرون ومارقون). ولا يحمل هذا معنى التمييز عن الآخر، حينما فضل الله تبارك وتعالى أمة محمد ﷺ على سائر الأمم؛ فإن هذا لا يحمل معنى التمييز عن الآخر، لا.. وإنما حثّ الآخر على العمل الموصول بمنجزات يمكن تحقيقها من كل الأطراف.

الإسلام ساحة مفتوحة للجميع، ومن سائر البشر، إذا ما اهتدوا بهدي الرسالة الخاتمة المكملة لمكارم الأخلاق. (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). وقد أرشدنا الله سبحانه وتعالى إلى الكيفية الصحيحة التي يتم بها النظر، ضارباً لنا الأمثال ومقدماً لنا النماذج تلو النماذج ضمن آياته البينات، ومن شواهد ذلك ـ عطفاً على ما سبق بيانه ـ قوله سبحانه وتعالى:

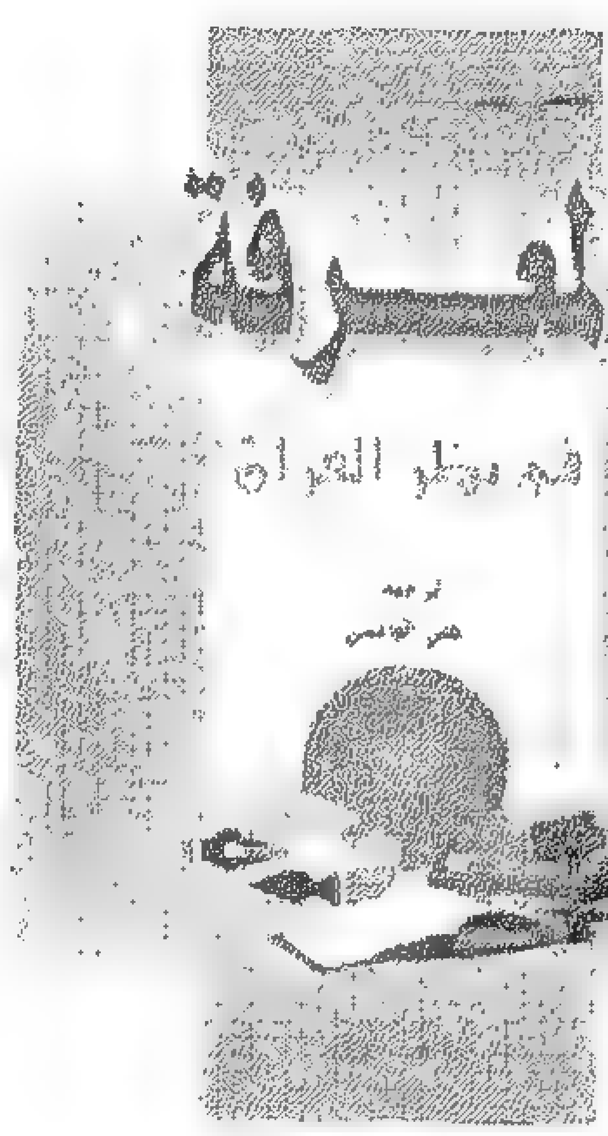
﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة النحل: الآية 78]

والأفئدة هنا جمع فؤاد، وهو في لغة القرآن الكريم (العقل) الذي يفقه به الإنسان حقائق الأمور، فلا يشتط ولا يشرد، بل عليه أن يشارك مجموع العقلاء من الناس ـ وإن كانوا على غير دينه ـ في الفهم والحكم على الأشياء، لأن الحق واحدٌ عند الله والناس، كما هو مدون في أصول الفقه.

إن الكتاب الكريم عندما دعا الإنسان إلى النظر في شؤون نفسه، وشؤون الكون المحيط به ؛ لم يكلفه بما لا يطيق

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة: الآية 286]

بل دعاه إلى استعمال أيسر الوسائل عنده، وألصقها به، وهي الحواس، وندّد بمن لا ينتبه إلى ما حوله، حتى الصلاة لا بد فيها من النية، وكذلك الصيام والحج، وحتى مجيئنا إلى هذا الصرح العامر، أعني كلية الدعوة الإسلامية هنا، واللقاء بكم وبالعلماء الأجلاء، والإفادة والاستفادة؛ سبقته النية، وندعو الله أن يكون فيه الثواب الجزيل.



من جهود المحاضر في ميدان الترجمة

إذاً.. الإسلام والقرآن يريدان من الإنسان أن ينتبه إلى ما حوله، ومن لا يستعمل حواسه وعقله فقد خاطبه القرآن ببالغ التنديد، واعتبره في مستوى الأنعام أو أشد. وان معرفتنا بالله سبحانه وتعالى، وبصفاته وأفعاله؛ تكون على قدْر ومقدار معرفتنا بمخلوقاته (لا تتفكروا في الله وإنما تفكروا في مخلوقات الله) ولذلك يقول الرسول الكريم ﷺ: (تخلقوا بأخلاق الله...) ومن صفاته جل وعلا الرحمة والعطف، ومحبته للمؤمنين، ودعوته للناس جميعاً أن يكونوا أمة واحدة. وبهذا تتحقق المعرفة المطلوبة وفق الإرادة الإلهية من خلق الإنسان، كل إنسان، على وجه هذه الأرض، وتلك نتيجة لازمة لما فتحه القرآن الكريم من آفاق علمية غير مسبوقة، يتعذّر على مثلي، وعلى وقتكم، أن نذكرها جميعها، ولكن لعلنا طوفنا في رحابها في هذه العجالة. والله أسأل أن يجعلني وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



جوري

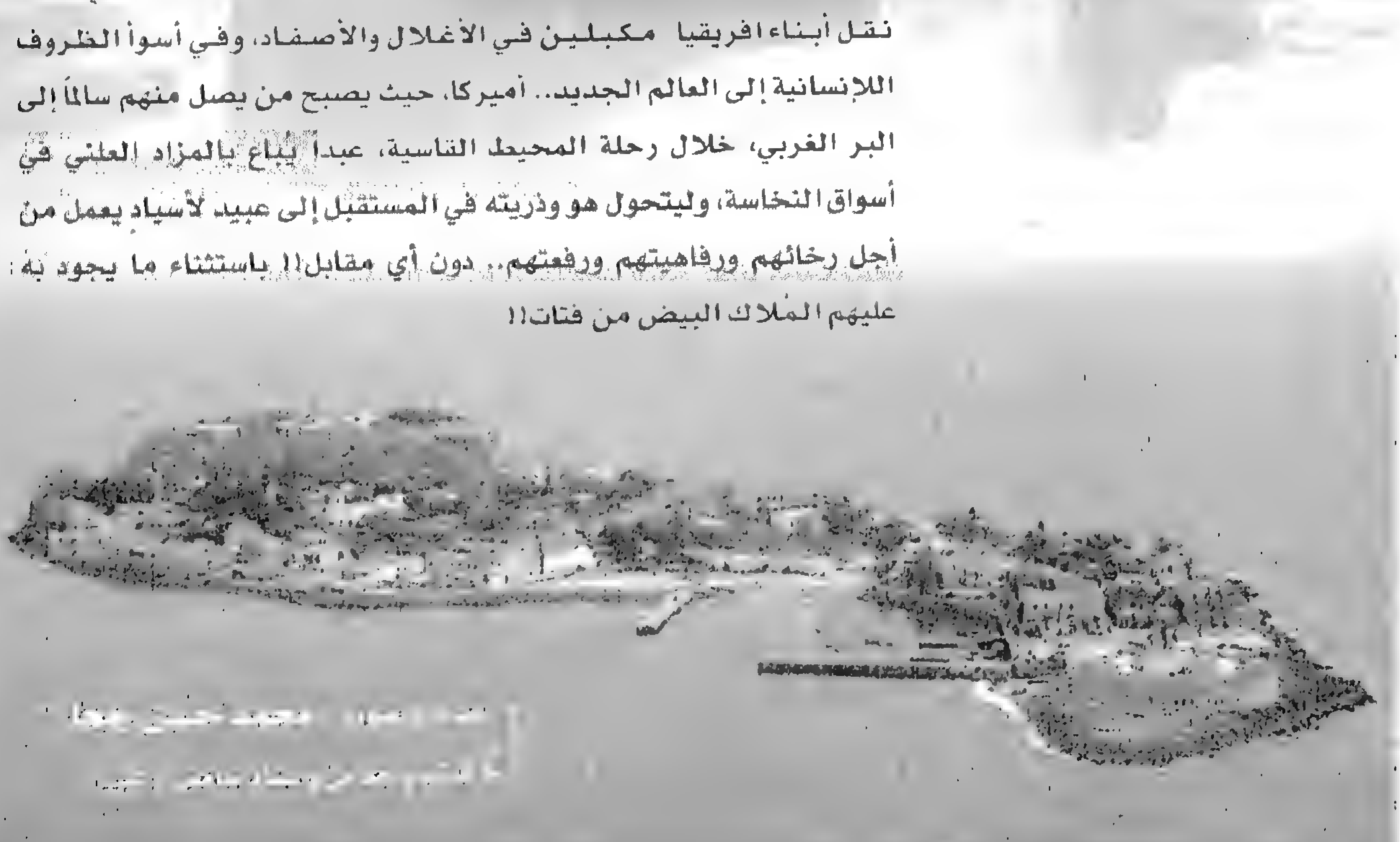
جزيرة الألم.. وبوابة اللاعودة

جوري

جزيرة الألم.. وبوابة اللاعودة

هل سمعتم عن جزيرة اسمها (جوري)؟؟

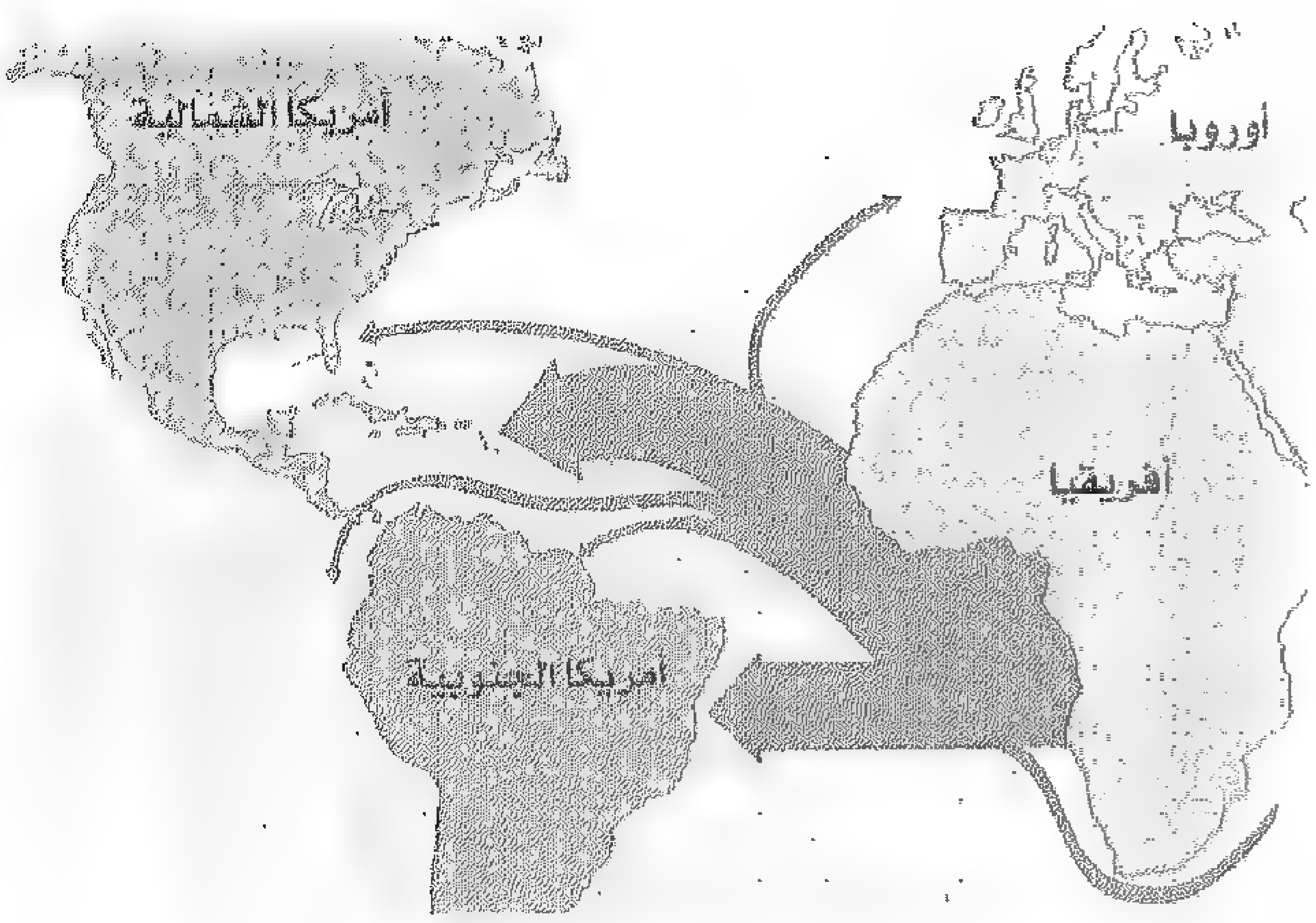
جزيرة أطلسيّة افريقية. هي أشبه بنتوء صخري. تقع قبالة العاصمة السنغاليّة داكار. في هذه الجزيرة تتضح أمامك معالم التذكُّر المرير، لذلك الماضي القريب البعيد في آن معا. المليء بنصول ذلك الذل والاسترقاق المهين الذي تعرض له الانسان الافريقي، والمليء كذلك بتفاصيل مأسي القهر والعبوديّة القذرة. حينما كانت تلك الجزيرة. تمثّل المحطّة الأخيرة، لتجميع الالاف بل الملايين من أبناء القارة السمراء.. افريقيا، من مختلف شعوبها وقبائلها؛ ومن ثم ترحيلهم عبر سفن - لم تكن تصلح حتى لنقل الحيوانات - إلى بلاد الغرب. وخاصة إلى ما اصطلح على تسميته بالعالم الجديد. جزيرة جوري كانت المحطة الأخيرة، أو بوابة اللاعودة، التي تسبق نقل أبناء افريقيا مكبلين في الأغلال والأصفاد، وفي أسوأ الظروف اللاإنسانية إلى العالم الجديد.. أميركا. حيث يصبح من يصل منهم سالماً إلى البر الغربي، خلال رحلة المحيط القاسية، عبداً يُباع بالمزاد العلني في أسواق النخاسة، وليتحول هو وذريته في المستقبل إلى عبيد لأسياد يعمل من أجل رخائهم ورفاهيتهم ورفعتهم.. دون أي مقابل!! باستثناء ما يجود به عليهم المُلاك البيض من فتات!!



العبودية مأساة لا مثيل لها استمرت قرونا من العصور الوسطى ولم تنته بعد. وفي (جوري) أيضاً - كما يقول أحد الكتّاب : ثمّة جَوْرٌ يستغرق التاريخ كلّه، أوّل مكنوناته (ألف) الاسترقاق، وآخره (عين) العبوديّة، ولا بأس من المزيد من التقصّي.

ذات صباح صيفي متوسط الحرارة، قليل الرطوبة؛ انطلقت بصحبة مرافقي الأستاذ (الشريف سي) أحد موظفي مكتب جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في داكار؛ على متن عبّارة صوب جزيرة (جوري) التي لا تبعد سوى ثلاثة كيلومترات (حوالى ميلين) عن داكار، وبعد ما يقرب من ربع الساعة دارت بنا العبارة يميناً حول (علامة طافية) تحدد نصف المسافة، كما تحدد أيضاً موقع سفينة غارقة تؤرخ لآخر طلقات المدافع (الأوروبية) في هذا المكان، ومن العجيب أنها كانت بين فرقاء فرنسيين أرادوا تصفية حساباتهم هنا.. أمام سواحل افريقيا!! فهم لم يكتفوا بوضع أياديهم على أرض الغير في قارات بعيدة، بل أمعنوا في تصفية الحسابات (البيضاء / البيضاء) فيما بينهم على أرض الآخرين!!

ونحن على متن العبّارة بدت لنا جوري جزيرة هادئة وادعة، تتمازج ألوان مبانيها البسيطة ما بين الأبيض والقرميدي (الطوبي الأحمر) في تناغم مع زرقة مياه المحيط وزرقة صفحة السماء، لوحة زاهية الألوان تتماهى مع زرقة البحر التي تتحول إلى اللون الفيروزي عندما تتعانق مع صخور (البازلت السود) التي تكون قاعدة الجزيرة الصخرية. نقترب من جوري، ننظر يميناً فيبدو أمامنا مبنى دائري في أقصى جنوب الجزيرة، كان سجناً خلال فترة الاستعمار الفرنسي، وتحول الآن إلى مبنى (متحف التاريخ الوطني) للسنغال. قال مرافقي : سيكون ذلك المبنى المحطة الأخيرة في زيارتنا هذه. أنظر يساراً - يواصل - ذلك المبنى القديم هو (بيت التجار) وقد بني في القرن الماضي. وكما ترى فالدور الأرضي منه تحول إلى مقاهٍ ومطاعم صغيرة، ومحلات لبيع



الملايين .. إلى أسواق النخاسة

المصنوعات اليدوية التقليدية، ولوحات للفنانين التلقائيين الذين هم - كما سنرى - كثيرون في جزيرة جوري.

توقفت العبّارة في ذلك المرفأ الصغير الهادئ الذي يشبه القوس، فانطلقت ومرافقي، مندفعين مع ذلك الفوج المتعدد الأجناس والأعراق والألوان، الذي لفظته العبارة، وأكثرهم من الإيطاليين والفرنسيين، ولجنا في زقاق ضيق. كانت وجهتنا نحو أول محطة في تجوالنا في هذه الجزيرة، زيارة أشهر رموز العبودية في العالم والمعروف باسم (دار العبيد). وفي الطريق إلى دار العبيد يستوقفك (تمثال التحرر من العبودية) الذي أنجزه النحاتان (جان وكريستيان مويزا) كما تفيد بذلك اللوحة المثبتة بأسفله، نصب تذكاري تحفظه القارة السمراء عن ظهر قلب، يرمز إلى التحرر من العبودية من خلال فتاة (افريقيا) ترفع يديها لتحتضن فتاها وقد كسر قيد العبودية. لكن السؤال : هل انتهت العبودية فعلاً؟ الكثيرون يجيبون عن هذا السؤال بالنفي، رغم أن العالم احتفل قبل سنوات بما سمي (ذكرى زوال العبودية) ورغم أن المنظمات الإنسانية - بشكل خاص - تعاطفت وتتعاطف مع أولئك الذين وقع عليهم ذلك الظلم الصارخ والفادح، الظلم الذي يناقض المقولة التي نجدها في كل الثقافات والحضارات البشرية وإن بصيغ وتعابير مختلفة (الناس متساوون وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) وفي بعض الثقافات نجد الفكرة التي تقول

(يقف الناس سواسية أمام الخالق - أو أمام العدالة). كما أن إعلان الأمم المتحدة الصادر قبل سنوات قليلة مضت يؤكد (أن ليل العبودية لم يختفِ بعد، وأن على القوى المناهضة أن تواصل العمل من أجل ذلك). وقد اقيمت في جميع أنحاء العالم احتفالات لإحياء ذكرى زوال تجارة الرقيق، ولإلقاء الضوء على هؤلاء الذين تخلصوا من مسمّى العبودية، وإن كانوا يعيشون في ظروف مشابهة لظروف العبيد. حينها بدأت الاحتفالات في باريس، وافتتح متحف لتاريخ الرق في ولاية أوهايو الأميركية، وأقيم احتفال في جزيرة جوري التي كانت مركزاً من مراكز جمع الرقيق تمهيداً لبيعهم. وقد حددت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونيسكو) يوم الثالث والعشرين من شهر هانيبال (أغسطس) من كل عام يوماً عالمياً لتذكر تجارة الرقيق وممارساتها. واختير هذا اليوم ليوافق ذكرى ثورة (سان دومينغو) في (هاييتي) عام 1791 مسيحي، التي كانت أول نصر حاسم - للذين استعبدوا - على سادتهم في تاريخ البشرية. كما أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 2004 مسيحي عاماً لإحياء ذكرى الصراع ضد الرق والعبودية وممارساتها. ووصف (كاتشيرو ماتسورا) مدير عام منظمة اليونيسكو، العبودية بأنها «مأساة لا مثيل لها، استمرت لسنوات، ولم تنته بعد». مضيفاً: «على الرغم من أن تجارة الرقيق ألغيت وتم تجريمها في القوانين الدولية، لكنها ما زالت تمارس بأشكال جديدة تؤثر على ملايين الرجال والنساء والأطفال حول العالم».

العبودية لم تنته إذاً!! خاصة أن هناك عناوين أخرى أكثر ظلاماً (الجوّر، والرق، والتمييز العنصري، والاستعباد...) وما يشبهها من عناوين وممارسات، سادت وما زالت تلقي بظلالها الكثيفة على حياة الناس في كثير من بقاع العالم، وصارت تتجدد وفق صيغ وأساليب وأشكال شتى، تعبث بمصير الإنسان خاصة في المجتمعات المحكومة بتلك القوانين القسرية التي يناضل الإنسان الحر لتغييرها.



قفزت هذه الخواطر إلى ذهني وأنا أقف متأملاً ذلك التمثال/الرمز، وقد ثُبِّتت أسفله قطعة من الرخام الأحمر نقشت عليها كلمات للأديب والشاعر الكندي (جان لويس روا) تقول (من يقول لك إن جوري جزيرة.. فقد كذب عليك.. هذه الجزيرة ليست جزيرة.. إنها قارة روحية!!).

دار العبيد

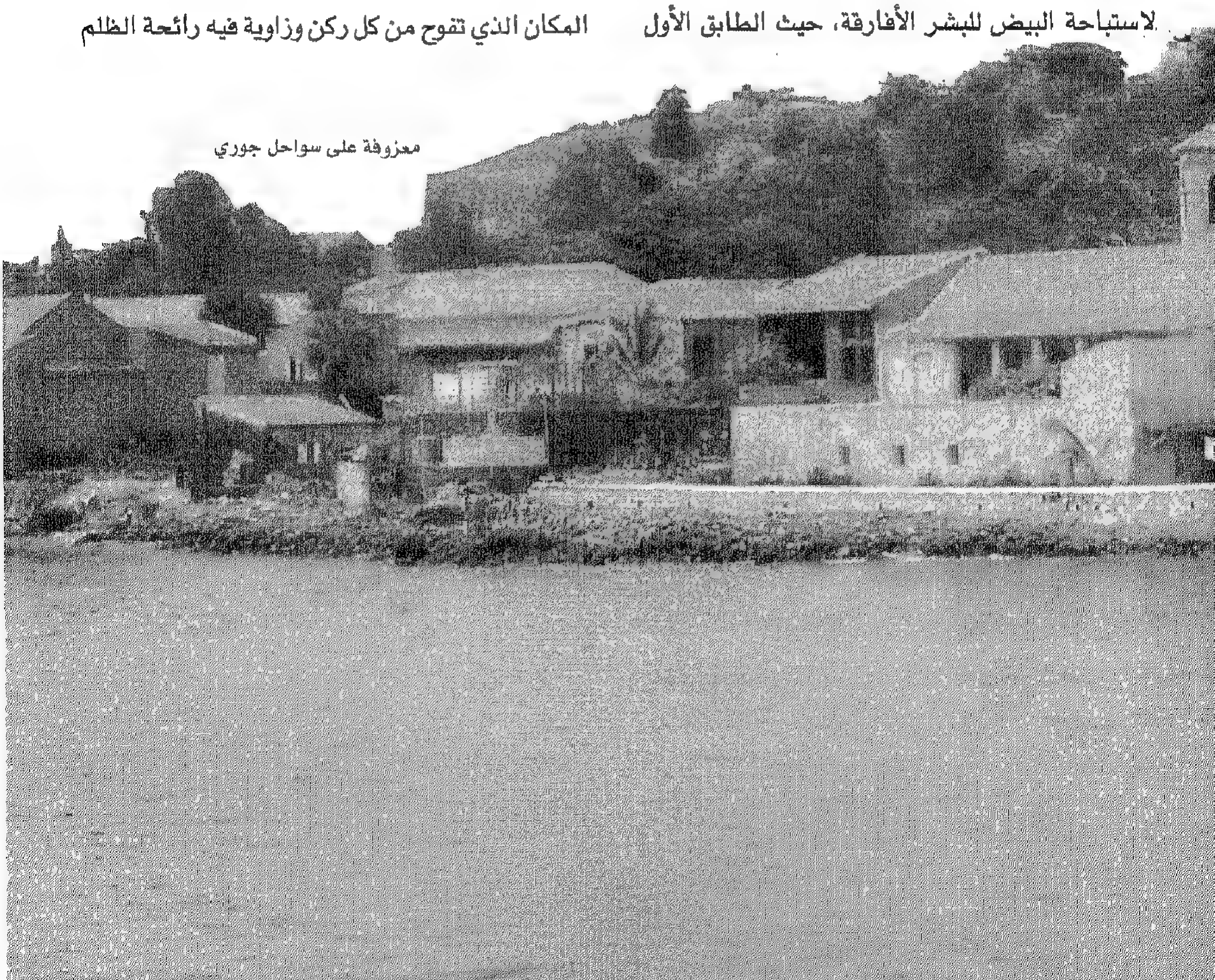
مع ازدهار تجارة العبيد عبر الأطلسي، ومع اتخاذ جوري مركزاً للتجميع كثرت دور ومخازن العبيد التي أقامها تجار النخاسة في الجزيرة، إلا أن أبرز النماذج الباقية ذلك المبنى ذا الطلاء الأحمر (دار العبيد)، مبنى مكون من طابقين، يقول مرافقي إنه بني في القرن الثامن عشر، أي خلال الفترة الذهبية لتلك التجارة، حوالى العام 1780 مسيحي، وقد بناه شقيق (آني بيبن) زوجة الحاكم الفرنسي (شيفالييه دو بافالو)، وهو من أكبر دور العبيد، ويعدّ مثالاً صارخاً لاستباحة البيض للبشر الأفارقة، حيث الطابق الأول



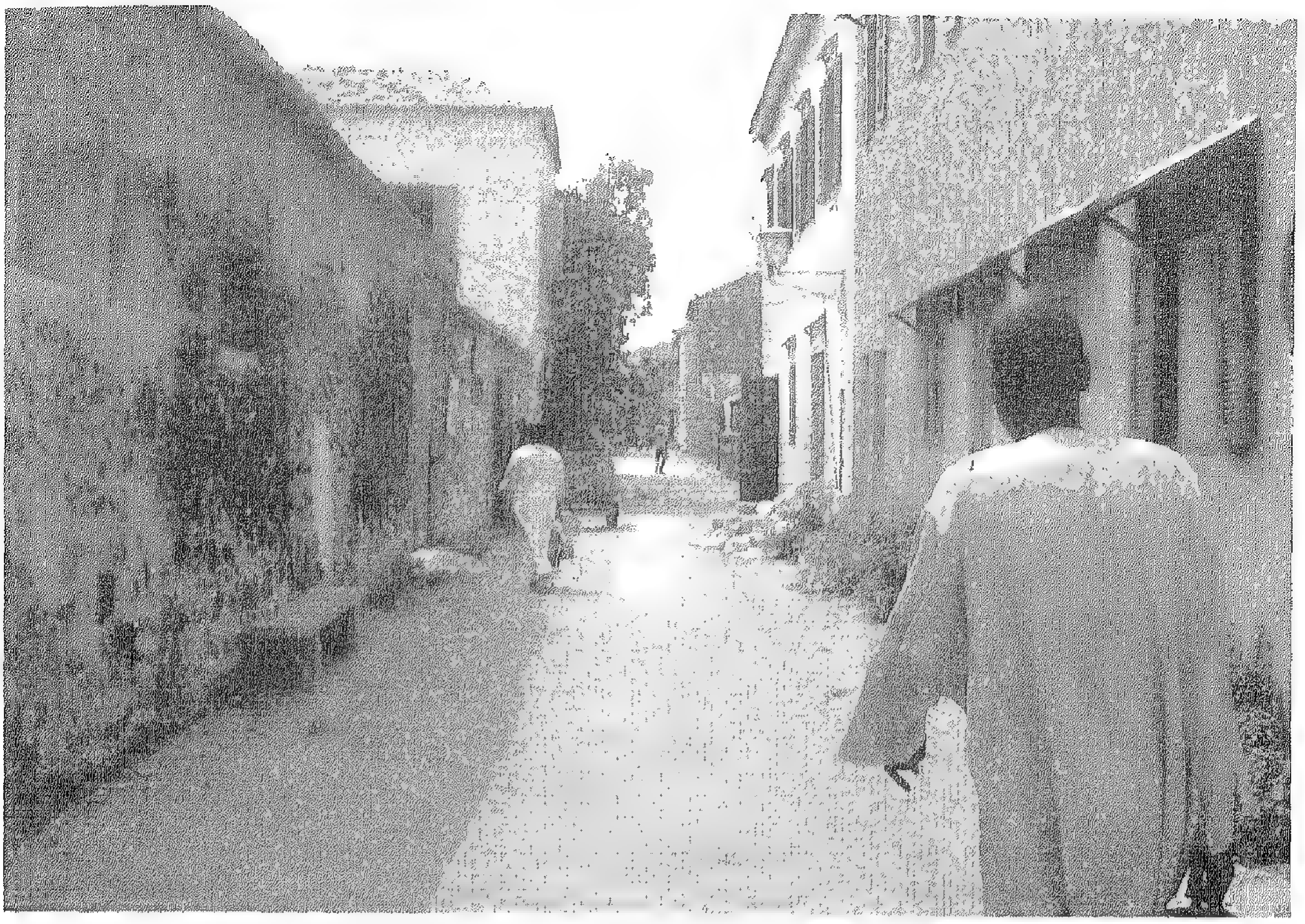
جزيرة جوري كما تبدو من على ظهر العبارة

المظلم والمعتم مخصص للعبيد، أما الطابق الثاني النظيف والمضيء؛ فهو مخصص لإقامة ومفاوضات التجار البيض!!

تركت فوج السياح وهم ينتشرون في باحة الدار وعلى قوسي السلم الصاعدين إلى الطابق الثاني، (وهما على شكل هلالين متقابلين)، وأخذت أتأمل المكان الذي تفوح من كل ركن وزاوية فيه رائحة الظلم



معزوفة على سواحل جوري



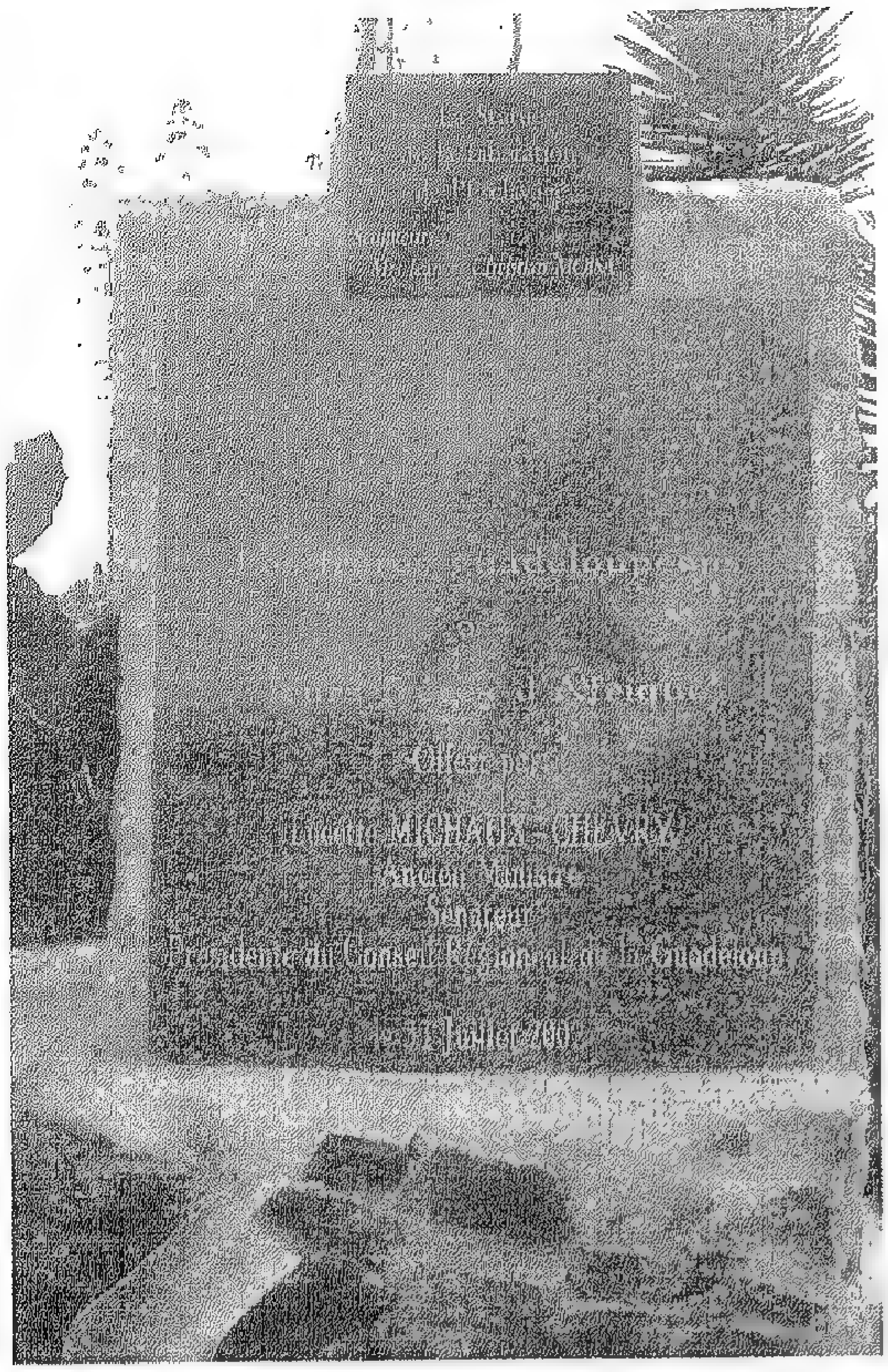
في الطريق إلى دار العبيد

والعذاب والأنين، وتنضح حجارته بمرارة القرون. قادتني خطاي إلى تلك الزنزانات / الحظائر البشرية، فتبعني مرافقي بصحبة أحد المسؤولين عن الدار، الذي يبدو أنه على معرفة به، حيّاني بأدب جم وأبدى استعداده لأن يمدني بما لديه من معلومات عن هذا المَعْلَم التاريخي، بعد أن علم أنني بصدد إعداد استطلاع صحافي عن جوري. هنا، في هذه الحجرة - على يسار الداخل إلى دار العبيد - يقوم التجار بتسجيل البيانات اللازمة عن غنائمهم من حيث : الجنس، العمر، الجسم... إلخ. ومنها انطلقنا إلى حجرة أخرى، هي أشبه بالزنزانة، إنها حجرة تخزين الرجال، وهي كما ترى - يقول - لا تتجاوز مساحتها 2،50 في 2،50 سنتم (متران ونصف في مترين ونصف). ولك أن تتصور - أيها القارئ - كيف يُحشر فيها من 15 إلى 20 عبداً، كانوا ينامون القرفصاء على الأرض والسلاسل في أعناقهم تشد أحدهم إلى الآخر، ولم تكن أعناقهم وحدها هي المربوطة بالسلاسل، بل هناك أيضا كرات حديد تزن كل واحدة منها 10 كيلوغرامات، تربط في الأرجل ويجرجرها العبد أينما تحرك (وهناك نماذج من هذه الكرات الحديد في الطابق الثاني، ويرجع تاريخها إلى القرن الثامن عشر المسيحي، كما توجد نماذج أخرى منها في متحف بوردو بفرنسا). يقضي أولئك العبيد ما قُدِّر لهم من وقت في هذه الزنزانة، ولا تُقدّم لهم سوى وجبة واحدة بائسة في اليوم، وليس هناك أدنى رعاية صحية ولا أي اهتمام بالنظافة.

واصلنا تجوالنا في الطابق السفلي، متنقلين من حجرة إلى أخرى، عفواً من زنزانة إلى أخرى، والمرارة تملأ الحلق مما مارسه الإنسان ضد الإنسان، وكلما ولجنا حجرة ارتسمت أمامنا صور ذلك الظلم الفادح الصارخ الذي قاسى آلامه الإنسان الافريقي على أيدي البيض، على فترة من الزمن امتدت

لقرون.. حجرة الفتيات الصغيرات، حجرة النساء مع أطفالهن، حجرة الأطفال، حجرة الفتيان، وهناك حجرة علف العبيد!! حيث يُعلف الضعاف منهم - فقط - بما يساعد على بيعهم، ثم، وقبل باب اللاعودة، حجرتان متقابلتان للمشاغبين.... إلخ. في حجرة المشاغبين هذه - يقول الشريف سي - يعزل أولئك المقاومون الرافضون لذل الأسر والعبودية، فيتعرضون لكل صنوف الضرب والإذلال، بمنتهى القسوة والوحشية، حتى يستسلموا وهم صاغرون!!. أينما توجهت تلمس بكل حواسك آثار الجريمة البشعة التي ارتكبها البيض في حق السود. غرفة النساء - مثلاً - هي بالزنزانة أشبه، ومع هذا تُحشر فيها حوالي خمسين امرأة. والأطفال الصغار يُعزلون عن أمهاتهم في حجرة مجاورة يفصل بينهما حائط بسمك يزيد على نصف المتر، تتخلله كوّة صغيرة أو اثنتان تسمح بالنظر فقط بين الأمهات وأطفالهن، في مشهد ربما يعجز نجوم هوليوود عن تجسيده. وكل هذه الحجرات مظلمة بائسة، تلمس سقوفها السوداء رؤوسنا رغم انحنائنا.

وأنت في باحة دار العبيد تلمح أمامك - بين

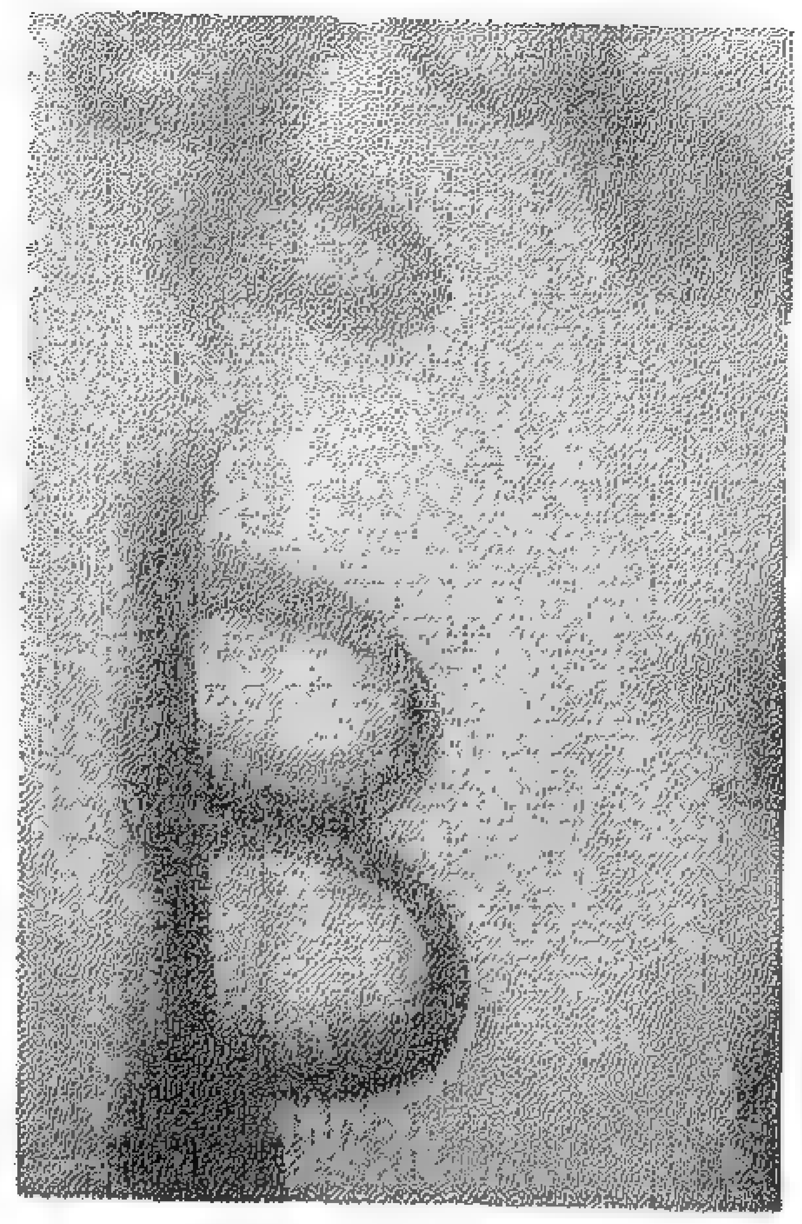


من إخوتكم في الغواديلوب إلى إخوتهم الأفارقة، أهداها السيد لوسيت ميشو شيري الوزير السابق والسيناتور ورئيس المجلس الإقليمي في غواديلوب، بتاريخ 31/7/2002 مسيحي.



تمثال التحرر
من العبودية

الدرجين المتقابلين ـ ممراً ضيقاً مظلماً يفضي إلى ضوء قريب، إنه (باب اللاعودة) الذي يعبر منه العبيد ليخرجوا إلى الشاطئ، حيث تكون السفن في انتظارهم لعبور الأطلسي وفراق أرض آبائهم وأجدادهم.. فراقاً أبدياً ليس بعده لقاء. عبرت خلال ذلك الممر المعتم، وخرجت من باب اللاعودة إلى الشاطئ، حيث الصخور السود، وحيث أمواج المحيط تغسل تلك الصخور.. وقفت مشدوهاً على تلك الصخور التي تضربها الأمواج، متأملاً.. يا الله.. لَكُم يختزن هذا المكان من صور وذكريات مليئة بعذاب ومعاناة الملايين من أبناء القارة السمراء الذين رحلوا عنها بلا عودة.. مكرهين.



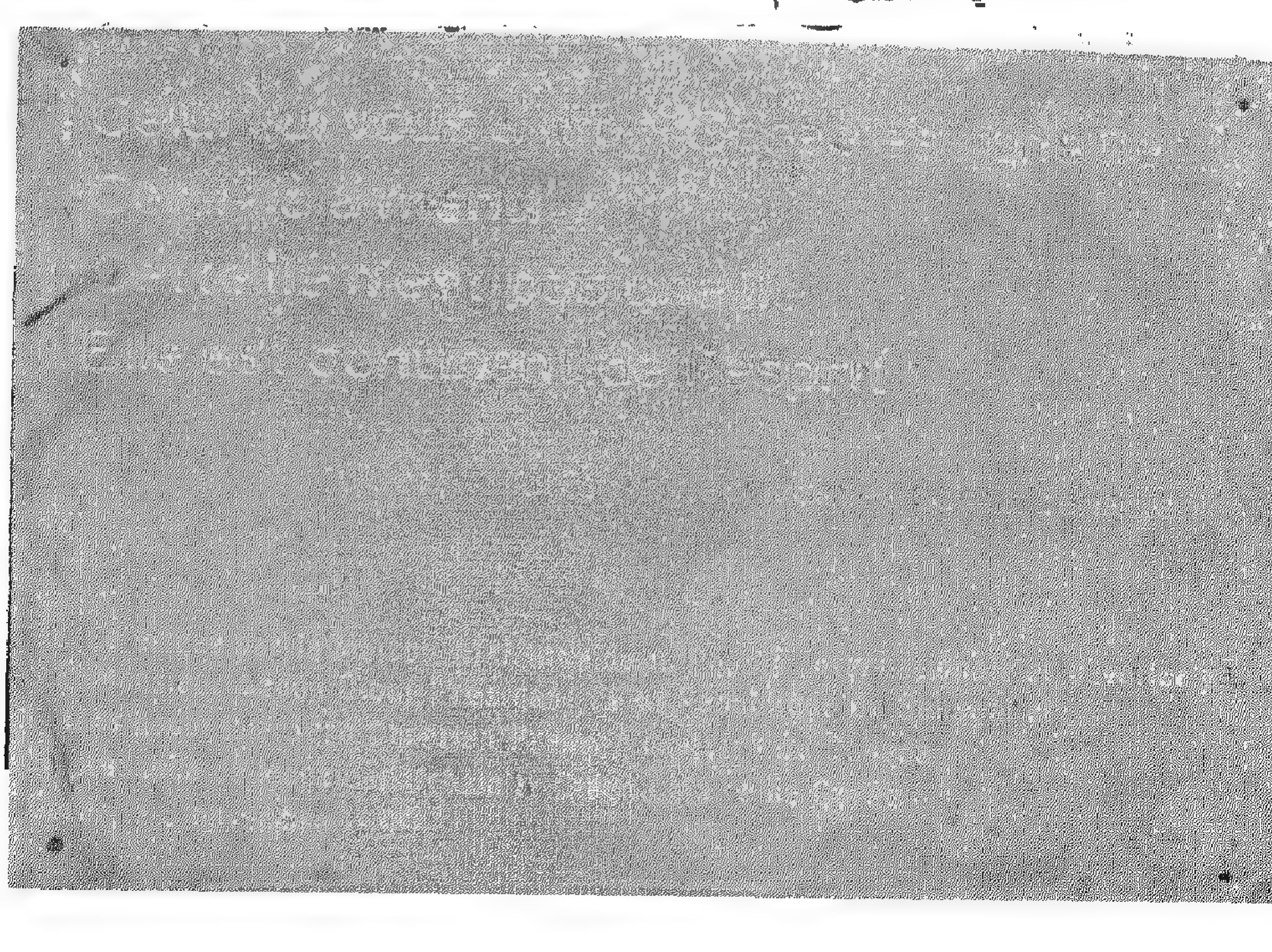
نماذج مما تبقى من وسائل سحق كرامة الإنسان!!

أما الطابق الثاني في دار العبيد فهو عبارة عن غرف أو صالات فسيحة ومرتبة، وأضحى اليوم شبه متحف دائم للصور والرسوم والخرائط والأدوات التي تتعلق بتجارة العبيد التي استمرت لأكثر من ثلاثة قرون، نُقل خلالها ـ كما تقول المصادر ـ ما بين 50 و60 مليون افريقي، التهمت مياه المحيط الأطلسي الكثيرين منهم.

دروب ومسارب

غادرنا (دار العبيد) واستدرنا شمالاً نتابع السير في ذلك الزقاق، وجوري، هذه الجزيرة الصغيرة، كلها أزقة ومسارات ودروب تتشابه إلى حد كبير، حتى انه ليخيل إليك أحياناً أنها أشبه بالمتاهة، وان المرء ليحار في اختيار أي المسالك أو المسارات يسلك، وأي الدروب يقوده إلى هدفه. كانت وجهتنا القادمة الصعود إلى قمة الجزيرة، وفي الطريق إلى هناك لا بأس من التوقف أمام بعض معالم الجزيرة. بعد عدة أمتار توقفنا أمام بيت على شكل سفينة، إنه بيت (فيكتوريا البيس) الذي كان في الماضي ـ مثله مثل سائر بيوت ودور (السنيورات) ـ بيتاً لتخزين العبيد، واليوم، وبعد أن ألغيت تجارة العبيد أصبح (متحف غرب افريقيا الفرنسي).

دور العبيد هذه، أو بيوت (السنيورات) لا يزال بعضها باقياً حتى الآن، ومنها بيت (كاتي لوتي) الذي أصبح الآن مستوصف الجزيرة. وتجدر الإشارة هنا إلى أن دور أو بيوت أو مخازن العبيد كثرت وازدهرت في جوري مع كثرة وازدهار تجارة العبيد عبر المحيط



من يقول لك
إن جوري جزيرة
فقد كذب عليك،
هذه الجزيرة ليست
جزيرة..
فهي قارة روحية

جان لويس روا
كاتب وشاعر كندي



قوسا السلم في باحة دار العبيد

الأطلسي، ولعل مما يثير العجب والدهشة أن هذه الدور وتلك المخازن كانت تحت سيطرة بضع (نساء) عُرفنَ بـ (السنيورات) التي تعني بالإيطالية (سيدات) وهن نساء ذوات دماء مختلطة افريقية / أوروبية، وكنّ يتمتعن بحماية ودعم أزواجهن أو عشاقهن (الأوروبيين) وذلك ما جعلهن يسيطرن على دور أو بيوت العبيد، حيث كنّ يجنين الكثير من تجارة النخاسة، كما كانت لهن حظوة ومكانة في (جوري) يوم كانت تموج بأكثر مما تحتمل من المغامرين الأوروبيين والتجار والبحارة والأسرى من العبيد.

واصلنا المسير، وأخذنا نصعد عبر طريق مرصوف بحجارة البازلت الأسود، على جانبيه تصطف أشجار عملاقة، قال مرافقي : إنها أشجار (الباوباب) جذوعها عملاقة، أشبه بأشجار (السرو) الضخمة، وهي قليلة الأوراق. تحت ظلال هذه الأشجار يقيم الفنانون (التلقائيون) من سكان الجزيرة ومن

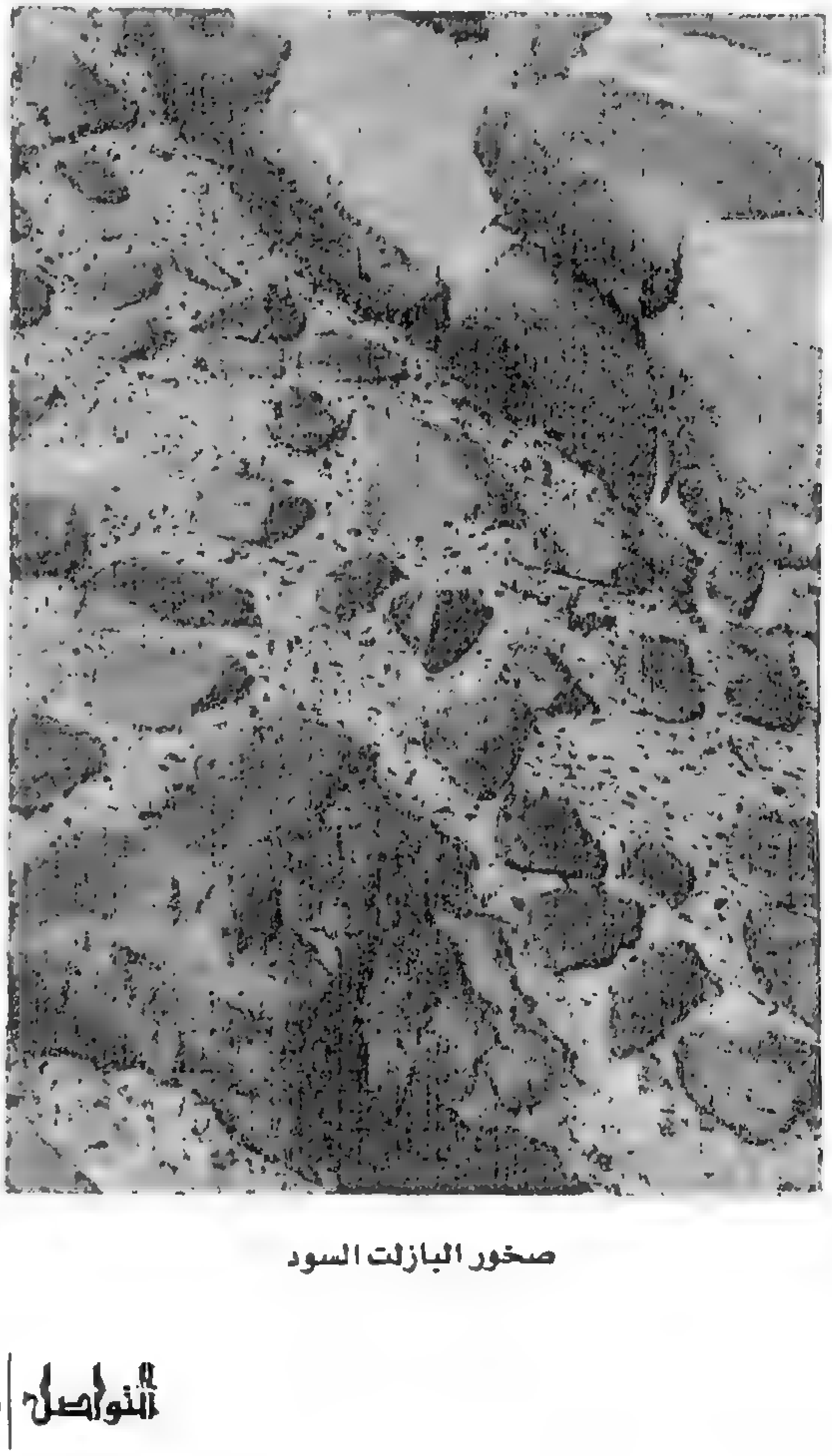


(الشعب السنغالي حافظ على بيت العبيد لكي يتذكر كل افريقي أن جزءاً منه مرّ عبر هذا المكان)

جو إندياي / أمين دار العبيد قضى عقوداً من عمره باحثاً ومنقباً في تاريخ تجارة العبيد، وحارساً على أقسى رموزها



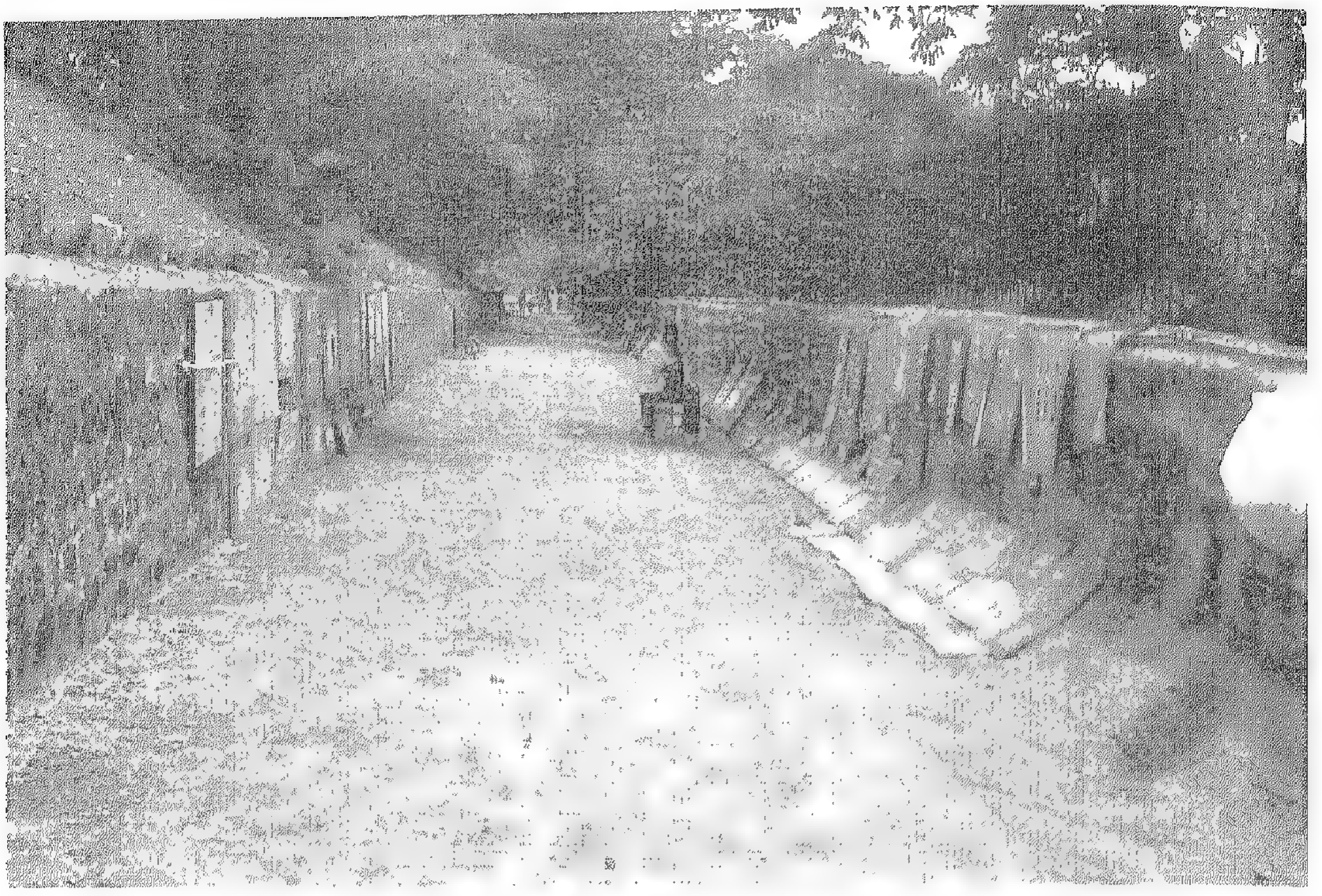
حجرة / زنزانة النساء (هنا تُحشر خمسون امرأة.. مع أطفالهن)



صخور البازلت السود

خارجها، معارضهم الدائمة على مدار العام، لوحات صارخة الألوان، بعضها أقرب إلى الرسم التشكيلي، والأخرى (تيمات) افريقية تحمل في ثنايا ألوانها وخطوطها الكثير من الأبعاد. وبينما نتأمل تلك اللوحات إذا بشاب أسمر يهرع ليسلم على الشيخ الشريف سي، يعانقه بحرارة، ثم قدّمني إليه فتعارفنا. (علمت في ما بعد أن الشيخ الشريف سي يقدم برنامجاً دينياً في الإذاعة المرئية السنغالية، وهذا الشاب أحد المتابعين للبرنامج، فأراد أن يغتنم فرصة اللقاء به صدفة ليحييه ويعبر عن ذلك الإعجاب). أبدى ذلك السنغالي الأسمر (سليمان) استعداده لمساعدتي من خلال تقديم بعض المعلومات عن جزيرة جوري، فهو كثيرا ما يأتي هنا لزيارة أقاربه، ولديه الكثير مما يمكن أن يقدّمه.

ترافق ثلاثتنا حتى وصلنا إلى قمة الجزيرة، إلى حيث القلعة التي بنيت في العام 1856 مسيحي، اتجهنا إلى ذلك البراح المحيط بالقلعة، جلسنا لأخذ قسط

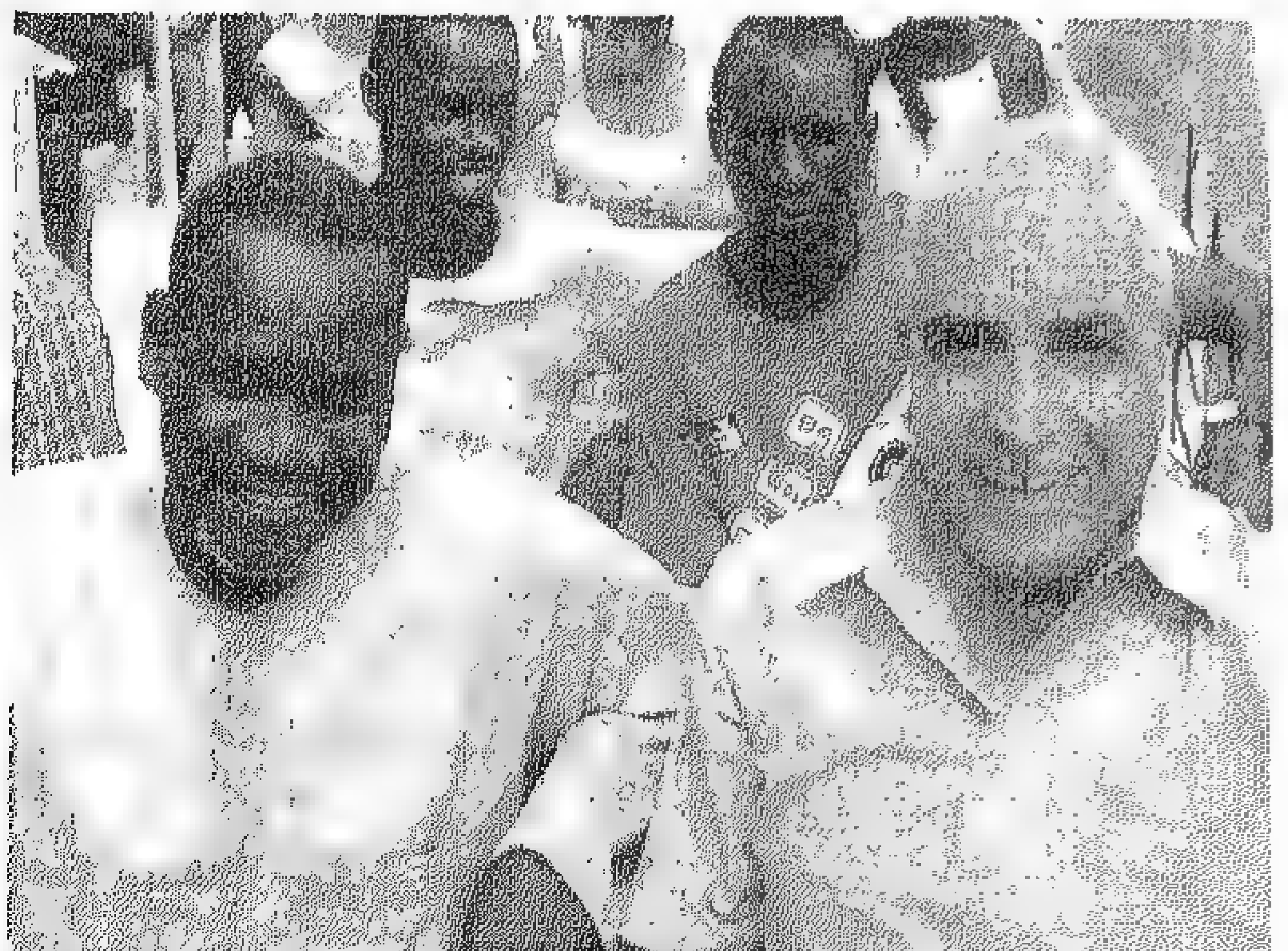


صعوداً إلى القلعة، رسوم لفنانين تلقائيين، وأشجار الباوباب تظلل المكان

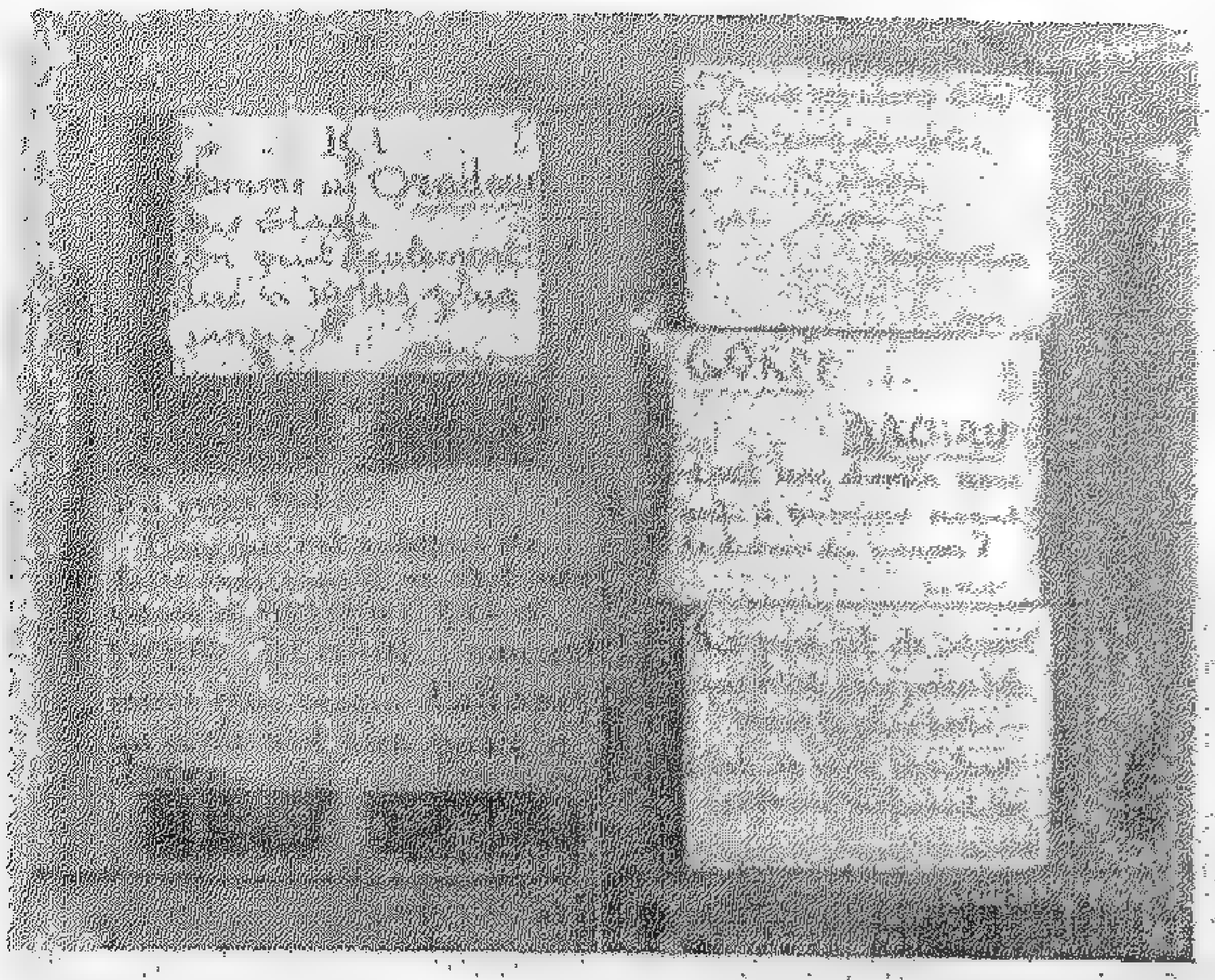
من الراحة، وبينما نحن كذلك أخذ سليمان يسرد بعضاً مما يعرفه عن تاريخ جوري..

لمحات من التاريخ

كما تقول المصادر التاريخية، مع منتصف القرن الخامس عشر مسيحي استشرت المحاولات الغربية (البرتغالية خاصة) للبحث عن طريق تجاري مع جنوب غربي آسيا، لقطع طريق التجارة على المسلمين مع الهند وأخذهم من الخلف، وبالتالي الإجهاز على الدور التجاري / الاقتصادي للمسلمين، من خلال شلّ الدور الذي كان يقوم به ما عُرف بـ (طريق الحرير). تقول المصادر التي أرخت لتلك الفترة : إن عشرات المراكب البرتغالية انطلقت بمباركة (هنري الملاّح) - وهو ابن غير شرعي لملك البرتغال - واتجهت نحو السواحل الغربية لافريقيا، بهدف العثور على ما سمي (طريق البهارات المقدس). وفي العام 1444 مسيحي وصل المستكشف البرتغالي (دينيس دياز) إلى جزيرة غوري التي كانت تعرف باسم (بير)، (ويبدو أن هناك علاقة مّا بين هذه الجزيرة وبين منطقة (بير) القريبة من داكار حيث فرع كلية الدعوة الإسلامية في السنغال). في ذلك الزمن لم يكن في الجزيرة سوى بضع أسر تعيش على صيد الأسماك، وقد اعتنقوا الإسلام منذ القرن الحادي عشر كما أفادنا الإمام الراتب بمسجد الجزيرة. أطلق عليها البرتغاليون اسم (جزيرة النخيل) ولعل في هذا تأكيداً على أنها لم تكن



الزميل محمد جحا معد الاستطلاع (يمين)
مع مرافق الرحلة الشيخ الشريف سي (يسار)



شهادات كتاب وأدباء زاروا المكان:

- (هنا. لا يسعنا إلا أن نقول: أبداً، أبداً، أبداً).
- (الذين يحاولون إقناعنا اليوم بأنه لم يحدث شيء في «أوتشيزيتس» و«داشو» غداً سوف لا يحتاجون حتى لتأكيد أن شيئاً لم يحدث حتى في جوري).
- (نريد أن نكون مدينين لتاريخنا وأن لا نكون مستهلكين له).
- (جوري.. وداشو.. سيكون الطريق طويلاً وعلينا أن نقطعه لكي نصبح بشراً).

قاحلة كما يزعم الغربيون ليمرروا الادعاء بأنهم أول من عمَّرها بالنباتات. وظل البرتغاليون يحتلون الجزيرة حتى العام 1587 مسيحي. وفي حمى استشراء الرحلات الاستكشافية الغربية، عرف الأوروبيون ميزات جزيرة جوري كقلعة طبيعية ومرفأ استراتيجي مهم ترسو في (غَوْره) الصغير الهادئ سفنهم ومراكبهم الشراعية. وحينئذ بدأ مسلسل الصراع على جوري، ومعه بدأ مسلسل آلامها الذي ينبعث أنيناً صارخاً وألماً قاسياً من كل ركن وزاوية فيها.

تحولت جوري من مجرد جزيرة صغيرة (نتوء صخري) إلى هدف للفرقاء الأوروبيين، وتواصل الصراع عليها وحولها على امتداد قرنين من الزمان، وربما أكثر. وصارت (درة ثمينة) لا يحصل عليها إلا الفائز بين المتصارعين القادمين من وراء البحار، وما أكثرهم. وظلت آلية الصراع تتكرر بنفس الشكل وذات الأسلوب. تأتي السفن والمراكب الحربية الأوروبية فتلقي بمراسيها خارج الميناء، ثم تبدأ مدافعها في إطلاق حممها على الجزيرة لكي تحطم تحصينات وبيوت من يحتلها، ثم تقوم بغزوها واحتلالها، وبعد أن تسيطر عليها يشرع المحتل الجديد في بناء بيوت وتحصينات جديدة، ثم تأتي مراكب وسفن حربية أوروبية أخرى فتلقي بمراسيها خارج الميناء، وتشرع مدافعها في قصف وتدمير التحصينات والبيوت القائمة، ثم تحتلها، وتبدأ في بناء بيوت وتحصينات جديدة.... وهكذا دواليك، تنتقل الجزيرة من يد محتلٍ لتقع في يد محتلٍ آخر، صراع وتصفية حسابات وثارات بين البيض والبيض جرت هاهنا. وعلى هذا النحو تنقلت جوري بين أيادي البرتغاليين والهولنديين والإنجليز والفرنسيين. وبين الفترة والأخرى كان اسمها يتغير، أطلق عليها

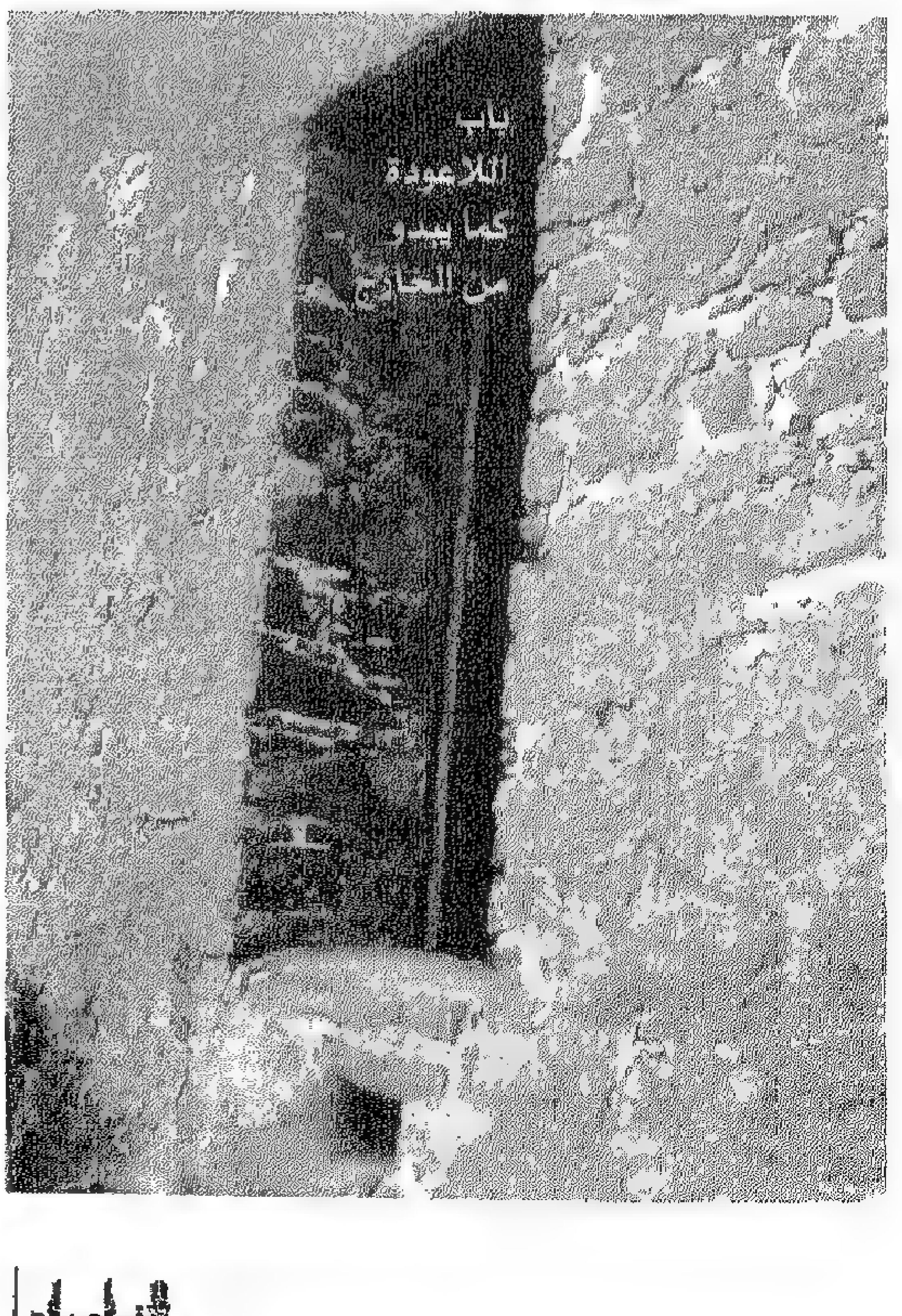

باب اللاعودة كما يبدو من الممر المعتم

ساحة في وسط الجزيرة



الهولنديون اسم (غويدي ريدي) ومعناها (الطريق الطيب) وغالب الظن أن هذا الاسم حُرِّفَ في ما بعد إلى (جوري) اسمها الحالي. لكن (سليمان) و(الشريف سي) يؤكدان أن (جوري) تعني - في لغة أو لهجة قبائل (الوولوف) السنغالية - (العتق).

في تلك الساحة المحيطة بالقلعة ثمة عدد من المدافع تنتشر في المكان، وهي مدافع قديمة، أحدها

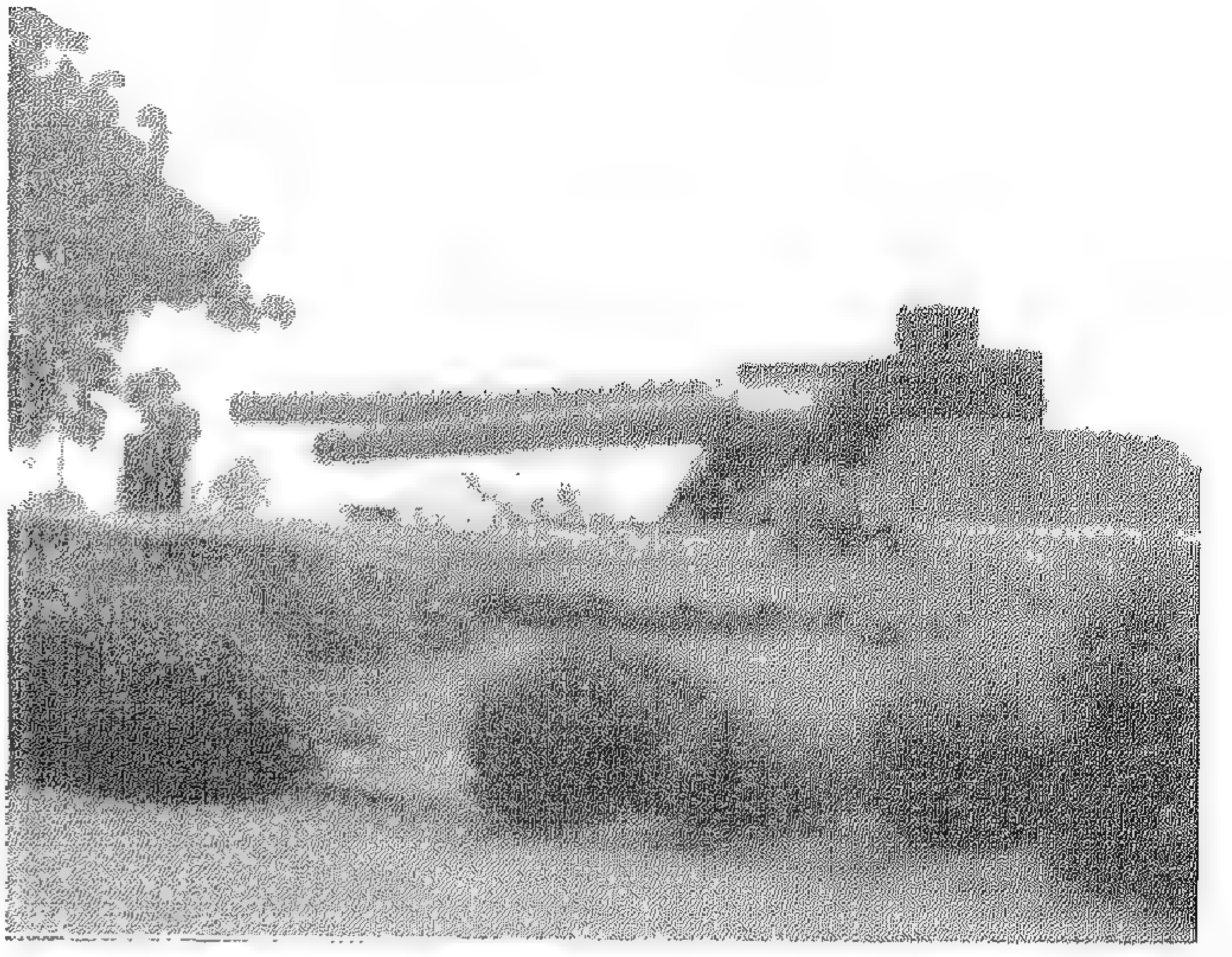


باب اللاعودة كما يبدو من الخارج

كبير الحجم جداً، اقتربنا قليلاً فإذا برجل في منتصف العمر، علم من مرافقيّ أنني أستغرب وجود مدفع بهذا الحجم في هذا المكان، فأفادنا بأن وزن المدفع يبلغ (1600) ألفاً وستمائة طن، وطوله (16) ستة عشر متراً، أما قطره فيبلغ (240) مائتين وأربعين مليمتراً. مضيفا أن هذا المدفع قد صنع في فرنسا، ولم يُستخدم سوى مرة واحدة فقط، وكانت في أثناء الحرب العالمية الثانية. تابع سليمان : كان الجنرال (فيشي) يسيطر على جزيرة جوري، وكان في صراع محموم مع الجنرال (ديغول). وقد رأى فيشي سفينة تقترب من الجزيرة، فظن أن فيها غريمه (ديغول) فأمر بإطلاق النار عليها من هذا المدفع، وأغرقها، كان ذلك في الشهر التاسع تقريباً من العام 1940 مسيحي.

الشراع المثقوب

واصلنا تطوافنا في تلك الساحة المرتفعة، والسياح يتنقلون في مجموعات من ركن إلى آخر، وفي ركن فسيح من تلك الساحة يرتفع صرح أبيض اللون على شكل شراع مثقوب بدوائر منتظمة. وهو على شكل باخرة مقلوبة في إشارة إلى نهاية العبودية. قال الشريف سي : إنه نصب جوري التذكاري، وقد أنشئ بمبادرة من الرئيس الأميركي السابق (بل كلنتون)



المدفع الذي لم يُستخدم سوى مرة واحدة

الذي حضر إلى هذا المكان عام 1998 مسيحي، وقدّم اعتذاراً للأفارقة الموجودين في أميركا. وقد أقيم النصب بعد تلك الزيارة، واحتفل بإقامته في 31 من شهر الكانون (ديسمبر) 1999 مسيحي.

أخبرني مرافقي أن مسجد الجزيرة يقع أسفل ذلك النتوء الصخري الذي نجلس على قمته، حاولت أن ألقي نظرة على المسجد من ذلك الارتفاع، غير عابئ بنصائحه وتحذيراته، وفعلاً لم أفلح في ذلك، فطبيعة المكان، والصخور، والانحدار العمودي لذلك النتوء الصخري؛ يمنعك من المحاولة.

ودّعنا السيد سليمان، وعدنا أدراجنا مع ذلك الطريق المرصوف بحجارة البازلت الأسود، الذي تصطف على جانبيه أشجار (الباوباب) العملاقة، عبرنا المسالك والأزقة حتى وصلنا إلى مسجد الجزيرة الذي يقع في الناحية الشرقية قبالة داكار، مسجد صغير قد لا تزيد مساحته على الثلاثمائة متر، وقد قام بصيانته مكتب الجمعية بداكار قبل سنوات قليلة مضت، وأضاف إليه بعض المرافق الصحية للوضوء. عند وصولنا كان قد مضى على أذان الظهر أكثر من ساعة، لذلك فإن أحداً لم يكن هناك. اقترح الشريف سي أن نذهب إلى الإمام الراتب في بيته، لأنه في انتظارنا، وعلى علم بمجيئنا. وكان الأمر كذلك.

استقبلنا الإمام الراتب الشيخ (سعيد سيد فوتي) بفرح غامر، في غرفة إستقبال الضيوف الملاصقة للبيت، وبعد التحية والترحيب والسلام، سألته عن تاريخ بناء مسجد جوري، فأفادني بأنه لا يعرف بالضبط متى أسس المسجد هنا، إلا أنه يعرف أنه هو السابع من الأئمة لهذا المسجد، وقال إنه سمع أن أول



مبنى البلدية

من أسس هذا المسجد شخص اسمه (الشيخ سعيد) من أهالي منطقة (فوتي)، وقد جاء منذ زمن بعيد إلى الجزيرة، فمكث هنا، وأخذ يدعو الناس إلى الإسلام فأسلم على يديه الكثيرون، وإن كان الإسلام قد دخل الجزيرة قبل وصول الشيخ سعيد، وقبل أن يصل الأوروبيون إلى جوري.

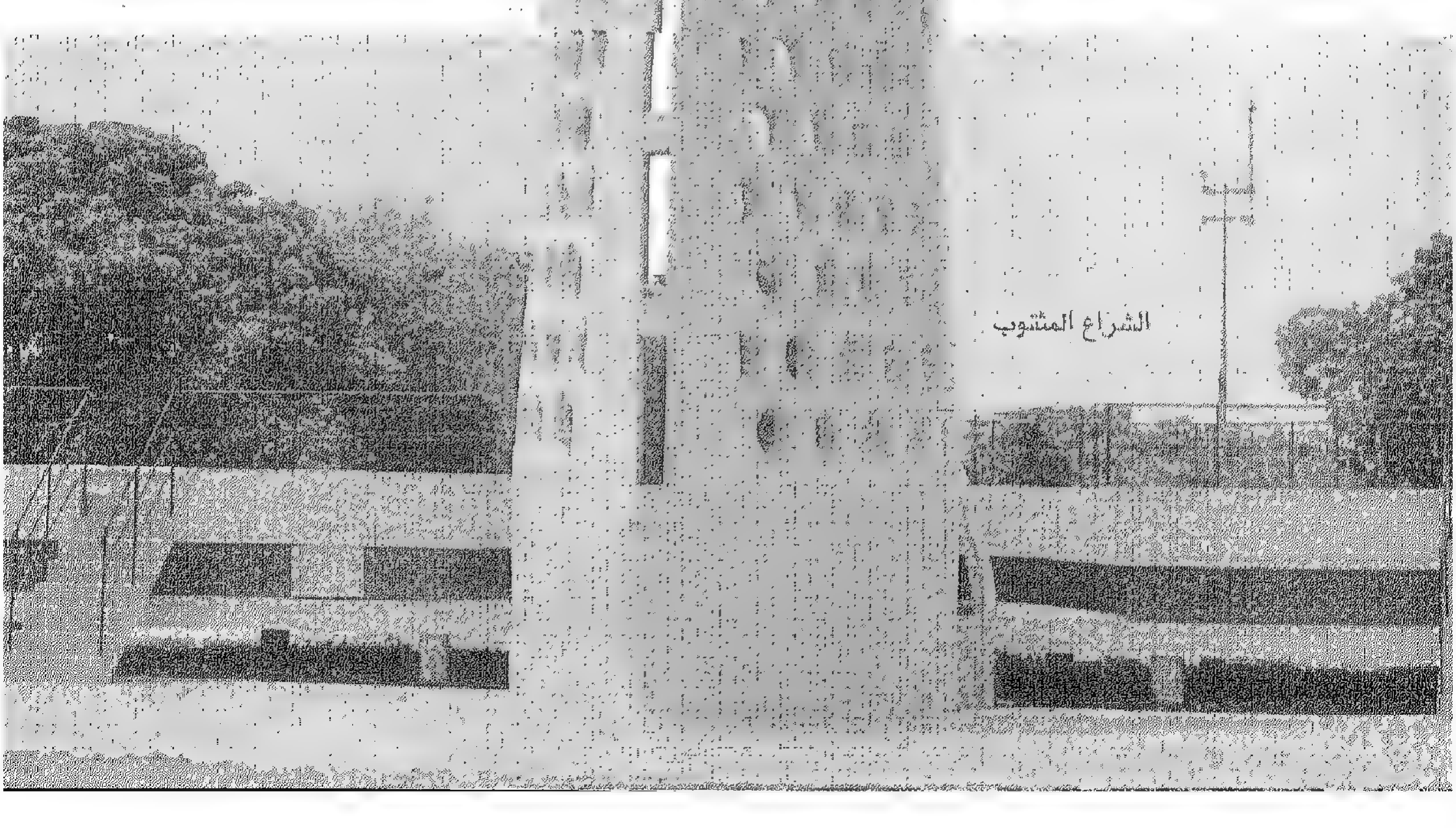
الشيخ (سعيد سيد فوتي) هو الإمام الراتب منذ عام 1973 مسيحي، وفضلاً عن كونه الإمام الراتب فهو المرجع للمسلمين في الجزيرة. يؤم المسلمين في الصلوات الخمس والجمعة والعيدين. يقول: الحمد لله.. فهناك الآن نسبة كبيرة من المسلمين في جوري، ويمكن أن نقول إنه من بين كل 100 شخص يوجد 80 منهم مسلمين، والباقي مسيحيون. والمسلمون والمسيحيون متصالحون ومتفاهمون في ما بينهم ولله الحمد، وهناك دائماً مسيحيون يتحولون إلى الإسلام، ولأنه - كإمام راتب - للمسلمين في هذه الجزيرة فحتى المسيحيون يحترمونه ويجلونه ويعطونه حقه في الاحترام والتقدير، وهذا شيء متبادل في ما بينهم، وهم يعيشون بسلام ووئام في مجتمع واحد.

وحول مساحة جوري وعدد سكانها يقول: إنهم ما بين 1500 و2000 نسمة.

وفي ما يتعلق بالمساحة فبحسب معلوماتي فإن أقصى عرض للجزيرة هو 300 متر، وأقصى طول لها هو 900 متر. والجزيرة كما ترى ليس فيها سيارات ولا دراجات (نارية ولا هوائية) وليس فيها مقابر الموتى، ومن يموت من سكانها يشيع في مركب أو زورق ويدفن في داكار.

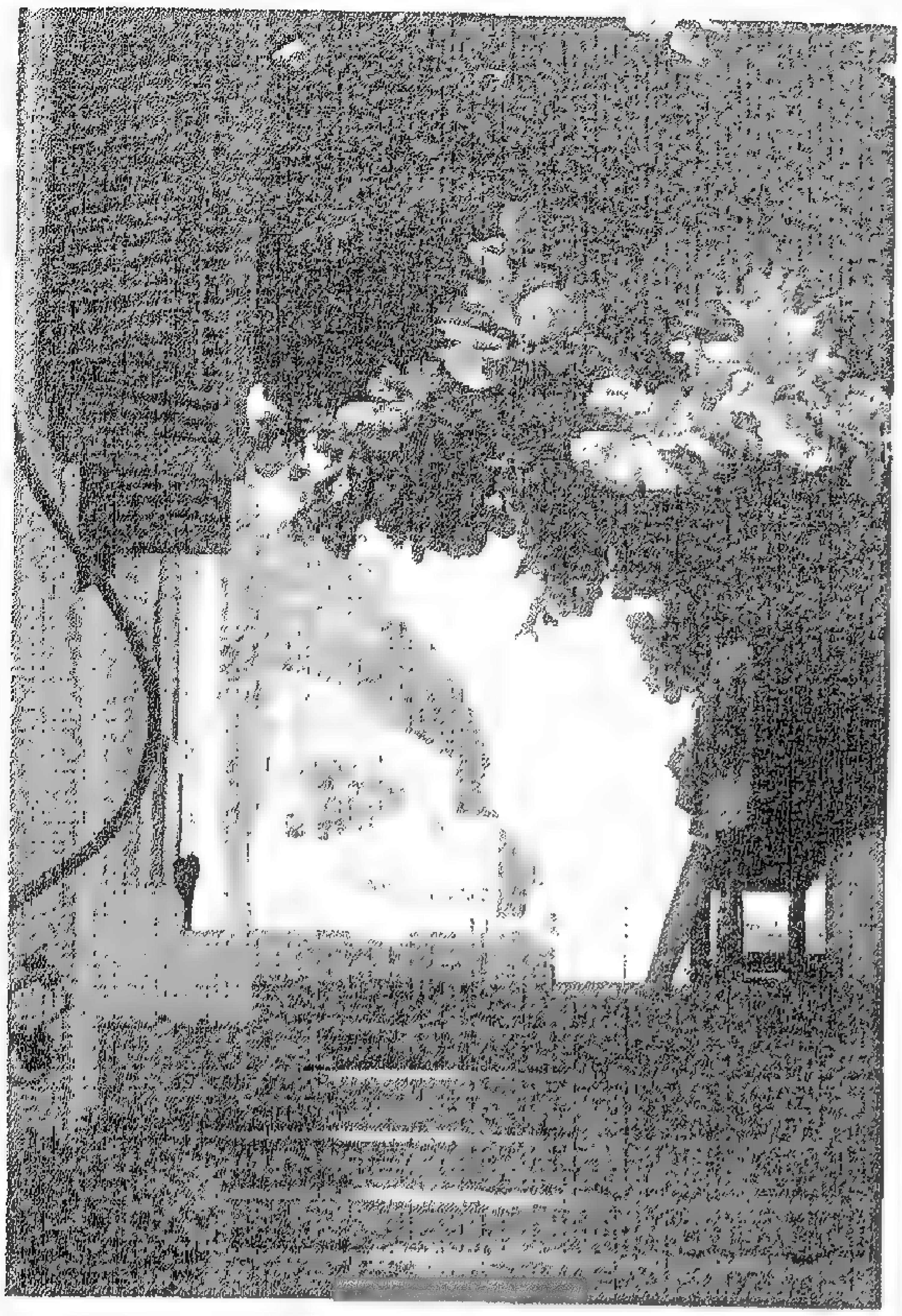
وعن أبرز وأهم احتياجات المسلمين في هذه الجزيرة يقول:

أهم احتياجات المسلمين الآن كما ترى المسجد، وكما تعرف فإن المنطقة سياحية مهمة جداً، ويأتي السياح الى هنا من كل بلدان العالم، وكان من المفروض أن يكون للمسجد شكل جيد وجميل وواسع، صحيح أن المكان (الموقع) جيد، ولكننا نحتاج إلى مكان أوسع لكي يناسب العدد المتزايد للمسلمين، ويضيف بأنه منذ أن أصبح إماماً وهو يسعى لتوسيع المسجد وترميمه، وقد تم ترميم المسجد مرتين، كانت المرة الأولى في السبعينات، وفي المرة الثانية قام مكتب جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بداكار بترميمه، وهذه المجهودات مشكورة بالنسبة لمكتب جمعية



الشراع المثقوب

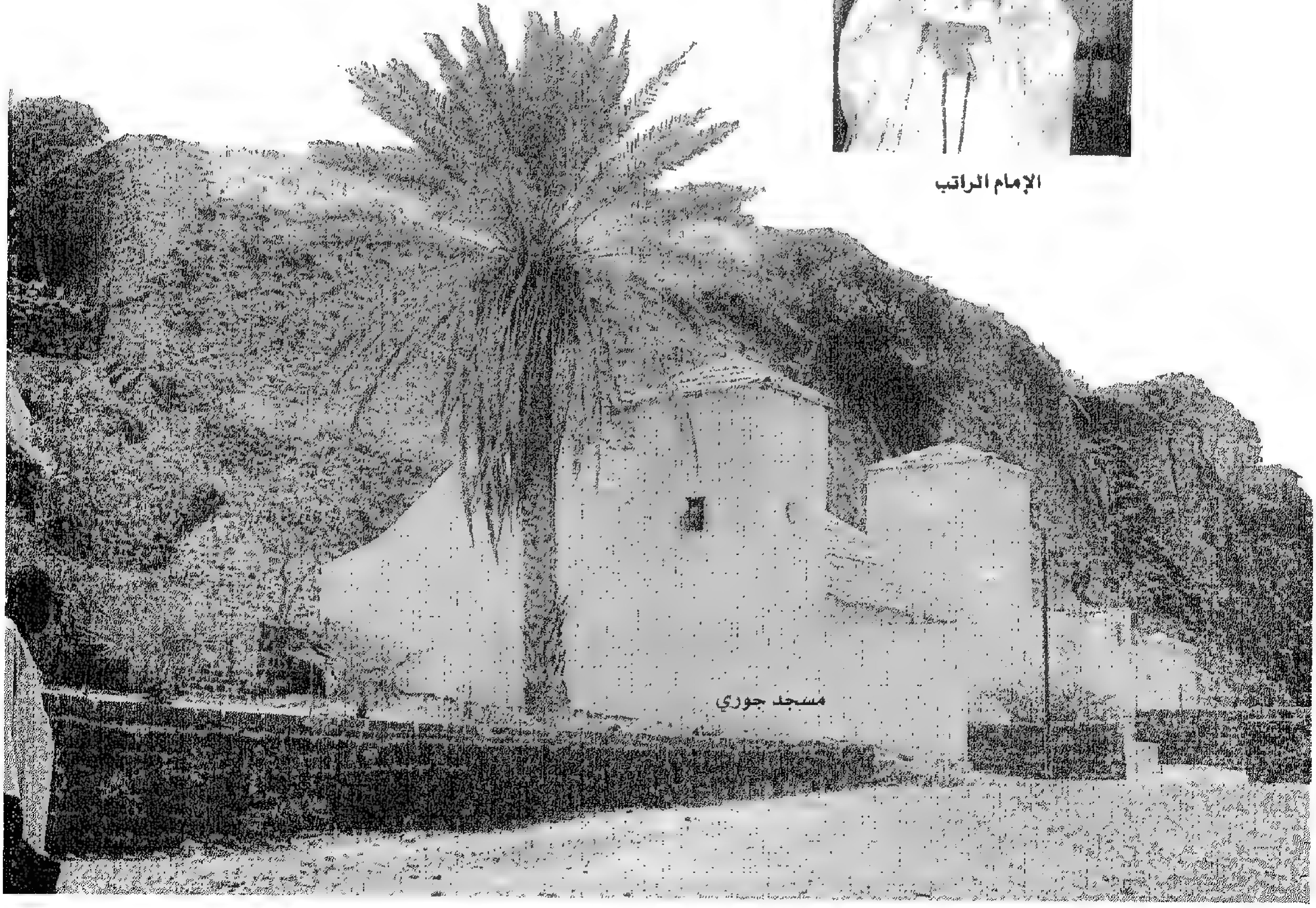
الدعوة الإسلامية العالمية، ولكننا ما زلنا نحتاج إلى المساعدة، من أجل بناء المسجد المناسب لهذه الجزيرة، فالآن أصبح عدد المسلمين أكثر من ذي قبل، والسياح كثيرون وهم يأتون من جميع أنحاء العالم، فيجب أن يكون هناك مسجد مناسب، ويجب أن يكون مكان عبادة المسلمين ذا مظهر جيد ومناسب في هذه الجزيرة لأنهم الغالبية، ففي صلاة الجمعة لا يتسع المكان لكل المصلين، وكثير منهم يصلون خارج المسجد، وهذا صعب خاصة أثناء البرودة في الشتاء والحرارة في الصيف. وما أتمناه أن ترتفع مئذنة شاهقة في سماء جوري، تكون أول معلم يشاهده الناس من بعيد.



في الطريق إلى المسجد



الإمام الراتب



مسجد جوري



تقارير

يوم حافل في بانغي

يوم حافل في بانغي

متابعة: أحمد البكّوش*



مطار بانغي

كان من حسن طالعي اختياري ضمن الفريق الإعلامي الذي رافق أحدث قافلة سيرتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية إلى افريقيا الوسطى، وعندما أقلعت طائرة الشحن الليبية من مطار طرابلس العالمي فجر يوم الأربعاء الرابع من شهر أي النار 1374 ـ 2006 متوجهة إلى مدينة بانغي عاصمة جمهورية إفريقيا الوسطى تنقل ثمانية عشر طناً من المساعدات الغذائية والطبية والملابس، هدية الجمعية إلى شعب هذا البلد الافريقي بمناسبة أعياد رأس السنة المسيحية وعيد الأضحى المبارك اللذين تزامن حلولهما في وقت متقارب.

في تلك اللحظة انشغلت بوضع تصورات عن جغرافية ومناخ هذا البلد الذي أزوره لأول مرة إلا أنني اكتشفت أن كل التصورات التي رسمتها في ذهني لم تكن موفقة لعدم معرفتي بجغرافية المنطقة، وأذكر أنني عندما بدأت الطائرة في الاستعداد للهبوط بمطار بانغي بعد أربع ساعات من الطيران سارعت بالنظر عبر النافذة بجواري، وما أن اتضحت الرؤية شيئاً

* صحافي / ليبيا

فشيئاً وبدأت معالم المنطقة تظهر وتبدو أكثر وضوحاً حتى رأيت بساطاً اخضر يلون الأرض والمرتفعات المحيطة بمدينة بانغي، ويتخلل هذا البساط الأخضر مجرى مائي طويل له قنوات عدة، و قلت في نفسي : ـ هذا هو النهر الذي يذكرني بنهر النيل، مصدر الخير والنماء لهذا البلد، يخترق أرض إفريقيا الوسطى، فالبلد فقير وموارده وإمكاناته المادية محدودة، على الأقل في الوقت الحاضر، ولكن الله عوضه عن ذلك بنهر دافق، يمر عبر قلب عاصمتها بانغي، وهي المنطقة الوحيدة التي شاهدناها من إفريقيا الوسطى وبطبيعة جبلية ساحرة.. ومع أن وصولنا إلى العاصمة كان عند الساعة الواحدة والنصف ظهراً فلم يكن الجو حاراً، بل كان ربيعياً دافئاً ويزيد من روعته نسمات باردة تهب بين الحين والآخر مما ساعدنا على الاحتفاظ بملابسنا الشتوية الثقيلة التي خرجنا بها من طرابلس في ذلك اليوم



الرئيس فرنسوا بوزيزي
رئيس افريقيا الوسطى

الشتوي البارد. وكان في استقبال أعضاء القافلة بمطار بانغي السيد فرانسيس بوزيزي نجل رئيس الجمهورية والسيد محمد مهدي مارابوا رئيس الجمعية الإسلامية بافريقيا الوسطى والأخ عمر كوين الأمين العام للجمعيات الإسلامية، وعدد من أئمة المساجد في مدينة بانغي.

وبعد السلام والترحيب، وعبارات التهنئة بسلامة الوصول، وتقديم عبارات الشكر للجمعية بتسييرها هذه القافلة وإرسالها هذه المساعدات القيمة لشعب إفريقيا الوسطى مسلمين ومسيحيين على حد سواء، تم البدء في تفريغ حمولة الطائرة من المواد الغذائية والأدوية والملابس في شاحنات لنقلها للأماكن المعدة لها إلى حين اتخاذ ترتيبات توزيعها على المواطنين بمعرفة الجهات المحلية المختصة بالتنسيق مع أعضاء القافلة والمكتب الشعبي العربي الليبي ببانغي، وبعد الانتهاء من ذلك غادرنا إلى مكان الإقامة وهو فندق صغير في



وصول المساعدات

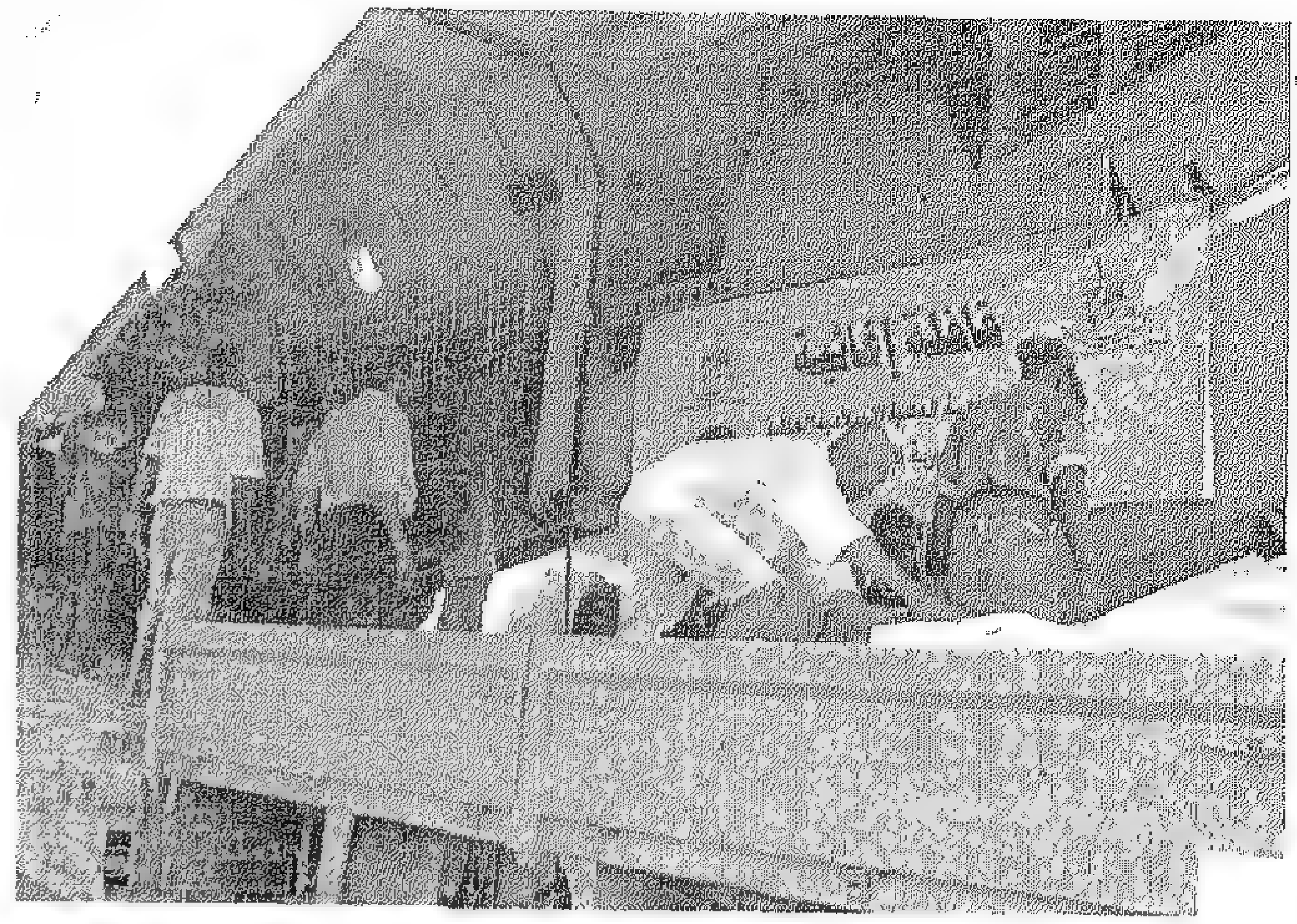
قلب العاصمة ولكنه أنيق ونظيف ومنظم. وطوال الطريق من المطار إلى الفندق كنت انظر من خلف زجاج السيارة إلى البساط الأخضر الذي يغطي ارض بانغي والمرتفعات المحيطة بها، وكان المشهد أخاذاً وغاية في الروعة والجمال، وكأنني أشاهد لوحة رسمها فنان بارع.

كانت الزينات تملأ كل ردهات وقاعات الفندق، فنحن في فترة أعياد ميلاد المسيح ورأس السنة المسيحية. وهذا الفندق كغيره من الفنادق الأخرى شهد خلال الأيام الماضية حفلات في هذه المناسبة.

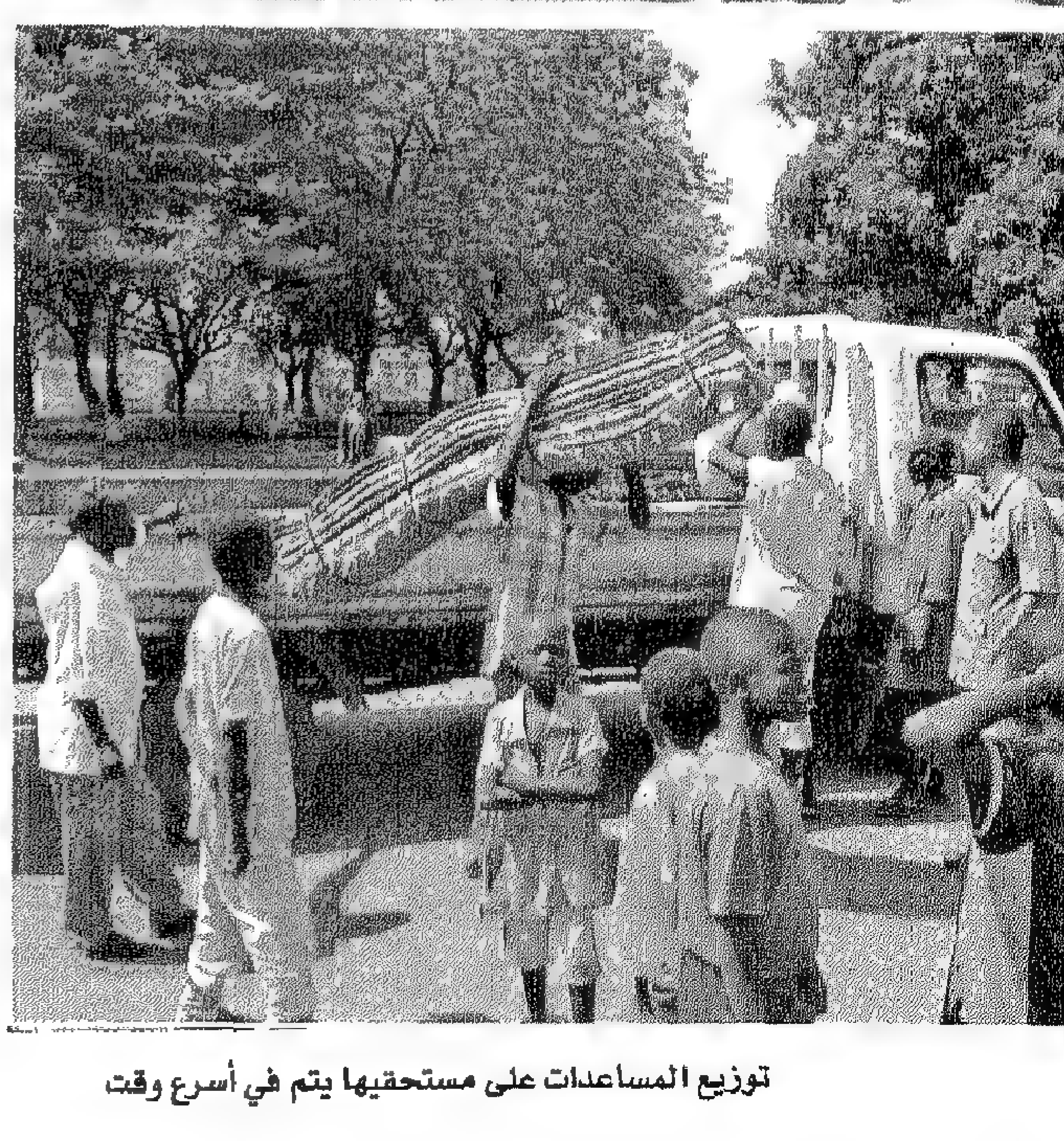
يبلغ عدد سكان إفريقيا الوسطى أربعة ملايين نسمة، سبعون بالمائة منهم مسيحيون، وثلاثون في المائة مسلمون، ولكن المسلمين يتواجدون في مدن ومناطق أخرى خارج العاصمة بانغي. وفي المساء دعينا لتناول العشاء في مقر المكتب الشعبي الذي لا يبعد كثيراً عن الفندق، ولمناقشة ترتيبات نشاط القافلة في اليوم التالي وهو يوم الخميس الذي سيكون حسب البرنامج المعد حافلاً ومليئاً بالنشاط، فالوقت محدود، وعلينا ان نغادر إفريقيا الوسطى مساء يوم الجمعة فالعمل يجب ان يكون مكثفاً للانتهاء من المهمة في الوقت المحدد.

لقاءات واستقبالات مكثفة

وفي اليوم التالي لوصول القافلة وهو يوم الخميس اجتمع الإخوة، منسق وأعضاء القافلة، بالسيد محمد مهدي مارابو رئيس الجمعيات الإسلامية والأخ عمر كوين الأمين العام للجمعيات الإسلامية وتم التباحث خلال الاجتماع في كيفية توزيع المساعدات على المواطنين في مدينة بانغي وبقية المدن الأخرى من خلال المساجد. وقد اقترح السيد مارابو أن يتم التوزيع في بعض المساجد بالعاصمة عقب صلاة الجمعة، حيث يتواجد أكبر عدد من المواطنين، بينما يتم التوزيع في مساجد في أوقات مختلفة، وخاصة في المدن الأخرى والمناطق الريفية بالتنسيق مع أئمة المساجد، وقال السيد مارابو: إنه تم إبلاغ مختلف المناطق بوصول







توزيع المساعدات على مستحقيها يتم في أسرع وقت

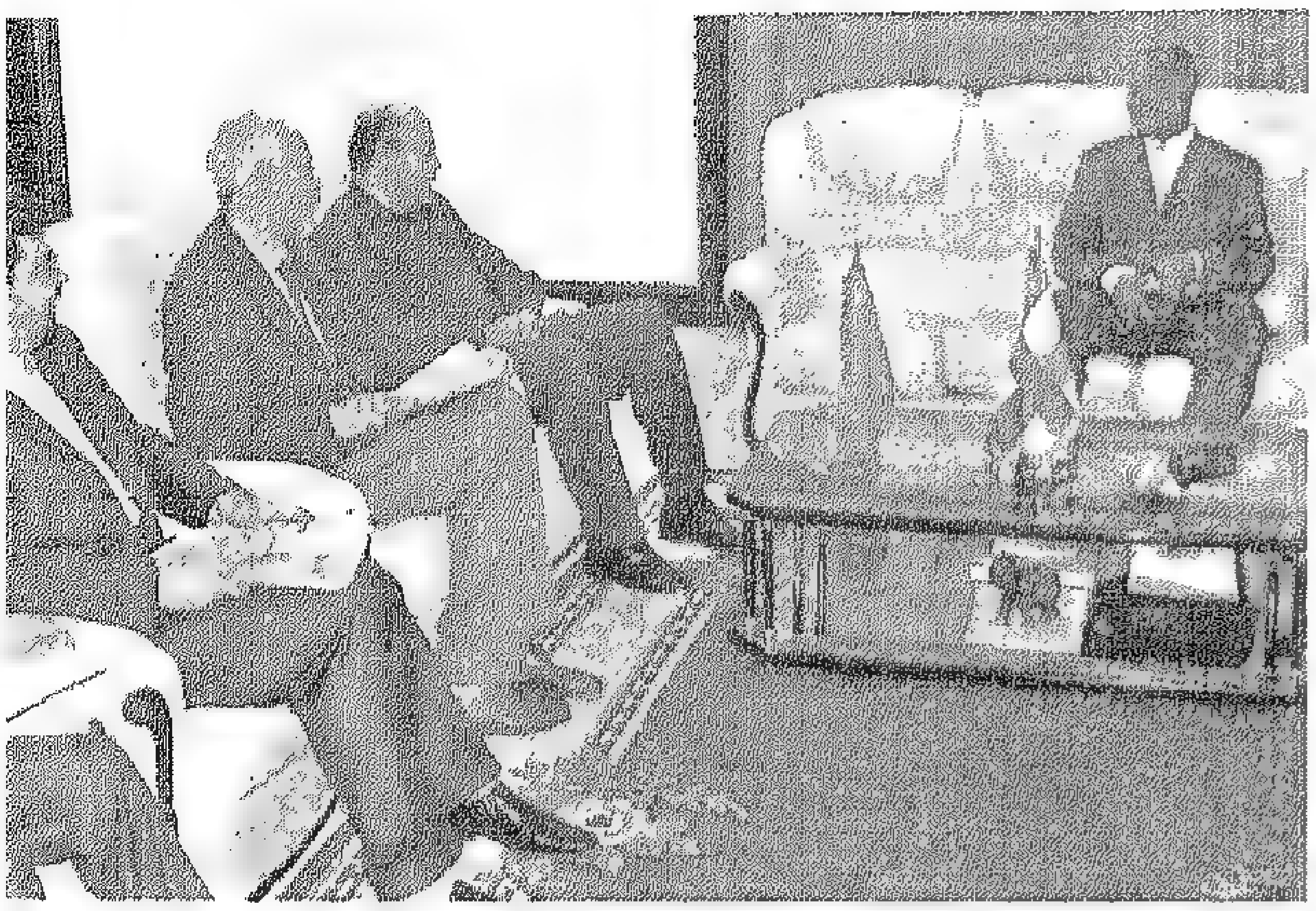
القافلة، مؤكداً أن المساعدات ستصل إلى جميع المواطنين في مناطقهم وأن الفرحة قد عمت الجميع، ويشكرون الجمعية على هذه الهدية القيمة والتي جاءت في وقتها المناسب مع حلول عيد الأضحى المبارك. وتم توزيع كميات أخرى من المواد الغذائية والملابس والأدوية على دور الأيتام والجمعيات النسائية والمؤسسات الاجتماعية في مدينة بانغي.

استقبال الرئيس لأعضاء القافلة

استقبل الرئيس فرانسوا بوزيزي ظهر يوم الخميس الخامس من شهر أي النار منسق وأعضاء القافلة الطبية الاغاثية وذلك في مكتبه بقصر الرئاسة بالعاصمة، وفي بداية اللقاء نقل الأخ منسق القافلة تحيات الأخ أمين الجمعية للرئيس، وقدّم له شرحاً حول المساعدات التي حملتها القافلة هدية من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لشعب إفريقيا الوسطى بمناسبة رأس السنة الميلادية وعيد الأضحى المبارك، كما قدمت للرئيس بعض الهدايا، وقد عبر الرئيس فرانسوا بوزيزي عن تقديره للجهود الكبيرة التي بذلها الأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية في سبيل تحقيق حلم جميع الأفارقة بقيام الاتحاد الافريقي، وحرصه الشديد على استكمال وتعزيز مؤسساته، وسعيه المتواصل إلى تحقيق أمن واستقرار وتنمية إفريقيا، وقال في تصريح صحفي إن الأخ القائد يحرص دائماً على تحقيق ازدهار قارتنا وانطلاقها بقوة نحو التطور الاقتصادي والتنمية الاجتماعية لشعوب هذا الفضاء الكبير من أجل سعادة جميع الأفارقة.

وأشاد في تصريحه بعمق العلاقات بين الجماهيرية العظمى وجمهورية إفريقيا الوسطى، حيث إن هذه العلاقات شهدت تطوراً كبيراً في مختلف المجالات والميادين.

وأشار الرئيس إلى زيارته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية خلال شهر الكانون العام الماضي



رئيس إفريقيا الوسطى يستقبل أعضاء القافلة

1373 ـ 2005، وقال: نظراً لما تتمتع به الجمعية من سمعة طيبة وما تحظى به من تقدير في المحافل الدولية فقد حرصت على زيارتها حيث أطلعني الأخ الأمين العام للجمعية على أنشطتها المختلفة وبرامج عملها في العالم وزرتُ مكتبتها ومختلف مرافقها.

اللقاء مع وزيرة الصحة



وزيرة الصحة

استقبلت وزيرة الصحة في حكومة إفريقيا الوسطى بمكتبها منسق وأعضاء القافلة بحضور الأخ أمين المكتب الشعبي العربي الليبي في بانغي وفي بداية اللقاء نقل الأخ منسق القافلة تحيات الأخ أمين الجمعية للسيدة الوزيرة «لي- كوياسوم ـ دومتا» وأكدّ خلال اللقاء أن هذه القافلة تأتي في إطار أنشطة الجمعية الإنسانية بتقديم الغذاء والدواء والكساء للجميع دون تمييز بين دين أو جنس، وأن ما تحمله القافلة هو هدية من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لشعب إفريقيا الوسطى، وتأتي عقب زيارة الرئيس فرانسوا بوزيزي للجماهيرية العظمى ولقائه الأخ القائد، وكذلك زيارته للجمعية حيث صدر تكليف من أمين الجمعية بتسيير هذه القافلة متمنياً لشعب إفريقيا الوسطى الصحة والازدهار.



وقد عبرّت السيدة الوزيرة عن تقديرها وامتنانها للأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية لما يقدمه من دعمٍ متواصل لشعب إفريقيا الوسطى، كما عبرّت في تصريح خاص لصحيفة الدعوة الإسلامية عقب استقبالها أعضاء القافلة عن شكرها وامتنانها لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية لتقديمها المساعدات الطبية لشعب إفريقيا الوسطى، مؤكدة أن هذه المساعدات ستسهم في تحسين الظروف الصحية في البلاد والتي تأثرت بالظروف الصحية التي مرت بها البلاد خلال السنوات الماضية، والتي جعلت المؤسسات الصحية في حالة شبه انهيار كامل، وبالتالي تدني مستوى الخدمات الطبية والإمدادات من الأدوية في مختلف المستشفيات والمراكز الصحية، وقالت: إن أعداداً كبيرة من المواطنين سيستفيدون من هذه المساعدات الطبية وخاصة في المناطق البعيدة عن العاصمة ومراكز المدن، وهذا بالتالي سينعكس على تحسين الظروف الصحية للمواطنين وزيادة العمل والإنتاج ورفع المستوى المعيشي.

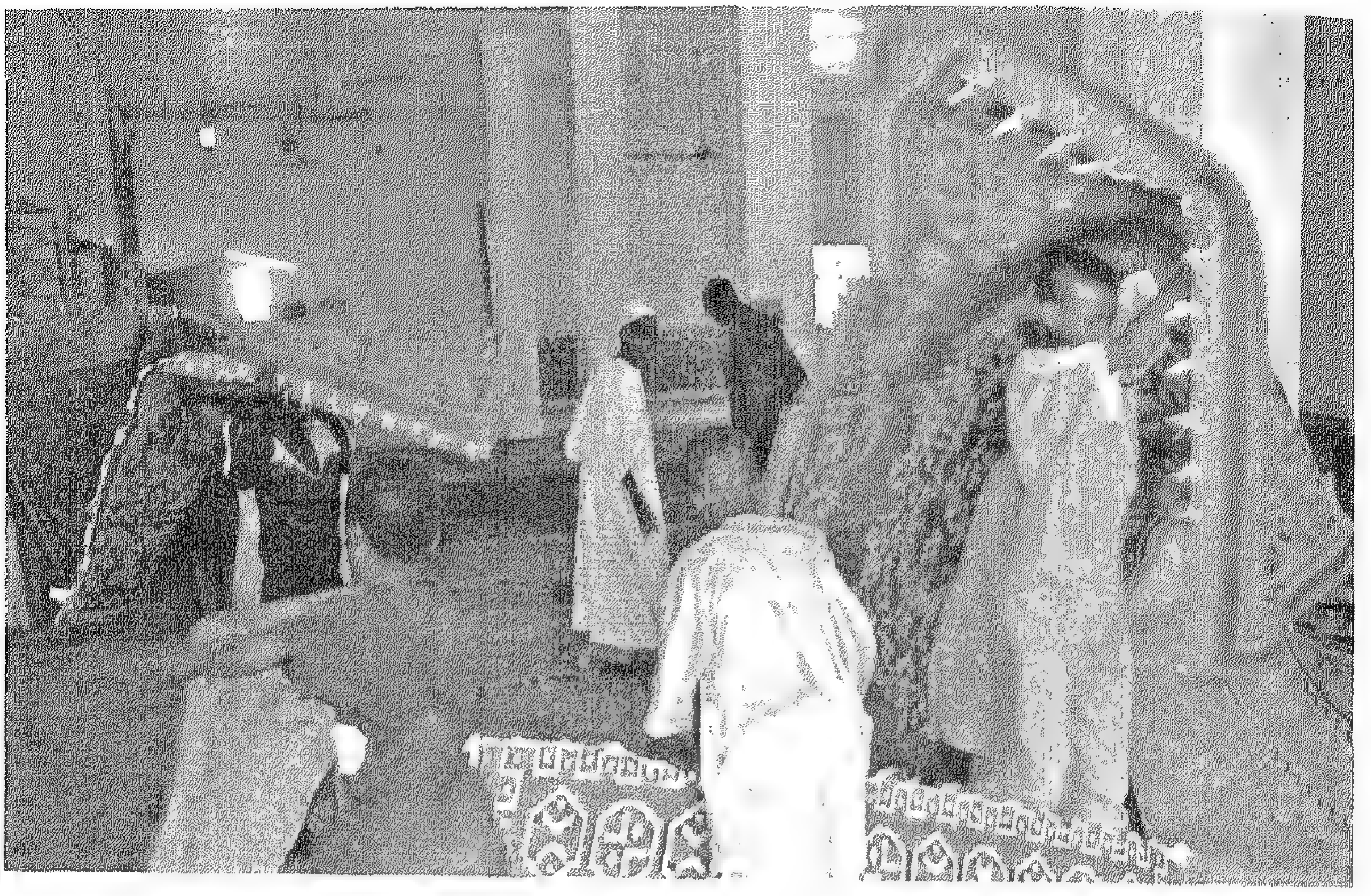
لقاء وزير الداخلية والأديان



ميشيل صالح وزير الداخلية والأديان في افريقيا الوسطى

وقد التقى الإخوة منسق وأعضاء القافلة السيد «ميشيل صالح» وزير الداخلية والمكلف بالأديان في حكومة إفريقيا الوسطى وهو مسلم.

وفي بداية اللقاء رحب الأخ منسق القافلة بالسيد الوزير ونقل إليه تحيات الأخ أمين الجمعية موضحاً أن هذه القافلة تم تسييرها كهدية من الجمعية إلى شعب إفريقيا الوسطى بمناسبة أعياد رأس السنة المسيحية وعيد الأضحى المبارك وقدّم له شرحاً حول المساعدات التي حملتها القافلة، مؤكداً أن المساعدات ستوزع على أبناء شعب إفريقيا الوسطى بغض النظر عن ديانتهم، كما ابلغه بالمساعدات التي ستقدّمها القافلة للمساجد والمتمثلة في فرش وإذاعات محلية ونسخ من المصحف الشريف وترجمة معانيه باللغة



المسجد الكبير ببانغي من الداخل خلال تزويده بالمفروشات

الفرنسية، وأنه ستتم صيانة مسجد وكنيسة، مشيراً إلى أنه خلال شهر رمضان الماضي نظمت الجمعية برنامج إفطار الصائم في عدد من مناطق إفريقيا الوسطى، وقال: «إن هذا اللقاء يتيح لنا الفرصة للتعرف على أحوال المسلمين في هذا البلد».

وقد رحّب السيد الوزير بأعضاء القافلة مشيراً إلى أنه بالإضافة إلى توليه وزارة الداخلية فإنه يشرف على دور العبادة. وقد حدثنا الرئيس في اجتماع مجلس الوزراء عن القافلة، ونقل شكر وامتنان مجلس الوزراء للجمعية لايفادها هذه القافلة، وعبر عن تقديره للاهتمام الكبير الذي يوليه الأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية للقارة الافريقية، وبافريقيا الوسطى بشكل خاص، وقال في تصريح خاص عقب استقباله لأعضاء القافلة: «إننا في حكومة إفريقيا الوسطى نتابع جيداً كل ما يبذله الأخ القائد من جهود من أجل إفريقيا. وأشاد في تصريحه بوصول القافلة مؤكداً أن هذه المساعدات ستدخل البهجة في نفوس المواطنين والمسلمين بشكل خاص، وأنها سترفع معنوياتهم، خاصة وأنهم يعيشون فرحة عيد الأضحى المبارك».

مساعدات لمساجد إفريقيا الوسطى

قام أعضاء القافلة الطبية الاغاثية بزيارات إلى عدد من مساجد العاصمة وضواحيها، من بينها المسجد الكبير في العاصمة الذي شيدته الجمعية. وقد تم خلال هذه الزيارات تزويد المساجد بالمفروشات والإذاعات الداخلية ونسخ من المصحف الشريف وقد كان في استقبال أعضاء القافلة خلال زياراتهم أئمة ومشائخ المساجد والدعاة وأعداد كبيرة من المواطنين. وقد عبر أئمة المساجد عن تقديرهم واعتزازهم للاهتمام الكبير الذي يوليه الأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية للإسلام والمسلمين في كل مكان، وقد توجهوا بالدعاء إلى الله بأن يوفقه في كل عمل يقوم به لمصلحة الإسلام والمسلمين. كما عبروا عن شكرهم وامتنانهم للجمعية لإرسالها هذه القافلة والتي تزامن وصولها مع حلول عيد الأضحى المبارك



مما يجعل لها قيمة أكبر، مشيدين باهتمام الجمعية بالأئمة والخطباء والدعاة من خلال رعايتهم وإقامة الدورات التدريبية لهم للرفع من مستواهم المهني لكي يؤدوا رسالتهم على أفضل وجه.

(الحاج محمد) فضَّل الدّعوة على الوزارة

الحاج محمد مهدي مارابو حالة من الحالات النادرة، ولد مسيحياً من أبوين مسيحيين في منطقة وبيئة مسيحية وتعلم تعليماً مسيحياً كنسياً وتدرج في السلك الكنسي حتى أصبح قسيسا يلقي المواعظ في الكنائس أيام الآحاد وفي المناسبات المختلفة.

تحدث الحاج محمد بحماسة شديدة عن الإسلام والمسلمين في إفريقيا الوسطى فقال: «ان أعداداً كبيرة من أبناء إفريقيا الوسطى يقبلون على الإسلام».

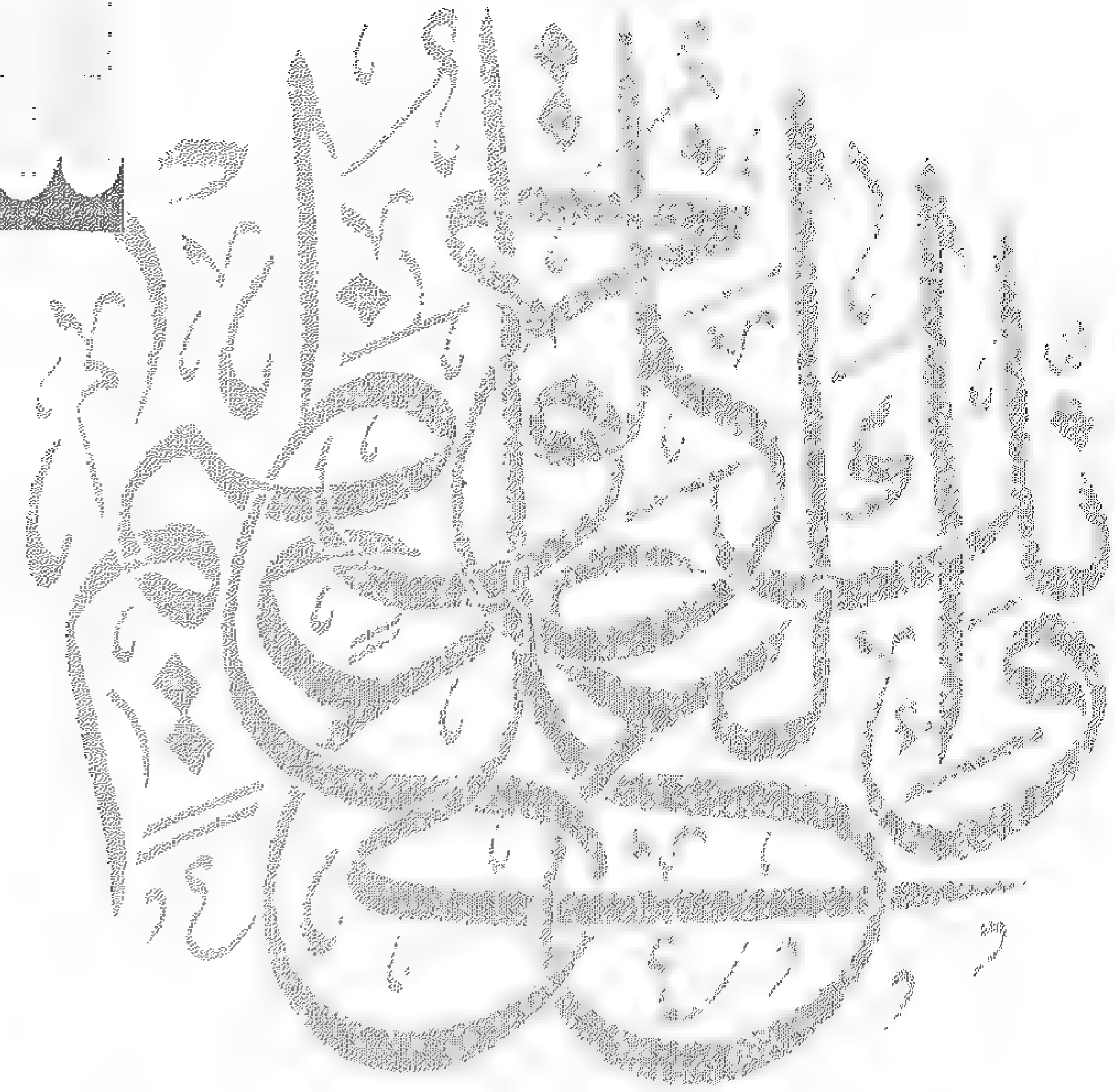
«كل يوم يأتيني أشخاص يريدون الدخول في الإسلام، بل إن كثيراً من زملائه القساوسة يعبّرون له عن رغبتهم في الدخول إلى الإسلام وصار الحاج محمد مهدي مارابو شخصية مرموقة في بلاده».

وقد تقلد أحد المناصب الوزارية في حكومة إفريقيا الوسطى خلال السنوات القريبة الماضية، إلا انه كان يفضل التفرغ للعمل الإسلامي. وتحدّث الحاج محمد المهدي عن هموم ومصاعب العمل الدعوي في بلاده فقال: «إن المهتدين الجدد الذين يتزايدون من شهر لآخر في حاجة إلى الرعاية والاهتمام والمساعدة المادية وإمكانات الجمعيات الإسلامية لا تستطيع ان تتحمل هذه الأعباء».

فالمهتدون يقيمون في المساجد أو في بيوت الأئمة والدعاة المحتاجين أصلاً للمساعدة، ما يحملهم أعباء إضافية. وأما بالنسبة للدعاة فإن أكثرهم غير مؤهلين، ويحتاجون إلى دورات تدريبية ترفع من مستواهم لكي يؤدوا واجبهم على أكمل وجه، وأنهم يعملون بدون مكافآت مما يقلل من أدائهم المهني. وأما بالنسبة إلى مدارس تحفيظ القرآن فيوجد في بانغي عشر مدارس لكنها تواجه نقصاً في المدرسين وحتى المدرسين الموجودين مستواهم المهني ضعيف وبعضهم لا يجيد اللغة العربية.. وعبر الحاج محمد في حديثه عن رغبته في افتتاح مكتب للجمعية في بانغي وان هذا المكتب سوف يؤدي خدماته ليس في إفريقيا الوسطى فقط بل سيقدم خدماته إلى عدد من الدول الأخرى المجاورة لها، لأن إفريقيا الوسطى تقع في قلب إفريقيا. فوجود مكتب للجمعية في بانغي ستكون له أهمية خاصة لأنه سيسهل الاتصال وتقديم الخدمات للمسلمين في عدد من الدول الأخرى.



وإنك لعلى خلق عظيم



إعداد: التحرير

(1)

«كان محمدﷺ خاتم النبيين وأعظم الرسل الذين بعثهم الله ليدعوا الناس إلى عبادة الله»[1].

(2)

«وكانت تصرفات الرسول ﷺ في «أعقاب فتح» مكة تدل على أنه نبي مرسل لا على أنه قائد مظفر. فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنيه برغم أنه أصبح في مركز قوي، ولكنه توّج نجاحه وانتصاره بالرحمة والعفو»[2].

(3)

«لقي الرسول ﷺ من أجل نشر الإسلام كثيرًا من العناء، وبذل عدة تضحيات. فقد شك الكثير في صدق دعوته، وظل عدة سنوات دون أن ينال نجاحًا كبيرًا، وتعرض خلال إبلاغ الوحي إلى الإهانات والاعتداءات والاضطهادات، بل اضطر إلى أن يترك وطنه ويبحث عن مكان يهاجر إليه هنا وهناك وتخلى عن كل متع الحياة وعن السعي وراء الثراء من أجل نشر العقيدة»[3].



واشنطن ايرفنج

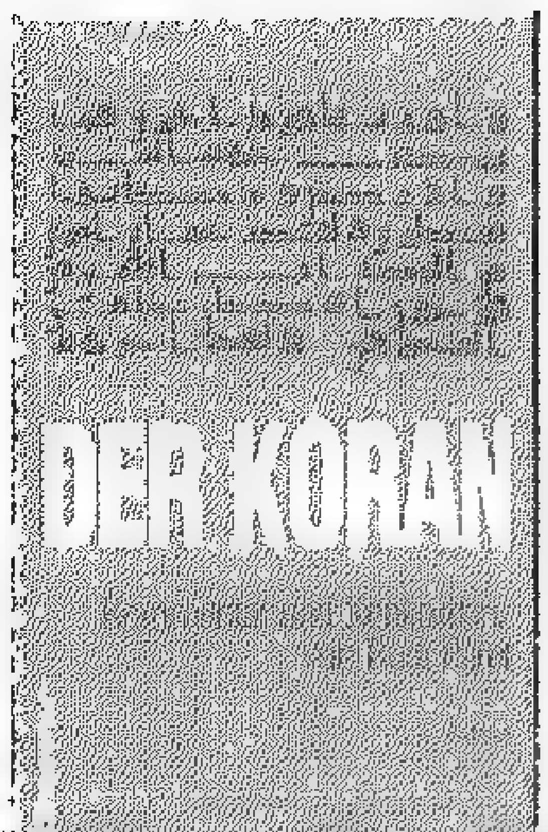
(4)

«برغم انتصارات الرسول ﷺ العسكرية لم تثر هذه الانتصارات كبرياءه أو غروره، فقد كان يحارب من أجل الإسلام لا من أجل مصلحة شخصية، وحتى في أوج مجده حافظ الرسول ﷺ على بساطته وتواضعه ، فكان يكره إذا دخل حجرة على جماعة أن يقوموا له أو أن يبالغوا في الترحيب به . وهو إن كان يهدف إلى تكوين دولة عظيمة، فإنها كانت دولة الإسلام، وقد حكم فيها بالعدل، ولم يفكر أن يجعل الحكم فيها وراثيًا لأسرته»[4].

(5)

«كان الرسولﷺ ينفق ما يحصل من جزية أو ما يقع في يديه من غنائم في سبيل انتصار الإسلام، وفي معاونة فقراء المسلمين، وكثيرًا ما كان ينفق في سبيل ذلك آخر درهم في بيت المال.. وهو لم يخلف وراءه دينارًا أو درهمًا أو رقيقًا.. وقد خيّره الله بين مفاتيح كنوز الأرض في الدنيا وبين الآخرة فاختار الآخرة»[5].

(1) واشنطن إيرفنج Washington Irving: حياة محمد ، ص 72 .
(2) حياة محمد ، ص 72 .
(3) نفسه ، ص 300 .
(4) نفسه ، ص 302 ـ 303 .
(5) نفسه ، ص 303 .



غلاف كتاب القرآن لرودي بارت*

(1)

«كان من بين ممثلي حركة التنوير من رأوا في النبي ﷺ أدلة الله، ومشرعًا حكيمًا، ورسولاً للفضيلة، وناطقًا بكلمة الدين الطبيعي الفطري، مبشرًا به»[1].

(2)

«كان العرب يعيشون منذ قرون طويلة في بوادي وواحات شبه الجزيرة، يعيثون فيها فسادًا. حتى أتى محمد ﷺ ودعاهم إلى الإيمان بإله واحد، خالق بارئ، وجمعهم في كيان واحد متجانس»[2].

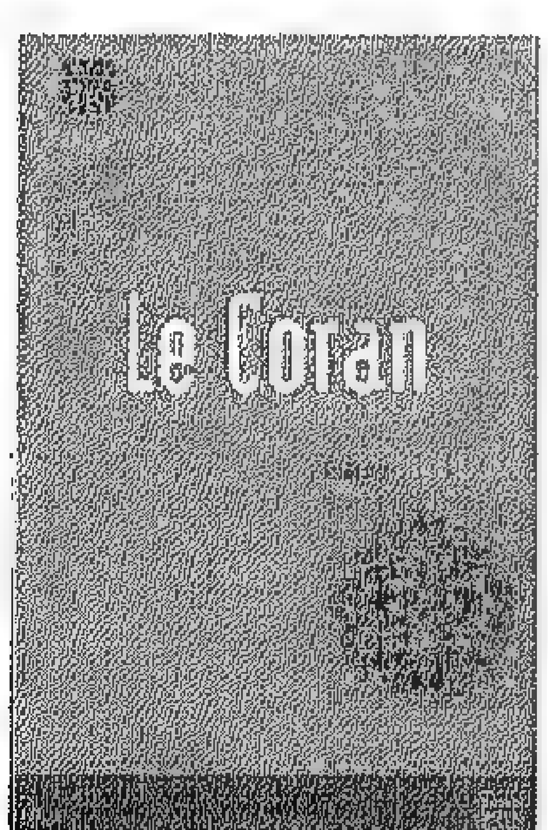
---

* رودي بارت Rudi Paret

عالم ألماني معاصر، اضطلع بالدراسات الشرقية في جامعة هايدلبرج، وكرس حياته لدراسة علوم العربية والإسلام، وصنف فيها عددًا كبيرًا من الأعمال، منها ترجمته للقرآن الكريم التي استغرقت منه عشرات السنين وأصدرها بين عامي 1963 و1966، وله كتاب عن النبي محمد ﷺ.

(1) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ص 15.

(2) نفسه، ص 20.



غلاف كتاب القرآن لريجيس بلاشير

(1)

«.. إن معجزة النبي ﷺ الحقيقية والوحيدة هي إبلاغه الناس رسالة ذات روعة أدبية لا مثيل لها، فمن هو ذلك الرجل المكلّف بالمهام الثقيلة العبء وهي حمل النور إلى عرب الحجاز في أوائل القرن السابع؟ إن محمدًا ﷺ لا يبدو في القرآن إطلاقًا منعمًا عليه بمواهب تنزهه عن الصفات الإنسانية، فهو لا يستطيع في نظر معاصريه المشركين أن يفخر بالاستغناء عن حاجات هي حاجاتهم. وهو يصرّح بفخر أنه لم يكن سوى مخلوق فان: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ الكهف 110.

وهو لم يتلق أي قدرة على صنع المعجزات، ولكنه انتخب ليكون منذرًا ومبشرًا للكافرين. إن نجاح رسالته مرتبط إذن بقيمتها الإحيائية وإلى شكلها المنقطع النظير. ولم يكن محمد ﷺ رغم ذلك، صاحب بيان ولا شاعرًا، فإن الأخبار التي روت سيرته لم تحسن الاحتفاظ بذكرى مفاخراته الشخصية، وثمة عوامل تحملنا على الشك فيما إذا كان عرف استعمال السجع، أو أنه تلقى من السماء فنّ ارتجال الشعر. وعندما قال عنه المكيّون المشركون أنه شاعر، أو حين عرّضوا بأن مصدر الوحي جنّي معروف أزال الله عنه هذه التهمة:

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ * لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس:69/ 70]

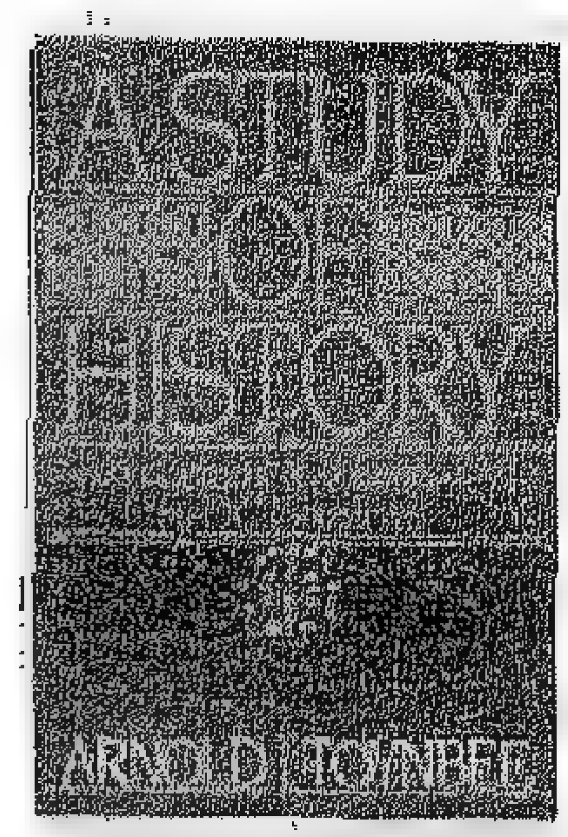
وهكذا يطرح هذا الوحي البالغ جماله حد الإعجاز، الواثق بحمل الناس بقوة بيانه على الهداية، كظاهرة لا علاقة لها بالفصاحة ولا الشعر»[1].

(2)

«.. أما عن انتصار الإسلام فثمّة أسباب تداخلت وفي طليعتها القرآن والسنة وحالة الحجاز الدينية، ونصح وبيان وأمانة الرجل المرسل لإبلاغ الرسالة المنزلة عليه.»[2].

(1) تاريخ الأدب العربي، 2/14 ـ 51.

(2) نفسه، 2/50.





آرنولد توينبي*

(1)

«لقد كرّس محمد ﷺ حياته لتحقيق رسالته في كفالة هذين المظهرين في البيئة الاجتماعية العربية ـ وهما الوحدانية في الفكرة الدينية، والقانون والنظام في الحكم ـ . وتم ذلك فعلاً بفضل نظام الإسلام الشامل الذي ضم بين ظهرانيه الوحدانية والسلطة التنفيذية معًا.. فغدت للإسلام بفضل ذلك قوة دافعة جبارة لم تقتصر على كفالة احتياجات العرب ونقلهم من أمة جهالة إلى أمة متحضرة، بل تدفق الإسلام من حدود شبه الجزيرة، واستولى على العالم السوري بأسره من سواحل الأطالسي إلى شواطئ السهب الأوراسي..»(1).

(2)

«.. لقد أخذت سيرة الرسول العربي (بألباب أتباعه، وسمت شخصيته لديهم إلى أعلى علّيين، فآمنوا برسالته إيمانًا جعلهم يتقبلون ما أوحي به إليه وأفعاله كما سجّلتها السنة، مصدرًا للقانون، لا يقتصر على تنظيم حياة الجماعة الإسلامية وحدها، بل يرتب كذلك علاقات المسلمين الفاتحين برعاياهم غير المسلمين الذين كانوا في بداية الأمر يفوقونهم عددًا»(2).

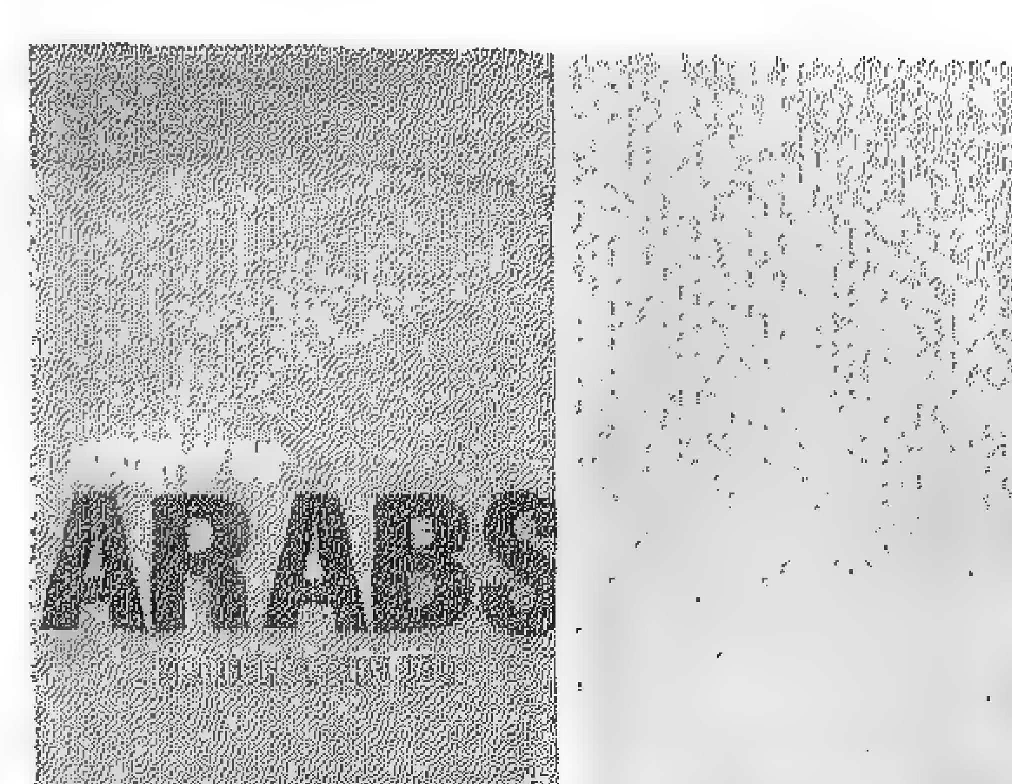
---

* آرنولد توينبي Arnold Toynbee

المؤرخ البريطاني المعاصر، الذي انصبت معظم دراساته على تاريخ الحضارات، وكان أبرزها ـ ولا ريب ـ مؤلفه الشهير (دراسة للتاريخ) الذي شرع يعمل فيه منذ عام 1921 وانتهى منه عام 1961، وهو يتكون من اثني عشر جزءًا عرض فيها توينبي لرؤيته الحضارية للتاريخ. ولقد وضع المستر سومر فيل ـ تحت إشراف توينبي نفسه ـ مختصرًا في جزأين لهذا العمل الواسع بسط فيه جميع آراء المؤلف مستخدمًا عباراته الأصلية في معظم الأحيان، وحذف الكثير من الأمثلة والآراء دون إخلال بالسياق العام للكتاب، وهذا المختصر هو الذي ترجم إلى العربية في أربعة أجزاء، وهو الذي اعتمدناه هنا.

(1) مختصر دراسة للتاريخ 10 / 381 .

(2) نفسه ، 3 / 98 .



غلاف كتاب العرب لفيليب حتي

(1)

«إن اللغة العربية هي لغة القرآن التي كانت الأساس الذي قامت عليه أمة جديدة أخرجت للناس، أمة جاءت بها بعثة محمد (من قبائل متنافرة متنازعة لم يقدّر لها من قبل أن تجتمع على رأي واحد. وهكذا استطاع رسول الإسلام ﷺ أن يضيف حدًا جديدًا (رابعًا) إلى المأثرة الحضارية ذات الحدود الثلاثة من الدين والدولة والثقافة، ذلك الحد الرابع الجديد كان (إيجاد أمة ذات لغة فوق اللغات)..»(1).

(2)

«إن إقامة الأخوة في الإسلام مكان العصبية الجاهلية (القائمة على الدم والقرابة) للبناء الاجتماعي كان في الحقيقة عملاً جريئًا جديدًا قام به النبي العربي ﷺ ..»(2).

(1) الإسلام منهج حياة ، ترجمة د . عمر فروخ ص 19 ـ 02 .

(2) نفسه ، ص 51 .

(3)

«من الكتَّاب المعاصرين لنا نفرٌ يحاولون أن يكتشفوا الأعمال الباهرة التي حققها محمدﷺ أو أن يعالجوا حياته الزوجية على أساس من التحليل النفسي، فلا يزيدون على أن يضيفوا إلى أوجه التحامل وإلى الآراء الهوائية أحكامًا من زيف العلم..»(3).

(4)

«صفات محمد ﷺ مثبتة في القرآن بدقة بالغة فوق ما نجد في كل مصدر آخر. إن المعارك التي خاضها والأحكام التي أبرمها ، والأعمال التي قام بها لا تترك مجالاً للريب في الشخصية القوية ، والإيمان الوطيد والإخلاص البالغ ، وغير ذلك من الصفات التي خلقت الرجال القادة في التاريخ . ومع أنه كان في دور من أدوار حياته يتيمًا فقيرًا، فقد كان في قلبه دائمًا سعة لمواساة المحرومين في الحياة»(4).

(5)

«إذا نحن نظرنا إلى محمد ﷺ من خلال الأعمال التي حققها، فإن محمدًا الرجل والمعلم والخطيب ورجل الدولة والمجاهد يبدو لنا بكل وضوح واحدًا من أقدر الرجال في جميع أحقاب التاريخ. لقد نشر دينًا هو الإسلام، وأسس دولة هي الخلافة ، ووضع أساس حضارة هي الحضارة العربية الإسلامية، وأقام أمة هي الأمة العربية. وهو لا يزال إلى اليوم قوة حية فعالة في حياة الملايين من البشر»(5).

(3) نفسه ، ص 54 .
(4) نفسه ، ص 54 .
(5) نفسه ، ص 56 .

إميل درمنغم

(1)

«.. إذا كانت كل نفس بشرية تنطوي على عبرة وإذا كان كل موجود يشتمل على عظة فما أعظم ما تثيره فينا من الأثر الخاص العميق المحرك الخصيب حياة رجل يؤمن برسالته فريق كبير من بني الإنسان!»(1).

(2)

«.. ولد لمحمدﷺ من مارية القبطية ابنه إبراهيم فمات طفلاً ، فحزن عليه كثيرًا ولحده بيده وبكاه، ووافق موته كسوف الشمس فقال المسلمون: إنها كُسفت لموته، ولكن محمدًا ﷺ كان من سموّ النفس ما رأى به ردّ ذلك فقال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد..» فقول مثل هذا لا يصدر عن كاذب دجال..»(2).

(3)

«إن محمدًا ﷺ الذي خلق القيادة لم يطلب معاصريه بغير ما يفرض عليهم من الطاعة لرجل يبلّغهم رسالات الله، فهو بذلك واسطة بين الله رب العالمين والناس

---

(1) Emile Dermenghem, The life of Mahomet p.9

(2) نفسه ، ص 318 .

أجمعين.. وكان ينهى عن عدّه ملكًا.. ولقد نال السلطان والثراء والمجد، ولكنه لم يغتر بشيء من هذا كله فكان يفضل إسلام رجل على أعظم الغنائم، ومما كان يمضه عجز كثير من الناس عن إدراك كنه رسالته..»[3].

(4)

«.. الحق أن النبي ﷺ لم يعرف الراحة ولا السكون بعد أن أوحي إليه في غار حراء، فقضى حياة يعجب الإنسان بها، والحق أن عشرين سنة كفت لإعداد ما يقلب الدنيا، فقد نبتت في رمال الحجاز الجذيبة حبة سوف تجدد، عما قليل، بلاد العرب وتمتد أغصانها إلى بلاد الهند والمحيط الأطلنطي. وليس لدينا ما نعرف به أن محمداً ﷺ أبصر، حين أفاض من جبل عرفات، مستقبل أمته وانتشار دينه، وأنه أحسّ ببصيرته أن العرب الذين ألّف بينهم سيخرجون من جزيرتهم لفتح بلاد فارس والشام وأفريقية وإسبانية»[4].

(3) نفسه، ص 360.

(4) نفسه، ص 368 – 963.

دافيد سانتيلانا*

(1)

«ما كان من محمد ﷺ إلا أن تناول المجتمع العربي هدمًا من أصوله وجذوره وشاد صرحًا اجتماعيًا جديدًا.. هذا العمل الباهر لم تخطئه عين (ابن خلدون) النفاذة الثاقبة. إن محمداً ﷺ هدم شكل القبيلة والأسرة المعروفين آنذاك، ومحا منه الشخصية الفردية Gentes والموالاة والجماعات المتحالفة. ومن يعتنق دين الإسلام عليه أن ينشئ روابطه كلها، ومنها رابطة القرابة والأسرة»[1].

(2)

«كان محمد ﷺ رسول الله إلى الشعوب الأخرى، كما كان رسول الله إلى العرب»[2].

* دافيد دي سانتيلانا (1845 – 1931) David de Santillana

ولد في تونس، ودرس في روما، أحرز الدكتوراه في القانون، فدعاه المقيم العام الفرنسي في تونس لدراسة وتدوين القوانين التونسية، فوضع القانونين المدني والتجاري معتمداً بذلك على قواعد الشريعة الإسلامية ومنسقًا إياهما بحسب القوانين الأوروبية. كان على معرفة واسعة بالمذهبين المالكي والشافعي، وفي سنة 1910 عين أستاذًا لتاريخ الفلسفة في الجامعة المصرية، وله محاضرات قيمة فيها. ثم استدعته جامعة روما لتدريس التاريخ الإسلامي.

من آثاره: (ترجمة وشرح الأحكام المالكية)، كتاب (الفقه الإسلامي ومقارنته بالمذهب الشافعي).. إلخ.

(1) تراث الإسلام (إشراف سير توماس آرنولد)، ص 405 – 604.

(2) نفسه، ص 406.

إيتين دينيه *

(1)

«إن الشخصية التي حملها محمدﷺ بين جوانحه كانت خارقة للعادة ، وكانت ذات أثر عظيم جدًا حتى إنها طبعت شريعته بطابع قوي جعل لها روح الإبداع وأعطاها صفة الشيء الجديد..»[1].

(2)

«إن نبي الإسلام هو الوحيد من بين أصحاب الديانات الذي لم يعتمد في إتمام رسالته على المعجزات وليست عمدته الكبرى إلا بلاغة التنزيل الحكيم..»[2].

(3)

«.. إن سنة الرسول الغرّاءﷺ باقية إلى يومنا هذا، يجلوها أعظم إخلاص ديني تفيض به نفوس «مئات الملايين» من أتباع سنته منتشرين على سطح الكرة[3].

(4)

«كان النبي (يعنى بنفسه عناية تامة، إلى حد أن عرف له نمط من التأنق على غاية من البساطة، ولكن على جانب كبير من الذوق والجمال، وكان ينظر إلى نفسه في المرآة.. ليمشط أو ليسوي طيات عمامته.. وهو في كل ذلك يريد من حسن منظره البشري أن يروق الخالق سبحانه وتعالى..»[4].

(5)

«لقد (دعا) عيسى (عليه السلام) إلى المساواة والأخوة، أما محمدﷺ فوفق إلى (تحقيق) المساواة والأخوة بين المؤمنين أثناء حياته»[5].

* إيتين دينيه Etienne Dinet (1861ـ 1929) تعلم في فرنسا، وقصد الجزائر، وأشهر إسلامه وتسمى بناصر الدين (1927)، وحج إلى بيت الله الحرام (1928).
من آثاره: صنف معاوية سليمان بن إبراهيم، و«محمد في السيرة النبوية»، وله بالفرنسية «حياة العرب»، و«حياة الصحراء»، و«الشرق في نظر الغرب»، و«الحج إلى بيت الله الحرام»، و«أشعة خاصة بنور الإسلام».

(1) أشعة خاصة بنور الإسلام ، ص 15 .
(2) نفسه ، ص 16 .
(3) محمد رسول الله ، ص 51 .
(4) نفسه ، ص 312 .
(5) نفسه ، ص 323 .



مكسيم رودنسون*

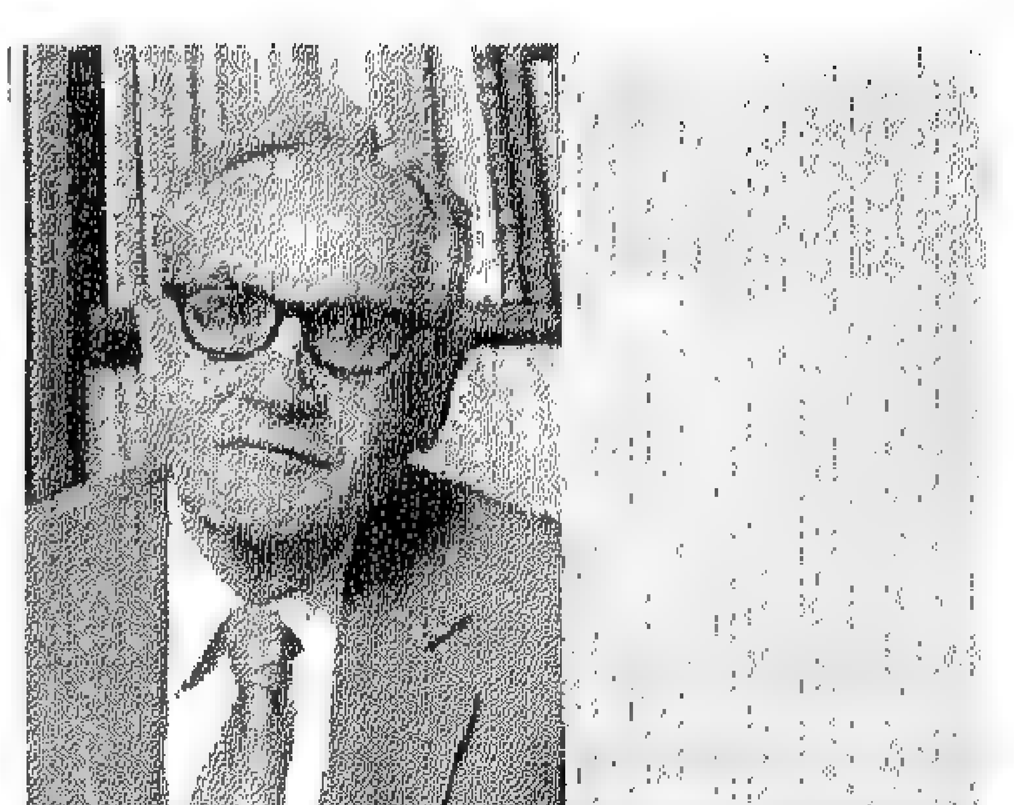
(1)

«.. بظهور عدد من المؤرخين الأوروبيين المستنيرين في القرن الثامن عشر ، بدأت تتكامل معالم صورة هي صورة محمد ﷺ الحاكم المتسامح والحكيم والمشرع» [1].

---

* مكسيم رودنسن Maxim Rodinson
ولد عام 1915، من أساتذة مدرسة الدراسات العليا بباريس، ثم مديرها.
من آثاره: (مباحث في فن الطبخ عند العرب) (1949)، ونشر عدداً من الدراسات في المجلات المعروفة من مثل (دانتي والإسلام)، و (حياة محمد والمشكلة الاجتماعية المتعلقة بأصول الإسلام)، و(دراسة الصلات بين الإسلام والشيوعية).

1ـ تراث الإسلام ، (تصنيف شاخت وبوزوث)، 1 / 67 ـ 86 .



فرانز روزنتال*

(1)

«إن أفكار الرسول ﷺ التاريخية نشّطت دراسة التاريخ نشاطًا لا مزيد عليه، فقد أصبحت أعمال الأفراد وأحداث الماضي وحوادث كافة شعوب الأرض أمورًا ذات أهمية دينية، كما أن شخصية الرسول ﷺ كانت خطًا فاصلاً واضحًا في كل مجرى التاريخ، ولم يتخط علم التاريخ الإسلامي هذا الخط قط..» [1].

(2)

«تبقى حقيقة ، هي أن الرسول (نفسه وضع البذور التي نجني منها اهتمامًا واسعًا بالتاريخ.. لقد كان التاريخ يملأ تفكير الرسول ﷺ لدرجة كبيرة، وقد ساعد عمله من حيث العموم في تقديم نمو التاريخ الإسلامي في المستقبل، رغم أن الرسول ﷺ لم يتنبأ بالنمو الهائل للمعرفة والعلم الذي سيتم باسم دينه» [2].

---

* فرانز روزنتال ولد في برلين سنة 1914 ، وتلقى علومه في جامعتها حيث حصل على درجة الدكتوراه سنة 1935 . قدم إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1940 ، وعمل أستاذاً للغات السامية ، ودرّس اللغة العربية في جامعة بنسلفانيا، كما شغل منصب أستاذ كرسيّ اللغات السامية في جامعة ييل . له عدد من المؤلفات من أشهرها كتابه علم التاريخ عند المسلمين الذي ترجمه إلى العربية الدكتور صالح أحمد العليّ ، وكتاب مناهج البحث عند المسلمين الذي ترجمه الدكتور أنيس فريحة .

1. فرانز روزنتال : علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة د. صالح العلي ص 40.

2. المصدر السابق ص 45 .

جورج سارتون *

(1)

«صدع الرسول ﷺ بالدعوة نحو عام 610 م وعمره يوم ذاك أربعون سنة، وكان مثل إخوانه الأنبياء السابقين (عليهم السلام) ولكن كان أفضل منهم بما لا نسبة فيه.. وكان زاهدًا وفقيهاً ومشرّعًا ورجلاً عملياً..»(1).

(2)

«إنه لم يتح لنبي من قبل.. أن ينتصر انتصارًا تامًا كانتصار محمدﷺ ..»(2).

(3)

«.. لم يكن محمد ﷺ نبي الإسلام فحسب، بل نبي اللغة العربية والثقافة العربية، على اختلاف أجناس المتكلمين بها وأديانهم»(3).

* ولد جورج سارتون في بلجيكا سنة 1884، وقد هاجر إلى أمريكا سنة 1915، وتحصل على الجنسية الأمريكية سنة 1924، درّس مادة (تاريخ العلم) في جامعة هارفارد. من أشهر مؤلفاته كتاب (مقدمة في تاريخ العلم) وقد تُرجم إلى العربية .

1 ـ الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط ، ص 29 ـ 03 ـ 13.

2 ـ نفسه ، ص 43 .

3 ـ نفسه ، ص 43 .

هنري سيريو *

(1)

«لم يغرس محمدﷺ في نفوس الأعراب مبدأ التوحيد فقط، بل غرس فيها أيضًا المدنية والأدب»(1).

(2)

«محمد ﷺ شخصية تاريخية حقة، فلولاه ما استطاع الإسلام أن يمتد ويزداد، ولم يتوان في ترديد أنه بشر مثل الآخرين مآله الموت، وبأنه يطلب العفو والمغفرة من الله عز وجل. وقبل مماته أراد أن يطهر ضميره من كل هفوة أتاها ، فوقف على المنبر مخاطبًا: أيها المسلمون، إذا كنت قد ضربت أحدًا فهاكم ظهري ليأخذ ثأره، أو سلبته مالاً فمالي ملكه. فوقف رجل معلنًا أنه يدينه بثلاثة دراهم، فردّ الرسول ﷺ قائلاً: أن يشعر الإنسان بالخجل في دنياه خيرٌ من آخرته. ودفع للرجل دينه في التو. وهذا التذوق والإحساس البالغ لفهم محمد ﷺ لدوره كنبي يرينا بأن (رينان) كان على غير حق في نعته العرب قبل الإسلام بأنها أمة كانت تحيا بين براثن الجهل والخرافات..»(2).

(1) فلسفة الفكر الإسلامي ، ص 8 .

(2) نفسه ، ص 17 .

(3)

«إن المحاولة الإسلامية في التاريخ ذات أثر كبير، والعبقرية العربية تجد في محمد ﷺ منشأً لحضارة التوحيد التي تعتبر ذات أهمية كبيرة، إذا فكرنا في القيمة الفلسفية للتوحيد، وفي تفوقها الكبير الذي جعل كل الشعوب الآرية تمارس أفكار تلكم الفلسفة. وهذه الثروة الروحية الغزيرة في الأمة العربية، راجعة إلى الغريزة النبوية والتي تعد واضحة لدى الشعوب السامية، فاليهود الذين يستطيعون الفخر بأنبيائهم الكبار، يقرون بأن روح النبوة قد اختفت لديهم بعد هدم معبدهم الثاني، وهذا ما يفسر بمعنى أكيد العداوة العنيفة والكثيرة التكرار في القرآن بالنسبة إليهم»[3].

(4)

«.. إن الحضارة الفكرية الذهنية الحقيقية لم تظهر وتوجد ـ لدى العرب ـ إلا لدى وصول محمد ﷺ»[4].

(3) نفسه ، ص 31 .
(4) دفاع عن الإسلام ، ص 24 .

(1)

«.. لم ينسب محمد ﷺ في أيّ يوم من الأيام إلى نفسه صفة ألوهية أو قوى عجيبة . على العكس، لقد كان حريصًا على النص على أنه مجرد رسول اصطنعه الله لإبلاغ الوحي للناس»[1].



(2)

«كان محمد ﷺ تقيًا بالفطرة ، وكان من غير ريب مهيأً لحمل رسالة الإسلام التي تلقاها.. وبالإضافة إلى طبيعته الروحية ، كان في سرّه وجهره رجلاً عمليًا عرف مواطن الضعف ومواطن القوة في الخلق العربي، وأدرك أن الإصلاحات الضرورية ينبغي أن تقدم إلى البدو الذين لا يعرفون انضباطًا وإلى المدنيين الوثنيين ، وفي آن معًا ، على نحو تدريجي . وفي الوقت نفسه كان محمد ﷺ يملك إيمانًا لا يلين بفكرة الإله الواحد.. وعزمًا راسخًا على استئصال كل أثر من آثار عبادة الأصنام التي كانت سائدة بين الوثنيين العرب»[2].

(1) روم لاندو Rom Landa في كتابه The Arab heritage of western civilization، ص 32 .
(2) نفسه ، ص 33 .

(3)

«كانت مهمة محمد ﷺ هائلة . كانت مهمة ليس في ميسور دجال تحدوه دوافع أنانية (وهو الوصف الذي رمى به بعض الكتاب الغربيين المبكرين الرسول العربي ﷺ) أن يرجو النجاح في تحقيقها بمجهوده الشخصي، إن الإخلاص الذي تكشف عنه محمدﷺ في أداء رسالته ، وما كان لأتباعه من إيمان كامل بما أنزل عليه من وحي، واختبار الأجيال والقرون، كلّ ذلك يجعل من غير المعقول اتهام محمدﷺ بأيّ ضرب من الخداع المتعمد . ولم يعرف التاريخ قط أي تلفيق (ديني) متعمد استطاع أن يعمر طويلاً . والإسلام لم يعمر حتى الآن ما ينوف على ألف وثلاثمائة سنة وحسب ، بل إنه لا يزال يكتسب، في كل عام، أتباعًا جددًا. وصفحات التاريخ لا تقدم إلينا مثلاً واحدًا على محتال كان لرسالته الفضل في خلق إمبراطورية من إمبراطوريات العالم وحضارة من أكثر الحضارات نبلاً»[3].

(4)

«كانت مهمة محمد ﷺ هي القضاء على النظام القبلي القوي الذي كان مسؤولاً عن اندلاع نار الحرب ، على نحو موصول تقريبًا بين العرب، والاستعاضة عنه بولاء لله يسمو على جميع الروابط الأسرية والأحقاد الصغيرة . كان عليه أن يعطي الناس قانونًا كليًا يستطيع حتى العرب المتمردون قبوله والإذعان له ، وكان عليه أن يفرض الانضباط على مجتمع عاش على العنف القبلي والثأر الدموي لضروب من المظالم بعضها واقعي وبعضها متوهم . كان عليه أن يحلّ الإنسانية محل الوحشية ، والنظام محل الفوضى، والعدالة محلة القوة الخالصة»[4].

(5)

«عندما توفي محمد ﷺ عام 632م كان في نجاح الإسلام ما زكى إيمان خديجة بالوحي الذي تلقاه زوجها ، وكانت العقيدة التوحيدية الجديدة في سبيلها إلى القيام بفتح روحي ومادي لا يضارعه أي فتح في التاريخ البشري»[5].

---

(3) نفسه ، ص 33 ـ 43 .

(4) نفسه ، ص 34 .

(5) نفسه ، ص 35 .

إدوارد مونته*

(1)

«إن طبيعة محمد ﷺ الدينية تدهش كل باحث مدقّق نزيه المقصد بما يتجلى فيها من شدة الإخلاص. فقد كان محمد ﷺ مصلحًا دينيًا ذا عقيدة راسخة ، ولم يقم إلا بعد أن تأمّل كثيرًا وبلغ سن الكمال بهذه الدعوة العظيمة التي جعلته من أسطع الأنوار الإنسانية في الدين . وهو في قتاله الشرك والعادات القبيحة التي كانت عند أبناء زمنه ، كان في بلاد العرب أشبه بنبيٍّ من أنبياء بني إسرائيل الذين نراهم كبارًا جدًا في تاريخ قومهم. ولقد جهل كثير من الناس محمدًا وبخسوه حقه ، وذلك لأنه من المصلحين النادرين الذين عرف الناس أطوار حياتهم بدقائقها»[1].

(2)

«كان محمد ﷺ كريم الأخلاق حسن العشرة، عذب الحديث، صحيح الحكم صادق اللفظ، وقد كانت الصفات الغالبة عليه هي صحة الحكم وصراحة اللفظ ، والاقتناع التام بما يعمله ويقوله»[2].

(3)

«.. ندر بين المصلحين من عرفت حياتهم بالتفصيل مثل محمد ﷺ، وإن ما قام به من إصلاح أخلاق وتطهير المجتمع يمكن أن يعد به من أعظم المحسنين للإنسانية»[3].

(4)

«لا مجال للشك في إخلاص الرسول ﷺ وحماسته الدينية التي تشبعت بها نفسه وفكره..»[4].

---

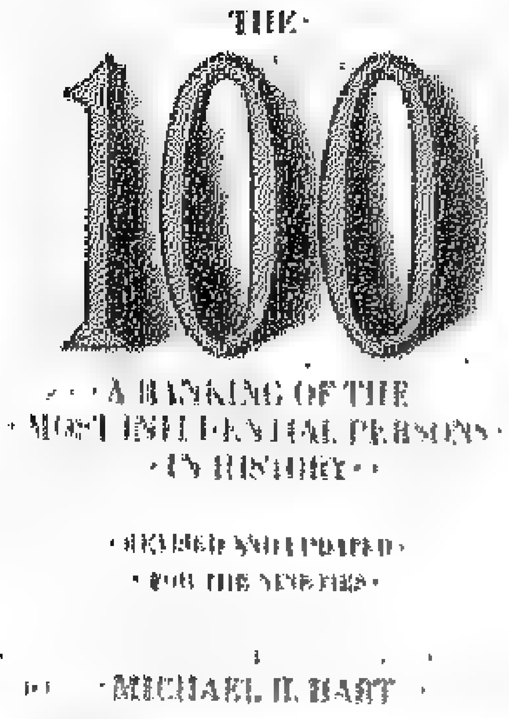
* إدوارد مونته (1856 ـ 1972) Edward Montet
أستاذ اللغات الشرقية في جامعة جنيف، من كتبه (محمد والقرآن)، وترجمة جيدة للقرآن، و(حاضر الإسلام ومستقبله).

(1) محمد والقرآن ، ص 18 (عن ستودارد: حاضر العالم الإسلامي 1 / 32).

(2) نفسه ، (عن ستودارد 1 / 32).

(3) حاضر الإسلام ومستقبله (عن محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية 1/67).

(4) نفسه ، 1 / 67 .





(1)

«إن اختياري لمحمد ﷺ ليكون رأس القائمة التي تضم الأشخاص الذين كان لهم أعظم تأثير عالمي في مختلف المجالات، ربما أدهش كثيرًا من القراء... ولكن في اعتقادي أن محمدًا ﷺ كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي»(1).

(2)

«لقد أسس محمد ﷺ ونشر أحد أعظم الأديان في العالم ، وأصبح أحد الزعماء العالميين السياسيين العظام. ففي هذه الأيام وبعد مرور ثلاثة عشر قرنًا تقريبًا على وفاته ، فإن تأثيره لا يزال قويًا وعارمًا..»(2).

(3)

«.. من وجهة النظر الدينية الصرفة يبدو أن محمدًا ﷺ كان له تأثير على البشرية عبر التاريخ كما كان للمسيح (عليه السلام)»(3).

(4)

«.. إن محمدًا ﷺ يختلف عن المسيح بأنه كان زعيمًا دنيويًا فضلاً عن أنه زعيم ديني، وفي الحقيقة إذا أخذنا بعين الاعتبار القوى الدافعة وراء الفتوحات الإسلامية ، فإن محمدًا ﷺ يصبح أعظم قائد سياسي على مدى الأجيال»(4).

(5)

«.. إن هذا الاتحاد الفريد الذي لا نظير له في التأثير الديني والدنيوي معًا يخول محمدًا ﷺ أن يعتبر أعظم شخصية فرد ذات تأثير في تاريخ البشرية»(5).

❖ الدكتور مايكل هارت Michael Hart
أمريكي، حصل على عدة شهادات في العلوم وعلى الدكتوراه في الفلك من جامعة برنستون، عام 1972، عمل في مراكز الأبحاث والمراصد، وهو أحد العلماء المتمدين في الفيزياء التطبيقية.

(2) دراسة في المائة الأوائل ، ص 19 .
(3) نفسه ، ص 19 .
(4) نفسه ، ص 23 .
(5) نفسه ، ص 24 .
(6) نفسه ، ص 25 .

(1)

«.. هل تراك علمت قط أن رجلاً على غير كريم السجايا مستطيع أن يتخذك صديقًا؟ ذلك أن من عرفوا محمداً ﷺ كانوا أشد الناس إيمانًا به أكثر من غيرهم. وقد آمنت به خديجة كل حياته . وأبو بكر أفضل شاهد على ذلك ، وهو لم يتردد قط في إخلاصه. كان يؤمن بالنبيﷺ. ومن العسير على أي إنسان يقرأ تلك الأيام ألا يؤمن بأبي بكر، وكذلك علي، فإنهما خاطرا بحياتيهما من أجل النبي ﷺ في أحلك أيامه سوادًا.»[1].

(2)



«حجّ محمد ﷺ حجة الوداع من المدينة إلى مكة، قبل وفاته بعام، وعند ذاك ألقى على قومه موعظة عظيمة.. إنّ أول فقرة فيها تجرف أمامها كل ما بين المسلمين من نهب وسلب ومن ثارات ودماء، وتجعل الفقرة الأخيرة منها الزنجي المؤمن عدلاً للخليفة.. إنها أسست في العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم، وإنها لتنفخ في الناس روح الكرم والسماحة، كما أنها إنسانية السمة ممكنة التنفيذ، وقد خلقت جماعة إنسانية يقل ما فيها ، مما يغمر الدنيا من قسوة وظلم اجتماعي، عما في أي جماعة أخرى سبقتها»[2].

(3)

«لقد منح (العرب) العالم ثقافة جديدة، وأقاموا عقيدة لا تزال إلى اليوم من أعظم القوى الحيوية في العالم أما الرجل الذي أشعل ذلك القبس العربي فهو محمدﷺ[3].

---

* هربرت جورج ولز (1866 ـ 1946) Herbert George Wells

الكاتب والأديب البريطاني المعروف. حصل على بكالوريوس العلوم سنة 1888، تولى التدريس بضع سنين ثم انصرف للتأليف. اشتهر بقصصه الذي يعتمد الخيال العلمي من مثل (آلة الزمن) و(الرجل الخفي)، فضلاً عن رواياته النفسية والاجتماعية من مثل (ميكافيللي الجديد) و(الزواج). ولم يغفل ولز البحث في التاريخ فأنجز عام 1920 (معالم تاريخ الإنسانية) وأعقبه بـ(موجز تاريخ العالم). وكان آخر كتاب أصدره هو (العقل في أقصى تواتراته) (1944). ولولز كتاب في السيرة الذاتية بعنوان: (تجربة في كتابة السيرة الذاتية).

(1) معالم تاريخ الإنسانية ، 3 / 639 .

(2) نفسه ، 3 / 640 ـ 146 .

(3) موجز تاريخ العالم ، ص 200 ـ 102 .



- الكفار: تاريخ الصراع بين الممالك المسيحية والإسلام
- رسالة إلى أوريانا فلاتشي
- المكتبة

الكفار

تاريخ الصراع بين الممالك المسيحية والإسلام

Infidels, A history of conflict between Christendom and Islam

عرض: **الصديق بشير نصر***

أندرو ويتكروفت، درّس مادة التاريخ في Christ College بكمبردج وجامعة مدريد University of Madrid. وهو مؤرخ مشهور عالمياً باهتمامه بالصورة والنصّ. وبعد أن ترك التدريس الجامعي دخل إلى عالم المطبوعات والنشر، وعمل في المجلات مع مؤسسة النشر الدولية IPC، كما عمل مديراً أكاديمياً للتحرير مع Weidenfeld & Nicolson وله عدد من المؤلفات فضلاً عن كتابه (الكفّار).

ومن مؤلفاته:

- آل هابسبورغ (1997) The Habsburgs
- العثمانيون (1994) The Ottamans
- الطريق إلى الحرب The Road to War
- جزيرة العرب والخليج في صور أصلية Arabia & the Gulf in Original Photographs

يقع كتاب (الكفّار) في 464 صفحة، ويتكوّن من خمسة أقسام ومقدمة وخاتمة، موزّعة على خمسة عشر فصلاً على النحو الآتي:

محتويات الكتاب:

الكتاب:

الكفار: تاريخ الصراع بين الممالك المسيحية والإسلام.

تأليف: أندرو ويتكروفت

Andrew Wheatcroft

من منشورات: دار فايكنغ ـ البنغوين، في المملكة المتحدة سنة 2003.



---

* باحث وأستاذ جامعي / ليبيا

❖ القسم الثالث:
ـ الفصل السابع: إلى الأرض المقدسة
ـ الفصل الثامن: الفتح وإعادة الفتح
❖ القسم الرابع:
ـ الفصل التاسع: أشباح البلقان
ـ الفصل العاشر: تعلّم الكراهية
ـ الفصل الحادي عشر: خط عريض من الدمّ
❖ القسم الخامس:
ـ الفصل الثاني عشر: العمامة والسيف المعقوف
ـ الفصل الثالث عشر: الفن الأسود
ـ الفصل الرابع عشر: اللعنة، كلمات الكره
❖ الخاتمة:
ـ الفصل الخامس عشر: الملائكة الأفضل



المؤلف

طُبِعَ الكتابُ طبعات عدة آخرها في سنة 2005. ونال من التقريظ ما يستحق على صفحات الغارديان، والأوبزرفر، والصانداي تلغراف، والفاينانشيال تايمز، والاندبندنت.

وبحسب ما أطلقته الصحافة، استغرق ويتكروفت سبعة عشر عاماً في دراسة وبحث موضوع (الكفرة)، والمؤلف نفسه يقول في تواضع إنه أنفق أكثر من عشر سنواتٍ في ذلك. والمؤلف مؤرخ قدير، مسلّح بثقافة تاريخية عميقة تؤهله للخوضِ في مثل هذا الموضوع.



والمجال الذي تناوله ويتكروفت مجال خصب. وهو قد ركب في بحثه هذا الموج الغضوب كما فعل أوليسيس في الأوديسا على رأي أحد النقاد. وهو في البحث عما يؤمّنُ أُسُسَه العقلية يستعين بأشكال متباينة مثلما فعل جاك لاكان Jacques Lacan وإيڤان باڤلوف Ivan Pavlov. ولكن الوزن الثقيل الذي يعني الكثيرَ له هو الناقد ميخائيل باختين Mikhail Bakhtin ففي عبارة مشهورة يصوّر باختين عدوّين يواجه أحدهما الآخر. وبالرغم من أنهما يشغلان نفس الحيّز إلا أنهما يريان شيئاً مغايراً. وكلّ يرى ما لا يرى الآخر، وكلّ ذلك يجري وراء ظهر الخصم. وبالرغم من أن موقف باختين أكثر تعقيداً من ذلك، إلا أنه أعطى لويتكروفت هذا الملاّح الجسور الذي ركب اللجّة، البوصلة التي يستعين بها وهي «الأعداء في المرآة» تلك العبارة الشهيرة التي قالها باختين. فالمسلم والمسيحيّ كلّ منهما كافرٌ في عين صاحبه.

يبدأ ويتكروفت رحلته مع حصار العرب للقدس سنة 638 .

فالتفسيرات التي تمّت بخصوص احتلال المسلمين للأندلس،

واسترداده بعد ذلك على يد النصارى، وحروب الأمبراطورية العثمانية وتهديدها لأوروبا، والعداوة المستحكمة بين الأتراك وأعدائهم في البلقان، كلّ ذلك صنع كتلة من الكفرة.

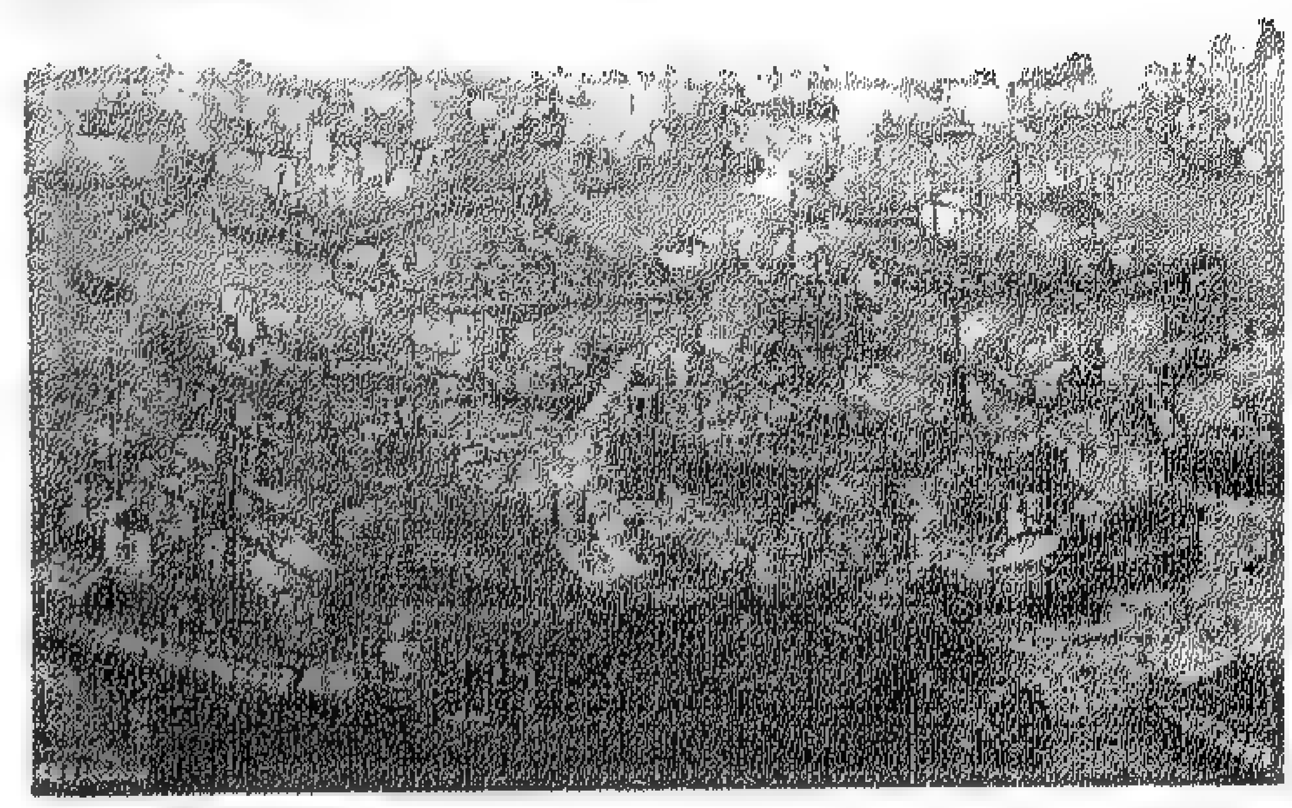
فهذه الشواهد التاريخية الثلاثة (فتح الأندلس / سقوط الأندلس / انبعاث الأمبراطورية العثمانية وتهديدها لأوروبا) منحت ويتكروفت فرصاً مذهلة للبحث.

وكتاب (الكفار) « قراءة جوهرية لكلّ من يهتمّ بما يجري اليوم في نظام العالم الجديد » بحسب رأي الصانداي هيرالد.

وبالرغم من أنّ المؤلف حاول جاهداً أن يكون موضوعياً في معالجة موضوع يتّسم بالحساسية، إلا أنه أخفق في مواطن كثيرة حيث ظلّ رهين العقل الاستشراقي الذي لعب في بعض الأحايين دوراً في تشويه التاريخ.

(الكفّار) محاولة جريئة لإعادة رسم الوقائع التاريخية وتفسيرها بالكشف عن الأيديولوجيا التي تتخفّى وراءها، ومن خلال إعادة تكوين البنية التاريخية من منظور متعدد الرؤى بحسب المدرسة البنيوية، وهو ما دعا مَن قام بعرض كتابه في صحيفة (الغارديان) إلى أن يصفه بأنه «مفتونٌ بأعمال البنيويين)، وبأن كتابه «نتاج لتفكيرٍ في التاريخ غير مألوف».

كتاب (الكفّار) عرضٌ زمني لتاريخ العداء A chronicle of antagonism ، أو كما عبّر عنه مؤلفه بقوله: « هذا كتابٌ عن العداء، كيف تولّد، وكيف تغذّى ».



معركة ليبانتو البحرية

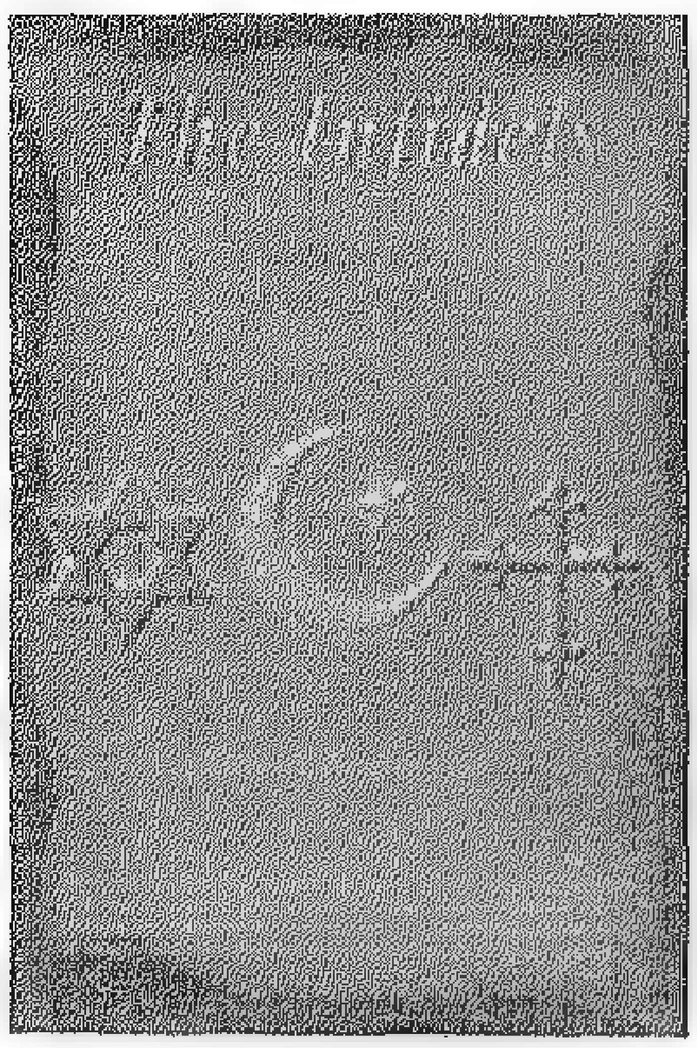
بدأ المؤلف فصله الأوّل بالحديث عن معركة ليبانتو البحرية التي جرت في أكتوبر 1571 بين الأسطول البحري الأوروبي الذي اجتمعت فيه بحرية البندقية، وإسبانيا، وجنوة ، تحت رعاية دولة الفاتيكان بقيادة يوحنا النمساوي، والأسطول العثماني بقيادة علي باشا. وقد انتهت المعركة بهزيمة العثمانيين.

كانت هذه المعركة بسبب إحساس الأوروبيين بتهديد الإسلام مُمثّلاً في الأمبراطورية العثمانية التي كانت تسعى لبسط نفوذها على أوروبا.

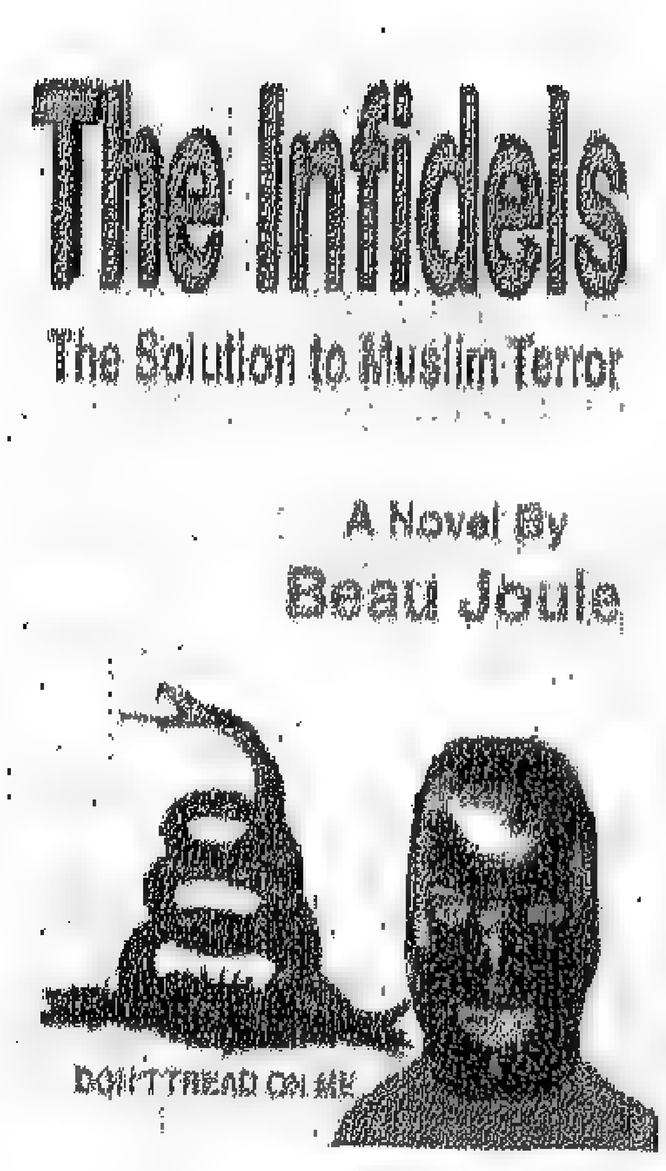
وقد ساهم العلماء الغربيون في الترويج لأساطير لا تزال سائدة حتى اليوم كقولهم إن المسلمين ينحدرون من نسل قابيل، وغيرهم يتحدر من نسل هابيل، وقد قتل قابيلُ هابيلَ، ولذلك تجري دماءُ القتلِ في عروقهم. وكان المسيحيون يطلقون على أعدائهم أوصافاً مهينة مثل: « أبناء قابيل »، و«أبناء الزنا»، و «المسيح الدجّال». وبالمثل كان المسلمون ينعتون أعداءهم.

إنّ الفكرة الأساس التي يتمحور حولها الكتاب وهي تبادل الاتهام بالكفر، ترجع إلى أصول ميتافيزيقية يشترك فيها الطرفان. وربما كانت

هذه الدراسة أوّل محاولة جادّة لتفسير العداء المزمن بين عقيدتين.



وقد وقع المؤلف في بعض المغالطات سجّلتها عليه الكاتبة جوستين ونتل Justin Wintle مؤلفة كتاب (المرشد الفظّ لتاريخ الإسلام) في عرضها للكتاب المنشور بصحيفة الإندبندنت بتاريخ 2003/5/10، فهو في رأيها وقع في فخّ الوصف العام ، وأنه ضرب مسماراً في نعش التوحيد السائد، بأيّ معدّل من معدّلات قياس الانحراف عن ذلك التوحيد العام كما يتصوره المسيحيون. وليس لما يقوله معنى إلا من خلال الثقافة النسبية فقط التي تصنع معنى أخلاقياً إذا آمن بها الجميع واعتنقوها. وفضلاً عن ذلك وجود بعض الأخطاء فيه كقوله: «الكعبة حجر أسود كبير في مكة» وهذا خطأ بلا ريب حيث ظنّ أنّ الستار الأسود الذي تُغطى به الكعبة هو لون حجرها. كما سجّلت عليه الناقدة استهدافه لزلة لسان الرئيس بوش عندما ذكر الصليبية بعد أحداث 11 سبتمبر، وتجاهله أن الرئيس بوش أجبر على الرجوع على ذلك سريعاً بفعل الأيديولوجيا العقلانية المهيمنة في الإعلام الغربي، (وإن كان هذا لا يُسلّم للناقدة بشكل مطلق). ويبدو أنّ عرض بعض الباحثين في الصحافة الغربية يميلُ إلى توظيف الصور السلبية عن المسلمين الواردة في الكتاب دون ذكر الصور السلبية الأخرى التي تتعلّق بالمسيحيين. وفي هذا مجافاة للموضوعية، ومخالفة للمقاصد التي أرادها المؤلف لكتابه.



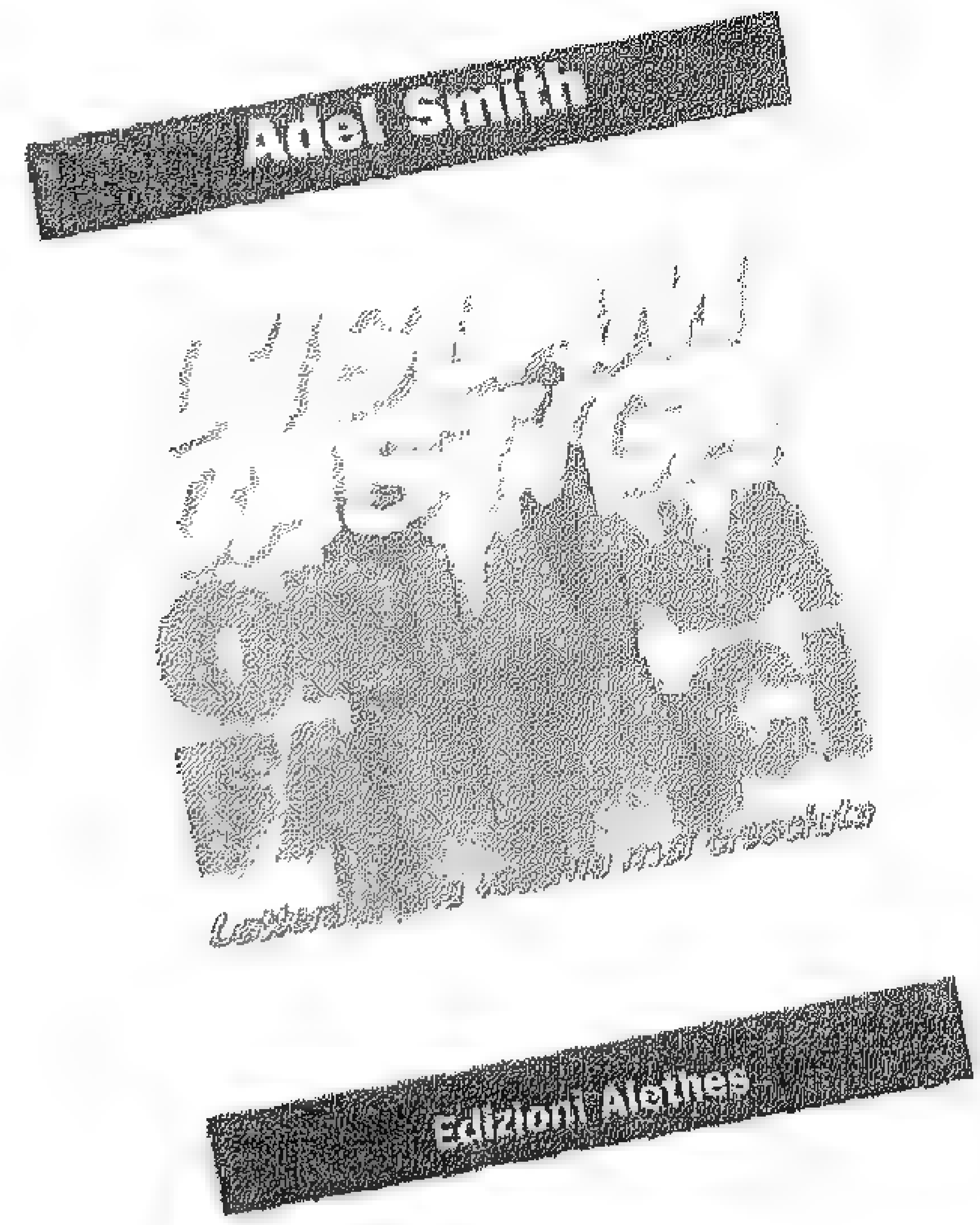
ولعلّ ما ورد في العرض الذي قدّمته صحيفة الغارديان للكتاب بتاريخ 2004/5/22 يعكس شيئاً من ذلك. فقد جاء في مطلع هذا العرض:

«في سنة 1571 التمس مارك انطونيو براجادينو حاكم مدينة فاماخوستا Famagusta (بقبرص) استسلاماً مُشرفاً بعد حصار دام أربعة أشهر على يد القائد العثماني لاله مصطفى، وبعد استسلامه قُطعَتْ أذناه وجُدِعَ أنفه، وقُطعت رؤوسُ قوّاده أمام عينيه بعد ذلك. وأمام رجاله الأسرى طِيفَ به في الشوارع وهو يرتدي ملابسه الرسمية، ووُضِعَ على ظهره ما يوضع على ظهور البغال، ووُضِعَ في فيه لجامٌ وشُدّ برَسَنٍ، ورُبطَت يداه إلى رُكبتيه، وكلما وصل إلى خيمة القائد العثماني مُلئ فمه بالتراب، ثم في النهاية علّق من عقبَيْه وسُلِخَ جلدُه.».

ويبدو أنّ صُدورَ الكِتَاب حفّزَ آخرين ليكتبوا في الموضوع نفسه، وكأنهم يكتبونَ استكمالاً لما بدأ فيه ويتكروفت، أو ردّاً عليه عند مَنْ لم تقع معالجته في أنفسهم موقع الرضى.

ففي أوّل سنة 2005 صدر كتاب بعنوان (الكفّار) لمؤلف يُدعى داڤيد أندرسون David Anderson تكلّم فيه عن الصراع بين اليهودية والمسيحية والإسلام اليوم.

وهذا الكتاب من منشورات Authorhouse. كما صدرت مؤخراً رواية سخيفة تحمل اسم (الكفّار ـ الحل للإرهاب الإسلامي) من منشورات Burlington National Inc. لكاتب يُدعى Beau Joule لم تلق صدى عند النقّاد.



رسالة إلى أوريانا فلاتشي
Oriana Fallaci

عرض: علي الصادق حسنين*

أوريانا فلاتشي لن تكون أول ولا آخر كاتبة تناصب الإسلام العداء. إنها تتمتع بشهرة كبيرة بصفتها كاتبة موهوبة ألفت كتباً كثيرة كان من أواخرها كتاب عنوانه «الغضب والكبرياء» كالت فيه للمسلمين ولدينهم الحنيف ما وسعها من التهم الجوفاء والشتائم النكراء. لقد أتت في الحقيقة شيئاً فرياً، مع أن الكتاب لقي ـ بحسب ما يقال ـ رواجًا لم يكن به حرياً. ومما هو جدير بالذكر أن صنعها السيئ هذا لم ينطل على إخواننا في الدين في البلاد الإيطالية الذين وقفوا لها بالمرصاد للذود عن الإسلام والأمة المحمدية.

فهذا الناقد المسلم ماسّيمو تزوكّي (Massimo Zucchi) الذي في معرض تعريفه بكتاب لأخيه في الدين والوطن عادل سميث (Adel Smith) يشبّه الكتاب بوعاء خاوٍ من الثقافة، وحاوٍ للألفاظ البذيئة، ومليء بالافتراءات الشنيعة، فاستحق لذلك الرد الشافي الذي ضمّنه الدكتور سميث المذكور مشكوراً كتابه القيم «الإسلام يعاقب أوريانا فلاّتشي» الصادر عن الناشر Alethes بمدينة كاريشيتّي (Carichitti) سنة 2002 مسيحي، ذلك الكتاب الذي نحن بصدد عرضه والذي يؤهله ـ على حد قول الناقد المشار إليه أعلاه ـ ليكون «الممثل الأوحد» لمسلمي إيطاليا، وذلك نظرًا إلى تمكنه من اكتشاف ضروب الزيف، وإتقانه إماطة اللثام عنها والدفاع عن بعض الحقائق المشوّهة وتصويبها.

فقد وفّر من خلال ذلك عدة مغامز لمن أراد من قرائه الوقوف على بعض الحقائق المذهلة. وقد ختم ماسّيمو تزوكّي كلامه الصريح قائلاً: «إن أمام أوريانا فلاتشي الآن خيارين لا ثالث لهما: إما أن تنكب على دراسة الدين الإسلامي، وتسعى بجد وإخلاص إلى اعتناقه والتمسك بعروته الوثقى وهجر الأباطيل، وإما أن تنغلق على نفسها في جحر جهلها وعارها وضلالها، وأن تكفّ لسانها السليط الخبيث وتلزم الصّمت إلى أبد الآبدين».

هذا ويتألف الكتاب الذي نحن بصدد عرضه من 236 صفحة قطعها 20×15 سم وينطوي على مقدمة وعشرة فصول، هي:

---

* كاتب وباحث / ليبيا

أولاً ـ إلى المنكوبين (يتعذر عليّ ترجمة العنوان الأصلي لفداحة فحشه!):

يجيب الدكتور سميث في هذا الفصل عن الأقوال النابية التي سطرتها المؤلفة في حق المسلمين، وكالت لهم فيها الشتائم بسخاء، وخلعت عليهم أبشع الأوصاف، وعابت عليهم عكوفهم على الصلاة راكعين ساجدين خمس مرات في اليوم. إن كتابها كأنه «كوميديا إلهية» جديدة جاءت لتواصل النيل من الإسلام والمسلمين، إذ مجرد عنوانه يدل بوضوح على أن مؤلفته عاقدة العزم على إطلاق العنان لما تمليه عليها غرائزها الدنيئة، شأنها في ذلك شأن من يفكر ـ تحت تأثير العواطف ـ بقدميه وليس بجوهرة عقله.

ثانياً ـ (حذار الذئب):

لقد استرعت انتباه الدكتور سميث ـ منذ البداية ـ قصة حادث كانت «أوريانا» بطلته إبّان طفولتها، الأمر الذي دفعه بشدة إلى تحليل شخصيتها و ـ في ذات الوقت ـ إلى إعادة تركيبها، وقد استطاع ـ من خلال ذلك ـ أن يخلص إلى معرفة حقيقة أنها كانت قد تعرضت إذ ذاك لصدمة نفسية. إن هذا الأمر قد يمكّن من إلقاء الضوء على الأسباب التي ولّدت في وجدانها كل هذا الحقد الذي لا تقدر هي على حبسه، وحسبنا اعترافها بقسوة قلبها، قسوة تحول دون أن تدمع عيناها لأي ألم يعتريها أو لأي عقوبة تنزل بها.

ثالثاً ـ (الضارية التي يؤنبها المروّض):

مما لا غبار عليه أن عقل هذه المرأة عقل سقيم للغاية إذ بوسعها ليّ كل خبر وكل معلومة وأي شيء آخر. وإن خير دليل على هذه الحقيقة ذلك السؤال الذي وجهته إلى الحبر الأعظم الراحل يوحنا بولس الثاني قائلة: «اسمحوا لي قداستكم بأن أسألكم عما إذا كان صحيحاً أنكم طلبتم ـ في وقت مضى ـ إلى أبناء دين الله أن يصفحوا عما سبق أن اقترفه أسلافكم من شنّ الحروب الصليبية لاستعادة القدس الشريف. أكنتم قداستكم تلمحون إلى من هو اخبث ألف مرة من ستالين، ملتمسين العفو ممّن سرقوا وربما يريدون أن يسرقوا منكم الفاتيكان؟».

رابعاً ـ «المغويات المهجورات»:

تبدو هذه الملحدة كأنها لم تكتف بكل ما ارتكبته حتى الآن من خطايا، فتردف في هذا الفصل مؤكدة أن القرآن الكريم «يأمر ويسمح بإساءة معاملة المرأة». فيرد عليها عادل سميث مؤكداً أنه لم يقرأ قط شيئاً من هذا القبيل في المصحف الشريف، وذلك خلافاً لها إذ دأبت على إصدار أحكام مسبقة.

فإن أرادت الخوض في هذا الحديث كان أحرى بها أن تتناول في المقام الأول الجرائم التي يرتكبها ـ على مرأى ومسمع من الناس ـ رجال الكنيسة الكاثوليكية في حق النساء. وحسبنا أن نشير إلى حادثة الطبيبة الكورية التعسة التي أغواها الراهب المونسنيور ميلينغو فاعتدى عليها جنسيًا، ثم ـ بفعل ضغوط حاضرة الفاتيكان ـ عقد عليها، ولم تمض سوى أيام قلائل على ذلك حتى غير رأيه واختفى عن الوجود.

خامساً ـ «الساذجات»:

بهذه اللفظة تنعت فلاتشي المسلمات، وتفتري أن أحكام القرآن المجيد توجب اعتبارهن أقل شأناً من حمر النعم، كلا، ليس في كتابنا المقدس نص من هذا القبيل، ويكفي دليلاً على ذلك ما ورد في عديد الآيات القرآنية التي أورد المؤلف ترجمة لها ومن جملتها ما يلي:

﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾ [آل عمران: 195]

﴿... وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾

[سورة النساء: الآية 19]

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [سورة التوبة: الآية 71]

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

[سورة الرّوم: الآية 21]

ففي ضوء هذه الآيات الكريمة يبدو جليًا أن النساء في الإسلام لسن أقلّ شأناً من النوق. وبهذا الصدد يقول الأخ سميث: «ترى تحت تأثير أي مخدر صاغت أوريانا فلاتشي مثل هذه التّرهات السخيفة؟ ألا تكفّ عن هذا الهذيان؟ أغاب عنها أن القرن الخامس الميلادي قد شهد رئيس أساقفة مدينتها المحبوبة فلورنسا المسمى القديس أنطونيو، شهده يضع قائمة دقيقة مرعبة للصفات السلبية التي يصف بها المرأة، ويستعمل عبارات تنمّ عن أشد التحقير وأشنع الذم لها؟

سادساً - «الغبي والبليدات الأربع»:

إن المسلمة - في نظر هذه المؤلفة - بليدة لمجرد رضاها بالاقتران برجل غبي يجوز أن تكون في عصمته أربع زوجات. وتمضي قائلة: إن تعدد الزوجات قد أوصى به القرآن المجيد، إلا أن قولها هذا زور وبهتان، حيث إن جواز تعدد الزوجات مقيّد - في واقع الأمر - بشروط وظروف معينة. إنما يوصي القرآن المؤمنين بالزواج بواحدة. بل إن التوراة - في الواقع - هي التي توصي بتعدد الزوجات، واتخاذ المحظيات وإن هذا الترخيص ليس مقتصراً على المسلمين وعلى الشعوب الإفريقية النامية. ففي عالم فلاتشي أرامل ومطلقات تتباهين علناً ليس فقط بالكتابة عن فحشهن، وإنما بعرضه في برامج محطات البث المرئي.

سابعاً - «الأغبياء الممتنعون عن شرب الخمر»:

لا شك في أن لهذه المرأة ثقافة محدودة جدًا - وعن قصد - حول الإسلام. فبحماقتها المعتادة تتساءل: كيف التعامل مع «شرب الخمر والحكم بالإعدام على شاربها»؟، قائلة: «أليس ذلك واردًا في القرآن أم لا؟» فيجيب عنها أخونا عادل سميث قائلاً: «كلا، ثم كلا، لا ينص القرآن الكريم ولا السُّنة النبوية الشريفة على إنزال عقوبة الإعدام بشارب الخمر. إنما ذلك ليس سوى افتراء آخر من افتراءاتك الدنيئة المعهودة».

ثامناً - «العين بالغضب»:

من غباوة هذه المرأة إثارتها أمورًا تقيم الدليل على جهلها بمحتوى الذكر الحكيم، الذي تتجرأ هي على نقده بكل صفاقة. إن مبدأ «العين بالعين والسن بالسن» ليس في حقيقة الأمر بدعة قرآنية، وإنما هو مبدأ توراتي صميم، كما ورد في سفر الخروج «وإذا تخاصم رجال وصدموا امرأة حبلى فسقط ولدها ولم تحصل أذية يغرم كما يضع عليه زوج المرأة ويدفع عن يد القضاة. وإن حصلت أذية تعطى نفساً بنفس وعيناً بعين وسناً بسن ويداً بيد ورجلاً برجل» 21/22-25.

لقد جاء في القرآن المجيد:

﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة الشّورى: الآيات 40-42]

هذا وفضلاً عن مغالطاتها يُلاحظ أن هذه المخلوقة قد أعماها غلّها إلى درجة أنها تناقض نفسها، وتبدي بكل وقاحة شدة رغبتها في قتل مخلوق لم تحدد هويته: من الجائز أن يكون بن لادن أو هتلر أو شارون أو وكيل متوكلي أو ستالين أو موسوليني بالذات.

إن ما يهمها هي بالأحرى رغبتها الشديدة في إزهاق نفس، وإن ما يهمها هو أنها هي بالذات أوريانا فلاتشي التي تريد تطبيق مبدأ «العين بالعين والسن بالسن» إذ تصرح: «.... لقد أخذت اسمه ترى ما عساها أن تهيئ لي الحياة من فرص. قد يمكنني أن أصادفه يومًا في طريق مقفرة، ولأجل قتله قد يمكن أن أحتاج إلى التأكد من هويته».

تاسعًا ـ «حضارتنا أرقى»:

تـواصل فـلاتشـي في هـذا الفصل إيراد ترّهـاتهـا المستقاة من خيالها السخيف ومن عقلها العليل جدًا، إنها تزعم أن نسبة الأمية في الأقطار الإسلامية لا تقل دائماً عن ستين في المائة (60٪). ولتفنيد هذا الزعم يعقد الدكتور عادل سميث ـ على سبيل المثال ـ مقارنة بين مصر وإيطاليا المتقاربتين من حيث عدد السكان. فـبحسب إحصـاءات مـنـظـمـة الأمم المتحدة للتربيـة والعلوم والثقافة تبلغ نسبة خريجي الجامعات في أرض الكنانة ما بين 18في المئة و20 في المئة، بينما حسب معطيات معهد الإحصاء الإيطالي تبلغ النسبة ذاتها في إيطاليا 9,4 في المئة. أما نسبة الأمية في مصر فتبلغ 38 في المئة وليس 60 في المئة كما تزعم فلاتشي، علمًا بأن هذه النسبة الأخيرة لم تسجل قط أيضًا في أي قطر إسلامي آخر إذ كانت بالأردن سنة 1991 مسـيـحـي 10,4 في المئة وأصـبـحـت سـنـة 2002 مسـيـحـي 8٪. وقـد ثـبت أن هـذه النسبة في الأقطار ذات الثقافة المسيحية أعلى بصورة ملحوظة من مثيلاتها في الأقطار ذات الثقافة الإسلامية.

ويرد عادل سميث على نكرانها فضل الـعـلـمـاء المسلمين في شتـى مجالات الـعلم والمعرفة وتمهيدهم السبيل لمن جاء بعدهم من علماء الغرب.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يبدو أنها قد نسيت بل تـنـاست مـقترفـات الـكـنـيسـة الـكـاثـوليكـيـة ورجـالـهـا في حق الـعـلـم والـعـلـمـاء وفي حق الـرجـال والـنـسـاء. كـمـا غضّـت الـبـصـر عـن جـرائـم الـدول المسيحية الاستعمارية في آسيا وافريقيا واميركا وعن المآسي التي جرت في الأندلس والجزائر وتونس وليبيا.

وقـصـارى الـقـول إن كـتـب الـتـاريـخ تـعـلـمـنـا أن الحضـارة الـغـربيـة مـديـنـة في الـواقـع كـثـيرًا لـلإسـلام وللحضارة الإسلامية.

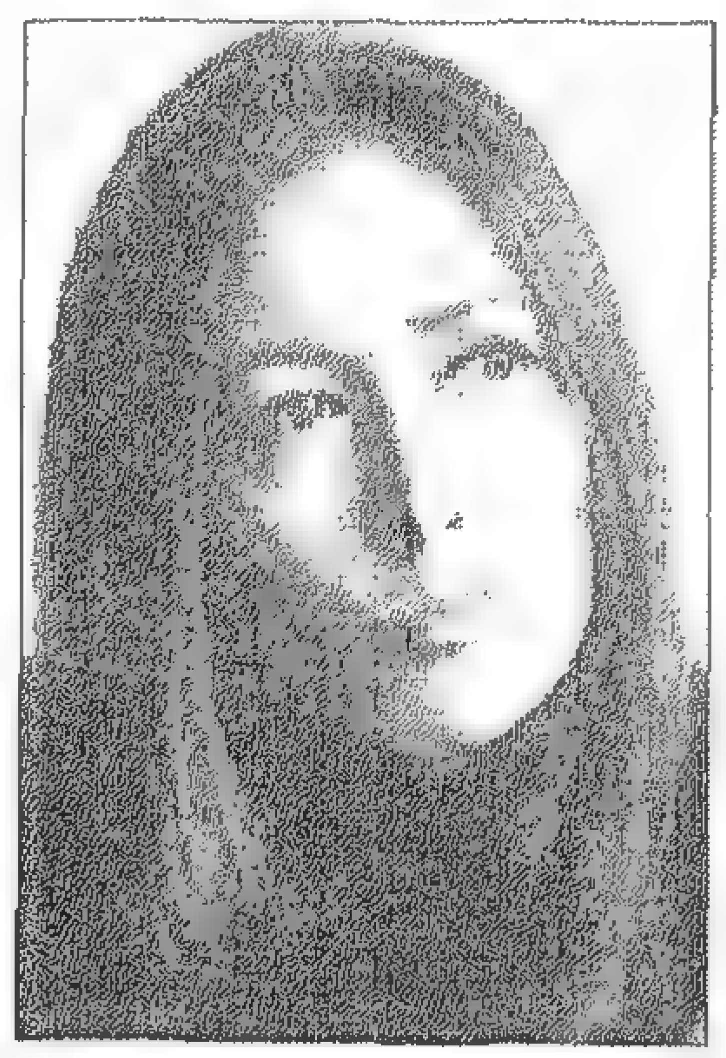
وأوريانا فلاتشي تسير ـ غافلة ـ على درب من سـبـقـهـا مـن المنـكـريـن لأفضـال الإسـلام والمسـلـمـين، وتعرض لقسوة حكم المعاصرين وحكم اللاحقين.

مما يـؤسـف لـه أن هـذه المرأة لم تـتـعـلـم بـعـد أن التاريخ لا يرحم أمثالها من دجالي الإعلام، وبالتالي فإن عاجلاً أو آجلاً سيحكم عليها أيضا بكل تأكيد بصفتها كاتبة بذيئة .

هذا ولا بد الآن من إبراز حقيقة أن الحضارة الغربية ظلت دائمًا تطبق حرفيًا تعاليم التوراة (وليس تعاليم القرآن) التي تحض على إبادة الأعداء.

هذا ومن جهة أخرى هل «الحصار» من ابتكار الحضارة الإسلامية؟

كـلا إنـه هـو الآخـر مـن نسـج خـيـال «الحضارة» المسيحية الغربية التي لضرب حاكم غير مقبول لا تجوعه هو فقط وإنما تجوع شعبًا بأسره!



أوريانا فلاتشي

ففي العراق مثلاً ـ بعد نهاية حرب 1991 مسيحي ـ أدى «الحصار» إلى وفاة مليون ونصف المليون من المدنيين كان من جملتهم أكثر من نصف مليون طفل.

لا يجوز للمرء أن يفخر بانتمائه إلى «حضارة» تاريخها مشوه بمثل هذه الجرائم، وإن ذلك لمدعاة للخجل وليس للافتخار!

ويشير الأخ عادل سميث إلى الجرائم البشعة التي اقترفها مواطنوه الإيطاليون المسيحيون الغربيون في حق السكان الآمنين إبان غزوهم ليبيا. ومن ضمن الجرائـم الأخـرى الـتـي مـا بـرحـت تـرتـكـب في حـق الإنسانية لا بد من أن نشير إلى جرائم إسرائيل في الأراضي المقدسة المحتلة. ومن جهة أخرى ليس بخاف أن المسلمين صدروا علومهم وحضارتهم الأرقى فعلاً إلى الغرب المسيحي الكاثوليكي عندما كان الأخير منشغلاً باختراع أدوات التعذيب وبمطاردة السحرة والهراطقة والعلماء، أمثال: غاليليو غاليليي. ولم تسلم من وحشية المسيحيين حتى مكتبة الإسكندرية، أشهر مكتبة في العصور القديمة. فبعد الحريق الذي اندلع

فيها سنة 48 ق.م. لدى دخول يوليوس قيصر إلى المدينة جرى تدميرها تماماً في سنة 391 مسيحي، على أيدي المسيحيين الذين تجرأوا بكل وقاحة على نسبة هذه الجريمة النكراء إلى الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

كما لم تسلم من وحشية المسيحيين حتى تلك الحضارة الإسلامية التي كانت مزدهرة في الأندلس وعمّ إشعاعها أقطار أوروبا. هذا ومن مظاهر السياسة الثقافية المسيحية الكاثوليكية الغربية تدخلها في شؤون التربية والتعليم. إن الرأي القائل أن العالم الكلاسيكي قد نال قسطاً من الثقافة العامة صار تدريجيًا عرضة للحظر بالنسبة للمدارس العلمانية، وذلك بهدف أن يحظى تعليم اللاهوت بالمقام الأول.

وإبان القرون الوسطى لم تكن الاستفادة من كل ضرب من ضروب المعرفة إلا بالقدر الذي كانت به دعمًا للتبشير الإنجيلي. وتكفي الإشارة إلى أن أربعين أسقفاً أميًّا كانوا ضمن المشاركين في المجمع المسكوني الرابع، المنعقد سنة 451 مسيحي، وأن غالبية بابوات القرنين التاسع والعاشر للميلاد كانوا أميين. وفي فترات أوج سطوتها شددت الكنيسة مكافحتها للتقدم الأخلاقي عندما عارضت قرار إلغاء النخاسة.

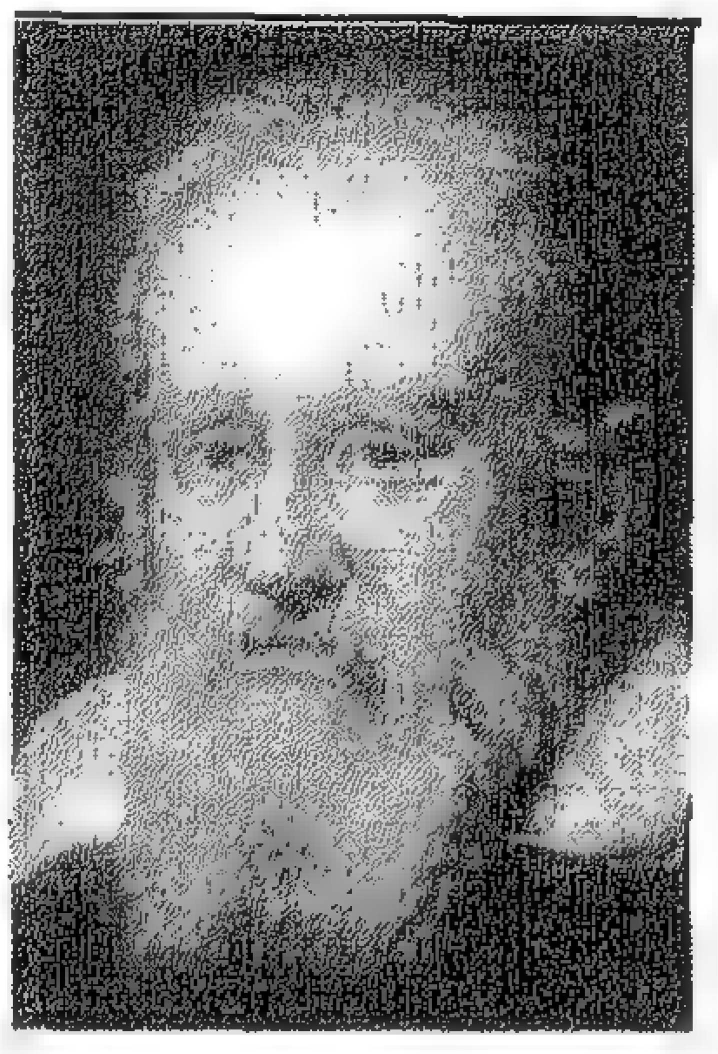
هذا ومن أفضال المسلمين كان تأسيس أول جامعة في أوروبا ألا وهي جامعة قرطبة بإسبانيا.

وتشهد شخصيات علمية أوروبية ـ نحو سافاري وبولنفيليه ولابنتز ـ بأن الإسلام دين أكثر عقلانية، وذو وظيفة تمدينية أقرب لسد حاجة البشر. وحسبنا ذكر بعض من لمعت أسماؤهم في أفلاك العلم نحو الطبري والرازي وابن سينا وابن رشد وابن حيان وابن الهيثم وابن الجزار وابن البيطار والزهراوي والبيروني وابن النفيس وابن عباس وابن الخطيب والكندي والخوارزمي والبتاني والإدريسي.

إن نكران أهمية إسهام المسلمين في تطوير العلوم والثقافة الغربية (إن صح تقسيم هذا الموروث الإنساني) يعد شتماً للحقيقة، وسبّاً للتاريخ. ولعل من المناسب الاستشهاد في هذا المقام بقول الفيلسوف الفرنسي بيار ابيلار: «تعلمت من المدرسين العرب شيئاً واحدًا هو أن أستسلم لقيادة عقلي».

عاشراً: «المعاملة بالمثل: لمن الدور؟»:

تزعم فلاتشي أن المسلمين لا يسمحون بإنشاء ولو كنيسة صغيرة في بلدانهم، متناسية أن في مدينة الإسكندرية فقط ستاً وستين كنيسة. كما تتشدق بأن لا مكان في إيطاليا للمآذن ولا للمؤذنين، ولا للأعفّاء الزائفين ولا مكان للشادور وللبرقع، وحتى إن توفر هذا المكان فإنها لا تعطيه لو كانت تملك سلطة المنع، لأن ذلك في رأيها إنكار لأفضال دانتي ودافنتشي ورفاييلو، وكفران بعصر النهضة وعصر البعث الإيطالي. ويرد عليها الدكتور عادل سميث بأن المسلمين في إيطاليا ليسوا من المهاجرين الغرباء فحسب، إذ كثيرون منهم يتمتعون ـ مثله ـ بكامل حقوق المواطنة الإيطالية منذ الولادة، مشيرًا إلى أن المادة (19) من الدستور الإيطالي تضمن لهؤلاء الحق في ممارسة أي عقيدة، وبأي صورة من الصور، سواء جماعات أو فرادى، وتكفل لهم حرية الدعوة إلى هذه العقيدة.



غاليليو غاليلي

هذا وفي ما يتعلق بالتسامح الديني، والتعايش السلمي في دار الإسلام، يردف الدكتور سميث قائلاً: إن ممارستهما كانت مضرباً للأمثال، إذ استطاع أن يتعايش جنبًا إلى جنب في الإسلام ـ بربوع الأندلس مثلاً ـ المسلمون واليهود والنصارى موقرين أعظم ما كان بوسع عبقرية البشر إنتاجه من الأعمال. وحسبنا أن نذكر - على سبيل المثال ـ موسى بن ميمون الفيلسوف اليهودي الذي ولد في قرطبة سنة 1139 مسيحي، وقضى مراحل حياته ـ فضلاً عن اسبانيا ـ في

المغرب الأقصى وفلسطين وأرض الكنانة حيث توفي سنة 1204 مسيحي، وعلّم بمطلق الحرية بني جلدته اليهود وغيرهم وألّف أشهر أعماله بلغة الضاد، وأصبح الطبيب الشخصي للملك صلاح الدين الأيوبي. ومما يذكره التاريخ زيارة فرانسيس الأسيسي مصر، وتجواله في بعض ربوعها بكل حرية في عهد السلطان الكامل.

ثم يتوجه الأستاذ سميث إلى المنادين بتطبيق مبدأ المعاملة بالمثل بين بلاد الوافدين والبلاد المضيفة ويناشدهم بأن يشرحوا له ـ إذا استطاعوا ـ لماذا الأقطار ذات الغالبية السكانية الإسلامية ـ مثل مصر ـ تبيح إذاعة الطقوس والاحتفالات الدينية المسيحية كاملة على الهواء عبر الإذاعتين المسموعة والمرئية الحكوميتين، لا يحصل مثل ذلك في ايطاليا حيث يعيش أكثر من مليون مسلم ومسلمة، وحيث يعتبر الإسلام رسميًا الدين الثاني.

ألا تبدو المطالبة بتطبيق مبدأ المعاملة بالمثل مطالبة بتطبيق وحيد الجانب؟

المادة (19) من الدستور الإيطالي تضمن لهؤلاء الحق في ممارسة أي عقيدة، وبأي صورة من الصور، سواء جماعات أو فرادى.

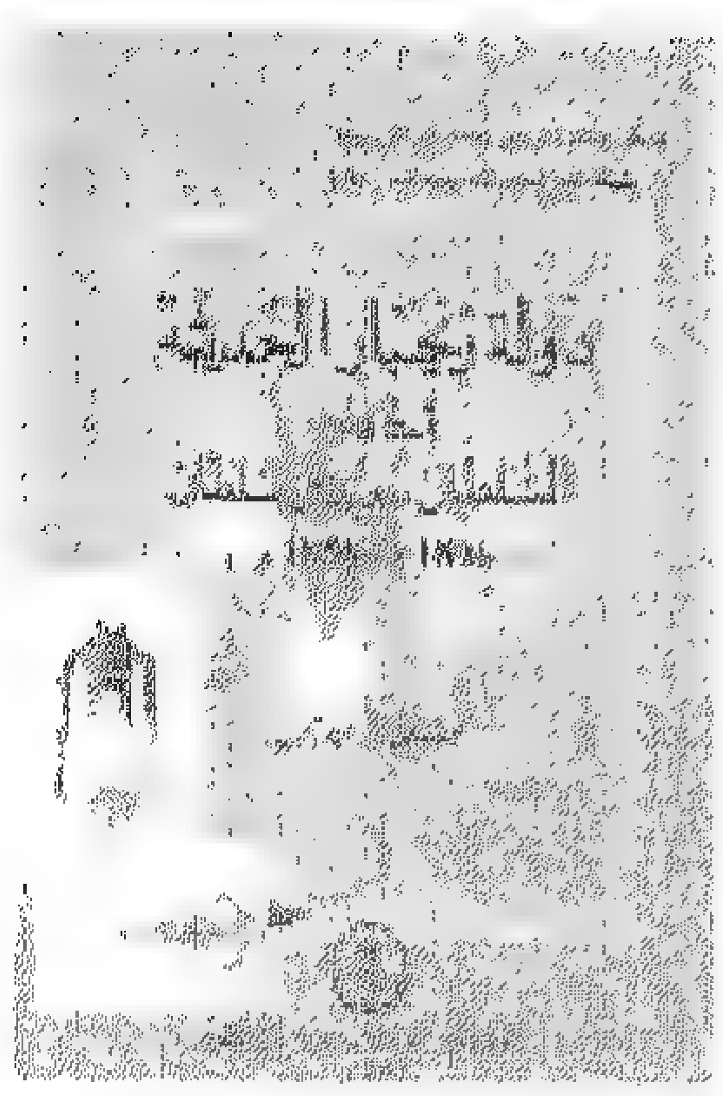
ويجوز ـ في هذا المضمار ـ إضافة مسألة ذات بال، ألا وهي إلزام المواطن الإيطالي بمراعاة أحكام قانون الأسرة الإيطالي بالخارج أيضًا، حتى في بلاد تطبق فيها الشريعة الاسلامية، بيد أن المواطن الأجنبي المقيم في إيطاليا لا يحق له الخضوع لأحكام قانون بلاده في هذا الشأن، أليس ذلك أيضاً تطبيقاً وحيد الجانب للمبدأ المذكور؟

هذا وإن مطالبة بعض الجهات السماح بإنشاء كنيسة بأرض الحرمين الشريفين تدفع المسلمين إلى المطالبة بإنشاء مسجد في مدينة الفاتيكان. ولولا ضيق المجال لكان لزاما ـ على حد قول الأخ عادل سميث ـ الاسترسال في ضرب أمثلة مختلفة أخرى على عدم تطبيق مبدأ المعاملة بالمثل، وعلى المكابرة والشوفينية اللتين يعاني منهما المسلمون في ايطاليا، حيث تم السماح بإقامة معابد لليهود والبوذيين وشهود يهوه وطوائف دينية أخرى أقل عددًا من الجالية الإسلامية.

وعند هذا الحد يختتم المؤلف عرض بعض من المسائل التي أثارتها أوريانا فلاتشي والتي تدل على الحسد والخوف من مواجهة الإسلام مواجهة مباشرة. إنه الخوف من انتشار هذا الدين السمح القويم، ومن منافسته وتحديه المسيحية، ومن كونه محور كل هذا الجدل العنصري التمييزي المتعصب الذي سيعود على مثيريه بعواقب وخيمة، والذي حتّم كشف وعرض أمور طالما حاولت الكنيسة إخفاءها: منها ما أماط المؤلف اللثام عنها، ومنها ما سيميطه عنها مستقبلاً بإذن الله تعالى.

وأخيراً أود استرعاء الانتباه إلى أن للدكتور عادل سميث مؤلفات مهمة أخرى باللغة الإيطالية من الراجح أنها من إصدار الناشر (Alethes) ونذكر من هذه المؤلفات:

1 ـ أخطاء وأهوال في العهد القديم.
2 ـ الأسرار المزعجة في الإنجيل.
3 ـ مائة خطأ في التوراة.
4 ـ المرأة في التوراة والقرآن.
5 ـ الخنزير في التوراة والقرآن.
6 ـ هل في التوراة ذكر لمحمد ﷺ؟
7 ـ رب لم يصلب أبداً.
8 ـ الرب الذي لا وجود له.
9 ـ آيات ربانية.
10 ـ خمسمائة خطأ في التوراة (كان قيد الإعداد في عام 2002 مسيحي).
11 ـ لماذا لم أكن مسيحيًا ولكني مسلم؟ (كان قيد الإعداد في عام 2002 مسيحي).



دولة زنجبار الحديثة
في عهد السلطان سعيد بن سلطان

تأليف: سميحة إبراهيم محمد

منشورات: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية / طرابلس

207 صفحات / قطع متوسط

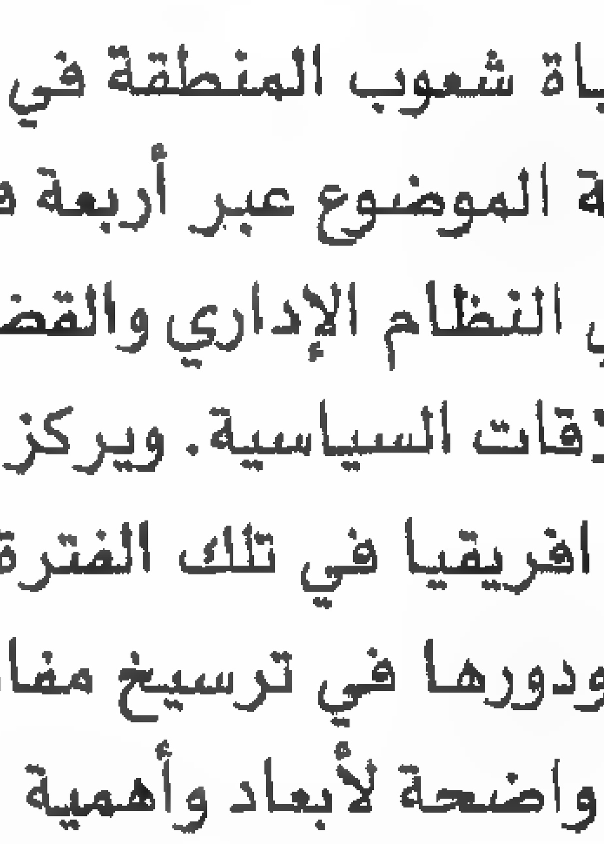
حظيت العلاقات العربية بساحل شرق افريقيا باهتمام كثير من الباحثين فتناولوا بالبحث والتحليل الجوانب المتعددة والجذور التاريخية للصلات القديمة التي ربطت بين العرب والأفارقة في الساحل الافريقي الشرقي . وهذا الكتاب يبحث في تاريخ دولة زنجبار الحديثة التي أسسها السلطان سعيد بن سلطان (1806 / 1856 مسيحي) والدور الذي لعبته في دعم المؤثرات العربية الإسلامية، وجهودها في توسيع رقعة انتشار الإسلام والثقافة العربية الإسلامية على طول ساحل شرق افريقيا ومن ورائه من المناطق الداخلية، وكيف كان ذلك التأثير كبيراً على حياة شعوب المنطقة في المجالات كافة السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية. تتناول المؤلفة الموضوع عبر أربعة فصول : الأول يعطي تعريفاً جغرافياً وتاريخياً عن ساحل شرق افريقيا، ويتناول الثاني النظام الإداري والقضائي بدولة زنجبار الحديثة وملحقاتها في ساحل شرق افريقيا، وتركيبة السكان والعلاقات السياسية. ويركز الفصل الثالث على العلاقات الاقتصادية وأثرها في التطور الاقتصادي لساحل شرق افريقيا في تلك الفترة . أما الفصل الرابع فيعنى بدراسة العلاقات الثقافية والاجتماعية في دولة زنجبار ودورها في ترسيخ مفاهيم الحضارة العربية الإسلامية في المناطق التي امتد إليها نفوذها. مقدماً صورة واضحة لأبعاد وأهمية الأثر الديني والتعليمي ودور العلماء في إثراء الحياة الثقافية .

المرأة .. في ظل شريعة القرآن

تأليف: زيدان عبد الفتاح قعدان

الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

200 صفحة / قطع صغير



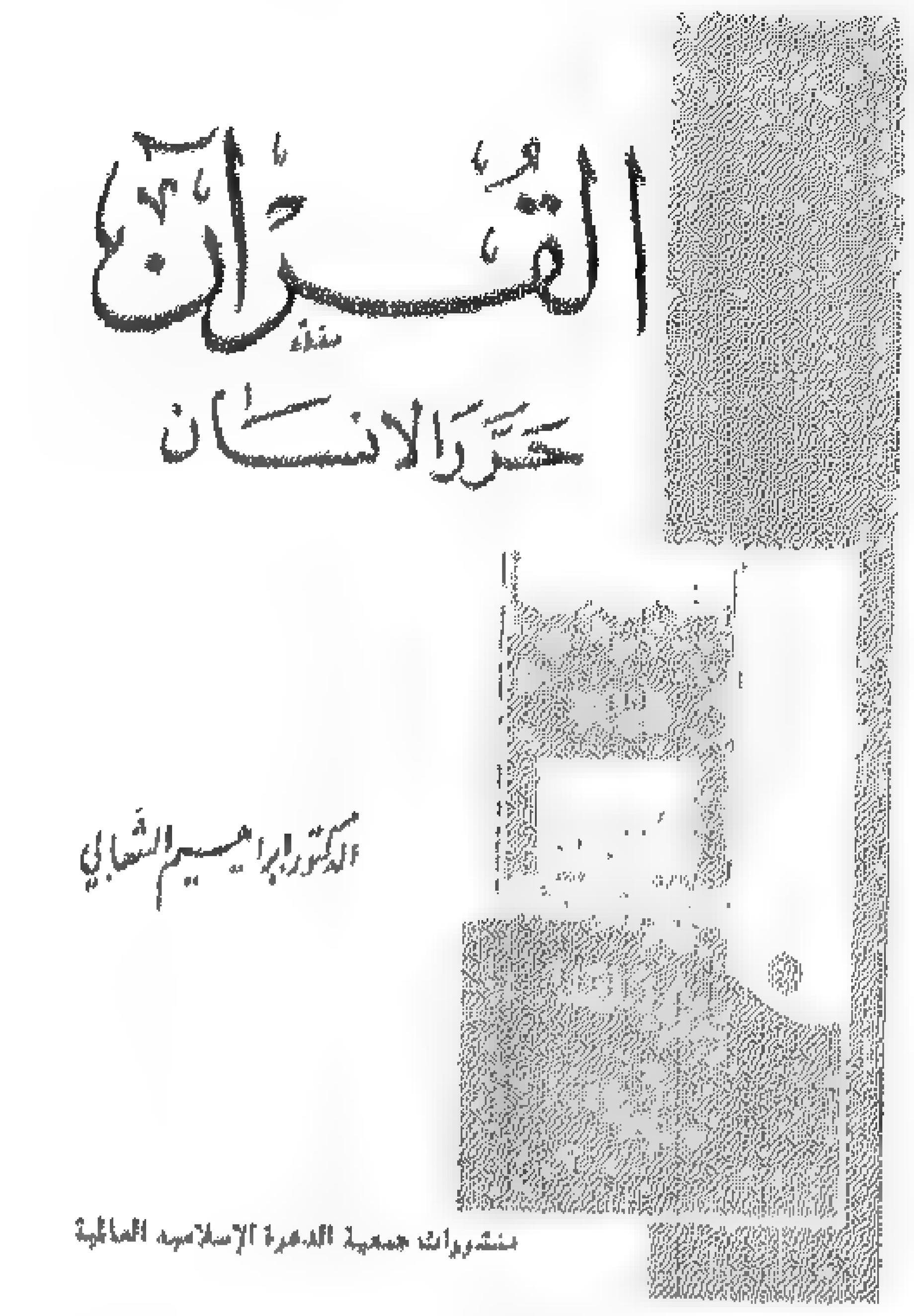
تعمل الحضارة المادية على ترويض المرأة ووضعها في قالب من البهرجة يأخذ بالألباب، معتمدة سبيل الإبهار من خلال وسائل الإعلام التجارية والدعائية، وهكذا وضعت المرأة في قوالب وأشكال عصرية للمتاجرة بها واستغلالها وسحق كرامتها . وفي هذا الكتاب يحاول المؤلف أن يوضح للمرأة بأن لا خلاص لها إلا بشريعة القرآن، وعليها أن تعض على تلك الشريعة بالنواجذ لتأخذها بقوة ـ في يدها وقلبها ـ وبإيمان لا يلين ولا يتزعزع، لأن قانون السماء هو قانون الرحمة والهداية لبني الإنسان . وشريعة القرآن ترفع الحيف والظلم عن المرأة، لأن تلك الشريعة ترسم الحقوق والواجبات بسمت إلهي عظيم. ويأخذنا المؤلف في رحلة مع القرآن الكريم، وكيف أوضح وأجلى الدور العظيم الذي يمكن أن تلعبه المرأة في مسيرة الحياة .

القرآن حرر الإنسان

تأليف: الدكتور إبراهيم الشهابي

الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

160 صفحة / قطع صغير

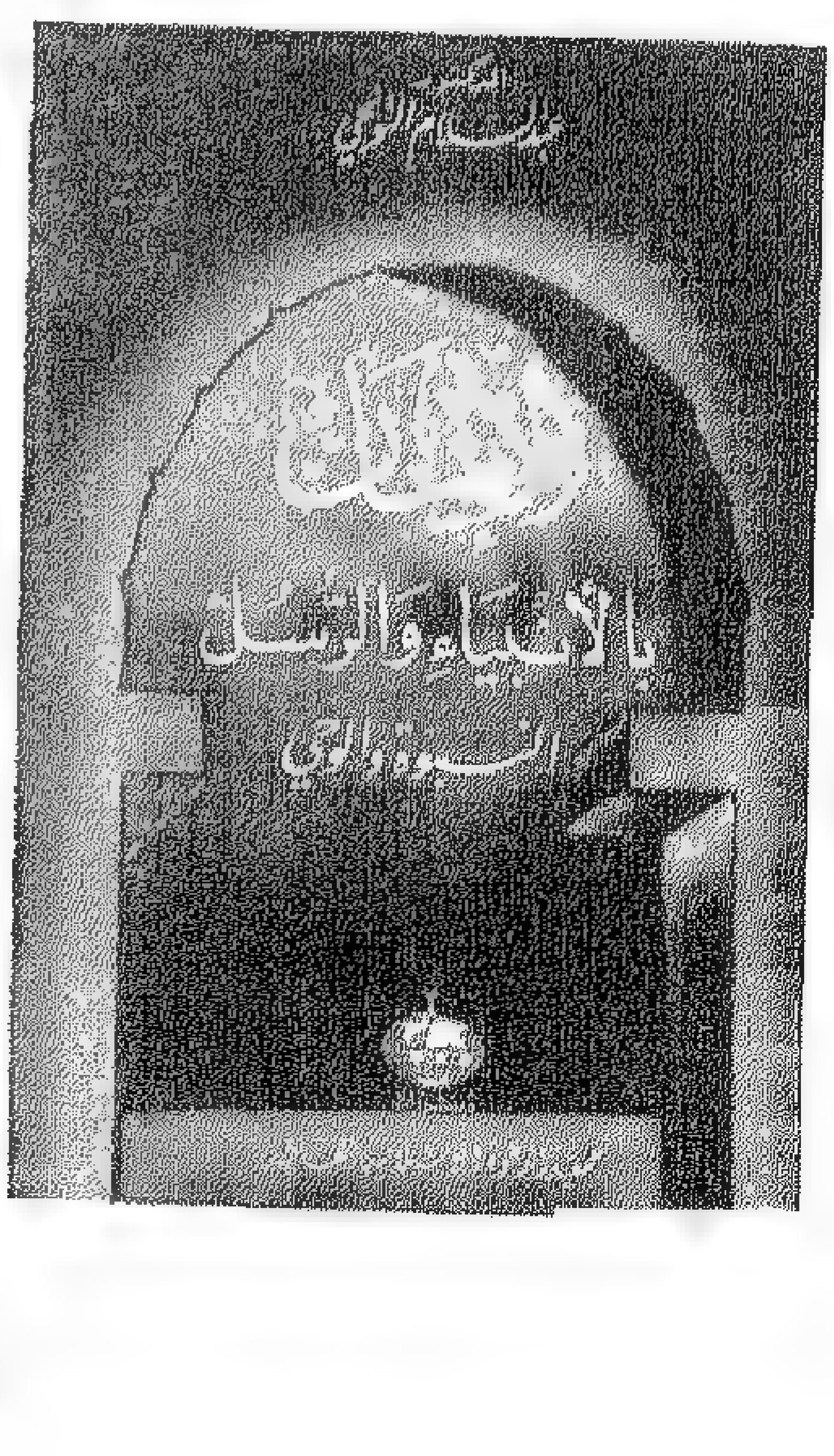


يناقش هذا الكتاب مفهوم الإنسان ومفهوم حريته وحقوقه عموماً، ويدرس النظرة المتميزة التي نظر بها القرآن الكريم للإنسان، وخلاصتها أن لا بد من الاعتراف بالإنسان كإنسان وبحقيقته كما هو، بكل ما فيه من نزعات وأهواء ورغبات تشده إلى الأرض، إلى المادة، وبكل ما فيه من سمو مصدره الروح الإلهية التي نفخها الله فيه، كما يدرس كيف أن القرآن الكريم جعل الدين أساساً استجابة لهذا الاعتراف واستجابة له . ويدعو المؤلف إلى النظر إلى الإسلام من خلال القرآن الكريم، وليس من خلال التاريخ الإسلامي، داعياً المسلمين أن يبدأوا من حيث بدأ المسلمون الأوائل، من حيث بدأ النبي المصطفى ﷺ، لكي نصحح الأوضاع، ونعيد الأمور إلى نصابها .

الإيمان بالأنبياء والرسل النبوة والوحي

تأليف: الدكتور عبد السلام التونجي

منشورات: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

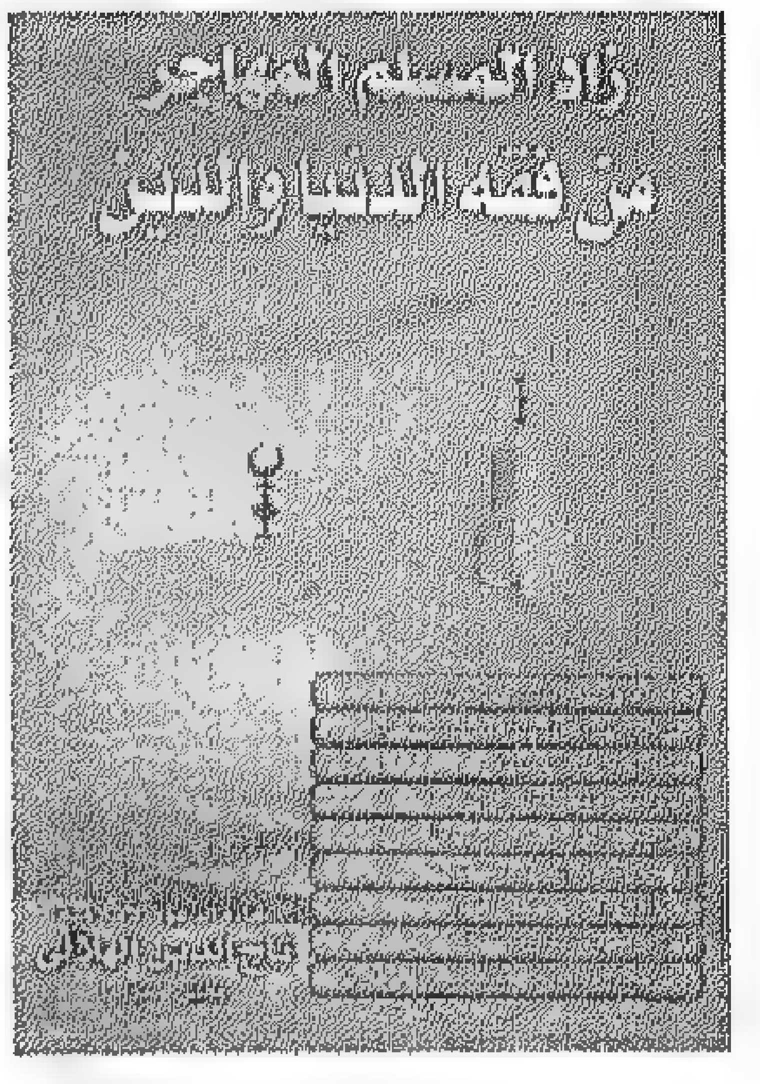


يعتمد المؤلف في بحث هذه المسألة على معيار الهداية، من حيث هي الأساس، لأن العقل وحده غير كاف لمعرفة الحقيقة، لأن ما يراه أحد حقاً قد يراه آخر باطلاً. والمؤلف لا يغفل العقل والنقل في استقصاء الحقيقة، ذلك أن الإيمان بالرسل هو من أركان العقيدة، وقد وردت في القرآن الكريم آيات عدة حول هذا الركن من العقيدة الإسلامية. ويبدو أن أهمية هذا البحث تظهر لأن الوسيلة الوحيدة لنشر العقيدة بأركانها كافة؛ تتم بالرسل والأنبياء، ومن هنا كان الاهتمام بدراسة ظاهرة النبوة والأنبياء والرسل الذين هم عماد الدعوة وطريقها في الهداية إلى سواء السبيل، كما أن الوحي المنزل عليهم، هو مضمون الرسالة، مما يقتضي الإيمان بالأنبياء والرسل والوحي، وما تم على يديهم من معجزات تأييداً لرسالاتهم. والرسالة في جوهرها قيام علاقة وصلة بين الله والناس، ويحاول المؤلف بحث هذه المواضيع بأسلوب علمي مبسط، تفهمه العامة والخاصة.

زاد المسلم المهاجر من فقه الدنيا والدين

تأليف: الشيخ تاج الدين الهلالي

الناشر: المؤلف نفسه



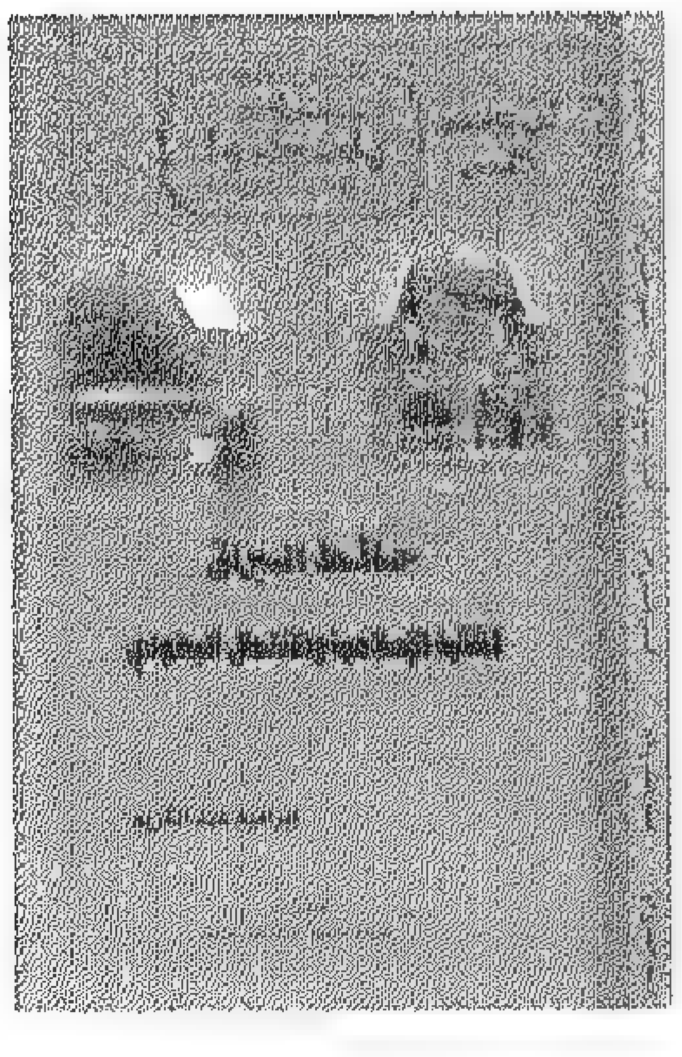
النزوح من البيئات الإسلامية التي يسمع فيها نداء التوحيد خمس مرات كل يوم، إلى مجتمعات تدين بالحرية المطلقة بلا ضوابط دينية ولا روابط اجتماعية، ولا اعتبار للأخلاق؛ يعتبر مغامرة صعبة محفوفة بالمخاطر، ذلك أن المسلم المهاجر يصارع أمواجاً في بحر لجي، لا ينجو منه إلا من استقل سفينة بناؤها الإيمان، وشراعها اليقين، وزادها التوكل والتفقه في الدين. وفي هذا الدليل الفقهي يحاول المؤلف أن يعين المسلم المهاجر على تطبيق أحكام دينه في معترك الحياة المتشابكة، من واقع مشاهداته، ومعايشته، ومواكبته للحياة المهجرية لما يزيد على الثلاثين عاماً، منها عشرون عاماً في القارة الأسترالية. ويحاول المؤلف في عرض موضوعاته أن يراعي القواعد الأصولية، متوخياً مبدأ التيسير المناسب لمتطلبات الحياة المهجرية، كما قرره الثقات من العلماء والحكماء المشهود لهم برجاحة الفكر، والفهم الثاقب للنصوص الشرعية. كما يحرص المؤلف على اختيار السهل من الكلمات والواضح من العبارات حتى تكون النسخة الإنكليزية مطابقة للنسخة العربية قدر المستطاع.

حائط البراق

الملكية الإسلامية والانتحال اليهودي

تأليف: إبراهيم عبد الكريم

منشورات: القيادة الشعبية الإسلامية العالمية



يشكل النزاع بين المسلمين واليهود حول حائط البراق (المبكى) أحد أكثر فصول الصراع العربي ـ الصهيوني امتداداً، خاصة وأنه يتعلق بموضوعات دينية تنطوي على تناقض عدائي تام بين الحق والباطل، بين الملكية والاغتصاب. وعلى الرغم من النجاح اليهودي الصهيوني في الاستيلاء على هذا الحائط؛ إلا أن المسلمين جميعهم يرفضون التسليم بالأمر الواقع، ويصرون على ضرورة تصحيح الخطأ التاريخي الذي قاد إلى ذلك الاستيلاء. ومن هنا يمكن النظر إلى مسألة حائط البراق على أنها تعد أحد الحوافز المهمة للعمل الإسلامي الرامي إلى تحرير المقدسات الإسلامية في فلسطين من نير الاحتلال. وتعنى هذه الدراسة بتقديم معطيات موظفة تغطي أبعاد المسألة المثارة، وتسلط الضوء على جانب مهم من النزاع الإسلامي ـ اليهودي، والصراع العربي ـ الصهيوني، باعتماد مصادر ومراجع مختلفة، وضمنا بعض الكتب التي يبث فيها اليهود والصهاينة سمومهم الدعائية بصورة واضحة، أو في ما بين السطور.

الإطار التشريعي لنظام الوقف في بلدان المغرب العربي

تأليف: الدكتور جمعة محمود الزريقي

منشورات: الجامعة المغاربية / طرابلس

يهدف الكتاب إلى بيان الإطار التشريعي لنظام الوقف في منطقة المغرب العربي، بالنظر إلى تقارب الأصول التي يستمد منها هذا النظام أحكامه التشريعية والقانونية، واجتهاداته في الفتوى والتطبيق، وتجانس السكان في أعرافهم وعاداتهم وتقاليدهم، كما يسلط الضوء على مسيرة الوقف من خلال ذلك، وفقاً لاجتهادات المدارس الفقهية التي عرفت فيها، مع عرض لبعض النوازل والقضايا، وما تعرض له الوقف في تاريخه الطويل من مصاعب أدّت أحياناً إلى إلغائه، وفي أحيان أخرى إلى الحد منه أو تنظيمه، أو تقرير بعض الأحكام الجديدة المتعلقة به وبإدارته وتطويره.



هل في القرآن أعجمي؟

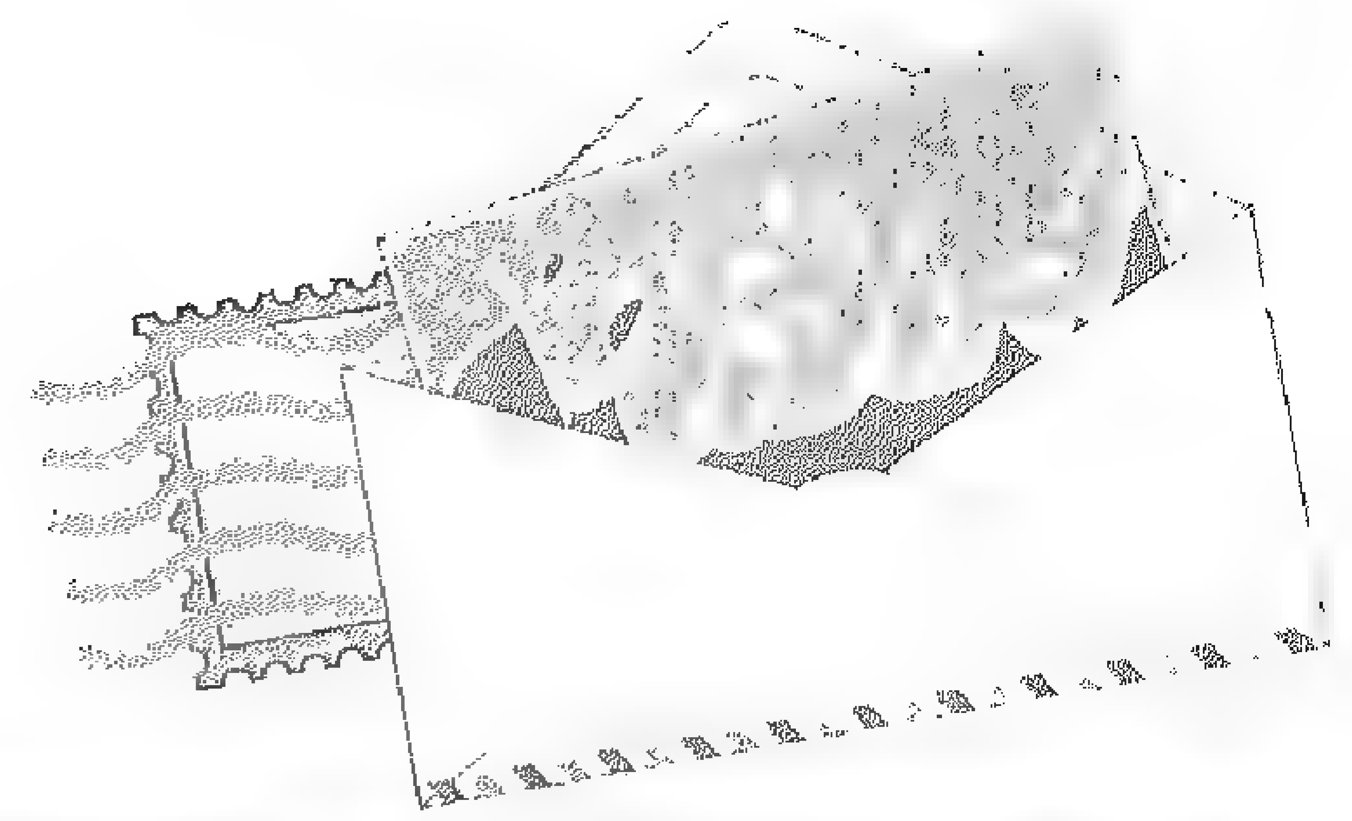
نظرة جديدة إلى موضوع قديم

تأليف: الدكتور علي فهمي خشيم

منشورات: دار الشرق الأوسط



احتلت قضية المعرب والدخيل والمولّد جزءاً كبيراً من اهتمام الباحثين في الدراسات اللغوية العربية قديماً وحديثاً، وهي تمثل - في الدراسات القرآنية بالذات - مسألة بالغة الأهمية دار حولها الجدل، ما بين رافض رفضاً تاماً لورود لفظ غير عربي في القرآن الكريم، وقابل لوروده المعرب ذي الأصل غير العربي ولكنه عُرِّبَ حتى صار جزءاً من لغة العرب بحكم اتصال اللغات وتطورها ونموها المستند بعضه إلى بعض. كانت بداية البحث في هذا الموضوع - كما يذكر المؤلف - مقالة قدمها في ندوة عن ترجمات معاني القرآن الكريم، نظمتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وعقدت بمدينة اسطمبول بتركيا في العام 1986 مسيحي، ثم رأى التوسع في ما قدمه حينذاك واستكمال نواقصه، فظهر بحثه وتقصيه على هذه الصورة التي هي بين يدي القراء الآن في هذا الكتاب. وجاء الكتاب في قسمين: الأول يعرض لما اشتهر وانتشر في المصادر العربية القديمة، وعند المحدثين - مستشرقين وعرباً - من ألفاظ قرآنية ترى أنها دخيلة على العربية، أما القسم الثاني فيخصصه لما أورده القس (آدي شير) في كتيبه (الألفاظ الفارسية المعربة) ولم يقل هو إنها قرآنية، ولكنه جاء بها في جملة ما ادّعى فارسيته من ألفاظ.



إعتذار وتنويه

مع حرص إدارة التحرير على اتباع الحد الأقصى من تدقيق المواد المنشورة بالمجلة، فثمة أخطاء مغفلة تسللت في فقرات مقال أو مقالين بالعدد الثامن نعتذر عنها للقارئ الكريم، منوهين بصحتها.

يفصل هنا.. ولا يفصل هناك

في افتتاحية العدد عن (الإعلام في الدول القوية) جاء الخطأ في مكشلة الإعلام في الدول القوية تكمن في أنه يعاني من انفصام واضح، فهو لا يفصل بين المتغير والثبت في الدول التي يتبعها».

والصحيح: أنه يفصل في دوله بين الثابت والمتغير بينما يطالب - وبسوء نية لا لبس فيه - إعلام الدول الضعيفة الخلط بين المتغير والثابت إذن فهو يفصل هنا.. ولا يفصل هناك، وتلك هي محنته الراهنة.

الدكتور الزريقي وملف المجامع الفقهية

ساهم الدكتور جمعة محمود الزريقي المستشار بالمحكمة العليا والأستاذ الجامعي في ملف «المجامع الفقهية» المنشور بالعدد الثاني من خلال إعداد وصياغة رؤية الدكتور يوسف القرضاوي، وقد سقط اسم الدكتور الزريقي سهواً من الملف، وتكرر الخطأ بالعدد الثامن عند نشر (حصاد عامين) الذي احتوى توثيقاً بالمواد المنشورة على صفحات التواصل خلال عامين، لذلك وجب الاعتذار والتنويه..

ابن بطوطة

في شرح صورة لغلاف كتاب: ابن بطوطة نشرت بالعدد الثامن ص 181 جاء ما يلي:

:«إحدى طبعات رحلة ابن بطوطة» والصحيح «إحدى طبعات كتاب عن ابن بطوطة».

نهديكم أطيب تحياتنا ، وخالص أمنياتنا ، سائلين الله عز وجل دوام النجاح والتوفيق ، ويطيب لنا أن نعلمكم بأننا تسلمنا بيد الشكر والامتنان نسخة من مجلتكم الموقرة (التواصل) العدد السابع، التي أصبحت إضافة جديدة ومهمة إلى مجموعة مقتنيات مكتبة المركز، شاكرين لكم حسن اهتمامكم وتعاونكم ، ومتطلعين إلى دوام تواصلكم .

وتفضلوا بقبول فائق تحياتنا، مع وافر الشكر والتقدير.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث / دبي

لقد سُعدت جداً بحصولي على العددين 4، 5 من مجلتكم الغراء، وقد أعجبت شديد الإعجاب بهذا العمل الثقافي المميز.

نشعركم بأن الساحة الإريترية في أمس الحاجة إلى أعداد من هذه المجلة المميزة، نرجو أن تصلنا في أقرب فرصة .

مع تحياتي الأخوية

د . امطير سعد غيث

أسمرا / إريتريا

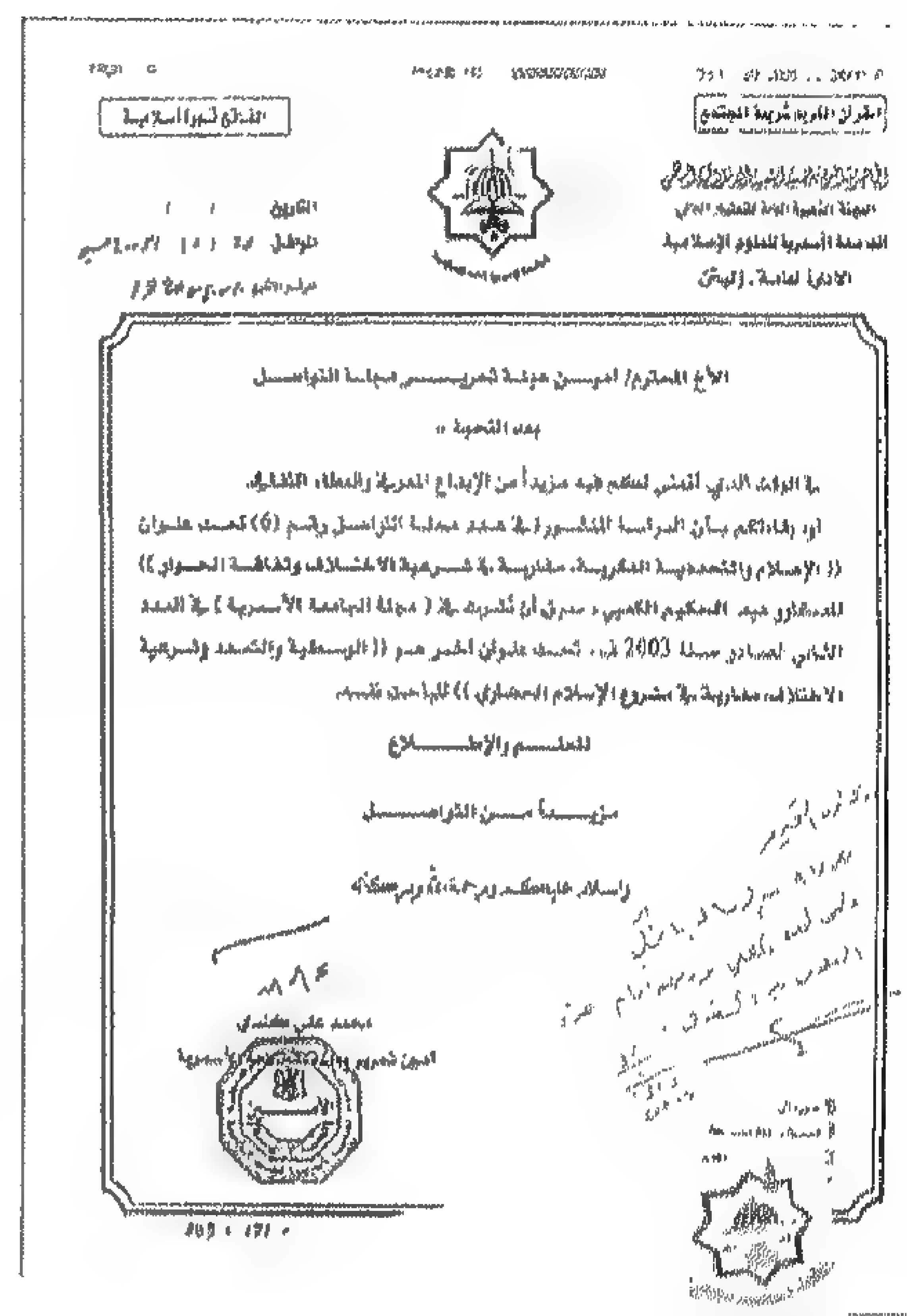
وصلت إلى منتدى التواصل رسالة من المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، ضمنها تحياته وخالص شكره وتقديره لتلقيه العددين الرابع والخامس من الفصلية الثقافية الشاملة (التواصل) معبراً عن سرور المعهد بضمها إلى مقتنيات مكتبته العربية .

وأسرة التواصل تبادل الإخوة في المعهد المصري للدراسات الرسلامية بمدريد التحية بمثلها وأحسن منها، نرجو دوام التواصل على طريق الكلمة الصادقة.

○ مما يؤسف له أن بعض الكتّاب يقومون بإرسال موضوعات للنشر على صفحات (التواصل) ثم نفاجأ بأنها قد سبق نشرها في مطبوعات أخرى ، مما يعدّ مخالفة للفقرة الخامسة من شروط النشر المنشورة على صفحات المجلة في أكثر من عدد، ونصها (ألا يكون البحث قد سبق نشره في مطبوعة أخرى). وكنموذج على هذا الموضوع المنشور بالعدد السادس، والمعنون بـ (الإسلام والتعددية الفكرية .. مقاربة في شرعية الاختلاف وثقافة الحوار) والذي أُعلمْنا رسميا بأنه سبق أن نُشرَ في (مجلة الجامعة الأسمرية) مع تغييرات طفيفة شملت العنوان وبعض العناوين والفقرات الداخلية.

وأسرة التواصل إذ تسجل عميق أسفها، وتعتذر من قرائها الكرام ؛ فإنها تنشر هنا نماذج من تلك المراسلات ، من دون نشر الأسماء . وأملنا أن لا يتكرر هذا من أحد مستقبلاً .



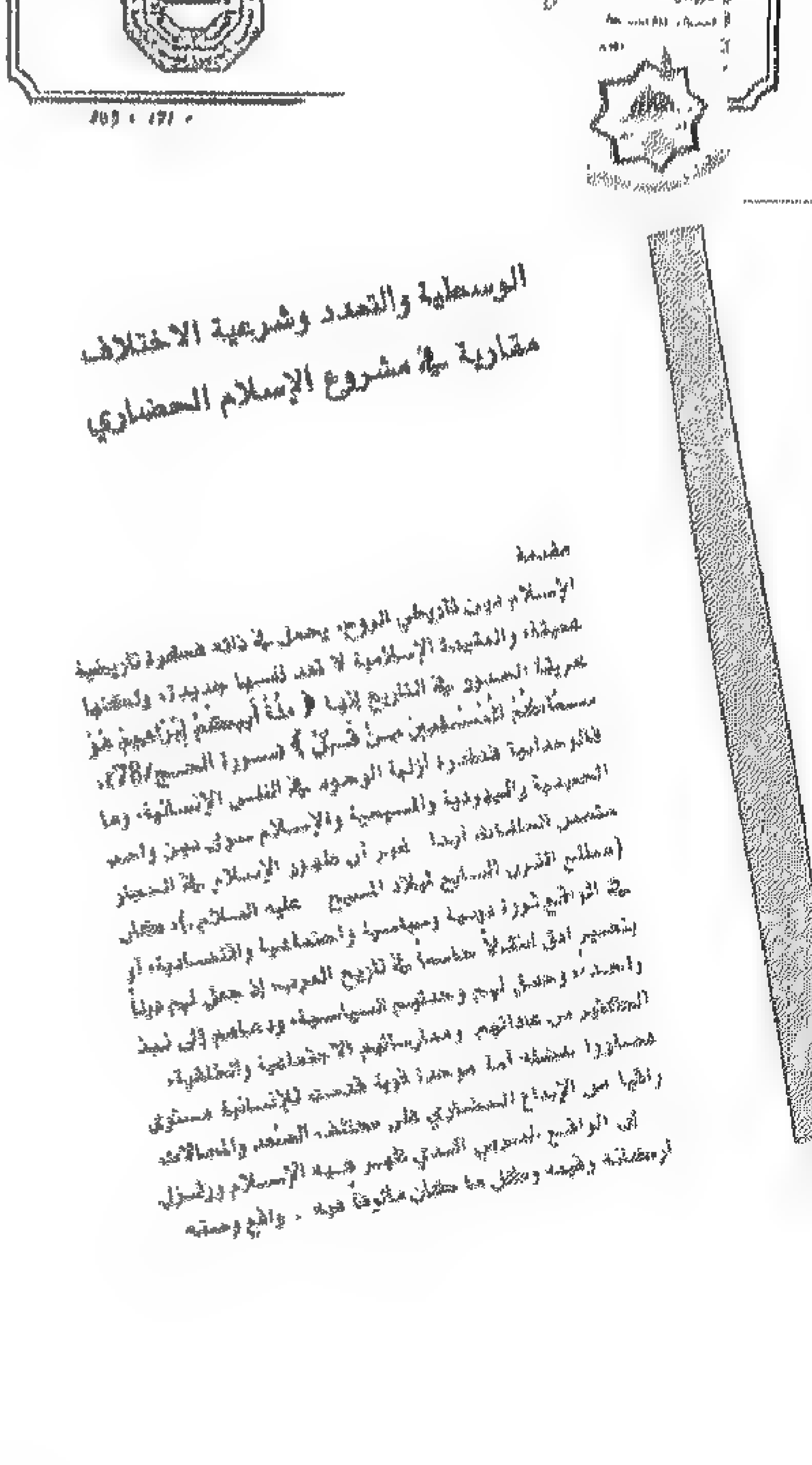


الأخ المحترم/ امين هيئة تحرير مجلة التواصل



الإسلام والتعددية الفكرية

مقاربة في شرعية الاختلاف وثقافة الحوار



الوسطية والتعدد وشرعية الاختلاف

مقاربة في مشروع الإسلام الحضاري

..ونتواصل

❖ محمد الشحومي(*)

الدين والعولمة

(الشرق شرق، والغرب غرب، ولن يلتقيا..) هذا ما أعلنه أواخر القرن التاسع عشر الشاعر الإنكليزي (كلبينغ). ومن قبله بقرون قال (أرسطو) إن كل ما هو غير إغريقي لا يكون إلا بربريًا متخلفًا، وعلى مثل هذه الموروثات يتشكل الوعي المعرفي الغربي في مجمله، حيث يتداخل التاريخ والسياسة والدين والاقتصاد، الأمر الذي يحتم علينا قراءة الخلفيات الدافعة للمواقف الغربية من الأمة العربية والعالم الإسلامي.

وقبل الاستطراد تنبغي الإشارة إلى أن انتقال الطور الحضاري في النصف الثاني من القرن المسيحي المنصرم من الدائرة الأوروبية إلى الدائرة الأمريكية، كان انتقالاً جغرافيًا مجردًا من الخصائص الفاصلة بين الأطوار الحضارية التي عرفتها الحضارات البشرية، لذلك اتفق المؤرخون وعلماء الاجتماع على أن الحضارة الأمريكية ما هي إلا امتداد للحضارة الأوروبية، ومن هنا ذهبت الكتابات إلى استجماع الاثنين في خانة اصطلاحية واحدة تحت اسم (الحضارة الغربية)، الأمر الذي لا ينطبق على الحضارات التاريخية الأخرى كالعربية والفارسية والصينية، حيث لكل واحدة منها سماتها وخصائصها المميزة عن غيرها.

إن الاسترجاع التاريخي العنواني لبعض الأطوار الحضارية يبرز صورة الوعي الغربي المشوه للثقافة العربية الإسلامية، التي تشكلت وفقًا لمنطق صدامي ديني وعسكري، عبرت عنه المؤلفات والكتابات الدينية والسياسية بطريقة استغرقها العداء المفرط، بحيث بات من الصعوبة أن تخرج العقل الغربي من براثنها. وكما يقول (اليكس غورافسكي) فإن الغربيين أدرجوا الدين الإسلامي في خانة الانشقاق المنحرف عن المسيحية، وقد جاء في كتابات المؤرخ الإنكليزي آدم بيد (672 ـ 735 مسيحي) «وفي ذلك الوقت قام الوباء الموجع المتمثل في السراسنة (المسلمون العرب) بتدمير مملكة الغال». وأشرف رئيس دير كلوني بطرس المكرم (1059 ـ 1156 مسيحي) على ترجمة نصوص إسلامية منها القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية بطريقة مشوهة وسيئة للغاية. تلك الترجمة هي التي شكلت الثقافة الغربية العامة عن العرب والإسلام لأكثر من خمسة قرون، وهذا الذي جعل فيلسوف الكنيسة (توما الإكويني) يرى أن انتشار الإسلام يعود إلى القائمة الثلاثية المرعبة وهي (الجهل والسيف والشهوة)، وقد يكون الإيطالي دانتي أكثر من عبر عن حالة الانشقاق التشويهي التخريبي تلك، في كتابه الملعون (الكوميديا الإلهية) من خلال الصورة المنحرفة لمصير سيدنا محمد ﷺ، كما أوهمه خياله الفاسد فوضعه في الدرك الأسفل من الجحيم باعتباره (مثيرًا للفتن والانشقاقات).

هذه الصور المشوهة عن العرب، والمسلمين والإساءة القديمة/الجديدة لنبيهم ﷺ والاستهانة بماضيهم وحاضرهم ومقدساتهم؛ صاغت الأرضية التحريضية لمختلف الحروب التاريخية وأخطرها الحروب الصليبية، وفي عهد الاستعمار كانت المؤلفات الدينية مادة ضرورية لتحفيز المقاتلين الغربيين على الحرب والتوسع، فمند احتلال الجزائر وصف مطران باريس نزول الجيش الفرنسي إلى الشواطئ الجزائرية بأنه «انتصار للمسيحية على الإسلام»، وكتب المؤرخ (مالفيزي) في كتابه (المسلمون والثقافة الأوروبية) عن صورة العرب في العصر الحديث: «إن الإسلام دين العنف الذي يخدم المسيح الدجّال، والمسلمون معادون للعقل والعقلانية»، أما فولتير الفرنسي (1694 ـ 1771 مسيحي) فقد وصف النبي محمد ﷺ، بقوله: «نموذج للتعصب والطغيان وعار على الجنس البشري»، وهذا ما ذهب إليه الفيلسوف السياسي (مونتسيكو) في كتابه (رسائل فارسية) والشيء نفسه ينسحب على دنيس ديدرو (1213 ـ 1784 مسيحي) في مؤلفه (الحلى الفاضحة). وأوجز عالم الآثار والفيلسوف ارنست رينان (1823 ـ 1892 مسيحي) رؤيته للعرب والإسلام باعتبارهما عنوانًا للتخلف والعنف والتعصب..

وفي واقع الحال أسفرت دعوة المسيحي الألماني مارتن لوثر (1483 ـ 1546 مسيحي)، عن سجال عنيف مع الكاثوليكية السائدة في أوروبا، فقد اعتبر لوثر الإسلام مرادفًا للخطيئة، وهو يهاجم الكنيسة الكاثوليكية بقوله «البابا والإسلام يشكلان العدوين اللدودين للمسيحية»، «إذا كان الإسلام يمثل جسد المسيح الدجال، فإن البابا رأسه دون شك»، وهكذا ذهب رجال البروتستانتية إلى تكريس هذه الصور المشوهة لاحقًا، وهذا اللاهوتي البروتستانتي ساتكليف في كتابه (البابوية التركية) يرى أن (الكاثوليكية صورة فضائحية كبرى عن الإسلام)، ويرى المستشرق الانكليزي (هنري بريدو) في كتاب (الطبيعة الحقيقية للاحتيال) صورة مشوهة للعقاب والخلاص فيقول: «الإسلام دين عقابي والبروتستانتية دين الخلاص»، وعلى هذا الأساس الثقافي المشوه الذي لا يعرف الآخر، وبصرف النظر عن المقولة التي راجت أخيرًا عن (صدام الثقافات)، فإن منطق الصدام مع الثقافة العربية الإسلامية، وضع أسس التوجه السياسي الغربي في تعامله مع الشرق العربي الإسلامي، ولعل استعادة استحضار التاريخ باعتباره من أهم المكونات الرئيسية للثقافات والسياسات تبدو ملحة انطلاقًا من هذه الزاوية بالضبط، نتفق في ذلك تمامًا مع المفكر الفرنسي (ريجيس دوبريه) الذي يرى «أن الفعل السياسي الغربي، كان يستبطن دائمًا مجالاً دينيًا، والسياسة في الغرب هي وجه من وجوه الفعل الديني».

---

* كاتب وباحث / ليبيا


التواصل
AT-TAWASUL
فصلية ثقافية شاملة



جزيرة جوري / السنغال





تنفيذ وطباعة : شركة الآن للطباعة والنشر



محمود ايوب امريكا
رئيس جمهورية سيراليون
الموت الازرق

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

للتواصل حكاية!!

علي محمد الويفاني

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

كاتب وصحفي - ليبيا



في هذا العدد

الافتتاحية

[illegible]

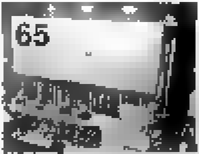
مقالات

دراسات

الملف



جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمنظمات الدولية



◆ المؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية



◆ [illegible]

التواصل

تصدر عن

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

السنة الثالثة العدد الخامس

ربيع الأول [illegible] من وفاة الرسول ﷺ

[illegible]

المراسلات باسم

أمين هيئة التحرير

طريق السواني - كلم ٩

هاتف [illegible] [illegible]

بريد مصور [illegible]

ص.ب [illegible]

طرابلس - الجماهيرية العظمى

البريد الإلكتروني

www.al-tawasul.info

شروط النشر في مجلة

التواصل

ترحب مجلة **التواصل** بكتابات المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين وغيرهم الذين يعتنون التواصل المعرفي من خلال لغة الحوار والنقاش العلمي بعيدا عن التعصب المذموم بجميع أشكاله، وسعياً لنبذ أسباب الخلاف والفرقة مع الالتزام بأسس العقيدة الإسلامية وثوابت الدين في المعالجات الفكرية والثقافية، وتحقيق لهذه الأهداف يشترط لقبول نشر البحوث والمقالات:

- أن يتسم البحث بالجدة والموضوعية، وأن يتبع في كتابته الأساليب المنهجية في البحث العلمي من تسلسل منطقي في العرض وتوثيق للمصادر والمراجع.
- أن يُراعى تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في البحوث التي تتضمنها.
- أن يكون البحث أو المقال خلواً من الأخطاء اللغوية والإملائية، مع مراعاة علامات الترقيم وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبطها.
- ألا يكون البحث أو الدراسة المقدمة للنشر في (التواصل) جزءاً من أطروحة ماجستير أو دكتوراه.
- ألا يكون البحث قد سبق نشره في مكان آخر.
- أن يكون البحثُ أو المقال مطبوعاً أو مكتوباً بخطٍ واضح.
- ألا يقل عدد كلمات البحث أو الدراسة عن 8000 كلمة ولا يزيد على 12000 كلمة.
- ألا يقلّ عدد كلمات المقال عن 4000 كلمة ولا يزيد على 6000 كلمة.
- أن يُرفق الباحثُ ببحثه سيرته الذاتية.
- في حالة الترجمة لا بدّ من أن يرفق النص المترجم بلغته الأصلية.

ملاحظات:

- للمجلة الحق في اختيار العدد المناسب لنشر البحوث المجازة ترتيب نشر البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.
- لا ترد البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت في المجلة أم لم تنشر تعرض الأعمال المقدمة للنشر على لجنة تقويم النصوص قبل إجازتها.
- تمنح البحوث والمقالات المجازة مكافأة مالية مناسبة.



جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمنظمات الدولية

إعداد التحرير

يحظى الاهتمام بالتعاون مع المنظمات الدولية والإقليمية من بين أولويات برامج عمل جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ويعود ذلك لما تحظى به من مكانة دولية وإقليمية متميزة. وما جعل المجلس التنفيذي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة يقرر رفع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية إلى درجة مستشار باليونيسكو، وذلك تقديرًا من المجتمع الدولي لدور الجمعية في خدمة التعاون الدولي والتنمية. وتجدر الإشارة إلى أن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية تعد المنظمة الدولية الوحيدة التي ترقى إلى هذه الدرجة من بين المنظمات غير الحكومية. ونعرض فيما يلي نماذج من التعاون بين الجمعية والمنظمات الإقليمية والدولية.

التعاون مع المنظمة العالمية للتربية والعلوم والثقافة «اليونيسكو»

نشير أولاً إلى أن الجمعية هي من بين المنظمات غير الحكومية التي تتمتع بعضوية اليونيسكو، ومن المعلوم أن اختيار أي منظمة لهذا المنصب يأخذ في الاعتبار إسهاماتها في نشاطات المنظمة وفعالياتها في ميادين العمل الإنساني والثقافي. والتعاون مع اليونيسكو يمتد لأكثر من ربع قرن، وقد أعطيت في أحدث ترفيع لها درجة مستشار نظراً لسجلها الحافل بالإنجازات في جميع ميادين العمل الإنساني.

ولقد ساهم تنفيذ بعض البرامج المشتركة في امتداد صلتها وتعزيز مصداقيتها واتساعها الدولي وأهلها للإسهام الفعال في البناء الحضاري من خلال اهتمامها بالقضايا الإنسانية والمشاريع الدولية التي تعنى بالتقدم الحضاري والتطور الاجتماعي وتساهم في الحفاظ على الإرث الثقافي للبشرية وحمايته من جميع أنواع التشويه والتدمير. هذا فضلا عن دور الجمعية في إرساء قواعد الحوار الحضاري على أسس تحترم الخصوصيات الدينية والثقافية، منطلقة في ذلك من عالمية رسالتها المستمدة من القرآن الكريم. وفي تأكيد منها على هذا الدور العالمي الذي التزمت به قامت الجمعية بإبرام عدد من الاتفاقيات



اجتماع رؤساء المراكز الثقافية والجمعيات الإسلامية في أمريكا اللاتينية

في مجالات التعاون الثقافي والتربوي والعلمي والإنساني.

ومما تجدر الإشارة إليه أن التعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة (اليونسكو) يعود للعام 1995 ميلادي، وهو تاريخ توقيع أول اتفاقية بين الجمعية والمنظمة، والتي منحت الجمعية بموجبها حق توفير الإمكانيات الفنية للمنظمة من أجل تنفيذ مشروعات تربوية وعلمية وثقافية.

ويعتبر إنجاز المشروع الإقليمي الرئيسي للاستخدام الأمثل لمصادر المياه والمحافظة عليها في المناطق الرعوية في دول الساحل الأفريقي أول تعاون بين الجانبين، والهدف من هذا المشروع هو إيجاد أفضل السبل لتطوير وصيانة مصادر المياه لمواجهة الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية للسكان في منطقة الساحل الأفريقي، وهي منطقة شاسعة ومترامية الأطراف، وذلك من خلال إجراء دراسات وأبحاث حول استخدام التقنية الحديثة التي تلائم الظروف المتوفرة والأوضاع المحلية لتجميع وتوزيع المياه على سكان تلك المنطقة.

كما استهدف المشروع تحقيق أبعاد تتعلق بالعلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية والمواصلات، وساهم تطوير المدارس والأبحاث في إطلاع السكان وإرشادهم إلى استعمال مصادر المياه استعمالا جيدا باستخدام الأساليب العلمية. وقد أجرت منظمة اليونسكو هذه الدراسات العلمية بتمويل كامل من الجمعية، وتم تسليم نتائجها إلى حكومات الدول المعنية والتي تعتبر كأساس من أسس التنمية، وتأسيسا على تلك النتائج العلمية أنهيت مشروعاته



اجتماع مشترك بين الجمعية والإيسيسكو حول المساعدات الثقافية لفائدة دول الساحل

دعوية وتربوية ساهمت في استقرار العديد من التجمعات السكانية في دول الساحل الإفريقي، بالإضافة إلى ارتباط الجمعية مع اليونيسكو ببرامج عمل. وفي إطار هذا التعاون المشترك تم إنجاز مشروع محو الأمية في افريقيا الذي استفادت منه ... نوعي عبر القارة.

وشرعت الجمعية واليونسكو منذ سنوات في إنجاز عمل موسوعي يتكون من ستة أجزاء يتناول الثقافة الإسلامية في كل مظاهرها، حيث تتناول الموسوعة الإسلام دين وعقيدة وحضارة، تحت عنوان (مختلف مظاهر الثقافة الإسلامية)، وذلك يهدف إلى إبراز إسهامات المسلمين في بناء الحضارة الإنسانية وتوثيق إنجازات العلماء المسلمين في شتى ميادين العلم والمعرفة.

ومما يجدر ذكره أن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ساهمت أيضا في تمويل موسوعة إعادة كتابة تاريخ الإنسانية الذي يضطلع المجتمع الدولي بإنجازه من خلال منظمة اليونسكو، وتكفلت بالكامل الجزء الرابع من هذه الموسوعة وهو الجزء الذي يتناول تاريخ الإسلام.

تجدر الإشارة أيضاً إلى أن الجمعية وقعت مع المنظمة الدولية للثقافة عام ثلاثة تضمنت توثيق الدعم والتعاون في العديد من البرامج والمجالات التربوية والثقافية والعلمية، وقد عكست بالخصوص اهتمام الجمعية بتوفير مياه الشرب بحفر مئات الآبار في عدد من بلدان الساحل الإفريقي، كما نصت الاتفاقية أيضا على التعاون في الميادين الإنسانية والتقنية والأكاديمية في أفريقيا، وصيانة وترميم

المعالم الثقافية في آسيا الوسطى والبوسنة والهرسك وألبانيا وعدد من دول الساحل الإفريقي.

وفضلاً عن ذلك ترتبط الجمعية مع اليونيسكو في العديد من برامج العمل المشتركة ومن بينها مشروع تاريخ آسيا الوسطى، وإقامة كرسي حوار الأديان في اسطنبول، ومشروع إعداد مدرسين ومثقفين عن الأنشطة بمنطقة الساحل الافريقي باعتبارهم يمثلان نموذجين للإشعاع الفكري والحضاري، بعيداً عن العنف والمواجهة، ومشروع المعرض الجوال حول إسهامات الحضارة الإسلامية في التقدم العلمي للبشرية.

كما أبرمت الجمعية اتفاقية مع المنظمة بشأن مشروع تطوير العلوم على المستوى الجامعي في عدد من الأقطار الأفريقية في منطقة الساحل والصحراء، وتنص هذه الاتفاقية على تطوير تعليم العلوم على المستوى الجامعي في كل من بوركينا فاسو وتشاد والنيجر ومالي. وقد شمل هذا المشروع العمل على تطوير التجارب في العلوم التطبيقية وتطبيق هذه التجارب على 150 مدرسة نموذجية في تلك البلدان.

وقد أهّل هذا التعاون الجمعية للمساهمة في التخطيط لعدد من البرامج الهامة على الصعيد الدولي. وتقديراً من المنظمة لجهود الجمعية الإنسانية والتربوية والثقافية والعلمية في العالم وفي القارة الإفريقية على وجه الخصوص، تم اختيار أمين الجمعية نائب لرئيس لجنة أولويات أفريقيا، وهي لجنة دولية استشارية شكلها المدير العام للمنظمة لتقدم له المشورة حول البرامج التي تقوم منظمة اليونيسكو بتنفيذها في القارة الإفريقية.

يُشار إلى أن للجمعية تمثيلاً لدى منظمة اليونيسكو يقوم بالإشراف على عدد من اللجان العلمية الدولية التي تنجز أعمال الموسوعة التي أشرنا إلى جوانب منها. وتتبع تنفيذ برامج التعاون المشترك بين الجمعية واليونيسكو.

وتشارك الجمعية في أعمال المؤتمرات العامة لليونيسكو من خلال عدة مجالات، وتقيم المعارض التي تشتمل على العديد من الكتب والمطبوعات والأدبيات والصور والملصقات التي تبرز نشاطاتها في شتى الميادين، ويتم خلال هذه المعارض عرض الأشرطة الوثائقية عن الخدمات الإنسانية التي تضطلع الجمعية بها في جميع أنحاء العالم.

وقد افتتحت العديد من هذه المعارض من قبل المديرين العامين للمنظمة، وبحضور ممثلي الدول والمنظمات الأعضاء والوفود المشاركة.

الجمعية و الإيسيسكو

ترتبط الجمعية والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) بعلاقات تعاون وثيق، منذ العام 1982م حيث يعمل الجانبان انطلاقاً من أهدافهما المشتركة في سبيل تنفيذ سلسلة من البرامج التربوية والعلمية والثقافية في أنحاء عديدة من العالم من خلال اتفاقيات أبرمت بين الجانبين.

وتتمحور الاتفاقيات حول تنفيذ برامج عمل تتضمن مشروعات وبرامج محددة تهدف في مجملها إلى تأكيد الهوية الإسلامية وتعزيز الأصالة، والتصدي لحملات التغريب ومحاولات تشويه الشخصية الإسلامية.

ولعل من أبرز البرامج التي تلقى دعم المنظمة بتمويل من الجمعية "البرنامج الثقافي التربوي الواسع

في دول الساحل الأفريقي، وفي إطار هذا البرنامج تم إنجاز وتنفيذ المئات من الأنشطة الثقافية والتربوية فضلا عن برنامج (التعليم للجميع) الذي تمثل في إنجاز خمسين مركزا للقراءة، استفادت منه خمسة بلدان أفريقية. وتم دعم مئات المؤسسات التربوية والاجتماعية والثقافية والإنسانية من خلال تجهيز الكتب وتعيين عدد كبير من المعلمين والمدرسين المهنيين المتخصصين.

وبرنامج خاص لعقد الدورات التدريبية لمعلمي وموجهي اللغة العربية والتربية الإسلامية في أفريقيا من بين أبرز الأنشطة التي يواصل الجانبان تنظيمها وإنجازها بنجاح كبير، وذلك لرفع كفاءة المعلمين، والعمل على تحديث أساليب تعليم اللغة العربية باعتبارها أداة أساسية في بناء الشخصية الإسلامية، ودعامة لا غنى عنها لفهم الإسلام دينا وحضارة، وقد استفاد من هذه الدورات المئات من المعلمين والموجهين في كل من السنغال وموريتانيا وجيبوتي والنيجر ومالي وبوركينا فاسو وجزر القمر والصومال وبنغلاديش و[illegible] و[illegible] وغينيا و[illegible] وبريطانيا.

كما تم في نفس الإطار وفي العديد من الدول إقامة ورش عمل ودورات تأهيلية في مجالات:

- مكافحة الأمية
- تشجيع استخدام الحروف العربية في كتابة اللغات الأفريقية
- تحديث أساليب تعليم اللغة العربية
- طرق إعداد واستخدام البرامج التربوية الحديثة
- تقنيات تقييم المناهج واختيار المواد التعليمية
- دروس نظرية وتطبيقات عملية في تقنيات تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، واستخدام الوسائل السمعية والبصرية في العملية التعليمية فضلا عن العديد من الموضوعات التربوية والثقافية الأخرى.

وهنالك تعاون بين الجمعية والإيسيسكو في مجالات أخرى متعددة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- نشر وترجمة الكتاب الإسلامي
- تأليف الكتب المرجعية عن البلدان الأعضاء في المنظمة
- تقديم الدراسات المتعلقة بمختلف قضايا العالم الإسلامي
- التعاون في مجال الحفاظ على المخطوطات العربية الإسلامية والاهتمام بها وصيانتها
- التعاون في مجال التعليم العالي والبحث العلمي، حيث تقوم الجمعية بالتغطية الكاملة من خلال المنظمة لتكاليف ثلاثة أساتذة يعملون بجامعة ساي الإسلامية بالنيجر، وقد اضطلع هؤلاء الأساتذة، فضلا عن برنامجهم العلمي الأكاديمي في الجامعة، بإلقاء محاضرات على طلبة الدراسات العليا والإشراف على عدد من الرسائل العلمية.

كما تتعاون الجمعية مع الإيسيسكو في إطار برنامج آخر هو تغطية نفقات أستاذ متفرغ بنفس الجامعة.

وعلى مدى السنوات الأربع الماضية نفذت الجمعية والإيسيسكو برنامجا يهدف إلى تمكين عدد من العلماء في مختلف العلوم التطبيقية من المشاركة في عدد من المؤتمرات العلمية العالمية. وقد بلغ عدد



الجمعية والإيسيسكو والمؤتمر الإسلامي الأوروبي في مؤتمر الأقليات الإسلامية في أوروبا

المستفيدين من هذا البرنامج خلال هذه الفترة التي عشر عاماً دراسياً.

كما قامت الجمعية بالتعاون مع الإيسيسكو في إطار البرنامج المشترك بينهما بإصدار عدد من الدراسات حول بعض الموضوعات العلمية والثقافية بعضها كان توثيقاً لندوات علمية في مجالات متعددة منها مجال الهندسة الوراثية، وبعضها الآخر في صورة أبحاث متخصصة حول بعض القضايا الثقافية والفكرية. وقد بلغت الإصدارات خلال السنوات الأربع الماضية عشرة إصدارات ترجم بعضها إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن برنامج التعاون بين الجمعية والإيسيسكو الذي يمتد على مدى عقدين من الزمان اشتمل على تنظيم أكثر من اثنتي عشرة ندوة علمية وفكرية متخصصة في العديد من مناطق العالم الإسلامي، ساهم في بعضها إضافة إلى الجمعية ومنظمة الإيسيسكو جامعات ومراكز بحوث متخصصة.

ويمكن أن نذكر من بين هذه البرامج المشتركة على سبيل المثال لا الحصر تنظيم المؤتمرات والاجتماعات الدولية التي تؤكد الاهتمام بترسيخ وتعزيز الهوية الإسلامية للأقليات المسلمة بهدف زيادة فاعلية الدور الذي تضطلع به داخل المجتمعات التي تعاصر ظروف العولمة، مثل المساهمة في بناء المجتمعات التي تعيش فيها. وقد نظمت الجمعية والإيسيسكو في هذا السياق العديد من البرامج منها عقد اجتماع لمسؤولي المراكز والجمعيات الإسلامية في أمريكا اللاتينية واجتماع آخر لمسؤولي المراكز

الإفريقية والجمعيات الإسلامية بالقارة الأوروبية. كما ساهمت الجمعية في العديد من المؤتمرات الدولية حول الأقليات المسلمة في كل من أوروبا الشرقية وإفريقيا. ويهدف التعاون بين الجمعية والمنظمة، والذي يعد مجالاً للعمل الإسلامي الثقافي والعلمي التربوي المشترك، إلى خدمة وتنمية التنمية الشاملة في العالم الإسلامي، وهو يتسم بالتطور المستمر والتوسع المطرد.

يذكر أن اللجنة المشتركة بين الجانبين تعقد اجتماعاتها مرة كل سنة للاتفاق على الأنشطة الجديدة التي تعنى بالتعاون بين الطرفين.

التعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو)

ترتبط الجمعية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو) باتفاقيات وبرامج تعاون في العديد من مجالات العمل المشترك. وهو ما جعل الجمعية في مقدمة الهيئات المساهمة في دعم عمل المنظمة وإنجاح برامجها. ويأتي هذا الدعم والتعاون انطلاقاً من إيمان الجمعية والمنظمة بأن خدمة اللغة والثقافة العربية الإسلامية وإحياءها ونشرها في العالم يعتبر من الأهداف السامية التي يعمل الجانبان من أجلها، وعلى وجه الخصوص دعم جهود التعليم العربي الإسلامي في الدول العربية والإفريقية ودول الساحل الإفريقي، وإجراء المسوحات الثقافية والبحوث والدراسات بشأن أوضاع الثقافة العربية الإسلامية، واستشراف مستقبلها، ووضع ونشر المعاجم باللغات المحلية الكبرى، وتزويد الجامعات والمعاهد والمؤسسات الثقافية والتعليمية ومراكز البحث العلمي في أنحاء العالم بإصداراتهما، ودعم جهود الاستفادة من التقنيات الحديثة في تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية، والمساهمة في دعم المؤسسات التي تُعنى بتعليم اللغة العربية، وإيفاد الأساتذة والخبراء، وتنظيم الدورات المتخصصة في مجالات اللغة العربية والثقافة العربية والإسلامية والتقنيات الحديثة، وتنظيم المؤتمرات والندوات والملتقيات لإبراز الدور الحضاري العربي الإسلامي في إثراء الحضارة الإنسانية، وفتح قنوات الاتصال مع الحضارات والثقافات الإنسانية الأخرى للتوصل إلى رؤى مشتركة في القضايا ذات الاهتمام المشترك.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الاجتماعات الدورية بين الجمعية والمنظمة ترمي إلى بحث سبل تطوير التعاون، ووضع آليات تنفيذ الأنشطة والبرامج المشتركة. كما تعمل اللجنة المشتركة بين الجانبين التي تجتمع دورياً على وضع البرامج التنفيذية والميزانيات اللازمة لها وتقييم الأنشطة التي تم تنفيذها ومتابعة نتائجها.

ولعل من بين أبرز مساهمات الجمعية دعمها لمشروع استراتيجية نشر الثقافة العلمية والتقنية في الوطن العربي، وقد مولت الجمعية في هذا الجانب تكاليف اجتماع خبراء نشر الثقافة العلمية والتقنية في الوطن العربي الذي عقد بالقاهرة في الفترة من 5 ـ 7/4/2003 مسيحي.

وتجدر الإشارة أيضاً إلى مساهمة الجمعية في مشروع تأليف مرجع حول أخلاقيات العلوم التقنية الذي يهدف إلى توضيح موقف الثقافة العربية والإسلامية من أخلاقيات البحث العلمي.

وفضلاً عن هذا، قامت الجمعية بدعم جهود منظمة الألكسو الرامية إلى إبراز دور العلماء العرب والمسلمين في بناء الحضارة الإنسانية، حيث ساهمت الجمعية في تمويل مشروع الموسوعة العلمية التي ترجع المنظمة إصدارها حول أعلام العلماء العرب والمسلمين، ويُنتظر أن تصدر في حوالي عشرين مجلد.

ويتواصل التعاون بين الجمعية والمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة في عدد من ميادين الفكر والثقافة محققاً العديد من الإنجازات الثقافية والتربوية المهمة من خلال البرامج المشتركة لإقامة الدورات التدريبية في العديد من المجالات التربوية والثقافية والبيئية. وفي هذا السياق تم تنظيم دورات تربوية تدريبية في كل من: بوركينا فاسو، تشاد والنيجر، استفاد منها حوالي 700 مدرس ومعلم تربوي، كما أقيمت حلقة دراسية في القاهرة في مجال المياه والبيئة بالتعاون مع معهد بحوث الهيدروليكا حيث أتيحت الفرصة أمام متدربين من جيبوتي والصومال وإريتريا، للالتحاق بهذه الحلقة الدراسية. ويأتي هذا النشاط ضمن الجهود التي تقوم بها الجمعية من أجل خدمة قضايا تنمية المجتمعات العربية والأفريقية.

وفي إطار برامج التعاون بين الجمعية والألكسو نظّم الجانبان بالتنسيق مع معهد العالم العربي في باريس يومي 15 - 16 / 5 / 2002 مسيحي المؤتمر العربي الأوروبي للحوار بين الثقافات تحت شعار "مرتكزات التعرف على الآخر من أجل التعايش معاً من منطلق التسامح بين الحضارات والأديان". وقد شارك في هذا المؤتمر جمع غفير من رجال الفكر والثقافة والسياسة من العالم العربي وأوروبا، إلى جانب شخصيات تمثل منظمات دولية وإقليمية مثل المجلس الأوروبي ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة ومعهد العالم العربي في باريس. كما حضر أعمال المؤتمر وشارك في فعالياته ممثلون عن وزارتي الخارجية والثقافة في الجمهورية الفرنسية.

وقد ركّز المؤتمر على ثلاثة محاور أساسية هي: إشكالية الآخر، ثقافة السلم، المعرفة والاعتراف بالآخر. وتمّ التداول في هذه الموضوعات من خلال البحوث وأوراق العمل التي قدمها أساتذة ومفكرون متخصصون في قضايا الحوار بين الحضارات والثقافات، وقد أشادت بالظروف التي تتطلبها التفاهم المتبادل والسلم والتعاون بين الشعوب العربية والأوروبية.

وصدر عن المؤتمر بيان باريس للحوار الثقافي العربي الأوروبي الذي عبر المشاركون فيه عن انشغالهم العميق بتنامي ظواهر عدم التسامح وترفيه الانغلاق على الذات وإقصاء الآخر.

ويجيء تنظيم هذا المؤتمر الدولي إسهاماً من الجمعية والمنظمة في دعم الحوار بين الثقافات والحضارات من القطيعة إلى التفهم، وذلك انطلاقاً من استراتيجية تقوم على أساس أن الثقافة العربية الإسلامية كانت دوماً وستبقى ثقافة الحوار مع الثقافات الأخرى، وهي ثقافة ترتكز على قيم التسامح ومبادئ التضامن والتعاون، وهو الأمر الذي يجعلها قادرة - في ظل التحديات المستجدة وبحكم رصيدها التاريخي - على أن تلعب دوراً إيجابياً في تفعيل الحوار بين الأمم والشعوب، وترسيخ معاني التفاهم والسلام الدوليين.



الجمعية والإيسيسكو والمعهد العالمي للفكر الإسلامي: الندوة الدولية حول ترجمة معاني القرآن الكريم

ويستعرض مشروع تعليم الجاليات سلسلة من الندوات التي تناولت العديد من الموضوعات الأخرى، من بينها: ندوة حول الثقافة العربية الإسلامية في منطقة الساحل الإفريقي (نظمت في مالي) وندوة حول تعليم اللغة العربية والتربية الإسلامية في دول الساحل الأفريقي (نظمت في نيجيريا).

بالإضافة إلى مساهمات الجمعية المتعددة لهذه المنظمة في العديد من المجالات.

التعاون مع منظمة المؤتمر الإسلامي

تُعد جمعية الدعوة الإسلامية العالمية عضواً مراقباً بمنظمة المؤتمر الإسلامي، وترتبطان معا بعدد من الاتفاقيات وبرامج العمل المشترك، ويتضمن برنامج التعاون الذي انطلق منذ العام 1988 مسعى على تنظيم سلسلة من الندوات العلمية المتخصصة، فضلاً عن مساهمة الجمعية في العديد من المناشط العلمية والثقافية والفكرية في عدد من بلاد العالم منها: إنجلترا وتركيا وسويسرا والنيجر وماليزيا وروسيا والبرازيل وجنوب أفريقيا واليابان.

وقد جسد هذا التعاون الثقة الكبيرة التي توليها المنظمة للجمعية وبرامج العمل التي تقوم بها، وفوضها أمرها بالاضطلاع بدور محوري في العديد من اللجان المنبثقة عن مؤتمرات القمة الإسلامية، ومن بينها (لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك في حقل الدعوة الإسلامية) التي تعمل الجمعية على إنجاح جهودها وتطويرها ووضع الاستراتيجية التي أقرتها في دورتها الحادية عشرة موضع التنفيذ، وذلك من خلال خطط عمل وبرامج، كما تتعاون مع جميع المنظمات الأعضاء في هذه اللجنة في كل ما من شأنه إنجاح العمل الإسلامي والاهتمام بالمسلمين، حيث ترأست الجمعية لجنة الخبراء التي شكلها الأمين العام للمنظمة والمكلفة ببحث واستقصاء أوجه

التحديات التي تواجه العالم الإسلامي، والتي ضمت في عضويتها ذوي الخبرة والاختصاص من العالم الإسلامي لبحث أوجه تلك التحديات. وقد استضافت الجمعية اجتماع اللجنة في دورتها الأولى التي انعقدت بالقاهرة، والثانية في باماكو بجمهورية مالي، والثالثة بمدينة طرابلس بالجماهيرية العظمى، ويأتي ذلك تعبيراً من الجمعية عن عميق حرصها على الاهتمام بقضايا الأمة الإسلامية. كما ساهمت الجمعية في عقد المؤتمر الأول للأقليات المسلمة في الدول غير الأعضاء في القارة الأفريقية. وساهمت أيضاً في مؤتمر الأقليات المسلمة في شرق أوروبا وروسيا الذي انعقد في سبتمبر عام 2002 مسيحي، انطلاقاً من رسالة الجمعية في الاهتمام بالأقليات المسلمة في جميع أنحاء العالم، والتعاون مع كل الجهود التي تبذل من أجل تهيئة الأرضية المناسبة لتقديم مساعدات شاملة لتنمية المجتمعات والأقليات المسلمة ومساعدتها على صون هويتها الدينية والثقافية.

التعاون مع مجمع الفقه الإسلامي

وفي إطار التعاون مع مجمع الفقه الإسلامي تشير بإيجاز إلى ما تم في الفترة القليلة الماضية، حيث تم دعم مشروع معلمة الفقه الإسلامي، والتي تمثل عملاً موسوعياً فقهياً. كما تم عقد ندوة حول الفكر الإسلامي المعاصر، بإشراف وتنظيم مشترك من الجانبين.

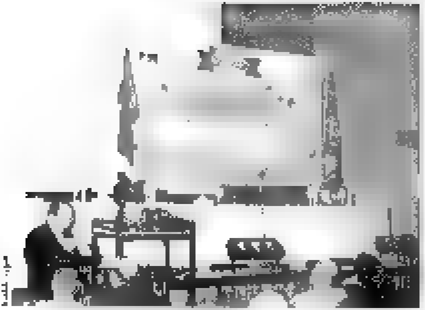
التعاون مع منظمة الصحة العالمية

لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية علاقات تعاون وثيقة مع منظمة الصحة العالمية، حيث ترتبطان معاً ببرامج تنسيقية واستشارية، خاصة فيما يتعلق بتوفير الأدوية والأمصال والمعدات الطبية التي تحتاج إليها المرافق الصحية والإغاثية التابعة للجمعية في العديد من مناطق العالم، والتي تقدم خدماتها الطبية إلى مئات الآلاف من المحتاجين. كما توفر المنظمة للجمعية عدد الطواقم المستلزمات الطبية للقوافل الإغاثية الإنسانية الطبية التي تسيرها الجمعية سنوياً إلى دول آسيا وأفريقيا.

وقد قامت الجمعية بدعم برامج هذه المنظمة العالمية الهادفة إلى مكافحة عدد من الأمراض، وخاصة في مكافحة نقص فيتامين (أ) الذي يؤدي إلى إصابة الأطفال بالعمى في بعض مناطق العالم. وتمنح الجمعية منحاً دراسية لعدد من الأطباء المتخصصين في هذه المناطق المعلومة مساهمة منها في تخفيف معاناة الإنسان.

التعاون مع اللجنة الإسلامية للهلال الدولي

كما تبرمت الجمعية مع اللجنة الإسلامية للهلال الدولي المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامي اتفاقاً في مجال رعاية الأمومة والطفولة في عدد من الدول الأفريقية. وقد ساهمت الجمعية بموجب هذا الاتفاق بتمويل المراكز الإرشادية من برامج رعاية الأمومة في جمهورية مالي وجمهورية جيبوتي، بالإضافة إلى المساهمة في دعم هذه اللجنة الدولية لتمكينها من تنفيذ مشروعاتها الإنسانية المختصة باللاجئين ورعاية الفئات الضعيفة في كل من أفغانستان، وغينيا كوناكري، وبوركينا فاسو، والنيجر، وجيبوتي.



جلسة عمل حول الدور الإنساني لرعاية شؤون اللاجئين بين الجمعية ومفوضية الأمم المتحدة العليا لشؤون اللاجئين

التعاون مع مفوضية الأمم المتحدة العليا لشؤون اللاجئين

انطلاقاً من رسالتها وأهدافها الإنسانية وقعت الجمعية ومفوضية الأمم المتحدة العليا لشؤون اللاجئين اتفاق شراكة ينص على التنسيق في المجالات الإنسانية وخاصة على المستوى الميداني وتبادل الخبرات والمعلومات، وقد قام نائب مدير مكتب جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا والشرق الأوسط بزيارة إلى الجمعية حيث تم بحث أوجه التعاون بين الجانبين. كما تم تنظيم حلقة دراسية مشتركة بمقر الجمعية تحت عنوان "الدور الإنساني لرعاية شؤون اللاجئين في العالم" تناولت عدداً من الموضوعات من بينها الدور الإنساني لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية في مجال مساعدة المحتاجين والمتضررين من الكوارث الطبيعية والحروب والمجاعات والأزمات ودورها في رعاية دور الأيتام ومساعدة ذوي الاحتياجات الخاصة وتعليم المرأة وإنشاء المرافق الصحية والمدارس. كما ألقى خبراء المفوضية عدة محاضرات حول الاتفاقيات الدولية بشأن اللاجئين وحقوقهم وطرق الحلول لمشكلاتهم ودور المنظمات غير الحكومية في التنسيق مع المفوضية لخدمتهم.

نشير في هذا السياق أيضاً إلى أن الجمعية شاركت في الحلقة الدراسية التي أقيمت بتونس بمشاركة ثلاثين جمعية ومنظمة عاملة في المجالات الإنسانية والإغاثية، تم خلالها تقديم تجربة الجمعية في مجالات الاهتمام بالأقليات في العالم والمساعدات الإنسانية للاجئين ودعم المؤسسات الاجتماعية والصحية ومؤسسات التنمية البشرية.

التعاون مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر

عبّرت اللجنة الدولية للصليب الأحمر على لسان نائب رئيسها عن التعرف لجهود الجمعية الإنسانية، وذلك خلال الزيارة التي قام بها السيد جاك فورستر لمقر الجمعية، والتي أجرى خلالها مباحثات تهدف إلى تعزيز التعاون بين الجانبين من أجل دعم الجهود المبذولة لخدمة الإنسانية.

وقد رحبت الجمعية بعزم اللجنة الدولية على تقديم خبرتها في مجال المساعدات الإنسانية وفق الآليات التي تعتمدها اللجنة لضمان وصول المساعدات والخدمات إلى مستحقيها في الوقت المناسب، كما أبدت الجمعية رغبتها في أن تقوم اللجنة بتدريب عدد من المرشحين على الطرق والأساليب المتبعة في التعامل إبان حدوث الكوارث الطبيعية في بعض أنحاء العالم.



- مضى من التواصل عام
- من أجل ثقافة عربية.. المتطلبات والسبل
- أوروبا بين الانفتاح وهاجس القلق من الإسلام
- نقل التراث وشروط الاستمرار
- الخطر الأقصى على المسجد الأقصى
- مقاومة الإسلام للاستعمار الثقافي الغربي بمنطقة غرب إفريقيا

مضى من التواصل عام

* عبد الفتاح أحمد أبو رايدة

هل الزمن العمري مقياس لنجاح عمر ما؟ أم أن ما يحققه العمل من تأثير، وما يسفر عنه من نتائج يعد المقياس الذي يوزن به العمل؟ والفرق مسافة كبيرة من مقياس الزمن ونوعية العمل، وحيث لا نريد أن نجتهد كثيراً فلنا أن نأخذ بمقياس ونترك آخر، بل سنجمع بكل قيمته ومعياره.

هذا هو العام الثاني على صدور «التواصل» وهذا هو العدد الخامس، لو حسبنا بأن عمر مجلة كعمر الإنسان نجد أنها تخوض الآن تجربة المشي وتستعد للكلام، ولكن الذي نود قوله في بداية رؤيتي للتواصل أن ما تعارف عليه نقاد الصحافة من مقاييس يرمون بها صحيفة ما قد يحتاج كثيراً من التمهيد والتطور، الذين نخشى من التقدم الهائل في تقنية الصحافة اليوم، وفي منافسة أجهزة الإعلام ووسائله، وبخاصة المتغيرات التي تغري الإنسان بالعزوف عن القراءة، فكثير مما يريد يقدم إليه مرئياً ومسموعاً، ومن هنا يكون الطريق أمام الصحافة الآن شاقاً وعسيراً لا يجرؤ على السير فيه إلا من أعد نفسه إعداداً جيداً حتى يستطيع الوصول إلى الطريق الذي تقول له الصحيفة: إنك لن تستطيع بعد ترى وتسمع الاستغناء عن قراءتي.

وإذا كان القول بأهمية الصحافة ليس جديداً وهي حقيقة مفروغ منها، إلا أن مدى تأثيرها في القارئ يظل مجال حوار وجدل، ذلك لأن هذا الأمر يرتبط بشكل وثيق بتلك الصلة التي تربط المجلة بالقارئ، ونصل سريعاً إلى الإشارة التي تذهب بنا إلى السؤال من هو القارئ المستهدف لاستقبال المجلة؟ وما مستويات القراءة المتوقعة بالإضافة إلى الجيدة أو الواعية؟

والحديث عن القارئ ومستويات القراءة يؤدي بنا إلى الحديث عن المجلة نفسها، ما تكتبه، وما ترى أنه صالح للكتابة ليكون من ثم مقبولاً عند القراءة، ونقصد بالقبول هنا أن يكون للقارئ موقف ورأي ولا نقصد أن يقرأ وحسب أو يرضى بكل ما يقرأ، فالصحافة ليست قوالب تسن أو قواعد تحفظ أو مقاييس

* كاتب وصحفي فلسطيني - ليبيا

عليه لا يخرج القارئ من دائرتها ولكنها حوار متعدد يجمع فيه الآراء والأفكار والرؤى والمواقف حول ما حدث ويحدث وما يمكن أن يحدث. ولعل القارئ يدرك الآن أن حديثنا لا يتناول الصحافة الإخبارية التي تتخذ لها سمتاً معيناً وإنما نقصد الصحافة الثقافية الفكرية

والتواصل مجلة ثقافية فكرية، لا يعسر على القارئ أن يتبين معالمها وأهدافها من عددها الأول ويستشعر أن هذه المرتكزات: الإسلام ـ الحضارة ـ العقل ـ الحوار، ويتفرع من كل منها مفردات جزئية كثيرة

الإسلام: دين وهو خاتم الأديان والأمين يسعد جاء ليغير العالم وكما نعتقد نحن المسلمين إلى الأفضل، وعلينا أن نوصل هذا المفهوم الجذري إلى الآخر وعلينا ألا نفصل بين الإسلام والمسلم أي أن يكون المسلم هو النموذج في تقديم الإسلام وحتى نستطيع إزالة الصورة الفاسدة للإسلام والمسلمين ونصححها من ذاكرة الذين يتخذونها مطية لانتقاد الإسلام نفسه

الحضارة: وهي باختصار انتقال الإنسان من مرحلة بدائية إلى أخرى تتجدد فيها حياته مما يجعله أكثر سعادة وطمأنينة ورقياً، وحينما نقول إن الإسلام دين حضاري فمعنى ذلك أنه يوفر للإنسان هذه الانتقالات المتطورة التي تجعله يحس بإنسانيته ويعيش في عالم آمن، وكلما ازداد فهم المسلم للإسلام اتسعت دائرة الحضارة التي يعيش فيها ويسمو بوجوده داخلها، والسؤال هنا: كيف نستطيع نحن المسلمين أن نجعل الآخر يقتنع بحقيقة الحضارة الإسلامية وإن في إمكانه عندما تصله مفاهيم العقيدة الإسلامية الصحيحة أن يكون أكثر قرباً من الإسلام ولكن هل يمكن لهذ



الهدف أن ينصهر من غير أن يكون المسلم نفسه إنساناً حضارياً؟

إن هذا الهدف يعد من بين المهمات الصعبة التي يضطلع بها في مجلة التواصل في جمعية على رأس أولوياتها.

العقل: يعدّ العقل تشكيلا للدائرة الإنسانية الكبيرة التي تضم الآلة التي تعمل على التفكير والتعبير والفهم والإدراك، وكل إنسان يتمتع بعقل يفتح له نافذة على العالم يراه من خلاله ويشكل من ثم موقفاً يقبل أو يرفض، والتمسك بالرأي من طبيعة الإنسان. فكيف يمكن الوصول إلى هذا العقل وجعله مستعداً لتفكير موضوعي في ما يصير إليه؟ ويمكن القول إن الإسلام دين العقل وذلك استناداً إلى ما ورد في القرآن الكريم من حث مستمر على التفكر والتأمل والتدبر، وقد جعله مناط التكليف. ومن هنا فإن الوسيلة التي تنطلق من الرؤية العقلية تحصل إلى التوظيف الصحيح لكون قد وضعت في تصادم مع الفكر الإنساني الذي يستوعبه الفكر الإسلامي. ومن هذا الهدف تبوأ التواصل موقعه من التفكير بحيث تصل إلى المستوى اللائق به وهي ترصد أقلام المفكرين والمثقفين الآتية من مساحات مكانية متعددة.

الحوار: ذلك أن كل أمة منغلقة على نفسها تآكلت وتلاشت ولم تقدم آراء وأفكاراً تعينها على فهم الكون. والأمة التي تنغلق على نفسها الاستفادة من الحضارات الأخرى، والثقافات المتنوعة تجد نفسها مضطرة لأن تنفتح بعقليتها على ما يجمع لدى الآخرين من نتاج فكري وحضاري، وتتيح لنفسها فرصة التلاقح، كيف يجب أن تكون مؤثرة؟ وهذا ما يعني التلاقح الفكري بين الحضارات والثقافات وباب الحوار من الأبواب التي فتحها الإسلام للمسلمين. يحاورون ما نسبتهم إلى غيرهم، وينظرون في ما عند غيرهم مما يصح منه وما لا يصح. ومسؤولية النخبة الفكرية الثقافية أن تفتح باباً من الأبواب للحوار الذي يتنافى مع الصدام أو الصراع، والحضارة الإسلامية ليست مغرورة حتى تبني حوارها على صراع غيرها، ولكنها عملية موضوعية تتعامل مع الآخر إلى أن يفهمها في حوارها بالحجة والمنطق وليس بالهيمنة والقوة الطاغية.

> الأمة التي تنغلق على نفسها الاستفادة من الحضارات الأخرى والثقافات المتنوعة تجد نفسها مضطرة لأن تنفتح بعقليتها على ما يجمع لدى الآخرين من نتاج فكري وحضاري، وتتيح لنفسها فرصة التلاقح، كما يجب أن تكون مؤثرة

فسحت التواصل صفحاتها على هذه المحاور الرئيسة التي تمس الفكر الإنساني المعاصر. فالإسلام يتعرض اليوم إلى هجوم عنيف في أجهزة الإعلام المختلفة المعادية، وهي ترى في الإسلام خطراً يهدد الذين يطمحون في السيطرة على العالم وتحريكه حسب ما يريدون[1]. وفي هذا الهجوم جرثومة مرضية تدفع المتلقي إلى إشعال الصراع، والمسارعة إلى القتال. أسلوب الحوار ونحن نقول لهؤلاء: حضارتنا وتلك حضارتكم، فتعالوا نوازن بينهما ونسمع الحجج والدلائل والبراهين، ونرى ما الذي ينفع العالم ويقيم المصالح بالموازنة بين شعوبه على أسس الحق والعدل وليس على أسس النزعة والغطرسة.

كما يمر العالم اليوم بمخاطر مرحلة التقدم العلمي المذهل والخطيرة، حيث يجعل الإنسان مضطرباً حائراً يبحث عن سفينة النجاة من دمار يترقبه ولا يرحم

[1] [illegible]

جداً ويتساءل عن تسخير العلم لإبادة الإنسان وقمعه ولا يسعد برخائه وسعادته؟ وتتحمس الصحافة الموضوعية جانباً مهماً من الإجابة عن تساؤلات الإنسان التي تربكه.

ويبدو لي ولنا أنا أتابع الكواسي قراءة ونقداً أنها قد بنت شخصيتها الصحافية على أساس الترحيب بأكبر عدد من أقلام الكتاب على المستوى العربي والإسلامي والعالمي، مما يعمل على تحريك الوعي تحريكاً عملياً، والانطلاق من قواعد تنفس أولاً وتفسح فيما بعد تعنى بها أن تجيد قراءة الغير وتتحكم بالآخر مما يتناسبه وتجعله يشعر بأن الحوار هو الطريق الصحيح للتفاهم، وأن الحضارة لا يحتكرها طرف ولكنها تعبر بكيفية فهم الإنسان للحياة، وحرصه على أن يطور نفسه وحياته معاً، وأن يتمتع بإنسانيته التي وهبها الله له، ولا يتحول إلى سلب إنسانية غيره.

والمحاور التي رسمت لتكون مشاريع كتابة في هذه المجلة متعددة متنوعة تصل إلى مستويات القراء بحسب الثقافة أو المعرفة، وليس من اليسير على مجلة تخطو نحو عامها الثاني أن تحقق هذا الطموح إلا أن يكون وراءها عمل مستمر وبحث جاد من أقلام مستنيرة تسهم في إثراء حركة الوعي، وتريد لهذا العالم الخير والسعادة وللإنسان السكينة والطمأنينة.

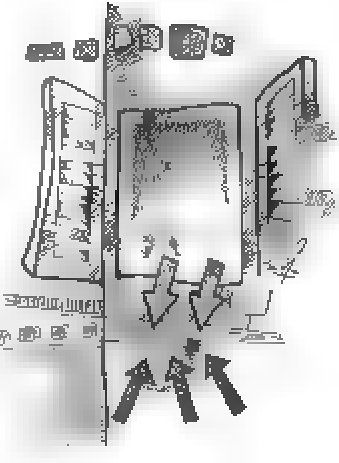
وإذ وجد الإنسان فائدة في ما يقرأ فإنه سيندفع إلى المشاركة الإيجابية في إثراء ما يكتب، بالمشاركة في الكتابة والنقد والحوار البناء، فكما حب في كتب ابحث عمن عمر ويجب أن أعتني النقد وحاور من ينقد وهكذا ندخل إلى فضاء الوعي وتحس مستوى بثقافة ناضجة ومعرفة متنوعة الأبعاد تتسم بالعمق والشمول، ويكون لنا نصيب في إضافة شيء إلى الحضارة الإنسانية يشهد لنا بأننا نريد أن نعمل ونبني تصميم على أن يتواصل العمل، وأن تستمر حركة الوعي في التواصل كتابة وحوار ونقد.



من أجل ثقافة حوار

المتطلبات والسبل

جوزيف آلول *



أضحى الحوار بين الأديان اليوم نصيباً ذا أهمية متزايدة للأشخاص المعنيين من أبناء الأديان المختلفة. ويتطلب اللقاء بأتباع معتقدات أخرى الإقرار بواقع التنوع البشري الديني والتعبير عنه. فينظر كل منا إلى الآخر من خلال حواجز جغرافية وثقافية وحواجز عرقية واجتماعية واقتصادية تقوم بتشويه منظورين يلفها تصور وصيانتها مرفوضة من الإضعاف أو التهديد.

ولقد أدت ظاهرة العولمة من تذويب للخصوصيات الدينية والثقافية، وأدت إلى انبعاث جديد للهويات الثقافية المحلية في أرجاء المعمورة كما شهدنا تنامياً مثيراً للقلق في المشاعر القومية المحلية كرد فعل في وجه التيارات المعولمة، مع تداعي قبضة الدول / الأمم الأكثر قدماً. ولقد نتجت هذه التحركات عن شعور عميق بانعدام الأمن يتفشى بصورة تلقائية ويؤدي إلى مزيد من الشعور بانعدام الأمن.

ويصبح الحوار في أوضاع من هذا النوع محفوفة بالتقلبات المستمرة، جزءاً لا يتجزأ من حياة الرعية

* راهب دومينيكاني

فضلاً عن ذلك، أصبح السكان المحليون، بصورة متزايدة، متعددي العروق والأديان والثقافات بسبب الهجرة خصوصاً. فحسب تلك الظاهرة، حيثما تشعبت وحلّت أمكنة معينة يسعى إلى النمو التدريجي في مجتمع يسعى إلى يكون نواتاً إلى المصير المشترك.

بناء على ذلك، تعد مسؤولين دينيين عدة بحاجة ماسة إلى حوار على الصعيد الدولي. في عصر عولمة يبدو فيه أن الأديان قد هُمّشت اجتماعياً، لا يكفي فيه الحوار بين الأديان بتقديم أسس مستقبل أفضل من طريق التعايش، بل يفرض أيضاً مثل شهادة مميزة.

الحوار المتجدد

قد يعتبر الكثيرون أن الحوار وبالخصوص الحوار بين الأديان ظاهرة حديثة العهد، وأنه محصور بالثقافة العلمانية التي ابتكرت الحق في حرية التعبير وحررت البشرية من استبداد الأديان وخضوعها. ويعد من منظور أكثر تبصراً تؤدي إلى مشكلات مختلفة كل الاختلاف.

ليس الحوار بين الأديان مجرد منتدى مجاملات أو ساحة لتبادل الاتهامات، فهو أساس لقاء مواطنين ينتمون إلى أديان وحضارات وثقافات مختلفة

وليس الحوار بين الأديان مجرد منتدى مجاملات أو ساحة لتبادل الاتهامات، فهو أساس لقاء مواطنين ينتمون إلى أديان وحضارات وثقافات مختلفة يجمعهم مثال مشترك، هو ألا وهو تقدم البشرية ومصالحها. فلا يكون التنوع مرادفاً للقسمة بل للاحترام المتبادل. وقد لا يؤدي الحوار حتماً إلى الاتفاق أكان تاماً أم جزئياً، لكن يمكنه ويجب أن يؤدي إلى التفاهم المتبادل. لا يعني الحوار التضحية بالآخر تماشياً لئلا يوحد بالآخرين لتلفتاً ذاتياً ...

يقوم كل طرف معني بالتعبير عن قناعاته وشريكه التي تمثله قناعات ذاتية مختلفة، ويبدي اهتماماً مخلصاً بما يريد الشريك بجهود صادقة للإصغاء والتفهم، ومحاولة فهم الآخر والانفتاح على فكر الآخر وقبوله برحابة وصدق متبادلين.

الحوار قديم قدم الخليقة وفقاً لمفهوم الوحي في المسيحية. وقد بدأ حين نطق الله بالكلمة الأولى فخلق الكون، واستمر عبر آدم وإبراهيم وموسى والأنبياء وأخيراً عبر يسوع المسيح؟[1]

وللحوار بالنسبة إلى المسيحية مصدر ثانٍ، فهو يندرج حتى في تصميم الله، والذي يحكم طبيعته هو علاقة بين الله والإنسان. فتجسد الكلمة هو العلاقة عن طريق الحوار، ويحقق تضامن الله مع البشرية عبر الحوار القديم الحي والمتفرد الذي ينطلق من الله ليضم للإنسان تضامناً في غاية الروعة. وقد تجسد الله بمبادرة حسنة البشر عبر التاريخ ولا حتى اليوم حائلاً عند حول سر كيانه وحول مصير البشرية المعني بمفهوم الدين، بالتالي على حوار مستمر بين الإلهي والبشري، بين الأبدي والزمني. والحوار، نتيجة لذلك، مثال أصيل لنمط الاتصال الروحي الذي وهبه الله للإنسانية. ومن المتوقع من الآن أن نشترك فيه ونعطيه للأجيال القادمة.

الحوار بين الأديان والتطلعات

ولا يبدو النظر إلى الحوار بشكل مجرد أكثره ساقطاً نهائياً، بل يجب اعتباره فرصة في ضوء الأوضاع المتغيرة على صعيد كل من التطورات التاريخية وسياق

[1] [illegible] ... الله ... نبي الله ... المسيح عيسى ... محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وسلامه.

الأحداث المتزامنة. ولا يمكن إقامة حوار واقعيّ دون معاينة مستمرة لحركة التاريخ وإعادة النظر بالوضع الملموس للجماعات البشرية حيث تتواجد. ولقد أشار المجمع الفاتيكاني الثاني (علاقات الكنيسة بالأديان غير المسيحية Nostra Aetate) إلى الأسباب الكامنة وراء الحاجة إلى حوار من هذا النوع:

«إن جميع الشعوب يؤلفون أسرة واحدة، فهم جميعهم من أصل واحد إذ أسكن الله الجنس البشري كله على وجه الأرض. ولهم جميعاً غاية قصوى واحدة، وهي الله الذي يبسط على الجميع كنف عنايته، وآيات جوده، ومقاصده الخلاصية، إلى أن يجتمع مختاروه في المدينة المقدسة التي يضيئها مجد الله، وفي نوره تسلك الشعوب جميعاً».

لا جرم أننا، منذ أقدم الأزمنة حتى يومنا هذا، نجد عند مختلف الشعوب حساسية ما لتلك القوة الخفية الحاضرة في مجرى الأشياء وأحداث الحياة البشرية... وإن الحساسية والمعرفة تؤثران في حياتهم تأثيراً بالغاً. وتحاول الديانات التي نشأت مع تطور الثقافات أن تجيب عن هذه الأسئلة بتحديدات أدق وتعبير أقرب إلى الصحة.

فيصبح الحوار بين الأديان، بالتالي، سبيلاً لفهم طموحات البشرية وتقاطع مصيرها. وفي الوقت نفسه، يقوم هذا الحوار بتحويل الطموحات ونقاط الضعف نحو اتجاهات بنّاءة وأكثر شمولية عوضاً عن الخصوصية والإحباط الحاضرين إلى حد بعيد في الحياة، حتى في أوضاع الازدهار المادي والاستهلاك. وعلى الحوار أن يجد خطاباً بديلاً لتبديد أن التقدم العلمي ليس في غياب حلول متراصّة لمشكلات

فيصبح الحوار بين الأديان سبيلاً لفهم طموحات البشرية وتقاطع مصيرها. وفي الوقت نفسه، يقوم هذا الحوار بتحويل الطموحات ونقاط الضعف نحو اتجاهات بنّاءة وأكثر شمولية عوضاً عن الخصوصية والإحباط الحاضرين إلى حد بعيد في الحياة

جسدية ومعنوية وفكرية قد تؤدي إلى مزيد من عدم التوافق وسوء الفهم والبلبلة الاجتماعية، وفي النهاية إلى مزيد من الحروب والثورات.

ويتطلب الحوار بين الأديان، لكي يكون مثمراً، نوعاً من الاستعداد من طرفَي المشتركين فيه: الاحترام، الإصغاء، التقبل، والانفتاح، فضلاً عن التحلّي بروحية الصبر، مما يوفّر جواً من الصبر:

أ - الاحترام: يجب ألا نعطي فهم ذلك وكأنه مجرد ضرورة تحمل شخص معيّن، إنما يعني قبول اختلاف الآخر، وهو أساساً هبة من الله. لا يتميز الحوار بالتحيّز، ولا بالغيرة أو العدوانية، فسلطته كامنة في الحقيقة التي يحملها، وفي المحبة التي يعبر عنها، وفي المثال الذي يعرضه. وليس الحوار أمراً يُفرض، إنه مسالم يتجنب الوسائل العنيفة، وهو حليم جواد. كما يفترض الحوار إلى تبصّر تربوي يمكن أن يضع تقدير ظروف الشخص النفسية والأخلاقية، ويحاول التبصّر لإدراك حساسيات السامع. ويتطلب منا أن نكيف أنفسنا وطريقة عرضنا بشكل معقول كي لا نثير استياءه ويتعذر علينا فهمنا.

ب - الإصغاء: يجب ألا نعطي فهم ذلك وكأنه استماع وحسب، فقد يُرغم المرء على الاستماع إلى ما يقال، بيد أن الإصغاء يتضمن تنبّه المرء لتأكيد الأمر وإطلاقه، ويعني ضمناً التأمل الشديد العناية بما يقال، فيقود إلى التفاهم الذي يؤدي في نهاية الأمر إلى إسقاط الأحكام والأفكار المسبقة. وقد يعني أحياناً عملية التمحيص الشخصي والنقد الذاتي. فيتجلى الحوار ويُشرط بالتالي الإدراكية، فهو ينطلق من الفكر ويشكل دعوة لممارسة أسمى القدرات

متوافرة لدى الإنسان. ويصبح لب مسير الحوار، في ضوء ما سبق، من أفضل مظاهر الثقافة والنشاط البشري.

ج ـ الصدق: لا يحتم الاحترام على المتحاورين التخلي عن قناعاتهم الدينية الذاتية لدى خوضهم الحوار، بل العكس هو صحيح، فيتطلب صدقُ الحوار بين الأديان أن يشترك كل طرف بإيمانه التام، ويعكس هذا الشرط، أولاً وقبل كل شيء، الصدق تجاه الله. ولا يمكن للحوار بين الأديان أن يكون مثمراً إن لم يعترف المشتركون بحضور الله في حياتهم وسلوكهم، وهم مسؤولون تجاه الله عما يقولون ومن طريقة تصرفهم. ليس الحوار بين الأديان ضرباً من ضروب إيجاد الحلول الوسط، إنما هو عرضٌ صادق للمعتقدات الذاتية ولو حتى اختلافها، وعلى كل مشترك أن يشهد لإيمانه. إن موقفاً من هذا النوع قد يعرض بعض التصادم، لكن معالجته بصورة حكيمة يعزز الثقة، ويسمح لكافة المشتركين التعرف إلى مواقف الجميع إزاء بعض المسائل الحياتية والأخلاقية. فالصداقة تولّد الثقة والصداقة، وتربط القلوب في تلاحم متبادل من أجل القيام سوية بعمل نحو الترقية الذاتية.

د ـ الانفتاح والقبولية ومحبة الغير معاً: يُفترض من الحوار نفسه أن يركز على البعد العملي ويهدف إلى عمل مشترك، وتقوم الخلفية الدينية الخاصة بتحفيز المشتركين بالحوار بين الأديان، فيستمد كل فرد القوة من ديانته، ويساهم بصورة فريدة في تنفيذ المشاريع المشتركة.

هـ ـ الرجاء: هذه الفضيلة ليست وهميّة، إنما تستند إلى إيمان حي وتستمدها منه. وسط المخاطر العديدة المتكلّة التي قد يلجأ إليها الإنسان لتدمير ذاته، هنالك أيضاً إمكانية الرجاء التي تنطلق من وضع البشرية الحالي وهو ليس سوى الأبدية للصداقة في الزمن.

و ـ سمة الصبر: في عالم تسيطر عليه السرعة والوقتُ يعني المال، تشكل سمةُ الصبر أثناء الحوار معلماً مهماً. يستند الحوار أولاً وقبل أي شيء إلى محبة الله وحكمته، وإليه نتوجه في اللحظات الحاسمة والأصعب، ولا يستبعد قياس الحوار بمعايير البشرية. فالله يعمل وفقاً لتدبيره من خلال عيوب البشرية، ويتحرك معها في معظم الأحيان. ولا يمنع أيوب، بعد أن وضع الله صبره [illegible] علوه بمكالمته، إلا أن يتوق: «قد علمتُ أنك قادر على كل شيء فلا يستحيل عليك مُرادك» (سفر أيوب 42: 2). سيبقى الضعف البشري حاضراً دوماً، ولسمة الصبر تتطلب الوقت، واجتناب الأحكام المتسرعة ليس سهلاً.

الحوار بين الأديان: السبيل لبلوغ الهدف

الحوار بين الأديان، من حيث الأصل، شهادة مشتركة لله، وهو مرتبط بتمثيله علينا وبمحبتنا له. ويتوق كل شريك في الحوار إلى اطلاع شريكه على الطابع المميز والشخصي لتجربته الدينية. الأفكار مهمة، وقدرة الإقناع أيضاً، بيد أنها ليست حاسمة.

ويمكن اعتبار الحوار على مستويات ثلاثة هي: 1) المستوى اللاهوتي الفكري، والمقصود منه توضيح المفاهيم وفهم تعاليم الأديان المختلفة، و2) الخبرة الروحية، حيث نحاول مشاركة بعضنا بعضاً خبرتنا الروحية والتاريخية الذاتية، (3) والمستوى الاجتماعي السياسي، حيث يجري سعي مشترك نحو مجتمع عادل مستقر. ولا نستطيع الفصل كلياً بين المستويات الثلاثة بل إنها مترابطة.

أ ـ الحوار اللاهوتي الفكري يسمح للمؤمنين

الالتقاء بالحوار حتى أعمق المستويات. فهو لذا إن إيمانكم يعود باستقلالية بحرية ذاتية تعتبر الكائن البشري شخصاً مطلقاً بحياته وبعمله. ومن جهة أخرى يعبر هذا الحوار عن كيفية اتحاد الحياة البشرية بفعل الله في التاريخ. وتكمن هنا بالذات فرصة مناقشة معاني مجتمعة بالإيمان والحياة والأخلاقيات والثقافة. فضلاً عن الاطلاع على نمط طريقة الآخر في التقرب من الله. وليست هذه الظاهرة جديدة في تاريخ الحوار بين الأديان.

وبما أنني أتحدث في إطار لقاء مسيحي إسلامي، أود أن أشير إلى حدثين مهمين: الحوار بين تيموثاوس الأول، كاثوليكوس بغداد، والخليفة العباسي حوالي سنة 781. وكان المهدي معروفاً بروح المسالمة فجرى الحوار في نطاق ستمله من الثقافة في أية جهة تبتعد بدونه وتناولت عدداً من المواضيع ما زالت حية حتى اليوم إذ تدور حول الحقائق الأساسية في المسيحية وتطرح في التساؤلات سلك في الرموس استخدما في معالجتهما لمواضيع مجموعة مفردات يفهمها كل منهما. يشكل ذلك مثالاً رائعاً لتداخل المفاهيم بين الدين والثقافة. ويرتئ البطريرك تعاليم المسيحية بصورة يمنع المجتمع المسلم أن يستوعبها.

> يمكن اعتبار الحوار على مستويات ثلاثة هي:
> (1) المستوى اللاهوتي الفكري والمقصود منه توضيح المفاهيم وتقييم تعاليم الأديان المختلفة.
> (2) الخبرة الروحية حيث تبادل مشاركة يعيش بعضنا خبرتنا الروحية والتاريخية الذاتية.
> (3) المستوى الاجتماعي السياسي حيث يجري سعي مشترك نحو مجتمع عادل مستقبلي، ولا انفصال بين المستويات الثلاثة بل إنها مترابطة.

كما حصل لقاء شهير ثان بين إلياس النصيبي والوزير ابن علي المغربي في 15 يوليو 1026، هو حسين بن علي المغربي أحد وزراء الأمير مروان الدولة، بمدينة نصيبين. فالتقى الأسقف إيليا ... وروى عليه ... حول ... بصورة منهجية على

يد ... أصبح ... اهتماماً بالمسيحية ولو البحث في أقله ... جلسات ... فيه مواضيع شتى كالثالوث الأقدس، التجسد، الإيمان وتعبيره من التفكير العقلي والمعجزات، وتناولت مقارنة بين المسيحية والإسلام ونقطة كل منهما: التوحيد، الله وصفاته ... وظلت الأجواء طوال اللقاءات بناءة الهدوء والمودة فكلا المسلمون بموضوعين. كما أن المسيحيين لم يتهجموا أبداً على الإسلام.

لكن يجب ألاّ يُعتبر الحوار اللاهوتي الفكري كمناقشة بين خبراء وحسب، بل يجب أن يضم أيضاً مؤمنين عاديين، خصوصاً في إعداد الشباب وهم مستقبل مجتمع. والشبيبة، بحكم طبيعتها، أكثر ميولاً إلى طرح الأسئلة والتطلب من مسؤوليهم الدينيين عيش إيمانهم بشكل منسجم. فلا يقتصر المعنى الداخل على إيماني لمن ... بل يتناول كيفية فهمي بعيش إيماني.

2. حوار الخبرة الروحية، وتتردد كيفية عيش الإيمان إلى الشق الثاني من الحوار. فحوار كهذا إن كان منفتحاً على الله، يعني ذلك حسب ... أي شيء الحوار عبر الصلاة. في القرن الخامس للميلاد، ابتكر تلاميذ من تلامذة القديس ... بروسبيروس الأكويتاني 390 - 463/465 ... عبارة أصبحت مرجعاً: lex orandi, lex credendi ... مرجعية الصلاة توضح ما يؤمن به المرء، فتعبر بالصلاة عن إيماننا. فقد شهد العالم منذ شهرين روعة الاتصال عبر الصلاة بمناسبة يوم صلاة الأديان في أسيزي من أجل السلام، وكما قال البابا في 20 كانون الثاني/

يناير 2002، فهي مبادرة حوار روحي من هذا النوع 55 مؤمن.

«الإدراك أنه ميسور يكون عامل سلام، ولا يسع الرجال والنساء من مختلف المعتقدات الدينية التعاون وحسب، بل يتحتم عليهم الالتزام الدائم نظاماً من الاعتراف بالحقوق البشرية وتوطيدها». وهو شرط لا غنى عنه لبلوغ سلام أصيل ودائم. في وجه العنف الذي يحدث حرفياً في بقاع عدة من الأرض، يشعرون بحاجة التأكيد على أن الأديان هي مصدر تضامن. فيرفضون بشجب كل من يستغل اسم الله، لأغراض أو أساليب تسيء إلى حب الله عز وجل ويشوهونه.

قدم لقاء أسيزي للعالم الذي يواجه خطر جعل الدين مصدر حروب وعلم تسامح ولقاء تعايش ووحدة. وقدم نموذجاً وطرح جوهرياً الحياة الخالدة والاتحاد المتبادل. ولهذا يجب القادة الدينيون المشتركون الخطر والأساس بين المذاهب المختلفة. جميعاً المؤمنين كافة ليكونوا مبدعي حوار بناء مدركين كامل الإدراك واجب كل مؤمن بالشهادة والحياة وفقاً لإيمانه. ولقد يعد هذا الشكل من الحوار بين الأديان التصور المسبق الذي خبرته الممنهجة وإيديولوجيات الشرق المعصوم، والمذهب الذي بين الأديان جعل بالية من حشى يشكل حوار حمرة الروحية حديثاً للشرق والغرب، كي يستظهروا مجدداً الى وحدة الأديان والمذاهب لأحضان الله الذي يوحي بداله كسرّ فيدركه البشر آنذاك أنهم كائنات محبة ومحبوبة، ويصير بالك الوعي مبدأ صداقة عريقة مرهفة ومن بين

> على المؤمنين الوقوف في وجه محاولة تحويل الدين الى مسألة عنف ليس إلا، وعليهم تشجيع تعددية لتبلغ بذلك قيم الأديان دور شريك معترف به في صياغة مستقبل المجتمع وتوجيه مسيرته، وعليهم العمل لصالح السلام في عالم يعاني من الانقسامات والعداوات، ويوسع الأديان حقاً أن تكون معمل الكمال البشري.

يتصدر الحوار وينفتح على اللاهوتي. يبقى أن الصلاة يجب أن تتحول إلى فعل، ويجب أن تحث الصلاة دوماً على التوق الى العدالة دوماً وتضميد جراح التمزق والفسوية. ويظهر هنا مدى صحة كلام البابا في رسالته بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي من أجل السلام: لا سلام دون عدالة، ولا عدالة دون غفران.

3 - الحوار الاجتماعي السياسي (حوار الحياة):
يقودنا الاعتبار الأخير هذا إلى النقطة الثالثة. ولكي يكون للحوار بين الأديان معنى يجب أن يدع المؤمنين العاديين مستترين الى تأمير لاهوتي ويمضون ايمانهم ببساطة. بذا، على الحوار أن يتناول مسائل تمس حاجات الأشخاص العاديين وتقدم لهم أملاً بأن طرحاً من هذا النوع سوف يحسن أوضاعهم. ويجب إشراكهم في عملية الحوار كمشتركين في المقام الأول. ويعني ذلك حسب الاهتمام بالشأن الاجتماعي من خلال سعي مشترك من هذا النوع، بحيث سينطلق من أديان مختلفة ويمضون معاً ويضع بعضهم بعضاً عبر الممارسة اليومية المحافظة للمسائل المحرمة في قيمهم الدينية. وبفعلهم ذلك يسهمون في المخزون الديني والإيديولوجي والاقتصادي والثقافي لتشييد مجتمع أكثر انسانية يحتوي الى الوحدة وتتجسد الانقسامات

بمناسبة تلاوة صلاة التبشير الملائكي يوم الأحد 27 كانون الثاني / يناير 2002 عقب البابا يوحنا بولس الثاني على يوم الصلاة العالمي من أجل السلام الذي كان قد احتفل به قبل ثلاثة أيام قائلاً:

ما زلت أشعر باتصال عميق بتجربة يوم الصلاة من أجل السلام: «لا عنف بعد الآن! لا حرب بعد الآن! لا إرهاب بعد الآن! باسم الله، ليحمل كل دين على الأرض العدالة والسلام والمغفرة والحياة والمحبة». شكل مؤتمر وجهته مع قادة الأديان المتنوعة إلى أنحاء العالم رسالة واضحة: لنعمل بجدية حول معضلات البشرية الخطيرة والتوجه إلى السلاح والعنف. لو وضعنا بالتالي حجر أساس على درب تشييد حضارة سلام ومحبة.

مرة أخرى اليوم، أود شكر المسؤولين المسيحيين الذين تجاوبوا مع دعوتي. ولقد أكدت معهم في سيري أن مهمة الدين إنما هي التربية على التعايش السلمي بين الشعوب والثقافات ضمن الاحترام المتبادل. وفي الوقت نفسه، أعبر عن خالص شكري لمشاركة المؤمنين والأفراد المسيحيين جداً في مختلف أنحاء العالم الذين انضموا إلينا بالروح، وكذلك كل الذين شاركوا خارج هذا اليوم الرائع والمسلمين تلك من القيم الإنسانية الأصيلة وبالتحديد، هم بعضهم عن البعض.

على المؤمنين اليوم في وجه مهمة تنقذ إلى تحويل الدين إلى مسألة خاصة ليس إلا، ومنهم تشجيع تنمية أصيلة تلك هي الأديان عبر شريك مشارك به في عملية تشييد المجتمع وتوجيه مسيرته وتطبيقهم العمل لمصلحة السلام في عالم يعاني من الانقسامات والصراعات. ولي وضع الأديان فعلا مكون مهم للتضامن البشري.

الغاية من الحوار الديني: طلب الله معا

في كلمة مأثورة ألقاها يوحنا بولس الثاني أمام 80400 من الشباب المسلمين في التاسع عشر من آب/أغسطس 1985 في استاد الدار البيضاء، قال: «أود من أعماقكم بالخصوص، هي الله بالذات،

وبه نؤمن جميعاً: أنتم المسلمون ونحن الكاثوليك. أرغب أن أحدثكم عن القيم الإنسانية التي ترسي قواعدها في جوهر الله، القيم المتعلقة بتنمية الشخصية وبازدهار العائلات ومجتمعاتنا والمجتمع الدولي على السواء. أليس سر الله حقيقة واقع يرتبط به المعنى الذي يعطيه الإنسان لحياته؟ أوليست هذه أولى المسائل التي تطرح نفسها في حياة الشباب، لدى تأملهم بسر الوجود وبالقيم التي يتوجب عليهم اختيارها لتشييد شخصيتهم المتنامية؟»

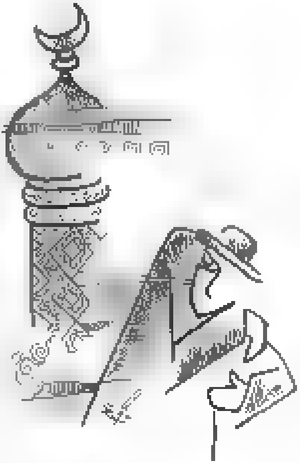
حوار بين الأديان جدير بهذه التسمية غير ممكن في غياب رغبة فطرية بطلب الله. وليس الهدف معرفة من هو الله، فهو سر لا يُسبر غوره. بيد أن التوق إلى اختبار البعد الديني يتوسط الأديان كافة، ومن الشيّق المقارنة بين تجربة كل من رابعة العدوية الصوفية (تبرير أفعال) أو بين عمر ابن الفريد ويوحنا الصليب. يقوم كل دين بتفسير هذه التجربة وتحديدها بصور مختلفة. لكن المعتقد الديني يظل فارغاً في غياب هذا اللقاء، التجربة. ومع ذلك، علينا كمؤمنين تمييز فعل الله في العالم والشهادة له في مشاكل اليومي مع واقع الحياة الصعب، فهذا نضال محتم علينا أن نواجهه كمؤمنين.

يؤدي اكتشاف الله المستمر والمتجدد منا إلى نوع من الرهبة والعبادة وصفه عالم اللاهوت من الرهبان البندكتيين ليب الأكويني بشكل رائع ومقتضب في أنشودة باللاتينية عنوانها Adoro Te Devote. وقام الشاعر البريطاني اليسوعي جيرارد مانلي هوبكنز بترجمتها إلى الإنكليزية:

أيها الإله المختفي، إني أعبدك
محجبك الظلال العارية، شكل وحسب
أنظر يا رب، هذا القلب يميل إلى خدمتك
وهو حائر، ضائع بسبب في حضرتك

أوروبا بين الانفتاح وهاجس القلق من الإسلام

كريمة أم عبد الله*



تعيش أوروبا القارة العجوز ذات المجتمعات المنسجمة والمتجانسة ثقافياً وتاريخياً، تحولاً يوماً بعد يوم إلى مجتمعات جديدة، مركبة من اثنيات وثقافات وديانات متعددة، وبالرغم من أن الإسلام ليس بالوافد الجديد على القارة، إلا أن موضوع تنامي الوجود الإسلامي فيها، بات حدثاً جديداً من حيث النظر إليه من الماضي الذي انتشر فيه الدين الإسلامي وسط ربوع أوروبا. فمنذ أقل من أربعين سنة لم يكن للإسلام أي ظهور خاص أو مؤثر على الساحة الثقافية الأوروبية، اليوم وقد بات وجود المسلمين يمثل ثقلاً بشرياً وحضارياً يستأثر باهتمام المحللين والاستراتيجيين، يراقب المحللون عن كثب ظاهرة تضاعف أعداد المسلمين، وما يرافقها من قضايا تتعلق بالاندماج والمواطنة.

وفي هذا الإطار، لا يمكن التسليم بدعوى تشنج وحساسية المجتمعات الأوروبية تجاه كل ما له علاقة بالإسلام ومعتنقيه، ذلك أنه في الانسياق وراء دعوى التعميم تتزايد ظاهرة الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا)، فنقف عند ثلاثة جوانب رئيسة في الموضوع:

* كاتبة وباحثة، ألمانيا

الكبير بين قادة السلطات الرسمية ومواقف بعض الأحزاب السياسية، وكذلك وسائل الإعلام المحلية، وبين تفاعل المجتمع المدني وانفتاحه على الإسلام، فعلى سبيل المثال ما نشرته مؤخراً هيئة إسلام أرشيف المعتمدة رسمياً في ألمانيا من ارتفاع عدد معتنقي الإسلام من ذوي الأصل الألماني إلى ثلاثة أضعاف ما كان عليه العدد خلال عام واحد، وحتى لو كان أن دخول الأوروبيين في الإسلام ما زال يمثل معطى بسيطاً في تزايد عدد المسلمين في أوروبا إلا أنه في الوقت ذاته يحمل دلالات وأبعاداً مهمة تدل على الانفتاح المجتمع الأوروبي على الدين الإسلامي وهذا من شأنه أن يكون مؤشراً على حضور المسلمين بما يتضمنه من موطن للإسلام في هذه البلاد واستقلاليته الفضاء الأوروبي.

ويظهر ذلك جلياً في إلغاء القضاء لكثير من الإجراءات الرسمية التي تدخل ضمن الاستراتيجية الأمنية للسلطات، كحظر عدد من الروابط والجمعيات الإسلامية، وترحيل بعض خطباء الجمعة المتهمين بالمغالاة والتشدد، وكذا غلبة صدور أحكام التبرئة في حق كل من تم تثبيت دائنه.

3 - تداعيات أحداث العراق والتي أدت إلى تدهور المصداقية الأمريكية بشكل ملحوظ في المجتمع الأوروبي وإلى تحسن الرأي العام الأوروبي إلى حد ما مع قضايا العالم العربي، وهو ما أكده الاستطلاع الأوروبي عام 2003 م بشأن الخطر الأمريكي والإسرائيلي على السلام والأمن العالميين، كما تؤكده أيضاً بعض المبادرات الثقافية الرسمية والإعلامية كمبادرة معرض فرانكفورت الدولي للكتاب عام 2004م، والتي كان القصد منها من وراء وجود الكتاب العربي في موقع ضيف الشرف، منح فرصة للمشاركين العرب من أجل تغيير الصورة النمطية التي اعتاد الغرب النظر من خلالها إلى العالم العربي، ومد جسور التواصل والحوار معه.

كما لا يمكننا إغفال الأثر الإيجابي لمواقف بعض الروابط والمراكز الإسلامية - الأوروبية من حادثة حجز الرهائن في العراق، والتي تابعها الإعلام الأوروبي باهتمام بالغ كما في قضية المطالبة بالإفراج عن الصحافيين الفرنسيين المحتجزين في العراق.

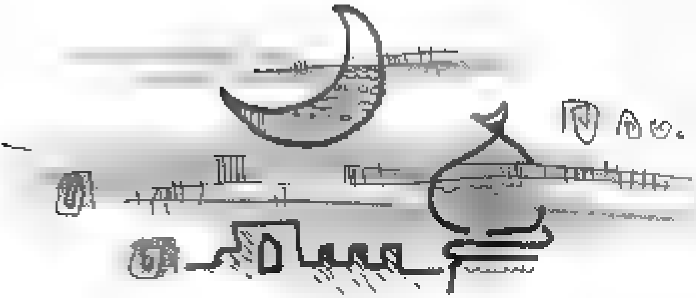
ارتفاع عدد معتنقي الإسلام من ذوي الأصل الألماني إلى ثلاثة أضعاف

هيئة "إسلام أرشيف" الألمانية

أوروبا: المشهد المتناقض

لا شك أن أوروبا اليوم تظهر في مشهد متناقض بين انفتاح كبير على الإسلام وتحامل إعلامي عليه، غير أنه عند النظر في عوامل تكوين هذه الصورة، قد نجد تفسيراً منطقياً لما يجمع المشاهد من ألوان متنافرة.

فإذا نظرنا إلى الزاوية الإيجابية وهي إقبال الأوروبيين على اعتناق الإسلام أو قبولهم بالتعايش السلمي والاختلاف الثقافي بينهم وبين المسلمين، نجد أن خصائص الإسلام كانت محور جذب للفئة الأولى التي وجدت أن هذا الدين الحي والكامل والواقعي في إمكانه أن يمنح أوروبا حلولاً حقيقية

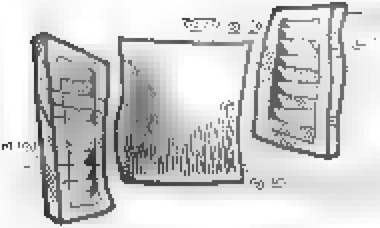


بمشاكلهم الكثيرة المادية والأخلاقية. أما أصحاب الموقف الداعي إلى الانفتاح على الآخر وفهم ثقافته، فهم غالباً من فئة الشباب الذين احتكوا وتعرفوا على عادات المجتمع المسلم من خلال معايشتهم للمسلمين من أبناء الجيل الثاني والثالث أو من خلال ظاهرة الزواج المختلط مع التعرف بالآخر الطيب الذي تحركه أنشطة بعض مؤسسات العمل الإسلامي، التي ارتفع مستوى أدائها في كل من فرنسا وبريطانيا وبلجيكا، وهي في تحسن تدريجي في ألمانيا وهولندا ودول أخرى. وفي المقابل نجد عقدة الغرور الثقافي تسيطر على العديد من الأذهان، فمن المعلوم أن السلطات في أوروبا الغربية حين حرصت على استقدام المسلمين إليها، لم تكن بحاجة إلا إلى أذرع وسواعد للعمل، عاطلة عن كل تأثير ثقافي أو ديني لهذه السواعد. لهذا، ترسخ في ذهن الأوروبي مظهر ذلك المسلم المهاجر المغاربي في فرنسا أو التركي في ألمانيا أو الآسيوي في إنجلترا، وما يحمله هذا المسلم من عادات وتقاليد مغايرة ومختلفة عن البيئة الأوروبية. ومع ظهور الجيل الثاني والثالث، تزايدت مخاوف البعض من تأثير حضور الشباب المسلم على الثقافة الأوروبية، فهو يحتك بالمجتمع الأوروبي دون عقدة أو حاجز، ويعبر عن قيمه ومبادئه في المدرسة والشارع ومكان العمل، ولا يهمه أن ينتقد ثقافة يراها لا تتناسب مع عقيدته.

كما أن مشكلة الهجرة غير القانونية وآثارها السلبية، تعد سبباً خفياً آخر للانزعاج الذي يحس به الأوروبيون نحو المسلمين، والذي لا يتجه أساساً إلى الديانة، بقدر ما يتجه إلى التدفق الكبير من المهاجرين عبر الضفتين المتوسط وغرب أوروبا.

عقبات وتحديات

مع ظهور الجيل الثاني والثالث من أبناء المسلمين، ظهر الكثير من المشاكل والتحديات، وبدا جلياً تبين أن السلطات الرسمية الأوروبية تتعامل



اليوم من نشأة ما تسميه «المجتمع الموازي». ذلك أن التعثر عن الاندماج في وقت تحدث فيه تحولات ديموغرافية داخل أوروبا، من شأنه أن يدفعها إلى حالة من الاضطراب والاهتزاز. وهو ما تفسر منه العديد من الدراسات الحديثة[4] غير المتفائلة، التي تذكر أرقاماً كبيرة لارتفاع نسبة تكاثر المسلمين. وسواء كانت هذه الأرقام صحيحة أو مبالغ فيها، إلا أن الثابت أن العدد الإجمالي لسكان أوروبا الأصليين في تراجع بسبب عامل الشيخوخة، بحسب إحصاءات الأمم المتحدة، بينما يحتل المسلمون من خلال خريطة النمو الديموغرافي الفئة العمرية الشابة، مقارنة بغيرهم من الملل.

ولا ريب أن من بين العقبات التي تزيد من صعوبة إشكالية الاندماج والتعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم في المجتمعات الأوروبية، هي بروز بعض الصراعات الأمنية، التي تشير بأصابع الاتهام إلى المسلمين، مما يضطر الجالية المسلمة إلى تبني موقف الدفاع عن الإسلام، والإحساس بالقلق من المستقبل نتيجة التصرفات العنصرية التي باتت تستهدفهم ومؤسساتهم، خصوصاً في ظل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي تعاني منها الأجيال المسلمة الجديدة الناشئة في أوروبا، لأسباب عدة كالفشل الدراسي وصعوبة الحصول على تكوين مهني جيد ومؤهل.

لعل أوروبا تتجاوز مخاوفها وتخوفاتها الأمنية وتمضي قدماً نحو التعاون والتلاقي مع الإسلام، وهو ما تبشر به أحياناً بعض تصريحات الساسة الأوروبيين الذين بدأوا يدركون أهمية مراعاة خصوصية التركيبة الثقافية للأجيال المسلمة الجديدة بأوروبا، وضرورة إعادة النظر في كل ما يكتب ويقدم عن الإسلام من طرف بعض الدوائر الإعلامية والاستشراقية المتعاقدة. والأمر مرهون أيضاً بما سيبذله المسلمون أنفسهم على صعيد التواصل الفكري والثقافي مع المجتمع الأوروبي، وبما سيبدونه من روح مبادرة وإبداع عصرية في القضايا المشتركة كالبيئة وحقوق الإنسان وقضايا الأسرة وغيرها. وعندها يمكن الحديث عن بداية عهد جديد بين أوروبا والإسلام، الذي سيكون متناغماً لأزماتها الكبيرة اليوم، كما كان بالأمس سبباً في نهضتها العلمية الحديثة.

---

4. من هذه الدراسات دراسة الأمريكي [illegible] «أوروبا والإسلام» [illegible]

لغزُ التُّراث وشروطُ الاستمرار

عمر لطفي العالم *

على الصفحات الأولى من كتابها (العقيدة والمعرفة)[1] تؤكد المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه بمقدمة بحثت طبيعة الأزمة بين الدين والمعرفة وقد انتهت إلى أن النهضة الأوروبية قامت على تصالح بين العلم والإيمان. وقد خلصت إلى هذه النتيجة بعد رحلة طويلة من البحث والتقصّي بيّنت فيها سلبيات المسيحية في عصرها الوسيط من جهة، وإيجابيات الإسلام في إذكاء الروح العلمية عند العرب من جهة أخرى. حلّلت كيف انسلخت المسيحية الغربية عن التقسيم الكنسي، وكيف انحرفت الحركة العلمية عن مسارها الإنساني بفعل بعض المدارس الفلسفية.

واللافت أن د. عبد الرحمن بدوي الذي قدّم لكتاب (روح الحضارة العربية)[2] لم يلتفت إلى النتيجة نفسها حين عكس الآية فحمّل الدين مسؤولية حجب العامل الإنساني بعد تسبيبه ما تسبب في توقف انطلاقة العرب العلمية وفي مراوحتها عند نقطة

ولعلها هنا وجدت الحلقة الأضعف ممتداً إلى الكنيسة في صورة ما لله لله وما لقيصر لقيصر، وما تعذر وذلك لأن "الكل" على الجانب الإسلامي لله، ولا مكان في الفكر الإسلامي لقيصر هنا. والواقع أن الحديث حول بنية الثقافة الإسلامية لم يتوقف أبداً كما أن التقاسم المشترك بين المتحاورين حولها يوشك أن يلتقي عند نقطة واحدة، فالمعيشة السابقة في دراستهم تشير إلى وجود عدد من ثقافات الشرق القديم أسهمت في صنع الإسلام لتكوّنه قبل وما بعد هجرته من شبه جزيرة العرب، وصولاً إلى الهند وفارس وما وراء النهر عموماً، وإلى التلاقح بين الرسالات السماوية السابقة في صورة المضمونين المسيحي واليهودي.

يبني النقاد رأيهم على طائفة من المؤشرات ويُعرّف لهم منهج البحث المقارن. ويأتي المؤرخ هـ. بيكر على رأس أولئك الباحثين، حين عدد مظاهر الالتقاء بين المعتقدات السابقة والإسلام بعناصر مشتركة في

* كاتب وباحث / سوريا

للمفاهيم الأخروية والتوحيد والطقوس والعبادات.

تكن عاليتي من هذا المعرض لا تدور حول هذا العنوان الكلاسي. إن هي سيستدره... إلى خصيصة أخرى يتميز بها الإسلام دون غيره. فلي ذات يوم ستوقفني مشهد سائحة عجوز وقفت تلوح عاصبة وتصرخ بملء صوتها: ويحكم ماذا تفعلون؟ قلتُ: إنهم يصلحون ما أفسده الحريق. سخرت وقالت: الا لكم. إن كل قطعة فيها تحكي قصة فنه وحياة صانعه.

ليس هذا شعوري الوحيد. فالأسلحة العربية والعسكرية على اختلاف ذوي الفن والمتخصصين بالآثار الإسلامية أكثر من أن تحصى، وبرغم عنف تهالي الجوهرة عبر هذه المشاهدات في المستوى، لأن الذين عبّروا عن إعجابهم من شرق وغرب لم يعرفوا بعد بعمالهم ولا أسماءهم هذا الغوص في ما وراء الصنعة.

إن الجهل بالحضارات وطبيعتها عادة ما يوقع بنا حيفاً كبيراً، ويبلغ ظلمنا أن نصيب الإسلام من هذا الفن لم يكن ظلماً ما عدا برسام إسباني الأول بيكاسو يقول: ما يلفتُ في الرسم التكعيبي لقطة الأ واكتشفتُ أن العرب سبقوني إليه منذ زمن بعيد. وبعد أن أتى مؤتمر عجز في هذا الاتجاه، ما كان من مستشار البلاط اللمسوي ومؤلف كتاب (تاريخ العرب الأدبي) يوسف فون هامر، وقد تأثر بالتحف المعمارية الإسلامية التي جلبها الفاتحون للترك إلى البلقان، إلا أن يوصي بأن يدفن بعد موته بحسب المراسيم والتقاليد الإسلامية. ومن يزر مقبرة مدينة غراتس التي دُفن فيها، يجد شاهدة

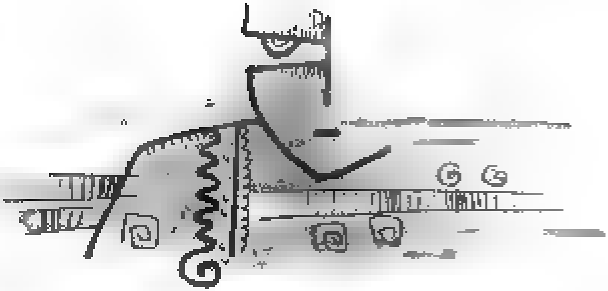
وحامية نُقش عليها اسمه وخلاصة الكتاب، ثم ما يبث قصره الذي يرسمه التقبار والأقراس والزخارف العربية والآيات القرآنية الكريمة لن أصبح تحفة النظار وقبلة الزوار.

على أي حال لسنا الوحيدين في عالم يزخر بكل ألوان الثقافات والحضارات، ولا ينبغي لمشاعر الفخر والاعتزاز أن تسرد الأفكار عن أن التمييز الثابت لا يعني بالضرورة بين الحاضر أو العبور بالغيب لبطولة المسألة أعمق من التصنيف العام وأبعدُ من شعارات سطحية يدلي بها سائح عابر. لقد بنى الصينيون سورهم العابر وما زال قائماً، والبابليون أعجوبة الحدائق المعلقة، كذلك تفجّرت عبقرية الهنود في تاج محل، وحنّط المصريون جثامين ملوكهم وأسموها إلى أن جاء يوم غدت فيه هذه الفرعونيات مصدراً مهماً من مصادر الثروة ومعلماً بارزاً من معالم الحضارة.

بات تعريف التراث أمراً ملحّاً بعد أن اختلطت المفاهيم وتداخلت وظن كل فريق أنه يقبض بيديه على مفاتيح التعريف الصحيح، ولا أزعم أنني أملك تعريفاً أخلص به كل الأطراف ويحيل على سائر الحالات. نعم، تساءلني: لأن التراث بكل بساطة شيءٌ نسبيٌ، هو للبعض طريقة أكل عليها الدهر وشرب، وللآخر جزءٌ عزيز من الماضي ذهب ولن يعود. أما التعريف الثاني فالحكمة تقتضي أن نستطلعه من خلال المثال لا الأفكار في عهد الإدارة العثمانية استطاع الأوروبيون عابرين في الزمن وسيلة عن حروبه الثلاثة من عن الرغبة والتسلل متخفين في حلة



ما يلفت في الرسم التكعيبي لقطة الأ واكتشفت أن العرب سبقوني إليها منذ زمن بعيد
الرسام الإسباني بيكاسو



حج إلى الديار المقدسة لسلطان ... كما ذكر في كتابه «القبلة المشرّفة»، أخذته الصيحة وهو يتأمل قبلة المسلمين في بادئ الأمر، ثم طلب رجاله حين أرسل عيّنة من ماء زمزم إلى معمل التحليل في طريق العودة، ووجد أنه لا تزيد على مركبات كيميائية قلوية وأملاح بحسب وصفه.

هكذا عمّ، ولكن، بدا أن هذا البناء البركاني القائم لم يختزن بين جنباته سوى السحر ... إن ملايين الناس لم يتخطوا رحلة الإبحار والتفكير في أكبر تظاهرة عالمية تشهدها بقعة ما، إذ أتيح أن يكون السود والبيض والطعام والرائحة ... صيانة نسيمة الأشياء، بل لم يبصروا المساجد التي ترتفع فوقها مآذن الآذان بمجرد أن تكون شاهداً جمالياً على روعة الفن الهندسي الإسلامي في قادم من الزمن، بل همهم الأول الانصراف لإسماع الناس والداني تكبيرات الأذان للصلاة ... حيث يتداعى الناس بحثاً عن جهات المعمورة الأربع، ووقفوا خاشعين في المحاريب المنمنمة، مأخوذين مسحورين بالقصص التي تتزلزل في جنباته بوقائع البناء، فلا الجديد في دور البناء ... إنه ليست ترجمة تطبيقية لمفاهيم الهرولة مكتوبة ... السحر الذي صرعته أضيقة

للمصلين والرسامين التشكيليين ... ملابسات حياة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.

في هذا السياق لم يقتصر دور المؤرخ الفرنسي كلود كاهان لدى تعريفه بالتراث على عمليات العرض والوصف والفهرسة، لقد تعدّاه للخوض في إبستمولوجية المخطوطات، فشروق الشمس وغروبها، وتحديد الجهات الأربع، واختراع البوصلة والأسطرلاب والطب والصيدلة، والفلك والتنجيم والجغرافيا، بل وفي المعمار والزخرفة، كلّ ذلك كان يحافظ عليه، تعلّق بالرغبة في تحديد القبلة، ومواقيت الصوم والصلاة وحسابات السنة والأشهر. ويفتح هذا ... للتعرّف على العلم التجريبي المتفائل بجهود المنجمين والسحرة، وأجزمُ أن العلوم الإسلامية لو استمرّت على طريقها ولم يتبدّل منهجها الروحي القويم، لفاقت المكتشفات والعلوم الحديثة التي نابعة الثورة للعالمين وعادت خيراً على الناس أجمعين، هل في وسع أحد أن يتصوّر أن هذا الكمّ الهائل من القلق والتساؤل تمّ في كنف السلوك ... سمة السحر وفي مناخ تقريبي ... المرتهب؟!

إن المجالس على ميزان الحلال والحرام خلال القرنين الثاني والثالث كان ينظر إلى الكتاب ... وينظر الأخرى إلى تقلبات العالم المحيطة من حوله

لأجل ذلك رشحت (بحيرة موتكه) سمة الصانع ووضعها على رأس الصفات التي تميزت بها عقلية المسلمين عن غيرها من الثقافات. يقال إن إبراهيم الموصلي أطرب الهادي. أسمعهم وأبكاهم في آن ثم أنامهم وأسنّ من المجلس وخرج. فأيّ نظام يبيح هذا الذي يسمون به "الإسلام"؟ من يبيح القوة بين السلطة الثيوقراطية وجوهرة الصلاة؟ لم يميزوا الخيط الأبيض من الأسود. فقد سمحت بتشجيع الموسيقى في الغرب من عازف كمان إيطالي خرج عن طرح الكنيسة، فيرى باجانيني - وهذا اسمه - أن يصل بمصاحبه وأن يقدم ألحاناً جماليّة. ترن به عتبة الأبد، وحلت عليه سمة الرجيم. وحين مات بعد حياة مسيحية الأمس، حرموا دفنه في مقابر (المؤمنين) وظلت جثمانه يحميه مساعدوه على الرحم، (الحجرمة الإيطالية) فلم يأسوا من الحصول على موافقة رسمية بالدفن، فيرونه بعد سنتين من الترحال والتجوال في مكان مجهول ولم يزل.

تبرز على صعيد عدة بحاكم واحد تدخل في مسألة تخص الذوق والتشاعر والإلهام والإبداع؟ إن معظم الأعمال الخالدة نشأت إما بإيعاز أو بإشراف من الخلفاء أنفسهم.

فرى على صعيد عدة بحاكم واحد تدخّل في مسألة تخص الذوق والتشاعر والإلهام والإبداع؟ إن معظم الأعمال الخالدة نشأت إما بإيعاز أو بإشراف من الخلفاء أنفسهم. ولكن لا يُسأله فهي هي هذا تبريراً للتعميم ولا تحاملاً لتغليب التفكير على العاملين. ولذا حرّم الإسلام التقليد والتصوير لأمر يخصّ الشرك والوحدانية، فقد أدى ذلك إلى ارتقاء المسلم بهذه المشروع. حين انصرف عن شبهة المشاركة في تجسيد الخالق بتدين أكثر جمالاً ونبل حاشية. ما تحريمُ التصوير والتجسيد إلا تأديبٌ للنفس البشرية من نشوة الكبرياء وسكرة التعالي حتى تزع مؤمنين أنجلو من نحت تمثاله (موسى) نظر إلى التمثال والأرجل ما يزال في يده وصرخ: "انطق".

تكلم، تكلّر هيلا كم تحف الصقال بإزميله طموح أنفه لقد قال ما قال لأنه نعم، عرفه بعد شبهة أنه جلوز قدره كبشرا!

كان يتعين على كل راغب في فهم طبيعة التريث أن يمسك بالخيط من أوله. إن أعظم مهمة قام بها الخلفاء الراشدين لأمة الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ أن أمر عثمان بن عفان رضي الله عنه بحرق ما تجمع لديه من كتبة القرآن الأوائل.

وإذا شهد المستشرق نولدكه شهادة حق في أن (مصحف عثمان) وحّد الأمة على إمام واحد (أرجع ترجمة لكتابه تاريخ القرآن). فقد كان حرق الرقاع مسبباً مرفقاً من أعلى موقع يمكن أن يتشكل في المسلمين شعور قدسي بين الجامعين والمتلقين، ما عاد نصري سوى شفة بيت محب الإسلام العظيم الذي قطع الطريق سد الهوى على جميع سبل عبادة الفرد ولو ارتقت منصبها لأعلى الرجال.

ثم لم يُقدم الخليفة الصالح على المصحف الموحد لتجمع نسخاً من المصاحف اليوم ما يساوي عدد القراءات الشاذة منها والمتأخرين معاً. بما يشبه أناجيل متّى ومرقس ويوحنا وغيرها. أقول هذا الكلام لأن تحرير كلام الله من الذات البشرية أعطى القوة والديمومة لكل قارئ استمد أصوله من القرآن الكريم وعلى هذه القيم لم تتحوّل حفصة ولا ابن مسعود ولا أبي ولا الكسائي ولا القراء إلى مصم بشري، إلى نوار أو تومّاس الأكويني. ولأجل هذا أيضاً فالتراث تمت في فهم الشورى وفي ميدان تحركه، كان مهيئاً أن يوصل الماضي بالحاضر والحاضر بالمستقبل، وبعد أن تحطمت الأصنام ومزقت الطرف الإيمان طريق التوحيد كل طريد للقلة الأرباب، حتى الهدم والتمس والتنويم.

لم يعدْ (للقرآن) الوعي موضع في المجتمع الإسلامي، لأن كلّ شيء بات يحيى بالولاء لقواعد الأمر. ولم تشهد سلسلة التطور الاجتماعي على جانبي العرب غلطة ممن في أسوأ عثراتها والخروج أو خرجت بالطاقة الفكرية على قانون التكاثر. استمرّ التراث طبيعياً، مثمراً مُزهراً، حتى التأم الناس للكتاب وتأثروا بلبّ محمد ﷺ، فانطلقت العلوم من بعد ما كانت مرتعاً للسحر والشعوذة، وأصبح للأدب نكهة وتألق وكان جهالةً وضلالة. واللغة بعروض تحولت بالقرآن عن مصادف العصبي ووظيفتها العصبية الضيّقة إلى لغة لعموم الكون، توسعت من حولها كلمة العرب وتعارفت الأمم. لأول مرّة منذ عهد وجود لم تعدْ العربية سلاحاً ماضياً للزجر والتنافس القبلي وعناء الأعراض، بل وسيلة جادّة للمعارف والآداب والعلوم والارتقاء بالذوق نحو الأفضل.

في حقبة من حقب التاريخ، دان الرومان بسياسة جيوشهم بالتغلب على الأوروبيين ودانت لهم ثقافاتهم، فكان من نتيجة ذلك أن ذابت الشعوب المغلوبة تحت كلكل اللغة الغالبة. ولكن ما إن اندحر سلطان روما حتى انحسر معها سلطانها الثقافي، وتوارت اللاتينية ومعها اليونانية لتصبحا لمهمات الفلسفة والمصطلحات والمستحدثات في معظم الأحوال. لكن العربية وحدها برغم كل التغيير الذي أثير من حولها لم تخلق هذا المصير ولم تعرف كما عرفت اللغات السامية أو ذات عمومتها إلى لغات أخرى متشبهة بالأحافير في متاحف الثقافة. لم وكيف تم ذلك؟ إنه السؤال الأخطر الذي قد لا يحتاج إلا الإجابة بسيطة.

فمنذ اللحظة التي رفع فيها العرب لواء الفتح ونشر الدعوة أطاعوا الأعاجم للعربية، من لغة بداوة لا تصلح لغير حداء العيس كما زعموا إلى لغة حضارة لا يطاق بحملها اللسن، إنها الحالة الوحيدة التي لم



تعرض بها لغة لمسها بعد العرب. لو تأتين المتفحص لقد أحبّ الحمدي والطبري، الفارسي والبخاري والبربري، أحبوا العرب والعربية لا جل منه العرب، وصحّوا لسانهم وحتى فكرانهم، ولم يعتق الأوائل كالأزهر على لغتهم تلك اليمنى على سلالتهم عقيدة الاندثار. فيفسرون لها المدارس والإرساليات وربما خاضوا لأجلها حروباً ثقافية، لم تخف عند مطلب حتى الآن: في الهشيم.

ما حكم، من الشمال إلى الجنوب، ومن أقصى الشرق لأقصى الغرب بالعين بنهضة متفتحة على يد الأعلى بطريقة رائعة، في عصر الاستنساخ والذرة والهاتف النقال، شعراً، ونثراً... الف تحية للقرآن الكريم.

لقد وجد عند التراث العربي، والحديث عنه ليس عيناً عن تركة مات عنها أصحابها فتشتت. إن التراث العربي الإسلامي شيء في النفس والعقل والوجدان قبل أن يكون في الرفوف والقراطيس واليقين.

وإحياء التراث لا يكون بنشره على الملأ بصفته جزءاً من الماضي المشرّف فقط، بل في أن تتصفح وأن تعرّف النفس بأننا أصحابٌ كالذي حيّ لا يموت. فما أصله شاعر من جيلنا، ولا سحت ريشةٌ رسام على ورق إلا وكانت يدُ الله فوق يده وفي بصره وبصيرته وفي عقله وإحساسه.

الخطر الأقسى على المسجد الأقصى

محمد السماك *

في الحادي والعشرين من شهر هانيبال (أغسطس) من عام 1969 مسيحي امتدت يد الإجرام الصهيونية إلى مسجد الأقصى وأشعلت فيه النار، أتى الحريق على 1500 متر مربع من أصل 4400 متر مربع هي مساحة المسجد الإجمالية، فدمّر الحريق بالكامل منبر صلاح الدين الأيوبي ومسجد عمر ومحراب زكريا ومقام الأربعين، وثلاثة أروقة من الأعمدة والأقواس، كما دمّر السقف وأجزاء من القبة الخشبية الداخلية، وفيه شباكاً مصنوعاً من الجبس والزجاج الملوّن، واحترقت مفروشاته من السجاد القديم، وأتت النيران كذلك على مجسم لسورة الإسراء مصنوع من الفسيفساء.

كان الهدف من وراء تلك العملية تدمير المسجد الأقصى، لم تكن تلك المحاولة الأولى ولن تكون الأخيرة. ولعل آخر محاولة هي التي اعترف بها وزير الأمن في الحكومة الإسرائيلية شاؤول موفاز في 24 من شهر ناصر (يوليو) الماضي 2004 مسيحي.

جرت عدة محاولات صهيونية حتى الآن للتخلص من المسجد الأقصى.

كانت المحاولة الأولى مباشرة بعد احتلال القدس.

ففي شهر هانيبال (أغسطس) 1967 مسيحي، أي بعد شهرين من الاحتلال المباشر، اقتحم الحرم الإبراهيمي خمسون مسلحاً يهودياً يتقدمهم حاخام الجيش الإسرائيلي شلومو غورين (الذي أصبح فيما بعد حاخام إسرائيل الأكبر). وكان هذا الاقتحام المسلح أول تدنيس للحرم القدسي كما كان أول خرق يهودي لقانون (هالاخا) اليهودي الذي يحرم على اليهود دخول جبل الهيكل قبل مجيء المسيح. حاول المقتحمون يومها تفجير المسجد الأقصى ولكنهم فشلوا، لم يُمنعوا، وقد مُنعوا لأنهم فشلوا وانكشفوا.

وجرت المحاولة الثانية بعد ذلك بعامين، في شهر هانيبال (أغسطس) 1969 مسيحي، والتي أشرت إلى بعض نتائجها المدمرة.

* كاتب وباحث، رئيس لجنة الحوار الإسلامي-المسيحي - لبنان



وفي شهر هانيبال (أغسطس) من [illegible] قامت جماعة غوش إيمونيم بالمحاولة الثالثة. جرى التخطيط لهذه المحاولة [illegible] مكونة [illegible] في مستعمرة كريات أربع التي تقع في قلب مدينة الخليل. وكان جهة المخابرات [illegible] على علم به [illegible] وصمت الجماعة [illegible] المسجد الأقصى [illegible] تدمير المسجد [illegible] ولكن الخوف على [illegible] اليهود [illegible] الهيكل أدى إلى صرف النظر عن هذه المحاولة. أما المحاولة الثاني فهو قيام طائرة حربية [illegible] عسكري بإلقاء القنابل المحرقة والمتفجرة من الجو على المسجد. ولكن الخوف من أن تصيب أشلاء المسجد المتطايرة المستوطنين اليهود في القدس القديمة أدى إلى صرف النظر عن هذا المخطط أيضاً.

لم تتوقف هذه المحاولات، ولم تكشف ولكن [illegible] بها بعد أن [illegible] عليها [illegible] فالمحاولتان اللتان وضعتهما غوش إيمونيم لم [illegible] عنهما إلا في عام [illegible] مسيحي، أي بعد مرور خمس سنوات على محاولة [illegible] إن الشخص [illegible] بكل هذه المحاولات لم يكونوا يهوداً فقط، الذي أحرق المسجد الأقصى في عام [illegible] لم يكن يهودياً. كان مسيحياً مهاجراً من أستراليا من نشطاء الحركة الصهيونية المسيحانية التي تعتبر قيام إسرائيل واحتلال القدس وبناء هيكل يهودي على أنقاض المسجد الأقصى شروطاً لازمة لتحقيق العودة الثانية للمسيح.

كذلك لم يكن اختيار شهر [illegible] (أغسطس) من ذلك العام صدفة.

ففي التاسع من شهر هانيبال (أغسطس) من عام [illegible] قبل الميلاد سقطت مملكة يهودا على يد نبوخذ نصر ملك بابل، فأحرق جيشه مدينة القدس وهدم الهيكل اليهودي وسبى اليهود إلى بابل. إلى أن أعادهم إليها بعد 70 عاماً قورش ملك الفرس.

وفي التاسع من شهر هانيبال (أغسطس) أيضاً من عام 70 بعد الميلاد، اقتحم الرومان من اليهود ودمّروا الهيكل الثاني الذي أعيد بناؤه بعد العودة من بابل. وقد دام الحكم الروماني على فلسطين 700 عام إلى أن حررها العرب المسلمون في عام 637 مسيحي.

ولذلك يحتفل اليهود بذكرى التاسع من شهر آب (أغسطس) من كل عام مناسبة دينية، حيث يتجمع اليهود أمام حائط البراق الذي يعتقدون أنه الجزء الوحيد المتبقي من الهيكل بعد تدميره الثاني، ولذلك يسمونه حائط المبكى، وهناك يجددون العهد بإعادة بناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى وفي موضعه.

في 15 آب (أغسطس) من عام 1929 حاول اليهود لأول مرة السيطرة على الجدار بالقوة، فتصدى لهم أهل القدس، وكانت فلسطين يومها تحت الاحتلال البريطاني، وكانت بريطانيا متواطئاً مع اليهود وتدعمهم، إلا أن التظاهرات الشعبية التي عمت المدن الفلسطينية جعلت سلطات الاحتلال تضطر على التراجع، فوافقت على تشكيل لجنة دولية للتحقيق والتوصية بما يجب أن يلتزم به الطرفان المسلمون واليهود. وقد أقرت اللجنة الدولية التوصيات الثلاث التالية:

1. تعود للمسلمين وحدهم ملكية الحائط الغربي، أي حائط البراق كما يسميه المسلمون أو حائط المبكى كما يسميه اليهود، ولهم وحدهم الحق العيني فيه لكونه يؤلف جزءاً لا يتجزأ من ساحة الحرم القدسي الشريف.
2. تعود للمسلمين أيضاً ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفاً حسب أحكام الشرع الإسلامي لجهات البر والخير. (أزيلت حارة المغاربة من آخرها فور احتلال القدس في شهر حزيران (يونيو) عام 1967).
3. لا يجوز اعتبار أدوات العبادة التي يحق لليهود وضعها بالقرب من الحائط، أمراً من شأنه ترتيب أي حق عيني لليهود في الحائط أو في الرصيف المجاور له.

في شهر آب (أغسطس) من عام 1897 عُقد



الحريق الذي شب في مسجد الصخرة

في مدينة بازل بسويسرا، المؤتمر الصهيوني الأول بدعوة من تيودور هرتزل، كان مؤتمراً لليهود الصهاينة، وكان نواة ومقدمة لانطلاق الحركة الصهيونية. وفي عام 1985، أي بعد 88 عاماً، عُقد في قصر المدينة السويسرية بال، وفي الفندق نفسه، وفي القاعة ذاتها من المبنى، وفي الشهر ذاته أيضاً آب (أغسطس)، مؤتمر صهيوني من نوع آخر ضم عدداً من الكنائس الإنجيلية المتصهينة التي تعتبر قيام صهيون، أمراً حتمياً لا بد منه للعودة الثانية للمسيح.

وجه الدعوة إلى عقد المؤتمر الصهيوني المسيحاني، الدكتور دوغلاس يونغ مدير المعهد الأمريكي لدراسات الأرض المقدسة، وترأسه الدكتور فان دير هوفن رئيس الكنيسة الإنجيلية الهولندية، وحضر المؤتمر التأسيسي 589 شخصية دينية من الولايات المتحدة وأوروبا، ومن كنائس مماثلة في دول أفريقية وآسيوية أخرى يبلغ عددها 27 دولة.

ومنذ ذلك التاريخ يُعقد في شهر آب (أغسطس) من كل عام مؤتمران، الأول للحركة الصهيونية اليهودية، استكمالاً لمسيرة المؤتمر الأول الذي نظمه هرتزل، والثاني للحركة الصهيونية المسيحية الذي نظمه دوغلاس يونغ.

انبثقت عن مؤتمر 1985 منظمة جديدة تحمل اسم

السفارة المسيحية الدولية من أجل القدس). ومهمتها توظيف الصوت المسيحي والمادي من أجل تمكين المؤسسة الجديدة من تحقيق النبوءات التوراتية المتعلقة بمتطلبات العودة الثانية للمسيح، وأهمها تثبيت أقدام الدولة الصهيونية، وتجميع يهود العالم فيها بعد ضم كل الأرض التي وعدهم الله بها (٤)، وبناء الهيكل اليهودي على أنقاض المسجد الأقصى.

وقد عملت السفارة المسيحية الدولية على تحقيق معظم الأهداف التي أعلنتها في عام 1985، ومن أبرزها نقل يهود الاتحاد السوفياتي السابق إلى إسرائيل، وإنهاء المقاطعة ضد المصالح الإسرائيلية والضغط على دول أوروبا الشرقية والوسطى لتطبيع علاقاتها مع إسرائيل، ودعوة العالم إلى الاعتراف بالقدس عاصمة أبدية موحدة لإسرائيل. وقد لعبت هذه المنظمة الدور الأكبر في استصدار القرار الأول من مجلس الكونغرس الأمريكي (الشيوخ والنواب) في شهر الطير (إبريل) 1990 مسيحي، الذي نص على دعوة الإدارة الأمريكية إلى الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، ثم باستصدار القرار الثاني في عام 1995 بنقل مقرّ السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس.

وللسفارة المسيحية الدولية فروع في عدد كبير من دول العالم تقوم بالمهمة نفسها، ويشكل المؤتمر السنوي الذي تعقده في شهر سبتمبر (أيلول) من كل عام مناسبة لتقييم المنجزات التي حققتها ولوضع برنامج عمل للعام الجديد. وتتكون هذه المنظمة بشكل أساسي من تنظيم 250 هيئة وجمعية أمريكية (غير يهودية) تعمل في الولايات المتحدة على قاعدة تفسيرات صهيونية لما يعتقد أنه نبوءات توراتية تتعلق بعودة اليهود إلى فلسطين وإقامة دولة صهيون التي يظهر فيها المسيح ثانية مخلصاً الإنسانية من الشرور التي تغرق فيها.

في الولايات المتحدة الأمريكية والتي ينص دستورها على فصل الدين عن الدولة 1400 محطة إذاعية دينية يعمل فيها 80 ألف قسيس

إلى جانب مؤسسة (السفارة المسيحية من أجل القدس) هناك مؤسسات إنجيلية من اليمين المسيحي الأمريكي تتخصص في دعم إسرائيل وفي تمويل مشروعاتها الاستيطانية، منها على سبيل المثال لا الحصر مؤسسة الصداقة الدولية بين المسيحيين واليهود ومقرها في شيكاغو، وهي تجمع التبرعات من المسيحيين الصهيونيين في الولايات المتحدة لتشجيع الاستيطان اليهودي، ومنها مؤسسة بناء الهيكل، ومهمتها العمل على بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى.

تؤمن هذه المؤسسات إيماناً راسخاً بأن إرادة الله متعلقة بقيام إسرائيل، وأن الله يساعد من يساعد إسرائيل ويعادي من يعاديها، وأن قيام إسرائيل يؤكد توفر الشروط التي ما زالت تنتظر من أجل العودة الثانية للمسيح، وبالتالي فإن الدفاع عن إسرائيل هو عمل ديني يتعلق بثوابت إيمانية وليس مجرد موقف سياسي يتأثر بالمتغيرات من الأحداث.

إن في الولايات المتحدة الدولة العلمانية، والتي ينص دستورها على فصل الدين عن الدولة، 1400 محطة دينية يعمل فيها 80 ألف قسيس إنجيلي أكثريتهم الساحقة من أتباع هذه المدرسة التي تعتبر إسرائيل تجلياً إلهياً وتجسيداً لنصه من أجل خلاص بني البشر!!

لذلك ما إن تواجه إسرائيل أزمة أو مأزقاً حتى تتحرك عملية التجييش الإعلامي الديني عبر شبكة الكنائس الإنجيلية اليمينية المتطرفة ومحطات الإذاعة والتلفزيون وسلسلة المطبوعات اليومية والأسبوعية التي تتولى إصدارها

ينطلق التحرك من مقولة دينية من محتوى هذه الحركات الدينية وهي أن القوانين الدولية الوضعية لا تطبق على إسرائيل لأن إسرائيل تختلف عن كل الكيانات السياسية الأخرى في العالم من حيث أن وجودها هو تجسيد لإرادة إلهية وليس استجابة لحاجة إنسانية. وتالياً فإن ما يجب أن يطبق على إسرائيل هو الإرادة الإلهية التي وردت في الكتب المقدسة وأبرزها الوعد الإلهي لشعب الله المختار. وما يقرره الله لا تلغيه ولا تعدله قرارات الأمم المتحدة، ولا يعطله أو يلغيه القانون الدولي.

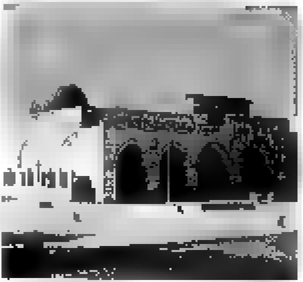
كونت هذه الأدبيات الدينية التي تجعل من اليهود الشعب الموالي من الصلة الإلهية التي يتحدد بمقتضاها مصير البشرية جمعاء، والتي تجعل من إقامة إسرائيل المدخل الوحيد الذي لا بد منه إلى هذه الخطة بما تعنيه من تمهيد للعودة الثانية للمسيح. وهي العودة التي تحسم مصير صراع الإيمان والكفر والتي تنتهي بانتصار المسيح وسيادته على العالم مدة ألف عام ومن ثم تقوم الساعة.

من خلال هذه الأدبيات أصبح بالإمكان مساعدة اليهود في إقامة دولة في فلسطين نوعاً من العبادة التي تعبر عن المشاركة الإنسانية في تحقيق الإرادة الإلهية. أي أن الإنسان يعرف ما يريده الله من خلال قراءته لنبوءات التوراة، ثم يعمل على تحقيق ما يريده الله في ضوء ما توحي له هذه القراءة.

في ضوء هذه الأدبيات الدينية، وفي ضوء هيمنة المؤسسات التي تعتنق هذه العقيدة وتروج لها على القرار السياسي الأمريكي يمكن فهم خلفية الموقف الرسمي الأمريكي المعارض لمبدأ عودة الفلسطينيين إلى ديارهم عملاً بقرار مجلس الأمن الدولي 194 والذي يشجع في الوقت نفسه اليهود على الاستيطان في غزة والضفة الغربية والتأييد المطلق لكل ما تقوم به إسرائيل من أعمال بصرف النظر عن الشرعية الدولية فالمهم هنا شرع الله لا الشرعية الدولية.

ومن الواضح أن سياسة الرئيس جورج بوش ومواقفه من الانتفاضة الفلسطينية وتغطيته للجرائم التي يرتكبها شارون تتم على قاعدة هذا الإيمان.

وكان الكونجرس الأمريكي عند تبنيه قرار نقل السفارة



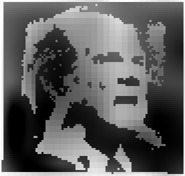
المسجد الأقصى من الخارج



من الداخل

الأمريكية الى القدس في شهر ... سبتمبر 2002 وقّع عليه الرئيس بوش نفسه استجابة لمطلب اليمين الإنجيلي المتطرف، وهو ما لم يفعله أي رئيس امريكي قبله.

صحيح أن الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الارثوذكسية وكذلك العديد من الكنائس الإنجيلية الأمريكية الأخرى تعارض عمليات التهويد العنصري والتوظيف السياسي للمسيحية وتعتبره تشويهاً لها وتضليلاً للمسيحيين المؤمنين، إلا أن الصحيح في الوقت نفسه أن اللوبي السياسي الذي تقوده منظمات الصهيونية المسيحية الدولية باستغلال المسيحية واستغلال اسمها وشعاراتها يكاد يحتكر الدور الأهم في التأثير على صناعة القرار الأمريكي من قضايا الشرق الأوسط عامة ومن الصراع العربي الاسرائيلي تحديدا.



لقد كان القس روبرتسون في دبابة الجنرال دايان عندما احتل القدس في عام 1967 وكان القس جيري فولويل في دبابة الجنرال شارون عندما احتل بيروت في عام 1982.

في المؤتمر السنوي الذي عقدته هذه الحركة في واشنطن في شهر ... (نوفمبر) 2002 قال أحد قادتها ... بات روبرتسون إن الفلسطينيين ليسوا سوى مجموعة من العرب قدمت إلى إسرائيل منذ عدة عقود فقط، وإن ادعاءهم بالأرض هو ادعاء حديث بينما ادعاء اليهود يعود إلى ثلاثة آلاف عام وإن جبل الهيكل هو لإسرائيل وليس للفلسطينيين، واستشهد بالفصل 33 من التوراة (الأرقام) حيث يتحدث الربّ موسى إلى ... كنعان محذراً من أن يُبقي فيها أحد من الكنعانيين لأنهم سيتحولون إلى أشواك في الخواصر وإلى ... في العيون ينغصوا عليكم حياتكم في أرضكم.

إن هذه الحركة الدينية، بمعتقداتها وتعاليمها التوراتية المتحالفة مع المسيحية الصهيونية الكاثوليكية والارثوذكسية والإنجيلية، تهيمن على المطبخ السياسي الأمريكي فيما يتعلق بالشرق الأوسط، وهي التي تتولى بلورة وصياغة القرارات المتعلقة بالقضية الفلسطينية وبقضية القدس تحديداً.

ومن أتباع هذه الحركة شخصيات أمريكية سياسية ودبلوماسية وإعلامية وعسكرية تتبوأ مراكز قيادية بارزة كان منهم ... الرئيس الحالي جورج دبليو بوش والرئيس الأسبق رونالد ريغان.

في عهده أصبح تقليدياً دعوة شخصية دينية أو أكثر من هذه الحركة إلى البيت الأبيض في كل مرة يعد الرئيس الأمريكي ... لاتخاذ قرار جوهري يمس الشرق الأوسط. ومهمة هذه المشاركة الدينية هي العمل على توجيه القرار السياسي الأمريكي بحيث يتوافق مع إرادة الله كما حددتها النبوءات التوراتية. ومنذ أحداث 2001/9/11 والقس جيري فولويل يلعب هذا الدور في إدارة الرئيس جورج بوش. ففي مفهوم هذه الحركة الأصولية، أن إرادة الله تحددها التفسيرات الموضوعة لمجموعة من النبوءات الدينية التي ورد ذكرها في بعض أسفار التوراة/العهد القديم، مثل سفر الرؤيا، وسفر حزقيال، وسفر يوشع وغيرها. ومن هذه النبوءات معركة هرمجدون التي تليها مباشرة العودة الثانية للمسيح.

لقد كان القس روبرتسون في دبابة الجنرال دايان عندما احتل القدس في عام 1967 وكان القس جيري فولويل في دبابة الجنرال شارون عندما احتل بيروت في عام 1982

السؤال الآن، ما العمل؟

في عام 1979 أي بعد عشر سنوات من حريق المسجد الأقصى شكلت منظمة المؤتمر الإسلامي لجنة خاصة بوضع استراتيجية مشتركة لتحرير القدس. وبعد 21 عاما على تشكيلها فإن السؤال الذي يفرض نفسه هو ماذا حققت هذه اللجنة حتى الآن؟ إن الجواب عنه لا يحتاج إلى عناء بحث وتنقيب عنه. ولكن بالمقارنة تأسست في واشنطن مؤسسة معبد القدس برئاسة دايفيد لويس رئيس منظمة الملكوت المسيحية اليهودية التي سبقت الإشارة إليها مهمتها جمع التبرعات والمساهمات المالية لتدمير الأقصى وبناء الهيكل. وأنشأت هذه المؤسسة في مدينة القدس القديمة معهداً خاصاً باسم "ياشيف اتيريت كوهانيم" أي معهد تاج الكهنة لإعداد الكهنة الذين سيخدمون في الهيكل الثالث بعد بنائه بما في ذلك سلسلة التضحية بالعجول.

كما موّلت عملية جرت منذ سنوات لاختيار حجارة البناء وصقلها وتصميمها في موقع خاص إلى أن يحين ساعة الصفر، وساعة الصفر هي تدمير المسجد الأقصى.

وفي كتابه The Last Late Planet Earth يقول القس هول ليندسي مؤلف الكتاب، وهو من كبار منظري الحركة الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة: لم يبق سوى حدث واحد ليكتمل المسرح تماما أمام دور إسرائيل في المشهد العظيم الأخير من مأساتها التاريخية وهو إعادة بناء الهيكل القديم في موقعه القديم. ولا يوجد سوى مكان واحد يمكن بناء الهيكل عليه استناداً إلى قانون موسى في جبل موريا حيث شيد الهيكلان السابقان.

ورغم أن كل أعمال التنقيب عن بقايا الهيكلين المطمورين تحت الحرم القدسي الشريف لم تعثر على دليل واحد أو حتى على حجر واحد، فإن ثمة إصراراً على أن المسجد الأقصى يقوم في موقعهما وإنه لا بد من تدميره وبناء الهيكل الثالث على أنقاضه!!

وضع المهندس اليهودي إيلي يونيه تصميم الهيكل الثالث، وأقرت التصميم الحاخامية في إسرائيل والدياسبورا. كما أقرته المنظمات اليهودية المختلفة. يبقى تهديم المسجد الأقصى. فالقرار بالتهديم اتخذ منذ سنوات. أما التنفيذ فإنه يتم تدريجياً وعلى مراحل معلومة.

يموّل التطرف الديني الصهيوني، ويموّل الضخ العربي والإسلامي. ولا شك في أن الممول الثاني أشد خطراً على المسجد وأكثر فعالية في مخطط تدميره.

من هنا فإن إنقاذ المسجد الأقصى وبالتالي إنقاذ القدس وفلسطين يتطلب وعياً عربياً إسلامياً حقيقياً ووعياً إسلامياً مسيحياً عالمياً حقيقياً أيضاً حتى تتحرر القدس من دنس الاحتلال، وحتى تستعيد دورها عاصمة للسلام والإخاء بين المؤمنين جميعاً. ولكن هل إن هذا التعاون ممكن؟

في 25 من شهر كانون الثاني يناير 1904 وجه البابا بيوس العاشر رسالة إلى تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية، رداً على رسالة كان هرتزل قد وجهها إلى البابا طالباً فيها دعم الفاتيكان لمشروع تهجير اليهود إلى فلسطين. قال البابا في رسالته الجوابية:

"نحن لا نستطيع أبداً أن نتعاطف مع الحركة الصهيونية. إننا لا نقدر على منع اليهود من التوجه إلى القدس، ولكننا لا يمكن أبداً أن نقره. وبصفتي قيماً على الكنيسة لا أستطيع أن أجيبك بشكل آخر. لم يعترف اليهود بسيدنا المسيح، ولذلك لا نستطيع أن نعترف بالشعب اليهودي، وبالتالي فإذا جئتم إلى فلسطين وإذا أقمتم هناك، فإننا سنكون مستعدين كنائس ورهباناً لعمادكم، أي لتحويلكم إلى المسيحية جميعاً".

وجاء في وثيقة فاتيكانية صادرة في الأول من شهر أيار مايو 1897 ونشرتها "Civilta Cattolica" عشية المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد

في بازل في سويسرا عام 1897 عام على تحقيق نبوءة المسيح بأن القدس سوف تدمر. وبذلك فإن إعادة بناء القدس لتصبح مركزاً لدولة إسرائيل بعد تكوينها يتناقض كل التناقض مع نبوءات المسيح الذي ضرب مسبقاً بأن جماعة (أي غير اليهود) سوف تسيطر على القدس حتى نهاية زمن العامة (الجليين) أي حتى نهاية الزمن.

مبني هذا الموقف المبدئي على عدة ثوابت إيمانية نقل من أبرزها:

1. حكم الإدانة الذي أصدره البابا غريغوري الثالث عشر في عام 1581 ضد اليهود.
2. الإيمان المسيحي بعدم جعل القدس عاصمة لدولة يهودية حتى قيام الساعة وفقاً لما ورد في إنجيل لوقا 21/24.
3. عدم الاعتراف بالشعب اليهودي طالما أن هذا الشعب لا يعترف بالمسيح (رسالة البابا بيوس العاشر).
4. لا سيادة لليهود على الأرض المقدسة في فلسطين (رسالة البابا بندكيت الخامس عشر إلى ناحوم سوكولوف مبعوث الحركة الصهيونية).

غير أن المتغيرات السياسية التي عصفت بالشرق الأوسط منذ اعتراف الأمم المتحدة بإسرائيل في عام 1949، ثم احتلال إسرائيل للقدس في عام 1967، وبعد ذلك عقد معاهدة الصلح المصرية - الإسرائيلية في عام 1979، ثم عقد مؤتمر مدريد في عام 1991 وانطلاق مسيرة التسوية السياسية التي تجاوزت محطة أوسلو الفلسطينية في عام 1993 (ثم محطة نهر واي ريفر واشنطن في عام 1998) ومحطة وادي عربة الأردنية في عام 1994، هذه المتغيرات دفعت بالفاتيكان إلى التحرك للمحافظة على مصالحه كراع للكاثوليك في المنطقة وكحام حتى المراكز الدينية المسيحية في القدس.

ورغم هذه المتغيرات اللاهوتية الفاتيكانية إلا أنه لم تمس ثوابت دينية من نوع مماثل أو حتى من نوع آخر، فالمجال ما يزال مفتوحاً أمام العالم العربي خاصة وأمام العالم الإسلامي عامة للتحرك باتجاه الفاتيكان ولتقريب المفاهيم والمعاني التي يحملها البابا يوحنا بولس الثاني. ثم عبء الأمة العربية والإسلامية من العلاقات الجديدة التي أقامها مع إسرائيل ومع يهود العالم عموماً بالعديد من الدول العربية والإسلامية. إن الرفض والتنديد والإدانة أمر سهل، وهو يفرج عن النفس إلا أنه لا يصنع حقاً ولا يرجع غائباً ولا يبني علاقة. والمطلوب العمل بجد ومسؤولية لصون الحق العربي في فلسطين وفي القدس دينياً (إسلامياً ومسيحياً) ووطنياً. والمطلوب العمل بجد ومسؤولية أيضاً لردع التوحش الإسرائيلي في مصادرة الأراضي وبناء المستوطنات وتهويد المدينة المقدسة. والمطلوب العمل بجد وبمسؤولية لإنقاذ المسجد الأقصى من الخطر الآتي الذي يتعرض له. لقد بدأ العد العكسي لتدمير المسجد بكل ما يرمز إليه منذ سنوات، وتحديداً منذ احتلال القدس في عام 1967، فابن غوريون هو القائل: لا إسرائيل بدون القدس، ولا قدس بدون الهيكل، ولا هيكل مع وجود المسجد الأقصى. وإذا كان تحقيق هذا الهدف قد تأخر حتى الآن فلأسباب سياسية وتقنية يهودية - صهيونية وليس لأن العرب والمسلمين يمنعون حدوثه.

الرفض والتنديد والإدانة أمر سهل وهو يفرج عن النفس إلا أنه لا يصنع حقاً ولا يرجع غائباً ولا يبني علاقة

في الأساس ليست قضية القدس قضية إسلامية فقط، ولا هي قضية مسيحية فقط، لا بد من تضافر الجهود الإسلامية والمسيحية على المستويين القومي ثم الدولي. ولا بد من وضع استراتيجية إسلامية مسيحية واحدة تنقذ المقدسات الدينية مما تتعرض له من انتهاكات واعتداءات، وتحمي للقدس هويتها العربية. فما كان للخطر أن يحدق بالمسجد الأقصى لو لم يكن هناك احتلال صهيوني يهدد الأقصى، ولو لم يكن هناك تهاون عربي وإسلامي في تحرير الأقصى

مقاومة الإسلام للاستعمار الثقافي الغربي بمنطقة غرب أفريقيا

محمد أحمد شفيع *

تاريخ دخول الإسلام إلى منطقة غرب أفريقيا

تعتبر القارة الأفريقية أول منطقة أنشأ الرسول صلى الله عليه وسلم معها علاقات دبلوماسية ودية وقوية قبل الهجرة النبوية، وذلك من خلال هجرة المسلمين الأولى والثانية إلى بلاد الحبشة (أثيوبيا الحالية) التي هاجرت إليها مجموعات كبيرة من المسلمين بصفة لاجئين، بعدما أصبحت حياتهم مهددة من قبل كفار قريش. وقد وجدوا استقبالا إيجابيا وحماية دبلوماسية كاملة من قبل ملك الحبشة النجاشي، هذا الملك الأفريقي الذي اعتنق الإسلام بدوره.

وبعد فتح المسلمين بلاد الشام في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث هذه المرة فرقة من الجيوش الإسلامية بقيادة الصحابي المعروف عمرو بن العاص، وذلك لنشر الإسلام في بلاد مصر. ولم يكن هذا النشر بإكراه الناس بالقوة على الدخول في الإسلام، لأن المسلمين بعد دخولهم إلى مصر وتحريرها تركوا لأهلها كامل الحرية في اعتناق الإسلام أو البقاء على ديانتهم المسيحية؛ وهذا هو السر في أن الكثيرين من المصريين بقوا على هذه الديانة المسيحية حتى يومنا هذا، وهم يسمون الأقباط.

ومن مصر انطلق جزء من الجيوش الإسلامية مدعوة إلى الإسلام ومنتشرة في بلاد النوبة بجنوب مصر، كما انطلق جزء آخر في نفس الوجهة إلى مناطق ليبيا الحالية وتونس.

وهكذا بدأ الإسلام ينتشر في القارة الأفريقية منذ الأيام الأولى لظهور هذا الدين الحنيف.

وفي عهد الدولة الأموية بدأ الإسلام ينتشر في أفريقيا الغربية بوضوح ملحوظ، وذلك عن طريق الفاتح الإسلامي الشهير عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه الذي نشر الإسلام في جنوب ليبيا، ثم توجه إلى الجنوب، وتوغل في الصحراء الكبرى حتى وصل

* رئيس الجمعية النيجيرية للأخوة الإسلامية في نيامي النيجر

إلى مناطق شمال شرقي جمهورية النيجر الحالية وبخاصة منطقة «كوار» التي تقع في شرق محافظة «اغاديس» بشمال جمهورية النيجر الحالية.

كما أن الفاتح عقبة بن نافع الفهري نفسه بعد أن أدخل الإسلام إلى مناطق جنوب المغرب الأقصى توغل إلى الجنوب حتى دخل إلى بعض مناطق غرب أفريقيا التي تقع اليوم في جمهوريات موريتانيا ومالي والسنغال. كما نجد الحديث عن كل هذه الأحداث في الجزء الأول من تاريخ المؤرخ المصري الشهير ابن عذاري المراكشي.

ثم بدأ انتشار الإسلام في غرب افريقيا يتوسع شيئاً فشيئاً وبخاصة في عهد المرابطين، ثم في عهود الممالك الإسلامية الافريقية الشهيرة بالمنطقة مثل مملكة مالي ومملكة السنغاي ومملكة كانم برنو وسلطنات الهوسا وغيرها.

وبذلك أصبحت منطقة غرب افريقيا معقل القلاع الإسلامية القوية بهذه القارة الافريقية.

وبفضل جهود مسلمي المنطقة، وعلى الأخص بفضل القوة الذاتية للإسلام، فإن الجهود الهادفة إلى تنصير المسلمين بمنطقة غرب افريقيا قد سجلت فشلاً ذريعاً.

الاستعمار الأوروبي في غرب افريقيا

منذ القرن السادس عشر الميلادي بدأت منطقة غرب افريقيا تتعرض لحملات الاستعمار الغربي وبخاصة البرتغالي والإسباني والانجليزي والفرنسي ومنذ القرن السابع عشر الميلادي، كونت فرنسا لنفسها مركزاً[1] كبيراً[1] في مدينة سانلوي.

وفي نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين احتلت فرنسا وبريطانيا وإسبانيا وألمانيا مختلف المناطق في غرب افريقيا وجعلت منها مستعمرات لها، وبذلك بدأ عهد الاحتلال الاستعماري الأوروبي الكلي لكل مناطق غرب افريقيا.

وقد قام المسلمون في غرب افريقيا بعدة حركات مقاومة ضد الاستعمار الأوروبي مثل حركة الجهاد التي قام بها الإمام ساموري في غينيا ضد الاستعمار الفرنسي، وحركة الجهاد التي قام بها الشيخ عمر الفوتي ضد فرنسا في مناطق السنغال ومالي، وحركة الجهاد التي قام بها الطوارق في النيجر ضد الفرنسيين، والذين تعاونوا بل انسجموا فيها مع المجاهدين الليبيين ضد الاستعمار الإيطالي.

استقرار الاستعمار الأوروبي في غرب افريقيا

لقد تمكن المستعمرون الغربيون من السيطرة على غرب افريقيا، وعلى الأخص الفرنسيون والإنجليز والإسبان والبرتغاليون والألمان، وقد بذلوا كل الجهود باستعمال كل الوسائل لبث الثقافة الغربية في المنطقة، والعمل على تنصير أبنائها، ومحاربة الثقافة العربية الإسلامية ومحو الشخصية الحضارية الإسلامية للمنطقة.

ومن الجدير بالذكر أنه بفضل جهود مسلمي المنطقة، وعلى الأخص بفضل القوة الذاتية للإسلام، فإن الجهود الهادفة إلى تنصير المسلمين بمنطقة غرب افريقيا قد سجلت فشلاً ذريعاً، بل إن الإسلام سجل ولا يزال يسجل تقدماً عظيماً في كثير من البلدان الوثنية من غرب افريقيا، وهو يغزو أمتن الأوساط الاستعمارية والإرساليات التبشيرية الغربية

تحرير القارة الافريقية وبداية الاستعمار الثقافي المكثف بالمنطقة

منذ الستينات، بدأت بلدان غرب افريقيا تحصل على استقلالها السياسي الشكلي، وبذلك تكوّنت دولٌ افريقية مستقلة استقلالاً سياسياً شكلياً في حقيقته.

ولكن القوى الاستعمارية بعد رحيلها الشكلي الرسمي من المنطقة واصلت بل كثّفت بكل شدة نوعاً آخر من الاستعمار يعتبر في الواقع أشد خطورة من الاحتلال العسكري وهو الاستعمار الثقافي الفكري الحضاري.

والغرب قد ركّزت نشاطها في هذا المجال على مبادئ اساسية عديدة وخطيرة من بينها:

1. العمل على نشر لغاتها نشراً واسعاً لتكون هذه اللغات الأجنبية الأوروبية الأداة الوحيدة لدى سكان غرب افريقيا للاندماج في الحياة العصرية والاتصال بالعالم الخارجي،

ويتضمن هذا المخطط الرهيب محاربة اللغة العربية لغة القرآن الكريم ولغة الثقافة الإسلامية محاربة شديدة، هذا إلى جانب محاربة اللهجات المحلية للسكان أيضاً.

2. تكثيف عمل المنظمات والإرساليات التبشيرية، والتي تعمل بكل نشاط وسخاء على تقديم خدمات مهمة وعديدة للسكان المحتاجين بهدف محاولة التأثير عليهم للتمكن من تنصيرهم في النهاية.

3. العمل على غرس أفكار خطيرة في عقول السكان، وتتمثل هذه الأفكار في محاولة إقناعهم بأن لا سبيل إلى التقدم في الحياة العصرية إلا من طريق الثقافة والحضارة الغربية، وأن الإسلام هو ضد التقدم والتحضر، فهو وسيلة لتحقيق التأخر في الحياة عمليا.

4. نشر الأفكار العلمانية اللادينية لدى السكان المسلمين لمحاولة إقناعهم بأن الدين ليس إلا مسألة بين العبد وربه فقط ولا يتجاوز دوره ذلك، إذ ليس له محل مهماً في الحياة لتسيير شؤون الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. لأن هذه الميادين... في نظر هؤلاء الغربيين، يجب أن تستأثر بتسييرها الثقافة والتقاليد الغربية ولا علاقة للدين تماماً بتسييرها.

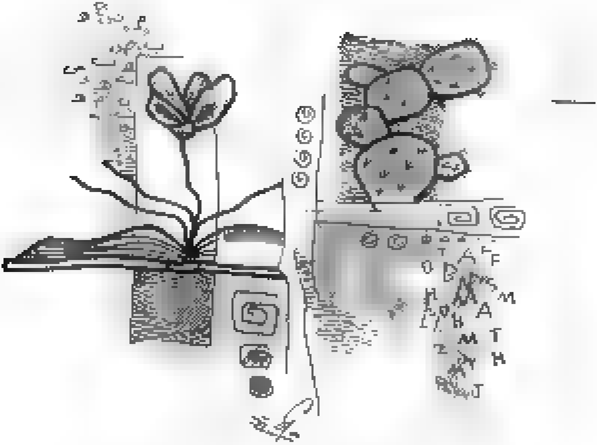
ومن المؤسف جداً أن الغربيين الذين فشلوا فشلاً ذريعاً في تنصير المسلمين في منطقة غرب افريقيا كما قدمنا، قد نجحوا إلى حدٍّ كبير في هذه النقطة الأخيرة وهي إقناع الطبقات المثقفة منهم بفكرة العلمانية اللادينية.

القوى الاستعمارية بعد رحيلها الشكلي الرسمي من المنطقة واصلت بل كثّفت بكل شدة نوعاً آخر من الاستعمار يعتبر في الواقع أشد خطورة من الاحتلال العسكري وهو الاستعمار الثقافي الفكري الحضاري.

الإسلام يحقق انتصارات كبيرة في منطقة غرب افريقيا

إنه على الرغم من كل المشاكل التي تثيرها حملة الاستعمار الثقافي الغربي الجديد، فإن الإسلام يحقق انتصارات عظيمة في هذه المنطقة. فقد أصبح هذا الدين يزداد انتشاراً بسرعة وقوة في المناطق غير الإسلامية في غرب افريقيا.

كما أن السكان أصبحوا يهتمون اهتماماً متزايداً بالثقافة العربية الإسلامية، فهم يهتمون بتكوين أبنائهم تكويناً ثقافياً فكرياً إسلامياً من طريق



مدارس ومعاهد التربية الإسلامية التي تنتشر في منطقة غرب أفريقيا منذ الاستقلالات الأفريقية بطريقة سريعة ومدهشة.

وبالطريقة نفسها، يُبدي سكان غرب أفريقيا اهتماماً كبيراً ومتزايداً بقضايا العالم الإسلامي مثل القضية الفلسطينية وقضية المسجد الأقصى بالقدس الشريف والقضايا الأخرى في شتى بقاع العالم الإسلامي.

وبالنظر إلى كل ذلك فإن الدوائر السياسية والثقافية والتنصيرية في العالم الغربي (أمريكا وأوروبا) لا تخفي تذمرها وانزعاجها وقلقها الشديد من هذه الانتصارات الدينية الثقافية الحضارية التي يحققها الإسلام الحنيف في منطقة غرب أفريقيا، والتي أصبحت في الواقع ميداناً يسيطر عليه الإسلام وثقافته إلى حدٍّ كبير.

القوى الثقافية التنصيرية الغربية تواصل جهودها

إن كل تلك الانتصارات العظيمة للإسلام لم تجعل تلك القوى الثقافية التنصيرية الغربية تتنازل عن طموحاتها وتتخلى عن مخططاتها المعادية ضد الإسلام والمسلمين، بل بالعكس فإنها تواصل عملها المرسوم بكل تصميم وعزيمة، وتبذل في سبيل تحقيق ذلك وسائل ثقافية وتعليمية واجتماعية واقتصادية وسياسية وإنسانية هائلة، ومن خلالها بناء المدارس والمستوصفات، وتنظيم الخدمات الاجتماعية

والإنسانية للمحتاجين وتنفيذ مشاريع اقتصادية مهمة لمصلحتهم بغرض استمالتهم إلى معتقد أهدافها الموجهة ضد الإسلام ومحاربة ثقافته وحضارته وشخصيته وتاريخه في المنطقة.

ولذلك يجب علينا نحن المسلمين من أبناء هذه المنطقة ألا نتوانى ولا نتغافل عن هذه الأخطار المحدقة بنا وبديننا وشخصيتنا الثقافية الحضارية الإسلامية، بل يجب أن نواصل الجهود لمقاومة هذه المخططات الاستعمارية الثقافية التنصيرية التي هي جزء من برنامج العولمة الغربية المعاصرة الطموحة للتوسعة، والهادفة إلى القضاء على الشخصيات الثقافية الحضارية الدينية وبخاصة منها الشخصية الثقافية الدينية الحضارية والتي يرجع هؤلاء المنصرون أكثر من غيرهم نظرا إلى قوتها الذاتية الهائلة.

ومع ضخامة جهود أعداء الإسلام ووفرة وسائلهم المختلفة فإن محاولتهم ضد الإسلام بثقافته وحضارته وتاريخه المجيد ستنكسر في النهاية بهذه المنطقة المهمة من القارة الإفريقية.

ولكن هذا التفاؤل يوجب علينا العمل من أجل تحقيقه والتبصر.

إننا متفائلون بأن الإسلام، بثقافته وحضارته وتاريخه المجيد، سينتصر في النهاية بهذه المنطقة المهمة من القارة الإفريقية، ولكن هذا التفاؤل يوجب علينا العمل من أجل تحقيقه والتبصر

موقف الدفاع عن الشخصية الثقافية وقضية الحوار بين الأديان والثقافات.

إن اهتمامنا الشديد في هذه المقالة الموجزة بمبدأ الدفاع عن شخصيتنا الدينية الثقافية الحضارية الإسلامية لا يتنافى بتاتاً مع إيماننا القوي بضرورة الحوار والتفاهم والتعايش بين الشعوب والأديان والحضارات والثقافات الإنسانية.

وبالفعل فإننا نؤمن بضرورة الحوار والتعارف والتفاهم والتعاون بين الأديان السماوية والثقافات والحضارات البشرية، لأن ذلك من المبادئ الباهرة التي دعا إليها الإسلام دعوة قوية ومتكررة في آيات القرآن الكريم. كما أن السيرة العملية لحياة الرسول عليه الصلاة والسلام قد طبقت بجسد تلك المبادئ الأساسية الإنسانية التي دعا إليها القرآن الكريم، كما يعرف ذلك كل من له إلمام بمصادر السنة النبوية وكتب سيرة الرسول عليه السلام وعلى رأسها سيرة ابن هشام.

ولكن إيماننا بقضية هذا الحوار الإنساني لا يعني بتاتاً أن نقبل القضاء على شخصيتنا الدينية الثقافية تحت ستار الحوار لمصلحة سيادة العولمة الغربية التي تستهدف القضاء على شخصيات الشعوب في كل مجالات لمصلحة الشخصية الثقافية الحضارية الغربية وحدها، وهو شيء نرفضه رفضا باتا، فنحن نؤمن إيماناً عميقاً بمبدأ الحوار والتفاهم والتعارف والتعاون بين أبناء البشرية في مختلف ميادين، ولكن على أساس احترام الجميع لشخصيتنا الثقافية الحضارية التاريخية الإسلامية. كما قال الله تعالى:

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ سورة الكافرون الآية 6)

صدق الله العظيم



• المضامين العنصرية للخطاب الثقافي الصهيوني حول العرب

المضامين العنصرية للخطاب الدعائي الصهيوني حول العرب

إبراهيم عبد الكريم*

ينطوي الخطاب الدعائي الصهيوني المتعلق بالعرب على كم هائل من المنطلقات العنصرية والاستعلائية على نحو يتسق مع طبيعة الصهيونية ومشروعها الاستيطاني الإحلالي في فلسطين ومع دورها الوظيفي في مواجهة العرب والمسلمين

تعنى هذه الدراسة بتحري منظومة التوجهات العنصرية في متن الخطاب وتحديد ملامح صورة العربي والرؤية المتضمنة في المنظور الصهيوني ضمن إطار البرامج الخاصة بتهويد فلسطين، وارتباط ذلك بسياق التحريض العنصري ضد العرب، كما تورد الدراسة عينة من التصريحات والمواقف العنصرية المنشورة في وسائل الإعلام والدعاية الإسرائيلية.

جذور التوجهات العنصرية الصهيونية:

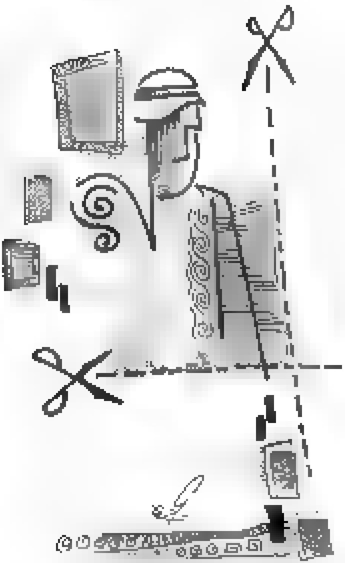
في إطار المقولات الإيديولوجية التي ينطلق منها الخطاب الدعائي الصهيوني، ركزت الفلسفة الصهيونية على أن اليهود يشكلون أمة عالمية واحدة ذات شخصية خاصة (جماعية، دينية، مستقلة، متفوقة... الخ) تسمو بها تفوقاً على سائر الأمم استناداً إلى مقولة «شعب الله المختار».

وكان واضحاً أن هناك سعياً لإضفاء القداسة على «الأمة اليهودية» وعلى ما يسمى «الحق التاريخي والعودة إلى صهيون» والروابط بين اليهود وأرض إسرائيل، وظل الصهيونيون يرددون على الدوام أن «الرباط بين أمة إسرائيل وأرضها ليس كالرباط الذي يشد سائر الأمم إلى بلادهم وأوطانهم. فهو لدى الأمم رباط سياسي وطبيعي وخارجي عرضي مؤقت، بينما الرباط القائم بين الشعب اليهودي وبلاده (...) هو كناية عن سر خفي من القداسة، فالشعب والأرض قد أنعم عليهما بتاج القداسة حتى في زمن خرابهما. إنه رباط متعال وسماوي وأبدي، ورباط إلهي»[1].

وكانت الانتماءات الإيديولوجية الصهيونية تقوم على إبراز المعاني الخاصة بما يسمى الرسالة المركزية للمشروع الصهيوني، الروحية المستمرة

* باحث ورئيس تحرير مجلة الأرض في مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية، سوريا.

(1) [illegible] ... ص 163.



الثقافية)، فضلاً عن مزاعم إعمار فلسطين وتطوير وتحسين ظروف السكان والمعيشة فيها. وبينما كانت مقولات المفكرين الصهاينة حول ما يسمى «النقاء العرقي والتفوق على الأغيار والسمو الروحي» بالعودة إلى أرض الميعاد ترمي إلى منع اليهود من الاندماج في مجتمعاتهم وتسويرهم بجدار العزلة حتى تهيأ، فإن فكرة تهويد فلسطين وتطهيرها من الأغيار كانت قد استوعبت تماما في توجهات الصهيونيين، ولم يعد ممكناً فصلها عن النسيج العام للإيديولوجية الصهيونية.

العرب في خرائط المشروع العنصري الصهيوني لتهويد فلسطين.

دأب الخطاب السياسي الصهيوني على نفي الطبيعة العدوانية بسبب تحويل فلسطين إلى دولة يهودية. وتضم هذه الثقافة العديد من الانعكاسات التي انطوت بطبيعة الحال على الأكاذيب والدعاوى والتشويهات المتعمدة للحقائق. ولعل من أبرز مزاعم الصهيونية في هذا المنحى سواء في فترة ما قبل تأسيس إسرائيل أو بعد ذلك ما يلي[2]:

1. [illegible]:

رسم الصهيونيون الأوائل مشهداً مفترضاً لفلسطين، يظهرها أرضاً خاوية، مهملة، صحراء... تنتظر المعمّرين اليهود. وكان واضحاً في أذهان رسامي الصهيونية أن ترويج الدعوة إلى تعمير الصحراء يتطلب تجاهل المواطنين العرب في فلسطين، بحيث يبدو للآخرين أن المسألة لا تنطوي على إلحاق ظلم بأحد، طالما أنه غير موجود. وفي ثنايا ذلك أوجدت الصهيونية مفهوماً خاصاً للصحراء، مفاده أن الأرض الصحراوية في فلسطين

(2) إبراهيم عبد الكريم، عبد الأرنؤوط، [illegible]

هي تلك التي تخلو من اليهود. ولقد كان الصهيونيون الأوائل في فلسطين يتمركزون حول ذاتهم، ويشكلهم الجيتو ... التجاهل ... بالإحساس الجسمي لدرجة أنهم لم يكونوا يرون ما حولهم، وظلوا يتجاهلون الوجود العربي، وحين تمكنوا من سيادة فعلية لم يعد أمامهم إلا أن يطردوا العرب أو يقتلوهم[1].

وبهذا المعنى، كان تجاهل العرب في البلاد وحذفهم ذهنياً بمثابة خطوة تمهيدية في سياق السعي لحذفهم عملياً. ففي خطابات هرتزل، مثلاً، أمام المؤتمرات الصهيونية الستة التي حضرها، وفي كتابه دولة اليهود، لم يرد أي ذكر للعرب، ولم ترد عبارة السكان الأصليين إلا مرة واحدة وبشكل عابر، وذلك في معرض حديثه عن المشكلة التي ستواجه ... ومعارضة من غير هؤلاء السكان. ومن المؤكد أن ذلك لم يكن مصادفة بريئة، لأنه دون تجاهل العربي تتعرض المقولات الصهيونية للانهيار، ويصعب من ثم تسويغها ممكناً.

> كان تجاهل العرب في البلاد وحذفهم ذهنياً بمثابة خطوة تمهيدية في سياق السعي لحذفهم عملياً.

وهكذا، تبنت الصهيونية صورة مختصرة لأحد شعاراتها الأولى (إسرائيل زانجويل) التي تقوم على أن فلسطين أرض بلا شعب ينبغي أن تعطى لشعب بلا أرض، وتظهر الاستعمار بوجه ملائكي، أن عملية حذف الوجود العربي في فلسطين من الذهن أولاً ومن المكان ثانياً لم تكن تولد تبكيتاً للضمير لدى الصهيونيين. ولم يكن إلا أنهم بهذا الحذف يحلون لأنفسهم أي ... إنسانية ... فقد شاع مثلاً أن ما كتبه بن-جوريون حين سمع لأول مرة كلاماً حول وجود سكان عرب في فلسطين جرى بحثاً عن ... "لم أكن أعلم هذا ... إنه أمر ... عرب"[2]. ومع ذلك لم يرد ... على المفكرة الصهيونية. وعلى ذلك استمرت ... الصهيونية والمسؤولون عن التثقيف في إسرائيل، فكانت صورة فلسطين الخالية كثيرة التكرار في الكتب المدرسية وكتب الأطفال الإسرائيلية[3].

وقد فسر بعض المفكرين الصهاينة فكرة العربي الغائب على أنها محاولة للتهرب من حقيقة ... الآمال الصهيونية. وكانت عقلية الاستعمار الصهيوني المؤسسة على فكرة اليهودي الخالص تتضمن بعض فكرة العربي الغائب أو الذي يجب أن يغيب، وقد يصبح حتى التهويد ... أمر ... موضوعي ... فلسطين في ... المطلوبة. هذه التصورات الصهيونية محكومة إلى حد كبير بالنسق الإيديولوجي الصهيوني والرؤى التي تضرب بجذورها في التلمود والجيتو، ولكن الأنساق الإيديولوجية الإدراكية لا توجد في فراغ، فهي في نهاية الأمر نماذج فكرية تتفاعل مع الواقع[4].

وخلال هذا التفاعل، توجهت الدفعة الأولى من الصهيونيين إلى فلسطين بالروح نفسها التي كان الأوروبيون يتوجهون بها إلى الأمكنة والمناطق التي يعتبرونها خالية. وهكذا، كان مفهوم أرض فلسطين الخالية من السكان ... هي ... الصهاينة ... مطابقاً

---

(1) [illegible] Pierre Damarre, Caire [illegible] Leopold [illegible]

(2) جيروفسكي، ملاحظات ... من الفكر الصهيوني السياسي، بيروت: مركز الأبحاث الفلسطيني، 1970، ص 9.

(3) فؤاد الأسمر، ... العربية في ... الأدب، الصورة النمطية ... العربي ... الإسرائيلي ... الوحدة العربية ... [illegible]

(4) عبد الوهاب المسيري، الإيديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، كانون الأول 1981، ص 58 وما بعدها.

بالضبط النظرية «سكان في الشطوط الخالية من السكان»[1]

ويشير [illegible] رئيس قسم الفلسفة في الجامعة العبرية بالقدس إن القول بعدم وجود الفلسطينيين يعني أنه على الرغم من وجودهم، يجب اعتبارهم وكأنهم غير موجودين، والنظر إليهم على أنهم ليسوا من البشر وحرمانهم من حقوقهم كبشر[2].

3 - [illegible]

تمثل [illegible] الصهيونية حول الفراغ الديمغرافي لفلسطين كنظرية تبريرية [illegible] آلية ميكانيزم [illegible] على الاعتراف [illegible] الفراغ الديمغرافي لا يعني عدم وجود سكان إطلاقاً، ولكن يعني أن هؤلاء السكان ليسوا بشراً، وإنما هم يشكلون جماعات غير متحضرة أو متوحشة في البلاد المقدسة التي تنتظر أبناءها[3].

الفراغ الديمغرافي لا يعني عدم وجود سكان إطلاقاً، ولكن يعني أن هؤلاء السكان ليسوا بشراً، وإنما هم يشكلون جماعات غير متحضرة أو متوحشة في البلاد المقدسة التي تنتظر أبناءها

يشير إلى أن نظرية الفراغ الحضاري كانت [illegible] السائدة في أوروبا قبل ظهور الحركة الصهيونية في الفترة التي كانت تعتبر كل بقعة من الأرض خارج نطاق أوروبا خالية ليس من أهلها طبعاً بل من حيث كونها تجسد نوعاً من الفراغ الحضاري، وبذلك تصبح مؤهلة للنشاط التبشيري والاستعماري[4].

ويمكن التقرير أن الصهاينة الأوائل تبنوا نظرية الفراغ الحضاري، فهو يجمع مفاهيمها العنصرية فاعتبر شعب فلسطين جماعات في مستوى متدن من سلم الحضارة والرقي لا علاقة له بالبلاد. إذ اعتبر هرتزل في كتابه «دولة اليهود» الذي ترجم إلى العبرية [illegible] التاريخي، وتحدث عن إقامة جدار في آسيا لحماية أوروبا يكون بمثابة [illegible] الحضارة أمام الهمجية[5].

وقال ماكس نورداو [illegible] ما في وسعها لكي نصل في الشرق [illegible] مثله الإنجليز في الهند [illegible] بذلك [illegible] الاستعماري [illegible] السيطرة [illegible] إلى فلسطين بمثابة [illegible] والتحضير [illegible] الأخلاقية لأوروبا حتى تصل إلى [illegible][6] ووصف جابوتنسكي الفلسطينيين بأنهم [illegible] بالصراع، بأنهم [illegible][7] وكان يعتقد [illegible] بأنهم لم يساهموا في تقدم الحضارة الإنسانية، وكان عرب فلسطين بالنسبة له جماعة متخلفين جداً عن الأوروبيين ولا يحق لهم البقاء في الأرض المقدسة. ورأى جابوتنسكي أن الهدف الرئيسي للصهيونية يكمن في الإطار الكلاسيكي

(1) [illegible] الصهيونية [illegible] بيروت [illegible] العربية للدراسات [illegible]
(2) [illegible]
(3) [illegible] الصهيوني [illegible]
(4) [illegible]
(5) [illegible] الصهيونية والعنصرية [illegible] المؤسسة العربية للدراسات والنشر [illegible]
(6) [illegible] في الصهيونية والعنصرية، المجلد الأول، المصدر السابق [illegible]

القرن التاسع عشر لدى الفكر ويجب مجيء اليهود إلى فلسطين لكي يظهر بالحدود المصرية الاحلالية لأوروبا حتى الفرات وذكر وليم ريد - الذي ينتمي إلى اليمين الأمريكي من جماعة جابوتنسكي - في مؤلف له بعنوان «اغتصاب فلسطين» أن الفلسطينيين عرق ضعيف منحط يقع في أسفل درجات التطور الإنساني وعزا أصولهم إلى مجموعات بشرية بدائية متوحشة جاءت من سفوح الجبال والصحارى واجتاحت في موجات متتالية في فلسطين وتركت بذورها هناك، وهم عبيد المواقف وخليط من أعراق مختلفة[1] وفي الأدب اليهودي وُصف العرب بأنهم بدائيون وسريعو التهيج[2]

بعد تأسيس دولة إسرائيل استمرت مقولة الصراع الحضاري بين فلسطين، وعكست تصريحات الزعماء الإسرائيليين حالة الاتهامات الدائمة للعرب بالتخلف وعلى سبيل المثال يروي الكاتب البريطاني صموئيل هيمسون كيف أطلق دافيد هكوهين - رئيس لجنة الخارجية والأمن في الكنيست - في حفل قائم ضد العرب، واصفاً إياهم بأنهم ليسوا مخلوقات بشرية، إنهم ليسوا أناساً، إنهم عرب[3]

من الواضح هنا أن مقولة «الصراع الحضاري» والرسالة التحديثية التي تبنتها الصهيونية لا تختلف عن الدعاوى التي نادى بها المستعمرون الأوروبيون، حول «الجنس الأبيض المتفوق» الذي يحمل «عبء الرجل الأبيض» وعن مفهوم «الهمل والسكان في البلاد» ومفهوم «الجيب الأوروبي المسلح والمستعمر» في حيث يحاط بمقولات المستعمرين الأوروبيين بشأن ضرورة عزل المجتمعات الأوروبية عن المجتمعات المحلية في المناطق الجديدة المحتلة[4]

3 - التحريم:

في خلفية الموقف الصهيوني من عرب فلسطين القائم على تحريمهم واتهامهم بالتخلف، يضع الصهيونيون - وخاصة التيار الديني - علاقة دينية بين اليهود وغير اليهود = التحريم - من الخطوط الشاحبة والتلمودية - وكان الفلسطينيون هم الطرف الرئيسي الممثل للأغيار، فقيل عن هؤلاء الأغيار مثلاً إنهم: أنواع مختلفة من الحيوانات، يقدم الواحد القدوس على خلقهم - مماثلين للحمير - لا يختلفون بشيء عن الخنزير البري... بلاء مذكورة في التوراة[5]

كانت هذه الأوصاف ولا تزال تشكل جزءاً من مقولات الصراع السكاني أو الحضاري في فلسطين، وتطرح كمسوغ لتوجهات الاستعلاء والعنصرية المتأصلة في الرؤى الصهيونية التي تصدر عن دونية الأغيار واصطفاء اليهود وسموهم.

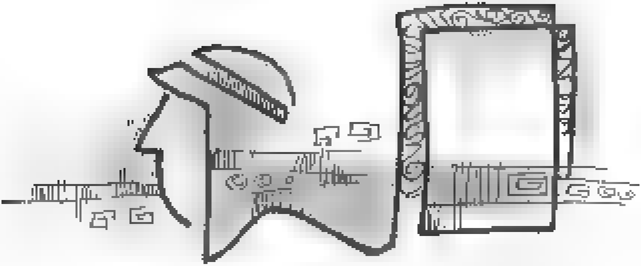
4 - الأسماء الأزلية:

تأثر الصهيونيون بمقاييس متباينة بالأوصاف والمواقف التي تضمنتها «أقاصيص» العهد القديم بشأن العرب والفلسطينيين (الكنعانيين، اليبوسيين، الفرزيين... إلخ) واستمر هذا التأثير إلى ما بعد

---

[1] [illegible]
[2] [illegible]
[3] [illegible]
[4] [illegible]
[5] [illegible]

[illegible]



إنشاء البولة حيث ينظر الإسرائيليون إلى الواقع من خلال الحقوق المطلقة والمقدسة لليهود الواردة في كتبهم الدينية، ويرون العرب على أنهم العماليق الذين ورد ذكرهم في التاريخ وفي كتب الصهاينة الاستيطان في فلسطين بأنها يخرج من الأرض كنعان، كما شبهوا السكان العرب في الأراضي المحتلة في بعض الأحيان بالأمم السبع المذكورة في التوراة التي صدر أمر بإبادتها[17]

في ظرية هذه النظرية، يعتبر الصهيونيون أنفسهم العصر الحديث حسب ما يرد في الرواية التلمودية واستمراراً لها، ومن ثم فإن يهود الحاضر هم، بظلّه النظرة، استمرار ليهود الماضي، وأن الوجود بفلسطين في المشروع الصهيوني يكافئ الحالة التي تحدثت عنها تلك الرواية

5 - الفراغ

ضمن محاولات نزع الشرعية عن الوجود العربي في فلسطين، درج الصهيونيون على اعتبار العرب في البلاد غزاة ومحتلين لأرض الميعاد على شهادة تشهد بنيامين بن هوراك قال: «لقد علمونا احتقار العرب، وأن أرض إسرائيل هي لنا، ثم يعلمونا حتى م فهم العربي. وكانت الفكرة الكاسحة والصريحة تقول بأنهم سيرحلون بدون مقاومة. وبعد عام 1945 أصبح جلياً للجميع بأن العرب أمة ليس فقط تطرد الاستعمار، وإنما أيضاً بمواجهة العرب، وفي الكيبوتسات كانوا ينظرون إلى القرى العربية المجاورة ويلتمسون أراضيها في أحلامهم»[18]

وبعد قيام إسرائيل، كتب بن غوريون (رئيس حكومتها الأول) في الكتاب السنوي للحكومة عام 1957: «لقد أنشئت إسرائيل في بلاد سكنها المحتلون والغزاة العرب على امتداد 1300 سنة»[19]

6 - الصامطيون:

عطوى المعتقد الصهيوني للصيغات التاعسة بفلسطين وشعبها على صورة أن الوجود العربي في البلاد جزءاً من مناطق التلييب والتحصين، لم يكن

(18) عبد الوهاب المسيري، الأيديولوجية الصهيونية ج 2، سلسلة عالم المعرفة 61، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ... ص 80-181.

(19) إسرائيل شاحاك، ... مركز الأبحاث الفلسطيني ... ص 79/78.

Israel Government Year Book 1957 ...

الصهيونيون يتقمصون دوراً للعرب، عن لغتهم وهم جماعات هامشية لا كيان لها[2]

ولقد كان تصريح بلفور نموذجاً صهيونياً في نصه على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وعدم إيراد المواطنين العرب باسمهم بل نص على أنهم «طوائف غير يهودية»، أي كأنهم أقلية هامشية لا هوية لها ولا كيان إلا من خلال تعريفها بغير اليهود

2 ـ المعاصرون

بعد إنشاء الكيان الصهيوني، كثرت حالات التغني بالإنجازات التي تحققت مع عودة اليهود إلى الأرض ( ) وشاع وصف إسرائيليين بأنهم «عمروا في الصحراء» كما دعاها شيمون بيرس[3]

وكمثال من حالات الوصف المذكور صرح ليفي اشكول رئيس حكومة إسرائيل عام 1969 إلى صحيفة «نيوزويك» بأن البلاد كانت صحراء دون مستوى التطور لم يكن يوجد فيها أي شيء وبعدما جعلنا الصحراء مزدهرة وأوجدنا فيها شيئاً، أخذوا يهتمون بأخذها منا[4]

كانت هذه التصورات وليدة أيديولوجية صهيونية مغرقة في عنصريتها، ومتأصلة في عدائها لأهل البلاد، ولا تزال محكومة بنظرة فوقية، وخاصة في ظروف احتدام الصراع، وتعبّر عن ذاتها بوضوح في التعبير العنصري الموجه ضد العرب المواطنين الأصليين في البلاد

السياق العام للتعبير العنصري ضد العرب

هل الخطاب الحالي الإسرائيلي التقليدي الذي يعزز التعبير العنصري ويجعله مؤطراً بالمقولات الصهيونية التقليدية حول هوية الدولة ومكانة الفرد الديمقراطية. وشاع توصيف إسرائيلي مختصره أنه بدلاً من تربية العرب على احترام المساواة يجب أن نقول لهم بكل إخلاص إن هذه الدولة هي الدولة اليهودية الوحيدة، وأن مشروع الصهيونية كانت أيدلوجيته هو تهويد البلاد بواسطة الهجرة اليهودية وتملك الأرض وإسكان اليهود عليها وتحويل البلاد إلى بلاد يهودية. وإن على العربي الذي يعيش في دولة إسرائيل أن يعلم بأن هدف الدولة هو تهويد هذه البلاد باليهود، وإعداد الأرض لهم وحمايتهم من قلب الطامعين غير اليهودية، وأن الدولة ستحاول كل ما بوسعها تغيير صفة دولة يهودية إلى كينونة مخصصة لتحقيق الحلم الصهيوني وهو إنقاذ البلاد وإنقاذ الشعب[5]

تراكمت المفاهيم والوقائع التي أنتجت التعبير العنصري الصهيوني ضد العرب في البلاد. فمنذ البداية تم تصنيفهم كشرائح اجتماعية متباينة: مسلمون، مسيحيون، دروز، بهائيون، شركس، بدو... إلخ. وأعطيت لهذه الشرائح خصائص متغايرة في محاولة لتفكيك الجسم العربي الواحد. وأسهم تمييز العرب في بطاقة الهوية الشخصية بهوية العزل الاجتماعي الأولي للأقلية العربية عن الأكثرية اليهودية في البلاد. وقاد هذا العزل إلى أشكال لا حصر لها من التمييز العنصري في الحياة اليومية على صعيدي الفرد والجماعة

---

(1) [illegible] بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، [illegible]، ص [illegible]

(2) المرجع نفسه.

(3) [illegible] Frederick A. Praeger publishers, 1967.

Georges Vlachos, [illegible]

(4) [illegible] الصهيونية والعنصرية بين الفكر والممارسة، [illegible] الفلسطينية، [illegible]، ص [illegible]

قامت نظرة المؤسسة الصهيونية الحاكمة إلى العرب على أنهم «طابور خامس» و«جسم غريب» وتهديد استراتيجي محتمل، واعتبروا في الوقت ذاته «جسر سلام». لكن في الممارسة لم يبق الصهيونيون للعرب من مهام الجسر سوى أن يداسوا ويدفعوا حقوقهم.[25]

لم يكن هذا في الماضي وحسب، وإنما لا يزال النداء للعرب يمارس حتى الآن، فقد كرّس وزير الترجمة حول موضوع الأمن على الطريق جاء فيه أن «العدو رقم 1 لإسرائيل هو حوادث الطرق ورقم 2 هو العرب».[26]

وعلى الصعيد الشعبي، يكفي الذهاب لرؤية ملامح منقحة أو نص ظاهرة مختلف أو صورة صورة أو لغة تبعث لقلقهم، كي تجد هذه العنصرية لديهم في إطار سموم التمييز، حتى صارت أماكن الترفيه المخصصة لليهود تعلنه جزءاً من الشعائر المألوفة في البلاد، وتردد على ألسنة ضباط الجيش والمسؤولين وقطاع المجتمع بكرامة معطلة نحو العنصرية.[27]

يؤكد الكاتب العربي الفلسطيني سلمان ناطور أن العنصرية لم تقترن على العرب من السماء، بل المخطط الصهيوني المسؤول بالتنظير والتقنين وهي لا تولد في العدم، ولا ترضع مع الحليب، وإنما تنبت في تربة وتنشأ في مستنقع، وكلما خصبت تربتها فإنها تزداد انتشاراً وتنمو كالوباء، وفي هذا الوباء تكثر النعوت والصفات التي تلتصق بالعرب والمقتبسة من

الصهيونية العنصرية وممارساتها ضد العرب تتم ضمن منهجية مؤسساتية سياسية تتوافر فيها الظروف المناسبة ومن ثم فإن العربي يعيش في مجتمع لا يستطيع بطبيعته قبوله عضواً كاملاً فيه بصرف النظر عن هويته الدينية أو الإثنية التي تفصله عن المجموع

قواميس البيولوجيا والزيولوجيا والبكتيريولوجيا، من سرطان في قلب الأمة، إلى حيوانات تدب على قدمين إلى صراصير مسممة في قنينة، إلى فئران مخدرة، إلى أوكار مخربين.[28]

من المسلّم به أن العنصرية الصهيونية وممارساتها ضد العرب تتم ضمن منهجية مؤسساتية سياسية تتوافر فيها الظروف المناسبة، ومن ثم فإن العربي يعيش في مجتمع لا يستطيع بطبيعته قبوله عضواً كاملاً فيه، بصرف النظر عن هويته الدينية أو الإثنية التي تفصله عن المجموع، إذ ينطلق الصهيونيون من مبدأ «النقية اليهودية لإسرائيل» في تعاملهم مع العرب في البلاد، حاضراً ومستقبلاً. وتجسد التشريعات واللوائح التمييزية الوضعية الاستثنائية للسكان العرب، حيث يعانون اضطهاداً مزدوجاً في المجالين القومي والطبقي، لا فرق في ذلك بين المستويين الرسمي والشعبي. وعلى الرغم من التكرار الإسرائيلي بأن الهدف الرئيسي للصهيونية إقامة دولة يهودية ديمقراطية، إلا أن هناك تناقضاً واضحاً بين مسمى هذه الدولة حين يتم إدخال العرب في الصورة، إذ تنتفي صفة الديمقراطية عنها بفعل عدم قبولها للعرب، وبفعل عدم فصل الدين عن الدولة كقاعدة أساس لبناء المشروع الصهيوني.

لم يكن التمييز العنصري الصهيوني ضد العرب مجرد توجهات وتصورات أيديولوجية وسياسية، وإنما

---

(25) سميح القاسم، العرب في إسرائيل، حرب التلاعب بالتصنيف، مجلة [illegible]، تشرين الأول [illegible]، ص [illegible].

(26) [illegible]، [illegible]، ص [illegible].

(27) يونس علي، العنصرية ضد العرب المتفشية، جريدة [illegible]، ص [illegible].

(28) سلمان ناطور، دور الكاتب في مكافحة العنصرية، جريدة [illegible]، ص [illegible].

كانت حيث يمارس فنياً بأخطر الأشكال وأخس الوسائل. ولم تسع المؤسسة الإسرائيلية الحاكمة من هذا التعبير مواقف شكلاً على المعاهدات والشرائع الدولية (معاهدة الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، معاهدة منع التعذيب، معاهدة حقوق المرأة، معاهدة حقوق الطفل ... إلخ). ويغدو النصوص الدولية وحتى المحلية مجرد حبر على ورق.

صورة الدعاية الصهيونية للشخصية العربية

وضعت إسرائيل والصهيونية صورة العرب ضمن قوالب جاهزة مصممة مسبقاً من مقولات وتصورات ومفاهيم عنصرية. وتعمد الأساليب التي تعرضت للتوراة المتعلقة بحياة الأمة العربية، وترسم الدعاية الصهيونية صوراً للعرب يبدون فيها مجردين من كل القيم الإنسانية ومن إمكانية نجاحهم في تحقيق مشروعهم القومي. فتركز هذه الدعاية على إظهار العرب بمظهر الشعوب الهمجية المتأخرة المتعطشة للدم والتي تريد القضاء على دولة إسرائيل (المستنيرة المسالمة).[29]

وتصور الدعاية الصهيونية العرب على أنهم قوم متخلفون يرفضون التقدم الحضاري، وأن نظام الحكم العربي دكتاتوري متعصب لا يريد سوى مهاجمة إسرائيل والتخلص منها، بل ويتخذ من وجود إسرائيل ذريعة لبقاء نظم عسكرية عنصرية رجعية. وأن هناك درجة كبيرة من عدم التنظيم في شؤونهم السياسية والإعلامية. كما أن تلك الدعاية تحاول التشكيك في مبدأ الوحدة العربية في المجالات المختلفة. كما تبرز سمة الوحشية العربية في اضطهاد اليهود والأقليات الأخرى، وتحرمهم من هذه الصور لتبيح في تصويرها الحد الذي يجعلها عندما نتلقى العوادي السياسية العنصرية الغربية، تسبغها بصبغة محلية تصيب منطقاً وبديلها العنصري.[30]

ويورد سميح القاسم الأديب العربي المقيم في فلسطين المحتلة بعض التعبيرات التي تستخدمها الدعاية الصهيونية لدى تقديم العربي إلى العالم، ومن الأوصاف التي تلصقها به: «رجل أشعث، حافي القدمين، قذر، يختفي في ثيابه خنجراً رهيباً، لا تكاد تدير ظهرك حتى ينقض عليك بطعنة نجلاء، متخلف، فاسد، همجي، هوايته القتل، عاطل، قاتل، محتال، جبان، رعديد، كذاب، منافق، قذر، شهواني، للمال، حقود ... إلخ».[31]

ثمة تشابه في مظاهر الصور النمطية عن العرب لدى الساسة والعامة والمسؤولين في الكيان الصهيوني، ولعلّ في صدارة هذا التشابه ترتيبها الصور بحرمان العرب من الشرعية، وفق عدة أشكال ومستويات، ويطمح هذا الحرمان عملية تكوين الصور النمطية السلبية عنهم إلى الذروة، حيث يتم إخراج العرب من دائرة المجموعات البشرية التي ينظر إليها بطريقة إيجابية أو بشكل عادي، بل ويجري عبر هذا الحرمان استثناء العرب من دائرة الجماعة الإنسانية وحسب تعريف دانيال بارتال (عالم النفس الاجتماعي في كلية التربية بجامعة حيفا)، هناك عدة طرق لإضفاء اللاشرعية على العرب منها:

أ ـ اللاشرعية بسلطتها: وفيها يوصف العرب بأنهم كائنات تحت بشرية (بمعنى حيوانات تسير على

---

[29] محمد خليل الرفاعي، الاستراتيجية الإسرائيلية ... سلسلة دراسات فلسطينية ... بيروت، مركز الأبحاث الفلسطيني ... ص ...

[30] ... في الاستراتيجية الصهيونية، مجلة شؤون ... (القاهرة) ... ص ...

[31] سميح القاسم ... الصهيوني ... ص ...



قديم ... [illegible] ... شاحبين
جانب أو شواطئ متعطشة للدماء

ب- معاملة العرب كمجموعة قطعان (مطلعين مثلاً، متخلفين، لصوص، إرهابيين)

ج- استخدام عبارات سلبية متطرفة (متطلبين، متعصبين)

د- أوصاف سياسية محددة تحولت مع الأيام إلى مفاهيم تشير إلى السوء والخطر العام على البشرية: فاشيين، نازيين

هـ- مقارنة مجموعات إثنية لأجنبية ترمز إلى التوتر ومتوحشين، مخربين... الخ[11]

وخلال يوم دراسي عقد تحت عنوان «العربي في الإعلام الإسرائيلي من يوم الأرض وحتى الانتفاضة» نظمه معهد إميل توما للدراسات الفلسطينية والإسرائيلية ومركز الجليل للأبحاث بالتعاون مع المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية في [illegible] تبين بحسب تأكيد البروفسور خليل [illegible] المحاضر في قسم الإعلام بالكلية الأكاديمية للإدارة ومدير مركز الجليل للأبحاث الاجتماعية في [illegible]) أن الإعلام الصهيوني عمل بشكل منهجي منذ ما قبل قيام إسرائيل وحتى اليوم على سحب الشرعية من العربي بشكل عام والفلسطيني بشكل خاص، وقد تمّ ذلك إما بتوجيه مباشر من السلطة أو بسبب تبني الإعلاميين الإسرائيليين للعرب أو تمشياً مع التيار المركزي والإجماع الصهيوني وإرضاء الأكثرية اليهودية. ومن جانبه أكد الصحفي هانس [illegible] الذي يعمل في الصحافة الأجنبية منذ أكثر من خمسين عاماً أن الصهيونية عملت قبل قيام الدولة

(11) [illegible]

على نزع الشرعية عن العرب وحقهم في الوجود على أرضهم وفي وطنهم، وصحف ووسائل الإعلام الصهيونية ولا تزال تعمل حتى اليوم على تكريس هذا الوضع وتجذيره في الوعي الإسرائيلي. وفي الإعلام الإسرائيلي - كما يؤكد الكاتب سلمان ناطور - يجري تهميش شخصية العربي، ولقد حصلت في السنوات الثلاث الأخيرة كل الأمثلة من هذا الإعلام تظهر مدى تماهيه مع المؤسستين العسكرية والسياسية. وتلاحظ البروفيسورة تمار ليبس، رئيسة قسم الإعلام في الجامعة العبرية في القدس، أن الإعلام الإسرائيلي كان ولا يزال يخضع لسياسة الخطاب الصهيوني الإسرائيلي في تعامله مع العرب. وقالت د. عنات فيرست (المحاضرة في كلية تل أبيب) إن العرب يظهرون في وسائل الإعلام الإسرائيلية على أنهم مشاغبون ويمسون بالنظام العام. وقال مشاركون آخرون إن هذا الإعلام يستخدم في وصف أعمال الانتفاضة الفلسطينية مصطلحات غير موضوعية مثل أعمال شغب، مخربون، إرهابيون، قتلة مجرمون، رعاع... الخ[٢٩].

نماذج من الممارسات والتصريحات العنصرية في الإعلام الإسرائيلي:

يستدل من معلومات أوردها أحد الإسرائيليين خلال حديث أدلى به إلى الإذاعة العبرية، يوم ٣٠/١١/٢٠٠٣، أنه عثر على كتاب تدريسي يتم اعتماده في مدارس حركة شاس (التي تحتل ١١ مقعداً في الكنيست) يغذي العنصرية والعداء للعرب. وقال المتحدث إن حركة شاس تربي أولادها ابتداء من الصف الأول، على التعامل مع العرب كقتلة، حيث ترجم في أحد كتبها أن الله يريد إعطاء التوراة إلى الإسماعيليين (وهي كلمة مرادفة للعرب)، لكنهم رفضوها لأنها تنص في طياتها وصية تحرم القتل. وبحسب المصدر يطفح هذا الكتاب بتعابير عنصرية أخرى، توضح توجيهات الزعيم الروحي لحركة شاس الحاخام عوفاديا يوسف، بتصريحاته التحريضية ضد العرب التي وصفهم فيها بصورة عنصرية مقيتة[٢٨].

وكشف التلفزيون الإسرائيلي في تقرير إخباري بثه مساء ٤/١١/٢٠٠٣ جانباً من الثقافة العنصرية التي تدرسها حركة شاس في تكوين عقلية التلاميذ الدينية والتربية اليهودية، وأشار إلى عينات من قصص التحريض العنصري على العرب التي تنشرها حركة شاس في صحيفة الشبيبة «يوم الجمعة». وهي ملحق صحيفة «يوم بيوم» الصادرة عن حركة شاس. وفي إحدى القصص التي نشرت مؤخراً في هذه النشرة، يتم تصوير العربي على أنه كاذب وإرهابي ومتآمر. وتروي إحدى القصص أن أحد المستوطنين اليهود كان يبحث عن عامل يحمل بئر مياه، فتقمص «الإرهابي» العربي جابر هوية عامل وحصل على العمل، وأثناء قيامه بعمل البئر كان يخطط لترتيب حادث طرق يودي بحياة المستوطن اليهودي. وفي قصة أخرى يسأل الأولاد والدهم عما إذا كان كل عربي هو إرهابي، فيحكي لهم قصة أحمد «الإرهابي» وتحركهم لاستخلاص النتيجة. وبحسب ما جاء في التقرير فإن الفتيان اليهود وطلبة المدارس اليهودية يتغذون يومياً على هذه الثقافة العنصرية التي تحظى بتمويل من وزارة المعارف والحكومة الإسرائيلية التي تعلن وتبرر من على كل منبر زاعمة أن الفلسطينيين يدرسون مناهج تحرض على اليهود

[٢٨] موقع الجيش www.aljaish.org

[٢٩] موقع عرب ٤٨، ١٨/٥/٢٠٠١

في وقت تمول فيه حكومة شارون مثل هذه السموم[4]

وكشفت مجموعة من الشباب في مدينة رهط العربية شمالي النقب، أن صورة الجرو المطبوعة على ورق التواليت الذي تصنعه شركة موعلة كهربي تشكل اسم الرسول محمد في اهانة عنصرية وجارحة لمشاعر المسلمين في البلاد[5]

وفي تصريح تناقلته وسائل الإعلام الإسرائيلية، اقترح الحبر [illegible] في الدولة؟ أن يرابط على بوابات المجمعات التجارية حراس عرب قائلاً: العربي وحده قادر على أن يميز فيما بينهم ويميز العربي من غير العربي[6]

ولدى الحاخام عوفاديا يوسف الزعيم الروحي لحركة شاس، بالعديد من التصريحات العنصرية ضد العرب ومع تحريك المستشار القانوني للحكومة مستحبا إياه هذه النصوص عاد وفي ما يلي عينات منها:

خلال الدرس الأسبوعي الذي ألقاه في كنيس في القدس وسط نصف مليون لأنصاره قال الحاخام عوفاديا يوسف مخاطباً رئيس الحكومة إيهود باراك الذي تفاوض مع الفلسطينيين: لماذا تقربهم منا ... أنت تأتي بالثعابين إلى جوارنا. كيف يمكنك إقامة سلام مع الثعابين، ووصف الفلسطينيين بعبارة بهؤلاء الأشرار العرب وأضاف لقد تقول النصوص الدينية إن الله يندم كل يوم على خلقه أبناء إسماعيل هؤلاء[7]. وفي هذا التصريح تطاول على الله حين وصفه بأنه يندم، وامتدادا لتجني البشري كله حين وصفه بالأفاعي، وتجاهل مطلق لمشاعر الآخرين.

> يعتبر تصريح ياسور نموذجي صهيونيا في نصه على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وعدم إيراد المواطنين العرب بأسمائهم بل في نص على أنهم طوائف غير يهودية لا هوية لها ولا كيان

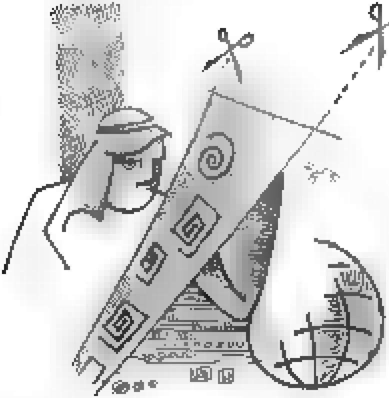
في موعظة في حي هارنوف بالقدس بمناسبة عيد الفصح قال الحاخام عوفاديا يوسف الله سيرد على العرب كيدهم إلى نحرهم، سيبيد ذريتهم. وطلب الحاخام عوفاديا يوسف من جمهور المصلين الذي استمع إلى موعظته أن يردد بإصرار [illegible] آمين حتى يستجيب الله لهذه الدعوة [illegible]، وختم الحاخام موعظته بالتمني من الله تعالى أن يرد على العرب كيدهم إلى نحرهم، وأن يبيد نسلهم ويدمرهم ويحطمهم ويمحيهم من الوجود. ثم أضاف من المحظور الرأفة عليهم ويجب أن تمطروهم بوابل من الصواريخ، لتبيدوهم. إنهم مجرمون ملعونون[1]

في درس قدمه في مدرسة [illegible] الدينية في القدس، قال الحاخام عوفاديا يوسف عن الفلسطينيين إنهم ثعابين سامون. وتهجم على وزير التعليم يوسي سريد بعد خطته لإدراج بعض القصائد للشاعر الفلسطيني محمود درويش في المنهج الدراسي[2]

خلال درس ألقاه في كنيس في مستوطنة أور عليم في حي [illegible] في أورشليم، هاجم الحاخام عوفاديا يوسف الفلسطينيين ووصفهم بقوله: هؤلاء الأشرار الإسماعيليون ليس في قاموسهم سوى الانتقام[3]

---

(4) موقع عرب 48 [illegible]
(5) [illegible]
(6) [illegible]
(1) [illegible]
(2) [illegible]
(3) [illegible]
(7) [illegible]



في موعظة ألقاها في مؤسسات «بن حاييم» قال الحاخام عوفاديا يوسف: [illegible] لا يعي حاخامين ما يجب أن يعملوا، إنه يخاف من أمم العالم، عندما سيأتي المسيح لن يخاف من أي أحد، وسوف يرسل كل العرب هؤلاء إلى جهنم. وشبه الحاخام يوسف العرب بالنمل الذي يدب على الأرض في المدينة القديمة، وقال: المسيح سيخاف منهم؟ سيخاف من الأمم المتحدة؟ إنه سيدمرهم بروح كلامه[35]

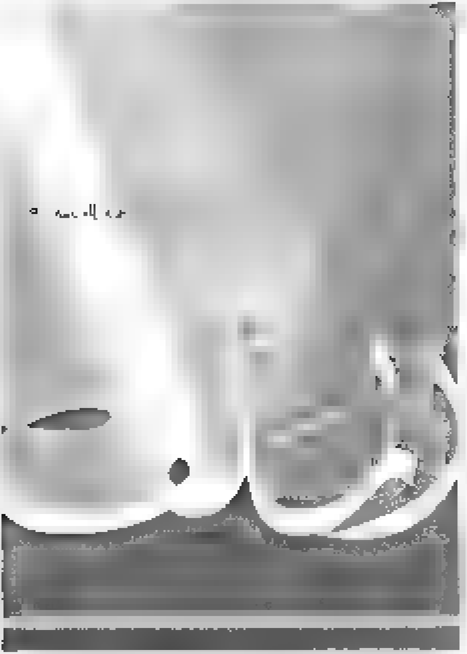
في موعظته بمناسبة عيد الفصح اليهودي، قال الحاخام عوفاديا يوسف: فليبد الله العرب وليقضِ على نسلهم وليفنهم عن وجه البسيطة، [illegible] الترحم عليهم ويجب قصفهم بالصواريخ، [illegible] وإبادة هؤلاء المجرمين الملاعين[36]

في موعظة دينية قال الحاخام عوفاديا يوسف: إن المسيح المنتظر سيقذف كل العرب إلى جهنم ويبيد الأمم المتحدة ضد إسرائيل، وبلحظة واحدة سيطردهم جميعاً وألقاهم في كلمته. كما نقلت إذاعة الجيش الإسرائيلي: إن العرب يتكاثرون كالنمل في القدس القديمة، تباً لهم فليذهبوا إلى الجحيم[37]

خاتمة:

يمكن التأكيد على أن التصورات التي ينطوي عليها الخطاب الديني الصهيوني حول العرب هي تصورات مضمرة وعدائية، وهي تصورات ذهنية لا تنتمي إلى عالم الواقع، وتتسم هذه التصورات بالتبريرات والتسويغات لإضفاء الشرعية على المشروع الصهيوني، كما تهتم بنشر المقولات الدعائية لتعبئة القائمين بهذا المشروع، وتمنحهم قوة إضافية في الاندفاع نحو الإنجاز، فضلاً عن تحريض القوى المؤيدة للمشروع [illegible] كما تتخذ مواقف سلبية من العرب وقضاياهم.

(35) [illegible] يديعوت أحرونوت [illegible] ص 5
(36) [illegible]
(37) [illegible]



- ترجمة الإيمان في عمل إيجابي
- الرسالة الخاتمة … احتواء الماضي واستشراف المستقبل
- عموم الرحمة وعالمية الإسلام
- حضور عالمي وإنساني يجسد التراحم
- التصوف: دعوة وتربية
- انطباعات بعض المشاركين

المؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية:

القاعدة الشعبية لعمل جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

قام الرئيس أحمد تيجان كابا رئيس جمهورية سيراليون، باسم الأخ القائد معمر القذافي قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، بافتتاح فعاليات المؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية، الذي عقد بمدينة طرابلس تحت شعار "دور الشعوب الإسلامية [illegible]" خلال الفترة من 26 إلى 27 من شهر الحرث (نوفمبر) 1372 من وفاة الرسول ﷺ 2004 مسيحي، بمشاركة أكثر من 400 هيئة ومنظمة ومؤسسة إسلامية من مختلف أنحاء العالم، الأعضاء في المؤتمر العام، وبحضور حشد كبير من المفكرين والعلماء والدارسين والشخصيات السياسية ووفود إسلامية ومسيحية، ومن منظمات دولية وإقليمية وكنائس ومشايخ الطرق الصوفية وعلماء الإفتاء ومسؤولي المراكز والجمعيات والاتحادات الإسلامية من مختلف دول العالم.

وقد حضر الجلسة الافتتاحية للمؤتمر نولي دي كاسترو نائب رئيسة جمهورية الفلبين، المنجي بوسنينة المدير العام للمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، مصطفى سيريتش رئيس مجلس العلماء والمفتي العام في البوسنة والهرسك، والأسقف بيير لويجي شيلاتا أمين المجلس البابوي للحوار بين الأديان بالفاتيكان، بالإضافة إلى عدد من الرؤساء السابقين والوزراء والعلماء والمفكرين من مختلف أرجاء العالم الإسلامي وأعضاء المؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية.

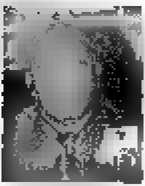
وهذا المؤتمر يشكل أهمية جوهرية بالنسبة لعمل جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لأن من خلال ما يقدمه أعضاء المؤتمر الذين يشكلون القاعدة الشعبية العريضة من المنظمات والجمعيات والدعاة وقادة العمل الإسلامي الأعضاء في الجمعية [illegible] من الشرح لمناهجها ومقترحاتهم، يتم صياغة برنامج عمل الجمعية على مدى السنوات الأربع القادمة.

وبالعادة فإن برنامج المؤتمر يتضمن هذا البند بمراجعة ما سبق تنفيذه خلال السنوات الأربع التي مضت، والنظر بدقة في ما لم يتم تنفيذه ونسبة النجاح فيما تم، ومن أبرز ما يتضمنه البرنامج الأوراق البحثية التي تلقى على أعضاء المؤتمر، أما الركيزة التي يقوم عليها المؤتمر فهي التقارير التي يقدمها أعضاؤه القادمون من جميع أنحاء العالم يحملون معهم هموم المسلمين شعوباً وأقليات.

ونحن في هذه العجالة سنلقي الضوء على جوانب من هذا المؤتمر مما يتيح للقارئ تكوين فكرة عامة عنه وعن طبيعة عمل جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

الرئيس أحمد تيجان كابا رئيس جمهورية سيراليون:

ترجمة الإيمان إلى عمل إيجابي



أود أن أتقدم بالشكر للقائد أخي وصديقي معمر القذافي على تكريمي بعظيم الشرف بافتتاح هذا المؤتمر الهام (المؤتمر العالمي لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية) في هذه المدينة التاريخية والجميلة مدينة طرابلس. إنني نعلم أن من بين الأهداف الرئيسية لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية تشجيع الحوار وبناء الوحدة والوئام بين ديانات العالم لا سيما بين الإسلام والمسيحية، وهذا المبدأ الذي في نظري لا يمثل فقط قاعدة لاستدامة الأمن والتفاهم في العالم ولكن كذلك يشير إلى بلدي التي بعد يمارس فيه التسامح الديني وأتى ذلك التسامح أكله من خلال تحقيق سلام يستمتع به اليوم سكان سيراليون، مسلمون في الغالبية من سكان سيراليون مسلمون، ولكن عموماً يسمح للديانات الأخرى كالمسيحية بممارسة شعائرهم، مما ساعدنا في بناء مجتمع مستقر، لأن المسيحيين يمثلون بدورهم نسبة مئوية لا بأس بها من سكان البلد. وحقيقة الأمر إنني أول رئيس مسلم لسيراليون ذلك البلد الذي له تاريخ نظام حكومي حديث يعود لمائتي سنة في الماضي ومنذ عهد الاستعمار البريطاني حتى سنة 1996 كل رؤساء البلد كانوا من المسيحيين.

وإذا كان هنالك من الناس اليوم من يسعى لتشويه اسم وصورة الإسلام فإنه لا يحق له إلا من الواضح

والحقيقي أن جوهر الإسلام يعتمد على السلام والإسلام يعلم مبادئ تهدف لتمكين الناس من العيش في انسجام. على سبيل المثال يعيش المسلمون والمسيحيون في سيراليون بسلام، فعيد الفطر يعتبر عيداً للمسيحيين أيضاً كما يحتفلون وعلى نفس المنوال المسلمون يشاركون المسيحيين في الاحتفال بأعياد الميلاد وعيد الفصح، ويكفي أن نقر بشاهد وكذلك ننصح لبعض الأطباء التي تأتينا من جميع العالم لكي تعرف النعمة التي نتمتع بها ألا وهي أن التسامح الديني يمثل قيمة من أهم قيم سيراليون. إن التسامح الديني هو الذي يحفز جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لذلك. وأود أن أنتهز هذه الفرصة لكي أهنئ أخي وصديقي قائد الثورة الفاتح العظيم على إنشائه لهذه الجمعية في شهر الماء (مايو) 1972 ... لا أكون شيعياً ولا ... ولكن أتيحت لي الفرصة لكي أدرس القرآن الكريم وكذلك الكتاب المقدس في آن واحد. وكنت أدرس في مدرسة مسيحية، وفيما يخص دور الدين والإيمان في حياتنا أود أن أشير إلى متطلبات الروحية حتى نتمكن من مواجهة التحديات المتنامية التي تواجهنا عبر العالم، كما أود أن أؤكد على دور الدين والإيمان في شؤون الدول، لا سيما للمؤمنين بالسلام، وستتفقون معي أن من الأساس أن نقيم هذا الربط أو هذا الرابط بين الأثر والكبير

الذي يكون للشؤون الدولية على حساب في العالم الحالي

قد يختلف في العقيدة أو في الشرع أو في المذاهب والطقوس التي يتبعها في ممارساته الدينية، وقد تختلف من مذهب أو جهة إلى مذهب أو جهة أخرى، وكذلك طرق ممارسة تلك الشعائر مختلفة، لكننا كمسلمين وكمسيحيين نتشاطر ونعبد نفس الإله، الله هو الرب القوي العليم الرحيم، وإننا نتوجه إلى نفس الإله، ونظراً لأننا ننتمي إلى نفس الخليقة وبالتالي نفس الإيمان، وفي نظري فإن فكرة الإيمان الواحد ينبغي أن نستلهمها لكي نوحدنا لنتجاوز كل الحواجز التي تحول دون استتباب السلام وإحلال حسن الجوار سواء على المستوى الوطني أو الدولي، هذا الإيمان الواحد هو الذي يجمع فيما بيننا كمواطنين في العالم وهذا الإيمان الواحد هو الذي يجعلنا كأعضاء في نفس أسرة الأمم، وهنا أتذكر قوله تعالى

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾

(آل عمران: ١٠٣)

وتستحضر الآية التي تذكر بالنعم التي منحها الله لنا، كيف أنه جمع بين قلوبنا في حين أننا كنا أعداء وأصبحنا بنعمته إخواناً، كذلك يخبرنا الحق سبحانه وتعالى أننا كنا على شفا حفرة من النار فأنقذنا منها، هكذا نرى بأن الرسالة رسالة واضحة، علينا أن نضع إيماننا في خدمة الصالح العام، في خدمة أمتنا وفي خدمة السلام الدولي، لا يكفي أن نتحدث عن مدى الجهد الذي نبذله لتشجيع التسامح الدولي إذا لم نترجم ذلك الإيمان إلى عمل إيجابي، وكما جاء في الكتاب المقدس (الإيمان بدون أعمال إيمان ميت) بمعنى أن الإيمان ضروري في حد ذاته، لكنه لا نفع فيه إذا لم يبدُ جلياً في أعمالنا، وكذلك يعلمنا الكتاب المقدس بأنه حينما يحول أحد ما دون إيمان وبدون أعمال فإن العمل ينبغي أن يكون أكثر من

إيمانك بعيد عن مجال ونشاطك ذلك إيماني وأعمالي، والرسالة التي أتوجه بها إليكم هي أن نؤمن بالله سبحانه وتعالى إيماناً بناءً، إيماناً يمنحني السعادة وكذلك إيمانك يردم الهوة التي تفصل بين الأسر والمجموعات وتفصل بين الأغنياء والفقراء، إيماناً يتسم بالرحمة، إيماناً يمكن الخروج من الأنظمة، إيماناً ينزع فتيل النزاع، إيماناً يسود إيماناً يسمو، إيماناً يتجاوز كل فهم إنساني قاصر، لأنه بدون إيمان وإلا لم يكن هنالك عمل بوازع الإيمان سيكون من الصعب أن نرضي الله سبحانه وتعالى

إنني سعيد جداً أن أذكر هنا بأننا نحن في مؤتمرنا السابع للدعوة الإسلامية، بعد حوالي ثلاثة عقود من تأسيس هذه الجمعية، ولا بد أن نشكر الله سبحانه وتعالى الذي وفقنا لإنشاء هذه الجمعية، ولا يفوتني أن أشكر الأخ القائد معمر القذافي الذي كان له الفضل في تأسيس هذه الجمعية، وتحيي الآلاف الدعاة والآلاف الأعضاء ومؤسساتكم وجمعياتكم الذين نفتخر بهم حقاً لأنهم يبذلون جهداً ليكونوا على مستوى الدعوة الإسلامية كما أرادها الله، دعوة منفتحة، دعوة تهتم بالتطوير التام للناس جميعاً، تهتم بشؤون الأمة الإسلامية، تهتم بشؤون المسكين والمظلوم والمحتاج والطلاب والمحتاجين والذين يعملون من أجل الإغاثة ومن أجل علاج الناس ومن أجل مساعدة اللاجئين، وهؤلاء جميعاً يحتسبوا هذا الأمر عند الله، ولم تكن أعمالهم خفية، ولم يقتصروا على عدد من الناس، وكانوا عوناً للناس جميعاً

أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

الرسالة الخاتمة..
احتواء الماضي..
واستشراف المستقبل..



الأستاذ الباحث إبراهيم بشير الغويل*

إننا نتناول هذا الموضوع باعتبار أنه يتعلق مع موضوع الرؤية التاريخية التي نتبنى والتي ترى أن إكمال الدين وتمام النبوة برسالة محمد ﷺ إنما هو الرؤية التاريخية الصحيحة التي تواجه رؤية أخرى للتاريخ والتي للأسف فرضوها علينا.

ولذلك فإننا سنعرض هذا الموضوع في تمهيد يوضح الرؤية السائدة للتاريخ، والمفروضة علينا وعلى الإنسانية كافة، ثم نشرع لتوضيح الرؤية التاريخية الصحيحة، وكيف أنها تتسع لاحتواء التاريخ الإنساني كله، ولاستشراف المستقبل للناس كافة، ثم نختم بما تقدمه هذه الرؤية من تصحيحات في رؤية التاريخ.

(1)

رؤية سائدة للتاريخ؟!

إن رؤية الغرب للتاريخ، والتي للأسف فرضوها علينا أيضاً (1)، هي المسؤولة عن تغييب الفهم الصحيح للتاريخ الإنساني، ومساهمات الأقوام والثقافات الأخرى في المسيرة التاريخية الحضارية للإنسانية. وهي المسؤولة عن هذا الغرور الذي يتملك بمعطيات الثقافات الأخرى، ويصور لهم غرورهم أنهم نهاية التاريخ ويمثلون خير إنسان، بل الإنسان الأعلى، والـ Super Man؟!

إن رؤيتهم للتاريخ، والتي للأسف فرضوها علينا أيضاً (2)، ترى أن التاريخ له بعد واحد لا يتحقق فيه التقدم مع التقدم الزمني (3)، فالعصر الوسيط والعصور

* كاتب وباحث وطبيب الغويل، عضو مجمع الفقه الإسلامي، ليبيا.

(1) [illegible]

(2) [illegible]

متقدم على القرن العشرين، والقرن العشرون متقدم على القرن التاسع عشر، والقرن التاسع عشر متقدم على القرن الثامن عشر، وهكذا دواليك.

وإن دراستهم للتاريخ هنا تجعلهم يزعمون أنهم هم قمة التاريخ، ونهاية التاريخ؟

وإن دراستهم للتاريخ هذه هي التي جعلت [illegible] وجعلت أهل الثقافات الأخرى سواهم ينظرون إلى أنه لا خيار إلا أن يكون [illegible] أهل الثقافات الأخرى، أتباعاً لهم. فإذا رفضت [illegible] والأهل الثقافات الأخرى من طريق آخر سوى [illegible] إلى تاريخه؟ ويتعزل عن التاريخ الإنساني المعاصر والمستقبلي؟![1]

الرؤية التاريخية الصحيحة (بإكمال الدين واختتام النبوة بوفاة محمد ﷺ) تقويم الماضي، واستشراف المستقبل

الرؤية التاريخية التي تجعلنا نرى أن بداية التاريخ كانت منذ أن اكتسب آدم المعرفة وعلم الأسماء كلها. فكما أن أساس المعرفة الإنسانية وبداية العلم اليقيني فيها هو الوحي[2] الذي كوّن الإطار المعرفي المبدئي المتوافق مع الفطرة، والمؤكد بتراكم التجارب البشرية التي تعرف المعروف، وتؤكد إنكار المنكر، والإقرار بالمعروف، ويأتي الدين القيم مؤسساً على الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وآمراً بالمعروف.

فإن تاريخ الوحي، وتاريخ النبوات والرسالات من آدم، ومروراً بأبي الأنبياء إبراهيم، وموسى وعيسى، واكتمال كل ذلك، ومن هنا تسمية التاريخ بإكمال الدين واختتام النبوات، في صورته النهائية عند حجة الوداع (632 م من ميلاد المسيح عليه السلام) التي قال فيها رسول الله ﷺ: إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض.

يكون كل ذلك إعلاناً عن أن المعرفة الإنسانية والمسيرة التاريخية الإنسانية، قد استقرت، وحققت معنى جديداً، بعد أن تأكدت نقطة اليقين الثابتة بالوحي، ورسمت الخطوط الرئيسة وتأكدت، وبعد أن تمت عملية الصياغة المتكاملة في الرؤية العالمية، والنداء الأخير للبشرية جمعاء، عبر حواجز الزمان والمكان. فقال عز وجل:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]

والنبوة والرسالات تقدم في التاريخ، ولقد كان للأنبياء والرسل دور ورسالة في تقدم الوعي الإنساني، وكان اكتمال الرسالة إعلاناً لاستقلال العقل والإرادة، واكتمال الوعي الإنساني بعد أن حقق الوعي غايته في تطور البشرية.

ومن هنا نستطيع أن نقول إنه قد رسم محور الارتقاء والتقدم الذي سيمنح الإنسانية من خلال مسيرتها، وفق الفطرة، وما تأكدت به من إنكار للمنكر عند أي انحراف، وأمر بالمعروف، حتى صار معروفها الذي به تأمر، وهي مسيرة متصلة قادها الأنبياء والرسل أجمعون عليهم أفضل الصلاة والسلام.

والنبوة والرسالات تقدم في التاريخ، ولقد كان

[illegible]

بالأنبياء، وللرسل دور رسالة في تعميم الوعي الإنساني، من خلال تأكيد ما هو أسمى في تربية الإنسان والناس كافة، كما يعلمون به من علوم في رسالاتهم التي أوكلوا عليها خلفاء في الأرض [illegible]

ومن هنا كانت الصفات الحركية لله بمعنى صيغة الإنسان لما يصلح له، والاستخلاف متمثلاً له على العمران والتسخير، [illegible] كل هذه الكلمات هي ما أكد عليه كل الأنبياء والرسل بتأكيدهم على لا إله إلا [illegible] يستعبد غيره، وربما تعني أن يكون الإنسان خليفة في [illegible] مستخلفين، وربما تعني أن يكون كل شيء مسخر للإنسان، ولإخوانه من بني البشر جميعاً

ولكن نؤكد كل من رسول، بعد تأكيده على أساس [illegible]

[illegible]



[illegible]

الأمة الإسلامية للعمل على [illegible]

[illegible]

[illegible] الشعب بنحو الشعب الشيشاني جمعية الدعوة [illegible] أيضاً، وأن توسع من نشاطها في مناطق أخرى من المناطق التي تأتي مما تقوم به الحركات المتطرفة التي تهدد من خلال هذه الأعمال استقرار المنطقة

والرسالات الصحيحة ... إلى الرسالة الخاتمة قد جاءتهم مستقلة ومهيمنة ... فكان القرآن الكريم الفرقان الذي جاء بالحق المبين ... الدين القيم الذي يقوم بكل جوانب الحياة ... والذي جاء بالمعروف ... متوافق مع الفطرة

وإن الدين عند الله الإسلام

ويعد تأسيس محور الارتقاء والتقدم واستمرار الزمان ... يوم أن خلق الله السموات والأرض ويعد منذ التاريخ المنحرف الذي قاده الأنبياء والرسل، وما جاء به الرسول ﷺ لقومه وللعالمين، متخطياً حصر القومية بالانتقال إنسانياً وعالمياً ... فكانت دعوته لقومه وللعالمين وللناس كافة.

وإن ما جاء به الرسول ﷺ وما يمكن أن يحمل من كلّ شرعه ... إنما هو ... مرحلة من الوحي في التاريخ ... وهو الوحي مكتملاً في صورته النهائية، ويمكن ... لكل التشريعات.

ومن هنا صح ... القول لأحد المستشرقين الأمريكيين إن القرآن قد غيّر مجرى التاريخ الإسلامي.

وقد ارتفع رسول الله ﷺ بقومه ... من الأقوام الأخرى ... والتي كانت على ساحة الأحداث في عصره إلى المستوى ... الذي رسم للارتقاء والتقدم ... وجعلهم، بحكم جعلهم أمة وسطاء أن يكونوا شهداء بالحق على الإنسانية ... وسوف يسألون ؟

وإذا كان المنكرون لله ومن ... بالعلمانية (ابتداع الغربيين) أو الاعتصام بهذا المعلم الآن، إنما كان ذلك لهم البحث عن

- تحرير الإنسان من الخوف والخضوع للطبيعة
- تحرير الإنسان من الشعور بعدم العدالة ... مشكلات حياته
- تحرير الإنسان من سيطرة طبقات ادعت لنفسها الامتيازات !!

فإن الإسلام برفضه للوثنيات وعبادة غير الله وإعلانه تسخير كل ما في الكون للإنسان إنما يحرر الإنسان من الخضوع للطبيعة

والإسلام يستنكر تحريم زينة الحياة ... وما في الحياة من طيبات.

وإن الإسلام لا ازدواجية ... بين مساواة، فليس بينهم معصوم (سوى رسول الله ﷺ في تبليغ ما أمر بتبليغه إلى الناس).

ولا ... بل محكومة كل الناس تخضع ... والشورى هي قاعدة للجماعة والجماعة ... تختار من ... أهل الرأي ... الأمر فهم ... ولهم ...

... الله في الأرض ؟

وإذا كانت دعوة التوحيد في الألوهية في الإسلام تستهدف المساواة ... عباد الله ... بين الناس في الاعتبار الإنساني ... وفي المستوى الإنساني وفي المشاركة في خصائص الإنسانية من الصواب والخطأ ... فإنه ليس هناك في نظر الإسلام مكان في جماعة المؤمنين، أو في المجتمع الإسلامي لتزاع

[illegible]

حول السلطة... على أساس أن بعض المجموعات في المجتمع يتميز عن المجموعات الأخرى... على أساس غير إنساني، فهذه مجموعة لها قداسة والقرب... وهذه مجموعة أو مجموعات أخرى ليست لها قداسة، وليس لأفرادها عصمة... [5]

ففي نص حديث رسول الله ﷺ: كانوا جميعاً أمماً ... من دون الناس... ولكل نبيه... وهو نبي واحد وإن تعددت الرسالات فعدد الرسل بتعدد أقوامهم. وبهذا تم التحدي برسول الله ﷺ وكان أسوة ورحمة للعالمين... وأمته ستكون بشريعة للناس... وشاهدة بالحق

والزوجية... هو... الذي له قدسية يتصل به، فالرجل والمرأة كل منهما زوج، وهما معاً زوجان، هي المكون الأول للوحدة الإنسانية... ومن الزوجية يأتي الاشتقاق في شعوب الأرض شعوباً وقبائل لتعارفوا، والأكرم في الأكثر كرامة، هو من يتركى ضمن مكوناته التي تحيه في مسيرته نحو الفلاح

والفلاح هو الحق، لا الغصب... والتي لا القهر... و... لا قتل، والعلم لا الجهل.

ولقد كان التطبيق الرسولي لهذا الوحي على سؤال الناس واحتياجاتهم تبياناً أن كل آية هي حل ومعالجة وموقف، وإن ما تجمع من الآيات على مدى ثلاثة وعشرين عاماً قد قدم حلولاً ومعالجات ومواقف.

وإن هذا الوحي المبادئ به من الواقع قد جعل موضوعه للأفهام... وفهم القرآن ليس إلا نظرية في التعليم

ومن هنا إن أردت أن نضع الوحي من جديد باعتباره مصدر المعرفة وموضوعاً لها... فلابد من نظرية في التفسير... ومن هنا فنحن نحتاج إلى نظرية في التفسير لا فلسفة !!

إن ما خرج لنا من الدين ليس علماً متخصصاً إنه توجيه نظر مستقل أو زاوية رؤية، إطار أو إطار مرجعي (موقف، أو يوقفك، على رؤية الأشياء من

ولا بد من أن نشجع الحوار والتآلف... المساعدات الإنسانية، وهي الجهود التي تحقق الاستقرار والتي نحتاجها في المنطقة. ونحن نرغب في التعاون معكم لكي نقدم إمكانية أفضل وفرصة أفضل لتحقيق الأهداف... قضية... سلام التي نسعى من أجلها لتحقيق حكم تطبيقها والنجاح فيها، وإن... السلام حقيقة... سلام...



الدكتور الشيخ ...
... العام للمنظمة العربية
... والتربية والعلوم
... مكافأة الإسلام
... القرآن

... رسالة ... الرائدة التي نضطلع بها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمتمثلة في تعزيز مكانة الإسلام ولغة القرآن في جميع أنحاء العالم وفي القارة الأفريقية خاصة، ولن تزو بالجهد المخلص الذي تبذله هذه الجمعية... عن سعيها... دائماً ودعمه... بشكل بما يحقق لها غاياتها النبيلة ومقاصدها الشريفة، وإنه لمن دواعي سعادتنا في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، أن تكون شريكاً للجمعية في عدد من المشروعات الرائدة سواء المتصلة منها بنشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في القارة الأفريقية، وهي تظهر... الأخرى ضمن الجامعات العربية... في الجمهور... المسلمة... العمل... بين الثقافة العربية الإسلامية والتي نرعى... المنظمة... ومنظم... في شهر أي النار (يناير) من العام 2002 بتونس... بمناسبة ... التي تجمع ... العربية للتربية والثقافة والعلوم بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، فقد تحقق منذ ذلك الحين الأهداف والأغراض من درب الشراكة الإيجابية المثمرة، وسلفت إنجازات يحق لنا أن نفتخر بها في مجال ... بين الوطن العربي ... الأفريقي ونشر الثقافة العربية الإسلامية ... الجمعية والمنظمة ... شراكة ... من عقد الندوات ... التعريفية بتدريس اللغة العربية في بعض الأقطار الشقيقة وتنظيم الدورات

خلالها من هذا المنطلق. من هذا الإطار يمكن أن نرى العلوم والآداب والصناعات والاتجاهات كلها وتراها بشكل يختلف عما يراه شخص ينطلق من وجهة نظر من ايديولوجية أخرى.

إن ما شرع لنا من الدين موقف كوني. إنه أيديولوجية صالحة لتهدي كفاح البشر في عصرنا ايضا وايديولوجية تمكن البشر من النظر إلى الأمور بشكل متوازن.

ومن هنا يجب ألا ننسى، وما ينبغي لنا أن نتغافل عن هذه المهمة: مهمة إحياء نظرة الإسلام للعالم، للمسائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ونحن نريد للإسلام أن يخرج إنساناً جديداً ونريد من الإسلام أن يخلق لنا أو يجعل منا إنساناً يستطيع الوقوف على قدميه فيكون منه شرعة للآخرين ومنهجاً لها.

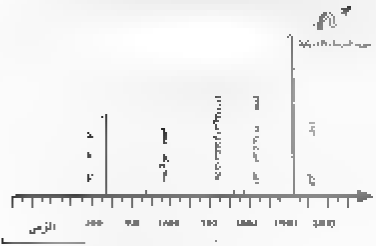
إن مهمتنا هي أن نحول القرآن من موقف على أدراج المكتبة إلى موقف في حياة الناس. وأن نفهمه بالبساطة والوضوح التي فهمه بها أبو ذر الغفاري، ذلك الأعرابي الأمي.

إن التخصص إن كان يجب البحث، حتى إنهم يريدون منه فلذلك على القرية. يخلق النخبة ويعمق التمايز ويقود إلى تخصيم سرطاني في العروض طبقة.

أما ما شرع لنا من الدين فهو ما نزل في القرآن مبسطاً وبهيماً. وهو ميسر لكل مُدّكر.

وإن ما شرع لنا هو ما وصى به نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام. وكان هو كلمة السماء إلى الأرض. والخاتمة بنبيه ﷺ.

إنه إن صح التشبيه (ولله المثل الأعلى وليس له شبيه ولا نظير) وجهة النظر الإلهية إلى الإطار



التصعيد الغربي للحضارة احادية الاتجاه

الإلهي. إنه النظارات التي لو وضعها الإنسان ونظر من خلالها ظهر له كل شيء كما هو في الحقيقة، وذلك خلافاً لأي وجهة نظر أخرى التي قد تضخم أموراً وتصغر أخرى، وتلون ثالثة وتزيف رابعة.. الخ.

إنه من خلال المنظار الثقافي تكون نظرات واضحة وتضع الأمور في موضعها الطبيعي أو كما تكون. فإذا كان المنظار الثقافي يعني المنظور الصحيح كانت كل أشكاله وأقواله وأعماله صحيحة. وإلا فلا؟!

إن النخبة الإنسانية يجب أن تكون خارج الإلهي أو لا تكون. وإنها لترى الأمور والناس وفق منظار إلهي أو شخصي. ويعني خلاف في هذا النظر الشخصي.

وبهذه الرؤية نرى في سنة رسول الله في إطار سيرته عليه الصلاة والسلام تجربة بشرية نموذجية قدمت تحققاً لهذا الوحي. فلا يتحول الوحي من الفكرة إلى الشخص. ومن تحقق الرسالة في الواقع التاريخي إلى التجسيد الشخصي؟

أما الإجماع فيعني اجماع الأمة. فقد كان كافياً أن يقدم تحققاً لهذا الوحي في التاريخ. إذاً الكرام والشرفاء. أما الاجماع فيشرح ما فهم منه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن. فمن ثمة إلى شعور النبي إلى شعور النبي والرسول إلى الأمة.

عود إلى شعور الفرد من جديد، فقصة للتاريخ تقوم على دور الأبطال [٨]، والكتب تهدف إلى تحويل الجميع إلى أبطال في التاريخ، والأمم إلى قلب التاريخ.

كان يمكن من خلال الأدلة الأربعة وإعادة ترتيبها أن يبدأ بالواقع وحياة الناس، وبالأمة والجماعة كدلالة أكبر، حتى ما يقول الجهال، ثم الاسترشاد بالسنن وسير الأبطال، ثم بالوصول في نهاية الأمر إلى التأمل في التاريخ.

وبدلاً من الانتقال من النص إلى الواقع يتم الذهاب من الواقع إلى النص، ويمكن إدراك أهمية الزمان وأسباب النزول، وقانون الناسخ والمنسوخ [٩].

والوحي نفسه ليس معطى من الله في لا زمان ولا مكان، بل هو تعريض إلى البشر، وتوجيه لتطلعات ومعالجات لمشكلات، فالواقع هو الذي كان ينادي بالحل حين تستعصي المشكلات عن المعالجة البشرية بسببها؟ والكتابة هو في الحقيقة مجموعة من المواقف التي طرحت على الواقع الإسلامي الأول والتي استدعت حلولاً، وكل موقف يمثل نمطاً [١٠] مثالياً يمكن أن يتكرر في كل زمان ومكان. فإذا ما حدث أن تكررت الواقعة استدعيت الحل نفسه. وهذه خاصية الوحي في الإسلام وتعرف في علوم القرآن باسم «التنجيم» وفي علوم التفسير باسم «أسباب النزول». ولقد نزل القرآن على مدى ثلاثة وعشرين عاماً، وقد سمى الأصوليون هذه الأنماط

[illegible]

بالتوافق الطبيعي في هذه الرؤية... [illegible]

[illegible]

الناس الوطني الراهن ... [illegible]

السنية والثقافية لرئاسة الأكاديمية المغاربية بين العرب والوطن العربي خاصة، وطباعة الكتب المدرسية لتعليم اللغة العربية على غرار ما تم مع وزارة التربية بجمهورية جيبوتي. وفي مجال الحوار بين الثقافات نظمت الجمعية والمنظمة في عدة عواصم دولية كان لها الأثر الحسن في الوطن العربي وخارجه، أذكر منها بالخصوص ندوة الحوار الثقافي العربي - الأوروبي التي احتضنها معهد العالم العربي بباريس في شهر تموز (يوليو) سنة 2002 وندوة دور الإعلام في التواصل الثقافي بين العرب والغرب والتي عقدت في شهر الربيع

[illegible]

لندوة ... في أرقى ... 2005 ... [illegible]

[illegible]

... الحوار العربي - الإفريقي وفتحاً لآفاق تعاون جديدة بين شمال الصحراء وجنوبها وتحديث استراتيجية تعليم اللغة العربية

[illegible]

المرحلة. ومن أهم وأحدث المنجزات في إطار هذا التعاون الوثيق، ولابد كذلك من الإشارة إلى العمل الواسع الذي تشكله العلوم في هذه الشراكة بين المنظمة والجمعية، مما يدل على وعي مؤسستها بأهمية التعلم والبحث العلمي في بناء نهضة الأمة الإسلامية، كما كانت جمعية الدعوة طرفاً فاعلاً في

[illegible]

للمنظمة، مثل إعداد الاستراتيجية العربية للعمل

[illegible]

العلمي لتشجيعات الطاقة التقنية وتطوير على البعد الأخلاقي بمساندة الجمعيات، وما هذه

[illegible]

قليل من كثير، ونحن نسعى بإذن الله في المنظمة والجمعية إلى تطوير الشراكة بيننا لتحقيق المزيد من المشاريع بمختلف أشكالها خلال

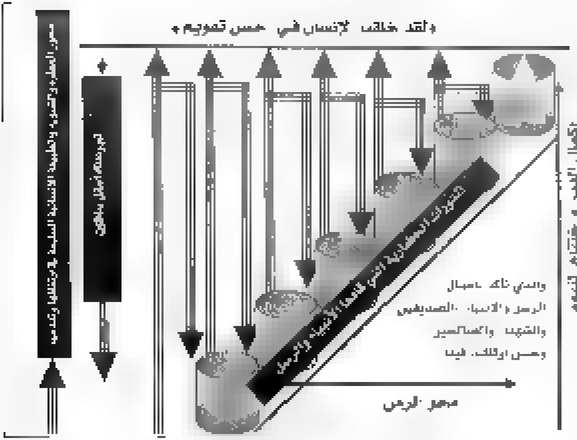
[illegible]

المناسبة سانحة لتقديم ما أنجزناه تقريراً علمياً وموضوعياً، حتى يتسنى لنا تحسين الأداء في برامجنا الإنسانية، وفتح آفاق جديدة للعمل المشترك من أجل الكفاية التي تسعى إليها معاً، وفي خططنا

[illegible]

[illegible]

الله العلي القدير أن يوفقنا في هذا المسعى النبيل.



المثالية والقاطعة، وهي مواقف إنسانية حية زاخرة بالتجارب النفسية الفردية والمجتمعية.

ويلاحظ أن الفطرة تبدو السنة، وهي يعتبر السيرة مجموعة من المواقف التطبيقية التي يتجسد فيها سلوك الإنسان كصيرورة لأنماط مثالية ونموذج لتجارب بشرية يمكن الاحتذاء بها والاقتداء.

السنة تعني أن الوحي لا يحصر دولة الاجتهاد في أن له في مجتمع بعينه، وكان يمكن للتاريخ أن يظهر من خلال الإجماع أو شاملاته ليس لعصر بعينه ولا بجماعة بعينها، وإن عدم التزام كل عصر بإجماع العصر الذي سبقه يعطي دفعة جديدة للتاريخ، وإن احترام المخالفة في الإجماع، حتى ولو بصوت واحد، تشير إلى حيوية الأمة واحترامها اجتهادات الجميع وقبولها للاختلاف في الرأي والحرص على رأي الأقلية.

أما الاجتهاد فهو مبدأ الحركة واحترام الاختلاف، كما أن الشورى هي تأكيد لمبدأ الحركة واحترام جميع الأصوات في الجماعة. وما الإجماع إلا تجارب الأجيال وتراكمها، من خلال حركة الجماهير في شكل عمل جماعي وممارسة تاريخية.

والعقل الإنساني ليس مجرد حركة، بل هو بناء متكامل، ويبدو حسب شرطها منحنى للوقائع، وقد يتحقق على نحو مثالي نموذجي، وهو العزيمة، أو على نحو واقعي، وهي الرخصة، ويحتكم في النهاية من حيث الصحة والبطلان، بالنسبة إلى أنه بالأصل إما أن يكون تعبيراً عن التزام فرض واجب، وإما أن يكون في حالة الإحجام عن الإقدام، تعبيراً عن التزام بالامتناع تجنباً أو ستراً عن الاقتراب أو تحريماً. والفعل الواجب للفرض أو عدم الفعل يمثلان قطبين أحدهما موجب والآخر سالب، وقد يكون الفعل أقل درجة من الالتزام من حيث المجموع أو يكون الفرض متعدد الجوانب يوزع المسؤوليات بين مجموعة يجب أن تتقدم ومجموعة عليها أن تتمم من هو أهل، فهو الفعل الممكن لليسر، ويأثم الجميع إن لم يقوموا به.

ثم هناك النقل المرجعي كما هناك النقل الذي يتصل بالطبيعة [illegible] والبراهين الأصلية التي تحتوي على مرجعيتها [illegible]

والحقيقة أن الوحي هو حسب آخر مرحلة من تطور الوحي في التاريخ ابتداء من آدم وانتهاء بمحمد ﷺ وبذلك يكون الوحي نصاً متكاملاً في صورته النهائية، وهو نص مرجعي، كما أنه قد توافرت له كل إمكانات الحفظ والتوثيق، كما أنه [illegible] وهو [illegible] به. [illegible] سؤال الناس واحتياجاتهم وكل آية هي حل أو معالجة لموقف. ومن مجموع الآيات التي تعالج المواقف تجمع الكتاب. ثم إن الشريعة موضوعة للإفهام [illegible] في التفسير

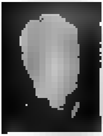
وملاءمة النقل

إن رؤيتنا للتاريخ ترى أنه يوجد كالتاريخ [illegible].

[illegible] يعتبر بمثابة المعيار أو Para-Metres [illegible] المحددات التي تحدد خط الارتقاء على المستوى الإنساني [illegible] المستوى [illegible] والثاني هو بعد الزمن الذي يحدد مسار تفاعلات العلاقات على المستوى الواقعي.

2) [illegible] الإطار المرجعي frame of Reference هو ما شرع من الدين ما وصى به نوحاً [illegible] الأنبياء [illegible] إبراهيم [illegible] وانتهاء بمحمد عليه وعلى [illegible] موسى وعيسى وعلى سائر الأنبياء والرسل أفضل الصلاة والسلام [illegible] وقد أكمل الله الدين وأتم النعمة بختم النبوة [illegible] بالرسالة الخاتمة التي بلغها محمد ﷺ.

[illegible]



[illegible]

النماذج قيمة حضارية نكتشف أساليب التطور السلمي والاجتماعي [illegible]

[illegible] على الآخر [illegible] من البيانات كما أشكركم جميعاً على [illegible] الثقافة العربية [illegible] الكاثوليكية [illegible] الجامع [illegible] إسلامية [illegible] الأسماح والتقدير والصداقة، وقد قال قداسة البابا [illegible] من أن [illegible] مسيحي [illegible] والنماذج الصادرة عن [illegible] النماذج [illegible] قيمة حضارية [illegible] التطور [illegible] والاجتماعي [illegible] وكما تعلمون فإن [illegible] والحضارة تعتبر في ذلك الوقت [illegible]

[illegible] الكاثوليكية [illegible] الأخرى [illegible] مع المسلمين [illegible] الله هو خالقهم [illegible] في ملكوت الله [illegible] المسيحيين [illegible] في كل [illegible] في [illegible] وقت [illegible]

[illegible] موضوع مؤتمرنا هذا [illegible] من [illegible] المسيح [illegible] الإسلام رحمة للإنسانية وأود [illegible] أن [illegible] الملاحظات من البيانات [illegible] رحمة للإنسانية [illegible] من [illegible] البيانات [illegible] والأسيوية [illegible] المسيحيين والمسلمين [illegible]

لا إله إلا الله

فلا نحني عبد لأحد غير الله	⇦	1	⇨	ولا نحسب الحوذاء بالأحرى من عباد الله
وهذا معنى الله خليفة الله في الأرض	⇦	2	⇨	وهذا معنى أن عباد الله جميعا مستخلفون
الكون كله مسخر لنا	⇦	3	⇨	وهم يسعون مسخرين لك بين الله في [illegible] وتعارف
ومن هنا علينا بالعلم والعمل فاعلية	⇦	4	⇨	ومن هنا عليك بالعطاء معنويا وماديا
وهذا ما يحقق البناء والتعمير	⇦	5	⇨	وهذا ما يحقق معه شبكة علاقات

وهذا هو الإسلام كما وضعه رسول الله

3) وإن إعلان انتهاء ختم النبوة والرسالة هو الإيذان بأن الإنسانية قد بلغت سن الرشد ... مرحلة تحمل الأعباء.

فيوم أن أكمل ربنا الدين باختتام الرسالة التي بلغها محمد ﷺ كانت البشرية قد استنفدت كل طاقاتها وسهور ممشيئها ... بدءا بالخطيئة الأولى والتوبة منها ... ومرورا بمعركة هابيل وقابيل ... وتجربة كل جيل من بعدهم أو كل قرن أو قوم ... وما عرفوا من أمر ما سبقهم إليه جيل أو قرن أو قوم من قبل ... تماما كما يحدث مع إبلاك الصبي ... يكف جسمنا ... ويبدأ في خطته بأطوار ... ويأتي عليه حين من الدهر لا يكون شيئا مذكورا ... لم يكن طفلا ... حتى يتعلم الأسماء كلها ويبدأ بعد ذلك في دخول مرحلة التمعن والتفكر والجدل ومسؤولية الاجتهاد ... ويواجه التجربة ويخوض المعركة ... وحتى إذا ما اشتد عوده وبلغ أشده تكون الشخصية المكتملة ... وعليه أن يشق طريقه.

4) وكان محمد ﷺ هو كلمة السماء الخاتمة إلى الإنسانية الراشدة، وكان العقل بعد ذلك ينطلق ... ذلك قد صار حرا مختارا ... بتوجيه يهدي القرآن، ويتأسى بالتطبيق الرسولي ... ويعمل عقله ... والعقل يعرف بمعالمه ... لمواجهة متغيرات الواقعات عبر

مسيرة الإنسان على كوكبه معروفة. [illegible]

وقد يكون من المناسب أن نذكر هنا أن رسول الله ﷺ على في خطبته في حجة الوداع [illegible] يوم [illegible] قول الله عز وجل:

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ [illegible]﴾ [illegible]

على رسول الله ﷺ أن الزمان قد استدار كهيئته يوم أن خلق الله السموات والأرض!!

وهذا الإعلان على الرغم من اشراقه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فهو يعني هنا وببساطة أن الأيام والأشهر قد عادت في وقت حجة الوداع. [illegible] كما كانت [illegible] [illegible] الله قبل [illegible] التسيء وتلاعب الإسرائيلي الجاهلية فلتتم تعرفون أنه في الجاهلية [illegible] من بني إسرائيل [illegible] [illegible] يستثني الأشهر

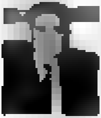
بمعنى أن العدد الإجمالي للأيام والشهور المسماة قد بلغ في وقت حجة الوداع عدداً كاملاً من [illegible] كل فترة منها اثني عشر شهراً

ومعنى كان محرم الحرام من العام العاشر عشر للهجرة، هو محرم كما كان عند خلق الله السموات والأرض. وهكذا كان كل محرم منذ ذلك الوقت هو محرم الحرام كما كان عند خلق السموات والأرض، [illegible] إلى الناس جميعاً بعد ذلك [illegible] من سير الأشهر القمرية والإسلامية لم [illegible] [illegible] إطلاقاً [illegible] [illegible] الماضية للهجرة حتى وقت الحاضر

وعليه فمحرم الحرام للعام الخامس والعشرين من الهجرة هو محرم الحرام الذي مر علينا الآن [illegible] [illegible] عام [illegible] [illegible] بأن [illegible] [illegible] في عدة الأشهر عند الله يوم أن خلق السموات والأرض [illegible]

[illegible] يعني باكتمال الدين وإتمام النعمة [illegible] واستدارة الزمان يتولى مسؤوليتها العرب ومن حولهم من شعوبات العالم الإسلامي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] تتقدم هذه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من الإسلام [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عن السلم في [illegible] [illegible] [illegible] السلام [illegible] لا [illegible] [illegible] من [illegible] التي [illegible] [illegible] السلام في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في التأويل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] السلام



الدكتور عبد الرحمن [illegible]

الأمين العام [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]

العمل الإسلامي المشترك

يحظى [illegible] [illegible] بحيز هام في جهود منظمة المؤتمر الإسلامي [illegible] [illegible] [illegible] باعتباره محوراً أساسياً وهاماً في مجال العمل الإسلامي المشترك [illegible] المنظمة [illegible] على دعم أنشطة الدعوة وتطوير أساليب ووسائل نشرها من خلال [illegible] [illegible] والمؤسسات الرسمية والشعبية في الدول الأعضاء [illegible] المنظمة [illegible] ما حققته هذه الهيئات من إنجازات تخدم قضايا الأمة الإسلامية، ويأتي دور جمعية الدعوة الإسلامية العالمية هاماً [illegible] في هذا المجال باعتبارها [illegible] أساسياً من روافد [illegible] الدعوة والثقافة الإسلامية في العالم.

ونحن في منظمة المؤتمر الإسلامي نعتبر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية من الأعضاء الفاعلين ولها دور هام في العمل [illegible] المنظمة [illegible] [illegible] [illegible] في اجتماعاتها، ولا يسعنا إلا أن نشير [illegible] [illegible] جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، هذا [illegible] [illegible] الكريمة [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] جمعية [illegible] [illegible] [illegible] الموافقة على وضع آلية لتنفيذ استراتيجية العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة، والتي كان من ضمن [illegible] القرار الصادر عن المؤتمر الإسلامي الرابع والعشرين لوزراء الخارجية الذي طلب من الدول الأعضاء [illegible] استراتيجية العمل الإسلامي المشترك ضمن سياساتها الوطنية في شتى المجالات [illegible] والتربوية والإعلامية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في دعم العمل الإسلامي المشترك.

[illegible] يفوتني أن أشير ونحن [illegible] عن الدورة [illegible]

فارس أو إيران[1] كما قلنا. وقد قال رسول الله ﷺ:

«أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم، وسلمان سابق الفرس، وبلال سابق الحبشة»[2].

وما زالت دول الجوار للعرب هي: الحبشة (وامتداداتها: السودان والقرن الإفريقي) والروم (تركيا) وفارس (إيران). [illegible]

على كل، فإنه ذكر رسول الله ﷺ ... [illegible] ... العرب ... سلمان.

ولقد شهد رسول الله ... شهيد عليهم ... أن تكون شهداء، ولكن من شروط الشاهد أن يكون حاضراً. فهل نحن حاضرون؟ هذا سؤال نطلقه لنجيب عليه بضرورة حضورنا في عالم اليوم!

خاتمة

في ما تقدمه رؤيتنا من تصحيحات في رؤية التاريخ[3]

إن رؤيتنا هذه تطرح تقديم العديد من التصحيحات لرؤية التاريخ التي حاول ... [illegible] ... الغربيين، ولا يمكن حصر رؤيتنا هذه في المعرفة والتاريخ[4]، فرؤيتنا هذه تقوم على نظرية محددة في المعرفة.

ونظرية محددة في التاريخ تحتفل بالوعي وتطوره في الوعي الإنساني وتطور هذا الوعي، واكتمال الوعي الإنساني بتحقيق الوعي غايته في تطور البشرية. فاكتمال النبوة والرسالة تعني اكتمال الوعي الإنساني عقلاً وإرادة.

فبداية التاريخ يوم أن اكتسب آدم المعرفة (وعلم الأسماء كلها)، والنبوات والرسالات تصحيح وتقدم وارتقاء في التاريخ[5]. ولقد كان للأنبياء والرسل دور ورسالة في تصحيح وتقدم وارتقاء الوعي الإنساني، ويكون اكتمال الرسالة علامة لاستقلال العقل والإرادة، واكتمال الوعي الإنساني[6].

ثم استبدال الرهان بمحرك التاريخ ... [illegible] ... معصومين[7]: الرهان والتعليم والإرادة[8]، وبهذا التاريخ الصحيح يمكن أن يكون تاريخ حركة التاريخ، كل التاريخ. كان تاريخ الإرث اليهودي ـ المسيحي وريث أمر لتجربة عربية إسلامية كانت في جانب من جوانبها تجربة ... قدمت للعقل ... ولكن للأسف التعتيم كما حل بالإرث اليهودي ـ المسيحي بغياب الإرث اليوناني الروماني[9]. فإذا عاد الإرث العربي الإسلامي تحول الوعي من الفكرة إلى الشخص ... ومن تحقق الرسالة في الواقع التاريخي إلى تعظيم الشخص[10]. ثم ... كل من ... أن كل ابن آدم خليفة في الأرض ... بالخلافة

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[3] [illegible]

[4] [illegible]

[5] [illegible]

[6] [illegible]

[7] [illegible]

[8] [illegible]

[9] [illegible]

[10] [illegible]

[11] [illegible]

يتخصص... وجعل الشورى شكل أولئك

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ الشورى: ٣٨

أن تكون الشورى للبعض الأوسط العرم والإجماع وهو إجماع الأمة، والذي كان كفيلا بأن يقدم تحققا موضوعيا في أن يريح ... العرم التشريعي، وكان المنهج متوقيا على قاعدة من رأي المسلمين حسنا فهو عند الله حسن... صار العرم أو الإجماع البعض الأول أيضا.

وهكذا انتقضت الشورى، كما تم الانقضاض على المال، مال الله، والذي هو ملك الله المسخرة لعباده أجمعين وهم مستخلفون فيه جميعا... ثم كان ما كان من أمر ... الأموي الذي أثار الشعوبية والتي صارت تعني بلا أمن.

﴿...﴾ صارت تعني الثمرات العنصرية والشعوبية.

إن المعركة الأولى في الإرث الحضاري الإسلامي إنما كانت بين من يريدونها شورى وعدالة وقوميات متعصبة، من جهة، وفي مواجهة من يريدونها جبارية أو كسروية أو قيصرية، ومع الاستغلال والتمييز الأموي والشعوبية العنصرية... من جهة أخرى.

إن ... هذه ... من التصحيحات للتاريخ فهي:

١) المعركة الأولى في حقبة المعاصرة لتقسيم ... التاريخ الحضاري إذ إنه كان خاضعا لتفسير يقوم على المركزية الغربية.

وقد استطاع الغرب أن يجعل نفسه مركز التاريخ بأن جعل حركة التاريخ بحكمها بعد ... الرسمي الذي حدد بدايته وجعل ... معيارا للتقدم ... فإن القرن العشرين هو الأكثر تقدما في كل التاريخ البشري.

بعد ... التنسيق إلى الغرب للتمكين لهذا ... أوكل إليه بحث ... أبرز التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين وكيفية مواجهتها، ... كانت ... هذا ... بمثابة الخبراء في مجتمعاتهم التي عقدت على التوالي في القاهرة ... كما ساهمت ... بشكل في ... المواد ... التي ... للمنظمة في مجال الدعوة والثقافة الإسلامية.

وركز عقد المؤتمر العام ... للدعوة الإسلامية ... جديدا لبعض الإسلامي المنشود، ... إلى ما تم ... الصورة المعروضة على ... ما تهدف إليه من مشاركة فاعلة ... تعمل على وضع استراتيجية تمكن الأمة الإسلامية من مواجهة مختلف التحديات، ... الإسلامية ... بمقومات ... وموارد طبيعية ... ذلك تمكنها من ... في كل مكان ... للتفاهم بين الأمم، ولذلك ... أكثر من أي وقت مضى إلى إنشاء ... من التعمق والتدبر ... التي تواجه الأمة الإسلامية ... السلبية وتصحيح كل ... وتقديم الصورة الحقيقية للإسلام ... والصحية ... في ذلك على أن المنهج الإسلامي يقوم على الاعتدال وروح التسامح، ويرفض الغلو والتعصب، ... الآخر، الأمني، ... في أي صورة من الصور ... على أهمية ... الإسلامية والمنظمات الرسمية والشعبية في توضيح ... هذا المنهج.

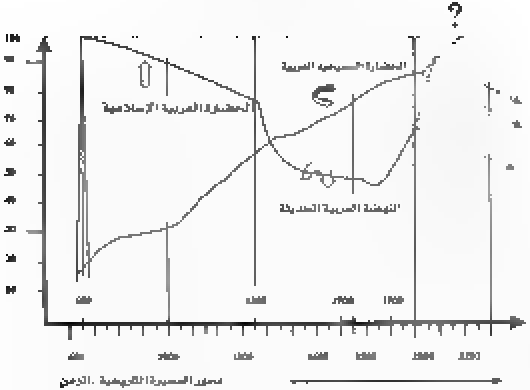


الدكتور عبد العزيز التويجري

مدير عام المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة

مشاريع حضارية كبرى

يعتبر التعاون بين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة نموذجا يحتذى به في العمل الإسلامي المشترك، فقد ... من خلاله مشاريع حضارية كبرى لا يتسع المجال ... لتفصيلها، ... المعرفة ... السيرة ... برنامج ... تضم ... الساحل



وهم في القمة في هذا القرن، وهم في قمة التاريخ الحضاري؟؟؟

وهذه المحاولة محاولات تقول إن التاريخ له بعدان أو محوران: بعد الامتداد الزمني وتحديد مختلف عما حدده الغرب، وبعد أو محور هو محور الارتقاء والتقدم وحركة التاريخ الحضاري .داخل هذين المحورين تحدد في شكل رسم بياني قد لا يعني صفة الارتقاء والتقدم لكل زمن متأخر منها وقد يكون زمن متقدم له من الفضل إن لم يزد عن المتأخرين.

2) وهذه المحاولة تقول إن التاريخ الإنساني وصل إلى قمة الارتقاء والتقدم بكمال التوحيد وتمامه فيتحدد من إكمال الدين وإتمام النعمة وختام النبوة بداية بمرحلة استقلال العقل مع حفظ المكانة بتلك المرحلة التي قادها الأنبياء والرسل بدعوة التوحيد منذ ما قلت أنا والأنبياء من قبلي كلمة «لا إله إلا الله» وكان ختامها على يد محمد ﷺ يوم أن نزل قوله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (سورة المائدة 3)

ويوضحها تعلن اتجاه النسبية والتلاعب بالأشهر واستدارة الزمان كيوم أن خلق الله السموات والأرض.

(3) وهذه المحاولة توضح أن حركة التاريخ الحضاري لأمتنا، داخل هذين المحورين، قد وصلت إلى القمة بكمال الدين وتمامه واختتام النبوة. وأن ما اعتراها من نقص فيما بعد إنما هو نقص قياساً إلى القمة التي انحدرت منها لا قياساً إلى الإطار التاريخي العام. وهذه يمكن من قدر تاريخي موضوعي لحركة التاريخ الحضاري لأمتنا وذلك بالمقارنة النسبية لحقب تاريخنا العربي الإسلامي بلحظة الكمال والقمة بعد الكمال ... ومقارنة هذه الحقب بتاريخ العالم التي تمت وسط الزمان المحدد، مع التمكن من نقد الذات دون جلدها أو تأليهها، ومواجهة ما حدث من نقص لأمور الحكم والمال والاجتماع لتصويبه وتصحيحه.

وهذه المحاولة توضح أن النقص الذي اعترى مسيرتنا التاريخية الحضارية .وهو نقص بدأ بعد كمال لم يعن القصور منذ أول يوم، بل استمرت مع النقص

إلى أن وصلت إلى نقطة جلا فيها معنى التخبط على القوة مظهر التحضر

4. وهذه المحاولة توضح الخطأ الذي وقعت فيه محاولات النهضة الحديثة لأمتنا ومازالت واقعة فيه محاولاتنا المعاصرة إذ لم تنتبه إلى أن محاولاتنا يجب أن تكون للارتفاع وليس للعودة، فالعودة عبر الزمن ستعيدنا إلى المستوى المعنى الذي رسمته نقطة الكمال وليس أي مستوى آخر دونه، وعلى أن يكون على مستوى عصرنا وعالمنا في هذا العصر

5. وإن أمتنا بقادرة أن تسعد نفسها وتنقذ الآخرين بخيار الخير لنفسها وللإنسانية كلها، بعد أن تقدم الأطروحات الخير وسط ما تطرحه التكنولوجيا من تساؤلات، فتكنولوجيا الحرب صارت تطرح سؤال الحرب أم السلام؟ أفناء أم بقاء؟ وتكنولوجيا الزراعة والصناعة صارت تطرح سؤال استمرار النظام القائم على الاستغلال وسوء التوزيع أم إقامة نظام عالمي جديد يحقق الكفاية للجميع والعدالة في التوزيع؟ وتكنولوجيا المواصلات، وقد صيرت العالم قرية، صارت تطرح سؤال أ استمرار العنصرية والتفرقة أم تعايش وتعارف وتآخ؟ وتكنولوجيا الاتصالات والإعلام صارت تطرح سؤال أتسلط إعلامي من جانب واحد أم تعاون وتحاور وبحث عن الحق والحقيقة؟

ومجموع الأطروحات هو اختيار لثقافة عدوانية تؤدي إلى الحروب [illegible] الاستغلال وسوء التوزيع والتجويع والعنصرية أو اختيار ثقافة سلام تقوم على الكفاية والعدل والتحاور والتشاور

وإنك لتملك الاختيار الخير والحل النهائي، ولقد كان رسول الله ﷺ شهيداً علينا لنكون شهداء على الناس

[illegible] الرسالة [illegible] [illegible] واستشراف المستقبل

الإفريقي [illegible] والعلماء البعض الثقة في مساحة وتجسد هذه الأنشطة تعينها في مراكز القرآن وتعليم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإسلامية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] العالمي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإسلامية [illegible] [illegible] الصاعدية الكلمي [illegible] [illegible] الإسلام [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] السلبي [illegible] [illegible] بل خدمة الإسلام والمسلمين



[illegible]

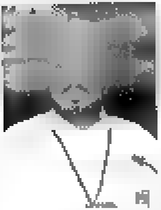
[illegible]

[illegible] متواصل [illegible] العالم [illegible]

أشعر بكثير من الفخر وأنا أشارك في هذا المؤتمر المهيب لأحيي هذه المسيرة الطيبة التي أفرزتها مقدمة الثورة المباركة بقيادة القائد المفكر الأخ معمر القذافي وهكذا نمت هذه المسيرة وكبرت وتفرعت وأثمرت عطاء متواصلاً مع العالم كله، فأنا أشكركم على هذه الجهود، وهذه المسيرة المتواصلة في خط [illegible] [illegible] الله [illegible] [illegible] [illegible] وعطاءاً [illegible] كل المناطق [illegible] هذه المسيرة

وأنا أعرف على هذا المؤتمر [illegible] بأن [illegible] الخطوط العامة للاستراتيجية التي يجب أن تنتهجها الأمة الإسلامية اليوم لمواجهة التحديات الكبرى التي تواجهها، فهنالك تحديات العولمة والتي هي في الحقيقة أمركة بكل المعاملات السياسية والاقتصادية والثقافية، وهنالك تحديات [illegible] وتحديات التخلف التي [illegible]، هذه الأمة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] هذه المرحلة [illegible] [illegible] استراتيجية لمواجهتها، وهي كثيرة ولا مجال هنا لذكرها، ولكني أريد أن أرجع [illegible] [illegible] [illegible] القرآني [illegible] سورة الأنفال، هذه السورة التي نزلت لتقييم مسيرة معركة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] هذه الأمة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المسلمين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المسلم [illegible] طريق [illegible] [illegible] الحصول على

عموم الرحمة وعالمية الإسلام



أبو زيد المقرئ الإدريسي *

أحييكم بتحية الإسلام الطيبة المباركة، وأبلغكم سلام إخوانكم في الله من أبناء المغرب الأقصى، وأبارك لكم وللأمة الإسلامية جمعاء فعاليات هذا المؤتمر المبارك "مؤتمر العمل الإسلامي والبناء الحضاري" من أجل إشاعة رحمة الإسلام في ربوع العالمين. وإنه ليشرفني ويسرني أن أكلف من قبل إخوتي الذين أحسنوا الظن بي أن أتقدم بكلمتي بإعداد هذا البحث المتواضع في هذا الموضوع الجليل الشريف، موضوع شعار هذا المؤتمر المنطلق من قوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنبياء: 107)

وذلك تحت عنوان "عموم الرحمة وعالمية الإسلام".

أقترح، لتسهيل تناول هذا الموضوع، تقسيمه إلى ثلاثة محاور:

أولاً: قرآنية الرحمة

إن الناظر في القرآن الكريم يعجب من شيوع الرحمة بلفظها ومعانيها فيه شيوع الروح في الجسد؛ فألفاظ الرحمة ومرادفاتها ومشتقاتها تتوزع نسيج القرآن الكريم وتبرز كلها بمعانيها اللطيفة حتى لتطبع بنيته اللغوية حقيقة كونه هدى

﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الأعراف: 203)

ومن أكبر لتكرار وصف القرآن نفسه بصفة الرحمة وما يلابسها من شفاء ونور وهداية. ولو اقتصرنا على استقراء معنى الرحمة المرتبط حرفيا بالمادة المعجمية (ر ح م)، لاحظنا نسبة تكرار حضور هذه المادة، فهي تتوزع مساحة المصحف كله، وتبلغ 340 موضعا، تكاد تكون بعدد أيام السنة لتطبع مسيرة نعمة قرآنية في كل يوم.

ويزيد الأمر وضوحا أن هذا الرقم يتوزع على 33 تصريفا واشتقاقا مما يدل على سعة تداول القرآن الكريم للفظة الرحمة وعظم تصرفها في تقلبات الأفعال والأسماء والصفات، بالمفرد والجمع، بالإسناد والإطلاق، منسوبة لله عز وجل في غالب الأحيان، ولرسوله وبعض الصالحين في باقي المواضع، موجهة إلى عموم الخلق، ومخصوص بعضهم بدرجات خاصة منها لتعلقهم بأخلاق وصفات خاصة استحقوا بموجبها درجة هذا الاصطفاء. ويكفي أن أذكر أقواها وأجمعها: رحم - رحمناهم - ترحمني - سيرحمهم - ترحمون

* كاتب وباحث، أستاذ جامعي، المغرب

الكريم مطلقة وإطلاقه، باستثناء سورة (التوبة)، وعلى

الفاعل، الرحيم، بل جاوزتها إلى صيغتي مبالغة

الكريم تأتي صيغة اسم الفاعل

إيجابي في القرآن الكريم، كل خير أو فضل أو بر أو

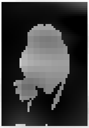
عمل صالح أو نعمة إلهية أو توفيق رباني أو حسنة أو

حسنة أو طاعة في معروف يسميه القرآن رحمة، أو

يلحقها بالرحمة، أو يجعل غايتها الرحمة، حتى تكاد

تكون الرحمة الأول والآخر والظاهر والباطن في

الشركة التي تسعى إلى تحقيقها



الحلال بين الأديان، ففي العالم قبل العاصفة كان

موضوع اللقاء (لتعارفوا)، واليوم الرحمة لكل من في

تلتقي حولها نستطيع أن نلتقي على قمة الأديان على

والنجاة من الهلاك رحمة

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ (سورة الأعراف: 72)

والنبي رحمة

﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾ (سورة التوبة: 61)

وبر الوالدين رحمة

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ (سورة الإسراء: 24)

وكذلك شأن تعميم الهداية وإنزال التوراة وبعث المسيح ونزول المطر وشمول المغفرة والنجاة من العذاب وحصول الطاعة وحضور التقوى والخشوع في الصلاة وإيتاء الزكاة والاستغفار والإصلاح بين الناس والصبر والهجرة وتشريع القصاص واستمرار الخليقة وجعل الأصل الإباحة والرزق والحكمة والعدل والبعث والجنة والمجتمع العادل وكشف الغمة وتلمس أسباب النجاة والرفق بالأيتام والإحسان وتحري الصدقات وكسب القلوب والدعاء للوالدين وبناء السد بين يأجوج ومأجوج ونعمة الزوجية على الآدميين وغيرها من المعاني الصاحبة والنعم الربانية كلها توصف في القرآن بأنها رحمة، أو أن سببها رحمة أو أن الغاية إنزال الرحمة وتعميمها على العباد والصالحين والمتخشعين؛

لا يكتفي القرآن باعتماد الرحمة معياراً للأعمال الفضيلة يمدح مرتكبيها، ويبين نزول الآيات وفق مقتضاها، وإنه يوجه المخاطبين إلى طلب الرحمة:

﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ (سورة المؤمنون: 118)

وإطلاقاً وتثبيتاً عند المصائب

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ (سورة البقرة: 155-157)

وفهماً لحكمة الشريعة الغراء

﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة الأنعام: 145)

وتعليماً لنا كيف نتضرع ونفتح باب الأمل في وجه تقصيرنا وخطايانا، بعبارات رحمة تشيع معاني الرحمة والتوبة والمغفرة والسلام لعموم المخاطبين

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة الأنعام: 54)

لكن هذه الرحمة لا تعدم بحسب التوجيه الإلهي من عموميتها، إذا ما وكلت خاصة بفئة صارت امتيازاً واحتكاراً لفئة محظوظة فتحولت بالنسبة للمحرومين منها إلى نقيضتها نقمة وعقاباً، ويخشى أنه المعاني الرحيمة ووجه النص الحكيم أن يصير بمنطق التدينات المغلقة أو المعرفة والنحل المغلقة التي تشرع لأهواء الطوائف والفئات فتحتكر حتى الوحي وتحوله إلى امتياز

فالقرآن الكريم واضح وصارم بصدد عمومية الرحمة، فهو يخاطب بها الناس جميعاً، لا قوماً ولا جنساً ولا طبقة ولا فئة مخصوصة محظوظة

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (سورة يونس: 57-58)

إنها رحمة واسعة

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (سورة الأعراف: 156)

تسع كل العالمين، وتعرض عليهم بيسر وتواضع شروطها البسيطة لتنال منهم جميعاً بلا استثناء

﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (سورة الأعراف: 156-157)

فليس مطلوبا ممن يريد [illegible] أنواع هذه الرحمة والعلاء وهي الجنة سوى أن يستجيب لفطرة التوحيد والتخلي عن الخبائث وسلامة الضمير، فإذا به يسابق إلى جانب الأنبياء والأولياء والشهداء والصديقين يتقاسم معهم [illegible] بعد أن يحظوا جميعا برحمة الله، سواء أكان سيدا عربيا أم عبدا حبشيا، بلال أو سلمان أو من يكون معاصر النبي ﷺ أو أدرك زمن الرسالة، [illegible] كما قال تعالى [illegible]

﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] رحمة، وأي نسيم بهذه الرحمة يرضع من [illegible] مصطلح الرحمة في صيغة مصدر متحرر من أي إضافة أو [illegible]

إن أكبر دليل على أن الرحمة في القرآن [illegible] كما خوطب به المسلمون، لا يمكن أحد أن تكون محل لاحتكار أو [illegible] أنها [illegible] إليهم في سياق الاشتراط عليهم بتصديق الأنبياء السابقين

﴿[illegible]﴾ [illegible] ﴿[illegible]﴾

ولا عجب إذا كانت هذه الآية الرحيمة خاتمة سورة سميت باسم نبي من أنبياء بني إسرائيل، إنه القرآن الذي سمى سورة كاملة منه باسم سورة الرحمن

ثانيا ـ عالمية الإسلام

[illegible] ﴿[illegible]﴾ ويختتم بـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ [illegible]﴾ [illegible] الآيات وتسبح في فضاء من العالمية لا يحصر الإله

[illegible]

[illegible] مع الآخر [illegible] في حوار [illegible] ويحول [illegible] أن [illegible] بالبشرية كلها، إن عمل الرحمة هو [illegible] روحيا [illegible] الرحمن [illegible] يعلم [illegible] الرحمة (الأمم يرحمون) [illegible] في [illegible] بضرورة [illegible] إلى [illegible]

إن ما نريد [illegible] من تعميم المبادئ الرحيمة هو [illegible] الذبائح والأضحية عن أن يقدم [illegible] للآخرين، [illegible] من هذه [illegible] إلى [illegible]

[illegible] لتأسيس رحمة لا [illegible]

إن الرحمة يطلب الإنسان من الله، [illegible] الرحمة التي يطلب من الله [illegible] أساسا على [illegible] في [illegible] بالتوبة عن الخطيئة [illegible] بالإصلاح وترك الإثم والشر، فالإنسان [illegible] الرحمة لكي [illegible] رحمة الله في حياته [illegible] آخرته، [illegible] الرحمة [illegible] الإنسان [illegible] أن يكون رحيما [illegible] الرحمة [illegible] أن يكون رحيما [illegible] هو [illegible] مع [illegible] المجتمع [illegible] الذي [illegible] رحمة [illegible] عن الرحمة، [illegible] الموت الرحيم، [illegible] التي من خلالها [illegible] الإنسان [illegible] العالم [illegible] عن المبادئ الروحية التي لا [illegible] الأديان، إن

[illegible]

[illegible] رحمة [illegible] على أسس روحية حقيقية [illegible]

[illegible] التعامل [illegible] في [illegible] في [illegible] كل إنسان فلا يكون هناك [illegible] في [illegible] ولا يكون هناك [illegible] الوقت الذي [illegible] إنسانا يموت [illegible] يرى آخر [illegible] من [illegible] لكي [illegible] السيل، أليس هذا [illegible] عن الرسالة [illegible] إلى [illegible] أن يكون [illegible] للعالم كله لكي [illegible] حتى [illegible] ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء

على قوم ولا يميلهم شعبه المختار. إن أحد أكبر المعزّلات المصرية باسم الدين في تاريخ الصراع اللاهوتي البشري [illegible] هو احتكار الصلة بالله، وبالتالي السقوط في التأله على جبهة العباد بلعنهم [illegible] أو شعوب منحطة بوهم أنهم محررون لخدمة الطبقة المحظوظة لاهوتياً. وليس من كالإسلام، حذر [illegible] من [illegible] الاحتكار [illegible] وهي [illegible] المجتمع والعالم بالإشارة إلى رب العالمين جميعاً، رب الناس كلهم:

﴿[illegible]﴾ [illegible]

أذكر حين زرت [illegible] الأديان بولاية [illegible] سنة 1996 [illegible] المشرفة عليه برنامج مسابقة ثقافية [illegible] للأطفال الزوار كي [illegible] تتعلق بالدين الإسلامي [illegible] بسلامة المعلومات [illegible] من [illegible] متوسطة المستوى [illegible] بالإسلام، لكني [illegible] خطأ واحداً كبيراً في صياغة سؤال: ما اسم إله المسلمين؟ [illegible] يبدو بسيطاً [illegible] ما اسم الإله عند المسلمين؟ [illegible] لأن الإسلام لا يقبل احتكار الله لجهة، ولا ينغلق في سلالة، ولا يصنع قطيعة مع من سبقوه

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [illegible]

إنه ليس من قبيل الصدفة أن تكون سورة الناس هي آخر سورة في المصحف، حسب ترتيب التدوين بموجب الإرادة الإلهية (مغاير ترتيب النزول بموجب المشيئة الإلهية) ففي ذلك إشارة واضحة إلى أن الشكل [illegible] خطاب ومرجعية ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ الخطاب المناسب لختم الرسالة، وإعلان مرحلة النضج البشري في التعامل مع كلمة الوحي بموجب اجتهاد العقل، إنه النضج مع مرحلة من التاريخ التي انحصرت فيها كل الرسالات السابقة في الرسالة المحمدية، بفعل الواقع الخاضع لانغلاق التجمعات البشرية، وعسر المواصلات وانعدام وسائل الاتصال الجماهيري، فلا عجب أن نجد كلمة ﴿النَّاسِ﴾ في معرض الاستطاعة والتكليف والتوجيه والإنذار والتبشير، تتكرر [illegible] مرة، كما أن كلمة ﴿الْعَالَمِينَ﴾ تتكرر [illegible] مرة، فالتوجيه [illegible] في معرض [illegible] الله من أن يكون إلهاً مخصوصاً لقوم مختارين، لأنه رب العالمين.

صحيح أن القرآن يخاطب الأقوام السابقين ويشتمل في جنباته عبارات من مثل «يا قوم» منسوبة إلى كثير من الأنبياء، ومثلها ﴿[illegible]﴾ ﴿[illegible]﴾ [illegible] لكن القرآن يتكلم عن القرية الواحدة يبعث إليها النذير من الأنبياء، لكنه حديث تاريخ، وعبر ماض، وقصص عبرة لمن يتأمل [illegible] للناس

﴿[illegible] كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [illegible]

يسمو القرآن سمواً في استعمالاته ومآلاته مع هذا التوجه العالمي فيتجرد من كل ما هو خصوصي باستعمال الاسم الموصول ([illegible] مرة) ليتجرد من الأسماء الخاصة ويتحلل من ربقة التاريخ والجغرافيا والديموغرافيا ليصبح في فضاء المواقف والأعمال والاختيارات يربط بها أحكامه وسننه وحكمه وحكمته. فليس هناك قبائل ولا أشخاص ولا مناطق ولا دول ولا طوائف ولا نحل ولا أجناس ولا ألوان ولا شعوب ولا جماعات ولا أقوام ولا سلالات، أي لا تخصيص ولا امتيازات، وإنما هي ثلاث مجموعات مفتوحة مرنة، يدخل إليها من شاء بطلبه أو يخرج كما شاء مطلقاً طائراً بنفسه ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ و﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ و﴿الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ إنما هي مسالك وخيارات يحاسب بها كل مكلف، سواء أكانت [illegible] أم كانت [illegible] يحملون، يكتبون الكتاب بأيديهم، يشترون الضلالة بالهدى، يكتمون ما أنزلنا، لا يعلمون، لا يعقلون، لا يبصرون

وهي قوانين وسنن تسع الأمريكي والصيني، واليهودي والعربي والتركي، كما أنها تلائم ابن [illegible]

الأرض من ملاحظة أمن حاضر في قرون التابعين. [illegible]
[illegible] هنا من اختلاف ألوان ولغات وجنسيات وميولات وأذواق وحضارات، فالإسلام لا يضيق بها ولا يرفض تعدد رايات وأبداعات، ولكنه يضع فاصلاً بين صاحب الحق الذي يقبل بالآخر ولو كان على ضلال، ويفسح له سبيل التعايش والتعاون على الخير ومن باب أولى يقبل الاختلاف معه بل ويحترم ذلك الاختلاف ويستفيد منه ويستثمره.

لقد رفض الإسلام بما يكفي عن قبوله بالآخر، وعن قبوله الاختلاف مع الآخر.

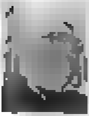
1. إن الإسلام يؤسس لقبول الآخر تأسيساً عقدياً وقيمياً [illegible] يرفض كل أشكال العنصرية تجاه الآخر، كما أنه يرفض تصنيف الآخر بسبب اللون أو الجنس أو العرق أو الاعتقاد أو غيره من المسببات [illegible]

وهكذا، تنتفي ذاتيا كل أسباب ممارسة العنف أو الإرهاب ضد الآخر لإذلاله أو إقصائه أو محوه محواً مادياً من الوجود، ما دام يتأسس في ضمير الإسلام الثقافي والمنطقي والمؤسس كل أشكال قبول الآخر ويرفض كل أشكال رفضه.

فلنأخذ مثلاً السبب الديني، والذي قد يصدر بالنسبة لدين كالإسلام جاء يقول إنه خاتم الديانات وأنه ناسخ لها ومهيمن عليها، سبب وجيها، نجد أن القرآن الكريم في عدة مواضع مضطرا يحدد علاقته بالديانات السابقة. قال أن يقول ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

وليست الهيمنة بالهدم ولا الإقصاء، ولكن هي منطق التصحيح والتنبيه إلى ما وقع من التحريف في هذه الديانات، وردها إلى أصلها المشترك مع الديانة الإسلامية، والذي هو الأصل الإبراهيمي أو الأصل الآدمي، وينبني على أن الهيمنة هنا هي مفهوم تكاملي وليس مفهوما إقصائيا، فهو ما [illegible] على



[illegible]
يعين لجنة للحوار والإرشاد
أحس بيش المسلمين
وإحساسا جميلتم

أقدم الشكر والتقدير لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، لأنها وجهت إلى الدعوة للتلاقي هنا في طرابلس، [illegible] في تقديم العون [illegible] المسلمين، فالشكر جزيلاً لها على دعوتها هذه، وبصفتي [illegible] مؤسسة العلم [illegible] للمسلمين في البلاد العربية والإسلامية، أتقدم لها بالشكر والتقدير على [illegible] جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، [illegible] المسلمين في جميع بقاع الأرض [illegible] وتعاونهم في مجال التعليم أو الثقافة [illegible]
[illegible]
[illegible] المساعدات في كل هذه المجالات، لأنها [illegible] بعض المسلمين ولن لا أقول ذلك مجاملة [illegible] [illegible] ذلك [illegible] من أقصى [illegible] إلى [illegible] أفريقيا إلى آسيا إلى أوروبا إلى أستراليا إلى أمريكا [illegible] كل الشكر والتقدير على ما قدمته من خدمات
[illegible]
[illegible]
[illegible] المسلمين في [illegible] رسول الله الذي يقول أيما رجل أدخل السرور على مسلم إلا خلق الله من السرور ملكا يعبد الله [illegible]
[illegible]
[illegible] يقول أنا السرور الذي
[illegible]
[illegible] لله يوم القيامة [illegible] بالجنة) فكم من [illegible] رسول الله ﷺ لإخواننا العاملين في مجال الدعوة، واسمحوا لي أن أقدم خالص الشكر والتقدير [illegible] الأخ معمر القذافي، لأنه لولا [illegible] ودعمه لهذه الجمعية ما تمكنت من تقديم هذه المساعدات، وأقدم خالص الشكر والتقدير للشعب الليبي العربي الأصيل الذي [illegible] بالجمعية [illegible] بالكلمة الطيبة النابعة من القلب التي تدل على أنه شعب كريم عربي أصيل

مستوى التصور والسلوك النبويين، وكذلك سلوك الصحابة في فقه التعامل مع غير المسلمين.

فعلى مستوى التصور، يقول النبي ﷺ في حديث يروي صحيح يبرز فيه موقعه بوضوح عبر مثال، فقال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأكمله ووصله إلا موضع لبنة في ركن، ثم ظل الناس يطوفون بالبيت ويقولون ما أحسنه وأكمله لولا تلك اللبنة... قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»(1). فجعل النبي ﷺ نبوته ورسالته بمثابة موقع لبنة صغيرة في ركن قصي من بيت كبير، وهذا ليس تقليلاً فقط، بل هو تواضع كبير ونبيل.

أما على مستوى السلوك النبوي وفقه الصحابة في التعامل مع الآخر، فعندما فتح عمر بن الخطاب بلاد فارس عرض له إشكال فقهي جديد في إطار المستجدات التي تحتاج إلى اجتهاد، وهي أنه يتعامل مع نمط جديد من الاعتقادات الجماعية الذي هو المجوسية، فاستشار الصحابة واحتار في الأمر ذاته، لأن القرآن والسنة النبوية يؤسسان للعلاقة مع اليهود والنصارى ضمن مفهوم «أهل الذمة»، بحيث تقوم العلاقة معهم على عقد تشارعي يسمح لهم بالعيش مع المسلمين، والتمتع بالحرية في العبادة والعلاقات الاجتماعية، على أن يترك لهم كل ما يتعلق بالأمور الداخلية. لكن المجوسية ديانة وضعية غير سماوية وغير مذكورة في القرآن الكريم، ولا يوجد موقف صريح من أهلها فيه، وانطلاقاً من مبدأ التوحيد الإسلامي السليم، يفترض أن يكون هناك موقف جذري منهم وهو الرفض، فإذا بعبد الرحمن بن عوف يقول: أشهد على رسول الله أنه قال: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب»(2)، وبذلك تم توسيع مفهوم الذمة من حيث تأسيس علاقة إنسانية راقية تقبل الآخر وتضمن له حقوق حرية العبادة وحرية الاعتقاد وحرية المؤسسات القضائية، والفقه الخاص الذي تبنى عليه العلاقات الاجتماعية والأحوال الشخصية. كما تم توسيع هذا المجال لكي يشمل كل الديانات المعروفة ميدانياً، بما فيها ديانات وضعية ووثنية وديانات ليس فيها موقع لله أصلاً.

ب - أما بصدد قبول الاختلاف، فالإسلام ينظر إلى الاختلاف كطبيعة، أي أنه جبلة بشرية متأصلة فلا يعتبره انحرافاً ولا منكراً، ولا استثناء، بل ينظر إليه على أنه الأصل، يقول تعالى:

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (سورة هود، الآيتان 118-119)

فهو يبين بذلك أنه خلقهم من أجل الاختلاف، ولأن الاختلاف جزء من طبيعتهم ووجودهم لا ينتفي إلا بانتفائهم. والاختلاف في التصور الإسلامي يتعدى ويكفي ما يقال عن خلاف الفقهاء، واختلاف العلماء والحكماء، لأن الاختلاف يؤسس للاجتهاد في الرأي، ولأن الاختلاف في رؤية المنظومة الفقهية أو العقدية أو السياسية هو الذي يؤسس للاجتهاد، ولأن الاختلاف جزء من الحرية، فإن الإسلام يجعل من حق الإنسان أن يختلف، ويعتبر هذا الاختلاف كسلوك فطري على أرضية هي في عمق هذه الفطرة، هي الشوق إلى الحرية والرغبة في الحياة بحرية. كما ينظر الإسلام إلى الاختلاف على أنه خصب، وأن التعدد في زوايا النظر يؤدي إلى إخصاب الفكر والواقع الإنساني وكذا المشهد البشري على الأرض.

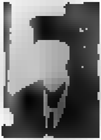
ولم يكتف الإسلام بهذا النظر المجرد إلى الاختلاف بكونه طبيعة ورحمة واجتهاداً وحرية وخصباً، وإنما قام بوصفه بالتفصيل، فالعلماء يعتبرون جميعهم في أصول الفقه، إلى الاختلاف في الأحكام الشرعية بوصفه اختلافاً طبيعياً وشرعياً ولازماً، والفقه

(1) رواه البخاري.

(2) كتاب الخراج لأبي يوسف، نقلاً عن ... [illegible] ... في الإسلام، منشورات الإيسيسكو، ص 41.

في طبيعته يتشكل من آراء مختلفة، حتى في الأمر الملتبس الذي تعبدنا الله به، أي أننا نختلف حتى في فهمنا لأمر الله، حيث نمارس عبادة الله عن طريق فهمنا لهذه العبادات ونختلف في ترجمتها إلى سلوك دون أن يكون في ذلك تناقض، لأن الحق ولو أنه واحد إلا أنه ليس هو الصواب؛ الحق واحد والصواب متعدد ويمكن أن تكون للحق أشكال متعددة من الصواب.

في هذا الإطار تأتي أول بادرة للاختلاف اصطدم المسلمون وصحابة النبي ﷺ بالإقرار، والإقرار مصدر من مصادر التشريع التي مثل القول والعمل والسنة. ذلك أن النبي ﷺ أمر الصحابة أن يسرعوا إلى بني قريظة قائلاً: «من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة»، لكن لما دخل وقت العصر وهم في الطريق انقسموا إلى قسمين، قسم فهم الأمر النبوي حرفياً وأكمل الطريق إلى أن دخل الليل فصلى العصر مع العشاء الآخرة، رغم أنه يعتبر من التفريط الكبير أن يصلي المسلم العصر بعد الغروب، وقسم آخر اجتهدوا في فهم النص النبوي فانطلقوا إلى روح النص، ولم يقفوا عند ظاهره وقالوا إنما هو من أساليب الحث والتوكيد، فتوقفوا وصلوا العصر، ثم وصلوا متأخرين قليلاً قبل المغرب والعشاء. فلما التحق النبي ﷺ بهم بعد ذلك في اليوم الموالي وحدثوه بالأمر أقر هؤلاء على اجتهادهم، وأقر هؤلاء على اجتهادهم[1]. فأصل بذلك لدور الإنسان في فهم النص وتأويله وقراءته وتنزيله على الواقع، مما يدل على استيعاب الإسلام لكل التعاطي العقلي مع النصوص خلافياً وترجيحاً بحسب يحتمل الخطأ والإسلام هو الذي أسس للثواب على الخطأ، وليس فقط لإعفاء الناس من جريرة الخطأ، عندما اعتبر المجتهد المخطئ مأجوراً، ولم يكتف بالقول من



أود أن أشكركم على دعوتي للمشاركة لأن هذه فرصة سانحة لتقاسم الأفكار والاستمرار في الحوار. كلنا نعلم أن الحوار بين الأديان حوار مهم جداً لاستتباب السلام وتحقيق الأمن للمجتمعات، إن الكنيسة الأرثوذكسية تفتخر دائماً بأن الرسالة [illegible] الأرثوذكسي [illegible] عبر عن الرغبة [illegible] المساهمة في الحوار بين الأديان وتحقيق التعاون في ما بيننا حتى [illegible]

والمساهمة في الصلح بين الشعوب وتحقيق [illegible]

وأن [illegible] الإخوة المسلمين [illegible] المعاصر والأساسي

إن الكنيسة الأرثوذكسية منخرطة في الحوار الحديث بين الديانات خاصة مع الإسلام [illegible] الاحتفال إضافة إلى التسامح كلها من بين الأسس والمبادئ [illegible] الثلاثة خلال فترة طويلة في نفس المنطقة [illegible]

[illegible] بالاهتمام خاصة في فترة [illegible] هذا السلام الذي نحتاجه في فترة الخلاف [illegible] إن الله سبحانه وتعالى يمن علينا برحمته [illegible] في الحقيقة [illegible] أن الرحمة هي أساس للحياة والسلام في العالم، والأهم [illegible] يتعلق (في الإسلام والمسيحية) فنحن نذكر كلمة [illegible] يمكن أن [illegible] أن الرب [illegible] الرب هو الرحيم، وحينما نسمع كلمة الرحمة فهذه الكلمة تحمل أكثر من كلمة [illegible] إنني أركز على [illegible] وأن نكون رحماء مع العالم، وأن نفهم قوة هذه الكلمة

اجتهد فأصاب فله أجر، ومن اجتهد فأخطأ فلا شيء عليه. فهنا ليس معصوم، وأيضاً قال ﷺ: إذا حكم الحاكم فاجتهد فأخطأ فله أجر، وإذا اجتهد فأصاب فله أجران (البخاري ومسلم). ومعنى هذا التصوير التبسيط ليس للتخفيف الصعب على المخطئ، فكلاهما مجتهد، ولكن لحصر الضرر على إتقان الاجتهاد، حتى لا يكون مجرد الاجتهاد لأجل الاجتهاد، وإنما الاجتهاد من أجل الوصول إلى الصواب، وبهذا فإن الأمر يسوي الإسلام بين المجتهد المصيب والمجتهد المخطئ، وهكذا يحارب الإسلام التعصب والحرفية في فهم النصوص، ويحارب الاستبداد الفكري الذي يقوم على التعصب في بوتقة واحدة مما يؤدي إلى إلغاء البعد الفردي والاختلاف وإلغاء الجانب الذاتي والخاص في أسلوب الإنسان وعقليته ونفسيته. وبالتالي لا يمثل الإسلام حالة نفاق عامة للناس يرتبطون فيها بالدين بارتباط مصلحة عبر سلطة فكرية ظاهرة تطبعهم بطابع واحد وتجعلهم في قالب واحد، وإنما يعني التنوع والإيمان ويعني التعاطي مع النص بحرية ويدفعه إلى أن يتعاطى بالوضع الواقعي للطبيعة البشرية القائمة على الاختلاف.

إن الإسلام يقبل الآخر ذاتاً وفكراً، ومن هنا ما يدفعه إلى أن يضع نظرية في تعميم التعايش بناء على أن الآخر أمر واقع، وأن الاختلاف مع الآخر أمر واقع أيضاً، ويبني الإسلام تصوره لتدبير التعايش على جملة عناصر، نكتفي بذكر ثلاثة منها فقط: أولها تصوري وثانيها أخلاقي وثالثها عملي.

أولاً التفاهم: فالإسلام يبحث دوماً عن أرضية مشتركة ويدعو إلى توفيرها كي تحل الخلاف قائلاً لأن يتعايش به في إطار مشترك يمكن أن يتحول إلى قيم مشتركة ومستقر ومنسجم. هكذا نقرأ قول الله عز وجل في حوار مع اليهود والنصارى:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (سورة آل عمران، الآية 64)

والقرآن يتنازل بموجب ذلك منهجياً عن الشق الثاني من الشهادة «محمد رسول الله» لأن هذا الأمر مرفوض من الآخرين، ويكتفي بالمشترك الذي هو الإيمان بالله، وليؤسس به أرضية إنسانية منسجمة تقوم على التعاون والتعايش بين الديانات الثلاث، هي ما يطلق عليها القرآن الكريم بالكلمة السواء.

ثانياً التحاور: لقد رفض الإسلام كل الأشكال العنيفة للتدافع، وطالب بشكل حضاري سلمي سوي للتدافع، هو التدافع بالفكرة والكلمة، وبكل ما يمكن أن يحقق التواصل ويبني التفاهم والحوار، مما يفتح مجالات الرقي، كما يوصي بسمات ويتقيد بقيود منها قوله تعالى:

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

(سورة العنكبوت، الآية 46)

هكذا نفهم بأن يكون الجدال بالتي هي أحسن، ولقد أمرت بذلك أيضاً بقوله تعالى للنبي ﷺ:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل، الآية 125)

ومن الجائز ملاحظة بعد أن نلاحظ أن الموعظة تكون حسنة، أما الجدال فيكون أحسن، لأن الموعظة تكون للموافق، في حين أن الجدال يكون مع المخالف، ولذا أمر المسلمين بأن يحسنوا خطابهم مع الموافق، فقد أمروا بدرجة أعلى من التحسين مع المخالف، حيث يكون الحوار عرضة للانفعالات والانزلاق إلى السب العادي أو الرمزي، فيحتاج إلى الاحتياط وضبط النفس، وإلى مستوى عالٍ من التحكم في الانفعالات السلبية عند الإحساس بمواجهة المحاور بمرونة حتى يواجه الاختلاف متعلقاً بالأحسن ليكون حواره مقبولاً وسليماً.

ثالثاً التعاون: وهو يجسد المجال العملي لتدبير التعايش حتى لا يبقى مجرد مسلمات وتصورات وعواطف ومجاملات، وإنما يتحول إلى إنجاز عملي مشترك بين جميع الأطراف يحقق التعاون فيما هو

متفق عليه فيما هو مشترك ... وفي المجال ... العربية والعربية والإسلام ... على ... السلم ... بين ... لا طعمة ... يجمع بينهم ... متناهي ... خلافي ﴿ ... ﴾

التي ... والعلاقات ... والتربية ... في وحدة ... المطلوب ... التعاون في تدعيم ... القيم ... والمحلي والعالمي ... عن ... على ... التعاون ...

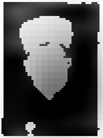
ويعد ... الإسلامي ... التعاون الثلاثة في هذه ...

﴿ ... ﴾

هذا ... في ... المسلمين ... الناس جميعا ... أمام القانون ... وهذا ... المسلمين ...

... في عهد رسول الله ﷺ ... كل واحد ... العدل والرحمة ... النبي ﷺ ... والمسلمين ... ولا ... الكتاب ... عند ... الله ... إذا ...

أكد ... على أن ... جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ... وذلك ... الرحمة ... الإسلامية ... والرحمة ... القرآن الكريم ... الله ... إلى التأكيد على الرحمة.



... رئيس مجلس ... الجمعية
... مشرقة في مجال الدعوة الإسلامية حول العالم

... جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ... الإسلامي ... التي ... الرحمة والتآخي

... الأمم المتحدة ... الدعوة الإسلامية ... الإنسانية ... المسلمين ... جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ... الإسلامية ... المسلمين ... الله ... جمعية الدعوة

بأنهم يعاقبون في الدنيا وفي الآخرة"[1]

فقد أسس الإسلام لأرضية مشتركة بين كل خلق الله، قائمة على العدالة الإلهية الحقيقية التي تجعل الناس سواء أمام القانون الإلهي، والتي يقوم على أن «من أحسن فله الحسنى ومن أساء فله السوء» في الدنيا وفي الآخرة، وفي هذا الإطار يتضح معنى قوله تعالى:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [سورة الزلزلة: 7-8].

ومن هنا فالعقيدة ليست موسومة بصبغة إثنية ولا صبغة عرقية ولا جنسية ولا دينية، وهذا واضح في القرآن في تصحيح الانحرافات الدينية، فعندما قالت اليهود والنصارى:

﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [سورة المائدة: 18]

جاءهم القرآن بقوله:

﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [سورة المائدة: 18].

فأنزلهم إلى مستوى الأنسنة المشتركة، ونفى أي صبغة أو تأسيس لعقيدة عنصرية، عقيدة شعب الله المختار، أو عقيدة شعب الأخيار أو شعب الأولياء التي تبيح للإنسان اللجوء إلى العنف". فأي رحمة مثل هذه؟ عاطفة حب وإنصاف تسوي البشر جميعهم أمام قانون الله العادل، لأنها عاطفة تتأسس على بناء عقلي وتصوري منظم.

أما الحضارة الغربية القائمة على أسس الأخلاق المسيحية اليهودية كما يزعم أصحابها، فلم تثبت قدرتها على قبول الآخر، ولا على تحمل الاختلاف معه، ولا على فهم العالم إلا على صورة نمطية موحدة هي أن يكون نسخة لصورته المهيمنة منذ عهد الرومان إلى زمن العولمة.

إن من ثوابت الفكر الغربي هو نفي الآخر، وقد وضح ذلك بعض المفكرين الغربيين المنصفين، ممن لهم فضيلة الفكر المتجرد والإبداع المتميز، بل والعيش لمدة طويلة داخل المجتمع العربي[2] كجارودي وإدوارد سعيد، بينوا أن الغرب لا يحاور الآخر ولا يقبله، ولأنه في الغرب يحاور نفسه في نفي الآخر، لأن الآخر مشروع للهيمنة والإقصاء، بما أنه مشروع للتحكم والسيطرة والاستغلال، وليس مشروعا للتعايش.

يرى إدوارد سعيد بأن العلاقة علاقة معرفة فقط وعلاقة انفصال وتغريب، فقد كان أمرا طبيعيا أن تصبح علاقة عدائية، إذ أن الهدف النهائي لإنسان الغرب الحديث تحدد في معرفة العالم وفهم قوانينه من أجل السيطرة عليه، وذلك في تجسيد واضح لذلك المنظور الذي يجعله منذ [illegible]، كما يجعله يعيش الإنسان في حرب دائمة مع الآخرين[3].

لم نجد أن الغرب عبر تاريخه الطويل، رغم أن خطابه اليوم هو خطاب التسامح والإنسانية والتعايش والديمقراطية وحقوق الإنسان، كان دائما يقصي وينفي الآخر، فمن الروماني إلى الأمريكي، من الإمبراطورية الرومانية إلى الإمبراطورية الأمريكية، نجد حوارا مشتركا حول الذات أو ما يسمى التمركز حول الأنا، فالغرب لا يحاور الآخر، وإنما يحاور نفسه بصدد الآخر ويتحدث مع نفسه في شكل تصور الآخر، ومن أشكال التعامل معه والهيمنة عليه واستغلاله ومحاولة تنميطه بإكراهه بالمقاييس والمفاهيم الغربية.

فمن الرومان، الذين كانوا يعتقدون بضمير مرتاح

---

1. [illegible]
2. [illegible]
3. [illegible]

ن الأمة المهزومة تتعبد بمعوقي بكل بساطة، لأن المستعمر يؤسس سياسة القوة عن طريق الانتصار والمهزوم مهزوم لأنه فقد القوة. إن أمريكا التي تقول اليوم: من ليس معي فهو مع الإرهاب، وتعتبر البشرية كلها في حالة سوفسطائية سلبية للفكر الإنساني الغربي نفسه منذ أفلاطون وسقراط الذي علمنا جاء سقراط لكي يحارب السوفسطائيين الذين كانوا يعتمدون على الاستدلال الناقل. أنت لست أنت وأنا لست أنا [illegible] لذلك فإنه لا يوجد في [illegible] العربي [illegible] الأمر هو [illegible] العقل السوفسطائي المرفوض الذي جاءت براهين الفلسفة العربية [illegible] لمعارضة [illegible] في الفكر [illegible] ومحتوى [illegible] وتعصبه وهذا [illegible] أمريكا اليوم على [illegible] وهذا من التاريخ [illegible] النبي [illegible] في الاقتصاد والثقافة والسياسة وحقوق الإنسان، وكذا في قضية المرأة وقضية الطفولة والقضايا الثقافية والعلمية والمنهجية. الغرب يريد أن يكون الآخر نسخة له بالشكل الذي يريده هو ويحدد ما يريده الآخر لنفسه. وحتى إن أراد أن يقدم بطريقته الإسلامية لكي يبني ذاته بقوته فإنه لا يقبل ذلك ولا يسمح به. هذا على مستوى التاريخ الروماني والتاريخ المسيحي الذي [illegible]

أما بالنسبة إلى الفكر اليهودي، فالتوراة والتلمود يتأسسان على إلغاء الآخر ورفضه [illegible] على [illegible] سلالة [illegible] وسلالة واليهود [illegible] البشر وأرواحهم جزء من الله. أما البشر فأرواحهم شيطانية، ويخلقوا من [illegible] وإذا ضرب يهودي فكأنما ضربت العزة الإلهية [illegible] حق الله [illegible] اليهود [illegible] اليهود وأموال [illegible] وأعراضهم حلال لليهودي واغتصابها قربى لله ولا [illegible] على [illegible]

الإسلامية العالمية لأنها تضم فئة من العلماء والدعاة والمفكرين الذين نذروا أنفسهم لإحياء أمانة الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما [illegible] هذه الفئة اليوم في هذا البلد الطيب [illegible]

[illegible]

[illegible] الرسول ﷺ الذي قال فيه سبحانه وتعالى

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [illegible]

[illegible]

ثلاث رسائل محورية الأولى للمسلمين والتي تقول

﴿[illegible]﴾

[illegible]

والرسالة الثانية لغير المسلمين والتي تقول

﴿[illegible]﴾ [illegible]

والرسالة الثالثة للعالم أجمع وهي تقول إن الأرض لا [illegible] ولا [illegible] بل [illegible] التعاون في الخير والبر والإحسان في كل [illegible] ومكان.

ولجميع العاملين في هذه الجمعية [illegible] الفكر [illegible] هذه [illegible] الإسلامية عامة وللعالم كله [illegible] في [illegible] الحوار والتعايش والتفاهم والتعاون بين الأديان والحضارات والثقافات [illegible] أن يتجاوزوا [illegible] والصراع بين الأديان والحضارات [illegible]

وإلى هذه [illegible] التي هي [illegible] [illegible] في مجال الدعوة الإسلامية حول العالم



[illegible]

[illegible]

إن [illegible] تاريخ الأمة الإسلامية [illegible] كانت [illegible] إلى [illegible] وإلى [illegible] الروح الإسلامية في [illegible] الآخر [illegible] في كل [illegible] وفي كل مرة [illegible] جديدة [illegible] ولذلك نقول [illegible] أسرع [illegible] من [illegible]

التعلم الإلهي لليهود، أنهم شعب الله المختار[1].

أما المعجم الأكبر الإسرائيلي لليهود الشرقيين، فقد طرح في الصلاة الرسمية التي تمر عبر وسائل الإعلام منذ مدة قصيرة بعد اندلاع الانتفاضة، بأن الرب ندم أنه خلق بني إسماعيل، ويصف صوت مسموع خطأً الرب بإبادتهم جميعاً، وهذه ليست حالة غضب لكن هي تعبير عقدي بالله، وإنما هو اعتقاد متأصل لدى اليهود يسمى عقيدة الإبادة، وهي أن الرب يطلب فيستمع له الصلوات[2].

قد يستطيع الحديث عن الرحمة في الإسلام عمومه وشموله وحساسيتها، بواقع أنهم هو كون المسلمين قد خاضوا في الدماء، خلال الحروب الكبيرة التي قادها الرسول ﷺ والصحابة من بعده في زمن الفتوح، حتى قال المستشرقون ومن لف لفهم: إن الإسلام قد أكره الناس بالسيف، ويعرض عليهم القتل ويضعهم تحت طائلة الإعدام من أجل أن يدخلوا فيه ويعتنقوه، لذا جيش الإسلام، حسب هذه الدعوى، جيوش وجيوش عبر العالم، وبالتالي فالإسلام مثل باقي الإمبراطوريات الكبرى قد لجأ للقوة، واستعمل السيف وهي القوة العسكرية لاستغلال الشعوب وإكراهها على التحول إلى الإسلام، وبالعبارة التقليدية: إن الإسلام انتشر بالسيف. فأين هي الرحمة بما يحوي انتشاره في خضم الحروب والقتال؟

والجواب عن هذه الشبهة، لابد من التفصيل في مستويين:

أولاً: السياق التصويري يستشف من قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: 216] في إعلان واضح وصريح وطبيعي

أن القرآن يجمع بين الفطرة الإنسانية والفطرة الإسلامية تنبذ العنف وتكره استعمال القوة أو الإفراط في هذا الاستعمال، إنها فطرة مسالمة سلمية، ومفهوم القاعدة الكلية في الإسلام، وهي أن التشريعات تتأسس على أساس الفطرة، فالأمر بالتوحيد يبنى على فطرة عبادة الله عز وجل وتوحيده وتعظيمه، والأمر بالنعمة على عياله يرتكز إلى فطرة الكرم التي ركزت في الإنسان، والنهي عن الظلم والإيذاء والاعتداء يستند كتشريعات إلى أن الإنسان مفطور على كراهية الظلم وعلى استنكار الاعتداء، والنهي عن التكبر مبني على أن الإنسان قد ركزت فيه فطرة التواضع وكراهية المتكبر، فلا يكره الإنسان شخصاً لم يؤذه كما يكره المتكبر لصورته ونفسه المتبخترة، كل هذا يدل على أن ما أسميه بالتأسيس الفطري للأحكام الشرعية مطرد في كل أحكام الإسلام، ومعنى هذا أن التأسيس لحكم شرعي بالمسالمة ونبذ العنف يستند على فطرة كراهية القتال، مما يقيم دليلاً واضحاً على أن القتال حالة مستثناة في الإسلام.

ثانياً: يعنى بالسياق السياسي والتاريخي لتشريع القتال في القرآن الكريم.

قوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: 39]

أن الإذن بالقتال نزل في سياق الدفاع والاستثناء، ويعد هو الشرط الوحيد والظرف الوحيد والاستثناء الوحيد الذي يبيح فيه الإسلام

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

استعمال القوة أي بمجرد مواجهة القوة استعمال الردع لمواجهة الاعتداء، استعمال الخشونة لمواجهة [illegible]...

إن هاتين الآيتين وغيرهما لا تكتفيان بالتشريع أو [illegible] بالاحتكام إليه، وهو جو مناقض للجو العام الذي نزل فيه القرآن، والذي ظهرت فيه دولة الإسلام، بحيث كانت جميع الدول والأمم المحيطة به تعبد القوة، من الروم إلى الفرس إلى الحبشة وغيرهم. إن الحديث عن الجهاد في القرآن هو تدبير حل لمشكل لا سبيل لتلافيه، وإن تشريع الجهاد ليس قانوناً يفرض على الشعوب كاختيار عند المسلمين، وإنما هو سعي لمواجهة حالة موجودة وقائمة وما زالت عند البشرية إلى اليوم.

إن سياق الحديث عن القتال واعتماد القوة واضح في عموم تشريع الإسلام، مثل سياقات الحديث عن [illegible] العلاقات الاجتماعية، والتي [illegible] مشاكل لا تنتهي.

و يتبين ذلك أكثر عندما ندخل في تفاصيل فقه الجهاد، فمن جهة يعتبر الإسلام استعمال القوة في الجهاد حالة اضطرارية تتوقف بتوقف دواعيه

﴿[illegible]﴾

ويوجب التوقف بالعداء الملازمة بالعدو والعجلة والسرعة، بمجرد ما يكف العدو عن الاعتداء، على المسلم أن يتوقف [illegible] من عملية رد هذا الاعتداء فهو [illegible] لكف الأذى [illegible] القرآن بصيغة [illegible] ويتحدث القرآن الكريم عن [illegible] ينهى عن كل أشكال إيذائهم أو نقض العهد معهم ويعتبر ذلك غدر وكفر يخرج من الملة

﴿[illegible]﴾

ويتحدث القرآن الكريم عن ضبط العلاقات

الموضوعات التي تحتاج إليها، كما يحكي من أحوال العالم الإسلامي وما يمر به الآن، وكما ينظر إلى ما [illegible] أنه قيمة سالبة لأن تربية الناس أكثر من أن تلتقي [illegible] معروف، ولكنك لم تخرج مما نحن فيه إلى ما ينبغي أن نكون عليه. كما يعلم بأن الإسلام جاء ليشيد المجتمع [illegible] والتراحم والتعاون والمضي في سبيل البناء الحضاري للمجتمعات الإنسانية، لكن أين هي هذه المجتمعات الإسلامية [illegible] فقاد مجتمعنا [illegible] الطريق الطريق ليؤمنا به الله وحث على الأخذ به والتمسك بحبله

﴿[illegible]﴾

فالأمر الأول هو الإيمان بالله، يجب أن نكون مؤمنين حقيقة، ومن كان يعيش هذه الروح الإيمانية ويحس بها ويريد أن يجسدها سلوكاً، وتلقائياً تدفعه إلى العمل الصالح، والعمل الصالح أمر مفروض حتماً على المسلمين لأن كل مسلم يلزم بهذا العمل الصالح هو [illegible] البناء، ثم هو يعلم كما نبه القرآن الكريم إلى ذلك بأن الإيمان والعمل الصالح يحتاجان إلى أمرين يحتاجان إلى شيء من الصبر ويحتاجان أيضاً كما [illegible]

﴿[illegible]﴾

[illegible] الناس جميعاً أن يتواصوا بهذا، النبي الذي فرضه الله عليهم وعلى الجميع ليكونوا وليعيروا به متمسكين به، يسمعه شيء من الكفاح ومن الصبر ومن الصبر الذي لا ينبغي أن لا يخلو منا، لأننا إذا نسينا الحق ونسينا الصبر فقد أضعنا كل شيء

وأنا أرى أن حل هذه الإشكالات ينبغي أن تحمل في [illegible] كل منا إلى ما يجب، فهذا الذي يجب علينا، النعمة ينبغي أن نكرم بها، ذلك ومحافظة على سلامة [illegible] إلى أطراف الأقارب والأباعد وما يكون منا في كل يوم يطلع الصبح علينا، فليس الحز

مع الآخر يصبح تعبيرا عمليا دالا على معتقد واحد وهو درجة من درجات التقدم.

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ﴾ سورة الممتحنة: الآية 8-9

فالقرآن يبين بوضوح أن الموقف من الآخر ليس موقفا من دينه ولا من عقيدته ولا من حضارته ولا من حقه في الوجود، ولا من هيمنته على جزء من هذه الأرض أو من مساهمته في بناء الحضارة أو منافسته للمسلمين في مجالات اقتصادية أو سياسية أو ثقافية، وإنما هو موقف من عدوانه على المسلمين، فمن اعتدى على المسلمين حرمت مساكنته ومصاحبته ومناكحته والتعاون معه، وإذا توقف عن إيذائهم فإن كل ذلك يعود إلى دائرة الجواز، بل يصبح هو الأصل وسنة يقول عز وجل:

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾
سورة الممتحنة: الآية 8

يبين أن الأصل هو البر وهو القسط وهو الإحسان، فلسنا مأمورين فقط بمهادنتهم أو مسالمتهم وعدم الاعتداء عليهم، بل نحن مأمورون بالإحسان إليهم والبر بهم والإقساط إليهم. وهذا مستوى عال في العلاقات الإنسانية، لكن ذلك يتوقف بمجرد أن كان هنالك داع واحد يجوز أن يقاتلونا في الدين لإكراهنا على الرجوع إلى الكفر ونزع صبغة الإسلام منا أو يخرجونا من ديارنا أو المظاهرة على إخراجنا، وحتى عندما يحتاج المسلمون لذلك فإن على المسلم ألا يغدر وألا يبيت وألا يباغت، وعليه أن يصبر وأن ينذر ويوضح:

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾
سورة الأنفال: الآية 58

فلا بد أن يلجأ المسلم إلى الصلح ويعلمه ويعطيه نفسيا ويلتزم به بالحرب، فإن أصر على الخيانة يقاتله وإن لم يصر فإنه يرجع عن الأمر.

ويجد القرآن إذن يدعو إلى السلام كحالة شاملة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾
سورة البقرة: الآية 208

ويبين أكثر من هذه الآية ولهذا اتفق معها فيه في أن السلم حالة عامة وشاملة وواسعة، وأن المسلم لا يؤمن بالتعامل بالسلم فقط بل يؤمن بالدخول فيه كأنه فضاء يلفه من كل جانب، والسلام اسم من أسماء الله الحسنى، وهو يدعو إليه

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ سورة يونس: الآية 25

كما أنه أمرنا بإفشاء السلام، وتحيتنا هي السلام، وتحية أهل الجنة السلام

﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ سورة إبراهيم: الآية 23

وليلة القدر المباركة

﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ سورة القدر: الآية 5

والقصد أن المسلم يصنع مشاركته بالسلام، فهل يمكن أن يكون هذا مجرد حالة كلام تقتصر على مستوى الخطاب وتتجافى مع واقع حب القتال والركون إلى العنف؟! يقول الرسول ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[1].

هذه الروح العامة تجلت في سلوك المسلمين. فكل الحروب التي خاضها النبي ﷺ كانت حروبا دفاعية فبدر مثلا كانت من قبل أن المشركين جاؤوا يحصلون على حقهم في استرجاع بعض ما أخذ من المسلمين في الهجرة، وأحد كانت مبادرة من المشركين من أجل الانتقام، وحتى مكة كانت ترد غزو المشركين على حلفاء المسلمين، ونقضت معاهدة أنتم أطلقاء ورار

[1] رواه مسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد.

كانت رحمة النبي ﷺ في القتال تحرّم القتل بمثابة المتقاتل، وبعد انتهاء بالعفو عمن آذوه وأخرجوه وطردوه، وهددوا وجود الإسلام طيلة فترة الدعوة وطيلة فترة الدولة. لكن بعض المسلمين اليوم وبظروف نفسية وفكرية وسياسية، ينظرون إلى الفتوحات والمعارك الكبرى في تاريخ الإسلام الأول، بطريقة لا تؤسس لعقلية سليمة، ويأتون في وضعها خارج سياقها الطبيعي كحالة انتصار، أو كحالة عدوان كما يسميها منظّر [illegible] الإسلامية المعاصر جودت السعيد.

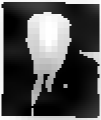
وقد تمثل الخلفاء الراشدون - رغم خوضهم لمعارك شديدة طيلة فترة حكمهم - هذه الروح فاجتهدوا بتحرير الشعوب المقهورة من طغيان الفرس والروم، مع تقليل الخسائر الروحية والمادية بعد الإمكان. فعمر بن الخطاب مثلاً يرسل عدداً من الرسائل إلى جنده المنتصرين يوصيهم فيها عن [illegible] أمر [illegible] حرية ودمة [illegible] بالوفاء بها [illegible] على [illegible] العمل [illegible] أهل الصليب [illegible] بالأمر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][3]

[illegible] الجهاد [illegible] التي تقوم على حرمان الناس من حق الاختيار وحرية اتباع الدين الذي يريدونه [illegible] عن الناس بعطش الجهاد [illegible] المسلمون الناس بين أن يسلموا أو يبقوا على ما هم عليه. فقد فتحت فارس وبقي أهلها مجوساً دون أن يمسهم أحد [illegible] المجوس بأهل الذمة، كما أن المسلمين لما وصلوا إلى الصين [illegible] أذن [illegible] بحرية الدعوة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الأمر ولا [illegible] في هذه الأشياء، [illegible] لأنه إن جاز على القلب فيصبح القلب بعد ذلك جافاً [illegible] بما حوله [illegible] تلك الدعوة الإصلاح الثالث، لكن إذا [illegible] جوانب [illegible] أو عدم [illegible] بالواجب [illegible] ذلك أن نكون من [illegible] ونصحح أحوالنا [illegible] إلى الله [illegible] رسالة ومهمة [illegible] من [illegible] والقيام والإصلاح بأسبابها [illegible] للعالمين [illegible] مع العالمين [illegible] هذا الشهر. وأقول إن مجمع الفقه الإسلامي [illegible] أن [illegible] الإسلام والاجتهادات [illegible] [illegible] أن هذه الجمعية (جمعية الدعوة الإسلامية) [illegible] من يوم تأسيسها بانطلاقة كبيرة لا يمكن حصرها إجمالاً. ومع ذلك نقول إننا نحتاج إلى مزيد من العمل والمضي في هذه الطريق [illegible] العمل [illegible] في هذه الطريق إلا بالتعاون [illegible] بجهوده [illegible] إلى محل [illegible] التقوية [illegible] بعد ذلك بالمراجعات التي [illegible] علينا [illegible] التي تحتاج إلى من يمضي في سبيلها [illegible]



[illegible]
[illegible]
التواصل [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] التجارية [illegible] حول [illegible] [illegible] من [illegible]

وإن لم يتم [illegible] على السبل الصحيحة للتعايش السلمي عبر [illegible] والتخلص فمن الممكن أن [illegible] في [illegible] عن طريق الإرهاب.

[illegible] التواصل [illegible] كل [illegible] بالأمر [illegible] العربي [illegible] وهي سطحية ولا تخلو من مغالطات [illegible] الإسلام[4] [illegible] المسلمين معلومات محرفة عن العرب أو عن المسيحيين وعن اليهود[5]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

السلبي، توقف القتال وانتصرت الدعوة سلمياً من دون الدماء.

لقد شرع الجهاد من أجل أن يتحرر الإنسان، ومن أجل أن يتمتع بحرية الاختيار العقدي لإعطاء الناس فرصة الاختيار بعيداً عن نظام مستبد يحرمهم من ذلك، ويلزمهم بالخضوع والتأسي على دين ملوكهم.

يضاف إلى هذا الأخلاق المصاحبة للقتال كحالة طوارئ اضطرارية، والتي يزيد الإسلام من التشديد عليها، مثل النهي عن قتل النساء أو الأطفال أو الشيوخ أو الأسرى، أو الجرحى ومراعاة البيئة، وعدم التنكيل بجثث القتلى، ومعروفة هي قواعد الحصار التي اضطر المسلمون خلالها إلى أن يقطعوا بعض نخيل خيبر للضغط على اليهود المحاصرين حتى يجبرهم على الاستسلام. لقد أذن لهم بذلك استثناء، وفي إطار ضيق جداً، وجاء في السيرة أنهم قطعوا ثماني نخلات، ومع ذلك فقد حصل عند المسلمين بحكم التربية التي أخذوا عليها أزمة ضمير تجاه هذا الفعل، فنزل قوله تعالى:

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (الحشر: 5)

يجري المسلمون بصورة لهم أمر قطع النخل استثناء ومحدود جداً. لقد أمر المسلمون بكل أشكال الرفق المصاحبة للقتال وذلك بالإحسان والبيئة، رغم أن القتال بطبيعته يبعد عن طبيعة الرفق، فالمسلمون مأمورون بالإحسان حتى في حالة الاضطرار إلى الإساءة، ومأمورون بالرفق حتى في حالة استعمال القوة. ولا أدل على أن حقيقة الإسلام تنسجم مع الحياة المدنية، وأن مشروع الإسلام مشروع مدني سلمي، وليس مشروعاً حربياً عسكرياً من فعل النبي ﷺ حين كان شطراً من أسرى بدر على أن يعلم كل واحد منهم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة مقابل أن يطلق سراحهم[1] فهل يمكن للذي يريد أن يستعمل الحرب نفسها للبناء والعلم والحضارة وتركيز الاختيارات المدنية السلمية أن يكون طالباً للحرب وداعياً لها ومتحمساً لإشعالها حيث تنبح به ذلك؟

هكذا نرى أن الإسلام بتصميمه عن القوة والحرب والجهاد بمفاهيمها كرماً ما، وبمعاييرها حالة استثنائية، حالة دفاعية يهدف بكل الاحتياطات وبكل ما يخفف من ويلاتها، ويسعى إلى إنهائها بأسرع ما يمكن من الوقت، عند ما يتوقف العدوان الخارجي، ويسعى جاهداً إلى أن يبحث عن أي مجال لتجربة الدعوة نفسه من استعمال القوة ضد الديكتاتوريات الرسمية ويكتفي بمجموعة من الإجراءات الإصلاحية المصاحبة التي تجعل هذا السلوك على طبيعته الخشنة محدوداً ومخففاً الأثر إلى حد بعيد[2]

لقد خاض المسلمون حروباً عديدة، لكنهم لم يعرفوا فكر الإبادة، ولم يعرفوا بدين، ولم يمارسوه قط. إن الاقتتال عندهم يتوقف عند الجنوح للسلم، فلا يجهز على جريح، ولا قتل لأسير، ولا مس بأذى لمن هم خارج المعركة مطلقاً.

وبالمقابل، فقد تأسس الغرب بثقافة الإبادة تنظيراً وتأصيلاً وتسويغاً من الدين، وانطلاقاً رمزياً متواصلاً من محاكم التفتيش، بل وقبلها، إلى معارك الفلوجة القائمة على بقية البشرية المظلمة أبواب جهنم، وهو هاني الصمير.

إن الولايات المتحدة لم تعتذر إلى اليوم عن إبادة مائة وعشرين مليون هندي، بل إنها تقيم المتاحف والتماثيل لأكبر المجرمين بهذا الشعب العباد وتعرضهم كأبطال تاريخيين في مقرراتها وتجعل منهم قوى النقل الإعلامية وتحظى جزء واسع من الثقافة المسيحية اليهودية البروتستانتية المتصهينة

(1) السيرة النبوية، مرجع سابق، ص 123.

(2) راجع: المنقذ الإسلامي، أبو زيد، مرجع سابق، ص ...

تمارس لتسويغ الإبادات، بل واعتبارها ضرورة أخلاقية، وإرادة إلهية، ويمكن للولايات المتحدة الأمريكية أن تقوم فيها بما [illegible] من [illegible] [illegible] أوربا، «المعنى الإسرائيلي لأمريكا»، و[illegible] حق التضحية بالآخر [illegible].

ارتكز هذا الإبادة عند الغرب على أصول توراتية، تنبع جذورها من أوامر العنف الدموي الهائل الذي يحفل به نصوص التوراة المقدسة، كسفر موسى باعتبارها أوامر مقدسة، تعتبر تصنيف قربة لإله خاص بشعب خاص، [ثم يعتبر المسلمين خلف من الله بهم وصنعهم]، وخصوصاً سفر يشوع المتضمن عمليات الإبادة الشاملة المقترنة بمصطلح خاص «التحريم»، وهي إبادة مستقر بها، وتستند لأوامر مقدسة وإرادة متعالية لتطهير الأرض من «الأجناس» المعادية التي تلبس أرواح شريرة.

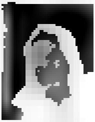
ولنستعرض على سبيل المثال بعض النصوص الرهيبة من سفر يشوع المتضمن على التوراة رغم أنه رواية تاريخية متأخرة كتبت على شعب نهر الفرات [illegible] السبي بمسمية المفهوم الذي يستعص عن الواقع بملامح الأسطورة:

«الإصحاح الأول: وبعد موت موسى عبد الرب، قال الرب ليشوع بن نون خادم موسى: والآن فقد مات موسى عبدي، قم واعبر نهر الأردن هذا، أنت وهذا الشعب كله، إلى الأرض التي أنا واهبها لبني إسرائيلين، [illegible] ومن يقدر بعد أن يقاومك كل أيام حياتك لأني سأكون معك كما كنت مع موسى».

«الإصحاح السادس: وفيما نفخ الكهنة في الأبواق... قال يشوع للشعب: اهتفوا لأن الرب قد وهبكم المدينة (أريحا) واجعلوا المدينة وكل ما فيها محرماً للرب، باستثناء راحاب الزانية وكل من لاذ

[1] [illegible] في فلسفة الإبادة الجماعية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الصهيونية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وأتمنى أن اليوم عقيب الصحوة الإسلامية العالمية التي [illegible] بجيول في أوربا وخاصة في [illegible] كاليوتاب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إسلامي لا [illegible] به، وأن اليوم الجمعية بتأسيس وإدارة مساجد يتم فيها التعليم والدعوة للإسلام الحقيقي دون التكلف والدعوة للسلام لا للعنف، وأن تقوم بفتح مراكز ثقافية للدراسة وتفسح المجال أمام الدارسين لتعلم واستيعاب حقيقة الإسلام الذي هو دين التسامح، وتفسح المجال لكثرة التطور والتخلص بين الغرب والأمة العربية وبين المسيحيين والمسلمين، وأتمنى ولو أني أعلم ذلك أن لا يستمر الحرب في سبيل [illegible] وأتكلم عنه. كما أتمنى أن تجد أوروبا أهلها [illegible] الثقافية للمسيحيين [illegible] [illegible] والمواسي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يحافظ على هويته ودينه، لأنه يتعين واحترام [illegible] [illegible] [illegible] الانحراف [illegible] ويقوم الآخرين.



الشيخ ابراهيم صالح الحسيني
رئيس المجلس الإسلامي الأعلى
في نيجيريا
الرحمة أساس ديننا

إن الرحمة التي [illegible] [illegible] والتي هي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كأني [illegible] الدعاء حتى تكون الدعوة مقرونة بالرحمة وبالتسامح وبالإنصاف. المذاهب التكفيرية التي انتشرت في هذه الأمة ليس لها أساس في الأمة ولا أصل لها لأنها مذاهب قائمة على إساءة الظن بالأمة، ويجب على الدعوة أن يحسن [illegible] قال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأعداء [illegible] [illegible] لا يستطيع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المغاة [illegible] في هذا المؤتمر [illegible] جمعية الدعوة الإسلامية العالمية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الرحمة [illegible] بالعنف ولا بالتطرف، فالإسلام بعيد عن التطرف والإرهاب، لأن الإسلام الحقيقي [illegible] نعبد الله تبارك وتعالى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فيجب علينا أن [illegible] بهذه الرحمة التي [illegible] الله تبارك وتعالى [illegible] وسعت كل شيء.

بينهما فاستضافتهم، لأنها خبأت الجاسوسين المرسلين لاستطلاع أحوال المدينة ( ). فتقدم الشعب نحو المدينة كل إلى وجهه، واستولوا عليها ودمروا المدينة وقضوا بحد السيف على كل من فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ حتى البقر والغنم والحمير. ثم أحرق الإسرائيليون المدينة بالنار وكل ما فيها. في ذلك الوقت أنذر يشوع الشعب قائلاً: ملعون أمام الرب كل من يحاول أن يعيد بناء مدينة أريحا، فإن بكره يموت وهو يضع أساسها، وصغيره يهلك وهو يقيم أبوابها.

الإصحاح الثامن: فقال الرب ليشوع: مد يدك نحو عاي لأني وهبتك المدينة. فمد يشوع الحربة التي بيده نحو المدينة، وركضوا واقتحموا المدينة واستولوا عليها وأحرقوها بالنار وشرعوا في مهاجمة رجال عاي والتفت هؤلاء خلفهم. فقتلهم الإسرائيليون فلم يبق منهم أحد (...) وقتلوا جميعهم بحد السيف، رجع المحاربون الإسرائيليون إلى عاي وقتلوا كل من فيها. فكان جميع من قتل في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر ألفاً ( ). ولم يكف يشوع ماداً يده بالحربة نحو المدينة. فقط نهب الإسرائيليون لأنفسهم، بمقتضى أمر الرب الذي أصدره إلى يشوع. وهكذا أحرق يشوع عاي وجعلها إلى تل خراب أبدي إلى هذا اليوم. وشنق ملك عاي على خشبة إلى وقت المساء.

الإصحاح العاشر: فانتصروا عليهم وأسروا الملوك الخمسة... ولما أن أتوا بهم إلى يشوع استدعى كل محاربيه، وقال لقادتهم الذين ساروا معه: اقتربوا وضعوا أرجلكم على رقاب هؤلاء الملوك، ففعلوا ذلك. ثم قتلهم يشوع بعد ذلك وعلق جثثهم على خمسة أشجار حتى المساء ( ). واستولى يشوع في ذلك اليوم على مقيدة وقتل بالسيف ملكها وكل نفس فيها، ثم لم يفلت منها ناج، وصنع بملك مقيدة ما صنعه بملك أريحا. ثم توجه يشوع على رأس جيشه من مقيدة إلى لبنة وحاربها ( ) فأسقطها وقتل كل نفس فيها بحد السيف فلم يفلت منها ناج، وصنع بملكها ما صنعه بملك أريحا. بعد ذلك تقدم يشوع من لبنة إلى لخيش وحاصرها وهاجمها ( ) فاستولوا عليها في اليوم الثاني ودمروها وقتلوا كل نفس فيها بحد السيف نظير ما صنعوا بلبنة ( ). ثم زحف على يشوع ملك جازر وعلى جيشه فلم يفلت منه ناج. ثم تحرك يشوع وجيش إسرائيل من لخيش نحو عجلون فحاصروها وحاربوها، واستولوا عليها في ذلك اليوم ودمروها وقضوا على كل نفس فيها بحد السيف على غرار ما صنعوا بلخيش. ثم اتجه يشوع بقواته من عجلون إلى حبرون وهاجموها، واستولوا عليها ودمروها مع بقية ضواحيها التابعة لها، وقتلوا ملكها وكل نفس فيها بحد السيف، فلم يفلت منها ناج، على غرار ما صنعوا بعجلون، وهكذا قضى على كل نفس فيها. ثم عاد يشوع إلى دبير وهاجمها، واستولى عليها ودمرها مع بقية ضواحيها التابعة لها، وقتل ملكها وكل نفس فيها بحد السيف، فلم يفلت منها ناج، فصنع بدبير وملكها ما صنع بلبنة وملكها. وهكذا هاجم يشوع كل أرض الجبل والمناطق السهلية والسفوح ودمرها وقتل كل ملوكها ولم يفلت منها ناج، بل قضى على كل حي ( ). وهكذا أخضع يشوع المنطقة بدءاً من قادش برنيع إلى غزة، بما في ذلك منطقة جوشن وجبعون، وظفر يشوع بجميع هؤلاء الملوك واستولى على أرضهم دفعة واحدة، لأن الرب إله إسرائيل حارب عنهم[1].

كما تفترض النظرية الرهيبة لدى اليمين المسيحي الصهيوني الذي يحكم أقوى دولة في العالم اليوم في الوصف المهول لدمار العالم في آخر الزمان، خلال معركة هرمجدون التي تشرح

(1) [illegible]

[illegible]

[illegible] يوش الابن المستعمرين، من أطفال [illegible]

[illegible]

[illegible] إبادة جماعية بين البروتستانت والكاثوليك [illegible]

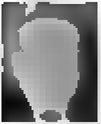
[illegible] إلى اليوم

[illegible]

[illegible] الخاص بالحرب، شان الحروب [illegible] واعتبره [illegible] الشعوب التي [illegible]

[illegible] الإبادة [illegible] على سبيل المثال، [illegible] على إبادة شعب [illegible] جزيرة [illegible] المستعمر الإنجليزي [illegible] من سكانه [illegible]

[illegible]



[illegible] الرحمة [illegible]

[illegible]

[illegible] العالم [illegible] نقول إن الإسلام هو رحمة وإن هذا الإسلام هو [illegible] وإن هذا الإسلام [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] النبيلة والكتابة إلى [illegible]

[illegible] الإسلام [illegible] الإسلام الصحيح، [illegible] الإسلام والمسلمين [illegible] الأسوة [illegible]

[illegible] الكبير والصغير، [illegible] لا فضل بين عربي ولا أعجمي [illegible]

[illegible]

الأول من الهيمنة من مكتسبهم على تعميم الزراعة واستغلال المستعمرات وترك الترحال بل وسعى لتبني والعناء باللغة الإنجليزية، تحت طائلة التعذيب الشديد. وكانت نتيجة أنهم أرغموا على لبس الملابس الأوروبية وترك لبس شعورهم وحلقها وجعلوهم يلبسون الكتانية، من أنهم لبسوا سراويل بيد بعد اختلال ثيابهم تحت المطر، وفكروا جميعاً لعدم وجود مسافة لديهم من الكهف الزيتية.[illegible]

إن الأشياء تتميز بنقيضها، ولقد كان الإسلام رائداً عالمياً، ولم تكن معوق العالمية في الحضارة العربية، إلا مجرد اجتهاد، بما هو ينسج من نفسه بنفسه حين سماه كما هي، حقاً عولمة. وبما قيس التمييز الدقيق الذي طلاه فيلسوف المغربي محمد عابد الجابري، بينهما حين قال: «العولمة شيء والعالمية شيء آخر. العالمية تفتح على العالم، على الثقافات الأخرى، واحتفاظ بالخلاف الأيديولوجي. أما العولمة فهي نفي للآخر وإحلال للاختراق الثقافي محل الصراع الأيديولوجي».

العولمة إرادة للهيمنة، وبالتالي قمع وإقصاء للخصوصي. أما العالمية، فهي طموح إلى الارتفاع بالخصوصية إلى مستوى عالمي. العولمة احتواء للعالم، والعالمية تفتح على ما هو عالمي وكوني.

تتجلى العالمية في المجال الثقافي، كما في غيره من المجالات، كطموح مشروع ورغبة في الأخذ والعطاء، في التعارف والحوار والتلاقح. إنها طريق الأنا للتعامل مع الآخر بوصفه «أنا ثانية»، طريقها إلى جعل الإيثار يحل محل الأثرة. أما العولمة فهي طموح بل إرادة لاختراق الآخر وسلبه خصوصيته، وبالتالي نفيه من «العالم». العالمية إغناء للهوية الثقافية، أما العولمة فهي اختراق لها وتمييع.

والاختراق الثقافي الذي تمارسه العولمة يريد إلغاء الصراع الأيديولوجي والحلول محله. فالصراع الأيديولوجي صراع حول تأويل الحاضر وتفسير الماضي والتشريع للمستقبل. أما الاختراق الثقافي فيستهدف الأداة التي يتم بها ذلك التأويل والتفسير والتشريع، يستهدف العقل والنفس ووسيلتهما في التعامل مع العالم: الإدراك.

وبالسيطرة على الإدراك، والانطلاق منها، يتم إخضاع النفوس، أعني تعطيل فاعلية العقل وتكييف المنطق والتشويش على نظام القيم، وتوجيه الخيال وتنميط الذوق، وقولبة السلوك، والهدف تكريس نوع معين من الاستهلاك لنوع معين من المعارف، والسلع والبضائع، معارف إشهارية تشكل في مجموعها ما يمكن أن نطلق عليه «ثقافة الاختراق».[illegible]

ثالثاً: نبي الرحمة للعالمين

الرحمة المهداة والنعمة المزجاة والسراج المنير خلق نبي بعث ليكون رحمة للعالمين، بشير ونذير، متبع من الرحمة وبعثت خليقة من اللين، وجبل على التواضع وأنس الصحبة والتضرع والبكاء، ليقدم للبشرية في آخر عصورها وأقوامها وأزمنتها، نموذج الإنسان الكامل الذي أراده الله قدوة للبشر، بعزة، مقتدين وعلى سنته يمضون، حتى لا يكون بعضهم لبعض إلا عوناً في الخير لا الشر، وللسير في البناء لا الهدم.

ما هو القرآن الكريم يعلنها واضحة، ويصرح بها جلية ناصعة:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [illegible]

فيحدد الغاية من خلق سيد الخلق ومن بعثه بالوحي وتكليفه بالرسالة: إنها رحمة للعباد، كل العباد، بلا تخصيص ولا استثناء.

[illegible]

إن كونه بعث للعرب خاصة ثم للناس كافة، فلا يتصدى به تعيير قومه من غيرهم حتى عند التكليف بحمل الأمانة للناس، ويصنف إليهم مجاهدا للدعاة ويجاهد بالنفس والمال وتبليغا وترشيحا، بالقوة ومثالا. ولعمري إنها لأمانة ثقيلة ومسؤولية جسيمة تعيي كثيرين من الاستطلاع ولا تصبر إلا لحمل الأمانة وعبء المسؤولية.

إن قوله ﷺ: «بعثت للناس كافة»، إنما هو إشارة لمرحلة انتقالية ضرورية وطبيعية، لأنه لا بد من نبي بشر يعيش في قومه، ينطلق في دعوته منهم، بما أن الأنبياء والرسل لا يعيشون فوق السحاب، ولا ينزلون ملائكة من السماء، إنما مجرد محطة انطلاق عابرة يتحرك منها قطار الدعوة ليكون مستقرة خطاب [illegible] أهل الناس.

[illegible] الله أن يكون التخصيص حقا، وإنما [illegible] ربانيا وخطابا نبويا، ينطلق [illegible] الله [illegible]

[illegible] رحمة عليهم الملائكة الذين:

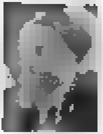
﴿[illegible]﴾

والرقي [illegible] الرقي [illegible] إلا [illegible] ولا [illegible] من [illegible] إلا [illegible]، [illegible] رفع الإصر والأغلال عن البشرية جمعاء [illegible] موازين العلاقات الاجتماعية [illegible] في [illegible] الاستعباد، [illegible] الله [illegible] [illegible] التعبير عن [illegible] على أن [illegible] الله [illegible] رسول الله [illegible] أحد منهم [illegible] ﷺ [illegible] الله الرحمة من [illegible]

[illegible]

والتخصيص [illegible] الظلم [illegible] [illegible] حيث [illegible] رسول الله ﷺ على الأنبياء في الأرض في كونه بعث للناس كافة، [illegible] ﷺ [illegible] [illegible]

[illegible]



الأستاذ [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] والسلام (من لم يشكر الناس لم يشكر الله) [illegible] [illegible] للخليفة [illegible] صالح خالص لله [illegible] [illegible] وما [illegible] الله [illegible] [illegible] في هذه الأعمال المباركة [illegible] [illegible] إلا [illegible] [illegible] التي [illegible] في [illegible] لا يمكننا أن [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] يمكن أن [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] إلى [illegible] [illegible] [illegible] في هذا [illegible] [illegible] الدعوة الإسلامية في اليوم [illegible] إلى [illegible]

[illegible]

[illegible] وحاجات [illegible] في بلاد المسلمين [illegible]

إن [illegible] التوجه إلى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أن [illegible] [illegible] [illegible] في كل العالم الإسلامي [illegible]

[illegible]

إن [illegible] أن [illegible] اليوم في [illegible] خطاب في [illegible] إلى أنفسنا [illegible] [illegible] إسلامنا

[illegible]

كافة أحمرهم وأسودهم، وبعث الأنبياء من قبلي لأقوامهم خاصة.

وعن أبي صالح قال: كان النبي ﷺ يناديهم: «يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة»[1]. يؤكد النبي ﷺ حقيقة كونه رحمة عالمية حتى تبلغ هذه الحقيقة بالتكرار إلى العموم بالإلحاح فتترسخ في وجدانهم كل [illegible] ويخاطب رب العالمين لا قومه فقط (يا أيها الناس)، ويعبر بالحصر لا بالمحض [illegible] رحمة للإطلاق والمبالغة، ويطلقها بدون مقابل [illegible] الله لا يريد بها جزاء ولا شكوراً، ولا يطلب مقابلاً لها على عظمتها [illegible] مهداة [illegible] ويختصر أداة الحصر [illegible] رحمة خالصة لا [illegible] لها ولا شائبة [illegible] ويعلن بها، يدلل عليها، ينادي بها (يا أيها): [illegible] حقائق عظيمة تجتمع في عبارة موجزة بليغة كي لا يتسرب لبرهة رسالته من بعده أي شبهة احتكار أو علو أو استعلاء، ولا يتشكك عموم المخاطبين بهذه الرسالة بأنهم مثلهم مثل من سبقهم إلى الإسلام، حق بهذه الرحمة [illegible] الصالح والمصلح [illegible] [illegible] فهذه هي الرحمة المحمدية [illegible] لكل طالب حق وخيراً.

لا يقف الأمر عند الدعوى، وحاشاه ﷺ من ذلك، فقد كان حقاً رحمة مهداة للقريب والبعيد، والبر والفاجر، والكبير والصغير، والمرأة والرجل، والكافر والمؤمن.

[illegible] هو يرحم حتى في الرحمة؟ فالعبادة وهي رحمة بذاتها كان يراعي فيها أحوال الضعفاء، يسرع في صلاته [illegible] [illegible] [illegible] فعن أنس [illegible] قال: كان رسول الله [illegible] يصلي في رمضان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في الصلاة، ثم دخل رحله فصلى صلاة لا يصليها عندنا [illegible] فقلنا له حين أصبحنا: أفطنت لنا الليلة؟ فقال: نعم، [illegible] الذي حملني على الذي صنعت [illegible] فأخذ يواصل رسول الله ﷺ في آخر الشهر، فأخذ رجال من أصحابه يواصلون، فقال [illegible] ما بال رجال يواصلون؟ إنكم لستم مثلي»[2].

ويحذر من التكليف بما لا يطاق حتى في الأمر اليسير والضروري: فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»[3].

[illegible] من ذلك، فيخففها ذلك عن [illegible] المستجابة الساجدة في الرحمن، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأدخل في الصلاة أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز من شدة وجد أمه به»[4].

[illegible] ذلك ﷺ ويأمر به رحمة للمخاطبين [illegible] للبعض [illegible] يدخل على المصلين من باب التشديد على النفس، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا صلى أحدكم للناس فليخفف فإن فيهم السقيم والضعيف والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء»[5]. فلا غرو أن يحذر [illegible] برحمته من [illegible] الرحمانية [illegible] الموقف الرحيم [illegible] من [illegible] المتحمسين الذين كانوا يحسنون نية أن يحملوا على المسلمين طريق المزايدة الخاسرة التي تنحي الرحمة من قلوبهم.

﴿إنما [illegible] حتى [illegible]﴾ [illegible]

وذلك حين أقسموا أن يحرموا على أنفسهم بعض الحلال ويوجبوا عليهم بعض المستحبات، فكان جواب الرحمة القاطع بعد أن [illegible] أشكال اليسر في الطاعة [illegible] [illegible] عن سنتي فليس مني».

[illegible] [illegible] ﷺ الثابت في [illegible] [illegible] الموقف [illegible] الأرض، [illegible] [illegible] قومه الذي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

أني [illegible] [illegible] لا [illegible]

1. [illegible]
2. البخاري، [illegible] أحمد والدارمي.
3. البخاري، الترمذي، [illegible] [illegible] ابن ماجه [illegible]
4. الترمذي، ابن ماجه، [illegible]
5. البخاري، [illegible] الترمذي [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

الكافي، وفي الوضين أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ( ) كانت عندي ابنة لي فلما أجابت [illegible] فأتيت بها فرديت بها في البئر وكان آخر عهدي بها أن تقول يا أبتاه فبكى رسول الله ﷺ حتى وكف دمع عينيه فقال له رجل من الجلساء [illegible] أحزنت رسول الله ﷺ فقال له كف فإنه يسأل عما أهمه ثم قال له: أعد علي حديثك، فأعاده، فبكى حتى وكف الدمع من عينيه على لحيته ثم قال له: إن الله قد وضع عن الجاهلية ما عملوا، فاستأنف عملك [illegible]

ويعفي حقوق الإنسان حتى ولو كان من مقارفة آثمة فعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال كنت جالساً عند النبي ﷺ فجاءته امرأة من غامد فقالت يا نبي الله إني قد زنيت وإنا أريد أن تطهرني، فقال لها ( ) ارجعي، فلما أن كان من الغد أتته أيضاً [illegible] فقال لها ( ) ارجعي فلما أن كان من الغد أتته أيضاً [illegible] فقال لها ( ) ارجعي حتى تلدي، فلما ولدت جاءت بالصبي تحمله [illegible] قال فاذهبي فأرضعيه حتى تفطميه فلما فطمته جاءت بالصبي في يده كسرة خبز، [illegible] وأمر الناس فرجموها [illegible] [illegible] مهلاً [illegible] فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له فأمر بها فصلى عليها ودفنت[2]. بل ويبكي بكاء مريراً لمشهد احتضار طفل [illegible] رسول الله ﷺ الصبي ونفسه تقعقع [illegible] فبكى رسول الله ﷺ فقال سعد بن عبادة أتبكي؟ فقال وإنما يرحم الله من عباده الرحماء[3]

[illegible] أن يرجمه في نفسه حتى ولو كان [illegible] رسول الله ﷺ فقال أتيتني يا رسول الله [illegible] سمعت [illegible] [illegible] أمر [illegible] فقال [illegible]

أن الأول [illegible] خبرنا [illegible] وأن [illegible] بعد [illegible] [illegible] ويلتقي من هذا المعيار [illegible] الإسلامية العالمية إلى التحصيل والمعارفة [illegible] [illegible] أو أكثر عن اللغة العربية [illegible] باللغات الحية [illegible] الشعوب الإسلامية، لأن من يرى اليوم من [illegible]

[illegible]

[illegible] العلمية التي من حقه أن [illegible] وأساتيذه، ولو الأمر [illegible] ذلك الأمر [illegible] ولكنه يدخل في جزئيات [illegible] في [illegible] فالصحابة في [illegible] موجهة [illegible] وبهذا [illegible] ولسنا في حاجة إلى أن أذكر أسماء [illegible] [illegible] حول الناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني والمطلق من الحديثة [illegible]

[illegible]

[illegible] في الإسلام [illegible] هذه [illegible] [illegible] للمجال [illegible] المسلمين

[illegible]

الإسلامية [illegible] لا تعتمد على [illegible]

[illegible] وصحت [illegible] على التجديد وعلى الإبداع، ولا نعتقد بأن أملاً من هذه الأمال عاجزاً عليها

[illegible] بمحل [illegible] في المجال [illegible] والفكري [illegible] الطرف [illegible] مولدة [illegible] الموسوعة الإسلامية

[illegible]

[illegible] عند المسلمين من علوم القرآن [illegible] إلى [illegible] العلمية [illegible] ولأجل ذلك [illegible] من [illegible] والشبهات، أين المسلمون؟ [illegible] على ذلك [illegible] [illegible] في حاجة ماسة، [illegible] [illegible] ومقالها [illegible] [illegible] في الميادين [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible] على كل ما فيه [illegible]

ذلك لم يكن. ولكن أبي دخلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته»[..] سواء أكان الطفل ذكراً أو أنثى، فلا تعبير في الرحمة بينهما كما يفعل أهل الجاهلية القبيحة والمعيبة؛ فعن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ خرج يصلي وهو حامل على عنقه أمامة بنت زينب [illegible] فإذا ركع وضعها وإذا قام حملها»[..]

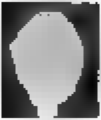
ت- [illegible] وتتجلى في رحمته ﷺ تجاوز القانون عن الكبار والأبرياء إلى المذنبين، يتجاوز عن الحد في الفاحشة القبيحة لأن الفاعل معاق، «أتي بامرأة قد زنت فقال: ممن؟ قالت: من المقعد الذي في حائط سعد، فأرسل إليه فأتي به محمولاً فوضع بين يديه فاعترف، فدعا رسول الله ﷺ بإثكال [عثكال] النخلة فضربه ورحمه لزمانته وخفف عنه»[..]

ث- [illegible] من إنه لا يحول جزاء الذنب من العقوبة إلى المساعدة الاجتماعية لأن الفاعل معسر بل ويضحكه «... إذ جاءه رجل فقال يا رسول الله هلكت، قال: ما لك؟ قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم. فقال رسول الله ﷺ: هل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا. فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا. فقال: فهل تجد إطعام ستين مسكيناً؟ قال: لا. فمكث النبي ﷺ، فبينا نحن على ذلك أتي النبي ﷺ بعرق فيه تمر ... قال: أين السائل؟ فقال: أنا. قال: خذ هذا فتصدق به. فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها -يريد الحرتين- أهل بيت أفقر من أهل بيتي. فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه، ثم قال: أطعمه أهلك»[..]

ت- [illegible] بل إن رحمته تجاوز المؤمنين طائعين وعصاة، إلى غير المسلمين، ليرق قريش سنة محلة في عز صراعها مع الرسول ﷺ، فيرسل إليهم طعاماً يكفي للترحمة. ويأتيه أهل الطائف حين دعا إليهم مطم العرين شر أذية، فيأتي جبريل بالأمين السلام يحرك[ه] السلام ويقول له: إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين فيجيب: «كلا فإني أرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده لا يشرك به شيئاً» عند موته بالدعاء خيراً. ويشتد النكير على من آذى في حربه فقد يرعاه ممن رحمة الله ورسوله ينكر قتل الصبيان والنساء، حتى ولو كان الرجال من قومهم محاربين للإسلام مصممين على استئصال خضراء المسلمين. «حدثني نافع أن عبد الله أخبره أن امرأة وجدت في بعض مغازي النبي ﷺ مقتولة فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان»[..]

ج- [illegible] وتتجلى في رحمته ﷺ، بعد أن شملت الناس جميعاً، تجاوزهم إلى الحيوان يمسح على جمل مظلوم جاء يشكوه: «فدخل يوماً حائطاً من حيطان الأنصار فإذا جمل قد أتاه [illegible] فلما رأى النبي ﷺ حن وذرفت عيناه فمسح رسول الله ﷺ سراته وذفراه فسكن، فقال: من صاحب هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: هو لي يا رسول الله. فقال: أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله؟ إنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه»[..] ويعتبر نحر ناقة رغم أنه مباح شرعاً معصية لأنه جاء في سياق نكران الجميل «وأسرت امرأة من الأنصار وأصيبت العضباء [illegible] فانفلتت ذات ليلة من الوثاق فأتت الإبل [illegible] وناقة منوقة فقعدت في عجزها ثم زجرتها فانطلقت ونذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها، فلما قدمت المدينة رآها الناس، [illegible] فذكروا ذلك له فقال: سبحان الله بئسما جزتها، نذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها، لا وفاء لنذر في معصية»[..] ويأمر برد بيض طائر فرخ تتلظى؛ فعن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه

[..]- البخاري [illegible] صحيح
[..]- البخاري [illegible] صحيح
[..]- البخاري [illegible] صحيح
[..]- مسلم، الترمذي، أبو داود، ابن ماجه، [illegible]
[..]- أحمد [illegible] صحيح
[..]- مسلم، أبو داود، ابن ماجه، الدارمي [illegible] صحيح
[..]- البخاري [illegible] الدارمي



أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

حضور عالمي وإنساني يجسد التراحم



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

لا بد لي أن أذكر نفسي وإياكم بالمسؤولية الملقاة علينا جميعا من أجل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ... هي مسؤولية ... القرآن الكريم ... رسول الله ﷺ مع صحبه وكذلك ... في مدرسة الدعوة والدعاة لينتقل الناس من الجهل إلى ... ومن الظلام إلى النور ومن الظلم إلى الحق ومن العدوان إلى السلام الدعوة لتشمل مناحي الحياة والدين الإسلامي الذي كان سبيله كما قال تعالى:

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ ...

فهو لم يحمل ... الآية ... الناس جميعا فهو ليس ... فئة خاصة أو مجموعة خاصة أو لون خاص، وبالتالي فإن الحضور الإسلامي خاصة في مجال الدعوة هو حضور عالمي منذ بدايته وهو حضور إنساني لأنه يتناول الإنسان ... فهو يرسم الأسس ... السلام والتعايش بين الجنس والأقوام والمجتمعات وبالتالي فإن حضور ... الدعوة هو

[illegible]
إمامة وليس للأمور الحرفية الوظيفية والشكلية، هو يطلق على هذه الخير بمعناه الواسع الذي يشمل جميع الناس، والذي يتحرك فيه مع الناس من أجل هذا الخير بحيث يسلك الناس جميعاً هذا الطريق في
[illegible]

وبعد ... فإن عمل الدعوة هذه الخير لتحقيق ... ونحن في عالم أصبح صغيراً في هذا العصر ويلتقي الناس بكل اللغات ومن كل الثقافات أن يصبحوا في سلام مع بعضهم بعضاً ... أهل السلام وأهل العيش المشترك مع أهل الدعوة الإسلامية ... [illegible]

الداعية لا بد أن يأخذ على نفسه بأنه محاسب على كل صغيرة وكبيرة يقولها أو يعملها، وبالتالي لا بد أن يزنها بميزان التقوى وبميزان القرآن وبميزان سنة رسول الله ﷺ وأن يتأسى فيها بما كان يقوم به الداعية الأول محمد بن عبد الله ﷺ، ليس هناك إسقاطات في الدعوة، في تلك التي ترد به ... الشخصي الذاتي الأناني أحياناً ... مجموعة من الناس ويظلم مجموعة من الناس، فقد نرى بالضعف الإنساني في الدعوة في ذلك الأسلوب أو تلك ... أو ذلك القول الذي يرد إليه ... أو يدع عنها ما جاء به المتحدثون عنها.

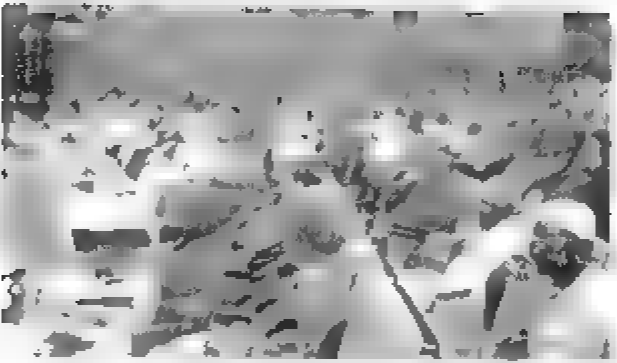
ولكن الرسول ﷺ ... كل هذه الظروف ... كداعية أول لرسالة الله سبحانه وتعالى لتكون رحمة للعالمين، ونرى كيف أنه كان دائماً يفصل بين ما هو ذاتي وما هو عام وما فيه خير الناس جميعاً وما فيه خير فئة خاصة من الناس ... ومن مزالق الدعوة في حياتنا المعاصرة أنك ... كثيرة في ... وقد ... كثير من ... التراث الإسلامي ... بالمسلمين إلى هذا ... الذي نراه.

نعم نحن كافة ... الناس من كل جانب وقد تكون ... علينا الأمم ... و...



الشيخ عبد الله ...
[illegible]
[illegible]

[illegible]
الدعوة الإسلامية العالمية ...
[illegible]
[illegible]
[illegible]
دولياً من مختلف دول العالم ... في الحياة الدولية ... والحد ...
... والهيئات ليس ...
القوم ... حيث إن نقاط ...
[illegible]
... الناس ... مصالح الدول التي تمثلها والمسلمين في ... كل ... جهد وذلك ... جمعية الدعوة الإسلامية العالمية حيث إنها ... الإسلام، ... للشعب ... لا يتجزأ من الأمة الإسلامية
ويسجل هنا أن ... في ... مثالاً رائعاً ... الإسلامي
[illegible]
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في تقديم المساعدات المادية والمعنوية المتواصلة ... وبالتالي ... الأمل والثقة في المستقبل
[illegible]
... جميعاً، ... أكثر أهمية، وذلك لما ... من فرص تسمح لنا بأن نتوصل إلى نتائج واضحة ومحددة من خلال ... وأن ... والجماعات ... الذي ... الإسلام ...
[illegible]
... بهذه المناسبة أريد أن أسجل ... التي ... الدعوة التي ... بجمعية الدعوة
[illegible]
[illegible]
[illegible]
... في مدينة ... في مركز ...



الاستعمار والهيمنة والاحتكارات وغيرها. ولكن لا بد أن نعرف أن هنالك أحوالاً من أنفسنا. هنالك جهل بديننا. هنالك عدم معرفة بأساليب العمل الدعوي التي أرشدنا الله لها وقام بها رسول الله ﷺ، لا بد أن نكون أكبر من الأحداث الصغيرة وأكبر من المشاكل وأكبر من الأساليب الوقتية والأساليب المكانية الضيقة. لا بد أن نرتفع إلى مستوى هذا الدين الذي أراده الله للناس جميعاً، في كل زمان ومكان.

أنا لا أريد أن أتحدث كواعظ هنا وآتي بالأمثلة التي أسمعها من كثير من الدعاة الذين يرجعون بعض الأفكار الضيقة في أماكن مختلفة... ولكن أود أن أشير إلى أننا نعيش عصراً قد تقدم فيه العلم، وتقدمت فيه الاتصالات، ونجد طالباً يرفرف بنظرة خاطفة إلى معلومات أصبحت لا يأبه بها، ولا يرضى بها الطفل الصغير من أبنائك في السنة الأولى من المدرسة الابتدائية. بمعنى آخر أننا لا نعيش عصرنا... وإذا كان المواطن العادي غير معد للتفكير فهذا لا يلام، ولكن الدعاة الذين يقومون بالدعوة إلى الله وبالدعوة إلى هذا الدين العظيم وإلى هذه الحضارة الإسلامية العظيمة يلامون أشد اللوم إذا ما قصروا في فهم مقاصد هذا الدين وأهداف هذه الدعوة وتوجيهات رسول الله ﷺ وتوجيهاته.

لا بد لنا في إطار الدعوة الإسلامية من أن نخرج من هذا الضيق، ومن هذا التقوقع، ومن هذا التخلف، ومن هذه الأمراض النفسية، ومن هذا العجز في الفهم والعجز في النظر إلى الأمام والنظر في الأمور بطريقة علمية فاحصة.

القرآن يطالب باستمرار، ومن بداية الدعوة بهذا المنهج، ونجد أنفسنا بعد أكثر من أربعة عشر قرناً ما زلنا نحيد عن توجيهات هذا الرحمن وتوجيهات القرآن وتوجيهات سنة رسول الله ﷺ.

ينبغي في الأقليات الإسلامية يراعون... مثلاً: لكنه أحياناً يأتي إمام من قرية صغيرة لم يتيسر له الشيء الكثير من المعرفة، ويريد للعالم أجمع من مناطقه المتخلفة وحتى المتقدمة أن يعيش وفقاً لعادات وتقاليد تلك القرية الصغيرة. ونحن لا نعترض على عادات مجتمعية في قرية من قرى المسلمين، ولكن لا نطالب كل العالم بأن يلبس ملابس تلك القرية، وأن يتصرف تصرفات تلك القرية... خاصة إذا كان هذا الأمر في فروع وفروع الفروع، ونترك المسائل الرئيسية ونترك الفهم، ونترك استخدام العقل

[illegible]

[illegible] بذلك

ونوصيه بالتواصي بالصدق بيننا وبين العالم [illegible]

[illegible]

[illegible]

أعمالك والصدق في تبليغ ما نريد أن نبلغه للناس من قيم إسلامية عالية، والصدق في هذا الأمر هو الذي يوافق الأقوال والأفعال والنيات.

ونوصيه هذا مع أنفسنا ونقابل هذا مع العالم لنقدم الخير الكثير للعالم، ونحن نرى خللاً كبيراً في شأن القول والعمل في العالم. هذا العالم ليس فيه صدق حقيقي بالنسبة للناس جميعاً، وعندما نتواصى مع الناس جميعاً علينا أن نكون جميعاً صادقين، دولاً ومؤسسات ثقافية. عندما يكون الجميع صادقين ونقدم مقرب كثيراً من المثل الأعلى للصدق [illegible]

[illegible]

وسوف نؤدي خدمة كبيرة جداً لأنفسنا كمسلمين وللعالم الذي يحتاج للصدق، أناس ينادون بالسلام محصورون بالمحرمات، أناس ينادون بحقوق الإنسان [illegible]

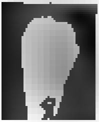
[illegible]

الملايين من المستضعفين تحت بيوتهم. أناس ينادون بالقيم الدينية والمدنية ويخالفون كل تلك القيم الدينية والملكية. الصدق أمر نحتاج إليه حقاً وندعو إليه. ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يتحقق في العالم أجمع وفي حياتنا.

في كلمتي هذه لا يمكن أن أعيد عليكم كل تلك المعاني العظيمة التي جرت مناقشتها في هذا الاجتماع العلمي الكبير. ولكني أقول لكم بأنني أشعر بالراحة والاعتزاز؛ لأن هذه الذي جرى في هذا المؤتمر هو أمر مطروح، حيث النقاش والحوار ينقل مباشرة إلى كل مسلم عبر شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) وكأننا نجلس في فضاء عالمي نتحدث فيه ليس لأنفسنا في مكان مغلق، ولكن نتحدث ونحن

للعالم كله. إنني أشعر عالياً التحالف الصائب الذي يرضي طالقنا بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية ولشعبها كل النجاح والتوفيق في أعمالها الجديدة في هذه الاتجاهات فلنكن بروح الرضى والتفاهم المشترك التي تسود مؤتمرنا حقاً على قلب كل مسلم، وتتحول إلى واقع في حياتنا اليومية ونجد تأثيرها في أعمالنا الخيرة. الله نسأل بالفضل قال تعالى:

[illegible]



العلامة أحمد عمر هاشم
رئيس جامعة الأزهر الأسبق
عضو مجلس إدارة جمعية الدعوة
[illegible]

نتوجه بالشكر إلى جمعية الدعوة الإسلامية العالمية على هذه الجهود التي نذكرها فنشكر في خدمة الإسلام والمسلمين في شتى بقاع الأرض، وإذا كان علماء البلاغة يعرفونها بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال فإن هذا المؤتمر هو عين البلاغة. هذا جاء في توقيت مهم [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] على بادرة هذه النهضة الإسلامية [illegible]

[illegible] الذي [illegible] له [illegible]

[illegible]

وحينما نطالع لوحة المؤتمر نجدها حاملة عنوانها [illegible]

[illegible]

[illegible]

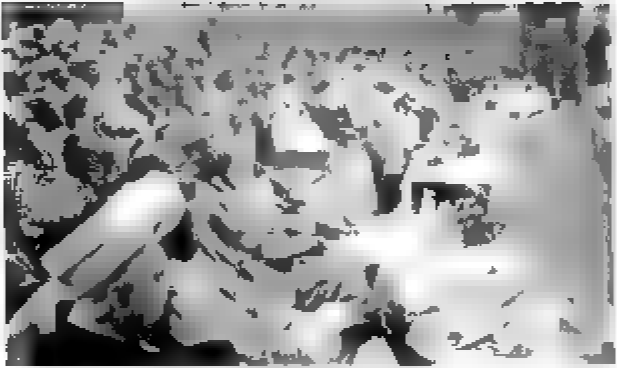
[illegible]

بأن الإسلام هو الرحمة للعالمين المؤمنين وغير المؤمنين للطائعين وغير الطائعين، حتى إن الله رفع عن هذه الأمة عذاب الاستئصال، وقال ﷺ:

﴿ [illegible] ﴾

[illegible]

[illegible] رحمة للعالمين، تشمل الإسلام العالمي والتطبيق الإسلامي جاءت بعد فترة من الرسل فحيط العالم ضلالها في [illegible]



تنظر وينظر إليه العالم أجمع، وبالتالي هو حديث المسؤولين، حديث الناس الذين يحبون أن يحيوا ويريدون السلام ويريدون الخير ويريدون الخير للناس جميعاً. يستطيع أي منا أن يذهب في أي منطقة من العالم وهو يذهب عبر أي مطار من المطارات أن يطل على شبكة المعلومات ويرى نفسه ويتكلم ويرى أي شيء يريده ولكنكم تعرفون هذه القضية التي أصبحت في متناول حتى الأطفال في المدارس الابتدائية ولكني أؤكد لك أمراً مهماً وهو أن الدعوة الإسلامية التي خرج بها رسول الله ﷺ للناس جميعاً وحدث بها الناس [illegible] للناس جميعاً وليس فيه عناء وليس فيه أمر يحجب عنه الناس لأنه أمر يفتخر به، وفيه الخير للناس جميعاً. لأننا نريد أن نعبد الله سبحانه وتعالى وأن نعيش مع مجتمعنا في هذا العالم على طريق المشاركة والعمل والخير والسلام والتعمير.

[illegible] والتقدير للمخلصين والمشاركة في تقديم المقترحات وفي النقد البناء. وهذا شيء عظيم نفخر به ونريده أن يتطور ويتطور أكثر إلى الأمام.

إنني سعيد جداً أن أذكر هنا بأننا نحن في مؤتمرنا السابع بعد حوالي ثلاثة عقود من تأسيس هذه الجمعية. ولابد أن نشكر الله سبحانه وتعالى الذي وفق لإنشاء هذه الجمعية، وأن يرحم وأن يشكر الأخ القائد معمر القذافي الذي كان له الفضل في تأسيس هذه الجمعية [illegible] مؤسساتكم وجمعياتكم الذين نفخر بهم حقاً لأنهم يعملون بجد ليكونوا على مستوى الدعوة الإسلامية كما أرادها الله، دعوة متفتحة، دعوة تهتم بالخير العام للناس جميعاً، تهتم بشؤون الأمة الإسلامية، تهتم بشؤون المحتاجين والمتضررين [illegible] والطلاب والمدرسين، والذين يعملون من أجل الإغاثة ومن أجل علاج الناس ومن أجل مساعدة اللاجئين، وهؤلاء جميعاً احتسبوا هذا الأمر عند الله، ولم تكن أعمالهم ضيقة، ولم يحتكروا على أحد من الناس، وكانوا عوناً للناس جميعاً، وتعلموا أكثر من الناس جميعهم، ولعل كليات الدعوة الإسلامية، سواء منها التي هي في إطار كلية جمعية الدعوة الإسلامية وفروعها، أو الجامعات الإسلامية وكليات الدعوة الإسلامية التي أشرف العديد منكم والتي نفخر بأنكم تديرونها على الطريق

السوي وتتمسكون من أجل أن تكبروا من خلالها البناء الصحيح للفكر. والدعاة يفترسون بجيبهم ويسرحون بأمتهم ويتحرمون بالمتطلبين من حولهم وينظرون بظهر الناس الذين يحتاجون دعمهم والمساعدة في أي منطقة من مناطق العالم سواء كانت في العالم الإسلامي أو ما يسمى بدوحى [illegible] والأقليات الإسلامية، لأن الدعوة الإسلامية تتناول الكون بأسره حتى منذ بداية الدعوة الإسلامية التي جاء بها الرسول الله ﷺ.

نحن نحتاج إليكم دائماً، وحكم الإسلامية تحتاج إليكم، والعالم الإسلامي يحتاج إلى جهدكم وإلى عملكم، إلى هذه الروح الحقيقية وهي روح تدفع عن الإسلام تهم التعصب وضيق الأفق والتخلف. لأنها هي روح الخير، روح التسامح، وروح المحبة. لأنه يجب أن تكون دعاة نعمل في سبيل الله فلنكن دائماً نزن الأمور بميزان القرآن وميزان سنة رسوله ﷺ، واستخدام العقل الذي كرمه القرآن، والذي نطلب منه جميعاً أن نحكّمه بعد القرآن وبعد سنته، لنعرف قرآنه، ولنعرف الواقع ولنعرف الزمان، ولنعرف شؤون الناس، ولنعرف كيف نصل بالجميع إلى شاطئ الأمن.

نشعر بكل عمق.. وربما أتحدث من الصدق، بأننا جزء من أهل الخير في هذا العالم. هناك خيرون كالخيرين من أهل ديانات وثقافات وحضارات أخرى شاركنا معهم في مؤتمراتهم ورأينا كيف أنهم يريدون الخير للناس جميعاً ومن أجل رد الظلم عن الناس جميعاً ومن أجل تحقيق الحق للناس جميعاً.

كل هذا العمل إذا لم يكن خالصاً لوجه الله فإنه لن يحالفه التوفيق، ولن يكون مفيداً لأي منا، ولن يكون [illegible]

لذلك فإنني في الختام أدعو الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يوفقنا جميعاً لما فيه خير الإسلام والمسلمين وما فيه خير الناس جميعاً. وفقكم الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

منقطعة، وانتشرت الجهالة وساد قانون الغاب، فجاء ليعلم الناس ويستنقذهم من الجهالة وليهديهم من الضلالة وليخرجهم من الظلمات إلى النور. هذه هي رسالة رسولنا ﷺ، رسالة الإسلام الذي فهمه من فهمه حقاً وطبقوا وأقاموا أن الإسلام دين تقدم ودين عطف وما كان الإسلام إلا دين رحمة للعالمين، ولو سادت تعاليمه الأرض ونفوس الناس لسكتت الحروب وسكت التخريب ولتحقق الأمان في هذا العالم المضطرب، ولعم جميع العالم سلاماً مستقراً مستمراً.

﴿[illegible]﴾

ويأتي هذا المؤتمر اليوم ويضم المؤسسات وبين هذه التخصصات ليجمع هذه الكوكبة المشرقة وهذه الوجوه المضيئة وشيوخ رجال العلم والفكر والقلم ليقولوا [illegible] للعالمين، لا يقبل دينه العدوان ولا الإرهاب، وإنما دعوته قامت بالمنهاج الرباني

﴿[illegible]﴾

لا يرضى العدوان ولا الإرهاب حتى في القتال

﴿[illegible]﴾

﴿[illegible]﴾

﴿[illegible]﴾

أريد بذلك منكم توجيهات ونظرات وآراء بنفس هذه القلة التي يأخذ الإسلام وهو يحتسب على أن لا يقتل بأي شيء الذين يعيشوا على عقيدته إلا من ظلم بسماحته. انظروا رسولنا ﷺ يقول إلا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس أو كلفه ما لا طاقة له به فأنا حجيجه يوم القيامة. أي قوانين ماضية على ظهر الأرض وأي مواثيق لحقوق الإنسان تحمي حق الإنسان الذي يأتي معي والذي لا يجمعه كما قدم الإسلام على يدي أشرف من مشى على الأرض وهو سيدنا رسول الله ﷺ.

إن هذا المؤتمر فرصة حق وخير، حتى العالم يعرف بالناس ما ظهر منها وما بطن وتسطر فيه [illegible]

التصوف..
دعوة وتربية



محمد حسن الشناوي *

الحمد لله رب العالمين الذي جعل رجال الصوفية من صفوة الذين اجتباهم من الأزل، فهم السابقون من جانب الصدور والإيواء إلى الهادي الحق والبقاء، فكانوا العمدة عند الشدة والقوة عند الضعف، والحصن عند الخوف، لأنهم علموا قدر الدنيا والآخرة، فقدموا ما يبقى على ما يفنى وباعوا ما يزول بما يدوم

والصلاة والسلام على الفاتح لما أغلق من سر الخاتم لما سبق من أنوار الرسالة والهداية والبيان، سيدنا ومولانا محمد ﷺ اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الهادين المهديين

لقد جاء الإسلام ديناً عالمياً تتسع آفاقه للناس جميعاً، ومن ثم جاءت تعاليمه لتتسق مع ما في الناس من قوة وضعف، وعقل وميول، وإمكانيات وطاقات، ولهذا تحدث القرآن الكريم عن مقامات العبودية: الإسلام، الإيمان، الإحسان، اليقين. ومن مقام التائبين والعابدين والذاكرين والمحبين والراضين إنها مقامات في الطريق إلى الله سبحانه وتعالى، وإنها درجات للسالكين من عباده المخلصين، ولكل منهم بقدر استعداده وطاقته واجتهاده وما قدر له ويسر. ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً أو الكثرة الغالبة منهم جامعين لهذه المقامات والدرجات كافة، كانوا صوفية، ومجاهدين عابدين ومحبين لله ولرسوله ومتبتلين في طاعته، ومحافظين لأنفاسهم وخواطرهم حفظهم لفرائضهم وسننهم. فلما اتسعت رقعة العالم الإسلامي واتسعت شعوبه وأممه ونشأ ما بينهم وبين الوحي والرسول، وتجلت الدنيا على الناس، وابتدأت الشهوات والنزوات والمطامع والأهواء تلعب دورها وتنحرف بالقلوب عن حقيقتها، قام رجال الصوفية على نور الإسلام وآدابه

* شيخ مشايخ الطرق الصوفية - مصر

مدارس الشريعة تحافظ على أركان الإسلام:

نشأت مدارس الحديث في المدينة والعراق، وتكونت مدارس الفقهاء في الحجاز ومصر والشام وبغداد. ثم نشأت مدارس علم الكلام بقواعده وأصوله ومناهجه، ومدارس لعلوم التفسير بشرائطه وأصوله وفروعه. وكانت هذه الحركات جميعها مع علائقها حركات علمية فكرية عمادها العقل وما يهدي إليه الفكر والبحث والتحصيل وأصبحوا مدارس مع عظيم نفعها هي أشبه بمدارس القانونيين أو الطب أو الهندسة، تضع القواعد على المناهج المقررة بأسلوبها ومنطقها، ولكن لا يطلب بعد ذلك الإنسان كقلب وروح ونفس ووجدان وعقيدة وعمل وسلوك.

ولهذه الغاية العليا نهض رجال التصوف الإسلامي برسالتهم مستهدفين القلب والروح والوجدان والسلوك الإنساني في طريقه إلى الله تعالى وفي طريقه إلى الحياة.

قاموا للمحافظة على روح العبادة، وجوهر الإسلام، فأخذوا يحلقون في المثاليات العليا معراجاً ربانياً ومعراجاً إنسانياً، يصنع الإنسان الكامل ويصوغ المؤمن القوي العزيز الصالح للبقاء وللحياة وللخلافة على الأرض التي أوجده الله عليها، ليكون جديراً به سبحانه وتعالى عبداً بما أسبغ عليه من فيض سخرت له ما في السموات وما في الأرض.

مدارس التصوف تحافظ
على روح الإسلام وآدابه:

وكما جتهد الفقهاء في الفروع، وكما اجتهد رجال الحديث للقواعد للرواية والسند، وكما كون علماء التفسير مناهجهم في البحث عن الذات والصفات المحكمة والأسباب والمسببات والقضاء والقدر

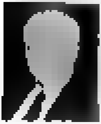
التي لا أول لها ولا آخر، ولا صلاح لنا إلا بما صلح به سلفنا بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وما دام خاتماً للنبيين فلا نبي بعده فهو رسالته إلى يوم القيامة؟ وقد انتقل إلى ربه ولحق بالرفيق الأعلى؟ هنا تقوم أمته مقامه تعمر بالأمر وتقوم وتقوم بالرسالة. ومن أجل ذلك كانت هذه الأمة خير أمة فالأمم السابقة كانت مكلفة بشيء واحد أن تؤمن بأنبيائها ورسلها وأن تطيعهم فقط، أما هذه الأمة فإلى جانب ما كانت مكلفة به الأمم السابقة مكلفة بشيء آخر وهو أن تقوم برسالة رسولها من بعد أن يلحق بالرفيق الأعلى، ومن هنا كانت خيريتها

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

سورة آل عمران - آية ١١٠

وهذا يلقي علينا ويجب كما تلقي علينا عالمية ديننا واجباً، إن الذين لم تصلهم دعوة الإسلام أو قصموها فهماً خاطئاً في أعناقنا نحن العلماء والدعاة والمؤسسات الإسلامية هذه الأمانة وهذه الرسالة، وإن قصرنا فيها أو قصرت فيها فسيحاسبها الله قبل أن يحاسب العاصين والكافرين، لأنه لم تبلغهم هذه الدعوة، لأننا جميعاً شهرية فنحن مسئولون عن رسالتنا ونصيحتنا، لأن ذلك ما ليس هو نحن بما يجب علينا أن نقوم به من نشر الإسلام في كل الأرض. ومن هنا كانت أهمية هذا المؤتمر العالمي الذي يجمع خواص رجال العلم والفكر والمسلمين أنا سعيد في السعادة بذلك وأسأل الله التوفيق



● الدكتور فرانسيس لامولد
خاصة الإسلام والغرب
يسعى إلى التفكير نحو
المسلمين

أود أن أبدأ التعبير عما يختلج في صدري من مشاعر التي على رأس منظمة تسمى بـ "الإسلام والغرب" ومقرها في باريس وهي منظمة أسست دولية في الوقت ذاته، وعندما فكرنا في إنشاء هذه المنظمة

الجنيد عمدة التصوف وشيوخه، وقاموا بمعارفهم وعلومهم في العبادات والأخلاق وصحبة جهود في السلوك وأمراض القلوب وعلل النفوس ونوازع الخير والشر وأنوار الذكر والطاعة ومقومات الشخصية الإسلامية الكاملة. يقول محيي الدين بن عربي رضي الله عنه وأرضاه: «لقد جمع رجال التصوف جميعهم على أنه لا تعليم ولا تعريف بعد كتاب الله وشريعة رسول الله وخاتم النبيين ﷺ، وإنما هو فهم يعطى في القرآن لرجال الله كما ثبت من حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ... وشيء من العلم يهبه الله لمن أطاعه فألهمه وجعل له نوراً».

وكما حفظ علماء الفقه حدود الشريعة، كذلك حفظ علماء التصوف آدابها وروحها. وكما انبرى علماء الظاهر المجتهدين في استنباط الأدلة واستخراج الحدود والفروع، والحكم بالتحليل والتحريم على ما لم يرد فيه نص، وترك أمره للاجتهاد والاستنباط، كذلك للصوفية أن يستنبطوا آداباً وأحوالاً ويهبها للمريدين والتابعين.

وكما تعددت طرق الاستنباط عند الفقهاء وتنوعت الأخلاق عند الصوفية، وكما تعددت طرق الفقهاء في البحث والاستنباط وأنواع الأدلة وفنون الفهم، تعددت مناهج التصوف في السلوك والمعرفة، والأخلاق والآداب والأذكار والأوراد، والفتح والكشف وأسرار النفس.

فمدرسة قامت طريقتها إلى الله على جناح من الخوف والرهبة، وسلكت سبيلها في الحياة تمزج بين التربية والنصيحة بالفقه والتوحيد، وتجمع مكارم الأخلاق الأساسية والجوهر لكل عبادة وطاعة.

ومدرسة أخرى قامت على المحبة الإلهية، ثم ابتعثت في سلوكها إلى الله المقامات والأحوال، وما يترقى فيها من معرفة وأنوار ومواجيد، وتدعو الناس إلى المحبة والتعاطف والتراحم، وإحالة الكون كله إلى لغة من الصفاء والإخاء والحب لكل ذي كبد رطبة.

ومدرسة أخرى قامت على محاسبة النفس وتزكيتها وعصمة الجوارح ومكابدتها، ثم مضت إلى الدقائق والرقائق، فأبدعت علماً ما عرفت الدنيا من أسرار النفس وأدب الحس ومقامات الوجد والشعور، وأصبح لتلك المدرسة أهلها وأحبابها وجوائزها. وبهذا حمل التصوف راية الإسلام بالمعرفة والسلوك.

فالتصوف الإسلامي على شموله وتعدد مذاهبه يجمع في سبيله مدارس معرفة وسلوك، ولكل أهل من علمائه المتخصصين رجاله وأئمته، وبعد كان العهد الأول من الصوفية رجال علم ومعرفة، فقد أسسوا قواعد التصوف وأنشؤوا مدارسه وحصنوا أصوله ووضعوا صورها، جاء رجال التربية والسلوك والتوجيه، ومن ثم نشأت هذه الطرق التي كان لها أكبر الأثر في حياة العالم الإسلامي، والتي كان لها المقام الأول في تشكيل خصائصه الروحية والخلقية، وملامحه الإيمانية والفكرية.

هذه الطرق التي صنعت داخل نطاقها أكبر المجموعات والقوى التي صمدت عبر القرون، والتي وقفت في وجه الغزو الخارجي والطغيان الداخلي والانحلال الروحي والمادي.

هذه الطرق التي هيمنت على الجماهير واحتفظت بأسبابها وشخصيتها وصلاتها وولائها من التفكك والانهيار، هي التي أسست المصانع الخفية والقلاع الروحية والحصون المادية، والواحة الحصينة الطيبة التي تمنح الأمان والري والحياة والاطمئنان للحيارى والضالين والمتعبين.

هذه الطرق التي نشرت الإسلام، وحملت رايته في كل مكان، وكسبت له قلوب الملايين، وأسست دول المرابطين والموحدين، والنهضة الأندلسية، وحماية المغرب العربي من وثبات الأوروبيين وهجمات الفرنسية الصليبية.

الطرق الصوفية ما هي إلا جامعات التربية

فالطرق الصوفية هي في حقيقتها جامعات كبرى للتربية والتهذيب والتعليم، وإعداد الشباب عقدياً وإيمانياً للنضال والجهاد في سبيل المثل العليا في الحياة، وفق رسالتها الأصيلة، وهي الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وهداية المريدين إلى الصراط المستقيم، وإرشادهم إلى السلوك الموصل إلى رضوان الله سبحانه ومحبته بالذكر والعبادة، وتطهير القلب وتزكية الجوارح ومكارم الأخلاق، وخدمة المجتمع، والحب للناس جميعاً.

هذه الجامعات هي بحق أعرق الجامعات التربوية العالمية، وما نحسب أن جامعة من جامعات العالم في القديم والحديث اتسمت مناهجها وبرامجها كما اتسمت مناهج تلك الجامعات الصوفية.

هذه الطرق هي جامعة القرآن، ومدرسة النبوة والمعهد المتعالي الذي يصوغ للناس الصورة المثالية للإنسان الكامل في دينه ودنياه.

ولقد استطاع التصوف الإسلامي أن ينشر الدعوة الإسلامية، وأن يجعلها عالمية دون سلاح وغزو، فهو الذي حمل مشعلها وذهب إلى إندونيسيا والفلبين والصين وقلب أفريقيا وغربها وجنوبها، بل وأفريقيا عموماً، وهو الذي صمد في وجه التيارات الإلحادية والاستعلائية في روسيا، وهو الذي وقف حصناً شامخاً يدافع عن الجماهير الإسلامية وقت التتار وهجمة

للمهتمين بالحوار والاتصال بين الإسلام والغرب ويهذه المناسبة أود أن أشير إلى بعض الملاحظات، التي أرى الغرب وقد ترعرعت في التقاليد المسيحية، والتي أعترف بأن الغرب قد عرف فترات من الاضطهاد والاعتداء، ولكن الشيء أنه لا يكفي أن نذكر بما حدث بل ينبغي كذلك أن نعترف بأن التاريخ ليس شيئاً جامداً لا يتحرك بل ينبغي أن ننظر نحو المستقبل، ولكنا لن نحضر معاً لكي نسعى إلى رؤية أفضل بل لا بد من أن تكون لنا ذاكرة حية، فإن موقفنا ينبغي أن يكون موقف الشباب بما يسميه الدكتور الشيخ بالمواجهة النقد الذاتي، وقد دعا العالم الإسلامي إلى أن يقوم بالنقد الذاتي بجهود، نحن هنا نحضر لكي نسعى لإبراز قيم إبراهيمية مشتركة، لكي يصبح الإسلام بعض ديننا مقتبساً منه ولكن منه مصدرنا به، ولكن هذه الكيفية تحتاج إلى جمعية الدعوة الإسلامية العالمية معه في التعريف بالقيم الحقيقية الإسلامية، وأعتقد أن من الصعب أن تتحدث فقط عن حملة الإدانة في الغرب لذلك لا بد من أن نذكر لكي يكون هناك توازن كذلك في الحوار، ما قدمه وساهم به العرب في عدة مجالات، وعلينا أن نحصي إمكانيات المشتركة بيننا، ولا ينبغي فقط أن نلقي اللوم على سلبيات الماضي بل علينا أن نعرض جهودنا في إيجابيات المستقبل وهناك معنى مفهوم مشترك أساسي فيما بين الإسلام والغرب ألا وهو مفهوم الشيء المقدس وهذا المفهوم المقدس نجده في كل الديانات السماوية، بل حتى في الديانات الشرقية الآسيوية، ولكن المفهوم يأخذ في الإسلام بعداً خاصاً، وإن كانت المسيحية تشير إلى القدسية مع... حقيقية متقلبة، وإن كانت المسيحية تشير إلى القدسية فهذه القدسية ما تهيأ بأنها تتعلق بالمسيح، ولكن الإسلام يشير إلى القدسية في بعدها العالمي والاجتماعي، وهذه قيمة إبراهيمية أساسية يذكر الإسلام الغرب بها حتى يقوم الإسلام بدوره تجاه الغرب الذي فقد صلته بالقيم، إلى هذه القيمة الإسلامية الأساسية الموجودة في المفهوم الديني.

الصليبيين حتى ابن الجبرتي يتحدث عن هزيمة الحملة الفرنسية على مصر [illegible] كانت على أيدي رجال المقاومة الشعبية من أبناء الطرق الصوفية وشيوخها، وفي مقدمتهم سيدي أحمد البدوي وسيدي أبو الحسن الشاذلي مع أكثر من مئة، كانوا يتحلقون حول [illegible] بتلاوة القرآن [illegible] من أبيات تحض على الجهاد، وذكر الأحاديث التي تحض على الجهاد في سبيل الله [illegible] صاحب كتاب [illegible] تاريخ بغداد [illegible] المتوكل العباسي [illegible] به الأرض [illegible] به [illegible] من [illegible] الصوفية فهرعوا إليه من كل مكان، فكانوا جبهة الكيير الذي حمى الإسلام وصان حدوده

التصوف [illegible] هو [illegible] جهاد ضد هوى النفس وضد الطغيان والبطش:

التربية الصوفية [illegible] فيها من تصعيد وتسام وارتفاع فوق [illegible] والشهوات وتعلق بالمثل العليا [illegible] وفناء واستشهاد في سبيلها، إنها تربية قوى [illegible] من [illegible] تربية وتهذيب، لأنها تسمو إلى الاعتدال وتنمي في النفس والظاهر، إنها تربية تشمل الضمير والوجدان والحس، كما تشمل اليد واللسان والجوارح. والجهاد الصوفي [illegible] السيف في سبيل الكمال في كل ميدان من ميادين الحياة. إنه جهاد ضد النفس والهوى والجشع والطمع والحقد والحسد [illegible] هو جهاد ضد [illegible] والجبروت والبطش بالنصيحة والموعظة الحسنة لا بالإرهاب والاغتيال والانقلاب [illegible] على الحكام. إنه جهاد للتضحية وللتفاني ورياضة للنفس والسلوك، جهاد يصنع الصوفي [illegible] لا [illegible] لا [illegible] وهزيمة [illegible]

التصوف ما هو إلا [illegible] يقي أمتنا [illegible]

[illegible] اليوم الاستعمار العالمي [illegible] الصهيونية الدولية [illegible] الصراع الهائل [illegible] الحسم [illegible] يملك قوى روحية وأدبية ومعنوية [illegible]

[illegible] الأمم [illegible] تفككت حقباً [illegible] الإيجابية [illegible] الشرق، فهي أمة محرومة [illegible] بين الأحداث [illegible] الوقائع.

[illegible] إلى رسالة التصوف [illegible] القوة الصوفية [illegible] الإيمانية والخصائص الروحية [illegible] أمتنا [illegible] عليه إلى [illegible] وأمانيها

[illegible] الوفاء والنبل والصدق [illegible] والسماحة والنجدة [illegible] والشجاعة والمروءة والكرامة والإخلاص والتضحية وكل سمة عالية [illegible] لا [illegible] من [illegible] ولا [illegible] إلا [illegible] التصوف [illegible]

إنها [illegible] من وحي الله ورسوله [illegible] التصوف [illegible] يجب أن [illegible] الصوفي [illegible] القوي في [illegible] وأن [illegible] في [illegible] ومدارسنا [illegible] في [illegible] ملهمة في كل مرفق من مرافق نهضتنا

[illegible] رضوان الله [illegible] وتمثل [illegible] الصوفيين [illegible] المؤمنين [illegible] سبحانه وتعالى:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

[illegible]



• واقع المرأة المسلمة المعاصر

واقع المرأة المسلمة المعاصر*



الدكتورة فوزية العشماوي **

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

في الواقع أنا سعيدة ومنتعشة أيضا في نفس الوقت بوجودي في هذا المكان للحديث مع الطلبة والطالبات من أرجاء العالم الإسلامي بشرائحهم المختلفة، وأعتقد أن مثل هذه المحاضرة تتيح لي فرصة طيبة حرصت على اغتنامها، كما حرصت من قبل على تقديم أكثر من فرصة سابقة جمعتني بطلبة وأساتذة من أرجاء مختلفة من العالم الإسلامي.

ربما يبدو لكم تخصصي في مجال العلاقات الدولية والعلوم السياسية بعيداً إلى حد ما عن تخصصاتكم في مجال الدراسات الإسلامية والعلوم الشرعية، ولكن من وجهة نظري أعتقد بأن هذا الذي يبدو أنه ابتعاد أو انفصال هو أمر غير طبيعي وغير صحي، وهو سبب الخلل في الإنتاج المعرفي والعلمي في العلوم الاجتماعية بصفة عامة من منظورات إسلامية، لأنكم تعرفون أن ظاهرة الازدواجية التي انخرطت فيها نظمنا التعليمية منذ أكثر من قرنين، والتي فصلت بين مجال (الدراسات المدنية) ومجال (الدراسات الإسلامية) كانت تعبيراً عن أزمة وقادت إلى أزمة أكبر، ولذا هناك مدارس متعددة في مجال العلوم الاجتماعية في الدول العربية والدول الإسلامية أدركت هذا، وقام المتخصصون في هذه العلوم، وهي علوم حديثة أنتجها الغرب أساساً، بمحاولات لتدارك هذا الأمر بإيجاد الرابطة أو الجسر بين تخصصاتهم في العلوم الاجتماعية الحديثة وبين الدراسات الإسلامية، سعياً إلى تقديم منظورات حضارية للعلوم الاجتماعية، تعبر عن مشاكل هذه الأمة وتقدم حلولها انطلاقاً من الإيمان بأن الخصائص الحضارية تؤثر على الرؤى المعرفية وعلى الأبعاد المنهجية في دراسة العلوم الاجتماعية.

* محاضرة ألقيت في كلية الدعوة الإسلامية - طرابلس - بتاريخ [illegible] الهجرة - نوفمبر [illegible] من وفاة الرسول ﷺ [illegible]

** أستاذة جامعية في مجال العلاقات الدولية والعلوم السياسية - سويسرا

أمر آخر أبرر به اعتذاري أنني لست بالمكان المريح الذي يجب أن أكون فيه وأتحدث إليكم فيه، وهو لكم القائمون على دراسة هذه النصوص وهذه التراث، لا يمكن أن تقلوا بعماي من هذه الزوايا. ولذلك حين طلب مني أن آتي إلى هنا وأتشرف بلقائكم جميعاً طلب مني أن أتحدث في موضوع (واقع المرأة المسلمة المعاصر) وكأنني حين يُطلب مني دائماً أن أتحدث عن المرأة المسلمة باعتباري امرأة مسلمة وليس باعتباري أستاذة للعلاقات الدولية، أتردد قليلاً وأقول إنني أعرف في موضوعات أخرى بحكم التخصص أوسع بكثير من موضوع المرأة. ولكني أعود مرة أخرى وأدرك أن موضوع المرأة المسلمة المعاصرة كما يطرح الآن على أرض الواقع وفي الرؤى الفكرية والمنظورات المختلفة ليس ببعيد عن تخصصي في مجال العلاقات الدولية. وربما تتساءلون كيف؟ وأيضاً ليس بعيداً عن مجال اهتمامي الأساسي بالأبعاد الثقافية الحضارية للعلوم السياسية وللعلاقات الدولية بصفة خاصة. ولذلك إذا كنتُ أشعر بأنني يجب أن أتحدث في هذا الموضوع عن المرأة المسلمة فإنني أحبه لأنه يرتبط بهذين الأمرين (تخصصي ومجال اهتمامي البحثي الرئيسي منذ أكثر من خمسة عشر عاماً). وتتساءلون معاً: كيف؟ أو ما الدليل على هذا؟ لأن أحد المعايير التي يدور عليها الحديث دائماً حين تعقد ندوة علمية أو دورات تدريبية ممولة من الأمم المتحدة، أو حين تمنح منحاً دراسية، يشترط فيها نصيب للنوع، أي أن يعطى نسبة منها من هذه الأمور للمرأة وليس فقط للرجال.

ولكي يتحقق ذلك دائماً فإنه يجب في دولنا العربية والإسلامية أن ترتفع نسبة وجود المرأة في مختلف مناحي الحياة العامة وكثير من المسؤوليات ما لم تكن تحتلها من قبل حتى القضاء (وهذا الأمر أثار نقاشاً كبيراً) وهكذا. فالمتابع لما يحدث بالحديث والحركة حول موضوع المرأة الآن في مجتمعاتنا العربية والإسلامية وعلى صعيد العالم كله يجب أن يدرك وعي جيداً أن قضية المرأة قضية أساسية للاهتمام الفكري والحركي العالمي، وينعكس هذا على مجتمعاتنا العربية والإسلامية. ومن ثم فأنا كأستاذة علاقات دولية في مجال تخصصي أجد الكثير من الكتابات تتحدث عن قضية المرأة كقضية عالمية وليس قضية داخلية: كيف يجب أن ينظر إلى وضع المرأة في المجتمعات والدول المختلفة لتحسينها؟ والحديث يكثر وفق أي نمط من التغيير؟ وكيف؟ وتجرى المشاورات والمداولات وتعقد وتوقع المعاهدات في الأمم المتحدة وغيرها من المؤسسات الدولية والإقليمية لتقنين ما يراد أن يكون عليه وضع المرأة في العالم، وخاصة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، ويتحدثون عن العوائق والإشكاليات والآليات التي يتحركون بها تجاه دولنا وحكوماتنا ليطالبوا منها تنفيذ برامج معينة خاصة بالمرأة في مجالات متعددة، وأيضاً تنشط منظمات المجتمع المدني التي نمت بقوة خلال الأعوام العشرة الماضية في مجتمعاتنا العربية والإسلامية لتهتم بهذا الأمر وفق برامج خارجية. كل هذا يطرح علينا سؤالاً كبيراً على ضوء هذا التوجه وهو: ما هو واقع المرأة المسلمة

يجب أن ندرك وعي جيداً أن القضية المرأة قضية أساسية للاهتمام الفكري والحركي العالمي، وينعكس هذا على مجتمعاتنا العربية والإسلامية

المعاصر الآن؟ وما هي مبادئ الاهتمام به على هدى النص؟ وما هي أشكال هذا الاهتمام؟ وما نتائج هذا الاهتمام؟ مما يثير جدلا ونقاشاً بين من يطمحون جميعاً لتطوير وضع المرأة العربية والمسلمة بصورة عامة سواء كانت داخلية أو خارجية، وبين منظورات أطراف أخرى ترى نهجاً آخر لضرورة معالجة وضع المرأة وفق طريقة أخرى؟

هذه كلها أسئلة يطرحها موضوع أو عنوان هذه المحاضرة.

كيف نفكر؟ ولماذا؟

وفي الواقع فأنا لا أريد أن يكون حديثي إليكم حديث معلومات، لأن المعلومات توجد في مصادر مختلفة فلعل مثلاً أنه قد حدثت لقاءات كثيرة في الأمم المتحدة بشأن كذا... ولكن حين طلب مني أن أتكلم في هذا الموضوع جلست مع نفسي وفكرت: كيف أقترب من هذا الموضوع؟ فاقترحت منه على النحو الذي دار فيه الكلام معكم، وحاولت أن أربط بينه وبين تخصصي واهتمامي بالأبعاد الثقافية الحضارية للأمة، ورأيت أيضاً أن أقترب منه بطريقة أخرى وهي أن نتعلم معاً كيف نفكر في هذا الموضوع؟ وليس أن نتلقى معلومات عن هذا الموضوع. بمعنى آخر يهمني دائماً حين أحاضر طالباتي أن نتعلم منهج النظر في الموضوع محل الاهتمام، بكيفية التفكير في الموضوع محل الاهتمام بكيفية الاقتراب منه، فهذا هو الأهم أي أن نتعلم كيف نفكر وليس كيف نحصل على معلومات ومادة علمية هي موجودة لديك ومصادرها متوفرة ونستطيع أن نحصل عليها. ولكن الأهم هو أن نعرف كيف نفكر. ولذا ما يهمني هو خريطة الموضوع والمنظور المتعلقة به



حتى منتهين من هذا الموضوع (واقع المرأة المسلمة المعاصر) أكثر من منظور ليس هناك اتفاق على كيفية معالجة واقع هذه المرأة، ومن ثم فإن كلامي سينقسم إلى ثلاث نقاط أساسية:

العنوان أو الموضوع هو موقع المرأة المسلمة المعاصرة وعلى هذا [illegible] أربعة مكونات له: واقع المرأة المسلمة المعاصر، وأن أنبه بكلامي إلى مجموعة متنوعة ومتكررة من شباب الأمة من جميع انتماءاتهم أسأل: هل مستوى كل مفردة من هذه المفردات يقدم مضموناً متشابهاً تماماً باختلاف البلد؟ أي [illegible] هل واقع المرأة المسلمة في كوبا أو واقع المرأة المسلمة في جنوب أفريقيا أو واقع المرأة المسلمة في مصر أو واقع المرأة المسلمة في فرنسا أو واقع المرأة المسلمة في غرب الصين، أو واقع المرأة المسلمة في الولايات المتحدة الأمريكية هل يستوي الأمر؟ بالطبع لا يستوي الأمر ومن ثم فإن أول درس يجب أن نهتم به أننا حين نواجه هذا الموضوع الكبير (واقع المرأة المسلمة المعاصر) فإنه يجب أن أعرف أن هناك مستويين لتحديد: مستوى الخصوصيات، ومستوى الأسس والقواعد المشتركة بين المرأة المسلمة في العالم كله، على اعتبار أننا تنتمي جميعاً [illegible] على موقف [illegible] الجغرافي أو مكانتنا السياسية أو الاقتصادية إلى ثقافة وإلى حضارة واحدة تقدم لنا ثوابت حول أمور كثيرة منها قضية المرأة، ولكن الاختلافات في المواقع الجغرافية أو في طبيعة المشاكل الاقتصادية

فالمسيرة الأيديولوجية التي اصطبغت بها [illegible] الجامعية منذ أكثر من قرن والتي فصلت بين مجال (الدراسات المدنية) ومجال (الدراسات الإسلامية) كانت تعبيراً عن أزمة وقادت إلى أزمة أكبر

والسياسية والاجتماعية التي تواجهها من هنا أو هناك تختلف. ومن ثم يجب أن نفك [illegible] مختلفة لكل من هذه الاختلافات، ولكن في ظل ما يحفظ لهذه الأمة كونها أمة. أو ما يربط هذه الأمة من روابط ومنها ما يتصل بقضية المرأة.

وأريد هنا أن أكون أكثر تفصيلاً لأطرح بعض الأسئلة

حين أقول (واقع) فإن القصد هنا أنه يجب أن نتعلم فقه الواقع، وإلا كنتم تعملون على نصوص وعلى تراث في محاولة أن يخرج منكم من لا يدرسون فقط هذه النص أو أحكام النص أو ما في التراث فقط بذاته، ولكن بذاته وللاستفادة منه في ما يصنع أمتنا، فهم من القضية الأساسية. كيف نوظف طلبات من يدرسون العلوم الإسلامية والعلوم الشرعية بحسب في واقع فهماً وتفسيراً وتحليلاً [illegible] هو المطلوب ولذلك فإن الشرط الأساسي هو أن يكون مقترناً بفهم هذا النص وهذا التراث، فقه الواقع وهذه قضية منهجية وأساسية [illegible] تجمعنا [illegible] أين الاجتهادات الفقهية ولا أقول الفكرية فقط لأن هناك فرقاً بين الفقه والفكر في مجال قضايا الأمة، على النحو الذي يقدم لنا حلاً مخرجاً من هذه الأزمة المتلاحقة الأمواج التي تمر بها جميعها، هذه نقطة هامة. وحين نتكلم عن الواقع فإنني ضربت مثالاً من الواقع، ولمساحته حين؟ وأين؟ وفي أي مكان؟ فالمشاكل تختلف، وأيضاً حين نتكلم عن واقع المرأة، في أي مجال؟ في العمل؟ أو في التعليم؟ أو في

الإسلام؟ أو في المشتركة المسلمة؟ أو في مجال الأحوال الشخصية؟ أو في المكانة الاجتماعية والرؤية لها والتعرف على دورها والإسهام في مجالات الحياة المختلفة؟ أم أن واقعها يعكس.. في بعض المناطق أو في جزء منه أو في جميعها .. اقتصاراً يقطع دورها وتهميشها أو الحرص على إبقائها وراء الستار مخافة ما قد يأتي منها من الشر كما يقول البعض؟

وإذا انتقلنا إلى الشق الثاني (المرأة)، أي امرأة؟ هناك المرأة العاملة، وهناك ربة البيت، وهناك المرأة في دولة إسلامية تطبق الشريعة الإسلامية أو في دولة إسلامية ليس لها من الإسلام إلا الاسم. هل هي في مجتمع ذي تربية إسلامية أو في نطاق ثقافة إسلامية؟ هل هي من النخب التي حازت حظاً من التعليم أم من القاعدة العامة في مجتمعك التي لم تحظ بكثير من الحقوق شأنها شأن بقية المجتمع باعتبارها جزءاً من المجتمع؟ وهكذا.

إنصاف المرأة وحماية الأسرة والبناء الاجتماعي هو أحد الشروط الأساسية لإصلاح واقع الأمة كلها، وإن المرأة هي مدخل أساسي من مداخل التغيير والإصلاح الاجتماعي والتنمية الشاملة

وإذا انتقلت إلى كلمة (المسلمة)، أيضاً ما المقصود بالمسلمة؟ هناك مسلمة ملتزمة وهناك مسلمة غير ملتزمة، وما درجة الالتزام، وما مدلوله؟ عند كثير من الشباب الذي يقدم على الزواج.

وإذا وصلت إلى كلمة (المعاصر) فما المقصود بالمعاصرة؟ هل الذي يعيشه من ظروف لدى الأمة ويريد أن يأتي بها إليها على أساس أنها الأفضل والأحسن؟ ومن ثم نقع في إشكالية المقابلة دائماً بين المعاصرة والأصالة، أو التراث والحداثة، إلى غير ذلك من إشكاليات تجعلك تتساءل أي الظروف التي مرت بها أمتك هي الأفضل؟ أم تقصد بالمعاصرة تحديات المرحلة؟ بمعنى ذلك الاهتزاز القوي جداً للحدود الفاصلة بين الأمم والشعوب والدول، على نحو جعل التواصل الإنساني لم يَسْرِ بين جميعها الآن بين الجميع، حيث نتعرض جميعاً لتأثيرات خارجية في مجالات مختلفة من انتقال ليس فقط الأموال ولا الأشخاص ولكن الأفكار والمفاهيم وأنماط الحياة، ومن ثم نواجه جميعاً بالحديث عما يسمى آثار التغريب والعلمنة على وضع المرأة. فهل هي آثار سلبية أم إيجابية؟ هي مقابل الحديث عن بقايا المنظورات السلبية التقليدية لوضع المرأة؟ أم تتساءل: هل يمكن أن يكون هناك طريق ثالث ليس هو بعلمانية أو تغريبية أو علمنة مما يأتي إلينا من الغرب؟ وفي نفس الوقت ليس هو بالقديم التقليدي الذي نعيش بعض جوانبه لمواجهة تحديات الواقع الحالي الذي نواجهه جميعاً، سواء امرأة أم رجلاً، فهذه أمور كثيرة تثار ويدور حولها النقاش حداً وحساباً

واعتقد أننا سمعنا الكثير من بعض الإخوة الحاضرين والقادمين من أماكن مختلفة ستقدمون إجابات متنوعة حول بعض الأمور، ولكن مما لا شك فيه أن هناك اتفاقاً سيكون على بعض الأمور التي نعتقد أنها من الخصائص المشتركة في الحديث حول واقع المرأة المسلمة المعاصر في هذه الأوقات، سواء على الصعيد الفكري أو الأكاديمي أو الحركي.

ما هي هذه الخصائص؟

هذا السؤال والإجابة عليه هي النقطة الثانية التي

أريد أن أتحدث فيه؛ لأن النقطة الأولى كانت معروفة، معرفة كيف أن الأمر يحتمل أكثر من وجهة نظر؛ لأن الأمر متغير ومتحول ولكن - كما قلت - هناك قواسم مشتركة بحكم أننا أمة واحدة. ما هي هذه القواسم المشتركة؟ هذه القواسم تتلخص في عدة أمور منها:

ما لا شك فيه - وطبقًا لمؤشرات التعليم والصحة والعمل والمشاركة السياسية والأحوال الشخصية والقوانين - أن هناك وضعًا لا أريد أن أقول متعثرًا ولكنه غير مرضٍ للمرأة المسلمة، وهو وضع ليس منفصلاً عن مؤشرات ما يتصل بوضع الرجل والمجتمع بصفة عامة، ومن ثم فإن وضع المرأة المتدهور في جوانب معينة هو جزء من صورة أعم خاصة بمجتمعاتنا جميعاً.

ثم هناك مساحة مركبة عمن يتصورون بأن تطوير وتحسين هذا الوضع ضروري باعتباره - في نظري - جزءاً من عملية مجتمعية شاملة. وفي نظر البعض الآخر أن تغيير وضع المرأة هو قاطرة لتغيير المجتمع كله. وبعبارة أخرى فإن تغيير وضع المرأة يغير المجتمع كله، أو تغيير وضع المرأة يكون جزءاً من عملية مجتمعية شاملة. والسؤال هو: كيف؟ وبأي منظور؟ لدينا في هذه الساحة منظوران أساسيان، ومعي الآن بعض الأوراق التي تتضمن تقاطعاً من ورقة سأشارك بها في ندوة تتناول "قراءة أو مراجعة في خطابات معاصرة حول المرأة" من مدخل حضاري، وهذه الورقة تتناول التمييز بين أبعاد المنظورات المتنافسة حول وضع المرأة المسلمة المعاصر وكيفية تغييره، وهي ليست مجرد منظورات فكرية، بل تلمسها على أرض الواقع في تجاربنا وفي حياتنا اليومية، منطلق منه وهو المنظور الذي تتبناه عدد كبير من النظم والحكومات والنخب الفكرية والثقافية السائدة، والتي تبدو أنها الأكثر تأثراً بالنموذج الغربي أكثر من غيرها، والتي تمثل ما نسميه (النموذج الغربي الخاص بالمرأة في الخطاب النسوي الصاعد).

ولكن ما هي خصائص هذا الخطاب؟ أرى أن هذا الخطاب أو هذا النموذج الذي يتضمن هذا الخطاب يرتكز على خصائص أو أسس ثلاثة:

الأساس الأول هو الرؤية الفلسفية، بمعنى فصل الدين عن المجال العام برمته، وجعل الدين قاصراً فقط على المجال الخاص للإنسان، وتقديم المادي والاقتصادي والفردي على المعنوي والقيمي والجمعي، هذه هي الخصيصة الأولى أو الأساس الأول.

> **هل يعكس واقع المرأة سوء تطبيق الأخلاق أو أنه جزء منها أو أنها جميعها - افتقادها لمنطلق مرونة وتخصصاتها، أو الحرص على خصائصها ورؤاها الحضارية مختلفة عما قبل وأكثر علواً من (هي كما يقول البعض)؟؟**

الأساس الثاني هو الاختزالية الجزئية، بمعنى انتزاع ما يتصل بقضية المرأة من سياقها المجتمعي والحضاري، وعدم اعتبار المرأة ظاهرة مجتمعية إنسانية مركبة، وكأن النظر إليها منفردة منعزلة عن سياقها كما لو كانت مشاكلها نابعة من ذاتها، أو أن حل هذه المشاكل يكون بالتركيز عليها فقط دون الأخذ في الاعتبار ما يحيط بها.

الأساس الثالث هو آثار العولمة على المجال الغربي، بمعنى الابتعاد عن الخصائص الدينية والتقاليد الثقافية والاجتماعية، والاعتقاد بأن العالم تتوحد خصائصه الثقافية والقيمية واحدة تحكم تطوير وأوضاع كل المجتمعات فيما يخص قضايا المرأة ووضعها

هذا جلياً في مفهومي (الحرية والمساواة) اللذين يمثلان كمفهومين حاسمين يجب أن يطور على ضوئهما وضع المرأة المسلمة، والمرأة في العالم كله، ولكن هنا الآن يركز على المرأة في المجتمعات العربية والإسلامية.

هذه الخصائص التي نسميها (خصائص معرفية كلية في النموذج الغربي) تفرز عنها بشكل خطابات تدلوجية نسمع ونقرأ عنها أو نأخذها أو نقبلها على حسب موقفنا، ويمكن تلخيصها في عدة نقاط منها:

- النظر إلى الدين كمعوق لتحرر المرأة، فالحجاب الشرعي تعصب وتخلف،
- الحرية المطلقة والحرية الكاملة وتعني حرية المرأة بالنسبة لكونها أماً أو زوجة أو بنتاً أو بنية
- الحط من دور المرأة في ميدان العمل والإنتاج
- العمل دون مقابل.

وقد أضحى العمل خارج المنزل أساساً للتأكيد الاستقلالية، وأساساً للمكانة، لأن الأبعاد المادية الاستهلاكية هي محركة المعيشة والإنجاز، ذلك على حساب النسبية المحترمة تجاه القيم الأخلاقية والحميمية والوفاء بمسؤولياتها تجاه الإنسانية.

ومن بين الخصائص أيضاً التي تندرج في هذا النموذج:

- الاهتمام بالحقوق الفئوية بمشاكل المرأة، دون أي اعتبار لما قد يترتب عليها من أزمات عائلية، والتأثير على تماسك الأسرة، وفي هذا السياق نشير إلى

الحديث المتكرر عن ضمان حق المرأة في الطلاق والعمل... إلخ، دون الأخذ في الاعتبار العوامل الأخرى.

المساواة في الشكل والمحتوى

- وهناك شيء آخر يمكن أن نسميه (المعنى الشكلي لشعار المساواة) مساواة المرأة في مجتمعات فقيرة ومستضعفة في الأصل، مساواة بمعنى؟ وأين المساواة بالنسبة للرجل أيضاً؟ ومن ثم يرتبط الأمر أيضاً بالمشاركة السياسية، حيث يتحدثون عن المشاركة السياسية للمرأة، وفي كثير من المجتمعات العربية والإسلامية سنجد أن محور الاهتمام هو محاولة تمكين المرأة من أن ترشح نفسها بعدد أكبر وأن تنتخب بدرجة أكبر، قبل أن يُسهم أن وراء هذا محددات اجتماعية خاصة بالتعليم والمستوى الثقافي والمستوى الشخصي، وإذا توافرت هذه المحددات ستتوافر عندها القدرة في المشاركة، ليس للمرأة فقط ولكن للرجل أيضاً.

> الحقوق الإنجابية، الثقافة الجنسية، أنماط الأسرة... إلخ، مفاهيم ومصطلحات جديدة مراوغة وترجمة لا يعرفها الخطاب الإسلامي
>
> ◆ ◆ ◆
>
> الأم والأسرة مصدران يستمدهما الإنسان بعد الأصل إلى الفرع وحتى مستواه الثاني العمارة التي هي ذروة الحضارة

- وكثيراً ما نسمع عنه من ظهور مفاهيم ومصطلحات جديدة، مراوغة ومترجمة، لا يعرفها الخطاب الإسلامي مثل الحقوق الإنجابية، الثقافة الجنسية، أنماط الأسرة... إلخ. وكل هذا يمثل تفكيكاً بنيوياً للأسرة كوحدة أساسية في الكيان الاجتماعي الحضاري، هذا منظور أو نموذج له خصائص معرفية، وتترتب عليه خطابات فكرية، وتترتب عليه برامج وآليات عمل وسياسات توضع

بمبادرة الأمم المتحدة ويجري تكثيف وفق اتفاقيات ومعاهدات توقع عليها الدول العربية والإسلامية لتنفيذ هذه الأمور.

وفي الحقيقة فإن هذه الأمور تأخذ جدلاً عنيفاً وواسعاً حين إقرارها، كما حدث تحديداً في مؤتمر بيكين الأول عن المرأة سنة 1995 ثم سنة 2000 ويجري حالياً الإعداد للمؤتمر الثالث، أو كما حدث في مؤتمر القاهرة عن الأسرة والتنمية سنة 1994. لكن هناك دعماً يحدث حيال هذا الأمر وهناك أموال تنفق، وهنالك جمعيات مدنية وأهلية وبرامج حكومية ومؤسسات تسعى بشأن هذا الأمر الذي يهدف إلى تغيير وضع المرأة، ولكن وفق خصائص ومقومات نموذج حضاري أو معرفي معين.

منظور حضاري إسلامي

في مواجهة هذا هناك منظور آخر حضاري ويستند على مسلمات عديدة وهو ما نسميه: منظور حضاري إسلامي، يرى أنه يجب الانطلاق من الإسلام بمكانه وقيمه وسننه وخبرات تاريخه، على أساس أنه يقدم لنا نموذجاً معرفياً آخر، وخصائص أخرى للمطالبة، وإمكانيات وبرامج أخرى لحركة ولتغيير وضع ودور المرأة والأسرة والمجتمع، وتتلخص أسس هذا المنظور في ما يلي:

- النقطة الأولى الوعي بالمرجعية الإسلامية وخصوصيتها، وخاصة من حيث التمييز بين ما هو ثابت وبين ما هو متغير، ما هو ثابت في إطاره المرجعي على عكس أسس مرجعية أخرى ثوابت، وبين ما هو متغير. وهذا هو واقع الإسلام بامتياز، دين للعالم كله في كل مكان وزمان.
- النقطة الثانية هي الهوية والوعي بالذات المرتبطة بالأمة دون انفصال عنها.
- النقطة الثالثة وهي مهمة جداً في نظري، وهي الانفتاح على التفاعل مع الخصوصيات الأخرى، وليس الانغلاق عليها ورفضها أو البعد عنها وعن تأثيرها.. الخ، ولكن النظر إليها ورؤية ما يحدث فيها دون استلاب أو تبعية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى في ظل استمرار التواصل مع التراث ودون التقليد الأعمى ودون جمود أو خضوع.
- النقطة الرابعة هي الجماعية وليس الفردية في إطار توظيف الإبداعات الفردية والذاتية وتنظيم في ما بين فاعلياتها، دون إفراط في الحرية الفردية، وفي نفس الوقت دون انسحاق في الجماعة.
- النقطة الأخيرة هي التكامل بين الرؤية المادية البحتة وبين القيمي المعنوي والأخلاقي.

كيف نوظف طاقات من يدرسون العلوم الإسلامية والعلوم الشرعية المتميزة والمناهج والفهم والتمييز!

◆ ◆ ◆

وضع المرأة المسلمة في جوانب معينة هو جزء من صورة أشمل خاصة بمجتمعاتنا جميعها

وعلى ضوء هذا فإن تلك الخصائص تتفرع منها أو تنبثق منها عدة حيثيات أو عدة اهتمامات، بمعنى أنه يُنمى في الاهتمام به على مستوى الحركة، لعل أولها أو أبرزها الربط بين وضع المرأة ككيان إنساني واجتماعي ولكن في علاقة عضوية مع الأسرة والمجتمع والأمة برمتها.

ولا يعني أن هذه الخصائص تستبطن قيم العدل بين الحرية والمساواة، وتلحق الحقوق بالواجبات، فالمرأة لها حقوق وعليها واجبات في نفس الوقت وليس لها حقوق فقط.

وهذه الخصائص تقود إلى المقاصد الكلية العامة والتي نجد مرجعيتها في أصول الشريعة النابعة من الإطار المرجعي.

وينطوي كل ما سبق في الرؤية الإسلامية الواعية من الجوانب: التعليم، المشاركة السياسية، العمل المهني، الأحوال الشخصية، الحرية الشخصية... وكل هذه السمات والخصائص تستطيع حضاري من وضع المرأة، إنما يعبر عن حقيقة الوعي بالذات الحضارية، ومن أهم التحديات التي يجب أن نواجهها، وأن نضطلع بالجهود اللازمة لاستكشاف سبل الربط بين القيم الأصيلة والمعاصرة، بين الوعي والعلم والوجود، وبين الذاكرة التاريخية والواقع، بوصفها نواة من ناحية، ومعبرة للأسرة والمجتمع من ناحية أخرى، كوحدات فاعلة وأساسية في نهضة الأمة. ومن ذلك هنالك قول ننتبه لأهمية دراسات المرأة والحضارة، تعبير عن هذا المنظور الحضاري وأنا حضور فيه، كما حضورية (الأم) والأمة مستويان، علقهما متلازم يمتد الأصل إلى الفرع، وعلى سؤاله نفتح السمات التي هي روح الحضارة.

هذه الأمور التي تحدثت عنها علميا أو معرفيا تجد انعكاسها على الأرض، حيث هنالك أناس يسعون ويجتهدون ويعملون لتطوير وتحديث وضع المرأة، وهذا الأمر ضروري وواجب، ولكن كيف؟ وفق معايير معينة، ثمة كثير من علامات الاستفهام عن تعبيرها عن ذاتنا الحضارية، وفي نفس الوقت هناك اتجاهات تقول ونريد أن تبقى وضع المرأة على ما هو عليه، انطلاقا من أن هذا هو الطريق الأسلم، بمعنى وفق ما يريده الإسلام لوضع المرأة.

وأنهي كلامي بالقول: إنه إذا كان ما قلته سؤال كامل عن أهمية إصلاح واقع المرأة المسلمة؟ وما هي شروطه؟ والإجابة ببساطة هي أن إنصاف المرأة وحماية الأسرة والبناء الاجتماعي هو أحد الشروط الأساسية لإصلاح واقع الأمة كلها، وأن المرأة هي مدخل أساس من مداخل التغيير والإصلاح الاجتماعي والنهضة الشاملة. ولكن كيف؟ إن التكوين العقيدي الإيماني المتضافر مع تكوين علمي حقيقي يمثل جزءا من القابلية الأساسية بالنسبة للمرأة المسلمة وأن تتعاطى مع العصر وإشكالياته المحلية والعالمية من منطلق حضاري متميز. فنحن نواجه ذلك بأن النماذج البراقة الناجحة في مجال التعليم والعمل والمشاركة السياسية، هي نماذج استوردت، قليلا أو كثيرا، وهي مرتبطة في النموذج الغربي بمنطلقاته وأسسه المعرفية. وفي المقابل تواجه بتعتيم شديد على نماذج المرأة الفاعلة الواعية المشاركة في مجتمعاتها والمحافظة، في ذات الوقت، على خصائص ذاتها الحضارية. وعليه يجب أن نبدأ بجهد لتعريف وعي ما يدور حولك، لتعرف وتعي حقيقة الواقع الذي يدور حولك. وما يتطلبه منا كأفراد عاديين يعيشون في مجتمعاتهم، أو دارسين للعلوم الاجتماعية أو دارسين للعلوم الشرعية، أن نعرف حقيقة الواقع الذي نعيشه ومتطلباته وتحدياته، وأن نسعى أن نقدم رؤى فكرية وبرامج عملية للتطوير والتحديث دون فقدان ذاتنا الحضارية، أو بمعنى آخر وفق منظور حضاري إسلامي.

وضع المرأة المسلمة ليس مستقلا، ولكنه غير مرتبط وليس منفصلا عن مؤثرات ما يتصل بوضع الرجل والمجتمع بصفة عامة

تغيير وضع المرأة يغير المجتمع كله، وهو جزء من عملية مجتمعية شاملة، لكن السؤال هو كيف؟ ووفق أي منظور؟



د. محمود مصطفى ايوب

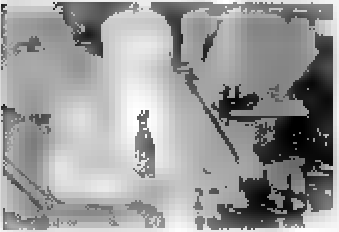
الإسلام ليس دين المسجد والمنزل فقط

د. محمود مصطفى أيوب

الإسلام ليس دين المسجد والمنزل فقط

إعداد: محمد حسين جها *

التقينا الدكتور أيوب خلال مشاركته في أعمال المؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية وأبحرنا معه في سياحة فكرية تلامست مع عدد من القضايا والأفكار التي تستحوذ على اهتمامه، وبدأناه أولا عن قراءته لشعار المؤتمر وما يتضمنه من أبعاد



* الآية القرآنية الكريمة

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [سورة الأنبياء: 107] والتي جعلها المؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية شعاراً له، في تقديري أن هذا الشعار له أبعاد كثيرة، لعلها بعدان رئيسيان واجتماعهما أيضا في آن واحد.

البعد الأول يتعلق بما يخص المسلمين فكلمة عالمين في القرآن تعني حتماً كما نعرفه للعالم الذي نعرفه، وإذا قال للعالمين تعني لكل زمان ومكان، والرحمة هي في شخص الرسول ﷺ وتكمن في الدرجة الأولى برسالة الرسول ﷺ التي جاءت لتلغي وتدمر مفهوم العصبية وأيضا طبقيات العبيد، كانت في فارس أو في الروم. فالإسلام رحمة، والإسلام هو رسالة هذا النبي الأمي العظيم. هذا بإيجاز عن البعد الأول.

أما البعد الآخر فهو أن الرسول محمد ﷺ قد بُعث رحمة لجميع الناس المسلمين وغير المسلمين ونحن قد نظهر بعض أبعاد هذه الرحمة بتعاملنا مع الناس وباحترامنا للكرامة الإنسانية وبتعاطفنا مع مشاكل الناس بصرف النظر عن ديانتهم ومعتقداتهم، وأنا أعتقد أن هذه الرحمة يمكن أن ننقلها إلى غير المسلمين عن طريق الحوار البناء، ولا سيما أنه قد أصبح يعترف من قبل من قبل بعض المتحدثين في المؤتمر من أن المسلمين مستهدفون في كل أنحاء العالم وشراسة الهجمات ضد الإسلام والمسلمين وهذا أيضا إلى حد بعيد هذا صحيح ونحن نرى كل ما يقال عن الإسلام والمسلمين حتى في أمريكا وكثير من دول الغرب هو سلبي وغير بناء، حيث هناك الكثير ممن يتعاطف

* كاتب وصحفي ليبي

مع الإسلام والمسلمين، وبعضهم جاء ليحضر معنا هذا المؤتمر، وهو غير مسلم. فإذا كان البعض هو ما حاول رسم بعض ملامحه عددٌ من المتحدثين في المؤتمر، وهو واقعي وصحيح، ولكن إلى حدٍّ ما وليس على شكل عام، ويجب أن أسجل هنا أن بعض المداخلات في المؤتمر كان ينقصها التوازن والوسطية التي أمرنا الله أن نلتزم بها

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣)

والحق لله قد يريحنا بعض الشيء أن نبكي على الأطلال وأن نلوم الآخرين على مشاكلنا وعلى السلبيات في عالمنا الإسلامي الحالي، ولكن ينبغي أن نعلم أن هذه - في الدرجة الأولى - مسؤولياتنا نحن المسلمين وليست مسؤوليات الآخرين.

• كيف ترى أنت - أو ما هي أبرز - إشكاليات الفكر الإسلامي المعاصر؟

أنا أعتقد - وقد طرحته في آخر كتبي الذي ظهر قبل شهر تقريباً وكان عنوان الكتاب «الإسلام: عقيدة وتاريخ» باللغة الإنجليزية (Islam faith and history) قلت في هذا الكتاب إن ما نحتاج إليه وما نحن في أمسّ الحاجة إليه هو إيجاد الوسائل الملائمة للتعامل، أي كيفية تعامل الأمة المسلمة مع العالم المعاصر، بحيث أن نعيد تفسير التطبيقات في الإسلام وليس الأصول والمبادئ والأركان، ولكن الأمور التطبيقية من فقهية وغير فقهية، بحيث تلائم ومتطلبات العصر الحاضر، هذا شيء، والشيء الآخر أنه يوجد في العالم الإسلامي تشتت رهيب للأسف الشديد، هناك بعض المفكرين وبعض المشايخ والعلماء الذين لهم نظرة جيدة بالنسبة لحاجات الإسلام والمسلمين في العالم المعاصر، لكن تشتتنا في العالم الإسلامي.. على طريق أن أدوات التواصل، يبقى كيف يمكن للأمة أن تتكلم بصوت واحد؟ على سبيل المثال الكنيسة الكاثوليكية عندهم بالفاتيكان يمثل هذه الكنيسة

الأستاذ الدكتور محمود مصطفى أيوب



من مواليد لبنان، درس في الجامعة الأمريكية في بيروت وحصل على شهادته في الفلسفة ثم حصل على الماجستير من جامعة بنسلفانيا بأمريكا في تاريخ الأديان المقارن، وأكمل دراسته في جامعة هارفارد - التي تعتبر واحدة من أشهر جامعات أمريكا وقد درس في قسم موضوع تاريخ الأديان المقارن وأنهى الدكتوراه بها سنة (١٩٦٦م)، قام بالتدريس في عدة جامعات في كندا والولايات المتحدة الأمريكية، وهو الآن أستاذ بجامعة تمبل بولاية بنسلفانيا التي يتولى فيها تدريس مادة الدراسات الإسلامية والأديان المقارنة.

والأستاذ الدكتور محمود مصطفى أيوب عضو بالمجلس العالمي للدعوة الإسلامية، وهو من المعنيين في حقل الدعوة إلى دين الله، وله مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية علاقات وطيدة ووثيقة منذ بداية الثمانينات من القرن الماضي. ألف عدداً من الكتب معظمها باللغة الإنجليزية، ونشر عدداً كبيراً من الدراسات والبحوث في الدراسات الإسلامية وفي علوم القرآن وتاريخ الأديان المقارن ومعظمها شارك به في مؤتمرات دولية، فضلاً عن أنه شارك في عدد من المؤتمرات والملتقيات الفكرية التي أقامتها الجمعية على مدى العقود الثلاثة الماضية وخاصة ما يتعلق منها بالحوار الإسلامي المسيحي.

المعاصرة في كل بقاع الأرض. فالكاثوليك البروتستانت والأرثوذكس لديهم مجلس الكنائس العالمي، واليهود لديهم منظمات دولية. نحن نحتاج تنظيماً واحداً وهو شكلي في الحقيقة، لكنه تنظيم يمكن أن يمثل وجه العالم الإسلامي، وأنا أعتقد أنه مؤتمر العالم الإسلامي قد يكون أداة التواصل بين المسلمين بعضهم ببعض، وبين المسلمين والعالم الخارجي.

وأنا أرى أن هناك نوعاً من الوسطية التي تحتاج منّا، أي أنه يجب أن نأخذ موقفاً معتدلاً من جميع الناس ونقول إن الإسلام هو خير هدى، وبالتالي يجب ألا نكون في علاقات مع أحد. ولكن نحن نعيش في دار الإسلام ونسمي العالم دار الحرب، ولكن هذا كله انتهى وهذه المواقف لم تجلب لنا إلا الويلات على يد أسامة بن لادن وغيره. والموضوع الآخر أن نخرج مما يفرضه علينا الغرب الآن من أن يعيش الإسلام فقط بين المنزل والمسجد. الإسلام ليس بين المنزل والمسجد فقط ولكن هو بين المدينة والسوق والمدرسة والجامعة والمكتب وكل مناحي الحياة. فإذاً نحن يجب أن نسعى لإيجاد التماس للتعامل مع العالم المعاصر، وأنا في نظري هذه مشكلة المشاكل بالنسبة للعالم الإسلامي المعاصر. مثلاً المسلمون في العصور المبكرة في الإسلام اعتنقوا المذاهب الفلسفية اليونانية وكانت هذه فترة ذهبية من بساطة إسلام المدينة ومكة وإسلام الجزيرة العربية، وكانت هناك أصوات عالية تندد وتشجب وكل هذا، ولكن المسلمين كانت لهم رسالة نقل الفكر الفلسفي وبالتالي الفكر الإنساني إلى الغرب، حيث أدى في الغرب إلى النهضة التي نعرفها جميعاً.

الآن أمام واقع غريب مماثل، حيث يجب علينا أن نعيد الكثير من مواقفنا الكلاسيكية القديمة دون أن نضحي بمبادئنا الإسلامية وبتراثنا الإسلامي، وأنا أقول يجب أن نبني بناءً إسلامياً جديداً على الإسلام الكلاسيكي أي نبني بناءً جديداً على أسس التراث الإسلامي العريق الذي أثبت دائماً جدارته وقدرته على التأقلم مع متطلبات العصر المعاصر.

● تحدثت عن الجانب... هل باستطاعتنا أن نقول إن هناك مشروعاً إسلامياً معاصراً؟ وما هي أبرز ملامح هذا المشروع؟

● أعتقد أنه لا يوجد. توجد آراء كثيرة ولكن ليس لنا حتى الآن برنامج يمثل لنا ما نحن فيه الآن. أي أن هذه هي المشكلة. دائماً تظهر على أرض الواقع تنظيمات وتوجهات هنا وهناك. طبعاً أنا ليس لدي مشروع ولكن أرى أنه ليس من واجبي كشخص أن أخط توجهات، ولكن المشروع الذي أراه يجب أن يكون مشروعاً يحكم أولاً ما ينظم علاقة الأسرة وعلاقة المرأة والرجل. ونحن متخلفون حتى اليوم. نحن نرى الأحكام القديمة والمرأة للرجال، وكأن المرأة شيء أقل من الرجل، هذا نوع من الخطاب الديني القديم الذي يجب أن نحاول أن نتغلب عليه على الأقل. فتنظيم الأسرة وعلاقات المرأة والرجل ودور المرأة في المجتمع المعاصر هذا شيء مهم جداً. بعد ذلك يأتي دور العلاقات الاجتماعية في العالم الإسلامي بين الناس، وعلى وجه الخصوص برامج التعليم في الجامعات والمدارس، بحيث أن هذه الجامعات تلبي الحس الإسلامي والشعور بالهوية الإسلامية بين الطلبة في آن واحد، وتعد هؤلاء الطلبة للعيش في العالم المعاصر. ومن جانب آخر لا بد من أن يكون هناك إصلاح سياسي أيضاً في العالم الإسلامي، بحيث لا تكون السلطة وراثية، وأنا لا أعني أن يكون العالم الإسلامي ديموقراطياً بمفهومه الأمريكي أو الأوروبي بصرف النظر عن إيجابيات وسلبيات النظام الديموقراطي في الغرب، ولكن أعني أن يسود العالم الإسلامي الحس على كرامة الإنسان. فالإنسان في العالم الإسلامي ليس له كرامة

يمكن أن نتأثر بمعنى اتجاه هذه الرحمة وتعاملنا مع الناس واحترامنا للكرامة الإنسانية وبتعاطفنا مع مشاكل الناس بصرف النظر عن أديانهم ومعتقداتهم.

وليس لعباءة الألبسة فهذا من هذا المنطلق أقول إنه يمكن أن نتعلم الكثير من الغرب، وهناك أيضاً الحاجة لإصلاح العلاقات الدولية بين المسلمين وغير المسلمين. الأمة المسلمة المثالية هي الأمة تحكم نفسها وفق نظام تختاره هي وتقرره، ونحن نرى الآن أن الأمة المسلمة مقسمة إلى دول في معظمها تمثلت نماذج من الدساتير الغربية والشيوعية، خاصة البريطانية الغربية، ولذا نرى أن كل هذا ليس سلبياً لأنه على مستوى الهوية الدينية وحتى الفكرية فإن الأمة الآن قد تكون أمتن مما كانت عليه من قبل، لأنه مثلما نرى إذا رجعنا إلى التاريخ دائماً عندما تكون السلطة الرسمية قوية في العالم الإسلامي تضعف السلطة الدينية ويقل انتشار الإسلام، ولكن دائماً انتشار الإسلام يكون عندما تكون الهوية ضعيفة، وهذه ظاهرة غريبة، وهذا الشيء يحتاج إلى تدبر وبحث، وأنا أريد أن أدرس هذا الأمر، مثلاً إذا بحثت كيف انتشر الإسلام في العالم؟ لوجدت أنه قد حدث كل هذا بعد نهاية خلافة الدولة العباسية، أو بدءاً في أيام ضعف الخلافة العباسية، هل هذا صحيح أم لا؟ حتى بعد قوة الدولة العثمانية قلت قوة الإسلام، ولست أدري لماذا حدث هذا بالضبط؟ إنه سر يحتاج بحثاً ودراسة.

الإسلام ليس دين المساجد والمسجد فقط بل هو أيضاً دين المعاملة والسوق والمدرسة والجامعة والمكتب وكل مناحي الحياة

● من جانب آخر وتواصلاً مع ما تطرقت إليه نجد أن معظم الفقراء والأميين ... في العالم مسلمون، ومع هذا يظل الإسلام أقوى الأديان وينتشر بسرعة في كل المجتمعات.

● نعم، لأن هذا نتيجة ضعف في السلطة الرسمية ولهذا قلنا إنه يجب أن يكون هناك إصلاح في المجتمع وفي الهيئات التعليمية ... إلخ. فالعالم الإسلامي يجب ألا يكون فقيراً لأن كل الموارد الطبيعية موجودة في العالم الإسلامي، خذ مثلاً اليابان التي تعتبر من أغنى دول العالم وليس لديها موارد طبيعية، تستورد كل شيء فتصنعه ومن ثم تبيعه إلى الدول التي تعرف المواد الأولية، وفي هذا السياق لا يفوتني أن أشير إلى أن اليابان قد اهتمت بأهم مورد وهو الإنسان، وعلى هذا فكل نظام إسلامي معاصر لا يكون من عمل شخص واحد بل لا بد أن يكون مشروعاً من عمل الخبراء والعلماء والسياسيين والعسكريين والمثقفين وعلماء العلوم الطبيعية كما علماء الدين، وهكذا..... حتى يكون مشروعاً نهضوياً، وهذا ممكن، وأنا لا أطلب شيئاً غير ممكن، بل أؤكد أنه ممكن إن صدقت النية وكانت هناك إرادة لتحقيق ذلك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾

سورة الرعد: الآية (11)

● بما أنك تعيش في الغرب وتعلم أن صورة الإسلام والمسلمين قد تعرضت لتشويه إلى حد كبير هناك من قبل وسائل الإعلام، فما هو دور المسلم في الغرب لإجلاء صورة الإسلام الحقيقية وتوضيحها للآخر؟

● يؤسفني أن أقول بعض الشيء نحو وسائل الإعلام لا تخترع الأشياء من نفسها، فقد تضخم لما تجد عليه الأشياء، ولكن في معظم الحالات بعض الشيء نحوه مثلاً عندما ترى مجموعة من الشباب المسلم الآن، وهذا منتشر في أمريكا وكندا، يتعاطون بيع المخدرات، وفي نفس الوقت قد يطلقون اللحى ... أو يحاولون حتى السرقة، ليس فقط كأفراد بل كجماعات، فماذا نعمل؟ عندما نرى أن بعض المسلمين في كثير من الحالات هم يتعاملون بالمخدرات ويمارسون الأشياء غير القانونية في بلاد الغرب، أو حتى بعض المسلمين الذين يعتبرون أنفسهم ملتزمين إسلامياً، يقول أحدهم أنا لي الحق أن أسرق أو أعمل هذا لأن هذه البلاد هي دار الحرب!! وهذا للأسف ليس موجوداً عند جميع المسلمين بل البعض منهم، وأنا أقول إن هذه هي [illegible]

أنت قد نظمت الأموال الباهظة من أجل الحصول على ظاهرة حيرة إلى هذا البلد. هذا البلد أصبح بلدك بحيث عليك أن تكون مواطنين صالحين في أي بلد نعيش فيه، ومثلاً أنا كمسلم أمريكي لا بد أن أحاول من أن أكون ... ولكن مثلاً عندما أذهب إلى بعض حفلات التخرج في الجامعة ويقدمون المشروبات الروحية مثل الخمر ويسمحون لي بعض الشكوى من الخمر لا يؤدي بك إلى جهنم أنا أقول لهم: لا وصح أن الله غفور رحيم ويمكن كأس خمر لا تؤدي بي إلى جهنم ولكن أنا مقتنع أنا مسلم أمتنع وأحترم ديني، وهم يحترمونني بشكل أكبر عندما أتقي هذا وأتمسك بتعاليم ديني.

وأنا أعتقد أن الإسلام في الغرب مستقبله جيد وأن الأمة الإسلامية في الغرب بدأت تكون صوتاً معروفاً له وزنه وتأثيره في العالم، ونحن نساهم في هذا. ولقد أسست مؤسسة أرجو أن تحمل رسالة من ضمن جملة الأشياء التي أردت طرحها في هذا المؤتمر أو على هامش المؤتمر وأرجو أن أوفق لذلك بدعم وتوجيه من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومن القائد بالأساس. نحن أسسنا معهداً سميناه معهد تفعيل العمل السياسي بين المسلمين. وقد تم تسميته باللغة الإنكليزية

INSTITUTE FOR POLITICAL EMPOWERMENT OF MUSLIMS

والآن لدينا مثلاً موقع جيد على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) وأرجو أن نستطيع بعض المؤتمرات للمشاركة في النشاطات الأخرى التي تقوم بها جمعيات أخرى في مجال دعم وتقوية العمل السياسي والمسؤولية السياسية بين المسلمين في أمريكا فيما يتعلق بالانتخابات وتبني القضايا المهمة بالنسبة للعالم الإسلامي وبالنسبة للمسلمين في أمريكا وفي العالم الإسلامي. وهذا المعهد يعد الوحيد من هذا النوع من المعاهد والجمعيات والمؤسسات التي تسعى للغرض ذاته.

● ما هو دور وسائل الإعلام في هذا الجانب لتوضيح صورة الإسلام في الغرب؟

● لا شك في أن وسائل الإعلام مهمة جداً وهي سلعة تباع وتشترى. وأعطيك مثالاً: أنا لو كان لدي المال الكافي يمكنني أن أشتري في كل أسبوع ساعة أو أكثر أتحدث فيها عن الإسلام عبر إحدى المحطات العربية التي قد يراها كل أمريكي أو في محطة مسموعة أو على الصحف أو عبر أي وسيلة إعلامية. اليهود يحتكرون إلى حد بعيد وسائل الإعلام لأن لديهم العلاقات العلمية والعسكرية والمالية. في حين نرى بعض المسلمين يذهبون إلى أمريكا وينفقون معظم أوقاتهم في لاس فيغاس أو في نوادي القمار. طيب هذه الأموال لو أن المسلمين يهتمون أن تصرف على مشاريع إسلامية لتحسين صورة الإسلام وطرح الإسلام المعتدل. وأنا في نفس الوقت لا أريد أن أتكلم عن الإسلام الصحيح والإسلام الذي لا.

> حسبنا أن نطبق الكثير من مواقفنا الكلاسيكية القديمة حتى أن نحسن صورتنا الإسلامية وتركتنا الإعلامي

هذا يجرنا دائماً إلى أي إسلام هو الإسلام؟ ولكن هناك الكثير في الإسلام الذي نتفق عليه جميعاً فيجب أن نعمل فيما نتفق عليه ونترك ما نختلف فيه لمشيئة الله سبحانه وتعالى. ويقول أن نجمع أنفسنا ولتوحيد الكلمة والصف. والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

● في رأيك ماذا قدم الإعلام الإسلامي نحو تحسين صورة الإسلام والمسلمين في الغرب؟ وأنت تعرف أن الإعلام الإسلامي مصادره غالباً غربية!؟

من جانب آخر نرى أن الغرب يسعى الآن إلى صياغة الإسلام صياغة غربية أو تكييف الإسلام على نمط غربي فكيف تنظرون إلى هذه المسألة؟

● في الغرب وفي أمريكا بالذات هناك فرص كثيرة لتكوين إعلام إسلامي موضوعي وعصري وإعلام إسلامي شعوبي النزعة. هذا ممكن، ولكن المسلمين

يتحسسون إنسانيتهم وثرواتهم بطريقة أخرى فليغفر الله لنا ولهم.

أنا أعتقد أنه ليس هناك مانع في الغرب عموماً من نشأة إعلام إسلامي جيد، والكثير يتحدث في هذا الموضوع في عدد من المحاضرات وكذلك في المؤتمرات والملتقيات، وحتى في هذا المؤتمر سمعت عدداً من المتحدثين يطالبون بإنشاء فضائيات إسلامية ولكن مجرد إنشاء فضائيات لا يكفي فلا بد من أن تكون هناك رسائل وتخصصات تهتم وتحيط بالأمور وهذه موجودة في العالم الإسلامي ولكن لا بد أن نوحد الطاقات بما فيه خير الأمة والدين.

أما بالنسبة للجانب الثاني فالكثير من المثقفين الغربيين الآن يريدون أن يتحدثوا عما يسمونه (CULTURE MOSLEMS) يعني مسلمي الحضارة وهكذا كانوا يتحدثون عن مسلمي البوسنة ونحن نعرف أن مسلمي البوسنة هم مسلمون أنقياء ومدينة سراييفو كانت وما تزال مركزاً ثقافياً إسلامياً عميقاً فهم لا يريدون هذا.

وأسمح لي أن أتوسع قليلاً في هذا الموضوع: المثقفون اليهود منذ ما قبل حضورهم إلى أمريكا فصلوا هم بين ما يسمونه الحضارة والتاريخ أو الانتماء التاريخي لليهودية والتدين اليهودي، فيمكن للإنسان وهو يستطيل على كثير من يهود أوروبا وأمريكا أن يكون يهودياً أو حتى صهيونياً متشدداً ولا يؤمن بالله، وأنا قابلت حتى بعض اليهود في أمريكا وكنت أشترك في ندوات وهم يقولون لي نحن لا نؤمن بالله نحن نؤمن بمصلحة الشعب ولكن نحن لا نعرف الله. فالكل يريد للمسيحيين والمسلمين أن يكونوا هكذا أيضاً وأرى هذا ما نجحوا بالنسبة للمسيحيين المثقفين وإن كانت هناك ردود فعل لأن المسيحية والإسلام - مع الأخذ في الاعتبار كل الفروق بينهما غير أنهما ديانتان ترتكزان على العقائد، يعني أن هناك معتقدات معينة بدونها المسلم لا يكون مسلماً والمسيحي لا يكون



[illegible]

مسيحياً، وأنا في جامعة (تمبل) أدرس الإسلام، ودائماً هناك الكثير من الفرص في تدريس الإسلام إما بشكل عام أو القرآن الكريم أو التصوف أو غيره؛ هناك يأتي عدد الكثير من الطلاب المسيحيين أو اليهود نوع من التعاطف مع الإسلام ولكن أنا لا أستطيع أن أستغل هذا التعاطف لشرح الإسلام بحيث يعتنق هؤلاء الطلاب الإسلام لأنه إذا عرفت الجامعة أنني أبشر بالإسلام فإن أفصل لأن الجامعة (تمبل) تابعة للحكومة والحكومة الأمريكية تفصل بين سلطة الدين وسلطة السياسة. فإن من الممكن أن أدرس الفكر الإسلامي والتاريخ الإسلامي وحتى التصوف الإسلامي والفلسفة الإسلامية ولكن لا يمكن أن أبشر بالإسلام فهذه المشكلة في الغرب، وأن هذا الذي يخشاه على المسلمين الشباب من أكثر من قضية التعليم الديني هو مشكلتنا كلها.

ولا بد من الفصل بين الإسلام وصورة الإسلام، الإسلام شيء وصورة أو تصور الإسلام شيء آخر وهنا أيضاً لابد من أن نفرق بين الإسلام بمعنى الدين

والأركان والأصول الأساسية للإسلام، والمحاسن الإسلامية. فالأسس والمبادئ والأركان تبقى هي هي ولكن الصورة تتغير وفق الزمان والمكان. أما أساسيات الإسلام فتبقى في كل مكان وزمان.

إن المشكلة أن يقول الإنسان أنا مسلم ويشرب الخمر أو يقول أنا مسلم ويأكل لحم الخنزير. هذه هي المشكلة في حين أن على المسلم ألا يتخلى عن هويته الإسلامية. فالمسلم دائماً يحافظ على هويته الإسلامية. ولكن هذه الهوية تصبح فقط هوية تاريخية وحضارية. وليس لها معنى إن لم يكن لديه التزام إسلامي ومواظبة على ممارسة الفرائض والعبادات الإسلامية. فهذه مشكلة كبيرة بين الشباب المسلم في الغرب، وأنا أرى أن صورة الإسلام ليست مشوهة إنما سوء المسلمين هي المشوهة لدى الغرب لأن الغرب قد استفادوا كثيراً من الإسلام حتى فولتير في معظمه مستمد من الإسلام.

> كل نظام إسلامي معاصر لا يكون من عمل شخص واحد بل لا بد أن يكون مشروعاً من عمل العلماء والمفكرين والسياسيين والمثقفين وعلماء العلوم الطبيعية كما علماء الدين

● أنت أستاذ الدراسات الإسلامية والأديان المقارنة، كثيرون يقولون أن دين الله واحد وإنما تعددت الرسالات والشرائع والنبوات، كيف تنظر إلى هذه المسألة وأنت أستاذ متخصص في هذا الجانب؟

● أنا أقول إن الدين واحد فقط من حيث الجوهر وكل الأديان حتى الأديان التي نسميها «الوثنية» ليست وثنية، فمثلاً عندما نرى شخصاً يعبد شجرة فهو يرى قوة وراء هذه الشجرة خلقته وخلقت هذه الشجرة. ولكن هذه الشجرة تكون بمثابة وسيلة. لكم جاء في العرب قبل الإسلام إذا سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله. إذاً لماذا تعبدون الآلهة حرفة؟ جوابهم: ليقربونا إلى الله زلفى. إذاً الإسلام جاء من أجل أن يُعيد الناس إلى دين إبراهيم وإلى التوحيد الذي كانوا يعرفونه. فمن هذا المنطلق وهو الإقرار بوجود خالق نجد أن الدين واحد. ولكن الأديان تختلف. نحن نقسم الأديان إلى قسمين:

الأديان السماوية أو الأديان السماوية التي ترتكز على كتاب منزل من عند الله وهي الإبراهيمية: اليهودية والمسيحية والإسلام. والقسم الآخر أديان الحكمة كما نسميها وهي أديان الهند والصين واليابان. أي لكل من هذه الأديان نظرة خاصة إلى العالم والكون والوجود والخالق. فمثلاً الأديان السماوية جميعاً بما فيها الإبراهيمية تقول إن الله هو الخالق لهذا العالم. والتاريخ له بداية وله نهاية يبدأ بالخلق وينتهي بالحساب والقيامة، ولكن أديان الحكمة في الهند والصين واليابان وغيرها تقول أكثر بالنظرة الدورية للتاريخ، التاريخ ليس له بداية وليس له نهاية. ولكن كل ما يحدث في التاريخ حدث مرات لا نحصي لها، وسيحدث أيضاً مرات لا عد لها. وهذا طبعاً له انعكاسات مهمة جداً في ما يتعلق بنظرة الإنسان للكون والخالق. حتى بين الأديان السماوية مثلاً المسيحية ترتكز على فكرة أن الإنسان خاطئ وهم يتكلمون عما يسمونه الخطيئة الأصلية أو الخطيئة الأولى (خطيئة آدم) نحن في الإسلام نقول لا. صحيح أن آدم أخطأ ولكنه تاب عن خطيئته وتاب الله عليه وانتهى الأمر. إذاً لا خطيئة في الإسلام إلى حد ذاتي كما في المسيحية.

فهذان المنظوران للعالم إلى حد بعيد يحددان الفكر السياسي في الغرب وفي العالم الإسلامي. مثلاً من نواحي الفكر المسيحي حول الخطيئة الأصلية أن الإنسان دائماً يشعر بالذنب.

وكل تلك الفروق بين الأديان ليست مجرد فروق سياسية أو فروق نفسية أو فروق لاهوتية. ولكنها فروق تؤثر على السياسة وعلى المجتمع وعلى مسير

التاريخ لهذه الشعوب. فالأديان في جوهرها واحدة ولكن في ظواهرها كثيرة عدد.

• من تطور هذه الشرائع وظهور الأديان بناء على تخصصها بالإشارة إليه؟

• لأن كلمة شرائع لها مضمون خاص أو مدلول آخر.

• ولقد ذكرت أن الزرادشتية دين سماوي؟

• نعم لأن زرادشت كان قد نادى بعقيدة التوحيد وكان يؤمن بالإله [illegible] وهو [illegible] الفرس يسمونه [illegible] وأن [illegible] هو إله [illegible] والخالق لجميع الأشياء وكان يؤمن بالبعث والحساب، بعض علماء المسلمين اعتبروا الزرادشتية [illegible] وأن تقديس النار لا يعني عبادة النار [illegible] ما كان يعبد النار ولكن النار كانت عنده من [illegible] القداسة والطهارة لأن [illegible] الفارسية القديمة [illegible] المجوسية قامت على أن ما كل في الأرض مقدس مثل الهواء مقدس والماء مقدس والأرض مقدسة والنار هي أقدس المقدسات وما كانوا يعبدون النار هكذا لأنها نار. وما نعتقد مثلاً في القرآن الكريم ليس هناك ذكر أو دليل على قضية عذاب القبر ولكنها وردت في الحديث [illegible] فكرة عذاب القبر هي [illegible] زرادشتية. وأن [illegible] لا يمكنني إلا في التساؤل إلى أي مدى [illegible] هذه العقيدة الزرادشتية التي تقول بقيامة الأجساد [illegible] الأجساد قبل [illegible] اليهود لأن [illegible] العبرية الأولى لا تقول بالقيامة. [illegible] التوحيد الذي يذكر القيامة مباشرة هو سفر دانيال الذي كتب على الأرجح في منتصف القرن الثاني قبل ميلاد المسيح بعد أن اتصل اليهود بإيران والحضارة الإيرانية. إذا ماذا نقول عن هذا؟ [illegible] فكرة جهنم لم تكن [illegible] الدكتورة كان هناك [illegible] بالعالم السفلي [illegible] في الإنسان [illegible] جهنم هي النار أو بحيرة النار [illegible]

لا بد من أن نتعامل مع الأمور بحكمة ولا نتعامل مع الأمور بسلبية مطلقة

بمعيار الأديان وجعله في الوضع الفردي شبيه [illegible] نماذج الأديان. للأسف من الصعب عليه أن يقول لا يوجد إلا دين واحد لأن الأديان متعددة أو [illegible]

• كيف تقرأ مسألة الأصالة والمعاصرة والتغريب والحداثة؟

• ما من شك في أن هناك ظاهرة معروفة وكتب إليها بعض المفكرين المسلمين من أمثال الشيخ البهي رحمة الله عليه وغيره وهي ظاهرة التغريب والحداثة ولكن أنا أعتقد بأننا قد نبالغ في هذا الموضوع يعني الإسلام هو أيضا غربي وبعض المسلمين ورثة النبي إبراهيم عليه السلام وأرسطو كما المسيحيون واليهود [illegible] كان الإسلام حضارة قوية ومهيمنة كانت هذه الحضارة أيضا مرنة هي تلك الحضارة التي سمت أرسطو المعلم الأول رغم [illegible] في قبول الفلسفة الإغريقية القديمة ولكنها استطاعت أن تصبغها صبغة إسلامية تلائم العصر الذي عاش فيه مثلا ابن سينا أو ابن رشد وغيرهم. لماذا يعني الآن نريد أن نترك الواقع؟ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (سورة آل عمران ١٤٠). الآن الغرب هو المنطقة التي تملك التقنية والإمكانيات العلمية، فلا بأس أن نأخذ من أي مصدر ولكن دون أن نضحي بخصوصيتنا وهويتنا الإسلامية. [illegible] ذلك أمور [illegible] بعد الغربة والتغريب أن يذهب إنسان إلى أمريكا ليتخصص في الدراسات الإسلامية ولكن أنا أتذكر أن جامعة برنستون مثلا في أمريكا لديها أفضل مكتبة في العالم في ما يتعلق بالدراسات الإسلامية وليس فقط باللغة العربية ولكن [illegible] المصادر الإسلامية [illegible] في العالم الإسلامي! لذلك أنا أقول [illegible] لا أريد أن تفهموا الإسلام من الغرب ولا يعني أن أريد منكم أن تفهموا [illegible] البحث العربية. وأنا أعتقد أنها [illegible]

منهجية جيدة ومسالمة، وأنا أوافق على خطورة التعريب والحداثة، ولكن أقول إن هذه الظاهرة ليست جديدة، فالمسلمون كانوا يأخذون الحكمة من كل مكان، وكما جاء في الأثر: «الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها». وفي اعتقادي أن هذه ليست المشكلة الأساسية، فإن الإسلام يغزو الآن بقوة في الغرب، فمثلاً حين ذهبنا لصلاة العيد في أي مدينة في أمريكا تكاد لا تجد مكاناً تجلس أو تقف فيه. الحمد لله المسلمون كثر وما يزال الإسلام أكثر الأديان انتشاراً في العالم، فالمشكلة ليست مشكلة الإسلام بل هي مشكلتنا نحن المسلمين الذين نحتاج إلى قيادات رشيدة وحكيمة ونحتاج إلى الوحدة والقوة وألا نستمر كما نحن عليه الآن، هذه هي القضايا المهمة. أنا أعتقد بأن من الأسباب المباشرة لتحسين صورة الإسلام هو قوة المسلمين، فحينما نكون أقوياء ينظر إلينا الناس بنظر أخرى.

هناك فرص كثيرة لنشأة إعلام إسلامي موضوعي ومتزن وقوي الثقافة

● وماذا عن المصطلحات والمفاهيم التي تأتي في ظل الغزو الفكري، حيث هناك مفاهيم ومصطلحات نرى أن لها معنى خاصاً في مفهومنا الإسلامي ولكن الغرب يريد منا أن نفهم هذا الشيء وفق مفهومهم هم، مثلاً تحرير المرأة أو حقوق المرأة... إلخ؟

● في ما يتعلق بالمصطلحات هذا موضوع مهم جداً، وفيما يتعلق بالمرأة أنا في تقديري أنه لا، حقوق المرأة ليست مصطلحاً وإنما حقيقة، ونحن نعرف أن الفقه الإسلامي يرتكز باعتقادي على ثلاثة مصادر مهمة: المصدر الأول هو القرآن الكريم، والثاني هو السنة النبوية، والثالث هو العرف. والكثير من صور تعامل المجتمع الإسلامي مع المرأة نابع ليس من القرآن ولا من السنة ولكن من العرف، وأنا أعتقد بأن هناك مجالاً كبيراً لتحسين أوضاع المرأة في العالم الإسلامي، ونحن لا يمكن أن نستغل الإسلام لدعم سلطة الرجل المطلقة التي سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21]. فكيف تكون هذه المودة والرحمة إذا كانت المرأة مسلوبة أو عبداً؟ ولكن حقوق المرأة هذه لا تزال من القضايا التي لا بد للمجتمع الإسلامي أن يتعامل معها، وأن تنبع هذه الحقوق ليس من الفكر الغربي ولكن من واقعنا نحن التاريخي والاجتماعي، وأنا أعتقد أن هناك الكثير الذي يمكن أن يصنع في ما يتعلق بحقوق المرأة، وهنا لا بد من أن أشير إلى أن ما قامت به الجماهيرية الليبية خصوصاً بعد الثورة مهم جداً، أعطى المرأة حقوقاً لم تكن تتمتع بها قبل الثورة. وهناك مصطلحات أخرى قابلة للبحث أكثر والنقاش، مثلاً الجهاد، أنا حاضرت كثيراً وأتحدث كثيراً في معنى الجهاد: جهاد النفس والجهاد في الله والجهاد في سبيل الله والجهاد الاجتماعي والجهاد في الحرب والجهاد المسلح وشروطه، وكل هذه الأمور مهمة تحتاج إلى توضيح، لأنهم دائماً ينظرون أو يفهمون الجهاد على أنه القتل والقتال والحرب والنهب... إلخ، والأمر ليس كذلك.

● باعتباركم أحد المثقفين المسلمين في أمريكا، هل هناك من دور للمثقفين المسلمين هناك لتجميع كلمة المسلمين في مؤسسات اجتماعية وثقافية حتى يصبح في المستقبل قوة ضاغطة في المجتمع الأمريكي ومؤثراً على الأحزاب والقوة السياسية؟ أم أن واقع المسلمين لا يبشر بذلك؟

● أعتقد أن واقع المسلمين في أمريكا يبشر بالخير الكثير، وأنا من الناس الذين لا يحبون الاستسلام وإنما التفاؤل، لأنني هنا أعتمد على الوعد الإلهي الذي لا يمكن لأحد منا أن ينكره:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9].

والذكر يعني القرآن هذا لا يعني حفظه في صدور الناس وفي الكتب والمصاحف والتسجيلات ولكن أيضاً في حياة الناس، والإسلام ينتشر بسرعة في أمريكا، وأنا أعتقد أنه في الانتخابات التي جرت في فرنسا والانتخابات قبل أربع سنوات كان هناك حضور إسلامي مهم. أنا لا أقول إن المسلمين أصبحوا أو وصلوا لدرجة ما يمكن أن نسميه كتلة قوة في أمريكا (POWER BLOCK) ولكن أنا أعتقد - إن شاء الله - أن هذا سيكون، وأنا عندي أيضاً تفاؤل أبعد من هذا، ولو رجعنا إلى التاريخ الإسلامي نرى أنه كل دولة إسلامية قوية يصاحب انهيارها جاء المغول مثلاً المغول إلى بلاد الإسلام وقضوا على كل شيء وحرقوا بغداد وأنهوا الخلافة العباسية ثم أسلموا وبنوا دولة مهمة جداً حضارية في منطقة إيران والعراق وما حولها، وكذلك الأتراك لم يكونوا مسلمين في بداية الأمر ثم إنهم غزوا وأسسوا دولة إسلامية قوية دامت أربعة قرون، فربما هناك حديث [illegible] في آخر الزمان تخرج الشمس من مغربها، فالشمس ليست هي فقط الشمس التي نعرفها بعينها ولكن أيضاً شمس المعرفة، ولهذا فأنا أعتقد أنه في الغرب هناك قدر من الحرية والحصول على التكنولوجيا التي يمكن أن تؤدي في نهاية الأمر إلى نهضة جديدة في العالم الإسلامي التي يمكن أن تنهض بالمسلمين إلى ما هو حسن، وأنا مع كل الظلام الذي نعيشه الآن نتيجة أحداث 11/9 أنا لا أزال متفائلاً بأن الإسلام سيبقى حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فلا تقنطوا من رحمة الله، وأنا أعتقد أن انتشار الإسلام في الغرب هو لحكمة إلهية قد نراها أكثر وضوحاً فيما بعد.

* في السنوات الأخيرة ظهرت فكرة (الحوار بين الأديان) وكان هناك تجاوب من عدد من العلماء والمثقفين المسلمين لهذه الفكرة كيف تقيم أنت تجاوب الغرب وأمريكا بالخصوص مع هذه الفكرة وخاصة المفكرين ورجال الدين والساسة في ظل هذه الهجمات التي نراها؟

* أنا أعتقد أن الحوار ضروري وأنا متأكد أن هذا الحوار مع الآخر هو ما أمرنا به الله سبحانه وتعالى حيث يقول:

﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم﴾ (سورة العنكبوت: 46)

وهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم، وحتى في السيرة النبوية - نعثر على ذلك - نجد مثلاً قضية نصارى نجران والسماح لهم بالصلاة في مسجد الرسول، وكثير من النصوص والأحداث تؤكد على أهمية الحوار.

وأهمية هذا الحوار - فيما يتعلق بالعصر الحاضر - أعتقد أنه مهم، على الأقل لأنه يطيب قلوب الناس بالتعاطف مع الإسلام، واسمح لي أن أشير إلى أنني ذهبت مرة إلى الكنيسة وتحدثت عن الإسلام وقد سُرُّوا كثيراً بما قلت، وكانت كنيسة بسيطة [illegible] مولاي، فأنا قلت لا منه إلا (لا مولاي) أريد أن أخرج من الكنيسة، ويقيناً ما كان له وقع إيجابي جداً، ولهذا لهم في أي وقت تريدون أن أعود ولكن ليست هناك مشكلة وأنا لا أريد مكافأة مالية على ذلك.

الحوار الآن أصبح قضية مهمة جداً في العلاقات المسيحية - الإسلامية والإسلامية - اليهودية بحيث وفي واقع الأمر نجد أن الإسلام في الكثير من مفاهيمه وطقوسه أقرب لليهودية منه إلى المسيحية فأنا أعتقد أنه لا بد من حوار مع اليهود لإبراز حضارة طويلة مشتركة بين اليهود والمسلمين، فأول من ترجم التوراة أو ما نسميه العهد القديم إلى اللغة العربية هو سعدي الفيومي، وكان رأس اليهود في زمانه فالحوار مهم جداً في نظري، وقد أصبح أكثر أهمية بعد أحداث 11/9 عندما تكلم الناس عن المسلمين من دون أن يكون هناك عدد من الكنائس وخاصة التي يعرفون جيرانهم المسلمين ويقيمون معهم حواراً بين المسجد والكنيسة أو بين المسجد والمجمع اليهودي، فالحوار مهم، ولا يمكن أن نقيم علاقة الحوار أو

حتى فعالية أو تقع الحروب. هذا شيء لا بد أن يستمر ومنافسة دائمة تردداً، وتقضي على المدى البعيد.

* وماذا عن الصهيونية المسيحية، والصهيونية الإنجيلية التي تسيطر على مراكز القرار في الغرب وتوجهه وفق أيديولوجيتها؟

* الصهيونية المسيحية هي تنقسم إلى قسمين وأنا هنا سأتحدث باختصار شديد، القسم الأول يمكن أن نسميه بالصهيونية المسيحية المثقفة، هؤلاء الناس الذين يعرفون أن المسيح بالدرجة الأولى كان يهودياً وحاخاماً يهودياً، وهذا تاريخياً بالنسبة للأناجيل صحيح، وأن اليهود لهم حق في بناء دولة لرعي حقوقهم لأنهم عانوا الكثير من الاضطهادات في العالم الغربي، وبالتالي نجد أن هؤلاء الناس يدعمون أحقية دولة إسرائيل في البقاء، ويعتبر هؤلاء بأنهم مواقف متشددة جداً حيث يبيحون لإسرائيل أن تفعل أي شيء في سبيل الحفاظ على الكيان الصهيوني في إسرائيل.

النوع الثاني من الصهيونية المسيحية هو ما يمكن أن نسميه بالصهيونية الإنجيلية، وهؤلاء المسيحيون الإنجيليون المتطرفون الذين ينتمي إليهم مثلاً (جورج بوش) وزمرته الذين هم الذين بالذات عرفات الذي أرسل الجيوش إلى العراق وأعتقد أنهم انسحبوا لأن أصدقاءهم أقنعوهم وأرغموهم وأجبروهم على الانسحاب. على كل حال الصهيونية الإنجيلية تدعم الكيان الإسرائيلي ولكن ليس حباً لليهود ولا تعاطفاً معهم، ولكن قناعة لما يسمونه (Eschatology إسكاتولوجيا) يعني قناعة لما يتعلق بنهاية العالم، حيث يعتقدون أنه لا بد من رجوع اليهود كلهم إلى فلسطين وإعادة بناء الهيكل حتى يأتي المسيح مرة أخرى، أو ما يسمونه المجيء الثاني للمسيح. ولهذا المجيء هناك علامات مهمة منها ما يطلق عليه معركة (هرمجدون)، أو معركة سهل مجيدو في فلسطين، وفي هذه المعركة يموت كل الناس إلا المسيحيين المؤمنين الذين يُختطفون حتى يلاقوا المسيح في الهواء، وبعض اليهود الذين يعتنقون المسيحية في نهاية الأمر. لهذه (الصهيونيات اليهودية) بطريقة غريبة جداً يعتبرون معاداة هؤلاء الناس ولا يهمهم الحرفية بتوراة أو كتب العهد القديم، خصوصاً كتاب دانيال بخصوص إسرائيل على المدى القريب، وهؤلاء أقوياء جداً، وهم أنشأوا في إسرائيل شيئاً سموه السفارة الدولية المسيحية في فلسطين، وهم يؤثرون على السياسات الأمريكية تأثيراً مباشراً، ويقدمون الأموال الباهظة في سبيل دعم الكيان الإسرائيلي، ويشجعون الإسرائيليين على هدم المسجد الأقصى ومسجد الصخرة وكنيسة القيامة المسيحية لإعادة بناء الهيكل اليهودي الذي دُمّر في سنة سبعين للميلاد.

> الهوية لتصبح فقط هوية ثقافية وحضارية وليس لها معنى إن لم يكن يعني للمسلم الالتزام الإسلامي والمواظبة على ممارسة الفرائض والعبادات الإسلامية

وفي الحقيقة فإن الصهيونية المسيحية في كلا شكليها .. في نظري خدعة وقذرة وهذا النفاق منها وهذه مشكلة، يعني أنا أعتبر نفسي مسلماً عربياً ولا أريد التطرف في أي شيء، ولذلك سياسياً وفيما يتعلق بالسياسة الأمريكية أنا مع الحزب الديمقراطي أكثر من الحزب الجمهوري، ولكن يبدو أن الكثير من أعضاء الحزب الديمقراطي هم من هؤلاء المسيحيين الصهاينة (أو صهاينة المسيحيين المتطرفين) فماذا يفعل الإنسان؟ في الكثير من الأحيان أقول إنني ذهبت إلى أمريكا كطالب سنة 1964م، وأعطتني أمريكا الكثير وأعطيت أمريكا الكثير أيضاً، وأنا في بعض الأحيان أقول أنني سوف أترك أمريكا وأعيش في كوخ صغير وبسيط في لبنان، أو في طرابلس الغرب أو في أي مكان أستمع إلى الأذان في كل صباح والحمد لله، ولكن ربما أفعل هذا في ما بعد ولكن الحياة ليست سهلة بالنسبة للمسلم المثقف في أمريكا







الطبيعة وهبة المحيط   صور وانطباعات في المالديف

الصانع يزين الوجود وفاطر السماوات والأرض، لا ينقطع استغفارهم عند الأ صوت أمواج المحيط الهندي وهي تنساب جُزرٌ تلك القطع المتناسقة المتناثرة بشكل منتظم على صفحة مياهه مجبورين بما كان يتردد في جنباتهم من تسبيح وذكر وشكر لله: سبحان الله ، تبارك الله أحسن الخالقين، مرددين. لقد كان الرحالة العربي ابن بطوطة الذي مر بها في رحلته من الهند إلى الصين دقيقاً في وصفه بأنها: إحدى عجائب الدنيا ولوحة غائمة بجمال الطبيعة الساحرة وهي نحو ألفي جزيرة إذا وصل المركب إلى إحداها فلا بد له من دليل من أهلها يسير به إلى سواها" وأصاب كبد الحقيقة الأديب الدكتور حسين فوزي عندما نعتها بأنها "جنة الله في الأرض)، ولم يبالغ زائروها عندما ينصتون مشدوهين وهم يستلون انطباعاتهم عنها، أنهم وجدوا فيها جنة البحرية ومشهداً رائعاً للحياة الطبيعية، في ظلال أشجار النارجيل وتمثلت شخشخة طيور السباحة وسبحة مال شواطئها البيضاء ورقة مياهها الصافية ـ المهروب من ضجيج المدن وتلوثها، وصخب الحياة المعاصرة وتعقدها لتعيش أسعد اللحظات وتستعيد طعم تحت طبيعة خلابة ساحرة لم تعبث بها يد الإنسان بعد.

المالديف الاسم والموقع

المالديف أو كما ينطقها الافرنج اليوم (Maldives نقل الرحالة العرب بأنها تسمى "ذيبة المهل" وقد يكون هذا تحريفاً مبهماً في اسمها بكلمة المالديفية مال ديب) نتيجة للاختلاف في نطق بعض الحروف والتقديم والتأخير في الكلمات بين اللغات.

وهذا الاسم يتكون من كلمتين: (مال، وتعني



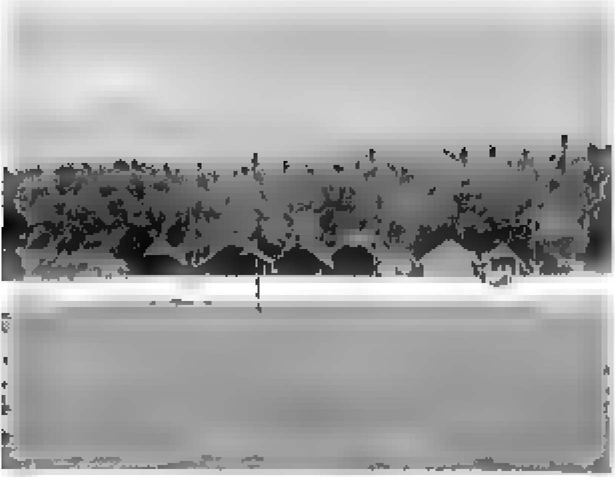


(إكليل) و(ديب) وتعني (جزر) فيكون اسمها: (إكليل الجزر).

وبالنظر إلى خارطة المالديف والأمر في الشكل الذي يرسم موقع أرخبيلها على صفحة مياه المحيط الهندي نجده يمتد من الشمال إلى الجنوب في خطين متوازيين متجاورين شبه ملتقيين عند طرفيهما مع وجود بعض الجزر خارجهما عند الجنوب بشكل شكل يشبه (عقداً) أو عقداً تتدلى منه (زر) مما يوحي بأن هذا الاسم لا يعدو ... يكون وصفاً لهذا العقد الفريد من الجزر المرجانية الرائعة الجمال التي تسبح في الشمال الغربي من المحيط الهندي بامتداد 820 كيلو متر وبعرض 90 كيلو متر على بعد 670 كيلومتر من الشاطئ الغربي لجزيرة (سيلان)، ويفصلها عن الجنوب الغربي لشبه القارة الهندية 480 كيلو متراً، وتكاد تصل بين جزر (لاكاديف) شمالاً وجزيرة (شاغوس) جنوباً وهي بمثابة قنطرة تصل بين الجنوب الغربي من قارة آسيا والجنوب الشرقي من قارة أفريقيا، ويمر خط الاستواء في جنوب أرخبيلها الذي يمتد ليجتاز دائرة عرض 7 شمالاً مما يجعل مناخها استوائياً رطباً معتدلاً غزير الأمطار الموسمية.

ويبلغ عدد جزر هذا الأرخبيل نحو (1190) جزيرة تذكر الدراسات الجيولوجية أنها تكونت من نمو حيوانات مرجانية على حافة بحرية يفصل بينها قنوات ... العمق، ومما يشاهد أن بعض هذه الجزر لا يزال في مرحلة التكوين بينما بعضها الآخر لا يعدو أن يكون مجرد جسور تغطيها المياه.

ويبلغ متوسط ارتفاع جزر المالديف على سطح البحر (1.60) متراً وستين سنتيمتر، وهي جزر رملية

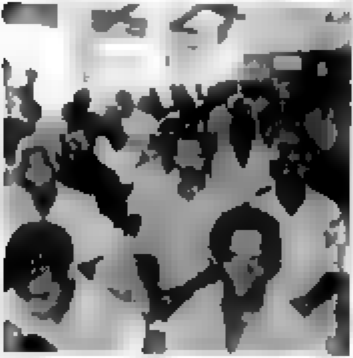




لا يوجد فيها جبال ولا أنهار في حين يوجد في بعضها بحيرات ساحلية عذبة المياه.

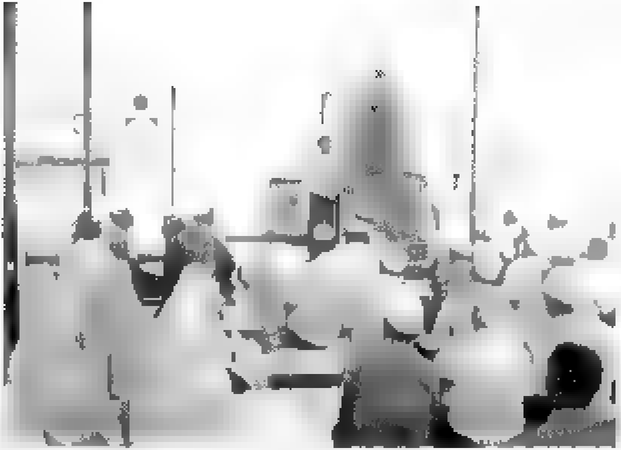
وهذه الجزر في مجموعها صغيرة الحجم بحيث لا يكاد تعيينها على خريطة العالم إذ لا تزيد مساحة أكبرها حجماً على 12 كيلومتراً طولاً ولا يتجاوز عرضها 3 كيلومترات، وتبلغ المساحة الكلية للمالديف نحو (90.000) تسعين ألف كيلومتر مربع منها 298 كيلومتراً مربعاً فقط مساحة اليابسة. وتنقسم هذه الجزر طبيعياً إلى (26) مجموعة تسمى (أتول). وتنقسم إدارياً إلى (20) إقليماً. ولا توجد بهذه الجزر معادن طبيعية وإنما تعتمد في اقتصادها على السياحة وصيد الأسماك، وإلى حد ما على الزراعة وبعض المصنوعات التقليدية.





سكان المالديف

[illegible]
ينحدرون من الجماعات الآرية التي توجهت إلى
هذه الجزر من شمال الهند قبل ميلاد المسيح عليه
السلام ثم اختلطوا في المراحل التاريخية اللاحقة
بالجنس العربي والجنس الأفريقي وبالهنود
والسريلانكيين، فاختلط سكان الجزر الشمالية مع
سكان جنوب غرب الهند، واختلط سكان الجزر
الوسطى بالعرب القادمين من الجزيرة [illegible]
[illegible]
[illegible] بينما سكان الجزر الجنوبية كان اختلاطهم
[illegible] السواحل



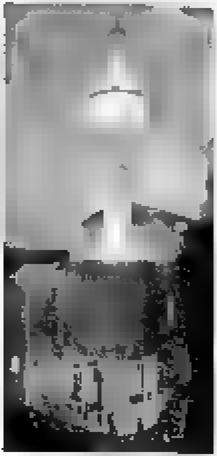
المصلون في أحد المساجد

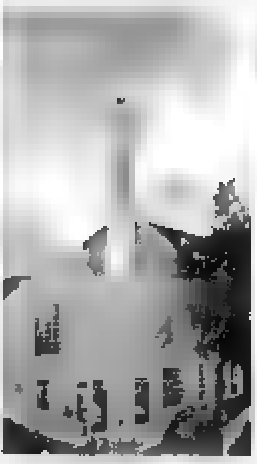
الإسلام والمالديف

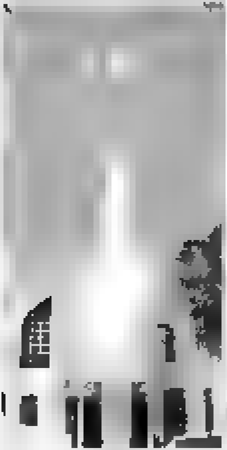
لقد عرف المالديفيون العرب الذين كانت قوافل سفنهم التجارية تمخر المحيط الهندي متنقلة بين مرافئ شبه جزيرة العرب وشرقي أفريقيا وموانئ جزر المحيط الهندي وشواطئ جنوب وجنوب شرقي آسيا فاختلطوا بهم وعاشروهم قبل ظهور الإسلام، وما إن هم من بعد الدين الجديد حتى حمل العرب معهم تباشيره إلى هذه الجزر المالديفية لتستقبل شواطئها أمواجُ المد الإسلامي الكاسحة ولتستمع الجزر لدعوة تعاليمه السمحة تحاور العقول وتخاطب الوجدان وتعترف بالمشاعر. كان ذلك في بداية القرن التاسع الميلادي، ومنذ ذلك التاريخ وجد الإسلام له موقعاً في هذه الجزر واحتل رقعاً في النفوس وفي قبولاً من القلوب واستحساناً من الناس إلا أن البوذية ظلت هي الدين السائد فيها.

المساجد في المالديف

سبقت الإشارة إلى أن المساجد هي مكان العبادة الوحيد في جزر المالديف، ولقد توالى تشييد المساجد بها بعد بناء أول مسجد سنة 1153 ميلادي بالعاصمة (ماليه) والمعروف باسم (مسجد الجمعة) إلى أن أصبح عددها في الوقت الحالي يقدر بنحو 738 مسجداً منها 31 مسجداً بالعاصمة التي لا تزيد مساحتها عن 5 كيلومترات مربعة. ويلاحظ أن المساجد تفتح أبوابها طوال اليوم والليل وتحظى بالاهتمام الذي جعل منها المكان الأجمل والأنظف في



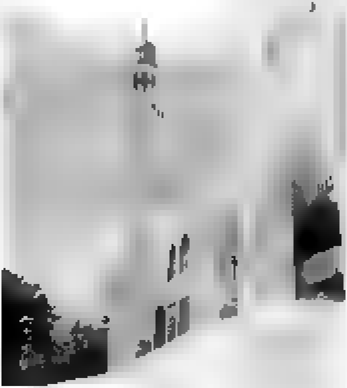




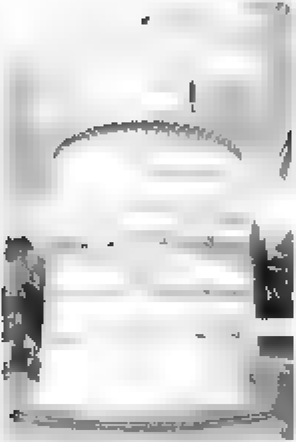
كل حي كما أن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وهو الجهة المسؤولة عن المساجد يوظف الأئمة الأكفاء والخطباء كما يقوم بإعداد وتوزيع خطبة الجمعة على الأئمة وهي خطبة موحدة في كل مساجد جزر المالديف.

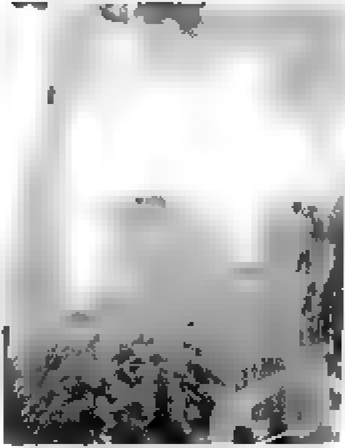
معالم بارزة بالعاصمة ماليه

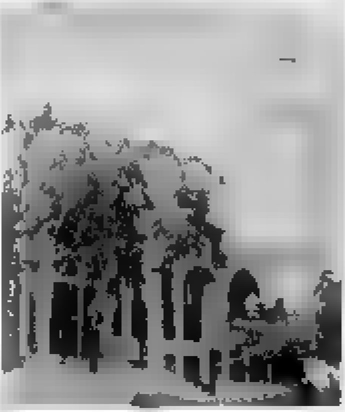
إن الصياغة المعمارية التي تطبع مساجد المالديف بصفة عامة لم تمنع من تشييد عدد من المساجد خلال الثلث الأخير من القرن العشرين هي عينة من جمال الفن المعماري الإسلامي الذي يجمع بين الحداثة والأصالة ويغلب عليه الطابع المعماري الإسلامي لا سيما ومن أكبر وأجمل وأشهر هذه المساجد مسجد السلطان محمد تكروفان وهو الرمز



مسجد السلطان محمد تكروفان





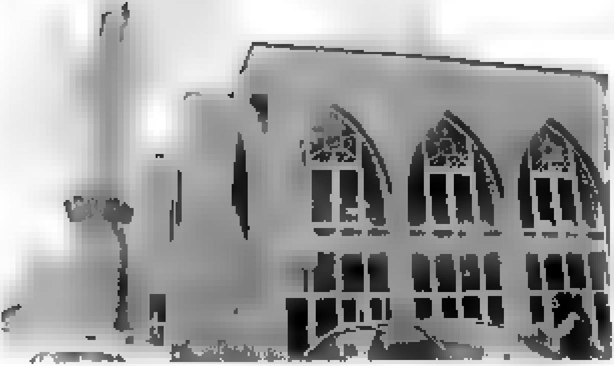


الوطني الذي قاد الشعب الماليزي في جهاده ضد الاستعمار البريطاني.

ويتسع هذا المسجد لنحو (10000) عشرة آلاف مصل، وهو ضمن مرافق المركز الإسلامي إلى جانب المكتبة الإسلامية وقاعة المحاضرات والمرافق الإدارية التي يضمها هذا المركز الذي افتتح سنة 1981 ليصبح بمشاركته في تشييده عدد من الدول الإسلامية ليكون صرحاً إسلامياً شامخاً ومعلماً من معالم البلاد التي تزين هويتها الإسلامية لكل قادم من عرض المحيط.

الاستجابة الجماعية لداعي الله

كان منتصف القرن الثاني عشر الميلادي وبالتحديد سنة 1136م، على موعد لتحقق الاستجابة الجماعية للشعب الماليزي لداعي الله، ويرتبط مصيره



في دين الله أفواجاً، ويكون شاهداً على روعة انتشار الإسلام ولمسه شغاف القلوب [illegible] وهو يسجل هذا الحدث التاريخي الخالد الذي يحمل شهادة المستشرقة الإيطالية المتخصصة (لورا فلتشيري): (أية قوة عجيبة تكمن في هذا الدين !! وأية قوة داخلية من قوى الإقناع مصحوبة به !! ومن أي عمق سحيق من أغوار النفس الإنسانية يلتمس دعوة استجابة [illegible]

في هذا التاريخ وصل الداعية أبو البركات يوسف البربري إلى هذه الجزر النائية قادماً من أقصى الأرض منطلقاً من أطراف الصحراء الكبرى بأفريقيا إلى عرض المحيط الهندي قاطعاً هذه المسافات الطويلة من الفيافي والبحار والمحيطات في زمن كان الوصول إلى مثل هذه الجزر النائية ضرباً من المغامرة التي تكتنفها المخاطر، ولم يكن يقطع تلك المسافات إلا الأمر العظيم والهدف السامي، ولا ريب في أنه ليس هناك أسمى هدفاً ولا أعظم أمراً من الدعوة إلى الله (الإسلام) [illegible] المخلص المسافات واستهان بالمخاطر واستعذب [illegible] وهو يحمل مشعل الهداية التي أنار [illegible] طريقهم نحو دين الحق

الإخلاص والتضحية

هذا الداعية كالفرد القادم من المغرب العربي لا تسانده جيوش فاتحة، ولا يحمل سوى كتاب الله وما أنعم الله عليه به من الفقه في الدين وما أسبغ عليه من سمات الورع والتقوى، وما يتحلى به من إخلاص النية والصدق في الدعوة لله. ولعلك تتوق إلى معرفة



مالديفيات يحضرن احدى الحلقات الدينية

كيف تمكن هذا الداعية المغربي من هداية شعب بأكمله الى الإسلام؟

يتناقل المالديفيون من خلال موروثهم الأدبي الشعبي خصوصية تختلط فيها الحقيقة المستندة الى معطيات ووقائع سجلها التاريخ وتشهد لها الواقع بالخرافة الأسطورية التي ينسجها الخيال وتستوعبها ذاكرة المتناقلين وتحتضنها بساطة التفكير. تقول القصة: قبل سكان المالديف بسنوات عديدة يعيشون مع بداية كل شهر محنة تكدر صفو عيشهم وتنغص عليهم معيشتهم. فقد كان يخرج لهم من عرض المحيط شبح أو عفريت من الجن كانوا يلقبونه يمشي على مركب تزينه القناديل وكانوا يهيئون له فتاة عذراء أو طعاما في رمضان حتى كانوا كلما جاء موسم قدومه

(ابو البركات) و (أبو التركات) بين (ابن بطوطة) و (التازي)

في لقاء تم دون ترتيب جالسني الحظ على غير ميعاد وحضرت حديثا دار بين ثلة من العلماء وبعض من المهتمين بالعلوم الثقافة والتاريخ، وكما جرت العادة لم يقتصر الحديث على قضية بعينها كانت الذكريات تتوالى والتعليقات تترى بعضها يعود الى فترة لا تقل عن نصف قرن وبعضها لم يمض عليه اكثر من بضعة ايام وشاءت الصدف أن يتجه الحديث... كان أبي بطوطة رحمه الله والذي يعتبره الأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي والذي كان من بين الحاضرين بأنه أعظم رحالة في التاريخ لا على وجه الدقة ما الذي شجعني على المشاركة في هذا الحوار الذي انجرت من خلاله جميعا الى جزر المالديف ان السبب كان واضحاً بالنسبة لي وهو انني كنت قد عدت مؤخرا من... ومن بينها استطلاع عن المالديف، فبادرت الحضور الكريم بذلك والتمست الاستاذ التازي عارضا السبب ليقص علينا قصة مع (ابن بطوطة) و (ابي البركات) و (ابي التركات).

يقضي ما قصه به الأستاذ التازي ان الحسن الثاني ملك المغرب استدعاه ليستفسر منه عن شيء راح حديثه بالاهتمام وهو ان رواية (ابن بطوطة) عن تحول الاسلام الى المالديف كان عن طريق رجل يسمى (ابو البركات البربري) لكنه سمع ان ما الى علمه ان الأمر ينسب إلى (ابي التركات التبريزي). الأستاذ التازي من المهتمين بابن بطوطة فما عليه إلا ان يستجلي حقيقة هذا الأمر.

ظل الأستاذ التازي كثير من طائرة من بلده المغرب الأقصى قاصدا جزر المالديف البعيدة ليقف بنفسه على حقيقة الأمر فهو لا يقبل بسهولة أن يقع (ابن بطوطة) في خطأ تاريخي كهذا وظنه كان في قرارة نفسه منحازا بشكل غير عادي الى (ابن بطوطة)، كيف لا وهو كما يعرف انه يعتبره أشهر رحالة أنجبته البشرية. حط الأستاذ التازي عصا الترحال في (الكيل) عاصمة جزر المالديف وبدأت رحلة بحث من شأنها أن تضع حدا لهذا الخلط بين الحكام والعامة في (أبي التركات وابي البركات) والخلط بين التبريزي والبربري؟

يعد عن قيمتها بينهم لأسماء فقام خير عندموها له فيدعونه ... دخاله ... في مسجد على صفة تحيط بها لم يحظر منها إليه لتمسي هالة نية ويعدمي بالوريث في التصحيح بحدودها فقد تحيته ... بنيت هذه الصار حسن قدوم ... أبي البركات البربري الذي لم يعرف عندما وقف على هذه الصحبة قرر أن يعرض على أهل الجزيرة الصيد في المسجد بدلا منه ... وقعت عليها القرعة وحضر أبو البركات البدعاته ... متوسط ... يتلو القرآن الكريم ويعظم حتى الصباح ... فلما جاء أهل الجزيرة ... ووجدوه حيا ... سلطانهم وتاب ... سبب ... مختصر ... السلطان ... المرشد على هذه الصحبة ... القداسة على ... بحرفة الإسلام ... أبي البركات ... الإسلام ... أبي البركات ... السلطان ... الإسلام ... أبو البركات في المسجد بداية الشهر المتفق عليه ... السلطان والناس وجدوه على حاله من العبادة وتلاوة القرآن ...

كان الأستاذ التازي يعلم ... الى ... المالديف عرفوا الإسلام عن طريق ... أبي البركات البربري موجودة في ... المسجد بالعاصمة المالديفية ماليه لكنه لم يعدها ... وجد لوحة ... أبو البركات التبريزي ... هل ... في ... المسجد؟ ... أهل المالديف الذين هم ... التاريخي ... استفهام على ما تركه لنا من تراث تاريخي

... في المسجد ... المواطنين المالديفيين والذي كان المسجد ... يتساءل عن سبب ... اللوحة التي كانت ... المتحف الوطني ... اللوحة ... في المسجد لوحة جديدة ... التاريخ الذي كان في اللوحة السابقة ... الأستاذ التازي ... المتحف ... منتوحة

... الأستاذ التازي ... الأستاذ محمد ... الأستقلال عن المالديف ... أبي البركات وأبي البركات ...

... الأستاذ محمد ... الأستاذ التازي ... ولكن لأن الاستطلاع لم يتحول لهذه الحركة

د. ... محمد ...



مركب في بحر الهند

فعلا التهليل والتكبير، وحطمت الأصنام وأسلم شعب المالديف بأكمله.

حقائق وواقع وقدوة

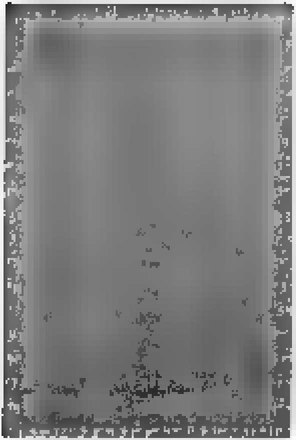
إن كان الذي يستغربه البعض من عرض المشهد شيخ أو عفريت أو قرصنة ... سمعوا بجلاء طيبة الناس وبساطتهم، رغبتهما غصبت على القناعة والاقتناع، لما كان مستغرب هذه الأقصوصة المؤثرة حول إسلام شعب المالديف، فإن ذلك لا ينتقص من الحقائق التي أكتبها ولا يقدم ولا يؤخر في الواقع الذي يمثل ساحتها، ولا يقلل من أهمية الدروس المستفادة منها.

فمن المعلوم أن المالديف لم يصلها الإسلام في ركاب جيوش الفتح الإسلامي، وإنما انتشر فيها بالاقتناع، وبالقدوة الحسنة والمثل الأعلى الذي صنعه الإسلام في أبي البركات، مما يؤكد حقيقة طالما حاول المغرضون أو الجاهلون طمسها وهي أن الإسلام انتشر في مشارق الأرض ومغاربها وعم ... ملايين البشر بسماحته ووضوح عالميته وانسجامه مع الفطرة السليمة وترسيخه قيم العدل والإحسان، ولم ينتشر بحد السيف. يقول الكاتب ... لم يكره أحد على اعتناق الإسلام لا بالسيف ولا باللسان بل عن اقتناع وتشوق وإيمان، وذلك نتيجة ما أودع في

بين البربري والتبريزي

ذكرنا أن اسم الداعية الذي تحققت على يديه الاستجابة الجماعية لشعب المالديف للدعوة هو الحافظ أبو البركات يوسف البربري معتمدين في ذلك على الرأي الذي يكاد يجمع عليه في المالديف اليوم، وتأخذ به الدولة ومؤسساتها العلمية والثقافية ويزكيه الموروث الثقافي الشعبي المالديفي، ولا ما يثار من أن هناك من يظن أن اسمه أبو البركات المغربي أو أبو البركات التبريزي من إيران. وربما يرجع هذا الالتباس في الاسم إلى تشابه الحروف بين كلمات: بركات وبركات، وبربرية وتبريزية، لا سيما إذا علمنا أن اللوحة القديمة التي تحمل هذا الاسم كانت مثبتة على جدار مسجد الجمعة الأول "1st Hukuru Miskii" الذي شيد سنة 1153 قد اندثرت واستعصى بعض أحرفها فظنت من قوم لديهم خبرة بالعربية وأكثر معرفة ببلاد تبريز من بلاد البربر: التبريزية، ولما شيد السلطان ... مسجد الجمعة الثاني "2nd Hukuru Miskii" سنة 1065 هـ أو 1656 ميلادي كتب في اللوحة الجديدة كلمة التبريزي بدل البربرية.

وعندما قدم الرحالة ابن بطوطة إلى المالديف عام 1343 ميلادي نبه إلى أن الاسم الصحيح هو أبو البركات يوسف البربري.



لوحة [illegible] القديمة

القرآن من مواهب التأثير والأخذ بالألباب)

وفي هذه القصة يبدو تقديم بلا فكر أحبّ الذي يروج له بعض المستشرقين عن سيف الإسلام [illegible] (وأن الإسلام لم يكن ليصادف نجاحاً إلا عندما كان يلجأ إلى القوة)

* [illegible] خرج من البرهان هؤلاء [illegible] لا شك

والذي يمثل أمامك اليوم أن الشعب المالديفي بكامل عدده الثلاثمئة ألف نسمة وفي كامل جزائره الألف والمئة والتسعين جزيرة [illegible] على التاريخ مسلماً 100 في المئة فلا يدين المالديفيون بغير الإسلام، ولا يوجد على أرضهم معابد ولا كنائس ولا بيع يذكر فيها اسم الله إلا المساجد التي ينبعث من منارتها الأذان مدوياً في الآفاق بصوت الحق لتبني السبعمئة والثمانية والثلاثين مسجد المنتشرة في جزر المالديف للشعب المالديفي الإسلامي المسلم [illegible]



المسجد القديم يحمل اسم أبي البركات

وقد [illegible] في كتابه الذي [illegible] سنة 1921 مسيحي

كما وردت كلمة البربري بدل كلمة التبريزي في اللوحة المثبتة في المسجد الذي بناه السلطان إسكندر [illegible] سنة 1656.

أمام هذا الالتباس سألنا الشيخ محمد رشيد إبراهيم رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ورئيس المحكمة العليا وهو من العلماء المحققين [illegible] القاطع الذي هل يساوله [illegible] والعلماء والمحققون [illegible] الداعية الذي أنعم الله عليه على [illegible] المالديفي [illegible] الإسلام على يديه هو الحافظ أبو البركات يوسف [illegible] من المغرب العربي [illegible] المخالف [illegible] على [illegible]

أما الأستاذ إبراهيم رشيد موسى عميد كلية الدراسات الإسلامية فقال: الرأي الذي عليه العلماء والباحثون [illegible] والذي تعتمد به الحكومة [illegible] أبو البركات يوسف البربري [illegible] بالبربري [illegible] على [illegible] في القرآن [illegible]





الصيد من أهم دعائم الاقتصاد المالديفي

وتعرف بمرية شعبها الأصيل الذي يعتبر الإسلام قوام شخصيته القومي وأساس الارتباط الأسري والاجتماعي به. ومن هنا كان شديد التمسك بقيم دينه، وحريصاً على المحافظة على عاداته وتقاليده الإسلامية إلى يومنا هذا. ويلاحظ ذلك في اكتظاظ المساجد بالمصلين من مختلف الأعمار وفي كل أوقات الصلوات الخمس، وفي إقبال المالديفيين على تلاوة القرآن الكريم من المصاحف تلاوة سليمة بالرغم من أن معظمهم لا يعرف معاني الكلمات العربية. وفي الحرص على إحياء ليالي شهر رمضان المبارك بصلاة القيام وحضور الدروس الدينية وعقد المسابقات القرآنية.

ولعل ما يثير الإعجاب ويبعث على الاعتزاز ويشدّ إلى الاقتداء في قصة اعتناق شعب المالديف إلى الإسلام، ظهور ذلكم الداعية المخلص الذي قطع هذه المسافات الطويلة في زمن تعسر فيه المواصلات متسلحاً بإخلاصه لدينه وإيمانه برسالته وتفانيه في أدائها فأكرمه الله بأن هدى على يديه شعباً بأكمله. إنه أبو البركات يوسف البربري الذي لا يزال ضريحه قبلة الأنظار، ولا يزال رفاته الطاهر يحتضنه ثرى المالديف ليكون شاهداً على التضحية والإخلاص اللذين تحلى بهما الدعاة الأوائل فأثمرت جهودهم هذا العالم الإسلامي الذي نعيش فيه ممتداً عبر قارات العالم.

اللغة الديفيهية

لا جدال في أن لكل شعب لغته القومية التي يتخاطب بها وترتكز عليها خصائص شخصيته الوطنية، بها يصون ميراثه الحضاري وتراثه الفكري وإنتاجه الأدبي. واللغة القومية للشعب المالديفي تسمى (الديفيهية) وهي اللغة الرسمية للدولة، تستعمل في التخاطب اليومي والدراسة ودواوين الدولة.

تتكون هذه اللغة من أربعة وعشرين حرفاً يتم التمييز بين أصواتها بصور الحروف ونقاطها، وبين حروفها بعلامات تشبه الحركات التي تستعمل بالحروف العربية. وترجع في أصولها إلى اللغتين السنسكريتية والسنهالية (السيلانية).

تطورها

المتتبع للغة الديفيهية يلاحظ أنها اعترتها تطورات متعاقبة عبر العصور سواء من حيث إثرائها بدخول بعض الكلمات من اللغات الأخرى وذلك نتيجة لتواصل الشعب المالديفي مع الشعوب المجاورة، أو من حيث تهذيب وتحسين حروفها.

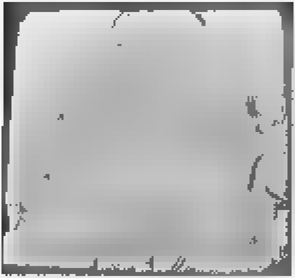
فتعرف اللغة الديفيهية المكتوبة باسم "ديفهي أكرو" أي كتابة أهل الجزيرة. وكانت الكتابة القديمة تعرف باسم "إيويلا أكرو" الحروف القديمة، وهي تشبه إلى حد كبير اللغة السنهالية القديمة في شكل حروفها وفي كتابتها من اليسار إلى اليمين وفي حواليها بعض مميزاتها.

وتواصل المالديفيين مع شعوب جنوب شرقي آسيا وشرقي أفريقيا جعل لغتهم تتأثر أيضا باللغات الملايوية والملاجاشية والسواحلية.

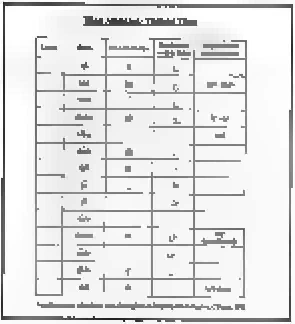
وبعد نحو 800 سنة أي بعد دخول الإسلام في المالديف الذي أتاح الفرصة لتواصل أكبر مع الشعوب العربية والإسلامية استطرد اللغة المالديفية المكتوبة التي تسمى "تانا" الحديثة Tana modern في شكلها الذي هي عليه الآن، ويبدو كما هو واضح في حروف المقارنة وفي نموذج الرسائل المكتوبة بها تأثرها الكبير باللغة العربية، فقد صارت مثلها تكتب من اليمين إلى اليسار، كما أن بعض حروفها يشبه الحروف العربية في النطق وبعضها يشبه الأرقام العربية من 1 حتى 9 المستعملة في المشرق العربي في الكتابة إضافة إلى تضمنها العديد من الكلمات العربية وخاصة تلك التي تتعلق بالمصطلحات الإسلامية.

الاهتمام باللغة الديفيهية

ربما أن اللغة عنوان الشعوب وإحدى ركائز شخصيتها ولأنها تحقق وحدة الشعور والوجدان والفكر بين أفراد الجماعات البشرية، تعد من أهم عوامل تحريرها وحفظها الاجتماعية، لذلك كله تعرضت اللغات القومية في كثير من البلدان تحت الاحتلال الأجنبي إما للإهمال والتهميش والحد من شأنها



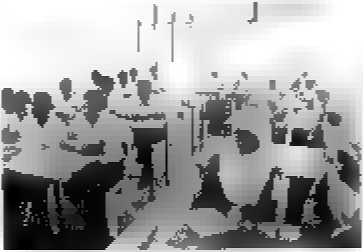
نقش على الحجر



الأحرف العربية والأحرف الديفيهية

تعرضت بسبب هوية الشعوب وطرد عقد وحدتها الاجتماعية، وقد أدى ذلك إلى ضعف اللغة القومية وتخلفها وسيادة اللغة الأجنبية على تلك البلدان. وقد تنبه كثير من الدول النامية إلى خطورة وجسامة هذه المشكلة فأخذت بعد استقلالها تهتم بلغتها القومية التاريخية. ومن هذه الدول المالديف، لقد أنشئ مركز متخصص بالتاريخ الوطني واللغة الديفيهية يتولى الإشراف على الترجمة والتأليف





وإعداد البحوث والدراسات وإقامة معارض الكتب الخاصة بهذه اللغة، وعملت على ترسيخها كلغة رسمية للبلاد بتعميمها في كل الإدارات وتوفير برامج الحاسوب وآلات الرقن الخاصة بها، والحرص على استعمالها في الكلمات والأحاديث في الاحتفالات الرسمية.

استعمال اللغة الانكليزية

لقد تخلصت المالديف من اللغة الانكليزية التي فرضها عليها الاستعمار كلغة رسمية للدولة، كما تخلصت من وجود قواعده العسكرية، حيث أصبحت منذ استقلالها اللغة الثانية التي يقتصر استعمالها على الاتصالات الخارجية. إذا ما استثنينا بعض المدارس التي لا تزال تدرس بها. وربما تطور الاتصال بالجامعات الأوروبية للتخصص في المجالات العلمية، وتقاعس الدول العربية عن توفير المنح الدراسية الكافية، دفع الكثيرين إلى الإقبال على اللغة الانجليزية وإهمال اللغة العربية التي أصبحت تتراجع بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة.

التعليم في المالديف

المالديف كمعظم بلدان العالم الإسلامي ظلت لقرون عديدة يسودها تعليم تقليدي بسيط يتم من خلال المساجد والفصول الصغيرة التي تنتشر في عدد من الجزر، ويتخذ التعليم في هذه الأماكن الطابع الديني، فيتم فيه تحفيظ القرآن الكريم وتعليم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب والثقافة الإسلامية وهو يعتمد على مجهودات فردية عبر جمعيات ينتظم ويزدهر حيناً ويتوقف بشكل مؤقت أحياناً أخرى، ومع ذلك فقد استطاع هذا النوع من التعليم التقليدي البسيط أن يحفظ على الشعب المالديفي هويته وشخصيته الدينية والثقافية وأن يغرس في نفوس أبنائه حب الوطن وأن يزود الأجيال المتلاحقة بأساسيات الحساب والقراءة والكتابة، مما أسهم في رفع نسبة القادرين على القراءة والكتابة إلى 19 96% في المئة من مجموع سكان المالديف.

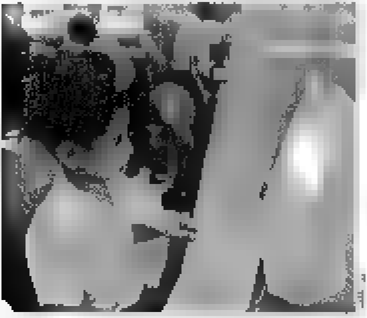
ولم تعرف المالديف المدارس النظامية إلا سنة 1950م بافتتاح بعض المدارس لإعداد الأطر الوطنية محلياً، وفي سنة 1960م وكنتيجة لتأثير الاغتراب الثقافي لدى بعض المسؤولين في ذلك الوقت من ذوي الاتجاهات المتأثرة بالثقافة الغربية، فأخذوا في

نظام التعليم بمدارس العاصمة المالديفية تغيرات جذرية، حيث أصبحت اللغة الإنجليزية هي لغة التعليم فيها وفي نفس الوقت أهملوا التعليم في بقية الأقاليم الأخرى، الأمر الذي أحدث خللاً كبيراً وتفاوتاً ملحوظاً في مستوى التعليم بين الجزر المالديفية. بيد أنه منذ عام 1978م أصبحت الدولة المالديفية تعمل في إطار التوجهات والأهداف التعليمية التي اعتمدتها، على تنمية النظام التعليمي بالبلاد وتطويره بما يحقق التغلب على المشاكل التعليمية الموروثة من الاستعمار، وتأسيس نظام تعليمي حديث وموحد يهتم بالقيم الإسلامية ويستجيب لمتطلبات البلاد العصرية، ويوفر فرص التعليم الأساسي لمواطني المالديف في جميع الـ191 جزيرة الآهلة بالسكان.

توجد الآن في المالديف 337 مدرسة ابتدائية وإعدادية وثانوية، منها نحو 11 مدرسة حكومية تقوم الدولة بالصرف عليها، والدراسة فيها مجانية. أما بقية المدارس فالدراسة فيها بمقابل، وهي 76 مدرسة أهلية، و50 مدرسة لأفراد مستثمرين. ويبلغ مجموع الطلبة في المالديف 104714 طالباً وتلميذاً، أي ما يزيد على 35 في المئة من مجموع عدد السكان.



طلاب وطالبات في فصل بإحدى المدارس



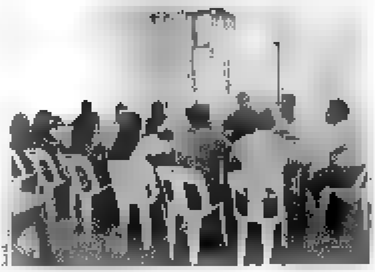
الأطفال يقبلون على تعلم الحاسوب

التعليم الجامعي

لا يوجد في المالديف جامعات، ولكن توجد فيها كليتان في مستوى الدراسات الجامعية هما:

* كلية الدراسات الإسلامية: أسست هذه الكلية مع بداية السنة الهجرية الماضية الموافقة لسنة 1425 هـ (2004 ميلادي) و كان تأسيسها تطويراً لما يقوم به معهد الدراسات الإسلامية من دورات لمنح دبلومات عليا في بعض التخصصات في الدراسات الإسلامية. وما تزال هذه الكلية في مرحلة التكوين واستكمال الطاقم المهنية والبرامج التعليمية، وتوجد فيها الآن التخصصات التالية:

1. الشريعة و القانون
2. الدراسات الإسلامية
3. إعداد و تدريب الأئمة
4. القراءات وعلوم القرآن



كمركز إعداد وتدريب مدرسي التربية الإسلامية

- كلية المالديف للتعليم العالي:

Maldives college of higher education

وتضم هذه الكلية - التي تعد نواة جامعة متكاملة - عدة أقسام أنشئت في تواريخ متفاوتة، ولها الآن فروع في مختلف جميع أقاليم. وهذه الأقسام هي:

- faculty of engineering technology العلوم الهندسية
- faculty of health sciences العلوم الصحية ويعداد لها المراكز الصحية
- faculty of management and computing الإدارة والحاسوب
- faculty of shariah & Law قسم الشريعة والقانون
- center for maritime studies مركز الملاحة البحرية
- center for open learning مركز تطوير التعليم.
- faculty of education كلية التربية
- faculty of hospitality and tourism studies الضيافة والسياحة

التعليم العربي والإسلامي بالمالديف

بدأت صلة المالديفيين باللغة العربية مع وصول الدعاة والتجار العرب إليهم وهم في طريقهم من وإلى بلاد الشرق، وازدادت صلتهم بها بانتشار الإسلام في ربوع ديارهم إلا أنهم ظلوا يكتفون بقراءة القرآن وحفظه بالنطق العربي عن طريق التلقين دون أن يفهموا معنى ما يقرأون أو يحفظون. ومع رسوخ قدم الإسلام في هذه الجزر وتشكيله لشخصية الشعب المالديفي برزت الحاجة إلى معرفة اللغة العربية للوصول إلى فهم النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والتعمق في معانيهما والاطلاع على كنوز الفكر والثقافة العربية الإسلامية، فشد مئات الطلاب المالديفيين رحالهم إلى البلاد العربية طلباً للعلم والتفقه في الدين والتبحر[1] في اللغة العربية. ويعود لهم تأسيس دعائم تعلم العربية بجزر المالديف.

فقد ساهموا في التعليم كما شاركوا في وضع الأسس والأهداف لقاعدة التعليم العربي الإسلامي وإذا كنا لا نرى في الجيل الجديد من هو متبحر في علوم اللغة العربية ويتحدث بها كما يتحدث بعض الجيل السابق بلغة عربية فصحى قد لا يجاريهم فيها الكثيرون من أبناء العروبة، فإننا نلاحظ أن قليلاً من الشعب المالديفي ملم باللغة العربية قراءة وكتابة وقد برز عدد منهم من يتقن الخط العربي بأنواعه الكوفي والثلث والنسخ والرقعة والديواني والفارسي لانرى اللوحات التي تحمل روائعهم من الخط العربي تزين جدران المساجد شاهدة على براعة الفنانين المالديفيين وتعلقهم باللغة العربية.

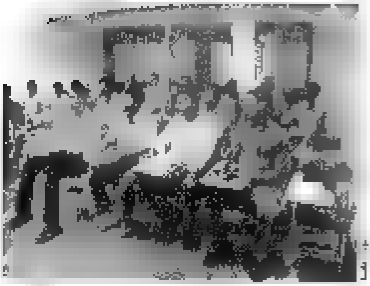
مؤسسات التعليم الإسلامي والعربي

لم تكف الجهود المبذولة في جزائر المالديف لنشر الفكر والثقافة الإسلامية واللغة العربية بتمام

المدارس وبتدريس مادة التربية القرآنية بفروعها المختلفة في جميع السنوات الدراسية بمختلف المراحل التعليمية، من الصف الأول الابتدائي وحتى الصف الثاني عشر الثانوي، وتدريس اللغة العربية في المرحلة الثانوية. وإدراكاً بأن الفصل في دراسة أصول الفكر الإسلامي والوقوف على مميزاته ومواطن حيويته وقدرته على التواصل مع الثقافات المختلفة واستيعاب المضامين والمكونات الحضارية والتفاعل معها هو العامل الأساسي لتكوين نخبة علمية متخصصة متسلحة بثقافة متميزة مرتبطة بجذورها وتاريخها وأصولها الفكرية وقادرة على الصمود في وجه محاولات المسخ الفكري والاستلاب الحضاري، إدراكاً لذلك كله تم إنشاء مؤسسات خاصة للتعليم الإسلامي والعربي بالمالديف، ولكي تؤدي هذه المؤسسات دورها الإيجابي فهي مرهونة بما تتطلب دعماً غير محدود من المؤسسات والجامعات العربية والإسلامية في وطننا العربي

معهد الدراسات الإسلامية

يقع هذا المعهد بالعاصمة ماليه وهو أول المؤسسات التعليمية التي تضطلع بمهمة التعليم الإسلامي والعربي بالمالديف، أسس سنة 1980 م ليكون مركزاً للتعليم العربي والإسلامي يضم المرحلتين الإعدادية والثانوية تطبق فيهما مناهج المعاهد الأزهرية، ويؤهل بعضها الطالب للالتحاق بالجامعات الإسلامية. وإضافة إلى ذلك يقوم المعهد بتنظيم دورات لإعداد وتدريب معلمي التربية الإسلامية وأئمة المساجد وقضاة المحاكم الابتدائية كما يتولى مهمة إعداد مناهج التربية الإسلامية واللغة العربية والإشراف على تدريسها بالمدارس



إحدى قاعات الدراسة في الكلية

المالديفية. وكما ساهمت الجماهيرية العظمى في تأسيس هذا المعهد فإنه لا يزال يحظى بالدعم المتواصل من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

كلية الدراسات الإسلامية

ونظراً لما حققه معهد الدراسات الإسلامية من نتائج إيجابية خلال مسيرته التي تقترب من ربع قرن في مجال ترسيخ قدم هذا النوع من التعليم اتخذت خطوة نحو تطوير التعليم العربي والإسلامي بجمهورية المالديف فقد تم مع إهلال العام الهجري الجديد 1425 هـ الموافق لسنة 1372 من وفاة الرسول (2004 ميلادي) افتتاح كلية للدراسات الإسلامية وذلك في مقر المعهد بالعاصمة ماليه بهدف فتح المجال أمام الطلاب للدراسة الجامعية في التخصصات الإسلامية والعربية المختلفة وإتاحة الفرصة للتعمق في البحث والدراسة في المجالات اللغوية والدراسات الإسلامية والتربوية للنهوض بالحركة الثقافية والعلمية بالمالديف



مكتبة ...

المدرسة العربية الإسلامية

هي إحدى المؤسسات التي تقوم بالتعليم العربي بالمالديف أسست سنة 1963 م مخصصة من الجمهورية لتزويد المعهد بالطلاب الذين لهم قاعدة في التعليم العربي ويقتصر التعليم فيها على المرحلتين الإبتدائية والإعدادية. وإلى جانب اللغة العربية تستخدم المدرسة في السنوات الخمس الأولى اللغة الديفيهية في تدريس بعض المواد أما في بقية صفوف المرحلة الإبتدائية والمرحلة الإعدادية فتستخدم اللغة العربية في تدريس جميع المواد عدا دروس تعليم اللغتين المحلية والانكليزية

مركز القرآن الكريم في المالديف

مؤسسة لعناية القرآن الكريم ونشر تعاليمه

حرصَ الشعب المالديفي المسلم على تلاوة القرآن الكريم وحفظه نصاً وأداء والتزامه به عملاً. ولهذا يواصل تلقي القرآن الكريم للناشئة منذ نعومة أظفارهم، وكان الحفظة من كبار السن هم الذين يقومون بهذه المهمة في المساجد والكتاتيب ودور تحفيظ القرآن المنتشرة في كافة الجزر. ومع انتشار التعليم وتجدد وتطور وسائله كان لا بد من إيلاء هذا الجانب من التعليم الاهتمام الذي يتناسب وأهميته في تكوين هوية الشعب المالديفي والحفاظ عليها. فأنشئ مركز القرآن الكريم بالمالديف بموجب القرار الرئاسي الذي صدر بافتتاحه في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك الموافق ليوم 13 من شهر الكانون 1369 من وفاة الرسول ﷺ 2000 مسيحي.

ومما يهدف إليه هذا المركز التشجيع على دراسة القرآن الكريم وقراءته وحفظه، ونشر الفكر والثقافة الإسلامية، وتهيئة جو ملائم للبحوث والدراسات القرآنية للشعب المالديفي، وبخاصة الشباب منهم

ويتكون المركز من:

1- أرشيف لعرض نماذج من المصاحف المكتوبة بخطوط متنوعة ومن عصور مختلفة

2- مكتبة إسلامية تحتوي على المصادر والمراجع الأساسية للدراسات الإسلامية.

3- فصول دراسية لتحفيظ القرآن الكريم

4- مكاتب إدارية

ومن أبرز النشاطات التي يقوم بها المركز

- الإشراف على فصول تدريس القرآن في مختلف الجزر، وتنظيم المشورة والمساعدة المادية والمعنوية لها، كالإسهام في رواتب المدرسين، وتوزيع المصاحف للمتعلمين فيها وتقديم الجوائز والحوافز للمسابقات القرآنية

- إجراء الامتحانات لمن أكمل حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وإعطاء الشهادات للناجحين منهم

- تمكين الباحثين والدارسين من الاستفادة من خدمات المكتبة المتوفرة والاطلاع على المصادر

والمراجع الإسلامية والكتب الثقافية المتنوعة باللغات العربية والإنجليزية والديفيهية (اللغة المحلية). ومن الجناح الخاص بخدمات المكتبة الصوتية وخدمات الإنترنت.

وبالرغم من أن المركز يقوم بعدة نشاطات إلا أنه لا يزال يتطلع للأكمل، ومن أبرز ما يتطلع إليه:

أ. بناء المزيد من الفصول الدراسية حتى يستوعب كل من يرغب في الالتحاق بدورات القرآن الكريم.

ب. افتتاح فصول لتحفيظ القرآن في الجزر التي فيها كثافة سكانية.

ج. إثراء المكتبة، وذلك بتزويدها بالمصادر المتنوعة بمختلف اللغات، وبالأخص اللغة الإنجليزية التي يتحدث بها معظم المثقفين في البلاد.

الإعلام في المالديف

تشهد القطاع الإعلامي في المالديف بمختلف وسائله المقروءة والمسموعة والمرئية تطوراً ملحوظاً من حيث الكم والكيف، فقد ترسخت تلك الوسائل وتطورت وتعددت وتنوعت واستثمرت... وسائلها الإعلامية المتمثلة في ترسيخ الهوية الإسلامية للشعب المالديفي وتأكيد انتمائه الإسلامي والحد من لغته وثقافته وقيمه الاجتماعية تأكيداً لشخصيته وكيانه.

الإعلام المقروء

علماً أن الشعب المالديفي يعد من شعوب العالم الثالث القليلة التي تزيد فيها نسبة المتعلمين على 99 في المئة، فهكذا يكون كل الشعب المالديفي يقرأ ويكتب باللغة الديفيهية، كما أن نسبة كبيرة من الشعب



المالديفي ملمة بتجويد اللغة الإنكليزية، وخاصة من الأجيال الجديدة، ومن هنا تعددت وتنوعت الصحف والمجلات بالمالديف، بالرغم من عدم صدور بواكيرها إلا مع نهاية السبعينات من القرن العشرين.

ويوجد اليوم في المالديف نحو 56 وسيلة إعلام مقروءة، منها ثلاث صحف يومية إخبارية وثقافية وسياسية واجتماعية ورياضية، وهي جميعاً تصدر باللغة الديفيهية، ولها ملاحق باللغة الإنكليزية وهي:

1. صحيفة هافيرو وتعني (المساء) حيث تصدر مساء كل يوم باللغة الديفيهية، ولها ملحق باللغة الإنكليزية، وتعدُّ أقدم الصحف وأكثرها قراءة، فقد تأسست سنة 1979 ميلادي، ويترأس تحريرها الدكتور محمد زاهر حسين عميد كلية التعليم العالي.

2. صحيفة أفاتتس وتعني (الفجر الجديد)، وهي ثاني صحيفة تصدر باللغة الديفيهية، وهي ثاني صحيفة من حيث تاريخ الصدور، فقد بدأت في الصدور سنة 1980 ميلادي، ويشرف على تحريرها الأستاذ سيفي إبراهيم رئيس مركز اللغة الديفيهية والدراسات التاريخية بالمالديف.

3. صحيفة ميادو وتعني (اليوم)، وهي ثالث صحيفة تصدر، حيث بدأت الصدور في سنة 1990 ميلادي، وهي تصدر باللغة الديفيهية ولها ملحق باللغة الإنجليزية، ويترأس عليها الأستاذ أحمد عبد الله وزير الإعلام.

وإلى جانب هذه الصحف توجد نحو سلات وخمسين مجلة ونشرة ما بين أسبوعية وشهرية وفصلية وحولية، وهي متعددة الأغراض ومتنوعة

التخصصي، وتصدر باللغة الديفيهية ما عدا مجلة (الأسبوع الديني) وهي مجلة أسبوعية تصدر عن وزارة الإعلام والفنون والثقافة. فهاتان المجلتان فقط تصدران باللغة الإنجليزية

ومعظم المجلات متخصصة تعبر عن شرائح المجتمع المختلفة، وتصدر عن مؤسسات ثقافية وعلمية ورياضية واجتماعية

وإن كان الإعلام المالديفي بمختلف قنواته يُعنى بالجانب الإسلامي ويخصص له مساحات في برامجه وصفحاته، فإن هذا لم يمنع من وجود مجلات ونشرات إسلامية متخصصة تصدر باللغة الديفيهية بالمالديف وهي:

1. مجلة (المنبر) وهي مجلة شهرية تصدر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

2. نشرة (سراج الدين) وهي نشرة أسبوعية توزع مجانًا على المصلين داخل المساجد يوم الجمعة وهي تصدر عن هيئة المحافظة على الدين في المالديف



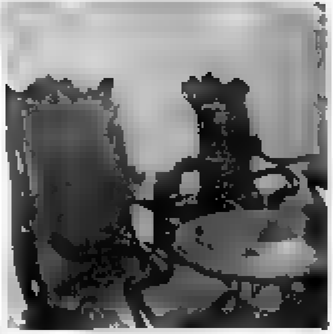
3. مجلة (السبيل) وهي مجلة أكاديمية دورية تصدر عن كلية الدراسات الإسلامية

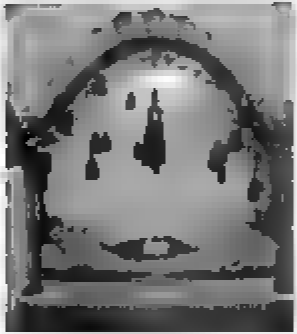
4. مجلة (أزرما = أي الثواب) وهي مجلة إسلامية متخصصة

وبالنسبة للإعلام المرئي والمسموع فتوجد في المالديف إذاعة مسموعة وأخرى مرئية أرضية وفضائية، كما توجد شركتان لإعادة بث القنوات الفضائية حيث تستقبل وتعيد إرسال البث العربي الفضائي بما يتماشى وعادات وتقاليد الشعب المالديفي وتبث عددًا من القنوات الفضائية مقابل مبلغ شهري. ويلاحظ أن الإذاعة المرئية والمسموعة في المالديف تقدم بشكل مكثف دروسًا بالتوجيه الديني وتنقل شعائر صلاة الجمعة والأمسيات الرمضانية والاحتفالات الدينية المختلفة

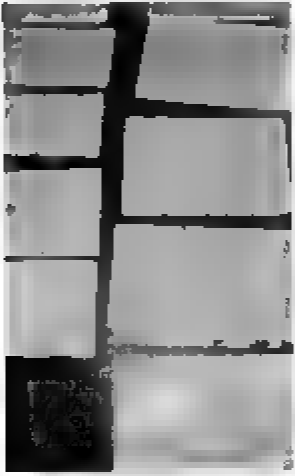
محطات في التاريخ المالديفي

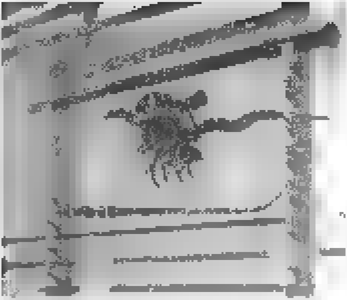
تاريخ المالديف قبل أن تصير بلدًا إسلاميًا يكاد يكون مجهولا فلا يعرف منه إلا نزر يسير ورد في تاريخ الدول والجزر المجاورة والمرتبطة بها وفي قلة من البحوث والدراسات التاريخية المحدودة. ونحن نستند إلى التحريات المكتشفة بهذه الجزر يمكن معرفة أن الهجرات البشرية الجماعية الأولى للمالديف تمت منذ نحو ألفي سنة تقريبًا، وأنها ظلت عبر العصور مملكة مستقلة إلا في بعض الفترات التاريخية وأن البوذية هي الديانة السائدة بين سكانها. ولكن لم يعرف أسماء جميع الملوك والسلاطين الذين حكموها قبل الإسلام بينما منذ أن عم الإسلام جزائر المالديف سنة 1153 م وعم معه الشعوب أبناؤه سجل التاريخ الكثير من أحداث هذه الدولة التي ظلت مسلمة متمسكة بدينها محافظة













عنه بما ملكت من مرتقص وغال. وتعتبر أعمال ملوكها وسلاطينها وسلطاناتها التي حكموها عبر العصور الإسلامية

موجات الغزو الاستعماري

انتشار الإسلام في جزائر المالديف واستقراره بها جعل هذه الجزر الهادئة الوادعة عرضة للغزو الاستعماري الصليبي عبر أربعة قرون.

- فأخذ عليها البرتغاليون عام 1553م وتمكنوا من احتلالها عام 1558م وعينوا نائبة للحاكم البرتغالي المقيم في جوا بالهند وقد استطاعت المقاومة الشعبية بقيادة السلطان محمد تاكوروفان المعظم من دحر البرتغاليين وطردهم من البلاد عام 1573م.
- وعندما سيطر الهولنديون على جزيرة سيلان في القرن السابع عشر عرضوا على سلطان المالديف معاهدة يدفع بموجبها الأتاوة إلى الحاكم الهولندي بسيلان.
- في سنة 1752م خضعت المالديف لحكم (الملاباريين) سكان غربي الهند لفترة أربعة أشهر، ثم تمكن الشعب المالديفي من طردهم بقيادة (السلطان حسن عز الدين).
- وفي سنة 1887م فرض الإنجليز الذين حلوا محل الهولنديين في جزيرة سيلان على السلطان المالديفي محمد معين الدين معاهدة اعترف فيها بسيادة بريطانيا على المالديف وتسيير علاقاتها الخارجية وفق إرادة ممثلها الحاكم البريطاني بسيلان مقابل تعهد بريطانيا بحماية الجزر من أي اعتداء خارجي.
- وبعد استقلال سيلان سنة 1948م حصلت المالديف على الحكم الذاتي إلا أنها عقدت اتفاقية جديدة مع بريطانيا ظلت بموجبها المالديف تحت الحماية البريطانية، بحيث تلزم بريطانيا بتسيير الشؤون الخارجية لها، ولا تتدخل في الشؤون الداخلية للبلاد مقابل الحصول على تسهيلات للقوات الإنجليزية بها.

- في عام 1953 م تم إلغاء نظام السلطنة وإعلان النظام الجمهوري ولكن سرعان ما أعيد نظام السلطنة عام على معارضة النهضة الوطنية المالديفية.
- وفي عام 1965 م حصلت المالديف على استقلالها التام وانضمت للأمم المتحدة ولكن تمسكت بريطانيا باستمرار وجود قاعدتها الجوية في جزيرة (جان) بالمالديف.
- وتم إلغاء السلطنة مرة ثانية وإعلان الجمهورية سنة 1968 م وبقيت جمهورية إلى يومنا هذا.
- وفي سنة 1976م تمكن الشعب المالديفي من إجلاء القاعدة البريطانية من جزيرة (جان) لتكتمل حريته وسيادته على أرضه.

نظام الدولة

واليوم المالديف جمهورية إسلامية مستقلة ذات سيادة حصلت على استقلالها في 26 يوليو 1965 ميلادي وأقر فيها دستور مكتوب ميلادي عام 1972 ميلادي، وطبقاً للدستور فإن رئيس الجمهورية يتولى إلى جانب رئاسته للدولة رئاسة السلطة التنفيذية ويتم ترشيحه من مجلس الشعب في اقتراع سري ثم يتم انتخابه من قبل الشعب لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد لعدة مرات. ويتكون مجلس الشعب من خمسين عضواً منهم ثمانية يعينهم رئيس الجمهورية والباقون منتخبون.

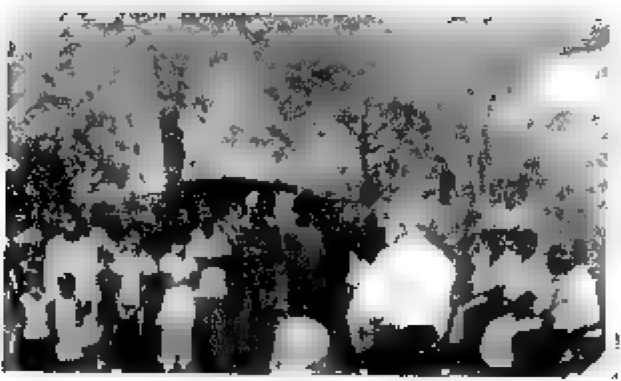
وإذ كان الاستعمار البرتغالي والهولندي والانكليزي رغم اندحاره أمام صمود المقاومة التي أبداها الشعب في جنوب وجنوب شرقي آسيا استطاع أن يجد موضع قدم للتبشير المسيحي فيها، فإنه فشل في أن يجد ذلك في جزائر المالديف، لإصرار هذا الشعب المسلم الذي تغلغلت العبودية لله على التمسك بالإسلام ديناً واحداً صحيحاً رغم كل المحاولات والضغوطات التي تعرض ويتعرض لها.

علاقات وطيدة بالوطن العربي والعالم الإسلامي

سعت جمهورية المالديف منذ استقلالها إلى أن تحتفظ بشخصيتها الإسلامية المتميزة بعداً استراتيجياً في علاقاتها ومواقفها الدولية فأقامت مع بلدان العالم الإسلامي والوطن العربي علاقات متينة تتجلى ملامحها في مشاركات المالديف الفاعلة وحضور الأسرة التي يجمعها مع العديد من الدول والمؤسسات الإسلامية، وفي تأكيدها في كل مناسبة انتماء الشعب المالديفي المسلم إلى أمته الإسلامية. وفي تواصل مواقفها وتضامنها بقوة وبلا تردد ولا وجل مع قضايا العربية والإسلامية وفي مقدمتها قضية الشعب الفلسطيني وحقه في العودة وتقرير المصير.

ومن جانبها لم تبخل عليها الدول العربية والإسلامية ومؤسساتها بتقديم الدعم والمساعدة لمشاريعها الإنمائية والتعليمية.

وتأتي الجماهيرية في طليعة هذه الدول التي ترتبط بعلاقات متميزة مع جمهورية المالديف فقد افتتحت مكتب الشعبي في عاصمتها ماليه عام 1976 م ليكون أول سفارة تفتح بها. ولم تقتصر على مبادرتها بتقديم الدعم والمساعدة لها إثر استقلالها كجمهورية إسلامية فتية تقف شامخة في عرض المحيط الهندي كمنارة ترشد إلى سواء السبيل، بل واصلت الجماهيرية العظمى دعمها ومساعدتها لشعب وحكومة المالديف للتخلص من



ملتقى مكتبة الجمعية

رواسب الماضي البغيض والنهوض بالمجتمع المالنيهي والانتقال به من الحياة البدائية إلى حياة عصرية. وذلك عن طريق جمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي بدأت تمارس نشاطها بالمالديف مع فتح المكتب الشعبي العربي الليبي بها سنة 1976 م ثم تطور بإبرام اتفاقية تعاون بينها وبين الحكومة المالديفية تم بموجبها فتح مكتب لها بالمالديف عام 1984 م الذي وجد في العهد الجديد الذي تولته حكومة المالديف لترسيخ القيم الإسلامية في المجتمع المالديفي المجال مفتوحاً لانتشار أنشطة شملت مجالات الدعوة والإرشاد الديني، والتربية والتعليم ونشر الثقافة والفكر الإسلامي النير

المالديف تعتز بالجماهيرية

وتكن لقائدها كل احترام وتقدير

وحول دعم الجماهيرية العظمى للمالديف وما يبذونه من مشاريع... يحدثنا الأستاذ إبراهيم رشيد موسى عميد كلية الدراسات الإسلامية بجمهورية المالديف.

تلك الجماهيرية تحظى بمكانة مرموقة في نفوس المالديفيين في شتى جزر المالديف المسلمة التي تعتز بها وتكن لقائدها كل الاحترام والتقدير لما قدمته لها من دعم ومساندة في مختلف المجالات التنموية والثقافية والإسلامية ولم تبخل عليها حتى في أشد أيام محنتها التي عانت منها بسبب الجماهيرية العظمى بسبب رفضها الخضوع للاستعمار

لقد بدأت الجماهيرية العظمى في تقديم دعمها للمالديف عن طريق مكتبها الشعبي بها، ثم بواسطة من طريق جمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي أدت دوراً رئيسياً في مجال نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في هذا البلد المسلم، نلمح أهم آثاره في الآتي:

.قيامها منذ عام 1980 م بتقديم دعم سنوي للحكومة المالديفية لنشر الثقافة الإسلامية والعربية ورعاية

الدين الإسلامي وترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة المالديفية تحت إشراف رئاسة الجمهورية.

ب ـ المشاركة والمساهمة في إقامة برامج شهر رمضان المعظم التي تنظمها الحكومة المالديفية سنوياً لإحياء ليالي هذا الشهر الكريم.

ج ـ الإسهام في إرسال البعثات الدعوية إلى مختلف أقاليم المالديف بتنظيم من المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وتعاون مع مكتب الجمعية بتمويل نفقات الدعاة القائمين بأمور الدين الإسلامي وتوجيهه.

د ـ توزيع مطبوعات ومنشورات الجمعية بالعربية والإنكليزية على المكتبات العامة والمؤسسات التعليمية.

هـ ـ الإسهام في تغطية نفقات بعض الحجيج المالديفيين الذين تبعثهم الحكومة لأداء فريضة الحج في بعض السنوات.

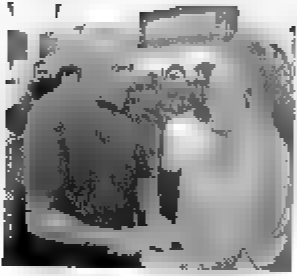
و ـ إلى جانب دعمها المتواصل لمعهد الدراسات الإسلامية قامت الجمعية بتقديم مساعدات مختلفة في مجال التعليم والتربية منها:

1 ـ الإسهام في بناء مدرسة جمال الدين في العاصمة.

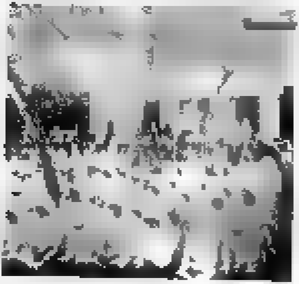
2 ـ الإسهام في بناء المدرسة العربية الإسلامية التي أنشئت عام 1987 م.

3 ـ تقديم مساعدات مالية لوزارة التربية والتعليم لإقامة دورة لتدريب وتأهيل المعلمين الوطنيين في إطار سياستها للاستغناء عن المعلمين الأجانب، ولإقامة مسابقة للقرآن الكريم بين مدارس البلاد.

4 ـ تخصيص منح دراسية للطلاب المالديفيين حيث تخرج عدد منهم من جامعات



[illegible]



[illegible]

الجماهيرية العظمى، بعضهم الآن يعمل في مناصب مرموقة في الدولة.

5 ـ المساهمة في بناء المقر الدائم لمعهد الدراسات الإسلامية، وتزويده بالمدرسين والكتب المنهجية وتقديم دعم سنوي لتطوير أنشطته وتوسيع مجالاته.

ز ـ إقامة عدة ندوات وملتقيات إسلامية محلية وإقليمية ودولية في المالديف.

ح ـ وعلاوة على هذه الأنشطة أقامت جمعية الدعوة



الطالبات في المدرسة العربية الإسلامية



مبنى القصر الجمهوري في جمهورية المالديف وهو مبنى بناه
السلطان محمد شمس الدين في الفترة من ١٨٨١ إلى ١٩٣٢ ميلادية
وقد استعمل هذا المبنى كمقر للرئاسة ودار للضيافة الأجنبية

الإسلامية العالمية في جمهورية المالديف ومشاريعها ومشروعاتها ومساهماتها ومساعدتها كما أرسلت قافلتين ودعمة طبية وأخرى دعوية إلى المالديف.

هذا غيض من فيض ولا أستطيع أحصر وتعدد المساعدات التي قدمتها وتقدمها الهيئة والأنشطة التي تقوم بها والإنجازات التي تم إنجازها في هذه العجالة لأن خدماتها ليست محصورة على مجال واحد ولا أبالغ إن قلت إن تكون الجمعية مع جمعيات المالديف تعمل جميع النواحي التي تحتاج إليها البلاد

خاتمة

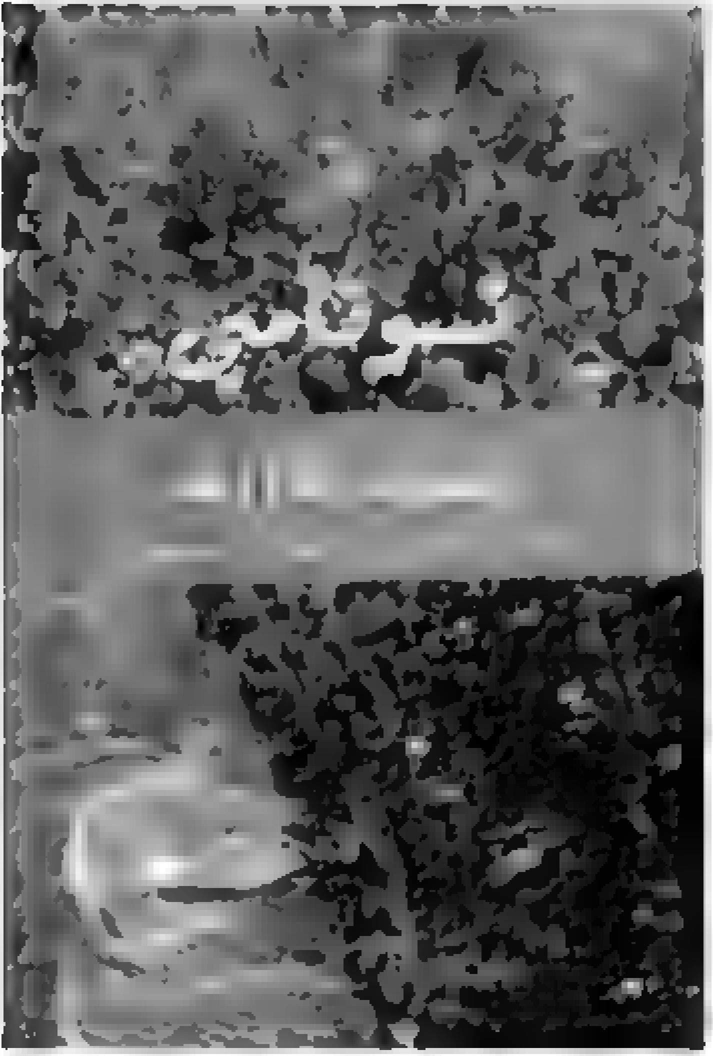
فشل المستعمرون الصليبيون البرتغاليون، والهولنديون والانكليز في جزر المالديف في تحقيق ما أظهروه في تحقيقه في مستعمراتهم الأخرى في جنوب وجنوب شرقي آسيا، والتي بالأخص في عدم تمكنهم من إيجاد طائفة مسيحية بالمالديف تظل مرتبطة بهم، يتذرعون بها للتدخل والعودة لبسط نفوذهم من جديد، إضافة إلى حظر دستور جمهورية المالديف الإقامة الدائمة على غير المسلمين حفاظاً على وحدة المجتمع المالديفي الذي لا يحتمل هذه القلاقل والتشتت والتمزق بالفتنة مذهبية وطائفية، والى السياسة المركزة من حكومة المالديف بتوجيه البلاد وجهة إسلامية واعية، وبالعمل على الحفاظ على التقاليد الإسلامية بها ورفع مستوى الوعي الديني في المجتمع المالديفي، كل ذلك أدى إلى أن تظل رسالة الإسلام هي الرسالة السماوية الوحيدة السائدة بالمالديف منذ ثمانية قرون ونصف القرن، فلا تزاحمها فيها رسالة سماوية أخرى أو أي معتقد آخر وأن يبقى الشعب المالديفي المسلم شديد التمسك بدينه ملتزماً بقيمه ومعتقداته وسلوكياته. ولكن ذلك مع ما وهب الله هذه الجزر من مميزات طبيعية واستراتيجية جذبت إليها الانتباه وشدت لها العيون ووضعتها في مركز الاهتمام وفي صلب مخطط الغزو الثقافي والتنصيري في إطار استهداف العالم الإسلامي بأسره فتم شحنها معها حملات التغريب والتشكيك ونشر الأفكار المسمومة المضللة التي تروج بأن دين الغرب هو دين تقدم ورقي، يوصل إلى مستوى متميز وحضارة متطورة، وأن التقاليد الإسلامية حالت دون وصول المرأة المسلمة إلى مستوى الثقافة الراقية التي تتمتع بها المرأة الغربية، في محاولة مضللة

المجتمع المسلم وسلامته من الهيمنة الأوروبية. بيد أن الشعب الماليزي بقي محافظاً على صموده في وجه هذه التحديات المتعددة ومقاوماً للمغريات المختلفة متسلحاً بقوة إيمانه ومتمسكاً بأهداب دينه. بيد أنه يخشى أمام الأحداث الدولية المعاصرة والتي بمعطياتها العامة تصب في مصلحة الجهود المبذولة لمحاربة الإسلام في أرضه، يخشى أن تنجح هذه المخططات التي سخرت لها كل الإمكانات المادية والمعنوية في تحقيق أهدافها، وذلك بأن يصبح ما تحمله من أفكار ودعوات هدامة هوى في نفوس بعض أفراد هذا المجتمع المسلم إذا لم تتضاعف الجهود لتحصين هذا المجتمع بما يرسخ هويته ويحفظ له كيانه وانتماءه.

ولذا كان الدور الأساسي لحماية هذه الهوية المسلمة والتصدي لهذا المخطط التخريبي لكيان المجتمع الماليزي يقع على أبناء هذا البلد، وهم يقومون بذلك في حدود إمكاناتهم المتاحة. وما حفظ لهذا الشعب هويته وانتماءه الإسلامي إلى الآن، فإنه على الشعوب والدول العربية والإسلامية القادرة أن تتحمل مسؤولياتها تجاه مسلمي ماليزيا. فحماية الهوية الإسلامية من المؤثرات الهدامة مسؤولية الأمة ككل، بحسب التصور الإسلامي إلى حد الجسد الواحد وإذا كان سمو العقيدة وقوة الإيمان والاعتزاز بهذا الدين قد حفظ لهذا الشعب المسلم هويته وجعله يقف صامداً أمام التيارات الجارفة كمنارة تشع بنور الإيمان في عرض المحيط الهندي، فإن استمرارية صموده متعلقة بمواصلة الجهود التي يبذلها بعض أشقائه ودعم قوي من بقية الأشقاء. فالمهمة شرعية والمبتغى ثم هذا الشعور يقف في طريقه الانكفاء سائر الأعضاء بالسهر والحمى



لحظة الغروب على أحد شواطئ ماليزيا.



تسونامي Tsunami كلمة يابانية معناها: أمواج الميناء، وهي اصطلاح شائع يراد به الآثار الناجمة عن ارتفاع الأمواج بسبب حدوث الزلازل في قاع المحيطات والبحار.

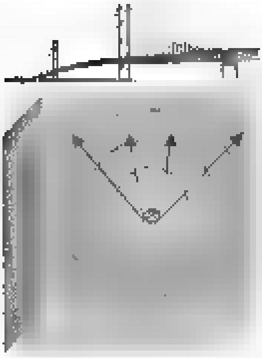
والزلزال Earthquake هو اهتزاز الأرض الناشئ عن التحرر السريع للطاقة الكامنة في جوف الأرض، وتنطلق تلك الطاقة في جميع الاتجاهات في شكل موجات مشابهة لتلك التي تصدر عن جرس عند دقه. وتتلاشى الطاقة المتحررة كلما ابتعدت عن بؤرة الزلزال.

وتحدث الزلازل سواء في اليابسة أو في البحر بفعل الحركة التكتونية Tectonic Movement التي تحدث في باطن الأرض.

وقد بات معلوماً من الدراسات الجيولوجية أن الأرض تنقسم إلى أربعة نطاقات أساسية، هي:

1- القشرة وهي نطاق خارجي رقيق ويبلغ سمكه من 6 إلى 40 كلم، حيث يختلف سمك القشرة الأرضية من مكان إلى آخر.
2- الوشاح وهو نطاق صخري يقع تحت القشرة، ويبلغ سمكه حداً أقصى مقداره 2900 كلم.
3- اللب الخارجي، وهو نطاق يبلغ سمكه 2200 كلم وله خصائص السائل المتحرك.
4- اللب الداخلي وهو أشبه بالكرة المعدنية الصلبة يبلغ قطرها 1300 كلم ويبلغ متوسط قطر اللب الداخلي والخارجي نحو 3486 كلم.

ويشكل حركة الألواح الباطنية أفقياً أو رأسياً التي تتسبب فيها غالباً الانسيابات داخل السائل المرنة أو السائلة في منطقة اللب الخارجي أو منطقة الوشاح تكوّن شقوق وتصدعات Faults داخل طبقات الأرض، قد تصل إلى السطح محدثة الزلزال.

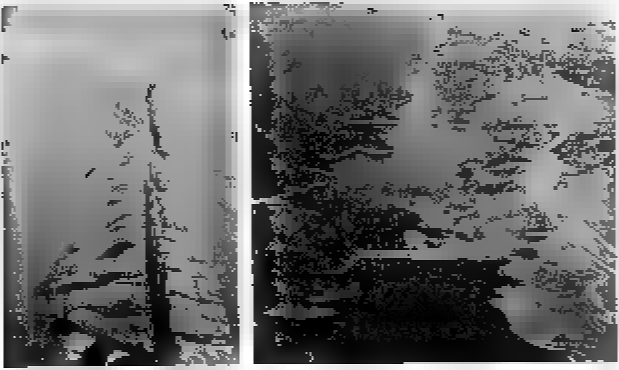


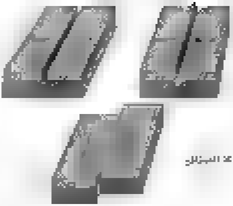


ومن أشهر الشقوق والتصدعات السطحية شق سان أندرياس جنوب سان فرانسيسكو الذي امتلأ بالماء وتحوّل الآن إلى خزان ماء كبير يزود مدينة سان فرانسيسكو بالماء العذب.

ونتيجة للتحرك المفاجئ أو الألواح تحت قاع المحيطات بفعل تلك القوة الجبارة المهولة الكامنة يتأثر قاع المحيط فيتحول ذلك إلى موجات هائلة يزداد ارتفاعها كلما ابتعدت عن بؤرة الزلزال واقتربت من الشواطئ.

ومعظم أنواع التسونامي تنتج من الأزمة الرئيسية





حركة الزلازل

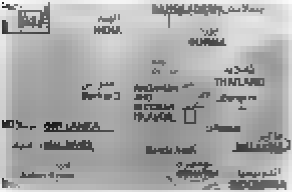
قاع المحيطات. وتشبه أمواج تسونامي الأمواج الناتجة عن رمي حصاة في بركة ماء. وتتحرك أمواج تسونامي بسرعة تتراوح ما بين 500 إلى 800 كلم في الساعة.

وقد يمر تسونامي بعرض المحيط فلا يشعر به أحد لأن ارتفاع موجاته لا يزيد على المتر عادة والمسافة بين ذروتي موجاته تتراوح بين 100 و150 كلم. وقد يصل ارتفاع موجات تسونامي عند الشواطئ إلى 30 متراً وقد يزيد على ذلك.

وأولى علامات تسونامي عملية الانحسار السريع لمياه البحر بعيداً عن الشواطئ. ولقد تعود السكان القاطنون بقرب الشواطئ على هذا التحذير حيث يستجيبون لذلك بمغادرة بيوتهم والابتعاد إلى الأماكن المرتفعة. وكثيراً ما يحدث تسونامي للسكان لا سيما عندما يحدث الزلزال ليلاً. وتتكون بعد انحسار المياه بنحو 15 إلى 30 دقيقة موجة عالية تغطي مساحة شاسعة من اليابسة وتدمر كل ما يعترض طريقها. وعقب كل موجة يحدث انحسار لمياه جيوب المحيط أو البحر ثم لا تلبث أن تتجمع من جديد بعد فترة تتراوح من 15 إلى 55 دقيقة لتكون موجة جديدة هائلة تتجه نحو الشاطئ.

ويقطع تسونامي مسافات طويلة في غضون ساعات من مركز الهزة. فالزلزال الذي ضرب هونولولو بجزر هاواي بالمحيط الهادي سنة 1946 وصلت أمواجه إلى الولايات المتحدة، وأمريكا الجنوبية وأستراليا والجزر الأندونيسية.

والزلزال الأخير الذي ضرب المحيط الهندي بالقرب من اقليم باندا آتشيه بالجزر الأندونيسية وصلت أمواجه إلى الهند وسريلانكا، والمالديف، وتايلاند وماليزيا، وبورما وبنغلاديش، والصومال.



المناطق التي ضربها تسونامي

تسونامي مارد عمره آلاف السنين

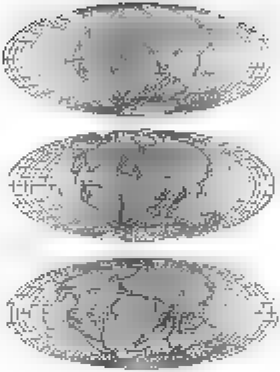
ربما لم يسمع الناس الملايين بـ تسونامي إلا بعد الزلزال الأخير الذي ضرب المحيط الهندي على مقربة من الجزر الأندونيسية، وعند إقليم آتشيه الذي دمرته أمواج تسونامي ثم انتقل منه ليضرب تايلاند والهند مخلفاً وراءه الآلاف من القتلى. وفي عصر تحوّل فيه العالمُ إلى قرية إلكترونية صغيرة لعبت الاتصالات دوراً كبيراً في متابعة الناس لهذه الفاجعة المريعة، حيث نُقلت ساعة بساعة مع أن هذه ليست أول زيارة لتسونامي فتسونامي جبار من جبابرة الأرض عمره آلاف السنين.

وعلماء الجيولوجيا يبحثون في التغيرات التي حدثت منذ آماد بعيدة في باطن البحار والمحيطات وعلى سطح اليابسة وقد اكتشفوا آثاراً باقية من تلك الزلازل في صورة فوالق وأخاديد عميقة وطويلة تغطي مساحات كبيرة من قاع البحار والمحيطات.

وقد أثبتت الدراسات الحديثة صحة نظرية تكون القارات والجزر Continental Drift بعد أن كانت كتلة واحدة. وقد استطاع العلماء في العصر الحديث إعادة تركيب الكرة الأرضية كما يتخيل أنها كانت.

كما تشير هذه الدراسات إلى حقيقة مذهلة وهي استمرار التغير في اليابسة بتباعد بعضها عن بعض من جهة، وتقارب أجزاء أخرى كانت متباعدة

ولعل أقدم تسونامي عُرف في التاريخ ذلك الذي ضرب الجزء الشمالي من بحر إيجه عام 479 قبل الميلاد. وقد شهد القرن الماضي نحو 100 تسونامي.

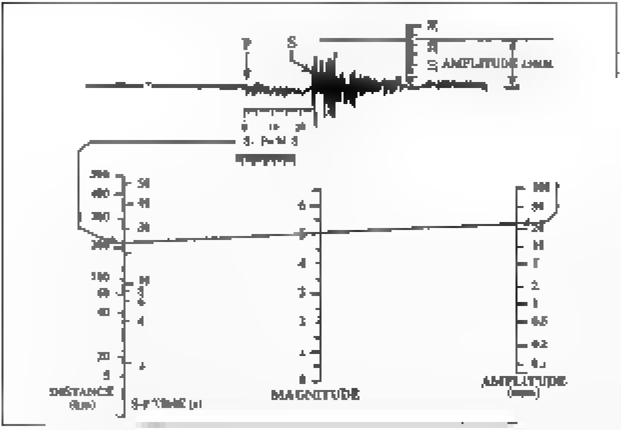


الحركات القارية في العصور الجيولوجية السحيقة

مقياس ريختر لحساب شدة هزة الزلزال

لكل هزة زلزال مقدار محدد من الطاقة يختلف تأثيرها من زلزال إلى آخر بحسب المسافة، والظروف الأرضية، وطبيعة البناء. ولذلك فهنالك أنواع مختلفة من المقاييس بحسب قوة الزلزال ومن أشهر هذه المقاييس مقياس ريختر Richter Scale، وهو مقياس طوّره العالم الأمريكي تشارلز إف. ريختر من معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا في سنة 1935 من القرن العشرين.

ويحدد المقياس بحسب شدة الهزة الزلزالية فتعد



مقياس ريختر لقياس قوة الزلزال

أي مقدار الطاقة أو القوة الناجمة عن ... الهزة ... درجة تأثيرها على الأشياء الموجودة على سطح الأرض.

وهناك مقياس ميركالي Mercalli Intensity Scale حسب درجات تأثير الزلازل.

وتتراوح درجات مقياس ريختر من 0 إلى 10 وليس معنى ذلك أن 10 هي أقصى درجة حسب هذا المقياس، ولكنها الدرجة العليا التي تم تسجيلها ويمكن أن تحدث الآن بقوة أعلى من هذه الدرجة. والجدول المجاور يبين قوة تأثير الهزة حسب هذا المقياس.

[illegible]

أقل من 3.5	تسجل ولكن لا يحس بها
3.5 - 5.4	يحسّ بها غالباً ولكن قلما تسبب أضراراً.
تحت 6.0	تسبب أضراراً طفيفة على المباني الجيدة التشييد بينما تسبب أضراراً جسيمة في المباني السيئة البناء
6.1 - 6.9	يمكن أن تسبب أضراراً قد تصل إلى مسافة 100 كلم.
7.0 - 7.9	زلزال قوي، يسبب في دمار كبير ويؤثر على مسافات كبيرة تتجاوز 100 كم
8 أو أكثر	زلزال مدمّر قد يصل مداه إلى مئات الكيلومترات من مركزه

[illegible]

بمقياس ريختر	ما يكافئها من مواد متفجرة TNT	بمقياس ريختر	ما يكافئها من مواد متفجرة TNT
1.0	10 رطلاً (باوند)	6.0	مليون طن
1.5	320 رطلاً (باوند)	6.5	5 مليون طن
2.0	طن	7.0	32 مليون طن
2.5	4.6 طن	7.5	160 مليون طن
3.0	29 طن	8.0	بليون طن
3.5	73 طن	8.5	5 بليون طن
4.0	1,000 طن	9.0	32 بليون طن
4.5	5,100 طن	10.0	1 تريليون طن
5.0	32,000 طن	12.0	160 تريليون طن
5.5	80,000 طن		

تاريخ الزلازل قديم قدم الأرض نفسها، والدراسات والبحوث الجيومورفية لا تزال تقدم من حين لآخر سلاسل متتالية من تواريخ الزلازل خلال حقب جيولوجية مرت بها الأرض، ساهمت في تشكيل سطح الأرض قديما فضلا عن الزلازل التي حدثت في القرون الأخيرة.

والمتأمل في تاريخ الزلازل خلال القرن الماضي (القرن العشرين) يدرك جسامة وضخامة تلك الهزات المسجلة في مراكز الرصد الزلزالي المنتشرة في أرجاء العالم، فضلا عن تلك التي لم تُسجل بعد. والجدول الآتي يوضح الزلازل المدمرة التي حدثت خلال القرن الماضي وعدد القتلى وفقا لـ Compton's Interactive Encyclopedia

التاريخ	البلد/المدينة	الوفيات (تقريبا)	مقدار القوة بمقياس ريختر
[illegible]	الهند	20.000	8.6
1906	أميركا - سان فرانسيسكو	700	8.3
1906	تشيلي - فالبارايزو	20.000	8.6
1907	طاجيكستان	40.000	
1908	إيطاليا (مسينا - صقلية)	75.000	7.5
1915	إيطاليا - أفيتسانو	30.000	7.5
1918	الصين - شانتاو	10.000	7.4
1920	الصين - إقليم جانسو	200.000	8.6
1923	اليابان - طوكيو - يوكوهاما	130.000	8.3
1927	الصين - نانشان	[illegible]	8.3
1932	الصين - إقليم جانسو	70.000	7.6
1935	الهند	50.000	7.5
1939	تركيا (أرزنكان)	30.000	8.0
1949	روسيا - عشق آباد - تركمان	20.000	7.3
1954	الجزائر - الأصنام	1657	
1960	المغرب - أغادير	12.000	5.8
1960	تشيلي - بورتو مونت	6.000	8.3
1962	إيران - الشمال الغربي	12.000	7.1

التاريخ	[illegible]	[illegible]	[illegible]
1964	ألاسكا وليام ساوند	130	8.5
1970	شمال بيرو	66.300	7.7
1972	نيكاراغوا	10.000	6.2
1976	غواتيمالا	23.000	7.5
1976	الصين تانغشان	240.000	8.0
1977	رومانيا/ بوخارست	1.500	7.5
1978	إيران الشمال الشرقي	26.000	7.7
1980	الجزائر الأصنام	4.500	7.3
1980	جنوب إيطاليا	4.800	7.2
1983	شرق تركيا	1.400	7.1
1985	مدينة المكسيك	4.200	8
1986	سان سلفادور	1.000	7.1
1987	اكوادور	4.000	7.0
1988	أرمينيا	30.000	6.9
1989	سان فرانسيسكو	70	7.1
1990	شمال غرب إيران	60.000	7.7
1991	أفغانستان	1200	6.8
1993	بحر اليابان	97	7.8
1993	الهند	30.000	6.5
		11.000	6.4
1994	سومطرة	184	7.2
1995	اليابان	5000	7.2
1995	روسيا	2000	7.5
1997	شمال غرب إيران	1000	5.0
1998	أفغانستان	4.000	6

من عجائب مخلوقات الله

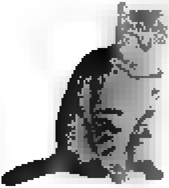
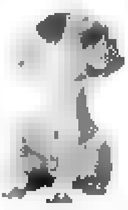
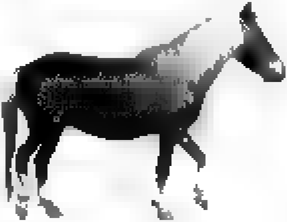
﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾

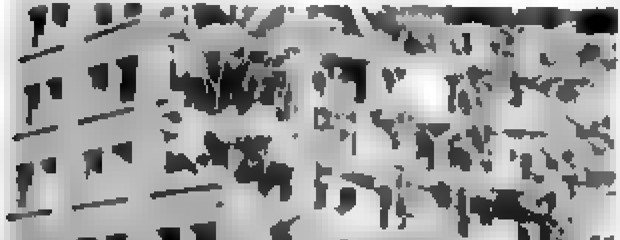
تشير بعض المصادر إلى أن الحيوانات في المناطق التي تعرضت مؤخراً لكارثة تسونامي قد أحست بوقوع الزلزال وحركة مد الأمواج قبل بلوغها الشواطئ. ومع ذلك فإنه يمكن استخدام هذه الظاهرة كوسيلة للإنذار المبكر. وقد ورد في تقرير لمراسلة الـ BBC للشؤون البيئية Sue Nelson في شهر يناير أن المسؤولين في الأراضي المخصصة للحياة البرية في سريلانكا لم يلاحظوا وجود خسائر في حيوانات المحمية بالرغم من العدد الهائل من الضحايا في صفوف البشر، بالرغم من أن مد تسونامي قد توغل إلى عمق 3 كلم داخل أكبر محمية في سريلانكا. لقد غرق عدد كبير من السياح، ولكن المشهور أن فرق الإنقاذ لم تعثر على جثث للحيوانات. كما قالت دبي مارتر الموظفة ببرنامج حماية النمور بجزيرة سومطرة الأندونيسية إنها لم تستغرب عدم وجود حيوانات ميتة لأن الحيوانات البرية بالتحديد شديدة الحساسية. إن الحيوانات حاسة سمع ممتازة، ولعلها سمعت حركة الأمواج القادمة من بعد أو أحست بتغير في الضغط الجوي مما دفعها إلى الانتقال إلى مكان مرتفع آمن.

هل الحيوانات أسرع إحساساً بالزلازل من مراصد البشر؟

ولم يتم التنبؤ بحدوث الزلازل حديثاً بواسطة أجهزة كشف الاهتزازات الأرضية، والأقمار الصناعية وسلوك الحيوانات قديماً، ولكن ثمة اعتقاد بأن الحيوانات تمتلك حساً حاداً يُحِسُّ بحركة باطن الأرض قبل وقوع الزلزال، فينعكس ذلك على سلوك غير معتاد منها، فترى الخيل والكلاب والقطط وغيرها تجري بشكل غير طبيعي، أو تتصرف بشكل جنوني، وكأن مساً أصابها، وترى الطيور تهاب أعشاشها وترحل بعيداً وكأنها مهاجرة. غير أن هذه الملاحظات كانت إلى عهد قريب مجرد ظنون لا ترقى إلى درجة اليقين عند العلماء، ولكن تواتر هذه الملاحظات دفع في العقود الأخيرة بالعلماء والباحثين في مراكز بحثية كثيرة تُعنى بالزلازل والبراكين إلى إعادة النظر في هذا الموضوع لتفسير ذلك السلوك الغريب الذي يصدر من الحيوان، ومدى إمكانية توظيفه للتنبؤ بحدوث الزلازل البركانية، حتى وإن عجز الإنسان عن تفسير هذا السلوك.

وتحت عنوان (هل تشعر الحيوانات بقدوم تسونامي؟) كتبت مجلة ناشيونال جيوجرافيك نيوز National Geographic News بتاريخ 4 2004 تقول:



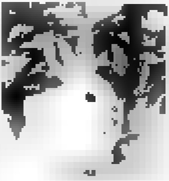
ماركز من وكالة المسح الجيولوجي للولايات المتحدة United States Geological Survey (USGS) وهي مؤسسة حكومية تقدم المعلومات العلمية عن الأرض.

... سمعه من كثير من الحكايات. فالحيوانات تتصرف مع أشياء كثيرة، مثل الجوع، وعدم العثور على أماكنها، وعدم تزاوجها، وعدم افتراسها. لذلك فإنه من الصعب للحصول على دراسة منتظمة يمكن الاستفادة منها في الحصول على علامات تنبئ بحدوث الهزات قبل وقوعها. ويستطرد مايكل قائلا: وفي السبعينيات من القرن العشرين أجرت USGS بضع دراسات عن تنبؤ الحيوانات، ولكنها لم تسفر عن شيء، ومنذ ذلك الحين لم تجر الوكالة بحوثا أخرى في هذا المجال.

وعن السلوك الشاذ للكلاب كانت ... الخبير ... البحوث في أنحاء العالم في تتبع هذه الظاهرة. ففي سبتمبر 2003 ... يمباني دراسة ... إلى السلوك الشاذ للكلاب مثل النباح المستمر والتنبه ... يمكن ... يستخدم للتنبؤ بالهزات.

كما أن هناك أمثلة صادرة عن سلطات حكومية ... نجحت في التنبؤ بوقوع الزلزال قبل وقوعه من خلال ملاحظة السلوك الشاذ للحيوانات، ففي سنة 1975 مثلا أمرت السلطات الصينية سكان مدينة هايتشينغ بإخلائها قبيل أن يضربها الزلزال بأيام، وعدد سكان المدينة نحو مئتي نسمة لم يتضرر منهم إلا عدد قليل جدا، ولولا عملية الإخلاء تلك لهلك نحو 150.000 نسمة لأن قوة ذلك الزلزال كانت 7.3 على مقياس ريختر.

ومنذ ذلك الحين بحث الأمر من جديد في مجال التنبؤ بالزلزال حيث دفع USGS إلى دراسة سلوك الحيوانات من جديد، وقد اكتشف ... أي سلسلة من الهزات الصغيرة حدثت قبل ... بضرب الزلزال الكبير المدينة ويقول أندي مايكل: لقد اعتبر تلك الهزات الصغيرة المتعلقة بمعلومات عن الزلزال الكبير ... أشهر المستشعر بهذا الموضوع وهو البيولوجي روبرت شلدريك يحوي في كتابه (الكلاب تعلم بقدوم أصحابها إلى البيت قبل وصولهم).



ثمة صلة واضحة بين السلوك الحيواني والزلازل يمكن ... وبالرغم من أن العلماء قد ... ذلك، إلا أنه ... الزلازل تتسبب في السلوك غير المعتاد للحيوان، وبالبحث فقط يمكن أن ... يمكن أن توجد تلك الاختلافات في الزلازل. لقد جرى شلدريك دراسة متأملة في ... فعل الحيوانات قبل الارتجافات الكبيرة بما فيها هزات نورثريدج، كاليفورنيا في سنة 1994، وزلزال اليونان وتركيا في سنة 1999، وفي جميع تلك الحالات يقول شلدريك إن هناك تقارير متميزة ... قبل حدوث تلك الهزات تتحدث عن سلوك غريب للحيوانات يتمثل في عواء للكلاب وهيجان للطيور في أقفاصها، واختباء القطط ... المدهورة، ويذكر الجيولوجيون لا يعيرون ... لتلك التقارير ويعتبرونها نتاجا للتأثيرات النفسية حيث يتذكر الناس السلوك الغريب فقط بعد وقوع الزلزال أو الكوارث الأخرى، ولولا ذلك ما تحدثوا عنه، ويرفض شلدريك هذا المنطق ويرى أن هناك السلوك الحيواني الغريب للحيوانات قبيل الزلزال قد ... بشكل مستقل من قبل أناس مختلفين في جميع أنحاء العالم، ويقول: لا أستطيع أن أصدق أن جميع أولئك قد اخترعوا تلك الحكايات، أو يقعوا تحت تأثير الخداع.

الموت السريع في باندا آتشي

إن أكثر الضحايا الآسيوية تضرراً من أمواج تسونامي هي الجزر الإندونيسية حيث تخطى عدد القتلى 100,000 قتيل وأكثر الأماكن ضرراً إقليم باندا آتشي Banda Aceh

ونستدل في الصور الملتقطة لمدن الإقليم قبل [illegible]

[illegible]

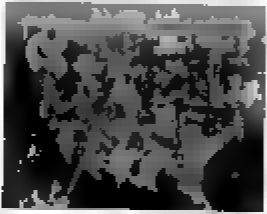
أرسلها الله على أمم وقرى [illegible] لا يملك إلا أن يسأل الله العفو والعافية وأن يجنبنا غضبه وأن يشملنا برحمته ويرد سكان آتشي ما أصاب مدينتهم إلى غضب الله

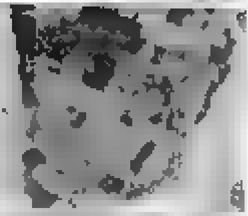
لأنها تحولت إلى مواخير للفجور [illegible] والله سبحانه وتعالى يقول في محكم التنزيل

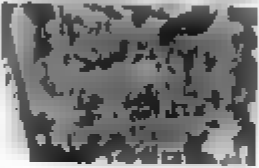
- [illegible]

- [illegible]

وأقل ما يتعظ به المؤمنون من هذه الكوارث أن يعودوا إلى الله بتطهير النفوس والسرائر بالابتعاد عن الشرور والإقبال على الطاعة

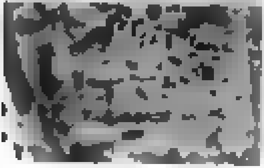












إدوارد هاريس

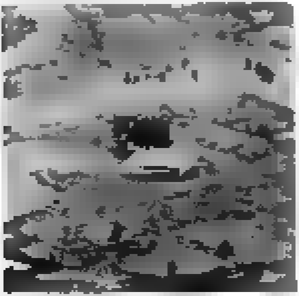
المساجد القوية تنجو من تسونامي...

كتب إدوارد هاريس Edward Harris من لهوكسوماوي، [illegible] في صحيفة The Seattle Times في عددها الصادر يوم الجمعة 14 [illegible] 2005 تحت عنوان: المساجد القوية تنجو من تسونامي

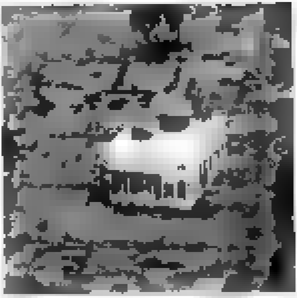
• ظل مسجد [illegible] غير متأثر [illegible] الأبيض يلمع بشكل واضح في المنطقة التي ضربها [illegible] الزلزال في إندونيسيا. لقد ظل صامداً بالرغم من تلك الضربة القوية التي حولت قرى عديدة إلى ركام من الجثث والخشب المتطاير. ويرى السكان المسلمون أنّ ذلك شيء خارق حدث بأمر إلهي، لأنّ المساجد بيوت الله والله لا يدمر بيوته، ويستطرد قائلاً: فلقد بقيت المساجد سليمة في مدينة باندا آتشي عاصمة إقليم آتشي الذي قتل فيه وحده أكثر من 100،000 شخص.



[illegible]



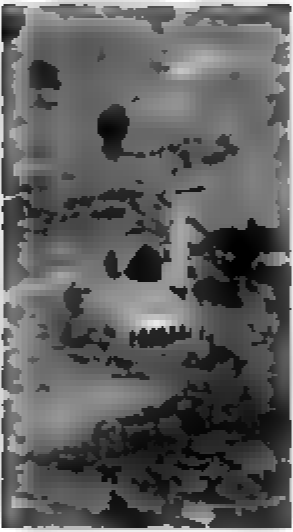
مسجد [illegible] الغمر



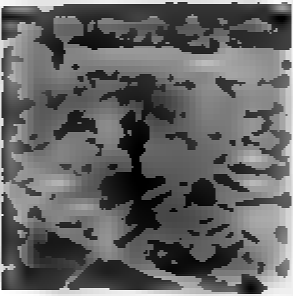
مسجد [illegible] بعد المد [illegible]

وظلت صامدة في قلب أرض يباب مطمورة بالجثث المتفسخة. ويمضي طول شاطئ باندا آتشي تراكم الحطام حتى يبلغ البوابة الخارجية لأحد المساجد ولكن المسجد لم يمسه شيء. وبالجوار تهدم قصر كبير وأصبح ركاماً بينما لم يحدث شيء للمسجد [illegible] وليس بفعل قوة البشر.

وتحدث تونكو تقوي علي لله Teungku Xany Ali وهو زعيم ديني، لوكالات الأنباء: إن مئات من المنازل دُمرت، بينما أصيبت جدران مسجد القرية ببعض الخدوش. وفي قرية باسي لوك Pasi Lok لقي مائة شخص مصرعهم، ولكن المسجد نجا بينما دمرت كل المنازل في القرى الخمس المجاورة. وفي قرية [illegible] كل البيوت ولم يسلم إلا المسجد.







من أوقظ تسونامي ؟

يذهب بعض الصحفيين إلى أن زلزال سومطرة الذي تسبب في حدوث تسونامي ناجمٌ عن تفجير نووي سري في المحيط الهندي، والمحلّلون على ذلك يدرجون هذا الرأي داخل دائرة نظرية المؤامرة.

قد يُعوِزُ هذا الرأي الدليل القاطع على ذلك. ولكن المؤكد عند عدد من الجيولوجيين أن التجارب النووية التي تجري في باطن الأرض تساهم في تحريك الصفائح الباطنية التي تتسبب في الزلازل. ولم يمض وقتٌ طويلٌ حتى أخذت المقالات والدراسات تتوالى في مواقع مختلفة على شبكة المعلومات الدولية حول هذا الموضوع. ومن أشهر المقالات ما كتبه Michel Chossudovsky وهو منشور بالإنكليزية على موقع مركز بحوث العولمة www.globalresearch.ca بتاريخ 19/01/2004 تحت عنوان «واشنطن كانت تعلم بأمواج تسونامي القاتلة في المحيط الهندي»، وقد جاء في مقدمة المقال جملة من التساؤلات:

الجيش الأمريكي ووزارة الخارجية أعطيا تحذيراً مبكراً؟ كما أعلمت القاعدة الأمريكية في جزيرة دييغو غارسيا بالمحيط الهندي، بينما لم يتم تحذير المسؤولين في الهند وسريلانكا، وتايلاند. متى تم تحذير البحرية الأمريكية ووزارة الخارجية ؟ لماذا ظلّت وزارة الخارجية الأمريكية صامتة عن وجود إنذار مبكّر، مع وجود أنظمة اتصالات حديثة؟ لماذا لم تُرسل تلك المعلومات إلى الخارج؟ بواسطة البريد الإلكتروني، والهاتف والفاكس، والقنوات الفضائية ؟

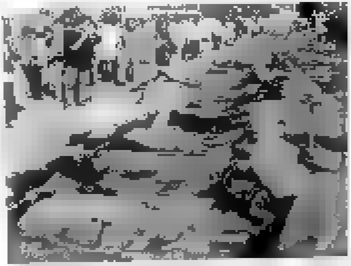
لو تمّ ذلك لأنقذت أرواح الآلاف من الناس. لقد بلغت شدة الزلزال 9.0 درجات بمقياس ريختر وهو يُعد أعلى درجة سُجلت في التاريخ، ومع ذلك لم تُسجّل السلطات الأمريكية إلا 8.5 درجات على المقياس نفسه.

لقد أكدت تقارير كثيرة أن العلماء الأمريكيين في هاواي كانت لهم معرفة مسبقة بحدوث كارثة وشيكة ولكنهم فشلوا في الاتصال بنظرائهم الآسيويين لإعلامهم بذلك. قال Charles McCreery مدير مركز الإدارة القومية للمحيطات والغلاف الجوي في هونولولو (NOAA) Oceanic and Atmospheric Administration's Center in Honolulu في تقرير صادر عن هذا المركز: «لقد بذل العربي ما وسعه للاتصال بالهنديين. لقد بدأنا بالتفكير فيمن يمكننا الاتصال به. لقد اتصلنا مع مركز العمليات بوزارة الخارجية والجيش، لقد اتصلنا بالسفارات وتحدثنا مع البحرية في سريلانكا وموظفي الحكومة المحلية. لقد كنا حذرين بشأن الذين اتصلنا بهم، وأردنا الاتصال بالأشخاص الذين يمكنهم تقديم العون».

ينقل كاتب المقال Michel Chossudovsky نص النشرة المقتضبة الصادرة عن NOAA وفيها:

«نشرة معلومات عن تسونامي. هذه الرسالة للمعلومات فقط، ليس هناك تحذير من تسونامي أو تداعيات وتأثيرات منتظرة

وقع زلزال ساعة 0059 يوم 26 ديسمبر 2004 على خط 3.4 شمالاً و 95.7 شرقاً من الساحل الغربي لشمال سومطرة بقوة 8 درجات



بعض من ضحايا التسونامي

التحويم: هذا الزلزال واقع خارج المحيط الهادي
لا يوجد خطر من حدوث ارتفاع الأمواج (تسونامي) بناء على معلومات سابقة عن الزلازل وتسونامي. هذه النشرة ستكون الوحيدة ما لم تتوفر معلومات جديدة تردنا.

يقول كاتب المقال إن هذه النشرة قلّلت من قيمة كارثة وشيكة، كما ذكرت أن قوة الهزة 8 درجات بينما هي 9 درجات كما ذكر ذلك المصدر نفسه في نشرات لاحقة. لقد فشلت النشرة في إدراك جدّية الموقف وخطورته متعمدة بذكر ذلك بصورة مستخفة فليس هناك خطر من تسونامي... وكون أن هذا الزلزال بعيد عن المحيط الهادي فلا يعني عدم إبلاغ اندونيسيا وهي عضو في نظام تحذير المحيط الهادي من تسونامي الى جانب تايلاند وسنغافورة.

يستطرد كاتب المقال: ذكر مدير مركز هاواي للتحذير بأنهم لم يكونوا على علم بأن الهزة الأرضية ستولّد موجات زلزالية بحرية إلا عندما ضربت سيريلانكا وذلك بعد ساعة ونصف، 1:30 بتوقيت غرينيتش. لكن من المستحيل القول بأنه لم تتم ملاحظة حركة الموجات الزلزالية التي تولّدت بعد التأثير المدمّر لموجات المد العارمة التي ضربت إقليم أتشي وشمال سومطرا بعد الساعة 1:00 بتوقيت غرينيتش. ولقد ضرب تسونامي شواطئ جزر المالديف عند الساعة الرابعة بتوقيت غرينيتش أي بعد ثلاث ساعات من وقوع الهزة. وفي ذلك الوقت سمع كل العالم بما حدث. ويعلّق الكاتب على كل ذلك بقوله: ... على مدير مركز (NOAA).

وكم هو صعبٌ تصديق أن تبقى منظمة الهاتف تتصل بسيريلانكا؟ على رأي السيد Mccreery أن المانع كان عدم وجود أرقام هواتف في دفتر المدارس بالمركز لأشخاص في ذلك المكان من العالم. ولكن الذي يكذب ذلك أن العاملين في المركز وضعهم في



مقطع من المحيط الهندي المحيط بالمنطقة ... تسونامي

هاواي كانوا يحاولون الاتصال بالدبلوماسيين الأمريكيين في سنغافورة وكولومبو لتحذيرهم من الكارثة.

يقول الأستاذ كود ميرتي من جامعة مانيتوبا: «لم يكن هناك من سبب لكي يقتل أي شخص بتسونامي، حيث أن معظم المناطق كان لديها من 15 دقيقة إلى أربع ساعات قبل أن تضربهم الموجة، ولكن بسبب الفساد واللامبالاة هلك آلاف الأبرياء من الناس بدون داع».

يضع كاتب المقال عدداً من التساؤلات من أهمها: لماذا قام الجيش الأمريكي في أعقاب الكارثة بجعل دور البلدي بدلاً من المنظمات الدولية والإنسانية الحكومية العاملة تحت غطاء الأمم المتحدة؟

لقد مكّنت القيادة الأمريكية في منطقة المحيط الهادي بتنسيق قوات المساعدة المشتركة، فأرسلت ثلاث فرق إضافة لقسم الكوارث البحرية تحت قيادة الهلال ... إلى تايلاند وسيريلانكا وأندونيسيا، ومما

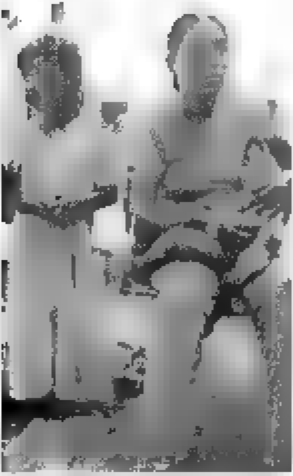
يدعو إلى السخرية أن جزءاً من هذه العملية قد تمّ تنسيقه من خارج قاعدة دييغو غارسيا الموجودة بالمنطقة والتي تم تخريبها بموجات تسونامي !!

... في حاجة الولايات المتحدة لتحويل كل هذه القطع الحربية بشكل لم يحصل له مثيل؟ فقد تمّ تحويل حاملة الطائرات الأمريكية إبراهام لنكولن بقوتها الضاربة، و22 طائرة مروحية إضافة إلى 23 طائرة مروحية على متن USS Bonhomme Richard المتجهة إلى خليج البنغال ... التي تمثل مجموعة الاستطلاع الضاربة الموجودة في غوام Guam المستعمرة الأمريكية الواقعة بمجموعة جزر ماريانا في البحر الباسيفيكي تتحول إلى خليج البنغال حيث يتوقع وصولها في 7 ... 2005 فضلا عن مجموعة حربية أخرى تتكون من سبع سفن و2000 من أفراد المارينز؟

هل يمكن أن تتسبب الكويكبات والنيازك أو التفجيرات النووية في حدوث تسونامي ؟

جواباً عن هذا السؤال كتب International Tsunami Information Center ITIC مركز معلومات تسونامي الدولي

من النادر جداً أن تتسبب الكويكبات أو النيازك في اختراق الغلاف الجوي حيث تحترق قبل الوصول إلى الأرض. ولم يسجّل على مدى التاريخ المدوّن سقوط كويكب على الأرض. ولكن هناك إشارات على أن كويكبات قد ضربت سطح الأرض في عصور ما قبل التاريخ ويمكن معرفة ذلك من خلال الفوهات الكبيرة الموجودة في بقاع مختلفة من الأرض. ويمكن أن تكون هناك كويكبات تسببت في الوصول إلى سطح الأرض قبل التاريخ ولعلّ آخرها قد سقط قبل نحو 65 مليون سنة في العصر الطباشيري. ولما كانت هناك أدلة على سقوط الكويكبات والنيازك على سطح الأرض فلا نستبعد أن يكون بعضها قد سقط في باطن



... تسونامي

المحيطات لا سيما و أن ... أخماس الأرض مياه؟ فسقوط الكويكبات أو النيازك في المحيطات له القدرة على توليد موجات تسونامي الهائلة. وقد استنتج العلماء الذين يدرسون هذا الإمكان أن تأثير كويكب متوسط الحجم (قطره 5 - 6 كلم) على وسط حوض محيط كبير مثل المحيط الأطلسي قد يتسبب في حدوث تسونامي ينتقل في جميع الاتجاهات إلى جبال أبلاتشيا في الثلثين العلويين من الولايات المتحدة، فيغمر تسونامي المدن الساحلية والخليجية الواقعة على الجانبين، كما يمكن أن تتولد أمواج تسونامي من تفجيرات نووية كبيرة. إلا أنه لا توجد دلائل ملموسة على حدوث أي تسونامي بفعل تفجير أسلحة نووية في الماضي. فضلا عن أن هذه الاختبارات النووية محرمة بموجب معاهدات دولية

مسلمو العالم

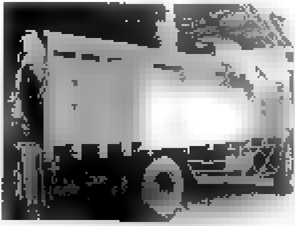
يهرعون لإغاثة منكوبي تسونامي

تكثفت الجهود الإسلامية والعربية لتقديم مساعدات عاجلة عاجلة للمناطق المنكوبة بجنوب شرق آسيا. فمنذ الساعات الأولى من كارثة جنوب شرقي آسيا تحركت مكاتب جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ودعاتها في أندونيسيا وتايلند وسريلانكا وباقي الدول المصابة لتقديم ما يمكن أن يخفف من وقع ما حدث على أبناء البحر والبلاد التي طالها الفيضان الرهيب.

وقد تحرك العاملون في هذه المكاتب لفتح قنوات لترحيل المعونات من خيام وأغطية ودواء إلى تلك المناطق حيث تحركت أرتال من السيارات المحملة بمختلف أنواع مواد الإغاثة الى جزيرة سومطرة الشمالية حيث كان مركز المصيبة وبالتحديد منطقة أتشيه

وقد تعاملت المكاتب مع هذا الحدث الرهيب حسب ما تقتضيه البيئة الاجتماعية في تلك المناطق حيث تضمنت المعونات الى جانب الطعام والأدوية والأغطية ومياه الشرب والخيام، أنواعاً من الملابس التي تتلاءم مع التقاليد في تلك المناطق والخاصة بالرجال والنساء وقد بلغ عدد الشحنات الأولية التي تم شحنها [illegible] المعونة [illegible] ثم توجيهها إلى الموانئ لإيصالها إلى تلك المناطق في أسرع وقت ممكن.

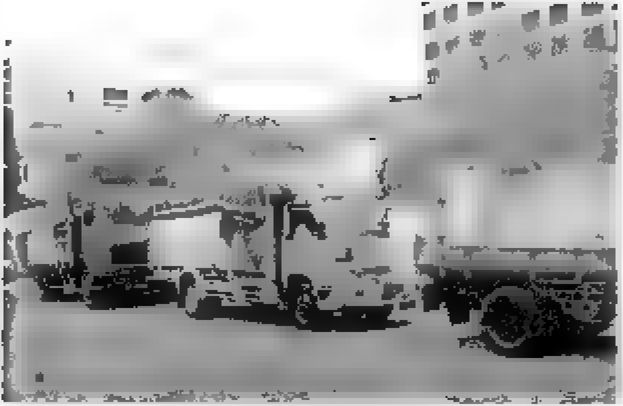
وقد لفتت سرعة تحرك جمعية الدعوة الإسلامية العالمية نظر رجال الحكومة في أندونيسيا حيث وجه المسؤولون في وزارة [illegible] [illegible] الجمعية شكرهم وتقديرهم لهذه الاستجابة السريعة



جانب من سيارات الجمعية



بعض المواطنين يتلقون المساعدات



قوافل مساعدات الجمعية تتوجه إلى المناطق المنكوبة

التي تمثل روح الأخوة الإسلامية التي تتحلى بها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

وكما حدث بالنسبة لأثيوبيا حدث أيضاً في الصومال حيث كان مكتب الجمعية هناك سباقاً لفعل الخير مساهمة في تخفيف وطأة المصيبة على أبناء الصومال فقد تم التنسيق السريع مع اللجنة العليا المكلفة بجمع مواد الإغاثة وإرسالها إلى المناطق المصابة وتم تحديد المواد المطلوبة التي تعين الأهالي على مقاومة الواقع المترتب على هذه المصيبة.

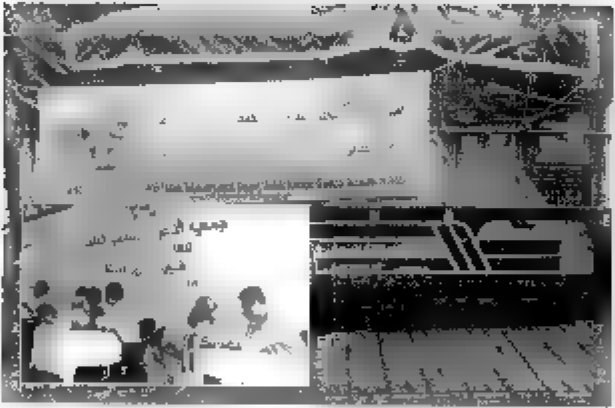
وفي سريلانكا أيضاً كان لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية تحرك سريع لمواجهة تداعيات الفيضانات الكبيرة، حيث قام العاملون بالمكتب بحملة سريعة بالتنسيق مع الجهات المعنية لنقل المعونات الغذائية إلى المراكز التي يتجمع فيها الذين يتواجدون بلا مأوى والمستشفيات التي اكتظت بالمصابين.

وشملت هذه المعونات مدينة والاتشي بمقاطعة باتيكالو ومدينة أكرايباتو بمقاطعة أمباري شرق الجزيرة ومقاطعة غول جنوب الجزيرة.

وأعد المكتب قافلة طبية تضم فريقاً طبياً متكاملاً إلى منطقة مصابة بمدينة أكالمونيه بمقاطعة إمباري وخصص المكتب ضمن هذه القافلة الطبية متخصصين في الأمراض النفسية لمعالجة الحالات التي تعرضت لهزات نفسية نتيجة الأوضاع المأسوية التي وجد السكان أنفسهم وسطها.

وقد طالب أئمة المساجد بإقليم كوسوفو بحملة لجمع التبرعات وتقديم المساعدات الإنسانية العاجلة لضحايا زلزال آسيا كما قررت الحكومة الألبانية تخصيص مبلغ نصف مليون دولار لإغاثة المنكوبين.

(عن الأئمة في خطب الجمعة ٧/١/2005)



مسيحي في إقليم كوسوفا عن فتح حساب في المصرف الوطني الكوسوفي لتلقي التبرعات استجابة لدعوة الشيخ نعيم ترنافا مفتي المشيخة الإسلامية بكوسوفا.

وفي سياق متصل قرر مجلس الوزراء الكوسوفي برئاسة راموش هاراديناي تخصيص مبلغ ٥٠٠ ألف يورو لضحايا زلزال آسيا كمشاركة منه في الحملة الدولية لجمع تبرعات لمنكوبي تسونامي.

وفي العاصمة الألبانية تيرانا ذكر موقع رئاسة الوزراء الألبانية الخميس 2005/1/6 مسيحي على شبكة المعلومات الدولية الإنترنت أن الحكومة وبناء على الاقتراح المقدم من رئيس الوزراء فاتوس نانو قررت تقديم نصف مليون دولار لإغاثة منكوبي آسيا.

كما نقل موقع ألبانيا على الإنترنت تصريحاً لنائب وزير الصحة الألباني جاني ... أنه في خلال الأيام المقبلة سوف يغادر وفد طبي ألباني مكون من ٢٠ طبيباً للمساعدة في عمليات الإغاثة الطبية لمنكوبي تسونامي.

ومن جهته بدأ الصليب الأحمر الألباني الأسبوع الماضي في تنظيم حملة شعبية لجمع التبرعات لمنكوبي آسيا وخرج الأطباء الألبان بأنفسهم وهم يرتدون زيهم الأبيض لجمع التبرعات من المواطنين بميدان إسكندر بك في وسط العاصمة تيرانا.

في السياق نفسه أعلن المصرف الإسلامي للتنمية عن تخصيصه 500 مليون دولار لمساعدة منكوبي زلزال آسيا.

وأشار الدكتور أحمد محمد علي رئيس المصرف إلى أن هذا المبلغ سيتم استخدامه في عمليات الإغاثة وإعادة إعمار البنية التحتية المدمرة في الدول المنكوبة ويشمل مجالات التعليم والمياه والصحة والطاقة والنقل في كل من إندونيسيا والمالديف والصومال وتايلاند والهند وسريلانكا.

وأضاف سهيمي: «إن المصرف الإسلامي سيتخذ إجراءات عاجلة لضمان التمهيد بالتنسيق مع مؤسسات التمويل الدولية لتقويم المناطق المنكوبة وصياغة مشروعات مناسبة لمواجهة احتياجات المناطق المتضررة».

كما سيعد المصرف مسودة برنامج العمل للمساعدة في الدول المتضررة بما يتماشى والاحتياجات المهمة لإعادة البناء في تلك الدول، موضحاً أن المصرف سيقوم بإيفاد بعثات إلى كل من إندونيسيا والمالديف وسريلانكا بهدف تقييم المعونة العاجلة لتنفيذ زيارات ميدانية لإعادة التصميم الشامل لمشروعات إعادة البناء.

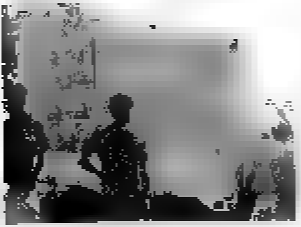
وفي الولايات المتحدة الأمريكية كما في بريطانيا دشنت منظمات إسلامية حملة على شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت» وجهت من خلالها نداءات إلى كل سكان البشرية للمسارعة إلى تقديم تبرعات عاجلة للمناطق المنكوبة.

وقد أعد مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية «كير» وهيئة الإغاثة الإسلامية البريطانية برنامج المبادرة حيث ناشد مواطني العالم عبر الشبكة إلى تقديم المساعدات الإنسانية العاجلة إلى ضحايا الكارثة والدعاء من أجلهم.

وفي بريطانيا تم توجيه نداء لجمع مليون جنيه إسترليني للسكان المتضررين في آسيا.

وأفاد بيان لـ «هيئة الإغاثة الإسلامية البريطانية» أنها خصصت 280 ألف جنيه إسترليني بشكل مبدئي لعمليات الإغاثة في المنطقة، إضافة إلى أنه سيتم إرسال 20 ألف طرد كمساعدات غذائية عاجلة إلى المتضررين في سريلانكا التي تعد أكثر المناطق تضرراً في جنوب آسيا.

وفي بريطانيا أيضاً دعت الرابطة الإسلامية



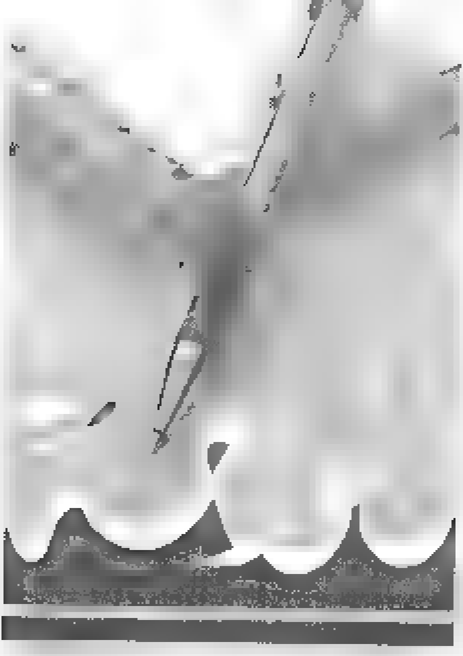
جانب من مساعدات [illegible]

مختلف أفراد الأقلية المسلمة في البلاد وغير المسلمين إلى المساهمة في الجهود الإغاثية المطلوبة لمواجهة هذه الكارثة.

أما في كندا فقد تلقت الجمعيات الخيرية الإسلامية والمراكز الإسلامية بالبلاد طوفاناً من المكالمات الهاتفية خلال الأيام القليلة الماضية من متطوعين يعرضون تبرعات مالية ومستلزمات لعمليات الإغاثة.

وكانت منظمة «أوكسفام» الدولية للتنمية والمساعدات قد حذرت من أن التبرعات التي تعهدت الحكومات الغربية بتقديمها للضحايا وإن كانت كبيرة فقد لا تصل كلها إلى المنكوبين، مشيرة إلى أن هذه الدول معتادة على التراجع عن الوفاء بوعودها بعد زوال الصدمة والاهتمام الإعلامي بالكوارث، مؤكدة أن القوى الكبرى تربط تقديم المعونات في الغالب بمصالحها السياسية.

وأوضحت المنظمة في بيان لها أنه أصبح للدول الصناعية الكبرى مثل الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا سجل من التعهدات المعلنة أثناء الاهتمام الإعلامي بالكوارث التي تضرب بعض المناطق والدول، لكن تلك التعهدات لا تقدم إلا في حالة وجود ضرورة سياسية أو اهتمام مرتبط بمصالح تلك القوى



- حليم دموس، تكشف عروس الشعر باسم محمد ﷺ
- الاستبداد آفة الحضارات
  من جان جاك روسو الى عبد الرحمن الكواكبي
- عظمة النبي محمد ﷺ كما يراها توماس كارلايل

مولد الرسول ﷺ*

حليم لموس**

تغنّتْ عروسُ الشعرِ باسمِ محمدٍ ... وقرّتْ بعيني النجيبِ بسيرةِ أحمدِ

تغنّتْ بأمجادِ الجُدودِ وإنما ... بقيثارةِ الإلهامِ إيمانُ مُجْهدِ

تغنّتْ بآيِ الذكرِ والفتحِ والهدى ... تغنّي بعهدِ الخالدينَ ورددي

تغنّتْ بمجدِ العُربِ فالعربُ أمةٌ ... بها في ذُرى العلياءِ أرفعُ سُؤدَدِ

تغنّتْ فأذنُ الدهرِ تُصغي لشاعرٍ ... إذا كانَ في الإنشادِ غيرَ مُقلِّدِ

***

عليَّ حقوقٌ للعروبةِ جمّةٌ ... فيا قلبي اشجعْ ويا شعرُ أنشدِ

وحسبي بياني وهْو وقفٌ لأمتي ... وحسبي يراعي وهْو ما ملكتْ يدي

ومن همّ بالأوطانِ هامَ بذكرِها ... وعاشَ بأمنِ الحربِ والهمومِ والحدِ

عرفتُ صنوفًا للجهادِ فليتني ... مواكبُ أبطالٍ تموتُ كمن لم يرقدِ

فكثيرٌ من يأبى الحياةَ بذلّةٍ ... وقلّ من يهوى الخلودَ كسؤددِ

وهمتُ بروحي نسمةً يعربيةً ... عرفتُ بها فضلًا من قبلِ مولدِ

---

* ألقيت في جامع [illegible] بتاريخ [illegible] بمناسبة المولد النبوي الشريف

** شاعر [illegible]

ومرّت جيوشُ الصالحين وهمّهم ... جهادٌ على الدنيا يروحُ ويغتدي

وفي كلّ أرضٍ فيهمُ أثرٌ فيالها ... وفي كلّ أفقٍ طرفةٌ إثرَ طرفةِ

ويسري فريقٌ في مسارح حبّه ... يمدّ جناحيه لأشرف سؤدد

يحلّقُ في الآفاق عن مُزوّج ... يطوف إلى وكر النجوم مُصعّد

يقول لمن بين جنبيه حرّة ... سبيلُك صعبٌ والمنايا بمرصد

فلم كنتُ مثلك اليوم إن غبتُ جانياً ... ولا كنتَ مني إن تجاهلت مقصدي

◆◆◆

صراعٌ رعى جيش الصلابة بالهدى ... كما يتهاوى كوكبٌ فوق جلمد

فمن سدّة الأيام في عمره تُنسى ... ومن بسمة الإسلام في ثغره الندي

وربّ سنيهم كان كالشمس في الضحى ... وكالبدر في سهماته سؤدد

بعثن من شتيته أمجاد أمّة ... بهمّة جبّار وجنس مُعهّد

وجاء الرّوحُ الأمينُ بمهمّة ... فردّدها آيات وحي مُخلّد

◆◆◆

أذانٌ من الصحراء في قلب مكة ... يمرّ صداه في وهادٍ وأنجُد

فلست ترى إلا تجلّي كتابه ... سوى كلّم سمعهم لديه وسجّد

وأقسمُ لو يدري الورى كُنهَ دينهم ... لما فرّقوا ما بين عيسى وأحمد

◆◆◆

ولا تلتقوا يوماً قتالاً بمدفعٍ ولا تشعلوا للحرب حدَّ مُهنّدِ

فيا ليت أحيا ما دامت الأرضُ أُمّنا وأنسى أخي بالروح قبل الجسدِ

◆◆◆

لعمرك ما الأديانُ إلا سوافرٌ ترى الناس منها مُتعةً لمُقيّدِ

تعاليمُ إصلاحٍ وعدلٍ ورحمةٍ فلا تجعلوا منها سلاحاً لمُفسدِ

ولو شاء ربُّ الكون توحيد خلقه لقاد بها كل الشعوب موحّدِ

ولكنه أوصى الجميع على الهُدى يسيرون في صخر الإخاء موطّدِ

◆◆◆

نظمتُ قصيدي من روائع مجدهم فصاغ إن يسعد بها المغربُ يسعدِ

وفي هدفٍ سامٍ إذا ما بلغتهُ فلستُ أُبالي ما يُردّدُ حُسّدي

سأنشرُه في المحافل مادحاً على نهج حسانٍ وبسمة معبدِ

فأنشد ألحان السلام لموطني مُشلّتُ القوم به كل موحّدِ

وأعلي بصدري الحبَّ في كل بيعةٍ وأعلي بصوت الحبِّ في كل مسجدِ

فأعظمُ في القرآن عيسى ابن مريمٍ وأعظمُ في الإنجيل روحَ محمّدِ

◆◆◆

يقول حليم دموس وقد نظمها منذ سنوات حين حُمّل إلى آسيا مع حوالي الأماكن ... في مركب الهواء طرق الصحراء ... وعرفات، وهنالك ... وقفت فوق ... نظمت هذه الأبيات.

الاستبداد.. آفة الحضارات..

من جان جاك روسو إلى عبد الرحمن الكواكبي

يعرض الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو (1712-1778) في كتابه "العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي"

DU CONTRACT SOCIAL OU PRINCIPES DU DROIT POLITIQUE

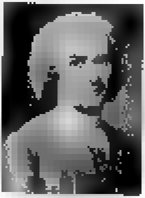
"ولد الإنسان حراً طليقاً ومع ذلك فهو مكبلٌ بالقيود في كل مكان. ورُبَّ رجلٍ يتوهم أنه سيّد الآخرين وهو لا ينفك يرسف في أغلال من العبودية هي أثقل من أغلالهم"

"الأقوى لا يكون أبداً قوياً بما فيه الكفاية لأن يكون دائماً سيداً، إلا أن يُحوِّل قوته إلى حق والطاعة التي يفرضها إلى واجب"

"من هنا ينتج حق الأقوى، هذا الحق الذي يُتلقى بسخرية ظاهراً، والذي تقررت حقيقته كمبدأ، ولكن، أليس من سيفسر لنا معنى هذه الكلمة؟"

"إن القوة سلطة طبيعية، ولا أرى أي حكمة أدبية يمكن أن تنجم عن نتائجها. والإذعان للقوة عمل ضروري لا عمل إرادة"

"إنه لا يوجد أي تفوق فطري لأي إنسان يمكن أن يكون حقاً؟ ليس لإنسان ما سلطان طبيعي على مثله والقوة لا تحول أي حق كان، ولذلك فإن العهود تظل أساساً لكل سلطة مشروعة بين الناس... وقد يقول قائل إن الملك المستبد يضمن لرعاياه الهدوء والطمأنينة، فإذا كان ذلك كذلك، فما الذي يجنونه من كسب إذا ما أنزلت بهم من الحروب والدمار أكثر جداً مما كانت تُنزله بهم التفرقة، تلك الحروب التي يجرها عليهم طمعه، وجشعه الذي لا يشبع ومظالم وزرائه ومفاسدهم؟ بل ما الذي يجنونه من هذا السكون إذا كان هذا السكون هو نفسه ضرباً من ضروب بؤسهم وشقائهم؟ إن حياة الهدوء قد تُشيع مرحاً في ظلمات السجون، ولكن أيكفي هذا الهدوء ليجعل السجين فيه ناعم البال؟ إن الإغريق الذين سُجنوا في غار سيكلوب كانوا يعيشون عيشة هادئة في انتظار الساعة التي يجيء فيها دورهم ليُفترسوا"



جان جاك روسو

"ومن قال إن إنساناً ما قد يهب نفسه دون مقابل، فقد قال ما لا يُعقل وما لا يُمكن تصوره"

"إن عقداً كهذا هو عقدٌ باطل وغير شرعي لمجرد صدوره عن شخص غير سليم العقل. وقول ذلك عن شعب بأكمله هو افتراض شعب من المجانين، والجنون لا يُنشئ حقاً"

"ولن يخطو الناس المفروض عليهم الاستبداد خطوة واحدة إلى الأمام... وسيظل هناك فرق كبير بين إخضاع جماعة وإدارة مجتمع. وإذا ما استُعبد أفراد من الناس متفرقين الواحد بعد الآخر بالغاً عددهم ما بلغ من رجل واحد، رأيت هناك سيداً وعبيداً ولم أر شعباً ورئيسه،

يقول عبد الرحمن الكواكبي (1848 - 1902) في كتابه الشهير (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد):

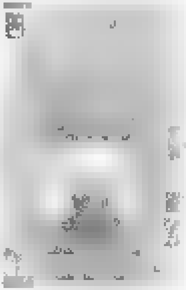
◆ «المستبد عدو الحق، عدو الحرية وقاتلهما، والحق أبو البشر، والحرية أمهم، والعوام صبيةٌ أيتام نيامٌ لا يعلمون شيئاً، والعلماء هم إخوتهم الراشدون، إن أيقظوهم هبوا، وإن دعوهم لبوا. المستبد يتجاوز الحد لأنه لا يرى حاجزاً... فلو رأى الظالم على جنب المظلوم سيفاً لما أقدم على الظلم.

المستبد إنسان، والإنسان أكثر ما يألفُ الغنم والكلاب.

فالمستبد يود أن تكون رعيته كالغنم درّاً وطاعة، وكالكلاب تذللاً وتملقاً. وعلى الرعية أن تكون كالخيل إن خدمت خدمت وإن ضربت شرست، بل عليها أن تعرف مقامها هل خُلقت خادمة لمستبدها؟ أم هي جاءت به ليخدمها فاستخدمها؟ الرعية العاقلة تُقيّدُ وحش الاستبداد بزمام تستميتُ دون بقائه في يدها لتأمن من بطشه، فإن شمخ هزت به الزمام وإن صال ربطته».

◆ «ما أشبه المستبدَّ في نسبته إلى رعيته بالوصيِّ الخائن القوي على أيتام أغنياء، يتصرف في أموالهم وأنفسهم كما يهوى ما داموا قاصرين. فكما أنه ليس من صالح الوصي أن يبلغ الأيتامُ رُشدهم، كذلك ليس من غرض المستبد أن تتنوّر الرعية بالعلم. ولا يخفى على المستبد أن لا استعباد ولا اعتساف إلا ما دامت الرعية حمقاء تخبط في ظلامة جهل وتيه عماء، ولو كان المستبد طيراً لكان خفاشاً يصطاد هوام العوام في ظلام الجهل، ولو كان وحشاً لكان ابن آوى يتلقف دواجن الحواضر في غشاء الليل.

◆ المستبدُّ كما يبغض العلم لنتائجه يبغضه لذاته، لأن للعلم سُلطاناً أقوى من كلِّ سلطان، فلا بد للمستبدِّ من أن يستحقر نفسه كلما وقعت عينه على كل من هو أرقى منه علماً، ولذا لا يحب المستبد أن يرى وجه عالم ذكي فإذا اضطر لمثل الطبيب والمهندس يختار الغبي المتصاغر المتملق، وعلى هذا يبني ابن خلدون قوله «فاز المتملقون».



◆ من الحكمة البالغة بين حريتهم... والاستبداد أصلٌ لكل فساد، ومبنى ذلك أن الباحث المدقق في أحوال البشر وطبائع الاجتماع كشف أن للاستبداد أثراً سيئاً في كل واد.

◆ حسنُ العناية في أخلاق البشر مثل فعله العناية في إنماء الشجر. فالأقوام كالآجام إن تُركت مُهملة تزاحمت أشجارها، وسقم أكثرُها، وتغلب قويها على ضعيفها فأهلكه، وهذا مثل القبائل المتوحشة. وإن صادفت بستانياً يهمه بقاؤها وزهوها، فدبّرها بحسب ما تطلبه طباعها قويت وأينعت وحسُنت ثمارُها، وهذا مثل الحكومة العادلة. وإذا بُليت بحطّاب لا يهمه إلا عاجلُ الاكتساب أفسدها وخربها، وهذا مثل الحكومة المستبدة».

عظمة النبي محمد ﷺ

كما يراها توماس كارلايل

توماس كارلايل (Thomas Carlyle) (1795-1881)



مؤرخ وفيلسوف اسكتلندي من أوائل المفكرين الغربيين الأحرار الذين أنصفوا نبي الإسلام محمداً ﷺ في كتابه الشهير «الأبطال وعبادة البطل» ولعل كلامه عن البطل باعتباره نبياً كان خير صرخة إنصاف تصدر من فيلسوف غربي في القرن التاسع عشر.

يقول كارلايل:

❖ «لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدين من أبناء هذا العصر أن يُصغي إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب، وأن محمداً خداع مزور، وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المُخجلة؛ فإن الرسالة التي أدّاها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا، خلقهم الله الذي خلقنا، أفكان أحدكم يظنُّ أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء كذباً وخدعة؟

أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبداً، ولو أن الكذب والغشَّ يروجان عند خلق الله هذا الرواج، ويصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول، فما الناس إلا بُلْهٌ ومجانين، وما الحياةُ إلا سُخفٌ وعبثٌ وأضلولة كان الأولى بها ألا تخلق.

فوا أسفاه ما أسوأ مثل هذا الزعم، وما أضعف أهلَه، وأحقهم بالرثاء والرحمة، وبعد فعلى من أراد أن يبلغَ منزلةً ما في علوم الكائنات ألا يُصدِّق شيئاً البتة من أقوال أولئك السفهاء؛ فإنها نتائجُ جيل كفر، وعصر جحود وإلحاد، وهي دليلٌ على خبث القلوب، وفساد الضمائر، وموت الأرواح في حياة الأبدان، وهل رأيتم قط معشر الإخوان أن رجلاً كاذباً يستطيع أن يوجد ديناً وينشره؟

عجيب والله أن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبني بيتاً من الطوب فهو إذا لم يكن عليماً بخصائص الجير والجص والتراب وما شاكل ذلك فما الذي يبنيه ببيت وإنما هو تل من الأنقاض وكثيب من خلائط المواد نعم، وليس جديراً أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرناً يسكنه مائتا مليون من الأنفس ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم فكأنه لم يكن.

- وعلى ذلك فلست أعد محمداً قط رجلاً كاذباً متصنعاً يتذرع بالحيل والوسائل إلى بغية أو يطمح إلى درجة ملك أو سلطان أو غير ذلك من الحقائر والصغائر. وما الرسالة التي أداها إلا حق صُراحٌ وما كلمته إلا صوتٌ صادق صادر من العالم المجهول. كلا ما محمد بالكاذب ولا الملفق وإنما هو قطعة من الحياة قد تفطر عنها قلب الطبيعة، فإذا هي شهابٌ قد أضاء العالم أجمع.

- ويزعم المتعصبون والملحدون أن محمداً لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية ومفاخر الجاه والسلطان. كلا وايمُ الله لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير ابن القفار والفلوات المتوقد المقلتين، العظيم النفس المملوء رحمة وخيراً وحناناً وبراً وحكمة وحجى وإربة ونهى.

- وما كان محمد بعابث قط ولا شاب شيئاً من قوله شائبةُ لعب ولهو بل كان الأمر عنده أمر خسران وفلاح ومسألة فناء وبقاء. ولم يلق منه إزاءها إلا الإخلاص الشديد والجد المر. فأما التلاعبُ بالأقوال والقضايا المنطقية والعبث بالحقائق فما كان من شأنه قط.

- لقد أخرج الله العرب بالإسلام من الظلمات إلى النور وأحيا به من العرب أمةً هامدة وأرضاً هامدة. وهل كانت إلا فئة من جوالة الأعراب خاملة فقيرة تجوب الفلاة منذ بدء العالم، لا يُسمع لها صوتٌ ولا تحس منها حركةٌ فأرسل الله لهم نبياً بكلمة من لدنه ورسالة من قبله فإذا الخمولُ قد استحال شُهرة والغموض نباهاً والضعةُ رفعة والضعف قوة والشرارة حريقاً وسع نورهُ الأنحاء وعم ضوؤه الأرجاء وعقد شُعاعه الشمال بالجنوب والمشرق بالمغرب، وما هو إلا قرنٌ بعد هذا الحادث حتى أصبح لدولة العرب رِجلٌ في الهند ورِجلٌ في الأندلس وأشرقت دولةُ الإسلام حقباً عديدة ودهوراً مديدة بنور الفضل والنبل والمروءة والبأس والنجدة ورونق الحق والهدى على نصف المعمورة. وما زال الإسلام يرقى في درج المعالي ويرتقي إلى ذُرى المجد ما دام مذهبها اليقين ومنهجها الإيمان.

(من ترجمة الأستاذ الفاضل محمد السباعي)





- من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية القومية الأمريكية
- لم نكن نحن
- الأحمدية .. حقائق وأحداث
- الكتيبة

من نحن ؟

التحديات التي تواجه الهُويّة القومية الأمريكية

عرض: الصادق بشير نصر *

يرى كثير من النقاد أن كتاب هنتنجتون (من نحن؟) ليس إلا صفحة مضافة في كتابه الذائع الصيت (صدام الحضارات)، وأن الأطروحات التي جاءت فيه تكاد تكون هي نفسها في كتابه الأشهر، مع تغيير شكلي في طريقة العرض، واختلاف طفيف في منهجية البحث.

إن كتاب (من نحن؟) يدور في الفلك نفسه الذي يدور فيه كتاب (صدام الحضارات)، وهو حتمية الصدام الحضاري، ويمكن القول إن الفرق بين الكتابين هو أن الأول صدام حضارات خارج الولايات المتحدة بين الغرب المتفوق والمهيمن اقتصادياً وعسكرياً، والآخر المستضعف الذي يتوق إلى استرداد ماضيه المشرق، وأن الثاني صدام حضارات داخل الولايات المتحدة نفسها، صدام داخل النسيج الأمريكي الذي يزعم هنتنجتون أنه واحد، ولو كان واحداً لما اشتكى من الصراع.

إن أطروحة البحث عن عدو تُلْقَى عليه تبعات الغرب (أمريكا / أوروبا) ومشكلاته والتي تظهر من حين إلى آخر في كتاب (من نحن؟) هي عينها في كتاب (صدام الحضارات).

البروفيسور صامويل هنتنجتون



عمل البروفيسور صامويل هنتنجتون مديراً لمعهد الدراسات الدولية، ورئيساً لأكاديمية هارفارد للدراسات الدولية والإقليمية.

وقد شغل خلال الفترة 1986 - 1987 منصب رئيس الرابطة الأمريكية للعلوم السياسية، كما عمل قبل ذلك بالبيت الأبيض حيث شغل خلال الفترة 1977 - 1978 منصب منسق التخطيط الأمني لمجلس الأمن القومي الأمريكي، كما أسس مجلة "السياسة الخارجية"، وعمل بها سبع سنوات محرراً. ومن أشهر مؤلفاته:

- الجندي والدولة (1957)
- الدفاع المشترك: برامج استراتيجية في السياسات القومية (1961)
- النظام السياسي في تغير المجتمعات (1968)
- السياسات الأمريكية: وعد...
- الموجة الثالثة: التحول الديمقراطي (الديمقراطية) في أواخر القرن العشرين (1991)
- صدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي (1996)

---

* كاتب وباحث وأستاذ جامعي - ليبيا

ويتمحور هذا الكتاب عن أطروحة يعبر عنها مؤلف الفائقة التي تحاول تصوير العلاقات الاجتماعية والثقافية بين الأقليات داخل الولايات المتحدة ذات طبيعة متوترة بين شد وجذب، ولما كان المجتمع الأمريكي ليس نسيجاً واحداً بل أنسجة مختلفة تنبع من هويات وثقافات مختلفة فإن من الضروري سبر كل تلك الأنسجة لتظهر في لحمة واحدة ونسيج واحد لا انفصام منه للإبقاء على بقاء النسيج الاجتماعي الأمريكي المتميز، بالرغم من أنه لا يخفى على أحد أن أمريكا بنيت على أساس التنوع العرقي والثقافي.

ويوغل هنتنجتون في تصوير المجتمع الأمريكي ليس مجرد مجتمع مكون من مهاجرين ربطت بينهم الأقدار من بلاد مختلفة فرارا من ظلم أو بحثاً عن نعيم في العالم الجديد، حاملين بين جوانحهم ثقافات مختلفة، بل هم مجموعة متجانسة من المستوطنين البريطانيين البروتستانت، وأن هؤلاء هم الذين أسسوا المجتمع الأمريكي على الثقافة الأنكلو بروتستانتية، ولذلك فإن لأمريكا هوية واحدة يجب المحافظة عليها، وهي هوية هؤلاء المستوطنين، وهذه الهوية تقوم على أسس أربعة:

العرق الأبيض، اللغة الإنكليزية، الدين المسيحي البروتستانتي، الثقافة الإنكليزية البروتستانتية. وقد ساهم المهاجرون من مختلف أنحاء العالم إلى أمريكا في هذه الهوية.

ومن أخطر ما جاء في هذا الكتاب رأيه بأنه لا تتشكل أي هوية لأي جماعة إلا بقيام على معاداة الآخر وأن الإحساس بمعاداة الآخر يصنع الهوية، ولذا لا بد لأمريكا من البحث عن عدو في كل مرحلة حتى تقوى هويتها وتتماسك ويتنامى إحساس مواطنيها بالانتماء إليها.

ويبحث المؤلف في تراجع الهوية الأمريكية وتناقص الشعور بالانتماء إليها في العقود الأخيرة بسبب التحديات الكبرى التي تواجهها، ومن أهم تلك التحديات:

ثورة الاتصالات وتحول العالم إلى قرية صغيرة ساهم في ربط المهاجرين إلى أمريكا بأصولهم، مما أبقى فيهم الإحساس بالانتماء إلى أصولهم وثقافاتهم عن تلك التي يعيشون فيها، وهذا أيضا دفعهم إلى البحث عن جذورهم والتشبع من ثقافة الأسلاف، وإحياء لغاتهم الأصلية وتعليمها للنشء الجديد على حساب الإنكليزية، وفقدان حب الوطن الجديد لديهم، كل هذا ولد هويات جديدة داخل الهوية الأمريكية الأم مثل الهوية اللاتينية الأمريكية التي تتنامى ثقافيا واقتصاديا والتي بشكل متعاظم قد تشكل خطراً على الهوية الأمريكية.

> **هل تتشكل أي هوية تقوم على معاداة الآخر؟ وهل الإحساس بمعاداة الآخرين يصنع الهوية؟**

عودة الليبراليين في أمريكا إلى الانفتاح على الآخر والدعوة إلى التعددية، وهذا يحدث ضرراً شديداً للسياسة الأمريكية التي تبحث عن سبل لتقوية الهوية القومية من خلال بعث الحياة في العقيدة البروتستانتية المهجورة، باعتبار أن الدين من مقومات الهوية، والليبراليون يدعون إلى قيم علمانية وفصل الدين عن الدولة وتشجيع على تنامي الهويات الفرعية داخل المجتمع الأمريكي باسم الحرية، كما هو الحال مع الهوية الأفرو أمريكية والهوية اللاتينية الأمريكية.

- السياسات الأمريكية المتبعة بشأن الهجرة، وهذه السياسات مهدت للملايين من المهاجرين من دخول أمريكا منذ الستينات، ومن وضع برامج منظمة لدمج المهاجرين الجدد في النسيج الاجتماعي الأمريكي، ويوجه هنتنجتون انتقاداً لسياسة الأمريكية بسبب موافقتها على جعل اللغة الإسبانية اللغة الثانية في بعض الولايات من أجل استيعاب عدد المهاجرين اللاجئين إليها، وهذا في نظر هنتنجتون

بسبب خطر في المستقبل على الهوية الأمريكية لا سيما بعد أن بلغ عدد هؤلاء 12 في المئة من سكان الولايات المتحدة، فضلاً عن قرب بلدانهم الأصلية (المكسيك، البرازيل، الأرجنتين، الخ) من الحدود الجنوبية للولايات المتحدة الأمريكية.

ثانيها: الاتحاد السوفياتي وتفكك المعسكر الشرقي قلل من المخاوف الأمريكية، وبات يقلل الاعتراف بالوحدة الوطنية.

وهذه التحديات قد تفضي إلى واحد من أربعة احتمالات تتعلق بمستقبل أمريكا:

الأول: تفكك الهوية الأمريكية الواحدة إلى عدة هويات ثقافية، وهذا احتمال يستبعده هنتينغتون.

الثاني: تحول أمريكا إلى ثنائية عرقية إنكليزية ـ أسبانية بفعل تفشي عدد القادمين من أمريكا اللاتينية.

الثالث: قمع الأمريكان البيض للأقليات الأخرى، وهذا احتمال وارد في رأي هنتينغتون.

الرابع: إعادة تأكيد الهوية الأمريكية من قبل الجميع والنظر لأمريكا كبلد مسيحي تعيش فيه أقليات أخرى تتبنى القيم الأنكلو ـ بروتستانتينية والتراث الأوروبي والعقيدة السياسية الأمريكية كأساس لوحدة الأمريكيين جميعهم.

ويرى المؤلف أنه لا بد من اتخاذ تدابير وإجراءات بتأكيد الهوية الأمريكية، ولمعالجة ذلك لا بد من القيام بأمرين:

الأول: إعادة الروح الدينية للمجتمع الأمريكي،

الثاني: توظيف الإسلام باعتباره عدواً جديداً لأمريكا

ويؤكد هنتينغتون أن المجتمع الأمريكي هو أكثر المجتمعات تديناً (11)، وهذه نقطة بدأنا نسمعها من صناع القرار السياسي الأمريكيين بعد أحداث سبتمبر، بالرغم من أن هذا الادعاء يتنافى مع البحوث والدراسات التي تؤكد أن المجتمع الأمريكي من أكثر المجتمعات تفسخاً وانحلالاً وتفشياً للجريمة وبعداً عن الدين. وما يسميه هنتينغتون صحوة دينية في أمريكا من خلال ما يراه من أنشطة بعض الكنسيين من أمثال: بات روبرتسون، وجيري فالويل، وأمثال هؤلاء وآخرين، لا يدل على عودة إلى الدين بقدر ما يدل على استخدام الأمريكيين ضد المسلمين، والإمعان في نعتهم بأنهم متوحشون وإرهابيون وحاقدون على أمريكا لأنها أكثر تحضراً منهم.

ويقول هنتينغتون إن المسلمين دخلوا في العقود الأخيرة حروباً ضد البروتستانت والكاثوليك ومسلمين آخرين وهندوساً ويهوداً وبوذيين، وأن المسلمين حاربوا في كوسوفو والبوسنة والشيشان وكشمير وفلسطين والفلبين، وأن مشاعر المسلمين السلبية تجاه أمريكا زادت

> «من التحديات الكبرى التي تواجه الهوية الأمريكية»

في التسعينات، وأن الشعوب الإسلامية لم تتعاطف مع الأمريكيين بعد الحادي عشر من سبتمبر، وأن مشاعر الشعوب الإسلامية لأمريكا عدائية، وليست بسبب إسرائيل فهي متجذرة في الحقد على الثروة الأمريكية والسيطرة الأمريكية والعداء للثقافة الأمريكية في شقيها العلماني والديني.

ويبني هنتينغتون أطروحته الجديدة بتوقع دخول أمريكا حروباً مع دول وجماعات مسلمة في السنوات القادمة مما يرشح الإسلام بشكل واضح للعب دور العدو الأساسي والكبير الذي يوحد الأمريكيين خلفه.

الكتاب إذاً دعوة صريحة لاستعداء الأمريكيين على الإسلام من جهة، واستعداء الحكومة الأمريكية على المهاجرين من جهة أخرى بحجة المحافظة على الهوية الأمريكية التي ليس لها وجود في الواقع العملي إلا في ذهن هنتينغتون، وحقول المحافظين اليمينيين المتطرفين، دعاة الحرب والدمار.



(من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية القومية الأمريكية) صدر في مايو سنة 2004 عن دار نشر Simon & Schuster ويقع الكتاب في نحو 440 صفحة ويتكون الكتاب من ثلاثة أبواب وثمانية فصول.

لم نكن نحن

عرض: د. عبد العاطي محمد عبد الجليل*

هل هذا الكتاب قراءة جديدة للتاريخ مسلم بحقائقه إلى عهد قريب؟ أم هو من قبيل الكتب التي تحاول لفت الأنظار بما تحويه من معلومات جديدة لا تقبل بسهولة؟ هل هو كتاب يحاول أن يفسر الدوافع التي كانت وراء إقدام مؤلفه الإسبانية على محاولة تغيير التاريخ الإسباني الخاص بمرحلة الكشوفات الجغرافية التي شكلت تحولاً تاريخياً مهماً على المستوى العالمي؟ كيف يمكن أن تقدم هذه المؤرخة الإسبانية ذات الوضع الاجتماعي والسياسي والتاريخي المتميز على الاصطدام وبلا هوادة مع تاريخها وتاريخ بلدها وتصطدم في الوقت ذاته مع معظم المؤرخين إن لم يكن جميعهم من أجل أن تثبت أن ما يفتخر به الإسبان ليس إلا مجرد تزوير للتاريخ؟

لم يكن «كولومبو»[1] هو المكتشف الفذ كان مبتكر أو مخترع أرض الهنود. مثله في ذلك مثل أي مروج سياحي [illegible] دون اكتراث يبين مجموعة من الشواطئ في أرض مجهولة. لم يكن أبداً قبله من عدة قرون [illegible] مع [illegible] كبير [illegible] كانوا [illegible] أو [illegible]. أي بحار بإمكانه أن يصبح من [illegible] أو [illegible] إذا ما استطاع أن يدرك علم الأفلاك ويطبقه في سلوكه.

وحتى تتحول أحدوثة الاكتشاف إلى حقيقة فإن المملكة الكاثوليكية[2] بعثت قوارب الصناعة والصيد والتجارة عبر البحار خاصة في الأطلسي، حتى تكمل الطريق التي



الكتاب: لم نكن نحن طريق الغرب

تأليف: [illegible] بيرالي أبانت دي [illegible]

اللغة: الإسبانية

عدد الصفحات: 252 حجم متوسط

الطبعة الأولى: [illegible]

أهم المحتويات:

المحتويات: مدخل، البحث عن الرياح، من مصر إلى جنوب [illegible] جزر الكناري، السرد البابلي سنة 1480، السرد [illegible] جهة [illegible] حاكم جزر [illegible] البحث عن [illegible]، [illegible] الفكرة الكولومبية، [illegible] الغرب [illegible] أمريكا، الشرق التجاري [illegible] [illegible] [illegible] الرحلة الكولومبية، مصادر ومراجع، فهرس.

* كاتب وباحث وأستاذ جامعي - ليبيا.

(1) [illegible]

(2) [illegible]

وصعدوا إلى الجبال. وبعد الإعلان، وبشكل لافت للنظر، أنه تم تعميد عشرة ملايين من الهنود في خمسة عشر عاماً، كما تم قتل ستة عشر من دعاة الحرية المتمثلين في عدة أماكن من أمريكا الجنوبية.

لقد نص المنصرون على الهنود مبادئ التقوى والورع والإخلاص وحتى ينسوا (أصنامهم) الحطام استبدلوها بأصنام من ذهب وفضة دون مراعاة لمرافقه أنه لقد عبد [illegible] الكهنوت واستقدموا من بطانة الجماعة العسكرية المسلحة الذين كانوا يصحبونهم في جلسات التعميد والتي كانت مراسم سلب بحجة التنصير.

هذه سطور قليلة من كتاب سولير (لم يكن بحراً) أثار جدلاً واسعاً على المستويين الإسباني والأوروبي، وبعد صدوره لا يمكن لأحد يهتم بتاريخ الاكتشافات وتاريخ القارة الأمريكية وتاريخ شعوبها تجاهله، لا لأنه كتاب نضالي أو يقدم قراءة جديدة للتاريخ فحسب، بل وإضافة إلى ذلك فهو كتاب يقلب الطاولة ويسحب ويشكك جسدياً في عدد أمور طالت من المسلمات إلى عهد قريب.

المشكلة تكمن في وجهات النظر التي يتضمنها هذا الكتاب، بما لا يمكن قبولها لو أنها صدرت من مؤرخ غير إسباني أو غير أمريكي، لكنها وجهت بعد أن لاقت الصمت ولم تستبعد، أولاً: لأنه صدر من مؤرخة إسبانية تتمتع بمكانة اجتماعية وعلمية اعترف لها بها المجتمع الإسباني وغيرهم، وثانياً: أنه خطوة أولى في اتجاه مطالبة بإعادة كتابة تاريخ إسبانيا وما اصطلح على تسميته بالعالم الجديد.

> لاستنقاص باكتشاف أمريكا هوس يتجه إلى حد كبير من يسعى إلى حبس مياه البحر في إناء من الرمال.

سمعت عن هذا الكتاب (لم يكن بحراً) في النصف الأول من تسعينات القرن الماضي، بحثت عنه كثيراً دون جدوى، وأخيراً[1] استطعت تصوير نسخة منه وجدتها في إحدى المكتبات الخاصة في مدريد. ولم أكن أتوقع أن ألتقي مؤلفته السيدة [illegible] إلا أن الرياح تجري أحياناً بما تشتهي النفس، حيث التقيتها أكثر من مرة في مدريد وقرطبة وفي منزلها الصيفي في [illegible] وفي إشبيلية التي كان بيني وبينها حوار مطول حول نص كتابيها (لم يكن بحراً) و(أمريكا الوجه الآخر لأمريكا) وخصوصاً ما يتعلق بمجريات الأحداث على المستويين العربي الإسلامي والأوروبي ومدى ارتباط هذه الأحداث بالتاريخ القديم والحديث.

تقول المؤلفة: [illegible] في اكتشاف أمريكا كمعهد [illegible] الكاثوليكي يعرض من التاريخ المعاصر [illegible] على ذلك أنه من الصعب التسليم بمعلومات بمجرد أن الهوس بما يعرض علينا [illegible] هذا الهوس فإنك كمن يسعى إلى حبس مياه البحر في إناء من الرمال.

الإسلام وصل أمريكا منذ القرن السادس على الأقل، بعد ما نطقت السيدة إيزابيل ألباريث دي توليدو دوقة مدينة سيدونيا، وهو رأي لم يكن مجرد ادعاء أطلقته هذه الدوقة المتمردة للجدل على المستوى الأوروبي، لقد أكدت الأمر عددا لا بأس به من المؤرخين [1]

الكتاب بعد صدوره أثار ردود فعل كثيرة، نتج بعضها عن موقف المؤرخين الذين تصفهم المؤلفة بـ "الرسميين" والذين رأوا فيه مجرد تخمينات لا تستند إلا [illegible] بعيدة عن حجم المعترضين من قبل أولئك المؤرخين تحت الأنظار، إليه ودفع بالمؤلفة إلى أن تنشر كتب [illegible] وذلك بنصوص [illegible] عن وثائق مخطوطة تشكك [illegible] ذهبت إليه، إضافة إلى جملة من الحقائق التي تكتب من وجهة نظر [illegible] حول عدم صحة نسبة اكتشاف أمريكا لكريستوفر كولون الذي طلب في [illegible] رحلاته فريقا من المترجمين الذين يجيدون اللغة العربية [illegible] تراه أمر لافت للنظر، وفي هذا الصدد تورد أسماء عدة أماكن تحمل أسماء عربية [illegible] ومآثر وأودية في أمريكا الجنوبية والوسطى

وهذه واحدة من الوثائق التاريخية التي حاولت من خلالها إثبات صحة ما ذهبت إليه من أن الوجود الإسلامي سبق بكثير رحلة كولون إلى أمريكا: تقول [illegible] في 13 من شهر يوليو 1502، بمعنى [illegible] في اكتشاف [illegible] كان ذلك في جزيرة جامايكا، حيث التقى كولون جمعا غريبا من الناس في مركب بحري [illegible] كان المؤرخون يطلقون عليهم: سود الماي [illegible] ذلك المركب البحري يعلو [illegible] وعرضه ثمانية أقدام تتوسطه خيمة نحاسية، أكبر من الخيمة [illegible] البحرية [illegible] كولون [illegible] كبير السن التراجمة العربية الذي كان يرافق [illegible] البحر الأبيض المتوسط. كان [illegible] أكثر من أربعين رجلا وامرأة لم يكونوا يشبهون [illegible] سود الماي كانوا على العكس [illegible] قمصان ذات ألوان وخطوط [illegible] مثل تلك التي كان [illegible] في البحر الأبيض المتوسط [illegible]

[illegible] على الطبعة الثالثة من كتابها [illegible] سنة 1992 لم أفكر في إعادة طبعته، ولكن [illegible] في الاطلاع عليه [illegible] تجمعت الوثائق الموجودة التي اكتشفت [illegible] إليها من شأنه أن يوقعني في أخطاء مألوفة، مثل تحديد موقع الرحلة الثالثة لكولون سنة 1498 ووصوله إلى البرازيل [2] [illegible] في [illegible] [3] [illegible] في جزيرة [illegible] كان [illegible] كان سيحقق [illegible] مع اكتشاف أمر مهم في [illegible] ليس من شأنه أن يغير التاريخ [illegible] من ذاكرة النسيان يغير تصورنا للتاريخ

المؤلفة: إيزابيل ألباريث دي توليدو



المؤلفة: لويسا إيزابيل ألباريث دي توليدو، دوقة مدينة سيدونيا الإسبانية، ولدت لأبوين إسبانيين بإستوريل، البرتغال في 18 / 8 / 1936.
تعرف بـ"الدوقة الحمراء" بسبب معارضتها لنظام فرانكو [illegible] والنفي
1990 أسست جمعية بيت مدينة سيدونيا للمحافظة على مجموعتها الوثائقية التي تعتبر أهم وأكبر مجموعة وثائقية في أوروبا

(1) [illegible] الأمريكان [illegible]
[illegible]
(2) [illegible]



الأحمدية ... عقائد وأحداث

أول دراسة عن القاديانية من الداخل

عرض: د. الصديق بشير نصر*

تكمن قيمة هذا الكتاب في كونه أول دراسة شاملة عن القاديانية من داخل القاديانية. لقد كُتب عن القاديانية عدد كبير من الكتب بالعربية والأردية والإنجليزية واللغات الأخرى، ومعظم تلك الكتب النقدية جاءت من خارج القاديانية التي أصبحت تُعرف بعد بـ(الأحمدية) بعد أن تبنت ذلك الاسم، وصار مجموعها يمثل كتابات لفقهاء المسلمين الذين ما فتئوا يفضحون هذه النحلة الناشئة صنيعة الاستعمار الإنكليزي في بلاد الهند. ومع أن تلك المؤلفات اعتمدت على مؤلفات مؤسس القاديانية ميرزا غلام أحمد في بيان فساد معتقداته وكتبه بشكل تفصيلي كما فعل إحسان إلهي ظهير وعشرات غيره من علماء الهند ومصر، إلا أن الهيكل الداخلي لهذه الفرقة ظل مجهولاً ومستوراً عن غير أتباعها حتى ظهور هذا الكتاب الذي وضعه الأستاذ الباحث حسن بن محمود عودة.

والكتاب يحكي قصة مؤلفه مع الأحمدية وقد تسنّى له معرفة هذه الطائفة عن قرب، فقد وُلد لأبوين أحمديين ونشأ على الأحمدية، وترعرع فيها، حتى تسلم فيها منصب مدير عام دائرة الشؤون العربية والمترجم الخاص لرئيسها خليفة المسيح، ورئيس مجلس «التقوى».

* كاتب وباحث وأستاذ جامعي - ليبيا

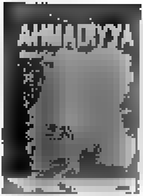
قصة المؤلف مع الكتاب



حسن محمود عودة

يقول المؤلف حسن محمود عودة في أول كتابه: «ولدت في حيفا يوم الأحد العاشر من جمادى الأولى سنة 1375هـ الموافق 25/12/1955 لأبوين عربيين أحمديين، وكان جدي لأبي محمد بن عبد القادر بن صالح العودة أول من صدّق دعوة القادياني في «الكبابير» معقل الأحمدية اليوم في الشرق الأوسط، وذلك عام 1928 من طريق دعاة هذه الطائفة من الهند. وكان جدي لأمي الحاج محمد بن عبد القادر العودة هو المصدق الثاني لها. وهكذا نشأت كما نشأ والداي على العقيدة الأحمدية القائلة بصدق ميرزا غلام أحمد ونجاة أتباعه وكفر من لم يُصدّقه وهلاكه».

لقد احتلت عائلة عودة منذ اعتناقها للقاديانية مركزاً مهماً في سلم الدعاية الأحمدية، حتى إن صحيفة «التقوى» لسان حال القاديانية بالعربية (1989) بالمناسبة خصصت مباركة للأحمدية ...



الغلاف الخارجي للكتاب

وعشرات من الرجال والنساء والأطفال، يقولون إنه في عروقهم وعروقهم [illegible] ويفضل عدد [illegible] ليستمر لسبحت الكبار، وهي خاصية من خواص مهمة حيث معقلاً للإسلام الحق في البلاد العربية. وبما أن معظم الأحمدية لقد كانوا حقاً متشبهين بالأنصار رضي الله عنهم، ومكّنوا للحق أن يُرسي جذوره مطمئناً في أرضهم.

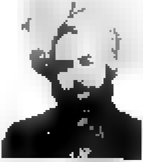
فتى البولد عالم الأحمدية حتى بدأ أبيه في حيفا حتى نهاية المرحلة الثانوية ثم سافر إلى السويد لإتمام دراسته الجامعية سنة 1976 وفي هذا العام يلتقي في السويد بحضرة المسيح الثالث ميرزا ناصر بمناسبة افتتاح مسجد للأحمدية مدينة جوتبرج. لقد كان هذا اللقاء أثراً قوياً في نفس حسن عودة الطالب الشاب من المشرقين الذي ترعرع في كنف الجماعة في الكبابير بحيفا في فلسطين. إن لقاء خليفة المسيح الموعود كان يُعد عند أبناء هذه الجماعة من البركات والكرامات الإلهية التي لا يتمتع بها إلا من كان مباركاً مسعوداً. وقد عبر المؤلف عن هذا اللقاء بقوله: «هذا اللقاء بالنسبة لي والأخي الوحيدين حدثاً مهماً جداً وحظاً كبيراً لا يحظى إلا القليل من الأحمديين» ص 11. وفي سنة يجتمع المؤلف بميرزا ناصر مرة ثانية في السويد، ويلتقي علاقة خليفة المسيح الموعود بطلبة عودة ليعرض الرجل حسن عودة أن يشرع بدراسة الأحمدية وأن يقف حياته على خدمة تعاليمها ونشرها. وفي ذلك يقول المؤلف: «وكنت أرى أن بحاجة الرجال يقفون حياتهم لخدمة الدين ونشر تعاليمه السامية. وبعد لقاء الخليفة عكفت لدراسة مذهبي الأحمدي بعمق أكثر يمكنني من الدعوة إليه. ظلت بعد اللقاء الثاني بالخليفة عام 1978 مغادرة السويد والسفر إلى قاديان معقل الأحمدية ومركزها الأول مولد المسيح والمهدي ميرزا غلام يسوق بخير الزمان، لم يكن معنى الأمر عودة من الأحمديين إلى الأحمدية فحسب، بل انصرفت إلى إصلاح المجتمع الأحمدي ليحتفي أنه بحاجة إلى إصلاح شأنه شأن المجتمعات الأخرى» ص 14.

وهكذا يرحل حسن عودة إلى قاديان، فكان أول شاب عربي يأتي لدراسة الأحمدية بعد تقسيم الهند عام 1948، وربما كان الثاني أو الثالث منذ ظهور القاديانية قبل مائة عام. وفي دار المسيح اجتمع بأكابر الأحمديين مثل ميرزا وسيم أحمد نجل ميرزا غلام أحمد مؤسس القاديانية وغيرهم. وفي قاديان [illegible] مسجداً يسمونه المسجد الأقصى، ويقول الأحمديون إنه المسجد المشار إليه في القرآن في سورة الإسراء بقوله تعالى:

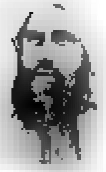
﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ سورة الإسراء آية 1

وفي قاديان يحصل المؤلف على شهادة الوصية وهي شهادة تسمح لمن نالها من الأحمديين أن يدفن في مقبرة بهشتي مقبرة أهل الجنة، شريطة أن يدفع نسبة من أمواله وممتلكاته، وفي ذلك يقول:

«في 17 / 11 / 1979 قررت الانضمام إلى حزب الموصين الذين يتعهدون بدفع عشر مدخولهم على الأقل إلى المركز الأحمدي، ويوصون بتركة عشر ممتلكاتهم على الأقل بعد الممات، وهكذا في الجرائد المحلية، كما هو مطلوب من كل موصٍ يقبل الشروط التي وضعها ميرزا غلام لمن يريد أن يدفن في مقبرة أهل الجنة، وتم حصولي على شهادة الوصية



ميرزا غلام أحمد القادياني مؤسس الأحمدية [illegible]

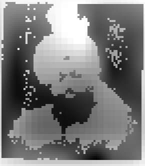


الخليفة الأول حكيم نور الدين [illegible]

التي تؤهلني للدفن في مقبرة ميرزا غلام الأحمد حوالي ست سنوات، كنت حريصاً خلالها على دفع عشر ما أكسبه على الأقل، وكانت فرحتي باستلامي شهادتها، ولا زلت حتى الآن أذكر الرقم الذي جاء فيها وهو 14437 للوصية، و 1154 للشهادة. لقد شجع ميرزا غلام أتباعه في كتابه «الوصية» على الانضمام لهذا المشروع حتى إنه وصف بالنفاق الذين لا يتجاوبون. ووضع عشرين شرطاً يجب على الأحمدي الذي يريد أن يستحقَّ الدفن في تلك المقبرة (انظر كتابه ص 24).

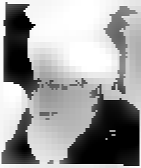
تنقل حسن عودة عائداً من الهند إلى حيفا في فلسطين سنة 1962 ليعمل فيها داعية بعد أن درس تعاليم القاديانية وتعلم الأردية. وبعد عمل متواصل في خدمة الأحمدية انتخب في سنة 1982 رئيساً لخدام الأحمدية في حيفا، كما انتخبت زوجته بعد بضعة شهور لتكون رئيسة للجنة إماء الله، وهي سيدة فلسطينية حاصلة على ليسانس ... ، تخلت عن هذه النحلة الفاسدة مع زوجها.

وفي لندن سنة 1986 عُيِّن حسن عودة مديراً ... في بريطانيا التي تحولت إلى أحد أهم معاقل القاديانية حيث يقيم فيها الخليفة الرابع للمسيح الموعود ميرزا طاهر، ومن بعده الخليفة الخامس ميرزا مسرور أحمد. وفي ضواحي ... بمقاطعة ساري Surrey اشترت الجماعة الأحمدية مدرسة تحتوي على أكثر من عشرة مبانٍ تحيط بها مساحة واسعة تستعمل ملاعب رياضية، وأُطلق على هذا الموقع اسم «إسلام آباد»، وإسلام آباد اليوم هي مقر خليفة المسيح



الخليفة الثاني

ميرزا بشير الدين محمود أحمد



الخليفة الثالث

ميرزا ناصر أحمد

والمقربين منه. وفي هذا المكان سكن حسن عودة وعائلته. يقول حسن: أنشأ الخليفة الرابع ميرزا طاهر القسم العربي للجماعة الإسلامية الأحمدية، وعيّن حسن عودة مديراً عاماً له. يقول المؤلف: ومن أهم أعمال هذا القسم الاتصال بالأحمديين العرب وتقديم ما يحتاجون إليه من مستندات لنشر العقائد الأحمدية داخل البلاد العربية وخارجها. وتتلخص الأعمال التي قام بها المؤلف باعتباره مدير الشؤون العربية في الجماعة الأحمدية في الاتصال بالأحمديين العرب، والاهتمام الخاص بالجدد منهم، وإصدار مجلة شهرية عالمية باللغة العربية تحمل اسم (التقوى)، والقيام بترجمة الرسائل العربية التي تصل إلى الخليفة، وإعداد الردود عليها، وتحرير الرسائل الخاصة بالخليفة الموجهة إلى علماء العرب وساستهم، ومراجعة الكتب المعدة للطباعة بالعربية، وكتابة أخبار عن المراكز الأحمدية في البلاد العربية، واستضافة الوفود العربية القادمة إلى بريطانيا، وإعداد الردود على ما يكتب ضد الأحمدية في الصحف العربية.

ومع النشاط الواسع للمؤلف يمكن فهم كتابه «الأحمدية: عقائد وأحداث».

الأحمدية في الميزان

تحت هذا العنوان كتب المؤلف يقول (ص 93):

• «تملكتني الرغبة أن أكتب عن ميرزا غلام ودعوته من جديد وهذه المرة بعين ناقدة وقلب واعٍ مستعيناً بالله الأحد لأن ما يتهم المسلمون به في شخص ميرزا غلام ودعوته ليس كله خطأ كما كنت أعتقد، وإن التفاسير والتأويلات التي طالما اعتمد دعاة الأحمدية عليها في نشر دعوتهم بعيدة عن الحق والصواب، وهذا نموذج منها:

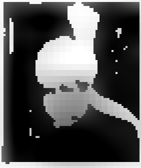
• علاقة ميرزا غلام أحمد (النبي) بالإنكليز: لم تكن مجرد علاقة بين مسلم أراد أن يشكر من يحسن إليه كما كنت أظن ذلك مثل الأحمديين، بل هي أقرب إلى علاقة خادم بمخدوميه. يقول ميرزا غلام: لقد قضيتُ معظم عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرتها ...) ويقول: ولا يقتصر على

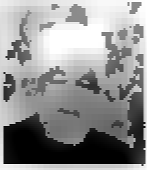
هذه الدولة المباركة (بريطانيا)؛ أتي من عند ربه وسمائه، وتواعي خيرها من قديم، وجلتُها في كل وقت يطلب حمايتها" (خزائن ج 36، ويقول: "يجب على كل مسلم طاعة هذه الحكومة طاعة صادقة" (ج 1 ص 151)

* إلغاء الجهاد: لم يكن هذه الجماعة هدف إلا بريطانيا، وليس هناك ما يدل على المهدي كما ادعى، يقول ميرزا غلام: "لقد ألغي اليوم حكم الجهاد بالسيف، فلا جهاد بعد هذا اليوم، فمن يرفع السلاح على الكفار يكون مخالفاً لرسول الله. إنني أنا المسيح الموعود، ولا جهاد بالسلاح بعد ظهوري الآن" (خزائن ج 16، ص 28).

* التناقض في دعاوى ميرزا غلام: التناقض في أقواله واضح جداً مهما حاولت تأويلها، إذ إنه يقول [illegible] كل من يدعي النبوة" (الاشتهارات ج 2، ص 297). ثم يدعي النبوة قائلاً: "لقد جعلني الله نبياً وخاطبني بهذا اللقب وكل [illegible]" (خزائن ج 22، ص 154). ويصرّح في مكان آخر قائلاً: "إننا نكذّب ونكفّر كلّ من يدعي النبوة والرسالة بعد الرسول محمد خاتم المرسلين" (الاشتهارات ج 1، ص 230) ثم يدعي الرسالة قائلاً: "صدق الله الذي أرسل رسوله في قاديان" (خزائن ج 18، ص 231).

لقد [illegible] عوده عن الأحمدية وإصداره لنشرة (التقوى) في شكلها الجديد [illegible] هذه الطائفة حيث نجم عن ذلك خروج عدد من أتباعها وأوليائها [illegible] كبار دعاة القاديانية في فلسطين [illegible]





الخليفة الرابع [illegible]

الخليفة الخامس [illegible]

والذين غيرهم مما دفع ميرزا طاهر خليفة المسيح الرابع أن يوجه منشوراً يحذر أتباع الطائفة ويحذرهم من حسن عودة باعتباره مرتداً وأبعاً ومتمرداً على الأحمدية. ولا ريب أن نشرة (التقوى) الجديدة بيانٌ خطير يكشف حقيقة هذه النحلة المشبوهة، ودعوة صريحة للناس في كتابات ميرزا غلام أحمد وخلفائه لتكشف ما فيها من زيغ وانحراف عن عقيدة الإسلام الصحيحة.

المسيح عيسى بن مريم
كما يراه ميرزا غلام المسيح الموعود

يرى أتباع الأحمدية تبعاً لما زعمه ميرزا غلام أحمد أن المسيح عيسى بن مريم مدفون في مدينة سرينجر بكشمير، وله قبر هناك يُزار. ومع ذلك فلو في ادعاء معيَّة المسيح فإن ميرزا غلام كلاماً قبيحاً في شخص المسيح عليه السلام، وتحت عنوان (ابن مريم والجماعة الأحمدية) كتب المؤلف يقول: «الجماعة الأحمدية [illegible] بالقاديانية هي حركة تدعي الانتساب إلى الإسلام تأسست في الهند سنة 1889 وفيما يلي بعض تصريحات مؤسسها حول عقيدته في عيسى عليه السلام، [illegible] من جادة الإسلام وعقائده الصحيحة. يقول ميرزا غلام أحمد القادياني الهندي: «اعلم أن اعتاد عيسى [illegible] وسلاطة اللسان، وكان يغضب لأتفه الأسباب، ولم يكن يملك [illegible] [illegible] له بعيداً شيئاً من الكتب أيضاً [illegible] التي [illegible] أنه [illegible] في [illegible] ليست موجودة على الإطلاق» (خزائن ج [illegible] ص 289)، ويقول:

«لقد كتب النصارى حول الكثير من معجزاته، ولكن في الحقيقة لم تكن له أي معجزة» (خزائن ج 11 ص 290).

ويقول ميرزا متهكماً: «وأمّا عائلته فكانت طاهرة وعريقة، ثلاث من جداته من طرف الأم، وثلاث من طرف الأب كُنّ زانيات، ومن دم هؤلاء الزانيات ظهر عيسى [illegible] وفي هذا ما يُفسر ميله للمومسات» (خزائن ج [illegible] ص 291). ويقول ميرزا في حق

السيد المسيح. فلم يكن عيسى ليقدر أن يدعي الصلاح لأنه كان يعلم أن الناس يعرفونه مدمنًا على الخمر (حاشية 11 ص 286) ويقول أيضا: (تذكر... ذكر ابن مريم غلام أحمد أفضل منه) خزائن 18 ص 240)

إلهامات مضحكات وأخرى مستحيلات مما أوحي للميرزا غلام من الخزعبلات:

- رأيت في المنام ملكا بهيئة شخص جاء أمامي وأعطاني نقودًا كثيرة ألقاها في حجري، فسألته عن اسمه فقال: ليس لي اسم، فقلت: لا بد أن يكون لك اسم، فقال: اسمي تيجي تيجي (خزائن 22 ص 346)
- عيسى عمر براطوس يا بلاطوس (التذكرة ص 113)
- إن الله مع الصالحين (التذكرة ص 313)
- يا مريم اسكن أنت وزوجك الجنة (التذكرة ص 127)
- قل هو الله عجيب (التذكرة ص 634)
- كل الفتن من لبس المخيط وأكل السمسم (التذكرة ص 776)
- خز السماء مريم وخنوره (التذكرة ص 340)
- ما أنا إلا كالقرآن وسيظهر على يدي ما ظهر من الفرقان (التذكرة ص 661).
- يا أحمد اسكن أنت وزوجك الجنة (التذكرة ص 423)
- الحمد لله الذي جعلك المسيح ابن مريم (التذكرة ص 472)
- زلزلة آيه زلزلة آيه (أي جاءت الزلزلة جاءت الزلزلة) (التذكرة ص 508)
- I Love You (التذكرة ص 64، 405)
- I am with You
- I Shall Help You
- I Can what I Will do
- اعملوا ما شئتم إني غفرت لكم (التذكرة ص 334)
- أنت طبيب يشفيك ربه (التذكرة ص 403)
- ونعمل كل شيء ذريته إياه (أي جميع متعلقات الزوجية) (التذكرة ص 392)

- ورأيتُني في المنام عين الله، وتيقنت أنني هو، وكانت الألوهية تسري في عروقي... وبينما أنا في هذه الحالة كنت أقول إنا نريد نظامًا جديدًا، سماءً جديدة، وأرضًا جديدة، فخلقتُ السماوات والأرض (القدر قديم ص 195 - 197)
- هوشعنا نعسا، يقول ميرزا: ولا أدري بأي لغة هذا الإلهام (التذكرة ص 110)
- إنه سيجعل ثيبة ويموت بعلها وأبوها إلى ثلاث سنة من يوم النكاح ثم نردها إليك بعد موتهما ولا يكون أحدهما من العاصمين (التذكرة ص 166)، يقول حسن عودة المؤلف منذ هذا التحقيق الذي جاء إليه الوحيُ بلغة عربية ركيكة ويريد امرأة محمدي بيكم التي أراد أن يتزوجها فلم تقبله وقد تزوجت من غيره، وبقيت مسلمة بزوجها وقد ماتت مسلمة ولم يتحقق وحيه (الأحمدية: حقائق وشبهات ص 140)
- فأجاءه المخاض إلى جذع النخلة قال يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا (التذكرة ص 73) يقول حسن عودة فما هذا قبل أصبح هو مريم، وجاءه المخاض أيضا ولأنه عيسى فهو بنفسه هو عيسى بن مريم ص 340
- جعلني الله مريم سنتين ثم نفخ فيّ روح عيسى كما نفخ في مريم، فأصبحت حاملا في صورة استعارية وبعد عدة أشهر لا تتجاوز العشرة تحولتُ من كوني مريم وصرتُ عيسى وهكذا أصبحتُ أنا عيسى بن مريم (الخزائن الروحانية 19 ص 50)

دعوة القادياني إلى وجوب طاعة المستعمر الإنجليزي

يقول ميرزا غلام أحمد القادياني في كتبه ورسائله:

- لقد قضيتُ معظم عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرتها، وقد ألفتُ في منع الجهاد ووجوب طاعة ولي الأمر من الكتب والإعلانات

والمنشورات ما لو جُمع بعضها بعضًا لملأت خمسين خزانة» (الخزائن الروحانية 15 ص 155).

«لقد نشرتُ خمسين ألف كتاب ورسالة وإعلان[1] في هذه البلاد وفي البلاد الإسلامية تفيد أنّ الحكومة الإنجليزية هي صاحبة الفضل والمنّة على المسلمين ولذا يجب على كل مسلم أن يطيع هذه الحكومة طاعة صادقة» (الخزائن الروحانية 15 ص 114).

- «فُرض علينا وطن ... تحت حكم الحكومة البريطانية المباركة» (الخزائن 9 ص 166).
- «لقد قضيتُ معظم عمري ... وقد ألّفتُ اليوم الستين ... وألّفت ... المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الإنجليزية والنصح لها والعطف عليها» (اشتهارات 3 ص 11).
- «ولا يخفى على هذه الدولة المباركة (بريطانيا) أني من خدامها ونصحائها ... من قديم ... في كل وقت ...» (الخزائن الروحانية 15 ص 34).
- «وإني أعلم أن الله تعالى جعل الحكومة البريطانية حصنا لي ولجماعتي بفضله الخاص، وهذا الأمن الذي حصل لنا تحت ظلّ هذه الحكومة لا يمكن أن يحصل في مكة المكرمة ولا المدينة المنورة» (الخزائن الروحانية 18 ص 296).

القيمة العلمية للكتاب

يكتسب كتاب (الأحمدية عقائد وأحداث) قيمته العلمية والتاريخية من عدة أسباب:

- السبب الأول: أنه أول كتابة عن القاديانية من داخل القاديانية.
- السبب الثاني: فيرجع إلى تحليل القاديانية في مؤلفات مؤسسها ميرزا غلام أحمد وهي:
- روحاني خزائن، وهي مجموعة مؤلفات ميرزا غلام باللغات الأردية والفارسية والعربية وتقع في 23 مجلدا.



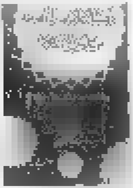
- التذكرة: مجموعة وحي وكشوفات ورؤى ميرزا غلام.
- سيرة المهدي: وهي سيرة ميرزا غلام من تأليف ابنه بشير أحمد خليفته الثاني الملقب بقمر الأنبياء، وتقع في ثلاثة أجزاء. والجدير بالذكر أن هذه الكتب قليلة الانتشار حتى لا يطلع عليها إلا النخبة من أتباع الأحمدية.

ولم يعد طبعها حتى ظلّت محصورة على أولئك فأصبحت بذلك أشبه بالكتب السرية ... ومؤخرا نُشرت صورة من بعض تلك المؤلفات على الشبكة الدولية للمعلومات مع طمس بعض الأسطر في بعض الصفحات التي يكره أتباع القاديانية أن يطّلع عليها ... لأنها تسيء لمسيحهم الموعود ميرزا غلام أحمد.

- السبب الثالث: ذلك العدد الكبير من الوثائق والصور التي تضمنها الكتاب، غير أن تلك الوثائق جاءت موزعة على صفحات الكتاب وبين أسطره ... حتى تتعذّر الاستفادة منها، وربما كان من الأفضل لو جُمعت كلّها في آخر الكتاب تحت عنوان: وثائق وشهادات وصور، وحتى يتمكّن الباحثون من الاستفادة منها بحيث يتم نقلها ...

هنيئا للمكتبة العربية، والإنجليزية، والعالمية بصدور الطبعة الأولى لهذا الكتاب عن مؤسسة التقوى العلمية بالمملكة السعودية سنة 2000 م.





روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام

تأليف: محمد بن علي بن الأزرق الغرناطي

تقديم وتحقيق: سعيدة العلمي

منشورات: كلية الدعوة الإسلامية - طرابلس

جزءان - طبعة أولى - قطع متوسط - ألف صفحة

ظلت آثار ابن الأزرق بعيدة عن الساحة الأدبية والفكرية قرونا عديدة ولم يتح لها أن ترى النور إلا في السنوات الأخيرة. وقيمة هذا الكتاب ليست باعتباره عملا إبداعيا بل لأنه سجل لما وصلت إليه الثقافة العربية الإسلامية في الأندلس. والموضوع الأساسي للكتاب هو التعريف بمكانة اللغة العربية من سائر العلوم الإسلامية حيث يجعلها المؤلف نقطة المركز ومحيط الدائرة، منطلقا من أن العربية هي الوسيلة لفهم الكتاب والسنة، فبها يقيم المرء الكلام حسن التقويم ويعصم صاحبه من آفة اللحن فيستقيم، ومن ثم فهي تستحق رتبة البداية والتقديم، ويعرض المؤلف أيضا نتيجة هذا الشرع في ذلك وحكم ... حسب ... العلماء في ظهور الحاجة إلى تعلمه ويقدم لذلك من الأدلة النقلية والعقلية ما لا يحصى. ويحقق لابن الأزرق فضل تحصيل موضوعه وتقريب مضمونه بما قدمه في بداية الكتاب ويحس القارئ أن يحصل ... ولا ... ما يصح له الكتاب ... فضلا عنه من عناوين عامة وأخرى فرعية ولما فيه من حكايات وروايات ومسائل متنوعة وأحكام مستقلة.



الإسلام دين القدوة

المؤلف: حسن إسماعيل مروة

منشورات: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية - طرابلس

طبعة أولى - القطع صغير - [illegible] صفحة

يبرز الكتاب أهمية القدوة الحسنة والالتزام بالإيمان قولا وعملا، مؤكدا أن أية دعوة مهما سمت لا تتعدى الكلام المنمق والحس للمعجب، سرعان ما يزول أثره ... ما لم ينتقل إلى سلوك يومي. ويقدم الكتاب نماذج من سيرة المصطفى ﷺ وصحبه رضوان الله عليهم ومن تبعهم بإحسان، وممن تعلموا وتربوا في مدرسة النبوة. ويضع المؤلف أمام الداعية المسلم بعض الصفات التي لا بد له من التحلي بها حتى يؤدي رسالته على الوجه الأكمل.

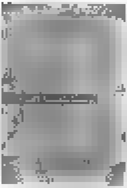
المعرب في القرآن الكريم

دراسة تأصيلية دلالية

المؤلف: الدكتور محمد السيد علي بلاسي

منشورات: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية / طرابلس

طبعة أولى - القطع متوسط - 380 صفحة



اختار الله سبحانه وتعالى اللغة العربية لتكون وعاءً لكتابه الخالد القرآن الكريم، وهذا التشريف والتكريم للغة جعلها بلا منازع لغة تتربع على عرش الألسنة واللهجات، وهذه خصيصة وميزة عكف عليها أهل الفكر والثقافات. يقول المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون: «... وباستطاعة العرب أن يفاخروا غيرهم من الأمم بما في أيديهم من جوامع الكلم التي تحمل من سمو الفكر وأمارات الفتوة والمروءة ما لا مثيل له».

ونظراً لأن القرآن الكريم قد نزل بتلك اللغة الخالدة (اللغة العربية)، فلا بد من أن يكون صورة حية من تلك اللغة، وقد تسربت فيه ألفاظ من لغات أخرى، وتلك سمة جليلة فيما نرى، للدلالة على عالمية الإسلام، وأنه لم ينزل للعرب خاصة، وإنما للعالمين كافة. وفي هذا الكتاب يحصر ويستقصي المؤلف كل ما جاء في القرآن الكريم من كلمات معربة، ويدرسها المؤلف دراسة تأصيلية، حيث الرجوع بالكلمة إلى أصلها، والوقوف على لغتها ودلالتها، بعد أن تم انتقال اللفظ من لغة إلى أخرى، مع ما يلحقه من ظواهر التطور الدلالي سواء من حيث الشكل أو المعنى.

الاستشراق.. أهدافه ووسائله

(دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون)

المؤلف: الدكتور محمد فتح الله الزيادي

منشورات: كلية الدعوة الإسلامية - طرابلس

طبعة ثانية - القطع متوسط - 333 صفحة



عندما يدرس المستشرقون أي قضية لا علاقة لها بالإسلام والمسلمين نجد أنهم يلتزمون منهجاً علمياً ويحاولون الالتزام بالموضوعية والحياد، أما عندما يقتربون من الدائرة الإسلامية (عقيدة أو تطبيقاً) فإن مؤثرات مختلفة تدفع لتنحرف بالمنهج الاستشراقي وتدفع به إلى اللامنهجية واللاموضوعية. وقد اهتم المستشرقون بعدد من أعلام الفكر الإسلامي، وفي هذا الكتاب دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، وما دفع المؤلف إلى اختيار ابن خلدون هو تعدد اللغات التي كتب بها عنه وتشعب الكتابة عنه إلى مستويات هي أقرب إلى تمثل المنهج الاستشراقي، ويحاول المؤلف الوصول إلى الحقيقة العلمية المجردة التي ترد الأمور إلى نصابها في إظهار حقيقة الفكر الإسلامي وحقيقة مرتكزاته، وعظمة تراثه الإسلامي، وكيف حاول الغربيون تشويهه وتزييفه عندما تخلفوا عن الاهتمام به والالتفات إلى حقائقه ودراسته.

القبائل البيضانية

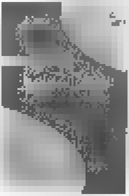
في الحوض والساحل الموريتاني وقصة الاحتلال الفرنسي للمنطقة

المؤلف: بول مارتي

تعريب: الدكتور محمد محمود ودادي

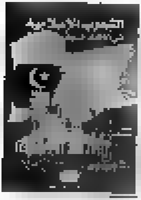
منشورات: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية - طرابلس

طبعة أولى - قطع كبير 390 صفحة



يعتبر هذا الكتاب [illegible] التي نشرها بول مارتي عن الإسلام وتاريخ شعوبه في المنطقة الواقعة بين وادي نون شمالاً ونهر السنغال جنوباً، حيث قضى ثماني سنوات [illegible] ما بين 1913 و1921 [illegible] ويمثل الكتاب مجموعة عن تاريخ القبائل البيضانية [illegible] [illegible] [illegible] بالمعمور والمنطقة [illegible] والاستقرار في [illegible] الإسلام واللغة العربية ويعتمد المؤلف على جملة من المصادر الهامة [illegible] الأوروبي الفرنسي وعلى المصادر [illegible] من تاريخ [illegible] التاريخية وعلى المخطوطات [illegible] المعلومات مختلفة عن أسماء القبائل، ويعرض قصة عن الفصائل [illegible]

الشعوب الإسلامية في الاتحاد السوفياتي السابق



المؤلفة: هيلين أكثير

ترجمة: الدكتور عبد الوهاب الزنتاني

منشورات: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية - طرابلس

طبعة أولى - قطع متوسط 698 صفحة

يحتوي الكتاب على معلومات كثيرة ومهمة جداً عن الشعوب المسلمة في الاتحاد السوفياتي السابق، شعوب كثيرة وكبيرة ومتعددة، بلغات وألوان وأشكال وقوميات وأجناس مختلفة جمعها الدين الإسلامي العظيم، فوحد المنتمين منها وهذب وأدب تلك التي لم تكن تتوفر لها حتى عناصر اللغة الواحدة، وقد أعطاها روحاً وجسداً وعقلاً ووجداناً، وكلما امتلأت قلوبهم وعقولهم [illegible] وتذكرته [illegible] جميع المحاولات التي بذلت في ما بعد على تمسكهم بإسلامهم. إن الغرض من هذا الكتاب كما تقول المؤلفة هو الإجابة عن ثلاثة أسئلة أساسية عن الشعوب الإسلامية في الاتحاد السوفياتي سابقاً: من يكونون؟ وأين يوجدون؟ وكم يكون عدد هؤلاء؟

منتجد النصاء

إلى الفقه الإسلامي المقارن

قسم الأحوال الشخصية

المؤلف: الدكتور الصالح علي حسين

منشورات: كلية الدعوة الإسلامية - طرابلس

طبعة أولى - قطع متوسط - 491 صفحة



يسعى المؤلف في هذا الكتاب وفق منهج علمي رصين إلى أن يضع أمام طلاب كليات الدعوة والقراء عموماً أفقاً واسعة على تراث الفقهي العظيم، كما يحرص في الوقت نفسه على أن يربيهم تربية عملية على التحرر من التعصب والتحرر من الجمود على منهج مدرسة فقهية واحدة. فمثل الشخص الذي يعد نفسه لهداية الغير لا بد له من أن يتميز بالتفكير وهو فريضة إسلامية ويتفتح على العهد الشاسع من تراث الفقهي في مختلف مدارسه ويأخذ بالأحكام والآراء التي تتناسب مع واقعه ويتسامح مع كل من يخالفه في الرأي إلى أبعد الحدود. ويؤكد المؤلف لكل طالب علم في أي جانب من جوانب الدين بما يعرضه من أدلة فقهية وشرعية وما دار حولها من نقاش وحوار أن الاتفاق على حكم واحد لا يكون إلا في المعلوم من الدين بالضرورة وفي ما عدا ذلك فالمسلم في حل وسعة. ولعل من بين أبرز ما يميز الكتاب أنه يحاول أن يسهم في إعداد دعاة يعبرون بحق عن دعوة واعية متحررة من الجمود والتعصب لهذه المدرسة الفقهية أو تلك. بما يؤكد صلاحية هذا الدين وما يحتاجه وحاجة الناس إليه. وفقه الأحوال الشخصية بمسائله الزواج والطلاق وما يتعلق بهما من أمور في الشريعة الإسلامية هو العلاج الناجع لمشاكل مجتمعاتنا وكل الشروح مستمدة من هذا النبع الأصيل بما يجعل ركناً أساسياً لأسرة مستقرة سعيدة.

الأخ أمين تحرير مجلة التواصل

السلام عليكم وبعد

فبين يدي العدد الرابع من «التواصل» وقد استغرقت في مراجعته فلم أكد أنتبه لجانب الأمر حتى أعود إلى القراءة مستمتعاً ومستفيداً.

«التواصل» عمل ممتاز من كل جانب: مادة وموضوعات وتبويب وإخراجاً وطباعة. وباختصار إنها عمل متميز شكلاً وموضوعاً، كما يمثل الأقلام المتمكنة الواعية، الموسوعية، الجادة الجيدة الجديدة المتجددة والرؤية الواضحة والأسلوب الهادف الرصين، كلها تجعل من «التواصل» اسماً على مسمّى، وتجعلني أشعر بالاعتزاز أن يصدر مثل هذا العمل الرفيع المستوى عن «جمعية الدعوة الإسلامية العالمية» بهذه الصورة المشرفة البهيجة.

أهنئكم وزملاءكم بهذا التوفيق الذي لا يستغرب منكم جميعاً، شاكراً لكم جهدكم وجهودكم، ومباركاً خطواتكم الراشدة.

ولكم المودة وخالص التقدير والاحترام، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أ. د. علي فهمي خشيم

أمين عام مجمع اللغة العربية – ليبيا

تحية طيبة وبعد

تلقيت شاكراً نسخة من العدد الرابع بمجلة «التواصل» التي صدرت مؤخراً في طبعة فاخرة وأنيقة وجاءت حافلة بالمواضيع القيمة والهادفة التي تعالج قضايا حيوية لها مساس بواقع المسلم المعاصر.

وإني إذ أعرب لكم عن وافر مشاعر التقدير وأجدد الشكر بهذه المبادرة الطيبة أرجو لكم التوفيق والنجاح.

والسلام

بو بكر الأخزوري

وزير الشؤون الدينية – تونس

السادة / أسرة مجلة التواصل

مصافحة حارة

تلقيت باهتمام وبامتنان هذه المجلة «التواصل». التي أدهشتني تماماً لوسمها بالريادة، آتي كثير في قدرات القائمين على إدارتها وأتطلع إلى استمرارها

مع الود العميق

محمود البوسيفي

أمين رابطة الصحفيين – ليبيا

الإخوة أسرة تحرير مجلة التواصل

بعد التحية

تملكني شعور بالغبطة والسرور وأنا أتصفح العدد الثاني من مجلة التواصل، وأيقنت أنه عندما تتوفر الإرادة يتحول الحلم إلى حقيقة. ومما زاد يقيني أن الجهود المخلصة والعزيمة الصادقة تستطيع صنع الإبداع والتألق، فجاءت التواصل عملاً صحفياً متكاملاً شكلاً ومضموناً، ولا أكون مبالغاً إن قلت مثل الواقع العالي.

تهنئة حارة أرفعها إلى كل من ساهم في هذا العمل الإعلامي الثقافي الرائع، وتمنياتي للجميع بالاستمرار والتواصل بإذن الله تعالى.

محمد الهادي - مالطا

الأخ أمين تحرير مجلة التواصل

بعد التحية...

لقد كان من دواعي سروري أن استقبلت مطبوعتكم كهدية من صديق عزيز، وكان العدد الثاني منها، ولم أتمكن للأسف من الحصول على العدد الأول، ومع ذلك كانت سعادتي بها لا توصف. اطلعت على موضوعاتها المتنوعة وقد استرعى انتباهي تنوع وأهمية الموضوعات والقضايا التي تهم عالمنا الإسلامي، وهو ما دفعني إلى الإقدام على المشاركة بعد أن وقفت مع نفسي عند موضوع بعنوان (ركب حضارتنا ... المنطلق والمسار)، آملاً أن ينال موافقتكم على النشر، شاكراً جهودكم الطيبة من أجل خلق منبر ثقافي نحن في أمس الحاجة إليه، في الوقت الذي ذهب فيه معظم الجهد في المطبوعات إلى ... والتجارة.

وتفضلوا بقبول فائق تقديري واحترامي

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الشاذلي خالد المهرك

مصراتة - ليبيا

الإخوة بمجلة التواصل

بعد التحية

لقد تصفحت العددين اللذين استلمتهما عن طريق البريد، وهما العدد الثاني وموضوعه الرئيسي (المجامع الفقهية) ... والعدد الثالث وموضوعه كما تعلمون (ملتقيات لتعارف...) ... على مطالعة المواضيع القيمة التي تحتوي عليها مجلتكم الممتازة، وإنني أعتقد بأن الكثير من المواضيع والدراسات التي تتضمن هذه الطبيعة مثل الأوسية التي يدور حولها النقاش الآن في الساحة الأوروبية، حيث إن الأمور غالباً ما تطرح من جانب واحد ومن قبل أولئك الذين يدعون لأنفسهم صفة التعبير في القضايا الإسلامية ... في أمس الحاجة لإسماع أولئك ... وإطلاع الغرب عليه، فالنقاش يتم من طرف واحد وهو غير متوازن ولا متوازن. لذا أقترح ترجمة بعض هذه الدراسات والتي تتعلق بالحوار والتعارف لكي نواجه بها الحملة الشرسة التي نتعرض لها نحن والإسلام بشكل عام.

أتمنى لكم التوفيق في مسعاكم المجيد لإيصال صوت الحق، وتبديد الكثير من المفاهيم الخاطئة التي ترسخت ليس فقط في عقول الغرب فقط بل في عقول الكثيرين من المسلمين والعرب الذين يستقون معلوماتهم من مصادر غير موثوق بها.

طارق عبد الله

طرابلس - ليبيا

الأخ أمين هيئة تحرير مجلة «التواصل»

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ... فقد شاء الله سبحانه وتعالى أن أطلع باكورة «التواصل» التي ولدت ناضجة بفضل الله من رحم جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وطالعت مقالاتها ولكنها فلسفتني كثيراً، كما أسعدت كل قرائها على ما أعتقد.

نسأل الله عونكم على نجاح رسالة «التواصل».

وأتمنى أن تتاح لي فرصة قراءة «التواصل» دائماً، وأتمنى أنكم لن تنشروا علي بصفحة منها مستقبلاً ولكم الشكر، وجزاكم الله خيراً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حامد محمد

موجه وعظ بالأزهر - الشرقية - مصر

الأخ / أمين تحرير مجلة التواصل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد

أهنئكم بصدور مجلة التواصل، وأرجو لها التوفيق في أداء رسالتها ... وقد أخبرني بصدور عدد المجلة أحد الزملاء الكرام، ولذلك أرجو التكرم بإرسال المجلة إليّ وسأبعث لكم إن شاء الله ببعض الدراسات والمقالات ... وأعرفكم أنني عملت في جامعة الفاتح أستاذاً في كلية الآداب أكثر من عشر سنوات.

أكرر لكم أطيب تحياتي وتمنياتي الطيبة لكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د. محمد الدسوقي

القاهرة - مصر

تنويه

في الوقت الذي ترحب فيه أسرة تحرير مجلة التواصل بما يرد إليها من الإخوة الكتاب (مقالات، دراسات، بحوث ...) للنشر على صفحاتها، فإنها قد لاحظت أن بعض المواد والموضوعات التي تصلها ليست أصلية، فضلاً عن أن بعضها أرسل إلى أكثر من مطبوعة. وعلى هذا فإن أسرة التحرير تعتذر عن عدم نشر تلك الموضوعات وتنبه السادة الكتاب علماً بأنها لا تنشر إلا المواد التي تكتب للتواصل خاصة (النسخة الأصلية) ويفضل أن تكون مطبوعة ومحفوظة على قرص مرن، كما أن أسرة التحرير غير ملزمة بإعادة المادة التي لم تنشر إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر.

وصفحات التواصل مفتوحة أمام كل الأقلام الجادة التي ترغب في الكتابة وفق معايير النشر الموجودة في كل عدد.

المحرر

..ونتواصل

حضارتنا الإسلامية بين النقل والإبداع!

د. محمد بلاسي

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]


[illegible]

[illegible]

*الليبي ــ عضو اتحاد الكتاب بمصر







6

التواصل

AT-TAWASUL

فصلية ثقافية شاملة

السنة الثانية - العدد السادس - الصيف 1373 من وفاة الرسول ﷺ الموافق يونيو 2005 مسيحي

ميورقة

الجزيرة ذات الألف وجه

محمد بشاري / فرنسا:

موقع الإسلام في أوروبا الجديدة

علي الحلو / إسبانيا:

ثاباتا والعرب

سالمة عبد الجبار / ليبيا:

آل بوش ووهم النهايات

محمد أبو بكر / نيجيريا:

عثمان فودي بين الذكرى الصحيحة والزائفة

أكمل الدين إحسان أوغلي / تركيا:

الإسلام ليس جغرافيا واحدة..

تيموثي سافيج / أمريكا:

أوروبا والإسلام

تلميع الهلال وصدام الثقافات

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا
مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ
صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ

صدق الله العظيم

إبراهيم علي الربو*

الحياة.. تجدُّد

الحياة تجدّد، فلولاه ما عرفنا لها قيمة، ولولاه ما أدركنا أن الزمن فيه الماضي والحاضر والمستقبل... لولا التجدّد لأسِنت البحيرات وتجهمت السماء في وجه الأرض، وتعبت الأغصان من حمل ثمارها، وابيضّ رأس الليل من توالي السواد... وهذا عدد جديد من مجلة التواصل به يتجدّد الوصل ويتعزّز الاتصال ويستمر العطاء الفكري المسؤول...

قد يكون وصلُنا أقل من آمالنا واتصالنا أضعف من أمنياتنا، وتواصلنا على تردّد ضعيف، لكن حسْبُنا أن نجتهد، وأملنا أن نحصل على أجرين، فإن لم يكن فنحن متأكدون بأن أجراً واحداً سيثبّت أقدامنا على الأرض مهما كانت هشاشة تربتها، ويساعدنا على الصعود رغم تفتّت بعض الصخور التي تستند عليها أرجلنا، ونُطْبِقُ عليها بأصابعنا، ورغم هشاشة هاتيك وتفتّت هذه ستبقى أعيننا على القمة التي لن يكون إدراكها يسيراً دون اتصال وتواصل مع كل الناطقين بلغة الضاد.

الحياة تجدّد، الجدة حياة، وهذا عدد جديد، قد تكون في جِدّته حياة وفي حياته جدّة، فإن كان ذلك كذلك فهو مرادنا، وإن لم يكن كما نأمل فإن لكل امرئ ما نوى، ويبقى الأمل في أن ننجح غداً فيما أخفقنا فيه اليوم، وأن نتجاوز عثرة الظلمة بخطوات راسخة في ضوء النهار، وأن نكون العطار الذي لا يدّعي بأنه قادر على إصلاح ما أفسده الدهر، ولكن حسبه أن يشير إلى مواقع الفساد ليتواصل المصلحون ويتّصل الصالحون فيكون في تواصلهم الصلاح وفي اتّصالهم الفلاح.

الحياة تجدّد وهذا عدد من التواصل جديد لكن جِدّته قد تكون قديمة ونحن في ذلك معذورون فالجِدة أمر نسبي وما لا يُدرك كُلُّه لا يُترك جُلُّه، وقد يكون قدَمُه جديداً، ونحن بذلك فخورون، لأننا أدركنا حقيقة أن لا جديد بلا قديم، وأن ذلك ما كان ليعرف لولا وجود هذا... وأيّاً يكن الأمر فها نحن نضع الركيزة السادسة في قنطرة التواصل، بمشاركة ثُلّة من الكُتّاب والباحثين وكلنا أمل بأن مكوّنات هذه القاعدة من تقارير ومقالات ودراسات وحوارات واستطلاعات ستكون أساساً متيناً من أسس تلك الركيزة التواصلية التي نريد منها أن توصلنا للآخر فيرانا، وأن يعبرها من الضفة الأخرى فتراه، فإن رأيتم رأينا فأعينونا وإن رأيتم غير ذلك فلن تبخلوا علينا بالنصح، لأنكم مؤمنون برسالة التواصل، والمؤمن مرآة أخيه.

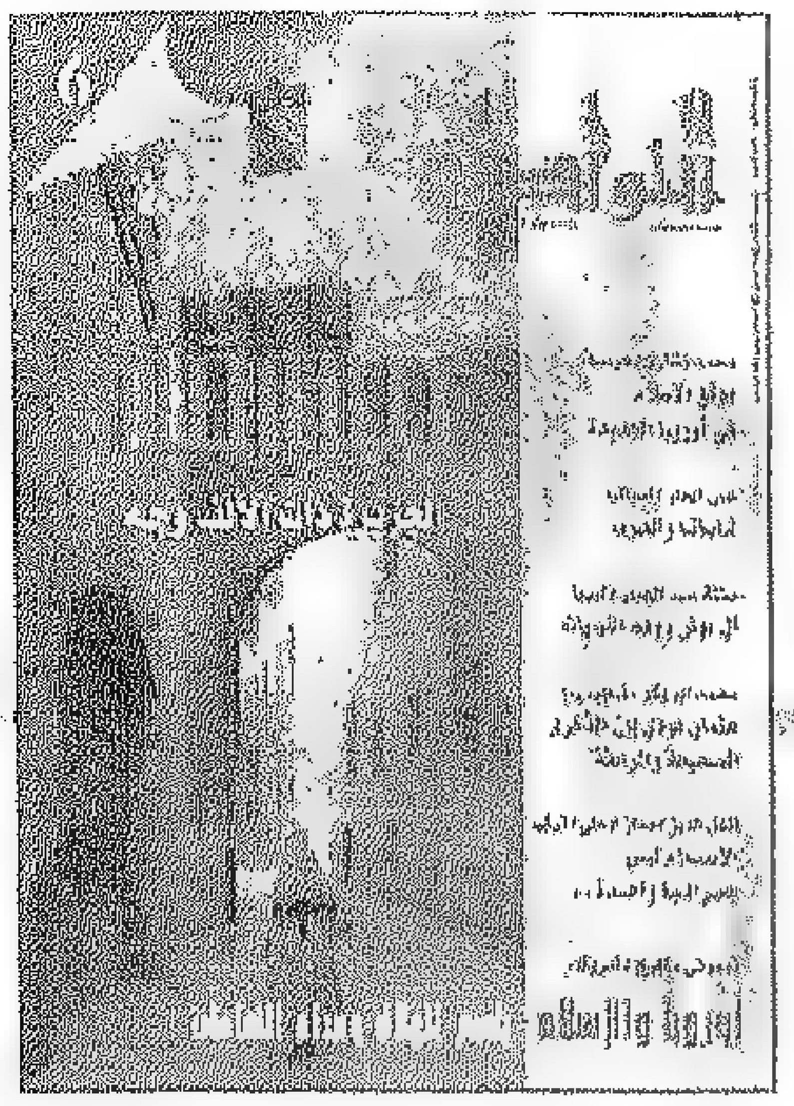
هذه خطوة جديدة على طريق التواصل، نخطوها في اتجاهكم، فإن قابلتمونا بمثلها في اتجاهنا فنعمًا هي، فما التواصل إلا سعي إنساني متبادل في محاولة لإدراك حكمة الله في التنوّع والاختلاف، وإن آثرتم البقاء في أماكنكم حتى تُقيّموا خطواتنا فلا تثريب عليكم، فالحياة تجارب وما كنا لنعرف النجاح لولا تجارب الإخفاق، وما أظن أنكم عارفوه...

والتواصل وهي تقطع خطوتها السادسة في تجاربها الثرية نأمل ـ ولا شك أنكم تأملون ـ أن يُكتب لها النجاح الأسمى عبر هذا المنعطف التاريخي تجدداً.. وتجديداً.. أخذاً وعطاء.

وما التوفيق إلا من عند الله

---

* كاتب ـ ليبيا

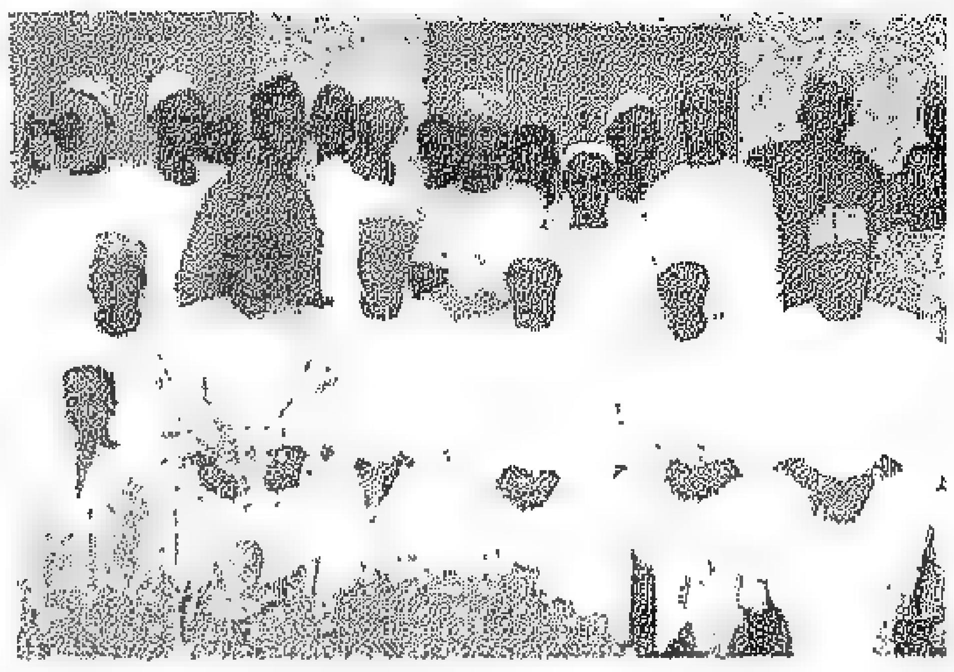


في هذا العدد

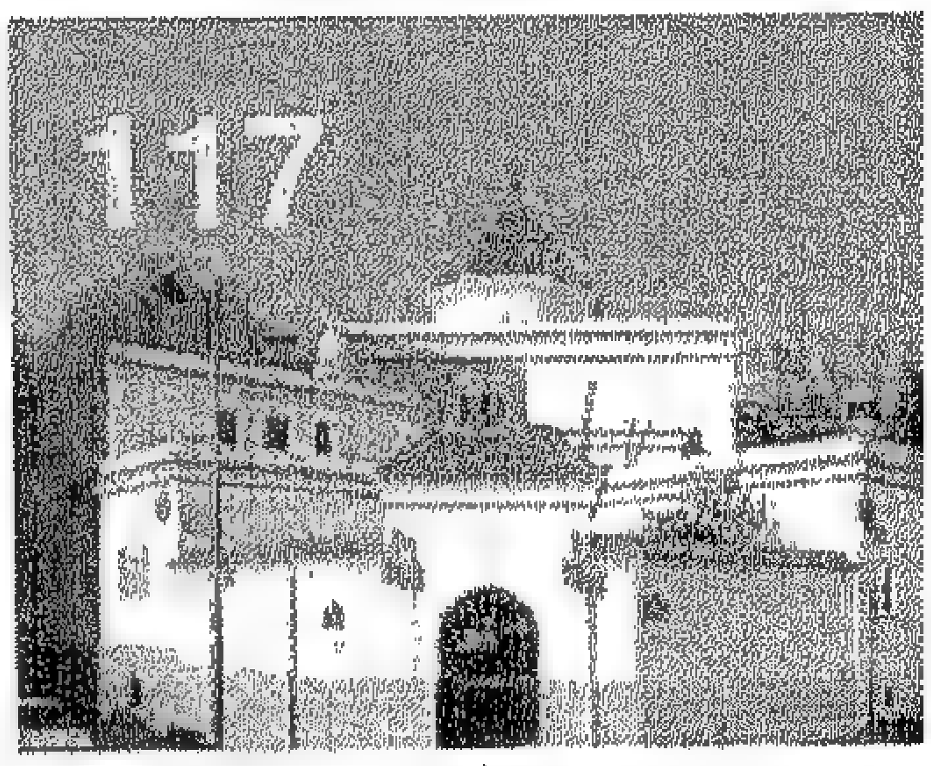
الافتتاحية

تقارير

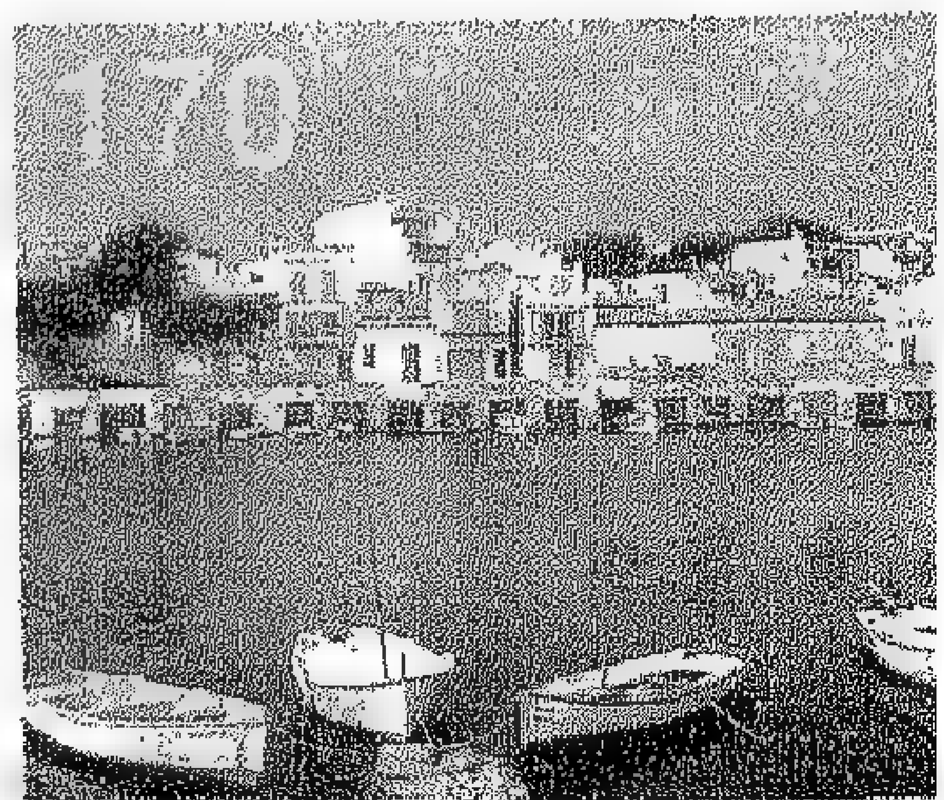
مقالات



تقارير



دراسات



استطلاعات

التواصل
AT-TAWASUL
تصدر عن
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

السنة الثانية ـ العدد السادس
الصيف 1373 من وفاة الرسول ﷺ
الموافق يونيو 2005 مسيحي

المراسلات باسم
أمين هيئة التحرير
طريق السواني ـ كلم 5
هاتف: 4800730 / 48084615
بريد مصور: 4800736
ص.ب: 86086
طرابلس ـ الجماهيرية العظمى

البريد الالكتروني
INFO@AT-TAWASUL.INFO
ARAA@AT-TAWASUL.INFO

الموقع على شبكة الانترنت
WWW.AT-TAWASUL.INFO

دراسات

محاضرات

حوارات

استطلاعات

الواحة

كتب

منتدى التواصل

ونتواصل

شـــروط النـــشـــر فـي مجـلـة

التواصل

ترحب مجلة التواصل بكتابات المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين وغيرهم الذين ينشدون التواصل المعرفي من خلال لغة الحوار والنقاش المستنير بعيداً عن التعصّب بجميع أشكاله، وسعياً لدرء أسباب الخلاف والفرقة، مع الالتزام بأسس العقيدة الإسلامية وثوابت الدين في المعالجات الفكرية والثقافية. وتحقيقاً لهذه الأهداف يشترط لقبول نشر البحوث والمقالات:

- أن يتسم البحث بالجدّة والموضوعيّة، وأن يتّبع في كتابته الأساليب المنهجية في البحث العلمي من تسلسل منطقي في العرض، وتوثيقٍ للمصادر والمراجع.
- أن يُراعى تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في البحوث التي تتضمنها.
- أن يكون البحث أو المقال خلِواً من الأخطاء اللغوية والإملائية، مع مراعاة علامات الترقيم وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.
- ألاَّ يكون البحث أو الدراسة المقدمة للنشر في (التواصل) جزءًا من أطروحة ماجستير أو دكتوراه.
- ألاَّ يكون البحث قد سبق نشره في مطبوعة أخرى.
- أن يكونَ البحثُ أو المقال مطبوعاً، أو مكتوباً بخطٍّ واضح.
- ألاَّ يقلّ عدد كلمات البحث أو الدراسة عن 8000 كلمة ولا يزيد على 12000 كلمة.
- ألاَّ يقلّ عدد كلمات المقال عن 4000 كلمة، ولا يزيد على 6000 كلمة.
- أن يُرفقَ الباحثُ ببحثه سيرته الذاتية.
- في حالة الترجمة لا بدَّ من أن يرفق النصّ المترجم بلغته الأصلية.

ملاحظات:

- للمجلة الحق في اختيار العدد المناسب لنشر البحوث المجازة.
- ترتيب نشر البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.
- لا تردّ البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت في المجلة أم لم تنشر.
- تعرضُ الأعمال المقدّمة للمجلة على لجنة تقويم النصوص فيها لإجازتها.
- تمنح البحوث والمقالات المجازة مكافآت مالية مناسبة.



- جهود جمعية الدعوة الإسلامية في تعليم اللغة العربية في افريقيا
- جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو)

(تعاون من أجل إفريقيا)

جهود جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في

تعليم اللغة العربية في إفريقيا

إعداد: محمد حسن جحا*

أولت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية اهتماماً بالغاً بتعليم اللغة العربية في جميع أنحاء العالم، باعتبارها لغة القرآن الكريم، والوسيلة الأكثر ضرورة لفهم تعاليمه وتطبيق شريعته. ومن أجل الوصول إلى تلك الغاية التي تأتي على رأس أهداف الجمعية التي حددها قانون إنشائها؛ قامت بإنشاء المدارس ودعم الجامعات وطبع الكتب وتوزيعها وتقديم المنح، وإنشاء كلية الدعوة الإسلامية وفروعها، وإقامة الدورات التعليمية والتدريبية وتنظيم المؤتمرات العلمية والتعاون مع المؤسسات الدولية في تطوير برامج اللغة العربية في مختلف الساحات. وقد لقي هذا البرنامج إقبالاً كبيراً من جماهير المسلمين في كل مكان، نظراً لأن هذه اللغة لغة القرآن الكريم، وهو الأمر الذي ساعد في تخطي الكثير من العوائق التي كان دعاة التغريب يواجهون بها برامج تعلم وتعليم العربية، خاصة في إفريقيا، التي تشهد جهداً مكثفاً في هذا المجال، بالنظر إلى عمق الارتباط بين الأفارقة والعرب، وتأصل الثقافة العربية في القارة نتيجة الهجرات العربية إلى مختلف مناطقها. وفي السنوات الأخيرة ألّحت حاجة الأفارقة إلى تعلم اللغة العربية لزيادة ارتباط دول القارة بالعالم العربي اقتصادياً وثقافياً، وهو الأمر الذي استوجب توسعاً في البرامج وزيادة في حجم المؤسسات وتطوير الوسائل.

وإذا كان التعليم في معناه الواسع هو المحور الذي تدور حوله أنشطة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية؛ فإن تعليم اللغة العربية ونشر الثقافة الإسلامية المرتبطة أصلاً باللغة العربية هو المكون الأساس لذلك المحور، تلك حقيقة نرى ضرورة الإشارة إليها في بداية هذا التقرير الموجز عن جهود الجمعية في تعليم اللغة العربية في إفريقيا، التي تواصلت على مدى أكثر من ثلاثة عقود من عمرها. وقد لا يكون يسيراً أن نتتبع بشيء من التفصيل تلك المسيرة التعليمية للجمعية خلال كل هذه الفترة ، وفي مساحة جغرافية بحجم القارة السمراء، وحسبنا في هذا التقرير أن نشير إلى أهم مسارات تعليم اللغة العربية في إفريقيا وآلياته ونتائجه، رغم صعوبة فصل ما هو تعليمي عما سواه من أنشطة ثقافية في تاريخ طويل ومتنوع من العطاء.

وإذا أدركنا أن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم

* كاتب وإعلامي وأستاذ جامعي / ليبيا



دفعة من الدارسين الأفارقة استفادوا من برامج الجمعية

وأن المسلمين في القارة السمراء يمثلون ما يزيد على (75 ٪) من مجموع السكان، وأن اللغة العربية هي لغة إفريقية يتكلم بها أكثر من (160) مليوناً من العرب الأفارقة؛ فإننا سنكون أكثر إدراكاً لأمرين أساسين، أولهما أن هذا العمل يعتبر أمراً استراتيجياً على المدى البعيد، ومهماً في رسم ملامح الهوية الإفريقية، أما الأمر الآخر فهو ضرورة تحقيق أكبر استفادة ممكنة من هذه المعطيات الثقافية والتاريخية في تنفيذ برامج الجمعية.

وفضلاً عن هذا هناك عوامل مهمة وأساسية ساعدت الجمعية على الاضطلاع بدور متميز في مجال تعليم العربية في إفريقيا، ومثّلت الأرضية التي بنت عليها برامجها التعليمية، وكانت الجدار الذي تستند إليه دائماً وهي تقوم بحمل تلك المسئولية التاريخية وأدائها، وأيضا فإن ظروفاً هيأت المناخ المناسب لذلك العمل التعليمي وأزالت جل العقبات من طريقه، يأتي في مقدمتها المكانة التي تحتلها ثورة الفاتح في قلوب الأفارقة، الذين يرون فيها دعماً حقيقياً لإفريقيا ودفاعاً عن خصوصيتها الحضارية والثقافية. ويمكننا أن نقول وبكل موضوعية وتجرد بأنه لولا جهود ثورة الفاتح وقائدها لما كان للجمعية أو لغيرها أن تجد هذا المناخ المناسب، الذي مكنها من إنجاز أهدافها التعليمية في القارة الإفريقية. فرحلات الأخ القائد لإفريقيا، والصلوات الجامعة التي أم فيها ملايين المسلمين، ولقاءاته مع الأوساط الثقافية في القارة؛ كانت المحرك الذي يدفع باستمرار أبناء القارة إلى التشبث بخصوصيتهم الثقافية، ويحرضهم على رفض التبعية الثقافية، والاعتزاز بكل مكونات الشخصية الإفريقية، واعتبار اللغة العربية واحدة من تلك المكونات. ولعل تلك الخطوات المضيئة كانت المؤشر العملي الرئيسي الذي بدأت بعده الجمعية في تنفيذ برنامج طموح لتعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية

عرف باسم (برنامج ما بعد كانو) وهو البرنامج الذي لم يسبق له مثيل في برامج تعليم اللغة العربية لأبناء القارة.

هذه إيماءات رأينا أن نشير إليها قبل الدخول في صلب هذا التقرير الذي يتحدث عن جهود جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في مجال نشر اللغة العربية في القارة الإفريقية، وهو مجال واسع من حيث آلياته ووسائله ومتعدد من حيث مداخله وأقسامه، والجمعية في رسالتها الدعوية لم تكتف بآلية محددة في ذلك الميدان، ولم تدخله من بوابة واحدة، بل اعتمدت آليات متعددة، ودخلت إلى الميدان من أبواب شتى، تمثلت أساساً في العنصر البشري من أساتذة وموجهين ومشرفين تربويين، كما تمثلت في كتب منهجية ووسائل ايضاح ومبان تعليمية مختلفة الأحجام والأهداف، فضلاً عن مكملات أخرى لا غنى للعملية التعليمية عنها.

وإذا نظرنا إلى البوابات التي ولجت منها الجمعية إلى ميدان تعليم العربية في إفريقيا وجدنا أنها كانت متعددة ومتنوعة، فالمنظمات الدولية والإقليمية والتجمعات الشبابية والنسوية والملتقيات الدعوية والإذاعات المسموعة والمرئية والجامعات ومؤسسات البحث العلمي؛ كلها استخدمت من الجمعية كأدوات في برنامج طموح لنشر اللغة العربية والتعريف بعلومها.

وحيث إن العنصر البشري هو الأساس الذي تقوم عليه أية عملية تربوية، فقد عملت الجمعية على مضاعفة الاهتمام بذلك العنصر وإعداده إعداداً جيداً للاضطلاع بمسئولية نشر اللغة العربية وتعليمها، ولعل كلية الدعوة الإسلامية التي تأسست عام 1974 كانت أول مؤسسة تنشئها الجمعية لتحقيق تلك الغاية، حيث تخرج فيها ـ منذ تأسيسها وحتى اليوم ـ (3983)



صورة خاصة

فتاة إفريقية تقتحم عالم الحاسوب

طالباً منهم (933) طالباً إفريقيا، يتوزعون على (34) جنسية ، وهؤلاء جميعهم مؤهلون لتعليم العربية والثقافة الإسلامية، ويمارس (75 ٪) منهم مهنة تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية في مراحل مختلفة وبطرق عديدة. ويتنامى التوجه نحو إفريقيا الذي قادته ونجحت فيه ثورة الفاتح، وتزايد الإقبال على تعلم العربية؛ فقد تم افتتاح فروع للكلية في كل من : تشاد، السنغال، بنين، وتمثل نسبة الخريجين الأفارقة في الكلية الأم (67٪) من عدد الخريجين، جلهم يمارسون مهمة تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية تحت مظلات مختلفة، منها مظلة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي تشرف مباشرة على (2381) مدرساً وداعية، يتوزعون على (34) بلداً إفريقيا،



صورة خاصة

من المدارس التي بنتها الجمعية في إفريقيا

ويقومون بأعباء دعوية يمثل تعليم اللغة العربية جزءاً أساسياً فيها.

غير أن تنامي الرغبة في تعلم العربية لدى الأفارقة، ووجود العناصر المحلية ذات الكفاءة المناسبة للقيام بالمهام والمسئوليات التعليمية؛ جعل الجمعية تتعاقد مع (2030) مدرساً محلياً في عدد من الدول الإفريقية، يتوزعون على (1141) مؤسسة تعليمية، ويستفيد من خدماتهم أكثر من (316164 دارساً).

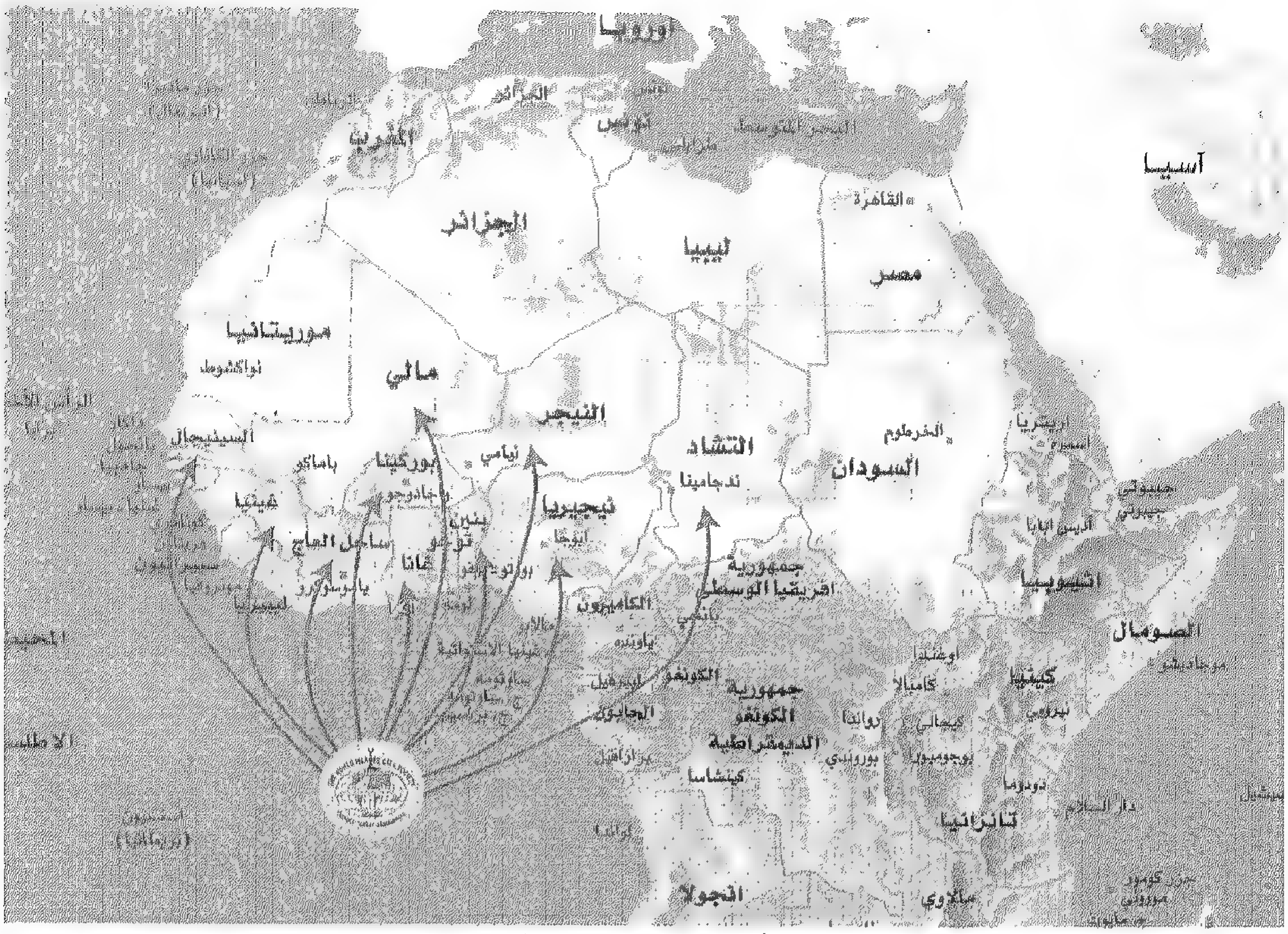
كما تم اختيار (200) مائتي مدرس ليبي من المؤهلين تربوياً لتدريس اللغة العربية والإشراف على برامجها في دول الساحل الإفريقي، هذا إضافة إلى الاستعانة ببعض العناصر المؤهلة تأهيلاً عالياً في بعض الدول الشقيقة في إطار اتفاقيات تعاون أبرمت بين الجمعية وكل من الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف المغربية، حيث استعانت الجمعية بـ (40) أستاذاً يعملون تحت إشرافها في معاهد وجامعات إفريقية لتعليم اللغة العربية وعلومها.

ولعله من المناسب أن نشير ـ ونحن بصدد الحديث عن العنصر البشري الذي يعتبر الأساس كما أشرنا في أي عملية تعليمية ـ إلى الدورات التدريبية والتأهيلية لمدرسي اللغة العربية، التي تهدف إلى رفع كفاءة أولئك المدرسين وإطلاعهم على أحدث النظريات التربوية، وهي دورات بلغت في مجموعها (380) دورة، نفّذ بعضها بالتعاون مع منظمات دولية متخصصة في إطار اتفاقيات لها مع الجمعية مثل المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إسيسكو) والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (إليكسو) ورابطة الجامعات الإسلامية... واستفاد من تلك الدورات أكثر من (20386) مدرساً... موزعين على جل الدول الإفريقية.

المدرسون والموجهون والمشرفون التربويون:

1 ـ تم تعيين (2078) مدرساً محلياً في عدد من الدول الإفريقية، وقد انتقي هذا العدد بعد دورات تدريبية اختبارية شارك فيها الآلاف، وقد باشر هؤلاء المدرسون أعمالهم في مئات المدارس والمعاهد والمؤسسات التربوية في كل من: النيجر، نيجيريا، بوركينا فاسو، التوجو، غامبيا، مالي، بنين، غانا، تشاد، السنغال، وساحل العاج.

2 ـ تمّ التعاقد مع أحد عشر مدرساً لتدريس اللغة



دول استفادت من دورات تدريبية للمعلمين

العربية في دول الساحل انتدبوا من الأزهر الشريف ونظمت لهم دورة توجيهية بالجماهيرية العظمى لتعريفهم بالمهام الموكلة إليهم في إطار البرنامج الذى تضطلع به الجمعية لتعليم اللغة العربية ونشر الثقافة الإسلامية في إفريقيا.

3 ـ تمّ التعاقد مع عشرين أستاذاً من المغرب الشقيق بترشيح من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لتدريس اللغة العربية في الثانويات بمالى والنيجر وتشاد وبوركينا فاسو وبنين والتوجو.

4 ـ تمّ ايفاد (116) مائة وستة عشر مدرساً وموجهاً ليبياً متخصصاً في تدريس اللغة العربية والثقافة الإسلامية إلى كل من : تشاد، النيجر، مالي بوركينا فاسو، نيجيريا وبنين، وقد تم اختيار هؤلاء المدرسين والموجهين بعد انتظامهم في دورات مركزة تناولت جوانب أكاديمية وثقافية عامة وتلقيهم محاضرات فنية متخصصة، أخضعوا بعدها لامتحانات تحريرية وشفوية للتأكد من كفاءتهم العلمية والثقافية للاضطلاع بالمهام الموكلة إليهم، ويمارس هؤلاء الأساتذة مهمة التدريس والتوجيه والاشراف التربوي في عشرات المدارس والمعاهد في الدول المعنية.

5 ـ كما يقوم أربعة وستون من خريجي كلية الدعوة الإسلامية بتدريس اللغة العربية في الدول الإفريقية التالية : مالي، النيجر، تشاد، ساحل العاج بنين، رواندا، غانا والتوجو.

6 ـ بالتعاون مع المجلس الإسلامي الأعلى في أوغندا، تعاقدت الجمعية مع (56) مدرساً عهد إليهم تدريس اللغة العربية والثقافة الإسلامية في المدارس الحكومية في جميع محافظات أوغندا.

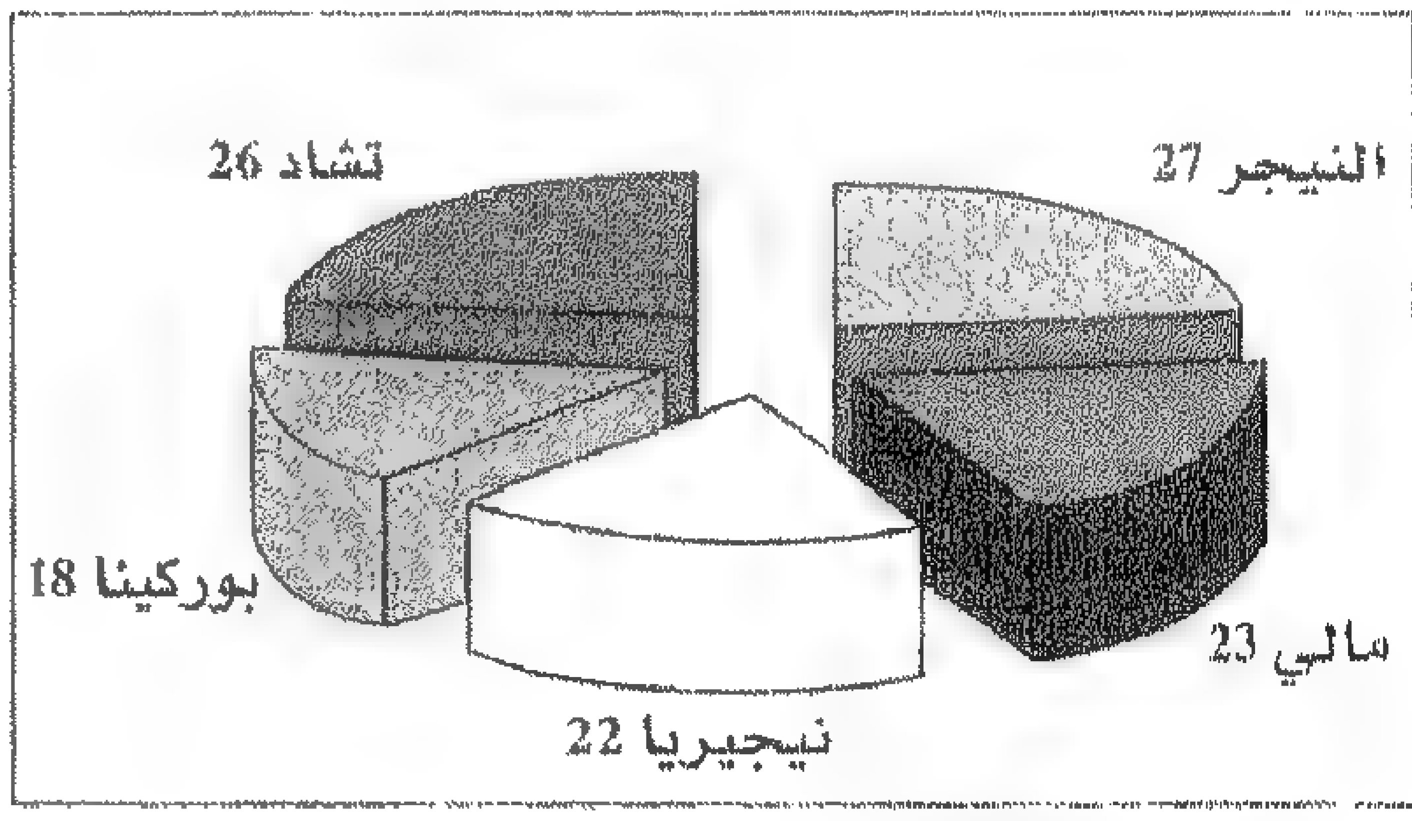
7 ـ كان ناتج العملية التعليمية الكبيرة التي قدّمها برنامج ما بعد كانو انتظام (187941) طالباً



صورة خاصة

إفريقيات من احدى الدورات التعليمية التي تقيمها الجمعية

وطالبة في تعلم اللغة العربية، جهزت لهم كافة المتطلبات الدراسية ويتوزعون على خمسة أقطار إفريقية.



دعم الجامعات

وحيث إن الجامعة هي المؤسسة الأهم في إعداد كوادر التعليم العربي، فقد تمّ دعم بعض الجامعات بأساتذة يحملون مؤهلات التخصص الدقيق (الدكتوراه) للتدريس في أقسام اللغة العربية وعلومها، حيث أوفد سبعة أساتذة إلى جامعة ساي الإسلامية بالنيجر، وأربعة إلى جامعة عبد الله بايير وبنيجيريا، وأستاذان إلى جامعة باماكو بمالي، هذا إضافة إلى إنشاء كرسي للغة العربية وآدابها بجامعة باماكو في إطار برنامج التعاون مع منظمة «اليونيسكو» وآخر بجامعة ساي بالتعاون مع منظمة «الاسيسكو»، وتم مؤخراً افتتاح قسم للغة العربية بكلية اللغات بجامعة مكريري بأوغندا، وقدمت الجمعية دعماً للقسم تمثل في مجموعة من الوسائل التعليمية وأجهزة حاسوب وأجهزة عرض مرئي وأجهزة تصوير ونسخ، إلى جانب كمية من الكتب المنهجية المعدة من قبل الجمعية، وسلسلة تعليم العربية للناطقين بغيرها، كما أن المفاوضات جارية مع جامعة واغادوغو لإنشاء قسم للغة العربية فيها.

وبالتعاون مع الحكومة الأوغندية أبرمت الجمعية والمجلس الإسلامي الأوغندي الأعلى اتفاقاً تقوم الجمعية بموجبه بالتأهيل العلمي والتربوي في كليتي

كيبولي وكابوكونغى لـ 560 مدرساً اختيروا بواقع عشرة من كل محافظة ليتم تعيينهم بعد ذلك من قبل الحكومة الأوغندية مدرسين للغة العربية والثقافة الإسلامية.

التعاون مع المنظمات الدولية المتخصصة:

في إطار الاتفاقيات المبرمة مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونيسكو) تمّ إنجاز ما يلي:

أ - إنشاء كرسي للغة العربية في جامعة باماكو بمالي في إطار برامج التعاون بين الجمعية ومنظمة اليونيسكو، وتفعيلاً للاتفاقية التي أبرمت بين الجانبين في هذا الخصوص.

ب - أبرمت اتفاقية بين الجمعية والبنك الإسلامي للتنمية واليونيسكو لتنفيذ المرحلة الثانية من مشروع «محو الأمية في افريقيا» وهو المشروع الذي يهدف إلى إعادة كتابة اللغات الإفريقية بالحرف العربي.

كما أبرمت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية اتفاقية مع منظمة الإسيسكو باعتبارها الذراع الثقافي لمنظمة المؤتمر الإسلامي لتنفيذ عدد من المشروعات التعليمية.

غير أن العنصر البشري رغم أهميته في العملية التعليمية، إلا أنه ليس كل شيء فيها، فالكتاب والمبنى المدرسي والوسيلة التعليمية أمور أساسية فيها أيضاً، وهو ما حدا بالجمعية إلى الاهتمام بها فواصلت دعم وبناء المؤسسات التعليمية، حيث أسهمت كلياً أو جزئياً في إنشاء أكثر من (65) مؤسسة تعليمية في ثلاثين بلداً إفريقيا، مكنت مئات الآلاف من الدارسين من أن يتلقوا تعليمهم في ظروف أحسن، وزودت تلك المؤسسات بالوسائل التعليمية والكتب المنهجية، حيث أعدت الجمعية مناهج لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، تمّ طباعة (4,744,000) نسخة منها وتوزيعها على عدد من المؤسسات التربوية في (25) دولة إفريقية، كما نظمت بالتعاون مع منظمة (الإسيسكو) ثمان اجتماعات لخبراء تربويين في دول الساحل الإفريقي، لوضع تعديلات على بعض مناهج المدارس الأهلية في مادتي اللغة العربية والدراسات الإسلامية، ودعمت عشرات المؤسسات التربوية ببعض الوسائل التعليمية المعينة في شكل ملصقات ورسومات وصور، بلغت في مجملها عشرة آلاف نسخة. كما تمّ إنجاز ثلاثة آلاف حقيبة من الحقائب التعليمية المعنونة بـ (أتعلم العربية)، وذلك في إطار اتفاق بين الجمعية ومؤسسة (همزة وصل) المغربية المتخصصة في إنتاج الوسائل التعليمية الخاصة بتعلم العربية للناطقين بغيرها.

مراكز القراءة

ولعل ما يجدر ذكره في هذا الإطار هو المشروع الكبير المعروف بمراكز القراءة الذي نفذته الجمعية بالتعاون مع الإسيسكو، وهو برنامج يهدف إلى إيصال المعرفة إلى المناطق والقرى النائية في دول الساحل، ويتكون كل مركز قراءة من مبنى من ثلاث إلى أربع غرف، تحتوي على مكتبة ملحق بها صالة قراءة وفصلين دراسيين وغرفة مزودة بجهاز تسجيل مرئي وجهاز إذاعة مرئية لعرض الأشرطة الوثائقية والتعليمية والتاريخية، ويعمل أستاذان في كل مركز من هذه المراكز التي تعتبر مراكز للتعليم المفتوح، حيث يقومان بإعطاء دورات في اللغة العربية والثقافة الإسلامية، فضلا عن تنظيم عروض مرئية من خلال الأشرطة التي زودت بها هذه المراكز، وقد تمّ إنشاء (70) مركزاً للقراءة في المناطق الريفية والنائية في كل من: (مالي، النيجر، بوركينا فاسو، غينيا، غامبيا،

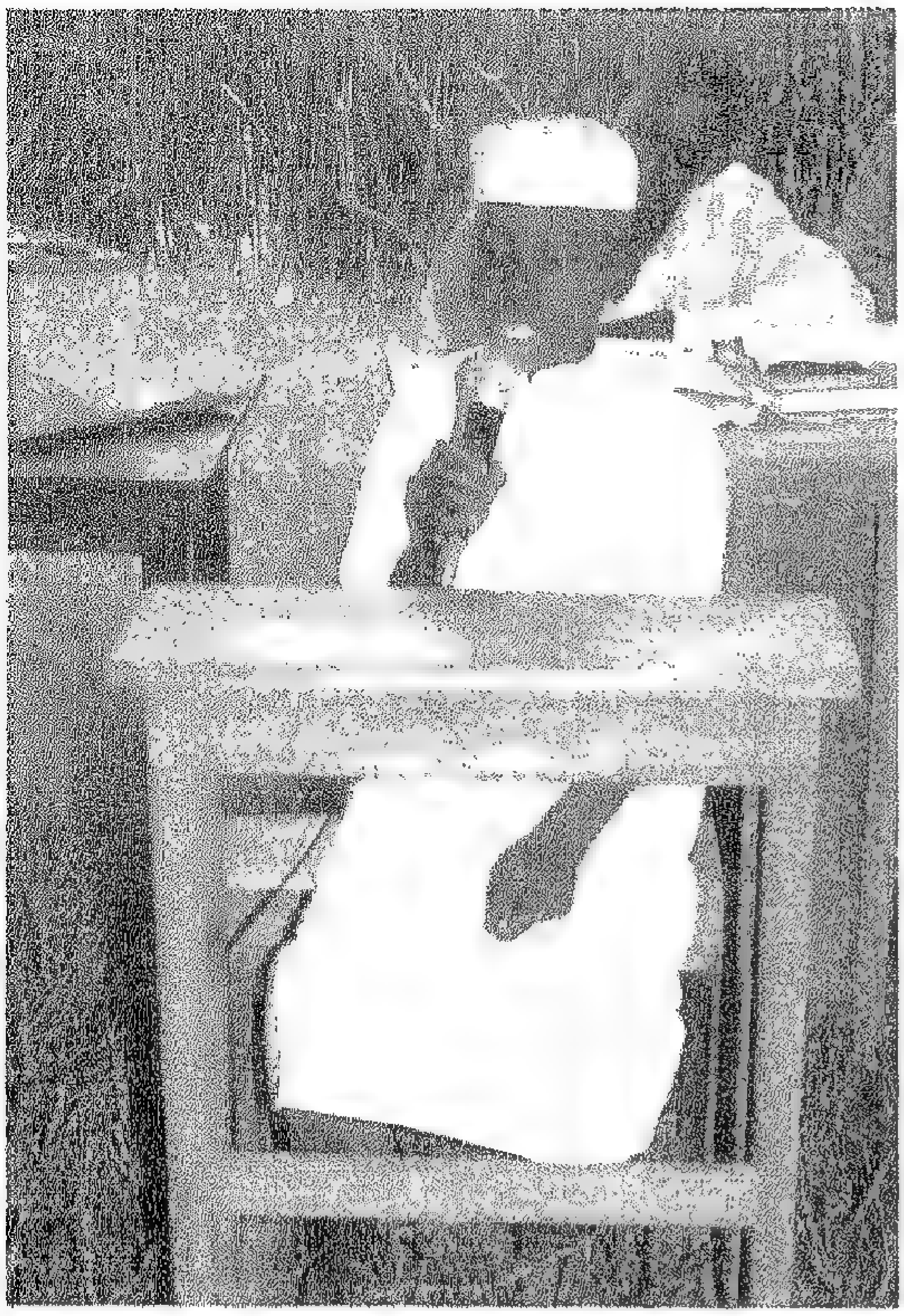
السنغال، نيجيريا)، ويحتوي كل مركز على فصل لتعليم العربية ومحو الأمية من خلال دورات تعليم اللغات الإفريقية بالحرف العربي للرجال والأطفال والنساء.

وما يمكن الإشارة إليه بإيجاز في هذا السياق ما يلي:

❖ تمّ تعيين خبير تربوى متخصص للعمل في مركز الهجرة بمدينة تمبكتو وهو المركز الذي يقوم على تأهيل المدرسين تربوياً ويقوم بوضع وتصحيح مناهج اللغة العربية والتربية الإسلامية، وقد أشرف هذا الخبير على عدد من الأنشطة التربوية في مقاطعات مالى الشمالية (قاو، تمبكتو كيدال) ويقوم إضافة لذلك بإلقاء محاضرات ثقافية في مركز أحمد بابا للمخطوطات في تمبكتو.

❖ تمّ تنظيم دورتين تدريبيتين للمدرسين والمخططين التربويين في مالي وسيراليون استفاد منها أربعون خبيراً تربويا، كما نظم في باماكو اجتماع تشاورى موسع لمشرفي التعليم العربي في دول الساحل تم فيه وضع أولويات كل دولة فيما يتعلق بمتطلبات تعليم اللغة العربية ونشر الثقافة الإسلامية.

❖ وفي إطار مشروع إعادة كتابة اللغات الإفريقية بالحرف العربي تمّ توزيع مائتى آلة كاتبة بعد أن قامت الجمعية بادخال تعديلات عليها تتناسب وطبيعة تلك الحروف، ووزعت تلك الآلات على وزارات التعليم في سبع دول إفريقية وأقيمت للمشرفين على استخدامها في الدول المعنية دورتان تدريبيتان احداهما في كانو والأخرى في الخرطوم استفاد منهما أربعون دارساً.



صورة خاصة

طفل إفريقي يقرأ القرآن

❖ تم تزويد كل من قسم المخطوطات بجامعة بايرو بكانو في نيجيريا ومركز أحمد بابا في تمبكتو بمالي بمنظومة كاملة لتصوير ومعالجة المخطوطات تمكيناً لهاتين المؤسستين من الحفاظ على الكنوز التراثية العربية فيهما.

❖ أقيمت دورات تدريبية نظمتها الجمعية بالتعاون مع منظمة الاسيسكو في مالي وتشاد استفاد منها (250) مدرساً من مدرسي اللغة العربية من مختلف محافظات الدولتين.

❖ تم إيفاد أستاذين للتدريس والإشراف على برامج اللغة العربية في جامعة ساي بالنيجر.

❖ نظمت دورة تدريبية لموجهي اللغة العربية في جيبوتي، شارك فيها عشرون موجهاً رشحوا من قبل وزارة التعليم الجيبوتية، تلقوا محاضرات في مجال عملهم من قبل أساتذة متخصصين، كما

عرضت بعض الأشرطة الوثائقية ونظمت حلقات نقاش حول موضوع الدورة وبرامجها.

❖ من أجل دعم برامج تعليم اللغة العربية والاهتمام بدورات التوعية والتقوية لمدرسي اللغة العربية التي تتولاها وزارة التعليم السنغالية، فقد أقيمت دورة لمعلمي اللغة العربية حضرها (80) مدرساً لمدة شهر وذلك في إطار التعاون الثقافي بين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومنظمة الإيسيسكو.

وفي إطار التعاون بين الجمعية والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، تم تنفيذ دورة تدريبية للموجهين التربويين عقدت في واجادوجو عاصمة بوركينا فاسو، حضرها (25) موجهاً تربوياً من دول الساحل الإفريقي كما نظمت في ذات الإطار دورة تدريبية محلية في النيجر حضرها (120) مدرساً من جميع المحافظات النيجرية تلقوا خلالها محاضرات عملية ونظرية هدفت إلى النهوض بكفاءاتهم العلمية والتربوية.

كما أقيمت حلقة دراسية حول اللغة العربية في النيجر، شارك فيها عدد من الأساتذة والمهتمين بالثقافة العربية الإسلامية من كل من جامعة ساي بالنيجر جامعة محمد الخامس بالمغرب وجامعتي الفاتح وخليج التحدي بالجماهيرية العظمى.

وقد أعطى التعاون مع هذه المنظمات الدولية للجمعية وعملها العلمي والثقافي القبول الدولي وأبرز حضارية رسالتها وتوجهها.

تأليف المناهج وطبعها وتوزيعها

قامت الجمعية بإعداد منهج لمادتي (اللغة العربية) و(الثقافة الإسلامية) يلبي حاجة المستويات المختلفة للطلاب في هاتين المادتين، حيث قسم المنهج إلى فرعين رئيسيين هما: اللغة العربية والثقافة الإسلامية، واشتمل كل فرع على ثلاث مراحل وتمّت تغطية كل مرحلة بما تحتاج إليه من المعلومات المهمة والضرورية في هاتين المادتين مع الأخذ في الاعتبار سهولة التناول وبساطة الأسلوب.

وقد تمّ تقويم المنهج متكاملاً من قبل لجنتين، إحداهما من الخبرات الليبية، والأخرى عربية، ضمتا عناصر ذات خبرة طويلة في إعداد المناهج، وقد زكت اللجنتان هذا المنهج وأوصتا بتوزيعه على مختلف الساحات الإسلامية، باعتباره يحقق متطلبات التدريس الحديثة كافة في هذا المجال، وبلغت الكمية المطبوعة منه (1,680,000) نسخة وزعت بكاملها على مئات المدارس الإفريقية التي اعتمدت هذه السلسلة منهجا أساسيا لمادتي اللغة العربية والثقافة الإسلامية.

وما يمكن الإشارة إليه في نقاط موجزة :

1 - تمّت طباعة (450,000) نسخة من كتاب تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بأجزائه الثلاثة، وتم توزيعها على عدد من المؤسسات التربوية والثقافية في دول الساحل الإفريقي.

2 - تمّ تقديم (1,350,000) نسخة من كتب منهج اللغة العربية والتربية الإسلامية المعتمد في الجماهيرية العظمى إلى جمهورية تشاد، حيث استفاد من تلك الكمية عدد من المدارس والمؤسسات الثقافية في مختلف المحافظات التشادية.

3 - تمّت طباعة ثمانية عناوين من الكتب الثقافية المؤكدة للإنتماء العربي الإفريقي، كما تم اقتناء ثمانية عشر عنواناً من إصدارات مركز الدراسات الإفريقية بمدينة سبها، وزعت على دول الساحل وبعض الدول الإفريقية الأخرى.

4 - تمّ دعم اتحاد المدارس العربية الأهلية بالنيجر

بكمية من كتب اللغة العربية والثقافة الإسلامية التي أعدتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

5 ـ عملت الجمعية من خلال علاقاتها بالمؤسسات الثقافية والجامعات والجمعيات الإسلامية والطرق الصوفية على تشجيع استعمال الحرف العربي في اللغات المحلية، حيث قامت بالآتي :

أ ـ تمّ بالتعاون مع مكتبة القادرية بكانو طباعة كتابين عن الطريقة القادرية.

ب ـ تمّت مراجعة عدد من ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغات المحلية تمهيداً لطباعتها بالحرف العربي بدل الحرف اللاتيني.

6 ـ ساهمت مطبوعات الجمعية باللغة العربية في مساعدة الأفارقة على تعلم اللغة العربية وعلى نشر الثقافة العربية والإسلامية في ربوع المؤسسات العلمية وفي الأوساط الثقافية المختلفة.

وفي إطار التنسيق مع عدد من الجامعات الإفريقية تمّ قبول عدد من الطلاب في أقسام اللغة العربية، بمنح من الجمعية، وذلك في الجامعات التالية :

الجامعة	عدد المنح
جامعة عبد الله بايرو بنيجيريا	(20) عشرون منحة
جامعة مايدوغري بنيجيريا	(10) عشر منح
الجامعة الإسلامية بالنيجير «جامعة ساي»	(20) عشرون منحة
جامعة نيامي بالنيجر	(10) عشر منح
جامعة مالي	(20) عشرون منحة
جامعة انجامينا بتشاد	(30) ثلاثون منحة
جامعة بوركينا	(20) عشرون منحة
جامعة السنغال	(47) سبع وأربعون منحة
جامعة راوندا	(8) ثمان منح
جامعة اوغندا	(6) ست منح
جامعة موسى بن بيك بالموزمبيق	(10) عشر منح
جامعة كيب تاون بجنوب إفريقيا	(1) منحة واحدة

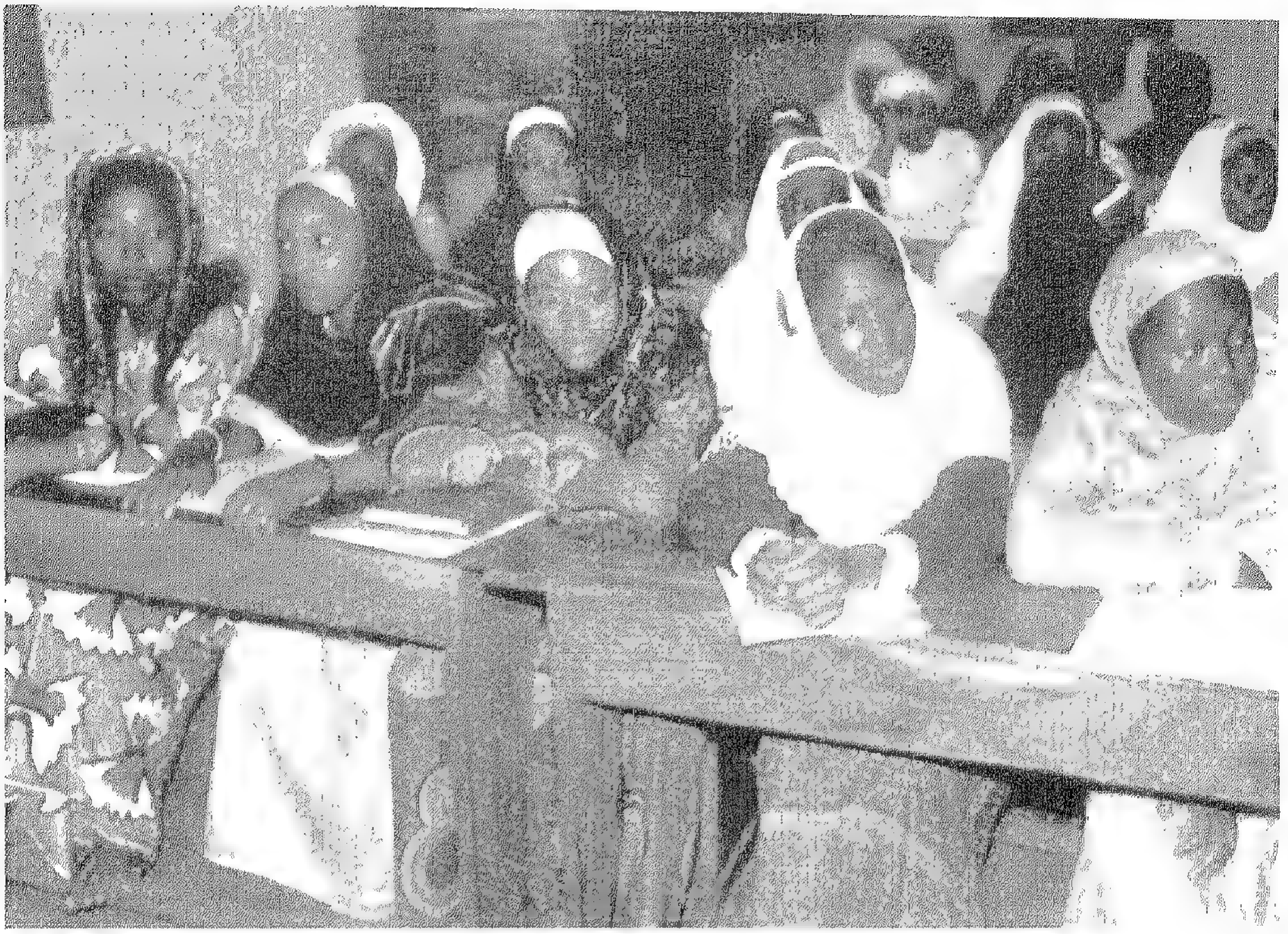
توظيف الوسائط الإعلامية

ونظراً لما تقوم به الإذاعات المسموعة في إفريقيا من دور تعليمي وتثقيفي، باعتبارها الأداة الإعلامية الأوسع انتشاراً في الأرياف والأدغال والقرى النائية؛ فقد دعمت الجمعية مادياً وببرامج تعليمية عدداً من تلك الإذاعات المسموعة في كل من (بنين التوغو، مالي، كينيا، أوغندا، جنوب إفريقيا) بما مكّنها من الاستمرار في إعداد وبث وتطوير برنامج تعليم اللغة العربية في هذه الإذاعات، ليحتل جزءاً أكبر من خارطة برنامجها العام، وهو الأمر الذي شجع مسئولي تلك الإذاعات على تطوير برنامجها التعليمي، وتوسيع دائرة المستفيدين منه، لتكون هذه الإذاعات ـ وما شابهها من الأجهزة الإعلامية ـ أداة من أدوات تعليم العربية، وخاصة بالنسبة للكثيرين الذين لم تتح لهم فرصة الالتحاق بالمدارس النظامية أو الأهلية.

الدعاة والأئمة والمرشدون الدينيون

إن مهمة الدعاة والأئمة والمرشدين الدينيين مهمة تعليمية بالدرجة الأولى من خلال المساجد والمراكز، ودور تحفيظ القرآن الكريم، ويحتل تأثيرهم الإجتماعي مرتبة مميزة في تعليم اللغة العربية، لذلك حرصت الجمعية على أهمية إعدادهم وتكوينهم وتنظيم دورات محلية وملتقيات إقليمية لهم ليضطلعوا بدورهم كاملاً. ويعمل عدد كبير من هؤلاء الدعاة مدرسين لتعليم اللغة العربية في المدارس المحلية، أو مدرسين في الدورات التي تقيمها مكاتب الجمعية في الخارج لتعليم اللغة العربية.

وبلغ عدد الدعاة الذين تمّ تعيينهم في إفريقيا (333) داعية، منهم (120) تخرجوا في كلية الدعوة الإسلامية وفروعها، موزعين على الدول الإفريقية التالية: غانا، جنوب افريقيا، التوجو، أوغندا، رواندا،



دورات تدريبية للمرأة الإفريقية

بوروندي، زائير كينيا، أثيوبيا، زمبابوي موزمبيق، بوتسوانا، تشاد، إفريقيا الوسطى، مدغشقر، موريشيوس، النيجر، بوركينا فاسو، مالي، غامبيا، تنزانيا، بنين، نيجيريا، الكاميرون، الكونغو، السنغال، موريتانيا، غينيا بيساو، سيراليون، ليبيريا، غينيا كوناكري، زامبيا، ملاوي، جيبوتي، السودان.

ونظمت لهؤلاء دورات وملتقيات للرفع من كفاءتهم العلمية، ودرس على أيديهم من خلال فصول دراسية ودورات تعليمية أكثر من (80,000) دارس.

ومن ناحية أخرى فقد قدّمت الجمعية مئات المنح الدراسية لمساعدة طالبي تعلم العربية وخاصة من الطبقة الفقيرة، حيث تمّ تقديم (262) منحة دراسية للتعليم المتوسط والجامعي منها (100) منحة لطلبة أفارقة في جامعة ساي بالنيجر و(28) منحة للدراسات العليا في جامعات إفريقية أخرى، كما توزعت باقي المنح على مؤسسات تعليمية متوسطة هذا عدا الدارسين بكلية الدعوة وفروعها والذين يحظون بتوفير كل المستلزمات الدراسية وبالعناية الصحية وكامل الخدمات الاجتماعية الأخرى.

وقد قامت الجمعية بجهود كبيرة من أجل أن يحظى المتخصصون في العربية وعلومها وآدابها بالمكانة التي تليق بهم بعد أن شعروا في فترات سابقة بالتهميش، نظراً لاستحواذ الثقافة الفرانكفونية والإنجلوسكسونية على مناحي الحياة الثقافية في عدد من الدول الإفريقية فكرمت الرعيل الأول منهم وشجعت المبدعين ومنحت جوائز للمتفوقين في المدارس والجامعات ومكنت الذين تركوا آثاراً ثقافية متميزة في بلدانهم من أداء فريضة الحج وعينت

الآلاف من الدعاة والمدرسين والموجهين التربويين ومسئولي أقسام اللغة العربية ومستشاري تدريسها في الوزارات الإفريقية المتخصصة، بعد أن كانت جل تلك الوظائف حكراً على المثقفين فرنسياً أو إنجليزيا... وقد ساهم كل ذلك بالاعتزاز بالعربية كجزء من الهوية الإفريقية من ناحية ومن ناحية أخرى ضاعف أعداد المقبلين على تعلمها وشجع آخرين على التخصص في علومها..

وحيث إن ملتقيات الدعاة والمخيمات الشبابية والملتقيات النسوية تعتبر من الأنشطة الثابتة التي تعقدها الجمعية سنوياً في مناطق مختلفة من القارة الإفريقية، فقد كانت مدخلاً لتعليم العربية فغالباً ما تحتوي برامجها على محاضرات حول اللغة العربية ودورها في بناء الشخصية الثقافية للأفارقة وخاصة المسلمين منهم، كما كانت تلك الملتقيات فرصة للتعرف على الكفاءات المناسبة للاستفادة منها في هذا البرنامج.

الدورات التعليمية والتدريبية

1 ـ دورات تعليمية مستمرة

تنظم الجمعية بصورة مستمرة دورات لتعليم اللغة العربية في مكاتبها بإفريقيا وبالتعاون مع المنظمات والهيئات الإسلامية، بلغ عدد الذين استفادوا منها (15000) دارساً ودارسة، انتظموا في هذه الدورات لفترات مختلفة تتفاوت بين بضعة أشهر وسنة دراسية كاملة ويشمل هذا العدد دارسين من كل من : غانا، بوروندي، ساحل العاج تنزانيا مدغشقر، أوغندا رواندا، بنين، مالي، جنوب إفريقيا، النيجر، موزمبيق، أثيوبيا، الصومال، جيبوتي، بوركينا فاسو، التوجو، زمبابوي.

2 ـ دورات تأهيل المدرسين والموجهين

- عملاً على تأهيل المدرسين تربوياً ورفع كفاءتهم العلمية في مجالات علوم التربية وطرق التدريس وكيفية استخدام الوسائل التعليمية المعينة في تدريس اللغة العربية، أقيمت دورتان في غانا إحداهما بالعاصمة أكرا والثانية بمدينة تاكوارادي، بالتعاون مع اتحاد مدرسي اللغة العربية والمؤتمر الشعبي الإسلامي، وقد اشتملت الدورتان على محاضرات في طرق التدريس وعلم النفس التربوي وقواعد استخدام الوسائل التعليمية في مجال تعليم اللغة العربية.
- وفي الإطار ذاته أقيمت ثلاث دورات أخرى في كل من تمبكتو بمالي ومنطقة توغان ببوركينا فاسو، ومدينة داكار بالسنغال، وقد تركزت جميعها على تثقيف المدرسين وإطلاعهم على آخر المستجدات في مجال تعليم اللغة العربية وكيفية تطوير أساليب تعلمها لترقى إلى المستوى الذي عليه تدريس المواد الأخرى.
- في كلية الدعوة الإسلامية أقيمت دورتان دراسيتان لمدة سنة كاملة لمن تحصلوا على درجة ممتاز من مدرسي اللغة العربية في الدورات التي أقيمت لهم ضمن برنامج ما بعد كانو وعدد هؤلاء (82) مدرساً متميزاً، وقد تحصل الناجحون فيهما على دبلوم الدراسات العليا وعهد إليهم الإشراف على تدريس اللغة العربية في دولهم وتنشيط برامجها، وتعتبر هاتان الدورتان المتقدمتان نواة لدورات أخرى متنوعة تقام في كثير من دول القارة تعتمد اختيار المتميزين في تدريس اللغة العربية وتأهيلهم.

وبالإضافة إلى هاتين الدورتين تم بكلية الدعوة الإسلامية إقامة عدد من الدورات للرفع من مستوى

القائمين على تدريس اللغة العربية في عدد من الجامعات والمؤسسات العلمية، أشرف عليها متخصصون ذوو مؤهلات عالية وقد استفاد منها (400) دارس.

3. دورات ما بعد كانو :

وهي دورات استهدفت اختيار المدرسين المحليين في دول الساحل والصحراء وفق ما أشير إليه سابقاً، حيث نظمت لهم احدى عشرة دورة تدريبية اختبارية استفاد منها (6000) ستة آلاف دارس.

دعم المؤسسات التعليمية والثقافية

❖ ولمّا كانت الجهود المباشرة لتعليم اللغة العربية لا تفى بالغرض المطلوب وتحتاج إلى استثمارات كثيرة، فإن الجمعية اتبعت أسلوب دعم الجهود الأهلية والصوفية وأحياناً الرسمية في مجال تعليم اللغة العربية بتشجيع القائمين عليها ودعم مدرسيها والرفع من مستواهم والقيام بصيانة المدارس وتوفير مستلزمات العملية التعليمية للغة العربية والدعاية لها، فقد حظيت عشرات الجمعيات والمؤسسات الإسلامية بدعم مرافقها التعليمية والثقافية والاجتماعية، وقد تفاوت ذلك الدعم حجماً ونوعاً واستفاد منه أكثر من مائتي مؤسسة تعليمية تنتشر في البلدان الإفريقية التالية: مورشيوس، أوغندا غامبيا، أثيوبيا، نيجيريا، مالى، تشاد، غينيا كوناكري، سيراليون، السنغال، تنزانيا، بوركينا فاسو بتسوانا، بنين، مدغشقر، غانا، زمبابوي، ساحل العاج، كينيا، موريتانيا، جزر القمر، بوروندى، ارتيريا، السودان، ليبيريا، غينيا بيساو، إفريقيا الوسطى، الجابون، جيبوتي، رواندا، الصومال، الموزمبيق، النيجر وجنوب إفريقيا.

وإذا كان الدعم الذي أشرنا إليه سابقاً جزئياً أو مرحلياً كما هو الحال في أغلب تلك المؤسسات، فإن الدعم قد يكون كاملاً ومستمراً في مؤسسات أنشأتها الجمعية وتولت الإشراف عليها، كما هو الحال في المؤسسات التالية :

اسم الجهة	البلد
مدرسة المركز الإسلامي كوتونو	بنين
مدارس أبادر	أثيوبيا
مدرسة عمر المختار	مدغشقر
المدرسة العربية للحضارة الإسلامية	غامبيا
المعهد الإسلامي بريكاما	غامبيا
اتحاد المدارس الإسلامية	مالي
معهد الفاتح الإسلامي	أوغندا
عنابر عمر المختار	تشاد

بناء المدارس والفصول الدراسية

❖ في دول المسار : بنين،، التوجو، غانا ، بوركينا فاسو النيجر وجنوب تشاد، تمّ بناء مائة وواحد وسبعين فصلاً دراسياً وتأثيثها وتزويدها بالمستلزمات المدرسية وتوفير المدرسين المؤهلين وتهيئة الظروف المناسبة لتعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وقد تمّ بناء هذه الفصول في المناطق التالية : 55 فصلاً في بنين و30 فصلاً في التوجو و25 فصلاً في غانا و21 فصلاً في بوركينا و9 فصول في النيجر و31 فصلاً في تشاد.

المؤتمرات والندوات :

❖ من أجل الاهتمام بتعليم اللغة العربية والتعبئة لتفعيل برامجها وتسهيل وسائل تعلمها شاركت الجمعية في المؤتمر السنوي لقدماء جمعية الطلبة

المسلمين في حي أبو بوغار بساحل العاج والذى حضره (450) مشاركاً من مختلف مناطق ساحل العاج وصدرت عنه توصيات من أهمها مطالبة المؤتمر الحكومة باعتبار اللغة العربية إحدى اللغات المقررة بمناهج التعليم نظراً لأن (65 ٪) من السكان مسلمون.

- ❖ نظمت بالعاصمة السنغالية داكار ندوة حول اللغة العربية في غرب إفريقيا شارك فيها عدد من موجهي ومدرسي اللغة العربية بالمدارس الحكومية السنغالية والمدارس العربية الإسلامية الحرة وأساتذة الجامعات ورؤساء الجمعيات الإسلامية وعدد من الباحثين والمهتمين باللغة العربية في كل من السنغال وغامبيا وغينيا بيساو وغينيا كوناكري وموريتانيا ومالي، وقدمت في هذه الندوة بحوث تناولت بالدراسة والتحليل تاريخ دخول اللغة العربية إلى دول غرب إفريقيا وتطور تعلمها ودور الزوايا الصوفية والجمعيات الإسلامية وما قدمته في هذا المجال، كما نظم بداكار بالتعاون مع المركز الإقليمي للتعليم الفني ملتقى أساتذة ومعلمي اللغة العربية الذي أقيم تحت عنوان «نحو منهجية أفضل لتعليم اللغة العربية».
- ❖ وفي جمهورية تشاد أقيمت ندوة بعنوان «اللغة العربية في تشاد الماضي والمستقبل» وأكدت الندوة على أهمية تعليم اللغة العربية وضرورة توحيد مناهج تعلمها وأوصت بأن يتم الاهتمام بتعليم اللغة العربية ونشرها مساعدة لجمهورية تشاد لتكون العربية اللغة الثانية فيها كما نصّ دستورها على ذلك، ولدعم هذا التوجه وتثبيت العربية في الوعي الثقافي الإفريقي فقد نفذت الجمعية مشروعاً متكاملاً في انجامينا عاصمة تشاد تمّ فيه تعريب أسماء الشوارع والطرقات وقد لقي هذا العمل ارتياحاً شعبياً كبيراً.

هذه الجهود المباشرة وغير المباشرة، سواء منها الذي ينتظم في السياق العام لنشاط الجمعية منذ تأسيسها، أو ذلك الذي يكون جزءاً ملحوظاً من البرامج الرائدة في تعليم اللغة العربية، مثل برنامج ما بعد كانو، وبرنامج دول المسار رحلة القائد إلى القمة الافريقية في لومي، أو مسار القائد إلى جنوب تشاد، كان لها دورها في إقحام مئات الآلاف من الأفارقة في برامج تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية، بطريقة أو أخرى، وفتحت أمامهم فرصة تعلم اللغة العربية وتعليمها، وأحياناً استعمالها في الحياة الثقافية والحياة العامة؛ ساعد على ذلك جهود العلماء وأهل التصوف ووسائل الإعلام الإذاعية والصحف الإسلامية المحلية. وتبقى دائماً هناك فرصة أكبر لتوسيع مساحة هذا الجهد وتفعيله، ويقتضي ذلك استثمارات أكبر بإمكانها عند توفرها أن تحدث نقلة نوعية في هذا الإطار، كتلك التي أحدثها برنامج ما بعد كانو.

هذه خطوط عريضة عن أنشطة الجمعية فيما يتعلق بتعليم اللغة العربية وعلومها في القارة الإفريقية ـ عرضناها بإيجاز يوضح أهم مسارات ذلك العمل الكبير الذي يتنامى يوماً بعد يوم بتنامي دور ثورة الفاتح في القارة السمراء، كما أوضحنا أهم المداخل التي تمّ الاستفادة منها في تعليمها، غير أننا ندرك أن الميدان ما زال في حاجة إلى جهود وإمكانيات أكبر لتحقيق الغايات المرجوة التي ندعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا في أن نستمر في السير نحوها.

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية
والمنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم (اليونيسكو)

تعاون من أجل إفريقيا

الاجتماع الثالث للجنة الشراكة من أجل التنمية في إفريقيا (نيباد) نموذجاً

إعداد: علي محمد الويفاتي*

تشهد العلاقات بين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم التابعة للأمم المتحدة «اليونيسكو» نمواً مضطرداً يدل على الثقة المتبادلة وإدراك الطرفين أهمية تطوير العلاقات والتعاون في مجال تخصصهما الثقافي والإنساني بشكل عام.

ولا شك أن الخبرة الكبيرة التي اكتسبتها الجمعية من خلال تعاملها مع الشأن الإفريقي، خاصة في مجال الإغاثة والعمل التعليمي والدعوي، جعلتها مصدراً مهماً لكل المؤسسات الدولية والأهلية تستعين بها عند وضع برامج ثقافية وتعليمية تنفذ في إفريقيا.

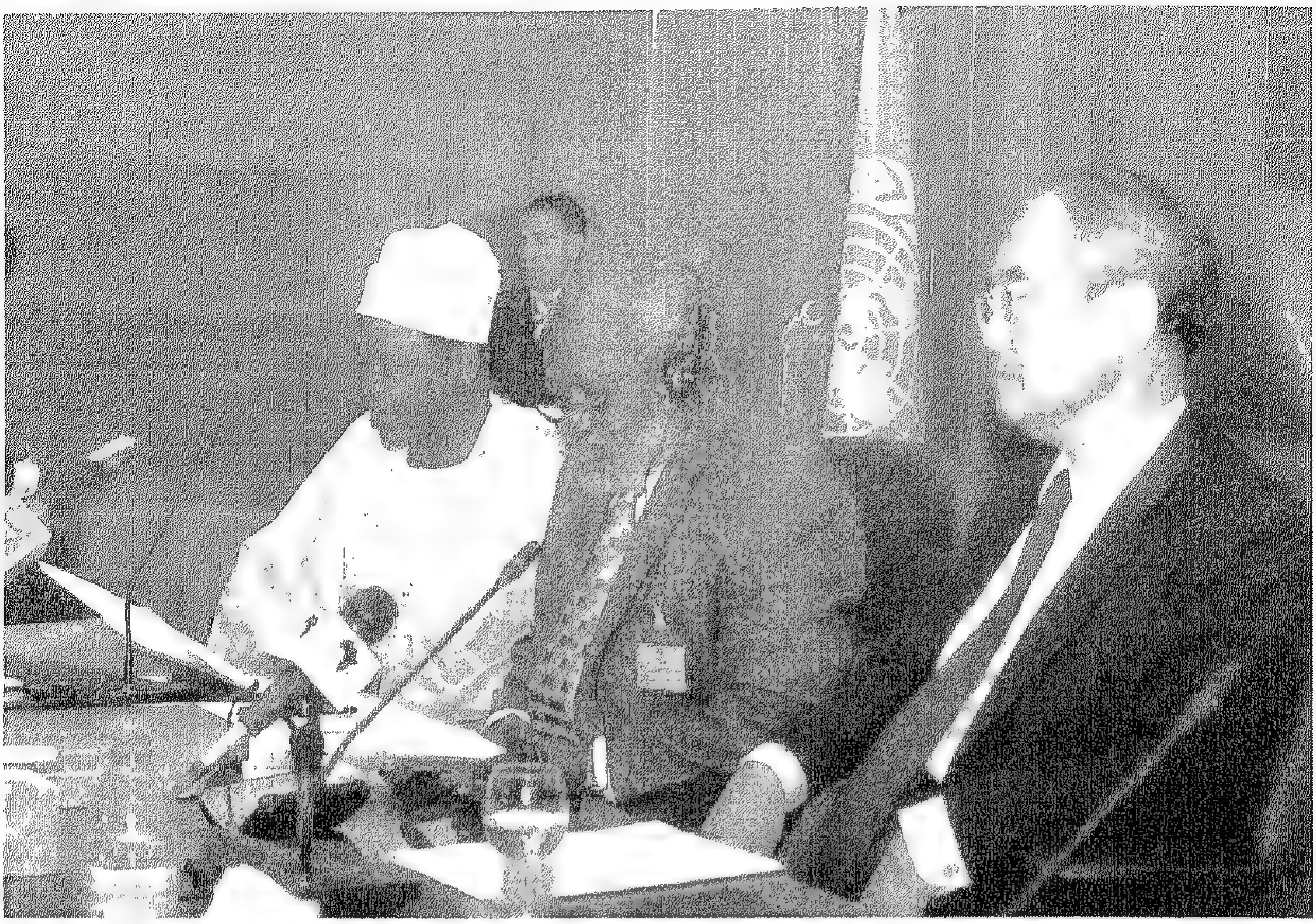
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية تركز في البرامج التي تضطلع بها في إفريقيا على العمل الإنساني بمختلف جوانبه، خاصة في مجالات التعليم والتدريب والاهتمام بالمرأة، بالإضافة إلى العمل الإغاثي.

ومن هذه الخاصية التي تنفرد بها الجمعية برزت استعانة اليونيسكو بها لتنظيم واستضافة الاجتماع الثالث للجنة الشراكة من أجل التنمية في إفريقيا (نيباد) خلال يومي السابع والثامن من شهر الماء 1373 من وفاة الرسول ﷺ مايو 2005 مسيحي بمقر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرابلس / ليبيا.

واللجنة التي استضافت الجمعية اجتماعها الثالث لها علاقة مباشرة باليونسكو، فمهمتها تقديم المشورة والإقتراحات الخاصة بمشروعات التنمية البشرية والاقتصادية في إفريقيا، وهو الأمر الذي يجعل من الخبرات التي اكتسبتها الجمعية طوال عملها في إفريقيا مفيدة لهذه اللجنة التي ستجد إجابات عديدة ومناسبة للمسائل المطروحة أمامها.

حضر الجلسة الافتتاحية بالإضافة إلى الأخ أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، السيد كواتشيرو ماتسورا، مدير عام المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم التابعة للأمم المتحدة اليونيسكو والسيد بمبولا اوجونكيلو أمين عام تجمع دول الساحل والصحراء

* كاتب وصحفي / ليبيا



صورة خاصة

من اليمين السادة: كواتشيرو ماتسورا، بمبولا اوجونكيلو رئيس لجنة النيباد، ميشيل اوموليا

(س.ص) ورئيس لجنة «النيباد»، والسيد ويلفرد ايمفولا رئيس المجموعة الإفريقية بمنظمة التربية والثقافة والعلوم بالأمم المتحدة والسيد ميشيل اوموليو رئيس المؤتمر العام لمنظمة التربية والثقافة والعلوم، وأمينا اللجنتين الشعبيتين العامتين للثقافة والتعليم العالي بالجماهيرية، ومدير المعهد الإفريقي للبحث التطبيقي والإنماء الاجتماعي.

كما حضر جلسة الافتتاح عدد من الخبراء والمختصين بمنظمة اليونيسكو وقسم إفريقيا بالمنظمة وعدد من رؤساء البعثات السياسية المعتمدين لدى الجماهيرية العظمى.

من أجل رسم الأولويات التنموية

ومن خلال كلمة الأخ أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في جلسة الافتتاح ندرك فلسفة هذه الاستضافة عندما قال : إننا نلتقي اليوم لنتبادل الخبرة مع أهل العلم والرأي من خلال المنظمات الدولية من أجل أن نرسم أولويات التنمية في إفريقيا في مجالات العلوم والثقافة، خاصة وأن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لها تاريخ طويل في التعاون مع منظمة اليونيسكو من خلال اتفاقيات الشراكة لأنها تحمل رسالة سامية تعمل من أجل تحقيق أهدافها.

الجمعية شريك مهم لليونيسكو

وقد سار السيد كواتشيرو ماتسورا المدير العام لليونسكو في كلمته على نفس المنوال عندما أعرب عن تقديره للدور الذي تضطلع به الجمعية، مشيرا بالخصوص إلى مسيرة التعاون بين الجمعية واليونيسكو، موضحاً أن الجمعية تعتبر من الشركاء المهمين للمنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم

التابعة للأمم المتحدة، في العديد من الأنشطة والبرامج الثقافية والعلمية والتنمية البشرية، ولا سيما الاهتمام بالثقافة الإسلامية.

ودعا ماتسورا في كلمته إلى ضرورة الاستفادة من كل المؤتمرات والاجتماعات التي تكرس لدعم القارة الإفريقية من أجل دعم مسيرة التنمية فيها وتحقيق الرخاء والتقدم لشعوبها ووضع الخطط اللازمة التي تحدد الأولويات والاحتياجات التي تجعل القارة الإفريقية مواكبة لحركة التطور في العالم وان يكون ذلك من خلال التعاون المستمر مع كافة مؤسسات وهياكل الاتحاد الإفريقي.

وأشاد كواتشيروماتسورا المدير العام للمنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم التابعة للأمم المتحدة (اليونيسكو) بالجهود التي بذلها القائد معمر القذافي، من أجل توحيد القارة الإفريقية، والتي توجت بإعلان وتأسيس الاتحاد الإفريقي العظيم الذي انطلق من مدينة سرت في 9-9-99.

إعلان سرت
مشروع بالغ الأهمية لمستقبل الأفارقة

وقال: انتهز هذه الفرصة لأعرب للقائد معمر القذافي عن خالص الشكر والامتنان لما حققه للأفارقة.. مضيفاً أن إعلان سرت ليس حلماً، بل مشروع بالغ الأهمية أثبت الأفارقة من خلاله وجود قارتهم في العالم.

وأكد ماتسورا في كلمته أنه لا يمكن تحقيق تنمية مستدامة في إفريقيا بدون الأفارقة أنفسهم، موضحا أن خير دليل على ذلك هو انعقاد هذا الاجتماع على أرض ليبيا التي لها اهتمامات خاصة بالقارة الإفريقية التي أصبحت تحظى باحترام دول العالم وتتحدث معها بلغة واحدة.

الإتحاد الإفريقي
تجسيد لتصميم الأفارقة

وألقى ميشيل اومولبوا، رئيس المؤتمر العام لليونيسكو، كلمة أعرب فيها عن سروره للمشاركة في هذا الاجتماع الذي يكتسي أهمية تاريخيه، مشيراً إلى أهمية المؤتمر باعتباره يبحث سبل إيجاد آلية لتوفير الدعم للقارة الإفريقية والتزام العديد من دول العالم بذلك.. مؤكدا على أن الاتحاد الإفريقي هو تجسيد لتصميم الأفارقة على بناء قارتهم والوصول بها إلى التقدم والرخاء.

❖ الاهتمام بالتعليم وتدريب المدرسين والمدربين ومكافحة الأمية وإعادة النظر في النظام التعليمي في كثير من دول القارة.

❖ دعم مسيرة التنمية في إفريقيا وتحقيق الرخاء والتقدم لشعوبها من الأولويات والاحتياجات التي تجعل القارة الإفريقية مواكبة لحركة التطور في العالم.

من جانبهما أعربا رئيس المجموعة الإفريقية باليونسكو ويلفرد ايمفولا، ورئيس لجنة النيباد بمبولا اوجو نكيلو، عن تقديرهما للجماهيرية العظمى احتضانها لهذا الاجتماع الذي يكتسي أهمية خاصة من خلال المهام الجسام التي سيقوم بمناقشتها فيما يتعلق بالشراكة الجديدة للتنمية في القارة الإفريقية وإيجاد آليات للتعاون مع كافة المنظمات الدولية من أجل القارة الإفريقية وتقدمها وذلك من خلال المبادرات والمشاريع في إطار هذه الشراكة.

صورة خاصة

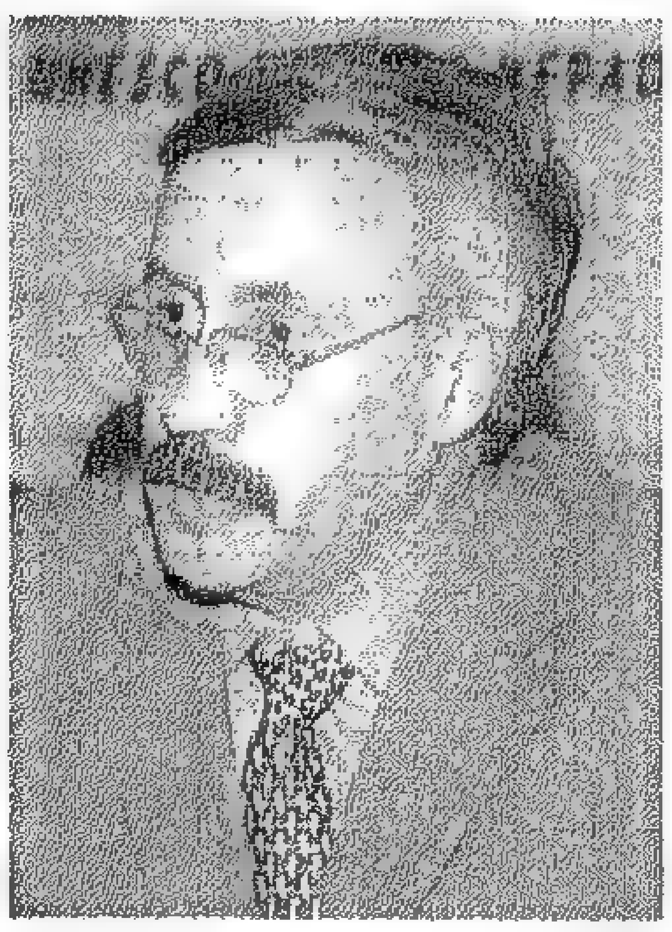


جانب من المشاركين في الاجتماع

البعد الثقافي لافريقيا

وتحدث أمين اللجنة الشعبية العامة للثقافة في الجماهيرية، عن البعد الثقافي الذي تحظى به إفريقيا وقال : إن إفريقيا غنية بالتاريخ والثقافة وهما المهمان في بناء الحضارة الإنسانية.. داعيا إلى ضرورة الاستماع إلى صوت إفريقيا، هذه القارة التي قاومت على مر العصور وعبر التاريخ كل سياسات المحق والإزالة، لتسهم في مشروع عظيم، معرباً عن التفاؤل بقدرة الاتحاد الإفريقي على النهوض بالقارة من خلال العلماء والمفكرين والباحثين والقادة المؤسسين الكبار الذين حافظوا على إفريقيا قوية عظيمة.

صورة خاصة



أمين اللجنة الشعبية العامة للثقافة ـ الجماهيرية

خبرة الجمعية أمام النيباد

واستمع المشاركون في أعمال الدورة الثالثة للجنة الشراكة الجديدة من أجل التنمية في أفريفيا، لورقة عمل قدمتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، حول خبرتها في مجال الشراكة مع المنظمات والهيئات الدولية وفي مقدمتها اليونيسكو، استعرضت من خلالها العديد من الجوانب المتعلقة بإسهامات الجمعية، حول « الشراكة ـ وخبرات جمعية

الدعوة الإسلامية العالمية» واعتماد الجمعية على الشراكة مع جميع المنظمات العالمية والإسلامية، من أجل تكاتف الخبرات والتعاون في سبيل الخير والسلام والتنمية.. ومدى ما يلاقيه ذلك من قبول واستحسان كبيرين، على المستويين الشعبي والحكومي في دول القارة.. وأشارت الورقة إلى التعاون مع منظمة اليونيسكو في العديد من مشروعات البحث العلمي بالقارة الإفريقية مستعرضة جانباً من جهود الجمعية في دعم العديد من الجامعات في إفريقيا وكذلك الشراكة مع دول غرب إفريقيا، **موضحة أن ذلك يتم وفق برنامج تربوي ثقافي يستفيد منه 313000 طالب ويشرف عليه 1500 أستاذ، ويوفر له قرابة 3 ملايين كتاب بالإضافة إلى دورات التدريب المهني، وورش العمل ودورات التمريض وكفالة الأيتام، ودعم 3100 مؤسسة مهنية في إفريقيا إضافة إلى دعم 40 مؤسسة طبية بالمستلزمات الطبية اللازمة لها** وغيرها من الأعمال الإنسانية التي تقوم بها الجمعية مؤكدة أن تعاون منظمة التربية والثقافة والعلوم «اليونيسكو» مع الاتحاد الإفريقي يشكل بداية حقيقية للتنمية في إفريقيا.

وأشارت الورقة إلى أن علاقات التعاون المتميزة بين الجمعية وهذه المنظمات الدولية، والتي بدأت منذ ربع قرن، قد تم من خلالها إنجاز عدد من البرامج الكبرى مثل، إنجاز موسوعة إعادة كتابة تاريخ الإنسانية، ومشروع البحث عن مصادر المياه في دول الساحل، ومشروع إعادة كتابة اللغات بالحرف العربي، والمشروع الموسوعي الكبير الذي لازال العمل مستمرا فيه وهو «المظاهر المتنوعة للثقافة الإسلامية»، هذا إضافة إلى دعم الجمعية لمشاريع أخرى قيد التنفيذ منها المعرض العلمي الجوال الذي يعكس إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية، وكذلك إقامة كرسي للحوار في أوروبا وآخر للغة العربية وعلومها في إفريقيا.



صورة خاصة

أباه ديالو

خبرات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، في مجال الشراكة مع المنظمات والهيئات الدولية وفي مقدمتها اليونيسكو، تثري الاجتماع.

كما استعرضت ورقة الجمعية علاقات الشراكة من أجل تنمية افريقيا مع عدد من المنظمات الدولية الأخرى مثل الايسيسكو والاليكسو وبعض المنظمات الاقليمية الأخرى.

وفي ختام الورقة تمَّ التأكيد على أن العمل المشترك والتعاون الثنائي والجماعي سبيل لا مناص منه من أجل تحقيق تنمية حقيقية في القارة الإفريقية، مؤكدة على ضرورة أن يبتعد ذلك التعاون عن أي نوع من استغلال الظروف الإنسانية الصعبة في بعض مناطق القارة في محاولة التأثير على ثقافة الناس أو العبث بمكونات هويتهم الحضارية.

واستعرضت الورقة باختصار أنشطة الجمعية في إفريقيا في مجال التربية والثقافة والخدمات الإنسانية، وكذلك قدمت لمحة عن استثماراتها في القارة والتي تُعد مصدراً مهماً في تمويل مشاريعها التربوية والإنسانية في مختلف أنحاء إفريقيا.

الشراكة والتعليم للجميع

وتركزت الورقة التي قدمتها الأستاذة اباه ديالو، المختصة بشؤون التعليم بالنيباد على «الشراكة والتعليم للجميع».. موضحة أهمية التعليم والتربية باعتبارهما من أهم الاستثمارات التي يمكن أن تنفذها دول القارة الإفريقية للمساهمة في رفع مستوى الإنتاج، مؤكدة على أهمية التعليم، باعتباره اللبنة الأساسية لتحقيق التنمية المستدامة.. مشيرة إلى العديد من الإحصائيات التي تعكس واقع ضعف نسبة التعليم الابتدائي في إفريقيا.. متطرقة إلى مسببات ظاهرة الأمية للوقوف عليها ومكافحتها.. مؤكدة على ضرورة توظيف كافة الإمكانيات لتدريب المدربين والمعلمين لتنفيذ برامج التربية والثقافة والعلوم في إفريقيا.

تبادل الخبرات

ومن جهته أكد الأستاذ موسى كاي، في الورقة التي قدّمها بعنوان «الشراكة والبحوث العلمية والتكنولوجية ومراكز الامتياز»، على ضرورة الاهتمام بالمناهج الدراسية، والشراكة في مجالات التعليم والبحث العلمي بين الدول الإفريقية والمنظمات الدولية، للاستفادة من الخبرات الدولية في مجالات التعليم.. مشيراً إلى ضرورة تحديد الموارد المخصصة للشراكة.. موضحاً أن الشراكة لا تعتمد على الدعم المالي فقط بل تعتمد أيضاً على تبادل الخبرات والموارد البشرية، في العلوم الأساسية والتعاون بين القطاعات الخاصة والعامة لدفع عجلة العلم والتقنية.. مشددا على أهمية مراكز الامتياز لتعزيز التعاون العلمي الإقليمي بين مختلف المراكز العلمية، لتعزيز العمل البحثي بهدف التوصل إلى نتائج أفضل.



صورة خاصة

منير بوشناق



صورة خاصة

عبد الرحمن مروان

الشراكة والتنوع الثقافي

كما قدّم منير بوشناق نائب المدير العام المختص بشؤون الثقافة في النيباد، ورقة حول الشراكة والتنوع الثقافي، أكد فيها على التفاعل الثقافي بين اليونيسكو ودول الاتحاد الإفريقي.. مشيرا إلى أهمية التقدير السليم للواقع والموارد المتاحة والمحافظة على التراث ووضع إطار تشريعي لصيانته من خلال تنفيذ اتفاقية حماية التراث العالمي عن طريق حماية المواقع الأثرية من تهريب مكوناتها إلى خارج القارة.. مؤكداً على أهمية إعادة اللغات الإفريقية في الأطوار الأولى من مراحل التعليم للحفاظ على الهوية والخصوصية الإفريقية.

خطة 2006 ـ 2007

وتضمن جدول أعمال اللجنة عرض آخر تطورات مسيرة نيباد والاتحاد الإفريقي وعرضاً حول تنفيذ توصيات اللجنة في دورتها الثانية المتعلقة ببرنامج التعليم والعلوم والثقافة والإعلام إلى جانب عدد من المقترحات المقدمة من قبل المدير العام لليونيسكو بالإضافة إلى مناقشة مسودة الخطة المقترحة والميزانية لعام 2006 ـ 2007 مسيحي وتوصيات المجلس التنفيذي لليونيسكو في دورته السابعة عشرة.

دفع عجلة التقدم

وبخصوص تطورات مسيرة نيباد والاتحاد الإفريقي، قدَّم عبد الرحمن مروان، منسق تنمية الموارد البشرية «بالنيباد».. ورقة أشار فيها إلى نتائج مؤتمر وزراء التعليم الذي عقد بالجزائر مؤخرا.. داعيا الاتحاد الإفريقي لتبني أهداف النيباد وتطلعاته ووضع الخطط والبرامج لتحقيق التنمية المستدامة في إفريقيا، مشيرا بالخصوص إلى الاستعدادات التحضيرية لعقد مؤتمر وزراء الثقافة بالقارة الإفريقية، والاجتماع الوزاري للعلم والتقنية.. مؤكداً على ضرورة حشد الإمكانيات والموارد البشرية والمادية في القارة الإفريقية لدفع عجلة التنمية فيها.

تعزيز الثقافة

ومن جهته استعرض مدير مكتب التخطيط الاستراتيجي باليونيسكو، هانز دروفيل، برنامج منظمة اليونيسكو للعامين القادمين.. موضحاً أنه سيسهم في تحقيق تطلعات «النيباد» في تنفيذ العديد من المشاريع التنموية في القارة الإفريقية مثل البرامج العلمية والتدريب وتعزيز الصناعات الثقافية والحوار بين الأديان، ودعم تعليم اللهجات الإفريقية ومكافحة الفقر والأمراض وكذلك برامج التربية والتعليم والثقافة، مؤكداً أنها تحظى بالاهتمام الأكبر من قبل المنظمة ضمن تلك البرامج.

مكافحة الأمية

وقدمت أباه ديالو نائب المدير العام المختص بشؤون التعليم بلجنة الشراكة الجديدة للتنمية في إفريقيا، استعراضا للمبادرات التي ستطلقها النيباد والتي انبثقت عن قمة الجزائر وعرضها على القمة القادمة للاتحاد الإفريقي لتجسيدها على ارض الواقع، موضحة أن هذه المبادرة تركز على الاهتمام بالتعليم وتدريب المدرسين والمدربين ومكافحة الأمية وإعادة النظر في النظام التعليمي في كثير من دول القارة، واقتراح سياسات تعليمية جديدة لتحقيق برنامج عملي وتعليمي متكامل ودعمه.

عدم الفصل بين العلم والثقافة



صورة خاصة

الدكتور التيجاني سيربس

وطرح منير بوشناق نائب المدير العام المختص بشؤون الثقافة تصوراً لبعض المشاريع الثقافية التي ستنفذها النيباد خلال العامين القادمين في إطار عدم الفصل بين العلم والثقافة.. مؤكداً على تكريس الصلات بينهما، وإدراج العنصر الثقافي في جميع السياسات التي تتخذ.. مشيرا إلى المؤتمرات المزمع عقدها في القارة، كمؤتمر وزراء الثقافة واجتماعات لجنة التراث العالمي التي ستعقد اجتماعاتها في دوربان بجنوب إفريقيا.

اللغات والآثار

مشدّداً على أهمية التراث ودوره في الحفاظ على هوية وثقافة القارة، مستعرضاً برامج المنظمة في هذا الجانب من خلال صيانة عدد كبير من المواقع الأثرية فيها وحمايتها وتطوير بعض اللغات واللهجات الإفريقية المهددة بالاندثار، والترويج لعدد كبير من مؤلفات المؤرخين الأفارقة، التي تبرز تاريخ إفريقيا



صورة خاصة

حضور من مختلف الأعراق والأجناس والشعوب

ومساهماتها في صنع الثقافة الإنسانية، مؤكداً أن منظمة اليونيسكو بصدد إعداد برنامج للتنمية السياحية وتطوير صناعتها مما يسهم في إتاحة فرص عمل جديدة لأبناء القارة.

برامج مستقبلية

كما استعرضت ممثلة المدير المختص بالعلوم الاجتماعية والإنسانية بالنيباد «مفيدة غوشا»، عدداً من المواضيع المدرجة ضمن برامج اليونيسكو في إفريقيا لاستشراف العلوم والفلسفة والأمن البشري وتعزيز حقوق الإنسان من خلال حشد الخبراء والاختصاصيين الاجتماعيين في إفريقيا لإنجاح هذه البرامج وتحقيق التنمية وتعزيز التعاون بين التجمعات الإقليمية بالقارة والتكامل العلمي والاقتصادي في كامل القارة.

تنمية وسائل الإعلام

وقدّم الأستاذ محمد عبد الرزاق، ممثل قطاع الاتصالات والمعلومات بالنيباد، استعراضاً لبرامج منظمة اليونيسكو في هذا القطاع، والرامية إلى تنمية وسائل الإعلام والاتصال وتسخير تقنية المعلومات لأغراض التربية والثقافة والعلوم وانتفاع المجتمعات الإفريقية منها.

إفريقيا لها مكانة خاصة

وقدّم هانز دروفيل، مدير مكتب التخطيط الاستراتيجي باليونيسكو، عرضاً حول مسودة الخطة المقترحة للميزانية لعام 2006 ـ 2007 مسيحي وتوصيات المجلس التنفيذي لليونيسكو في دورته السابعة عشرة.. مشيراً إلى انه تم تخصيص 610 ملايين دولار للمنظمة في هذه الميزانية.. مؤكداً أن



تبادل محضر التوقيع على الإتفاقية بين أمين الجمعية (يمين) ومدير عام اليونيسكو (يسار)

القارة الإفريقية تحتل مكانة خاصة ضمن أنشطة اليونيسكو، حيث تحظى بالأولوية ضمن برامجها.. متطرقا إلى بعض التوضيحات المتعلقة بالمشاريع المتعلقة بهذه الميزانية كالتعليم والنظم الحيوية والعلوم الإنسانية والتقنية والاتصالات والتنوع الثقافي ومكافحة آفات العصر، كالأمراض والفقر والأمية.

الجمعية واليونيسكو.. تواصل وتكامل

وقعت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم (اليونيسكو) على مذكرة تفاهم لدعم وتعزيز التعاون بينهما في المجالات الثقافية والتعليمية، وذلك على هامش الاجتماع الثالث للجنة الشراكة الجديدة للتنمية في إفريقيا، الذي عقد خلال النصف الأول من شهر الماء (مايو) الماضي.

وقد تضمّنت المذكرة التي وقعها الأخ أمين عام جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمدير العام لليونيسكو كواتشيرو ماتسورا التأكيد على دعم وتعزيز التعاون، وزيادة حجم المساعدات التي تقدّمها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لمنظمة اليونيسكو، من أجل المساهم في تحقيق المشاريع التعليمية والتربوية والثقافية والاتصالات التي تنفذها اليونيسكو، وخاصة في القارة الإفريقية، كما تضمنت المذكرة ضرورة التنسيق بين الجانبين في عمليات التكامل الإقليمي وشبه الإقليمي بالدول الإفريقية، وإنجاز أولويات الإتحاد الإفريقي في مجال اختصاصات منظمة اليونيسكو.



- أين يكون موقع الإسلام في أوروبا الجديدة؟
- الأدب العربي والمستعربون الأوروبيون
- ثاباتا (ZAPATA) والعرب
- إيطاليا وتاريخ الدراسات العربية والإسلامية
- آل بوش ووهم النهايات
- العلم والبعد الروحي للدين
- منهجية الإسلام
- فضاءات التخييل وتأويلاته في تحليل النص
- الكتاب والمكتبة وثقافة الطفل المسلم في عصر المعلومات
- الشيخ عثمان بن محمد فودي بين الذكرى الصحيحة والزائفة
- التراث العربي المخطوط ودوره في ترسيخ العلاقات بين شعوب جانبي الصحراء الكبرى
- الثقافة العربية الإسلامية تجاه العولمة
- ملامح تجربة الشريط الديني في السينما العربية

أين يكون موقع الإسلام في أوروبا الجديدة ؟

د. محمد بشاري*
ترجمه عن الفرنسية : عبد الحميد غريبي

لا يمكن لنا أن نستشرف مستقبل المسلمين في أوروبا دون استعراض العلاقة التاريخية بين الإسلام وأوروبا.

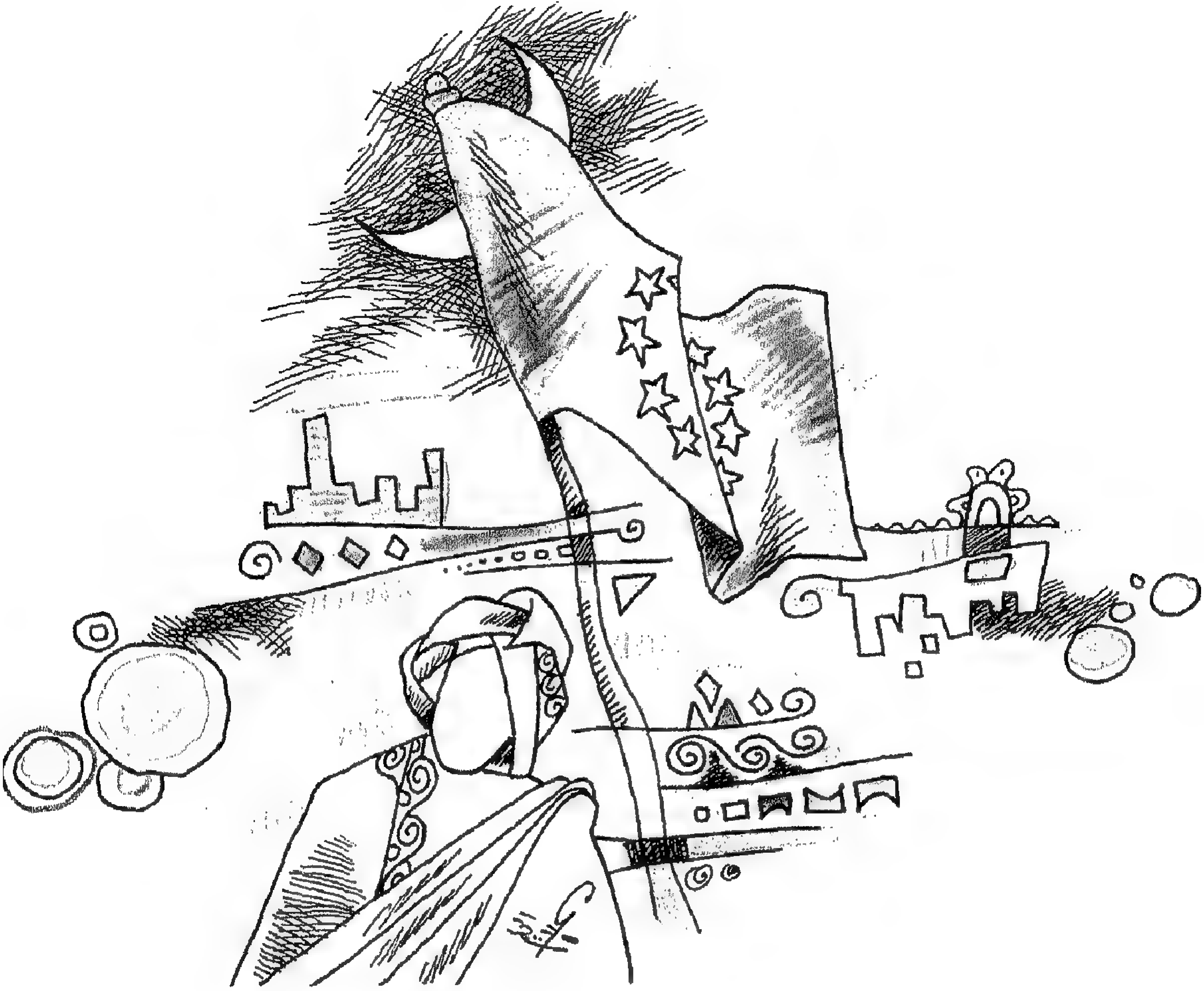
فلو نظرنا مثلاً في الحضارة الإسلامية في الأندلس عن سبعة قرون من الزمن لوجدنا أن النهضة الأوروبية مدينة لها بالكثير من العطاء الفكري والعلمي ولن نكون مبالغين إذا قلنا إن المسلمين في تلك الحقبة أسهموا بشكل أساسي في وضع قواعد تلك النهضة.

وفي المجال الديني والأخلاقي قدّمت الحضارة الأندلسية لأوروبا وللعالم دروسًا في التسامح والانفتاح على الآخر، ولم يحدث أبدًا أن شعر المسيحيون أو اليهود بأي نوع من أنواع التميز الديني أو العرقي، بل وصل التسامح إلى درجة أن أحد أكبر المعابد التاريخية في طليطلة وهو «سانت ماري بلانش» الذي وقع تحت سيطرة المسلمين كان يصلي فيه المسلمون يوم الجمعة والمسيحيون يوم الأحد واليهود يوم السبت، وفي ذلك رمز لمدى تسامح المسلمين، ويقول «غوستاف لوبون» إن للإسلام أثرًا كبيرًا في تنمية التآلف والوفاق بين الطوائف في المجتمعات الأوروبية خلال العصور الوسطى.

وكمثال على تقدم الحضارة الأندلسية في ذلك الوقت نشير إلى أن البابا (سلفستر الثاني) واسمه «جيربرت دوريلاك» قبل اعتلاء المقعد الرسولي كان قد تتلمذ على علماء مسلمين في قرطبة، حيث استقى من نبع «العلوم العربية». كما يقول. ودرس الرياضيات في الجامعات الأندلسية، وكذلك الفيلسوف اليهودي «ابن ميمون» الذي تأثر إلى حد بعيد بابن رشد ومؤلفاته ودراساته لأعمال أرسطو وأفلاطون، ويذكر «برترانت جيلو» أن مهندسي النهضة أخذوا عن المسلمين العلوم والتقنيات، وكان فضل علماء قرطبة وصقلية عليهم كبيرًا.

ونذكر أيضًا القس (ريمون لولو) وهو أحد كبار المستشرقين في ذلك الزمن الذي تخرج من

* رئيس الفدرالية العامة لمسلمي فرنسا ونائب رئيس المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية وأمين المؤتمر الإسلامي الأوروبي / فرنسا



الجامعات الأندلسية كان يوصي المحافل المسيحية في أوروبا بأن يحدثوا إصلاحًا دينيًا مؤسسًا على المعارف المشتقة من الفكر الإسلامي!

وإذ نسوق هذه النماذج من التأثير العميق الذي كان للحضارة الإسلامية على النهضة الأوروبية فإننا لا نفعل ذلك لمجرد التباهي بفضل الإسلام على الأمم المسيحية الأوروبية، لكن غرضنا هو رد الاعتبار لدور المسلمين التاريخي في التطور الحضاري الذي شهده الغرب والعالم في الماضي، ولتنبيه المسلمين أنهم قادرون - إذا أرادوا - على الإسهام في مستقبل الحضارة الأوروبية والعالمية، وعليهم تبعًا لذلك ألا يعتبروا أنفسهم مجرد جالية منغلقة على نفسها، بل يتوجب عليهم أن يشاركوا في البناء الحضاري في المحيط الذي يعيشون فيه.

وبالرغم من سقوط الأندلس في سنة 1492 مسيحي، بانهيار إمارة غرناطة، إلاّ أن ««المورسكيين» استمروا في نقل المعارف الإسلامية إلى أوروبا، خصوصًا بعد لجوء بعضهم إلى فرنسا، حيث استقبلهم (هنري الرابع) وكان لموقفه الإيجابي تجاه المسلمين الأثر البالغ في السياسة الفرنسية آنذاك، حتى إن خليفته (فرانسوا الأول) عقد حلفًا مع (السلطان سليمان) الذي أمدّه بجيش قوامه (30) ألف جندي تمركز في مدينة «تولون» سنة 1542

مسيحي لحماية فرنسا من هجمات ما سمي بـ«تحالف الملوك الأوروبيين» ضدها.

وفي سنة 1773 مسيحي، أبرم (لويس السادس عشر) اتفاقية مع السلطان العلوي (سيدي محمد بن عبدالله) بنى بموجبها عدد من المساجد في فرنسا، وهكذا أصبحت الجالية الإسلامية تتشكل شيئًا فشيئًا، ولكنها لم تشهد زيادة سريعة إلاّ في نهاية القرن التاسع عشر وخلال القرن العشرين.

ولم يظهر ما أصبح يسمى بـ (الإسلام الأوروبي). أي جالية لها خصائصها الاجتماعية والثقافية والدينية. إلا بعد تسارع الهجرة وقدوم مجندين مسلمين خلال الحربين العالميتين، وعزز الجاليات الإسلامية اعتناق العديد من الأوروبيين للدين الإسلامي في (شبه سرية) ثم في العلن، وهم الآن في مقدمة المعنيين بالحوار والمتصدين للنقاش الدائر حول الإسلام الأوروبي.

❖ لم يظهر ما أصبح يسمى بـ (الإسلام الأوروبي). إلا بعد تسارع الهجرة وقدوم مجندين مسلمين خلال الحربين العالميتين.

❖ التعريف بالثقافات الدينية وإسهام كل دين في ازدهار الحضارات يذكي التواصل والتعارف.

ويبلغ عدد المسلمين في أوروبا حاليًا حوالى (15) مليونًا أكثرهم مواطنون في دول الاتحاد الأوروبي.

ومن أبرز القضايا التي يثيرها المسلمون في الاتحاد الأوروبي حاليًا، قضية الاعتراف بالدين والمسائل القانونية التي لها علاقة بذلك.

وبعد مرور فترة من الزمن قوبلت مطالب المسلمين بعدم الاكتراث، وأصبحت دول الاتحاد تهتم شيئًا فشيئًا بالوجود الإسلامي، وتبدي استعدادًا للنظر في تطلعات المسلمين المقيمين في أراضيها، والدليل على ذلك أن المسئولين في تلك الدول يطلبون حاليًا من المسلمين تعيين مؤسسات تمثلهم لدى السلطات الرسمية.

وإذا أخذنا في الاعتبار نظرة الأوروبيين للإسلام وما يشوبها من أفكار مسبقة وافتقار إلى الموضوعية والعقلانية في الكثير من الحالات بسبب آثار النزاعات القديمة؛ فإن قبولَ بل طلبَ تعيين ممثلين للجاليات الإسلامية للحوار مع المسئولين الرسميين يعد في حد ذاته تطورًا إيجابيًا مهمًا.

واهتمام الأوروبيين الجديد بالتحاور مع المسلمين يقلّل من تأثير الاعتقاد السائد لدى الغربيين بأن الإسلام مخالف في جوهره للمضمون العقيدي اليهودي / المسيحي، وهو لذلك غير قابل أو قليل القابلية للاندماج في المجتمعات الغربية، وإزاء هذا الموقف الإيجابي للمسئولين السياسيين يمكننا القول إن استراتيجية التربية تركت مكانها لاستراتيجية تقول بضرورة بحث إمكانيات دخول الإسلام في حركة اندماجيّة داخل الإتحاد الأوروبي.

تسعى (الفدرالية القومية لمسلمي فرنسا) إلى توسيع دوائر التفكير والنقاش والحوار في جميع الاتجاهات. وتعتبر ذلك نقطة بداية لعقد العديد من الملتقيات لتبادل الآراء والمعلومات والدراسات بين المسئولين السياسيين والمتخصصين وقادة المنظمات الإسلامية والصحفيين.

لقد شاركت الفدرالية في إنشاء (المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية) الذي يحتاج ـ لكي يقوم بمهمته ـ إلى حد أدنى من الاتفاق بين المسلمين ـ

وليس إلى الإجماع ـ لكنه لن يكتفي بمجرّد الجلوس أمام المسئولين الرسميين أو بحضور رئيسه إلى قصر (الإيليزيه) بمناسبة الاحتفال برأس السنة!

وأخذت (الفدرالية) في الاعتبار البعد الأوروبي بحضورها داخل (المؤتمر الإسلامي الأوروبي)، وعلينا الآن أن نحقق الحد الأقصى من التشاور بين الهيئات الممثلة للمسلمين التي تم إنشاؤها خلال السنوات الماضية في مختلف دول الاتحاد الأوروبي، وذلك لأن التنسيق على مستوى الاتحاد يوفر إمكانية أكبر لحل مشاكلنا، مثل مشكلة الموارد المالية التي نحتاج إليها في مجال إقامة الشعائر في الدول العلمانية، وإعداد القائمين على المساجد وأماكن العبادة والنشاط التوجيهي والتربوي الذي يعنى بالشباب.

ولكن هذا لا يجب أن ينسينا المشاكل الأخرى التي يجب حلها، مثل مشكلة البنود الخاصة بالموروث الديني الأوروبي التي يتضمنها مشروع الدستور الأوروبي، ومشكلة العلاقات بين المراجع الدينية الأوروبية التي تتجاهل الإسلام بشكل غير طبيعي، فوجود أفكار مسبقة ذات طابع أيديولوجي له علاقة بتجاهلنا، الأمر الذي يقلق المسلمين. وبالرغم من بعض التقدم الذي لاحظناه في السنوات الماضية إلاّ أن الوضع لم يتغير كثيراً.

إن إهمال الشأن الإسلامي قد يحمل على الاعتقاد بأن أوروبا شكلت على هيئة (نادٍ مسيحي) يمكن أن يسمونه (نادٍ يهودي/ مسيحي) إذا أرادو أن يظهروه في صورة نادٍ منفتح!

وإذا كان توجسنا صحيحًا فإن الأوروبيين لا يأبهون بنظرية (الوحدة السماوية للأديان) التي صاغها مسلمون أوروبيون مثل: «عبدالواحد رينيه غينون» و«مصطفى ميشال فالسان» (الدين القيم أو الدين الأمل).

وعندما نذكّر بالعطاء الذي قدّمه الإسلام بسخاء إلى أوروبا فإننا نسعى إلى تصحيح مغالطات تاريخية في أوروبا، وهي مغالطات يسميها البحاث العدول المنصفون (ثغرات في التاريخ الأوروبي، لا يمكن قبولها أخلاقيًا ولا موضوعيًا).

وكما ترون فإن المشاكل كثيرة، ومع ذلك فإن إصلاح الخطأ والتقدم ممكن جدًا، وسيكون عملنا ناجحًا إذا توصلنا إلى اقناع المتشائمين منا ـ الذين لا يرون إلا المشاكل ـ بأن إحراز تقدم مشجع ممكن دون شك.

وأعيد التأكيد بأن تأملنا في تاريخ الأندلس الذي يظهر أن التوافق والتقارب بين الإسلام والمسيحية الأوروبية كان أوكد من التنازع، يساعدنا على استشراف مستقبل جيد للإسلام في أوروبا.

وأود أن أشير هنا إلى أن الديانات الكبرى في زمننا هذا تعاني من التأثيرات المتناقضة للعولمة، وتدفع بها نحو مواجهات تكون أحيانًا عنيفة جدًا ومتصادمة، بسبب خوف كل منها من الذوبان وفقدان الهوية، وتكون أحيانًا أخرى أقرب إلى الاعتقاد بأن العولمة ستعطيها فرصة للتواصل والإثراء المتبادل، بل وفي هذا الخضم يميل الإسلام إلى تبني الموقف الأول، أي موقف الدفاع ورد الفعل القوي، وذلك بسبب قرون من الضعف، وربما أيضًا بسبب التباينات التي ظهرت بحكم اتساع مجاله الجغرافي، واختلاف درجات النمو بين مختلف المناطق التي يشملها، وتشابهه في ذلك بعض الأديان الأخرى مثل «الأرثوذكس» في أوروبا الشرقية والتيارات «البروتستانتية» في إفريقيا.

أما في أوروبا التي تتحرك نحو الوحدة الاندماجية فإني أعتقد أن الأديان السائدة فيها تجد

في تلك الحركة فرصة للتعارف والانفتاح، حيث أن الاتحاد الأوروبي يعطيها الحركية (الديناميكية) التي تمنعها من التقوقع، مستلهمة منها طاقة التفاعل الإيجابي.

والفضاء الأوروبي يملك خبرات تاريخية في السلم والحرب، وفي الاستقرار والاضطراب، ورصيداً وافراً من التجارب السياسية والاجتماعية، من الحكم المطلق إلى الحكم الديمقراطي، ومنها نبعت المبادئ الإنسانية مثل مبادئ حقوق الإنسان، فتاريخ أوروبا حافل بالتجارب الفاشلة والتجارب الناجحة.

ماذا قدمت أوروبا للأديان وللإسلام بصورة خاصة؟

استغرقت مسيرة أوروبا نحو الاتحاد زمناً طويلاً مليئاً بالمصاعب والعثرات، واهتدت إلى أن تحقيق هدفها الوحدوي لا يكون إلا إذا أخذ في الإعتبار الحفاظ على خصوصيات كل دولة من دولها، ومنها المتعلقة بالأديان، وساعدها في ذلك مبدأ حياد النظم الحاكمة تجاه الأديان، ولكنها ملزمة - في ذات الوقت - بحماية حق جميع الأديان في التعبير عن نفسها، وكذلك حق جميع الثقافات في التعايش، وأثبتت تلك الحقوق في مشروع الدستور الأوروبي. ومعنى هذا أن الكاثوليكية - مثلاً - لا تستطيع أن تدعي أنها - بحكم تفوقها العددي - الراعية للثقافة الدينية أو الممثلة للشعوب الأوروبية، وهذا يعني أيضًا أن الكنيسة الكاثوليكية لا تملك حق التمتع بأية ميزة أيًا كان نوعها عن سائر الأديان.

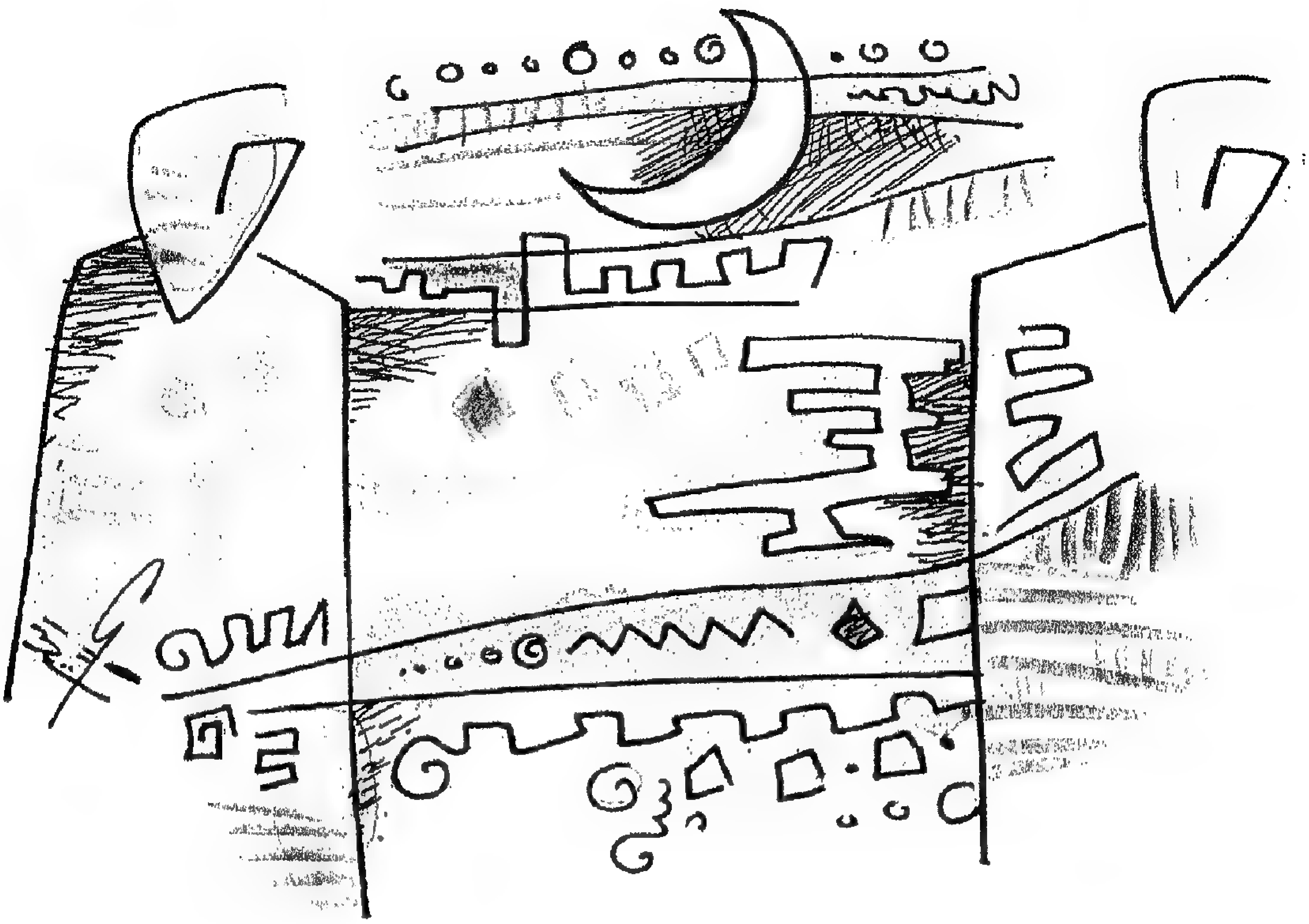
وفي ظل هذا التوجه لا يحتاج الإسلام إلى إثبات ذاته تاريخياً، لأن ذلك لا يشترط عليه لإثبات حقه في الوجود والتعبير عن نفسه في الاتحاد الأوروبي، وعدم التفضيل بين الأديان في أوروبا الجديدة يغني ممثلي الأديان عن مشقة الدخول في صراعات بين بعضها بعضًا لإثبات الأحقية التاريخية، الأمر الذي قد يؤدي إلى استقبال العداء وتحريك الجروح القديمة، والكل في غنى عن ذلك، أما التعريف بالثقافات الدينية وإسهام كل دين في ازدهار الحضارات فذلك - إذا ما اختصر على الأوجه الإيجابية وابتعد عن التذكير بالمآسي والصراعات - أمر مطلوب لأنه يذكي التواصل والتعارف.

> * عدم التفضيل بين الأديان في أوروبا الجديدة يغني ممثلي الأديان عن مشقة الدخول في صراعات بين بعضها بعضًا لإثبات الأحقية التاريخية.

والذي يجب أن يكون واضحًا في أذهاننا أن عدم الاعتماد على الأحقية التاريخية التي يتولد عنها التنافر والتنازع في إثبات أفضلية دين عن دين؛ لا يعني بالنسبة للإسلام إهمال واجب تصحيح المفاهيم الخاطئة والمضللة، بل على المسلمين أن يبذلوا جهودًا مكثفة لإظهار إيجابيات الحضارة الإسلامية، فضلاً عن مبادئه، كي يتقبله الأوروبيون ويغيرون نظرتهم الخاطئة إليه.

يجب علينا أن نعي جيدًا أن الدستور الأوروبي الجديد يرفض مفاهيم الأقدمية والأغلبية أو الأقلية في كل ما يتصل بالثقافة والفكر، فالكل يملك حق الوجود في إطار تعدد الثقافات، ويعتبر ذلك التعدد والتنوع بمثابة الثراء الحضاري، وفي هذا تكمن فرصة الإسلام في لعب دور فاعل في أوروبا الجديدة.

وإذا واصلنا العمل على هذا المستوى من خلال المحافل القاريّة (الأوروبية) سيتمكن المسلمون من تفعيل قدرة الإسلام على التكيّف مع الخصائص



المحلية، وتمكين تلك الخصائص أن تتجانس مع الإطار الأوروبي العام.

ولعل أولى الأولويات في العمل الإسلامي هي قبول التعدد وفق الظروف المحلية، وعدم التحسّب أو الرضوخ لأي توجيه خارجي، أو لتدخل بعض الدول الأصلية للمهاجرين المسلمين في شئونهم الدينية لمصالح ذاتية، وكذلك مقاومة ما من شأنه أن يُسيء للإسلام ويلحق به وصمة الإرهاب.

إن للإسلام فرصة ثمينة في الإسهام في التفاعل الحضاري داخل الاتحاد الأوروبي في إطار ديمقراطي، وكذلك له فرصة استخدام قدرته الفائقة على التكيف واستنباط الحلول بفضل خاصية المرونة التي يتميز بها، والتي مكنته من الانتشار عبر الآفاق، واستيعاب الحضارات على اختلافها، وللإسلام فرصة ثانية لإثبات شموليته وقدرته على التصدي للمشاكل والظروف المستجدة التي تنتجها الحضارة الأوروبية المتقدمة، الأمر الذي سيمكّن المسلمين الأوروبيين من لعب دور متميز ضمن تيار العولمة.

وسيكون للإسلام في خضم المتغيرات مجال واسع للتأثير في مجريات الأمور، بفضل سمته العالمية، وعمق قيمه، وباعتباره صالحًا لكل زمان ومكان. وبناء على ذلك فإننا نستطيع أن نقول إن هذا الدين سيكون قوة حيّة وفاعلة في تحقيق الوفاق والانسجام في الفضاء الأوروبي، وعندها سوف يتجاوز ويختار أولئك الذين يريدون أن يسود العداء والتمييز بين الأديان، وعندها أيضًا سوف يخيب ظن دعاة صدام الحضارات..

الأدب العربي والمستعربون الأوروبيون

عمر لطفي العالم*

في هذا المبحث لا أزعم أنني أتتبع تتبعًا أمينًا قضية عُمرها قرون، ما أفعله لا يزيد على كونه محاولةً قُصد بها التعريف السريع بركن شبهِ مُهملٍ يتعلق بالموقف الأوروبي من تراثنا الأدبي أولاً، ومن ثم تصحيحًا لسوء فهم طالما لازم تناول أعمال بعض المستشرقين بالخصوص.

والحق أنني قرأتُ لأدباء وكُتّاب معاصرين، فلم يُشْفِ غُلتي ما بذلوا من جُهدٍ يُشكرون عليه، إذْ إنَّ الهدف الأساس لم يتحقق، كما أنَّ الثغرة ما زالت كما كانت. يخطئُ من يظن أنَّ الإقبال على دراسة الأدب العربي (Arabiche Literatiir)، كان دائمًا استجابةً عفوية لداعٍ خاص، أو أنَّ تيارًا واحدًا تقاذف حِسَّ المتأدب الغربي، فصرف ذهنه وقلبه إلى الشرق بكل ما فيه من سِحرٍ وعطر.

يصعب الفصل تاريخيًا بين الاستشراق (Orientalism)، كحركة ذات توجُّه ديني وأولِ تماسٍ بثقافة العرب اللغوية والأدبية، وخيرُ شاهد على ذلك هو إجماع المؤرخين على أن نقطة الالتقاء الأولى كانت في الأندلس، حين صُعق الفرنجة من انتصارات الموحدين، فلما فتّشوا وجدوا أنَّ العقيدة هي المحركُ والدافع، وهكذا نشأتْ فكرةُ التعرُفِ على سرِّ ما أطلق عليه الهرطقة المحمدية (M. Herasie)، ولأسباب تتعلق بطبيعة هذا المبحث، لا يُستحسنُ الخوض في تفاصيل وملابسات الشروع في أول ترجمة لاتينية للقرآن بوصفه كتابًا مرجعيًا في اللغة والأدب كما للدين، فنحنُ في اللغة والأدب أولاً وآخرًا.

سببٌ آخرُ أسوقة لا يقِلُ عن سابقه أهمية إنْ لم يزدْ عليه، ربما كشف عن مقدار تشابك العامل الديني بالمعرفي اللغوي تاريخيًا. إنَّ تفسير ما أبهم من الكتاب المقدس (alte Testament) حفَّزَ رجالَ اللاهوت على دراسة لغات المنطقة موئل الكتب السماوية، فشكل سببًا وجيهًا للاهتمام بالعربية أيضًا، بوصفها لغةً تتحدَّرُ من أسرة اللغات السامية، مما حمل المجمع الكنسي البابوي على إنشاء مقاعد للدراسات الشرقية (العربية من بينها) في عدد من الجامعات والمعاهد الأوروبية العليا.

لماذا القرآن ماضيًا وحاضرًا؟ أبقى مع هذا السؤال وأعود بالذاكرة القهقرى. فالعربُ - وليس غيرُهم أحدٌ - كانوا أولَ من قرَّر شرعية الاحتكام إلى الكتاب فيما يستشكل، وهُمُ الذين مزجوا مزجًا عضويًا فريدًا لا فكاك منه ولا مندوحة عنه، بين ما استدبروا من جاهلي أشعارهم وما استقبلوا من

* كاتب، باحث ليبي / سورية



همـوم كتّـابهـم، آيةُ ذلك أن عبداللـه بن عبـاس أو (ترجمان للقرآن) كما يوصف، هو صاحب المقولة الشهيرة (الشعرُ ديوان العرب)، وكان للعربية حضورٌ قويٌّ أيضًا، ربمـا فـي واحدة من أخطر المنعطفات التـاريخيـة قـاطبـة فنعني بذلك (مصحف عثمان) «فلمـا احتـدم النـقـاش حول كلمـة (تابوت) بـالتـاء المفتوحة أو المربوطة، أمر الخليفة أن تُكتب بالتاء المبسوطة على لغة قريش». ولا أغالي لو مدحتُ بكثير مـن الثـقـة مـا رددتُه قبـلـي (زيجـريـد هـونكه): «إن حضارة العرب قامتْ أساسًا على اللغة».

وبعـد، فلمّـا سئل المستشرق الألمـاني المعـروف (رودي بـاريت R. Paret) عن تعريف للاستشراق، اختزل الماضي والحاضر في كلمة واحدة «الفيولوجيا (philoigie) والحـق أن مـقـولتـه تلك تمثل خلاصةً لواقع تواصل قرونًا، فالخطوة التالية بعد كسر الجمود الثقافي الذي استغرق زهاء 500 سنة بين الجارين المتنـافرين، أعقبه انفتاح غير محدود على كل ما يتعلق بلغة العرب وثقافتهم. بعدها تُرجم القرآن إلى جميع اللغات الأوروبية الحيَّة، لتبدأ تباشير مرحلة لاحقة يُنظر إليها على أنها الأهمُّ بعد ترنُّحٍ حَلَمتَ فيهـا التـاريـخ فـأبى أن يوافينـا بشـيء، ثم استـأنف مسيـرته فوضع أقدامنـا على عتبات القرنِ السـابع عشر فجاءةً، بحجة ما أصاب الحركة من خمول، ولأن الأدب ـ مُعظمُهُ ـ صورةُ العصر ومرآة الزمان، فلا بد من إجراء تقويم نحدد فيه الأُطر العامة التي استوحى منـهـا أولئك الأدبـاء واللـغـويون أدبهـم، أو تلك التي فـرضتْ عليـهـم أنمـاطَ الأعمـال بحـكـم خضوعهـم كـغـيـرهـم لتـقـاليـد الكـنيـسـة وفتـاواهـا فـي العصـر الوسيط، على هذا يمكن تلخيص الموقف الأدبي آنئذ بما يلي:

1 ـ ظل الغرض الأساس من الدراسات الأدبية واللغوية والأنشطة العقلية الأخرى لاهوتيًا بحتًا، وُظف

لخدمة الكتاب المقدس حتى وقت متأخر من القرن الثامن عشر.

2 ـ أفرز الصراع بين الرومانسيين (romantikern) والسلطة (autoritaet) طبقة تمرّدت على التقاليد وشقتْ طريقها الخاص.

3 ـ وحين رانت العقلانية بكل المنهج الأكاديمي المتشدد، طغتْ على ما سواها وتعزز ذلك بالظهور القوي لمنهج الدراسات المقارنة (V.ret-horle) أو (autoritaet) ومنهج البحث التاريخي.

إن الاتجاهات الثلاثة تركتْ بصماتٍ واضحة على أسلوب التعامل مع تراثنا الأدبي الحي، وكان من نتائجها الملموسة ظهور طائفة من الأعمال نصنفها في الآتي:

أ) **لغويةٌ فقهيةٌ:** كان من البديهي أن تتركّز هذه الدراسات على القرآن الكريم للأسباب المذكورة آنفًا، ولأنه ـ أي الكتاب ـ كان النافذة الأوسع التي أطلّ المستعربون من خلالها على فقه اللغة العربية، وباستثناء بعض معاجم اللغة القديمة التي ألّفها الرهبان مع بدايات الحركة، ولم يتوفر الباحثون في هذه المرحلة على تأليف كتب بالمعنى الواسع للكلمة، وجُلُّ ما فعلوا أنهم قاموا بنشر ملاحظاتهم وبحوثهم على صفحات الدوريات والمجلات الاستشراقية المتخصصة، يأتي في مقدمة هذه الدوريات «مجلة جمعية المستشرقين الألمان» و«مجلة الدراسات الشرقية» و«مجلة الدراسات الآسيوية» و«مجلة الإسلام» التي لم يصدر منها سوى أعداد قليلة فقط، والملاحظ على هذه الدوريات وغيرها، أن الطابع اللغوي «المقارن بالذات» هو الغالب على أعدادها، ثم يأخذ في التناقص والتنوع بالموضوعات الأخرى كلما تقدم الزمن، ولعل ذلك مؤشرٌ على التحولات المنهجية في طريقة التعامل مع التراث، ولكي نكون أكثر التصاقًا بالموضوع، أقدمُ بعض الأمثلة ممهورة بأسماء أصحابها: مفرداتٌ ومصطلحات مثل: طاغوت، عكرش، باقية، أساطير الأولين، كتاب، نصيب، هاروت، وماروت، «لا تقولوا راعِنا بل قولوا انظرْنا» لأنها كلمة عبرية (Raina). ثم مسائل في قواعد اللغة، على سبيل المثال: (إيًّا) العربيّةُ مع اللاحقة في حال الابتداء: فإذا هو إياها، فإذا هو إيَّاه، أقول هي إيَّاها، وإياه أُريدَ بقولهم في المثل، إياك نعبد، إياك تُعبدُ، إنَّك إيَّاه وهو إياك. استعمال (نفس وروح) في الترجمة السواحلية للقرآن. إلا أن الدراسة المقارنة للحرف، للكلمة، للتعبير، للفكرة باستحضار مقابلاتها (Paralelle) في العبرية أو الآرامية، والتوغل في الجذور اللغوية والاشتقاقات مثل (قرأ، مِقْري، قريانه) في اللغات الشرقية القديمة بهدف التأكد من أصل الكلمة العربية وإنْ كانت أصيلة أم دخيلة، والوقوف على حقيقة المعنى لأجل التفسير، تشكل السمة الغالبة على هذه الدراسات، لكنَّ هذه الدراسات ـ وما أكثرها ـ لمْ تمُرَّ بدون معارضة، يقول المستعرب فوك: على أنه وإن وُجدت حالاتٌ تترادف فيها كلمات عربية وأخرى عبريةٌ من حيث الرسمُ والمعنى (كبعض أسماء القُربى ومفردات العدد) إلاَّ أن هذه المفردات محدودة الاستعمال، ولا تُثبتُ نفسها إلاَّ عندما تكون الكلمة العبرية معروفة في المدى الأرحب، والغالبُ هو أن تكون المعاني مختلفةً تمامًا بالرغم من التطابق الشكلي مثل (Yasab) (يجلس) مقابل (يَثبُ) بالعربية، أو (هاهِنْ) بالعبرية مقابل (كاهن) بالعربية. أو لأن للألفاظ المشتركة جذورًا لا علاقة فيما بينها اشتقاقيًا مثل (دقاق ودقّ)، لذا فإن حَمْل معنى كلمةٍ عربية على مرادف عبري له غيرُ مُلزم



زيجريد هونكه

إطلاقًا. ومن التطابق المحكم لفظ ريم بالعربية (rim) مع (reem) العبرية.

وكثيرًا ما كانت هذه الآراء (العلمية) تخضع للمتابعة والمراجعة والنقد والتعليق، وربما استمر الحوار والجدل شهورًا حول المسألة الواحدة، ما جعل من تلك الدوريات منبرًا حُرًّا أثرى الدراسات الشرقية وأغناها، لكنَّ حظ المشاركة فيها من أصحاب اللغة نفسها كان مُقلاً للأسف لدرجة العدم. وإذا كان من فضلٍ حقيقي يُسجل أنها كانت شبه مدرسة لمن تخصص. وقد برزت أسماءٌ لا حصر لها، فازتْ بقصب الشهرة فيها أسماء مثل «جرونباوم، جريمة، نولدكه، كونستلنجر، آ. فيشر، وغيرهم» إلا أنه العائق الأهم الذي اعترض مسار الدراسات العربية في تلك الفترة، كان يرجع إلى الدراسات الموسوعية التي استولت على جنان العلماء فكانت أقرب إلى اللهو منها إلى الجدّ، كذلك الإصرارُ على النظر إلى العربية بوصفها لغة (تفرعتْ) عن العبرية، اتجاهٌ رعاه المستشرق شولتنز (1686-1750) وشهد على يديه ذروة انتصاره. «وقد أراد الإفادة من الثروة اللفظية العربية الهائلة في تحديد معاني المفردات العبرية، وقام بتطبيق ذلك فعلاً على 35 موضعًا مبهمًا في التوراة، وقدَّم طرحًا مُؤداه أنَّ أقدم الآثار العربية هي أحدث عهدًا من التوراة من حيث الجوهر»، وقد أرجع أشعارًا عربية متأخرة إلى عصر سليمان وموسى، ليؤكد على أن مصطلح (يعرب بن قحطان) أُعيدت صياغته من قبل إسماعيل أبِ القبائل العربية بحسب النموذج اللغوي العبري في أصله الأول. وهذه نظرية خياليةٌ تفتقر لكل حدس دقيق وإدراك لحقائق التاريخ. شخصيةٌ مُهمةٌ أخرى إنْ تأخرتْ زمنًا فلا تختلف عن سابقتها منهجًا، ونعني بها المستعرب اللاهوتي (هايزيش ايفالد 1803 ـ 1875)، الذي وجَّه اهتمامه لدراسة العهد القديم، وسعى إلى تفسير صيغ اللغة بالاعتماد على القوانين العامة عقليًا من خلال المنهج التأملي التركيبي. وقد شكل كتابه (دراسة نقدية لقواعد العربية) (لايبزيغ 1831) محاولة مستميتة لإحلال تفسيرٍ منطقيٍ جديد محل نظام قواعد الفصحى، لكنَّ هذا القرن المدقع لم يُودع إلاَّ وقرَّتْ أعيننا بشخصية عوَّضت كل ما فيه من تجهم وعبوس، حين أهدانا أديبًا رقيقًا ومفكرًا ألمعيًا، طغى بحُبه وهيامة بلغة العرب وآدابهم على ما دونه من تعصب وجهل وانغلاق.

(يوهان ياكوب رايسكه Y.J. Reiske 1716 ـ 177) أولُ مستعرب مشهور أنجبته ألمانيا، كان ظهوره في ظلمات عصره أشبه ما يكون بمعجزة، اعتمد على موهبته في التغلب على صعوبات الخوض في خصوصيات العربية، بالاعتماد على المصادر المخولة التي كانت متوفرة في زمنه، إن المسافة الزمنية أو بالأحرى المعاناة الفاصلة بين ولادته لأب دبَّاغٍ وارتحاله مهمومًا محزونًا، تحكي قصة حزينة جسَّدها بقوله: (إنْ لم تدركني العناية الإلهية في وقت قريب فسأذهب فداءً للعربية). وقد عرفنا سطوة المتنفذين الدينيين على مرافق الدولة وموارد الثقافة، فقد دفع ثمن جرأته غاليًا حين قال: (لو أردنا خدمة العربية للزم أن لا نتعامل معها من موقع اللاهوت). وكان أن أتهمت مؤلفاته (بالعلمانية) و(بالهرطقة)، وأوصد في وجهه كل باب لترويج مؤلفاته أو حتى كسب قوته من مهنة التدريس.

> **«لو أردنا خدمة العربية للزم أن لا نتعامل معها من موقع اللاهوت»**
>
> **المستعرب الالماني يوهان ياكوب**

إن الإنجاز الأهم أن رايسكه رفع من منزلة فقه اللغة العربية إلى مصاف علم مستقل، ولم يستطع أحدٌ أن يحاربه في خصوصية قواعدها واستقلاليتها، كما لم يتصدَّ أحدٌ مثله عن وعي وإدراك لأصحاب اللغة المقدسة (العبرية)، أعماله كثيرة لكنَّ أشهرها

(رسالة ابن زيدون إلى ابن عبدو) التي أصدرها سنة 1755 وترجمة ألمانية للامية العرب للشنفري ككتاب تهنئة. ويومَ هنّأه صديق له بقصيدة لاتينية، ردَّ على خطاب التهنئة بسبعة أقوال مأثورة اقتطفها من تصنيف الميداني، وفي السنة التي تلتْ قدَّم شرحًا مدرسيًا للشاعر القاضي (أكثم بن صيفي)، ثم عاد سنة 1765 فطلع على جمهور القُراء بتجربة للشعر العربي من ديوان المتنبي، كانت عبارة عن اثني عشر بيتًا من أبيات النسيب بالإضافة إلى قصيدتين كاملتين في الرثاء، وفي السنة نفسها قدَّم أغلى ما عنده مهرًا لعروسه (كريستينا)، باقة مختارة من الغزل مترجمة إلى الألمانية، ثم ترجم مقامة الحريري 26 سنة 1737.

لقد راوح الحكم على المستعرب رايسكه بين نقد لاذع، ثناء مُفرط أو مغالطة تنُمُّ عن نقلٍ مرتجل من المصادر الأجنبية، أما السبب الأول فقد بات معروفًا، وأما الثاني فربما لأنه ابنٌ لمدينة لايبزيغ التي عُرفت به وعُرف بها، وبالنسبة للثالث فقد ذكر الباحث العربي (محمود المقداد): (وفي ألمانيا مات رايسكه قبل عشرين سنة من افتتاح كرسي اللغة العربية في باريس سنة 1795، وكان هو نفسه يُسهم بأعماله في إبعاد الطلاب عن الدراسات العربية أكثر من إسهامه في استقطابهم حولها)، لا أعرف من أين أتى الباحث بهذا الهراء. ولأنه كان مُحبًا مُتيمًا بالعربية وآدابها فقد استحق لقب (شهيد الأدب العربي) (myrtiner der arabishen literature) عن جدارة واستحقاق.

ليس بعيدًا عن سابقه، ارتفعت قائمة المحبين والمعجبين بالكلمة والأدب العربيين، فأتحفنا الألمان بشاعر فذٍ خرق هو الآخر تقاليد عصره، حين أضاف لقائمة الرومانسيين إسمًا كبيرًا آخر، ما ذُكر للشعر والإبداع مَعْلَمٌ إلا تقدم وتقحم، ركب فريدريش روكرت (ruckert) (1788 ـ1866) مركبًا خشنًا حين اختار أن ينظم آيات القرآن بلغته الأم شعرًا، وقد وصف (وجدي يوسف) هذه الحالة وصفًا مقاربًا حين قال: (أكب روكرت في بداية أمره على دراسة القرآن، ونشر بعض آياته بترجمة جميلة في إحدى المجموعات الألمانية سنة 1824، وعزم سنة 1842 على طبع الترجمة بأسرها لكنه لم يوفق، وهكذا ظلت على حالها إلى أن قام المستشرق أوغست موللر (Augusut Mullyr) بنشرها بعد وفاة المترجم باثنتين وعشرين سنة، وذكر في مقدمته أنه لا يوجد في الدنيا من استطاع القيام بترجمة مساوية لتصنيف روكرت هذا، برغم أن شاعرنا لم ينقل متن الكتاب بتمامه، بل اكتفى بترجمة ثلاثة أرباعه، وقد حافظ في الصياغة الألمانية على الأسلوب الخاص بالقرآن لحدٍ ما، وإن لم يتتبع النص كلمةً فكلمة، وقيل إن هذه الترجمة أقرب إلى إعجاز القرآن من كل الترجمات التيْ صدرت في أوروبا، وبجانب ذلك انتخب الشاعر بضع آيات صنَّف منها أشعارًا وأمثالاً وأبياتًا ألمانية.

لكنَّ البروفسور (شفاللي) الذي أصدر الطبعة الثانية من (تاريخ القرآن)(Geacbudte des Qurans) له رأي آخر، يقول: (إن توضيحه النحوي للنصوص يتعطل مباشرة عند المواضع الصعبة نزولاً على بحر الحديث، وهي غلطة ما انفكتْ تعاني منها سائر الترجمات المتأخرة وصولاً إلى يومنا هذا، وبذلك لا يكون مجمل القرآن قد نوقش، بل إنَّ انطباعًا خاطئًا حول أسلوب الأصل قد نُبه، حين أُدخلتْ على الفترة الزمنية ثقيلة الوزن طويلة النفس) يعني السور المدنية (عناصر غريبة عليها) وأضاف في الهامش: (وأخالف موللر كل المخالفة فيما ذهب إليه). روكرت من جانبه عبَّر عن مذهبه في الترجمة حين قال: (إن صبغة الترجمة هي أن ترى كيف تتبدل أرواح المعاني في أثواب الكلمات)، ولعل أبرز ما ميزه كشاعر مترجم ـ أترك الحديث لمجدي يوسف مرة

أخرى - لم يكونوا يعرفون الشعر ذا القافية الواحدة، فإن الشعر الألماني أقربُ إلى الموشح أو المربع أو المسدس. جديرٌ بالذكر أن القافية الألمانية لا تتشكل بحرف واحد بل هي مركبة من تكرار مقاطع معينة من الكلمة أو من كلمات كاملة ذات وقع (Rhytm)، وإنني إذ أتفق معه في هذا الرأي، أقدمُ شاهدًا آخر ولكن من الشعر الانجليزي للشاعر (Gray)

So the darkness shall be the light,

And the stillness the dancing,

Whispers of running streams,

And winterlightning.

هكذا سيصبح الظلام نورًا والسكون رقصًا، همسات الجداول الجارية وبرق الشتاء.

ترجمة روكرت لشعر عربي ، محفوظة في مجلات مدينة شفاينفورت.

أقدم روكرت على نشر ثماني مقامات قلَّد فيها أنواع الجناس، ثم ترجم المقاماتِ كلَّها عدا أربعًا أو خمسًا، وأضاف إليها حواشي وملاحظات من المراجع العربية، بعد فترة قصيرة ترجم حماسة أبي تمام التي لم تصدر إلا في سنة 1846.

كان أمينًا في نقله عن النص العربي، فحرص على عدم إهمال أي تشبيه مهما يكن غريبًا، وعمل على حل عقدة ما استشكل، وسعى سعيًا حثيثًا للمحافظة على الوزن العربي سواءً كان بسيطًا، طويلاً أم وافرًا، فإذا تعذر ذلك لأسباب جمالية، عَدّل وتبنى وزنًا يقارب الوزن الأصلي.

الشخصية الثالثة هي المستعرب النمساوي (جوزيف فون هامر بورجشتال) (Von Haumer Purgstahi) الذي كان أستاذًا وأبًا روحيًا للشاعر الكبير روكرت، وُلد هامر سنة 1774 وتُوفي فجأة سنة 1856 في أثناء عكوفه على مؤلفه (تاريخ العرب الأدبي)، ألف ما يزيد على 75 كتابًا، وكتب مئات المقالات والتراجم، كان في أسلوبه مقلدًا للأسلوب الشرقي المزين بالسجع، المتلاعب بالألفاظ، كثير التشابيه والرموز بقصد إنعاش الذاكرة بين الشرق وروحه والغربِ وعقلانيته، طرَّز عبارات بشتى أساليب الخطابة حتى عجز الغربيُّ عن فهمها، عمل رئيسًا لتحرير مجلة (نفائس الشرق) واتخذ الآية الكريمة:

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة البقرة، الآية:142] شعارًا لها.

لقد قرأت كلامًا كثيرًا حوله، أكثرُه موضوعيةً كان بقلم أستاذ قدير جامل في بادئ الأمر على عادتهم: (على كل مؤرخ ينوي العمل على العربية أو الفارسية أو التركية سيجد نفسه مضطرًا للعودة إلى كتب هامر) ثم أعاد الكرَّة فأوسعه بلا هوادة نقلاً فاق ما دونه: (.. والأسوأ من هذا، أنَّ هامر لم يقَّدم لنا رأيه إلا لِمامًا حول أعمال المؤلفين النثرية التي أتى على ذكرهما، وهكذا نجد أنفسنا أسرى لعنوان الكتاب ولما قاله العرب عن أنفسهم)، غير أن الإعجاب الذي حُرم منه العارض حازت عليه نصوص القصائد الجاهلية من خلال بساطة الحياة، كان وصفًا مختزلاً يتأجج حرارةً وشررًا، انتُزعت الصور من البيئة، من الألوان الزاهية المتألقة.

إن أدق جزئيات حياة البدوي هي التي قدَّمت كل ما أحاط بالعربي، قوسِه، جوادِه، والخصالِ الكريمة التي شبَّ عليها، وما يستحق الإعجاب أكثر، هو معاناةُ الشاعر التي تستمدُّ نبضها من مشاعر الاعتزاز بالحرية والقيم الخاصة، وهكذا فهي فسيفسائية جريئة، عامرةٌ بالتحرر، متعطشة للدم والثأر، والواقع أن الناقد - فودكه - قام بأفضل وأجمل عرض لتراثنا الشعري قبل الإسلام، ولا سبيل للإفاضة فيها لأسباب تتعلق بالعرض المعقول طولاً.

أما الشخصية الرابعة المميزة فهي شاعر ألمانيا الكبير (يوهان فولنجانج جوته D.W.Goehe 1710 - 1782)، إن أبرز سمة نقرؤها في الشاعر الأديب من

خلال النافذة التي نُطل بها عليه، أنه «لم يوظف أحاسيسه الشعرية لفهم إقليمي، ولا تحيَّز لتراث وطني أو عقيدة واحدة، بل كان فنانًا عالميًا، فيه التقت صورة الشرق بالغرب، وفي عام 1772 مسيحي، عكف جوته على تلاوة القرآن في ترجمة ألمانية، ثم في ترجمة لاتينية، أما الانطباع الذي سجله جوته بعد قراءته فها هو ذا بدون زيادة أو نقصان: (إنها قصصٌ رائعة من الديانتين المسيحية والموسوية.. إطنابٌ بلا حدود وتكرارٌ تشكلان هيكل هذا الكتاب المقدس، الشيءُ الذي قد يملُّه القارئ لأول وهلة، لكنه يعود فينجذب إليه، ثم لا يلبث في النهاية أن ينتزع منه الإعجاب والاحترام)، وهذا القول يناقض تمامًا ما ذكره عبدالرحمن صدقي في مجلة (فكر وفن): «ولا يرى جوته في هذا الاطناب والتكرار ما يراه النقاد الغربيون من دواعي الملل، لأنَّ محمداً لم يرسل برسالة شاعر للتفنن في القول، والتنويع في ضروب الكلام، وعرض الصُّور المزركشة من الأخيلة والأوهام لاستحداث المتعة على النحو الذي يفعله الشعراء، بل إنَّ محمداً بعيدٌ - بنص القرآن - عن هذا الوصف، إنه نبي مُرسل لغرضٍ مُقدَّرٍ ومرسوم، وهذا الغرض هو تبليغ الشريعة وجمعُ الأمم حولها لينضموا تحت لوائها»، ولم يُشر القائل إلى المصدر الذي أخذ منه، وأيًا ما كان فحكمُهُ الأخير على القرآن ينتزع الإعجاب والاحترام في القرآن وهو يجبُّ ما قبله، ويتجلى لنا تأثر جوته بروح وعبارات القرآن الكريم واضحًا في (ديوانه الشرقي) من ذلك المقطوعة التي اخترناها تحت عنوان «تعويذة»: لله المشرق والمغرب، وفي راحتيه الشمال والجنوب. هو الحق ومشيئته في عباده حق، له الأسماء الحسنى، تبارك الله اسمه وتعالى علُّوا كبيرًا، آمين:

«يتخطفني وسواس الغواية، وأنت المُعيذ من شر الوسواس، فاهدني اللهم في الأعمال والنيات إلى الصراط المستقيم.

فاشكر ربك إذا ابتليت واشكر ربَّك إذا عوفيت».

ومن مظاهر تأثر الشاعر بالقرآن الكريم، استعارة ألفاظ صريحة من الآيات الكريمة وإدراجها في سياق نصوصه الأدبية، يقول: «لِمَ لا أستعمل ما طاب لي من التشابيه، والله لا يستحيي أن يضرب للحياة مثلاً من البعوضة؟» وتلك إشارة إلى الآية الكريمة:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا...﴾ [سورة البقرة، الآية: 26]

ولعل ذروة أقواله هذا البيتُ المقتبس من أشعار الحكمة في ديوانه: إذا كان الإسلام معناه التسليم لله فنحن - جميعًا - نحيا ونموت مُسلمين.



«إذا كان الإسلام معناه التسليم لله - فنحن جميعاً نحيا ونموت مسلمين».

الشاعر الالماني غوته

هذا وقد ألّف جوته في شبابه تمثيلية عن محمدﷺ.، فصلُها الأول تحت عنوان: «مناجاة محمد»، فيها صوَّر الرسول في إحدى خلواته في الصحراء المترامية الأطراف تحت سماءٍ زاهرة النجوم، واعتمد الشاعر في المناجاة على مضمون آيات من سورة الأنعام لدحض الشرك (73 ـ 79)، ثم يدور حوار بين الرسول ومُرضعته حليمة السعدية، ومَنْ يُتاح له الإطلاع على الحوار بأكمله وعلى مذكرات جوته، سيلمس مقدار تغلغل جوته في خصوصيات الدعوة الإسلامية والسيرة النبوية. لقد اقتصرنا في الحديث هنا على الألمان وحدهم، أما مساهمات غيرهم من الأوروبيين فستكون موضوعًا في مقالة قادمة إن شاء الله .

ملف

ثاباتا (Zapata) والعرب

د. علي حسين الحلو*

عندما يذكر اسم المكسيك كدولة ذات موقع جغرافي وتمازج حضاري متعدد يلمع بالذاكرة على الفور اسم الثائر المكسيكي (ثاباتا) مفجر وزعيم إحدى أهم ثورات العصر الحديث، والذي يقترن اسمه في الذاكرة العربية بالذات باسم (سيمون بوليفار) في فنزويلا، وإذا كان نحو قرن من الزمن يكاد ينصرم على اندلاع ثورة المكسيك الشعبية والتي قامت في العشرين من شهر الحرث (نوفمبر) عام 1910 مسيحي فإن زعيمها (ثاباتا) لا يزال باقياً في ضمير وقلب كل مكسيكي حر، ويرى المكسيكيون أن ثورة (ثاباتا) تشكلت في البداية من جموع الفقراء والفلاحين شبه المعدمين، وكان المنطلق الأول للثورة القضاء على الظلم والجوع والحرمان وإعادة الأرض والحرية إلى أصحابها الحقيقيين وبوضع حد لجور وتعسف الإقطاعيين.

كان إيميليانو ثاباتا Emiliano Zapata ويكتب اسمه بالعربية «زباتا» من أوائل المطالبين بالأصلاح الزراعي في المكسيك حيث تحتكر المساحات الشاسعة من الأرض لصالح فئة محدودة من السكان، ويعمل على توزيعها على المستحقين من الفلاحين، وكرّس جل وقته لهؤلاء الحيارى، ومات من



الثائر المكسيكي (ثاباتا)

أجلهم، ومن أجل استرداد كرامتهم وحقوقهم، واليوم فإن فقراء المكسيك، وخاصة في منطقة موريلوس Morelos جنوب المكسيك شديدو الاعتزاز باسم ثاباتا، الذي يكنون له كل الاحترام والتقدير والوفاء،

* كاتب، سفير فلسطين الأسبق في المكسيك / اسبانيا

ولقد عشت ولمست هذا الوفاء بين أولئك الفقراء عندما كنت أعمل بالمكسيك في مكتب منظمة التحرير الفلسطينية بين عامي 1990 ـ 1994 مسيحي، وخلال إحياء الذكرى التسعين للثورة المكسيكية قرأت العديد من المقالات عن الثورة، وعن دور إميليانو ثاباتا، إلا أن مقالاً مهماً لفت انتباهي، حيث لم أكن أعلم كعربي بأن ثاباتا ارتبط بعلاقات حميمة مع مجموعة من العرب المغتربين كانوا يقيمون في موريلوس حيث كان يعيش.

والحقيقة أن تلك العلاقات الحميمة، والتي تطورت إلى روابط الأخوة والصداقة التي جمعت ثاباتا بأولئك العرب تكاد تكون مجهولة تماماً في المكسيك (باستثناء منطقة موريلوس)، وربما يكون هناك من يريد تجاهل هذه الحقيقة، وعدم تداولها لكي تبقى نسياً منسياً.

من هنا أسعى بهذه النبذة المختصرة إلى تعريف العرب، وخاصة الباحثين منهم، بتلك الروابط مع المزيد من الحقائق عن حياة ثاباتا الذي أحب العرب، ودافع عنهم في غربتهم حيث كانوا يعيشون بعيداً عن أوطانهم وأهليهم.

ولد إمليانو ثاباتا في بلدة تسمى أيالا Ayala عام 1883 مسيحي، أما فترة طفولته فإنها غير معروفة تماماً، إلا أن هناك بعض المراجع تشير إلى أنه كان فتى شجاعاً قوياً سريع الانفعال، فلم يكن يتردد لحظة واحدة عن التمرد والعصيان ضد المعاملة السيئة التي كان الإقطاعيون يعاملون بها الفلاحين الفقراء.

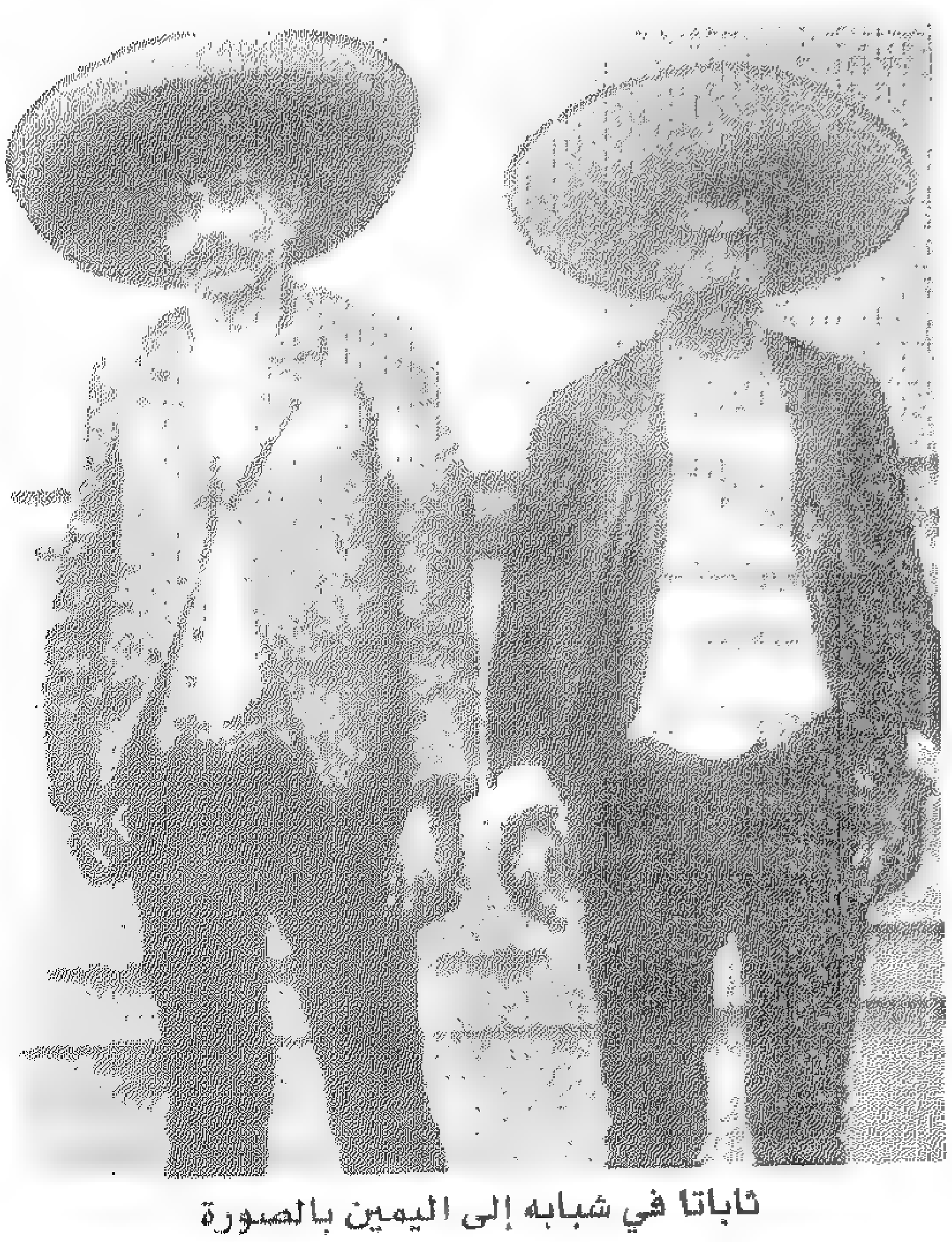
كان ثاباتا ينتمي إلى عائلة فقيرة من الفلاحين، مما اضطره للعمل منذ الصغر في حقول الأغنياء.

وعلى الرغم من ذلك فإن بعض المدرسين الذين علموا ثاباتا خلال المرحلة الابتدائية أجمعوا على أنه كان يتمتع بذكاء واضح.

الحب كان من طبيعته، ولكن حبه الأكبر كان للفلاحين ولأصدقائه العرب المغتربين، وكان كثير الجلوس مع شيوخ قريته للتحدث معهم وأخذ النصائح والعبر منهم.

وكم من مرة دافع ثاباتا عن الفقراء والمستضعفين، وكان عندما يرى ظلماً أو جوراً أو عدواناً يقع على أحد منهم فإنه لا يتردد قط عن مقاومة هذا الظلم بالقوة وكثيراً ما كان يستعمل سلاحه الخاص في الدفاع عنهم، كان يدافع عن الفلاحين والفقراء المكسيكيين والعرب الذين كانوا هم أيضاً من الفقراء يبيعون في شوارع موريلوس. ففي تلك الفترة عانى المغتربون العرب أقصى أنواع الرفض والتمييز العنصري والإهانة، وعانوا الأمرين من قبل الطبقة الأقطاعية التي كانت تهيمن وتسيطر على كل شيءٍ بالمكسيك.

وكانت قوات الشرطة التابعة أثناء حكم الرئيس الجنرال بورفيريو دياث Porfirio Diaz تطارد البائعين العرب في شوارع موريلوس وتعاملهم معاملة غير انسانية، وقد حكم دياث المكسيك مرتين آخرها



ثاباتا في شبابه إلى اليمين بالصورة

انتهت سنة 1911 مسيحي، وقد حفظ له التاريخ جملته الشهيرة : «مسكينة هي المكسيك، إنها بعيدة جداً عن الله وقريبة جداً من الولايات المتحدة الأمريكية»

"Pobre Mexico tan lejos de dios.

Ytan cerca de los estados unidos"

لم يجد هؤلاء المحرومون العرب أحدا يدافع عنهم ويرفع كل هذا الجور والأزدراء إلا إيميليانو ثاباتا، فكان الصديق والأخ الحنون للمغتربين العرب، وبالمقابل فقد أحبه هؤلاء وتعلقوا به لأنه وقف إلى جانبهم في الأوقات الصعبة، لقد تصدى ثاباتا وبكل قوة وفي أكثر من مرة لقوات الشرطة في موريلوس من أجل الدفاع عن حق العرب في حياة حرة و كريمة.

كان إيمليانو ثاباتا يحب الجلوس مع أصدقائه العرب لسماع قصصهم والتعرف على مشاكلهم وقضاياهم، كان شغوفاً ومعجباً بالقصص العربية، وكان مهتماً بالثقافة والحضارة العربية والإسلامية والعادات والتقاليد العربية، وكان معجبا أيضا بالمأكولات العربية وخاصة الشرقية، ذلك لأن أغلبية العرب المهاجرين إلى المكسيك وقتئذ هم من أصول سورية ولبنانية و فلسطينية وعراقية.

وكان ثاباتا يعرب دائماً عن أعجابه منذ الصغر باللغة العربية، وكان يطلب من أصدقائه العرب أن يعلموه بعض الكلمات من هذه اللغة الجميلة كما يقول ثاباتا.

وكان مهتماً بالدين الإسلامي ومعرفة أركانه ومبادئه، والإطلاع على سيرة النبي محمد ﷺ.

وعندما بلغ الثالثة والعشرين من عمره انخرط في العمل السياسي، ولكنه قمع واضطهد لأنه كان ينادي بأفكار مختلفة تماماً، وبالتحديد ينادي بإعادة الأراضي والحرية لأصحابها الحقيقيين.

وعندما بلغ السابعة والعشرين بدأ يحقق بعض الانتصارات، التي اعتبرت انتصاراً لكل المحرومين، وبالطبع كان انتصاراً لأصدقائه المتغربين العرب، حيث نالوا بعض حقوقهم، وأصبحوا أحراراً، يتمتعون بالمساواة وبالأمن والإحترام والكرامة والتي كانت معدومة تماماً.

وعند اندلاع الثورة المكسيكية يوم 20 من شهر الحرث (نوفمبر) 1910 مسيحي كان إميليانو ثاباتا من أوائل قادتها، وانضم العديد من الفلاحين الفقراء إلى صفوف الثوار، لأنهم كانوا يرغبون في الوقوف إلى جانبه.



كان ثاباتا مهتماً بالدين الإسلامي ومعرفة أركانه ومبادئه، والإطلاع على سيرة النبي محمد ﷺ

وخلال فترات الهدنه كثيراً ما كان يتحدث للفلاحين عن الأراضي والحرية التي سلبت منهم من قبل الأقطاعيين والنظام الدكتاتوري.

وكان يقص على الفلاحين الثوريين حكاياته وقصصه مع أصدقائه العرب منذ الصغر، ويحدثهم عن العرب وقصصهم وعن كرمهم والذي يعتبر من أهم الصفات التي يتمتعون بها.

وبعد سبع سنوات من الثورة والنضال انتصر ايميليانو ثاباتا، وظل أميناً لمبادئه، ومدافعاً عن الفلاحين الفقراء، وبقي طوال حياته زاهداً في كرسي الحكم. فلم يجلس عليه يوماً واحداً رغم إمتلاكه له. وبعد هذا الإنتصار لم ينس ثاباتا أصدقاءه العرب القدامى، الذين أحبهم وأحبوه فقد أجزل لهم العطاء، ومنحهم امتيازات كثيرة، وأصبحوا في وضع يحسدون عليه، وبالفعل لقد كان انتصار ثاباتا انتصاراً لكل المحرومين والفقراء.

ولكن قوى الشر والاستغلال لم ترض عن هذا



«مسكينة هي المكسيك، إنها بعيدة جداً عن الله وقريبة جداً من الولايات المتحدة الأمريكية»

"Pobre Mexico tan lejos de dios.
Ytan cerca de los estados unidos".

الرئيس المكسيكي بورفيريو دياث

الوضع الجديد، ولم تقبل به، ولم تكن راغبة في التخلي عن السلطة وعن النظام الإقطاعي، وتحالفت من أجل قتل روح هذه الثورة التي كان ايميليانو ثاباتا رمزاً لها، فتآمرت عليه، واغتالته في بلدة شيناميكا Chinameca يوم 10 من شهر الطير (ابريل) عام 1919 مسيحي، حيث انهال عليه الرصاص من كل جانب، لكن جواده الأبيض انطلق بعيدا عن مكان المصيدة التي وقع بها صاحبه.

اغتيال ايميليانو ثاباتا كان ضربة مؤلمة لجميع الفقراء المكسيكيين وأصدقائه العرب الذين وقع الخبر عليهم كوقوع الصاعقة...

لكن العديد من كبار السن في المناطق الجنوبية التي كان عاش فيها ايميليانو ثاباتا مثل: اننكويلكو Anencuilco وبلده كواوتلا Cuautla رفضوا قبول هذا الخبر الحزين ولم يصدقوه على الإطلاق، إنهم يرددون دائماً أن رجلاً شجاعاً آخراً هو الذي ذهب ومات بدلاً من ثاباتا.

الغريب في الأمر أن شيوخ المنطقة في موريلوس يؤكدون حتى يومنا هذا ويصرون على أن ثاباتا لم يمت، وأن أصدقاءه العرب الذين أحبوه قد حملوه معهم الى البلاد العربية لكي يطلعهم على تجاربه التي خاضها في المكسيك.

غالباً ما يتحسر هؤلاء الشيوخ لأن غياب ثاباتا قد طال في البلاد العربية، وانه قد آن الأوان لكي يعود من هناك، وأن أملهم ما زال كبيراً في عودته إليهم، والى موريلوس.

إنهم يقولون: حتماً سيعود ثاباتا يوماً ما إلى الجبال الجنوبية وهو يرتدي زيه المشهور من أجل النضال مجدداً دفاعاً عن الفلاحين الفقراء الذين سرقت منهم أراضيهم وطردوا منها بعد غيبته في



ثاباتا في أواخر أيامه

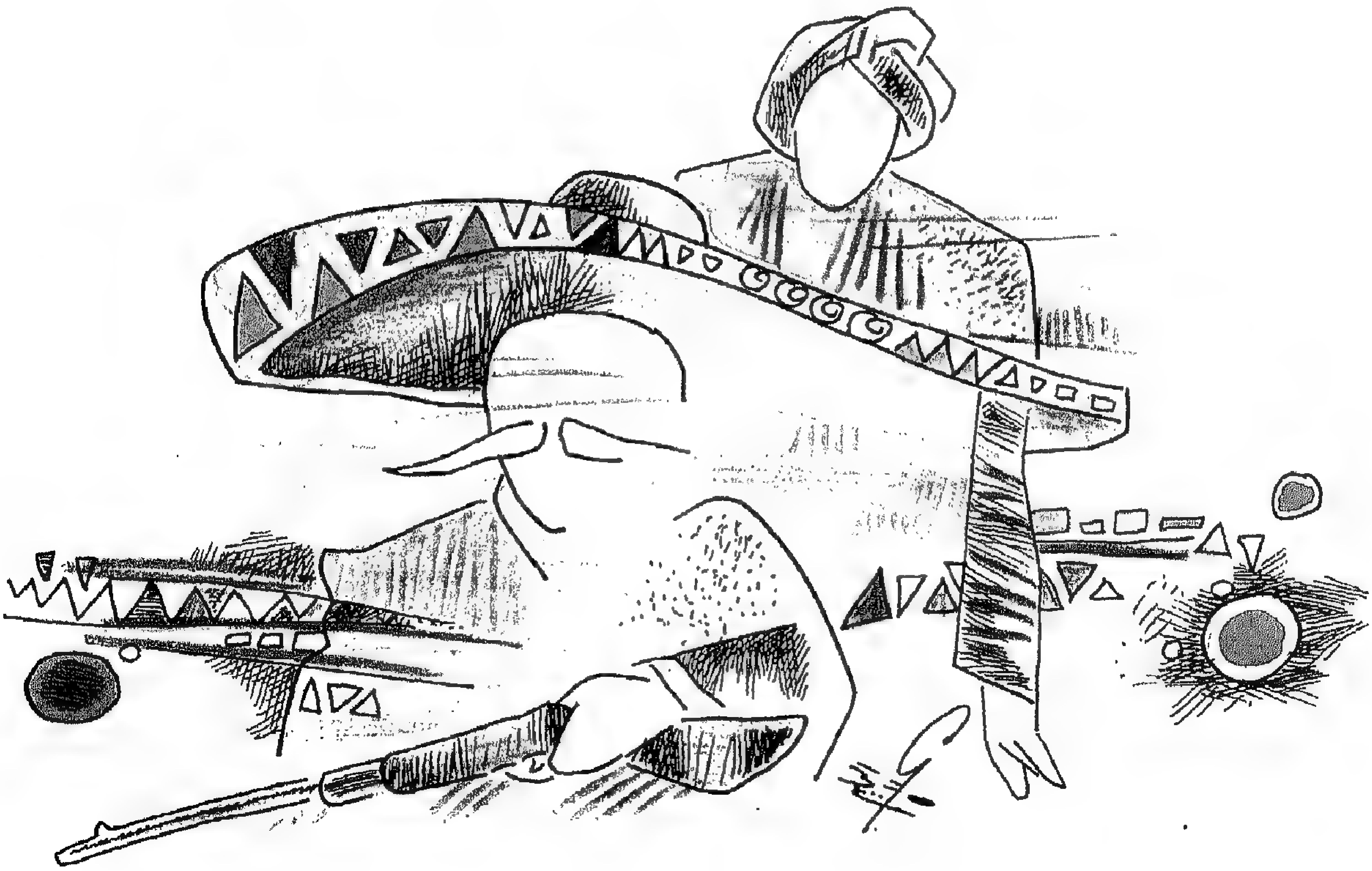
البلاد العربية وللدفاع عن الحرية التي سلبت منهم.

هذا ما يقوله ويعتقده ويؤمن به كل شيوخ بلده شينا ميكا Chinameca التي اغتيل فيها ثاباتا عن عمر يناهز ستة وثلاثين عاماً، ويعيش ابنه البالغ من العمر حوالي 86 عاماً في مدينة موريلوس.

تلك هي بعض من قصة الثائر إميليانو ثاباتا مع العرب في موريلوس، والتي ينبغي أن يعرفها العرب والمكسيكيون على حد سواء لأنها قصة من قصص الصداقة والأخوة الاحترام المتبادل.

لذا فسنظل نحن العرب نكن كل الاحترام والتقدير لذكرى ثاباتا، شاكرين له على الدوام كل ما قدمه إلى إخوتنا العرب في المكسيك من دعم ومساعدة ومحبة.

وختاماً نقول لشيوخ بلدة شينا ميكا Chinameca بأن إيميليانو ثاباتا يعيش معنا في البلاد العربية، ولكن داخل قلوبنا وقلوب كل الأحرار والمدافعين عن الأرض والحرية والكرامة أينما كانوا.



إيطاليا
وتاريخ الدراسات العربية والإسلامية

محمد القاضي *

كان الأوربيون على اتصال بالشرقيين منذ العصور القديمة التي شهدت ميلاد أولى العلاقات التجارية والسياسية بين أوروبا والشرق، بحكم قانون التطور ونمو الحاجات العلمية، وظهور حركات التبشير. وقد توثقت هذه العلاقات في العصور الوسطى أكثر من السابق، ومن ثم دخلت طوراً جديداً مع ظهور الرأسمالية في أوروبا التي أصبحت بحاجة متزايدة إلى الشرق وخيراته، فغدت معرفة دقائق الأمور المتعلقة بشعوب هذه الرقعة الحساسة من العالم مهمة وضرورية، فرضت ظهور علم قائم بذاته على صعيد القارة الأوروبية عرف بالاستشراق، الذي استهدف دراسة تاريخ شعوب الشرق واقتصادياتها ولغاتها وفنونها وعاداتها وديانتها وفلسفتها، وغير ذلك من المواضيع، فيكون بذلك الاستشراق وليداً شرعياً للنظام الرأسمالي، واستجابة ضرورية لمتطلباته، وليس مجرد صدفة كما يعتقد البعض. وظهر كحقل علمي مستقل في القرنين السادس عشر والسابع عشر. والاستشراق كعلم إنساني هو بدوره امتداد لبقية العلوم الانسانية التي ولدت في الغرب.

إيطاليا وبداية الاتصال مع البلاد العربية :

كانت إيطاليا بحكم قربها نسبيًا من دنيا العرب في شمال إفريقيا وفي الشرق الأدنى على اتصال مبكر ووثيق بالبلاد العربية، يعود في القدم إلى العهد الروماني، أي إلى ما زيد على العشرين قرنًا من الزمن. ثم بدأت هذه الصلات تتوطد منذ أن احتل العرب «صقلية» وقسمًا من جنوب إيطاليا في القرن العاشر وحتى القرن الثالث عشر للميلاد. وقد بلغت جزيرة صقلية أوجها الحضاري في عهد ولاتها الفاطميين بني أبي الحسين الكلبيين (336 ــ 431 هـ/ 947 ــ 1040م). إن فترة السيادة العربية على جزيرة صقلية تميزت إجمالاً بالتسامح الديني والارتقاء الحضاري، كما تميزت بالازدهار الزراعي والنشاط التجاري. وقد أحدث العرب تغييرًا مهماً في نظام ملكية الأرض وتوزيعها. والمفردات العربية الكثيرة في اللهجة الصقلية شاهد على مبلغ اهتمام العرب بالزراعة.

إن دور صقلية في انتقال التراث الفكري العربي إلى بقية بلدان أوروبا دون دور الأندلس، ومع ذلك، فإن عظمة مملكة صقلية النورمانية في القرن الثاني

* كاتب وباحث / المغرب

عشر الميلادي أدت ـ بفضل مسلمي الجزيرة ـ إلى قيام حركة النهضة الإيطالية. كما كان لعلماء صقلية مكانة مرموقة في تاريخ العلوم الأوربية، فقد عرفوا التعليل الهندسي والرياضيات التطبيقية، وكان بين أيديهم كتاب (المجسطي) لبطليموس، وهو العمدة عند القدامى في علم الفلك. كما أن مدرسة «سالرنو» الطبية كانت في طليعة مدارس الطب بأوربا، وكانت تتوفر في صقلية المكتبات والمخطوطات.

ومما يؤثر عن أحد رجال البلاط في «بَلَرْمُ» في منتصف القرن الثاني عشر قوله لطالب انجليزي اسمه «روبرتوس» كان يزور صقلية ثم أخذ يستعد للعودة إلى بلاده: ولم العجلة ؟ ولماذا لا تبقى في صقلية التي هي جنة أهل العلم؟.

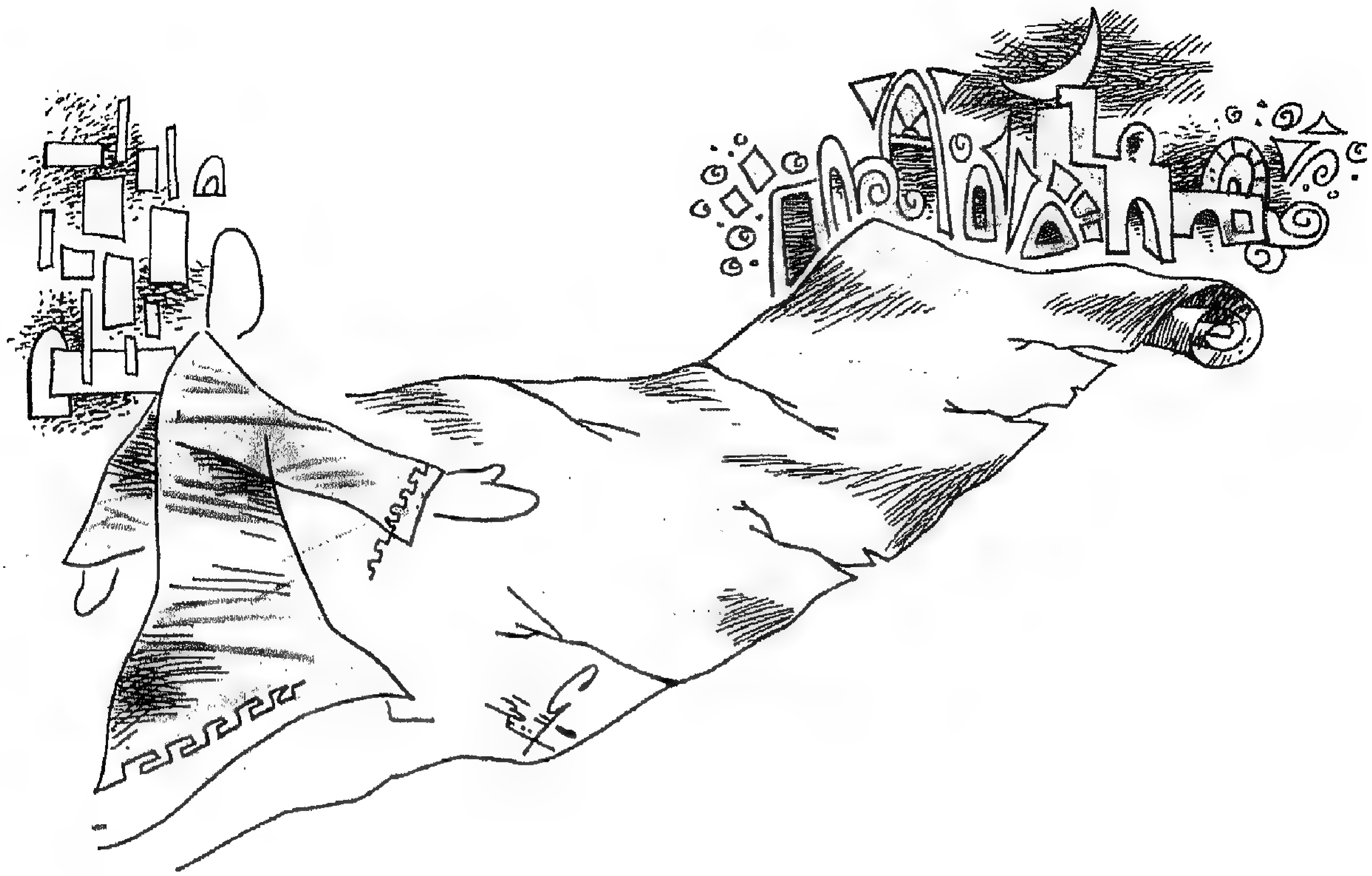
كانت اللغة العربية لغة العلم دون سواها في العصر الوسيط. وبسب تفشي الجهل في أوربا آنذاك، كان الناس ـ منذ مطلع القرن الثاني عشر ـ يتوجهون إلى صقلية والأندلس للتعرف على أسرار الكون وعلومه. وبالرغم من الإقبال على طليطلة فإن البعض رأى أن صقلية كانت تحظى بمزية كبرى، لأنها كانت ثقافيًا ما تزال جزءًا من العالم العربي، كما كانت على اتصال بالشرق اليوناني. ففي صقلية دون سواها كان يمكن دراسة الحضارتين العربية واليونانية مباشرة والمقارنة والجمع بينهما. وساهم الإيطاليون مساهمة فعالة في مدرسة طليطلة بالأندلس، وكان من روادها الإيطالي (جيراردو داكريمونا) المتوفى عام 1187م، الذي انتقل إلى طليطلة وترجم إلى اللاتينية ما لا يقل عن سبعين مؤلفا عربيا، نذكر منها كتاب (المجسطي)، وبحثًا في علم الفلك لجابر ابن أفلح، وآخر لابن الهيثم عن الشفق، وقانون الطب لابن سينا، والموجز في الفلك للفرغاني، وتعليق التبريزي على الكتب العشرة الأولى لإقليدس، وكتاب الأنوار لربيع بن زيد، وبحثًا موجزًا في الجبر لا يعرف مؤلفه، وكتاب الجبر للخوارزمي.

ترجم الايطالي جيراردو داكريمونا أكثر من سبعين مؤلفاً عربياً في علوم الفلك والطب والرياضيات وغيرها.

هذا، وقد بدأت جامعة «بولونيا» في سنة 1076م تهتم بعلوم العرب وتعنى بالدراسات العربية، ثم تبعتها جامعة «نابولي» في سنة 1224م وجامعة «سيينا» في سنة 1246م وجامعة «روما» في سنة 1248 ثم جامعة «فلورنسا» في سنة 1321م وجامعة «بادو» في سنة 1361م ثم الجامعة «الغريغورية» في سنة 1553م اهتمت باللاهوت والحق القانوني الشرقي والدراسات الإسلامية.

وفي سنة 1584م أسس البابا (غريغوريوس الثالث عشر) الكلية المارونية في روما التي لا تزال قائمة حتى اليوم، والتي تخرج منها على مدى قرنين من الزمن نخبة من المتخصصين باللغات الشرقية انتشروا في حواضر البلدان الأوربية، أمثال روما وباريس وفلورنسا والإسكوريال ومدريد ولشبونة، يترجمون للملوك والأمراء إلى جانب التدريس في الجامعات والاهتمام بجمع المخطوطات. وأخذت الكنيسة الكاثوليكية في إرسال البعثات التبشيرية إلى الشرق، وكانت ترمي من وراء ذلك إلى أن تضم الكنائس الشرقية إليها. وأدركت هذه البعثات أنه لا بد ـ حتى تصل إلى غرضها ـ من أن تتقن لغة البلاد التي تريد التبشير فيها. وكان هذا هو الباعث الأول على دراسة جدية للغة العربية.

ووضحت الفكرة عند أهل أوروبا بأن الانتصار بالسلاح والاستيلاء على الأراضي المقدسة في فلسطين لا يساعد على دخول المسلمين في



المسيحية، ووجدوا أن خير سبيل إلى ذلك هو الجدل في العقيدة. ولهذا عملوا جادين لمعرفة حضارة العرب وعاداتهم وأخلاقهم وعلومهم ولغتهم.

كما ازداد الاهتمام بالمخطوطات العربية، مما استوجب جلب علماء من بلاد المشرق العربي لتدريس اللغة العربية، وفهرسة هذه المخطوطات، والمساهمة في ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العربية. ولعل أسماء العديد من اللبنانيين أمثال جبرائيل الصهيوني الأهدني (ت 1648م) ويوحنا الحصروني (ت 1626م) وإبراهيم الحاقلاني (ت 1665م) وسواهم ممن كان لهم تأثير بارز في انطلاق الدراسات العربية في إيطاليا. كما قام يوسف السمعاني (1687 ـ 1768م) بعد ذلك بوضع الأساس للمكتبة الشرقية، ووصف وتلخيص كل المخطوطات الشرقية الموجودة في مكتبة الفاتيكان.

وحوالي سنة 1650م تولى «دي سيليسيا» الإيطالي ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية، ولكنها لم تطبع. وقام «ماراتشي» (ت 1700م) بترجمة كاملة للقرآن إلى اللاتينية سنة 1698م وكان قد قدَّم لها بشروح وتعليق في أربعة أجزاء نشرها سنة 1691م، واعتمد فيها على مصادر عربية للمفسرين والشراح المسلمين.

وظهرت ترجمة «ماراتشي» للقرآن باللاتينية والنص العربي، واعتمد «سيل» على ترجمة «ماراتشي» في ترجمته الإنجليزية للقرآن الكريم سنة 1734م.

العلماء الإيطاليون والدراسات الإسلامية:

كان لعلماء إيطاليا اهتمام كبير بكتب المعاجم واللغة، فأخذوا في دراسة الألفاظ العربية واللغة،

ولعل أقدم ما نعرفه عنهم مخطوطة محفوظة الآن بمكتبة فلورنسا من القرن الثالث عشر، وهي قاموس بالعربية واللاتينية لا يعرف مؤلفه. ولهذا القاموس أهمية خاصة، فقد شكَّل الألفاظ العربية كما كانت تنطق في القرن الثالث عشر، وهو بذلك يفيد في دراسة اللهجات العربية في ذلك القرن.

واستمر اهتمام علماء إيطاليا بدراسة اللغة العربية وألفاظها. ففي سنة 1592م ظهرت دراستان في النحو، إحداهما (الكافية لابن الحاجب)، التي لاقت نجاحًا متواصلاً. والثانية (الأجرومية) لابن آجروم كما أظهر العالم الإيطالي «أنطونيو جيجاي» اهتماما بتأليف المعاجم فنشر سنة 1632م في مدينة ميلانو قاموسًا باللغتين العربية واللاتينية في أربعة أجزاء ضخمة، واعتمد فيه على القاموس للفيروز أبادي اعتمادًا كبيرًا، وبذلك كان له السبق في تعريف الغرب بالمعاجم العربية والاهتمام بها. فقد كان على اطلاع واسع على اللغات العربية والعبرية والفارسية.

ويرى ميشال فاني في دراسته لتاريخ الاستشراق في إيطاليا المنشورة في مجلة (العربي) عدد: 31 والخاص بالاستشراق : أن دخول المطبعة العربية إلى إيطاليا يعتبر أقل أهمية لإيطاليا من أهميتها بالنسبة إلى علاقة اللغة بالتقنية وما يمثل ذلك من برهان. فمع النهوض، سيعود للظهور كل ما يتناول قضايا الترجمة والاتصال... ومن البين أن انعدام التقدم في الدراسات العربية متصل بواقع أنه لم يكن يوجد في أوروبا حروف طباعة عربية. فإذا كان ينبغي طبع نص، كان يجب حفره على الخشب وفقًا لنموذج واحد هو نموذج الحروف المنفصلة التي لم يكن هناك من يعرف كيف يجب وصلها تمامًا. وحتى عندما يكون مُحسِنٌ مستعدًا لتحويل طبعة كاملة، كما هي حال (غيوم بوستيل) فإن الحروف المحفورة بيد غير المحققة، لم تكن قادرة على إنتاج مجموع متناسق. لقد أنشأ (فرديناند دي ميديشي) دوق توسكانة الأكبر، مدعوماً من الرهبنة بدافع البابا غريغوار الثالث عشر، مطبعة ذات حروف جيدة صنعها (ريموندس) عرفت بمطبعة (ميديكيا) وكان هذا الأخير قد أمضى مدة في الشرق وأتقن العربية، فعمل على قطع حروف عربية جديدة للمطبعة ملتقطة غير متفرقة كما كانت من قبل؛ وطبع بالحروف الجديدة (قانون) ابن سينا سنة 1586م، و(الأناجيل) سنة 1591م و(الكافية) لابن الحاجب، والأجرومية لابن آجروم سنة 1592م، وكتاب (نزهة المشتاق) للإدريسي وكتاب (النجاة) لابن سينا سنة 1593م. وكان السلطان مراد الثالث (1547ـ 1595م) قد سمع منذ سنة 1588م ببيع مطبوعات هذه المطبعة في أنحاء الدولة العثمانية، وكان أولها كتاب تحرير أصول أقليدس لناصر الدين الطوسي (طبع سنة 1594م).

كانت المطبعة العربية في إيطاليا حافزا للهولندي، «رافيلينجيوس» في إنشاء مطبعة في هولندا، كما كانت أساس تفكير الطبيب الألماني «كيرستن» في إنشاء مطبعة عربية فى ألمانيا.

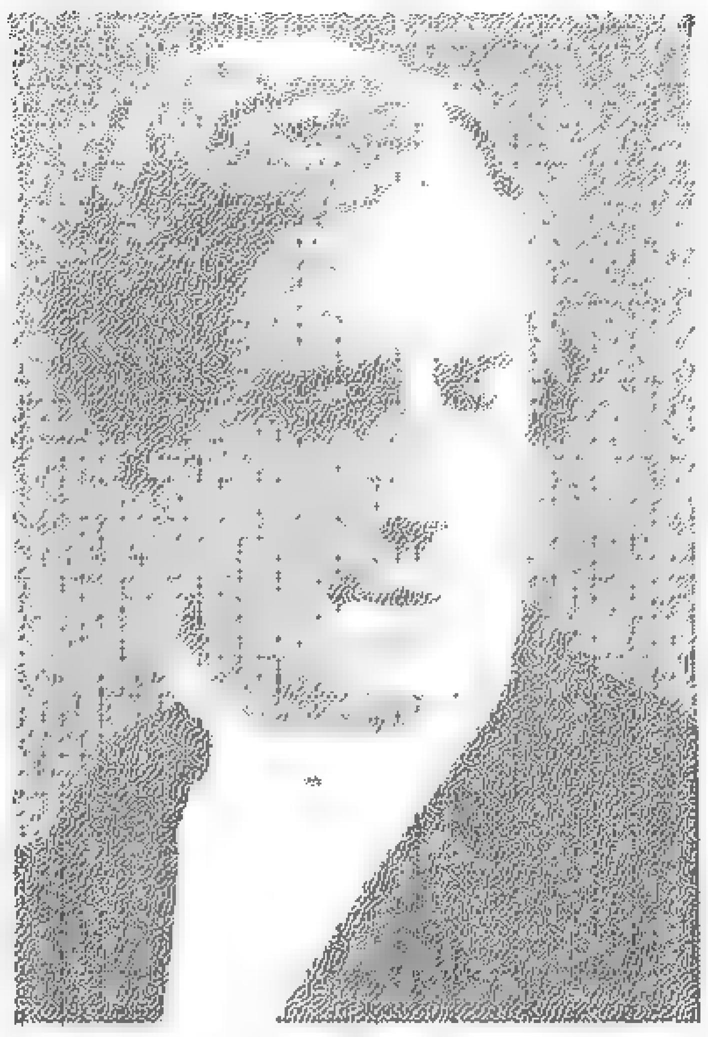
وكانت المطبعة العربية في إيطاليا حافزا للهولندي، «رافيلينجيوس» (1539 ـ 1597م) في إنشاء مطبعة في هولندا، ولكنها لم تصل في شكل حروفها إلى المستوى الراقي الذي وصلته المطبعة الإيطالية كما كانت أساس تفكير الطبيب الألماني «كيرستن» (1575 ـ 1460م) في إنشاء مطبعة عربية فى ألمانيا. ولكنه لم يجد من يشجعه من حكام ألمانيا على الاستمرار في مطبعته فحملها معه إلى السويد حيث توفي هناك سنة 1640م.

ومرّت على الطباعة العربية مدة فتور في أوائل القرن السابع عشر، فالكتب العربية المطبوعة لم تجد رواجًا في الشرق، إذ كان مظهر الكتاب المطبوع يخالف ما اعتاد عليه الناس من شكل الخط العربي المنسوخ، وكانت العناوين تنقص الكتب، كما كان بها أخطاء مطبعية ونحوية كثيرة. أضف إلى هذا أن القارئ العربي أخذ يشك في نية الغرب من طبع هذه الكتب. وهنا اضطرت المطابع العربية في أوروبا إلى الانصراف عن طبع كتب الأدب والدين واتجهت إلى طبع المعاجم وقواعد اللغة.

أخذت الصلات الاقتصادية والسياسية بين الدول المسيحية في الغرب والدول الإسلامية في الشرق منذ القرن السابع عشر مظهرًا جديًا، كما اتخذت الدراسات العربية طريقًا مثيرًا ظهر بعد الثورة الفرنسية، وتقدّمت هذه الدراسات تقدمًا محسوسًا في القرن التاسع عشر، وتوسع العلماء في الدراسات التاريخية والآداب العربية والدراسات الفقهية، والجغرافية وعلم الفلك والفكر الإسلامي. وظهر في طليعة القرن التاسع عشر مستشرق كبير كان له الدور الفعّال في بعث الدراسات الاستشراقية في إيطاليا، وهو (ميكيل أماري 1806 ـ 1889م) صاحب المؤلفات الشهيرة عن تاريخ المسلمين في بلده صقلية. كما عنى بنشر وترجمة وشرح الشهادات العربية في تسجيلا فلورنسا. كما نشر بالاشتراك مع (سيكيا بريلي) جزءًا من كتاب (نزهة المشتاق) للإدريسي.

ولأماري يعود الفضل ـ كما يقول المستشرق الإيطالي المعاصر (ريزيتانو) ـ في وضع الحوليات المسماة (المكتبة العربية الصقلية) التي طبعت على نفقة جمعية المستشرقين الألمان في ليبزيج سنة 1857م. إن ميكل أماري بمكانته العلمية وأهمية عمله، هو الذي أدخل الدراسات الشرقية إلى إيطاليا، وأعاد تقويم الإرث العربي لإيطاليا في صقلية، في لحظة ولادة إيطاليا الحديثة.

الاستشراق الإيطالي بين الإنصاف والاجحاف:



ليوني كايتاني

إن الاستشراق الإيطالي ـ أو كما يسميه المستشرق الإيطالي الكبير (فرانشيسكو غابريلي) (الاستعراب) لأنه وُجه لدراسة اللغة العربية وآدابها وحضارة المسلمين وعلومهم، فلا يكاد يوجد له أثر واضح في غير الدائرة العربية ـ قد ركز جهده حول دراسة العربية الفصحى والإسلام.

ولإيطاليا علاقة خاصة بالعالم العربي، وبالتالي بالأدب والثقافة العربيين، ولا تأتي هذه الخصوصية في العلاقة من خلال السيطرة الاستعمارية التي تمتعت بها كل من فرنسا وإنجلترا مثلاً في أجزاء شاسعة من المنطقة العربية، بل جاءت نتيجة علاقة تاريخية تمتد لقرون عديدة، بسبب تواجد العرب في صقلية وجنوب إيطاليا في القرنين الحادي عشر، والثاني عشر بعد الميلاد، كما سبقت الإشارة إلى ذلك. وكان لوجود الفاتيكان في إيطاليا أثر كبير في توطيد الصلة بينها وبين البلاد الشرقية، نظرًا لما يوليه هذا الأخير من أهمية كبيرة جدًا في التبشير بالدين المسيحي، ومحاولة تنصير الشرقيين في كل مكان. فكان له أثر كبير كذلك في ظهور الاستشراق الايطالي وتطوره.

ونظرًا للطابع الديني الذي غلب عليه، فقد تركزت دراساته وأبحاثه على الإسلام والمسلمين، وخاصة العرب منهم، إلى جانب الاهتمام باللغة العربية وتأليف الكتب فيها وفي بعض لهجاتها. ولكنه ما لبث أن تحول إلى دافع تجاري ثم إلى دافع سياسي وخاصة عندما بدأت إيطاليا غزو ليبيا سنة 1911م. وكان من بين المعارضين القلائل في البرلمان الإيطالي لهذا الاحتلال المستشرق الكبير «ليوني كايتاني» (مؤرخ ومستشرق اهتم بالتراث الإسلامي) وقد تعرض لكثير من النقد اللاذع إبَّان معركة انتخابية سنة 1913م حيث كانت ملصقات منافسة ترسمه وهو يرتدي الطربوش التركي. لقد كانت المؤثرات التي دعت هذا المستشرق لأن يقف موقف المعارضة عظيمة الأثر على نفسه، فقد ألف هذا المستشرق الحوليات العشر التي تنتهي عند القرن الرابع الهجري وتتعلق بدراسة تراث الإسلام. لقد كان كايتاني مكروهًا من طرف القوميين الطليان، ولأنه كان معارضًا للفاشية، معتدًا برأيه فنفي إلى كندا بعد أن حرمه موسوليني من الجنسية. فتوفي هناك سنة 1935م.

يقول عنه «نوانشيسكو غابريلي»: يبقى موقف «كايتان» البعيد الدال على اقتناع سياسي وإنساني الذي تحدى به رأي مواطنيه. فبودنا أن تقوم ليبيا اليوم المستقلة ـ من بين العديد من الذكريات غير السارة للاحتلال الإيطالي ـ بإحياء ذكرى كايتاني، لأنه سبق الزمن ونادى بالتخلص من كل سيطرة أجنبية. كما لا ننسى الموقف النبيل الذي وقفه المستشرق (يوجينيو غريفيني) الذي أنقذ المخطوطات التركية التي كاد الإيطاليون يحرقونها في طرابلس في الأيام الأولى للاحتلال. وقد عرفته مصر مديرًا لدار الكتب من سنة 1920 ـ 1925م، قام بنشر الموسوعة القانونية لزيد بن علي، ووضع فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بمكتبة (الأمبروزيانا) بميلانو.

لقد تمكن بعض المستشرقين الإيطاليين من الرحيل إلى المشرق والعيش فيه والتدريس في جامعاته وخاصة مصر، وقد تتلمذ عدد من قادة الفكر العربي عليهم، وأذكر منهم على سبيل المثال الدكتور طه حسين الذي درس على المستشرق (نللينو). كما يتميز الاستشراق الإيطالي عن غيره بوجود الكثير من المستشرقات اللاتي أسهمن بجد وافر في مجال الدراسات الشرقية، إضافة إلى وجود ما يسمى بالوراثة العلمية، ففي مجال الاهتمام بالدراسات الشرقية نجد الأبناء يسيرون على خطى آبائهم ويكملون ما بدأوه ويجمعون ما أنجزوه، وكمثال على ذلك: (جويدي) وابنه ميكل انجلو. و(نللينو) وابنته ماريا، و(غابريلي) وابنه فرانشيسكو، الذي يعتبر شيخ المستشرقين الإيطاليين، فقد توفي سنة 1996م، وكان واحدًا من ألمع خبراء القضايا العربية والإسلامية، وأحد أعلام الثقافة الإيطالية في القرن العشرين. تمكن من نيل شرف عضوية أكثر من مجمع علمي في وقت واحد: المجمع العلمي العربي في دمشق سنة 1948م، ثم المجمع اللغوي بالقاهرة وبغداد، وعمان، ورئيس المعهد الشرقي منذ سنة 1969م. ساهم بجهد

لقد تمكن بعض المستشرقين الإيطاليين من الرحيل إلى المشرق والعيش فيه والتدريس في جامعاته وخاصة مصر، وقد تتلمذ عدد من قادة الفكر العربي عليهم.

واضح في نشر التراث العربي الإسلامي والاهتمام به حفظًا وتحقيقًا وترجمة. ألَّف ما يزيد على مائة وخمسين بحثًا وكتابًا من أبرزها: (أثر ألف ليلة وليلة في الثقافة الأوروبية) الذي نشر سنة 1944م، و(تاريخ الأدب العربي) نشر سنة 1951م، و(عالم الإسلام) سنة 1953م، و(خصائص الحضارة العربية الإسلامية) سنة 1956م، و(محمد والفاتحون العرب الكبار) سنة 1967م، و(اليوميات العربية للحروب الصليبية) سنة 1969م وغيرها من المؤلفات سواء التي كتبها هو أو بالاشتراك مع غيره من المستشرقين أو التي ترجمها من العربية إلى الإيطالية. أسس فرانشيسكو غابريلي مدرسة قائمة بذاتها في عالم الاستشراق الإيطالي، وكوَّن أجيالاً من الدارسين المهتمين بالعالمين العربي والإسلامي.

تميز فكره بالتحرر والصدق والاطلاع الواسع وفهم سليم للعرب، وتقدير لمقامهم في الماضي والحاضر. قدَّم للقارئ الإيطالي عددًا من فرائد الأدب العربي والإسلامي، نشر العديد من المقالات في الصحف اليومية ومخاطبة الناس مباشرة، وله من المداخلات الإذاعية والمتلفزة الكثير، حيث شرح ببساطة طبيعة الاسلام وتعاليم القرآن الكريم، ورفض بوقار العالم أي إشارة أو ربط بين الإسلام والعنف، ودفع بالعقول قبل العواطف إلى ضرورة فهم حياة المسلم وتفكيره، حياة العربي وعقليته، وتلك الأواصر التي تربط بين الحضارتين العربية والإسلامية والحضارات العالمية الكبرى التي أغنت الإنسانية بمناهل المعرفة والإرشاد.

ظل طوال حياته مثالاً للعطاء الفكري والاتزان العلمي والتواضع الإنساني، حظي باحترام وتقدير كبير من طرف الأدباء والمفكرين الإيطاليين والعرب. قال قبل أن يتوفى: (ليس لي إلا أمنية واحدة وهي أن يخترع الشرق قيمًا جديدة ومبتكرة قادرة على إغناء ميراث البشرية على هذه الأرض).

لقد سيطر المسلمون على البحر الأبيض المتوسط وجعلوه بحيرة إسلامية، مما اضطر الغرب الأوروبي إلى الاعتماد في اقتصاده على دواخل القارة الأوروبية فقط، بدلاً من البحر، بسبب هيمنة المسلمين عليه إلى حد كبير. وكان لهذا أثره في التدهور الاقتصادي لبلاد الغرب.

ونجد خلاصة التأثيرات العربية على الحضارة الإيطالية في الكلمات العربية التي دخلت اللغة الإيطالية، وتتركز في المبادلات التجارية والجمركية وأسماء الواردات والمهن، يضاف إليها بعض العلوم كالفلك والتنجيم والرياضيات والكيمياء والصيدلة والطب والفلسفة.

المراجع:

1- كتاب دراسات في تاريخ صقلية الإسلامية/ الدكتور أمين توفيق الطيبي.

2- كتاب الاستشراق بين دعاته ومعارضيه/ ترجمة وإعداد: هاشم صالح.

3- كتاب الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا/ الدكتور ميشال جحا.

4- مجلة كلية الدعوة الإسلامية / طرابلس، ليبيا/ العدد الثالث 1986م.

5- مجلة الفكر العربي / عدد: 13، 1983م.

6- مجلة المجلة المصرية / عدد: 37، 1963م.

ملف

آل بوش ووهم النهايات

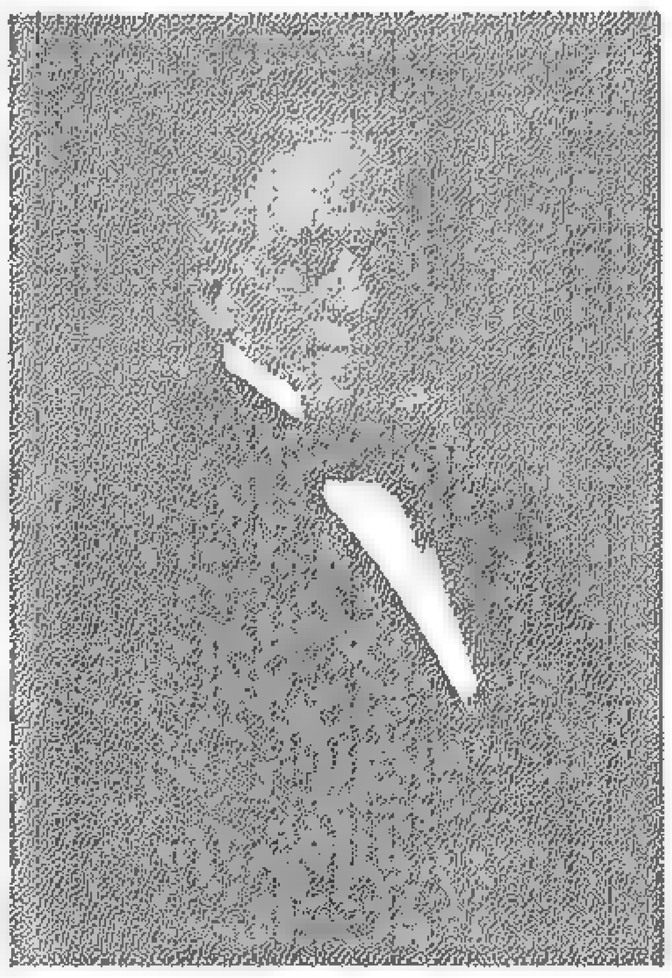
د. سالمة عبدالجبار *

يعرف الكثير من الباحثين والمهتمين بتاريخ الفكر السياسي أن الأبحاث الغربية قد عملت على طمس مراحل عديدة من التاريخ الإنساني، وعملت على تشويه تلك المراحل، وذلك لارتباطها بأهداف سياسية، واعتمادها على الغرب وحده بكل تراثه، باعتباره الإطار المرجعي الوحيد في كل تلك الدراسات والأبحاث.

كما يعرف هؤلاء أهمية وضرورة فهم الآخر.. الغرب الذي بنى أمجاده وأسس حضارته وفق مقدمات تاريخية بدأت من الشرق، وجاءت بذلك الدعوة ملحة إلى ضرورة استحداث دراسات تحدد الموقف من التاريخ والحضارة، استكمالا لعملية التحرر وصياغة المستقبل الفكري، لمواجهة كل أشكال الهيمنة والاستلاب والتغريب.

هذه الدعوة إلى ضرورة كتابة صفحات جديدة من التاريخ تمثل ردة الفعل الواعي على ظواهر الاستلاب والتغريب التي يقوم بها الغرب في مواجهة الإسلام لتحقيق مآربه في التوسع السياسي وزيادة الهيمنة الغربية على شعوب الأرض ومحو الثقافات وتذويب الهويات.

ويبدو من خلال جملة المعطيات الفكرية والتاريخية المطروحة أن الغرب لم يتردد في قراءة الإسلام قراءة متعمقة متفحصة لفهم جوانب الفكر والدين والثقافة والسلوك، من أجل وضع الخطط والاستراتيجيات نحو ذلك الهدف المرسوم، وهو المزيد من التوسع والهيمنة والسيطرة.



جورج بوش الجد

نقول ذلك وبين أيدينا نسخة مترجمة لكتاب خطير يحمل عنوان: (محمد: مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس إمبراطورية المسلمين).

المثير أن مؤلف هذا الكتاب (جورج بوش) 1796-1856 وهو الجد الأكبر لجورج بوش الرئيس الحالي للولايات المتحدة الأمريكية كان استاذاً في جامعة نيويورك متخصصًا في اللغة العبرية، وكان من البارزين في دراسة حفريات النصوص القديمة وأسفار (العهد القديم) «التوراة» كما كان واعظًا دينيًا في علم اللاهوت والأديان، وقد

* كاتبة وأستاذة جامعية / ليبيا

انحصرت على ما يبدو معظم نشاطاته في المراكز العلمية والدينية والمؤسسات الجامعية، وما زالت هذه الدراسات في الجامعات الأمريكية والغربية عامة تمثل المصدر والمرجع للعديد من الأبحاث الجامعية التي شكلت بعد ذلك اتجاهًا عامًا للعديد من الدارسين الذين تخرجوا واستلموا مراكز قيادية، وهذا الفهم الخاطئ للإسلام اعتنقته المؤسسات السياسية، واستخدمت القوة للسيطرة على عالم الإسلام والمسلمين، وهي في ذلك متأثرة بأفكار وآراء ما يتضمنه ذلك الفكر والخطاب الديني والعلمي الذي احتوته تلك الدراسات.

هذا الكتاب نموذج للكره الأمريكي الغربي للإسلام، وهو أحد مصادر الفكر الغربي الأمريكي المتطرف، ويقدم لمجموعة من المزاعم والافتراءات على شخصية الرسول محمدﷺ. وحددت تلك الافتراءات والمزاعم الأسلوب الذي يسير عليه ساسة أمريكا ومن تبعهم في فهمهم للإسلام والمسلمين، بل إن هذه النوعية من المؤلفات قد أثرت تأثيرًا كبيرًا في مجريات تاريخ الأحداث في المنطقة، حيث مركز الديانات والرسالات السماوية، وهي الموجهة للفكر السياسي المعاصر تجاه المنطقة، الذي يشهد عودة إلى الأصول والالتفاف حول السلفية وتوجيهها الاتجاه الخاطئ، لمزيد من التناقضات والأزمات في المنطقة.

الكتاب جدير بالقراءة والفهم، لأنه يمثل اتجاهًا خطيرًا لضرورة فهم الآخر، وهو يدل دلالة واضحة على الروح العدائية تجاه الإسلام ودولته التي أسسها الرسول محمدﷺ ورغم ادعاء المؤلف بالعلمية والمنهجية في دراسة هذا الاتجاه الذي فرض نفسه على العالم منذ ظهور الإسلام، فإن صفحات الكتاب مليئة بالافتراءات والتشويه لدور الرسول ﷺ في التبشير بدعوة الإسلام، وبطولاته في توسيع دائرة الإسلام من مكة إلى العديد من أصقاع المعمورة، منذ عهده وحتى بعد الخلفاء الراشدين في الدولة الإسلامية.

المؤسسات السياسية اعتنقت فهماً خاطئاً للإسلام وهي متأثرة بأفكار وآراء فكر ديني مؤسس على دراسات غير دقيقة.

يقول مؤلف الكتاب في ص17 من النسخة الأصلية:

(إن تاريخ العالم لم يشهد ـ باستثناء التأثير الذي أحدثه دين الإنجيل ـ ثورة كبرى قد أحدثت تغييرات في العالم المتحضر أكثر مما أحدثته دعوة محمد الإسلامية منذ ظهوره مرورًا بتقدمه و(هيمنته).

لذلك فإن تاريخ الإسلام وطبيعته أصبح مثيرًا للاهتمام لكل العقول المتنورة، فهذا الدين جزء مهم وشائق من تاريخ الجنس البشري العام، وهذا يدفعنا ـ حسب رأي المؤلف ـ إلى الاهتمام بهذا الأمر اهتمامًا جديدًا أقوى من ذي قبل، إن كثيرين من الكتّاب المتميزين الذين درسوا هذا الدين وعبقريته وتاريخه، وينظرون إليه بوصفه هرطقة مسيحية أو نتاجًا لهرطقات قال بها بعض المسيحيين؛ أكثر من وصفهم له بأنه خرافة وثنية)!!

من هنا فقد كان قدر هذا الدين أن يرتبط بكل العقائد الفاسدة التي أفسدت الإنجيل، وبقدر ما نفضح هذا النبوة ونكشفها بقدر ما نكشف الادعاء الحالي الموجود على ظهر هذا الأرض، كلما عجلنا بسقوط الخداع، وكلما زاد اهتمامنا بعمق هذه المناطق التي طالت فيها سيادة هذا الدين. ص 18.

(وبقدر اهتمامنا بالإسلام يكون اهتمامنا بحياة مؤسسه وشخصيته وأعماله، هذا الشخص (الغامض) الذي خرج من قبائل الجزيرة ولم يكن ذا مكانة تسمو على مكانة تاجر في قافلة، ولم يكن يتمتع بمزايا عقلية خاصة، ولم يكن يتميز بامتلاكه قوة أو

نفوذاً، ومع هذا فقد تمكن ـ رغم العقبات العديدة ـ من تأسيس مثل هذه الامبراطورية الواسعة التي تضم ملايين البشر، والتي استمرت أكثر من ألف ومائتي سنة). تلك هي رؤية آل بوش العلمية ـ كما يعتقدون ـ حول دين الإسلام ورسوله الكريم محمدﷺ. لا نريد أن نعطي هذه الافتراءات على خاتم الأنبياء أهمية لنعمل نحن أو غيرنا على تفنيدها، لأنها باطلة أصلاً، ومن خلال الدراسات التاريخية والدينية التي شهدت بطلان تلك الدعاوى وفسادها وانحطاط منطقها الفكري وأسلوبها البياني، لأنها تعتمد على رؤية محدودة وأفق ضيق وعداء للإسلام وللرسول ﷺ وللمسلمين عبر التاريخ.

إذ أننا نهدف هنا في هذه الإشارة السريعة، وفي هذه التحديات التي يشهدها الإسلام والمسلمون، خاصة ما يقوم به البيت الأبيض وآل بوش الجدد من مواجهات فجة وسطحية، لا تدل إلا على حقد وكره دفين للإسلام ورسوله الكريم ـ عليه الصلاة والسلام.

كما أن معرفة الفكر الديني الذي يسود رأس الرئيس السابق هو ذاته الفكر الديني المتوارث لآل بوش منذ فترة بعيدة، وبالتالي فإننا لكي نملك المواجهات الحقيقية والواعية لتلك الممارسات التاريخية والسلوكيات التي نراها اليوم، والتي تدل دلالة واضحة على عدم الفهم، والازدراء الناشئ عن سوء الفهم لعقيدة الاسلام والمسلمين. لا بد لنا من فهم عميق لأحوال الآخر وظروف تفكيره وتكوين شخصيته، ولا بد أن نعمل على تكثيف الجهود من مؤسسات علمية وباحثين ومؤسسات دينية، لوقف تلك التفاهات، والإيمان بقوة بأن ما بيننا وبين الغرب الأمريكي هي حرب مستمرة لن تتوقف، الهدف الأساسي هو الإسلام، القوة الإسلامية العادلة، الإسلام النهضة، حتى يستطيع بسط هيمنته بأشكال مختلفة، إما عن طريق النظام الجديد، أو عن طريق العولمة، أو عن طريق صدام الحضارات.

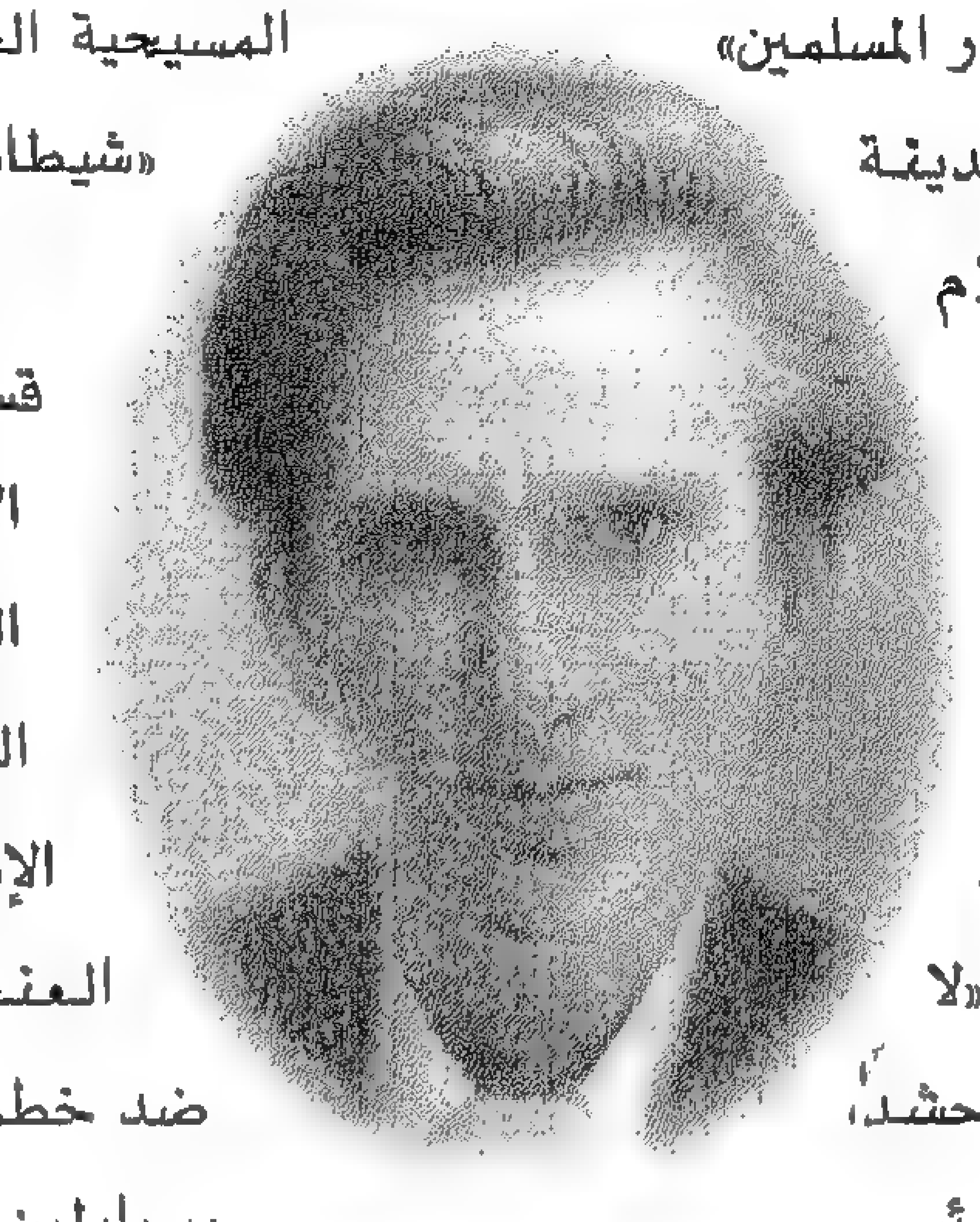
لا بد من إعادة قراءة التاريخ بفهم مستنير وايمان عميق بجوهر الإسلام. والجدير بالذكر ـ في هذا السياق ـ أنه بعد أحداث 11 سبتمبر وبالتحديد في 16 سبتمبر 2001 مسيحي، أعلن الرئيس الأمريكي «بوش الصغير» حملة صليبية ضد الإسلام وأمته وعالمه، واضعًا إياهم تحت اسم «الأشرار، والإرهاب».

لقد حاول البعض تصوير عبارة الرئيس الأمريكي الحالي «بوش الصغير» ـ والتي جاءت في خطابة مباشرة في بعد أحداث 11 سبتمبر، والذي أعلن فيه بداية «حملة صليبية» ضد الإسلام والمسلمين، وأطلق عليهم اسم «الأشرار والإرهاب» بأنها زلة لسان[1] تدل على قلة الثقافة والفهم للتاريخ الإسلامي، إلا أن سيل الكراهية الذي انهال على الإسلام، سواء من وسائل الإعلام أو كبار المسؤولين وصنّاع القرار، إلى جانب الممارسات العدوانية التي مارستها الحكومات الغربية بقيادة وضغوط أمريكية، إنما يدل دلالة واضحة على أن عبارة «حملة صليبية» كان يقصد بها ذات المعنى في التاريخ الوسيط، أثناء الصراع التاريخي الذي مارسه الغرب الاستعماري ضد الشرق والشرقيين، وهي النزعة الاستعمارية ذاتها التي تعاني تغلف الأطماع الغربية بالمسيحية. وإذا كان الرئيس الأمريكي «بوش الصغير» قد استخرج مصطلح الأشرار الذي أطلقه على الدول والتوجهات الإسلامية المعارضة لسياساته من (سفر المزامير) فإن حربه على الإسلام هي حرب عادلة وفق المفهوم المسيحي!! وإنه كان خلال حملته الصليبية الجديدة قد تعود أن يبدأ يوم عمله في البيت الأبيض بالقراءة

---

1 ـ صحيفة العربي القاهرة 2003/3/16.

في كتاب عظات إنجيلية قصيرة عنوانه (أعظم ما يمكنني لأعظم العلماء) للقسيس أوزوالد تشيمبرز الذي توفى عام 1917 وهو يحرض جنود نيوزيلندا وأستراليا على ضرورة غزو القدس في الحملة التي قادها الجنرال الانجليزي «اللنبي» 1861 ـ 1936 [2] وإذا كان هذا هو الطقس المقدس الذي يبدأ به بوش الصغير كل صباح، وإذا كان قد أعلن عن البعد الديني في حملته هذه على «الأشرار المسلمين» عندما خطب في «إبريلاند» بمدينة «ناشفيل» متوجهاً إلى رجال الإعلام الديني فى الحزام الإنجيلي بجنوب أمريكا، حيث قال: «إنهم (المسلمون) الأشرار يكرهون حقيقة أن نعبد الرب بالطريقة التي نراها مناسبة». حتى أن أحد المشتركين فى ذلك اللقاء قال: «لا يسعني أن أتصور المسيح يدعو حشداً يهتف له إلى الحرب كما سمعت الرئيس يفعل»[3].



أوزوالد تشيمبرز

وقد وصف الكاتب الانجليزي (جيلبرت كيه) الروح الدينية والنزعة الصليبية في هذه الحملة الأمريكية فقال إن أمريكا أمة بروح كنيسة، وإن الرئيس الحالي والرئاسة الحالية هما الأشد رسوخاً في هذا الإيمان خلال العصور الحديثة «وإذا كانت تلك هي وقائع شهادات الأمريكيين الغربيين فإن القساوسة من «اليمين الديني» والمسيحية الصهيونية كان لهم دور قيادي في هذه الحملة ضد الإسلام والمسلمين، لقد ذهب قساوسة «التحالف المسيحي» والمؤتمر المعمداني «والجيب السامري» مع الجيش الأمريكي في احتلاله للعراق «وهم لا يخفون رغبتهم في تحويل المسلمين إلى المسيحية لا سيما في بغداد»[4].

أما القس ـ فرانكلين جراهام ـ الذي ترأس حفل القسم الدستوري لبوش الصغير، والذي يعتبر الأب الروحي الذي قاد بوش من «السُّكر إلى الرب» والولادة المسيحية الجديدة يقول عن الإسلام إنه دين «شيطاني وشرير»[5].

والقس «بات روبرتسون» هو أوسع قساوسة اليمين الديني نفوذاً في الإعلام الأمريكي، ورئيس التحالف المسيحي الذي يتحكم في انتخابات الرئاسة والكونجرس، هو القائل عن الإسلام «إن الدين الإسلامي دعا إلى العنف، وإن أمريكا بحاجة إلى إنذار ضد خطر المسلمين الذين يكرهون أمريكا ويحاولون تدمير إسرائيل»[6].

والقس «جيرى فامن» هو القائل عن الرسول محمدﷺ إن محمداً هو الشيطان نفسه[7].

إذن المواجهة بين أمريكا والإسلام اليوم هي مواجهة ذات أبعاد ودلالات تجمع بين أفكارهم في الدين والسياسة والمصالح الأمريكية وفرض القيم والنموذج الأمريكي الغربي في العالم الإسلامي، وها هو السيناتور الأمريكي «جوزيف ليبرماك» مرشح الرئاسة يعلن أن المواجهة مع الإسلام هي حملة لفرض القيم وليس السياسات فقط ، يقول: لا حل مع العرب والإسلام إلا أن تفرض أمريكا عليهما القيم

---

2 ـ صحيفة النيوزويك الأمريكية عدد ديسمبر 2001 السنوي.

3 ـ صحيفة الشرق الأوسط 2002/2/14م.

4 ـ مجلة النيوزويك الأمريكية في عدد 11 مارس 2003م.

5 ـ صحيفة واشنطن بوست 2001/1/18م.

6 ـ صحيفة الحياة، لندن، 2002/2/26م.

7 ـ صحيفة الشرق الأوسط، لندن 2002/3/3م.

والنظم التي نراها ضرورية، فالشعارات التي أعلنتها أمريكا منذ استقلالها لا تنتهي عند الحدود الأمريكية، بل تتعداها إلى الدول الأخرى[8].

أما مارجريت تاتشر فهي تتحدث عن أن المعركة هي حول القيم والمصالح، فتقول «إن المسلمين يرفضون القيم الغربية، وتتعارض مصالحهم مع مصالح الغرب، وإنهم يمثلون أيدلوجية عدائية لأمريكا والغرب، فهم كالشيوعية في الماضي، ولا بد من تبني استراتيجية طويلة المدى لهزيمتهم[9]».

وهذه القيم التي تريد هذه الحملة الصليبية فرضها على الإسلام والمسلمين هي قيم الغرب التي تريد تغيير طبيعة الإسلام، وعزله عن شؤون الحياة والمجتمع، وتحويله إلى صورة عن المسيحية الغربية التي فصلت بين (ما لقيصر وما لله) مكتفية بما لله وخلاص الروح ومملكة السماء خارج هذا العالم، هذه الحملة الصليبية هي ضد الإسلام الرافض لقيم الغرب وسياسات الغرب الليبرالية العلمانية.

ولا بد أن يدرك العالم جيداً أن الكنيسة عبر التاريخ قد حافظت على موقفها الثابت من المسألة اليهودية، إذ كان دعم الغرب المسيحي للحركة الصهيونية يتخذ أشكالاً متعددة ومجالات شتى، ويذهب البعض في تفسير ذلك إلى أنه التقاء الهدف بين الغرب والصهيونية، أو لظروف ومصالح اقتصادية، ويعتقد البعض الآخر أن الأمر هو نتيجة عداوة تاريخية بين الإسلام والمسيحية واليهودية منذ صدر الإسلام، وتلك هي أسباب الحروب الصليبية، لكن الأمر الذي لا يعرفه الكثيرون أن أسباب ذلك الدعم والتأييد المتواصل إنما هو لأسس دينية عميقة الجذور في البنية الثقافية المسيحية، وإلى جهد دؤوب ومنظم بذلته الكنيسة الغربية عبر العصور.

إذ أن الكنيسة قد فسَّرت بذلك كل النبوءات والإشارات المتعلقة باليهود في الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد) كما جاءت في «رؤيا دانيال» وفي «سفر حزقيال» كذلك ما عرض في «رؤيا يوحنا» اللاهوتي، كل ذلك بما يحقق أهداف الكنيسة في عودة «يسوع المخلص» وصارت أرض الميعاد حقيقة روحية وليست رقعة جغرافية مادية.

ذهب قساوسة التحالف المسيحي والمؤتمر المعمداني والجيب السامري مع الجيش الأمريكي إلى العراق بهدف تحويل المسلمين إلى النصرانية.

من هنا تجسدت هذه العلاقة في إطار الحركات الدينية والمجموعات الأصولية الإنجيلية، التي أهمها الطائفة التدبيرية، أو الكنيسة المرئية، وهي طائفة لها أتباعها الآن في أمريكا، وتعرف «بالتدبيريين»، أهم أقطابها بيل غراهام وجيري فالويل وبات روبرتسون وجيمي سواغرت وريتشارد هات، وتعتمد هذه الطائفة على الجانب المرئي في تبشيرها كوسيلة رئيسية لإيصال رأيها لعامة الناس، وهم جميعاً يبشرون بنظرية «هرمجدون» حيث يؤمنون بها ويعملون من أجل تحقيق هذه النظرية وهذا الهدف، ويجعلون من تأييد إسرائيل نوعًا من العبادة، لأنه بذلك تتحقق عودة المسيح، والطريقة المثلى لذلك هي المعركة الأخيرة بين الخير والشر، بين إسرائيل وجيوش العرب والإسلام.

ولكن ما هي هرمجدون ؟

تروي الكاتبة الأمريكية غريس هالسيل تجربتها

8- صحيفة الأهرام 2002/1/16م.

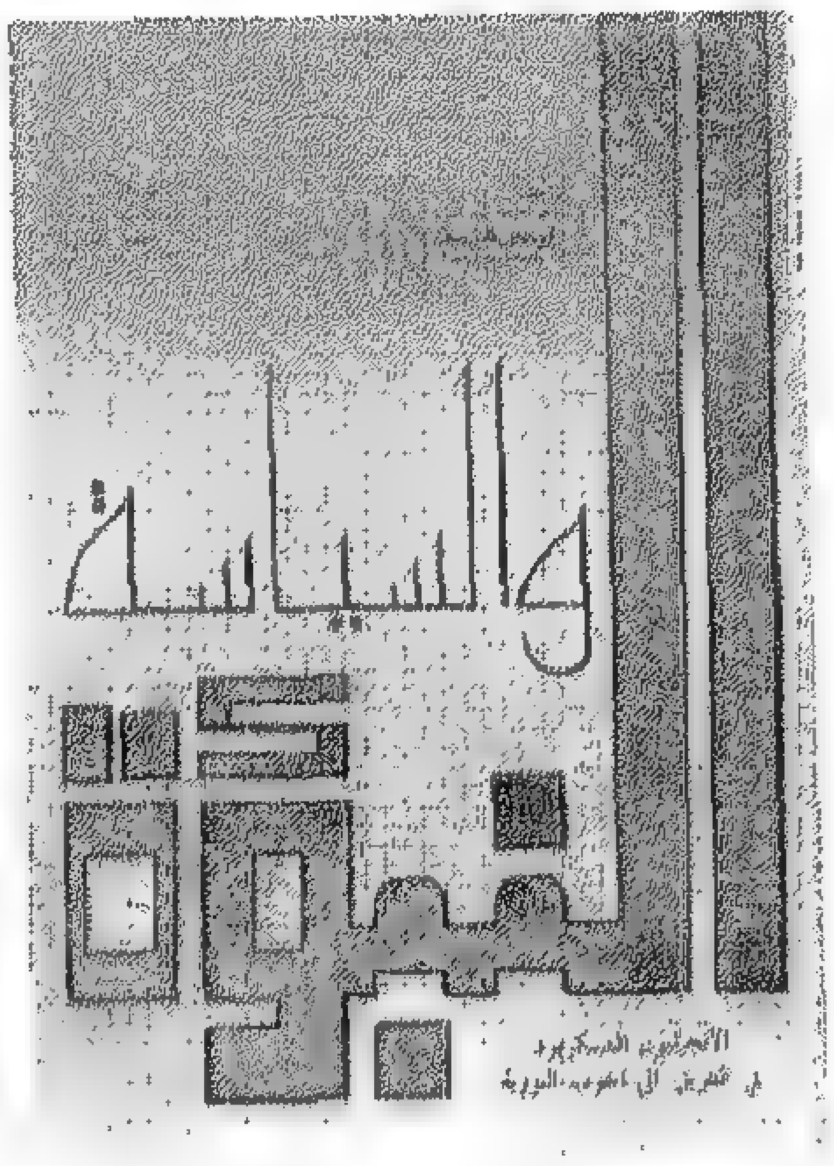
9- صحيفة الشرق الأوسط. لندن 2002/2/14.

في كتابها «النبوءة والسياسة» حول البحث عن جواب لهذا السؤال «ما هي هرمجدون»؟ وتقدم لطبيعة العلاقة بين الصهيونية المسيحية والصهيونية اليهودية، كما تقدم التفسير الصحيح والعميق للمواقف الأمريكية المؤيدة للصهيونية والمعادية للعرب والإسلام، وهي الكاتبة التي شهدت بنفسها عمليات التضليل والتزوير الديني الذي مارسته الصهيونية المسيحية من أجل تطويع نصوص الكتاب المقدس لخدمة المشروع الصهيوني والسياسة الأمريكية، كما يقدم الكتاب شهادة حية مدعمة بالوقائع والنصوص و الأرقام للدور الكبير الذي لعبته الصهيونية المسيحية في الماضي لمصلحة «إسرائيل» والدعم الهائل الذي تقدمه هذه الحركة لتنفيذ سياسات الصهيونية العدوانية التوسعية، وتستمد هذه النظرية أصولها الدينية من (سفر دانيال) الإصحاح السابع والثامن، و(سفر حزقيال) الإصحاح 38، كذلك (رؤيا يوحنا) الإصحاح 13.

الأمر المثير أنه في عام 1970م حذر القس بيلي غراهام - الإنجيلي التدبيري الشهير في هذه الطائفة - من أن العالم يتحرك بسرعة نحو هرمجدون، وأن الجيل الحالي هو آخر جيل في التاريخ !؟ وفي مناسبة أخرى يقول: إن أناسًا كثيرين يتساءلون عن هرمجدون وعن موقعها: إن الكتاب المقدس يعلمنا أن آخر حرب في التاريخ سوف تكون في هذا المكان في الشرق الأوسط [10].

إن ما جاء في (نبوءة دانيال(و(سفر حزقيال) و(رؤيا يوحنا) إنما تمثل المضامين السياسية لمستقبل العالم الإسلامي، وما قدمه جورج بوش الجد الأكبر لآل بوش في كتابه المشار إليه هو تفسير لتلك النبوءات وتقديمها في الوعظ الديني الكنسي.

إذ من الواضح أن هذه النبوءات هي التي تخطط السياسات وتضع الاستراتيجيات وفق نصوصها الموصوفة بأنها دينية، وهي تهدف لإزاحة الخريطة الإسلامية، والإستفراد بشعوبها وتفريقها وتقسيمها وبث الخلاف بينها وإثارة النعرات، ويسقط بذلك العالم، ويعود إلى الدين الحقيقي على حد تفسير بوش والتدبيريين لرؤيا دانيال ورؤيا حزقيال.



«النبوّة والسياسة» ترجمة نشرتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

لقد انتشرت هذه الأفكار بقوة بعد القرن الرابع الميلادي، بعد إعلان أغسطينوس رفضه هذه العقيدة، وإيمانه بأن ملك المسيح هو ملك روحي لا حرفي في مدينة الله، واختفت بعد ذلك حتى القرن السادس عشر في عهد الإصلاح الديني، حيث ظهرت مرة ثانية وانتشرت بقوة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، خاصة في أوساط العامة، أثناء قيام الثورة الفرنسية 1798 مسيحي إذ نفت هذه الثورة البابا بيوس الرابع إلى فالنسيا في فرنسا، وبذلك سقط حكم (الوحش). وهنا استخدمت هذه الرؤيا استخدامًا سياسيًا، إذ أكدوا - بناء على ذلك - رفضهم لحكم روما وسلطان البابا عليهم، وعدوا البابا هو الوحش المذكور في سفر الرؤيا، مما أصبح واضحًا تفسير أصحاب هذا المعتقد (الوحش 666) على أنه منذ البداية كان (نبوخذ نصر) ثم أي شخصية سياسية تعارض اتجاهاتهم السياسية، وهكذا يرى التدبيريون

10 - قاموس الكتاب المقدس عن مجلس الكنائس العالمي ص999.

أصحاب هذه العقيدة أن الثورة الفرنسية قد حققت نبوءة دانيال النبي!!

في 29 الصيف (يونيو) 1791 مسيحي طلب الرئيس الأمريكي الأسبق ريغان من القس التدبيري بيلي غراهام أن يلقي خطابًا في مجلس التشريع في كاليفورنيا، في هذا الخطاب أعلن غراهام أن البديل الوحيد لمآسي العالم هو الخطة الواردة في الكتاب المقدس (رؤيا حزقيال ويوحنا) حيث إنه سيأتي يوم يتدخل فيه الله في تاريخ الإنسان و يأتي المسيح!![11].

لا بد أن نشير في هذا السياق إلى أن هذه الرؤى والنبوءات، وما صاحبها من تفسيرات، لها تأثير كبير على السياسة الدولية، وصارت هي المحرك الأساس لها باعتبارها المعتقد الخاص للشعب الأمريكي، وهي بذلك ليست منفصلة عن الواقع السياسي في المنطقة وقضاياها.

بل إن تأثير هذه التيارات الدينية وأفكارها الأصولية في العلاقة مع الغرب أمر لم يعد بالإمكان تجاهله، خاصة أن هذا التيار قد بدأ فعلاً في نقل معتقداته من حيز الإيمان إلى حيز الفعل والتنفيذ. تلك هي الأبعاد الحقيقية للمواجهة وللمخططات الأمريكية وسياساتها من أجل السيطرة على مواقع عديدة في العالم ، لتؤكد مدى سيطرة البعد الديني على خريطة الأحداث الدولية.

وفي كتابه (أقواس الهيمنة) يشير إبراهيم أبوخزام[12] إلى أن التفوق الأمريكي أصبح من حقائق الحياة التي سوف تستمر، كما أن الامبراطورية الأمريكية صارت فريدة في التاريخ، حيث التفوق الشمولي في المجالات العسكرية والاقتصادية؛ هذه الرؤيا المستقبلية التي يقدمها مؤلف الكتاب حول مستقبل العالم في ظل أقواس الهيمنة، إنما تؤكد أن الأسلوب الأمريكي في الحياة، وما يتسم به من جاذبية، أصبح استدعائيًا يثير الإعجاب، فأمريكا ليست قوة مسيطرة فقط ، وإنما هي ممسكة بمفاتيح السيطرة، ولن تسمح لغيرها بأن يقترب من منطقة السيطرة ومفاتيحها. ورغم أهمية ما يطرحه الكتاب إلا أن أهمية الجانب الديني في السياسة الأمريكية يبدو واضحًا عبر التاريخ في الأحداث الدولية للسياسة الأمريكية وتداعياتها على العالم.

يتم وضع السياسات الأمريكية والغربية وفق نصوص توصف بالدينية تستند إلى الإنجيل والتوراة.

النبوءات الدينية هي التي تخطط للسياسة الأمريكية، والطوائف الدينية في أمريكا قد عملت على تأكيد هذه النبوءات وتنفيذها على الواقع في أمريكا وخارجها، إذ تعتقد هذه الطوائف الأصولية الإنجيلية أن الحرب على العرب والمسلمين (الأشرار) وقتل أطفالهم ونسائهم هو عمل مقدس[13] وهو تنفيذ لأمر الرب كما ورد في سفر (دانيال) وسفر (حزقيال) الإصحاح 38، ويعتقد أتباع هذه الطوائف أيضًا أن الرب يبارك من يؤيد إسرائيل، بل إن قيامة إسرائيل وتفوقها وعودة بني إسرائيل هو واجب مقدس، الإصحاح 36؛ الغريب أن العديد من أتباع هذه الطوائف هم من الشعب الأمريكي، وهم يؤمنون بهذه العقيدة إيمانًا حرفيًا، حيث هناك إرساليات عديدة لنشر هذه الفكرة حول العالم، وخاصة بين مسيحيي الشرق، كما يؤمن هؤلاء

11- (رونالد ريغان والحكايات الخرافية عن هرمجدون ص 171 عن كتاب شهود يهوه).

12- إبراهيم أبو خزام: أقواس الهيمنة.

13- سفر حزقيال الإصحاح 38.

بأنه حتى يعود إليهم المسيح المنتظر لابد من تحقيق الآتي:

أ) ـ عودة اليهود إلى فلسطين.

ب) ـ إقامة دولة يهودية.

ج) ـ التبشير باللاهوت الإنجيلي لجميع الأمم.

د) ـ هناك شعوب لا تؤمن بالمسيح ستقود حربًا على إسرائيل وهم (الأشرار) العرب والمسلمون.

ويروج لهذه الآراء والمعتقدات عديد المبشرين، حيث تمتلك الأصولية الإنجيلية محطات البث الإذاعي المرئي وشركات الإنتاج الإعلامي، كما تمتلك المدارس والجامعات والشركات التجارية والمؤسسات البحثية والمقاعد في مجلس الشيوخ والنواب، إلى جانب امتلاك الصحف والمجلات والمصارف.

كما تعمل هذه الطوائف على إخضاع الآليات الحديثة والتقنية المتطورة لخدمة عقائدها وأهدافها، من ذلك أن مكوك الفضاء (تشالنجر) التقط صورًا سنة 1980 لما ادعى أنه بقايا مدينة توراتية أسطورية في الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة العربية، بالتحديد في منطقة الربع الخالي، كانت تسير إليها سفن النبي سليمان من نواحي فلسطين بحسب الرواية التوراتية[14].

والجدير بالذكر أن الطائفة البروتستانية الأصولية هي أكثر الطوائف الإنجيلية في تبني المعتقد الصهيوني، وتعرف لذلك بالطائفة التدبيرية، ويبلغ عدد أتباع كنائسها أكثر من أربعين مليونًا، وهي تضم الشخصيات الأبرز في المجتمع الأمريكي سياسيًا واقتصاديًا وتربويًا وإعلاميًا، وحتى عسكريًا، ومعظم الأصوليين أتباعها يعلنون عبقريتهم بصراحة، وهم يعتقدون بتفوقهم على السود والهنود والكاثوليك والصينيين واليابانيين والهندوس والمسلمين، كما تدعي هذه الطائفة بأنها تقوم بعملية تجديد ديني بإحياء النصوص التوراتية والإنجيلية، وهي تخرج عن السلطان الكنسي التقليدي في فهم النصوص وتفسيرها، بعد أن كان ذلك خاصًا برجال الكنيسة وحدهم في الماضي، لكن هذه الحركة في الإحياء والتجديد لها أبعاد سياسية ونفعية لفئات تتستر بالنصوص الدينية لتحقيق مصالح معينة؛ وحيث كان تأييد إسرائيل مطلوبًا فإنها تقدم المسوغات لذلك باسم الرب، وحيثما كانت مواجهة الإسلام والحرب على المسلمين ومحو هويتهم فإنها تجد المبررات لذلك من النصوص «المقدسة» في التوراة والإنجيل، وحيث يكون الترويج للحرب لإنعاش تجارة السلاح فهي تدعو إلى ضرورة الحرب المقدسة. الأمر الأكثر غرابة أنه عندما يتناقض القرار الإسرائيلي مع النظام الدولي والشرعية الدولية والمعاهدات فإن السياسة الخارجية الأمريكية تعلن أن القرار الإسرائيلي يجب أن ينفذ ويحترم. لأنه يعكس إرادة الرب!! هكذا تقول نبوءاتهم في الأسفار المقدسة.

> **المسلمون يرفضون القيم الغربية ويمثلون ايديولوجية عدائية لأمريكا والغرب، ولا بد من تبني استراتيجية طويلة المدى لهزيمتهم»**
>
> **مارجريت تاتشر**

إن ما يحرك الغرب المسيحي بطوائفه الدينية المتعددة هو معتقداتهم الخاصة ونبوءاتهم التوراتية التي بنوا منها نظامًا نظريًا عن عودة اليهود إلى أرض الميعاد وإقامة مملكة صهيونية تمهيدًا لعودة المسيح آخر الزمان!!!

تلك هي بعض دعاوى نصوصهم المقدسة !!

14 ـ صحيفة نيويورك تايمز.

مقالات

العلم والبعد الروحي للدين

د. صلاح الجابري *

إن التفكير العلمي مطلب ضروري لفهم الواقع وتغييره بما يتلاءم مع مصلحة الإنسانية وأهدافها العليا، وهو إذ يُعْنَى ببعد من أبعاد الواقع وليس بالواقع على الإطلاق ؛ فإن هناك جوانب متعددة من واقع الحياة لم يستطع العلم أن ينتهي إلى حلّ مُرْضٍ لمشكلاتها. فلا أحد يستطيع إنكار حقيقة التقدم التكنولوجي المذهل الذي حققه العلم الحديث في شوطه القصير، ومع ذلك فإن آمال البشرية بالحرية والعدالة والعيش بسلام ما زالت أحلاماً يقصر العلم عن تحقيقها. ويكفينا بياناً الوضعُ الراهنُ للعالم، فإذا أردت أن تدرك هذه الحقيقة فما عليك إلا أن تضع التقدم العلمي وطريقةَ التفكير العلمية في ذهنك، ثم تنظر وتتأمل الطريقةَ التي يُدارُ بها العالم. لذلك لا يمكن أن يقال إن العلم وحده قادر على خلق إنسانية صالحة (حقيقية). قد تقول إن سبب ذلك هو سوء استخدام الإنسان للطريقة العلمية في التفكير، وهذا صحيح، وربما دقيق، لكن القائل نفسه ليس لديه من الضمانات الكافية التي تحول دون وقوعه في هذا الازدواج المعياري الذي هو مصدر عذابات الإنسانية وويلاتها. سينتهي بك التسلسل لا محالة إلى المراهنة على نوعية القيم التي تحملها، وها نحن نعود مرة أخرى إلى الدين، كقاعدة سلوكية، لا يستقيم سلوك الفرد دون أن يتخذ منه أساساً في العمل والتفكير في مجالات خاصة. وربما هذا ما يريده الإسلام وما تهدف إليه فلسفته في الحياة، يريد أن يؤسس الحياة الاجتماعية على معايير تضمن عدالة العلاقات التي تحكم الإنسان بالآخر، ووفقاً لذلك ستتخذ الطريقة العلمية دورها الحقيقي ومجالها الصحيح الذي يؤدي إلى إنتاج يتزامن مع ضمان استقرار الإنسانية وحمايتها من تدهورها الذاتي المحتوم في غياب تلك المعايير.

إن المفارقة حادة ـ في الغرب اليوم ـ بين التقدم العلمي وتدني المعايير الأخلاقية والإنسانية، وهذا مؤشر على أن العلم عندما ينتج تقنيات حربية فهو لا يضمن ـ بحكم أهدافه وآلياته ـ حماية الإنسانية من الخطر الذي يهدد وجودها، ولن يستطيع العلم أن يقدم هذا الضمان، فإذا كان بإمكانه أن يصنع قنبلة نووية فليس بإمكانه أن يخلق

* كاتب وأستاذ جامعي / ليبيا

إنساناً، وأثبت العصر الحديث أن العلم يمكن أن يحوّل مجتمعا بأكمله إلى مجتمع متوحش ودموي ؛ لأنه لا يمتلك آليات حماية نفسية أو قيمية.

لذلك فالبناء النفسي للإنسان الذي يَخُصُّ بُعْدَهُ الأخلاقي مسألة جوهرية وقاعدة تحتية لازمة لكل عملية نهوض حضاري إنساني، وهذا البناء هو الهدف الجوهري من الدين الرسالي، الذي يعبر عن مشروع إنساني لا يرتبط بشعب دون آخر، ولا بعرق دون آخر. وقد عبّر الإسلام عن هذه الرسالة الإنسانية، وتؤكد فلسفته في الحياة أن منفعة أي علم أو ممارسة أي سلوك متعلقة بقاعدة سلوكية تؤمّن العدالة والمنفعة الجمعية، التي تضمن للإنسانية خلاصها من خطر الحرب المدمّرة والرعب النووي، ومن قلقها وحيرتها الدائمة تجاه الحياة وأهدافها.

إذن.. العلم ليس الميدان الوحيد الذي يعبّر عن حاجة إنسانية جوهرية، فالدين يعبر أيضاً عن حاجة جوهرية، لا يمكن الاستغناء عنها والتقليل من خطرها، بل إننا نرى، ومن منطلق فلسفتنا الإسلامية، أن الدين أكثر جوهرية وضرورة من كل النشاطات البشرية الأخرى ؛ لأنه القاعدة التي تُبنَى عليها سائر نشاطات الإنسان الأخرى، فإذا صلحت هذه القاعدة كان البناء العلوي سليماً ومضمون البقاء، وهذا الضمان هو الذي يخلق الطمأنينة والاستقرار النفسي، بدل الخوف والقلق والرعب الدائم من مستقبل الحياة. ونحن نذهب إلى أبعد من ذلك، إلى القول بأن إهمال الدين وتركه في يد حفنة من الجهلة والفقهاء المتزمتين هو الذي أفقده قيمه، وحوّله إلى مجرد وسيلة لتحقيق مآرب سياسية، من خلال أساليب التكفير الذي خلق أرضية الإرهاب، ولا أعلم ديناً قدم وسائل علاجِ عدوانيةِ الإنسان وتوحشِهِ مثلما قدّم الإسلام ونبيُّه، ومع ذلك نشاهد أحداثاً تدميرية، ربما تفوق خطر القنبلة النووية الغربية أو الإسرائيلية، تحصد أرواح آلاف الأبرياء، باسم الدين والإسلام.

فإذا كنا ننعى على العلم أنه لم يقدم آليات حفظ الكيان الإنساني، في الوقت الذي قدَّم فيه خدمات خيالية للإنسانية، فماذا نقول عن الدين ؟ هل هو أيضاً لم يقدم آليات تحصين الفرد من النكوص إلى وحشيته ؟

> **إن المفارقة حادة في الغرب اليوم بين التقدم العلمي وتدني المعايير الأخلاقية والإنسانية، وهذا مؤشر على أن العلم عندما ينتج تقنيات حربية فهو لا يضمن ـ بحكم أهدافه وآلياته ـ حماية الإنسانية من الخطر الذي يهدد وجودها.**

للدين بعدان متكاملان، إذا تم التفكيك بينهما، واحتفظ الإنسان بأحد الأبعاد دون الآخر، يفقد قدرته على تحصين الإنسان. وهذان البعدان هما : البعد السياسي، والبعد الروحي. وأعني بالبعد السياسي السلطة، والصراع السياسي والعسكري حولها، وثانياً الفكر التبريري لتاريخ السلطة، وثالثا - وهو مرتبط بالجانبين المتقدمين - التمذهب والتحزب الديني. وأنا أعني بالتمذهب هنا ليس الاختلاف العلمي في الآراء والاجتهادات الفقهية، وإنما أعني التمذهب الفكري المرتبط بتبرير السلطة والعمل على بلوغها بأي شكل من الأشكال. إن الإسلام الممارس بكل أشكاله عبر تاريخنا الطويل يرتكز على المعنى الأخير، الإسلام السلطوي، أو المذهبي. في حين يتم تغييب البعد الروحي، ولا يعطى له الحيز المناسب، على الرغم من أنه البعد الأكبر في نظر الإسلام. وهذا الإسلام السياسي، بحكم كونه يمارس حالة صراع دائمة مع



كتل معارضة.. منافسة، شجع أساليب التكفير ضد المنافس، في أي جناح من أجنحة المعارضة، فتشكل لدينا تراث من التكفير امتد تدريجياً حتى شمل الاختلاف العلمي في المسائل الفقهية، بل امتد ـ بطريقة مثيرة للسخرية ـ ليشمل الميدان العلمي الطبيعي الدقيق، فقد جرَّ حماس التكفير بعض الفقهاء إلى الحكم بتكفير وقتل من سلم ببعض الحقائق العلمية، وقد قمنا بتربية أجيال من الشباب نعلِّمهم كيف يمارسون التكفير، بدل التفكير، أعني كيف يشكلون مواقف سياسية مبررة دينياً تجاه الآخرين، هذا الآخر الذي اتسع بسبب هذه الممارسة ليشمل لا الغرب المسيحي أو اليهودي وحده، بل شمل كل ما هو مختلف حتى في دائرة الدين الواحد. بتعبير آخر : كل ما لا يشبهني فهو ليس مني، وبالتالي يجب أن لا يكون، وبتعبير يحكي عن لسان حالهم، على الله أن لا يخلق من يختلف عني، وإذا خلقه فأنا سأقتله، أعدمه، أسحقه...!!

لا توجد في هذا البعد في حد ذاته أي آليات تصون مبدأ العدالة التي يفترض أن تحكم العلاقة بين أفراد المجتمع المختلفين، هذه الآليات توجد خارج هذا البعد، توجد في البعد الثاني (الروحي) المغيَّب عن الساحة، والمحارَب في كثير من الأحيان، لأنه يتصادم مع آليات القمع التي يمارسها البعد الأول ويبررها بانتقاءات واختزالات مقصودة. البعد الروحي هو الذي يحتضن آليات الارتقاء بالوضع الإنساني إلى أسمى مستوياتها، وبغيابه تختفي هذه الآليات عن مسرح الممارسة الفعلية، وهنا مكمن الكارثة، فلقد انقسم المسلمون إلى فئات تُعْنَى بالبعد الأول دون الثاني، وأخرى تعنى بالبعد الروحي دون الأول. وقد وجد هذا تشجيعاً من الأسر الحاكمة

وغيرها، حماية لنزعة التبرير الدينية، لكن وبال هذا الأمر كان أكبر، إذ تحوَّل إلى ثقافة وتربية تلقَّن للصغار والكبار، فأنتج أجيالاً إما منكفئة على ذاتها ومنعزلة عن المجتمع، وإما منافحة من أجل السلطة بأساليب لا تنتمي إلى الدين، وانتهت أخيراً إلى تبرير الإرهاب، فالإرهاب وليد واقعي للبعد السياسي المنفك عن البعد الروحي في الإسلام، والإرهاب واحد في آلياته وقسوته في كل بيئة ينشأ فيها، سواء البيئة التي نشأت فيها النازية، أو الجيش الأحمر، أو الحركة الصهيونية، أو الجيش الأيرلندي السري، أو الحركات الأصولية التي تمارسه في العالم الإسلامي. والاختلاف الوحيد ليس في طريقة القتل والتدمير كما يتوهم بعض المحللين، بل في التبرير فقط، فهذا تبرير ديني، وذاك تبرير عرقي، أو سياسي... وهكذا.

أعود إذن إلى النقطة الجوهرية، وهي أن التربية الدينية المنهجية استندت إلى تعليم الاختلاف على أنه خروج على المقدس، على الرغم من تعدد هذا المقدس واتساعه، حتى شمل المذاهب والأشخاص والقادة التاريخيين، وزرعت في النفس الفردية والوعي الجماعي خوفاً غير مبرر من هذا المختلف، ودربت الشباب على التكفير، فأصبح ممارسة مزاجية، حتى يخيل إليك وأنت تقرأ الفقه وكأنه شتائم، فقلما يخلو كتاب، قديم أو حديث، من شتيمة أو لعن، فأصبح العصاب الديني سمة جماعية تميز مجتمعاً من المجتمعات عن غيره. وإذا أضفنا إلى هذا قلة الاهتمام ــ وربما انعدامه ــ بالبعد الروحي والأخلاقي، الذي يذوب حدة ذلك العصاب ؛ ندرك حجم المأساة وخطرها على المجتمع. فبغياب آلية كبح جماح العصاب الجماعي، لا يمكن للعمل الفقهي، العلمي أو الأصولي، أن يشكل رادعاً لذلك العصاب الذي قد يفجر في الفرد عدوانيته، أو (الوحش القابع في داخله) على حد تعبير علماء النفس. فهل نحن ندرِّس العدوانية ؟ بعد أن جردنا تراثنا من كل بعده الروحي والإنساني، واستبقينا صراعاتنا التاريخية، التي أضفينا عليها طابع القداسة، ثم شكلنا علمنا وثقافتنا على صورة ذلك الصراع، وبالمحاكاة معه؟؟. يبدو أن ذلك هو الأقرب إلى الصواب، فعلنا ذلك، فخانتنا، بعد ذلك، شجاعة التصحيح، خوفاً من الاتهام، من الردة، التي يمنحها كل مذهب معنى ينسجم مع منطلقاته وطموحاته.

البعد الروحي هو الذي يحتضن آليات الارتقاء بالوضع الانساني إلى أسمى مستوياتها، وبغيابه تختفي هذه الآليات عن مسرح الممارسة الفعلية.

المخرج الوحيد من أزمة الإفلاس الفكري هذه هو تفعيل البعد الروحي والأخلاقي، وتمتلك فلسفة الإسلام تراثاً ضخماً من الروحية، تنطلق بالإنسان نحو المطلق، وتنتشله من حضيض الممارسة اللاإنسانية ؛ لترتقي به في سلم ذي درجات لا متناهية، فتشعل فيه جذوة الحب، فتغيبه عن ذاته، لكنها لا تغيِّب وعيه بالآخر، بل تجعله يدرك فيه أجمل آيات الخلق الإلهي، مهما كان مختلفاً، وهي مرحلة إبصار يعجز البصر الطبيعي وهو في حضيض الصراع السياسي أو الاقتصادي أو غيره، أن يحقق مثلها، أو قريبا منها أبداً.

الإنسان في فلسفة الإسلام لم يخلق في مرتبة وجودية واحدة ساكنة لا يبرحها من بداية حياته حتى مماته، كلا، إنما هو في حركة وارتقاء دائمين، منذ أول لحظات حياته، وحتى مماته، وربما بعد الممات. وقد وفر له الدين وسائل ذلك التحرك التهذيبي، ففيه يكتسب طاقة لا تنضب، تتزايد طرداً بتزايد

ذلك الارتقاء حتى بلوغه أقصى الدرجات الممكنة. هنا تفاضل في الارتقاء، نجده حتى في اليوم الآخر، في الجنة، وكذلك في النار. وهذا التفاضل لا يمكن فهمه إلا في ضوء هذا الارتقاء الروحي في الدنيا، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾

[سورة الانشقاق،الآية:6]

هذا الاقتراب الإنساني من ساحة الحضرة الإلهية المقدسة، فيه درجة من القرب يصبح فيها الإنسان ـ على ما جاء في الحديث القدسي، يسمع بسمع الله، ويرى بعين الله، ويدرك بالله أيضاً. هذا إنسان اعتصم بالله، فلا خوف عليه من السقوط في حضيض الصراع البهيمي، فتتحول الإنسانية في وعيه إلى قيمة عليا، وهنا تتجسد حقوق الإنسان في أسمى صورها، فلا يمكن أن نتصور طروء أي لون من ألوان العبث والعدوانية والعصاب على سلوك هذا الإنسان الكامل.

في هذه الفلسفة وحسب، يمكننا أن نفهم مبلغ الحاجة إلى الدين ؛ فعندما يتأزّم الوضع الإنساني، بسبب التقنية، أو الجهل، أو السياسة والعسكر؛ فالمنقذ الوحيد للإنسانية من ظلامها وليلها هو هذا البعد النوراني للدين، الجوهر الحقيقي الذي تصبح كل المعاني الأخرى مجرد أعراض، لا تكتسب معناها الحقيقي إلا إزاءه، وحين التوحد به.

من هنا يحق لنا أن نحكم بخطأ (أوجست كونت) الذي نظر إلى الدين بصفته مرحلة تجاوزها تطور الفكر البشري، مثلما تجاوز الفكر الميتافيزيقي، إلى الفكر العلمي أو الوضعي، الذي هو سمة العصر الحديث وحاجته الجوهرية والوحيدة التي تكفل له التقدم المادي والاستقرار النفسي الدائم. وللأسف فإن العديد من مثقفي عالمنا العربي ما زالوا يرددون كالببغاوات هذه العبارة الخاطئة أو الكاذبة تماماً. وتحقيقا لمآرب سياسية، راحوا يلتمسون تبريراً لذلك بربط الدين بالأسطورة. وذلك ـ في رأينا ـ يعبر عن جهل واضح بالدين وسماته التي تميزه عن الأسطورة، كما يتميز هذين عن الفكر العلمي.

والحقيقة أننا يجب أن نميز بين الفكر الديني والدين، فالفكر الديني ينطوي على نزعة التعامل مع الدين كأيديولوجيا، وهذا ما يجعله في حالة صدام وصراع مع ألوان الفكر الحر الأخرى كالفكر العلمي والفلسفي؛ فعلى الرغم من ضرورة الدين، وخصوصية وظيفته التي لا يمكن أن يشغلها أي ميدان علمي أو فلسفي آخر، فهو له ميدانه الخاص أيضا، ولا يمكن أن يكون بديلاً عن العلم أو الفلسفة. والدين الحق هو في توافق وانسجام تام مع العلم الموضوعي والفكر الفلسفي الحر، ولذلك فالدين كقاعدة أخلاقية وروحية تحتية شيء، والفكر الديني، كأيديولوجيا شمولية ترفض ألوان التفكير الأخرى، وتريد أن تحتل محلها، شيء آخر. ويمكن للإنسان أن يجمع أصناف التفكير الثلاثة في شخصه من دون تضارب : فأنا مع ظواهر الطبيعة وفهمها أسلك سلوك العالِم، وفي تأملاتي بالحياة والإنسان والكون والبرهان فأنا فيلسوف، وفي علاقاتي مع الآخرين ومع المجتمع ـ من الناحية الحقوقية والسلوكية ـ فأنا أخلاقي متديّن. ولكن عندما أدرس المجتمع، في علاقاته الداخلية، وبنيته، والقوانين المتحكمة في السلوك الاجتماعي؛ فيجب أن أكون عالِماً أيضاً.

عندما يتأزّم الوضع الإنساني، بسبب التقنية، أو الجهل، أو السياسة والعسكر؛ فالمنقذ الوحيد للإنسانية من ظلامها وليلها هو هذا البعد النوراني للدين.

بناء

منهجية الإسلام

محمد رجاء حنفي *

يعد الإسلام الدين الخاتم لجميع الأديان السماوية السابقة، وهو دين عام للناس جميعا، فلا نبي ولا رسول بعد رسول الله ﷺ ولا دين ولا رسالة بعد رسالة الإسلام.

والإسلام لم يأت خاصا لجماعة بعينها، ولا لقبيلة بذاتها، ولا لمكان محدود دون آخر، ولا لزمان ينتهي بعد انقضائه، وذلك لأن الإنسانية شبت به عن الطوق، وهو الدين الذي يخاطب العقل، ويحتكم إليه في كل أموره.

ونصوص القرآن واضحة كل الوضوح في أن رسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم، يقول الحق عز وجل:

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾

[سورة الأحزاب، الآية: 40]

ونصوص القرآن صريحة بعموم رسالة الإسلام، يقول سبحانه وتعالى :

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: 158]

ويقول سبحانه وتعالى:

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [سورة الفرقان، الآية: 1]

ويقول رسول الله ﷺ: (كان كل نبي يبعث في قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود).

ومما يؤيد ويؤكد عموم رسالة الإسلام أنه اعتنى بمطالب الجسد والحياة والأحياء، بقدر ما اعتنى بالناحية الروحية، سواء بسواء، فطالب الإنسان بأن يرقى في دائرته الإنسانية وليس في طبيعة أخرى خارجة عن طبيعته، ورقيه يكون بالمثل الإنسانية السامية التي تتمثل فيه، ويمثلها هو والإسلام لا يطلب منه أن يكون ملاكاً، كما أنه لا يريد له أن ينحط عن بشريته وينزل بها إلى درك الحيوانية، يقول المولى عز وجل:

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ

* باحث في الدراسات الإسلامية / مصر

﴿أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص،الآية:77]

فهذه الآية القرآنية واضحة كل الوضوح في مراعاة الطبيعة الإنسانية، فلقد اعتنى الإسلام بأمرين : الإيمان بالإنسان، وإشباع حاجاته وغرائزه عن طريق سوي، حيث نظر الإسلام إلى واقع الإنسان، باعتبار أن التدين غريزة ثابتة فيه وفطرة طبيعية.

ومن أدلة عموم رسالة الإسلام أنه دين العلم والعقل، فقد دعا إلى التدبر والتأمل، وجعل التفكير فريضة وعبادة.

ولقد علم مبدع الكون ومنشئه، وخلق العقول والأفكار، ومصدر المعارف والعلوم، ومبدئ الأنوار والإلهامات، أن الناس في الفهم والتفكير، وإدراك الحقائق، والوصول إلى المعرفة؛ لن يكونوا متماثلين ولا متشابهين، وإنما سيكونون في هذا الأمر على درجات متفاوتة، ومراتب مختلفة، وفرق متناقضة، بل ستفصل بينهم فروق شاسعة، وهوّات سحيقة.

من أدلة عموم رسالة الإسلام أنه دين العلم والعقل، فقد دعا إلى التدبر والتأمل، وجعل التفكير فريضة وعبادة.

ولو أن الخالق المبدع، العليم بكل شيء، جعل الطوائف كلها في مستوى واحد، ونظرتهم إلى الأشياء بمنظار واحد، وانحصارهم في دائرة واحدة، وتطلعهم في المعرفة إلى أفق واحد؛ لكان ذلك مبايناً للحكمة، ومنافياً للعقل، وبالتالي متعارضاً مع العدالة.

ومن هنا فإن المولى تبارك وتعالى، وهو الحكيم الخبير، قد رسم للمعرفة طريقاً تتلاءم وتتناسب مع جميع العوطف البشرية، وتتسق مع جميع العقليات، وتباين الملكات، ولقد أشار إليها جميعاً القرآن الكريم.

الطريق الأول: طريق النظر

ولهذا الطريق للوصول للمعرفة مرحلتان :

المرحلة الأولى: أرضية، وهذه المرحلة من أشد المراحل بدائية، وألصقها بالأرض، وأقربها إلى السذج والبسطاء، حيث إنها تخاطب العامة بما تحت أيديهم من معلومات، وما تحت أبصارهم من مرئيات، ثم توجههم إلى استنباط ما هو بعيد عنهم، لعلهم يهتدون. يقول عز وجل في محكم كتابه:

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [سورة الغاشية،الآيات:17-20]

وإننا لو تأملنا هذه الايات الكريمة لوجدنا أنها تنزل إلى مستوى العامة، وتجاريهم في أفكارهم البدائية، والتي عبرّت عنها العقلية البدوية الجافة منذ القديم، فتقول : إذا كان البعر يدل على البعير، والأثر يدل على المسير، أفلا يدل هذا العالم على العليم القدير؟!.

المرحلة الثانية: نصف أرضية ونصف سماوية، وهذه المرحلة أرقى من المرحلة السابقة، وقد جعلها المولى سبحانه لمن لديه جانب من رقي العقل، ورفع وجهه إلى السماء ينظر فيها، لا ينظر إليها، إذ أن النظر إلى الشيئ نظر حسي قوامه البصر، والنظر في الشيء نظر عقلي قوامه الذهن المعتمد على الحس، وقد يكون ماهوأسمى من الذهن، وهو إعمال الفكر الصافي المجرد من الموروثات والعادات والتقاليد البالية. وقد سما القرآن الكريم بهذه الفئة من مجرد النظر إلى السماء إلى النظر فيها، عن طريق التأمل في سر خلقها ووجودها، يقول جلت حكمته:

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ * وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ *

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ * وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [سورة ق، الآيات :6ـ10]

ثم انتقل هذا الإرشاد الإلهي بهذا الفريق من مرحلة النظر في الشيء، إلى درجة النظر في إبداع السماوات، وسير الكواكب في أفلاكها، ودورانها حول محورها، دون أن تتلاقى أو تتلاحق أو تتصادم. وفي التأمل في هذا الملك العظيم، ودقة صنعه، وإتقان إبداعه، وإتمام رعايته، وكمال العناية به؛ والوصول من هذا كل إلى نتيجة يقينية، وهي وجود خالق الكائنات ومبدعها وباريها وراعيها، وفي هذا يقول المولى سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية:164]

ويقول سبحانه :

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [سورة آل عمران، الآيتان:190، 191]

الطريق الثاني: طريق الأسباب والمسببات

إن هذا الطريق موجه إلى فريق من الناس لا يقنعه سوى ما تفعله الأسباب في مسبباتها، ولا يرضيه غير التأمل في نشوء المسببات، ولا يرى طريقاً آخر للاستدلال على وجود الخالق المبدع سبحانه عز وجل إلا هذا الطريق.

وهي طريق ينتقل بها المفكر من درجة النظر إلى الكائنات بعين البصر في الموجودات، إلى درجة النظر بعين الذهن المعتمد على الحواس، وعندئذ يتحقق له استنتاجه المقصود، وهي وسائل لغاية واحدة. فمن الآيات القرآنية الكريمة التي تربط الأسباب بمسبباتها قول المولى سبحانه :

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾

[سورة النحل، الآيات:10ـ13]

وللاستدلال على البعث بقول سبحانه وتعالى:

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ * رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾

[سورة ق، الآيات:9ـ11]

لإعمال الفكر في القران الكريم طرق متعددة

إن الطريقين السابقين اللذين اتخذهما القرآن الكريم مثلاً ونموذجاً على أعمال الفكر، ليسا هما كل ما في القرآن الكريم من طريق لإثارة العقل وإعمال الرأي، ففي القرآن الكريم طرق أخرى تدمغ الفكر، بسيطا كان في تكوينه وتوجهه، أو واعياً راغباً في الوصول بجوهره لليقين، من أجل تحريره من التقليد، أو التسطح أو التبلد، ولحمله على التأمل والتدبر، ونزع الأقفال، حتى يصل إلى الفاعل الواجد الموجود بالقوة وبالفعل سبحانه عز وجل.

ولقد لام القرآن الكريم الذين لا يلتفتون إلى كل ما يحيط بهم ولا يتدبرونه، ولا يستفيدون منه بما يعود بالخير على الحياة والأحياء. ويقول سبحانه وتعالى:

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [سورة يوسف، الآية: 105]

ويقول سبحانه وتعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [سورة محمد، الآية: 24]

مبادئ هي منهج الإسلام ودلالة عموميته

ومما يؤكد عمومية الإسلام ويدل على منهجيته الواقعية، في أمور الحياة، ومعالجة مشاكلها، ووضع الخطوط العريضة للحياة المثلى التي يجب أن يسير عليها الناس مهتدين بهديها في حياتهم ومعاشهم، وأمور كثيرة ومتعددة.. من بينها:

❖ أباح الإسلام كل ما كان طيباً وملائماً للفطرة، وحرَّم كل ما كان من شأنه أن يضر بالفطرة ولا يناسبها. يقول الحق جل شأنه:

﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة النحل، الآيتان: 114، 115]

❖ دعا الإسلام إلى احترام الأديان التي سبقته، وترك أهلها وما يدينون به، دون أن يتعرض لهم أحد، بل لا يكمل إيمان المسلم إلا إذا آمن بالأديان السماوية السابقة الصحيحة، واحترم كتبها ورسلها، مصدقا لقول المولى سبحانه وتعالى:

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: 136]

ويقول سبحانه:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة البقرة، الآية: 285]

❖ أرسى الإسلام قواعد التعايش السلمي لتطييب الحياة ويسعد الناس جميعاً، وليعيش العالم كله في سلام، فأمر بالعدل والوفاء بالعهد وإعطاء كل ذي حق حقه، يقول المولى سبحانه مقرراً حق المسلم في المودة والمؤاخاة والمناصرة:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة، الآية: 71]

أما غير المسلم فله حق البر والعدل والمودة بالحق، يقول عز وجل:

﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة، الآية: 8]

❖ منع الإسلام التعرض لأهل الكتاب بأي لون من ألوان الأذى، أو الاعتداء عليهم، طالما لم يقم الدليل لدى الحاكم على قيامهم بإحداث فتنة أو قلاقل تعرض أمن الدولة ومصلحتها للخطر، وطالب بأن يكون الحديث معهم بالكلمة الطيبة، ودعوتهم بالحسنى. يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا

﴿وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: 46]

وزيادة في الإنسانية لم يحرم الإسلام أكل طعامهم، بل جعله حلالاً للمسلمين، وبالتالي فأكلهم من طعام المسلمين حلال لهم، كما أباح الإسلام للمسلمين أن يلتقوا مع أهل الكتاب في مصاهرة ونسب، وأباح للزوجة الكتابية أن تظل على دينها، وأن تذهب إلى كنيستها أو بيعتها، في حرية كاملة وبر مكفول . يقول الحق جل جلاله:

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾

[سورة المائدة، الآية: 5]

ويقول الرسول ﷺ (من آذى ذميا كنت أنا خصمه ومن كنت خصمه خاصمته يوم القيامة)، ويقول صلوات الله وسلامه عليه: (من آذى ذميا أذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى).

هذا ومن القواعد المقررة في الإسلام، في شأن أهل الكتاب الذين يقيمون داخل الدولة الإسلامية، أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين في الحقوق والواجبات كافة.

❖ جعل الإسلام للحرب صورة مشروعة لإحقاق الحق واستتباب الأمن ورد العدوان، يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾

[سورة الحج، الآيتان: 39، 40]

❖ الإسلام يجنح إلى السلام ويميل إليه، حقنا للدماء وإرساء لقواعد الأمن، يقول سبحانه :

﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سورة الأنفال، الآية: 61]

بيد أنه في نفس الوقت يطلب من المسلمين أن يكونوا على يقظة تامة، وعلى أهبة الاستعداد، مصداقًا لقوله سبحانه :

﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [سورة الأنفال، الآية: 60]

❖ طالب الإسلام المسلمين بوجوب المحافظة على النفس والعرض والمال والدين والعقل، وهذه هي الضروريات الخمسة في الإسلام، وهي التي سيكون السؤال عنها يوم القيامة.

❖ الإسلام زاخر بالمبادئ، وحافل بالقيم والتعاليم، ومليء بالنماذج، وبه العديد من المثل والقواعد السلوكية، التي تحفظ على الإنسان كنهه وكيانه وآدميته واحترامه، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وتعرض لها بما يتلاءم مع الفطرته البشرية، فجاء كاملا متكاملا، ليس به أدنى ثغرة.، يقول تبارك وتعالى:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة، الآية: 3]

❖ الإسلام نعمة ورحمة وشفاء وخير للمؤمنين، وخسارة لمن كفر به، ولا يرد النعمة إلا شقي، ولا

يرفض الرحمة إلا المجنون، ولا يرد الخسارة إلا من اتبع هواه وسار وراء وسوسة شيطانه، يقول سبحانه:

﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ * يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

[سورة المائدة، الآيتان:15، 16]

ويقول سبحانه وهو أصدق القائلين:

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [سورة الإسراء، الآية:82]

❖ طبيعة الإسلام مرنة، لأنه يحمل بين طياته مرونته وصلاحيته لكل زمان ومكان، فباب الاجتهاد مفتوح على مصراعيه من أجل الوصول إلى الأحكام العلمية والعملية التي تفيد الحياة وتتطور مع تطورها، إذ أن الإسلام لا يعرف الجمود، بل له في كل قضية رأي، وفي كل حكم نظر، ولديه لكل مشكلة حل، ولكل سؤال جواب. والدليل على ذلك هو أن الإسلام عاش وسيعيش إلى أن يرث الله الإرض ومن عليها، مهما تغيرت الظروف زماناً أو مكاناً، أو تلاءمت معه شرقا أو غرباً.

❖الإسلام راعى العادات والتقاليد السائدة الصالحة، ولم يختلف معها في الأحكام الجزئية الشرعية، حرصاً على المصلحة العامة، ودفعاً للحرج، وإبعادا للمشقة، يقول الحق جلت حكمته :

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾

[سورة البقرة، الآية:185]

ويقول عز وجل في محكم كتابه :

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾

[سورة الحج، الآية:78]

❖ سنّ الإسلام القواعد الكلية للمحافظة على المقاصد العامة، تطبيقاً لقول رسول الله ﷺ: (لا ضرر ولا ضرار).

الإسلام دين المساواة بين البشر، فالناس جميعها مردهم إلى أب واحد وأم واحدة، وهذا ما تدل عليه الآية القرآنية الكريمة :

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات، الآية:13]

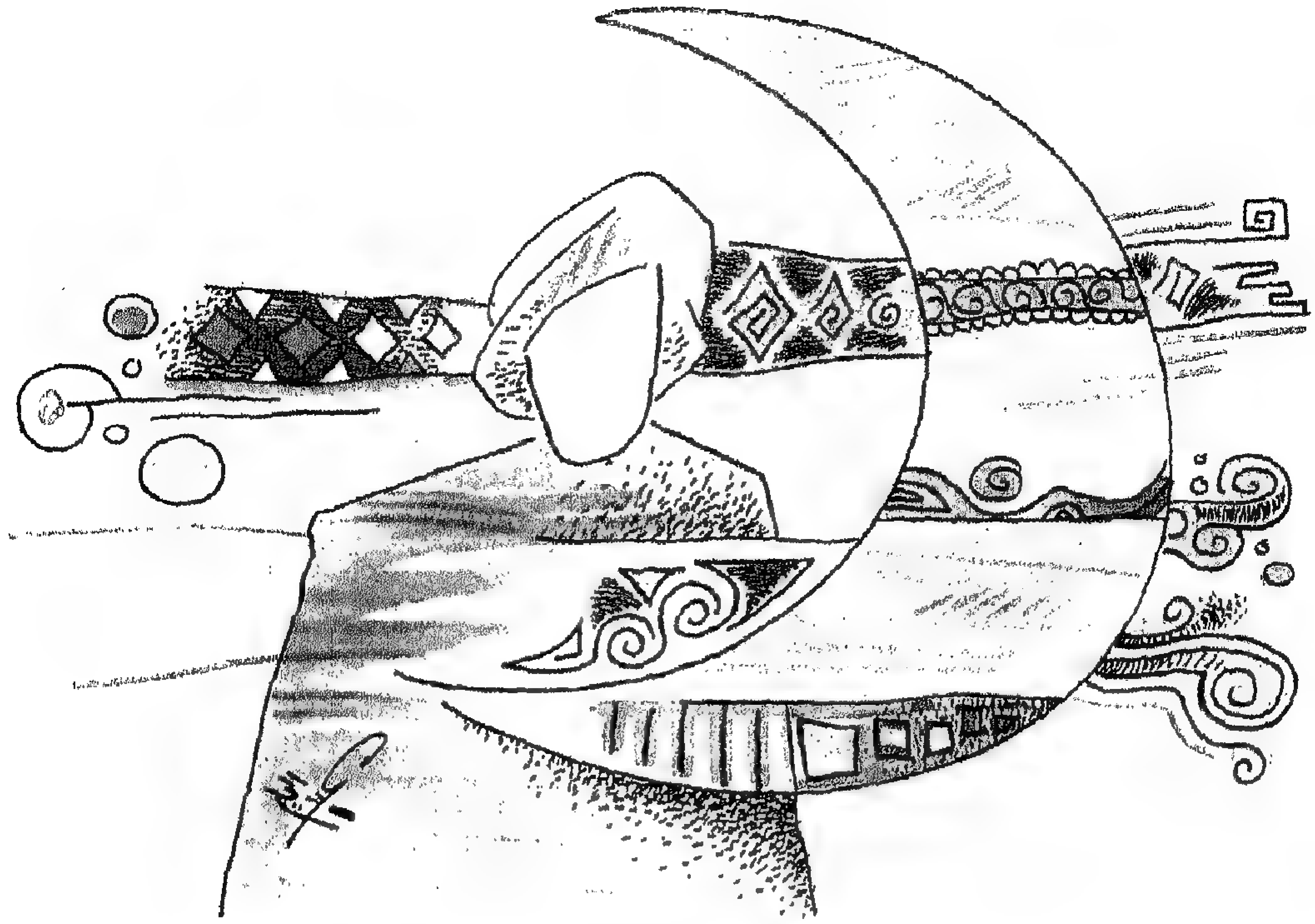
ويقول رسول الله ﷺ: (الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى) فالتقوى والعمل الصالح والالتزام بالشريعة؛ هي محك الإيمان قوة وضعفاً، إيجاباً وسلباً.

ومن هنا كان أساس التفضيل عند المولى سبحانه وتعالى، وقاعدة المساواة، هو أن يتقن الإنسان عمله، ويقوم به على الوجه الأكمل، فلا يركن إلى حسب أو نسب أو غنى أو منصب، ويرعى حق المولى سبحانه، وحق نفسه، في كل ما يقدم عليه من عمل وإن صغر، ولا يحقر عمل غيره وإن قل، ولا يدعي لنفسه عملاً لم يقم به، أو لم يؤده على الوجه الأكمل، وأن يعرف حجمه في المجتمع بحسب وضعه وعمله وجده واجتهاده، أو بمعنى أشمل وأعم أن يضع نفسه في موضعها الصحيح، ويعرف قدره.

هذا غيض من فيض، أو قطرة من بحر كما يقال، فالإسلام يستهدف أمن الإنسان وطمأنينته وسعادته، ويرسم منهج حياته فرداً وواحداً في المجتمع، ويوضح سبل حمايته من نفسه ومن غيره.

وبعد..

فالحقيقة أن الإسلام يضع منهجاً كاملاً ومتكاملاً من حيث النظرية والتطبيق، وهذا المنهج يضمن لكل مسلم الاتزان النفسي والفكري والحضاري والاجتماعي والاقتصادي، وهذا لم يرد - على وجه الإطلاق - في أي نظرية من النظريات التي



وضعها البشر حتى اليوم، حيث إن هذه النظريات قد تنجح في بعض الجوانب، وتفشل في البعض الآخر، وقد لا تنجح في أي جانب من الجوانب.

إن الإسلام يقدم فكراً شاملاً متكاملاً عن أصل الحياة وأصل الإنسان والهدف من الحياة، كما أنه يقدم فلسفة أخلاقية رفيعة، تأخذ بيد الفرد والمجموعة نحو حياة مثالية، تصل به إلى ما فيه خيره وسعادته.

والإسلام يضع نظرية للمعرفة تطيح بالفلسفات الوضعية كافة، وإلى جانب هذا فهو يرفض تماماً أن يكره أحدا على الدخول فيه، ولا يتوصل إلى الاقتناع به عن طريق المناقشة الهادئه الهادفة، واستشارة العقل وإعمال الفكر والمنطق. يقول المولى سبحانه وتعالى:

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ...﴾
[سورة البقرة، الآية: 256]

ويقول عز وجل:

﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾
[سورة الكهف، الآية: 29]

إن المشكلة الحقيقة التي يواجهها الإسلام لا تكمن في مبادئه وقيمه ومثله، وهل هي صالحة لكل زمان ومكان أم لا، ولكن المشكلة تكمن في المسلمين أنفسهم، تكمن في أولئك الذين يفرطون في أعظم منحة وهبها لهم المولى سبحانه وتعالى، وهي منحة الإسلام، وذلك عندما يستغرقون في المباحث الفلسفية، ويدرسون النظريات الوضعية، دون أن يدرسوا الإسلام دراسة كافية، ومن غير معرفة بكتاب الإسلام وأحكامه التشريعية، ودراسة الجوانب الرائعة في الفقه الإسلامي، التي تؤكد أن الإسلام هو دين الإنسانية، الصالح لها في كل زمان ومكان.. وإلى آخر الزمان.

نسأل المولى سبحانه وتعالى أن يحفظ الإسلام من خصوصه، ومن أتباعه الذين يهاجمونه، ولن يستطيعوا أن ينالوا منه شيئاً، فهو عام وجامع مانع.

فضاءات التخييل
وتأويلاته في تحليل النص

د. مشكور كاظم العوادي *

يبقى استشراف المعنى أول المهمات في التحليل الأسلوبي والبياني، لما له من صلة بعلائق الذهن ومسارب النفس وفضاءات الوجود، فمن تلك المعاني يقف معنى التخييل، وهو أن يجعل الشاعر أو الخطيب اجتماع الشيئين في وصف علةَ الحكم الذي يريد، وإن لم يكن في المعقول ولا مقتضيات العقول ، ولا يؤخذ الشاعر بأن يأتي على ما مصيره قاعدة وأساساً ببينة عقلية، بل سلم مقدمته التي اعتمدها[1]، وهو معنى فيه خاصية التفعيل الفني المتأمل، ذلك أنه مستمد من الخيال الذي يعد عنصرا للإثارة النفسية، والحفز نحو الانبساط لشيء أو الانقباض عنه. يقول ابن سينا «وإنما ينظر المنطقي في الشعر من حيث هو مخيل، والمخيل هو الكلام الذي تذعن له النفس فتنبسط عن أمور وتنقبض عن أمور غير روية وفكر واختيار»[2].

فالخيال هو الطريق المؤدي إلى إبراز الصورة الشعرية. ويؤكد حازم القرطاجني أهمية الخيال وقيمته في تحقيق الانفعال النفسي، وانعكاس ذلك على وظيفة الشعر، أي هو القيمة التي بها يكون الشعر وبدونها لا يكون. لذا فهو يقول بعد اعتماده على الفارابي وابن سينا، أن الشعر لا يكون شعراً من حيث هو صدق أو من حيث هو كذب، بل من حيث هو كلام مخيل.. ليؤكد أن الخيال يعدّ أساساً مهماً في صناعة الشعر.. وينظر بعدها في أن أحسن مواقع التخييل هي أن يناط بالمعاني المناسبة للغرض الذي فيه القول، كتخييل الأمور السارة في التهاني، والأمور المفجعة في المراثي . فإن مناسبة المعنى للحال التي فيها القول، وشدة التباسه بها؛ يعاون التخييل على ما يراد من تأثير النفس لمقتضاه . فمن التخييل الحق الصحيح الذي يقرر معنى لا وهم فيه قول المتنبي:

وما التأنيث لاسم الشمس عيب

ولا التذكير فخر للهلال

لأن العقل يشهد بأن الشرف لا يوصف به رجل دون امرأة من حيث الجنس ، ولكن من حيث الخلق والقدر، وفي هذا تفضل الرجل، كما أن الشيء لم

---

* كاتب وأستاذ جامعي عراقي / ليبيا

1 ينظر:أسرار البلاغة- عبد القاهر الجرجاني ص235.

2 . الإشارات والتنبيهات- ابن سينا- ق4 ص 140.

يكن شريفاً أو غير شريف من حيث أنّث اسمه أو ذُكّر، بل الشرف للمسميات من حيث أنفسها.

أما التخييل القريب من التعليل بما هو غير معروف مما يدخل في المبالغة البعيدة، كقول المتنبي أيضا:

لم تحْكِ نائلك السحاب وإنما
همّت به فصبيبها الرحضاء

فالأصل أن يشبه الجود بالغيث، فأغرق المتنبي فجعل الغيث عاجزاً عن محاكاة الممدوح في نائله، وأنه أصيب لذلك بالحمى، فليس المطر إلا عرق الحمى، فهنا مبالغة غريبة لا تزيد التصوير قوة ولكن تزيده غرابة.

ويرد التخييل عند عبد القاهر بثلاثة معان (معنى منطقي كلامي، ومعنى فني شبيه بمعنى المحاكاة، ومعنى بياني. متأثراً بتقسيم ابن سينا أنواع التخييل إلى تشبيه واستعارة وتركيب منهما).

فأما المعنى المنطقي الكلامي فإنه يضع التخييل مقابلاً للحقيقة، وهذه الموازنة مأخوذة من موازنة ابن سينا بين التخييل والتصديق، مع أنه لم يجعل التخييل ضد الحقيقة، بل جعله طريقاً خاصاً في ايقاع المعاني، إذ لا يعتمد على صدق المعاني بل على تمثيلها بالمخيلة، فالكلام الحقيقي قد يكون مخيلاً إذا سلك به الشاعر مسلكاً يجعل له قبولاً في النفس وتصوراً في الحس، وهذا المعنى معنى التصوير والتمثيل، ويختفي هنا ويحل محله النظر إلى التخييل على أنه نوع من القياس الخادع، ويمثل عبد القاهر الجرجاني لذلك بقول أبي تمام:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى
فالسيل حرب للمكان العالي

فقوام التخييل عنده أن الشاعر قد أجرى قياس تمثيل بين فعل السيل بالمكان العالي، وفعل الغنى بالرجل، وأثبت للأمر الثاني حكم الأول، من دون أن يكون بين الطرفين اشتراك في علة الحكم، وهي السيولة والإنصباب، التي لأجلها ينحدر الماء عن المكان العالي. وكذلك يقع في هذا الباب قول البحتري:

وبياض البازي أصدق حسناً
إنْ تأملتَ من سواد الغراب

فهو يريد أن يحسن المشيب بقياسه على البازي، زاعماً أن حسن البازي في البياض لونه، وإذا كان المشيب أبيض فهو أحسن كذلك، والشباب بالعكس، وعلة الحكم هنا كاذبة في المقيس والمقيس عليه، إذ ليست نفرة النفس من الشيب ولا إقبالها على الشباب للونٍ فيهما، وكذلك لا تعجب النفس بالبازي لبياضه، ولا تنفر من الغراب لسواده، فهذا أيضاً قياس خادع.

> «الشعر كلام موزون مقفى، من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليه ما قصد تكريهه، لتُحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه، بما يتضمن من حسن تخييل له، ومحاكاة مستقلة بنفسها، أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام، أو قوة صدقه، أو قوة شهرته، أو بمجموع ذلك»

والبحتري يبني المعنى على أساس التسليم بمقدمته: وهو أن عائب الشيب لم منه إلا لونه، مع تناسي سائر المعاني الصحيحة التي من أجلها كره وعيب.[1]

وهذا الضرب من القياس الخادع في نظر عبد القاهر موضوع الشعر والخطابة، فهو يقول:

3 - ينظر: شرع كتاب الشعر لأرسطو، ومعه دراسة شكري عياد ص258 - 259.

«أن تجعلوا اجتماع الشيئين في وصف علة لحكم يريدونه، وإن لم يكن في المعقول ومقتضات العقول... » [4]

وعبد القادر يوازن بين التخييل والحقيقة، وهو أبعد ما يكون عن صفة البليغ، وأقرب ما يكون إلى صفة المتكلم، فهو ـ مع النظرة المنطقية إلى العمل الشعري ـ حريص كل الحرص على أن ينظر إلى المعاني من جهة (الصدق والكذب) لا من جهة حسن الصورة، إذ يتخذ هنا فكرة الصدق والكذب معياراً للتميز بين الاستعارة والتخييل، فيقول: إنك حين تستعير لا تقصد إلى إثبات معنى اللفظة المستعارة للمستعار له، وإنما تقصد إلى إثبات الشبه، فلا مخالفة هناك بين الخبر والمخبر عنه.

وبعد أن حصر معنى التخييل في هذا القياس الشعري الخادع، لما لهذا الفن من نكت ولطائف وبدع وظرائف ؛ لا يستكثر لها الكثير من الثناء، ولا يضيق مكانها من الفضل عن سعة الإطراء، لأن الاحتفال والصنعة في التصويرات تروق السامعين وتروعهم، والتخييلات التي تهز الممدوحين وتحركهم ... ولأجل هذا المعنى . معنى اقتران التصوير أو التخييل في الشعر بشيء من التلاعب بذهن السامع . حرص عبد القاهر على ألا يستعمل كلمة التخييل حين يتحدث عن التشبيه والتمثيل والاستعارة، لأن هذه الأساليب قد وردت في القرآن الكريم، وسنرى كيف عيب على الزمخشري استعماله كلمة (التخييل) في حديثه عن بلاغة القرآن . [5]

فعبد القاهر يأخذ من كلمة (التخييل) دلالتها على تحسين صورة المعنى وتجسيمه للحس، فيجعل ذلك معنى جامعاً للتشبيه والتمثيل والاستعارة، فكأنه استعاض في معظم بحثه البياني عن كلمة التخييل بالتشبيه والاستعارة والتمثيل، لأن هذه عنده أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها، وأقطار تحيط بها من جهاتها .

أما الزمخشري فقد لجأ إلى استعمال هذه الكلمة متأثراً بعوامل دينية لم تكن العوامل واضحة جلية عند عبد القاهر، وإن تأثر بها هو في خصائصه الأسلوبية ورصده الموضوعي .

فقد وجد الزمخشري آيات يوهم ظاهرها التشبيه كقوله تعالى:

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾

[سورة البقرة، الآية:255]

وقوله سبحانه:

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾

[سورة الزمر، الآية:67]

وآيات أخرى لا يمكن فهم التصوير فيها على أنه تشبيه تمثيل، كقوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾

[سورة الأعراف، الآية:172]

وقوله:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية:72]

وقوله :

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ...﴾ [سورة الحشر، الآية:21]

فقال في هذه الآيات جميعها إنها (تمثيل وتخييل) وإن الألفاظ فيها يجب ألا تحمل على جهة حقيقة ولا على جهة مجاز، وإنما هي تمثيل وتصوير حسي .

فمن ذلك نلحظ تفسيره لقوله تعالى:

---

4 ـ أسرار البلاغة ص 235.

5 ـ كتاب الشعر، دراسة شكري عياد ص 216.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾

[سورة الأعراف، الآية: 172]

قال: «إنه من باب التمثيل والتخييل، ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته، وشهدت عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مخيرة بين الضلالة والهدى، فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم، وقال لهم ألست بربكم ؟ وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك ..»

والزمخشري ينبه على عظم شأن هذا الباب ولطف مأخذه في تفسيره لقوله تعالى:

﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [سورة الزمر، الآية: 67]

فيقول: «ولا ترى بابا في علم البيان أدق ولا أرق ولا ألطف من هذا الباب، ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى، في القرآن الكريم وسائر الكتب السماوية وكلام الأنبياء، فإن أكثره تخييلات قد زلت فيها الأقدام قديماً، وما أتى الزالون إلا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير».

ومن هنا فالتخييل عند الزمخشري هو تصوير المعنى للحس، وهو أعم من التشبيه التمثيلي ومن الاستعارة، وهنا يدقق الزمخشري في إظهار الفرق بين (أصل المعنى) وهو المعنى الذي وضع أولاً في الذهن، و(صورة المعنى) وهي المتحددة في الخارج، حتى ليقرر أن الألفاظ لا تستعمل في التخييلات على جهة الحقيقة ولا على جهة المجاز، أي أنها وإن لم يتعلق غرض القائل بمعناها القريب، فهي لم تنتقل عن هذا المعنى إلى معنى سواه، هي (تمثيل) للمعنى فحسب، وهذا ما يجعل التخييل عند الزمخشري أعم من التشبيه والاستعارة، بل هو ضرب من التأويل .. وهو كذلك يبدو عند التحليل النصي المتأمل .

ونجد فكرة (التخييل والمحاكاة) مطبقة أوسع تطبيق عند حازم القرطاجني، وإنه توسع في تطبيقها على ألوان الفن القولي، فقد طبقها على محاكاة المحسوسات مما لم يوجد مثاله في الشعر اليوناني، وطبقها على الحكم الشعرية، وعلى القصص أيضاً، وأفاد ذلك من تحديد ابن سينا لكلمة (المحاكاة) الذي ردها إلى عمل المخيلة .

وبذلك «تَرفع المحاكاة من فكرة اتساق التجربة البشرية وتماثلها، وتحفيز الناس إلى توكيد الاستمرار التاريخي في ذلك النسيج المتشابك الذي يدّعي بالتقليد، وتستغل فكرة الأصالة من وجهة أخرى اختلاف الناس في جلب الانتباه إلى تفرد التجربة الفردية، وتقود إلى رأي في التاريخ منشق فيه التبدلات المفاجئة هي القاعدة، وترى التغيرات الخطيرة تحدث إذ ذاك بعرضية ملطّفة.» [6]

لقد عقد القرطاجني فصلا للتعريف بماهية الشعر وحقيقته فقال: «الشعر كلام موزون مقفى، من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليه ما قصد تكريهه، لتُحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه، بما يتضمن من حسن تخييل له، ومحاكاة مستقلة بنفسها، أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام، أو قوة صدقه، أو قوة شهرته، أو بمجموع ذلك» [7].

ومن هنا يرى حازم القرطاجني أن التخييل والمحاكاة هي الحقيقة المميزة للشعر، وأن المحاكاة قد تقوم بنفسها، وقد تستند إلى عوامل أخرى مساعدة ، يذكر منها حسن تأليف الكلام وقوة صدقة وقوة شهرته. وهو يدلنا على اقتران المحاكاة بالتعجيب، وما للتعجيب من أثر في تحريك النفس وتقوية الانفعال .

6 ـ قضايا في النقد الأدبي؟ روثفن ـ ترجمة د. عبد الجبار المطلبي ص 233.

7 ـ منهاج البلغاء ـ القرطاجني، ص 40.

الكتاب والمكتبة
وثقافة الطفل المسلم في عصر المعلومات

د. مفتاح محمد دياب *

اهتمت البلدان والمجتمعات المتقدمة منذ زمن بعيد بأطفالها، حتى غدا هذا الاهتمام يحتل مكان الصدارة في الخطط والأولويات والاهتمامات والبرامج، على كل المستويات المحلية والوطنية والقومية، وبذلت الجهود الكبيرة في تعليم الأطفال وتربيتهم وتثقيفهم، وإنشاء المؤسسات التي تعنى بالطفولة من كل جوانبها الصحية والنفسية والتعليمية والثقافية والاجتماعية، ويلعب الجانب الثقافي دورًا رائدًا وطليعياً وفعالاً في تحقيق التطلع والطموح نحو غد مشرق للمجتمع، مع عدم إهمال الجوانب الأخرى بالطبع. والاهتمام من طرف المجتمعات بأطفالها يأتي من إدراك هذه المجتمعات أن الاهتمام بالطفولة هو حجر الزاوية في ضمان مستقبل المجتمع وتطلعه لبناء عالم أكثر سعادة.

وهناك عنصران لعلهما من أهم العناصر التي تساهم في الرفع من مستوى الثقافة الموجهة للأطفال هما الكتاب والمكتبة. فالكتاب يحتل مكان الصدارة في ثقافة الطفل، والمكتبة باعتبارها المؤسسة الثقافية التي تعمل على تحقيق الأهداف والبرامج التي يخطط لها المجتمع، من أجل تثقيف أطفاله ثقافة واعية تنبع من فلسفة نفسه.

أولاً ـ كتاب الطفل:

يعدّ الكتاب من أهم الوسائط الثقافية وأقدمها، عرفه الإنسان منذ عصور ماضية قبل أن يعرف الأنواع الأخرى من وسائط الكتابة، وما يزال يقوم بدوره في التثقيف والتعليم حتى وقتنا الحاضر، وفي المستقبل أيضاً، بالرغم من ظهور الوسائط الإلكترونية المتقدمة، التي أخذت تنافس الكتاب المطبوع أو الورقي في نقل الثقافة والمعلومات للإنسان، وما يزال الكتاب المطبوع من أقوى الوسائط وأكثرها انتشاراً بين الناس، بسبب الصفات التي تتوفر فيه ولا تتوفر في غيره من الوسائط الأخرى[1].

ويشكل الكتاب أهم الوسائط المطبوعة التي تشد الطفل وتدفعه إلى القراءة والحصول على المتعة

* باحث وأستاذ جامعي / ليبيا

والتسلية والترفيه، عن طريق ما تضمه الكتب من قصص وحكايات ونوادر، وغيرها من المعلومات المختلفة.

ولا يثمن قيمة الكتاب وأهميته ودوره الكبير الذي يقوم به في مجال التثقيف والتهذيب إلا المجتمعات التي تعيش حياة قوامها العلم والمعرفة، حيث تتصل الحياة الثقافية فيها اتصالاً وثيقًا بالكتاب، وغيره من الوسائط التي تعين الأفراد على اكتساب المعلومات والمعرفة.

وتأتي أهمية كتب الأطفال من كونها أداة تقود الأطفال إلى التفكير والتأمل وطرح الأسئلة والاستفسارات سواء على أنفسهم أو على الآخرين المحيطين بهم، وهي بذلك تؤهل الطفل إلى الانتقال إلى مرحلة المراهقة والشباب بشكل إيجابي وسليم، دون أي خوف من الانحراف أو الجنوح الذي يحدث نتيجة أسباب متعددة، اجتماعية ونفسية وثقافية.

تأتي أهمية كتب الأطفال من كونها أداة تقود الأطفال إلى التفكير والتأمل وطرح الأسئلة والاستفسارات سواء على أنفسهم أو على الآخرين المحيطين بهم.

يعدّ الكتاب من أهم الوسائط الثقافية وأقدمها، عرفه الإنسان منذ عصور ماضية قبل أن يعرف الأنواع الأخرى من وسائط الكتابة.

وللكتاب أيضاً أهمية أخرى تتمثل في قدرته على غرس وتعميق الصفات الإنسانية النبيلة لدى الأطفال، والقدرة على تمكين الطفل من تذوق الجمال، واستيعاب كثير من القيم والمعارف والمفاهيم الأخرى، التي يحتاج إليها الطفل أثناء فترات نموه المختلفة، بالإضافة إلى ناحية أخرى مهمة هي جانب إدخال السرور والمتعة والفرح على قلب الطفل[2].

والكتب، وكذلك الوسائط المطبوعة الأخرى، باعتبارها توفر نصوصاً ثابتة على الورق تمكّن الأطفال من اكتشاف ما إذا كانوا يفهمون ما يقرءونه أم لا، ويتذكرون الأفكار والمفاهيم والقيم وغيرها، عن طريق الرجوع مرة ومرة أخرى إلى النص، ويمكن لهم أن يتحدثوا عن الأفكار الواردة، أو ينكروا فيها عبر فترة من الزمن، ثم يعودون إلى النص الأصلي للتأكد، وهذا الثبات للمعلومات يسمح - بشكل دقيق وكبير - بمعالجة المفاهيم الواردة في الكتاب[3].

ويرى بعض الخبراء المعنيون بدراسة القراءة، أن الهدف الأساسي لقراءة الكتب عند الأطفال هو من أجل تأمين الارتباط المستمر بين النمو الجسمي والفكري والإدراكي عند الأطفال، مع تجنيبهم أي انقطاع يمكن أن يحدث في نمو شخصياتهم أثناء انتقالهم من مرحلة إلى مرحلة أخرى، خاصة في الفترة التي يحتاج فيها الطفل إلى زيادة معارفه ومعلوماته بصورة دائمة ومستمرة. هذه المعلومات والمعارف يمكن أن يلبيها الكتاب بشكل مناسب ومقبول لدى جميع الأطفال، على اختلاف مستويات نموهم العقلي. ومقدرة الكتاب، كمادة مطبوعة، تأتي من كونه يقدم الحقائق والمفاهيم والأفكار والمعارف مثبة على الورق - وفي حالة الكتاب الالكتروني على الشاشة - حيث يستطيع الطفل أن يسيطر على الموقف القرائي حسب ظروفه الخاصة به. فهو يقرأ عندما يريد، وكما يريد، والاطلاع على المادة يمكن أن يتكرر حسب رغبة القارئ، وطبقا لمدى قدرته على الفهم والاستيعاب[4].

بالإضافة إلى خاصية أخرى للكلمة المطبوعة، وهي أنها أقدم وسائل الاتصال الجماهيري التي تعامل معها القارئ منذ اختراع الطباعة وحتى الوقت الحاضر، هذه الصفات أو الخواص التي يتميز بها الكتاب، والوسائط المطبوعة الأخرى، قد لا تتهيأ

للأطفال من خلال بعض الوسائط الثقافية الأخرى، مثل الإذاعة المسموعة والإذاعة المرئية، والمسرح والسينما.

وكتب الأطفال تقوم بدور كبير وفعال في المحافظة على التوازن بين سعادة الأطفال الشخصية والتوازن الاجتماعي، وخصوصاً إذا كتبت بواسطة مؤلفين وكتّاب يتحلون بالحساسية المرهفة والتفكير الواعي، ولهم القدرة على ملاحظة الأطفال، ويتذكرون كثيراً من الأشياء التي حدثت لهم في طفولتهم. وقد تساعد كتب الأطفال أيضاً على فهم الكبار لأطفالهم والأطفال الذين يتعاملون معهم في المدرسة أو المكتبة أو أي مكان آخر، وتعمل كتب الأطفال على مساعدة الطفل في بناء مفهومه للمجتمع الذي يعيش فيه، ومعرفة دوره في هذا المجتمع، وتساعد الأطفال على تشكيل وتدقيق مفاهيمهم عن الناس الآخرين والعلاقات معهم، بالإضافة إلى دورها الكبير في مساعدة الأطفال على فهم أنفسهم.

والواقع أن هناك الكثير من التطورات العلمية والثقافية أدت إلى تزايد الاهتمام بتنمية الأطفال، وبالتالي إلى الدور الذي يمكن أن تلعبه كتب الأطفال في هذا الصدد، وعن طريق الأنواع المختلفة من كتب الأطفال، واختلاف المضمون الذي تحمله، مثل كتب القصص، والكتب العلمية، والكتب الدينية، وكتب الشعر والأناشيد، ودوائر المعارف والموسوعات، وكتب الجغرافيا والرحلات، والتاريخ والسير والتراجم، يمكن للطفل أن يشبع العديد من حاجاته النفسية مثل الحاجة للأمن والإحساس بالطمأنينة، وحل المشكلات، والحاجة إلى تحقيق الذات، والحاجة إلى المعلومات والمعرفة[5].

ومن أجل أن يؤدي الكتاب بأنواعه المختلفة ومضامينه المتعددة الدور المطلوب منه في تثقيف الطفل في مراحل الطفولة المختلفة، لا بد أن تتوفر



فيه العوامل التي تجعله كتاباً جيداً، سواء من حيث الشكل أو من حيث المضمون والموضوعات التي يتناولها، وينطبق هذا القول على الوسائط المطبوعة الأخرى، وكذلك الكتب والمجلات الالكترونية الموجهة للأطفال.

ثانيًا ـ مكتبات الأطفال :

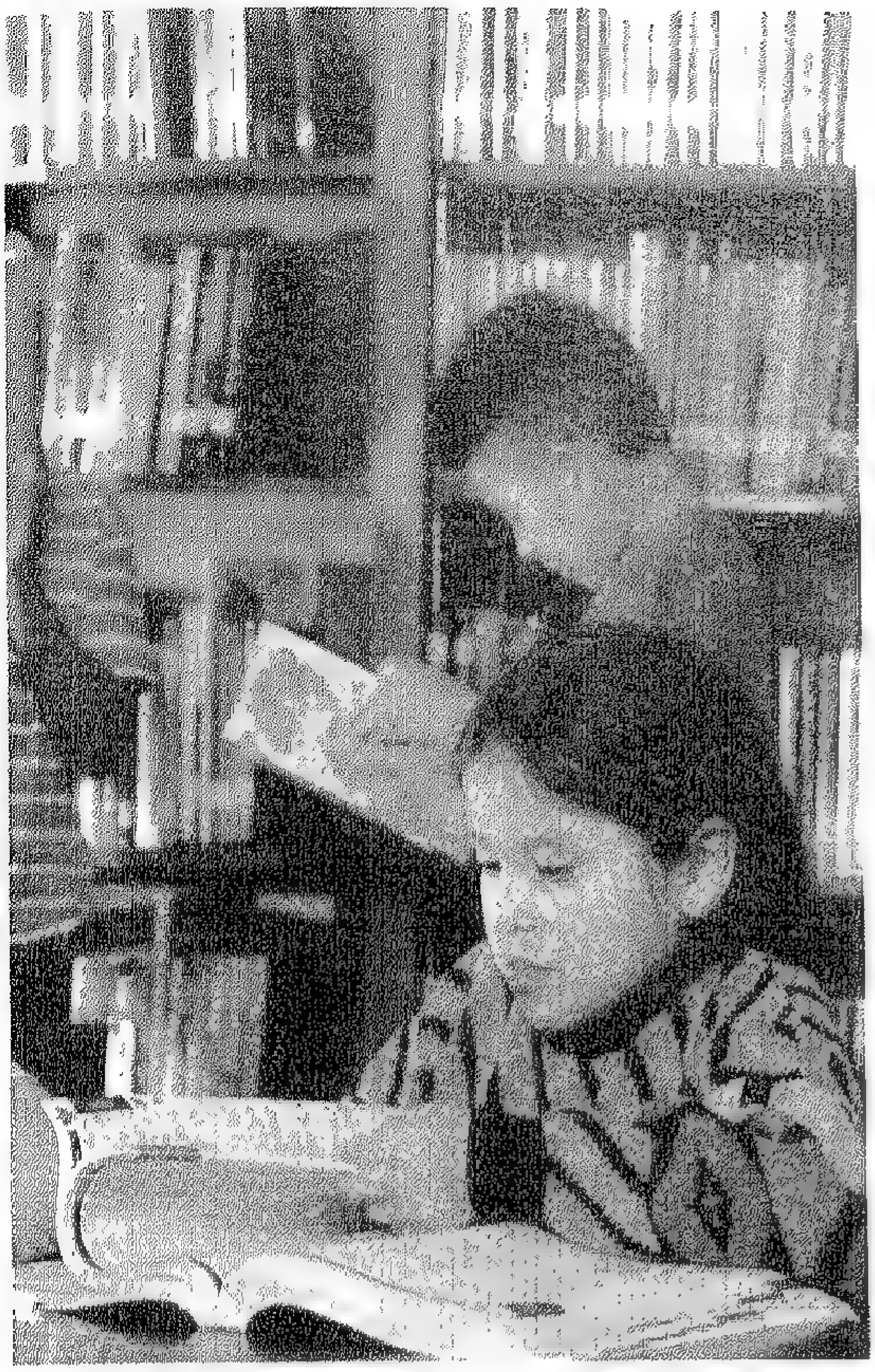
تحظى مكتبات الأطفال في الدول المتقدمة وبعض البلدان النامية باهتمام كبير، سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي أو المنظمات المهنية المتخصصة في خدمات المكتبات. ويأتي هذا الاهتمام نتيجة إدراك هذه المجتمعات أن جمهور الأطفال ـ الذي يشكل نسبة كبيرة من عدد السكان ـ له الحق في الثقافة باعتباره جزءاً من المجتمع تكفل له كل القوانين أن يكتسب المعرفة والثقافة الذاتية متى شاء، وأن تقدم له التسهيلات كافة التي تمكنه من الحصول على ما يريد من خدمات مكتبية كأي فرد آخر.

ومكتبات الأطفال لها دور فعال- باعتبارها مؤسسات ثقافية اجتماعية- في صنع شخصية الطفل، وتوسيع آفاقه ورؤيته للعالم من حوله، ونظرته للحياة من كل جوانبها نظرة تفائلية وطموحة، نظرة آنية ومستقبلية، لذلك يقع التخطيط لإنشاء مكتبات الأطفال العامة ضمن أولويات الخطط الاجتماعية والثقافية في عدد كبير من بلدان العالم، التي وعت أهمية الجوانب الثقافية للأطفال وقيمتها بالنسبة لمستقبل المجتمع والأمة.

وبشكل عام، فإن الخدمة المكتبية للأطفال تهدف إلى مساعدة الطفل في الحصول على الخبرات التي تساعده على النمو العاطفي والفكري، وهذه الأهداف للخدمة المكتبية للأطفال، تتشابه تقريبا في كل البيئات التي يعيش فيها الأطفال. وبالرغم من اختلاف فلسفة الخدمة المكتبية للأطفال في المجتمعات والبلدان المختلفة، فإن العامل المشترك بينها هو أنها تهدف إلى الارتقاء بالمستوى الفكري للطفل الذي ترى فيه مستقبلها[6].

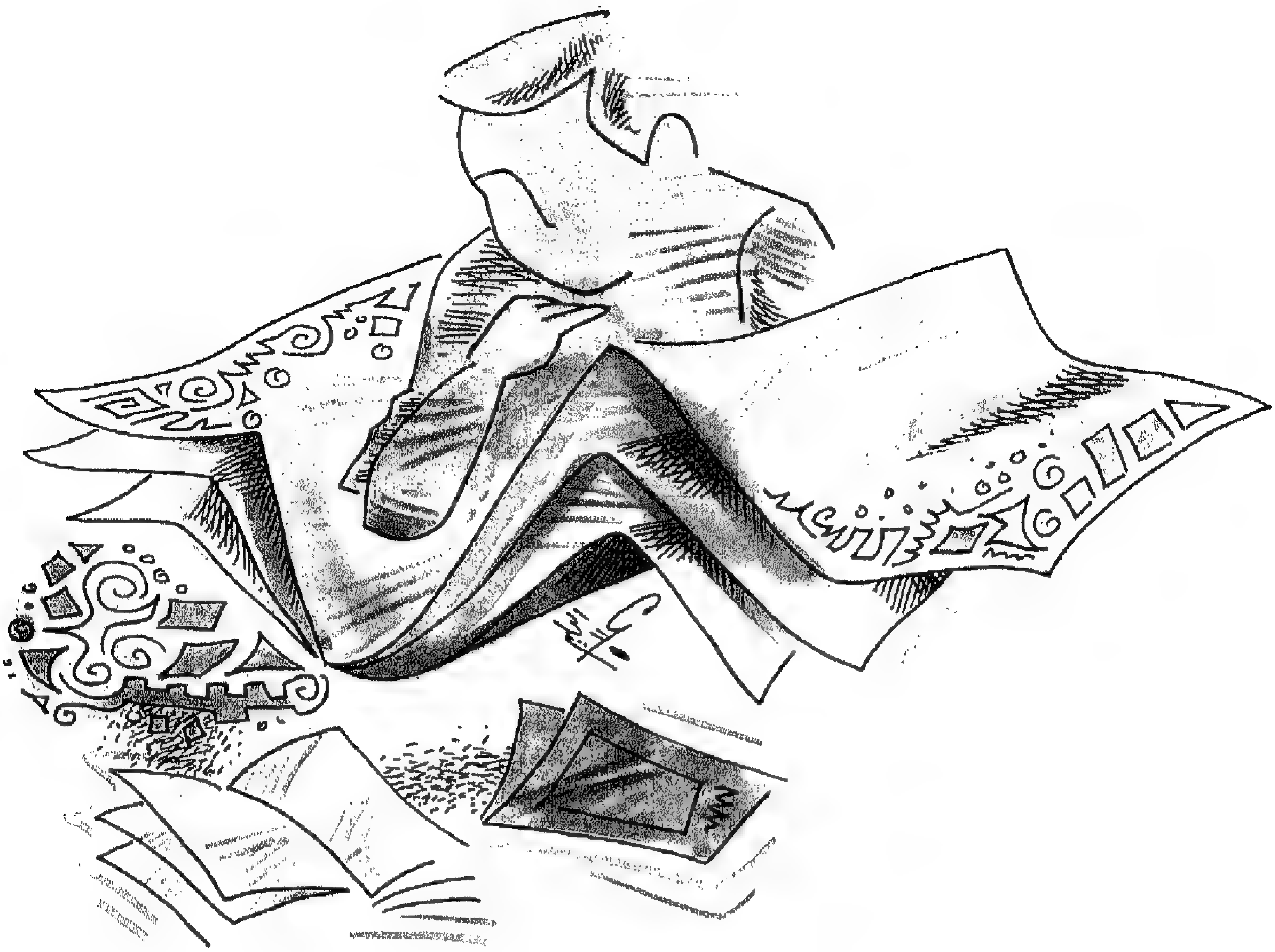
وفي عصر تكنولوجيا المعلومات، فإن الأطفال يحتاجون إلى إعدادهم وتدريبهم على استخدام التكنولوجيا الحديثة التي ستصبح جزءاً من حياتهم، وللتكيف مع عالم التكنولوجيا المتغير، فإن مكتبات الأطفال يمكن أن تساعد الأطفال على استخدام التكنولوجيا والتكيف معها، عن طريق تعليم الأطفال استخدام الحواسيب والتقنيات الأخرى التي تستطيع أن تشجع وتدفع الطفل إلى التعلم، وتوفير التوصل الحر للحواسيب مع عدد من البرمجيات الموجهة للأطفال والشباب الصغار من أجل الاستكشاف، كما أنها تمنح فرصاً لاستخدام تكنولوجيا المعلومات المختلفة التي تخزن وتسترجع المعلومات[7].

وفي المجتمعات الأوروبية - خصوصًا الاسكندنافية- واليابان، يتم تشجيع الأطفال على أن يصبحوا مستخدمين رسميين للمعلومات وهم في



السنوات الأولى من المدرسة الابتدائية، وحيث إن المكتبة عادة هي أول مجموعة منظمة من المواد المعلوماتية يتعامل معها الأطفال، فإن الطفل يمكن أن يتعلم مفهوم البحث عن مواد معلوماتية معينة في هذه المؤسسة، ويتعلم أساسيات البحث في النظم التكنولوجية المتوفرة بالمكتبة، وأولها الفهرس الآلي. وهناك عدة دراسات وأبحاث تشير إلى إمكانية تصميم نظم معلومات خاصة باستعمال الأطفال بأسلوب يجعل من عملية البحث عن المعلومات عند الأطفال عملية سهلة وغير معقدة، خصوصاً من ناحية مفاهيم البحث أو التفتيش في هذه النظم[8].

إن دور المكتبة وخدمات المعلومات لم يعد يقتصر على توفير المعلومات والموارد المعلوماتية للتعلم، والعمل، والحياة فقط. ففي عصر التكنولوجيا المتطورة، يحتاج الأفراد إلى خدمات توجههم لفهم المعلومات، وترشدهم إلى عملية البحث عن المفاهيم



والمعاني. والزيادة في استخدام تكنولوجيا المعلومات من طرف الجمهور عموماً، ومن طرف الأطفال والشباب خصوصاً، تزيد من قيمة وأهمية الدور الذي يلعبه المدرس والمكتبي أو أمين المكتبة في نقل وتوصيل مهارات المعلومات، التي ستكون أساسية ومهمة جداً للأفراد بكل فئاتهم للحياة و للتكيف مع ظروف المعيشة في القرن الواحد والعشرين[9].

إننا نعيش عصر المعلومات والتكنولوجيا المتطورة بشكل سريع، وهذا العصر تأتي معه بتحديات كبيرة لمكتبيي الأطفال، والتغيرات التي أحدثتها التكنولوجيا الحديثة في كثير من المجتمعات، جعلت مهمة العمل مع الأطفال في المكتبات صعبة أكثر من أي وقت مضى، حيث فرضت عليهم معرفة الكثير عن الأطفال، والوسائط الثقافية، واحتياجات الأطفال المعلوماتية والترفيهية، من أجل تطوير خدمة مكتبية تثري الأطفال وتثير تفكيرهم وخيالهم[10].

والطفل العربي والمسلم ليس استثناء من هذه القاعدة، إذا لم كن في حاجة أكبر إلى الاهتمام بالنواحي التكنولوجية الحديثة واستخدامها.

خاتمة:

إن الاهتمام بثقافة الطفل العربي والمسلم، في هذا الوقت الذي تمر به الأمة العربية والإسلامية، وما تعانيه من تفرق وضعف، تمليه علينا ضرورة النهوض والتقدم الحضاري الذي يطمح ويتطلع إليه المجتمع العربي والإسلامي، ولا يمكننا أن نخطو خطوات إيجابية في سبيل اللحاق بركب التقدم العلمي

والتكنولوجي، الذي تعيشه المجتمعات الأخرى، إلا إذا بدأنا بالطفل، الذي يعتبر أساس مستقبل المجتمع، ومن أجل أن يكون طفل اليوم ركيزة أساسية في تقدم المجتمع غداً، فلا بد من الاهتمام المكثف بالجانب الثقافي للطفولة، كما نهتم بالجوانب الصحية والنفسية والاجتماعية وغيرها[11] ولا يمكن للعرب والمسلمين دخول مجتمع المعلومات ومجتمع المعرفة، إذا لم يبادروا من الآن في إعداد الطفل العربي والمسلم لهذا المجتمع المعلوماتي والتكنولوجي، الذي نطمح أن ندخل إليه بقوة ولا نكون فيه متفرجين فقط.

ويجب التذكير بأن جميع المؤسسات الثقافية والإعلامية والاجتماعية أيضاً في المجتمع العربي والإسلامي، هي المسئولة عن ثقافة الطفل العربي والمسلم، وعليها جميعاً تقع مسئولية اختيار الثقافة الجيدة والواعية، التي من شأنها بناء جيل عربي ومسلم سليم التفكير، مثلما يكون سليم البنية، من أجل مستقبل المجتمع العربي والأمة الإسلامية. هذه المؤسسات يجب أن تأخذ في اعتبارها بشكل قوي مقاومة ما علق في أذهان أطفالنا من معلومات خاطئة نتيجة الغزو الثقافي الأجنبي الذي تعرض ولا يزال يتعرض له الطفل العربي والمسلم، من خلال وسائل الإعلام المختلفة، خصوصاً القنوات الفضائية.

ويقع على عاتق المؤسسات السياسية والثقافية في البلدان العربية والإسلامية عبء ومسئولية التخطيط السليم والمبرمج لإنتاج وتقديم ثقافة واعية وسليمة، تراعي مستويات الأطفال الفكرية والتربوية، وأن تبذل الجهود والأموال من أجل إقامة مؤسسات ثقافية خاصة بالأطفال، كمكتبات الأطفال، وأندية الأطفال العلمية، ومراكز خدمات الأطفال، ودور نشر خاصة بإنتاج أوعية المعرفة الموجهة للأطفال على إمتداد مدن وقرى الوطن العربي والعالم الإسلامي.

لا يمكن للعرب والمسلمين دخول مجتمع المعلومات ومجتمع المعرفة، إذا لم يبادروا من الآن في إعداد الطفل العربي والمسلم لهذا المجتمع المعلوماتي والتكنولوجي.

إن التقليل من أهمية وقيمة هذه المؤسسات والبرامج الثقافية والعلمية المعنية بالطفل العربي والمسلم ستكون نتيجته مزيداً من التخلف في كل المجالات والتفرق والوقوع فريسة غزو أجنبي في أشكال مختلفة.

المراجع والمصادر

1 ـ مفتاح محمد دياب . «ثقافة الطفل العربي المسلم» الناشر العربي ع14، 1989مسيحي، ص79.

2 ـ مفتاح محمد دياب . «ثقافة الطفل العربي المسلم» الناشر العربي ع5، 1985 مسيحي، ص75.

3 ـ Adele M. Fasick. " Moving into the Future" *Canadian Library Journal*. Vol. 41. No. 1, February 1984, pp 11-15

4 ـ فاروق عبد الحميد اللقاني. تثقيف الطفل. الاسكندرية، منشأة المعارف، 1976مسيحي ص121.

5 ـ رشيد رشدي أحمد طعيمة. «في البيت يتكون الطفل القارئ العربي»، ع278، يناير 1982 مسيحي، ص122.

6 ـ مفتاح محمد دياب .المكتبة وثقافة الطفل في الجماهيرية الليبية. ورقة قدمت في الندوة الأولى حول تنمية المكتبات ومراكز البحوث والمعلومات في الجماهيرية ، طرابلس ، ليبيا 19 ـ 21 أكتوبر 1985 مسيحي، ص2.

7 ـ "Kids need libraries: school and public libraries preparing youth of today for the world of tomorrow" *journal of Youth services in Libraries* Vol. 3 No.3,spring 1990, p.201

8 ـ Adele M. Fasick, "Children's use of information technology", *Encyclopedia of Library and Infromation Science*. A. Kent and C. M. Hall, eds. Vol. 55, Supp. 18, 1995, p. 51

9 ـ نفس المصدر، ص65.

10 ـ Adele M. Fasick. "Moving into the future", p.15

11 ـ مفتاح محمد دياب ـ «ثقافة الطفل العربي»، ص80.

ملف

المصلح الإسلامي الكبير في غرب إفريقيا

الشيخ عثمان بن محمد فودي

بين الذكرى الصحيحة والزائفة

د. محمد أول أبو بكر *

يهدف هذا المقال إلى التعريف بالشيخ عثمان بن فودي (1177 - 1233 هـ/1756 - 1817 مسيحي) عن طريق عرض ملامح من حياته الحافلة بالعمل والإصلاح، بمناسبة مرور مائتي عام على تدشينه لحركته الإصلاحية فيما يعرف اليوم بنيجيريا وأجزاء من النيجر والكامرون، لنميز في آخر المطاف بين الذكرى الصحيحة لهذه الشخصية الفريدة، والذكرى الزائفة التي يهتبل المستغلون فرصتها تحقيقًا لأهدافهم الشخصية.

الأسرة:

ولد عثمان في (مراة) في شهر الكانون (ديسمبر) سنة 1754 مسيحي، وقد هاجرت أسرته من فوتاتورو بالسنغال واستوطنت مدينة (كوني) التي كانت تحت سلطنة (غوبر) الهاوساوية، وفي السنة التي ولد فيها عثمان كانت الأسرة قد انتقلت إلى (مراة)، وأثناء طفولة عثمان انتقلت للمرة الثانية إلى (طغل).

الشباب والتعليم:

ليس لدينا حقائق واضحة عن طفولة الشيخ عثمان، إلا أن المعروف أنه سلك في شبابه الأول النهج الإسلامي المعروف في التعليم، فتلقى العلوم الدينية واللغوية. قرأ القرآن الكريم على والده محمد ودرس المواد العلمية الأخرى على علماء آخرين في عصره. وقد نشأ عثمان منذ هذا الوقت المبكر على أخلاق فاضلة ومواهب عقلية غير عادية، وكان منطيقًا.

شيوخه ومعلموه:

أ - عمه عثمان المعروف بـ(بدوري)، وقد تلقى عنه الشيخ عثمان حسن السلوك والاستقامة، ولزوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولازمه سنتين، ومما درس عليه (مختصر خليل) في الفقه المالكي.

ب - شيخه المبجل جبريل بن عمر الذي صحبه لمدة سنة فقط، إلا أن له على عثمان آثارًا بعيدة المدى،

---

* باحث وأستاذ جامعي / نيجيريا

فمنه أخذ فكرة الجهاد لاستئصال العادات الكثيرة التي لا تتماشى مع الإسلام في بلاد الهاوسا في عصره . وقد حاول الشيخ جبريل نفسه القيام بالحركة الإصلاحية في المنطقة، ولكن محاولاته لم تكلل بالنجاح. ولعل من أسباب فشله رأيه في أن مرتكب الكبيرة كافر في حين يصف الشيخ عثمان مرتكب الكبيرة بالعصيان فقط .

ج ـ الحاج محمد بن راجي، وقد درس عليه صحيح البخاري، وقد أخبر الشيخ عبد الله بن فودي أنه والشيخ عثمان درسا صحيح البخاري على هذا الشيخ، وكان ذلك سنة 1786مسيحي.

ولعل مما يصور أثر الشيخ جبريل بن عمر الروحي على الحركة التجديدية للشيخ عثمان ابن فودي قول الشيخ عبد الله ابن فودي في جيميته :

جبريل من جبر الإله به لنا
ديننًا حنيفًا مستقيم المنهج
وافى وحزب ضلالة في تلعة
والدين في وهد كشيء بهرج
فأزاح عنه حنادس الأعلاج من
عاداتهم وكساه حلة زبرج
لم يخش في إظهار دين الله من
مستهزئ أولائم متمجمج
وله شبول نائبون منابه
والشبل عند السبر مثل الخزرج

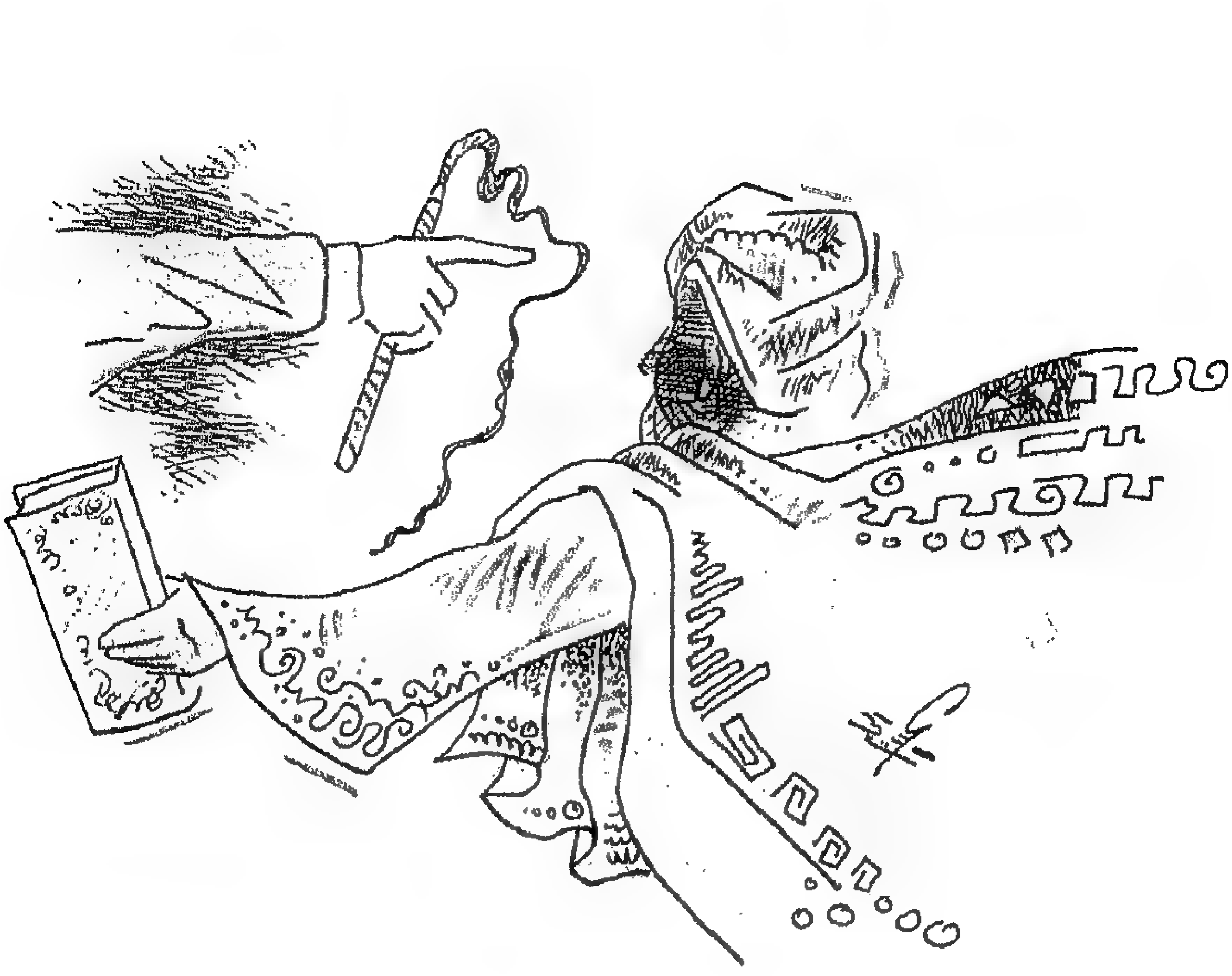
الدعوة (أو جهاد القول):

في السن العشرين بدأ الشيخ عثمان بالعمل الدعوي في مدينة (طغل) ثم انتقل إلى الأماكن الأخرى، وكانت «كَبّ» أول مكان زاره خارج مدينته لهذا الغرض، وقد استطاع أن يكسب إلى جانبه عددًا من الناس. ثم بدأ الناس يأتون إليه في مدينة (طغل) وبالتدريج ازداد أتباعه، فيما واصل تنقلاته من أجل الدعوة بين مدن سلطنة «غوبر». وعلى الرغم من ابتعاده عن السلاطين في بادئ الأمر رأى بمرور الأيام ضرورة الاتصال بهم ليدعوهم إلى التمسك بالإسلام الصحيح ونبذ العادات الباطلة. وهكذا اتصل بسلطان غوبر (بَاوَ جَنْ غُورزَو) لهذا الغرض، وكان ذلك مما زاد من مكانة الشيخ عثمان في نظر الشعب، ثم رأى الشيخ عثمان ومعه أصحابه، ومنهم أخوه الشقيق الشيخ عبد الله بن فودي، أن يتجه إلى سلطنة «زَمْفَرَا» حيث قضوا فيها خمس سنوات يبثون الدعوة، وبما أن هذه السلطنة كانت تعج بمن يجهلون الإسلام فإنها صارت أرضًا خصبة لدعوته، حيث كان يحضر دروسه الرجال والنساء من غير اختلاط بينهم . واستمر الشيخ عثمان في رحلته الدعوية إلى عام 1792 ـ 1793 حين استقر به المقام في مدينة (طغل). وخلال هذه الفترة ألّف كتابه (إحياء السنة وإخماد البدعة) لتوعية الناس من جهة، ولسد حاجة مساعديه في العمل الدعوي من جهة أخرى.

ان حركة الشيخ عثمان بن فودي التجديدية، وإن لم تكن الأولى في منطقة السودان الغربي، إلا أنها أثرت على حركات مماثلة جاءت بعدها في المنطقة.

أما الموضوعات التي كان يتحدث عنها الشيخ عثمان في مجالسه فتتركز على أركان الإسلام الخمسة، ومنها إلى بيان أصول الدين وأدلة العقائد، ثم صفة الطهارة والوضوء والصلاة والصوم والزكاة والحج والنكاح والبيع، وحفظ الأعضاء الظاهرة من المعاصي، وكان يشرح لهم حقيقة التصوف، ويحدثهم عن الجنة والنار . وإلى ذلك كله كان يوضح لهم التقاليد والبدع التي تناقض روح الإسلام وكان يحذرهم من طائفة من العلماء الذين يفتون الناس بالشواذ والمراجيح.

وأما طريقته في إلقاء دروسه فهي أنه إذا انتهى



إلى الجالسين سلّم عليهم، ثم إذا جلس سلّم عليهم أيضًا ثلاث مرات، وهو منطلق الوجه، ثم حدثهم بصوت مرتفع، وإذا انتهى من درسه أجاب عن أسئلتهم، وكان يتحدث إلى مستمعيه بإحدى اللغتين الهوسا أو الفلانية، وقد يجمع بينهما في جلسة واحدة.

الهجرة والجهاد

نظرًا إلى ازدياد أتباع الشيخ عثمان بن فودي، وأنه حضَّ هؤلاء الأتباع على التسلح لأنه مأمور به في الشرع، أغضب ذلك سلطان غوبب (نافاتا)، وقد جاء إلى عرش الحكم بعد موت السلطان (يُنْفَا)، فأصدر عددًا من القرارات الإستفزازية كالآتي:

1 - لا يسمح لغير من نشأ في الإسلام أن يعتنقه.

2 - وكل من اعتنق الإسلام يجب أن يرتد عنه إلى دينه الأول .

3 - لا يسمح بلبس العمامة للرجال ولا يسمح للنساء بالحجاب.

4 - ولا يسح لأحد بالعمل الدعوي غير الشيخ عثمان نفسه.

هذه القرارات الاستفزازية اضطرت فوجًا من أتباع الشيخ عثمان أن يهاجروا من سلطنة (غوبر) إلى مدينة (غمتانا) في سلطنة (كبت) وكانوا تحت قيادة الشيخ عبد السلام، وفي الوقت نفسه حاول السلطان يُنْفَا الإعتداء على حياة الشيخ عثمان ولكنه فشل، وأخيرًا هاجر الشيخ عثمان وبعض أتباعه من طغل إلى مدينة «غد» وكان ذلك في العاشر من ذي القعدة سنة 1218هـ الموافق 21 النوار (فبراير) سنة 1804 مسيحي. وكانت هذه الهجرة تدشينًا للجهاد بالسيف . على أن بعض أتباعه تخلفوا عن الهجرة خوفًا على ممتلكاتهم.

وبهذه الهجرة قرر الجماعة (أي أتباع الشيخ عثمان، كما كانوا يسمون) أن يقاوموا سلطان غوبر ومؤيديه، ومن ثم اختاروا الشيخ عثمان أميرًا للمؤمنين وبايعوه على السمع والطاعة في حدود الشرع . فأقاموا رباطاً حولهم وبدأوا بالغارات على المدن المجاورة. ثم حدثت موقعة هامة بين أتباع الشيخ عثمان وسلطان غوبر يُنْفَا حول حوض يسمى (كُت) في سنة 1213 هـ الموافق 1804 مسيحي وسميت الموقعة فيما بعد باسمه. وكان جيش سلطان غوبر يحتوي على مقاتلين من النوبة والطوارق والفلانيين، وكان جيش

الجماعة تحت قيادة الشيخ عبد الله بن فودي، وقد انتصرت الجماعة، في هذه الموقعة نصرًا مبينًا. ويصف الشيخ عبد الله هذا النصر في قصيدة له حيث يقول:

وكم ذي جلال صرعته أكُفُّنا
فجزت فئوس رأسه يتقطّعُ
وكم من كمي جدلته سهامُنا
وأسيافنا واراه طير وأضبُعُ

إلى أن يقول:

فخلوا لنا أموالهم ونساءهم
على رغمهم والله يُعطي ويمنَع
ونحن على الإسلام جمعٌ تناصروا
ولسنا بشيء غيره نترفع

ومن الجدير بالذكر هنا أن جيشي الطرفين لم يكونا مكوّنين من عناصر قبلية أو أجناس معينة، فكما احتوى جيش غوبر على بعض المقاتلين الفلانيين احتوى جيش الجماعة على المحاربين من الهاوسا.

وقد شجع النصر الحاسم في حوض (كُتُّ) الشيخ عثمان وجماعته، وأغاظ سلاطين بلاد الهاوسا الذين انتقموا بالهجوم على أتباع الشيخ عثمان الذين يعيشون في سلطناتهم، ولكن صنيعهم هذا أكسب الشيخ عثمان مزيدًا من التأييد. وتحت هذه الظروف وزع الشيخ عثمان رايات بيضاً على أربعة عشر رجلاً من أصحابه، وبعث كلاً منهم إلى منطقة معينة للجهاد في سبيل الله . وهكذا صارت بلاد الهوسا كلها مسرحًا للجهاد بالسيف، ولم تنته سنة 1810 مسيحي حتى استطاع الشيخ عثمان وقواده السيطرة على جميع سلطنات بلاد الهاوسا. وفي هذا العام انتقل الشيخ عثمان إلى مدينة (سيفَاوَا) حيث قضى خمس سنوات يقود حياة علمية حافلة. وقد قسم دولته الجديدة هذه إلى قسمين، فأعطى الجزء الغربي منها لأخيه عبد الله والشرقي لابنه محمد بِلُو، وترك لهما أمر إدارتهما، واكتفى هو بالزعامة الروحية.

وخلال عام 1814 - 1815 مسيحي انتقل الشيخ عثمان مرة أخرى من مدينة سيفاو إلى مدينة صَكُّتو التي أسست حديثًا، وفي العشرين من إبريل عام 1817 مسيحي توفي الشيخ عثمان بعد أن استبد به المرض لمدة عام. وقد خلفه ابنه محمد بِلُّو أميرًا للمؤمنين.

إن حركة الشيخ عثمان بن فودي التجديدية، وإن لم تكن الأولى في منطقة السودان الغربي، إلا أنها أثرت على حركات مماثلة جاءت بعدها في المنطقة، مما يدل بوضوح على أهميتها الكبرى، وأول من اقتفى أثر الشيخ عثمان في المنطقة هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن سعيد المشهور بالشيخ أحمد أو أحمد (لَبُّو) من منطقة مسينا، وقد بدأ نشاطه في بداية 1800 مسيحي، ويقال إنه درس على الشيخ عثمان. ويلي الشيخ أحمد في اقتفاء أثر الشيخ عثمان عالم من (ديُولا) في منطقة الفولتا وهو الحاج محمود وبدأ نشاطه في 1880 مسيحي. ويرى بعض المؤرخين أن حركة الشيخ عثمان جاوزت منطقة السودان الغربي إلى السودان الشرقي، حيث ربطوا بينها وبين المهدية التي ادعاها محمد أحمد المهدي في جمهورية السودان الحديثة بين 1885 و1898 مسيحي .

الذكرى الصحيحة لهؤلاء الأعلام وحركتهم الإصلاحية تكمن في نشر الأعمال الكاملة لكل من هؤلاء الأعلام الثلاثة، نشرة أنيقة تتساوى مع ما لهم من مكانة.

كتابات الشيخ عثمان

كان الشيخ كثير التأليف، ومعظم مؤلفاته - إن لم تكن كلها - معروفة لدى الباحثين، وتصل قائمة مؤلفاته إلى 115 (مائة وخمسة عشر كتابًا ورسالة) وموضوعات هذه المؤلفات تتعلق بالعلوم الإسلامية من فقه وتصوف وسياسة شرعية الخ.

الخاتمة :

من خلال العرض السريع لحياة الشيخ عثمان بن فودي اتضح لنا مدى إسهامه في مجال الدعوة تعليماً وتأليفاً، وفي تأسيس دولة إسلامية اكتفى بعد تأسيسها بالزعامة الروحية. ونرى أن الشيخ عثمان استطاع أن يحقق الكثير في هذه المجالات رغم قلة الموارد وندرة الوسائل . وقد عاشت الدولة التي أسسها قرناً تقريباً قبل أن ينقض عليها الإستعمار الإنجليزي البغيض سنة 1903 مسيحي، ويقوّض أركانها بوسائل مخططة خبيثة. على أن الشيخ خلف هو وثلّة من كبار مؤيديه ومن أتوا بعدهم تراثاً علمياً قيماً، لا يدانيه كماً وكيفاً ما وصل إلينا من التراث العلمي البرناوي، رغم ما للبرناويين من قدم راسخة في الإسلام، واتصالهم المبكر بمنابع الثقافة الإسلامية في الشرق الأوسط والمغرب العربي... ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

إن هذا التراث العلمي الذي خلّفه (الفوديون) ما يزال في معظمه مخطوطاً أو غير منشور، ويذكر الباحثون في هذا الصدد أن المثلث الفودي وحده، ونعني به الشيخ عثمان نفسه وشقيقه عبد الله وابنه محمد بلّو، ألّفوا ما لا يقل عن أربعمائة كتاب ورسالة . الحق أن عدداً كبيراً من مؤلفات هؤلاء الأعلام نال عناية الباحثين تحقيقاً ودراسة في جامعة عثمان بن فودي ـ صكتو، وجامعة بايرو ـ كانو، وجامعة أحمد بلّو ـ زاريا، ولكنها ظلت قابعة على رفوف المكتبات بعد أن نال محققوها ودارسوها إجازاتهم العلمية، ثم لا تمسها إلاّ أيدي الباحثين الذين يخلفون أولئك.. وهكذا دواليك. وهنا نجد بيت القصيد في هذا المقال، إذ نرى أن الذكرى الصحيحة لهؤلاء الأعلام وحركتهم الإصلاحية تكمن في نشر الأعمال الكاملة لكل من هؤلاء الأعلام الثلاثة، نشرة أنيقة تتساوى مع ما لهم من مكانة. ونعتقد أن الأموال الطائلة التي أنفقت في مهرجان مرور مائتي عام على إعلان الحركة الإصلاحية في شهر الصيف (يونيو) من العام الماضي، يكفي جزء منها للقيام بمثل هذا العمل . نعم أقيمت بهذه المناسبة ندوة دولية تناول فيها الباحثون الحركة بالدرس والبحث (ولربما سيتمخض عنها كتاب) إلاّ أن الحقيقة تظل في أن الذكرى الصحيحة للحركة تبدأ بالنشر العلمي لآثار أعلامها وتلامذتهم، للحفاظ عليها، وتمهيداً للطريق للاستفادة بها في إصلاح بعض أوضاعنا المتفسخة . أما المهرجان الذي أقيم في مدينة صكتو خاصة فلا يعدو في تقديرنا أن يكون ذكرى زائفة.

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [سورة الرعد، الآية: 17]

بعض المصادر والمراجع عن حياة الشيخ عثمان بن فودي

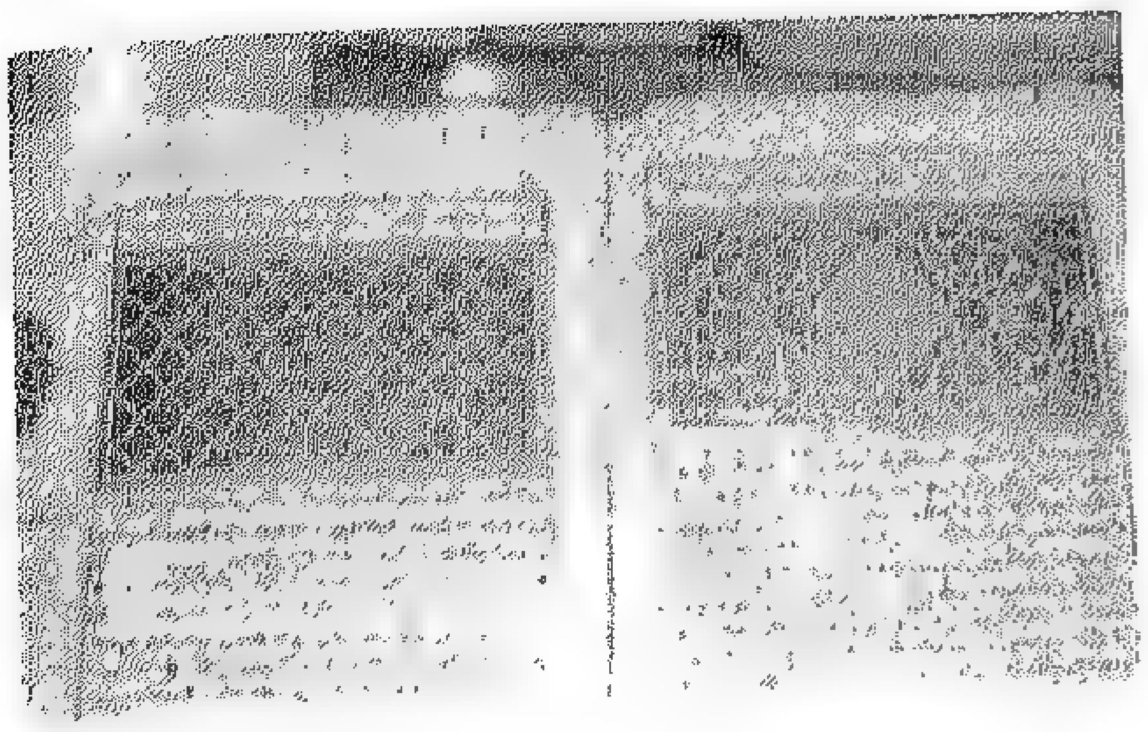
1 ـ محمد بلو بن عثمان (السلطان) إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور (القاهرة 1383 ـ 1964)؛ نشرة بهيجة الشاذلي، معهد الدراسات الإفريقية بالرباط 1996.

2 ـ عبد الله بن فودي : تزيين الورقات، طبعة المشهد الحسيني. القاهرة ـ د.ت؛ نشرة المستشرق هسكت مع الترجمة الإنجليزية . مطبعة جامعة إبادن ـ نيجيريا 1963.

3 ـ آدم عبد الله الإلوري (الشيخ): الإسلام في نيجيريا و(عثمان بن فودي) القاهرة 1956.

4 ـ علي الكماسي (الشيخ: مورد الظمآن) القاهرة 1384 ـ 1964.

ملف



التراث العربي المخطوط

ودوره في ترسيخ العلاقات بين شعوب جانبي الصحراء الكبرى

سامبي خليل ماغاسوبا *

تعود علاقتي بالتراث العربي المخطوط إلى عام 1996 مسيحي حين قمت بجولة علميّة إلى مدينة تنبكت بغية وضع خطة بحث مبدئية حول الأدب العربي في هذه المدينة من خلال التراث المخطوط[1] وزاد تعلقي بالتراث أيّام تنقلي بين مكتبات المخطوطات العربية لجمع المادة العلمية في كل من موريتانيا والمغرب، وتونس وليبيا ومالي بلد الدراسة.

ويدور هذا البحث حول التراث العربي المخطوط في جمهورية مالي الحديثة التي استقلت عام 1960 مسيحي عن حكم فرنسا، والعبرة من ذلك أن هذه الدولة تتميز بموقعها الجغرافي الذي يمثل جزءًا مهمًا عن مواقع أبرز الإمبراطوريات الثلاث في السودان الغربي : غانة، مالي، سنغاي، وكانت شعوبها على تواصل مستمر مع إخوانهم في الطرف الشمالي للصحراء الكبرى عبر قرون مضت.

ويمكن تتبع تاريخ هذا التراث في مالي بدخول الإسلام في السودان الغربي، وانتشاره في ربوعه، ممّا أدى إلى ظهور نخبة من أبناء المنطقة أتقنوا العربية وفنونها، وأسهموا في ازدهار الثقافة العربية الإسلامية بالتدريس والتأليف وشرح المؤلفات والتعليق عليها، كما استفادوا من علماء شمال إفريقيا والمشرق العربي، والمراكز العلمية المختلفة التي وفدوا إليها أثناء رحلاتهم العلمية أو أدائهم فريضة الحج في البقاع المقدسة.

ولعل من أهم العوامل التي أدت إلى ظهور المكتبات وازدهار نسخ المخطوطات في مالي الازدهار العلمي الذي عرفته منطقة السودان الغربي خلال القرنين 9ـ10هـ/15ـ16مسيحي.

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أن للحكام دورا مهمًّا في تشجيع الحركة العلمية في هذا القطر، إذ ثبت أنهم أولوا التجار المسلمين اهتماماً بالغاً إذ

---

* أستاذ جامعي / مالي.

1 ـ وقد انجز الباحث هذه الرسالة ونال بها درجة التخصص العالي (الماجستير) في الدراسات الأدبية بعنوان: الأدب العربي في تنبكت من خلال خزائنه النصية من أوليته حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري 19 مسيحي، بإشراف أ.د./ عبد الحميد عبد الله الهرامة يوم 2002/02/31 مسيحي ـ كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ـ ليبيا.

اتخذوهم مترجمين، وكتّاباً في دواوينهم، كما بعث سلطان مالي (كنكن موسى) التلاميذ إلى الخارج، منهم على سبيل المثال لا الحصر القاضي كاتب موسى الذي تعلم بفاس ـ بالمغرب[2]، واقتنى هذا السلطان أثناء عودته من الحج عددا هائلاً من الكتب ليوفرها لأهل مملكته ويثري بها مكتباتها، واستقدم كذلك العلماء من أنحاء العالم الإسلامي لا سيما من مصر والمغرب، كما اعتنى أسكيا الحاج محمد بكلّ ما من شأنه دفع عجلة الحياة العلمية إلى الأمام من استقدام العلماء واقتناء الكتب وتنشيط حركة نسخ المخطوطات. وسبق أن أهدى المصحف الشريف لجامع جنغربير بتنبكت، وتبعه في ذلك أسكيا داوود الذي يعتبر أوّل من أنشأ المكتبات في عهده، فشهد لذلك مؤرخ تنبكت محمود كعتي الذي أشار إلى أن أسكيا داوود (هو أوّل من اتخذ خزائن الكتب، وله نسّاخ ينسخون له كتبا، ربّما يهادي بها العلماء...) [3].



ونتيجة لهذا الولع الشديد باقتناء الكتب والمخطوطات، من الحكام وأرباب النفوذ في مالي، أصبحت للورّاقين والنسّاخ مكانة مرموقة، وازدهرت تجارة الكتب ونسخها، وصارت خزائن الكتب تكتظ بهذا التراث.

وشهد الرحالة الحسن الوزان بأهمية المخطوطات في مالي، وبالخصوص في مدينة تنبكت، حين أشار إلى بيع المخطوطات الكثيرة التي تأتي غالباً من الشمال، وتدرّ أرباحًا تفوق أرباح سائر البضائع المتداولة[4].

وقد تحدّث الباحث جون هنريك عن فن الاستنساخ في مدينة تنبكت، معتمدًا في ذلك على ما سجله نسّاخ (كتاب المحكم) لابن سيده اللغوي الأندلسي، أن في تنبكت طريقة خاصة في نظام الاستنساخ، وهي تتضمن عقداً شرعياً بين صاحب الورق الذي يأمر بالاستنساخ وبين الناسخ الذي ينسخ الكتاب لصاحب الورق، مقابل أجر من الذهب متفق عليه يدفع له عند إكماله العمل[5].

لا غرو ـ والحالة هذه ـ أن تنتشر في ربوع مالي خزائن المخطوطات، حافلة بنفائس الكتب ونوادرها في شتى فنون العربية.

1 ـ رحلة العلماء وتنقلات الكتب بين شمال الصحراء الكبرى والسودان الغربي

يبدو من خلال الإشارات الواردة في الوثائق التاريخية المختلفة[6]، أن التجارة كانت مزدهرة بين الشعوب الساكنين على طرفي الصحراء الكبرى، منذ عهد موغل في عمق التاريخ، وأن الإسلام أذكى الصلات الناشئة عن هذا التواصل الاقتصادي، وبالخصوص حين كان التجار الدعاة يفدون إلى مناطق جنوب الصحراء لنشر الإسلام وترسيخ ثقافته المجيدة.

وثبت أن منطقة السودان الغربي كانت غنية

---

2 ـ راجع: تاريخ السودان، عبد الرحمن السعدي، باريس. نشرة هوادس 1964 مسيحي، ص57.

3 ـ تاريخ الفتاس (باريس: نشرة هوادس 1964 مسيحي) ص 94.

4 ـ راجع : وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر، بيروت . دار الغرب الاسلامي. 1983مسيحي ، ص: .

5 ـ راجع: محاضرة حول فهرسة المخطوطات الاسلامية في غرب إفريقيا، التي نظمتها، مؤسسة الفرقان بلندن، القاهرة، ص: 11، 12.

6 ـ على سبيل المثل لا الحصر، المسالك والممالك، لابي عبيد البكري، تحقيق أدريان فان ليوفن واندري فيري، تونس: الدار العربية للكتاب 1992 مسيحي.

بمواردها الطبيعية، وكان لتجارة الذهب سوق رائجة فيها، واشتهر حكامها بحسن الاستقبال وكرم الضيافة للتجار المسلمين الوافدين إليهم، وأورد ابن بطوطة شهادات حية على ذلك أثناء رحلته إلى مملكة مالي[7]، كما ورد أن كنكن موسى استقدم العلماء إلى مملكته، ووفر لهم كل ما في وسعه من وسائل الراحة والاستقرار، وتبعه في ذلك أسكيا محمد الذي اتخذ لنفسه مستشارين من العلماء المسلمين، فأدّت هذه العوامل وغيرها إلى ذيوع صيت المنطقة وتحولها إلى منطقة جذب لعلماء الشمال، الذين توافدوا إليها للارتزاق أو طلب الأمن والاستقرار.

ومن العلماء الذين يجدر ذكرهم في هذا الصدد، محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني[8]، ومخلوف ابن علي البلبالي، وأبو القاسم التواتي، وعبد الواسع المصراتي، وفياض الغدامسي، وسيدي يحيى التادلسي[9]، وابن اميتيضا الغدامسي[10]، وإبراهيم الخضر الفاسي[11]. كما اشتهر في مالي مؤلفات علماء الشمال، وارتبطوا بها ارتباطاً وثيقاً، واعتمدوها في مناهجهم التعليمية، وألفوا حولها تآليف شتى تمثلت في الشروح والحواشي والتعاليق وغيرها، ومن أمثال ذلك، شرح منظومة المغيلي في المنطق، وشرح مخمسات العشرينيات الفازازية للحاج أحمد بن أحمد والد أحمد بابا التنبكتي.

واعتمدوا كذلك في تآليفهم على رحلة ابن بطوطة، والعبر لابن خلدون، وشرح الإرشاد لأحمد الزروق، والمعيار للونشريسي، والشفا للقاضي عياض، وغير ذلك[12].

2 ـ مظاهر التواصل عبر مؤلفات علماء مالي:

إذا كان لعلماء الشمال فضل السّبق في ترسيخ مقومات التفاعل الثقافي بين الشمال والجنوب، فلم يتوان علماء مالي عن الدفع بعجلة هذه الصلات في شتى أبعادها، ويمكن تتبع مظاهر هذا الدور عبر بعض الوثائق والمؤلفات المهمّة التي تنتمي إلى الجنوب، وتنتشر في مكتبات العالم، حيث تعكس واقع العلاقات التي عرفتها شعوبنا خلال قرون مضت، ولعله يكفي إيراد نماذج من هذه المظاهر:

أحمد بابا التنبكتي (936 هـ ـ 1556 مسيحي/ 1036هـ 1627 مسيحي) ومؤلفاته التالية:

أ) جلب النعمة ودفع النقمة بمجانبة الولاة الظلمة[13].

اعتمد فيه الكاتب على مؤلفات علماء الأندلس والمغرب خاصة، وشمال إفريقيا والمشرق العربي عامة، مما يعكس لنا مدى التواصل العلمي بين شعوب جنوب الصحراء الكبرى وشمالها، وسعة اطلاع المؤلف، حيث ألّف هذا الكتاب وهو في القطر الإسلامي تبنكت عام 997 هـ ـ 1588 مسيحي.

ب ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج[14]:

7 ـ راجع: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر 1964مسيحي ص: 3.

8 ـ دليل ذلك تلك المراسلة التي جرت بينه من توات وبين السلطان أسكيا الحاج محمد بالإضافة إلى اشتهار بعض مؤلفاته في مالي، مثل رجزه في المنطق ، وشرح مختصر خليل وغيرهما، راجع : نيل الابتهاج بتطريزه الديباج ، احمد بابا التبكتي، تحقيق د/ عبد الحميد عبد الله الهرامة ، طرابلس ، كلية الدعوة الإسلامية 1989 مسيحي ص: 576 وما بعدها.

9 ـ راجع: السعدي، المصدر السابق ص: 58، 39، 59؛ كعتي المصدر السابق ص: 104.

10 ـ راجع: فصول من تاريخ ليبيا الثقافي، د/ عبد الحميد عبد الله الهرامة (بيروت: أصالة للنشر والتوزيع 1999مسيحي) ص: 133.

11 ـ راجع : السعدي، المصدر السابق ص: 68.

12 ـ راجع . المصدر نفسه ص: 8، 37، 46 .

13 ـ مخطوط بمركز أحمد بابا تنبكت تحت رقم 736.

14 ـ ألفه في مراكش عام 1005هـ ـ 1596مسيحي ، وقد اعتنى به مرات عديدة لعلّ أهمها ما قام به طلبة كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس ليبيا، عام 1990 مسيحي بإشراف وتقديم د./ عبد الحميد عبد الله الهرامة.

ويعد هذا الكتاب معلمة بيبليوغرافية مهمّة لطبقات أعيان المذهب المالكي في طريق الصحراء الكبرى.

ج) معراج الصعود إلى نيل حكم مجلوب السود[15]:

رد فيه المؤلف على رسالة بعثت من توات إلى فقهاء السودان، بشأن العبيد المجلوبين من بلاد السودان الذي تقرّر إسلام أهله، وقد استنار التنبكتي بآراء بعض علماء المذهب المالكي في الشمال ليرجح بذلك موقفه من القضية.

أضف إلى ذلك إجازاته لبعض علماء المغرب، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: الخطيب أبي زيد بن الوقاد التلمساني الخطيب بجامع الكبير بتارودانت[16] وغيره.

ب ـ عبدالرحمن السعدي (1569 مسيحي) ومن مؤلفاته:

1. تاريخ السودان:

نلاحظ في هذا الكتاب إشارات دقيقة وواضحة، تدل على أن المؤلف يمثل عاملاً مهمّاً من عوامل حركة التواصل بين شعوبنا، إذ أرّخ لهذا التواصل وحصر لنا معلومات عن حركة العلماء، وتنقلات الكتب، وقيّد في ذلك أسماء علماء وعناوين كتب، وغير ذلك من مظاهر التواصل بين المنطقتين[17].

أ ـ الرسالة الغلاّوية[18]:

يدور هذا الكتاب حول الخلاف الدائر بين قبيلة المؤلف (كونتا) وقبيلة (إدو الحاج) المقيمة في القطر الشنقيطي، وهي عبارة عن سجل لأهم مظاهر التواصل بين شعوب جنوب الصحراء الكبرى.

ب ـ الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد[19]:

جمع فيه المؤلف معلومات تاريخية قيمة، هي عبارة عن الأحداث الدائرة في منطقة أزواد ومنحنى نهر النيجر خلال القرنين 1918 مسيحي، فأرخ للعلاقات بين قبيلته كونتا، وبين الطوارق، والبرابيش، والرّماة والفلان، وحتى القبائل العربية في شمال الصحراء الكبرى.

د ـ الشيخ أحمد البكاي الكنتي (1803 مسيحي) ومؤلفه .

1. فتح القدوس في جواب أبي عبدالله أكنسوس[20].

موضوع هذا المؤلف هو الجدل الكتابي الذي ساد بين الكنتي أحد زعماء الطريقة القادرية في جنوب الصحراء الكبرى، ومحمد بن أحمد أكنسوس زعيم روحي للطريقة التيجانية في الشمال[21]، وهو عبارة عن التواصل العلمي بين علمين بارزين من أعلام الثقافة العربية الإسلامية في طريق الصحراء الكبرى خلال القرن 13هـ/91مسيحي.

نلمس من خلال هذه النماذج أن علماء مالي قد أسهموا في ترسيخ مقومات التواصل مع أقرانهم العلماء في القطب الشمالي للصحراء الكبرى، أولئك الذين

---

15 ـ ألفه في تنبكت عام 1024هـ ـ 1610 مسيحي ، مخطوط بمركز احمد بابا تنبكت تحت رقم 6409.

16 ـ مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم: 3693.

17 ـ راجع: تاريخ السودان، عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق صفحات متفرقة.

18 ـ مخطوط في المعهد الموريتاني للبحث العلمي تحت رقم 3273.

19 ـ مخطوط في مركز احمد بابا تنبكت تحت رقم 2182. وقد حقق عابدين بن باب احمد بن حمّ جزء هذا المخطوط في موريتانيا وطبع بعناية المعهد الموريتاني للبحث العلمى عام 1994 مسيحي.

20 ـ مخطوط في مركز أحمد بابا تنبكت تحت رقم 746.

21 ـ راجع: الأعلام، خير الدين الزركلي) بيروت: دار العلم الملايين 1984 مسيحي (ج :6، ص 16. الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، د./ محمد الأخضر (الدار البيضاء ـ مطبع النجاح الجديدة 1997مسيحي) ص431.

كانت تربطهم بهم وشائج المحبة والتقدير والإجلال، وتحري الموضوعية العلميّة في تبادل الأفكار، والاستفسار حول المسائل المستجدة بين الطرفين.

وهذا سرد موجز من مظاهر التواصل عبر مؤلفات علماء مالي، إذ أن تعداد ذلك بالدّقة يستحق أكثر من بحث لكشف النقاب عن الجوانب الغامضة لهذا التواصل.

3 ـ الوضع الراهن للتراث العربي المخطوط في مالي:

لقد أشرت آنفاً أن البقعة الجغرافية التي تتكون منها دولة مالي الحديثة، كانت مهد حضارات قديمة، ومرتع أحداث أعظم مدن الإمبراطورية الثلاث التي عرفها السودان الغربي، ونتيجة الازدهار العلمي الذي حققه علماء مالي في تلك الحقب المتتالية من التاريخ، في ظروف تشجع الثقافة وأهمها في شتى أبعادها، فمن الطبيعي أن تنتشر خزائن المخطوطات في أرجاء المنطقة، وبالخصوص في الحواضر الثقافية العتيقة، ويتوارث سكانها هذا التراث كابرا عن كابر.

وقد أشاد الباحث جون هنويك بأهمية هذه المنطقة من حيث التراث العربي المخطوط، بأنها عرفت إسلاماً علمياً مزدهراً من خلال إمبراطوريات (مالي، سنغاي، ماسينا، توردو الخ)، وحواضرها (جني، غاوو، حمد الله، انيورو (دي اساحل)، تنبكت، سيتو.. الخ، وأن مالي الحديثة تعتبر موطن الكثير من العلماء والقضاة المشهورين أمثال : أحمد بابا التنبكتي، القاضي محمود بن عمر التنبكتي، عبد الرحمن السعدي، محمود كعتي، من بين مئات المفكرين، وأن الأوصاف الخلاّبة التي أطلقت على المخطوطات الإسلامية في جمهورية مالي تكون في محلها حين نكشف التنوّع، وكثرة العدد، والأهمية البالغة التي تمثلها هذه المخطوطات لتاريخ جميع دول غرب إفريقيا، وعلاقات هذه الدول ببلاد المغرب[22].

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أنه يصعب على الباحث وضع خريطة دقيقة لمظان وجود خزائن المخطوطات على امتداد القطر المالي، إذ لا توجد هناك ـ على حد علمي ـ دراسة أو عناية بذلك، وإنما اقتصرت المحاولات السابقة على بعض مدن شمال مالي فحسب، على سبيل المثال لا الحصر، تنبكت وغاوو، وأروان.

وقد قادتني الملاحظات أثناء الجولات التنقيبية عن المخطوطات إلى أن هناك قدراً كبيراً من هذا التراث في المدن والقرى المختلفة في مالي، وبالخصوص لدى الأسر العلمية، في الصناديق والدواليب والزوايا والكتاتيب والمساجد، هامدة بين الغبار وقسوة الطبيعة، تترقب منقذا يكشف النقاب عنها، وبالخصوص في القرى والمدن التاريخية والدينية المشهورة والمنتشرة في إقليم مالي، أمثال: كاي، كوليكورو، سيكاسو، سيقو، مبتي، إلا أن أصحاب المخطوطات في هذه المناطق لم يعرفوا صفقة المخطوطات كما هي الحال في الشمال، إنما يرونها تراثاً إسلامياً أسرياً به يستنيرون ويفتخرون، ولا يتساهلون في شأنه إلاّ عن طريق الإعارة والإهداء والتبادل، لمن تربطهم بهم أواصر القرابة والألفة.

4 ـ مكتبات المخطوطات العامّة والخاصة:

يقودني الحديث عن مكتبات المخطوطات في مالي إلى خزائن المخطوطات التي جمع أصحابها هذا

---

22. راجع:

R. Colloque "Bibliotheques Ntionales en Afrique Francophone", au 21ème Siècle - EBAD P.3

التراث، سواء بالوراثة أو بالتنقيب عنه للحفاظ عليه بترميمه وفهرسته، وهي مكتبات عامّة وخاصة، فمن المكتبات العامّة في هذا الصدد، مركز أحمد بابا التنبكتي الذي أسس عام 1970 مسيحي، بمبادرة من (اليونيسكو)، وشرع في العمل رسميًا عام 1977 مسيحي بدعم مالي من دولة الكويت، وقد تحول هذا المركز منذ يوليو عام 1999 مسيحي، إلى معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية، فيحتوي اليوم على 18,000 مخطوط تقريبًا، ويعدّ أحد أغنى المراكز وأكبرها من حيث التوثيق في إفريقيا جنوب الصحراء، إذ يقوم بالتنقيب عن المخطوطات للحفاظ عليها بجمعها وترميمها وفهرستها[23].

أما المكتبات الخاصّة، فمن أهمّها مكتبة مما حيدرا في تنبكت التي تحتلّ الصدارة بين المكتبات الخاصة، من حيث المحتوى والتجهيز، وافتتحت رسميًا يوم 13 يناير 2000 مسيحي، وتحتوي اليوم على 5000 مخطوط[24].

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد مكتبة المرحوم الشيخ حماه الله ولد سيدنا عمر، التي استولت الإدارة الاستعمارية الفرنسية على مقتنياتها أثناء الخلاف مع الشيخ، وقد ردّ هذا التراث بعد استقلال جمهورية مالي - إلى مكتبة أسرة المرحوم في انيورو - Du Shale Nioro العاصمة الروحية للدعوة الحموية، وتحتوي هذه



المكتبة على مئات المخطوطات التي نسخت واقتنيت خلال القرنين 19 - 20 مسيحي[25].

وهذا شأن مكتبة واحدة من مدن الإقليم الأوّل لمالي، فما بالك بعشرات المدن العريقة الأخرى، التي لا تقل أهمية عن هذه المدينة، مما يؤكد أن مالي كانت مهد تاريخ مجيد، غنية بتراثها على امتداد أراضيها[26].

5 - القيمة العلميّة لهذا التراث:

قد أشرت منذ قليل إلى إشادة الباحث جون هنويك بهذا التراث[27]، وتتضح القيمة من خلال موضوع هذا المخطوط الذي يمكن تصنيفه إلى فئتين رئيستين:

الأولى: مخطوطات ذات طابع ديني.

الثانية: مخطوطات ذات طابع وثائقي.

---

23 - راجع:
Timbuktu Libraries, journee du Livre consacree au Manuscrits de Tombouctou P.I.

24 - للمزيد من التوضيح حول هذه المكتبة، راجع: عبدالقادر مما حيدرا يحدثنا عن مكتبة المرحوم مما حيدرا للتوثيق والمخطوطات، جريدة التواصل ، باماكو مالي، العدد00، شهر يوليو 2004مسيحي ص6.

25 - وقد أشار الخليل النحوي إلى أن الشيخ أحمد حماه الله، من أوسع مشايخ مطلع القرن العشرين المسيحي، أثرا في إفريقيا، وأصلبهم عوداً في مواجهة الاستعمار الفرنسي، ولد لأب عربي وأم فلانية.

26 - راجع: إفريقيا المسلمة الهوية الضائعة ، (بيروت. دار الغرب الإسلامي 1993مسيحي) ص:42. وللمزيد من التوضيح حول الشيخ راجع: الدعوة الحموية في مرآة الطريقة الأحمدية التيجانية، الشيخ طاهر دكرى، (دكار: مطبعة الرأس الأخضر 1971 مسيحي).

27 - راجع
Cheikh Hama Houllah: Homme de foi, Alioun Traoure (Paris: Maison-Neuve 1983) Colloque: O.CIT.P3.

من هنا تبرز لنا هذه القيمة، إذ كان الدين هو المنطلق الأساس لأولئك العلماء في أي عمل إنساني، لذا اهتموا بالقضايا الدينية، بالتأريخ لها ونظم القصائد في صددها، كما وثقوا معاملاتهم من بيع وشراء، وبالخصوص خلال القرنين19 ـ 20 مسيحي.

وبعبارة أخرى فإن قيمة هذا التراث لدى شعب مالي أمر واقعي، إلى درجة أنه يتخيل لهم أن كل مكتوب بالحرف العربي شيء مقدّس. ويحضرني في هذا المضمار قول المفكر المالي أمادو همباتي باه، الذي أشار إلى أن (في إفريقيا كلما مات شيخ فكأن مكتبة احترقت) فالشيخ يحتل في هذا المجتمع الإفريقي مكانة لا تقل أهمية في حفظ الماضي عن المكتبة التي تحتوي على كتب سواء كانت مخطوطة أو مطبوعة.

ويمكن تحديد هذه القيمة أيضاً بانتشار التراث المنتمي إلى مالي في مكتبات العالم، على سبيل المثال لا الحصر، مقتنيات مكتبة المرحوم الحاج عمر تال التي استولى عليها أرشينار عام 1980 مسيحي وهي محفوظة حالياً في المكتبة الوطنية بفرنسا[28]. ومخطوطات أخرى في خزائن شمال إفريقيا[29] ومصر غيرها.

وبالرجوع إلى هذا التراث، واستغلاله استغلالاً جيداً فإنه يمهّد لإحياء علاقات إنسانية قديمة جمعت شعوباً عبر التاريخ، حيث انطلقت مقومات التواصل بشتى أبعادها من كل قيد لتستقرّ في الجنوب، من خلال علماء وتجار وكتب، مثل إبراهيم الساحلي الذي أسهم في مجالي الأدب، والفن المعماري بمالي، واندمج في مجتمعه[30].

6 ـ الأخطار التي تهدد هذا التراث :

إن التراث العربي المخطوط في مالي معرض لأخطار كثيرة تختلف من بيئة إلى أخرى، لعل أبرز هذه الأخطار تتلخص في العوامل التالية:

1 ـ عوامل بيولوجية (الحشرات).

2 ـ عوامل كيماوية (الرطوبة والحموضة).

3 ـ عوامل بشرية (سوء الاستعمال، السرقة، الضياع بواسطة الإعارة).

وغير هذه من عوامل تختلف حسب اختلاف البيئات والظروف التي يحفظ فيها المخطوط.

7 ـ الجهود المتوقعة :

إن مسؤولية الحفاظ على هذا التراث، تقع بالدرجة الأولى على أصحاب المكتبات الخاصة، أما المكتبات العامة، فعلى الدولة العناية بها كما ينبغي، ولا أنسى في هذا الصدد التنويه بجهود بعض الجمعيات الثقافية المهتمة بهذا التراث، على سبيل المثال لا الحصر: جمعية مالي للبحث من أجل التنمية، التي أنجزت الكثير في هذا الميدان بمشاركة الباحثة ستيفاني جاكتي، وجمعية أصدقاء المخطوطات العربية في مالي، التي رسمت لنفسها برنامج عمل شامل في مجال المخطوط، من أبرزه الاهتمام بالتراث العربي المخطوط في مالي بصفة عامة. وفي المناطق التي لم تحظ بعناية الباحثين بصفة خاصة، للتنقيب عن هذا التراث بغية التعريف به؛ بجمعه ودراسته وتحقيقه، وقد قطعت في ذلك أشواطا

28 ـ راجع صفحة 7 من هذا البحث.

29 ـ راجع

Les archives en Afrique de l'Ouest: un patrimoine en mutation P.9

30 راجع: على سبيل المثال لا الحصر، مخطوطات أحمد بابا التنبكتي في الخزائن المغربية، حسن الصادقي (الرباط: معهد الدراسات الإفريقية 1996 مسيحي).

مباركة[31]، وغير هذه من جمعيات ثقافية تعمل ليل نهار للنهوض بالمخطوط العربي في مالي.

8 ـ اقتراحات :

في نهاية هذا السرد الموجز أودّ أن أقترح بعض الملاحظات التي علها تسهم في هذا المضمار.

1 ـ رفع المنظمات الثقافية العربية والإسلامية نسبة دعمها لمراكز المخطوطات في مالي.

2 ـ تزويد مراكز المخطوطات بالمعلومات وآلات التقنية الحديثة في مجال العناية بالمخطوط.

3 ـ إعادة النظر في طبيعة التعاون بين المكتبات التي تحتوي على المخطوطات المنتمية إلى مالي ومراكز المخطوط في مالي.

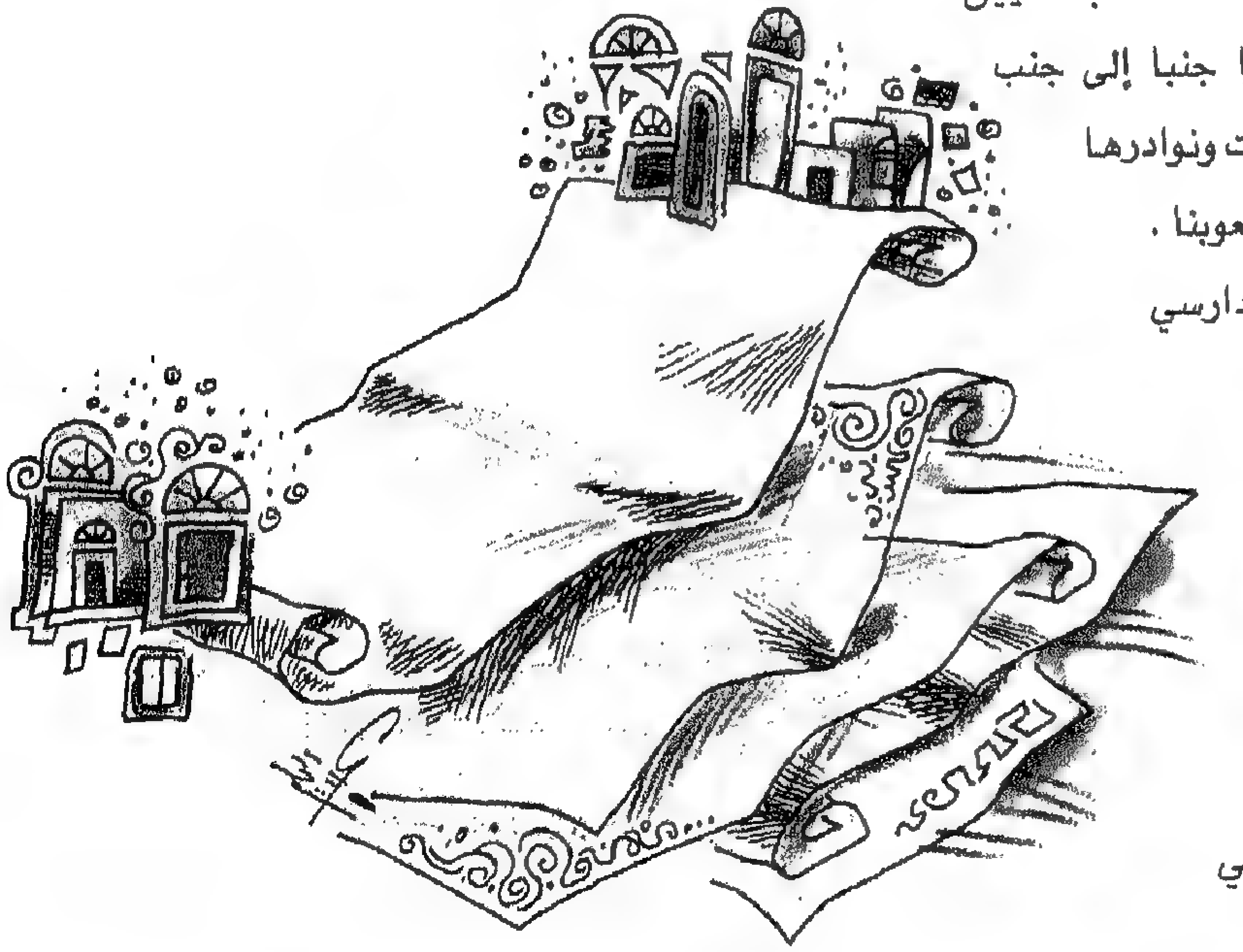
4 ـ تشكيل فرق الباحثين من الأساتذة الجامعيين والمهتمين بهذا التراث ليعملوا جنبا إلى جنب على ضوء نفائس المخطوطات ونوادرها في إحياء علاقات قديمة بين شعوبنا .

5 ـ إتاحة الفرصة لأبناء مالي (دارسي العربية) ليتخصصوا في خدمة هذا التراث.

6 ـ تنظيم لقاءات وندوات حول المخطوط العربي في دول إفريقيا عامة وفي مالي خاصة.

7 ـ إصدار مجلة متخصصة في أخبار المخطوطات العربية على طرفي الصحراء الكبرى.

وهذا غيض من فيض حول مظاهر التواصل من خلال التراث العربي المخطوط في مالي، ذلك التواصل الذي تحقق فعلاً بين أسلافنا عبر اللقاءات والمؤلفات والمراسلات، كما يقتضي تعداد هذه المظاهر بالتفصيل التوقف عند كل أسرة علمية على امتداد القطر المالي. وأخيرا أقرّ بأن الظروف الراهنة تلزمنا بكشف النقاب عن هذا التراث، دراسة وتحليلا، لاستجلاء حقائقه، حتى نستأنس بها في إحياء علاقات إنسانية مجيدة في مجالات الحياة كافة.



31 راجع : رسالتي بعنوان: الأدب العربي في تنبكت، المصدر السابق، صفحة 140، 238، 239، 240 ويشير لسان الدين الخطيب إلى زواجه في بلاد السودان ووفاته في تنبكت، راجع: الإحاطة في أخبار غرناطة تحقيق. محمد عبد الله عنان) القاهرة: الشركة المصرية للطباعة والنشر 1973مسيحي(ط: 2مج: 1، ص: 143. وللمزيد من التوضيح حول الساحلي، راجع: إبراهيم الساحلي ودوره الثقافي في مملكة مالي، الأستاذ د/ محمد بن شريفة، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، المملكة المغربية عام 1999 مسيحي).

ومن تلك قيام احد افراده وهو الأستاذ: إبراهيم صديق كليلي بتحقيق مخطوط الاجوبة المهمة في المسائل الملمة للشيخ سيدي المختار الكبير ابن احمد بن ابي بكر الكنتي (1226هـ/1811 مسيحي) ونال بها درجة التخصص العالي (الماجستير) في شعبة الدعوة والحضارة بكلية الدعوة الإسلامية بطرابس ليبيا عام 2002 مسيحي ، بإشراف الأستاذ الدكتور. يوسف أحمد الثلب.

1 ـ جلب النعمة ودفع النقمة بمجانبة الولاة الظلمة، أحمد بابا التنبكتي مخطوط بمركز أحمد بابا، تنبكت تحت رقم: 637.

2 ـ معراج الصعود إلى نيل حكم مجلوب السود، أحمد بابا التبكتي . مخطوط بمركز أحمد بابا . تنبكت، تحت رقم: 9046.

3 . إجازة أحمد بابا للخطيب أبي زيد بن الوقاد التلمساني، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم: 3963.

4 ـ الرسالة الغلاوية، الشيخ سيدي محمد الكنتي، مخطوط في المعهد الموريتاني للبحث العلمي تحت رقم: 3723.

5 ـ الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد، الشيخ سيدي محمد الكنتي، مخطوط في مركز أحمد بابا . تنبكت، تحت رقم: 2812.

6 ـ فتح القدوس في جواب أبي عبد الله أكنسوس، الشيخ أحمد البكاي الكنتي، مخطوط في مركز أحمد بابا . تنبكت تحت رقم: 647.

المطبوعات :

7 ـ تاريخ السودان، عبد الرحمن السعدي)باريس : نشر هوداس 1964مسيحي).

8 ـ تاريخ الفتاش، محمود كعتي،)باريس: نشرة هوداس 1964 مسيحي).

9 ـ تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي)بيروت: دار صادر للطباعة والنشر 1964مسيحي(.

10 ـ الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة الشركة المصرية للطباعة والنشر 1973مسيحي (ط2، مج 1.

11 ـ وصف إفريقيا الحسن الوزان، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت : دار الغرب الإسلامي 1983مسيحي ، ج:2.

12 ـ الأعلام خير الدين الزركلي، بيروت، دار العلم للملايين 1984 مسيحي الجزء 6.

13 ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التبكتي، تحقيق د/ عبد الحميد عبد الله الهرامة طرابلس، كلية الدعوة الإسلامية 1989 مسيحي.

14 ـ المسالك والممالك، لأبي عبيد البكري، تحقيق أدريان ليوفن وأندري فيري (تونس، الدار العربية للكتاب 1992مسيحي).

15 ـ الدعوة الحموية في مرآة الطريقة الأحمدية التجانية الشيخ: طاهر دكرى (دكار: مطبعة الرأس الأخضر 1971 مسيحي).

16 ـ إفريقيا المسلمة الهوية الضائعة (الخليل النحوي) بيروت: دار الغرب الإسلامي 1993مسيحي).

17 ـ الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، د/ محمد الأخضر (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة المملكة المغربية 1997مسيحي).

18 ـ إبراهيم الساحلي، ودوره الثقافي في مملكة مالي الأستاذ الدكتور / محمد بن شريفة (الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، المملكة المغربية 1992 مسيحي).

19 ـ مخطوطات أحمد بابا التنبكتي في الخزائن المغربية حسن الصادقي) الرباط: معهد الدراسات الإفريقية المملكة المغربية 1996 مسيحي).

20 ـ فصول من تاريخ ليبيا الثقافي، د/ عبد الحميد عبد الله الهرامة(بيروت: أصالة للنشر والتوزيع 1999 مسيحي).

21 ـ محاضرة الباحث جون هنويك حول فهرسة المخطوطات الإسلامية في غرب إفريقيا التي نظمتها مؤسسة الفرقان بلندن. القاهرة: 1994/02/17مسيحي.

22 ـ جريد التواصل إخبارية شهرية شاملة تصدر باللغتين (العربية والفرنسية) باماكو ـ مالي العدد: 00، شهر يوليو 2004 مسيحي.

الرسائل العلمية :

23 ـ الأدب العربي في تنبكت من خلال خزائنه النصية من أوليته حتى أواخر القرن 13هـ/91مسيحي ، رسالة لنيل درجة التخصص العالي)الماجستير(في الدراسات الأدبية إعداد/ سامبى خليل ماغوسوبا، إشراف الأستاذ الدكتور/ عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية طرابلس، عام 2002 مسيحي .

24 ـ كتاب الأجوبة المهمة في المسائل الملمة، للشيخ سيدي المختار الكنتي (1226 هـ ـ 1811 مسيحي) دراسة وتحقيق، رسالة لنيل درجة التخصص العالي (الماجستير) في الدعوة والحضارة . إعداد / إبراهيم صديق كوليبالي، إشراف / الأستاذ الدكتور يوسف أحمد الشلب، طرابلس: كلية الدعوة الإسلامية عام 2002 مسيحي.

المراجع الأجنبيــة :

.. Cheikh Hama Houllah : Homme de foi, Alioun Traoure (Paris: Maison-Neuve 1983).

- Colloque RBibliotheques Nationales en Afrique Francophone au 218me Siecle - EBAD,

.. Les archives en Afrique de l'Ouest: un patrimoine en mutation.

- Timbuktu Libraries, journee du Livre consacree au Manuscrits de Tombouctou

ملف

الثّقافة العربيّة الإسلاميّة تجاه العولمة

علي جنك صمب *

مفهوم الثقافة

لما كانت الثقافة ظاهرة إنسانية، فإني لم أجد اتفاقاً حول مدلول هذا المصطلح. أما المنظمة العالمية للتربية والعلوم والثقافة (اليونيسكو)، فقد اعتمدت التعريف التالي للثقافة في المؤتمر العالمي الخاص بالسياسات الثقافية بمكسيكو عام 1982: «الثقافة هي جميع السمات الروحية، والمادية، والفكرية، والعاطفية، التي تميز مجتمعاً بعينه، أو فئة اجتماعية بعينها. وهي تشمل الفنون، والآداب، وطرائق الحياة. كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان، ونظم القيم، والتقاليد، والمعتقدات».

أما الثقافة في برنامج «الخطة الشاملة للثقافة العربية» التي وضعتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو)، فهي مجموع النشاط الفكري والفني بمعناها الواسع، وما يتصل بهما من المهارات، أو يعين عليهما من الوسائل.

وهذا التعريف يتميز عن التعريف الأول بأخذه بالمعنى الفكري، والفني، والإبداعي، مع الاحتفاظ بالمعنى الاجتماعي والأنتروبولوجي للثقافة[1].

خصائص العربية الإسلامية :

وإن كانت الثقافة العربية الإسلامية تشترك مع الثقافات الأخرى من حيث المدلول، فهي تختلف عنها من حيث الأساس، لأنها ـ أي الثقافة الإسلامية ـ ربّانية الأساس تستمد أسسها من القرآن والسُّنّة. فهي ليست كغيرها من الثقافات الأخرى الخاضعة إلى تفكير البشر وتصوراتهم، وتتسم بالانفتاح على الأفكار الصحيحة النافعة، بل اعتبرت أن الأخذ من الغير ضروري ونافع باعتبار أن الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها التقطها، مما جعلها ثقافة إنسانية متميزة

* معهد العلاقات الدولية ـ تونس

(1) الجويلي، نصر «الثقافة العربية في مواجهة تحديات العصر» مجلة الهداية، مجلة ثقافية إسلامية تصدر كل شهرين عن المجلس الإسلامي الأعلى، العددان 1 ـ 2، سنة 2000، ص 78.

مؤثرة ومتأثرة، واستطاعت أن تكون ثقافة مبدعة ومضيفة ساهمت في بناء حضارة عالمية كان لها أثرها على عديد المستويات، والعيش في سلام دائم مع الثقافات الأخرى.

غير أن ما نشاهده اليوم في العالم من تغيرات مدهشة، وتحولات مذهلة شاملة كل القطاعات اقتصاديها واجتماعيها وثقافيها، يجرّنا إلى القول إن عالم اليوم لم يعد عالم الأمس، لأن الحواجز قد رفعت وأزيلت الحدود، فأصبح من السهل جداً التجوّل في فضاءات الدول بسهولة، والتعرّف إلى هويات أناسها وما لهم من مميزات اجتماعية وخصوصيات ثقافية بيسر، وذلك نتيجة تحكم الغرب بالاتصالات الدولية من طريق الأقمار الاصطناعية والاتصالات اللاسلكية، بما لها من مقدرة على كسر حواجز العزلة بين بلدان العالم، والوصول إلى المناطق النائية التي لم تكن تصلها وسائل الاتصال القديمة.

وإن الثقافة ليست منظومة جامدة لا تتغير. وبما أنه ليس من أمة أو شعب أو جماعة بشرية عاشت في عزلة تامة عن غيرها من الأمم والشعوب والجماعات، وأن كل شعب قد تأثر بثقافة شعب أو شعوب أخرى وأثّر وتأثّر، وأخذ وأعطى، هذا ما ندعوه المثاقفة التي هي عملية تفاعل وتبادل وتداخل بين الأنماط الثقافية في فترات زمنية متعاقبة من الزمن. ونشير هنا إلى أن ما فعله العرب عندما ترجموا في القرنين الثامن والتاسع للميلاد مؤلفات عديدة إلى لغتهم من اللغات الأخرى، ولا سيما الإغريقية والفارسية والهندية في الحكمة والعلوم المختلفة، كالطب، والرياضيات، والحساب، والفلك، والهندسة. وفي المقابل، كان للثقافة الإسلامية أثر كبير في إغناء التراث المعرفي للبشرية، وخير شاهد على ذلك ما قرر في مؤتمر علمي عقد عام 1953 في جامعة برنستون بواشنطن «إن كل الشواهد تؤكد على أن العلم الغربي مدين بوجوده إلى الحضارة العربية ـ الإسلامية. وإن المنهج العلمي الحديث القائم على البحث والملاحظة والتجربة، إنما استمده الغرب من المسلمين»[2].

«إن كل الشواهد تؤكد على أن العلم الغربي مدين بوجوده إلى الحضارة العربية ـ الإسلامية. وإن المنهج العلمي الحديث القائم على البحث والملاحظة والتجربة، إنما استمده الغرب من المسلمين»

ومثلما فعل العرب، فعل الأوروبيون عندما نقلوا نتاجات الفكر الإسلامي، وثمرات الثقافة العربية الإسلامية إلى اللغة اللاتينية وإلى اللغات الأخرى، كالفرنسية، والإسبانية، والإيطالية، والإنجليزية، والآثار التي تركها المسلمون في الأندلس خير دليل على ما نقوله.

هذه هي المثاقفة الساطعة النافعة. أما الغزو الثقافي، فهو عمل تعسفي يمارسه طرف قوي أو أطراف قوية على طرف ضعيف، بغية اختراق ثقافته أو إلغائها كلّياً أو جزئياً، أو على الأقل التشكيك في أهمية مقوماتها الرئيسية من قيم ومفاهيم وعادات وتقاليد ولغة وتراث، مع إنكار صلاحيتها للعصر الجديد، عصر الثورة العلمية والتقنية، ثورة المعلومات والمعلوماتية.

وهكذا يتضح أن المثاقفة أو التفاعل الثقافي عمل

(2) شحادة، خوري، أوراق ثقافية، دار الطباعة الجديدة، سوريا، ص ا، 2001، ص 99.

حضاري مشروع، وأن الغزو الثقافي أو الغزو الفكري - كما نشاهده اليوم - عمل عدواني وغير مشروع. إنه محاولة لاحتلال الذاكرة والعقل معاً. ولعلّ هذا ما جعل الثقافة العربية الإسلامية عرضة لاتهامات على مرّ الزمن من جانب أعداء الإسلام، اعتقاداً منهم بأن التغلب على الأمة المسلمة، لا يتم إلا بإضعاف ثقافتها وزعزعة ثقة أهلها بها[3].

وبما أن الثقافة العربية الإسلامية ثقافة تتميز بأن قيمها ثابتة غير قابلة للتغيير لأن رؤيتها للإنسان والكون والمجتمع تختلف عن الرؤية الغربية المادية البحتة التي ترى أن المصلحة هي التي تحدد القيمة، فإن كانت المصلحة في الحرب، فالحرب هي القيمة، وإن كانت المصلحة في السلم، فالسلم هو القيمة. وعلى العكس من ذلك، فإن القيم في الإسلام ثابتة لا تقبل التبرير، وهو أمر يكسب المسلمين أرجحية للتقدم إن هم أخذوا بأسباب العلم والتقنية. ومما يدل على ثبات القيم الإسلامية قوله تعالى:

رؤية الثقافة العربية الإسلامية للانسان والكون تختلف عن الرؤية المادية التي ترى أن المصلحة هي التي تحدد القيمة.

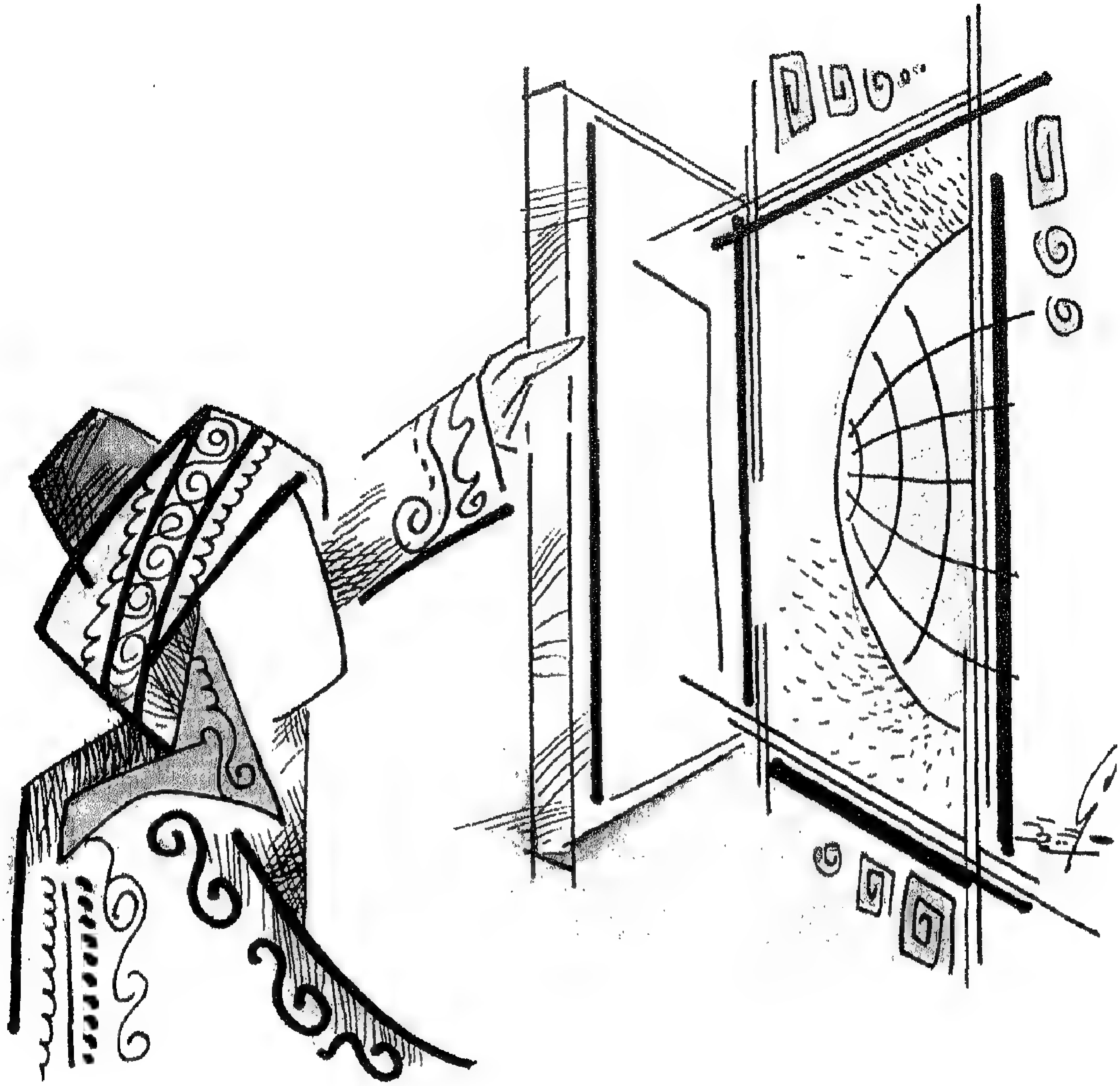
﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾
[سورة المائدة: الآية 2]

ومعنى ذلك، أن القيم الإسلامية ثابتة لا تغيرها المصالح، ولا تنقضها الأوضاع، ولا تقبل التبرير بأي حال من الأحوال، لانعدام قابلية تغير القيم في الإسلام، يجب المحافظة على هذه الثقافة والذود عنها ضدّ كل غزو خارجي. وللمحافظة على ثقافتنا إزاء هذه العولمة، لا بدّ من أن تظل هذه الثقافة منفتحة كما كانت في عصور ازدهار الحضارة العربية - الإسلامية. كما يجب أن تسهم في الثورة التقنية والعلمية باعتبارهما قاعدتين تستند إليهما كما تستند إلى الأدب والفن، وأن تستعمل الخطاب الديني الذي يؤدي دوراً حاسماً في إنماء الثقافة، وفي تغذيتها بالقيم، وتسديد مسيرتها، وهو سند للدين والدولة والمجتمع، ويعتبر أساساً ثقافياً متيناً يذكي الروح، ويثبت القيم، ويحض على العمل، ويدفع إلى الأمل. كما أن الثقافة جسر إلى المستقبل، لا بدّ أن يكون متين البناء حتى لا تجرفه تيارات العولمة.

والدين هو المكوّن الأساس من بين مكونات الثقافة، وخصوصاً بالنسبة إلينا نحن المسلمين، حيث لا يمكن أن تكون لنا ثقافة تعزل عن الدين. فالدين الإسلامي هو روح ثقافتنا، ولذلك فإننا حينما نتحدث مع الآخرين بلغة حوارية، نتمسك بالمقومات الدينية لثقافتنا، ونحترم المقومات الدينية لثقافتهم، ونبحث في هذا الحوار عن الجوامع المشتركة بيننا وبينهم من أجل أن نقيم حياة مشتركة، وتعايشاً مشتركاً، ورؤية مشتركة بالنسبة إلى القضايا التي نواجهها في العالم.

ولا شك في أن العولمة تفرض تحديات على المسلمين وعلى المسيحيين معاً، لأن العولمة قائمة في أساسها وفي جوهرها على فكر علماني، أي على فكر لا ديني، وبالتالي فهي رافضة للفكر الديني وللثقافة الدينية، وهذا يعني أنها رافضة من حيث المبدأ القيم

(3) شحادة م. س، ص 97.



الروحية التي يقول بها الإسلام، والتي تقول بها المسيحية أيضاً. من هنا نجد أن الإسلام والمسيحية في مواجهة أمام تحديات العولمة، الأمر الذي يستدعي إجراء حوار لمواجهة هذه العولمة، مع التركيز على عدم إلغاء الآخر وعدم تشويه صورة الآخر، وعدم سوء توظيف الآخر. ومما لا شك فيه أن المسلمين مدعوون لمواجهة جملة من التحديات خاصة، تفرضها تلك العولمة، وهذا يتمّ من خلال الحوار. والعولمة التي يسوقها الغرب هي فرض قيم الغرب على الآخر، وفرض مقاييسه المادية، بل وجعلها مقياساً للحضارة. كما أن العولمة ظاهرة للتوحد الثقافي والاقتصادي التي يشهدها عالم اليوم، مع ذكر بقية النواحي، من سياسية واجتماعية. ولكن التوحد الثقافي والاقتصادي يبقى هو الظاهر الأبرز، لأن الثورة التقنية المتمثلة في وسائل الاتصالات والمعلومات، جعلت من العولمة ظاهرة واضحة للعيان

أكثر من أي وقت مضى. ففي الماضي، كانت الأحداث الكبرى تأخذ وقتاً طويلاً قبل أن يتبيّن أثر هذه الأحداث على مختلف الأصعدة والمجالات كما لو كانت هذه الأحداث ذات أثر إقليمي أو وطني بحت. أما اليوم، فالأحداث والتحوّلات تتمّ بسرعة مذهلة ويتبين أثرها الكوكبي مباشرة تقريباً. فالأحداث والتغيرات والتحولات السريعة التي نشاهدها اليوم، سوف تؤدي إلى عولمة العالم، أي توحده في أكثر المجالات، وهذا يعني تغير المفاهيم، والأفكار، والقيم، والعقائد، والعادات والأعراف، والتراث، والأنظمة، والشرائع، واللغة، والتاريخ، والأدب، والأذواق، والأمزجة، والمشاعر، بسبب عجز السلطة السياسية عن التحكم في متغيرات الداخل، ومراقبة الحدود تجاه البريد المصور وشبكة المعلومات الدولية والأقمار الاصطناعية، وما قد تأتي به الأيام من تطورات أكبر.

ومن الناحية الثقافية، نلاحظ أن هناك ثقافة عالمية آخذة في تجاوز كل الحدود الثقافية سواء في العالم العربي الإسلامي أو الثقافات الأخرى. وهذه الثقافة العالمية بدأت تنتشر وتسود على حساب ثقافات محلية وقومية عديدة. وللحيلولة دون ذوبان ثقافتنا الإسلامية، علينا ألّا نكتفي بالشجب أو الرفض، لأنهما غير قادرين على وقف زحفها، وألا نستسلم، الأمر الذي يؤدي بنا إلى التأثر دون التأثير. فعلينا أن نجابه هذه الثقافة العالمية بكل ما لدينا من بديل ثقافي قادر على المنافسة والمصارعة لأجل البقاء والتأثير. وثقافتنا الإسلامية تحدد شخصية أمتنا، وتبرر وجودها، وهي المسؤولة عن قوتها أو ضعفها وبقائها أو اندثارها. وإن من أوكد الواجبات لمجابهة التحولات التي يشهدها العالم اليوم، هي الإسراع في التنمية البشرية والاقتصادية والاجتماعية، وأبرزها قطاعات التربية والتعليم والثقافة، ولدعم مناعة شعوبنا، وتحصين هويتنا الإسلامية، وتأمين تراثنا الديني والتاريخي والحضاري من كلّ المؤثرات السلبية التي تفرزها العولمة.

كما يجب على الأمة الإسلامية تأكيد حضورها على الساحة الدولية، والإسهام في إثراء القيم الإنسانية، تلك القيم التي تعطي الإنسان كرامته وسعادته، وتنقذه من قيود الطبقية والتمييز العنصري. وقد جاء هذا الإعلان في أبلغ صورة عرفها تاريخ الإنسان حيث قال جلّ وعلا في محكم تنزيله:

التنمية البشرية والثقافية والاجتماعية تدعم مناعة الشعوب وتحصن الهوية وتؤمن التراث والتاريخ والحضارة.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات: الآية 13]

ولم تكتف الحضارة العربية الإسلامية بالنداءات والشعارات كما نرى ذلك عند المنظمات الدولية التي طالما نادت بحقوق الإنسان، بل نفذت هذه الحضارة شعاراتها وإعلاناتها، وحققت المساواة الإنسانية في أرفع صورها، وأعطت الإنسان حقوقه كاملة غير منقوصة.

وجدير بالملاحظة، أن القيم الكونية التي نادى بها الإسلام والتي يصعب حصرها والكلام عنها في هذه الصفحات القليلة، لم تكن نتاج التطور الفكري والسياسي والاجتماعي، ولا شهرة مطالبة الأرقاء

والعبيد بحقوقهم ـ كما حدث ذلك في أميركا مثلاً ـ ولا نتيجة ديموقراطية الحكم والإدارة ـ كما حدث في الثورة الفرنسية سنة 1789 ـ بل جاءت هذه القيم دفعة واحدة من عند الله سبحانه وتعالى رحمة للبشرية جمعاء. لهذا كله، فالمسلمون مدعوون لحمل مسؤوليتهم العالمية الضخمة ليخلصوا الإنسانية من طغيان المادة، وسلطان الرأسمالية الجشعة، وظلمات الطبقات، واستعمار الشعوب. كما أن الأمة الإسلامية مدعوة إلى أن تمارس مسؤولياتها في مدّ جسور الحوار والتواصل مع غيرها من أجل إرساء تضامن فعّال وتعاون متكافئ مع جميع الشعوب لدعم السلام العالمي، وذلك باستعمال التقنيات الجديدة من أجل نشر الصورة الحقيقية للإسلام وإبراز أهميته كمصدر أساسي للحضارة الإنسانية في الوقت الذي تتوالى فيه الأحداث لتشويه هذه الصورة بأساليب شتى، وبخاصة بعد أحداث 11 أيلول / سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة الأميركية، تلك الأحداث التي وظّفتها بعض وسائل الاتصال للنيل من الثقافة العربية الإسلامية بصفة خاصة، وبالمسلمين على وجه العموم، والخلط بين الإرهاب والكفاح المشروع.

المسلمون مدعوون لحمل مسؤوليتهم العالمية الضخمة ليخلصوا الإنسانية من طغيان المادة، وسلطان الرأسمالية الجشعة، وظلمات الطبقات، واستعمار الشعوب.

فبعد هذه الأحداث المؤلمة، يتحتّم على الأمة الإسلامية تشجيع التفاعل مع الثقافات والحضارات الأخرى انطلاقاً من تعاليم ديننا الغرّاء التي تنبذ جميع أنواع الإرهاب وأشكال التخريب، كما تندد بالتفرقة والعنصرية وتدعو إلى التسامح والتعايش السلمي على أساس الاحترام المتبادل وعدم العزوف عن الثقافات الأخرى والانغلاق على الذات، لأننا نعيش اليوم في عالم تتسارع فيه الأحداث والتحوّلات، وهذا يفرض علينا مواصلة التفتح مع التمييز الجيد بين النافع والضارّ، وبين ما يلائم ثقافتنا الإسلامية وتوجّهاتنا الاقتصادية، والاجتماعية، والفكرية، وبين ما هو غير ملائم لهذه المكّونات. وقد أصبح الحوار مع الثقافات الأخرى شبه إلزامي، والتعاون معها ضرورياً باعتبار أن هذا الحوار من تقاليد ثقافتنا الإسلامية، وداخل في صميمها، حيث قال جلّ وعلا:

﴿وَلَا تُجَادِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾

[سورة العنكبوت: الآية 46]

ومن منطلق هذه الآية الكريمة، نتوصل إلى معرفة أن الحوار أصبح من الضروريات وبخاصة في هذه الألفية الثالثة قصد التفاهم، لأن مشكلة التفاهم الإنساني هي مشكلة العلاقات بين الثقافات، وهو ما أقرته لجنة الخبراء في الدراسات المقارنة للحضارات التي اجتمعت في «اليونيسكو» في تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1949، وتواصل السعي إلى دعم هذا الحوار من قبل منظمة اليونيسكو سنة 1977، وذلك بإعلان المبادئ الخاصة بالتعاون الدولي الثقافي، والذي جاء فيه:

1 ـ لكل ثقافة قيمها التي ينبغي احترامها والحفاظ عليها.

2 ـ لكل شعب الحق في أن ينمي ثقافته.

3 ـ كل الثقافات بالرغم من الاختلاف العميق بينها وتأثير كل منها على الأخرى، هي جزء من التراث المشترك للإنسانية.

غير أن التطور الإعلامي الغربي الرهيب سيؤدي عاجلاً أم آجلاً إلى فرض ثقافة عالمية جديدة مغايرة تماماً لثقافتنا الإسلامية، ولثقافة الدول النامية، وبخاصة تلك التي لا تمتلك آليات للوقوف في وجه هذه الثقافة الغازية ذات التأثير الكبير والمباشر على الثقافات أياً كان نوعها، حيث تحاصر هذه الثقافة المهيمنة على وسائل الإعلام بالكلمة المسموعة والمقروءة، حتى إن الأوروبيين أنفسهم شعروا بهذا الخطر المحدق بثقافتهم، وهم الذين نبهوا إلى هذه الهيمنة الثقافية المتأتية من خلال البرامج السمعية المرئية الأميركية، وإلى الأخطار التي ترافق هذه الهيمنة التي تؤدي إلى طمس الهويات الثقافية، وهو الأمر الذي يؤدي إلى الاغتراب النفسي، والاستلاب الثقافي، وانسلاخ الفرد عن ثقافته وتبنّي ثقافة أخرى هو ما تسعى إليه الإمبريالية الثقافية في الغرب اليوم.

يقول روبرت بلم (Robert Blum) في كتابه: الشؤون الثقافية والعلاقات الخارجية: «إنه التزام منا أن نفعل ما في وسعنا لنمارس نفوذنا الثقافي - أي الأميركي - بطريقة تساعد الآخرين بحيث لا يكون حجم المساعدة يسمح للمبادئ الغربية أن تمد الآخر بشيء سوى التطلع إلى تغيير غير مسيطر عليه. هذه مهمة ثقافية أساسية تستلزم تطوراً واضحاً لقيمنا، والطريقة التي فيها نرغب من الآخرين أن يشاركونا بها هذه القيم».

وهذه المقولة، إن دلّت على شيء، فإنما تدل على نية الغرب المبيتة بهدف السيطرة ونشر القيم والمعايير الثقافية بحسب المفهوم الغربي الذي أصبح يمثّل خطراً كبيراً على الثقافات سواء الإسلامية منها وغير الإسلامية، بفضل ما يملك الغرب من قدرات على نقل الخبر من مختلف مناطق العالم. ويتمثل الخطر في أن ما تنقله هذه الوسائل الإعلامية الهائلة يتلوّن بمنظار ناقلها، وبمصالح البلد الذي يمثله، وانطلاقاً من مخططات مدروسة.

وربما كانت العولمة عملية لا مفرّ منها، ولا يمكن إلاّ التكيّف معها، ولأن العولمة ستنعكس آثارها على الثقافة والاجتماع والسياسة سلباً أو إيجاباً.

وهذه الحماية لا تكمن في العزلة والانغلاق، بل في مواكبة هذه التحوّلات، وهذه المواكبة تفرض على المثقفين الارتقاء بالإنتاج الثقافي الإسلامي الشامل والصالح لكل زمان ومكان إلى المستوى الذي يجعل هذه الثقافة قادرة على كسب رهانات العولمة والحضور الفاعل على الساحة الدولية، ولا يتمّ ذلك إلا بإبراز الوجه الحقيقي للإسلام الذي نادى إلى المعاملة بين الناس أفراداً وجماعات وحكومات وشعوباً، وبنتها على أساس التعامل النزيه المبني على العدل الذي يزن للجميع بميزان واحد دون تأثير للعوارض البشرية من نوازع الهوى. قال تعالى:

شعر الأوروبيون بالخطر المحدق بثقافتهم ونبهوا إلى الهيمنة الثقافية والأخطار التي ترافقها والتي تؤدي إلى طمس الهويات الثقافية.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [سورة النساء: الآية 58]

إن هذا المنهج في المعاملات هو المنهج القويم الذي تسعد به الإنسانية جمعاء، خلافاً لما هي عليه المجتمعات البشرية الأخرى التي تبني علاقاتها مع الغير على أساس المصالح والمذهبية والجنسية.

وإذا كانت الثقافة تنقسم إلى قسمين: مادي، ومعنوي، فإن الجانب المادي كالحرف والمكاسب والصناعات والوسائل المادية والإنتاجية والأساليب العلمية، فهذه الأشياء كلها ملك لجميع البشر، حتى المكتشفات أو المخترعات لا يستطيع المكتشف أو المخترع احتكار اختراعه أو اكتشافه، بل ينتقل هذا الاختراع إلى حيازة البشرية والانتفاع بها، لأنها لا تصلح لتمييز أمة عن أمة.

أما الجانب المعنوي كالعقائد، والقيم، والأفكار، والمفاهيم، والعادات، والأعراف، والتراث، والأنظمة، والشرائع، واللغة، والتاريخ، والأدب، والأذواق، والأمزجة، والمشاعر، فهي التي تختص بها أمة معينة دون سائر الأمم. وتمتاز الثقافة بخصوصية الناحية المعنوية من جهة، وباقتصارها على أمة معينة من جهة أخرى، وهذا الركن المهم يحدد شخصية أي أمة، ويبرز وجودها، وهو المسؤول عن قوتها أو ضعفها وبقائها أو اندثارها. وزيادة في التوضيح، تمثل للثقافة ببعديها المادي والمعنوي. فالناس على اختلاف ثقافتهم وحضارتهم يستخدمون الإسمنت والنحاس والبرونز والحديد والخشب وغير ذلك من الوسائل المعروفة، ولكن المهندس الذي يصمم البناء توجهه ثقافته بقيمها وأفكارها، فيوظف الوسائل لخدمة ثقافته. أما المهندس المسلم فيظهر القيم الإسلامية في البناء مع مراعاة الستر، فلا يكشفه للعيون، كما يتجنّب كشف العورات، ويراعي مكانة المرأة، فلا تخدش في كرامتها. وهذا الاتجاه يدل على أن الثقافة الإسلامية مجموعة قيم وأنماط حياة مستمدة من الإسلام وقيمه التي تحكم النشاط المعنوي والمادي في المجتمع الإسلامي.

إن الثقافة رؤية للإنسان والكون والمجتمع، وهي تكتسب من المعارف ومن الدين والعادات والتقاليد وأنماط السلوك. ومن شروط الثقافة أن تؤدي إلى التلاؤم بين الإنسان والطبيعة والمجتمع والقيم الخلقية والإنسانية. وبما أن الثقافة أقل قابلية للتغيير من غيرها، لأنها لا تتغير إلا تحت وقع الأحداث الكبرى والتحولات الحاسمة مثلما نراه الآن في الهيمنة الثقافية لقطب واحد، ولثقافة واحدة بقصد القضاء على الثقافات الأخرى، وعلى الخصوصيات الوطنية. وقد قال بعض المتفائلين إن هذه العولمة إنما تؤدي حتماً إلى حدة الإحساس بالتمايز الثقافي والحضاري والقومي، ومن ثمّ إلى التمسك بالهوية أكثر فأكثر. غير أني لا أرى نظراً للتقلبات السريعة التي نعيشها الآن، والنظام العالمي الجديد القائم على قطب واحد، والذي انتهز فرصة أحداث 11 أيلول/سبتمبر 2001 ليظهر موقفه ضد الثقافة العربية الإسلامية. لهذا كله، أرى أن المنافسة دون الصراع أصبحت ضرورية لصد الغرب من الوصول إلى نهاية التاريخ التي تعني غلبة الثقافة والحضارة الغربية بصورة نهائية على بقية الثقافات:

إن الثقافة رؤية للإنسان والكون والمجتمع، وهي تُكتسب من المعارف ومن الدين والعادات والتقاليد وأنماط السلوك. ومن شروط الثقافة أن تؤدي إلى التلاؤم بين الإنسان والطبيعة والمجتمع والقيم الخلقية والإنسانية.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾
[سورة البقرة: الآية 251]

ملامح تجربة الشريط الديني في السينما العربية

رمضان سليم *

(1)

لا شك في أن هناك فرقاً واضحاً بين الشريطين (الديني (و) التاريخي)، مثلما هناك تدخل بينهما، والفيصل في ذلك يعود - بالطبع - إلى تاريخ السينما العالمية، التي قدّمت عدداً من الأشكال والأنواع من الأشرطة جرى تصنيفها وترتيبها فيما يشبه نظرية الأنواع الأدبية، ولكن في حدود أقل دقة وأضعف إحكاماً وتنسيقاً وترابطاً.

منذ البدايات الأولى على الإنتاج السينمائي العالمي وجد الشريط الديني وتداخل مع الشريط التاريخي، وهذا ما ينطبق على أشرطة (كوفاديس) و(الوصايا العشرون) و(بن هور) مثلاً. لكن هذا التداخل لا ينطبق على الشريط التاريخي الواضح (نابليون) لمخرجه أبيل غانس، إنتاج 1927 مسيحي.

إذن رغم التداخل بين الشريطين الديني والتاريخي إلا أنهما ينفصلان أحياناً وبدرجات مختلفة، تسمح لكل نوع أن يقف لوحده، مستنداً على عدد من المعطيات والإشارات الشكلية والموضوعية.

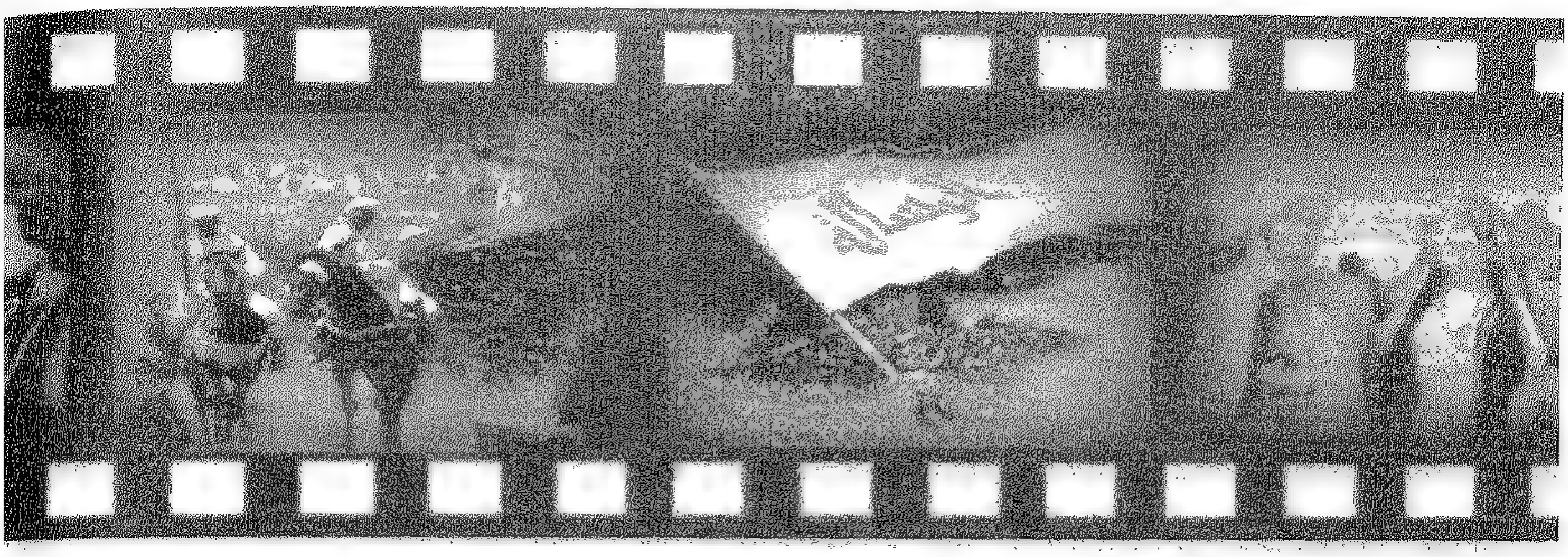
وهكذا يمكن إعتبار الشريط التاريخي معبراً عن حادثة أو شخصية أو مرحلة تاريخية، من بعيد أو قريب، بينما تتخصص الأشرطة الدينية في الموضوعات التي لها صلة بالعقيدة والرسالة الدينية وعلاقة الناس بها.

(2)

لقد اهتمت السينما العربية منذ بدايتها بالشريط التاريخي وبالشريط الديني في حدود ضيقة، لا سيما أن هذين النوعين يشكلان عناصر جذب تجارية بالنسبة للجمهور، بسب الأجواء المختلفة - اختلاف الفضاء - بما فيها من ملابس وديكورات وأماكن تصوير، فضلاً عن حوادث العصر التي تجري فيه الأحداث غير المعاصرة، بالإضافة إلى - وهو الجانب المهم - مقاربة المسأله الدينية عاطفياً، وتصوير بعض الوقائع المختارة وتجسيدها على الشاشة. وقد شمل ذلك تقديم لمحة عن الحياة التاريخية الاجتماعية في الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام، بالنسبة للشريط الديني، وتتبع معاناة المسلمين في بدايات الرسالة، وعرض جانب من الهجرة إلى الحبشة، ثم هجرة الرسول محمدﷺ إلى المدينة، وفتح مكة المكرمة، وما صاحب ذلك من معارك وأحداث ربما تكون معروفة، لكن إبرازها بالصورة له الأثر الإيجابي في عملية التلقي البصري، إذا ارتبط كل ذلك بجودة التعبير وحسن

---

* كاتب ، ناقد سينمائي / ليبيا



التعامل مع أدوات ووسائل العرض والتصوير.

أما من ناحية الصناعة السينمائية فإن الأشرطة الدينية - بإطارها التاريخي تحديداً - تحرك مجالات الإنتاج نحو أنواع مختلفة من السينما، بعيدة عن الكوميديا والأشرطة الغنائية والميلودرامية، وتحقيق الربح التجاري الكفيل باستمرار عجلة الإنتاج السينمائي في دورانها.

لكن الشريط الديني- الذي يمكن حصره في تعريف محدد و ضيق - تأخر نسبيا لأسباب كثيرة لا علاقة لها بعدم توفر الميزانيات الكبيرة ، والاعتماد على القطاع الخاص المحدود الإمكانات، بالإضافة إلى افتقار السينما العربية إلى القدرات الفنية التي تمكنها من التعامل مع الشريط الديني بشكل جيد، مع مشكلات أخرى لا علاقة لها بالرقابة وطريقة اختيار ما يمكن أن تظهره الصورة وما لا يظهر على الشاشة، وبعض التفاصيل التي لا ارتباط لها بعلاقة الدين بالصورة، وكل ذلك جاء بنتيجة واحدة مؤداها تأخر ظهور الشريط الديني.

وقد تم حصر الأشرطة الدينية التي أنتجتها السينما العربية فكانت كالآتي :

(1) شريط (ظهور الإسلام) إنتاج سنة 1951 مسيحي/ إخراج إبراهيم عز الدين.

(2) شريط (إنتصار الإسلام) إنتاج 1953 مسيحي / إخراج أحمد الطوخي .

(3) شريط (السيد البدوي) إنتاج 1953 مسيحي / إخراج بهاء الدين شرف .

(4) شريط (بلال مؤذن الرسول ﷺ) إنتاج 1953 مسيحي / إخراج أحمد الطوخي.

(5) شريط (بيت الله الحرام) إنتاج 1957 مسيحي / إخراج أحمد الطوخي.

(6) شريط (خالد بن الوليد) إنتاج 1958 مسيحي/ إخراج أحمد صدقي.

(7) شريط (الله أكبر) إنتاج 1959 مسيحي/ إخراج إبراهيم السيد.

(8) شريط (مولد الرسول ﷺ) (إنتاج 1960 مسيحي/ لبناني، إخراج أحمد الطوخي .

(9) شريط (شهيدة الحب الإلهي) إنتاج 1962 مسيحي / إخراج عباس كامل.

(10) شريط (رابعة العدوية)إنتاج 1963 مسيحي/ إخراج نيازي مصطفى .

(11) شريط (هجرة الرسولﷺ) إنتاج 1964 مسيحي/ إخراج إبراهيم عمارة.

(12) شريط (فجر الإسلام) إنتاج 1971 مسيحي/ إخراج صلاح أبو سيف.



(13) شريط (الشيماء) إنتاج 1972 مسيحي / إخراج حسام الدين مصطفى.

(14) شريط (عظماء الإسلام) إنتاج 1972 مسيحي/ إخراج نيازي مصطفى، وهو شريط سينمائي تلفزي في أربع حلقات، وكل حلقة مخصصة لشخص معين.

(15) شريط (الرسالة) إنتاج عالمي 1976 مسيحي/ إخراج مصطفى العقاد.

هذه هي الأشرطة الدينية المعروفة التي أنتج معظمها في مصر، عدا شريط (الرسالة) وكذلك شريط (مولد الرسول ﷺ). ولم تعرف بلدان عربية أخرى ـ لها علاقة بالسينما ـ إنتاج أي شريط ديني، مثل : المغرب ـ الجزائر ـ تونس ـ سوريا.

من جانب آخر يضيف بعض النقاد شريط (القادسية) إنتاج العراق 1981 مسيحي، إخراج صلاح أبو سيف، إلى مجموعة الأشرطة الدينية، إلا أنه يصور (معركة القادسية) ويعتمد على إبراز شخصية رئيسية هي (سعد بن أبي وقاص) حتى إنه يمكن تسمية الشريط باسم الشخصية نفسها.

أما شريط (عظماء الإسلام) فقد خصصت حلقاته لشخصيات معروفة (الخلفاء الراشدون) الأربعة، مع العلم بأن صورهم لم تظهر على الشاشة، بعكس كل من خالد بن الوليد وسعد ابن أبي وقاص. والمسلسل الشريط ـ كما قلنا ـ قد استغل للعرض التلفزيوني السينمائي.

وفي اختيار لائحة أخرى لبعض النقاد تضاف أشرطة مثل شريط (صلاح الدين الأيوبي) إنتاج 1941 مسيحي، إخراج إبراهيم لاما، وكذلك شريط (وإسلاماه) إنتاج 1961 مسيحي، وإخراج آندرو مارتون، وشريط (الناصر صلاح الدين) إنتاج 1963 مسيحي، إخراج يوسف شاهين.

ولا شك في أن إضافة مثل تلك الأشرطة المذكورة ترجع الى المعنى الديني المتحقق في الأهداف والأغراض التي أنتجت من أجلها، وما تتوفر عليه من موضعات دينية تعلي من قيمة الجهاد، وتبرز المعاني الروحية التي تقوم عليها العقيدة الإسلامية.

ومن الأشرطة التي يذكرها النقاد شريط (سلامة) إنتاج 1945 مسيحي، وإخراج توجو مزراحي، وهو شريط تاريخي، لكنه قريب إلى المعنى الديني، لأنه يعتمد على شخصية الزاهد عبد الرحمن القس الذي أحب (الجارية سلامة) في صمت وعفاف، وحاول أن يشتريها ليعتقها ثم يتزوجها، ولكنه يموت دون أن يدرك ذلك. وقد حاول الشريط أن يخلق ترابطاً بين (الحب) بمعناه العاطفي، و(الحب) بمعناه الديني الصوفي،

ولكن التركيز على (سلامة) وأغانيها جعل الشريط أقرب إلى النوع الغنائي التاريخي.

أما شريط (فتح مصر) إنتاج 1948 مسيحي، إخراج فؤاد الجزايرلي، فهو تاريخي المحتوى، ولكن موضوعه ديني، وهو يصور احتضان السكان الفاتحين المسلمين وتعاونهم معهم لطرد الرومان، ولعل فقدان نسخة الشريط قد أسهم في استبعاده من قائمة الأشريط الدينية.

(3)

إذا عدنا إلى تواريخ إنتاج أشرطة القائمة الرئيسية للأشرطة الدينية؛ وجدنا أن أكثرها يعود إلى الخمسينيات، وهو العقد الذي كان فيه الإنتاج السينمائي وفيراً، من حيث الكم على الأقل، مقارنة بغيره من العقود.

ونحن نرى أن الدافع للدخول في مغامرة إنتاج الشريط الديني مهم بدرجة كبيرة، بحكم المشاعر الروحية النبيلة، أي أن تبعات مثل هذه المشروعات كبيرة ولا شك، فضلاً عن أن الإحساس بأن التجربة مربحة مالياً يعتبر من الدوافع المهمة أيضاً للإنتاج. وقد كان المخرج هو المنتج بالنسبة للشريط الديني الأول (ظهور الإسلام) بل إن المخرج قد أقدم على أول تجربة سينمائية له بعد دراسته الإخراج في أمريكا، وكلف إنتاجه سبعة آلاف جنيه مصري، وقد استقبل الشريط بشكل جيد، رغم كل مظاهر الضعف التي يحتوي عليها، فالمسألة أخلاقية ومعنوية، وقد عرض يوم 1951/4/9 مسيحي، وتم بيع الشريط في مناطق عربية وإسلامية مختلفة، بأسعار تضاهي مصاريف إنتاجه وتزيد.

والواقع أن مشروع الشريط الديني له مكاسب مادية تأتي مع الزمن، وليس شرطاً أن يحقق الأرباح الكبيرة من عروضه الأولى، ورغم ذلك فإن توفر الميزانية الكبيرة يبقى من أهم مشكلات إنتاج الشريط الديني.

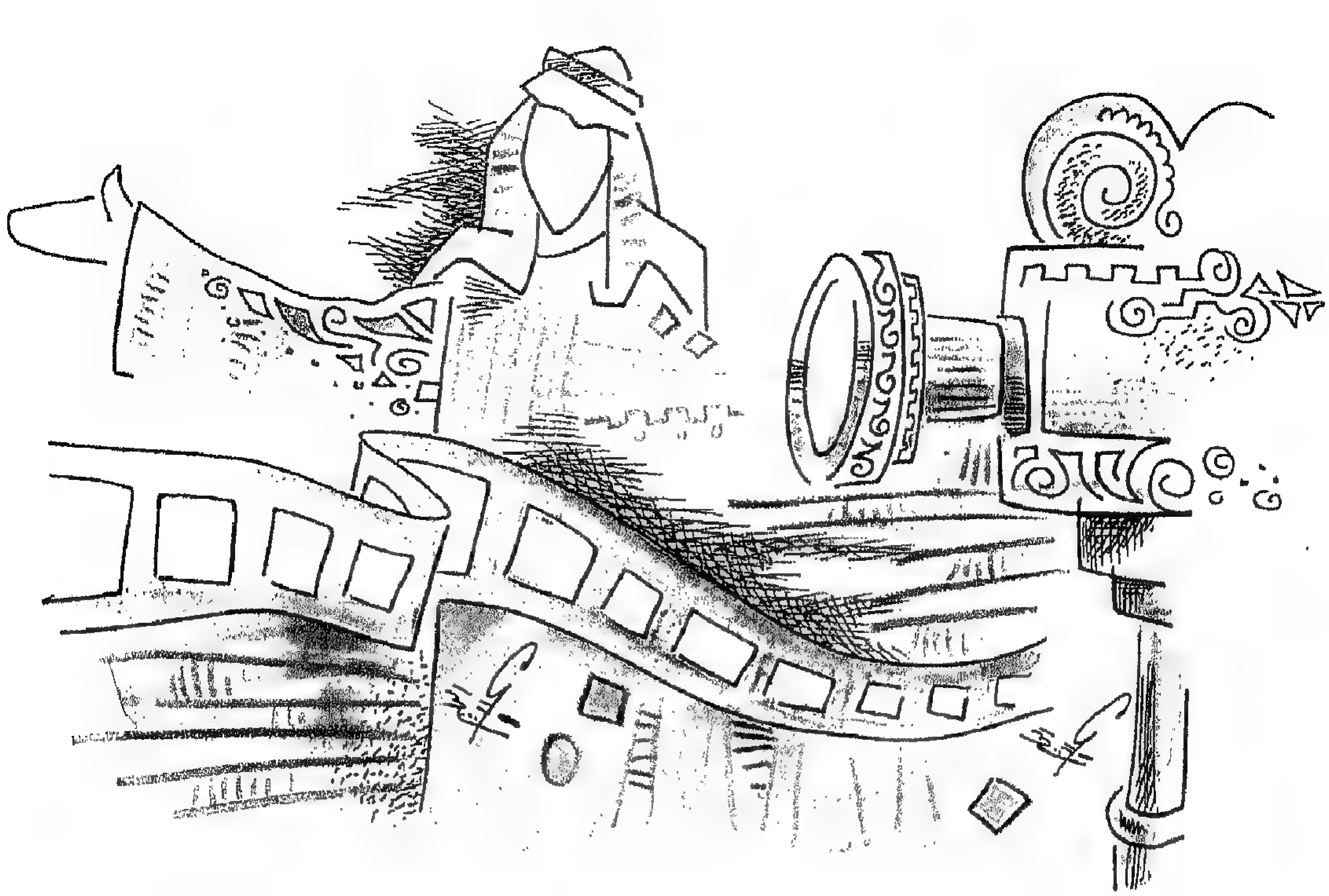
فلا يمكن أن تقارن بين ميزانية شريط (ظهور الإسلام) أو شريط (الشيماء) وهي أشرطة ساعدت الجهات العامة في إنتاجها؛ لا يمكن أن تقارن هذه الأشرطة بشريط عالمي مثل: سفينة نوح أو شريط (شمشون و دليله).

إن ذلك ما يبرر فعلياً تأخر الشريط الديني في السينما العربية، فمنذ سنة 1927 مسيحي، تاريخ إنتاج أول شريط روائي عربي، إلى سنة 1951 مسيحي تاريخ إنتاج شريط (ظهور الإسلام) مدة طويلة، لا تجد ما يبررها إلا في عدم قدرة المنتج الفرد على الدخول في مثل هذه المغامرة، وأيضاً عدم الرغبة أحياناً في المجازفة بموضوعات دينية قد تجد معارضة رقابية أحياناً، أو تترك وراءها بعض المشكلات المصاحبة.

الأغراض السياسية المباشرة تزول، ويبقى الشريط محققاً أغراضه الثقافية بشروط معينة.

لذلك كله نجد أن الدول تقف أحياناً وراء مشروعات إنتاج الأشرطة الدينية، ولكن يرى بعض النقاد أن ذلك قد يكون لأهداف سياسية، مباشرة أو غير مباشرة، تحققها هذه الدول. وبشكل عام يمكن اعتبار نجاح أي شريط خطوة نحو تجاوز الغرض السياسي، فالأهداف السياسية قد تكون مؤقتة ولها ظروف طارئة، بينما يستمر نجاح الشريط مع مرور الزمن، بشرط ألا يكون للغرض السياسي طبيعة مباشرة تؤثر على حسن استقبال الشريط، ومن الصعب تصور أن الأشرطة الدينية أو التاريخية الكبيرة في العالم خالية من المنظور السياسي غير المباشر، في حدود القيمة الفنية الممكنة.

إن مثل هذا القول ينطبق على شريط (الناصر صلاح الدين) الذي يمكن اعتباره شريط تاريخياً أولاً ودينياً ثانياً، وهو من إنتاج المنتجة آسيا في مصر 1963 مسيحي، وإخراج يوسف شاهين، فقد بدا الشريط ـ وحسب المعطيات السياسية ـ المعبر عن مفهوم سياسي



معاصر، يتمثل في أهمية الدعوة لتحقيق الوحدة العربية، ومحاولة تطبيق هذه الوحدة عمليا من خلال انتصارات صلاح الدين، وربط أجزاء بلاد الشام بمصر، وطرد الغزاة الصليبيين من فلسطين، وهو أمر ارتبط بأطروحات سياسية فردية، ودعوة سياسية لتحقيق الوحدة العربية. ولكن ـ وكما قلنا ـ فإن الهدف السياسي يتراجع بمرور الوقت إذا كانت المادة السينمائية قادرة على تجاوز المباشر، وهو أمر لم يتحقق في شريط آخر تاريخي ديني، هو شريط (القادسية) الذي انحصرت أهدافه في الغايات القريبة، ووجهة نظر ضيقة، ودعوة سياسية مباشرة.

من جانب آخر هناك تفاصيل داخل الأشرطة الدينية تقترب من فكرة الوحدة العربية، باعتبارها دعوة سياسية، كما في شريط (بيت الله الحرام) الذي أوضحت مقدمته أن هدم الكعبة كان القصد منه تحطيم المكان الذي يجمع العرب ويرمز لوحدتهم، وهو هدف نبيل أيضاً، فالفكرة ذاتها تتعلق بمدى القدرة على التعامل مع المبادئ وليس الأفراد.

وكما قلنا آنفاً، فإن الأغراض السياسية المباشرة تزول، ويبقى الشريط محققا لأغراضه الثقافية بشروط معينة، أساسها توفر المنظور الفني الجيد، وكذلك الابتعاد عن الأغراض الذاتية السطحية.

إن تلازم الدين مع السياسة مسألة تفرض نفسها، ولكن نجاح الشريط الحقيقي يكمن في إخلاصه للجانب الفني، وعرضه القضية السياسية باعتبارها ذات طابع إنساني وتجربة عامة، بعيداً عن الإعلامية المباشرة مهما كان نوعها.

(4)

يمكننا أن نحدد بعد هذه المقدمة بعض الملامح العامة لتجربة الشريط الديني في السينما العربية، وسوف نجدها تتضمن بعض الخصائص المشتركة التي تحققت في أكثر من شريط، من الناحية الفنية والموضوعية. وبشكل عام يمكن اعتبار الملمح الأساسي خاصاً بالشكل الرئيسي للشريط الديني الذي يمكن تقسيمه إلى قسمين : الأول.. تنتمي إليه أشرطة تصور شخصيات إسلامية، والقسم الثاني يشمل أشرطة تصور مراحل ظهور وانتشار الدعوة الاسلامية والأحداث التي صاحبت ذلك.

إن الشخصيات لها وضعيتها الخاصة، ليس من ناحية رقابية فقط ، ولكن من حيث التأكيد من الكثير من المعلومات المحيطة بالشخصية. أما تصوير المرحلة نفسها دون التركيز على شخصية بارزة ؛ فإن ذلك يسمح ببعض الإضافات، ولكن في حدود معينة. كما يمكن الدمج بين القسمين في الشريط الواحد، كما في شريط (الرسالة)، حيث النصف الأول من الشريط مخصص للصراع الدائر بين حمزة وأبي جهل، والنصف الثاني يشمل حوادث وتفاصيل متناثرة، يجمعها خيط استمرار النجاحات التي يحققها الدين الجديد. إن معظم الأشرطة تقوم على ذلك، إلا أن هناك أشرطة أخرى تتطرق للدين الإسلامي، ليس باعتباره تاريخيا، ولكنه عامل تقوم عليه طاقة الأفراد الروحية، بصرف النظر عن مكانهم أو الزمن الذي يعيشون فيه. وهذا يعني أن الشريط الديني يمكن أن يكون معاصرا، وليس شرطاً أن يكون له طابع تاريخي.

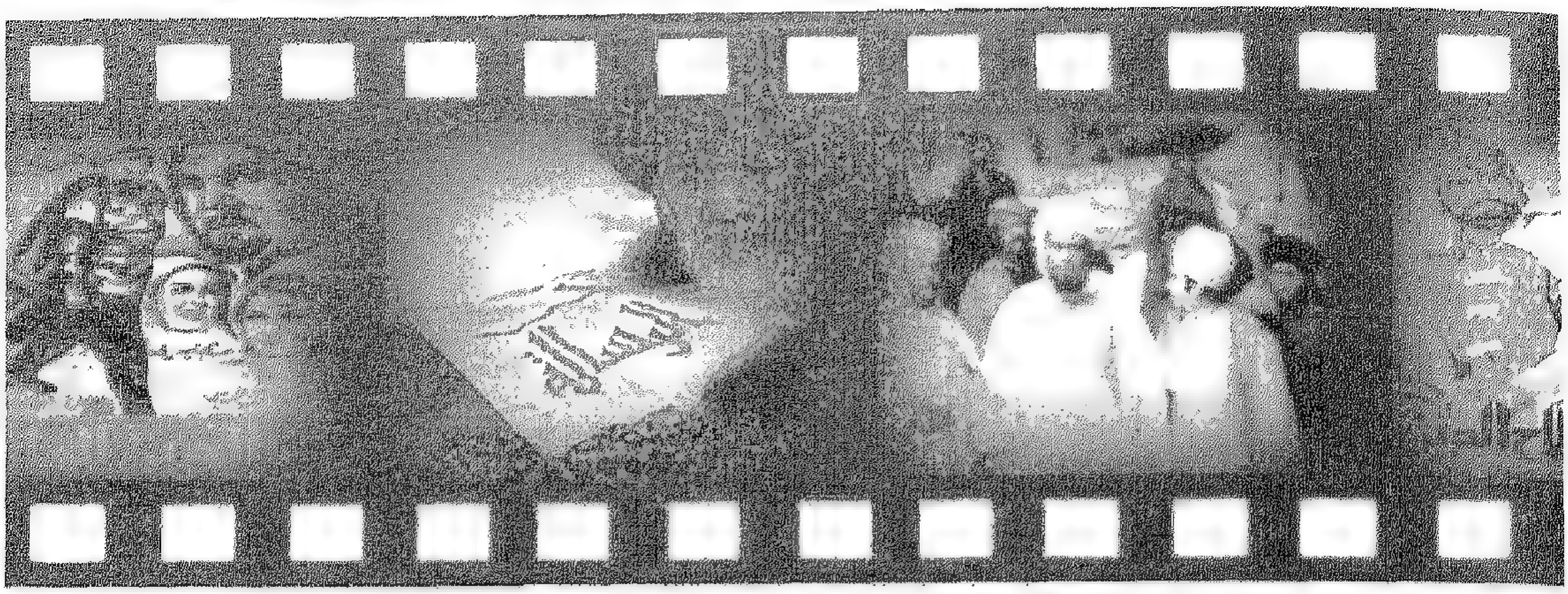
على سبيل المثال يمكننا الإشارة إلى شريط (السيد البدوي) باعتباره شريطاً دينياً، رغم أن أحداثه ليس لها علاقة بتاريخ ظهور الإسلام. كما أن هناك أكثر من شريط يتوفر فيه البعد الديني بشكل لافت للنظر، مثال ذلك شريط (قنديل أم هاشم) 1968 مسيحي، وشريط (الطريق إلى الفردوس) 1956 مسيحي. ومع بعض الاختلاف نشير إلى أشرطة مثل: السقامات - أين تخبئون الشمس؟ - الرقص مع الشيطان. وكلها أشرطة لها بعد روحي واضح، يجعلها قريبة من الشريط الاجتماعي الديني.

هنا علينا أن نلحظ أن الشخصية هي المحور الرئيسي في معظم الأشرطة الدينية، وهي شخصيات حقيقية على الأغلب، مع بعض الإضافات المتخيلة. وأهم شريط اعتمد على شخصيات متخيلة هو (هجرة الرسول) الذي افترض كاتبه وجود شخص اسمه (فارس) وفتاة اسمها (حبيبة) قد اختيرا سوياً لكي يكونا من العبيد الضعفاء، وليشهدا المراحل الأولى للدعوة الإسلامية، والأحداث التي تلت بعد ذلك بالتدريج.

ولقد زادت نسبة المتخيل عند تصوير قصة الحب العاطفية التي تجمع بين (فارس) و(حبيبة) وهما من العبيد الضعفاء الذين دخلوا الإسلام، فأذاقهما السادة العذاب، ليذهب بصر حبيبة، ويتابع فارس باقي أحداث الدعوة، ويصبح أحد المشاركين في كل الوقائع التي يذكرنا بها الشريط . ويمكن اعتبار (قصة الحب) من الملامح الرئيسية للشريط الديني، وهي في الغالب قصة جانبية وهامشية، تساعد على جمع خيوط الشريط الدرامية، وليس لها علاقة بجوهر الشريط، كما هو الأمر في أشرطة مثل: (بيت الله الحرام) و(انتصار الإسلام) و(فجر الإسلام) و(هجرة الرسول) و(خالد بن الوليد). ونادرة جداً هي الأشرطة التي تخلو من قصة حب.

الطريقة التقليدية النمطية في تقديم الشخصيات، وخصوصا الشريرة منها، لم تخدم الأشرطة الدينية، وكانت من أسباب هبوط قيمتها الفنية.

لقد ظهرت الكثير من الشخصيات الدينية المعروفة في السينما، سواء في قلب الأحداث أو على هامشها، وهي شخصيات ثانوية بالنسبة للموضوع الرئيس للشريط، لكن، وفي ظل حجب الشخصيات الرئيسية التاريخية؛ تبقى هذه الشخصيات هي الأساس الذي تقوم عليه الأحداث. ومن أكثر هذه الشخصيات ظهوراً (عمار بن ياسر) و(بلال بن رباح) و(عبد المطلب)، في مقابل ظهور شخصيات مناقضة لها مثل: (أبي جهل) و(أبي سفيان) قبل فتح مكة، وغيرها من الشخصيات التي تقف في الخانه السلبية (الشر والكفر) في مقابل (الإيمان والخير). على أن يظهر ذلك بشكل واضح وبتناقض شديد .



إن فكرة تقديم الشخصية النمطية تبدو واضحة في هذه الأشرطة، وهي نمطية تبدو مقبولة، لكن التعبير عنها لم يكن كذلك، حيث اعتمد أكثر الممثلين على التعبير الخارجي المباشر الذي يجسد فكرة الشر بكل وضوح، بينما جاء التعبير عن الخير بطريقة أكثر قبولاً. ورغم أن مثل هذا الحديث يحتاج إلى توضيح أكثر ؛ إلا أنه من المهم القول إن الطريقة التقليدية النمطية في تقديم الشخصيات، وخصوصا الشريرة منها، لم تخدم الأشرطة الدينية، وكانت من أسباب هبوط قيمتها الفنية.

لا بد من الإشارة هنا إلى أن شريط (الرسالة) يشكل الاستثناء الرئيس في مجموعة الأشرطة الدينية، بما في ذلك جانب التمثيل، وفي حدود ضيقة أيضاً جاءت بعض الأشرطة مقبولة من حيث تقديم الشخصيات وعرضها، ومثال ذلك شريط (السيد البدوي) وكذلك الأشرطة المتأخر إنتاجها مثل (الشيماء) و (فجر الإسلام).

فضلاً عن استخدام التعابير المبالغ فيها؛ لم تمنح الشخصيات حقها من حيث المعالجة، وحتى أشرطة الشخصيات هي في الحقيقة أشرطة حدث كلي، تتحرك فيه الشخصيات ضمن التفاصيل الصغيرة، ومن الصعب اعتبار الإنتاج السينمائي نموذجياً في تقديمه الشخصيات الدينية والتاريخية، ويمكن استثناء شريط (الناصر صلاح الدين) من ذلك في حدود معينة، كما أن شريط (الرسالة) استطاع أن يخرج الشخصية من نمطيتها المعتادة.

(5)

يقودنا الملمح الأول الذي يتعلق بالتعامل مع الشخصيات وعلاقاتها، إلى ملمح آخر وهو ذلك المتمثل في ضعف مشاهد الصورة، والتهرب من استخدام الصورة، والاعتماد على النقل بالوصف الصوتي. والسبب يعود - كما قلنا - إلى ضعف الإمكانيات المادية، والصعوبات التقنية المرتبطة بذلك. ورغم الجهد المبذول في تصوير المشاهد الجماعية والمعارك؛ إلا أنها تبقى غير مؤثرة في الجمهور. فإذا تركنا شريط (الرسالة) جانباً فإن كل الأشرطة الأخرى قد جاءت مفتقرة إلى قاعدة نقل الواقع أو التعبير عنه بشكل واضح، هذه القاعدة مهمة بالنسبة للشريط الديني أكثر من غيره من الأنواع الأخرى.

وقد طال الضعف الفني التعامل مع الملابس والديكورات، والتخفيف من المشاهد العامة الكبيرة، والمعارك، بحيث ظهرت بعيدة عن الإقناع . وخير مثل

على ذلك شريط (خالد بن الوليد) حيث تسرد الشخصية الرئيسية المعارك التي خاضتها، وهو أمر ينطبق أيضاً على باقي الأشرطة، مثل (ظهور الإسلام) و(انتصار الإسلام) و(هجرة الرسول ﷺ). وتبقى بعض الأشرطة أفضل حالاً من ناحية استخدام الحركة مثل (فجر الإسلام) و (الشيماء).

وفي بعض الأحيان يتم اللجوء إلى بعض المختصين لتصوير المشاهد الجماعية الكبيرة، وكذلك المعارك، بطريقة مدروسة. ويكفي أن شريطاً مثل (واإسلاماه) قد أخرجه مخرج المعارك الأمريكي (اندرو مارتين) الذي وإن نجح في مهمته هذه إلا أن إخراجه للشريط كاملا قد جاء سلبياً، بسبب الجمود والبرود والاستعراضية في المشاهد الحركية غير المترابطة.

والواقع أن بناء الديكورات، واستخدام أدوات الحرب المختلفة؛ تظل مهمة صعبة في ظل إنتاج محلي، مجالات توزيعه محدودة، ولا يدخل في منافسة مع الأشرطة العالمية.

كذلك تدل النتائج على أنه من الملامح العامة للسينما العربية ضعف الإمكانيات المادية والتقنية، فلا تتوفر الطاقات الفنية القادرة على التعامل مع السينما، وبالأخص في مجال تنفيذ المشاهد الصعبة، وهذا ما جعل السينما العربية تصنف على أنها فقيرة، رغم نجاحها أحياناً في الدخول إلى مجالات المنافسة الخارجية في الأشرطة الواقعية والاجتماعية.

وسوف نلاحظ أيضاً أن المخرجين الذين تصدوا لإخراج الأشرطة الدينية هم من الأسماء الجديدة في الغالب. كما حدث للمخرج إبراهيم عز الدين، والمخرج أحمد الطوخي، والمخرج بهاء الدين شرف. بينما كان وجود بعض المخرجين الآخرين بطريق الخطأ، مثلما نفذ مخرج الأشرطة الكوميدية عباس كامل شريط (شهيدة الحب الإلهي)، وإخراج الممثل أحمد صدقي شريط (خالد بن الوليد) وأنجز مخرج أشرطة الحركة التجارية حسام الدين مصطفى شريط (الشيماء). وينطبق هذا الأمر على نيازي مصطفى، وصلاح أبو سيف، لأن المخرج الجيد ينبغي أن تسيطر عليه نزعة إخراجية معينه، ويغلب عليه اتجاه ما، ولهذا السبب أخرج (سيسيل دي ميل) أشرطة تاريخية، ولم يقدم مخرج الواقعية (جون فورد) أي شريط تاريخي، وهذا مثل ينطبق على السنيما العالمية بشكل عام.

(6)

ننتقل إلى ملمح آخر من ملامح الشريط الديني، وهو يعتمد على محاولة إبراز الجانب الإيجابي، بالتركيز على الجانب السلبي، أي تقديم الضد لإظهار محتوى البديل. لكننا نلحظ بشكل واضح الإفراط في استعراض هذا التصور، فالأشرطة الدينية لا تعتمد على فكرة التقوى والخشوع في بنيتها الشكلية، كما أن الجانب الإيجابي، وهو الإيمان، لا يقبل إلا باعتباره طرفاً في مواجهة الجانب السلبي ، وهو الكفر.

اعتمدت الأشرطة الدينية على الحوارات المطولة، التي تأتي أهميتها من أجل تغطية الضعف في تنفيذ المشاهد المصورة.

وهذا يتطلب التركيز على المشاهد العاطفية والعربدة والرقص الجماعي، وذلك ما يتبناه صناع السينما لتغطية غرض آخر وهو الربح التجاري، بحثاً عن التسلية المفقودة أحيانا في الشريط الديني.

وقد يكون ذلك عادياً بالنسبة للسينما العربية، إلا أنه من المهم القول إن هذا النوع من السينما لا يحتمل المبالغة في إبراز هذه الجوانب السلبية، حيث إن الإطار العام للشريط له توجه ديني، وكل التفاصيل ينبغي أن تخدم هذا الاختيار وليس غيره. وإذا عدنا إلى أهم الأشرطة الدينية العربية وجدناها مليئه بمشاهد الرقص والعربدة الجماعة، كما في أشرطة (فجر الإسلام) و(بيت الله الحرام) و(وا إسلاماه) و (رابعة العدوية) و (خالد بن الوليد) والقادسية) وغير ذلك من الأشرطه.

وإذا كان وجود قصة حب عاطفية يعد من تكملة الدراما السينمائية؛ فإن مشاهد الرقص والخلاعة تعد دخيلة على الشريط الديني تحديداً، ولا مبرر لها. وتستخدم في الأشرطة الجيدة ـ ولا سيما العالمية منها ـ مشاهد تعبيرية راقصة، في شكل لوحات فنية، كما هو الحال في شريط (سالومي) مثلاً، أو شريط (الرسالة)، ولكننا نلاحظ في السينما العربية اللجوء إلى الرقص الشرقي المعاصر، الفردي والجماعي، ومن الأمثلة على ذلك شريط (رابعة العدوية). كما تتم الاستفادة من الفرق الاجنبية الزائرة لتصوير بعض المشاهد، كما في شريط (بيت الله الحرام) على سبيل المثال.

النموذج المثالي لفكرة تقديم الضد والتركيز عليه شريط (رابعة العدوية) الذي أخرجه نيازي مصطفى، صاحب التجربة الطويلة، ولكنها تجربة مفتوحة وضائعة، وليس لها قيمة كبيرة من الناحية الموضوعية.

في الشريط المذكور نجد إطالة للزمن الخاص بالمرحلة الأولى، لأنها مرحلة تسمح بتصوير مشاهد الرقص والغناء، والعلاقات العاطفية، في حياة رابعة العدوية، قبل المرحلة الثانية، وهي مرحلة الزهد والتصوف. وهذا الشكل الخارجي ينطبق على شريط (شهيدة الحب الإلهي) لمخرجه عباس كامل، وربما أيضاً على أشرطة أخرى مثل (فجر الإسلام)، أما شريط (السيد البدوي) فهو يعتمد على قصة أساسها محاولة الزاهد السيد البدوي هدايةَ راقصة هي (فاطمة بنت بري) ونجح في ذلك في نهاية الشريط فقط.

(7)

ملمح آخر واضح في الأشرطة الدينية التي أنتجتها السينما العربية، ويمثل في الغناء الذي يصاحب أغلب الأشرطة، ويمكن اعتباره مؤثراً موسيقياً من ناحية، وجزءاً من الحدث الدرامي في أكثر الأحوال. إننا ـ ولا شك ـ من الصعب أن نجد شريطاً دينياً عربياً ليس به غناء فردي أو جماعي، وقد يكون هذا الغناء جزءاً من قصة، كما في شريط (الشيماء)، وفي كثير من الأحيان تتم الاستعانة بمطربة لتقديم عدد من الأغنيات مثل المطربة سعاد محمد في شريط (الشيماء)، وأم كلثوم في شريط (رابعة العدوية).

في أشرطة أخرى نجد الغناء مصاحباً لمشاهد الرحيل والهجرة والتعذيب، أو مشاهد الرقص، وقد يكون من نسيج الأحداث كما في أغنية (طلع البدر علينا) التي قُدمت بتوزيع مختلف في أكثر من شريط، مثل (هجرة الرسولﷺ - بلال بن رباح ـ الرسالة)، وتجدر الإشارة هنا إلى أن غناء الرقص يدخل في نسيج أحداث الأشرطة مهما كان نوعها، بقصد التأثير في الجمهور، وتكملة النقص الذي تشكو منه الدراما أحياناً.

(8)

الملمح الرئيسي الذي يمكن أن يلاحظه المتابع للأشرطة الدينية يكمن في لغة الحوار ونوعها، فقد اعتمدت أشرطة كثيرة على اللغة العربية الفصحى البسيطة، ومن ذلك شريط (ظهور الإسلام) وشريط (فجر الإسلام) وشريط (الشيماء) وشريط (بلال ابن رباح) وشريط (الرسالة) وشريط (الله أكبر). أما الأشرطة الأخرى فقد ظلت حبيسة العامية، ومن ذلك شريط (هجرة الرسول ﷺ) وشريط (بيت الله الحرام)، واعتمد شريط (رابعة العدوية) على البدوية العامية، ويمكن القول إن لغة الأشرطة الدينية من عوامل ضعفها، رغم أن هناك من شارك في صياغتها من الكتاب المعروفين، ومنهم الدكتور طه حسين، وعبد الحميد جوده السحار، ونجيب محفوظ، والدكتور أحمد الشرباصي.

لقد اعتمدت الأشرطة الدينية على الحوارات المطولة، التي تأتي أهميتها من أجل تغطية الضعف في تنفيذ المشاهد المصورة، ولغرض تكملة النقص في استعراض الأحداث، حيث المساحة الزمنية طويلة،

ومساحة الزمن السينمائي محدودة.

إننا نجد في أكثر الأشرطة ذلك الراوي الذي يتداخل ليسرد بعض التفاصيل، أو يطرح تمهيداً لبعض الوقائع، أو يلخص جملة مشاهد غير مصورة. ورغم أهمية الراوي وحسن تقديمه أحياناً في بعض الأشرطة؛ إلا أنه يبقى صوتاً قادماً من خارج الحدث نفسه، وهو لذلك يعد من الإشكاليات الفنية التي تستخدم بحذر شديد، فهو مؤثر صوتي أحياناً، وله أن يوجه مسارات الحدث بعدة طرق وأساليب. وفي جميع الأحوال فإن الأداء صار من العناصر المختفية في السينما الحديثة، ولكن الحوار ونوعية استخدام اللغة ومستوى اللغة نفسها؛ كل ذلك يبقى من الأسس المهمة التي يقوم عليها أي شريط ناجح، تاريخي أو غير تاريخي.

ولا بد لنا من الإشارة إلى أن الحوار يتطلب اهتماماً خاصاً بالموسيقى، التي تكون أحياناً مصاحبة أو مفارقة له، حيث إن الموسيقى ـ وربما كل المؤثرات الموسيقية ـ تتصف بالضعف وسوء الاختيار، لأنها مجرد إضافة تكميلية، ولهذا لم تفرز الأشرطة الدينية موسيقاها التصويرية الواضحة والمؤثرة، حتى موسيقى شريط (الرسالة) المعدة خصيصاً للشريط؛ لم تكن في المستوى المطلوب، من حيث قدرتها على خلق الحالة العاطفية الوجدانية المرتبطة بالدين ومعانيه الروحية السامية.

(9)

ملمح آخر يمكن الإشارة إليه، ويتمثل في وجود مشاهد متكررة في معظم الأشرطة الدينية المرتبطة بظهور الرسالة الإسلامية، ذلك لأن الأحداث وحدها، وأماكن التصوير، يفترض أن تكون متشابهة، تشكل الصحراء أهم مواقعها، وهو ما يسمح بتكوين عدد كبير من المشاهد البصرية المتميزة، وهو أمر لم يحدث في الأشرطة الدينية.

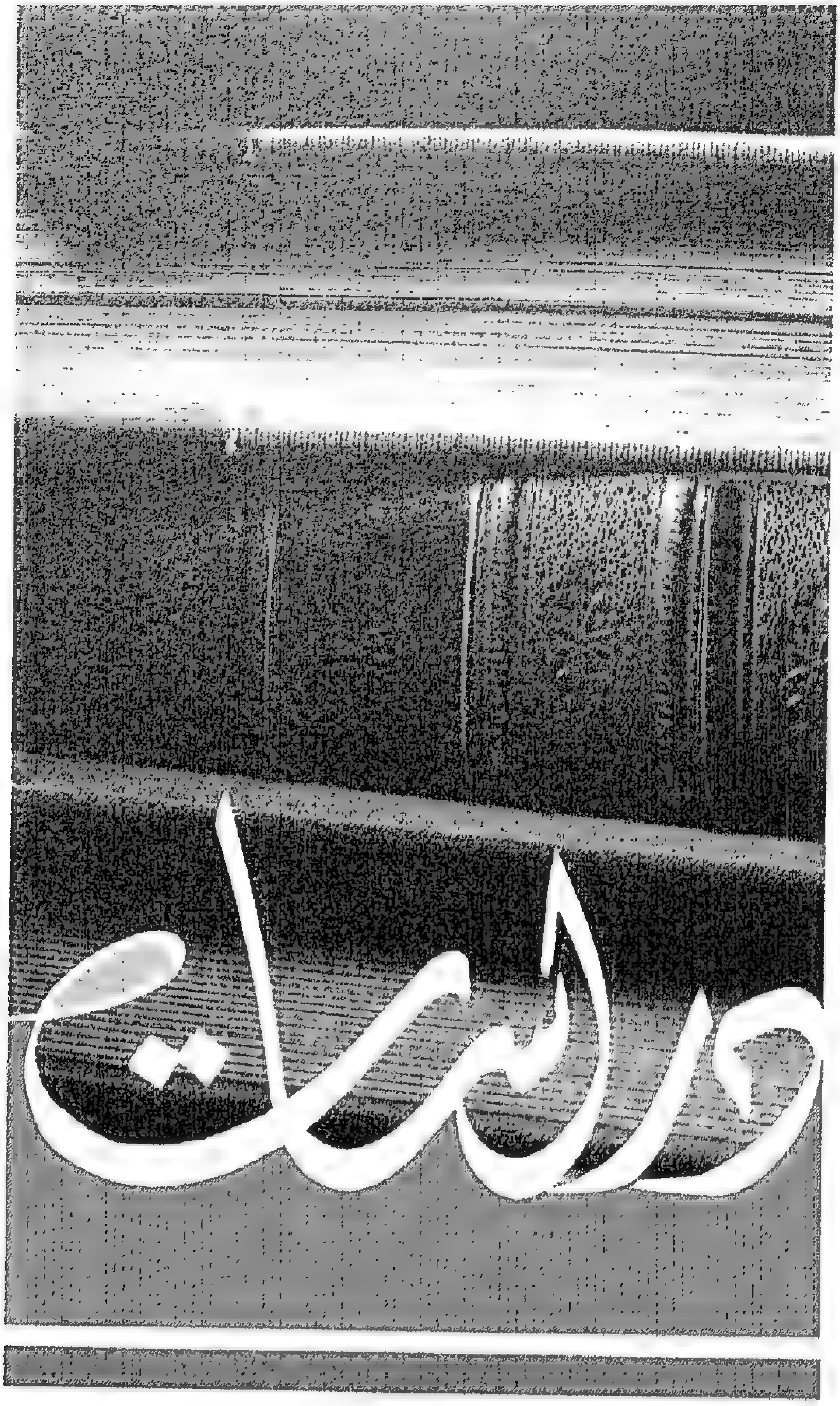
سوف نلحظ أن أكثر المشاهد تكراراً هي متابعة آلة التصوير لحالات التعذيب التي قام بها زعماء قريش من الرافضين للدين الإسلامي؛ ضد كل من دخل الإسلام، ولا سيما من الضعفاء والعبيد، كما في شريط (بلال بن رباح) وشريط (الله اكبر) و شريط (الرسالة). وقد شكلت هذه المشاهد ـ على الأغلب ـ عوامل ضعف فنية، لأنها مقتبسة من السينما العالمية، وبطريقة غير جيدة، ولهذا كانت أغلب تلك المشاهد غير مقنعة فنياً.

هناك مشاهد أخرى خاصة بالحروب والمعارك، والتي لم تستطع السينما العربية إلى الآن أن تقدمها بشكل جيد، وهذا الأمر له علاقة بالتطوير العام للفنون البصرية، ومرجعياتها الثقافية المستندة على دراسة التاريخ والتقنية والفنون والجماليات، وهو ما يقودنا إلى دراسات أخرى حول الأزياء وأنواع الأسلحة والأدوات المستخدمة خلال التاريخ الحضاري والثقافي في الإسلام .

(10)

إن الأشرطة الدينية المنتجة عربياً، عن طريق القطاع العام أو الخاص، لم تكن في المستوى المطلوب، لكنها ملأت فراغاً واضحاً، لا سيما قبل انتشار المسلسلات الدينية المرئية، وهي تعبر عن غايات نبيلة ومشاعر صادقة، رغم أن إنتاجها كان لأهداف أو لأغراض كثيرة ومتنوعة، لكن ما هو مهم هو تحقيق هذه الإنتجات بالإمكانيات المتاحة البسيطة.

لا شك في أن الشريط الديني يحتاج إلى تظافر الجهود الجماعية القائمة على تعاون أكثرمن جهة، لأن القضية عامة وأخلاقية، ولها مآثر عامة وليست خاصة، وإذا كان الجمهور العربي المحلي هو هدف تلك الأشرطة؛ فإن مخاطبة الجمهور العالمي تحتاج إلى ما هو أجود وأفضل، وهو أمر لن يتحقق إلا بتجاوز تلك السينما الفقيرة في الإمكانات المادية والتقنية، والدخول إلى مناطق تتشابه فيها الإنتاجات الفنية، لتطرح أفضل ما عندها، وتؤثر في أكبر عدد من المشاهدين، باستخدام أفضل التقنيات، والتعبير عن التجارب الدينية بأفضل حالات الحياد الفني والموضوعي.



❖ **أوروبا والإسلام**

تلميع الهلال وصدام الثقافات

❖ **الإسلام والتعددية الفكرية**

مقاربة في شرعية الاختلاف وثقافة الحوار

أوروبا والإسلام

تلميع الهلال وصدام الثقافات

تيموثي م. سافيج *
ترجمة: **أحمد محمد عثمان**

من منظور تاريخي قد يكون للإسلام الكثير من التأثير في إعادة تشكيل أوروبا خلال القرن الحادي والعشرين، أكثر مما هو الحال مع الولايات المتحدة الأمريكية (أنظر مقالة تيموثي غارتن آش «ثمن البقدونس» المنشورة بصحيفة الغارديان البريطانية بتاريخ 25 يوليو 2002، وكتاب نورمان ديفيس: تاريخ أوروبا، المنشور بواسطة مطبعة جامعة أكسفورد عام 1996 الصفحات 7 ـ 16 والصفحات 251 ـ 258). وينقسم التحدي الإسلامي الذي تواجهه أوروبا اليوم إلى شقين، أولهما : داخلي، يتمثل في ضرورة قيام أوروبا بدمج أقلية مسلمة تعيش في أحياء خاصة بها، لكن أعدادها في تزايد مستمر، وهو أمر تنظر إليه الشعوب الأوروبية على أنه يتعدى على الهوية الجماعية والقيم العامة للمجتمعات الأوروبية. والثاني: خارجي، يتمثل في حاجة أوروبا إلى ابتكار أسلوب قابل للتطبيق على الأرض، في تعاملها مع المناطق المتفجرة ذات الأغلبية المسلمة، والتي تمتد من الدار البيضاء حتى جبال القوقاز، والتي أصبحت اليوم تمثل مركز اهتمام الإستراتيجية الأمنية للإتحاد الأوروبي، التي تم تبنيها مؤخراً تحت مسمى (أوروبا آمنة في عالم أفضل) وكذلك المبادرة الوليدة تحت مسمى (أوروبا الواسعة وجوار جديد).

وتعترف المبادرة بأن قدرة الإتحاد على توفير الأمن والاستقرار والتنمية المستدامة لمواطنيه ؛ لم يعد ممكنا بمعزل عن مصالحه في تحقيق تعاون وثيق مع جيرانه. وتسعى المبادرة المشار إليها إلى تحديد إطار جديد للعلاقات مع 14 دولة أو كيان تضم كلاً من : الجزائر ـ مصر ـ إسرائيل ـ الأردن ـ لبنان ـ ليبيا ـ

---

* الكاتب: تيموثي م. سافيج موظف بوزارة الخارجية الأمريكية، يعمل كرئيس قسم بمكتب التحليل الأوروبي بالوزارة بواشنطن مقاطعة كولومبيا. خدم حديثاً كقنصل عام للولايات المتحدة الأمريكية بمدينة لايبزغ بألمانيا، وتعبر الآراء ووجهات النظر التي يطرحها في المقال عن رأيه الشخصي ولا تمثل بالضرورة وجهة نظر الوزارة ــ مجلة (واشنطن كوارترلي) ربع السنوية، صيف 2004 مسيحي.

المغرب ـ السلطة الفلسطينية ـ سوريا ـ تونس ـ أوكرانيا ـ مولدوفا ـ روسيا البيضاء ـ وروسيا. وسكان هذه الدول البالغ عددهم 385 مليون نسمة، والذين يجاورون الإتحاد الأوروبي من الشرق والجنوب بعد توسيعه بموجب اتفاقية 1 مايو.

ويضيف العنصر الإسلامي أبعاداً جديدة للسياسة الداخلية والخارجية للإتحاد الأوروبي من منظور أبعد من المصطلحات الديموغرافية (السكانية) والجغرافية، فالرابطة الأوروبية ـ الإسلامية بدأت بإفراز عديد من الظواهر الجديدة مثل الإرهاب، وبروز موجة جديدة من معاداة السامية، والتحول الذي حدث لدى الأحزاب السياسية الأوروبية القائمة نحو اليمين، وإعادة معايرة الحسابات السياسية الوطنية الأوروبية، والتعقيدات الإضافية المتعلقة بالوصول بالعلاقات بين أعضاء الإتحاد الأوروبي إلى درجة أوثق، وأخيراً إعادة تركيز، إن لم يكن إعادة صياغة، السياسة الخارجية الأوروبية.

إن التقاء أوروبا من جديد مع الإسلام على البعدين المحلي والخارجي، على الرغم من كونه غير مألوف وفعال، إلا أنه يطرح عدداً من الفرص لإحداث تغيير إيجابي في العالم. غير أن سجل أوروبا في تعاملها مع الإسلام خلال الـ 1350 عاماً الماضية غير مشجع، فعلى الرغم من أن الأوروبيين يجرون دراسة لمبادرات جديدة، إلا أنهم اليوم يبدون أكثر ميلاً نحو اتباع سياسة إبقاء الأمور على ما هي عليه، سواء في الداخل أو الخارج، مفضلين الحذر، والمواقف الممكن التنبؤ بعواقبها، والضبط، وكذا الهياكل القائمة على الجرأة والتكيف والتواصل، وإعادة تحديد العلاقات، وهي أمور تتطلبها المرحلة الجديدة. كما أنه يبدو جلياً أن عقلية مشابهة لذلك قد بدأت في الظهور لدى سكان أوروبا من المسلمين.

وإذا لم يتم التوصل إلى توافق فإن الحركية الحالية من المرجح أن ينتج عنها ليس صداماً اجتماعياً فقط، بل وبشكل متزايد ظاهرة التخندق الوطني، وربما حرب أهلية داخلية في أوروبا، وقد تستسلم القارة لخيار (أوروبا القلعة) وبالتالي الانكماش على المستوى الدولي. إن الأمور لم تتدهور إلى هذا الحد، لكن نقطة الميلان قد تبدو أقرب مما يدركه الكثيرون.

الحركية السكانية :

قليل فقط من الدول الأوروبية قام بجمع بيانات حول عدد وطبيعة الوجود الإسلامي ضمن حدودها الوطنية، فالعديد من الدول في الواقع تمنع طرح أسئلة عن الديانة في استبيانات تعداد السكان وغيرها من الاستبيانات الرسمية، على العكس من الولايات المتحدة الأمريكية، ومن ضمن هذه الدول : بلجيكا والدانمرك وفرنسا واليونان والمجر وإيطاليا ولكسمبورغ وإسبانيا. وما تزال ثلاث عشرة دولة أوروبية لا تعترف بالإسلام كديانة، على الرغم من كونه الديانة الثانية على أقل تقدير في 16 من أصل 37 دولة أوروبية (بما في ذلك دول بحر البلطيق، لكن ذلك لا يشمل جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابقة أو تركيا).

وفي العديد من الدول يعتبر المسلمون أقلية غير معترف بها، مستثنون من معظم الحقوق التي تتمتع بها الأقليات والحماية ضد التمييز، نظراً لكون التعريفات الوطنية للأقلية ـ التي تستند أساساً على معايير عرقية وعنصرية ـ لا تنطبق عليهم.

يعيش في أوروبا اليوم أكثر من 23 مليون مسلم، يشكلون ما يقرب من 5 بالمائة من عدد سكان القارة، وفقاً للبيانات التي احتواها التقرير السنوي عن

الحريات الدينية الدولية للعام 2003 مسيحي، الصادر عن وزارة الخارجية الأمريكية (انظر الجدول رقم 1). وهذا الرقم أكبر بكثير من التقديرات التي تضع عددهم بين 13 ـ 18 مليون نسمة، والتي غالباً ما توردها أجهزة الإعلام أو الدراسات الأكاديمية، وهي مبنية على معلومات قديمة وغير مكتملة في أغلب الأحيان».

وعند احتساب تركيا فإن الأرقام ستتضاعف إلى 90 مليونا ونسبة 15٪ على التوالي. إلا أن ما هو أهم من الأرقام الحالية هو الاتجاه الذي بدأ في الظهور، والمتمثل في أن عدد المسلمين قد تجاوز الضعف خلال العقود الثلاثة الأخيرة، وأن معدل الزيادة في تسارع.

واتخذت العديد من الدول الأوروبية إجراءات بقفل أبوابها أمام هجرة العمالة الأجنبية خلال عقد السبعينيات من القرن الماضي، عقب حظر النفط العربي وما أعقبه من انكماش اقتصادي. غير أن ما يقرب من 500,000 مهاجر هم أساساً أقارب لمقيمين، بالإضافة إلى 400,000 لاجئ يصلون إلى أوروبا الغربية سنوياً، ووفقاً للمنظمة العالمية للهجرة فإن المسلمين يشكلون نسبة كبيرة ومتزايدة من هؤلاء، ويأتي معظم هؤلاء بصورة أساسية من كل من الجزائر والمغرب وتركيا ويوغسلافيا السابقة (المنظمة العالمية للهجرة ـ جنيف تقرير عام 2000 صفحة 195)، كما أن المسلمين ربما يشكلون نسبة كبيرة من المهاجرين غير الشرعيين إلى أوروبا الغربية (ما بين 120,000 ــ 500,000 يصلون إلى دول الاتحاد الأوروبي سنوياً، وفقاً لمجلة قضايا سياسة، الهجرة، العدد 2 لسنة 2003 مسيحي، مقال بعنوان «حقائق وأرقام عن الهجرة الدولية»). وبالفعل ففي العديد من الدول الأوروبية يعتبر المصطلحان (مسلم) و(مهاجر) عملياً مرادفان لبعضهما.

وتنبع الموجات الحالية للمهاجرين والباحثين عن اللجوء السياسي من منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وهي مناطق معروفة بارتفاع معدل الخصوبة بها، حيث تصل إلى المرتبة الثانية عالمياً، باتجاه أوروبا وهي منطقة معروفة بأقل معدل للخصوبة في

جدول رقم 1: المسلمون في أوروبا

مجموعة الدول	عدد المسلمين		النسبة المئوية إلى عدد السكان «1»	
	1982	2003	1982	2003
الاتحاد الاوروبي ـ 15	6،8 مليون	15،2 مليون	1،9	4،0
الأعضاء الجدد في الاتحاد	208،000	290،000	0،4	0،4
الاتحادالأوروبي ـ 15 + الأعضاء الجدد	7،0 مليون	15،5 مليون	1،6	3،4
الدول الأوروبية الأخرى (بما في ذلك تركيا)	56،0 مليون	74،8 مليون	50،0	56،0
الدول الأوروبية الأخرى (بدون تركيا)	8،8 مليون	7،7 مليون	14،0	10،0
جميع الدول الأوروبية (بما في ذلك تركيا)	62،9 مليون	90،3 مليون	11،6	15،0
جميع الدول الأوروبية (بدون تركيا)	15،6 مليون	23،2 مليون	3،2	4،5

ملاحظة: الأرقام الحالية تم الحصول عليها من التقرير السنوي للحريات الدينية في العالم لسنة 2003 مسيحي عن وزارة الخارجية الأمريكية أما أرقام العام 1982 مسيحي فمن كتاب السيد م. علي الكتاني: الأقليات المسلمة في العالم اليوم (لندن. دار نشر مانسل المحدودة، 1986).

العالم، ويرجع السبب وراء ذلك إلى الوضع الاقتصادي المتدهور في تلك الدول، وليس لنقص العمالة في أوروبا. وفي الوقت الذي يتوقع أن يتضاعف فيه عدد السكان في دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا خلال العقود الثلاثة القادمة وتنكمش تلك الأعداد في أوروبا ؛ فإن ازدياد تدفق اللاجئين من الجنوب إلى الشمال يبدو أمراً محتوما، ويزيد من حدة هذا التوجه زيادة نسبة كبار السن بين سكان أوروبا، على العكس من دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا التي تزيد نسبة صغار السن فيها عن الكبار.

في العام 2000 مسيحي تنبأت الأمم المتحدة بأنه كي تتمكن أوروبا من معادلة الزيادة الكبيرة في عدد كبار السن من سكانها فإنها تحتاج إلى 949,000 مهاجر للمحافظة على مستوى عدد سكانها في العام 1995 مسيحي، وتحتاج إلى 1,588,000 مهاجر للحفاظ على عدد سكان عام 1995 مسيحي، ممن هم في سن العمل، أو 13,480,000 مهاجر للحفاظ على معدلات الدعم السكاني (أي معدل السكان من الأعمار التي تتراوح بين 15 ـ 46 سنة وأكبر).

يضاف إلى ما سلف، فإن المعادلة السكانية للأعضاء العشرة الجدد في الإتحاد الأوروبي بدلا من مساهمتها في التخفيف من حدة المشكلة فإنها تزيد من تفاقم الفجوة، فمهما يكن الهدف الذي تسعى إليه فإن معظم هؤلاء الأفراد سيكونون من المسلمين. واليوم تبلغ نسبة المسلمين الذين يعيشون في أوروبا الغربية وولدوا هناك ما يقرب من 50 بالمائة (مصطفى مالك «الإسلام في أوروبا، البحث عن نموذج» ـ قضايا سياسة الهجرة العدد 2 مارس2003). والأهم من كل ذلك هو أن معدلات المواليد عند المسلمين في أوروبا تبلغ ثلاثة أضعاف مثيلاتها لدى غير المسلمين، مما يساهم في تضخيم أعدادهم.

وكنتيجة لذلك فإن الجاليات المسلمة في أوروبا أصغر سناً من السكان غير المسلمين، وكذلك فإن الأجيال الشابة في أوروبا أو ما يطلق عليه (جيل الألفية) يضم عدداً من المسلمين أكبر بكثير من بقية السكان (أنظر بيتر ماندافيل «الشباب المسلم في أوروبا» في كتابه «الإسلام، الديانة الثانية في أوروبا» الصفحات 219/230)، وعلى سبيل المثال فإن ثلث مسلمي فرنسا البالغ عددهم خمسة ملايين نسمة تحت سن العشرين، مقارنة بنسبة 21٪ لبقية السكان ككل. كما أن ثلث مسلمي ألمانيا البالغ عددهم أربعة ملايين تحت سن الثامنة عشرة، مقارنة بنسبة 18٪ لبقية السكان ككل، وثلث مسلمي المملكة المتحدة البالغ عددهم 1,6 مليون تحت سن الخامسة عشرة، مقارنة بنسبة 20٪ لبقية السكان ككل، وثلث سكان بلجيكا البالغ عددهم 364,000 تحت سن الخامسة عشرة، مقارنة بنسبة 18٪ لبقية السكان ككل.

يضيف العنصر الإسلامي أبعاداً جديدة للسياسة الداخلية والخارجية للاتحاد الأوروبي من منظور أبعد من المصطلحات الديموغرافية (السكانية) والجغرافية.

وحتى الآن فإن التحول إلى الديانة الإسلامية (اعتناق الإسلام) ما يزال يشكل عاملاً ثانوياً في زيادة الوجود الإسلامي في أوروبا، ممثلاً نسبة 1 بالمائة فقط من عدد المسلمين في أوروبا ككل، إلا أنه وانطلاقاً من هذه القاعدة فإن الأمور قد تتطور مع ظهور مصدر مهم وجديد في المعادلة لنمو عدد المسلمين في أوروبا، وإسماع صوتهم، وظهورهم في الحياة العامة خصوصاً إذا ما تم الاعتراف الرسمي بالإسلام، وأصبحت لديه مؤسسات تمكنه من الدخول في مرحلة التبشير. ومن المتوقع أن يتضاعف عدد المسلمين في أوروبا بحلول العام 2015 مسيحي، بينما يتوقع انخفاض عدد غير

المسلمين بما لا يقل عن 3,5 (عمر تاسبينات «الشارع الأوروبي المسلم» ـ مجلة السياسة الخارجية، عدد مارس ـ أبريل 2003 مسيحي، الصفحة 77).

وبالنظر إلى أبعد من ذلك فإن التنبؤات المتحفظة تتوقع أن يشكل المسلمون نسبة 20 بالمائة من سكان أوروبا بحلول العام 2050 مسيحي، مقارنة بنسبة 5٪ حالياً، والبعض يتنبأ بأن ربع عدد سكان فرنسا سيكون من المسلمين بحلول العام 2025 مسيحي. وإذا ما استمرت هذه التوجهات فإن عدد المسلمين سيتجاوز غير المسلمين في فرنسا، وربما في أوروبا ككل، بحلول منتصف القرن الحالي. وعلى الرغم من أن هذه التنبؤات تبدو للوهلة الأولى مهولة ولا يمكن تصديقها؛ فإنها قد لا تكون بعيدة عن الواقع، ففي الوقت الراهن يشكل المسلمون نسبة 15 بالمائة من الفئة العمرية 16ـ25٪ بفرنسا، وفي بروكسل يشكل المسلمون نسبة 25 بالمائة من السكان تحت سن 25 عاما. غير أن العامل الذي لا يقل أهمية عن الزيادة المثيرة لعدد المسلمين في هذه المعادلة هو الانكماش المثير في عدد سكان أوروبا بصورة عامة، والذي من المتوقع أن يهبط بأكثر من 100 مليون نسمة، من 728 مليون في العام 2000 مسيحي إلى 600 مليون وربما إلى 565 مليون بحلول العام 2050 مسيحي، وفقاً لتقديرات الأمم المتحدة.

التجمع في أحياء الأقليات :

يميل المسلمون في أوروبا إلى التكتل جغرافياً، خصوصاً في المناطق الصناعية والحضرية، ضمن الدول التي يقيمون بها، وغالباً ما يكون هذا الوجود ضمن أحياء فقيرة ومحددة المعالم، إن لم تكن منغلقة على نفسها، كما هو الحال في حي كروزبرغ ببرلين، وحي تاور هامليت بلندن وضواحي المدن الفرنسية الكبيرة، وهو ما يزيد من وضوحها وتأثيرها، ولكن في الوقت ذاته تتحاشى تلك التكتلات الاحتكاك اليومي بعامة السكان. وعلى سبيل المثال يعيش خمسا $\frac{2}{5}$ مسلمي بريطانيا في مدينة لندن الكبرى، ويعيش ثلث مسلمي فرنسا إما داخل أو في ضواحي باريس، ويتركز ثلث مسلمي ألمانيا في منطقة الرور الصناعية. ويشكل المسلمون حالياً 25 بالمائة من سكان مدينة مارسيليا الفرنسية، و20 بالمائة من سكان مدينة مالمو السويدية، و15 بالمائة من سكان بروكسيل وبرمنجهام وباريس، و10 بالمائة من سكان لندن وأمستردام وروتردام ولاهاي وأوسلو وكوبنهاجن.

بدأ السياسيون الأوروبيون وبصورة روتينية في حساب (العامل الإسلامي) أي أثر العدد المتنامي للسكان المسلمين على صناديق الاقتراع وعلى الشارع الإسلامي في عمليات اتخاذ القرار، وربما تكون هذه الاعتبارات قد لعبت دوراً مهماً في موقف الرئيس جاك شيراك ضد الحرب على العراق، وقد تكون أيضاً أثرت على حسابات المستشار الألماني غيرهارد شرودر.

وقد طرأت الزيادة على عدد السكان المسلمين بصفة أساسية في دول أوروبا الغربية، فخلال العقد الذي أعقب سقوط جدار برلين نما الوجود الإسلامي بوتيرة بلغت ستة أضعاف أسرع مما عليه الحال في أمريكا الشمالية. وكانت كل من النمسا والدانمرك وهولندا والنرويج والسويد بدرجة أساسية قد شهدت نمواً كبيراً في عدد المهاجرين والباحثين عن اللجوء السياسي من المسلمين خلال عقد التسعينيات من القرن الماضي. وخلال ما تبقى من العقد الحالي فإن اسبانيا وإيطاليا وربما اليونان ـ وهي دول تقع في غرب أوروبا، وتمتاز بانخفاض معدلات الخصوبة، وسكان من فئة كبار السن، وحدود أكثر نفاذية، وهي الأكثر قرباً من الدول المصدرة للمهاجرين، وبها أكبر نسبة من المهاجرين غير

الشرعيين - تبدو مرشحة لزيادة ملحوظة في عدد سكانها من المسلمين مقارنة بما هو عليه الحال في الوقت الحاضر.

لكن المفارقة هي أن عدد السكان المسلمين الأصليين في مناطق جنوب شرق أوروبا قد انخفض بما يقرب من 15 بالمائة خلال العشرين سنة الأخيرة، كنتيجة لهجرة الأتراك من بلغاريا وهجرة الألبان إلى إيطاليا واليونان، والهجرة والموت اللذين نتجا عن حروب البلقان، من بين أسباب أخرى، وفي وسط وشرق أوروبا ما زال المسلمون عملياً غير موجودين.

الهوية :

كما أن طبيعة الوجود الإسلامي في أوروبا هي الأخرى تشهد تغيراً واضحاً، فالمسلمون لم يعودوا عمالة مؤقتة، بل أصبحوا جزءاً دائماً من الخريطة السكانية لأوروبا الغربية، مثلما هو حالهم وعلى مدى قرون في مناطق جنوب شرق أوروبا. ولقد بدأت عملية بناء المؤسسات الإسلامية وإعادة أسلمة المسلمين في أوروبا، غير أن الحديث عن جالية إسلامية واحدة في أوروبا مضلل ومناف للصواب، حتى ضمن حدود الدولة الواحدة، فالتنوع العرقي والخلافات الطائفية والانشقاقات داخل المجموعة الواحدة النابعة من انشقاقات اجتماعية وسياسية، والفوارق بين الأجيال المختلفة، وطبيعة الديانة الإسلامية نفسها من حيث كونها غير طبقية ؛ كل ذلك يعني أن المسلمين في أوروبا سيظلون منقسمين لعقود قادمة.

وكما هو الحال مع المسيحيين واليهود في أوروبا فإن المسلمين الأوروبيين مجموعة غير متكاتفة أو غير متراصة، ومع ذلك فالمسلمون يعرفون أنفسهم - وبصورة متزايدة - على أنهم مسلمون أولا، بدلاً من انتمائهم للبلد الأصلي الذي قدمت منه عائلاتهم، أو موطن إقامتهم في البلدان الأوروبية التي يعيشون فيها. يضاف إلى ما سلف فإن هذه الظاهرة قد أصبحت أكثر وضوحاً لدى المسلمين من جيل الشباب.

ولقد بدأت بعض الحواجز العرقية في فقدان أهميتها بين المسلمين، ومرة أخرى لدى الشباب، وهذا راجع بصورة جزئية إلى ظهور عصبة من الزعماء الدينيين غير الممولين من دول إسلامية بعينها، والذين يتحدثون لغة البلد، ويتناولون هموم الشباب المسلم. كما أن الجيل الحالي يتكيف مع المتطلبات العصرية والثقافية للمجتمعات الأوروبية، بوتيرة أسرع من آبائهم وأجدادهم من المهاجرين. ويتأقلم الشباب المسلم مع رموز المجتمعات الأوروبية التي ولدوا وترعرعوا فيها، مثل اللغة وإقامة العلاقات الاجتماعية في المدارس، وفي العديد من الحالات تبني بعض المظاهر العلمانية لتلك المجتمعات، ومع ذلك فهم لا يشعرون بأنهم جزء من المجتمع، أو أن لهم مصلحة فيه، وفي المقابل، وعلى الرغم من كونهم مواطنين يمثلون الجيل الثالث ؛ فإن عامة الشعوب الأوروبية لا تنظر إليهم على أنهم رفاق في المواطنة، بل ما زالت تعتبرهم أجانب ومهاجرين.

ومع كل هذا فإن نسبة المسلمين الذين يحملون الجنسيات الأوروبية في تزايد، فمع زيادة عدد المواليد بين المسلمين في غرب أوربا، والتخفيف من إجراءات منح الجنسية في العديد من الدول الأوروبية خصوصاً ألمانيا ؛ فإن هذا الاتجاه سوف يستمر. وحالياً يحمل أكثر من ثلاثة أخماس المسلمين في فرنسا والمملكة المتحدة الجنسية، وفي ألمانيا تتراوح النسبة بين 15 – 20 بالمائة،

ومن بين البقية تقدم 11 بالمائة بطلبات للحصول على الجنسية ، ويخطط 48 بالمائة الآخرون لفعل ذلك، وفقا لمسح قامت به مؤسسة كونراد أديناور في العام 2001 مسيحي .

وتشير هذه الأرقام إلى أن ألمانيا سيكون لديها قريباً ما يصل إلى 4, 2 مليون مواطن جديد ، وبالتالي ناخبين محتملين . كما يتوقع حدوث موجة مشابهة عند مرحلة ما في المستقبل بين ما يقرب من مليون مسلم يعيشون حالياً في إيطاليا، وتبلغ نسبة الحاصلين منهم على الجنسية في الوقت الراهن أقل من 10 بالمائة، والأمر كذلك بالنسبة لما يقرب من مليون مسلم يعيشون في أسبانيا، وفي الدول الاسكندنافية ـ حيث يمكن الحصول على الجنسية بعد الإقامة مدة خمس سنوات ـ فإنه من المتوقع ارتفاع نسبة المسلمين الذين سيصبحون مواطنين في المستقبل القريب عن النسبة الحالية التي تتراوح بين 15 ـ 30 بالمائة (أنظر الجدول رقم 2).

وعلى الرغم من هذه التوجهات نحو الحصول على الجنسية فإن الشباب المسلم يقاوم الذوبان في المجتمعات الأوروبية العلمانية بصورة أكثر صموداً من جيل الكبار، ويرغب المسلمون في أوروبا بمن فيهم الشباب في الاندماج في مجتمعاتهم واحترام القواعد والمعايير السلوكية وكذا المؤسسات الوطنية بقدر ما يستطيعون، لكنهم في الوقت ذاته يحافظون على الهوية الإسلامية وعلى ممارستهم المتميزة، فهم يتخوفون من أن الذوبان في المجتمع الأوروبي سيفقدهم هذه الهوية، ومع هذا فذلك هو الثمن الذي أصبح المسلمون في أوروبا ينظرون إليه ـ وبصورة متزايدة ـ كمطلب للحكومات الأوروبية منهم، أي أن تصبح أوروبا البوتقة التي تذوب فيها جميع الأعراق دونما توافق مع أو تحوير للثقافات السائدة، فقد أظهرت الدراسات التي أجريت بكل من فرنسا وألمانيا أن الجيل الثاني وعلى الأخص الجيل الثالث من المسلمين أقل اندماجاً في المجتمعات الأوروبية من آبائهم وأجدادهم، ولقد أكدت مسألة الحجاب في كلا البلدين وساهمت في تفاقم هذا الصدام.

ويدفع التمييز الذي يدركه العديد من أبناء الجيلين الثاني والثالث لدى المجتمعات الأوروبية فيما يتعلق بمسائل التوظيف والتعليم والممارسات الدينية إلى احتضان الإسلام كسمة من سمات هويتهم. وبالفعل فإن نسبة البطالة بين المسلمين وبصفة عامة تبلغ ضعف ما هو عليه الحال بالنسبة للمهاجرين من غير المسلمين، كما أن التحصيل العلمي ومستوى المهارات لدى المسلمين ضعيف نسبياً، ومشاركة المرأة المسلمة في القوى العاملة هي في حدها الأدنى، وكذلك فرص التطوير محدودة والتحامل على المسلمين قوي جداً. وتساهم تلك العوامل في عزلة وانغلاق الجاليات المسلمة في أوروبا على نفسها وبالتالي فإنه من غير المستغرب أن تظهر الدراسة التي أجريت في فرنسا على سبيل المثال أن تحديد هوية المسلمين لأنفسهم بالإسلام كان أقوى عام 2001 مما هو عليه عام 1994م أو حتى عام 1989م مع زيادة عدد الذين يصرحون بأنهم يمارسون شعائرهم الدينية بنسبة 25 بالمائة بين الأعوام 1994 و2001م.

أعاد الوجود الإسلامي المتنامي في أوروبا فتح الجدل حول عدة مسائل من بينها دور الدين في الحياة العامة والتسامح في المجتمعات الأوروبية والعلمانية كطريق وحيد نحو الحداثة وهوية أوروبا ذاتها.

المضامين الاستراتيجية:

إن إعادة التقاء أوروبا مع الإسلام قد أفرز العديد من التطورات ذات المضامين البعيدة.

حاضنة لتجنيد الارهابيين؟:

يقدر مسئولو مكافحة الإرهاب في أوروبا أن ما يتراوح بين 1 ـ 2 بالمائة من المسلمين في القارة، أي بين 250,000 ـ 500،000 فرد متورطون في شكل ما من أشكال التطرف، لكن من غير الواضح كم من هؤلاء المسلمين سيشجع فعلاً الإرهاب أو يقوم بأعمال

جدول رقم 2: المسلمون في أوروبا

الدين الإسلامي: معترف به	المرتبة	عدد المسلمين الإجمالي (تقديرات 1982)	% من السكان (تقديرات 1982)	مواطنين: %	مواطنين: عدد	البلد الأصلي (% من المسلمين)
النمسا (نعم - 1979)	الثالثة	338،988 (80،000)	4،2 (1،1)	28	96،052	تركيا (50) البوسنة (25) كوسوفو (10)
بلجيكا (نعم - 1974)	الثانية	364،000 (350،000)	3،5 (3،6)	غ.م	غ.م	المغرب (55) تركيا (33)
الدانمارك (لا)	الثانية	162،000 (35،000)	3،0 (0،7)	11	18،000	تركيا (27) يوغسلافيا (22) لبنان (11) باكستان (10)
فنلندا (نعم - الثمانينات)	الرابعة	20،000	0،4	غ.م	غ.م	الصومال (23) يوغسلافيا (20) العراق (17) إيران (11)
فرنسا (نعم - 2000)	الثانية	5 مليون (2،5) مليون	8،3 (4،6)	60	3 مليون	الجزائر (30) المغرب (20) تركيا (10)
ألمانيا (لا)	الثانية	4 مليون (1،8) مليون	4،9 (2،9)	15	500،000	تركيا (68) يوغسلافيا
اليونان (نعم - 1923)	الثانية	450،000 (160،000)	4،1 (1،6)	22	100،000	أتراك (50) بوماك (25) رومان (15)
ايرلندا (لا)	الثالثة	19،147	0،5	غ.م	غ.م	
ايطاليا (لا)		1 مليون (120،000)	1،8 (0،2)	7	70،000	المغرب (34) ألبانيا (27) تونس (10)
لكسمبورغ (لا)	الثالثة	6،000	1،4	غ.م	غ.م	مونتينغرو (25)
هولندا (نعم - 1988)	الثالثة	886،000 (400،000)	5،5 (2،8)	50	450،000	تركيا (40) المغرب (34)
البرتغال (نعم - 1976)	الثانية	35،000	4	غ.م	غ.م	موزمبيق غينيا
اسبانيا (نعم - 1992)	الثانية	1 مليون (12،000)	2،4 (0،3)	غ.م	غ.م	المغرب
السويد (نعم - 1979)	الثانية	350،000 (30،000)	3،9 (0،3)	30 .50	100 - 50 ألف	يوغوسلافيا (25) إيران (14) العراق (14) تركيا (13)
المملكة المتحدة (لا)	الثالثة	1،6 مليون (1،25) مليون	2،7 (2،2)	60	1 مليون	البوسنة (13) باكستان (45) الهند (19) بنغلاديش (13-16)
الإجمالي		15،2 مليون (6،2) مليون	4،0 (1،9)			

ملاحظات:

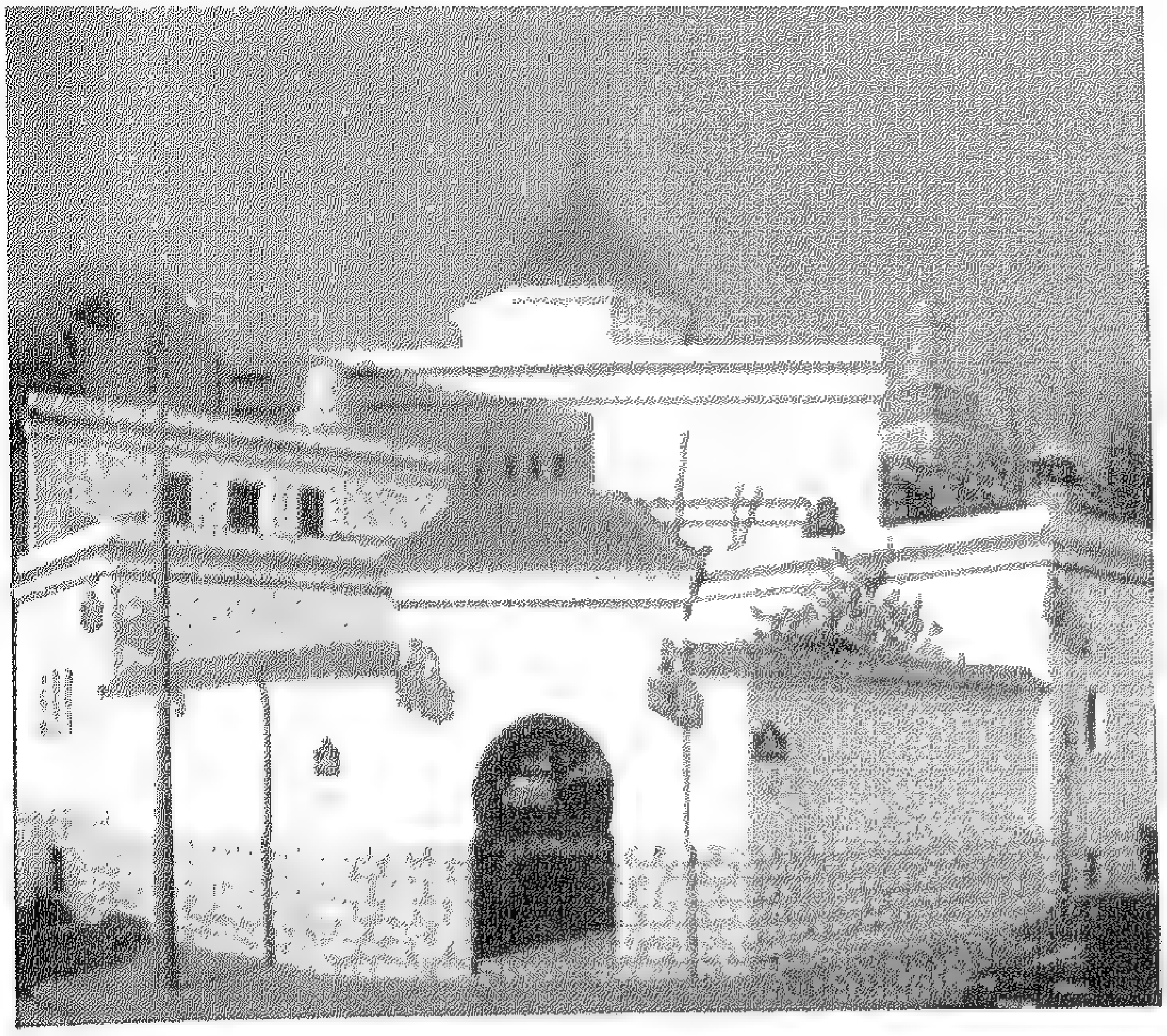
1 - المرتبة يقصد بها ترتيب الديانة بين الديانات الرئيسية : الكاثوليكية والإسلام واليهودية والأرثودوكس والبروتستانت.

2 - الأرقام الحالية مصدرها وزارة الخارجية الأمريكية: التقرير السنوي للحريات الدينية في العالم 2003، أما تقديرات العام 1982م وهي مذكورة للمقارنة فمصدرها كتاب السيد علي الكتاني «الأقليات المسلمة في العالم» دار نشر مانسل المحدودة - لندن 1986م.

3 - البيانات تشمل المجموعات التي تزيد نسبتها عن 10 بالمائة فقط.

4 - غ.م = غير معروف.

إرهابية. إن النقطة الجوهرية لا تكمن في كون أن البيئة القانونية في أوروبا أو موقعها الجغرافي يشكلان منصة ملائمة ينطلق منها الإرهابيون، وإنما أن الكيمياء الناتجة عن احتكاك المسلمين بأوروبا تجعل من بعض الأفراد مهيئين للتجنيد في الشبكات الإرهابية، فمختطفو الطائرات التي نفذت تفجيرات 11 سبتمبر لم يكونوا ببساطة مقيمين في أوروبا، بل كانوا عرباً تغيرت نظرتهم ومفاهيمهم بصورة جذرية من خلال تجاربهم بأوروبا[1].



مسجد في فرنسا

ومن بين ما يقرب من 660 معتقل أصليين من 42 دولة تحتجزهم الولايات المتحدة بقاعدة خليج غوانتانامو، بلغ عدد المعتقلين الذين يحملون جنسيات ستة بلدان في أوروبا الغربية 20 معتقلاً، وربما نفس العدد ممن يقيمون هناك إقامة دائمة (بالمقارنة بلغ عدد المحتجزين ممن يحملون الجنسية الأمريكية اثنان فقط). والرقم الإجمالي للمحتجزين من أوروبا أكبر بكثير من ناحية إحصائية مما نتوقعه، مما يشير إلى أنه ربما هناك شيء ما عن البيئة الأوروبية يساهم في جعل المسلمين يتبنون الإرهاب.

وفي هذا الخصوص لاحظ مايكل رادو من معهد السياسة الخارجية أنه منذ 11 سبتمبر 2001م قامت السلطات الأوروبية بالقبض على عدد من المشتبه بقيامهم بأعمال إرهابية يفوق بعشرين ضعفاً العدد الذي ألقي القبض عليه بالولايات المتحدة لنفس السبب. ووفقاً لخبراء فرنسيين وألمان فإن القليل فقط من الإسلاميين الأوروبيين المتهمين بأعمال إرهابية كانوا متطرفين في بلدانهم الأصلية، وعلى العكس من ذلك فقد تم تجنيد عدد أكبر بكثير من الشباب، معظمهم من الطبقة الوسطى، والذين تعرضوا لصدمة ثقافية في أوروبا، وأصبحوا راديكاليين إسلاميين متطرفين. فهؤلاء لم يتم قبولهم كجزء متمم لنسيج المجتمعات الأوروبية، وفي نفس الوقت تولد لديهم نفور من علمانية ومادية تلك المجتمعات، وبالتالي فإن قليلا من الأفراد ممن لديهم خلفية إسلامية، وخصوصاً أولئك الذين يتعرضون لأزمة شخصية، يبدو أنهم يجدون تضامناً ومعنى وتوجهاً عند الجماعات الإسلامية المتطرفة التي تبحث وبصورة نشطة عن مجندين.

ولا يعود إلا القليل من المسلمين المتطرفين إلى بلدانهم الأصلية للمحاربة من أجل ما يؤمنون به، وبدلاً عن ذلك فإن هؤلاء الشبان يباشرون الجهاد في مناطق مثل أفغانستان والبوسنه والشيشان، والبعض منهم يفعل ذلك في دول غربية. وكما لاحظ الخبير الفرنسي أوليفييه روي فإن الخلفية الاجتماعية للمتشددين الإسلاميين الذين يمارسون العنف تنطبق تماماً على النمط الذي نشأ عليه المتطرفون اليساريون في أوروبا الغربية خلال عقدي السبعينيات والثمانينات (على سبيل المثال الجيش الأحمر في ألمانيا والألوية الحمراء

(1) طبقاً للتحليلات ووجهات النظر السائدة.

في إيطاليا والعمل المباشر في فرنسا) فخلايا تلك الجماعات الإسلامية تميل إلى تشكيلة تضم خليطا من الشباب الذكور الساخطين غير المتزوجين ممن تلقوا تعليمهم بأوروبا (غالباً من مستويات جامعية فنية أو علمية) وكذلك من الطبقة العاملة ممن تركوا الدراسة (بما في ذلك أولئك الذين اعتنقوا الإسلام في السجون) والذين يتقاسمون ثقافة هامشية. والخلفيات التي تخص هؤلاء لا علاقة لها بالكفاح ضد حكومات شرق أوسطية بعينها، أو تلقي تعليم ديني تقليدي (فيما عدا السعوديين واليمنيين) كما أن هؤلاء المتشددين لا علاقة لهم بأي من أجهزة الاستخبارات في دول الشرق الأوسط، بل على العكس يبدو أنهم عبارة عن مجندين بسطاء يتم إدارتهم والتحكم بهم وتوجيههم من قبل مجموعات إسلامية، لها أجندتها العالمية الخاصة بها (برنامج عملها الخاص بها).

نمط جديد من معاداة السامية:

هناك قلق في فرنسا، التي توجد بها أكبر جاليتين مسلمة ويهودية، من تنامي أحداث العنف ضد الأفراد والممتلكات اليهودية، والتي تضاعفت ست مرات في العام 2002م عما كانت عليه في العام 2001م، فوفقاً لتصريح صدر مؤخراً عن الوزير الإسرائيلي ناتان شارانسكي فقد ارتفعت حوادث معاداة السامية بفرنسا من 77 حادثاً في عام 2002م إلى 141 حادثاً في

جدول رقم 3: المسلمون في تركيبة سكان الأعضاء الجدد في الاتحاد الأوروبي

الديانة الإسلامية: معترف بها؟	الديانة الإسلامية: المرتبة	عدد المسلمين الإجمالي (تقديرات 1982)	٪ من السكان (تقديرات 1982)	الحاصلين على الجنسية: ٪	الحاصلين على الجنسية: عدد	أصول المسلمين
قبرص (لا)	الثانية	200،000 (155،000)	26،0 (24،4)	100	200،000	قبارصة أتراك
التشيك (لا)	الرابعة	20،000– 30،000	0،2– 0،3	غ.م	غ.م	
استونيا (نعم)	الخامسة	6،000>	0،4	غ.م	غ.م	تتار
المجر (لا)	الخامسة	غ.م	0،1>	غ.م	غ.م	
لاتفيا (نعم)	الخامسة	300	0،1>	غ.م	غ.م	تتار
ليتوانيا (نعم)	الخامسة	2،700	0،1	غ.م	غ.م	تتار
مالطا (لا)	الثالثة	3،000	0،8	25	750	
بولندا (لا)	الرابعة	5،123 (22،000)	0،1> (0،1>)	غ.م	غ.م	تتار
سلوفاكيا (لا)	الخامسة	5000>	0،1>	غ.م	غ.م	
سلوفينيا (نعم)	الرابعة	47،000 (20،000)	2،4 (1،1)	غ.م	غ.م	البوسنه
المجموع		**290،000 (208،000)**	**0،4 (0،4)**			

ملاحظات:

1- المرتبة يقصد بها ترتيب الديانة بين الديانات الرئيسية: الكاثوليكية والإسلام واليهودية والأرثوذوكس والبروتستانت.

2- الأرقام الحالية مصدرها وزارة الخارجية الأمريكية: التقرير السنوي للحريات الدينية في العالم 2003، أما تقديرات العام 1982م وهي مذكورة للمقارنة فمصدرها كتاب السيد علي الكتاني «الأقليات المسلمة في العالم» دار نشر مانسل المحدودة - لندن 1986م.

3- البيانات تشمل المجموعات التي تزيد نسبتها عن 10 بالمائة فقط.

4- غ.م = غير معروف.

العام 2003م، مما يعني أنها شكلت 47 بالمائة من جميع الهجمات المعادية للسامية في دول أوروبا الغربية. وقد صاحب هذا العنف تضاعف هجرة اليهود الفرنسيين إلى إسرائيل بين عامي 2001 و 2002م لتصل إلى أكبر عدد لها منذ العام 1972م.

ووفقاً للأرقام الصادرة عن الحكومة الإسرائيلية في نهاية شهر يناير من العام 2004م فقد هاجر 2380 يهودي فرنسي إلى إسرائيل في العام 2003م، وهاجر 2556 في العام 2002م، مقارنة مع عقد التسعينيات الذي بلغت فيه الهجرة معدل 800 مهاجر سنوياً تقريباً. كما أن الأهم هو أن غالبية المهاجرين تتراوح أعمارهم بين 16 ـ 52 عاماً .

وهناك رابط بين حوادث معاداة السامية المتكررة في فرنسا وغيرها من الدول الأوروبية، وبين مسلمين عرب، والذين بدأوا بتوجيه إحباطهم ونقمتهم المتزايدة من غياب حقوقهم الدستورية والاقتصادية والاجتماعية، نحو تعامل إسرائيل مع الانتفاضة الفلسطينية . كما أن اللوم في تلك الأحداث يقع على الشباب المسلم الذين يحولون هذا الغضب نحو أقلية مهاجرة أخرى يعتبر موقعها في المجتمعات الأوروبية محل نقاش. وهذا تطور وصفه وزير التعليم الفرنسي بأنه «خطر حقيقي كبير لكونه نوعاً جديداً من معاداة السامية، يأتي من أجزاء من المجتمع أكثر قبولاً من اليمين المتطرف، أي العرب والمسلمين».

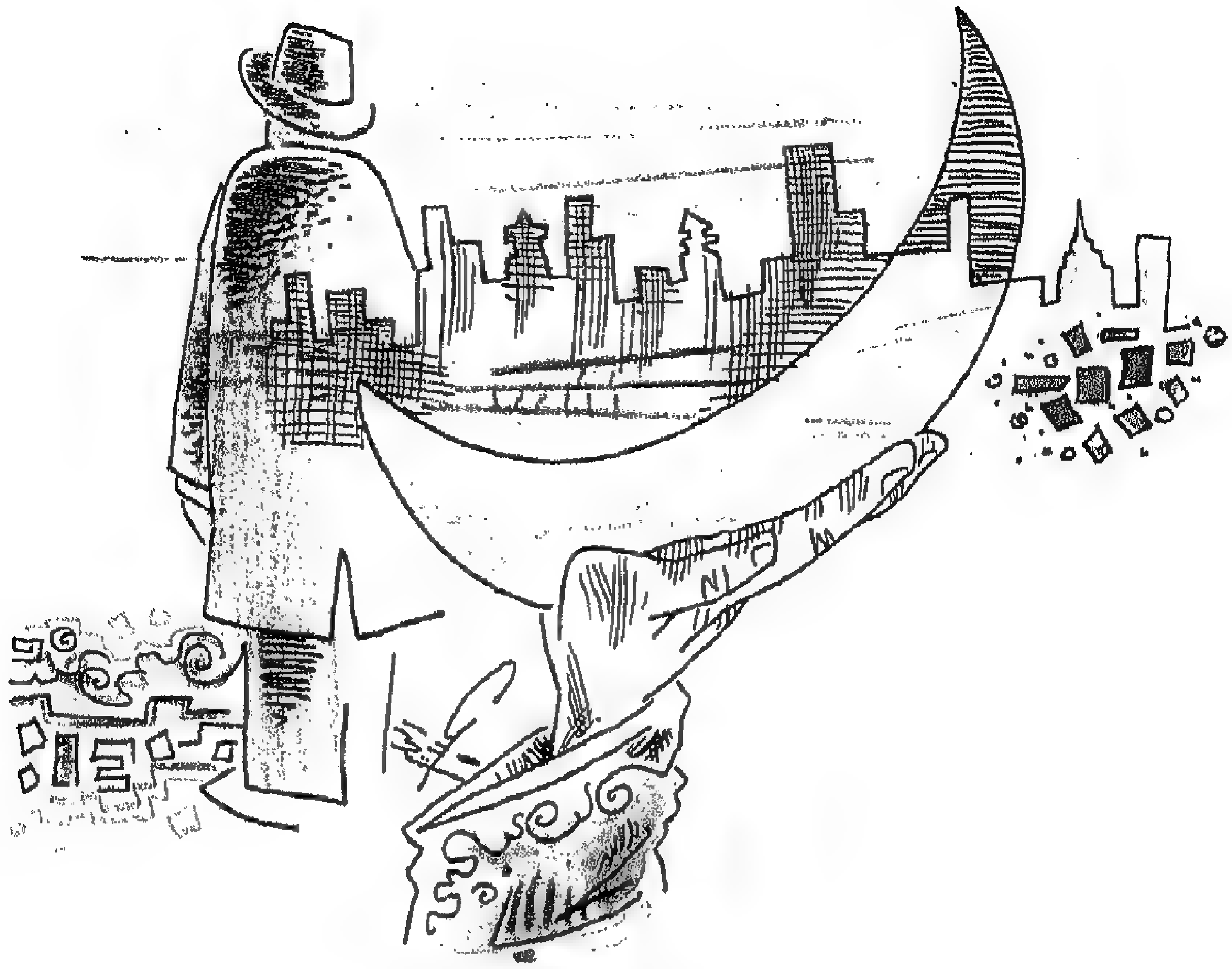
وفي يناير 2003م قامت الحكومة الألمانية بحظر منظمة (حزب التحرير الإسلامي) المتطرفة بسبب نشرها معاداة السامية، وحثها على العنف ضد اليهود الألمان. ويحتفظ حزب التحرير ببعض الروابط مع الحزب الوطني النازي الجديد في ألمانيا الذي شارك في مظاهرة معاداة للولايات المتحدة وإسرائيل نظمها حزب التحرير ببرلين في شهر التمور (أكتوبر) 2002م. وقد جعلت التطورات الأخيرة في كل من بلجيكا والدانمرك وإيطاليا والمملكة المتحدة من الحكومات الأوروبية أكثر حساسية لهذا المصدر الجديد من معاداة السامية، بما في ذلك احتمال استغلالها من طرف المنظمات المتطرفة سواء اليسارية أو اليمينية.

التحول السياسي نحو اليمين:

خلال العقد الأخير، أعطى تنامي أعداد الجالية المسلمة في أوروبا وبروزها الحياة للأحزاب اليمنية المتطرفة، التي لعبت على وتر الزينوفوبيا (رهاب الأجانب) والعنصرية والخوف المتولد لدى العامة من الإسلام. أما الشيء الآخر الذي لا يقل أهمية فهو أن المكاسب التي حققتها أحزاب أقصى اليمين (على سبيل المثال الكتلة الفليمنكية «كتلة شعب الفلاندر» في بلجيكا والحزب الوطني في بريطانيا وحزب الشعب في الدانمرك والحزب الوطني الفرنسي بزعامة جون ماري لوبان وحزب رابطة الشمال الإيطالي وحزب الشعب السويسري) قد أدت إلى تحول نحو اليمين في الأولويات السياسية من طرف الأحزاب الرئيسية السائدة. ففي العديد من الحالات (النمسا ـ الدانمرك ـ إيطاليا ـ النرويج ـ سويسرا ـ والحكومة السابقة في هولندا) اعتمدت حكومات الائتلاف أو الأقلية الأوروبية على دعم أحزاب اليمين التي تنادي علنا بأفكار مضادة للإسلام للبقاء في السلطة.

حقيقة ميل الحكومات والشعوب الأوروبية نحو اعتبار المسلمين كتلة واحدة غير مميزة تقوي من النزعة السائدة عند الأوربيين في النظر إلى الوجود الإسلامي، ليس كهبة أو نعمة، بل كتهديد حقيقي، وهو أمر يتحول في بعض الأحيان إلى نبوءة تحقق نفسها بنفسها .

وقد ظهر التحول نحو اليمين جلياً في إجراءات الحكومات نحو الحد من الهجرة وزيادة التأكيد على المصالح الوطنية الضيقة في المناقشات السياسية للاتحاد الأوروبي، لكنه انعكس أيضاً في الإجراءات



التي اتخذت مؤخراً بكل من فرنسا وألمانيا نحو منع ارتداء غطاء الرأس في المدارس الحكومية، وبطرد هولندا لعدد 000 ,26 لاجئ.

أما الأثر الذي سيتركه تسارع نمو عدد المواطنين من المسلمين على السياسات الوطنية في الدول الأوروبية فلا يزال غير واضح، وحتى هذا التاريخ لم ينخرط مسلمو أوروبا بصورة كبيرة في الأحزاب السياسية الأوروبية، على الرغم من اتخاذ بعض الخطوات السياسية، مثل التعبئة التي قام بها المسلمون لهزيمة أعضاء البرلمان من حزب العمال البريطاني الذين ساندوا الحرب على العراق خلال الانتخابات الفرعية في سبتمبر2003 م.

غير أنه وبصفة عامة فإن النشاط السياسي للمسلمين حتى تاريخه محدود جداً، ففي فرنسا حيث يبلغ عدد المسجلين للانتخاب من المواطنين البالغين 92 بالمائة، فإن العدد المماثل من المسلمين هو 37 بالمائة فقط، وفي استفتاء أجري في مارس 2004 م ادعى ما يقرب من نصف عدد المسلمين الذي شملهم الاستفتاء بأنهم لن يصوتوا في الانتخابات العامة القادمة. وعلى الرغم من أن المسلمين في المملكة المتحدة وغيرها من دول أوروبا يعبّرون عن درجة أساسية من الثقة في المؤسسات الوطنية (على سبيل المثال القضاء والمؤسسات التشريعية والأحزاب السياسية والقوات المسلحة) فإنهم يميلون نحو الانعزال السياسي، مركزين في إعطاء أولوية نحو هموم غير سياسية (مثل العائلة والديانة والشرف) بدلاً من الانخراط في هياكل تنظيمية أوسع من ذلك. وفيما عدا بلجيكا وهولندا فإن المسلمين غير ممثلين تمثيلاً حقيقيا، وفي بعض الحالات غير ممثلين على الإطلاق في المجالس النيابية والحكومات الأوربية مثلما هو الحال في الولايات المتحدة.

وبما أن معظم المسلمين مهاجرون من الجيل الأول والثاني؛ فإنهم يميلون وبصورة قوية نحو برامج الرعاية الاجتماعية التي تطرحها أحزاب وسط اليسار، فعلى سبيل المثال فإن 85 بالمائة من أصوات المسلمين في المملكة المتحدة عام 1997م ذهبت إلى

جدول رقم 4: المسلمون في تركيب سكان الدول الأوروبية الأخرى (غير الأعضاء في الاتحاد الأوروبي)

الديانة الإسلامية		عدد المسلمين الإجمالي (تقديرات 1982)	% من السكان (تقديرات 1982)	الحاصلين على الجنسية		أصول المسلمين
معترف بها؟	المرتبة			%	عدد	
ألبانيا (نعم)	الأولى	2،15 (2،11 مليون)	70،7 (75،0)	100	2،15 مليون	ألبان
البوسنه (لا)	الأولى	1،052 مليون (2،13 مليون)	40،0 (51،6)	100	1،52 مليون	بوسنيين
بلغاريا (نعم)	الثانية	963،800 (1،7 مليون)	12،2 (19،3)	100	963،800	أتراك (75) بوماك (20) تتار
كرواتيا (نعم)	الثالثة	44،370 (150،000)	1،0 (3،3)	100	44،370	البوسنه
ايسلندا (نعم)	الثالثة	229	0،1>	غ.م	غ.م	
ليشنشتاين (نعم)	الثالثة	1347	4،0	غ.م	غ.م	
مقدونيا (نعم)	الثانية	600،000 (600،000)	30،0 (31،4)	100	600،000	ألبان
النرويج (لا)	الثانية	68،899 (12،000)	15- 30،0	100	10،000- 20،000	باكستان (31) البوسنه (17) تركيا (13) العراق (11) إيران (11) الصومال (11)
رومانيا (نعم)	الرابعة	67،257 (65،000)	0،3 (0،3)	100	67،257	أتراك تتار
صربيا ـ الجبل الأسود (نعم)	الثانية	2،02 مليون (1،93 مليون)	19،0 (19،7)	100	2،02 مليون	ألبانيا البوسنه
سويسرا (لا)	الثالثة	310،807 (70،000)	4،3 (1،1)	10	36،481	أتراك (43) يوغسلاف (36)
تركيا (نعم)	الأولى	67،1 مليون (46،9 مليون)	99،0 (99،0)	100	67،1 مليون	أتراك أكراد
المجموع		**74،8 مليون (56،0 مليون)**	**56،0 (50،0)**			
المجموع بدون تركيا		**7،7 مليون (8،8 مليون)**	**10،0 (14،0)**			

ملاحظات:

1 ـ المرتبة يقصد بها ترتيب الديانة بين الديانات الرئيسية : الكاثوليكية والإسلام واليهودية والأرثوذوكس والبروتستانت.

2 ـ الأرقام الحالية مصدرها وزارة الخارجية الأمريكية: التقرير السنوي للحريات الدينية في العالم 2003، أما تقديرات العام 1982م وهي مذكورة للمقارنة فمصدرها كتاب السيد علي الكتاني «الأقليات المسلمة في العالم» دار نشر مانسل المحدودة ـ لندن 1986م.

3 ـ البيانات تشمل المجموعات التي تزيد نسبتها عن 10 بالمائة فقط.

4 ـ إجمالي الصرب والجبل الأسود يشمل كوسوفو.

5 ـ غ.م = غير معروف.

حزب العمال، إلا أن بعض المحللين الأوروبيين قد لمسوا مؤخرا تحولاً محتملاً في بعض الأوساط المسلمة نحو أحزاب يمين الوسط، مع ظهور بعض المسلمين الذين يؤيدون القيم المحافظة فيما يتعلق بالعائلة والمسائل الاجتماعية والأخلاقية، إضافة إلى روح المبادرة الفردية الرأسمالية.

وخلال المستقبل القريب فإن من المحتمل أن يكون هناك ميلٌ من طرف أحزاب يمين الوسط لأن تلعب الورقة الإسلامية في مسائل معينة، خصوصاً أن سكان أوروبا . الذين يتقدمون في السن وينقص عددهم كل سنة . قلقون من زيادة تدفق المهاجرين ونظام الرعاية الاجتماعية المكلف والتذكير المستمر بالتهديدات الإرهابية.

وقد اقترح بعض المراقبين أن اليمين في أوروبا يجب أن يسعى بفعالية نحو الحصول على أصوات المسلمين، مثلما يحاول الحزب الجمهوري الآن أن يكسب أصوات الهسبان (المهاجرين من أصل مكسيكي ومن متحدثي الأسبانية) في الولايات المتحدة، غير أن وجود أحزاب أقصى اليمين في أوروبا قد يستثني هذه الإستراتيجية، لأن تلك الأحزاب تشكل البديل لجزء من مؤيدي أحزاب وسط اليمين الذين يعارضون ضم المسلمين إلى صفوفهم.

يعيش في أوروبا اليوم أكثر من 23 مليون مسلم، يشكلون ما يقرب من 5 بالمائة من عدد سكان القارة، وفقاً للبيانات التي احتواها التقرير السنوي عن الحريات الدينية الدولية للعام 2003 مسيحي، الصادر عن وزارة الخارجية الأمريكية .

ومن جهتهم فإن الناخبين المسلمين ربما سيلعبون دوراً سياسياً أكبر في المستقبل، حتى وإن كان ذلك على المستوى المحلي، على الرغم من فشل محاولاتهم السابقة نحو تشكيل أحزاب إسلامية في أوروبا. وعلى المدى البعيد فإن من المحتمل أن يختار الناخب المسلم . مثلماً هو الحال اليوم مع الناخبين من المسيحيين واليهود في أوروبا وعلى نحو فردي. توجهاته الحزبية على أساس المصلحة الشخصية والحالة الاجتماعية وليس على أساس ديني،ومع ذلك فإنه عندما تلمس مسائل سياسية معينة العقائدَ الدينية فإن المواطن المسلم . مثلماً هو الحال مع نظيره المسيحي أو اليهودي . قد يصبح ناخباً متأرجحا، وسيفسح الانخراط في العملية السياسية المجال أمام المسلمين نحو الوصول إلى هدفهم في الاندماج في المجتمعات الأوروبية، مع الاحتفاظ بهويتهم الإسلامية المميزة في الوقت ذاته.

الحسابات السياسية الوطنية :

لقد بدأ السياسيون الأوروبيون وبصورة روتينية في حساب (العامل الإسلامي) أي أثر العدد المتنامي للسكان المسلمين على صناديق الاقتراع وعلى الشارع الإسلامي في عمليات اتخاذ القرار، وربما تكون هذه الاعتبارات قد لعبت دوراً مهماً في موقف الرئيس جاك شيراك ضد الحرب على العراق، وقد تكون أيضاً أثرت على حسابات المستشار الألماني غيرهارد شرودر. وعلى الرغم من أن الاحتجاجات السلمية بالإضافة إلى العنف (بما في ذلك الإرهاب) هي الهموم الحالية للسياسيين الأوروبيين؛ إلا أنهم حساسون للتكتل الجغرافي للناخبين المسلمين الفعليين أو المحتملين ، خصوصاً تواجدهم ضمن مقاطعات تميل تقليدياً نحو يسار الوسط.

كما أن على السياسيين أن يكونوا واعين للتأثيرات بعيدة المدى إذا ما بدأ المسلمون في التصويت بأعداد كبيرة، وتحولوا نحو التصويت لأحزاب الوسط ويمين الوسط، وهو أمر لا ينطبق على فرنسا وألمانيا فحسب. وعلى سبيل المثال فإن هامش النجاح الذي حققه حزب العمال البريطاني في سبع دوائر انتخابية في انتخابات عام 2002 م كان أقل من عدد المسلمين في تلك المقاطعات، وقد يكون ذلك لعب دوراً في دعم بريطانيا

لمشروع القرار الذي قدمته باكستان لمجلس الأمن الدولي حول حماية الآثار الثقافية خلال حرب 2003 على العراق، خصوصاً بالنظر إلى الدائرة الانتخابية في بلاكبيرن التي يمثلها وزير الخارجية جاك سترو والتي تقطنها ثالث أكبر نسبة من المسلمين في المملكة المتحدة (أي ما يقرب من 20 بالمائة).

تعقيدات محاولات تشكيل أوروبا أكثر ترابطاً:

في الوقت الذي تحاول فيه أوروبا السعي نحو التقدم في برنامجها نحو توسيع الاتحاد فإن الإسلام يطرح تعقيدات على عدة محاور. فالجدل القائم حول الإشارة إلى المسيحية في مشروع دستور الاتحاد الأوروبي هو أحد هذه الأمثلة، وكذا المسألة المزمنة المتعلقة بانضمام تركيا للاتحاد. وقد أعاد الوجود الإسلامي المتنامي في أوروبا فتح الجدل حول عدة مسائل من بينها دور الدين في الحياة العامة والتسامح في المجتمعات الأوروبية والعلمانية كطريق وحيد نحو الحداثة وهوية أوروبا ذاتها.

كما أن العامل الإسلامي قد أبرز تناقضاً محتملاً في طبيعة الاتحاد ذاته، بمعنى أن الاتحاد الأوروبي مازال بصفة أساسية سوقاً مشتركة مع وجود عجز في برامجه الاجتماعية، وكذا فيما يتعلق بالديمقراطية. وأخيراً فقد لاحظ فريزر كاميرون أحد مسئولي الاتحاد الأوروبي السابقين بأنه حتى هذا التاريخ لم يحاول المسلمون في أوروبا التأثير على السياسة الخارجية للاتحاد، لكن ذلك «قد يتغير في المستقبل».

وتولّد الحركية الناشئة عن عمليات التكامل الأوروبي مع اقترانها بقوى العولمة والانحسار السكاني في أوروبا توترات ذات علاقة بالهوية لدى العديد من الأوروبيين، كما أن أثر الوجود الإسلامي المتزايد على المجتمعات الأوروبية كلا على حدة يزيد من تفاقم القلق الأوروبي من خلال إضافة نغمة قومية (على الرغم من كونها غير ظاهرة أو مطموسة حالياً) وكذلك الخوف من الأجانب على السياسات الأوروبية. وقد عزا (أو نسب) البعض من المحللين في الدول الاسكندنافية التصويت السلبي للناخبين في الدانمرك خلال عامي 1992 م و2000 م والتصويت شبه السلبي عام 1993م في الاستفتاء حول اتفاقية ماسترخت والاتحاد النقدي الأوروبي، وبصورة جزئية؛ إلى هذا المناخ السائد في المجتمعات الأوروبية، الذي شجع على ظهور درجة ما من إعادة الشعور القومي إلى السياسات الأوروبية، فالاندماج الأوروبي والاندماج الإسلامي على الرغم من كونهما مسألتين متفاوتتين بصورة واسعة (على الأقل ظاهرياً) إلا أنهما يبدوان شبيهين في أنهما يثيران حساسية مشتركة لدى العديد من الأوروبيين، تعكس قلقاً متزايداً حيال مسائل جوهرية مثل السيطرة والهوية.

طرأت الزيادة على عدد السكان المسلمين بصفة أساسية في دول أوروبا الغربية، خلال العقد الذي أعقب سقوط جدار برلين، حيث نما الوجود الإسلامي بوتيرة بلغت ستة أضعاف أسرع مما عليه في أمريكا الشمالية.

إعادة تركيز السياسة الخارجية:

مع مرور الزمن فإن البروز السياسي للعامل الإسلامي في أوروبا سيكون الأكثر حضوراً في الواقع المحلي، فتأثير المسلمين على المجتمعات الأوروبية سيكون مرتبطاً بعدة عوامل، منها ما إذا كانوا سينخرطون في العملية الانتخابية، وبأعداد كبيرة، وتوقيت ذلك الانخراط، وكيفية قيام الأحزاب السياسية بإشراك المسلمين في أعمال السياسة اليومية، وماهية الدور الاقتصادي الذي سيلعبونه، ومستوى الحركية الاجتماعية الذي سيصلون إليه. إلا أنه وعلى المدى القريب، فإن تأثير العامل الإسلامي

يبدو ظاهراً في السياسة الخارجية لثلاثة أسباب على الأقل:

أولها: أن المسلمين كجماعة يتحفزون ويتأثرون وبسرعة وقوة أكبر بالتطورات على الساحة الدولية، خصوصاً تلك التي ينظر إليها على أنها تشكل خطراً على الأمة، وتكون ديار الإسلام مسرحاً لها أو طرفاً فيها، مثل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، والأزمات بكل من العراق والبوسنة، أكثر من تأثرهم بالمسائل المحلية مثل التوظيف والتعليم. وعلى سبيل المثال قامت (الجمعية الإسلامية في بريطانيا)، و (ائتلاف أوقفوا الحرب) بصفة مشتركة، برعاية المظاهرة التي نظمت في منتصف فبراير 2003م بلندن، والتي ضمت ما يقرب من مليون شخص (أكبر مظاهرة في تاريخ بريطانيا) تحت شعارين مترادفين هما (لا تهاجموا العراق) و (الحرية لفلسطين).

والثاني: بالنسبة للحكومة والسياسيين على حد سواء، ومن منظور الربح والخسارة، فإنه من السهل الاستجابة لهموم المسلمين حول السياسة الخارجية، بدلاً من اهتمامهم بالمسائل المحلية، بالنظر إلى محدودية الموارد السياسية والمالية المطلوبة لتلك الاستجابة، وكذلك آراء الناخبين من غير المسلمين الذين قد يتجاهلون أو حتى يتعاطفون مع القضايا الدولية، لكنهم في الوقت نفسه ينظرون إلى المزايا المحلية التي قد تمنح للمسلمين على أنها تتم على حسابهم.

أما السبب الثالث: فهو أن لدى أوروبا العديد من الجيران المسلمين، وبالتالي، وبالضرورة؛ فإن سياساتها الأمنية في الداخل والخارج محددة وبدرجة كبيرة بمحيطها الإسلامي القريب، وهو أمر تعترف به مبادرة الجوار الجديدة وبصورة علنية. فزيادة القلاقل في العالم الإسلامي المجاور لأوروبا، والتي تجد صدى لها لدى الأقليات المسلمة في أوروبا، إضافة إلى هموم القارة بشأن المهاجرين غير المرغوب فيهم، والإرهاب النابع من الأصولية الإسلامية، وأسلحة الدمار الشامل في المنطقة، إضافة إلى اعتماد أوروبا على الطاقة؛ كلها عوامل تجعل من الاستقرار في (هلال الأزمات) أولوية لدى الأوروبيين.

استراتيجية أوروبا المحفوفة بالمخاطر نحو الاستقرار:

لدى الدول الأوروبية نفوذ واسع من تشجيع التغيير الذي سيترتب عليه نتائج غير معروفة، وربما مزعزعة للاستقرار في الجوار الأوروبي المباشر، أي شمال إفريقيا والشرق الأوسط والقوقاز، حتى عندما يشمل ذلك الحكومات التي يعترف الجميع بكونها فاسدة وقمعية، وكجزء من استراتيجيتها للتعامل مع الموقف فقد سعت الحكومات الأوروبية إلى تشجيع إقامة روابط مع الأنظمة القائمة، وفي أحيان معينة دعمها وبكلفة عالية، في محاولة للسعي نحو الحصول على مساعدة تلك الدول في وقف التدفق غير المنظم للمهاجرين إلى أوروبا، ولتحصين نفسها ضد عدوى الأصولية الإسلامية.

ويفضل الاتحاد الأوروبي - إضافة إلى دول أوروبا غير الأعضاء في الاتحاد - رؤية اقتصاديات قوية تمتاز بالشفافية وفي ظل حكومات أفضل في محيط القارة، ومع ذلك، وفي تناقض واضح مع استعدادها لاستعمال ورقة العضوية في الاتحاد الأوروبي، في تشجيع إجراء إصلاحات اقتصادية وداخلية، وفي مجال حقوق الإنسان في شرق ووسط أوروبا؛ فإن بروكسيل (مقر الاتحاد الأوروبي) تبدو غير راغبة حتى تاريخه في استعمال الضغوط التي توفرها الشراكة الأورو متوسطية لتشجيع إجراء إصلاحات في محيطها الإسلامي، فالشراكة أداة قوية محتملة، فلها ميزانية سنوية منذ ولادتها في عام 1995 وحتى عام 2006 تقترب من بليون يورو، إضافة إلى ثلاثة أضعاف ذلك المبلغ على هيئة قروض من مصرف الاستثمار الأوروبي.

وهذه المبالغ تعادل أكثر من نصف المبلغ المخصص لانضمام الأعضاء العشر الجدد من دول وسط وشرق أوروبا إلى الاتحاد، وخلال نفس الفترة. فبرنامج الشراكة الأورومتوسطية لا يتطلب الالتزام بمتطلبات سياسية أو في مجال حقوق الإنسان من شركائه المتوسطيين، مثل تلك التي تشترطها معايير كوبنهاجن للأعضاء الجدد في الاتحاد الأوروبي مقابل الحصول على المساعدات المالية والتجارية والتنموية.

وفي مايو 2003م اعترف وزير الخارجية البريطاني جاك سترو بهذا القصور، مصرحاً بأن «هناك حاجة ملحة لتطوير علاقة قوية مع العالم الإسلامي، وآمل أن تعيد أوروبا تركيز برامجها بما في ذلك اليوروميد (الشراكة الأوروبية المتوسطية) لإنشاء شراكة مع شمال إفريقيا حول المسائل ذات الأهمية، مثل أنظمة حكم أفضل، وسيادة القانون، ونقل الخبرات». غير أنه من غير الواضح ما إذا كانت مبادرة الجوار التي طرحها الاتحاد الأوروبي سوف تتجه وبصورة قاطعة في ذلك الاتجاه، وأن تصبح مبدأ لتوجه عام وشامل مع الولايات المتحدة نحو (الشرق الأوسط الكبير).

في مجال السياسة الداخلية يبدو سعي أوروبا نحو الاستقرار جلياً في محاولات الحكومات الأوروبية خلال العقد الأخير، باتجاه إدارة جالياتها المسلمة، من خلال تأميم إن لم نقل علمنة الإسلام.

وفي مجال السياسة الداخلية يبدو سعي أوروبا نحو الاستقرار جلياً في محاولات الحكومات الأوروبية خلال العقد الأخير، باتجاه إدارة جالياتها المسلمة، من خلال تأميم إن لم نقل علمنة الإسلام. وتحاول هذه الحكومات تشجيع قيام إسلام ذي توجه قومي محلي، واقع تحت سيطرة الدولة والأعراف الأوروبية السائدة، التي تعود إلى معاهدة وستفاليا وعصر التنوير وحكم نابليون، والتي تم تطويرها في أوقات مختلفة ولديانات مختلفة وفي بيئات مختلفة جدا. ومن خلال تأميم الإسلام ووضعه ضمن الهياكل القائمة، مثلما هو الحال مع كنائس الدولة، فإن الحكومات تسعى إلى احتواء مسألة حساسة على أرض مألوفة لها، من خلال الاحتفاظ بالنفوذ الذي تمثله تلك الهياكل.

وتفاضل تلك المحاولات بين مجموعات إسلامية وأخرى، وتسعى إلى تعليم الأئمة محليا، وتطلب منهم أن يتحدثوا اللغة وأن يتفهموا الثقافة المحلية، كما أنها تسعى إلى تسهيل بناء المساجد والتعليم الديني، على أمل أن تقلص التمويل والتأثير الذي تمارسه الدول العربية. وهي تسعى كذلك إلى منع ارتداء الحجاب، وفي النهاية احتواء المنظمات الإسلامية ضمن هياكل تتوافق مع المعايير والأهداف الوطنية، مثل الهيئة المركزية للدين الإسلامي في بلجيكا، والمجلس المركزي للمسلمين في ألمانيا، ومجلس الدين الإسلامي في فرنسا.

وفي العديد من الحالات، إن لم نقل كلها؛ فإن مجالس المسلمين التي أسستها الحكومات قد فشلت في الاختبار، من حيث التعامل معها على مبدأ الإنصاف والمساواة، ومن حيث كونها غير ممثلة فعلياً للجاليات المسلمة. فالدول الأوروبية استثنت مجموعات إسلامية معينة، وحددت بصورة مسبقة أو اختارت الأفراد الذي سيمثلون هذه المجالس، وتبنت أسلوباً يستند على النمط الواحد، وهو أسلوب لا يأخذ في الحسبان التعددية والاختلافات التي تمتاز بها الجاليات المسلمة في معظم تلك الدول، بما في ذلك الاختلافات الطائفية والطبيعة اللاطبقية للإسلام، وغيرها من الاختلافات الهيكلية والوظيفية عن العقائد المسيحية.

وعلى الرغم من أن هذا الأسلوب يضع الإسلام ظاهرياً على نفس مستوى العقائد الأوروبية التقليدية، إلا أن المشكلة تكمن في أنه يفشل في دمج المسلمين في المجتمعات الأوروبية. وهذه النتيجة ليست مستغربة على الإطلاق بالنظر إلى إن أهداف الحكومات هي

السيطرة والتنظيم وليس مد اليد والتكيف مع مواطنيها المسلمين. وحتى هذا التاريخ لا يوجد أي مجلس إسلامي تم إنشاؤه من قبل حكومة أوروبية تمكن من أن يصبح محاوراً فعالاً مع تلك الحكومة، يمكنه من إجراء حوار مثمر بين الجانبين، ومعظم تلك المجالس لم تعمر طويلا، لذلك فإن محاولة تشجيع قيام إسلام ذي توجه وطني وبصورة مصطنعة قد يعزز من حدة الشعور بالغربة والعزلة لدى المسلمين، ويدفعهم نحو الطائفية وإقامة كيانات مستقلة.

ومن خلال تشجيعها لإقامة مدارس إسلامية خاصة، أو فشلها في تبني الهياكل التي تسمح لطيف واسع من الجماعات الإسلامية بإسماع صوتها عبر الحوار، ومن خلال حثها على البحث عن قنوات وجمعيات خارج سيطرة الدولة وتوجهها، ومفتقرة إلى الارتباط بأوروبا ؛ فإن الحكومات الأوروبية تساهم في عزل الجاليات المسلمة، وتحد من إمكانيات انخراطها في المجتمعات الأوروبية.

ومن جهتهم فإن مسلمي أوروبا لديهم الميل نحو التحرك باتجاه مماثل، ويتعزز هذا لديهم من خلال الأسلوب الذي تتبعه الدول الأوروبية في محاولة تأميم الإسلام. وقد وصف (روي) هذا الدرب بأنه «إعادة بناء الطائفية وفقاً لخطوط تتخطى الحدود القومية يتم تحديد معالمها جوهرياً من قبل مسلمي أوروبا، والتعريف بانتمائهم للأمة الإسلامية، وإنه من خلال تلك الظاهرة يصبح التطرف والعنف من المسائل الجدية».

يضاف إلى ما سلف فإن محاولات تأميم وعلمنة الإسلام تعيق تطوير هوية إسلامية أوروبية حديثة تمزج بين الثقافتين الغربية والإسلامية، بالتوازي مع الثقافة الإسلامية العربية وثقافة جنوب شرق آسيا الإسلامية وثقافة شرق آسيا الإسلامية، وهوياتها الخاصة بها، والتي ظهرت في مناطق أخرى من العالم.

لقد حددت الثقافة العربية الإسلامية وبصورة عميقة ممارسات المسلمين في أوروبا، لكن هذا التأثير يتمثل في التقاليد والعادات العربية وليس الثقافة الدينية. وعلى الرغم من أن ذلك ليس مستغرباً بالنظر إلى الأصول العربية لمعظم المسلمين في أوروبا ؛ فإن هذا التطور يمثل شكلاً من أشكال الاستعمار العربي المعكوس لأوروبا. إن تطوير نموذج إسلامي أوروبي موازٍ للنماذج السابقة قد يوفر إطاراً للمسلمين يمكنهم من القيام بالتعديلات الضرورية للاندماج في المجتمعات الأوروبية، وفي نفس الوقت الحفاظ على هويتهم الإسلامية، كما أنه يمكن المجتمعات الأوروبية من إجراء التكيفات والتعديلات الضرورية لاحتواء شريحة متنامية من مواطنيها.

الشباب المسلم يقاوم الذوبان في المجتمعات الأوروبية العلمانية بصورة أكثر صموداً من جيل الكبار، ويرغب المسلمون في أوروبا بمن فيهم الشباب في الاندماج في مجتمعاتهم واحترام القواعد والمعايير السلوكية وكذا المؤسسات الوطنية بقدر ما يستطيعون، لكنهم في الوقت ذاته يحافظون على الهوية الإسلامية وعلى ممارستهم المتميزة.

إرهاب الإسلام وإرهاب أوروبا :

شهد العام 1989م تسارع اندماج أوروبا مع انهيار جدار برلين وزيادة التوتر مع العالم الإسلامي حول مسألة سلمان رشدي في المملكة المتحدة والجدل حول موضوع الحجاب في فرنسا. ومنذ ذلك الوقت استقطبت سلسلة من الأحداث المواقف الشعبية من الجاليات الإسلامية في أوروبا، وحركت الشعور بالهوية الإسلامية داخل تلك الجاليات. فالجاليات الإسلامية لم تعد مسألة تتعلق بالهجرة فقط، لكنها وبصورة متزايدة أصبحت تحدياً للوحدة الاجتماعية الداخلية، ولقد حذرت مجلة «الإيكونوميست» البريطانية في

عددها الصادر يوم 8 مايو 2003م من أن ذلك «قد يشكل خطراً لأوروبا على المدى البعيد».

وعلى الرغم من أن العديد من الأوروبيين، والمسلمين في أوروبا على حد سواء، يؤيدون علناً الاندماج؛ فإنهم ما يزالون مقتنعين بأن القيم الخاصة بكل منهم ليست فقط غير متناغمة أو منسجمة مع بعضها البعض، بل إن قيم الآخر تتحدى وبصورة مباشرة هوية كل منهما، وترسخ هذه المفاهيم الوجود المنعزل لكل مجموعة عن الأخرى ضمن المجتمعات الواحدة. وعلى الرغم من أن العديد من مسلمي أوروبا يقبلون بشكل معتدل من الاندماج؛ فإن الأغلبية الساحقة من المسلمين بكل من فرنسا وبريطانيا وألمانيا يقاومون الذوبان، مفضلين أن يكونوا جزءاً من أوروبا، مع الاحتفاظ بهويتهم الإسلامية.

ويبدو أن التوجه نحو الاختلاف والعزلة يتزايد بقوة لدى المسلمين، وأن الجيل الشاب في طليعة هذا التوجه، ففي استطلاع للرأي أجري عام 2003 م على سبيل المثال من قبل مؤسسة «ايبسوس» ظهر أن ثلاثة أرباع المسلمين في فرنسا ممن شملهم الاستطلاع يعتبرون أن قيم الإسلام منسجمة مع قيم الجمهورية الفرنسية، لكن ربع المشاركين في الاستطلاع ممن هم دون سن 25 فقط يقاسمونهم ذلك الشعور . وعلى العكس من ذلك فقد أظهر استطلاع أجرته «ايبسوس» في نفس التوقيت أن 62 بالمائة من عامة الشعب الفرنسي يعتقدون بأن قيم الإسلام غير منسجمة مع قيم الجمهورية الفرنسية.

وفي استطلاع أجري بألمانيا عام 2002 م أجاب 19 بالمائة بأنه يتوجب عدم السماح للمسلمين بممارسة شعائر دينهم في ألمانيا، وعبَّر 43 بالمائة عن شكوكهم في قدرة الإسلام على التسامح، وذكر67 بالمائة أنه يتوجب على المسلمين عند أدائهم شعائر دينهم أن يحترموا آراء الشعب الألماني. ووفقاً لاستطلاع أجري عام 2000 م حول القيم الأوروبية، ومقارنة مع شعوب من أجناس أخرى، ومع المهاجرين واليهود ؛ فقد ظهر أن المسلمين هم المجموعة التي لا يرغب الأوروبيون في اتخاذهم جيراناً، وفي بعض الحالات بمعدلات كبيرة.

ويبدو أن النمو المتسارع لعدد المسلمين يربك قدرات الحكومات الأوروبية على رسم خطوط للتسامح على نحو منطقي وعقلاني ومقنع. وينظر الأوروبيون إلى المسلمين على أنهم تحدٍ مباشر لهويتهم الجماعية، وقيمهم وتقاليدهم، وللسياسات العامة لمجتمعاتهم، وهو ما ظهر في الجدل الحاد حول الحجاب والطعام الحلال وبناء المساجد وتدريس الإسلام في المدارس وطقوس الدفن لدى المسلمين. كما أن هذا الشعور ينعكس على المناقشات الحادة حول حقوق المرأة، والعلاقة بين الكنيسة والدولة، وانسجام الإسلام مع الديمقراطية، ويسيطر (التحدي الإسلامي) على آراء وأفكار السياسيين والنقاد وعامة الشعب على حد سواء.

إن حقيقة ميل الحكومات والشعوب الأوروبية نحو اعتبار المسلمين كتلة واحدة غير مميزة تقوي من النزعة السائدة عند الأوربيين في النظر إلى الوجود الإسلامي، ليس كهبة أو نعمة، بل كتهديد حقيقي، وهو أمر يتحول في بعض الأحيان إلى نبوءة تحقق نفسها بنفسها. ويطرح التهديد على أنه يتمثل أمنياً في (الإرهاب) واقتصاديا في (الوظائف). لكن المسألة الجوهرية هي الهوية والتهديد الثقافي الذي يرى الأوربيون أن الإسلام يشكله ضد طريقة حياتهم، ولقد ابتدع الأوروبيون مصطلحاً لذلك وهو الإسلاموفوبيا، أي (إرهاب الإسلام) أو مرض الخوف من الإسلام[2].

وفي الاتجاه المعاكس فإن هذه النزعة نحو رؤية المسلمين على صورة متراصة واحدة، تتولد عنها صورة معاكسة تتمثل في ولاء المسلمين للأمة الإسلامية،

(2) لمزيد من المعلومات حول الإسلاموفوبيا يمكن الرجوع إلى العدد الرابع من مجلة (التواصل).

صورة خاصة



المسجد الجديد في السويد

والذي يتخطى جميع الولاءات الأخرى، ويميل نحو تدعيم منظور (نحن و هم) وهو أحد أسباب مقاومة المسلمين للذوبان في المجتمعات الأوروبية، الذي سيفقدهم كل ما يتعلق بهويتهم، ويجعلهم يصرون على الاندماج الذي يؤكد على الاحتفاظ ببعض الاختلافات، أي أنه يعني وجوداً جسدياً في أوروبا، ولكن مع غياب التأقلم والتكيف مع المجتمع.

وعلى الرغم من أن الأوروبيين، سواء كانوا مسلمين أم غيرهم، منقسمون حول كيفية التعامل مع هذا التحدي الإسلامي الجديد؛ فإن حركية الموقف تقتضي أن يتخذ الأوروبيون ـ مسلمين وغير مسلمين ـ على نحو فردي وجماعي، سلسلة من التكيفات ذات الأثر البعيد، وربما على مدى طويل، لتغيير العقلية الراسخة لديهم، بهدف تفادي الصدامات المستقبلية. والسؤال الذي لا يجد له إجابة هو : هل ستحاول أوروبا إجراء الإصلاحات اللازمة بالخصوص وبالتالي تصبح قوية أم أنها سوف تتمزق؟ وتشبه عملية الاندماج داخل أوروبا ـ في العديد من جوانبها ـ ما حدث لجيل من الأمريكيين من بيض وسود، الذين عاصروا حركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة منذ 50 عاماً مضت، والتي أعقبت قرار المحكمة العليا في قضية (براون ضد مجلس التعليم). ومع ذلك، ومن ناحية أخرى، فإن التحدي لأوروبا يبدو مثبطاً للآمال، لأنه لا يشمل الاندماج والتسامح فحسب، بل إعادة تحديد هوية الطرفين، وعلى كل جانب أن يتغير ويقترب من الآخر . فيتوجب على مسلمي أوروبا قبول الأعراف والتقاليد والثقافات السائدة في المجتمعات التي يعيشون فيها، وأن يرفضوا محاولات إنشاء مجتمع مواز، بينما يتحتم على عامة الشعوب الأوروبية توسيع أفقها لاحتضان والتكيف مع التنوع الثقافي، بمعنى قبول الاندماج بدلاً من الذوبان الكامل كعلاقة صحيحة وفعالة في المجتمع.

ويتوجب على الجميع مواجهة السؤال المطروح ولعدة قرون وهو : هل بإمكان أوروبا والإسلام التعايش

معاً ؟ وفي تقديرات البعض فإن أوروبا داخلة في حقبة من الانحسار السكاني والاقتصادي والنفسي والسياسي، وهو ما يجعل الأمور أكثر صعوبة في محاولة إيجاد حلول للتحديات الإضافية المتمثلة في الاندماج والتسامح والهوية التي يطرحها الوجود الإسلامي في أوروبا.

ومن جهتهم فإن مسلمي أوروبا الذين يتوجب عليهم مجابهة الفقر والتعصب الأعمى والتفرقة العنصرية على أرض الواقع، وعدم إمكانية تحسين أوضاعهم الاجتماعية ؛ سيجدون من الصعب عليهم احتضان القيم الأوروبية المتحررة، المتمثلة في المساواة بين الجنسين والحرية الجنسية ومبادئ الحلول الوسطية والمساواة والولاء للدولة، وهي مسائل تتحدى ليس آراء المسلمين فحسب بل الأفراد ذوي الأصول العربية والتركية والآسيوية، فتلك الثقافات لا تحتضن مبدأ التنوير كركيزة أساسية لها، كما أن فكرة المجتمع العلماني غريبة عليها. يضاف إلى ما سلف، وكما يشير مصطفى مالك، فإن «مقاومة السلوك المتحرر قد زادت من جراء كراهية المجتمعات المسلمة للمستعمرين الأوربيين الذي جسدوا تلك القيم المتحررة». كما أن غياب التنظيم والمكانة السياسية، وكذا غياب تنوع الآراء والمصالح والضعف الاقتصادي وعدم ظهور قيادة واضحة؛ كل تلك الأمور تطرح عقبات معقدة يحتاج مسلمو أوروبا إلى مجابهتها إذا ما أرادوا المساهمة في تحول أوروبا.

الاقتراب من نقطة الميلان :

إن تغيير العقلية خصوصاً فيما يتعلق بمسألة الهوية ليس بالأمر الهين، إلا أن البديل وهو التخندق والتمسك بأفكار متضادة يقودان جلياً نحو الصراع.

وإذا لم يتوصل الطرفان إلى تأقلم مع بعضهما البعض فإن من المحتمل زيادة الصراع الاجتماعي والتخندق القومي، وربما حتى الحرب الأهلية وتغلبها على الرؤية المبتغاة في الوصول إلى قارة حرة وموحدة.

وعلى الرغم من أن الموقف في أوروبا لم يصل إلى هذا الحد، فإن نقطة الميلان تبدو قريبة بدرجة أكثر مما يتصوره الكثيرون، ففي الوقت الذي تزداد فيه وتيرة عدم التسامح مع المسلمين في أوروبا يزداد المسلمون في أوروبا ثقة بأنفسهم، ولكنهم في الوقت ذاته غير راضين، خصوصاً في الوقت الذي تمر فيه اقتصاديات أوروبا بحالة من الهيجان.

أعطى تنامي أعداد الجالية المسلمة في أوروبا وبروزها الحياة للأحزاب اليمينية المتطرفة، التي لعبت على وتر الزينوفوبيا (إرهاب الأجانب) والعنصرية والخوف المتولد لدى العامة من الإسلام.

وتقترب نسبة المسلمين في فرنسا وبسرعة من نفس نسبة الأمريكيين السود عام 1950 (10 بالمائة) كما أن نسبة المسلمين في أوروبا ككل سوف تتخطى ذلك الحاجز خلال العقد القادم، ويتعرض المعتدلون من المسلمين وغير المسلمين المشاركين في الحوار الأوروبي الإسلامي إلى الضغط والتهميش، مع تشويه المسائل والقضايا الجوهرية، ودق نواقيس الخطر في العديد من الأحياء، مبرزة وداعمة للتطرف لدى كلا الطرفين.

ويزداد تركيز العامة وبصورة كبيرة على تصريحات تستقطب التطرف، مثل نتائج اللجنة الفرنسية، التي أوصت بمنع ارتداء غطاء الرأس في المدارس الابتدائية والثانوية الحكومية، وأعلنت أن الدولة العلمانية تتعرض لـ (هجوم فدائي) من طرف المسلمين.

وقد حذر رئيس اللجنة برنارد ستازي من أن « هناك (قوى) في فرنسا تحاول زعزعة استقرار الجمهورية، وأنه قد حان الوقت للجمهورية لاتخاذ رد فعل حازم حيالها». وفي نفس الوقت صور محرر شؤون الشرق الأوسط في صحيفة (فرانكفورتر الغيماين

تسايتونغ) اليومية ذات النفوذ؛ الموقف على أنه «مرعب» وشكك في إمكانية إدماج الجالية المسلمة في المجتمع الألماني، مدعياً أن ما لا يقل عن 10 بالمائة من مسلمي ألمانيا (400 ألف شخص) هم أتباع أو مؤيدون للإسلام المتطرف وهدفهم خلق جمهورية إسلامية.

وتلك الآراء ليست معزولة، فهي تعكس الخوف الضمني السائد لدى الأوروبيين من حتمية الصراع الاجتماعي الناتج عن تنامي أعداد المسلمين، ومطالبهم في الحصول على مزيد من السيطرة، والحصول على مكاسب اجتماعية، والمحافظة على هويتهم الإسلامية، إضافة إلى صراع أوروبا مع هوية متعددة الثقافات يمتعض ويستاء منها معظم الأوروبيين من الطبقتين الوسطى والأرستقراطية. وهذه المخاوف ليست جديدة بل هي راسخة وفي تزايد.

وعقب انهيار جدار برلين، يبدو أن النسخة القديمة المستحدثة من التهديد الإسلامي قد حلت محل التهديد الشيوعي في أوروبا، وبالفعل فخلال مدة شغله لمنصب الأمين العام لحلف الأطلسي خلال منتصف التسعينات، ادعى البلجيكي (ويلي كلاس) أن التهديد الجديد للحلف هو الإسلام، وبالتالي فليس مستغرباً أن يكون لكتاب صامويل هنتنغتون (صراع الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي) صدى أكبر في أوروبا منه في الولايات المتحدة.

وسواء أكان السبب نبوءة تحقق نفسها من حيث تفوق الحركية المعاصرة على الفطنة والموارد السياسية أم الفوارق العسيرة بين أوروبا والإسلام؛ فإن كثيرين داخل أوروبا وخارجها سوف يعتبرون الفشل في مجابهة وتفادي حدوث الأزمة التي تلوح في الأفق، والناتجة عن صدام الثقافات ضمن حدود القارة، على أنه تأكيد على أطروحات هنتنغتون، وسينظر المراقبون إلى هذه الحصيلة على أنها تمهد الطريق نحو صدام الحضارات الذي تم التنبؤ بحدوثه خلال القرن الواحد والعشرين، على الحدود التي يلتقي فيها الغرب بالإسلام.

وعلى العكس من ذلك، فإن النجاح في التعامل مع الصدام المتنامي بين الثقافات والهويات، والذي سينتج عنه تحول في العقليتين المسلمة وغير المسلمة بأوروبا، وابتداع إطارٍ اجتماعي يشجع على الاندماج ويحترم الهويات الفردية وكذا القومية ؛ سوف يساهم في إبطال أطروحات هنتنغتون بحتمية عدم انسجام الإسلام والغرب، وهذا يتطلب تغيراً في المجتمع الأوروبي لا محالة.

لدى أوروبا العديد من الجيران المسلمين، وبالتالي، وبالضرورة؛ فإن سياساتها الأمنية في الداخل والخارج محددة وبدرجة كبيرة بمحيطها الإسلامي القريب، وهو أمر تعترف به مبادرة الجوار الجديدة وبصورة علنية .

وكما هو الحال مع كل أنواع التغيير، سيكون هناك منتصرون ومغلوبون، لكن النجاح كفيل بإحياء الآمال نحو تقوية وإعادة تحديد هوية أوروبا، مقدماً تصحيحاً ممكناً لانحسار القارة السياسي والاقتصادي والديموغرافي، إضافة إلى الدفع بالاندماج الأوروبي نحو مستوى جديد وإعطائه معنىً جديداً.

وكما علق مارك توين «التاريخ لا يعيد نفسه لكنه أحياناً يتطابق»، فسيكون من سخريات القدر بالفعل أن الإسلام قد أعطى الدافع نحو إعادة تحديد هوية أوروبا، كما فعل منذ أكثر من ألفية مضت، وأن يشكل قاعدة لنهضة أوروبية ثانية وجديدة، كما فعل في المرة السابقة. وعلى الرغم من أنه يبدو أن ذلك أكثر من المتوقع، فإن النجاح في مواجهة والتعامل مع صدام الثقافات هذا كحد أدنى سوف يفتح الأبواب أمام الكثير من الفرص لتحول إيجابي في أوروبا، وربما أبعد من ذلك.

الإسلام والتعددية الفكرية
مقاربة في شرعية الاختلاف وثقافة الحوار

د. عبد الحكيم الكعبي*

أ الفكر الإنساني في جوهره وحقيقته حركة لاكتشاف المجهول انطلاقاً من آفاق المعلوم، وتأسيساً على هذا الفهم يمكننا أن نميز ثلاثة أنماط لهذا الفكر، أولها : الفكر الإيجابي الذي يتصدى لحقائق العصر الذي ينتمي إليه بالتحليل والتفسير والتقويم، ويسعى إلى الكشف عن عناصر التقدم ومساندتها، وعزل عناصر التخلف ومحاربتها. والثاني: الفكر التبريري الذي يكتفي بتبرير الواقع والدفاع عنه، وهذا النمط إنما ينتمي إلى مجال الفكر على سبيل المجاز لا الحقيقة. أما النمط الثالث، وهو الفكر الذي يسعى إلى الارتداد بالواقع الاجتماعي والتاريخي إلى عصور سابقة ؛ فليس ذلك فكرا على الإطلاق.

والتعددية الفكرية التي نبحث في مدايات شرعيتها في المنظور الإسلامي، تأتي في إطار وحدة الدين. ولا بد من التمييز والفصل بين الدين والفكر الديني، فالدين هو مجموعة النصوص المقدسة الثابتة تاريخيا، في حين أن الفكر الديني هو الاجتهادات البشرية لفهم تلك النصوص وتأويلها واستخراج دلالتها. ومن الطبيعي أن تختلف الاجتهادات من عصر إلى عصر، بل من الطبيعي أيضاً أن تختلف من بيئة إلى أخرى في إطار بعينه، ومن واقع اجتماعي تاريخي جغرافي عرقي محدد إلى آخر مختلف، وأن تتعدد الاجتهادات بالقدر نفسه من مفكر إلى مفكر داخل البيئة المعينة.

الفكر العربي: من الجاهلية إلى الوسطية الحضارية

الوحدانية فكرة أزلية الوجود في النفس الإنسانية، والعقيدة الإسلامية لا تعد نفسها جديدة ولكنها عريقة الجذور في التاريخ، إنها

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ...﴾ [سورة الحج، الآية:78]

وما الحنيفية واليهودية والمسيحية والإسلام سوى دين واحد متصل الحلقات أبدا، غير أن ظهور الإسلام في الحجاز (مطلع القرن السابع لميلاد المسيح عليه السلام)، كان في الواقع ثورة دينية وسياسية واجتماعية واقتصادية، أو بتعبير أدق انتقالاً حاسماً في

---

* باحث وأستاذ جامعي عراقي / ليبيا

تاريخ العرب، إذ جعل لهم ديناً واحدا، وحقق لهم وحدتهم السياسية، ودعاهم إلى نبذ الكثير من عاداتهم وممارساتهم الاجتماعية والخلقية، فصاروا بفضله أمة موحدة قوية، قدمت للإنسانية مستوى راقيا من الإبداع الحضاري على مختلف الصُعد والمجالات.

إن الواقع العربي الذي ظهر فيه الإسلام وزلزل أركانه وقيمه وكل ما كان مألوفاً فيه؛ واقع وصفه القرآن الكريم بـ (الجاهلية) وقد ورد هذا الوصف في أربع آيات من سور متفرقة منه[1]، كما نجد المصطلح ذاته (الجاهلية) في كتب السيرة، ففي مكة، في أيام الإسلام الأولى أطلق أوائل الصحابة - رضوان الله عليهم - لفظ (أبي جهل) على أبي الحكم عمرو بن هشام[2]، ثم نلتقي بالكلمة عينها في يثرب بُعيد الهجرة حين قال رسول الله ﷺ (لأبي ذر حين عيّر بلالاً بسواد أمه) (إنك امرؤ فيك جاهلية)[3].

وقبل أن نتبين معنى هذا المصطلح في الآيات الكريمة، وكذلك معناه في المواضع التي وردت في كتب السيرة، نبحث على عجل عن مدلوله في المعاجم اللغوية، فيقول ابن منظور في لسان العرب :

(إنها الحال التي كان عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله سبحانه وتعالى ورسله، وشرائع الدين، والمفاخرة بالأنساب، والكبر والتجبر وغير ذلك)[4] وواضح أن هذا التفسير يمزج بين اشتقاقين: اشتقاق من الجهل الذي هو ضد العلم ونقيضه، واشتقاق من الجهل الذي هو بمعنى النزق والتعصب والتطرف. لأن الجهل بالله ورسله لا يحتمل سوى الاشتقاق الأول، أما المفاخرة بالأنساب والتعصب والكبر والتجبر فإنها تدخل في حيز الاشتقاق الثاني[5].

لا بد من التمييز والفصل بين الدين والفكر الديني، فالدين هو مجموعة النصوص المقدسة الثابتة تاريخيا، في حين أن الفكر الديني هو الاجتهادات البشرية لفهم تلك النصوص وتأويلها واستخراج دلالتها.

ومن خلال فهمنا لتلك الآيات الكريمة، والمواقف التي نزلت فيها ؛ نتبين أنها لا تتصل بالجهل الذي هو ضد العلم، بقدر ما تدل على أمور هي أقرب إلى الجهل المشتق من السفه والنزق والتعصب والتسلط. من جانب آخر فإن مدلول لفظ (أبي جهل) الذي أشرنا إليه، لا يعني أكثر من الكبر والتجبر والتسلط والاستجابة السريعة للغضب والتعصب، وهي الصفات التي كان أبو الحكم يتصف بها في حياته، وكانت واضحة فيه، لذا خُص بها دون غيره. كما أن قول الرسول ﷺ لأبي ذر كان مرده إلى موقف أبي ذر من بلال، وهو موقف يدل على غفلة عما جاء به الإسلام من مساواة بين الناس جميعاً، وعلى تأثر بما كان عليه سلوك الناس وقيمهم قبل الإسلام. وبناء على ذلك فإن جزءاً من

(1) قال تعالى شأنه - ﴿... ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء ، قل إن الأمر كله لله ..﴾ آل عمران : 154.
﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾ المائدة 50 .
﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ الأحزاب : 33 .
﴿ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحميّة حمية الجاهلية ، فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وألزمهم كلمة التقوى، وكانوا أحقّ بها وأهلها ، وكان الله بكل شيء عليماً ﴾ الفتح : 26.

(2) الحلبي الشافعي ، علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية، دار التراث العربي، بيروت ، د.ت ، ج2 ، ص 33 .

(3) الزبيدي، أبو الفيض مرتضي بن محمد ، تاج العروس ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، بنغازي ، د.ت ، مادة (جهل).

(4) لسان العرب، مادة (جهل).

(5) محمد عثمان علي، في أدب ما قبل الإسلام ، ط 4 ، مكتبة طرابلس العلمية العالمية ، طرابلس ، 1994 ، ص 11 .

المفهوم الذي حدده ابن منظور لكلمة (جاهلية) غير صحيح، وهو الجزء الذي يشير إلى أنها تعني الجهل بالله ورسله وشرائع الدين، إذ نقيض الجهل بذلك العلم به، وهو بعيد عما تدل عليه الكلمة في سائر التعبيرات التي ذكرناها[6]. ولا يجب الخلط في هذا المجال، بين الجهل ـ بمعنى انعدام العلم أو المعرفة في لغتنا المعاصرة ـ وبين الجهل المناقض للحِلْم في اللغة العربية قبل الإسلام.

الجهل في لغة ما قبل الإسلام يعني الخضوع لسطوة الانفعال، والاستسلام لقوة العاطفة، دون الاحتكام إلى رزانة العقل وقوة المنطق، وهكذا نفهم افتخار بعض شعراء ذلك العصر بالقدرة على مقابلة الجهل بهذا المعنى بمثله، وذلك كقول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا [7]

كما أن بعض أهل الإسلام كان يفتخر بالأصل الذي اشتق منه هذا المصطلح، وذلك في مثل قول الفرزدق في نقيضته المشهورة :

أحلامنا تزن الجبال رزانة

وتخالنا جناً إذا ما نجهل

فالجهل هنا ينصب على السلوك المنافي للعقل والمنطق، وهو ـ كما يفهم من سياق الاستخدام في شعر ما قبل الإسلام ـ العدوان الذي لا سبب له ولا مبرر من جهة العقل والمنطق، إنه التأويل الاجتماعي للغة الاستناد إلى مبدأ القوة والقهر في العلاقات بين القبائل من جهة، وبين الأفراد والجماعات (بطون القبيلة) داخل القبيلة من جهة أخرى، إنه المبدأ الذي صاغه زهير بن أبي سلمى الشاعر في قوله :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه

يهدم، ومن لا يظلم الناس يظلم[8]

ولا شك في أن العلاقات الاجتماعية القائمة على الظلم / الجهل كانت من أهم أسباب التخلف العام في ذلك الواقع، هكذا نجد بين المعنى التاريخي لمصطلح الجاهلية وبين معنى الجهل في استخدامنا المعاصر علاقة ووشائج، فعدم العلم وانتفاء المعرفة ركيزة أساسية للخضوع لسطوة الانفعال والاستسلام لقوة العاطفة أو لنقل التعصب والتطرف.

العلاقات الاجتماعية القائمة على الظلم / الجهل كانت من أهم أسباب التخلف العام في ذلك الواقع، هكذا نجد بين المعنى التاريخي لمصطلح الجاهلية وبين معنى الجهل في استخدامنا المعاصر علاقة ووشائج، فعدم العلم وانتفاء المعرفة ركيزة أساسية للخضوع لسطوة الانفعال والاستسلام لقوة العاطفة أو لنقل التعصب والتطرف.

إن كلمة جاهلية ـ بمعناها التاريخي الذي ذكرناه ـ تقابل كلمة الإسلام التي تدل على الخضوع والطاعة لله عز وجل، وما يطوى فيها من سلوك متوازن، محكوم بمكارم الأخلاق من تواضع وتسامح ولين في الجانب، بعيدا عن التطرف والتعصب، وما يعنيه ذلك من تحقيق لمعنى الوسطية والشهادة على الناس، تلك السمة الرئيسة التي ميزت الفكر والحضارة العربية الإسلامية، عن غيرها من ثقافات وحضارات الأمم الأخرى.

إن الوسطية ـ في المنظور القرآني ـ هي صفة رئيسة وجامعة للأمة الإسلامية، بل هي إرادة الله لهذه الأمة:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ...﴾ [سورة البقرة، الآية: 143]

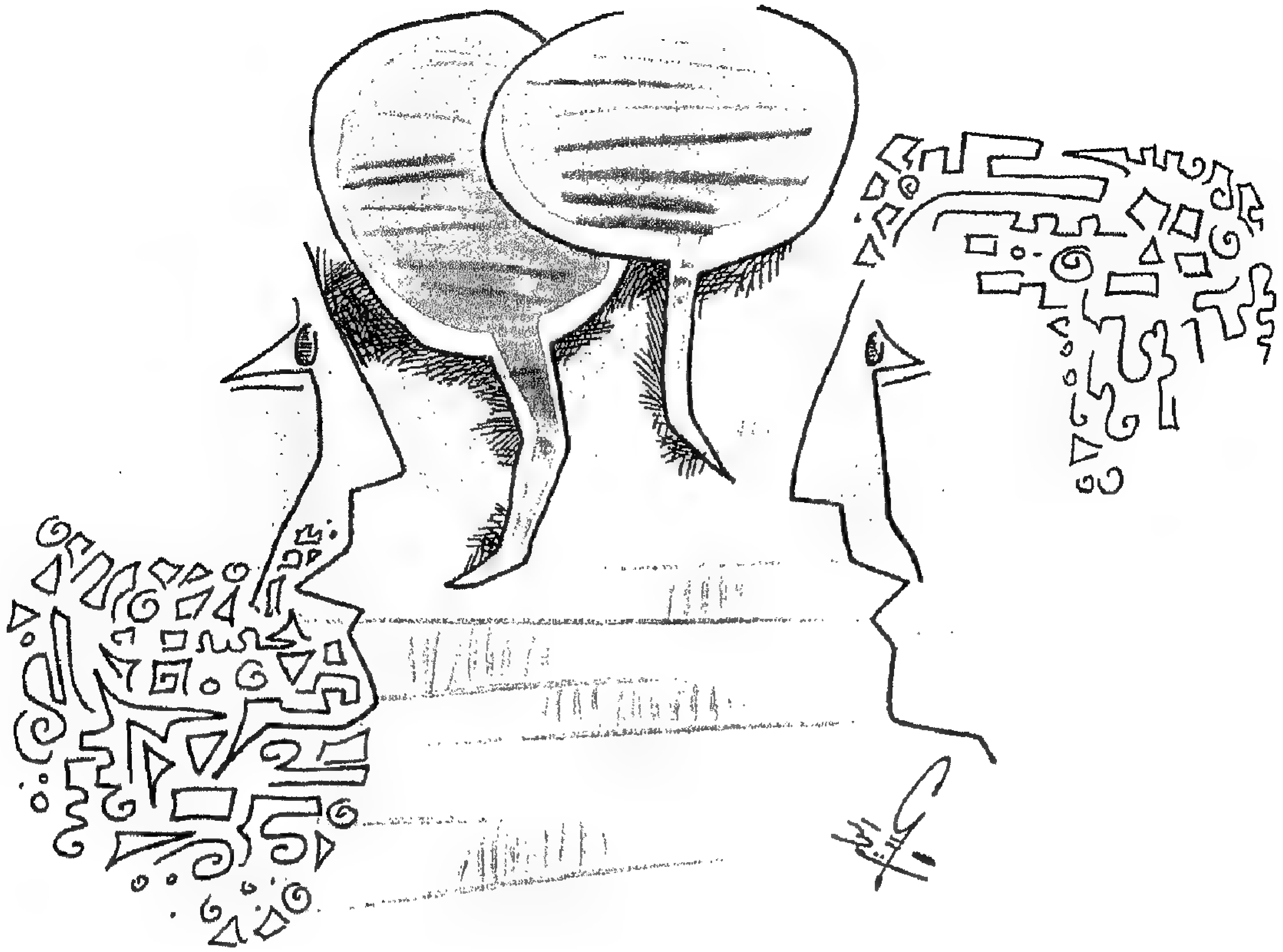
وإن هذه الوسطية ـ في المفهوم الإسلامي ـ هي

---

(6) المرجع نفسه، ص 12.

(7) المعلقات السبع شرح الزوزني، دار الجيل، بيروت، د.ت، 178.

(8) المصدر نفسه، ص 78.



وسطية حضارية إيجابية فاعلة وليست سلبية منكفئة، فهي لا تعني الانحياز إلى طرف ضد طرف آخر، أو إلى قطب من أقطاب الظاهرة دون القطب الآخر، كما أنها لا تعني التوسط المعزول عن الطرفين والقطبين والمغايرة لهما تمام المغايرة، إنها موقف جديد، وثالث، لكنه لا يغاير قطبي الظاهرة المدروسة، وإنما يجمع - بنظرة شمولية - كل ما يمكن جمعه، ويؤلف كل ما يمكن تأليفه من قطبي تلك الظاهرة، إنها موقف جديد يعبر عن خيار العدل والحق[9]، والتوازن بين تطرفين وغلُوّين[10].

لقد حدَّد الحديث النبوي الشريف بوضوح معنى هذه الوسطية الإسلامية، قال: ﴿الوسط، العدل، جعلناكم أمة وسطاً﴾، وتأسيساً على هذا المعنى تكون الشجاعة - على سبيل المثال - : توازنا وعدلا بين الجُبن وبين التهور، والكرم: عدلاً ووسطاً بين الشح وبين التبذير والإسراف، وإن كلاً من الحالتين (الشجاعة والكرم) يمثل موقفاً جديداً، وثالثاً، بين موقفين متطرفين وفي الوقت نفسه، نجد في الشجاعة - من تأني الجبان وحساباته ومن إقدام المتهور - القدر الذي يمكن جمعه وتأليفه، كما نجد في الكرم - من تدبير الشحيح ومن عطاء المسرف - القدر الذي يمكن جمعه وتأليفه.

ولقد عبَّرت الوسطية الإسلامية عن نفسها في صور ودلالات كثيرة تميزت بها حضارتنا العربية الإسلامية، وكانت من أبرز خصائصها، كما كانت في الوقت نفسه من أهم عوامل ازدهار تلك الحضارة

(9) محمد سليمان الأشقر، زبدة التفسير، ط 5، دار الفيحاء، دمشق، دار السلام، الرياض، 1994، ص 27.

(10) محمد عمارة: أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، دار الشرق الأوسط للنشر، القاهرة، د.ت، 30.

وتقدمها، ومن الأمثلة على ذلك :

❖ موازنة حضارتنا بين مصدري المعرفة: الوحي وعلومه الشرعية، والوجود وعلومه الطبيعية. فلا تعتمد الوحي وحده دون الوجود، ولا تصنع العكس، وكذلك لا تقف بينهما وبمعزل عنهما، وإنما ترجع إلى كتاب الوحي المقروء (القرآن الكريم)وكتاب الكون المنظور (الطبيعة). وكثيراً ما استخدمت علوم الطبيعة لإثبات وجود الله وقدرته، واستخدمت آيات الله وسننه لفهم الطبيعة وتصور ما وراء الطبيعة.

❖ من جانب آخر، وازنت تلك الوسطية الإسلامية في تصور مكانة الإنسان في هذا الوجود، ومدايات حريته الإنسانية، فالإنسان في نظرها ليس المجبر الذي لا حول له، وليس الحر دون قيود أو حدود، هو حر في إطار قدراته وإمكاناته وفيما هو مقدور له، وبإزاء الخيارات التي ليست من صنعه، هو حر في شوراه الفردية والاجتماعية - في الأسرة والدولة - ولكن هذه الحرية محكومة بضوابط الحلال والحرام الدينية[11].

❖ وهي ذات نظرة متوازنة للإنسان والحياة، أي الموازنة بين المادية والروحية الإنسانية، فقد خلق الله - سبحانه وتعالى - الإنسان من مادة وروح، وأمده بكل أسباب الحياة في جانبيها المادي والروحي، فهيأ للجسم البيئة الصالحة التي يعيش فيها على وجه الأرض، وهيأ للجانب الروحي غذاءه من وحي السماء، فالإنسان في مفهوم الحضارة الإسلامية هو ذلك الكائن المادي والروحي، وإن حياته الصالحة المستقيمة هي التي يراعى فيها هذا الجانب وذاك، وقد تمثل الجمع الرائع بين المادية المقتصدة والروحية المعتدلة، دون تطرف لواحدة على حساب الأخرى في الآية الكريمة :

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ...﴾

[سورة القصص، الآية:77]

وقد تبين من تاريخ هذه الحضارة أن كلا من الروحية البحتة أو المادية البحتة وحدها لا تصلح أن تكون سبيلاً لسعادة الإنسان، فليس في مسلك الروحية البحت سوى التخلف وتعطيل الإرادة والتفكير وطاقات العمل، وقتل آدمية الإنسان وخسارة منافع الكون، وتضييع لحكمة الخالق في خلق العالم، وكذلك ليس في مسلك المادية البحت سوى الطغيان والظلم والتحكم الغاشم بالأرواح والأموال والأعراض.

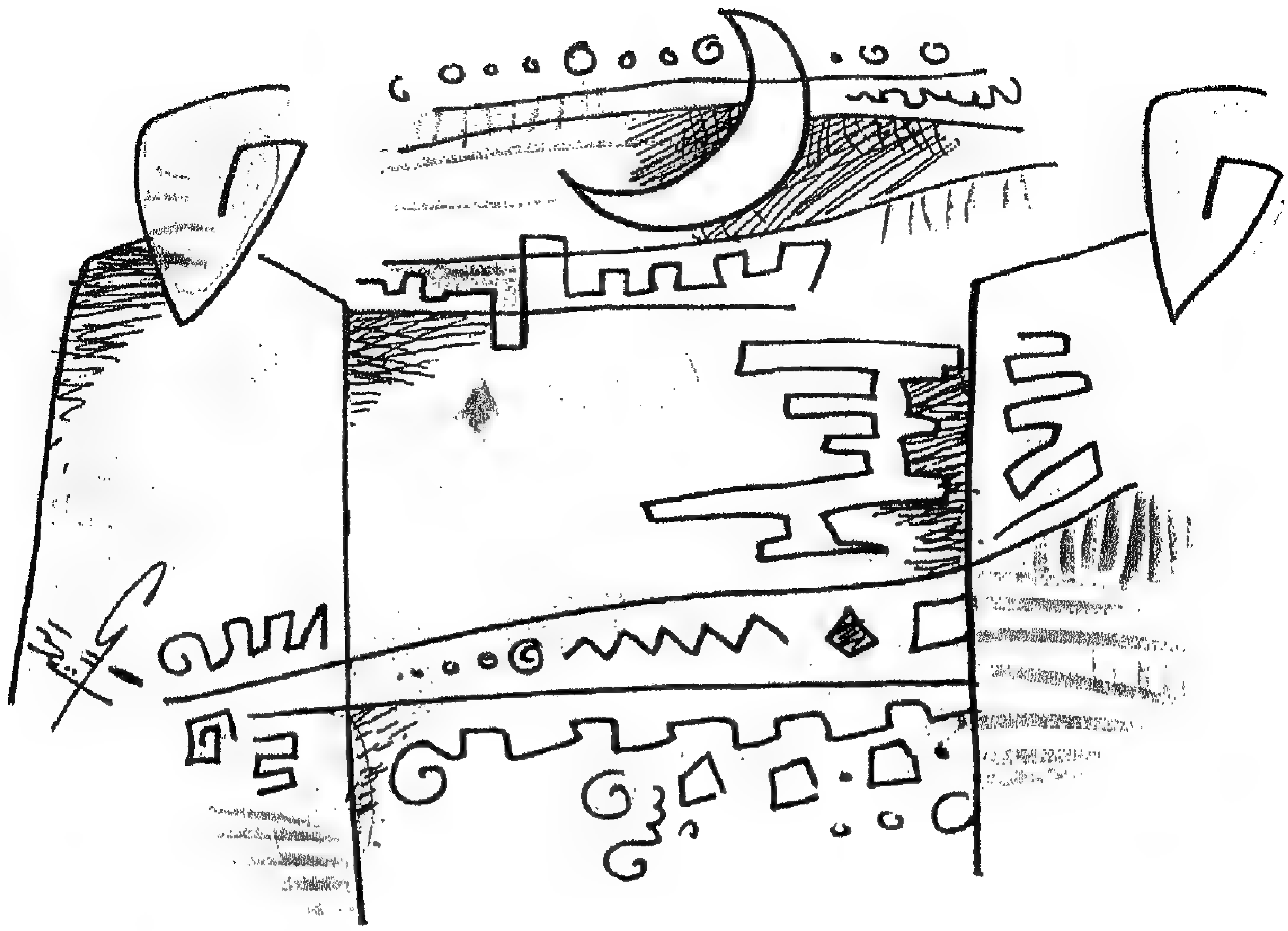
الجهل في لغة ما قبل الإسلام يعني الخضوع لسطوة الانفعال، والاستسلام لقوة العاطفة، دون الاحتكام إلى رزانة العقل وقوة المنطق، وهكذا نفهم افتخار بعض شعراء ذلك العصر بالقدرة على مقابلة الجهل بهذا المعنى بمثله.

❖واستكمالاً لنظرتها المتوازنة حول مكانة الإنسان في هذا الوجود، حددت الوسطية الإسلامية الجامعة رؤيتها المستقلة إزاء تلك المكانة : فهي لم تؤله الإنسان وتعده سيد هذا الوجود، كما أنها لم تهمش دوره، أو تمسخ مكانته، ولم تقف أيضاً بين هذين الموقفين، وإنما جمعت بالوسطية ما يمكن جمعه وتأليفه منهما، فرأت الإنسان سيداً في الكون. . وليس سيد الكون، لأنه «خليفة» عن سيد الكون[12] في الأرض، وأن دولته، ليست الدولة الدينية التي تنفي كون الأمة مصدر السلطات، وليست الدولة الدنيوية، التي تبيح لسلطات الأمة إباحة الحرام وتحريم الحلال. فالإسلام دين الجماعة.. والمسؤولية فيه فردية في فروض العين، واجتماعية في فروض الكفاية، والتمايز الفئوي أو الطبقي في

---

(11) رواه الإمام أحمد بن حنبل في (المسند).

(12) محمد عمارة : المرجع السابق، ص 33.



مجتمعه حقيقة تمثل الفطرة الإنسانية في تفاوت القدرات والملكات والاحتياجات، والتي تؤدي بالنتيجة إلى تعدد الأفكار والرؤى والتوجهات في التعامل مع الواقع ومعالجة مستجداته. لذا فإن هذه العلاقة بين هذه الفئات والطبقات لابد وأن يحكمها: التوازن أي العدل، ذلك أن كل فئة أو طبقة تعتمد على الأخرى، فهي علاقة الارتفاق والتسخير الشامل لكل ظواهر الطبيعة وقواها، وليس علاقة السخرة أو الظلم والاستغلال، وإذا اختل ميزان العدل بين الفئات أو الطبقات، فإن الوسطية الإسلامية ترفض الاستسلام لهذا الظلم، كما ترفض الصراع الذي يطمح به طرف لنفي الطرف الآخر، والانفراد بالسلطات والثمرات، وتقدم البديل وهو (التدافع الاجتماعي) الذي هو حراك اجتماعي يسعى إلى تصحيح العلاقة الاجتماعية بين فرقاء متعددين، وإعادة هذه العلاقة إلى لحظة العدل ــ التوازن، وهدف الدفع تغيير المواقع وتفاعل الأفكار والممارسات، وليس نفي الآخر الاجتماعي أو إقصاءه وتهميشه، فالسكون وهيمنة الفكرة الواحدة والرتابة تفضي دائما إلى الضمور والتخلف والفساد.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية: 251]

❖ التعددية وشرعية الاختلاف:

التعدد والتنوع هما الفلسفة التي يؤكدها الإسلام في كل أنواع الوجود، والعالم في الرؤية الإسلامية هو منتدى حضارات تتعارف وتتفاعل من موقع التمايز الذي يحفظ لكل حضارة ما يميزها عن غيرها من الحضارات، فكانت التعددية في إطار الوحدة هي المذهب الذي ذهبته الوسطية الإسلامية حيال نظرتها إلى الإنسانية وفي رؤيتها للآخرين، فدين الله واحد

أزلاً وأبداً، وشرائعه متعددة:

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ...﴾ [سورة المائدة، الآية:48]

فالتعدد والتنوع هنا في الشرائع في إطار وحدة الدين، والإنسانية واحدة، واختلافها وتمايزها إلى أمم وشعوب وحضارات سنة من سنن خالقها، وآية من آياته، وقانون من قوانين الوجود، قال تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [سورة هود، الآية:118]

وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ...﴾ [سورة الحجرات، الآية:13].

وقال وقوله الحق:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ [سورة الروم، الآية:22]

ونتيجة لتفاوت القدرات والاحتياجات الإنسانية، كان التفاوت في الأرزاق ومن ثم في التراتب الاجتماعي، قال تعالى شأنه:

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً ...﴾ [سورة الزخرف، الآية:32]

إن تعدد العقائد والألسن والألوان، وتعدد المصالح والمواقع الاجتماعية، فضلا عن تعدد الأمم والشعوب؛ يؤدي بطبيعة الحال إلى التعددية الفكرية وإلى الاختلاف، وهناك كيفيات ومستويات متعددة للاختلاف، إلا أنه في المجتمعات الإسلامية التقليدية هناك نوعان من الاختلاف: اختلاف داخل المعتقد الواحد، إلا أن الأطراف المختلفة تسلم مع ذلك بمجموعة من الثوابت العقائدية المشتركة، ويكون الاختلاف في مستوى التأويل، فهناك نصوص واحدة، إلا أنها تؤدي إلى تعدد المعنى، تؤول تأويلات مختلفة، تقام عليها أنساق من المدارس (المذاهب)، وهكذا تكونت مذاهب الفقهاء وفرق المتكلمين، وهذا النوع من الاختلاف هو ما نود الوقوف عنده، لأن الخروج عن إطاره هو الذي أدى ويؤدي إلى مزالق التطرف والانحراف.

أما النوع الآخر من الاختلاف فهو اختلاف بين مفكري الإسلام مع الأطراف المناقضة لهم، أي اختلاف بينهم وبين الذين هم خارج دائرة المعتقد المشترك، وهو اختلاف طبيعي ومشروع يندرج في إطار سنن الكون وقوانين الوجود.

وازنت حضارتنا بين مصدري المعرفة: الوحي وعلومه الشرعية، والوجود وعلومه الطبيعية. فلا تعتمد الوحي وحده دون الوجود، ولا تصنع العكس، وكذلك لا تقف بينهما وبمعزل عنهما، وإنما ترجع إلى كتاب الوحي المقروء (القرآن الكريم) وكتاب الكون المنظور (الطبيعة).

إن الاختلاف الأول - وهو موضوع بحثنا - أمر محتمل الوقوع حيثما وجد التعامل مع نص وخبر مقدسين، كلاهما يُحمل ويُتناقل بلغة تتخذ سمة الإجمال والإشارة والرمز، فتتعدد التأويلات، ثم هناك قياس الوقائع المتجددة على النص الثابت المجمل العام، وكل هذا يؤدي إلى اختلاف في القراءة فينتصب على رأس كل قراءة إمام يتحلق حوله أتباع، وهكذا تنشأ المدارس الفقهية (المذاهب) وتتعدد وتختلف [13].

وحين يتحدث الفقهاء عن اختلاف السلف الأول، فكأنهم يتحدثون عن أمر عادي قد وقع بينهم، أو أنه كان طبيعياً أن يقع، وأنه كان من حقهم أن يختلفوا،

(13) علي أومليل، في شرعية الاختلاف، الرباط، 1991، ص 55.

فيقول الماوردي «القرن الخامس الهجري»: (كلام كل كتاب وأخبار كل نبي لا يخلو من احتمال وتأويلات مختلفة، لأن ذلك موجود في الكلام بنفس طباعه، ولا كلام أولى بهذه الصفات من كلام الله جل ذكره، إذ كان أفصح الكلام وأوجزه، وأكثره رموزاً وأجمعه للمعاني الكثيرة... ولا بد في الدين من وقوع الحوادث (الأحداث الطارئة) التي يحتاج إلى النظر فيها، والنوازل التي لا يستغني العلماء عن استخراجها، ولذلك صار لكل رأي تبعٌ ومشرعون وأئمة ومؤتمون)[14] ونقرأ هذه العبارة للإمام الغزالي «القرن الخامس الهجري»: (وليس المراد نفي اختلاف الناس فيه «أي القرآن» بل نفي الاختلاف عن ذات القرآن)[15] والنتيجة المترتبة على هذا القول أن الاختلاف أمر متوقع ومشروع.

وإذا اعتمدنا الخلاصة الذي يقدمها ابن خلدون (القرن الثامن الهجري) حول مسألة الاختلاف هذه؛ فإننا نجد أن مبرر ظهوره شيئان: كون النصوص المقدسة تحملها لغة، وهذا في حد ذاته سبب، لاختلاف التلقي والتأويل، وكون النصوص المقدسة التي هي ثابتة لا تتغير تحاول أن تحكم واقعاً متغيرا. يقول ابن خلدون:

(وكان السلف يستخرجونها «أي الأحكام الشرعية» من الأدلة «ويتعلق الأمر في هذه المرحلة بالدليلين الأساسيين القرآن والسنة» على اختلاف بينهم، ولابد من وقوعه «أي الاختلاف» ضرورة، لأن الأدلة غالبها من النصوص، وهي بلغة العرب، وفي اقتضاءات ألفاظها لكثير من معانيها اختلاف بينهم معروف. وأيضاً فالسُّنّة مختلفة الطرق في الثبوت، وتتعارض في الأكثر أحكامها، فيحتاج إلى الترجيح وهو مختلف أيضاً)[16] ويضيف ابن خلدون مسألة أخرى غاية في الأهمية لتبرير وقوع الاختلاف وتفسير شرعيته، وبأن وقوعه يعد أمراً طبيعياً وهي: أن النص لا يشمل الواقع في تعدده وتجدده، وهي سُنّة الكون، فالنص هو بطبيعته ثابت، موحَّد، ومختزل، في حين أن الواقع كثير، متعدد ومتجدد، فيقول: (فالوقائع المتجددة لا توفي بها النصوص)[17].

إن الاختلاف وفق هذا المنظور الذي أشرنا إليه، أمر متوقع ومشروع، وهو اختلاف حول النص، وليس خلافاً مع النص، ولكن موقف بعضهم لم يكن يساير هذا الاستنتاج، إذ العادة أن يعد كل طرف أن اختلاف الأطراف الأخرى ليس اختلافا معه حول تأويل النص بل يعدها مختلفة مع النص المقدس، وأن رأيه بالذات وحده المطابق للنص. وهكذا يحرّم حق الاختلاف على الآخرين، لأنه لا يعتبرهم أطرافاً قد اختلفت معه حول قراءة النص وتأويله، بل يعدها قد اختلفت مع النص نفسه، وما أكثر ما نجد الأطراف المتخاصمة كل واحد منهم يدعي أنه الناطق المعتمد الرسمي باسم النص المقدس، وأنه وحده العليم بكنهه، وكل ما في الآمر أنه يتقمص سلطة النص المقدس لتمرير سلطته هو، يفرض فرضاً أن قوله هو المطابق تمام المطابقة للنص، وأن خصومه ليسوا مجرد أناس قد اختلفوا معه كما اختلف هو بدوره

نزوع الإسلام نحو إشاعة مشروعه الحضاري على الصعيد العالمي ارتبط دائماً بمبدأ الحوار الذي تظل في إطاره اختيارات الآخرين منوطة بحريتهم أياً كانت طبيعة تلك الاختيارات.

(14) الماوردي أبو الحسن علي بن محمد البصري، نصيحة الملوك، تحقيق محمد جاسم الحديثي، بغداد، 1986، ص 111.

(15) أومليل، مرجع سابق، ص 50.

(16) ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1967، ص 798

(17) المصدر نفسه والصفحة.

معهم، بل هم المخالفون للنص. فلا حوار إذن لأن الحوار يفترض مبدئياً تكافؤ الأطراف المتحاورة، أما حين يتعالى طرف على خصومه مدعياً أنه وحده صاحب الحق المطلق، فإنه ينفي من الأساس كل إمكانية لقيام الحوار. يقول الإمام محمد عبده :

(يقولون: إن لم يكن للخليفة ذلك السلطان الديني أفلا يكون للقاضي أو للمفتي أو شيخ الإسلام؟ وأقول : **إن الإسلام لم يجعل لهؤلاء أدنى سلطة على العقائد وتقرير الأحكام، وكل سلطة تناولها واحد من هؤلاء فهي سلطة مدنية قرّرها الشرع الإسلامي، ولا يسوغ لواحد منهم أن يدعي حق السيطرة على إيمان أحد أو عبادته لربه، أو ينازعه في طريق نظره.)**[18] .

وحين يقول الفقهاء إن الاختلاف أمر طبيعي، بطبيعة الكلام المرجعي المقدس وما يؤدي إليه من تأويل متعدد، وقراءات مختلفة ؛ فإن هذا الموقف لم تستخلص منه كل النتائج المتوقعة، وإلا لترسخت ذهنية عامة تسلم بواقع الاختلاف بل بضرورته، ولقبلت الأطراف المتنازعة أن تنظر إلى خلافاتها نظرة واقعية، وبأنه خلاف بشري، تولده الاتجاهات المتباينة والمصالح المتضاربة، أي كل ما هو من خصائص الطبيعة البشرية، بدل الركون إلى عادة التعالي، تعالي كل خصم على خصمه، وبادعاء كل طرف احتكار العلم وحق التأويل والتفسير، واستعمال سلطة النص المقدس لفرض سلطته هو على الآخرين، الأمر الذي أوجد دائماً تطرفاً باسم الدين، يصادر الحقيقة ويشرّع للاستبداد، وهو يفرض الرأي الأوحد والسلطان الذي لا شريك له، ويحرّم المشاركة سواء في العلم أو في السلطة، هو تطرف محتكر للمعرفة، يدعي أنه الناطق الأوحد باسم الدين. لقد وجد هذا التطرف سابقاً، ولكنه لم ينقرض، فما زال يظهر بين الحين والآخر، وقد عاد الآن ليحتل مساحة هامة مع كثير من الصخب، ويحاول من جديد مصادرة الحقيقة بالعنف، ورد السياسة إلى الاستبداد.

ثقافة الحوار والمشاركة :

ليس ثمة شك في أن الإسلام - وهو يقر ابتداء بشرعية الاختلاف وحقيقته بين الناس والمعتقدات يؤكد قيمة الشراكة وأهمية التعايش - عَدّ التعارف والتعاون غاية وهدفاً إنسانياً نبيلاً

تعدد العقائد والألسن والألوان وتنوعها، وتعدد المصالح والمواقع الاجتماعية، فضلا عن تعدد الأمم والشعوب يؤدي بطبيعة الحال إلى التعددية الفكرية وإلى الاختلاف، وهناك كيفيات ومستويات متعددة ومتنوعة للاختلاف.

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ...﴾ [سورة الحجرات، الآية: 13]

والجميع أخوة في الإنسانية أحبوا أم كرهوا، لهذا ظل العدوان في شريعته محرماً:

﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية:190]

كما جعل السلم في منهاجه أصلاً من أصول العلاقات بين الناس:

﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا..﴾ [سورة الأنفال، الآية: 61]

إن نزوع الإسلام نحو إشاعة مشروعه الحضاري على الصعيد العالمي ارتبط دائماً بمبدأ الحوار، الحوار الذي تظل في إطاره اختيارات الآخرين منوطة بحريتهم أيا كانت طبيعة تلك الاختيارات إذ

(18) محمد عبدة ، الإسلام والنصرانية ، ط 3 ، القاهرة 1922 ص 59.

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ...﴾ [سورة البقرة، الآية: 256]

كما يظل الحاكم في جدل العلاقات - أيا كان مآل الجدل - قوله تعالى :

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: 84]

والحوار في منظوره الإسلامي لا يقتصر على ناحية دون أخرى، بل يمتد إلى مختلف النواحي الفكرية والدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والإنسانية، وجميع قضايا العصر ومشكلاته، بغية الوصول إلى صيغ أو حلول عادلة أو مقبولة، ولعل في هذا المنحى تحقيقا لمعنى الوسطية الحضارية والشهادة على الناس، ودعما لمبدأ الإنقاذ الإنساني[19].

ولا بد من القول والاعتراف بأن هناك جملة من الرؤى الضيقة التي ما برحت تعشش في عقول بعض الجماعات التي تحمل اسم الإسلام وتفرز بعض الحماقات المتطرفة، والتي تشكل تشويهاً ذاتيا للإسلام، وتعكس صورة قاتمة عن المسلمين ونمط تفكيرهم، وعلى نحو من شأنه أن يدفع الآخر إلى مزيد من التطرف والتخطيط المضاد، إن ذلك يفرض على الجميع مسؤولية الشروع بالمراجعة التي لا بد أن تمتد إلى الكثير من مفاهيمنا وخطاباتنا السياسية والثقافية، بل الفقهية أحياناً، فالدعوة إلى الوسطية ومراعاة الواقع، وقبول الآخر، وتقديم خيارات الاعتدال والتسامح؛ إنما تشكل مطالب ضرورية لا بد من اعتمادها في تعامل بعضنا مع بعض، وفي علاقتنا بالآخر.

شواهد تاريخية :

وفي تراثنا العربي الإسلامي مواقف حضارية رائعة، وصفحات ناصعة البياض تكشف عن مستوى رفيع من التفكير واستيعاب للعقيدة والشرع، لا تشوبه عقد ولا حساسيات تضع مصلحة المجتمع في المقام الأول ، بكل ما يترتب على إرساء هذه القيمة من رسوخ للعدل وسمو للفكر، مما لا نجد له مثيلاً في الأمم الأخرى آنذاك.

> **❖ التعدد والتنوع هما الفلسفة التي يؤكدها الإسلام في كل أنواع الوجود، والعالم في الرؤية الإسلامية هو منتدى حضارات تتعارف وتتفاعل من موقع التمايز الذي يحفظ لكل حضارة ما يميزها عن غيرها من الحضارات، فكانت التعددية في إطار الوحدة هي المذهب الذي ذهبته الوسطية الإسلامية حيال نظرتها إلى الإنسانية وفي رؤيتها للآخرين.**
>
> **❖ الاختلاف أمر متوقع ومشروع، وهو اختلاف حول النص، لكن البعض يرى أن اختلاف الأطراف الأخرى ليس اختلافا معه حول تأويل النص بل يعدها مختلفة مع النص المقدس، وأن رأيه بالذات وحده المطابق للنص. وهكذا يحرّم حق الاختلاف على الآخرين، لأنه لا يعتبرهم أطرافاً قد اختلفت معه حول قراءة النص وتأويله، بل يعدها قد اختلفت مع النص نفسه.**

لقد كانت مناصب الدولة تعطى للمستحق الكفء دون اعتبار لعقيدته أو مذهبه، وبرؤية مخلصة صافية لمقتضيات المصلحة الاجتماعية التي تأتي أولاً. وكانت الحلقات العلمية في بغداد، برعاية الخلفاء، فرصة طيبة للجمع بين مختلف المفكرين والعلماء على تباين مللهم ونحلهم، فكان المأمون يناشد أصحاب الديانات والمذاهب في قصره أن يبحثوا ما يشاؤون دون أن يستدل أي واحد منهم بكتابه الديني كيلا تثور الفتنة بينهم، فالبحث والنقاش الهادئان يقربان من الحقيقة بقدر ما يبعدان التشاحن والحزازات والنعرات.

ولم تقتصر هذه الحلقات العلمية (التعددية) على المجالس الخاصة وقصور الخلفاء،

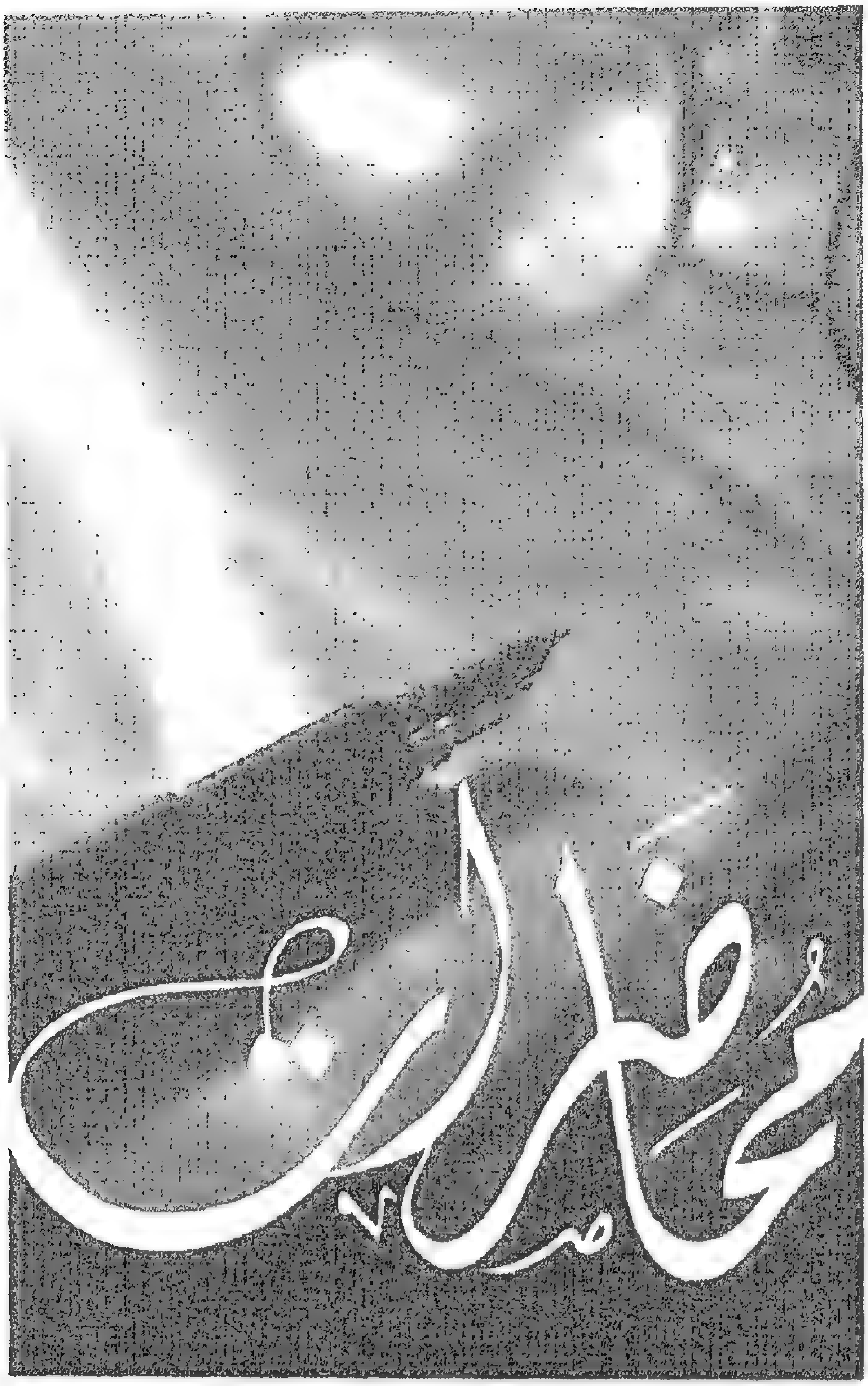
---

(19) علي القريشي ، حوار الحضارات والحاجة إلى كبح جماح الهويات المتغطرسة ، مجلة العربي ، العدد 525 ، أغسطس 2002 ، الكويت ، ص 167 .



بل كانت تعقد على المستوى الشعبي أيضاً. فيروى أنه كان في البصرة، التي تميزت بنشاطها الفكري الواسع والمتعدد آنذاك، مجلس يعقد بانتظام يضم عشرة من أشهر المفكرين والأدباء (لا يعرف مثلهم في الدنيا علماً ونباهة) وهم: الخليل بن أحمد الفراهيدي، صاحب النحو، (مسلم سني)، والحميري الشاعر، (مسلم شيعي)، وابن نظير المتكلم، (نصراني)، وابن راس الجالوت (يهودي)، وابن سنان الحراني (صابئي)، وعمر بن المؤيد (مجوسي)، وحماد عجرد، (شعوبي) وبشار بن برد الشاعر (شعوبي خليع ماجن)، وسفيان بن مجاشع (خارجي صفري)، وصالح عبد القدوس (ثنوي)، فكانوا يجتمعون فيتناشدون الأشعار ويتبادلون الأفكار والأخبار، ويتحدثون في جو من الود لا تكاد تعرف منهم أن بينهم كل هذه الفروق الدينية والمذهبية، فلقد ذهب هذا المجتمع العجيب المدهش - وفي صميم القرون الوسطى - مذهباً بعيداً في احترام كرامة الإنسان وتعميق الأخوة الإنسانية، دونما نظر إلى دين أو طائفة أو اختلاف في الرأي[20].

(20) محمد عبد الرحمن مرحبا ، أصالة الفكر العربي ، منشورات عويدات بيروت ، باريس 1982 ، ص9 .



❖ الحوار الإسلامي المسيحي... إلى أين؟



الحوار الإسلامي ـ المسيحي.. إلى أين؟*

الأستاذ فوزي فاضل الزفزاف **

بسم الله الرحمن الرحيم ..

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

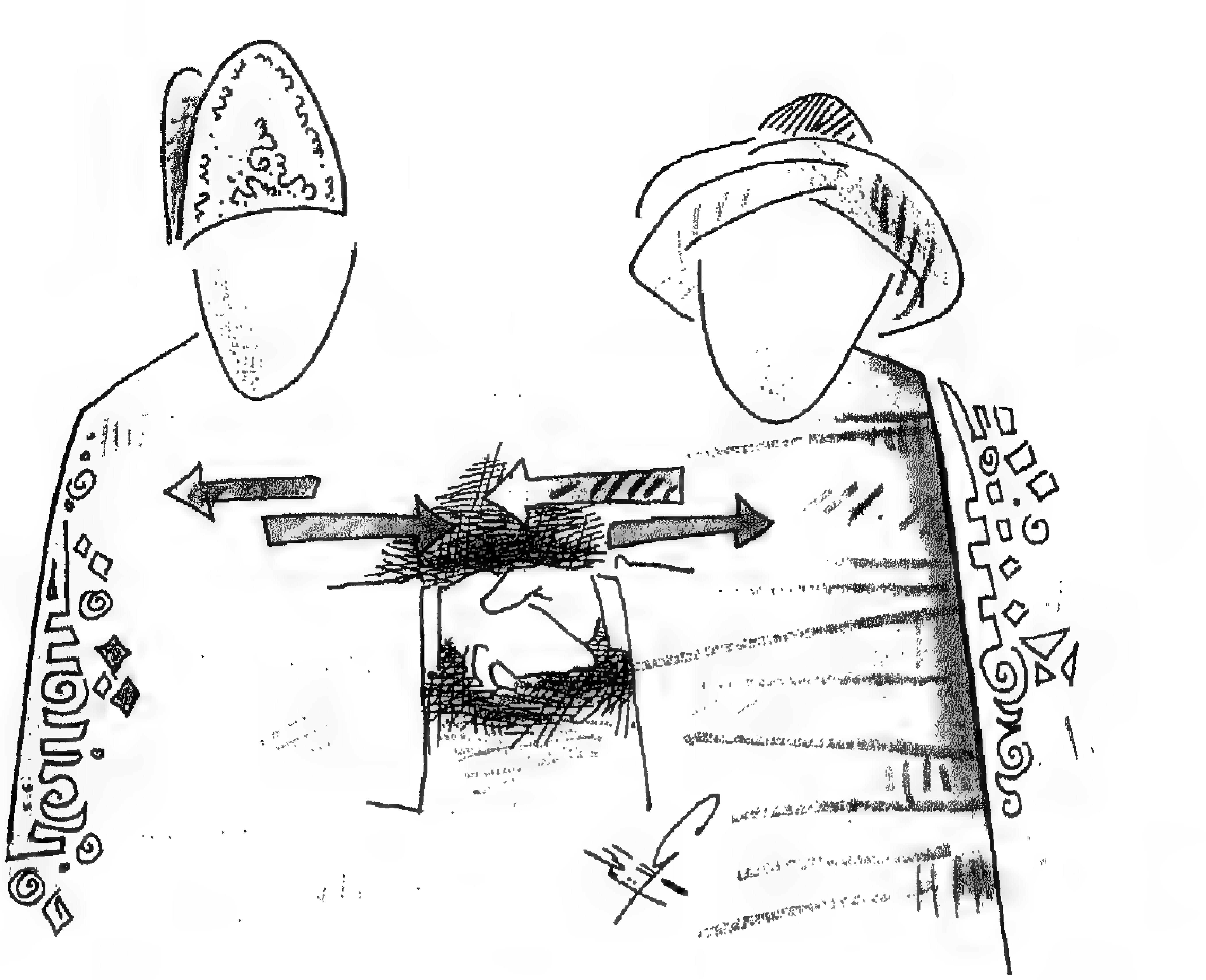
أقدم خالص الشكر والتقدير إلى الأخوة المسؤولين عن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لإتاحة هذه الفرصة لي لألتقي بكم وأتحدث معكم عن موضوع يعتبر ـ كما يقولون ـ موضوع الساعة، وهو الحوار الإسلامي المسيحي.

أولاً: ما معنى الحوار؟ الحوار معناه: المناقشة بين طرفين للوصول إلى الحقيقة، ببساطة وإيجاز: حوار حر. هذان الطرفان إما أن يكونا فرديْن أو مجموعة. فالحوار معناه المناقشة بين طرفين للوصول إلى الحقيقة.

ومما يلاحظ أن الحوار الإسلامي المسيحي الذي أخذ مظاهر متعددة وأشكالاً متنوعة خلال العقد الأخير من القرن الماضي، وفي مطلع الألفية الثالثة، هو ـ في الحقيقة ـ ليس جديداً بين الإسلام والمسيحية، فالحوار الإسلامي المسيحي بدأ منذ عهد رسول الله ﷺ ويخطئ من يظن أن الحوار الإسلامي المسيحي حديث، وأنه بدأ في القرن الماضي أو قبل الماضي أو القرن الذي قبله، أبداً.. إن الحوار الإسلامي المسيحي بدأ منذ عهد رسول الله ﷺ، والدليل على ذلك كتب التاريخ وكتب السيرة، اقرؤوا سيرة ابن هشام وغيرها من السير، سوف نجد أن الرسول عليه الصلاة والسلام استقبل وفد نصارى نجران في المسجد النبوي في المدينة المنورة، وجلس معهم، وكانوا في استضافته لمدة ثلاثة أيام في المسجد النبوي في المدينة، وتمّ في تلك الفترة ـ ثلاثة ايام ـ حوار ومناقشة بين الرسول عليه الصلاة والسلام وبين وفد نصارى نجران، تناول كيفية التعامل بين المسلمين والنصارى في ذلك الوقت. فالحوار قديم منذ عهد رسول الله ﷺ، ومن ينكر ذلك ويقول إن الحوار ليس من الإسلام نقول له: إقرأ سيرة رسول الله ﷺ، وإذا لم يقتنع نقول له: إقرأ القرآن الكريم.

* محاضرة ألقيت في كلية الدعوة الإسلامية / طرابلس، بتاريخ : 28 الحرث 1372 من وفاة الرسول ﷺ (نوفمبر 2004 مسيحي)

** رئيس لجنة الأزهر للحوار بين الأديان / مصر



الحوار.. لغة القرآن الكريم

إن القرآن الكريم ـ ونحن جميعاً نقرأه كل يوم ـ كلّه حوار، حيث نجد أن ﴿قل، قال، يقول، قلن، يقولون...﴾ إلخ، وردت في القرآن الكريم أكثر من ثلاثمائة مرة، ولا يخفى أن مادة (قال، قل، يقول، يقولون...) هي مادة الحوار، فنجد في القرآن الكريم: الحوار بين الله وملائكته، الحوار بين الملائكة والرسل، وهناك حوار بين الرسل بعضهم مع بعض، الحوار بين الرسل وأقوامهم، الحوار بين الأخيار والأشرار، الحوار بين الأخيار والأخيار، الحوار بين الأشرار والأشرار...إلخ؛ كل ذلك تقرؤونه في القرآن الكريم، القصص تقرؤونها في القرآن الكريم وكلها حوار، كما أن في القرآن الكريم حواراً بين الله وإبليس، وعندما نجد هذا في القرآن الكريم؛ فمعناه أن الله سبحانه وتعالى يعلمنا كيف يكون أسلوبنا عندما نختلف، ليس أن نتصارع ونتقاتل مع الآخر، بل أن نتحاور..

إن الله سبحانه وتعالى يعلّمنا الحوار لكي يكون هذا أسلوبنا عندما نختلف، فالحوار هو لغة الإسلام، فمن ينكر الحوار؟ سوى بعض المتشددين أو المتعصبين، يرفض الحوار ويقول: ما لنا والحوار مع هؤلاء المخالفين لديننا؟ فنقول له: الدليل على أن الحوار موجود، وأن الحوار هو لغة الإسلام؛ ما فعله رسول الله ﷺ، وما ورد في القرآن الكريم. فالحوار هو لغة الإسلام، أول شيء نسلم به هو أن الحوار هو لغة الإسلام. وإذا كان الحوار هو لغة الإسلام، وإذا كان الحوار هو منهج رسول الله ﷺ؛ إذن يجب علينا أن نستخدم هذا الأسلوب مع بعضنا، ومع مخالفينا، أن نستخدمه مع بعضنا كمسلمين، ومع مخالفينا حتى في العقيدة.

ولكن هنا يبرز سؤال مهم كنتُ طرحته أنا شخصياً مع المجلس البابوي للحوار بالفاتيكان، وذلك عندما طلب إقامة جسور للحوار بين الأزهر والفاتيكان، وكان في ذلك الوقت الكاردينال أرينزي هو رئيس المجلس البابوي للحوار، وقلت له: أنت تريد

الحوار مع الأزهر ـ وكنت في ذلك الوقت وكيلاً للأزهر ورئيس لجنة الحوار ـ فقلت له يجب أن نحدد أولاً ما هو موضوع الحوار؟ لأننا عندما نحدد موضوع الحوار ونتفق عليه فإننا نعمل على أرضية واضحة، وفي النور.

لا حوار في العقيدة

وإذا كنا سنبدأ في موضوع فيه جهالة وفيه جهل أو تجهيل إذن سنزداد اختلافاً. وقلت له إذا كنا سنتحاور في العقيدة فالأفضل لنا ولكم أن نغلق هذا الموضوع ولا نتكلم فيه، لأننا سنزداد اختلافاً، لماذا؟ لأنني عندما أتحاور في العقيدة فإنني سأقول وأصر وأوضح وأبين ان عقيدتي هي العقيدة السليمة، وفي الوقت نفسه أنت ستقول وتصر وتوضح وتبين ان عقيدتك هي السليمة، ولذلك فسنختلف، وسنزداد اختلافاً، وبناءً على هذا فإننا اتفقنا أنه لا حوار في العقيدة، كل يعبد الله على حسب ما يراه وعلى حسب عقيدته، وهذا يتفق مع المبدأ الإسلامي:

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾
[سورة البقرة، الآية: 256]

ويتفق مع قول الله سبحانه وتعالى:
﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ * لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ * وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ [سورة الكافرون، الآيات: 1ـ3]

أي أنه يتفق مع المنهج القرآني، فاتفقنا أنه لا حوار في العقيدة.

إذن إذا كان لا حوار في العقيدة ففي أي شيء سنتحاور؟ اتفقنا على أننا في الدين الإسلامي نحن كمسلمين نقول في الفضائل التي في الدين الإسلامي، بمعنى أن الدين الإسلامي يدعو إلى العدل ويرفض الظلم، يدعو إلى التعاون والمحبة وتقديم المساعدة، يدعو إلى الخُلُق الطيب، وحسن المعاملة... إلى آخر هذه المنظومة من الفضائل والقيم. وهم أيضاً يقولون إن المسيحية تدعو هي أيضاً إلى الفضائل وإلى العدل وترفض الظلم، وتدعو إلى حسن الخلق وإلى المحبة، كما أنها تدعو إلى تقديم المساعدة لمن يحتاجها... إلى آخر ذلك. وبناءً على هذا فإننا اتفقنا على أن يكون موضوع الحوار هو هذه الفضائل المشتركة، التي أقول هي في الإسلام وهم يقولون هي في المسيحية، فتكون هذه الفضائل والقيم هي موضوع الحوار بيننا، بمعنى أننا نتفق على موضوع معين، وكل طرف من الطرفين يقدم بحثاً فيه ويبيّن وجهة نظر (دينه أو عقيدته)، ثم نقدم الورقتين ونناقشهما، واتفقنا على ذلك.

> **أنتم تعرفون أن العالم الآن وصل إلى مرحلة سئم فيها الحروب، وأيقن ان الحروب لن تحل المشاكل ولن تنهي الصراعات، العالم اقتنع بهذا، ووجد أنه لا سبيل لحل الخلافات والصراعات إلا عن طريق الحوار.**

والعجيب جداً والملفت للنظر أننا عندما اتفقنا على ذلك وقعنا اتفاقية على هذا الموضوع بالفاتيكان في 28 من شهر الماء (مايو) 1998 مسيحي، واتفقنا في بنود هذه الاتفاقية ـ كما قلت ـ على أنه لا حوار في العقيدة، كما اتفقنا على أنه يجب علينا أن نجتمع دورياً، ويكون هذا الاجتماع حتمياً مرة كل عام، نجتمع في عاصمة إحدى الدولتين، مرة في القاهرة في الأزهر ومرة عندهم بالفاتيكان، وهذا لا يمنع من عقد اجتماع استثنائي مرة أو أكثر إذا دعت الضرورة إلى ذلك، وسأقول لكم كيف حدث هذا وأبيّنه لكم.

وبالإضافة إلى ذلك، ولأن الصورة عن الإسلام بالنسبة للمسيحيين صورة مشوهة، وصورة غير حقيقية، وأيضاً عند بعض المسلمين فالصورة عن المسيحية أيضا مشوّهة وغير حقيقية؛ فقد كان من ضمن ما اتفقنا عليه أن كل طرف يوضح الصورة

الحقيقية عن الدين للطرف الآخر، ونحن كمسلمين نعتبر ذلك انتصاراً لنا، ونعتبر ذلك في صفنا، لماذا؟ لأننا أصلاً كمسلمين نؤمن بالمسيحية، ونؤمن بنبي الله عيسى عليه السلام، ومن لم يؤمن بعيسى فليس مسلماً، فهذه تحصيل حاصل بالنسبة لنا، والقرآن الكريم عندما نقرأه ـ وهو يتحدث عن السيدة مريم أو يتحدث عن السيد المسيح ـ نجد أنه يعطيهما حقهما بكل احترام وتقدير.

فإذن عندما أقول: كل طرف يوضح الصورة الحقيقية للطرف الآخر؛ فهذا بالنسبة لي تحصيل حاصل، لأنني أصلاً مؤمن بالمسيحية ومؤمن بنبوة عيسى عليه السلام، وأقدر وأجلّ ـ كمسلم ـ السيدة مريم، إنما هو الذي لا يعترف بي، والصورة التي لديه صورة مشوّهة.

وإذن.. فعندما نتفق على أن كل طرف يوضح الصورة الحقيقية عنه للطرف الآخر؛ ففي هذه الحالة سنكون الفائزين في هذا، وأيضاً عندما أقول الفائزين فهذا يعني أن هناك فوزاً وخسارة، بمعنى أنني وصلت إلى حقيقة، وهو باتفاقه وتوقيعه معي اعترف بي كمسلم، وليس معنى ذلك أنني في حاجة إلى اعترافه، إنما بمجرد توقيعه اعترف بي كدين. المهم أننا وقّعنا على الاتفاقية وبالتالي بدأنا نجتمع كل عام منذ عام 1998 مسيحي، واتفقنا على ان 24 النوار (فبراير) من كل عام هو موعد الاجتماع الدوري السنوي بين لجنة الحوار في الأزهر وبين الفاتيكان.

وقد يبرز سؤال هنا: لماذا اخترنا يوم 24 من شهر النوار (فبراير)؟ السبب بإيجاز أن هذا اليوم هو اليوم الذي زار فيه (البابا يوحنا بولس الثاني) الأزهرَ الشريف، ولأول مرة في التاريخ يقوم بابا الفاتيكان بزيارة مصر، ويزور الأزهر الشريف. وهذا كان حدثاً تاريخياً، فاتفقنا على أن يكون هذا اليوم موعداً لاجتماع اللجنتين كل عام.

في هذه الفترة نحن اخترنا عدة موضوعات تحدثنا فيها، والعجيب في الأمر أنني عندما أقدم ورقة في أحد المواضيع التي يتم اختيارها، وأبحث وأبيّن رأي الدين الإسلامي، وهم يقدمون ورقة يبينون فيها رأي الدين المسيحي؛ العجيب أنه يوجد اختلاف بسيط، ونجد أن التطابق كبير جداً في وجهات النظر، وفي هذا الموضوع أو ذاك بين الإسلام كدين وبين المسيحية كدين. وأنا قلت وأؤكد لكم أن هذا بعيدٌ عن العقيدة، وكما قلت لكم فإن الإتفاقية تنص على عقد اجتماع دوري سنوي، ويجوز عقد اجتماع في أثناء العام إذا دعت الضرورة لذلك، وقد حدث هذا، وهذا مكسب وثمرة من مكاسب وثمرات الحوار، فعندما كانت الحرب في البلقان ـ في كوسوفو خاصة ـ ونحن نعلم ما حدث فيها من إبادة وقتل وتشريد إلى آخره؛ خاطبنا الفاتيكان، وقلنا لهم نحن اتفقنا على أن نقيم العدل ونرفض الظلم!! إذن ما هذا الذي يحدث من الصرب وهم مسيحيون ضد المسلمين في كوسوفو؟ تعالوا نجلس مع بعض لكي ندرس ونبحث في هذا الموضوع، وفعلاً جاء وفد من الفاتيكان برئاسة الكاردينال أرينزي، وكان رئيس المجلس البابوي للحوار في ذلك الوقت، وجلسنا وتباحثنا في الموضوع، ثم أصدرنا بياناً باسم الأزهر وباسم المجلس البابوي للحوار (باسم الإسلام والمسيحية) أدنا فيه تلك الأعمال التي تُقترف من قِبَل الصرب ضد المسلمين. وأن يصدر بيان باسم الإسلام والمسيحية، كان له رد فعل عالمي كبير جداً. وقد يكون هذا من ضمن الأسباب التي جعلت العالم

إذا كان الحوار هو لغة الإسلام، وإذا كان الحوار هو منهج رسول الله ﷺ إذن يجب علينا أن نستخدم هذا الأسلوب مع بعضنا، ومع مخالفينا. أن نستخدمه مع بعضنا كمسلمين، ومع مخالفينا حتى في العقيدة.

كله يتحرك ضد الصرب بالنسبة لما يفعلونه مع المسلمين.

فالحوار له ثمرات كثيرة ويكفي أن الحوار يذيب الجليد الذي بين الطرفين.

وأريد أن أقول لكم: إذا كان هناك من يعترض على الحوار، وإذا لم يكن هناك حوار، فما هو البديل؟؟ البديل هو التباعد والقطيعة، لا يوجد حوار، إذن معنى ذلك أننا لا نتقابل، ولن نجلس مع بعض، وستكون هناك قطيعة، وسيكون هناك عدم تلاقي بيننا، والسؤال بالتالي: ماذا يترتب على ذلك؟ سيترتب على ذلك جفاء وعداوة وبغض وكراهية، وأنتم تعرفون أن العالم الآن وصل إلى مرحلة سئم فيها الحروب، وأيقن أن الحروب لن تحل المشاكل ولن تنهي الصراعات، العالم اقتنع بهذا، ووجد أنه لا سبيل لحل الخلافات والصراعات الا عن طريق الحوار، وهذا هو ما فعلته أوروبا، وأنتم جميعاً شاهدتم ذلك.

حوار في كل مجالات الحياة

والحوار ليس مقصوداً به الحوار الديني فقط، وإنما الحوار السياسي والحوار الاقتصادي... إلى آخره، حوار في كل مجالات الحياة، وهذا ما فعلته أوروبا في العصر الحديث، والذي انتهى بالوحدة الأوروبية، رغم ما بين هذه الدول من عداوات وحروب سابقة. وأقول لكم: لكي تعرفوا الحروب ومآسيها إقرأوا التاريخ.

ووصل الأمر بأوروبا الآن إلى توحيد العملة، وأصبح اليورو (€) هو العملة الواحدة، وحل محل الفرنك والليرة والمارك... إلخ.

إذن موضوع الحوار اقتنع به الناس جميعاً، ونحن يجب أن نشجعه وأن نعمل على تحقيقه. ومن مجالات الحوار (الحوار الديني) فإذاً عندما نتحاور دينياً فنحن نتحاور لكي نزيل الجليد بين أتباع الديانتين، وربما يكون في هذا تصحيحاً للمفاهيم التي قد تكون مغلوطة بين أتباع الديانتين، ونعيش في وئام وفي سلام، وكل يعبد الله على حسب عقيدته، وعلى حسب ما يراه بالنسبة لانتمائه العقائدي. لا نتكلم عن العقيدة، إنما نحن نتكلم في أسلوب المناقشة وأسلوب المعيشة بيننا وبين بعضنا. إذن فالحوار هو لغة العصر التي يجب أن نتمسك بها، وأن نعمل على نشرها، لنتجنب الصراع، ونتجنب القتال، ونتجنب المواجهة.

لا حوار في العقيدة، كل يعبد الله على حسب ما يراه وعلى حسب عقيدته، وهذا يتفق مع المبدأ الاسلامي ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ ويتفق مع قول الله سبحانه وتعالى ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ أي أنه يتفق مع المنهج القرآني.

هذا بالنسبة للحوار الديني، وهذا هو الذي ندعو إليه، وعندما فعلنا ذلك مع الفاتيكان، ووقعنا اتفاقية معه ـ كما قلت لكم ـ فعلنا ذلك أيضاً مع الكنيسة الإنجليكانية في بريطانيا، لأنكم كما تعلمون أو إذا كنتم لا تعلمون المفروض أن تعلموا أن المسيحية ليست مذهباً واحداً، بل إن المسيحية هي مذاهب متعددة، وإذا كان هناك بعض الاختلاف ـ الذي نسميه التنوع ـ بين المسلمين في المذاهب الفقهية، فإن هناك خلافاً أكبر وأكبر بين أتباع المسيحية، الفاتيكان (كاثوليك) الكنيسة الإنجليكانية أو كنيسة كانتربري في بريطانيا هذه كنيسة أسقفية تختلف تماماً عن الفاتيكان، وهناك البروتستانت والأرثوذكس... إلخ.

وفي زمن مضى كان رجل الدين الإسلامي ورجل الدين المسيحي عندما يتقابلان يعرض كل واحد منهم بوجهه عن الآخر، أما الآن ـ ومن خلال الحوار ـ فقد بدأنا نتناقش ونتكلم مع بعض ونتحاور، وشاعت روح من المودة والتعاطف بيننا وبين بعضنا، وهذه هي ثمرة

من ثمار الحوار، وهي ثمرة مهمة جداً يجب أن نحرص على تنميتها، وأن نحرص على زيادتها، حتى نعيش في وئام وسلام، لأنه لا فائدة من الصراع، ولا فائدة من القتال، ولا فائدة من التخاصم مطلقاً، لأن كل هذه الوسائل لن نجني منها إلا الشر، أما العقائد فاتركوها لله، كل واحد يعبد الله وفق عقيدته ووفق ما يراه، ما دام لا يتعرّض لي بسوء.

شروط الحوار ومناهجه

السؤال المهم جداً الذي يجب أن تعلموا إجابته، وأنا حريص أن أوضح ذلك لكم: هل للحوار شروط؟ وهل للحوار منهج محدد يجب أن نتبعه؟

بالتأكيد الحوار له شروط وله منهج يجب أن نحرص عليه ونتبعه، لكي نحقق الغاية من الحوار، وأول شرط من شروط الحوار هو أن تكون لدى الطرفين النية الخالصة للوصول إلى الحقيقة، لأنني إذا كنت متمسكاً برأيي، ومتمسكاً بوجهة نظري، وأريد من الطرف الآخر أن يأخذ بوجهة نظري، وأنا أظل على قناعة بكل ما أقول؛ فلا فائدة من الحوار مطلقاً، وإنما ينبغي أن يكون لدى كل طرف الحقيقة التالية التي قررها فقهاء المسلمين، وهي: (رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب). فما دمنا نسير على هذه القاعدة فسنصل الى حوار حقيقي، لأني ما دمت لست متمسكاً برأيي ولا أفرضه على غيري ويحتمل أنني على خطأ، والطرف الثاني يقر مثلي ويعترف بأن رأيه يُحتمل أن يكون خطأ، ويريد أن يصل إلى الحقيقة؛ إذاً سنصل فعلاً الى الحقيقة، وعلى ذلك فأول شرط من شروط الحوار هو أن تكون عند كل طرف الرغبة في الوصول الى الحقيقة، وأن لا يتمسك برأيه، وأن لا يحاول فرض ذلك الرأي على غيره، هذا أول شرط، وإذا فقد هذا الشرط فلا فائدة من الحوار.

أما الشرط الثاني من شروط نجاح الحوار فهو أن يكون المتحاوران على مستوى واحد من العلم والمعرفة، بمعنى أن لا يأتي طرف من الطرفين لكي يتحاور في موضوع معين، فيأتي هو بالمتخصصين والعلماء الذين يعرفون الرأي ويعرفون الأدلة عليه، ثم يطلب أن يتحاور مع طرف آخر غير مستعد لذلك، فهنا لا يمكن إظهار الحقيقة، وبالتالي لا يمكن أن نقول إن هذا حوار، هذا ليس حواراً، لأن الحوار - في أي موضوع وفي أي أمر - وفق هذا السياق لا يعتبر منطقياً، لأن منطلقه سوء النية، ولأن الطرف الآخر ليس في المستوى، وهذا يحدث كثيراً في هذا الوقت، ونجده عند بعض الناس الذي يحرص على أن يظهر بمظهر القوي المتمكن من الموضوع، ويحرص على أن يفرض رأيه، لأنه جاء بمستوى عالٍ من المعرفة والثقافة، وعنده أدلة، وجاء بطرف آخر ضعيف ليس عنده الأدلة، وليست لديه القدرة على إظهار الحقيقة، فمعنى ذلك أنه يفرض رأيه بطريقة خلافية، أو بأسلوب فيه التواء والتفاف. وإذن فالشرط الثاني من شروط الحوار أن يكون المتحاوران على مستوى واحد من الأدلة والقوة والثقافة... إلخ.

إذا كان هناك من يعترض على الحوار، وإذا لم يكن هناك حوار، فما هو البديل؟؟ البديل هو التباعد والقطيعة، لا يوجد حوار، إذن معنى ذلك أننا لن نتقابل، ولن نجلس مع بعض، وستكون هناك قطيعة، وسيكون هناك عدم تلاقي بيننا، والسؤال بالتالي، ماذا يترتب على ذلك؟

أيضاً من شروط نجاح الحوار أن تتوفر لدى كل طرف المعلومات الصحيحة بالنسبة للقضية المطروحة للحوار، بمعنى: مثلاً سنتناقش في موضوع، هذا الموضوع يحتاج الى معلومات لكي تساعد على معرفة الحقيقة، هنا لا بد وأن تتوفر لدى كل طرف المعلومات الصحيحة عن هذا الموضوع، أما إذا حجبت

هذه المعلومات عن طرف، والطرف الآخر أخذ هذه المعلومات واستأثر بها لنفسه فهذا لا يسمى حواراً، لأنك حجبت عني المعلومات التي يمكن أن أستفيد منها في مناقشتي معك.

كما أنه في الحوار يجب أن تكون المعلومات صحيحة ومتوفرة لدى كل طرف، على مستوى واحد.

وكما أشرت فإن شروط الحوار كثيرة ومتعددة، وإنما أردت أن أبرز لكم أهمها، حيث إنه لا بد أن تتوفر هذه الشروط لكي ينجح الحوار، أما إذا فقدت هذه الشروط فلا حوار، ولا يمكن أن ينجح الحوار، ولا يعدو كونه محاولة من طرف قوي لفرض رأيه على طرف ضعيف، وهذا مرفوض.

الحوار وحده لا يكفي، وإنما يجب أن تكون هناك وسائل أخرى تساعد على ذلك، أو ما يمكن أن نسميها العوامل المؤثرة في المجتمع، وهي كثيرة ومتعددة. ولعل أول عامل هو الأسرة، التي يجب ان تتضافر وتتعاون مع المسئولين عن الحوار، لتطبيق الحوار عملياً، لنخرج النشأ الجديد الذي يقبل الحوار، ويقبل الطرف الآخر، بمعنى: أنا كرجل مهتم بمسألة الحوار، سأتكلم معكم في الحوار، ثم يذهب كل واحد إلى أسرته، وإلى أهله، فيجد الأب يرفض الحوار، والأم ترفض الحوار، والقائمين على شؤون الأسرة يرفضون الحوار، ويقولون هؤلاء أناس كفرة، ولا تأكل معهم ولا تعش معهم، ولا تتعاون ولا تتعامل معهم... إلخ.

ولا شك في أن هذا ينعكس سلباً،

الحوار وحده لا يكفي

إذا كان هذا هو منهج الحوار وأسلوبه فإننا في حاجة الى اتباع أسلوب ومنهج الحوار لكي يسود الوئام وتسود المحبة والتعارف بين بني البشر، وهذا هو القصد والهدف، وقد قلت ـ في أول الحديث ـ إن الحوار هو الأسلوب الذي يجب أن يُتَّبَعَ لكي نقضي على المشاكل التي تعانيها البشرية، لأن الحروب لا تحل المشاكل، ولن تنهي الصراعات. والسؤال هنا: هل اتباع أسلوب الحوار هو الذي سيساعد على تجاوز هذه المشاكل وإنهاء الصراعات؟ أو أنه الحل الوحيد والطريق الأمثل لحل هذه الصراعات، ولنشر السلام والوئام بين البشرية؟ أقول لكم: لن يحل الحوار وحده هذه المسائل، ولن ينهي المشاكل بين البشرية إلا إذا أضيفت عوامل مساعدة، تساعد الحوار على تحقيق هذه الغاية.

الحوار وحده لا يكفي، وإنما يجب أن تكون هناك وسائل أخرى تساعد على ذلك، أو ما يمكن أن نسميها العوامل المؤثرة في المجتمع، وهي كثيرة ومتعددة. ولعل أول عامل هو الأسرة، التي يجب أن تتضافر وتتعاون مع المسؤولين عن الحوار، لتطبيق الحوار عملياً، لنخرج النشأ الجديد الذي يقبل الحوار، ويقبل الطرف الآخر.

أو تكون نتائجه سلبية، فما فعلته أنا ـ كرجل مهتم بالحوار، وأطلب الحوار ـ قد تفسده الأسرة، أو بعض أفرادها، وهذا لعلمكم يحدث في كثير من الأسر، وخاصة مع الأطفال الصغار. أنتم ـ مثلاً ـ بدأتم تدركون وتعرفون الكثير من الحقيقة، والكثير من الأفكار، إنما المشكلة مع الأطفال الصغار، وقد سُئلتُ هذا السؤال في زيارة لي للمكسيك منذ سنتين تقريباً، من طلبة الجامعة، وملخص الإجابة يقول: إننا نجد أن الأب والأم ـ في الأسرة المسلمة والأسرة المسيحية ـ يوجهان الطفل الصغير ويحذرانه بعبارات من مثل: خذ بالك لا تلعب مع هذا الشخص، هذا مسيحي، هذا وحش لا تجلس معه، هذا كافر... الخ، وأيضاً من الجانب الآخر يقولون عن أولاد المسلمين ذلك، خذ بالك، لا تجلس مع هذا المسلم، هذا كافر، هذا سيئ، وبالتالي ونتيجة لذلك فإن الطفل أو

الصبي يصبح لديه نفور من الطرف الآخر. فكيف يحقق الحوار هدفه؟ لا يمكن أن يتم ذلك.

وإذن، فلكي ينجح الحوار لا بد أن تتعاون الأسرة في تنشئة الأطفال والجيل القادم على مبدأ قبول الطرف الآخر، وعلى حب الطرف الآخر وقبوله، لكي يكون هناك حب وتعاون وتآلف بين الإثنين.

أيضاً من ضمن العوامل المؤثرة، كل أستاذ وكل مدرس له أسلوب ومنهج معيّن في التدريس، البعض تألفه وتحبه، والبعض الآخر قد لا تجد عندك قبولاً له، وهكذا الأمر بالنسبة للآخر، فأنت تتأثر بالأستاذ أو الدكتور - عضو هيئة التدريس - الذي يدرس لك، تتأثر به وتسلك منهجه وطريقته. وإن كنتم الآن كباراً إلا أنكم تتذكرون - وكلنا نتذكر - كيف نتأثر بمدرس معين ولا نتأثر بمدرس آخر. ومن هنا يجب علينا - في المدرسة أيضاً - أن نربي هذا الجيل على قبول الطرف الآخر، وإنما قيمة الحوار قد تفقد الكثير من معانيها ومدلولاتها، خذ مثلاً عندما أتكلم أنا في الحوار وأطلب الحوار... إلخ، ثم نجد المدرسة والمنهج الدراسي فيه بعض الأباطيل والأكاذيب عن الطرف الآخر، أو لنقل عدم الفهم، فحينها يخرج الطفل من المدرسة وعنده كره ناتج عن معلومات خاطئة ومغلوطة عن الطرف الآخر، أجد أيضاً عضو هيئة التدريس المدرس عندما يذكر الطرف الآخر يبث الكره والعداوة والبغضاء... إلخ. وهنا نسأل: ما قيمة الحوار؟ أنا أتكلم في الحوار، وهذا أو ذاك يفسد الأمر.

الحوار له شروط وله منهج يجب أن نحرص عليه ونتبعه، لكي نحقق الغاية من الحوار، وأول شرط من شروط الحوار هو أن تكون لدى الطرفين النية الخالصة للوصول إلى الحقيقة.

وفضلاً عن الأسرة والمدرسة، هناك مؤثر خطير جداً وهو الإعلام بجميع صوره المرئية والمسموعة والمقروءة، وهذا جهاز خطير جداً، ما قيمة أن نتكلم في الحوار وندعو الناس إلى الحوار ثم نجد الإعلام يفسد كل ذلك بمسرحية أو تقرير أو حديث... إلخ، أو إذاعة موجهة ضد الطرف الثاني؟ ما قيمة هذا ونحن نرى الآن ونسمع أن هناك إذاعات - مرئية ومسموعة - موجهة ضد الإسلام والمسلمين، الآن يتكلمون كلاماً لا يمكن أن يقبل مطلقاً، لا سيما عندما يتحدثون عن الرسول عليه الصلاة والسلام ويتهمونه بأشياء نسمعها ونقرأها. فإذا، وحتى نشيع قيمة الحوار ويحقق نتائجه فلا بد - أيضاً - أن تتعاون أجهزة الإعلام مع المؤثرات الأخرى لكي يؤتي الحوار ثمرته.

الحوار هو لغة العصر

عندما أقول إن الحوار هو لغة العصر فإننا جميعاً يجب أن ننشر الحوار، ونقول في الوقت نفسه إن الحوار إذا ترك بمفرده لن يحقق الغاية المرجوة منه، ولكن يجب أن تتعاون المؤثرات الأخرى مع الحوار لكي يؤتي ثمرته، وإذا لم تتعاون هذه الأجهزة مع الحوار فلن يؤتي الحوار ثمرته مطلقاً.

هذا هو الذي أردت أن أنقله لكم في موضوع الحوار، وأؤكد لكم - كما بدأت حديثي - أن الحوار يجب أن ينتقل من القمة إلى القاعدة، لأن الحوار ما زال حتى الآن على مستوى القمة، بمعنى أنني كرجل دين إسلامي لي موقعي ومركزي ووضعي الإسلامي، والذي أجلس معه، وأتحاور معه، والذي أتناقش معه، هو رجل دين مسيحي أيضاً على مستوى القمة وعلى مستوى القيادة، وإذا نقلنا هذا الحوار من القمة إلى القاعدة، وأصبح الحوار على مستوى القاعدة وعلى مستوى الجماهير سنحقق الغاية المرجوة من الحوار، وهذا هو المطلب، والذي يجب أن نعلمه ويجب أن نحققه، كما يجب أن نتمسك به.

أرجو أن أكون قد أوضحت ما معنى الحوار؟ وأوضحت ما هو الحوار، وإلى أين يتجه الحوار؟

ولعل السؤال الذي يبرز هنا هو:

إذا كان الهدف من الحوار هو الوصول الى الحقيقة، فما معنى أنه لا حوار في العقيدة؟

وفي ظني أن هذا السؤال وجيه جداً ويحتاج إلى إجابة واضحة عنه.

العقيدة شيء لا يتغير عند الإنسان، ونحن نعلم جميعاً ما يعرف بالتعصب العقائدي، فأنا لو فتحت باب الحوار في العقيدة ـ والتعصب العقائدي موجود ـ إذاً سنزداد اختلافاً كما قلت ونبث العداوة والبغضاء، إنما عندما نتسامح ونقول: أنت تعبد الله كما تريد وكما تعتقد في ديانتك، وأنا أعبد الله كما أريد وأعتقد في ديانتي؛ فالآن أذبت الجليد الذي بيني وبينك، لأنك لن تُكْرِهَني على دين لا أعتقده، إنما أنت بعد ذلك بقراءتك واطلاعك واستعمال عقلك الذي خلقه الله لك؛ وصلت الى الحقيقة في الديانة فقبلتها باختيارك. فهناك فرق بين أن أجبرك على عقيدة أخرى، وبين أن تقبل هذه العقيدة باختيارك وبعد فكر وبعد روية وتأمل. فلذلك عندما قلنا لا حوار في العقيدة فذلك لكي نفتح باب التقارب، لأنني عندما أقول لا حوار في العقيدة تلقائياً أنت تقبل أن تتناقش معي، إنما عندما أقول أتحاور معك في العقيدة فتجد أن ردّ الفعل عندك عنيف وغير مقبول. ونحن عندما قلنا للفاتيكان ولكنيسة كانتربري لا حوار في العقيدة، قلنا لهم لكي تعلموا نحن على استعداد ان نتحاور في العقيدة، إنما ليس هذا في صالحكم، لأن عندنا من الأدلة، ولدينا من حجج الإقناع والبراهين ما يثبت ويوضح حقيقة ديننا، إنما أنتم في مركز ضعيف. وعندما نسير وفق هذا السياق (لا حوار في العقيدة) عندها سنتقارب من بعضنا أكثر، وسيبقى كل طرف على استعداد أن يسمع الطرف الآخر، خاصة عندما نصت الاتفاقية الموقعة بيننا على أن كل طرف يصحح المفاهيم عن الطرف الآخر، وقلت لكم هذا في بداية الحديث إنه لا مشكلة عندنا نحن المسلمين بالنسبة للديانة المسيحية مطلقاً، لأننا نعترف بالسيد المسيح، وأنا مؤمن بنبي الله عيسى وأحترم السيدة مريم، وأنها من بيت طاهر كما يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في سورة مريم وفي سورة آل عمران... الخ.

الحوار هو الأسلوب الذي يجب أن يُتَّبَعَ لكي نقضي على المشاكل التي تعانيها البشرية، لأن الحروب لا تحل المشاكل، ولن تنهي الصراعات. والسؤال هنا: هل اتباع أسلوب الحوار هو الذي سيساعد على تجاوز هذه المشاكل وإنهاء الصراعات؟ أو أنه الحل الوحيد والطريق الأمثل لحل هذه الصراعات، ولنشر السلام والوئام بين البشرية؟

ولسائل أن يسأل: إذا كان الحوار ليس في العقيدة ففي أي شيء حاور رسول الله ﷺ نصارى نجران؟؟

عندما نرجع إلى كتب السيرة نجد أن رسول الله ﷺ تحاور مع نصارى نجران في مسألة كيف يعيش نصارى نجران مع المسلمين في تعاون مع بقاء كل طرف على دينه؟ هل الكتب تقول إن نصارى نجران أسلموا؟ أبداً. فكيف وفي ماذا كان التحاور؟

كان التحاور: يا محمد كيف نتعاون مع بعض في أن نعيش على ديننا وأنتم على دينكم ونتعاون مع بعضنا في الحياة المعيشية دون ان نصطدم مع بعض. فلم يجبر الرسول نصارى نجران على أن يدخلوا الإسلام.

وفي الختام أشير إلى نقطة مهمة وهي أن الحوار الإسلامي المسيحي حوار مفتوح ومعلن، وتنقله وتنشره وسائل الإعلام، ولا نتحاور في غرف مغلقة.

والسلام عليكم و رحمة الله تعالى وبركاته.



البروفيسور أكمل الدين إحسان أوغلي

الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي:

الإسلام ليس جغرافيا واحدة، وكذلك الغرب

البروفيسور أكمل الدين إحسان أوغلي للتواصل:

العالم الإسلامي لم يحسن الإستفادة من ثرواته

حاوره :د. عبدالعاطي محمد عبد الجليل*

يشدك إلى الحوار معه حرصه الشديد على النطق بلغة الضاد دون لكنة غالبا ما تشوب ألسنة الناطقين بها من غير العرب.

يتميز طرحه لقضايا المسلمين المعاصرة والمتفجرة بالروية والرجوع بالظاهرة إلى بداياتها، دون التسليم بما يعتبره الآخر أحكاما ونهايات قاطعة وإن كان - مع ذلك - يقر بعجز المسئولين في العالم الإسلامي(ومنهم رجال الفكر والدعوة) في توصيل صورة حقيقية عن الإسلام وسماحته حيث تقف جماهير المسلمين اليوم وهي غير قادرة على استعادة الشعور بالعزة ونبل الانتماء لدينهم وحضارتهم ورفع التهم التي يحاول البعض إلصاقها بهم.

إنه البروفسور «أكمل الدين إحسان أوغلي» الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي الذي ينفتح بموقفه على الآخر.. في لقاء اجري معه على عجل دون ترتيبات تأخذ في التقدير المساحة الزمنية الكافية، وهو أمر كان مستحيلا في ظروف وارتباطات متعددة.

الامتزاج والإسهام في الحياة الأدبية بالقاهرة

❖ المثقف والباحث الأستاذ أكمل الدين إحسان أوغلي .. بعض الذين لايعرفونك شخصياً يلاحظون أنك تجيد اللغة العربية أفضل مما يتحدث بها الكثيرون واللافت أن نطقك وأداءك بهذه اللغة لا تشوبه أية لهجة بإيقاعها وجرسها.

أكمل الدين: في الواقع إنني اعشق اللغة العربية، و الأدب العربي، والثقافة العربية بصفة عامة.

إن حبي لهذه الثقافة يرجع لأهم عنصر فيها وهو اللغة العربية - وكان حبا قديماً ومتجدداً. ومنذ شبابي الباكر وأنا أعمل في المجال الثقافي، وقراءاتي للأدب واتصالي بالأدباء ومحاولاتي الأدبية كانت كلها تصب، أو تنبع من هذا الحب.

❖ قرأت بعض مقالاتك وانتاجك العلمي، وخاصة عندما كانت مجلة «مركز البحوث والدراسات» تصدر بانتظام. ومنذ ذلك الوقت وأنا أعرف أنك على اطلاع حقيقي على الأدب العربي، وهذا ليس غريبا عنك، ولكن يبدو لي أن هناك

---

* كاتب وصحفي وأستاذ جامعي / ليبيا

خصوصية معينة تميزك، فهل عشت في المنطقة العربية ؟

أكمل الدين: نعم عشت فترة من حياتي في مصر، وهناك امتزجت مع جيل من الأدباء والشعراء، الذي يعرف بجيل الستينيات من القرن الماضي وساهمت حينذاك في الحياة الأدبية هناك على قدر الاستطاعة وصدر لي كتابان في ذلك الوقت.

السهل الممتنع

❖ بدأنا بالخاص، ولعل هذا أحد أفضل المداخل الحقيقية التي يمكن أن يقودنا إلى التحدث عن الشأن العام.

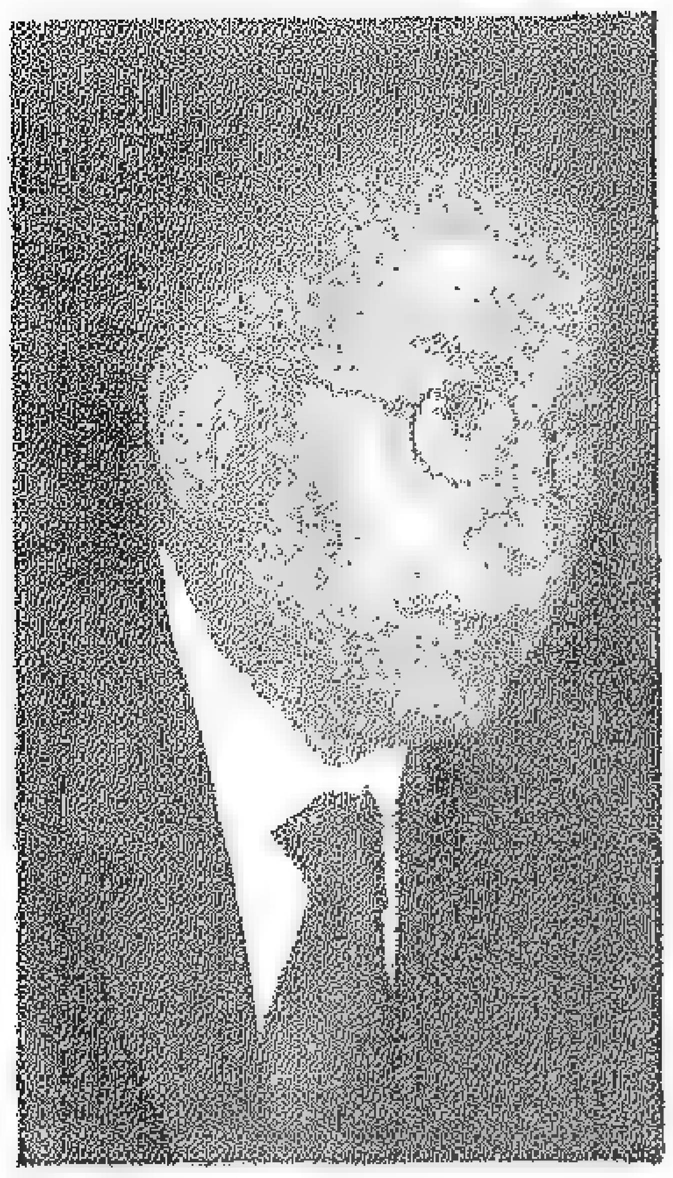
أستاذ أكمل الدين، الآن.. نرى المسلمين في العالم الإسلامي في حاجة إلى أن يفهموا بعض النقاط التي تحتاج إلى إيضاح.. ونحن نرى أنه منذ الثمانينيات أو منذ أواخر الثمانينيات بدأت بعض الأفهام أو الفهوم غير الصحيحة عن الإسلام والمسلمين تنتشر كالنار في الهشيم، وأصبح هناك خلط بين الإسلام والمسلمين.

والسؤال هو - ومن خلال ثقافتكم - والتي هي على صلة متميزة باللغة العربية: كيف ترون هذا التغير في النفسية والعقلية؟.

أكمل الدين: سؤالك هذا من السهل الممتنع... السهل في طرحه، والممتنع صعب في الإجابة عليه.

العالم الإسلامي بطبيعة الحال يمر منذ مدة طويلة بفترة محاولات أقلمة وهو يجد نفسه مع التغيرات الكبيرة التي يعيشها العالم منذ الثورة الصناعية..

هذه الثورة التي حدثت في أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر مسيحي وكلها قامت في العقود الأولى من القرن التاسع عشر عندما



الإسلام المجرد شيء صعب لأنه أمر أكاديمي ومبادئ ومثل تدرس على المستوى الجامعي

قويت الأساطيل الأوروبية وازدهرت الاقتصاديات الغربية، ودخلت الميكنة في وسائل الاتصال.

ومن هنا رجحت كفة الغرب في الحروب التي شنها على العالم الإسلامي، والذي كان مازال يعمل في نطاق الطاقة الكلاسيكية التي تولد عن طريق الجهد الإنساني أو الفحم.

وهذا جعل أوروبا تتقدم علينا وبدأت تغزو بلادنا لأننا أصبحنا بلادا سهلة المنال، وبذلك دخلت فرنسا الجزائر.. بعد ذلك تونس.. الهند تحت الاحتلال الانجليزي.... ثم ليبيا تحت الاحتلال الإيطالي..

في الحرب العالمية الأولى والمنطقة كلها قد تمت السيطرة عليها، وعاش العالم العربي إلى الحرب العالمية الثانية تحت الاحتلال.. بعد الحرب العالمية الثانية وتغير ميزان القوى اضطرت القوى الكولونيالية الصغيرة إلى أن تنسحب بعدما صغر حجمها..

وبدأت الحرب الباردة واستقطب العالم تحت قطبين كبيرين، وترتبت أوضاعه من جديد تحت هذا الواقع، ولم نكن نحن في ذلك الوقت قد تجاوزنا الفجوة بيننا وبين العالم المتقدم...


والآن ومع انتهاء الحرب الباردة تغيرت كل هذه الأمور، وما زلنا نعيش الفجوة بيننا وبين الغرب

المتقدم، ولن يصلح حالنا إلا إذا كسرنا هذه الفجوة، أو تجاوزنا هذه الفروق، وأصبح الإنسان المسلم على قدم المساواة مع الآخر المتقدم في النواحي الصناعية والإنتاجية والعلمية، ولذلك نحن نعيش إشكالية كبيرة يجب أن نتجاوز ظواهرها السطحية إلى بواطنها حتى نستطيع أن نتخلص منها.

الإشكالية المركبة

*** من خلال حديثكم نرى أن هناك إشارة إلى العامل السياسي والعامل الثقافي... نتفق على أن الاستعمار كان حركة سياسية أولا ثم أصبحت حركة ثقافية فيما بعد... الشارع والشعب العربي في المنطقة العربية والشعوب الإسلامية عموما انصبغت إلى حد كبير بالثقافات أو السياسات الوافدة.. وهذا الواقع ولد نوعاً من عدم التواؤم بين الثقافي الموروث والثقافي الأصيل المستند إلى الثقافة الإسلامية، والثقافي الذي ورد مع حركة الاستعمار، ألا يشكل هذا، إلى حد كبير، الوضع السياسي في الوطن العربي والعالم الإسلامي اليوم؟... أليس هناك نوع من الإشكالية بين خيارات العالم الإسلامي حالياً بين ما هو ثقافي إسلامي وبين الذي يوصف بأنه غير قادر على استيعاب الحاضر ثم بناء المستقبل؟.. كيف ترون هذه الإشكالية المركبة؟**

أكمل الدين: أنا أرجع إلى بداية سؤالكم من أن الغرب استطاع أن يسيطر سياسياً.. ونقف عند هذه الجملة لأنها تمثل بداية



السؤال والإشكالية المركبة... كيف استطاع الغرب أن يسيطر؟

استطاع الغرب أن يسيطر لأنه كما هو معروف أن نابليون حاول السيطرة على مصر وفشل حيث استطاعت الدولة العثمانية أن تطرده من مصر بجيشها من ناحية وبالموازنة السياسية في الداخل وإلى آخره... ولكن الدولة العثمانية لم تستطع أن تطرد فرنسا من الجزائر، ولم تستطع أن تطردها من تونس، ولم تستطع أن تطرد الإنجليز عندما دخلوا مصر سنة 1882 مسيحي.. الإيطاليون دخلوا ليبيا وأريقت دماء الشهداء من الشعب الليبي والشعب التركي، ولكن لم تنجح.. لماذا؟ لأن الفجوة الصناعية والعلمية والتقنية التي أشرنا إليها كانت قائمة بين الاستعمار الغربي والعالم الإسلامي الذي كانت تمثله الدولة العثمانية... إذا كلما تأخر الإنسان كلما أصبح لقمة سائغة للآخرين...

إذاً الفرق الزمني بين احتلال نابليون لمصر واحتلال فرنسا للجزائر كان حوالي 30 سنة وكانت فترة مع تطور الثورة الصناعية حيث أصبحت فرنسا غير فرنسا التقليدية.. وكذلك انجلترا وايطاليا.

و.. إشكالية معاصرة

❖ هذا يقودنا إلى إشكالية معاصرة إذا تحدثنا عن التخلف والفقر... الخ

دائما صورة العالم الإسلامي موجودة.. إذا تحدثنا عن الغنى وتحدثنا عن أن هذه المنطقة مؤهلة لكي تساهم بشكل كبير في تقدم العالم لأن العالم الإسلامي موجود بثرواته... فكيف نواجه هذه الإشكالية المعاصرة؟ الغنى في العالم الإسلامي والفقر أيضاً؟

أكمل الدين: هذا يدل على عدم وجود فكر علمي منهجي تنموي يجعل الأهداف تسير في الطريق السليم... الثروات الكبيرة التي هبطت من السماء أو تفجرت من الأرض هذه لم يحسن العالم الإسلامي استخدامها حتى الآن، صحيح ليس في كل الأحوال.. نسبيا هناك بلدان استطاعت أن تستفيد من هذه الثروات ولكن هذا نادر...حيث تكون هذه الثروات ليست دائما نعمة على أصحابها.

«الإسلام والغرب» هل هو وضع الإسلام في مواجهة الغرب الجغرافي.. أم في مواجهة الغرب الثقافي؟!

الإسلام والغرب

❖ فيما يتعلق بمرحلة الاستعمار ظهر منذ فترة مصطلح الإسلام والغرب... الحقيقة هناك إشكالية في فهم هذا المصطلح.. الإسلام عقيدة والغرب قد يكون جغرافيا.. وقد يكون ثقافة.. فيكف يمكن أن نضع هذا المصطلح إما في مواجهة الجغرافيا التي تعني الغرب بالنسبة للشرق أو في مواجهة الثقافة إن كان الغرب يعني ثقافة؟ علما أن الثقافة الغربية هي عامل أساسي في الوطن العربي والعالم الإسلامي، والإسلام الآن أصبح أيضاً عاملا أساسياً في المجتمعات الغربية إن صح التعبير؟.

أكمل الدين: أنا اعتقد أنه عندما نقول الإسلام والغرب لا نقصد الدين، بل نقصد الحضارات.. الإسلام أيضا ليس جغرافيا واحدة.. والغرب ليس جغرافيا واحدة..

الآن الغرب لم يعُد هو أوروبا فقط.. وإنما هو

أوروبا.. وأمريكا الشمالية.. وأيضا ممكن أن تدخل تحت هذا التصنيف أمريكا اللاتينية.. وممكن أن تدخل اليابان وهي الدولة الآسيوية...

القيم الفعلية ليست في الشعارات

إذا هي مصطلحات واسعة وتعريفها وتحديدها فيه إشكالية «ايستمولوجية» ولكن أيضاً هناك واقع، وهناك تميز بين العالم الإسلامي وتوجهاته في بعض المسائل وبين الغرب، إلا أننا يجب أن نقول أن الحضارة الغربية الآن أصبحت في وضع متقدم عما نحن عليه، قد يكون فيها من القيم الإنسانية ما هو ليس غريبا علينا وبالعكس هناك بعض القيم كان الإسلام هو أول من دعا إليها... فكما قلت في كلمتي الافتتاحية بالدورة الرابعة عشر للجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك* يجب أن لا نعتبر وجود هذه القيم التي هي قيم إنسانية وكانت موجودة في تراثنا القيمي غريباً علينا، ولكن في نفس الوقت لا يكفي أن نقول أن الإسلام هو أول من دعا إلى كذا وكذا، ولكن يجب أن نطبق هذه القيم... فالقيم الفعلية ليست في الشعارات ولكن في تطبيق حرية الإنسان.. وحرية التعبير.. وحرية الحركة.. وحرية التملك.. وحرية النشاط الاجتماعي والثقافي.. هذه إذا لم تكن مكفولة ومضمونة للإنسان في العالم الإسلامي، مهما قلت أن الإسلام هو أول من دعا إلى كذا... هذا ليس له قيمة... يبقى هذا كلام نظري لا يعيره أحدٌ اهتماما، المهم هو أن ننجح في تطبيق هذه القيم.

❖ **مصطلح الإسلام والغرب يقودنا بالضرورة إلى ما يمكن تسميته بين قوسين إن صح التعبير بتعبير غربي «إسلامو فوبيا».**

لأنه يلخص كثيراً من القيم باعتباره مصطلحاً غربيا لظاهرة غربية.

هل ترى من خلال علاقاتكم واطلاعكم سواء على الثقافة العربية الإسلامية أو متابعة الثقافة الغربية وأنتم - بحكم موطنكم - على صلة بثقافتين..

هل الإسلامو فوبيا نابع من الخوف من الدين؟.. من عدم فهم هذا الدين؟وعدم القدرة على التآلف معه؟

القيم الفعلية ليست في الشعارات ولكن في تطبيق حرية الإنسان وحرية التعبير وحرية الحركة.

أكمل الدين: أنا اعتقد أنه مزيج من هذه العوامل بدرجات مختلفة.. وبنسب متفاوتة في أكثر من مكان.. طبعا هناك الخوف من الدين بما له من جذور تاريخية.. أيضا الأمر لا يتعلق فقط بوضع علاقة المسلمين بالغرب. وبأوروبا.. وداخل المجتمعات الأوروبية.. مثلاً المهاجرون من شمال أفريقيا.. المهاجرون من جنوب آسيا.. المهاجرون من تركيا.. ومن بقية أنحاء العالم الإسلامي.. نجد وضعهم ومشاكلهم في داخل المجتمعات الأوروبية ليست مستقرة، هناك جذور لهذا الخوف منذ القرون الوسطى، والغريب أننا إذا نظرنا إلى مقابل هذا نجد أن العالم الإسلامي.. والغرب.. وأوروبا.. واجهت الحروب والكر والفر، ومنها الحروب الصليبية.. والفتوحات الإسلامية من قبل ذلك في الأندلس.. والفتوحات الإسلامية العثمانية في البلقان.. وجنوب وشرق أوروبا.. وهكذا كان هناك سجال تاريخي بين عالمنا الإسلامي وبين

---

* عقدت في مقر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية - طرابلس / ليبيا - في الفترة من 4 إلى 6 من شهر الصيف 1373 من وفاة الرسولﷺ الموافق يونيو 2005 مسيحي.

أوروبا، ولذلك فإن فكرة أوروبا عن الإسلام مختزنة في الذاكرة الجماعية الأوروبية بصورة قوية لا يمكن أن تجد لها مقابلا عندنا في العالم الإسلامي من واقع الحروب الصليبية، أو الاستعمار الأوروبي الذي قتل آلاف البشر سواء في الجزائر.. في ليبيا.. في مصر.. في بلاد الشام.. في فلسطين وما ولده الاستعمار البريطاني على ترابها.. وخلق المشاكل بعد الحرب العالمية الثانية إلى يومنا هذا..

كل ذلك نجد أنه لا يحقق معادلا للرأي الثابت الأوروبي تجاه الإسلام والمسلمين.

من المسئول؟

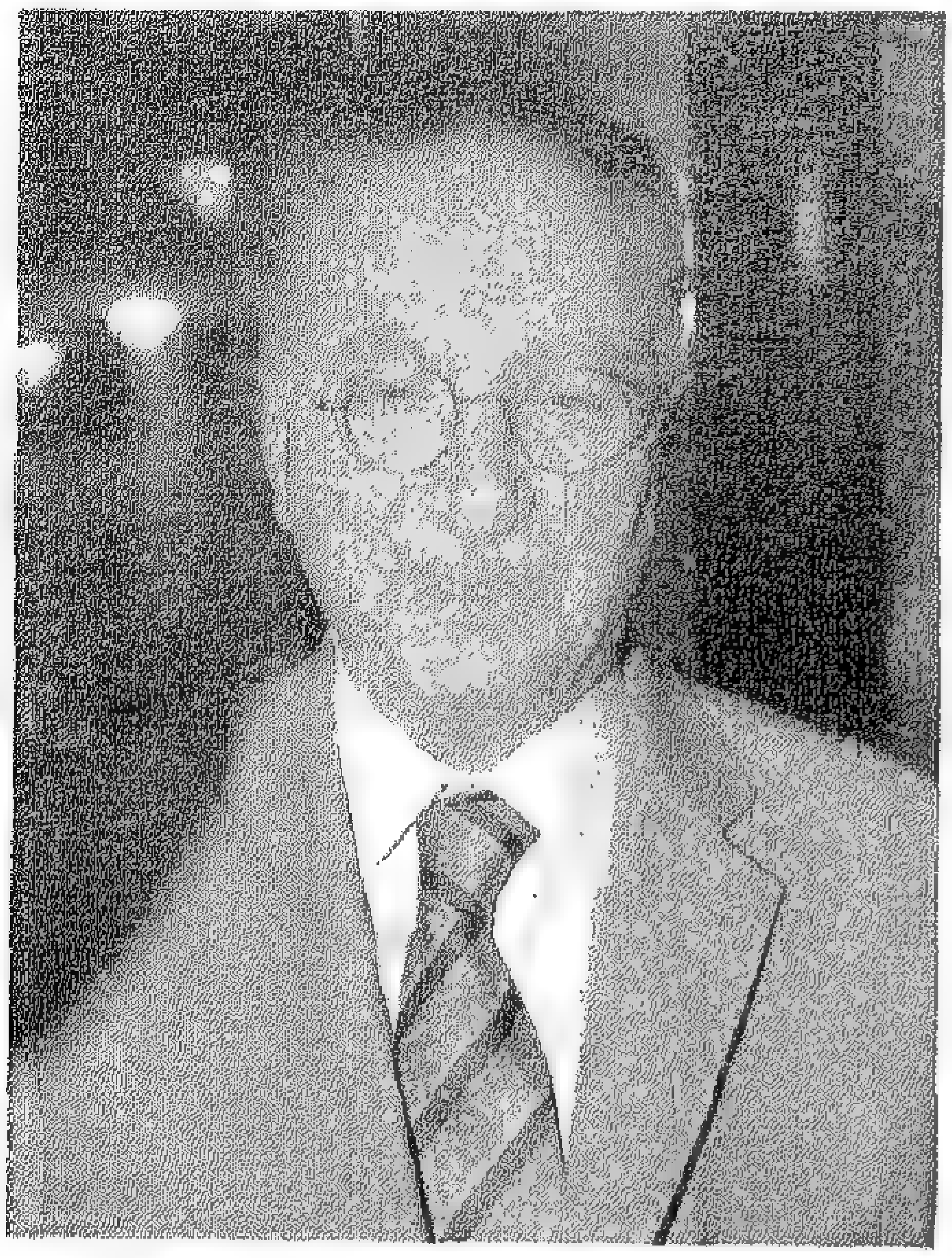
❖ من المسؤول عن إيجاد هذا المعادل؟ مثقفون؟ سياسيون؟ إعلاميون؟ أم هم هؤلاء جميعاً ؟

أكمل الدين: هذا السؤال يحتاج إلى جلسة طويلة للإجابة عليه.

❖ المتغيرات العقائدية الآن في العالم... من يعيش في أوروبا فترة معينة يكتشف أن هناك بحثاً عن الإسلام.. بحثاً عن هذا الدين.. محاولة فهم مبادئ الإسلام.. الإسلام في أوروبا الآن واضح الملامح إلى حد ما.. واضح التأثير.. وبدأت تترسخ أقدام المسلمين في تلك القارة وفي غيرها من القارات، وفي أوروبا بشكل خاص، هذا المتغير العقائدي هل يمكن أن يقدم المسلمون من خلاله في تلك المناطق الصورة المثلى لكي يتم اعتناق الدين الحق؟ أم أن هناك إسلاماً مصبوغاً بعادات وتقاليد شرقية.. وآخر يتمثل بعادات وتقاليد آسيوية.. ثقافة إسلامية مجردة للإسلام المجرد... كيف يُقدم مثل هذا الطرح ؟

أكمل الدين: الإسلام المجرد شيء صعب لأنه إما

جوانب من سيرته الذاتية



❖ البروفيسور أكمل الدين إحسان أوغلي، تركي ولد في مصر سنة 1943 مسيحي تخرج من كلية العلوم وعين معيدا بجامعة الأزهر أكمل تعليمه العالي في لندن ثم عاد إلى موطنه تركيا..

والده الشيخ إحسان أوغلي من علماء الأتراك الذين نزلوا مصر، كان رئيس قسم الفهارس الشرقية بدار الكتب المصرية إلى أوائل الستينيات من القرن الماضي..

❖ مدير مركز منظمة المؤتمر الإسلامي للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية «إرسيكا» اسطنبول منذ سنة 1980 مسيحي.

❖ أمين لجنة الحفاظ على التراث الثقافي الإسلامي المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامي، اسطنبول تركيا سنة 1983 - 2000 مسيحي.

❖ إضافة إلى لغته التركية يجيد العربية والانجليزية وله إلمام عملي بالفرنسية والفارسية.

أن يكون شيئاً أكاديمياً ومبادئ ومثلاً تدرس الإسلام على المستوى الجامعي من قرآن كريم.. وتفسير.. وأحاديث.. وأصول.. إلى آخره أو من خلال عمل الدعاة.

ولكن عادة يكون التأثير الاجتماعي أكبر من خلال المسلمين والجاليات في أوروبا.. وقد كانت الجاليات الأولى من المسلمين في أوروبا من الطبقات الفقيرة التي نزحت إليها إما بناء على طلب من أوروبا كما هو الحال في ألمانيا عندما طلبت القوى العاملة التركية لتساعدها في بناء الاقتصاد الألماني بعد الحرب التي دمرت مرافقها الاقتصادية.. أو عن طريق النزوح من شمال إفريقيا إلى فرنسا، وما إلى ذلك... على أية حالة وفي كثير من الأحوال فإن المستوى الثقافي لهؤلاء النازحين لم يكن بالشكل المتقدم ونقلوا معهم عادات وتقاليد بيئتهم الريفية أو المدن الصغيرة والقرى التي هاجروا منها، وعندما تقارن هذا الواقع بقيم المجتمعات الصناعية المتقدمة يظهر التفاوت بين الثقافتين.

❖ تحدثتم عن الشعوب التي حملت ثقافاتها إلى أوروبا والتي قدمت الإسلام بشكل غير مجرد.. فكيف ترى هذه الإشكالية... كيف يمكن تقويمها ؟

أكمل الدين: هناك بالطبع أجيال جديدة في أوروبا: الجيل الثاني.. والجيل الثالث.. ومن بين هؤلاء تخرج مجموعات تتلقى التعليم الغربي وهناك أجيال بدأت تقبل على الإسلام على حقيقته ومن مصادره.. فأنا اعتقد أن هناك الآن اجتهادات جديدة.

❖ ولأسباب خارجة عن إرادتي وإرادة محدثنا انتهى هذا الحوار.

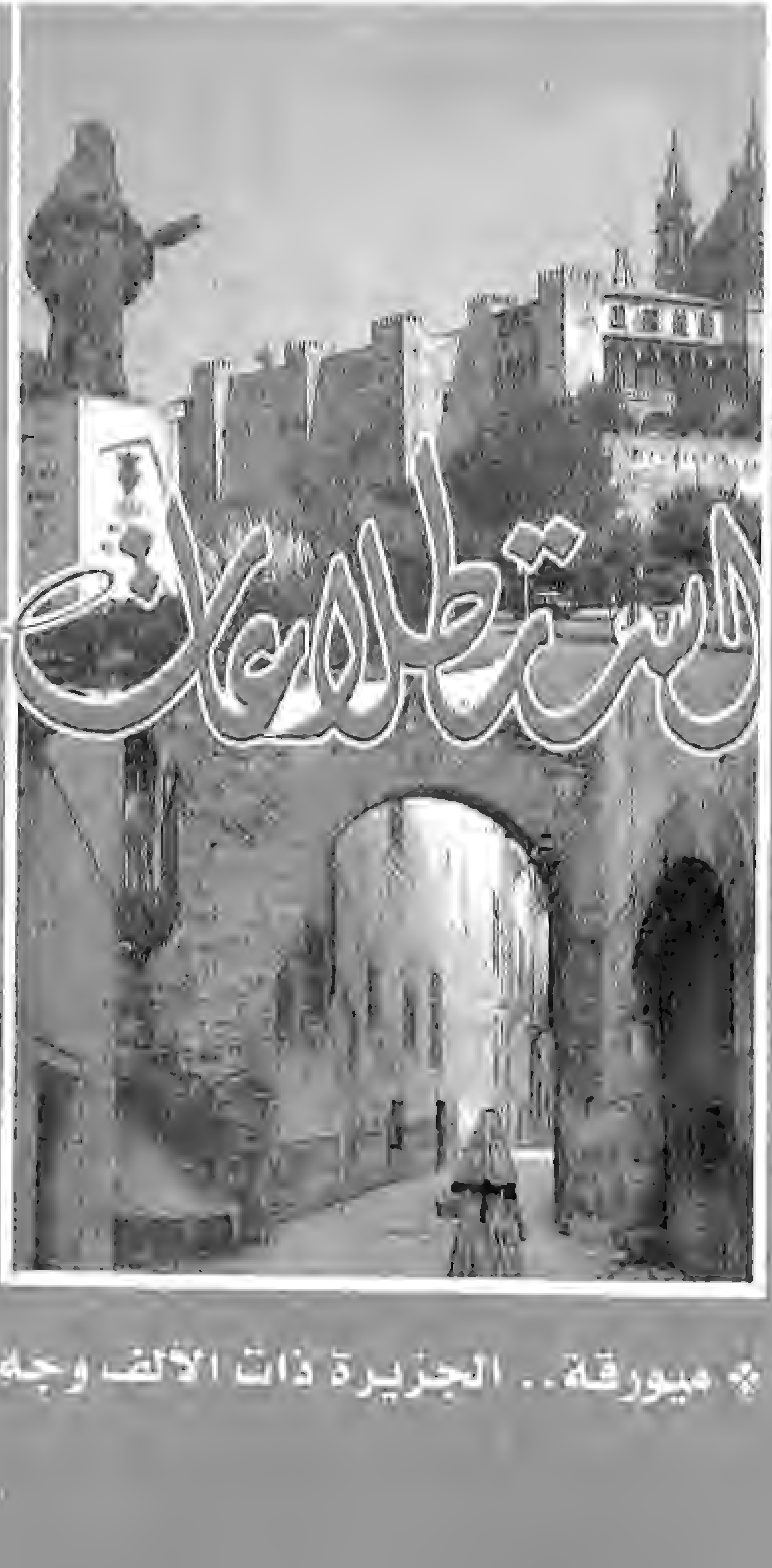
ولعلني ألتقيه لأكمل الحوار من حيث انتهينا... لعل ذلك يحدث...

العضوية والنشاطات ومن بينها :

- ❖ عضو المجلس الاستشاري لجامعة «تفتس» مركز فارس للدراسات الشرقية والمتوسطية، الولايات المتحدة.
- ❖ عضو اللجنة العلمية للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، موسوعة العلماء المسلمين والعرب المرموقين.
- ❖ عضو اللجنة الاستشارية، مركز الدراسات الإسلامية، مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية، جامعة لندن..انجلترا 1998 مسيحي.
- ❖ مدير مشروع ومدير أعمال اليونسكو بشأن مختلف جوانب الثقافة الإسلامية 1988 ـ 2003 مسيحي.
- ❖ مجلة الدراسات القرآنية للدراسات الشرقية والإفريقية، لندن، المملكة المتحدة.
- ❖ مجلة تاريخ العلوم الطبيعية والمعرفة الصرفة في الحضارة الإسلامية برشلونة، أسبانيا.
- ❖ عضو المجلس الاستشاري لدراسات تاريخ الطب والعلوم، جامعة حامدراد، الهند.

الإصدارات :

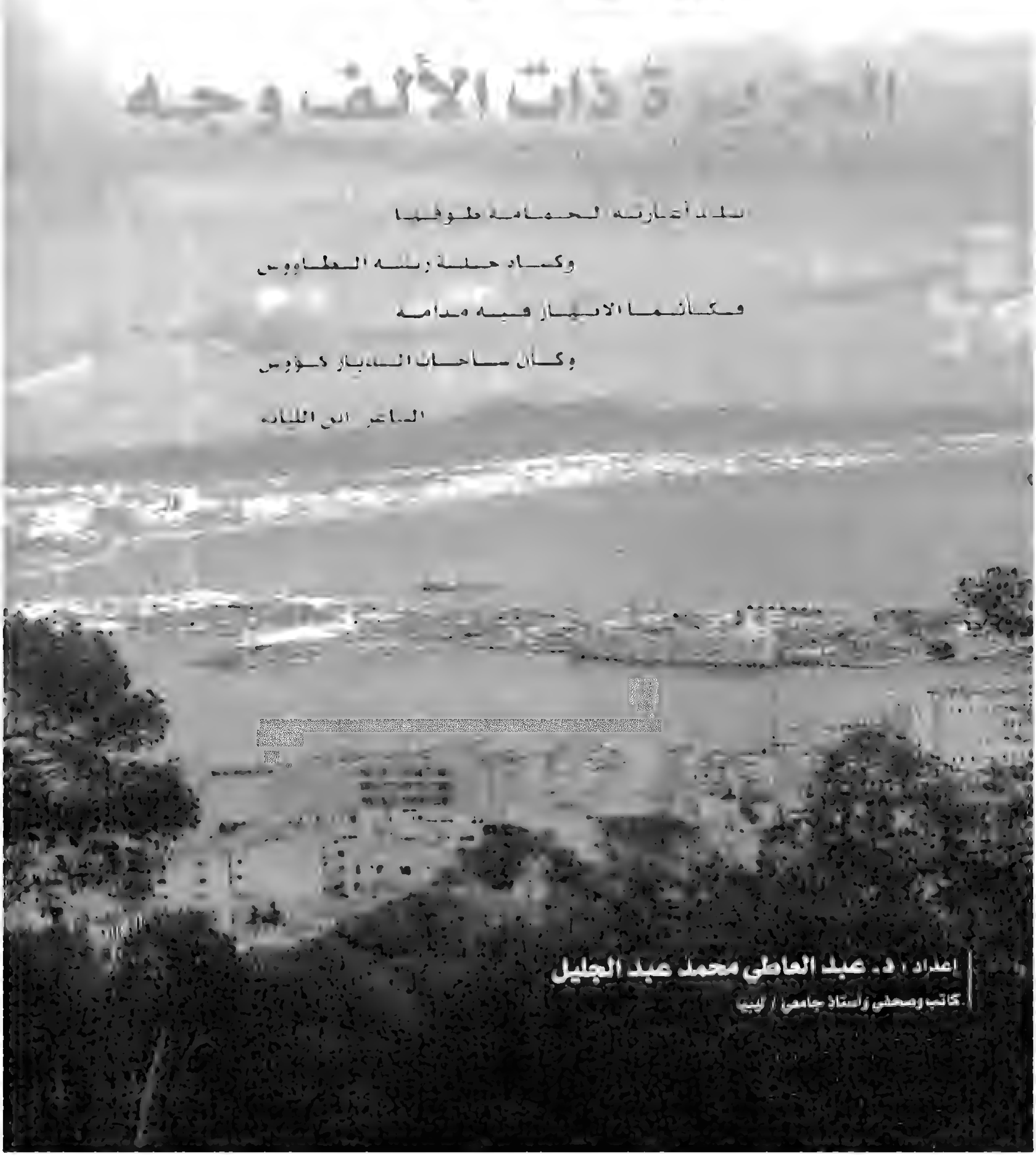
صدرت له العديد من الكتب والمقالات والأبحاث في مجالات مختلفة حول العلوم وتاريخ العلوم والثقافة الإسلامية، والثقافة التركية، والعلاقات بين العالم الإسلامي، والعالم الغربي والعلاقات التركية العربية، وقد كتب أو شارك في كتابة وإعداد إصدارات في «سلسلة تاريخ الأدبيات العلمية العثمانية» بعنوان تاريخ الأدبيات الفلكية العثمانية وتاريخ الأدبيات الرياضية العثمانية، وتاريخ الأدبيات الجغرافية العثمانية وتاريخ الأدبيات الموسيقية العثمانية وتاريخ الدولة والحضارة العثمانية، «مجلدان» ((التركية.. الانجليزية.. والعربية))، وله إصدارات عديدة بالتركية، والانجليزية، والعربية، ترجم بعضها إلى الفرنسية، واليابانية، والمالاوية، والبوسنية.



* ميورقة.. الجزيرة ذات الألف وجه

ميورقة

الجزيرة ذات الألف وجه



بلد أعارته الحمامة طوقها

وكساه حلة ريشه الطاووس

فكأنما الأنهار فيه مدامة

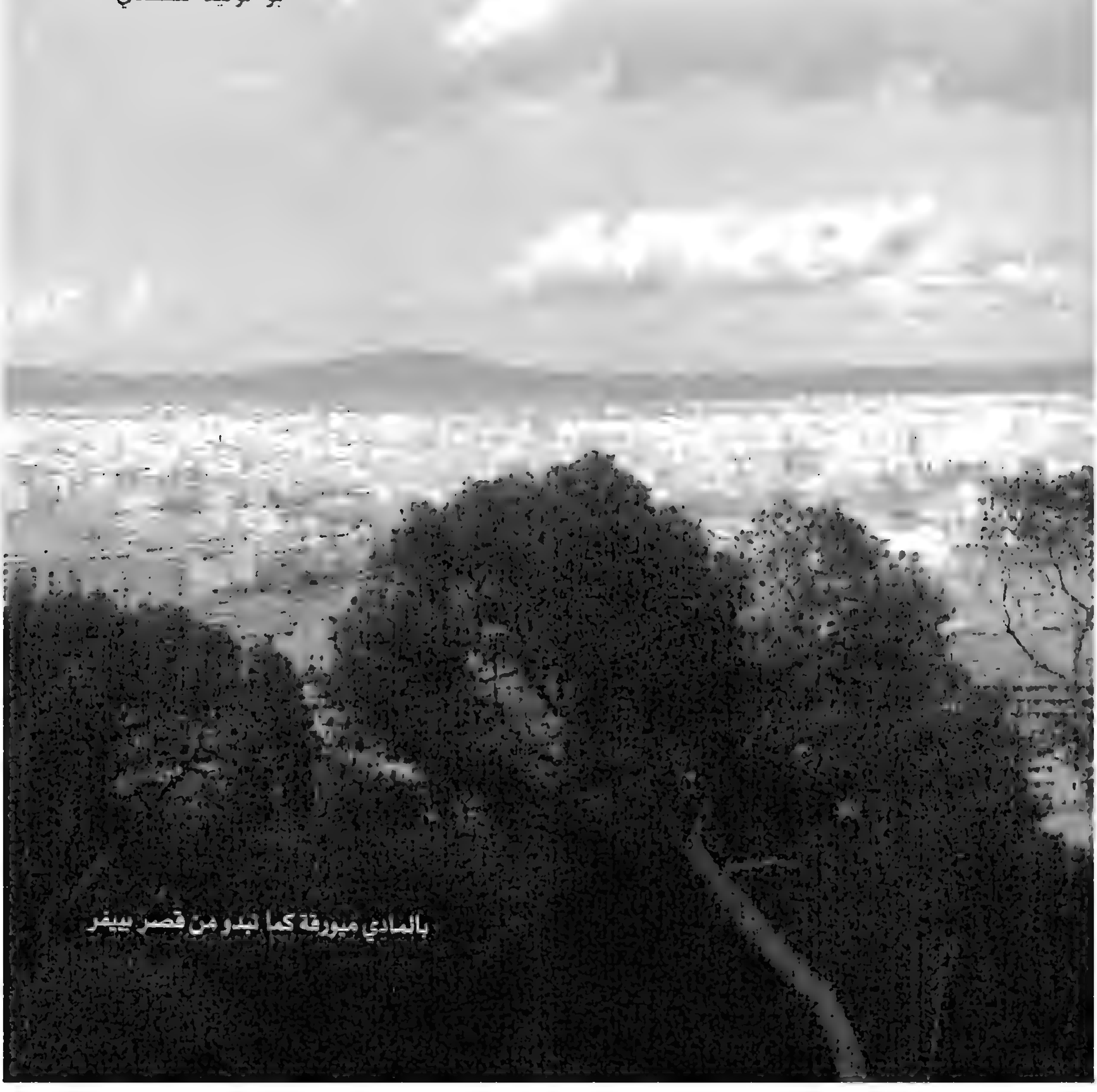
وكأن ساحات الديار كؤوس

الشاعر ابن اللبانة

إعداد: د. عبد العاطي محمد عبد الجليل
كاتب وصحفي وأستاذ جامعي / ليبيا.

«... وأما جزيرة ميورقة فمن أخصب بلاد الله تعالى أرجاء، وأكثرها زرعاً ورزقاً وماشية، وهي على انقطاعها من البلاد مستغنية عنها، يصل فاضل خيرها إلى غيرها، إذ فيها من الحضارة والتمكن والتمصر وعظم البادية ما يغنيها، وفيها من الفوائد ما فيها، ولها فضلاء وأبطال اقتصروا على حمايتها من الأعداء...».

أبو الوليد الشقندي

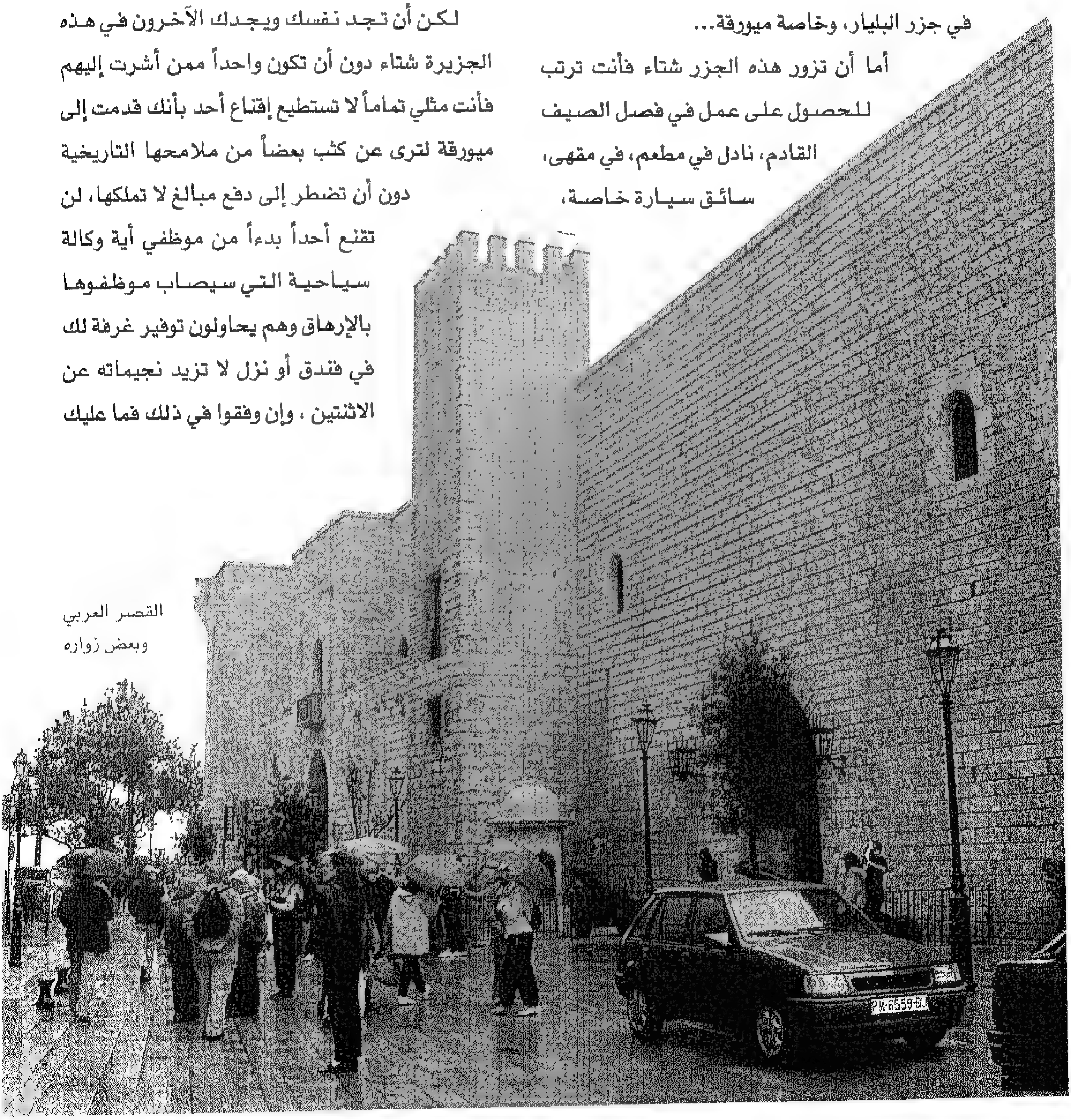


بالمادي ميورقة كما تبدو من قصر بيفر

أن تزور جزر البليار وخاصة ميورقة صيفاً فأنت غني بما فيه الكفاية، ومهما حاولت أن تنفي أمراً كهذا فإن تصوراً ما حول ثروتك سينطبع في ذاكرة من تراهم ويرونك في أزقة وشوارع أو في سهول وشواطئ ميورقة، ومهما كانت المبررات التي ستسوقها حول سبب وجودك في إحدى جزر البليار ـ وخاصة ميورقة ـ فإن الرأي العام لا يقبل بغير أن تكون ممن هرب من مسئولياته الخاصة والعامة، وهي بلا ريب مسئوليات لا يمكن التخلص من قيودها وثقلها إلا في جزر البليار، وخاصة ميورقة...

أما أن تزور هذه الجزر شتاء فأنت ترتب للحصول على عمل في فصل الصيف القادم، نادل في مطعم، في مقهى، سائق سيارة خاصة، حارس محطة سيارات، عامل نظافة في فندق.. وهناك احتمالات أخرى... أن تزور هذه الجزر ـ وخاصة ميورقة ـ شتاء لتغتسل رغماً عنك بمياه الأمطار المنهمرة ورذاذ البحر إن اقتربت قليلاً من الشاطئ فأنت ممن يتقنون صنعة ما تتعلق بالبحر: ربما تكون عاملاً في مركب سياحي، مساعداً بحرياً، لك خبرة ما تمكنك من إصلاح بعض أعطال المراكب الشراعية، تفهم قليلاً في الخدمات المتعلقة باليخوت التي ستجدها متراصة في كل موانئ هذه الجزيرة...

لكن أن تجد نفسك ويجدك الآخرون في هذه الجزيرة شتاء دون أن تكون واحداً ممن أشرت إليهم فأنت مثلي تماماً لا تستطيع إقناع أحد بأنك قدمت إلى ميورقة لترى عن كثب بعضاً من ملامحها التاريخية دون أن تضطر إلى دفع مبالغ لا تملكها، لن تقنع أحداً بدءاً من موظفي أية وكالة سياحية التي سيصاب موظفوها بالإرهاق وهم يحاولون توفير غرفة لك في فندق أو نزل لا تزيد نجيماته عن الاثنتين ، وإن وفقوا في ذلك فما عليك



القصر العربي
وبعض زواره

إلا أن تستعد لمواجهة البرد الذي يسكن تلك الغرفة، إنه ينبعث من أرضيتها غير المفروشة، ويتسلل دون استئذان من نافذتها...

على أية حال لست هنا مرشداً سياحياً يحاول أن يروج بضاعة هي ليست في حاجة إلى من يروجها، لكنني أحاول جهدي لأجد مدخلاً للحديث عن ميورقة التي لم يدخلها أحد منذ آلاف السنين بيسر وسهولة...

بعض من وجوه ميورقة

حسن، الحديث عن ميورقة ذات الألف وجه ـ كما يصفها أهلها ـ يجعلك في حيرة من أمرك وأنت تحاول الولوج إليها...

موانئ وخلجان، عيون وأنهار ووديان، سهول وسفوح وجبال، مدن وقرى وأرياف، قصور وفنادق وبيوت عتيقة، إنسان ما قبل التاريخ وخليط من الأجناس: رومان ووندال وبيزنطيون وقوط وعرب وأندلسيون وبيزيون (نسبة إلى بيزا) وإيطاليون وفرنسيون... كل منهم أهدى ميورقة وجهاً مختلفاً...

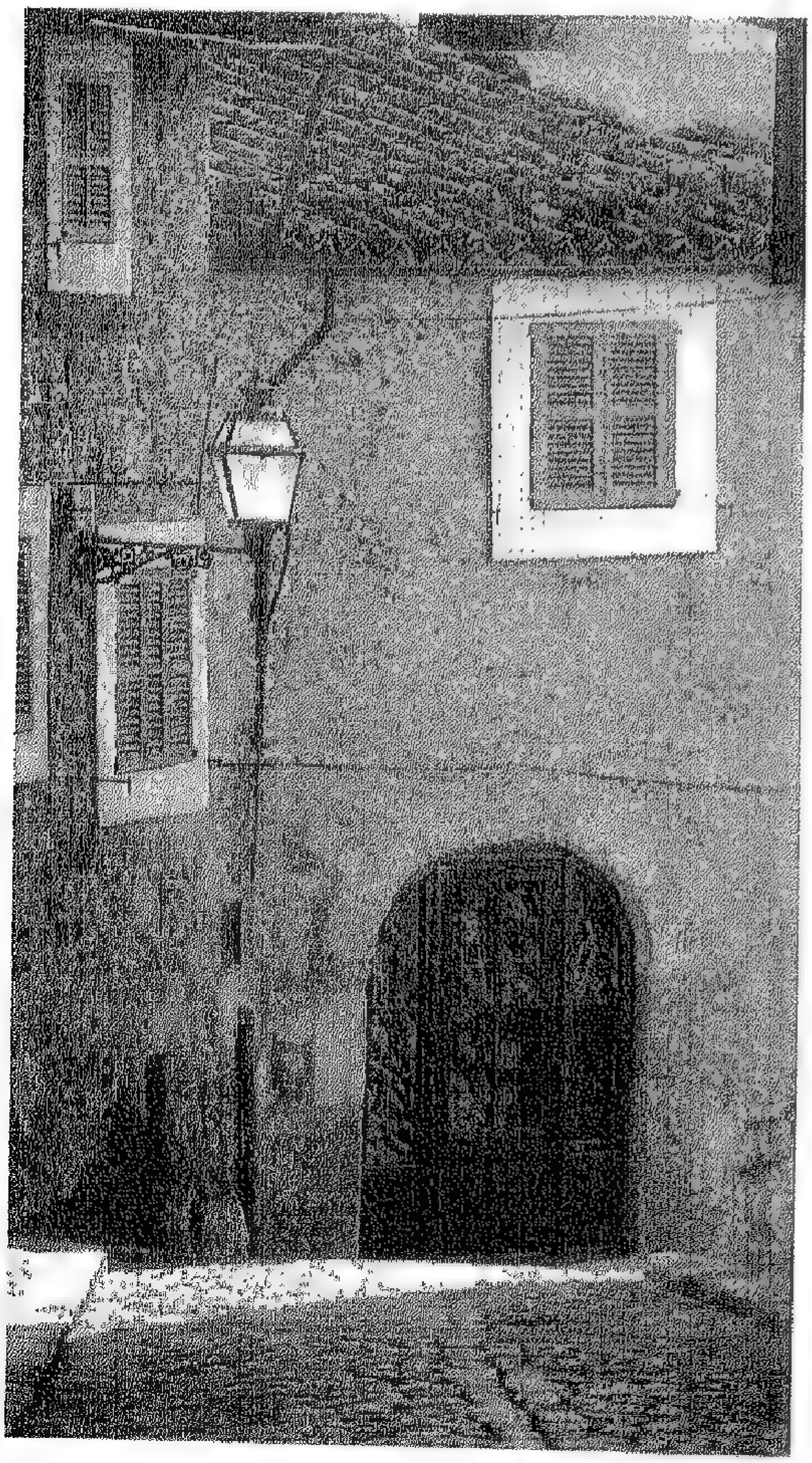
الزيتون والنخيل والصبار، ورود من كل صنف ولون... كلها تقدم وجهاً مختلفاً لهذه الجزيرة...

طرق حديثة مرصوفة، وأخرى ترابية، وغيرها مرصوفة بمئات الآلاف من الأحجار، بعضها مستوٍ وبعضها ملتوٍ، بعضها يحملك إلى أعلى التلال، وبعضها يمر بك من تحت صخرة وكأنها سقف معلق... وكل مظهر من تلك المظاهر يبرز وجهاً مختلفاً...

لم يبالغ أهل ميورقة عندما وصفوا جزيرتهم بأنها ذات الألف وجه...

عبد الله بن موسى بن نصير، مجاهد العامري، بنو غانية، ملوك قطالونية، جمهوريو بيزا وجنوا، الفاتيكان، خيمي الأول... كل منهم قاتل من أجل أن يجعل لميورقة وجهاً مختلفاً...

المساحة: 3640 كيلومتراً مربعاً
السكان: 600 ألف تقريباً
سكان العاصمة بالما دي ميورقة: 250 ألفاً تقريباً
النشاط الاقتصادي: السياحة، زراعة الحبوب والبقوليات والخضر والفواكه، إضافة إلى الصوف وبعض الصناعات مثل النسيج والأحذية والخزف
أعلى قممها: جبل بويج مايور 1445 متراً فوق مستوى سطح البحر
اللغة: الإسبانية والميورقية



زقاق وجدران عتيقة في ميورقة

أبو عمرو الداني إمام القرّاء، ابن اللبانة أشهر شعراء الأندلس، ابن حزم، ابن عطية، روبين داريو، الموسيقار العالمي شوبان، جورج ساند، أغاثا كريستي، وغيرهم كثير جمعتهم ميورقة في أزمنة مختلفة، واستطاعت أن تكتسب من كل واحد منهم وجهاً من وجوهها الألف...

ألبيرت هيرانث لم يكن مخطئاً حين وصف وصنف هذه الجزيرة متسائلاً: كم لغة يا ترى تعرف

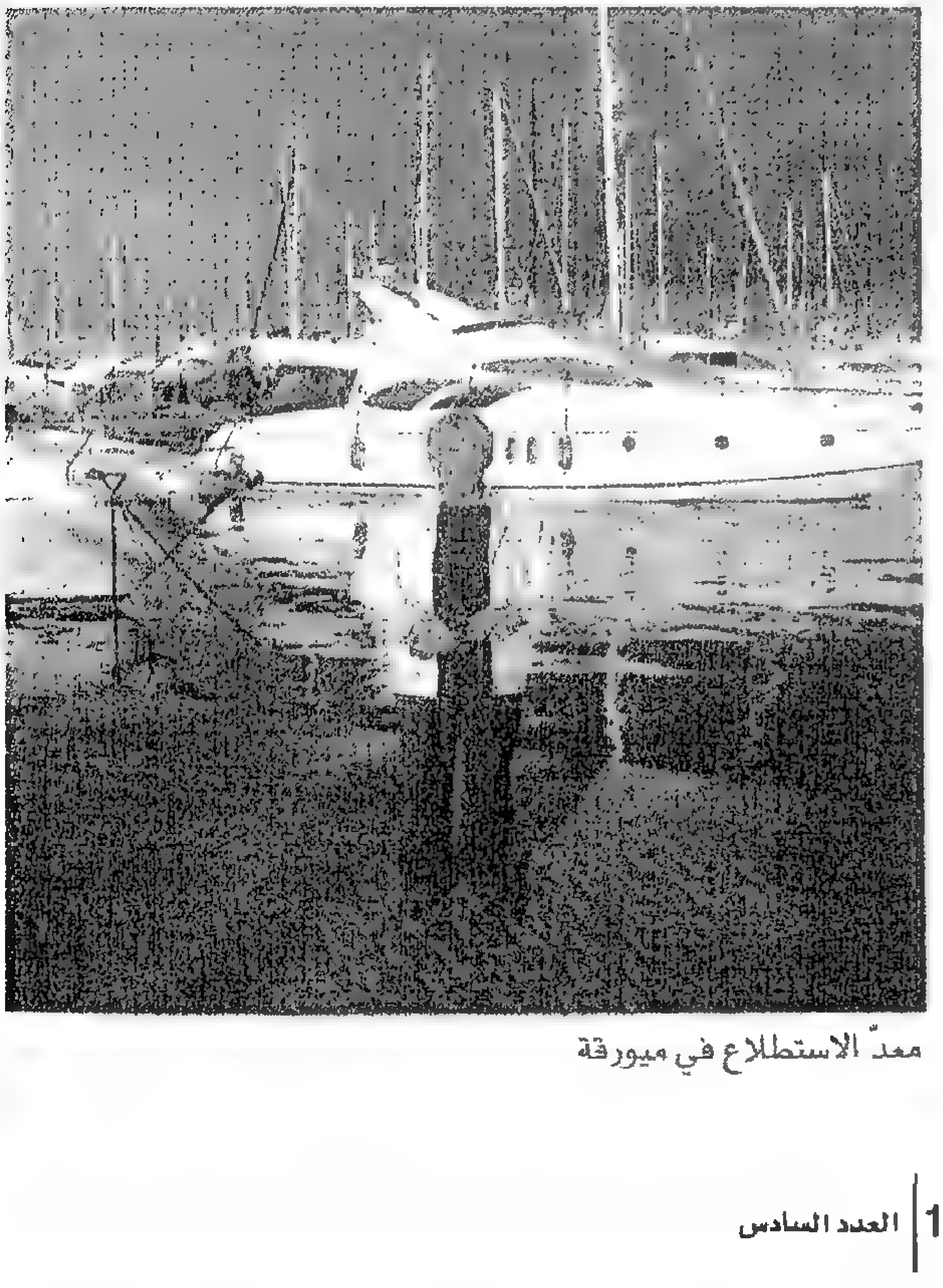


أحد أزقة الحي القديم، هل مرّ من هنا أبو عمرو الداني؟

ميورقة ؟ وكم لغة تركت بصماتها وأحلام ناطقيها على رمال شواطئها العديدة؟ مواطنوها يكتنزون تاريخاً مليئاً بالذكريات العربية ـ الحديث لا يزال للسيد ألبيرت ـ وتكاد ترى بصمات كبار الرحالة الذين مروا بها، وهي أمور ـ يؤكد ألبيرت ـ تحيي شعوراً بالغيرة عند غير الميورقيين... إنها فسيفساء لونية لا حدود لها، يحتضنها البحر المتوسط، وتتردد في جنباتها أصداء أزمنة من الخوف وقعقعة السيوف، علماء عديدون حاولوا توحيد الثقافات التي تركت بصماتها على زرقة مياه البحر الأبيض المتوسط...

قليل من التاريخ وكثير من الأمطار

يقول المؤرخون أن الجزيرة احتضنت بين جنباتها من قام بإعمارها منذ 2000 سنة قبل ميلاد عيسى عليه السلام، ثم جاءها الرومان سنة 123 قبل الميلاد، تبعهم الوندال والبيزنطيون ثم العرب بدءاً من سنة

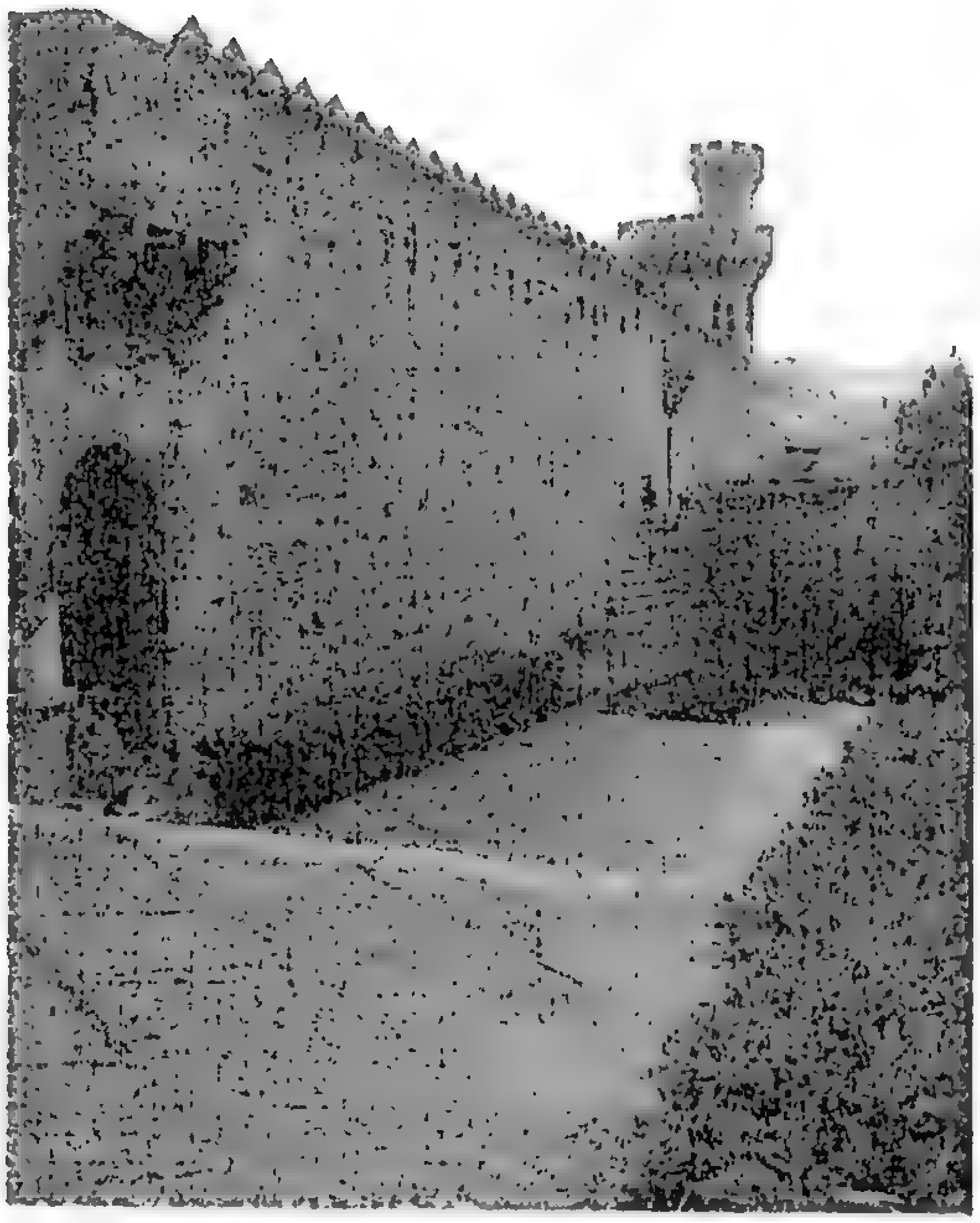


معدّ الاستطلاع في ميورقة

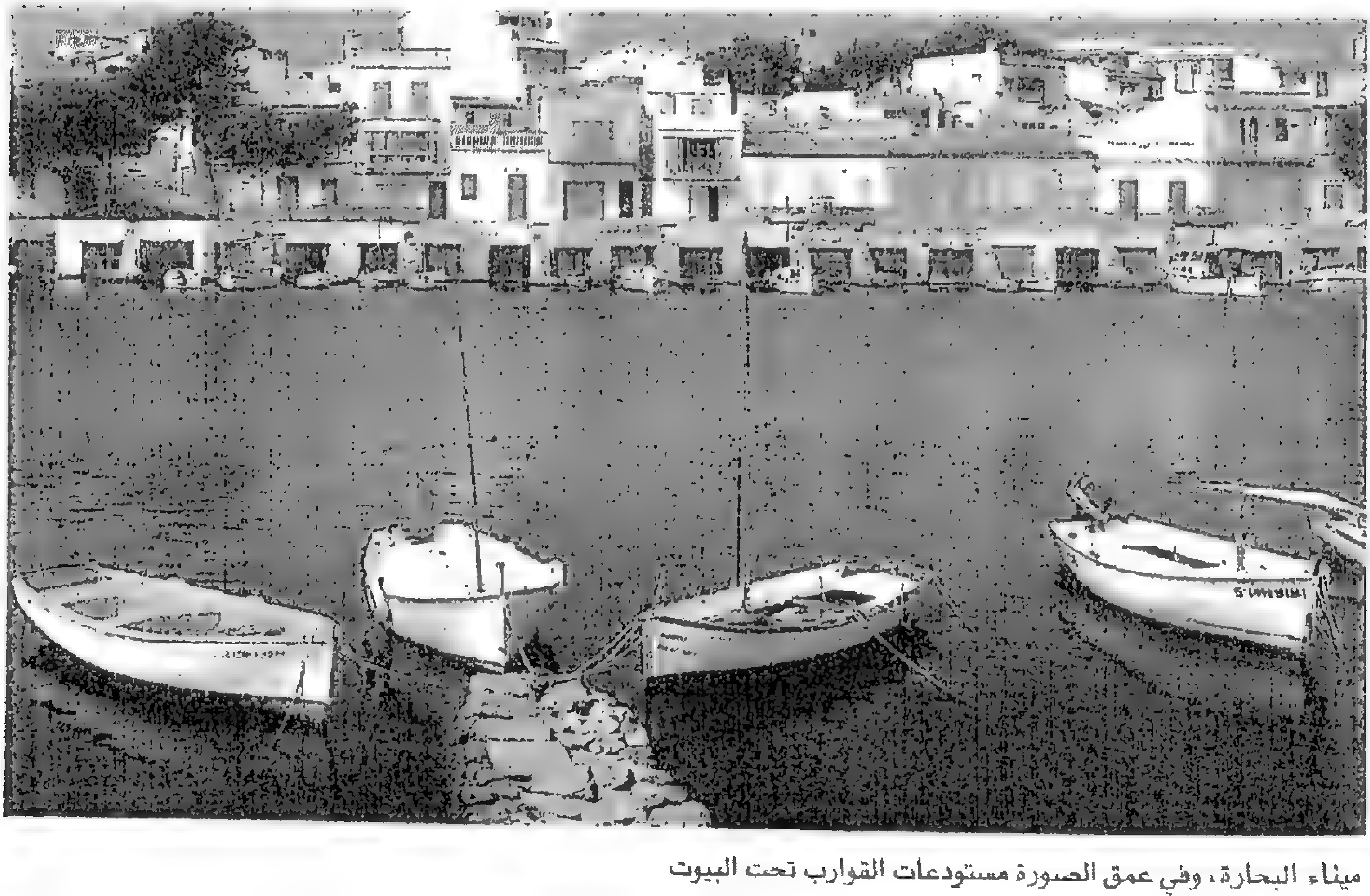
903 مسيحي، ويتفق المؤرخون ـ وفي مقدمتهم الإسبان ـ على علو المكانة التي تبوأتها جزر البليار، ومن بينها ميورقة إبَّان العهد الأندلسي الذي جعل منها واحدة من أهم وأقوى وأغنى البلدان، حتى أنها غدت القوة المسيطرة على نصف البحر المتوسط...

❖❖❖

ساعة وعشر دقائق وحطت بنا الطائرة في مطار ميورقة الكبير، الكبير جداً، لم يكن عدد القادمين إليها من مدريد كبيراً، وجدت نفسي أنتظر بعض الوقت لألتقي صديقاً قدم من منورقة الجزيرة الأصغر والأقرب، نصف الساعة والتقينا، تحدثنا عن كل شيء تقريباً، إلا عن الطقس الذي تغير فجأة، كنت قد فكرت في الأمر قبل مغادرتي مدريد فاستعرت مظلة من صديقنا خليل صدقة، أما ما كان من أمر صديقي الإسباني فلا طائل من ذكره، الشيء الوحيد الذي ظل يردده باستمرار: ما الذي يدفع بالمرء إلى القدوم إلى



جانب من أسوار القصر العربي

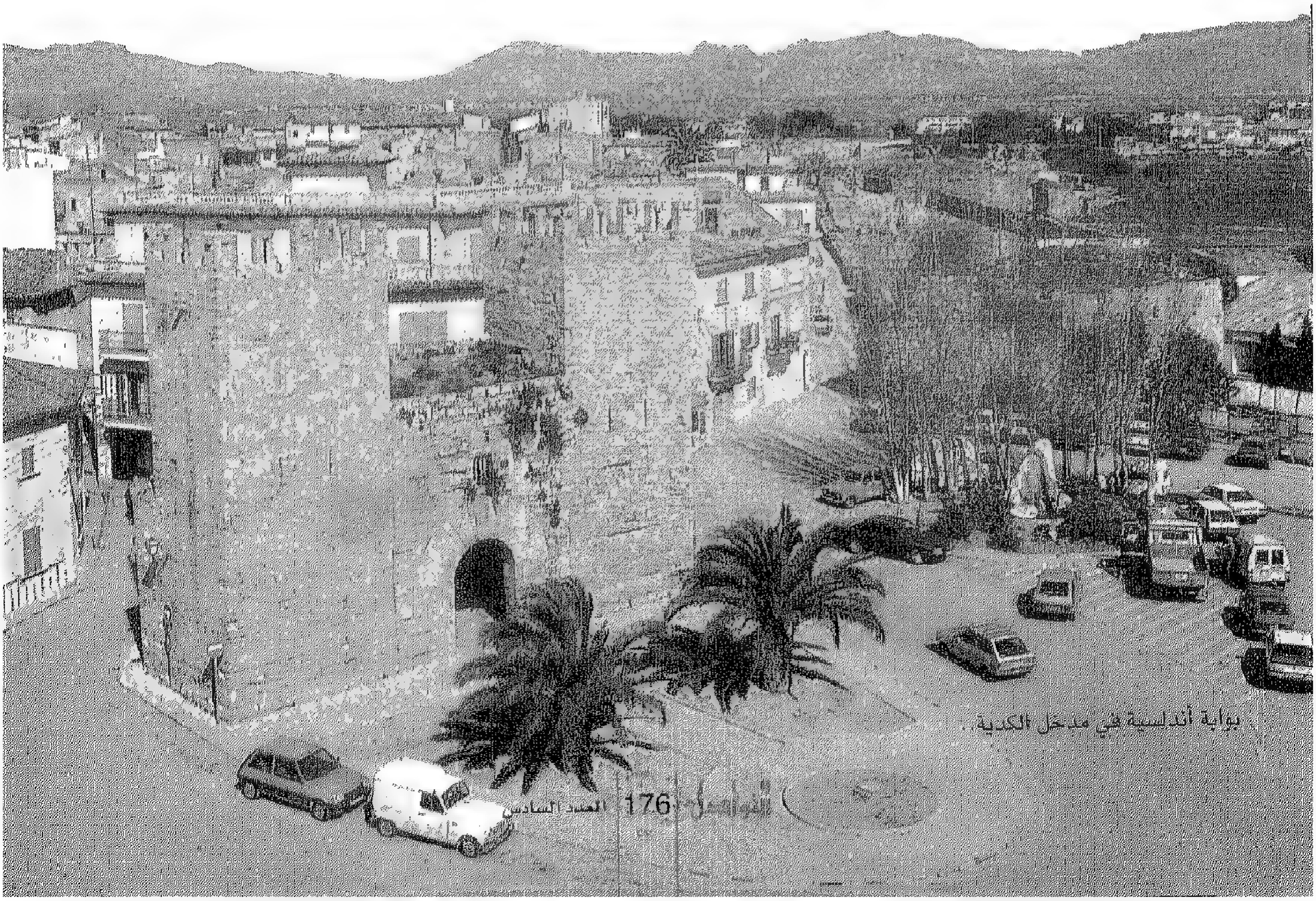


ميناء البحارة، وفي عمق الصورة مستودعات القوارب تحت البيوت

هذه الجزيرة في مثل هذا الوقت؟ وحين فاجأته بالسؤال ذاته لم يكن أمامه من بد إلا القول بأنه فكر كثيراً لكنه قرر القدوم ليمضي عطلة نهاية الأسبوع وليرافقني في هذه الرحلة التي وصفها بالمغامرة الغريبة، والحقيقة أنه لم يقصر عن مرافقتي حين زرت منذ سنوات بعض مناطق الشمال الإسباني، كما أنه أمضى معي يوماً في جزيرة منورقة محل إقامته، وكنت قد استفدت من معلوماته كثيراً، لكنه لا زال يلومني لأنني لم أنشر بعد وقائع تلك الرحلة، خاصة ما صادفته في قرية بني بكر...

سألنا سائق الحافلة رقم1 عن الفندق ذي النجيمتين الذي سبق وأن وفقت في الحصول على غرفة به، فقال: هو قريب من ميناء بورتو بي... كنت أخشى أن لا يوفق صديقي في الحصول على غرفة، لكن الأمر كان أسهل بكثير مما كنت أتوقع، اختر ما شئت من الغرف، ولكن ليس من باب البحث عن الأفضل، فليس في مثل هذه الفنادق شيء اسمه: الأفضل، غادرنا الحافلة في إحدى المحطات القريبة من ميناء بورتو بي الذي تذكرت اسمه، لا لأنني زرته قبلاً، ولكن لأني قرأت أن القوات البحرية بقيادة خيمي الأول كانت قد احتلت هذا الميناء ليخرج من المدينة كل الأندلسيين الذين لم يعودوا إليها على الإطلاق... ويا له من خطأ فادح ارتكبناه، توقعنا أن فندقنا قريب من هذا المكان، ومع صعود استمر 30 دقيقة تحت سيل منهمر من الأمطار، ولم تفدنا المظلة التي سبق وأن عولت عليها، وأذكر أنني تحادثت هاتفياً مع صديقنا علي الويفاتي في طرابلس لأناقش معه بعض الأمور المتعلقة بالعمل وسألني حينها عن الطقس فقلت دون تفكيرٍ أو تروٍ: إن كنا نصف شدة سقوط الأمطار في بلدنا وبلهجتنا بأنها (خيط من السماء) في إشارة إلى غزارتها فإن ما أراه هنا (حبال من السماء)، استقبل الأمر بابتسامته المعهودة، لكنه لم يدرك حجم ما كنت أكابده...

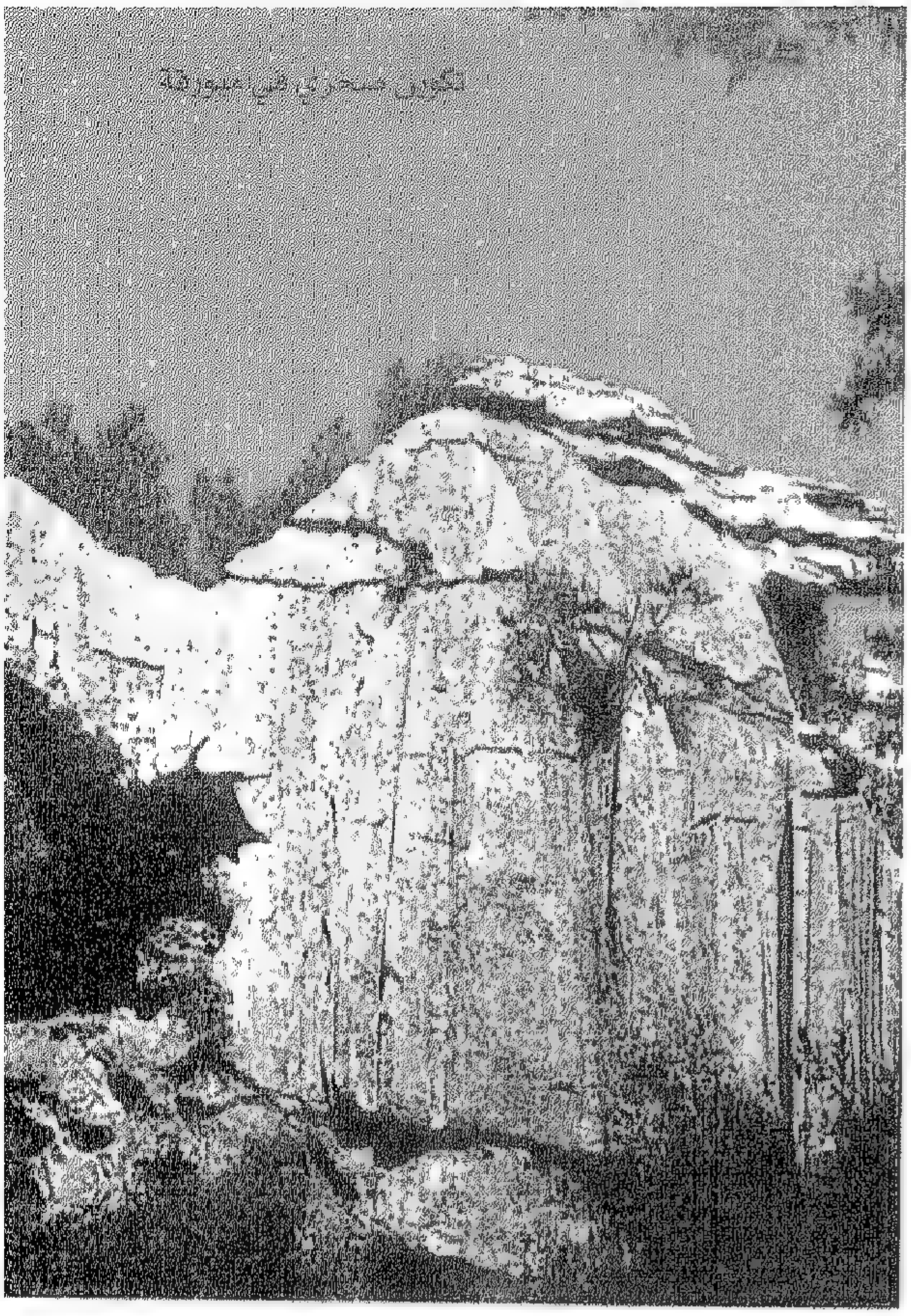
وصلنا فندقنا، ولم نتمكن من مغادرته، خاصة وأن



بوابة أندلسية في مدخل المدينة..

ساعة واحدة كانت تفصلنا عن مغيب الشمس... وبعد إتمام إجراءات الحجز التي أضاع صديقي نصف الساعة منها في البحث عن غرفة أخرى تكون أفضل، لكنه عاد ليقول لي: حسناً فعلت إذ لم تضيع وقتك في البحث عن الأفضل... التقينا في ركن من الصالة الصغيرة المطلة على الميناء، واكتشفنا أن هذه الإطلالة ميزة لا بأس بها...

أبحرنا عبر التاريخ، من خلال كتاب كنت قد اقتنيته، ومن خلال معلومات كنت اطلعت عليها قبلاً، كان صديقي كعادته، ينصت باهتمام، ذات مرة كنت أحدثه عن تاريخ إسبانيا من خلال ما كتبته الدوقة السيدة إيزابيل آلبريث دي توليدوا فقال: إن كان ما تقوله هذه السيدة صحيح ولو نسبيًا فإن ما نعرفه عن تاريخنا لا يساوي شيئاً، ولهذا كان دائم الاهتمام بالحديث عن التاريخ...


تكوين صخري في ميورقة

الجزيرة الإمبراطورية

منذ وصول العرب إلى المنطقة شكّلت ميورقة مع منورقة ويابسة شبه كتلة سياسية واحدة مع اختلافات ليس هنا محل ذكرها، كانت نقلة استراتيجية مهمة في السيطرة على البحر المتوسط، وازدادت أهميتها حين اتخذها ملوك الطوائف في مدينة دانية على الشاطئ الشرقي من الأرض الأندلسية ليجعلوا منها قاعدة عسكرية بحرية، حيث سير منها مجاهد العامري وإقبال الدولة بعده عدة حملات عسكرية بحرية إلى سردينيا وصقلية وشواطئ إيطاليا الغربية والجنوبية والشواطئ الجنوبية الفرنسية وشواطئ قطالونية...

وفي عهد بني غانية الذين استقلوا بالجزر الثلاث نمت قوتها البحرية، وأضحت أساطيل ميورقة قوة يحسب لها ألف حساب ربما في البحر المتوسط كله، حتى أن بني غانية لم يتوانوا عن غزو جنوب فرنسا وسواحل قطالونية وجيرونة مما دفع بهذه الممالك وجمهوريات بيزا وجنوا والبندقية إلى عقد اتفاقيات صلح وصداقة وعدم اعتداء مع بني غانية سادة الجزر الشرقية وقاعدتها ميورقة، هذه المعاهدات دفعت بني غانية ـ وفي ظل خلاف سياسي مع الموحدين ـ إلى إرسال أسطول بحري ضخم قوامه اثنتان وثلاثون سفينة على متنها أربعة آلاف مقاتل ومائتا فارس بكل عدتهم وعتادهم ومؤنهم فاحتلوا بجاية وتلمسان والجزائر وقلعة بني حماد وقسنطينة، وفي وقت لاحق استولوا على قابس وتوزر وقفصة، أما يحيى بن إسحاق بن غانية فقد جعل من ميورقة شبه امبراطورية بحرية امتد سلطانها ليشمل ـ إضافة إلى ما ذكر ـ طرابلس وصفاقس والمهدية والقيروان وسائر بلاد الجريد...

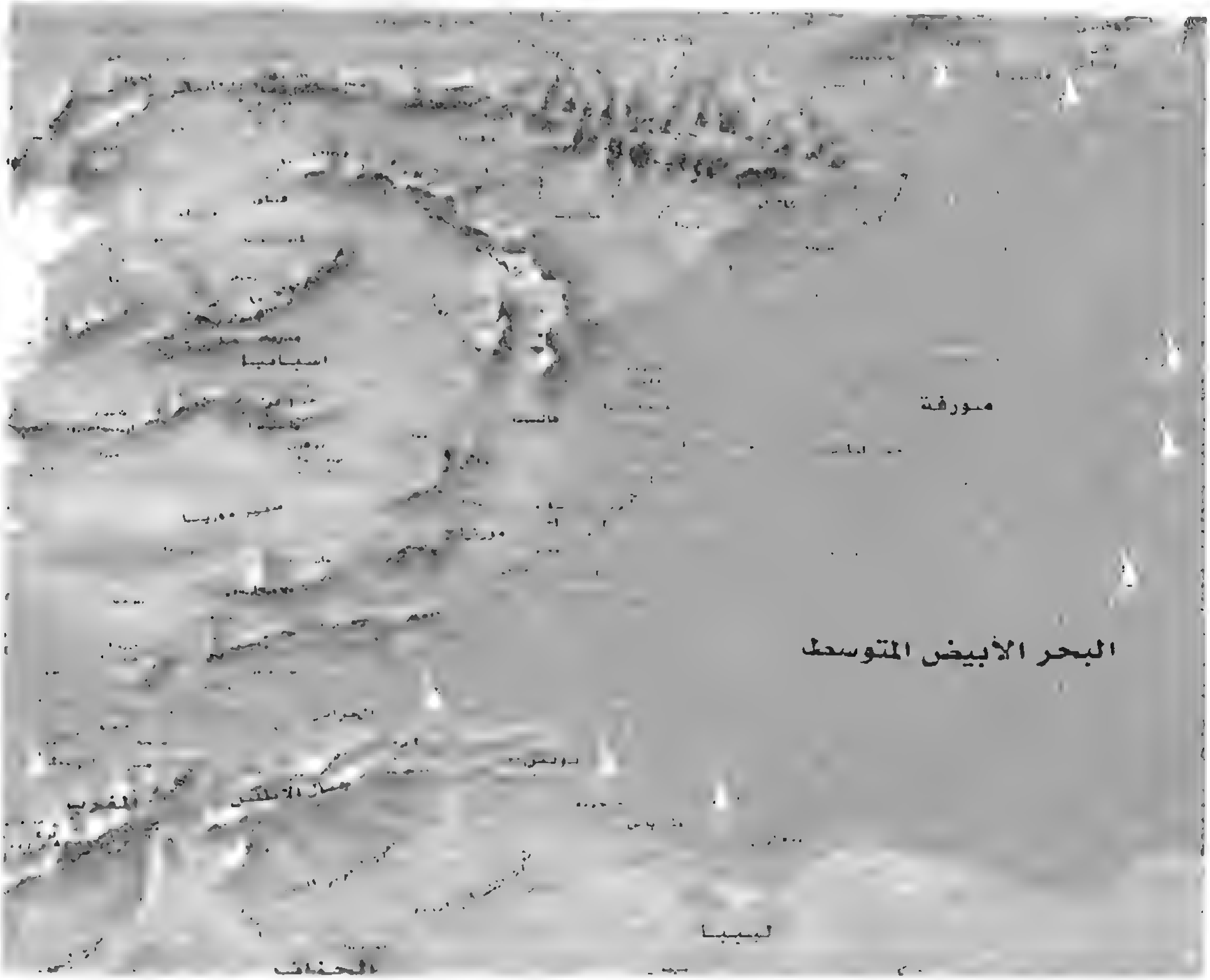
سألني صديقي: أيمكنك أن توضح لي هذا الأمر لأدرك حجم هذا التوسع؟ بعد محاولة رسم صورة لما كان من أمر ميورقة في البحر ... ودون أي تعليق منه، قلت: وللتدليل على أهمية المكانة البحرية التي وصلت إليها ميورقة لا بأس من ذكر محاولة الموحدين السيطرة عليها، حيث تطلب هذا الأمر سنة 1203 مسيحي توجيه قوة بحرية تكونت من ثلاثمائة مركب مختلفة الأحجام والأغراض، حملت ما يقرب من عشرين ألف مقاتل بكل أسلحتهم وذخائرهم ومؤنهم، هذا عدا البحارة العاملين في تلك المراكب...

كانت الممالك والجمهوريات الأوروبية ترى في قوة ميورقة آنذاك حاجزاً يحول دون صدام بينها وبين الموحدين، ولذا سعت ممالك وجمهوريات قطالونيا وأراغون وجنوا وبيزا وبلاد الغال وسردينيا إلى عقد اتفاقيات الصلح وعدم الاعتداء أو تجديد المنازعات...

بدايات النهايات

ولكن، وكما قال أبو البقاء الرندي: «لكل شيء إذا ما تم نقصان»، بدأ فصل جديد من حياة ميورقة...

إن التوسع الكبير والملحوظ لميورقة، وعوامل الانحلال التي بدأت تدب في أوصال الأندلس ـ وميورقة من أهمها ـ إضافة إلى نمو القوة البحرية للممالك والجمهوريات الأوروبية القريبة، والتي اكتوت كثيراً بنيران قوات هذه الجزيرة، والانتصارات التي بدأت تحققها ممالك قشتالة وأراغون وليون في الأراضي الأندلسية دفعت بالجميع إلى التفكير الجدي في احتلال ميورقة. ولم لا ؟ والعوامل كلها



غزوات قوات ميورقة البحرية

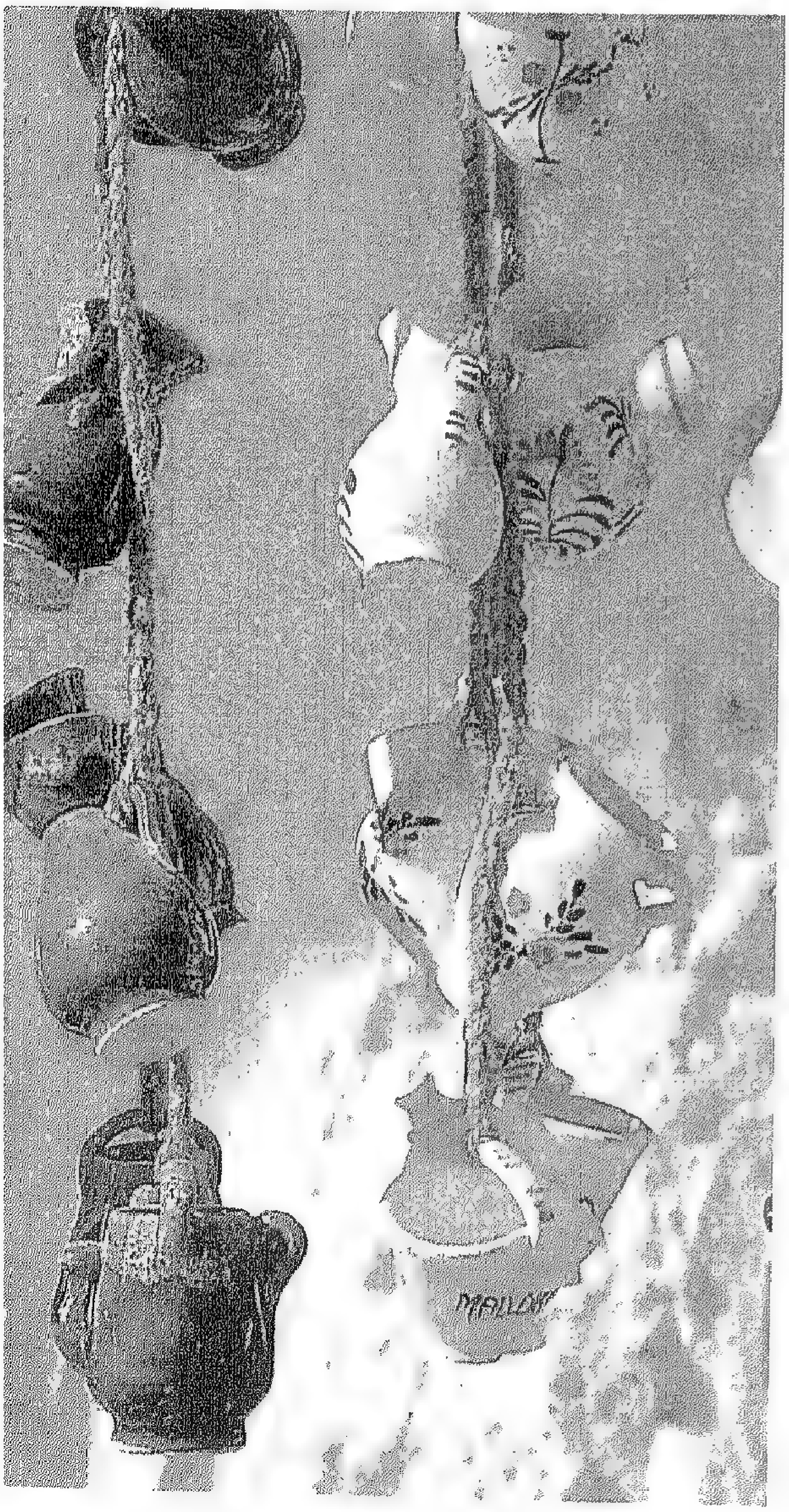
تشير إلى إمكانية تحقيق هذا الحلم الذي راود الجميع حيناً من الدهر؟؟

حظي مشروع انتزاع ميورقة وشقيقتيها: منورقة ويابسة من أيدي أهلها الأندلسيين باهتمام كبير من القوى الأوروبية النامية والتي بدأت تسعى إلى توسيع نفوذها من خلال بسط سيطرتها على النصف الغربي من البحر المتوسط، والأندلس بكامله تقريباً، مشروع كهذا جعل من الضروري تحقيق اتحاد قطالونية وأراغون وجمهوريتي بيزا وجنوا وتم الحصول على مباركة بابا الفاتيكان، وظل هذا المشروع متداولاً من سنة 1146 حتى سنة 1229 مسيحي، ثم انتقل إلى مرحلة التنفيذ..

> «قام العرب الأندلسيون بتوسعة مدينة ميورقة واهتموا بها حتى أصبحت وكأنها حديقة غناء، مما أغرى خيمي الأول بغزوها، وحين رآها أعلن أنها أجمل مدينة وقع عليها بصره»
>
> الكاتب الأسباني: البيرت ايررانث

أهمية الاستيلاء على ميورقة لا تتضح فقط في تلك السنوات الطويلة التي استغرقها الاستعداد للاستيلاء عليها فحسب، ولا في قوة التحالف فقط، بل وإضافة إلى ذلك حجم القوة التي تم إعدادها، تقول كتب التاريخ العديدة، العربية منها والإسبانية، أن خيمي الأول ـ وهو أحد أعضاء الحلف الساعي إلى تحطيم الجزيرة ـ خرج يوم 14 من شهر شوال سنة 626 هـ سبتمبر 1229 مسيحي من ميناثي طركونة وكامبرياس في قوة بحرية مكونة من مائة وخمس وخمسين سفينة تحمل خمسة عشر ألف مقاتل من المشاة وألفاً وخمسمائة من الفرسان، وأعداداً هائلة من متطوعي جنوا وبروفانس، يبدو أن الغنيمة كانت تستحق كل ذلك، ولضمان استمرار التحالف ضد ميورقة والذي شارك فيه ـ بشكل أساسي ـ كبار الرهبان والإقطاعيين تعهد خيمي الأول بتقسيم الأراضي والغنائم التي سيتم الاستيلاء عليها بين المساهمين في هذه الحملة وفقاً لما قدموه من نفقات، على أن يحتفظ لنفسه بالقصور والسيادة العليا على الحصون والقلاع...

❖❖❖



مصنوعات خزفية ذات طابع أندلسي



صواري المراكب في ميناء بورتو بي

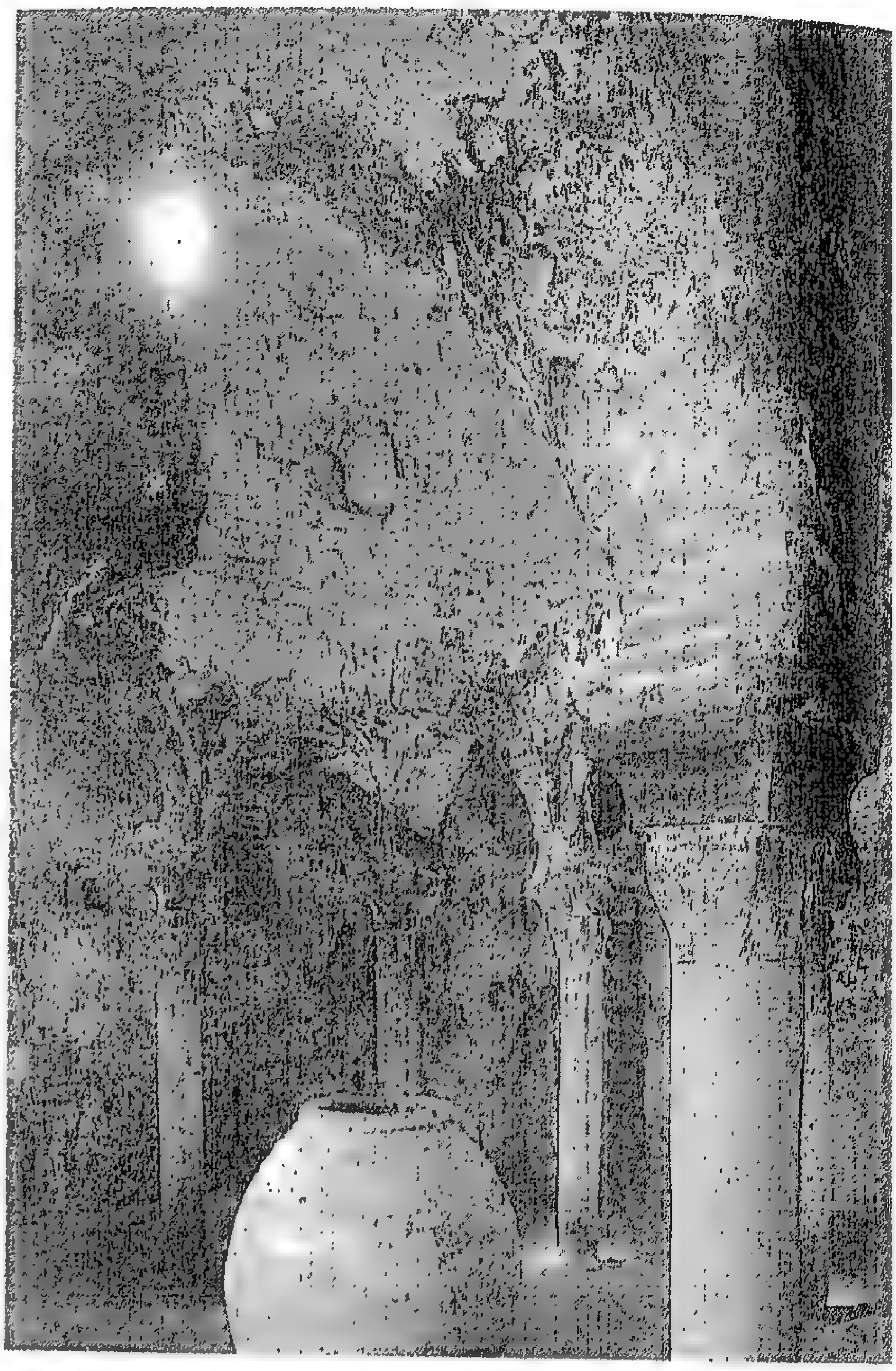
تذكرت هذه الصورة وأنا أرى عبر النافذة الزجاجية الكبيرة في الصالة الصغيرة لفندقنا المتواضع مئات البواخر واليخوت والمراكب في ميناء بورتو بي الذي هو بمثابة المدخل للسيطرة على ميورقة، كانت الغيوم الداكنة تغطي السماء أو تحجبها وأشعة شمس تحبو إلى الغروب تنعكس على الصواري البيضاء التي بدت وكأنها خيوط لامعة تتدلى من سقف رمادي داكن...

بدأت أضواء المدينة تعلن عن نفسها، تتسلل بهدوء وتتمدد على صفحة مياه الميناء لترينا وجهاً آخر من وجوه ميورقة... المنظر مغر لالتقاط صورة، فتحت باباً زجاجياً يؤدي إلى ساحة مستطيلة تستعمل كمقهى صيفي تمكن الجالس في أي مكان منها من رؤية المدينة بشكل أفضل وأشمل.. لم أشعر إلا وصديقي يقذف لي بالمظلة، كان المطر حبالاً من السماء، لكن التقاط صورة على الأقل كان مغرياً بلا ريب، أدرك صديقي خليل صدقة في مدريد مصير المظلة حين عدت إليه بواحدة غيرها..

إثر تناول وجبة عشاء بسيطة عدنا إلى المكان ذاته، وضعت على الطاولة خارطة للجزيرة وبدأت أرسم إشارات على بعض الأماكن، أدرك صديقي ما أنويه، سألني: أتريد زيارة كل هذه الأماكن في ست وثلاثين ساعة ؟! قلت دون تردد أو تفكير: بعد زيارة الحي القديم في مدينة ميورقة... لم أكن أدري وقع هذه الجملة عليه، لكنه كعادته لا يقف كثيراً عند الجمل التي لا يستطيع تغييرها..

بين القصر والحمامات العربية

أفضل الأماكن التي يمكنك من خلالها زيارة الحي القديم هي الجهة المقابلة للميناء، تجتاز أولاً السور الذي بقي يحرس رمزياً مدينة ميورقة، ولن تكون مضطراً لسؤال أحد عن ثلاثة أشياء: القصر العربي،



ما بقي من الحمامات العربية...

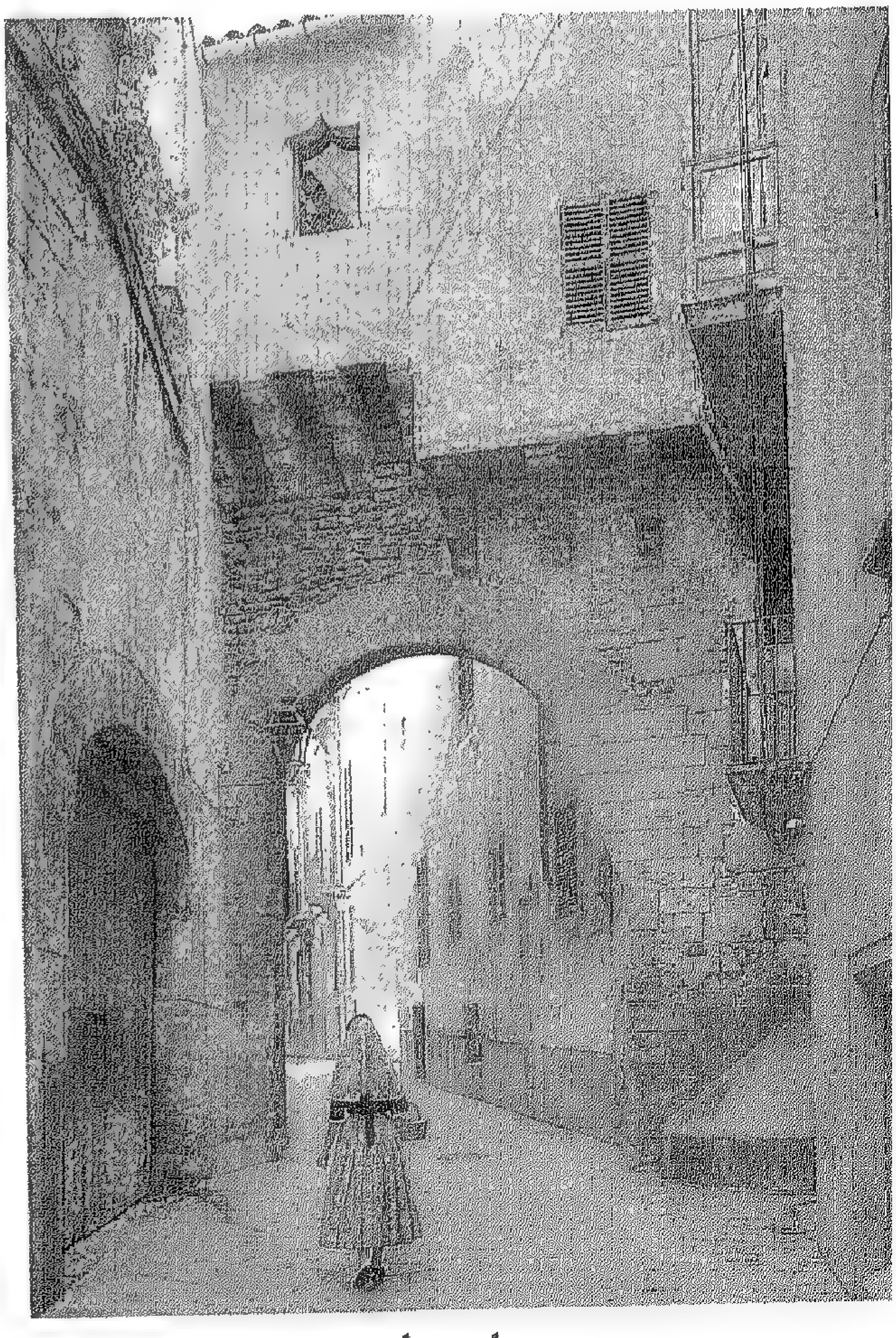


داخل فناء الحمامات العربية

الكاتدرائية (كانت مسجداً بلا ريب)، والحمامات العربية، القصر.. الكنيسة / المسجد بادية للعيان من كل جهة، أما الحمامات العربية فثمة إشارات تدلك عليها، مررت أولاً بالقصر، الذي أصبح شبه ثكنة عسكرية، به متحف شبه حربي، أما الكنيسة / المسجد فلا شيء يشدك إليها سوى ارتفاع سقفها الهائل، وقدراً لا بأس به من الظلمة!! إلا أن البهو المفتوح الملحق بها يعطيك انطباعاً بأنك في بيت دمشقي أو طرابلسي قديم، بئر تتوسط البهو، وجملة من الآلات الخشبية العتيقة التي كانت تستعمل عندنا في أرياف ليبيا لاستخراج المياه من الآبار، وثمة مفتاح خشبي كبير عتيق علق على أحد الجدران...

هيا بنا إلى الحمامات العربية، قلت بشيء من الشوق لرؤية ما خيل لي أنه سيرينا وجهاً آخر من وجوه ميورقة، في الطريق إليها تذكرت بعض الحمامات العربية في حي البيازين في غرناطة، وحمامات الخلفاء التي اكتشفت مؤخراً في قرطبة، ومنيت النفس برؤية شيء ما له بعض الملامح التي تدل على أصوله الأندلسية، فثمة العديد من الإشارات في الأزقة تقودك إلى الحمامات العربية، لن أكون مضطراً للتذكير بالماء المنهمر من السماء، الأمر الذي لم أتمكن معه من التقاط بعض الصور لتلك الأزقة الضيقة، ما إن تصل إلى الحمامات العربية حتى تضطر لدفع مبلغ مالي، ولم لا ؟ ألست داخلاً حمامات

عامة؟ تصعد قليلا تحوطك النباتات التي كانت ترتوي بما تجود به السماء من ماء، ونخلة تتوسط حديقة لا ينقصها شيء، ورود من كل صنف ونوع ولون، نباتات خضراء، وعلى يسارك ستجد غرفة دائرية هي الحمامات العربية، تتوسط سقفها فتحات للإنارة، جدران وأعمدة بها آثار حريق يبدو أنه أتى على كل شيء، لا نقوش، لا زخارف، أعمدة رقيقة أنهكتها تصاريف الزمان وأيدي العابثين، علقت عليها لوحة ورقية تحذرك من الاتكاء عليها، وكأنها تقول لك: كفاها ما بها من نحول وهرم، ولوحة أخرى تحاول أن تقدم لك صورة قريبة لما كانت عليه تلك الحمامات...



فتاة ميورقية ترتدي زياً تقليدياً في زقاق ميورقي تقليدي

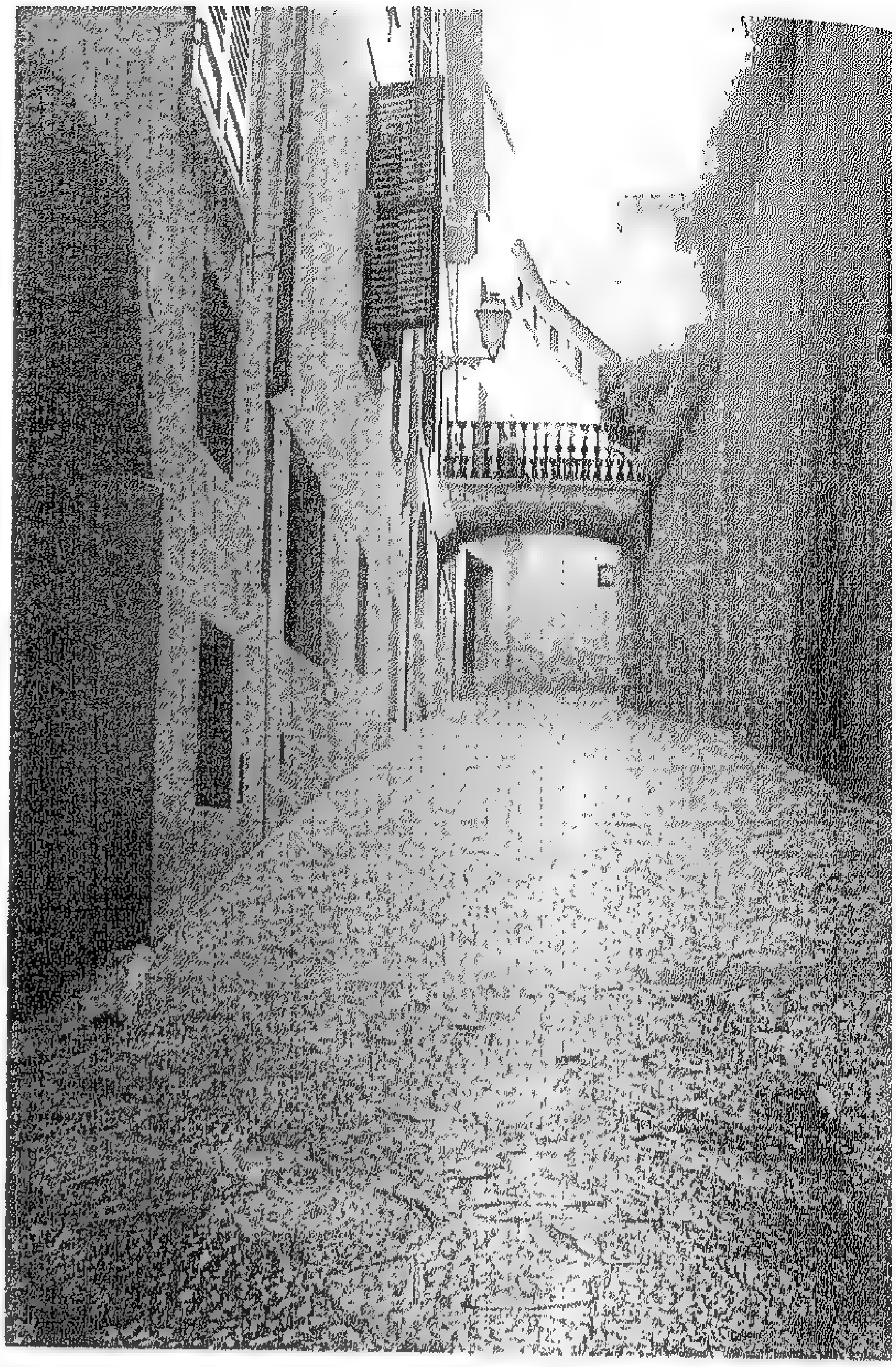
في طرق وأزقة الحي القديم يرافقك التاريخ، تشعر بعبقه، الجدران، النوافذ، أبواب المنازل، الأقواس التي تزين الأزقة والشوارع تنقلك عبر أحياء قرطبة وغرناطة، وغيرها من مدن الأندلس، ولو نطقت الحجارة التي رصفت بها تلك الأزقة والشوارع لأخبرتنا بما لم تجد به علينا كتب التاريخ...

تلك الأزقة والشوارع أتراها تحتفظ سراً بين جنباتها بما كان يدور بين الشعراء والعلماء والفلاسفة والفقهاء الأندلسيين؟ أتراها تحن إليهم وإلى قصائدهم ومناظراتهم ودعاباتهم وخلافاتهم ؟

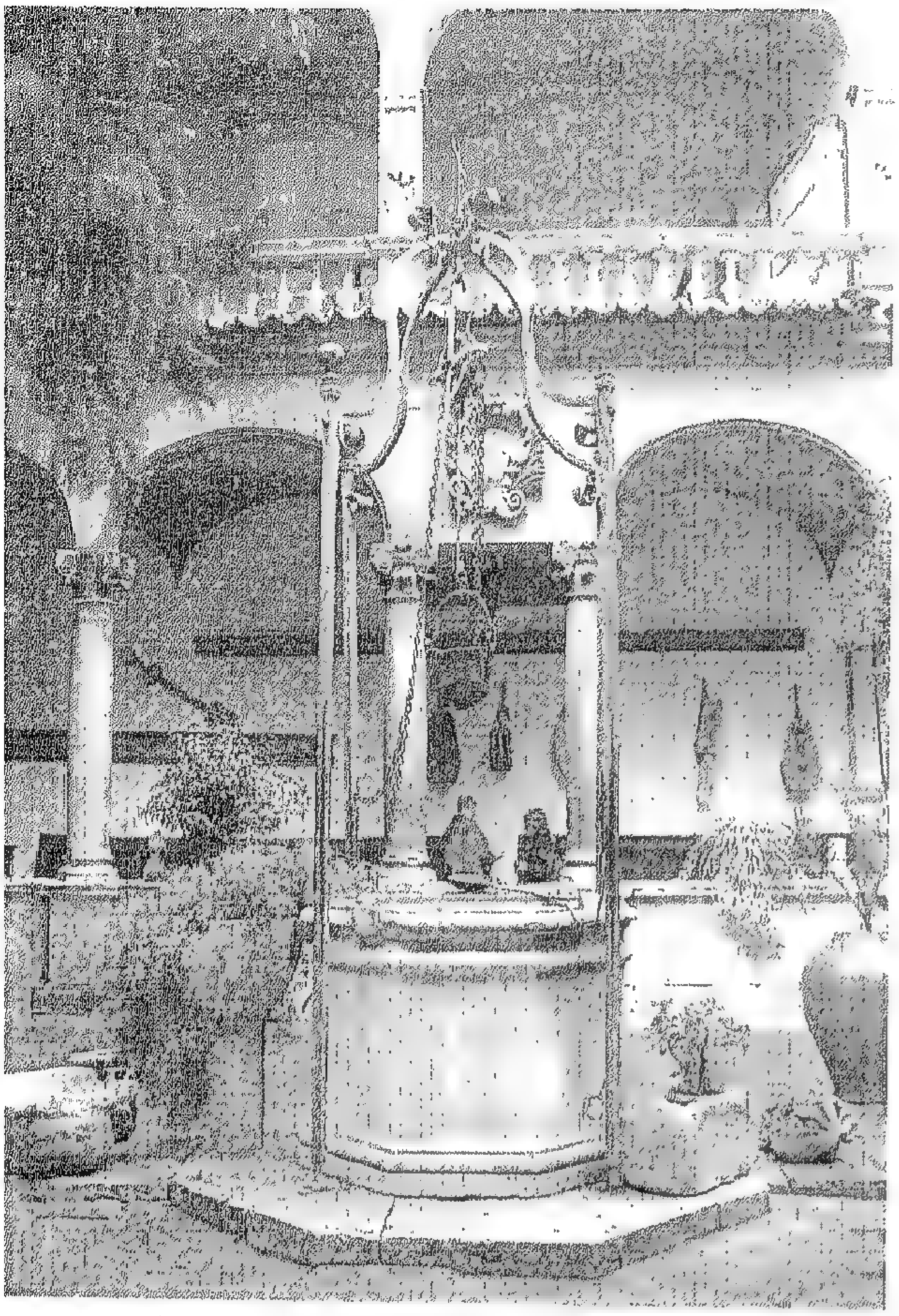
ميورقة بمساحتها القليلة ـ إذا ما قورنت بمساحة الأندلس ـ اتسعت كثيراً ولم تضق ذرعاً ولا مساحة بمن ضاقت بهم أرض الأندلس، اتسعت كثيراً وضمت في أزقة وشوارع هذا الحي والأحياء الأخرى من مدنها وقراها عدداً كبيراً من العلماء والشعراء والفقهاء والمتصوفة والفلاسفة والمحبين الذين رغم تنوع آرائهم، وتصادمها أحياناً، شدوا الرحال إليها بحثاً عن أمن وأمان وهدوء وحرية فقدتها مدن الأندلس الكبيرة...

ربحت ميورقة وخسر ابن حزم !!

جلست برهة تحت قنطرة قديمة، لن أغامر وأقول إنها أندلسية التصميم والبناء، أجلت النظر هنا وهناك، أزقة غسلتها المياه فأعلنت عن نفسها، وسمحت لحجارتها بأن تقدم نفسها بوضوح نادر، تساءلت: هل مرَّ من هنا ابن حزم ؟ هل التقى بأبي الوليد الباجي في هذا الزقاق أو في ذاك ؟ ولابن حزم وأبي الوليد الباجي قصة تروى، جرت أحداثها هنا في هذا الحي من ميورقة، لكن لم يعد من السهل معرفة أين التقيا، أين جرت بينهما تلك المناظرات الشهيرة، قدم ابن حزم إلى ميورقة، وكان كعادته مناظراً قوي



هل التقى ابن حزم بأبي الوليد الباجي في هذا الزقاق؟



بئر في بهو الكنيسة التي ربما كانت مسجداً

الحجة، أثرت آراؤه في أهل ميورقة حتى اتبعوه، لكن أبا الوليد الباجي الفقيه المالكي وثلة من الفقهاء المتعاطفين معه جعلوا حياة ابن حزم في ميورقة أمراً مستحيلاً، كسبت ميورقة شهرة كبيرة جراء تلك المناظرات، وفقد ابن حزم مكانته لا في ميورقة وحسب، ولكن في كل الأندلس تقريباً..

علماء، فقهاء، شعراء... مرّوا من هنا

كنت وأنا أتجول في أزقة وشوارع الحي القديم أبحث عن أي شيء يشير أو يرمز إلى النعمان المعافري الميورقي الذي اشتهر بتصوفه وتقواه وورعه، وكان يشار إليه بأنه مجاب الدعوة، لكن لا شيء، لا أحد بإمكانه أن يشير إلى مكانه منذ وفاته في هذه الجزيرة سنة 616 هـ..

أين يا ترى كان الحميدي صاحب التصانيف الكثيرة ومن أشهرها (جذوة المقتبس) يبث علمه الذي قال عنه صاحب (نفح الطيب) بأنه أظهره في طرقات وأزقة ميورقة، وترك لها فخرا تباهي به غيرها من المدن ؟ ولعلها تفاخر بغداد الأمس واليوم بالحافظ أبي عامر الميورقي الذي ما إن دخل بغداد حتى اعتبر من (أعيان علماء الإسلام بها)...

أسماء عديدة عرفتها أزقة وشوارع وبيوت ومساجد وقرى وأرياف ميورقة، أسماء لها في العلوم جميعها صولة وجولة، الشاعر الشهير ابن اللبانة



أحد مداخل مدينة ميورقة

الذي توفي بها سنة 498 هـ، أبو الوليد الشقندي الذي خصها بوصف جميل رائع، الشاعر أبو بكر بن عيسى الداني الذي توفي بها سنة 507 هـ، مطرف بن عميرة الذي ألّف كتاباً وصف فيه سقوطها وتغلب الروم عليها سنة 627 هـ، وما دمنا ذكرنا الداني الشاعر فإنه من الواجب أن نخص «من هو أحق بالتقديم والسبق، الشهير عند أهل الغرب والشرق»، «الذي لم يكن في عصره ولا بعد عصره من يضاهيه في حفظه وتحقيقه»، أحد الأئمة «في علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه وإعرابه»، من «له المنتهى في علم القراءات، وإتقان القرآن، والقرّاء خاضعون لتصانيفه، واثقون بنقله في القراءات والرسم والتجويد والوقف والابتداء، وغير ذلك، وله مائة وعشرين مصنفاً»، من قال عن نفسه: «ما رأيت شيئاً قط إلا كتبته، ولا كتبته إلا حفظته، ولا حفظته فنسيته»

إنه الإمام الحافظ عثمان بن سعيد المعروف بأبي عمرو الداني الذي لا يكاد مصحف مطبوع يخلو من اسمه، هذا الإمام أمضى بميورقة ثمانية أعوام يعلم الناس ويؤلف ويناقش، ولكن لا أحد ولا أثر يمكنه أن يدلنا على مكان جلوسه.. أو مكان إقامته، ولو لم يكن لميورقة غير شرف احتضان هذا الإمام لكفاها...

❖❖❖

مهما وصفنا حجم التغيير الذي لحق بميورقة فإننا لن نحيط بذلك، طال التغيير كل شيء، ومع ذلك فقد أفلتت بعض الكلمات من عوامل الزوال، ها هو مخبز تعلو مدخله كلمة (فرن Forn) باللغة اللاتينية.. وتحت تمثال (رامون يول) جملة كتبت باللغة العربية، ونصها «لا فضيلة في إرادة بدون محبة»، أما قصر المدينة فلا زال يحتفظ بشيء ما

من الفن الأندلسي المندمج مع الفن المسيحي وعصر النهضة..

أدركنا التعب، بدأنا رحلة البحث عن مطعم لا يرتاده الأجانب كثيراً، وذلك تنفيذاً لنصيحة ثمينة من شأنها أن تمكننا من تناول وجبة ميورقية حقيقية، وفيما كنا على هذا الحال مررنا جوار مبنى يحمل ملامح الفن المدجن وعلى بعد أمتار منه تمثال رخامي ضخم للشاعر روبين داريو، المنظر العام كان فيما يبدو محاولة للمزج بين مرحلتين متباعدتين، تجاذبنا أطراف الحديث مع النادل الذي اكتشفنا أنه من كولومبيا، سألناه بشيء من الحذر عن الوجبات التي يقدمها هذا المطعم، ويبدو أنه فهم ما نرمي إليه، قال وهو يمرر قطعة قماش مبللة ليمسح بها وجه طاولة عتيقة: أنتم محظوظون مرتين، الأولى أنكم دخلتم قبل أن يقفل هذا المطعم أبوابه، والثانية هي أنكم في المطعم الوحيد في هذه المنطقة الذي يقدم المأكولات الميورقية العريقة، قبلنا ما قاله على مضض.. ولعل ما تناولناه كان شبيهاً إلى حد ما بما يقدم في كل اسبانيا.. وعوضاً عن القيلولة التي تشتهر بها شعوب البحر المتوسط أكثر من غيرها تناولنا كوباً من القهوة...

بلد موسى

على مقربة من مكتب الاستعلامات السياحية تقع محطة القطار العتيق والحافلات الحديثة، كانت الحركة هادئة تماماً، فكّرنا أن القوم في قيلولة، لكن الأمر في حقيقته كان عدم وجود سواح كثر في هذه الفترة، اكتشفت صعوبة زيارة ما كنت أنوي زيارته،



كلمة (فرن) على مدخل أحد المخابز



فالقرى والمدن متناثرة في كل الجزيرة تقريباً، بعضها في الشمال الشرقي، وبعضها في أقصى الشمال، ومدن وقرى أخرى تقع في أقصى الجنوب، ولكن إذا كانت الأهداف كباراً تعبت في مرامها الأجسام، مع الاعتذار لهذا التحوير الذي أدخلناه على البيت الشهير...

ما إن تغادر المدينة حتى تكتشف عدداً آخر من وجوه ميورقة، السهول والمرتفعات، الوديان والجبال، المزارع والحقول، قطعان الماشية، طواحين الهواء، تجد نفسك أحياناً في أعلى نقطة من الجزيرة، وأحيانا تعبر طريقاً بين صخرتين...

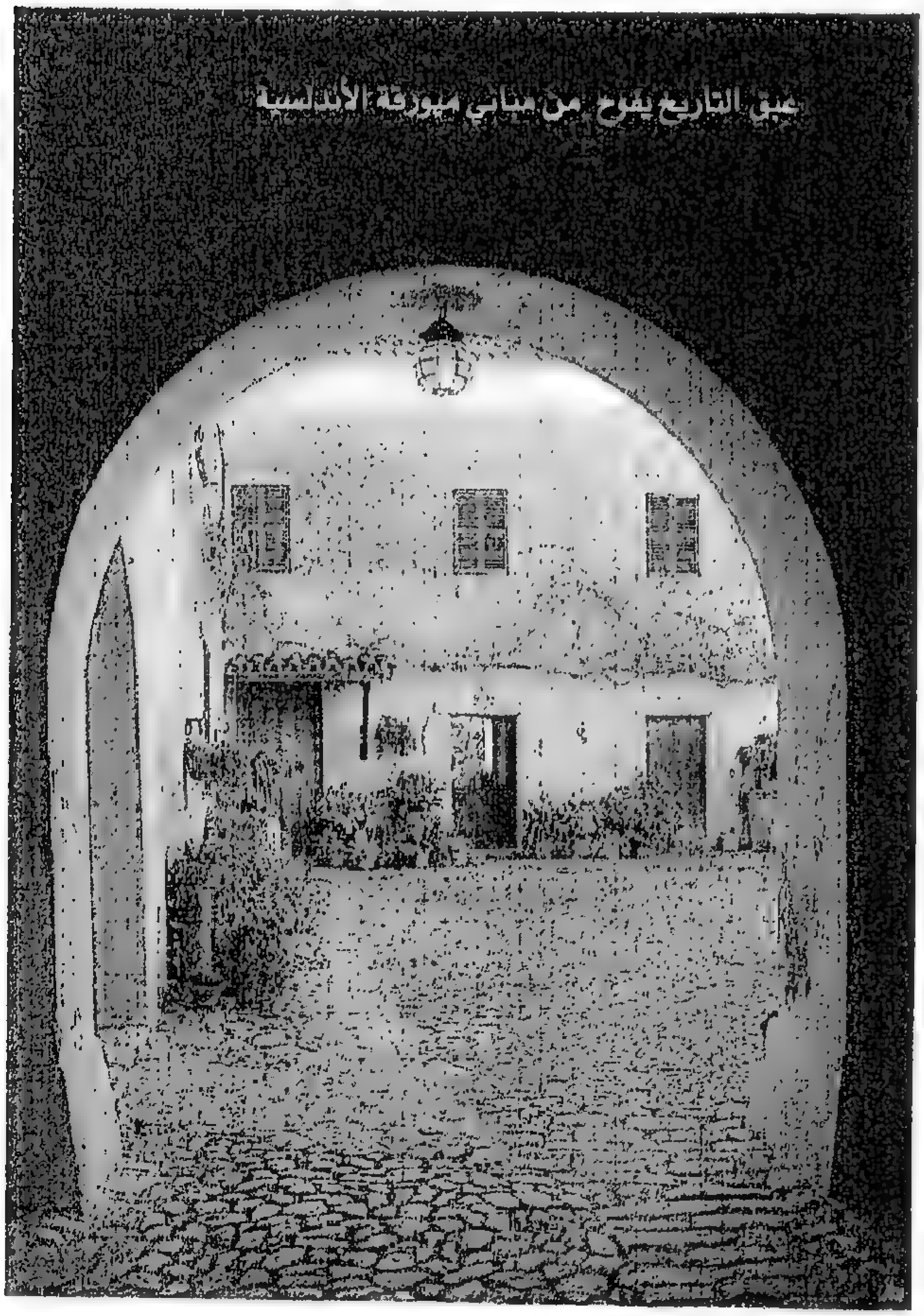
كنت كالعادة حين بدأنا نتعلم اللغة الإسبانية نقرأ كل شيء: أسماء الشوارع، أسماء المحلات، لوحات الإعلانات، وفي هذه الرحلة أيضاً كنت أمارس هذه



.. وأحياناً تمر بين صخرتين..



زقاق في بلد موسى...



الهواية، وفجأة تسمرت عيناي على لوحة كبيرة تشير إلى: بلد موسى، نعم، بلد موسى، والتي تكتب بلغة القوم هكذا: valldemossa، وإلى الشرق منها: الجابية.. بلد موسى قرية شمال (بالما دي ميورقة)، ولعلها القرية الأكثر شهرة باسمها العربي وأزقتها الضيقة ذات الطابع الأندلسي، وبيوتها التي لا تزال تختزن ملامحها الأندلسية، أما برج كنيستها فهو أقرب إلى مئذنة مسجد منه إلى برج الكنيسة.. تنام على سفح مغطى بالأشجار من كل جانب، تحيط بها بعض المدرجات الزراعية، تتميز مبانيها المشيدة بالحجارة بنوافذها وأبوابها ذات اللون الأخضر، الأزقة حدائق مفتوحة ذكرتني بمنازل قرطبة أيام مهرجان الزهور، معظم شوارعها وأزقتها مبلطة بالحجارة..

هي القرية الأكثر شهرة، لا على مستوى الجزيرة أو اسبانيا، بل على المستوى العالمي، إليها تشد الرحال، وفيها أمضى عدد كبير من الكتاب والأدباء



برج كنيسة هو أقرب إلى مئذنة مسجد... في بلد موسى

أفضل أوقاتهم، عاش فيها الموسيقار شوبان بين عامي 1838 ـ 1839 مسيحي لأسباب صحية حيث نصح بالبقاء فيها حتى تتحسن صحته، وللسبب ذاته قدم إليها الشاعر روبين داريو سنة 1913 مسيحي وفيها كتب عدداً كبيراً من قصائده، وخصها بكتاب أسماه (ميورقة الذهبية)، كما استوحت منها الكاتبة الروائية جوج ساند فكرة كتابها (صيف في ميورقة)، وأمضى



سيدة من بلد موسى ترتدي الزي التقليدي



شوبان



جوج ساند



معصرة زيتون... هي ذاتها التي نجدها في قرانا العربية..

فيها لويس سلفادور دوق النمسا فترة من الزمن حيث وضع موسوعته حول جزر البليار.. كما شهدت بلد موسى تأسيس أول مطبعة في الجزيرة سنة 1276 من قبل رامون يول..

بلد موسى تشدك إليها ببساطتها، ودفء وحميمية أزقتها وشوارعها، وستلاحظ تمسك سكانها بزيهم التقليدي الذي يعود إلى المرحلة الأندلسية..

الضيعة

تقع بلدة الضيعة شمالي بلد موسى، أسسها الأندلسيون ومنحوها اسمها، التعرف على أصلها الأندلسي لن يكون من خلال اسمها فحسب، بل ومن خلال جمال شوارعها وحسن تنظيمها، وطرق الري التي ابتدعها الأندلسيون والتي لا تزال تستخدم حتى



مدرسة الجمال الأندلسية تتضح في قرى ميورقة...

الآن، جمالها الذي ساهمت في إبرازه بيوتها الأندلسية وشاطئها ومرتفعاتها دفع بالكاتب الإنجليزي روبيرت غرافيس إلى اختيارها ليمضي فيها بقية حياته، وظل مدافعاً عن طابعها الأندلسي المتميز، لن تستغرب كثيراً حين تجد موسيقياً عالمياً يجلس وحيداً جانب شجرة أو نخلة أو في حقل زيتون يعزف لحناً ربما سيعتبر فيما بعد قطعة موسيقية عالمية...



صانع الفخار، ملامح مشتركة ميورقية أندلسية عربية...

قبائل عربية في الطريق إلى سوبير والكدية

وأنت في شمال ميورقة وفي الطريق إلى سوبير أو الكدية تصادفك قرى لا تزال تحمل اسماء عربية، صحيح أنها مكتوبة بلغتي القوم الإسبانية والميورقية، لكن لن تخطئ أصلها العربي: بنو عريش، بنو سالم، بنو عمار، بنو خلدون، بنو مراد.. وغيرها كثير.. الأمر المؤكد هو أنك لن تجد سالماً أو عماراً أو مراداً، رغم وجود أسمائهم في لوحات كبيرة.. لم يبق من مراد وعمار وسالم وخلدون سوى أسماء القرى أو احتفالات سنوية ابتدعها السكان الجدد تعرف بـ: عرب ومسيحيون Moros y Cristianos كما يسميها كل



طفلة من بني سالم ترتدي الزي التقليدي.. معلم أندلسي واضح..



سيدة ميورقية

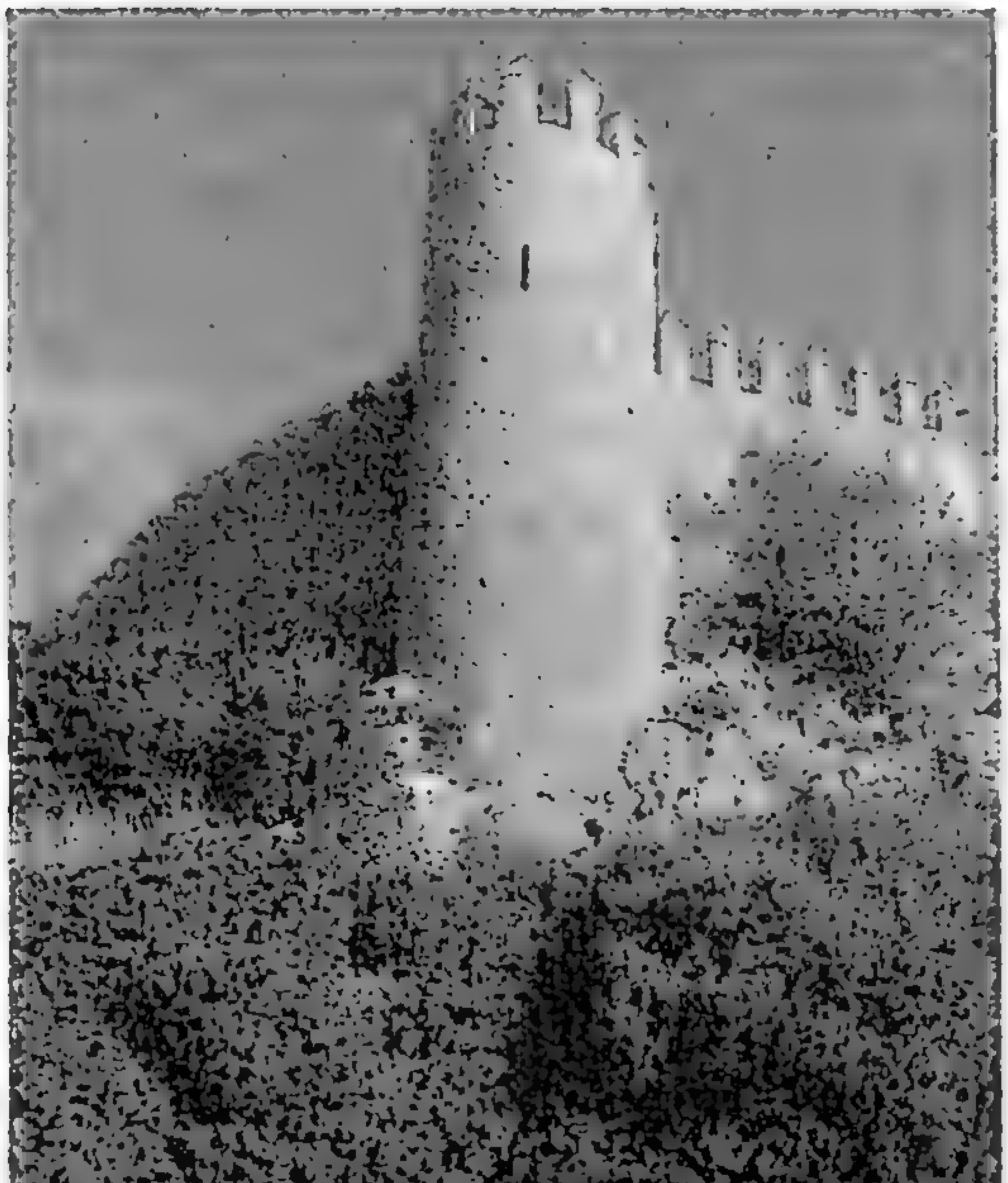


بوابة أندلسية التصميم والطراز في قرية الكدية..

إسبان المنطقة الشرقية.. عدا ذلك فعليك أن تكتفي ـ مثلي تماماً ـ بمحاولة استنطاق بيوتها وأزقتها وشوارعها ذات الطابع الأندلسي لعلك تسمع شيئاً جديداً..

بعد قرية بني بونا تصل إلى بويينثا، ومنها استوحت أغاثا كريستي روايتها (مكيدة في بويينثا)، ولم ينس سكان هذه القرية مواجهات مع الأتراك بقيادة درغوث باشا سنة 1550 مسيحي حيث يحيونها سنوياً باسم: عرب ومسيحيون، وربما كانت تلك الغزوة التركية تمهيداً لاحتلال طرابلس سنة 1551 مسيحي رداً على ما فعله أهالي بويينثا وشمال ميورقة.. ربما..

الكدية: واحدة من أهم القرى التي احتفظت بملامحها التاريخية من خلال الحي القديم، تبرز



قصر أندلسي في أرطا

ملامحها العربية من خلال منازلها ذات الطابقين والأسوار التي لا تزال في مصالحة مع الزمن، إلا أن أهم معلم لا يزال قائماً هو بوابتها الأندلسية، كانت هذه المنطقة تتبع مدينة دانيا التي تقع إلى الغرب من الجزيرة على الشاطئ الشرقي الإسباني، أما أرطا فهي أحد الأقاليم الثلاثة عشر التي تشكلت منها جزيرة ميورقة أثناء العهد الأندلسي، ولا تزال بعض حصونها وأسوارها في حال جيدة، تشتهر بكهوفها ومغاراتها ذات الأشكال المتميزة، يقولون أن عدداً كبيراً من سكانها غادرها إلى أمريكا في القرن التاسع عشر، مثلما هاجر سكان مدينة (سانتا في) إلى شمال إفريقيا، خاصة مدن الجزائر الساحلية..

القصر الدائري الوحيد

حادثتان جعلتا من زيارة ميورقة أمراً لا ينسى، يربط بين الحادثتين: المطر وأكثر من ثلاثمائة درجة كدت أصعدها في جو ماطر لا نظير له.. قبل أن تميل شمس اليوم الثاني إلى المغيب، وبعد الاطلاع على أهم ما يميز ميورقة، كان لا بد من زيارة قصر بيبفير الذي شيد على ربوة عالية تطل على المدينة من الجانب الغربي، وهو القصر الإسباني الوحيد المبني بشكل دائري، كدت من أجل الوصول إليه أن أصعد ما لا يقل عن ثلاثمائة درجة، لكن الأمر لم يحدث لأنه كان مستحيلاً مع المطر المنهمر! كان لا بد من وسيلة توصلني إلى هناك،



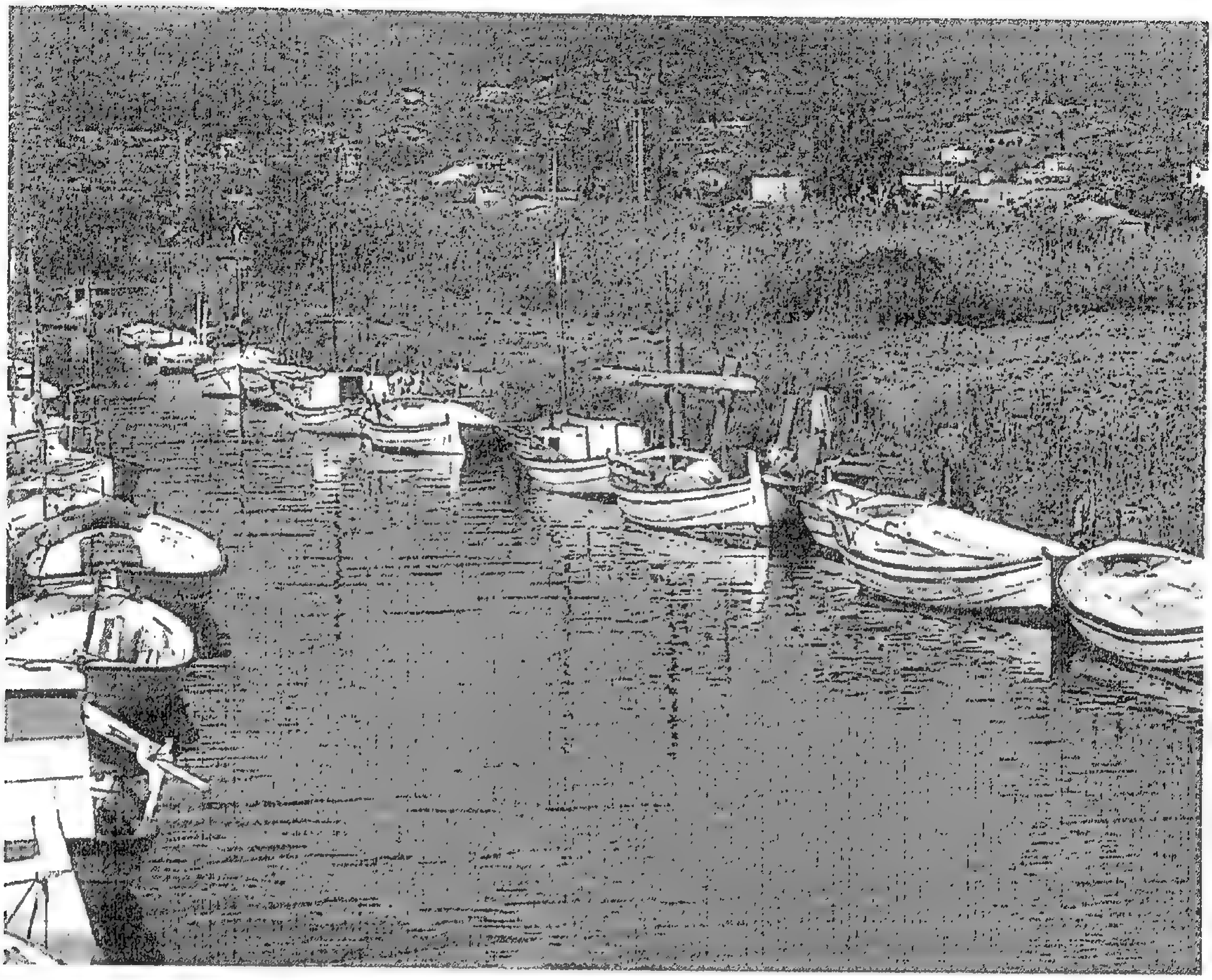
أحد أبراج حصن بيبفر



مغارة طبيعية في ميورقة

وجدت حافلة خيل إلي أنها تحمل الركاب إلى ذلك المرتفع، في آخر محطة قال لي السائق: هذه هي المحطة الأخيرة، لم يكن أمامي وصديقي الذي لم يعد بإمكانه الصبر أكثر سوى البحث عن وسيلة مواصلات أخرى تقلنا إلى بغيتنا، ولأول مرة نضطر لاستعمال سيارة أجرة، وطالت الرحلة، لكننا وصلنا، من المهم جداً أن تختار الركن الذي تستطيع من خلاله رؤية المدينة بكاملها، لكن المطر المنهمر ربما لن يمكنك من ذلك، قيل لنا ونحن ندفع رسم الدخول أن القصر يعتبر الوحيد من نوعه، وأنه بني على فترات من قبل الأسبان بعد أخذهم مدينة بالما، القصر عبارة عن دائرة من طابقين: الأول يحوي غرفاً متصلة عرض فيها تاريخ المدينة منذ ما قبل التاريخ وحتى يومنا هذا، المرحلة الأندلسية عرضت على استحياء، رغم أن المؤرخين الذين كتبوا عنها أكدوا أنها عاشت أزهى عصورها في المرحلة الأندلسية..

في الطابق الثاني متحف مليء بالتماثيل الخاصة بالقادة العسكريين، من رومان وبيزنطيين وإسبان، أما الأندلسيون فلا مكان لهم في هذا العرض العسكري المتجمد.. صعدنا إلى سطح القصر لنرى جبالاً تعانق السحب الركامية، ثم تختفي الجبال لتبقى تلك السحب، ولا داعي مرة أخرى للتذكير بنتائج تلك السحب...



مراكب صيد صغيرة تنتشر في كل ساقية

حتى تعود إلى المدينة أمامك أحد حلين، إما أن تتصل بشركة ما لترسل لك سيارة أجرة، وإما أن تقطع المسافة مشياً على الأقدام، وهذا ما اخترناه، تذكرت محاولة صعودنا وقررت أن أحصي عدد الدرجات التي كنا نحاول صعودها !! فاق عددها الثلاثمائة، ثم اكتشفنا ونحن نعود إلى فندقنا ذي النجمتين أننا حين قدومنا للمرة الأولى اخترنا الطريق الأبعد والأصعب، أكثر من ثلاثين دقيقة صعوداً، لكننا اكتشفنا أن الأمر كان أسهل بكثير، فالأمر لا يتطلب أكثر من خمس دقائق عبر صعود سلم حجري يمر أمام بيوت عتيقة لا تزيد عدد درجاته عن المائة...

مع (الميورقي) وبني غانية فوق السحاب

وكأي زائر يغادر مدينة ما عرجت على أحد المحلات التي توفر فرصة اقتناء ما يذكرني بالساعات القلائل التي أمضيتها في رحاب هذه الجزيرة، الاختيارات صعبة لعدة أسباب.. من أهمها تنوع المعروض وارتفاع ثمنه، ولتحقيق هدف كهذا عليك أن تتجول بين عشرات الأماكن والمحلات في محاولة منك لاختيار شيء ما من أشياء كثيرة لا تحصى، وبعد وقت ليس بالقصير وجدت نفسي أمام مكتبة صغيرة علقت على مدخلها صور قديمة لبعض معالم الجزيرة.. دخلت.. اقتنيت بعضها.. وفيما كنت أغادر تلك المكتبة لمحت كتاباً على غلافه كلمة



بيوت مسقوفة بالجبال

عربية، اقتربت، أخذت الكتاب، كان عنوانه (الميورقي).. ودون أدنى تفكير اقتنيته، تذكرت أني اطلعت عليه ـ وبشكل سريع ـ منذ أشهر..

وأنا استعد لمغادرة الجزيرة خُيل إلي أنها غادرت التاريخ من باب التأثر والتأثير، وغدت مجرد مربع سياحي يستقطب أسماء لا تجد فيها غير شواطئ وسهول وقرى يسكنها الهدوء.. خُيل إلي أنها لن تزيد عن كونها مساحة للسياحة، لكن كتاب (الميورقي) كان عاملاً مهماً في تغيير وجهة نظري، كما أنه كان عاملاً مهماً في تبديد جزء من الملل الذي يداهم أي مسافر وهو ينتظر ساعات في مطار يسكنه الهدوء..

(الميورقي) رواية تسافر بك إلى الماضي أحياناً، وتضع الماضي بين يديك أحياناً.. حاول مؤلفها خوان خوسيه بيبا ـ من خلال إعادة صياغة حياة أحد أفراد أسرة بني غانية الذين حكموا الجزيرة ـ أن يقول من خلال دمج وقائع تاريخية بخيال منبهر بالأندلس عن ميورقة أنها جزيرة لا تستحق أن يلفها النسيان، أو يحيلها إلى مجرد مرابع للسياحة.. رواية يقول مؤلفها إن شخوصها وأحداثها ومعاركها ليست من بنات الخيال..

يعيب المؤلف على أهل ميورقة ـ والأسبان عموماً ـ ذلك التجاهل الكبير للجزيرة ودورها في عهدها الأندلسي، ويستغرب كيف أن عدداً من المؤرخين العرب لم ينقصوا من قيمتها، ولم يغمطوها حقها، بينما لا يكاد يذكرها مؤرخ إسباني واحد بما يليق !! وحاول من خلالها تقديم وجه آخر من وجوه ميورقة..

وفيما كنت أتصفح الرواية تلقيت مكالمة هاتفية من صديقي الذي أنبأني أنه تحصل على مقعد في طائرة تغادر بعد نصف الساعة إلى منورقة.. تبادلنا عبارات الشكر والتقدير.. سألني فجأة: هل تعتقد أن الرواية التي اقتنيتها ستضيف شيئا جديداً ؟ قلت: لمن؟ أجاب: لك ولميورقة.. قلت: هذا أمر سابق لأوانه.. وقلت في نفسي: لا بأس من الإبحار إلى ماض بعيد، بعيد جداً مع (الميورقي) وقصة بني غانية..

في الطائرة وعبر نافذتها.. لاحت بعض التفاصيل لأرض خضراء.. وبدلاً من أن يغطينا السحاب ها هو يغطي كل وجوه ميورقة.. وفيما كانت الطائرة تقتحم السحب التقطت بعض الصور لما رأيت أنها لوحات نادرة رسمتها السحب التي كانت تحجب كل شيء لتنفتح نافذة على أفق لا حدود له.. ها نحن نفترش السحاب.. ولا غطاء لنا غير فضاء لا تدرك حدوده.





- ❖ من آثار عبقرية المسلمين في إسبانيا عند جوزيف ماكيب
- ❖ القابض على الجمر في رحلة البحث عن الذات
- ❖ وامعتصماه!! (شعر: عمر أبي ريشة)

من آثار عبقرية المسلمين في إسبانيا عند جوزيف ماكيب

جوزيف ماكيب Joseph Macape



غلاف الكتاب ترجم إلى العربية

جوزيف ماكيب راهب إنجليزي ولد في سنة 1867 م، تعلّم في الأديرة، وعاش بداخلها اثنتي عشرة سنة خلّفت في نفسه آثاراً سيئة كما يقول عنها في كتاباته، وانتهى به المطافُ إلى الإلحاد والكفر بالأديان. أجاد عدداً من اللغات، وصنّف نحو مائتي كتابٍ في فروع المعرفة المختلفة، وترجمَ ثلاثين كتابا. ومن تآليفه :

- كتاب الأخلاق 12 جزءاً.
- مفتاح التهذين 40 جزءاً.
- الخرافات العامة جزء واحد.
- الحكاية الحقيقية للكنيسة الكاثوليكية، 6 أجزاء.
- مدنية المور (المغاربة) في الأندلس، جزء واحد.

وهذا الكتاب الأخير مع ما فيه من هجومٍ شرس على الأديان إلا أنه أنصف حضارة المسلمين في الأندلس.

يقول جوزيف ماكيب في كتابه (مدنية المور في إسبانيا) الذي ترجمه عن الإنجليزية د. محمد تقي الدين الهلالي تحت عنوان (مدنية المسلمين في إسبانيا) :

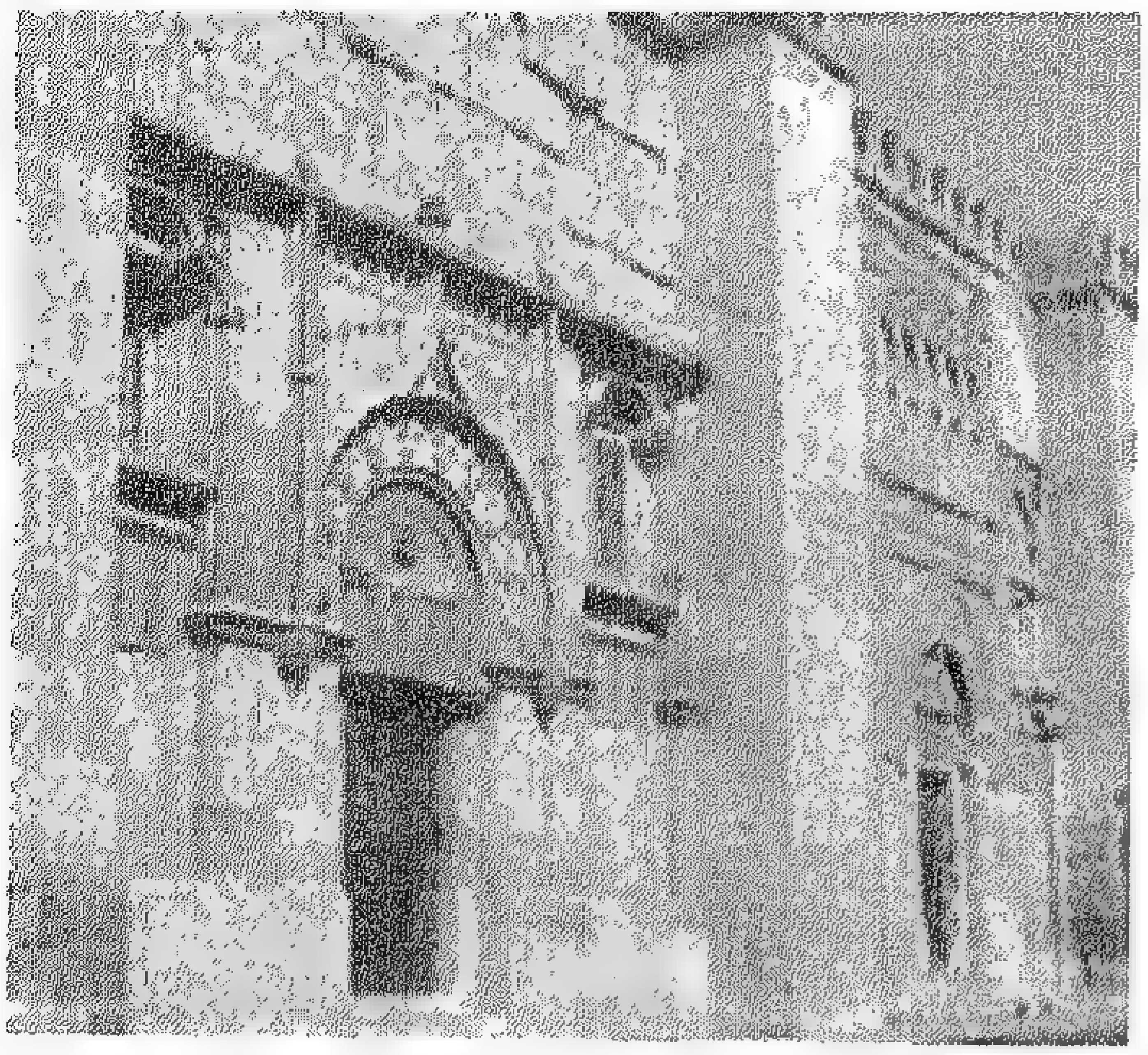
« في سنة 1085 م استردّ الإسبانيون أقصى مدينة في الشمال من أيدي العرب، وهي طليطلة قاعدة ملك الإسبانيين القديمة. وهذه المدينة اليوم في حالة تدلّ على ما جناه الإسبان على المدنية في قضائهم على العرب .. حين رُفِسَت المدنية تحت الأقدام وتلاشت.. ومن العجيب ألا نجد إلا قليلاً ممن يعرفون أنّ قُرطُبَةَ كانت تضاهي في عظمة مجدها بابلَ وروميةَ وبغدادَ مع أنّ عهدها ليس ببعيد. ولا أريد اليوم بهذا النوح والعويل الدائم أن أهيج سخط الناس على الدّين الذي ألهم الإسبانيين أن يبيدوا هذه المدنية العظيمة. وأنا أشدّ تأسّفاً وتحسّراً على خسارة النوع البشري مني على جناية أولئك الجناة.

لو عمّت أفكارُ قرطبَةَ وعلومُها وتهذيبُهَا جميعَ أوروبا لبلغت أوج المدنيّة، وتقدّم العلمُ فيها تقدّماً عظيماً في القرن الثالث عشر، ولكانت أميركا وسائر بقاع الأرض قد اكتُشِفت قبل تاريخ اكتشافها، واستعمرت بِحكمة وإتقانٍ أكثرَ وأسْبَقَ مما وقع لها، ولكان النوع البشري بأسره اليوم متمتعاً بثروةٍ ورفاهية، ورقي وحرية، وسموّ فكرٍ مثلما سيكون حوالي سنة 2500 م.

لم يبق من آثار قرطبة في القرون الوسطى إلا أثرٌ

واحدٌ وهو جامعها الذي لا يزالُ إلى اليوم يسميه أطفال قرطبة مسجداً، ولولاه ما تجشّم أحدٌ عناء السفر لمشاهدة قرطبة، ولو كانت على خمسة أميالٍ منه. وهو أعظم معبد في الدنيا بعد كنيسة سانت بطرس، وهو آيةٌ لا نظير لها من الهندسة والبناء. وظاهر هذا المسجد لا يستولي على اللب . ولم يكن المغاربة (المور) الذين يُفَضّلون الإقامة داخل البيوتِ أكثر من الإقامة خارجها يهتمون نسبياً كثيراً بالظاهر. وأما في الداخل فهناك العجائب إذا دخلت الجامع من أيّ بابٍ من أبوابه التسعة عشر. وله سقف خشبي منخفض نسبياً قد زُخرف بالأرجوان والذهب. وفي الأعياد الكبيرة توقد مائتان وثمانون ثريا من الفضة والنحاس، يحترق فيها زيت العطر، وتتلألأ فيه آلاف كثيرة من المصابيح، فتلقي أنوارها على ذلك المشهد. وأكبر ثريا منها كان محيطها ثمانية وثلاثين قدماً، وتحمل ألفاً وأربعمائة وأربعاً وخمسين مصباحاً، ولها مرآة تعكس النور، فيزيد شعاعه تسعة أضعاف...

لقد قرأت جميع التآليف التي ألّفت في سيرة المغاربة، مستندة على ما كتبه المعاصرون لهم، فرأيتُ يقيناً لا ريبَ فيه أنّ أخلاقهم كانت سامية.. وأمّا غيرتهم على شرفهم وشهامتهم فهناك ألفُ قَوْلٍ وألفُ عَمَلٍ يُجليها لك في أكبر التآليف التي أُلّفت في تأريخهم وقد ظهرت آثارُها في شهامتهم المعروفة في الحروب. وليس ظهورها بأقلّ من ذلك في تسامحهم مع السكان والزّوّار من النصارى ما داموا مستقيمين في سلوكهم وفي معاملتهم لليهود بمقتضى الأخوّة التامة، وكرمهم واهتمامهم بالمرضى واليتامى والأرامل والفقراء. لقد كانوا يرعون أوامر الإنسانية حق الرعاية في الإحسان إلى المرضى والمحتاجين، وقد حافظوا على تلك الأوامر تديّناً وكرماً أكثر من محافظة النصارى على مواعظ المسيح التي كان يلقيها على حواريه من



مسجد قرطبة

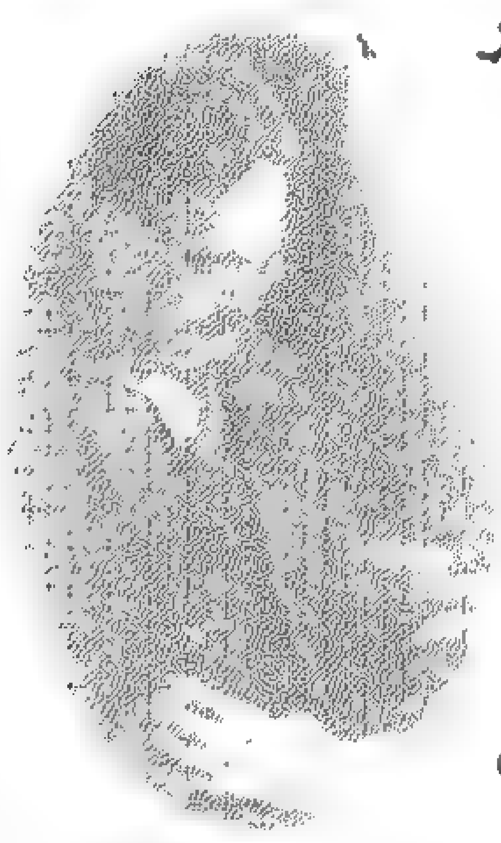
فوق الجبل. وإذا درست التواريخ حق دراستها ترى إنما يتبجّح به النصارى من كونهم متمسكين بأعمال الخير والأخوّة التي جاء بها الوحيُ يتضاءل ويتلاشى أمام ما عمله المغاربة من ذلك. والغيرة على بثّ العلوم كانت عامة في ملوك المغربيين، وكان في كلّ قرية مدارس كافية لحاجة أهلها، وكان التعليم فيها قائماً على أفضل التسهيلات وأنفعها. وكلّ الأطفال الذين قعد بهم العُدْمُ عن التعليمِ كانت الحكومة تعتني بهم وتؤسس لهم مدارس مجانية على نفقتها. وعل هذا نقول إنه يتعذّر أن يوجد فلاح أندلسي لا يعرف القراءة والكتابة في حين كان ملوك بقية أوروبا لا يقدرون أن يكتبوا أسماءهم في توقيعاتهم، وكذلك أشراف الروم من أعلى الطبقات لم يكونوا قادرين على القراءة والكتابة، وتسعٌ وتسعون في كلّ مائةٍ من أهل الممالك النصرانية كانوا أميين تماماً.

ولم تكن حرّية الفكر في الأندلس، التي أقلّ ما يقال فيها أنها كانت حالها أعلى وأجلّ بكثير منها في الممالك النصرانية، وحدها التي تغذي حبَّ العلم والولع به، بل كان يثيره إجلال العلماءِ الذي زال من الدنيا بزوال دولة الأندلس، ولم يرجع بعدُ إلى الدنيا.

القابض على الجمر في رحلة البحث عن الذات

أسرار خودي

محمد إقبال



محمد إقبال شاعرٌ فيلسوف، انشغل بالكشف عن الأدواء التي أنشبت أظفارها في جسد الأمة وَجَدَّ في البحثِ عن العلل التي مستها حتى غدت جسداً سقيماً مرتعاً للأوصاب.

أدرك هذا الفيلسوف اليقظ، والشاعر المرهف، أنّ بلية هذه الأمة في الانسلاخ عن عقيدتها، فشرع ينبّه في أشعاره ودروسه إلى حقيقة أن سرّ عظمة الإسلام تكمن في تحرير الذات الإنسانية من عبودية العباد، وإخلاص العبادة لرب العباد، فكان منبراً قوياً يحارب البدعة والخرافة والدجل، ويدعو إلى تنقية الإسلام من الشوائبِ التي ألصِقَت به ظلماً وعدوانا. فكتب أعظم مناجاة عن النفس المؤمنة المطمئنة التي هي مستودع الإيمان، والتي هي مبعث القوة واليقين. فكان ديوانه الشهير أسرار خودي أو أسرار الذات. كان إقبال الفيلسوف والشاعر العبقري المجدّد يقول: «إن أدب اليأس لا يمكن أن يخلد في الدنيا أبداً، لا بدّ أن يكون الأدبُ داعياً إلى الأمل والرجاء في حياة الأمة».

لقد استرعى ديوانه (أسرار خودي) انتباه الغرب لمّا تَرجمه نيكلسون إلى الإنجليزية في سنة 1920 بسبب الخواء الروحي الذي يعانيه. لقد وَجَدَ الغَرْبُ فيه نفحةً إيمانيةً مشبوبةَ العاطفة يكتنفها فهمٌ عقليٌ مستنير. ولذلك ربطته صداقات علمية بنخبة من كبار المستشرقين من طبقة توماس آرنولد، ونيكلسون.

لقد كانت ترجمة ديوان (الأسرار والرموز) إلى العربية أجمل هدية قدّمها د. عبد الوهاب عزام إلى قراءِ الضاد في الخمسينيات من القرن العشرين، تُضَافُ إلى جملة مكارمه في خدمة الأدب العربي التي ضمّت ترجمته لدواوين إقبال الأخرى: ضرب كليم، ورسالة المشرق.

أنا لَحْنٌ دون ضَرْبٍ صَعَدَا
أنا صوتٌ شَاعِري يَأتي غدا
دون عَصْري كُلُّ سِرٌّ قد خَفِي
ما بِهَذي السوقِ يُشرى يُوسُفي
أنا في يَأسٍ من الصَّحْبِ القَديم
مُشْعَلٌ طوري لِيَغْشَاه كليم
بَحْرُ صَحْبي قَطْرَةٌ لا تَزْخَرُ
قَطْرَتي كَاليَمِّ فيهِ صَرْصَرُ
مِن وُجودٍ غيرِ هَذَا لي غِناء
وَلِرَكْبٍ غيرِ هذا لي حُدَاء

كَمْ تَجَلّى شَاعِرٌ بعد الحِمَام
يُوقِظُ الأعْيُنَ حينًا ويَنَام
وَجْهُهُ من ظُلْمَةِ الموْتِ سَفَر
وَنَمَا من قَبْرِهِ مثل الزّهَرْ

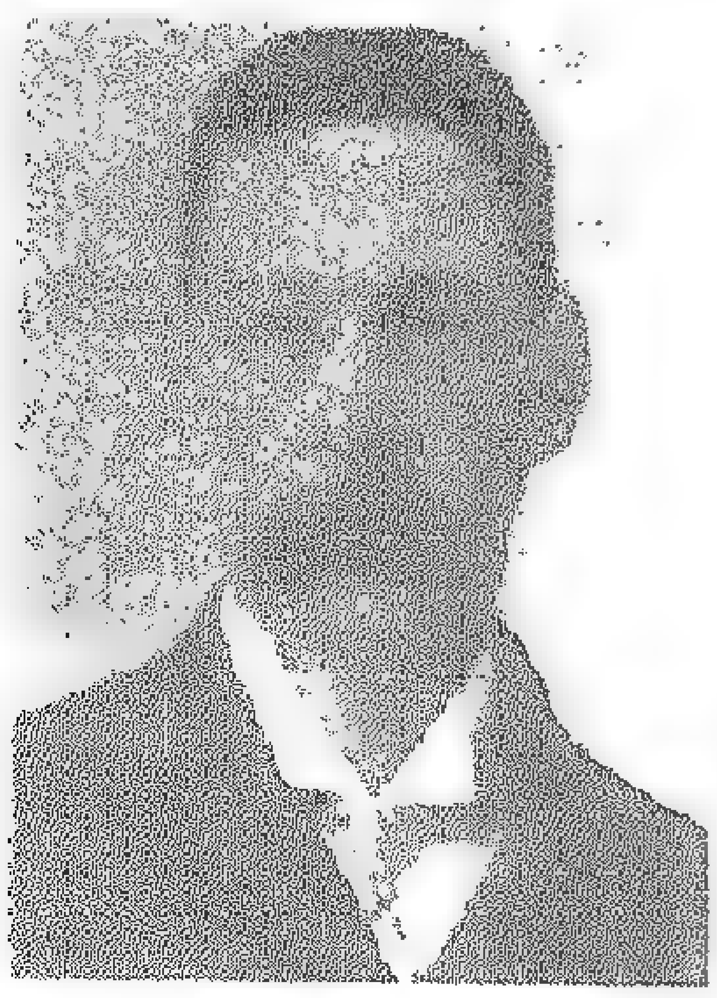
❖❖❖

كمْ بِهذا السّهْبِ مَرّت قَافِلَه
مِثْلَ سَيْرِ النُّوقِ رَهْوًا سابِلَه
غيرَ أنّي عَاشِقٌ ديني النُّواح
ثَورَةُ المَحْشَرِ في هذا الصّياح
أنَا لَحْنٌ كلٌّ عنه الوَتَرُ
لا أُبالي أنَّ عودي يُكْسَرُ
أبْعِدِ القَطْرَةَ عن سَيْلٍ طَمَا
وانْظُرَنَّ اليَمَّ منه التَطَمَا
لا تَعي مَوجِيَ هَذي الأنْهُرُ
لا تَعي لُجِّيَ إلا أبْحُرُ
ليسَ أهْلٌ لِسَحَابي زَهْرَة
ليسَ فيهَا لِنُمُوٍّ روضَةُ
كَمْ بُروقٍ نَائِمَاتٍ في الجَنَان
ضَاقَتِ البِيدُ لديهَا والقِنَان
إن تَكُن صَحْرَاءَ فاطْلُب لُجّتي
أو تَكُن سينَاءَ فاقْبِسْ شُعْلَتي
قد حُبيتُ الوِرْدَ من عَيْنِ الحَيَاه
وَوُهِبْتُ السّرَّ من عَيْنِ الحياه

صور من مراحل حياة إقبال







أشْعَلَ الذرّةَ لحني الثّائِر
رَفْرَفَت فَهْيَ يَراعٌ طَائِرُ
ما نَشَا ذَا السرُّ غَيري في البَشَر
لم يُثَقّب نَاظِمٌ مثلي الدُّرَر

❖❖❖

أفْشَتِ الأفلاكُ لي السِّرَّ القَديم
كيفَ يُخفى السرُّ من دونِ النديم
أيّها السّاقي مِنَ الرّاحِ اسْقِني
وأسُ في قلبي جراحَ الزّمَنِ
شُعْلَةُ المَاء التي مِن زَمْزَم
قَيْصَرٌ يَعْنو لَها كَالخَدَمِ
مُقْلَةُ المُبْصِرِ منها أبْصَرُ
وَشِعَابُ الفِكْرِ منها أنْوَرُ
تَجْعَلُ الرِّيشَةَ طَوْداً قَاهِرًا
وَتُري الثّعْلَبَ لَيْثاً زائِرًا
هي تَسْمو للثُّريّا بِالثَّرَى
وَتَعي القَطْرَةُ منها أبْحُرا
املأ الكَأسَ بِصَفْوٍ نَيِّرِ
نَوِّرِ الفِكْرَ بِنُورِ القَمَرِ
لأقودَ الرَّكْبَ شَطْرَ المَنْزِلِ
بَاعِثاً شَوْقَ السُّرى في المُقَلِ

❖❖❖

صِرْتُ نَاراً في ثِيَابي تُسْعَرُ
صِرْتُ كالنايِ هَيَاجاً أُضْمِرُ

صور من مراحل حياة إقبال







صور من مراحل حياة إقبال







ثُرتُ من أوتارِ نفسي نغمَا

شِدتُ من حُسنِ بياني إرَمَا

فرفعتُ السّترَ عن سِرِّ خودي

فبدا الإعجازُ من أمرِ خودي

كانَ كوني صُورةً لم تكمُلِ

كان سِقطاً مُهمَلاً في الهَملِ

مبردُ العِشقِ براني رَجُلا

كيفَ هذا الكونُ والكمُّ جَلا

فرأت عينايَ نبضَ الأنجُمِ

وبعِرقِ البدرِ دوراتِ الدّمِ

وبكيتُ النّاسَ جُنحَ الظُّلَمِ

فبدا سِرُّ حَياةِ الأمَمِ

مَصنَعُ الكونِ أراني ما حَواه

فتجلّى سِرُّ تقويمِ الحَياه

(أنا) مَن في ظُلمةِ الليلِ أنار

في طَريقِ المِلّةِ البَيضا غُبار

صَوتُها في الشّرقِ والغَربِ عَلا

لحنُها في القلبِ ناراً أشعَلا

ذرّةٌ ألقت وشَمساً حَصَدت

ألفَ (روميٍّ) وَ (عطّارٍ) جَنَت

آهتي الحَرّى سَمَت فوقَ العَنان

عِترتي النّارُ وإن كُنتُ الدّخان

قلمي في مَسرحِ الفِكرِ عَلا

فجلا الأسرارَ في السّبعِ العُلا

❖❖❖

نغم



شعر عمر أبي ريشة

وامعتصماه!!

أمّتي هل لكِ بين الأمم — مِنبرٌ للسّيفِ أو لِلقَلَمِ

أتلقاكِ وطَرْفي مُطْرِقٌ — خَجِلاً من أمسِكِ المُنصَرِمِ

ويكاد الدمعُ يَهمي عَابثاً — بِبقايا كِبْرياءِ الألمِ

أين دُنياكِ التي أوحت إلى — وَتَري كُلَّ يَتيمِ النّغَمِ

كم تَخطّيتُ على أصدائهِ — مَلعبَ العِزِّ ومغنى الشممِ

وتهاديتُ كأنّي ساحِبٌ — مِئزري فوق جِباهِ الأنجُمِ

أمّتي! كم غُصّةٍ دامِيةٍ — خنَقَتْ نَجوى عُلاكِ في فَمي

أيُّ جُرحٍ في إبائي رَاعِفٍ — فَاته الآسي ولم يَلتَئِمِ

الإسرائلُ تعلو فيها رايَةٌ — في حِمى المَهْدِ وَظِلِّ الحرَمِ

كيفَ أغضَيتِ على الذُلّ ولم — تنفُضي عنكِ غُبارَ التُّهَمِ

أوما كُنتِ إذا البَغيُ اعتدى — مَوْجَةً من لَهَبٍ أو من دَمِ

فيمَ أقدَمتِ وأحجَمْتِ ولم — يَشتَفِ الثأرُ ولم تنتقِمي

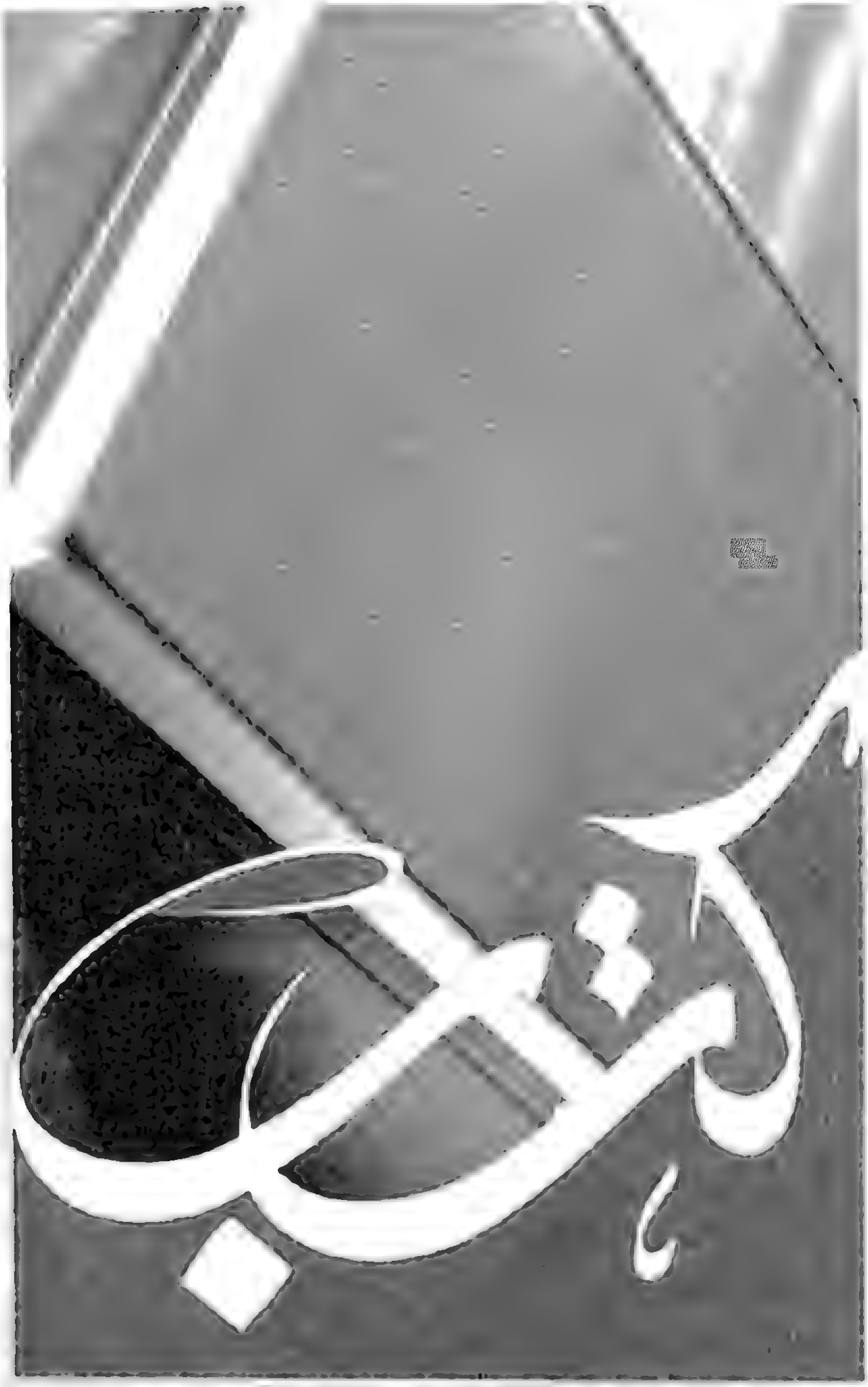
إسْمَعي نَوحَ الحَزانى واطربي — وانظُري دَمْعَ اليتامى وابسمي

ودعي القَادةَ في أهوائها — تَتفَانى في خسيسِ المَغنمِ

رُبَّ «وامُعتصِماه» انطلقتْ — ملءَ أفواهِ البنَاتِ اليُتّمِ

لامَسَتْ أسماعهم لكنّها — لم تُلامس نَخْوَةَ المُعتصِمِ

أمّتي! كم صَنَمٍ مَجّدْتِه — لم يكُن يَحمِلُ طُهرَ الصّنَمِ

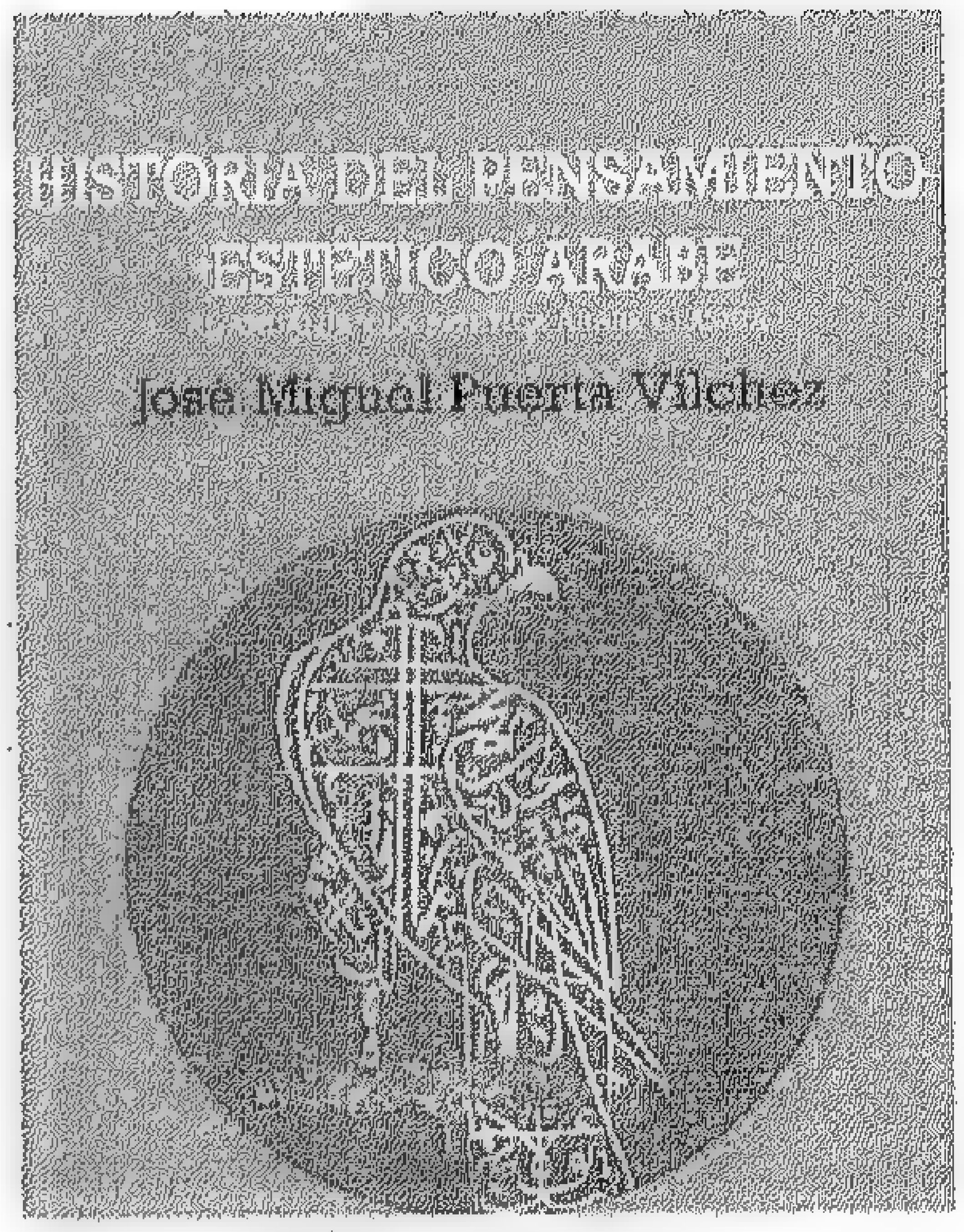


- تاريخ التفكير الجمالي عند العرب
الأندلس والجمال العربي القديم
- الطوارق في تمبكتو والصحراء
- لأول مرة في اللغة العربية : تاريخ القرآن

لـب

تاريخ التفكير الجمالي عند العرب
الأندلس والجمال العربي القديم

عرض: د. عبد الله محمد الزيات *



الكتاب : تاريخ التفكير الجمالي عند العرب
Historia del pensamiento estético arabe
الأندلس والجمال العربي القديم
Al-Andalus y la estética arabe clàsica

تأليف: خوسي مينيل بويرتا بيلتشيث
José Puerta V Bihez
دار نشر: Madrid 1997 Akal مدريد
عدد الصفحات: 913 صفحة

الكتاب في الأصل أطروحة للدكتوراه نوقشت في جامعة غرناطة بإسبانيا عام 1996.

وقد حوى الكتاب تقديماً، وشكر الباحث لمن قدم له مساعدة على إنجاز كتابه، ومقدمة ومدخلاً، وثلاثة أبواب، وخاتمة وفهارس مختلفة.

وقد قدم للكتاب الدكتور خواكين لومبا فوينتي أستاذ الفلسفة في جامعة سرقسطة بإسبانيا، الذي يبدأ تقديمه للكتاب بمقولة لأفلاطون جاءت في كتابه المأدبة، كما يقول خواكين، وهي «يستحق الإنسان الحياة بجدّارة عندما يتأمل النفس ومقولة أخرى في الكتاب نفسه: «وإذا حدث أن أحداً استحق أن يجعل من نفسه صديقاً للآلهة، وأن يصل ذلك ليكون خالداً، فعلى كل إنسان أن ينافس ليصير ذلك الأحد».

كما يتعرض خواكين لذكر الجمال في الحضارة اليونانية ويذكر أن الحضارة العربية رغم استقلاليتها، ورغم أن أفكار أفلاطون وأرسطو قد تعرضت للتنقيح والتعديل بما يلائم شخصية الحضارة الإسلامية، فإن هذه الحضارة في رأيه لم تخل من تسرب بعض المفاهيم اليونانية في الجمال إليها، بما في ذلك في بلاد الأندلس، كما يأتي على ذكر أثر نسبه إلى

* كاتب وباحث وأستاذ جامعي / ليبيا

الرسولﷺ، وهو: «إن الله جميل يحب الجمال»، ويضيف في السياق نفسه كلاماً لابن عربي الذي يسميه شيخ التصوف العالمي وهو القول : «جمال الكون هو جمال الله».

وقد ذكر في هذا التقديم أن أرض الأندلس كانت تدين بالإسلام وتتفيأ ظل الحضارة الإسلامية، وكلاهما في رأيه ينطلق من الجمال الذي يكمن في كل زوايا الاستقامة؛ سواء أكانت هذه الزوايا منبعثة من الثقافة، أم وليدة من العلاقة مع الله؛ حيث يراها المقدم ـ كلها ـ متصلة في النهاية بالزهد الصوفي، كما يؤسس في تقديمه هذا أن المسلمين ينطلقون في فهم الجمال والتعامل معه من الحضارة الإسلامية التي نجد في أهم كتاب فيها وهو الوحي المنزل على محمدﷺ إشارة إلى الجمال الذي تحدى الله به البشر، ألا ذلكم هو جمال الكلمة؛ وهو مايشير إليه قوله تعالى :

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: 88]

ويشرح المقدم فائدة تأليف هذا الكتاب الذي هو في الأصل أطروحة دكتوراه فيقول: إن البحاث السابقين قد تعرضوا لبحث الجمال في الحضارة العربية الإسلامية، ولكنهم كانوا يبحثونه في بعض الأحيان من زاوية فلسفية، وفي أحيان أخرى من زاوية تاريخ الفن، أو من زاوية الفكر فقط، ولذا كان من الضروري أن يغطي ذلك النقص، وهو أن يبحث الموضوع من كل الجوانب، وأن يعتمد في ذلك البحث على النصوص وعلى روح الإسلام الذي يقترب في عمقه من كل ما هو جميل، بكل الاعتبارات؛ ابتداء من الدين وعلم الكلام، حتى الفلسفة، ومن نظرية الجمال الفني، حتى نظرية الجمال الطبيعي، ومن اللغة حتى علم النفس، وعلم طبائع الإنسان وعلم ما وراء الطبيعة، وهذا البحث الذي يشتمل على هذه الجوانب هو ما قام به خوسي ميغيل بويرتا في هذا الكتاب .

ويعترف المقدم بمؤهلات المؤلف الباحث التي ترشحه لتلك المهمة الشاقة، فيشيد بإتقانه الجيد وبمعرفته الواسعة للغة العربية والحضارة الإسلامية، وهو في رأيه ما انعكس في هذا الكتاب القيم الذي وضعه في موضوع الفن والإحساس والجمال في الفكر الأندلسي، وهي أمور تتداخل جداً في الإسلام عامة والإسلام المشرقي على وجه الخصوص، ولهذا فإن الكاتب عندما كان يمس أي موضوع جمالي كان يتفحص وجهة النظر نفسها التي توجد عند المشارقة، وهي وجهة نظر اجتازت فيما بعد إلى أندلسنا ـ كما يقول ـ فيدمجها بما هو أندلسي، أو يقارنها به.

وقد ذكر المقدم أن الكتاب حوى كثيراً من النصوص الأصلية التي ما زال بعضها مخطوطا وقد مثلت فترات عربية مختلفة، منذ عصر الجاهلية، حتى عصر ابن خلدون وابن عربي، مروراً بالفارابي وابن سينا والغزالي في المشرق، وابن حزم وابن باجه وابن طفيل وابن رشد وابن خلدون وآخرين كثر في الغرب الإسلامي .

كما يذكر مقدم الكتاب أن الكتاب قد حلل تيارات جمالية كثيرة، كان لها صدى في الأندلس مثل الحب العذري وتيار إخوان الصفا، أو أتباع مذهب علم الجمال عند التوحيدي، كما احتوى الكتاب ـ إضافة إلى ذلك ـ عملاً موحداً عظيماً، لأبحاث متفرقة قامت هنا وهناك أخيراً، في الوقت الذي يقدم شرحاً للفكر الأندلسي الجمالي، وهو بالإضافة إلى أنه العمل الأول الجديد والأصلي، فإنه يفتح آفاقاً عديدة وطرقاً كثيرة للأبحاث اللاحقة.

كما رأى المقدم أن هذا الكتاب ضروري لتحسين

التعرف على العالم الإسلامي، ومعرفة تاريخ الإسبان وماضيهم الأندلسي، وتحسين معرفة علم الجمال بصفة عامة، وهو علم بدأته الحضارة الإسلامية، التي اعتبرها الحضارة المنقية المصفية في القرن التاسع؛ إذ قام بذلك زرياب العراقي وعبد الرحمن الثاني في قرطبة، التي كانت في مستوى حضاري ينافس سمو حضارة بغداد في تاريخ الحضارة الإسلامية، كما كانت قرطبة ـ في رأي المقدم ـ في مستوى المظاهر الجمالية الغربية، وبخاصة عندما تشكل ماهو روماني وما هو قوطي، وكان جامع قرطبة يومها، قد بلغ منذ حين قمة من القمم الأكثر تفوقاً في الفن الإسلامي والعالمي، وعندما بدأت تظهر نظريات الجمال عند بكتورنيس، وسان بوينابنتورا، وغييرمو، وأوبيرنيا، وآخرين كثر في الغرب، فإن الإسلام الأندلسي كان قد عاش نظريات الجمال وراجعها مائة مرة ومرة .

وقد كان مؤلف الكتاب، في نظر مقدمه، جديرا بلا مناقشة، في أن يُطلق عليه بأنه صاحب اكتشافات أمور عديدة، وإن لم يقم بمقارنات معينة، لأنها لم تكن هدفه في الكتاب، إضافة إلى ذلك فإن القارئ سيجد نفسه أمام كتاب بالإضافة إلى أنه يتحدث عن الجمال فإنه يغري القارئ بقراءته؛ وذلك بسبب جمال بحثه العميق، وبسبب عمق مضمونه، ومنهجيته وأسلوبه .

وفي المقدمة يرجع خوسي ميغيل بورتا الفكرة الأولى التي انبعثت لتأليفه الكتاب موضوع الحديث إلى العام 1980، عندما كان يتلقى دروس الاختصاص في تاريخ الفن في جامعة غرناطة، وعندما نشأ لديه اهتمام منذ إذٍ بتاريخ المفاهيم الجمالية وبالفن الإسلامي، وهو ما حمله على أن يسائل نفسه عن إمكانية وجود تاريخ للفكر الجمالي في اللغة العربية، وعندها ـ كما هو الشأن الآن ـ أجابته المصادر المختلفة بالصمت التام الذي كاد أن يكون مطبقاً؛ فأبت تلك المصادر المتمثلة في الكتب السيارة لتاريخ الفن، وكتب علم الجمال، وكتب الأبحاث المجموعة المخصصة للفلسفة أو للفن الإسلامي، أبت كلها إلا أن تقف في صمت أمام تساؤلات ذلك الشاب المتطلع إلى معرفة شيء حول المسائل الجمالية المطروحة من قبل حضارة قريبة جداً، لكنها منهجياً هي مبعدة بالخطابات الجمالية المعتادة، وإضافة إلى هذه الظروف فإن الموانع التي كانت تقف بينه وبين تحقيق أمله في معرفة مضامين الجمال ومفاهيمه في الحضارة العربية واللغة العربية كانت مجهولة تماما بالنسبة إليه.

وذلك الشوق المتطلع لتلبية رغبة مطالب متعة الجمال التي كان يحس بها أمام ماحققه الفن الإسلامي من أعمال عظيمة، خاصة تلك الأعمال التي ما زالت حية ماثلة بالنسبة إلى إنسان غرناطي؛ كما هو الشأن في الكاتب نفسه [1]، ذلك الشوق مع المتعة الثقافية الناتجة عن معرفة البواعث الفلسفية المرتبطة بذلك الفن، كلها أمور كانت تبدو مستهدفة التحول إلى واحد من هذه الآمال التي تخالج الإنسان مدى الحياة، وتبقى غير راضية إلى الأبد، ومع ذلك فإنه عندما أكمل دراسته الجامعية كانت له فرصة أن يتواجد في مدينة عربية اليد واللسان كما قال الشاعر العربي القديم، وهي مدينة إمليلية، فيبدأ دراسة اللغة العربية هناك، وتتأكد رغبته في هذه اللغة، ويزداد عشقه لها كما يقول، وهذا ما سمح له بعد ذلك بقليل، بانبعاث أو طرح أمله القديم الذي كان يراوده لأن يلتحق بقسم الدراسات السامية بجامعة غرناطة، ليدرس فن التفكير الجمالي في اللغة العربية .

يذكر مؤلف الكتاب أن أحد المستعربين الإسبان

(1) الكاتب ينتمي إلى قرية دوركر الغرناطية .

السابقين له ـ الأستاذ الدكتور إميليو دي سانتياغو Emilio de Santiago، الأستاذ بقسم الدراسات السامية بجامعة غرناطة، والشهير في دوائر الاستعراب الإسبانية والعالمية ـ نصحه بأن يلج دراسة العربية والفن الجمالي في الفكر الإسلامي واللغة العربية بوضع دراسة أولية عن قصور الحمراء بغرناطة، وقد كانت نتيجة تلك الدراسة كتاباً بعنوان

«قوانين تصميم حمراء غرناطة»

Alhambra de Granada ca de la digos de utoplos

وهو ما جعله يثمن تثميناً مفصلاً النظريات الجمالية أو المقولات الجمالية، ومفاهيم الفن الإسلامي، ويستوعب كثيراً من النصوص العربية المتعلقة بالفن والتفكير، قديمهما وحديثهما، ويستطيع أن يطرح طرحاً جدياً إمكانية تحمل أعباء دراسة جامعة لعلم التفكير الجمالي في اللغة العربية، متخذا من الأندلس إطاراً مكانياً وزمانياً محددا للدراسة.

بدأ خوسي بويرتا في تأليف كتابه تاريخ التفكير الجمالي العربي القديم موضوع الحديث في نهايات عام 1986، كما يخبرنا في مقدمته التي يعدد فيها المشاكل والعراقيل التي اعترضت طريق هذه الرسالة وكان من أبرز تلك المشاكل :

1 ـ غياب المصدر النصي المعترف به والمحدد، الذي يتناول التفكير الجمالي العربي.

2 ـ عدم وجود مصادر مكتوبة في اللغات الأوروبية عن التفكير الجمالي في الحضارة الإسلامية، بل أيضاً عدم وجود مصادر في اللغة العربية نفسها عن هذا الموضوع.

بعد تقديم الكتاب من قبل أستاذ الفلسفة في جامعة سرقسطة الأستاذ الدكتور خواكين لومبا فوينتس، ومقدمة المؤلف نفسه لكتابه وذكره في هذه المقدمة لأسباب تأليف كتابه وبدايات التفكير في ذلك، يأتي تسجيل الشكر لمن ساعده ـ بأي نوع من المساعدة ـ على إنجاز دراسته هذه، ويذكر منهجه الذي سلكه في كتابه لكتابة الألفاظ العربية التي استعملها في الكتاب محولاً إياها إلى الحرف القشتالي.

ثم يقتبس بعض مقولات لبعض المفكرين والمؤرخين المشهورين في الحضارة العربية الإسلامية وعلى وجه الخصوص الأندلسية، ويكتب هذه العبارات بالعربية والإسبانية، وهي مقولة ابن خلدون التي وردت في المقدمة: «أعلم أن الصنائع في النوع الإنساني كثيرة لكثرة الأعمال المتداولة في العمران فهي بحيث تشذ عن الحصر ولا يأخذها العد»[2]، ثم عبارة ابن حزم التي وردت في رسالته مداواة النفوس «الْحُسْن هو شيء ليس له في اللغة اسم يُعَبَّرُ به غيره، ولكنه محسوس في النفوس باتفاق كل من رآه»[3]، ثم عبارة ابن عربي التي يقتبسها من الفتوحات المكية «فجمال العالم جمال الله» ثم عبارة لأحد فلاسفة علم الجمال الأوروبيين المحدثين هانس خيورخي غادمر Hans George Gadme.

يفتتح مدخله بالقول: «إذا كان هنالك من يشك في وجود علم جمال أسطوي غربي حتى وقت قريب... وإذا كانت قضية وجود علم جمال أسطوي عربي أمراً مشكوكاً فيه أيضاً، فإن وجوداً محتملاً لعلم جمال مكتوب في اللغة العربية في الفترة التاريخية نفسها مسألة ما زالت تحت النقاش...

كما تحدث في المدخل عن المبحثين الرئيسيين التاليين :

---

(2) ط 4 دار القلم، بيروت 1981،ص 405 .

(3) رسالة في مداواة النفوس، ضمن مجموع رسائل ابن حزم تحقيق إحسان عباس، ط2 المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1987 ص 375 .



صورة خاصة

1 ـ التاريخ المعاصر أمام التفكير الجمالي العربي الإسلامي .

2 ـ نظرية الجمال والجمال العربي الأندلسي:

الباب الأول: الجمال والفنون في نشوء الثقافة العربية المكتوبة

1 ـ الفصل الأول: الحسية والمعجم الجمالي قبل الإسلام:

2 ـ الفصل الثاني: رسالة الوحي الكبرى والبعد الجمالي:

الباب الثاني:

الفنون على هامش المعرفة: أفكار ومفاهيم الفن في الثقافة العربية القديمة

1 ـ الفصل الأول: الفنون في الموسوعة العربية الإسلامية.

2 ـ الفصل الثاني: أفكار فيثارغورس وأفلاطون الجديدة في فن إخوان الصفا وجماعة التوحيد البغدادية.

3 ـ الفصل الثالث : علم الخط في علوم اللغة عند ابن السيد البطليوسي.

4 ـ الفصل الرابع :مصارحة وفن وأخلاق في أعمال ابن حزم.

5 ـ الفصل الخامس : المحاكاة تحديد أو تعريف للفن في الفلسفة المشرقية:

1, 5, 2.أصل مفهوم المحاكاة في الإسلام المشرقي القديم وطرق مساره : متّى، الفارابي، ابن سينا.

أ ـ متّى والرواية العربية للمحاكاة.

ب ـ المحاكاة في نظرية الفارابي : فلسفة الأخلاق والسياسة والخيال .

ج ـ ترجمة ابن سينا لكتاب الشعر لأرسطو.

2, 5, 2. المحاكاة مفهوماً موحداً للفنون في الفلسفة المشرقية.

3, 5, 2. الاستمتاع الفني: عناصر لعلم جمال فلسفي.

6 ـ الفصل السادس: نظرية المحاكاة في الفكر والنقد الأندلسيين.

7 ـ الفصل السابع: التاريخ وعلم الاجتماع وتحديد الفنون في مقدمة ابن خلدون.

الباب الثالث : تعريف الجمال وإدراكه في الفكر العربي القديم

1 ـ الفصل الأول : نظرية المعرفة وتحديد الجمال في فكر ابن حزم القرطبي.

2 ـ الفصل الثاني: شروحات جمالية في علم فلسفة الأخلاق العربي قبل ابن حزم.

3 ـ الفصل الثالث: عقلية الجمال وحسيته في الفلسفة العربية القديمة.

4 ـ الفصل الرابع :

نظرية الإدراك والتأمل الجمالي في الفلسفة الأندلسية : ابن باجة ـ ابن طفيل.

5 ـ الفصل الخامس :

حسية وإدراك : مساهمة ابن رشد في تشكيل الحقل المفاهيمي للجمال.

6 ـ الفصل السادس :

بصريات ابن الهيثم ونمو نظرية الإدراك الجمالي البصري عربياً وعالمياً.

7 ـ الفصل السابع : علم الجمال عند الغزّالي بين علم الكلام والتصوف.

8 ـ الفصل الثامن: انسجام وتناسب : الجمال في التطور التاريخي عند ابن خلدون.

9 ـ الفصل التاسع : من جانب آخر من العقل؛ النواة الجمالية لتصوف ابن عربي المرسي.

ثم بعد ذلك الخاتمة التي أفرد لها المؤلف ثماني صفحات 809 ـ817.

وما تجدر الإشارة إليه في ختام هذا العرض أن قائمة مراجعه ومصادره كانت متنوعة وموسعة حيث جاءت هذه القائمة في الصفحات ثماني عشرة صفحة 819 ـ837، وقد تنوعت لغاتها بين العربية ولغات أوربية مختلفة، كما أن العربية منها قد تنوعت زمناً بمعنى أن منها ما هو قديم ومنها ما هو حديث، وتنوعت في المضمون أيضاً فمنها اللغوي والأدبي والتاريخي والفلسفي والفقهي والتاريخي والحديثي والصوفي ودواوين الشعر وكتب الأدب بمفهومه العام، كما شملت من باب أولى كتب النقد وعلم الجمال والتفسير وعلم الكلام والبلاغة، والكتب المترجمة إلى العربية عن علوم اليونان في الشعر والخطابة والبلاغة وغيرها. وكل ما من شأنه أن يحوي شيئاً عن الفن وعلم الجمال و تاريخ التفكير الجمالي العربي خصوصا في الأندلس.

كما ألحق بكتابه فهرساً تحليلياً لمواد الكتاب، ضم حوالى سبعين صفحة، وفهرساً عاماً لمحتوياته.

لقد كان لآراء ومؤلفات الغزالي وابن عربي وابن العريف وابن باجه وابن رشد والفارابي وابن سينا وابن طفيل وابن خلدون مكاناً فسيحاً في أطروحات ومقولات وتحليلات هذا الكتاب، كما ردد هذا المؤلف أفكار أفلاطون وأرسطو وغيرهما من أعلام الفكر الأوربي القديم والحديث وأعلام الفكر العالمي؛ عربا وغيرهم، قدامى ومحدثين، من ذوي الاتجاهات المختلفة والمذاهب ربما المتباينة في بعض الأحيان، من حسين مروة [1]، إلى عابد الجابري، إلى القطبين؛ سيد ومحمد، ومن هيجل إلى جلال الدين الرومي، إضافة إلى مفكرين وكتّاب عرب معاصرين آخرين أمثال عباس محمود العقاد وسلامة موسى وتوفيق الحكيم وأحمد أمين وأحمد حسن الزيات وزكي نجيب محمود ممن اهتموا بالجانب الجمالي ضمن الدراسات الأدبية النقدية أو الدراسات الفلسفية مما سماه الأوروبيون نقد الفن في القرون الوسطى.

وهكذا يبدو أن هذا الكتاب يعد مرجعاً لا غنى عنه لدارس فلسفة الجمال في الحضارة العربية الإسلامية، أو لدارس الأدب والنقد وخاصة في الأندلس ذلك الفردوس المفقود أو المنشود.

---

(1) لبناني درس في النجف ثم في الاتحاد السوفييتي وكان ناقداً فيلسوفاً ترك كتبا من أهمها النزعة المادية في الفكر العربي الإسلامي.

الطوارق في تمبكتو والصحراء

عرض: علي الصادق حسنين *

كان الدكتور كلاوديو باتشيفيكو (Claudio Pacifico) سفيرا للجمهورية الإيطالية في ليبيا، حيث ـ قام في أثناء مدة عمله ـ بعدة رحلات في ربوع الصحراء وذلك لمواصلة جولاته السابقة التي كان قد باشرها في مطلع شبابه والتي هيأت له جوب ممالك بلاد السودان الغربي.

وفي خاتمة المطاف جمع رصيداً من المعلومات والأخبار والانطباعات ارتأى تضمينها كتاباً ألفه بلغته الأم وتولت اصداره مؤخراً دار الفرجاني للنشر «DRAF» بلندن ـ 2005 مسيحي.

إن المؤلف يروي قصة وصوله إلى تمبكتو التي يسميها «ملكة افريقيا» و«ملكة الصحراء» المحرمة التي يكتنفها الغموض، إنها خرافة نسج خيوطها كبار الرحالة والرواد الغربيون، وإنه يورد في إيجاز تاريخ هذه الحاضرة وحقب ازدهارها.

ثم يشير إلى المد العربي الإسلامي الذي اجتاح القارة السمراء بريادة وقيادة عقبة بن نافع، ويعرج على امبراطوريات غانا وسونغاي ومملكة سوسو والمرابطين، فيذكر القادة الخرافيين والملوك أولي الأبهة أمثال أبي بكر يوسف بن تاشفين وسومنغورو كانتي «الدوامة» وسون ديانا «ليث مالي» وكنكو موسى وسوني علي وأسيكا محمد «الكبير».

وفي سياق حكاية اكتشاف تمبكتو في القرون الوسطية وعصر النهضة يتعرض المؤلف لذكر كبار الرحالة العلماء العرب نحو البكري والادريسي وابن خلدون وأبي الفداء وابن بطوطة والكاتي، كما يذكر التاجرين الرحالين الإيطاليين انطونيو مالفانتي وبنيديتّو داي، والجغرافيين الكبيرين جوفاني كارينيانو وجوفان بطيسطا راموسيو.

وبعد ذلك ينتقل بنا الدكتور باتشيفيكو إلى القرن الميلادي التاسع عشر، إذ يتجدد اكتشاف تمبكتو، ومن ثم يستعرض ملحمة الريادة الرومنطيقية العظيمة التي كان أبطالها فريدريك هورنمان ومونغوبارت وغوردون لانغ وجوفاني باطيسطا بلتزوني ورينيه كايّيه وهاينريتش بارت وأنري دوفيرييه وأليكزاندرين تنيه و أوسكار ليتز، وغيرهم من الرواد الأوروبيين، ويتعرض المؤلف للرحلات الاستكشافية التي كانت الصحراء موضعها إبان القرن العشرين، ويخص بالذكر خرافة الفرقة الأجنبية والعقيد فلاتير واللواء لابرين وكذلك الرواد

---

* كاتب وباحث / ليبيا

الجدد من عسكريين ومدنيين علماء وفنيين.

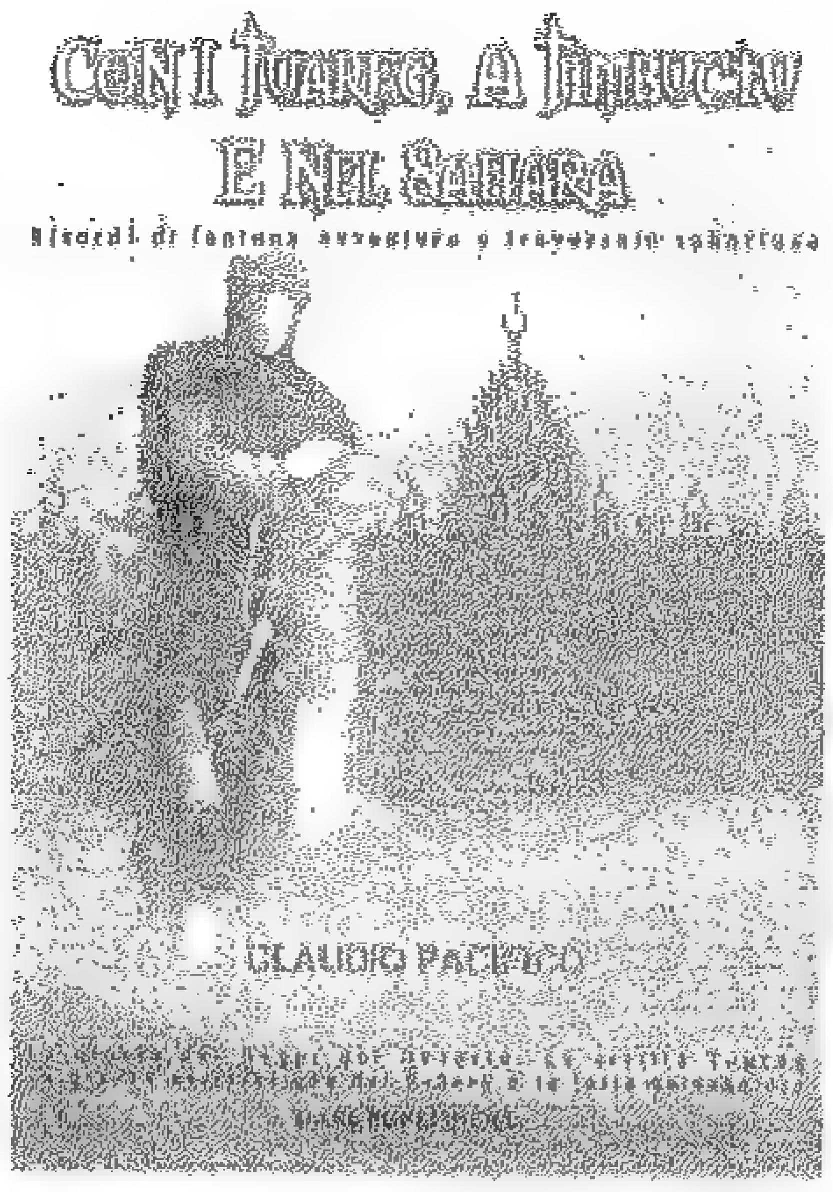
ومما كان محل اهتمامات المؤلف تلك الطبيعة العلمية للاستكشافات المعاصرة التي خاض غمارها كبار الرواد البحاث الصحراويين أمثال أي. ف. غوتييه وأنري لوت وتيودور مونوه وأرديتو ديزيو وباؤلو غراتزيوزي وفابريزيو موري.

ومما يجدر ذكره أن المؤلف ذاته يتناول المغامرات الصحراوية التي كان هو بطلها في عهد سابق، فيصف تجربته الأولى في تمبكتو وسعيه الحثيث في سبيل البحث عن أزالاي وقوافل الملح، كما يرسم صورة لمقابلته زالمعلمز علي محمد عليّو ولمرحلة قيامه هو كمبتدئ في دراسة ومحاولة استيعاب تاريخ الطوارق وفهم عادات هؤلاء القوم وتقاليدهم، وذلك على يد النبيل الطارقي السالف الذكر، الذي يخلع عليه المؤلف صفةسأستاذس ويسميه الأستاذ علي، ويورد فضلاً عن ذلك وفرة من المعلومات القيمة الأخرى.

هذا ومن خلال تعميق بحثه اكتشف الدكتور باتشيفيكو أن أب التاريخ هيرودوتس كان له قصب السبق في توفير معلومات موثوق بها عن أصول أسلاف الطوارق، هؤلاء الأقوام الأسطوريين وعن سكان الصحراء القدامى.

ويتناول احتكاك الرومان بالقرمانتيين، ويسهب في عرض الفتوحات الرومانية بربوع إفريقيا وفي ارتياد الرومان للصحراء وحملاتهم بقيادة كل من كورنيليوس يالبوس وسبتيميوس فلاكّوس ويوليوس متيرنوس.

ثم ينتقل الى تناول فترات الحرب والسلم التي تخللت المواجهات بين الفيالق الرومانية وقبائل الطوارق وذلك حسب ماجاء في كتب سترابو وديودورس الصقلي وبلينيوس الأكبر وبطليموس وكذلك وفق ما أوردها كل من البكري وابن خلدون وابن بطوطة وقدماء الباحثين في ثقافة الطوارق وفي مؤلفات البحاث المتأخرين نحو دوفرييه وفوكول وغوتييه ولوت.



غلاف الكتاب

ولم يفت المؤلف أن يتناول بعدئذ قصة قافلته من تمبكتو صوب تاؤديني ويصفها بأنها كانت تشبه سفينة ضلت سبيلها في خضم لاحدود له من الرمال.

ويقول: إن الرحلة في «أزواد» كانت ـ نهاراً ـ في جو شديد الحر تحت أشعة الشمس اللاسعة، ناهيك عن شدة العناء والعذاب، أما (ليلاً) فكانت الرحلة في جو منعش هادئ، وكان القمر منيراً، وكانت تبدو قبة السماء كأنها مرصعة بالنجوم المتلألئة ترصيعاً.

وكان يقضي الضاعنون الليالي في رواية القصص الحقيقية والخيالية وفي انشاد الأناشيد الحماسية / الغرامية الطارقية وملاحم الفروسية، وغير ذلك من الحكايات المنظومة والخرافات المنثورة.

ثم يصور المؤلف رحلة عبوره فيافي «أزواد» ويصف فترة الاستراحة في واحة الشيخ سيدي حامد «آغ أده» ويشير إلى وفرة الحيوانات البرية ويسر اصطيادها في دوكاس.

وختاماً يرسم لوحة رائعة للعاصفة التي داهمت القافلة ويصف حط الرحال في تاوديني، حيث انتهت الرحلة، وبانتهائها كانت بداية مغامرات جديدة.

وفي ملحق قيم يورد الدكتور باتشيفيكو في آخر كتابه قائمة طويلة مفيدة بأسماء الرحالة والباحثين الصحراويين في العصر الحديث مع ذكر أهم مؤلفاتهم.

لأول مرة في اللغة العربية

تــاريــخ القــرآن

عرض: الصديق بشير نصر *

Geschichte des Qorans تاريخ القرآن لتيودور نولدكه Theodor Nöldeke، من أهم الكتب التي ألّفها المستشرقون في القرآن. ولقد تأخرت ترجمته إلى العربية كثيراً، وها هو ذا يصدر أخيراً بعد طول انتظار. وقد قام بترجمته إلى العربية عن الألمانية الأستاذ جورج تامر بمعونة نخبة من الأساتذة، وهم: السيدة عبلة معلوف تامر، والدكتور خير الدين عبد الهادي، والدكتور نقولا مراد. وقد طُبِعت هذه الترجمة ببيروت عن مؤسسة كونراد ـ أدناور Konrad - Adenauer في سنة 2004.

وتيودور نولدكه، أو عميد المستشرقين في الدراسات القرآنية، وُلد في 2 مارس 1836 في هارزبورج بهانوفر بألمانيا، وتوفي في 25 ديسمبر 1930. ويُعدُّ أحدَ الباحثين في الدراسات السّاميّة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. وقد أُختير ليكون أوّلَ أستاذ ألماني يشغل كرسي الدراسات الساميّة في جامعة ستراسبورغ في سنة 1872.

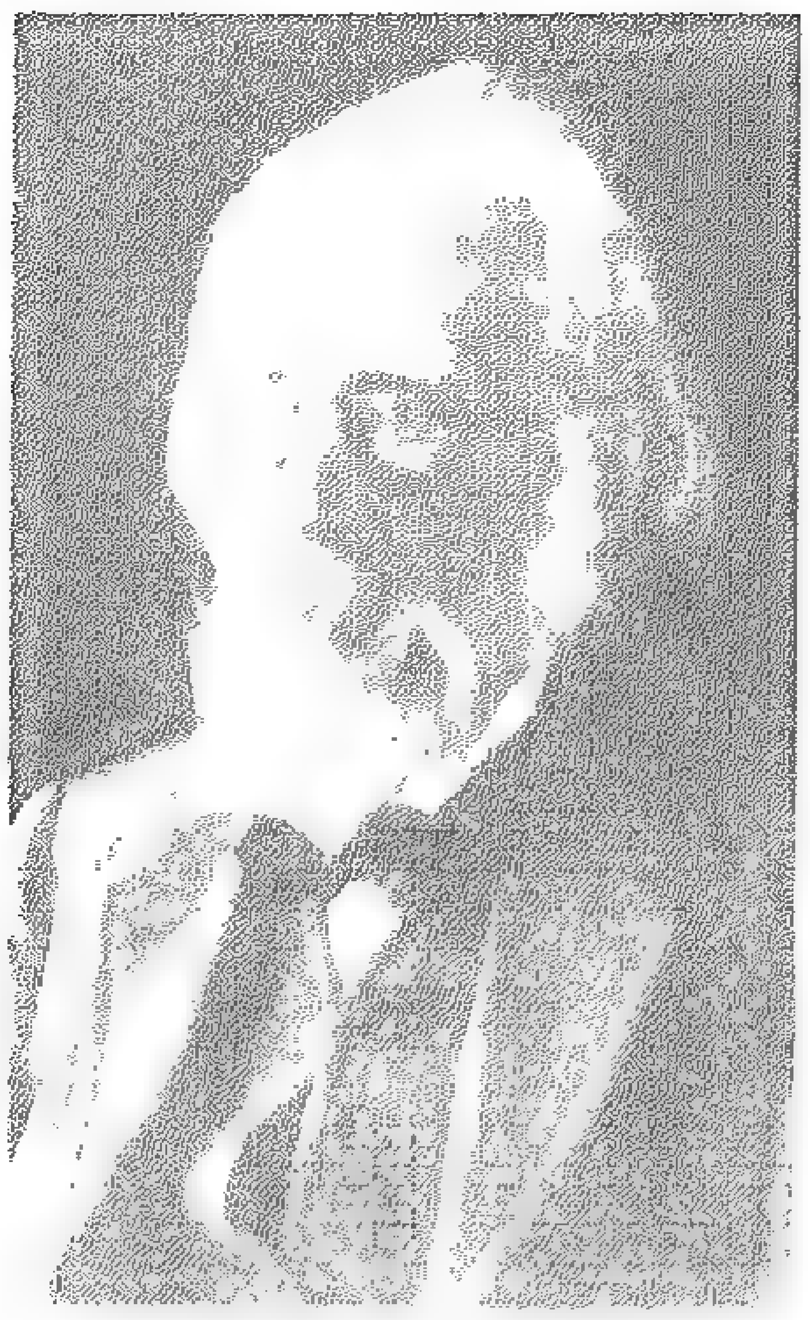
وكتاب تاريخ القرآن يَصدُرُ في دائرة التعاون العلمي الألماني ـ العربي كما صرّح بذلك البروفسور برنهارد فوغل رئيس مؤسسة كونراد في تصديره للطبعة العربية.

وقد صدر الكتاب أوّل مرة بالألمانية سنة 1860، ثم أعاد فريدريش شيفالي Friedrich Schwally نشر الجزء الأوّلَ منه بعد تنقيحه تحت إشراف أستاذه تيودور نولدكه سنة 1909 وأهداه لعلمين من أعلام الاستشراق، هما: إجنتس جولدتسيهر، وسنوك هرخونه.

وبوفاة شيفالي سنة 1919 توقف إصدار بقية أجزاء الكتاب حتى جاء أوغست فيشر August Fischer فأصدر الجزء الثاني مع إدخال بعض التعديلات عليه. أمّا الجزء الثالث فقد اعتنى بنشره المستشرق برجشتراسر Gotthef Bergsträßer وأكمله تلميذه أوتو بريتسل Otto Pretzel في مطلع سنة 1937 بسبب وفاة براجشتراسر قبل ذلك بأربع سنوات. يقول مترجم الكتاب في مقدمة ترجمته العربية: «لقد تعاقب ثلاثة أجيال من علماء الدراسات القرآنية الألمان على هذا الأثر حتى أبصر النور، وهو يضم نتائج في هذا المجال خلال سبعة عقود ونيّف».

* كاتب وأستاذ جامعي / ليبيا

ولقد أثار هذا السِّفرُ اهتمام المستعمرين منذ أكثر من قرنٍ ونصف، فلا تكاد تجد واحداً منهم كتب عن القرآن في أيّ لغة أوروبية أغفل ذكره، أو لم يكن عالةً على نتائجه. بل قد لا يكون من قبيل المغالاة إذا قلنا إنّ هذا الكتاب هو أهمُّ ما ألّف في تاريخ القرآن حتى يومنا هذا. ولذلك نرى الكاتبين غرباً وشرقاً يتهافتون عليه، فينقلون عنه أو يسطون عليه. وقد بلغ الشأن بهذا الكتاب أن عُدَّ إنجيلَ الباحثين الغربيين في القرآنِ وتاريخه، ومن لم يقرأه ولم يطّلع على ما جاء فيه يُعدّ متخلّفاً في المجال العلميّ. ولعلّ تدريس الجامعات الأوروبية وإقراره مرجعاً أساسياً لدراسات القرآنية فيها علامةٌ على القيمة العلمية التي يصنفونها على الكتاب.



تيودور نولدكه

ونحن، قراء العربية، نسعد بصدور هذا الكتاب وإن تأخر صدوره طويلاً، وذلك لأسباب:

الأوّل: إنّ هذا الكتاب يعكس قيمةً علميةً كبيرةً، بصرف النظر عما ورد فيه من أخطاء علمية وتاريخيه، لأنه يعدّ نقلة هائلة في دراسة القرآن وتاريخه من خلال العقل الغربي مستخدماً في ذلك منهجيات بحثية لم يألفها الدارسون العرب حتى الآن بالرغم من صدور الكتاب في طبعته الأولى قبل قرن ونصف.

الثاني: إن صدوره بالعربية سوف يفوّت الفرصة على بعض من ينتحل أفكار الآخرين فينسبها إلى نفسه حتى يشعر القارئين له بأنه على اطلاعٍ واسعٍ على لغات قديمة لا يمكن فهم القرآن بمعزلٍ عنها. وأحسب أن كتابات حديثةً في العربية على القرآنِ وتاريخه سوف يُكتَشَفُ أنها أفكار نولدكه ونتائج دراساته، ولكنها في ثوبٍ عربيّ.

الثالث: إنّ صدورَ الكتاب باللغة العربية سوف يتيح الفرصة أمام الباحثين المسلمين من أهل الاختصاص للنظر في نتائجه وتقويمها، وإذا علمنا أن أكثر العلماء في هذا الفنّ ليسوا ممن يجيدون لغاتٍ أخرى أدركنا أهمية أن نضع هذا السفر بين أيديهم ليقولوا قولتهم فيه فلا ينفرد بذلك مَن لا شأن له بالقرآن وعلومه، وبذا ستفوّت الفرصة على بعض الأدعياء الشائنين.

والكتاب لا يفي بقدره عرضٌ مختصر، لأنه في حاجة إلى دراساتٍ نقدية عميقة نرجو أن يتصدى لها الباحثون، أو أن تتولاها المراكز والمؤسسات العلمية.

ومن خلال قراءة عجلى لبعض مباحث الكتاب يمكن ملاحظة ما يلي:

1 ـ وقوع المؤلف ومنقّحي كتابه من بعده في دائرة التعميم والتهويل أحياناً وهذه صفة يتسم بها كثير من المستشرقين.

2 ـ اعتماده في نصرة بعضِ آرائه على أخبار تالفة، أو لا تصح. والعجيب أن نولدكه، شأنه في ذلك شأن غيره من المستشرقين، يشككون في الأخبار الصحيحة، ويحتجون بالأخبار والروايات الفاسدة والموضوعة التي لا يخفى فسادها ووضعها على ذي نظرٍ فضلاً عن الباحث المدقق.

3 ـ سَوقُه لبعض التحليلات التي جاء بها سلفه من المستشرقين، وعدم تعليقه عليها يدلّ على تسليمه بها مثل وصفهم للوحي بأنه حالة مرضية تشبه الصرع تنتاب الشخص فيظلّ يهذي ويتصوّر أشياء خيالية وهلوسات. يقول نولدكه ص 25: «هذا الوضع الجسدي والنفسي المضطرب إلى درجة المرض يفسّر الأحلام والرؤى التي رفعته فوق مستوى

العلاقات البشرية المعتادة... ولا يجوز أن نغفل عن أنّ معظم الوحي حدث ليلاً كما يبدو حين تكون النفس أكثر قابليةً لاستقبال التخيّلات والانطباعات النفسية عمّا هي عليه في وضح النهار».

4ـ زعمه أنّ ترتيب القرآن على النحو الحالي غير جيّد فاقترح ترتيباً جديداً لسور القرآن أفضل من الترتيب الموجود ظنّاً منه أنّ هذا الترتيب الذي أتى به سيحل كثير من المشكلات التي يعاني منها النسق القرآني.

5ـ زعمه أن القرآن من تأليف محمدٍ ﷺ بالرغم من إدعائه أنه وحي إلهي. ففي الفصل المعنون بـ (القرآن المحمدي في علاقته بالكتب المقدسة المسيحية واليهودية) يقول: «وبالرغم من أن محمداً، موضوعياً وفعلياً، هو مؤلف الآيات والسور الموضوعة في هذا الكتاب، فهو لا يعتبر نفسه صاحبها، بل الناطق باسم الله والمبلّغ كلامه وإرادته.. ولا يسع المتخصص في تاريخ الأديان إلا أن يرى في هذا الأمر وهماً».

6ـ زعمه أنّ محمداً ﷺ كان له اطلاع جيد على اليهودية والمسيحية، وأنه قد اعتمد على هذين الدينين إلى درجة أنه نادراً ما توجد فيه فكرة دينية في القرآن ليست مأخوذة عنهما. وهذه أفكار قديمة ترجع إلى القرون الوسطى، تتجدد من حين إلى آخر على ألسنة المستشرقين.

7 ـ كثيرٌ من الآراء التي يظنّ الباحثون في القرآن وعلومه أنها من بنات أفكار نولدكه وتلاميذه من بعده ليست كذلك، بل سبقهم إلى ذكرها العلماء المسلمون قبل أكثر من ثمانية قرون. ولمّا كانت أعمال أولئك العلماء المسلمين لا تزال مخطوطةً وبعيدةً عن أيدي الباحثين في مطلع القرن الماضي، وانفرد بالاطلاع عليها المستشرقون واعتمدوا على ما جاء فيها، حسب الكثيرون من بعدهم أنهم سبقوا في ذلك. فقدرٌ كبيرٌ من الأفكار وردت في أجزاء الكتاب لا سيّما ما يتعلّق بجمع القرآن واختلاف نسخه وقراءاته وترتيبه، ودعاوى ما في المصحف العثماني من تحريفٍ بالزيادة والنقصان منقولٌ عن كتبٍ مثل: تاريخ المصاحف للأبي داود السجستاني، وكتاب المباني المؤلف مجهول حققه المستشرق الإنجليزي آرثر جيفري في الخمسينيات من القرن الماضي، فضلاً عن كتبٍ في علوم القرآن مثل الإتقان للسيوطي.

8 ـ الغمز في بعض الصحابة والتلميح إليهم بأنهم ساهموا في تزوير القرآن وتحريفه لأغراض سياسية، فضلاً عن نعت السيدة عائشة بنعوتٍ لا تليق كقوله في صفحة 189 في معرض حديثه عن سورة النور: «وبينما تُعتبر الآيات المذكورة ذات طابع عمومي، تتناول الآيات من 10 إلى 20 من دون شك حدَثاً معيّناً. ويُجْمِعُ النقلُ على أنّ المقصود هو مغامرة(!) عائشة التي حصلت أثناء الحملة على بني المصطلق، وأشاعت الشكّ في أنّ زوجة النبي ﷺ زنت مع رجل غريب». وفي معرض التشكيك في الرواية التي تقول أنه لما استحرّ القتل بالقراء في يوم اليمانة سأل عمرُ بن الخطاب الخليفةَ أبا بكرٍ أن يجمع القرآن، وما زال يُراجعه في ذلك حتى لان قلبه لذلك وانتدب إلى هذه المهمة زيداً. وأن هذه الرواية ربما تكون من صنع عائشة التي تريد أن تضفي على أبيها شرفَ جمع القرآن. يقول نولدكه: «وربما أيضاً كان لعائشةَ، أرملة محمد الشهيرة، وابنة أبي بكر، اليدُ الطولى في هذه الجهود، خصوصاً أنها لم تكن بعيدةً عن أجواء السياسة العائلية، وأنها كانت معتادة على التضحية بالحقيقة والشرف(!) لأجل طموحها». وكلما ورد ذكر حديث الإفك عبّر عنه نولدكه بقوله: «مغامرة عائشة» كما في صفحة 378.

9ـ لا ريبَ أن المترجمين قاموا بجهدٍ كبيرٍ ومضنٍ في سبيل إخراج الكتاب في اللغة العربية، ولهم نجزي

جزيل الشكر والامتنان، ولكن مع ذلك يلاحظ القارئ على الترجمة العربية أمرين: الأول: ضعف صلة المترجمين على ما يبدو من خلال النص بموضوع الكتاب بشكل أكاديمي، ويلاحظ القارئ ذلك في ترجمة بعض المصطلحات كقولهم: «أحاديث الشريعة»، أو «الحديث الشرعي» وهذا تعبير غير دقيق وغير معروف في الاصلاح الإسلامي، والصحيح هو «أحاديث الأحكام»، وقد حاول المترجمون أن يشرحوا ذلك في الهامش ص 356 بما لا طائل من ورائه مما ينبئ عن بعدهم عن هذه العلوم الشرعية. ومن هذا القبيل أيضاً: «أدب الحديث»، والصواب: «مصنفات الحديث» لا سيّما أن شيفالي يدين بأغلبية ما جاء من معلومات تحت هذا العنوان إلى جولدتسيهر في ذلك الفصل الثامن من الجزء الثاني من كتابه دراسات محمدية. وما تحدث عنه جولدتسيهر في ذلك الفصل يتعلّق بمصنفات الحديث. ولعلّه يريد «أدبيات الحديث» وهو استعمال مستهجن مع شيوعه في العقود الأخيرة في لغة العرب بسبب الترجمة الحرفية، وهو إن صحّ في اللغات الأوروبية التي تستخدم لفظة Literature في الإنجليزية، و Litérature في الفرنسية، و Literatur في الألمانية بمعنى الأدب، وبمعنى مجموع الآثار المصنفة، أو التراث المخطوط والمطبوع فإن ترجمة هذه اللفظة إلى العربية بالأدب غير دقيقة.

10 ـ تتسم لغة الترجمة أحياناً ببعض الركّة، ربما بسبب انسياق المترجمين وراء الترجمة الحرفية، فضلاً عن الأخطاء النحوية والإملائية.

وأخيراً، ها هو ذا كتاب (تاريخ القرآن) يخرج إلى العربية بعد أمدٍ طويل، ولعلّه يجد من الباحثين المسلمين من ينظر فيه نظرة نقدية تظهر محاسنه وعيوبه على حدٍّ سواء. كما أنه يسعدنا أن نعلن أن ترجمةً أخرى للكتاب يعكف عليها الأستاذ عمر لطفي

تيودور نولدكه

تاريخ القرآن

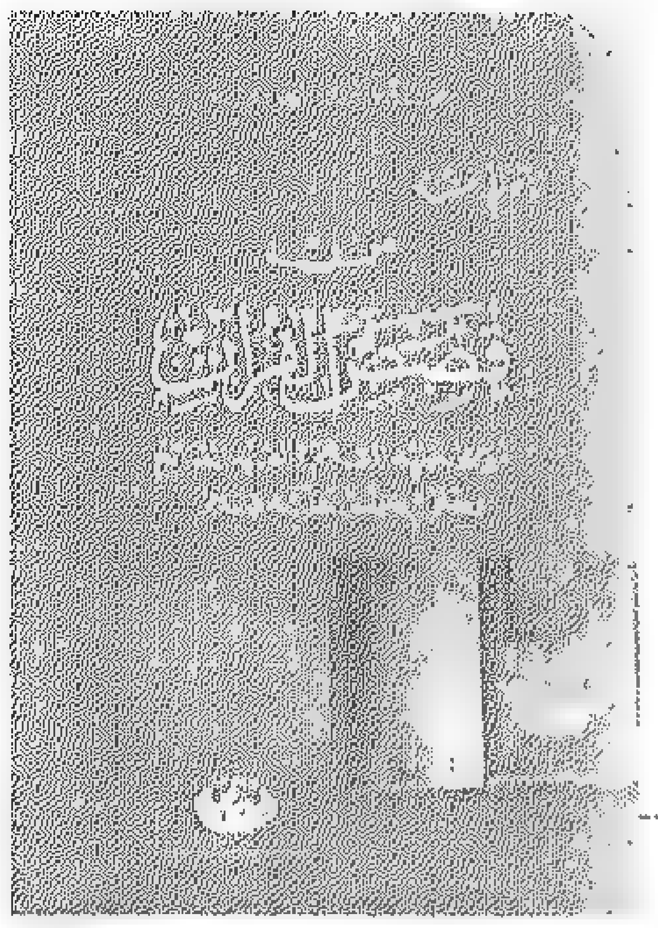
نقله إلى العربية وحققه

جورج تامر

غلاف الكتاب

العالم منذ سنين ستظهر قريباً جداً عن دار المدار التي نرجو أن يتجنب فيها الأستاذ العالم ما يمكن أن تكون قد وقعت فيه هذه الترجمة من مآخذ و هنّات.

فهرس محتويات الكتاب



تأملات من قصص القرآن الكريم

موسى عليه السلام والعبد الصالح

وخلق عيسى عليه السلام

المؤلف : محمد مبارك المزيودي

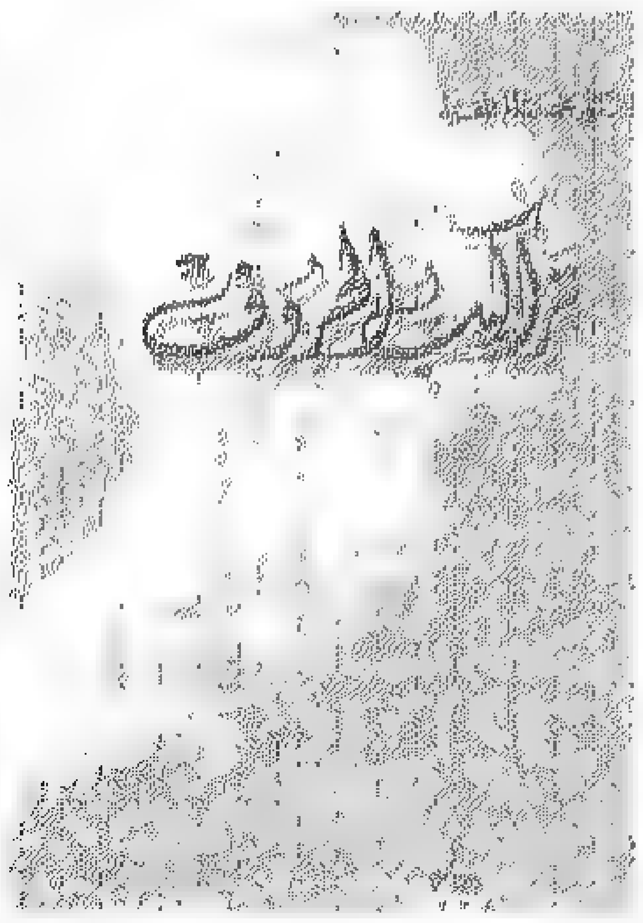
الناشر : جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

الطبعة الأولى / 112 صفحة / قطع متوسط

قصتان من قصص القرآن العظيم : قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح ، وقصة خلق عيسى عليه السلام . ويعتمد المؤلف بشكل أساسي في تناول هاتين القصتين على النص القرآني، من أجل الوقوف على بعض الحالات والمعاني التي قد يوحي بها ذلك النص، وفي هذا السياق يتعامل المؤلف مع النص القرآني من خلال ثلاثة جوانب :

- الجانب اللغوي : حيث إن اللغة في كتاب الله لم تكن إلا لتأدية المعنى الذي أراد الله جل شأنه إيصاله إلى عباده .
- ما ورد في الأثر عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الخصوص .
- ثم المنطق الذي تفرضه طبيعة الحدث، وذلك من جانبين :

الطبيعة البشرية الاعتيادية، والطبيعة النبوية وما تستلزمه من دلالات وقدرات.



تراكيب الحروف

المؤلف : الدكتور محمد سالم المقيد

الناشر : جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

الطبعة الأولى / 144 صفحة / قطع متوسط

يتضمن الكتاب مجموعة من النصوص التي لا تكتفي بما يشحنها مباشرة، ولكنها تنفتح على الأبعد، وتطرح ما يتطلب استشراف القادم أيضاً، من هنا فهي تحتاج إلى هدوء نفسي وتركيز عند الاقتراب منها، خاصة وأنها موجهة إلى متلقٍ خاص في الوقت الذي تطرح فيه مشروعاً عاماً، والإشكالية في خروجها عن النمط المألوف كون الكاتب لا يستسهل فعل الكتابة، ولكنه يتعامل مع الكلمة في إطار المقدّس . إنها نصوص لا تقبل الشريك، لا تمنحك نفسها دون أن تأخذك، إمّا أن تنحاز إلى المبادئ السامية والأهداف النبيلة أو تكون بعيداً عنها، فالأفكار المدجنة لا تمنح حياة أخرى، فهي مجرد بذور مسنونة تفقد المستقبل ، وتقف عند تحقيق الإشباع المادي فقط. ومن هنا يتلمس قارئ نصوص الكتاب الشفافية والموقف والنصيحة والصدق والانحياز إلى ما يسمو بإنسانية العربي المسلم. وهكذا نمضي مع المؤلف في تراكيب الحروف ورحلة الحرف الذي نعرف مدى معاناته وهو يسطره على الورق .. كلمة .. كلمة. ولكن كيف نتصور تراكيب الحروف ؟؟

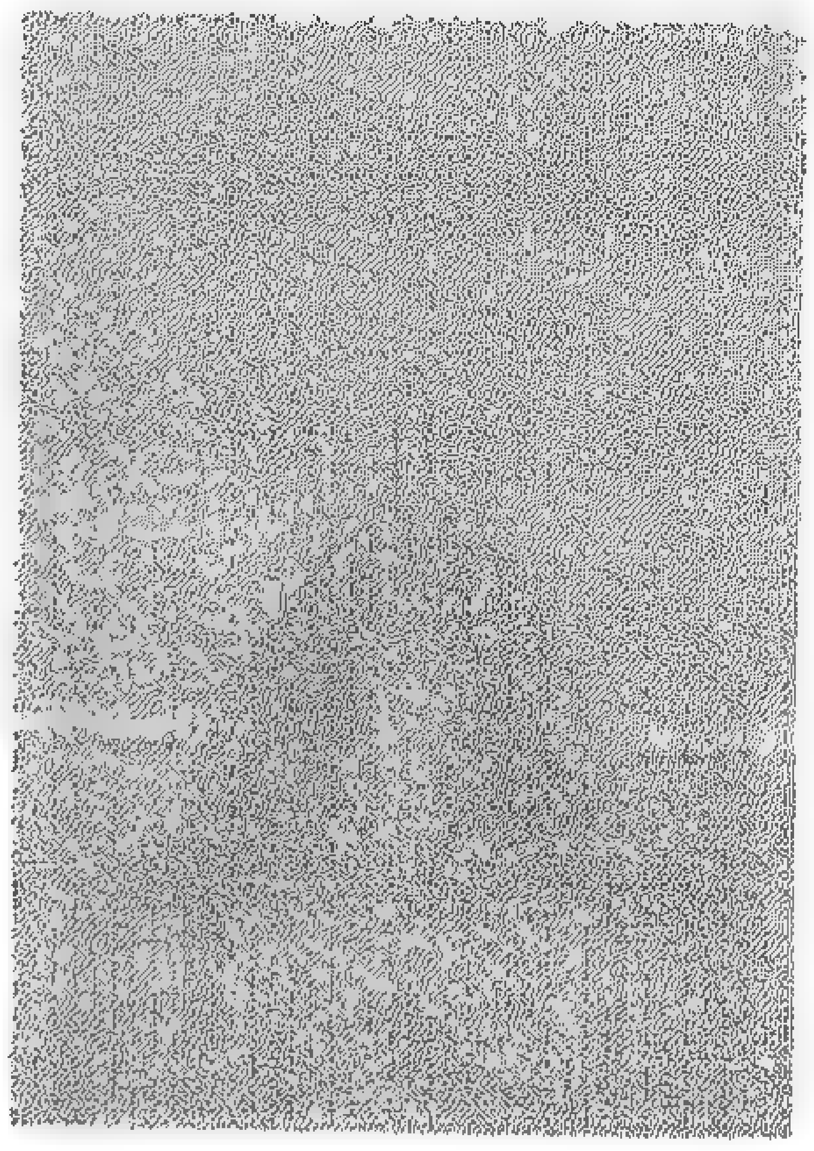
القياس النحوي

من عبد الله بن أبي إسحاق إلى سيبويه

المؤلف : مفتاح رجب الخلاب

الناشر : كلية الدعوة الإسلامية / طرابلس

الطبعة الأولى / 494 صفحة / قطع متوسط



هذه دراسة تتبعية مهتمة بجذور علم النحو ومعرفة رجاله والأسس التي قام عليها، والاطلاع عليه في فترة نقائه من الشوائب التي علقت به عبر عصوره المختلفة. ويجد قارئ الكتاب توضيحاً لنشأة علم النحو مرتبطاً بالقرآن الكريم ، كما يجد دراسة للعوامل والأسباب التي أدت إلى وضع ضوابط هذا العلم وتقعيد قواعده، والبداية الأولية للقياس النحوي على أيدي شيوخ سيبويه. ويعتني المؤلف بدراسة ما جاء في الروايات المختلفة منسوباً إلى أولئك العلماء ، بمقارنته بما ورد في كتاب سيبويه من آرائهم باعتباره أول كتاب والمصدر الوحيد لدراسة هؤلاء العلماء. وفي الكتاب تعريف بأهمية كتاب سيبويه، وبما أحدثه من أثر في الدراسات النحوية، وما اشتمل عليه من أدلة وشواهد وعبارات وأساليب أدبية.

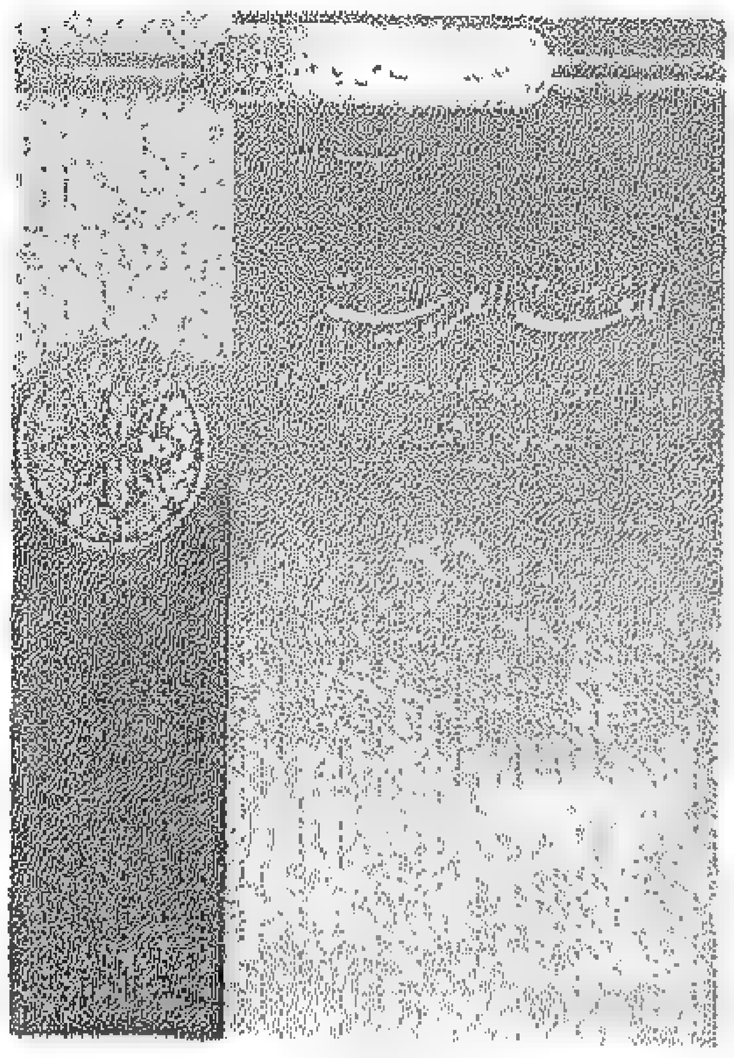
اللغة العربية

وعلاقتها باللغات الإريترية (الجذور والامتداد)

المؤلف : إدريس محمود حامد موشي

الناشر : كلية الدعوة الإسلامية / طرابلس

الطبعة الأولى / 242 صفحة / قطع متوسط



تشكل المقومات الدينية والثقافية الجذور الأساسية والمهمة في الكيان الذاتي للأمة ، وتضطلع بدور متعاظم في صنع الشعوب : تاريخها وحضارتها . واللغة هي الوعاء الجامع لكل تلك المقومات الدينية والثقافية ، بل هي صورة لجميع جوانب حياة الشعوب التي تتكلم بها ، ومرآة لذاتيتها النفسية والاجتماعية ، وهي رمز كيانها وعنوان وحدتها . ولم يقيض لأية لغة في إريتريا أن تلعب هذا الدور الشامل إلا اللغة العربية من جذورها إلى اليوم ، فقد وجدت منذ اتصالها المبكر بإريتريا تجاوباً واسعاً من الشعب الإريتري ، فامتزجت بهم ، وطبعتهم بطابعها ، وكونت تفكيرهم ومداركهم ، وشكلت قيمهم وثقافتهم ، وجعلت منهم على اختلاف لغاتهم لحمة واحدة موحدة . في هذا السياق يسعى المؤلف إلى إبراز حقيقة أن اللغة العربية هي ربيبة البيئة الإريترية ، ويغوص في بحر الموروث الإريتري وتحليل مكوناته البشرية واللغوية والحضارية ، ويحاول إسعافنا بفهم جملة أساليب اللغة العربية وحلقات تطورها من نحو وصرف ومفردات وقوانين صوتية ، للوقوف على جذور وأسرار لغوية خفية ليس في إطار اللغة العربية فحسب ، وإنما أيضاً لإثبات العلاقة العضوية الوثيقة بين العربية والإريترية من جهة ، وبينها وبين سائر اللغات السامية من جهة أخرى ، من خلال المقارنة العلمية الدقيقة .

الشيخ أحمد ديدات

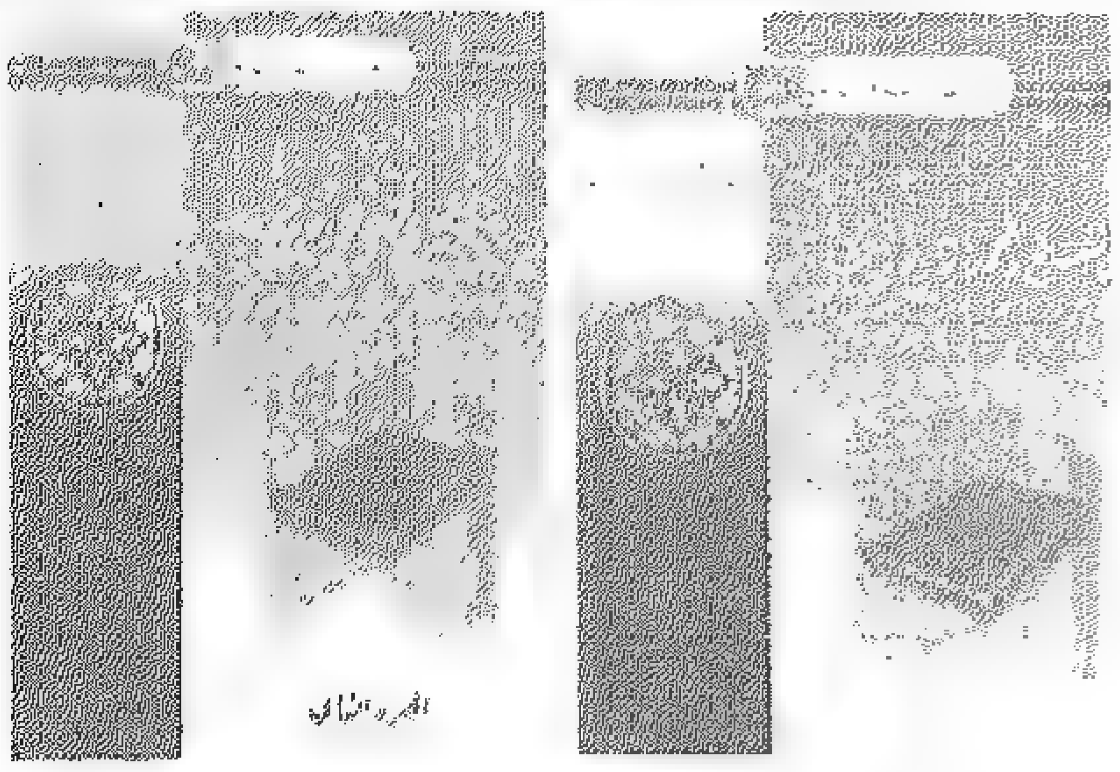
ومنهجه في الحوار والدعوة

وأهم مجالاته التطبيقية المكنة

المؤلف : حمزة مصطفى مَيْغا

الناشر : كلية الدعوة الإسلامية / طرابلس

جزآن / الطبعة الأولى / 960 صفحة / قطع متوسط



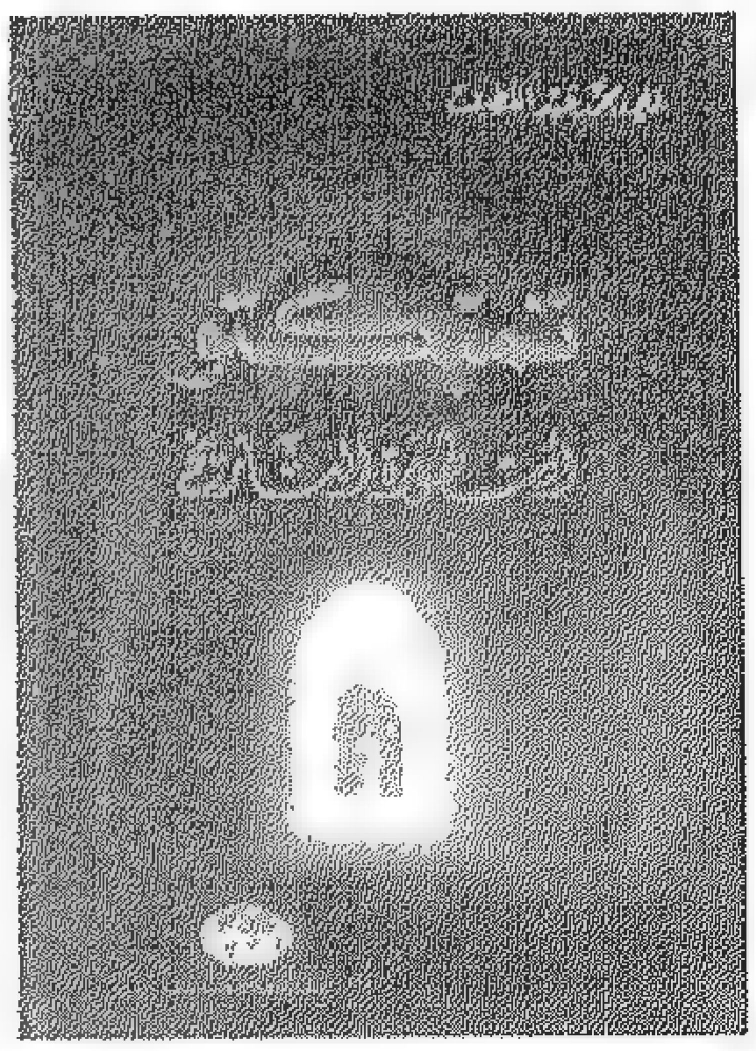
يطمح المؤلف - في هذا الكتاب - إلى الإسهام في الإجابة عن عدد من الأسئلة والإشكاليات العلمية والدعوية، من أهمها: دراسة الدعوة الإسلامية في جنوب إفريقيا ووضع المسلمين فيها قديماً وحديثاً، وأهم وأبرز أعلام الدعوة والعمل الإسلامي هناك، ومن هو أحمد ديدات بين هؤلاء الأعلام، ودراسة بيئته ونشأته، وتحليل جهوده وحركته الدعوية في ضوء تحليل المكونات الذاتية والموضوعية لشخصيته،، مع التركيز على جهوده الحوارية الدعوية ممارسة وتأهيلا للدعاة، وما أسفرت عنه تلك الجهود من نتائج على الصعيدين العلمي والعملي. ويحاول المؤلف تلمس ما يوليه الشيخ ديدات من عناية لمختلف الوسائل الإعلامية، ومقارنة منهجه الحواري بمن تأثر بهم أو أثّر فيهم. كما يدرس المؤلف سبل الإفادة من إيجابيات تجربة ديدات ومنهجه في العمل الإسلامي، متناولا أهم الدوائر والمحاور الدينية والفكرية ، كنماذج لما يمكن توظيفه في حقل الدعوة والحوار، مع عدم إغفال الحديث عن بعض الآليات والمقترحات التي قد تكون كفيلة بالتوظيف الأمثل والفعال لهذا المنهج .

تمبكتو .. أسطورة التاريخ

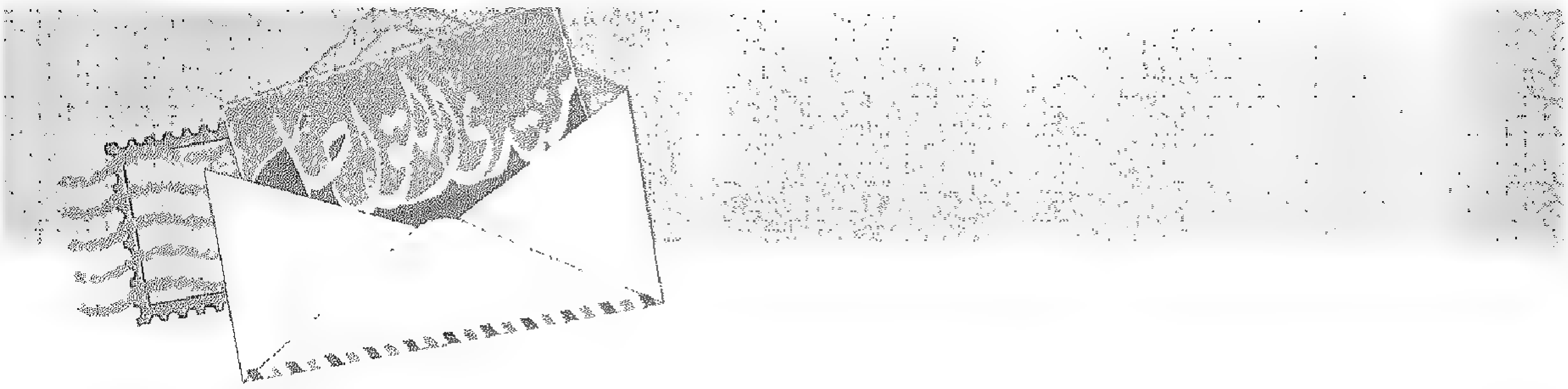
المؤلف : علي محمد عبد اللطيف

الناشر : جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

الطبعة الأولى / 128 صفحة / قطع متوسط



هذا الكتاب رحلة تاريخية عن - وفي تاريخ - مدينة تمبكتو منذ أن بدأت ورأت النور إلى أن عرف العالم سرها وغموضها ، وهي المدينة التي حملت أسماء (المدينة الغامضة / المدينة السرية / المدينة الممنوعة / جوهرة الصحراء / مدينة الإشعاع الإسلامي ...) وغيرها من الأسماء الأخرى التي عكست حضارتها على مدى ثلاثة قرون، أشعّت فيها بفضل علمائها وأئمتها وشيوخها على كامل السودان الغربي والأوسط، وإلى أبعد من ذلك،فعلى أرض هذه المدينة أقيمت امبراطوريات وممالك إسلامية ساهمت في نشر رسالة الإسلام في ربوع إفريقيا.



هذه مجلة جديدة على خريطة الثقافة والفكر في بلادنا، تملأ فراغاً كان كبيراً وواسعاً في حقل المعرفة الإنسانية، والفكر الجاد .

في عددها الأول الذي وصلني عن طريق البريد – دون سابق معرفة بهيئة تحريرها – قرأت قضايا معاصرة بلغة معاصرة، وهذا ما أعطانا انطباعاً بأن (التواصل) إنما تريد أن تضيف شيئاً جديداً في حقل الفكر الإسلامي المعاصر، وأنها لا تريد أن تصدر كأي إصدار عابر يمشي قليلاً ثم يسقط في منتصف الطريق ...

وقد تواصلت المجلة مع جميع المثقفين والمفكرين والأدباء، بما يعني توجهها إلى كل ذي فكر متفتح معاصر، يتصدى للقضايا الكبرى و يجادل فيها، وإنها بذلك إنما تعزز الاعتقاد الراسخ في مفهوم الثقافة والصحافة، وهو الذهاب إلى المثقفين والمفكرين، لا انتظارهم بلا طائل.

وقد قرأت مجلة مهمة على صعيد قضاياها وعلى صعيد إخراجها ومشهدها كمجلة فكر وثقافة، واطلعت على لغة جديدة خالية من التشنج والمبالغة وازدراء الآخر، بل هي مجلة حوار وتحليل وتقصٍ للحقيقة فيما يجري من حوار فكري على الساحة الإسلامية.

في عددها الرابع طرحت المجلة قضية معاصرة ومهمة وذات بعد جدلي، ضمن مفهوم الحوار مع الغرب، وهو يتعرض للإسلام في صحافته وفي إعلامه بعامة وفي السينما بخاصة، وبالتالي ما ينعكس على مشاعر المتلقي الغربي الذي يقرأ ويتابع ما يعرض للإسلام في صحافته وفي إعلامه بعامة، وفي السينما بخاصة، وبالتالي ما ينعكس على مشاعر المتلقي الغربي الذي يقرأ ويتابع ما يعرض ويضخه الإعلام الغربي، فيشكل مفاهيمه في ضوء ذلك، بما يكون الرأي العام الغربي الذي يرانا الآن عن كثب ونحن نموت مجاناً و تهدر أوطاننا وتمزق جغرافياً بلادنا، فيقول .. لا ترحموهم .. إنهم قتلة!!.

فمرض الخوف من الإسلام - وهو محور مجلة (التواصل) في عددها الرابع - جاء بمعرفة شاملة عن خلفيات الخطاب الإعلامي الغربي و الأمريكي، ومَن المستفيد – وما هي أبعاده السياسية – . الاطلاع على هذا الملف سيعبر بسهولة إلى نماذج من الفكر الغربي - العنصري - المعاصر .....

في الملف - على سبيل المثال - الحديث عن رواية (المنصة) للفرنسي ميشيل ويلبيك، وهي رواية حاقدة مليئة بكل ما يؤذي مشاعر العربي والمسلم .. وقد أ شارت المجلة - أعني مجلة التواصل - في مقدمة الحديث عن هذه الرواية، إلى أن الأدب في الثقافة العربية له معنى في الكتابة وأخلاقياتها، بينما في المفهوم الغربي للكتابة لا يشترط العامل الأخلاقي، فهي كتابة وحسب . وقد أثارني فعلاً، كما أثار سخرية القراء، كتاب (الغضب والكبرياء) للعجوز الإيطالية.. حين انصرفت إلى هجاء الإسلام والعرب، وقارنت بين شارون – وشكسبير، وهي بالطبع لا تعلم بأن شكسبير مؤلف (تاجر البندقية) سيغضب في قبره إن علم بذلك لو يعلم .

مجلة (التواصل) مجلة جديدة في مظهرها الأنيق المنسق الجذاب، وفي خطابها العقلاني العميق الموسع. أريد أن أهنئ القائمين عليها، وأشكر لهم جهدهم، وأتمنى أن تصمد في وجه كل ريح حتى لا تتوقف فتخسر سنبلة نريد منها أن تصبح حقلاً ثم فضاء للمعرفة المتفتحة وللخطاب العربي الإسلامي الجديد المستنير و المضيء .

عبد الرسول العريبي

كاتب وناقد / ليبيا

✽) خاطرة نشرتها صحيفة الجماهيرية/طرابلس/ ليبيا - العدد رقم : 3454/ بتاريخ: الأحد 12 محرم الحرام 1373/2/20 من وفاة الرسول ﷺ 2005 مسيحي، أعيد نشرها بإذن من الكاتب.

الإخوة بمجلة التواصل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بعد مضي عقد من الزمن، بعد تخرجي في رحاب كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس، وتفرغي في ميدان العمل الدعوي ببلدي نيجيريا، لم تحتو أرفف مكتبتي المتواضعة، من أعمالكم الجليلة وعطائكم الواسع في ميدان العم والمعرفة، وفي العمل الصحفي والإعلامي المتميز، سوى بعض الكتب القيمة، لعل من أهمها كتاب (أوراق أندلسية) الذي يثير في مخيلتي ذكريات عذبة، ومعاني روحية المعرفة السامية، التي عشناها في قاعات الدروس والمحاضرات. وأتذكر دائماً ما درسناه في مادة (الإعلام الإسلامي)، والتي ما زلت - أنا شخصياً كداعية ومدرس - أستفيد بموضوعاتها القيمة والهادفة في مجال عملي الدعوي والتعليمي، بل وفي مجالات الحوار الهادئ والبنّاء.

وبعد مرور كل هذه المدة، إذا بالتواصل يتجدد عبر مجلتنا الغراء والرائعة (التواصل) المتميزة شكلاً وفكراً وموضوعاً، التي تحصلت عليها عن طريق مكتب الجمعية في نيجيريا. ولا أملك إلا أن أسجل لكم عبر هذه السطور أسمى آيات الشكر والتقدير، على جهودكم الدؤوبة والمتواصلة في خدمة العلم والثقافة، ولا ننسى للجمعية ذلك الفضل والدور الريادي - الذي قامت به وما تزال - لتصنع منا دعاة ومدرسين يقومون بحمل شعلة الدعوة الإسلامية، ونشر الدين الإسلامي، والثقافة الإسلامية، في جميع أرجاء المعمورة.

وإننا نؤكد لكم استعدادنا للتواصل معكم في العمل الدعوي، عبر هذه المجلة، ومن خلال برامج الجمعية المختلفة، ونعدكم بأننا سنكون من قرائها وكتّابها الدائمين، للإسهام في إثراء العمل الثقافي والدعوي، آملين منكم تزويدنا بكل ما يصدر من أعدادها الجديدة بصورة مستمرة.

وتفضلوا بقبول فائق الحب والتقدير والاحترام، والسلام عليكم ورحمة الله.

الداعية والمدرس / أحمد عبد الرحمن آدم الفلاني

مدينة كادونا / نيجيريا

تحية طيبة .. وبعد

لقد تلقيت ببالغ الاهتمام العدد الرابع من المجلة الفصلية الثقافية الشاملة (التواصل) التي تصدرها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. وإذ أعرب عن عميق شكري وتقديري للجهود المثمرة التي تبذلونها لمزيد إثراء فضاءات الحوار، وبلورة الرؤى النيرة حول أمهات القضايا الفكرية والإنسانية السامية التي نصّ عليها ديننا الإسلامي الحنيف؛ فإنني أتمنى لكم مزيدا من النجاح والتوفيق، مع خالص معاني الشكر والتقدير

منتصر وايلي

وزير تكنولوجيا الاتصال / الجمهورية التونسية

الإخوة أسرة تحرير مجلة التواصل

بعد التحية

لقد اطلعت على الأعداد الأول والثاني والثالث والرابع من مجلة التواصل، وأستطيع القول إن هذه المجلة تعتبر مرجعاً علمياً قيماً، لما تحتويه من موضوعات فكرية وثقافية مهمة، وأشكر المسئولين عن تحريرها على هذا الجهد الطيب المبارك، وأطلب تزويدنا بهذه المجلة خدمة للباحثين عن العلم والثقافة الإسلامية الرصينة.

يانو محمد الأمين

نائب مدير المعهد الإسلامي

بريكاما / غامبيا

الإخوة بمجلة التواصل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نحن أعضاء جمعية الهداية الإسلامية / بولي / غانا، لقد أعاننا الله على إنشاء هذه الجمعية التي يأوي إليها المسلمون من شتى القرى المجاورة، ليفهموا الدين الصحيح ، وتساعد على نشر الإسلام في هذه البلاد التي هي بأمسّ الحاجة إلى تفهم الدين الإسلامي من مصادره الأصلية. وإننا نود مساعدتكم في الحصول على بعض الكتب التي تساعدنا في أداء رسالتنا، خاصة إصدارات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، ومنها مجلة التواصل، المجلة الفكرية الثقافية القيمة. جعلكم الله عونا للإسلام والمسلمين، وجزاكم الله عنا خير الجزاء.

جمعية الهداية الإسلامية

بولي / غانا

المحرر: بخصوص تزويد جمعيتكم ببعض الكتب ، يمكنكم مخاطبة مكتب البحوث والإعلام والنشر بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية. أما مجلة التواصل فنعدكم بأنها ستصل إليكم تباعاً بإذن الله.. وفقكم الله.

الإخوة بمجلة التواصل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

نبارك لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية خطوتها الميمونة في إثراء الساحة الثقافية والعلمية بجلتها الرائدة والراقية (التواصل) ، وأمانينا في أن يكتب الله لكم التوفيق ، وأن يوفقكم لما يحبه ويرضاه.

نتمنى أن تضعوا مشكورين مكتبة كليتكم (كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية) ، ضمن لائحة أو قائمة المشتركين في مجلتكم الرائعة (التواصل) عسى أن يستفيد منها الطلاب والباحثون .

مع التقدير والاحترام

أ . د . محمد بشير

وكيل كلية اللغة العربية / إسلام آباد / باكستان

تنويه

في الوقت الذي ترحب فيه أسرة تحرير مجلة التواصل بما يرد إليها من الإخوة الكتاب (مقالات، دراسات، بحوث ....) للنشر على صفحاتها؛ فإنها قد لاحظت أن بعض المواد والموضوعات التي تصلها ليست أصلية، فضلا عن أن بعضها أرسل إلى أكثر من مطبوعة. وعلى هذا فإن أسرة التحرير تعتذر عن عدم نشر تلك الموضوعات، وتفيد السادة الكتاب علماً بأنها لا تنشر إلا المواد التي تُكتب للتواصل خاصة (النسخة الأصلية) ويفضل أن تكون مطبوعة ومحفوظة على قرص مرن. لذا فإنّ أسرة التحرير غير ملزمة بإعادة المادة التي تتلقاها للنشر إلى أصحابها نُشرت أم لم تنشر.

وصفحات التواصل مفتوحة أمام كل الأقلام الجادة التي ترغب في الكتابة وفق معايير النشر الموجودة في كل عدد.

المحرر

..ونتواصل

محمد حسن جحا*

قد لا نأتي بجديد إذا قلنا إن ما أنجزته تقنية الاتصال ووسائله في عالم اليوم؛ قرّب المسافات بين شعوب العالم وأممه، وجعلها تعيش في قرية صغيرة مرتبطة بشبكة متداخلة ومعقدة، تختصر الوقت والجهد، وتوفر مساحات للتواصل والحوار والمعرفة لم تكن متاحة من قبل.. وتلك أصبحت من المسلّمات والبديهيات التي لا تحتاج إلى برهان. وفي أكثر من مكان على الأرض تعدّدت ملتقيات الحوار بشتى صوره وأشكاله، وتنوعت المؤتمرات والندوات التي يتنادى لها المفكرون والعلماء ـ والقادة الروحيون خاصة ـ والتي حاولت وتحاول تلمّس طريق ومنهج للحوار والتواصل والتعارف، يجنّب البشرية ما تعانيه من ويلات الحروب، وما يجره عليها جنون العظمة والاستعلاء من كوارث وأزمات. ورغم كل تلك الجهود والمحاولات، ورغم تنوعها وتعدّدها على أكثر من ساحة وصعيد في بلاد الله الواسعة؛ إلا ان صوت القوي المتعجرف يبقى للأسف الشديد هو الأقوى، وبالتالي هو المسيطر!!. ولعل في ما تتناقله وسائل الاعلام والاتصال على تنوعها من أخبار وتقارير عن حوادث مشينة تقترفُ من قبل أولئك الذين تربّوا على ثقافة الحقد والكراهية للآخر ـ وخاصة المسلم ـ ما يبدّد كثيراً من الأمل في بناء عالم خالٍ من النزاعات والحروب والأحقاد.

وقد صُدِمَ العالم الإسلامي بالتقرير الذي نشرته مجلة نيوزويك الأمريكية والذي ذكرت فيه أن محققين أمريكيين بمعتقل جوانتانامو قاموا بتدنيس القرآن الكريم، حيث وضعوا نسخاً من المصحف الشريف في الحمامات، وفي حالة واحدة على الأقل ألقوا إحدى النسخ في المرحاض ثم قاموا بفتح الشطاف عليها، وتكرّر ذلك الفعل المشين من قبل الصهاينة في السجون والمعتقلات الاسرائيلية، كما لو أن الفاعل واحد، والجريمة متعمّدة، وفي ذلك دليل واضح على ان الحقد والكراهية ضد الإسلام والمسلمين ماضية دون هوادة، في مسلسل تتوالى حلقاته يوم بعد آخر، وهذا السلوك يعكس بلا شك حقيقة الموقف من الإسلام ديناً وحضارة.

ولا يخفى ان حقوق الانسان ليست هي ما ينتهك فقط في سجون جوانتانامو وأبي غريب وفلسطين المحتلة، بل مقدّسات المسلمين ومصحفهم أيضاً. وفي سياق تبرير ما جرى ربما ادّعت الإدارة الأمريكية كما يدعي الكيان الصهيوني أنها حوادث فردية، لا علاقة لها بما حصل، بَيْدَ أن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما الذي يدفع الصهاينة والأمريكيين لتنديس كتاب منزل من عند الله، لولا التثقيف على الكراهية والحقد، ومحاولة إلغاء الآخر؟؟.

ولا شك في أن هذه الجريمة البشعة، والسلوك الوضيع الذي أقدم عليه الجنود الأمريكيون في جوانتانامو، والجنود الإسرائيليون في فلسطين، والمتمثل في تدنيس المصحف الشريف، يعكس بحق حالة الأمة، ودرجة الذل والهوان التي وصلت إليها! كما أنها تجسّد بصدق نزعة الكراهية البغيضة، والحقد الدفين المتأصل ضد الإسلام، ربما يكون مدفوعاً بمواقف سياسية لبعض المعادين للحوار والتعايش السلمي المتحضر!.

هذه الجريمة ولّدت حالة من الغضب لدى المسلمين في كل مكان، خاصة وأنها تأتي في سياق الهجمة المنظمة التي تستهدف النيل من المقدسات الإسلامية، بدءاً من التطاول على شخص الرسول ﷺ ومروراً بالتهديدات المتواصلة باقتحام المسجد الأقصى وهدمه، لإقامة الهيكل المزعوم!!

وفي هذا السياق نتساءل: هل يمكن القول إنها أحداث عرضية لا رابط بينها؟ أم أنها تعكس في الحقيقة والواقع توجهاً رسمياً لمواقف أصبحت أكثر من واضحة لدى العديد من المسؤولين في دوائر صنع القرار في بعض الدول؟!

ثم إنه من المفارقات العجيبة ان هذه الحملة قد جاءت متزامنة مع مساعي البيت الأبيض لإعادة (ترميم) صورته على مستوى العالم الاسلامي، بل والعالم كله، لتدارك ما يمكن تداركه من ملامح الوجه الأمريكي (القبيح) الذي لم تعد عمليات (التجميل) تفيده بعدما شوّهته سنوات متتالية من الظلم والقهر.. وامتهان الكرامة للإنسان العربي والمسلم!.

والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح: أين احترام الأديان وصون الحريات مما نشاهده يومياً من إهانة وتدنيس للمقدسات الإسلامية؟ ولماذا لا تُحترمُ مشاعر أكثر من مليار مسلم عبر العالم إذا كان دعاة الحرية والسلام حريصين فعلاً على حماية الحريات الدينية... كما يدعون؟!

ومهما يكن.. فإن هناك عدداً كبيراً من الكتّاب والمفكّرين، وقادة الرأي، فضلاً عن المسؤولين في مراكز صنع القرار الذين يرفضون مثل تلك السلوكيات ويقفون ضدها، وبالتالي فهم يعملون على الالتقاء والتحاور فيما ينفع الناس، بغض النظر عن المعتقد والجنس واللون، ترسيخاً لقيم الحوار والتواصل، وسعياً إلى إشاعتها بين الناس.

---

* كاتب، إعلامي، أستاذ جامعي/ ليبيا




مع تحيات مجلة التواصل



التواصل

عبد الحميد حقي

الخطاب الإسلامي
بين الأصالة والتغيير

حسن الهاني

المسيحيون الفلسطينيون
في مواجهة الاحتلال

صلاح الدين الجعفراوي

حملة الإعلام الغربية
على الإسلام

أبو بكر محيي الدين

نهج إسلامي موحد
في الحوار مع الآخر

الإنجيلية..



د. عبد المعطي محمد عبد الجليل *

الإعلام في الدول المتخلفة

[illegible]



في هذا العدد

الافتتاحية

مقالات

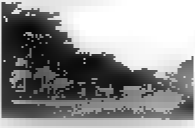
دراسات

الملف



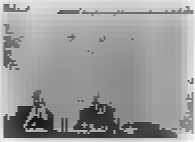
وقفات

نظرة على المشهد العمراني في القدس خلال العهد العثماني



استطلاعات

[illegible]



ندوة

الندوة [illegible] للمجلس العالمي للدعوة الإسلامية

التواصل

تصدر عن
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

السنة الثانية - العدد [illegible]
[illegible]
[illegible]

المراسلات باسم
رئيس هيئة التحرير
طريق السواني - كم 5
هاتف: [illegible] - [illegible]
بريد مصور: [illegible]
ص.ب: [illegible]
طرابلس - الجماهيرية العظمى

البريد الإلكتروني
INFO@AT-TAWASUL.INFO
ARAA@AT-TAWASUL.INFO

الموقع على شبكة الإنترنت
WWW.AT-TAWASUL.INFO

محاضرات

حوارات

استطلاعات

تقارير

الواجهة

كتب

شروط النشر في مجلة

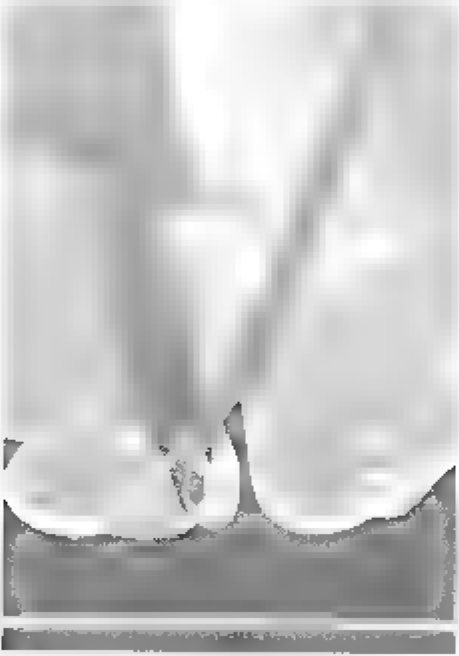
التواصل

ترحب مجلة التواصل بكتابات المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين وغيرهم الذين ينشدون التواصل كمعرفة من خلال نهج الحوار والنقاش المستنير بعيدا عن التعصب بجميع أشكاله وسعيا لدرء أسباب الخلاف والفرقة مع الالتزام بأسس العقيدة الإسلامية وثوابت الدين في تلك البحوث الفكرية والثقافية. وتحقيقاً لهذه الأهداف يشترط لقبول نشر البحوث والمقالات:

- ❖ أن يتسم البحث بالجدة والموضوعية وأن يتبع في كتابته الأساليب المنهجية في البحث العلمي من تقسيم منطقي في العرض وتوثيق للمصادر والمراجع.
- ❖ أن يُراعى تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في البحوث التي تتضمنها.
- ❖ أن يكون البحث أو المقال خلواً من الأخطاء اللغوية والإملائية مع مراعاة علامات الترقيم وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.
- ❖ ألا يكون البحث أو الدراسة المقدمة للنشر في التواصل جزءاً من أطروحة ماجستير أو دكتوراه.
- ❖ ألا يكون البحث قد سبق نشره في مطبوعة أخرى.
- ❖ أن يكون البحثُ أو المقال مطبوعاً أو مكتوباً بخطٍّ واضح.
- ❖ ألا يقلّ عدد كلمات البحث أو الدراسة عن 8000 كلمة ولا يزيد على 10000 كلمة.
- ❖ ألا يقلّ عدد كلمات المقال عن 4000 كلمة، ولا يزيد على 6000 كلمة.
- ❖ أن يُرفق الباحثُ بحثه سيرته الذاتية.
- ❖ في حالة الترجمة لا بُدّ من أن يرفق النص المترجم بنصه الأصلية.

ملاحظات:

- للمجلة الحق في اختيار العدد المناسب لنشر البحوث المجازة.
- ترتيب نشر البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.
- لا ترد البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت في المجلة أم لم تنشر.
- تعرضُ الأعمال المقدمة للمجلة على لجنة تقويم النصوص قبل إجازتها.
- تمنح البحوث والمقالات المجيزة مكافآت مالية مناسبة.



- الخطاب الإسلامي بين الأصالة والتطوير
- علم مقارنة الأديان .. نشأته وأهدافه
- المسيحيون الفلسطينيون في مواجهة الاحتلال
- الانجيلية .. طائفة تسعى للسيطرة على العالم
- الفن المعاصر .. البحث عن مملكة السعداء
- الآثار الاجتماعية للعولمة

الخطاب الإسلامي بين الأصالة والتطوير

د. عبد الحميد عشيق*

لا يخفى على أحد في هذا العصر التي تتركز فيه قنوات الإعلام المختلفة من صحف وإذاعات مسموعة ومرئية تبث برامجها على مدار الساعة في عصر العولمة تصب وتنشر موادها في جميع أنحاء العالم، تؤثر في مكانة الإسلام والمسلمين في الغرب، وإن الجهود المطلوبة بذلها لتصحيح صورة الإسلام وتفعيل دور الحوار تتطلب تعاون الجهود حكومية وغير حكومية إسلامية وعربية وأفراد للنظر بواقعية وشمول وصراحة مع النفس فيما يدور حولنا ويجب لاختيار الطريق السليم للدفاع بحكمة عن إسلامنا الصحيح والتأكيد وسطية الإسلام واعتداله وسماحته.

أولاً: تطوير الخطاب الإسلامي:

وفي هذا الصدد فإن تطوير الخطاب الإسلامي ومدى نجاحه في مخاطبة الغرب الآخر في نظره أهل أمريكا اللاتينية، يتوقف هذا الأمر كما يريده المتخصصون والعالمون وحتى الباحثون منا، وهذا التطوير يبدأ في الخطاب الإعلامي بصوره المختلفة وفي خطب الدعاة وفي المنتديات والحوارات وغيرها.

وأمام هذه الهجمة وتلك الهوة السحيقة التي حدثت بين الإسلام والشرائح والمجموعات يبرز التساؤل عن دور الدعاة الموجودين في كل بلد من بلدان الغرب في التعريف الصحيح برسالة الإسلام الحضارية والأخلاقية، فعلى الدعاة القيام بدورهم في التعريف الشامل به، وهذا جزء من مهمتهم إن لم يكن الجزء الأكبر والأساسي، ويلزم ذلك وقع على عاتقهم القيام بما يلي:

1- الاهتمام جداً بالواجب جزءاً من رسالة الدعاة الإسلامية.

كثيراً ما يعتني الدعاة بالأمور الدينية والشرعية فقط، ولكن على كل داعية تحمل مسؤولية رصد ما يكتب عن الإسلام سلباً أو إيجاباً، والتصدي لمحاربة وتشويه صورة الإسلام، ومعرفة أسبابه والعمل على نشر تعاليم الإسلام الصحيحة بالحكمة والموعظة الحسنة، ومناقشة الشبهات مع أصحابها ومحاولة تصحيح ورودها.

إن حرب التشويه والتضليل هي حرب قديمة وغير

* كاتب وباحث - المنظمة الإسلامية لأمريكا اللاتينية - الأرجنتين

شريفة، ولم تكن بأقل ضراوة من الحروب العسكرية التي واجهها المسلمون في صدر الإسلام. ونجاح في مواجهة دبلوماسية وفكرية مع الخصوم انتهت إلى حجية الحقيقة ودحض الشبهات، وبمطالعة أول مواجهة دبلوماسية بين المسلمين وقريش خارج مكة على أرض الحبشة يتبين لك كيف استطاع المسلم بكل دبلوماسية أمام ملك الحبشة توصيل الرسالة والتعريف الكامل والصحيح بدعوة الإسلام وفضح الباطل وتعريته، لا يرجع عنه، حكاً من الحبشة حافي، الدوبلوماسي مهزومين مدحورين بحكمة المسلمين وأسلوبهم الحسن.

نعم أقيمت منذ زمن مؤتمرات كثيرة تهدف إلى تحسين صورة الإسلام والمسلمين في أعين الغرب، لكنها كانت في الحقيقة ندوات متعجلة كرد فعل للأحداث وموضوعها للاعتذار عن أحداث لم يرتكبها المسلمون، بل عن بعض مبادئ الشريعة التي لا تروق الغرب، ومبادئها الحقيقة حقاً يعطي مطالبهم، نحن في حاجة إلى أسلوب جديد للتعريف بالإسلام، ودحض الشبهات يقوم على الاعتزاز بالإسلام عقيدة وشريعة، ويوضح مؤهلات الإسلام السياسية والقيادية لتضع البشرية المعاصرة وممارساتها الشاذة والمتحيزة التي لا تقام على منطق أو عقل أو شرع.

هذا لم يصب في الحوار محاولات جادة من قبل الأمة لتصحيح مسارها التي يتجلى الحديث من القيم والأخلاق

ب) تبني أسلوب الحوار مع الآخرين وتقييمه

بالرغم من هذا الكم الهائل من المؤتمرات والحلقات والمقالات، فإن أثر هذا الحوار يكاد يكون معدوماً حتى وصف بعضهم حوار المسلمين والمسيحيين بأنه حوار خائب بعد أربعين سنة من الشروع فيه، وما زالت الهوة تتسع يوماً بعد يوم وما زالت العقلية الغربية متمسكة بموروثاتها العقائدية والفكرية عن الإسلام والمسلمين، ويرجع ذلك إلى أمور عدة منها:

- لا يستند على كثير من المحاولات في الحوار المعنى الاصطلاحي لحوار الأديان أو حوار الحضارات، فالحوار الحقيقي هو البحث عن معرفة واكتشاف الآخر، وبلورة رؤية واضحة دون اللجوء إلى إصدار أحكام مُسبقة متحيزة، أما ما نشاهده من حوارات الأديان ومساجلات الفكرية، والسعي إلى إثبات تفوق وتميز طرف على آخر أو مهرجان الدعاية الإعلامية فإن ذلك لن يصنع الحوار المنطقي ولا مصالح المتحاورين.
- يغلب على الكثير من المؤتمرات إصدار توصيات يفرضها الطرف الأقوى ويحولها أمره إلى مظاهرة سياسية تملي عليها تعامله.
- اقتصار الحوار على النخبة الفكرية الدينية والسياسية دون اشتراك كل المجتمعات العامة في المجتمعات أو الوصول إلى المستوى العادي، ومن ثم فمهما انتهت عنه المؤتمرات إلى نتائج فإنها لن تؤثر في الأفراد.
- عدم وجود تكتل إسلامي في الحوار أمام التكتلات الأخرى، فتواجه الدول الإسلامية هذه التكتلات وهي متفرقة متفرقة، لذلك يجب أن يكون المسلمون متحاورين مع مخالفيهم ويشكلوا تكتلاً إسلامياً موحداً في مواجهة التكتلات المعادية، وما لم يدرك المسلمون سبيل الوحدة الإسلامية فلن يكون لديهم أمل في الندية والمساواة مع الآخرين.
- جهل بعض أهل الغرب بالحضارة الإنسانية الإسلامية ومحاسنها، وتعمد البعض الآخر وصف الإسلام والمسلمين بالتخلف الحضاري والسياسي والعلمي للدول العربية والإسلامية من أجل أن يكرس نظرة الغرب إلى الأمة، وتؤكد مقولات المستشرقين.
- سيطرة اتجاهات معادية وحاقدة على الإسلام

والمسلمين عبر وسائل الإعلام الغربية ومراكز البحث الغربية، لذلك يجب أن تكون حملة التحديث مصاحبة بمحاولات جادة للتعريب وتصحيح الصور.

- قلة الانفتاح على النخبة الفكرية والسياسية المستنيرة المتعاطفة مع قضايا المسلمين، وعدم الاتصال بالشريحة الأخرى التي لديها رأي مخالف لتوضيح المغالطات وأساليب تصحيحها، وبعض الأطروحات الملصقة بالإسلام وإبراز إسهام الحضارة الإسلامية على الحضارات الأخرى، إسهامات الثقافة الإسلامية في بناء الثقافة الغربية.
- عدم معرفة الدعاة بالبلدان التي يرسلون إليها معرفة جيدة، وعدم مخاطبة الشعب بلغتهم مما أدى إلى ضعف انتشار الثقافة الإسلامية، وعدم القدرة على الرد على وسائل الإعلام التي تتعرض إلى تشويه الإسلام. إن عدم معرفة الدعاة بلغة البلد يؤثر بينما في أفراد الجالية المسلمة في الغرب الذين لا يجيدون نطق اللغة العربية فيجعلون حاجزاً للحوار مع الدعاة وطرح بعض الأسئلة الشرعية والشخصية عليهم دون وجود وسيط أو مترجم.

ولذلك إذا أردنا حواراً حقيقياً وفعالاً يجب إزالة هذه الأسباب أولاً، وعندئذ يكون فعلاً أداة تفاهم وتعايش ويحل محل الصراع ويرسخ ثقافة السلم والعدل، وما لم يصاحب الحوار محاولات جادة من جانب الأمة لتصحيح مسارها فلن يجدي الحديث عن القيم والأخلاق.

ج) معرفة الغرب بدور الشعوب وتفهم الخطاب الإسلامي لها مباشرة:

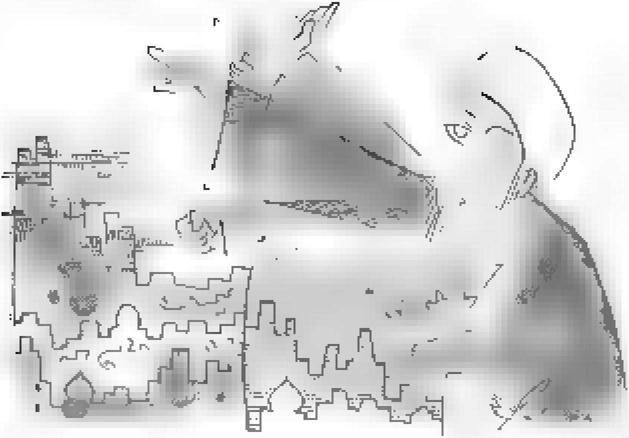
إن غياب وجهة النظر الإسلامية بشكل واسع في حضور للقضايا المعاصرة مثل الاستنساخ والإجهاض والبيئة وحقوق الإنسان والإرهاب وغيرها، لا يساعد الشعوب الغربية في فهم رأي الإسلام في هذه القضايا ومن ثم إزالة الشكوك والمخاوف، وتصحيح معالم ممن يوجهات نظر متفق عليها وأخرى لا. فيجب طرح ما هو متفق عليه وبيان أسباب الخلاف ومصادره إن كان الأمر يتعلق بالدين أو الثقافة الإسلامية حتى نصل إلى الفهم التبادلي أي أن الغرب يلم بالفهم الصحيح للإسلام والثقافة الإسلامية، وفي المقابل الفهم الصحيح للغرب وحضارته وثقافته عند المسلمين ودعوا رجال الثقافة والفن والإعلام والصحافة وغيرهم للمشاركة في مؤتمرات وحفلات وإشعارهم باعتراف الإسلام بالآخر وأن الإسلام دافع عن التعددية وحرية الاختلاف، وإنشاء أقسام لدراسات الإسلامية في الجامعات الغربية التي لا يوجد فيها مثل هذه الأقسام، ودمج المسلمين المقيمين في الغرب في مجتمعاتهم وإحساسهم بالمسؤولية التي فرضتها واجباتهم كمواطنة والسعي حثيثاً إلى أن تكون حلقة الوصل وعقد جسور الحوار مع المؤسسات المدنية والحكومية بقصد التمثيل السياسي، ونشر الخير والنفع العام والتعريف بواقع المسلمين في مجتمعات الغربية محافظين على هويتهم الحضارية الإسلامية.

> - تحمل مسؤولية رصد ما يكتب عن الإسلام سلباً وإيجاباً
> - ما لم يدرك المسلمون سبيلهم للوحدة الإسلامية فلن يكون لديهم أهلية الشهادة والمساواة مع الآخرين

ثالثاً: الخطاب الإسلامي الموجه

حتى يستطيع الخطاب الإسلامي المعاصر تخطي عقبات القراءة التقليدية لمضامينه يجب أن يعتمد الأسس والقواعد التالية:

1- الفهم الدقيق والتحليل لمضامين ومكونات الخطاب الإسلامي في بعديه النصي والاجتهادي



ب) الفهم الصحيح والدقيق لمضامين ومكونات الخطاب الإسلامي في بعديه المحلي والعالمي وخصوصية الفاصلة بينه وتوجيه.

ج) الفهم الصحيح والدقيق لمضامين ومكونات الخطاب الإسلامي في إطار سياق التاريخ التجريبي.

د) نقد المعطيات الواقعية لعملية الإقليمية والعالمية منها بشكل خصوصي وأدق، والتمييز بين ما يجب أن يوجه إلى المدعوين المحليين وبين ما يوجه إلى المسلمين في الغرب باختلاف خلفياتهم الثقافية.

هـ) عدم إغفال النزعات الإسلامية المتطورة في جوانبها: العصري والمدني والمتفتح والثقافي والفكري والتقني.

و) تجاوز مرحلة الصد والاصطدام والإعجاب القائمة بين المعاصر والماضي ولا سيما ما له علاقة بالتجربة التاريخية.

ز) تقديم قراءة واعية وواقعية عن الآخر بهدف ضمان صياغة خطاب ملائم للوسط والواقع.

ح) محاولة علاج المعوقات والرواسب الموروثة عن فهم المعنى لمضامين معاني الخطاب الديني الموجه إلى الجانب الآخر، وذلك بخلق جو من التناسب والشعور بالثقة مطلقاً بما يريد إيصاله.

ط) الإحساس بالمسؤولية الملقاة على الآخر من جراء الرغبة في تحمل مسؤوليات الحضارية والاستنكاف من فهم البذل والعطاء المفروضة على الذات وعلى الآخر على حد سواء.

ي) اعتماد آليات محددة لصياغة برامج مشتركة مع الغرب يمكن تعميمها بسهولة لتكون قاعدة للعلاقات الإسلامية الغربية، وإزالة سوء الفهم وتصحيح ما هو خاطئ.

ك) نبذ الغلو والتطرف والإرهاب من خلال اللقاءات والمحاضرات وتبادل الأفكار مع الساسة والقياديين

الغربي سواء على مستوى الديني أو الثقافي أو الأكاديمي.

وهذه بعض الخلاصات حول قراءة مكونات الخطاب الإسلامي، يمكن لهذا الخطاب أن ينطلق من الدعوة الإسلامية في شكلها المتطور المعاصر نحو العالمية الكونية المستقبلية بوصفه خطاب جديد وفي محاولة تكوين بنية الخطاب العالمي.

ولن تأتى لهذا الخطاب الإسلامي الانفتاح على الآخر ووضع منظومة دينية للقراءة وفهم الآخر له، قراءة علمية منهجية. في ذلك الوقت ستتأكد أصالة وصلاحية الخطاب الإسلامي محليا وإقليميا وعالميا. كما ستتأكد أيضا أصالة وصلاحية نظرته إلى الآخر التي ستكون طريقه نحو العالمية الكونية.

ثالثا: الإنترنت كوسيلة لتحسين صورة الإسلام والمسلمين في الغرب

◆ إن مواقع الإنترنت الإسلامية قليلة جداً مقارنة بالمواقع العلمانية.

◆ مهارات الإنترنت محصور على المسلمين حسن توظيفها وفق معرفتهم، ولا حجة لهم في التقصير أو التخاذل عن مواكبة العصر.

◆ إن وسائل الإعلام على الشبكة تعتبر للمسلمين وسيلة فعالة لتضمهم إلى الحظيرة الإسلامية.

◆ يشكل التراجع الفكري والتخلف الثقافي جزءا من الواقع الإسلامي الراهن بأبعاده السياسية والثقافية. وهذا التخلف هو الحلقة التي وقع فيها المسلمون.

◆ من أبرز مظاهر التخلف الفكري التي يتم التعامل بها مع منجزات العصر وأدواته في الحياة المعاصرة على المستويين الإنساني والتقني، وقد سبب هذا التخلف عجزا ليس في ممارسة الحياة أو فهم

أدواته فحسب. ولكن في فهم الإسلام واستيعاب أهدافه وتبليغ رسالته. وقد وفرت التقنية الحديثة وسيلة اتصال جديدة لا تقل في إمكاناتها ووظائفها عن الصحافة والإذاعة المسموعة والمرئية وهي شبكة الإنترنت، فهي قليلة التكاليف إلى حد كبير مقارنة بالوسائل الأخرى، والتي يتطلب هذا كله تكون الوسيلة الأنسب والأفضل بين غيرها من الوسائل لتبليغ رسالة الإسلام لغير المسلمين في الغرب.

وقد بدأ ظهور المواقع الإسلامية منذ عام 1993 ميلادي وكانت معظم المواقع الأولى باللغة الإنجليزية ثم ظهرت مواقع بلغات أخرى وبأحجام وموارد مختلفة ولكن معظمها كان محدود التأثير ويحتوي على معلومات سطحية وأكثرها غير صحيح ويظهر هذا النقص بشدة في معظم المواقع باللغة الإسبانية والبرتغالية.

وفي الآونة الأخيرة ظهرت بعض مواقع المسهرة، التي يشرف عليها متخصصون في مجالات مختلفة لتصميم الهيئات والمنظمات والمؤسسات الإسلامية في بلدان مختلفة في العالم الإسلامي.

ومن مواقع المسهرة في اللغة الأسبانية موقع المنظمة الإسلامية لأمريكا اللاتينية ومواقع إسلامية أخرى في الأرجنتين والبرازيل والإكوادور والمكسيك وتشيلي وغيرها.

منذ مواقع تتميز بحسن التخطيط فقد خرجت في تصميمات جيدة ومادة أفضل مما سبق لكن هناك بعض القصور الذي يجب تلافيه، ولا تزال الساحة بحاجة إلى المزيد من مواقع الإسلامية باللغة الأسبانية وبشرحها وتصميمها بأسلوب علمي حديث على أسس إيجابية بحيث يستفاد من هذه التجارب بتقديم الجديد دائما وبأسلوب شائق وجذاب

◆ ما نشاهده من حوارات الأديان والحضارات والثقافات الفكرية، والسعي إلى إيجاد تفاهم وتعبير طرف على آخر أو طغيان الناحية الإعلامية فوق ذلك بل يستطيع الحوار المستقبلي ولا مصالح المتحاورين.

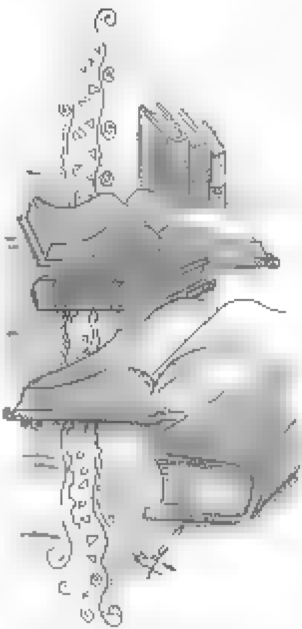
علم مقارنة الأديان .. نشأته وأهدافه

عمر لطفي العالم *

قبل ثلاثة عقود ألقى د. عبدالحليم شلبي محاضرة جاء في بعضها:

- علم مقارنة الأديان علم حديث النشأة وُلد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ويرجع الفضل في نشأته واستقلاله إلى العالم الألماني الشهير ماكس مولر سنة 1870م.
- وجاء أيضاً: (كان مولر دعا من قبلُ إلى إنشاء علم مقارنة اللغات واستطاع تأسيس كرسيها خاصة في جامعات ألمانيا).
- وجاء ثالثاً: (لكنه - أي مولر - لما دعا إلى إنشاء كرسي لدرس الديانات المقارنة، لم يجد دعوته آذاناً صاغية في أول الأمر، ويبدو أن سبب التنحي عن هذه الدعوة رغبة القوم في عدم دراسة أديان غير ديانتهم أو أنهم رأوا أن يكتفوا بما يُدرس منها ضمن علوم الفلسفة والاجتماع).
- (وافتتحت في [illegible] كلية اللاهوت التي قامت على دراسة الأديان القديمة والحديثة ولم تقتصر على درس الكتاب المقدس بشطريه اليهودية والمسيحية) (للمزيد أنظر ص 97 ـ [illegible] مجلة العلم والأديان للمسلمين [illegible] مسيحي).

من جهة أخرى ظل الباحث [illegible] الهيئات



* كاتب وباحث ليبي - سورية

وانكر جيع الهيئة الإسلامية بهذا القدر من التحدي إلى ان ضجت بأن الدين الصحيح هو الإسلام وليس ثمة ما يدعو إلى درس افكار عاطلة وعبارات كلها كفر (المصدر السابق نفسه ص99)

ولقد دافع دفاعاً مهماً عن ادخال هذا الفرع إلى الجامعات الإسلامية: (إن تدريس الفلسفة بكل فروعها وأنواعها، لا تفرق بين فلسفة وثنية أو مسيحية أو إسلامية، لأن كمال التدريس يدعونا إلى الإلمام بكل أنواعه، ولأجل إعداد دعاة للدفاع عن الدين ونشر أفكاره وتصويرها امام الناس تصويراً ناصعاً وصحيحاً، ولا يتحقق هذا بدون درس الديانات الأخرى بقطع النظر عن صحتها وفسادها على نحو ما تفعل الكليات اللاهوتية) (ص100)

ولحق فقد عجبت من بحثه الكثير ولم يستثني إلا القليل ومن هذا القليل قوله: (وفي الوقت الحاضر يجد أن تقاربت أطراف العالم واسرع التعرف بالغرب، ويجد ان لغة الكثيرون لفكر الحضارة الإسلامية، صحيح الإسلام يلاقي هجوماً عنيفاً من جهات متعددة) (المصدر السابق نفسه)

لقد عجبت الكاتب كما رأيت من حقبة القرب من التحقيق وانا كنت لا اعرف بالضبط نوع العمل الذي مس، كما لا أعرف أن الإسلام بشكل وجه هجوم الأعداء يستنفذ الطاقات والإمكانات في الأرض أذكر بأن تاريخ الهجوم الرسمي الوثيق ضد الإسلام ليس جديداً، وقد بدأ قبل الفترة التي حددها الكاتب بزمن بعيد

كم أتمنى بهذه المناسبة على بعض الأجلاء أن يكونوا أكثر إفاضة في شرح الفكرة التي يتناولون، ثم الانتقال انتقالاً منطقياً من المقدمات إلى النتائج، كي لا يُمس على القارئ عن المستنير فيضيع في متاهات الظن والتأويل.

ويكاد يتفق معظم المؤرخين لتاريخ الهجوم المنظم الذي عُرف باسم (Polemic) وكتب فيه غير واحد من مشاهير المستشرقين، يرجع في الأساس إلى القديس يوحنا الدمشقي تحت عنوان الهرطقة (Heresy) ثم توالت محاولات النيل من شخصية الرسول الأعظم ﷺ وعدت بالتحدار في اسم الانحطاط حتى ملّت الآذان تكرار ما فيها من قذف وسباب ولقد برّز فيه وهو الأكاديمي المحترم برز بداءة الألفاظ بالنسبة للمسلمين الى حد الثأر وكان يقصد تشهير القرآن بالشرك والتنبيه تكليفي سانسبي مخالف في ذلك بقية البحث فأسجل بابتهاج تطوّر منهج البحث الغربي باتجاه العقلانية والاعتدال إن لم نقل الانفتاح الصادق على الإسلام

> اصبح واضحاً ان الاستشراق او الإفادة من العربية في شرح الكتب المقدس شكل مدخلاً مناسباً للمرحلة الأولى خصوصاً من الناحية العلمية، والاهتمام بعلم (مقارنة الأديان)

إن ماكس مولر عالم من في ذلك حلل لكن النص في نشأة علم الدين المقارن لا يعود اليه في المقام الأول بل إن بروز هذا العلم ليُعد من العلوم الإنسانية لم يكن وليد ابتكار بل كان حصيلة تراكمية علمية صحية تطلعت على تفاصيلها علماً متجودكه، نشر مقالة تحت عنوان (الترجمات العربية في ألمانيا) جاء فيها: (إن عالم اللغة السنسكريتية في ذلك البحث عن صور المقارنة قاده البحث الى اكتشاف منهج البحث المقارن)

من ذلك نفهم ان قاعدة عريضة للبحث وُجدت في المجال الديني مطلع القرن الثامن عشر أي في التفكير في جعل برامة الاصلاح بأي شخص جاء بعد هذا التاريخ.

أما في المجال الديني أو الدين المقارن وهو محور البحث بمحاوره فقد كانت الفترة بين هذا التخصص سريعة وجدية وكان ملتف باحث يهودي (أبراهام جايجر

لقد سبق أن أشرت في غير موضع ومناسبة إلى أن أهمية هذا النص لا تكمن في أنه قدمت بأنيًا يأبى أن يُقال، أو أنه فاز به جائزة أفضل بحث في الدراسات الإسلامية، بل لأنه وضع به أسس منهج البحث للذين للتالين دون أن يحسب لذلك حساب أو أن يزعم بأنه يمهد لعلم سيشق طريقه إلى الجامعات والمعاهد العليا ليس على مستوى ألمانيا وحدها بل على مستوى القارة الأوروبية ومن بعدها العالم جميع.

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في السنة نفسها، أما الطبعة الثانية للكتاب فقد ظهرت في مدينة لايبزيغ سنة 1902 مصحوبة بعنوان: ماذا أخذ محمد عن اليهودية؟

من جهة أخرى لم يكتف الكاتب بتعريف الكل من الدين ... فقد كان يهوديًا يضع عقيدته اليهودية نصب عينيه، لكن الأهم من هذا كله أنه سنّ كتابة بمستوى النص جاء فيه:

1) يأخذ المتأخر من المتقدم والعكس غير صحيح.
2) لا يجوز المقارنة إلا بين موضوعين متجانسين من ... ومتماثلين ... الإسلام واليهودية.
3) لا بد من توافر عنصرين أو أكثر للمقارنة.

إن تصنيف التماثلات (Parallels) يشكل جوهر المقارنة سواء كان ذلك في حقل الأديان والأدب وربما الصحافة والمثقفين وغيره في ما بعد. ولأن القصص النبي ... عليه الصلاة والسلام يحتلان الحيز الأكبر من التراث اليهودي الديني فلا عجب إن انصبّ همّ الباحث على قصص القرآن الكريم في المقام الأول، ومن التشريع في الدرجة الثانية. ولذا سبق أن نسبه ... اليهودي بمعنى الذي في ... حتى أن تنظر إلى البحث بأهمية ذلك العمر وإلى عشرات البحوث التي نسجت على منواله بأغلب التوافق والعلاقات، وإذا لم يزد كتاب (جايجر) على 190 صفحة فقد بلغ كتاب (سباير Speyer) (القصص الكتابي في القرآن) زهاء ... صفحة بدأت بالتكوين (Genesis) في السفر الأول من التوراة، وتلتها قصة آدم والشيطان تنتهي بالقصص ... .

لا ينبغي للمقارنة أن تتخطى الحدود المعرفية الموضوعية إلى مراجعات وكشف حساب بين الأطراف.

ولا تسعف بالذاكرة إلى أن حركة الاستشراق بدأت بداية تبشيرية وكان فرسانها الأولون من القساوسة والرهبان واستمرت كذلك حتى وقت متأخر من القرن الثامن عشر أي إلى حين ظهور المذاهب والتيارات الفكرية لا سيما المذهب العقلي (Rationalism)، فقد أصبح واضحًا أن الاستشراق لم ... الإفادة من التربية في شرح الكتاب المقدس شق ... مناسب لدراسة الأديان عمومًا من الناحية العلمية، وللاهتمام بعلم مقارنة الأديان.

بدأ ... النتيجة الحتمية التي لا تخلو من تهيب عن ... مهم عظيم في ارتباط هذين العلمين أحدهما بالآخر ارتباطا وثيقا، كما أن الشروع فيما يُعد من الأولويات إن لم نقل ... .

بيد أن النتيجة الثانية التي يمكن استخلاصها من هذا العرض، فمفادها القول بأن ... مقارنة الأديان والاستشراق قبله علمان مترابطان خلافًا لكل رأي مخالف، وإنما وُجد أساسا للرد على الإسلام بطابع ... الذي ... مقارنة بالعقائد والأديان الأخرى.

يقوم منهج المقارنة كما ذهب على وجود أشياء وتماثل، وينطبق هذا القول على عدد من العلوم ... التأثر والتأثير أو التصحيف ... بين حدثين متشابهين حسب التركيز على الأسبقية والسمات ... في هذا المنهج، ربما تحدث النقاد عن شيء ... (توارد الخواطر) ... عن

للعقلية كما حدث مع أبي العلاء وكوميديا دانتي الإلهية التي قال عنها البعض إنها تتشابه مع محيي الدين بن عربي ودانتي (د. بيكر، الإسلام في إطار تاريخ الحضارة العامة). وأيًا كان شكل التأثير فالأمر في النص مختلف. وإذا أتى هؤلاء (المبرقة الكهنية) ادعوا على أنه يصح في النص القرآني ما يصحُّ في غيره من خضوع للنقد بوصفه نصًا مكتوبًا. فقد عدّ المدافعون هذه الفكرة بالقول: إن التشابه لو وُجد فإنه يرجع إلى سبب واحد ألا وهو وحدة المصدر.

كان د. محمد عبد الله دراز في مقدمة المدافعين عن استقلالية النص القرآني، وهو متمكن جدًا بالأمور الكبيرة، فما بال الأمور الصغيرة والتفاصيل الدقيقة؟ كتابه (النبأ العظيم). ومثل مالك بن نبي في (الظاهرة القرآنية) فقدم نموذجًا يبرع فيه بإبراز خصائص القصة القرآنية نصيًا وأسلوبيًا وعقديًا من خلال قصة يوسف (عليه السلام)، وبعدت بوجه التقابل التي سبق أن ذكرها العلماء الغربيون، وزعموا أنها مستقاة من العرض التوراتي لحكاية يوسف (ع) [illegible] بصحة يقلب [illegible] النموذج [illegible] البعيد كل البعد عن تماسك النص القرآني القصصي.

أما تيودور نولدكه في كتابه (تاريخ القرآن) فقد عُوِّل كثيرًا على المعرفة، برغم ما اشتهر به من أهمية ملحة في مجال فقه اللغة المقارن.

لقد أشار كعادة الجميع إلى المؤثرات اليهودية والنصرانية وتجمعاتها في شبه جزيرة العرب، وحاول ردّ الكثير من المفردات العربية إلى أصول فارسية أو عبرانية أو حبشية. لكنه بعد هذا فكر أن تكون الألفاظ

بالتحقيق مصطلح المؤلفون تاريخ الهجوم للنظام الذي عرف باسم (Polemic) وكانت عليه ظهور واحد من مظاهر المستشرقين يرجع في الأساس إلى [illegible] الأسطوري تحت عنوان الهرطقة "Heresy" ثم تزايدت محاولات النيل من شخصية الرسول الأعظم ﷺ، واتهامه بالانتحال في ختم الإنجيل حتى ملكت الآن الكثرة ما فيها من تحقير وسباب.

القرآن، لا سيما المتعلقة بالعبادة منها، مستعارة من المعجم اللغوي للديانتين، وقلّل نولدكه من احتمالات الاقتباس بطريق النقل المباشر، وإذا حدث فقد تم بحسب عقائده المتنافية وحدها!!

لقد كانت دعوى المقارنة شديدة شديدة إلى درجة محاسبة الحرف والنقطة والفكرة والتركيب والمعنى والمصطلح، وتحديدًا بأن جملة سوى ذلك العصر يحتمون ويصيبون ويصبون جهابذة الأمة بأنهم زيفوا [illegible] المقالات. دعوا إلى يد القصر في اللغة والانحراف بدلاً من [illegible] إلى شمارة بمجال الشذرات لكن الأكاديميين واللاهوتيين لم يحرروا من هذه الدعوات لأنها صناعية بل سموها بالرومانسية، وهو وصف لا يعمل المنطق غير الجاد.

وبعثت دعوى المقارنة المتصرفة على الأعمال الكبيرة، فدار ثنيها الجغرافية والتاريخية والثقافية للبحث حتى شملت جاهلية العرب ومجوسية الفرس ووثنية اليونان ومقارنة ما بين الرطانين (د. بيكر، الإسلام في إطار تاريخ الحضارة) قرن سجع الكهان وأسلوب العصر الجاهلي إلى مقاطع المهيمنة، إلى أسماء الملائكة كأنها وغيرها الكثير مقتبس [illegible] حتى وقعت المخالفة كما في (يا أخت هارون) على سبيل المثال في الخطاب الموجه إلى (مريم رضي الله عنها) قالوا: لقد أغفلت معلومة تاريخية من محمد [illegible] ليس بينهما جامع زمني، ومن ثم [illegible] هذه [illegible] المنطقة واستنام من تشكيك النص [illegible] إلى [illegible] التهكمات، عظمت [illegible] تصورات تاريخية أكثر سقطًا كما فعل [illegible] في مقالة [illegible] حول أسطورة النبي العربي.

إن الخرافة والحديث عنها لم ينحصر فقط من طرف، وجمعت الاهتمام بها ابعد عهد من الشكل الذي آلت إليه في الخرافة بين نص سكسوني، ولكن ما يستحق أن يوافق به القارئ هو اللبس في التفريق بين الخرافة والأسطورة، فبينما تقتصر الأولى لأنها تستمد من البساطة، نجد في الأساطير تعقيداً واضحاً منها، وقد اهتم بدراستها الأدباء ورجال الدين ورجال الاجتماع، ويزعم أن الدافع من ورائها كان في البداية لأسباب ترفيهية فالأساطير لا تخلو من حكمة وعبرة، وقد عرف الأدب العربي هذا النوع من القصص منذ القدم كما شكل الأساطير الأدبية، وقامت من حوله دراسات ومؤلفات من أشهرها (ألف ليلة وليلة، والسيرة سالم والعصفور، الحيوان) التي تناولها أدباء أعلام مثل ... إلا أن ... والتي يهمنا منها هي الأساطير المتعلقة بالعقائد والأديان التي تتحدث عن الآلهة وعلاقاتها بالطبيعة والإنسان، وتتحدث عن بدء الخليقة ونهاية حياة الأفراد، من ذلك أن بعض القبائل الأفريقية تروي أن الله وزوجه وأولاده كانوا جالسين على قمة جبل، لكن بعض الأبناء ارتكب معاصي فغضب الله عليهم وطردهم إلى الأرض بينما صعد هو إلى السماء.

وفي تفسير النشأة البشرية تقول الأساطير الناتجة أن الإنسان نبت من الأرض أو أنه جاء في عود ذي غصنين من قصب السكر، إحدى الغصنين تمثل الذكر والأخرى تمثل الأنثى، ومن هذين الغصنين جاء الإنسان الأول ثم تكاثر بالطريقة الطبيعية.

ومن الأساطير التي يتناقلها الزنوج في الكونغو أن الله كان يعيش في وسط أفريقيا، وكان له ثلاثة أبناء أبيض وزنجي وغوريلا، فارتكب الزنجي والغوريلا آثاماً فطرد الله ابنه الأبيض وكل ما كان لديه من ثروة وأتى به عربياً، في حين حمل الابن الغوريلا أطلق العنان في وسط الغابة.

وقد اختلف علماء الاجتماع وعلماء الأجناس حول معتقد الدين، فمن قائل بوجود أرواح في الجمادات من الأحجار والنباتات أو أرواح بدون وجود جسم يحتويها، وقاد هذا الاعتقاد إلى أن ظواهر الطبيعة من ريح وأنواء ورعد وبرق كلها من عمل هذه الأرواح، ثم أعطوا آلهة لهذه الظواهر تختص كل إله منها بعمل، وكانت تلك خطوة أولى نحو التوحيد وهذا رأي ... أما الفيلسوف الإنجليزي سبنسر فيرى أن الدين نشأ أولاً عن عبادة الأسلاف، أي أنه تقدم عبادة الطوطم والطقوس على عبادة الأرواح، بمعنى أن الناس عظموا أشخاصاً بسبب ما قاموا به في حياتهم، أكبارهم لهم إلى درجة العبادة، فألهوهم وخصوهم بمنزلة أسمى بعد موتهم، وأتى ذلك يرجع لكبار بعض القوى ورهبتهم بعد موتهم والتماس العون منهم.

> يقوم مبدأ الطوطمية كما رأينا على وجود أشياء وظواهر وينطبق هذا القول على عدد من العلوم، وفصل التأثر والتأثير أو التغيير والتلاقي بين حقائق متشابهة بين حركات الأساطير والحضارات الكبرى لتقدم العلم

وفريق ثالث (وليم شميت) وهو أب كاثوليكي فقد قرر أن الدين بدأ أولاً بعبادة إله أسمى ثم حصل التعدد ممثلاً في الجمادات والأشجار، لكن رأيه رد لعدم ... نظريات سبنسر وداروين لم تكن الوحيدة التي استمد في ... اللذين، بل ... والأنثروبولوجيا الحديثة عموماً.

وخلاصة القول فإن دراسة حياة البدائيين والأساطير بعامة جاءت بنتائج ذات وجهين، فمن جهة صدقت على كثير مما جاءت به الأديان السماوية، ومن جهة أخرى فتحت إلى أفكار الإلحاد وإنكار الدين، أما ما يتصل بجانب الإيمان فهو:



1- أن الدين لازم الإنسان في كل أمور حياته خلافاً لمن قال إن الإنسان مضى من العمر حيناً لم يعرف الدين فيه، وأنه – أي الدين – عَرَض لظروف خاصة من ضعف الإنسان [illegible].

2- شاعت بين الناس على اختلاف مواقعهم وأجناسهم معلومات تتقاطع مع قصة الطوفان التي جاء بها القرآن والتوراة من جهة ومع ما يشبهها لدى قدماء [illegible] مما دعا بعض الباحثين إلى القول بأنها حدثت في العراق بسبب كثرة الفيضانات في [illegible] التاريخ، فلما تبين أن القصة تداولها الهنود الحمر في أمريكا وبين [illegible] المحيط الهادئ والأطلسي المنقطعة وسكان أستراليا الأصليون، اعتبر ذلك [illegible] في كتب [illegible] ونقضاً للاستنتاج السابق.

والسؤال هو: هل أثرت هذه الاكتشافات والمقارنات على مكانة الإسلام وكيف تجلى ذلك التأثير إن وجد؟

في سنة 1873 ألقى د. ماكس مولر محاضرة في كنيسة وستمنستر ذكر فيها أن الديانات الكبرى ست ديانات، منها ثلاث ذات رسالة تدعو الناس إلى الدخول فيها وهي البوذية والمسيحية والإسلام، وثلاث ليست بذات رسالة وهي البرهمية واليهودية والزرادشتية [illegible] على هذا التقويم [illegible] الإسلام في نظر جميع الباحثين أرقى الديانات والعقائد لإيمانه بإله واحد [illegible] الإله ليس بذي جسم ولا يشبه المخلوقين وهو قادر على كل شيء، وهو عادل كل العدل لا يحابي فرداً على فرد ولا جنساً على جنس ولا يحاسب فرداً على فعل ارتكبه سواه، وهو رحيم عليم لا يعجل الناس بالعقوبة ويحاسبهم أمامه بعد البعث يوم القيامة، وكذلك كان الإله أبعد عن صفات المخلوقة [illegible] كان هذا التصور [illegible] صفات الألوهية في الإسلام غير موجودة في الديانات الأخرى، وهو رب الكون كله لا إله [illegible] وليس رباً لطائفة خاصة، كما هي الحال في العقيدة اليهودية!!

إن جميع المقارنات التي أجريت لا تمثل الكلمة فيها في [illegible] المفاهيم الألوهية السابقة في الأعماق، ومع ذلك فلا ينبغي للمقارنة أن تعطى الدور العلمي [illegible] إلى [illegible] وكشف [illegible] بين الأطراف.

الكلمة الطيبة هي [illegible] النهائية من الدين، وإذا انتهى هذا الغرض وغابت الدعوة إلى الله حرباً بين [illegible] والأحياء، فالخير كل الخير أن نتأكد ألا [illegible] أصحاب العقائد [illegible] حقاً كانت أو باطلة.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة القصص، الآية 56)

المسيحيون الفلسطينيون في مواجهة الاحتلال

د. حسن الباش *

ضرب التعايش الإسلامي - المسيحي في فلسطين مثالاً يحتذى في العلاقات الأخوية والتعاون والتكاتف في مواجهة العدوان الخارجي والذي يمتد منذ زمن بعيد جداً.

وبعد الفتح الإسلامي لفلسطين وتحررها من ربقة الاستعمار الروماني تمسك الشعب الفلسطيني بعروبته وثقافته وهويته ولم يكن المسيحيون الفلسطينيون أقل فعلاً من المسلمين في ترسيخ الهوية العربية ورفض الهيمنة الأجنبية أياً كانت. ولعل فتح القدس صلحاً أيام الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان له أكبر الأثر في جعل الشعب الفلسطيني متمسكاً بهويته محافظاً على استقلاله السياسي والحضاري عن جميع المستعمرين الذين استعمروا فلسطين وحاولوا حرف أهلها عن انتمائهم العربي.

ولعل ما يلفت النظر في الكتاب الذي كتبه الخليفة عمر لأهل القدس تضمن فقرات جاءت بناء على طلب من أهل القدس وفلسطين وأهمها خروج العناصر الرومانية من القدس إلى غير رجعة، إضافة إلى عدم وجود اليهود في المدينة.

وتجمع مصادر التاريخ على أن أهل فلسطين من العرب هم من حملوا مسؤولية الدفاع عن المدينة المقدسة والدفاع عن المسيح - عليه السلام - في مواجهة التلفيقات والتشويهات اليهودية والرومانية.

وقد أجمع مسيحيو فلسطين على أن الفتح الإسلامي كان محرراً وأن المسلمين كانوا محررين للمسيحيين الفلسطينيين لأنهم كانوا مضطهدين من الرومان في ذلك الوقت. ورداً على التشويهات التي يبثها بعض الغربيين حول المسيحية في فلسطين يقول الأب عطا الله حنا الناطق باسم الكنيسة الأرثوذكسية في القدس: المسيحية في فلسطين ليست مستوردة، وإنما هي رسالة انطلقت في هذه الأرض المقدسة. انطلقت من فلسطين، وتحديداً من بيت لحم، ومن القدس ومن باقي المدن والبلدات التي حل فيها السيد المسيح على هذه الأرض المقدسة.

ومن المعروف أن الكنيسة الأرثوذكسية تحتفظ بالعهدة العمرية إلى هذا الوقت في محفوظات كنيسة القيامة في القدس.

وعلى ما جاء في هذه العهدة لنفتح الباب على مصراعيه أمام العرب النصارى فلم يشعروا بأن أيام الفتح الإسلامي فرقاً بينهم فالتقى المسلمون والنصارى في فلسطين انسجاماً لم تشهده كثير من المدن أو البلاد.

ونقتطف مما جاء في هذه العهدة على سبيل التمثيل

* كاتب وباحث سوري

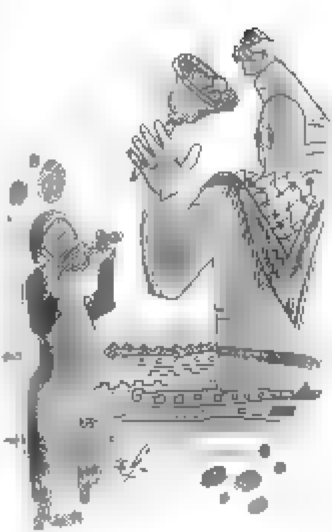
الصريح من جانب العرب النصارى في فلسطين وعطف ما لقي من أثر بالغ على نفوسهم هذا.

أورد الطبري في تاريخه نص هذه المعاهدة كالآتي:

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يُكرهون على دينهم ولا يُضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود. وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت (اللصوص). فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم. ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية. ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصُلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية. ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم. وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية. شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان وكتب وحضر سنة خمس عشرة)

فهذه العهدة التي قدمها الخليفة عمر - رضي الله عنه - تشهد شهادة أن الإسلام دين تسامح وليس دين إكراه، وهي شاهد عدل بأن المسلمين عاملوا النصارى الموجودين في القدس معاملة لم تقتصر على ظلمهم. إن الخليفة عمر وهو الفاتح كان يستطيع أن يفرض عليهم ما يشاء وأن يجبرهم على ما يريد ولكنه لم يفعل لأنه كان يمثل الإسلام.

والإسلام لا يكره أحداً على الدخول فيه ولا يقبل من أحد إيماناً إلا عن طواعية وقناعة. فالإيمان ليس شيئاً يُجبر الناس عليه لأنه من عمل القلوب، والقلوب لا يعلم



ما يحب إلا الله سبحانه وتعالى، أكد للمسلمين أن يعطوا الناس حرية العبادة ويؤمنوهم على كل عزيز لديهم على أن يعيشوا بين المسلمين ويؤدوا الجزية مقابل حمايتهم والدفاع عن مقدساتهم وممتلكاتهم.

ومن اللافت للنظر أن الخليفة عمر - رضي الله عنه - تنبه لوجود عنصرين غريبين عن القدس وهما عنصر الروم وعنصر اليهود، وقد ضمن العهدة ما طلبه أهل القدس من عدم السماح لليهود بمساكنة أهل القدس، أما عنصر الروم فشيء آخر، [illegible] التي اتخذت الطبقة الحاكمة في البلاد شكلا من ظلم وعسف الروم، وقد اتفق الخليفة معهم على أن يرحل الروم عن البلاد باعتبارهم غرباء مستعمرين.

وقد ضمنت العهدة العمرية استمرار الأمن والأمان لمسيحيي فلسطين طوال ألف وأربع مئة سنة وإلى يومنا هذا، ولذلك السبب فإن الروم الأرثوذكس لا يزالون يحتفظون بنص العهدة العمرية الأصلية في كنيسة القيامة.

تجمع مصادر التاريخ على أن أهل فلسطين من العرب هم من حملوا مسؤولية الدفاع عن العقيدة النصرانية والدفاع عن المسيح - عليه السلام - في مواجهة المخططات والمؤامرات اليهودية والرومانية

المسيحيون الفلسطينيون في مواجهة الاحتلال

منذ بدأ الاحتلال البريطاني لفلسطين عام 1917 مسيحي، بدأ النضال الفلسطيني يأخذ مجراه بجده ونضاله إلى أن قامت هبة البراق ومن ثم ثورة القسام رحمه الله.

وكان للمسيحيين الفلسطينيين ما كان للمسلمين من شرف المشاركة ضد الاحتلال البريطاني والغزو الصهيوني.

فالأب إبراهيم عياد يقول: بريطانيا دائماً كانت منحازة إلى الصهيونية والصهاينة، بريطانيا كانت ضد العدالة ضد حقوق الشعب الفلسطيني، ولذلك فإن بريطانيا ليست مسيحية، أنا لا أعتقد بأن بريطانيا مسيحية بل هي صهيونية وسياستها صهيونية.

كذلك كان للمسيحيين دور ريادي في القتال ضد العدو المحتل، وفي ثورة 1936 مسيحي، قاتلت [illegible] مسيحية بجانب القائد المرحوم الحاج أمين الحسيني، يقول فؤاد كوكلي: المسيحيون كان لهم دور ريادي منذ أن نشأت القضية الوطنية منذ مائة عام، فأيام ثورة 1936 مسيحي كان قادة مسيحيون جنباً إلى جنب مع الحاج المرحوم أمين الحسيني، وقد قاتل معه الشهيد عبد القادر الحسيني، وكان ممن شاركوا في القتال الأب [illegible].

ويقول الأب إبراهيم عياد: كان بيني وبين ابن كاظم باشا الحسيني الذي كان وقتها رئيس بلدية القدس، وقد تعاون مع بطريركية اللاتين لحماية بطريركية الروم الأرثوذكس، وأنا جاء عرفات مع الشهيد [illegible] إلى بيروت فتش عني حتى التقيت وطرح علي الكفاح المسلح فلبيت وقلت لهما على بركة الله أنا معكما.

ويقول فؤاد كوكلي: نحن العرب المسيحيين نعتز ونفتخر أننا جزء من هذا الشعب وأننا جزء من هذه الثقافة العربية الإسلامية لأن [illegible] الثقافة والتنشئة هو إسلامي عربي ونحن نعتز بها ونتجاوز [illegible] الأرض وابن الوطن وابن الشرق، ولن يكون التنازل في يوم من الأيام للغرب المسيحي بأي حال من الأحوال.

المسيحيون الفلسطينيون في نظر قادة إسرائيل ومنظماتها الإرهابية

منذ عام 1948 مسيحي تعرض المسيحيون الفلسطينيون للقمع والقتل والتدمير، وقد حاول الصهاينة أن يلعبوا على وتر الطائفية لإثارة مشاكل بين أبناء الشعب العربي الفلسطيني من مسلمين ومسيحيين.

واستخدم الصهاينة أساليب عدة بغية إثارة الطائفية ما بين المسلمين والمسيحيين، ومن هذه

الأساليب تشويه صورة موقف الإسلام من النصرانية وسبيه أيضاً إثارة موضوع الأقلية والأكثرية وأن الأكثرية المسلمة تريد أن تضطهد الطائفة الأقل وكنموذج لهذه الأساليب الفرقية كتب المستشرق الصهيوني باخور في صحيفة يديعوت أحرونوت مقالة بتاريخ 2003/3/3 ميسيحي تحت عنوان «المسيحيون خسروا في السباق الديموغرافي والسياسي مع المسلمين في البلاد» وهم يحرصون إلى حضن الصهيونية هرباً من عواقب الهيمنة السالفة لديهم، وجاء المقال تعقيباً على ما حدث من نزاع في الناصرة حول بناء مسجد شهاب الدين

قال هذا المستشرق الصهيوني من المفارقات أن المشروع الصهيوني الصهيوني بالذات هو الذي يهمش ويدافع عن مقدسات المسيحيين في أرض إسرائيل من الإسلام السياسي ويصبح في العقد الأخير المعقل للمسيحيين على نحو شبه تام من قيادة عرب إسرائيل والعالم العربي في البلاد هم أقلية متفرقة ويقبع مع هامش العمل السياسي والاجتماعي ويتقوى بكل قوة بعباء عاملة في بيت جالا وبيت لحم وبعد ساعتين أفرغت في الانتفاضة الأخيرة من سكانها المسيحيين الذين كانوا قد عانوا من قبل ضغط استفزازات الإسلاميين، وللمقال شخص معنون بالتحريض غير المباشر لإشعال نار الطائفية بين المسلمين والمسيحيين، ولقد لقيه المسلمون والمسيحيون تلك اللقمة التي صنعت بأيدي إسرائيل والولايات المتحدة ويرى بعض الشخصيات المسيحية أن الطرف الإسرائيلي يصب الزيت على النار حتى لا يتم حسم القضية ومن ثم كان القرار من شارون بإشعال ما كان يمكن الوصول إليه وتقول نائلة ترفي نهاد مسيحية على المسجد حسبما أدركه الحكومة الإسرائيلية أنها فشلت في دفع الناس لدفع بعضهم حاولت أن تتفاعل عن وسائلة يبث بها محللو الطائفتين حل المشكلة لكن الناس تماسكوا، وكثير منهم قالوا

> **سياسة الكيان الصهيوني تريد أن تظهر نفسها أمام العالم الغربي بأنها تحمي المسيحيين في فلسطين بينما هي تمارس ضدهم أبشع أنواع القهر والعسف والمطاردة والتضييق والتثبيت**

نحن كنا ضد أن يُبنى الجامع ولكن على الناس أن يعودوا إلى حب بعضهم بعضاً

وإذا كان الصهاينة يحاولون الإشعال بين الدولة تقف إلى جانب المسيحيين وتحميهم بحسب ادعائهم من الأكثرية المسلمة فإن الوقائع تشير إلى أن الاضطهاد الصهيوني هو واحد على كافة أبناء الشعب الفلسطيني ولعل سياسة الكيان الصهيوني بالنسبة للمسيحيين الفلسطينيين تقوم على وجود متلاطمين تماماً، فهي تريد أن تظهر نفسها أمام العالم الغربي بأنها تحمي المسيحيين في فلسطين بينما هي تمارس ضدهم أبشع أنواع القهر والعسف والمطاردة والتضييق والتثبيت

الممارسات الصهيونية ضد المسيحيين الفلسطينيين

لم تكن ممارسات الصهيونية ضد مسيحيي الفلسطينيين جديدة فهي منذ عشرات السنين تعمد على الأرض وتراوح بين سياسة التهجير والقتل والتشريد والاعتقال

في عام 1953 مسيحي وبعد قيام دولة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين أقدمت قوات الاحتلال على الاستيلاء على أملاك قريتي إقرث وكفر برعم وجميع أهالي القريتين من المسيحيين الفلسطينيين الموارنة وطردت القوات الإسرائيلية أهالي القريتين منها

وكشاهد على ما حل في قرية كفر برعم للجليلية يقول الفلسطيني المسيحي براهيم عيسى وهو من القرية: طلبت الحكومة بعيداً عن القرية على أمل أن نرجع إليها بعد 15 يوماً لم نستطع أن نعود منذ سوى بضعة أشياء وبعد فترة وجيزة بدأت قوات الاحتلال بناء مستوطنة على أرض القرية الزراعية التي بلغت 12 ألف دونم، طالبت السلطات بإرجاع بعض الأراضي فرفضوا وقلنا لهم يرجعوا لنا مساحة ألف دونم من التي صادروها فرفضوا أيضاً، ويقام

الرد. بل قلعت الجرافات بعنف كل بيوت القرية ولم يبق منها حجر على حجر إلا بناء روماني قديم يستخدمونه ككنيس مدعين أنه أقيم على اسم يهودي. يقول السيد إبراهيم عيسى: مفاتيح بيتنا ما زالت موجودة معي عمرها أكثر من 400 سنة جداً بعد جدي وإن شاء الله سنعود ونعود الأرض حتى نعمرها من جديد. وإلا لم نعد إلى بيتي فأنا وصيت أولادي أن يدفنوني هنالك في القرية وإن لم يرجع بيتي فلا بد أن يعود جسدي.

هذا ما كان حتى قرية كفر برعم وقرية إقرث اللتين هُجر أهلهما منذ أكثر من نصف قرن ولم يعودوا إليهما حتى الآن.

أما ممارسات الأخرى التي استخدمتها القوات الإسرائيلية ضد الفلسطينيين المسيحيين فهي كثيرة جداً تبدأ بالاعتداء على الكنائس والأديرة وسرقة الآثار ولا تنتهي عند القتل والتصفيات المقصودة.

يذكر السيد قسطنطين قرمش عام 1993 مسيحي وكان وقتها الرئيس الروحي لدير الأرثوذكس في القدس أنه عام 1922 مسيحي كان في فلسطين 148 دير وكنيسة لم يبق منها عام 1993 مسيحي إلا 48 كنيسة و47 دير.

يقول فؤاد كركلي: نحن العرب المسيحيين نعتز ونفتخر أننا جزء من هذا الشعب وأننا جزء من هذه الثقافة العربية الإسلامية لأن حضارتنا والمشرق هو إسلامي عربي، ونحن نعتز به، وانتماؤنا هو لهذه الأرض ولهذا الوطن ولهذا الشرق ولن يكون التنازل في يوم من الأيام للغرب المسيحي بأي حال من الأحوال.

فقد هدمت سلطات الاحتلال عشرات الكنائس في العديد من القرى والمدن الفلسطينية التي دمرت في عام النكبة عام 1948 مسيحي فور خروج أهلها منها مثل كنيسة البصة وكنيسة الشجرة. وفي 1992/7/23 مسيحي هدم الإسرائيليون كنيسة القديسة بيلاجيه في جبل الزيتون وهدموا دير شمار والكنيسة التي في تحتاله على طريق بيت لحم - الخليل.

وصادرت السلطات الإسرائيلية العديد من الكنائس والأراضي التابعة لها مثل كنيسة المسكوبية وكنيسة إقرث وأراضي كنيسة البصة المهدومة، كما صادرت السلطات الإسرائيلية على كنيسة الأرثوذكس في حيفا ومنعت إقامة الصلاة فيها ثلاث سنوات، وبعد إعادتها للمسيحيين الفلسطينيين أخذ المتطرفون اليهود يلقون القاذورات على رؤوس المصلين كما حدث في القداس الاحتفالي الذي أقيم برعاية أسبيريدوس مطران الناصرة في العام 1981 مسيحي. وصادرت السلطات الإسرائيلية الكنيسة المسكوبية في الناصرة. وفي القدس تمت مصادرة أرض تابعة للكنيسة الروسية وبُني عليها مخفر شرطة في عين كارم. وفي عام 1941 مسيحي صادرت السلطات الإسرائيلية عقارات وأملاك مجلس الملي الأرثوذكسي في حيفا وأجرتها السلطات إلى اليهود بأجور زهيدة. وتعرضت كنائس كثيرة للسرقة من جانب عصابات يهودية، ففي عام 1968 مسيحي قامت عصابة بسرقة الإنجيل الذهبي وأيقونة العذراء مريم وتاجها الذهبي من كنيسة القيامة في القدس.

وفي عام 1978 مسيحي سرقت بعض الصلبان النحاسية والفضية والأيقونات الثمينة والأواني المقدسة من كنيسة الكاتدرائية الروسية في القدس. وفي عام 1979 مسيحي اقتحمت مجموعة يهودية الكنيسة الروسية في يافا وسرقت العديد من موجوداتها، وفي عام 1984 مسيحي تم تكسير أبواب ونوافذ الكنيسة الروسية في منطقة طبريا ونهب محتوياتها.

ويجري التدمير للمقابر المسيحية منذ 1948 مسيحي وقامت الجرافات بحفر القبور وتحويلها إلى حقول وبيارات مثل مقابر سيريون وحلول القصرة ومقبرة المنصورة التي حولت إلى مزبلة.

وتعرضت كنائس أخرى للحرق المتعمد فقد قامت عصابة يهودية بحرق الكنيسة المعمدانية في مدينة القدس بما فيها مكتبتها وذلك بتاريخ 1982/11/8 مسيحي وفي عام 1987 مسيحي اعتقلت مجموعة من

أنصار الحاخام المصري مائير كاهانا على الكنيسة الأسقفية الانجيلية في عكا واحرقوا محتوياتها وأثاثها ومن ضمنها كتاب الانجيل وكتبوا على جدرانها: كاهانا ملك اليهود

وفي يوم 18/3/1993 مسيحي، أضرم متطرف يهودي النار بسكب البنزين داخل كنيسة الجثمانية في القدس، وعندما اعترضه كاهن الكنيسة رشه أيضاً بالبنزين محاولاً إحراقه

وفي يوم 24/5/1995 مسيحي، أحرق متطرف يهودي الباب ... في كنيسة القديس أنطونيوس بيافا. إضافة إلى ذلك يقوم المتطرفون اليهود بممارسات لا أخلاقية كثيرة بحق الأماكن المقدسة المسيحية، فعلى سبيل المثال قامت مجموعة من المتطرفين اليهود في العام 1987 مسيحي، بالتبول والتبرز في مواضع كثيرة داخل دير الصليب بالقدس، الأمر الذي أدى إلى بطلانه تسمية شهود أمام الزوار اليهود احتجاجاً على هذه الاهانات

احتفال علني برعاية جمعية يهودية تدعى باء لاحيم بد تلاحوة. وفي عام 1983 مسيحي قتلت راهبتان بوسيفان في عين كارم بالقدس، كما تعرض عدد من رجال الدين المسيحي للنفي خارج البلاد، واعتقل عدد آخر منهم، تعرضوا خلالها لأنواع مختلفة من التعذيب والإهانات، وكان على رأس المطلوبين المطران كبوجي الذي كان بطريرك القدس لطائفة الأرثوذكسية بحجة مقاومة الاحتلال، ثم نُفي من فلسطين لكنه ظل يواصل نضاله على الرغم من أن الكنيسة الأرثوذكسية عينته بطريركاً في البرازيل لإبعاده عن ساحة الصراع في فلسطين مع المحتل الصهيوني

تعرض عدد من رجال الدين المسيحي للنفي خارج البلاد واعتقل عدد آخر منهم تعرضوا خلالها لأنواع مختلفة من التعذيب والإهانات وكان على رأس المعتقلين المطران كبوجي الذي كان بطريرك القدس لطائفة الأرثوذكسية بحجة مقاومة الاحتلال

وفي يوم 19/12/1987 مسيحي، أطلق جنود الاحتلال النار على الشباب المصلين بعيد القديس نقولا في كنيسة بيت جالا مما أدى إلى إصابة عدد منهم بجراح. وفي نهاية 1990 مسيحي، أطلق جنود الاحتلال قنابل الغاز داخل كنيسة بيت جالا في احتفالات عيد الفصح الأمر الذي أدى إلى حالات اختناق عديدة وسط المصلين.

اعتداءات على رجال دين مسيحيين.

عام 1948 مسيحي، قُتل راهبان أرثوذكسيان في القدس على أيدي عصابات يهودية، كما قتل طالب لاهوت أرثوذكسي في دير القطمون بالقدس على أيدي يهود. وفي العام 1979 مسيحي، قامت مجموعات يهودية متطرفة بتغطية جدران ومحلات بيع الكتب والمباني البطريركية المسيحية برسومات الصليب المعقوف وشعارات مثل: أيها المبشرون النصارى عودوا إلى بلادكم. كما تلقى رجال الدين المسيحي رسائل تهديد وقام المتطرفون اليهود بالبصق والشتم عليهم في الشوارع. وفي عام 1979 مسيحي، ذُبح الأرشمندريت فيلومينوس في الدير الأرثوذكسي في مدينة نابلس على أيدي يهود. وأحرق يهود متطرفون في العام 1980 مسيحي مئات من نسخ الانجيل في

سياسة القتل مستمرة

كريستين سعادة من بيت لحم، عام 2003 مسيحي كانت الفلسطينية الشابة تتنقل مع والدها ووالدتها وشقيقتها في سيارتهم وبدون سابق إنذار صب الجيش الصهيوني جام غضبه على السيارة وبدأ إطلاق النار من كل الاتجاهات، وأوقف الأب السيارة وراح يتفقد زوجته وابنتيه لكن كريستين كانت قد فارقت الحياة بسبب الرصاص الذي اخترق رأسها

الحصار الإسرائيلي لكنيسة المهد

في ذروة الانتفاضة الفلسطينية اقتحم الجيش الصهيوني المدن الفلسطينية كلها وكان لبيت لحم نصيبها من هذا الاقتحام.

ويروي الأب إبراهيم خلف قصة حصار كنيسة المهد الذي دام تسعة وثلاثين يوما فيقول: لقد بدأ الحصار على الكنيسة بأن التجأ أن أفضل مأوى لهم من القتل الصهيوني المتعمد والاعتقال هو كنيسة المهد. دخل 240 شخصا إلى الكنيسة، وكانوا كلهم من المسلمين باستثناء أربعة مسيحيين.

كان أول من قتله الصهاينة المسيحي الفلسطيني سمير سلمان، قارع أجراس الكنيسة، كان يعمل في الكنيسة منذ حوالي خمس وثلاثين سنة. يعني موجود في الكنيسة لا ساحة، يقول عنه السيد إبراهيم: حتى قارع الأجراس كان إنساناً بسيطاً حاول أن يستنجد كي يخرج إلى باب الكنيسة فقنصه جنود الاحتلال النار عليه فقتلوه ثم بقيت جثته بعد أربعة أيام تدفن في ساحة الكنيسة.

وكان الطفل جوني ثلجية يلعب في ساحة الكنيسة فأطلق الجنود الصهاينة النار عليه فأردوه قتيلا.

ثم قتل الجنود عاطف عبيد وعبد الله أبو الحزرة وغيرهما ممن دافع عن كنيسة المهد وبيت لحم ومساجدها، وتلاحم الفلسطينيون مسيحيون ومسلمون في دفاع عن مقدسات فلسطين.

إضافة إلى سياسة القتل والإبادة التي تقوم بها سلطات الاحتلال الصهيوني فإنها تتدخل باستمرار في شؤون الكنيسة الداخلية على الرغم من الاتفاق الدولي الموقع مع الفاتيكان. وقد عمدت سلطات الاحتلال إلى تعيين رؤساء للكنيسة من المقربين لها. وعلى مدى شهرين ماطلت حكومة الكيان الإسرائيلي تعيين أي رئيس كنسي ذي ميول وطنية وقومية ومتعاطف مع القضية الفلسطينية. وكان من هذه التدخلات رفض سلطات الاحتلال تعيين بطرس معلم مطراناً للكنيسة الأرثوذكسية اليونانية والضغط على رجال الدين المسيحي من أجل التنازل لشخص غير مؤهل دينيا، وفرضت سلطات الاحتلال إجراءات منذ العام 1967 مسيحي، أصلت بموجبها حق حراسة الكنائس المسيحية للشرطة الإسرائيلية الأمر الذي أدى إلى سرقات جديدة ومحاولات إحراق للكنائس، ومثل هذه الحوادث لم تكن موجودة في الفترات السابقة. وعلى مدار أكثر من عقدين من الزمان حرمت سلطات الاحتلال دخول المسيحيين إلى مدينة القدس وإقامة شعائرهم الدينية والمشاركة في الاحتفالات الدينية، تماماً مثلما تفعل مع المسلمين حين تمنعهم من الصلاة في المسجد الأقصى وتمنع الإجراءات الإسرائيلية المسيحيين المقيمين في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة من المشاركة في الاحتفالات الأمر الذي يعد انتهاكاً لأبسط حقوق الإنسان في ممارسة شعائره الدينية. ولا بد من أن نشير هنا إلى أن سلطات الاحتلال دفعت بعض الشركات السياحية إلى إقامة فنادق أطلق عليها بيت لحم الجديدة شمال مدينة بيت لحم مهد المسيح تهدف إلى سرقة السياح والأموال للضرر بالصناعة السياحية في مدينة بيت لحم.

> هنا على مدى شهرين ماطلت حكومة الكيان الإسرائيلي تعيين أي رئيس كنسي ذي ميول وطنية وقومية ومتعاطف مع القضية الفلسطينية

ويقوم الإسرائيليون بإعطاء معلومات مزورة إلى السياح الأجانب الذين يزورون الأديرة والكنائس ويعملون على قلب الحقائق وتشويه العقيدة المسيحية والجدير بالذكر أن السياسة الإسرائيلية تعمد إلى الاستئثار بالسياحة الدينية في الأراضي المقدسة من خلال طمس معالم الدينية الإسلامية والمسيحية من مساجد وكنائس ومعابد ومقابر. ومن ما يجري في الناصرة من تأجيج الصراع بين المسلمين والمسيحيين في ما عرف بقضية مقام شهاب الدين وإقامة مستوطنة هارحوما فوق جبل أبو غنيم على مشارف بيت لحم وتحويل السياح القادمين للأماكن الدينية إلى الفنادق الإسرائيلية في القدس الغربية والاعتداءات المتكررة على المسجد الأقصى والحرم الإبراهيمي في الخليل تصب جميعها في الأهداف الإسرائيلية الرامية إلى تهميش الوجود العربي

الإسلامي والمسيحي في الديار المقدسة وتحرير الوجود الإسرائيلي في فلسطين

مواقف المسلمين تجاه أبناء وطنهم من المسيحيين

في مواجهة السياسة الإسرائيلية الهادفة إلى تشويه مواقف المسلمين من المسيحيين ظل المسلمون والمسيحيون متمسكين إلى اليوم بالعهدة العمرية التي حفظت للمسيحيين كنائسهم وصلبانهم ورهبانهم وقد تتابع السلاطين والخلفاء على حماية مفاتيح الكنيسة وأملاكها، ويعملون على حماية بطاركتها ورجال دينهم خاصة في المناسبات الدينية الرسمية وذلك بتعيين قواسين مسلمين عُرفوا بالقواسين يحرسون البطاركة ورجال الدين والمسيرات في تقليد ظل مستمراً حتى اليوم.

وكان من بين هؤلاء القواسين المسلمين القواس يدعى خالد العمري، وكانت مهمته الدائمة حراسة بطريرك الأرمن من السريان والروم واللاتين، وكل بطريرك يريد التنقل أو السفر يحميه قواس. ويقول خالد العمري إنه مسلم لأن كل القواسين كانوا من المسلمين من أيام [illegible] لحد اليوم.

ويقول عيسى [illegible] وهو مسيحي أصبح قواساً علاقتي بخالد مثل علاقة الأخوة إن بي علاقة أخوة واحترام بخالد لأنه أخ لي نأكل في صحن واحد وكنيسة القيامة يحمل مفاتيحها مسلمون والسبب أن الطوائف المسيحية تتنازع على هذه المفاتيح فتتفق الجميع على أن تكون المفاتيح مع شخص مسلم.

والذي يتولى اليوم فتح مفاتيح كنيسة القيامة السيد عبد القادر جودة وعائلة [illegible] منذ أيام صلاح الدين [illegible] خلافات بين الطوائف المسيحية فاقترحوا أن تكون المفاتيح بيد مسلم من عائلة مقدسية عريقة وصلاح الدين سلم المفاتيح للشيخ عبد الله بن [illegible] الذي نقل للقبيلة مع صلاح الدين، وقد ورث المسلمون المفاتيح أباً عن جد حتى يومنا هذا. ويقول عبد القادر وأنا اليوم أمين المفاتيح وأنا أعرف كل بلاطة في كنيسة القيامة [illegible] لأي طائفة فإنني [illegible] نحن نشهد أن هذه المنطقة للأرض وليست للروم الأرثوذكس مثلاً [illegible] المفتاح الذي نحمله يعود إلى السلطان سليمان خان القانوني الذي بنى سور القدس ويعني المفتاح القديم الذي يعود إلى عهد السلطان صلاح الدين.

واليوم المسؤول عن فتح كنيسة القيامة هو السيد وجيه نسيبة وتتعلق المسؤولية عن فتح وإغلاق الكنيسة من زمن صلاح الدين في عائلة نسيبة بحدود الممارسة [illegible] عثمانية لغير ذلك العائلة

> على مدار أكثر من ثلاثين من الزمان عرقلت سلطات الاحتلال دخول المسيحيين إلى مدينة القدس وإقامة شعائرهم الدينية والمشاركة في الاحتفالات الدينية، تماماً مثلما تفعل مع المسلمين حين تمنعهم من الصلاة في المسجد الأقصى

وقد حارب الأب [illegible] عام 1976 مسيحي [illegible] من يحتفظ بمفاتيح الكنيسة [illegible] وعلاقتها بين الكنيسة الأرثوذكسية أصرت على بقاء المفاتيح وكذلك فتح وإغلاق الكنيسة بيد عائلتين المسلمتين نسيبة وجودة.

ومن مظاهر الأخوة الراسخة بين المسلمين والمسيحيين الفلسطينيين يقول فؤاد [illegible] بلدية بيت ساحور قيام الإخوة من التنظيمات الإسلامية بتوزيع الحلوى على المسيحيين احتفالاً وتهنئة لهم بالأعياد المسيحية وقد [illegible]

ويقول السيد جورج سعادة [illegible] مسلمون ومسيحيون في فلسطين [illegible] للتآخي [illegible] وطني [illegible] عمرنا نعيش مع بعضنا بعضاً نشارك في لقمة العيش ونتشارك بأفراحنا وأحزاننا [illegible] السيدة [illegible] سليمان من أسرة السيد سمير سلمان [illegible] الكنيسة التي [illegible] قوات الاحتلال [illegible] مسلمات ومسيحيات تربين مع بعضنا [illegible] في البيوت ولا نشعر بأي فروق بيننا

أما المسيحية ... فتحول الصهاينة يتظاهرون بأنهم يفضلون المسيحي على المسلم وكل ذلك من أجل إحداث فتنة ومن أجل أن يكره المسلم المسيحي وبالعكس. لكنك تكتشف أنهم يحاولون ... مع بعض.

ويقول السيد يعقوب جرابسة: ملكت ست سنين ... عام 2000 مسيحي، قصفته قوات الاحتلال بثلاثة مدافع، المدفع الأول خرق الجدار وفتح ثغرة كبيرة، والمدفع الثاني حرق البيت بما فيه وبعد ذلك هربت من النار.

أما زوجته هلة جرابسة فتقول: ضرب الصهاينة ... الدار ... معه خيط بيرة.

هجرة المسيحيين الفلسطينيين بسبب الاحتلال

وتستمر محاولات الكيان الصهيوني لتهجير المسيحيين والمسلمين عن أراضيهم خاصة من مدينة القدس حتى تفرغ من كل عربي مسيحي أو مسلم. وهذا الحلم الصهيوني يراود الاحتلال منذ بداية المشروع الصهيوني وهو تفريغ القدس من كل الناس ما عدا اليهود حتى يهدموا المسجد الأقصى والأماكن المقدسة الإسلامية ومن ثم هدم كنيسة القيامة في القدس حتى لا يبقى سوى بناء الهيكل.

وبسبب المضايقات وتسهيل الهجرة من جانب سلطات الاحتلال قلت نسبة المسيحيين كثيراً في مدينة القدس.

يقول الأب عطا الله حنا: نسبة المسيحيين في بلادنا هي تقريباً 2 في المئة ينتمون إلى الكنائس الموجودة وهي الروم الأرثوذكس، واللاتين، والروم الكاثوليك، الأرمن، الأقباط، السريان، الأحباش، عدا الكنيسة الإنجيلية اللوثرية وكذلك الموارنة

وهذه الطروحات كانت سبب نشوء خلافات بين المسيحيين، وأكثر ما يظهر على السطح هو الخلاف بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية وخاصة في موضوع المسيحية الصهيونية التي يتعاطف معها بعض كاثوليك الغرب.

يقول البرت ... وهو من الطائفة الأرمنية الفلسطينية: المسيحية الصهيونية تبدأ من قراءة النص التوراتي باعتباره نص مستقبلي يصف كبرنامج عملي وهو يفسر حسب تفسيرات التوراة الصهيونية التمهيد لنهاية العالم. هذه الحركة بدأت في بريطانيا عام 1801 مسيحي، ووصلت إلى القدس عام 1880 مسيحي. وفكرة عودة اليهود إلى فلسطين لم تكن فكرة يهودية إنما كانت فكرة بروتستانتية مسيحية، وأصبحت مدرسة تتحدث عن إله عنصري.

> يقول الأب عطا الله حنا: نحن لا نعترف بشيء اسمه المسيحية الصهيونية، هذه عبارة نطلقها على مجموعة تسمي المسيحية زوراً وبهتاناً على نفسها وهي مجموعة صهيونية ليس لها علاقة بالمسيحية ولا تمت من المسيحية شيئاً سوى الاسم لأهداف غير مسيحية وليس لها علاقة بالمسيحية

يقول الأب عطا الله حنا: نحن لا نعترف بشيء اسمه المسيحية الصهيونية. هذه عبارة نطلقها على مجموعة تسمي المسيحية زوراً وبهتاناً على نفسها وهي مجموعة صهيونية ليس لها علاقة بالمسيحية ولا تمت من المسيحية شيئاً سوى الاسم لأهداف غير مسيحية وليس لها علاقة بالمسيحية.

وترى بعض الدراسات أن هجرة المسيحيين الفلسطينيين تتم بتشجيع من سلطات الاحتلال، وكذلك هناك منظمات مسيحية أمريكية وغربية تشجع المسيحيين على الهجرة بحجة أنهم أقلية وهم مهددون من الطوائف الأخرى. إضافة إلى ذلك فإن نسبة ... التماسك بين المسيحيين الفلسطينيين كبيرة ... بسبب تضييق إسرائيل عليهم فلا يجدون سوى الهجرة إلى أمريكا وكندا.

وحسب دراسة ... نشرت في صحيفة معاريف الإسرائيلية بتاريخ 3/3/2005 مسيحي، إن الزيادة الطبيعية المتدنية والهجرة المستمرة جعلتا

مسيحيين ... في المئة من إجمالي سكان فلسطين الذين كانوا يشكلون ... في المئة من إجمالي الفلسطينيين في فلسطين 1948 ميلادي، وقد هاجرت أحياء بأكملها من بيت ساحور وبيت لحم وبيت جالا بسبب الممارسات القمعية الصهيونية التي لا تستثني أحداً من الفلسطينيين.

مؤامرات مسيحية غريبة على القدس

برزت أهم المشاكل التي تواجهها المسيحية الشرقية في القدس بعيد ... من خلال سيطرة بعض الآباء اليونانيين على الكنيسة الأرثوذكسية، ومنذ زمن بعيد ظل رعاة الكنيسة الأرثوذكسية من غير العرب، وقد أدى ذلك دوماً إلى خلافات شديدة بين الطوائف المسيحية.

يقول الأب إبراهيم عياد: الواقع أن سيطرة كهنة أجانب على الكنائس المسيحية يشبه تماماً الانتداب، وبالنسبة لنا فهو انتداب يوناني على الأرثوذكس، وتبين مع مرور الأيام أن هؤلاء الرعاة وخاصة اليونان يتعاونون مع بعض الجهات الصهيونية لبيع عقارات تابعة للوقف المسيحي لجهات ... اليهودية.

وقد تبين أن راعي الكنيسة الأرثوذكسية إيرينيوس وهو يوناني قد باع وأجر أملاكاً كثيرة في القدس لجهات صهيونية، والبعض يقدر ذلك بملايين الدولارات، وهذه الأملاك تعود ملكيتها ووقفها إلى كنيسة القيامة.

ويدرك أن هذا العمل ليس إلا محاولة من آلاف المحاولات الصهيونية للقبض على مدينة القدس وتفريغها من الفلسطينيين كلهم.

وكان الأب عطا الله حنا قد نبه منذ عام 2004 ميلادي وتحديداً في شهر 6 إلى شبهات والتباسات تحيط بالبطريرك اليوناني الأسبق إيرينيوس.

في 2004/6/13 ميلادي عقد في مبنى الكلية الأرثوذكسية في مدينة عمان المؤتمر السادس للطائفة الأرثوذكسية، وذلك بحضور رجال دين من الطوائف العربية المسلمين والدروز والمسيحيين وقد تمخض عن هذا المؤتمر الأب عطا الله حنا، وقد اتخذ المؤتمرون وعددهم 120 مشاركاً عدة قرارات كان أبرزها التحفظ على قرار البطريرك إيرينيوس القاضي برفع قضية بتجميد عمل الأب عطا الله حنا، ووافق المؤتمرون على التصدي لظاهرة هجرة المسيحيين من البلاد، ومنع البطريركية من تعيين كهنة غير مؤهلين لاهوتيا وثقافيا وحضاريا ووطنيا.

ومنذ تلك اللحظة تفاقمت الأزمة بين الأب عطا الله حنا والبطريرك إيرينيوس لأن الأخير كان يشعر بأن الأب عطا الله يراقب تحركاته خاصة في ما يتعلق ببيع الأوقاف المسيحية للصهاينة، وتحول الخلاف إلى أن ظهرت الفضيحة الكبرى التي أوقعت الأب إيرينيوس تحت الضوء، فطالب رجال الدين المسيحيون والمسلمون وغيرهم بمحاكمة البطريرك واعتبار البيع لليهود ملغى وملاحقة الرجل المسؤول عن البيع وهو شخص مشبوه ومتعاون مع البطريرك إيرينيوس، وطالب الجميع بعزل البطريرك وتجريده من كل صلاحياته الكنسية.

على أي حال فإن الكيان الصهيوني يسعى جاهداً لجعل مدينة القدس ذات طابع يهودي خالص من خلال التضييق على المسلمين والمسيحيين ودفعهم إلى ترك أراضيهم وأماكنهم المقدسة عرضة للاغتصاب الصهيوني، وكما أشرت قبل هذه المقالة لم يحدث ولن يحدث اليوم إنما هي نتيجة قدم ظهور الحركة الصهيونية العملية عام 1897 ميلادي.

مراجع تمت الاستفادة منها

1- تاريخ الطبري، الجزء ... طبعة ....
2- الدكتور محمد الصلابي، فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ... الإسكندرية 2002 ميلادي.
3- في ظلال إسرائيل والطرق المسيحية، صحيفة يديعوت أحرونوت الصهيونية، 2003/3/6 ميلادي.
4- تقرير حول الاستعمالات الإسرائيلية للمقدسات الإسلامية والمسيحية، مجلة أفق العدد ... 1999 ميلادي.
5- بمصير الشرق عبر مجلة ... المؤتمر العالمي للطائفة الأرثوذكسية 2004/6/13 ميلادي.
6- يوسف ... وحاتم عزرو، الطائفة المسيحية تحت الاحتلال، جريدة ... 2005/3/30 ميلادي.
7- العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في فلسطين، قناة الجزيرة، ... 2005/1/23 ميلادي.

الإنجيلية
طائفة تسعى للسيطرة على العالم

بقلم: الكاتبة صوفي دي ديزير SOPHIE DES DESERTS
ترجمة: عبد الحميد شريبي

الطائفة الإنجيلية في أمريكا

إن الإنجيلية تعتبر طائفة مسيحية أصولها بروتستانتية ... وجمهور كبير ... إن كان ... فكر ... الإعداد والاستعداد لمعركة هارمجدون، للمعركة الفاصلة بين قوى الخير والشر، ووسائل الإعلام المتنامية الآن عبر الفضائيات الدينية والإنترنت (شبكة المعلومات الدولية) وألعاب الفيديو والروايات الخيالية.

هذه الحركة أو الطائفة تنمو بسرعة لم تعرفها غيرها من الحركات الدينية في الغرب منذ قرون عديدة. والخطير في هذا الأمر أن مسؤولين كبارًا في الإدارة الأمريكية متعاطفون ... إن لم يكونوا أعضاء فيها ... مع حركة الإنجيليين. ومن حقنا أن نتساءل عن مدى التزام صناع القرار بتحقيق أهدافها؟

مسيحيو الأبوكاليبس

الانتقام الإلهي ... قبيل إقامة مملكة الرب "APOCALYPSE"، وهنا لنا أن نتساءل عما يمكن أن نفعله إزاء رجل يعتقد بأنه يملك خطًا هاتفيًا مباشرًا مع الله؟ ويعتقد أنه مكلف بتنفيذ مهمة إلهية؟ رجل يؤمن إيمانًا راسخًا بأن غضب الله قريب جدًا ... قد ... فماذا نفعل إزاء هذا الرجل إذا وصل إلى سدة الحكم؟

وفي هذه الأجواء حاولت بعض الصحف المتشبعة بتعاليم الطائفة الإنجيلية في أمريكا قبيل بدء الحرب على العراق في أواخر شتاء سنة 2003 ... تضم الرئيس جاك شيراك إلى ... وإقناعه على الأقل بعدم الاعتراض على منح ... للوضع الإنساني وفقًا للنبوءات الواردة في النصوص المقدسة. نعم لقد حاولوا جر فرنسا إلى تلك الحرب بدعوى أنها أمر مقدر وأن الإرادة الإلهية تقتضيها منك!

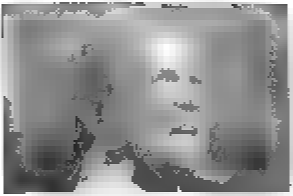
من هنا نفهم معنى استخدام كبار المسؤولين في الولايات المتحدة الأمريكية عبارات جديدة قديمة في الخطاب السياسي ... مثل: الدول المارقة، محور الشر، يأجوج ومأجوج. والحقيقة أن الرئيس شيراك ظل مذهولا ... من هذا النوع ... مسؤولين أمريكيين الأمر الذي دعاه إلى التأكيد ... بتواجد تلك الجيوش الغربية ... كان من ذلك ... إلا أن ... بالمسؤولين في الاتحاد البروتستانتي الفرنسي الذين ... النص ... بأنه عند نهاية العالم سوف ينتشر يأجوج ومأجوج من بابل إلى أرض إسرائيل، ولا ...

* كاتبة في مجلة (Nouvel Observateur) الفرنسية، العدد 168

بيأجوج ومأجوج يسمون في الكتب المقدسة لشرق الشر، وأنهم سيخرجون من بابل التي كانت مزدهرة في التاريخ القديم والتي تقع بالقرب من بغداد. وقد أعيد بناؤها في عهد صدام حسين. ويرى أن هذا أمر له دلالة قد يصل إلى موقع القرار في أكبر دولة في العالم، رجل يؤمن بالمجيء ويمتلئ بمخاوف عصر الدين وقد يكون مجرد حشو في هذه المقالة العربية الأسطورية وإن كانت ... بعيداً ... من الكنيسة البروتستانتية، وهي تدعو إلى اكتساب القوة التي تلزم يواجهها في الاستعداد لمواجهة الأحداث الخطيرة التي تشكله من تحضير لتغير مصير البشرية. يمكن كبار الساسة العاملين في أمريكا ممن يؤمنون إيماناً عميقاً بنبوءات النبي وإنجيله، ويعدون أنفسهم ممن يسمون "المولودين المسيحيين الجدد" "BORN AGAIN CHRISTIANS" وهم مجموعة متعددة الأصول المسيحية والتي تعد من أنشط الجماعات المتعرفة دينياً وسياسياً تقضي إلى كنيسة جديدة تسمى مجمع الكنائس الانجيلية للسيد المسيح وهي أشبه ما تكون بالمنظمة. وتمتلك أموالاً طائلة تمكنها من بسط نفوذها على معاقل كثيرة في أمريكا وخارجها. ومن أهم ذات الأولوية القصوى التي تسعى لها المنظمة الكنيسة في مخططها هي تحويل الشعب الأمريكي بكامله إلى إنجيليين قبل الشروع في بسط سيطرة أمريكا على العالم بأسره. ولا تقبل المنظمة بأقل من ذلك، وهي لا تكتفي إلى من أهدافها الأساسية لتحقيق ذلك الوصول تدريجياً إلى قمة هرم السلطة في البيت الأبيض.

تنامي العقيدة الإنجيلية

الأفكار الإنجيلية ليست جديدة، فهي من مكونات الخلفية الثقافية البروتستانتية وإن كانت كامنة فيها ولم تظهر على السطح إلا بعد الحرب العالمية الثانية ومنذ ذلك الحين نمت تلك الأفكار بسرعة وتشكلت في ثوبها بكل أجهزتها الحالية. وكان تنامي الإنجيلية من القوة بحيث عرفت حركة الكنائس الكبرى الكاثوليكية والبروتستانتية ... حركة للدعوة



الإسلامية، هكذا، والأرقام التي تشهد بذلك النمو تدعو إلى أن عدد المسيحيين الإنجيليين قفز من أربعة ملايين سنة 1960 مسيحي عندما كان عدد المسيحيين بكافة كنائسهم لا يزيد على (340) مليوناً إلى (300) مليون إنجيلي من أصل مليارين مسيحي يعيشون اليوم على سطح الأرض. أي بنسبة واحد من أربعة. ويقدر المنصرون بالشعوب الدينية أن الذين ينضمون إلى الطائفة يومياً بحوالي (32000).

ويوجد حالياً مليون و(=) ... الكاثوليك يتعلمون في ... كنيسة تابعة للإنجيليين في العالم.

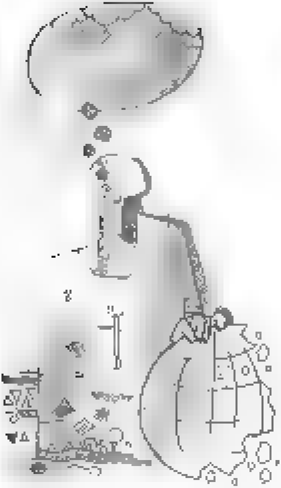
ويقول صاحبه كوكس HARVEY COX أستاذ علم الأديان بجامعة هارفرد في كتابه "الدعوة" إن الحركة الإنجيلية ستضم نصف المسيحيين بكنائسهم المختلفة خلال الخمسين سنة المقبلة. ويوجد داخل هذه الحركة المتطرفة أطياف بها بعض الخصوصيات الغريبة مثل بعض القادة الأمريكيين القريبين من جورج بوش المتشددين إلى درجة الهوس المعروف بمثل جيمي سواجرت، أو ... وهي لا تقتصر على الدعوة إلى رؤية إنجيلية روحانية باعتبار التوراة جزءاً من الكتاب المقدس للعالم، ومن سمات الإنجيليين في العالم وخصوصاً في الولايات المتحدة أنهم يعاملون الناس بتصريحات غريبة وغير معهودة في مجتمعات العلمانية التي تقيد الدين من خصوصيات الأفراد التي لا يمس الحديث عنها. كما يصرح القس بات روبرتسون (PAT ROBERTSON) مؤسس قناة البث المسيحي

بسيجري «اسمع الله يقول لي إن انتخابات سنة 2004 ستكون بمثابة انتصار وإنك ستنجح ولا يهم من سيهزم. الرئيس الذي سيسخره الناس، خير! لم يهم أن يكون الرئيس مؤمناً ولذلك سيباركه الرب، والأخطر من هذا كله علاقته في أحد مشيراته أنه حتى يكون هناك سلام حقيقي ما لم تهدم دار الله ويقيم الله مكانتهما في قيادة العالم فهو يكن يدعو إلى الإيمان بأن دلك هو دعاء أمريكا، وهكذا فإن الحركة الإنجيلية التي ينضوي تحت لوائها سبعون مليون أمريكي (أي واحد من أربعة مواطنين) تعتبر نفسها بمثابة أشبه ما تكون لسويق الكوكا كولا والهمبرغر ولها الآن امتدادات في أمريكا اللاتينية واليابان وجنوب أفريقيا وكذلك في أوروبا وروسيا والهند والصين

بل لا تتردد الإنجيلية في توسيع دائرة اطماعها إلى أرض الإسلام وإن كانت ستبدو لصعوبة الأخيرة، ولا عجب في ذلك إذا علمت أن الحركة تنظر إلى أمريكا باعتبارها أرض البعث الإنجيلي مقابل مكة التي تمثل بالأحرى موجه

وعلى نفس المنوال، تعتبر سيبويلد التي كانت تسمى بالخيمة فوق الربوة في مقابل «أورشليم القدس» التي تمثل مصدر الحضارة اليهودية المسيحية أو ما تسمى بالفرنسية: (Civilisation Judéo-Chrétienne) التي لا بد من العمل على إعادة مجدها القديم إليها في مواجهة حيل الجاهلية التي بناها صدام حسين. هذا هو جورج بوش الذي لا يزال الكثيرون يشككون في حقيقة نجاحه في انتخابات الرئاسة الماضية بعد عند الإنجيليين «الرجل الذي اختاره الله» تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً لأمر عظيم، فلا عجب إذاً أن توكل إليه مهمة إعلان من هم الأخيار ومن هم الأشرار في العالم، إن هذا النكوص إلى زمن الأساطير أمر محير لمسيحيين مؤمنين كيف نجح إلى الآن الإنجيليون في إلغاء المنهج العلمي الذي يعد عمد الحضارة الغربية والذي يعد الغربيون مصدر فخرهم وأساس تقدمهم؟

السبب الثاني: كيف استطاع الإنجيليون باعتبارهم امتداداً للبروتستانتية أن يخترقوا أمريكا



اللاتينية الكاثوليكية الأكثر تمسكاً بدينها؟ حيث إن الكنائس الإنجيلية تتكاثر فيها بسرعة مذهلة منذ السبعينيات يقول البعض: إن نجاح الإنجيليين في أمريكا اللاتينية يعود إلى أنهم ركبوا موجة التحرر من الهيمنة الكاثوليكية الأمريكي وهذا سبيل عقلي سيكولوجية الإنجيلية التي تسعى بكل الطرق إلى تحقيق أهداف سياسية خفية وخطيرة على مستقبل البشرية

ومن الأدلة التورط بكل وضوح مثل وصول «ريوس مونت» (RIOS MONT) إلى سدة السلطة في غواتيمالا وهو واحد من دعاة الكنيسة الكنسية الكلم (VERBE DE DIEU)، فرع من فروع الإنجيلية، وبالرغم من انتمائه بعد التحقيق فإنهم على قتل الآلاف من الهنود الحمر الذين يسمون بالعلاجيين فهو تهم من ذلك أن الإنجيليين مصابون بفصام التحصيدة، الذين يؤمنون بالشيء وضده؟ أي أنهم

يخضعون لهيب ما؟ ومن الأدلة التي تثبت مكر وتلون الإنجيلية استغلالهم لاتفاقية بين البابا جون بولس الثاني والرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان لتطبيع العلاقات الدبلوماسية بين الفاتيكان وأمريكا وجعل السفراء في سنة 1984 مسيحيين بالانتشار في جميع مناطق أمريكا اللاتينية دون أي اعتراض من الكنيسة الكاثوليكية، وكان الأثر الخطير في الدعوة الإنجيلية في أمريكا الجنوبية آتياً من الطبيعة لتنتمي الى حركة «التلفزيون الجديد» التابعة للكنيسة الإنجيلية بالتعاون مع أحد أقطاب الحركة في المجال الإعلامي وهو البرازيلي الأصل من أصل ... المدير التلفزيوني لعدد من القنوات الدينية في الولايات المتحدة، وهو الذي قال ذات يوم باللغة الإسبانية في بث جرى معه «إن المطلوب منه هو السيطرة هكذا في النص» على أرض حلفاء المسيح يسوع وهي أمريكا اللاتينية، والأعمال الحربية هي سلاحنا الصحيح في المعركة لن ... فإنهم جميع الذين اعتنقوا مذهب الإنجيلية اليوم منتقلين من بيت الى بيت تدعوه الناس إليه «إنني أتوق إلى ذلك اليوم الذي يجد فيه سكان الأرض يقطفون الأثمار المسيحية، هكذا» وفقاً لما جاء في «الأبوكاليبس» (رؤيا يوحنا)، ويمكن القول إن من السهل جداً أن نشم رائحة وكالة المخابرات الأمريكية في هذا الأمر، وبالرغم من ذلك فإن البرازيل الدولة الكبرى الأشد تمسكاً بالكاثوليكية أصبحت تؤوي ثاني أكبر مجمع إنجيلي بعد الولايات المتحدة إلى درجة أن الزعيم الكاثوليكي ... لولا دا سيلفا (LULA DA SILVA) البرازيلي طلب مساعدة الإنجيليين الجدد من الكاثوليكيين الذين أصبح عددهم يتكاثر خلال السنوات القليلة الماضية في حملته الانتخابية، ومن أقطاب السحر الإنجيلية التي تتلون بألوان مناطق نشاطها «إدوارد ماسيدو» (Edward Macedo) الذي قضى سنوات في السجون متهماً بجملة تهم منها الفساد الأخلاقي والتحايل على

> «الإنجيلية الجديدة تغزو العالم بهدف السيطرة والتحكم ومن ثم تطبيعه بالقوة ومحو كل العقائد الأخرى»

مصلحة الضرائب في البرازيل حسب البلد الذي يضم برلمانه (60) نائباً إنجيلياً نشطاً من مجموع (512) نائباً، ولا غرو فعدد الإنجيليين في البرازيل بلغ 45 مليون مسيحي. ومن يصدق أن هذه الدولة الكاثوليكية العريقة أصبحت تنافس أمريكا في بث ما يسمى «البشرى الإنجيلية» في الحقول الأفريقية التي كانت تحت الاستعمار البرتغالي ودول غيرها مثل أنغولا، الرأس الأخضر، غينيا بيساو، موزمبيق، ولا غرابة أن يشهد الكاثوليكيون على مجموعهم تقلصاً متزايداً.

أما في الكونغو وجنوب أفريقيا وبنين وبوركينا فاسو فإن ... (Neopente Colistes) الذين يشبهون المذهب الإنجيلي ... موجهة لهم ومن ... تصل الى المجال ... خصوصاً في شمال نيجيريا ووسط الساحل حيث يستند ... سلطة الإنجيليين الرئيس الإيفواري غباغبو (Laurent Gbagbo)، وحتى في المغرب العربي فإنه لم يسلم من نشاطات الإنجيليين، يوجد حالياً في المغرب (9) مبشر بحسب ما صرح به رئيس الكنيسة الكاثوليكية في الرباط، وفي الجزائر أصبح نشاط الإنجيليين مكشوفاً تحت مسمى «المنادي البروتستانتية الجديدة» وحضورهم في الشارع الجزائري واضح ... وأكثر ... معظمهم الجزائر قادمين من فرنسا أو مصر أو الأردن وجعلهم ينتقلون إلى مناطق القبائل، الأمر الذي تنكره وسائل الإعلام المحلية متسائلة عن سبب غض الطرف عن تلك النشاطات الكثيفة، ومن عدم الاكتراث بتحول مسلمين عن دينهم واتباع دعاة الإنجيليين، ونحن نتساءل عن سر هذه الحرية الممنوحة لأولئك الدعاة ومن يحميهم من الحكومة الأمريكية؟ ومهما كان السبب فإن دعاة الإسلام كما يحاول مسلمون التعرض الآن ... مستهدف قلب «أوروبا» ...

... ولم لا - صحيفة ميلر جونز (Mother Jones) في تحقيق فاز، جامعة كورنيليا الخاصة في ولاية نارولينا الجنوبية الأمريكية تقوم بإعداد دعاة (ضد الصد...) بحصر الإسلام.

ويرث هيئة المجموعة صحفي محب شامل نشرته الصحيفة ... في ... سنة 2011 مسيحي ... كتبا ... أعلى عن أن 4000 على الأقل من دعاة الإنجيليين الجدد من جنوب الولايات المتحدة يستعدون للسفر إلى العراق للتبشير بدينهم ولو أدى بهم ذلك إلى الموت في سبيل الرب. وتقوم الآن جمعية غير حكومية تسمى (Samaritanpurse) بالعمل لحساب المعهد المعمداني (Convention Des Baptistes) وهي الحركة التي يتزعمها الراعي الإنجيلي فرانكلين غراهام ابن بيلي غراهام (Billy Graham) صديق بوش الشهير بعدائه للمسلمين. ومن هنا لا يكفي للتدليل على اقتناع الرئيس بوش برسالة أمريكا في العالم كما بدا من كلامه عقب هجمات 11 سبتمبر الإرهابية: إنه يؤمن بأن أمريكا لن تقود العالم. هكذا أو وهذا يذكرنا بمقولة السناتور الأمريكي (Beveridge Albert) سنة 1898 مسيحي عقب تحرير أمريكا إسبانيا من كوبا والفلبين: (إن الله جعل الأمريكيين سادة على كل الذين يريدون إعادة النظام إلى حيث تعم الفوضى). وما يمنعنا هنا من أن نستمع إلى نص معاصر، هذا الكاتب الشهير فيليب جينكنز (Philip Jenkins) مؤلف كتاب مستقبل المسيحية (The Next Christendom) عن الظاهرة الإنجيلية يقول: (إن حركة نقل مسيحية من الشمال إلى الجنوب الفقير، وقد ينجم عن ذلك حدوث شرخ كبير في الجسم المسيحي وخصوصا البروتستانتي وتظهر أفكار جديدة نتيجة الاحتكاك المباشر بالظروف التي تحكم وجودهم إلى جانب ثقافات أخرى، ومستلزماتهم وتفاعل المسيحية. واضح أنه يقصد البروتستانتية التي لم تنتشر إلا في المناطق المسيحية ... الكاثوليكية مع الإسلام والهندوسية، ... يعني ... الصدام الذي لا مفر منه لن يمنعه الهرب من الكارثة لأنه سيكون بالتأكيد

ومابين هذه الرحلة وطالبيه التي يقول عنها يوحنا في رؤياه (Apocalypse) أن التحضير لها شرط أساسي لعودة المسيح (عليه السلام).

أمريكا مسيحية من أجل إنقاذ العالم

الجامعات ومحطات الفضائية والمحلية والانترنت والصحف والكتب والنشرات وكل الوسائل التي تخطر أو لا تخطر على البال تستخدمها الإنجيلية ودعاتها المتصهينون بهدف دفع الأمريكيين أولاً وغير الأمريكيين ... لاعتناق مذهبهم.

منذ خمسين سنة مضت كان سكان فرجينيا في الولايات المتحدة الأمريكية يسخرون من أتباع ومريدي ... (Miriam Sjnum) ... هكذا بدء دعاة الإنجيلية في أول أمرهم كانوا مجموعة صغيرة من المتحمسين يدعون إلى العودة الرب إلى الهدى ... إلى مبادئ ... العمل واليوم لم يعد سكان فرجينيا يضحكون من تلك الأفكار التي انتشرت في أمريكا كلها التي يقدر عدد الإنجيليين فيها بسبعين مليون على الأقل وأصبح ... لعهد الرب في فرجينيا بجنوب واشنطن، وقد أنشأ هذا المعهد سنة 1987 مسيحي ... بين الإنجيليين ... المترف المسيحي ويحصل خريجو هذه المعهد (الجامعة) عند الانتهاء من دراستهم على لقب قادة المسيحية لتغيير المجتمع. عدد الخريجين كان في البداية يبلغ حوالي 80 داعية وقد خلال سنوات قليلة إلى 3000 أكثرهم يواصلون تعليمهم إلى الماجستير. فإذا شاء أي مواطن أن يخدم مسيحيين على الوجه الصحيح فعليه أن يلتحق بهذا المعهد لمدة سنتين أو ثلاث. وليس غريب أن يلاحظ زائر المعهد برجاً معدنياً يعلو المبنى، فهو هوائي المحطة التي تبث برامجها إلى (180) بلداً في العالم واسمها:

(CHRISTIAN BROADCASTING NETWORK)

وتعني المحطة (CBN) إعداد أمريكا والعالم لعودة المسيح (عليه السلام)، ويعرف كل الأمريكيين (PAT) ... المحطة الشهير بتبرئة ... المحطة

ومن تصريحاته الهوجاء مثلاً أن لديه رغبة في تغيير وزير الخارجية وطرد العملاء الذين أتى بهم من حكومة الأب، ولكني أسمع صوت الرب الذي يخبرني بإعادة انتخاب بوش (الابن)، وبات هذا هو مؤسس التحالف المسيحي، وهو تنظيم علاقات عامة للدعوة الإنجيلية وبرامجه التي تديرها شخصيات لا تخرج عن الفكرة الأساسية أو الوحيدة التي تشكلت حولها دعوة الإنجيلية التي تنحصر في تجميع اليهود لإقامة مملكة الرب، ولكن الدعاية الإنجيلية تحاول أن تموه هذه الفكرة ببرنامج أو مشروع ديني لكي تقنع جميع المتدينين بالالتفاف حولها، ومثال ذلك ما تدعو إليه وسائل إعلامهم من شرور الانحلال [illegible] المجتمع للنفس من الضياع والضنك، حتى لا يصبح لها الجنس [illegible] المركز النسائية ونحو التحرر من القيود الدينية [illegible] مرجعه للعودة إلى [illegible] لتحقيق أغراض سياسية أكثر من أي شيء آخر من جعل سائر الإنجيلية في [illegible] مجموعات مختلفة بجماعاتها [illegible] وجماعتها وبجمع سائر الإعلاميين مشهورين وشخصيات من المتدينين في المجتمع الذي تدعوهم دعوة الصهيونية (هكذا) منهم على سبيل المثال جيمس روبنسون (James Robinson) وهو راع بروتستانتي ذو شخصية جدلية، وجون هاجي (John Hagee) خطيب يخرج من أتباع كنيسة كورنرستون (Cornerstone) ويعد لعشرات الآلاف من المتابعين (?) ويتعاون مع (CBN) محطة مرئية ومسموعة تبث له برامج وأغاني على أغنية دينية مطلوبة: عندما يحكم المسيح عليه السلام أورشليم فلن يكون هناك [illegible] سياسي ولا طلاق ولا تعطل، ونذكر أيضاً الراعي تيم لاهاي (Tim Lahaye) [illegible] سلسلة [illegible] (اليوم) بعض أقاصيصه من الأبوكاليبس [illegible] وطغت عنه الدعوة هذه الأيام بشكل غريب.

لتسجل مجلة تايم (TIME) في أحد أعدادها [illegible] الكثير من الأمريكيين عن نهاية العالم 5

وليس هذا مجال الإجابة الكافية عن هذا السؤال والآلية الإنجيلية ليس لها شكل ولا إطار لتنظيم واحد ولا تتمسك بواحد من [illegible] الأمريكية [illegible] الأساسية ولكن [illegible] من خلال منظمة وموجهة على الانترنت ومكتبة ومدرسة [illegible] وكما قال [illegible] في ولاية [illegible] نحن نسبياً متنافسين، فنحن نعمل لأجل هدف [illegible] جميعاً واحد في بلد يعد الأكثر تديناً في الغرب (قرابة [illegible] بالمئة من الأمريكيين يصفون أنفسهم متدينين)، لذلك فكل ما يحدث الآن ليس مستغرباً لأن الإنجيليين يلعبون على وتر الإيمان لتشكيل حلم يستهوي الكثير [illegible] عودة المسيح عليه السلام [illegible] ويرددات ويبشرون [illegible] يعني تصديق الأمريكيين لدعاوى الإنجيلية [illegible] قامت حول [illegible] الثلاثين سنة لم تكن شيئاً يذكر والآن فإنه يسيطر على عدد كبير من الحزب الجمهوري ولم يمض جيل من جماعة (المولودون الجدد) [illegible] بدأ في البيت الأبيض [illegible] من الكونجرس [illegible] ويجب أن نشير إلى كارل روف (Karl Rove) المستشار المعروف بصحته منه وهو أقرب المستشارين على الإطلاق من الرئيس بوش الابن، وكذلك الوزراء غال نورتون (Gale Norton) وزير الداخلية وتومي طومسون (Tommy Thompson) وزير الصحة وجون أشكروفت (John Ashcroft) وزير العدل وهو القائل: مسكننا هو المسيح [illegible] ورالف ريد (Ralph Reed) رئيس حملة بوش لانتخابات 2004 [illegible] وهو [illegible] (المولودون الجدد) واليهودي الشيوعي السابق مارفن أولاسكي (Marvin Olasky) الذي يقول بأنه من المؤمنين بإعادة ميلاد المسيح (عليه السلام)، وهو الذي أقنع صديقه جورج بوش بإعطاء سلطة فعلية أكبر للمنظمات الدينية.

ومن المعلوم أن الفريق الذي يعمل مع بوش [illegible] عن [illegible] أو لأسباب سياسية مع الإنجيليين الذين يسيطرون الآن على تلك القاعدة

الدعاية الإنجيلية تحاول أن تموه هذه الفكرة ببرنامج أو مشروع ديني لكي تقنع جميع المتدينين بالالتفاف حولها

الانتخابية للحزب الجمهوري في حين ارتفعت فيه أصوات المنادين بإلغاء كل الحواجز بين الدولة والكنيسة. وهناك الآن دعوة يتزعمها المحامي الشهير جاي سيكولو Jay Seckulow ومجموعة من أنصار معادي حاجز الفصل الديني والكنائس الكتابي ويرى فيه سطر التفوق في مبررات الشارع. وبعد أحداث 11 سبتمبر انطلق الإنجيليون بكل ألوانهم يحذرون من غضب الرب ويصورون تلك الهجمات الإرهابية بأنها كانت ضربة إلهية لأبراج من أبراج بابل برجي مركز التجارة الدولي عقاب على ما وصل إليه المجتمع الأمريكي من الانحطاط الأخلاقي، وما زلنا نتذكر كلمات جيري فالويل (Falwell) الزعيم الشهير عبر محطة (CNN) الذي كان يصرخ: «إن هناك أربعين مليون جنين بريء قد أفقد الله صوابه حين قتل، وكذلك عندما ألقيت به خارج المدارس، والهجوم على الله». وقال أيضاً: «يجب أن تتلقى أمريكا لكي تفقد العالم بحيرته ما يجب قبل في هذه الفترة إن الهجوم الإرهابي الذي حدث في 11 سبتمبر هو هجوم على المسيحية نفسها وإنه يعتبر المرحلة الأولى قبل المعركة الكبرى الحاسمة».

من موسيس سيدي فقد قال: «إن العرب مع المسلمين هم أكبر عدو المسيح الدجال؛ إنهم يمثلون المسيحيين في العالم كله ولهم قدرة كبيرة جداً على الانتشار والتزايد بسرعة. ترى ماذا سيحدث في فرنسا بعد بضع سنوات؟»

إن الكراهية والحقد عليهما يشكلان نوع العلاقة مع المسلمين في كل مكان، وليس فحسب الكلمات التي يسطرها بعض الإنجيليين؛ ففي شهر نوفمبر 2003 مسيحي صرح أحد المسؤولين الكبار في طالبان كاميرن وهو الجنرال بويكين (Boykin): «إنه لن ننتصر على صدام ولا على الإسلام إلا إذا حاربناهم باسم الرب يسوع».

وحركة التبشير في العالم كله لم تكن أبداً غائبة عن هذه الدعاوى؛ فهي حرب صليبية لا تزال بعد أحداث 11 سبتمبر بدأ يتنامى إلى أن أصبحت تعمل ويكثر حولها مشاريع لا بد من التحرك بسرعة، وشهدت شبكة الإنترنت افتتاح مواقع كثيرة للجمعيات جديدة تدعو كلها إلى الذهاب إلى أراضي الإسلام لإنقاذ الإنسان هناك من ذلك الدين المنحرف الشيطاني حسب كلمات فرانكلين غراهام (Graham) ابن بيلي (Billy) الذي ألقى موعظة الابن سنة 1986 مسيحي بأعطاف الفضيلة الإنجيلية. ومعلوم أن ابن غراهام هذا واعظ متكلم في البنتاغون، وأنه يرسل الآلاف النسخ من الكتاب المقدس إلى العراق عبر جمعية خيرية. وفي بغداد توصلت وجود دعاة يحرضون على الجنود حماية أرواحهم من الخطر إذا هم اعتنقوا الإنجيلية ووافقوا على تعميدهم.

وفي موقع منظمة (Crimeus Crusade International) «التنظيم الصليبي الدولي» دعوة إلى التدخل إلى قنوات الثقافة وتبدأ أن أجمل ساهرة في غفلة خاصة على مقاس جيوب سترات الجنود تجمع المقاتلين في العراق. والجامعات تشهد حركة غير عادية تهدف جامعة كولومبيا المعروفة تنظم دورات للدعاة الجدد وتركز على تعليمهم أحدث الوسائل لإقناع المسلمين بدراستهم وكيفية التسلل إلى ثقافتهم.

لأجل الظلم: إسرائيل الكبرى

يرى الإنجيليون أن واجب اليهود يدعوهم إلى العودة إلى إسرائيل، في الوقت الذي كان يجتمع فيه بأنصار السلام، من الإسرائيليين والفلسطينيين في الأردن لإعداد اتفاق جنيف. يجتمع جماعة من الإنجيليين الأمريكيين والمسيحيين المتصهينين مما يسمونه «قمة أورشليم» (القدس) برعاية اليميني الجديد ريتشارد بيرل مسيحيين أن إسرائيل هي الحل الأخلاقي لمشكلة السلطة الصهيونية الشرقية والمسيحية الحديثة وهي السابق السوري هيمنة للحركة المركزية من أجل مطاردتها من البيان الحالي للمتلقي.

يقول الكاتب الإسرائيلي الأمريكي جيرشوم غورنبيرغ (Gershom Gorenberg) مؤلف كتاب نهاية الزمن العالمي: «إنهم -الإنجيليين- لا يحبون اليهود لأن عقيدتهم عبارة عن مسرحية ذات خمسة فصول تعرف إبادة اليهود التي لا يقصرونه».

الفن السابع

البحث عن مملكة السماء!!

رمضان سليم *

كان لا بد لأحداث الحادي عشر من سبتمبر أن تتجسد على الشاشة وفق التوجيه الذي تلقى بصناعة الأشرطة في هوليوود الأمريكية على وجه التحديد، إذ إن معظم الأحداث الواقعية تصاغ بطريقة فنية ربما تحاكيها بشكل مباشر أو غير مباشر وبشكل سريع يعبر عن استجابة وقتية أو بطريقة بطيئة ومتأنية وذلك بحسب الإمكانات والأساليب المتبعة في شركات الإنتاج الكبرى ومختلف الظروف الدولية المصاحبة.

لقد تأخر إنتاج الأشرطة السينمائية الروائية المرتبطة بأحداث 9/11 والسبب يرجع إلى أن المواقف تجاه هذه الأحداث كانت متباينة، وليس هناك أي موقف يذهب بالشركات المنتجة إلى أن تستفيد من ذلك، وأن تكون استجابتها شبه واحدة تخضع لتوجهات السياسة الأمريكية كما حدث بالنسبة لأشرطة الحرب العالمية الثانية مثلا والأشرطة للحرب الباردة وغير ذلك من الأشرطة.

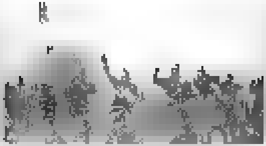
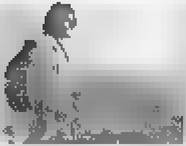
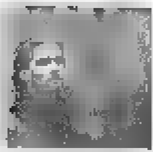
لقد كانت هناك أشرطة تسجيلية ووثائقية أمريكية وأوروبية فالأحداث المشتبهة أكثر قابلية في



معالجة وطرح السؤال، لكن الشريط الروائي يبحث في الغالب عن الإجابة، والإجابة غير واضحة والجهات تكاد تكون معدومة ولذلك كان الإنتاج مؤجلا.

بعد مضي أكثر من ثلاث سنوات يظهر شريط جديد يقترب من دلالة الحدث، حدث الحادي عشر من سبتمبر، ويدور حول معاني العلاقة المرتبطة به محاولا أن يلامس جوهر المشكلة، ونقصد بذلك

* كاتب وناقد سينمائي، ليبيا

العلاقة بين الإسلام والمسيحيين ، ولا سيما بعد أن ارتفعت الأصوات في أمريكا وبعض الدول الأوروبية بعد الدعوة لإعادة تأكيد مفهوم الصراع بين الشرق والغرب على أساس ديني واعتباره حدث حرباً دينية مكملة للحروب الصليبية التاريخية.

بشكل عام لم تذهب السينما العالمية في السنوات الأخيرة باتجاه واحد مع السياسة ولم تعد مجرد وسيلة لخدمة الأفكار السياسية والإيديولوجية كما حدث في إنتاج الأربعينات والعقود التي تلت ذلك ولا شك في أن انتهاء الحرب الباردة كان له أثر كبير في اهتمام السينما بالأوضاع الداخلية للدول والتركيز على القضايا المحلية وعدم النظر إلى أن العدو الخارجي الافتراضي هو دائماً أصل المشكلة ولذلك أسباب كثيرة لا مجال هنا للتوسع فيها.

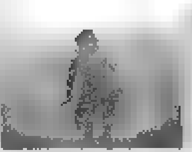
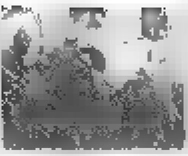
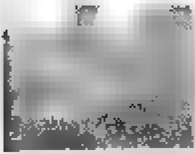
من الأشرطة الأمريكية الحالية التي تعاملت مع جوهر العلاقة بين المسلمين والمسيحيين يأتي هذا الشريط مملكة السماء Kingdom of Heaven إنتاج 2005 الذي وزع في معظم أنحاء العالم ومن بينها دول عربية وإسلامية كثيرة وهو للمخرج اللامع ريدلي سكوت Ridley Scott وهو إنجليزي يقيم في أمريكا، له ثقافة تتميز بالكلاسيكية رغم ذلك فهو يعرف جيداً كيف يتعامل مع السينما باعتبارها فناً وصناعة وتجارة وأشرطته في معظمها قد حققت رواجاً تجارياً كبيراً كما أنها تكسب بعض الرضا النقدي، وباختصار فهو من المخرجين الذين يعرفون كيف يمكن الإمساك بالعصا من الوسط فيأتي أثر شريط يقدمه ريدلي سكوت ناجحاً على صعيد [illegible] وهو لم يتناسب مع ما ترغب فيه شركات الإنتاج والتوزيع الكبرى، ولذلك يمكن اعتبار هذا المخرج من الناجحين في مجال الإنتاج والإخراج.

بسبب هذا النجاح يمكن للمتابع أن يستغرب من اختيار المخرج هذا الموضوع، فكرة الشريط «مملكة السماء» فهو مرتبط عبر مضمون الشريط، كما أنه يشكل مجازفة غير محسوبة في الظاهر ويوحي بإنتاجه يعتمد على المغامرة، فمن يقترب من معالجة فنية للعلاقة بين الإسلام والمسيحية في هذه المرحلة الخاصة المليئة بالهواجس والشكوك وشدة الصراعات الثقافية والسياسية؟

هل أن الشريط قد نجح ويجمع في استقطاب كل الأطراف ولا سيما الطرف العربي والإسلامي الذي اعتبر هذا الشريط بداية حسنة لمعالجة القضايا بطريقة حيادية قابلة للنقاش.

في الحقيقة لا يعد هذا الشريط البداية الأولى فقد أنتجت في سنوات سابقة بعض الأشرطة التي يمكن النظر إليها بعين التقدير ومن ذلك شريط المحارب الثالث عشر وشريط روبن هود وشريط [illegible] وبعض القراءات ولكن من مزايا هذا الشريط أنه أتى من مخرج معروف عالمياً قدم بعض الأشرطة التاريخية في السابق ومن ذلك شريط «المبارزان» 1977 سينمائي وهو الشريط الذي فاز عنه بجائزة الإخراج السينمائي لمهرجان «كان» السينمائي في نفس السنة.

إن ريدلي سكوت مخرج متعدد المواهب والاهتمامات، ومن أبرز أشرطته (تيلما ولويز) عرض

للفرنسيين وهانيبال والعرب، ومقصود المصمم الأسود والكثير الأسود، وبالطبع لا بد من أن نذكر شريطه المصري الذي فاز بالعديد من جوائز الأوسكار ومنها أفضل الإخراج السينمائي.

(2)

في شريط (مملكة السماء) عودة إلى التاريخ الماضي المسيحي، والمكان فرنسا من جانب ثم القدس من جانب آخر، وتحديداً مع نهاية الحملة الصليبية الأولى إلى الحملة الثالثة، حيث ينتهي الشريط بانتهاء حكم الملك بالدوين الرابع (Baldwin V) وتسليم القدس إلى صلاح الدين الأيوبي، لتبدأ الحملة الصليبية الجديدة بعد ذلك، بقدوم الملك ريتشارد المعروف باسم (قلب الأسد Richard Coeur de Leon)، ولا بد هنا من الإشارة إلى صياغة الحكاية التي كتبها (وليم موناهان William Monahan) معتمداً على حكاية متخيلة، وهو ما يتفق مع اهتمامات المخرج الذي لا يهتم كثيراً بالتاريخ الحقيقي وتحريفاته، بل يستخدمه مجرد خلفية لأحداث ووقائع من صنع الخيال.

(3)

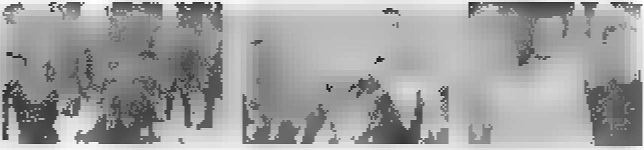
من بين ما هو مطلوب لشخصيات الشريط هنالك شخصية رئيسية وهي باليان Balian يقوم بالدور أورلاندو بلوم (Orlando Bloom) وهو حداد يعيش في إحدى قرى فرنسا النائية متخلفاً من الناحية الدينية ويعاني من أزمات نفسية حادة، ولكن قبل تعرفنا إلى هذه الشخصية نعلم منذ بداية الشريط بأن الأب غودفري (يقوم بالدور الممثل ليام نيسون Liam Neeson) قد رجع من القدس إلى فرنسا، وأثناء عودته يجمع الفرسان من أوروبا عموماً مر على المنطقة الفرنسية الجبلية لكي يعترف بابنه غير الشرعي باليان. ورغبة من السيناريو في تكثيف الأحداث، تم جمع وقائع كثيرة في مكان واحد هو عبارة عن غابة طرفية الأطراف، نرى في جزء منها جثة الزوجة المنتحرة، ثم سرقة قلادتها من قبل أحد الرهبان، وقطع رأسها لأنها انتحرت بعد أن علم أنها حامل.

لا يجمع الشريط في الظهور المواجهة بين الأب والابن حيث يحسمه الاعتراف بالأبوة، ثم يقتل الابن بالسيف الراهب السارق، وينطلق بذلك إلى السفر مع أبيه إلى القدس لكي يتحرر من فردوس الكنيسة التي تطارده.

هذا هو الدافع الشخصي للسفر، وهو أمر ربما يجعله أكثر من حالة نسبية، فالانتقال إلى القدس كان هروباً من مشكلات فردية أحياناً، وتحت إلحاح الكنيسة في أكثر الأحوال، وهو مواجهة للشر الذي أوحت به الأحداث.

ثم دوافع التخلص من الخطايا، خطايا الذات وخطايا الزوجة المنتحرة، يجد الابن باليان نفسه في طريقه إلى القدس التي تكاد تكون مدينة متكاملة.

يكشف الشريط بوضوح من خلال السيناريو أن حملة الصليب لم تكن واردة بالنسبة للفرسان الذين يتم جمعهم للحرب في القدس وما جاورها من مناطق، بل الهدف هو تحقيق المجد المادي ووسيلة لنيل المكاسب وبلوغ المقاصد الدنيئة.



لقد أوضح الشريط ذلك في حوار بين الأب جودفري والابن باليان، وقد تولى الابن زمام الأمور بعد وفاة الأب متأثراً بجرحه بعد معركة مع فرسان الكنيسة لينتقل إلى مدينة مسينا الإيطالية ومنها إلى حيث القدس، المدينة التي يحضر إليها كل باحث عن النجاح والثراء، فهي مركز ديني وتجاري مهم.

يقول الأب للابن: إنك لست كما تولد، ولكن كما تريد لنفسك أن تكون.

ومن نقطة البداية تلك يعبر شريط «مملكة السماء» كل الحروب الصليبية من الاعتبارات الدينية ويعتبرها مجرد مغامرة من مغامرات البحث عن الثروة وتحقيق الذات.

في هذا السياق يمضي الشريط مع عبارات المخرج، حيث المغامرة بالنسبة إليه دائماً هي أساس النجاح، ويمكن كل الأمر على سبيل المثال بالنسبة لشريطه السابق «غزو الفردوس» وأحداثه تدور حول اكتشاف أمريكا من قبل كولومبس ضمن مغامرة من المغامرات.

(4)

كما تلف هذه الأحداث عام 1184 ميلادي وما بعده بقليل، حيث كانت القدس فيها مدينة تحت حكم الصليبيين، وتحديداً كان الحاكم هو بالدوين المجذوم، وقد ابتكر له الشريط طريقة لإخفاء مرض الجذام تقوم على ارتداء قناع معدني وعمامة خاصة للرأس.

والمهم أن حول هذا الملك توجد حاشية من الشخصيات لها مصالح مشتركة وأحياناً متناقضة، وبعض الأفراد يستغلون الدين لتحقيق مصالحهم بعيداً عن التعايش بين الأديان الثلاثة.

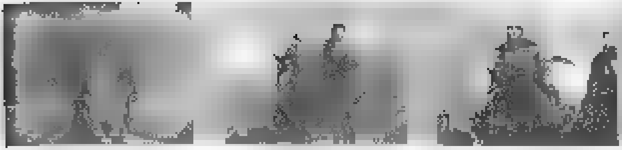
لكن حالة الهدنة بين صلاح الدين الأيوبي والملك بالدوين Baldwin تقوم على أن تبقى مدينة القدس للجميع، تعيش فيها كل الأطراف على مبدأ احترام الأديان، ويعد التعايش الافتراضي هو الذي جعل المدينة مملكة السماء. ألم يقل المسيح إن مملكتي ليست على هذه الأرض؟ فمن هذه الكلمات جاء العنوان.

إن مدينة القدس كما صورها الشريط هي مدينة للأحلام والنجاح الاقتصادي والتعايش السلمي الذي يحلم به العالم، ويظهر مدى حاجة عالمنا المعاصر إلى مثل هذه المدينة، لذلك نحن نعود إليها.

(5)

إن الشخصيات التي يقدمها الشريط كثيرة، منها مثلاً سيبيلا وهي أخت الملك، قامت بالدور إيفا غرين، وهي متعصبة وتحلم بإمارة مستقلة لزوجها، وتركها سرواتها المفتوحة تتعلق بالفارس باليان بطريقة جنونية وسريعة، ولم يفلح الشريط في تحديد مسار شخصيتها.

من شخصيات الشريط هناك غي دي لوزينيان Guy de Lusignan وهو فارس متعصب متطرف الحماسة مع صلاح الدين، وتسبب في مشكلات كثيرة، تزوج سيبيلا Sibella بعد وفاة أخيها بالدوين الرابع، ودخل في معارك خاسرة كبيرة وهي الحرب التي انتهت



بمعركة حطين التي انتصر فيها صلاح الدين واستلم من طريقها القدس.

هناك أيضاً مقاتل الدير، وهو شخصية مسيحية إيجابية مخلص لفكرة التعايش السلمي والمحافظة على خصوصية مدينة القدس.

أما شخصية جودفري فيلان فقد سبق الحديث عنها، فهو فارس له أطيان وممتلكات في القدس، يجرح في جسمه والمحافظة عليها، وهو يعود ليعترف بابنه بطل الشريط ويعود به إلى القدس ليحتل مكان أبيه بعد وفاة الأب مباشرة بعيد ذلك.

شخصية أخرى سلبية هي «شاتيون» التي شاركت في مؤامرة لاستلام الحكم بعد بالدوين، والتي قام بعضها عندما بالاعتداء على قوافل إسلامية بغرض خرق المعاهدات والعودة إلى الحرب.

لا بد أيضاً أن نذكر (تيبرياس Tiberias) وهو المجاهد الفارس الذي حاول أن يحافظ على الهدنة وأن يحمي القدس من الانهيار إلى آخر لحظة، وقد قام بتمثيل الدور (جيريمي آيرونز Jeremy Irons).

(4)

قبل أن يبدأ الشريط فقد الفارس «بالين» امرأته ... الفرسان من المسلمين في معركة حياة أو موت، ومنذ ... غير الأخلاقي الذي سيقبل به حياته الجديدة، ثم يكمله ببحثه عن المكان الذي اعتبر أن المسيح قد صلب في القدس ... حيث إن الاعتماد كان كله على قوته وقدراته الحربية التي ...

... (بالين) وكأنه محاولة لتحقيق الطموح الفردي، والتعبير عن تجربة ذاتية، قبل أن تكون دينية أو جماعية، فهو قد تم الاعتراف به ابناً للفارس جودفري، وهو متطلع إلى رحلة استكشافية يمكن أن يكون جزءاً من أهدافها البحث عن الخلاص والتكفير عن الذنوب بالمعنى الديني، إلا أن ذلك مجرد إطار شكلي لقصده من مغامرات فرسان العصور الوسطى.

تتحرك الأحداث عندما يموت حاكم المملكة ... فائقة للمسلمين فيفضي بالتالي للعهد المبرم مع صلاح الدين، إلا أن حكمة بالدوين تحول دون اشتعال الحرب عندما يقبل بخلع ... ثم تتصاعد من الغضب ... بالين يصعد بحكم منصب أبيه ... وكذلك التقرب من ... والملكة وتعاطفه ... مع مجريات الأحداث من حوله، تسير الأمور من جانب آخر نحو العودة إلى الحرب وبعث القلق في مدينة القدس.

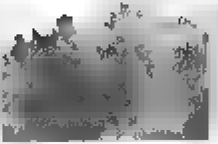
لقد مات ... بالدوين الرابع وصار زوج أخت الملكة هو الحاكم الجديد الذي هاجم قافلة مقربة لصلاح الدين، وبذلك جرى الاستعداد للحرب ووجد بالين نفسه قائداً للمعركة بعد أن فرّ الجميع من ...

إن الفارس الشاب بالين يقف على حد فاصل بين الطرفين، والتجربة بالنسبة إليه أساسها رحلة للمعرفة والاستكشاف والرغبة في تأكيد الذات مستقلة.

لذلك جاءت خطبته ... متميزة ... التي تؤكد على أن البشر أهم من الحجر وأن ما هو على الأرض أهم ما يمكن المحافظة عليه وأن الشعارات ... الواقع.

بعد أيام من الحرب الطويلة وتحول المسلمين إلى







القدس بقيادة صلاح الدين يصطدم باليان صاحب المدينة مقتنعاً بأنه قد خسر الحرب أولاً، وثانياً بعد الاطمئنان إلى أن القدس ستصير إلى وضعية أفضل مما سبق.

2

هناك الكثير من التفاصيل الصغيرة التي يمر عليها الشريط سريعاً، ومن الملاحظ أن هناك مقاطع كثيرة قد حذفت أثناء عملية المونتاج.. الترتيب منتقلين من طرق الشريط وهذا أدى إلى انتقالات حادة من مشهد إلى آخر وضعف الروابط المتسلسلة حتى يمكن القول أحياناً إن الشريط له طابع ذهني وفكري مع زيادة في مشاهد الحرب والتوسع في تفاصيلها لجذب الجمهور.

أما عن أسلوب المخرج ريدلي سكوت فهو متكرر، يحافظ على نفس أسلوبه مع اختلاط بعض الشيء الذي لم يتحقق في أشرطة سابقة، ولا سيما أشرطته الناجحة مثل شريط (المصارع) مثلاً، حيث يحتضر شخصيات متخيلة كثير... بالاعتماد على سيناريو كتبه وليام موناهان وهو كاتب جديد له مشروعات تالية، ومنها شريط (المرتحلون) الذي سيتعاون المخرج فيه مع سكورسيزي بنهاية 2007 صيفي.

يبقى الشريط داخل الإطار القصصي الذي يقترب من الدين يتجسد في صعود متهورة تراعي كل الأطراف والتركيز بالطبع سيكون على الفارس باليان، ففي البداية هو ركيك هامش لتشكل دائم التسلق والسلبية، ثم في مرحلة أخرى هو أقرب إلى ...ه في حرب طروادة يدخل في حرب مجانية لتأكيد الذات دون اقتناع كامل. لهذا السبب تمكن الشريط بشكل إيجابي، حيث البطل ليس متدفقاً أو متعصباً أو متحمساً إلا لتأكيد الذات الفردية.

وبحسب الطريقة المألوفة يقدم سكوت شكلاً ملحمياً يعتمد فيه على تصوير المشاهد الكبيرة والاهتمام بالديكورات ومواقع التصوير وإعادة تشييد مبان ضخمة بشكل لافت للنظر، كذلك الصنعة الرئيسة في القصر.

3

أما عن نوعية المشاهد فهي تعتمد على الشريط باستخدام اللقطات العامة بحيث تبدو آلة التصوير وكأنها معلقة على معارك طاحنة الحروب من أعلى وتصور الجموع وهي تتحرك متحلقين حول قادتهم المعهودة، وقد ساعدت التقنية الحديثة على تصوير المعارك الجماعية بشكل يعين فيه الشريط السرد بمساحة مطلق.

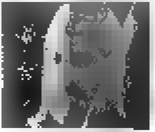
أما المعارك فإن الجمهور يتحمس وكأنه قد شاهدها من قبل، ولا سيما في الأشرطة الملحمية الإسبانية مثل طروادة والإسكندر، وما يميز هذا الشريط تركيزه على (المنجنيق) بحيث يصبح اللهب المتطاير وكأنه سحابة وتصبح كرات النار المتطايرة أقرب إلى المهرجان، وهذا ما يؤكد فكرة أن آلة التصوير التي هي جزء من السينمائية.

لم يؤثر في نجاح الشريط إلا الاختيار غير الموفق للشخصية الرئيسية أورلاندو بلوم الذي اشتهر في ثلاثية سيد الخواتم، إلا أنه في جميع الأحوال كان مقبولاً رغم أنه يحاول أن يلحق بالنجوم ... فمن غير المتوقع أن نرى له رصيداً كبيراً، وهو أيضاً على

قادر على التركيز، رغم أن المخرج عرف كيف يستفيد من السلبيات هذه.

ويمكن ما ينطبق أيضاً على الممثلة (إيفا غرين Eva Green) التي أدت في الشريط دور علاقة عاطفية عابرة مع الممثل الرئيسي، وكثيراً ما صورتها آلة التصوير وهي واقفة ومتطلعة إلى ما يدور حولها دون أن تتدخل في الأحداث علماً بأن وجودها كان لمتطلبات تجارية مكملة ولكنها ليست مساهمة في الأحداث.

(9)



الممثل غسان مسعود

بالإضافة إلى الظهور الجيد لكل من ليام نيسون وجيريمي أيرونز وغيرهما لا بد من الإشارة إلى شخصية صلاح الدين من خلال الممثل السوري غسان مسعود، حيث بدت مظاهر الحكمة واضحة على الشخصية إضافة إلى الرشاقة في الحركة وهو أمر انعكس متوافقاً مع الملابس السود التي ظهر فيها الممثل وهي تتطاير في الهواء تضفي على صلاح الدين هالة من الوقار. ولا شك أن تقديم صلاح الدين بشكل إيجابي يعد خطوة مهمة لا بد من أن يشار إليها لأن هذه الشخصية قدمت في السابق بطريقة غير حسنة، ولقد رد الشريط الاعتبار لهذه الشخصية، إنه يسلم المدينة بعد الانتصار مؤكداً استمرار حالة التعايش السلمي بين الأديان في مدينة تبدو كأنها فردوس ضائع، والحقيقة أن القدس كانت كذلك عندما فتحت سلماً في عهد الخليفة عمر بن الخطاب.

أما الجانب الآخر المهم فله علاقة بالتوازن الذي فرضته أحداث الشريط بشيء من الإتقان والاعتدال، حيث قدمت الشعائر الإسلامية بشكل جيد (الصلاة) مع النظر إلى شخصية المسلم على أنه طبيعية، فلا تكاد توجد شخصية عربية أو مسلمة شريرة يمكن الجانب السلبي. ورغم أن كل ذلك ليس ضرورياً من الناحية الدرامية، فإن هوليوود عودتنا في النظر إلى الأمور من زاوية واحدة ومن ثمّ أي مخالفة لذلك تعد حالة إيجابية غير متوقعة.

ورغم أن هناك ما يمكن أن يقال حول مستويات الفهم للشريط، فإن الحد المتفق عليه والمقبول فيه يبدو موجوداً. وهذا ما يمكن تطوراً في النظر إلى التعامل مع الثقافات الأخرى، ولكن بالطبع بطريقة استثنائية وفردية لا تشكل قاعدة عامة.

أما داخل الشريط نفسه فإن تطرف بعض الشخصيات المسيحية هو الذي كان سبباً في إعلان الحرب في أكثر من مرة.

وكما أوضح الشريط فإن رحيل باليان وتركه والعودة إلى البلد الأصلي خارج المنفى مهدد عائلته، حيث تمثل جيوش حرب صليبية لتواجه العرب بقيادة رينالد.

أما اليهود فلم يظهرهم الشريط، رغم وجودهم، والسبب يرجع إلى أن الحاكم المسيحي قد فرض عليهم الانعزال ومنعهم من الحركة والتنقل إلى أن جاء صلاح الدين وحررهم من ذلك.

وهكذا يبدو الشريط وكأنه يتحدث عن حلم مدينة مثالية تتعايش فيها كل الأديان وتتساوى، فهي في القدس المدينة المقدسة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وفكرياً يحلم بها الجميع.

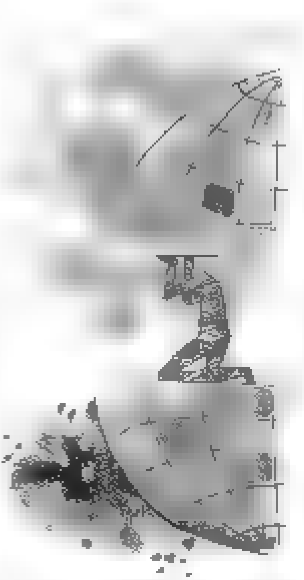
(10)

إن إيجابيات هذا الشريط متحققة في مجموعة الممثلين، وبالأخص مع وجود عدد من الممثلين العرب، ومنهم الممثل السوري غسان مسعود في دور صلاح الدين، والممثل الكسندر صديقي في دور عماد والممثل خالد النبوي في دور شيخ القبيلة المسلم ومع ذلك كله فإن المحاولات التي عبر عنها الشريط فيها الكثير من المبالغة، وهي حكاية إيجابية فرضتها أحداث التاريخ الحقيقي وليس المتخيل.

الآثار الاجتماعية للعولمة

الإشكاليات الأساسية التي تواجه بلدان الجنوب من جراء العولمة

هاني سمعان *



أول من أطلق مصطلح العولمة معرفياً عالم السوسيولوجيا الكندي، مارشال ماك لوهان، أستاذ الإعلاميات السوسيولوجية في جامعة تورنتو، عندما صاغ في نهاية الستينيات مفهوم القرية الكونية في كتابه «الحرب والسلام في القرية الكونية»، حيث ركز في هذا الكتاب على دور التطورات الواسعة في وسائل الاتصال في تحويل العالم إلى قرية كونية واحدة. وقد تبنى هذه الفكرة بريجنسكي الذي أصبح فيما بعد مستشاراً للرئيس الأمريكي جيمي كارتر (1977-1981) وعمل على أن تقدم أمريكا التي تمتلك 70 في المئة من مجموع الاتصالات العالمية نموذجاً كونياً للحداثة، ما دامت كانت هي المركز العالمي الرئيسي للثورة الإلكترونية ما بعد الصناعية والمجتمع الأمريكي هو الأكبر في كل مجتمعات الأخرى وهو مقبل على عملية تحول كبيرة حتى في نظرياته وقيمه.

والعولمة اصطلاحاً تعني جعل الشيء على مستوى عالمي، أي نقله من المحدود المراقب إلى اللامحدود الذي ينأى عن كل مراقبة. والمحدود هنا هو أساساً الدولة القومية التي تتميز بحدود جغرافية وبمراقبة صارمة تتعلق بكل ما يتصل بخصوصية

* كاتب وباحث سوري

الهوية وتفردها وتهميشها عن غيرها، إضافة إلى حمايتها من أي دخيل أو تدخل خارجي سواء تعلق الأمر بالاقتصاد أو بالسياسة أو بالثقافة، أما العالمية فالمقصود به العالم، أي الكرة الأرضية. فالعولمة إذاً تعني تخطي إلغاء حدود الدولة القومية في المجال الاقتصادي والسياسي والثقافي وترك الأمور تتحرك في هذه المجال عبر العالم وداخل فضاء الكرة الأرضية جميعها. من هنا يطرح مصير سيادة الخصوصية "الهوية، الأمة" في زمن سيادة العولمة.

وليس في الأمر شك بأن العولمة الجديدة امتداداً في تاريخ الرأسمالية منذ نشوئها وتطورها والتحولات التي شهدتها في القرن الخامس عشر، وبخاصة في النصف الثاني وأواسط القرن العشرين، كما تعد نتاج التحولات البنيوية العميقة التي كانت تجري في رحم الرأسمالية الإمبريالية التي أعقبت الفترة منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى نهاية العقد السادس وبداية العقد السابع من القرن العشرين. واتخذت هذه العملية منذ ذلك أكثر وضوحاً وتميزاً مع انهيار نظام الحكم الاستعماري والبدء بممارسة أشكال جديدة للهيمنة الرأسمالية على اقتصادات وشعوب بلدان القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية انطلاقاً من أساليب الاستعمار الجديدة، وبهيمنة التحول للمقدمة الرأسمالية، أي هيمنة العولمة التي لا تزال مستمرة وتتطور بصيغة فريدة، ويمكن أن تتخذ أبعاداً جديدة تعكس اليوم معالمها الأساسية في حقول عديدة وأساسية، وبشكل خاص في العلاقات الاقتصادية المحلية والدولية، وفي العلاقة بين السياسة والاقتصاد على النطاقين المحلي والدولي، وفي الأيديولوجيا والحياة الاجتماعية والثقافية والعسكرية في العالم، وهي نتاج التناقضات والصراعات التي كانت ولا تزال تجري في إطار الرأسمالية المحلية في كل بلد من البلدان الرأسمالية من جهة، والرأسمالية الدولية والعلاقات الاقتصادية في ما بين الدول من جهة أخرى[1].

ومعالم الأولى للعولمة الجديدة برزت مع تسارع عمليات تحرير التجارة الخارجية أو تدويلها والتسارع والتنامي المستمر لدور المؤسسات المالية والنقدية الدولية في العلاقات الاقتصادية بين الدول، وتعاظم تأثيراتها المباشرة وغير المباشرة والحاسمة، وفرض إرادتها الخاصة ومشروعها حول اتجاهات التطور الاقتصادي والسياسية الوطنية على السياسات الاقتصادية والاجتماعية في عدد غير قليل من بلدان العالم بما ينسجم مع مصالح الاحتكارات والدول الرأسمالية

فتح أبواب جديدة تزيد من البطالة والتراجع عن الضمانات الاجتماعية

المتقدمة، ثم اقترنت بجملة من التحولات في النظام الدولي للرأسمالية، وبخاصة في الدور الكبير والمهيمن للشركات الرأسمالية الاحتكارية المتعددة الجنسية التابعة بشكل خاص للمراكز الدولية الثلاثة "الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، اليابان" وإنهاء العمل باتفاقية بريتون الوطنية عام 1973 مصحوباً بعد الأزمة النفطية الدولية، وأخيراً إنهاء مجزأة السوق الدولية إلى سوقين دوليتين: السوق الرأسمالية والسوق الاشتراكية، والعودة إلى سيادة سوق رأسمالية ودولية واحدة، والمنافسة المحتدمة بين تلك المراكز والدول، إضافة إلى الأزمة البنيوية الطويلة الأمد التي كانت ولا تزال تلقي بظلالها على العالم الرأسمالي كله متدرجة أو مصحوبة بعدد غير قليل من الدورات الاقتصادية المتنوعة[1].

وتجسد عملية العولمة المتنوع الذي يشهده تطور الرأسمالية على المستوى الدولي والتغيرات الجارية

---

[1] عن العولمة: تاريخ التحولات الراهنة، المستقبل، مراد عبد الرزاق، الطريق، العدد الثالث 1999، بيروت.
العولمة الجديدة، كاظم حبيب، الطريق، العدد الثالث 1998، بيروت.

والعسكرية في استخدام معجزات الثورة العلمية التقنية، وبخاصة التطور المتسارع لاستخدام الميكرو - الكترونيات، وتطوير الوسائل والأساليب الاتصالاتية والمعلوماتية الحديثة التي تساهم بدور فعال وكبير في إقامة شبكة واسعة من البنى الإنتاجية والخدمية والإعلامية الجديدة وتسهل بشكل واسع حركة انتقال وتوظيف رؤوس الأموال. كما تكشف عن التطورات الجارية في علاقات التراكم والقوانين الاقتصادية الموضوعية العاملة فيه. فهي العنوان الجديد الذي يعبر عن الإطار والمضمون الخاصة بالمرحلة الجديدة في الرأسمالية على الصعيد العالمي وهي المرحلة التالية للرأسمالية الإمبريالية التي كانت حتى نهاية الستينيات وبداية السبعينات تشكل الصيغة المهيمنة على الاقتصاد الدولي التي نظر إليها وكأنها أعلى مرحلة من مراحل الرأسمالية. إنها مرحلة متقدمة من مراحل تطور الرأسمالية الدولية تعبر قوانينها الخاصة التي ينبغي فهمها والتسلح والعواقب الناجمة عنها على الاقتصادات ومجتمعات كل البلدان ولكن بمستويات متباينة، مع أن لها في ظل اتجاهات حركة وتطور العولمة الحالية عواقب سلبية وسلبية جداً حتى الآن على القسم الأعظم من بلدان الجنوب، وبشكل خاص على البلدان الأقل تطوراً ونمواً والأكثر تخلفاً وفقراً في العالم، وكذلك على الفئات الأكثر فقراً وضعفاً في الدول الرأسمالية المتقدمة، ومن هنا يفترض أن نشير إلى اعتبار العولمة مرحلة جديدة ومتميزة من الامبريالية، وهو لا يعني بالضرورة إلغاء الطابع المالي الاستعماري الجديد للرأسمالية الذي يعم العالم اليوم بشكل توظيفات مباشرة ومؤسسات مالية دولية، كطرق العولمة وشركات رأسمالية متعددة الجنسية تابعة بشكل خاص للمراكز الرأسمالية الدولية الثلاثة، بل يؤكد بالقطع تكثيفاً مستمراً لاستغلال شعوب وخيرات بلدان الجنوب وتوسيعاً للتمايز في مستويات التطور ومعمقاً للهيمنة الغربية على اقتصاداتها، ولتكشف أكثر تبعية هذه الاقتصادات على اقتصادات المراكز الرأسمالية لصالح الأخيرة(3)

الآثار الاجتماعية للعولمة

ثمة مخاطر اجتماعية ناجمة عن الإجراءات الاقتصادية والنقدية المرافقة للعولمة، لا يمكن تجاهلها أو التقليل من شأنها، فحسب تقرير التجارة والتنمية الذي يصدره مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية الأونكتاد UNCTAD لعام 2000 ميلادي شهدت تباطؤ النمو الاقتصادي العالمي مقارنة بالمعدل السنوي للنمو الذي ساد بعد الحرب العالمية الثانية حتى منتصف السبعينات، وذلك بسبب اختلال قوى السوق وتشكيل القيود على السوق المحلية وتشجيع المنافسة العالمية. واتسعت الفجوة في دخل الفرد بين الدول السبع الأغنى إلى الدول السبع الأفقر من 30 عام 1960 إلى 39 في عام 2000 ميلادي، وصاحب زيادة التفاوت بين الدول استقطاب مماثل داخل المجتمعات ويعزو التقرير هذه التطورات السلبية إلى فشل قوى السوق والتحرير السريع للاقتصادات بشكل حاسم. فئات اجتماعية على عرضة في البلدان المتقدمة والنامية على السواء. وتتحول الفوائد إلى مواطن النمو وتفاقم سوء التوزيع والازدياد المستمر للفئات المهمشة وارتفاع معدلات البطالة إلى درجة غير مسبوقة قد أصبحت من السمات الدائمة والمميزة للأوضاع الاجتماعية في العالم، وعلى ما يلاحظ الخبراء بشدة أن آثار إعادة الهيكلة الرأسمالية التي تطبقها معظم البلدان النامية في مجالات السياسة المالية والاقتصادية والنقدية، وما يتكشف من برامج التكيف لم تنجح حتى الآن إلا في الجانب النقدي والمالي، وتضاءلت نجاحاتها في مجال الاقتصاد الاستهلاكي، وظهرت أسوأ نتائجها وأكثرها سلبية في الميدان الاجتماعي، مما دفع بعض المحللين إلى الاعتقاد بأن التبعات

---

3. [illegible] سمير أمين، ترجمة سناء أبو شقرا، دار الفارابي، بيروت 1999 ميلادي

العقدية والمالية والتحويلات التي يتم التلاعب على الهيكل الاقتصادي هي نفسها الأسباب التي تؤدي إلى النتائج السلبية مرتهنة لإملاءات المركزية الرأسمالية على صعيد التنمية البشرية.*

تسلية جيانا وتخفيض ثقافة ودائمة للمهمشين

صحيح أن مفهوم العولمة نشأ في عالم الاقتصاد إلا أنه لا يتوقف عنده فهو تعبير عن نظام اقتصادي وسياسي وعسكري، وله آثار اجتماعية وثقافية تمتد لتشمل العالم كله.

وأهم هذه الآثار المرافقة السلبية هي البطالة نتيجة استخدام تقنيات متطورة وتوسع الشركات أو إغلاق المصانع ونقلها إلى أماكن أخرى حيث المناخ الملائم للاستثمار (أجور وضرائب أقل)، ويتحدث أصحاب الشركات والمصارف عن العصر الجديد ورؤيتهم إلى المستقبل الذي يختزله خبراء عالميون إلى المعادلة 20 و80 وإلى مصطلح (Tittytainment)، فبحسب ما يقولون إن 20 في المئة من السكان العاملين ستكفي في القرن القادم للحفاظ على النشاط الاقتصادي العالمي وإنه لن تكون هناك حاجة إلى أيدٍ عاملة أكثر من هذا، كما يؤكد عمالقة التجارة والاستثمار، وإن الـ80 في المئة ستكون في حالة بطالة وستواجه مشاكل عظيمة.

ويشرح بريجينسكي مصطلح (Tittytainment) كالتالي: إنه منحوت من كلمتي Entertainment "تسلية" وTits "حلمة"، وهي الكلمة التي يستخدمها الأمريكيون للثدي دلعاً، ويستخدمها بريجينسكي للإشارة إلى الحليب الذي يفيض من ثدي الأم المرضع، فيصبح معنى المصطلح: إنه خليط من التسلية المخدرة والتغذية الكافية يمكن تهدئة خواطر سكان المعمورة المحبطين[14]. وطبقاً للإحصاءات فإنه بين عامي 1980 و1993 فيما خسر 43 مليون مواطن فرصة عملهم، ومع أن غالبيتهم قد حصل على عمل آخر إلا أنه كان برواتب أدنى وشروط أسوأ. ومن هنا يمكن القول باختصار إن أمم عالمية المتوحشة أو الهائلة مقبلة بزاد العولمة الحديثة لتخوض حرب طبيعية طاحنة ضد العمل وستنزع منه تدريجياً المكاسب التي تحققت في الماضي (عمل دائم، ضمان صحي، أجور مشتركة في الأرباح... إلخ). ويبدو أن المسألة ستكون في المستقبل هي إما أن نأكل أو نؤكل (to have lunch or be lunch) كما قال (ماك دولي) مدير شركة سكوت، الذي صدق التجربة من بداياتها، والحقيقة أن هذه النتيجة إنما تعود إلى تجربة تاريخ البشرية اليهودية المتمدد على التركة الخاصة، والتطبيق على شعوب العالم المتحد بأكمله منذ انتقال الرأسمالية إلى عصر الامبريالية وهي تقتسم مناطق العالم وتخططها وتستغله وتنهب ثرواته، وما زالت مستمرة على الآن.

> الهامشي في البلدان الرأسمالية المتقدمة منقسم على نفسه والتمايز بين الغني والفقير يزيد في التفاقم

الليبرالية الجديدة نهاية الإنسان والدولة

تتلخص مقولة الليبرالية الجديدة ببساطة في أن دعه يعمل دعه يمر السوق مسلحة، أي عدم تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي وخصخصة المؤسسات والشركات الحكومية وحرية حركة رؤوس الأموال إلى جانب تحرير التجارة، فالنظام الاقتصادي الذي يعمل بقانون العرض والطلب هو أفضل الأنظمة إطلاقاً، وكلما انتقلت المشروعات بسرعة أكبر بفعل استثماراتها واستخدامها للأيدي العاملة كان النمو أكبر والمستوى الاقتصادي أعلى للجميع.

---

* الآثار الثقافية للعولمة، عبد الله أبو حلاوة، عالم الفكر، المجلد 31، يناير - مارس 2002م.

[14] فخ العولمة والاعتداء على الديمقراطية والرفاهية، هانس بيتر مارتن وهارالد شومان، ترجمة عدنان عباس علي، عالم المعرفة، ص 23.

بدأت تطبيقات النظرية الليبرالية الجديدة منذ السبعينات إذ ألغت حكومات البلدان الصناعية الكبرى عملية تحرير النقد وإلغاء أسعار الصرف الثابتة لعملاتها. وبدأ ذلك عام 1970 مسيحي، في كل من أمريكا وكندا وسويسرا. وصارت أسعار الصرف تتحدد نتيجة عمليات العرض والطلب في الأسواق، ثم ألغت بريطانيا حواجز نقدها من قيود عام 1979 مسيحي ولحقت بها اليابان عام 1980 مسيحي، وفي عام 1990 مسيحي حررت فرنسا وإيطاليا أسعار الصرف، عام 1992 مسيحي تبعتها إسبانيا والبرتغال.

كذلك بدأت خصخصة المشاريع الحكومية في كل من بريطانيا عام 1984 مسيحي

عهد تاتشر، وفي أمريكا، واليابان، وشملت مجالات الصناعة والطيران والاتصالات والنفط وغيرها. وعملية الخصخصة مستمرة حتى الآن لتشمل كل المجالات الأخرى كالطاقة الكهربائية والبريد وغيرها.

ومن المفيد أن نذكر أن خصخصة المشاريع الحكومية ليست جديدة في تاريخ الرأسمالية، إذ تمت الخصخصة في أمريكا وأوروبا بنسب مختلفة في القرن التاسع عشر ولكن تجربة اليابان التي استطاعت أن تنمو بسرعة كبيرة لتصبح في مصاف الدول الإمبريالية المتقدمة بفضل قطاع الدولة الذي تمت خصخصته عام 1880 مسيحي، أي منذ الثمانينات حثت أمريكا والحكومات الأوروبية الليبرالية الدول النامية على تنفيذ برامج لتحرير المال من القيود الحكومية أي (تحرير التجارة وحرية تنقل رؤوس الأموال وخصخصة المشروعات والشركات الحكومية) والمتمثلة بالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية (WTO) كوسائل ضغط، فمن هنا فالحكومات في مركز الدائرة حتى الآن من أجل تحرير رأس المال وبالتحرير الكامل لأسواق الصرف الأجنبي وأسواق رأس المال في الواقع ومن دون أي اعتراض ذي شأن أكبر تحيد

يجري في نظام الاقتصادي السائد في الديمقراطيات الغربية.

ويرى المنظرون لسياسة الاقتصادية الجديدة أن تحرير قطاع الدولة هو تعبير عن رغبة طبيعية للتكيف مع التطورات الاقتصادية والتكنولوجية.

يقول باربر: «الشركات العابرة للقوميات الحديثة لا يمكن أن تعمل في سياق الأسواق والسياسة الخارجية لأن كلمة خارجية لا معنى لها بالنسبة لرجل الأعمال الكوني الطموح، وكما يقول أحد رئيس مجلس إدارة جيليت: هناك عالم واحد هو عالم ماليه»

وبذلك عجزت الدولة القومية عن أن تكون مديراً اقتصادياً فعالاً ولم يعد في إمكانها

> الدولة الراهنة تسعى الى فتح بلدان الجنوب الى مجتمعها بما يسمح بإعادة إنتاج علاقات التبعية

سوى تقديم الخدمات الاجتماعية والعامة التي يعتبرها البنك الدولي ضرورية وذلك بأقل التكاليف الممكنة.

وتحقق الدولة المثل الذي حلم به أنصار التجارة الحرة في أواسط القرن التاسع عشر من أمثال كوبدن وبرايت وهذا يعني فعلاً مشروع السلام يمثل فيه نشاط الأعمال مكاناً أساسياً ولا تكون فيه للسلطة السياسية من مهمة سوى حماية نظام التجارة الحرة العالمية.

ويرى الكثير من منظري العولمة من أمثال (Ohme 1990) مسيحي أن ثمة قوتين تتحكمان في شأن الاقتصاد العالمي هما قوة السوق الكونية والشركات العابرة للقومية وليست هاتان القوتان بل لا يمكن أن تكونا خاضعتين للتحكم التنظيمي الحكومي فالنظام الكوني محكوم بمنطق التنافس في السوق، إن الهيمنة الحكومية بحسب هذا الرأي ستكون ثانوية في معظم الأحوال خصوصاً أنه لا توجد هناك مؤسسات حكومية قادرة على أن تضاهي حجم قوة السوق العالمية.

ويتساءل هيرست وطومسون عن بأن مثل هذا الاقتصاد الكوني قيد الوجود أم أنه في طور الظهور إلى الوجود؟ ويفرق بين الاقتصاد الكوني التام

والاقتصاد الدولي (Internationalised) الذي تمارس فيه عالمية الشركات أنشطتها من قواعدها القائمة في اقتصادات قومية، ويبقى للدولة القومية دور أساسي في التحكم بالاقتصاد. ويقول هيرست وطومبسون إن مستوى الاندماج الاقتصادي العالمي الحالي يشير إلى أن الاقتصاد العالمي لا يزال بعيداً عن كونه كونياً، بل هو متمحور حول ثلاثي أوروبا وأمريكا الشمالية واليابان[1]

البطالة والتمايز الطبقي

الانتاج الفائض للعولمة

إن إدخال أحدث الأساليب العلمية والتقنية في الإنتاج والخدمات وتسريع عملية الخصخصة بما يعني من مشاريع إنتاجية وخدمية حكومية والتسيب الواسع المتعلق بالإدارة والتنظيم على الأصعدة المحلية والدولية من جهة ثانية، يساهم في تقليص الحاجة إلى العمال المهرة وغير المهرة والمستخدمين والمهندسين الإداريين وغيرهم، ومن ثم يدفع بأعداد هائلة من شغيلة اليد والفكر إلى قارعة الطريق إلى أحضان البطالة في البلدان الرأسمالية. وأصبحت هذه البطالة تشكل ضغطاً سياسياً على ميزانية الدولة الاقتصادية وعلى القوة الشرائية للسكان، فوفق معلومات متوفرة بلغ عدد العاطلين عن العمل في دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD) 40 مليون نسمة في نهاية عام 2000 ميلادي، أي أن البطالة قد تضاعفت في هذه البلدان خلال عشرين عاماً. وكان القسم الأعظم من العاطلين عن العمل ينتسبون إلى الدول الأوروبية الأعضاء في هذه المنظمة الدولية. ولكن القسم الأعظم من العاطلين عن العمل كان في بلدان العالم الثالث، فالمعلومات تشير إلى أن عدد القادرين على العمل في العالم الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و65 سنة بلغ في عام 1996 ميلادي حوالي 3.5 مليار نسمة، كان حوالي 2.8 مليار منهم يعملون بشكل ما، أما العدد الباقي منهم والبالغ 0.7 مليار انسان فكان بمثابة العاطلين عن العمل أي بنسبة بطالة قدرها 20.34 في المئة من مجموع القادرين على العمل في العالم. وهذا يعني بدوره أن نسبة العاطلين عن العمل في دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية بالقياس إلى مجموع العاطلين في العالم بلغت 5.7 في المئة فقط.

وقد تتوفر إمكانية فعلية أمام الدول الرأسمالية في مواجهة البطالة الراهنة والبطالة المتزايدة بسبب التوسع في استخدام منجزات الثورة العلمية والتقنية الحديثة في الإنتاج والخدمات والتغييرات الحاصلة في بنية الإنتاج، وبروز إنتاجية جديدة وتطوير الإدارة والتنظيم وسبل التسويق من خلال تقليص ساعات العمل الأسبوعية وإلغاء ساعات العمل الإضافية من أجل زيادة التشغيل أو توفير فرص عمل جديدة في مجالات البيئة، ولكنها لا تستخدم تلك الإمكانية، وتصر على إبقاء ساعات العمل على ما هي عليه، وتسعى إلى زيادتها ثم إلى رفع معدلات ساعات العمل الإضافية وبطء توسيع التشغيل في مجالات حماية البيئة. وعليه فإنها تفتح أبواباً جديدة لمزيد من البطالة وتزيد من الضغط على الأجور والتراجع عن الضمانات الاجتماعية وغيرها من المكاسب العمالية التي تحققت خلال عقود ما بعد الحرب العالمية الثانية. ويمكن أن نلمس ذلك في تجربة الولايات المتحدة الأمريكية حيث انخفضت معدلات الأجور وإجمالي الأجور المدفوعة رغم تقلص حجم البطالة فيها وزيادة عدد العاملين. أما تجربة المانيا الاتحادية فتقدم حالة أخرى تختلف عن مثيلتها في الولايات المتحدة، حيث تتعاظم فيها البطالة وتتقلص الأجور والضمانات الاجتماعية ويجري عملية تصفية ما أطلق عليه السوق الاجتماعية، ويزداد عدد الفقراء الذين يعيشون تحت خط الفقر ويتسلمون المساعدة الحكومية لأسرهم بالتقلص باستمرار، وازدادت الوقت الذي يحتاج

---

[1] العولمة ومستقبل الدولة القومية، بول هيرست وجراهام طومسون، ترجمة مجدي البيجرمي، القاهرة 1999 ميلادي.

الرأسمالية الدولية للشركات متعددة الجنسية ويتيح للرأسماليين المزيد من الأرباح وتتسع الفجوة إلى حدود غير معروفة سابقاً بين الأغنياء والمحرومين فيه.

إن الغالبية العظمى من بلدان الجنوب، باستثناء عدد محدود منها، تواجه مصاعب تعوق جزئياً أو كلياً تنفيذها وتنمية برامجها وتجاوزها التخريجية وزيادة توظيفاتها الإنتاجية أو تنظيم رؤوس أموالها ويؤدي هذا بدوره بالارتباط مع معدلات النمو السكاني العالية فيها إلى ارتفاع كبير ومستمر في حجم البطالة وما يصاحب ذلك من إشكاليات جديدة للاقتصاد والمجتمع. وإزاء هذا الوضع المتفاقم سوف تسعى كثرة من بنات وأبناء شعوب البلدان النامية لأسباب سياسية اجتماعية أو لأسباب اقتصادية وبيئية للتحري عن عمل في الدول الرأسمالية المتقدمة لتجابه بالصد وبقلاقل التمييز وإشاعة العنصرية وحملات من العداء للأجانب ونشاطات عنصرية وتغيير قوانين الهجرة واللجوء وما إلى ذلك. فالعولمة كما تفهمها دول المراكز الرأسمالية من جانب واحد فقط لا من جانبين أو أكثر، ويراد في رأس المال والسلع والأسواق من جانب واحد أيضاً ولكن لا في سوق العمل، فهي أسواق وطنية بحتة أو أوروبية وليست عالمية، ومثل هذه السياسات تقود دون أدنى ريب إلى تفاقم كبير جداً في حجم البطالة على النطاق الدولي ولكن في بلدان العالم الثالث على نحو خاص، إذ إن معدلات النمو السكانية لا تزال عالية بالنسبة إلى غالبية هذه البلدان.

فالعولمة التي ستخضع لظاهرة تشابك الاقتصادات الوطنية على صعيدي الإنتاج والتداول والتبادل السلعي، فإنها ستقترن بتأمين ليس فقط بضمان حرية انتقال رؤوس الأموال والمواد الأولية والسلع المصنعة والتقنيات والخدمات بمختلف، بل ستتطلب أيضاً حرية انتقال الأيدي العاملة على النطاق الدولي. وضرب مصلحة الدول الرأسمالية الأكثر تطوراً والذي سيظل يمثل حصة من إجمالي قيمة قدرة التصنيع في العالم والبالغة 7077 مليار دولار أمريكي والبقية تأتي من حصة بقية بلدان العالم[*].

وفي الوقت الذي يجري الحديث عن العالم الرأسمالي المتحد ككتلة مندمجة واحدة في ظل العولمة، فإن هذا لا يعني أن العالم الرأسمالي المتقدم غير منقسم على نفسه رغم التقارب الجاري في مستويات الدول الصناعية المتقدمة بشكل عام وبخلاف اشتداد التمايز بين مجاميع البلدان النامية وتوزعها على مراكز مختلفة متباينة في مستوى تطورها. فستحصل في البلدان الرأسمالية المتقدمة صراعات على حصة والتمايز بين الغني والفقير أو بين الطبقات والفئات الاجتماعية الغنية والفقيرة حد بالتفاقم، وستنمو في السنوات القادمة هذه الاستقطابات داخل المجتمعات الصناعية المتقدمة في الوقت الذي سيزداد عدد الأغنياء وتنمو ثرواتهم الإجمالية، سيزداد في الوقت نفسه عدد الفقراء في هذه البلدان وتتكاثر أعدادهم وسيشتد بؤسهم وستتواصل عملية الصراع لتأخذ أبعاداً جديدة وتبحث عن حلول جديدة للتناقضات التي تنشأ فيها. إلا أن ظاهرة التمايز الطبقي ستكون هي الأخرى في البلدان النامية وتتخذ مساراً مشابهاً لمسارها في البلدان الصناعية وإن كانت في مستويات أدنى. ومن هنا يمكن أن يتابع المرء في العقود القادمة اتجاهاً متصاعداً يسير بنحو مزيد من التمايز فيما بين أغنياء العالم المتقدم والمتخلف من جهة، وفيما بين فقراء العالم المتقدم والمتخلف من جهة ثانية، بين كبار الرأسماليين الاحتكاريين والمهيمنين على الشركات المتعددة الجنسية من جهة وبين الطبقات والفئات الاجتماعية الفقيرة في بيوتها في ظل العولمة

> الغالبية العظمى من بلدان الجنوب تواجه مصاعب تعوق تنفيذ برامجها

---

[*] مصدر سبق ذكره، كاظم حبيب.

الجارية مرتبطة بالتغيرات البنيوية للاقتصاد والخدمات الحديثة، وبعرض ما نلاحظه في الأعمال التحولات التجديدية أو التي ستجري لاحقًا على مفهوم ومضمون هيمنة المكر والجهد على الأفكار والأدوار السياسية الجديدة التي يمكن أن تمارسها هذه الفئات الاجتماعية، فالعلوم والتقنيات الحديثة ستفرض المرور نحو تغير في بنية العاملين وفي التخصص باتجاهين، باتجاه التخصص الضيق من جهة والعمق الواسع والجهد الكبير. وفي ذلك التخصص وسيؤثر هذا باتجاه زيادة الأجور التي ستدفع للعاملين المتخصصين والكسب مستقبلًا لمطلب مضمونًا بحصر الأجور التي تدفع للعمل في حين ستكون هنالك فئات أخرى متدنية الأجر، تسير العمال والعاملين غير المتخصصين في مجالات الإنتاج والخدمات. إن الاتجاه يمكن أن ينمي الفئة الماهرة على حساب فئات أخرى في المجتمع ومنها فئات العمال اليدويين.

عولمة جنوب

انبعاث من كاهل الدولة الوطنية

تشير معطيات التطور الجاري والمستقبلي إلى أن بلدان الجنوب ستواجه رغم التمايز القائم في مستوى تطور المجموعات المختلفة منها، وفي مدى قربها أو بعدها عن المراكز الصناعية، وحجم ونوعية الموارد الأولية المتوفرة فيها، سببًا مؤثرًا من جانب المراكز المتقدمة لاحتوائها والهيمنة عليها. وإن الإشكاليات الأساسية التي تواجه بلدان الجنوب حاليًا من جراء مظاهر من قبل العولمة الجديدة (الامبريالية)، والعولمة الجديدة كثيرة وترتبط أساسًا بتبعيتها الناشئة عن مكانتها في التقسيم الدولي الرأسمالي للعمل وعلاقاتها الاقتصادية الدولية ومكانتها في الدورة العالمية لتقسيم العمل، وفي مدى استخدامها لمنجزات تلك الثورة وتوجهها ومكانتها في التجارة الخارجية، ومستوى النمو للتحكم فيها والديون الخارجية المتراكمة بذمتها والنهب المستمر لثرواتها الأولية والتخريب المتواصل لبيئتها ومواردها الطبيعية. إنما تجسد التبعية هيكلية ترتبط بتبعية العملية الاقتصادية الدولية، أي بعملية علاقة الإنتاج الاجتماعية التي تعيد إنتاج التخلف والتبعية في العالمية لمعظم من بلدان الجنوب.

ولا شك في أن بلدان الجنوب تواجه بشكل عام مهمة الخلاص من علاقات ما قبل الرأسمالية وبناء المجتمع المدني من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، كما أن بعضها يواجه مهمات التشغيل والتنمية أو توسيع قاعدة التطور الرأسمالي فيها، وتطوير مؤسسات المجتمع المدني والنشاط المؤثر في الحياة السياسية والاجتماعية، ولا نجد في واقع الأمر وفي المرحلة الراهنة بلدًا يواجه مهمات تجاوز مرحلة الرأسمالية أو يهدف إلى إقامة المجتمع الاشتراكي، إذ إن مثل هذه الأهداف في مرحلة الراهنة تعتبر هروبًا إلى الأمام

> سوف يرد ذكر نهاية القرن العشرين على أنه زمن الفقر العالمي الذي تميز بانهيار النظم الاشتراكية في الدول الشمولية وبروز المؤسسات القومية وباضمحلال البرامج الصحية والثقافية

ومعينًا على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي وابتعاد عن مستوى وعيها الراهن. ومثل هذا الاعتراف رغم الأهداف الإنسانية النبيلة والأحلام المشروعة التي تتضمنها مثل تلك السياسات التي مارستها سنوات طويلة إلا أنها لم تعد تساعد هذه البلدان على تحقيق تقدمها المنشود. ولكن هذا الاتجاه النقدي للتجارب السابقة لا يعني بأي حال التخلي عن جملة من الأهداف الاقتصادية والاجتماعية التي يفترض النضال من أجل تحقيقها في ظل العلاقات الرأسمالية الوطنية التي يراد إقامتها أو تنشيطها وتطويرها، كما أنه لا يعني بالضرورة خضوع الرأسمالية الوطنية التابعة للهيمنة الأجنبية أو البقاء في إطار الهيمنة الرأسمالية الدولية. إن الكثير من بلدان الجنوب ومنها الأقطار

العربية، يمكنها إقامة الرأسمالية الوطنية في إطار تحالفات وطنية واقعية وعقلانية بين البرجوازية الوطنية والبرجوازية الصغيرة، ومنها فئات الفلاحين والطبقة العاملة والمثقفين لصالح التنمية الوطنية المستقلة، وإعطاء القطاعين الحكومي والخاص وكذلك القطاع المختلط في عملية التنمية بعد الاستقلال لا يعني فك الارتباط كليا بالاقتصاد الرأسمالي العالمي إذ إن هذا غير ممكن وغير عملي بقدر ما يعني التوجه نحو تحقيق التنمية الوطنية وتقليص التبعية الرأسمالية والحد من الآثار السلبية المضادة وعواقب الأخرى على الاقتصادات الوطنية لهذه البلدان، ومحاولة الاستفادة من تلك الأخيرة [illegible] نتائج تطورها الأسرع والأمثل.

إن العولمة الراهنة تسعى إلى شد بلدان الجنوب إلى عجلتها بروابط كثيرة وقوية بما يسمح بإعادة إنتاج علاقات التبعية فيها، وهي تسعى إلى طرح شروط أو مستلزمات اندماجها في هذه العولمة، ومنها على وجه التخصيص: التخلص من قطاع الدولة، وتسريع عملية الخصخصة فيها، وفتح الأبواب مشرعة أمام الرأسمال الأجنبي والشركات متعددة الجنسية وإلغاء القيود الجمركية على التجارة الخارجية التي من شأنها حماية النسيج المحلي أو الإنتاج الزراعي والصناعة المحلية والتخلي عن دور الدولة في عملية التخطيط أو البرمجة الاقتصادية، ويمثل هذا جملة شروط صندوق النقد الدولي والبنك المركزي التي تفرض على البلدان النامية لغرض تقديم القروض المالية أو المساعدة لها. إن عملية التنمية الاقتصادية والبشرية في بلدان الجنوب تحتاج اليوم إلى تأمين توظيفات رأسمالية كبيرة جدا، بسبب تواضع في دخل هذه البلدان من خلال مواردها الخاصة، في ما عدا بعض الدول النفطية ذات الموارد الأولية المهمة التي يمكنها توفير رؤوس الأموال الضرورية، لذلك هذا الواقع يجعلها تقبل بالتوظيفات الأجنبية أو القروض الخارجية رغم علم المرء أن مثل هذا الاتجاه يمكن أن يقيد الاقتصاد الوطني بروابط غير قليلة مع النظام الرأسمالي ويسمح للرأسمال الأجنبي بالاستغلال، إذ ليس هنالك من خيار آخر في المرحلة الراهنة للخروج من حالة التخلف والعلاقات الإنتاجية المتخلفة. والموافقة على ذلك تستوجب العمل الجاد من خلال اتخاذ جملة من الإجراءات الاحتياطية التي من شأنها تقليل الآثار السلبية المحتملة.

إن متابعة حركة العولمة تشير إلى أن الدول الرأسمالية المتقدمة والمؤسسات المالية الدولية والشركات المتعددة الجنسية تريد فرض اتجاهات معينة على بلدان الجنوب تتجه من حيث المبدأ خدمة لمصالح تشديد التبعية والاندماج [illegible] عادة الإنتاج الدولية [illegible] لا يعني بقاء البلد متخلفا كما هو عليه الآن إذ إن ذلك ليس في مصلحتها تماما، بمعنى تطوير إنتاجها وأسواق تصريف سلعها وبالتالي تقليص أرباحها، إلا أنها تسعى لأن يكون ذلك التطور مشوها ووحيد الجانب ومكشوفا جدا على الخارج، وفي ظل هذا النوع من العولمة تتسع قاعدة البطالة في بلدان الجنوب وتتحول كثرة من القوى العاملة فيها كاحتياطي طويل [illegible] تعويض العاملين في المراكز الصناعية المتقدمة وتستغلها متى تشاء وتتخلى عنها متى تشاء.

عولمة الفقر وإعاقة التنمية تعالم [illegible] أهداف غير معلنة لدعاة العولمة!!

عولمة الفقر

سوف يرد ذكر نهاية القرن العشرين في تاريخ العالم على أنه زمن الفقر العالمي الذي تميز بانهيار النظم الإنتاجية في الدول النامية وبموت المؤسسات القومية وباضمحلال البرامج الصحية والثقافية.

بدأت عولمة الفقر [illegible] العالم [illegible] وقد تزامنت [illegible] فترة التخلص من الاستعمار التي تلت الحروب العالمية، وتزامنت مع حدوث الهجمة المنهجية لأزمة الديون واعتماد [illegible] التصحيحات لتشمل جميع

المناطق الأساسية في العالم بما فيها أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية ودول الاتحاد السوفيتي السابقة والبلدان حديثة التصنيع NICs في جنوب شرقي آسيا والشرق الأقصى.

ظهرت مجاعات في التسعينات على مستوى المحلي في كل من جنوب الصحراء الكبرى وفي جنوب آسيا وفي بعض أجزاء أمريكا اللاتينية وأغلقت مراكز الصحة والمدارس أبوابها وحرم ملايين الأطفال من حق التعليم الابتدائي. وعاد ظهور الأوبئة بما فيها السل الرئوي والملاريا والكوليرا في العالم الثالث وأوروبا الشرقية والبلقان.

مع انهيار دولة الرفاه أصبحت النسب العالية من البطالة بين الشباب [illegible] الاجتماعي والمعارضة المدنية وفي الولايات المتحدة [illegible] السياسية تزايد [illegible] [illegible] مواجهة [illegible] أحياء بأكملها قد غيرت سياسة إعادة الهيكلة الاقتصادية الحياة المدنية وحولت المدن الكبرى إلى عالم [illegible] وأصبحت بيئة للتعامل [illegible] الرئيسية [illegible] المعرفة المحصورة حيث تزايد تقسيم المدن [illegible] الأرضية الطبيعية للمدن إلى مناطق مستقلة [illegible] خطوط اجتماعية وعرقية وأصبحت مؤشرات الفقر مثل وفيات المواليد والبطالة وانتشار [illegible] في مجتمعات الأقليات [illegible] في المدن الأمريكية الأوروبية بشكل متزايد شبيهة في أوجه كثيرة بتلك المؤشرات السائدة في العالم الثالث.

أسباب الفقر الكوني

البطالة الكونية وإيجاد سكان فائضين في المجتمعات العمالة الرخيصة الكونية:

إن الانخفاض العام في مستويات المعيشة ليس نتيجة ندرة الموارد الإنتاجية كما كان عليه الحال في فترات تاريخية سابقة. ففي الواقع حصلت عولمة الفقر خلال فترة تقدم تقني وعلمي سريعين. وفي حين ساهم التقدم العلمي في زيادة ضخمة في الطاقة الكاملة للنظام الاقتصادي لإنتاج السلع والخدمات الأساسية إلا أن مستويات الزيادة بالإنتاجية لم تترجم إلى تخفيض مماثل في مستويات الفقر العالمي.

على النقيض من ذلك فإن التخفيض في عمالة الهيكلة ونقل الإنتاج إلى [illegible] عمالة رخيصة في العالم الثالث، كل ذلك ساهم في ارتفاع مستويات البطالة وفي حدوث نقص كبير في دخل العمال المدنيين والزراعيين. فهذا النظام الاقتصادي الدولي الجديد يتغذى على الفقر البشري والعمالة الرخيصة حيث تعمل معدلات عالية من البطالة الوطنية في جميع البلدان المتطورة والنامية في هبوط الأجور، وأصبحت البطالة عالمية [illegible] مع هجرة رؤوس الأموال من بلد إلى آخر في بحث مستمر عن مصادر عمالة أرخص، وحسب منظمة العمل الدولية فإن البطالة تمس في العالم [illegible] مليون شخص أو [illegible] في المائة من القوة العاملة في العالم.

ومع تحرير أسواق العمل [illegible] العمال في بلدان مختلفة في منافسة عالمية بعضهم مع بعض واستبعدت حقوق العمال [illegible] مع القيود عن أسواق العمالة، وتعمل البطالة العالمية [illegible] تكاليف العمالة على مستوى عالمي [illegible] العمالة الرخيصة في العالم الثالث [illegible] مثلا هناك [illegible] في المعسكر الشرقي (سابقا) في هبوط الأجور في الدول [illegible] وفي [illegible] السوق [illegible] المهارات العالية والمهنيين والدارسين [illegible] الاجتماعية التي تستند إلى [illegible] الاجتماعية والعرقية والجنس والعمر[1]

1.. عولمة الفقر، ميشيل شوسودوفسكي، مجلة [illegible]



- الحملة الإعلامية الغربية على الإسلام والمسلمين وسبل مواجهتها
- نظرة على المشهد المسرحي في القدس خلال العهد العثماني

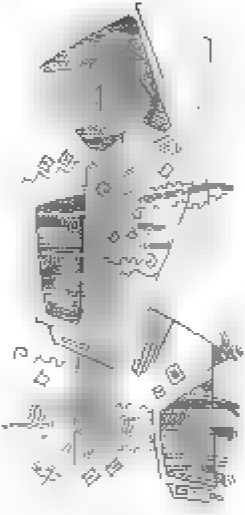
الحملة الإعلامية الغربية على الإسلام والمسلمين وسبل مواجهتها

د. صلاح الدين الجعفراوي *

تمهيد

احتل الإعلام على مر التاريخ دوراً مهماً في الحياة الإنسانية بمختلف مجالاتها. ومع تقدم وسائل الإعلام وأدوات الاتصال وما شهده العالم من ثورة هائلة عرفت بثورة تكنولوجيا المعلومات، وظهور مجتمع متواصل عالمياً، ازدادت أهمية الإعلام بمختلف وسائله المقروءة والمسموعة والمرئية والإلكترونية في توجيه الرأي العام وتشكيله، حيث أصبح الإعلام سلاحاً استراتيجياً مؤثراً في مجتمعاته وقد يكون أحد الأسلحة وأقواها على الإطلاق، فيومياً يتم نقل أكثر من 40 مليون كلمة، كما يتم بث عشرات الآلاف من ساعات بث البرامج التلفزيونية من المحطات المختلفة في العالم، ونشر آلاف المقالات من المجلات والصحف والكتب.

ومن بين الـ 40 مليون كلمة التي يتم نقلها تُنقل 33 مليون كلمة عن طريق الوكالات العالمية الأربع الكبرى للأنباء: أسوشيتد برس 17 مليون كلمة، يونايتد برس 11 مليون كلمة، فرانس برس 3.5 ملايين كلمة، رويترز 1.5 مليون كلمة، فإذا علمنا أن



* كاتب وباحث في الفكر الإسلامي - اليمن

بثلاثة أرباع الأنباء التي تذاع في العالم الثالث عن الأنباء المحلية يتم عن طريق هذه الوكالات الأربع لنستكشف مدى سيطرة هذه الوكالات على تدفق الأخبار في العالم. وبما أن وضع الدول الإسلامية في كثير من الأحيان هو دون مستوى الدول المتوسطة في العالم الثالث، يمكننا بسهولة تقويم مجال الأخبار والمعلومات فيها. فالعالم الغربي يحكم سيطرته عبر الوكالات الكبرى الثلاث، وعن طريقها يسيطر إعلاميا على المادة المنشورة في بلدان العالم العربي والإسلامي، وبالتالي يسيطر على الرأي العام فيها ويوجهه التوجيه الذي يخدم مصالحه الغربية والصهيونية ويساعد على تحقيقها.

وفي هذا السياق لا بد من التأكيد على أن الإسلام في مختلف أنحاء العالم شهد تطوراً كبيراً في خطابه وأدواته ووسائله. فقد أصبح قائماً على دراسة معطيات العلوم المعاصرة من علم نفس واقتصاد واجتماع وسياسة وغيرها، لذلك فقد أصبح تأثيره في العقول والمواهب والنفوس كبيراً مما يعمل على صنع اتجاهات إيجابية وإبطال اتجاهات سلبية، كما شهد على صعيد الأدوات والوسائل والتقنيات تطوراً لم تشهده البشرية من قبل.

الإسلام في مختلف أنحاء العالم شهد تطوراً كبيراً في خطابه وأدواته ووسائله، فقد أصبح قائماً على دراسة معطيات العلوم المعاصرة من علم نفس واقتصاد واجتماع وسياسة وغيرها

الحملة الإعلامية الغربية:

ليست الحملة الإعلامية الغربية والأمريكية بشكل خاص على العرب والمسلمين جديدة، ومرتبطة بأحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر كما يحاول البعض أن يروج له، لكنها قديمة جداً وترتبط أسبابها بالقوى التي تقف خلفها أهداف بعيدة المدى، ولكن الجديد في هذه الحملة هو كثافتها وشراستها، فقد توسعت دائرة مستهدفاتها لتشمل الكثير من ثوابت الأمة وجميع الاتجاهات الفكرية والحضارية. ووظفت الولايات المتحدة وإسرائيل والقوى الغربية أساليب في التكيف كل على حدة من جهود إعلامية ضخمة في هذه الحملة خاصة أن الإعلام يحتل في الاستراتيجية الأمريكية مركز الصدارة، وسوف يؤكده الجنرال ويسلي كلارك الذي قاد قوات الناتو أثناء حملة كوسوفو بقوله: إن الحروب الحديثة لها رؤية أمنية من وجهة النظر الأمريكية وهي حسب الأهمية: الإعلام والعلاقات العامة وتأمين التعاون مع الحلفاء، وحتماً توازن السياسة بين الضغوط الداخلية والخارجية، وعبر هذه العمليات السيطرة على التكيف مع المعطيات.

وانطلاقاً من هذه الاستراتيجية لم يكن مستغرباً أن تتحكم الولايات المتحدة بأكبر نسبة من الضخ الإعلامي والإخباري على الصعيد العالمي، وتستحوذ على النسبة الأكبر من ملكية وكالات الأنباء المصورة والأشرطة ومجموعات الإنتاج السينمائي والبرامجي، ولكي نفهم حجم السيطرة الغربية على الرأي العام العالمي نقدم الإحصائيات التالية:

1- المجلات:

حسب الإحصائيات المتوفرة فإن هناك حوالي 18 ألف مجلة في العالم، لكن المجلات الأكثر توزيعاً هي المجلات الأمريكية والغربية، فالمجلتان المعروفتان التايم والنيوزويك توزعان أسبوعياً أكثر من عشرة ملايين نسخة لنشر قراءتها على السياسة والثقافة الأمريكية. أما مجلة ريدرز دايجست فهي توزع ثلاثين مليون نسخة شهرياً وبسبع عشرة لغة وتعتبر أوسع المجلات انتشاراً في العالم، بالإضافة إلى ذلك هنالك عشرات المجلات الأخرى في عناوين مختلفة مثل الرياضة والأفلام والاقتصاد والموضة

ـ الديكور ـ التي تصدر في الدول الغربية وتبث الفضائية بشكل مباشر أو غير مباشر.

ب- الراديو والتلفزيون والمحطات الفضائية

شهدت صناعة الراديو والتلفزيون منذ بداية العقد الأول من القرن العشرين وحتى اليوم تقدماً متسارعاً، وتستورد الدول الإسلامية حالياً من هذه الأجهزة الكثير، ولكنها في الغالب تستخدم البرامج والأفلام المنتجة من قبل الدول الغربية. وفي بعض الدول الإسلامية لا تقل نسبة البرامج الداخلية عن 40% من مجموع ساعات البث، فأمريكا تحتل المركز الأول فتنتج 180 ألف ساعة بث، وتنتج كل من بريطانيا وفرنسا 40 ألف ساعة بث لكل منهما، أما ألمانيا فتنتج 8 آلاف ساعة بث. ويمكن تسجيل هذه الدول المركز المتقدم في هذا المجال. ومع التطور الأخير في مجال التلفزيون يتمثل في البث الفضائي العابر للقارات والمخترق لجميع الحواجز والسدود، إذ يحمل هذا البث ألواناً مختلفة من الغزو الثقافي والقيمي بالإضافة إلى حالات التشويه وبعض النماذج.

ج- الأفلام السينمائية

تعتبر صناعة الأفلام أحد الميادين الفنانية التي استغلها الغرب في حربه الثقافية التشويهية ضد العرب والمسلمين، وتركت هذه الصناعة آثاراً تخريبية خطيرة على ثقافة المجتمعات العربية والإسلامية. ويكفي للتدليل على خطورة صناعة السينما أن نعلم أن النقاد الأمريكيين قد أحصوا أن هوليود أنتجت ما يزيد عن 150 فيلماً يسخر من العرب والمسلمين منذ عام 1986 حتى الآن.

د- شبكة الإنترنت

يصف الكثيرون شبكة الإنترنت بأنها أخطر وأقوى وسيلة إعلامية وثقافية عرفتها البشرية حتى الآن، وعلى الرغم من محدودية انتشار الشبكة في العالمين العربي والإسلامي قياساً بالدول المتقدمة فإنها الأخطر حضوراً لأنها جمعت جميع الوسائل الإعلامية المقروءة والمسموعة والمرئية، كما أن جميع المواد المعروضة فيها غير خاضعة للرقابة. وعلى الرغم مما توفره شبكة الإنترنت من معلومات ومعرفة مفيدة فإن ما توفره من مواد هدامة وعقائد فاسدة وترويج للانحلال الأخلاقي يفوق الوصف، فقد جاء في إحصائية أمريكية أن عدد الصفحات التي تروج للجنس على الشبكة يتجاوز 260 مليون صفحة.

استغل الإعلام الصهيوني الأحداث التي شهدتها الولايات المتحدة مستغلاً نفوذه وتأثيره وسيطرته وامتلاكه منظومة إعلامية عالمية متكاملة سمعية وبصرية ومطبوعة وإلكترونية، فقد نجح بإلحاق الكبير الضرر بالإسلام والمسلمين

أبعاد الحملة الغربية:

تعتمد الحملة الغربية على العرب والمسلمين بعد الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) على ثلاثة محاور هي:

أولاً: استثمار الإسلام عدواً سياسياً جديداً للغرب بدل الشيوعية، وبرز في الحملة الإعلامية الربط بين المسلمين والإرهاب، فلم يعد يجري الحديث عن الإرهاب في خضم هذه الحملة إرهاباً غير إرهاب العرب والمسلمين حتى صنفت مقاومة الشعب الفلسطيني للاحتلال الإسرائيلي بأنها إرهاب.

ثانياً: تقسيم العالم إلى فريقين باعتماد تعريف الإرهاب كما قال بوش: إما أن تكونوا مع أمريكا أو مع الإرهابيين، فلا يوجد فريق ثالث، وخطورة هذا التقسيم أن أمريكا تحت شعار محاربة الإرهاب أصبحت تستطيع أكثر من أي وقت مضى الاعتداء على أية دولة وغزوها عسكرياً أو محاصرتها اقتصادياً.

ثالثاً: إقرار مبدأ الحرب الاستباقية والأعمال الوقائية في الاستراتيجية العسكرية الأمريكية وليس

التصدي للعدوان الواقع بالفعل كما كان متعارفاً عليه دولياً من قبل.

وكان من نتائج هذه الحملة تعرُّضُ الإسلام والمسلمين إلى حملة تشويه إعلامية غير مسبوقة وفي جميع وسائل الإعلام، بحيث لم يعد من قيمة ثقافية أو دينية أو حضارية إلا هاجمتها وحاولت التشكيك فيها. ولعل أخطر جوانب هذه الحملة أنها تربط ما يُسمى بالإرهاب بالمسلمين عامة، والعرب المسلمين خاصة، بل إن بعض الساسة والمفكرين الغربيين ذهب إلى أبعد من ذلك فدعا إلى اتخاذ الإسلام عدوّاً بعد سقوط الخطر الشيوعي، فسمعنا عبارات من مثل الحملة الصليبية، وصراع الحضارات ضد البربرية، وضرورة انتصار الغرب على الإسلام، كما سمعنا تهديدات عسكرية مثل ضرب مكة بالسلاح النووي، والتهكم على الرسول ﷺ وعلى القرآن الكريم وعلى رموز الإسلام ومقدساته. وقد صاحب هذه الحملة الإعلامية المسمومة إجراءات فعلية وخاصة في الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية. وكان من بعض نتائجها أن تعرض العرب والمسلمون في كثير من المجتمعات الغربية إلى حملة على مساجدهم ومراكزهم الثقافية ومصالحهم وحرياتهم الشخصية للتهديد من محاولات الاعتداء وألوان التفرقة العنصرية والاضطهاد.

كان من أخطر ما حققه الإعلام الصهيوني أنه نجح في ربط قضية الإرهاب بالمسلمين ودفع بالإعلام والرأي العام الغربي ليصبح منحازاً إلى هذا المفهوم بشكل خطير

دور الإعلام الصهيوني

استغل الإعلام الصهيوني الأحداث التي شهدتها الولايات المتحدة استغلالاً خطيراً وشريراً، ونظراً لامتلاكه منظومة إعلامية عالمية متكاملة: سمعية وبصرية ومطبوعة وإلكترونية؛ فقد نجح بإلحاق أكبر الضرر بالإسلام والمسلمين حيث اتخذ من عادة تضليل الرأي العام العالمي على النحو الذي يريده، فبدءاً من شارون وانتهاءً بكافة وسائل الإعلام الأمريكية المسيطر عليها من قبل اللوبي الصهيوني فتح أبواق العداء ضد العرب والمسلمين تقف أكبر حملة إعلامية باتجاه ترجمة ردة الفعل الأمريكية إلى حرب مستمرة على الشعوب العربية والإسلامية. والمراقب للأحداث يرى أن الإعلام الصهيوني توجه في عدة اتجاهات، وعمل على عدة جبهات مما يشير إلى طبيعة التوجيه الذي يتبع للتحرك الصهيوني داخل فلسطين المحتلة وفي أمريكا وفي سائر أنحاء العالم، وأهم هذه الاتجاهات:

الاتجاه الأول: صبَّ الإعلامُ الصهيوني كل حقده على العرب والمسلمين، ووصفهم بأنهم إرهابيون، وأن ما حدث في أمريكا ليس إلا من فعل العرب والمسلمين الحاقدين على الحرية والديمقراطية وقيم العالم الحر.

الاتجاه الثاني: كرَّس الإعلام الصهيوني نفسه لدفع الأمريكيين شعباً وحكومة باتجاه شن حرب مدمرة على كل الدول التي تأوي الإرهابيين حسب التصنيف الأمريكي، ولا شك في أن الوضع النفسي الأمريكي كان لا يحتاج إلى عود ثقاب ليشعل الحرب باتجاه أفغانستان بداية، وكان الإعلام الصهيوني هو الثقاب الذي أسرع بإشعال الحرب.

الاتجاه الثالث: ربط الإعلام الصهيوني بين ما جرى في أمريكا وبين ما يجري في فلسطين، وحاول بشتى الوسائل إدماج الصورتين ببعضهما حتى الفلسطينيين إرهابيين، أيضاً وبعضهم من العدو الصهيوني الدموي ضحية لهذا الإرهاب.

الاتجاه الرابع: صوَّر الإعلام الصهيوني الإسرائيليين وكأنهم الأكثر حرصاً على مشاركة الولايات المتحدة عسكرياً في الحملة التي شنتها أمريكا على أفغانستان وبعد ذلك على العراق، ويظهر

علماً أن هذا التوجه الصهيوني كان يقصد من وراء إطلاق الحرية الكاملة للكيان الصهيوني ليمد أي عملية تصفية للفلسطينيين دون عقاب، لأنها تأتي حسب التعبير الصهيوني - الأمريكي - في سياق ما يسمى الحرب على الإرهاب.

وكان من أخطر ما حققه الإعلام الصهيوني أنه نجح في ربط قضية الإرهاب بالمسلمين، ودفع بالإعلام والرأي العام الغربي ليصبح منساقاً إلى هذا التصنيف بشكل عملي، وصولاً حتى في المواقف الغربية من تنظيمات المقاومة الفلسطينية فأدرجت جميعها في قوائم المنظمات الإرهابية، وأصبحت مقاومة الاحتلال في نظر العالم الغربي إرهاباً، والاحتلال مشروعاً ومسكوتاً عنه، وأصبح الجلاد ضحية والضحية جلاداً!

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن هذا الإعلام نجح في الحقيقة في ترسيخ صورة نمطية سلبية عن العرب والمسلمين في ذهن المواطن الغربي، فقد استطاع أن يحدد رسم الصورة والمشهد الذي يريده لنا ولهم، وأن يسهم في جانب مما هو قائم الآن في المنطقة والعالم من فوضى عارمة واضطراب لن تعرف آثاره ونهايته إلى انقضاء زمن طويل.

الإعلام الأمريكي يتكلم عبرياً

وللوقوف على أسباب هذا النجاح لا بد من إلقاء الضوء على بعض تفاصيل النفوذ اليهودي على وسائل الإعلام الأمريكية حيث تؤكد التقارير والمعلومات المتوفرة أن اليهود يحكمون أيديهم على ما يزيد عن 70% من وسائل الإعلام الأمريكية، فصحيفة واشنطن بوست ذات التأثير الكبير في الإدارة الأمريكية وصحيفة نيويورك تايمز الشهيرة المقروءة داخل أمريكا وخارجها، وصحيفة وول ستريت جورنال أشهر الصحف الأمريكية في مجال المال والاقتصاد كلها مملوكة لليهود. وهذه الصحف الثلاث واسعة الانتشار تؤدي دوراً غاية في الأهمية في تشكيل الرأي العام الأمريكي بتطلعاته المختلفة تجاه مسائل القضايا الداخلية والخارجية.

وهذا الأمر ينطبق أيضاً على المجلات الشهيرة فمجلة نيوزويك، والتايم، ويو إس نيوز وغيرها من الدوريات تخضع جميعها للسيطرة اليهودية، ولا يختلف الأمر بالنسبة للإعلام المرئي، فأشهر القنوات التلفزيونية الأمريكية كال NBC وال ABC وال CBS وال CNN إما مملوكة لليهود أو تخضع لنفوذهم، وهم يهيمنون على دور النشر وشركات السينما والإعلان والإنتاج السينمائي، ويمتلك صهيونيو أمريكا حوالي 15 قناة تلفزيونية و61 محطة كيبل و24 مجلة و25 صحيفة يومية، فيما لا يتجاوز عدد الصحف المستقلة عن سيطرة الإمبراطوريات الإعلامية اليهودية 125 صحيفة من بين 1600 صحيفة تصدر في أمريكا، ولا ننسى أن من يسمى إمبراطور الإعلام اليهودي روبرت ميردوخ الذي يمتلك أغلب استوديوهات التصوير في هوليوود، والكثير من محطات التلفاز وعشرات الجرائد والمجلات.

الإعلام العربي والإسلامي

كشفت الأحداث والتطورات السياسية والعسكرية التي اجتاحت المنطقة منذ أكثر من ثلاث سنوات وحتى الآن أن الإعلام العربي والإسلامي ما زال يعاني من القصور والضعف مع بعض الاستثناءات القليلة وخاصة في مجال القنوات الفضائية، فقد سجلت بعض هذه القنوات وخاصة (محطة الجزيرة) حضوراً جيداً، ويتمثل هذا الضعف في عدم مواكبة الأحداث والتطورات بشكل خاص، واعتماده على الوكالات الغربية في نقل الأخبار والصور، واتخاذه موقف المتفرج في كثير من الأحيان مقابل المد الإعلامي المعادي الهائل، لذلك لم يكن من المستغرب ضعف أدائه في الدفاع عن قضايا الأمة والتصدي للحملات التي تتعرض لها، بل لقد تخلى الإعلام وخاصة الرسمي منه عن دوره ومهماته ومسؤولياته ومستواه

عن إرادة الشعوب العربية والإسلامية وتطلعاتها ومواقفها المعلنة من الأحداث التي يشهدها العالم وخاصة في فلسطين المحتلة وأفغانستان والعراق فالإعلام بات في واد والشعوب في واد آخر. كما يؤخذ على بعض وسائل الإعلام وخاصة الفضائيات انشغالها بالقضايا الجانبية والبرامج الترفيهية في وقت تحتاج فيه الأمة إلى الجد واليقظة والحذر.

إن بإمكان الإعلام العربي والإسلامي أن يشكل بداية لنوع جديد من الهوية خلال السنوات القادمة، إذا ما عمل على تطوير خطابه وأدواته مستفيداً من التكنولوجيا الجديدة التي تتيح للعرب والمسلمين في هذه المنطقة وفي العالم أجمع أن يقرؤوا ويسمعوا ويحصلوا على المعلومات في نفس الوقت بدرجة غير مسبوقة، وسوف يكون لذلك تأثير إيجابي داخل العالم العربي والإسلامي وخارجه. وقد يساعد ذلك على إعادة تجميع العرب والمسلمين الذين يقيمون في أمريكا الشمالية وأوروبا وسائر أرجاء العالم الأخرى حول أهداف أمتهم وقضاياها المصيرية.

إن بإمكان الإعلام العربي والإسلامي أن يشكل بداية لنوع جديد من الهوية خلال السنوات القادمة إذا ما عمل على تطوير خطابه وأدواته مستفيداً من التكنولوجيا الجديدة التي تتيح للعرب والمسلمين في هذه المنطقة وفي العالم أجمع أن يقرؤوا ويسمعوا ويحصلوا على المعلومات في نفس الوقت بدرجة غير مسبوقة

مواجهة الحملة الإعلامية الغربية

لا توجد وصفات جاهزة للرد على الحملات الإعلامية الغربية المسيئة على الإسلام والمسلمين، لتحريرهم الإعلامي وتقصيرهم في الوصول إلى الرأي العام العالمي عبره عشرات السنين، لذلك فإن الإجراءات المقترحة تندرج تحت الخطوات الإستراتيجية طويلة الأمد وبعضها الآخر متوسط وقصير الأمد أيضاً، وبالنسبة لإنجاح أي جهود يمكن أن تبذل لمواجهة ما يتعرض له الإسلام والمسلمون من حملة ظالمة لا بد من اتخاذ إجراءات مستعجلة يمكن أن تقلل من الهجمة الصهيونية ومنها:

أ- وضع إستراتيجية إعلامية عربية وإسلامية قائمة على أسس سياسية محددة ترقى إلى مستوى التحدي الإعلامي الغربي الذي تشكله الشبكة الإعلامية الغربية في العالم.

ب- توحيد الرؤية في الإعلام العربي والإسلامي تجاه القضايا المركزية للأمة والاهتمام بالخطاب الإعلامي وأدواته واستثمار الطاقات الإعلامية الموجودة والعمل على تعميقها وتحسين مهنيتها وتطوير العلاقات فيما بينها والعمل على استحداث مؤسسات إعلامية مستقلة.

ج- العمل على توحيد المصطلحات الإعلامية والتعبيرات والمفردات السياسية المستخدمة في وسائل الإعلام والتي تحمل مضموناً ومعاني مختلفة وتخدم توجهات وأهدافاً معينة.

د- إجراء حوارات معمقة بين العاملين في المجال الإعلامي العربي والإسلامي للاتفاق على منطلقات محددة وأهداف يمكن تحقيقها مع الأخذ بعين الاعتبار معطيات الواقع المعاش والمساحات الضيقة التي يمكن أن نتحرك فيها.

مقترحات عملية

أما على صعيد المقترحات التي يمكن أن تساعد في التصدي للهجمة الإعلامية الغربية فيجب أن تعتمد بعين الاعتبار بداية أننا أصحاب دين حضاري شامل.

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل، الآية 125)

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾

سورة الأنبياء، الآية 107

وإدوره المصادر مطعم على جلب المصالح ومهمة المسلمين الثقافية. كما أن الإسلام يطالب أتباعه باحترام الأديان السماوية. كما يحترم حريات الإنسان في الاعتقاد والاختيار. وانطلاقاً من هذه المعطيات فإن المهمة الملقاة على المسلمين كبيرة لا تتم إلا بالعمل المتواصل وبذل الأموال لاستغلال كل أدوات العمل الإعلامي المؤثر سواء لإيصال دعوة الإسلام إلى العالمين أو الرد على الحملات التي يتعرضون لها. ومن أجل تحقيق هذه الأهداف نقترح مواكبة أدوات وتقنيات العمل الإعلامي مثل إقامة محطات فضائية وإطلاق مواقع إلكترونية وإقامة إذاعات تبث باللغات الأجنبية الحية حتى يمكن مخاطبة جميع شعوب العالم من أجل إظهار الحقائق وكشف زيف وبطلان الدعوات التي تنشر ضد الإسلام والمسلمين بالإضافة إلى تقديم تعريف واضح بمبادئ الدين الإسلامي وأحكامه بلغات عالمية مختلفة.

2 - القيام بأعمال ونشاطات إعلامية متواصلة وباللغات الأجنبية الحية مثل ردود إعلامية تعريف الأساسي بتعريف الإرهاب وأنه موجه للعنف البشري الذي تمارسه القوى الكبرى ومصيبة بعيدة عن المعايير الأخلاقية ولا يمت بأي صلة إلى دين وعمل منشورات تظهر العنف المرتكب ضد المسلمين وعمل أفلام وثائقية توثق الجرائم التي ترتكب في فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان وغيرها، وعمل بطاقات مطبوعة وإلكترونية، ونشر مقالات مترجمة على شكل إعلانات في الصحف الغربية.

3 - الاتصال بأصحاب القرار في الغرب من السياسيين ورؤساء الأحزاب والمفكرين والمثقفين والكتاب والصحفيين ومحاورتهم على قاعدة الاعتراف بالآخر والاحترام المتبادل وتعريفهم بقضايا المسلمين وخصوصياتهم الحضارية وحقوقهم حسب المواثيق التي أقرتها الشرائع الدولية، وتوسيع مفهوم حوار الحضارات وتقريب الأديان والشعوب لخدمة السلام الذي تنشده الإنسانية جمعاء. وللتحقيق من الهدف يمكن الإفادة من العلماء والمسلمين المقيمين في الغرب للإسهام في مواجهة الحملات الإعلامية الظالمة وتقديم الصورة الصحيحة عن الإسلام.

4 - رصد جميع الممارسات الإرهابية والمضايقات وأعمال الابتزاز التي ترتكب بحق المسلمين في مختلف أنحاء العالم والإعراب عن شجبها من خلال النشرات الدورية أو الوسائل الإلكترونية أو الملصقات ومطالبة مرتكبيها بعدم تكرارها.

على صعيد المقترحات التي يمكن أن تساعد في التصدي للهجمة الإعلامية الغربية، فيجب أن نأخذ بعين الاعتبار بداية أن أسلوب دين سماوي حضاري

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾
﴿[illegible]﴾

5 - إقامة حوار مع صانعي الإعلام وحراس بواباته في العالم، ومعرفة الأسباب التي تدعوهم إلى تكريس حالة العداء مع العالم العربي والإسلامي، فإذا لم يحدث نوع من التواصل والتفاهم فلن يحدث تصحيح لصورة العرب والمسلمين، لأن هؤلاء هم من يصنعون الصورة والقيم، والحدث نفسه.

6 - استغلال الإعلام الغربي برأي الشارع العربي والإسلامي، من خلال توجيه رسائل إلى الشعوب الغربية بأنها تمثل بعض المخططات الظالمة وتعريفهم بالمستفيدين من تسعير حالة العداء مع العالم الإسلامي، فقد وجدت العديد من قادة الغرب يتوجهون إلى الرأي العام العربي والإسلامي عبر أجهزة الإعلام العربية، وفي ذلك إدراك لأهمية الرأي العام والاعتراف بالمكانة وتأثيره في



أهميات القضايا الأساسية والحساسة، وجاءت هذه المواقف بعد المظاهرات التي شهدتها شوارع العالم أجمع منددة بأسباب الحرب المستهدفة ورفضها ضد العراق وغيرها من الدول العربية والإسلامية

دعوة النقاد والمفكرين وأساتذة الجامعات والأكاديميين العرب والمسلمين لمخاطبة الشعوب الأوروبية والأمريكية كما يفعل المسئولون الغربيون فيكلمون ويخاطبون الشعوب العربية على ذات المستوى، ويكون لكلامهم صدى، خاصة أن الإعلام الأمريكي يعطيهم أكثر من سبب لهذه المخاطبة لما يوجهه من نقد فيه الكثير من التجني على بعضهم هذه الأيام ناهيك عن التجني المستمر على العروبة والإسلام.

8 - استغلال الفرصة الهائلة التي أتيحت أمام المسلمين لتصحيح صورة الإسلام في الغرب وتوضيح عدالة قضاياهم، خاصة أن العالم الغربي والأمريكي يبدي هذه الأيام اهتماما لم يسبق له مثيل لمعرفة الإسلام وقيمه ورسالته. فقد أثرت الأزمة في عقلية المواطن الأمريكي (المسلم وغير المسلم) وجعلته يفكر بعلاقته بالإسلام والمسلمين بشكل جديد وغير مسبوق. وحدث الأمر نفسه مع العديد من المسلمين المقيمين في الولايات المتحدة فقد دفعتهم الأزمة وتداعياتها إلى مراجعة المصادر والمؤسسات الإسلامية للبحث عن إجابة لما أثارته الأزمة من تساؤلات عن الإسلام.

9 - تعزيز الحوار العربي - الأمريكي الذي انطلق منذ أكثر من ثماني سنوات عندما جمع عدد من رجال الدين والإعلام العرب في أطلانطا وتم بعده إنشاء الجمعية الأمريكية العربية لمدرسي الاتصالات بهدف دعم الحوار بين أساتذة الجامعات وتبادل الدراسات والبحوث، كما عقدت مجموعة من المؤتمرات السنوية في العواصم العربية.

10 - دعم الدعوات المتزايدة في أوروبا وأمريكا وغيرها من دول العالم ضد العولمة وتلك التي تطالب بإزالة المظالم السياسية والاقتصادية وأسباب الإرهاب في العالم على حد تعبيرهم، وتعرض هذه الدعوات بوضوح تقاريرهم ودراسات موثقة عن المظالم الاقتصادية والاجتماعية التي تتعرض لها الدول العربية والإسلامية جراء السياسات الغربية وخاصة تلك المتعلقة بصندوق النقد الدولي وشروطه التعجيزية والتعسفية.

11 - استخدام شبكة الإنترنت العالمية التي أتاحت للمسلمين فرصة لم تتح لهم من قبل في وسائل الإعلام الأخرى لتعريف الغربيين بالإسلام والرد على الشبهات التي تثار حوله، ولتكون منبراً مفتوحاً للحوار بين الجانبين.

بكلمة أخيرة: إن سلاح الإعلام من أخطر الأسلحة التي يجب على العرب والمسلمين أن يأخذوا به ويحرصوا على امتلاكه بكل تقنياته ووسائله ليس لصد الحملات المعادية لهم ولقضاياهم وحماية أبنائهم من حملات التشويه والتضليل وغسل الأدمغة وصولاً إلى نهب الثروات والسيطرة على الأوطان فحسب، بل لاستعمال هذا السلاح (الإعلام) في التعريف بالدين الإسلامي ودوره ومساهمته الإيجابية في الحضارة الإنسانية، وإيصاله من غير تشويه ولا تحريف إلى كافة شعوب العالم، ويمكن أن هذا الدين يستطيع أن يقدم الكثير من الحلول العملية والواقعية لكثير من المشكلات التي تعاني منها البشرية

نظرة على المشهد العمراني في القدس خلال العهد العثماني

إبراهيم عبد الكريم*

مقدمة

لا تزال مدينة القدس تحتفظ بعدد كبير من الآثار والمعالم التي تعكس الروح العربية الإسلامية لهذه المدينة المقدسة أمام الهجمات الصهيونية المتواصلة ومحاولات سلطات الاحتلال تهويدها أو تدميرها.

وعلى الرغم من الأعمال العديدة التي شملتها عملية تهويد القدس، لا يزال يقاوم التهويد ما يزيد عن 300 معلم أثري تنتمي إلى الحضارة العربية الإسلامية في مدينة القدس الأثرية / الحرم القدسي الشريف منها: 46 مدرسة تاريخية، 39 زاوية وطريقاً وتربة، 25 مسجداً، 22 سبيلاً وحماماً، 13 قبة بعض [illegible] أروقة، 14 طريقاً قديمة، والتربة، 4 طريق مقدسة عند المسيحيين، 19 كنيسة وبطريركية، 9 أسواق قديمة، 8 أبواب، عدد كبير من المساجد والتكايا والخانقاهات والأربطة والمقابر الجماعية التي تضم 9 قبور للصحابة وعشرات القبور للمجاهدين والعلماء والقادة والأعيان... الخ.



• أولاً: منزلة القدس في العهد العثماني

على غرار العهود الإسلامية المتعاقبة، ظل الارتباط بالقدس يشكل أحد المضامين العقيدية والتعبدية في حياة المسلمين خلال العهد العثماني استناداً إلى نصوص واردة في الكتب والنصوص المقدسة، التي تحتفل بالقيم الروحية لهذه العلاقة. وكان هذا الارتباط بالقدس محركاً روحياً ووجدانياً لسلوك السلاطين والولاة والأمراء والقضاة ورجالات الدولة العثمانية وسواهم ممن [illegible] بالحفاظ على

* باحث ورئيس تحرير مجلة الأرض، في مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية - دمشق.

المعالم القائمة وبناء منشآت جديدة في هذه المدينة ومنحت القدس لذلك اهتمام فائق، لم يقتصر على بناء كمّ كبير من المعالم المعمارية، بل تعداه إلى العناية بالدور الحضاري والثقافي الذي كانت تؤديه هذه المعالم في حياة أهل القدس والعرب والمسلمين عامة.

ومع أن الأيوبيين هم الذين استردوا المدينة من الصليبيين على يد الناصر صلاح الدين (583هـ/1187م) وأن المماليك من بعدهم (648 - 922هـ/1250 - 1516م) شيدوا العديد من المباني الدينية إلى جانب إعادة بناء وترميم مكاني العبادة المركزيين، وهما المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وساهموا بذلك في صبغ المدينة بالطابع الإسلامي، إلا أن القدس بعد أربع سنوات من الحكم العثماني في فلسطين في زمن السلطان سليم الأول، خضعت لأول مرة إلى برنامج تطوير منتظم وشامل في زمن السلطان سليمان الأول القانوني (الذي تولى الحكم في الفترة 926 - 974هـ / 1520 - 1566م)، وتمكّن من إعادة تثبيت مكانة المدينة بصورة نهائية كمركز يشدّ المسلمون إليه رحالهم. وبذلك كان السلطان سليمان مجدد المدينة وراعي نهضتها وحامي ازدهارها.

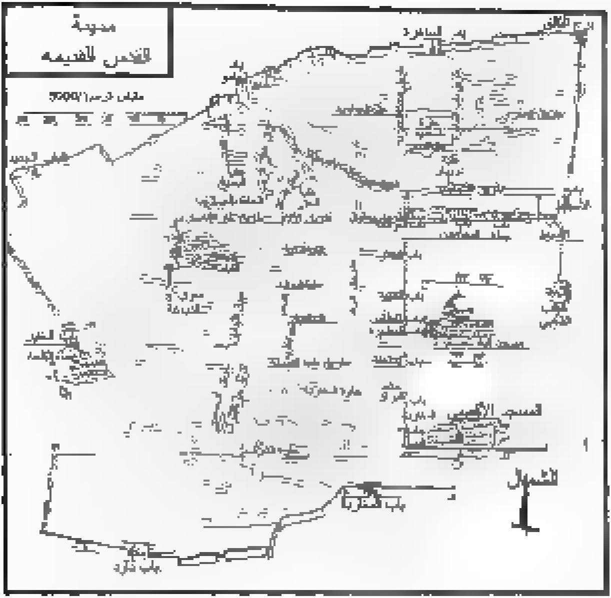
حول اهتمام السلطان سليمان بالقدس، قدم لنا الرحالة التركي أوليا جلبي في مخطوطه (أوليا جلبي سياحتنامه سي) قصص وصفه زيارة قام بها إلى القدس في رمضان 1082هـ الموافق كانون الثاني 1672م، الشرح التالي: في عام 926هـ/1520م عند اعتلاء السلطان سليمان العرش، وعندما كان ملكاً مستقلاً ظهر له النبي (ص) في ليلة مباركة وقال له: يا سليمان سوف تحقق انتصارات عديدة، ويجب عليك أن تنفق الغنائم على تزيين مكة والمدينة وعلى تحصين قلعة القدس حتى تصد الكافرين إذ حاولوا الاستيلاء خلال حكم خلفائك. وعليك أيضاً أن تزين حرمها



القدس - حائط البراق

بحوض للمياه، وأن تمنح دراويشها مخصصات مالية كل عام. وعليك أيضاً أن تزين صخرة الله وأن تعيد بناء مدينة القدس. ويقول الرحالة جلبي: لما كان ذلك أمراً من الرسول، فقد نهض سليمان خان في الحال من نومه، وأرسل أمراً إلى المدينة وأخرى إلى القدس، وبالإضافة إلى الأموال اللازمة أرسل كبير مهندسيه خوجا سنان (ت 996هـ/1588م) إلى القدس ونقل مصطفى باشا من ولاية مصر إلى ولاية الشام ولما صدر الأمر لمصطفى باشا بترميم القدس، جمع كافة البنائين والمهندسين والعمال في القاهرة ودمشق وحلب وأرسلهم إلى القدس لإعادة بنائها وزخرفة الصخرة المشرفة.

ربما يصعب تقييم القصص تاريخياً من صحة التفصيل هذه السرد حول عناية السلطان سليمان الأول بتعمير مدينة القدس، لكن من الواضح أنه يسلط الأضواء ليس فقط على الدوافع الإيمانية التي يمكن تلمسها من خلال المباني التي ما زالت قائمة في المدينة، بل يقدم لنا أيضاً أمثلة واضحة تبين الدوافع التي كانت تكمن وراء كل جزء من إجراءات الملك على حدة. ولنلاحظ هنا أن عمليات البناء استمرت



في القدس على امتداد القرون الأربعة للعهد العثماني، وربما كان من المفيد في هذا المقام تقديم عرض تفصيلي لمفردات المعماري والثقافي الذي صنعه العثمانيون في القدس على مدة عهدهم لا يزال ماثلة للعيان ليكون شاهد جمالي لهذا التراث.

• ثانياً: تجديد سور القدس وأبوابه

تبين المراجع التاريخية أن اليبوسيين (2500 ق.م) هم الذين بنوا الصيغة الأولى لسور القدس، وأنه تعرض بعد ذلك لعمليات ترميم في الفترات المتعاقبة، منها التجديد الذي تم في زمن الملك الأيوبي الناصر صلاح الدين يوسف بعد [illegible] (583هـ/1187م)، ولكن هذا السور تعرض للخراب بعد أكثر من 30 عاماً (615هـ/1219م) بفعل تعرض المدينة لخطر حصار صليبي، ودمر مرة أخرى (624هـ/1227م)، وبسبب ذلك تمكن فريدريك الثاني من استلام مدينة القدس (626هـ/1229م) دون أي مقاومة تقريباً. ثم بقيت القدس لأكثر من ثلاثة قرون تالية تفتقر إلى نظام دفاعي فعال إلى أن جاء العهد العثماني.

من المهم الإشارة هنا إلى سور القدس، الذي يحيط بالمدينة القديمة من جهاتها الأربع للناظر

اليوم، هو من تجديد استكمال خاص معروف "المعمار" من 944هـ / 1537م، في فترة السلطان العثماني سليمان الأول القانوني وبإشراف مباشر من مهندسه المهندس خوجا سنان. ولا يزال اسم السلطان سليمان محفوراً عليه. وكان هذا التجديد فوق أساسات البناء المتهدم التي يثبت من العهد الأيوبي وذلك بعد الفراغ من مشروع تزويد المدينة بالمياه.

يحمل السور حالياً 34 برجاً (للحراسة والحماية بحيث بمصطلحات اليوم لاعتبارات طبوغرافية واستراتيجية واسعة) و 343 فتحة رمي. وفي أعلى أبراج بوابات السور يوجد 17 حجرة لأغراض قتالية. ولا تقدم الدراسات الأثرية تحديداً قاطعاً لمدى العلاقة بين الأبراج العثمانية والأبراج الأقدم منها حيث جرى في حالات عدة إصلاح الأجزاء القديمة منها. ولكن على وجه العموم تعبر عمائرها الضخمة على الطراز المعماري الذي يتميز بالطبيعة المتجانسة لمواد البناء والوحدات الهندسية.

يمكن تحديد خطوات بناء السور بناء على النقوش الثلاثة عشر المعروفة بالتسلسل التالي: بدء البناء في الجانب الشمالي الغربي حيث تظهر ثلاثة نقوش مكتوبة على باب العامود والبرج الأوسط وبرج اللقلق (من الزاوية الشمالية الشرقية). وتاريخ البناء في عام 944هـ / 1538م. ويتكون هذا البرج من طابقين يتصلان بالسور. تشاهد في الأول ممرات حربية مخصصة لشغل رمي السهام، وفي الثاني تحصينات للمراقبة والحماية. وفي هذه المرحلة الأولى تم أيضاً تجديد باب الساهرة. وفي العام التالي تواصل البناء في الجهة الشرقية، حيث يشهد نقش باب الأسباط إلى عام 945هـ / 1539م، واستمر حتى الزاوية الشمالية الشرقية لساحة الحرم. إضافة إلى الجزء الشمالي من سور المدينة الغربي الممتد حتى القلعة. وتشهد على ذلك أربعة نقوش مؤرخة في عام 945هـ, 1539م على البرج الشمالي والبرج الجنوبي واثنان على باب الخليل. وتم الفراغ من بناء السور مع إنهاء الجزء الجنوبي، عام 947هـ / 1540م. كما تشير إلى ذلك أربعة نقوش كتابية أخرى، يقع اثنان منها على باب النبي داود وواحد على برج الكبريت الواقع عند الزاوية الجنوبية الشرقية، وواحد على باب المغاربة.

ويذكر التخطيط الدفاعي في سور المدينة على نماذج أيوبية ومملوكية، تتمثل في بناء أبراج عند الزوايا وبوابات ذات مداخل منعرجة. ويمكن مقارنتها على سبيل المثال بسور مدينة دمشق وبدرجة أكبر بسور مدينة حلب، وكذلك فإن الأقبية المتقنة في باب العامود وباب الأسباط وباب الخليل تشابه مثيلاتها في بوابات حلب والقاهرة التي بنيت في أواخر العهد المملوكي. الأمر الذي يؤكد رواية الرحالة أوليا جلبي في أن الذين قاموا بتشييد أعمال البناء كانوا شاميين ومصريين.

تم تطبيق أنظمة للبناء المتقنة المتبعة في العصور الوسطى، ومراعاة إعادة بناء السور على الهيئة التي كان عليها في العهد الأيوبي. ومع أن النقوش الثلاثة عشر الموجودة على سور المدينة لا



سور القدس



تزودنا بمعلومات حول تنظيم عمليات البناء، لكن يمكننا الافتراض أن محمد بيك حاكم لواء غزة والقدس، الذي بنى محراباً تحت قبة النبي في الحرم القدسي بوارعة في عام ١٥٣٨م (٩٤٥هـ)، قد لعب دوراً هاماً في تنفيذ مشروع بناء السور الضخم، وربما كان يدير عمليات البناء بنفسه.

تبين دراسة هذا السور أنه مبني من الحجارة الضخمة، وتعلوه شرافات حجرية جميلة المنظر، ويتميز بكثرة الزخارف المنقوشة على الحجارة لنماذج نباتية وهندسية أكسبت السور جمالاً وروعة لا مثيل لها، وجعلته الأجمل والأكمل بين أسوار المدن التي شيدت في العالم كله خلال القرن ١٦ م. وقد أسهمت عشرات من السنوات من الصراعات التي جرت من عصر كامل بما للقدس من أهمية دينية في فكر المسلمين، ولدى السلطان سليمان.

من المرجح أن يكون السبب الأساسي لإعادة بناء سور القدس هو أن كارلوس الخامس (ملك إسباني والمانيا والفرنسي على أوروبا الغربية) قد خطط لاستئناف الحملات الصليبية إلى الشرق. وكان معلوماً أن تحرير القدس والقبر المقدس للمسيح من الأسر الإسلامي سيكون الهدف الرئيس للحملة الجديدة أيضاً. وتجدر الإشارة الى ان الملك كارلوس الخامس كان - بين الألقاب التي أعطيت إليه - لقب ملك القدس، وقد ظهر هذا اللقب على أوراق اعتماد السفير الإسباني في بلاط السلطان سليمان الذي احتج بدوره على ذلك، والذي تحولت لديه القناعة بضرورة تحصين القدس أمام أي هجوم محتمل ببناء سور جديد للمدينة. واستناداً إلى هذا التفسير من المستبعد أن يكون بناء السور قد جاء - كما يذكر بعض المؤرخين - كمحاولة لكبح جماح هجمات البدو على القدس، خاصة بعد وجود حامية من الفرسان الإنكشاريين في المدينة، مواجهة أي هجمات كهذه.

يبلغ طول محيط هذا السور نحو ٤ كم، ومتوسط ارتفاعه ١٢م، وفيه ٣٤ برجاً، منها ٧ أبواب مفتوحة حالياً

وهي بأسمائها الرهنة الحديثة: من الجنوب باب المغاربة وباب النبي داود، من الغرب باب الخليل والباب الجديد، من الشمال باب العمود وباب الساهرة (من الشرق باب الأسباط)، والأبواب الخمسة الباقية مغلقة، هي في الشرق الباب الذهبي وباب الجنائز، وفي الجنوب المفرد والمزدوج والثلاثي، وهي ذات أبواب للحرم القدسي.

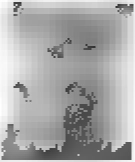
خلال العهد العثماني جرت عمليات ترميم وتجديد على غالبية أبواب القدس، وكما يلي:

- في زمن السلطان سليمان القانوني، جدد باب الساهرة (944هـ/1537م) وباب العمود (944هـ/1537م)، ونقش على حجر في واجهته «لا إله إلا الله إبراهيم خليله». كما جدد باب المغاربة وباب النبي داود (947هـ/1540م)، ويظهر على الثاني بعض ميزات عمارة عسكرية (فهو مدخل مرتفع وله برج حجري للمراقبة والحماية، ومزغل لرمي السهام..)، وبالمثل جدد باب العامود، أما الثاني باب، فيرجح أنه من العهد الصليبي، ويسمى باب الأسباط (945هـ/1538م)، ويظهر عليه ميزات عربية إسلامية عثمانية.
- استمرت أعمال ترميم سور القدس وأبوابها خلال العهد العثماني، وفي زمن السلطان عبد الحميد الثاني فتح الباب الجديد في الجزء الشمالي الغربي لسور القدس (1305هـ/1887م)، حتى يسهل الدخول إلى القدس والخروج منها عبر هذا المكان.

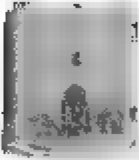
- ثالثاً: أعمال الترميم والتجديد في الحرم القدسي الشريف

تابع العثمانيون الاهتمام الذي أولاه من سبقهم من المسلمين للحرم القدسي، ومما قاموا به:

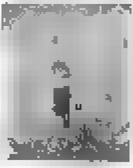
- ترميم جدران الحرم القدسي وأبوابه وفتح باب أسباط مريم، في زمن السلطان سليمان القانوني.
- استأثرت قبة الصخرة بأول أعمال البناء



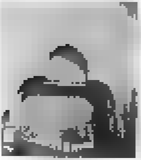
باب الخليل



[illegible]



باب النبي داود



باب المغاربة



بوابة دمشق - باب العامود

الضخمة التي أنجزها السلطان سليمان القانوني لبناء الصخرة من مكانة روحية، وحسب نقش أزيل من موضعه في وقت لاحق فقد تم الفراغ في عام 959هـ/1552م من تجديد بلاطات هذا المبنى الحجري للمدخل والبالغ عددها 11 نافذة المزخرفة بجانبها، وبعد التجديد قد أمر به السلطان سليمان، لا يمكن أن ينفي قد اقتصر على الزخرفة، لهذا يمكن عد ذلك العام تاريخاً للترميم الشامل بتوجيه وتكليف من السلطان تم إنجاز الترميم خلال

فسيفساء الفترة الأموية. وتم بعد ذلك تزيين الواجهات الخارجية بالقاشاني الملون على نمط الأبنية العثمانية في عواصم الدولة، وقد اشتمل ذلك التزيين على قطع فسيفساء متعددة الألوان وبلاطات زجاجية ملونة ذات حافات غير مدببة، واستعملت فيه أيضاً رسومات على بلاطات تحت طبقة زجاجية شفافة.

ويمكن ربط زخارف الفسيفساء تلك بنقش مكتوب يعود تاريخه إلى عام 952هـ 1545م على الجهة العلوية من الملف خارج الباب الشمالي للمسجد والمرسوم تحت طبقة من الزجاج وعليه توقيع فنان فارسي يدعى عبد الله التبريزي، وهي توضح لنا المستوى الذي وصلت إليه صناعة البلاطات بتقنية التكاليف الفسيفسائية آنذاك في ذلك الوقت، ثم تحقيق الهدف من زخارف الفسيفساء وهو إعادة الحرم القديم إلى عهد النبي، ويتضح لنا الحرص في حرص أوليا جلبي على ذكر كتخدا أحمد مرة حصاري (ت 963هـ / 1556م) الذي يحسن بخطه الفسيفساء الخارجية، والذي عمل أيضاً في الجامع السليماني في استانبول، وحرص أيضاً على ذكر معمار سنان كبير المعماريين العثمانيين ومهندس ذلك الجامع، وربط بينهم وبين التغييرات التي أمر بها السلطان في القدس.

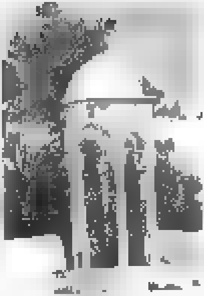
وبناء على استخدام أنماط فنية مختلفة في تصميم البلاطات يمكننا الافتراض أن إنتاج هذه الفسيفساء الزخرفية لم يمر عبر مرحلة واحدة وإنما عبر العديد من مراحل الإنتاج. ومن الأدلة الصريحة على ذلك قبة السلسلة المنتصبة شرقي قبة الصخرة حيث يوجد فوق المحراب نقش فسيفسائي مكون من سطرين يبلغ طوله نحو أمتار، وينص على أن قاشاني الفسيفساء تم تجديده بأمر من السلطان سليمان عام 969هـ 1561م. وتتكون بلاطات النقش من كتابة باللون الأبيض على أرضية زرقاء غامقة يعلوها زجاج شفاف، وهي تتطابق مع النسخة النهائية لفسيفساء

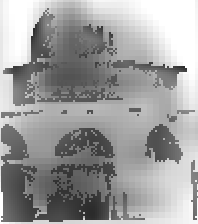


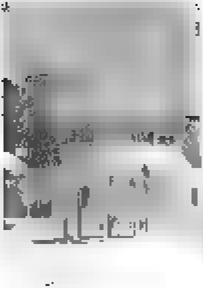
الباب الشمالي لقبة الصخرة. وعليه يمكننا القول إن تاريخ نقش الترميم في قبة السلسلة قريب من تاريخ صنع الرسومات على البلاطات تحت زجاج شفاف في قبة الصخرة المجاورة.

وعلى الأرجح فإن المرحلة الأخيرة من صناعة القاشاني قد أعقبت مراحل التطور التي مر بها بناء المسجد السليماني في استانبول في الفترة 957 964هـ 1550 ـ 1557م) والتي تم فيها استخدام بلاطات عليها رسومات متعددة الألوان لأول مرة. ومن المحتمل أن يكون المعمل نفسه الذي قام بصناعة فسيفساء تربة السلطان سليمان في ... قبل ذلك بقليل في عام 967هـ / 1560م قد تم تكليفه بصناعة فسيفساء قبة الصخرة. وعلى ما يبدو فإن أعمال الترميم الجديدة في قبة الصخرة قد استكملت عام 972هـ 1564م، بعد الفراغ من تلبيس الأبواب الخشبية الشرقية والغربية بالبرونز بتكليف من السلطان سليمان.

ويمكن القول إن ترميم قبة الصخرة في زمن السلطان سليمان قد دفع أوليا جلبي إلى كتابة الملاحظة التالية: ولما كان السلطان العثماني في هذا الزمان من أكثر حكام العالم شرفاً واحتراماً، فقد جعل من هذا الصرح جنة لا مثيل لها على







الأرض، لأن السلطان وحده هو القادر على أن يكون مالكاً لبيت الله.

في سياق عمليات ترميم مبنى قبة الصخرة، تم افتتاح الباب الشمالي للمبنى (945هـ/1538م) وإعادة تبليط المسجد وترميم القبة (948هـ/1542م) في زمن السلطان سليمان القانوني، وقد تم تجديد (1270هـ/1853م) زمن السلطان عبد المجيد، وأعيد إنشاء قسم كبير من السقف الخشبي للبناء بعض الأخشاب، ورُمّم الرصاص وبُلّطت أرضية المسجد بالرخام، وركبت شبابيك زجاجية ملونة، ورممت جدران المسجد المزخرفة في القسم السفلي منه (1291هـ/1874م) في زمن السلطان عبد العزيز، أما بلاطة القسم العلوي فهو عائد زمن سليمان الأول، وفي زمن السلطان عبد الحميد الثاني، كتبت على القاشاني سورة يس الموجودة حالياً على واجهات التثمينة الخارجية.

3- تم في العهد العثماني بناء أو تجديد عدد من قباب الحرم، ومن ذلك تجديد القاشاني (923هـ/1516م) زمن السلطان سليمان القانوني في قبة السلسلة التي أقيمت في العهود الإسلامية الأولى (شرق مسجد قبة الصخرة)، وتجديد قبة النبي (التي يعود تاريخها إلى الفترات الإسلامية المبكرة) في الموقع الذي قيل إن الرسول ﷺ صلى فيه بالأنبياء والملائكة، فأنشأ محمد بك صنجق لواء غزة والقدس محراباً مضلع الشكل بين أعمدة في زمن السلطان سليمان القانوني، ورممت القبة (1261هـ/1845م) في زمن السلطان عبد المجيد بن محمود الثاني، ويتكون مبناها من 8 أعمدة رخامية تعلوها 8 عقود مدببة تعلوها رقبة مثمنة تقوم عليها القبة.

وأنشئت قبة الشيخ الخليلي (1112هـ/1700م)، واستخدمت دار للعبادة والتصوف، واتخذها الشيخ الخليلي مقراً لممارسة الأوراد والأدعية الصوفية، والاعتكاف فيها. يضم مبناها غرفة مستطيلة الشكل مدخلها في جدارها الجنوبي، وفي داخلها كهف أقيم فيه محرابه، كما أنشئت قبة أو إيوان عشاق النبي شمالي ساحة الحرم (1233هـ/1817م) في زمن السلطان محمود الثاني، وكانت ملتقى الصوفيين والزهاد الذين عرفوا بعشاق النبي (ص)، وقبة يوسف آغا في الجهة الجنوبية الغربية من ساحة الحرم (1092هـ/1681م) في زمن والي القدس يوسف آغا خلال حكم السلطان العثماني محمود الرابع، ويستخدم مبناها حالياً مكتب استعلامات وبيع تذاكر لزوار الحرم القدسي، حسين الطراز المعماري لكل من

قبة الخضر وقبة الأرواح أتيتا من العهد العثماني، ويرجّح أنهما بنيت في القرن 10هـ / 16م، وهما مبنيان تذكاريان فقط. الأولى يضم مبناها 6 أعمدة رخامية فوقها عقود حجرية تشكل القاعدة المسدسة للقبة، والثانية يضم مبناها 8 أعمدة رخامية عليها 8 عقود تشكل القاعدة المثمنة للقبة.

4. جرى خلال العهد العثماني ترميم المسجد الأقصى مرات عدة، فبالإضافة إلى ترميم قبة الصخرة زمن السلطان سليمان، تم ترميم المسجد الرئيسي في الحرم (المسجد الأقصى) ويشهد على ذلك نص منقوش كان يقع على إحدى واجهات من الداخل ولكنه يحمل تاريخاً مغلوطاً، وهو عام 996هـ / 1587م، يحتمل أن إتمام الترميم أنجز بعد أكثر من عشرين سنة على وفاة السلطان، ومن المرجح أن التاريخ الصحيح هو عام 936هـ / 1529م حيث إن تجديد النوافذ الزجاجية في قبة الصخرة قد تم في عام 935هـ / 1528م، وعلى ذلك يمكن القول إن النص الزجاجي المتذكر في المسجد الأقصى قد تم إعداده بأمره بعد إتمام أعمال الترميم التي أمر بها السلطان في الحرم.

أما أواخر عمليات ترميم المسجد الأقصى خلال العهد العثماني فقد كان منها: الترميم الواسع الذي تم بعهد والي صيدا سليمان 1233هـ / 1816م، والترميم الذي جرى في عهد السلطان عبد المجيد 1256 / 1840م، الذي أمر على عمل ترميم الحرم وزخرفته 45 ألف ليرة عثمانية، والترميم الذي جرى في عهد السلطان عبد الحميد الثاني 1876 - 1908م، صرف عليه 30 ألف عدا الأثاث الذي بلغ ثمنه نحو 10 آلاف ليرة، وجرى كذلك فرش صحن المسجد بالسجاد الفارسي وجلبت له سجاجيد تطرى للصلاة وغير ذلك.

5. تجديد منبر برهان الدين الذي استخدم للخطابة والدعاء في الأعياد والمناسبات الإسلامية



قبة ...   قبة ...

وصلاة الاستسقاء 1259هـ / 1843م بأمر الأمير محمد رشيد في زمن السلطان عبد المجيد بن محمود الثاني حسبما هو محفور في النقش التذكاري الموجود عليه، وعرف في القرن 14هـ / 19م باسم قبة الميزان.

6. أنشئت خلال العهد العثماني مصاطب عدة في الحرم القدسي للصلاة والتدريس، وهي مكشوفة مرتفعة قليلاً بنيت من الحجارة وبلطت سطوحها، ولبعضها محراب باتجاه القبلة، أبرزها مصطبة سليمان 946هـ / 1539م، مصطبة علي باشا 1047هـ / 1637م، مصطبة الطين 1174هـ / 1760م.

7. إنشاء وتجديد سبل المياه وأبرز ما جرى في هذا الشأن أنه بعد ترميم الحرم القدسي وتجديد القلعة زمن السلطان سليمان، وعام 943هـ / 1536م تم إنجاز مشروع مائي هام يهدف إلى تأمين وصول المياه من بركة السلطان الواقعة جنوب غرب المدينة إلى الأسبلة الخمسة التي تم إنشاؤها في الحرم القدسي وحوله، وتروي النقوش المحفورة على تلك الأسبلة بمعلومات تفصيلية عن التواريخ الرسمية لتلك الأعمال، وقد تم تجديد شبكة المياه وإنشاء الأسبلة في المدينة وفي داخل الحرم خلال وقت قصير نسبياً لا يتجاوز الشهرين، وكما قال

أيوب حيني فقد كان الهدف الرئيسي من هذه المنشآت تزويد الحرم القدسي بالمياه. ولكن الأسبلة التي تم بناؤها عند تقاطعات الطرق العامة داخل المدينة تشير إلى تطوير واع للبنية التحتية للمدينة على يد السلطان سليمان. وهو ما يعكس الحرص على خدمة المواطنين والزوار على حد سواء. وهذه الأسبلة هي:

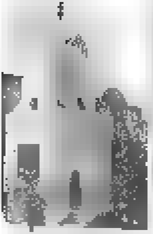
◆ سبيل قاسم باشا: قرب باب السلسلة، ويسمى أيضاً سبيل باب المحكمة. أنشئ (932هـ/1526م) في زمن قاسم باشا والي القدس خلال حكم السلطان العثماني سليمان القانوني. ويتكون من بناء حجري مثمن الأضلاع عليه قبة. تغطي جوانبه مظلة خشبية وقبة دائرية الشكل. وتتصله بركة مربعة الشكل توسطها نافورة تسمى بركة النارنج تعود الى العهد المملوكي.

◆ سبيل السلطان سليمان: في الجهة الشمالية لساحة الحرم قرب باب المجاهدين (الغنم). أنشئ (943هـ/1536م) في زمن السلطان سليمان القانوني ويحمل اسمه. ويعرف أيضاً باسم سبيل باب العتم.

◆ سبيل البديري: في الجهة الغربية لساحة الحرم شرق باب الناظر. أنشئ (1153هـ/1740م) بإشراف مصطفى آغا ناظر الحرم القدسي في زمن السلطان محمود الأول، يقوم مبناه على قاعدة مربعة الشكل، يرتقى إليه بدرجتين، له ثلاث فتحات معقودة وتعلوه قبة.

◆ كما أنشئت في العهد العثماني أسبلة أخرى مجهولة المنشئين، منها: سبيل باب حطة (في الجهة الشمالية لساحة الحرم على يسار الداخل من باب حطة) وسبيل باب المغاربة (في الجهة الجنوبية الغربية لساحة الحرم مقابل باب المغاربة). وجرى في زمن السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد ترميم سبيل قايتباي (في الجهة الغربية





سبيل [illegible] — سبيل قايتباي



لساحة الحرم (880هـ/1482م). ويعتبر هذا السبيل المملوكي الوحيد والفريد من نوعه في المنطقة، ويعد من أهم معالم القدس وفلسطين وبلاد الشام.

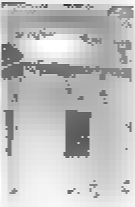
◆ رابعاً: بناء أو تجديد مساجد خارج الحرم القدسي

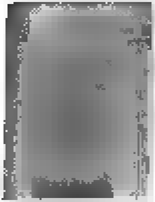
◆ بناء مسجد الطور على جبل الزيتون ([illegible]م). في زمن السلطان سليمان القانوني

◆ تحويل كنيسة العلية (العشاء الأخير) (في حي النبي داود) إلى مسجد ومقام النبي داود. ولقد كان هذا العمل من المشاريع العمرانية التي يمكن إثبات نسبتها إلى السلطان سليمان القانوني في القدس. وتظهر إعادة البناء التي جرت في تحقيق محمود جيده (وانتهت في الأول من ربيع الأول سنة 930 هـ الموافق 8 كانون الثاني 1524م) الى الهدف الرئيسي

من برنامج الإعمار الضخم في القدس، وهو التأكيد على الهوية الإسلامية للمدينة المقدسة. ويؤكد النص المنقوش باللغة العربية في المقام على أن مبنى الكنيسة ودير الفرنسيسكان التابع له والذي يضم قبر الملك داود بداخله قد تم تحويله إلى وضع يتلاءم مع الإسلام. وهذا البناء عبارة عن مبنى حجري من طابقين، سفلي فيه مسجدان (أحدهما كبير والآخر صغير وعلى جدرانهما آيات من القرآن الكريم) وعلوي فيه رحبة واسعة تقع فوق المسجد الكبير على جدرانها بلاطة نقشت عليها ذكرى تخليص المقام وتطهيره وجعله مسجداً بأمر من السلطان سليمان، بإشراف الشيخ محمد العجلاني (930هـ /1524م). وبعد نحو 300 عام جرى تجديد البناء (1233هـ/1817م) في زمن السلطان محمود خان.

- بناء مسجد المولوية (في حارة السعدية شمال غرب الحرم القدسي) (995هـ /1586م) بإشراف خداوند كاريك قوسطاي نواب القدس، وكان مكانه مكان يؤديه وعبادة لأتباع الطريقة المولوية. ويقع خارج المسجد ثلاثة أحواض، وقبر باسم الشيخ المولوي الصالح علي (1270هـ/1853م) وهي غرفة مجاورة ثلاثة قبور قديمة.
- بناء جامع الصابغة تحت المدرسة السلطانية غرب الحرم (1030هـ/1621م) في زمن السلطان محمد الرابع.
- بناء مسجد القيروبجي (قرب باب العمود في الجزء الشمالي الغربي لسور القدس) (1107هـ/1696م) من قبل الحاج عبد الكريم القيروبجي، وأوقف عليه أوقافاً، وعين له موظفين (سدنة). له مدخل صغير في واجهته الشرقية ومحراب من الحجر الأحمر وقبة عريضة الشكل مطلية باللون الأحمر وقد جدّد عام 1930م.
- تجديد الجامع العمري الكبير (وسط الحي الغربي من المدينة القديمة بجوار كنيسة القيامة في المنطقة التي صلى فيها الخليفة عمر يوم دخوله





سبيل باب المغاربة

سبيل ...

القدس فاتحاً) وقد تم هذا التجديد (اعتباراً من 1255هـ /1839م) في زمن السلطان عبد المجيد.

- وجرت في أوقات متفرقة من العهد العثماني أعمال بناء وترميم مساجد أخرى منها:
- بناء مسجد طلسم الصمادية (في حارة النصارى وسط المحلة الغربية للقدس القديمة. وهو حالياً محاط بالمحلات التجارية وليس له مئذنة ولا دورة مياه.
- ترميم مسجد المغاربة (بمحاذاة باب المغاربة جنوب غرب الحرم القدسي) ويستخدم حالياً متحف وإلى الجنوب منه مسجد النساء في الحرم القدسي.
- بناء مسجد السيوطي، في طريق الواد غرب الحرم القدسي، بجوار سبيل السلطاني وفيه مقام يحمل اسمه. يدل طرازه المعماري على أنه بني في العهد التركي، وقد رمم في الستينيات، ويفتح حالياً في أوقات الصلاة فقط.
- بناء وترميم مساجد أخرى، أبرزها: مسجد عثمان، مسجد سويقة علون، مسجد المئذنة الحمراء، مسجد الشيخ جراح، جامع الملك الأفضل (جنوب كنيسة القيامة).
- خامساً: التثبيت للقدس كمركز حضاري وتعزيز جمالها القديمة والجديدة

ظلت القدس محصورة ضمن السور أكثر من ثلاثة قرون خلال العهد العثماني، وكانت أبوابها تغلق عند

الحروب، ولا يسمح للتجار بالدخول. وفي عام 1275هـ/1858م استحدثت بوابة صغيرة جديدة في أبواب القدس تسمح للمشاة.

تُعد كل البرامج المنتظمة التي استغرقت نحو عشر سنوات 938-947هـ/1531-1540م لإعادة تعمير مدينة القدس على يد السلطان العثماني سليمان الأول القانوني، بمثابة قاعدة جديدة تعزيزاً من عمليات التطوير لتصبح المدينة مركزاً حضرياً. فقد كانت أجزاء واسعة من المنطقة السكنية داخل سور المدينة في بداية حكم العثمانيين، التي استمر فيها السكن العدد محدوداً، وكان لا بد من تعميرها. ومع نمو عدد السكان تم تحسين الزيادة على متطلبات البناء فحسب، بل كان من نتائجه أيضاً توسيع نطاق التجارة والصناعة مما أدى إلى تثبيت القدس كمركز حضري مستقل.

ويكتسب حسابات ذلك الغرائب من فترة حكم السلطان سليمان شهدت نمواً مزيداً جداً في عدد سكان القدس، فبينما كان عددهم لا يتجاوز 4000 نسمة عام 932هـ/1525م ارتفع العدد إلى نحو 15000 نسمة في عام 961هـ/1553م، أي بارتفاع عدد السكان إلى ثلاثة أضعاف ما كان عليه خلال 30 عاماً، بعد مؤشر على الجاذبية الجديدة للمدينة التي تعتبر بشكل رئيسي عن برنامج التطوير واسع النطاق الذي أمر به السلطان سليمان، وعن توفر عنصر الأمن فيها وبعدئذ كما قال أوليا جلبي: خلال السلطان سليمان القانوني كان بالقدس مجد المدينة يتصاعد إلى حد أن التأكيد خلال العهد العثماني على المعنى الديني للقدس عبر القيام بإجراءات ترميم متواصلة للرموز الإسلامية فيها، مانعم بالديار عدد الزائرين إليها في ظل عوامل الجذب الحضارية للمدينة.

نفذت المشاريع العمرانية الكثيرة في العقود الأولى من العهد العثماني، كما ورد سابقاً، من قبل مهندسين وبنائين شاميين ومصريين، الجيش

الدراسات المعمارية أنه حتى منتصف القرن 10هـ/16م لم يتأثر البناء في القدس بفن العمارة العثمانية المعاصرة له في تركيا، بل خضع برنامج البناء برمته لمدرسة العمارة المملوكية الدارجة في دمشق وحلب والتي استمرت في نفس السياق في عمارة القدس. فقد كانت حجارة البناء التي تم تجهيزها عدة مرات والأقبية المسننة التي تستخدم لتزيين إطارات الأبواب والأقواس والنوافذ تشكل العنصر الأساسي في الزخرفة، ويشير هذا التمسك بالإصدارات اللافتة للنظر إلى ارتباط وثيق بالمدرسة المعمارية المحلية، ولا سيما التأثيرات المسننة المتأنقة والتي اتخذت نموذجاً ثابتاً منذ أوائل القرن 9هـ الموافق للقرن 15م وحتى نهاية العصر المملوكي.

خلال العهد العثماني، ولاسيما في عقوده المتأخرة، تكونت في القدس القديمة داخل السور أربعة أحياء لا تزال قائمة هي: الحي الإسلامي في الشمال الشرقي = نحو 760 دونماً، والحي المسيحي في الشمال = 55 دونماً، الحي اليهودي في الجنوب، وقد توسع لاحقاً وصودرت نسبة 790 من مساكنه من الفلسطينيين = 116 دونماً، الحي الأرمني في الجنوب الغربي = 135 دونماً، وبذلك تشكلت هذه الأحياء نحو 78% من مساحة القدس القديمة البالغة نحو 871 دونماً أي 0.9 من الكم2، أي الحرم القدسي فيشغل مساحة تقدر بنحو 140 دونماً.

يأتي النمو السكاني وانتقال أبناء المناطق المجاورة إلى القدس وقدوم المهاجرين اليهود بدأت تظهر المباني خارج السور منذ أوائل الستينيات من القرن التاسع عشر، وشكلت أحياء جديدة على مقربة من المدينة القديمة، وكان من أوائل الأحياء المستوطنات اليهودية التي أقيمت المدينة حي يمين موشيه الذي أقيم عام 1860م في منطقة جورة العناب، حي ماميلا لتمديده في

مسجد القلعة [illegible] (في السكوبية) عام [illegible]م

في أواخر العهد العثماني أصبح عدد سكان القدس الجديدة نحو 15 ألف نسمة، أي ما يقارب عدد سكان البلدة القديمة الواقعة داخل السور، والمثير للانتباه أن هذا العدد الأخير ظل على حاله حتى الآن، بتأثير حركة السكان والسياسات الصهيونية، فيما ازداد عدد السكان العرب واليهود في القدس الجديدة بشطريها الشرقي والغربي إلى نحو 400 ألف نسمة، واحتلت مساحتها تتسع تدريجياً في العقود اللاحقة، حتى أصبحت القدس القديمة تشكل حالياً نحو 1% من مساحة القدس الكبرى)

* سادساً: تجديد قلعة القدس

تقع القلعة في الجهة الغربية للقدس القديمة بجوار باب الخليل، وينسب بناؤها إلى هيرودوس الملك العربي الأدومي، إلا أن أبراجها الثلاثة التي لا تزال آثارها موجودة، وقد رممت في أوائل القرن 8 هـ / 14 م بعد طرد الصليبيين من المدينة المقدسة بوقت طويل لكنها خربت في أوائل القرن 9 هـ / 15 م، ولم تعد صالحة للاستخدام وأصبحت القديمة بلا قلعة تدافع عنها.

في زمن السلطان سليمان القانوني، ضمن جهوده الرامية إلى إعادة تحسين النظام الدفاعي بعد الفراغ من ترميم الحرم القدسي، جددت القلعة (938هـ / 1531م)، وأضيف خلال ذلك ممر شرقي للقلعة، وأخرجه من وضعه الحالي بشكل نهائي، وفي إشارة إلى تجديد حصن القلعة تم نقش اسم السلطان على البوابة الجديدة، مع إجراء [illegible] من البناء وهو أن يكون مصدر الأمان لأهل القدس.

وبعد ذلك (939هـ / 1532م) تم تشييد مسجد في الزاوية الجنوبية الغربية من القلعة، فوق مسجد من العهد الأيوبي، وتحمل في مقدمته محراب مزخرف



[illegible]

ومنبر بحيث تؤدى فيه صلاة الجمعة أيضاً، وتظهر مئذنة المسجد الأسطوانية فوق البرج الجنوبي للقلعة ويستدل من الكتابات المنقوشة التي تزين المئذنة على أنها جزء من أعمال البناء التي بدأت في القدس عام 938هـ / 1531م بأمر من السلطان سليمان، وقد جدد المنبر بعد محراب ألحق به (1151هـ / 1738م) في زمن السلطان محمود الأول بن مصطفى.

خلال الحرب العالمية الأولى استخدمت القلعة مقراً عسكرياً للأتراك، وبعد عام 1967 استولت عليها السلطات الصهيونية وحولتها إلى متحف لتجميع تراث الأجيال يدعى متحف القلعة.

* سابعاً: المدارس القديمة في القدس

خلال العهد العثماني انتعشت مسيرة العلم في القدس مع خصوصية هذه المدينة ومكانتها في حياة

العرب والمسلمين، وظلت دور العلم فيها مركز إشعاع يمتد تأثيره إلى مختلف أنحاء العالمين العربي والإسلامي، وأنجبت المدينة مئات العلماء والفقهاء والقضاة والمحدثين والأدباء.

ويظهر تاريخ القدس أن هذه المدينة تميزت بوجود عدد كبير من المدارس القديمة التي قامت فيها خلال العهود المتعاقبة على نحو يفوق العديد من المدن الأخرى، إذ في مساحة تقل عن كيلومتر مربع واحد بقيت عشرات المدارس ودور العلم المختلفة داخل الحرم القدسي وخارجه. وإنه لظلم كبير للعهد العثماني ألا يجري التوقف عند المغزى الكامن وراء كثرة عدد المدارس في ذلك العهد.

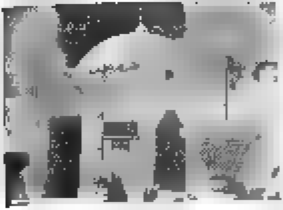
من المؤشرات على المستوى الذي ارتقى إليه التعليم في القدس، ذكر الرحالة أوليا جلبي (عام 1080هـ / 1670م) أنه كانت في المدينة 40 مدرسة للفقه. وفي أواخر القرن التاسع عشر، حسب الحولية الأولى لمعارف الدولة العثمانية في القدس أنه كان لمتصرفية القدس مدير معارف يعين في الوقت ذاته موظف التفتيش بصلاحيته سلطة مركزية. وورد في تلك الحولية ذكر المكتب الإعدادي الذي ضم 11 طالباً عام 1311هـ / 1893م، وجميعهم من المسلمين، وكانت الدراسة فيه ثلاث سنوات للمدرسة الرشدية/الابتدائية ومثلها للمدرسة الإعدادية، بالإضافة إلى 4 مدارس للطوائف العثمانية المسيحية. وبعد ذلك بثلاث سنوات (1314هـ / 1896م) كانت صورة التعليم في القدس تشمل وجود 137 طلاب يدرسهم 8 مدرسين في المكتب الإعدادي و[illegible] مدرسة للطوائف العثمانية من غير المسلمين، 3 للروم و[illegible] للأرمن و12 لليهود، وجميعها في المرحلة الابتدائية و[illegible] مدرسة أجنبية [illegible] الأوروبية و[illegible] لليهود الأجانب.

كانت المدارس في العهد العثماني المكان الطبيعي لتجميع المخطوطات لاستعمالها في التدريس. ومن المعلومات المتوفرة في هذا الحد

كان في المدرسة الدوادارية 27 مخطوطاً عام 1138هـ / [illegible] الكلم. وفي النطاق الفردي، كان مفتي الشافعية في القدس الشيخ محمد الخليلي (ت 1147هـ / 1734م) يقتني مكتبة تحوي نحو 3 آلاف مخطوط، وجد منها في تركته 280 مخطوطاً. ووصل من تلك المكتبة إلى مكتبة المسجد الأقصى عام 1983م نحو 400 مخطوط. ومن الواضح هنا أنه حين يجري الحديث عن هذه المخطوطات وسواها، يتعلق الأمر بالحركة العلمية وبدور المدارس في القدس باعتبارها البيئة التي تعزز هذا النوع من النشاط العلمي.

في العهود اللاحقة، خرجت المدارس القديمة في القدس عن أداء دورها التقليدي، اتخذ بعضها [illegible] مقر لسكن عائلات مقدسية، وتحول بعضها إلى دور للسكن ترابط فيه جماعات من عائلات مقدسية، وجرى استخدام المباني لأغراض مختلفة: مكاتب للأوقاف، مدارس [illegible].





مسجد المغاربة

كان من أبرز المدارس القديمة التي عمرت أو نشأت في القدس خلال العهد العثماني:

- المدرسة النحوية، في الجنوب الغربي من صحن الصخرة المشرفة
- المدرسة الاسعردية، فوق الرواق الشمالي للحرم
- المدرسة الصبيبية، في الجهة الشمالية من الحرم، غرب المدرسة الاسعردية
- المدرسة الملكية (الجوكندرية) في الرواق الشمالي للحرم بين المدرستين الاسعردية والفارسية
- المدرسة الأشرفية (السلطانية)، بين باب المطهرة وباب السلسلة في الرواق الغربي للحرم.
- المدرسة الجاولية إلى الشمال الغربي من الحرم
- المدرسة الأرغونية، في الرواق الغربي للحرم عند باب الحديد
- المدرسة الجوهرية، غرب باب الحديد، قرب المدرسة الأرغونية
- المدرسة الحسينية عند باب الحديد (غربي الحرم).
- المدرسة الخاتونية، عند باب الحديد شمال باب القطانين
- المدرسة المنجكية، فوق الرواق الغربي للحرم شمال باب الناظر
- المدرسة البصيرية، بجوار باب الناظر (غرب الحرم شمالاً)
- المدرسة الجاروية، عند باب الناظر (غربي الحرم).
- المدرسة التشتمرية، عند باب الناظر
- المدرسة الجهنية، شمال باب السكينة (غرب الحرم)
- المدرسة التنكزية، قرب باب السلسلة، ويتقدم قسم منها على الأروقة الغربية للحرم.
- المدرسة الجالقية، عند باب السلسلة (غربي الحرم)
- المدرسة الطازية، إلى الغرب من المدرسة الجالقية، في طريق باب السلسلة (غربي الحرم)، تجاه تربة بركة خان.
- المدرسة الرصاصية، غربي الحرم، فوق الإيوان الذي بباب القطانين، وبابها من داخل الحرم.
- المدرسة الدوادارية، فوق الرواق الشمالي للحرم القدسي، يوصل إليها الدرج المستخدم للصعود إلى منارة باب الأسباط
- المدرسة العثمانية، عند باب المطهرة (غربي الحرم)، مقابل سبيل قايتباي
- المدرسة الفخرية، إلى الشمال من الرواق الشمالي للحرم القدسي
- المدرسة الحسنية، قرب باب الأسباط
- المدرسة الصلاحية، بين حطة وباب الأسباط شمالي الحرم.
- المدرسة الغادرية، شمال ساحة الحرم إلى الغرب من باب حطة
- المدرسة الكاملية، في طريق باب حطة
- المدرسة الكريمية، عند باب حطة
- المدرسة الأوحدية، عند باب حطة
- المدرسة المزهرية، قرب باب الحديد (غربي الحرم)
- المدرسة الباسطية، قرب باب المجاهدين (العتم)، فوق الرواق الشمالي للحرم

- المدرسة الدوادارية: عند باب المجاهدين (العتم).
- المدرسة (أو الزاوية) الأسعدية: قرب باب المجاهدين (العتم).
- المدرسة السلامية: قرب باب المجاهدين (العتم).
- المدرسة الفارسية: قرب باب المجاهدين (العتم).
- المدرسة المعظمية: مقابل باب المجاهدين (العتم).
- المدرسة الموصلية: عند باب المجاهدين (العتم).
- المدرسة الحموية: قرب باب الساهرة.
- المدرسة الختنية: جوار المسجد الأقصى من جهة الجنوب خلف المنبر.
- المدرسة الوجيهية: قرب باب الغوانمة أقصى غربي الحرم.
- المدرسة النصرية: على برج باب الرحمة من أبراج السور الشرقي.
- المدرسة الأفضلية: جنوب غرب الحرم عند حارة المغاربة، وكانت قديماً تعرف باسم القبة.
- المدرسة المحدثية: بجوار الحرم قرب باب المغاربة.
- المدرسة البكرية: عند حد المسجد الأقصى من الخارج خلف المدرسة الأسعردية.
- المدرسة اليونسية: خارج الحرم في المحلة المعروفة بـ الوادي.
- المدرسة الصهيونية: خارج الحرم القدسي.
- المدرسة الحمراء: في حارة النصارى قرب المسجد العمري.
- المدرسة الصلاحية: خارج الحرم في موقع يسمى صندحنة.
- المدرسة الجركسية: على بعد كم من سور المدينة القديمة إلى الشمال في حي الشيخ جراح.
- مدارس حي الشيخونية: الجاركسية، اللؤلؤية، القرقشندية، المهمندارية، السلطانية، الحسنية، الرصاصية، الحكمية.

- ثانيا: الزوايا والأربطة والخانقاوات والخانات

انتشرت في العهد العثماني ما تسمى بالزوايا، وهي أمكنة لرجال من الأتقياء، كانوا يجمعون حولهم جماعات من التلاميذ المريدين وفيها مصلى، وكانت غالب مؤسسات شخصية غير مرتبطة بالصوفية، حيث كان الاعتكاف في غرفة صغيرة أو مغارة في المسجد أمر عادي لدى الزهاد والعباد منذ فجر الإسلام.

وفي القدس حديثاً كانت هناك قرابة 35 زاوية موزعة، معظمها بني خلال العهد العثماني وعدد كبير منها أجريت عليه أعمال ترميم أو تجديد، ومنها:

- زاوية الأفغان (الزاوية القادرية): قرب باب الغوانمة، أنشئت 1043هـ 1633م للأفغان من أتباع الطريقة القادرية، غالبيتها غرف مسكونة، وفيها مسجد ومكتبة ودار للقرآن، وتقام فيها مناسبات للعامة.
- الزاوية المجيدية: في حي النبي داود، أنشئت في عهد السلطان العثماني عبد المجيد الثاني 1255-1277هـ/1839-1860م.
- الزاوية المحمدية: أنشأها قبل 1115هـ/1703م محمد باشا محافظ القدس.
- الزاوية الرفاعية: في ساحة الحرم قرب باب الغوانمة، يرجح أنها أنشئت في العهد العثماني.
- الزاوية المهمازية: قرب باب المجاهدين (العتم)، جددت في العهد العثماني تستخدم غالبيتها للسكن وتعرف بدار الحريري.

وواصل العثمانيون طريق أسلافهم من المسلمين بإيلاء الاهتمام بما عرف باسم الأربطة أو

الربط، ومنه رابط ورباطه ومرابطي الأصل بيوت المجاهدين، ولكن الصوفيين استعملوا الكلمة على أساس أنهم كانوا يخوضون جهاداً روحياً. وفي العهد [illegible] لم تكن الأربطة تخدم هدفاً عسكرياً، بل كانت أماكن لإقامة الزوار والحجاج بعد تحريرها من الصليبيين وأدت دوراً روحياً وتعليمياً واجتماعياً. وخدمت في العهد العثماني [illegible] للفقراء والمحتاجين، ومن ذلك بني في هذا العهد رباط بيرم في حارة الواد شمال غرب الحرم (947هـ /1540م) باسم بيرم بن مصطفى جاويش الذي دفن فيه. ويتكون من مجمع يضم مسجد ومدرسة لتعليم [illegible] ومكتباً وعدة غرف لإيواء الدارسين. تشغله حالياً مدرسة دار الأيتام الإسلامية. وهنالك علاقة على الأرجح بين إقامة [illegible] سور المدينة وترميم [illegible] الأمير بيرم. وهنالك [illegible] أسميهم [illegible] المبنى بيرم ولكنهم لا يحتوون على أي معلومات عن [illegible]. ومع ذلك فمن الممكن الاعتقاد بأن هذا الأمير كان قد شارك في أعمال بناء السور التي انتهت في العام المذكور.

كما استخدمت في العهد العثماني مقار سميت الخانقاه [illegible] وهي كلمة فارسية تطلق على المباني التي تقام لإيواء الصوفية الذين يحلون فيها [illegible]، وسميت في العهد العثماني تكايا. وكانت بيوت الصوفية الكبيرة ذات مقام [illegible] عالٍ في الدولة، حيث تنص عليها السلطات وتعين لها الشيوخ بمراسيم سلطانية. وقد استخدمت لتعليم [illegible] أيضاً. وتحدث الرحالة أوليا جلبي عن [illegible] جماعات صوفية [illegible] إلخ. ومن أبرزها:

◆ التكية الخاصكي سلطان: في عقبة المفتي على طريق باب الناظر شمال غرب الحرم، تأسست 959هـ/1552م باسم زوجة السلطان سليمان القانوني الروسية روكسيلانة. وكانت هذه التكية أكبر مؤسسة خيرية في فلسطين في العهد العثماني،



[illegible]

واستمرت تقوم بخدمات [illegible] الدراويش والمنقطعين والمسافرين [illegible] وتشرف عليها الآن دائرة الأوقاف الإسلامية، ولا تزال تقدم خدمات الطعام والإعانات للمحتاجين.

◆ [illegible] الخانقاه المولوية: في حارة السعدية شمال غرب الحرم، [illegible] 995هـ/1587م [illegible] الطريقة المولوية بأمر من [illegible] خداوند كار بك [illegible] وكانت لها أملاك واسعة وأوقاف [illegible] منها داران [illegible] للسكن وأرض [illegible] وفيها مسجد تقام فيه الصلاة وقبور [illegible] من العهد العثماني، وتعرف [illegible] بالزاوية المولوية.

واستمرت [illegible] القدس بأداء [illegible] إبان العهد العثماني، وخلال [illegible] 1082هـ/1671م [illegible] الرحالة أوليا جلبي عن 70 [illegible] كبيرة في القدس. ومع [illegible] هذه الخانقاوات يعود [illegible] قبل العهد العثماني، إلا أنه جرت في ذلك العهد عمليات تجديد لها [illegible] تجديد [illegible] شمال غرب الحرم، الذي أنشئ 781هـ/1380م في [illegible] من الملك الظاهر برقوق، وهو يتكون من طابقين ويضم مسجد صغير.

◆ تاسعاً: منشآت أخرى

◆ الحمامات: ذكر الرحالة أوليا جلبي 6 حمامات في مدينة القدس هي: حمام ستنا مريم، حمام السلطان، حمام الشفا، حمام العين، حمام حمزة، حمام البطرك.

◆ المساجد ودور القرآن والحديث: تحدث الرحالة أوليا جلبي عن 240 محراباً (مسجداً) و 10 دور للقرآن و 7 دور للحديث.

◆ معابد مسيحية ويهودية: ذكر الرحالة أوليا جلبي أن في مدينة القدس كنيستين للأرمن وثلاث كنائس للروم وكنيستين لليهود.

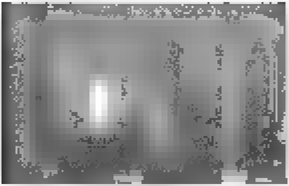
◆ أسواق: تحدث الرحالة أوليا جلبي عن كثرة أسواق القدس وذكر منها: سوق السلطان، السوق الطويل (تباع فيه الأدوات العسكرية)، سوق الحلاجين، سوق العطارين، سوق الحرير، سوق البزازين، سوق الصاغة ... إلخ، وجميعها مسقوفة بالعقود المتينة ومرصوفة بالبلاط الصخري، كما ذكر أن في القدس 2500 دكان مبنية بالحجارة والعقود المتينة.

◆ أنشئت السكة الحديد التي تربط بين القدس ويافا على الساحل، خلال السنوات الممتدة بين 1889-1892م، من قبل شركة الخطوط الحديدية الفرنسية، وعبدت الطريق البرية بين القدس ويافا 1286هـ/1869م، في زمن السلطان عبد العزيز.

◆ عبدت الطرق الداخلية والشوارع في القدس وأجريت ترميمات لواجهات المحلات اعتباراً من 1302هـ/1885م.

◆ بني المستشفى البلدي (في حي الشيخ بدر غربي المدينة/حي روميما حالياً) 1304هـ/1886م، في عهد السلطان عبد الحميد الثاني.

◆ بني برج الساعة فوق باب الخليل في الجزء الغربي لسور القدس احتفاء بالعيد 33 لجلوس السلطان عبد الحميد الثاني عام 1909م ... وكانت



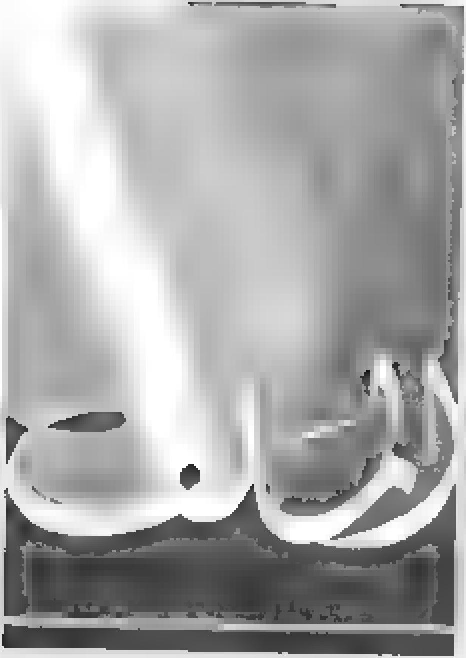
في كل واجهة منه تعلو القمة ساعة كبيرة يراها السكان من مختلف الجهات، وقد هدم البريطانيون هذا البناء.

خاتمة

تعتبر المعالم العمرانية العثمانية وغيرها في القدس بمثابة رسالة تاريخية وشواهد خالدة تنتشر في شتى أرجاء المدينة، وتعبر عن تعاقب العصور الإسلامية والمتطورة والتطور الحضاري المستمر الذي شهدته المدينة على امتداد تاريخها ... في كل موقع منها ملمحه وعلى حجارته آثاره بصمات غائرة بقيمه ومظاهره، وتعبر بالتنوع الذي يعكس ثراء مضامينه النبيلة، كجزء لا يتجزأ من تاريخ الأمة وحضارتها.

إنها ليست مجرد أبنية حجرية أو منشآت عمرانية، ولا هي مجرد لوحات فنية منحوتة أو مرسومة، بل هي شواهد على جسم الأمة تحمل بصمات الحضارة الإسلامية، وتجسد حيويتها ودورها الإنساني، وتعدُّ في الوقت ذاته دليلاً على المكانة المركزية للقدس في حياة العرب والمسلمين، دينياً وثقافياً وسياسياً.

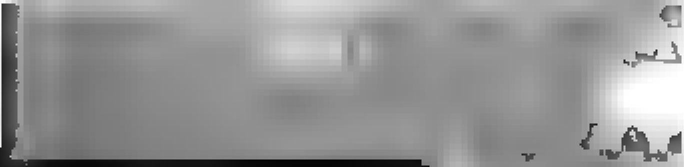
إن استمرار وجود الآثار الأثرية والتاريخية في القدس يؤكد هذه الحقيقة، وهو ما يجعلها في حيز مخصوص من العقل والوجدان، تبقى إزاءها ساهرة لا تنسى، كما أنها تحرض التفكير والإرادة للعمل على تحرير هذه المدينة من المحتل الغاصب، وترسيخ انتمائها الحضاري الأصيل.



ورقة في سياق الاجتماع الرابع عشر

للجنة تنسيق العمل الإسلامي

لتفعيل برامج العمل الإسلامي المشترك وتطويرها

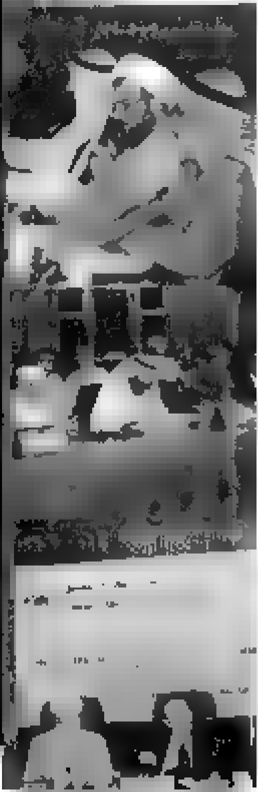


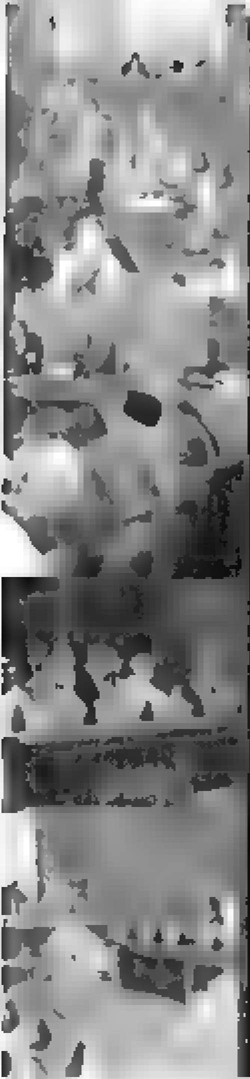
الدورة الرابعة عشرة للجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة الإسلامية

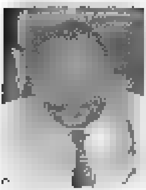
[illegible]

تفعيل برامج العمل الإسلامي المشترك و[illegible]

[illegible]

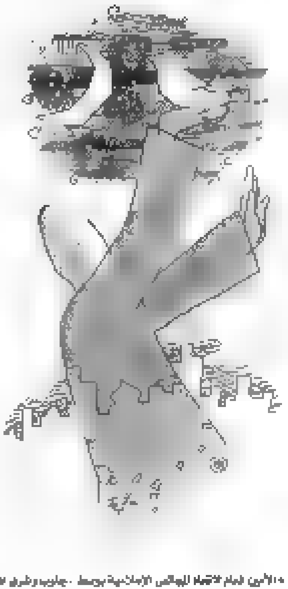






نحو مزيد من دور فاعل للمنظمات غير الحكومية

[illegible]



في [illegible] المؤتمرات [illegible] الجهل [illegible] بالأحداث المهمة [illegible] [illegible] التخطيط في [illegible] والفرقة بين المسلمين [illegible] أساساً من الجهل والابتعاد عن المبادئ الإسلامية. [illegible] انعدام الوحدة والعداوة [illegible] بسبب الجهل كما رأيت ذلك بوضوح. [illegible] الإسلام في مؤتمراتهم ومجتمعاتهم [illegible]

[illegible] نريد أن [illegible] للمسلمين [illegible] قرائهم، وهذه الرسالة [illegible] الإسلام بعضهم لبعض، أن [illegible] بين المسلمين [illegible] إلى حالة الجهل، فإذا [illegible] القرآن [illegible] على العلم [illegible] الذي [illegible] بالأحكام [illegible] وبالتالي [illegible] حول [illegible]

ويعتبر التضامن والتعاون والتآلف بين المسلمين بعضهم ببعض، أهم العناصر الأساسية لبناء مجتمع إسلامي قوي وموحد. [illegible] المسلم [illegible]

[illegible] الإسلامية [illegible]

إلى وضع المسلمين بصفة عامة عبر أرجاء العالم المختلفة، ويعتقد ذلك بعض الناس شك إلى العمل المتواصل لإرساء التوحيد بينهم، وإن [illegible] التمعن في الوضع ما قبل أو بعد تجديد الدعوة إلى الإسلام بواسطة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام نفهمه ذلك يدعو إلى بذل مزيد من الجهد على دعائم الوحدة بين المسلمين.

المنظمات العالمية غير الحكومية

يمكن تعريف المنظمات غير الحكومية بأنها هيئات غير ربحية وغير سياسية تعمل بمعزل عن الدولة غير أنها تستقل عنها (جليل 1998، ناريفي، 2007). حيث هناك منظمات مدنية غير حكومية ومنظمات قومية أو وطنية غير حكومية. فالمنظمات القومية أو الوطنية هي المنظمات غير الحكومية التي تبرز داخل حدود وطنية دولة معينة وتقوم بنشاطاتها فيها. وأما المنظمات العالمية غير الحكومية فهي المنظمات التي تبرز داخل حدود قومية وتمتد نشاطاتها إلى جهات عمل أخرى خارج [illegible] الأخيرة تكون لها رؤية خارجية.

وأما في السياق الإسلامي، فإن فكرة المنظمات غير الحكومية تعتبر ظاهرة جديدة بالمقارنة مع القارة الأوروبية مثلا التي بدأت سيطرة نفوذ المنظمات غير الحكومية فيها إلى القرن التاسع عشر. إلا أن المنظمات الإسلامية غير الحكومية على وجه الخصوص بدأ بروزها في الثمانينيات والتسعينيات ومعظمها برزت في وقت كانت الأقطار الإسلامية تمر بأزمات سياسية واقتصادية حادة. وقد تأسست كمنظمات معنية عاملة في مجال الغوث والإنماء.

التحديات التي تواجه المنظمات الإسلامية والخطوات العلاجية التي يمكن اتخاذها

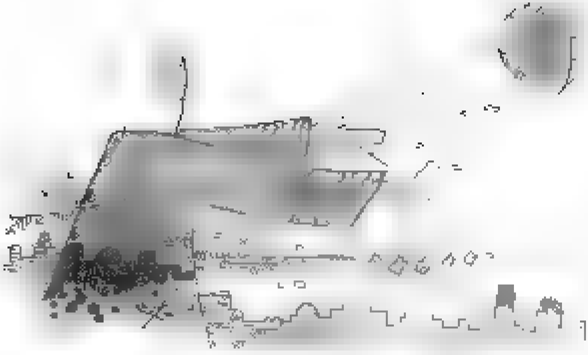
ساهمت المنظمات الإسلامية غير الحكومية مساهمة [illegible] في العالم في القرن الثالث [illegible] سواء [illegible] لنشر الدعوة الإسلامية على مستوى العالم، بينما [illegible]

○

تعاون متميز بين الرسمية والشعبية

في الجلسة الافتتاحية لأعمال الدورة الرابعة عشرة للجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة الإسلامية ألقى الأستاذ أكمل الدين إحسان أوغلي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي كلمة عبر فيها عن تقدير [illegible] الشعوب الإسلامية القائمة على جهودها المتواصلة التي [illegible] وتقديره العالي لهذه الجهود، مشيداً بالدعم الذي قدمته وتقدمه الجماهيرية الليبية لتحقيق الأنشطة المتعددة في المجالات كافة وفي مختلف الميادين.

وأكد الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي على أهمية دعم وتعزيز التعاون القائم بين المنظمة وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، مستعرضاً في هذا الخصوص بعض الأنشطة والبرامج التي وضعتها المنظمة لمواجهة التحديات التي تواجه الإسلام والمسلمين في العالم، داعياً إلى تكاتف جهود المنظمات والمؤسسات والجمعيات كافة العاملة في مجال الدعوة الإسلامية لمواجهتها [illegible] المجال يقتضي اليوم إضافة إلى الدعوة للإسلام، دعم صورة الإسلام نفسه الذي صار مستهدفاً أكثر من أي وقت مضى، والدفاع عن المسلمين الذين [illegible] والتعبير عن [illegible] وتقوية صورة دينهم والتعريف [illegible] مضامين العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة بتوسيع مداه وغاياته وأولوياته، والخروج من إطار الاقتصار على شؤون الدعوة التقليدية إلى ميادين العمل الجديدة التي يفرضها التفاعل الحتمي مع الواقع.



الأخرى في شكل حركات مثل التيجانية والنادرية في غرب إفريقيا، ورغم تأسيس هذه الحركات فإنها اهتمت بأمور الدعوة وإزالة الفرق وسط الأفارقة التقليديين.

وقد بدأ ظهور المنظمات الإسلامية غير الحكومية بعد الاستقلال، بظهور رابطة العالم الإسلامي والوكالة الإسلامية الإفريقية، واتحاد المجالس الإسلامية لشرق ووسط وجنوب أفريقيا، وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي تأسست سنة 1972 ميلادي، وجمعية المشاريع الخيرية الإسلامية. وتعد هذه جملة المنظمات الإسلامية غير الحكومية الدولية إلى جانب وجود الكثير منها على المستويين القاري والمحلي والتي تم تأسيسها على الأسس والمبادئ الإسلامية. ويقول بروك مان (54 :1978)، كشأن المنظمات غير الحكومية الأخرى تم تحديد المنظمات الإسلامية العاملة غير الحكومية بالمنظمات غير الحكومية أو الأهلية. ولكن مع موجة العولمة فقد أضحى هناك حاجة كبيرة إلى تغيير السياسات نظراً إلى أن سبب تأسيسها قد استنفدت صلاحيته. على هذه المنظمات أن تركز بصفة عاجلة على القضايا التي تناسب الزمن الحديث.

ومقارنة لمحة حول منظمة المؤتمر الإسلامي كمنظمة عامة غير حكومية يجب على المنظمات غير الحكومية استثمار جهدها الأوفر في القطاع الوطني للمنظمات العامة. ويمثل هذه ذلك الدور في عداد تنظيم النشاطات المتصلة بالقضايا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإنسانية مثل المشاكل التي يمكن وصفها باختصار بالمسائل غير السياسية. ويبدي إيمي كلاود (1956) بعض الملاحظات الآتية:

- المنظمات الوطنية متصلة بصفة عاجلة وواضحة نحو هذه القيم:

- الأهداف الرفيعة، الحس الاجتماعي والحياة الجيدة، وجلب السرور وإزالة الأسى الوطني. إذ المكونات اليمنية عادة ما تجتمع لتنفيذ نشاطات متصلة بصفة مباشرة بالقضايا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإنسانية.

فهناك شعور قوي بأن المنظمات الإسلامية غير الحكومية لم تتقدم بصفة فاعلة ولم ترضي تطلعات منظمة المؤتمر الإسلامي، حيث الغرض الأساسي لمنظمة المؤتمر التعاون مع الدول الأعضاء فيما يتعلق

المستوى السياسية والاجتماعية والاقتصادية سياسياً لم يلق سوى تسجيل نجاح بسيط نظراً إلى أن معظم الدول الإسلامية كانت تواجه مشاكل في العمل السياسي. فحمداً لله على أن عبر الشارع أخذ يتحسن ونسأل الله أن يستمر الاتجاه بالإيجابية التي هو عليها. فهذه المشكلة أثرت كثيراً في عمل المنظمات غير الحكومية على مستوى العالم. فيجب على المنظمات الإسلامية أن تعمل من أجل التعاون بين الأعضاء غير الحكومية وتبادل الزيارات ودعم الأخوة الإسلامية والتضامن.

ومن وجهة نظر الاقتصادي هنالك تزايد في أهمية المنظمات العالمية مثل منظمة المؤتمر الإسلامي لدى الحكومات ووكالات العون الرسمية الذي يأتي في عصر التحولات العريضة في المفكر الاقتصادي والسياسي. فالسياسات الإنمائية والتحويلات في مجال العون الإنمائي قد طغت عليها سياسات وأجندة جديدة تؤكد دور القطاعات غير الرسمية مثل المنظمات العالمية، فالصورة العامة للوضع هي أن المنظمات العالمية مثل منظمة مؤتمر العالم الإسلامي يمكن أن يجب الآن نظرة حسنة لدى وكالات العون الرسمية وكوسيلة ناجحة عن المشاكل الإنمائية حيث تنظر الوكالات الرسمية إلى المنظمات غير الحكومية بمنزلة طلقة سحرية تنطلق في أي اتجاه وفي أي وقت يبين أدلة كثيرة، وما زلنا نعيش هذا الاستهداف على دول أعضاء مؤتمر العالم الإسلامي العمل على دعم المعاهدة الاقتصادية بهذه التنظيمات المتقبلة لمنظمات منظمة المؤتمر.

منظمة المؤتمر العالم الإسلامي منظمة عالمية غير رسمية يجب أن تكرس وقتها للتحسين حياة المحتاجين في الدول النامية. فيجب على المنظمة مساعدة الأف الناس ليصبحوا متحصلين في الزراعة، رجال أعمال، عمالاً مهرة وأعضاء فاعلين في مجتمعاتهم. كما ينبغي أن تركز على مهارات العمل القائمة والمجتمعات الكبيرة والمتصلة بشبكة التدريب على مستوى العالم، وتأسيس مؤسسات مستقلة في دول مختلفة، ويسعى

○

مسيرة يجب أن تستمر وتتطور

ومن جانبه عبر أمين عام جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في كلمته في الحفل عن الافتتاحية لذكر الشخصيات الإسلامية العالمية، وتأسيس هذه الجمعية على رعايته واهتمامه بالتواصل بالمسلمين ونشر الدين الإسلامي والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة في مختلف أرجاء المعمورة.

وقال: «يشرفني أن أنقل إليكم تحيات قائد الشخصيات الإسلامية العالمية الذي يحرص على متابعة نشاط الجمعية حتى في رحلاته الخارجية، ويجسد سمو الفكر في رحلاته ولقاءاته مع المسلمين وغير المسلمين، ويتناول مسألة الدعوة والتعريف بالإسلام بين المسلمين وغير المسلمين ويوليهم العناية والاهتمام الكبير، ويأتي الناس ليلتقي على يديه بأعداد كبيرة، مشيراً إلى أهمية هذا الاجتماع الذي يأتي في ظروف بالغة الحساسية بالنسبة للأمة الإسلامية».

واستعرض في كلمته مسيرة جمعية مسيرة العمل الإسلامي منذ تأسيسها، موضحاً دعم الجمعية لتلك المسيرة التي يجب أن تستمر وتتطور ببرامج تُنفذ على أرض الواقع، وما حصلت الجمعية الآن من مكانة إلا نتيجة على الاهتمام بهذه الجمعية، ودعم برامجها، وتقديراً للجان القائمة عليها. معرباً في ختام كلمته عن ترحيبه بالمشاركين في أعمال هذا الاجتماع على أرض الجماهيرية العظمى، متمنياً لهم النجاح والتوفيق للخروج بتوصيات هادفة تخدم مستقبل الدعوة الإسلامية.

على المنظمة دعم الأبحاث وتطوير الموارد البشرية من خلال إقامة مراكز للتدريب المهني والتقني وبرامج الأسر المنتجة وبرامج المشاريع والأعمال وخدمات تطوير الأعمال، وخدمات بيوت الأموال الصغيرة، وإعادة تأهيل المناطق المتضررة من الحروب، وخدمات دعم الأبحاث. وبالرغم من ذلك فهي تساعد في تحسين الصورة السائدة في تشكيل جهاز دبلوماسي. ويستوعب هذه المنظمات الإسلامية غير الحكومية لا تؤكد أهمية الخدمات في المجالات الاجتماعية مثل التعليم والصحة، وهو مبني على حقيقة أن معظم هذه المنظمات تركز أكثر جهودها في السعي الديني في المجال الاجتماعي والاقتصادي. وبالمقارنة فإن هذه المنظمات تضع جل جهدها في بناء المساجد وفي بعض الأحيان تبني مسجدين في محلة واحدة دون أن تهتم بالحاجات الاجتماعية الملحة مثل التعليم والصحة والأمن الصناعي وتوفير فرص التوظيف التي يمكن أن تدعم التضامن والأخوة الإسلامية بين أعضاء دول منظمة المؤتمر الإسلامي. فينبغي على المنظمات الإسلامية غير الحكومية أن تركز على القضايا والمسائل أكثر من تركيزها على بناء المساجد عليها أن تستثمر مواردها في المدارس والمؤسسات التعليمية والمستشفيات على سبيل المثال، وأن توسع في نشاطاتها لتصل المجتمعات المحلية حتى تخلق الأثر في حياة ورفاهية الناس. ففي عديد من مساعدات هذه المنظمات الإسلامية العاملة غير الحكومية تركز جهودها في نفس الحيز بحيث يستفيد من برامجها قلة من الناس. فالحاجة موجودة لكي تتبنى هذه المنظمات مدخلاً أوسع وسائل لدعم عمل منظمة المؤتمر الإسلامي.

فاليوم نعيش في قرية عالمية حيث معيشة الإنسان أصبحت متشابكة ومتداخلة وحالة طبيعية للمجتمع الإنساني. وهذا الوضع قد عمل على ربط شعوب العالم بشكل أساسي لم يسبق له مثيل. فالمنظمة شبه مستقلة تحت منظمة المؤتمر الإسلامي بموقع متميز من حيث مسائل التي لا تستطيع دول شعوب العالم مستقلة على غير التنسيق مع المنظمات الإسلامية وينبغي أن تحافظ على شبه هذه الاستقلالية.

علاقة منظمة المؤتمر والمنظمات الإسلامية غير الحكومية يجب أن تبنى على مشاركة وتفاهم حتى تخاطب المقاصد الأساسية للمنظمة الدول العضوية

وينبغي على المنظمات الإسلامية التعاون في عمل تطوير المعارف المشتركة وتقييم الاستحقاق من خلال وسائل الإعلام ومن خلال تعهد الصداقة الثقافية تحافظ على التعاون الإنساني تعمل على نشر المعرفة وحفظ التراث الإسلامي الغني من خلال الكتب والأعمال الفنية.

ويجب على المنظمة غير الحكومية أن تكون قنوات للدول التي تسعى وأن تساهم الدول الأعضاء في مجال الاستثمار. ومشكلة منظمة المؤتمر الحالية هي أنها منظمة حكومية تتعامل مباشرة مع الحكومات وتقدم الكثير من مساعداتها إلى الحكومات التي لا تتعاطف أو تعمل للقيم الإسلامية. فعلى سبيل المثال فإن الدول العلمانية مثل الأعضاء المسيحية تعد فيها مناصب أعضاء تستثمر عن عضويتها في المنظمة حيث لا نرى فائدة تنظيمها. وفي الحال أن المنظمة تتعامل مع حكومات مثل هذه الدول بعد مساعداتها ضد الحكومة إلا أنه كثيراً ما يتم صرفها في الشئون التي لا تعود على الإسلام والمسلمين بالفائدة.

عليه ينبغي على منظمة المؤتمر الإسلامي إعادة توجيه مساعدتها عبر المنظمات الإسلامية غير الحكومية المتخصصة وسط المجتمعات ستطيع مناطق أعمالها. وفوق ذلك فإن الحكومات يسود فيها الفساد الإداري. والقضية الدولية أصبحت غير فاعلة فقد حدث المنظمات غير الحكومية مثل المنظمات الإسلامية تكتسب أهمية نسبية في العلاقات الدولية في العالم الحديث. وبعد تسليس مسائلها في تنظيم عمال

للمنظمات العالمية مثل منظمة المؤتمر الإسلامي. إن
لوان التمثيل الأساسي لأعضاء أعمال الحكومات عبر
المنظمات غير الحكومية التي ليس لها أي مصلحة
وفي الحال أن شعوب الدول أصبحت أكثر بروزاً بالمقابلة
مثلاً على المنظمات العامة مثل منظمة المؤتمر.

فلابد من منظمة المؤتمر والمنظمات الإسلامية غير
الحكومية يجب أن تبنى على نظرية وطنية تعاضد
التنفس الرئيسي للأنظمة الدول الموسعة فيما
يتعلق بأداء الحكومة كدولة بمعرفة كوكالة قائمة بما
يجب أن تقوم به في تطوير الاقتصاد والمعيشة
الاجتماعية للأسر الإنسانية مما يعمل على تقليص
أثر الأداء في أعمال المنظمات الإسلامية غير
الحكومية، وعمل المنظمات غير الحكومية يجب أن
يبنى على النظرية الوطنية أو مدخل السلام، ويعد
هذا جزءاً من النشاطات المختلفة التي تمس بالمسائل
الاقتصادية والاجتماعية والتقنية والإنسانية مثل
مشاكل ذات طبيعة غير سياسية في مبناها ومشكلة
بصيغة واضحة يلهم الازدهار الرفاهية العمل
الاجتماعي والحياة البهيجة أكثر من العضوية بحق
الشعوب وإزالة الأمن الوطني فيجب على المنظمات
الإسلامية أن تعيد تعريف نطاق عملها بما يتناسب
والروح الصادقة لتطلعات منظمة المؤتمر الإسلامي.

ويجب على الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر
الإسلامي وأجهزتها الأساسية أن تبدأ في إعادة توجيه
قنوات مساعداتها المتعددة للمنظمات الإسلامية غير
الحكومية ومساعدة هذه المنظمات في مقاطعة قضية
تعميم الصحة وتسهيلها لمواطنيها، فيبقى مسألة
تعميم الصحة في دول أعضاء المؤتمر مسألة أولوية في
أجندة التنمية، كما لا تزال الدول الأعضاء تتصف
بمستوى عال من الفقر على المستويين القومي والأسري
معتمدة على مؤشرات التنمية وتشمل هذه
المؤشرات مستوى الطلاب خارج المدارس مرافق
التعليمية السيئة اكتظاظ المدارس بالطلاب والتطوير
المهني للمعلمين، وتبني روح مستويات التعليم

⓪

نشر الثقافة الإسلامية بصورتها الصحيحة

كما ألقى الشيخ محمد علي التسخيري أمين عام
المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
في إيران كلمة في الجلسة الافتتاحية أثنى فيها
على الجهود التي تبذلها جمعية الدعوة
الإسلامية العالمية في نشر الإسلام وتقديم
المساعدات الإنسانية للمحتاجين كافة وتيسير ها
للقوافل وتقديمها عبر أسع التنموية والثقافية
والصحية في ربوع العالم، وذهبوا إلى إقامة
المؤتمرات الهادفة والمهمة معرباً عن شكره
العالي لثورة الفاتح العظيم التي أسست للعالم
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي تنتشر
فروعها في جميع أنحاء العالم الإسلامي وقامت
بأدوار كبيرة ومتميزة في مجال خدمة الإسلام
والمسلمين، ونشر الثقافة الإسلامية بصورتها
الصحيحة.

الدفاع عن المسلمين ونصرة قضاياهم العادلة

كما ألقى الأستاذ رجاء خالد العتل الأمين العام
للمؤتمر العالم الإسلامي كلمة في الجلسة
الافتتاحية عبر فيها باسم المشاركين في هذا
الاجتماع عن الشكر والامتنان لمنظمة المؤتمر
الإسلامي وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية
على المجهودات التي تقومان بها من أجل نشر
الدين الإسلامي الحنيف بمعالمه السمحة
والدفاع عن الإسلام والمسلمين، ونصرة
قضاياهم العادلة، والتصدي لمختلف محاولات
بعض الدوائر المكرسة ضد الإسلام
والمسلمين والمساس الذي يلحق بالإسلام لتشويه
صورته، مؤكداً أن كل الأمل أعلى من الاجتماع
في أن يكون كفالة مهمة في عمل هذه اللجنة
واللجان المنبثقة عنها

والمؤسسات الخاصة، وسوء إدارة المؤسسات التعليمية والصحية في هذه الدول، حيث تؤثر كل هذه مجتمعة في دول أعضاء المؤتمر، ويتحتم على المنظمات الإسلامية غير الحكومية أن تنهض لمواجهة هذا الاختلال، عوضاً عن التركيز على التنافس الداخلي بين الحكومات التي كثيراً ما توجه مساعداتها إلى غير أصحابها المستهدفين.

المسلمون على مستوى العالم يواجهون التمييز من قبل حكوماتهم، وهذا التمييز ناجم عن الجهل بالإسلام، وناتج عن التوجهات الثقافية الوافدة التي تجعل من شأنهم قيماء ترجمة الإسلام على ما يناقض تعاليم القرآن والسنة الصحيحة لنبي الإسلام. ففي دول أعضاء المؤتمر الإسلامي حيث المسلمون هم الأغلبية يواجهون تحديات جسام، أولها: الجهل بالإسلام الذي يصل إلى التعصب والوصم بالكفر وعدم الثقة، كما يرتبط بالثقة مع المسلمين المتدينين بسبب الجهل، بل وبسبب التشكيك حتى بولاء المواطنين المسلمين لدولهم، مما يترتب عنه سوء المعاملة وصعوبة في التعامل.

> المسلمون على مستوى العالم يواجهون التمييز من قبل حكوماتهم، وهذا التمييز ناجم عن الجهل بالإسلام، وناتج عن التوجهات الثقافية الوافدة التي تجعل من شأنهم قيماء ترجمة الإسلام على ما يناقض تعاليم القرآن والسنة الصحيحة لنبي الإسلام

إن صورة المسلمين كمتشددين وإرهابيين، صنعتها وسوقها الإعلام (الغربي) الذي يتعمد أساساً نقل الصور السلبية عن الإسلام والمسلمين، ويضطلع الأمر بما من جهل هذا الإعلام بحقيقة الإسلام والمسلمين، ولذا يجب على المنظمات الإسلامية غير الحكومية أن تركز جهودها على التجارة المضادة في شكل مطبوعات ومنشورات وبث مسموع ومرئي، ومصححة عبر شبكة المعلومات والإذاعة والتلفزة، وعبر كافة أشكال الإعلام الأخرى لإزالة الصورة المغلوطة، وكافة المنظمات غير الحكومية عليها أن تتعاهد بضمان أن مرجعيات المسلمة لا يتعرض لها شيء، حيث إن صورة المسلمين التي نحملها بين الأجيال جزءاً من التربية العائلية، في حين عرفت كمسلمين كثيراً ما يُسلبون حقها وحيال قيمها، فالمنظمات الإسلامية غير الحكومية كغيرها من المنظمات قد خلت كلاعبين جدد في ميادين العمل السياسي المدني والقومي، فيجب أن تكثف من جهودها في إلقاء الجهاد الدبلوماسي، ويتم ذلك من خلال مضاعفة الوعي الإسلامي وتوفير أرضية قوية وصلبة للنهوض بالأمة الإسلامية، كما ينبغي أن تنخرط هذه المنظمات في بناء المدارس الإسلامية والمساجد ومراكز الصحة ومراكز الأيتام التي تستهدف الشباب ليتربوا على التعاليم والقيم الإسلامية.

قوية تعمل المنظمات الإسلامية غير الحكومية، يجب على دول أعضاء المؤتمر الإسلامي إعادة تنظيم نفسها لتحقيق الإدارة الفاعلة لشؤون الإسلامية، فكثير من هذه النشاطات في وضع بدائي وتفتقر إلى الكفاءة الإدارية والتنظيمية والحاجات المالية التي تسهم في تنفيذ البرامج، فيجب أن تتنوع خصائص المنظمات غير الحكومية من الصوت والعمل الخيري إلى المداخل الإيجابية في مجال نشاطاتها، كأن تدخل في نشاطات الإنتاج الصناعي الصغير والزراعة، والصحة والتعليم، والترفيه للرفاه في النشاطات الإنسانية، والاهتمام بالبيئة وحقوق الإنسان، كما يجب أن يتطلع عدد من دول أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامي إلى المنظمات الإسلامية غير الحكومية والعمل على إعادة تعريف هويتها وطرق عملها.

ثمة مشكلة أخرى مهمة تتعلق بالمنظمات الإسلامية غير الحكومية، فإنها تواجه مشكلة الاعتماد على المنظمات المانحة، فتعتمد على المنظمات الدولية المانحة لتمويل معظم برامجها في دول أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامي، فهذا الاعتماد المالي يساوم موقعها

كمنظمات عاملة في مجال التعبير الإنساني. وحتى مثل هذا الاعتماد نجد أنها تحياه بشكل محدود. ونخص عليه المنظمات الأكثر تنظيماً ونجاحاً بواسطة تفوق المساهمات منظمة الأمم المتحدة الإنسانية. تعتمد كثير من المنظمات الإسلامية غير الحكومية العاملة في مواضع في تمويلها على التبرعات الخارجية. ويعد هذا أكبر تحد يواجه المنظمات الإسلامية. فإن اعتماد المنظمات الإسلامية على دعم المانحين لا يقدم [illegible] الاقتصادي نظراً إلى أنه متقطع وغير مستقر، كما أن المشاريع المقامة كثيراً ما تفتقر إلى الاستمرارية. فهي المنظمات الإسلامية غير الحكومية أن تركز جهودها على إقامة مشاريع قادرة لتعميم التسيير الذاتي في المستقبل، في شكل المشاريع الزراعية والصناعية وعلاقات داخلية تضمن ربطها بالأسواق الخارجية المحلية. ومن شأن هذا العمل أن يساعد المنظمات الإسلامية غير الحكومية على تجاوز مشكلة الاعتماد الكلي على الآخرين. فالعديد من المنظمات الإسلامية غير الحكومية تواجه عراقيل حالية لتسيير عملها في مختلف دول أعضاء المؤتمر الإسلامي، حيث يحل معظمها في الدول النامية.

والمشكلة الأخرى هي أن المنظمات الإسلامية غير الحكومية تكافح من أجل الاستقلال والكفاح من أجل الاستقلال لا يتم فقط في مستوى المحلي بل يتم أيضا في مستوى الدولي [illegible] هذه المنظمات حريصة للاستقلال حيث تنعت أحياناً كمنظمات ثقافية بدون أغراض إسلامية واضحة. وكل هذه المنظمات تنتظم تحت وزارة الداخلية في كل بلد، فهي التي تتولى الإشراف على نشاطاتها. ومعظم هذه المنظمات تم حلها من قبل حكوماتها فهي تواجه مشكلة تحديد المصير. لذا يجب أن تعيد المنظمات الإسلامية تحديد وجهتها ونطاق عملها غير المتعارض مع الحكومات المستضيفة. كما عليها أن تتكيف مع الوضع حتى تقدم الأفضل [illegible]

ومع تزايد احتراف المنظمات الإسلامية غير الحكومية في التنمية، أخذت تنظر إليها الحكومات

نكبر فيكم استمرار دعمكم منظمة المؤتمر الإسلامي

وجه المشاركون في أعمال الدورة الرابعة عشر للجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامي برقية إلى الأخ قائد الثورة الشخصية الإسلامية العالمية في ختام أعمالهم فيما يلي نصها:

إننا نحن المشاركين في الدورة الرابعة عشرة للجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامي إذ نختتم أعمال دورتنا هذه في هذا البلد المسلم المضياف وبرعاية كريمة من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية وفي الظرف الراهن والداعم لهذه النهضة نعبر لكم شخصياً عن بالغ امتناننا لمواقفكم الداعمة من الإسلام ديناً وثقافة وحضارة وسعيكم [illegible] والتعريف في إطار التعريف بالإسلام ودوره في الحضارة الإنسانية، ونكبر فيكم استمرار دعمكم منظمة المؤتمر الإسلامي من أجل الاضطلاع بدورها التي أنشئت من أجله. وندعو الله سبحانه وتعالى أن يمن عليكم بالصحة والعافية من أجل الاستمرار في هذا الدور الريادي.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بصورة تهديد سيطرتها وزد تمثيلها وقد زاد هذه الصعوبة من التشكيك القائم بين الدولة والمنظمات غير الحكومية.

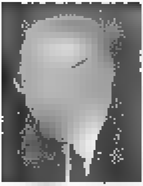
كلارك 1998 ويلاحظ كلارك أيضاً أن العلاقة تتسم أحياناً بالشك وعدم المصداقية، وأن بعض المسؤولين الحكوميين متخوفون من الاعتبار الذي تحظى به هذه المنظمات لدى الوكالات المانحة وبالتالي يأتي من هذا التنافس غير الصحي، كما أن من جهتها تنظر المنظمات الإسلامية غير الحكومية الى الأنظمة بعين الشك وأولويات برامج الحكومة نظراً للسرية التي تحيطها والتهميش الذي يتم للجماعات المستقلة عنها ولا يتضح أيضاً بجلاء من أية مصادر تحصل هذه المنظمات على جل مواردها، فقط ما هو مؤكد أن بعض النشاطات التي تقوم بها تجد التمويل من مسلمين مقيمين بالخارج 96 السبعيني.

فالملاذ الأخير لفعالية عمل المنظمات الإسلامية غير الحكومية في خطة منظمة المؤتمر يكمن في تقوية دور التنمية الديمقراطية في دول أعضاء المؤتمر الإسلامي ولاسيما بواسطة المنظمات التي ينظر إليها باعتبارها عربة للتنمية الديمقراطية والمكونات الأساسية لازدهار المجتمع المدني وإذا نظرنا إلى هذه المنظمات كعربة للعملية الديمقراطية فمن الأهمية بمكان النظر إليها مقابل الجدل الحديث القائم المتعلق بتحول العملية الديمقراطية والإصلاحات الاقتصادية في دول أعضاء المؤتمر الإسلامي.

فالمشكلة الكبيرة بالمنظمات الإسلامية غير الحكومية تكمن في مشكلة العضوية والتنظيم حيث دول الأعضاء التي تشكل عضوية المؤتمر تفتقر إلى عنصر الالتزام. فالأعضاء يتلكؤون في الإيفاء بإسهاماتهم مما يستوجب على المؤتمر العمل على تقليص المنظمة ومقدراتها الإدارية. كما أن المنظمات الإسلامية الضعيفة التي عددها ما فتئ في تضخم تشكل عبئاً إزاء ما يعتبر من الضغوط الحكومية ضد التمويل أو التعرض للعراقيل تعمل على إيجاد حل لما يواجهها من مشاكل التسيس الإداري فيما يتعلق بالنشاط المركزي للمنظمات الإسلامية غير الحكومية على حصتها من إسهامات الأعضاء. وهذا مرهون بمخاطر الوقوع في آلة الاعتماد المالي الباقي لاستمراريتها. وتمارس هذه المنظمات السياسات الصارمة المفروضة من داعميها التي تبعد عنها الآمال وإن كانت هذه السياسات حديثة الجدوى للمجتمعات التي تعمل فيها هذه المنظمات، ويعد هذا أكبر تحدٍّ في أن بعض هذه السياسات لا تتناسب ومجتمعات المنطقة، وفي بعض الأحيان لا تعيد الأمل إلى الجماهير المحلية. عليه يجب أن تعمل منظمة المؤتمر على تقوية عضوية الدول الأعضاء للإيفاء بإسهاماتها السنوية لتدعم الاستمرار الجيد لعمل المنظمات الإسلامية. كما أن على المنظمة أن تعيد النظر في هيكلها الإداري بما يتناسب ونظامها والأنظمة الإدارية.

> تكتسب المنظمات غير الحكومية مكانة مركز الوسط في التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لكل شعوب العالم، وتعتبر القضية إزاء ما يتعلق بالتنمية الإنسانية في العالم الذي تشكل دول المؤتمر الإسلامي جزءاً منه

ختاماً: تكتسب المنظمات غير الحكومية مكانة مركز الوسط في التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لكل شعوب العالم، وتعتبر القضية إزاء ما يتعلق بالتنمية الإنسانية في العالم الذي تشكل دول المؤتمر الإسلامي جزءاً منه. وإن كثيراً من المنظمات المحلية الشبيهة بالمؤتمر قد أتت وذهبت ولكن سيبقى المؤتمر ما بقيت الطبيعة الفوضوية المعقدة والمتزايدة في النظام العالمي التي تتطلب وجود المنظمة للتعامل معها. ويجب استيعاب دور المنظمة الذي يمتد على العالم ويكمله عمل المنظمات غير الحكومية العالمية والإسلامية.



حول التنسيق بين المنظمات الإسلامية

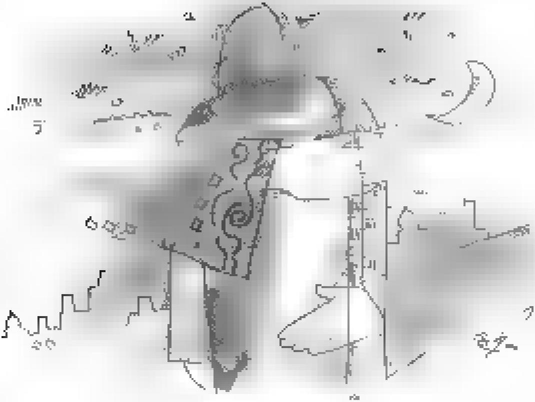
كامل الشريف*

مقدمة

تعتبر المنظمات الإسلامية العاملة في ميادين الدعوة أو الإغاثة الإنسانية، بحق الشرايين الحقيقية للوحدة الإسلامية لأنها تتصل اتصالاً مباشراً بجماهير المسلمين في مدنهم وقراهم، ومزارعهم، وتبدو أهمية هذه الدور في الظرف الحاضر حيث تواجه الحكومات والمؤسسات الرسمية ضغوطاً مختلفة من بعض القوى الأجنبية التي تراقب كل تحرك يتجه نحو الوحدة فلا يكاد يبقى من علائم وحدة المسلمين إلا ما تؤديه المنظمات الإسلامية الشعبية. ولذلك تتجه إليها سهام الأعداء ومؤامراتهم، وتقوم حملات التحريض عليها بتهمة العنف والإرهاب بقصد تعطيل نشاطها في البلاد الإسلامية. ومن هنا يصبح من الضروري تحسيس الحكومات الإسلامية وإمدادها بالمعلومات الصحيحة والتعاون معها لتوضيح مرامي هذه الحملة الماكرة وأهدافها. ولا شك أن منظمة المؤتمر الإسلامي التي تجتمع فيها كل الحكومات الإسلامية تعتبر مظلة مواتية للتنسيق بين تلك المنظمات من ناحية والدفاع عنها لدى الحكومات الإسلامية والتخفيف من تلك الضغوط بالحوار المباشر مع القوى الدولية النافذة لتبيين دور المنظمات الإسلامية الشعبية في محاربة الجوع والمرض في الدول الفقيرة، لا سيما وأن هذه المنظمات لا تقتصر مساعداتها على المسلمين وحدهم، ولكن تتم للفقراء والمحتاجين بصرف النظر عن دياناتهم أو انتماءاتهم العرقية أو السياسية.

إن أنشطة المنظمات الإسلامية الشعبية تدخل كلها في ميدان العمل الخيري وتعمل على توسيع نطاقه وذلك بإنشاء المسجد والمكتبة والمركز ووضع المصحف والكتاب في متناول المسلم والمسلمة وتقديم المنح الدراسية لتعليم عمومهم، والأطفال

* الأمين العام للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة



الصلاة القانتون بالمسلمين في منازلهم وأماكن عملهم يزيد من الترابط بين المسلمين ويقوي لديهم نزعة الخير والعمل الصالح. والقرآن الكريم ينبه في مواضع كثيرة لهذه الأعمال التي تتضافر لتكوين شخصية المسلم المتكافل والمجتمع المسلم المتماسك، كقوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة فصلت، الآية 33)

غير أنه يجب معالجة تسليط الضوء على المساعدات المباشرة للفقراء والمحتاج والمريض، فإن هذا الجانب يجب أن يحظى باهتمام كبير لنظرنا إلى طبيعته.

لقد ربط القرآن الكريم بين الزكاة والصدقات بكل أنواعها وبين المطر في أكثر من موضع، فقال سبحانه: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ (سورة البقرة، الآية 265)

فالإنفاق المالي ابتغاء مرضاة الله وتثبيت النفس يدعم الإيمان ويصنع للمجتمع المسلم ما يصنعه المطر للأرض من الخير والنماء.

حاجة الشعوب الإسلامية:

إن ظروفاً تاريخية كثيرة تضافرت لتجعل المسلمين من أكثر الشعوب فقراً وانحطاطاً. فقد حرص المستعمر الأوروبي بتسهيلاته المختلفة على إبقاء الأقطار الإسلامية تحت نير الجهل والتخلف ليضمن خضوعها تحت سيطرته، وربط كيانها السياسي والاقتصادي بعجلته، ويجعل منها حقلاً للمواد الخام والعمالة الرخيصة التي تغذي مصانعه وتزيد في إنتاجه. وحين تراخت قبضة الاستعمار السياسي عن أكثر البلاد الإسلامية بسبب تفاعلات دولية معروفة، قامت بعض الشعوب الإسلامية تحاول استكمال سيادتها واسترداد شخصيتها المفقودة، وجاءت القوى الاستعمارية إمعاناً في التحكم

والطمأنينة، وقد ترتب على ذلك مجاعات ومعارك دموية خلفت وراءها الملايين من الأرامل والمشردين بالإضافة إلى الكوارث الطبيعية وزحف الصحراء والجفاف في بعض بلدان العالم الإسلامي وخصوصاً في افريقيا السوداء، حيث يطلق على أقطار الساحل اسم «الأرض المحروقة» بفعل الجفاف والتصحر.

وفي البوسنة التي خرجت تواً من حرب ضروس على سبيل المثال تجاوز عدد اللاجئين إلى أقطار المجاورة المليون نسمة. أما الهجرة الداخلية فقد أحصيت بحوالي نصف المليون، وما جرى في كوسوفا هو شاهد آخر على المؤامرة وذيولها. ذلك أن سياسة التطهير العرقي التي مارسها النظام الحاكم في يوغوسلافيا قد تسببت في هجرة ما لا يقل عن مليون فرد إلى الأقطار المجاورة مع ما يصاحب هذه الكوارث من الأمراض والمشاكل الاجتماعية.

وقد صاحب هذه المحنة العدوانية على امتداد العالم الإسلامي حملة اخرى في ظاهرها الرحمة وفي باطنها مسخ المعتقد ونشر الكفر والإلحاد وإبعاد المسلم عن دينه، ونعني بذلك حملة التنصير الاستعماري التي انطلقت من البداية في ركب الاستعمار ولا تزال تركب أمواجه.

لقد رسخت فكرة العمل الخيري الإسلامي وأصبحت تلك الثمار اليانعة للصحوة شعاراً يافعة وارفة الظلال، وخرجت منها فروع كثيرة، في كل المناحي والميادين التي ستخدمها من التجربة الكبيرة من أن يوطن كل منا نفسه على عمل الخير ولا يستكثر به مهما بلغ صغيراً متواضعاً. ذلك أن النهر العظيم يبدأ بقطرات تتجمع فيه وعماله، والقرآن الكريم يريد المؤمن أن يكون الخير جزءاً من طبيعته، فيأتي الخير كما يأتيه الفريضة، ولا ينتظر النتائج فالأمور بيد الله وحده.

تدنيس المصحف الشريف

تأثير الثقافة العداء وعدم التسامح

أصدرت لجنة تنسيق العمل الإسلامي في ختام اعمالها بياناً حول تدنيس المصحف الشريف من قبل المحققين الأمريكيين بمعتقل غوانتانامو، قالت فيه:

لقد تناقلت وسائل الإعلام الأمريكية والعالمية مؤخراً [illegible] من قيام [illegible] جنديين ومحققين امريكيين بتدنيس المصحف الشريف في معتقل غوانتانامو أمام أنظار السجناء بغرض استفزازهم واستثارتهم والضغط عليهم نفسياً. وقد وقعت تلك الممارسات عن طريق التمزيق والدوس عليه والرمي به في دورات المياه. وقد اعترفت الادارة الأمريكية بحدوث تلك الممارسات المشينة من قبل جنودها ومحققيها.

ولجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامي إذ تستنكر هذه التصرفات غير المسؤولة، فإنها تنبه إلى التداعيات الخطيرة لمثل تلك الأعمال اللاأخلاقية وإلى ما توفره من أرضية لتفشي ظاهرة الإرهاب والتطرف، وما تنم عنه من ثقافة العداء وعدم التسامح، واللجنة تضم صوتها إلى أصوات كل دعاة الحق والسلام في العالم الذين أدانوا هذا التصرف واستهجنوه، وتطالب الإدارة الأمريكية بإجراء تحقيق فوري حول تلك الإهانات للمسلمين ومقدساتهم الدينية، وتقديم المسؤولين عنها للمحاكمة والاعتذار عن تلك الممارسات المشينة.

وتؤكد اللجنة على ما ورد في البيانين الصادرين عن معالي البروفيسور أكمل الدين إحسان أوغلي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، بالخصوص وإلى الإسراع بإنجاح التحضيرات لمؤتمر القمة الإسلامي الاستثنائي بالمملكة العربية السعودية.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم: الآيتان 24-25).

وتعد الآية الكريمة التي في سورة إبراهيم، النبي الذي ابتلاه ربه بكلمات فأتمهن، ومن هذه الكلمات خرجت شجرة التوحيد التي تستظل بها شعوب وأمم شتى.

أهمية العمل الموحد

لقد أولت المنظمات الإسلامية اهتمامها دائماً بمرحلة المقاومة الراهنة التي يمر بها العالم الإسلامي سواء بالهجمة السياسية والإعلامية الظالمة التي تحركها دوائر معينة في الغرب ضد الإسلام ديناً وحضارة، أو بحالة التحرك الدبلوماسي والتحركات العسكرية والمذهبية التي تهدد طاقات المسلمين وتمزق وحدة الأمة لمواجهة تلك الحملة الشرسة. إن أول ما يجب أن يلتزم به المسلمون إزاء هذه الحملات العدوانية الظالمة هو ... تقرباً من الله تعالى وامتثالاً لأوامره ونواهيه، وأن يضعوا ثقتهم في وعده سبحانه

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (سورة المجادلة: الآية 21)

وحين يحاول فيه الأعداء استغلال الخلافات القائمة بين بعض المسلمين أو التعالي لإفشال النجدة وإضعاف المجتمع الإسلامي، فإن الخلاص من ذلك هو التمسك بكتاب الله وسنة رسوله والانصياع لأمر الله القائل

﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (سورة الأنفال: الآية 46)

لقد ترسخت فكرة العمل الخيري الإسلامي وأصبحت تلك الهيئات الخيرة تتسع أفقياً بصفة واسعة النطاق وخرجت منها فروع كثيرة في كل الجهات، والخبرات التي تأخذها من التجربة الكبيرة هي أن يؤمن كل منها نفسه على عمل الخير ولا يستأثر به دون غيره ...

وإن المنظمات الإسلامية لتهيب بالمسلمين حكاماً وشعوباً أن يتذكروا مسؤولياتهم العظمى أمام الله وأجيال الأمة فيعملوا على تجميد الخلافات أياً كانت أسبابها، وأن يتجاوزوا عوامل اليأس والقنوط، وأن يكونوا على استعداد لتقديم أي تضحية مهما عظمت دفاعاً عن مقدساتهم وأوطانهم. كما فعل الأسلاف العظام، حين واجهتهم المحن والمصائب

﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ (سورة آل عمران: الآية 174)

وفي الوقت الذي يمد فيه المسلمون الواعون أيديهم لتأكيد التعايش وتعزيز الثقة وحسن الحوار بين شعوب العالم احتراماً لأمر الله تعالى

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (سورة المائدة: الآية 2)

فإنهم يذكرون أن الإسلام ظاهر ... رسول الله ﷺ على ... كما ظهر في تاريخه الطويل، لأنه يحترم الحق ويرفض الظلم والعدوان.

لقد اتفقت كلمة عدد كبير من المنظمات الإسلامية العالمية على وضع صيغة للتنسيق بينها قبل خمسة عشر عاماً، ومن هذا الاتفاق برز المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة الذي أتشرف برئاسته في هذا الاجتماع المبارك. وقد نجح المجلس إلى حد كبير في تحقيق التنسيق بين أعضائه في مجالات كثيرة، كما تحققت به تجارب هامة في هذا المجال. وحين نشير إلى المجلس الإسلامي العالمي وتجربته وإنجازاته فإنني أحب أن أؤكد حقيقة هامة نلتقي بها دائماً وهي أن العالم الإسلامي كيان بشري واسع يموج بعشرات الألوف من المنظمات الشعبية ويستوعب مؤسسات كثيرة للتنسيق، ونحن في المجلس نسعد أن تقوم محاولات أخرى للتنسيق والتعاون، ونبدي استعدادنا الكامل للتعاون معها والانتساب

ليس كل هامش انطلاقاً من هذه القاعدة شريطة ألا يتم أي تناقض بين هذه المجهودات، وإنما يسعى كل فريق إلى أن يكمل عمل غيره، وأن يكون عوناً له، وأن يملأ أي فراغ قد ينتج نتيجة لاختلاف الظروف [illegible]

رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة تقوم [illegible] واسع للتنسيق بين المنظمات الإسلامية الشعبية، وقد [illegible] مشكورة بالإسهام في هذه المساعي والانضمام إليها لتنسيق الدعوة شاكراً وقدمت كل ما ممكن لدى المجلس الإسلامي العالمي من تجارب في هذا الميدان، وقد وقع الاختيار عليه لدرجة أن النظام الأساسي لهذا التشكيل ينص على فقرة تنص على التنسيق مع المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة باعتباره المؤسسة القائمة بالتنسيق التي سبقت في خوض هذا الميدان، واكتشاف ما يحيط به من مشكلات، ولقي أنهز فرصة هذا الاجتماع لأشد على يد معالي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي ومساعديه ولأمنحهم كل تأييد ودعم في هذا المسعى، وإن أكثر ما أكتبه في هذه الورقة إنما هو مستوحى من تجربة المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة التي امتدت لأكثر من خمسة عشر عاماً.

ولذلك فإن واجب المنظمات الإسلامية أن تضع منهاج عمل تنسيقي من خلاله القوى الإسلامية الرسمية والشعبية، وتعمل على تكثيف اتصالاتها بالقوى الخيرة في الغرب وفي كل مكان لإيجاد صيغة للعمل المشترك من أجل بناء عالم متضامن يخلو من التهديد والعنف ويقوم على العدل والسلام والثقة [illegible] عبر العصر الحالي.

أولاً ـ الأزمة الراهنة

لو اعترضنا صحة النظرية القائلة بأن الكيانات [illegible] المسؤولة في الغرب لا تعادي الإسلام، ولا تعمد [illegible] الإضرار بالشعوب الإسلامية [illegible]

التنسيق الخيري بين المؤسسات والجمعيات الإسلامية

قدم الدكتور صالح بن سليمان الوهيبي الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي ورقة [illegible] التنسيق الخيري بين المؤسسات والجمعيات الإسلامية، وتعرض على منطقة الخليج العربي منطلقاً من أن تنسيق العمل الخيري أصبح أمراً ضرورياً خاصة بعد أحداث 11/9 التي أصبحت فيها أمريكا حرباً لا هوادة فيها على كثير من مظاهر العمل الإسلامية كالنشاطات الدعوية والثقافية والخيرية في داخل أمريكا وخارجها، مشيراً إلى أنه قد زادت في هذا الوقت حاجة المسلمين إلى خدمات هذه الهيئات والمؤسسات الإسلامية، ولم تبق تلك المؤسسات الخيرية قادرة على تلبية [illegible] الغربية المتصاعدة إلى اتهام بعض المؤسسات الإسلامية الخيرية ومحاولة تشويه العمل عليها ووسمها بالإرهاب ودعم أعمال العنف والتطرف [illegible] على أعمالها أن [illegible] إلى ذلك سبيلاً [illegible] ورأى الدكتور الوهيبي في ورقته أنه إذا كان الحديث فيما [illegible] عن تنسيق العمل الخيري أمراً مهماً فقد أصبح التنسيق الآن أمراً ملحاً لمواجهة كل التحديات، وربما يُحمد لمنظمة المؤتمر الإسلامي اهتمامها بتنسيق النشاط الإسلامية منذ عدة سنوات، وكان من نتيجة ذلك إنشاء لجنة لتنسيق العمل الإسلامي ويتناول في ورقته في المحور الأول من بحثه بعضاً من تجارب التنسيق التابعة في حين يخصص المحور الثاني للحديث عن معوقات التنسيق والمعوقات التي تحول دونه وتحول [illegible] التنسيق [illegible] في تفعيل التنسيق بين الجمعيات الخيرية من جهة، ومن جهة أخرى تساعد في تخطي العقبات والقيود المفروضة على العمل الخيري.

نلاحظ بأن عملاء الصهيونية العالمية قد تسربوا من زمن طويل في الأجهزة السياسية والاقتصادية والإعلامية، وقد دخلوا في حوادث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م فرصتهم السانحة لتحريك مواجهة عالمية دامية بين المسيحية والإسلام؛ لأن الإسلام لا يزال يعتبره عدواً يدعو إلى مقاومة الاستعمار الصهيوني وما يمارسه من عدوان جائر على الشعب الفلسطيني المسالم، واغتصاب أرض آبائه وأجداده، وكيف يضطهد الديانتين الإسلامية والمسيحية في أرض فلسطين، منسجماً مع موقف اليهودي الرافض للديانتين، الحريص على هدمهما معاً.

إن الهجوم الشامل على الإسلام والتركيز بمحاولة السيطرة على المنظمات الإسلامية والمنظمات الشعبية بمبرراته المربوطة بالحرص على الأمن والسلام العالمي إنما يؤكد النوايا الشريرة التي أشرنا إليها، كما أنه سوف يؤدي – حتماً – إلى تلبية التطرف القائم في الجانب الإسلامي، واستنفاد القوى المعتدلة، ويمثّل منعطفاً مؤاتياً لتسيير الصدام الذي تحرص الصهيونية العالمية على إثارته خدمة لأغراضها الخبيثة.

في الوقت الذي يبدو فيه المسلمون الواعون ليقيمهم لتأكيد التعايش وتعزيز الثقة وحسن الجوار بين شعوب العالم، فإنهم يؤكدون أن الإسلام قادر بعون الله على حماية نفسه كما فعل في تاريخه الطويل؛ لأنه يلتزم الحق ويرفض الظلم والعدوان.

٣ - إن الهجمة الحالية الآن تستهدف الإسلام كدين وحضارة، خدمة للخطة الصهيونية حتى لو سطرت تحت ذلك وهذه الحملة ... منذ البداية المراحل وفق المعطيات والتحالفات اللازمة لكل مرحلة، نلاحظ أن المرحلة الأولى هي الحرب على الإرهاب باعتباره هدفاً أجمع عقلاء الأمة الإسلامية على شجبه ورفضه، ومسألة تروج الإسلام، ومن المحتمل محاربة عناصر إسلامية معتدلة كثيرة في إطار الحملة على الإرهاب على أن فرضت المرحلة الأولى وحققت أغراضها بدأت المرحلة الثانية وهي التسلط من خلال الوجود العسكري والنفوذ السياسي للسيطرة على الثروات الطبيعية والتحكم في الصناعات والأسواق التجارية، ثم تأتي مرحلة ثالثة تستهدف الثقافة والمبادئ والتعليم والتقاليد، وتصفية أنظمة الحكم التي لا تتفق مع أهداف الحملة المعادية. وهكذا، ولا شك أن من الخطأ القاتل أن يتصور أي طرف عربي أو مسلم أنه سالم من شرور هذه الحملة؛ لأنه سيكون حتماً ضحيتها في مرحلة من المراحل، ومن الحكمة أن يتعاون مع من يحاولون التصدي لها من البداية. ومن هنا يبدو أهمية التنسيق بين المنظمات الإسلامية الشعبية في نطاق منظمة المؤتمر الإسلامي.

٤ - لقد عبّرت المنظمات الإسلامية دائماً عن تمسكها الجازم بأن الإسلام دين الله الذي تعهد - سبحانه - بحفظه والدفاع عنه كما يعد القرآن الكريم.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ سورة الحجر: ٩.

وأنه الدين الذي يعترف بجميع الرسالات وكتبهم المقدسة ويدعو إلى الألفة والتعاون بين بني البشر، وإذا جاهر الأعداء هذه الحقائق الواضحة وأصروا على مهاجمته والكيد له فإن الله سوف يسخر له من المؤمنين من يتصدى لحملة الشر ويضحي بالغالي والنفيس في سبيل الله، تصديقاً لوعده سبحانه

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ سورة آل عمران: ١٣٩.

ولقد شهد التاريخ صدق هذا الوعد حين تعرضت بلاد الإسلام لحملات عدوانية عاتية على مر

الإسلام قوياً عزيزاً. ولا شك أن الصحافة الرصينة سوف تغني للعصر الذي يتخطر كل محفل بالي غير لن فاقد المجتمعات الإسلامية وتمضي في محفل العقل والحكمة مكانهم في السياسة الدولية الراهنة حتى تقلب لغة الحوار، ويبدأ البحث المستمر في علاج المشكلات وتحديد المصالح المشتركة ومجالات التعاون الإيجابي.

وقد قام المجلس الإسلامي العالمي باتصالات واسعة من خلال حدى نجاحه وهي الملتقى الإسلامي العالمي للحوار، واللجنة الإسلامية العالمية لحقوق الإنسان، كما شارك في الوفود الكثيرة التي نظمتها رابطة العالم الإسلامي إلى الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية، فهد القرضي والتي أسفرت عن نتائج هامة في طريق التقريب بين الحضارات المعاصرة.

ثالثاً ـ الإعلام العام لتنسيق العمل:

يوجد في العالم الإسلامي على المستوى الرسمي والشعبي مؤسسات هامة، وأفراد من ذوي القدرات العلمية والمالية الكبيرة، يعملون لخدمة الإسلام، والبيان محاسنه الصحيحة، وموقفه الإيجابي البناء من تعاون الشعوب والحضارات كل بحسبه، التزاماً بالمنهج الرباني الذي يؤكد وحدة الجنس البشري ويدعو أفراده للتعاون على الخير، ولكن يغيب التنسيق الذي يجب أن تمارسه منظمة المؤتمر الإسلامي هو التعرف على هذه القدرات والطاقات، والتنسيق بين جهودها وتوزيع الأدوار بينها وفق خطة موحدة، منعاً لإهدار القوى وتضارب الأعمال.

أ ـ يعتبر ميدان الإعلام أحد أهم الميادين التي تنطلق منها الهجمة المعادية للإسلام، وقد أصبح من المعروف تحكم عملاء الصهيونية في أجهزة الإعلام المسموع والمشاهد، وسيطرتهم على الصحف وشركات السينما ودور النشر مما

○

الحوار مع الآخر
نحو رؤية إسلامية موحدة

ومن جهته قدّم الأستاذ مصطفى أحمد عيسى عضو لجنة التنسيق والأمين العام للجبهة الوطنية للإعداد لمؤتمر الدولي عن الإسلامي الصومالي، والمرشد العام لجمعية الأخوة الإسلامية في جمهورية الصومال، بحثاً بعنوان: الحوار مع الآخر نحو رؤية إسلامية موحدة، استهله بتقديم أسمى آيات التقدير والعرفان إلى الأخ القائد معمر القذافي قائد ثورة الفاتح، القضية الإسلامية العالمية عبر خدمته الجماهيرية العظمى منذ قيام ثورة الفاتح العظيم من خدمة للإسلام والمسلمين ونصرة القضايا الإسلامية وكل القضايا المشروعة ذات الصلة بحقوق الإنسان، مشيراً إلى أن المسلمين اليوم مسؤولون تجاه الدعوة الإسلامية في التصدي لحملة الصدارة ومعالجة الأمور المشتركة مع الآخر خاصة في هذا الوقت الذي يتعرض فيه الإسلام إلى هجمات شرسة ودعا إلى أن المتغيرات الدولية التي ظهرت بعد انتهاء الحرب الباردة جعلت الأمة الإسلامية تمر بمنعطف خطير في كل الميادين السياسية والثقافية والعسكرية، مؤكداً على أهمية أن تتخذ الحركات الإسلامية الحوار بديلاً لجميع الوسائل الأخرى في الدعوة الإسلامية.

■

الجمع بين الأصالة والمعاصرة سبيلنا الوحيد إلى المحافظة على هويتنا

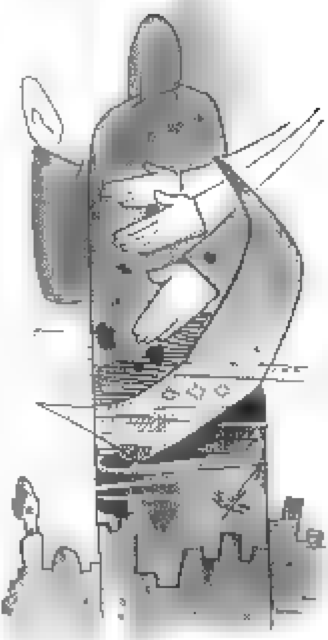
كما قدّم الأستاذ محمود مصطفى عرافي، رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية بإيران، ورقة بحثية عنوانها: الجمع بين الأصالة والمعاصرة سبيلنا الوحيد إلى المحافظة على هويتنا، وأشار في مستهلها إلى أن كل المدارس الفكرية تُقر بوجود عناصر ثابتة في الإنسان إلى جانب

يسمح لهم بمواجهة حملة ضارية من الكذب والتشويه الذي يجد صدى لدى البسطاء من الناس، ولذلك يصبح من أهم الواجبات المنوطة بمنظمة المؤتمر الإسلامي تنظيم الدعوة بين الحكومات والمؤسسين الأثرياء لإنشاء مؤسسات إعلامية كبيرة تملك الوسائل الفنية الضرورية، وإعداد برامج ومناهج يضعها العلماء والخبراء من المسلمين وغيرهم بالصفات المهمة لتوضيح صورة الإسلام، وإبراز جوانبه النبيلة التي تمثل جوهر الإنسانية وتسامحه التزاماً بالتوجيه الرباني:

﴿قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى﴾
سورة يونس: الآية 108

3 - إن الحملة الشاملة ضد الإسلام قد كشفت نقصاً كبيراً في العمل الإسلامي المشترك، وهو ميدان جمع المعلومات الصحيحة عن دوافع هذه الحملة وأصحابها والمؤسسات أو الأشخاص الذين يديرونها، والمقالات والمواد والنشرات التي تمثل أفكارهم، والعناصر الإيجابية التي تتصدى في هذه القضايا، وجمع المعلومات عن العالم الإسلامي وما تشتمل عليه من الآراء والنظريات، وكل ذلك يظهر الحاجة الماسة إلى أن تقوم المنظمة بإنشاء مركز للمعلومات يتولى جمع الأنشطة المعادية وحفظها وتصنيفها والتعليق عليها، وإصدار نشرات أو مجلات تعكس الآراء الإسلامية بهدف إيجاد تيار فكري موحد تستفيد منه المنظمات الإسلامية في جهودها للدفاع عن الإسلام، وتبيين حقائقه ومبادئه.

4 - توجد الرغبة الراهنة لتعزيز مؤسسات العمل العربي والإسلامي المشترك، سواء من المنظمات والمؤسسات الرسمية والشعبية التي تشكل كيانات للعمل الجماعي ودعمها، كالبنك الإسلامي للتنمية أو المنظمة الإسلامية للثقافة والعلوم



وغيرها. كما يجب المضي قدماً في إنشاء مؤسسات التكامل العربي والإسلامي في كافة المجالات العسكرية والسياسية والثقافية والتجارية كمعاهدة الدفاع المشترك، ومحكمة العدل العليا والأسواق المشتركة، والاتفاقات الثنائية للتعاون في مجالات الصناعات العربية، وتسهيل حركة البضائع والأيدي العاملة بين الدول العربية والإسلامية. وليس هناك مؤسسة يمكن أن تقوم بهذا الدور كمنظمة مؤتمر العالم الإسلامي التي تنتمي إليها جميع الدول الإسلامية.

5. لا شك في أن المرحلة الراهنة على ما فيها من سلبيات معروفة قد أثارت اهتمام العالم وتساؤلاتهم عن الإسلام، مما يحتم وضع أساليب مدروسة للدعوة تهدف إلى توضيح حقائق الإسلام، وتخصص الرد على الشبهات والأراجيف، وتوجب مرحلة إعادة النظر في مفردات الخطاب الإسلامي الصحيح، والبعد عن الإفراط والتفريط، والقيام بحملة واسعة للتأليف والترجمة والنشر على نطاق واسع، مع تكوين الدعاة القادرين على تبليغ الدعوة للشعوب المختلفة باللغات الحية المتداولة بينهم.

6. من الواضح أن هناك عملية استغلال واسعة لقضية الإرهاب وحوادث 11 سبتمبر لتحقيق أهداف أبعد من حرب الإرهاب، يتضح ذلك من حملة الاتهام على الدول والمدارس الدينية والضغط لتغيير برامج التعليم الديني ومحاولة إلصاق الاتهام بالمقاومة الوطنية الشريفة في فلسطين. ولما كانت الحكومات والمنظمات الإسلامية قد أعلنت مواقفها الرافضة للإرهاب في غير لبس أو التواء فقد أصبح ضرورياً عقد مؤتمرات إسلامية وعربية على أعلى المستويات توضح تحديد مفهوم الإرهاب الذي تلتزم به الدول العربية والإسلامية وترفض التسليم بالموازين المضطربة الظالمة التي

وجود عناصر متحركة فيه. الثبات في طبيعة الكائن البشري يتطلب ذلك التشخيص الدقيق كي لا يختلط بالجانب المتحرك، ويؤدي بالتالي إلى الركود والجمود باسم المحافظة على الثوابت، وكذلك الجانب المتحرك المتغير لا بد من تشخيصه كي لا يؤدي الإفراط فيه إلى الانفلات وضياع الهوية والشخصية الإنسانية. خصوصاً أننا اليوم نعيش في عالم مختلط تشتد فيه أسس حركية حضارية وفق الظروف الخاصة بها التي تنسجم مع طبيعتها في نظامنا حقائق لا بد منه لتصحيحها والتوفيق إلى تحديثها وتحديثها، وإلى ممارسة [illegible] على [illegible] لا بد من [illegible] بمعايير ثبات الرسالة الخالدة. وهذه المرحلة تتطلب أكثر من التطلب الابتعاد عن الإفراط والتفريط، واتخاذ جانب الاعتدال والوسطية في نشاطاتنا ومشاريعنا، ومن هذه المتطلبات المحافظة على عنصري "الأصالة والمعاصرة" في مواقفنا وتصنيفنا.

ويوضح الباحث أن السير في اتجاه مستقبلنا الحضاري سوف لا يكون مفروشاً بالزهور، بل هو طريق ذات الشوكة وأكثر عقبات هذا الطريق هو ما يُراد لنا أن نقع فيه من إهمال [illegible] لمشروعنا الحضاري المستقبلي [illegible] في الأجواء ما يفضي إلى حالات انفعالية في مواقفنا السياسية والفكرية والاقتصادية. وما نشاهد اليوم يوضح هذا الدفع نحو الانفعال ضمن إطار المواقف السياسية والإعلامية والثقافية والتعليمية. من هنا فإن تحقيق العمل الإسلامي يجب أن يتجه أول ما يتجه نحو وقاية المسيرة من ردود الفعل التي يراد أن ننزلق فيها مضيفاً مع ذلك فيه كما هي الدعوة إلى الاعتدال والوسطية فإنه لا تتخذ هذه المواقف استجابة لما يحيط بنا من ظروف وضغوط، بل ينطلق من صميم منهجنا الإسلامي الذي جعلنا أمة ﴿وسطاً﴾ وجعلنا ﴿للتي هي أقوم﴾ ونهانا عن ﴿التعنت﴾ و﴿الغلو﴾ وأمرنا بالحكمة

تعمل لأغراض خفية لا علاقة لها بالإرهاب والتي قد تسبب في ضغط المنظمات الإسلامية الخيرية والدعوية لمصالح الصهيونية والتبشير الاستعماري.

ثالثاً: مقترحات عملية

عقد ندوات متخصصة لوضع الخطط التنفيذية في مجالاته التي يتفق عليها

2. القيام بزيارات إلى الدول الإسلامية لنقل محتويات هذه الخطة والتداول بشأنها مع القادة والمسؤولين إلى أن تصبح منهجاً يلتزم به الجميع.
3. القيام بزيارات إلى الدول الأجنبية لتبيين حقائق الإسلام وحرصه الشديد على السلام والعدل والتعاون في كل ما يعود على الإنسانية بالخير والاستقرار.
4. إيجاد جهة مركزية تابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي تتولى التنسيق في حوار الحضارات ووضع القواعد الشرعية التي تحكمه وتحدد أهدافه ووسائله والقائمين به من الجانب الإسلامي.
5. إنشاء مركز معلوماتي يرصد ما ينشر عن الإسلام سلباً وإيجاباً وتحديد العلماء والخبراء المؤهلين للرد ومتابعة المبادرات الفكرية في الحضارات المختلفة وتحليل المعلومات وإتاحة الفرصة للاستفادة منها للحكومات والمنظمات الإسلامية.
6. إنشاء مركز إعلامي للإعلام يتولى مهمة الاتصال بأجهزة الإعلام المختلفة والتعاون مع رجال الإعلام وإعداد برامج تبين موقف الإسلام لنشرها عبر هذه الأجهزة والقنوات.
7. التعاون مع مؤسسات العمل المشترك كجامعة الدول العربية وغيرها لإنشاء قناة فضائية أو أكثر وإذاعة وقناة فضائية موجهة إلى الغرب تتكلم عن الجانب الإسلامي وتنقل مبادئ الإسلام وقيمه وحضارته باللغات المختلفة.
8. رفض كل المحاولات لإضعاف التعليم الديني في مراحل التعليم المختلفة وضرورة تنبيه الدول الإسلامية لخطورة هذه المحاولات وتشكيل هيئة مركزية لمراجعة مناهج التعليم الديني وإرسالها إلى الدوائر المختصة عبر منظمة المؤتمر الإسلامي.
9. تعزيز التنسيق بين الأجهزة الرسمية والشعبية العاملة في مجالات الإسلامية وخصوصاً التنسيق مع المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة بوصفه الهيئة التي تمارس التنسيق اليومي بين المنظمات الخيرية الإسلامية.

الحملة الشاملة ضد الإسلام قد كشفت ثغرات كبيرة في العمل الإسلامي المشترك، وهو ميدان جمع المعلومات الصحيحة عن مواقع هذه الحملة وأهدافها والأرصدة التي لأصحاب الأفكار والمخططين والأقلام والقنوات التي تنشر أفكارهم والعناصر الإيجابية التي تعمل في هذه القضايا.

ويقدم الباحث نماذج مختصرة للمجالات التي يمكن أن يتم فيها التنسيق بين المنظمات الإسلامية وهذه المجالات هي:

- التعليم والدعوة: لجنة التعليم والدعوة في الأزهر الشريف:

أ. توفير المعلومات عن المدارس والمعاهد والمناهج ومراكز التدريب التابعة للمؤسسات الإسلامية للإفادة من هذه المعلومات في التخطيط المشترك.

ب. عقد مقررات بالمنح الدراسية والبعثات المقدمة من المنظمات الإسلامية بهدف تفادي الازدواجية وضمان عدالة التوزيع.

ج. مسح شامل بعدد الدعاة ومراكز توزيعهم والاعتبارات الموضوعة بهم وأساليبهم في العمل والصعوبات التي تعترضهم والإفادة من هذه

المعلومات في مجالات التوزيع والإفادة من التجارب المختلفة.

د ـ حصر مراكز تدريب الدعاة ومعرفة مناهجها، للوصول إلى منهج موحد يقوم على الفهم الصحيح للإسلام، وتشجيع منهج الاعتدال والدعوة الحكيمة.

هـ ـ التعاون على تنظيم خطة مشتركة لتوزيع الكتب النافعة باللغات المختلفة، وفتح مجال الاستفادة المتبادلة بين المنظمات المختلفة التي تتفاوت فيها الإمكانات والقدرات.

3. الإغاثة العامة: (مثل هيئة الإغاثة العامة ـ هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ـ جدة ـ المملكة العربية السعودية):

أ ـ جمع المعلومات عن الشعوب والجماعات الإسلامية المحتاجة ووضع هذه المعلومات تحت تصرف المنظمات الإسلامية المعنية بالإغاثة لتعين على وضع الخطط لنشاطها.

ب ـ عقد اجتماعات دورية بين تلك المنظمات لاطلاع بعضهم على نشاط بعض والاتفاق على الأولويات وتوزيع الأعمال وخصوصاً في حالات الطوارئ.

ج ـ توحيد الأجهزة الإدارية في مناطق العمل بهدف منع الازدواجية وتوفير النفقات وإيجاد قيادات جماعية لتسيير عملية العمل، وذلك بالتعاون مع السلطات المحلية.

د ـ الاستفادة الموحدة من المخصصات والمقدرات الدولية واستغلال الفرص لإظهار عمل المنظمات الإسلامية والتعاون مع الغير بما يخدم مبادئ الإسلام والخير العام للإنسانية.

هـ ـ عمل مؤسسات ومشاريع مشتركة وخصوصاً مشاريع تنموية بين المنظمات الإسلامية تسهم في تنمية المجتمعات الإسلامية المحتاجة، حيث إن من الصعب على منظمة واحدة القيام بمثل هذه المشاريع التي تتطلب موارد طائلة.

والتغير والتحوّل. وفي هذا السياق يشير الباحث إلى أن الانشغال في اختيار التوفيق بين (الأصالة) و(المعاصرة) ستهيمن اليوم على الساحة الإسلامية على أثر خطة شاملة تشهد معالمها في كل الساحات السياسية والعسكرية والاقتصادية. ومن مظاهر هذا الانفعال باسم التمسك بالأصالة بروز النظرة المتخلفة للإسلام عند بعضهم، وإثارة التعصب المقيت العالي من التكفير وعلى المرأة من المجتمع واستباحة دماء الأبرياء وتكفير هذا وذاك، وأمثال ذلك من الصور المؤلمة التي أساءت إلى الإسلام إلى حد كبير.

ومن مظاهر الانفعال باسم التمسك بالعصر هذه الضجة المشهورة اليوم على كل ثوابتنا الإسلامية، وهذه الهجمة الشرسة لكل ما يرتبط بهويتنا وشخصيتنا الإسلامية.

ويوضح الباحث أنه لا مشاحة في أن هذا الانفعال ينطلق أكثر ما ينطلق من واقع التخلف، ومن الرهبة التي تسببت فيها الحضارة الحديثة، ولكن لا شك أيضاً في أن وراء هذه المواقف المنفعلة خطة عالمية يُراد بنا أن نقع في هذا الانفعال إفراطاً أو تفريطاً، كي نبتعد عن أصالتنا وعن مسيرتنا الحضارية.

ويقترح الباحث في هذا المجال التنسيق بين الجمعيات والهيئات والمؤسسات الإسلامية لإعلاء الصوت الأصيل المعاصر، فهو الصوت الذي يجب أن يحتل اليوم تسليم المشروع الإسلامي الذي يعاني من الجمود والتحجر الأعمى، كما يعاني في الوقت نفسه من الهزيمة والتبعية، وحريٌّ بنا ونحن نواجه التحدي الكبير في محاربة الرسالة الإسلامية باسم التجديد والإصلاح والتحديث، أن نعلم وعلينا العلمي والعملي الذي هو خير دليل على أن الرسالة الإسلامية رسالة إنسانية متطورة متجددة، إسلامية على الدوام في إطار الحق المعرفة الإنسانية.

3. التنسيق: المعهد الشباب. الندوة العالمية للشباب الإسلامي (الرياض).

نظراً لأهمية عنصر الشباب وما يحيط بهم من أخطار تفرضها طبيعة العصر بتحدياته، لا بد من العناية بالشباب في هذا الإطار.

أ - التنسيق بين المنظمات العاملة في ميدان الشباب لتوجيه الجيل الجديد نحو الإيمان بالله، والالتزام بأخلاق الإسلام وآدابه والعمل بوحدة الأمة الإسلامية والاهتمام بقضاياها.

ب - لتحقيق الهدف الكبير المشار إليه آنفاً لا بد من إقامة مؤتمرات وندوات للتعارف بين قادة الشباب المسلم، وتأكيد هذه الأهداف والالتقاء عليها.

ج - إقامة مخيمات في بلاد مختلفة تضم قادة الشباب الإسلامي، تتعايش في كنف هذه المعاني العظيمة والاتصال بالشعوب الإسلامية المختلفة لتقوية الشعور بوحدة الأمة الإسلامية ونقل هذه المعاني إليها.

د - تشجيع التأليف والنشر باللغات المختلفة، والتنسيق بين المنظمات في هذا المجال الهام بهدف توسيع دائرة العمل، وتحديد الأولويات لإمداد الشباب بالثقافة الإسلامية الواسعة.

هـ - توجيه الشباب نحو التخصصات العلمية التي تحتاج إليها الأمة الإسلامية، خصوصاً وهي تقف على أبواب ثورة شاملة في عالم التكنولوجيا والمعلومات والاتصالات.

توجيه الشباب نحو التخصصات العلمية التي تحتاج إليها الأمة الإسلامية، خصوصاً وهي تقف على أبواب ثورة شاملة في عالم التكنولوجيا والمعلومات والاتصالات

4. الإعلام: (لجنة الإعلام. مؤتمر العالم الإسلامي. كراتشي)

تمثل قضية الإعلام بجوانبها السلبية والإيجابية مجالاً بالغ الأهمية للمنظمات والمجتمع الإسلامي بصورة عامة، فالانفجار ثورة المعلومات يحمل أخطاراً كبيرة على المسلمين شباباً وشابات، إلا أنه يفتح فرصاً واسعة لمن كان مستعداً لتلقفها، أما ميادين التنسيق فمنها:

أ - التنسيق بين أقسام الإعلام في المنظمات الإسلامية، وتنشيط المهام عبر هيئة مختصة بهذا النوع من النشاط في المنظمات التي لا تملك هذه الأجهزة.

ب - تشجيع المنظمات الإسلامية على استغلال الأدوات الحديثة للاتصال مثل الانترنيت والـ CNN وغيرها.

ج - التعرف على أسماء الصحفيين الإسلاميين المناصرين للإسلام، وزملائهم وكتابهم، وكذلك على المفكرين المتدينين، وإيجاد خطة لوضع المعلومات الصحيحة أمامهم.

د - لتتهيأ الفرص لتشجيع محرري الصحف وكتاب الأعمدة المعروفين بالشؤون الإسلامية والوطنية الصادقة وتشجيع هذا النوع ليؤدي دوراً أكبر في توعية المجتمعات الإسلامية.

هـ - جمع مختلف الدوريات التي تصدر عن المنظمات الإسلامية للبحث معهم في وسائل تقوية هذه المجلات وتوسيع دائرة تأثيرها.

5 - المعلومات والمتابعة: (لجنة المعلومات والمتابعة - رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة)

إن وضع المعلومات الحديثة بين يدي المنظمات الإسلامية أمر لا غنى عنه في التنسيق والتخطيط المشترك، وتشمل المعلومات هذه الميادين:

أ - تعرف المنظمات الإسلامية بعضها على بعض والتعرف على ميادين الأنشطة المختلفة بما يساعد على فكرة التنسيق بكل ميادينها التي أشرنا إليها.

ب - جمع الدراسات والمعلومات عن الشعوب الإسلامية، والمناطق المتأثرة بالحروب والفتن الداخلية، وعوامل القطيعة بين المنظمات

الإسلامية على الدخول في العمل الإعلامي والدعوي بصورة فعالة

ج- إقامة مركز معلومات تخصصي ومراكز فرعية تتلقى التقارير والمعلومات وتصنيفها وتعيد بثها على المنظمات الإسلامية من خلال نشرات أو دوريات تغطي المجالات المذكورة

تعهد مهمتي للمنظمات وخصوصاً الدعاة على الاهتمام بتجميع المعلومات والإحصاءات والحقائق عن الشعوب والجماعات الإسلامية التي يعملون بها وإرسالها إلى مراكز المعلومات

د- أما بالنسبة للمتابعة فإن الأمل في تطوير الفكرة لكي تصبح جهازاً يتعاون مع الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي في متابعة تنفيذ المشاريع المشتركة، وملاحظة المنظمات الإسلامية لم تحقق في التعرف على تلك المشاريع.

* الشيخ أحمد [illegible] (وزارة الأوقاف المصرية القاهرة)

هناك حركة نشر واسعة في المنظمات الإسلامية تستحق التقدير، والمطلوب مزيد من التعاون لتحقيق الأغراض المرجوة منها ضمن هذا الإطار

أ- اختيار بعض الكتب التي تصدر عن المنظمات الإسلامية، والقيام [illegible] والعمل على توزيعها بين المنظمات وخصوصاً بين الدعاة

ب- وضع كتب خاصة باللغة العربية، واللغات الأجنبية، تتضمن السياسة الإسلامية الوسيطة في الدعوة تنشر بين المنظمات الإسلامية، وذلك لتكوين تيار فكري موحد يعتمد المرونة والاعتدال

ج- التأني في الدوريات والمجلات التي تصدر عن المنظمات الأعضاء المتعاونة في خطة التنسيق وذلك من خلال المؤتمرات والندوات المتخصصة بهدف الالتزام بالمنهج الذي يلتزم به هذه الإصدارات

د- التعريف بالمسلمين وقضاياهم الأساسية (فلسطين

ونجد أن المشاريع التي ظهرت في القرن الماضي لمحاولة الجمع بين الأصالة والمعاصرة كثيرة ومتنوعة، فإن الباحث يكتفي بذكر نموذج منها وهو مشروع الجمهورية الإيرانية باعتباره محاولة معاصرة للجمع بين أصالة الهوية والتجديد العقلاني ثم يبدي الباحث عدداً من المقترحات

***

وتجدر الإشارة إلى أن هناك بحوثاً وورقات عمل أخرى قدمت خلال هذا الاجتماع إلا أن إدارة تحرير التواصل لم تتمكن من الحصول على نسخ منها،

ومن هذه الدراسات والأبحاث:

* العالم الإسلامي: تساؤلات وهواجس مستقبلية للدكتور محمود جبريل
* الإسلاموفوبيا واستجابة المسلمين للأستاذ محمد [illegible]
* التنسيق بين المؤسسات الإسلامية: آفاق ومتطلبات وآليات للأستاذ محمد [illegible]

ونأمل أن نقدم للقارئ الكريم هذه الأوراق في عدد قادم

●

التقرير والتوصيات الصادرة
عن الدورة الرابعة عشرة للجنة التنسيق
العمل الإسلامي المشترك
في مجال الدعوة المنبثقة عن منظمة
المؤتمر الإسلامي

طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

[illegible] يونيو [illegible]

تمهيد: للقرارات الإسلامية الصادرة عن مؤتمرات القمة ووزراء الخارجية وبخاصة القرار رقم 9/40 [illegible] حول أنشطة الدعوة وتفعيل لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك

كتفسير التفسير القرطبي وغيرها في كتب توضع خصيصاً ويكتبها خبراء في هذه القضايا.

٣- التمويل والاستثمار (لجنة التمويل والاستثمار، الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، الكويت):

يعتبر التمويل هو العمود الفقري لأعمال الدعوة والإغاثة، ومع أن هناك إقبالاً على الخير من جانب المحسنين في معظم البلاد إلا أن هذا الإقبال لا يتناسب مع الحاجة في العمل الخيري، والمؤسسات الخيرية تعاني كما تعاني بعض المكونات الإسلامية وبعض الدول لا يزال لديها الأسباب مختلفة أيضاً لا مجال هنا للخوض فيها. لهذه الأسباب وغيرها لا بد من إعطاء عناية للأوجه التالية:

الاستثمارية والمنظمات الإسلامية وذلك باستخدام هذه الوسائل:

أ- دراسة القدرات المالية لدى المنظمات الإسلامية والنصح لها بوسائل مبتكرة لتطوير تلك القدرات وتنميتها.

ب- الإرشاد إلى أنواع الاستثمارات المأمونة من خلال دراسات يقوم بها الخبراء المختصون.

ج- وضع مشاريع استثمارية مشتركة تساهم فيها المنظمات الإسلامية وغيرها، وذلك بتشجيع التعامل المالي وفق المبادئ الإسلامية على أن تستخدم المشاريع في التنمية المأمونة ويعاد توزيع أرباحها على المنظمات المساهمة.

د- توفير القدرة المالية للمنظمات الإسلامية عن طريق الاشتراكات والتبرعات والوقفيات وبعد إجراء دراسة من نتائج المشاريع في تقوم الأمانة العامة بواجبها في توسيع القائمين عليها إليها.

٤- الأقليات الإسلامية: (لجنة الأقليات الإسلامية - رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة):

نسبق وجود جاليات إسلامية في البلدان الأجنبية حقيقة ثابتة، وتتفاوت ظروف هذه الجاليات ومدى نسبها بحقوقها المدنية واستقرارها من بلد إلى آخر، غير أنه تعني استقرار الإسلام في بلد ما مختلفة مع ما يتبع ذلك من مؤثرات أو نتائج سلبية وإيجابية. ومن المعول عليه أن تصبح هذه الجاليات منارات للدعوة والتعاون المثمر مع الأقطار التي تعيش فيها، ولكي يتحقق ذلك لا بد من توفر شروط كثيرة وفق هذه المبادئ والتركيزات:

أ- لا بد من مساعدة الجاليات الإسلامية على الاستقرار والحياة الآمنة في مجتمعات الجديدة وفق الدساتير والقوانين المعمول بها في تلك المجتمعات، والعمل على حل المشكلات التي تحول دون ذلك، والابتعاد عن الإرهاب والانفعالات والعمل بعيداً[1] عن العنف وإشاعة الكراهية باعتبار أن الوقف جزء من العلاج.

دراسة القدرات المالية لدى المنظمات الإسلامية والنصح لها بوسائل مبتكرة لتطوير تلك القدرات وتنميتها.

ب- عقد الندوات والاجتماعات بين الجاليات الإسلامية نفسها بهدف إشاعة الوعي، والقيم الوسطية والاعتدال والأساليب السليمة للعيش في البيئات الأجنبية ونشر الكتب والدراسات التي تساعد على ذلك.

ج- مساعدة الجاليات في إنشاء مدارس ومؤسسات اقتصادية وإنمائية تساعد بينهم على الحفاظ على دينهم وحياتهم الثقافية وأخلاقهم وعلاقاتهم، والتأثير الإيجابي في المجتمعات الأجنبية عن طريق التواصل والإرشاد والقدوة الحسنة.

د- مساعدتهم على إنهاء الخلافات السياسية أو المذهبية أو العرقية التي قد تظهر بينهم بفعل العوامل السلبية، والتشجيع على إقامة اتحادات محلية يكون من أهدافها رعاية مصالح الجاليات بعيداً عن التطرف الوطني أو المذهبي.

هـ- دراسة المشكلات الفقهية التي تعترض حياتهم في بيئات ذات حضارات غير إسلامية عن طريق العلماء المختصين والمجامع الفقهية حتى يتحقق

الانسجام بين التزام المسلم بدينه وبين ظروف حياته اليومية.

5 - مركز والطفل (اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل - القاهرة)

لا يخفى ما تحظى به قضية المرأة المسلمة بالذات من اهتمام على مستوى العالم، وهو اهتمام سلبي يقوم على الاتهام والتشويه، بالإضافة إلى امتداد الحركات النسائية المعاصرة المناهضة للمرأة، وانعكاس ذلك على المرأة المسلمة، وقيام مؤتمرات إقليمية وعالمية ووضع مواثيق دولية حول هذه القضية، وما يقال عن المرأة يقال عن الطفل المسلم، الأمر الذي يوجب التنسيق بين المنظمات الإسلامية لإيجاد حركة نسوية إسلامية تلتزم بالإسلام وأخلاقه، وتكون قادرة على مواجهة هذه التيارات.

وقد تحددت وسائل منها:

أ - ضرورة التنسيق بين الأقسام النسوية في المنظمات الإسلامية، والتطوير نحو وضع خطة موحدة ومنهج واضح يحكم العمل النسوي الإسلامي.

ب - لفت انتباه المنظمات الإسلامية عموماً لأهمية قضية المرأة المسلمة، والضرر الذي يلحق بصورة الإسلام من الاستمرار في تجاهلها، والدعوة إلى إنشاء أقسام نسائية في كل المنظمات الإسلامية ووضع ميزانية لها.

ج - تشجيع حركة التأليف والترجمة بلغات مختلفة في قضايا المرأة المسلمة والطفل، لإبراز هذا الجهد للرأي العام أمام التيارات المنحرفة.

د - تنسيق المشاركة في المؤتمرات الإقليمية والدولية بممثلين واحد، أو ضمن خطة موحدة، ومحاولة التأثير في قرارات هذه المؤتمرات بما يبرز التيار النسوي الإسلامي.

هـ - حيث إن المرأة المسلمة تحمل النصيب الأكبر من العبء الذي تفرضه الظروف المتوالية والمحن الداخلية، وهي وأطفالها معرضة أكثر من غيرها

الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامي الثامن، الذي انعقد في الدوحة بدولة قطر في الفترة من 12 إلى 14 من نوفمبر 2000م، والقرار رقم 10/1 (ق إ) حول ذات البند الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامي العاشر الذي انعقد في بوتراجايا بماليزيا في الفترة من 16 إلى 17 من أكتوبر 2003م، والقرار رقم 1/31 د الصادر عن المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية في دورته الحادية والثلاثين الذي انعقد في اسطنبول بالجمهورية التركية في يونيو 2004م حول مسألة الدعوة، وتشكيل لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك، وإدراكاً لحاجة المؤسسات والجمعيات والهيئات الإسلامية الشعبية والرسمية العاملة في مجال الدعوة إلى تنسيق أنشطتها تجنباً للازدواجية في العمل وتداخل الجهود وتبديدها، وذلك في إطار عمل إسلامي مشترك أكثر فاعلية.

وبناء على الدعوة الموجهة من البروفيسور أكمل الدين إحسان أوغلي، الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، عقدت الدورة الرابعة عشرة للجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامي دورتها الرابعة عشرة في مدينة طرابلس بالجماهيرية العربية الليبية وذلك في الفترة من 23 إلى 25 من ربيع الآخر 1425هـ الموافق 4 - 6 يونيو 2004م باستضافة كريمة من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

شارك في أعمال هذه الدورة الهيئات والمنظمات الإسلامية الأعضاء في لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك، حسب القائمة المرفقة.

1 - وقد حضر افتتاح أعمال الدورة أعضاء من السلك الدبلوماسي الإسلامي المعتمد في طرابلس، وممثلو بعض المنظمات الدولية، وجمع من المثقفين والمهتمين بالعمل الإسلامي، ورؤساء الجامعات الليبية والمراكز البحثية.

والمريضة المسلمة في مخيمات اللاجئين التي تديرها الوكالات الأجنبية التنصيرية، فإن ويجب للمنظمات الإسلامية النسائية أن تنسق جهودها وتتعاون لتقديم يد المساعدة والعون في المجالات المهنية والصحية والثقافية داخل تلك المخيمات.

د. مع أن حقوق المرأة والطفل والأسرة في الشريعة الإسلامية وهي من مفاخر تلك الشريعة الغراء، إلا أن النظرة القبلية والتقاليد كثيراً ما تعرض تلك الحقوق في بعض البلاد تستحد من تلك الحقوق، ويواجب المنظمات الإسلامية النسائية أن تتنبه للحقوق الشرعية وتدعو إليها بالحكمة والموعظة الحسنة.

15. حقوق الإنسان: (الهيئة الإسلامية العالمية لحقوق الإنسان - الكويت - القاهرة)

يعتبر موضوع حقوق الإنسان من أبرز المناصر التي تستغل في الحملة المعادية للإسلام، والترعم الباطل بأن تجاهل حقوق الإنسان هو جزء من عقيدة المسلمين وتاريخهم، ولذلك أصبح لزاماً العمل على التصدي لهذه الحملة بأساليب علمية مدروسة وفق محاور التالية:

أ. رصد هذه التوجه في الحملة المعادية والرد عليها، وتوضيح أن الإسلام يشمل مبادئ متكاملة تضمن كرامة الإنسان وحريته على أساس عبادة الله الواحد الذي كرّم الإنسان واستخلفه.

ب. عقد المؤتمرات والندوات العلمية حول هذا الموضوع ونشر دراساتها وأبحاثها باللغات المختلفة.

ج. المشاركة في المؤتمرات الدولية بفاعلية، وعبر متخصصين وتقديم أبحاث ودراسات توضح مدى إسهام المسلمين قديما وحديثا في تأكيد كرامة الإنسان.

تنظيم الاتصال بالدول الإسلامية وكسب الثقة حتى تتعاون مع أجهزة المنظمات الإسلامية

متخصصة بعد التخرج، والتأكيد على أن المنظمات لا تتدخل في الشؤون الداخلية، ولا تعتمد أسلوب التشويه وإشاعة السوء، ولكن تعتمد الأسلوب الإسلامي في المجتمع المباشر وعبر العمل لأن شعار الإسلام هو:

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سورة هود: الآية 88]

هـ. دراسة القضايا المرتبطة حيث تتعرض الشعوب الإسلامية والأفراد للظلم والاضطهاد من بعض القوى الأجنبية وتكليف محامين متخصصين للدفاع عنهم وفق السياسة الموضوعة في البعد عن التشهير والاختلاق، وإشاعة الكراهية والحقد بين الناس.

16. محور الحوار: (المنتدى الإسلامي العالمي للحوار - جدة - المملكة العربية السعودية)

من أبرز مظاهر التطور الدولي الراهن تزايد الدعوة إلى الحوار في مجالات مختلفة ومنها الحوار بين أهل الأديان والحضارات المختلفة. ولهذه الظاهرة أبعاد إيجابية تبدو في الرغبة في التفاهم وتفادي الحروب، والبحث عن قواسم مشتركة. إلا أن فيها إمكانات واسعة للاستغلال السلبي، ومحاولة تأثير كل فريق في الآخر في النواحي السياسية والاقتصادية والفكرية، ومهما يكن من أمر فإن من المستحيل إيقاف هذه الظاهرة أو منعها، ولا بد من التفكير في أسلوب يستحكم فيها، وإحاطتها بالشروط المنهجية والضمانات العملية لتحقيق مصلحة الإسلامية وفق هذه المرتكزات:

أ. مع أن أسس الإسلام الدينية ومبادئه الأخلاقية متينة راسخة بحيث يمكن عرضها باطمئنان، إلا أنه يرى تفادي البحث في الأمور العقائدية منعاً للحرج وإثارة المشاعر إلا حين يقع الهجوم على

ضرورة لفت الانتباه للمنظمات الإسلامية عموما لأهمية قضية المرأة المسلمة، والتحدي الذي يلحق بصورة الإسلام من الاستعمار في تواصلها، والمحصورة إلى إقامة الأقسام النسائية في كل المنظمات الإسلامية ووضع ميزانية لها

الإسلام بوصفه بمبادئه وقيم القرآن الكريم والنبي يصبح ربيعاً ولا بد من الاستعداد له.

ب- يجب أن يتركز الحوار على تحديد النظرة إلى الأمراض الصحية والخلقية التي تهدد المجتمع المعاصر وتعتبر أخطاراً مشتركة تواجهنا مثل الإيدز وتجارة الأسلحة والكحول والانتحار [illegible] مع الأخذ بعين الاعتبار أن العالم الإسلامي هو الطرف الأقوى، وأن أكثر هذه الأوبئة تنبت في الغرب ولذلك يصبح من الحكمة التعاون مع مفكرين ورجال الدين في الغرب الذين تساورهم هذه القلق.

ج- إن مشكلة الأقليات الدينية والعرقية أصبحت سبباً للنزاعات وحروب كثيرة تؤثر سلباً في المجتمعات والجماعات الإسلامية، ولما كانت الأقليات في ديار المسلمين تتمتع بضمانات وحقوق تكفلها دساتير الدول المختلفة، فمن المفيد توعية الأقليات الإسلامية بحقوقها الدستورية وإحاطتها بجو من الألفة والتسامح حتى تستطيع أن تنصهر وتصبح جزءاً من المناخ الوطني.

د- إن هناك قضايا إسلامية عادلة كفلسطين، وكوسوفو، والبوسنة والشيشان، وغيرها يجب الاهتمام فيها بمواقف موحدة، ومن المفيد أن يستثمر فرص الحوار لكسب الأنصار والأصدقاء إلى جانب الشعوب الإسلامية المشروع في الاستقلال والعيش بكرامة على أوطانها.

هـ- التنسيق في المؤتمرات الدولية: (الأمانة العامة للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة القاهرة)

بناء على تجارب سابقة قام بها المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة في مجال التنسيق بين المنظمات الإسلامية الأعضاء في المجلس في المؤتمرات الدولية وخصوصاً في بكين (عام 1995) وفي اسطنبول عام 1996 وفي جوهانسبرغ بجنوب أفريقيا عام [illegible] فقد

والأساتذة وطلاب كلية الدعوة الإسلامية.

3- وقد افتتحت أعمال الندوة بتلاوة مباركة من آي الذكر الحكيم.

4- ألقى بعدها معالي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي البروفسور أكمل الدين إحسان أوغلي كلمة عبر فيها عن تقديره للجماهيرية الليبية لجهود مصر التقديرية على ما بذله من جهود من أجل نصرة الإسلام والمسلمين في مختلف أصقاع المعمورة، مؤكداً على عمق التعاون القائم بين منظمة المؤتمر الإسلامي وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، مستعرضاً الجهود والبرامج التي تضطلع بها المنظمة لمواجهة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في الألفية الثالثة، داعياً إلى تكاتف الجهود لمواجهتها والتصدي لها.

6- وقد ألقى الدكتور [illegible] في الندوة كلمة الافتتاح التي ألقاها معالي الأمين العام البروفسور أكمل الدين إحسان أوغلي نيابة عنه.

5- وتحدث الشيخ محمد علي التسخيري، الأمين العام لمجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية رئيس الدورة الثانية عشرة لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك، مشيراً إلى التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في كافة مجالاتها مؤكداً على أهمية وضع التنسيق الكفيل بمواجهتها.

وفي ختام افتتاح اللجنة تحدث معالي الأستاذ محمد رجا ظفر الحق الأمين العام للمؤتمر العالم الإسلامي بكراتشي معرباً عن شكره وتقديره لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية وأمينها العام على استضافتها هذه الدورة، منوهاً بجهودها في خدمة قضايا الدعوة في مختلف أنحاء العالم، كما عبّر عن شكره لمعالي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي على مشاركته في الاجتماع الذي يعول عليه في أن يكون بمثابة نقلة نوعية في عمل هذه اللجنة والقائمين عليه.

أصبح بالإمكان وضع خطة للتنسيق وخصوصاً في المؤتمرات الدولية. وبناء على ذلك لا بد من ملاحظة الآتي:

أولاً: أهمية هذه المؤتمرات:

لا يخفى أهمية هذه المؤتمرات الدولية وفائدتها الكبرى للدعوة الإسلامية حيث تلتقي عدداً من المسؤولين الرسميين ورؤساء المنظمات غير الحكومية من شتى بقاع الأرض. فعند التخطيط الجيد والتنسيق بين المنظمات الإسلامية يتيح المسلمين فرصة واسعة لتوضيح حقائق الإسلام وتكوين جماعة قوية يجتمع حولها أهل الإيمان والفضيلة والخير من جميع الأديان حتى يصبحوا تياراً قوياً مؤثراً كما حدث في مؤتمر بكين للمرأة، ومؤتمر اسطنبول للإسكان، ومؤتمر كوبنهاجن ومؤتمر التنمية الاجتماعية في جنوب أفريقيا.

وتبدو أهمية هذه المشاركات في الوجهة الراهنة حيث يتعرض الإسلام والمسلمون لحملة عاتية تستهدف العقيدة والأوطان، وتبرز عبر حروب سياسية وعسكرية ضد الدول الإسلامية، فضلاً عن الحملة الإعلامية ضد المنظمات الإسلامية الدعوية والخيرية بهدف تحريض الحكومات الإسلامية ضدها والتضييق على مواردها ومناشطها الإسلامية خدمة للصهيونية وإبقاء العالم الإسلامي ساحة فارغة للاستغلال الاقتصادي والسياسي. وكل ذلك وغيره يوضح أهمية المشاركات الدولية للمنظمات الإسلامية لتوضيح موقف الإسلام البناء من المشكلات العالمية ورغبته في تحقيق الأخوة العالمية والتعاون والسلام القائم على العدل، وشرح قضايا الشعوب الإسلامية المنكوبة وعلى رأسها قضية فلسطين. كما يبدو أهمية التعاون والتنسيق في نطاق منظمة المؤتمر الإسلامي.

> من أبرز مظاهر التعامل الدولي الراهن الميل إلى تعزيز الاهتمامات المشتركة ومنها الحوار بين أهل الأديان والحضارات المختلفة ولهذه الظاهرة أسباب إيجابية منها الرغبة في التفاهم والتقارب والبحث عن قواسم مشتركة

ثانياً: خطوات لا بد منها:

أ- الاتفاق على شروط الإسراع في التسجيل بالمجلس الاقتصادي والاجتماعي في الأمم المتحدة حتى تكتسب المنظمة الإسلامية صفة العضوية وبالتالي تصبح مؤهلة للمشاركة في هذه المؤتمرات الدولية.

ب- لا بد من التعاون والمشاركة في عقد دورات تدريبية للأعضاء على المشاركة في المؤتمرات الدولية ومعرفة أساليب العمل فيها.

ج- انتقاء أعضاء ثابتين للمشاركة المستمرة بهدف اكتساب الخبرة في هذه المؤتمرات والتعرف على أهدافها وبرامجها، مع توفر مؤهلات معينة في الأفراد المرشحين من إتقان اللغات الأجنبية كالإنجليزية أو الفرنسية، واستثمار المنظمات المتخصصة المعنية كلجنة المرأة والطفل ولجنة حقوق الإنسان ولجنة التنمية ولجنة التعليم والدعوة حتى يكون لها مشاركة في المؤتمرات من خلال المنظمات المختصة.

د- المشاركة في توضيح والمشاورات العامة الهادفة التي تسمح بتحقيق تعاون للعمل العام مع المؤسسات الإنسانية غير الإسلامية في تلك المؤتمرات.

هـ- إجراءات إدارية للمشاركة في المؤتمرات الدولية على أساس ما تم في المؤتمرات الدولية السابقة عن طريق المجلس الإسلامي العالمي لا بد من هذه الخطوات:

- تخطر الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي بعزم المنظمة على المشاركة في المؤتمر المذكور مع اسم من يمثلها من المرشحين للحصول على المشاركة في المؤتمرات ترسل إلى الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي نسخة من وثائق التسجيل في المؤتمر المذكور من قبل المنظمة حتى تتأكد الأمانة العامة من عدد المنظمات المشاركة.

ـ تبلغ المنظمة العضو الأمانة العامة في وقت مبكر من أماكن وجود وفد المنظمة كعنوان الفندق ورقم المكتب أو المسكن إن وجد.

4. تحضر المنظمات الأعضاء وثائق خاصة بموضوع المؤتمر باللغة العربية والإنجليزية على الأقل مع الحرص على توضيح موقف الإسلام من القضية موضوع المؤتمر. كذلك لا بد أن تعرض الأوراق الإسلامية للقضايا العامة موضوع المؤتمر.

5 ـ تشارك المنظمة العضو في الاجتماعات التحضيرية التي تعقدها الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي لوضع خطة التنسيق في المؤتمر المذكور وكذلك لاستعراض وثائق المؤتمر التي توضع من قبل الأمم المتحدة، ومثال ذلك ما قامت به اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل بين يدي مؤتمر قمة بكين.

6. ترصد كل منظمة مشاركة مبلغاً من المال تضعه تحت تصرف الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي للإنفاق على الأمور الإدارية.

7 ـ حيث إن اجتماعات المؤتمر تتعدد في الاجتماعات التحضيرية للمؤتمر التي تجري قبل مدة طويلة فمن المهم أن تشارك المنظمات الإسلامية في الاجتماعات التحضيرية.

ث ـ لجنة فلسطين والقدس (المؤتمر الإسلامي العام لبيت المقدس ـ عمان ـ الأردن)

تعتبر قضية فلسطين ورمزها الأكبر القدس ومسجدها الأقصى المبارك قضية المسلمين الأولى وهمهم الرئيسي وهي ـ بحق ـ منطقة الصراع الحقيقي بين الحق والباطل، بين الإسلام وخصومه [illegible] مؤامرة عالمية على العقيدة والأوطان، ويحيط بها من الجانب السياسي والقومي تيارات متباينة كثيرة تستحق المتابعة والتنسيق حتى لا تتعارض أو تقع الازدواجية التي تهدر الأموال والطاقات.

أ ـ إصدار الكتب والنشرات والمطبوعات باللغات العربية والأجنبية لتوضيح الحقوق العربية والإسلامية

■ ثم تحدث معالي الدكتور محمد أحمد الشريف، أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية فنقل إلى الحضور تحيات وسلام الأخ العميد معمر القذافي الذي يحضر مؤتمر القمة في رحلاته ولقاءاته مع المعنيين [illegible]، مشيراً إلى أهمية هذا الاجتماع الذي يأتي في ظروف بالغة الحساسية بالنسبة للأمة الإسلامية. واستعرض في كلمته مسيرة مجلس التنسيق منذ تأسيسه موضحاً دعم الجمعية لتلك المسيرة التي يجب أن تنتقل وتتصل ببرامج تنفذ على أرض الواقع، وما استفاده الجميع [illegible] من اجتماعاته إلا [illegible] على الاستمرار بهذه التجربة ودعم برامجها وتحسين اللجان المنبثقة عنه [illegible] في [illegible] البروفيسور [illegible] من أجل تعزيز أواصر العمل الإسلامي المشترك باعتباره أول أمين عام للمنظمة يأتي من [illegible] بعد مسيرة عمل فكرية ثقافية [illegible].

9 ـ وقد أقر المشاركون أعضاء اللجنة جدول الأعمال التالي:

◆ استعراض تقرير الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي حول أنشطة الدعوة ولجنة التنسيق.
◆ التنسيق بين المؤسسات الإسلامية في مجالات [illegible].
◆ وضع خطة عمل للتنسيق بين [illegible] الإسلامية في العالم ترصد ما يكتب عن الإسلام سلباً وإيجاباً.
◆ النظام العالمي الجديد ودور الإعلام بأنواعه في عرض صورة الإسلام.
◆ من أجل دور أكثر فاعلية للمنظمات الإسلامية غير الحكومية في [illegible] منظمة المؤتمر الإسلامي.
◆ الحوار مع الآخر ـ نحو رؤية إسلامية موحدة.
◆ الإسلاموفوبيا [illegible] الظاهرة والأسباب وآليات المواجهة.

في فلسطين وفضح مزاعم الصهيونية.

ب- إقامة المعارض التي تشتمل على أفلام ومجسدات، وصور، تؤكد الحقوق العربية والفلسطينية في فلسطين، وحمل تلك المعارض لعرضها في الدول الإسلامية والأجنبية.

ج- إقامة موقع إنترنت خاص بفلسطين، ينقل المقالات والأخبار والبحوث من وجهة النظر العربية الفلسطينية.

د- تشجيع أراضي الأوقاف وسياساتها، والتعاون في إقامة مشاريع تجارية أو سكنية عليها للمحافظة عليها وتفادي مصادرتها من قبل العدو بحجة الفراغ والتقادم.

هـ- مساعدة الأسر المحتاجة من جراء حرب الحصار التي يشنها العدو الصهيوني ضد أبناء الشعب الفلسطيني سواء بالعون المالي أو العيني كالأدوات الصحية وغيرها، والعمل على بناء ما هدمه العدو الصهيوني من مساكنهم، ومزارعهم، ومدارسهم، ومؤسساتهم.

و- تبني القضية الفلسطينية بكل جوانبها في المؤتمرات الدولية، ووضع الخطط للتنسيق بين الوفود العربية في تلك المؤتمرات والندوات.

ز- تبني قضية اللاجئين الفلسطينيين في المهاجر العربية والأجنبية، ومساعدتهم في مجال المعيشة والتعليم والإقامة.

3- لجنة أفريقيا: (منظمة الدعوة الإسلامية - السودان)

تحتل أفريقيا مكانة خاصة في السياسة العالمية، وتحيط بها مؤامرات كثيرة، تستهدف شخصيتها الوطنية وعزلها عن المناخ العربي الإسلامي، والمد الصهيوني والتبشير الاستعماري بمعناه الواسع للتأثير على الشعوب الإسلامية فيها. ومن هنا تبدو أهمية وضع خطط خاصة لأعمال الدعوة والإغاثة في أفريقيا وفق هذه المرتكزات:

أ- تشجيع المنظمات الإسلامية على رصد منح كافية في معاهد التأهيل لدعم الدعاة بمستوى التأهيل والتثقيف لوجودهم في الأقطار الأفريقية.

ب- حصر أعداد الدعاة العاملين في أفريقيا، والتأكد من التوزيع العادل في البلدان الأفريقية ومنع الازدواجية وسوء التوزيع.

ج- عمل دورات تدريبية للأئمة والوعاظ في أفريقيا لإمدادهم بالمعلومات الصحيحة ومساعدتهم على التعرف على ظروف الأقطار والبيئات المختلفة.

مجمع التنسيق بين المنظمات الإسلامية من خلال اللجان التخصصية أثبت نجاحاً كبيراً، لأن اللجان تقوم على أساس التخصص في كل مجال، وكذلك لتضييق دائرة البحث والدراسة بين عدد محدود من العاملين في كل حقل من هذه الحقول، ولتوجيه الطاقات الفنية والإدارية في مجالات محددة

د- رصد النشاط التبشيري والصهيوني، ووضع الخطط لمقاومة تأثيرهما الضار في الشعوب الأفريقية.

هـ- عقد الصلات الودية مع الحكومات الوطنية في أفريقيا، وتوعيتها بأصالة الأخوة الإسلامية الأفريقية منذ فجر التاريخ.

و- وضع خطة مستمرة لتبصير النخبة المثقفة من البلدان الإسلامية الأفريقية، وإشراك الحكومات العربية والإسلامية في وضع هذه الخطة.

ز- الإسهام النشيط في أعمال الإغاثة الإنسانية والمشاركة في مجموعات العمل المعنية بالإغاثة لتنسيق الجهود في هذا الميدان.

4- لجنة الفكر والتأصيل: (وزارة الأوقاف السودانية)

بالرغم من حداثة تشكيل هذه اللجنة وعدم اكتمال الإجراءات الإدارية لإعلانها، فإن الأمل يبقى قائماً في أن تساعد على استكمال التوجيه الفكري الأصيل لعملية التنسيق بين المنظمات الإسلامية للدعوة وفق منهج التطلعات:

أ- معالجة الاختلافات الفكرية التي توجد في المنظمة

الإسلامية وفق منهج الوسطية والاعتدال الذي يكرسه منهج التنسيق بذلك وإبراز الفكر الإسلامي الأصيل من مصادره الشرعية الموثقة.

ب - عقد الندوات المتخصصة بين العلماء الشرعيين ونظرائهم من العلماء في التخصصات الإنسانية والقانونية والطبية لإبراز المنهج الإسلامي الذي يحيط بكل هذه المجالات.

ج - إصدار النشرات والكتب التي تحصن المنهج الإسلامي الصحيح وتفرق بين المنظمات الإسلامية بهدف تشجيع التبادل الفكري الموحد.

د - التصدي للتيارات الجديدة المطالبة أمام الشريعة الإسلامية وإيجاد الحلول الإسلامية لها عن طريق العلماء والأكفاء المتخصصين من كل التخصصات.

ويرى الباحث في الختام أن منهج التنسيق بين المنظمات الإسلامية من خلال هذه المجالات المتخصصة قد أثبت نجاحاً كبيراً، لأن العمل يقوم على أساس التخصص في كل مجال، وكذلك تضييق دائرة البحث والدراسة بين عدد محدود من العاملين في كل حقل من هذه الحقول، وتوجيه القدرات المالية والإدارية في مجالات محددة. ولا ندعي هنا أن المنهج هو أحسن المناهج، ولكن نوصي باعتماده حتى يمكن التغلب على ما هو أكثر منه.

وختاماً: لقد حرصت في كل اجتماعات هيئة رئاسة المجلس الإسلامي العالمي وهيئته التأسيسية أن أوصي إخواني بضرورة التنسيق بين أنشطتهم وقد أبدوا موافقة على هذه الأنشطة والاهتمام بدعم اللجان والمشاركة في أعمالها بهدف إقامة الكيان الإسلامي الموحد القادر على مواجهة التحديات، وأستطيع القول إن الاستجابة لهذه الدعوة قد تطورت مع السنين تطوراً كبيراً، لكنها لم تصل - بعد - إلى مرحلة الكمال التي نطمح إليها بسبب عوائق عملية وسياسية معينة. ولكن أعتقد أن عنصر الوقت والصبر والمثابرة كل ذلك كفيل بالتغلب على ما بقي من الصعوبات.

❖ المسلمون والحرب بين الخوف على الهوية والخوف منها.

❖ الخطاب الإسلامي بين الأصالة والتطوير.

❖ العمل الإسلامي: تساؤلات وهواجس مستقبلية.

❖ التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين وسبل مواجهتها.

❖ وضع معايير للتمويل الخيري عقد في مجلة تنسيق العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة.

٢ - وفي نطاق ذلك فقد استعرضت اللجنة تقرير الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي حول أنشطة الدعوة وتفعيل لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك، والذي تضمن على مبادئ تاريخية بتأسيس اللجنة ولوائحها المختلفة ومقترح سجلان لنشاطها منها عرض المحرر الاستراتيجية للعمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة وآليات تطبيقها، عبر المشاركين عن ارتياحهم لما ورد في التقرير وتم اعتماده دون ملاحظات.

٣ - وقد عقدت أوراق العمل والمداخلات التي قدمت على مدى ثلاثة أيام بقية أعمال جدول الأعمال من خلال محاور رئيسية حول:

❖ التنسيق بين المؤسسات الإسلامية مجالات - ضرورات - آليات.

❖ الحوار مع الآخر من رؤية إسلامية موحدة.

❖ الإسلاموفوبيا: مظاهر - الأبعاد - آليات التعامل.

❖ الخطاب الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة.

❖ التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين.

وقد تمت مناقشات اللجنة الاستفادة في إدراك واعٍ لأبعاد التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، والتأكيد على ضرورة أن ترتقي أساليب العمل الإسلامي إلى مستوى تلك التحديات في جوانبها الاقتصادية والثقافية والاجتماعية.



المسلمون والغرب

بين الخوف على الهوية والخوف منها

د. محمد بشاري *

أ الإسلام، والغرب، والتدين، والهوية، والتسامح، والعلمانية، من استخدام، والإصلاح، والسلام، والحداثة، والديمقراطية، إلخ، مفاهيم ضمن أخرى، أصبحت محور أغلب الندوات واللقاءات التي نظمت خلال السنين الأخيرة سواء داخل أو خارج العالم الإسلامي.

وقد يكون مفهوم الهوية من أكثر المفاهيم إثارة للجدل والنقاش خلال هذه الفترة، ليس عند العرب والمسلمين وحسب، ولكن حتى عند الغربيين، ويكفي أن نسترجع ردود فعل النخب الفرنسية مؤخراً، وذلك على هامش إطلاق معاركة الحجاب، حتى نتبين أن تم هذا المفهوم في هذه المرحلة، بل إن مفهوم الهوية كان المفهوم الأكثر إثارة في المعركة بين مصطلحي الدين والعلمانية. وقد تم هذا في الغرب، ومن هنا يمكن أن نستطرح دلالات لا حصر لها من جراء تشكيك المقصود بالمسلمين والغرب بين الخوف على الهوية والخوف منها.

ويبين التوقف التفصيلي مع بعض هذه الدلالات والأسئلة المعلقة والمرتبطة بسؤال هذه المداخلة، يظهر ضرورياً للنخبة حتى تكون على بينة من قدرتنا على الاشتغال في حدود أدنى من الأفق، على أرضية غير مبهمة خاصة بمفهومي «الهوية» و«الغرب».

تحديد مفهوم «الهوية»

«الحفاظ على الهوية» و«التشبث بالهوية» و«الإشفاق على الهوية» و«محاولات محو الهوية» شعارات ومضامين لا يخلو منها أي خطاب دعوي أو إيديولوجي في الساحة العربية والإسلامية، وتبرز هذه الشعارات المشروعة تارة أو المتوهمة تارة أخرى، في حقبة الأزمات التي تهدد هذه المجتمعات أو تلك الإيديولوجيات.

وبالنسبة للعالم الإسلامي على الخصوص، إن استحضرنا فقط معظم الضغوط والإكراهات والتغيرات التي برزت مباشرة بعد تاريخ 11 أيلول سبتمبر 2001، فإنه من الطبيعي للغاية أن يكون مفهوم الهوية أحد المفاهيم الأكثر تداولاً لدى صناع القرار السياسي في الدول الإسلامية، إضافة بطبيعة الحال إلى المفاهيم الأخرى التي أضحى يعج بها هذا

* الأمين العام للمؤتمر الإسلامي الأوروبي ورئيس الفيدرالية العامة لمسلمي فرنسا ونائب رئيس المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية

بواسطة . ويكفي أن نذكر الشعور أنه حتى حرير هذه الكلمات سقطت أفغانستان والعراق و غيرهن رغم الحريري في لبنان، وتوجد مجموعة دول عربية وإسلامية مستهدفة بشكل مباشر أو غير مباشر من التهديدات الأمريكية حتى لا تكون المهددة الغربية.

وعلى من البيان أن إكراهات من العولمة تقف بشكل نوعي وراء ترغيب أهل الشرق لمفهوم الهوية حرصاً عليها من مؤامرات الغرب نفسها، حتى يتسنى مليء هويته، ويجسد في العلمانية العصر الأكبر على منظومة الأفكار [1]

من التعاريف شبه المتفق عليها حول مفهوم الهوية يمكننا إدراج التعريف التالي: هي مجموعة من الملامح الثقافية الأساسية والثابتة تميز الجماعة عن غيرها بحيث إن تحمل واحد أو أكثر منها يؤدي إلى تصدع كيان الجماعة الأدبي.

وهناك تعريف آخر قدمه أحد الدعاة [2]، ومفاده أن الهوية هي «البعد الشخصية الأمة المتميزة، وقوامها الكيان المعنوي والمادي المتميز للفرد والجماعة، إن على مستوى الذهنية والأيديولوجية أو على مستوى الممارسة والسلوك، من سواهما.

يأتي تعريف ثالث لمفهوم الهوية صادر عن الباحث التونسي فتحي التريكي، الذي يرى أن الجدوى من إعادة صياغة سؤال «من نحن؟» تتمثل في تفادي السقوط في التكنولوجية التي قد تؤدي إما إلى التمجيد والترحيب المفرط أو إلى التمسك والتحجر. وفي كلا الحالتين ستكون النتيجة هي التقهقر والتطرف فكراً وثقافة واجتماعاً. فالهوية التي هي بحاجة إليها بالنسبة إلى الدكتور فتحي التريكي، لا بد من أن تتأتى من هذه المنظومة الثقافية العميقة ولا بد أن يجد تصورها صبغة الانفتاح والحركة كي لا تؤدي في واقع الأمر إلى تضاد الأمر. لذلك فإن مساءلة مفهوم الهوية أمر ضروري وأيضاً تحديد مجالاته ومظاهره وبحث في آراء الفكر العالمي الذي يتحدد في الهوية والكونية [3]

5. وتأسيساً على مداولات اللجنة: بين مكتب الأبحاث والمداخلات والمناقشات تم استخلاص التوصيات التالية:

أولاً: التنسيق والحوار

1. التأكيد على الاستمرار في جهود التنسيق بين الهيئات والمنظمات الإسلامية العاملة في حقل الدعوة تحت مظلة منظمة المؤتمر الإسلامي، وتعزيز التواصل بينها والعمل على توحيد مواقفها وخاصة في قضايا الحوار الثقافي والديني، وتبادل المعلومات الضرورية حيال ذلك بما يضمن موقفاً إسلامياً واضحاً حيال القضايا التالية

2. - التشجيع ودعم اللقاءات الحوارية في إطار احترام متبادل لخصوصيات العقدية وحرص كل الأطراف على أن تسود القيم الدينية والأخلاقية في المجتمعات البشرية، وبذل مزيد من الجهود لتجاوز الأشكال النظرية لتصل إلى برامج عمل مشتركة تشيع ثقافة الحوار بين الأجيال الناشئة نظرياً وعملياً.

3. - تعزيز منهج الخطاب الإسلامي في وسطيته واعتداله وسماحته ومرونته بما يضمن رسالته الدعوة إلى الإسلام: الدين يدعو إلى الخير والعدالة والسلام والتعايش مع الآخرين.

4. الاهتمام بالمسلمين في بلاد المهجر، وتعزيز التواصل معهم واستثمار جهود الكفاءات من بينهم، وتوظيف علاقاتهم في المجتمعات التي يعيشون فيها من أجل تصحيح صورة الإسلام السمحة، وإبراز إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية.

ثانياً: ظاهرة الكراهية والتخويف من الإسلام «الإسلاموفوبيا»

1. التأكيد على أن ظاهرة الإسلاموفوبيا

كما يحدد المفكر مدخلين لفهم قضية الهوية، الأول فهم الآخر: موقفين متكاملين إزاءه: موقف صادر عن البلدان التي طورت ثقافتها وأعطتها صبغة عالمية كونية يستطيعون عند الرغبة في إرادة الهيمنة والاستغلال والتمركز اقتصاداً وسياسة وثقافة، وموقف صادر عن الثقافات الأخرى الطرفية التي كثيراً ما تأخذ صبغة الدفاع عن الذات لتنغلق على نفسها بنفسها. ولعل صامويل هنتنغتون في كتابه حول صدام الحضارات يمضي بالتأكيد على هذه المعنى بأن الهويات لا يمكن أن تأخذ غير هذه الصيغة التوترية وأن محرك التاريخ يكمن في صراع الهويات.

أما المدخل الثاني لفهم قضية الهوية فيتمثل بالفهم الموضوعي الذي يحاول إقرار التفاعل والتناسق بين الهوية والعقل في صيرورته المنفتحة والتكوينية في الآن نفسه. وهو فهم يحدد بين الاعتبار لثوابت الوجود ومتغيراته ويمنح الوجود على الحياة بمتغيراتها ومع جوانبها وتجاربها وتراثها، فالذات في هذا الفهم مؤسسة تنبني وتنفتح على التحول والتواصل أي إنها تتحدد بتاريخيتها وتاريخيتها هي الفعل في الوجود والانخراط في قيوده. وهذا التفسير يبرر الأدوار التي قام بها مفهوم الهوية، حيث إنه لعب دوراً في إيقاظ وعي الشعوب، وتماسكها من أجل تحقيق ذاتها. كما أنه على صعيد آخر أدى إلى تآمرها وتعبير منافس لإنجازاتها، عبر محاولة كل شعب تمييز هويته.

وأخيراً، يجب التذكير بأطروحات علماء الأنثروبولوجيا التي تفرق بين الهوية القانونية والهوية السياسية والهوية الثقافية. وهذا ما طرح الوطني غير المصري مثلاً، لأنه عندما يعرض اللاعبين لتعبير ثقافي فإن هذا التعبير يصبح شيئاً ذاتياً، وكقاعدة عامة فإن الهويات الثقافية مجمع عليها بالاتفاق والتراضي طبعاً لا كرهاً ويمكن أن تكون متعددة لكن عندما يصادق الفاعلون على هذه الهويات تكتسب طبيعتها وتصبح قانونية وسياسية.

ونستحضر هنا نموذجاً جاداً لأحد الباحثين الإماراتيين ومفاده أن الكتاب الذين يشتغلون على حقوق الأقليات ينتهي غالباً إلى أن يسلموا بوجود الأقليات والأقلية كمعطى، ويفترضون أن الهوية الثقافية يجب أن يجد لها تعبيراً سياسياً. ولذا فإن الأقليات الثقافية أي الأقليات الجماعية الإثنية ينبغي أن تصبح لا محالة أقليات سياسية. ويطالب محمود محمدي في هذه الرؤية الجديدة أنه بدلاً من أن نعتبر الهويات الجماعية كمعطيات فإنه علينا الاجتهاد في أن ننظر إلى عملية تكوين الجماعات من الوجهة التاريخية [1].

> فليس من البيان أن الرهانات الراهنة المرحلة تقف بشكل رئيسي وراء ترتيب أهل الفرق مفهوم الهوية طوق عتيق من مؤامرات الغرب لمنعها على التمسك عليها بهويتها وتجعلها في السياسة [illegible] الأكبر على منظومة الأفكار

ونختم هذه الاستفهامات حول مفهوم الهوية بالتأكيد على مسألة متفق عليها لدى الجميع ومفادها أن قيام أي مجتمع بشري مرهون بوجود أساس عقدي أو مذهبي، ويكفي أن تختلف ملامح هذا الأساس من مجتمع إلى آخر لاختلاف هويته الحضارية وخصوصيته التصورية مما يحدد منظومة للقيم والمبادئ والمثل والمعايير تحدد أنماط التفكير وألوان السلوك لدى أفراد المجتمع الواحد، وهو ما يمنحه، حسب أحد الباحثين، هويته الحضارية بما تشمله من معتقد ومنظور وأسلوب ممارسة يتميز بها عما سواه من المجتمعات ويتفرد.

تحديد مفهوم الغرب

في دراسة مطولة منشورة عام 1993 طرح المفكر الأمريكي فرانسيس فوكوياما السؤال التالي: هل ما زال لمقولة الغرب معنى في ظل الأوضاع العالمية؟ وكان جوابه أنه على الرغم من حقيقة وجود قيم ومصالح ومؤسسات مشتركة جامعة بين الفضاءات الداخلة في مفهوم الغرب، فإن العلاقات لم تكن تتسق وتتقارب بين هذه الفضاءات إلى حد التباين الجوهري في

الرؤية والتوجه، مما سيكون له الأثر الحاسم في العلاقات الدولية. ويرى فوكوياما أن رهان هذا [illegible] يتعلق بنمط التعامل مع القضايا الدولية، إذ ترى المجموعة الأوروبية أن الولايات المتحدة تميل إلى الانسحاب من التزاماتها إزاء العالم وتتجه نحو نمط الأحادية والمشروع الإمبراطوري.

وبرأي العديد من المثقفين فقد كان من المستبعد أن ينضم كل الدول والشعوب الغربية في سلة واحدة، لكن الصحيح أن الولايات المتحدة الأمريكية ومجمل الدول التي تحتل شمال وغرب القارة الأوروبية كان من الممكن أن تصير كتلة واحدة يجمعها ميراث ثقافي وديني مشترك، وقد تعزز هذا الاشتراك خلال الحرب الباردة وما استتبعته هذه الحرب الطويلة من توحيد هذه الدول في مواجهة الخطر السوفياتي والدفاع عن النظام المهيمن على العالم.

ولم ينظر بقية العالم فحسب إلى مجموع هذه الدول باعتبارها غرباً، ولكن هذه الدول نفسها تنسب للعالم بحكم سياساتها تجاه قضاياه الرئيسية كذلك. وحسب تقسيم عالم الباحث [illegible] موسى نافع[2] فقد تبلور مفهوم الغرب ورؤية العالم له في حقبة صعود حركة التحرر الوطني في العالم الثالث والتحرر العنيد من مخلفات الصراع التي خلفها نظام الاستعمار المباشر، ونظراً إلى أن أغلب الدول الغربية كانت أصلاً من الدول الإمبريالية، بل إن بعضها ظل حاكماً في أجزاء من آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية حتى في الخمسينيات والستينيات، ولأن الاتحاد السوفيتي أصبح حينها الأقرب من العالم الثالث، فقد سادت الوضع الدولي وخاصة بين شعوب آسيا وأفريقيا نزعة معادية للدول الغربية، تحولت شيئاً فشيئاً إلى نزعة معادية للغرب ولفكرة الغرب، أو لفكرة الغرب بسبب سيطرته على مقدرات العالم ودوره الإمبريالي.

ويرى [illegible] أطروحة المركزية صورية تتلبس في ثنائية الغرب والشرق، خاصة أن مفهوم [illegible][3] أو الأسطورة المؤسسة للغرب تشكلت على مرجعية يونانية رومانية مسيحية متنكرة لكل المصادر الشرقية أو غير المسيحية

مبنية على فرضيات لا أساس لها في الواقع العملي، وهي فرضيات تشاطرها بعض التيارات الإسلامية التي تعطي الإسلام أو تجهل حقيقته، مما يستدعي مضاعفة الجهود على كل المستويات الإسلامية من أجل التعريف بالإسلام ديناً وثقافة وحضارة، وربط عرى التعاون الإسلامي والتضامن مع النخب الإسلامية الغربية المستقلة والمحايدة من أجل توضيح صورة الإسلام.

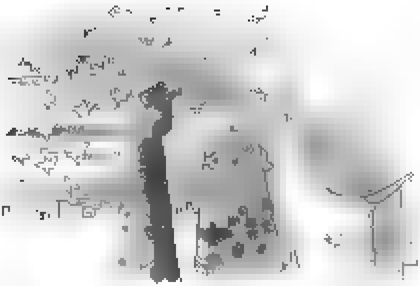
6- دعم جهود منظمة المؤتمر الإسلامي في تفعيل المرصد الذي أنشئ في إطارها لمتابعة وتحليل ما ينشر عن الإسلام سلباً وإيجاباً وتنسيق الجهود التي تتصدى لظاهرة الإسلاموفوبيا وتوفير الإمكانات المادية والبشرية اللازمة لكي يستطيع ذلك المرصد القيام بالدور الذي أنشئ من أجله.

7- استثمار النخب الإسلامية الغربية المحايدة وربط صلات معها، واستثمار الأساليب الإعلامية في التعريف بالإسلام وحضارته مع السعي لإقامة مؤتمرات وورش عمل مع هيئات ومنظمات غربية حول قضايا إسلامية بما يحقق اطلاع الشرائح الكاملة في المجتمعات الغربية على حقيقة الإسلام وحجم إسهاماته في حضارة العالم.

توصيات عامة

1- إيلاء قضايا المرأة المسلمة أهمية خاصة، والتأكيد خصوصاً على الحقوق التي منحتها إياها الشريعة الإسلامية الغراء، ومحاربة بعض التقاليد والأعراف التي تخالف الشريعة الإسلامية، وتقدم صورة [illegible] للمرأة السلبية، ومشاركتها في كافة مناحي الحياة في ضوء المساواة التي يعترف بها [illegible] الصعيد.

2- إيلاء مزيد من الاهتمام لقضايا الشباب



الأخرى (العبرية، اليهودية، الإسلامية) للحضارة الأوروبية. وتجب تهمة الأسطورة عن أوروبا ودولة الإغريق بوصفها عصراً معجزة، ولا يوجد أي نفوذ خارجي فيها. أما البحث اليوناني المعهد ولد أبها؟

فيرى أن مقولة الغرب تبدو بديهية لا لبس فيها تستخدم على نطاق واسع في الأوساط السياسية الأمريكية والأوروبية بمنظور المنفعية الإجرائية، وتمهيد للتحالف الأنجلو-أمريكي القائم بعد الحرب العالمية الثانية، وفي الأوساط الثقافية لإعطاء مضمون قيمي موحد لنماذج تلتقي في عدة خصائص بإسمة القيم المتولدة عن الثورات الصناعية والتقنية والسياسية الحديثة.

كما تستخدم بالمعنى ذاته في الخطاب العربي الإسلامي الرائج بمنظور قيمي بالهوية الخصوصية والتعبئة إزاء الآخر بمعنى الامتداد الصليبي الاستعماري المتجسد راهناً في أمريكا من حيث هي تمثل اكتمال الغرب.

فما هي حدود الغرب المفهومية والتاريخية والإقليمية التي تبرر في خصوصيته وفرضها على تكون الجذور الإغريقية اللاتينية التي شكلت معالم الفكر الأصلي؟ أم هي الخلفية الدينية اليهودية المسيحية التي لا يخفى أن نطاق انبثاقها هو التقليد التوحيدي الشرقي الذي شكل الإسلام خاتمته؟ أم أن الغرب هو مفهوم ينتمي إلى عصور الحداثة والتنوير التي كانت خاصة بالمجال الأوروبي وامتداده الأمريكي وقد أفضت إلى صياغة نموذج مجتمعي وحضاري متكامل قوامه القيم الفردية والإنسانية، والمدرسة الديمقراطية التعددية، والليبرالية الاقتصادية. وتلك هي السمات المشتركة اليوم بين مكونات هذا الفضاء الغربي الأوسع؟

الأسئلة العالقة في الإشكالية

يعد الاستشهاد بمجموعة من التعاريف المتعددة بمفهومي الهوية والغرب، نلتقي مع مجموعة أخرى من الأسئلة مثيرة هامة وضرورية، وتستحق وقفات تأمل؛ لأنها تضع جميع هذه التعاريف على محك، أو لأنها تركت من سماء التنظير والتأمل نحو أرض الواقع والعمل. وسوف نلخص مجمل هذه الأسئلة في النقاط التالية:

- عن أي هوية نتحدث بالضبط، وهل يمكننا التمترس بالهوية في عالم أصبح بفضل التطور التقني والعلمي قرية صغيرة متقارب الحدود متلاقح ومتداخل الثقافات والهويات؟
- هل تنتمي روسيا برصيدها التاريخي الكثيف وتراثها المسيحي الشرقي إلى الفضاء الأوروبي الذي ظلت مقصاة منه لأسباب أيديولوجية واستراتيجية ظرفية؟
- وصف أحد الأوروبيين [illegible] مجموعة يجتمع فيه عدد

من أفراد قبيلة عربية حول جهاز تلفزيون ياباني الصنع يعرض فيلماً أمريكياً بالبث الفضائي[1] وكان السؤال الجوهري في الوصف كالتالي: من يغزو من في هذا المشهد؟ هل تغزو التكنولوجيا اليابانية المتطورة هذه القبيلة العربية؟ هل تغزو الثقافة الأمريكية هذه القبيلة العربية؟ أم بالعكس؟ أي أن القبيلة العربية هي الغازية من حيث الواقع، إذ تحصل على أحدث المنتجات التكنولوجية الحديثة مقابل قليل من المال مقارنة بالجهد البشري الهائل في المجال العلمي الذي أنتج جهاز التلفزيون المتطور الذي بين أيديهم[2].

* غير أن القصور الحاصل عندما يتحدث عن الغرب، وعمن هو المقصود به؟ هل يقع الأفراد هنا بجمع الفرد الديني (المسيحي واليهودي) والغرب السياسي والغرب الثقافي والغرب الاقتصادي والفرد الديني... إلخ هل نضع كل هؤلاء في سلة واحدة؟ ولنأخذ حالة الفرد الثقافي مثلاً حيث لا نتعامل مع جوانب الغموض في طبيعة الغرب الديني، ولنقتصر فقط على الحالة الفرنسية حتى لا نتعامل مرة أخرى مع حالات الثقافة الأخرى الأمريكية والبريطانية والألمانية... إلخ.

فمن أي غرب ثقافي فرنسي نتحدث؟ هنالك ثقافة مؤسسة الحكم... وهنالك ثقافة تيار العلمانية الجديدة الذي يقع فكرياً ما هو فرنسي متضامن مع الكيان الصهيوني مثل الفيلسوف الفرنسي برنارد ليفي وهناك بالمقابل تيار آخر في تيار اليسار يتضامن مع الكيان الصهيوني ضد حقوق الفلسطينيين، مثل المفكر برنارد هنري ليفي.

* كيف نتعامل مع النموذج الياباني التي نجحت في استنبات بعض مكونات وآليات النموذج التحديثي الأوروبي ـ الأمريكي من داخل أرضيتها الثقافية والاجتماعية المميزة الخاصة.

منهجية التعارف وثقافة التصادم

أمام التحديات التي تتعلق بالمسلمين أنفسهم، أو تمس الأقليات الإسلامية، أو في تحديات العلاقة بين المسلمين

المسلم لكونه يمثل مستقبل الأمة ويشكل تهديداً لمستقبلها، وذلك بإفساح المجال لإسهاماته الفكرية وإتاحة الفرصة أمامه للإبداع، وربط الصلة بين المؤسسات الشبابية في العالم الإسلامي من خلال إقامة المخيمات، وتنظيم الأنشطة الثقافية والرياضية المشتركة، وفتح مجالات واسعة للحوار بين التنظيمات والمؤسسات الشبابية في العالم الإسلامي.

11. تبرز الحاجة إلى التخفيف من الضغوط التي تمارس على العمل الخيري الإسلامي والمؤسسات الخيرية تحت ذريعة مكافحة الإرهاب، والتحذير من الانعكاسات السلبية لذلك التوجه، وتطالب مؤتمر مجمع الفقه في الدول الإسلامية بالاستمرار في تشجيع العمل الخيري وحماية مؤسسات التعليم من الضغوط الخارجية.

12. قيام الدول والمنظمات الإسلامية بتشجيع الكفاءات التي تهرب الأموال ولا تعاني القيم المعيشية أو التي في دول العالم الإسلامي، وإقامة مهرجانات ومعارض، ووضع حوافز وجوائز تشجع على الإبداع في مجالات الأدب والفن الهادف، ودعم الاشتراك في المسابقات الدولية.

13. التصدي لظاهرة الفقر والجهل بأشكالها من خطر التحديات في المجتمعات الإسلامية، والتأكيد على القيم الإسلامية في التكافل الاجتماعي، وتشجيع الهيئات الخيرية التي تسعى إلى تنمية المجتمعات الإسلامية في مختلف أنحاء العالم.

14. دعم منظمة المؤتمر الإسلامي والمؤسسات المنبثقة عنها والتنسيق لما يمكنها من الاضطلاع بالمهام الملقاة على عاتقها على أفضل وجه في المرحلة الدقيقة التي تمر بها

❖ فبين عهد الصدام مع الغرب كما يروج لذلك العديد من التيارات الدينية السياسية في العالم الإسلامي والعالم العربي، ويتحدث عن الأصوات التي تقسم العالم إلى معسكر الإيمان ومعسكر الكفر، أو الإسلاميون يعتبرونه حربا عند البعض منهم، أو ممن يختزلون العالم في منطق الأبيض والأسود أو معنا وإلا فأنتم ضدنا أو مع الإرهاب.

❖ وبين عهد معاصر يأخذ بعين الاعتبار التنوع والاختلاف والتعدد الذي يميز العالم بأسره، وليس فقط العالم الإسلامي والعالم العربي، على ألا يخرج عن السياق الذي يناسب عليه من الحياة عن مقاصد الآية الكريمة المؤسسة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ سورة الحجرات الآية 13.

بصرف النظر عن دين أو مذهب أو هوية أو جنسية أحد بعينه، فالواضح أن الخطاب الرباني هنا موجه إلى الناس أجمعين، ويسعى إلى التأسيس لعيش مشترك بين أناس مختلفين، وهذه عبارة ربانية لم تنحصر في العربي أو الآخر غير المسلم بصفة عامة.

كيف يمكن تحديد الهوية من دون السقوط في متاهة مسألة الآخر؟ يجب علينا التركيز على أن المرجعية التي تقصي غير الهوية هي التي تؤدي إلى الاستبداد، وهي التي تحول الأمر إلى صراع يجب القضاء عليه، لذلك تتحول بعضهم إلى خصوم. فتحويل الهوية بمفهوم جمعي يؤكد على التنوع والتعدد ويمضي عن الواحدية، والحق أن هذا الجواب وغيره من الأسئلة ومشروعيته التفسيرية لا يصل إلى مستوى الأجوبة المؤسسة في النصوص الدينية عندما نعود كمسلمين، ونستحضر هذه النصوص، الآية القرآنية التي نستشهد بها من قبل أو الحديث النبوي الشهير الذي يجعل التقوى بمثابة المقياس الجوهري بصرف النظر عن دين عمرو وزيد.

لا خيار لنا سوى التمسك بمبدأ الحوار مع الغرب، هذا من جهة، وكذلك الأمر مع المنطقتين أو محيطي الأمر، وعلى خلاف غالبية العربيين من ينتبهوا من جهة الإسهام الفعلي وبشكل مباشر في تصحيح صورة الإسلام والمسلمين لدى الشارع الغربي، فإننا مطالبون أيضا بأن نبرح تلك الصور النمطية التي تختزل الغرب في خصال الظلم والاستعمار، والإمبريالية والاستعلاء والكفر والإلحاد.

ولكن من هذه الأوصاف التي تقتصر على الغرب السياسي كما نجد في اجتهادات بعض التيارات والجماعات، وليس هذا مقام تفنيد أو تقييم هذه الآراء، فهي نعتبرها مسبقا حكرا على المعتقدات العربية تحديدا على الغرب الثقافي والاجتماعي، ونجد ضمن هؤلاء مجموعة من الأسماء الفكرية المدافعة عن القضايا العربية والإسلامية، من يكون خارج الفكر الأمريكي نعوم تشومسكي والسياسي البريطاني جورج غالاوي، والإعلامي الفرنسي إيناسيو رامونيه، وهذه عينة بسيطة تعبر عن غرب آخر غير ذلك الذي حصرناه في الأوصاف القدحية السالفة الذكر.

> **عوض أن نتحدث عن الخوف من الهوية أو عن تكوين الهوية بحكم استحقاقات العلاقة مع الغرب، فالأحرى أن نتأمل ما نقوم به نحن فيما بيننا اتجاه هذه الهوية**

وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا إذن لا نستثمر إيجابيا جسور الاتصال مع هذه المجموعة من الشرفاء والمثقفين في أوروبا وأمريكا؟ وماذا نحن عاجزون حتى عن مخاطبة جمهور الجالية في أوروبا وأمريكا، مع علمنا المسبق بـ العديد من هذه المنظمات، أيضا: الجبهة تدافع عن القضايا العربية وقضايا العالم الثالث العادلة، ويكفي أن نعلم بأن بعض برامج هذه الأحزاب كان يتصدر الشعوب تعرض مسبقة خلال حملتها إلى مساعدة المجتمعات الفقيرة في دول العالم الثالث.

هناك مجموعة من الشواهد التاريخية التي تؤكد بأن هوية مسلمي اليوم من الهوية ومن التحديات الكبيرة التي تواجههم، لا يسعنا أن يكون هذا [illegible]

سامحها، ومن بين هذه التوظيف إقرار المستشرقين غير المسلمين بأن الحضارة الأوروبية وبالتالي الغرب أفاد من علاقاته بالإسلام واحتكاكه في مواطن التقاء معه، ولكون النهضة الأوروبية بدأت منذ القرن الثاني عشر بعد الشروع بحركة الترجمة والنقل من العربية عبر الأندلس وصقلية، والتي قام بها العلماء العرب والمسلمون لكثير من المعارف التي كانت سائدة آنذاك لتصل إلى تأسيس حضارة عريقة في الأندلس شملت مظاهر الحياة كافة من علوم وصناعات وفنون ومظاهر عمرانية بحيث أصبحت الأندلس من الحواضر الإسلامية العريقة.

هذا مثال حي من التاريخ المتوسط، واليوم وبالرغم من مواجهتنا حجم التحديات والإكراهات المختلفة، وبالرغم من أن التاريخ لا يكرر نفسه، إلا أننا نملك كامل المقومات لمجابهة هذه التحديات، ويمكن أن نتحدث عن الخوف من الهوية أو من تشويه الهوية بحكم مستحقات العلاقة مع الغرب، فالأمر أن نتأمل ما نقوم به نحن فيما يخص تجاه هذه الهوية دون حضور الفاعل الغربي، ونتوقف في هذه النقطة تماما مع نموذج واحد فقط، يتعلق بصورة أغاني الفيديو كليب في الساحة العربية.[22]

لا أعتقد أنه يصعب علينا استنتاج الخلاصات التي يمكن أن يتوصل إليها أي باحث مسلم أو عربي عند أن ينجز دراسة حول صورة المرأة العربية في الفيديو كليب عربي، ويتضح أن هذه الصورة، والتي لن تخرج عن خطها ما يمكن أن يسلمه فيه الإنسان الذي كرمه الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (سورة الإسراء الآية 70) فهي تتقاطع بشكل كبير مع الصورة المروجة عن المرأة العربية وعن العربي والمسلم عموما في خطاب الإعلام الغربي، والتي تتصف بالانحطاط والتخلف والتشويه، ولكن المعنى الجوهري هنا أننا نستفيد في نفس الخلاصات أي أننا نساهم نحن أيضا في الترويج بشكل غير مباشرة وبطريقة من خلال ظاهرة الفيديو كليب، وبالرغم من ذلك، نطالب من الغرب أن يكون منصفا معنا وألا يروج هذه الصور المسيئة والمشوهة.

العالم الإسلامي وتقديم الدعم المادي والمعنوي اللازم لتفعيل هذه التوصيات.

14) دعم البرامج التربوية العلمية والثقافية للأقليات الإسلامية في أنحاء العالم بما يحافظ على هويتها الثقافية وانتمائها الإسلامي، وبما يجعل من أعضائها مواطنين صالحين في المجتمعات التي يعيشون فيها في ظل احترام كامل لقوانين تلك المجتمعات وتعبير الجماعة عن امتنانها للدول التي اتخذت خطوات ملموسة لتحسين أوضاع الأقليات الإسلامية فيها بما يحقق تلك الغايات.

15) حث هيئات الإغاثة الإسلامية والمؤسسات الخيرية في العالم الإسلامي على المبادرة بتقديم إسهاماتها لصالح ضحايا كارثة تسونامي في كافة المناطق المتضررة من الإعصار، والعمل على كفالة الأيتام والمشردين وتوفير الرعاية الصحية والاجتماعية والتعليمية لهم.

16) تعرب القمة عن استنكارها الشديد للمجازر التي ترتكبها إسرائيل بحق الشعب الفلسطيني، وما يترتب عليها من مآس وويلات تصيب الشيوخ والنساء والأطفال، وتدعو الدول الإسلامية إلى أن تتخذ موقفا حازما إزاء هذه الاعتداءات.

هذا مثال بسيط جدا يبين تحديات كبرى امام مفهوم الهوية بمزيد من الهواجس المطروحة التي يمكن أن نستحضرها عنده. تشهد العالم الخارجي أي إشكالات للمسلمين بالغرب يعيدون إلى الأزمة الحقيقية التي تكمن في دواخل نحو أزمة عقلية عربية أو مؤامرات أجنبية.

يبقى في الأخير التأكيد على دور المنظمات والهيئات الإسلامية وتحديدا بالدرجة لتنسيق العمل الإسلامي المشترك وأيضا على الأقليات الإسلامية في الغرب في تفعيل دور الحوار بمحاولة الوصول إلى تفاهم مشترك ووجود موضوعي خاصة وأن القواسم المشتركة بينها وبين الغرب وزيادة على القواسم الدينية الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر والحساب والجزاء والثاني هناك قواسم تتعلق بكرامة الإنسان وقيمه الديمقراطية وحقه في الحرية والاختيار الإيمان بقيم الحق والمساواة والفضائل الأخلاقية.

لا خيار أمام هذه الهيئات والمنظمات في ملتقى الآخر سوى تعزيز قنوات الحوار بالرغم من حصول ملاحظات ومؤاخذات ووجود استفهامات عن أشكال الحوار ونتائجه، ولكن عليها التثبيت بهذا الخيار لتقطع الطريق على دعاة الصدام الذي يدفع من قبل العديد من الأصوات المتطرفة في الشرق والغرب على حد سواء.

نحن نعيش في سفينة واحدة تضم مختلف الأعراق والديانات والجنسيات ومطالبون بتفعيل خطاب واعي جديد لصياغة العلاقة الحضارية بين الإسلام والغرب أو علاقة تقوم على التعايش والتباين واحترام ثقافة الآخر والعمل سويا لتحرير الإنسان والإنسانية هذا هو التحدي الأكبر والجهاد الأكبر.

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

سورة التوبة، الآية 105

المراجع

1. العلمانية ومفهوم الهوية، كمال غزيل، موقع مجلة الحوار المتمدن الإلكترونية، مقال منشور في 2005/5/[illegible]
2. المسلمون وأسئلة الهوية، حسن الوراكلي، منشورات جمعية البعث الإسلامي، تطوان المغرب، الطبعة الأولى 2007
3. تطور الفكر والحداثة وما بعد الحداثة، تأليف مشترك بين عبد الوهاب المسيري وفتحي التريكي، دار الفكر، دمشق/بيروت، الطبعة الأولى 2003.
4. المواطنة، الحقوق، والهويات في أمريكا، محمود علي، أستاذ الأنثروبولوجيا والعلوم السياسية بجامعة كولومبيا في نيويورك، البحث منشور في كتاب يحمل عنوان: مفاهيم عالمية، من أجل حوار بين الثقافات، سلسلة تشرف عليها [illegible]، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى 2005 ص (1).
5. [illegible] بالعربية في الوعي العربي بعد 11 سبتمبر، بشير موسى نافع، موقع إسلام أون لاين، مقال مؤرخ في [illegible]
6. L'Occident et les autres. Histoire d'une suprématie. Sophie BESSIS. Editions la Découverte. Paris. 340 pages 2001.
7. هل نستحق ما يحصل لنا بالغرب، مصطفى السيد ولد، جريدة الشرق الأوسط، لندن، [illegible]/3/2006
8. الغريب أن هذه القبيلة والتي تمثل هيمنة ثقافية واجتماعية ومالية خاصة في مسائل الاعتقاد والفكر والتشكل [illegible] فهي نتاج [illegible] فكر [illegible] لا الغرب [illegible] مقال منشور في موقع الحوار المتمدن، مؤرخ في [illegible]/2006
9. [illegible] تأملنا نتائج استطلاع الرأي أجري لمصلحة مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية (كير) ونشر في شهر تشرين الأول أكتوبر 2004 مفاده أن 31 في المئة من الأمريكيين يرون بأن الدين الإسلامي يعلم العنف والكراهية مقابل 33 في المئة منهم يرون بأنه [illegible] بينما يقول الله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ سورة الأنبياء الآية 107، والسؤال الذي يطرح [illegible] [illegible] الشعب الأمريكي [illegible]
10. تزامن تحرير هذه الورقة مع تنظيم مسابقة كأس العالم لعام 2006 والذي عرف بمشاركة أغلب الدول العربية والإسلامية.



النظام العالمي الجديد ودور وسائل الإعلام بأنواعها المختلفة في عرض صورة الإسلام

الدكتور أحمد [illegible]*

المبحث الأول
تعريف النظام العالمي الجديد

ذكر بعض الكتاب مجموعة من التعريفات للنظام العالمي الجديد من أبرزها:

1- هو تعبير عن طموح نحو إيجاد نظام سياسي عالمي تهيمن عليه أو تفرض فيه قوة وحيدة أو تحالف قوي يتألف من مصالحها [illegible] ذاتية أساسًا ويفرض نظمها المؤسسية على أكبر عدد ممكن من دول العالم وشعوبه. والنظام العالمي الجديد هو أحد الأنظمة العالمية الدولية حيث بدأ يتضح بعد انهيار الاتحاد السوفيتي(1).

2- هو آلية [illegible] سياسة للتأثير تنطلق لترتكز على المصالح التي تسعى إليها أو تدافع عنها مجموعة القوى العظمى. وفي مرحلة الراهنة تمحورت هذه القوى العظمى في الولايات المتحدة الأمريكية(2).

3- هو اصطلاح للسياسة تم استخدامه بشكل واسع في نهاية الثمانينات وبداية التسعينيات في القرن العشرين المنصرم، بالتحديد مع ظروف تفكك الاتحاد السوفيتي حيث القرن العولمة [illegible] عن انتقال عمليات السلام ورؤوس الأموال ومعطيات الإنتاج والأشخاص والمعلومات بين المجتمعات البشرية بحرية ودون قيود. [illegible] العملية [illegible] تجاه الهيمنة على مقدرات العالم من طرف واحد (أمريكا) أو ما يسمى بالقطب الواحد(3).

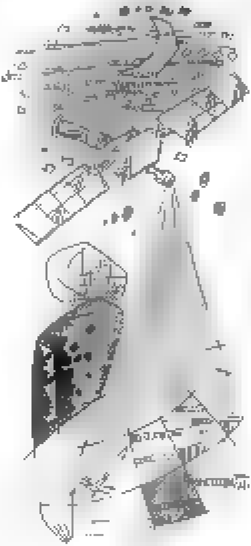
4- ويعرفه [illegible] بمفهوم النظام العالمي الجديد [illegible] في أكثر

* كلية الشريعة - الجامعة الأردنية

(1) [illegible] www.[illegible]
(2) المصدر السابق نفسه.
(3) [illegible] www.[illegible]
(4) [illegible] تشومسكي، [illegible] النظام الدولي [illegible] ترجمة [illegible] الطبعة الأولى [illegible] ص 30.

معانيه ضمنياً، عبارة عن مفهوم عملي وصفي يشير إلى مجموعة من المعايير والإجراءات والمؤسسات التي تعطي المجتمع الدولي معنىً وهيكلاً في أي وقت معين[3]

من خلال ما تقدم نلاحظ أنه لا يوجد تعريف واضح للنظام العالمي الجديد، حيث تستخدم عبارة نظام عالمي جديد بصورة عامة بدون تعريف واضح، وإن كانت الأفكار تختلف حول المضمون، حيث تتجه معظم التعريفات إلى الاشتراك في مهام صنع السلام والنزاعات المختلفة في مختلف بقاع العالم، لتوفير وحدة هدف للعالم إلى الحفاظ على سيادة القانون والنظام، وذلك بردع العدوان ووقفه ورفع الاضطهاد عن المضطهدين، وتخفيف معاناة المدنيين وتعزيز حقوق الإنسان والحقوق المدنية. وبذلك يمكن تعريف النظام العالمي الجديد باعتباره نظاماً دولياً تتصرف فيه الولايات المتحدة وحلفاؤها معاً تحت غطاء الأمم المتحدة للحفاظ على السلام أو صناعته عن طريق تعزيز القانون والنظام الدوليين ضد المنتهكين لحقوق القانون والعدالة من وجهة نظرهم[4]



المبحث الثاني

نشأة النظام العالمي الجديد

يرى بعض العلماء أن مصطلح النظام العالمي الجديد ظهر على الصعيد الأكاديمي لأول مرة بداية السبعينيات عندما استعمله المحامي الأمريكي المتقاعد كرينفيلد كلارك المستشار العامل لعدد من وزراء الخارجية في البيت الأبيض في الخمسينيات والأربعينيات من القرن الماضي لكنه رغم الظهور

(4) مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، مؤسسة الأهرام، شارع الجلاء، القاهرة، مصر، هاتف [illegible] فاكس [illegible] [illegible]

(5) المصدر نفسه وانظر: خالد محمد سعيد، النظام العالمي الجديد والمغرب العربي، الطبعة الأولى، 1994، الأهالي للنشر والتوزيع، ص 34.

المفهوم لم يخرج ليبرز أماماً في الفكر السياسي إلا بعد ثلاثين سنة على وجه التقريب، وكان أول من استخدمه في خطابه الحالي غورباتشوف 1987 وجورج بوش 1990 والأمم المتحدة 1991م[1]

وباختصار يمكن القول إن النظام العالمي الجديد مصطلح لا يحمل في طياته أي جديد سوى محاولة الأمريكان استغلال انهيار الاتحاد السوفيتي في تحويل ميزان الصراع لصالحهم، وكذلك استثمار التخلخل الحاصل في الوضع الدولي لخلق الإمكانية لمزيد من مظاهر القوة في كافة ميادين الصراع مع قوى أخرى بعد الاتحاد السوفيتي[2]

وقد بشر الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وبعد حرب الخليج الثانية بما يسمى بالنظام العالمي الجديد الذي كرس الآلة العسكرية الضخمة لتأديب الخارجين على هيمنة الولايات المتحدة، واستخدام التكنولوجيا العسكرية المبرمجة في ضرب العرب من جديد، مع التمهيد من أن يخضعوا بمحض إرادتهم في شؤون العرب بشكل مباشر أو توظيف الأمم المتحدة لخدمة هذا النظام الجديد حتى أصبحت الأمم المتحدة الولاية الخامسة والخمسين من الولايات الأمريكية، أي أن الصراع صار صراعاً عسكرياً وسياسياً في آن واحد[3]

المبحث الثالث:

أسباب ظهور النظام العالمي الجديد

نستطيع أن نلخص أسباب ظهور هذا النظام العالمي الجديد في الأمور التالية:

---

(1) كمال صادق [illegible] العربية [illegible] المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1992م.

(2) الحروب الصليبية في النظام الدولي الجديد، سعد العبيدي، مرجع سابق ذكره.

(3) [illegible] النظام العالمي الجديد من منظور تاريخي، مرجع سابق ذكره.

كلمات شكر

1. أعربت اللجنة عن امتنانها العميق لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية وللجماهيرية العربية الليبية لاستضافتها هذه الندوة على أرضها.
2. أعربت اللجنة عن شكرها وتقديرها للبروفيسور أكمل الدين إحسان أوغلي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي للجهود الموصولة التي يبذلها سعياً للنهوض بالعمل الإسلامي المشترك [illegible] للأمة الإسلامية. وتبارك اللجنة جهود معالي الأمين العام التي يبذلها في تحقيق الإصلاحات في المنظمة وتجديد هياكلها وأساليب عملها بغية الارتقاء بأدائها للوصول إلى مصاف المنظمات الدولية الفاعلة.
3. قرر الاجتماع إرسال برقية شكر إلى قائد ثورة الفاتح من سبتمبر العقيد معمر القذافي على الدعم القيم الذي يقدمه إلى منظمة المؤتمر الإسلامي والنهوض بالقضايا التي تهم العالم الإسلامي.
4. أعربت اللجنة عن بالغ شكرها للدكتور محمد أحمد الشريف أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية على مساهمته الإيجابية ومشاركته الفعالة التي كان لها الأثر الفعال في إنجاح أعمال هذه الندوة.
5. أعربت اللجنة عن عميق شكرها وامتنانها وتقديرها للعرض الكريم الذي تقدم به معالي الشيخ [illegible] جاسم [illegible] رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بدولة الكويت لاستضافة أعمال الاجتماع الخامس عشر للجنة في القاهرة.


MEETING OF THE COORDINATION COMMITTEE
OF THE JOINT ISLAMIC ACTION

تعمق الشعور القومي بالذات الإسلامية وبالآخر الغربي الذي لم يعد نموذجاً جذاباً ناجحاً كما كان في الخمسينيات.

لم يعد الغرب واثقاً تماماً بنفسه كما كان الأمر من قبل، حيث تمر الحضارة الغربية في أزمة عميقة مع تفشي النسبية الأخلاقية وظهور مراكز اقتصادية وعسكرية وثقافية أخرى في العالم ومع تفاقم الأزمة الاجتماعية الغربية. ويعكس الأمر الأزمة الحضارية الإباحية وقد لم يعد قادة العالم الغربي قادرين على الحديث عن تفوق الجنس الأبيض كما كان متبعهم في ماضي الغرب.

8. ومع هذا لاحظ الغرب أن ثورة المعلومات والنظام الإعلامي الجديد بقنواته وكتبه ومطبوعاته ومراكز بحوثه ترتب عليها مقدرة هائلة على الاتصال ونقل المنظومة القيمية الغربية إلى كل ربوع العالم بعد أن كانت محصورة إلى حد كبير في الغرب.

9. أدرك الغرب أنه ظهر في العالم الثالث نخب محلية تنتمي اسماً إلى شعوبها ولكنها رمزاً من ناحية الرؤية والتطلعات والأحلام وأسلوب الحياة تنتمي إلى العالم الغربي ومن نلاحظ أن تصاعد الوعي الديني والقومي صاحبه أيضاً تصاعد في معدلات العلمنة والتغريب والأمركة في كل أنحاء العالم ويتم اختراق كبير من أعضاء النخب الثقافية والسياسية. فتم الاستيلاء على كثير من أبنائهم وبدأ العلم الأمريكي ينتشر إلى قطاع لا بأس به من الجماهير وبالجملة فقد تسربت المنظومة القيمية الغربية عن طريق الإعلام الغربي وعملائهم في دول العالم الثالث من خلال وسائل الإعلام المختلفة دون اللجوء إلى القوات العسكرية وقد ساهمت ثورة المعلومات في هذه العملية.

10. اكتشف العالم الغربي أن ثمة قضايا جديدة لا يمكن مواجهتها إلا في إطار عالمي وهو ما يتطلب التعاون مع حكومات العالم الثالث، فالأمر بالتقدم لم يعد مجرد تلويث نهر أو إصابة مجموعة من الناس بمرض ناتج عن التلوث فقد بدأ الناس يسمعون اليوم عن كوارث ذات طابع كوني مثل خطورة الغلاف الجوي وثقب الأوزون، ففي عصر الإمبريالية الغربية كان الإنسان الغربي يصدر للشرق قوانين التقدم ويستوردها. أما الآن فإن ثقب الأوزون لا تعرف الفرق بين الشرق والغرب، ونذكر بالإنسان بالخطر الذي يحيط بالجنس البشري وأن مثل ذلك من المخاوف التي تدرج في منظومة الاتحاد السوفيتي في تشيرنوبيل وقد أصبح مفهوم بسرعة مرعدانية، بعد طريقها إلى كل أرجاء المعمورة.[1]

11. وبالجملة نرى أن النظام العالمي الجديد الرامي بنمط الاستهلاكية العالمي يرى أنه من الضروري ترشيد العالم بأسره وتحويله كله إلى حالة المصنع والسوبر ماركت، ولذا فلابد أن تقسم شعوب الأرض بما فيه الكفاية لتصبح شبه متجهة نحو مستهلكة، فالبدوي في صحراء الجزيرة العربية مثلاً والهندي الأحمر في براري أمريكا والقروي في صعيد مصر يشكلون عائقاً أمام النظام العالمي الجديد المتمثل في الاستهلاكية العالمية فهم ليسوا بحاجة إلى التصدير أو التصنيع ومن ثم لا يمكن توجيههم أو حرمانهم أو الضغط عليهم. فهم يشكلون عائقاً في منظومة الآلة ولا يصدرون الثمرات ويجب أن تكون جزءاً من الكل الآلي، فمثل هؤلاء البشر مستقلون بالأرض قادرون على الحفاظ على منظومتهم الثقافية الدينية وهويتهم المتكاملة وعلى أنهم مع الذات ومع الطبيعة، وهذا أمر يهدد النظام العالمي، ولذا لابد أن يتقدم الجميع حتى يدخلوا جميعاً في النظام العالمي

(1) المسيري، عبد الوهاب، أسباب ظهور النظام العالمي الجديد، ص 5



ويتم هذا من خلال بيع الأحلام الوردية عن الرخاء الاقتصادي وتعظيم اللذة أو الوعد بها [illegible] الاستهلاكية وهو تصعيد يتم من خلال البث المتصل والإنترنت ووسائل الإعلام الداخلية والخارجية. ولكن هذا التقدم يجب أن يتم تحت مظلة البنك الدولي وصندوق النقد الدولي داخل [illegible] للشركات والمنظومة القيمية الاستهلاكية، وقد يجب ألا يسمح بإدخال التنمية المستقلة لأنها تحدث ثغرة في النظام العالمي التي قد توقف توسع الشركات متعددة الجنسيات وقد يعوق التنمية تحت مظلة البنك الدولي، إن التنمية في إطار النظام العالمي الجديد هدفها ستضمن أن تكون شعوب العالم الثالث مستهلكة وستبقى مستهلكة حتى يستمر تدفق المال على الغرب. ولا شك أن عمليات تصعيد التوقعات الاستهلاكية وعمليات التسخين الاستهلاكية المستمرة التي تتعرض لها شعوب العالم الثالث ستجهض تحقيق أي تراكم رأسمالي يمهد للتقدم وستبدد الطاقة الجهادية عند هذه الشعوب أولاً بأول وتختفي الرغبة بالضرورة في الجهاد لا قدر الله[15]

والاستهلاكية المتطرفة لا يسودها إلا قوانين العرض والطلب وتعظيم المنفعة الذاتية واللذة الحسية التي تؤدي إلى سيادة حالة التسطح في العالم بأسره. هذه الاستهلاكية العالمية وجدت أن من مصالحها أن تمسح الحدود وأن تختفي القيم حتى يفقد الجميع أي خصوصية تميزهم أن يصبحوا آلة استجابة استهلاكية وقطع غيار في الوقت نفسه.

ومن هنا كان الحديث عن الديموقراطية بطريقة انتقائية، فهي أداة النظام الاستهلاكي العالمي في فتح الحدود وإضعاف الدول القومية المركزية المسيطرة حتى يتسنى لهذا النظام الاستهلاكي العالمي تركيبة الطغيان وإزالة أي عوائق إنسانية أو أخلاقية[16]

[15] [illegible]

[16] [illegible]

المبحث الرابع

ملامح النظام العالمي الجديد

النظام العالمي الجديد بلا أخلاقيات ولا قواعد ولا معايير

لا يقتصر الحديث عن النظام العالمي الجديد على التفكير المستمر بقيادة الولايات المتحدة للعالم، ولكنه يشير إلى أن هذه القيادة تفتقر إلى القيم والمبادئ والأخلاقيات والأعراف الدبلوماسية التي كان يقوم عليها النظام الدولي السابق، ولا يفوت أحد نفسه بالقول إن تلك القيم والمبادئ والأخلاقيات كانت هي القوة المحركة بالفعل لعلاقات التنافس والصراع بين الدولتين العظميين (الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة) إلا أن تلك القيم والاعتبارات كانت تشكل على الأقل مرجعية يحرص كلا الطرفين على التطلع إليها للتقييم أعماله والحد من قدرة الطرف الآخر على التصرف خارج إطارها. أما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي فإن الولايات المتحدة تشعر بأنها تتصرف في شؤون العالم على هواها دون أي اعتبار للقوانين الدولية والقيم والاعتبارات والأعراف الدبلوماسية التي كان يقوم عليها النظام الدولي السابق، كما أنها تملك الجرأة والوقاحة على تجاوز القواعد المتعارف عليها في العلاقات بين الدول فتصدر عقوبات، وتشن أعمال حرب، وتخطط لاغتيال زعماء دول، وتقود انقلابات وترفض الالتزام بالمعاهدات الدولية للدول. إن العالم خاضع لسيطرتها الشمولية وإن هذه السيطرة تقوم على مبدأ واحد هو الخضوع لإرادة القوة العظمى ومصالحها[1]

1. ومن الجدير بالذكر أن الولايات المتحدة قد مرت في وضع هذا القانون على مرحلتين الأولى: خلال حرب الخليج حيث زعمت أن قيادتها للعالم سوف تتحلى بالمسؤولية وتحرص على الالتزام بأخلاقيات وقواعد تنطلق من الأخلاقيات والقواعد التي كانت سائدة من قبل كاحترام حقوق الإنسان واحترام سيادة الدول، والحرص على تطبيق القرارات الدولية. وهو زعم كانت الغاية منه تغطية الأغراض الاستراتيجية الكامنة وراء الحرب ضد العراق.

2. بعد أحداث 11 سبتمبر عبرت الولايات المتحدة الكشف عن هيمنة سافرة لا تراعي تلك القواعد والأخلاقيات، وأصبحت التهديد الذي تتعرض له الولايات المتحدة خطيرا إلى درجة أنه يتطلب من الجميع الامتثال إلى معايير الأمنية والاستراتيجية التي تضعها الولايات المتحدة. وفي سياق ذلك معايير قانونية تتلخص بحدها الحق في الأخذ أو عدم الأخذ بأية قواعد أو قوانين أو نقض أية قوانين في حربها أو عدم احترام أية مؤسسة دولية. وفي هذا السياق جاء تقسيم العالم إلى دول خير ودول شر ليؤكد الحقيقة الثابتة وهي أن الولايات المتحدة هي المرجعية الوحيدة لوضع المعايير، وأن هذه المعايير ستظل من دون تحديد ولا تعريف كما تظل غامضة لدرجة لا تسمح لأحد أن يستوضح طبيعتها إلا من خلال الإصغاء إلى ما تقرره واشنطن[2]

إن النتيجة الرئيسية الأهم في النظام العالمي كما تراه الولايات المتحدة هي أنه يلغي دور المؤسسات الدولية وفي مقدمتها مؤسسة الأمم المتحدة كما يلغي قواعدها وأخلاقياتها واعتباراتها الدبلوماسية. وليس من الغريب على هذا الأساس أن تتحول هذه المؤسسة الدولية إلى شاهد زور يحجم

(1) الجلبي، برهان. العالم بعد 11 سبتمبر، إرهاب العالم بوسائل أخرى، نظام دولي جديد بلا أخلاقيات ولا قواعد ولا معايير. صحيفة ... www.....

وانظر: النظام العالمي الجديد والقضايا العربية الراهنة، محمد ... مرجع سابق، وانظر: ... الدولي الجديد، ... تشومسكي، ترجمة ... مرجع سابق.

(2) الجلبي، برهان. العالم بعد 11 سبتمبر، إرهاب العالم بوسائل أخرى، نظام دولي جديد بلا أخلاقيات ولا قواعد ولا معايير ... www..... وانظر: النظام العالمي الجديد والقضايا العربية الراهنة ... محمد ...

عن القيام بأدوارها وواجباته في دعم الولايات المتحدة لا تريد بهذه الواجبات أن تعطي فقط بل تريد تلقي من جيش جاهز من على ذلك.

ان شعارات الخير لا تعني مجرد سياسات التعامل فحسب، ولكنها تستهدف بعضا من خلال موقع محوري لا يمكن للأمة العربية أن تفرض عليه من دونه وجميع العالم اليوم يخضع لهذا التصنيف الجديد، حيث تفترض الادارة الامريكية أنها تمثل محور الخير وتضع نفسها الحق في جمع الفاد الخير درجات متفاوتة على حلفائها بحسب تجمع أقطاب الأمر بدرجات متساوية أيضا عنهم خصومها وعداتها وفي مقابل ذلك محور الشر التي تضم العراق وإيران وكوريا الشمالية فقد صنفت الإدارة الأمريكية كو بعد زيارة الرئيس الامريكي جيمي كارتر إليها بأنها من دول محور الشر، وذلك لحرصها على الدفاع عن سياستها الخارجية المستقلة بعد أن سعى نحو الصدام السياسي المباشر[3].

المبحث الخامس
مخاطر النظام العالمي الجديد على العالم الإسلامي

وعلى صعيد العرب، يقول معهد الدراسات الاستراتيجية في مصر إن دولاً مثل الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية تقع في خانة دول ما بعد الخير) لأن مثل هذه الدول وإن كانت ما تزال دولاً صديقة إلا أنها تستخدم ضد الشعب الولايات المتحدة تستطيع طموحاتها الخاصة ولأنها تمتلك الثروات السياسية والقدرات المالية تستطيع على استخدامه دمار شامل التي يمكن استخدامها بصورة مباشرة أو غير مباشرة ضد اسرائيل أو تهديد المصالح الامريكية في المنطقة[3].

وبطبيعة الحال فإن اسرائيل جزء لا يتجزأ من محور الخير، وذلك لأنها الحليف الأساسي الاستراتيجي الأهم للولايات المتحدة والخير الدائم من مجازر جنين وقتل الأبرياء في المخيمات الفلسطينية وقصف الطائرات لها واستهداف سيارات الإسعاف لمنع نقل الجرحى الى المستشفيات. كل هذه الأعمال هي جزء من أعمال الخير، لأنها تخدم الهدف الاستراتيجي الأمريكي، وإن الولايات المتحدة هي وحدها التي تملك الحق في منح صكوك الغفران عن أية أعمال ترتكب في خدمة الخير الامريكي. وفي ظل هذه الأبوية الأمريكية الجديدة لا حاجة إلى قرارات دولية ولا إلى قانون ولا إلى هيئة أمم متحدة يمكن أن تتحول إلى جمعية خيرية لتوزيع مساعدات الطوارئ على ضحايا أعمال الخير التي مارستها الطائرات الأمريكية والإسرائيلية في هذا البلد أو ذاك، وقد تتحول القوات الأمريكية إلى بديل لقوات السلام التابعة للأمم المتحدة، فإن التهديدات ضد العراق واليمن والصومال وغيرها من الدول العربية والإسلامية والنامية تقرر بشن حروب على اللجوء إلى الأمم المتحدة[3].

لقد حاول بوش الابن أن يستخدم الأمم المتحدة كغطاء لفرض هذا النظام العالمي وتبرير كل حملات الغرب ضد العرب وفي حين يخوض بوش الابن حربه في إطار مواجهة حضارية مزعومة بين الإسلام والغرب معتمد على منطق القوة ومفترضا أن القوة هي منطق العصر وأن زعامة امريكا للعالم أهم من العواقب مع أي حد في هذا العالم ومن النص في مبادئ النظام العالمي الجديد بصفته نجمة يغيب الرأي أن هذا النظام لا يمثل تهديدا مباشرا لدول معينة فحسب ولكنه يشكل خطر جوهريا على كيان وسلامة

(1) الجلبي، برهان، العالم بعد الحادي عشر من سبتمبر. العالم بوصفه الجديد، نظام دولي جديد بلا أخلاقية. الوطن دركا معاصر
www.aljazeera.net/..... 2001.htm
(2) مقال من العالم بعد 11 سبتمبر، مرجع سابق
(3) المرجع نفسه ص 3



وشرعيه الأمم المتحدة أيضاً كما أنه يشكل تهديداً للدول الإسلامية والعربية وحتى لبعض الحكومات العربية بصورة جماعية لأنه يستهدف بطريقة أو أخرى زعزعة نظام القيم الإسلامي وتشويه صورة الإسلام وذلك بالنظر إليه على أنه مصدر الشر[2]

وهناك نقاط يستخدمها النظام العالمي الجديد يمكن تلخيصها على النحو التالي:

1. تفرض الولايات المتحدة من قدراتها العسكرية والاقتصادية نفسها لأن تكون حضارة الغرب ومن ثم فإن هذه القوة تعكس الصلاحية لفرض ما تشاء كخدمة مصالحها، تكلل في إطار نزعة فوقية تعمد لتشويه نموذج جديد للاستعمار والقوة هي القانون الوحيد الذي تعتمده الولايات المتحدة في سياستها المعتمدة.

2. تفرض الولايات المتحدة من قيم الحضارة الغربية وسياساتها متفوقة على القيم الأخلاقية والإسلامية، وأن الانتصار إلى محور الخير يتطلب من الدول العربية والإسلامية التخلي عن قيمها ومفاهيمها وقبول القيم الغربية.

3. وبما أن معيار الصداقة الوحيد مع الولايات المتحدة الوقوف من الكيان الصهيوني تفترض الولايات المتحدة أن القبول بهيمنتها تفرض على المجتمع العربي والإسلامي القبول بهيمنة هذا الكيان أيضاً.

4. وبما أن المجتمع العربي والمجتمع الإسلامي غير مستقرين سياسياً مما يجعلهم عاجزين عن الاعتماد على أنفسهم فإن فرض الكيان الصهيوني المتطور سياسياً لاستغلال موارد العالمين العربي والإسلامي حتى نهايته تكون فرص التطور الممكنة في المستقبل.

5. وبما أن روايات معظم الدول العربية والإسلامية تعتمد على تصدير المواد الخام فإن إزالة الحواجز والقيود الاقتصادية وإتاحة الفرصة للاستثمارات

2. المرجع السابق.

الخارجية في مجال الطاقة ستفقدان بإزالة سيادة الدولة على سوق هذه المواد.

6. الولايات المتحدة هي صاحبة السيادة والمجمع الوحيد يعني الهيمنة وبالتالي فلا سيادة ولا استقلال لأي دولة تحاول أن تتمسك باستقلالها وبحقها في اتخاذ قرارات استراتيجية أو اقتصادية وسياسية فيه. لذا فإن لا تملك الدول العربية والإسلامية بوضعها الحالي الكثير من أدوات التأثير في السياسة الأمريكية فهم إما أنهم عبر قادرين على مواجهة السياسات الأمريكية أو أصدقاء أكثر من اللازم يعتمدون على أمريكا للحفاظ على نفسهم واستقرارهم[10]

المبحث السادس

مهمة الإعلام الإسلامي بشكل عام

أولاً: نشر الدعوة الإسلامية:

وفي هذا الميدان ما زال على المسلمين أن يجاهدوا في سبيل الله وتبعه جهاداً متصلاً غير مسوف ولا متواكل لأن الدنيا كلها تعيش مرحلة ضياع وحيرة وانتكاس وجاهلية وإلحاد وعبادة أفكار أو أشخاص، ولا تختلف كثيراً عن عبادة الأوثان والأصنام. فالعمل الإعلامي الإسلامي ينبغي أن يكون له دوره في إحياء القلوب الضالة، وتنوير العقول التي عشعشت الجهالة وأعمتها المادية الحسية لتورة مستمرة والطاعة للنزوات والانفعالات الحيوانية لأن هذا التنوير هو نوع من أنواع الجهاد. وسيجزي الله القائمين عليه أجر المجاهدين والصديقين إن شاء الله تعالى.

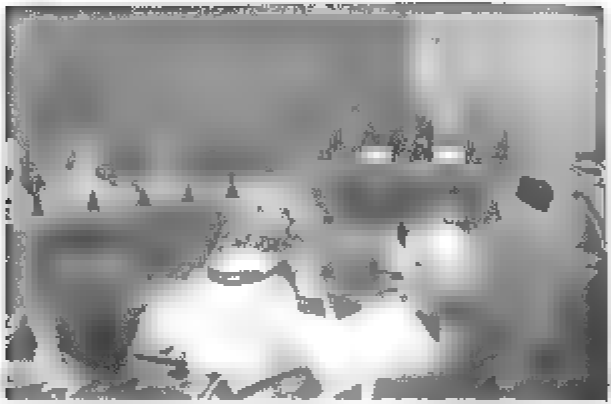
ثانياً: التصدي للحملات التي يتعرض لها الإسلام:

وأنه في ذلك يحارب منذ صدر الإسلام حتى هذا اليوم بالذات... فخصومه دينا بدءاً من اليهودية وانتهاء بالصليبية، وكل ما أفرزتاه من نحل وأشكال وتنظيمات أو أفكار واتجاهات وإن اختلفت مسمياتها وتباينت صورها اتحدت في عداوتها للإسلام لأن الكفر ملة واحدة، وهي الآن تتجلى في الصهيونية والصليبية والعلمانية والماسونية والوجودية وغيرها من الأفكار الضالة والمذاهب المنحرفة التي لم تتوقف محاولاتها مستمرة من الهجوم على الإسلام، والعمل على الدس الكاذب والتزوير المتعمد للقرآن الكريم، وتزييف الحديث والأخبار المتصلة بالإسلام وتاريخه وبرسول الله محمد ﷺ وسنته الشريفة وسيرته العطرة. إن هذه المحاولات التي لم تنقطع في يوم من الأيام والتي يبدو أنها لن تنقطع ما دام هناك خير يتربص بالخير ويحاربه مما يفرض على الإعلام الإسلامي أن يعد خططه ويرسم مناهجه لمجابهة مستمرة لا تتوقف، سلاحنا فيها الحق وصدق الإيمان بالله لا يتزعزع إن شاء الله تعالى.

ثالثاً: إبراز الدور الرائد الذي قام به الإسلام في إخراج الإنسانية من الظلمات إلى النور.

إن الإعلام الإسلامي في طليعة القوى التي ينبغي أن تجتهد من أجل توعية البشرية على كل صعيد وفي كل نطاق ليفتحوا عيونهم ويعودوا إلى جادة الهدى والرشد. ويتمثل ذلك في إبراز دور الإسلام في إخراج الإنسانية من الحيرة والتخبط والضياع في الجاهلية التي كانوا يعيشون في ظلمتها. حيث كانت المطامع الفارسية والرومانية وما نتج عن هذه المطامع من حيرة وتخبط وضياع بين نعرات مادية وانحلال أخلاقي وانهيار سلوكي وصراع طبقي أشبه ما تكون بالمطامع الصليبية والصهيونية في العالم الإسلامي اليوم. وكما كان للإسلام فضل في إنقاذ البشرية من الضلال والتخبط الذي كانت تعيش فيه قبل أكثر من خمسة عشر قرن فإنه الأجدر في تخليص الإنسانية من هذا البلاء الذي تعانيه وحمايتها من الأخطار التي تهدد وجودها.

(10) المرجع السابق نفسه.



رابعاً: تجميع الطاقات الإسلامية

إن تجميع الطاقات الإسلامية فكراً وثقافة وعلماً واقتصاداً وسياسة وقوى بشرية، وحشدها في سبيل خدمة الإسلام والمسلمين أمر ضروري لمجابهة الأخطار التي يتعرضون لها جميعاً انطلاقاً من قوله تعالى:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ سورة الفتح: الآية 29

فالتراحم بين المسلمين، والتساند والتعاضد في مجابهة المخاطر التي تحدق بهم، والأعداء الذين يكيدون لهم، واجب لا مناص منه. ولا بد للإعلام الإسلامي أن يتولى مهمة التبصير به، والدعوة إليه فلا ينبغي أن نترك خصومنا يستدرجون بلداننا أو جماعات أو شعوباً ليذهبوا بريحنا، ويفككوا بين الله فينا، بل لا بد أن نصبح لهم يداً واحدة وقلباً واحداً وصفاً قوياً متماسكاً، لا ينفذ إليه الخور، أو يتناوبه الضعف، وبذلك نستطيع أن نحمي الإسلام والمسلمين من الضعف أفراداً وشعوباً ودولاً، نستطيع أن نمكن للإسلام مكانته على الأرض ونستطيع أن نقف بالمرصاد لكل الخطط التي تهددنا من شرق أو غرب وهنا يأتي دور الإعلام في حمل هذه المهمة العظيمة والترويج لها بين أفراد الشعوب الإسلامية(1)

من خلال ما تقدم نجمل أبرز وسائل الإعلام ودورها في عرض صورة الإسلام

أولاً: دور الكتاب في عرض صورة الإسلام:

يعتبر الكتاب وسيلة مهمة مسموعة في عصرنا الحاضر ومطلوبة، ولكن يجب حسن استعمال هذه الوسيلة في تبليغ رسالة الدعوة، وحسن استعمال الكتاب فيه يرى يعني اختيار اللغة المناسبة لكل نوع من القراء، واختيار اللغة والأسلوب المناسب لهم، وإخراج الكتاب بحيث يجعله جذاباً، وتيسير الحصول عليه بسعة النشر والإعلان والسعر المناسب ولكن أهم

(1) انظر: الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية (النظرية والتطبيق)، [illegible] الندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد بالرياض [illegible]

ما يجب أن يعنى بنشره بهذه الطريقة هو القرآن الكريم

إن كتابنا الأول من حيث المادة العقيدة هو كتاب ربنا، وهو وسيلتنا الأولى والعظمى لتبليغ رسالات الله إلى الخلق جميعاً فالله سبحانه وتعالى خالق الخلق جميعاً هو الأعلم بما يصلح للناس وما يصلحهم، وهو العليم بالطرائق التي يجب أن تتبع معهم والأساليب المناسبة لإيصالها إلى قلوبهم. فإن الدعوة الإسلامية هي الدعوة إلى الله ولا نجد شيئاً يعرف الناس بالله تعالى ويمس قلوبهم مثل كلامه سبحانه وتعالى. ولذلك فإن واجبنا تجاه كتاب ربنا سبحانه وتعالى يقوم على الأمور التالية:

أ- العناية بنشر المصاحف التي تحمله إلى الناس بلغته العربية التي أنزله الله تعالى بها. ذلك أن القرآن الكريم هو الغذاء الروحي الذي لا غناء لهم عنه ولذا يجب أن تكون المصاحف متوفرة لديهم كتوفر الماء والهواء. ولا بد من التنويه في هذا المجال بالعمل العظيم الذي قامت به المملكة العربية السعودية وذلك بإنشاء مؤسسة عظيمة كبيرة بمدينة الرسول ﷺ هي مجمع الملك فهد للقرآن الكريم الذي طبع المصحف الشريف طبعاً جيداً وأخرجه في مصاحف جميلة ووزع منه الآلاف المؤلفة، وما يزال يوزع ويشكر كذلك الدول العربية والإسلامية التي سارت على نهج التوزيع الكريم كالأردن ومصر وسوريا وغيرها من بلاد العرب والمسلمين.

ب- العناية بترجمة معاني القرآن الكريم ترجمة سليمة يشرف عليها نخبة من العلماء الموثوقين بدينهم وعلمهم، لتصل إلى كل قارئ غير عربي أكثر ما يمكن نقله من معانيه. وإننا نكون مقصرين في حق إبلاغ رسالة الإسلام إلى الناس إذا لم نيسر لهم جميعاً الاطلاع على هذا الكتاب مهما كانت لغاتهم لأن رسوله ﷺ أرسل إلى الناس كافة وإن رسالته الخالدة لن تبلغهم إذا لم يطلعوا على معانيها منقولة إلى لغاتهم، ولا بد من الإشارة إلى دور مجمع الملك فهد في نشر تراجم معاني القرآن الكريم بما تيسر من لغات العالم بحسب أهميتها.

ج- العناية بنشر التفاسير التي يفهمها ويستفيد منها العلماء وطلاب العلم، وكذلك تفاسير تيسر لعامة الناس فهم كلام الله تعالى بلغاتهم المختلفة من خلال تعليقات تيسر للقارئ فهم المعاني التي ترجمت إلى لغته.

2- السيرة النبوية: إننا بحاجة شديدة إلى كتب جديدة في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم تجمع بين ما كان معروفاً من وقائع السيرة وشمائل صاحبها عليه الصلاة والسلام، وتعتمد في هذا كله على الأحاديث والآثار الصحيحة ثم تصوغ ذلك كله صياغة أدبية بحيث يأتي الكتاب بمنزلة القصة التي تشوق قارئها، وتشد انتباهه.

3- ومن تمام الاهتمام بالسيرة النبوية الاهتمام بالسنة النبوية كذلك مثل الاهتمام بالصحاح والمسانيد والمصنفات والسنن وغيرها من كتب السنة الشريفة ليتمكن طلبة العلم الشرعي من الإفادة منها والعناية بها دراسة وتحقيقاً وشرحاً وتعليقاً.

4- ما يقال عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم يقال عن حياة أصحابه رضوان الله عليهم، هؤلاء الصحابة الكرام الذين حملوا عنه الدين بعد النبي صلى الله عليه وسلم وجابوا البلاد شرقاً وغرباً في نشره والدفاع عنه، فلا بد أن تعرف الناس جميعاً ولا سيما الأولاد بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرتهم العطرة خصوصاً الخلفاء الراشدين والعشرة المبشرين بالجنة وأمهات المؤمنين رضوان الله عليهم أجمعين، كما أن هناك مجالات أخرى نستطيع أن نعنى بنشر كتيبات عنها للحديث عن الأخلاق والقيم والعقائد والعبادات والشخصيات المهمة من الرجال والنساء في تاريخ الأمة الإسلامية العام أو في التاريخ الخاص بكل أمة من أمم المسلمين الذين يمكن

أن ينضم قوة التصدي في أي مجال من مجالات الحياة السياسية والعلمية والعسكرية في تاريخنا القديم والحديث مما يكون تأثيره عظيماً في الناس خصوصاً الأطفال والشباب منهم. كما ينبغي أن نعنى بنشر كتيبات في أركان الإسلام وأركان الإيمان والإحسان وكتيبات تعرف بالعلوم الإسلامية المختلفة كعلوم القرآن والفقه والحديث والأصول وغيرها وكتيبات تتحدث عن قضايا إسلامية معاصرة كقضية الحكم بما أنزل الله تعالى وهدي الإسلام في مسائل الاجتماع والاقتصاد وغيرها. كما أننا محتاجون إلى كتب تعالج الشبهات المعاصرة على مستوى علمي رفيع، ومعلوم أن ذلك من مشكلاتنا المهمة التي تهم أبناءنا بغض النظر عن بلادهم ولغاتهم، ولا يجوز أن نجعل كل كتاباتنا في القضايا المعاصرة ردوداً على ما يكتبه الغربيون بل يجب أن نعنى بالكتابات الأصيلة في كل المجالات المختلفة: مجالات القضايا التي تتعرض لها العلوم الطبيعية وقضايا السياسة الدولية والعلاقات الاقتصادية وقضايا العلاقة بين الجنسين، وقضايا القيم الأخلاقية وغيرها. ولا بد من الإشارة إلى أن الكتاب الإسلامي الحديث يواجه عدداً من المعوقات المتداخلة بعضها ذاتي، وبعضها خارجي

- فمن المعوقات الذاتية: الأفكار المتطابقة في الأطروحات الحديثة، ولا يعيب الناس أن يكون بينهم وحدة فكرية، إنما الخطأ في انعدام التنوع والإبداع وهو ما يعبر عن روح التقليد والمحاكاة، فمعظم الأطروحات الحديثة يحد بالضوابط والقيود والكوابح في أمة تعرف القيود والضغوط

- ومن المعوقات الخارجية: أن الكتاب الإسلامي يعيش اليوم في عصر التلفزيون والإذاعة والصحافة وهذه أجهزة تنافس الكتاب منافسة قوية حادة، ولا يستطيع الكتاب الإسلامي أن يعيش بين هذه الأجهزة إلا إذا كان جيداً قوياً متجدداً، يقدم للناس ما للصورة - على الأقل - ما لا تجده في تلك الأجهزة. ومن العدل تقرير أن معظم الكتاب الإسلامي الحديث من فكر أصيل فأبطل به شبهة وردّ به حقيقة، ومن المآخذ التي ذكرت إلا تحصيل لنفس قديم للغربيين على العالم[1]

ثانياً: دور الصحافة في عرض صورة الإسلام:

يأتي دور الصحف والمجلات الإسلامية في الساحة الإعلامية المعاصرة في الطليعة، ذلك أن هذه الوسيلة الإعلامية من أنجع الوسائل وأبعدها من التوجيهات التوجيهية والتعبوية وهي مما يكون بمتناول اليد بكل سهولة، ولذلك فإن تطوير هذه الوسيلة وتقريبها إلى مجتمعات الإسلامية وأطرافها يعتبران من حاجات الأمة الأكيدة، فهي لسان حال الصحافة الإسلامية ومن محاسن الصحافة الإسلامية التي يجب تبنيها الإسلام ويحرص على تعميمها على جميع المستويات العلمية والسياسية والاجتماعية، ولكن كان من شأن المتطفلين على الإسلام أن يضيقوا الخناق على الصحافة الإسلامية، ويصفوها أمام العالم بأنها صحافة أصولية متحجرة عن مسيرة الركب الصحافي الراقي الذي أصبح اليوم موضع الإعجاب والتقدير الكبير لدى الناس ويضعوا في طريقها العراقيل، إما بتسليط جهات استغلالية عليها وإبعادها عن روح الموضوعية والهدف السامي، وإما بطرحها في السوق كسلعة تجارية يساومها التجار والجماعات وتجار الصحافة من الانتهازيين والعملاء، وهكذا تفقد الصحافة الإسلامية دورها وتتخلى عن الواقعية، ولا تبالي بما للقلم المسلم من قيمة ومسؤولية

إن الصحف والمجلات الإسلامية ولا سيما الصحف اليومية التي تنتمي إلى الإسلام تتحمل مسؤولية كبيرة في مجال التنمية الإعلامية ووضع الواقع الإعلامي على المستوى العالمي أمام العالم

(1) انظر المرجع السابق من ... مجلة ... الأمة ... الدعوة إلى الإسلام في عصرنا بقلم د. محمد [illegible]

(2) الصحافة ... [illegible]

والمهتمين بالاطلاع على الأخبار ومجريات الأحداث بكل حياد ومن غير انحياز طائفي أو عنصري أو قومي ذلك أن الإعلام العالمي السائد اليوم بعيد كل البعد عن منهج العدل والعرض الواقعي ومن شأنه أن يعرض ما يريد ترويجه من أخبار وقضايا ويعرض القضايا المهمة والأحداث الخطيرة في طي التعتيم الإعلامي ولا سيما الأنباء التي لها علاقة بالمسلمين والعالم الإسلامي، أو بما جرى ويجري ضدهم في الغرب من وضع مخططات معادية تعبث بالفكر الإسلامي وتبعث الكراهية والحقد في النفوس نحو الأمة الإسلامية ورسالة الإسلام.

إن المجهودات التي تقوم بها الصحف والمجلات الإسلامية في العالم الإسلامي اليوم من إبراز الجوانب المهمة ومعالجة قضايا الأمة الإسلامية والتعليق على الأحداث والوقائع التي تحدث في بلاد المسلمين هي مساع مشكورة، لأن الصحافة الإسلامية تفضح مراوغات الصحافة التبشيرية الغادية التي تعمل جاهدة لتشويه صورة الصحوة الإسلامية وتسعى إلى تشويه المعالم المتعلقة بالإسلام وإسدال الستار على واقع الإسلام وتعاليمه، ومن واجب الصحافة الإسلامية اليوم هو إبراز النواحي الإنسانية الحية التي جاء بها الإسلام والمحافظة على القيم الخلقية والمثل الإسلامية في جميع مراحل الترهيب والتطبيع والنشر والتوزيع، وعلى الصحافة الإسلامية دور كبير لمواصلة نشاطها من خلال سرعة التصدي الإعلامي وتوظيف جهودها الإعلامية المختلفة، وذلك بتبيين الحقائق والأرقام والإحصائيات الدقيقة لكي تستطيع أن تقاوم ذلك التعتيم الإعلامي الذي تقوم به وسائل الإعلام المغرضة في الميادين [illegible]

ومن واجب الصحف والمجلات الإسلامية أن تقوم بتصحيح صورة الإسلام وجلي الحقيقة بروح موضوعية في كل عمل إعلامي مصحوب بالكلمة الخلابة من التحقيق والعرض والصور والألوان والاستطلاع لكي يكشف فضح مخططات الغرب المعادية للإسلام والمسلمين ومن معهم من القوى المتآمرة وإبراز مبادئ الإسلام الرحيمة وقيمه الأخلاقية العظيمة بطريقة حضارية يتقبل عليها الناس ويستجيبون لها [illegible] من خلالها [illegible] النفسي والإيماني والأخلاقي الذي يعانون منه [1]

ثالثاً: دور الإذاعة في عرض صورة الإسلام

كانت درجات الصوت في الإذاعة في العصور الماضية تتفاوت بين الضعيف والمتوسط والجهوري وهي درجات محكومة بقوة الصوت المحدودة، أما اليوم فبعد تطور الحال صوت تضاعف مدى الصوت ملايين المرات وامتد حتى اخترق القارات ووصل إلى سكانها.

هذا التقدم العلمي [illegible] للعرض يقدم إلى الدعاة وسائل جديدة تعينهم على أداء رسالتهم، بعد أن كان الطغاة والمتحكمون من العقيدة يمنعون الدعاة من تبليغ كلمة الله إلى الناس جهاراً [illegible] يستطيع تبليغ دعوة الله إلى الناس الذين لم تبلغهم الدعوة الإسلامية من خلال الإرسال الإذاعي القوي بحيث يستطيع اللغات واللهجات، أو على الأقل [illegible] تبعث فيهم فطرة البحث عن الحقيقة فتكون وظيفة الدعاة [illegible] من ثم تبعث الاقتناع والدخول في تفاصيل العبادة والسلوك.

ولا شك أن هذا العمل الإيجابي في استخدام الإذاعة في الدعوة إلى الله [illegible] الإسلام [illegible] طاقة [illegible] من أن تنتشر في [illegible] الذين لم تبلغهم الدعوة. [illegible]؟

في هذه اللحظة يموت خلق كثير من بني آدم وفي كل

(1) انظر مجلة البحث الإسلامي [illegible] الإعلام الإسلامي ودور الصحف والمجلات الإسلامية [illegible]

يوم، وكل ساعة، وكل ثانية يعود كثير من الناس إلى دين الله على يد هذه القنوات، وعلى الكفر والضلال.

ومن الرحمة بالبشر إنشاء قنوات من هذا النوع، وسرعة الإنشاء توجب سرعة الوسيلة في استخدام الإذاعة في خطبة الهداية.

والمؤذن يثاب بمدى صوته كما قال رسول الله ﷺ: (لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء، إلا شهد له يوم القيامة) وكذلك الداعية يثاب بمدى صوته وبث بلاغه ودعوته.

رابعاً: دور التلفزيون في عرض صورة الإسلام:

لقد اقتحم التلفزيون الجدران والأسوار، واتصل بالناس وهم في بيوتهم، وتستطيع الأسرة أن تستمع إلى مسلسل أو تشاهد فيلماً أو تطلع على حدث عالمي أو تتابع مناظرة فكرية دون أن تنتقل من مكانها، وقد تيسر بسعة لم يحدث في التاريخ البشري المكتوب، وقد ألغى البث التلفزيوني حاجز الوقت واختصار المكان وألغى الامتيازات الثقافية التي كان المثقفون والنبلاء يحتكرونها وتعميم المعرفة بين الناس.

والتلفزيون ينقل صورة الحجيج من عرفة أو ينقل لقطات من شعائر الله في تكوين مرحلة حالات الصفاء فيشترك المشاهدون بلحظة كبرى، ولحظة الإعجاب بخلق الله تعالى ويمكن الجريمة والعنف والشخصيات المشوهة نفسياً وأخلاقياً فيتأثر الأطفال ويصيب المجتمع بهذه البوائق.

إن إدراك هذا الواقع يوجد في المرء رغبة في تحويل التلفزيون إلى أداة تسهم في تحقيق الخير في الأرض وتحسين مستوى الإنسان.

ومما يزيد هذه الرغبة توهجاً الإدراك بأن أثر التلفزيون يتجلى بوضوح أكثر في طائفتين من الناس: الأميين، الأطفال.

وأسباب التأثير متعددة في الطائفتين لضعف الوعي لدى الأميين وفقدان الحصانة الثقافية وعدم القدرة على الانتقاء والتمييز.

والأمة الإسلامية تنتمي كلها بلا استثناء إلى العالم الثالث، فإذا أخذ الوطن العربي كمثال من العالم الإسلامي نرى مدى أثر التلفزيون في الأميين والأطفال، ومن هنا تتجلى المسارعة إلى تحويل التلفزيون إلى وسيلة خير وهدى تحمي هذه الجموع من التأثير السلبي بل تجعل التلفزيون جهاز تعليم ناجع لمحو الأمية ويمكن لإشباع الأطفال بحب والتدريب وتحرير العقل المسلم من قيود الخرافات والبدع ويعرض صور مؤثرة في نفوس المشاهدين من مبادئ الإسلام وتشريعاته وقيمه الأخلاقية المختلفة[1]

خامساً: دور القنوات الفضائية في عرض صورة الإسلام

إن الإعلام بوسائله الحديثة يحقق طوراً جديداً من التأثير والنفوذ في حياة الأمم والمجتمعات نتيجة للتقدم العلمي الذي شهدته هذه الوسائل المعروفة بوسائل الإعلام الجماهيري في العقود الأخيرة من القرن العشرين، وذلك عندما ارتبطت أجهزة التلفاز بالقنوات الفضائية التي تبث برامجها عبر الأقمار الصناعية فلم يعد بثها محصوراً في مكان أو حدود سياسية أو بقعة جغرافية، بل أصبحت تتخطى الحدود، وربما تجاوزت كل وسائل الرقابة ودخلت جميع البيوت دون استئذان، وملأت فراغها بمحتواها. وأصبح للقنوات الفضائية أثر كبير في صياغة ثقافة الأسرة وتكوين عاداتها وتقاليدها نظراً لما تتمتع به من حرية الحركة والتجوال بين أقطار الدنيا من خلال برامجها الثقافية والتربوية والترويحية.

ومن هنا تبرز أهمية البث الفضائي وتأثيره في

(1) انظر الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ص 200.

عرض صورة الإسلام كحضارة تهتم بالعدل والخير والسعادة، ويتم ذلك بعد أمور منها:

- التشجيع على فهم الدين فهماً صحيحاً، وتصحيح المعتقدات الخاطئة والأفكار المنحرفة والمفاهيم المشوهة والبدع الضالة التي انتشرت بين الأغلبية من عامة المسلمين بسبب جهلهم بالدين وابتعادهم عن منهاج كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وعن منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم، ولا شك أن الفضائيات من أهم الوسائل الإعلامية في أداء هذه المهمة لأنها تخاطب معظم فئات المجتمع.
- الترغيب في أداء العبادات المفروضة والتحذير من سبب الإهمال فيها وما يترتب عليه من مسائل دنيوية وأخروية، وبيان ما تحقق للإنسان من طمأنينة نفسية وسعادة قلبية ولذة إيمانية، وينبغي التركيز بصفة خاصة على الصلوات الخمس بنقل شعائرها على الهواء مباشرة من المساجد المختلفة في بلاد المسلمين.

3. طرح الحلول للقضايا العصرية التي تتعلق بشؤون المرأة وحقوق الإنسان ومشكلات الشباب ومعاملات المال والاقتصاد، وما يستجد من اكتشافات علمية ومخترعات حديثة بأسلوب مشوق معتمد على الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح والحقائق العلمية بأمانة ومصداقية.
4. تكثيف البرامج والأسئلة والاستفسارات العلمية على الهواء مباشرة وتلقيها نخبة من العلماء المتمكنين بعلوم الشرع، يحسن مخاطبة الناس بأسلوب علمي جذاب لتوجيه الناس في أمور دينهم ودنياهم.
5. الإسهام في التقويم الخلقي للناس ولا سيما الشباب وتحسين سلوكهم بما يتلاءم مع حقائق الإسلام بتشجيع الخصال الحميدة ونبذ الرذائل، وإرساء قواعد الخير والفضيلة، وغير ذلك من القيم الإيجابية التي يدعو إليها الإسلام ويستعان في هذا الباب بإنتاج برامج تربوية هادفة تزرع في النفوس تلك القيم[1].
6. إنتاج البرامج الدرامية من مسلسلات والتمثيليات والأفلام والمسرحيات التي تبرز جانباً من جوانب الحضارة الإسلامية وتحث على الالتزام بالخلق من الأخلاق الإسلامية السامية بحيث لا تخرج عن الضوابط الشرعية والقيم الدينية والخلو من كل ما يخالفها من الفن البذيء والفاحش والرخيص.
7. إنتاج البرامج المسلية والمشوقة للأطفال كبرامج الصور المتحركة الهادفة التي يمكن تضمينها قصة من قصص التاريخ الإسلامي أو موقف من مواقف الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين والسلف الصالح لتكون بديلاً صالحاً نافعاً عوضاً عن الأفلام الكرتونية الغربية التي لها آثار سلبية ضارة على عقول المسلمين وأطفال العالم أجمعين.
8. الحرص على إبراز عالمية الدعوة الإسلامية وقدرتها على مواكبة روح العصر وتحقيق السلام والتعاون والمحبة بين البشر، ومحافظتها لحقوق الإنسان في أرقى صورها، ومحاربة التمييز العنصري والتطرف والتعصب، والتأكيد على أن الإسلام يحترم الأديان ذات الكتاب بأصولها الربانية قبل التحريف.
9. كشف زيف الشبهات التي ساقت إلى الإسلام والمسلمين التي يعتمد الإعلام الأجنبي إطلاقها لأغراض خبيثة هدامة مثل إطلاقه صفة الأصولي أو الإرهابي أو المتطرف على المسلم، ومعلوم أنه يوجد فرق كبير بين الأصولية الإسلامية التي هي دعوة للعودة إلى تجديد

[1] انظر: مجلة البحث الإسلامي، العدد الثاني شوال 1423هـ، مجلة عربية، ص27، بحث بعنوان دور القنوات الفضائية وقنوات الإعلامية في حياتنا المعاصرة، د. محمد نعمة الله الندوي، وانظر مجلة البيان المحكمة، رجب 1430هـ، يوليو 2009م، ص12.

والأهواء والمصالح بعيداً عن الدين، ومن ذلك الإرهاب الذي هو ظاهرة عالمية لا علاقة لها بالإسلام الذي جاء بمحاربة الإرهاب واقتلاع جذوره من الأرض ويطلب من جميع أتباعه التصدي للإرهاب ومحاربته لأنه لا علاقة له لا من قريب ولا من بعيد بالإسلام.

10ـ التصدي للغزو الثقافي الأجنبي وحماية الأجيال المسلمة من انحرافات هذا الغزو ودعوته المتنوعة إلى الإلحاد والإباحية [illegible].

11ـ تطوير البرامج الدعوية وتحسينها ضمن خطة شاملة تعيد النظر في الأساليب المتبعة حالياً وتبتكر الجديد في مجال مخاطبة المتلقي ولا سيما الشباب باتباع أحدث الأساليب وأكثرها تشويقاً وإثارة حتى تتحول إلى عوامل جذب تحقق الأهداف المرجوة.

خامساً: دور الإنترنت في عرض صورة الإسلام:

إن الإنترنت من أقوى وسائل الاتصال حتى إنه يكاد يطغى على وسائل الإعلام الأخرى بما يتسم به من مزايا متمثلة في سرعة الاتصال وقلة التكلفة والكم الهائل من المعلومات المتوفرة وتنقل الثقافات والمعلومات، مما جعله وسيلة مهمة للدعوة، بل هو من أهم وسائل الدعوة، وأكثرها نجاحاً، حيث يسهل الإنترنت للداعية الاتصال بالآلاف بل وربما الآلاف من الناس بصورة فعالة، وفي نفس الوقت يوفر كثيراً من وقته وماله وجهده، وقد اتجهت جهود المسلمين منذ منتصف عقد التسعينيات إلى الاستفادة من هذه الوسيلة الجبارة لإيصال الاهتمامات الدينية والسياسية والثقافية في شبكة المعلومات، وقد من الواجبات المترتبة للمسلمين في هذا العصر فالكتب [illegible] على نشر [illegible] وينفقون في سبيل ذلك الأموال الكثيرة فمن باب أولى أن يحرص المسلمون على نشر أفكارهم الصحيحة في العقيدة والسلوك، وأن يصححوا المفاهيم ويردوا على الطعون والأباطيل التي يروجها أعداء الله ضد المسلمين، وأن يقدموا الحلول الشرعية المناسبة لمشكلات الإنسان المعاصر.

ومن أهم خدمات الإنترنت البارزة التي يمكن تسخيرها في عرض صورة الإسلام ما يلي:

1ـ الدعوة إلى الله عن طريق البريد الإلكتروني وهي تقوم على محورين مهمين:

أ ـ أن يوجه المسلم الرسائل الشخصية المتعلقة بالدعوة إلى الله تعالى إلى الأشخاص الذين تعرف عليهم مسبقاً عبر الشبكة أو اللقاء في مكان أو مؤتمر أو اجتماع أو خلال سفر من الأسفار ويجب أن تكون الرسائل [illegible] وتوجيهاً ونصحاً أو [illegible] مشاكلهم وشبهاتهم أو بحل مشاكلهم في ضوء تعاليم الإسلام.

ب ـ تطبيق فكرة القوائم البريدية الدعوية، وهذه الفكرة تجربة دعوية ناجحة من حيث المبدأ وخصوصاً إذا توفرت فيها العناصر الكافية إذ تقوم على إرسال رسائل منتظمة إلى المشتركين في القائمة البريدية.

ويستخدم الداعية المسلم موقع WWW.EGROUPS.COM الذي يقدم خدمة قوائم البريد مجانية، ويمكن لأي شخص الذهاب إلى ذلك الموقع وإنشاء قائمة بريدية خاصة مجاناً، ويمكن من خلال هذه القائمة [illegible] لعدد غير محدود من الناس ومن خلال عنوان معين يكون خاص بالقائمة يمكن للمستخدم لهذا الموقع بإرسال رسالة دعوية واحدة تصل إلى جميع المشتركين في القائمة.

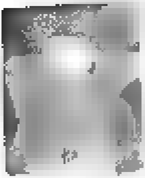
2ـ منتديات الحوار (الحوار الهادف): إن المعروف بالحجة والإقناع من أهم مرتكزات الدعوة وإحدى أساليبها لأن الإنسان مجبول بفطرته على [illegible] قال تعالى:

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [illegible]

ومن أمثلة هذه المنتديات الإسلامية [illegible] [illegible] www.islamic.org... [illegible]

3ـ إنشاء المواقع الإسلامية ونشر قصص المسلمين الجدد وأقوالهم وأقوال غير المسلمين عن الإسلام.

وفي نهاية هذا البحث المتواضع أدعو الله سبحانه وتعالى [illegible] الله تعالى، وإن قصرت فمن نفسي ومن الشيطان وأستغفر الله تعالى، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الحوار مع الآخر

نحو رؤية إسلامية موحدة

الدكتور الشيخ عكرمة صبري*

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وعلى آله الطاهرين الطيبين وصحابته الغر الميامين المحجلين ومن تبعهم واقتفى أثرهم وسار على نهجهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد: فإن ديننا الإسلامي العظيم لم يضق ذرعاً بالآراء الناتجة عن التعددية وتعامل مع أتباع الديانات الأخرى بتسامح ومحبة بعيداً عن التعصب والتشنج والمعاداة.

والمسامحة هي المساهلة من الشخصين، ومسمح بمعنى عطاء، ويقال: في الحق مسمح أي متسع ولا مجال للباطل.

ويعتبر التسامح من القيم الرفيعة في المجتمع الإنساني الإيجابية التي تقوي الروابط بين الناس وتشيع فيهم الألفة والمودة والمحبة والوئام. ومن أبسط صور المسامحة أن يُسقط الشخص حقه ويتنازل عنه تجاه غيره، أو أن يطلب المدين مسامحة من المعتدى عليه فيستجيب الأخير لطلبه. فالتسامح بمعناه هنا قد يحول الكراهية إلى محبة والعداوة إلى الألفة وهذا ما نلمسه ونلاحظه على أرض الواقع في مواسم الصلح التي تحصل بين العائلات حين ينشب بينها خلاف.

المحور الأول

حث الإسلام على التسامح

يعتبر ديننا الإسلامي العظيم أن القيم الخلقية الرفيعة التي منها الصفح والعفو والمسامحة تشكل عاملاً في رضى الله عز وجل

﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ سورة الحجر: الآية ٨٥

ويقول رب العالمين في آية أخرى:

﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾
سورة التغابن: الآية ١٤

وهنالك عشرات الآيات الكريمة التي تدعو إلى ذلك.

قد يتوهم البعض أن التسامح يأتي عن ضعف ومسكنة واستسلام، وهذا توهم خاطئ ومغاير

* المفتي العام للقدس وفلسطين - خطيب المسجد الأقصى المبارك

للحقيقة. فالتسامح ينطلق من القوة والقدرة، وكما هو معلوم ومعروف أن العفو يكون عند المقدرة، والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين﴾ سورة الشورى، الآية 40.

ويقول عز وجل في آية أخرى:

﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾

سورة الشورى، الآية 43.

فالذي يعفو ويصفح يكون قوي العزيمة ضابطاً للأعصاب كاظم الغيظ، ويقول رب العالمين:

﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ سورة آل عمران، الآية 134.

فالقرآن الكريم يشجع على العفو والصفح والمسامحة فيما بين الناس في عشرات الآيات الكريمة، ولا نكاد نجد آية كريمة تتضمن عقوبة إلا وعقبها حث على العفو والصفح والمسامحة.

المحور الثاني

المبدأ العام للتعامل مع غير المسلمين

لقد وضع القرآن الكريم المبدأ العام لتعامل المسلمين مع غيرهم، وذلك من خلال قوله عز وجل:

﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾

سورة الممتحنة، الآيتان 8 و9.

يفهم من هاتين الآيتين الكريمتين أن أهل الكتاب بشكل خاص وغير المسلمين بشكل عام ينقسمون إلى قسمين:

أ. قسم مسالم وهم الذين يعرفون بأهل الذمة.

ب. قسم محارب وهم الذين يعرفون بالمحاربين.

والذي يهمنا هنا القسم الأول، وقد جرى الاصطلاح الإسلامي على إطلاق اسم (أهل الذمة) على المواطنين من غير المسلمين في الدولة الإسلامية، بناء على (عقد الذمة) وهو عهد بين الدولة الإسلامية من جهة وغير المسلمين من جهة أخرى يتم بمقتضاه قيام الدولة بحمايتهم أي أنهم يصبحون في عهد المسلمين وأمانهم.

والحكمة من مشروعية هذا العقد أن يطلع أهل الذمة على محاسن الإسلام عن طريق مخالطتهم واحتكاكهم بالمسلمين، وهذا مظهر من مظاهر التسامح في الإسلام مع المخالفين في العقيدة، ولا بد من التأكيد أن إطلاق (الذمة) على غير المسلمين ليس منقصة بحقهم ولا تهميشاً ولا احتقاراً لهم، بل هو تكريم لهم وتشريف. هذا وقد تمتع أهل الذمة في ظل الدولة الإسلامية بحقوق غير موجودة في أي نظام وضعي حديث، وقد انفرد دين الإسلام العظيم عن سائر الأديان والأنظمة والقوانين بقدرته على ترسيخ مبدأ التعددية في المجتمع الإسلامي، ويشهد أي منصف حرصه على توفير الحقوق للرعايا المخالفين له في الدين. هذا وقد توالت وصايا الرسول الأكرم ﷺ بأهل الذمة وتكررت الأوامر بالإحسان إليهم، وحفظ حقوقهم والبر بهم، كما تكررت مواقفه من إيذائهم وظلمهم والاعتداء على حرياتهم الدينية، فيقول ﷺ: (ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة)[1] وقال ﷺ في حديث نبوي شريف آخر: (ألا من قتل نفساً معاهدة له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة

1- رواه أبو داود والبيهقي عن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء الصحابة عن آبائهم.
2- رواه ابن ماجه والترمذي وقال: حديث حسن صحيح عن الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه.

سبعين خريفاً»[1] وقال ﷺ في حديث ثالث: (من آذى ذمياً فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة)[2] وأوصى رسولنا الأكرم ﷺ بأقباط مصر خيراً بقوله: (إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً)[3] والتزم الخلفاء الراشدون وولاة الأمر والقادة الإسلاميون بالهدي النبوي فعاملوا أهل الذمة معاملة حسنة وعاملوهم بالرعاية والعناية كما تكفلت الدولة الإسلامية الإنفاق عليهم وإعالتهم عند العجز والفقر والعوز. ويظهر ذلك جليًا بما كتبه القائد الصحابي الجليل خالد بن الوليد -رضي الله عنه- في صلح الحيرة في عهد الخليفة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- فقد جاء في نص الصلح: (وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيًا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام)[4] وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً)[5] في رواية (بم استعبدتم الناس) قال ذلك حين اشتكى ابن عمرو بن العاص والي مصر على الفتى القبطي ثم قام أمير المؤمنين بمعاقبة المعتدي. كما بلغ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قمة السماحة والرأفة مع أهل الذمة حيث أنفق على مساكين أهل الذمة من بيت المال، وبالرغم من أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد أصيب بطعنة من رجل من أهل الذمة -وهو أبو لؤلؤة المجوسي- فإن ذلك لم يمنعه من أن يوصي الخليفة الذي سيأتي من بعده وهو على فراش الموت بقوله: «أوصي الخليفة من بعدي بذمة رسول الله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا فوق طاقتهم»[6]

كما سار على هذا النهج الخلفاء الأمويون والعباسيون فقد تولى أهل الذمة عدداً من المناصب الإدارية والمالية بالإضافة إلى حضور مجالس والندوات التي كان الخلفاء يعقدونها للعلماء والشعراء ومن بينهم النصارى واليهود بمختلف التخصصات ففي عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان الأموي أصبحت الإدارة المالية إلى أسرة مسيحية ظلت تتوارث فيما بينها تلك الإدارة وهي أسرة سرجون بن منصور الرومي[7]

المحور الثالث

الحرية الدينية والتعبدية

لقد منح الدين الإسلامي العظيم أصحاب الديانات الأخرى حرية العقيدة والديانة والعبادة، وقد انفرد الإسلام بهذه الميزات. وتقوم هذه الحرية على الأسس الآتية:

1- إن الأنبياء والمرسلين جميعهم إخوة لا تفاضل بينهم في النبوة والوحي والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ (سورة البقرة: الآية 285)

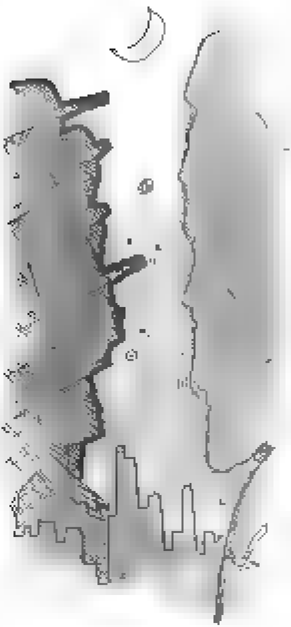
وفي آية أخرى:

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (سورة البقرة: الآية 136)

ويقول في آية ثالثة:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (سورة النساء: الآية 152)

1- أخرجه الخطيب البغدادي والسيوطي عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- بسند حسن.
2- رواه مسلم عن الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري -رضي الله عنه-.
3- كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة 138-139
4- كتاب إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني جزء 5 صفحة 113
5- كتاب تاريخ خليفة بن خياط جزء 1 صفحة 176



2- لا يجوز الإكراه على العقيدة كما لا يجوز إكراه أحد على ترك دينه بل لابد من الإقناع والرضا، والله عز وجل يقول:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ ..... (البقرة: الآية 256)

ويقول في آية أخرى بصيغة الاستفهام الإنكاري

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة يونس الآية 99)

3- أن تكون المناقشة والمجادلة مع أصحاب الديانات الأخرى بأسلوب حسن وبالحكمة فيقول رب العالمين:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (سورة آل عمران: الآية 64)

ويقول في آية أخرى

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل: الآية 125)

ويقول في آية ثالثة

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ (سورة العنكبوت: الآية 46)

4- دور عبادة أصحاب الديانات الأخرى محترمة ومصونة ولا يجوز الاعتداء عليها، والله عز وجل يقول:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (سورة الحج: الآية 40)

وترك الحرية لهم بممارسة شعائرهم الدينية وعباداتهم وصلواتهم في المجتمع الإسلامي فلا تهدم لهم كنيسة ولا يكسر لهم صليب حيث إن الدين الإسلامي العظيم يؤمن بالتعددية في المجتمع الإسلامي، فقد ثبت أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين دخل بيت المقدس.

(1) كتاب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج[illegible] صفحة [illegible]

وكان الإسلام قد تعهد لمواطنيه النصارى بإبقاء خمس عشرة كنيسة مع الحرية التامة في ممارسة عباداتهم[9] وكتب هذا الوعد في معاهدة مكتوبة تدلنا للتأكيد على التسامح الإسلامي.

3- ترك الحرية لهم فيما أباحت لهم أديانهم من الطعام والشراب وأعطاؤهم الحرية في قضايا الأحوال الشخصية والعائلية من الزواج والطلاق والنفقات والميراث وغيرها، وصيانة حقوقهم وحفظ كرامتهم. فقد ثبت أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر بإعفاء أهل الذمة ممن لا يستطيعون العمل، مرتبا شهريا من بيت المال وأسقط عليهم الجزية. كما ثبت عنه أنه أسقط الجزية التي كان يستوفيها من نصارى العرب بالصدقة[10].

المحور الرابع

مواقف حضارية تدل على التسامح

هنالك عشرات المواقف الحضارية التي تدل على التسامح في الإسلام وذلك من خلال الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والأقوال المأثورة التي حثت على العفو والصفح والرفق واللين والمسامحة، ونقدم من تلك المنظومة الكبيرة منها على سبيل المثال لا الحصر.

قال سبحانه وتعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ سورة آل عمران الآية 159

وهذه الآية الكريمة توضح الأسلوب القويم للدعوة إلى الله. والخطاب في هذه الآية الكريمة موجه إلى الرسول ﷺ ويشمل جميع أتباعه.

قال عز وجل موضحا خطابه إلى موسى وهارون عليهما السلام:

﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ سورة طه الآيتان 43، 44

فقد قال أحد الصالحين تعقيبا على هاتين الآيتين: يا رب إن كان هذا رفقك بفرعون الذي طغى وبغى وتجبر وادعى وقال أنا ربكم الأعلى، فكيف بعبدك المؤمن الذي يتبعك بالعدل والإحسان؟

3- العفو العام الذي أصدره الرسول الأكرم محمد ﷺ يوم الفتح الأعظم عن أهل مكة رغم أنهم تآمروا عليه وآذوه قائلا لهم: (اذهبوا فأنتم الطلقاء)[11]

4- قال الرسول ﷺ: (من يحرم الرفق يحرم الخير كله)[12]

5- قال رسول الله ﷺ: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه)[13]

القرآن الكريم يشجع على العفو والصفح والمسامحة فيما بين الناس في عشرات الآيات الكريمة، ولا تخلو آية كريمة تتضمن عقوبة إلا وتليها حث على العفو والصفح والمسامحة

6- (إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا)[14]

7- ثبت أن أحد مواطنيه كان يفد إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبعد مدة افتقده عمر فسأل عنه فقالوا له: يا أمير المؤمنين إنه يتابع شرب الخمر، فكتب له رسالة قال فيها: سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير. ثم قال عمر لأصحابه: ادعوا الله

9- كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة [illegible]
10- سيرة ابن هشام ج4 صفحة [illegible] وتاريخ الطبري ج3 صفحة [illegible]
11- رواه مسلم عن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنه
12- رواه مسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها
13- رواه البخاري والنسائي عن الصحابي الجليل أبي هريرة

لأحدكم أن يتوب عليه ويتوب الله عليه. فلما سمع الرجل الرسالة أخذ يقرؤها ويردد عباراتها ويقول: قد حذرني الله عقوبته ووعدني أن يغفر لي، فلم يزل يرددها على نفسه ثم بكى ثم نزع فأحسن النزع، فلما بلغ عمر خبره قال: هكذا فاصنعوا، إذا رأيتم أخاً لكم زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا الله له أن يتوب عليه ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه، وهذا أسلوب من أساليب الهداية والمسامحة فلم يحاسبه على فعله بل أعطاه فرصة للتراجع والتوبة وفتح صفحة جديدة.

5- ورد عن الشريف الرضي أن غلاماً له قد سكب عليه ماء من إبريق فتطاير على الشريف الرضي أثر الغضب وعدم الرضا فاستشهد الغلام بالآية الكريمة:
﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ سورة آل عمران الآية 134

فقال الشريف الرضي: كظمت غيظي. فقال الغلام: ﴿والعافين عن الناس﴾ فقال: عفوت عنك. ثم قال الغلام: ﴿والله يحب المحسنين﴾ فقال: اذهب فأنت حر أي حرة من العبودية.

الخاتمة

من خلال القصة والصور الأربعة ألقيت الضوء بإيجاز بشأن معاملة المسلمين مع غيرهم ... مبادئ والتطبيق، لنؤكد أن الدين الإسلامي العظيم هو دين حضاري إنساني شمولي عالمي هو دين الرأفة والرحمة والتسامح، فالمسامحة والتسامح في الإسلام ليست نظرية خيالية ولا قيمة مثالية، كما أن الدين الإسلامي ليس حبراً على ورق، وإنما هو دين عملي واقعي إيجابي، فتطبيق فكرة العدالة والتسامح في أي مجتمع يعطي أكلها من زرع الثقة والمحبة والطمأنينة بين أفراده ومجتمعاته في كل زمان ومكان، وينبغي أن نغرس هذه القيم الراقية الرفيعة في نفوس الأطفال فلذات أكبادنا، كما ينبغي أن تكون ذلك مثلاً في آفاق العالم، فلم يدخل الناس في دين الله أفواجاً إلا بهذه القيم، وعلى العلماء العاملين والدعاة المخلصين أن يبذلوا الجهد في سبيل إبراز هذه القيم للعالم أجمع.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم
2- تفسير القرطبي
3- تفسير الكشاف للزمخشري
4- تفسير المراغي
5- صحيح البخاري
6- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني
7- صحيح مسلم
8- سنن أبي داود
9- مسند الإمام أحمد
10- الخراج لأبي يوسف
11- سيرة ابن هشام
12- تاريخ الطبري
13- تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر
14- تاريخ خليفة بن خياط
15- النظم الإسلامية للدكتور صبحي الصالح
16- الرسالة الخالدة للأستاذ عبد الرحمن عزام
17- روح الدين الإسلامي للأستاذ عفيف طبارة
18- التعريب في الإسلام للدكتور الشيخ عكرمة صبري
19- البحث في القضاء الإسلامي للدكتور الشيخ عكرمة صبري
20- حضارة العرب للمستشرق غوستاف لوبون
21- الدعوة إلى الإسلام للمستشرق توماس أرنولد



الحوار مع الآخر

نحو رؤية إسلامية موحدة

د. عبد الرحمن ابداح*

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإنه لا يخفى على ذي بصر تنامي الإحساس بأهمية هذا الموضوع على مستوى عالمي بسبب الانفتاح الحضاري التي أتاحته وسائل الاتصال الحديثة وضرورات التبادل الثقافي التي تقتضي تحديد مساحة مشتركة للحوار الإنساني تقوم على الاعتراف بالآخر ليس لإلغائه ولكن للتواصل معه والاستفادة منه.

ومما يؤسف له أن بعض أطراف الحوار قد يعجز عن إثبات ذاتها إلا من خلال الإساءة إلى الآخر ومحاولة إلغائه وتشويه صورته... أما نحن معشر المسلمين فإن الاعتراف بالآخر وإكرامه واحترامه وحمايته حقه جزء من عقيدتنا وديننا ويستفاد من نصوص قرآنية كريمة أن الحوار مع الآخر ليس مطلوباً فحسب ولكننا مطالبون بالدعوة إليه والحث عليه.

يقول المولى سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ سورة آل عمران، الآية 64

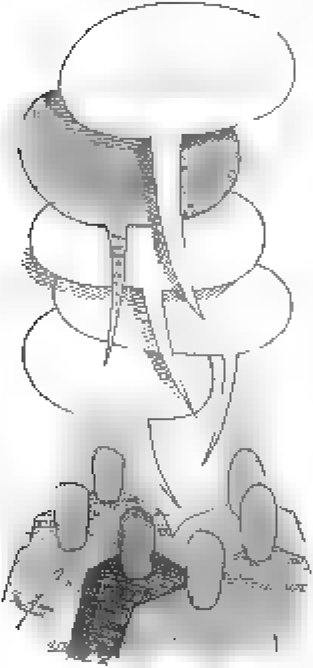
ويقول سبحانه وتعالى:

﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ سورة طه، الآيتان 43، 44

هذا الاعتراف غير المسبوق وغير الملحوق بالآخر يتحول في الحياة الإسلامية إلى ممارسة واقعية تنطلق من كرامة العنصر الإنساني ووحدة الجنس البشري كما بدا ذلك واضحاً في الدولة الإسلامية التي لم تع التعدديات والتنوعات حيث ضمت الفارسي والحبشي والرومي تماماً مثلما ضمت القرشي دون أن يرى أحد لنفسه ميزة على الآخر إلا بالتقوى.

واستطاعت نظرية الحوار في الإسلام أن تتألف كبير الفئات والمدارس والمذاهب على مستوى الأفراد والقبائل والشعوب وذلك عن طريق [illegible] النصوص المباشرة والسامية [illegible] المقاربة والمصالحة بعيداً عن الكلمة القاسية الجارحة أو اللفظة النابية ويعني ذلك كله التعويض عن الهموم والمسامحة بالحقوق

* الأمين العام المساعد لشؤون الدعوة والتوجيه الإسلامي - وزارة الأوقاف - الأردن.



والابتعاد عن السياسة المتأثرة بوجود الحس التعصبي والتحكم والسيطرة على السلطة لكي تظل مع الحق وللحق.

ويمكن التعرف على جانب مشرق للحوار مع الآخر من خلال معاملة المسلمين لأهل الكتاب، حيث سمحت الشريعة بمصاهرتهم ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ سورة المائدة: الآية 5، وأكل طعامهم

﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾
سورة المائدة: 5/5

وتأمين حمايتهم في أنفسهم وأموالهم، ويستذكر في هذا الباب موقف ابن تيمية رحمه الله في وجه التتار حينما أرادوا إطلاق سراح أسرى المسلمين فلم يرض إلا بإطلاق أسرى النصارى، حيث قال: (ولأنهم أهل ذمتنا ولا ندع أسيراً من أهل الذمة ولا من أهل الملة)

الحوار لغة واصطلاحاً

الحوار لغة: تحاور، محاورةً، حواراً، في جاوبه وجاوبوه، أي تراجعوا الكلام بينهم، والحوار هو الرجوع، والحوار حديث يجري بين شخصين.

الحوار اصطلاحاً: حديث يجري بين طرفين، يسوق كل منهما ما يراه ويقتنع به، ويراجع الطرف الآخر في منطقه وفكره بغية إظهار الحق، وتقريره.

أهمية الحوار مع الآخر وثمرته وغاياته:

يعد الحوار في هذا الزمان من ضروريات الحياة وضمان استمرارها لأن به تزول الحواجز وتنكشف الطرق، ويتم التواصل مع الآخر إلى قاعدة ثقافية مشتركة لاستيعاب الواقع، والتطلع نحو المستقبل من خلال تنمية القواسم المشتركة والجوانب الإيجابية بعيداً عن الهيمنة أو الإقصاء، والاختراق.

والمتأمل في بعض النصوص القرآنية المباركة يجد فيها منهجاً متكاملاً لكل أساليب الحوار وموضوعاته على مستوى حوار الذات وحوار الآخر بغية الوصول إلى الإنسان، وما يتبع ذلك من تزكية النفس، وصقل

للمواهب وشحذ الهمم، وتوسيع دائرة التفاهم وتنمية الخبرات، وترسيخ الاتجاه نحو التعددية والانسجام الحضاري، إضافة إلى تحقيق الوئام بين أبناء الأمة الواحدة والتفاهم المشترك بين الشعوب على قاعدة الكرامة والعدالة والمساواة.

ولقد تحملت النبوات كل أصناف الأذى والإساءة في سبيل حماية الحوار وتأمين أجوائه وفتح قنواته، حتى إن المواجهة والعنف إنما شرعت لتأمين حرية الحوار وحماية العقيدة، وليس لإكراه أحد على الإيمان والدين، ذلك أن المواجهة العمياء هي عودة إلى حياة الغاب وشريعة التغلب والقهر.

ولقد أدرك خصوم الإسلام هذه الحقيقة، وأيقنوا أن الحرية والحوار هما المناخ السليم لامتداد الإسلام وانتشاره، فعملوا على تأزيم الحياة الإسلامية بمختلف الأساليب والوسائل لإغلاق الطريق أمام الحوار، ثم ستفرزه بعد ذلك ويفضي إلى الاستفزاز والعنف والعنف المضاد، فيقال بعد ذلك ها هم المسلمون وهذه هي طريقتهم في الحوار.

ومما يؤسف له أن تقع بعض مؤسسات العمل الإسلامي في هذا الشرك متوهمة أن المواجهة هي السبيل الأمثل الذي يختصر المسافة ويحقق الغاية المنشودة، فيما نجد أنها لم تحقق غاية ولم تختصر مسافة، وإنما بعدت أكثر إلى تشويه صورة الإسلام الذي تحمله وتدافع عنه.

منطلقات الحوار

اللغة هي الركيزة الأساس في الحوار والتفاهم والتواصل الإنساني، ولهذا لابد في الحوار مع الآخر من مكنة في اللغة ومعرفة بأساليب البيان والبلاغة فيها، وما يتضمن ذلك من تشبيه واستعارة وكناية وغير ذلك، ولا بد من معرفة لغة الآخر للتمكن من فهم وجهة نظره، وإيصاله ما نراه نحن، وهذا يقتضي أن نجتهد في ترجمة الكتب الإسلامية إلى اللغات الأخرى، وترجمة كتب الثقافات الأخرى إلى لغتنا وفي المقابل

نحن اليوم بحاجة إلى حوار مع الذات قبل الحوار مع الآخر لتجاوز حالة الجمود والتعصب، وعدم المبالاة بالآخر ظناً منا أنه ليس عنده شيء وليس له وجود.

والحوار مع الذات لابد أن يسلم الإنسان إلى تغيير وهو بحد ذاته مفتاح الحوار مع الآخر بدءاً من الأسرة والعلاقات التي تحكمها وتحكم علاقاتها مع من حولها من الجيران والأرحام وصولاً إلى مجتمع الأصحاب والمدرسة والجامعة والناس أجمعين، ذلك أن التعايش يقتضي شعوراً بأن كلاً منا يكمل الآخر وليس نقيضه ولا ضداً له بالضرورة، وبهذا نستطيع الوصول إلى الآخر والتفاهم معه إذا رغبنا في الاتفاق على وسائل عيش اجتماعي وتراكم معرفي وتبادل للخبرات وبلورة للقيم الخلقية واكتشاف وسائل تنمية محطة مستدامة.

على أن الاعتراف بالآخر ضرورة لا بد منها إذا رغبنا في الانفتاح عليه والاستفادة منه، والوصول معه إلى تغيير يرفع معاناتنا ومشاركته وتركيبها بعيداً عن الاستخفاف عليه أو التهوين فيه، وذلك اتباعاً وانسجاماً مع نصوص القرآن الكريم التي منها قوله تعالى:

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ سورة الكافرون: الآية 6.

﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ سورة الشورى: الآية 15.

﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ سورة سبأ: الآية 24.

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ سورة الحجرات: الآية 13.

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ سورة الزمر: الآية 18.

ونحن نجد أن لا نعادي الثقافات ولكننا نناقشها ونجادلها ونحاورها في محاولة منها للوصول إلى نقاط مشتركة يمكن أن ترسخ الحوار وترحمه أكثاً، وبذلك لكي يتلاقى الشعور بأن من هذه الأرض تسع مجموعة أنداد ولكنها بغير تألف ونقص ونمضي نحو الأفضل انطلاقاً من هذه الحوائل المشتركة.

مقتضيات الحوار

يقتضي الحوار مع الآخر معرفة بلغته كما سلف،

وبهذا يقول المولى سبحانه وتعالى

{وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}

سورة النحل الآية 125

كما يقتضي معرفة بثقافته والبيئة التي شكلت ثقافته وفكره والتجارب التي مر بها والمؤثرات الجانبية التي أسهمت في تكوين نظرته إلى الكون والحياة والإنسان، فكل هذه الأشياء تعد عوامل مساعدة في توجيه الحوار وتحديد مساراته.

ولا يجوز أن نتعامل مع من نحاوره على أنه وعاء يتلقى معلومات مسبقة، وإنما نعامله على أنه شريك محاور معين على إنضاج الفكرة والوصول بها إلى غاياتها بعيدا عن التعصب لغير الحق.

والحوار مع الآخر يقتضي حضوره لا أن يكون المحاور نائبا عنه أو الوكالة عنه أو الوصاية عليه أو معه من خلال خصومه، وذلك من باب إنصافه وإتاحة فرصة له مكافئة لفرصة غيره لكي لا يوسم الحوار بالهيمنة والتسلط والإذعان، التي تعد نوعا من الإرهاب الفكري الذي يتم من خلاله تمرير ما يريد الطرف القوي في الحوار.

وقد يكون الحوار مع الآخر حوارا مع الذات حين يغيب الآخر ويستدعى للحوار من لا يمثله، وهنا يفقد الحوار هدفه وطعمه وينتهي الأمر إلى ما يريده القوي في المعادلة، ثم تتحول النتائج إلى هيمنة تزيد المشاكل تعقيدا وتستفز الطرفين نحو المواجهة والصراع.

وإننا نشهد كثيرا من الحوارات إنما يستخدمها الآخر حسب مصالحه السياسية أو الفكرية وأولوياته الاستراتيجية فتراها حافلة بالشك والتآمر ولكنها خالية من مضمون الحوار ومحدداته حيث يجري وكأنه مناسبات فقط للتلاعب بالنص وكأنه في قفص الاتهام والتآمر حوله [illegible] بريئة.

ولهذا لا بد أن يتم تحديد عناوين الحوار ومحاوره وهدفه باتفاق الطرفين لئلا يستفرد الآخر فيحمله إلى الموضع المرسوم له مسبقا، ينتهي في ذلك [illegible] الطرف الآخر [illegible] أو الصوت المعد سلفا.

ولا بد للمحاور أن يشعر بالحرية والأمن ليكون كلامه وموقفه نابعين من صميم قناعاته ووجدانه وليس من المؤثرات الجانبية المحيطة به.

وكذلك لا بد أن يشعر المحاور بالاحترام فلا يصح لأحد طرفي الحوار أن ينال من شخصية الآخر أو يسيء إليه أو أن يبدأ بالحوار مع الشخصنة لإظهار فضله على غيره لكي يتحدث عن نفسه أو عن مريديه أو مؤلفاته وخبراته الشخصية.

على أن الحوار إنما يكون بين طرفين تجمعهما رغبة صادقة للوصول إلى الحق وتبين الواقع والصدق، ومن هنا فلا يحسن بالمتحاورين أن يكونا يائسين [illegible] كلاهما من نتائج هذا الحوار، لأن اليأس المسبق سيترك ظلالا كثيفة على الحوار ولن يساعد على التقدم خطوة واحدة إلى الأمام.

ولا بد للحوار من مرجعية يتفق عليها الطرفان ويرجعان إليها للفصل فيما تشابه والتبس من الأمر، وقد تكون أعلى المرجعيات وأعلاها عند الحوار مع الذات في الحياة الإسلامية أن نرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أما في الحوار مع الآخر فإنه إن كان الطرف لا يؤمن بهذه المرجعية فيمكن الرجوع به إلى مقررات العقل والمنطق وما أجمع عليه الناس من فكر ما لم يتعارض مع نص شرعي.

وفي الحوار مع الآخر لا بد من المرونة والصبر، فقد سمح النبي عليه السلام لوفد نصارى نجران بأن يصلوا في مسجده النبوي الشريف صلاتهم، وعلمنا [illegible] في أن الشدة والقسوة في الحوار تغلق في النفس شيئا وتترك [illegible] وتقطع الرغبة في مواصلة الحوار والاستزادة منه، ويحسن أن يعقد الحوار في جو هادئ يعين على التفكير السليم بعيدا عن الصخب والضجيج التي تضيع معه الفكرة في زحمة التهويش والانفعال، يقول تعالى

{قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} سورة سبأ الآية 46

ولا يصح أن يلج الحوار بمقررات سابقة مفروضة في نفوس سلفاً لأن في هذا نوعاً من المراوغة والتحايل ولابد أن نسلك في الحوار المنهج العلمي القائم على صحة النقل وتقديم الدليل والحجة الصحيحة يقول تعالى:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ سورة الإسراء الآية (36)

آداب الحوار:

سيكون الحديث عن بعض هذه الآداب في مسائل البحث ولكني سأوجزها هنا بما يلي:

1- عفة اللسان وحفظه من الطعن أو اللعن أو الإساءة ولو بكلمة إلى الآخر، وحفظ سائر الجوارح من أن يبدر أي حركة يفهم منها الهمز أو اللمز الظاهر أو الباطن تصريحاً أو كناية.

2- حسن الاستماع والإنصات يقول الله تعالى:

﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ سورة طه الآية (13)

ويقول سبحانه وتعالى:

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ سورة الزمر الآية (18)

وقد كان عليه السلام قدوتنا في هذه الخصلة وغيرها يقول تعالى:

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ سورة المجادلة الآية (1)

3- التواضع ولين الجانب وطلب الحديث من النفس حيث يعطي لمخالفيهم إطالة الحديث حول نفسه فيأخذ بها غيره، وهذا نوع من التسلط فيعطل من ميدان الحوار وعلامة الإخلاص

4- الانتباه للنصيحة وعدم تحقيره أو التقليل من شأنه ومواجهة الآخر بالمودة والاحترام يقول سبحانه وتعالى:

﴿[illegible]﴾ سورة [illegible] الآيات [illegible]

5- إفساح المجال للآخر ليعرض وجهة نظره ودليله إيماناً بمبدأ تكافؤ الفرص والعدالة والمساواة

منهجية الحوار

إن اختلاف وجهات النظر ليس عيباً علمياً ولا خطأً منهجياً بل هو خطوة جادة في الطريق لتصحيح المفاهيم والوصول إلى الحقيقة، لذلك لا بد أن يكون المحاور مستعداً للاقتناع بالنتائج ولو خالفت رأيه، لأن التعصب السيء للفكرة يجعل الحوار عديم الجدوى فاقد الأهمية. ولا بد للمتحاور من التزام العقل والمنطق وعدم المكابرة بإنكار ما يتوصل إليه من نتائج محسوسة لا تقبل المراء، وليحذر صاحبنا المحاور من الوقوع في التناقض كما وقع مشركو مكة عندما وسموا النبي صلى الله عليه وسلم مرة بالسحر ومرة بالجنون لأن التناقض في هذا واضح، وهو أيضاً واضح في قولهم كما جاء في القرآن الكريم:

﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ سورة القمر الآية (2)

لأن السحر لا يستمر

ومن منهجية الحوار أن يبنى على خطة واضحة المعالم فيها معالم الحوار وأهدافه، وأركانه التي منها صحة المعلومة، والاستعانة بذوي الخبرة، واعتماد المنهج العلمي المبني على التفكير والتحليل والاستنباط وحسب النظر على مراحل المناقشة وذلك بهدف الوصول الهادئ السليم إلى الهدف

شروط الحوار

لابد أن يعطى هذه الشروط حقها في ثنايا البحث ولكني أؤكد هنا على بعض الشروط التي لابد من مراعاتها في ذلك

1- التخلي عن الأنانية

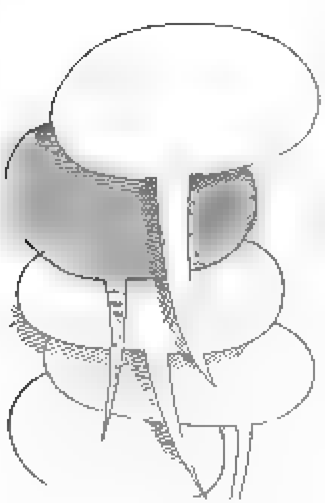
2- أن يكون المحاور صاحب نظر مستقل لا أن يردد مواقف وكلمات غيره دون فهم

3- احترام التخصص العلمي والخبرة

4- أن يكون المحاور طالباً للحق متجرداً من الهوى

5- أن يكون سريع البديهة حسن الاستشهاد بالآيات والأدلة

6- محاورة تكون مع أهل العلم فلا يحاور الجهلاء



يقول تعالى

﴿ [illegible] ﴾ [illegible] 107

أي أن الله تعالى ينهاكم عن محاورة الجهلاء ويعني العلماء

معوقات الحوار

معوقات الحوار كثيرة ولكن أهم هذه المعوقات ما يلي

المعوقات الشخصية: مثل الثرثرة والإطناب والقلق والتوتر وعدم الوضوح في العرض، وغياب الأدلة والبراهين وضعف الحجة وسرعة الغضب والتعصب الشديد

2 ـ المعوقات الموضوعية: ومنها الغموض والتشويش، تباين المفاهيم، واختلاف الأجيال وهذه معوقات عامة ولكن هناك معوقات أخرى تبرز عند الحوار في الموضوعات ذات الصبغة الدينية من ذلك

ـ اتباع منهج حر في تفسير النصوص الشرعية بما يتضمنه ذلك من انتقائية وجهل بأصول الاستنباط وأدواته

ـ أخذ المعرفة عن طريق السماع، مع جهل بالأدلة والبراهين حتى توصلت مثل هذه المعارف بأصحابها إلى التقليل من شأن الأئمة الأعلام تحت مقولة: هم رجال ونحن رجال

3 ـ العزلة عن المجتمع، فالذي يعتزل المجتمع كأنه يعلن الحرب عليه والكراهية له، وعدم القدرة على التعايش معه والتأثير به يقول عليه السلام: (الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم)

أولويات الحوار مع الآخر في هذه المرحلة

1 ـ رغبة في حماية الأمة من مخاطر التبعية يحسن بالحوار أن يتجه نحو مصالح الأمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية على نحو يؤهلها للوقوف في وجه التحديات وأزماتها وحروبها والقيام بدورها الإنساني الرفيع

ـ تشخيص أزمة الإنسان المعاصر وبيان إفلاس الحضارة في حل المشكلات الإنسانية، وأنه لابد في سبيل الوصول إلى سلام حقيقي شامل من اتباع منهج الله تعالى الذي تظهر فضائله ومزاياه في كل باب من أبواب الحياة

2 ـ الحوار بين العروبة والإسلام للتأكيد على علاقة تكاملية لتحديد مفهومهما، فالعروبة هي لغة ووعاء ثقافتنا بلغة كتاب ربنا وسنة نبينا، وأن العرب هم عصبة الإسلام وحملته إلى البشرية كلها والله ولي التوفيق



الحوار مع الآخر

من أجل نهج إسلامي موحد

أبو بكر محيي الدين *

بالرغم من وصول العالم إلى أعلى مستويات التقدم التكنولوجي والعلمي مزوداً بالعديد من المشاكل الشائكة جراء الحروب هنا وهناك وبروز خطر الحروب النووية يلوح في الأفق، جراء الصدامات المستمرة بين الشعوب والأفراد على أساس النزاع الديني والقومي والثقافي والاقتصادي في كل وقت وفي كل مكان من العالم. لقد غاب السلام وانعدمت الطمأنينة وقل حس الحفاظ على البيئة وغيرها، وهمشت مسائل مثل المحبة والتسامح والمودة مع الآخرين الذين لهم وجهات نظر مختلفة وأسباب مختلفة نظراً لتلك النظرة المادية الحالية التي أثرت بطريقة كبيرة في الأثر البيئي في مجتمعنا المعاصر.

وفي ضوء ذلك، باعتبار ماله من الأهمية بمكان التركيز على دور الدين في نشر سلام ووئام عالميين. إن الحوار بين ديانات العالم عظيم الأهمية بمكان من أجل العمل على فهم الروح الحقيقية التي تدعو إليها الأديان التي يعتنقها ويدين بها الناس في مختلف أنحاء العالم والتي تدعو إلى الحب والاحترام المتبادل والتسامح والعفو والرحمة ومراعاة حقوق الغير والوئام والسلام والأخوة والحرية بغض النظر عن الطريقة التي يمارس بها أتباع كل دين دينهم.

لقد كان الدين مطلقاً هو الأساس المتين للحضارة الإنسانية، ذلك الهدي الإلهي والهداية المطلقة من الله سبحانه وتعالى التي قد أضاء نورها عن طريق آلاف الرسل والأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى إلى الأمم القديمة. لقد جاءت رسالاتهم سواء كانت مكتوبة أو غير مكتوبة مراعية لظروف الناس الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية والفكرية آنذاك.

إن ذلك النور الإلهي الذي أوحى به الله - سبحانه وتعالى - إلى أنبيائه الله آدم ونوح وموسى وإبراهيم وداود وعيسى عليهم السلام قد نسيه الناس أو حرفوه، ومنهم من كفر به وقت نزوله أو بعد حين بسبب صراعات عقيمة في المجتمع حيث إن الإنسان في الأصل مخلوق ذو قيم أخلاقية وقد غاب عنه بسبب حب ذاته أحياناً أم لم يدرك. إن الهدي الإلهي الذي أوحى به الله تعالى إلى نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - كان من نفس النبع ونفس النبراس

* رئيس جمعية الدعوة الإسلامية بسنغافورة

الذي توصي به من قبل جله جلاله لها

نحن كمسلمين نعرف أن الشرائع التي جاء بها الرسل قبل النبي محمد ﷺ قد تم تحريفها إلى درجات معينة وذلك عند شروعنا في الحوار مع أهل تلك الشرائع علينا أن نتجنب توجيه النقد اللاذع لهم الأمر الذي قد يأتي بنتيجة عكسية ورد فعل غير محمود منهم

قال عز من قائل

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
سورة الأنعام: الآية 108

الإسلام والحوار مع الآخرين

إن وجود القيم الأخلاقية العامة في جميع الأديان والحضارات يدل على حقيقة وحدة المصدر. قد يختلف إيلاء الأولوية لكل قيمة من تلك القيم باختلاف الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فعلى سبيل المثال تظهر الأمم بأخذ شكلاً ... من الحد قد يصل إلى الغلو عند شعوب الشرق الأقصى بينما هو عند المسلمين من تقوى الله

يؤمن المسلمون بجميع الرسل والأنبياء والكتب التي جاءت على مدى تاريخ البشرية بل إن الإيمان بهم من أسس الإسلام وعليه فالمسلم تابع حقيقي لسيدنا إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الرسل عليهم السلام. وهذا إعلان منا عن صحة الناموس الذي أتت منه الديانات وأن الدين هو الشيء الجامع والموحد لكل الناس على طريق الأخوة

قال تعالى في محكم تنزيله:

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾
سورة العنكبوت: 46

يعلمنا القرآن الكريم الطريقة والأسلوب التي يجب اتباعه في الحوار

ركائز الحوار مع الآخرين:

هنالك بديهيات عامة تسهل للمسلمين القيام بحوار مع أنفسهم ومع الآخرين، ويتضمن هذا الآتي

- الله سبحانه وتعالى واحد لكل شيء، قد تختلف تسميات الآخرين ولكن يظل هو الواحد الذي يرجعون إليه وإن وجدت بعض الاختلافات الفقهية
- الكون واحد سواء كان هناك عالم واحد أم عوالم مختلفة
- قانون الطبيعة واحد
- الناس خلقه واحد
- أصل المخلوقات واحد
- الرسل والأنبياء والحكماء والقديسين كانوا معلمين أرسلهم الله في أزمنة مختلفة جاءوا من نبع واحد
- الوحي الذي هو أساس الدين الحق واحد وإن مختلف الرسالات السماوية جاءت من نفس المصدر الإلهي، والإسلام هو خاتم تلك الرسالات

قال الله تعالى في محكم تنزيله

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات: الآية 13)

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:

(الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله) (مسند الحارث، رواه البيهقي)

وعنه ﷺ أنه قال: (الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي إنما الفضل بالتقوى) المبسوط للسرخسي

وعنه ﷺ أنه قال: (لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى) مسند أحمد

الحب والرحمة والتسامح والفطرة أسس الحوار

يدعو الدين إلى الحب والرحمة والعفو والتسامح سواء في الإسلام أو المسيحية أو اليهودية أو أية ديانة أخرى، ولقد سبق الحديث قليلا عن تلك القيم الإنسانية العامة.

الحب شيء جوهري في أي إنسان، إنه الشعور

الأمم، القوى العظمى التي تقاوم كل قوة، فهو يسمو بالروح التي تكتسح به وبهمته مرحلة الخلود. إن الذين مَسَّ الله قلوبهم بمعرفة من حلاوة الحب يبذلون قصارى جهدهم من أجل رحمة في نفوس الآخرين، يفدون حياتهم من أجل هذا الوجيب المقدس ويضحون حتى آخر سبب في صد السبيل وحتى آخر نسمة نسمة.

الإيثار يصحب الحب، ذلك الشعور الإنساني النبيل الذي يولد الحب من عدم القدر الأكبر من عدد. الحب فهو البطل الإنساني الأعظم الذي قد استأصل أي شعور شخصي من الكراهية والحقد. أمثال هؤلاء من الأبطال تظل ذكراهم حتى بعد موت. تلك النفوس النبيلة التي تشعل كل يوم مصباحاً جديداً من الحب في حياتهم. والذين يجعلون قلوبهم بيتاً للحب والإيثار، يعلمهم الناس في الحب ويلقون الجزاء في الآخرة.

الحب هو أقرب الطرق موصلة إلى قلوب الناس، إنه أسلوب الأنبياء. ومن يتبع هذا المنهج فهو محبوب مقبول حتى وإن لم يستجب له البعض، إنه عندما يصل إلى قلوب الناس عن طريق الحب لن يعوقه أي شيء في الوصول إلى هدفه.

الحوار مع الآخرين: الطريقة السنغافورية

الحوار الفعال لا يأتي به كل إنسان. تخرج العلّامة العليم الصحفي وبعد أن تطلع بعمق على الفكر العربي ومعتقد الديانات في رحلاته حول العالم قبل الحرب العالمية الأولى من أجل الدعوة إلى الوئام والسلام وقد بدأ من خرمة اندلاع الحرب العالمية الأولى، وقد أسس جمعية الدعوة الإسلامية عام 1932م كي تكون منطلق رحلاته حول العالم. وفي عام 1949م عمل على جمع القادة المسلمين مع ممثلي الديانات المسيحية والبوذية والهندوسية والسيخية واليهودية والمجوسية في سنغافورة لاعباً دوراً محورياً في تأسيس منظمة الوئام الديني في سنغافورة وجوهور والحديث يطول في هذا المقام بالنظر إلى مجال القيم الإسلامية. وقد ترأست منظمة الوئام الديني منذ 2004م. وقد قمنا بالعديد من الإنجازات بالدعم الجوهري من جمعية الدعوة الإسلامية التي منها:

1 - مؤتمر منظمة الوئام الديني من أجل نشر الوئام الديني والقومي الذي ساهم فيه علماء كبار عرضوا وجهات نظرهم في سبيل نشر الوئام الديني والقومي الذي يفتخر به كل سنغافوري.

برنامج دراسات الوئام الديني الذي تنظمه منظمة الوئام للعاملين في مدرسة إدارة الأعمال التابعة للجمعية، انتظم فيها يعمل على فهم وجهات نظر الآخرين. وقد كانت هناك تعليقات بناءة عند الحديث عن الإسلام خلال هذا البرنامج. وستبدأ المرحلة الثانية منه في أسرع وقت.

2 - كرنفال السلام والوئام الديني الذي ساهم فيه أناس من مختلف الأجناس والأديان باذلين قصارى جهدهم في تنظيم هذا الكرنفال بجمع التبرعات من أجل جهود السلام والوئام الديني التي تقوم بها منظمة الوئام الديني.

تضم منظمة الوئام الديني اليوم تسع ديانات مختلفة في سنغافورة يعملون سوية من أجل نشر السلام والوئام، ولكن سنغافورة لا تعتمد السلام والوئام كشيء مسلم به مع المبادرات الفردية وجهود المنظمات غير الحكومية في هذا المضمار فقد أعلنت الحكومة خلال فترة رئيس الوزراء السيد جي كوك تونغ لائحة الحفاظ على الوئام الديني التي انبثق منها المجلس الرئاسي للحفاظ على الوئام الديني من أجل الإشراف على تلك الأمور. كما تعمل منظمة الثقة القومية على مستوى الشعبي من أجل نفس الأهداف. واليوم نرى فترة المصالحة وإعلان الوئام الديني في مجالات الوئام القومي والديني حيث مثالياً في سنغافورة.

تدعو جمعية الدعوة الإسلامية بسنغافورة وغيرها من المنظمات الإسلامية الأخرى بانتظام الممثلين من المنظمات غير الإسلامية لمشاركتهم الإفطار في شهر رمضان الكريم ومشاركتهم الاحتفال بالعيدين وزيارة المراكز الإسلامية والمساجد وتنظيم حفلات الشاي

والمؤتمرات، وتناقش قيادات المنظمات غير الإسلامية للتعرف على المسلمين لمشاركتهم احتفالاتهم حيث يحضرونها غير مترددين في دينهم أو عقيدتهم. تراهم إذا حانت الصلاة في أي مناسبة ما ينتظرون ويتكلمون كي يؤدوا صلاتهم بطريقة جميلة غير لافتة للانتظار. والآن إن منظمة الوئام الديني سوف تعد كتابا بعنوان «الآداب الدينية» كي يفهم الناس الحساسيات الدينية للآخرين ويحترموها.

إن الخدمات الإنسانية تخبر المسلمين هي من المواد. الكلام وحده ليس كافيا حتى ترى أن يتكلم ويعمل في نفس الوقت.

إن خدمة عباد الله من العبادة بغض النظر عن الجنس والدين، علمنا رسول الله ﷺ أن ننشر الرحمة بين مخلوقات الله تعالى عامة.

عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء).

مبدأ الدعوة بالحال

قامت جمعية الدعوة الإسلامية منذ السبعينات وبطريقة تدريجية أسلوب الدعوة العملية حيث أسست العديد من دور الخير التي منها دار الإصلاح لتهذيب متعاطي المخدرات سابقا، ودار المسنين، وملجأ الأيتام ودار الممرضين إلى جانب برنامج توزيع الوجبات الجاهزة المجانية على البيوت، والعيادة الطبية وقسم الاستشارات التطوعية وقسم النصح والإرشاد وبرنامج توزيع التموين الجاف على المحتاجين.

دور الخير وخدمات الجمعية هذه مفتوحة للجميع دون التفرقة على أساس الجنس أو اللغة أو الدين.

حيث تشجع الحكومة السنغافورية التعاون مع المنظمات غير الحكومية مثل الجمعية في مختلف نواحي المجتمع الرياضية والخيرية والإصلاحية والتعليمية والثقافية التي تخدم الأمة والمجتمع. يأتي هذا التعاون فيما يسمى بالطريقة الثلاثية بين الحكومة والمنظمات غير الحكومية والناس حيث تقدم الحكومة الإعانات بحسب عدد الأفراد بناء على الخدمات والمرافق العامة والمصاريف الإدارية التي تقدمها المنظمات غير الحكومية.

يأتي الدعم المادي إلى الجمعية من الزكاة والصدقات بالإضافة إلى الدعم المالي من المؤسسات والكنائس والمعابد وغيرها من المنظمات. هذا لأن أنشطة الجمعية واضحة وغير مجهولة ومفتوحة للجميع.

هناك مقولة تقول: حب الوطن من الإيمان.

أثمرت جهود المسلمين الرواد في سنغافورة التي تمثل الأقلية المسلمة فيها 15% من جملة السكان في تأسيس المجلس الاستشاري الإسلامي في مرحلة ما قبل الاستقلال. عندما وافق البرلمان السنغافوري على تأسيس لائحة إدارة شؤون المسلمين التي انبثق عنها المجلس الإسلامي السنغافوري والمحكمة الشرعية وسجل الزواج الإسلامي.

لقد أدركت الحكومة السنغافورية أهمية وجود مثل هذه المؤسسات من أجل خير المسلمين، الذين هم معظمهم من الملايويين أهل البلاد الأصليين. وتعمل المنظمات الإسلامية في سنغافورة تحت قيادة المجلس الإسلامي السنغافوري حافظة على إزالة ما تسببه قلة من المتطرفين عن الطريق الذين قد أساءوا إلى الإسلام ببعض تصرفاتهم.

يؤمن المسلمون بالتعددية الثقافية والحوار الديني من أجل الوئام والسلام.

قال الله تعالى في محكم تنزيله:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس: 99]

وقال عز من قائل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾
[البقرة: الآية 62]

وقال عز من قائل:

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سورة الأنعام: الآية 108

وقال تعالى:

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ سورة الحج: الآية 40

تربط الآية السابقة بعد 14 عاماً من العمل الإسلامي في وجه الطغيان مسيحة للدفاع عن حرية الدين، والنظر إلى النص في ترتيب أماكن العبادة هنا وذكر المساجد في نهايتها. لقد كفل القرآن الكريم حقوق الأقلية من النصارى وغير المسلمين حتى في أشد الظروف والأوقات ... عليهم في مدينة المعارض الإسلامية من طرق الحوار حيث تعرض اللوحات والكتب والمطبوعات والتحف والعروض الحية والمخطوطات والأعمال الكلاسيكية والأفلام بالإضافة إلى محاضرات في مختلف النواحي الإسلامية والعروض الإسلامية التي تنظمها الجمعية في أماكن مركزية مثل منطقة تشيناتاون (China Town) ومدرسة إدارة الأعمال التابعة للجمعية كما تذهب أيضاً في جوهور وسيراواك وماليزيا وبروناي.

والجمعية الآن بصدد إنشاء معرض عن دور المرأة في الماضي والحاضر والمستقبل هذا العام حيث سيعرض على إبراز دور ومكانة المرأة في الإسلام ويعكس الآخرين من المقارنة ويتزامن تنظيم هذا المعرض مع الاحتفال الثالث عشر بمسابقة الأم المثالية على المدى الذي أعدته منظمة رئيس سنغافورة تلك المسابقة التي تشترك فيها الأمهات من مختلف الجنسيات والديانات وهي فرصة للتركيز على حق بر الوالدين وهي أيضاً من طرق التواصل مع الآخرين.

نتائج المرحلة

نحن نمتلك عوامل الوحدة لكن الاستراتيجية تختلف باختلاف الظروف. وقد تعلمت من المثال السنغافوري كيفية صنعها وكيفية تحقيق الحوار مع الآخرين من خلال العديد من الفعاليات مثل مبادرات الوئام الديني والأنشطة الاجتماعية والجهود العامة والأنشطة في المجتمع، واحترام الآخرين ورعاية حق الجار وحب الأمة، والعمل على تحقيق الأخوة الإنسانية والسلام والعدالة.

خاتمة

لقد أصبح الحوار مع الآخرين عبادة حيث إن المسلم دائماً في معية الله عز وجل حتى يحقق هدفه وينجح في مساعيه.

عندما يُري المسلمون أنفسهم للآخرين فإنهم واضحون غير ذلك سوف يحبهم ويسامحهم الجميع ليس فقط المسلمون ولكن غير المسلمين أيضاً.

إن الإسلام بكل وضوح هو دين الوسطية والاعتدال، ذلك الهدي الإلهي الذي يرتقي بالإنسان وحضارته ويسمو به يوماً بعد يوم. والإسلام يعلمنا الكثير من المعاني للحاضر والمستقبل والتي بطريقة فعالة هي الحكمة والموعظة الحسنة.

قال عز من قائل:

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ سورة النحل: الآية 125

المصادر والمراجع

القرآن الكريم
1. الحديث الشريف
2. الحلال والحرام في الإسلام للشيخ يوسف القرضاوي (الكويت: [illegible] 1990).
3. [illegible] الإسلام والمسيحية (اسطنبول [illegible] 1999).
4. [illegible] (Black Well Publisher [illegible] 2001).
5. [illegible] جمعية الدعوة الإسلامية بسنغافورة ([illegible]).
6. ضرورة الحوار الديني منظور إسلامي [illegible].



مقاصد الشريعة الإسلامية

ودورها في تقويم مناهج الفتوى في العالم المعاصر



مقاصد الشريعة الإسلامية ودورها في تقويم مناهج الفتوى في العالم المعاصر *

الشيخ محمد الحبيب بالخوجة **

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم

إخواني الأعزاء، أبنائي الأفاضل

إنها مناسبة أسعد بها شخصيًا، لأنني ألتقي فيها بنخبة رجال الفكر الذين يُعدّون أنفسهم لمهام كبيرة ولأعمال جليلة في مستقبل الأيام بإذن الله، وحضوركم في كلية الدعوة الإسلامية، وطلبكم العلم بها، والاتصال الذي يمكن مع عدد من الأساتذة المتميزين أو من الأساتذة الزائرين، يجعلكم تتطلعون إلى أن تقوموا بطريقة [illegible] بإذن الله على تحقيق الهدف الذي تريدون الوصول إليه.

التواصل العلمي بين العلماء والفقهاء

إن قضية الاتصال العلمي بين العلماء والفقهاء ليست جديدة، بل هي قديمة، وأستطيع أن أقول: إن أهل المغرب أنفسهم كانوا يذهبون إلى الحج عن طريق الجزائر وتونس وليبيا، ثم ينتقلون إلى البلاد المصرية أو الشرق، ثم إلى الحرمين الشريفين، وهؤلاء كثر، ومن يمثل هذه العلاقة في القرن السادس الهجري هو: محمد بن عمر بن رشيد صاحب الرحلة المشهورة والمعروفة بـ [illegible]، سجل فيها ما حصل عليه من علوم وأفكار وآراء... إلخ، من خلال تنقله من بلد إلى بلد، وقد ظل في تونس أكثر من سنة ونصف السنة في الذهاب وسنة ونصف السنة في العودة، وفي كل بلد كان يجلس إلى علمائه في المساجد التي يغدو إليها الطلاب، وكان يفيد من علم المشرق، لكنه لا ينسى حظه في كونه مغربيًا، فيتقدم الكثير مع التعليق إلى أساتذته [illegible] هذه الرحلة... التي ذكرتها الآن... تقع في خمسة أجزاء، صدرت منها ثلاثة، وليس موضوعنا هنا أن نتحدث عن هذه الرحلة، لكن موضوعنا هو الأخذ عن الشيوخ، والأخذ عن الشيوخ قد يكون محصولاً بمقدرة زمنية طويلة، فحسن بالنسبة للموضوع الذي نريد الحديث عنه وهو

* محاضرة ألقيت في كلية الدعوة الإسلامية - طرابلس، بتاريخ [illegible]

** أمين عام مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي - جدة.

قضية مقاصد الشريعة، أرى أن العلماء الموجودين الآن ليس لهم باع كبير في علم مقاصد الشريعة لأننا منذ زمن طويل خلطنا بين علم أصول الفقه وعلم مقاصد الشريعة. وأنتم تعلمون أن علم أصول الفقه هو علم يُطلب من طريقه معرفة الطرق الاستنباطية للأحكام الشرعية من النصوص الأساسية؛ فاستنباط الأحكام له طرق ومناهج واصطلاحات، وهذه هي التي تعنى بعلم الأصول. أما علم المقاصد فهو شيء آخر. علم المقاصد هو البحث عن الحكمة أو عن العلة أو عن السبب الذي يدفع بالناس إلى معرفة ما هو هذا الحكم وما هي طبيعته وكيف نفهمه. فذلك إذاً هو المجال الحقيقي بالنسبة لمقاصد الشريعة. وقلت إن الناس لا يعرفون هذا العلم اليوم لأنه جديد بالنسبة إليهم، جديد لأن عمل العلماء تراكم على هذا الموضوع، وكان لا بد من ميلاده، فرأيت أنه من الفائدة ومن الضروري أن أشير إلى بعض المصادر التي ينبغي أن تكون في أوراقكم للرجوع إليها عند الحاجة. فعلم مقاصد الشريعة أول ما بدأ يظهر ويكتب فيه الناس كتابة قليلة وبحوث كثيرة، ولكنها بدايات، وأول الغيث قطر ثم ينهمر، فإذا بعالم كبير من علماء مصر هو الذي بدأ يهد السبل وهو شافعي ورجل مميز في تحقيقاته وأنظاره. هذا الرجل هو عبد الملك الجويني المعروف بإمام الحرمين، توفي عام 478 هـ. وقد كان رجل فقه على المذهب الشافعي، وكان متكلماً يعرف علم الكلام، وكان أصولياً لا تخفى عليه طرق الاستنتاج والاستنباط للأحكام من النصوص الأساسية في الشريعة الإسلامية قرآناً أو سنة، أو إجماعاً أو قياساً. هذا الرجل وضع كتاباً ما زال معروفاً ومتداولاً إلى الآن وقد طبع مرتين هو كتاب "البرهان". يقع في جزأين، وهو مفيد جداً لمن يقف عليه لكن لا بد أن تكون وقفة متبصرة فيها شيء من التدبر والتتبع للآراء والأفكار التي أطلقها على طلابه في ذلك الحين، عن طريق الدرس وعن طريق هذا الكتاب.

علم المقاصد يتناول البحث عن الحكمة او العلة او السبب الذي يدفع بالناس الى معرفة ما هو هذا الحكم، وما هي طبيعته؟ وكيف نفهمه؟

وأما العالم الثاني الذي أعتبره تابعاً له ومضافاً إلى مدرسته: فهو الفيلسوف والعالم الشهير الإمام الغزالي (توفي سنة 505 هـ) وعندئذ فبينهما نحو 30 عاماً. درس الغزالي على الجويني وكان فقيهاً فيلسوفاً عالماً يبحث عن كثير من الأشياء التي تناولت علم مقاصد الشريعة. نذكر منها كتاب "شفاء الغليل" وكتاب "المنخول" وكتاب "المستصفى" وهو من أشهر كتبه، لأنه طبع عدة مرات، وكان دائماً بين الناس. والغزالي عرفه من خلال الكثير من كتبه الأخرى مثل "تهافت الفلاسفة" ومثل تعليماته على الحركة الفكرية الفلسفية في عصره التي كانت تحارب الدين وتميل إلى الإلحاد، فكان الغزالي من أحسن العلماء الذين تصدوا في هذه الجوانب. ويكفي أن نعلم بأن عمله هذا استطاع أن يضع به خطوة جديدة في علم مقاصد الشريعة تضاف إلى ما في كتاب "البرهان".

وبعد نحو قرن ونصف جاء عز الدين بن عبد السلام (سلطان العلماء) وهو عالم وفقيه معروف، مجاهد يعود عن عقيدته وفكره واتجاهاته وميوله ولا يخشى أحداً، وكانت له حرمة بين العلماء خاصة وإن كان أهل السياسة يحذرونه ويهابونه ويحترمونه. هذا الرجل وضع كتاباً يعتبر هو الأول من حيث التقعيد لعلم مقاصد الشريعة وهو كتاب "قواعد الأحكام في مصالح الأنام". وقد طبع هذا الكتاب أيضاً طبعتين.

ثم بعده جاء علم آخر، لا أستطيع أن أقول إنه تلميذه ولكن أقول معاصره، هو الإمام القرافي الفقيه المالكي (توفي سنة 685 هـ) وكان هذا الرجل من أوسع الناس درساً وأكثرهم علماً، بما أصدره من الكتب والرسائل التي اهتمت بأصول الفقه. كما اهتمت بالمقاصد لأن المقاصد عبارة عن مباحث تأتي في كتاب أصول

الفقه، لأن الناس لم يكتبوا من قبل في علم مقاصد الشريعة. من بين هذه الكتب الكتاب المشهور جداً الذي لا يمكن لأحد منا أن يستغني عنه وهو كتاب الفروق للقرافي وقد طبع عدة مرات، وهو يقع في مجلدين. وهو يجمع ما تشابه من الأحكام في الظاهر ثم يقوم بتحليلها وبيان مجاريها، والاستدلال على أنها مختلفة وليست متشابهة، وذلك من خلال دراسة القاعدتين المعروفتين، والإشارة إلى ما تختص به كل واحدة من هذه القواعد. وإلى جانب هذا له كتاب في علم الأصول واسع جداً ولكنه لم يطبع إلا طبعة واحدة فيها أخطاء كثيرة من الناشر ومن المطبعة. هذا الكتاب هو (نفائس الأصول)، ويقع في نحو تسعة أجزاء. وكتاب (تنقيح الفصول). وهو كتاب مدرسي كما نعبر بمصطلحنا ولدراسته.

ويعد هؤلاء الأئمة الثلاثة يأتي عالم جاء ... على السابقين، وهو الإمام الشاطبي (توفي سنة 790 هـ) ... قدّم للعلم الإسلامي مجموعة مؤلفات إلى الآن لم تجد لها نظيراً[2]، منها الكتاب المعروف (الموافقات) الذي طبع أكثر من خمس مرات، وعلق عليه، وطبع أخيراً، وله دراسات وبحوث ترتبط بالمسائل التي تحتوي عليها. فهذا الكتاب يعتبر من جيد الكتب وأحسنها، وإن كانت فيه بعض الثغرات التي تدل على ضعف الإنسان وما يحصل منه من خطأ أو اضطراب في بعض الأحيان، لأن الإنسان لا يمكن أن يكون كاملاً، ولا ينبغي أن يبحث عن الكمال.

والباحث الذي جاء من بعد الشاطبي بعد حوالي خمسة قرون أو أكثر هو الشيخ محمد بن الطاهر بن عاشور (توفي سنة 1394 هـ) وقد وضع كتابه المعروف في التفسير (التحرير والتنوير) كما أنه وضع كتاب (مقاصد الشريعة) وهذا الكتاب ليس بحوثاً جمع بعضها إلى بعض كما فعل الشاطبي ولكنه كتاب علمي بدأ بمقدمة وانتهى بنتائج، ثم هو مرتب على حسب المعاني والمحاور التي ينبغي أن يشتمل عليها الكتاب. ومن لا بد أن أشير إلى أن الشيخ ابن عاشور - رحمه الله - خالف هؤلاء جميعاً الذين تقدموا، وذكر بعض ملاحظاته على من تقدموا، ولكنه يعترف بأنه استفاد منهم، وأن لهم الفضل في تكوين هذه المدرسة. ثم هو بعد أن يعرف بالمقاصد التعريف العلمي، حيث إن تعريف المقاصد لم يكن موجوداً قبل الشيخ ابن عاشور؛ لأن الناس تعرضوا للمقاصد من حيث الدلالة اللغوية، فالمقصد معروف في اللغة وسيأتي الحديث عنه. أما المعنى الاصطلاحي فهذا لم يقم به أحد. والكتّاب المعاصرون الذين تحدثوا عن علم المقاصد ذكروا هذا، وقالوا إن الشيخ ابن عاشور هو الوحيد الذي انبرى لتعريف المقاصد تعريفاً اصطلاحياً، ولكنه قسم تعريفه إلى نوعين - وسيأتي هذا -، واقترحوا أن يكون التعريف بشكل من الأشكال، وأوردوا هذه الأشكال في كتبهم، إلا أنها لا تستقيم. والذي دعا الشيخ ابن عاشور إلى وضع تعريف أو تعريفين أو ثلاثة للمقاصد، وذلك بحسب موضوعاتها: هو أن هناك المقاصد العامة، والمقاصد الخاصة، وهناك المقاصد في المعاملات. وكل نوع من هذه المقاصد يتميز عن غيره بمسائل دقيقة وملاحظات علمية، من شأنها أن تعين الباحث على الأشياء الضرورية التي ينبغي الانتباه إليها.

كان الاجتهاد في الماضي ميسوراً، قريباً، لأن العلماء كانوا قادرين على الرجوع إلى مصادر التشريع بسهولة، ولم تكن هناك الحاجات الاضطرارية والمتطورة التي نشاهدها في عصرنا الحاضر، والتي تضعنا اليوم أمام مشاكل في القضايا المستجدة، والمسائل التي لا علم لنا بأحكامها في الماضي.

علم مقاصد الشريعة الإسلامية

والشيخ محمد بن الطاهر بن عاشور في كتابه (مقاصد الشريعة الإسلامية) بعد أن أتى بالمقاصد أتى بشيء لم يأت به غيره، حيث ذكر أن المقاصد الشرعية ثابتة بالكتاب والسنّة، وأتى بما

يؤيد ذلك من آيات القرآن والأحاديث النبوية، ثم ينتقل بعد ذلك إلى ذكر مقاصد الفقهاء أو العلماء، وهو الذي تضمنه المقصد السادس المصرح في المختصرات إلى علم مقاصد الشريعة. ومنه الحاجة ... على أن القواعد أو الأحكام أو الضوابط التي يشير إليها ليست موجودة، أو على الأقل ليست موجودة بالنسبة لكل حكم شرعي، أو على الأقل لأن هذه القواعد تظل المرجع من أمهاته المختلفة المتعددة، وانتهى به إلى أن يقول (هذا مقصد). وهنا تأتي الصورة الكبرى، حيث السؤال عن كل ما ينسب إليه العلماء ويقولون هذا مقصد، الزكاة مقصد، الحج مقصد، الصيام مقصد، (...) في مقاصد ... ابتداء.

فمن المقاصد ما هو ارتجالي وهو الذي يأتي على ألسنة الناس من ... أو ... أو ... وهنالك موضوعات أو مقاصد يقبلها الشرع والمقاصد التي لا يقبلها الشرع لا ... مقاصد ... وأن يقصد منها لأنها قد تسوقُ الحكم من ظاهرة إلى أخرى، وتفسده فلا يكون حكماً شرعياً. أما العمل الذي قام به الشيخ ابن عاشور فهو أنه تتبع عمل السلف (الصحابة ومن تبعهم والفقهاء والعلماء) ثم أتى بمدارس فقهية ...، وقال إن هؤلاء هم الذين بنوا المقاصد، وطريقتهم في كذا وكذا وكذا بالنسبة لكل مدرسة أو طريقة. ثم نعرض بعد هذا إلى المقاصد نفسها باعتبار كونها عامة مثل التيسير والسماحة والعدل وما إلى ذلك من الأوصاف التي أمر الشارع بالتزامها والإقبال عليها وعدم التفريط فيها، لأن التفريط فيها تفريط في الدين، ولأن البعد عنها بعدٌ عن المنهج السليم، فيكون على الناس أن يعرفوا ما هي وهي من الناحية العامة ... مدركة بالحس وبالعقل ولا نحتاج فيها إلى إقامة دليل. لكن هناك مقاصد أخرى نبه عليها الشارع وذكرها إزاء الأحكام الشرعية، لتكون دليلاً عليها، وسبيلاً إلى تحقق المقصود من هذه المقاصد.

نرى أن العلماء الموجودين الآن ليس لهم مطلع كبير على علم مقاصد الشريعة لأننا ... طويل ... بين علم أصول الفقه وعلم مقاصد الشريعة

كما نجد أنفسنا نتفق مع الشيخ ابن عاشور من المقاصد العامة كالتي أشرت إليها، والمقاصد الخاصة التي يُعنى بها الفرد وحده ويخصه في ذاته وشخصه دون غيره، كأن أتفق معك أو أجري عملية من عمليات الاقتصاد أو التجارة ... من هذه العمليات التي أقوم بها معك، والتي أحرص على ... من ذلك نماء؟ الجواب من أجل تحقيق مقصد معين، وهذا المقصد يحميني أنا باعتباري متعاقداً معك، ويحميك أنت باعتبارك الطرف الثاني في عقد التعاقد، ولا ... الطرفين الأول والثاني ... المعاني ... المقصد الواحد.

طرق ومناهج الاستفادة من المقاصد

وإلى جانب هذه هنالك طرق للاستفادة من المقاصد بمعنى أنه حينما يأتي إنسان ويقول هذا مقصد شرعي، نقول له من أين لك هذا؟ وكيف توصلت إليه؟ هنا نجد طريقة السلف التي ذكرها الشيخ ابن عاشور لكنه لم يأخذ بها، مبيناً أن المنهج الذي استعمل من طرف السلف رضي الله عنهم لا يمكن تطبيقه في كل مقصد من المقاصد، فهو يوجد أحياناً ويختفي أحياناً أخرى، فالجمع بين هذه الأحكام الشرعية التي ورثها الناس من السلف الصالح من الرسول ﷺ (كانت تأتيهم عن طريق القرآن) وعن طريق الحديث وعن طريق الجواب الذي يقوله الرسول ﷺ لأمته، حينما يُسأل عن قضية من القضايا... فكل ذلك يختصر في النص فيصبح قاعدة أو ... ثم يصبح مقصداً معتبراً في الشريعة. لكن يبقى الكثير من المسائل التي لم يسأل فيها الرسول ﷺ، وهي كثيرة من المسائل التي ظهرت فيها اجتهادات الصحابة أو التابعين، وطريقة هي ليست دقيقة جداً ولذلك لم يعتمد الشيخ ابن

عاشور من أبواب المقاصد وهنا نجد أن الطرق التي أشار إليها الشيخ ابن عاشور هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو في معظمها، وهذا يخص الأوصاف الشرعية، أو أوصاف الشريعة ثم غايات الشريعة العامة، ثم المعاني التي تفيد تفريعاً عن تلك المقاصد من الصور التي لم تذكر لأنها تحتاج إلى شيء من التوسع، ثم ما نسميه الحكم. فالمقصد أساساً هو الحكمة، عندما نقول الآن مثلاً: ما هي الحكمة في تحريم الخمر؟ فهذا مقصد، وعندما نقول ما هي فلسفة الصوم مثلاً؟ فهذا مقصد، ونقول مثلاً: لماذا يجتمع الناس في كل سنة ويكررون هذا الحج؟ وهناك من لا يكتفي بالمرة فقط؟ نجد كذلك جواباً عن هذا. فكل الأجوبة المتصلة بالأحكام الشرعية هي مقاصد باعتبار أنها هي التي تبرر الالتزام بهذا الحكم أو المشروع له.

وإلى جانب هذا، نتحدث عن المقاصد الأعمالُ والتصرفاتُ المخصوصة بذاتها والتي تسعى النفوس لتحصيلها بمساع شتى، أو تحمل الأحكامَ على السعي إليها، فيكون ذلك امتثالاً منا للحكم الشرعي لتحقيق ذلك المقصد، ومن جانب آخر تحكيماً لما اختاره العقل وقضى به وسنستنه وامتثالاً لحكم الشريعة لأنها هي التي تعطي إلى السعي لمعرفة تلك المقاصد. والقرآن الكريم يشير دائماً إلى هذا الجانب العظيم الذي هو التدبر: كيف نتدبر القرآن؟ وكيف نقوم بدراسته؟ فهي هذه الدرجة وفي ذلك التدبر نقوم على هذه المسائل المطلقة والمبهمة.

بجانب ذلك نجد في المعاملات مقاصد هي مواد الأحكام المتضمنة للمصالح والمفاسد في أنفسها، بمعنى هذا أن المعاملات التي لا تستقيم حياة الناس إلا بها، لأنني عندما أتعامل مع غيري لأمر موجود وأتمم بوجودي، يظهر ما أنا في حاجة إليه

مما ليس بين يدي، أريد أن أطلبه منه، وما عندي أنا ولا يستطيع الوصول فأمكنه من ذلك، فهذا التعامل بيني وبين الغير، التعامل بين الناس، بين المسلمين مع بعضهم أو بين المسلمين وغيرهم، هو تعامل مقابل يتمثل في موارد الأحكام، فعندما يقول الشارع: لا تفعل، أو افعل، أو يؤكد الشارع عليه أو يجعله أمراً من شيء، هذه الأحوال كلها تصور لك موارد الأحكام التي هي قسم من أقسام المقاصد.

ثم هنالك تمييز بين المقاصد العامة التي ذكرناها أولاً والمقاصد الخاصة التي أشرنا إليها بالمبايع وبالتعامل وبالتقاضي وبالتنازل عن الحقوق إلى غير ما يكون بين الناس، هي الكيفيات المقصودة للشارع لتحصيل مقاصد الناس النافعة أو لحفظ مصالح الأمة في تصرفاتهم الخاصة، لأن الأمة كمجموع تكون لها مقاصد والجماعات ينبغي أن تكون متفقة مع المقاصد العامة التي يطلبها الإسلام، وإلا فإنه لا يكون من تلك الأمة.

القرآن الكريم يشير دائما إلى شيء عظيم واساسي هو التدبر كيف نتدبر القرآن ؟ وكيف نقوم بدراسته ؟ فهي هذه الدرجة وفي ذلك التدبر نقوم على هذه المسائل المطلقة والمبهمة

ما هو المقصد؟

وأعود الآن إلى شيء أساسي كنت تجاوزته بحكم ارتباط الفصول بعضها ببعض، وهو معرفة ما هو المقصد. نقول: قصد يقصدُ مقصداً وقصداً، بمعنى طلب الشيء وأراد الحصول عليه، فإذا تمَّ له ذلك فقد حصل المقصود. ونجد أن هذا المعنى هو وليد الاستعمالات اللغوية، لأن المقصد يكون بمعنى الاتجاه، فعندما يكون هناك شيء اتجهت بكثرة واستمرار يكون هذا مقصدي، ولو لم يكن مقصدي لما اتجهت عليه، ويكون الاتجاه بهذه المقاصد إما مرغوباً فيه، وإما غير مرغوب فيه. فإذا كان المقصد سيئاً فلا يجوز لك أن تفعل ما أراد، فكان طبعاً وشرعاً على الله أن تمنعه، وفي هذه يفرق بين هذا وذاك في الفكر والعقل، ثم نجد أن بعض اللغويين لا يسمح بإطلاق لفظ (المقصد) على الشيء السيئ إطلاقاً

من أن المقصد الشرعي لا بد أن يكون حسناً ومستقيماً (وقد نطلق المقاصد) على العمل في السلوك، وعلى التوسط والأمة وسطاً، وعلى عدم التفريط والإفراط، لأن عكس ذلك يعني العمل الذي يقوم به الإنسان ليصبح بعيداً عن المقاصد المطلوبة لأنه تفريط أو إفراط ويباعد ما بينه وبين ذلك المقصد الشرعي.

وانطلاقاً من هنا أريد أن أشير إلى أن هذا التعريف هو تعريف لغوي أخرجت منه في الاستعمال كثير من المعاني التي لا سنعرف عنها لأنها معقدة، وتسمح لنا هي ما أشرنا إليه من الفتوى تأسيساً على أن الأحكام الشرعية مستندة إلى أدلة هي التي تضبط الحكم الشرعي، وإذا كانت هذه الأحكام وتلك الأدلة ثابتة فلا نحتاج إلى فتوى ولا اجتهاد.

متى ينبغي الاجتهاد

ومتى تتعين الفتوى؟

إذن، متى يتعين أن نجتهد؟ ومتى تتعين الفتوى؟ والجواب إن كان الأمر بين حالين: هنالك جانب نلاحظ به، وهنالك جانب للامتناع عنه، فهم التضارب، فالعقل المتدبر هو الذي يتولى التفريق بين ما هو مقبول وما هو غير مقبول. ومتى تأتي الفتوى أو الاجتهاد وقت الفتوى أو الاجتهاد لأن المفتي والمجتهد لا يأتي بشيء من عنده بل يأتي بما استأنس به من طرق حكمية في الشريعة الإسلامية تنبه صاحبها إلى أن الرسول أخذ بكذا في كذا، وتتبع كذا في كذا، ولا تكون هذه الأشياء بعيدة عن النص الظاهر الذي جاء في القرآن أو السنة لكنه تأويل بوجه آخر ليس أجنبياً عنه. وأنتم تعلمون أن اللغة العربية كثيرة من الكلمات التي يمكن أن تشرح ما في نفس صاحبها، لكن عندما أستمع أنا إلى هذه الجملة التي قالها فلان، وتستمع أنت إلى نفس الجملة قد لا تكون مشتركين في درجة فهمها. وطريق الوصول إلى هذا هو الاجتهاد، ولهذا كان الاجتهاد في الماضي جهاداً فردياً لأن العلماء كانوا قادرين على الرجوع إلى مصادر التشريع بسهولة ولم تكن هنالك الحاجات

الترجيح هو المسؤولية الكبيرة والخطيرة والقوية التي ينبغي أن نؤول إليها في فتاوانا

الاضطرارية والضرورية التي نعيشها في عصرنا الحاضر، والتي تفرض علينا أن ننظر في القضايا المستجدة، والمسائل التي لا علم لنا بحكمها في الماضي، وهذا يقتضي منا النظر والترجيح. والترجيح هو المسؤولية الكبيرة والخطيرة والقوية التي ينبغي أن نؤول إليها في فتاوانا.

إلى جانب ذلك أريد أن أشير إلى أن هذه المقاصد تختلف بين أحوال الناس وأجناسهم، لأن ما يصلح لأحدهم قد لا يكون كذلك بالنسبة للآخرين، وأن مقاصد الناس في تصرفاتهم هي المعاني التي لأجلها تعاقدوا أو تعاملوا (من المعاملات) أو تقاضوا أو تخاصموا أو تصالحوا، فهذه تصور من التطبيقات للأحكام الشرعية التي لها غرض معين منضبط من ورائه هو المقصد الشرعي.

والمقاصد على أنواع باعتبار رتبة عليا ورتبة دنيا، أما الرتبة العليا فهي ما يتفق عليها عقلاء وجمهور علماء، ولأنها لانتظام حياتهم الاجتماعية، فإذا كانت تعين على تحقيق هدف فذلك مقصد.

وأما الرتبة الدنيا فهي تلك التي يتسوغها أو يلاحظها فريق من الناس أو يشعر منهم في تصرفاتهم ويرونها ملائمة لبعض أحوالهم، وهذا يدل على أن فيها، فتكون تلك المقاصد مرتبطة بشخص، أو بمجموعة من الناس.

ومن الذي علاه الفقه، فتحياً بخوارهم الاختلاف في الأحكام قد يكون الاختلاف برهان ودليلاً وحجة، وقد يكون لاختلاف زمان ومكان، فإذا كان الاختلاف زماناً ومكاناً فالقضية الأصلية غير واردة، لأن الحكم الشرعي جاء به دليل بدهي، ولكن كيف ننزل هذا الدليل ونطبقه على حياتنا العملية؟

وانطلاقاً من هذا فيسعني أن أذكركم بأن المقاصد نستطيع أن نسميها أيضاً حقوقاً، فإذا قلت إن مقصدي من كذا هو كذا: فمعناه أن من حقي أن أصل إلى المقصد، لا يلزمني فيه أحد، وهذا ذاتي

بحوث كثيرة ودراسات متعددة. منها أن الحقوق ثلاثة أنواع:

- ما هو حق لله تعالى، وينبغي أن نحترمه كمسلمين وكمتمسكين بشريعته، وهذا الحقوق الذي نريده هو إعطاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ حقه. فالحق المتفق عليه بالنسبة لله ـ سبحانه وتعالى ـ هو العبادة له والإيمان به. ولكننا هنا لسنا في مجال الحديث عن العبادة لله والإيمان به إلا أن ما نريد الإشارة إليه هو أن المقصود من حق الله تعالى هو أن الضعفاء والفقراء وأصحاب الحاجات الذين لا يجدون من يعطي لهم حقوقهم، الذين سنتولى عنهم بإعطائهم أي ذلك حق من حقوق الله، ومن هنا بعد الاعتبار يفرض علينا أن نكون على الأوصاف العالية الكريمة التي جاء بها القرآن والسُّنة، وهي الحس الضميري للأمة وللمجتمع الإنساني حتى نخرجه مما هو فيه من بؤس وشقاء وفقر.

وإلى هنا نشير إلى أن هنالك حقوقاً فردية للإنسان الفرد، وهذا أمر معروف، فأنا لدي حقوقي ولي مقاصدي، ولست أنت ممن يشاركني فيها، ولذلك ينبغي أن تحترم هذه الحقوق، وأن تضحي إن كان في وسعك لتحقيق المساعدة، وإما أن تكون هذه الحقوق مشتركة: بمعنى مشتركة بين العبد وربه، لتكون من جهة مطلوبة لله ـ كالتي أشرنا إليها ـ ومن جهة أخرى مطلوبة لآحاد البشر أو لآحاد الناس فيما يكونون فيه من أوضاع اجتماعية واقتصادية وغيرها، فهذه الحقوق تصنف على أنها حقوق مشتركة أو مقاصد تبنى لتحقيق الغاية منه.

العقل والنقل

وأريد أن أشير إلى أن كل ما عندنا في الفقه الإسلامي وفي الشريعة الإسلامية يرجع إلى كتاب الله القرآن الكريم، نحن نُعمل العقل ولكن مع إعمال العقل لابد من النقل، لابد من التوفيق، وقد قال تعالى:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ سورة النحل، الآية 89

فكون القرآن تبياناً لكل شيء، وكونه هدى، وكونه رحمة، وكونه بشرى، هذا يعني أنه يطرح المسائل ويبين بعللها، ولذلك فإن رجال وعلماء المقاصد وقفوا عندها وتعمقوا في تناول نقاط، بما لا يسمح المقام والوقت بتناولها جميعاً.

فالشيخ محمد بن الطاهر بن عاشور ـ في كتابه (مقاصد الشريعة) ـ قال: المقاصد التي تضمنتها هذه الآية تنحصر في عدة أمور منها:

أولاً: إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح. فما معنى إصلاح الاعتقاد؟ إنما جئت لتقوم بالدعوة إلى الإسلام وتطهير النفوس من أرجاسها وأرجع إلى العبد حقيقته من الله، والانحراف بحمده وتفضله، والإقبال على توحيده وعدم الإشراك به، فهذا مقصد شرعي، كيف تم هذا المقصد الشرعي؟ تم بهذا التعليم للعقد الصحيح، أي للاعتقاد الصحيح.

الأمر الثاني: تهذيب الأخلاق، فالمدرسة تقوم بتهذيب الأخلاق، والمربون يقومون بتهذيب الأخلاق، ومرجعنا في ذلك كله هو أخلاق الرسول ﷺ الذي قد شهد له الله بقوله:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ سورة القلم، الآية 4

فهذا الخلق العظيم الذي له أثره في الحياة الفردية الشخصية، والحياة الاجتماعية بالنسبة للجماعات المتضامنة والتي تعيش في مكان واحد مع بعضها، وعلى المصالح الاقتصادية أو السياسية أو غير ذلك فهذا كله يحتاج إلى شيء من الخلق الكريم، وهذا الخلق هو الذي يمنع صاحبه من الانحراف عن المبادئ، ولذلك فهو مقصد من مقاصد الشريعة التي نبه إليها القرآن الكريم.

وبعد هذا لابد أن أشير إلى أن التشريع الإسلامي الذي جاءنا من الله جل وعلا قد تضمنه القرآن ـ كما ذكرت ـ وتضمنته السنة، لكن هل أوجد تدبير كل الجزئيات التي نحتاج إليها في حياتنا اليومية؟ لا، فيها جزئيات وأمثلة ذكرت لها العلل والأسباب والحِكَمُ والمصالح، لكنها قواعد كلية، لأن القاعدة الكلية تستطيع أن تضم آلاف جزئية، ولذلك

فالفرق بين الكليات والقواعد الكلية وبين الأحكام التي تنطبق عليها لا يكون بتفحص الجزئيات ولكن بمعرفة دلالاتها. نحن نعرف فالقواعد الكلية مثلاً (الأعمال بالنيات) فهذه قاعدة من القواعد الكلية، وعندما نريد أن نطبقها كمقصد [illegible] الأعمال بالنيات فالمقصد هو أن لا شيء يصح إلا بنية. لذلك قال النبي ﷺ في حديث آخر (لا عمل إلا بنية). ولذلك فكيف السبيل إلى هذا؟ بالرجوع إلى القواعد الكلية، والتي جمعت من الضوابط التي حددها علماء بالنسبة إلى القواعد. وهذا هو الذي من أجله تقوم الآن في مجمع الفقه الإسلامي بإعداد ما يسمى معلمة القواعد التي هي في الواقع سابقة على ظهور علم الأصول فقد احتاج الناس إلى القواعد فالتفتوا [illegible] ومنهم الصحابة رضي الله عنهم، والجمهور [illegible] [illegible] أن يؤخذ عنه أصول الفقه. ولما جاء [illegible] أصول الفقه [illegible] [illegible] واصبحت [illegible] القواعد كي يستعمل أحكام الاستنباط الشرعي.

سياسة الأمة من مقاصد الشريعة

وبالإضافة إلى هذا هناك مقصد آخر [illegible] [illegible] [illegible] إليه [illegible] تكون في أشد الحاجة إليه اليوم لأن الناس في الماضي كانوا على [illegible] من أمرهم، إما أن يحتجوا به وإما ألا يأخذوا. فإن أخذوا به فهم الرشداء، وإن لم يأخذوا به فلن يضروا أحداً شيئاً. أما اليوم فإن سياسة الأمة تعتبر مقصداً من مقاصد الشريعة. وهي تتمثل في صلاح الأمة وحفظ نظامها، [illegible] [illegible] هذا الأمر من جهة حفظ النظام، أو من حيث إدخال ضروب من الإصلاح على الناس في حياتهم اليومية [illegible] ذلك تفسد كل شيء، فيصبح كل فرد يعتز برأي ويختلف عن صاحبه ويجذبه ونزعته إلخ، وبذلك فإنه لن يستطيع أن يجمع كلمة المسلمين، ولا أن يوحد أنظارهم، ولا أن يكونوا اتجاهاً علمياً واحداً من شأنه أن يوحد [illegible] بالنهج. ولذلك أصبح من الضروري تحديد هذه الحقيقة التي هي سياسة الأمة. وقد نبه إليها القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ (سورة آل عمران: 103)

هذا كله يرجع إلى سياسة الأمة. والتي يقوم بسياسة الأمة هو المسؤول عنها، والمسؤول عنها ينبغي أن يكون متمكناً من الشريعة. ومن [illegible] [illegible] ومن حوطه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يحدث من فساد للأمة أو اضطراب [illegible] لا [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] حتى يصبح من [illegible] القواعد أو المقاصد التي تعني المجتمع الإسلامي.

> **هناك المقاصد العامة والمقاصد الخاصة، وهناك المقاصد في المعاملات، وكل نوع من هذه المقاصد يعبر عن شيء بمسائل دقيقة وملاحظات علمية، من الواجب أن تطلع بها الباحث على الأشياء الضرورية التي يمكن ألا تغيب عنه**

ثم هناك نوع آخر [illegible] الحكم وقد أرجعه الله سبحانه وتعالى في كتابه إلينا، وتمسك به الرسول ﷺ لكم هو [illegible] [illegible] [illegible] وما ورد عن الأمم السابقة لأن هذا من شأنه أن يجعل [illegible] كيف نقول في هذا العصر، طريقة تعليمية يطلب الطريقة النظرية. فعندما نقول لك افعل أو لا تفعل أو هذا خير أو هذا شر فهذا مجرد رأي نظري، لكن السؤال: كيف الوصول إلى تطبيقه عملياً؟ والقرآن الكريم والسنة النبوية وسير الأمم كلها ترشح بهذه الحقائق التي لا بد من الأخذ بها. قال تعالى:

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (سورة الأنعام: 90)

فالاقتداء بما كان عليه الصالحون من [illegible] هذه الأمة، وأخذهم بهذا المنهج الذي [illegible] إليه [illegible]

تعالى بمحمد على الخير يكون من المقاصد الأساسية

مصلحة نحن مسؤولون عن تحقيقها

ومن المقاصد الأساسية التي قد تكون جديدة وهي مستجدات عصرنا الحاضر وإن كان السابقون قد تطرقوا إليها كل بحسب عصره، ألا وهي التنمية. فعندما نقوم بتعليم الناس فهذا سيقودهم إلى المصلحة الكبرى والسعادة القائمة في أوساطنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية وخصوصاً في تعليم الناس العلوم خصوصاً أي العلوم الرياضية والعلمية والطبيعية وما إليها، فهذا الذي يحسب للخروج من العجز الذي نحن فيه وهذا هو العلم الذي ينبغي ألا نفرط فيه وأن نجاهد من أجل الوصول إليه لأنه يعتبر مصلحة نحن مسؤولون عن تحقيقها. ولكن قبل ذلك لا بد من إدراك ومعرفة أن الأساس الذي تنبني عليه هو الإصلاح النفسي والخلقي، فإذا كانت النفوس مريضة، والمجالات التي نعمل بها تحتاج إلى علاجها ومقاومة التيارات الفاسدة المعرضة التي جاءت لتترك وتعطف ولتحرق عملنا واجتهادنا جميعاً، من هنا ينبغي أن نقوم عيوبنا كشعب، وذلك بما يتحسب المعاصرون وما يوصلهم إلى توطيد الشريعة وتعلم الأخلاق.

وإذا كانت المناهج التعليمية تفرق بين ما يأمر به الكتاب أو ما جاءت به السُنة فإن النبي ﷺ قد أمر بعض الناس بالسعي في بعض الجوانب من حياتهم، ولم يجعلها مقصورة على الفلاحة أو التجارة أو الصناعة لكي كل هذه النصوص تدعو لطابع الإسلام، وجعل الدين أساسها، وجعل الخلق الرضي الشرعي هو المعتمد في تطوير هذه النفوس وجعلها قادرة على التجاوب مع المعطيات التي تعيش فيها.

ومن مقاصد الشريعة أيضاً الموعظة، أنت مثلاً: تعظني وتذكر علي أني فعلت كذا لا فإنا ينبغي أن أستجيب لموعظتك لكن بعد فهمي هذا الوعظ وكذلك النذر تُعطيني إياه وتريد معاقبتي عليه فهنا أيضاً يحتاج إلى نظر وكذلك التحذير والتحذير فكل هذه الأشياء هي قواعد سلوكية أو مقاصد شرعية.

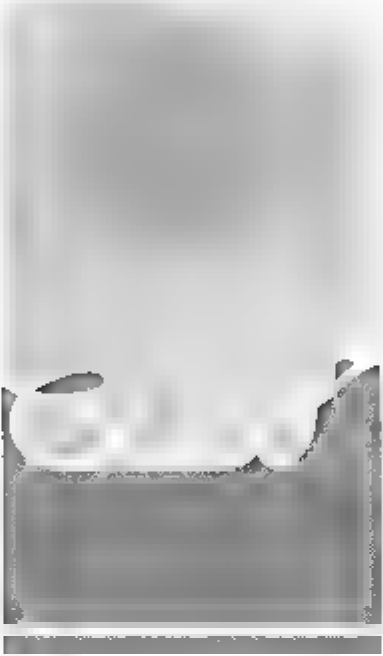
وأود أن أشير بإيجاز إلى أن المصلحة يجب أن تحقق المقاصد الشريفة، والمقصدية هي التي يدركها هذا الفرع الصادق الثابت.

تقدير المصلحة ومعرفة آثارها

ومن جاء ... قال وصف الفعل بكونه يحصل به الخير، ويُكتسب به الخير، وهو معنى المصلحة، ومعناه الظهور وغلب على الجمهور وعلى الأفراد لا يكاد يخالف فيه أحد، لأن الانحراف والتحول عن الجادة أمر ظاهر، وكل منحرف عن الجادة، وكل ... تستقل التي أشرت إليها يشعر من تلقاء نفسه ويدرك أنه يأتي هذا الأمر غير مسموح به وأنه خطأ، فتقدير المصلحة ومعرفة آثارها في جلب الخير ودفع الضرر مما هو المقتضى الأساسي للمقاصد الشرعية، هو الذي ينبغي أن نجعله وجهتنا وطابعنا في كل تصرفاتنا وأعمالنا.

واسمحوا لي في الختام بكلمة صغيرة قبل أن نغادر المجلس وأهله، وهي مستفادة مما ذكرت لكم عن سير العلماء والباحثين الشخصي الذين كانوا يتنقلون من أطراف البلاد طلباً للعلم ورغبة في الاستفادة من الشيوخ، وعلى هذا فلست أنا من يُشكر بل الذين يُشكرون هم أنتم وأعني جمعية الدعوة الإسلامية العالمية وكلية الدعوة الإسلامية والمؤسسات العلمية الموجودة في هذا المحيط الزاهر المتفتح والمتطور يوماً بعد يوم والمتكامل لماذا؟ لأنه مع التسليم ولو نسبياً بتفضيل العلماء، فإن فضل الأبناء مقدم على فضل العلماء، إذ لولا وجود الأبناء لما وُجد العلم، ولما وُجد المعلم، فهؤلاء يأتي دورهم في الأخير، فالأمل فيكم، والرجاء من الله أن يحقق أمانيكم ومطالبكم لتتحول من وضع مجتمعاتنا الإسلامية وتكون في المرتبة العالية التي تنشدها.

وشكراً لكم والله المستعان



الشيخ محمد علي التسخيري

الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية - إيران

الحوار هو المنطق الإنساني السليم في نقل الفكر إلى الآخرين

الشيخ محمد علي التسخيري

الحوار هو المنطلق الإنساني السليم في نقل الفكر إلى الآخرين

• أجرى الحوار: محمد حسن جونا *

من دون الحصر بخطاب مذهبية بعينها، ومن منطلق التوازن بين الأصالة والمعاصرة بين الخصوصية والعالمية والثوابت الإسلامية، يدعو المفكر الشيخ محمد علي التسخيري إلى اعتماد خطاب إسلامي حر من الخصوصيات ولكنه ملتزم بنقل مفاهيم الدين الحق إلى الآخر، وهنا يحتم التمسك بشرط واحد، أن يمتلك الخطاب بأسلوبه أسسه تستقي من اجتهادات المجتهدين، وقدرة المفكرين على استنباط المعارف من منابعها الأصيلة، دون إغفال الواقع والمعطيات الراهنة.

الحوار مع المفكر الإسلامي الشيخ محمد علي التسخيري أحد الرموز الإيرانية يكتسي أهميته وعمقه، والأكثر من ذلك بساطته ونقاءه

• وأنت تشارك في أعمال الدورة الرابعة عشرة للجنة التنسيق للعمل الإسلامي في مجال الدعوة الإسلامية كيف تنظر إلى هذه الجهود؟ وهل من نتائج ملموسة على أرض الواقع يمكن أن نتحدث عنها؟

• يبدو أن مسيرة لجنة تنسيق العمل الإسلامي في أصلها مسيرة خيرة ومباركة، فهذه اللجنة تشكل أهم نافذة للتعاون بين المنظمات الشعبية العاملة في مجال الدعوة والعمل الإسلامي في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي وهي منظمة رسمية، وقد تؤكد كل المنظمات الدولية أنها لا ارتباط عن تحقيق أهدافها العليا بمد جسور للتعاون والتنسيق بينها وبين منظمات المجتمع المدني وهذا ما تفعله اللجنة الآن، المنصبة في مجال العمل الثقافي والعمل الصحي والأعمال الأخرى، ولجنة تنسيق العمل الإسلامي بدأت بمسيرة متواضعة ثم تطورت وكبرت، وأفرعت، وأعتقد أنها كسرت نوعاً ما من التعامل بين المنظمات الرسمية، أو على الأقل فكت حواجز التشكيك عن نشاطات الدعوة الإسلامية إلى

* كاتب وإعلامي وأستاذ جامعي - ليبيا

المسؤولين الحكوميين في البلاد الإسلامية وكثير من قراراتهم تستلهمها من الجهات الخارجية. وبالتالي فإنني أعتقد أنها تترك أثراً لكنه لا يعد الأثر المطلوب، فالأثر المطلوب يوم نؤمن به ونعترف بضرورته عندها يصبح دائماً يحقق التماسك والتنسيق الواسع بين المنظمات الدعوية. لأن واقع الحال لا يرضي العمل المرجو، خاصة بعد هذا الهجوم الكبير على وجود الأمة وعلى ثقافتها. وهذه التحديات الضخمة التي تواجهها. وفي اعتقادي أنه يجب أن تشكل هذه اللجنة بشكل أكبر حتى لا يحدث خلل في هذا المجال، أي أن الخطوات التي خطوناها جيدة إن لم تكن ممتازة لكنها ما زالت دون الطموح.

الخطاب الإسلامي هو مضمون الصورة التي يقدمها المسلم إلى إخوته المسلمين وإلى غيرهم من أبناء الثقافات والأديان والحضارات الأخرى

● لو نظرنا إلى المعطيات الموجودة في العالم الآن سواء في العالم الإسلامي أو في العالم بشكل عام وبالتالي كيف تنظر إلى حركة الدعوة الإسلامية والعمل الإسلامي في ظل ما يحيط بالإسلام والمسلمين في هذا الوقت؟

● لو قارنا بين حجم العمل الإسلامي والدعوة الإسلامية، واتساع حركة الدعوة ونشاطاتها، وبين التحديات التي تواجه الأمة، نرى أن العمل غير متناسب، فعظمة الهجوم وشراسته تستدعي منا أن نبذل أكثر بكثير مما نبذله الآن لكي نواجه الضربات التي توجه إلى ثقافتنا وإلى أمتنا، وأنا أعتقد أن هذه الأمة يجب أن تبذل أكثر مما تبذله الآن لكي تحقق غرضين مهمين هما: أن تصد الهجوم على وجودها وعلى ثقافتها، وأن تربي جيلها التربية السليمة حتى يستطيع أن يحمل أعباء المستقبل ويحقق النجاح والقيادة المطلوبة.

● وماذا عن الخطاب الإسلامي المعاصر؟ وفي رأيك ما المقصود تحديداً بالخطاب الإسلامي؟ سواء الموجه إلى المسلمين أو إلى هذا الجيل الذي تتحدث عنه أو إلى الآخر.. إلى غير المسلمين؟

● ما يمكن فهمه من مصطلح الخطاب الإسلامي هو مكونات الصورة التي يقدمها المسلم للآخر بمعنى أن المسلم مكلف أن يوصل الحقيقة إلى غير



من المسلمين وأيضاً مكلف أن يوصل الصورة إلى الآخر من غير العالم الإسلامي، فالخطاب الإسلامي - إذن - هو مضمون الصورة التي يقدمها المسلم إلى إخوانه المسلمين وإلى غيرهم من أبناء الثقافات والأديان والحضارات الأخرى، وباعتقادي أن الخطاب يمكنه أن يعطي هذه الصورة. ويمكن أن يعطي القرآن للخطاب الإسلامي أفضل الملامح والخصوصيات لكي يكون الخطاب مساهماً بدوره في التغيير المطلوب.

وفيما يتعلق بالخطاب الإسلامي المعاصر فأرى أنه يتراجع ويتعثر، وأحياناً يعيش حالة من الطوباوية (المثالية) وأحياناً يعيش الهموم الفردية أو الجانبية، وأحياناً لا يعرف كيف يحدد مخاطبيه. وبالتالي فإن الخطاب الإسلامي اليوم يحتاج إلى أهم عنصر يفتقده وهو التوازن، ولذلك يجب أن يكون خطابنا الإسلامي خطاباً متوازناً بين التحدث بلغة الناس وبين مسألة العمق في الفكرة، يجب أن يكون متوازناً بين الأصالة والمعاصرة، بين الشمولية العالمية وبين الذاتية الإسلامية، ويجب أن يكون خطاباً إسلامياً متوازناً بين الاهتمام بالقضايا العالمية وبين التركيز على القضايا الإسلامية الداخلية، كما يجب أن يحقق توازناً في الشخصية الاجتماعية والفردية حتى لا تقع أو لا يقع هو في الإفراط أو التفريط في الغلو أو الشخصنة، وفي محاولة للهرب أو تحقيق المصالح الشخصية الفردية على حساب مصالح الأمة العليا. وأنا أعتقد أن خطابنا الإسلامي اليوم مثلما يحتاج أكثر ما يحتاج إلى التوازن، أن يكون هو متوازناً، لأن دين الإسلام متوازن في نظرته وفي مواقفه وفي سلوكه وفي تعامله وفي أخلاقه، في كل شيء. والتوازن والوسطية هما سمة إسلامية عامة.

* ما دمت تحدثت بالأصالة إليه فهل تستطيع أن تقول إذاً المرتكزات التي ترى أن على الخطاب الإسلامي المعاصر أن يستند إليها وينطلق منها؟

* نعم هذا ما وصلتُ إليه، ولكن حتى أشير إلى أن الخطاب الإسلامي المعاصر يجب أولاً - كما قلت - أن يلتزم بالأصالة، فهي أول مرتكز عليه أن يعتمده وأن يقوم عليه، وأن يعرف كيف يتلقى مفاهيم الإسلام من مصادره الأصيلة من الكتاب والسنة، ويتلقى ذلك بأمانة معتمداً على اجتهاد المجتهدين وقدرة المفكرين على معرفة الإسلام من منابعه الأصيلة، كما أن عليه أن يرتكز على معرفة الواقع، بمعنى معرفة الواقع في العالم الإسلامي، ومعرفة التحديات التي تواجه العالم الإسلامي، وإدراك نوع المجابهة ونوع المواجهة التي تتطلبها هذه التحديات، مطلوب إذاً عليه أن يرتكز بجذوره وفي نفس الوقت عليه أن يعرف واقعه القائم، ويعالج مشكلاته عبر هذين المرتكزين، أي أن يجمع بين الأصالة والمعاصرة.

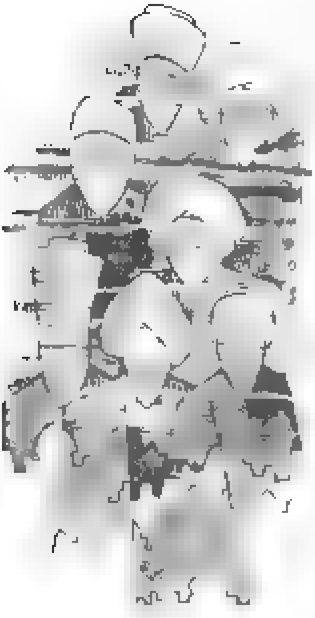
> الإسلام أعلن منذ يومه الأول انطلاقته العالمية
> * يعمل على بث عنصر الحوار المنطقي بين الشعوب
> * لا يفرض على الشعوب أيديولوجيته
> * لا يحاول سلب الشعوب الأخرى ثقافتها ونمط حياتها
> * لا يعمل على إشاعة مفاهيم استهلاكية كتسويق مفاهيم الاستهلاك

* الحديث عن الخطاب الإسلامي يقودنا إلى موضوع آخر هو هذه الحملة التي يتعرض لها الإسلام والمسلمون، كما تعلم، من خلال عدة وسائط إعلامية، وغير إعلامية في سياق ما يسمى العولمة، فهل لك أن تقدم إلينا قراءة مختصرة في هذا الجانب؟

* أنا أعتقد أن الإسلام أعلن منذ يومه الأول انطلاقته العالمية، وفي الآيات الأولى النازلة على رسول الإسلام ﷺ نجد أن الإسلام يقول:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (ص: 87)

وهو يعبر عن عالميته في هذه الآية وبالتعبيرات الأخرى، والإسلام كما نعرفه يريد ويشجع أن تنتقل الإنسانية إلى العلاقات الإنسانية العالمية، وأيضاً يركز أيضاً على الجانب الفطري وهو الجانب المشترك بين أبناء الإنسانية، كما يركز على العلاقة



بين الشعوب، والعلاقة بين أفراد الناس ويخاطب البشرية جميعاً كي تتجه نحو التعارف والتآلف والتعاون. فالعالمية الإسلامية تمتاز بصفات، ومن هذه الصفات التي تمتاز بها هذه العالمية - كما قلت - مسألة التعارف، والتعارف هي الأمر الذي [illegible] عليه العالمية الإسلامية [illegible] الآخر [illegible] بمعنى أن الإسلام يعمل على [illegible] العرق [illegible] بين الشعوب، ولا يفرض على الشعوب أيديولوجيته، ولا يحاول سلب الشعوب الأخرى ثقافتها [illegible] وإن كان يعمل على [illegible] إلى [illegible] الأفضل [illegible] لا يعمل على [illegible] حقوق الآخرين ونهب ثرواتهم، ولا يعمل على إشاعة مفاهيم مصلحية كتحقيق مفاهيم الاستهلاك بل إنه يوازن في توجيه البشرية بين الإنتاج البشري، وبين العدالة الاجتماعية في التوزيع [illegible] فالعالمية الإسلامية لا تتحرى ما يؤدي إلى الإضرار بالأفراد والمجتمعات بل تعمل على عطاء كل ذي حق حقه، وتوفير الأمن بكل أنواعه للجميع، وبالتالي فالإسلام يعمل من أجل نشر القيم الإنسانية والقيم الأخلاقية ويعمل على إشاعة المحبة بين الناس وهذه مفاهيم واضحة جداً في الاتجاه الإسلامي [illegible] عليها ويدعو لها، في حين أن العولمة، أو الاتجاه العالمي الأمريكي الغربي اليوم يتصف بالإكراه الثقافي كما [illegible] الشكل [illegible] العقل العسكري ويتصف أيضاً بأنه يعمل على تعميم العقل الرأسمالي فيما يتعلق خاصة بالاستهلاك ويتدخل في شؤون المجتمعات الأخرى الاجتماعية وحتى الدينية وهذه العولمة لا تعير أي معنى للقيم الأخلاقية بل تسخر الأخلاق للوصول إلى مآربها السياسية [illegible] مفهوم العولمة [illegible] [illegible] بمكيالين، وحتى حقوق الإنسان تتعامل بها بمكيالين، فهي تنظر إلى الإنسان الأمريكي أو الأوروبي على أنه إنسان له حقوقه، في حين تتعامل مع الإنسان غير الغربي تعاملاً مختلفاً ولا تراه يستحق حقوق الإنسان، وهذا ما نلاحظه في كتابات المستشرقين الجدد اليوم الذين يرفضون أي [illegible] العولمة الغربية [illegible] الظروف المواتية لها من أن تستغل

في طبيعة وثقافة بين ... الوحشية وبالتالي
... مع العالمية الحضارية الإنسانية ولكنها ضد
العولمة الأمريكية المتوحشة.

● هنا يبرز السؤال: أين دور وسائل ووسائط الإعلام والاتصال سواء أكانت مسموعة أم مقروءة أم مرئية أو حتى من خلال الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)؟

● وسائل الإعلام وظيفتها أن تنقل الصورة الحقيقية، وتقول للجميل أنت جميل، وتقول للقبيح أنت قبيح. وعلى هذه الوسائل أن تبرز الجانب الإنساني من العالمية الإنسانية، وعليها أن توضح للجماهير الجانب القبيح من العولمة الأمريكية؛ لأن رسالة وسائل الإعلام هي تبصير الناس بالحق، وأن تدع الإنسان الحر حق ... وتبين المفاهيم الباطلة باطلة ... وهذه هي رسالة وسائل الإعلام. أما فيما يتعلق بالعولمة الغربية فيجب أن تبرزها وسائل الإعلام بكل ما فيها من قبح، والعالمية الإنسانية الإسلامية يجب أن توضحها وسائل الإعلام ... على الأقل للجماهير لكي يدركوا ... وعظمتها.

● وطبعاً بالنسبة لما يتعرض له الإسلام والمسلمون من تشويه متعمد، من قبل الغرب خاصة، وهذه الإهانات المتكررة لنبينا ... المصطفى ... على الشريعة ... العلماء والمفكرين في هذه الأمة لكي يوضحوا الصورة الحقيقية عن الإسلام للغرب؟ ولكي يحاولوا تغيير الصورة النمطية للإسلام لدى الإنسان الغربي؟

● أنا لا أرى الأمر طبيعياً أن نطلب إلى وسائل الإعلام الغربية ألا تعمل على تشويه الصورة لأنها هي في الواقع وسائل عنكبوتية ... تسويق المفاهيم الغربية، وتجعل هذه المفاهيم هي القمة في التمدن أو هي نهاية التاريخ كما يعبر فوكوياما، أو هي الحضارة الإنسانية المطلوبة كما يعبر ... وغيره. وهي وسائل يراد لها أن تتبنى تلك الصور وترسخها ... من أبعاد ... في ذهن الآخرين ... التوجه ... وبالتالي ... إلى ملامح الإسلامي والوجه ... قصوره أو تقصيره في بيان الجانب المشرق في عالميتنا الإسلامية، وتوضيح هذه الصورة في أذهان أبناء الإسلام أولاً كي يعرفوا ما لديهم من جوهرة ثمينة، وبالتالي توضيح هذه الصورة في أذهان الجماهير الغربية. وأعتقد أن هناك شرائح جيدة في الأمة ... من الإعلاميين ... للجميع ... وهذه الشريحة يجب أن ... ويجب أن ترسم صورتنا الحقيقية ... حتى لا ننصرف ... الصورة المنحرفة عن الإسلام.

وسائل الإعلام الغربية هي في الواقع وسائل عنكبوتية

● وهناك شريحة ليس ... أنها تتصف بشيء من العقلانية هناك كثيرون يدعون إلى الحوار مع هذه الشريحة. كيف تنظر إلى هذه المسألة؟

● أنا أرحب مع الحوار مع شرائح ... الغربية المنصفة، لا بل حتى مع الشرائح التي قد تكون ... لأن تعليمات ... تعليمات الحوار، أو أن المنطق الإنساني يفرض عملية الحوار. فالحوار يستطيع أن يوقع المتحاورين على صخرة الحقيقة، أو يوصلهم إلى صخرة ... وبالتالي أنا مع عملية الحوار شريطة أن تكون له مرجعية معينة، أن تكون له قواعده المعينة، وأن يركز على القضايا ... المشتركة، وينطلق من مفروضات مشتركة بين المتحاورين، إذ لا يمكن للحوار أن ينجح ما لم ينطلق من مفروضات مشتركة بين الطرفين، وإلا كان حوار ... لا يصل إلى نتيجة.

وأعتقد أن هناك ... حوار ... يجب أن تنطلق من ... النخبوية حيث تتحاور النخب مع النخب، ... الحوار النخبوي ... كما قلت يجب أن يكون ... كما يجب أن يكون طرف الحوار بمستوى

الحوار، ويجب أن يحترم كل منهما الآخر. هذا يعني أن شروط الحوار الإنساني تتحقق في الحوار الديني. وإلى جانب ذلك يجب أن يكون هناك حوار علمي وحوار جماهيري، تختلط الجماهير الإسلامية بالجماهير الأخرى، وتحاول أن تُفهمهم بسلوكها وبسلوكها أنها مع التقدم ومع الحضارة، وأنها مع المنظومة الحضارية لأنها تحمل فكرًا إنسانيًا حيًا يمكن أن يساهم في بناء الغد الأفضل لكل المجتمعات، وبالتالي فإن هاتين القضيتين يجب أن تسيرا بشكل متوازن بجانب إحداهما الأخرى.

ويجب ألا يغيب عن بالنا أن الحوار مقدمة للتعرف، لأنه بالحوار يتم التفاهم، وبعد التفاهم يتم التفهم والتعرف على الحقيقة. وعلى هذا فالحوار مقدمة للتعارف الأحسن، وبعد الحوار وبعد تعرف كل طرف على حقيقة ما يقوله الآخر، تتم عملية تعارف متبادلة، ويكون التعارف مقدمة للتعاون في المجالات المشتركة، والتعاون يؤدي إلى صنع مستقبل أفضل للناس، والتعارف هو إحدى غايات الخلق:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (سورة الحجرات: ١٣).

ولذلك قلت إن الإسلام هو دين الحوار، الإسلام هو دين المنطق، وبالتالي فهو يدعو إلى اتباع كل الأساليب المنطقية للوصول إلى نوع من التعارف، التعارف الحقيقي، هذا التعارف الحقيقي القائم على أساس المعرفة المتبادلة من الطرفين، وهذا لا يتم إلا عبر الحوار.

● العلاقة مع الغرب، كيف ترونها الآن على ضوء ما حدث ويحدث؟

● لست من أولئك الذين يرفضون الغرب جملة وتفصيلا، وفي نفس الوقت لست من أولئك الذين يقبلون الغرب جملة وتفصيلا. ففي الغرب عناصر إيجابية، وثمة نقاط مشتركة يمكن أن نتعاون مع الغرب وأن نجتمع مع الغرب فيها، ومن ذلك مثلا مسألة حقوق الإنسان، من الممكن أن نتفق معهم فيها بعد أن نتفق على مضمون هذه الحقوق، ومسألة



- وُلد بتاريخ ١٣٦٣ هجري قمري، المصادف ١٩٤٤م في مدينة النجف العراقية، في أسرة دينية.
- والده الشيخ علي أكبر التسخيري من أهالي محافظة مازندران في شمال إيران.
- أنهى دراسته الابتدائية والمتوسطة والإعدادية في مدينة النجف، وواصل دراسته الأكاديمية في كلية الفقه في النجف الأشرف، فحاز على شهادة البكالوريوس في العلوم العربية والفقه الإسلامي، وكان خلال دراسته يقوم بعملية تدريس تلك العلوم والدروس التي درسها وتعلمها.
- كما استفاد في مجال الأدب العربي والشعر من عدد من الأساتذة.
- ساهم في النجف في محافل الشعر بكليته القاهرية، وعضوية جمعية الشعر والأدب العربي، وألقى العديد من القصائد الشعرية والخطب الأدبية في مختلف المناسبات الإسلامية والندوات الأدبية والفكرية.
- في عام ١٩٧١ ميلادي انتقل إلى إيران وسكن في مدينة قم حيث واصل دراسته فيها ما يقارب عشر سنوات، كما قام بتدريس العلوم العربية والإسلامية في عدد من الجامعات والمراكز العلمية في مختلف المدن الإيرانية.
- شغل عددًا من المناصب، وخاصة في مجالات الفكر والثقافة الإسلامية، فهو مستشار رئيس الجمهورية للشؤون الإسلامية، قبل تعيينه أمينًا عامًا للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

الحضارة الإسلامية. هذه نقطة يمكن أن نتفق عليها أيضاً. ومسألة الدفاع عن العائلة كذلك. فهذه أمور يمكن أن نلتقي مع الغرب فيها. هناك مجال كبير للحديث خصوصاً مع الغرب المتدين، أي المسيحي، لأن القيم المسيحية تركز على العائلة واحترام قيم العائلة وهي أيضاً من قيمنا الإسلامية. علينا أن ندافع عن العائلة وعن دورها في الحياة الاجتماعية ونرفض كل المحاولات التي ترمي إلى إضعاف وحذف دور العائلة في المجتمع. هناك مجالات كثيرة للحوار مع الغرب. وهناك مخلصون كثيرون في الغرب. لا يتلخص الغرب في عناصر متطرفة في المحافظين الجدد مثلاً أو في المستشرقين المعادين اليوم أو الذين ينظرون إلى العالم الإسلامي باعتباره عالم عصابات لا يليق بتطبيق حقوق الإنسان، ليس الغرب هؤلاء فقط، بل في الغرب عناصر واعية متفهمة، وفيه مكونات حضارية يمكن أن نتعلم منها ونأخذ الكثير منها، وبالتالي يمكن أن نحاورها ونتعاون معها.

• كيف تنظر إلى مستقبل العمل الإسلامي؟

• أعتقد أن المستقبل واعد رغم كل ما يجري ورغم كل ما يثار ضدنا وضد الإسلام. أولاً لأن الإسلام يربينا على الأمل بالمستقبل، ويعلمنا أن الضربات التي توجه إلينا توجد في مقابلها ضربات توجه إلى العدو أو إلى الآخر

﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾
(سورة النساء، الآية 104)

والفرق بيننا وبين الآخرين

﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ سورة النساء، الآية 104.

فالإسلام يعلمنا الرجاء والأمل بالمستقبل لأننا مؤمنون بالله تعالى، والله مولانا والكافرون لا مولى لهم. هذه من حيث الثقافة. الثقافة الإسلامية ثقافة أمل، واليأس لا يعرف طريقه إلى قلوبنا أبداً. وثانياً إذا نظرنا إلى الظروف الموضوعية فإن الأمة الإسلامية اليوم تمتلك كل العناصر التي يمكن من خلالها أن تبني مستقبلها الواعد. وثالثاً هناك الصحوة الإسلامية العارمة، وهذا المد الإسلامي الذي ينتفض من دون أن يرهب كل سلطات التكفير والهيمنة والنفاق، ولا أعني ولا أقول التي يبثها أسلوب الإرهاب. فالصحوة الإسلامية التي نعنيها هي صحوة وسطية لا ترهب أحداً، لكن أعداءنا يرهبهم عندما ينهض الإسلام، عندما يتقدم المسلمون، عندما يتحد المسلمون، وعندما يمهد المسلمون الطريق نحو استقلالهم لنهضة الإسلامية، وامتلاكهم الخيرات الإسلامية. هذه الصحوة الإسلامية صحوة مباركة وخيرة، وكلي ثقة وأمل وأن آثارها ستبقى خيراً. وأسأل الله تعالى أن يوحد هذه الأمة ويجمع طاقاتها لتحقيق غدها القرآني المشرق إن شاء الله.

حيث تتحاور النخب مع النخب، يجب أن يكون هناك حوار عملي، حوار جماهيري، تلتقي فيه الجماهير الإسلامية بالجماهير الأخرى، وتحاول أن تفهمها سلوكها وبساطتها مع الآخر ومع الحضارة، ومع الثقافة الحضارية، وبهذا تحصل ثقافة بأسلوب قوي يمكن أن يساهم في بناء الغد الأفضل لكل المجتمعات.

• نسمع اليوم عن التقريب بين المذاهب الإسلامية، فما هي أسسه ومنطلقاته؟ وما دور العلماء فيه؟

• أعتقد أن الإيمان بمسألة التقريب يتأتى بكل مصداقية إذا لاحظنا جملة من الأسس والمنطلقات التي تؤمن بها كل المذاهب الإسلامية دون استثناء، وقد أشرت إليها في أكثر من لقاء وفي أكثر من مناسبة وهي:

- الإيمان بأصول الإسلام العقائدية الكبرى، وبالنبوة الخاتمة لرسول الله ﷺ والقرآن الكريم الذي جاء به وما فيه، والمعاد يوم القيامة.
- الالتزام الكامل بكل ضروريات الإسلام وأركانه.
- الالتزام الكامل بأن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما المصدران الأساسيان لمعرفة رأي الإسلام في كل الأمور: الكون، والحياة، والإنسان في ماضيه وحاضره ومستقبله في الحياتين، والشريعة التي تنظم حياته وسلوكه الفردي والاجتماعي.

الالتزام بأن الإسلام سمح بالاجتهاد وأقره بشروط معينة يبذل فيها المجتهد وسعه لاستنباط الحكم الشرعي من مصادره، يتكون في الموسوعة المعرفية للإسلام. كما أن هذه الصفة - أي الاجتهاد - تصب بدورها في تأكيد مرونة الشريعة وقدرتها على استيعاب التطورات الحياتية طبقاً لمعايير وضوابط معينة. وهذا يعني بالضرورة إمكانية إيجاد الصلة بين مختلف النتائج التي أدى إليها الاجتهاد ضمن الإسلام حتى لو كانت مختلفة ومتضادة فيما بينها، وذلك لاختلاف الأفهام وزوايا النظر والتصورات.

وعندما ننظر في هذه المسألة بصورة متفحصة ومعمقة نرى أن الإسلام سمح بذلك لأنه دين واقعي فطري، فلا طريق لمعرفة أية شريعة معتمدة على مدى العصور يستطيع فهمها ووعي نصوصها إلا طريق الاجتهاد، رغم أن هذا الطريق يؤدي أحياناً بالتالي ويفرز آراء متخالفة قد لا يطابق بعضها واقع المراد الإسلامي في علم الله تعالى، كما أنه معهود أن هذا الأسلوب المنطقي يتم استنباط كل الأمور كالعقائد والمفاهيم والأحكام بل وحتى المواقف الإسلامية حتى بعض القوانين الطبيعية.

ثم هناك مبدأ (الوحدة الإسلامية) الذي يعد من خصيصة مهمة من خصائص هذه الأمة، وقد وضع الإسلام منهجاً متكاملاً لتحقيق هذه الوحدة مستنداً إلى أساس الاعتصام بحبل الله المتين، والتأكيد على وحدة الأصل والخلق ووحدة الهدف ووحدة الشريعة، في إطار التسليم الكامل لله ونفي خطوات الشيطان، ومذكراً بآثار الوحدة، ومرسخاً عناصر التضحية بالمصالح الضيقة في سبيل الهدف العام، مركزاً على العناصر الإنسانية كالعلم والتقوى والجهاد، ومؤكداً على ضرورة تحري نقاط اللقاء وداعياً إلى استخدام المنطق السليم، ومنطق الحوار الهادئ الموضوعي.

وهناك أيضاً مبدأ أساسي ومهم هو مبدأ (الأخوة الإسلامية) الذي يحكم مجمل العلاقات الاجتماعية في الإسلام، ولا تقتصر آثاره على الجوانب الأخلاقية فحسب، بل تتعداها إلى الجوانب التشريعية، ويترك أثره الكامل على عملية الاجتهاد نفسها، لكي لا نجد في هذه الساحة أحكاماً تتناقض معه.

بهذه الأسس والمنطلقات التي أشرت إليها في عجالة هي أهم ما يمكن أن نبتني عليه (حركة التقريب). ولا يخفى أن التصديق بهذه الأسس وشروطها يؤدي بشكل منطقي عفوي إلى الإيمان بهذه الحركة وأهميتها. ومن هنا فإنني أعتقد أن التقريب لا يقتصر على الجوانب الأخلاقية ولا يتحدد بالجوانب التشريعية أيضاً، بل يمتد إلى مختلف الجوانب الفكرية والحضارية، وينبغي أن تشترك فيه كل الشرائح المفكرة العلمية والفكرية، بل يجب - بشكل كامل وربما بشكل قوي - أن يصير التقريب إلى الجماهير مبدأ ثقافياً لثقافة التقريب؛ لأن الإسلام إن كان يسمح بالاختلاف الفكري غير المتعصب والطبيعي، فإنه لا يسمح مطلقاً بأي خلاف في الموقف العملي من القضايا المصيرية الداخلية والخارجية.

هذه الأمة يجب أن تبذل أكثر مما تبذله الآن لكي تحقق غرضين مهمين هما: أن تصد الهجوم على وجودها وعلى حقائقها، وأن تربي جيلها التربية الصحيحة التي تصنع جيلاً يستطيع أن يحمل أعباء المستقبل، ويحقق النجاح بالكفاءة المطلوبة

وهذه الأسس وتلك المنطلقات تعتبر خطوطاً عامة للسياسات التي ينبغي أن يراعيها العمل التقريبي ويحقق أهدافه المرجوة.

● وماذا عن تلك الأهداف المرجوة التي تسعى عملية التقريب للوصول إليها؟

لا يخفى عليكم أن الأهداف كثيرة ومتنوعة، ولكني أكتفي هنا بالإشارة إلى شيء منها بإيجاز

فمن بين الأهداف من التعاون فيما اتفق عليه وهو كثير جداً، فللمذاهب الإسلامية مساحات مشتركة كثيرة سواء كانت في الأصول العقائدية أم في المجالات التشريعية أو في المجالات الأخلاقية، وكذلك في مجال المفاهيم والثقافة الإسلامية، وحتى في المسيرة التاريخية والحضارية، طبعاً في معالمها الرئيسية، ومع الاختلاف أحياناً في تقييم المواقف المعينة.

وهنا أود أن أشير إلى أن حركة التقريب يجب أن تمثل فصائل جميعاً لاكتشاف هذه المساحات المشتركة وتوعية الجماهير بها، بل وأحياناً تحتاج إلى توعية النخبة أيضاً بها، كما تعمل على توسيع نطاق هذه الجوانب المشتركة عبر الإشارة مثلاً إلى كثير من ... والخلاف لفظياً لا جوهرياً، أو غير الموعية بأسلوب ثالث يشترك فيه المختلفون.

> الإسلام يؤكد ويشجع أن تنتقل الإنسانية إلى العلاقات الإنسانية العالمية كما يركز أيضاً على الجانب الفطري وهو الجانب المشترك بين أبناء الإنسانية، كما يركز على العلاقة بين التعويد والعلاقة بين الفرد المؤمن ويخاطب البشرية جمعاء في اتجاه نحو التعارف والتآلف والتعاون

ومما ... أن باب الاجتهاد مفتوح، ومن الحالة الطبيعية التي لا يمكن إغلاقها ... وما دامت أسباب اختلاف النتائج الاجتهادية قائمة وطبيعية فمعنى ذلك أن نرضى جميعاً باختلاف الآراء، وأن يعذر بعضنا بعضاً عند الاختلاف، ولعل ما يجدر ذكره هنا أنك لا تجد نهياً إسلامياً عن الاختلاف في الرأي، وإنما يلحظ النهي على التفرق المذهب للقوة؛ والتولي إلى التفرق في الدين، وهذا ينبع من عقلانية الإسلام وموضوعيته، وبناء على هذا يجب أن يوطن المسلم نفسه على تحمل حالة المخالفة في الرأي، وعدم اللجوء إلى أساليب التهويل وأمثالها، وحينئذ يكون الخلاف أمراً طبيعياً لا يمس الوحدة شيئاً.

- عدم المؤاخذة بلوازم الرأي، حيث إنه من المنطقي أن يحاسب الإنسان على رأيه ويناقش بكل دقة وأناة، إلا أنك تجد من يؤاخذه على ملاحظات تبقى على لوازم الآن، وبالتالي يأتي التكفير والاتهام بالابتداع، في حين أن صاحب الرأي قد لا يقبل تلك الملازمة، وربما تكفي الإشارة هنا إلى أن المناقشة العلمية الهادئة أمر مطلوب، ونحن ندعو للمناقشة المنطقية، فلا يحق للآخر أن يلزمه بما لا يلتزم به، وما دام لا يؤمن بالملازمة بين رأيه والرأي الآخر، فلنكتف نلتمس له العذر، وبهذا نستطيع أن نغلق باباً واسعاً من الاتهامات المفرقة.

الخامس: احترام منطق الحوار، ذلك لأنك تعلم أن الحوار هو المنطق الإنساني السليم في نقل الفكر إلى الآخرين، والقرآن الكريم يقدم نظرية رائعة للحوار المطلوب، فيؤكد مقدمات الحوار وظروفه وأهدافه، ولكنه يشكل لا مثيل له، ولكن مما تجدر الإشارة إليه مسألة الاستماع للآراء واتباع أحسنها، وأيضاً مسألة عدم التجريح.

وهناك موقف آخر مهم هو الحرية في اختيار المذهب، ذلك أن المذاهب جاءت نتيجة اجتهادات مسموح بها في الإسلام، ومن الطبيعي أن يختار المسلم هذه المذاهب ويعتقد الأفضل منها وفق معاييره التي يؤمن بها، والتي يرى من خلالها أنه أبرأ لذمته أمام الله وأدى أمانته ووجهه، كما أنه لا معنى للإجبار هنا على اختيار مذهب ما، لأن ذلك مما يرتبط بالقناعات الإيمانية، وهي أمر لا يمكن الوصول إليه إلا بالدليل والبرهان، وهنا أؤكد أن لكل مذهب الحق في توضيح آرائه وتعميمها، دون أن يفرضها على الآخرين، ولا ننسى أن جميع المذاهب تسعى لإعلاء كلمة الإسلام وفق تصورها.

ويبقى الإشارة إلى شيء مهم ألا وهو أن العبء الأكبر في عملية التقريب يقع على عاتق العلماء والمفكرين، لأنهم ورثة الأنبياء وحملة الدعوة ورسالة الحق، من جهة، ومن جهة أخرى لأنهم الأعلم بالأمور التي تحقق التقريب والأهداف التي يسعى إليها، وهم أيضاً هم الأكثر تأثيراً في توحيد الصفوف وتمتين عناصر الأمة.



في أول استطلاع صحفي عربي إسلامي

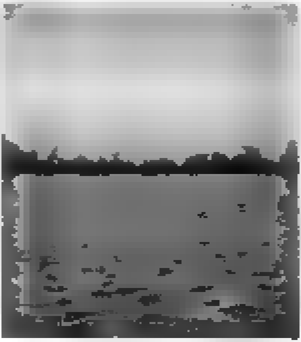
بين حقائق التاريخ..
ووقائع الأحداث!!





إذا ما أردت الكتابة عن سورينام، لا بد لنا من أن نتوقف للحظات طويلة في محطة تكوينها البيئي الذي جعله الله متميزاً بجمال طبيعة خلاّب، ومساحات شاسعة من الاخضرار الذي يملأ كل شبر في أراضيها. وهذا التميز الذي أوجده الخالق سبحانه وتعالى في تربتها الخصبة، عززه أيضاً بوافر من المياه التي تجري في الأنهار الأربعة التي تشق أراضيها من الشرق إلى الغرب، والتي من أهمها وأكبرها نهر سورينام الذي تقام في ضفافه العاصمة باراماريبو، يليه نهر كورانتاين الذي هو نهر الحدود مع غويانا في الغرب، ونهر مارويني الذي يحد مع غويانا الفرنسية في الشرق، أما أصغرها جميعها فهو نهر كوبينا وهو المحافظة الرابعة في التركيب الإداري للبلاد. وإذا كانت الأرض تحتضن المياه بذلك العدد الوافر من الأنهر، فإن السماء تغدق عليها بأمطار غزيرة على مدار السنة مما يجعل معظمها يعيش بنعيم النماء، ويضفي على الأرض المزيد من الجمال والإبداع الإلهي، وسبحان الخالق الذي أبدع كل شيء صنعاً.

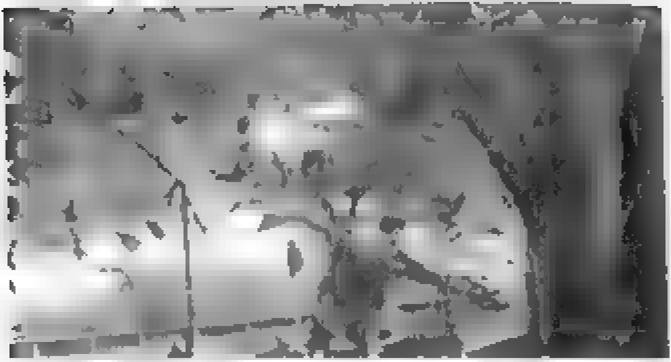
قد يحار كل مصور فيها فيختار من زوايا لالتقاط ما يروقه في عين العدسة، إلا أن الذي سيحار أكثر هو ذلك الذي يريد أن يسطر بقلمه ويكتب عما يراه بأم



عينيه دون الاعتماد على آلة التصوير، فالمتراكم من المشاهدات كثير وكثير، وتبقى للكلمة في طرح الواقع دون أن يتم تزيينه هو أساس النقل الصادق، ومهما يكن من أمر فإن الاتجاه الصحيح نحو كشف المستور في وقائع الأحداث يستوجب تمحيصاً وتدقيقاً وتحليلاً، ولا أريد أن أتخفى من هذا وذاك أي تناول، لأن القضية تهم المسلمين وأبناءهم.

المسافات الطويلة وشد الرحال

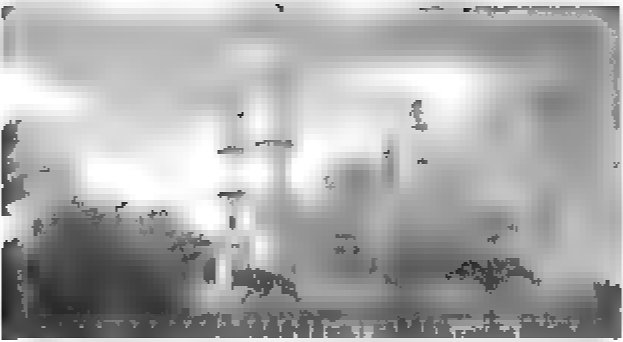
إن شدّ الرحال إلى المناطق البعيدة عن [illegible] العمر، وما يعترضه من صعاب ومشاكل ومخاطر ذات بشرية، يحتاج إلى صبر وقوة احتمال وعزيمة لا تراجع فيها. ولقد كانت المسافات الطويلة تبدو [illegible] في انطلاقي إلى سورينام، سهلة وتمتد إلى ما لا نهاية، لا لاتساع في رقعة الأرض التي تنبسط عليها أنعم الله، ولكن لما تحتوي عليه من غابات وأدغال ومرتفعات، فمساحة سورينام تقدر بـ 163270 كيلو متر مربع، ويقطنها حوالي 450 ألف نسمة حسب التعداد السكاني الأخير في العام الماضي (2004)، وهي أكبر مساحة من هولندا التي يسكنها ستة عشر مليوناً من البشر، ومحطتها الأولى في هذه البلد ستعرف بالسرد التاريخي لتحقيق نوايا المهاجرين إليها. ولقد عزز الموقع الجغرافي لسورينام أهمية كبرى في وضعها تحت دائرة الطمع من قبل القوى المستغلة لثروات الشعوب، فهي تقع في شمال أمريكا الجنوبية، وتطل من الشمال على المحيط الأطلسي بينما تحدها جنوباً البرازيل، أما من الشرق فإن ما يسمى بغويانا الفرنسية هي التي تجاورها، بينما تجاورها من الغرب ما يسمى بغويانا الإنجليزية وجميعها مسميات [illegible] بالرغم من أحقية الاستقلال المعلن لها. أما الطقس فهو استوائي ممطر في أغلب أشهر السنة خاصة خلال الأشهر من أبريل إلى أغسطس، وتتفاوت فيها الرطوبة ما بين ارتفاع وانخفاض، كما أن درجة الحرارة تتراوح ما بين 23 درجة إلى 34 درجة. أما تقسيمها الإداري فينقسم إلى عشر محافظات، أكبرها وأهمها محافظة باراماريبو التي هي عاصمة البلاد، ثم محافظة



يحكمان فيهما محافظا وانيكا على ما يقرب الثلاثة ملايين وهذا العدد الكبير من الأحزاب التي تتصارع على السلطة السياسية في البلاد والتي لم يتجاوز عدد سكانها نصف مليون نسمة، حيث يصل عدد الأحزاب فيها إلى (30) حزباً. وقد يكون هذا العدد تأكيد لا[illegible] بعض [illegible] الديمقراطية بكل أبعادها، وذلك من خلال التعددية الحزبية. ومع لا بد من الإشارة. ومما يؤسف له أن المسلمين لم يستطيعوا أن يؤلفوا وجودهم السياسي بتشكيل حزب لهم يضمن لهم حقوقهم ويبرز مكانتهم ويدافع عن مصالحهم ويثبت وجودهم بالمشاركة في سلطة البلد. وهم في هذا الخصوص قوى متنافرة لا يجمعها [illegible] ولا مصير [illegible] الاختلافات المذهبية والعائلية بينهم، على الرغم من أن معظم الإشكالات ليست جوهرية، وإنما هي شكليات [illegible] منها لا صلة له بالإسلام إطلاقاً، وقد يكون أهمها والخطر هو ذلك الخلاف في الاستدلال على شهر الصوم والعيد برؤية الهلال من عدمه. وفي هذا قد يصل الفرق في الأيام إلى يومين وثلاثة أيام، ويحدث نظير أيضاً في عيد الأضحى

التاريخ .. والهجرات البشرية

تعتبر قبيلة الهنود الحمر «سورينام» أول سكان سورينام التي منها اشتق اسم البلد التي دخلها الإسبانيون عام 1593 مسيحي كقلة مستوطنة، تبعهم الهولنديون في العام 1602 مسيحي ومن ثم جاء إلى البلاد الإنجليز الذين عملوا على المتاجرة بها [illegible] [illegible] إلى من لا حق له فيه وذلك بعد العام 1667 مسيحي، حيث حصلت عملية تبادل بينهم وبين الهولنديين وذلك بتسليمهم سورينام إلى هولندا في مقابل نيو أمستردام وهي المدينة المعروفة حالياً بمدينة نيويورك الأمريكية، وقد سمي هذا التبادل بين الطرفين باتفاق «بريدا». وبعد الترحيل من قوافل المهجرين إلى سورينام التي تعرضت أثناء فترة العبودية منذ القرن السابع عشر واستمرت بها حتى بعد انتهاء زمن الاستعباد وانبلاج فجر التحرر لهم في [illegible] من شهر ناصر .يوليو عام 1863 مسيحي. ومع مقدم العام 1853 مسيحي وضع الصينيون أقدامهم فوق التراب السورينامي وذلك بغرض التوسع والعمل. [illegible] عام 1873 [illegible] العاملين من الهنود والجاويين الذين جاء بهم



المولندبون تسيلاء من الشرق من اجل العمل في المزارع. وكان الهنود حيث ينقسم في العقيدة إلى مجموعتين: واحدة مسلمة وأخرى هندوسية، حيث استوطنوا كعمال في المزارع، بسبب ... في سلوك ... وهؤلاء الكثير من الأعمال التجارية ... مكنتهم من أن يمسكوا بأيديهم زمام الأمر الاقتصادي ويسيطروا على مختلف المبادلات والمعاملات التجارية ليصبح معظمهم من رواد الحركة الاقتصادية في البلاد. ومن أغنى الشرائح الاجتماعية فيها.

الجاويون والهوية الإسلامية

أما الجاويون وكان معظمهم من المسلمين فقد أتوا ... البسطة في عيشهم كعمال وفق ما أملته شروط التهجير الاستعماري الهولندي عليهم. والمعروف أن هولندا كانت قد استعمرت أندونيسيا في العام 1600 مسيحي حيث بقيت جاثمة عليها لمدة (350) سنة، وفي العام 1945 انتزعت أندونيسيا استقلالها من الاستعمار الهولندي. وعمل الجاويون في المزارع والحقول تستهويهم في ذلك طبيعة الأرض وتربتها الخصبة، وما وهبه الله عليها من ماء السماء طيلة السنة بحكم موقعها الجغرافي لوقوعها على خط الاستواء. ولقد كان لبعد المكان ... صعبة من ... جميعاً حيث حافظوا على هويتهم الإسلامية ومتابعة شؤونهم الدينية والتمسك بعاداتهم. فانتشروا في أرض سورينام يبنون المساجد ويعمرونها محافظة على دينهم الإسلامي الذي جاءوا به من أندونيسيا منذ (115) مائة وخمسة عشر عاماً. إلا أن الملفت ... بعض منهم كان ولا يزال متمسكاً باتجاهه في الصلاة ناحية الغرب وهم أولئك الفئة التي يسمون ... المغربيين ... بذلك وجهة القبلة إلى الكعبة ويبذل المسلمون هنا جهوداً كبيرة ومضنية لإقناع هؤلاء بخطأ ما يقومون به ... فعلا عدد هؤلاء في التناقص شيئاً فشيئاً

الأحداث و القول الفصل

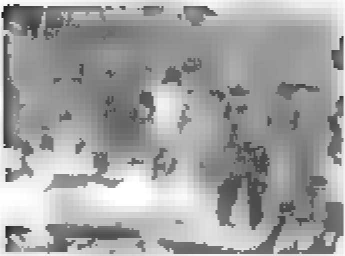
إن أحداث التاريخ في سورينام غيرت الكثير من الاتجاهات الفكرية والثقافية بل إنها أحدثت هذه الثقافات وجعلتها خليطاً ممزوجاً ... من ذلك ... من خلال تعدد اللغات واللهجات المستعملة وهي لعبة استعمارية ... الوجود الاستعماري في مثل هذه الأماكن التي ...

يكون الوعي الحضري والثقافي فيها ضئيلاً إن لم يكن معدوماً. ولكن للأحداث والحوادث دائماً قول فصل في حياة الجماعة البشرية.

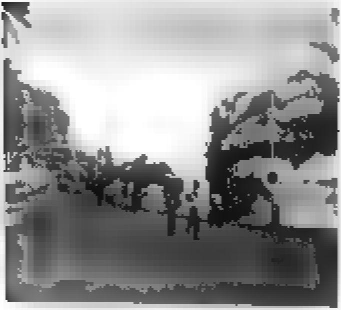
بعد تسلسل الأحداث التاريخية وامتداد الهجرات وتقسيمها لطرق أرض سورينام، كان لا بد للاستعمار الهولندي من أن يمد وجوده بطريقة [illegible] للسيطرة على [illegible] فصار سورينام تنضم تحت لواء المملكة الهولندية بتسمية غويانا الهولندية في العام 1949 ميلادي. واستمر الحال هكذا إلى أن تم منح سورينام ما يسمى بالحكم الذاتي الجزئي في جميع شؤون البلد ما عدا الشؤون [illegible] ثم تحركت الإرادة الشعبية بعد انتشار البطالة والتضخم المالي آنذاك فانتفض الشعب السورينامي ليقاوم الحكم الهولندي من خلال مظاهرات عديدة، الأمر الذي أجبر هولندا على منح سورينام استقلالها في أواخر شهر نوفمبر من العام 1975 ميلادي. وبالرغم من هذا التحرر الشكلي بقيت البلاد مقيدة اقتصادياً بالهولنديين، ومع المحاولة [illegible] لسلطة الدولة السابقة في الخروج بعملة البلد من تأثير الجيلدر الهولندي إلى الدولار السورينامي التي تمت بالتغيير منذ بداية العام 2004 ميلادي، إلا أنه ظل شكلياً من [illegible] الدولار الأمريكي. الأمر الذي أدى إلى ارتفاع الأسعار بشكل جنوني وعدم استقرارها يوماً بعد يوم وهذا ما يرهق كاهل المواطن ويحرج اقتصاد البلاد.

الموارد.. ومخالب قوى الشر!!

إن المخالب الاستعمارية على هذه الرقعة من الأرض وفي هذا الجزء من العالم لم يكن مجرد رغبة سيطرت على شعب ما، وإنما هو خطة محكمة على موارد وخيرات وهبها الله لهذه البلاد. ولذا ما حاولت القوى [illegible] ولم تمل من سبيل السطو على الموارد الطبيعية لسورينام لمعرفتها بأهمية تسابق الدول إليها والمخالب كي لا تحافظ عليها بسبب واستغلال هذه الموارد. فالغابات فيها تملأ العديد من الخشب الجيد والمتنوع الأصناف، ثم يأتي الألومنيوم الذي يعد من



[illegible]



أجود الأنواع المتوفرة في العالم، أما مناجم الذهب فإنها تدر أسواق الدول المسيطرة عليها بما طاقته (300) كيلوجرام في الأسبوع الواحد، وتقدر الحكومة [illegible] حيث تشتهر منطقة ماروين من أغنى المناطق بالذهب والخشب والألومنيوم. ثم يأتي الحديد والنحاس والنيكل والبلاتينيوم والفحم، ناهيك عن الموارد الزراعية من أرز وفواكه وخضروات، حيث تشتهر مدينة نيكيري بإنتاج أهم أنواع الأرز، بينما نجد سيباني وكوميني وسرماكا من أهم المدن المنتجة للخضروات والفواكه. كما أن مياه المحيط والأنهار توفر لسورينام ثروة هائلة من الأسماك والجمبري

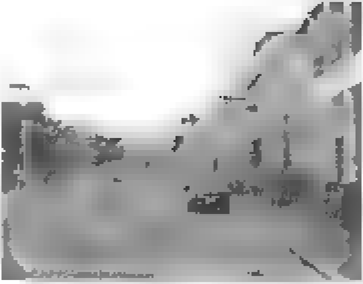
وتوليد الطاقة الكهربائية بقوة الدفع المائي. وبالرغم من كل هذه الخيرات والموارد التي تصنف البلد وتضعه في المرتبة السابعة عشرة من بين الدول الغنية فإن الحالة الاقتصادية للسكان جد منخفضة جداً، والفقر في دنمارك ينتشر في كل مكان، ويصل نسبته إلى ٢٠٪ وتفيد الإحصائيات بأن نسبة البطالة تتعدى

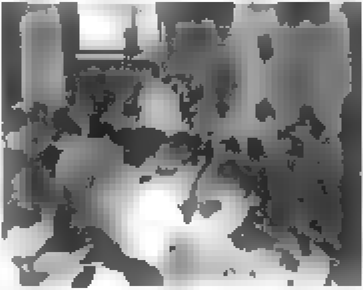
المسلمون ... والخطر القادم اليهود ؟

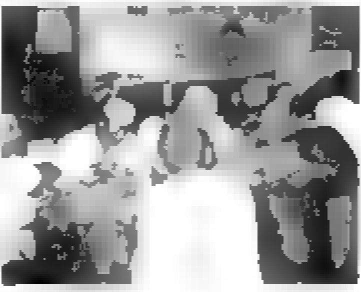
أما إذا ما نظرنا إلى انتشار الموبقات من خمر وحشيش وتعاطيه بين شريحة الشباب فإن الحقائق هي جد مفزعة ومؤسفة، وهو توجه كاذب لا شك فيه تدرب له دول الغرب التي تتحكم في تسيير العالم وفق مصالحها، وذلك بإنتشار هذه الأمراض خاصة في فئة الشباب وتخديرهم بدعايات الغرب في عيش الحياة بكل مباذلها ولا يمكن حصر أماكن القمار والمراقص ومواخير اللهو بل إن الترخيص فيها يتم بدعوى رفع أكثر نسبة الاستهلاك

إن التردي الاجتماعي في هذه الفئة يستفحل في كيان المجتمع يوماً بعد يوم وتفشي الإجرام والسرقة والانحراف الجنسي والتعدي على المحرمات لا يقف عند حد بل يتعداه إلى التفكك الأسري والتشرد الظاهر للأطفال ولم يعد أمراً مستهجناً أن تكون مدرسة من مدارس البنات مثلاً مليئة بالحوامل داخل الفصول الدراسية وهذا ما تم التأكيد عليه بالسماح للطالبة الحامل دون زواج أن تواصل دوامها الدراسي مع غيرها في نفس الفصل والمدرسة ولسنتين تقريباً، كيف يكون تأثير هذا في البقية الباقية من الأسر وقد تكون هذه الصورة هي أصغر الصور حجماً وأقل إثارة مما يجري في المجتمع من ... وغيره

يتهدد هذا الخطر بيوت المسلمين ويكسر أبواب العفة والفضيلة، وذلك من خلال زواج المسلمات من غير المسلمين، والآباء هنا لا يستطيعون التصدي لمثل هذه الزيجات، وعندما تخرج الفتاة من بيت الأسرة في هذا الخصوص، لا يقدر أحد رد ذلك، فالقانون هنا يحميها ما دامت بلغت سن ... وعادة ما يتم التعرف ... بالمسلمة

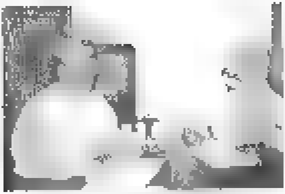




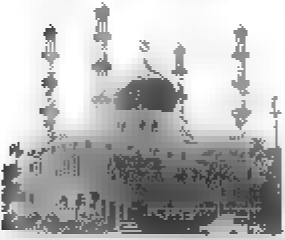


[illegible]

التطيرات. ويرجع الأمر إلى عدم الوعي والتخبط في فهم الإسلام، ونقص الثقافة في الأسس الدينية. ثم يصرخ على الشيب والأصلع والتقصير في مراعاة ومتابعة الأولاد في مؤسسات المجتمع من مدارس وغيرها. وكثيرون هم الآباء الذين أصيبوا بمثل هذه النكبات بزواج بناتهم المسلمات من مسيحيين أو مجوس أو طوائف أخرى لا دين لها، ضد قواعد يرتضيها المسلمون أنفسهم، وهم يتخبطون في مكتوفي الأيدي. وهناك من هو قلق وأمر من كل هذا، وهو تأكيد على معاناة المسلمين في مجتمعات التلسخ والانحلال



[illegible]



شكليات الخلاف وجوهر التقارب

وحول مستهدفات العمل السياسي ودور المسلمين في تأكيد وجودهم على الساحة، يجمعنا اللقاء بالدكتور إسحاق جمال الليبي رئيس مجلس مسلمي سويسرا الذي توجهنا إليه بالسؤال التالي

ما هي مستهدفات المجلس الذي تم تشكيل المسلمين ضد تفشي الانتقاء السياسي بين



مسجد بنكري

المؤسسات الإسلامية لضمان الحقوق وتأكيدها في هيكلة البلد؟؟

• يقول الدكتور جمال في هذا الصدد

نحن نحاول قدر الإمكان الوصول إلى مستويات المجلس بضم جميع المؤسسات والجمعيات الإسلامية تحت لواء واحد. وإذ كان السعي الحالي قد وصلنا به إلى هذه مؤسسات وجمعيات كبرى في البلاد. فإن ذلك قد حقق لنا مساحة كبيرة من أجل اعتراف الدولة رسمياً بالمجلس. وباعتبار اليوم الأول من عيد الفطر المبارك عطلة رسمية في البلاد، والتعامل المتساوي مع المجلس في كل ما يخص المسلمين من أعمار وشعائر رسمية. وهذا في حد ذاته شيء إيجابي. إننا نحاول الحصول على المزيد من الحقوق، وقد نطالب ثم الحصول أولاً والاتفاق على المبادئ والأسس الأولية. وفي هذا لنا خطوات تامل في ترسيخ بلوغ الهدف والغاية.

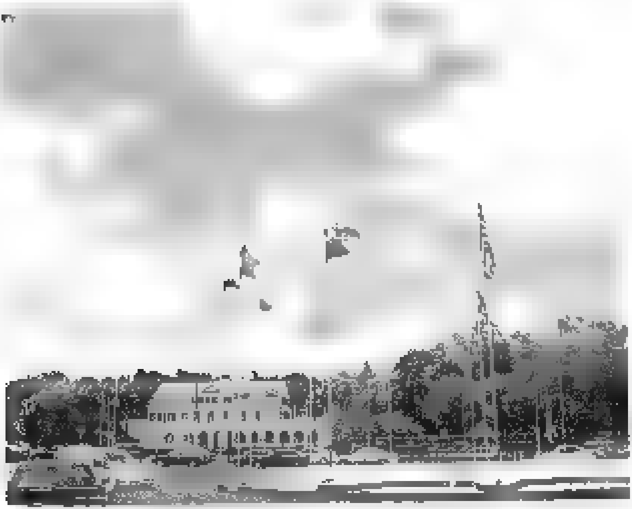
المسلمون والوجود السياسي

ويستوقفنا بدورنا عند المشاركة السياسية الفعلية للمسلمين في السلطة السياسية في ظل ما يتوفر من فرص على الصعيد الدستوري. فسألناه بالقول:

الفرص متوفرة في الدستور لأخذ المسلمين مكاناً لهم تمثيلاً لدورهم السياسي. ما الخطوات المتخذة في هذا الاتجاه؟؟

يرد الدكتور جمال الدين بالقول:

إننا نسعى أولاً إلى نشر الوعي السياسي والثقافي بين المسلمين وتأكيد حرية إبداء الرأي والمشاركة في التفاعل الاجتماعي. حيث تكون أقدامنا على أرضية التواصل مع الآخر في الحوار. وتحرير الفهم السياسي واستيعاب مجريات الأحداث على الصعيدين المحلي والدولي. إننا نركز على شريحة الشباب والنساء في كل الخطوات التي تستهدف الوصول إلى كسب الحقوق والهيئات وتحرير الحس لكل أفراد المجتمع.



[illegible] بشكل كبير على هذه الفئة التي هي الطاقة الفاعلة في كل المجتمع. واسمح لي بأن أشكر هذه المؤسسة ومن خلال هذا المنبر الإعلامي أن أتوجه بالشكر والتقدير الى جمعية الدعوة الإسلامية التي سبق لها أن وقفت إلى جانب المسلمين في سورينام وما قدمته من خدمات صحية وتعليمية منذ أمد بعيد وما زال مكتبها يقدم مساعدته في كل النواحي، كما أن التعاون بينها وبين المجلس أصبح مثالاً للتعاون الإسلامي الصادق والمثمر ويكفي ذكراً ما قدمته القوافل الطبية الإسلامية من خدمات طبية للمسلمين وغير المسلمين في كل أنحاء سورينام.

المؤسسات الإسلامية وبرامج العمل

ومن البرامج والأعمال التي تهم المسلمين وتوعيتهم في كل الجوانب، متجهة بعوائد الى الأخ [illegible] محمد رضوان رئيس المؤسسة الإسلامية السورينامية التي تضم تحت لوائها (٣٠) مسجداً

[illegible]

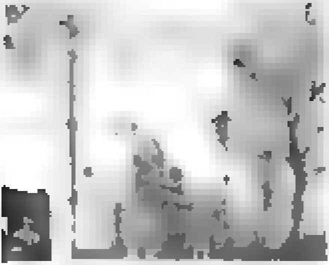
أهمية المسجد كمؤسسة إسلامية للتوعية والتحضير والاهتمام بشريحة الشباب لأداء دورهم في المجتمع الذي يعيشون فيه، فبدأ بالقول:

بالرغم من قلة الإمكانيات لدينا فإننا نحاول وضع البرامج التي تهتم بالإنسان المسلم عامة وتوجيهه الموجود في المساجد وحضور بعض الندوات والقاءات التي تقيمها هنالك خاصة في المناسبات الدينية، إلا أنه وللأسف الشديد لا نجد تجاوباً كبيراً من قبل الشباب بالمساهمة الفعلية في البرامج التي نضعها وهذا يسبب لنا إزعاجاً لأنه يشكل سلبية متعمدة وهروباً من مواجهة الأمور التي نحاول توضيحها من أجل مستقبل الجميع على كافة الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وقد لاحظنا ذلك جلياً من خلال الانتخابات الأخيرة التي شهدتها البلاد، حيث غيب المسلمون عن أداء دورهم الإيجابي في تأكيد وجودهم وحرصهم والإدلاء بأصواتهم الى من يمثلون لهم ما يهمهم بمجتمعهم. وهذا المردود كان له الأثر السلبي والنسبي في النتائج، حيث لم يتمكن المسلمون من الحصول على كرسي واحد يمثل لهم

رئيس المؤسسة الإسلامية السورينامية

- الشباب المسلم يواجه صعوبات [illegible] [illegible] من مواجهة الواقع [illegible] [illegible]
- الشباب المسلم [illegible] الثقافة الغربية [illegible] [illegible]
- [illegible] الآباء [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible]
- من يقف إلى جانب توعية المرأة المسلمة لأداء دورها على أكمل وجه؟!
- هل تستجيب المؤسسات الإسلامية إلى الحاجات [illegible] والمساعدة للمسلمين في سورينام؟.
- [illegible] وتدريب المسلمين من [illegible] في [illegible] [illegible]





في البرلمان مثلاً بالرغم من نسبتهم الكبيرة في التعداد السكاني التي تفوق ٪.. كل هذا يعود الى حالة التشتت والتفتت المتجسد في الواقع المعيش

[illegible]

الجانب والذي هو سلبية وعدم اكتراث في صنع التغيير ولا يعني هذا أن الأمور تسير في مسار خاطئ ولكن قد تكون الخطوات فيه بطيئة أكثر من اللازم

السلبية والهروب من المسؤولية !

وستوجه حول هذه النقطة بالتساؤل التالي

إذاً فالمسألة هنا هي عدم اكتراث أو فهم

[illegible]

جلياً أو تدريجياً لأن استفحال هذه السلبية قد يسبب ضياع الحقوق مستقبلاً فهل والحكم جميع في المؤسسات الإسلامية على هذا الاتجاه؟

يرد الأخ سوبادي: المشكلة جميعها تنطلق من الوعي الأسري في كل بيت والحياة الاجتماعية التي يعيشها الشعب المسلم لا تنفصل عما يجري في المجتمع فهم يواجهون حياة اسرية على خروجهم من البيت بكل ما فيها من سلب وإيجاب، سواء في المدرسة أو الجامعة أو الشارع أو الأماكن الأخرى

[illegible]

التربوية، البيت يحتضم إعداد الإنسان المسلم

[illegible]

والقصص والوقائع خاصة في المسجد الأخلاقي مثلاً، وهذه معاناة كبيرة لنا نحن الأيام كل هذه







[illegible]



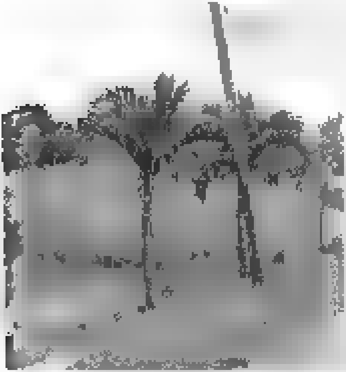
للرؤى والصور التي يعايشونها يومياً لجعلهم يتهربون من مواجهة الواقع، من الالتزام في البيت وفي التربية الأسرية ومن التفسخ الأخلاقي المتراكم في أركان المجتمع. ولهذا نحن في حاجة ماسة إلى الجهود معاً وإلى جالتنا وجمعياتنا بالعلماء والأساتذة والموجهين الذين نتطلع إلى مساهماتهم في التوعية الشبابية بصفة خاصة وللمسلمين بصفة عامة. وكم نتمنى أن تقف الدول العربية والإسلامية وقفة جادة معنا في نشر الثقافة وتوعية الشباب والاهتمام بالمرأة لأنها أسس وركائز لابد من إعطائها الإعداد الجيد لبناء الكيان الاجتماعي المسلم هنا.

الصراع بين الأجيال

إن المعاناة في هذا الخصوص يعيشها الآباء من المسلمين الذين يرون جاليتهم وأبناءهم يعيشون جنباً إلى جنب في نفس المجتمع الذي تتجمع فيه مثل هذه الصور. وهذه مشكلة وقضية لا بد من الوقوف عليها لمساعدة هؤلاء في المحافظة على أبنائهم وبناتهم من كسر أبواب الثقة في عقر ديارهم، ناهيك عما يواجهه المجتمع المسلم في سويسرا من مشكلة التفاوت في الثقافات والرؤى ما بين جيل الشباب وجيل الماضي، وهؤلاء لا يقتنعون بالعقلية الشبابية التي حصلت على نصيب وافر من التعليم والعلم حسب المناهج الغربية، وهو ما أدى إلى الاختلاف في كثير من الأفكار والآراء والتطلعات، واستمر لا يعيش بهم

كالمساجد يتصورونهم أسس الدين الإسلامي، وهذا التعامل يشكل إزعاجاً للشباب، هذا لا يعني بعض هم أكثر علماً وفقهاً ونريد تطور في تعميم المسيرة ننتفع بها إلى الأمام لمواكب العصر، كل هذا كان سبباً في العزوف عن حضور الدروس في المسجد من قبل فئة الشباب والمطالبة منهم من يقومون بالتدريس م هذه المهمة أو تلك.

هذا التضارب في مجال عدم التلاقي ما بين الفئتين كان سبباً في فراغ المساجد والقصور المشهود



فيها على شريحة السكان وهذا التنوع لا يمكن
إسناد أسبابه إلى الفارق في الثقافات فقط، وإنما هو
التأثير والتأثر بما يجري في المجتمع من تفسخ
وانحلال، لأن قضية التفاوت في الثقافات عامة في
المجتمع إذا ما عرفنا أن المجتمع يحتضن بين جنبيه
أكثر من سبعة أجناس يمثل الهنود فيه حوالي [illegible]٪
الكريول وهم الخليط بين السود والبيض وهؤلاء تصل
نسبتهم إلى [illegible]٪، المهاجرون من أندونيسيا حوالي [illegible]٪
بقي هؤلاء قبائل السود الذين يمثلون [illegible]٪ الهنود
الحمر حوالي [illegible]٪ والصينيون بنسبة [illegible]٪ وأجناس
أخرى [illegible]٪. بينما تصل نسبة المسلمين بحوالي [illegible]٪. في
الوقت الذي يتكلم أفراده سبع لغات هي: الهولندية
وهي اللغة الرسمية للبلاد، واللغة السورينامية المحلية
تاكي تاكي، الانجليزية، والجاوية، والهندية، ثم لغة
قبائل الهنود الحمر، ولغة قبائل السود من الزنوج
هذا الخليط من الأجناس وتعدد اللغات في [illegible]
سبب تذبذباً واضحاً في طرح المفاهيم والتعامل
والتواصل بين كل السكان، وترك هوة كبيرة بين
شرائحه، وليس هناك رابط قوي يجمعهم جميعاً
فالذي يجمع هذه لا يجمع تلك. ومن هنا [illegible]
وجد الاستعمار طريقه من كيفية السيطرة والهيمنة
وفرض لغته، ومنه أيضاً [illegible] حتى
يجد شعباً ليس له لحمة توحده في الثقافة والفكر
[illegible] من كل هذا، ولذلك نجد انقساماً كبيراً في
هذا الأمر بين المعاصر والمضاد لفكرة التوحيد
الثقافي والفكري، ولا شك في أن وراء كل هذا [illegible]
[illegible] يدير الأمر ويحرك مسبحته في ظلمة الليل
القاتمة إذا ما علمنا بأن المفهوم السائد في أركان
المجتمع والمتفشي بين الجميع هو أن الحياة يجب أن
[illegible]
[illegible]
نحو التمرد وتشعب المصالح والأغراض

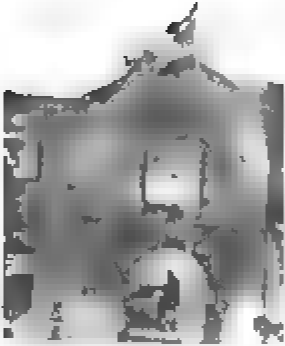
الصراع والتكامل ... والواقع المرير

هذه هي الخلطة السائدة في المجتمع التي مزج
فيها صباغ الديمقراطية الغربية في المجتمعات النامية
المتخلفة، حتى يكون الأمر سهلاً مستجيباً في ابتلاع
المغريات وتسخيرها لأهواء شعوبهم، وقتل إباء البلد
السياسي، ولا شك أن هذه الاستشهادات تدخلت
جميعاً والوثائق تؤكدها بصورة أكبر. أما الواقع فإنه
رهيب حيث ترى المسلم هنا في سورينام يكابد
ويصارع حياة الميوعة والتفسخ في المجتمع حفاظاً على



ابنائه وبناته فهو مضطر إلى إرسالهم لمدارس وكليات، أما التعامل مع أقرانه في هذه الأماكن ومنهم المسلمين للتعمير أو التعايش فإنه محيط ودائرة لا يمكن له تحديد بحكم اللوائح والنظم، وفي بعضه مستنقع لا بد من الوقوف عليه في محيط الدراسة أو رحاب التعليم والعلم المختلط المتعدد من السلوك والأخلاقيات.

إن الصدام الذي ينادي به رئيس المؤسسة الإسلامية السورينامية يستوجب عملية لا تراجع فيها نحو السير إلى مسالك العون والمساعدة ومد يد الإحسان إلى كل المؤسسات والجمعيات الإسلامية القائمة في الوطن العربي والعالم الإسلامي لأداء دورها واستنهاض همتها، ومما يمكن من أمر فإن ما تقوم به جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في توعية المسلمين وإعدادهم ومساعدتهم ونشر الثقافة الإسلامية بينهم وتعليمهم بأسس الشريعة وتفهيمهم كتاب الله واللغة العربية، إضافة إلى احتضانهم وإيوائها عدداً من المهتدين الجدد من أبناء الهنود الحمر الذين تستضيفهم في المدارس الداخلية وتدرسهم أسس الدين الإسلامي واللغة العربية وحفظ القرآن الكريم، كما يشرف مكتبها في العاصمة باراماريبو على مدرسة عمر المختار لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، كما أنها تولي اهتماماً بالمسلمين البربر في قرية سلنت جولانيه والهنود الحمر في قرية بيكاني بوبكا، إضافة إلى إقامتها موائد إفطار الصائم خلال شهر رمضان المبارك من كل عام في مختلف مساجد العاصمة والمدن الأخرى، ولا يمكن أن يستوعب عملها كل المنطقة السورينامية، وهي المؤسسة الإسلامية الوحيدة العاملة في البلاد والعاملة في حقل الدعوة الإسلامية، وإن تعزيز أواصر التعاون والمساهمة في الحد من انتشار داء التنصير بين الشباب المسلم يجب أن يكون هو الديدن لكل المجتمعات الإسلامية الكبرى العاملة من أجل إعلاء كلمة الله وحفظ الهوية والكرامة الإسلامية في كل بلاد الإسلام، إذا أردنا بالمسلمين في سورينام خيراً.



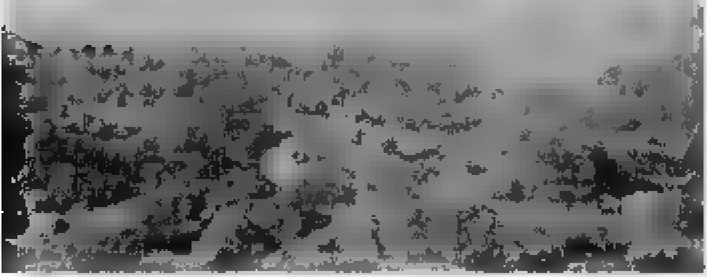
خلاصة القول والمقترحات

لقد عايشت واقعاً من العمق تعمدت أبعاده إلا أن المقاصد التي تعمدته أكبر من مساحة سورينام لهذا البلد الصغير الذي يمثل جزءاً ضئيلاً من مساحة هذا الكون الفسيح، وينحصر في موقعه بين فكي قوى تحاول بشتى الطرق والوسائل استغلال وبلع موارده الطبيعية الغنية، ويتعرض لهجمة شرسة بنشر الفساد والقضاء على القيم وتكوين الدمار، ونجد جميعها مستهدفات ستمس ضررها كل المسلمين، ولإنقاذ ما يمكن إنقاذه فإن الحالة تتطلب:

- الاهتمام والتركيز على المجال الثقافي الذي يشكل نقصاً لا حدود له لدى المسلمين، وإن كانت هناك من محاولات فإنها لا تجد تجاوباً من قبل المسلمين وما معظمها إلا فرع اجتماعي ليس للفكر ولا للثقافة دور فيه، أي بمعنى أن كل ملتقياتهم عادة ما تكون عند كل خميس في المساجد كتجمعات أسرية لا تتعدى هذه المناسبات الاجتماعية، وقد يتخلل هذه اللقاءات درس مختصر في أمور الدين ينقصه الكثير من المقومات الثقافية والفكرية والتحصيل التاريخي والعلمي والمعلومات.
- إن الشباب والمرأة المسلمة يواجهون حملات تخريب خطيرة، وممارسات تضليل في الفكر

والعيد، فالكثير من المناسبات تنتشر هنا وتفقد معانيها في كل الأذكار للمسلم، فكم هي المحزنة مكتوبة على الأديم والعهدة، فكذلك الأمر بالنسبة لكل المحطات والمراكز والمجلات الأخلاقية.

- ربط الصلة بالمسلمين في البلد وتعريف أو مد المعارف معهم بالزيارات الدورية المتوالية خاصة في المناسبات الدينية وإعداد البرامج التوجيهية لهم من قبل الأساتذة والوعاظ.
- دعم التواصل وتنشيط اللقاءات وإقامة المؤتمرات والندوات والمناسبات لمناقشة مختلف القضايا التي تهم أبناء المسلمين والطفل والمرأة المسلمة.
- الاهتمام بالاتجاه الإعلامي وتسهيل التوافق الإعلامية الإسلامية بمساندة المسلمين ومناقشة مشاكلهم وقضاياهم وبثها في المحطات العربية الغربية والإسلامية للاطلاع والمساهمة في دعم ومساعدة المجتمع الإسلامي السورينامي والعمل على تخصيص منبر إعلامي لهم، حيث إن هناك الجانب يتسم بوجود كبير من التيارات يعمل بكل طيب بصورة مقصودة، ويبقى من الأمر مكانته لوجوده بالبرامج اليومية والأسبوعية في المحطات العربية والمسموعة ويستفيد المسلمون الكاملة على جميع المعلومات عن الثقافة المصرية وما يواكبها من معتقدات.
- إيجاد المحطة والقرى والتواصل بالتعاون بين الدول العربية من مختلف المؤسسات الإسلامية والتنسيق فيما بينها في هذا الخصوص على ألا يقتصر إرسال البعثات على العاصمة فقط بل يجب توزيع ذلك على مختلف المدن الأخرى، فهم هناك أحوج من غيرهم إلى هذا العمل، وذلك لتعليم المسلمين في سورينام أصول القراءات لكتاب الله وتدريبهم على الشريعة الإسلامية، فليس هناك في البلد من يحفظ القرآن كاملاً، وإذا ما نظرنا إلى فهم معاني القرآن الكريم في سوره وآياته فإننا سنجد أن ذلك جزء هام يحتاج إلى تصحيحه ونشره، وهذه مسؤولية كبرى لا بد من تحملها لكل مسلم، وتيسير العمل بما هو إيجابي بخصوصه.
- العمل على إيجاد القوافل الطبية الإسلامية لعلاج المسلمين هناك في هذا البلد في كل ما يتعلق بالنواحي الصحية خاصة عمليات الختان لأبناء المسلمين، وقد سعت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في هذا عرضا غير مسبوق حيث تعتبر القوافل الثلاثة التي تم إرسالها لمساعدة المسلمين جهدا طيبا في الاهتمام بصحة المسلمين وأبنائهم، وتركت أثرا إيجابيا هناك حيث الجميع هنا.
- توزيع المطبوعات والكتب العلمية وترجمتها إلى اللغات المتكلم بها في هذا البلد وذلك للنقص الكبير في الوعي الثقافي والفكري وعدم الإلمام بأسس الدين وأصوله.
- ضرورة الاهتمام باللغة العربية وإيفاد المتخصصين فيها بصورة مستمرة لتعليمها أبناء البلد الذين يجهلون اللغة العربية، الأمر الذي سيحول بينهم وبين انقطاعهم عن دينهم وتراثهم الإسلامي إن استمر الحال على ما هو عليه. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الرغبة في التعلم والاطلاع والمعرفة موجودة لدى الجميع.





من أجل الحاضر والمستقبل الواعد

لجميع الناس

المجلس العالمي للدعوة الإسلامية
يعقد دورته السادسة عشرة في كوتونو بجمهورية بنين

من أجل الخير والمستقبل الواعد لجميع الناس

إعداد: التحرير

عقد المجلس العالمي للدعوة الإسلامية، اجتماعات دورته السادسة عشرة، بمدينة كوتونو العاصمة الاقتصادية بجمهورية بنين، وذلك خلال الفترة من ٤ إلى ٦ من شهر هانيبال (أغسطس) 1373 من وفاة الرسول ﷺ 2005 مسيحي.

وحضر حفل الافتتاح بالإضافة إلى الأخ الأمين العام للمجلس، والمجلس العام وأعضاء المجلس، كل من السيد ماما سيكا وزير الداخلية في بنين، ومندوب عن وزارة الخارجية، والشيخ محمد ثاني أبوبكر رئيس اتحاد المسلمين في بنين، والسيد عمارة عيسى وزير خارجية ساحل العاج الأسبق، والأمين العام المساعد للاتحاد الأفريقي، والأخ الشيباني سيريوس المدير العام المساعد لمنظمة اليونسكو لشؤون إفريقيا، وممثلو أتباع مختلف الملل في جمهورية بنين وأعضاء الهيئات الدبلوماسية المعتمدة في بنين، إضافة إلى حضرات الأئمة والخطباء ومسؤولي الجمعيات والمؤسسات الإسلامية من مختلف أنحاء بنين.

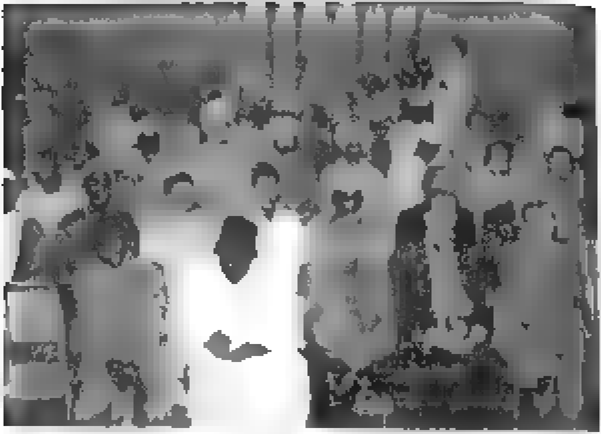
وألقى الأمين العام للمجلس، أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، كلمة في الجلسة الافتتاحية نقل فيها تحيات الأخ القائد معمر القذافي قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، إلى الرئيس ماثيو كيريكو رئيس جمهورية بنين والشعب البنيني والإخوة أعضاء المجلس العالمي.

وحيا أبناء الشعب البنيني روح التسامح والتعاون والإخاء التي يتصفون بها، وتشاورهم مع الاتحاد الإسلامي ومع الإخوة العلماء المسلمين والمنتمين للعمل على تربية الأجيال من أجل الخير والمستقبل الواعد في التنمية الاجتماعية في جميع أنحاء العالم.

منهج الشورى

وقال أمين عام المجلس بعد الترحيب بالطريق الذي دعا إليه المؤتمر الأول والذي التزم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبالطريقة الصحيحة للعمل في الدعوة، وهو الذي يرعاه العلماء ونتائج برامج وخطط الدعوة الإسلامية من خلال هذا المجلس التنفيذي الكبير الذي هو المجلس العالمي للدعوة الإسلامية والذي تم اختياره من كل المناطق.

وأشار الأخ الأمين إلى وجود ممثلين ومندوبين من مختلف أنحاء العالم في هذا المؤتمر وذلك استمراراً لتلمس مشاكل الناس جميعاً في التنمية



الصحيحة والسلام الاجتماعي والتفاهم والتربية [illegible] والجامعات والمستشفيات والمعاهد والمؤسسات التي أنجبت رجالاً وعلماء وسلالة كانوا دائماً على طريق الحق.

وأضاف: إننا في هذا المجلس نعمل على تعليم مبادئ الدين الإسلامي الصحيحة التي جاء بها القرآن الكريم وسنّة رسول الله ﷺ والتي شرحها [illegible] المفسرين للكتاب والسنّة [illegible] العصور والأماكن التي عاشوا فيها، محذراً من النتائج التي يورثها الجهل بالمبادئ التي تقوم عليها العقائد في جوهرها، والقيم التي تحتويها.

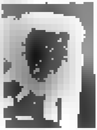
وقال: لقد [illegible] هذه الفرصة للتنبيه إلى هذا الأمر الذي يشغلنا نحن في المجلس العالمي للدعوة الإسلامية، لأن الإسلام يتعرض في هذه الفترة إلى كثير من الشبهات [illegible] ونتيجة جهل الكثير من غير أصحابه به، وهو الذي يعمل في الماضي والحاضر إلى تعريف أبنائه وأنفسنا وتعريف غيرنا بحقيقة هذا الدين، خدمة للسلم العالمي ومصلحة البشر، وانطلاقاً من ديننا الإسلامي الحنيف الذي يطلب منا أن نتعرف على أتباع العقائد الأخرى ونتعايش معها.

المعرفة الصحيحة

وأكد الأمين العام على أهمية المعرفة الصحيحة بمبادئ الدين الإسلامي وضرورة الفهم الواضح للعلاقة بين الدين والعبادة، مبيناً أن الجهل بتلك المبادئ أو تجاهلها سيقود إلى سوء فهم الدين والقصور عن إدراك مقاصد رسالة الإسلام الخالدة كما يؤدي إلى ظهور نماذج من التعصب والتطرف واضطراب العلاقة مع الآخر، فالإسلام كان دائماً محركاً [illegible] في [illegible] الحضارة الإنسانية، إذ قدم نموذجاً أساسياً للتعايش مع أتباع العقائد والثقافات كافة، من أجل إرساء القيم الأخلاقية والبعد عن كل ما يخدش الكرامة الإنسانية التي منّ الله بها على الإنسان، وذلك وفق رؤية واضحة

ونبه الأمين العام إلى خطورة ما يتعرض له الإسلام اليوم من هجمة ظالمة تقف دوائر معادية من خلال تلك الحملات لتشويه صورة الإسلام مستغلة سطوة الإعلام في تكوين وتوجيه الرأي العام تجاه الإسلام بما هو منه براء، موضحاً أن جهل البعض وانغلاقهم الفكري واستعجالهم على الأحداث وانتهاجهم أساليب التكفير أعطى فرصة للهجوم على الإسلام وتشويه صورة المسلمين، داعياً في ختام كلمته إلى ضرورة الاستمرار في التواصي بالعمل والعمل على تقديم القدوة الحسنة التي يحث عليها الإسلام، لإبراز صورته الصحيحة في التعايش مع جميع الناس على أسس من الاحترام المتبادل، بعيداً عن كل مظاهر الظلم والعدوان واتباع سياسات الحروب والاحتلال والحصار التي لم تجلب للبشرية سوى مزيد من المآسي والآلام، مشدداً على أنه لا سبيل للبشرية في التغلب مع التحديات التي تواجهها سوى الحوار الجاد، والحث على الاقتداء بالرسل والأنبياء والمصلحين، وإذكاء قيم الحق والخير، والفضيلة في مجتمعاتها.

تحية وتقدير



كما ألقى رئيس اتحاد مسلمي جمهورية بنين الأخ محمد ثاني أبو بكر كلمة حيا فيها الأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية وجهوده المخلصة والمتواصلة في نصرة قضايا الإسلام والمسلمين في كافة أرجاء المعمورة.

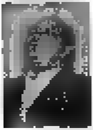
مشيداً إلى أن هذه المؤتمرات التي تعقدها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بشكل دوري قد مكنت المسلمين من أن يحققوا كثيراً من الأهداف التي يصبو إليها المسلمون منذ تأسيس هذه المؤسسة الإسلامية العالمية.

وقال إن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية أنجزت مشاريع حيوية كثيرة، وقدمت ومازالت تقدم المساعدات المالية والعينية والخدمات الإنسانية إلى مسلمي أفريقيا بصفة عامة وإلى شعب جمهورية بنين بصفة خاصة، ومن بين هذه على سبيل المثال مستشفى الصانع في مدينة بورتونوفو، ومعهد اللغة العربية والثقافة الإسلامية بجامعة ابومي كالافي في كوتونو، علاوة على المدارس والمستوصفات، بالإضافة إلى الآبار التي أنشأتها الجمعية في المدن والقرى والكتب الدينية والعلمية التي يتم توزيعها دورياً على المسلمين في بنين.

اهتمام متواصل

كما أعلن رئيس اتحاد المسلمين في بنين في كلمته إثر المشاريع الإسلامية الهامة التي شهدتها الجمعية في مختلف مناطق وجود المسلمين في العالم، مثل الجامعات والمعاهد والمدارس والمراكز الثقافية الإسلامية والمستشفيات والمستوصفات، مؤكداً أن هذه الإنجازات ساعدت على تخريج الآلاف من الدعاة بمستويات عالية جداً كالذين يحملون اليوم راية الإسلام الحنيف في جميع أنحاء العالم، ويساهمون في تقديم الإسلام إلى العالم أجمع في صورته الصحيحة، بعيداً عن التشويهات التي يلصقها به الغرب، مثنياً على النتائج التي توصل إليها المؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية.

وأشار في ختام كلمته إلى بعض التحديات التي تواجه العمل الثقافي والتربوي، والجهود التي يضطلع بها الاتحاد، معرباً عن ثقته بأن التعاون مع الجمعية ومجلسها العالمي كفيل بتجاوز تلك العقبات.



تعاون وشراكة لإثراء الحضارة الإنسانية

ومن جهته تحدث في حفل الافتتاح الدكتور التيجاني سيريوم المدير العام المساعد لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة ممثلاً للمدير العام لليونسكو حيث نقل إلى أعضاء المجلس تحيات

وثمَّن المدير العام لليونيسكو السيد كوتشيرو ماتسورا، عمل دور المجلس في تنفيذ برامج التعاون مع اليونيسكو، وقال إن المشاريع التربوية والثقافية والعلمية التي نفذت وتنفذ في هذا الإطار تجعل جمعية الدعوة الإسلامية العالمية شريكاً أساسياً لليونيسكو مشيداً بالاهتمام والحرص الذي تبديه الجمعية من أجل دعم مسيرة التعاون والشراكة وأهمية التشاور بين المؤسستين في الإطار الأفريقي الذي يهدف إلى تجسيد الوحدة الأفريقية وإبراز إسهامات القارة السمراء في الحضارة الإنسانية، وقد تجلى ذلك في اجتماع لجنة الشراكة من أجل تنمية أفريقيا (الميثاق) التي استضافت الجمعية أعمال اجتماعها الثالث في بداية شهر الماء (مايو) الماضي في طرابلس - ليبيا، معرباً في ختام كلمته عن استعداد اليونيسكو الكامل لتعزيز التعاون مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومجلسها العالمي في كل ما من شأنه أن يرسخ القيم الإنسانية للثقافات والحضارات.

برامج إنسانية مميزة



وألقى الدكتور محمد ساجو الأمين العام المساعد للمجلس، كلمة القارة الإفريقية، معبراً في مستهلها عن بهجته بحلول الذكرى الأربعين لعقد هذه القوة في منطقة كوكونو لتشيد لأمن المسؤولين فيها بجهود المجلس ولجانه الإقليمية في إنجاز العديد من البرامج التربوية والثقافية المختلفة في عشرات المدارس والمساجد والمراكز الدعوية وخاصة في المجالات الإغاثية التي شملت الآلاف من اللاجئين والنازحين والمرضى وذوي الحاجات الخاصة، وقال إن هذه الدورة ستكون - إن شاء الله - دعماً وتعزيزاً وتواصلاً لتلك الجهود المباركة.

وقدم الأخ الأمين العام للمجلس خلال الجلسة الافتتاحية، نبذة حول تاريخ تأسيس المجلس



والدورات التي عقدها، والدور المهم والمتميز الذي يقوم به في إطار تنفيذ وتطبيق قرارات وتوصيات المؤتمرات العامة للدعوة الإسلامية، منوهاً بالبناء التنظيمي لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وموقع المجلس في هذا البناء، مؤكداً أن هذا الاجتماع يكتسب خصوصية كونه الاجتماع الأول للمجلس بعد اختياره من قبل المؤتمر العام السابع الذي عقد في الشهر الحادي عشر من العام الماضي بطرابلس ليبيا، معبراً عن أمله في أن يحقق هذا الاجتماع النتائج المرجوة.

منهج عمل للسنوات القادمة

وعلى مدى ثلاثة أيام متواصلة بحث أعضاء المجلس العالمي للدعوة الإسلامية وناقشوا عدداً من القضايا والموضوعات التي تضمنها جدول الأعمال حيث قدم الأخ الأمين العام في مستهل أولى جلسات العمل استعراضاً للبيان الختامي الصادر عن المؤتمر العام للدعوة الإسلامية في دورته السابعة مبيناً أن هذه القرارات والتوصيات تمثل منهج عمل المجلس على مدى السنوات الأربع القادمة.

كما ناقش أعضاء المجلس العالمي في البند الثاني من جدول الأعمال - تقرير اللجنة التمهيدية

للمجلس عن أنشطة الجمعية خلال النصف الأول لعام 1370 من وفاة الرسول ﷺ (2002 ميلادي) التي تم عرضها بعد مناقشات مستفيضة شارك فيها جل الأعضاء، الذين أكدوا على ضرورة التوسع في تقديم المعلومات حول الأنشطة الرئيسية التي تتناولها التقارير، والتمييز بين ما هو ضروري لتكوين صورة شاملة عن النشاط، وإعطاء المزيد من الاهتمام بالتعليم العالي والعمل على إدخال تخصصات علمية جديدة إلى كلية الدعوة الإسلامية وفروعها، مع الاهتمام بنوعية الموضوعات التي تتطرق إليها الرسائل العلمية في الكلية وفروعها لتتصدى للقضايا ذات العلاقة بمشكلات الأمة المعاصرة.

تطوير الأساليب الإعلامية

ودعا أعضاء المجلس إلى ضرورة تطوير الأساليب الإعلامية للجمعية، والاستفادة بما تطرحه التقنيات الحديثة في مجال الاتصال والمعلومات، وإعداد خطة زمنية قابلة للتنفيذ لتطبيق ذلك بالتعاون مع الأعضاء المتخصصين في هذا المجال.

ودعا المتحدثون في هذا البند إلى تفعيل دور أعضاء المجلس من حيث الإعداد والإشراف والمشاركة في المناشط التي تنظمها الجمعية في المناطق المختلفة، مؤكدين في مداخلاتهم على أهمية التواصل بين أعضاء المجلس بما يكفل تبادل المعلومات والتجارب، وبما يؤدي إلى تكامل الجهود وتكوين وجهات نظر متطابقة حيال قضايا الأمة الإسلامية وقضايا العالم بصفة عامة.

كما تم استعراض تقرير كلية الدعوة الإسلامية وفروعها، حيث تولى الأخ عميد الكلية الإجابة عن عدد من الأسئلة والاستفسارات، التي طرحها الأعضاء في مداخلاتهم حول ضرورة تكثيف النشاطات الثقافية وتوجيهها نحو تناول الموضوعات ذات العلاقة المباشرة بالتحديات التي تواجهها الأمة، والعمل على أن تساهم تلك النشاطات في توسيع الأفق الفكري والثقافي والسياسي للطالب.

إبراز حقيقة الإسلام

كما استمع أعضاء المجلس.. في إطار مناقشة البند الرابع من جدول الأعمال.. إلى تقارير أعضاء اللجنة الشعبية حول الواقع الدعوي والثقافي في المناطق التي يمثلونها، فضلاً عن تقارير أعضاء المجلس التي تصب في نفس الإطار، حيث أكد المتداخلون على ضرورة إعداد الدراسات لتوضيح حقيقة الإسلام، وتبيان ثوابته وحسن عقيدته وموقفه من قضايا العالم المعاصرة، وترجمة تلك الدراسات إلى اللغات المختلفة وتوزيعها على أوسع نطاق ممكن، مع التركيز على زيادة الاهتمام بالمهتدين ومتابعة شؤونهم وتعميق معارفهم بالإسلام في أساسياته وثوابته ومساعدتهم على تجنب ما يشاع من خلافات مذهبية وتحريفات عقدية، والاستمرار في تنظيم الملتقيات التي تساهم في تخفيف الضغوط الاجتماعية والسياسية التي قد يتعرضون لها في بعض الأحيان.

وأكدت مناقشات الأعضاء ومداخلاتهم على أهمية التوسع في مجالات العمل الإغاثي والإنساني في مختلف أبعاده، والتنسيق في برامج الإغاثة مع أعضاء المجلس العالمي في المناطق المختلفة، والتنسيق في ذلك مع المنظمات الدولية ذات العلاقة، تفعيلاً للحضور الدولي للجمعية، كما أكدوا على ضرورة وأهمية مواصلة الاهتمام ببرامج الحوار التي تنظمها الجمعية مع أطراف دينية وثقافية.

وفي إطار رصد الأبعاد والتحديات التي يتعرض لها العالم الإسلامي، استمع أعضاء المجلس للعديد من المداخلات التي تعرض المتحدثون فيها إلى مخاطر تلك التحديات، وخاصة في جوانبها الثقافية والفكرية، مشيرين بالخصوص إلى دور بعض المؤسسات الإعلامية الغربية في تعمد تشويه صورة الإسلام. وفي هذا السياق أشار الأعضاء - في موضوعية - إلى أن المسلمين يتحملون جزءاً من مظاهر ذلك التشويه بفعل تصرفات بعض التيارات الإسلامية التي تنتهج سياسات التقوقع والانغلاق على الذات، ومعاداة التطور، والجنوح إلى تكفير ورفض قبول الآخر.



لابد ... الدعوة الإسلامية

وأكد أعضاء المجلس على ضرورة أن تستثمر الجمعية وفق إمكانياتها وفي محيطها الثقافي في بذل المزيد من الجهود لتصحيح صورة الإسلام عن النفس كلها.

توضيح حقيقة الإسلام في أبعاده المختلفة

وقد أصدر المجلس العالمي للدعوة الإسلامية في ختام أعمال دورته السادسة عشرة عددا من التوصيات، أكد فيها على ضرورة العمل على إعداد دراسات توضح حقيقة الإسلام في أبعاده المختلفة وثوابته وأسس عقيدته، وموقفه من قضايا العالم المعاصرة، وترجمة تلك الدراسات إلى اللغات المختلفة وتوزيعها على أوسع نطاق ممكن. كما أوصى المجلس بإيلاء مزيد من الاهتمام بالمهتدين ومتابعة شؤونهم وتنمية معارفهم بالإسلام في أساسياته وثوابته، بعيدا عما يشوش على عقولهم من اختلافات مذهبية وتفريعات فقهية، والاستمرار في تنظيم الملتقيات التي تساهم في تخفيف الضغوط الاجتماعية والسياسية التي قد يتعرضون لها.

التوسع في ميادين العمل الإنساني

وأكد المجلس على ضرورة التوسع في ميادين العمل الإغاثي الإنساني في أبعاده المختلفة، والتنسيق في برامج الإغاثة مع أعضاء المجلس في المناطق المختلفة، والتنسيق في ذلك مع المنظمات الدولية ذات العلاقة، وزيادة تفعيل الحضور الدولي من خلال الاستمرار في جهود التنسيق مع المنظمات والهيئات الإسلامية في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي بما يوحد تلك الجهود ويكفل عدم تبعثرها أو تكرارها، وبما يمكن تلك المنظمات من تكوين مواقف مشتركة في تعاملها مع ما يتعرض له الإسلام دينا وعقيدة من ظلم وغبن.

الاهتمام ببرامج الحوار

كما أكد المجلس في توصياته على مواصلة الاهتمام ببرامج الحوار التي تنظمها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية مع أطراف دينية وثقافية، وذلك من خلال رسم استراتيجيات ومنطلقات لذلك الحوار، مع دراسة إمكانية أن يتخذ في إطار الجمعية مجلس أو لجنة متخصصة للحوار، وتقوية الصلات مع الطرق الصوفية وإبراز دورها في الحفاظ على الهوية الإسلامية ومقاومة أساليب الاستلاب الحضاري، وخاصة في إفريقيا وآسيا الوسطى، والاستمرار في تنظيم الملتقيات الصوفية واستثمار طاقاتها الروحية في الدفاع عن الأمة.

وحول ابعاد الحملات التي يتعرض لها الإسلام وتبني بعض المؤسسات الإعلامية الغربية في تعمد تشويه صورة الإسلام، أشار أعضاء المجلس إلى أن المسلمين يتحملون جزءا من مظاهر ذلك التشويه بفعل تصرفات بعض التيارات الإسلامية التي تتبع سياسات التقوقع والانكفاء على الذات ومعاداة التطور والجنوح إلى التكفير ورفض قبول الآخر.

مكافحة صورة التشويه

كما أكد المجلس على ضرورة أن تستمر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية وفق امكاناتها وفي محيطها الثقافي ببذل المزيد من الجهد لتصحيح صورة الإسلام في مرآة الآخر، وأن تستمر التعاون الذي تحظى به في العالم وعلاقاتها المتميزة بعدد من المنظمات الدولية في تقديم الصورة الحقيقية للإسلام، وأن تعمل بالتعاون مع كل أعضاء المجلس ومع الجاليات الإسلامية الواعية والمنفتحة على الآخر على تنظيم لقاءات مع التيارات الفكرية والسياسية والدينية في الغرب والعالم عموما، وتعزيز التعاون معها من أجل إشاعة ثقافة الحوار والتآخي والاحترام المتبادل.

نبذ المظالم

وأشار المجلس في توصياته إلى التحديات التي يتعرض لها العالم الإسلامي والمظالم التي ترتكب في فلسطين والعراق وأفغانستان، وتمس بعض المقدسات الإسلامية، مشددا في توصياته على ضرورة نبذ المظالم، والكف عن كل مظاهر العدوان، والتخلي عن سياسات إرهاب الدولة، واحترام المواثيق والأعراف الدولية التي تنظم العلاقة بين الأمم والشعوب، مؤكدا أنه إذا لم يتحقق ذلك فإن السلام العالمي سيبقى مهددا، وسيبقى ظاهرة الإرهاب مرشحة للتنامي.

استثمار العنصر البشري

وفيما يتعلق بتحسين العمل التربوي والتعليمي، أكد أعضاء المجلس على أهمية الاستثمار البشري الحقيقي بلازمة في هذه الظروف بالذات من خلال الاهتمام بالتعليم، مؤكدين أن توصياتهم وملاحظاتهم في إطار مناقشة تقرير اللجنة التنفيذية وتقارير كلية الدعوة الإسلامية وفروعها تأتي في إطار الاهتمام بذلك الشأن، كما أكدوا على ضرورة تشجيع الاستثمار في مجال التعليم الخاص في شرق إفريقيا، مقترحين تكليف اللجنة التنفيذية بتشكيل فريق من المتخصصين والمعلمين للقيام باستبيان حول هذا الموضوع، تمهيدا للشروع في تنفيذ بعض البرامج التربوية.

اختيار أعضاء اللجنة التنفيذية

هذا وقد اتفق أعضاء المجلس في جلستهم الختامية على تقسيم المناطق التي يتم اختيار أعضاء اللجنة التنفيذية منها إلى خمس مناطق بدلاً من أربع، حيث تم فصل الأمريكيتين عن أوروبا، وقد انتخب المجلس أعضاء اللجنة التنفيذية عن المناطق الخمس على النحو التالي:

- أ. مصطفى يعقوب عن آسيا
- د. محمد ساموي عن إفريقيا
- د. / محمد السماك عن المنطقة العربية
- د. / عبد الظهير محمد عن الأمريكتين
- د. / صلاح الدين الجعفراوي عن أوروبا

وبذلك أصبح تشكيل اللجنة التنفيذية للمجلس العالمي للدعوة الإسلامية على النحو التالي:

د. / محمد أحمد الشريف / أميناً عاماً للمجلس العالمي للدعوة الإسلامية

- أ. إبراهيم الغويل عضواً عاماً للمجلس
- د. / محمد ساموي عن إفريقيا
- أ. / مصطفى يعقوب / عن آسيا
- د. / عبد الظهير محمد عن الأمريكتين
- أ. محمد السماك عن الوطن العربي
- د. / صلاح الدين الجعفراوي عن أوروبا

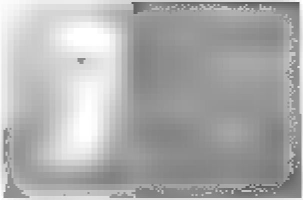


الأدب الجغرافي الإسلامي

المعين لأول للمستعربين

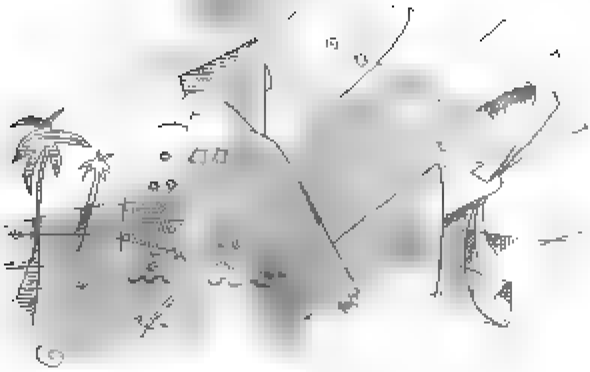
الأدب الجغرافي الإسلامي
المعين الأول للمستعربين

إعداد التحرير



إن المكانة المرموقة التي تحتلها الحضارة العربية في تاريخ البشرية لأمر مسلم به من الجميع في عصرنا هذا، وقد وضح بجلاء في الخمسين عاماً الأخيرة فضل العرب في تطوير جميع تلك العلوم التي اتخذت لنفسها طرقاً ومسالك جديدة في العصور الوسيطة وبقيت حية إلى يومنا هذا، ونعني علوم الطب والرياضيات والكيمياء والجغرافيا والجيولوجيا. أما فيما يتعلق بالأدب الفني العالمي فإن العرب قد أسهموا فيه بنصيب وافر يمثل جزءاً أساسياً من التراث العام للبشرية، كما امتد تأثيرهم كذلك إلى عدد من المصنفات والفنون الأدبية التي نشأت في بيئات غير عربية.

وبالطبع ليس في وسع الفنون المختلفة للأدب العربي الحافل أن تدعي لنفسها مكانة واحدة من حيث القيمة ومن حيث الأهمية النسبية، وإن كان بعضها مثل علم اللغة والعلوم الشرعية يمثل موضوعاً لدراسات المتخصصين، الأمر الذي لا يمنع بالطبع من أهمية مستقلة لها في حالات معينة بالنسبة للنواحي المرتبطة في تاريخ الحضارة؛ إلا أن عدداً من فروع الأدب العربي قد اكتسب أهمية تجاوزت بكثير حدود التخصصات الضيقة، ولعل هذا ينطبق قبل كل شيء على الأدب التاريخي والجغرافي العربي الذي اعترف العلماء به منذ عهد بعيد بأنه المصدر الأساسي والموثوق به في دراسة ماضي العالم الإسلامي، إذ تتوفر فيه مادة لا غنى عنها ليس للمؤرخ أو الجغرافي فحسب بل أيضاً لعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الأدب والعلم والدين واللغويين وعلماء الطبيعة. ولا يقتصر محيط الأدب الجغرافي العربي على البلاد العربية وحدها بل يمدنا بمعلومات من الدرجة الأولى عن جميع البلاد التي بلغها العرب أو التي تجمعت لديهم معلومات عنها، وذلك بنفس الصورة المشرقة التي رسموا بها بلاد الإسلام. وقد يحدث أحياناً أن تمثل المادة الجغرافية العربية إما المصدر الوحيد أو الأهم لتاريخ حقبة معينة لقطر ما، فمثلاً فيما يتعلق بتاريخ إيران في عهد الساسانيين - وهو العصر نفسه الذي تمثله تلك الآثار البهيجة



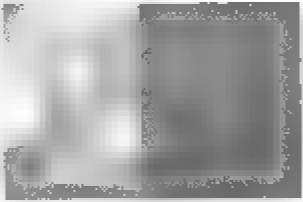
المعروفة تبعاً لمنهج الارتباط Bricolage بالإنجراد. بيد أن المادة الأساسية قد استقاها من المؤلفين العرب. ثم على من الدراية في شيء إذ صرحنا بأن هذا الأدب يستحق أن يكون المصدر الأول الذي يرده ... المستشرقين عن المستشرقين ولن يصل الاهتمام به إلى درجة عالية. هذا الاهتمام يبرره الغنى الهائل لهذا الأدب: ونكوّن فكرة عن ضخامته. نذكر مثلاً أن مؤرخ الأندلس الذي عاش في القرن الثاني عشر وهو المقّري قد أورد أسماء مالكي وثلاثين شخصاً قدموا آراء لمواضيع مختلفة بهدف وضع تصور جغرافي. إن الجغرافيين العرب وحدهم هم الذين ذللوا الطريق لدراسة المادة الجغرافية اليونانية التي أورثها بطليموس للعصور الوسيطة. وليس أقل مغزى من هذا أنه لم يصلنا عن العهد السابق لمصنفات الجغرافية وصف واحد ترجمة ما باللغة السريانية بالرغم من أن معظم المترجمين قد خرجوا من القسطنطينية وبعد المقدسي والإسكندرية. أما المصنفات السريانية المتأخرة في الجغرافيا فقد اعتمدت اعتماداً تاماً على العلم العربي ويمكن أن نعزو بعض الأهمية الكبرى للعلم له وذلك في تطور فترات معينة من تاريخه.

ويمكن القول بأنه قد وضح تماماً لدى العلماء الأوروبيين بجلاء أن الأهمية الأساسية للأدب الجغرافي العربي تستند إلى ما أسهم به من مادة جغرافية جديدة لا على النظريات التي عكستها. ويجب منذ البداية ملاحظة الاتساع الهائل في مدى المعلومات الجغرافية لدى العرب عند مقارنة ذلك بمعرفة العالم القديم. فقد عرف العرب أوروبا بأجمعها باستثناء أقصى شمالها، وعرفوا القسم الجنوبي من آسيا كما عرفوا أفريقيا الشمالية إلى

خط عرض 10 درجات شمالاً وساحل افريقيا الشرقي إلى رأس كريستس قرب مدار الجدي[3] وترك لنا العرب وصفاً مفصلاً بجميع البلدان من أسبانيا غرباً إلى تركستان ومصب السند شرقاً مع وصف دقيق لجميع المناطق المعروفة وبالمناطق المزروعة والصحاري، وبين مدى انتشار النباتات المزروعة وأماكن وجود المعادن. ولم يجذب اهتمامهم الجغرافيا الطبيعية أو الظروف المناخية فحسب بل أيضا الحياة الاجتماعية والصناعة والزراعة واللغة والتعاليم الدينية. كما لم تقتصر معرفتهم على بلاد الإسلام وحدها بل تجاوزت بصورة ملحوظة حدود العالم، كما لم تكن لديهم اية فكرة عن الساحل الشرقي لآسيا الى الشمال من الهند الصينية. هذا ويصف عرب العرب طريق اليابس الذي يرتفع الى أعالي نهر ارتيش ونهر

ينسي، وعرفوا سواحل آسيا إلى كوريا شمالاً. ولا يزال موضع شك معرفتهم المباشرة باليابان وان ظهرت في الآونة الأخيرة على مصور جغرافي وضعه تقي تركي ببغداد في القرن الحادي عشر. ومن المحتمل أنه قد حصل على معلومات بشأنها في آسيا الوسطى التي عرفها جيداً أما عن طريق البحر فمن الثابت أن العرب لم يبلغوا اليابان.

وفيما يتعلق بافريقيا فإن أول مرة يظهر فيها جزء الفريقيا بوصف مفصل كان ذلك في مؤلفاتهم، وقد ظلت معلوماتهم تمثل القول الفصل في هذه الصدد إلى حين ظهور المستكشفين الجغرافيين الاوربيين في القرن التاسع عشر. هذا وقد أتيح البحث العلمي المعاصر أهمية المعلومات التي جمعوها عن عن بلاد نائية مثل نرحيل الملايو واسكندنافية وجنوب شرقي أوروبا



لم يعد العالم اليوم مقتصراً على أوروبا وحدها كما وأن التاريخ الأوربي لم يعد .. في الوقت الحاضر التاريخ العالمي وحده، ذلك أن شعوب قارات أخرى قد احتلت المسرح العالمي. ففي الوقت الذي كانت تسعى فيه أطراف الأرض جميعا إلى رسم مخطط مسرحية التاريخ العالمي دون اية وشيجة سابقة تربط بينها تصور اوربية دائرة يلفها البحر المتوسط وتوسطها

بلاد الإغريق من جهة، وروما من جهة ثانية، فرنسا لها .. ركز يتمدد.

اما ان تكون ثمة شعوب أخرى، وأطراف من الأرض لها شأن عظيم في التاريخ، بل وفي تاريخها العربي خاصة، فذلك أمر لم يبد بالإمكان تجاهله في حاضر قد طاول التعميم عظمة، لأجل ذلك، يطيب الى أن الوقت قد حان للتحدث عن شعب قد ظل يتوالى في مجرى الأحداث العالمية، يدين له الغرب، كما تدين له الإنسانية عامة بالشيء الكثير. وعلى الرغم من ذلك فإن من يتصفح مثلاً كتاب تاريخي لا يجد اسماً لذلك الشعب في ثمانية رئيسي معها.

وحتى هذا اليوم فإن تاريخ العالم، بل وتاريخ الآداب والفنون والعلوم لا يبدأ .. بالنسبة إلى الإنسان العربي وتقليد المدرسة، إلا بعصر الاغريقية وبابل بدءاً حافظاً سريعاً، ثم يتوسع ويكتسب بلاد الاغريق وروما، مار مروراً عابراً ببيزنطية، ومتصلاً إلى

القرون الوسطى المسيحية، ويحتفي منها أكثر الأمر بالعصور الحديثة.

ولم يكن هناك بعد ليصبح أوروبا ما قبل القرون الوسطى في اهتمام أو ليصبح الأحداث التي جرت في العالم خلال تلك العصور أية أهمية أيضاً. ومن أن يكون العرب في جوار قريب لها، وأن يكون هذا الشعب رائداً لغيره من الشعوب في أنحاء شتى في [illegible] بمجالات وخصوصاً علماً وعملاً يشمل الثقافة روحاً جعلت عصر الإغريق الذهبي بشخصيته أكثر من أي شعب آخر. فهذا أمر من يعلم به؟ ومن يستطيع إنكاره؟

في سياق الحديث عن الإغريق اعترف الأوروبيون بدور العرب في التاريخ حين قالوا إن العرب قد نقلوا تراث القدامى إلى بلاد الغرب.

إن هذه العبارة الوحيدة التي يعترف فيها الكثيرون [illegible] لأوروبا [illegible] للعرب في الواقع دور ساعي البريد فقط متنقل من قدرهم حين نقلوا الكتب من المغلق وراء حجاب النسيان.

ليس المهم أن نوضح الحقائق التاريخية فحسب، بل إن الأمر الهام أيضاً في وسعنا هنا أن نبحث عن مستمع الحق في عمق الأمس، ولن نستطيع من قيود المعتقدات الدينية السابقة فحسب من وراء العقائد ومن خلال التسامح والإنسانية السامية على البشر أجمعين، وأن تأخذ العدالة مجراها وترد حقوق شعب نبيل لن حرمه التعصب الديني كل حقوقه [illegible] حق، وحتى من قدر لحضارته المطلقة، وحجب الغرب عنها قيمة حضارتنا بل وقتله بصمت الموت. ألا يعتبر هذا العمل عملاً مبكراً، ألم يحن وقت القيام به بعد؟

إن علاقة الغرب بالعرب منذ ظهور الإسلام حتى هذا اليوم ليس مثال نتعدى في مدى تأثير المشاعر والعواطف في كتابات التاريخ، وكان هذا واضحاً له [illegible] في عصر اعتبر فيه تأثير عقلي دون [illegible] أمراً غير مرغوب فيه بتفكيره الوهمي بل نظرة القرون الوسطى [illegible] حتى يومنا هذا، [illegible] محدودة الآفاق بصيغة من التسامح الذي تبدي [illegible] في وجه الغير، ولو بطريقة لا شعورية بعيدة من تصرف عالمي مشتبه الجذور في نفوسهم [illegible]

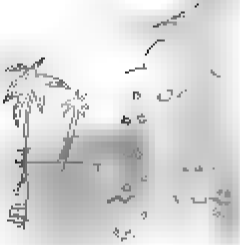


لقد كان لتأثير أوروبا العربية بالنقص [illegible] موجهة الحضارة الإسلامية جوانب متعددة فالتكنولوجيا الإسلامية كانت متقدمة عن التكنولوجيا الأوروبية في كثير من الميادين، وكان أثرياء المسلمين

أكثر استمتاعاً بالكماليات من الأوروبيين، غير أن هذا [illegible] في الغالب لم يتجاوز جانب الأهمية، أما من الناحية العسكرية، فقد كان المسلمون في الماضي يسيطرون على غيرهم، ولم يكن الفرسان النورمانديين أقدر أن يتصدوا لمواجهتهم. غير أن سعة أراضي الدولة الإسلامية كانت مهولة، وكان الناس في أوروبا القرن الثاني عشر يرون أن العالم مكون من ثلاثة أقسام: آسيا وأفريقيا وأوروبا. فأما آسيا [illegible] فقد كانوا يعتبرون أنها بأسرها تقريباً في يد المسلمين وكذا معظم أفريقيا، في حين لم تكن أوروبا كلها مسيحية. وعلى ذلك افترضوا أن نحو ثلثي سكان العالم مسلمون. كذلك فإن أي مسيحي [illegible]

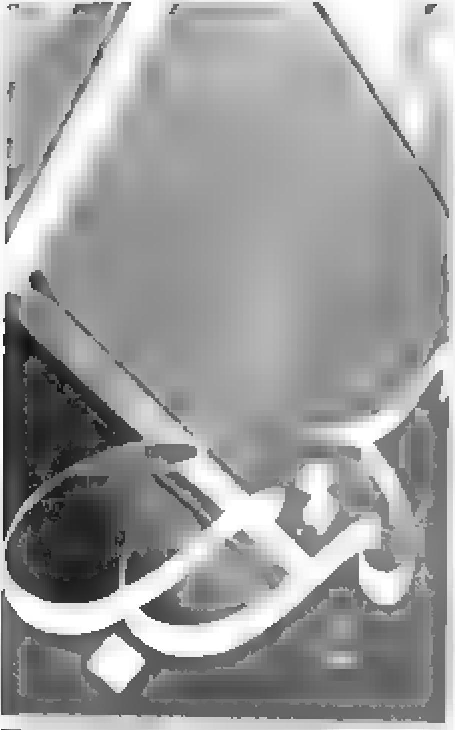
بالمسيحيين. لكنه بحسم ثابت الذي لا يتزعزع يتوجهه وتطلعاتهم على غيرهم. ويمكن القول بوجه عام إن مظاهر الأوروبيين الغربيين المعادية للإسلام لم تكن مختلفة عن مظاهر طبقة محرومة في دولة عظيمة، وقد تحوّلوا - كما يتحول أفراد الطبقة المحرومة - إلى أندادٍ في سعيهم لإسناد وجودهم في مواجهة الجماعة صاحبة الامتيازات. وكان تحولهم بالأخص إلى ما يمكن أن نسميه بشكلين من أشكال الإيمان المسيحي، ألا وهما: تقديس القديس جيمس في كومبوستيلا، والحركة الصليبية. وكان الحج إلى كومبوستيلا والتحمس للحملة الصليبية المتوجهة إلى القدس هما البؤرة المركزية لحركة دينية شعبية.

وكان تشويه الأوروبيين لصورة الإسلام ضرورياً لتعويضهم من إحساسهم بالنقص. وقد أسهم بطرس المكرم بنصيبٍ أساسي في تكوين هذه الصورة الجديدة، سواء بتكليفه البعض بإعداد المجموعة الطليطلية أو بقيامه هو نفسه بإعداد موجز للتعاليم الإسلامية مع تفنيد لها. حدث هذا قبيل منتصف القرن الثاني عشر. وفي الوقت الذي لم يكن تمثل الأوروبيين علوم العرب وفلسفتهم قد قطع شوطاً بعيداً. ومن ثم فإنه لم يكن لاعتماد الأوروبيين على الفكر الإسلامي وحاجتهم إليه دور كبير في خلق إحساسهم بالنقص. وإن كان علينا أن نتذكر أن اثنين من المترجمين الذين قصد إليهم بطرس، وهما هيرمان الدلماسي وروبرت أوف كيتون، كانا يدرسان علم الفلك حين أن يجندهما بطرس بتمويل منه. فلا شك إذن في أن بطرس المكرم كان مدركاً إلمام البعض في أوروبا على الاغتراف من علوم المسلمين وربما كان لديه إحساس لا شعوري بالنقص إلى حد ما. وكان لصورة الإسلام التي خلقها الباحثون المسيحيون في ذلك الوقت في إقناع المسيحيين الآخرين بأنهم في حروبهم ضد المسلمين إنما يحاربون من أجل نصرة النور على قوى الظلام. وأنه حتى إن كان المسلمون أقوياء، فإن دينهم خير من الإسلام.



فيخلصوا هم إلى عن النور والظلمة. غير أنه في عالم اليوم، وبعض ما نسيهم به فرويد من أفكار، نعلم جيداً أن الظلمة التي ينسبها المرء إلى أعدائه ما هي إلا إسقاط للظلمة الكامنة فيه هو، والتي لا يريد الاعتراف بها. وعلى ذلك فإنه ينبغي علينا أن ننظر إلى الصورة المشوّهة للإسلام باعتبارها إسقاطاً لما اكتنف عقول الأوروبيين من جوانب مظلمة. فأما التعصب والإفراط في إشباع الشهوات الجنسية اللذان اتهموا بهما المسلمين، فكانا شائعين في أوروبا أيضاً. بل إن التمزق المسيحية الملتبس. فالشهوة الجنسية في الديانة المسيحية تؤذي الروح وتحول بينها وبين الخلود. وعلى ذلك اعتُبرت عزوبة الرهبان أسمى من الزواج. ومع ذلك فلابد أن الأفراد العاديين - حتى مع تمسكهم بالحديث عن فضل العزوبة على الزواج - كانوا يتصرفون في الواقع على أساس أن إشباع الشهوة الجنسية أمر حميد.

ولا بد على من يوصي الأوروبيين المسيحيين بأنفسهم من أن يعلي الشخصيات البارزة منهم يستطيع أن يدرك أن الصورة الأوروبية للإسلام ترجع إلى الشرور القائمة في أوروبا ذاتها.



[illegible] ارشاد مانجي

الخلل في الإسلام

فضيحة اسمها: إرشاد مانجي

الخلل في الإسلام

عرض: المبروك بشير نصر*

إرشاد مانجي Irshad Manji صحافية ومثقفة مهاجرة بمجموعة ... من القنوات التلفزيونية، تقدم برنامجاً تلفزيونياً اسمه QueerTV تتعرض للإسلام والمسلمين بالنقد والتسفيه والتحقير، وتعتبر أن الخلل الحقيقي لا يكمن في المسلمين أنفسهم كما يزعم بعض المتطرفين منهم، ولكن الحقيقة المرة التي يتجاهلها المسلمون أنفسهم والمتعاطفون معهم من غير المسلمين هي أن المشكلة الحقيقية تكمن في تعاليم الإسلام ذاته، ذلك الدين الذي أفسد عقول معتنقيه ومواطنيهم وأسدل حجاباً كثيفاً على حقائق الأشياء، مُحرِّماً أشياء جميلة تحمل كثيراً من معاني الحرية والإنسانية مثل العلاقات الجنسية المثلية، ودون تحريم زواج المسلمين بغير المسلمين، والحرية الشخصية للأفراد، حيث يمنع الاستعباد ... الذي قد ... من التحدي والاضطهاد، علماً أن الأمور قد ... من البيت هذا لا يطاق.

الخلل في الإسلام، كتاب روج له من يعادي الإسلام من الغربيين، فترجم من الإنجليزية إلى لغات عديدة: العربية والأردية والأسبانية والإيطالية، والفرنسية والعبرية والفنلندية، والألمانية، وصدرت منه طبعات خاصة في بلدان عديدة هي بريطانيا، أمريكا، أستراليا، فرنسا، كندا، إيطاليا، البرازيل، إسبانيا، الدنمارك، النرويج، فنلندا، ألمانيا، هولندا، ... باكستان، إسرائيل.

ما هي تلك الأهمية التي يتضمنها هذا الكتاب حتى يحظى

الخلل في الإسلام

أو المشكلة مع الإسلام اليوم

The Trouble with Islam Today



يقع الكتاب في نحو مائتين وسبع وعشرين صفحة تتوزع على اثني عشر فصلاً هي:

- الرسالة
- كيف أصبحت مسلمة رافضة؟
- الحواري المسيحي
- متى توقفنا عن التفكير؟
- يوميات ...
- من يحتل من؟
- ... في الإسلام
- عملية اسمها الاجتهاد
- مدح الأمانة
- شكراً لله على الغرب

* كاتب وباحث وأستاذ جامعي، ليبيا

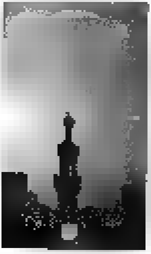
بهذه الترجمات العديدة التي تم نقلها لشهير الكتب التي ظهرت مؤخراً في التاريخ؟

بحفاوة شديدة لأنها صرعة معاداة الإسلام. فمعاداة الإسلام أصبحت في جميع أنحاء المعمورة الطريق الأيسر للشهرة والكسب السريع، ومن ذلك هو تفسير الذي أراده الشاعر الألماني الكبير ريلكه بقوله: «الشهرة سوء فهم يتجمع حول اسم جاهله».

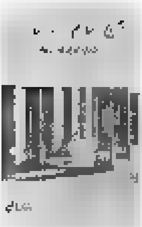
فالقارئ حينما يطلع على هذا الكتاب سيدرك دون عناء مدى الانحطاط الأخلاقي والإسفاف الفكري الذي تقوم به مؤسسات مجهولة حاقدة لا هدف لها إلا محاربة الإسلام والمسلمين.

فمن هي إرشاد مانجي؟

باكستانية ولدت [illegible] مع عائلتها في أوغندا ثم هاجرت مع ذويها وهي في الرابعة من العمر سنة 1971 إلى ريتشموند وهي ضاحية من ضواحي الطبقة الوسطى في فانكوفر بمقاطعة بريتش كولومبيا. ولأن والدها لم يكن ميسوراً بعد فقده كل ما يملك في أوغندا، توجهت لكنيسة تؤمن خدمة الأطفال مجاناً هي Rose of Sharon Baptist Church وفي هذه الكنيسة كان أول اتصال لها بالكتاب المقدس الذي سحرها بصوره الجميلة، بموسوعة للأطفال التي تحكي قصص الأنبياء و[illegible] العهد القديم والجديد. وتقول الكاتبة في الفصل الأول من كتابها عن هذه الفترة التي أمضتها في حضن الكنيسة: «أنظر إلى الماضي الآن، وأحمد الله أن [illegible] انتهى بي إلى عالم لا [illegible] أن يكون القرآن كتابي الأول والأوحد فيه، وكتابه الهداية الروحي الوحيد الذي تقدمه الحياة إلى المؤمنين».



وفي سن التاسعة ألحقها أبوها بمدرسة إسلامية دينية اسمها «المدرسة» في ريتشموند، وهي ليست مدرسة بمعنى الكلمة، وإنما هي قسم من مسجد حديث البناء خصص طابقه العلوي ليكون مدرسة لتعليم الأطفال. وكانت إرشاد مانجي تذهب يوماً واحداً في الأسبوع هو يوم السبت. وفي أيام السبت المبهمة وفي هذا العمر الطفولي اكتشفت هذه العبقرية الفذة، كما تزعم، حقيقة الإسلام. تقول الموسومة إرشاد مانجي: «وفي دروس يوم السبت التي كنت أحضرها [illegible] من كان [illegible] لا [illegible] فهو ليس [illegible]!!»



من الفصل الأول للكتاب: كيف أصبحت [illegible] والقضايا [illegible] إلى السيرة الذاتية منه إلى الكتاب تكشف الملامح من الفصول الرئيسة في فصلها [illegible] الجنسي لا يبدي

معاداة السامية، قمع المرأة، الدفاع عن الشذوذ الجنسي، حرية التعبير، الدعوة إلى الديموقراطية، محاربة الإرهاب. وهي العناصر الجوهرية التي تدور حولها أغلب الكتابات الغربية الجاهلة حول الإسلام والمسلمين بعد حدث 11 أيلول. إنها أطروحات دانيال بايبس، وبات يؤرسون من اليمين الصهيوني [illegible]

باكستانية يعترض أنها مسلمة ولكنها لا تعرف عن الإسلام إلا أنه قريبة من اليهود كما تصرح بذلك في الفصل الأول من كتابها "مشكلة مع الإسلام اليوم".

استطاعت إرشاد مانجي - حسب ما ورد في موقعها على الإنترنت - أن تكسب أنصاراً ومؤيدين لأطروحاتها التي تهدف إلى تقديم معلومات محرفة عن الإسلام كما يزعم هذا موقعها، ومن هؤلاء المؤيدين: اتحاد أكسفورد Oxford Union، ورابطة الصحافة الوطنية المتحدة United Nations Press Corps، اللجنة الوطنية للسياسة الخارجية الأمريكية National Committee on American Foreign Policy، ووكالة بحوث الدفاع السويدية Swedish Defense Research Agency، ومعهد جان جاك روسو Jean Jacques Rousseau Institute، والبنتاجون Pentagon، وأرشيف الحركة النسائية الدولية بأمستردام Amsterdam-based Archives of the International Women's Movement.

وعملت مطوعة بهيئة تحرير مجلة Sentinel كما عينت للاهتمامات التربوية لا مرشدة خاصة بمؤسسة Pierre Elliot Trudeau Foundation في مونتريال، وفي محطة تلفزيون المدينة City TV بمدينة تورنتو قامت بإعداد وإنتاج برنامجها التلفزيوني الشهير Queer TV، وهو أول برنامج في العالم يُبث على موجات الهوائية التجارية Commercial Airwaves يستكشف حياة الشواذ من اللوطيين والسحاقيات gay and lesbian people وقد فاز هذا البرنامج الذي يعد المعلقين الأوليين منه بجائزة الجيمني.

قدم لطبعة الكتاب العربية أستاذ مصري يقيم حالياً في شيكاغو يدعى خليل محمد أصله من عمان، وتربى في الكويت، حصل على درجة البكالوريوس في علم النفس، ثم تلقى دروساً في الشريعة الإسلامية بجامعة ماكجيل الكندية، كما يعمل إماماً لأحد مساجد أمريكا! (ما على الطريقة الأمريكية!) يقول معرفاً كتاب إرشاد مانجي:

"يستطيع من لا يحترم إرشاد مانجي أو لا يستمع لمسلمين أمثالها أن يمتنعوا من الاستماع إلى الأئمة أمثالي. مؤلفة تهدد سلطتي الذكورية لا وتعرف أشياء عن الإسلام أتمنى أنها ليست صحيحة. وهي لديها أسئلة ونقد وحقائق من المصادر تؤكد بها تحليلها. وهي صحافية، وما تعلمته في المدرسة الدينية غرس في عقلي حتى كان يدخل في تركيبة ما دي القرآنية أن الله يكره مليين والسحاقيات. وللفروض حد. وأكره هذه الفرائض ولكن لدى الاحتكام إلى الضمير والعقل لعلّ توصلت إلى استنتاج محرج: إن إرشاد تقول الحقيقة، والله يحمي من دافع عن الحقيقة. وهذا يعني أن أقف إلى جانبها، ولم أكتب هذه المقدمة لهذا السبب، بل كتبتها لأنني بحاجة إلى التكفير عن تصرفاتي الرائي، ولأنه كثير ما يُشفي على ثقتي في تحمس الإسلام المتطرف والإرهاب، وإرشاد لا تقف"



ولا تكون وحي تتضمن معاداة اليهود فضلاً عن الترويج إلى تحلين مسؤوليته كل ما يعانيه الإسلام من علل على شماعة الآخر الغربي. إرشاد كيف تجرئين على سرقة رجولتي مني بتأليف كتاب كان علي أن أكتبه [illegible] هذا بعض من الضريبة التي الذي قوبل به هذا الكتاب الأكثر مبيعاً لإرشاد [illegible] آلاف من مثل هذه الشتائم والتهديدات بالقتل من مختلفة هذا النوع.

من الواضح أن هذا الضرب من التآليف صناعة يهودية لا تخفى عيوبه

ويكفي أن يقال هذا الحمد لله أنه لم يطلق على الإسلام إلا صفة أو ظاهرة أو مضمون [illegible]

جاء في النص الذي يحمل عنوان هو "الرسالة" وهي مقالة موجهة إلى المسلمين

في هذه الرسالة طرح أسئلة لم يعد يتملك الهروب منها: فلماذا نكون هانئين لما يجري بين الفلسطينيين والإسرائيليين؟ ما مشكلة تلك الصيغة العنيدة من معاداة السامية في الإسلام؟ من هو مستعمر المسلمين حقيقي أميركا أم الجزيرة العربية؟ لماذا نعرقل مواهب النساء ومن يحتقر نصف ما خلقه الله تعالى كيف يمكن أن نكون واثقين كل هذه الثقة بأن النبيين يستحقون الإقصاء [illegible] في حين أن القرآن يقول إن الله أحسن كل خلق؟ لماذا بالطبع أقول أكثر من ذلك، نكون ما نحن لقراءة القرآن قراءة نصية وهو على هذا القدر من التناقضات والإبهام؟.

ويقول أيضاً

من أسمعه منكم من المسلمين مستهترين بردة فعل فرنسا والحقيقة أن المسلمين في فرنسا سألوا كاتب إلى محكمة لأنه وصف الإسلام بكونه أغبى الأديان. يبدو أن هذا الكاتب يعترض على الكراهية التي تأكيد حقيقة حتى بالنسبة للمحرومين منها في البلدان الإسلامية. ولكن من كان هذا العربي على حق عندما كتب أن ما على الإسلام أن يكف؟ وماذا عن تحريض القرآن على كره اليهود؟ ألا ينبغي أن يكون المسلمون الذين يستحضرون القرآن لتبرير معاداة السامية هدفاً للملاحقة القضائية؟ أم أن هذا سيكون بمثابة ردة فعل شرسة تحرض؟ ما الذي يجعلك أصحاب حق وكل من سواك عنصريون؟».

ويقول

هل تتساءلون من أكون حتى أخاطبكم بهذا الأسلوب؟ أنا مسلمة أعتقد وهذا لا يعني أني أرفض أن أكون مسلمة. إنه ببساطة يعني أني أرفض الانضمام إلى جيش من الببغاوات البرمجة باسم الله. وأنا أستعير هذا التعبير من الرافضين الأصليين اليهود السوفييت الذين رفعوا [illegible] الدفاع عن الحرية الدينية والحرية الشخصية فقد منع أصحابهم الشيوعيون السماح لهم بالهجرة إلى إسرائيل وكان جراء محاولاتهم ترحيلهم عن الاتحاد السوفياتي أن





كثير من الراشدين يعبرون النص اشتغالاً شاقاً، و حياناً يفسرون النص بأهوائهم

ولكي يعبرون الزمن سنعلم بصعوبتهم في الامتثال الى آيات السيطرة على العقل وتجريد الإنسان من روحه في نهاية النظام التوتاليتاري، ويحق عليه ان نسمي [illegible] الإسلام لا بسبب [illegible] يبدون [illegible] بسبب ضد الفاحشة، لا بسبب انها انتهاكات الصارخة لحقوق الإنسان نحو النساء والأقليات الدينية.

تتحدث إرشاد مانجي في كتابها كيف [illegible] مسلمة رافضة عن التفكير العائلي الذي كانت تعيشه مع سطوة أبيها وقسوته وهو ما يفسر جنوحها نحو التمرد الجسدي والذهني معا، فتقول:

«ولكن في البيت كانت قبضة والدي الباطشة [illegible] وما تكفل بتطويع [illegible] لتوعد [illegible] عقابية [illegible] عند [illegible] عندما [illegible] أنت عندما تركن [illegible] تذكر [illegible] في غرفة المعادية [illegible] أنهال علي [illegible] الضرب لا [illegible] الشرطة [illegible] جاءوا [illegible] بالعودة الى [illegible] تعلمين ان [illegible] سيفعلون [illegible] حدث [illegible] الاجتماعية [illegible] الأخرى.

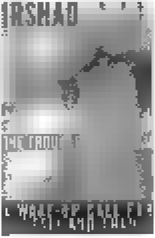
[illegible] التي [illegible] في الليل من [illegible] عرفتي [illegible] لم [illegible] فكرة [illegible] لدى شركة [illegible] إلا في [illegible] الأولى من الصباح»

وتمضي قائلة:

«وفيما كان الناقدون ينعتون الإسلام [illegible] اكتشفت أن [illegible] مدهشة من [illegible] كم ممن يعرف إلى أي حد كان الإسلام هدية من اليهود!»

وتقول عن تجربتها الشاذة:

«إن سؤالين بصفة خاصة [illegible] كلاهما [illegible] ولكن ليس من [illegible] السؤال الأول هو: كيف يمكن التوفيق بين المثلية والإسلام؟ فأنا [illegible] الانفصاح عن توجهي الجنسي لأني [illegible] في بيت [illegible] الفرح [illegible] الحب التبادل الذي [illegible] البهجة في سن البلوغ [illegible] المراهقات من عمري [illegible] ومن ثم [illegible] في الوقت نفسه [illegible] سعادة [illegible] أكثر [illegible] أدرس الإسلام بصورة منتظمة [illegible] لإقامة علاقات مع النساء وموضوع كتاب [illegible] للتعريف [illegible] الاتجاهات [illegible] في أمريكا الشمالية [illegible] وكان سؤالي [illegible] التفكير [illegible] الله العليم القدير لا يريد ان





يجعلني مسلمة فلماذا خلقني مسلمة؟ هل خلق أحداً بدلاً مني؟

وفي الفصل الذي يحمل عنوان ... تتحدث الكاتبة عن القمع الذي يحصل بالتأكيد في العالم الإسلامي وتنقل لنا تجارب شخصية لأفراد هربوا من بلدانهم مخافة التنكيل بهم وأقاموا في كندا كما تتحدث عن جمعية للمثليين مسلمين، في باكورة هذا الانفتاح الذي تبشر به هذه المهووسة جنسياً ... الفاحشة

ثم تنتقل بشكل حاد إلى مهاجمة المجتمعات العربية والإسلامية وتتهمها بالتخلف والجمود ... الإرهاب معظم أيدي العراق وبعض الرواة وتترجم الوطنيين والصحافيين الذين ... الإرهابيين مارسوا حقوقهم الشرعية وفق نواميس الطبيعة وتصب جام غضبها على البلدان التي ترفع شعارات تحكيم الشريعة الإسلامية واصفة إياها بصفات قبيحة وتسوق أخباراً كاذبة أو على الأقل لم تثبت بعد ... للإسلام وكلا هي ثقافة الإعلام الغربي الذي اعتاد تضخيم الوقائع ... وكأنها ... أو بركان متفجر فمانجي تحكي لنا قصة فتاة من نيجيريا اغتصبت فيها حكم القاضي عليها بالجلد 180 جلدة وهي قصة ذكرتها صحيفة فرنسية ... فيها أو على الأقل مبالغ فيها لأن كل من له أدنى معرفة بالأحكام الشرعية يعلم أن واقعة كهذه لا ... فيها ... الإسلام ... بالشبهات ... الذي يحكم بـ 180 جلدة ... وهو يعلم قوله تعالى ﴿ ... ﴾ [illegible]

من الواضح أن الذي ... هذه الحكاية للترويج الإعلامي جاهل بأحكام الإسلام وإلا ما وقع في هذا الخطأ الجسيم ... إرشاد مانجي ... هذه الواقعة و ... ترددها ... في فصول الكتاب وكأنه لا يكفي مرة واحدة في مقطع كتابي

في ... الفصل تتحدث عن تجارة الرقيق في السودان ... استرقاق ... في تاريخ الإنسانية ... وأن الإسلام لم ... الرق ... ولكنه شرع العتق ... في السودان أو في غيرها ... من ... ولا ... للإسلام ... فضلاً عن أن حكاية عودة الاسترقاق هذه لم تثبت ... مجرد حكايات ... الله أعلم ... وردت في بعض التقارير التي ... تدافع عن حقوق الإنسان ... لأصله فهو مجرد ... مانجي ... عن حقوق الإنسان في سجون غوانتانامو أو في ... مثلاً ...

وأما ... بعنوان الفصل ... الكاتبة هجوماً على ... المسلمين التي ... الشهداء ... بالجنة ... هذه الدعوة ... هي التي ... بمحمد عطا وأصحابه إلى تفجير مركز التجارة في



عن الموقع



الحادي عشر من أيلول طالبي سمداوات بجنبهم شيئهم التكبيت فكلى

سمحو لي أن أقلل لكم معانيج هذه اللغة الآرامية في الكلام الدرجة الثانية أن عطا والشباب كانوا ينوقعون أن يدخلوا حديقة مطلقة على عصرات الحوريات في الجنة، وهم يمسوا أحدهم في ذلك. فقس شك من 11 سبتمبر أيلول، قال مسؤول عن كسب انصار لحركة حماس الفلسطينية التي تحولت من المقاومة إلى الإرهاب في تصريح لمحطة سي بي سي التلفزيونية إنه يلوح بحوالى 11 حورية أمام مرشحين لتنفيذ عمليات انتحارية. يبدو الأمر وكأنه حصة اوجهه للفرد عند بلوغ الدوم الجنسية مقابل الاستعداد للتضحية!! بالترغيم [illegible] من يهيد أن الله لن يعد بمجازاة المسلمين الذين يستشهدون؟

هذه هي اللغة الشرقية الفاجرة التي تستخدمها الكتابة

وحتى يبين لنا تماما فهم مفهوم الحور العين الوارد في القرآن تقول إن كلمة الحور كلمة مصاحبة للعنب، فيا حيرة أمي الشهداء الذين يحصلون في عناقيد الجنة إذ لن يجدوا أمامهم إلا العنب يطمئنون به شبقهم لا وهي تقدم بغرابة هذا المفهوم ولكنها تقول إنه فهم مبني على دراسة لغوية عميقة قام بها باحث مرموق بالكاتب هو كريستوف لكسنبرج.

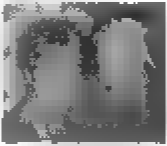
تقول [illegible] ولكنه لديه نهم للاعتقاد أن هناك عناء في الجنة فإن حظ شرب وجد طريقه إلى القرآن، إذ تفيد الأبحاث الجديدة أن ما يمكن للشهيد توقعه مقابل تضحياته ليس حوريات بالمعنى الحرفي، ذلك أن الكلمة التي ترجمت خطأ إلى عذراوات طيلة قرون على أنها كلمة حور قد تعني فيما أدق بمعنى العنب الأبيض ألا تضحكوا بهم ولو نتحدث عن أية حال فالعرب في الجزيرة العربية خلال القرن السابع كان من الطبيعي التمتع بهذه الفاكهة لأن يعتبر عنباً من طبائق الجنة [illegible] ولكن أن يكون العنب هو المقصود بدلاً من الحور؟ حاش لله، كيف يمكن للقرآن أن يرتكب مثل هذه اللغة؟

المؤلف الذي يقف خلف هذه الحجة كريستوف لوكسنبرج Christoph Luxenberg خبير متخصص بلغات الشرق الأوسط وهو يستند بحثه القرآني باللغة إلى عمل استمر أكثر من ثلاثة قرون على ظهور الإسلام في شكل من أشكال اللغة الآرامية التي كانت هي الأرجح لغة المسيح وهي كانت اللغة السائدة بالثقافة اليهودية المسيحية الأمر الذي يستدعي التعامل [illegible] عوام بأنه يمكن [illegible] من كتب منزلة فإن لا أحد كان سيترجم نص بعربية إلى العربية أو لغته ترجمته في عام كلمة الحور والله أعلم كم من الكلمات الأخرى وتكون في الهامش في هذا الوضع

هذا في صباح مخابرات في تورنتو يعملون مع خبراء بمكافحة الإرهاب في أنحاء العالم من الانتحاريين كثيراً ما يرتدون أكثر من لباس داخلي واحد لو يحتفظ المنطقة الحساسة من جسمهم بالجراك لحماية مقاماتهم التناسلية من



محمد عطا [illegible]



فيه الانتحاريون ألف عذراء ... الكلام لمن لا تكفي ... م
كلام ... أنها ... مخابرات ... الأقل ... متساوية!

والباحث الذي أشارت إليه هو شخصية مجهولة، والاسم الذي أطلق عليه وهمي كما صرح ناشر كتابه هانس شيلر صاحب "دار الكتاب العربي" ... ولم تطلع عليه في ... الألمانية كما صرحت بذلك في الهامش، ولكنها اعتمدت على العرض الذي قام به الكسندر ستايل في صحيفة نيويورك تايمز ... مارس/آذار 2003 وهو بعنوان "آراء جديدة متطرفة وأصول القرآن".

Alexander Stille, Radical New Views of Islam and the Origins of the Koran, New York Times



وأحسن من عرض لكتاب لوكسنبرج الذي يحمل عنوان "قراءة سريانية آرامية للقرآن" الأستاذ فرنسوا دي بلو François de Blois في بحثه المنشور في مجلة الدراسات القرآنية Journal of Qur'anic Studies, V, Issue ... 2003 وفيها يقول رداً على الكسندر ستايل ... مؤلف الكتاب لوكسنبرج بأنه عالم باللغات السامية القديمة بالتالي ليس صحيحاً، فالمؤلف يتكلم العربية ... العوام ... متمكناً من الفصحى، وله معرفة بالآرامية بالقدر الذي يعينه على استخدام القاموس الآرامي، وهو بريء من كل فهم حقيقي لنهج علم اللغات السامية المقارنة، وكتابه ليس عملاً علمياً ولكنه عمل هاوٍ ... كريستوف لوكسنبرج ليس ... ولكنه ... مسيحي، ولا يحتاج كاتب أمريكي أو أوروبي في علوم اللغة أو حتى في علوم العربية إلى أن يخفي هويته ولا ... له في القيام بذلك.

وفي الفصل ... (... عن المذكورة) تتعرض الكاتبة لمواقف المسلمين من أحداث 11 سبتمبر وتصفها بالشماتة، حيث سعى المسلمون في جميع أنحاء العالم إلى تبرئة الإسلام من تبعات هذا الجرم العظيم، بدلاً ... من ذلك ... الإرشاد.

وأوضحت أن ... في أنه بدلاً من الاعتراف بوجود مشكلة حقيقية في جوهر ... بشكل ... على الإسلام ... من أجل إيصال الرسالة، والرسالة هي أن ... إرهابيين ... الجهاد الأكثر ... النقد الذاتي.

لا يكاد يخلو فصل من فصول الكتاب الأربعة كلام عن اليهود، إما باعتبارهم ... أو باعتبارهم أصحاب الفضل في كل ... المسلمون من انتصارات حربية أو معرفية، فهم ... الفضل في فتح الأندلس إلى اليهود ... اليهود ... القدس في عام 638

ميلادي وصرخوا مثيله داود الأمر المتطرفين الذين دنسوا الأماكن اليهودية المقدسة باستخدامها مزابل يرمون فيها قاذوراتهم، وقد دفع ذلك بمسلمين الطاهرين إلى تنظيف المكان ودعوة العائلات اليهودية إلى العودة.

لاحقاً ازدهر اليهود بالتعاون إلى مستوى تعلم العبرية بالحدود يشاركون في العمل العسكري مع المسلمين، زاد ذلك بعود... يعانون في ظل الاضطهاد للمسيحيين بدعمهم الكاثوليكي ... يتوسلون بالمسلمين العرب أن يحرروهم بالأسياد في شبه جزيرة ايبيريا ... مسلمين من اليهود عيون لهم ضد أي زحف ... عليهم يقوم به جيش البابا ... من اليهود سبى المسلمين اسبانيا في سنة 711 ميلادية.

هذا كلام لا يحتاج إلى تعليق ... المصادر التي تعتمد عليها الكاتبة هي يهودية المنبع خرجت من دور نشر يهودية، مثل كتاب

Khalid Durán, Children of Abraham: An Introduction to Islam for Jews

(Hoboken, New Jersey: Ktav Publishing House/American Jewish Committee, 2001)

الذي اكثرت من النقل عنه وهو من منشورات اللجنة الأمريكية اليهودية والعجيب أن كل ما يأتي في هذه الكتب ... تاريخية مجد اليهود تنظر إليه الكاتبة ... بحقائق التاريخ ومناهج البحث على أنها حقيقي مطلق الذي لا يتطرق إليه الشك ... أن مسلمين اسبانيا قبل الفتح الإسلامي كانوا يهوداً كما تزعم هذه الكاتبة الشاذة.

بدت الكاتبة التي أصبحت وكأنها ناطقة رسمية باسم إسرائيل واليهود ... إلى اليسار، وهرعت توجه انتقاداتها المريرة للفلسطينيين ... الدماء والبلاء الذين يستكثرون على اليهود ... وطنهم التاريخي على ... الفلسطينيين ... كل ... السمة الفلسطينية مهزومة ثم تشاركه ... في الدفاع عن وجودها ... الهوية الإسرائيلية ... حقهم التاريخي في البقاء فوق أرض اسمها فلسطين، وتشرع تدعو إلى التعايش السلمي وتصير كل الإحباطات الفلسطينية إلى المقاومة التي ... إرهاباً ... تقف إرشاد مانجي الباحثة عن الحقيقة ... إسرائيل ... من كتب على حقيقة ما يجري، تقول إرشاد:

«... صحافية ... بفتح الأبواب على مصاريعها ... وجهت لي دعوة لزيارة إسرائيل في ... 2002 ... أكثر في التعرض ... شيء منفتح على جانب من الأهمية، فالمسلمون يعاملون النساء معاملة طائفية ... معاملة اليهود ولكنك لا تحمل النساء ... على جانب ... ويمكن ... على ... أن ينظر إلى إسرائيل على أنها تمثل مفتاح ... إلى إصلاح الإسلام».



هل هو أحد نتائج القسوة بسبب طبيعة هذا الكتاب فضلتُ أن أعرف ذلك

ولبيت الدعوة لزيارة إسرائيل بشرطين: أن يُسمح لي بطرح أي سؤال أريد طرحه ولي أن أساهم في تحديد برنامج الزيارة. وهما الشرطان اللذان على وجه التحديد اللذان ذكرتهما منظمات عربية وإسلامية لدى استفسارها عن إمكانية القيام بمهمة مماثلة ولم يصدر رد من هذه المنظمات. وقد كانت الحرب العربية اليهودية محسوسة بالمواطف الملتهبة منعكسة على الأرض أمام أنظارنا لدرجة أن أرى بنفسي ما إذا كانت إسرائيل تستحق غضب المسلمين. غضب يشل الحركة. وإني لأتحدث عن الغضب الذي يستغله البعض ليتنصل من مسؤولية ما نصنعه نحن بأنفسنا في الشرق حيث نعاني من جهة عجائب تمتد لمئات سنوات وإذ كنا نريد حقاً أن نتخلص بسهولة من الأفكار الساذجة ونجري التقييم: هل إسرائيل حقاً ذلك الوحش كما نصوّرها؟

طلبتُ من الصهاينة أن يحجزوا لي تذكرة طائرة ...

أخلاصه إن إرشاد ملائم وجدت فيه مساهمة تفيد أنها تدافع عن وجودها ضد جماعات إرهابية تتغذى وتنتشي بمفاهيم السب والكراهية ... إلى منطقة العرب والمسلمين الكبرى أنهم يُخفون معالمهم ونظمهم ضد الغرب وأمريكا وإسرائيل لا

لقد لاحظت حرية الرأي والصحافة في إسرائيل ... تنقل لك وقائع قريبة للمرحلي على ما أدهلها وكأنها ... من هذه الأساليب المستقلة يجري مثله في البلدان العربية نسبة ... بناء على حكمها المتخصص فإن هذه البلدان تتمتع بحرية التعبير والإعلام الحر ... علاقة إلى ... في القمع والاستبداد ... الكاتبة في مطلع الفصل الذي يحمل عنوان: بوابات ...

ولدى ... في الكنيست (البرلمان الإسرائيلي) ... البلد ليس بحاجة إلى مزيد من المهاجرين المتدينين من أمريكا الشمالية ... الصحف ... تصريحاته وتحويلها إلى رؤية ساخرة ... على أنه ... القوانين الإسرائيلية تكفل حرية التعبير ولهذا ...

... التي ... الصحافة ... التي هي بمثابة ... تايمز الإسرائيلية ... فهي وجهت انتقادها ... إلى مشروع تقدمت به ... أساس ... الدولة من أجل ... يهودية ... مشروع هذا القانون ... بالمشروع العنصري ... النص في العنوان ... مشروع قانون عنصري ... النظر عن مشروع القانون بسبب ما ... في إسرائيل ... الذي



ما أورده المؤلفة بكتابة الوقائع والأخبار حيث تم توقف الاستيطان ويجري تراضي الفلسطينيين لإقامة مستوطنات جديدة بسبب الذاهبين الجدد. وفي الفصل المسمى بـ (من خلق من؟) تستشف المؤلفة كلامي نكتة سمجة تقول (رشاد مانجي)

ثمة نكتة يتناقلها الفلسطينيون عندما [illegible] إلى أن عرفات يموت شهيدا ويمضي إلى الجنة. ويصادف بعد [illegible] من الشهداء مثله يتجمهرون على باب الجنة في لهفة للمطالبة بها ومنعوه من عذراوات دينية. ولكن الملائكة منعتهم من الدخول.

وعندما يرى الجمع الساخط عرفات يتفحص السماء ويحدق في ضآلة بعضهم بعضا قائلين: ها هو رئيسنا وسيتدخل لحل الإشكال.

عرفات يسأل مرتبكا: ماذا [illegible] في الداخل؟ فيخبره حراسه: إن أسماءنا ليست على القائمة. وليس لديهم شيء [illegible] الفلسطينيون. فيتجه عرفات نحو الشباك ويقدم نفسه إلى الملاك الذي يمر كاتبا هناك على أنه قائد الشعب الفلسطيني.

يتساءل الملاك الإنكليزي: من؟

يرد عرفات: الشعب الفلسطيني.

يُقلب الملاك الكاتب قائمة طويلة لدخول الجنة ثم يهز كتفه معبرا عن الأسف. يطالب عرفات بمقابلة الله. يعود الملاك إلى الداخل لإبلاغ الله [illegible] هذا البائس يصرخ أنه وشعبه شهداء ويدعون حقهم بمكان في الجنة. ويخبره الملاك أنهم ليسوا على القائمة.

يسأل الله: وماذا أيضا؟

يُجيب الوطني البيروقراطي ملائكي: لا أعرف كم مرة دققته.

يُفكر الله مليا ثم يتوصل إلى قول: تماما لا نطلب من ملاك جبرائيل أن يكبح لهم مخيما حتى نجد حلا مناسبا لهم.

وهنا تأتي الضربة التي يعرضها نكتة المضحك: الفلسطينيون لاجئون أيضا في السماء كما في الأرض.

هذه النكتة تعبر عن شعور الفلسطينيين المرير بأن لا أحد يريدهم ولا حتى الأمة العربية نفسها. [illegible] يمكن القول إن الفلسطينيين هم يهود العالم العربي.

وبعد هذا [illegible] تسرع الكاتبة بتمييزها في إضفاء الشرعية [illegible] الأخلاقية على إسرائيل محملة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين إلى الشعوب العربية التي رفضت أن تعترف بإسرائيل في الوجود. تقول إرشاد:

متى وصل اليهود إلى هناك؟ أليس من الجائز أن اليهود كانوا دائما هناك؟ [illegible] مستوطنين [illegible] العهد في الضفة الغربية [illegible] مستكلا [illegible] من موطنهم [illegible] في غالب الأحيان بسبب مستوطناتهم غير المشروعة. ولكن



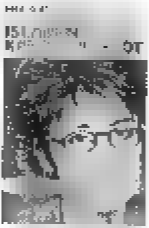
ثمة وقت في مكان ما قد ترسخ الزعم بأن اليهود مغتصبون عرب، فلسطين ينطلق من جهل لا يقل جهلاً عن الهدر الصاخب بأن لا مكان للعرب في إسرائيل.

إذاً كيف أصبح الفلسطينيون لاجئين منبوذين حتى داخل العالم العربي؟ من خلال ويلات الحرب تراجع أغلبية البلدان العربية التي لم تتمكن من استساغة وجود إسرائيل بينها. فبعد يوم واحد فقط على إعلان دولة إسرائيل في عام 1948 شنت خمسة جيوش عربية حرباً على إسرائيل، وصارت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين مشكلة خطيرة. في بعض الحالات عمد القادة العسكريون الإسرائيليون إلى تشريد السكان العرب مدفوعين باستراتيجية مبررة للبعض تحت اسم خطة داليت Dalet Plan. ولم يعد بإمكان إسرائيل أن تتنكر من أخطائه من ظلم بحق الفلسطينيين. ولكن في مصر جرى توجيه دعوات إلى العرب ليغيبوا. وكثير منهم هم ممن ... بسبب الدعاية الإسرائيلية. فلسطينيون أكثر بكثير اختاروا الرحيل متوهمين كل ثقة أن يعودوا بعد رمي اليهود في البحر. هؤلاء اللاجئون ترحوا بمصير مر من الأمم المهيمنين زانهم من العرب.

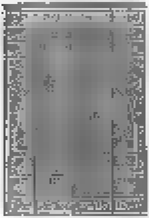
ومن خلال الحرب فلسطين حسب المنطق الإسرائيلي الأمريكي الذي يراد له أن يكون من[1] لاجئات الفلسطينيين من أراضيهم، الحرب الثانية.

ولكم مثيلاً آخر لمنطق العرب. فعلى امتداد سنوات كانت الكويت تصرح لوكالة الأمم المتحدة المسؤولة عن رعاية اللاجئين الفلسطينيين أقل مما تتبرع به إسرائيل. والعربية السعودية أيضاً كانت تنفق عليهم أقل مما تنفق إسرائيل، حتى حلت عائدات النفط بالتدهور. واليوم؟ عدم جرائمهم الأخيرة بأثقال والمساحات الشاسعة من الأراضي الفائضة يرفض السعوديون منح الجنسية لأي من الفلسطينيين. ولكنهم يبثون برامج تلفزيونية في الوقت نفسه تجمع التبرعات بالملايين من أجل تمويل عمليات التفجير التي ينفذها الانتحاريون. كما أنهم يكافئون عائلة من ينجح في تنفيذ عملية تفجير برحلة إلى مكة يتحملون تكاليفها كاملة.

هذا بعض من المنطق والتهافت التي يحكم كتاب المشكلة مع الإسلام اليوم. وفيه ما يحدد رأيك مما يدل على حجم الإسفاف والانحطاط الذي لحق ببعض الكتاب الحاقدين الذين رضوا أن يستغلوا بأنهم مستشرقون ... وتاريخيين ثمناً للإقامة في أمريكا، ومن أيضه من ثمن؟



عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ



تأليف: أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي

(المعروف بالسمين)

تحقيق: الدكتور عبد السلام أحمد التونجي

الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

أربعة مجلدات / [illegible] صفحة / قطع متوسط

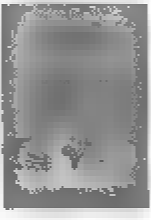
معجم لغوي خاص بالقرآن الكريم، يتناول الألفاظ القرآنية بالدرس والشرح على وجه التفصيل والتفسير. وقد اتبع المؤلف في ترتيبه منهج المعاجم مرتبة على حروف الهجاء الألف بائي، ثم شرح اللفظ بالشواهد القرآنية والحديث الشريف والأمثال والشعر. فالمؤلف يقوم بتحليل اللفظة مجردة من مزيدها ويتعرض لأصولها واشتقاقاتها وتطور معناها واختلافه من حيث الاستعمال، بمعنى أن المؤلف يتابع اللفظ صرفياً ونحوياً ولا يألو جهداً في عرض اللفظ من جوانبه كافة وأبعاد معانيه. ولهذا فهو ربما يفوق كتاب المفردات للأصفهاني على رأي المحقق، لأنه قد أكمل النواقص الموجودة في القراءات وسد الثغرات التي وجدها عند الأصفهاني، واعتمد المؤلف في استقصائه مع شمول معاني واختلافها يعتمد على الشواهد الشعرية الكلمة فيها وبعد مرد ذلك عامة في التفسير، لا يوضح الفروق بين المعاني المختلفة للفظ الواحد، كما لا يوضح معانيه توضيحاً كاملاً. وعلى هذا فإن أهمية هذا الكتاب تظهر جلية واضحة، ذلك أن اللفظ المراد تفسيره يتعلق بأفضل كتب الله الجليلة، أنزله الله على نبيه خاتم قرآناً فارقاً بين الضلالة والهدى.

منهج التعارف الإنساني في الإسلام
(نحو قواسم مشتركة بين الشعوب)

تأليف: الدكتور حسن الباش

الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

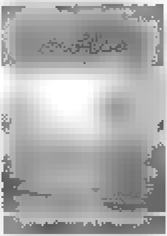
192 صفحة / قطع متوسط



ينطلق المؤلف من أن التعارف مبدأ إسلامي ورؤية للمستقبل الإنساني، فدعوة القرآن الكريم للتعارف تعني عندما يجد القواسم المشتركة بين بني البشر، وهي تتيح وتفتح لهم الطريق حتى يدرك طبيعته الفطرية والنفسية أولاً، ثم طبيعته الإنسانية الشمولية ثانياً، ثم دوره في الاستخلاف وتعمير الحياة ثالثاً. ولا ريب في أن التعارف والتواصل والتلاقي القائم على الاحترام المتبادل سيؤدي إلى كثير من النتائج والآثار الطيبة التي قد لا تبرز بسرعة، لكن التعارف كمفهوم وقيمة يحفر مجراه في العقول والنفوس والسلوك، ومهما طال الوقت فإن الآثار ستظهر وسيدرك أبناء البشرية أن هذا التعارف أمر أراده الله سبحانه وتعالى، وكلف به الأنبياء والرسل جميعاً.

أبحاث في التصوف وتاريخه

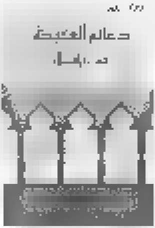
تأليف: الدكتور الفاتح علي حسنين
الناشر: كلية الدعوة الإسلامية
356 صفحة - قطع متوسط



استطاع التصوف أن يصمد في وجوه المتصدين له من فقهاء وغيرهم، وأن يصمد في بيئات مختلفة زماناً ومكاناً وفكراً وحضارة، وأن يقدم بكل جرأة تفسيرات عرفانية للكون والوجود على أسس من المعارف القلبية والشهود الحضوري والذوق والإشراق وما إلى ذلك. وهذا الكتاب يعالج موضوع التصوف .. تاريخاً وفكراً برؤية علمية ورؤية تحليلية شاملة ومتأنية جداً .. مهمة. ويستعرض من خلال التصوف وما أثير حوله من شبهات وما شاب بعض مراحله من غموض، وما صدر في حقه من أحكام أثير الحيرة لتضاربها .. إنها بحوث .. كما ورد في العنوان، ولكنها بحوث جادة سبرت العمق في البحث، والموضوعية في التناول والإنصاف في استصدار الأحكام، والدراية الكاملة بأسباب ظهور هذه الحركة وما صاحبها من مد وجزر، وقوة وضعف، وما تسرب إليها من أفكار وآراء .. كما تحاول هذه الصفحات أن تقوم برصد دقيق لما كان وافداً من أفكار أو بدعاً من الصوفية أنفسهم الذين كانوا ينتمون إلى بيئات ثقافية وحضارية مختلفة حاولوا أن يطبعوا مفاهيم الجديد بما معهم من معارف.

دعائم العقيدة في الإسلام

تأليف: الدكتور محمد الدسوقي
الناشر: كلية الدعوة الإسلامية
220 صفحة - قطع متوسط



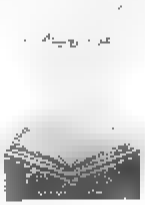
في هذا الكتاب يحاول المؤلف الحديث عن أهم مبادئ الإسلام وفق عرض مختصر يكشف عن القواعد العقدية، والدعائم الأساسية لهذه المبادئ بعيداً عن الفروع والخلافيات، حتى يستطيع التأكيد على أن هذا الدين الذي ارتضاه الله لنا ديناً دين الفطرة والحياة، وأنه جاء للناس كافة. والمؤلف يخاطب في القارئ العقل قبل الوجدان، والفكر قبل الشعور، لكي يقتنع بمحتوى ما يحمله عنه، دون الإطناب أو إسهاب، بما يمكن أن يسمى بخلاصة هذا الدين أو جماع عمومه وخلوده وصلاحيته الدائمة للتطبيق. ويتناول الكتاب مواضيع: العقيدة والشريعة والأخلاق والمجتمع والأسرة والحكم والمال والعلاقات الدولية والجهاد والمجتمع.

وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه

تأليف: الدكتور محمد الزحيلي

الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

(4) صفحة - قطع صغير



وظيفة الدين في الحياة مهمة وخطيرة وضرورية، حيث يظهر أثره واضحاً في حياة الفرد والمجتمع، كما تظهر بواعثه الفطرية في نفس الإنسانية والإنسان، لا يؤدي مرسمه في هذه الحياة، لا يستكمل إنسانيته ولا ينعم بالتوازن والاستقرار إلا بالدين، فالدين جزء من فطرة الإنسان وطبيعته، ولا يمكن للإنسان سوي عاقل أن يستغني عن جزء من فطرته وكيانه. وفي هذا الكتاب حديث عن مفهوم الدين الذي نشأته وأهميته، وحديث عن بواعث التدين الفطرية لمعرفة العلاقة بين الدين والفطرة، وحديث عن وظيفة الدين في حياة الفرد، ووظيفته في حياة المجتمع، كما يتناول المؤلف في فصل مستقل العلاقة بين الدين والعلم. والمؤلف يسعى في هذا العرض إلى أن يجمع بين الدراسة الفكرية النظرية الفلسفية العقلية، وبين الدراسة الشرعية التي تعتمد على الأدلة الشرعية والبراهين النقلية من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كما يحرص على اقتباس أقوال العلماء المعاصرين الذين لهم الدور في تخصصاتهم المتعددة.

موسوعة الإسلام في مواجهة الصهيونية

تأليف: محمد علوه

الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

186 صفحة - قطع صغير



يناقش هذا الكتاب فكرتين ونهجين: العقلانية والصهيونية، فالعقلانية حركة انبثقت نتيجة لجهد علامة من الكنيسة، وراح يطبقها على كل العلوم والمعارف والآداب والفنون والأديان، فخرج بها عن مسارها الصحيح وغاياتها النبيلة لتؤدي إلى مجتمع الضياع والحيرة والتمزق.

أما الإسلام فكان يطلق في عقلانيته مفهوم سديد، أكد في التطبيق الأول كتاب الله عز وجل، وشرح الله عقلية إسلامية عربية مازالت تتحدى من مستشرقين يتغنون بجمالها. ويتطرق الكتاب إلى الصهيونية ليثبت بالدليل القاطع أنها هي التي كانت وراء نشر كل تلك المفاهيم الباطلة التي تعصف بها ضياع الإنسانية وتحطها من كل القيم النبيلة التي سطروها في بروتوكولاتهم، والتي عملت ولا تزال تعمل على خلق الفتن والحروب والدمار وإهدار كرامة الإنسان.

نحتفل بكل فخر بصدور المجلد الأول لمطبوعة الثقافة الفكرية الشاملة "التواصل" [illegible]

[illegible] العصر والوجدان [illegible] نصف قرن كلمتها عبر سطور الأبحاث [illegible] وتحملا [illegible] رغم الصعاب والأزمات [illegible] التي المشروع الحضاري [illegible] الدعوة الإسلامية العالمية في وضع [illegible] الأساسية على مدى أكثر من ثلاثة عقود [illegible] على مستوى العالم الإسلامي فحسب بل على مستوى [illegible] [illegible] في هذه المرحلة [illegible] التواصل على مستوى الفكر [illegible] الآخر [illegible] التي شكلت في الفكر الإنساني [illegible] العصور الوسطى [illegible] منظومة الفكر والحوار والسياسة في العالم [illegible] هذه مطبوعة الثقافية الشاملة "التواصل" [illegible] من جديد أهمية الحوار لتحقيق التواصل والتمازج في عالم الفكر والثقافة مع مختلف الثقافات والحضارات [illegible] التأسيس [illegible] موضوعية جادة وحقيقية بعيدة عن الانغلاق والتقوقع الفكري متجاوزة في ذلك كل الاختلافات المذهبية والسياسية وفي إطار من الإدراك الشامل لخطورة الاستلاب [illegible]

وفي سياق هذا الهدف الذي [illegible] التواصل [illegible] الأعداد الأولى [illegible] العصر في عمق التاريخ والحضارة الإنسانية [illegible] بين الشرق والغرب [illegible] التي [illegible] الشرق [illegible] التواصل [illegible] الاستلاب [illegible] بالمحطات [illegible] بين الأمم والإنسان في كل مكان [illegible] حركة التاريخ [illegible]

وفي سياق هذا الهدف [illegible] التواصل [illegible] كما تنوعت العديد من المطبوعات الباحثة [illegible] كانت قد [illegible] العقلية العربية [illegible] للبشرية عامة [illegible] الإنسانية [illegible] وصولا [illegible] إلى [illegible] رائدا

"التواصل" [illegible] نقطة البدء [illegible] مرحلة جديدة [illegible] دراسات جديدة [illegible] الفكر [illegible] بالآخر والتواصل معه [illegible] المعاصر [illegible] العقل الإنساني [illegible] والتواصل معه [illegible]

[illegible] التواصل [illegible] فكري وسياسي [illegible] التواصل

[illegible] التواصل [illegible] التواصل.

د. سالمة عبد الجبار

جامعة الفاتح - طرابلس - ليبيا

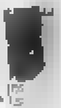
... إلى سبيل الرشاد ؟ أم هي ... ؟

من جمعية الدعوة الإسلامية ...

الزمان والمكان.

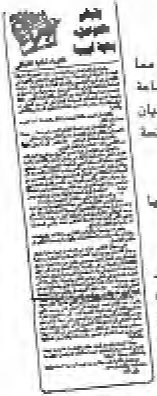
للمسيح.

... الأمامية أكثر ... ويقدم عن اللغة الإنشائية ...



... ملف القدامة ... ارق ... الأحسن من القار

● ... إيجابيات ... والطباعة والأناقة والإخراج، ومنها صحة اللغة، ومنها كذلك عرض لكتاب (لم تكن ... رواية ... صفحة ...) ومنها كذلك عرض لكتاب (الأصدقية) وهو كتاب يعرف القارئ بحركة ماسونية مشابهة للأخلاق هي القاديانية الفاسقة.. إنها ... العرقات المكرسة لاستعباد ...



وتبقى التواصل بهجة ليبية

ويتواصل التواصل مع (التواصل)، هذه المطبوعة الأنيقة الجامعة المميزة في منهجها، مما يستدعي الاهتمام والانتباه في التواصل مع طرح المواضيع والقضايا الجامعة، تقرأ فيها حوارات الساعة والمناقشة والرأي والتحليل بروح موضوعية دون انحياز أو تعصب، حيث يحتل الحوار بين الأديان والثقافات اليوم مكانة رئيسية ضمن اهتمامات السياسة العامة على الصعيد الدولي، من أجل مكافحة مظاهر التعصب، كقاعدة لتأمين السلام والتعاون والتنمية.

والتواصل أفردت مكاناً للبحث والمقال والفلسفة. كما أفردت صفحات للفكر.

ففي التواصل تجد أعمالاً للفكر والإحساس معاً. وبهذا الإحساس والفكر تدخل التواصل عامها الثاني بنجاح مشكل.

والتواصل تستنطق الحاضر.. فالحاضر كل ما يبقى خالداً من الماضي (أي المعاصرة والفعل اليومي).

والجميل في (التواصل) أنها تجمع التاريخ مع التاريخ الأيام ذات الفعل الفني حضارياً والمؤثر في بنيان العقل والثقافة، ولأنها تحتوي صفحاتها الصحفية فهي تستهدف التميز بتقديم ما يوازي ويناهض أرقى الصحف، فهي تحتفي بنشر المقالات والبحوث عن الجوانب المختلفة في الإبداع الحضاري منذ أقدم العصور مع إبراز جوانب الفكر والأدب، وغيرها من عناصر الفعل الحضاري المعاصر. وهذا الربط الجدلي بين الماضي والحاضر ليس التفاتة عارضة من (التواصل) بل توجهاً يقينياً يزدان بتحقيقه يصل بإحكام السيطرة بين طرفي معادلة (المعاصرة والتراث).

ومن الواجب الإشارة هنا في عجالات تلخيصية بمسيرة لمواد (التواصل) بدءاً من الافتتاحية الجميلة الممتعة للأستاذ علي محمد الهيفاني (التواصل.. أصل الحكاية) إلى استراحة الصفحة الأخيرة التي تناول فيها الأستاذ الدكتور محمد بلاسي الحضارة الإسلامية بين النقل والإبداع.

ومع فسيفساء رائعة من التقارير والمقالات والدراسات والملفات والحوارات والاستطلاعات والواحة وتسفة الكتب ثم ملتقى التواصل.

ففي مجال التقارير قرأت في التواصل خبراً ساراً يتعلق بمجال التعاون بين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومنظمة اليونسكو، وهو إنجاز لعمل موسوعي يتكون من ستة أجزاء، يتناول الثقافة الإسلامية بكل مظاهرها، وهذا العمل يهدف إلى إبراز إسهامات المسلمين في بناء الحضارة الإنسانية، وتوثيق إنجازات العلماء المسلمين في شتى ميادين العلم والمعرفة، بالإضافة إلى تمويل موسوعة إعادة كتابة تاريخ الانسانية التي يضطلع المجتمع الدولي بإنجازه من خلال منظمة اليونسكو والذي مولت الجمعية الجزء الرابع منه بالكامل وهو الجزء الذي يتناول تاريخ الإسلام.

ولا تتوقف طلعات (التواصل) وهي تطوي عامها الأول حيث يكتب د. عبد الفتاح أحمد أبو زايدة أن المحاور التي رسمت لتكون مشاريع كتابة في هذه المجلة المتنوعة تصل إلى مستويات القراء بحسب الثقافة والمعرفة، وليس من اليسير على مجلة تخطو نحو عامها الثاني أن تحقق هذا الطموح إلا أن يكون وراءها عمل مستمر وبحث جاد من أقلام مستنيرة تسهم في إثراء حركة الوعي، وتريد لهذا العالم الخير والسعادة، وللإنسان السكينة والطمأنينة.

وبهذا الهدف والبحث الجاد حققت (التواصل) طموحها، وبهذه الأقلام المستنيرة والعاملين فيها حققت التواصل نجاحها واستحقت مجلتنا الجميلة.

ستبقى التواصل مجلة بهجة ليبية يسرنا استمرارها وانتشارها والتواصل معها.

لطفية القبائلي

صحيفة الشمس / العدد 3333، 7 / 4 / 1373 من وفاة الرسول ﷺ (2005 مسيحي) - ليبيا

أعيد نشرها بإذن من الكاتبة

الصديق بشير نصر*

ثقافة الوهم وسيف ديموقليس**

يحكى أن رجلين ترافقا في سفر، حتى إذا أشرفا على وادٍ يحيط به جبل، قال أحدهما: أتمنّى لو كان لي ملء هذا الوادي هياماً ونَعَماً.

وقال الآخر: أمّا أنا فأتمنّى لو كان لي بعدد أشجار هذا الجبل ذئاباً، فتعدو على أنعامك فتفترسها.

فتخاصم الاثنان وتَمَلّأ سبابهما وشرعا يتقاتلان حتى مرّ بهما رجلٌ يحمل على رأسه قربةً من سمن، فاحتكما إليه وكلٌّ منهما يرجو الإنصاف.

فما سمع الرجل حكايتهما حتى استلّ خنجره، وقال: ليسيلُ دمي مثل هذا إن لم تكونا أحمقين.

وضرب الرجل قربته فسال السمنُ على وجهه.

خصام على وهم يفضي إلى اقتتال، وكم في حياتنا من القتال لا نعرف له علّة! يحدث هذا عندما يسيطر الوهم ويتجسد، ويصير حقيقة حتى يصبح نعتُ الوهم بالوهم وهماً، ويترسخ أكثر عندما يُحتكم إلى من هو أكثر حماقة، وحينئذ تُسَبُّ الفضيلة، وتُحتقَرُ المعرفة، ويُمقَتُ الصدق، ويصبح ذلك أمراً مقبولاً بحكم الإلف والعادة. وأما أن تتحول الأشياء إلى أضدادها، فتلك لعنة لا يمكن الخلاص منها، لأنها علّة ستتحكم بالعقل والسلوك، فما يعود العقل يحسن الحكم على الأشياء، وما يعود السلوك ينقاد إلى فضيلة. وإذا فقدت الأمة عقلها فقد أضاعت رشدها، وإذا أضاعت رشدها استخفت بها الأمم!!

ومن هنا يأتي دور المثقف ليعيد إلى مجتمعه التوازن والوعي، لا بمجرد نعت الوهم، ولكن بتسليط الضوء عليه، ومحاصرته، حتى لا يستشري، فيتحول التردد إلى رشد، والهزيمة إلى نصر، والعيّ إلى فصاحة وبيان، والجبن إلى شجاعة، والتخاذل إلى بطولة، والجهل إلى معرفة!!

في غياب المثقف يتحول النقد إلى نوع من التحريض المقيت، فيصير الشُّعرور شاعراً، والكويتب كاتباً، ويُهرع كل من هبّ ودبّ لينال حظه من هذا الافتراء، وما يمنعه من ذلك ومن هم دونه ناطحوا هام السحاب؟

في غياب المثقف تسود ثقافة الوهم التي تدفع أشباه المثقفين إلى محاولة قيادة الأمة وإدخالها في الوهم من جديد باعتباره نتاجاً طبيعياً لغياب المثقف الفاعل.

والشعوب التي يروجُ فيها لثقافة الوهم بشكل رسمي، وتجند الدولة كلّ مؤسساتها لتجعل لبضاعتها الرديئة سوقاً نافقة، ليس لها مستقبل.

وإذا كُتب لها الحياة فستكون حياة رتيبة رثّة خالية من المعنى، ولعلها تكون أقرب إلى حياة الدواب منها إلى حياة البشر.

لا نريد أن يتحول الوهم في حياتنا إلى سيف أشبه بسيف ديموقليس، يهدد بقطع رؤوسنا كلما فكرنا أن نتحرر منه، فالواقع الراهن يلح على المثقف لكي يتبوأ مكانته الجديرة به، والجدير بها ليصحح موقف الحكم في تلك الحكاية لا ليكون أكثر حمقاً من رجلين أحمقين، لا ليضرب قربته بسيفه فيسيل السمن، ولكن ليقول صواباً.. ويتواصل مع مجتمعه فاعلاً، مستشرفاً آفاق المستقبل المشرق.

---

* كاتب وباحث وأستاذ جامعي / ليبيا

** ذلك السيف الذي تقول الأسطورة أن الملك ديموقليس علّقه فوق عرشه وشدّه بخيط رقيق كالشعرة، فلا يجرؤ أحد عنده أن يقترب منه مخافة أن يهوي على رأسه، فلا يملك إلا الفرار منه.





مع تحيات مجلة التواصل

